




# الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ج.م.ع

ت: ٢٦٣٨٥٩٩




بسم الله الرحمن الرحيم

## داخل العدد


- لا حياة بلا دين
للشيخ / إبراهيم الدسوقي
- الإسلام والغرب وحقوق الإنسان
للدكتور / محمد عمارة
- من عيون التراث
للأستاذ / محمد أبو الفضل إبراهيم
- ما يقال عن الإسلام
للدكتور / محمد رجب البيومي
- المجتمع الإسرائيلي
للدكتور / محمد حسن عبد الخالق


## الاشتراك السنوى

| | |
|---|---|
| ● داخل مصر | ١٨ جنيها مصريا |
| ● الدول العربية | ٥٠ دولارا أمريكيا |
| ● أوربا وأمريكا | ٨٥ دولارا أمريكيا |
| ● اليابان وشرق آسيا | ١٢٠ دولارا أمريكيا |

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ..٥٧٨٦١ - ٨٥٧٦٢٠٠


المحرم ١٤٢٢هـ - ابريل ٢٠٠١م - الجزء الأول - السنة الرابعة والسبعون




# المثقفون والأدب الهابط

حين قام وزير الثقافة بإقالة من أشرفوا على نشر الأدب الهابط، كثر ترداد الصحف من يومية وأسبوعية لكلمة «المثقفين» تحت عناوين كثيرة، مثل احتجاج المثقفين، دعوة المثقفين إلى الاستقالة الجماعية، ثورة المثقفين، وذكرت بهذا الصدد أسماء لا تذكر إلا في مجالين فقط، مجال الدفاع عن السقوط الخلقي أو مجال الإشادة بالإلحاد الديني، وكان هؤلاء الذين وصفوا بالمثقفين، لا عمل لهم في الحياة إلا صيانة الانحدار الخلقي، والكفر الصريح معا بدعوى حرية الفكر.

وقد صودرت حرية الفكر في أمور كثيرة غير هذين فلم نسمع لهم صوتا، إذ ليس هناك مجال يحرصون على حمايته غير الأدب السافل، والإلحاد الصريح!

والحق أن أصحاب هذا الشغب ليسوا من الأصلاء في عالم الفكر لأن الأصلاء قد ربأوا بأنفسهم عن الانحدار الشائن، وفيهم من وجهت إليه دعوة للاحتجاج المفتعل، كالأستاذ الدكتور عبدالقادر القط، فلم يشأ أن ينحدر مع المنحدرين، واعتذر بكياسة نعرفها لدى من هو في مثل فضله وأدبه، وهو بلاشك يعرف مقدار هؤلاء، ويعلم وزنهم الهش، فأبى أن يسير معهم في ركب واحد.

وأشد ما يؤلم النفس أن يدعي الثقافة من لا يتأهل إلى الانتساب إليها، لأن المثقفين الأصلاء الذي تسنموا زعامة الفكر المصري في أزهى عهوده، كانوا من الالتزام الحقيقي بآداب الفكر الأصيل، ومن الترفع عن النزوات الهابطة بحيث حاربوا الهبوط الأدبي حربا لا هوادة فيها، وقد ذكرنا في العدد الماضي كلمة للأديب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات تضع الحق في نصابه، فشغب شاغب من هؤلاء على الزيات وعده في رأيه أزهريا قديما ومكانة الزيات أرفع من أن ينبح حولها نابح، بل إن من فعل ذلك دل على خوائه وضحالة فكره وكان اتهامه للزيات شهادة صريحة بفضله وهو الذي حمل مشعل الأدب الرفيع، فقاد الثقافة المصرية قيادة رفعت رأس مصر في العالم العربي أجمعه إذ كانت مجلة الرسالة أقوى مجلة حملت أمانة الفكر في النصف الأول من القرن الماضي، ومازال تلاميذها يتلمسون العوض عنها فيما يصدر رسميا وغير رسمي من الصحف والمجلات فلا يجدون.

ولندع الزيات في جوار ربه ونتحدث عمن لايشك أحد في أصالة اتجاههم وجليل زعامتهم للفكر العربي لنعرف ما يقول هؤلاء المثقفون الحقيقيون فيكون حديثهم الصريح عصا موسى التي تلقف ما يدعي مثقفو اليوم وتصفهم بالثقافة جبرا لخواطرهم، فالواقع أنهم منها بمكان بعيد، وسيصابون بصدمة عنيفة حين تذكر لهم آراء عباس محمود العقاد وتوفيق الحكيم ومنصور فهمي وهم جميعا من الزعامة الأدبية في مصر والعالم العربي بحيث لا ترتفع إلى قاماتهم العالية قامة تتمثل فيمن يعارضون المنحى الخلقي في الأدب متوهمين أنهم وحدهم أولو الثقافة الرفيعة، وإذا صدقوا أنفسهم فيما يتوهمون فلن يصدقهم من يعرف الأصيل من الدخيل.

لقد أدهش العقاد ما يزعمه مروجو الأدب الماجن من أن الحرية الفكرية هي الدافعة إلى تصويره وكعادته في سبر الأغوار باحثا عن الدوافع التي بعثت على هذا القول قال في صراحة:

« حكاية الحرية هي نفسها ضرب من النفاق يستير وراءه السبب الصحيح أو السبب الأكبر لهذا الولع بالمسائل الجنسية وهو الحرمان الجنسي على أنواعه من حرمان العجز أو حرمان الفاقة أو حرمان الحظ والتوفيق، ولولا ذلك الحرمان لما راجت كتب الجنس وفضائحه ».

فإذا تحدث العقاد مبينا السبب في اصطفاء هذا الضرب من المجون وهو الحرمان، انقض على شبهة أخرى يروجها عشاق الأدب الماجن وهي أن هذا الأدب يصف أمورا لا يجهلها أحد وحينئذ فمن الخير أن تذاع فيقول في نسف هذا اللغو:

« وليس أسخف من حجة القائلين بأن كُتُبَ الشهوات والفضائح ينبغي أن تنشر، لأنها تصف أمورا واقعة لا يجهلها أحد لأن الناس لايكتبون عن ضرورات الجسد، وهي واقع لاينقطع في مكان يسكنه إنسان، ولايكتبون عن النقائص التي اصطلحت الأذواق على سترها والسكوت عنها، ولا نعلم أن قانونا وضع من قبل لتحريم الكتابة في هذه الأمور، فلا حجر على الحرية هنالك ولكنه الحجر على فساد الذوق وابتذال الخلق وسماجة الحديث.

وإذن فالقول بأن هذه الأشياء لا يجهلها أحد ليس مما يدعو إلى كتابتها، فهناك أشياء يعانيها الإنسان في المرحاض وفي غير المرحاض لايجهلها أحد ولكن الذوق يأبى أن نتحدث بها، فما كل معلوم يجب أن يصرح به حتى يقول هؤلاء: إنها أشياء واقعية لايجهلها أحد!

وقد أبدع الكاتب الكبير حين علل الشغف بالتماس هذه المثيرات الحسدية بفقد العقيدة الروحية، وهو تعليل صائب لأن كل ذي عقيدة روحية يأنف من حديث الشهوات السافلة ويرتفع بنفسه عن دنس يلطخه بقاذوراته، أما هؤلاء فليس لديهم ما يحميهم من هذا الهوان يقول العقاد:

« إن الإنسان لا يطلب المثيرات الحسية إلا لأنه فقد القرار على عقيدة روحية أو على فكرة مثالية أو على ثقة خلقية، ومتى فقد هذا القرار دفعه القلق إلى أن يشغل نفسه بما يثير حسه، وسئم المثيرات لامحالة لأن هذه المثيرات تفقد معناها ولاتصبح مثيرة إذا استمر





التنبيه يوما بعد يوم، وهذا الذى عنيناه حين قلنا: إن الولع بالمثيرات تعويض خاسر عن العقيدة الروحية، وعن الفكرة المثالية وعن الثقة الخلقية؛ لأن هذه القيم الرفيعة تُزوّد النفس بعوامل الحركة وعوامل السكون فى وقت واحد، وإذا احتاج صاحب العقيدة إلى الصبر والقرار وجد من عقيدته معاونا على التبصر والاستقرار».

وفى كلام العقاد وصف وتحليل وعلاج فالوصف يتجلى فى كشف هذه النفوس المريضة وعزلها عن النفوس الصحيحة، والتحليل يتجلى فى إيضاح علة الولوع بوصف الأمور الهابطة فى المخادع والخلوات، وهى الحرمان الذى يعانيه من يدافعون عن كشف هذه العورات، والعلاج يظهر ففى استجاشة العقيدة الروحية وضرورة إحيائها لتكون سدا منيعا أمام هذه المنكرات![1]

هذا بعض ما قاله العقاد، فماذا قال توفيق الحكيم؟

تعلم أن توفيق الحكيم عميد المسرح المعاصر، وقد وصف فى مسرحياته الكثيرة ألوان النشاط الاجتماعى وأحوال النفس البشرية وأجاد تصوير نوازعها المختلفة من هابطة وراقية ولكنه فى تصوير مشاهد الهبوط لم يتسفّل إلى حضيض المحظور من الانحدارات الهابطة مع أنه أجاد تصوير أدق المواقف الخطيرة بما لا يجرح مشاعر الإنسان المتحضر وكأنه التزم بالتصوير القرآنى حين يصف أدق هذه المواقف وصفا نبيلا يرتفع بالقارئ دون أن ينحدر به كما فى قول الله ـ عزوجل ـ:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[2].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[3].

---

(١) يراجع الجزء الثانى من يوميات العقاد ص١٩٤، وص٤٤٣.

(٢) الأعراف (١٨٩). (٣) البقرة (١٨٧).





وقد أنكر على فريق من الروائيين أن يخالفوا الخلق الرفيع فيما يعرضون من مواقف مؤكدا أن الفن الذى لايتسم بالخلق أحط مرتبة من غيره لأنه يشقى الإنسانية ولا يسعدها، ووظيفة الفن الرفيع أن يرتفع بالمشاعر إلى حيث تجد الطمأنينة والاستقرار، ثم يستشهد بقول جريو ( إن الروح الأخلاقى عند الفنان كعبقريته يجب أن ينبعا معاً وفى وقت واحد من أعماق طبيعته، وإن الفن غير الأخلاقى هو على كل حال أحطّ مرتبة حتى من وجهة النظر الفنية الخالصة ذلك أن الفن العالى ليس هو الذى يثير فى النفس أحرَّ المشاعر وأعنفها فحسب، بل ذلك الذى يثير فيها أكرم المشاعر وأنبلها وأرحمها، وإن خطر الفنّ يرجع إلى تلك القدرة العجيبة التى يستطيع بها أن يستدر عطفك على مخلوقاته ويستلب اعجابك بصوره وإن العطف والإعجاب يعديان كالمرض، فإذا أبدع الفن فى تصوير لون من الشذوذ والانحطاط وحملك بهذا الاعجاب على أن تعطف على الانحلال، فإن مجتمعا بأسره تسرى فيه العدوى عن طريق هذا الفن.[4]

وإذن فعدوى الانحلال الروائى فى عالم الفن تنتقل مباشرة إلى المجتمع الإنسانى نفسه ويصير الأدب الساقط أداة هدم تكتسح رواسى الاستقرار، والذين يجنحون إلى هذا الضرب من التسفل يحتاجون إلى دروس فى الخلق الإنسانى، إذ أنهم يجهلون ما ترفده كتب الأخلاق من نوازع كريمة ترتفع بقارئها عن التسفل، ومن يصور الرذيلة هذا التصوير لايعرف كيف يصور الفضيلة، إذ هو يجهلها تمام الجهل ولو عرف منازعها الشريفة ما انحدر إلى هذه الموبقات، ومن هنا تخصص قصاصون فى الشرق والغرب فى تصوير الرذائل وحدها لأنهم لايفهمون غيرها، وإذا كان الكاتب بهذا القصور الإنسانى الشائه فحرام عليه أن يطالع الناس بمظاهر قصوره بل بمظاهر سقوطه! وقد قال بعض الكاتبين عن قصة بغيضة: إنها أدب جنس، فرد عليه العقاد بأنها جنس فقط! أما الأدب فلا يليق أن توصف به، والجنس تعرفه الحيوانات كما تعرفه الأناسى وإذن فلا فارق!

أما الدكتور منصور فهمى فهو مدير جامعة الاسكندرية من قبل وعميد كلية الآداب بالقاهرة حين كانت هى الكلية الوحيدة فى مصر التى ترسل أضواء الثقافة المعاصرة على العالم العربى جميعه وقد عرفته الندوات الأدبية فى قاعة يورث فى الجامعة الأمريكية وفى جمعية الشبان المسلمين متحدثا بارعا من كبار المحاضرين يقرن اسمه باسم الدكتور طه حسين، إذ كثيرا ما كانا يشتركان فى جدال علمى رشيد، هذا الرجل العظيم حقا قد تحدث عن وباء الأدب الإباحى بالجزء الثانى من مجلة كلية الآداب الصادرة فى سنة ١٩٥٧ وكأنه يتحدث الآن مع مضى ما يقرب من نصف قرن إذ ألهمه الله أن يرد على شبهات هؤلاء المتحللين فيدفعها بسيف لايفل وبمنطق سديد لايجد المنصف غير الأذعان له عن رضا واطمئنان، تحدث عن الفوضى فى فهم الحرية وعن ادعاء أنها لا تتقيد بقيود فقال فى دفع هذا المروق:

---

(٤) فن الأدب لتوفيق الحكيم ص٧٧.

ولعل أول ما يعن للخاطر أن الحرية لا تتقيد بقيود، ولاتحدها حدود، ولكن الحقيقة أن الحرية فى الفن الجميل والإلهام الحر عند الفنانين تتقيد بسيرهم فى محيط الدائرة حين يصدرون عن مبدأ الجمال وينتهون إليه كما هو خالص مستمد من الأزلية ومن الله، يحدده العقل السليم، ويقرُّه العرف المستقيم ويستسيغه الذوق القويم، وتهدى إليه فطرة الله.

وعلى ذلك فإن الحرية للفنان الموهوب لايمكن أن تسول إليه تصويرالفاحشة ليغرى بها، أو تشخيص الخيانة ليحض عليها، أو تبرز الإباحية ليزكيها، أو ترسم الضلالة ليدعو إلى السير فيها، فإن ذلك كله ليس من مطالب العقل السليم أو العرف الصالح أو مألوف الذوق المستقيم، كلا، ولا من فطرة الخلق ولا من وحى الله، فإذا انحدر الفنان إلى تصوير ما أسلفنا فإنك لاتحس إلا الذل والإسفاف الهوان؛ لأن ذلك من عمل الشيطان، فليس للفنان أن يلبس الحق بالباطل باسم الحرية فى الفن وليعلم أن الفن، يرتفع ويسمو بالناس إلى المعانى الخالدة ولا ينحط إلى حضيض الشهوات، والفن السليم وراءه الله، والحق مقصده ومرماه، والخير غايته وقصاراه ثم يرد فى مقال تال على ما يزعمه بعض الأغرار من أن حديث الغرائز الهابطة مما يؤثر فى النفوس فهى إذن تتطلبه يرد على ذلك فيقول:

« ولعلك تقول لى كيف تنكر الجمال فيما يؤثر فى النفوس، فأقول: نعم إن الذى يثير فى النفوس شهوات دنيئة هو مؤثر بلاشك ولكنه غير جميل، فليس كل مؤثر يصح أن نخلع عليه صفة الجمال؛ لأن التأثر بالجمال قد يأتى من وسائل أخرى لاتمت إلى الجمال بصلة كتأثير السحرة الذين تنطلى عليك طرائفهم وأنت واثق أنهم كاذبون فهناك فرق إذن بين التأثير الحقيقى الذى يسكبه فى النفوس شعاع الجمال، وبين التأثير الزائف الذى تسوقه غرابة خادعة أو أكذوبة بارعة ».

هذه أقوال صريحة لأئمة الفكر المعاصر من كبار المثقفين، أنقلها ليعرف من لم يكن يعرف أن زعماء الثقافة الحقيقية يقفون مع الخلق الكريم فى ترفعه ونبله وحيائه، فإذا جاء مدعو الثقافة اليوم ليعلنوا أنهم فى جانب الأدب الإباحى الذى يصور الواقع الخسيس دون حياء فليعلموا أنهم بعيدون عن مفهوم الثقافة الحقيقية! وإذا كان أمثال عباس محمود العقاد وتوفيق الحكيم ومنصور فهمى قد أبانوا باطل هؤلاء المدعين فلم يبق عليهم إلا أن يعترفوا بأنهم ينحرفون عن معنى الأدب الصحيح.

دكتور / محمد رجب البيومى

# تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله - تعالى - : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ
مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ
وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾
كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟
شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ
ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ
عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ

حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ
مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ
هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ **الآيات من ٢١٥ : ٢١٨**

أرشد الله -تعالى- المؤمنين إلى أن مما يعينهم على دفع الأذى وعلى دحر أعدائهم أن يبذلوا أموالهم في طاعة الله، وأن يعدوا أنفسهم للقتال في سبيله

**قال الآلوسي**: عن ابن جريج قال: سأل المؤمنون رسول الله -ﷺ- أين يضعون أموالهم فأنزل الله -تعالى- قوله:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ ﴾ الآية. وعن ابن عباس قال: كان عمرو بن الجموح شيخا كبيرا وعنده مال كثير فقال يا رسول الله: بماذا نتصدق، وعلى من ننفق؟ فنزلت الآية.

والمعنى: يسألك أصحابك يا محمد أي شيء ينفقونه من أصناف الأموال؟ قل لهم: ما أنفقتم من أموالكم فاجعلوه للوالدين قبل غيرهما ليكون أداء لحق تربيتهما ووفاء لبعض حقوقهما، وللأقربين وفاء لحق القرابة والرحم ولليتامى لأنهم فقدوا الأب الحاني الذي يسد عوزهم، والمساكين لفقرهم واحتياجهم، وابن السبيل لأنه كالفقير لغيبة ماله وانقطاعه عن بلده.

**قال الإمام الرازي**: فهذا هو الترتيب الصحيح الذي رتبه الله -تعالى- في كيفية الإنفاق. ثم لما فصل هذا التفصيل الحسن الكامل أردفه بعد ذلك بالإجمال فقال:

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ أي: وكل ما فعلتموه من خير إما مع هؤلاء المذكورين وإما مع غيرهم حسبة لله وطلبا لجزيل

ثوابه وهربا من أليم عقابه فإن الله به عليم فيجازيكم أحسن الجزاء عليه ..[1].

وظاهر الآية -كما يقول الألوسي- أن السؤال عن المنفق فأجاب ببيان المصرف صريحا، لأنه أهم لأن اعتداد النفقة باعتباره. وأشار -سبحانه- إجمالا إلى بيان المنفق فإن قوله: ﴿ مِّنْ خَيْرٍ ﴾ يتضمن كونه حلالا إذ لا يسمى ما عداه خيرا، وإنما تعرض لذلك -أي لبيان المنفق عليه- وليس في السؤال ما يقتضيه، لأن السؤال للتعلم لا للجدل، وحق المعلم فيه أن يكون كطبيب رفيق يتحرى ما فيه الشفاء، طلبه المريض أم لم يطلبه. ولما كانت حاجتهم إلى من ينفق عليه كحاجتهم إلى ما ينفق بين الأمرين، «وهذا كمن به صفراء فاستأذن طبيبا، في أكل العسل فقال له: كله مع الخل». فالكلام إذا من أسلوب الحكيم. ويحتمل أن يكون في الكلام -أي في كلام السائلين- ذكر المصرف -أيضا- كما في سؤال عمرو بن الجموح إلا أنه لم يذكره في الآية للإيجاز في النظم تعويلا على الجواب، فتكون الآية جوابا لأمرين مسئول عنهما. والاقتصار في بيان المنفق على الإجمال من غير تعرض للتفصيل كما في بيان المصرف للإشارة إلى كون الثاني أهم. وهل تخرج الآية بذلك عن كونها من أسلوب الحكيم أو لا؟ قولان أشهرهما الثاني[2].

ولم يتعرض -سبحانه- هنا لبقية المحتاجين كالسائلين والغارمين إما اكتفاء بذكرهم في مواضع أخرى، وإما بناء على دخولهم تحت عموم قوله -تعالى- في آخر الآية

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾

فإنه شامل لكل خير واقع في أي مصرف كان.

قال الجمل و«ذا» اسم موصول بمعنى الذي والعائد محذوف، و«ما» على أصلها من الاستفهام ولذلك لم يعمل فيها يسألونك، وهي مبتدأ وذا خبره، والجملة محلها النصب بيسألون. والمعنى يسألونك أي الشيء الذي ينفقونه[3].

وقوله:

﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾

تذييل قصد به الحض على فعل الخير، لأن المؤمن عندما يشعر بأن الله يرى عمله ويجازيه عليه بما يستحقه، يشجعه ذلك على الاستمرار في عمل الخير. وإذا كان بعضنا يكثر من عمل الخير عندما يعلم أن شخصا ذا جاه يسره هذا العمل، فكيف يكون الحال عندما يعلم المؤمن التقي أن الذي يرى عمله ويكافئه عليه هو الله الذي لا تخفى عليه خافية، والذي يعطي من يشاء بغير حساب.

قال بعض العلماء: وقد اختلف في هذه الآية. فقيل: إنها منسوخة بآية الزكاة وهي قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ ﴾ وقيل -وهو الأولى- إنها غير منسوخة، وهي لبيان صدقة التطوع فإنه متى أمكن الجمع فلا نسخ[4].

وقوله:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾

حض لهم على بذل النفس في سبيل إعلاء كلمة الله، بعد أن حضهم في الآية السابقة على بذل المال.

---

(1) تفسير الفخر الرازي جـ6 ص 26.

(2) تفسير الألوسي جـ2 ص 105.

(3) حاشية الجمل جـ1 ص 170.

(4) تفسير آيات الأحكام جـ1 ص 114 لفضيلة الأستاذ محمد علي السايس.



والكُره –بضم الكاف– بمعنى الكراهية بدليل قوله –تعالى–:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا ﴾ أى أن القتال لشدة وبلائه، وما فيه من إزهاق الأرواح كأنه الكراهة نفسها فهو من وضع المصدر موضع اسم المفعول مبالغة، وقرئ وهو كره لكم –بفتح الكاف– فيكون فيه معنى الإكراه، لأن الكره بالفتح ما أكرهت عليه، وقيل هما لغتان بمعنى واحد وهو الكراهية.

ويرى كثير من المفسرين أن القتال إنما كان مكروها للنفوس لما فيه من التعرض للجراح وقطع الأطراف، وإزهاق الأرواح والإنسان ميال بطبعه إلى الحياة، وأيضا لما فيه من إخراج المال ومفارقة الوطن والأهل، والحيلولة بين المقاتل وبين طمأنينته ونومه وطعامه، فهو مهما يكن أمره فيه ويلات وشدائد، ومشقات تتلوها مشقات، ولكن كون القتال مكروها للنفوس، لا ينافى الإيمان ولا يعنى أن المسلمين كرهوا فرضيته، لأن امتثال الأمر قد يتضمن مشقة، ولكن إذا عرف الثواب هان في جنبه اقتحام المشقات. ولاشك أن القتال فى سبيل الله –مع ما فيه من صعاب وشدائد– ستكون عاقبته العزة فى الدنيا، والسعادة فى الأخرى.

ويرى بعضهم أن كره المسلمين للقتال ليس سببه ما فيه من شدائد ومخاطر وتضحيات بدليل أنهم كانوا يتنافسون خوض غمراته، وإنما السبب فى كراهيتهم له هو أن الإسلام قد غرس فى نفوسهم رقة ورحمة وسلاما وحبا، وهذه المعانى جعلتهم يحبون مصابرة المشركين ويكرهون قتالهم أملا فى هدايتهم ورجاء فى إيمانهم، ولكن الله –تعالى– كتب على المسلمين قتال أعدائهم لأنه يعلم أن المصلحة فى ذلك، فاستجاب المؤمنون بصدق وإخلاص لما فرضه عليهم ربهم.

ويبدو لنا أن الرأى الأول أقرب إلى ظاهر الآية، لأن القتال فريضة شاقة على النفس البشرية، بحسب الطبع والقرآن لا يريد أن ينكر مشقتها، ولا أن يهون من أمرها، ولا أن ينكر على النفس البشرية إحساسها الفطرى بكراهيتها ولكنه يعالج الأمر من جانب آخر، بأن يقرر أن من الفرائض ما هو شاق ولكن وراءه حكمة تهون مشقته، وتسهل صعوبته، وتحقق به خيرا مخبوءا قد لا يراه النظر الإنسانى القصير. وقد بين القرآن هذه الحكمة فى قوله:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ ﴾

أى: عسى أن تكرهوا شيئا كالقتال فى سبيل الله –تعالى– وهو خير لكم إذ فيه إحدى الحسنيين: إما الظفر والغنيمة –فى الدنيا– مع ادخار الجزاء الأخروى وإما الشهادة والجنة، وعسى أن تحبوا شيئا كالقعود عن الجهاد وهو شر لكم فى الواقع لما فيه من الذل ووقوعكم تحت طائلة الأعداء.

**قال الفخر الرازى:** معنى الآية: أنه ربما كان الشيء شاقا عليكم فى الحال، وهو سبب للمنافع الجليلة فى المستقبل، ولأجله حسن شرب الدواء المر فى الحال لتوقع حصول الصحة فى المستقبل، وترك الجهاد، وإن كان يفيد –أى بحسب ظنكم– فى الحال صون النفس عن خطر القتل وصون المال عن الإنفاق ولكن فيه أنواع من المضار منها: أن العدو إذا علم ميلكم إلى الدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتلكم.. والحاصل أن القتال فى سبيل الله



سبب لحصول الأمن من الأعداء في الدنيا وسبب لحصول الثواب العظيم للمجاهد في الآخرة..»[5].

**وقال القرطبي:** والمعنى: عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة وهو خير لكم في أنكم تغلبون وتظفرون وتغنمون وتؤجرون ومن مات منكم مات شهيدا، وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم في أنكم تغلبون ويذهب أمركم.

وهذا صحيح لا غبار عليه، كما اتفق في بلاد الأندلس، تركوا الجهاد وجبنوا عن القتال وأكثروا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد، وأي بلاد؟ وأسر وقتل وسبى واسترق، فإنا لله وإنا إليه راجعون ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته!! وقال الحسن في معنى الآية: لا تكرهوا الملمات الواقعة؛ فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرب أمر تحبه فيه عطبك، وأنشد أبوسعيد الضرير:

رب أمر تتقيه
جر أمرا ترتضيه
خفي المحبوب منه
وبدا المكروه فيه[6]

وهذا الكلام الذي كتبه الإمام القرطبي من مئات السنين يثير في النفس شجونا وآلاما، فإن المسلمين ما هانوا وضعفوا إلا عندما تركوا الجهاد في سبيل الله، وتثاقلوا إلى الأرض، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، وآثروا متع الدنيا وشهواتها على الحياة العزيزة الكريمة.

وقال الإمام ابن كثير عند تفسيره للآية: هذا إيجاب من الله -تعالى- للجهاد على المسلمين وأن يكفوا شر الأعداء من حوزة الإسلام. قال الزهري: الجهاد واجب على كل أحد غزا أو قعد. فالقاعد عليه إذا استعين به أن يعين، وإذا استغيث به أن يغيث، وإذا استنفر أن ينفر، ولهذا ثبت في الصحيح: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات ميتة جاهلية»، وقال -ﷺ- يوم الفتح: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا»[7].

وقد أجمع العلماء على أنه إذا نزل العدو بساحة البلاد وجب القتال على كل المسلمين، كل على حسب قدرته.

وقد ختم -سبحانه- هذه الآية الكريمة بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: والله يعلم ما هو خير لكم وما هو شر لكم في الواقع وأنتم لا تعلمون ذلك، فبادروا إلى ما يأمركم به لأنه لا يأمركم إلا بما علم فيه خيرا لكم، وانتهوا عما نهاكم عنه لأنه لا ينهاكم إلا عما هو شر لكم، ومفعولا يعلم وتعلمون محذوفان دل عليهما ما قبلهما. أي: يعلم الخير والشر وأنتم لا تعلمونهما. والمقصود من هذه الجملة الكريمة الترغيب في الجهاد، والامتثال لما شرعه الله -تعالى- سواء أعرفت حكمته أم لم تعرف، لأن العليم بالحكم والمصالح هو الله رب العالمين.

وبذلك نرى أن القرآن الكريم لا ينكر على الناس مشاعرهم الطبيعية، وأحاسيسهم الفطرية من كراهية للقتال، ولكنه يربي نفوسهم على الاستجابة لأوامر الله العليم بالغايات المطلع على العواقب، الخبير بما

(5) تفسير الفخر الرازي جـ ٦ ص ٢٩.
(6) تفسير القرطبي جـ ٣ ص ٣٩.
(7) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٥٢.

فيه خيرهم ومصلحتهم، وبهذه التربية الحكيمة بذل المؤمنون نفوسهم وأموالهم في سبيل رضا خالقهم عن طواعية واختيار، لا عن قسر وإجبار.

وبعد أن حرض الله -تعالى- المؤمنين على بذل أموالهم وأنفسهم في سبيله عقب ذلك ببيان حكم القتال في الأشهر الحرم فقال -تعالى-:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾

.. الآية.

وقد ذكر كثير من المفسرين ومن أصحاب السير في سبب نزول هذه الآية قصة ملخصها: أن النبي -ﷺ- بعث عبدالله بن جحش ومعه اثنا عشر رجلا كلهم من المهاجرين، وأعطاه كتابا مختوما وأمره ألا يفتحه إلا بعد أن يسير يومين، ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ولا يستكره أحدا من أصحابه. فسار عبدالله يومين ثم فتح الكتاب فإذا فيه: «إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل بنخلة -مكان بين مكة والطائف- فترصد بها عيرا لقريش وتعلم لنا من أخبارهم».

**فقال عبدالله**: سمعا وطاعة!! وأخبر أصحابه بذلك وأنه لا يستكرههم فمن أحب الشهادة فلينهض ومن كره الموت فليرجع فأما أنا فناهض! فنهضوا جميعا، فلما كانوا في أثناء الطريق أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما يعتقبانه، فتخلفا في طلبه، ومضى عبدالله ببقية أصحابه حتى وصلوا نخلة فمرت عير لقريش في طريقها لمكة وكانت في حراسة عمرو بن الحضرمي وعثمان بن المغيرة، وأخويه نوفل والحكم بن كيسان. فتشاور المسلمون وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب، لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن في الحرم فليمتنعن منكم، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام! فترددوا وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، فرمى «واقد بن عبدالله» عمرو ابن الحضرمي بسهم فقتله، وأسروا عثمان والحكم، وأفلت منهم نوفل فأعجزهم.

وقيل كان ذلك في أول ليلة من رجب وقد ظنوها آخر ليلة من جمادى، فإقدامهم على ما أقدموا عليه كان على سبيل الخطأ.

ثم أقبل عبدالله ومن معه بالعير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله وقد عزلوا من ذلك الخمس فأنكر رسول الله -ﷺ- ما فعلوه وقال لهم: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام» وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا. وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه القتال في الشهر الحرام، واشتد ذلك على المسلمين، حتى أنزل الله -تعالى- قوله:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾(٨).

والمعنى: يسألونك يا محمد عن حكم القتال في الشهر الحرام، قل لهم: القتال فيه أمر كبير مستنكر، وذنب عظيم مستقبح، لأن فيه اعتداء على الشهر الحرام المقدس، وانتهاك لمحارم الله -تعالى-.

والسائلون قيل هم المؤمنون، وقد سألوا عن حكم

(٨) تفسير ابن كثير -بتصرف وتلخيص- جـ ١ ص ٢٥١ ، وسيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٢٤٠.

ذلك على سبيل التعليم والتماس الخرج لما حصل منهم. وقيل هم المشركون وسؤالهم على سبيل التعيير للنبي -ﷺ- وأصحابه حيث أقدم بعضهم وهو عبدالله ومن معه على القتال فيه فرد الله عليهم بأن القتال فيه كبير ولكن ما فعله هؤلاء المشركون من صد عن سبيل الله وكفر به .. إلخ أكبر من ذلك بكثير.

فالجواب تشريع إن كان السؤال من المسلمين، وتبكيت وتوبيخ إن كان من المشركين، لأنهم توقعوا أن يجيبهم بإباحة القتال فيه فيثيروا الشبهات حول الإسلام والمسلمين، فلما أجابهم بأن القتال فيه كبير وأن ما فعلوه من جرائم في حق المسلمين أكبر وأعظم كبتوا والقموا حجرا.

والمراد بالشهر الحرام: الأشهر الحرم جميعها وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب. وسميت بذلك لحرمة القتال فيها، فه ال « في الشهر للجنس. وقيل للعهد والمراد بالشهر الحرام شهر رجب الذى حدثت فيه قصة عبدالله بن جحش وأصحابه. وقوله « قتال فيه » بدل اشتمال من الشهر الحرام، و ﴿ قِتَال ﴾ مبتدأ و ﴿ كَبِيرٌ ﴾ خبر و ﴿ فِيهِ ﴾ ظرف صفة لقتال مخصصة له.

**قال الإمام الرازى**: فإن قيل: لم نكر القتال في قوله -تعالى-: « قتال فيه » ومن حق النكرة إذا تكررت أن تجيء باللام حتى يكون المذكور الثانى هو الأول، لأنه لو لم يكن كذلك كان المذكور الثانى غير الأول كما في قوله -تعالى-: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾.

قلنا: نعم ما ذكرتم من أن اللفظ إذا تكرر وكانا نكرتين كان المراد بالثانى غير الأول. والقوم أرادوا بقولهم: « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه » ذلك القتال المعين الذى أقدم عليه عبد الله وأصحابه فقال -تعالى-:

﴿ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾، وفيه تنبيه على أن القتال الذى يكون كبيرا ليس هو القتال الذى سألتم عنه؛ بل هو قتال آخر؛ لأن هذا القتال كان الغرض به نصرة الإسلام وإذلال الكفر فكيف يكون هذا من الكبائر؟ إنما القتال الكبير هو الذى يكون الغرض فيه هدم الإسلام وتقوية الكفر؛ فكان اختيار التنكير في اللفظين لأجل هذه الدقيقة. ولو أنه وقع التعبير عنهما أو عن أحدهما بلفظ التعريف لبطلت هذه الفائدة. فسبحان من له تحت كل كلمة من كلمات هذا الكتاب -بل تحت كل حرف منه- سر لطيف لا يهتدى إليه إلا أولو الألباب[٩].

ثم أخذ القرآن يعدد على المشركين جرائمهم التى كل جريمة منها أكبر من القتال في الشهر الحرام الذى فعله المؤمنون لدفع الضرر عن أنفسهم أو لجهلهم بالميقات فقال -تعالى-:

﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ﴾

---

(٩) تفسير الفخر الرازى جـ ٦ ص ٣٢.

أى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين نحن نوافقكم على أن القتال فى الشهر الحرام كبير، ثم قل لهم أيضا على سبيل التوبيخ: إن ما فعلتموه أنتم من صرفكم المسلمين عن طاعة الله وعن الوصول إلى حرمه، ومن شرككم بالله فى بيته، ومن إخراجكم لأهله منه أعظم وزرا عند الله من القتال فى الشهر الحرام.

فالمقصود من هذه الجملة الكريمة إدخال الطمأنينة على قلوب المؤمنين بسبب ما وقع من عبدالله بن جحش ومن معه، وتبكيت المشركين على جرائمهم التى أولها يتمثل فى قوله -تعالى-:

﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أى: منع من يريد الإسلام من دخوله، وابتدأ - سبحانه - ببيان صدهم عن سبيله للإشارة إلى أنهم يعاندون الحق فى ذاته.

وثانيها قوله: ﴿ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ ﴾ أى: كفر بالله -تعالى- وهو معطوف على ما قبله.

وثالثها قوله: ﴿ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾

وهو معطوف على سبيل الله أى: وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام بمنعهم المؤمنين من الحج والاعتمار.

ورابعها قوله: ﴿ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ ﴾

أى: وإخراج النبى -ﷺ- وأصحابه من مستقرهم حول المسجد الحرام بمكة وهم القائمون بحقوقه، كل ذلك «أكبر» وأعظم إثما «عند الله» من القتال فى الشهر الحرام.

**قال الجمل**: فقوله «أكبر» خبر عن الثلاثة أعنى: صد وكفر وإخراج وفيه حينئذ احتمالان:

**أحدهما**: أن يكون خبرا عن المجموع.

**وثانيهما**: أن يكون خبرا عنها باعتبار كل واحد كما تقول: زيد وبكر وعمرو أفضل من خالد أى: كل واحد منهم على انفراده أفضل من خالد، وهذا هو الظاهر. والمفضل عليه محذوف أى: أكبر مما فعلته السرية[١٠].

ثم أضاف -سبحانه- إلى جرائمهم السابقة جريمة خامسة فقال:

﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ أى: ما فعله المشركون من إنزال الشدائد بالمؤمنين تارة بإلقاء الشبهات وتارة بالتعذيب ليحملوهم على ترك عقيدتهم أكبر إثما من القتل فى الشهر الحرام، لأن الفتنة عن الدين تفضى إلى القتل الكثير فى الدنيا وإلى استحقاق العذاب الدائم فى الآخرة.

وقيل المراد بالفتنة هنا الكفر. أى: كفركم بالله أكبر من القتل فى الشهر الحرام. وأصل الفتنة: عرض الذهب على النار، لاستخلاصه من الغش، ثم استعملت فى الشرك وفى الامتحان بأنواع الأذى والاضطهاد.

ويعزى إلى عبدالله بن جحش أنه قال ردا على المشركين عندما قالوا: استحل محمد وأصحابه القتال فى الشهر الحرام:

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة
وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد
وكفر به، والله راء وشاهد

(١٠) تفسير الجمل جـ ١ ص ١٧٢.

وإخـراجكم من مـسـجـد الله أهله

لـئـلا يرى لله في الـبـيـت سـاجـد

فـإنا وإن عـيـرتمونا بقـتـله

وأرجف بالإسـلام باغ وحـاسـد

سـقـيـنا من ابن الحـضـرمي رماحنا

بنخلة لما أوقـد الحـرب واقـد

دما، وابن عـبدالله عـثـمان بيننا

ينازعـه غل من القـد عـانـد

وقوله -تعالى-:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾

بيان لشدة عداوة الكفار للمؤمنين ودوامها.

أي: ولايزال المشركون يقاتلونكم أيها المؤمنون ويضمرون لكم السوء ويداومون على إيذائكم لكي يرجعونكم عن دين الإسلام إلى الكفر إن استطاعوا ذلك وقدروا عليه. والتعبير بقوله: «ولا يزالون» المفيد للدوام والاستمرار للإشعار بأن عداوة المشركين للمسلمين لا تنقطع، وأنهم لن يكفوا عن الإعداد لقتالهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، فعلى المؤمنين ألا يغفلوا عن الدفاع عن أنفسهم.

و ﴿ حَتَّىٰ ﴾ للتعليل أي

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ ﴾

أو بمعنى إلى، أي: إلى أن يردوكم عن دينكم. والرد: الصرف عن الشيء، والإرجاع إلى ما كان عليه قبل ذلك، فغاية للمشركين أن يردوا المسلمين بعد إيمانهم كافرين.

وقوله: ﴿ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ يدل -كما يقول الزمخشري- على استبعاد استطاعتهم رد المسلمين عن دينهم، وذلك كقول الرجل لعدوه: إن ظفرت بي فلا تبق عليّ، وهو واثق من أنه لن يظفر به، ويشهد لذلك التعبير بـ«إن» المفيدة للشك.

وفائدة التقييد بالشرط «إن» التنبيه على سخافة عقول المشركين، وكون دوام عداوتهم للمؤمنين لن تؤدي إلى النتيجة التي يتمنونها وهي رد المسلمين عن دينهم، لأن لهذا الدين ربا يحميه، وأتباعه يفضلون الموت على الرجوع عنه.

ثم بين -سبحانه- سوء عاقبة من يرتد عن الإسلام فقال:

﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

ويرتدد يفتعل من الرد وهو الرجوع عن دينه إلى الكفر.

و ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ أي: بطلت وفسدت وأصله من الحبط، بفتح الباء -وهو أن تأكل الدابة أكلا كثيرا تنتفخ معه بطونها فلا تنتفع بما أكلت ويفسد حالها وربما تموت من ذلك. شبه -سبحانه- حال من يعمل الأعمال الصالحة ثم يفسدها بارتداده فتكون وبالا عليه، بحال الدابة التي أكلت حتى أصابها الحبط ففسد حالها.

والمعنى: ومن يرتدد منكم عن دين الإسلام، فيمت وهو كافر دون أن يعود إلى الإيمان، فأولئك الذين ارتدوا وماتوا على الكفر بطلت جميع أعمالهم الصالحة، وصارت غير نافعة لهم لا في الدنيا بسبب انسلاخهم عن جماعة المسلمين، ولا في الآخرة بسبب ردتهم وموتهم على الكفر، وأولئك الذين هذا شأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون خلودا أبديا كسائر الكفرة، ولا يغني عنهم إيمانهم السابق على الردة شيئا.

وجيء بصيغة الافتعال من الردة وهي مؤذنة بالتكلف، للإشارة إلى أن من باشر الدين الحق وخالطت بشاشته قلبه كان من المستبعد عليه أن يرجع عنه، فهذا المرتد لم يكن مستقرا على هذا الدين الحق وإنما كان قلقا مضطربا غير مستقر حتى انتهى به الأمر بموته على الكفر لتكلفه الدخول في الدين الحق دون الثبات عليه.

وفي قوله: ﴿ مِنكُمْ ﴾ إشعار بأنه لا يتصور أن تتحقق بغية المشركين وهي أن يردوا المسلمين جميعا عن دينهم. بل أقصى ما يتصوره العقلاء أن ينالوا ضعيف الإيمان فيردوه إلى دينهم، فيكون الله -تعالى- قد نفى خبثه عن هذا الدين، إذ لا خير في هؤلاء المشركين ولا فيمن عاد إليهم بعد إيمانه، والكل مأواهم النار وبئس القرار.

**قال الجمل:** «ومن» شرطية في محل رفع بالابتداء، «يرتدد» فعل الشرط، «ومنكم» متعلق بمحذوف لأنه حال من الضمير المستكن في يرتدد، «ومن» للتبعيض والتقدير: ومن يرتدد في حال كونه كائنا منكم أي بعضكم، «وعن دينه» متعلق به يرتدد» وقوله: «فيمت وهو كافر» عطف على الشرط والفاء مؤذنة بالتعقيب، وقوله:

﴿ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ جملة حالية من ضمير يمت. وقوله: «فأولئك» جواب الشرط. وقوله «وأولئك أصحاب النار» مستأنف لمجرد الإخبار بأنهم أصحاب النار أو معطوف على جواب الشرط.. (١١).

وفي الإتيان باسم الإشارة «أولئك» في الموضعين تنبيه إلى أنهم أحرياء بتلك العقوبات الأليمة بسبب ردتهم وموتهم على الكفر.

وفي التنصيص على حبوط أعمالهم في الدنيا والآخرة زيادة مذمة لهم، فهم في الدنيا -بسبب ردتهم- تسلب عنهم آثار كلمة الشهادتين من حرمة الأنفس والأموال والأعراض والصلاة عليهم بعد الموت، والدفن في مقابر المسلمين، ومن طلاق زوجته المسلمة منه ومن عدم التوارث إلى غير ذلك من حقوق المسلمين، أما في الآخرة فشأنهم شأن الكافرين في ملازمتهم للنار. هذا ومن الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية الكريمة:

١- حرمة القتال في الشهر الحرام، والجمهور على أن هذا الحكم منسوخ وأنه لا حرج في قتال المشركين في الأشهر الحرم لقوله -تعالى-:

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾

فإن المراد بـ«الأشهر الحرم» هنا هي أشهر العهد الأربعة التي أبيح للمشركين السياحة فيها في الأرض،

---

(١١) حاشية الجمل على الجلالين جـ ١ ص١٧٤.

لا الأشهر الحرم الأربعة المعروفة، فالتقييد بها يفيد أن قتلهم بعد انسلاخها مأمور به في جميع الأزمنة والأمكنة. وأيضا لأن الرسول -ﷺ- غزا هوازن وثقيف وأرسل بعض أصحابه إلى أوطاس ليحارب من فيها من المشركين، وكان ذلك في بعض الأشهر الحرم، ولو كان القتال فيهن حراما لما فعله النبي -ﷺ-.

**قال الآلوسي:** وخالف عطاء في ذلك، فقد روى عنه أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله -تعالى- ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه وجعل ذلك حكما مستمرا إلى يوم القيامة، والأمة اليوم على خلافه في سائر الأمصار[١٢].

وقد رجح بعض العلماء ما ذهب إليه عطاء فقال: ومهما يكن فإن القتال في الأشهر الحرم حرام في حال الاختيار والابتداء فلا يصح البدء بالغزو فيه. ولقد قال جابر: كان رسول الله -ﷺ- لا يقاتل في الشهر الحرام إلا أن يُغزَى أو يغزو حتى إذا حضر ذلك أقام حتى ينسلخ.

ولقد قال بعض العلماء: إن تحريم القتال في الشهر الحرام منسوخ بقوله -تعالى-:

﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ ﴾

وبقتال النبي -ﷺ- أهل الطائف فيه. والحقيقة أنه لم يثبت ناسخ صريح في النسخ فإن قوله -تعالى-:

﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ ﴾ العموم فيه بالنسبة للمقاتلين لا بالنسبة لزمان القتال، وأن النبي -ﷺ- لم يبتدئ قتالا في الشهر الحرام مختارا قط، والتحريم في الاختيار والابتداء كما بينا لا في البقاء والإضطرار، لذا قال -سبحانه-:

﴿ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ ﴾، ولأن الأشهر الحرم نص عليها في خطبة الوداع وكل ما جاء فيها غير منسوخ[١٣].

٢- كذلك من الأحكام التي أخذها العلماء من الآية أن الردة تحبط العمل في الدنيا سواء أمات المرتد على كفره أم عاد إلى الإسلام قبل موته بدليل قوله -تعالى- في آية أخرى:

﴿ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ فقد علق الحبوط بمجرد الشرك، والخطاب وإن كان للنبي -ﷺ- فالمراد أمته لاستحالة الشرك عليه. وعلى هذا الرأي سار المالكية والأحناف.

ويرى الشافعية أن الردة تحبط العمل في الدنيا متى مات المرتد كافرا، لأن الآية تقول:

﴿ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾

ويظهر أثر الخلاف فيمن حج مسلما، ثم ارتد ثم أسلم، فالأحناف والمالكية يوجبون عليه إعادة الحج لأن الردة أحبطت حجه، والشافعية يقولون: لا حج عليه لأن حجه قد سبق والردة لا تحبط العمل إلا إذا مات الشخص كافرا.

ولكل فريق أدلته المبسوطة في كتب الفقه.

وبعد أن بين -سبحانه- وتعالى عاقبة من

---

(١٢) تفسير الآلوسي جـ ٢ ص ١٠٨.

(١٣) تفسير الآية الكريمة لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة مجلة لواء الإسلام السنة الخامسة - العدد العاشر ص٥٩٩.



يرتد عن دينه أتبع ذلك ببيان عاقبة المؤمنين الصادقين فقال -تعالى-:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

**قال الإمام الرازى**: فى تعلق هذه الآية بما قبلها وجهان:

**الأول**: ان عبدالله بن جحش قال: يا رسول الله: هب انه لا عقاب علينا فيما فعلنا، فهل نطمع منه أجرا وثوابا؟ فنزلت الآية لان عبدالله كان مؤمنا وكان مهاجرا وكان مجاهدا بسبب هذه المقاتلة.

**وفى الثانى**: انه تعالى لما اوجب الجهاد قبل بقوله:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾

وبين ان تركه سبب للوعيد أتبع ذلك بذكر من يقوم به وجزاؤه فقال:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ ﴾ ولا يكاد يوجد وعيد إلا ويعقبه وعد»(١٤).

والمعنى: إن الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، واستقاموا على طريق الحق، واذعنوا لحكمه، واستجابوا لاوامر الله ونواهيه،

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ ﴾ اى: تركوا اموالهم واوطانهم من اجل نصرة دينهم،

﴿ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ لإعلاء كلمته «أولئك» الموصوفون بتلك الصفات الثلاثة

﴿ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ اى: يؤملون تعلق رحمته -تعالى- بهم، او ثوابه على اعمالهم

﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ اى: واسع للمغفرة للتائبين المستغفرين، عظيم الرحمة بالمؤمنين المحسنين.

**قال القرطبى**: «والهجرة معناها الانتقال من موضع إلى موضع، والقصد ترك الاول إيثارا للثانى. والهجر ضد الوصل، والاسم الهجرة. وجاهد مفاعلة من جهد إذا استخرج الجهد. والاجتهاد والتجاهد: بذل الوسع والمجهود، والجهاد - بالفتح - الارض الصلبة.

وإنما قال ﴿ يَرْجُونَ ﴾ وقد مدحهم لانه لا يعلم احد فى هذه الدنيا انه صائر إلى الجنة ولو بلغ فى طاعة الله كل مبلغ لامرين:

**أحدهما**: انه لا يدرى بماذا ختم له.

**والثانى**: لئلا يتكل على عمله والرجاء ابدا معه خوف كما ان الخوف معه رجاء»(١٥).

وجيء بهذه الأوصاف الثلاثة مترتبة على حسب الواقع إذ الإيمان يكون اولا ثم المهاجرة من ارض الظالمين إذا لم يستطع دفع ظلمهم، ثم الجهاد من اجل إعلاء كلمة الحق.

وافرد الإيمان بموصول وحده لانه اصل الهجرة والجهاد وجمع الهجرة والجهاد فى موصول واحد لانهما فرعان عنه.

وبذلك نرى ان هذه الآية الكريمة قد دعت المؤمنين إلى بذل اموالهم وانفسهم فى سبيل نصرة الحق باحكم اسلوب وبرائتهم مما اثاره المشركون حولهم من شبهات وحذرتهم من السير فى طريقهم، وبشرتهم بحسن العاقبة متى استجابوا لتعاليم دينهم، واعتصموا بحبله.

«يتبع»

(١٤) تفسير الفخر الرازى جـ ٢ ص ٤١.

(١٥) تفسير القرطبى جـ ٣ ص ٥١.



# العناية بكتابة السنة النبوية

## فى عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام (*)

للدكتور/ أحمد معبد (**)

يقول الله - عز وجل -:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) والذكر هنا هو القرآن الكريم، وقد قررت هذه الآية بوضوح وتأكيد أن الله تعالى بعظمته العليا كما تفرد بإنزاله على رسوله الكريم، فقد تفرد أيضاً بحفظه وصيانته العامة الأبدية من أى تحريف أو دخيل، ومن لوازم حفظه - سبحانه - لكتابه العظيم، أنه حفظ أيضاً سنة رسوله - ﷺ - التى جعلها بياناً له معصوماً من الخطأ، لصدوره من مقام النبوة الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، ولما كانت بداية بعثته - ﷺ - فى الأميين لحكم سامية، فإن المرحلة الأولى لتلك البعثة قد شاعت فيها أمية القراءة والكتابة بلغة العرب التى اختارها - الله تعالى - لتكون لغة القرآن الكريم، ولم تكن تلك الأمية مثل أمية عصورنا هذه التى تحول بين صاحبها وبين سلامة النطق واستقامة الفهم لما يسمعه، بل كان من دلائل نبوته - ﷺ - كونه أمياً، وكان الأمى من العرب الخلص يتمتع بسليقة أصيلة تجعله ينطق العربية نطقاً صحيحاً، ويفهمها فهماً سديداً.

---

(*) تستفتح مجلة الأزهر نهجاً فى الكتابة عن السنة النبوية الشريفة لعالم من علماء الأزهر نجله ونقدره كما نقدرهم جميعاً، كما نقدر أساتذتنا أهل التخصص فى الحديث نرجو للأستاذ الشيخ أن يتابع مع قراء المجلة هذا النهج الوثيق الكريم.

كما نقدم دعوة صادقة لكل أساتذة الحديث، والفقه بالأزهر الشريف، أن يوافونا بإنتاجهم الرفيع على هذا المستوى العلمى الذى يليق بالمجلة ويليق بهم، حتى نصدر أبواباً خاصة بالفقه والحديث. والله الموفق.

(**) أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر.

(١) سورة الحجر، الآية ٩.

كما كان العربي الأمي يتمتع – أيضاً – بحافظة تفوق قوتها ودقتها الوصف بحيث جعل الغالب فيهم تعويله الأصلي عليها بما يعوضه في غالب أمره عن حفظ الكتابة والقراءة، بل إن محمد بن عكرمة ابن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام قال: كان ابن شهاب يختلف إلى الأعرج – يعني عبدالرحمن بن هرمز صاحب أبي هريرة – فيسأله الحديث، ثم يأخذ قطعة ورق فيكتب بها ثم يتحفظ، فإذا حفظ الحديث مزق الرقعة، وفي رواية: كنا نأتي الأعرج ويأتيه ابن شهاب فنكتب ولا يكتب ابن شهاب، فربما كان الحديث فيه طول فيأخذ ابن شهاب ورقة من ورق الأعرج ثم يكتب، ثم يقرأ، ثم يمحوه مكانه، وربما قام بما معه فيقرؤها ثم يمحوها.[2]

وروى الفسوي في تاريخه من طريق عبدالرحمن ابن سلمة الجمحي قال: سمعت عبدالله بن عمرو ابن العاص يحدث عن رسول الله – ﷺ – حديثاً فكتبته، فلما حفظته محوته:

«قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافاً وصبر على ذلك»[3]

ومن هنا يستفاد أهمية الحفظ للسنة في الصدور ومدى الاعتماد عليه في عهد الصحابة والتابعين لكن رغم هذا فإن الرسول – ﷺ – استعمل الكتابة وأذن في استعمالها في حفظ السنة النبوية طالما توافر تمييزها عن المكتوب من القرآن الكريم من جهة، وكانت الكتابة محققة لغاية الحفظ المطلوب للسنة أو لتبليغها للغير من جهة أخرى.

وبهذا صارت السنة النبوية تحفظ عن الرسول – ﷺ – وعن صحابته بطريقين متكاملين: الأولى: طريقة التلقي بالسماع أو المشاهدة أو غيرهما، وحفظ المتلقي في الذاكرة فقط دون كتابة.

**والثانية**: طريقة الكتابة بجانب الحفظ في الذاكرة وذلك في بعض ما كان متيسراً مما يكتب عليه حينذاك من العظام والجلود والأوراق.

لكن هذه الطريقة الثانية لم تأخذ حظاً كافياً من إظهار دلائلها وصور العناية بها، وتعداد من قام بها من الصحابة والتابعين في مباحث خاصة بذلك، ولعل ذلك لأنها لم تكن محل شك أو إنكار في عصور تدوين السنة في مصنفات خلال القرن الثاني والثالث.

لكن جاء في العصور المتأخرة من غير واحد، ممن ينتسبون إلى البحث والاطلاع والتمحيص ينتقدون السنة النبوية من جهة عدم العناية بكتابتها وتدوين مروياتها وتصنيفها في مصنفات متداولة إلا في وقت متأخر عن عصر الرسول – ﷺ – وصحابته، ويرتبون على ذلك الزعم بكثرة الدخيل فيها عند تصنيفها المتأخر عن عصر النبوة والصحابة.

وقد نهض – بحمد الله – من الباحثين المخلصين من ناقش هذه الانتقادات وردها جملة وتفصيلاً بالأدلة المناسبة، وذلك مثل الشيخ المعلمي في كتاب: «الأضواء الكاشفة» والدكتور/محمد عجاج الخطيب في كتابه: «السنة قبل التدوين» – يعني قبل كتابتها كتابة عامة بأمر الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز في مدونات جامعة والأستاذ الدكتور/محمد مصطفى الأعظمي في كتابه: «دراسات في الحديث النبوي» وغير هؤلاء كثير.

وما أقدمه اليوم هو مساهمة متواضعة في البيان الواقعي للعناية الظاهرة بكتابة السنة النبوية في عصره – ﷺ – وعصر صحابته الكرام.

---

(٢) ترجمة الإمام الزهري من تاريخ ابن عساكر ص٦٠-٦٢ ط/مؤسسة الرسالة.

(٣) المعرفة والتاريخ للفسوي ٢/٥٢٣.




فمن وقائع عنايته - ﷺ - بكتابة السنة:

ما رواه رافع بن خديج - رضي الله عنه - قال: مر علينا رسول الله - ﷺ - يوماً ونحن نتحدث فقال: «ما تحدثون؟» فقلنا: ما سمعنا منك يا رسول الله، قال: «تحدثوا وليتبوأ مقعده من كذب عليّ من جهنم» ومضى لحاجته، وسكت القوم فقال: «ما شأنهم لا يتحدثون؟» قالوا: للذي سمعناه منك يا رسول الله. قال: «إني لم أرد ذلك، إنما أردت مَنْ تعمد ذلك» فتحدثنا، قال: قلت: يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها؟ قال: «اكتبوا ذلك ولا حرج» [4]

وفي الحديث كما ترى أمر بمعنى الإذن في كتابة الحديث عموماً مع اجتناب الكذب عليه - ﷺ - قولاً وكتابة.

وللحديث شواهد منها:-

ما أخرجه الحاكم في المستدرك (١٠٦/١) والنسائي في الكبرى (التحفة ٣ / ٨٨٨٥) من طريق ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح، عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن النبي - ﷺ - قال: «قيدوا العلم» قلت: وما تقييده؟ قال: «كتابته»

وروى الحديث عن أنس - رضي الله عنه - مرفوعاً وموقوفاً [5] وتضعيف المرفوع ينجبر بالشاهد السابق والآتي.

ولفظ رواية النسائي: إن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: يا رسول الله إنا نسمع منك أحاديث أفتأذن لنا أن نكتبها؟ قال: «نعم» فكان أول ما كتب: كتاب النبي - ﷺ - إلى أهل مكة. «لا يجوز شرطان في بيع واحد، ولا بيع وسلف جميعاً...» الحديث.

وما في سند هذا الحديث من عنعنة ابن جريج ينجبر بباقي الطرق السابقة واللاحقة وعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله - ﷺ - فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شئ تسمعه ورسول الله - ﷺ - بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله - ﷺ - فأومأ بإصبعه إلى فيه فقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق»[6]

وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: ما من أصحاب النبي - ﷺ - أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب[7]

وفي رواية لأحمد وغيره أن أبا هريرة - رضي

---

(٤) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل واللفظ له حديث (٣٣١)، والخطيب في تقييد العلم ص٧٢ -٧٣، والطبراني في الكبير ٤/حديث (٤٤١٠) مع اختصار القصة في أوله، ثلاثتهم من طريق عبدالرحمن بن ثوبان قال: حدثني أبومدرك، قال: حدثني عباية بن رفاعة بن رافع، ابن خديج عن رافع به وأبومدرك هو عبدالله بن مدرك الأزدي شامي - ذكره ابن عبدالبر في الاستغناء (١٩١١) ولم يذكر في حاله شيئاً ولا ذكر راوياً عنه سوى ابن ثوبان، وما ذكر في الميزان ٤/ت ١٠٥٨٩، وفي اللسان ٧/ت ١١١٨ و١١١٩ فلا يتفق مع ترجمته في الاستغناء وفي الموافقة، فهو مجهول. وانظر أيضاً تهذيب الكمال ١٤/ت ٣١٤٩ عباية بن رفاعة.

(٥) تقييد العلم ص٩٧، وجامع بيان العلم ٣٦٥/١، والمستدرك ١٠٦/١، ومسند الشهاب (٦٣٧).

(٦) أخرجه الإمام أبوداود حديث (٣٦٤٦)، وبنحوه أخرجه الإمام أحمد ٢٠٧/٢/ح ٦٩٣٠، والحاكم ١٠٥/١ وصححه، وأقره الذهبي، وقال الحافظ في الفتح (٢٠٧/١): إن طرقه يقوي بعضها بعضاً.

(٧) صحيح البخاري (مع الفتح)/كتاب العلم/حديث (١١٣).




الله عنه – قال: إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب بيده ويعي بقلبه، وكنت أعي ولا أكتب بيدي، واستأذن رسول الله – ﷺ – في الكتابة فأذن له[8]

وبهاتين الروايتين ينجبر ضعف غيرهما مما تقدم، من حديث رافع بن خديج وأنس وبعض طرق حديث عبدالله بن عمرو ويكون ما ذكره الشيخ رشيد رضا – رحمه الله – في مجلة المنار[9] من الاقتصار على تضعيف حديث أنس – رضي الله عنه – من بعض طرقه مردود عليه بوجود ما يشهد له من الصحيح والحسن كما ترى.

كما أن حديث أبي هريرة السابق ينبغي أن يلاحظ فيه أمران متعلقان بموضوعنا:

**الأمر الأول:** المنافسة الظاهرة بين أبي هريرة وبين عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم في حفظ ماتلقياه عن الرسول – ﷺ – مما يدل على علو همة من تصدى لهذه المهمة من الصحابة الكرام، وحرصه على القيام بها على أتم وجه.

**الأمر الثاني:** توافر عوامل طريقتي الحفظ معاً وهما حفظ الصدور من أبي هريرة، وحفظ السطور من عبدالله بن عمرو – رضي الله عن الجميع. بحيث لا يظن من اقتصار أبي هريرة على حفظ الصدور أن محصلته كانت أقل أو ضبطه كان أضعف.

وذلك لأن ابن الجوزي وغيره ذكروا أن أبا هريرة قد روى عنه (٥٣٧٤) حديثاً[10] في حين ذكروا أن عبدالله بن عمرو قد روى عنه (٧٠٠) حديث، وقيل أقل من ذلك[11].

كما أن أبا هريرة أتيحت له فرصة ذهبية جعلت لحفظه مزية عليا حيث إن رسول الله – ﷺ – حدث يوماً وقال: أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا، ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لم ينس شيئاً سمعه، قال أبوهريرة: فبسطت بردة علي حتى فرغ من حديثه، ثم جمعتها إلى صدري فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئا حدثني به[12] ومن أجل ذلك قال الذهبي: كان حفظ أبي هريرة الخارق، من معجزات النبوة[13] وشهد له به غير واحد من الصحابة عن رؤية ومعايشة علمية، واختبار[14].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن هذه الأحاديث الصحيحة المقيدة لإذنه – ﷺ – في كتابة الحديث عنه، والأحاديث أيضا التي اشتملت على نهيه – ﷺ – عن ذلك كحديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عند مسلم: أنه – ﷺ – قال: «لاتكتبوا عني شيئا غير القرآن» لا تعارض بينها في الحقيقة لأنه يمكن الجمع بينها بوجوه متعددة ومعتبرة وقال: إن أقربها: أن النهي متقدم زمنا والإذن ناسخ له عند الأمن من الالتباس، ثم قال: وقيل: إن النهي خاص بمن خُشي منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ، والإذن لمن أُمن منه ذلك، ثم قال الحافظ: قال العلماء: كره جماعة من الصحابة والتابعين كتابة الحديث واستحبوا أن يؤخذ عنهم حفظاً كما أخذوا حفظاً، لكن لما قصرت الهمم وخشي الأئمة ضياع العلم دونوه.

---

(٨) المسند ٢/٣-٤/ح ٩٢٣١، والفتح ٢٠٧/١.

(٩) مجلة المنار ٧٦٣/١٠ – ٧٦٦.

(١٠) ينظر تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي/ ٣٦٣ وسير النبلاء ٥٩٤/٢.

(١١) تلقيح فهوم أهل الأثر /٣٦٣.

(١٢) أخرجه البخاري- كتاب الحرث والمزارعة برقم (٢٣٥٠) ومسلم، واللفظ له في فضائل الصحابة برقم (٢٤٩٢) كلاهما من حديث أبي هريرة.

(١٣) السير ٥٩٤/٢.

(١٤) سير النبلاء ٢/ ٥٩٨، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٦، ٦٠٧.

وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر بن عبدالعزيز، ثم كثر التدوين ثم التصنيف، وحصل بذلك خير كثير فلله الحمد.(١٥)

وبجانب ما أفادته الأحاديث السابقة من إذنه ـ ﷺ ـ العام في كتابة الصحابة الحديث عنه، فقد جاءت أحاديث أخرى بإذنه بالكتابة لأسباب ودواع خاصة: فمن ذلك: أنه في عام الفتح لما قتل رجل من خزاعة رجلاً من بني ليث، ركب ـ ﷺ ـ راحلته ليخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين».. الحديث في حرمة مكة وحكم من يقتل فيها، فقام أبوشاه ـ رجل من أهل اليمن ـ فقال اكتبوا لي يارسول الله، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «اكتبوا لأبي شاه» قال الوليد بن مسلم ـ راوي الحديث عن الأوزاعي ـ قلت للأوزعي: ماقوله: اكتبوا لي يارسول الله؟ قال: هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله ـ ﷺ ـ(١٦) وفي رواية للبخاري أيضا أن الرجل قال: إن الرجل قال: اكتب لي يارسول الله، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «اكتبوا لأبي شاه»(١٧).

وتحديد زمن الحديث بأنه عام الفتح صريح في صحة تأخر الإذن بالكتابة، لأن الفتح كان في أواخر حياته ـ ﷺ ـ كما هو معلوم

وقد علق عبدالله بن أحمد ـ رضي الله عنه ـ على رواية الحديث في المسند بقوله: «ليس يروى في كتابة الحديث شئ أصح من هذا الحديث، لأن النبي ـ ﷺ ـ أمرهم فقال: «اكتبوا لأبي شاه ما سمع النبي ـ ﷺ ـ خطبته»(١٨).

ويلاحظ أن هذا الإذن بمناسبته المذكورة، ولسائل معين، ومع ذلك قرر عبدالله بن أحمد أنه أصح ما يروى في كتابة الحديث مطلقا دون تقييد.

وهناك ماذكر أن سبب الإذن في كتابته كان خشية النسيان.

فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده – يعني عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: قلتُ يا رسول الله، إنا نسمع منك أحاديث لا نحفظها أفلا نكتبها؟

قال: بلى فاكتبوها.(١٩)

وما في إسناده في هذا الموضع من ضعف ينجبر بطرقه الأخرى مثل طريق أحمد الأخرى(٢٠) وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: كان رجل من الأنصار يجلس إلى النبي – ﷺ – فيسمع منه الحديث فيعجبه فشكا ذلك إلى النبي – ﷺ – فقال: يا رسول الله: إني أسمع منك الحديث فيعجبني ولا أحفظه، فقال رسول الله – ﷺ – «استعن بيمينك» وأوما بيده للخط.

وقد ضعف الترمذي الحديث بإسناده الذي أخرجه به، ولكن أشار إلى أن ضعفه ينجبر مما يشهد له من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – فقال: وفي الباب عن عبدالله بن عمرو(٢١) وهو حديث صحيح كما تقدم.

وهناك ما كتبه النبي – ﷺ – لبعض عماله من الصحابة مثل عمرو بن حزم الأنصاري – رضي الله عنه – وكان ممن شهد غزوة الخندق، وقد استعمله –

(١٥) فتح الباري ١/٢٠٨.
(١٦) البخاري مع الفتح حديث ١١٢، ٢٤٣٤.
(١٧) البخاري مع الفتح حديث ٦٨٨٠.
(١٨) المسند للإمام أحمد ٢/٢٣٥.
(١٩) أخرجه الإمام احمد في مسنده ٢/٢١٥/ح ٧٠١٨.
(٢٠) وهي في المسند ٢/١٦٢/ح ٦٥١٠.
(٢١) جامع الترمذي/ كتاب العلم/ حديث (٢٦٦٦).

ﷺ – على نجران، وكتب له كتاباً إلى أهل اليمن فيه الفرائض، والسنة، والزكاة، والديات، وغير ذلك[٢٢].

وعن الضحاك بن سفيان الكلابي، ممن وفد على رسول الله – ﷺ – وكان والياً على قومه، وروى سعيد بن المسيب عنه أن الرسول – ﷺ – كتب إليه أن يورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها[٢٣].

وعن رافع بن خديج – رضي الله عنه – أنه قال لمروان بن الحكم: إن مكة إن لم تكن حراماً، فإن المدينة حرم، حرمها رسول الله – ﷺ – وهو مكتوب عندنا في أديم خولاني، إن شئت أن نقرئكه فعلنا، فناداه مروان: أجل بلغنا ذلك[٢٤] وله شاهد في صحيح مسلم يرتقي به إلى الصحيح لغيره[٢٥] والأديم الخولاني نوع من الجلود، وكانت الكتابة تتخذ للكتابة حينذاك.

ومنه يستفاد: أن رافعاً كان يحتفظ ببعض الأحاديث المكتوبة عن رسول الله – ﷺ – وكان يرجع إليها في مناسباتها، وقد سبقت روايته حديث إذنه – ﷺ – بالكتابة خشية النسيان.

قال الخطيب: ولو لم يكن في هذا الباب إلا وقوع العلم بما كان رسول الله – ﷺ – يكتبه من عهود السعاة على الصدقات وكتابه لعمرو بن حزم لما بعثه إلى اليمن لكفى، إذ فيه الأسوة وبه القدوة[٢٦].

وعن القعقاع بن حكيم أن عبدالعزيز بن مروان كتب إلى عبدالله بن عمر أن ارفع إلي حاجتك، قال: فكتب إليه عبدالله: إني سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: «ابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى»[٢٧].

وكان لعبدالله بن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه، فكتب إليه مرة عبدالله بن عمر: أنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر فإياك أن تكتب إلي، فإني سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: «سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر»[٢٨].

وعن عاصم الأحول، عن أبي عثمان: النهدي أنه كان مع عتبة بن فرقد بأذربيجان أو بالشام قال: جاءنا كتاب عمر: أما بعد ياعتبة بن فرقد.. الحديث وفيه: كان رسول الله – ﷺ – نهى عن لبوس الحرير إلا هكذا، ورفع لنا رسول الله – ﷺ – إصبعه الوسطى والسبابة وضمهما[٢٩]، قال زهير: قال عاصم: هذا في الكتاب[٣٠].

وفي رواية لأحمد: عن أبي عثمان: كنا مع عتبة بن فرقد، فكتب إليه عمر بأشياء يحدثه عن النبي – ﷺ – فكان فيما كتب إليه: أن رسول الله – ﷺ – قال: «لا يلبس الحرير في الدنيا إلا من ليس له في الآخرة من شيء، إلا هكذا وقال: بإصبعه السبابة والوسطى»[٣١].

---

(٢٢) أخرجه أبونعيم في معرفة الصحابة ١/ حديث (١٩٧١) وعزاه الحافظ في الإصابة إلى أبي داود، والنسائي، وابن حبان، والدارمي – الإصابة (مع الاستيعاب) ٢/ترجمة ٥٨١٠.

(٢٣) الإصابة ٢/ترجمة ٤١٦٦، والمنتقى لابن الجارود مع تخريج غوث المكدود/ حديث (٩٦٦) وجامع الترمذي/ حديث (٢١١٠) وقال: حسن صحيح

(٢٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٤١/٤ حديث (١٣٧٧٣). (٢٥) صحيح مسلم/حديث (١٣٦١، ٤٥٧).

(٢٦) صحيح مسلم/ حديث (١٣٦٢، ٤٥٧). (٢٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٥٢/٢/ح (٦٤٠٢) وإسناده حسن.

(٢٨) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٩٠/٢/ حديث (٥٦٣٩) بإسناد حسن، ومن طريقه أخرجه الحاكم في المستدرك ٨٤/١، ومن طريق غيره، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢٩) إشارة إلى أنه لا يحل إلا مقدار أصبعين فقط.

(٣٠) رواه الإمام مسلم في صحيحه من طرق عن أبي عثمان النهدي/ حديث (٢٠٦٩) مكرراً.

(٣١) المسند للإمام أحمد ٣٦/١/ حديث (٢٤٣).

# الدعوة كما ينبغي أن نبلغها

٣

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

**راع واشتهر أن مدرسة الإمام أبي حنيفة - رضى الله عنه - هى مدرسة أهل الرأى وأن أبا حنيفة هو إمام أهل الرأى. كما راع واشتهر أن مدرسة الإمام مالك بن أنس - رضى الله عنه - هى مدرسة أهل الأثر، وأن مالك بن أنس هو إمام أهل الأثر.**

**وكذلك اشتهر أن الإمام الشافعي - رضى الله عنه - جمع بين الرأى والأثر.**

**وليس فى ذلك جديد على المتابع للمدارس الفقهية، ولمن كتبوا عنها فهو مما يعرفه الجميع ويكاد أن يكون مقبولا.**

لكن الأمر الذى يمكن أن يكون غير مقبول هو ما زعمه البعض من تعليلات وأسباب لنشأة المذاهب الفقهية، على هذا النحو، حيث قالوا: إن سبب نشأة مذهب أهل الأثر هو أن الإمام مالكا نشأ بالمدينة المنورة، حيث كانت الأحاديث متداولة، والرواة كثيرون والأقضية والسوابق فى الفتيا محفوظة لدى الناس فى دار النبوة فلا حاجة للرأى.

أما فى العراق حيث نشأ الإمام أبو حنيفة فإن النصوص قليلة فكان لابد من الاستعانة بالرأى والقياس.

هذه هى الحجة السهلة - أو الجاهزة أو المفرصنة التى لها ما بعدها - التى يلقيها بعض الناس فى تعليل الخلاف بين المدرستين وأنه سبب هذه الظاهرة.

وبرغم سذاجة هذه الحجة من الناحية العلمية والواقعية إلا أن كثيرين ممن يترجمون للأئمة ... يذكرونها، وأحسب أنهم يذكرونها استسهالاً لها، وأحسب أنها تريحهم من عناء البحث عن أسباب الخلاف.

وكان من الممكن أن نقبل هذا التعليل أو هذه الحجة (الجاهزة) لكن المشكلة تكمن فى خطر هذا التعليل، ليس على الحقيقة فقط ولكن خطره على ما يقصد به من التعليل وما يؤدى إليه، حيث إنه يؤدى إلى القول بأن الرأى خارج عن حدود النص.

على أنه مهما سلمنا بهذه الحجة - فرضا - فإن ما يدحضها أن مذهب الإمام مالك نفسه هو الذى يقول بالمصالح المرسلة. ولم يقل بها أحد سواه. وإن قال بها، فهو تابع للإمام مالك، والمصالح المرسلة هى الباب الملكى - كما يقولون

- الذى يبقى به الاجتهاد والتأصيل لما يجد من حوادث ومسائل، ولولا اعتماد القول بالمصالح المرسلة لما كان ثمة تجديد حقيقى فى الفقه، ولا كان له سند من علم الأصول.

على أن القول بالرأى لم يكن لعدم وجود الحديث كما يتوهم البعض، أو أن الخلاف كان لقلة الرواية، كما يحب البعض أن يشيع وربما قد شاع عند العامة، والذى تحب أن نؤكده أن الخلاف والرأى كان راجعاً إلى فهم فى نص موجود، وقبل أن أورد لك مثالاً أو أمثلة لما أقول أحب أن تستوعب معى هذه القصة.

يحكى عن أبى يوسف صاحب الإمام أبى حنيفة قال: سألنى الأعمش عن مسألة وأنا وهو لا غير، فأجبته.

فقال لى: من أين قلت هذا يا يعقوب؟

فقلت: بالحديث الذى حدثتنى به أنت.

فقال: «إنى لأحفظ هذا الحديث من قبل أن يجتمع أبواك، ما عرفت تأويله إلى الآن»[(1)]

ولا أحسبك تفهم من هذه القصة أن أبا يوسف قال برأى من عنده، وترك الحديث، كما يروج الذين يرمون المذاهب الفقهية الآن، والذين يحبون أن يقولوا فى الدين بهوى، زاعمين أنهم من أهل الرأى.

ولا أحسبك تكون ممن يرفض المذاهب الفقهية بدعوى أنها مدعاة للخلاف بين المسلمين وما أظن هذا القول إلا أن ديانات أخرى ألقت بظلالها أو شباكها لتوقع بعض المسلمين فى لبس غير وارد ولا مطروح.

وأنهم يريدون إسلاماً بلا مذاهب، وهى حجة داحضة ولافتة براقة خادعة لأن فيها خلطا بين المذاهب السياسية وبين الوعى التشريعى فى الإسلام، حتى صدر كتاب لرجل نحترمه بعنوان: «إسلام بلا مذاهب» وظن البعض من العنوان دون أن يقرأوا حرفا من الكتاب ولا حتى لمسوه بأيديهم أن الكتاب يهاجم الفقه والمذاهب الفقهية، وما هو كذلك!

ونعود إلى الإمام أبى يوسف، إنه لم يضرب بالحديث عرض الحائط، لكنه فهم فهماً لم يصل إليه الأعمش مع علمه وفضله، وحتى لا تغضب وتسارع إلى الرفض، فليس هدفى خصومة أحييها بين الأعمش وأبى يوسف، ولا غلبة أنشدها، إنما الحق أبغيه لى ولك بإذن الله.

إن ما دار بين الأعمش وأبى يوسف هو معجزة لرسول الله - ﷺ - أو هو استجابة لدعوة دعاها - ﷺ - قبل أن يولد أبو يوسف والأعمش - أيضا -

يقول - ﷺ -: «رحم الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فبلغها كما سمعها فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[(2)].

وأيضا - قول النبى - ﷺ - الذى ينبع والحديث السابق من معين واحد أو كما قال ملك الحبشة لما سمع سورة مريم من جعفر بن أبى طالب - رضى الله عنه - قال: «إن هذا والذى أنزل على عيسى يخرج من مشكاة واحدة». إننى أستعير منه هذا التعبير الوضاء الزكى فأقول لك حديث رسول الله - ﷺ - الذى أعنيه وهو قوله: - ﷺ - «إن مثل ما بعثنى به الله - عز

(1) تاريخ بغداد (٢٤٦/١٢)، شذرات الذهب (٢٩٩/١)

(2) رواه الطبرانى فى الكبير جـ ٥، رقم ٤٩٢٤.



وحل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلا والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[٢].

وبعيدا عن قصة الأعمش وأبي يوسف – لو تأملت الأحاديث لأدركت أن الرسول الكريم – ﷺ – يخبر ويوصي بأنه علينا أن نسمع حديثه كما قال بلا تحريف وأن نعيه تماماً حتى وإن لم نفهم المراد منه، ولا تحملنا قلة – أو عدم – الفهم على الإنكار أو الرفض للحديث، أو تحريفه، وكل الذي علينا ونحن مطالبون به أن نعي ما نسمع وأن نبلغه كما سمعناه فلعل من يبلغه الحديث يكون أفقه منا، وفي قصة أبي يوسف والأعمش تحقيق لهذا الحديث

على أنه ثمة بحث طريف وعميق في أصول الفقه بعنوان ( عمل الراوي بغير ماروى ) هل يؤخذ حديثه أم عمله؟ وليست المسألة ( يانصيب ) ماذا تأخذ وتختار حتى تحصل على ( الكوبون الرابح ). إنه عمل جاد يا أخي وهو علم لهونا عنه زمنا بخداع المجددين والحداثيين والمطورين، وسوف أصوغ لك الحوار العلمي في سؤال رشيد حتى تستوعبه:

هل يعتبر عمل راوي الحديث بغير ما رواه طعنا في روايته فنرفض حديثه؟ أم نعتبر فقهه؟ أم نرفض حديثه وفقهه؟ ولماذا؟ وماهي الحجة عند كل قول؟

قالوا: إن عمل الراوي بخلاف ما روى يدل على وجود النسخ فلا يعمل بحديثه، بحيث لو أن راويا روى حديثا، لكنه عمل بغير روايته فهذا يدل على أن هذا الحكم الذي جاء فيه حديثه نسخ، لكن النسخ ورد من طريق آخر غير طريقه، فعمل هو به، وقد تقول: لماذا تبقى روايته، ولم ينقضها؟

أقول لك: إن الحديث ليس مثل مضبطة مجلس الشعب، نحذف ما نشاء وما لا نريد أن يسمعه ويقرأه الناس، إنما يروي الراوي ما سمعه هو ولا يكذب ماجاءه عن غير طريقه. وهناك بحث واع لفقيه مالكي عظيم، عن الفرق بين الشهادة والرواية.

لماذا نقبل رواية الحديث من راو واحد مع أن الرواية تتعلق بأمور الدين ونشترط في الشهادة رجلين أو رجلا وامرأتين مع أنها أمور دنيوية.

وأحسب أنك قد بدأت تضيق لكني لن أثقل كاهلك أكثر بهذا البحث وأكتفي بأن أقول: إن البحث موجود وأحيلك إلى كتاب الفروق للعلامة أحمد ابن إدريس المالكي المشهور بالقرافي المصري وإن كان بعض الباحثين ضن علينا وعلى الفقيه أن يكون مصريا في مقدمة رائعة لتحقيق جيد لكتابه الذخيرة[٣].

واشترطوا أن لا يكون الحديث مخالفا للقياس، إذا كان راويه غير فقيه لأن عدم فقه الراوي يشكك في صحة الحديث المخالف للقياس والقواعد العامة.

هذا وقد عمل الإمام أبوحنيفة بحديث مخالف للقياس.

وقد قال الإمام المظلوم الذين اتهموه بأنه يكثر القياس على حساب الحديث، قال: لولا الحديث لقلت بالقياس ولعلك تريد أن تعرف ماهو القياس الذي تركه إمام الرأي والقياس وماهو الحديث الذي أخذ به؟ ولا بأس عليك أن أروي لك الحديث وأذكر

---

(٢) مسلم، كتاب الفضائل (٤/١٧٨٧).

(٣) انظر كتاب الذخيرة، تحقيق د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٣ مجلد



تلك القياس في مسألة أو في مثال حتى تستبين وجه الصواب في الفقه الإسلامي.

أما الحديث فهو قوله - ﷺ -: «من أكل أو شرب ناسيا وهو صائم فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه».(٤)

قال أبوحنيفة - رضي الله عنه -: القياس يقتضي أن كل من دخل في جوفه طعام أو شراب فسد صومه، وكان عليه القضاء لكن أبا حنيفة امتنع من العمل بالقياس من أجل الحديث، وقال: إنه لا شيء على من أكل أو شرب ناسيا.

أما الذي عمل بالقياس فهو الإمام مالك، وقال: إن القياس يقتضي فساد الصوم، ولا تتسرع وتتهم عالم المدينة بأنه رفض الحديث، فهو لم يرفضه ولم يرم به عرض الحائط ولكنه قال: إن الحديث يرفع الإثم عن الذي أكل أو شرب ناسيا، أي أنه لا إثم عليه ولا وزر، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.(٥)

ومع هذا فالصوم فاسد، ولذلك يقول بوجوب الإمساك حتى نهاية اليوم، وقضاء يوم، لأن هذا اليوم فاسد، فأنت ترى أن أبا حنيفة لم يفت بفساد الصوم، لأنه أخذ بالحديث ومالك أفتى بفساد الصوم، وأخذ بالحديث أيضا، فقد رفع الإثم عن الذي أكل أو شرب ناسيا.

على أنني لا أحب أن أتركك قبل أن أتحدث إليك عن حديث شاع للناس فيه فهم أظنه خاطئا، وأحسب أنه في حاجة إلى تصويب وأرجو ألا تبادر بالرأي لا أنا ولا أنت، إنما نحتكم إلى العلم والمنطق، ورحم الله الشافعي الذي كان يقول: «ما ناظرت أحدا وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه».

فأنت ترى رجلاً تخلص من ذاتيته وأنانيته وحب الأثرة والغلبة وتجرد لله وحده، نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يمن علينا بالإخلاص والتجرد فنحن لم نصل بجهدنا لعلم الشافعي نسأل الله أن تصل بدعواتنا ودعوات إخواننا إلى رحاب إخلاصه، وأحسب أنني أطلت عليك وأنك مشوق لمعرفة الحديث الذي أعنيه.

لقد سمعت أحد المسلمين يقرأ القرآن الكريم لكنه يلحن فيخطئ في قراءته، فلم أطق صبراً، وتجاسرت عليه فأصلحت له بعض خطئه، وعاود القراءة والخطأ، وأصلحت له لكنه بدأ يضيق بي، وتحملت ما بدر من ضيقه، واحتسبت ما أعانيه عند الله، لكنه تمادى في قراءته وخطئه، وبدا منه أنه لم يعد يحتمل مراجعتي وهالني أنه احتج عليّ بقول النبي - ﷺ - «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه شاق وهو له أجران».(٦)

وفي رواية أخرى: «إن الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به، فهو مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو يشتد عليه، فله أجران».

وهو يريد بذلك أن يبرر خطأه، وزعم أنه مأجور وليس من المهم أن تعرف ما وصلنا إليه أنا وصاحبي ولكن المهم أنني وجدت هذا الفهم عند كثير ممن يقرأون ويخطئون ويلحنون.

وثارت في نفسي أسئلة: هل تجوز قراءة القرآن مع اللحن البيِّن؟

---

(٤) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب الصيام، باب ما جاء فيمن أفطر ناسيا (٥٣٥/١) برقم ١٦٧٣.

(٥) تفسير ابن كثير (٥٧٠/٣).

(٦) مسلم جـ ١، رقم ٢٤٤.



هل نتشدد على المسلمين إذا طالبناهم بقراءة القرآن بقواعده المعروفة؟

هل حقيقة نحن نريد أن نجعل القرآن قاصراً على فئة معينة مثل ما هو واقع في كتب الأديان السابقة أي: كهنوتية؟

وسألت نفسي: لماذا لو أنك أخطأت في كلمة واحدة في اللغة الإنجليزية تجد أكثر من شخص يصوب لك نطقك؟ فضلاً عما تلاحظه في وجوه القوم حولك وعيونهم من سخرية بك؟ ولماذا نتكلف مادياً وأدبياً في تحصيل اللغات الأجنبية – وإن كان ذلك جميلاً وحسناً – ما لا نتكلف عُشْرَه في تعلم القرآن؟ سوف أترك لك الإجابة عن هذه الأسئلة؟

لكن الذي يعنيني فيما نحن بصدده: هل الاستشهاد بالحديث في موضعه؟ بمعنى هل معنى يتعتع يُخطئ؟ وقبل أن تتسرع بالإجابة أحب أن أقول لك: هل كان الصحابة في زمن النبي – ﷺ – عندما قال هذا الحديث يقرأون من مصاحف؟ وهل كان ثمة مصاحف في زمن النبي – ﷺ – وهل كان الصحابة – رضوان الله عليهم يجيدون القراءة والكتابة؟ وهل كانوا يخطئون في النحو والصرف وهم العرب الذين عنهم أخذنا اللغة؟

وأحبك أن تعرف أن عدد الذين كانوا يكتبون في عهد رسول الله – ﷺ – قلة وأن المصاحف كانت في صدور الرجال وبعض الرقاع إلى عهد أبي بكر وجمعت في عهده ثم كتبت في عهد عثمان – رضي الله – عنهم جميعا.

إذاً لا يمكن أن يكون معنى يتعتع: يخطئ في القراءة، وإنما معناه – كما فهمناه وكما هو مثبت في كتب اللغة وكما هو شائع ومعروف عند حفظة القرآن ومحفظيه في الكتاتيب المصرية أحياها الله وأحيا من يعمل على إحيائها – معنى الكلمة لم يحفظ جيداً وهذا المعنى توحي به عبارة (الماهر بالقرآن) في الحديث أي: جيد الحفظ، على أن قواميس اللغة تؤكد هذا المعنى وإليك ما قاله صاحب تاج العروس بشرح القاموس: (والتعتع) كجعفر (الفأفأ) عن أبي عمرو قال: (ووقعوا في تعاتع) أي في (أراجيف وتخليط) نقله الجوهري (وتعتعه تلتله) بأن أقبل به وأدبر به وعنف عليه قال أبوعمرو (و) قيل تعتعه (حركة بعنف) عن ابن دريد (أو) تعتعه (أكرهه في الأمر حتى قلق) عن ابن فارس وفي الصحاح تعتعت الرجل إذا اعتلته وأقلقته وفي الحديث قد يؤخذ للضعيف حقه غير متعتع بفتح التاء أي من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويزعجه (و) يتعتع (في الكلام) إذا (تردد من حصر أوعي) ونقله الجوهري (كتعتع) ومنه الحديث الذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه له أجران أي يتردد في قراءته ويتبلد فيها لسانه قال الجوهري (و) ربما قالوا تعتعت (الدابة) وذلك إذا (ارتطمت في الرمل) زاد غيره والخبار والوحل[٧].

وفي كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير جـ١ صـ١٩٠ باب التاء مع العين يقول ما نصه ومنه الحديث الآخر «الذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه أي يتردد في قراءته ويتبلد فيه لسانه»

أليس ذلك خطأً فادحاً؟ ولسنا في مجال أنه مقصود أو غير مقصود، لكن الذي يعنينا أن نصوب للناس وأن نعتمد في البيان على مناهج وأساليب تناسب عصر الناس وعقولهم.

وأحسب أني قد أطلت عليك، ويبقى لي معك حوارات أخرى حول موضوعات كثيرة سوف تكون موضوع حديثنا القادم إن شاء الله.

(٧) راجع فصل التاء، باب العين، جـ٥ صـ٢٩١ من شرح القاموس المسمى تاج العروس.

# دعوة الإسلام إلى الوحدة

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

**الوحــدة:**

هى اتحاد الدول أو البلاد والأفراد والجماعات فى سائر أمور حياتهم ومعاشهم، وسيرتهم، وغايتهم، وبموجب هذه الوحدة يصبح الجميع شيئاً واحداً، أو أمة واحدة.

يقال اتحد البلدان أى صارا بلداً واحداً، واتحدت الأشياء، صارت شيئاً واحداً.

ويقال: وحّدَ المتعددَ: أى صيره واحداً، واتحد به: أى صار معه شيئاً واحداً.

ولأهمية وحدة الأمة واجتماعها، رد الله - سبحانه - أنسابنا جميعاً منذ وجدت الخليقة وإلى يوم يبعثون إلى أصل واحد، فكلنا لآدم - عليه السلام -، وللبشرية جمعاء أب واحد وأم واحدة، خلقنا منهما «من ذكر وأنثى» قال - جل شانه -:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(١).

ووضح سبحانه - أن الأمة واحدة، وأن الرب واحد فقال - جل شانه -:

﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾(٢)

ووضح رب العزة - سبحانه وتعالى - أن وحدة الأمة تستوجب عليها ألا يتفرقوا فى الدين وألا يختلفوا، فقال سبحانه:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾(٣).

والذين يفرقون دينهم ويختلفون شيعاً يعادى بعضهم بعضاً يبعدون عن الدين وعن الحق وعن الله ورسوله - ﷺ -، قال تعالى:

(١) سورة الحجرات (١٣).

(٢) سورة المؤمنون (٥١).

(٣) سورة الشورى (١٣)

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[4].

والمتفرقون فريسة لأعدائهم يتغلبون عليهم بسهولة وتتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، فيُعتدى عليهم في كل وطن، ويقاتلون في كل مكان ويضيعون فرقة بعد أخرى وجماعة بعد جماعة، كما يكونون في فرقتهم فريسة للشيطان ولكل عدوان، عن سعيد بن المسيب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «الشيطان يهم بالواحد والإثنين فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم»[5].

ولخطر الفرقة وعدم الوحدة حذر الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - منها أشد التحذير وبين أن الذي يخرج عن الطاعة ويفارق الجماعة يموت على ما كان عليه أهل الجاهلية من البعد عن الدين والوحدة فقال - ﷺ -: «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية»[6].

وواضح أن قوة المؤمنين في وحدتهم وأن ضعفهم في تفرقهم قال - ﷺ -: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[7].

ومن أجل أن يكون المؤمنون قوة واحدة، لابد أن يتآلفوا ويتعارفوا وأن تسرى روح التعاطف والتراحم فيما بينهم ليصبحوا كالجسد الواحد فيشعر كل منهم بشعور الآخر يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويشاركه في السراء والضراء، ويخف لنجدته، ويبادر بمساعدته مصداقاً لقول الرسول - ﷺ -: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[8].

وأن وحدة أمتنا واجبة وضرورية لمواجهة التحديات والتكتلات والأخطار التي تحدق بالأمة من كل جانب، ولو نظرنا إلى ما تملكه أمتنا الإسلامية والعربية من الثروة البشرية والمعدنية والبترول، والعقول والحضارة والعلم، والزراعة إلى غير ذلك من أسباب القوة والمنعة، لو نظرنا إلى ما تملكه أمتنا من هذا كله لكنا على يقين بأننا حين نتوحد ونتجمع نصبح أكبر قوة مؤثرة في العالم كله.

ومن أجل هذا أدرك أعداء أمتنا، سر قوتنا، فراحوا يعملون على نشر مبدئهم: «فرق تسد» فكانت الحدود المصطنعة وكانت أساليب التفرقة المتعددة في الثقافة وفي نشر مبادىء الاختلاف بين الأمة لإحداث شروخ بين فصائل الشباب المسلم، وبينهم وبين الدعاة والأنظمة، ومحاولة تضخيم بعض الاجتهادات والخلافات الفقهية.

وإلى جانب هذا سعوا جاهدين في فصل الأمة عن دينها ودستورها لأنه يوحدها فقال أحدهم في بعض المؤتمرات لا قرار لنا ما دام المصحف في أيدي المسلمين.

---

(٤) سورة الأنعام (١٥٩).

(٥) رواه مالك.

(٦) رواه البخاري.

(٧) رواه البخاري.

(٨) رواه البخاري.

## الوحـدة في الإسـلام

**أهمية الوحدة**: إن الوحدة أساس كل خير في دنيا الناس وآخرتهم. وإن الفرقة أخطر الآفات التي تقضي على سعادة الناس، وترديهم في مهاوي التهلكة، وتجرهم إلى وحل المعصية وتظل تفرقهم شيعاً حتى تجعلهم ينفصلون تماماً عن الدين، وفي هذا المعنى يقول الحق تبارك:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾(٩).

بل إن العلم نفسه حين لا يقوم على أساس الإخلاص، يؤدي بأصحابه إلى الخلاف واشتجار الأفكار ذلك لأن آفة العناد والتعصب، والبغضاء والحسد كل ذلك يستبد بالفكر الإنساني، لهذا جاء القرآن الكريم في دعوته إلى الوحدة يحرر عقيدتها وفكرها من آفة البغي والحسد، ويرسي في النفوس دعائم التوحيد والتمسك بالشريعة القوية التي جاء بها الرسول – ﷺ – فقال – تعالى –:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾(١٠).

**أساس الوحدة**: وبين سبحانه أن أساس هذه الوحدة التي يدعو إليها الإسلام هي الدين الإسلامي والاعتصام به وبكتابه الذي هو سبب النجاة، وحذر – سبحانه – من التفرقة لما لها من الأخطار المحدقة والأضرار الفادحة، وذكر الله عباده من هذه الأمة، بما كان عليه الأوس والخزرج قديماً، فقيل: إنهما كانا أخوين لأبوين فوقع بين أولادهما العداوة وتطاولت الحروب بينهم مائة وعشرين سنة حتى جاء الإسلام فأطفأ نارها وأخمد شرها، وجمعهم بالإسلام وألف بينهم برسوله – صلوات الله وسلامه عليه – . وتدعيما لأصول تلك الوحدة وترسيخاً لأساسها، يكلف الله – تعالى – هذه الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، انتصارا للدين، وإقامة لوحدته، ودفعاً لآفات الشر والفساد التي قد تثار حول حماه، أو ترتكب في الوطن الإسلامي ويضرب لنا القرآن الكريم المثل بمن قبلنا حين اختلفوا بعد أن جاءتهم البينات فكان لهم الوعيد الشديد.

عن تلك الملامح كلها تحدث القرآن الكريم حديثاً شافيا، هاديا للتي هي أقوم.

فقال الله – تعالى –:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١١).

---

(٩) سورة الأنعام (١٥٩)
(١٠) سورة آل عمران (١٩)
(١١) سورة آل عمران (١٠٣-١٠٥)



وقد وجه الرسول – ﷺ – أمته إلى أساس الوحدة: وهو الاعتصام بحبل الله.

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: – قال رسول الله – ﷺ – : «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم.. ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» رواه المسلم.

ولا شك أن حبل الله وهو دينه وكتابه يجمع معاني العهد بين الخلق وخالقهم والأمان لمن تمسك به، والصلة بينهم وبين الله – سبحانه وتعالى – فمن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(١٢).

وقد جاء في الحديث السابق التحذير من التفرقة، في قوله: «ولا تفرقوا» بعد الأمر بالاعتصام، لبيان أن من اعتصم بحبل الله فهو بعيد عن التنازع بعيد عن التفرقة، أما الاعراض عنه، والتماس الاعتصام بغيره ففيه الضلال.. «ومن التمس الهدى في غيره أضله الله» وقد أشار القرآن الكريم إلى تأكيد هذا المعنى في قوله – تعالى – :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾(١٣).

وقال – تعالى – :

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ۝ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾(١٤).

وهكذا نجد الآيات، بعد أن بين – سبحانه – أن الدين واحد والشريعة واحدة وأن الأمة واحدة تتفق على الإيمان والتوحيد في العبادة، أشار بعد هذا إلى حال بعض الأمم في المخالفة، وشق عصا الطاعة، فتقطعوا قطعاً وأحزاباً مختلفة..

وفيما رواه البخاري، قال – ﷺ – : «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات.. مات ميتة جاهلية».

وفي موطن آخر، أعلن الرسول – ﷺ – بُعْدَهُ عن مخالف الجماعة الذي لم يف لها بعهد، وراح يفرق بين الصفوف، ويضرب البر والفاجر.. فقال – ﷺ – : «من خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي بعهد ذي عهد فليس مني ولست منه» رواه مسلم.

ويقول الله – تعالى – :

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾(١٥).

**العبادات تطبيق عملي للوحدة:** والإسلام في حرصه الشديد على تقوية أركان الأمة الإسلامية وتضافر قواها جعل لعبادتها زيادة في الفضل والأجر إذا كانت في جماعة تعويداً لهم على الاتحاد، وغرساً لأصوله وروحه

(١٢) سورة البقرة (٢٥٧).

(١٣) سورة الأنفال (٤٦).

(١٤) سورة المؤمنون (٥٢ – ٥٤).

(١٥) سورة النساء (١١٥).



فيهم فجعل لصلاة الجماعة من الثواب والفضل ما يزيد على صلاة المنفرد، وصلاة الجماعة إذ شرعها الإسلام جعل فيها روح الوحدة اليومية خمس مرات كل يوم وكما هو الشأن فى صلاة العيدين من كل عام وفيهما يكون الاجتماع أكبر، كما شرع أوسع اجتماع ممكن وأكبر جماعة يمكن أن تضم أكبر عدد من المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية وعلى شتى الألوان والأجناس وذلك فى فرضه الحج إلى بيت الله الحرام، وفى عبادة الصيام والزكاة تطبيق عملى للوحدة.

**نهاية الفرقة**: هذا ومن خالف الرسول - ﷺ - فيما جاء به، واتبع غير ما عليه المؤمنون من العقيدة والعمل، يدعه الله ويتخلى عنه ويوليه ما تولى، ذلك فى دنياه، وأما فى الآخرة فيصليه جهنم وساءت مصيرا، وفى هذا المعنى يقول - تعالى :

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾(١٦).

والمتصفح لتاريخ الأمم والشعوب يرى أنه ما استطاعت أمة من أهل السلب والنهب والسطو والظلم أن تتمكن من غيرها إلا بعد أن تمكنت من تمزيق وحدة غيرها ومحاولة بث الفرقة والخلاف وتلك هى سياسة الاستعمار، وما الغزو الصليبى أو الصهيونية عنا ببعيد فقد كانت أسلحة التفرقة أقوى من أسلحة الميدان، وكانت عناصر التفرقة أضر من ضربات السنان.

لهذا كله فنحن نهيب بالمسلمين والعرب فى شتى الأقطار الإسلامية والعربية أن يجمعوا أمرهم وأن يلتقوا على كلمة سواء وأن يدركوا قيمة الهدى النبوى فى قول الرسول - ﷺ -: «يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ فى النار»(١٧).

فإلى وحدة قوية متماسكة البنيان، وصف واحد كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وإلى تعارف وتآلف تتضافر فيه القوى أمما وشعوباً كما قال - سبحانه وتعالى - :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(١٨).

## واجب المسلمين فى توحيد موقفهم تجاه التحديات المعاصرة

لقد وحد الله الأمة الإسلامية، بتلك العقيدة التى تدعوها إلى عبادة إله واحد لا شريك له، وبتلك العبادات التى تتمثل فيها وحدة صفوفها فى الصلاة خمس مرات كل يوم.

وفى الزكاة التى تتوحد فيها مشاعر المسلمين فى تعاونهم مع إخوانهم المحتاجين، بما شرعه الله - تعالى - فى أموالهم من حق معلوم للسائل والمحروم.

وفى الصيام الذى يوحدهم حيث يمتنعون عن الطعام والشراب فى وقت واحد ويطعمون ويشربون عند المغرب فى وقت واحد. وفى الحج إلى بيت الله الحرام الذى يتلاقى فيه الناس من كل

(١٦) سورة النساء (١١٥) (١٧) صحيح الترمذى (٢١٦٦)، (٢١٦٧) (١٨) سورة الحجرات (١٣)



فج عميق ويجتمعون بزى واحد وفى وقت واحد يلبون إلهاً واحداً لا شريك له، ويتدارسون فى مؤتمر الحج العالمى قضاياهم ومشاكلهم فجاءت كل تشريعات الإسلام توحد بين جميع المسلمين أفراداً وجماعات وأمماً وشعوباً، وجعل الله الغاية من خلقهم من ذكر وأنثى، ومن جعلهم شعوباً وقبائل أن يتعارفوا، قال - سبحانه -:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾[19].

وقال سبحانه آمراً بالوحدة:

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[20].

ولنلق الضوء - أولاً على حقائق الإسلام فى منهجه الربانى حتى نرى ونوقن أنها حقائق وتشريعات، توحد ولا تفرق.

## حقائق التشريع الإسلامى توحد ولا تفرق

### موقف الإسلام من الاجتهادات الصحيحة:

أن الإسلام هو دين العلم والمعرفة، يدعو أتباعه إلى المزيد من العلم والثقافة، بل أمر الله تعالى صفوة خلقه، وخاتم رسله بأن يطلب منه المزيد من العلم، وأن يدعو بذلك:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[21] وهو الدين العالمى الذى جاء بالدعوة العامة فى الزمان وفى المكان، وبعث بدستوره السماوى الخالد خاتم رسل الله ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد - ﷺ -.

ولعموم الدعوة، وخلودها إلى أن يقوم الناس لرب العالمين اتسم دستورها السماوى وهو القرآن الكريم بالعموم والخلود فنزل تبياناً لكل شىء:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[22].

ولعموم الدعوة وخلودها تكفل الله بحفظ دستورها:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[23]

فحفظه رب العزة - سبحانه وتعالى - فى الصدور وفى السطور.

ولعموم الدعوة وخلودها أرسل لها رسولاً هو رحمة الله للعالمين لم تختص دعوته بقوم دون قوم ولا بزمان دون زمان كما قال الله - تعالى -:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[24].

ولعموم الدعوة وخلودها صان الله تشريعها السماوى من أى دخيل أو مدسوس، فكما تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم تكفل سبحانه بحفظ كل حقيقى وصحيح من الحديث النبوى، ليكون بياناً للقرآن:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[25].

فقيض الله لحفظ السنة النبوية المطهرة رجالاً أمناء عرفوا بالعدالة وبالضبط والورع وقمة الذكاء فصانوا السنة النبوية المطهرة من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

«يتبع»

---

(١٩) سورة الحجرات (١٣).
(٢٠) سورة آل عمران (١٠٣).
(٢١) سورة طه آية ١١٤.
(٢٢) سورة التكوير آية ٢٧.
(٢٣) سورة الحجر آية ٩.
(٢٤) سورة الأنبياء، آية ١٠٧.
(٢٥) سورة القيامة آية ١٧ - ١٩.



# لا حياة بلا دين

لفضيلة الشيخ / إبراهيم الدسوقي (*)

**اليهود في مواثيقهم اتفقوا على كتاب اسمه « بروتوكولات حكماء صهيون » فقد أخذوا يبحثون عن طريقة لإفساد العالم أخلاقيا ويبحثون عن طريقة لإفساد العالم دينيا ومكثوا طويلا يفكرون في الطرق التي تفسد الإنسانية أخلاقيا ودينيا، وتعاهدوا على تنفيذها والعمل على تحقيقها بكل وسيلة وبكل طريقة. في هذا الكتاب يقول اليهود: نحن الذين رتبنا نجاح « داروين » لأن نظريته تفسد على أهل الدين وأهل الأخلاق أخلاقهم ودينهم.**

أولا فيما يتعلق بنظرية التطور فإنها لم تثبت في يوم من الأيام كحقيقة، إنها مجرد فرض وهذا الفرض نفسه تقابله فروض أخرى تنقضه، يعني أنه لم يصل إلى يقين، بل لا يزال فرضا وهناك فروض أخرى تعارضه من الأوربيين أنفسهم ومع ذلك فإنهم يحاولون نشره بكل الوسائل لأنه يقول: « الإنسان متطور ومادام متطورا فحقيقة اليوم هي غلطة الغد والأديان والعقائد والأخلاق وكل شيء في سبيل التطور، فما نحن عليه الآن هو الذي يتناسب مع حالتنا التي نحن عليها في المجتمع فإذا تطورنا في الغد تركنا ذلك أخلاقا ودينا وعقائد وما شاكل ذلك إلى نواح تتناسب مع حالة ثانية وهكذا دواليك ».

وفكرة التطور أيضا مناقضة تماما للمسيحية وللإسلام وللخُلُق وللفضيلة لكل هذه النواحي وهي تنزل بنا إلى الهاوية، يقول اليهود: نحن الذين رتبنا نجاح « داروين » في الإذاعات والجرائد وبالمجلات وبالتدريس وبكل الوسائل.

ويقولون - أيضا -: نحن الذين رتبنا نجاح « نيتشه » وهو أحد الذين يهدمون الأخلاق ويقولون -عياذا بالله- يقولون: الله قد مات. فليس هناك بعث ولا نشور ولا حساب ولا فضيلة ولا رذيلة وإنما هناك استمتاع وليكن ما يكون فلا حلال ولا حرام. كل شيء مباح وهم الذين رتبوا نجاح « فرويد » الذي يقول لك: ربما تكون في شيء من البله إذا اعتقدت أنك تسير في هذا

(*) وزير الأوقاف الأسبق رحمة الله عليه.



العالم بحسب المثل العليا، أو بحسب الفضائل.. كـلا أنت واهم.. الذى يسـيرك فى جميع خطواتك إنما هو الغريزة الجنسية ومع كل حركة تتحركها وكل عمل تعمله.

إنهم يرتبون نجاح كل شخصية تفسد على الإنسانية دينها وأخلاقها، لقد وضعوا إفساد الإنسانية كغاية بالنسبة لهم ومنهج يجرون وراءه بواسطة بيوت الأزياء والأقلام المستهترة التى تكون فيها المرأة عارية تماما كيوم ولدتها أمها، ولِمَ يفعلون ذلك كله؟ لأن عندهم حلم السيطرة على العالم كلّه، والسيادة فى العالم كله وهم يسعون وراء ذلك.

فالمسلم فى مجال العصمة واليقين والهدى والرشاد حين ينهج فى حياته فى سنا وضياء الشريعة الإلهية التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها فى العقائد وفى الأخلاق وفى التشريع. هذا هو المنهج الذى يجب أن تسير عليه.

إنه منهج الاتباع فليس للمرء بدٌّ من الاتباع لرسول الله -ﷺ-

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(١)

ومنهج الاتباع هو المنهج الذى أمرنا الله به أمرا فقال:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾(٢).

يحكمونك حال حياتك ويحكمونك بعد مماتك باتباع سنتك وباتباع التشريع الذى جئت به.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٣)

إذا فعلت ذلك فأنت فى مجال العصمة

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٤)

## لا حياة بلا دين

وقد خيل لبعض الناس أن الإنسان يمكنه أن يستغنى عن الدين وأن يعيش متحررا من تكاليف الإيمان وخاصة فى عصر العلم حيث يستطيع أن يكيف حياته وينظم شئونه بعيدا عن الإيمان بالله وبمعزل عن رسالاته ويكسب عدة أشياء

١- الصحة العقلية والنفسية فإن عقائد الدين والإيمان بالغيب لا تقوم عليها الأدلة العلمية ولا تشهد لها التجارب الحسية.

وللرد على ذلك فإن مجال العلم غير مجال الإيمان فللعلم اختصاص لا يتعداه ومجال لا يتجاوزه وهو مجال الماديات والمحسوسات التى تدخلها الملاحظة والتجربة أما ما عدا ذلك مما وراء الحس وما وراء المادة فليس من وظيفة العلم ولا من اختصاصه إنما هو وظيفة الوحى، إن العلم منهج

---

(١) الأحزاب ٢١.

(٢)، (٣) النساء ٦٥.

(٤) آل عمران ١٠١.





صحيح لمعرفة المادة ولكنه ليس منهجا لمعرفة ما وراء المادة فهو يعرف كيف تسير الأشياء ولا يعرف شيئا عن مُسيِّرها ولا لماذا يسيرها. إن أقصى ما يصبو إليه العلم أن يعرف نصف الحقائق وهو الظاهر والإجابة عن « كيف »، أما النصف الآخر وهو أقوم النصفين وهو باطن الحقائق والإجابة عن « ما هي » لا « كيف هي » فعاجز كل العجز عنه لا يستطيع أن ينبس فيه بحرف. فمثلا الفلكي أبان بأن ملايين النجوم في السماء بالقوة المركزية بقيت في أماكنها أو أتمت دورتها، كما أن قوة الجاذبية في العالم حفظت توازنها ومنعت تصادمها. وهنا نتساءل ما الجاذبية؟ وكيف وحدث؟ وما القوة المركزية؟ وكيف نشأت؟ وأيضا من أنشأ هذه الحياة في هذا العالم وجعلها تدب فيه؟ من عقله الذي يدبره؟ لا جواب إلا الله..

كما أن النشوء والارتقاء والاعتماد على هذا المبدأ لا يصلح تفسيرا لمبدع هذا الوجود بدقائقه وعجائبه وإنما يصلح تفسيرا لوحدة العالم ووحدة المصدر أما ما وراء ذلك فلا علم له به، وكلما تقدم العلم وقدم الكثير من أسرار العالم وعجز عن شرحها وتعليلها فليس أمامه إلا أن يهتف من أعماقه إن هذا العالم صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه وحده الله رب العالمين.

كما أن نتائج العلم ليست قطعية يقينية وبصورة دائمة فإن قابلية الشك والاحتمال قائمة في كثير من نتائج العلم إذ أن أساس العلم التجربة والتجربة أساسها الحس، والحواس كثيرا ما تخدع، وهذا ما أقره المحققون من العلماء.

كما أن العلم ليس خصما للإيمان فكثيرٌ من العلماء هداهم علمهم إلى أن وراء هذا الكون قوة علمية تديره وتنظمه وترعى كل شيء فيه بميزان وحساب ومقدار.. يقول « هربرت سبنسر »: العلم يناقض الخرافات ولكنه لا يناقض الدين نفسه. ويقول: العلم الطبيعي لا ينافي الدين والتوجه إلى العلم عبادة صامتة واعتراف صامت بنفاسة الأشياء التي نعاينها وندرسها ثم بقدرة خالقها ويضرب مثلا: أن العالم الذي يرى قطرة الماء فيعلم أنها تتركب من الأوكسجين والأيدروجين بنسبة خاصة بحث لو اختلفت هذه النسبة لكانت شيئا آخر غير الماء يعتقد عظمة الخالق وقدرته وحكمته وعلمه الواسع بأشد وأقوى وأعظم من غير العالم الطبيعي الذي لا يرى فيها إلا أنها قطرة ماء فحسب. وكذلك العالم يرى قطعة البرد النازلة مطرا وما فيها من جمال الهندسة ودقة التصميم لاشك أنه يشعر بجمال الخالق ودقيق حكمته أكثر من ذلك الذي لا يعلم عنها إلا أنها مطر تجمد من شدة البرد، أما ما يقال من إن الانخلاع عن الدين يؤدي إلى صحة النفس والعقل فهو أمر يكذبه الواقع وينفيه ما نشاهده في دنيا الحضارة المادية الغربية التي أخذت زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها بما أوتوا من العلم التجريبي والتقدم التكنيكي.

يقول « توينبي » المؤرخ البريطاني المعاصر: لقد أغرت فنون الصناعة ضحاياها وجعلتهم يسلمونها قياد أنفسهم.. لقد أغوتهم فباعوها أرواحهم وأخذوا بدلا منها السينما والراديو وكانت النتيجة إقفارا روحيا وصفه أفلاطون: بأنه مجتمع الخنازير، ويقول « توينبي » في نهاية بحثه: إن خلاص الغرب لا يكون إلا بالانتقال من

الاقتصاد إلى الدين، إن الغربى يستطيع بواسطة الدين أن يتصرف تصرفا روحيا يضمن سلامته بالقوة المادية التى ألقتها بين يديه ميكانيكية الصناعة الغربية.

ويقول الدكتور محمد إقبال: الرجل العصرى بما له من فلسفات نقدية وتخصص علمى يجد نفسه فى ورطة. فمذهبه الطبيعى قد جعل له سلطانا على قوى الطبيعة لم يسبق إليه، لكنه قد سلبه إيمانه بمصيره هو، فقد أعشاه نشاطه العقلى فكف عن توجيه روحه إلى الحياة الروحانية الكاملة، أى إلى حياة تتغلغل فى أعماق النفس وهو فى حلبة الفكر فى صراع صريح مع نفسه، وفى مضمار الحياة الاقتصادية والسياسية فى كفاح صريح مع غيره وقد استغرق فى الواقع فأصبح مقطوع الصلة بأعماق وجوده. تلك الأعماق التى لم يسبر غورها بعد وأخف الأضرار التى أعقبت فلسفته المادية هى ذلك الشلل الذى اعترى نشاطه والذى أدركه « هكسلى » وأعلن سخطه عليه. وقد عبر عن ذلك شاعر ألمانى بقوله: نحن جيل بلا رابط ولا عمق، عمقنا هو الهاوية، نحن جيل بلا دين ولا راحة، شمسنا ضيقة، حبنا وحشية، شبابنا بلا شباب.

إننا جيل بلا قيود ولا حدود ولا حماية من أحد.

وادعاء أنصار الفكر المادى أنهم ربحوا من وراء التحرر من الدين والإيمان بعقائده الغيبية وأخلاقه القسرية الحرية الشخصية وآثارها فيرد عليهم بأن الحرية إذا كان معناها العبُّ من الشهوات بلا حساب والانطلاق وراء المتع الحسية بلا حياء، والتحرر من عُرا الفضائل والأخلاق والقيم العليا التى هى أغلى ما ورثته الإنسانية من تاريخها الطويل فهذه الحرية ليست كسبا يسعى إليه ولا غنما يحرص عليه، بل هى خسارة جسيمة على البشرية وهزيمة منكرة للمعانى الإنسانية التى بها صار الإنسان إنسانا، فالقيود التى يفرضها الدين على الإنسان لا يريد بها عذابه ولا حرماته؛ إنما يريد بها أن يرتفع به من الحيوانية الهابطة إلى الإنسانية الصاعدة وبذلك ينتصر الجزء السماوى فى الإنسان على الجزء الأرضى ينتصر الروح الشفاف على الجسد الكثيف. ينتصر العقل والإرادة على الشهوة البهيمية أو السبعية، فضلا عن أن الحياة الاجتماعية لا تصلح إلا بهذه القيود التى توجبها ضرورة التشابك والزحام إلى ما تستمتع به النفس من لذة أعمق وأبقى من لذة الانطلاق وراء المتع الحسية التى لا تدوم أكثر من لحظات. إن تدخل الدين فى حرية الفرد إنما هو بمثابة الإشارة الحمراء أمامه فى بعض المواقف. إنه تنظيم لمرور الإنسان وسيره فى طريق الحياة، وهو حماية له من الصدام بينه وبين الناس وحماية له من الخطر أن يصيبه هو أو يصيب غيره من جراء انطلاقه بلا قيود ولا حدود.

وكل مجتمع يخرج من هذه القيود أو يُهوِّن من شأنها فإنه يعرض نفسه للخطر ويقرب من حافة الهاوية وإن كان لا يدرك هذا إلا بعد تجربة وزمن تتجلى فيه آثار التحلل وأخطاره بارزة للعيان.. أما دافع العمل والإنتاج فقد حفلت الشريعة الإسلامية بضرورة العمل وبدلا من أن يكون فى خدمة عنصره المادى وحده فقد جعلت الجانب الروحى الذى يصله بالله ويكفل السعادة الأخروية بعد الحياة من إلزام الفروض على الإنسان



فى إطار من القيود والضوابط التى تكفل عمارة الحياتين الدنيا وما بعد هذه الحياة.

وقد يقال: إن علم النفس بفروعه ومكتشفاته وإمكاناته يستطيع أن يعالج الأنفس المريضة بطريقة علمية مأمونة من واقع الأرض لا من غيبيات السماء ولنستمع فى هذا المقام إلى الصحفى الكبير محمد زكى عبدالقادر يناقش هذا الموضوع فى إحدى يومياته بجريدة الأخبار إنه يقول: إن الإيمان يعد ضرورة يدعو إليها العلم وليست الأديان وحدها، والعلم لم يستطع ولن يستطيع أن يحل المشكلات التى يعانيها الإنسان فى الدنيا، فهناك حوادث مفاجئة ومآس تقع دون أن تكون لها أسباب مفهومة ونحن نسندها إلى القدر وإرادة الله ومنها ما يعجز الإنسان بكل ما أوتى من علم أو سلطان وقوة التخلص منها، الأمر الذى يحمل المصابين قهرا على اللجوء والضراعة إلى الله أن ينقذهم مما ألم بهم، إنه الإيمان بالله.

إن العلم بكل ما لديه من إمكانات وانتصارات لم يستطع أن يعرف كيف تعمل أعضاء الإنسان كلها، وكيف تتصرف وكيف تمرض وكيف تموت، لقد وفق فى علاج كثير من الأمراض ولكنه حتى الآن لم يوفق فى علاج كثير منها أيضا، وكما وفق فى معرفة بعض وظائف الأعضاء ولم يوفق فى معرفة سائر الوظائف إلى كثير من أمثال ذلك ويبقى اللغز الأكبر وهو: كيف وجد الإنسان؟ ولماذا وجد؟ وكيف يموت؟ ولماذا يموت؟ وماذا بعد الموت؟ وماذا قبل الحياة؟.. كل هذه ميادين لاتزال بكرا رغم كل الجهود التى بذلت وتبذل وستظل إلى ما شاء الله.

## مجـــال الإيمـــان

فمثلا: النفس الإنسانية ذلك الجوهر الذى يسعد الإنسان ويشقيه ويجعله مرحا كأن الدنيا بين يديه، وفجأة تضيق وكأنها ثقب إبرة، هذه النفس تنحرف وتعتدل، تزكو وتضمر، تكون عبقرية كأنها يوحى إليها من السماء وتكون شريرة كأنها لهب من الجحيم، هذه النفس هل عرفناها هل حددناها هل صورنا أمراضها واهتدينا إلى علاجها؟ إن علم النفس بكل الجهود لايزال يقف عند الشاطئ؛ ولا تزال نظرياته مجالا للاختلاف والشك ولاتزال تتطور جيلا بعد جيل. إن ما نعلمه عن الحياة وأسرارها بفضل كشوف العلوم وتفكير المفكرين لايزال ضئيلا جدا إذا قيس بما لا نعلم ولا نستطيع تعريفه ولا تعليله، علم النفس مجال للاحترام والتشجيع ولكن أن نعتمد عليه ليكشف كل غامض هو اعتماد من غير سند لا من حقيقة ولا مما وصل إليه ولا مما ننتظر أن يصل إليه.

كما أن كثيرا من الأطباء النفسيين قد ثبت لديهم بالتجارب المتكررة أن الإيمان بالله والآخرة من أعظم الأدوية الفعالة فى علاج مرضاهم ونجحوا أعظم نجاح: «إن كل من يعتنق دينا أو يتردد على دور العبادة يتمتع بشخصية أقوى وأفضل ممن لا دين له أو لايزاول أية عبادة، إن الدين هو الإيمان بوجود قوة ما كمصدر للحياة هذه القوة هى قوة الله مدبر الكون خالق السموات وهو الاقتناع بالدستور الخلقى الإلهى الذى سنه الله فى كتبه المتعاقبة واعتبار التعاليم السماوية أثمن كنز تغترف منه الحقائق الدينية





وهى أسمى فى مرماها من العلوم كلها مجتمعة كما أن هذا الدين ليس ملجئا للضعفاء ولكنه سلاح الأقوياء فهو وسيلة الحياة الباسلة التى تنهض بالإنسان ليصير سيد بيئته المسيطر عليها لا فريستها وعبدها الخانع»[6].

إن علماء الأمراض العقلية لا يجدون اليوم سلاحا أمضى وأبعد فاعلية فى علاج مرضاهم من الدين والإيمان بالله والتطلع إلى رحمة السماء والتشبث بالرقابة الإلهية والالتجاء إلى قوة الخالق الهائلة عند عجز كل قوة سواه.

## الخاتمـــة :

فـإذا كـان بعض المثـقفين فى أوطاننا لا يصغون إلا لصوت يجيئهم من الغرب فإن عليهم أن يستمعوا وينصتوا لتلك الصيحات المخلصة التى أطلقها أناس ليسوا بالأدعياء المتطفلين على العلم ولا بالسطحيين المحكومين بالعاطفة ولا بالخياليين المتعلقين بالأحلام الذين يسبحون فى غير ماء .. إنما هم علماء متعمقون يحكمون منطق العلم العصرى وحده القائم على الملاحظة والتجربة والاستقراء، والعجيب أن تصدر كل هذه الصيحات فى بلد بلغ القمة فى الارتقاء العلمى والفنى والاقتصادى .. أعلامه ينادون بضرورة التشبث بالإيمان وقاية وعلاجا .. وزادا وسلاحا وهداية ونورا صباحا وليلا[7].

## وبعـد :

فإن الإسلام الذى كتب له أن يرث الأديان كافة قد وضع للدعوة إليه منطقا دينيا تجلت فيه مبادئه الإنسانية تجليا كان له أثره فى نشره كما حبب الأمم فيه حبا فائقا كلُ أثر أثمره العسف والإيغال فى الوحشية من دعاة الملل السابقة .. وأول أساس وضعه فى هذا الصدد قوله –تعالى–:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[8].

وثم فإن واجب العلماء اليوم أن يقوموا بواجبهم دعاة للحق والله حسبهم.

دستورهم هذا الهدى الإلهى، لا تأخذهم فى الله لومة لائم وهو القائل:

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾[9].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[10].

وبالله التوفيق

---

(٦) العودة للإيمان: للطبيب النفسى الأمريكى د هنرى لنك.

(٧) الإيمان والحياة للدكتور القرضاوى (٢٢٧:٢٦٢) بتصرف كبير.

(٨) النحل ١٢٥.

(٩) الحج ٤٠.

(١٠) محمد ٧



# الإسلام وحوار الحضارات

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي

**الإسلام دين الله الذي بشر به رسول الإسلام محمد بن عبد الله - صلوات الله عليه - هدى للناس ورحمة ودعوة إلى كل القيم الإنسانية الرفيعة التي يجب على الإنسان أن يحافظ عليها ويلتزم بها، ويتخذها دستورا له في الحياة.**

**وناموس الإسلام أو قانونه، أو دعوته، ذلك مفصل في كتاب الله الحكيم، الذي نزل به الروح الأمين، على نبيّ الله ومصطفاه ورسوله إلى خلقه، وإلى العالمين كافة، محمد - ﷺ -.**

**رسالة شريفة واضحة سامية، يقول محمد فريد وجدي[1]: الإسلام أن تسلم وجهك لله، مجردا نفسك عن علمك وعقلك وحولك وقوتك وتقاليدك كلها، الخشوع دثارك، والتقوى والرجاء والضراعة صفاتك، متجردا له كيوم ولدتك أمك على الفطرة، لتتحقق عبوديتك، ومن قبل قال عمر بن الخطاب لبعض أصحابه: لقد أعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العزة من غيره يذلكم الله ومن بعد قال مستشرق غربي هو «ولز»: الإسلام هو الدين الحق الذي يساير المدنية، والهرمز الفارسي قد عرف الحقيقة، فقال لرسول عمر بن الخطاب: إنما غلبتمونا بالإسلام.**

إن التوحيد هو الدعامة الكبرى لشريعة الإسلام، وهو الزاد الذي يستمد منه المسلم كل قوته، يقول الله - عز وجل - في محكم آياته:

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[2].

ويقول - عز وجل -:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[3].

(١) الإسلام في عصر العلم ٢ : ٣٥٦.
(٢) الأنعام (١٠٢).
(٣) النساء (١٧٠).

ويقول تولستوى[1]: خلاصة الإسلام كما نادى به محمد هو أن الله واحد لا إله إلا هو، وأن الله رحيم عادل، وأن مصير الإنسان النهائى متوقف على الإنسان نفسه، فإذا سار حسب شريعة الله، وأتم أوامره واجتنب نواهيه فإنه فى الحياة الأخرى يؤجر أجرا حسنا، وإذا خالف شريعة الله وسار على هواه فإنه يعاقب فى الحياة الأخرى عقابا شديدا.

فى عام ١٩٣٨ عقد فى لاهاى مؤتمر «القانون المقارن» وفيه قد قرر المجتمعون اعتبار الشريعة الإسلامية مصدرا مهما من مصادر التشريع بعد أن أشاد الأعضاء الأجانب على اختلاف مللهم بأحكام الشريعة الإسلامية.

وفى عام ١٩٥١ عقدت شعبة الحقوق من المجمع الدولى للقانون المقارن مؤتمرا للبحث فى الفقه الإسلامى فى كلية الحقوق بجامعة باريس تحت اسم «أسبوع الفقه الإسلامى» ودعت إليه عددا من المستشرقين وأساتذة القانون فى الدول الغربية والشرقية، وقد حاضر الأعضاء فى موضوعات محددة حددها مكتب المجمع الدولى للقانون المقارن وهى: إثبات الملكية - المسئولية الجنائية - الاستملاك للمصلحة العامة - تأثير المذاهب الاجتهادية بعضها فى بعض - نظرية الربا فى الإسلام. وفى خلال المناقشات قال النقيب السابق للمحامين فى باريس: أنا لا أعرف كيف أوفق بين ما كان يحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامى وعدم صلاحيته كأساس للتشريع يفى بحاجات المجتمع العصرى المتطور وبين ما نسمعه الآن فى المؤتمر مما يثبت خلاف ذلك تماما ببراهين النصوص والمبادىء. وفى ختام الأسبوع قرر المؤتمر أن الفقه الإسلامى يقوم على مبادىء ذات قيمة أكيدة لا مرية فى نفعها وأن اختلاف المبادىء فى هذا المجال التشريعى الضخم ينطوى على ثروة من الآراء الفقهية وعلى مجموعة من الأصول الفقهية التى تتيح لهذا الفقه أن يستجيب بمرونته لجميع مطالب الحياة الحديثة. كما قرر المؤتمر أن تؤلف لجنة لوضع معجم للفقه الإسلامى المؤتمر يساعد على تسهيل الرجوع إلى مؤلفات هذا الفقه فى موسوعة فقهية تعرض فيها المعلومات القانونية الإسلامية وفقا للأساليب الحديثة.

وفى بحوث عديدة بين الباحثون أن الفقهاء المسلمين شرعوا المحاكم الدستورية العليا، واختصاصات هذا النوع من القضاء كما فصلها أبوالحسن الماوردى هى:

١- النظر فى القضايا التى يقيمها الأفراد والجماعات على أجهزة الحكم فى الدولة.

٢- النظر فى تظلم موظفى الدولة ضد تطبيقات القانون.

٣- تقرير الأحكام التى يعجز القضاء العادى عن إصدارها.

(١) حكم النبى محمد لتولستوى ص ٨.

٤- ما يختص بتقرير حقوق الإنسان.

وقد يملكنا الذهول عندما نعرف أن عمر ابن الخطاب وقف يوما يودع أحد ولاته قبل سفره إلى الإقليم الذى سيحكمه، وألقى عليه هذا السؤال: ماذا تفعل إذا جاءك سارق أو ناهب؟ وكان رد الوالى: أقطع يده. فاستدرك عمر الحديث معه قائلا: وإذن فإن جاءنى منهم جائع أو عاطل فسوف يقطع عمر يدك. إن الله قد استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم ونوفر لهم حرفتهم. فإذا أعطيناهم هذه النعم تقاضيناهم شكرها، يا هذا إن الله قد خلق الأيدى لتعمل، فإذا لم تجد فى الطاعة عملا التمست فى المعصية أعمالا، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية.

وعندما ألف «روسو» كتابه «العقد الاجتماعى» وقرر فيه أن الأمة هى مصدر السلطات وهى سيدة الحاكم الذى يستمد منها قوته وسلطته، لعله كان يعرف أن الإسلام قرر هذه المبادىء تقريرا وطبقها تطبيقا، وهذا هو عمر بن الخطاب يقول: إن من استرعاه الله على المسلمين فقد وجب عليه ما يجب على العبد لسيده، ومن حديث رسول الله - ﷺ - «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» - رواه البخارى ومسلم - أليس هذا المفكر الغربى على صواب وعلى هدى من الإسلام حينما تقرؤه يقول: ولز: الدين الحق الذى يساير المدنية هو الإسلام؟

أوروبا تخاف الإسلام، وتخاف من الإسلام، ليس ذلك على مستوى الحكومات فحسب، بل على مستوى الأفراد والجماعات، وحرب الأقليات الإسلامية فى الغرب مستمرة اليوم ومن قبل وستستمر من بعد أيضا. ولقد وقفت الإمبراطورية الرومانية فى وجه الإسلام منذ معركة اليرموك حتى فتح القسطنطينية على يدى السلطان محمد الفاتح فى أواسط القرن التاسع الهجرى تشن عليه الحرب وتدبر له المؤامرات، وتؤلب عليه القوى المختلفة، وما حديث الحروب الصليبية بسر.. وكانت بيزنطة إحدى القوى المحركة للأحداث فى غزو التتار للعالم الإسلامى وفى تدميرهم لبغداد وقضائهم على الخلافة العباسية. وحسبنا دليلا على ذلك ما يرويه التاريخ من أن هيتون ملك أرمينية المسيحى كان العامل الرئيسى فى إقناع الملك المغولى «مانجوخان» (٦٤٦-٦٥٥هـ/ ١٢٤٨-١٢٥٧م) بإرسال حملة هولاكو المشئومة بل إن هولاكو نفسه زوج ابنه من ابنة امبراطور القسطنطينية المسيحى[٥].

ومذابح الصرب فى الهرسك وفى كوسوفا أثر لهذا الشعور الغربى المستحكم بالعداء للإسلام وللمسلمين.

---

(٥) ٢٥٢ و٢٦٠ الدعوة إلى الإسلام لتوماس ترجمة حسن حسن إبراهيم وعبدالمجيد عابدين - وراجع: كتاب المسيحية والإسلام وكتاب مغول إيران، وهما لعلى مصطفى بدر.

على أن فى الغرب منصفين يدعون ولايزالون يدعون إلى الحوار بين الشرق والغرب، الحوار بين الحضارات، ومن أبرز هؤلاء الدعاة ولى عهد بريطانيا الأمير تشارلز والإسلام منذ عصر الرسالة حتى اليوم لا يعرف طريقا إلى الحضارات والأديان الأخرى غير طريق الحوار والمجادلة بالحسنى، والله – عز وجل – يقول فى كتابه الحكيم:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾(٦).

إن الأصوات المنصفة فى الغرب، مع قلتها: تنفر من حرب الحضارات ومن كل ذلك نفورا شديدا.

فتشارلز ولى عهد بريطانيا ينادى بضرورة الحوار بين الحضارات، لا الصراع بينها.

ووزير الخارجية البريطانية السير روبين كوك ينادى فى كلمته التى ألقاها منذ نحو عامين فى أحد المراكز الثقافية الشرقية بلندن: بأن الثقافة الغربية مدينة للإسلام وحضارته، وبأن الغرب فى حاجة إلى الإسلام كصديق لأنه دين السماحة والحب والوئام، وبأن من الظلم أن نلصق الإرهاب بالإسلام لأنه دين السلام (صحيفة الأهرام – صفحة الفكر الدينى – ١٦/ ١٠/ ١٩٩٨).. قال روبين كوك: إن جذور ثقافتنا الانجليزية ليست يونانية أو رومانية الأصل فحسب، بل هى إسلامية أيضا فالفن الإسلامى والعلوم والفلسفة الإسلامية قد ساعدت على تشكيل تطورنا، والأرقام الإسلامية مازالت يعتمد عليها. إن ثقافة الغرب مدينة للإسلام.. والبعض يقول: إن الغرب بحاجة إلى عدو بعد انتهاء الحرب الباردة وأن الإسلام هو العدو الجديد، كما يقولون: إن صراع الحضارات قادم ولا مفرّ منه، وأنا أقول: إنهم مخطئون خطأ فادحا، فنحن لسنا بحاجة إلى الإسلام كعدو، بل نحن فى حاجة إليه كصديق، قد تكون حضاراتنا أو أدياننا مختلفة، ولكن هذا لا يعنى أننا لا نستطيع أن نتعايش معا، إن علينا أن نتعاون معا لإفشال هذه الإدعاءات، فالقرآن الكريم يدعو فى سورة الحجرات (الآية ١٢) إلى التعارف بين الشعوب. إن القائل بأن ثقافتنا غير متجانسة مخطىء، فهناك قدر كبير من المعارف يمكن أن نتعلمه من بعضنا، والغرب مدين للإسلام بالشىء الكثير، فالإسلام وضع الأسس الفكرية لمجالات عديدة وكبيرة فى الحضارة الغربية. ومن أكبر الأخطاء التى يمكن للغرب أن يرتكبها هو الظن بأن الثقافة الإسلامية شىء غريب عنا فهى ليست كذلك فإن ثقافتنا قد تشابكتا عبر التاريخ والأجيال. ومازالتا تتلاقيان أيضا فى وقتنا الحاضر، إلى

(٦) العنكبوت (٤٦)



اقترح إجراء حوار جدى حول القضايا العديدة التى تهم الجانبين.

(انتهى حديث وزير الخارجية البريطانى).

وأمامى كذلك كتاب «بين شتى الجبهات» للمفكر الألمانى عبدالهادى هوفمان الذى عمل فى الحقل السياسى الألمانى فترة طويلة، وعند بلوغه سن الواحدة والأربعين اعتنق الإسلام (أى عام ١٩٨٩ لأنه من مواليد ١٩٤٨)، ويجاهد فى إزالة الوهم العدائى بين المسلمين والألمان.. وهو غير مراد هوفمان السفير الألمانى السابق فى المغرب ومؤلف كتاب «الإسلام كبديل». وهنا يلتقيان فى الإيمان بالإسلام كدين صحيح وشامل لكل مناحى الحياة، وقد أصبحت أوروبا فى أمس الحاجة إليه.

إن الكتاب «بين شتى الجبهات» بصفحاته الـ ٢٥٠ حافل بالتنويه بدعوة الإسلام إلى حرية العلم وحرية الفكر وحرية العبادة، وإلى الشورى، ويقول: إن صورة الإسلام فى الغرب صورة عدو لدود، وهو وضع مقلوب للحقيقة، وإن الإيمان بإله واحد يجمع بين المسلمين والنصارى، كما يؤكد عظمة الحضارة الإسلامية وقيامها على أساس المسئولية الفردية، والوحدة والتعاون والإخاء، وحقوق الإنسان.

هل نسى الغرب أن الإسلام وحضارة الإسلام وعلماء الإسلام هم الذين أحيوا التراث اليونانى القديم وقدموه محققا ومشروحا إلى أوروبا؟.

وهل نسى الغرب أن الإسلام هو الذى حمى اليهودية واليهود فى العالم من بطش وجبروت العصور الوسطى فى أوروبا؟.

وهل نسى الغرب أن الإسلام هو الذى حمى المسيحية، وحمى مصر المسيحية من جبروت الدولة البيزنطية وطغيانها؟.

وهل نسى الغرب أن الإسلام دعوة سلام إلى العالم وإلى الدنيا جميعا، ودعوة أخوة وتعاون دولى لمصلحة الشعوب.

وكيف يعادى الغرب المدجج بكل أنواع التدمير النووى وغيره «الشرق الإسلامى الذى جعل السلام شعاره فى كل شىء وفى كل وقت، بل فى كل عبادة، بل فى كل عمل، وتحيته دائما هى: السلام عليكم إن الإسلام لم يصنع ما صنعته الغرب فى البوسنة والهرسك ولم يصنع ما صنعته روسيا والصين فى بلاد الإسلام وفى مسلمى بلادهما.

إن الإسلام والغرب، يجب أن يلتقيا، وبلا ريب فهما ولا ريب يمكن أن يلتقيا لو حافظ الغرب على روح الأخوة البشرية، وعلى حق كل منهما فى أن يعيش فى سلام وتعاون مع الآخر، وعلى أن الخروج على الشرائع السماوية باسم الحضارة والحرية خطأ لا يغتفر وشرك ما بعده من شرك.

والسلام على من اتبع الهدى.



# الإسلام .. والغرب .. وحقوق الإنسان

للدكتور/ محمد عمارة

**بين الحين والحين.. نقرأ هجوما أو غمزا ولمزا، من دوائر معادية للعرب والمسلمين، ضد بعض الدول الإسلامية، لأن هذه الدول ماتزال ترفض أو تتحفظ فى التوقيع على الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، الذى أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٠ من ديسمبر سنة ١٩٤٨م.**

**والبعض منا قد يريح نفسه من التوقف عند هذا الهجوم أو الغمز واللمز، قائلا: هذه دوائر معادية، ومن ثم مغرضة ومتجنية، لا تستحق وجهات نظرها التأمل والاعتبار!..**

لكننا كثيرا ما نقرأ ذات النقد لإحجام أو تحفظ بعض دولنا الإسلامية على هذا الإعلان، من منظمات عالمية تطوعية لا ينكر أحد جهودها الخلاقة فى الدفاع عن حقوق الإنسان، فى كل المجتمعات، وعبر كل الحضارات، وفق قواعد وضوابط حددتها هذه المنظمات لهذه الحقوق.. الأمر الذى يدعونا إلى أن نأخذ هذا الأمر مأخذ الجد، فننظر: هل هناك مجال لتمايز حضارى، بيننا وبين الحضارة الغربية فى النظر إلى قضية «حقوق الإنسان»؟!..

***

بادئ ذى بدء، فنحن لا نخفى إعجابنا الشديد باهتمام الحضارة الغربية، والمنظمات الدولية التطوعية - بخاصة التى أقامها الغربيون - بقضية الدفاع عن حقوق الإنسان.. ولا نخفى إعجابنا الشديد بما تحقق للإنسان فى ظل الكثير من نظم الحضارة الغربية من كرامة وحقوق، ومن الوعى الذى ترسخ فى مناهج وبرامج الأحزاب السياسية والمؤسسات الفكرية والقانونية والدستورية والقضائية والإنسانية بهذه الحقوق.. ونتمنى، من أعماق قلوبنا أن يحظى إنساننا العربى والمسلم بما حظى ويحظى به الإنسان الغربى فى هذا الميدان..

ومع ذلك.. فنحن نضيف أمنية نتمناها، وقضية ندعو إلى تبنيها، وهى أن يدرك مفكرونا ومناضلونا أن لأمتنا فى قضية حقوق الإنسان - إلى جانب ما هو «مشترك إنسانى عام» - ماتميزها حضاريا، فى هذا الميدان، عن المفهوم الغربى لحقوق الإنسان.. وأن الوعى بهذه الخصوصية

الحضارية، والنضال لتحويلها إلى واقع يعيشه إنساننا العربى والمسلم، ويستمتع بثمراته، لن ينتقص من كرامة إنساننا وحقوقه عن نظيره الغربى، بل يزيدهما عمقاً وقدراً وعلواً، إلى الحد الذى نزعم فيه أن لدينا فى هذا الميدان ما هو جدير بأن يكون «الخيار المستقبلى» الذى تطمح الإنسانية فى اتخاذه نهجاً ومعياراً لتحقيق الآمال فى ميدان حقوق الإنسان.. كل إنسان!..

***

إن تاريخ الغرب مع فكر ومواثيق وتطبيقات حقوق الإنسان، تاريخ قريب وحديث.. فإذا كانت أوروبا العصور الوسطى والمظلمة قد سادها الجهل والاستبداد وهيمنت عليها قوة الرجعية وتحكمت فى إنسانها قيود الكهانة الكنسية وأغلالها.. فإن ما عرفته الحضارة الغربية فى حقبتها اليونانية من «الديمقراطية» لم يعد نطاق القلة القليلة من أحرار المدن اليونانية، أما الكثرة الكثيرة فقد كانوا أرقاء ليست لهم أية حقوق.. وعلى أكتافهم وكواهلهم كانت كل الواجبات.. فلقد كان التمييز، بل الفصل والتناقض بين القلة من الأحرار والأغلبية من الأرقاء حاداً، والبون شاسعاً.. وكذلك كان الحال بين «العمل الذهنى»، الذى يحظى وحده مع أهله بالاحترام، على حين كان «العمل اليدوى» مع أهله، فاقد الأهلية كلها.. وكان هذا الفكر، وكانت تطبيقاته الشرعية التى يفخر بها ويتيه الغرب فى حقبة اليونان والرومان.. والذين يعلمون طرفاً من هذا الواقع، ولو من خلال قصة العبيد فى تلك الحضارة، والثورة التى قادها فيهم اسبارتاكوس [ ٧٣ - ٧١ق. م] وما حفلت به من آلام، وما انتهت إليه من مأساة يعرفون مصداقية هذا الذى نقول.

إذن هو حديث وقريب عهد الحضارة الغربية بمواثيق حقوق الإنسان وتقنياتها وتطبيقاتها.

لقد بدأت مسيرة الحضارة الغربية على هذا الدرب بفكر الثورة الفرنسية التى بدأت أحداثها سنة ١٧٨٩م.. فإبان هذه الثورة وضع «أمانول جوزيف سييس» [ ١٧٤٨ - ١٨٣٦م] وثيقة حقوق الإنسان، تلك التى أقرتها «الجمعية التأسيسية» وأصدرتها «كإعلان تاريخى» وكوثيقة سياسية واجتماعية ثورية، فى ٢٦ أغسطس سنة ١٧٨٩م.. ثم سجلت هذه الوثيقة فى الدستور الفرنسى، الذى أصدرته الثورة سنة ١٧٩١م.. ولقد كانت المصادر الأساسية لفكر هذه الوثيقة غربية فى الأساس.. فهى تابعة من فكر المفكر الفرنسى «جان جاك روسو Rousseau» [١٧١٢ - ١٧٧٨م]، ومن «إعلان حقوق الاستقلال الأمريكى» الذى كتبه «توماس جيفرسون» [ ١٧٤٣ - ١٨٢٦ ]، والصادر فى ٤ من يوليو سنة ١٧٧٦م.

ومن أهم المبادىء والحقوق التى تضمنتها هذه الوثيقة التاريخية: «أن الناس يولدون ويظلون أحراراً ومتساوين فى الحقوق، وأن حقوق الإنسان الطبيعية الخالدة هى الحرية، والملكية، والأمن، ومقاومة الطغيان، وأن القانون لا يحظر إلا الأعمال الضارة بالمجتمع. وأن السيادة للشعب. وأن القانون تعبير عن إرادته، ولكل مواطن حق الإسهام فى وضعه، وأن لجميع المواطنين حقوقاً متساوية فى كافة المناصب والوظائف العامة وفقاً لكفاياتهم لا تمييز بينهم إلا بفضائلهم

ومواهبهم. وأنه لا عقاب إلا على الأعمال التى يقرر العقاب عليها قانون سابق تاريخ ارتكابها. وأن كل متهم مفروض أنه برىء حتى تثبت إدانته. وأن لكل فرد حرية الرأى والعقيدة مالم تخل ممارستها بالنظام العام. وأن لكل مواطن حق الكلام والكتابة، دون إسراف فى استعماله؟؟

ولقد انتقلت مبادىء هذه الوثيقة إلى النطاق الدولى عندما تضمنها ميثاق «عصبة الأمم» سنة ١٩٢٠م.. ثم ميثاق «الأمم المتحدة» سنة ١٩٤٥م.. ثم أفردت، دوليا، بوثيقة خاصة هى [الإعلان العالمى لحقوق الإنسان]، الذى أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة -كما أسلفنا- فى ١٠ من ديسمبر سنة ١٩٤٨م.

ونحن نعترف، مرة أخرى، أن تاريخ الحضارة الغربية، فى هذا الميدان -ميدان «حقوق الإنسان»- رغم أنه حديث، إلا أنه غنى ورائع ومجيد.

***

فقط.. نريد أن نضيف، فنقول: إن لدى حضارتنا العربية الإسلامية فى هذا الميدان، «إضافات» تزيد فكر هذا الميدان غنى وتدعم ما فيه من ضمانات.. كما أن لدينا فيه، أيضا، «خصوصية حضارية» تميز بين فكريتنا وفكرية الحضارة الغربية فى هذا الموضوع!..

● إن هذا الذى عرفته فكرية الحضارة الغربية، حديثا، فى باب «حقوق» الإنسان.. عرفته فكرية حضارتنا العربية الإسلامية، بل ومارسته، قديما، ومنذ ما قبل أربعة عشر قرنا، لا كمجرد «حقوق» للإنسان.. وإنما «كفرائض إلهية وواجبات شرعية»، لا يجوز لصاحبها -الإنسان- أن يتنازل عنها أو يفرط فيها، حتى بمحض اختياره إن هو أراد!..

وتلك زاوية لرؤية القضية، ودرجة فى تناولها، لا شك أنها «إضافة» تزيد هذا الفكر غنى وأصالة وعمقا، وتوفر له المزيد من الفعالية وقوة التأثير..

فـ«الحياة».. ترى فكرية الحضارة الغربية فى «الحفاظ عليها» «حقا» من حقوق الإنسان.. لكن صاحب «الحق» حر فى التنازل عن حقه.. ولذلك لا تجرم هذه الحضارة ولا تؤثم من يتنازل عن «حقه» فى الحياة بالانتحار!.. وليس كذلك موقف حضارتنا العربية الإسلامية من «الحفاظ على الحياة»، لأنها تراه فريضة إلهية وواجبا شرعياً لا يجوز، حتى لصاحبه، أن يفرط فيه.. فهو يأثم إذا قنط من رحمة الله فانتحر.. ويأثم إذا فرط فى توفير مقومات الحياة- غذاء وكساء وأمنا- لذاته، حتى ولو اضطر فى سبيل ذلك إلى القتل والقتال. لأنه إذا طلب مقومات حياته، حتى بالقتال ضد الظلمة والمحتكرين، فهو فائز بإحدى الحسنيين.. إن التعصر كان مأجورا بصيانته وأدائه واجبا شرعيا، هو الحفاظ على حياته، وإن قُتل فى سبيل ذلك فهو شهيد!

و«العلم».. فى فكرية حضارتنا، ليس مجرد «حق» من حقوق الإنسان.. بل هو -كالنظر والتفكر- فريضة شرعية وتكليف إلهى واجب، يأثم الإنسان إن هو فرط فيه.. ولا يجوز له التنازل عنه بحال من الأحوال.. بل إن التفقه والتخصص والبراعة فى مختلف العلوم والمعارف تزيد فى الدرجة توكيدا وفى مراتب الفريضة علوا، إلى الحد الذى جعلها إسلامنا «فرض كفاية»، أى «فريضة اجتماعية»، هى أشد



توكيدا من «فروض العين - الفردية»، لأن إثم التخلف عنها والتقصير فيها إنما يعم ويلحق الأمة جمعاء.. وليس كفروض العين التي يقف إثم التقصير فيها عند الفرد وحده؟!

و«الحرية».. رآتها وتراها حضارتنا فريضة إلهية وواجبا شرعيا، هي الأخرى، لأنها مساوية «للحياة».. ولقد نبه علماؤنا على أن حكمة جعل الشريعة «تحرير الرقبة» كفارة «القتل الخطأ»، هو ما في الرق والعبودية من معنى «الموت»، وما في العتق والحرية من معنى «الحياة».. فمن أخرج من الحياة نفسا بقتلها خطأ، فليدخل في الحياة نفسا أخرى بتحريرها من موت الاسترقاق!.. وبعبارة الإمام النسفي [٧١٠هـ - ١٣١٠م]: «.. فإنه -[أي القاتل]- لما أخرج نفسا من جملة الأحياء، لزمه أن يدخل نفسا مثلها في جملة الأحرار، لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها، من قبل أن الرقيق ملحق بالأموات، إذ الرق أثر من آثار الكفر، والكفر موت حكما.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾(١)»(٢)..

كذلك ذهبت حضارتنا على درب تحرير الإنسان إلى الحد الذي اعتبرت فيه هذا «الواجب» جُماع رسالة خاتم الرسل والأنبياء، محمد بن عبدالله - عليه الصلاة والسلام - فحدثنا القرآن الكريم عن أن جُماع هذه الرسالة قائم في:

أ- اشتغال الإنسان بشئون أمته ومجتمعه العامة، متمثلا في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

ب - وتنظيم علاقة الإنسان بالأشياء، ما هو حلال منها وما هو حرام.

جـ- وتحرير الإنسان من القيود والأغلال.

فقالت آيته الكريمة عن هذه الغايات:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾(٣).

و«اشتغال الإنسان بسياسة مجتمعه وأمته».. ليس مجرد «حق» من حقوقه حتى يجوز له التنازل عنه بالسلبية والاعتزال للشئون العامة.. وإنما هو فريضة إلهية وواجب شرعي.. فاهتمام الإنسان بأمور الأمة «فرض عين».. فـ«من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».. أما الاشتغال بسياسة الأمة، فهو فرض اجتماعي، آكد من فروض العين، تأثم الأمة جمعاء إذا لم ينهض به وبتبعاته فريق أو فرقاء من أبنائها.. وتدخل في ذلك جميع مهام السياسة والاجتماع والاقتصاد، وسائر شئون عمارة الأرض وإدارة الدولة ونظام الاجتماع الإنساني.. التي وضعها الفكر الإسلامي تحت باب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»..

وكذلك «العدل».. و«الشورى».. و«الكرامة الإنسانية».. إلخ.. إلخ.. وكل ما تحدثت عنه

---

(١) الأنعام: ١٢٢.

(٢) النسفي [مدارك التنزيل وحقائق التأويل] ج١ ص١٨٩. طبعة القاهرة سنة ١٣٤٤هـ.

(٣) الأعراف: ١٥٧.



الحضارات الأخرى في باب «حقوق» الإنسان، عرضت له حضارتنا العربية الإسلامية كواجب شرعي وفريضة إسلامية، لا يجوز حتى لصاحب المصلحة فيها أن يتنازل عنها بحال من الأحوال.. وإلا كان آثما الإثم العام الذي يلحق الجميع!..

ولا شك أن لهذا المنظور، ولزاوية الرؤية هذه أكبر الأثر في إثراء هذا المبحث، وزيادة درجته في سلم الأولويات الإنسانية، الأمر الذي يضيف المزيد من القوة إلى رصيد وعدة المناضلين في سبيل رفع الإصر والأغلال عن كاهل الإنسان.

فنحن مع فكرية الحضارة الغربية فيما هو موضع اتفاق، بهذا الميدان، وإلى هذه الفكرية نضيف ما تميزت به حضارتنا مما يدعم النضال الإنساني العام، الساعي إلى تحرير الإنسان، ووضعه حيث أراد الله: الخليفة والنائب والوكيل عن سيد هذا الوجود!..

● أما «الخصوصية الحضارية»، التي تميز حضارتنا، بالمخالفة، وليس بمجرد الإضافة، عن الحضارة الغربية، في هذا الميدان.. فإننا نوجز الإشارة إلى أهم معالمها ودلالاتها في هذه النقاط:

● فالإنسان، صاحب «الحقوق»، في عُرف الحضارة الغربية، هو، فقط، «الإنسان الغربي الأبيض»!.. وليس مطلق «الإنسان»؟!.. فنحن هنا أمام «عنصرية»، ولسنا أمام «إنسانية» حقيقية.. وهم في هذا الموقف العنصري، الذي تبرزه الممارسات والتطبيقات في الدائرة الاستعمارية، وفي العلاقات الدولية، يمثلون الامتداد للتراث العنصري في الحضارة الغربية.. فإنسان الحقبة اليونانية، صاحب الحقوق، كان القلة الحرة -السادة- وإنسان «التلمود» اليهودي -وهو من مكونات الفكرية الغربية- هو المؤمن بالعهد القديم.. وليس مطلق الإنسان..

ويشهد على هذا الموقف العنصري في تحديد الإنسان صاحب «الحقوق» -كما قلنا- ممارسات الغرب وتطبيقاته -التي تمثل القاعدة العامة- والتي لا تخلو بالطبع من الاستثناء.. فالغرب قد صاغ مواثيقه عن حقوق الإنسان في ذات الحقبة التاريخية التي مارس فيها الاسترقاق والاستعباد الجماعي للأمم والشعوب الملونة، وأنجز فيها أبشع مشاريع النهب الاستعماري التي شهدها تاريخ الإنسانية الطويل.

وحتى في هذا القرن العشرين، رأينا ولا زلنا نرى ممارساته في العلاقات الدولية قائمة على معايير العنصرية إلى حد بعيد.. ولم تفلح مواثيقه عن مبادئ، وحقوق الإنسان في إخفاء المضمون العنصري الكالح المستكن في قلب هذه الممارسات، والمحرك لتياراتها.[1]

لقد عشنا حينا من الدهر -وكثمرة من ثمرات الغفلة والغزو الفكري- نلقن أبناءنا في المدارس والجامعات، أن من أسباب نهضاتنا وثوراتنا الحديثة ما أشاعته مبادئ الرئيس الأمريكي ويلسون Wilson (توماس وودرو) [١٨٥٦ - ١٩٢٤م].. الذي حكم الولايات المتحدة الأمريكية ما بين سنة ١٩١٣ و١٩٢١.. ما أشاعته مبادئه الأربعة عشر من انتعاش لحقوق الإنسان، وخاصة في مجال حق الشعوب في

(١) في أمريكا قام أستاذ القانون بجامعة ولاية «إيوا» بدراسة إحصائية لأحكام الإعدام الصادرة ضد كل من البيض والسود في ولاية «جورجيا».. ولقد اتضح منها أن السود إذا قتلوا بيضا فإن تعرضهم لحكم الإعدام يكون بنسبة احدى عشرة مرة، على حين تكون النسبة مرة واحدة إذا قتل البيض سودا!!.. انظر [النشرة الإخبارية لمنظمة العفو الدولية] - الطبعة العربية- يونيو سنة ١٩٨٧م.

«تقرير المصير» عقب الحرب الاستعمارية العالمية الأولى. لا يخفى عليها استعلاء الرجل الأبيض، وتمييزه العنصرى لبنى جلدته وحضارته عن غيرهم من ملونى الحضارات الأخرى!..

أ - فهى «مبادىء التقنين لزحف الغرب القوى على مقدرات الشعوب الضعيفة».. وذلك عندما يدعو المبدأ الثالث منها إلى «إزالة الحواجز الاقتصادية بين الشعوب بقدر الإمكان».

ب- وهى مبادىء التمييز العنصرى بين الشعوب فى «حق تقرير المصير»، عندما تذكر هذا الحق صراحة وتعترف به بالنسبة للشعوب الأوروبية البيضاء.. فينص المبدأ التاسع على «تعديل حدود إيطاليا بما يتفق مع توزيع القوميات الإيطالية».. وينص المبدأ العاشر على «تقسيم النمسا والمجر تقسيما يتفق مع توزيع قوميات الإمبراطورية».. وينص المبدأ الحادى عشر على «تعديل الحدود فى شبه جزيرة البلقان بما يتفق مع الأوضاع التاريخية وتوزيع القوميات».. فيقرر للقوميات الأوروبية حقوق أهلها فى تقرير المصير وفق سماتها وقسماتها ومكوناتها القومية، وأوضاعها التاريخية.

فإذا ما جاءت هذه «المبادىء» إلى الملونين، وإلى وطن العروبة وعالم الإسلام، على وجه الخصوص، اختفى منها تعبير «تقرير المصير»؟!.. ورأينا المبدأ الثانى عشر يقرر تصفية الخلافة العثمانية، ودون أن يذكر لشعوب هذه الخلافة أى حق فى تقرير المصير.. فينص هذا «المبدأ» على «قصر حكم الأتراك على رعايا من جنسهم، وتقرير حرية الملاحة فى مضيق الدردنيل»؟!.. وذلك لأن إعلان هذه «المبادىء» قد تم فى ذات الوقت الذى كان فيه الغرب يمهد الطريق لتقسيم تركة «دولة الرجل المريض» بين قوى الغرب الاستعمارى.. فكان أن اعترفت هذه «المبادىء» للرجل الأبيض- كشعوب أوروبية- بحقها فى تقرير مصيرها بنفسها.. كما اعترفت للرجل الأبيض - كمستعمر غربى -«بحقه» فى تقرير مصائر شعوبنا نحن، رغما عنا، وفى غيبة منا؟!.. فقصروا حكم الأتراك على جنسهم التركى، واقتسموا العالم العربى وفق معاهدة «سايكس - بيكو» السرية التى عقدوها سنة ١٩١٦م.. وقررت الحكومة الصهيونية -التى هى نبت غربى- مصير فلسطين العربية، من خارجها، ورغما عن شعبها، وذلك وفق وعد بلفور Balfuor [ ١٨٤٨ - ١٩٣٠م ] الذى أعلن فى ٢ من نوفمبر سنة ١٩١٧م، والذى وافق عليه الرئيس الأمريكى -صاحب المبادىء - ويلسون، قبل إعلانه؟!.. ثم وافقت عليه فرنسا فى ١٤ من فبراير سنة ١٩١٨.. وإيطاليا فى ٩ من مايو سنة ١٩١٨م.. ثم وضعوه فى الممارسة والتطبيق بواسطة الانتداب البريطانى الذى باركته «عصبة الأمم» التى أقاموها سنة ١٩٢٠م!..

بل إن هذا الغرب لا يزال على هذا الموقف العنصرى من حق شعوبنا فى تقرير المصير.. فكل صهيونى، من أى جنس ووطن ولغة، من حقه وفق القانون الصهيونى، الذى تنفذه حراب الغرب، أن يقرر الاستيطان بفلسطين فيقرر مصيرها ككيان للاستيطان الصهيونى.. فى الوقت الذى يقف فيه هذا الغرب، حتى اليوم، موقف العداء من حق الشعب العربى الفلسطينى فى تقرير المصير؟!

# محمد صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين



للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني

**كانت مواجهتنا لهذه الخرافة الموغلة في التزوير في الحلقة الأولى، مقصورة على ما قاله المنصفون من المستشرقين في الرد عليها وتكذيبها، وبيان ما فيها من ادعاءات هي أوهى من بيت العنكبوت، لو كانوا يعلمون.**

**وفي هذه الحلقة، والتي تليها، نواجه هذه الدعوى المضحكة ببعض حقائق القرآن نفسه، لأن فيه من قذائف الحق ما ينسف كل باطل يختلقه خصوم الإسلام على كتاب الإسلام، ورسول الإسلام، وحقائق الإسلام.**

**ولو كان عند هؤلاء المستشرقين ذرة من عقل لأدركوا أن قولهم هذا أشد من الوهم غرابة ونكارة، ولأدركوا إنهم غالوا في عظمة شأن الرسول مغالاة يرفضها الرسول نفسه، ويرفضها المؤمنون به؛ لأنها مغالاة تتجاوز حدود البشرية، وتبلغ به درجة "الألوهية"؟ وقد أعماهم الحقد عليه فجعلوه "إلها" وهم يريدون هدمه وهدم ما جاء به من رب العالمين.**

في هذه الحلقة نذكر من حقائق القرآن وقائع أخبر بها، مستحيل عقلا وواقعا أن يكون محمد - ﷺ - هو المخبر بها، وفي الحلقة التي تليها نعرض بعضا مما في القرآن من العلوم الكونية والحياتية، التي لم يكن أحد يعلم عنها شيئا قبل عصر التقدم والازدهار العلمي وتطوره.

وهذه كذلك مستحيل أن تكون من تأليف محمد- ﷺ -.

ولو كان المستشرقون أصحاب هذه «الخرافة» معزولين عن طبيعة العصر، جاهلين بحقائق التاريخ الذي قصه القرآن على مسامع البشر، لو كانوا كذلك لالتمسنا لهم العذر في هذا التخريف. ولكن كيف يعذرهم أحد وهم من أبصر الناس بحركات التاريخ ودوراته وتقلباته ولهم جهود عظيمة في دراساته والإحاطة به، ومنهم متخصصون في فن حضارات الأمم والشعوب، ومنقبون عن آثارها وحفرياتها ونقوشها، وراصدون صادقون لنشأة العلوم والمعارف الكونية والإنسانية، وقد بلغت

مؤلفاتهم فيها مئات الألوف من المجلدات والموسوعات؛ أجل، لو كانوا جهلة لعذرناهم، أما وهم على بصر نافذ ووعي ثاقب، بكل العلوم والمعارف، فإن التماس الأعذار لهم نوع من خداع النفس، وخيانة للأمانة، وإلغاء للعقل.

***

ولنبدأ المواجهة بواقعتين تاريخيتين من وقائع العالم القديم، واقعتان كان اهتمام المستشرقين بهما، ولا يزال، من أبرز ما أولوه لوقائع التاريخ؛ لأنهما - أعني هاتين الواقعتين، عنصر له شأن في تاريخ أوروبا المسيحية وللمستشرقين - عموما - شغف بدراسة وقائع التاريخ وبخاصة الوقائع الناشئة على أساس ديني، المسيحية طرف فيها.

**تلك الواقعتان هما:**

- هزيمة الروم أمام الفرس في جولة أولى.
- انتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم في جولة ثانية.

لا يرتاب أحد من المستشرقين في وقوع هاتين الواقعتين. وهم يعلمون - يقيناً - أن القرآن الذي يدّعون أن محمداً - ﷺ - قد ألفه في غار حراء قبل أن يعلن للناس أنه رسول أوحي إليه الله القرآن، يعلمون أن هذا القرآن قد ذكر هاتين الواقعتين، ومعهما واقعتان أخريان فرعيتان، هما:

- تحديد زمن انتصار الروم على الفرس
- فرح المؤمنين من غير الروم بهذا الانتصار

جاء هذا كله في قوله تعالى:

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾(١)

هذا ما ورد في القرآن، الذي يدعي المستشرقون أنه من تأليف محمد - ﷺ - وليس وحيا من عند الله؟!

وإذا جارينا هؤلاء المستشرقين - جدلاً - في دعواهم هذه نقول:

إن محمداً - ﷺ - كان قد فرغ من تأليف القرآن كله قبل أن يعلن أنه رسول من عند الله، وقبل أن يترك غار حراء ويتفرغ لترويج ما أودعه في القرآن من أفكار ومبادىء من نسج خياله كما يدعون ومعنى هذا:

أن محمداً - ﷺ - كان قد أخبر عن هزيمة الروم أمام الفرس قبل أن تحدث هذه الهزيمة؟!

وأنه كان قد أخبر عن انتصار الروم على الفرس قبل أن يقع هذا الانتصار.

وأنه حدد لوقوع هذا الانتصار بضع سنين بحيث يقع في إحداها ولا يتجاوز أو يتأخر عن هذه المدة المحددة بـ «بضع سنين».

«والبضع بالكسر: المستقطع من العشرة، ويقال ذلك لما بين الثلاث إلى العشرة، وقيل: بل هو فوق الخمس، ودون العشرة»(٢).

هذا هو معنى البضع في اللغة، وله محملان، الأول: أن يكون سبع سنين على الاحتمال الأول، وهو ما فوق الثلاث إلى كمال العشرة.

---

(١) الروم (٢ - ٤).

(٢) مفردات الراغب (٥٠).



أو يكون أربعـــا، وهو من ست إلى تسع سنين

وأيا كان المراد فيلزم هؤلاء المستشرقين أن يسلموا بأن محمداً - ﷺ - قد تنبأ بحدوث هذه الوقائع قبل أن تحدث بأكثر من عشر سنين لو افترضنا أن سورة «الروم» هي آخر ما ألفه محمد - حسب دعواهم - من القرآن. لأن هزيمة الروم حدثت بعد ظهور الإسلام وقبل الهجرة الكبرى إلى المدينة المنورة.

أما انتصار - الروم فقد حدث - يقينا - بعد الهجرة إلى المدينة[٣].

تقول بعض المصادر الإسلامية: إن انتصار الروم على الفرس حدث عام الحديبية أو فى العام الثانى من الهجرة، مواكبا لانتصار المسلمين فى غزوة بدر الكبرى، وفرح المسلمون [المؤمنون] بانتصارات الروم على الفرس؛ لأن الفرس كانوا وثنيين. أما الروم فكانوا أهل كتاب، فهم أقرب إلى المسلمين من الفرس الوثنيين[٤].

وهذا الفرح سجله القرآن بقوله:

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾

وهكذا صدق ما أخبر به القرآن من أحداث كانت حين أخبر بها القرآن غيباً لا يعلمه أحد سوى الله علام الغيوب.

فكيف ساغ لهؤلاء المستشرقين «البله» أن يتفوهوا بهذه الخرافة:

«محمد ألف القرآن فى غار حراء»؟!

كيف استطاع محمد - ﷺ - أن يخترق حواجز الغيب الكثيف، ويثق فى نفسه كل هذه الثقة - إن كان هو الذى ألف القرآن - أن يعلن على الملأ وقوع هذه الأحداث دون أن يتخلف شيء مما أخبر به؟! وهل عرفوا رجلا من البشر - ليس رسولاً من عند الله - تكون له هذه المهارات والإمكانات التى تصنع معجزات لا يقدر عليها أحد من الخلق، ولو اجتمعوا عليها، وكان بعضهم لبعض ظهيرا؟

ألهذا الحد يدعوكم الحقد فتلغون عقولكم، وتتخذون من الحمق والسفاهة مطايا لبلوغ ما تريدون من طمس الحق، وقد ظهرت لكم علاماته، ورفرفت أعلامه؟

وما أصدق الشاعر الذى قال فى أمثالكم:

وأنزلنى طول النوى دار غـــربة
إذا شئت أن ألقى امرءاً لا أشاكله

فـــأحمقـه حتى يقال: سفاهة
ولو كـــان ذا عـــقل لكنتُ أعـــاقله

***

وتعالوا معنا إلى مهواة أخرى هَوَيتم فيها وأنتم تدعون أن القرآن ألفه محمد - ﷺ - وهو معتزل فى غار حراء، قبل أن يعلن أنه رسول موحىً إليه من الله

القرآن، الذى تزعمون أنه تأليف محمد، واجه اليهود بعد الهجرة بالمدينة مواجهات شتى، منها

---

(٣) المدخل إلى القرآن (١٧٨) د/ محمد عبدالله دراز.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): (١٤/٢) وما بعدها



هذه المواجهة، وهى مسوقة فى صورة خطاب للنبى - عليه السلام -:

﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾(٥).

هذه المواجهة اشتملت على نبأ ما كان قد حدث حين ألف محمد - ﷺ - القرآن كما تدعون. بل إن بين وقوع الصدق بهذا النبأ وبين فراغ محمد من تأليف القرآن الذى ادعيتموه، أكثر من عشرين عاما على الأقل. هذه واحدة

والثانية، أن هذه المواجهة وردت فيها وقائع كانت قد حدثت فى تاريخ اليهود القديم فى عصر موسى - عليه السلام - بقرابة ألفى سنة مضت قبل أن يرد ذكرها فى القرآن الأمين.

لقد واجه القرآن اليهود بهذه الحقائق، ولم يطعنوا فيها بالتزوير، بل أقروا بها كما وردت. بل لم يؤثر عن اليهود أنهم أنكروا نزول القرآن من عند الله، ولم يقع فى هذه الحماقة إلا جهلة العرب، والمشركون منهم

أما اليهود، فإن القرآن يثبت لهم اعترافهم بأن القرآن منزّل من عند الله، ولا نطلب دليلا على هذا أقوى من قوله تعالى فى شأن اليهود:

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٦).

كل ما فى الأمر أنهم لم يلزموا أنفسهم بالإيمان بالقرآن، بحجة أنه لم ينزل عليهم، وأنهم غير مطالبين بالإيمان إلا بما أنزل إليهم من قبل، وهو التوراة. وهذا ما حكاه الله عنهم فى قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٧).

ولهذا رفضوا الإيمان بالإنجيل المنزل على عيسى - عليه السلام - كما رفضوا الإيمان بالقرآن المنزل على محمد - ﷺ -

***

إذن، فقد أقر اليهود بهذه الحقائق التى واجههم بها القرآن وهى:

- سؤالهم الرسول أن ينزل عليهم كتابا آخر غير القرآن.
- قولهم لموسى: أرنا الله ننظر إليه عيانا بأبصارنا، كما يرى بعضنا بعضا.

---

(٥) النساء (١٥٣: ١٥٤).
(٦) آل عمران (٧٢).
(٧) البقرة (٩١).



● موت أسلافهم بالصاعقة، ثم بعثهم من موتهم.

● عبادتهم العجل من دون الله.

● رَفْعُ الله الطور فوقهم بميثاقهم.

● قول الله لهم: ادخلوا الباب وأنتم ساجدون.

● نهي الله إياهم أن يصطادوا الحيتان كل يوم سبت.

وبالنسبة لسؤال اليهود أن ينزل عليهم كتابا من السماء غير القرآن. فإن هذا السؤال كان غيباً شديد الغموض حين ألف محمد - ﷺ - القرآن في غار حراء قبل إعلان الرسالة.

فما الذي أملاه على فكر محمد قبل وقوعه بأكثر من عشرين عاما؟ وكيف وقع في وَهْم هؤلاء المستشرقين أن بشرا غير رسول الله يبلغ هذه القدرة الخارقة لكل نواميس الحياة فيطلع على هذا الغيب المجهول؟! هذا هو الذي ينكره العقل والواقع بكل قوة.

أما حين يؤمن العقل بأن محمداً رسول مؤيد من عند الله بالمعجزات الباهرة فإنه يؤمن بكل ما يقوله هذا الرسول وحيا من عند الله

أما ما ورد في المواجهة من أخبار وقعت في الماضي بين موسى - عليه السلام -، وبين اليهود، فإن محمداً - ﷺ - ما كان ليعلم شيئا منها لو كان مجرد رجل لا يأتيه مدد من السماء؛ لأنها حدثت في زمن قديم غير الزمن الذي كان يعيش فيه. وفي غير البيئة التي كان يعيش فيها.

وإذا لم يكن الله هو الذي أعلمه بها، فمن أي مصدر يا ترى استقاها محمد - عليه الصلاة والسلام -؟

هل يقولون: إنه استقاها من طول التأمل والانقطاع عن الناس؟

هذا مستحيل؛ لأن التأمل - مهما طال وصفا - لا يخترق حجب الزمن الماضي، ولا الزمن الآتي، وقصارى ما يدركه التأمل هو الواقع المادي المحسوس. فإن تجاوز هذا بقليل فقد يتصور بعض الحقائق وراء هذا العالم المادي المحسوس ولكن في كثير من الغموض والتذبذب. أما تحديد الأشياء بكل دقة ووضوح. فهذا ما لا يكون.

وإلا فعلى هؤلاء المستشرقين أن يقدموا لنا من تجاربهم ما ينسف علينا الدليل الذي أبطلنا به أن يكون التأمل وسيلة لإدراك الغيوب.

أم يقولون: إنه استقاها من بحيرا الراهب، ومن أسفاره في التجارة إلى الشام، أو من نصارى تغلب ونجران الذين كانوا يقطنون بعض ضواحي شبه الجزيرة العربية؟

وهذا مستحيل كذلك؛ لأن محمداً - ﷺ - كان غلاما حين استضافه بحيرا الراهب، ولم يقض في ضيافته سوى وقت قصير، يقضيه ضيف عابر سبيل، ثم يروح إلى حال سبيله ولأن بحيرا كان يحدث محمدا في حضرة قومه، ومنهم من صار خصما لدوداً له بعد البعثة، ولو كان علم أنه أخذ أصول الرسالة عن بحيرا لاستعمل هذا السلاح ضده وهو رسول، وهذا لم يحدث أما نصارى الشام فلم تكن لهم لقاءات مع محمد وهو يذهب إليها للاتجار في مال خديجة - رضى الله عنها -

كما أن محمداً لم يكن يخرج إلى الشام وحده. بل في قوافل فيها ناس كثيرون، ولم يكن يخفى عن أحد منهم من علاقات محمد شيء قط.

أما نصارى شبه الجزيرة، فقد فوجئوا بصوت الحق يُدَوِّي في مكة كما فوجيء غيرهم بهذا النبأ

وقد ظلوا على عقائدهم النصرانية متحمسين لها ضد الإسلام إلى ما بعد الهجرة بزمن طويل.



كما أنهم بعثوا وفداً منهم إلى الرسول وهو بالمدينة يجادلونه في أمر الرسالة، وقد دعاهم النبي إلى المباهلة والدعاء باللعنة على الكاذب من أي الطرفين، المسلمون وهم، فرفضوا المباهلة خوفا من اللعنة، وفيهم نزل قول الله – عز وجل –:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(٨).

فأي عاقل يقبل أن يكون نصارى شبه الجزيرة هم الذين علموا محمداً – ﷺ – هذه الحقائق التي واجه بها القرآن اليهود في المدينة؟

أم يقولون: إن محمداً أخذ هذه الحقائق من التوراة والإنجيل؟

وهذا مستحيل، مستحيل، ولعدة أسباب:

**الأول**: لم يكن محمد قارئا ولا كاتبا حتى يطلع على التوراة والإنجيل، ولم يكن للتوراة والإنجيل وجود في مكة لا قبل النبوة ولا بعد النبوة

**الثاني**: إذا أصررتم على دعواكم الأخرى الباطلة، وهي أن محمداً كان يقرأ ويكتب ولكنه تظاهر بالأمية، قلنا سلمنا لكم – جدلاً – أنه كان يقرأ ويكتب، ولكن باعتراف كثير منكم أن التوراة والإنجيل لم يترجم واحد منهما إلى اللغة العربية إلا في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين(٩) ومحمد ألف القرآن في زعمكم في أوائل السادس الميلادي، أي قبل ترجمة التوراة والإنجيل إلى اللغة العربية بأكثر من ثلاثة قرون. فكيف يتصور من – رجل عربي كان لا يعرف اليونانية ولا العبرانية اللتين كان كتابكم المقدس مكتوبا بهما؟ أي عاقل يقبل منكم هذا الهراء

**الثالث**: وحتى لو كان محمد قارئا وكاتبا، وحتى لو كان الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد مكتوبا باللغة العربية وحتى لو كان للكتاب المقدس رواج في مكة في القرن السادس الميلادي، الذي بعث فيه محمد – ﷺ – فإن دعواكم مردودة عليكم. أتدرون لماذا؟

الكتاب المقدس بعهديه يخلو من هذه الحقائق التي واجه بها القرآن اليهود في المدينة.

وإلا فأرونا أين نجد في التوراة سؤال اليهود رسول الله – ﷺ – أن ينزل عليهم كتابا من السماء؟

ثم أرونا أين موضع هذا السؤال في الأناجيل الأربعة؟

إن هذا القرآن – ياسادة – لا يصلح أن يكون له مصدر لا من الإنس، ولا من الجن. ولا حتى من الملائكة.

ليس له مصدر إلا الله وحده. بدلالة النقل، وبدلالة العقل. وبدلالة الواقع.. ولو كره المستشرقون والمبشرون.

أم يقولون: إن ورقة بن نوفل هو الذي علمه القرآن؛ لأنه كان قريب من زوجه خديجة ابنة خويلد؟

وهذا محال محال؛ وذلك لثلاثة موانع:

**الأول**: أن ورقة نفسه فوجيء – كما فوجيء غيره بما جاء به محمد – ﷺ – من ربه، والقول المأثور عن ورقة في اللقاء القصير الذي تم بينه وبين

---

(٨) آل عمران (٦١).

(٩) المدخل إلى القرآن، نقلا عن مجلة العالم الإسلامي، باللغة الإنجليزية، من مقال لشديباك بعنوان: (دراسة عن الغزالي) إبريل ١٩٣٩م

الرسول الخاتم، يدحض دعوى هؤلاء الحاقدين:

إن كل ما قاله ورقة لما سمع من الرسول القرآن:

«إن هذا وما جاء به عيسى ليخرجان من مشكاة واحدة» وهذه شهادة من ورقة بأن القرآن وحي من عند الله وليس من صنع أحد غير الله

**الثاني**: أن ورقة لم تكن له علاقة بمحمد - ﷺ - قبل البعثة، ولم يتردد عليه محمد بعد البعثة، وكان اللقاء الذي تم بينهما هو «بيضة الديك» إن حدثت مرة، فلا تحدث ثانية.

**الثالث**: إن بضاعة ورقة كانت الإنجيل، والإنجيل والتوراة معا لا يصلحان - عقلا ولا واقعا - أن يكونا مصدرا للقرآن لأن «فاقد الشيء لا يعطيه» حتى لو بقي كل منهما مصونا من التبديل والتحريف. فما بالك وقد ضاع الحق فيهما بين ركام من الباطل، وإلا فأين نجد عقيدة التوحيد فيهما؟ وهي قطب الدائرة في القرآن؟

وهل كان مشركو مكة يصمتون عن «فضيحة» محمد لو كانوا يجدون أستاذية لورقة على من أنزل الله عليه الكتاب والحكمة، وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيما.

أم يقولون: إن القرآن كان ثمرة الصرع الذي كان محمد مصابا به وهذا محال، لأن المنصفين من كبار أطباء الغرب ينفون إصابته بالصرع، ويستندون في هذا النفي إلى أن أعراض الصرع (الحقيقي) تختلف عن الآثار الرائعة التي جاء بها محمد - ﷺ - والمصروع لا يأتي بالحكمة، ولا يؤسس دينا، ولا يقيم أمة، كما صنع محمد(١٠).

أم يقولون، وقد قالوا فعلا، إن قسا نصرانيا انشق على الكنيسة، فأراد أن يحاربها بدين يخالف دينها، ولم يجد إلا محمدا، فلقنه مبادئ الدين الذي أعلنه باسم الإسلام وعلمه القرآن؟

هذا القس «الوهمي» لم يكن حسب تصويرهم إياه يعرف حرفا واحدا من اللغة العربية، ولا كان محمد يعرف حرفا واحدا من لغة القس.

وقديما ردد مثل هذه الشبهة مشركو العرب، فواجه القرآن الفريقين القديمة، والحديثة، ونسفهما بدليل عقلي واقعي لا يمكن دفعه:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾(١١).

وإذا كان مشركو العرب قد ماتوا، ومات قبلهم باطلهم، فإن على هؤلاء المستشرقين أن يأتوا برجلين، طبيب ومهندس، مثلا، كل منهما لا يعرف لغة الآخر ويعزلوهما في مكان خاص شهرا، أو سنة، ثم يختبروهما:

هل صار الطبيب مهندسا، والمهندس طبيبا؟ أم أن الرجلين سيعودان من عزلتهما كما دخلا فيها:

الطبيب طبيبا، والمهندس مهندسا. دون أن يعرف أحدهما ما يعرفه الآخر. والسبب أن وسيلة تبادل المعرفة بينهما، وهي اتحاد اللغة معدومة. فكيف ساغ لهم - إذا - أن يجعلوا.. «قسهم الأسطوري» أستاذا لمحمد علمه كل القرآن وكل الإسلام؟!(١٢).

عجيب - والله - هذيان هؤلاء المستشرقين، أو كما قال الشاعر

**وليس يصح من الأذهان شيء**
**إذا احتاج النهار إلى دليل**

«يتبع»

---

(١٠) محمد رسول الله (٢٠ - ٢١) إتين دينيه، ترجمة الإمام عبد الحليم محمود.

(١١) النحل (١٠٣).

(١٢) سيرة محمد.. كارين ارمسترونج المقدمة.

﴿فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

# استفتاءات القراء

## تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد وتقديم الشيخ/ عبد الفتاح حسين الزيات

● السؤال من/ محمد السيد عبدالهادى من الزرقا - دمياط:

ـ رجل يملك عدة أطيان ما بين عقارات وأراض زراعية، ومن ضمنها منزل كبير جعل بعضه لسكناه والباقى مؤجر للغير، وجميع الأطيان والعقارات المذكورة مؤجرة للغير بموجب عقود إيجار، وأثناء وجود هذه الأطيان والعقارات تحت يد المستأجرين وهبها الرجل لولده القاصر المشمول بولايته، فهل تكون هذه الهبة نافذة شرعا وتفيد ملك الموهوب له، أم تكون هذه الهبة غير نافذة ولا تفيد ملكية للموهوب له وليس له التصرف فيها بأى وجه من وجوه التصرفات؟

●● الجواب:

ـ بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه..

نفيد: بأن هبة الأب لابنه القاصر المشمول بولايته الأطيان والعقارات المذكورة أثناء وجودها تحت يد المستأجرين بمقتضى عقود الإجارة كما ذكر لا تنفذ لعدم قبضه الذى ينوب عن قبض الصغير ولا تفيد الملك للموهوب له، فلو تصرف فيها الواهب بالبيع وهى تحت يد المستأجرين قبل انتهاء مدة الإجارة صح تصرفه غير أنه يكون موقوفا على إجازة المستأجرين مراعاة لحقهم بمقتضى عقد الإيجار، فإذا انتهت مدة الإجارة نفذ هذا التصرف كما يعلم ذلك من نصوص العلماء والدليل على ذلك ما جاء فى «البحر» من باب الهبة، عند قول المصنف: «وهبة الأب لطفله تتم بالعقد» ما نصه: لأن قبض الأب

يتوب عنه وشمل كلامه ما إذا كانت في يد مودع الأب لأن يده كيده، بخلاف ما إذا كانت في يد الغاصب أو المرتهن أو المستأجر حيث لا تجوز الهبة لعدم قبضه.. »

وبناء على ما تقدم فإن هبة الأب لابنه القاصر صحيحة وقبضه ينوب عن قبض الصغير إلا إذا كانت في يد الغاصب أو المرتهن أو المستأجر حيث لا تتم الهبة وأنه بانقضاء مدة الإجارة في السؤال فإن الهبة تنقلب صحيحة مالم يوجد تصرف آخر من الواهب قبل إنقضائها.

هذا إذا كان الحال كما ورد في السؤال.. والله أعلم.

**● السؤال من الدكتور سعيد متولي الرفاعي- الوراق- جيزة:**

ـ أنا من الذين يشربون السجائر بشراهة شديدة حتى أصابني منها بعض الأزمات النفسية والصحية، وتأكيدا مني على ترك شرب السجائر فقد قمت بالحلف على كتاب الله الكريم الا أشترى الدخان وقد نفذت فعلاً هذا القسم، وبطَّلت التدخين، ولكن حدث مالم يكن في الحسبان إذ زاد وزني حتى خشيت على قلبي من السمنة وصرت ألهث إذا سرت بسرعة أو تحدثت كثيرا. وقد أشار عليَّ بعض إخواني الدكاترة بالعودة إلى التدخين.

هل هذا جائز شرعا؟ وما حُكم الحلف على القرآن الكريم الذي حلفته؟

**●● الجواب:**

ـ بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه..

فنفيد بأن الحلف بالقرآن العظيم أصبح من الأمور التي تعارف عليها الناس في أيمانهم مثل الحلف بقول: والله العظيم فهذا يعتبر يمينا لأن القرآن كلام الله - تعالى - وكذلك تعارف الناس وخاصة في هذا الزمان على الحلف بالمصحف - وذلك بوضع اليد عليه- وقولهم: وحق هذا، أو، وحق كتاب الله هذا.. فقد قال العلامة العيني من الحنفية: إنه ينعقد يمينا، وقال ابن قدامه في كتابه المغنى: وإن حلف بالمصحف انعقد يمينا، وقد قال برأيه هذا غالب الأئمة، وحجتهم أن الحلف بالمصحف إنما قصد الحلف بالمكتوب فيه وهو القرآن الذي هو بين دفتي المصحف بالإجماع. والذي يتجه إليه النظر ونرى الأخذ به أنه يمين منعقدة، فإذا حنث الحالف فيها لزمته كفارة اليمين وهي مذكورة في قوله - تعالى -:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾(١).

فالآية هنا صريحة في ترتيب الكفارات فلا يصار إلى الصوم إلا إذا عجز عن الأنواع الثلاثة المذكورة قبله، والكفارة بالإطعام أن يطعم عشرة

(١) [المائدة/٨٩].

مساكين غداء وعشاء في يوم واحد أو يطعم مسكينا واحداً غداء وعشاء مدة عشرة أيام. والكفارة بالكسوة أن يكسو عشرة مساكين لكل مسكين ثوب يستر أكثر بدنه، فإن لم يجد الحانث شيئا من الطعام أو الكسوة أو العتق، صام ثلاثة أيام متتابعة وأجاز ابن حنبل تفريق الأيام، وبه قال الشافعي ومالك، كما جاء ذلك في المغني لابن قدامة.

هذا إذا كان الحال كما ورد في السؤال. والله أعلم.

**● السؤال / من حاتم أبو الخير - دمنهور - بحيرة:**

ـ عدت من عملي وأنا مرهق وتعبان فتشاجرت مع زوجتي وقلت لها: أنت مطلقة بالأربع مذاهب.. ولي منها بنت مازالت في عمر الزهور وأنا أقرر أنني كنت في أشد حالات الغضب، فما حكم الشرع في هذا الطلاق؟

**●● الجواب:**

ـ بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه..

نفيد بأنه إذا صدرت صيغة الطلاق المذكورة في هذا السؤال وكان الرجل غضبانا غضبا شديداً بحيث لم يع ما يقول وقت تلفظه بهذا الطلاق، وأصبح يغلب الخلل والخلط في أقواله وأفعاله، فإن هذا الطلاق بهذه الصيغة وعلى تلك الصفة لا يقع، لأن الرجل في هذه الحالة أصبح عديم الأهلية لإيقاع الطلاق. أما إذا لم يصل به الغضب إلى الحالة المذكورة آنفا فإن الطلاق بالصيغة المذكورة يقع طلقة واحدة رجعية إن لم تكن هذه الطلقة مكملة للثلاث وكانت الزوجة بطبيعة الحال مدخولا بها.

وفي مثل هذه الحالة سئل «الخير الرملي» عن قول القائل لزوجته: أنت طالق على سائر مذاهب المسلمين، فأجاب بأنه طلاق رجعي، وكذا أفتى به ولده قيسمن قال: أنت طالق على الثلاثة مذاهب، حيث قال: إنه يقع عليها طلقة واحدة رجعية، معللا بأن المذاهب الثلاثة أو الأربعة، بل وسائر المذاهب اتفقت على وقوع الطلاق الرجعي في: أنت طالق، فله مراجعتها في العدة.

هذا إذا كان الحال كما ورد في السؤال. والله أعلم.

**● السؤال من ممدوح أبوبكر - فرشوط - أسيوط:**

ـ تبرع رجل لابنته الصغيرة «بحُلي» وبعض الأشياء الثمينة وأودع كل ذلك عند شخص أمين، وشرط عليه أن يسلمها لابنته عند بلوغها، وأشهد على ذلك. وقد بلغت البنت سن الرشد ولكن الشخص المؤتمن امتنع عن تسليم الأمانة وكذلك بعض الورثة، فما هو الحكم الشرعي؟

**●● الجواب:**

ـ بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه..

فنفيد: بأن المصرح به في أكثر كتب المذاهب أن تبرع الرجل لابنته الصغيرة يعتبر

هبة منه لها، وأن هبة الأب لولده الصغير تتم بمجرد الإيجاب، وينوب قبض الأب الواهب عن قبض الصغير الموهوب له، ويدخل الموهوب في ملك الصغير بشرط أن يكون الموهوب معلوما غير مشاع وهو في يد الأب أو مودعه أو مستعيره وعلى هذا فمتى كانت «الحُلى» وبعض الأشياء الثمينة معلومة للواهب وهي في يد الأب وقت الهبة أو في يد مودعه أو مستعيره ولم يكن مرهونا عند أحد ولا مغصوبا تمت الهبة من الأب لابنته المذكورين في السؤال.. وقام قبض الأب مقام قبضها وصار الموهوب ملكا للصغيرة وليس للأب أن يرجع في تلك الهبة، وإيداع الأب هذه الحُلي وغيرها عند أمين لا يُبطل الهبة، لأن الأب يودع مال ولده الصغير عند أي إنسان تطمئن إليه نفسه إلى أن يبلغ رشده وهنا فإنه متى بلغت البنت رشدها وتحقق ما ذكر بالطريق الشرعي، وجب على الأمين أن يسلم الأمانة إليها حتى لا يكون خائنا لها وجاحدا لحق إئتمن عليه وليس لبعض الورثة أن يعارضوا في ذلك، لأن الهبة تمت في حيال حياة الأب. هذا إذا كان الحال كما ورد في السؤال.

والله أعلم.

● **سؤال من زينب عبدالفتاح لطفي - العياط - جيزة:**

- هل يجوز حشو الأسنان أو تركيب غطاء لها من المعدن كالذهب والفضة والبلاتين. وما حكم المضمضة في هذه الحالة وكذا الاغتسال مع عدم وصول الماء تحت سن من ذهب أو فضة أو بلاتين؟

●● **الجـواب:**

- بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه..

فنفيد بأن المضمضة كما عرفها الشوكاني في نيل الأوطار، هي: «أن يجعل الماء في فمه ثم يديره ثم يمجه» وقال الإمام النووي: أقلها أن يجعل الماء في فمه ولا يشترط إدارته على المشهور عند الجمهور. وقد اختلف الفقهاء في حكم المضمضة في الوضوء والغُسل: فذهب أحمد وإسحاق وأبوعبيدة وأبو ثور وغيرهم إلى وجوبها فيهما. لحديث أبي هريرة - رضي الله - عنه: «أمر رسول الله ﷺ - بالمضمضة والاستنشاق» وذهب مالك والشافعي والأوزاعي وغيرهم إلى عدم وجوبها فيهما.

فعلى القول بعدم وجوبها يصح الوضوء والغُسل بدونها، وعلى القول بوجوبها، أنه لا يصح ما وجبت فيه من وضوء أو غسل إلا بها، ويجب أن يصل الماء إلى الأسنان والأضراس حتى يتحقق استيعاب الماء جميع الفم، فإن كانت الأسنان والأضراس بحالتها الطبيعية فالأمر ظاهر، وإن كان فيها تجويف يبقى فيه شيء من الطعام، فقد جاء في (فتح القدير): «ولو كان سنه مجوفا أو بين أسنانه طعام يجزئه، لأن الماء لطيف يصل إلى كل موضع غالبا، وجاء في الفتاوى الهندية: «والعجين في الظفر يمنع تمام الغسل والوسخ والدرن لا يمنع، يستوي في ذلك القروي والمدني، والتراب والطين في الظفر لا يمنع والصباغ ما في ظفرهما يمنع تمام الغسل.

ويعلم من هذا أن هناك خلافا في صحة الغسل مع وجود بعض الطعام في تجويف الأسنان والأضراس وأن الاحتياط في إخراجه وإيصال الماء إلى التجويف، وهذا ظاهر في المواد التي تبقى في تجاويف الأسنان، أما حشو الأسنان والأضراس بما يسد فجواتها في الصناعة أو تغطيتها بمعدن كالذهب والفضة والبلاتين أو نحوها أو شد بعضها إلى بعض بالأسلاك المعدنية بحيث أصبح الحشو والغطاء كأنه جزء من الأصل متصل به اتصالاً ثابتا مستقراً، فالظاهر من القواعد العامة أنه لا يجب في الوضوء والغسل إزالتها بل يجرى عليها الماء بحالتها الراهنة ولا يجب غسل ما تحت الحشو والغطاء أو الأسلاك لما في ذلك من بالغ الحرج والمشقة وهما مندفعان في التشريع بقوله – تعالى – :

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾(٢).

وقوله:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾

أما استعمال الذهب والفضة والبلاتين ونحو ذلك في حشو الأسنان والأضراس أو غطائها فجائز للضرورة، فقد ثبت أن عرفجة الكناني أصيب في أنفه يوم كلاب فاتخذ أنفاً من فضة فأنتن، فأمره رسول الله – ﷺ – أن يتخذ أنفا من ذهب

وقد ثبت أن كثيرا من السلف الصالح قد شد أسنانه بالذهب مثل أبي رافع وثابت البناني والمغيرة بن عبدالله وغيرهم، وبهذا علم الجواب.

هذا إذا كان الحال كما ورد في السؤال. والله أعلم.

● **سؤال من شقيقة السيد عبدالخبير – أبوكبير – شرقية:**

– طلق رجل زوجته قبل أن يدخل بها في مرض موته فرارا من أنها ترثه، وقد توفي هذا الرجل فعلاً بسبب هذا المرض، فما الحكم الشرعي في ميراثها. هل ترث في مطلقها المذكور، وهل تطالب بنفقة الزوجية من حين العقد إلى يوم الطلاق وهل تعتد عدة المطلقة أم عدة الوفاة؟

●● **الجواب:**

– بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه..

فنفيد: **أولاً**: إن هذه الزوجة إذا كانت غير مدخول بها دخولا حقيقيا ولا حكميا، فلا شك في عدم ورثها من هذا الرجل، أما إذا كانت غير مدخول بها دخولا حقيقيا ولكنه قد دخل بها دخولا حكميا، وذلك بأن اختلى بها خلوة صحيحة، فللفقهاء هنا قولان:

قول بقيام الخلوة الصحيحة مقام الدخول الحقيقي فللزوجة في هذه الحالة

أن ترث زوجها إذا مات في مدة العدة كما ذكر في السؤال.

(٢) [البقرة/١٨٥].

(٣) [الحج/٧٨].



والقول الثاني أن الخلوة الصحيحة لا تقوم مقام الدخول الحقيقي، وفي هذه الحالة لا ترث، وهذا هو الظاهر من كلام الفقهاء من أنها لا ترث:

قال العلامة ابن عابدين في رد المحتار ما نصه: «وعلى هذا -أي ما في الشرح- لو طلقها في مرض بعد الخلوة الصحيحة قبل الوطء ومات في عدتها، فإنها لا ترث».

وعلى هذا يجب التعويل على أنها لا ترث -بعد الخلوة الصحيحة.

**ثانيا**: إنه إذا لم يدخل بها دخولا حقيقيا، ولم يختل بها خلوة صحيحة ولا خلوة فاسدة فلا عدة عليها بل بانت منه حيث لا عدة.

أما إذا اختلى بها خلوة صحيحة أو فاسدة فتجب عليها العدة استحسانا على ما هو المذهب وهذه العدة هي عدة طلاق مطلقا على ما اخترنا من أن الخلوة الصحيحة لا تقوم مقام الوطء في حق الإرث.

**ثالثا**: إن ما وجب لها من النفقة حال قيام الزوجية إلى يوم الطلاق فقد سقط بالموت.. اللهم إلا إذا كانت النفقة مفروضة بحكم قضائي أو مفروضة بالرضاء أو استدانت بإذن الزوج فإنه لا يسقط ما استدانته بل يعتبر دينا على الزوج ويحق لها المطالبة به من تركته.

هذا إذا كان الحال كما ورد في السؤال. والله أعلم.

● **السؤال من: زوجة ع. ف. - بيلا - محافظة كفر الشيخ:**

- رجل تزوج امرأة ودخل بها وبعد ثمان سنوات تزوج بامرأة أخرى ثيب وبعد أن دخل بها بشهرين قال أهل الزوجة الأولى: بأن الزوجة الثانية قد أرضعت الزوجة الأولى لأنها كانت قبل زواجها من هذا الرجل، زوجة لعم الزوجة الأولى، وهم لذلك يريدون فسخ العقد الأول، وأنهم يدعون أنهم يثبتون هذا الرضاع بشهادة الشهود، فما هو الحكم الشرعي في ذلك؟

●● **الجواب:**

- بعد الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله ومن والاه..

فنفيد: إنه بعد أن اطلعنا على هذا السؤال بأن الفقهاء قد نصوا على أن الرضاع يثبت بما يثبت به المال، أي أنه يثبت بشهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين كذلك، وبناء على ذلك فمتى ثبت أن المرأة الثانية أرضعت الأولى في مدة الرضاع وهو الحولين وبهذه الحجة فإنه يفرق بين هذا الزوج وبين كل من زوجتيه لحرمتهما عليه، أما الأولى فلدخوله بالثانية التي هي أمها رضاعا، وأما الثانية فلأنها أم امرأته رضاعا، ولا تقع الفرقة إلا بتفريق القاضي، وذلك لما نص عليه صاحب البحر من قوله: ثم اعلم أن الرضاع إذا ثبت بشهادة رجلين عدلين فإنه لا تقع الفرقة إلا بتفريق القاضي:

فالتفريق هنا للقاضي لأن هذه فرقة وحرمة تتضمن إبطال حق العبد، فلا يتعلق هذا الحكم بالشهادة إلا بانضمام القضاء إليها.

هذا إذا كان الحال كما ورد في السؤال.



# دار الهجرة والتحذير من هجرها

لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ فرغلي القرني

**دار الهجرة هي المدينة المنورة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - كان اسمها يثرب فغيره النبي - ﷺ - إلى المدينة والى أسماء أخرى.**

**وقد سميت يثرب بهذا الاسم نسبة إلى رجل من العماليق اسمه يثرب بن عميل بن مهلائيل بن عملاق ينتهي نسبه إلى سام بن نوح - عليه السلام - . كما ذكر السهيلي في الروض الأنف، ونقله القرطبي في تفسيره عنه عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾[1].**

**وقد نهى النبي - ﷺ - عن أن يقال للمدينة يثرب، كأنه كره الثرب لأنه فساد في كلام العرب، وقال ابن الأثير: غير النبي - ﷺ - اسم يثرب وسماها طابة وطيبة كراهية التثريب وهو اللوم والتعيير.**

ومما ورد في ذلك ما رواه الحاكم في التاريخ من حديث عامر بن ربيعة عن النبي -ﷺ-: «من قال للمدينة يثرب فكفارته أن يقول المدينة عشر مرات»[2].

وعن البراء بن عازب -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ-: «من سمى المدينة بيثرب فليستغفر الله، هي طابة، هي طابة، هي طابة»[3].

وقد ورد لفظ يثرب في القرآن الكريم مرة واحدة في الآية التي ذكرتها.

ولكن لفظ المدينة ورد عدة مرات، منها قوله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[4]

وقوله -تعالى-:

(١) الأحزاب (١٣).

(٢) رواه الحاكم.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤/٢٨٥).

(٤) التوبة آية (١٢٠).

﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾(٥)

وقد وردت الإشارة إليها باسم الدار في قوله -تعالى-:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٦).

## المدينة قبل الهجرة

كان يسكن المدينة قبل الهجرة قبيلتان كبيرتان هما الأوس والخزرج، وأصلهما من اليمن، وكان يسكن معهما طوائف من اليهود. وفعل اليهود كعادتهم ما يفعلونه في كل زمان ومكان من الكيد لمن معهم وحولهم، لأنهم لا يحلو لهم العيش إلا في الماء العكر، فأوقعوا العداوة بين الأوس والخزرج حتى نشبت الحروب بينهم، التي أكلت الأخضر واليابس، وكان اليهود هم المستفيدين من ذلك لأنهم كانوا يبيعونهم السلاح ويقرضونهم بالربا حيث يستولون على أموالهم وثمارهم وممتلكاتهم.

وظلت العداوة مستعرة بين القبيلتين الكبيرتين حتى هداهم الله -تعالى- لدينه، فالتقت وفود منهم بالنبي -ﷺ- في موسم الحج بالعقبة وبايعوه على الإسلام والنصرة، وهاجر النبي -ﷺ- وأصحابه إلى المدينة وسمي الأوس والخزرج بالأنصار، وسمي المدينة طابة وطيبة وطيِّبة والمطيبة، ولها أسماء أخرى كثيرة تشير إلى فضلها.

وكانت ديانة الأنصار قبل الهجرة عبادة الأوثان، ومنهم من تهود تأثرا باليهود المقيمين معهم، ولكن الإسلام طهر قلوبهم وهداهم إلى الحق، فكسروا أصنامهم التي كانوا يعبدونها بأيديهم، ونبذ من كان قد تهود منهم اليهودية.

وأقبلوا على دين الله الذي اختاره الله للبشرية دينا.. ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ بحب ويقين، يجاهدون في سبيله ويتسابقون لإعلاء كلمته، ويضحون بأرواحهم وأموالهم راضين مستبشرين حتى ارتفعت بهم وبالمهاجرين راية الإسلام وعلا أمره وعز شأنه.

## الهجرة شرف وعزة

وأصبحت دار الهجرة بعد أن انتقل إليها رسول الله -ﷺ- مهوى أفئدة المسلمين في كل مكان، وتتابعت إليها وفودهم، وأصبح لا يكتمل إيمان المسلم إلا بالهجرة، ونعى القرآن الكريم على قوم قعدوا عن الهجرة فقال في شأنهم:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾(٧)

---

(٥) الأحزاب (٦٠).
(٦) الحشر (٩).
(٧) النساء (٩٧-٩٩).

نزلت هذه الآيات في قوم أسلموا، فلما هاجر رسول الله -ﷺ- كرهوا أن يهاجروا وخافوا .. رواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال القرطبي في تفسيره للآيات: إن الاستفهام في قوله: «فيم كنتم» للتقريع والتوبيخ وتشير الآيات إلى وجوب هجر الأرض التي لا يتمكن الإنسان فيها من أن يقيم دين الله ويؤدي شعائره.

لقد أصبحت الهجرة واجبة على كل مسلم وأصبح لا يستوي القاعد عن الهجرة مع المهاجر، لقد ارتفع مستوى المهاجر فوق مستوى غيره من المسلمين وتشير الآية إلى ذلك:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٨).

لقد أصبحت المدينة دار هجرة ومركز هذا الدين القويم وعاصمة الدولة الإسلامية الجديدة، وأصبحت الهجرة إليها شعارا عمليا يشير إلى صدق الإيمان وقوة اليقين، فإيمان دون هجرة لا يعني شيئا، وكان الهجرة أصبحت صنو الجهاد، وقد تكفل الله بأجر المهاجر كما تكفل بأجر الشهيد تماما فقال -تعالى-:

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٩).

قال قتادة: لما نزلت آية «إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم» قال رجل من المسلمين وهو مريض: والله ما لي عذر، إني لدليل في الطريق، وإني لموسر، فاحملوني فحملوه فأدركه الموت في الطريق فقال أصحاب النبي -ﷺ- الذين هاجروا-: لو بلغ إلينا لتم أجره، وكان قد مات بالتنعيم، وجاء بنوه إلى النبي -ﷺ- فأخبروه بقصته فنزلت الآية، وهذا الرجل هو ضمرة بن جندب أو جندب بن ضمرة.

كان المهاجر لا يترك دار الهجرة إلا لعذر قاطع وبموافقة النبي -ﷺ- الذي كان يأذن لمن يشاء منهم.

ومما يدل على شرف الهجرة وأنها وصف كمال لأصحابها تمسك النبي -ﷺ- بوصفها فقد ورد أنه قال: «لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار».

قال النبي -ﷺ- حين شكا إليه سعد بن عبادة ما رآه من تذمر الأنصار حين رأوا غنائم هوازن تعطى للمؤلفة قلوبهم من قريش وغيرهم، ولم يأخذوا هم شيئا منها. فقال

(٨) الأنفال (٧٢).

(٩) النساء (١٠٠).

لسعد: اجمع لي الأنصار فجمعهم ثم خطبهم النبي -ﷺ- في خطبة طويلة منها: «أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة -متاع قليل- من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار.. ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار.. اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار»(١٠).

فهذا الخطاب يشير إلى فضل الأنصار ولكنه في الوقت نفسه يشير إلى فضل الهجرة وأن شرفها يعلو فوق قدر النصرة، فلئن كان الأنصار قد آووا ونصروا فالمهاجرون ضحوا بالأهل والمال والوطن وتركوا كل ما يملكون وراءهم ظهريا غير ملتفتين إليه رضا بالله ورسوله -ﷺ-.

## وداع النبي -ﷺ- مكة

لقد خرج النبي -ﷺ- من مكة حزينا على فراقها، والوطن جزء من الإنسان عزيز عليه، ليس بالسهولة أن ينساه وقد تنسم هواءه ودرج على أرضه، وأكل من خيره وشرب من مائه وسعى في رحابه، وقد ورد أن النبي -ﷺ- وقف عند الحذورة في أثناء هجرته ونظر إلى مكة وقال مخاطبا لها: «والله إنك لأحب البلاد إلي ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت»(١١).

ونزل في ذلك قوله -تعالى-:

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾(١٢)

ودعا النبي -ﷺ- ربه قائلا: «اللهم حبب إلينا المدينة كحب مكة أو أشد» ويروى أنه قال: «اللهم كما أخرجتني من أحب البقاع إليّ فأسكني في أحب البقاع إليك»(١٣).

واستجاب الله -تعالى- دعاء حبيبه -ﷺ- فأحب المدينة حبا شديدا ودعا لها بالبركة في ثمارها ومدها وصاعها، وجعلها حرما آمنا وقال في ذلك: «إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراما وأنا حرمت المدينة حراما ما بين مأزميها -جانبيها- ألا يهراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا تخبط فيها شجرة إلا لعلف، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مدنا، اللهم اجعل مع البركة بركتين، والذي نفسي بيده ما من المدينة شعب ولا نقب إلا عليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا إليها»(١٤).

وقال أبو هريرة: حرم رسول الله -ﷺ- ما بين لابتي المدينة فلو وجدتُ الظباء ترتع بين لابتيها ما ذعرتها.

---

(١٠) سيرة ابن هشام.

(١١) رواه أحمد، والترمذي وابن ماجه، والفاكهي في أخبار مكة.

(١٢) القصص (٨٥).

(١٣) رواه الحاكم في كتاب الهجرة.

(١٤) رواه مسلم في كتاب الحج، باب فضل المدينة.

## النبي - ﷺ - ينهى عن ترك المدينة إلى أماكـــن أخـــرى

وحذر النبي - ﷺ - أصحابه عن هجر المدينة وتركها إلى غيرها من البلاد، فقد روى أبوهريرة أن رسـول الله - ﷺ - قـال: «يأتي على الناس زمـان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه: هلم إلى الرخاء، هلم إلى الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

وفي رواية: «والذي نفسي بيده لا يخرج أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرا منه، ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبيث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد»(١٥).

فانظر إلى ما يشير إليه الحديث الشريف من تحذير من ترك المدينة وترغيب في البقاء بها وعدم مغادرتها حتى ولو لاقى فيها المهاجر شدة وضيقا، يقول النبي - ﷺ -: «من صبر على لأوائها كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة»(١٦) واللأواء: ضيق المعيشة.

قال النووي: في الحديث إغراء بسكنى المدينة والصبر على شدائدها وأن هذا الفضل باق مستمر إلى يوم القيامة.

## ويحذر من تركها والعودة إلى الموطن الأصلي

وجاء في حديث رواه جابر بن سمرة عن النبي - ﷺ - قال: «لعن الله من بدا بعد هجرة ولعن الله من بدا بعد هجرة، ولعن الله من بدا بعد هجرة إلا في الفتنة فإن البدو في الفتنة خير من المقام فيها»(١٧).

وتكرار اللعن في الحديث يدل على خطورة نقض الهجرة والارتداد عن المدينة إيثارا للحياة البادية عليها.. بل لقد عدت العودة من دار الهجرة إلى الموطن الأصلي من الكبائر في حديث رواه السيوطي في الجامع الصغير قال فيه: «الكبائر سبع: الإشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وقذف المحصنة والفرار من الزحف وأكل الربا وأكل مال اليتيم والرجوع إلى الأعرابية بعد الهجرة»(١٨).

وروى المنذري حديثا آخر قال فيه: «آكل الربا وموكله وكاتباه إذا علموا والواشمة والمستوشمة للحسن ولاوي الصدقة والمرتد أعرابيا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد - ﷺ -» رواه عبدالله ابن مسعود - رضي الله عنه -.

وإننا لنرى أن النبي - ﷺ - يطلب من ربه أن يمضي لأصحابه هجرتهم وألا يردهم على أعقابهم فيتركون المدينة عائدين إلى أوطانهم التي جاءوا منها، ويقص ابن الأثير في «أسد الغابة» قصة عن سعد بن أبي وقاص تشير إلى ذلك. قال - أي سعد -: مرضت عام الفتح مرضا شديدا أشفيت منه على الموت، فأتاني رسول الله - ﷺ - يعودني، فقلت: يا رسول الله، إن لي مالا كثيرا وليس يرثني إلا

(١٥) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها.

(١٦) رواه مسلم.

(١٧) رواه السيوطي في جمع الجوامع وعزاه إلى الطبراني في الكبير.

(١٨) رواه أبوسعيد الخدري، ورمز له السيوطي بالصحة والحسن، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب في باب الترهيب من الربا مرويا عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

ابنتي أفاوصي بمالي كله؟ - فأشار عليه النبي - ﷺ - بأن يوصي بالثلث والثلث كثير- ثم قال سعد: يا رسول الله أخلف عن هجرتي؟ -أي هل أموت بمكة؟- فقال له النبي -ﷺ- : إنك لن تخلف بعدى فتعمل عملا تريد به وجه الله -تعالى- إلا ازددت به رفعة ودرجة، اللهم امض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم.. وشفى سعد، وقص هذه القصة بعد شفائه، وقال: «لكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله -ﷺ- أن مات بمكة. وكان سعد بن خولة مات بمكة في حجة الوداع».

## حفظ المدينة

وجاء في فضل المدينة وهي دار الهجرة آثار كثيرة منها قوله -ﷺ- : «ونعمت الأرض المدينة»[19].

وأنها محفوظة من الفتن، وأن الدجال لا يدخلها.

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: «يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل أنقاب المدينة فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج يومئذ رجل هو خير الناس، أو من خير الناس، فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله -ﷺ- حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه فيقول -أي الرجل-: والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم، فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه»[20].

ويكفي دار الهجرة شرفا أنها حوت جسد النبي -ﷺ- حيا بعد الهجرة عشر سنوات، ثم كان بها مثواه الأخير، حيث فضلت بذلك على كل بقاع الأرض، قال الشاعر في ذلك:

**جزم الجميع بأن خير الأرض ما**
**قد حاط ذات المصطفى وحواها**
**ونعم لقد صدقوا بساكنها علت**
**كالنفس حين زكت زكا مأواها**

وروى عن علي -كرم الله وجهه- قال: إنه ليس في الأرض بقعة أكرم على الله من بقعة قبض فيها نفس نبيه -ﷺ-.

وروى أبويعلى عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أنه قال: «سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «لا يقبض نبي إلا في أحب الأمكنة إليه».

وجاء في سبل الهدى والرشاد ج٣ ص٣١٦ : وأحب الأمكنة إليه أحبها إلى ربه -تعالى-، لأن حبه تابع لحب ربه، وما كان أحب إلى الله ورسوله كيف لا يكون أفضل؟

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وأكرمنا بجواره أحياء وأمواتا.

---

(١٩) رواه السيوطي في جمع الجوامع من حديث طويل عن جابر -رضي الله عنه-.

(٢٠) رواه البخاري (١٠٩/٢٣) برقم (٧١٣٢).




# الهجرة
## سببها - أثرها

لفضيلة الشيخ محمود شلتوت

إعداد وتقديم الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد:

فإن حادث الهجرة من أخطر الأحداث فى مسار الدعوة الإسلامية. بل أعظمها شأنا. إذ كانت نقطة البدء فى قيام الدولة الإسلامية وبروزها إلى الوجود البشرى. مشرق هداية. ومبعث حياة فى كل الجوانب على وجه الأرض. وكان من توفيق الله - سبحانه - أن يؤرخ فى الإسلام بهذا الحادث العظيم ليتذكر المسلمون دائما أن قوة العقيدة وحدها هى التى حققت للإسلام ودعوته أعظم نصر.

وإذا كانت الهجرة من مكة إلى المدينة - كحدث - قد مضت فإن معنى الهجرة مكتوب له البقاء ما بقيت السماء والأرض. وستظل الهجرة المحمدية معينا لا ينضب لأعذب المعانى. وأسمى القيم.

ولأن الهجرة كانت نقطة تحول فى تاريخ الدعوة الإسلامية. ومرحلة انطلاق لها ولأتباعها فقد أثارت دهشة المنطقة العربية وما حولها آنذاك. ولا تزال تثير دهشة المؤرخين الذين عنوا بدراسة الإسلام مسلمين وغير مسلمين.

ونجاح الهجرة راجع أولا وقبل كل شىء إلى العقيدة الدينية السليمة التى أخذت بمجامع قلوب أتباعها فصاغتها فى قوالب من الإيمان القوى والإخلاص الندى. والطاقة الرائعة من الاحتمال والتضحية الكبرى بكل مرتخص وغال. ومع الإيمان والإخلاص والاحتمال والتضحية ثقة كبرى فى الله - عز وجل -.

إن عناية الله قد اختارت للهجرة الزمان والمكان المناسبين. فلو أنها سبقت زمانها بأعوام. أو تأخرت عنه بأعوام. وأيضا لو يممت وجهها إلى غير يثرب. لكان احتمال الفشل قائما.

إن على المسلمين اليوم أن يتذكروا ماضيهم ليصلوا به حاضرهم. ويؤمنوا طريق مستقبلهم ملتزمين بأوامر الله فى القرآن. وبسنة رسول الله إنهم إن فعلوا ذلك هانت تحت أقدامهم الخطوب. وانزاحت عنهم الكروب واجتمع شملهم وتوحدت كلمتهم.

وإليك ما قاله الكاتب - رحمه الله -:

الهجرة: اسم للخروج من أرض إلى أخرى، وهي من الهجر بمعنى الترك، ومنه قوله - ﷺ -: «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[1]. ثم غلب استعمالها على هذا الحادث التاريخي العظيم، الذي غير وجه البسيطة، وحول اتجاه العالم عن مجارى الشر والشقاء إلى سبيل الخير والسعادة، وأخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد. ذلك الحادث، هو انتقال النبي محمد - ﷺ - وصحبه الذين آمنوا به من مكة مهبط الوحي لأول مرة، إلى المدينة مأوى رجال الحلف والمناصرة.

وقد عنى المؤرخون كثيرا وهم يتكلمون على هذا الحادث بتصوير الأذى الذى لحق الرسول - ﷺ - وهو فى مكة تصويرا مكن لأرباب الهوى الخاص فى الكتابة على «النبى العربى» أن يلبسوا هجرته - عليه السلام - ثوب الفرار وعدم الصبر والاحتمال فى القيام برسالته، ولم يتورعوا إمعانا فيما يشتهون أن يطلقوا عليه (النبى الفار). وقد ظنوا أن هذا الثوب المهلهل الذى خلعوه على هذا الحادث العظيم يستطيع أن يستر الحقيقة التى يحملها ذلك الحادث بين جنبيه، والتى لم تلبث بعد الوصول إلى المدينة أن سطع نورها وانتشر أريجها، فبددت الغشاوة التى وضعها الجهل على العقل البشرى حينا من الزمن.

والواقع أن هذه الهجرة البدنية لم تكن إلا أثرا من آثار هجرة سبقتها، هى هجرة القلوب عما كان عليه القوم من عقائد فاسدة، وشرائع باطلة، وعادات لها فى هدم الإنسانية ما ليس للمعاول القوية فى تقويض البناء الشامخ العتيد.

نعم: هاجر النبى - ﷺ - وصحبه الذين بادروا بتصديقه من يوم أن بعثه الله بالحق بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا هاجروا إلى التوحيد البرى، والإخلاص النقى، والإنابة الحقة، والتوكل الصحيح، ومحبة الخير للخير، والرجوع بالحول والقوة إلى الله الواحد القهار هاجروا إلى هذه التعاليم السامية التى نهضت بالإنسانية من كبوتها، ورفعتها من حضيض هوت إليه فى جاهليتها، وذكرتها بأنها ما خلقت عبثا ولا باطلا، ولا لتفسد فى الأرض أو تسفك الدماء، أو يأكل قويها ضعيفها. ذكرتها بأنها ما خلقت إلا لتكون خليفة عن الله رب العالمين تسبح بحمده وتقدس له، وتعمل صالحا حتى تسمو بالعالم إلى ما يمكن أن يصل إليه من درجات الرشد ومراتب الكمال.

هذا ما هاجر إليه النبى محمد - ﷺ - وصحبه القليل الذى لبى دعوته وهى فى مهدها، لا لشىء سوى أنها الحق الذى شرح الصدور، واستولى على الحواس والأفئدة، وامتزج بالدماء والأرواح، فامتلأت النفوس غيرة عليه فى حفظه ونشره، والعمل بمقتضاه وإسعاد الإنسانية به.

رأى هذا النفر القليل الذى أدرك اللذة الروحية من دعوة النبى، وأدرك أن سعادة العالم متوقفة عليها، أن مكة وقد تألب أهلها عليهم، وقلبوا لهم ظهر المجن، وقعدوا لهم فى كل مرصد، وتجسسوا عليهم من كل نافذة، وأذاقوهم من التنكيل صنوفا وألوانا - لم تعد دار

---

(1) رواه البخارى (1/9)، (8/127).

أمن وطمأنينة، يفسح لهم فيها مجال العمل، ويتمكنون فيها من تلبية الإيمان والقيام بحقه.

رأوا أن غايتهم التي لها يعملون تنحصر في توحيد الله والدعوة إليه، وأن الله الذي وجهوا إليه وجهتهم فاطر السموات والأرض يعبد في كل مكان:

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٢).

رأوا أن الأرض: منها خبيث مجدب لا يقبل البذر الطيب ولا ينبت النبات الحسن، ومنها طيب خصب يتشرب ماءه ويمد بذره بقوى الإنبات، ثم لايزال به حتى ينمو ويثمر:

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾(٣).

رأوا أن الله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق لابد أن يظهره على الدين كله، وأنه غالب على أمره:

﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(٤).

رأوا أن استمرارهم على الإقامة بهذا البلد مع هذا الاضطهاد وعدم تهيىء أهلها للقبول سيقضي لا محالة عليهم وعلى الدعوة التي امتلأت نفوسهم غيرة عليها وحبًا لها.

رأوا أن جبال مكة وهضابها لم تستطع أن تمنع أريج الدعوة التي آمنوا بها واستعذبوا العذاب والموت في سبيلها، من أن يسري وينتشر خارج مكة، ويحمله الجلال والجمال، حتى يفغم من المدينة وهم بمكة قائمون

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝٣٧ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٥).

رأوا أن هؤلاء الرجال يقتحمون العقبة عن إيمان قوي وحب عميق، ويمدون إليهم يد البيعة «نريد الوفاء والصدق وبذل العهد دون الرسول، فخذ لنفسي ولربك ما أحببت!» فيتم العهد على عبادة الله وحده، وعلى أن يمنعوه مما يمنعون منه الأبناء والأعزاء.

رأوا أن سبب النصر بهذا قد تهيأ، وسبيل العزة والعمل قد تمهد فلم يجدوا بدا من ولوج هذا السبيل والتمسك بذلك السبب، فاتجهوا إلى مدينة الخلف، وتم لهم بفضل الله ما أرادوا

وصل النبي ـ ﷺ ـ وصحبه إلى المدينة. وكان هذا من أشد ما يتخوفه المشركون، فقد اجتمع رؤساؤهم وقادة أمرهم في دار الندوة للتشاور فيما يتخذونه من وسائل القضاء على محمد وصحبه، حينما سمعوا نبأ (الحلف) المدني الذي زعزع

---

(٢) البقرة ١١٥.

(٣) الأعراف ٥٨.

(٤) التوبة ٣٢.

(٥) النور ٣٦ ـ ٣٨.

تقتهم بأنفسهم. فقال أحدهم: أخرجوه من أرضكم تستريحوا منه. فرفضوا هذا الرأى وقالوا: إنه إذا خرج اجتمعت حوله الجموع لما يرونه من حلاوة منطقه وعذوبة لفظه، وقال آخر: نوثقه ونحبسه حتى يدركه ما أدرك الشعراء قبله من الموت. فرفضوا هذا أيضا وقالوا: إنا إن حبسناه لا يلبث الخبر أن يبلغ أنصاره ونحن أدرى الناس بمن دخلوا فى دينه، يفضلونه على الآباء والأبناء، فإذا سمعوا ذلك جاءوا لتخليصه، وربما جر هذا علينا من الحرب ما نحن فى غنى عنه. فقال ثالث: الرأى، أن نقتله، ونقتله قتلة لا يستطيع بنو أبيه أن يأخذوا بثاره، خذوا من كل قبيلة شابا ويرقبه الجميع أمام داره، حتى إذا خرج منها ضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلها، ويذهب محمد بالدية. فوقع هذا الرأى عندهم موقع القبول، وهو آخر ما فى الكنانة من سهام، وأعدوا له وسائل التنفيذ الممكنة، ولكن الله الذى تكفل بحفظ محمد ورعايته، وأنزل عليه فى محكم كتابه:

﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٦).

أفسد عليهم تدبيرهم وأحبط أعمالهم، فأصمهم وأعمى أبصارهم، وأخرج رسوله محوطا بالعزة والكرامة.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾(٧).

وبهذه الهجرة: ترك النبى - ﷺ - قلوب قريش تغلى كالمراجل فوق النار المتقدة، تتبخر منها أفانين الحنق على سهام طاشت، ومكر ردت نصاله فى نحورهم، ومكايد ذهبت أدراج الرياح.

وبهذه الهجرة، أعز الله أولياءه وقوّى شوكتهم ونفخ فيهم من روحه، فقذف فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزّل به سلطانا.

بهذه الهجرة آواهم الله إلى قوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، آواهم إلى قوم هم: أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود. ذلك مثلهم فى التوراة، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار. آواهم إلى قوم: يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

---

(٦) المائدة ٦٧.

(٧) الأنفال ٣٠.



أى نصر هذا الذى أيد الله به أولياءه؟ ذلكم نصر الله الذى وعد، نصر الله الذى يمنحه المخلصين من عباده، نصر الله الذى يهدد به من يخذل دينه ويسلم شرعه لأرباب الهوى والفجور:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾(٨).

وأى خذلان هذا الذى حل بالأعداء فأفقدهم رشدهم؟ ذلك خذلان الله يقرع به قلوب

﴿ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٩).

إذا لم تكن الهجرة فرارا من الأذى، ولا هربا من التنكيل، ولا التماسا للرزق، ولا خورا فى العزيمة، ولا خوفا من الموت فى سبيل الله، فقد كانوا يستعذبون الموت فى سبيل الخلود، ومن استعذب الموت فقد استعذب كل شىء دونه.

إنما هو الإيمان بالله يملأ نفس صاحبه عزة وكرامة، هو الإيمان يأبى على صاحبه الخلود إلى السكون، والرضاء بالخنوع تحت سلطان القهر الذى يمنع المرء من الحرية فى تصرفه وإقامة دينه، والاتصال بإخوانه الذين يجب أن يتساند معهم ويكون وإياهم وحدة قوية تحمى البيضة، وتبث الدعوة، وتنشر العدل، وتحقق المساواة، وتدعو إلى الخير والسعادة.

الهجرة بهذا أثر من آثار الإيمان الكامل، ولازم من لوازمه البينة، وليس بمؤمن من يرضى لنفسه الذل والهوان ويقبع فى بلده حرصا على ماله وخوفا على ولده وأهله

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١٠).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩)

---

(٨) التوبة ٤٠.
(٩) الأعراف ١٤٦ - ١٤٧.
(١٠) هود ١٥، ١٦.



﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١١).

لم تكن الهجرة إلا تلبية لواجب الإيمان، والتماسا لوسائل العزة التى يجب أن يكون عليها المؤمنون:

**وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى**
**وفيها لمن خاف القلى متحول**

لم تكن الهجرة إلا نضالا واستعدادا للنضال، وتحيزا إلى فئة أخذت على نفسها العهد والميثاق أن تجاهد مع المهاجرين فى سبيل الله وسبيل دعوته حتى يكون الدين كله لله:

**وكل امرىء يولى الجميل محبب**
**وكل مكان ينبت العز طيب**

لم يتجه الرسول وصحبه فى هذه الهجرة إلا إلى المدينة؛ طريق أعدائه فى رحلتهم إلى الشام. فهلا - إن كانوا فارين - شرقوا أو غربوا؟ لم يشرقوا ولم يغربوا، وإنما قصدوا المدينة ممر القوم، وقعدوا لهم بالمرصاد ينشرون دعوتهم ويبلغون رسالتهم، ولم يكد يستقر بهم المقام هناك ويتم بينهم التآخى حتى تهيأوا لمنابذة خصومهم - خصوم الدعوة والدين - وأخذوا يتحرشون بهم فى سبيل الله وفى سبيل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون: ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها، واجعل لنا من لدنك وليا، واجعل لنا من لدنك نصيرا.

تضامت الوحدات، وأخلصت القلوب، وصفت الأرواح والنفوس، وعز عليهم ألا ينعم العالم بدين الله الحق. عز عليهم أن يتركوا بمكة نفوسا أقعدها العجز أن تخرج معهم، فظلوا بين الأعداء يشربون من أيديهم كؤوسا من يحموم، ولا ذنب لهم ولا جريمة إلا أن قالوا: ربنا الله. عز عليهم هذا وذاك، فأخذوا يتحرشون بالأعداء مرة بعد أخرى حتى تهيأت النفوس للقتال، وحصلت بين الفريقين مواقع عدة كللت فيها رءوس المؤمنين بتيجان الفتح والنصر المبين.

هذه هى الهجرة فى أسبابها والعوامل التى دفعت بالمؤمنين إليها.

أما الهجرة فى آثرها، فهى ذلك السلطان الذى استقر، وهذه الشريعة التى أخذ الوحى ينزل بها من السماء لينتظم بها الإنسان حياته، والتى صار بها النبى محمد - ﷺ - مشرعا وحاكما وقائدا، بعد أن كان بمكة مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله.

هذه الشريعة التى ساد بها المسلمون حينا من الدهر، وساد بها من غيرهم من التزم أصولها واتبع إرشادها.

هذه هى الهجرة فى أسبابها وآثارها، فهل لهؤلاء الذين أعمى الله عن الحق بصائرهم أن يراجعوا عقولهم فى هذه الصفحة الخالدة فى تاريخ العزة الإنسانية والكرامة البشرية عسى أن يوفقهم الله للحق فيعترفوا به، ويبسط على قلوبهم من نوره فلا يلبسوه ثوب الباطل المهلهل؟

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾(١٢).

المجلد التاسع ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨م

---

(١١) النساء ٩٧ - ١٠٠.

(١٢) البقرة ٤٠ - ٤٣.

# أبو عبيد بن مسعود الثقفي

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقي الدين

في الوقت الذي سحقت فيه جيوش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد جيوش الروم في اليرموك كان الوضع في العراق شديد الحرج، حيث استغل الفرس فرصة خروج خالد بجيشه إلى الشام لمحاولة استرداد ما استولى عليه المسلمون منهم وبذل المثنى بن حارثة الشيباني جهوداً فائقة في الحفاظ على الفتوحات الإسلامية في العراق، ولكنه أدرك حرج الموقف، فسافر على عجل إلى المدينة المنورة للقاء الخليفة الصديق ليعرض عليه الأمر فوجده مريضاً مرض الموت لكنه أطلعه على حقيقة الموقف، وأنه لا يستطيع أن يحتفظ بما فتحه المسلمون من أرض العراق بتسعة آلاف مقاتل فقط في مواجهة جحافل الفرس الجرارة، فصاح الصديق لمن حوله: «عليَّ بعمر» فجاء، فقال له الصديق: «إن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى»(١).

وينتقل الصديق إلى جوار ربه ويتولى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - مقاليد الخلافة فيكون أول عمل له أن نادى في المسجد «الصلاة جامعة» فاجتمع الناس، فدعاهم عمر إلى الجهاد لحرب الفرس، فلم يجبه أحد، فلما كان فجر اليوم التالي صلى المسلمون الفجر وعاد الفاروق يندب القوم للجهاد فلم يجبه أحد وبقى الناس على إحجامهم. فلما كان اليوم الرابع من وفاة الصديق - رضى الله عنه - تكلم المثنى بن حارثة الشيباني فقال «أيها الناس، لا يعظمن عليكم هذا الوجه، فإنا قد تبحبحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شقى السواد، وشاطرناهم، ونلنا منهم، واجترأ من قبلنا عليهم، ولها - إن شاء الله - ما بعدها.».

وقام عمر - رضى الله عنه - في الناس فقال: «إن الحجاز ليس لكم بدار على النجعة ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك، أين الطراء المهاجرين عن موعود الله؟ سيروا في الأرض

(١) الطبري - تاريخ الأمم والملوك ٤/٤٣:٦٣.



التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها، فإنه قال: ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[1] الله مظهر دينه، ومعز ناصره، مولي أهله مواريث الأمم، أين عباد الله الصالحون؟».

والتزم الجميع الصمت وعمر ينظر في وجوه القوم حتى سُمع في المسجد صوت رجل يقول: «أنا لها يا أمير المؤمنين» وتشخص الأبصار صوب مصدر الصوت، فإذا هو «أبو عبيد بن مسعود الثقفي» وكان شاباً شجاعاً خبيراً بالحرب والمكيدة فتتابعت أصوات القوم معلنة التطوع للجهاد في سبيل الله حتى بلغ عددهم ألف مقاتل[2].

ويتقدم عمر صوب هذا الرجل الذي لم تكن له صحبة مع رسول الله - ﷺ - ليُؤمِّرَهُ على القوم. فلما اعترض البعض بمقولة: «أمِّر عليهم رجلاً له صحبة مع السابقين من المهاجرين والأنصار» فغضب عمر وقال: «والله لا أفعل.. والله لا أفعل.. يا أصحاب النبي - ﷺ - لا أندبكم فتنكلون. وينتدب غيركم فأؤمركم عليهم، إن الله إنما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو، فإذا جبنتم، وكرهتم اللقاء فأولى بالرياسة منكم من سبق إلى الدفع وأجاب إلى الدعاء، فإذا فعل فعلهم قوم وأثاقلوا، كان الذين ينفرون خفافاً وثقالاً أولي بها منهم، والله لا أؤمر عليهم إلا أولهم انتداباً».

ولكن الفاروق عاد واستدرك موجهاً الخطاب أبي عبيد فقال له: «اسمع من أصحاب النبي - ﷺ - وأشركهم في الأمر ولاتجتهد مسرعا حتى تتبين، فإنها الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف.. ولقد بعثت معك رجلاً هو أفضل منك إسلاماً فاقبل مشورته» وأشار إلى سليط بن قيس.

وتتابع المسلمون يلبون نداء الجهاد حتى بلغ عددهم خمسة آلاف فسار بهم أبو عبيد نحو (الحيرة)، وجعل لا يمر بحي من أحياء العرب إلا استنفرهم للجهاد في سبيل الله حتى انتهى إلى (قس الناطف) قرب الكوفة على شاطىء الفرات الشرقي حيث كان المثنى يعسكر بجنوده. وكان الفرس قد حشدوا جيوشهم في موضع قرب الكوفة من أرض العراق يقال له: (النمارق) فسار إليهم أبو عبيد ومعه (المثنى ابن حارثة) في قلب الجيش، وعلى ميمنته (والق بن جيدارة) وعلى الميسرة (عمر بن الهيثم بن الصلت بن حبيب السلمي).

والتقى الجمعان في ٨ من شعبان سنة ١٣ هـ حيث دار بينهما قتال شديد هُزم فيه الفرس وسقط (جابان) قائد الجيوش الفارسية أسيراً في يد (مطر بن فضة) و (أبو برجل) دون أن يعلما حقيقته، وكان شيخاً كبيراً، ووقع سلبه لـ (أبي برجل) وفداؤه لـ (مطر) فأخفى جابان حقيقته عن آسريه ولم يُعْلمهما بمكانته، وقال لـ (مطر): «إنكم معاشر العرب أهل وفاء، فهل لك أن تؤمنني وأعطيك غلامين خفيفين في عملك» فقال له (مطر): نعم. فقال

(١) التوبة (٣٣).

(٢) نفس المصدر السابق.



( جابان ): «فأدخلني على ملككم حتى يكون ذلك بمشهد منه، فأدخله على أبي عبيد، فأجاز الأمر، على أن قوماً من بني ربيعة تعرفوا على القائد ( جابان ) وأخبروا أبا عبيد بهويته وأشاروا بقتله، وقال ( أبو برجل ): «أسرته أنا وهو على غير أمان»، ولكن أبا عبيد قال: «أيؤمنه صاحبكم وأقتله أنا؟.. معاذ الله من ذلك، إني أخاف أن اقتله وقد أمنه رجل مسلم، المسلمون في التواد والتناصر كالجسد الواحد، ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم».. فقالوا له: «إنه الملك» فرد عليهم أبو عبيد بقوله: «وإن كان... والله لا أغدر»[4].

وواصل أبو عبيد مطاردة الفرس في أنحاء العراق حتى تجمعت الفلول المنهزمة في موضع يقال له: ( السقاطية ) جنوب ( كسكر ) فيقع قتال عنيف في ١٧ من شعبان عام ١٣هـ يحرز فيه المسلمون نصراً مؤزراً، ويبعث أبو عبيد خُمس الغنائم إلى الخليفة عمر ـ رضي الله عنه ـ مع رسالة جاء فيها: «إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها، وأحببنا أن تروها ولتذكروا أنعام الله وأفضاله».

واتخذ أبو عبيد من ( كسكر ) قاعدة انطلاق يبعث منها سراياه لمطاردة فلول الفرس الهاربة والإغارة كذلك على البلاد التي كانت أمضت صلحاً مع خالد بن الوليد ثم تمردت، فأرسل ( المثنى ) إلى ( باروسما )، و( والق بن جيدارة ) إلى ( الزوابي ) و( عاصم بن عمرو التميمي ) إلى نهر ( جوبر ) فابتدر أهل هذه البلاد بطلب الصلح قبل أن تدهمهم جيوش أبي عبيد.

وأراد أهل ( باروسما ) و( جوبر ) التقرب إلى أبو عبيد فقدموا إليه ألواناً من الأطعمة الفارسية غالية الثمن، وقالوا: «هذه كرامة أكرمناك بها وقرى لك».. فرد أبو عبيد على من حمل له الطعام: «أأكرمتم الجند وقريتموهم مثله؟» فقالوا: «لم يتيسر».. فرفض أبو عبيد الطعام قائلاً: «لا حاجة لنا فيما لا يسع الجند». ورفض أن يطعم طعاماً لم يطعمه سائر جنده[5].

ثم يعود الفرس لتجميع جيوشهم في موضع يقال له: ( باقسياثا ) بقيادة ( جالنوس ) ويعلم أبو عبيد بذلك فيسارع إلى الانقضاض عليهم مشتتاً جموعهم ويضطر جالنوس إلى الفرار[6].

ولم ييأس الفرس، فأعادوا حشد جيوشهم في المدائن استعداداً لجولة جديدة تحت قيادة ( بهمن جاذويه ) الذي زحف بجيش جرار تجاه الحيرة والتي اتخذها أبو عبيد مقراً لقيادته، ويعلم أبو عبيد بذلك فخرج من فوره من الحيرة حتى بلغ نهر الفرات، في حين وقفت جيوش الفرس على الجهة المقابلة من النهر وتعرف بـ ( قس الناطف )، وأرسل ( بهمن جاذويه ) أحد رجاله إلى أبي عبيد يقول: «إما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور، وإما أن تدعونا نعبر إليكم».

---

(٤) الطبري (٦٣/٤ ـ ٦٤).

(٥) الطبري (٦٤/٤ ـ ٦٦).

(٦) الطبري (٦٥/٤ ـ ٦٦).

وهنا تحدث المأساة ويرفض أبو عبيد الثقفي مشورة قادة جنده (سليط بن قيس) و(المثنى بن حارثة الشيباني) حيث ألحا عليه بأن يدع الفرس يعبرون أولاً، لكن أبا عبيد رفض ورماهما بالجبن فقال له سليط: «أنا والله أجرأ منك نفساً، وقد أشرنا عليك بالرأى فستعلم».

وهكذا بدأت الهزيمة قبل أن تبدأ المعركة، نسي أبو عبيد بن مسعود الثقفي أوامر الخليفة له يوم ولاه قيادة الجيش: «اسمع من أصحاب النبي وأشركهم في الأمر ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين»، بل وخص الخليفة سليطاً بن قيس بالذكر بقوله: «قد بعثت معك رجلاً هو أفضل منك إسلاماً فاقبل مشورته». ولكن حماس القائد الشاب وتتابع النصر أنساه تعليمات قائده الأعلى فضلاً عن استفزاز رسول (بهمن جاذويه) وكان يدعى (الخصي مردانشاه) حيث قال لأبي عبيد: «إن الفرس قد عيروكم بالجبن».

وكان الجسر الذي سيعبر عليه المسلمون قديماً متهالكاً ضيقاً لا يسمح بحرية الحركة لجيش زاحف، فما أن توسط جيش المسلمين الجسر حتى انقض عليهم الفرس يمطرونهم بالسهام والمنجنيق قبل أن يكتمل عبورهم.

وعندما وصلت بعض القوات إلى ضفة النهر في مواجهة القوات الفارسية فوجئوا بسلاح جديد لم يألفوه من قبل: الفيلة.. والخيل المغطاة بالدروع، مما أفزع خيل المسلمين، فاجفلت حيث لم تألف مثل هذه الأمور من قبل وولت هاربة.

فترجل أبو عبيد عن فرسه وتبعه جنوده في شجاعة نادرة لمواجهة الفيلة وصاح أبو عبيد في رجاله: «احتوشوا الفيلة وقطعوا بُطُنها واقلبوا عنها أهلها».

وواثب أبو عبيد فيل المقدمة الأبيض فتعلق بحزامه وقطعه، فسقط من كانوا على هودجه، وأراد أبو عبيد أن يقتل الفيل فحذره أصحابه بقولهم: «إنا نخاف عليك» فقال لهم: «ربي ينصرني، ولكن أخبروني هل لهذا الفيل من مقتل؟». فقال بعضهم: «إذا قطع خرطومه يموت» فقال أبو عبيد: «يا معشر الناس إني حامل على هذا فانظروا إن قتلته وهزمت من حوله فأنا أميركم، وإن قُتلت فأخي الحكم أميركم، فإن قُتل فولدي وهب، فإن قُتل فولدي مالك، فإن قُتل فولدي جبر، فإن قُتل فأبو القاسم، فإن قُتل أبو القاسم فعليكم بالمثنى».

وسقط أبو عبيد شهيداً بعد أن وطئه الفيل، فحمل اللواء أخوه الحكم فقاتل الفيل حتى استخلص أخاه من تحت أقدامه جثة ممزقة، ثم حاول أن يقتل الفيل لكنه سقط تحت أقدامه، فحمل اللواء وهب بن أبي عبيد فقاتل حتى قُتل، فانتقل اللواء إلى جبر بن أبي عبيد فقاتل بدوره حتى قُتل[٧].

وهكذا آثر البطل الشاب أبو عبيد بن مسعود الثقفي، هذا المجاهد الذي كان الصوت الوحيد الذي لبى النداء يوم سكت القوم بقوله: «أنا لها» آثر أن يموت وأبناؤه شهداء تحت راية الحق.

(٧) الطبري (٤/٦٧) فتوح البلدان (٦٢٥، ٦٢٦). الدينوري - الأخبار الطوال (١١٢).

# لمحات عن:
## صاحب الفضيلة الشيخ / عبد الرحمن تاج
## شيخ الأزهر الأسبق

للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى

**اسلم القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين غراسا بشرية لم تزل مخبوءة فى أكمامها، وثمارا إنسانية لم تزل مغلقة فى أكنانها تكاد تتفجر بالطاقة متطلعة فى توثب ولهفة إلى النماء والعطاء.**

**ولم يكد القرن العشرون يبزغ من وراء الأفق حتى انتقلت هذه المواليد النابهة من القوة إلى الفعل، فرأينا النصف الأول من هذا القرن المنصرم - وقد أثرته عبقريات فذة نادرة فى كافة مجالات الحياة.**

**ألم يأتك نبأ العمالقة، مشرفة فى العلم، والمراغى فى الدين، والعقاد فى الأدب، وسعد زغلول فى السياسة، وطلعت حرب فى الاقتصاد، ولطفى السيد فى الفلسفة، ومحمد رفعت فى التلاوة، وشوقى فى الشعر وغيرهم.. وغيرهم؟**

**وهذه على أية حال أسماء لا يغنى حيالها المثال العجول عن الحصر والشمول.. فكثير ما هى.**

ولهذا كم نتطلع - مع أبنائنا من الشباب - إلى موسوعة متخصصة مستفيضة تحاول أن تعرض بين دفتين مخلصتين هذه العبقريات لكى تنتقل من متحف مغمور إلى معرض معمور.

وليت أجهزة الشباب والثقافة والإعلام وغيرها - ممن ألقى الله على كواهلهم مسئولية تحقيق التواصل بين الأجيال للولاء والانتماء، ليتها تتناول هذه الفكرة بالدرس إسهاما فى وضع المثال المشرف الأصيل أمام الشباب.

وكثيرا ما يمتلك المرء العجب العجاب لتلك المساحة المحدودة من الزمان التى لا تتجاوز الخمسين عاما الأولى من القرن العشرين، عندما يراها وقد اتسعت ليزدحم فيها هذا الحشد الهائل الخضم فى كمه وكيفه من الشخصيات الجهيرة التى تبوأت مراكز الريادة دون منازع فى عصامية مقتدرة باهرة وكأنها تتحدى فى إصرار شديد، وعناد عنيد عوامل الاحتلال المتسلط والتخلف البليد.. بل كثيرا ما تستبد الدهشة والاستغراب بالمتأمل فى هذه الريادات حين يرى أن معظمها قد نشأ فى القرية المصرية التى رزحت طويلا تحت نير الأعداء الثلاثة التى اشتهرت بها آنذاك.. الفقر والجهل والمرض.. وهذه لعمرك صورة لافتة للانتباه تفسر لنا كيف يخرج الحى من



المیت فی مجال الحضارة والعمران ولیس فقط فی مجال النبات والحیوان؟

ومثالنا هنا نسوقه عن علَم شاهق من أعلام العروبة والإسلام هو «الأستاذ الدكتور الشیخ / عبدالرحمن تاج» الذی تنحدر أسرته من بلدة «منیة الحیط» إحدی قری مركز «إطسا» فی محافظة «الفیوم» وقد سماها العامة كذلك تحریفا لاسمها الأصلی «میناء الحائط» حیث أقام محمد علی باشا حول هذه البلدة حائطا مرتفعا سمیكا لتخزین میاه «بحر یوسف» المنحدر إلی الفیوم من النیل أثناء الفیضان ولم تزل حتی الآن بقایا هذا الحائط بادیة للعیان.

ولئن قُدر للطفل «عبدالرحمن» أن یكون مسقط رأسه أسیوط فی عام ١٨٩٦ حیث كان یعمل جده حسین وأبوه علی فی إقامة قناطر أسیوط وإسنا، فإن أسیوط والفیوم ترتبطان بشریان حیوی عذب واحد هو «بحر یوسف» الذی یستمد اسمه من اسم نبی الله یوسف علیه السلام كما تروی بعض الروایات.

ولما تجاوز «عبدالرحمن» الخامسة من عمره التحق بالكُتاب وتلقی مع أقرانه ما كان متعارفا فی تحصیله فی «الكتاتیب» فی ذلك الزمان بجانب التحصیل الأساسی وهو حفظ القرآن الكریم.. وهكذا كانت سمة العصر.

ویبدو.. أن ذكاء الناشیء «عبدالرحمن» توقد مبكرًا ولاسیما حین رآه «سعد زغلول باشا» وزیر المعارف حینذاك إبان رحلته التفتیشیة فی الصعید التی شملت خطتها زیارة الكتاب الذی یتعلم فیه «التاجی» الصغیر.

فقد استرعی انتباه الوزیر ذكاء الطفل، وسرعة خاطره وإجاباته السدیدة مما یشیر إلی عمر عقلی یتفوق كثیرا علی العمر الزمنی وذلك دون أقران الكتاب... عندئذ أعجب الباشا به ورأی أن یكافئه ویشجعه فقرر الحاقه بالمدارس الأمیریة علی أن یكون ذلك علی نفقة الدولة فی جمیع مراحل التعلیم.

إلا أن جَدّ الطفل الذكی أبی إلا أن یكون مجال تعلیم حفیده الغض - بعد الكتاب - هو الأزهر الشریف حتی یدخل إلی الدین من بابه، ویتلقی العلم علی أربابه.

وكان فطرة الجد النقیة وسلیقته التقیة قد أضاءت له من ظهر الغیب مستقبل حفیده المرموق فی الغد البعید.

ومع أعمال المقاولات والبناء والتشیید انتقلت الأسرة إلی الإسكندریة حیث التحق «عبدالرحمن» بمعهدها الدینی، وكان لابد بعد ذلك أن یكمل مسیرته العلمیة فرحل إلی القاهرة لینال شهادة العالمیةمن الأزهر الشریف فی عام ١٩٢٣ وتدرج الشاب «عبدالرحمن» فی المدارج العلمیة والوظیفیة بالأزهر، فالتحق بقسم التخصص للقضاء الشرعی، ونال شهادته سنة ١٩٢٦.

وبعد أن ترك عبدالرحمن أسیوط غضًا، عاد إلیها یافعًا، ولعلها استقبلته ولسان حالها یردد.. «هذه بضاعتنا رُدت إلینا» إذ عُین مدرسا فی معهد أسیوط الدینی ثم نقل مدرسا بمعهد القاهرة ولم یكن قد تجاوز الخامسة والثلاثین من عمره إلا قلیلا حین اختیر مدرسا بقسم تخصص القضاء، ثم عضوا فی لجنة الفتوی للمذهب الحنفی فی عام ١٩٣٥.

فلما أن بلغ أربعین سنة وقع الاختیار علیه لیكون عضوا فی بعثة الأزهر إلی فرنسا.. فالتحق بجامعة «السربون» لیحصل علی درجة «الدكتوراه» لقاء



رسالته القيمة التي بحثت فيها « البابية والإسلام » والبابية - كما هو معروف - أساس البهائية.

ولك أن تعلم أن هذا قد حدث في خضم الحرب العالمية الثانية وظروفها القاسية المدمرة لاسيما الخطر الداهم الذي كان يحيط بفرنسا - وباريس بوجه خاص - في الليل والنهار ولكن الفتى الذي عركته علوم « الكُتّاب ناشئا وصقلته علوم الأزهر فتيا، كان قد أصبح يتمتع بشخصية صامدة متزنة وقور قديرة على اجتياز أدق الشعاب، وجديرة بارتياد أشق الصعاب وهكذا فعلت النشأة التربوية الجادة في الناشيء الدءوب شأنه في ذلك شأن العمالقة من أقرانه من طلاب الأزهر حينذاك حيث كان لا يصمد أمام الكتب الصفراء العريقة إلا أولو العزم من عشاق العلم والدين.

ففي خلال ثلاثة أعوام استطاع الشاب « عبدالرحمن » أن يشق طريقه العلمي الصعب بين حضارة غريبة عنه، ولغة جديدة عليه، وحرب عالمية طاحنة حوله من كل مكان.

وإن في ذلك لآيات لشبابنا المعاصر الذي ينبغي أن يكفيه إيراد المثال عن طول المقال.

وعندما استقبلت مصر ابنها « الدكتور » العائد من باريس من بين دخان الحرب ١٩٤٣ كانت كلية الشريعة في انتظاره تتلقفه في أحضانها استاذا مقتدرا.

ولم يلبث حامل « الدكتوراه » العائد أن أسند إليه وظيفة « مفتش العلوم الدينية بالأزهر الشريف ».

ثم عين شيخنا « عبدالرحمن تاج » شيخا للقسم العام والبحوث الإسلامية بالأزهر.

وفي عام ١٩٥١ نال عضوية هيئة كبار العلماء جزاء بحث تقدم به إليها عن « السياسة الشرعية ».

ثم اختير بعد ذلك استاذا للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول ( القاهرة الآن ) قبل أن يتسنم قمة المراكز العلمية والإسلامية في عام ١٩٥٤ حيث أصبح أستاذا أكبر وشيخا للأزهر.. ثم وزيرا في اتحاد الدول العربية ١٩٥٨.

ولاشك في أن تجربة الرجل في تحصيل اللغة الفرنسية لأهميتها في تنفيذ بعثته إلى « السربون » وكذلك ظروف اغترابه أثناء تلك البعثة.. كل هذا قد انعكس على اهتماماته بعد أن أصبح الرجل الأول في الأزهر حيث قرر تدريس اللغات الأجنبية بالأزهر، كما سعى إلى بناء مدينة البعوث الإسلامية لسكنى قصاد الأزهر المعمور المغتربين من أبناء العالم الإسلامي.

وللدكتور عبدالرحمن تاج تراث فكري فريد ثري من المؤلفات العلمية في الشريعة والفقه الإسلامي، وهي أعمال لها من الثقل العلمي والوزن المتخصص الدقيق ما جعلها بعيدة عن متناول العامة من القراء.

ومن أبرز هذه المؤلفات : كتاب الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية وكتاب السياسة الشرعية والفقه الإسلامي ودراسات مطولة آثر الدكتور « تاج » أن يسميها بحوثا لا كتبا مثل ما كتبه عن الهجرة، والإسراء والمعراج، والحج، والصيام، وفي ليلة القدر، وفي الشئون الكونية، وفي تفسير القرآن الكريم، وغيرها.

ألا ترى في مثل هذه العجالة إشارة إلى سيرة جادة ينبغي أن تكون وأمثالها - لدى أبنائنا من الشباب - نبراسا جديرا بالتأسي والاقتداء؟ إلا ياليت.







# الشيخ / إبراهيم الدسوقى في رحاب الله

## (٣٠/١/١٩١٥ - ٢١/٢/٢٠٠١)

فقدت الأمة الإسلامية عالما فاضلا جليلا نحتسبه عند الله هو فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقي وزير الأوقاف الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية الذى وافته المنية يوم الأربعاء ٢١ / ٢ / ٢٠٠١ .

ولد الشيخ إبراهيم الدسوقي في ٣٠ / ١ / ١٩١٥ ، في كفر النخلة إحدى قرى محافظة القليوبية .

أرسله أبوه إلى كتاب القرية كعادة أهل الريف حيث أتم حفظ القرآن الكريم في سن الحادية عشرة ، ثم التحق بالأزهر بمعهد القاهرة الديني .

وقد وهب الله الشيخ موهبة الخطابة والمقدرة على إقناع الناس منذ نشأته ، لذلك أسند إليه أداء خطبة الجمعة قبل تخرجه وبعد انتهاء الدراسة الثانوية .

ثم التحق بكلية أصول الدين ، وفور تخرجه التحق بقسم التخصص في الوعظ والإرشاد .

في عام ١٩٤٣م عين الشيخ إماماً في المنيا ثم إماماً لأحد مساجد القاهرة ١٩٥٢م .

ثم تدرج في وظائف الدعوة بوزارة الأوقاف ثم ولى التفتيش حتى أحيل إلى التقاعد في سنة ١٩٨٠ .






ثم انتدب مستشارا للدعوة ثم اختير وزيرا للأوقاف فى الفترة من ١٩٨٢ حتى ١٩٨٥.

وفى سنة ١٩٩٠ اختير عضوا بمجمع البحوث الإسلامية ثم عضوا بالمجلس الأعلى للأزهر سنة ١٩٩٥م.

وخلال هذه المرحلة المباركة كرمته الدولة بمنحه:

- وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٣م.
- وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٩٨٤م.
- وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٩٨٨م.

وقد قضى حياته المباركة فى سبيل الدعوة وكان مثلاً يحتذى للداعية الذى يدعو الناس بسلوكه القويم ولسانه العفيف.

كما عرفته الصحافة الدينية فى مصر، وسائر البلاد العربية والإسلامية.

شاءت إرادة الله أن يكون آخر انتاجه ما اختص به مجلة الأزهر فى حديثه عن أنواع العلوم الذى تنشر آخر حلقاته فى هذا العدد بعنوان: (لا حياة بلا دين).

وبهذه المناسبة توجه الدعوة إلى أحبائه وأبنائه مريديه إلى جمع تراثه ونشره تعميما للنفع ووفاء للفقيد - رحمه الله.

ومجلة الأزهر ترحب بما يرد إليها من تراثه الطيب.

رحم الله شيخنا وأسكنه فسيح جناته، ورفع درجاته بقدر ما كافح ونافح عن الإسلام وألحقنا به على الإيمان.

***



# مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي

## نشأته - منهجه - خصائصه

للمستشار الدكتور/ محمد شوقي الفنجري (*)

### لماذا نقول بالاقتصاد الإسلامي

جاء الإسلام، منذ خمسة عشر قرنا، خاتما للأديان، ومن ثم انفرد بصفتين أساسيتين:

(١) عالميته. فقد جاء موجها للبشر كافة، وليس لفئة معينة من الناس شأن كافة الأديان السابقة عليه.

(٢) اكتماله. فلكونه خاتم الأديان وموجها للبشر كافة. فقد جاء كاملا لا يقتصر على مجرد الهداية الروحية شأن المسيحية التي شعارها أن (اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله)، وإنما جاء الإسلام إلى جانب الهداية والدعوة إلى الأخلاق الحسنة، بجوانب تنظيمية، سياسية واجتماعية واقتصادية للمجتمع. ومن ثم كان قولنا: إن الإسلام (دين ودنيا) أو أنه (عقيدة وشريعة).. ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن نبيا هاديا فحسب، وإنما كان أيضا حاكما منفذا، إذ أدار المجتمع، وأقام الشورى، وحصل الزكاة، ووقع الحدود... الخ

ومن هنا كان منشأ الاقتصاد الإسلامي، فهو قديم قدم الإسلام، وإن كانت مادته العلمية أي تدريسه، حديث للغاية. وقد يجرنا هذا إلى التساؤل: إذا كان الاقتصاد الإسلامي قديما قدم الإسلام، فلماذا كانت مادته العلمية حديثة للغاية؟؟

مرجع ذلك إلى أسباب كثيرة، نكتفي هنا بالإشارة إلى سببين رئيسيين، أحدهما قديم للغاية والآخر حديث للغاية:

١ - فأما السبب الحديث فهو تعقد الحياة العصرية، وانتهاء عهد المجتهد العام، فلم يعد يكتفي اليوم للباحث في الاقتصاد الإسلامي، مجرد التعمق في الدراسات الإسلامية الفقهية الواسعة، وإنما أيضا وعلى ذات المستوى التعمق في الدراسات الاقتصادية الفنية الدقيقة.

٢ - وأما السبب القديم فترده إلى عهد الخليفة معاوية، حين أخذ البيعة لابنه يزيد، ولم يكن على مستوى من الكفاءة. إذ جمع أهل الحل والعقد في عصره، ووقف رئيس حرسه قائلا: أمير المؤمنين هذا، مشيرا إلى معاوية، فإن هلك فهذا، مشيرا إلى ابنه يزيد، فمن أبى فله هذا (ملوحا سيفه).

(*) أستاذ الاقتصاد الإسلامي ورئيس الجمعية الخيرية الإسلامية

ولإشغال المسلمين بأمور بعيدة عن السياسة والحكم، برزت إثارة قضايا جدلية لا جدوى منها، ككون الإنسان مجبر أم مخير؟ وقضايا خلق القرآن وغيره من القضايا الخلافية والهامشية.

ثم كانت الضربة القاصمة منذ منتصف القرن الرابع الهجرى، حيث انقسمت الدولة الإسلامية إلى عدة دول، يتناحر رؤساؤها وولاتها وأفرادها على السلطة، فَشُغل أولى الأمر، والناس معهم، بالفتن والشقاق، واتقاء المكائد، أو تدبير وسائل القهر والغلبة.. وكما يقرر فضيلة أستاذنا المرحوم الشيخ عبدالوهاب خلاف بأنه (فى مثل هذا الجو تصدى لإفتاء المسلمين فتنا المغرضين والجهال، عابثين بنصوص الشريعة وحقوق الناس. كما ظهر الفساد بين العلماء أنفسهم، فكان إذا طرق أحدهم باب الاجتهاد، فتح على نفسه أبوابا من التشهير، وحط أقرانه من قدره).

وبذلك، كما يقرر أيضا أستاذنا المرحوم الشيخ عبدالوهاب خلاف (لم يرتفع فى الشريعة رءوس، خاصة فى المجالين السياسى والاقتصادى، وانتهى العلماء إلى التقليد، فقفل اختياريا أو تلقائيا باب الاجتهاد)، وكما يقول فضيلته- بكل أسف- (عولجت الفوضى بالجمود).

ولكى تضمن الفئات الإسلامية الحاكمة، على مر السنين والقرون، بقاءها وتباشر سلطاتها على هواها، عطلت المصدر الثالث للإسلام بعد القرآن والسنة وهو الإجماع.. كما حالت دون التوعية أو الاجتهاد فى أصول الإسلام السياسية والاقتصادية والاجتماعية، محاولةً قصره على النواحى التعبدية (علم أحكام الوضوء) وكذا على الأحوال الشخصية (كالزواج والطلاق).

وأذكر أننى عقب حصولى على ليسانس الحقوق، ثم حصولى على دبلوم الدراسات العليا فى الاقتصاد السياسى، وأردت الوقوف على الجانب الاقتصادى فى الإسلام، بدخول دبلوم الدراسات العليا فى الشريعة الإسلامية، قالوا لى: إن هذا اسمه (سمك لبن تمر هندى) إذ لم يكن قد ظهر، وقتئذ، تصور علمى للاقتصاد الإسلامى أو حتى تصور علاقة بين الشريعة والاقتصاد، وإننى حتى بعد حصولى سنة ١٩٥٣على دبلوم الدراسات العليا فى الشريعة الإسلامية، وجدت نفسى مجهلا بأى مفهوم اقتصادى فى الإسلام، بل أذكر أنه كان من ضمن مواد هذا الدبلوم دراسة أحد الأئمه، وكان ابن تيمية، ولم تتناول دراسته سوى فقه فى التعبد والأحوال الشخصية، بينما نجد المستشرق الفرنسى هنرى لاوست Henri Laost يصدر سنة ١٩٣٩رسالته للدكتوراه عن الاجتهادات الاجتماعية والسياسية لابن تيميةLes Doctrines sociales at politigues d'ibn Taimia، وكما تعلمون كانت بداية تدريس مادة الاقتصاد الإسلامى لأول مرة فى العالم الإسلامى كله، هو فى جامعة الأزهر، وذلك بعد خمس سنوات من صدور قانون تطوير الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١.

هذه كلمة سريعة عن منشأ الاقتصاد الإسلامى، وهى تكشف أنه على الرغم من أن الاقتصاد الإسلامى قديم قدم الإسلام، إلا أن مادته العلمية حديثة للغاية.

## ماهية ومفهوم الاقتصاد الإسلامى

الاقتصاد الإسلامى بعبارة مبسطة للغاية، هو الذى يوجه النشاط الاقتصادى، (أى ما هو كائن) وجهة إسلامية أى إلى (مايجب أن

يكون )، وفقا لأصول ومبادىء الإسلام الاقتصادية حسبما ورد بنصوص القرآن والسنة. تماما مثل ما نقول: إن الاقتصاد الاشتراكى هو الذى يوجه النشاط الاقتصادى الكائن، وجهة اشتراكية، أى وفقا لأصول ومبادىء الاشتراكية، والتى تقوم على أساس الملكية العامة والتخطيط المركزى، مما يحيل المواطن، إلى مجرد ترس فى آلة كبيرة اسمها الدولة. ومثل ما نقول أيضا: إن الاقتصاد الرأسمالى هو الذى يوجه النشاط الاقتصادى وجهة رأسمالية أى وفقا لأصول ومبادىء الرأسمالية والتى تتلخص فى شعار ( دعه يعمل دعه يمر lasser faire lasser passer ) أى الاقتصاد الحر وآليات السوق.

ومن هنا نستطيع أن نميز بين أمرين أساسيين:

**( ١ ) أولهما**: ما هو كائن أى النشاط الاقتصادى أو الأمر الواقع، والقوانين التى تحكمه، مثل قانون العرض والطلب، وقانون تناقص المنفعة، أو تزايد الغلة، أو قانون أقل مجهود.... الخ، فهذه كلها قوانين طبيعية لا يمكن وصفها بأنها إسلامية أو اشتراكية أو رأسمالية ، وهى تشكل ما نسميه ( بعلم الاقتصاد )، وهو علم محايد يدرس ما هو كائن، ولا علاقة له بتوجهات السياسة أو الأخلاق.

**( ٢ ) ثانيهما**: ما يجب أن يكون وهنا تختلف الاقتصاديات الوضعية ما بين رأسمالية أو اشتراكية بدرجات مختلفة حسبما تتبناه السلطة الحاكمة فى كل بلد، أو بعبارة أدق بحسب اختيارات أو أهواء الفئة الحاكمة.

وهنا تتبين نقطة هامة وهى أن الاقتصاد الإسلامى، يتميز بأن مرده، ليس اختيار المجتمع أو أهواء النخبة الحاكمة، وإنما مرده إلى حكم الله - تعالى - بحيث لا ينظم النشاط الاقتصادى، وهو أمر كائن، إلا وفقا لأصول ومبادىء الإسلام الاقتصادية، حسبما كشفت عنه نصوص القرآن والسنة... وهذا يؤدى بنا إلى نقطة أو قضية هامة وهى:

## منهج الاقتصاد الإسلامى

نفرق هنا بين الباحث الوضعى، والباحث الإسلامى:

**الأول: وهو الباحث الوضعى**: يضع ما يشاء من نظم، فهو منشىء لاتجاه معين مثل: آدم سمث، وكارل ماركس، وكينز... الخ، وبالتالى فهو عرضة للخطأ والصواب، ومن ثم للتبديل والتعديل، وفى الأسس ذاتها، لا مجرد التفاصيل، مما يهز المجتمع ويمحق استقراره. وأعطى مثلا بتجربتنا المصرية فقد كان التوجه الإقتصادى قبل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢، رأسماليا ثم صار اشتراكيا لسنوات عديدة، وهو اليوم يعود ليكون رأسماليا.

**الثانى: الباحث الإسلامى**: فهو لا ينشىء شيئا من عنده، وإنما هو مجرد باحث، كاشف عن الأحكام الشرعية فى مختلف القضايا. وإنه حتى فى هذا الكشف، مقيد فيما يتوصل إليه من حلول إسلامية بالتزام الطرق الشرعية المقررة، من قياس، واستصحاب، واستصلاح، واستحسان... الخ،أى أنه إلى جانب وعيه ودرايته المتعمقة بنصوص القرآن والسنه، يجب أن يكون على إحاطة تامة بعلم أصول الفقه والأدلة الشرعية. وهذا موقف دقيق، قد اختلط حتى على بعض

الصحابة، والأئمة، وأذكر على سبيل المثال الصحابي أبو ذر الغفاري والإمام ابن حزم، فأبوذر، في عهد معاوية، حين بدأت تظهر طبقة غنية تستأثر بالسلطة.

نادى برأيه القائل بأنه لا يجوز لمسلم أن يحصل على أكثر من حاجته، وهو قول لا يستقيم شرعاً سوى في ظروف إستثنائية كحالات السفر أو المجاعة أو الحروب ولا يجوز تعميمه[1]. ومثل قول ابن حزم الأرض لمن يزرعها بحيث لا يجوز فيها التأجير وإنما المزارعة، مستنداً في ذلك إلى الحديث النبوي (من كانت عنده أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه ولا يكريها أي يؤاجرها إياه)[2][*]، وهو تشريع خاص لظروف معينة وليس تشريعاً عاماً لكل زمان ومكان كما ذهب ابن حزم.

وعليه فإن مهمة الباحث الإسلامي في مجال الاقتصاد الإسلامي، شأنه شأن مختلف الدراسات الإسلامية الأخرى، مهمة مزدوجة:

**١ـ أولاهما**: الكشف عن الأصول والمبادىء الاقتصادية الإسلامية، حسبما وردت بنصوص القرآن والسنة، ثم عرضها بلغة العصر أي اللغة التي يفهمها الناس. فمثلاً في قوله ـ تعالى:ـ

﴿ وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[3]

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[4].

استخلص منه الفقهاء القدامى أصلاً اقتصاديا أساسيا، انفرد به الإسلام منذ خمسة عشر قرنا، وهو ما عبروا عنه بمصطلح (ضمان حد الكفاية لكل فرد في المجتمع الإسلامي)، ومثل قوله ـ تعالى:ـ

﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾[5].

بمعنى أنه لا يجوز أن يكون المال متداولاً بين فئة قليلة من أفراد المجتمع، أو أن يستأثر بخيرات المجتمع فئة دون أخرى، وهو ما استخلص منه فقهاء الإسلام، أصلا اقتصادياً إسلامياً عبروا بمصطلح (تحقيق العدالة الاجتماعية)، وما تعبر عنه حديثا بمصطلح (حفظ التوازن الاقتصادي

(١) ويكشف عن ذلك قول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (رحم الله الأشعريين كانوا إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام أهلهم جمعوا ما عندهم وقسموه بينهم بالسوية) رواه البخاري والبيهقي وقول الرواة كنا في سفر فقال الرسول ـ ﷺ ـ : (من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له و من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له) رواه مسلم وأحمد، ويضيف الرواة بأن الرسول ذكر من صنوف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد في فضل.

(٢) رواه النسائي ومسلم، وابن ماجه.

(*) عقب هجرة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى المدينة ـ ظهر اختلال في المراكز الاقتصادية بين المهاجرين والأنصار ـ بعد أن ترك المهاجرون أموالهم بمكة بينما كان الأنصار مستقرين بالمدينة وأساس ثروتهم هو الزراعة و كان لبعضهم أراض واسعة استخدموا فيها المهاجرين كأجراء، واختل التوازن الاقتصادي ـ ومن ثم حرم الرسول على الأنصار تأجير أراضيهم للمهاجرين ـ حتى إذا استقرت الأمور بالمهاجرين وتحسنت أحوالهم ـ أجاز الرسول ـ عليه السلام ـ تأجير الأراضي الزراعية.

(٣) الذاريات (١٩). (٤) المعارج (٢٤ – ٢٥). (٥) الحشر (٧).

بين أفراد المجتمع ) فالإسلام إذا كان يسمح بالتفاوت في توزيع الثروة كل بحسب جهده وعمله، إلا أنه يرفض التفاوت الشديد.

فمثل هذه المبادىء الاقتصادية التي أفصحت عنها نصوص القرآن أو السنة، هي أصول اقتصادية ثابتة، يلتزم بها كل مجتمع إسلامي، في كل زمان ومكان، وهي غير قابلة للتغيير أو التعديل، وبالتالي لا يجوز الخلاف حولها، وهو ما عبرت عنها بمصطلح ( المذهب الاقتصادي في الإسلام ) ولي كتاب مستقل بهذا العنوان.

هذه هي المهمة الأولى للباحث في الاقتصاد الإسلامي، وهي الكشف عن الأصول والمبادىء الاقتصادية الإسلامية حسبما ودت بنصوص **القرآن والسنة.**

**٢ـ ثانيهما**: تأتي المهمة الثانية للباحث الإسلامي، وهي بيان كيفية إعمال المبادىء والأصول الإسلامية، بحسب ظروف كل مجتمع، فهذه مجرد اجتهادات، وبالتالي يجوز الاختلاف فيها، فمثلا ( ضمان حد الكفاية )، هو أصل اقتصادي إسلامي، يتعين إعماله، ولكن ما هو مقدار هذه الكفاية؟؟ هذا ما قد يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة بل، وباختلاف الأشخاص، فحد الكفاية بالنسبة لضابط الجيش أو القاضي غيره بالنسبة للعسكري أو حاجب المحكمة، وهو اليوم غيره بالأمس، وغيره في الغد.

المهم أننا في منهج الإقتصادي الإسلامي، يتعين علينا التفرقة بين أمرين:

**١ـ أولها**: الأصول حسبما وردت في القرآن والسنة، وهذه لا يجوز الخلاف فيها، وإلا خرجنا عن الإسلام.

**٢ـ وثانيها**: التطبيقات أي كيفية إعمال هذه الأصول، وهذه يجوز الخلاف فيها باختلاف ظروف كل مجتمع، وهو ما عبر عنه الحديث النبوي ( اختلاف علماء أمتي رحمة ).

وعليه فإنه في مجال الأصول الاقتصادية الإسلامية تتعدد وتختلف الإجتهادات سواء على:

( أ ) المستوى الفكري في صورة نظريات اقتصادية مختلفة، مثل ما أشرنا إليه لدى الصحابي أبي ذر والإمام ابن حزم.

( ب ) المستوى العلمي في صورة أنظمة اقتصادية متعددة كالنظام الإقتصادي السعودي يختلف عن الكويتي أو المصري.. إلخ فالأمر كما عبر عنه ابن القيم بقوله ( تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة )، وهو ما فسره الأصوليون بقولهم ( إنه خلاف زمان ومكان لا خلاف حجة وبرهان )، وعبر عنه الإمام ابن تيمية أدق تعبير بقوله ( إنه اختلاف تنوع لا خلاف تضاد ).

وهنا أذكر مغالطة المستشرق الفرنسي ماكسيم رودينسون Mxaim Rodinson وهو قوله: لست أمام إسلام واحد، ولكني أمام عشرة.. مائة.. ألف.. إسلام Je me suis pas devant un seal islam le suis devant dax sent, mille islam فهو يعتبر المذاهب والفرق الإسلامية إسلاميات متعددة، غافلا عن أنها اجتهادات: الاجتهاد المالكي.. الحنفي.. الشافعي.. الحنبلي.. الشيعة، المعتزلة، الأشاعرة.. إلخ.

ذلك أن هذه المذاهب والفرق الفقهية، وبعبارة أدق، هذه الاجتهادات الفقهية مرجعها واحد، وهو القرآن والسنة، فلا خلاف بينها في الأصول وإن اختلفت في الفروع، أي في التفاصيل والتطبيقات،

لاختلاف الظروف والأزمنة والأمكنة. بل إن الإمام الشافعي، كان له مذهب معين أفتى به في العراق، وحين جاء إلى مصر، وجد أعرافا مغايرة، فأفتى بمذهب، أي باجتهاد آخر مخالف. ولذلك أفضل دائما التعبير عن المذاهب الفقهية المعروفة بمصطلح الاجتهاد، فأقول: الاجتهاد المالكي، أو الحنفي، أو الشافعي، أو الحنبلي، وذلك تعبيرا عن الحقيقة والواقع، ولنتجنب غلواء التشيع الذي قد يثيره مصطلح (المذهب).

وهنا ننبه إلى أهمية التفرقة بين الأصول الشرعية الثابتة حسبما وردت بنصوص القرآن أو السنة، سواء في المجال الاقتصادي، أو السياسي، أو الاجتماعي الخ، وبين إعمال هذه الأصول في صورة اجتهادات أو تطبيقات مختلفة، باختلاف الأزمنة والأمكنة.

فهذه التفرقة الأساسية، نراها على أكبر جانب من الأهمية، ونؤكد بأن الوعي بها يساعدنا، ليس فحسب في مجال تقييم الحلول المطروحة، وإنما أساسا لمواجهة أكبر أزمة، أو مشكلة يعانيها العالم الإسلامي، سواء على مستوى الحكام أو العلماء أو الشعوب، ألا وهي مشكلة التعصب لاجتهاد أو تطبيق معين، بادعاء أنه وحده المعبر عن الإسلام، وأن غيره بدعة، أو تيه، وضلال.. ومن هنا ـ بكل أسف ـ ترانا في العالم الإسلامي نتفرق، مركزين على نقاط الخلاف في الفروع، غافلين عن الأصول التي توحدنا، وليكون هذا المعنى محددا أضرب بعض الأمثلة.

١ـ موضوع تحريم الربا، هو أصل إسلامي لا يجوز الاختلاف فيه، وإلا خرجنا عن الإسلام، وإنما كون عملية معينة كشهادات الاستثمار، تنطوي على ربا من عدمه، فهذه مسألة إجتهادية، يجوز أن يختلف فيها المجتهدون المعترف بهم، ولا يقبل أن يكفر أحدهم الآخر، وعادة لا يحسم مثل هذا الخلاف، سوى اجتهاد جماعي صادر من مجامع فقهية متفق عليها.

٢ـ مثال آخر وهو المشكلة السكانية، إذ ينبرى البعض معترضا باطلاق، على تنظيم النسل، وهو بذلك يتناسى أن المشكلة السكانية، قد تكون مشكلة كثرة، كما هو الشأن في مصر أو مشكلة قلة، كما الشأن في دول الخليج العربي، فلابد أن تواجه كل حالة بظروفها، وبالتالي تختلف الحلول والاجتهادات.

٣ـ مثال آخر وهو قضية الخلافة التي يطالب بها البعض، وهو بذلك يتناسى أن الخلافة، ليست بأصل إسلامي، حتى يصر عليه، وإنما هي مجرد تطبيق إرتآه المسلمون الأوائل، وهو قد يناسبنا أو لا يناسبنا اليوم، مما يتطلب الدراسة والتمحيص. ذلك أن الأصل الإسلامي الذي يعول عليه هو الشورى، وأن يكون الحاكم منتخباً بناء على مبايعة حقيقية ونزيهة، أما كون الحاكم ينتخب مدى الحياة، أو لمدة معينة، وكذا حدود صلاحياته، أو مسماه مثل ملك، أو سلطان، أو أمير، أو رئيس جمهورية، فهذه كلها مسائل اجتهادية تقبل الخلاف، ويحسمها رأى الأغلبية ويتصل بذلك أيضا اعتراض البعض على مصطلح الديمقراطية كتعبير عن الشورى، مما قد يخلق خصومة وهمية مع العالم المعاصر، بزعم أن الديموقراطية في الغرب أجازت الشذوذ الجنسي، وهو بذلك يتناسى أن الديموقراطية أي الشورى في العالم الإسلامي، لا تكون إلا في حدود الأصول والثوابت الإسلامية.

«يتبع»

مواقف اسلامية

# بين الأشرار والأخيار

للدكتور/ محمد عمارة

**اغتم التلميذ لإساءة صدرت ممن لم يسىء إليه من جيرانه..**
**فلما اشتكى إلى شيخه ما يلاقى قال له الشيخ:**
**لو كنت مكانك لسررت!**
**لأننى إن غفرت له.. غفر الله لى.**
**وإن لم أغفر له.. فإساءته إلى غنيمة يسوقها الله ـ تعالى ـ إلى!**
**وعلى مدار الزمان.. مايزال الأشرار يتربصون بالأخيار الدوائر..**
**ولأن الأشرار ضعاف فى نظر أنفسهم فهم لا يدخلون معركة صريحة.. وعلى أرض مكشوفة.. ولكنهم يحاولون التسلل من الأبواب الخلفية.. بينما الأبرار الطيبون لا يملكون إلا الوفاء يبذلونه سجية فيهم غير محدثة.. ولا يعطون خصومهم هؤلاء تلك البسمة الصفراء.. كوردة تذبل بعد قليل..**

وقد يستغل الأشرار نيات الطيبين، فيواصلون المكر بالأخيار ظانين أنهم قد انتصروا عليهم لما سكتوا.. فلم يردوا عليهم.. وكأنما كان سكوت الأخيار فى حس الأشرار ضعفا.. ولقد خاب ظنهم ذلك الذى أرداهم:

ذلك بأن الأبرار أقوياء بوفائهم.. ثم إن سكوتهم ليس عجزا.. ذلك بأن هممهم مصروفة إلى هدف نبيل يرصدون له كل قواهم.. فلم يُبق لهم ذلك الهدف النبيل وقتا ولا طاقة يبذلونها فى معارك جانبية.. وتصفية حسابات شخصية!



دارت هذه الخواطر في نفسي وأنا أطالع الموقف الآتي: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم عيينة بن حصن.. فنزل على ابن أخيه «الحر ابن قيس» وكان من النفر الذين يدنيهم عمر - رضي الله عنه -. وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته: كهولا كانوا أو شبانا.

فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي: لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه.. فاستأذن له. فأذن له عمر رضي الله عنه.

فلما دخل قال:

هي يا ابن الخطاب[1].

فو الله ما تعطينا الجزل.. ولاتحكم فينا بالعدل.

فغضب عمر - رضي الله عنه - حتى هم أن يوقع به.

فقال له الحر: يا أمير المؤمنين: إن الله تعالى قال لنبيه - ﷺ -:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[2].

وإن هذا من الجاهلين.

ووالله ما جاوزها عمر - رضي الله عنه - حين تلاها عليه.

وكان وقافا عند كتاب الله - تعالى -»[3].

لقد كان «الحر» بارا بعمه الحصين برا لم يفارقه حتى بعد هذه المؤامرة وهذه الخيانة!

ولقد كان بإمكانه أن يترك عمه لعمر.. ليدير «درته» على صلعته. جزاء خيانته.. لكنه ظل على وفائه القديم غصنا باسقا في دوحة العائلة التي يعطيها من نفسه.. حتى في الأوقات العصيبة.. التي تحاول أن تهدمه فيها.. ولكنه يبنيها!

لقد كان موقف عمه فجا.. حادّ المواجهة.. حار الانفعال.. ولكن الحر كان نسمة رقيقة هبت.. وعلى الفور.. لترطب من جفاء هذا البداء!

وقل معي قاتل الله الحقد.. فما ترك لأصحابه شيئا من الخير فكانوا أعداء أنفسهم.

إن «الحر» ابن أخيك.. وإذا صار أثيرا مرموق المكانة عند «الحاكم».. فهو أولا وأخيرا لك: عزه عزك..

ثم هو رمز العائلة المعبر عنها.. وصوتها المسموع في المحافل الكبيرة.. وباسم الدم المشترك.. كان المتوقع أن يهش زعيم القبيلة لنجاح ولده.. وذيوع اسمه..

أما أن تجيء القذيفة من موطن الأمان.. فذلك ما لم يكن متوقعا.. لكنه هو الذى

---

(١) كلمة تهديد. أي: هي داهية.

(٢) الأعراف (١٩٩).

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير.



حدث.. عندما أحرج العم ابن أخيه غاية الإحراج لدى الخليفة العادل الصارم.. واتق شر من أحسنت إليه..

إن الذى تحسن إليه قد يكون مغرورا.. سوّل له غروره أنه الأقوى.. فإذا وقع يوما - بسوء تصرفه - تحت رحمة من هو أصغر منه سنا وقدرا.. فذلك هو النقص الذى رأى أن يكمله.. لا بإصلاح نفسه.. وإنما يهدم المعبد كله على رءوس العائلة كلها!

## الحل الإسلامى

وإذا كان فى الناس فلاسفة يسخرون من تفاهات من يؤذونهم ضاحكين..

وإذا كان هناك من يتألم باكيا.. من تحرش المغرضين المتآمرين.. فإن «الحر بن قيس» - رضى الله عنه - قدوتنا - حين لم يجد ردا على من عصى الله تعالى فيه.. إلا أن يطيع الله فيه بهذه الشفاعة الحسنة التى كانت خير دليل على أن الحر جدير بهذه الحظوة عند أمير المؤمنين.

والتى أظهرت فى نفس الوقت قيمة العفو عند المقدرة.. وإلى أى حد كان عمر - رضى الله عنه - قادرا على ضبط أعصابه على هذا النحو النادر.. والذى كان منحة من الله - تعالى - يختص به أولى العزم من الرجال:

وكفى بربك هاديا.. إلى الحق.. بالدليل وتصيرا على أعدائه.. بالسلاح.. إنه سبحانه يقذف.. بقوة.. فإذا بالباطل يصاب فى مقتل.. «فيدمغه» وعلى الفور.. فإذا هو زاهق.. وليس فقط «هالك»

إنه زاهق.. لا وجود له على الإطلاق..

### أما بعد

فهل فكرت يوما أن تضىء الشمعة من طرفيها؟!

طبعا.. لم تفعل.. بل.. لن تفعل!

لأن ذلك العبث إنما هو اختزال لعمرها.. ولكن بعض العابثين يمارسون هواية الإفساد فى جيلهم فيحاولون إشعال الشمعة من طرفيها وقد تكون هذه الشمعة قيادة اجتماعية.. تضىء للحيارى طريقهم.. بل وتأخذ بأيديهم عبر النفق المظلم.. إلى حيث الضياء والهواء.. وأثناء ذلك يحاول العابثون وقف هذا الموكب المبارك.. بإشعال الشمعة من أسفلها.. لتحترق.. وتطير بددا.. قبل أن تتم الرحلة كمالا..

ألا إنها النزعة الفرعونية.. تتحدر من الأسلاف إلى الأخلاف.. وذلك ما يشير إليه قوله - تعالى -:

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1]

أجل.. إن العاقبة للمتقين.. ماداموا مستعينين بالله تعالى.. صابرين.. صامدين فى وجه البهتان.. بسلاح الإيمان.

---

(1) الأعراف: ١٢٧ - ١٢٨.

# طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

## حملة القرآن

قال الحسن: حملة القرآن ثلاثة: رجل اتخذه بضاعة ينقله من بلد إلى بلد، يطلب به ما بأيدي الناس، ورجل حفظ حروفه وضيع حدوده، واستدر به الولاة، واستطال على أهل بلده، وقد كثر هذا الصنف ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على قلبه، فسهر ليلته، وهملت عيناه، وتسربل بالخشوع، وارتدى الوقار، واستشعر الحزن، وهذا النوع من الناس أقل من الكبريت الأحمر.

## مواساة المؤمنين أنواع

مواساة المؤمنين أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء، ومواساة بالتوجع لهم، وعلى قدر إيمان المرء تكون مواساته لأخيه.

## وصايا حربية

قال أبوبكر لخالد بن الوليد حين أرسله في حرب الردة: اعلم أن عليك عيونا من الله تراك وترعاك، فإذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك الحياة، ولا تغسل الشهداء لأن دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة.

وأوصى هارون الرشيد أحد قواده: فقال: أنت تاجر الله في عباده، فكن كالمضارب الذكي إن وجد ربحا اتجر، وإلا احتفظ برأس المال، ولا تطلب الغنيمة قبل أن تتأكد من السلامة، ولكن احرص من عدوك، فإنه يحتال عليك كما تحتال أنت.

## من كلام أبي حيان التوحيدي

- حرام على قلب استنار بنور الله أن يفكر في غير عظمة الله.
- حرام على لسان تعود ذكر الله أن يذكر غير الله.
- حرام على من لم ير الخير إلا من الله أن يطمع في غير الله.
- حرام على من تلذذ بمناجاة الله أن يناجي غير الله.
- حرام على من أنس بالله أن يأنس بغير الله.



## من شعر الإمام الشافعي

الناس بالناس ما دام الحياة بهم
والسعد لا شك تارات وهبات
وأفضل الناس ما بين الورى رجل
تقضي على يده للناس حاجات
لا تمنعن يد المعروف عن أحد
ما دمت مقتدراً فالسعد تارات
واشكر فضائل صنع الله إذ جعلت
إليك لا لك عند الناس حاجات
قد مات قوم وما ماتت مكارمهم
وعاش قوم وهم في الناس أموات

## الضيف المتواضع

يروى أن طفيلا سمع بوليمة عند أهل بيت، فبادر مسرعاً، ودفع الباب عليهم داخلاً.. فسأله القوم: من أنت؟! فقال: أنا الضيف المتواضع الذي كفاكم مؤونة الرسول.!!.

## العلم في الجنة

حضر الشريف التلمساني وهو صبي درس الأستاذ أبي زيد بن الإمام، فذكر الأستاذ في حديثه نعيم الجنة، فقال الشريف: هل يدرس العلم في الجنة يا أستاذ؟ فقال الأستاذ: نعم، قال: ما دليلك؟ قال، قول الله- تعالى-:

﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾(١)

والعلم يشتهى فهو موجود، قال الشريف: لو قلت لي لا، لحزنت فالحمد لله.

## أبشرك بالنصر وتبكي

روى أن سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – جاءه البشير يوما بالنصر على الأعداء، فسأله عمر: كم لبثتم أمام الأعداء؟ فقال البشير: من غداة إلى عشية، فبكى عمر واستغرب المبشر بكاءه، وقال: أبشرك بالنصر وتبكي؟!

فأجابه عمر: لا يقف الكفر أمام الإيمان من غداة إلى عشية إلا بذنب أحدثتموه أنتم أو أنا.

## من دعاء الحسين بن على رضي الله عنه

إلهي نعمتني فما وجدتني شاكراً، وابتليتني فما وجدتني صابراً، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر، ولا أدمت الشدة بترك الصبر.

إلهي لا يكون من الكريم غير الكريم.

---

(١) سورة الزخرف ٧١



## قصة العدد

# إرَادَة جَبَّارَة

### ١

**« رأينا ألا تخلو « مجلة الأزهر » من قصص أدبية تصور نماذج حية فى الخلق الإسلامى الرفيع، وهذا نموذج متواضع لبعض ما نعنيه، راجين أن نجد من آثار الكرام الكاتبين ما يفوقه مغزى وأسلوبا، لتؤدى القصة الأدبية رسالتها على نحو بليغ ».**

**دعا فقيه المدينة وعالمها الكبير عروة بن الزبير بن العوام، تلميذه الفقيه الشاعر عروة بن أذينة، للقاء عاجل، وكان التلميذ موضع ثقة أستاذه، يستشيره فى كل ما يعن من الأمور، وبخاصة بعد مصرع أخويه الكبيرين: عبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير، وهما ألد خصوم الدولة الأموية، وقد بويع عبد الله بالخلافة تسع سنوات، وخاض حروبا انتهت بمصرعه وتولى مصعب إدارة العراق نائبا عن أخيه، وكلاهما جاهد وجالد، حتى انتصر عبد الملك بدهائه، وبقى عروة بن الزبير بعيداً عن مشاكل السياسة، يفكر فيما ورثه عن خالته عائشة بنت أبى بكر أم المؤمنين من فقه وحديث وسيرة، ويفتى الناس بما جمعه من العلم، حتى أصبح شيخ الفقهاء السبعة بمدينة رسول الله، وأستاذ الكثيرين ممن جاءوا من بعدهم ينشدون الفقه والحديث! وفى طليعتهم عروة بن أذينة!**

عجب عروة لدعوة أستاذه العاجلة فقد كانَ معه فى صلاة الظهر بمسجد رسول الله، ولم يَبدُ عليه أنه يريد الاجتماع به وها هو ذا قبل صلاة العصر يدعوه معجلا، فأىّ شىء طرأ؟ أسرعَ التلميذ إلى لقاء أستاذه قبلَ أن تحين صلاة العصر، ورآه مفكرا مشغول البال، كمن طرأه حادث ذو بال، فتقدمَ إليه متبسما، وقال فى مرح: أهى معْضلةٌ فقهية لم تجدْ لها حلا ياسيدى! وقد دْعوتنى لأذهب إلى بعض زملائك الكبار من فقهاء المدينة، كما تعودت أن أذهبَ من قبل؟ فقال الأستاذ: لو كانْت معضلة فقهية لانتظرت حتى ألقاك فى صلاة العصر، وقد ألْقى من أحب من الفقهاء فأحسم الفتوى فى ضوْء ما يشيرون! ولكنها معضلةٌ سياسية! قال عروة: وما أنتَ والسياسة، وقد



اعتزلت أمرها في حياة أخويك، وعزمت ألا تتحدث في غير شئون العلم والدين!

قال عروة بن الزبير: وفد إليّ الآن رسول الوليد بن عبدالملك، ولي عهد أمير المؤمنين، يخبرني أن والده يعاني من عقابيل المرض في قصره بدمشق، وقد خطر له أن يدعوك إلى لقائه مجدداً عهده بك حين كان يطلب العلم معك لدى من بقي من صحابة رسول الله، ولن ينسى كريم أخوتك في زمنك الناضر البعيد، وهو لا يدري أيمتد به الأجل أم يحين؟ لذلك فكّر في دعوتك، وقد أعدّ لك ما يوجب السفر من وسائل مرفّهة في المركب والمآكل والمشرب، حتى تبلغ دمشق مستريحاً هانئا مع من تختار من التلاميذ والرفقاء! وولي العهد بمكة، وقد رأى أن يهيئ أدوات الرحلة تنفيذاً لمشيئة والده إذا قبلت! وأنا الآن حائر لا أدري ما أصنع قال ابنُ أذينة، أرى أن تعجل بالرحلة إلى دمشق، فإن صلتك المتجدّدة بصديقك القديم تعينك على أن ترفع ما ينزل بالمدينة من جور على أيدي أمرائه وربما وفّقت إلى اقتراحات صائبة ينعم بها أهل الحرمين في مكة والمدينة فالرحلة لله وللمسلمين، قبل أن تكون لأمير المؤمنين.

فكّر عروة في قول تلميذه، وقال: لقد أعدت إليّ ما لم يخطر من قبل على ذهني، وما دامت الرحلة لله والمسلمين، فقد قبلت، على أن تكون معي يا ابن أذينة، فالطريق شاق، وبقاؤك معي محدثا وسميرا مما يهوّنه عليّ! إنك قد أشرت عليّ، فلا تخالف وأمر أسرتك مكفول عندي.

قال إبن أذينة، ومع من ساكون؟ فقال عروة، ليس غيرك وغير ولدي محمد، يقضي محمد ما احتاجه من أمور الصحة وتقضي أنت ما احتاجه من المراجعة في شئون العلم، ثم صفق بيده فجاء الخادم ليقول له عروة: ابلغ ولي عهد أمير المؤمنين أني وافقت على السفر تلبية لرغبة عبدالملك، وسيكون معي ولدي وتلميذي، فقال الخادم: إن الرسول بالباب ينتظر الرد ويقول: إن أمير المدينة سيهيىء وسائل الرحلة من الآن!

قال عروة: لنبدأ السفر من الغد، وعلى الله قصد السبيل.

كانت الرحلة هادئة مريحة، لأن القائمين عليها يعرفون منعرجات الطريق وملتوياته، فيسلكون ما يبعث الرضا والارتياح لدى المسافر الشيخ، وصاحبيه الكريمين! كما كانوا يتجنبون السير في الظهيرة حيث يريحون في أمكنة يعرفونها بطول الدربة، ليقيلوا هانئين، ثم يواصلوا السير في الليل، ناعمين بضوء القمر وسكون الصحراء! وكان ابن أذينة شاعرا عاشقا فاختار أوراقا يسجل بها بعض ما تجود به قريحته. ورآه عروة بن الزبير يترنم بأبيات لمس تأثيرها في إشراق محياه، فطلب إليه أن يسمعها، فاعتذر ابن أذينة كمن يخشى الوقوع في ذنب، وقد تعود أن يخوض مع أستاذه في مسائل الفقه والحديث وسير الصحابة والتابعين، وما تعود أن يسمعه الشعر ناظما أو راوياً، ولكن عروة صاح به أعرف أنك شاعر يا ابن أذينة، وقد بلغني بعض ما قلت! فأنشدني ما في ورقتك هذه بحقي عليك، فتلكأ عروة بن أذينة حائرا. ورأى الاهتمام في عين أستاذه، وفي تطلع ولده محمد، فأنشأ يقول:

إن التي زعمت فؤادك ملّها
خُلقت هواك كما خلقت هوى لها

بيضاء باكرها النعيم فصاغها
بلباقة فأدقها، وأجلها

منعت تحيتها فقلت لصاحبي
ما كان أكثرها لنا وأقلها



فــدنا وقـــال لعلّهـــا مـــعــذورة
في بعض رقـبــتـهـــا فـقلت لعلهـــا
وإذا وجَـــدت لـهـــا وســـاوس سلوة
شـفع الفـؤاد إلى الضـمـيـر فـسلّهـا

فصاح محمد بن عروة: هذا هو الغزل العفيف الرائع. والله ما سمعت بمثله فيما أعرف من شعر العذريّين، إنه فوق ما قال قيس وكثير وجميل غير أنّ ابن أذينة كان حريصاً على سماع رأى أستاذه، فتطلّع إليه متلهفاً، كمن ينتظر حكما يسعده أو يشقيه، فقال عروة: أحْسنتَ والله، لابدّ للحزين من أن ينفث! وانتقل الحديث من الفقه إلى الشعر فجعل عروة يروى، وصاحباه يسمعان مغتبطين! ولم تطل الرحلة مع ما استؤنف من السمر الأدبي، والنقاش العلميّ، إذ كانَ لدى كلٍ من الثلاثة ما يمتع ويروق ثم بلغت القافلة أبواب دمشق، فرأوا ضجة عالية تغمر الناس، وشاهدوا ازدحاماً غاصا يتّجه إلى قصر الخلافة، فنزلوا يتساءلون، وفاجأهم ما لم يتوقعوه، حيث انتقلَ عبدالملك إلى جوار ربه، وأخذ الناس يتزاحمون على مبايعة ولى العهد الوليد بن عبدالملك بإمارة المؤمنين، فتحير عروة، وقال لرفيقيه ما عسى أن نصنع، وقد مات عبدالملك؟ لقـد شـاء الله ألا يتم هذا اللقـاء فلنعجلّ بالرجوع!

قال عروة بن أذينة: سيدى إن الذى وجّه إليك دعوة أمير المؤمنين هو الخليفة الجديد وقد علم بمسيرك، وأمر بتهيئة الرحلة على ما تحبّ! فإذا هدأتْ حركة البيعة استأذنا عليه مبايعين أولاً، ومقدّمين العزاء ثانيا، وسيسر الوليد بمقدمك. إذ أنّك حققتَ أمل أبيه!

وقال محمد بن عروة: وهذا ما أراه يا والدى، إذ لا يحسن أن يعلم أمير المؤمنين أنّنا قدمنا إلى دمشق، ورجعنا دون أن نشهد مجلسه! ولعلّه يسألك عن أهل المدينة، ويستمع إلى رأيك في سياستها، فيوفقك الله إلى ما فيه خير الناس؟ قال عروة: وهذا ما بدأت أميل إليه، فلننتظر حتى يتاح اللقاء.



لم يفاجأ أمير المؤمنين الوليد باستئذان عروة ابن الزبير، فهو يعلم أنّه جاء بناءً على رغبة والده، لذلك نهض إلى لقائه مكرّما، وأجلسه معه على سرير ملكه، وقد رأى في وجهه شحوبا، وكأنه يخفى ألماً دفينا يحاول ألا يعرفه أمير المؤمنين، فسأله في تودد عما يحسّ، فقال عروة: يا أمير المؤمنين، منذ قدمت دمشق، ورجلي تأكلني، وقد كان الألم في أصابعي فامتد إلى القدم، وأحسه الآن ينمو في السّاق! ولولا أنك سألت ما نطقت. صفّق الوليد بيديْه، وقال: أيْن طبيب القصر أبوالحكم؟ وسرعان ما قدم شيخ نصرانى أشيب الرأس واللحية، فقال له الوليد: دونك عروة شيخ المسلمين بالمدينة فلا تقصّر في شئ: فـفحصَ أبوالحكم رجلَ عروة، وامتقعَ وجهه حين قال: إنهّا الأكَلَة يا أمير المؤمنين قد بدأتْ بالأصابع، وامتدتْ إلى السّاق، وأخشىّ أن تصل إلى الركبة فلا ينفع معها علاج! سهِم وجه الوليد، وتطلع إلى عروة مشفقا، فاستمرّ أبوالحكم يقول: لابدّ أن تقطع السّاق الآن، فسادَ المجلس وجومٌ قطعه عروة بقوله مخاطباً أمير المؤمنين: لعلك كرهت أن يقطعوا مني عضوا يحطّ عني بعض ذنوبي ففي الحديث أن أبا بكر قال: يا رسول الله. كيفَ الصلاح بعد قول الله - عز وجل -:

﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾[1] فكل سوء عملناه سنجزى به، فقال رسول الله - ﷺ -: غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟ ألست تحزن؟ أليس تصيبك اللأواء؟ قال: بلى يا رسول الله. قال - ﷺ -: فهو ما تجزون به، فإن ذلك بذاك»[2] وودت يا أمير المؤمنين أنها بقيت بدائها؛ فهي كفارة تحت الذنب.

وكان ما لابد أن يكون! فقد عجّل أبوالحكم بإجراء البتر، ونظر إلى عروة في سنّه المعمّرة، وضعفه الواهن فقال له في إشفاق: يا سيدى نسقيك الخمر حتى لا تجد لها ألما، فصاح غاضبا: معاذ الله أن أستعين بحرام الله على ما أرجو من العافية، سكت أبوالحكم متعجبا ثم سأل في أدب، فإذا أبيتَ الخمر في مثل حالتك، فهلْ في شراب ينيمك فلا تحسّ، نسميه نحن الأطباء المرقد، فقال المريض في صبر نادر: ما أحب أن أسلب عضواً من أعضائي، ولا أجد ألماً يكون في كفة ميزاني يوم ألقى الله، فتعجب الوليد بن عبدالملك ومن معه من موقف عروة، وصاح أمير المؤمنين: هذا ما لا يطيقه إنسان! ولكنّ عروة قالَ للطبيب: هيّا فابدأ، فصفق بيده فدخلَ عليه قوم أشداء تظهر الغلظة في وجوههم، فسألَ عروة: ومن هؤلاء، فقال الطبيب؟ هؤلاء أعواني، يمسكون المريض بقوة حين يشتد الألم فلا يستطيع الفكاك، والمنشار يقد عظمه، لأنّ الصبر سيغرب عنه لا محالة في هذا الكرب الكارب، فقالَ عروة: لا إله إلا الله به أعتصم، وإليه وحده ألجأ، أرجو أن أكفيك هؤلاء بما يفرغ عليّ الله من صبر، وأخذ الطبيب يقطع العظم، وعروة لا ينقطع عن ذكر الله مهلّلا مكبرا، ثم جاءت مغارف الزيت المغلي ليوضع على الجرح كي يبرأ، فما أنْ وضع الزيت حتى غشي على المريض، وظنّ القوم أنه مات! وجعلوا يفيقونه مستيئسين، ولكنّ الروح قد عاودته فأفاق وهو يمسح العرق عن وجهه، ونظر بعيدا فرأى قدمه المقطوعة بأيدى المساعدين، فدعابها، وأخذ يقبّلها وهو يقول: اللهم إنّك تعلم أنى ما مشيت بها إلى حرام، إن الّذى حملنى عليك هو الّذى شاء أن يسلبنى إيّاك، له العتبى حتى يرضى. قال أمير المؤمنين: احملوه برفق إلى سريره في الحجرة المجاورة ليستريح! فقد ألقى علينا عظة بالغة ما نظن أن مثلها سيحدث ذات يوم! لله الله في محنته! لله الله في محنته!

كان الوليد في أسبوعه الأول من الخلافة، وهو جدير أن يستشعر النشوة، حين ألقيت إليه المقاليد، وأصبح الرجلَ الأول في بلاد الإسلام ولكنّ ما رأى اليوم من مأساة عروة قد شغله عن الخلافة والحكم فجلس بين رجاله ساهماً، يفكّر في أمر هذا الشيخ حين رفض تناول الخمر، ورفض تناول المرقد، ليحسّ بالألم فيكون له ثوابه عند ربه، وقد فوجيء بمن دخل عليه من أفراد حاشيته حزيناً يحرك رأسه آسفا فقال له الوليد: كلنا حزينٌ لمأساة عروة ولست وحدك! فقالَ الرجل، فهما مأساتان لا واحدة يا أمير المؤمنين، فقد علمت الساعة ما أزعجنى، ومثّلك على الصوابَ فلا أهتدى إلى حلّ قال الوليد: عجّلْ يا رجل، فقد شردت ألبابنا حين سمعناك فقال: ابن عروة يا أمير المؤمنين، زين شباب المدينة محمد ابن عروة، كان في انتظار أبيه، وهو لا يعلم شيئا عن علته، فذهبَ إلى إسطبل الخيل، ليرى دوابّه التى حملته من المدينة فهاج في وجهه حصانٌ جامح، وقذفَ به إلى الأرض،

---

(1) النساء: ١٢٣.

(2) رواه أحمد (١١/١)، والبيهقي (٣٧٣/٣).



وجثم عليه فما انقضت لحظة حتى لفظ أنفاسه، وأبوه الآن لا يدرى عن مصرعه شيئا، ولا طاقة لنا بأن نخبره، وقد كابد من علته ما كابد!

نظر الوليد إلى جلسائه وقال: حقًا هما مصيبتان لا مصيبة، بل ربما كانت مصيبة الوالد الثاكل فى شيخوخته بابنه أنكى، وأوجع! لقد صبر على بلوى جسمه، فكيف إذا اجتمعت إليها بلوى الثكل العاجل على غير انتظار؟ قال أحد الجلساء: إن الأسى يبعث الأسى يا أمير المؤمنين، وقد سمعت فى الصباح عن شيخ من بنى عبس ماروّع وأفزع، سمعت عنه ثم رأيته الساعة يجلس فى فناء القصر، وبأمثاله يتصبر عروة فى بلواه!

قال الوليد: عروة العالم الفقيه نجل أسماء ذات النطاقين تصبّر بمأساة شيخ من بنى عبس!؟ وعنده علم خالته أم المؤمنين عائشة، وفقه الصحابة من أهل المدينة؟ وقد سمع حديث أمه عن مصرع ابنها عبدالله، فلم يزد على أن استرحم وسأل الله له المغفرة! ماذا تقول يا رجل!

فقال أحد الجلساء: نريد أن تعرف مأساة هذا العبسى: فرد صاحبه يقول: هو فى فناء القصر، فلو أذن أمير المؤمنين، لمثل بين يديه! فقال الوليد: أذنت وسارى. فقدم شيخ ضرير ليس فى وجهه نقطة من دم وقال: يا أمير المؤمنين بت ذات ليلة فى بطن واد من أودية عبس، ولا أعلم عبسيا يزيد ماله عن مالى، فطرقنا سيل جارف ذهب بكل ما أملك من خيام وكراع وأهل وولد، غير بعير كنت أركبه بعيدا، وصبى لى اخترته لرفقتى، وكان البعير صعباً عنيدا فند، فوضعت الصبى واتبعت البعير، فلم أجاوز قليلا حتى سمعت صيحة ابنى، ورأسه فى فم الذئب يمضغها مضغا، فلحقت البعير لأحبسه فركلنى برجله على وجهى فحطمه، وذهب بعينىّ معا، فأصبحت لا مال لى، ولا أهل، ولا ولد ولا بصر!!

خشع الوليد لما سمع، وقال: اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن فى الناس من هو أشد منه بلاء، وكان عروة جالسا على سريره يسبح، فرأى الشيخ العبسى يتقدم إليه، ويحكى قصته، فيقول له: هوّن عليك يا أخا عبس، فليس لنا مع الله أمر ولا نهى، وهنا تجرأ من أخبره بمصرع محمد، فشحب وجهه لحظة، وقال: لا حزن، فسألحقه عن قريب! وماذا بقى فى الأجل!؟

دخل عروة بن أذينة على أستاذه، والدموع تترقرق فى عينيه، حتى إذا جمع صوابه، قال له فى خشوع: والله ما بك من حاجة إلى المشى، ولا من أرب فى السعى، وقد تقدّمك عضو من أعضائك، وابنٌ من أبنائك إلى الجنة وقد أبقى الله لنا منك ما كنّا إليه فقراء من علمك ورأيك، وثواب ولدك فى صحيفة حسابك، ثم أجهش بالدموع دون أن يصل الحديث.

فابتسم عروة وكأنه يحاول أن يخفى برح صدره، وقال: يا ابن أذينة أبقى الله علمى حين أخذ قدمى فلا بأس، وأخذ ولدى على كبرة منى ليكون الملتقى عن قريب وإنا لله!

وعلم الوليد بما قال عروة: فقال هنيئاً له، لا أصبر فوق صبره! إنه ممن قال الله فيهم:

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝١٥٦ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ ۝١٥٧ (٣).

**عابر سبيل**

---

(٣) البقرة: ١٥٥ : ١٥٧.






# روضة الشعر

## نور الإسلام

للأستاذ / محمود حسن إسماعيل

بمناسبة العام الهجرى نختار هذه القصيدة التى تصور انبثاق الإسلام ليمحو ظلام الشرك وهى من روائع الشاعر الكبير الأستاذ محمود حسن إسماعيل

كانت الأرضُ قصةً من ظلام
رددتها قوافلُ الأيامْ
وتناجتْ بها قلوبُ الخيامْ
واستطارتْ بها نفوسُ الأنامْ
فهْيَ إعصارُ جنةٍ فى قتامْ والبرايا فى قبضتيهِ أسارَى

***

ويلك يا نارُ .. أىُّ سرٍّ حبيسِ
فى لظاك ، رآه أهلُ المجوسِ
زمزموا بالصلاة والتقديسِ
وأراقوك فى شعاب النفوسِ
خمرةَ الحبِّ من يدَىْ إبليسِ ثم طافوا حولَ اللهيبِ سكارَى

***



ويك يا صخرُ ... أنتَ رملٌ وماءُ
جبلتْه الرياحُ والأنواءُ
كيف هلّتْ من طينك الأضواءُ؟
كيف ضنّتْ بك الغيوبُ السماءُ؟

فأتاك العُبّادُ والخُشّعاءُ وتراموا على يديك صغارا

***

صنمٌ أنتَ .. أم صفاةٌ! أجبني
ما لجفنيك ساهتان لجفني!
ما لكفّيك في هوانٍ وجُبنِ
شُلّتا .. يا أصمُّ! بالله دعني

من ربوبيةٍ زعمتَ، وفنٍّ كيف يا شيءُ .. قدّستك الصحارى!

***

معبدٌ ... للعبادِ يحنو ويخشع
ولهمسِ الخفاشِ يعنو ويخضع
وإذا الريحُ في الدياجي تُزعزع
كبّكبتْ وجهه المُعارَ المُرقّع

فتلاشى حصاه من كلِّ موضعٍ ربَّ هذا الظلامُ يبغي نهارا

***

ما لتلك الوليدةِ المستكينه
وُوريتْ في الترابِ .. وهي بريئه!
أيّما سوءةٍ؟ وأيُّ خطيئه؟
يا لتلك الآثامِ هبّتْ جريئه!

ضرع القومُ!. أم دهتهم خبيئه صيّروا حكمةَ السموات عارا

***




عَـابدَ النَّجم .. لا تَرُعْ من عـتـابى
لَسْتُ مُـعْـفِـيكَ من عـذاب الجـواب ..
مـا الذى فـيكَ منْ عطايا الشـهـاب ؟
كـوكـب يسـتـعـيـرُ ضـوءَ الشِّـبـاب
كـيفَ يُعْطِيك .. ؟ وهو عـبـدٌ يُحـابى دورَةَ الشّـمْس والبُـروج الكِبـارا !

***

أيُّهـا الضّـابِئُ الشّـريدُ الصّـلاة
ضـعْتَ مـا بيْن غـفـلَة اللفـتـات
تَعْـبُـدُ النور .. وهو عـبْـدُ الحَـيـاة
عَـبْـدُ مَن بَغْـيُهُ بِعلْك الفَـلاة
ثم ألقـاهُ فى يد الظُّلُمـات فـغـدا للغُـيُـوب فُلْكا مُـدارا

***

مـا لَديْكُمْ يا ضـاربِى الأزلام ؟ ..
أنا أشْكُو الطريق .. مـاذا أمـامى ؟
ما ورائى ؟ .. ما بدْأتى ؟ .. ما خِتَامى ؟ ..
اسـألوا السَّـهْمَ .. لَيْس فـيـه لِرام
نَبَـأٌ يَشْـتَـفى لديْه أُوامى ! إنهـا ضَلَّةٌ سَـقَـتْكُم تبَـارا ! !

***

رَبِّ ! هذى مَـضـاربُ الجَـاهليَّـةْ
خَـيَّمتْ فوقَـهـا العُـصُـورُ الشَّقِـيَّـةْ
جـاءَهـا والزمـانُ يجـتـرُ غَـيَّـهْ ..
.. قـادِمٌ .. فى خُطاهُ فـجـرُ البريّهْ
وبِكفَّـيْـه نَجـوةُ البَـشَـريّه من قُرُونٍ صَبّتْ علَيْـهـا الخَسـارا

***





قيل: بُشرى السَّماء.. قالت: «مُحَمَّد»
فــاكــبَتْ أوثانُهُم وهْيَ تُعْبَـــدْ!
واسْــتجارتْ نيــرانُهُمْ وهْيَ تُخْمَـدْ!
وتهــاوى إيوانُ كِـسْــرى المُمَــرَّدْ

وتَهــادى من سِــدْرةِ اللهِ فــرقــدْ ذَلَّ بــالنُّــورِ كُلَّ لَــيْلٍ وَسَـــارا

***

طهَّــرَ الكونَ من ضــلالٍ ورِجْسِ
أنقَــــذَ النــاسَ من ظلامٍ وبُؤْسِ
وسَـــرى نُورُهُ إلى كُلِّ نَفْسِ
سِــيرةَ الشمسِ بين مـاءٍ وغَرْسِ

يُنبِتُ الخَيـــرَ للحيــاةِ، ويُرْسي مَــجْدَها أينمــا على الأرضِ سَــارا

***

وبِيُــمْناهُ للدُّهورِ كِــتــابُ
نَوَّرتْ من ضِيَــائِهِ الأحــقــابُ
وسَــقَى العــالَمِينَ منه عُبَــابُ
فِــيــهِ للعَــصْــرِ نَجْــدَةٌ وإهابُ

فِيــهِ عن ظُلْمَةِ الليــالي حِجَابٌ مَــرَّ مَــدًى يُفَــجِّــرُ الأنوارا

***

أعْــجَــزَ المُشْــرِكين منه بيــانُ
كَــبُــرتْ من جــلالهِ الأزمــانُ
وتهــاوى لِسِـــرِّهِ الكُهَّــانُ
وجَــثــا الجِنُّ رَوْعَــةً واسْــتكانوا

فَــهْــوَ بَحْــرٌ من الهُــدَى.. وأمــانٌ كُلُّ حَيٍّ إليــهِ يَبْــغِي القَــرارا

***



# الرأى

للشاعر / أحمد زيني

سأحمل فى الرأى مضَّ الألم ... وأصبر للخطب إمّا ألم
وأحمل نفسى على مُرّها ... إذا ضامها ما يضيم الكرم
ولا أشترى كلّ هذا الوجود ... ولا العيش فيه ببعض الشمم
وأزهدُ فيما بناه الرياء ... وأصدع بالرأى مهما هدم
فأهوِن على بدنيا النفاق ... وجاه يُنال ببيع الذمم
هو الرأى روحك فاحرص عليه ... فما بعد روحك غير العدم
وحكمُ القلوب بإلهامها ... وما أصدق القلب فيما حكم
فلا تطلبنّ وداد الصديق ... بمدح كذوب خسيس القيم
فإنّ اللسان رسولُ القلوب ... يعبّر عنها بلا أو نعم
وإن العقيدة عرضٌ فصنه ... إذا كنت ممن يصون الحُرم
سرتْ فى فؤادك مسرى الدماء ... فلا تبذل الدم إلا بدم
أمانةُ ربك فى خلقه ... فمن كتم الحقّ فيها ظلم
وميثاقه قبل خلق الجسوم ... تلقته أرواحنا فى القدم
بها رفع اللهُ تلك النفوس ... وميّزها عن سوام النّعم
فلا تغبطنْ أخا حُظوة ... فما نالها برخيص القيم
ولكنه باع فيها الضمير ... وألقى العقيدة تحت القدم
وساوم بالنفس فعل البغى ... رمتْ بالحياء ابتغاء اللُّقم
وكم أسخط الحقّ فى موطنٍ ... وكم ألبس النور ثوب الظُّلم
تكادُ مظاهرُه الخاليات ... تشفُّ لعينيك عمّا كتم
ويرتك منظرُه المجتلى ... يحدّث عما طوى من تُهم
فلا تغترر ببهاء الوضيع ... فكم من حذاءٍ صقيل الأدم
وعش بالعقيدة عيش الكرام ... ومتْ رجلا تحت هذا العلم
ولا تعتذرْ بالألى خالفوك ... وكُن أمّا إن عصتك الأمم

# من عيون التراث

للأستاذ / محمد أبو الفضل إبراهيم

## ١- موطأ الإمام مالك

### أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي عالم المدينة

إذا كان لبعض الكتب أن تشرف بنسبتها إلى مصنفيها، وتطمئن القلوب إليها، فلا شك أن كتاب الموطأ قد بلغ بنسبته إلى الإمام مالك ابن أنس أقصى الغايات، وأبعد المقامات، إلى ما اجتمع لهذا الكتاب الجليل من كثرة رواته، وتعدد طرقه، ووفرة تعاليقه وشروحه.

وإذا كان لبعض الأئمة المجتهدين - أيضا - أن يعلو شأوهم، ويتألق سناهم، وتبقى على الأيام ذكراهم، بما صنفوا من الكتب أو خلفوا من الآثار، فإن الإمام مالكا قد نال من ثواب الله، والمنزلة الكريمة عند العلماء أوفى نصيب وأعظم مقدار، لما قام به من تصنيف الموطأ، وتمهيده للناس، وتقريبه لطلاب الفقه والفتيا، فوق ما تهيأ له - رضي الله عنه - من المكانة والفهم ونصاحة الرأي وعلو الرواية، مع العفاف والورع والتقوى، في عمره المبارك الطويل.

وقد كانت المدينة المنورة دار إقامته، ومكان مولده ووفاته، وفيها صنف كتابه، وأحكم تبويبه وتهذيبه، بعد أن سلخ فيه أربعين عاما، ينتقي الروايات، ويختار أصح الأسانيد عن الأثبات من علماء الحجاز. وقد أداره على أبواب الفقه، ونبه إلى ما صح عند أهل الحجاز من المسائل والفروع، رواية وعملا، مفسرا للمفهوم الشرعي والمعنى العرفي، مع ذكر الكثير من فقه الصحابة وكبار التابعين من أهل المدينة، متحريا في ذلك الحق والصواب.

وقد اشتهر الموطأ في جميع الأمصار، وأصبح الإمام مالك وجهة العلماء ورحلة المستفيدين من سائر الآفاق، من مصر واليمن والعراق وخراسان وأفريقية والأندلس، ثم حمله هؤلاء العلماء إلى بلادهم، وتدارسوه في مجالسهم وحلقات دروسهم، ومن أجل ذلك تعددت نسخه، واختلفت رواياته، قوة وضعفا، وزيادة ونقصا، عرف منها أكثر من ثلاثين رواية، أشهرها رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي في المغرب.

وكان من أفضل هذه الروايات رواية محمد

ابن الحسن الشيباني فقيه **العراق**، وصاحب الإمام الأعظم أبي حنيفة **النعمان**، **إذ اجتمع** لها من المزايا ما لم يجتمع **لبقية الروايات**، فهي فوق أنها الرواية الكاملة عن مالك، تمتاز بما عارض به محمد بن الحسن رواية الحجازيين، وما ذكره من الروايات الأخرى مما يخالف رواية العراقيين والحجازيين، بل إنه في كثير من الأحيان يختار لنفسه مذهبا، يذكر دليله بروايته أو رواية غيره، فكان هذا الصنيع مما سوغ لفريق من العلماء أن يسموه موطأ محمد ابن الحسن، كما يقول محقق الكتاب.

وبهذه المزايا مجتمعة عد كتاب الموطأ بهذه الرواية من أوائل الكتب المصنفة في الفقه المقارن بين مدرسة أهل الحجاز ومدرسة أهل الرأي من فقهاء العراق، كما أنه رسم للعلماء طريقة الاجتهاد المستقل، والتوسع في الاستنباط المطلق.

ولعل ما قصد إليه الإمام محمد بن الحسن من هذا النهج، يتفق مع ما روي عن الإمام مالك في هذا الباب من قوله لأبي جعفر المنصور حينما أراد أن يحمل الناس على كتابه: "ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين أن تحمل الناس على قول رجل واحد يخطيء ويصيب، وإنما الحق مع رسول الله - ﷺ - وقد تفرق أصحابه في البلدان، وقلد أهل كل بلد من الأمصار ما صار إليهم، فأقر أهل كل بلد على ما عندهم".

وتقديرا لهذا الكتاب واستراحا إلى منهجه السديد، ورغبة في أن ينتفع به المسلمون في كل مكان، رأت لجنة إحياء التراث الإسلامي أن تقوم بنشره، فعهدت إلى الأستاذ الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف أن يقوم بتحقيقه والتعليق عليه، فنهض لذلك بما شاء له علمه بهذا الفن ووفرة محصوله، وطول صحبته لكتب الحديث والرجال.

وطبع الجزء الأول في سنة ١٩٦٢م، ولقي عند العلماء ثناء وقبولا، ونفدت جميع نسخه، ثم رأت اللجنة أن يعاد نشر هذا الجزء مع بقية الكتاب، وأن يقوم الأستاذ عبد الوهاب - أيضا - بإعادة النظر في تحقيقه، فقام بذلك، وأضاف كثيرا من الزيادات، والشرح والتعليق، وقارن بين رواية محمد بن الحسن وبين غيرها من روايات الموطأ الأخرى، وغير ذلك مما تعد به هذه الطبعة خطوة واسعة في سبيل الكمال.

والأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف من صالحي العلماء، ومتقدميهم في علوم الحديث، حفظا ورواية، وتحقيقا وتأليفا وتدريسا، وقد قام بجهود موفقة في ميدانه، قام بتحقيق كتاب "تقريب التهذيب لابن حجر" و "تدريب الراوي للسيوطي" كما ألف كتاب "المختصر في علم رجال الأثر" وكتاب "التكملة في تواريخ العلماء والنقلة" و "مختارات الأحاديث والحكم النبوية" و "المختصر من مصطلحات أهل الأثر"، وخرج أحاديث كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر وكتاب مفتاح الوصول للتلمساني إلى غير ذلك من البحوث والمقالات.

نسأل الله أن يديم النفع بهذا الكتاب المبارك، وأن يهيء للمسلمين من أمرهم رشدا.

## ٢- تاريخ الخلفاء

## لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى

تعتبر الخلافة شعيرة من شعائر الإسلام، ومظهرا من مظاهر الأبهة والمهابة في الدنيا، وكان الخلفاء على أقدار متفاوتة من الذكاء والفطنة والمعرفة بأصول السياسة والحكم.

ويعتبر تاريخهم تاريخ الجهاد والغزو والفتوح، وتاريخ الحضارة فى عهد الازدهار وإبان التدهور والاضمحلال. وكانت مجالسهم - وخاصة فى العصر الأول - حافلة بألوان المناظرات ومختلف النوادر والطرف، وفيها وقف الشعراء، وأنشدوا قصائدهم، وكان بها أكرم المعانى وأعذب الألفاظ. وإلى ساحتهم قصد العلماء والأدباء والفلاسفة من شتى الجهات، وكانت المدينة المنورة والكوفة وبغداد والقاهرة وقرطبة فى الأندلس، فى عهد الخلافة، أسواقا تموج بالعلماء والشعراء، وتحفل بكل مظهر من مظاهر الفنون والآداب.

وهذا الكتاب الذى ألفه الإمام جلال الدين السيوطى فى تاريخ الخلفاء يعد من أنفس الكتب فى هذا الباب، وقد حشد فيه - على إيجازه - خلاصة أخبارهم، وعنى بذكر مواليدهم ووفياتهم وما تم من الفتوح فى عهدهم، وقصصهم مع العلماء والشعراء ومن عاصرهم من ملوك الفرنجة والروم والفرس؛ ووشاه بكثير من النكت والملح والأفاكيه التى وقعت لهم، وقد استمد مادته من كتب الأدب والتاريخ، قال: "اعتمدت فى الحوادث على تاريخ الذهبى، وانتهى إلى سنة سبعمائة، ثم على تاريخ ابن كثير وانتهى إلى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، ثم على المسالك وذيله إلى سنة ثلاث وسبعين، ثم على أنباء الغمر لابن حجر إلى سنة خمسين وثمانمائة، وأما غير الحوادث فقد طالعت عليه تاريخ بغداد للخطيب عشر مجلدات وتاريخ دمشق لابن عساكر، سبعة وخمسين مجلدا، والأوراق للصولى سبع مجلدات، والطيوريات ثلاث مجلدات، والحلية لأبى نعيم تسع مجلدات، والمجالسة للدينورى، والكامل للمبرد فى مجلدين وأمالى ثعلب مجلد، وغير ذلك. وقد عمل بعض الأقدمين أرجوزة فى أسماء الخلفاء ووفياتهم.. وانتهى فيها إلى أيام المعتمد. وقد عملت قصيدة أحسن منها، ورأيت أن أختم بها هذا الكتاب، وهى هذه "ثم ذكر القصيدة وأولها:

**الحمد لله حمدا لا نفاد له**

**إنما الحمد حقا رأس من شكرا**

## ٣- غاية المرام فى علم الكلام

## لسيف الدين الآمدى

من أشرف العلوم التى عاشت فى كنف الإسلام وترعرعت تحت ظلاله، علم الكلام، وسمى بذلك، باعتبار أن أشهر مسألة وقع فيها الاختلاف هى مسألة الجدل حول كلام الله، أو علم التوحيد باعتبار أن أهم مقاصده هو توحيد الله فى ذاته وصفاته وأفعاله، ويعرفه ابن خلدون، بأنه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة والمنحرفين فى الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة.

وهذا هو المطلب الأكبر والغاية العظمى من رسالة محمد - ﷺ -.

جاء الرسول - ﷺ - فدعا إلى الله وحده، وأتى

بشريعة سمحة، تسير مع الفطرة السليمة، وتبتعد عن التعقيد، وتحارب الجمود والتقليد، وبتآخي فيها العقل والدين. وجاء معه القرآن الكريم فنهج منهجا لم يكن معروفا من قبل، ولكنه لقي في أول أمره من أهل مكة صدا وإعراضا، وصادف عنتا وتكذيبا، فجنح إلى الاستدلال، وحاكمهم إلى الفكر والعقل والنظر، وأخذهم بالمجادلة بالحسنى، ودعاهم إلى الاعتبار بالأمم السابقة، ثم تركهم بعد ذلك أحرارا

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾(١).

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(٢).

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(٣).

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٤).

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(٥).

وكان المسلمون – والرسول – عليه الصلاة والسلام – بين ظهرانيهم – في غير حاجة إلى التعمق في فهم القرآن، والاجتهاد فيما يعرض لهم من أمور، فيستفتونه في كل أحوالهم، وما يجد لهم في حياتهم، وما يدور في أفكارهم، وما تجيش به عقولهم وحلومهم، فيهديهم إلى سواء السبيل ويقف بهم على الحجة الواضحة والجادة المستقيمة.

ولما لحق – ﷺ – بربه، وقضى الخليفتان من بعده، حدث ما حدث في عهد عثمان، وانتهى الأمر إلى قتله بغير حق، واهتز منصب الخلافة. ثم كان ما كان في عهد علي بن أبي طالب الخليفة الرابع، وانتهى الأمر بقتله أيضا، فاضطرب الحبل، وانقسم الناس، وظهرت فرق الشيعة والخوارج، وكثرت الأحزاب السياسية، وشاعت الفرقة بين المسلمين.

ولكن ذلك لم يقف في سبيل الدعوة الإسلامية، ولم يحل دون الجهاد والغزو، ولم يمض سوى قرن من الزمان حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، من الفرس والروم والسوريين والمصريين والأفريقيين، وتكون مجتمع إسلامي زاخر بألوان الثقافات، وكلهم يحمل عقيدة التوحيد، ويدين بدين الإسلام، ولكن كان لابد لهذا المجتمع أن يلقي بموروث من الثقافة ورواسب من الديانات الأخرى. ثم كان القرن الثاني فترجمت كتب الأمم السابقة، وفيها كتب الفلسفة والرياضيات، واختلطت بما كان معروفا من الثقافة عند المسلمين، وظهرت موجة من الاضطراب الفكري والاصطراع بين الآراء والمذاهب.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦.

(٢) سورة آل عمران آية ١٩٠.

(٣) سورة الذاريات آية ٢١.

(٤) سورة الروم آية ٢١.

(٥) سورة فصلت آية ٣٤.

فكان لابد من مواجهة هذه المواريث الفكرية والتيارات المذهبية، والآراء السياسية، ولابد من حماية العقيدة الإسلامية ومحاربة الفرق الضالة والمذاهب الإلحادية، فكان علم الكلام هو صخرة النجاة وسلم السلام والأمان، فاتسع نطاق هذا العلم وتنوعت موضوعاته، وتعددت طرقه ومناهجه على مر الزمان واختلاف الدول. وفي ضوء هذا المذهب شاع الجدل والنقاش، وأقيمت المناظرات، واشترك في ذلك العلماء والخلفاء، والخاصة والعامة واختلط العلم بالسياسة، ووقع بين الناس الحق والباطل، وظهرت الفرق الناجية والفرق الضالة المضلة.

وكان يواكب هذه الموجة الفكرية على اختلاف العصور فريق من العلماء، من ذوي البحث والنظر، ومن جهابذة الفكر والعقل، منهم الحسن البصري، وواصل بن عطاء والنظام والجاحظ، وأتى من بعدهم الباقلاني وأبو الحسن الأشعري والأسفراييني والرازي والغزالي وإمام الحرمين وابن تيمية وغيرهم ممن جاء بعدهم... اشتركوا جميعا في الجدال، ودخلوا حلبة المناظرة، ومنهم من أنشأ المقالات وأثار المسائل، ومنهم من جنح إلى التأليف والتصنيف، وسجلوا آراءهم وآراء معارضيهم، وتكوّن من هذا وذاك ثروة فكرية عريضة وتراث إسلامي واسع يعتبر من أنفس ما في التراث العربي وأغلاه.

ولكن هذه الثروة الفكرية أصابها ما أصاب التراث العربي كله من عوادي الزمن واختلاف الأيام، وما بقي منه أصبح موزعا بين الشرق والغرب، ولم ينشر منه إلا القليل.

ومن الكتب النادرة التي سلمت من الضياع كتاب "غاية المرام في علم الكلام" للمفكر المسلم أبي الحسن علي بن أبي علي الآمدي، أحد أعيان الأشاعرة، وناظورة العلماء في عصره، ضمنه شرح العقائد الإسلامية من وجهة أهل السنة والجماعة، كما تعرض لأقوال مخالفيهم، واستطرد إلى ذكر جميع المذاهب الكلامية وآراء وأصحاب الفرق المختلفة. قال في صدر كتابه: "أودعته أبكار الأفكار، وضمنته غوامض الأسرار، منبها على مواضع زلل المحققين، رافعا الأستار عن عورات المبطلين، كاشفاً الظلمات تهويلات الملحدين.. على وجه لا يخرجه زيادة التطويل إلى الملل، ولا فرط الاختصار إلى النقص والخلل".

والنسخة التي عثر عليها الأستاذ حسن محمود عبد اللطيف من هذا الكتاب هي نسخة وحيدة لم يعثر على سواها، على كثرة ما بحث ونقب، وهذه النسخة من نفائس المخطوطات بمكتبة شهيد على باستنبول، مما صوره معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية.

وقد بذل الأستاذ المحقق جهده في ضبط النص وتحريره وشرح مصطلحاته، وعلق عليه بحواش، قارن فيها بين أفكار المؤلف وأفكار غيره من مفكري الإسلام على اختلاف مذاهبهم وتنوع طرائقهم.

هذا بجانب ما التزم به من اتباع النهج العلمي الأصيل في التحقيق والتعليق.

وقد وافقت لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية على نشره، لتسد به ناحية هامة فيما تنشره من كتب التراث الإسلامي في مختلف فروعه، وحرصا منها على أن يأخذ هذا الكتاب الناجح مكانه الصحيح في المكتبة العربية، وبالله التوفيق.

# الحوارات الأدبية

## نوعياتها ... دلالاتها

الحلقة الأولى

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

**الحوارات الأدبية قديمة قدم سقراط الفيلسوف اليونانى الكبير الذى بنى فلسفته على أساس جدلى، ربما ليختبر ماعنده وماعند الآخرين من خلفية معرفية، وربما ليرسى فهما صوابيا لماهية الحق والخير والعدل والجمال من حيث هى وجودات قيمة مطلقة يعاينها الفكر وتتشوف إلى حلولها علاقات الحياة.. وربما كان هذا الفعل الفلسفى نتيجة قناعة ذاتية لدى سقراط ترى أن الحوار أعمق فى الاقناع والتوصيل من مجرد الخطاب التجريدى أو الخطاب السردى، وربما كان دافعه إلى هذا الفعل الفلسفى ماأثاره فى الواقع اليونانى أولئك السفسطائيون من غبار بيانى حول حقائق الحق والعدل، وماحرصوا على تعليمه للشباب من حرفيات خطابية تستهدف مجرد الاستيلاء على الآخر وليس تثبيت حقيقة معينة.. وربما كان ميلا إلى استيلاد نوع أدبى يتسم بالحيوية والتلقائية والكثافة، ويقبل مبدأ التعديل والتحوير عبر جدل المناقشات، ويمتد بتأثيره إلى قاعدة جماهيرية أعرض وإن تكن آنية، ويمتلك معجمه اللغوى المأنوس والواضح والقادر فى نفس اللحظة على المناورة وإثراء مقولاته بمقولة الآخر.**

ويأتى أفلاطون بعد أستاذه سقراط، فيؤصل لهذا الفن الإبداعى تأصيلا إجرائيا مثيرا، وتوشك مؤلفاته أن تكون تطبيقاً عملياً بنوع على أساس الحوار: فالجمهورية، ومحاورات أو طيفرون، والدفاع، واقريطون، وفيدون، وفيدروس، وجورجياس، والسفسطائى، وغيرها... يمكن أن تكون أبلغ دلالة تاريخية على تجذر هذا المنهج الحوارى فى تآليف أفلاطون، ومن ثم فى تآليف معاصريه وتلاميذه من بعده، وهو حوار فلسفى مجرد يفترض قضايا شخوصا ومسرحا للفعل حتى يؤكد وهم الاعتقاد بأن مثل هذه الحوارات كانت واقعا تاريخيا حقيقيا، مع التسليم الأكيد

بأن جانبا هائلا منها كان بالفعل واقعا تاريخيا حقيقيا.. كل ماهناك أن عبقرية الإبداع الأفلاطونية مزجت الواقع بالمتخيل، والحقيقى بالمتوهم، والتاريخى بالخرافى، ومن ثم أرضت سليقة الخلق عند أفلاطون، وأبقت على شعلة الإبداع في حالة حضور فني دائم، ولم يطفئها ثلج المحدد فبقيت على حالها من التوهج والحضور..

وفى الفكر التراثي العربي تخلقت هذه الظاهرة تخلقا نابعاً من حاجة هذا الفكر الشفوى إلى تلبياتها لنداءات الإبداع المتكررة، فكان - مثلا - أول كتاب نقدى عربي، وهو ( فحولة الشعراء ) للأصمعي حوارا بين الأصمعي الأستاذ وأبى حاتم السجستاني التلميذ، يسأل أبوحاتم ويجيب الأصمعي، حتى تكونت من خلال هذه الحوارات أول قاعدة نقدية مدونة في التراث العربي، والغريب أن الحوارات في هذا الكتاب لم تكن تطرد على نسق تسليمي كشأنها في مجمل التراث القديم، ولكنها كانت تحتدم أحيانا، فيستدرك التلميذ، ويصوّب الأستاذ، ويقتنع الحوار مرة، ويجادل عن قناعاته الخاصة مرات، حتى أمكن في النهاية تحديد المصطلح، وهو أول خطوات تأسيس المنهج، كما أمكن تحديد الوقائع الدالة والأسماء المرشحة في تطبيقات مدعومة بالشواهد وموثقة بالبراهين... ومن ثم أمكن تصنيف ( فحولة الشعراء ) بثقة هائلة ضمن الإبداعات التي اعتمدت مبدأ الحوار الأدبي أساسا لحركتها.. وتواتر مدّ هذه الظاهرة في الفكر التراثي العربي، على تباين نوعياتها ومستوياتها، ففي مجالس الخلفاء تثور حوارات من أنواع معينة، توفّر بعضها على إبراز مفاهيم علمية وأدبية، وتوفر الآخر على جداليات لغوية أو عقدية تتسم بالوهلية والحضور الفكرى، وتوفر جانب منها لتأثيل تيار أو اتجاه أو مدرسة ونفى مايعارضها.. على أن هذا الاحتدام الجدالي في مجالس الخلفاء والأمراء والعلماء لم يكن كل شيء في التراث العربي، فقد أخذت الحوارات الأدبية طوابع إبداعية أخرى محققة أو متخيلة، ففي ( رسالة الغفران ) يدير أبوالعلاء المعرى حوارات ممتعة مع أبعاض من العلماء والشعراء لتجلية حقيقة علمية، أو تصحيح خطأ تاريخي، أو تعديل توجه فني، أو إبراز جدارة ذاتية، أو إمعان في التخييل إرضاء لحاسة الخلق والإبداع وتجسيد الاقتدار اللغوى والفنى والفكرى على السواء... وفي ( الصاهل والشاحج ) تتراءى عبقرية القص والتجسيد عند أبي العلاء، وموظفة توظيفاً فنياً هادفاً.. فليست مجموعة من حكايات شتى، بل قصة واحدة مترابطة الفصول والمشاهد، وهي لاتؤدى بطريق الحكاية والسمر لسوق العبرة ومضرب المثل، بل صيغ الحوار فيها على طريق التشخيص والإخراج التمثيلي الزاخر بالحركة والحيوية، وكأننا نشهد تمثيلية يؤديها شخوص من البهائم مكانها حيث يقف الشاحج معصوب العينين في موضعه بمعرة النعمان، وموضوعها الرئيسى تصوير لما كان من جفلة الناس لما يتوقعون من خروج باسيل ملك الروم لغزو حلب رغم ظاهر القطيعة بينه وبين عزيز الدولة، كما تقول الدكتورة بنت الشاطيء في تقديمها لتحقيق رسالة الصاهل والشاحج.

ومن قبل أبي علاء كان ابن المقفع قد ترجم

كتابه المثير ( كليلة ودمنة ) فوطد به دعائم نوعية رائعة من الحوار الإبداعي منذ أواخر العصر الأموي الذي انتهى بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ وهو حوار يدور أساساً بين دبشليم الملك وبيدبا الفيلسوف، ليضيء العلاقة بين كل حاكم وكل حكيم في كل عصر ومصر... وهنا لابد من الإشارة إلى أن السياق السردي في كليلة ودمنة يسيطر على ماعداه، بينما يلوح السياق الحواري والتجسيدي في الصاهل والشاحج مسيطراعلى ماعداه... أي أن أبا العلاء لم يجتهد في احتذاء ابن المقفع من جهة، ولم يهدر إنجاز ابن المقفع إهداراً كاملا من جهة أخرى، فنحن نعرف أن السياق الحواري يتسم في مجمله بالحس السردي وكذلك يتسم السياق السردي في مجمله بالحس الحواري.. ومهما يكن من شيء فإن المنهج الحواري يتأكد في كليلة ودمنة ليس فقط في تداول الفكر بين دبشليم الملك وبيدبا الفيلسوف، وإنما في جدل العلائق بين الحمامة المطوقة والصياد، وبين البوم والغربان، وبين القرد والغيلم، وبين الناسك وابن عرس، وبين الجرذ والسنور، وبين ابن الملك والطائر فنزة، وبين الأسد وابن آوى، وبين الحمامة والثعلب ومالك الحزين، وبين الناسك والضيف، وبين السائح والصائغ.... إلى آخر شخوص ابن المقفع في كتابه المدوى كليلة ودمنة..... وإذا كان جهد ابن المقفع في هذا الكتاب إنما هو أساسا جهد المترجم لا المؤلف، فإن ذكاء الاختيار، وروعة الترجمة وتوجيه السياقات كان كله من عمل ابن المقفع، بحيث أحله كل أولئك مرتبة الزعامة في الإبداع النثري في الأدب العربي، وظل على هذه الزعامة لاتزحزحه جهود سابقة عليه، ولامعاصرة له، ولاتالية لعصره.

وأما أبوحيان التوحيدي فيقف كتابه: ( الإمتاع والمؤانسة ) في كثير من لياليه الأربعين، على خط الحوارات الفكرية والأدبية والفلسفية، ( فكان يدون في كل ليلة مادار فيها بينه وبين الوزير على طريقة: قال لي، وسألني وقلت له، وأجبته، وكان الذي يقترح الموضوع دائما هو الوزير، وأبوحيان يجيب عما اقترح، وكان الوزير يقترح أولاً موضوعا حسبما اتفق وينتظر الإجابة، فإذا أجاب أبوحيان أثارت إجاباته أفكاراً أو مسائل عند الوزير فيستطرد إليها ويسأله عنها، فقد يسأله سؤالا يأتي في أثناء الإجابة عنه ذكر لابن عباد أو ابن العميد أو أبي سليمان المنطقي، فيسأله الوزير عنهم وعن رأيه فيهم، وهكذا يستطرد من باب لباب، حتى إذا انتهى المجلس كان الوزير يسأله غالبا أن يأتيه بطرفة من الطرائف يسميها غالبا «ملحة الوداع»... كما يقول أحمد أمين في المقدمة.

وإذا كان موضوع المناظرة بين ( الشعر والنثر ) أقرب إلى موضوعنا هنا، فإن إضاءة الحوار حولهما في الليلة الخامسة والعشرين يبدو مهما، فبعد مقدمة يتشوف فيها الوزير إلى التعرف على مراتب النظم والنثر، وإلى أي حد ينتهيان، وعلى أي شكل يتفقان، وأيهما أجمع للفائدة، وأرجع للعائدة، وأدخل في الصناعة، وأولى بالبراعة... يتولى أبوحيان الإفاضة فيما سماه بالكلام على الكلام، وهو صعب، لأنه يدور على نفسه، ويلتبس بعضه ببعضه ثم يروى ماقيل في تفضيل النثر على الشعر، لأن النثر أصل والنظم فرعة،

والكتب السماوية منثورة لامنظومة، والوحدة فى المنثور أظهر منها فى المنظوم، والنثر طبيعى والشعر صناعى، وترتيب الكلام فى النثر لايحتاج إلى تكلف بينما يحتاج الشعر إلى ذلك، والنثر يتدفق من قبل العقل بينما يتدفق الشعر من قبل الحس، على أن نجوم السماء منثورة لامنظومة، وحديث النبى ـ ﷺ ـ منثور كذلك.. فأما ما يفضل به الشعر على النثر، فقد استقصى أبوحيان فى ذلك أقوالاً كثيرة: فله صناعة تقتصر على القلة، وهو صالح للغناء دون النثر، وشواهد النحو واللغة تأتى من الشعر لا من النثر، وجوائز التفوق والبروز فى مجالس الخلفاء والأمراء تناط بالتفوق فى إبداع الشعر... ولكن أبا حيان لايترك المناظرة هكذا حدية الحكم بين الإبداعين: الشعر والنثر، وإنما يقضى بموقف وسطى يؤكد أن لكل من الشعر والنثر بلاغته الخاصة (فللنثر فضيلته التى لاتنكر، وللنظم شرفه الذى لايجحد ولايستر، لأن مناقب النثر فى مقابلة مناقب النظم، ومثالب النظم فى مقابلة مثالب النثر، والذى لابد منه فيهما السلامة والدقة وتجنب العويص ومايحتاج إلى التأويل والتخليص.

وقد نتطوح فنعد كتب الأمالى أعمالاً تنهض على منهج الحوارات الأدبية، بدءاً من مجالس ثعلب، ومرورا بأمالى اليزيدى، وأمالى القالى، وأمالى الشريف المرتضى، وانتهاء إلى أمالى ابن الشجرى.. فكلها تعج بالحوارات بين الشيخ وتلاميذه، تماما كما عجت المجالس بالحوارات بين الشيوخ والشيوخ، فإذا خلا بعضها من الحوار ومحضته الظروف لمجرد الإملاء والنسخ، فإن معظمها يحرص على إشعال الحوار استقصاء للمعلومة، أو اختبارا للمقولة، أو إثباتا لوجهة نظر خاصة... ومن ثم فإننا نستطيع تصنيف مثل هذه التآليف ببساطة شديدة ضمن كتب المحاورات الأدبية، على أنها نوع من هذه الحوارات وليست كل الحوارات بالطبع، وقد قلنا أن هناك نوعيات ودلالات فى كتب الحوارات الأدبية، وسنرى مثلا أن كتاب (المواقف والمخاطبات) للنِّفَّرى يشكل نوعا له خصوصيته البارزة من أنواع هذه الحوارات التى يمكن أن تختلط فيها الفلسفة بالأدب، والرمز بالحقيقة، والصوفية بالفكر، والنثر بالشعر أو فلنقل بقصيدة النثر، والتعبير عن الهم الذاتى بالتعبير عن الهم الجمعى.. وعلى امتداد ثمانية وسبعين موقفا، وسبع وخمسين مخاطبة، يتوارى صوت النفرى فى صوت الذات الإلهية رغبة ورهبة، ولكن السياق يتضمن هذا الصوت الآخر المتوارى... حتى حين يخيم الصمت على النفرى يلوح هذا الصمت أبلغ من الكلام، لأنه يفجر تساؤلات وعلامات استفهام، ويترك فى كل عبارة تبدأ بقوله: (وقال لى) تأكيداً لعبارة لم تُقل إلا ضمنا وهى: (وقلت)، كما يترك فى كل: (ياعبد) ضراعته الداهمة: (يارب)... ولكن النفرى يغامر أحيانا (بقلت) إزاء (وقال لى)، ومن ثم يسفر الحوار عن وجهه كحقيقة أسلوبية بارزة فى السياق.. ويلاحظ أن المقول بعد: (وقال لى) يتغير من لحظة إلى أخرى، وهذا يعنى أن سؤالاً أو أسئلة مضمرة طرحت إن لم يكن بالفعل من خلال السياق فبالقوة من خلال حضور الغياب إذا جاز أن يقال، أى أن الأجوبة الحاضرة ترشح لنص الأسئلة الغائبة، مما يفرض حلول الجدل فى كل مساحة القول.

# القصيدة العربية بعد البارودي
## بين الشكل والمضمون

للأستاذ الدكتور / محمود جمعة أمين(*)

شهد الأدب تطورا واسعا فى مضامينه وأشكاله منذ مطلع القرن العشرين فى أعقاب النهضة الحديثة التى بدأت مع إطلالة القرن التاسع عشر إثر اتصال الآداب العربية بالآداب الأجنبية عن طريق المبعوثين العرب الذين استفادوا وأفادوا من أمثال العالم الأزهرى الشيخ, رفاعة الطهطاوى, وغيره من علماء الأزهر الشريف الذين استطاعوا أن يجيدوا اللغات الأوروبية إلى جانب إتقانهم - بالطبع - اللغة العربية وآدابها.

ثم كانت حركة البعث والإحياء التى رادها الشاعر الفذ, محمود سامى البارودى, فكانت مظهرا من مظاهر التطور الذى حدث للأدب العربي, ثم ظهور المدارس الشعرية المختلفة التى أخذت تؤدى دورها وفق مفهوم أصحابها للشعر ورسالته.

١ - فمن محافظين اتخذوا النمط العربى المشرق مثلا أعلى فى الأسلوب الشعرى، هذا النمط الذى تمثله النماذج الرائعة من الشعر والتى ورثناها من أعلام الشعراء وفحولتهم فى المشرق والأندلس من أمثال: أبى تمام والبحترى والصنوبرى وغيرهم من المشارقة، وابن زيدون وابن خفاجة وابن هانىء وأمثالهم من شعراء الأندلس، مع إبراز الجانب البيانى فى الشعر بشكل واضح والاعتماد عليه كعنصر من عناصر الجمال فيه.

ولهذا فهم يعرضون فى القصيدة الواحدة أغراضا شتى مع تمهيد للانتقال من غرض إلى غرض وتهيئة له، ملتزمين بوحدة الوزن والقافية

(*) أستاذ الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بسوهاج ـ جامعة الأزهر

إلى جانب تناولهم الصور الحيّة التي تتراءى فيها الحياة السياسية والاجتماعية وتنعكس عليها مشاهدهم النفسية.

وقد سار في هذا الاتجاه - بعد البارودي - كثير من الشعراء في سائر أنحاء الوطن العربي، ففي مصر: إسماعيل صبري وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومحمد عبدالمطلب وأحمد محرم وأحمد الكاشف وعلي الغاياتي.

وفي العراق: معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي.

وفي الشام: إبراهيم اليازجي وشفيق جبري وغير هؤلاء، وأولئك ممن تأثروا بحركة البعث الشعري المعاصر وآثروا النظام التقليدي في قصائدهم فاتخذوه وسيلة تعبير عن حياتهم الخاصة، وأحاسيسهم الذاتية، ثم عن قضايا بيئاتهم ومشكلات أوطانهم القومية.

**٢- ومن إبداعيين في الشكل والمضمون:**

فمن حيث المضمون نظروا إلى الطبيعة على أنها كائن حيّ، وأن على الشاعر أن ينفذ إلى جوهر الحقائق لا إلى ظواهرها، إذ أن خلف ظواهر العالم المحيط بنا حقائق روحية غير مرئية، وإذا كنّا لا نستطيع أن ندرك هذه الحقائق إدراكا حسّيا فإن الشاعر وحده هو الذي يستطيع أن يكشف عن هذه الحقائق الروحية معتمدا على خياله. ومن هنا فقد أولوا الخيال عناية كبرى، وهم كذلك يرون أنه يجب أن يفهم الشعر على أساس أنه تعبير عن العالم الداخلي للشعور.

ومن ثم فإنه يكون تعبيرا عن رؤيته وشعوره وإحساساته الداخلية ووجداناته المتدفقة ولمّا كانت الطبيعة تمثل الوفاء في صدور الناس، كما أنها تمثل الحب متى غاض الحب في قلوبهم، كما أنها كذلك تمثل الشفاء للروح والجسد من تكاليف الأدواء والأرزاء وأطبقت الهموم على الكائن البشري، فإنه يتعين على الإنسان - والشاعر بصفة خاصة - أن يلجأ إلى الطبيعة يفزع إليها يلقي نفسه عليها بكل ما فيها من انعكاسات وانفعالات، حتى لتغدو - الطبيعة - مصورة للنفس الإنسانية، فيناجيها وتناجيه، يبثها آلامه، ويشكو إليها همومه وأحزانه، فتشاطره الهموم والأحزان، وتشاركه الأفراح والأتراح متقلبة معه في انفعالاته الوجدانية، وفي حالاته النفسية، فينعكس على مرآتها صورا لما في نفسه من خواطر، وما يجيش في صدره من آمال وآلام.

وبقدر عمق استيعاب الشاعر للطبيعة، وإبرازه لها، وعرضه لأحاسيسه ومشاعره نحوها بقدر ما تعلو منزلته ويكون لشعره قيمة.

أما من حيث الشكل فقد رأوا أن القصيدة ينبغي أن تؤخذ في جملتها من حيث التركيب الكلي لا من حيث هي مجموع الأبيات يستهوي بعضها القارئ، فيتعلق به ويطرح سائرها.

فالقصيدة ينبغي أن تكون عملا فنيا يكمل فيها تصوير خاطر، أو خواطر متجانسة كما تكمل الصورة بأجزائها، واللحن الموسيقي بأنغامه بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحيّ يقوم كل بيت منها مقام جهاز من أجهزته، ولا يغني غيره في موضعه إلا كما تغني

الأذن عن العين أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة[1].

فليس بلازم – عندهم – أن تسير القصيدة على النمط التقليدي من حيث رعاية الوزن والقافية إذا كان ذلك يعوق القصيد عن أداء رسالته، وإنما في إمكان الشاعر أن يخرج عن هذا القيد بأن يقسم القصيدة إلى مقاطع كل مقطع يمثل وحدة غنائية معنوية تحل محل وحدة البيت مع التزام الوزن في كل مقطع، حيث اعتبروا الشاعرية هي الأصل ولها أن تستعين بالأوزان والقوافي لتكون لها تلك النبرات الموسيقية التي تميز الشعر عن بقية ضروب الكلام.

وكان أصحاب هذا الاتجاه ممن تعمقوا في دراسة الآداب والثقافة الأوروبية، وتغلغلت في مسارب نفوسهم النزعة الرومانسية من أمثال: عبدالرحمن شكري، وعبدالقادر المازني، وعباس العقاد، وشكيب أرسلان، وبشارة الخوري، وخليل مردم، الذين رأوا الاتجاه المحافظ اتجاها تقليديا اتباعيا لا ينهض برسالة الشعر من حيث إنه يقوم على أساس من القوالب والتراكيب التي هي من فعل الذهن البحت التي تصاغ فيها خلجات النفس والوجدان فتخرج خافتة النبرات باهتة الألوان[2].

وإحقاقا للحق وإنصافا للأدب ومن غير تعصب نقرر أن من أبرز شعراء هذا الاتجاه «خليل مطران» شاعر القطرين – مصر والشام – الذي عاصر جيل المحافظين، فحلق بشعره في سماء التقليد، كما حلق به في سماء التجديد، ويعد بحق من الرواد الأوائل الذين وضعوا أصول التجديد في الشعر وقواعده الفنية، والدليل على ذلك دعوته إلى وحدة الموضوع في القصيدة وإلى الوحدة العضوية فيها، تلك الوحدة التي تكفل لها أن تبنى بناء مترابطا بحيث يؤدي البيت فيها وظيفته بتلاؤمه مع ما جاوره فيكتمل جمالها الفني بانسجام أبياتها وتناسق معانيها وتوافقها، وذلك حين كتب عن خطوط هذا الاتجاه الشعري الجديد سنة ١٩٠٠ في المجلة المصرية لافتا الأنظار إلى الأخذ به فيقول: «إن خطة العرب في الشعر لا يجب حتما أن تكون خطتنا، بل لهم عصرهم ولنا عصرنا، ولهم آدبهم وأخلاقهم وحاجاتهم وعلومهم ولنا أدبنا وأخلاقنا وحاجاتنا وعلومنا، ولهذا وجب أن يكون شعرنا ممثلا لتصورنا وشعورنا لا لتصورهم وشعورهم، وإن كان مفرغا في قوالبهم محتذيا مذاهبهم اللفظية»[3].

ثم أذاع ديوانه سنة ١٩٠٨م مصدرا بمقدمة تمثل الخطوط العريضة لهذا الاتجاه ومحتويا على كثير من النماذج التي تعد تطبيقا ناجحا له فيقول في مقدمة هذا الديوان: «هذا شعر ليس ناظمه بعبده. ولا تحمله ضرورات الوزن أو القافية على غير قصده يقال فيه المعنى الصحيح باللفظ الفصيح، لا ينظر قائله إلى جمال البيت المفرد ولو أنكره جاره، وشاتم أخاه ودابر المطلع وقاطع

---

(١) انظر الديوان في الأدب والنقد ص: ١٢ عباس العقاد بالاشتراك مع إبراهيم المازني الطبعة الثالثة دار الشعب سنة ١٩٧٣م.

(٢) انظر خليل مطران في «شعراء معاصرون» ص١٩٧ جـ٢ طبع دار المعارف سنة ١٩٨٤م تقديم أحمد إبراهيم الهواري.

(٣) المجلة المصرية سنة ١٩٠٠ العدد ٨٥.

المقطع، وخالف الختام. ولكنه ينظر إلى جمال البيت ذاته وفى موضوعه، وإلى جملة القصيدة فى تركيبها وترتيبها، وفى تناسق معانيها ومواقفها مع تدور التصور وغرابة الموضوع، ومطابقة كل ذلك للحقيقة وشفوفه عن الشعر الحر، وتحرير دقة الوصف واستيفائه على قدر»(٤).

فهو يرى أن قوالب العرب فى نظم الشعر ومذاهبهم فى صوغ الكلام أساس اتباعى تقوم عليه لغة الضاد، وأن المذهب الجديد ليس عليه أن يخرج عن هذه الأصول وإن كانت له الحرية من جهة المعانى وتوجيه الأغراض إلى السبيل الذى يشاء غير مقيد بشىء إلا أن تكون هذه المعانى والأغراض مستنزلة من روح العصر الذى يعيش الناطقون بالعربية فيه اليوم. ذلك ليكون هذا الشعر عصريا من حيث تنعكس من صفحته ظلال روح العصر.

وقد اقتضى ذلك أن تجىء القصيدة مسلسلة الأفكار مرتبة المعانى فلا تسبق الكبرى الصغرى، وإنما الأفكار بمثابة النتائج المترتبة على المقدمات فى تسلسل ودقة وإحكام.

وفى استطاعتنا أن ندرك هذا واضحا فى قصيدته «المساء» على سبيل المثال، والتى يقول فيها:

عبث طوافى فى البلاد وعلة
فى علة منفاى لاستشفائى

متفرد بصبابتى متفرد
بكآبتى متفرد بعنائى

شاك إلى البحر اضطراب خواطرى
فيجيبنى برياحه الهوجاء

ثاو على صخر أصم وليت لى
قلبا كهذى الصخرة الصماء

ينتابها موج كموج مكارهى
ويفتها كالسقم فى أعضائى

والبحر خفاق الجوانب ضائق
كمدا كصدرى ساعة الإمساء (٥)

حيث جاءت بناء واحدا متماسك الأجزاء بجانب وحدة الموضوع وتسلسل الأفكار ويطول بنا الكلام لو أننا استطردنا فى إيراد النماذج الدالة على ما ذهبنا إليه ولكننا سنكتفى بما ذكرنا.

وقد سار على هذا النهج جماعة «أبوللو» بعد انفراط عقد جماعة الديوان: شكرى، والمازنى، والعقاد، من حيث أنهم جعلوا الطبيعة مصدر إلهامهم ومن حيث دعوتهم إلى الوحدة الموضوعية العضوية فى القصيدة وأن القصيدة كالجسم إذا بتر منه عضو كان الجسم مبتورا، ومن حيث التعبير الصادق عن روح العصر الذى يعيشه الشاعر إذ الشعر فى أوجز تعريف له «التعبير الجميل عن الشعور الصادق» والشاعر فى أوجز تعريف له أيضا «هو الإنسان المتميز بالعاطفة والنظرة إلى الحياة القادرة على الصياغة الجميلة فى إعرابه عن العواطف والنظرات».

وهكذا رأينا القصيدة العربية بعد البارودى قد تطورت فى الشكل والمضمون بما يتفق وروح العصر.

---

(٤) مقدمة ديوان الخليل، دار مارون عبود، بيروت سنة ١٩٧٥م.

(٥) ديوان الخليل جـ١ ص ١٨.

# لمحة من الاتجاه الإسلامى في شعر إبراهيم عيسى

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

**إذا البلبل الصدّاح أكمل شدوه … فما تطلب الدنيا.. وقد نفد العمر؟**

**وقد رحل هذا الشاعر الكبير فى صمت، فى أوائل شهر رمضان الماضى، وكما يموت الناس، مات.. وخلف لنا اللوعة والأسى، نحن أعضاء ندوة شعراء العروبة، التى كان يرأسها، طيلة العشر سنوات الأخيرة.. وقد حاولت أن أكفكف دمعى، والحزن الذى يعتصرنى، لصياغة بعض العبرات، فى وداعه، شعرا، ووجدتنى أهتف من أعماقى:**

أحقـا صـار (إبراهيم) ذكرى
وأن القبـر صار له.. مقرا؟
وملء السمع، كان وملء قلب
وفى أحضانه كم ضمّ صدرا
أحقـا، صار موعدنا: نحيبا
بندوتنا، فما نطيع صبرا
فرائده[1] توارت فى سكون
ويُتْم اليُتْم فى الأصحاب طرا

وعند البيت الأخير، غلبنى الوجد الشديد على أمرى، ولم أستطع المضى فى صياغة أبيات الرثاء، وآثرت أن أتحدث قليلا، نثرا، عن الشاعر الإسلامى الكبير إبراهيم عيسى، الذى كان يحمل والده على كتفيه، أثناء الطواف بالكعبة المشرفة، وهما يؤديان معاً فريضة الحج، منذ أعوام مضت..

●●●

(١) جمع فريدة. «وقد ألقيت هذه الدراسة فى حفل تأبين الشاعر الراحل إبراهيم عيسى».

ولا شك أن نزعة شاعرنا الصوفية، واستيعابه وتدبره، لروعة وإعجاز آيات الذكر الحكيم، هما مما ساعده على التحليق فى آفاق الشفافية، التى تتيح لشاعريته أن تفيض فيضا ذاتيا حارا متدفقا، كتلك التى نلمسها فى قصيدته التى تحمل عنوان: «فى الطريق إليه»[٢]، أى إلى صاحب الروضة الشريفة - ﷺ - بعد أن أنهى مناسك الحج، وطاف مع الحجيج طواف الوداع، واستقل راحلته إلى المدينة المنورة .. ويستهل القصيدة، بقوله:

**أى خـيـر عَمَّ لما ضم قلبى (عـرفـه)**
**وأفـضْنا، وشـربْنا النور فى (مـزدلفـه)**
**وتلقَّى كل قلـب، بـيـمـين، صُحُفـه**

***

**واحـتـوتْنا، كـاحـتـواء العين للنور (منى)**
**وأنا فى ظلهـا رَوْحٌ.. تغَنَّـى للسَّـنا**
**وإذا ناديتُ صَحبى، قلتُ حُبًّا: يا أنا**

ثم يُسدل الستار، ستار الختام، لهذه القصيدة، بتضمين بديع مُوفَّق، للنشيد اليثربى الخالد- الذى استقبل به المصطفى - ﷺ - بقوله:

**واحْتشدْنا.. أنا والأشواقُ فى حُب مُشاع**
**فإذا عَصَف الوجْدُ، ولم يَسْعفْ شِراعى:**
**طلع البـدر علينـا من ثَنِيَّـات الوداع**

وورونق الشعر وطلاوته، فى هذه الأبيات، وراء الأوزان والنغمات، إنه مناجاة صادقة، كالأمواج المنسابة فى زيت، التى تأخذ طريقها إلى نفس المتذوِّق، فى صدق وعمق، لأنها صدرت من عُمق أعماق الشاعر، فى حالة ولحظة نادرتين، قلما تتاح لشاعر.. وقبل أن ننتقل من هذه القصيدة، أحب أن أُنبِّه إلى تناسق الإيقاع الصوتى، الذى جاء فى البيت الأول، بين الكلمات: (عَمْ- لمَّا- ضَمْ)، مما جعل الأداء الفنى فيها مصحوبا بموسيقية عالية، مما جعلنى أتمنى -فيما بينى وبين نفسى- لو أن الشيخ الفيومى قد تُغنِّى بها، بذات الروعة التى غَنَّى بها القصيدة المشهورة: (يحنُّ إلى أرض الحجاز فؤادى).

***

ويغرينا شعره الدينى، إلى قطف المزيد منه، لأنه يُظهر لنا، بجلاء ووضوح، مدى تأثُّر الشاعر بالثقافة الإسلاميَّة الخالصة، واقتباسه من بعض الألفاظ القرآنية بعفوية أملتها الدفقة الشعورية لديه، بعد أن وجد (موضوعه) واحتشد له، واستكمل أدواته فى عمل شعرى كبير، أسْماه: (رباعيات الحب)- واستهله بقوله فى قصيدة (الشاعر والزمان)[٣].

**هـناك لـدى جنـة عـالـيـه**
**وحـول عـيـون بهـا جـاريه**
**وعند نمارق مـصـفـوفـة**
**وطـيـر بـآفـاقـهـا شـاديه**
**وتحت ظلال، تـهـادت جـلالا**
**ومـالـت دلالا.. إلى نـاحـيـه**
**.. تـزاحـم رَكْبُ المـلائـك نـورا**
**وأزْلِفت الـفـرحـة الراضـيـه**

---

(٢) انظر عدد مجلة الشعر الصادر فى يوليو سنة ١٩٧٧.

(٣) مجلة الشعر عدد يوليو سنة ١٩٧٨.

لمــــاذا كــــل هـــــذا، يــــا تُــــرى؟

لماذا عمّتْ الفرحة الوجود بأسره، حتى جعلت الشاعر يسترسل فى وصفه، قائلا:

وطافت دفـــوف، ودقّتْ كــفــوف

ورنّتْ هُتـوف.. وفـاض الصـفـاء

يُغـــرس وراء الغـــيـــوب، يغنى

ويـــنـــاب فى قطرات الضيـــاء

رعـــتْـــه الألوهة، فـــانْداح نورا

كـوجـه الضحى، شـامخ الكبرياء

وحـتى النجـوم، تلاقت، وصـارت

عـقـودا عـقـودا.. بجـيـد السـماء

ولا يلبث الشاعر، أن يجيبنا عن تساؤلات (الأرض)، وتساؤلاتنا نحن - أيضا - بقوله فى تلك الأبيات، التى تمتزج فيها النزعة الفنية، بالنزعة الدينية:

وتلْتـفتُ الأرض نحـو السـمـاء

وتســأل: مــاذا بهــا من بشـائرْ؟

لمن ضـجّـة العرس فـوق النجوم

لمن فى الســمــاء تدق المزاهر؟

فــغـــرّدَ صـــوتُ الخلود، ونادى:

حنانك، واسْتلهـــمى كلّ طائر

وبُشـــراك يا أرض.. إن الســمـــاء

تزف الغناء.. لميـلاد.. شـاعـرْ!

***

إلا أن هذا الشاعر المحلّق، الذى يبشرنا بميلاده، والذى توقّعنا أن يبقى منسابا مع الأنغام، فى منابع الإلهام، بأحلامه الوردية، وعرائس مروجه.. لا يلبث أن يستيقظ، ويوقظنا معه، على حقيقة مُرّة، تتمثل فى صراعه مع الزمن، وذلك من خلال تجربة طريفة، عند تعيينه مديرا للتخطيط، فى إحدى الشركات، باعتباره من أحد الحاصلين على (بكالوريوس التجارة)، وأوفدته الشركة فى دورة تدريبية.. للتعمق فى دراسة علم (الجبر)، والتبحّر فيه.. فيقول:

على كـبـــر علّمــونى جـبـــرا

وخطوا المقـــادير سطرا فـــسطر

و(سين) و(صـاد).. وأمْـسى عليـها

تُـبـيّـتُ بين الجـوانح شــــرا

تُشـتّـتنى فى (مـقـام) و(بسط)

فلم تُبق نثـرا، ولم تُبق شـعـــرا

وقلبى طيـــر يكاد يطيـــر

فـيـجـذبه (الجـبـر) للأرض جَـبْـرا!

إلا أن الله - سبحانه وتعالى - تفضّل على الشاعر، برضائه - عز وجل، حينما ارتضى لسفينة حياته أن ترسو على بر الأمان، بوضعه فى المكان المناسب، كمدير عام لإدارة التفرغ بوزارة الثقافة، وتعيينه عضوا بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإضافة إلى عضويته بلجنة النصوص فى الإذاعة، ورياسته لندوة شعراء العروبة الشهرية.

***

وصفوة القول، ما قيل قديما، من أن أشعر الناس، من أنت فى شعره.. وشاعر فى وزن ومقدرة إبراهيم عيسى - رحمه الله - تجعلنا نشعر أن قلائده، كانت، وستظل، أشبه بالأغنيات التى تحمل بها النفوس الشاعرة، فى

لحظات التجلّي، وسَبَحات الإلهام.. فعلى قيثارة إبراهيم عيسى، كانت تعرف أناملُ الجمال، والجِدَّة، والطرافة، والابتكار.. وكأنى به، حين كان يهم بإبداع قصيدة جديدة، بأدائه الفنى المتفرِّد، كان يحمل بين يديه: نَوْلا سحريا، يحرِّكه ذات اليمين، وذات اليسار، لينسج بخيوطه الحريرية الأثيرية، أرَقَّ المطارف، المزركشة بالنقوش العبقرية الباهرة الصُّنع، التى تمثل للعين: أرْوع آيات الجمال والجلال، التى تُشْهرها بالسيرورة والخلود.

***

واحسب أن مثل شعر إبراهيم عيسى، مما يحسم النزاع الذى احتدم، أخيرا، بين أنصار القديم والجديد، وما أُطلق عليه مسمى: الشعر التقليدى، والشعر الحر.. حينما جمع إبراهيم بين الحُسْنيين، واتبع طريقة مُثْلى، فلم تتحلَّل قلائده من الأوزان، وأفاد -فى الوقت نفسه- من كل ما ظَفَر به الشعر العربى المعاصر، من تجديد مدرستى: (الديوان) و(أبولّو) على الترتيب.. فى تنويع القافية، والنسج على منوال الموشحات الأندلسية، وابتكار الصور و استخدامها ببراعة، للتعبير عن نفثاته.. كما برئ، شعره من الخطابيّة والمباشرة، وانطلق من عُمق روح، الشاعر وَحْده، فلم يقلّد إلا: الجدول فى خريره وانسيابه، والبلبل فى تغريده وانتشائه، وشجرة الورد فى نفحها وعبيرها..

***

ومهما يكن من أمر، فإن إبراهيم عيسى، فى دواوينه الثلاثة التى أصدرها[4]، يمتاز بالصور الجميلة، المكْثفة لمشاعره وأحاسيسه، بعد أن خلص من تأثير (على محمود طه)، أستاذ المرحلة المبكرة من حياته، فى الرتبة الأولى، لينفذ إلى إبداع عالَمه الخاص به.

وقد جاءت دواوينه دقيقة الجرم، إلى حدٍّ ما.. ولكنها مثقلة ومُفْعمة بالمعانى المركَّزة.. ولو أطلق إبراهيم عيسى العنان، للبوح المستفيض لمكنوناته، فيما اقتصر فيه، على مجرد الإشارة والإيماءة، والفلْتة الشعورية القلبية إذن.. لتضاعف حجم دواوينه، مرات ومرات..

وحسبنا قول (الرافعى)، فى تقديمه لكتابه الخالد: (وحى القلم): ربما عابوا السُّمُوَّ الأدبيَّ بأنه قليل، ولكن الخير كذلك..

**وبأنه مخالف، ولكنَّ الحقَّ كذلك..**

**وبأنه مُحَيِّر، ولكن الحُسْن كذلك..**

**وبأنه كثير التكاليف، ولكن الحرية كذلك..**

إذا لم يكن البحر، فلا تنتظر اللؤلؤ وإذا لم يكن النَّجم، فلا تنتظر الشعاع..

رحم الله الشاعر إبراهيم عيسى رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

---

(٤) بشَّرنا الشاعر أحمد سويلم، فى حفل تأبين إبراهيم عيسى الذى أقيم يوم الجمعة الموافق الخامس من يناير سنة ٢٠٠١م أن الدكتور سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب قد وافق على طبع الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر إبراهيم عيسى.

## مايقال عن الإسلام

# نقد موضوعى للأفكار الهامة فى كتاب
# اليمين واليسار فى الفكر الدينى



للأستاذ الدكتور / محمد رجب بيومى

قبل أن نعرض للأفكار الخاطئة فى هذا الكتاب نشير إلى أمور هامة..

**أولا**: ليس فى الإسلام إطلاقا ما يُدعى باليمين واليسار، بل هو اصطلاح غربى يطلقه الباحثون هناك على الدول الرأسمالية فهى يمينية والدول الشيوعية فهى يسارية، والإسلام لا صلة له بالرأسمالية كمذهب، ولا بالشيوعية كمذهب آخر، فهو دين مستقل له أحكامه وآراؤه المستقلة ومحاولة جعله يمينا أو يسارا تضليل كاذب! لأن دين الله واحد.

نعم، توجد مذاهب مختلفة فى الفقه، ولكنها ترجع إلى أصول يتفق عليها جميع الأئمة، ولا مجادلة فى أسسها، وليس لها أدنى علاقة بما يسمى باليمين واليسار!

**ثانيا**: اليمن فى القرآن وصف أطلق على المؤمنين أصحاب الجنة، والشمال وصف أطلق على الكافرين أصحاب النار، كما قال الله - عز وجل - فى سورة الواقعة:

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾[1]

ثم قال:

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾[2]

وإذن فالمؤمنون جميعا يندرجون تحت أصحاب اليمين، بنص القرآن، أما محاولة

(١) الواقعة ٢٧.
(٢) الواقعة ٤١.

جعل بعضهم من أصحاب اليسار كما حاول المؤلف مع أسماء مؤمنة مثل الأفغاني، ومحمد إقبال، والكواكبي، ومحمد عبد الوهاب، ومحمد عبده، فهي محاولة كاذبة! ولو بحث الكاتب مؤلفات هؤلاء لعرف أنهم ينكرون كلّ ما ادّعاه ولم تظهر في سطر من مؤلفاتهم كلمة اليسار.

**ثالثا**: لا ندعو إلى مصادرة الكتاب، إذ ليس فيه جديد يخشى منه فكل ما قاله مدون متداول مردّد في كتب الشيوعيين، وقد ألفت فيه كتب" كثيرة تسب الدين بما هو برىء منه، وتحاول أن تقسّم المؤمنين إلى طائفتين متناحرتين مع أنهم جميعا يتلاقون في الأصول، ويختلفون في الفروع ولم يقل أحد منهم. إني يميني. أو: إني يساري، بل أعلنوا التزامهم جميعا بكتاب الله والصحيح من سنة الرسول - ﷺ -، ودعوا إلى الاجتهاد في محيط هذين الأثرين الكريمين، وإذنْ فلا يسار ولا شمال بين المؤمنين..

**رابعا** : كان سقوط الشيوعية في أوروبا عامل فزع لمن يسمّون أنفسهم باليساريين من المسلمين، وعزّ عليهم أن ينهار البناء فوق رؤوسهم فيحطمهم تحطيما، وهنا حاولوا أن يتحدثوا عن مزايا ما يسمونه باليسار الإسلامي من جديد ونسوا أن هذا اليسار المحبوبَ لديهم قد تكشف في أوروبا عن محن اجتماعية منكرة، وظلم رأسمالي حاقد، حين تحكّم رؤساءُ الشيوعية في المال وبنوا القصور واستغلوا أثمن مظاهر الترف المنكر لأنفسهم خاصة، مع جوع الشعب وعريه وفقره ومدّ يده! هكذا سقط اليسار في أوروبا إلى غير رجعة والذين يتحدثون عن محاسنه الموهومة ويحاولون إلصاقها بالإسلام بتفسير منحرف! عليهم أن يسألوا أنفسهم: كيف تدمّر اليسار في روسيا؟ وكيف أتى بهذه الأهوال؟ وإذا كانت هذه عاقبته المشئومة فأين يذهبون!؟

هذه نقاط أربع أتقدم بها قبل أن أنقد الواضح المكشوف من أفكار الكتاب:

( ١ ) بدأ المؤلف حديثه عن الإيمان، فقال: إنّ موقف اليمين هو التسليم والرضا بما يعطي للشعب من حقائق عليه قبولها، فالفرد اليمينيّ يكون أقرب للطاعة للأمراء والانقياد للحكام، والشعب كذلك يبدأ بالتسليم بالحقائق دون مناقشتها، أما اليسار، فيجعل النظر أمراً عاما شاملا لا يخص فردا دون فرد، أو طبقة دون طبقة «ص٨، ٩».

وهذا كلام بسطه المؤلف في أربعين سطرا، لا يمكن نقلها جميعا، ولكن خلاصتها هو ما تقدم، وهو كلام" واضح البطلان لأن جميع المسلمين في مذاهبهم المختلفة، يرون التفكير فريضة إسلامية، وقد قرر علماءُ الإسلام أن إيمان المقلد غير مقبول، ولذلك ظلّ المسلمون بعيدين عن التيارات المنحرفة، لأنهم آمنوا بالدليل والاقتناع، وقد دعا الإسلام أتباعه للنظر في الكون وفي أنفسهم بل دعاهم إلى قراءة التاريخ والنظر في أحوال الأمم السابقة، وقد علّل انتشار الإسلام وظهوره على الأديان الأخرى باعتماده على النظر والتفكير في شئون الكون والعالم، قال تعالى :-

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(٣).

وقال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾(٤).

وقال:

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾(٥).

وكل ما قاله الكاتب من أنّ الإيمان يدعو إلى الخضوع وطاعة الحكام في أحكامهم الباطلة هراء تنكره أصول القرآن التي لا يمترى فيها مسلم، وإذا كان الكاتب يرى، أن اليسار المسلم هو الذى يؤمن بالنظر وحده فنقول له: إنّ القرآن هو الآمر الحاكم ولا يختلف أحد في ضرورة الالتزام به! وهو لا يستطيع أن يذكر اسما واحدا لعالم من العلماء.

قال: إن الانقياد إلى الحاكم هو انقياد مطلق بل جعلت طاعة الحاكم مقترنة بطاعة الله،

﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾(٦).

وقد اعترف المنصفون من باحثي الغرب بحرية التفكير في الإسلام، ولا يوجد مذهب واحد ينكر هذه الحرية! وإذن فكل ما قيل غير ذلك باطل مرفوض.

٢- تعرض الكاتب إلى صفات الله - تعالى - ص(١٣) إنّ وصفه - عز وجل - بالعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر، هو انتزاع لهذه الصفات من البشر في رأى من سمّاهم باليمين، وهذا كلام ظاهر الخطأ، لأن الصفة نسبية في شأن الخالق والمخلوق، فالإنسان يوصف بالقدرة والعلم والحياة في ضوء حالته المعهودة، وذلك لا ينازع في شيء صفات الله المطلقة، ولا أدرى كيف أجاز الكاتب لنفسه أن يقول: إن ذلك ينتزع من الإنسان أهمّ صفاته وهى العلم والقدرة والحياة ص١٣ فيتحول إلى صنم عقلي ثابت جامد وهو نوع من الوثنية اللاشعورية إن البدائيين في الشعوب المتأخرة يتمتعون بأحاسيس، ولهم قدر من التفكير يستطيعون به العيش في محيط الحياة! فكيف يكون المسلم في ضوء الإيمان منتزع الشعور بالحياة جاهلا فاقدا القدرة على التفكير وكيف يكون مرّد ذلك إلى الإيمان! بل كيف تكون صفات الله العظيمة أداة تعطيل للإنسان!

وقول المؤلف ص١٤: إنّ النظم التقدّمية تحاول أن تعيد بناء الإنسان عالما قادرا حيا وتقضى على مظاهر الجهل والعجز ومشارف الموت التى يتردى فيها الإنسان وهو موقف اليسار، هذا القولُ كاذبٌ لأن الإسلام منذ نزل على الأرض قد أعاد بناء الإنسان عالما قادرا حيا، وما بلغت الحضارة الإسلامية مبلغها الزاهر في ظلال الإسلام إلا باتباع أصوله الداعية للنهوض الإنساني! ولا

---

(٣) فصلت ٥٣.
(٤) الأعراف ١٨٥.
(٥) يوسف ١٠٥.
(٦) النساء ٥٩.

يوجد مسلم" واحد ينكر حق الإنسان في العلم والعيش الكريم والصحة الموفورة في ضوء التكافل الاجتماعي! وإذا كان المؤلف يرى أن هناك يمينا لا يدعو إلى ذلك فليدلنا عليه! ولن يستطيع.

وقد أحس المؤلف بشذوذه فقال إن اليمين يحاول أن يجعل هذه الصفات للأقلية الحاكمة فقط دون الأغلبية، لتظل وحدها المسيطرة، وماعداها عاجز جاهل ميت أصم، وأبكم، وأعمى، ومعنى ذلك أن الإسلام ليس دين المساواة، بل دين الطبقات.

والحديث عن المساواة في الإسلام من الوضوح بحيث لا يجهله المسلم الذي يقرأ قول الله:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[7] وليس في الإسلام مزايا تتمتع بها الأكثرية دون الأقلية فالكل سواء كأسنان المشط، فمن أين أتى الكاتب بما يدعيه؟ ويصم به اليمين.

٣- تحدث الكاتب عن موضوع القضاء والقدر، فجعل ما سماه بالفكر اليميني يصف الله بصفات القدرة والإرادة والعلم لينزع من الإنسان قدرته وإرادته، ويجعله ريشة في مهب الريح، فهو كما قال المؤلف: «ليس له قدرة مستقلة، أو إرادة خاصة، وبالتالي فهو ليس صاحب قراره، أو مصدر تدميره فالفعل الإلهي سابق على الفعل الإنساني ومعه وبعده والفعل الإنساني ما هو إلا تابع لمتبوع وكل ما يحدث في أفعال الشعور من هداية أو ضلال أو توفيق أو خذلان يحدث بالفعل الإلهي»ص١٦.

وهذا الكلام يُردد بعد مائة عام أو أكثر منذ ظهر بطلانه، فقد سبق أنْ ردده مستشرقو أوروبا، وأجاب عنه الأستاذ الإمام محمد عبده بما بين زيفه، حتى اتضحت حقيقة (القضاء والقدر) على وجهها الصحيح، فإذا كان الكاتب يثق في الإمام محمد عبده ويجعله مثالا لليسار كما زعم فلم لَم يصحح أخطاءه راجعا إلى ما قال الأستاذ الإمام في رده على المسيو (هانوتو) وغيره من الذين فهموا مسألة القضاء والقدر على غير وجهها الصحيح!

إن الذين فهموا القضاء والقدر بالمعنى الذي أشار إليه الكاتب طائفة محدودة ظهرت في العصر الأموي وعرفت بالجبرية، وقد ناقشها العلماء بالمنطق الحاسم، فلم يكن لها أتباع منذ ألف وثلاثمائة عام! فهل يكون العامة من المسلمين جبريين وهم الذين رفضوا هذا المذهب عن يقين. إن الكاتب يشعر بإرادته المطلقة فيما يزاول من أعمال، وكذلك كل إنسان يشعر بهذه الإرادة ولئن قلْتَ لإنسان ما: إنك مجْبر على أن تسير في طريق كذا، وفهم من قولك إعناته وجبْره وتضليله، لقال لك بملء فمه: لنْ أسير، ومعي حريتي تقودني إلى حيث أريد، لقد كتب من سماهم باليمينيين عشرات الكتب في حرية الإنسان، فهل قال قائل معاصر منهم فيما كتب: إن العبد لا إرادة له، وأنه في مهب الريح، حتى يكون الفريق الأكبر من المؤمنين يفهمون القضاء والقدر على معنى التحكم والإجبار.

---

(٧) الحجرات ١٣

وكعادة المؤلف حيث لا ينتهي من تقرير أمر يتعلق بالعقيدة إلا ربطه بالمال والاستغلال، فقد زعم أن هذه العقيدة التي جعلت حكام الدول الدكتاتورية يتحكمون في الأرزاق والأسعار، فهي تروج لعقيدة القضاء والقدر لتوحي للناس بأنهم مسيرون لا مخيرون! وهكذا يتخذ المؤلف من كل حكم زائف مرتكزا لتقرير الماركسية، بل ولشيء أكثر من هذا، وهو الخروج بها من دول الشيوعية إلى الإسلام في صميمه! لأن الموقف اليساري المسلم في رأيه هو الذي يقرن الفعل الحر بالمسئولية فتكون أفعال الإنسان ملتزمة بقضايا الواقع.. أما اليمينيون فجبريون، ثم إني أتساءل: من يخاطب المؤلف بما قال: أيخاطب الجمهرة وكلهم مخالفوه؟ أم يخاطب الماركسيين في العالم العربي وحدهم وقد بدأوا يتساقطون!؟ يا أخي، إذا وجدت إنسانا فيمن حولك ينكر إرادته في عمله اليومي فدلنا عليه!

٤- يعلم الماركسيون أن القرآن حصن المسلمين، وملاذهم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويعلم أنه مدون منذ نشأته، ولا يشك أحد في صدق تنزيله، والكاتب يحاول أن يزحزح هذا الاعتقاد، ولكنه لا يجد أمامه أدنى حجة! وإذن فليلجأ إلى التعميم ليجعل القرآن كالتوراة وكالإنجيل يندرج تحت ما يسمى بالوحي الشفوي وقد تم تدوينه مباشرة أو بعد عدة أجيال

يا هذا أنت في صميم بحثك تتحدث عن الإسلام، فلماذا تقول عن كتابه بلهجة المتردد، إنه دُوِّن إما مباشرة أو بعد عدة أجيال: أليسَ ذلك احتيالاً كريها للشك في النص القرآني! ثم تتدرج إلى ما تقصد فتقول: إن هناك موقفين، موقفا يجعل السلطة سابقة للعقل والعقل تابعا للسلطة وموقفا آخر، والسؤال ما دخل السلطة هنا وهل الالتزام بالصريح من نص القرآن يكون سلطة! أو يكون إرشادا للطريق المستقيم، وتزداد الجرأة القطيعة حين يقول الكاتب: لا يوجد نص واحد ولو كان صريحا لا يختلف عليه اثنان ص١٧ بالله: أيختلف أحد من المسلمين في أن الله واحد! أيختلف أحد من المسلمين في أن محمدا رسول الله! أيختلف أحد من المسلمين في أن الثواب والعقاب واقعان يوم الحساب؟ أيختلف أحد في أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي؟ أيختلف أحد في أن القصاص واجب، العين بالعين والسن بالسن والنفس بالنفس والجروح قصاص؟ أنقل جميع تعاليم الإسلام الأصيلة لأبين أنه لا اختلاف عليها؟ ثم بعد هذا الفهم المنكر للنص القرآني يقول: إن هذا الاختلاف المزعوم يفسر تارة لصالح الأغلبية ضد الأكثرية، وتارة لصالح الأكثرية ضد الأغلبية فيظهر تفسير رأسمالي للدين وتفسير اشتراكي!! وأنا أتساءل من المفسر العالم الحجة الذي قرأ القرآن وفهمه حق الفهم قد فسره تفسيرا اشتراكيا؟ إن مفسري هذا العصر من العلماء الأثبات أمثال: محمد عبده ومحمد رشيد رضا ومحمد فريد وجدي، ومحمود شلتوت، وأبي الكلام آزاد، ومحمد الطاهر بن عاشور ممن سبقوا إلى رحمة الله، ولا أذكر من الأحياء أحدا على فضلهم الباذخ وهم مشهورون مرموقون كيلا أرمى بالمجاملة والزلفى، هؤلاء جميعهم لم يفسروا



القرآن تفسيرا اشتراكيا، إنما فعل ذلك أمثال الكاتب فى بعض آيات لم يستطيعوا فهمها على وجهها الصحيح، ولم يستمع إليهم أحد، لأنهم ليسوا من أهل الذكر؟ ولم يفهموا القرآن على وجهه الصحيح حتى يفسّروه.

ثم إن القول باختلاف النقل عن العقل مرفوض فى الإسلام، فالنقل وحى صادق لا يختلف مع العقل، والمتشابه طريقة التأويل الذى تسيغه اللغة جريا على أسلوب البيان العربى، فقل لى أيها الرجل، فى أى تفسير من تفاسير كتاب الله منذ ابن عباس إلى محمد متولى الشعراوى التبس فيه الحق بالباطل، وضاعت حقوق الشعوب فى متاهات المفسرين! هات مفسرا واحدا قد أضاع حقوق المسلمين بتأويل يهضم هذه الحقوق! . .

وبعد ذلك يعود الباحث إلى ما يتعمده من الدعاية الشيوعية فيقول: إن السلطة السياسية استغلت المفسرين لترويج ما يخدم صالحها! لأن أولوية النقل على العقل تحمى النظم الرجعية من استعمال الجماهيرلوسائل البحث! أليس هذا هو الهراء الشيوعى الذى افتضح ولم يعد له أدنى سند!

إن علماء الإسلام منذ العصر الأموى قد أدوا كلمة الله أمام السلطة الغاشمة، وفيهم من قتل فى سبيل الدفاع عن الحق.ومن هؤلاء المناضلين فى رد العدوان سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، وأبو حنيفة ومالك، وابن حنبل، والأوزاعى، وابن السكيت، والعز بن عبد السلام والمنذر بن سعيد ومحيى الدين النووى، وابن دقيق العيد، وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وحسونة النووى، ومحمد بخيت، وغيرهم ممن قاوموا السلطة بأقصى ما يستطيعون، وفى كتاب تاريخى تحت عنوان « علماء فى وجه الطغيان » فصلت فيه سير هؤلاء الأبطال! فهل وجد فى تاريخ أمة من الأمم طراز متصل الحلقات، مسلسل الوقفات كهذا الطراز الأمين! أتقول بعد ذلك: إن المفسرين يخضعون القرآن للسلطة! ولدينا مواقف هؤلاء الإعلام على ممر العصور! وما ذكرت منهم غير القليل. . وليسوا مفسرين فقط، بل أئمة عصور يأتلقون فى آفاقها كالمصابيح!

ثم يكرر الباحث ما رجف به من قبل فى قضية القضاء والقدر، ليقول (ص) ١٩: إن من يسميهم اليمينيين يقولون: إن كل شىء فى هذا العالم بخيره وشره لا يخضع لقانون ولا يهدف إلى غاية ولا يبنى مصلحة ص١٩ لأنه من فعل الله! وقد نسى أن الله حكيم مدبر رحيم! ثم يأتى إلى من سماهم باليساريين فيقول: إنهم يدعون إلى أن يشارك العامل فى رأس المال، وأن تكون الأرض لمن يصلحها أما الأصلح فهو الملكية العامة لوسائل الإنتاج! وكأن الرجل لا يعيش فى زمن انحسرت فيه موجة القطاع العام فى أوروبا التى يهيم بها، وكادت تنحسر فى الشرق بعد أ" جرت ذيول الخراب والدمار، وساعدت على إفساد الذمم وغصب الأموال! لا يعيش الرجل فى هذا الزمن لأنه لايزال يدعو إلى الملكية العامة لوسائل الإنتاج! وقد رأى فشل ذلك بعينيه! ولكن الماركسية تقوده إلى الهجوم على الفضلاء تارة وإلى إنكاره الواقع الصريح تارات!

٥- اتجه الباحث إلى إنكار النبوات وما يصحبها من المعجزات، وجعل اليمين من مؤيدى النبوة والمعجزة، واليسار من منكريهما،





وطبيعي أن يكون اليسار هنا ليس إسلاميا بالمرة وإنما معناه الماركسي الشيوعي، لأن كل مسلم مهما شط في اعتقاده لا ينكر أن نبيه محمد ـ ﷺ ـ جاء بالوحي من عند ربه، وقد مهد الكاتب بهذا القول الخاطئ المخطئ لقوله: إن النظم اليمينية الرجعية تؤيد هذا الاتجاه لتؤكد سياسة الحاكم! ولأول مرة أسمع أن الحاكم المعاصر في أي بلد يستند إلى النبوة في تأكيد سلطانه! والكاتب لا يعد فرنسا وألمانيا وإنجلترا من النظم الرجعية قطعا، ولكن هذه الدول تؤمن رسميا بنبوة عيسى بل بألوهيته ويقوم رسلها بالتبشير للمسيحية في كل مكان! فكيف يجوز القول بأن الدول الرجعية وحدها هي التي تؤمن بالنبوة! إن الرجل يتكلم بلسان الشيوعي الماركسي الذي يكفر بالله ثم بالنبوة تبعا لذلك! فهل يوجد مسلم ما يصدق عليه وصف المسلم لا يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله لو أن ذلك متجه اليسار الإسلامي في زعمه لما كان إسلاميا بالمرة بل كان كافرا جاحدا!! أما إنكار المعجزات فشيء طبيعي لمن ينكر النبوات، ومن الخلط الذي لا يصدقه طفل قول الكاتب ص٢١: وكما يقوم النبي بالمعجزة، يقوم الزعيم السياسي وصاحب رأس المال بمعجزات مشابهة يهزم بها العدو في ساعات، ويحل المؤسسات ويعقدها في غمضة عين فتتق في أفواه الجماهير، يا هذا إن سادتك من زعماء الماركسية قد حلوا المؤسسات، وأسقطوا الدول بالدبابات في ساعات! فهل هؤلاء يؤمنون بالمعجزة التي أتاحت لهم ذلك، وجعلت السرج من الجماهير ينضوون تحت ألويتهم! لم لا تكون منصفا فتقول: إن النبوة والمعجزة لا شأن لهما في التحكم السياسي، وفرض رهبة الحاكم يمينا أو يسارا! ثم لماذا لا يكون إسقاط المؤسسات وعقدها أمرا سياسيا اقتصاديا له ظروفه الملجئة تارة! والمحرمة تارة شيئا وفق ما تقتضيه الأحوال!

ومازال الكاتب غافلا عما كشفته الأيام من مآسي الشيوعية، حين يقول: لا تحاول النظم التقدمية فرض أية وصاية على الإنسان، مع أن زعيم الشيوعية لينين قد اعترف بأن سحق المعارضين فريضة ولو بلغوا الملايين! وقد نُفِذَ هذا من بعده في المجر، وفي تشيكوسلوفاكيا وفنلندا وبولندا، فأي وصية قاهرة أنكى من الدبابات والقاذفات تدمر المدينة في طرفة عين! لتقول بعد ذلك: إن الجمهور هو الذي دمر بلده وقادها للخراب! وعاد الكاتب إلى حديث رأس المال ثانية، وكان الكتاب من أوله إلى آخره يتحدث عن وجهة اقتصادية تؤيدها الشيوعية! ثم يكذب الواقع الأليم حين يزعم أن الإيدلوجية اليسارية ليست وصايا مفروضة على الإنسان بل هي تغيير نظري عن واقعه ص٢٢ وتحقيق على مستوى الفكر لمتطلباته وتخطيط دقيق لكيفية الممارسة! وقد أُلِفَتْ مئات الكتب عن البطش الشيوعي بالأرواح، وعن حصد الأمم المناوئة تحت قذائف النيران! كما افتخر الدب الروسي بأنه اكتسح فنلندا وبولندا في يومين بقوته الباطشة! فهل كان ذلك تعبيرا عن الواقع النظري وتحقيقا لمتطلبات الإنسان واستجابة للقاعدة الجماهيرية.

«يتبع»





كتاب الشهر:

# عصر الإلحاد
## خلفيته التاريخية وبداية نهايته

للأستاذ محمد تقى الأمينى الندوى

عرض وتحليل الأستاذ الدكتور إبراهيم عوضين

**كتاب هذا الشهر كما يشير عنوانه ـ يقدم وصفا لعصر الإلحاد فى أوروبا ودوافعه وآثاره ونهايته فى نحو ثمانين ومائة صفحة من القطع المتوسط مضيفا حلقة إلى حلقات تلك السلسة الممتدة التى نهض بها كثير من مفكرى المسلمين فى شبه القارة الهندية وباكستان.**

**وقد اضطر المؤلف إزاء ضخامة الصورة وتعدد عناصرها التى تغطى عصر الثورة الصناعية ومحدودية المساحة التى قدمت فيها ـ إلى أن يكثف عباراته لتقدم كل عبارة منها أكبر قدر ممكن من الأفكار المتزاحمة بما تضمه من آثار.**

ومؤلف الكتاب له جولات كثيرة فى ميدان الدراسات العقدية والفكرية المقارنة قدم خلالها نحو عشرين كتابا وهو من مواليد الهند سنة ١٩٢٦م وتخرج فى الجامعات الإسلامية وعين أستاذا بدار العلوم ندوة العلماء بلكهنو ثم أصبح مسئولا عن التدريس والإشراف على الشئون الدينية بجامعة عليكرة الإسلامية.

وقد ترجم الكتاب الى اللغة العربية الدكتور مقتدى حسن ياسين وكيل الجامعة السلفية بالهند وقام الدكتور عبد الحليم عويس بمراجعته وإعداده للطبع سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

والمؤلف إنما رأى فى عصر الثورة الصناعية عصرا للإلحاد لأنه لاحظ أن الإلحاد فى هذا العصر أصبح علما ومنهج حضارة وفلسفة يبشر بها، ولم يعد سلوكا فرديا ولا حتى سلوكا جماعيا عارضا؛ فقد وجد بالنظر الفاحص أن أوروبا ما اعتنقت النصرانية قلبيا ورسميا فحسب لكنها إلى ذلك قد اعتنقت عقليا وفكريا وتنظيميا ما أفاءته عليها الوثنية اليونانية الرومانية والفكر الفلسفى الدائر فى هذا المحور كما وجد أن فلاسفة كثيرين قد بذروا بذور الإلحاد فى نظريات ومذاهب وحاولوا تلفيق أديان جديدة لها بعض السمات الشكلية للدين ولكنها من صنع الإنسان نفسه ولا علاقة للوحى السماوى بها. وتحت هذا الستار نفثوها سموما فى شتى مناحى الحياة الأوروبية جيلا بعد جيل معتمدين على الهيمنة الإعلامية والثقافية فى التبشير بها، مع إخفاء مضارها الفتاكة.

والكتاب يضم مقدمة وتمهيدا وأربعة فصول عمل المؤلف فى أثنائها على أن يقدم لأوروبا فى هذا العصر الممتد الصورة العقلية فى علاقتها بالروح والقلب، والسلوك الإنسانى.

وكانت المقدمة نافذة تلفت القارئ إلى دور السياسة ـ حين تستبد الأمر ـ فى تزييف الدين وإبرازه فى هيئة منفرة تتراكم فيها العقائد البالية والعادات والتقاليد القديمة على الرغم مما بين السياسة والدين من توافق إذا كانا متوازيين كما تلفته إلى لجوء السياسة لاختراع دين مصنوع يؤازرها ويعينها فى إزهاق روح الدين السماوى الخالص والتنفير منه وعزله عن الحياة؛ حتى يفقد فعالياته الفطرية وتلفته إلى منهج المؤلف فى استعراض ذلك.

## مقررات قرآنية تكشف دور الدين المزيف فى هدم الحضارات

تحت هذا العنوان مهّد المؤلف لدراسته فقدم من الآيات الكريمة ما ينبه إلى تلك النتائج الهدامة التى بلغت خمسين أثرا، كل أثر منها يكفى وحده فى زلزلة كيان البشرية، وختم هذا التمهيد مقررا: أن هذه الآثار المدمرة التى بين القرآن الكريم أنها تنشأ عن تزييف الدين قد أصابت مسلمى العصر الحاضر كما أصابت من قبل النصارى واليهود وغيرهما من الديانات السابقة وكانت أبرز هذه الإصابات وقوع المسلمين بين براثن التأويل والتزوير والاغترار والانخداع والاحتكار الدينى والطائفى التى وقع فيها من سبقهم من أهل الديانات الأخرى. على وعد منه بأن يضمن بقية الكتاب الشهادات التاريخية التى تؤكد وقوع هذه الآثار وتوضحها.

## الدين قبل النشأة الثانية

تحت هذا العنوان قدم الفصل الأول ويقصد المؤلف بالنشأة الثانية،النشأة الثانية لأوروبا التى سبقت بتسلل عبادة الأوهام النصرانية فانحرفت بها وجعلت منها دينا ضعيفا هشا منقطع الصلة بالإنسان،من كل ما هيأ الفرصة لتحريف النصوص،وتمكين العقل البشرى من إخضاع الدين لرغباته لمدة تجاوزت الألف عام من سنة ٤٨٦ إلى سنة ١٤٩٥م.

ويذكر المؤلف أن عبادة الأوهام تلك قد بدت فى عدة مظاهر من أهمها:

١ـ توهم أن غاية التدين ومنتهى الأخلاق يتمثل فى قتل الجسد.

وقد نشأ هذا الوهم من الحكم على الإنسان بأنه مجبول على المعصية مفطور على الشر؛فسادت الرهبنة والزهد.

٢ـ وفى مقابل هذا الوهم ساد وهم آخر يعتمد على المكر والخداع ليحول الدين إلى طقوس ومظاهر شكلية يتمكن بها من اختراق وهم الرهبنة والزهد ليسود الترف والانحلال فيملأ الفراغ الذى نشأ عن اعتزال الحياة باسم الرهبنة.

٣ـ وفى ظل هذين الوهمين المتقابلين تحول الدين الى مظاهرة فارغة تحتمى بسلطان الكنيسة لتوفر لمن يبدون التزامهم بها أيسر السبل التى توفر لهم حاجات الحياة من غير جهد ولا عمل.

وباسم نشر الدين انتشرت الحفلات الدينية التى استغلت للتسلية وتحقيق المتع المادية وإشباع النهم الجنسى.

٤ـ الاهتمام بالاختلافات فى الفروع وتعصب كل لما يراه ؛من كل ما فرق شمل الدين وجعله ديانات كثيرة يخاصم كل دين منها ما سواه من الديانات الأخرى حتى انتشرت عبادة الأولياء والتماثيل استجابة لروح الصراع المتعصب.

٥ـ سيادة وهم جمود الإنسان ومقاومة كل من يخرج على ذلك بشتى وسائل القهر والمقاومة؛من لعن وطرد وسجن وتعذيب بالغ العنف ينتهى بالشخص إما إلى الموت أو إلى التوبة والرجوع عن آرائه كما جاء فى توبة «جاليليو» حين قال: إن الأرض تتحرك فواجه من أسباب القهر ما اضطره إلى أن يعلن توبته ورجوعه عن أقواله تلك .قائلا:«أنا المدعو بـ (جاليليو) فى سن السبعين أركع وأنا سجين أمام صاحب القدس وأقبل الإنجيل وأعترف بخطأ القول بحركة الأرض وأكره الإلحاد والعنه» وهكذا افرغ الجو من الدين السماوى الخالص لا ليسود الدين السياسى فحسب.بل ليسود، وليتعاون مع الفساد البشرى والاجتماعى كى يظل محتفظا بسلطانه وتسيده.

## حركة الإصلاح الدينى

وفى الفصل الثانى تعرض لحركة الإصلاح الدينى فى أوروبا،فلم يكن ممكنا أن ينال هذا الفساد كل التأييد والرضا من جميع الناس؛فالفطرة البشرية المستقيمة تظل تبحث مهما بلغ ضعفها عن وسيلة للخلاص من الشذوذ والانحراف السائد.

١ـ وقد رأى الباحثون الأوروبيون أن أوروبا استفادت كثيرا من الاتصال بالمسلمين والوقوف على الدين الإسلامى فى أثناء الحروب الصليبية وما أمدتهم به مراكز الأندلس العلمية. وتمثلت تلك الإفادات فى اقتباس علوم الطبيعة والنجوم والفلسفة والرياضيات من المدارس العربية ثم أخذت تنتشر فى أوروبا منذ القرن الرابع عشر كما صرح بذلك «جان ديون بورث» و«رينان» وغيرهما.

٢ـ وكان من أبرز ثمار ذلك ظهور شخصيات أوروبية عنيت بالإصلاح الديني مثل «جان كالفن» ١٥٠٩ ـ ١٥٦٤ و«إراسمس» ١٤٦٦ ـ ١٥٣٦ و«مارتن لوثر» ١٤٨٣ ـ ١٥٤٦. وعلى الرغم من تعرض هؤلاء الإصلاحيين للطرد واللعن والسب بناء على أحكام محاكم التفتيش أثمرت جهودهم الإصلاحية تأسيس فرقة «البروتستانت» في ألمانيا ثم انتشرت في أوروبا حتى سيق قادتها ومعتنقوها إلى محاكم التفتيش؛ لمعارضتهم طريقة حياة البابا لإسهامهم في التقدم العلمي والحضاري المناقض للدين الجامد الذي كان يسود أوروبا ولم يكن هؤلاء الإصلاحيون الذين نهضوا بحركات الإصلاح الديني مقطوعي الصلة بعامة الناس، فقد صادفت هذه الحركات اتجاها أوروبيا عاما يميل إلى الإصلاح وينشده، فكانت البداية الإصلاحية في أوروبا قائمة على الدين الصحيح، حتى ذهب بعض المفكرين إلى أن أساس جميع الحركات التقدمية في أوروبا قد قام على الدين الصحيح وذهبوا إلى ما هو أعمق من ذلك وأبعد وهو أن الغريزة الدينية طبيعة في الإنسان.

٣ـ ومع هذا وقعت حركات الإصلاح الأوروبية في أخطاء كان من أبرزها:

«أ» الفشل في إيجاد توازن بين العقل والعواطف.

«ب» العجز عن التوصل إلى كيفية صحيحة للإيمان.

«جـ» عدم بذل الجهود المخلصة لتوضيح التوافق بين الإصلاح والسنن الطبيعية.

«د» عدم الاهتمام بربط الإصلاح بالناحية الإيجابية للشئون الاجتماعية والحضارية.

«هـ» عدم المزج في الإصلاح بين العقل والقلب ولا الاهتمام بإيجاد التوازن بين الدين والدنيا حتى تحل مشكلات الحياة وكان نتيجة ذلك أن جاء الإصلاح محدودا جدا.

ويدعم المؤلف ملاحظاته تلك بعدة شهادات تاريخية صدرت عن «هـ. و ويكمن» و«أ. ج. جرانت».

٤ـ وفي استعراض المؤلف لمقومات حركة الإصلاح ذكر أن ضعف الدين وفشله كان أهم مقومات نجاح حركة الإصلاح. هذا إلى أنها وسعت نطاق الفكر واتجهت إلى إعادة عصر الترف اليوناني السابق وتغيير صورة المجتمع بما فرضت عليه من اختلاط مشين فيما تبنته من حفلات ومجالس تشتمل على الرقص والغناء والعروض السافرة وتوجيه المناهج الدراسية إلى كل ما يتصل بالنفس الإنسانية وإنشاء أساليب جديدة للصناعة وإضعاف سلطة الملوك والأغنياء وتشجيع حركة الكشوف الجغرافية وما تمخضت عنه من تأسيس المستعمرات الأوروبية.

هـ ـ ومع تغير صورة أوروبا ونشوء عالم جديد فيها نتيجة هذا الإصلاح .. أصبحت الحاجة ماسة إلى دين شامل للتوجيه والإرشاد بما يحتويه من تعاليم شاملة ولكن هذا العالم الجديد لم يحظ بهذا الدين؛ إذا اكتفى بتلك الصورة الباهتة

الضعيفة للدين؛فلم يتوفر له من أسباب التوازن ما يحميه من تغلب الجانب المادى على الجانب الروحى بل زاد من عنف الانحراف إلى الجانب المادى أن الدين النصرانى الذى فُرِّغ من أهم خصائصه . . وأصبح مقصورا على الرهبنة ومعاداة التطور وأصبح ملهاة يتسلى بها القائمون على العالم الجديد،ففقد كل أدواره الحيوية لتخلفه التام عن التطور ولفقدانه ما يقدمه لحركات الإصلاح من دعم يتلاءم مع ما جد من تغير.

مع هذا كله . . أصبحت الحاجة ماسة إلى دين يتخلى عن بعض مبادئه الأساسية ويتفاهم مع الأفكار الحديثة ويتفاعل مع الحياة الاجتماعية بكل جوانبه على أن لا يتدخل فى الشئون الأخرى؛فكانت النصرانية الجديدة التى طورها «بولس» هى التى تستطيع أن تقوم بذلك الدور،ومازالت أوروبا تعيش إلى اليوم فى ظل هذه التركيبة الغريبة التى تقوم على التمسك بدين ذى عقيدة ميتة وبعض عادات وسلوكيات لا تحقق للنفس إلا التسلية والمتع الجسدية التى استمدها فى أوروبا من هيمنة آثار الحضارة الرومانية عليها كما أوضح ذلك «جيبون» فى كتاب سقوط الإمبراطورية الرومانية.

وبذلك لم تتوافر أية قوة للتفكير الدينى فى نشأته الثانية على يد حركة الإصلاح اللوثرية؛فانتشر التفكير اللادينى.

## العصر الحديث وأحواله الخاصة

وفى الفصل الثالث تحدث المؤلف عن أوروبا فى العصر الحديث الممتد من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر فذكر أن أوروبا فى هذا العصر كان يسيطر عليها الاتجاهات اللادينية على اختلاف مظاهرها وذلك لأن الدين الحقيقى لم يكن ممكنا أن يتفاهم مع ما نشأ فيها من اتجاهات ونظريات تتلخص فى :

١- نظرية القومية والوطنية.

٢- المذهب الطبيعى.

٣- الحضارة المادية.

أما النظرية القومية فتنتسب إلى «ماكيافيللى» الذى استوردها من روما مع ما استورد منها من العلوم والفنون الأخرى.

ولكنه عرضها بأسلوب جديد مقررا أن الدولة القومية هى أعلى كيان فى الكون وأن الدولة لذلك ليست أخلاقية ولا قانونية بل هى سياسية فقط؛فهى غير محتاجة إلى الأخلاق ولا إلى الدين ولا إلى القانون.

ولا مانع فى الدولة القومية من أن يبقى الدين تابعا للسياسة وخادما لها.

ولإصابة الحياة فى أوروبا بالجدب رحبت بنظرية القومية الميكيافيللية ليبقى الدين آلة مستخدمة فى يد السياسة كمتعة نفسية أو زينة لمجالس السمر على الرغم من سطحية النظرية القومية بما تقوم عليه من إهمال للأخلاق والسلوكيات.

ولم يقف هذا الترحيب الأوروبى بالميكيافيللية على رجال السياسة بل لقد انضم إليهم رجال الدين هناك فأثمر ذلك دينا جديدا هو «الدين الطبيعى» الذى لم يلبث طويلا حتى حل محل الدين السماوى.

وفي مبحث مستقل عمل المؤلف على التعريف بهذا الدين الجديد؛ فذكر أنه الذي يبقى حرا من جميع العادات والتقاليد ويبنى على الطبيعة الإنسانية فقط وقد نهض بالتبشير به كثيرون مثل: «بودن» و«تورالند» و«لورد هربرت» ويلاحظ أن هؤلاء جميعا كانوا حريصين على تحرير الإنسان من سلطة رجل الدين الذي كان يهيمن على كل مقدرات الحياة الأوروبية؛ ولذلك قام هذا الدين الطبيعي على مقولة: إن الإنسان يتلقى وحيا باطنيا مستمرا يوجهه ويحرره من نصائح الموجهين الدينيين.

## مناقشة وتقويم

ثم أخذ المؤلف يناقش هذه الفكرة تحت عنوان «أخطاء الدين الطبيعي» منبها إلى ما في «الوحي الباطني» من خداع مضلل؛ إذ لا يمكن أن يصان الإنسان في ميدان الحياة عن الهوى والشهوة الشخصية التي تصيب الفطرة بالانحراف ......ومضحا أن فكرة «الدين الطبيعي» فكرة قد تخدع في الظاهر ولكنها أمام الواقع الإنساني قادته إلى الإلحاد واللادينية وذلك لاستحالة بقاء الفطرة مصونة من الزيف والغش بعد وقوعها تحت تأثير الوراثة والتربية.

ومع أن انتشار الدين الطبيعي استلزم التنفير من دين الوحي ....وجدت طائفة أخرى لا ترى حاجة حتى إلى تعاليم الدين الطبيعي، طلبا لمزيد من الحرية.

وكان من أثر ذلك أن ظهر في بداية القرن الثامن عشر مصطلح «حرية التفكير» في الأدب الإنجليزي قصدا إلى تحرير التفكير من جميع القيود.

وتحت عنوان «أسلوب سيطرة الدين الطبيعي على دين الوحي» ذكر المؤلف أن الدين الطبيعي قد اختار أسلوبا سياسيا للتغلب على دين الوحي حيث تدرج من الدعوة إلى اختبار كل شئ بالمقياس العقلي فبدا متوافقا مع الكتب المقدسة.

ثم بالمقياس العقلي قرر أنه «لا يعقل أن يوحي الله إلى بعض الناس مباشرة بينما يحرم البعض الآخر من الوحي بينما هناك من يجهلون الوحي تماما». ويخلص الدين الطبيعي من ذلك إلى أنه لا حاجة للوحي؛ لكفاية الدين الطبيعي من جهة ولأن الوحي ليس ممكنا من الناحية النفسية والخلقية.

وهنا يعرض المؤلف لجعل العقل مقياسا في الحكم على شئون الدين والحياة؛ مقررا أن التسليم بما للعقل من دور في إثبات الحقائق والأشياء لا يعني أن هذه القدرة مطلقة فالتجربة والمشاهدة تثبتان أن دور العقل في الدين والحياة محصور في مدى محدود، لا يستطيع الخروج عليه ولو تجاوزه لأصبح تدخله مضرا.

بل إن العقل ليبدو عاجزا في أكثر من أوقات الحياة حتى إنه لينحط إلى أودية العواطف والشهوات وينسى دوره في التوجيه، وإذا وجد توجيها، فإنه لا ينفع، ولا يؤدي إلى نتيجة.

فمحدودية العقل تحول بينه وبين الأشياء والأمور التي تخرج عن حدوده.. ومن أبرزها أمور الدين، فالنقطة التي ينتهي عندها عمل العقل، يبدأ منها عمل الدين.

هذا إلى أن العقل بطبيعته سريع التغير والتلون تأثرا بما يكشفه وما يقف عليه كل يوم، مما كان يجهله، بحيث يقع هذا التغير من جيل إلى جيل. بل في الفرد الواحد من عام إلى عام. من كل ما يقرر أن العقل لا يصلح مقياسا لتنظيم الحياة الإنسانية.

ومن هنا يتقرر أن العقل لا يمكن أن يقوم بتحليل دين الوحي، ولا يمكن أن يعارض أموره الأساسية.

وتقريراً لهذا قدم المؤلف نماذج تمثل العصور المختلفة، توضح مظاهر الانخداع في قيمة العقل وقدرته، بدءا باستحالات الفيلسوف (زينون) المولود في القرن الخامس قبل الميلاد، والتي استند فيها إلى عقله، فحكم بأن الحركة خداع ووهم، وأنها مستحيلة الوجود.

ومرورا بالفيلسوف (بيركلي) ١٦٨٥ - ١٧٥٣م الذي أوصله عقله إلى القول بأن جميع الموجودات إنما هي تصورات ذهنية، وليس هناك شئ موجود خارج الذهن.

ووقوفا أمام (هيجل) سنة ١٧٧٠ - سنة ١٨٣١م الذي وصل بعقله إلى أن وجود الكون قام على أساس التناقض، واجتماع الشئ وضده بعد أن كانت عقول السابقين تجزم باستحالة اجتماع الشئ وضده.

وبهذه النماذج الفكرية يثبت أن المقياس العقلي ضعيف، وأن الشئ الذي يوافق هذا المقياس لا يكون حقيقة قوية ثابتة.

ويتقرر بالتالي: أن المقياس العقلي لا يصلح لاختبار حقيقة الدين الثابتة.

ويستدرك المؤلف، فيذكر أن عدم صلاحية العقل لاختبار حقيقة الدين لا يعني تعارض العقل مع الدين، ولا يعني استغناء الحياة عن العقل. بل إن للعقل دورا مهما في شئون الدين والحياة معا، لقيامه ببسط الأدلة التي تدعم المعتقدات الدينية، والتي تمد الحياة بكل جديد.

وهكذا يتقرر أن الدين الطبيعي، ومذهب حرية التفكير لا يستطيعان أن يقودا سفينة الحياة التي تلعب بها أمواج بحر الشهوات والعواطف إلى ساحل النجاة.

## مع الحضارة الحديثة

ويذكر المؤلف أن الوقوف على حقيقة الدين الطبيعي، وإصابة العقل والفطرة بالخلل والتشويه، واستبداد الشهوات والغرائز بسفينة الحياة حتى أصيبت باليأس من الوصول إلى الشاطئ... كل ذلك كان من نتيجته ظهور الشعور بضرورة الإصلاح وأهميته. ونظرا لفقد القيادة القوية، والبرامج المتوازنة التي تنهض بعبء الإصلاح المطلوب، فتح المجال أمام بعض الإصلاحيين غير المؤهلين التأهيل المناسب، فلم يتمكن هؤلاء من الوصول إلى العلاج الحاسم، واكتفوا بتقديم المهدئات والمسكنات. وبرز



من بين هؤلاء الإصلاحيين اثنان من المفكرين، هما ( جان جاك روسو ) سنة ١٧١٢ ـ ١٧٧٨م، و( إيمانويل كانت ) سنة ١٧٢٤ ـ ١٨٠٤م وهما ـ كما يقرر الواقع ـ لم يتجاوزا دور المفكر إلى دور القائد، ولذلك جاءت إصلاحاتهما محدودة للغاية.

أما ( روسو ) فقد فرض عليه توجهه الإصلاحي أن يسبح ضد تيار الحياة الجارف في ذلك الحين، حيث كان الدين والأخلاق في وضع متدهور، لما ساد من سوء الاعتقاد عن الدين النصراني في البلاد البروتستانية والكاثوليكية بسبب اتهام معظم القساوسة بالانحلال، وتحول النصرانية إلى مجرد أخلاق شخصية جذابة، لا تقوم على أصول دينية.

لذلك لم يجد ( روسو ) مفرا من أن يواجه تطرف عشاق الحضارة الحديثة بالتطرف في تقويمها، فلم يلتفت إلا إلى سلبياتها كي يبرز مساوئها في مواجهة الدين والأخلاق. ومع ذلك كان الدين الذي يدافع ( روسو ) عنه هو الدين الطبيعي الذي ظهر خلله وقصوره.

ولكنه حاول أن يرفع من قيمته بما قدم من إيضاحات وتفسيرات لم يستطع بها أن يجلي الغموض في هذا الدين، ولا في حل لغز النصرانية.

كما لم يستطع أن يبين السبيل لصيانة الفطرة من الوراثة وغيرهما من المؤثرات، حتى يستطيع الإنسان بها أن يصل إلى الدين الطبيعي.

بل إن حياة ( روسو ) نفسه الأخلاقية قد راحت ضحية الهوى والنزوات، فكانت حياته مليئة بالخزيات الفاضحة، والأعمال القبيحة السوداء.

وأما ( كانت ) فقد حاول أن يوجه الحياة والفلسفة وجهة جديدة.

وكذلك انتهى الحال بـ( كانت ) الذي حاول أن يخلص الدين من عيوبه القاتلة: فقد دخل هذا الميدان فاقدا التصور الواضح للدين، لانحصاره في الرؤية النصرانية فحسب.

ولذلك قرر أن الأخلاق حرة غير مقيدة بقيود الطبيعيات وما بعد الطبيعيات والنفسيات والقضايا الدينية، فجرد النصرانية من مقومها الأساسي، وهو الأخلاق.

ولعدم وقوف ( كانت ) على التصور الواضح للدين، اضطر إلى الاعتماد على بعض المقولات التي أوقعته في تناقضات خطيرة، فعلى الرغم من إعلانه الحفاظ على الدين، نجده لا يولي العبادات الدينية أي نوع من الأهمية، ولذلك فإن أفكار ( كانت ) لم تنجح في إخراج الدم الفاسد من جسم الحضارة الحديثة..

ويختتم المؤلف هذا الفصل مقررا أن الشخصيات التي برزت في العصر الحديث، مع محاولات الإصلاح لم تكن قادرة على أن تنفخ روح الإيمان والعقيدة في القلوب والنفوس، بعد أن تغيرت طبيعتها الداخلية، وشوهت فطرتها الإنسانية.

كما فشلت هذه الشخصيات في أن تقود سفينة الحياة المعرضة للطوفان، كي تصل بها إلى ساحل النجاة.



## بعض نظريات الإلحاد

وفى الفصل الرابع قدم المؤلف أربع نظريات، رأى أنها كانت من أبرز النظريات التى عرفها القرنان التاسع عشر، والعشرون، لما أحدثته من آثار فى التفكير الأوربى فى هذا العصر، هى نظرية التطور لـ( دارون ) ١٨٠٩ - ١٨٨٢، التى رأت أن أصل الإنسان حيوانى وليس علويا. ونظرية الغريزة لـ( مكدوجل ) سنة ١٨١٧م، التى حولت دفة الفطرة الإنسانية ونقاءها إلى ظلمة الغريزة. ونظرية الجنس لـ( فرويد ) ١٨٥٦ - ١٩٣٩ التى حولت العفة والشرف إلى الجنس المستهتر، ونظرية الاشتراكية لـ( ماركس ) ١٨١٨ - ١٨٨٣ التى كسرت المرآة الروحية للإنسان بحجارة الاشتراكية الجامدة.

وفى سبيله إلى ذلك قدم عن كل نظرية دراسة موضحة، فتتبع نشأة الدارونية، وحقيقتها، والإنسان فى ميزانها، ومكانتها من الفلسفات السابقة والمعاصرة، ومكانة الفطرة فيها، وأثرها فى البيئة والإنسان، وموقف ( دارون ) من الدين، وكيف أنه اضطرب فى أمر الدين، فلم يستطع أن ينكره إنكارا صريحا على الرغم من أن نظريته تفرض ذلك، مع كل ما يوضح أن فلسفته قد فشلت فى حل كثير من مشكلات الحياة.

ومع ذلك عمل بعض رجال الدين النصرانى فى أوربا على إيجاد توافق بين نظرية ( دارون ) وبين تصرانيتهم المحرفة، فالنصرانية التى ترى أن الإله حل فى المسيح، وأنه - تعالى - تحول إلى إنسان، لا تختلف كثيرا عن الدارونية التى ترى الإنسان صورة متحولة عن الحيوان.

ولم يقف فى وجه ( الدارونية ) إلا الإسلام الذى لا يعترف بتحول الإنسان.

وفى حديثه عن نظرية الغريزة، بين المقصود بالغريزة، وأقسام الأفعال الغريزية، موضحا أنها تقوم على تقرير أن الإنسان صورة متطورة للحيوان، ولذلك فالغريزة فيه تماثل الغريزة فى الحيوان. وعلى هذا فالدين فيها ليس من أصول الفطرة الإنسانية، ولكنه وليد عواطف عديدة، فهو من اختراع الإنسان، إذ الدين إنما ظهر نتيجة شعور الإنسان بالعجز، وخضوعا لعاطفة الخوف.

وفى حديثه عن نظرية الجنس عرض لأصول تلك النظرية، وما أقامها عليه من مسلمات، مقررا أن نظرية ( فرويد ) لا تنتظم حياة الإنسان بكاملها، ولا تجرى فى طبقات الحياة المختلفة، وأحوالها العامة، ولكن الفوضى الجنسية لعصر الإلحاد قد جعلت من هذه النظرية العرجاء محور علم النفس الحديث، فأعطت فرصة كبيرة لتحقيق الفوضى الحيوانية، والتحرر الغرائزى، والتفلت من تعاليم الدين، وقيود الشرف والأخلاق.

وكذلك صنع مع نظرية الاشتراكية، فذكر أنها حرب دائمة ضد الدين، وضد جميع ماوراءالطبيعيات، وأنها على علاقة وثيقة بنظرية ( دارون )، ونظريتى الغريزة والجنس، فلقد نظر ( ماركس ) فى الاشتراكية إلى الإنسان والكون من وجهة نظر خاصة، لا

يوجد فيها إله، ولا روح، ولا دين، ولا أخلاق، ولا قيم إنسانية .بل **إنها جميعا من** وضع الإنسان الذى يتبع **الأحوال الاقتصادية**، فكانت صورة مكررة للمزدكية التى جعل فيها زعيمها ( مزدك ) المجوسى المال والأرض مشتركة مثل الهواء، والماء، وكان شعارها : الإباحية العامة، وحرية القول والفعل .

## إفلاس.... وتطلع إلى البديل

من هذا العرض المزدحم بالصور الجزئية، يخلص المؤلف إلى أن كل نظريات الإلحاد قد أفلست ـ على الرغم مما واكبها من التقدم العلمي والصناعي المذهل ـ وأن كل المحاولات لتلفيق دين . أو اختراع دين طبيعي يجد الإنسان المكدود في كنفه راحته واطمئنانه . . . كل هذه المحاولات قد فشلت .

ولم تستطع إلا أن تستند في انتشارها إلى أسباب العنف والقهر، حتى استعانت بالقوة البوليسية لفرضها على الإنسان في بعض الأجزاء من العالم، واعتمدت في الغالب على الإعلان والدعاية المكذوبة الخادعة « عالية الصوت »

وكان هذا الفشل المتوالى لهذه النظريات الإلحادية نذيرا بأن ساعة الانفجار قد أوشكت، وأن شمس الإيمان قد قاربت أن تشرق من جديد، في عالم آخر يحكمه المتواضعون لله، الذين تنبأت الكتب السماوية الصحيحة بأنهم ورثة الأرض،

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾(١).

بهذه الرؤية المتفائلة ـ بعد تلك الجولة الشاقة المرهقة ـ ختم المؤلف الأستاذ محمد تقي الأميني، فجاءت خاتمته بصمة إسلامية يمتاز بها الإسلام من دون غيره، حيث أشاع الطمأنينة في نفوس القارئين إلى أن الإنسان مهما ضلت به أقدامه في مسيرة الحياة .

ومهما شطحت به أفكاره واضطربت . . . لابد من أن يعود في النهاية إلى حظيرة الأمان والتوازن .

ولقد بذل المؤلف جهدا شكورا في ربط أطراف الأحداث على تشتتها وتوزعها، ليشكل منها تلك الصورة المتكاملة، مستهينا في سبيل ذلك بما تحمله من جهد مضن .

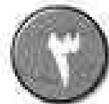
ثم ضاعف ما بذل من جهد في تحميل نفسه عناء إجمالها في تلك الحدود التى تفرضها مساحة الكتاب بدلا من أن يشغل بها مئات الصفحات التى قد تتجاوز الألف .

ولكنه بذلك التكثيف فرض على قارئه أن يشاركه في تحمل الجهد المضنى الذى يجعله يخرج من الكتاب ـ بعد الإعادة والتأمل ـ لاهثا، متلاحق الأنفاس، مكدود الفكر، فلعل فيما قدمت ما ييسر على القارئ أمره، والله المستعان .

---

(١) الأنبياء (١٠٥ ـ ١٠٦).

# المجتمع الإسرائيلي



للدكتور / محمد حسن عبد الخالق (*)

**هذا المجتمع الصهيوني المتنافر يشكل في مضمونه كتلتين أساسيتين، تكادان تتعادلان من حيث التعداد، هما يهود الغرب، الإشكنازيم، ويهود الشرق.**

**وإن كان الإشكنازيم في العالم يشكلون حوالى ٨٨٪ من يهود العالم، وأن الهجرة الصهيونية هي أساسا إشكنازية، ثم بدأت هجرة يهود الشرق.**

**وبالمقارنة فيهود الغرب أصحاب ثقافات عالية، وجميع مناصب الدولة في أيديهم وأصحاب رؤوس أموال كبيرة، بعكس يهود الشرق الذين وفدوا من بلاد المشرق الإسلامي ووجدوا أنفسهم في أسفل السلم الإجتماعي، مع أنهم يشكلون في النهاية نصف عدد السكان.**

**وقد عملت المؤسسة العسكرية الصهيونية بشتى الوسائل لاستقطاب يهود العالم العربي بطرق مشروعة وغير مشروعة، وكان لكل دولة الظروف والأسباب الخاصة بها لهجرة اليهود منها.**

وبعد هجرتهم عاملتهم معاملة سيئة بحجة أنهم متخلفون عن يهود الغرب، وكتب الأدباء الأشكناز يقولون: «نام الشرق في سبات عميق ونام معه أيضا اليهود الذين سكنوا فيه».

كما عمدوا إلى تصوير يهود المشرق العربي أكثر من مرة «بالخرابة» وأنهم وصلوا مصابين بأمراض عديدة ووصفوا حياتهم بالجهل والبطالة، ونسوا ما أحضروه معهم من أموال وبخاصة يهود مصر.

وقد حزن يهود الشرق على ما وصلوا إليه في دولة الكيان الصهيوني، التي عاملتهم كدرجة ثالثة في السُّلم الطبقي للمجتمع.

ففي الماضي كانوا يعتبرون أنفسهم أصحاب المكانة المحترمة التي تعلو على طوائف إسرائيل الأخرى، حتى إنه في نهاية القرن الثاني عشر كتب «موسى بن ميمون» ـ والذي يختصر إسمه «رمبام» (وهو حجتهم الدينية حتى يومنا هذا) إلى ابنه يحذره قائلا:

(*) دكتوراه في الأدب العبري.

«وأنت يا بني، لا تكن صحبتك اللطيفة إلا مع إخواننا أحبائنا يهود الشرق لأن لهم ثقافة وفهماً وعقلاً راجحاً.. واحفظ نفسك عن الرجال الذين يسكنون الغرب».

ومن العوامل النفسية التي لعبت دورا بارزا في ازدياد حدة التوتر هي شعور الاشكناز بأسبقية يهود الشرق في الإقامة بفلسطين، بالإضافة إلى اقتران اليهود الشرقيين بالعرب، فهم يشبهون العرب في كل شيء، ويخشون أن يأتي اليوم وينحاز يهود الشرق للعرب.

وأود أن أشير إلى أن ظاهرة التوترات الطائفية ليست وليدة الفترة الأخيرة ولا اللقاء الطائفي المكثف الفجائي الذي تم في فلسطين بعد عام ١٩٤٨ ولكنها كانت قائمة من قبل، وجذورها الثقافية والاجتماعية عميقة جدا. ولن ينجحوا في التغلب عليها[1].

وقد أقلقت هذه الأوضاع المسئولين، وحاولوا عبثا إيجاد الحلول، لكن الحقائق أكدت عكس هذا، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

أحداث «وادي الصليب» ١٩٥٩» حي في حيفا» بسبب الاحتجاج على الأوضاع القاسية لمهاجري المغرب بصفة خاصة، ويهود الشرق بصفة عامة.

وأحداث حركة «الفهود السود» ١٩٧١[2] والذين يناضلون من أجل رفع المعاناة عن يهود الشرق ويتهمهم يهود الغرب بأن فقرهم راجع إلى جهلهم وكسلهم وإفراطهم في إنجاب الأولاد.

وهم يدينون المؤسسة الإشكنازية بالظلم.

«وقد أصدر الفهود السود بيانا بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ إتهموا فيه الجهاز الإسرائيلي الحاكم أنه بأعماله وإهماله قاد الشعب في إسرائيل إلى هوة الجحيم، كما بينوا أن هذا الجهاز ابتز من الشعب الإسرائيلي قرابة ٢٥ مليار ليرة إسرائيلية خلال ست سنوات (٦٧ - ٧٣)».

والإشكنازيم هدفهم محاولة تذويب يهود الشرق في إطار المجتمع الغربي ويهود الشرق يأملون تحويل الكيان الصهيوني إلى دولة ذات سمات شرقية.

والطائفتان تعتبران العرب عنصرا غريبا لابد من التخلص منه.

وأثر علماء الاجتماع واضح جدا في دراسة الظواهر وإيجاد الحلول لها سواء فيما يتعلق بعدم الولاء والتحامل أو بالتمييز الطبقي، كمحاولة لاستقطاب العناصر التي قد تشكل في المستقبل تهديدا على أمن إسرائيل.

---

(١) ابراهام شطال: متجيم بيتختيم بعم يسرائيل (توترات طائفية في شعب إسرائيل ص ٣٨.

(٢) منظمة بدأت في الظهور في الأحياء الفقيرة لمدينة القدس في يناير سنة ١٩٧١ كتعبير عن رفض اليهود الشرقيين لسياسة التمييز التي يمارسها اليهود الغربيون ضدهم، ويقودها عدد من أبناء مهاجري المغرب بزعامة «إين هكرميلي» ومعظم القيادات جاءت من صفوف الشباب «الهامشي» في المجتمع الإسرائيلي الذين لم يحظوا بنصيب وافر من التعليم بسبب وضعهم الطبقي والعرقي. فتحولوا إلى مشردين لهم سوابق في سجلات الشرطة الإسرائيلية، مما حرمهم من الخدمة في الجيش الإسرائيلي وبالتالي من أي وظيفة. لأنه كي يحصل أي مواطن على عمل في إسرائيل لابد أن يكون حاملا لشهادة التسريح من الجيش.

راجع عبدالوهاب المسيري: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢٨٦.

والجيش والتعليم هما البوتقة التي يجب صهر الطبقات بها، وهذا ليس بجديد، فنرى بن جوريون يعلن في كلمته المشهورة:

«إن الجيش هو خير مفسر للتوراة»

وقد أسهم علماء الاجتماع بتقديم الحلول لعلاج العلاقات القائمة أو المحتملة بين الطوائف في الجيش وانعكاسات هذه المشاكل على الأداء في الجيش الإسرائيلي، ويجب أن نشير إلى دور رجال الدين اليهود في الجيش: فيهود الشرق على اعتبار أنهم أكثر تدينا من يهود الغرب، ولهم انتماءات دينية مختلفة، كانوا عقبة في سبيل أداء الجيش لمهامه فكل أقلية منهم هاجرت إلى إسرائيل حاملة معها تراثها الديني والحضاري وطراز المعبد وطرق الصلاة، مما دفع الساسة إلى الاستعانة برجال الدين من كل الطوائف، للبحث عن صلاة موحدة ترضي كل الأطراف، وبمرور الوقت تصبح هي الصلاة المعتمدة، على اعتبار أن الجيش هو آتون الصهر الحضاري الأساسي في إسرائيل.

وقد بدأ يهود الشرق بكافة انتماءاتهم في الهجرة إلى فلسطين منذ عام ١٩٤٨ تحت مسميات مختلفة مثل عملية (البساط السحري) في اليمن، وعملية (عزرا ونحميا) في العراق، وعملية الهجرة من المغرب وليبيا، وبلاد أخرى في شمال أفريقيا وهجرة اليهود الإيرانيين ثم هجرة الفلاشا وهم يهود الحبشة.

وقد حملت هذه الهجرة مليونا من السكان، كانوا في غالبيتهم يخضعون لتقاليد ومعايير دينية معينة، وفي نفس الوقت كانوا محرومين من المهارات التكنولوجية المختلفة، باستثناء يهود مصر والعراق، حيث كانوا يتمتعون بمزايا تعليمية وحرفية واسعة بالإضافة إلى وفرة رؤوس الأموال لديهم.

والأدب العبري الحديث زاخر بالصراع بين يهود الشرق ويهود الغرب، وكما هو معروف فقد نهل اليهود الذين عاشوا بين أحضان العرب كل العادات والتقاليد العربية، ولكنهم حافظوا على هويتهم بتمسكهم بأهداب الدين.

فنرى في رواية «الجالسة في الجنات» للأديب الصهيوني المعاصر، (حاييم هزاز)، يجري هذا الحوار على لسان بطله «صهيون» الذي حضر إليه أحد اليهود الإشكناز، فقال له «صهيون» مداعبا:

- من أين يأتي المسيح اليهودي؟ من الإشكناز أم من يهود اليمن؟

فرد عليه الإشكنازي قائلا: بالطبع من الإشكناز.

فأجابه اليمني قائلا:

كيف؟ من المؤكد أن المسيح اليهودي سيأتي من بين اليمنيين ويمتطي إشكنازي أبيض مثل حماري الأبيض هذا(٣).

(٣) حاييم هزاز: رواية «هيوشيفت بجانيم» أي «الجالسة في الجنات» ص ١٢٧.

ويقول البطل في موضع آخر:

«كان العالم لم يخلق إلا للإشكناز»[4].

ثم يلعنهم قائلاً:

«الإشكناز أشرار.. حيوانات نجسة»[5].

والغلب يهود الغرب علمانيون.

حيث يقول «يهودا بورلا» في رواية «عقبيا»:

«أما صلاة الإشكناز فغريبة على وجه الخصوص: بلا نظام ولا تقديس أو وقار.. هاهم يتكلمون، يتنقلون ويتجولون وقت الصلاة، وكان كل واحد منهم يهيم على وجهه....»[6]

وأود أن أشير إلى أن نقطة التحول النهائية التي أصابت يهود الشرق، أنت بعد أن ورث الحكم البريطاني الحكم التركي في نهاية الحرب العالمية الأولى. ومنذ هذه الفترة اختفت أفضلية يهود الشرق، الذين تحدثوا العربية وعلت مكانة نازحي أوروبا، وعاش يهود الشرق على هامش الجسد الرئيسي الحاكم في اليشوف ومؤسساته، وهم يهود أوروبا وروسيا وبولندا.

وتأججت التوترات الخطيرة التي أصبحت قائمة في الاستيطان الجديد بين يهود الغرب من ناحية وبين أبناء الطوائف الشرقية المختلفة من ناحية أخرى[7]

وهناك سلم اجتماعي بين يهود الشرق أنفسهم، فنرى أن يهود مصر، والعراق وسوريا ولبنان قد استوعبتهم إسرائيل من الناحية الاقتصادية والثقافية فقط عكس يهود اليمن وإيران وكردستان الذين يقبعون أسفل السلم الاجتماعي. وأسندوا إليهم الأعمال الوضيعة.

وإن كانت السلطة الحاكمة وعجلة الإدارة والاقتصاد، في أيدي يهود الغرب فقد تفوق يهود الشرق عليهم في اللغة والأدب وتنظيم الطائفة والتمسك بالدين والحفاظ على بعض العادات العربية التي اكتسبوها من العرب.

وإذا إفترضنا أن ٢٠٪ من عدد السكان هم عرب فلسطين، و٤٠٪ يهود شرق، و٤٠٪ يهود غرب

سنجد أن ٦٠٪ من إجمالي عدد السكان أصلهم شرقي والمتحكم فيهم من صهاينة الغرب ٤٠٪.

---

(٤) المصدر السابق ص ١٧٨.

(٥) المصدر السابق ص ٢٠٤.

(٦) يهودا بورلا: رواية «عقبيا» ص ٢٢٠/٢٢٦.

(٧) ابراهام شطال: متجيم بينعدتيم بعم يسرائيل (توترات طائفية في شعب إسرائيل) ص ٢٨.

# التراث العلمي الإسلامي ذاكرة الأمة ورصيدها الحضاري

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا[*]

**شهدت العقود الأخيرة اهتماما متزايدا بعلوم الحضارة العربية الإسلامية سواء من جانب الباحثين العرب والمسلمين أو من جانب المستشرقين والفلاسفة ومؤرخي العلم الغربيين. لكن البعض يتساءل أحيانا عن جدوى البحث في كتب قديمة تعود بنا إلى الوراء ألف عام أو يزيد.. يقولون: لماذا تبذل كل هذه الجهود المضنية في عملية رصد المخطوطات وجمعها وفهرستها وترميمها وحفظها، ثم في تحقيق نصوصها ومعالجة نماذجها نسخا وقراءة وحلا لمشكلاتها واستجلاء غوامضها، ثم في تناولها بالدراسة والتحليل والتفنيد بحثا عما يمكن أن تتضمنه من معلومات قد تفيد أو لا تفيد؟**

وأنصار هذا الاتجاه في التعامل مع التراث العلمي -رغم قلتهم- يتنكرون الماضي تماما ويزدرون أي محاولة لإحياء تراثه. ويوجد في ساحة الفكر العربي من يتبنى هذا الموقف الرافض لأي ربط بين التاريخ والحاضر بحجة أن مثل هذا الربط لا يصمد أمام أي تحليل عقلي دقيق، حتى وإن كان يفيد ظاهريا في استنهاض الهمم ورفع المعنويات فليس في التاريخ البشري -أمجاد معنوية تتحول إلى جزء من «الجينات» المكونة لشعب من الشعوب وتظل كامنة في أفراده على شكل استعداد للنهوض ينتظر اللحظة المناسبة لكي يصبح واقعا متحققا[1] بل إن هناك بكل

(*) عميد كلية العلوم - جامعة القاهرة.

(1) د فؤاد زكريا، ابن العرب من الإبداع العلمي، مجلة آفاق علمية، العدد الأول، ١٩٨٥م.

ونشير هنا إلى الخطأ الواضح في السند العلمي لعبارة الكاتب واستخدامه لكلمة «جينات» دون إلمام بمعناها الذي ازداد عمقا بعد اكتشاف «الجينوم» البشري.




أسف، من أبناء جلدتنا- نحن معشر العرب والمسلمين- من يعيش بين ظهرانينا ويعلن صراحة أن إحياء التراث إنما يكون بقتله!![٢]

وإذا كان لأنصار ما يسمى به «القطيعة المعرفية» حججهم ومبرراتهم، فإن قضية الدفاع عن التراث العلمي وأهميته من القضايا التي تثار بين حين وآخر في مؤتمرات وندوات عالمية وكان الحديث عنها -ولايزال- مرتبطا بمبحث تاريخ العلم وفلسفته. فقد تساءل «روبرت هول» في خطابه أمام الجمعية البريطانية لتاريخ العلوم سنة ١٩٦٩م عما إذا كان من الممكن أن يصبح تاريخ العلم تاريخا؟ أي يصبح مجرد شيء من الماضي:

Can the history of science be history?

وفي عام ١٩٩١م عقدت في «فلورنسا» ندوة لمناقشة المكانة التي يمكن أن يحتلها التراث العملي في المجتمع الأوروبي المعاصر.

وفي سبتمبر من عام ١٩٩٧م ألقى «جون هيدلي بروك» كلمة في الاحتفال بالعيد الذهبي «الخمسيني» للجمعية البريطانية لتاريخ العلوم، الذي أقيم بمشاركة الاتحاد البريطاني لتقدم العلوم، وجعل عنوان خطابه السؤال التالي:

**هل هناك مستقبل لتاريخ العلم؟**

Does the history of science have a future?

وكان دافعه لهذا التساؤل أننا نسمع أحيانا «شائعات» تردد أن نهاية العلم قد اقتربت، ولن يبقى هناك شيء نحتاج إليه من العلم بعدما نتمكن من استنساخ الإنسان ونتوصل إلى تفسير لخطة الخلق.. ألا تعني نهاية العلم نهاية لتاريخه؟.. ثم يقول «بروك» معلقا على سؤاله: «من الواضح لأول وهلة أن هذا غير ممكن، ومع ذلك فإن المؤرخين مشغولون بهذه القضية التي يزداد الحديث عنها مع نهاية كل من القرون الأربعة الأخيرة»[٣]

ونحن من جانبنا نطرح في هذه الدراسة بعض جوانب القضية المثارة قوميا وعالميا لنتعرف على أهمية تراثنا العلمي في حاضرنا ومستقبلنا.

## التراث العلمي مشترك إنساني .. ولكن ..

تشهد حركة إحياء التراث العلمي منذ عدة عقود نشاطا منظما على مستوى العالم يهدف إلى إعادة نشر الأعمال الكاملة للعلماء، على اعتبار أن هذا التراث مشترك

---

(٢) د.صلاح قنصوة، ندوة «الجمالية العربية»، مجلة الفكر العربي، العدد ٦٧، ١٩٩٢م.

(٣) راجع المقال الافتتاحي بعنوان «مستقبل تاريخ العلوم في المجلة البريطانية لتاريخ العلم "BJHS":

John Hedley Brooke, Does the history of science have a future, BJHS, 32, PP. 1-20, 1999.



إنساني ومسئولية دولية تستوجب الرعاية والتعاون من جميع الدول، بما في ذلك الدول الغنية والنامية من العالم الثالث. فقد حدث أن لجأت الهيئات المسئولة عن نشر الأعمال الكاملة للعالم الشهير «برتوللي» إلى تدعيم جهودها عن طريق الاكتتاب العام، ويجرى حاليا إعداد طبعة جديدة لهذه الأعمال من خلال التعاون بين أكثر من سبع دول.

وسوف تصدر أجزاء هذه الطبعة تباعا في نحو خمسة وأربعين مجلدا.

كذلك أمكن إصدار مجموعة الأعمال الكاملة لعالم الرياضيات المعروف «أويلر» عن طريق الاستعانة بإمكانيات ست دول، بالرغم من أن قاعدة العمل كانت تقع جغرافيا في سويسرا.

وقد شرعت الولايات المتحدة الأمريكية حديثا في تبني هذا المبدأ لإصدار أعمال العديد من العلماء أمثال «جاليليو» في إيطاليا و«نيوتن» في إنجلترا و«جاوس» في ألمانيا و«ديكارت» و«لابلاس» و«لاجرانج» في فرنسا، وغيرهم. وربما يدهش المرء لطول الوقت الذي يستغرقه إنجاز مثل هذه المشروعات، ناهيك عن ضخامة التكلفة، فقد استغرق إصدار أعمال عالم الرياضيات الشهير «كوشي» أكثر من خمسين سنة.

ويواكب هذا الاهتمام العالمي بعملية إحياء التراث العلمي نشاط مكثف لمعالجة قضايا تاريخ العلوم، تتجلى مظاهره في إنشاء الأقسام والمعاهد والمؤسسات الأكاديمية المتخصصة في الكثير من جامعات العالم، وفي إصدار أكثر من مائة مجلة دورية متخصصة في تاريخ العلم بعامة، أو في أحد مباحثه، أو في إحدى مراحل تطوره عبر العصور. يضاف إلى ذلك ما يعقد من مؤتمرات دولية في تاريخ العلم بصورة دورية كل ثلاث أو أربع سنوات، منذ عام ١٩٢٩م، وقد بلغت حتى الآن عشرين مؤتمرا، وعقد أحدها في القدس عام ١٩٥٣، وكان آخرها في «ليبج» ببلجيكا سنة ١٩٩٧م. وسوف يعقد المؤتمر الحادي والعشرون في الفترة ٨-١٤ يوليو ٢٠٠١م بالمكسيك العاصمة وعنوانه «العلم والتنوع الثقافي» Science and cultural diversity ويوضح الجدول التالي قائمة المؤتمرات الدولية في تاريخ العلم[1].

(١) لمعرفة الإصدارات اللاحقة لأعمال هذه المؤتمرات الدولية، وأهم المجلات المتخصصة في تاريخ العلم يرجع إلى: مجلة العلم والمجتمع، الترجمة العربية، ٨٢/ ١٦٠، اليونسكو، مارس/مايو ١٩٩١م.

# المؤتمرات الدولية فى تاريخ العلم (*)

| المؤتمر | المكان | تاريخ الانعقاد |
|---|---|---|
| ١ | باريس | ٢٠-٢٥ مايو ١٩٢٩ |
| ٢ | لندن | ٣٠ يونيو - ٤ يوليو ١٩٣١ |
| ٣ | البرتغال | ٣٠ سبتمبر - ٦ اكتوبر ١٩٣٤ |
| ٤ | براغ | ٢٢-٢٧ سبتمبر ١٩٣٧ |
| ٥ | لوزان | ٣٠ سبتمبر - ٦ اكتوبر ١٩٤٧ |
| ٦ | أمستردام | ١٤-٢١ أغسطس ١٩٥٠ |
| ٧ | القدس | ١٤-٢١ أغسطس ١٩٥٣ |
| ٨ | فلورنسا ميلان | ٣-٩ سبتمبر ١٩٥٦ |
| ٩ | برشلونة مدريد | ١-٧ سبتمبر ١٩٥٩ |
| ١٠ | إثياكا | ٢٦ أغسطس - ٢ سبتمبر ١٩٦٢ |
| ١١ | وارسو | ٢٤-٣١ أغسطس ١٩٦٥ |
| ١٢ | باريس | ٢٥-٣١ أغسطس ١٩٦٨ |
| ١٣ | موسكو | ١٨-٢٤ أغسطس ١٩٧١ |
| ١٤ | طوكيو - كيوتو | (١٩-٢٧) أغسطس ١٩٧٤ |
| ١٥ | أدنبره | ١٠ - ١٩ أغسطس ١٩٧٧ |
| ١٦ | بوخارست | ٢٦ أغسطس - ٣ سبتمبر ١٩٨١ |
| ١٧ | بركلى - كاليفورنيا | ٣١ يوليو - ٨ أغسطس ١٩٨٥ |
| ١٨ | هامبورج - ميونخ | ١-٩ أغسطس ١٩٨٩ |
| ١٩ | سرقسطة - إسبانيا | يوليو ١٩٩٣ |
| ٢٠ | لييج - بلجيكا | يوليو ١٩٩٧ |
| ٢١ | اسبرنادو - المكسيك | ٨-١٤ يوليو ٢٠٠١ |

(*) يلاحظ غياب البلدان العربية والإسلامية من قائمة الدول المضيفة للمؤتمرات !.

ولا نجد في تعليقنا على هذا العرض الموجز لخريطة الاهتمام العالمي بقضايا التراث العلمي أفضل من كلمات « جان دومبريه » الذي يرى « أن التراث العلمي لايزال مجال عمل ضخم لم يتم » ويقرر وجود فجوات واسعة وقصور شديد في الأعمال التي تضمنتها النشاطات الدولية، إذ « ليس للعلماء غير الغربيين أي وجود بها، كما أنهم لم يحظوا بأي إعلام شامل عنهم، وفضلا عن ذلك فإن علماء الرياضيات والفلك يظهرون بصورة أوضح من التي يظهر بها الجيولوجيون وعلماء التاريخ الطبيعي، وهذا يعكس التحيز بصورة منفرة في التعامل مع التراث العلمي، فنحن اليوم لانزال نعرف شارحي إقليدس، بدءا من ثابت بن قرة إلى أديلارد الباثي، ومن جيرار الكريموني إلى عمر الخيام الذي لا يمكن إغفال ذكره باعتباره مبدعا وشاعرا وعالما في الرياضيات »(٥).

وتضيف من جانبنا أن هذا التحيز الواضح في الاهتمام العالمي بتراث العلماء الغربيين دون غيرهم يجب أن يقابله جهد مكثف من جانب أصحاب الحضارات المختلفة التي أسهمت في صنع التقدم العلمي والتقني عبر كل العصور، وخاصة أبناء الحضارة العربية الإسلامية التي شهدت دواما واستمرارا متلازمين لم تحققهما أي حضارة أخرى، وظل علماؤها الرواد لأكثر من ثمانية قرون طوال يشعون على العالم علما وفنا وأدبا وحضارة، ولا نعرف اليوم شيئا عن أغلب مؤلفاتهم ومخطوطاتهم المفقودة، أو التي لاتزال بكرا في مظانها المختلفة بأنحاء متفرقة من العالم، تنتظر من يتولى البحث عنها وإحياءها لتحظى من جموع الباحثين بدراسات تحليلية معاصرة. فلك أن العارفين بعالم المخطوطات يقدرون عدد المخطوطات الموجودة داخل العالم العربي وخارجه بما لا يقل عن ثلاثة ملايين وتصل نسبة التراث العلمي إلى حوالي ٢٠٪ منها. وهو تراث غني في الكم والكيف معا، كما أنه يتميز بالتنوع بين فلسفة وطب وهندسة وفلك وجبر وفيزياء وغير ذلك بل إنه يشتمل على معارف قيمة في علوم معاصرة كالجيولوجيا والوراثة والميكانيكا والبيئة وغيرها.

وليس هناك من شك في أن الدراسات التراثية من شأنها أن توضح أهمية التحليل المنطقي لتاريخ العلوم وتقنياتها فلا يمكن لأي باحث منصف مدقق إلا أن يضع النشاط العلمي والتقني في سياقه التاريخي العام على اعتبار أن هذا النشاط عملية ممتدة ومتصلة خلال الزمان، ولن يوجد فهم واقعي للعلم، بدون تقدم متواصل له، فليس ثمة معرفة إنسانية لا تفقد طابعها العلمي متى نسي الناس الظروف التي نشأت في أحضانها وأغفلوا المسائل التي تولت الجواب عليها، وحادوا عن الهدف الذي وجدت أصلا من أجله. ومن هنا يستحيل الفصل بين التراث العلمي ومراحله التاريخية نظرا لأهمية تاريخ العلم في صياغة نظريته وفلسفته العامة، وإذا ما زال على العلم جهل بتاريخه، فإنه لا محالة مخفق في مهمته(٦).

إن قضية التراث العلمي الإسلامي في جوهرها قضية وجود ومصير ربما تكشف عن حقيقة ذاتنا وطاقتنا، تضيء لنا معالم وآفاق الطموح، وهي قضية تتسع أبعادها زمانا، وتستوعب الماضي والحاضر والمستقبل كما ترحب مكانا وتتجاوز حدود وطننا العربي(٧). وفي هذه الكلمات تحليل لقضية التراث إلى عناصر أساسية ثلاثة: الزمان والمكان وتحقيق الذات(٨).

---

(٥) عمل جان دومبريه أستاذا للرياضيات بجامعة «نانت» وكان رئيسا للجمعية الفرنسية لتاريخ العلوم والتقنيات في الفترة من ١٩٨٣ - ١٩٨٨ م. راجع:
Jean Dhombres, "On the Track of Ideas and Explanation Down the Centuries: The History of Science Today", Impact of Science on Society, UNESCO (1990), No. 159, p.191.

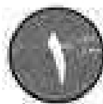
(٦) راجع: صلاح قنصوة، فلسفة العلم، دار الثقافة والطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨١.

(٧) د. عائشة عبدالرحمن، تراثنا بين ماض وحاضر، دار المعارف، ط٢، ١٩٩١م.

(٨) د. فيصل الحفيان، موقع تراثنا العلمي وإشكالاته، ندوة قضايا المخطوطات (٣) معهد المخطوطات العربية، القاهرة ٢٠٠٠م.

# من الإعجاز الطبي في القرآن الكريم

# إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي



للأستاذ الدكتور/ السيد الجميلي

**نزل القرآن الكريم باللغة العربية، بلسان عربي مبين، فكان ذلك فخراً وشرفاً، ومجداً أثيلاً لا مزيد عليه للعرب وللعربية تتيه به على مدى الزمان، وحتى الأبد الأبيد.**

**من ثم كان من أولى الأدوات وأهمها على الإطلاق لفهم آيات القرآن الكريم، والوقوف على مقاصدها، واستيعاب روعتها.. الإحاطة باللغة العربية، ودقائقها ولطائفها الجليلة.**

**ثم إنه لابد لاستجلاء جوانب الإعجاز العلمي ولاسيما الإعجاز الطبي في القرآن في كتاب الله الخالد، لابد حتماً من التعويل على كثير من الأدوات والآلات اللغوية والبيانية حيث إنه بواسطتها ومن خلالها تستخرج الكنوز العامرة المأهولة، وترتاد العوالم غير المحدودة التي تنطق بالحق واليقين.**

قال تعالى في كتابه العزيز على لسان زكريا ـ عليه السلام ـ:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾(١).

كان زكريا نبيا من أنبياء بني إسرائيل، وكان ـ عليه السلام ـ مستجاب الدعوة، فلم يدع الله تعالى إلا استجاب له، لقوله:

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾(٢) فهو لم يعهد من ربه ـ سبحانه وتعالى ـ إلا الإجابة، وهذا خيرُ دليل وبرهان على أنه من المقبولين الصالحين المرضيين، فمن كان شأنه هكذا، لابد أن يكون مقبولاً مرضياً.

تقدم العمر بزكريا ـ عليه السلام ـ ولم ينجب ولم يعقب، وكانت امرأته عاقراً

(١) سورة مريم، الآية ٤.

(٢) سورة مريم، الآية ٤.

لا ذا ذ . . وخاف أن يرثه بنو عمه وعصبته من بعده[3].

ثم بعد تقديم الحيثيات والدواعي والأسباب يقدم زكريا بين يدى ربه توسلا ورجاء أن يهب له من لدنه وليا:

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾[4].

فتأتيه الإجابة عن مطلوبه:

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾[5].

ومن لطائف الإعجاز الطبى فى القرآن قوله: ﴿ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى ﴾ فلماذا عزا وأرجع الوهن إلى العظم بخاصة؟؟

إنه من المقرر الثابت عند الأطباء أن العظام فى نموها وفي صلابتها وصلادتها وقوتها تعتمد وتعوِّل أساسا على هرمون التستوستيرون Testosterone وهو المسمى بالهرمون المذكر، لذلك يعمد أخصائيو العظام ومعالجو هشاشة العظام إلى هذا الهرمون لتدعيم وتقوية الهيكل العظمى والحياطة له من التهشم والكسر.

وهناك حالة طبية معروفة «البلوغ المبكر» والمسماة Precocious Puberity وفيها يرتفع معدل الهرمون المذكر فى الدم إلى مستويات عالية يترتب على ذلك ظهور أمارات وأشراط وعلامات البلوغ المبكر فى الصبى وهى المسماة بعلامات الجنس الثانوية Sexual Characters. Secondary المتمثلة فى ظهور الشارب واللحية، وتضخم الصوت وغلظته، وقوة العضلات وبلوغ الجهاز التناسلى مبلغ التمام حيث تتضخم الأعضاء التناسلية للذكر ويصل إلى درجة البلوغ، وفى نفس الوقت لوحظ قصر عظام الساقين. . وهذا تبريره علمياً وطبياً ظاهر الوضوح إذ إن كثافة وزيادة الهرمون المذكر فى الدم يعمل على التسارع والعجلة فى نمو العظام عند الصبى وتكلس نهايات هذه العظام وتصلبها حيث تمتلىء الفراغات المتروكة للنمو التدريجى الذى يساير العمر الزمنى، لكن الكثافة الهرمونية للهرمون المذكر تسبق فى إغلاقها هذه المساحات المتروكة عن المساعدة فى نمو هذه العظام نموا كاملاً . . ولذلك نرى مثل هؤلاء الأفراد قصيرى القامة، من حيث إن طول قصبة الساق أقصر من نظيرتها فى الشخص الطبيعى مع كثافة شعر الرأس وكثافة اللحية والشارب وكبر حجم الأعضاء التناسلية وفى نفس الوقت كل ما يتصل بهذا الخلل والاضطراب الهرمونى من آثار وتداعيات على المدى القريب والبعيد على حد سواء.

ولذلك فإن قلة هذا الهرمون تأتى عادة بتناقص تدريجى فى الرغبة الجنسية، وكذلك القدرة على الأداء والمعاشرة ويكون هذا

---

(3) المراد بالميراث: العلم والنبوة، لأن النبى ـ ﷺ ـ قال: «نحن الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة» أخرجه الإمام أحمد فى ٦/١، ٤، ٦، ٩، ١٠، و٤٧ و٤٩ و٦٠ و٢٠٨ و١٤٥/٦.

(4) مريم ٥.

(5) مريم ٧.

العرض تدريجيا حسب درجة النقص وقد يكون حاداً إذا نقص الهرمون بدرجة كبيرة من ثم يصل الحد بالشخص إلى العجز الحسي، والعنة.

لذلك لايكون خافيا على أحد أن هذا الهرمون هو المسئول عن نمو الأعضاء التناسلية، وهو المحفز والمنشط للرغبة الحسية، وهو الطلسم والمقوى للقدرة على الإنجاب، وكثيرا ما يكون عقم الرجال معزواً ومرجوعاً إلى نقصه بدرجة كبيرة فإذا ما تمت استعاضة هذا النقص فيه كان الرجل مهيئاً للإنجاب.

ونحن من هذه المثابة ومن هذا المنظور نرى الحق ـ سبحانه وتعالى ـ يقدم لنا فى كناية لطيفة من أروع الكنايات اللطيفة فى كتابه العزيز.. وهى إشارة فائقة البلاغة فى قوله ـ تعالى ـ على لسان سيدنا زكريا ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ :

﴿ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ وهذا تبرير ضمنى «فى صورة بالغة الروعة» بأن الشيخوخة التى يصحبها ويتزامن مع تقدمها ضعف ووهن بسبب نقص هذا الهرمون هما المسئولان عن عدم القدرة على الإنجاب لذلك كان مناط الاستهوال والغرابة من زكريا ـ عليه السلام ـ عندما بشرته الملائكة بيحيى.. كيف يكون ذلك والأسباب رثة، والعلائق مقطوعة، والمناخ من كل الجهات ليس مواتما ولا مناسبا.. الشيخوخة من قبله ووهن العظام للسبب الذى ذكرناه آنفا، ثم إن امرأته هى الأخرى كانت عاقراً بطبيعتها فهى أيضا لاتلد لأسباب يعلمها الله وحده.. ومن هنا كانت المعجزة.. وكانت البشرى آية من آيات الله ـ تعالى ـ الذى يصرف فى ملكه ما يشاء.

ابتدر زكريا الاستهوال والغرابة وقتذاك لأنه نظر إلى الأمر من جهة الأسباب ووجوب ترابطها، وحتمية تساوقها وائتلافها على نسق واحد وسبيل واحدة حتى تتساند مع بعضها البعض لتحقيق المستهدف المقصود.. ولكنه فى نفس الوقت يعلم أن المسبب ـ جل شأنه ـ فوق الأسباب وهو القادر القاهر الذى أمره بالكاف والنون

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(٦)

لو أن الإنسان بحث عن الأسباب، واقتران هذه الأسباب بما توجبه من نتائج وما تتادى إليه من تداعيات فى كل أعيان المسائل والأمور المهمات - لأنهك عقله وفكره فيما لاطائل من ورائه ولكن التفويض والتسليم لأمره ـ تعالى ـ وطلاقة قدرته هو الأولى بالتقديم.

لم يكن الأطباء وقت نزول القرآن الكريم يدركون أو يعلمون شيئا عن هذه اللطيفة الجليلة من بلاغة القرآن، ولو أنهم عرفوها ووقفوا على سرها ومحلاها لأدهشتهم وكانت من أقوى الأدلة والبراهين على أن القرآن الكريم تنزيل من رب العالمين..

---

(٦) سورة ياسين، الآية ٨٢.

# قبل أن تصير حصيدا

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

**لا تعجب عزيزى القارئ حينما تسمع عن الجسور التى تفكر والكبارى العاقلة أو عندما تقرأ عن الطائرات التى تشعر وتحس. فنحن فى عصر كاد الفارق فيه بين الواقع والخيال يتلاشى، والحاجز بين الوهم والحقيقة يتداعى، مؤذنا بحقبة تزداد فيها أسهم رفاهية الإنسان ارتفاعا، وتتسع خلالها دائرة التقدم، والازدهار فتصبح أرحب آفاقا، وأشهى ثمارا، وأكثر مغنما.**

**فالطرق السريعة مثلا هى التى ستقوم باستدعاء طواقم الصيانة عندما تحس حاجة ماسة لإجراء بعض الإصلاحات. وأما الطائرات فستزود بمواد حساسة فى الجلود المستخدمة فيها، الأمر الذى يمكنها من دق ناقوس الخطر الذى يشى بمتاعب تصيب ما بالطائرة من مواد معدنية. وأما الكبارى والأنفاق فسوف تتاح لها فرصة تكييف أمورها ذاتيا، وذلك للتعامل الناجح مع ما تواجه من ضغوطات فجائية ناشئة عن هبوب الرياح العاتية، والعواصف المزمجرة، والأعباء المرورية الثقيلة التى لم تكن فى الحسبان والأمثلة لا تنتهى.**

كل هذه التطورات سوف تصبح أمرا محققا فى مدى عشرين عاما على الأكثر. وعقدان من الزمان فى مسيرة نهضة الإنسان أمر ذى بال إذا ما عدنا بالذاكرة إلى عصور طويلة قضاها مثلا فى ممارسة الصيد والجمع والالتقاط. وسر هذه الطفرة الكبيرة فى رقى الإنسان يعزى إلى ما أطلق عليه العلماء اسم : المواد الذكية التى كان لاستخدامها الفضل الأكبر فى إعادة تشكيل عالمنا وصياغة أنساق تفكيره بشكل يجعل الحياة أكثر يسرا وثراء، ومضاء ولقد تناول هذا الموضوع كتاب صدر عن الجمعية العالمية للمستقبل عنوانه : «فتوحات مستقبلية».

والمسألة تبدأ حينما تقوم تلك المواد الذكية الإيجابية السلوك بمراقبة أحوالها ذاتيا، ومن ثم ترفع النتائج فى تقارير تدخل ملفات الحاسوب لتحليلها وتصنيفها وتبويبها لإيجاد الحل لما قد يكون بها من مشاكل. ولإيضاح الأمر يقول مؤلفا الكتاب : إن الكبارى فى المستقبل ستزود

أطرافها ورؤوسها بأعصاب - ولا تنزعج قارئي العزيز - فهذا هو التعبير البديل للمواد المعروفة لدينا جميعا بالألياف البصرية، بالإضافة إلى بيانات تتبع وتستقصى ما يمكن أن يوجد من شقوق بالمواد الخرسانية بتلك الجسور، بل تتغلغل في معرفة الاهتزازات الناتجة عن أعمال المرور الأثقل من العادي. واستجابة لما تتلقى من معلومات، فإن العضلات في الكوبري ستشتد وتقوى مما يتولد عنه قوة إضافية. أما الأنسجة الأخرى بالكوبري، فإنها تقوم بمهمة أكثر إبهارا، فهي تصلح أية شقوق يزداد خطرها إن تركت وهي عملية شبهها الكتاب بما تقوم به خلايا الجسم من رتق لأي قطع أصاب أحد أعضاء الإنسان.

ويقدم الكتاب وصفا شاملا لأربعة أنواع متميزة لما أسماه العضلات الاصطناعية التي تستخدم في مهمة جوهرية داخل المواد الذكية، فهذه العضلات الأصطناعية لها القدرة على تغيير وظيفة وشكل وصلابة ومتانة تلك المواد الذكية، وجعلها مرنة مطواعة. ولكل نوع من تلك الأنواع الأربعة مزاياه وإمكانياته والأهم من كل ذلك أن تلك المواد قد وجدت طريقها للتطبيق العملي. وأولى تلك المواد هي السبائك التي تتشكل منها الذاكرة، تعريفها يتلخص في أنها مواد تستخدم في أداء وظائف تتطلب الانسيابية، والتلقائية، أكثر من القوة الشديدة.

والتغيير في تلك المواد يتسم بالبطء، لكنه البطء الحاسم والحيوى في حينه، وتتمثل أهم معادن تلك المجموعة في سبائك عنصرى النيكل والتيتانيوم التي يمكنها أن تكتسب شكلها بعد أن يقوم المصنعون بإجراء بعض العمليات لها من قبيل الثنى والليّ والفرد والمط والسحب، بحيث تزيد على طولها الأصلي بنسبة لا تقل عن ٨٪ فتصبح أكثر فائدة وأعظم جدوى. ومن أهم ما تستخدم فيه تلك السبائك حاليا أذرع الإنسان الآلي، وأجهزة أخرى دقيقة أثبتت أهمية لا تنكر في راحة الإنسان وتوفير جهده وماله ووقته.

وثاني هذه المواد الذكية هي المواد الكهربية المرنة، ولها القدرة على سرعة تغيير الشكل بأسلوب فوري، تماشيا مع التيار الكهربي الذي تتعرض له، بل إن لها خاصية فريدة تتمثل في أنها تتمدد وتنقلص في آن واحد معا تقريبا. وتعتبر مكبرات الصوت من أهم مجالات استخدامها إضافة إلى رؤوس وحبارات طابعات الحواسيب.

وثالث المواد الذكية هي : المواد المكبوحة مغناطيسيا أي : التي تم التحكم في قدرتها المغناطيسية لينحصر تجاوبها فقط مع المجالات الممغنطة، ولا يمتد إلى التجاوب مع التيارات الكهربية، ومن ثم يصبح مجال الحركة في تلك المواد محدود الإطار، إلا أن القوى الفائقة المتوافرة بتلك المواد تجعلها ذات فائدة عظيمة في المحركات، وأجهزة التصوير بالإشعاع والرنين المغناطيسي.

ورابع تلك المواد وأخطرها هي السوائل، أي المواد الكهربية والمغناطيسية المسالة التي عندما تتعرض لمجال مغناطيسي أو كهربي، فسرعان ما تتحول إلى مواد تتخذ قواما يشبه في غلظته ومتانته قوام نفايات قصب السكر بعد عصره، ويتم ذلك في بضع أجزاء من الثانية. وأهم



تطبيقات تلك المواد هو استخدامها في نظم الكوابح والأجهزة سريعة الالتحام . كالأقفال عالية الجودة .

وبعد ذلك الشرح الوجيز غير المخل لتلك الأصناف الأربعة من المواد الذكية يعلق مؤلفا الكتاب قائلين : إن معظم وسائل الراحة التى لا غنى للإنسان عنها، والتى صارت من بديهيات حياته، لم تكن لتبرز إلى حيز الوجود لولا هذه المواد الذكية، التى لم يكن الإنسان ليحلم بها منذ قرن من الزمان لاغير، وسيكون بإمكاننا كما يؤكد كتاب إمكانات مستقبلية القدرة الفائقة على حيازة أجهزة وآلات تجعلنا نعيش فى عالم أكثر قوة وأشد ترابطا .

وهنا وقفة، تؤكد فيها لمؤلفى الكتاب وغيرهما أن التقدم المادى بمفرده لا يمكنه إيجاد ذلك العالم المنشود الذى لابد له من السمو الروحى ورصانة الأخلاق ونبل المقصد . الذى بينه الشاعر فى قوله :

**لا تحسبن العلم ينفع وحده**

**ما لم يتوج ربه بخلاق**

فالأخلاق جزء لا يتجزأ من منظومة التقدم إن أريد لها النجاح بصدق . ثم يستطرد الكتاب، فيسوق نقطة علمية أخرى يوضح فيها أنه إلى جانب المواد الذكية سالفة الذكر توجد مواد أخرى تسمى : المواد فائقة التوصيل التى يمكن أن تحدث زيادات هائلة فى كفاءة الطاقة، لا أقول فى الطاقة فحسب، وهو أمر سيكون بالغ التأثير فى الارتقاء بما لدينا من أجهزة سترتفع كفاءة أدائها الى المستوى الذى يحقق الفائدة المرجوة، ولقد قام الباحثون بالفعل بتصنيع وتخليق ( كوابل ) لها قدرات توصيل فائقة، يمكنها أن تحل محل نوعية الكوابل والأسلاك النحاسية الصنع المستعملة حاليا فى خطوط التوصيل لمسافات طويلة وهى طبعا نوعيات ضئيلة الكفاية إذا ما قورنت بتلك النوعية الجديدة من الكابلات ولن ينتظر العالم سوى سنوات معدودات حتى تنقل تلك الكوابل الكهرباء إلى شتى أنحاء أمريكا واليابان وأوروبا .

ولا يتوقف الأمر على مجرد نقل الكهرباء وتوزيعها بل يمتد التأثير المجدى إلى القوارب والسفن، والمراكب والقطارات ومعظم ما نستخدم من أجهزة تجعل الحياة أكثر إمتاعا وأعلى جودة؛ كل ذلك بفضل المجهودات الجبارة المبذولة فى تطوير الموصلات فائقة القدرة . والقاعدة فى ذلك ترتكز على مسلمة علمية تقول : «إن الإنسان إذا قام بلف سلك من الأسلاك فائقة التوصيل بشكل حلزوني، فإن هذا السلك سيشكل الأساس والقاعدة لصنع مغناطيس كهربى فائق القوة، وإن بدا صغيرا نسبيا، والمجالات التطبيقية لتلك المواد الجديدة مجالات رائعة حقا، فقد قام العلماء فى جامعة ( أوزاكا اليابانية ) وعدة شركات أخرى باليابان قاموا ببناء وصنع وإنشاء أول سفينة تدار بواسطة المغناطيس الهيدروديناميكي، والمعروف اختصارا بالأحرف (M.H.D) .

وهذه السفن تعرف بـ ( نفاثات الماء ) وتدار كما أوضحنا بالمغناطيس فائق القوة . وعلى الرغم من أن إحدى تلك السفن تصل سرعتها الى ست عقد فى الساعة فقط وأنها صغيرة الحجم لا تستطيع نقل الحمولات إلا أن مصمميها يتنبأون أنها ستتمكن فى النهاية من دفع الحمولات



والسفن والبواخر إلى سرعات تبلغ ٦٠ ميلا في الساعة.

وآخر ما يحدثنا عنه كتاب (آفاق مستقبلية) هو العوامل عديمة أو قليلة الاحتكاك التي يمكن أن تحسن من كفاءة المحركات الضخمة العملاقة، التي تتنوع فائدتها الجمة إذ تستخدم في إدارة المصانع وتشغيل طلمبات الري ومعامل تكرير النفط والمنشآت الكيماوية ناهيك عن جعل بعض الأجهزة من قبيل معجلات الجزيئات، وهي تستخدم الذرة، وكذا الآلات التي تقوم باستخلاص المغناطيسيات إضافة إلى أجهزة التصوير الطبية جعل كل تلك الأجهزة وغيرها أصغر حجما وأجمل نسقا، وأكثر كفاءة في استخدامها للطاقة ترشيدا وتوفيرا، وأحيانا أرخص ثمنا كل ذلك باستخدام أنواع من المغناطيس فائق التوصيل، بدلا من الأسلاك النحاسية الحالية التي أصبحت تقليدية من مخلفات الماضي، ولا تتوقف طموحات الإنسان عند حد، فطموحات الإنسان كما يقول المثل حدودها السماء، ويوم تموت روح الطموح في داخل الإنسان تتوقف الدنيا لكن على الإنسان أن يعلم علم اليقين أن عجلة التقدم التي لن تعود إلى الوراء لا بد لها أن تصل إلى محطتها النهائية وتبلغ مرساها الأخير، فالسباق العلمي والتقدم المادي لابد إلى زوال، والدنيا قنطرة ومزرعة للآخرة يبذر فيها الصالحون بذور الخير التي تؤتي أكلها في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وأما غرور الإنسان وانبهاره بما حصل عليه من علم كان الأساس المكين فيه ما حباه الله إياه من عقل استعمله في التمرد على مولاه. كل هذا لابد له من وقفة يفيق فيها المغرور من غروره، أكد ذلك الباري سبحانه في كتابه الكريم فقال:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

فهلا تفكرنا قبل أن تصير حصيدا!!

فطبيعة الماديات الفناء والزوال، لكن الله - تعالى - لم ييئس الإنسان من رحمته، وفضله، فقال في الآية التي تليها:

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓا إِلَىٰ دَارِ السَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢).

فيا ليتنا ونحن نبني الحياة ونعمر الدنيا نسترشد بهدي القرآن ونور الإيمان ولا نغتر بعقولنا مهما بلغ في التقدم شأوها وحلقت في العلياء نجومها فإن دار السلام قد تهيأت وتزينت لاستقبال أولئك الذين أنار الله قلوبهم وهدى بصائرهم سواء السبيل.

---

(١) يونس (٢٤).

(٢) يونس (٢٥)

# بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

**اخترنا لك عزيزي القارئ هذه المجموعة من الأخبار والتعليقات التي تهمك وتهمنا.**

**ففي جريدة «عقيدتي» الصادرة يوم الثلاثاء ٢٦ من ذي القعدة ١٤٢١ هـ / ٢٠ من فبراير ٢٠٠١م موضوع عن ندوة للدكتور العالم زغلول النجار، وهو غني عن التعريف نقتطف منها هذه الكلمات:**

إن الآيات الكونية التي تتحدث عن الكون تزيد على ١٠٠٠ آية أي ما يعادل تقريبا سدس القرآن، ومن إعجازها أنها لم تأت للإنسان بخطاب علمي مباشر فهي لم تأت بطريق الإخبار العلمي بل جاءت بنظام الاستدلال والسبب أن الله - سبحانه وتعالى - يعلم أنه أعطى للإنسان قدرات تمكنه من استخراج النشأة الكونية بنفسه وكل يوم يكشف العلم عن إعجاز جديد لقدرة الله - سبحانه وتعالى - في خلق الكون، والآيات الكونية تؤكد أن الله الذي أبدع الكون قادر على إعادة خلقه مرة ثانية ونستطيع الآن أن نثبت أن الإشارات الكونية في كتاب الله تشهد بأن هذا الخلق لا يمكن أن يكون صناعة بشرية.

وقال الدكتور زغلول النجار: هناك منهجان لدراسة القرآن الكريم الأول وهو التفسير العلمي للقرآن الكريم وهي محاولات لحسن فهم الآية القرآنية وهو تفسير لا حرج فيه لأنه محاولة بشرية حتى إذا أخطأ فلا ينسحب الخطأ على جلال الآية.

والمنهج الآخر هو الإعجاز العلمي الذي نريد أن نثبت به للناس أن القرآن الذي أنزل قبل ١٤٠٠ عام يحوي من حقائق هذا الكون ما عجز الإنسان عن فهمه إلى اليوم.

في تفسيره لعدد من آيات الإعجاز قال الدكتور زغلول: الله - سبحانه وتعالى - أقسم في سورة الطارق بالأرض ذات الصدع عندما اتجه العلماء إلى البحار والمحيطات للبحث عن الثروات المعدنية بها فوجئوا أن قيعان المحيطات متصدعة، وتمتد هذه



الصدوع لعشرات الآلاف من الكيلو مترات طولا وعرضا.. ولولا هذه الشبكة من الصدوع لانفجرت الأرض منذ اللحظة الأولى لتيبس قشرتها، هذه الصدوع التي لم تكتشف إلا منذ أواخر الستينيات ذكرها القرآن قبل ١٤٠٠ عام.

وفي مطلع سورة الطور نجد الله يقسم به «البحر المسجور» فكافة المحيطات قيعانها مسجرة بالنيران وهي آية من آيات الله أن يلتقى الضدان الماء والنار وهي ومضة قرآنية مبهرة.

وردا على ما يدعيه الغرب من احتمال وجود مخلوقات على كواكب أخرى قال الدكتور زغلول: يؤدى الا ننساق وراء البدع الامريكية والغربية فنحن نعلم من كتاب الله وسنته أن الكون ملىء بالخلق ولكنه خلق هيأه الله مع ما يتماشى مع مكونات الحياة على هذه الاجرام.. وهي أمور غيبية نحن غير مطالبين بالخوض فيها وقضايا لا ارى طائلا من ورائها.

وأضاف: اكتشاف الخريطة الجينية والشفرة الوراثية إنجاز له بعد إيماني عظيم، ومن خلاله سنكتشف دلائل جديدة على قدرة الله في خلقه.

## الحج أشهر معلومات

**وفي جريدة الجمهورية الصادرة يوم السبت الموافق ١٠ من مارس ٢٠٠١م كلمة للكاتب الصحفي جمال بدوى قال فيها:**

الإعلامي اللامع جمال الشاعر، لم يحالفه التوفيق في الندوة التي قدمها على قناة النيل الثقافية عن فريضة الحج تحت عنوان: «الحج أشهر معلومات» وكان الظن أنها ستتناول حكمة الحج، وشرح مناسكه، وأن تقدم للمشاهدين ثقافة دينية صحيحة في الوقت الذى يتوجه فيه الحجيج إلى الأماكن المقدسة.. ولكننا فوجئنا بتوعية منتقاة من الضيوف جنحوا إلى مسائل تخالف ما هو معروف عن الدين بالضرورة، وتهدم الثوابت المستقرة منذ أنزلت فريضة الحج، ومنذ أداها الرسول -ﷺ- في ميقات معلوم من شهر ذى الحجة، وهو ما اجمعت عليه كتب السيرة والفقه فأحد المتحدثين يرى أن الحج ليس له وقت محدد(!!) ومن ثم يصح أداؤه على مدار العام، وسبق لصاحب هذا الرأى أن أثار هذه القضية في عمود الأستاذ صلاح منتصر بالاهرام، وقوبل رأيه الغريب باستهجان المسلمين الذين يؤدون الفريضة منذ خمسة عشر قرنا على النحو الثابت في السنة النبوية، والذى سار عليه الصحابة والتابعون وعامة المسلمين إلى يومنا.

ولكن الرجل بلغ به الجموح في تفسير القرآن «حسب رأيه» والمعروف عند أهل العلم أن القرآن لا يفسر بالرأى، وإنما بالقرآن نفسه ثم بالسنة الفعلية والقولية كما تواترت إلينا في الكتب الصحاح، ونسب المتحدث





نفسه إلى طائفة المجتهدين الذين يحق لهم النظر في القرآن بالرأى، ونسى أن الاجتهاد تحكمه شروط وقواعد، أولها أن لا يتناول الثوابت القطعية التى وردت فيها نصوص محكمة، وأن مجال الاجتهاد مباح فيما لم يرد فيه نص. وذلك عن طريق القياس على أمور وردت بشأنها نصوص، ولابد من توافر علة مشتركة بين الامرين، وبغير هذه القواعد يكون الكلام لغوا وعبثا، ومحاولة للاستعراض وجذب الأنظار.

وطلع علينا الثانى وهو من مطاريد الأزهر ومنكرى السنة ليطعن فى صحة الأحاديث النبوية، ويردد اسطوانته المشروخة التى يزعم فيها أن الأحاديث لم تدون إلا فى العصر العباسى فتعرضت للتشويه وهو قول منكر هدفه هدم الدعامة الثانية للإسلام بعد القرآن الكريم، ويتجاهل صفحات عبدالله بن عمرو ابن العاص التى دون فيها أحاديث الرسول إبان حياته الشريفة، وصحيفة عبدالله بن عباس وغيرهما.. ثم ينكر إجماع المسلمين على أداء الحج فى ميقاته المعلوم، ويثرثر بتخاريف تزعم أن موسم الحج فى ذى الحجة هو من صنع بعض السلاطين والملوك لأنهم كانوا يحبون الذهاب للحج فى مهرجانات صاخبة(!!).

لقد بذل العالم الجليل الدكتور عبدالعظيم المطعنى، وزميله الدكتور داود جهدا مباركا فى دحض افتراءات الرجلين وكشف جهلهما وضعف محصولهما من الفقه والعلم حتى إن منكر السنة لم يحسن تلاوة القرآن، وكان كل من العالمين الفاضلين صابرا فى تحمل هذا الغثاء الذى استفز مشاعر المشاهدين وأثار أعصابهم غيظا وكمدا.

وأقول للأخ جمال الشاعر: إذا كنت تريد تقليد الفضائيات المنفلتة فى تقديم الغريب والشاذ لشد انتباه الناس، وصرفهم عن مشاهدة هذه القنوات فإن أمامك مجالات كثيرة غير الدين تصلح للإثارة أما الدين فإن له حرمة وقداسة، ومن هنا يجب احترام عقائد المسلمين فقد عشنا ونحن نؤمن بأن وقفة عرفات فى التاسع من ذى الحجة، والنحر فى اليوم العاشر، وسنموت على ذلك، وسنلقى الله على ذلك، ولسنا على استعداد لسماع أقوال وآراء شاذة لمجرد التباهى والتظاهر بالجرأة.. وأرجو يا عزيزى جمال أن لا تنساق وراء موضة الفضائيات العشوائية التى تتجرأ على الدين، وتزعزع العقائد، وتثير البلبلة وقاك الله شر الفتنة وما ينجم عنها من فساد.

**وفى جريدة المجتمع الهندى خبر يقول:**

## الإسلام دين رسمى فى السويد

أصبح بإمكان المسلم فى السويد أن يمارس فرائضه، وواجباته الدينية كافة دون



أن يتعارض ذلك مع كونه من أصل سويدى، أو يحمل الجنسية السويدية، أو يقيم على الأراضى السويدية.

بهذه العبارات يتحدث الدكتور بأن صامويلسون المتخصص فى الفلسفة وعلم الأديان فى أحدث كتاب صدر له فى السويد وباللغة السويدية ويحمل عنوان «الإسلام فى السويد».

ويعرف هذا الكتاب بالإسلام فى كثير من أحكامه وواجباته، ويحوى تعريفا بمختلف الجمعيات الإسلامية الموجودة فى السويد، التى يزيد عددها على عشرة ويتلقى معظمها دعما ماليا من الحكومة السويدية.

## كل يوم

**وتحت عنوان «كل يوم» نشرت الأخبار هذا العمود للأستاذ مازن محمود الشوا قال فيه:**

أعجب لقارئ أو قارئة نشرة الأخبار يخطئ فى النحو والتشكيل، ولا يكلف نفسه الاعتذار وتصويب الخطأ، بل لا يجهد نفسه بدراسة النحو وإتقان اللغة.

وأعجب لكاتب أو أديب أو روائى وربما سيناريست، يلجأ لاستخدام عبارات منافية للآداب العامة، متجاهلا عادات وتقاليد وأخلاقيات المجتمع الذى ينتمى إليه.. ويعتبر هذا من قبيل الإبداع، رغم أن الإبداع لا يعنى الخروج على تقاليد المجتمع بل السمو بأخلاقياته، وسلوكياته، والمحافظة على قيمه والارتقاء بمظاهره الحضارية.

بل أعجب لكاتب أو أديب أو روائى يدافع بإصرار وتعمد عن الخروج على المألوف ويعتبر ذلك من قبيل حريته فيما يكتب!

**وفى الصفحة الأولى نشرت الزميلة «صوت الأزهر» فى عددها الصادر فى ٩ من مارس ٢٠٠١ هذا الخبر:**

## مركز عالمى للإنترنت بمدينة البعوث الإسلامية

افتتح الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر مركزا للإنترنت بمدينة البعوث الإسلامية للطلاب الوافدين يتيح للطلبة استخدام الشبكة العالمية للإنترنت إلى جانب تلقينهم المواد الشرعية والعربية على أجهزة الكمبيوتر، وأكد الشيخ محمود عاشور أن الأزهر يفتح أبوابه للعالم كله وأن مدينة البعوث تمثل مركزا لسفراء ٩٤ دولة إسلامية مشيدا بالجهود المبذولة بها والتطورات التى حدثت فيها خلال فترة قصيرة. وصرح الشيخ فرحات المنجى المشرف العام على مدن البعوث الإسلامية بأن مركز الإنترنت يحتوى على ١٢ جهاز كمبيوتر وقد قام بتأسيسه ستة طلاب بالمدينة من جزر المالديف بتكلفة ٩٠ ألف جنيه، وأن المركز بالإضافة إلى خدماته التعليمية يتيح للطالب الاتصال ببلاده عن طريق الإنترنت وأضاف أنه سيتم إنشاء مركز آخر للإنترنت بمدينة



البعوث للطالبات وستقوم بتجهيزه الندوة العالمية لشباب العالم الإسلامى بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة.

وهذا الخبر أيضا لـ«صوت الأزهر» يقول:

## ترجمة معانى القرآن الكريم
## إلى جميـع لغـات العالم

قام مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة بترجمة معانى القرآن الكريم لـ ٩٠ لغة عالمية وترجمة تفسير ميسر مختصر للقرآن الكريم إلى أهم اللغات ودراسة المشاكل المرتبطة بترجمات معانى القرآن وتقديم الحلول المناسبة.

قال الدكتور محمد سالم بن شديد العوفى - الأمين العام للمجمع -: إن إنتاج المجمع من الترجمات وصل إلى حوالى ٤٠ لغة و٤٥ إصدارا وهو يشمل ترجمات معانى القرآن الكريم وتم الانتهاء من طباعتها وتضم النص القرآنى ووصل عددها إلى ٢٨ ترجمة باللغات الإسبانية والألبانية والإندونيسية والإنجليزية والأنكو والأوردية والإيغورية والباتشو والبرهونية والبنغالية والبوسنية والبورمية والتاميلية والتركية والتايلندية والزولو والصومالية والصينية والفارسية والفرنسية والقازاقية والكشميرية والكورية والمقدونية والميليبارية والهوسا واليوربا واليونانية.

أضاف الأمين العام للمجمع: إن التفسير الميسر للقرآن الكريم من المشاريع التى انتهى المجمع من إنجازها حيث دعت الحاجة إلى هذا التفسير ليكون نواة لترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة والخلو الساحة من تفسير مختصر يعتمد على الأقوال الصحيحة ويهتم بإبراز المعانى دون إطالة أو تكرار، ويعنى بالعقيدة الصحيحة ويبتعد عن التأويل والألفاظ الغريبة والخوض المتكلف فى القضايا الغيبية.

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر المنتدى الفكرى الأول حول تطوير العمران فى الإسلام وبناء المدن المعاصرة ودور التشريع فى تكوين البنية العمرانية.. وتم فى هذا المؤتمر مناقشة القضايا السياسية والتحديات التى تطرحها تجارب النهضة ومعالمها الهندسية فى مصر والسعودية والبحث عن أفضل السبل لتعزيز مساهمة المواطن فى خدمة قضايا مجتمعه.

والهدف من هذا المؤتمر تقديم منهج عمرانى متكامل لتنمية المجتمعات الإسلامية عمرانيا مع تعميق مفهوم الشريعة فى العلوم الهندسية عامة وعلم التخطيط السكانى خاصة، وسيتم فى المؤتمر مسح لما جاء فى كتب التفسير والقرآن الكريم والحديث مع استعراض المصادر الفقهية القائلة بإحكام البناء.

وقد شارك فى المؤتمر الجهات المختصة بالعمران والبناء فى مصر والسعودية والمتخصصون فى علوم الهندسة والبحوث والدراسات السكانية.



# بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

## تهنئة بالعام الجديد

تتقدم أسرة تحرير المجلة بتهنئة قرائها والعالم الإسلامى أجمع بحلول العام الهجرى الجديد.

نسأل الله أن يمتعنا وإياكم بالصحة والسعادة والعزة التى أرادها لعباده المؤمنين.. إنه ربى نعم السميع المجيب.

وبعد.. فقد كان دأبى فى تقديم هذا الباب أن أقدم له ببضع سطور، أو التعليق على إحدى رسائل القراء ثم أقدم الرسائل الأخرى دون تعليق مكتفيا بما أقوم به من تعديل لبعض العبارات أو تهذيب لبعض الكلمات بالإضافة إلى الاختصار اللازم حتى نفسح المجال لعدد من القراء ليشاركوا فى تحرير بابهم.

ولكنى تلقيت العديد من الرسائل والمكالمات تتلخص فى رأيين: **الأول**: يرغب فى أن تنشر الرسالة كاملة بدون إعادة صياغة أو تعديل للحفاظ على أسلوب صاحب الرسالة..

**والآخر**: يرى أن تنشر الرسالة كاملة يتبعها التعليق، ولما كان نشر الرسالة كاملة، أمراً لا تسمح به المساحة المخصصة للباب ولا يسمح به مبدأ إعطاء الفرصة لعدد أكبر من القراء، لما كان الأمر كذلك:

نرى أن نعرض لأهم خطوط المقال أو الرسالة مع تعليق مجمل عليها أو على أهم فقراتها.

ونسأل الله العلى القدير العون والسداد.

## همسة فى آذان الدعاة

**الرسالة الأولى وردت من القارئ / وائل عبدالعزيز محمد بدير:**

مدرس بمعهد كوم النور - دقهلية.

تحمل الرسالة ما تحمل من عتاب - يتحلى بالأدب الأزهرى - ثم تساؤل عن مقالاته: هل سيتم نشرها؟... إلخ.

ونقدم للقارئ إحدى هذه المقالات، بعنوان

« همسة في آذان الدعاة » وتقع هذه الهمسة في تسع صفحات فلوسكاب. والموضوع في مجمله « جيد » تناول ستة عناصر، قدم لها بقوله:

« ... لقد جعل الله - تعالى - لهذه الأمة علماء يهدونها إلى الخير ويأخذون بها إلى الطريق المستقيم، وفضل الله - تعالى - هؤلاء العلماء، فهم الذين يعلمون الناس أمور دينهم ويبينون لهم الحلال والحرام.

وهناك بعض أخطاء يقع فيها بعض علماء الدين والدعاة إلى الله بغير قصد.

أورد بعض هذه الأخطاء حتى يقف الدعاة عليها، ليتجنبوها. وما أسطره معرض للصواب والخطأ والأخذ والرد ».

**١- تناول الموضوعات والمناسبات الإسلامية بأسلوب السرد:**

فبعض الدعاة عند تناولهم للمناسبات الإسلامية، يكون أسلوب الحديث هو سرد القصة، دون النظر إلى ربط المناسبة بالواقع المعاصر أو استخراج العبر والعظات، والدروس المستفادة من المناسبة.

فمثلاً عند الحديث عن الهجرة: يتحدث الداعية عن أسباب الهجرة، وهجرة المرسلين، ونوم علي في فراش النبي.. الخ أين العبر والعظات؟ أين الدروس المستفادة؟ وكان يجب الربط بين سبب الهجرة وكيف تكون التضحية بأحب الأشياء في سبيل الله، كذلك بين بناء المسجد وأهمية المساجد في الإسلام. وهكذا.

**٢- المبالغة في تعليل الحوادث الأوامر والنواهي:**

حيث يعلل الداعية الأوامر والنواهي في الدين بتعليلات لا ترتاح إليها النفس، مبتعداً عن أصل الأحكام، وهو أن الله - تعالى - خلق العباد لعبادته، فالأوامر في الدين مطلوبة سواء علمنا ذلك أم لا.

فمثلاً جعل الله - تعالى - علة الصيام التقوى ويأتي الداعية ويعلل الأمر بالصيام بتعليلات واهية، ويفتح بذلك باباً للمجادلة، فيقول مثلاً: عن علة الصيام: لكي يحس الغني بجوع الفقير، فيجد من يقول له: إذن الفقير طالما أنه جائع - أصلاً - فلا صيام عليه!!

ويقول آخر: الغني الذي يعطف على الفقراء ويحس بهم لا صيام عليه!!

ولو قال من البداية: إن العلة من الصيام التقوى، لكفاه.

**٣- عدم التحدث في الموضوعات المعاصرة:**

وهذا سببه أن كثيراً من الدعاة يستقون معرفتهم وثقافتهم الدينية من كتب التراث في فروع الدين (التفسير - الحديث - الفقه... الخ) فيجعلون من هذه الكتب منبع ثقافتهم الأوحد، وإن كنا نقر أن هذه المصادر هي المنبع الذي لا ينضب، إلا أنه من المؤسف أن تقتصر المعرفة عليها، فهناك أمور مستحدثة، لم يرد ذكرها في تلك الكتب مثل: الاستنساخ، ونقل الأعضاء، والتلقيح الصناعي، وشركات التأمين.... الخ.

ونحن في عصر الإنترنت، وثورة الاتصالات تجد الداعية يتحدث عن أمور تكاد تكون محفوظة ويترك الأمور المعاصرة.

وهذه الموضوعات الحديثة المعاصرة تحتاج من الداعية الإلمام بالواقع المعاصر، والتيارات والاتجاهات الفلسفية المعاصرة..... الخ.

وهذا يتطلب من الداعية التزود بالكتب الحديثة في شتى فروع المعرفة، والدوريات، والمجلات الإسلامية والصحف... الخ.

وإذا كان علماء الأصول قالوا: (بأن الأحكام تتغير بتغير الحال والزمان) فمن الأحرى أن يغير المسلم نفسه إلى الأحسن ويطورها بالاطلاع ومتابعة الواقع الذي يعيش فيه.

**٤- الانتصار لمذهب الإمام مع وجود الأصح والأرجح :**

يرى بعض الدعاة أن آراء إمام المذهب - الذى درسوه - هى الفيصل فى كل المسائل الفقهية ولكن من الخطأ الجسيم أن ينتصر الداعية لشيخه ويفتى برأيه مع وجود الرأى الأصح في مذاهب أخرى .

**٥- الإكثار من الأحاديث الواهية والضعيفة والإسرائيليات :**

حيث يكثر بعض الدعاة من الأحاديث الضعيفة ضعفاً شديداً، والأحاديث الواهية والمكذوبة، بينما النبى - ﷺ - يقول : « من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين » رواه مسلم .

« . . . . . ولكن بعض الدعاة يجد فى الأحاديث الضعيفة والواهية هوى وميلاً، لأن الناس تستهويهم هذه الأحاديث ويميلون إلى سماعها . . » .

**٦- عدم التمكن التام من اللغة العربية :**

ولا أعنى باللغة العربية اللغة العربية الفصحى المليئة بالألفاظ المهجورة، والتى تستشكل على عامة الناس ولكن اللغة العربية السهلة الميسرة، فلا داعى أن يتكلم الداعية بالكلمات الفصيحة الصعبة على الناس،

مع ضرورة الإلمام بالنحو لما له من أثر كبير في فهم اللغة .

هذا ملخص دقيق لمقال القارئ قدمته، لقناعتى بأنه موضوع يستحق أن تُنشر كل أفكاره وإن كانت لى بعض ملاحظات بسيطة تتلخص فيما يلى :

* النسبة لنقدك لأسلوب السرد . . فإننى أتفق معك بداية أن مهمة الداعية أن يبصر الناس بأمور دينهم وأن يستخرج العبر من الأحداث ويقدمها فى شكل جذاب ليحرك ما سكن فى الأفئدة .

ولكن مع ذلك يجب ألا نغفل دور هؤلاء الذين يقفون عند حد « السرد » وما لهذا الأسلوب من أثر فى تعليم النشء . بالإضافة إلى ما تحمله القصة من عظة .

* أما من ذكرتهم فى الفقرة الخامسة فليسوا دعاة بالمرة فلا يستساغ أن نسمى هذا - الذى يجد فى الأحاديث الضعيفة هوى وميلاً - داعية .

فبدلاً من أن يقول ما يحبه الله ورسوله، قال ما يحبه الناس !!

* أما مسألة الانتصار لمذهب الإمام فإن القول بأن الرأى الآخر أصح هو حكمك يا أستاذ وائل ولكن الأفضل ألا يفتى الداعية برأى واحد وعلى المستفتى أن يأخذ بالأيسر .

* ثم ملاحظة أخيرة على الفقرة السادسة : وهى ملاحظة شكلية من حيث الصياغة حيث قلت : « ولا أعنى باللغة العربية اللغة العربية الفصحى المليئة بالألفاظ المهجورة . . . » فهذه الصياغة توهم البعض أن الفصحى مليئة بالمهجور من اللفظ وهذا غير صحيح . وكان الأحرى بك أن تقول مثلاً : ولا أعنى باللغة العربية ما يقصد إليه البعض بحشو كلامهم بالمستغرب من الألفاظ المهجورة .

أما ما ورد في بقية المقال فاتفق معك فيه وبخاصة فى مسألة تعليل الأحكام لا سيما ما ورد فى تعليله نص من الكتاب والسنة، ويمكن لمن أراد الاستزادة الرجوع لمقال : « دعوة الإسلام كما ينبغى أن نبلغها » لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدى بدءاً من عدد ذى القعدة ١٤٢١هـ .

ويختم الأستاذ / وائل هذه المقالة بقوله : « وبعد : فهذه همسة فى آذان الدعاة حتى يتجنبوا هذه الأخطاء . . . » إلخ .

واختتم تعليقى بهمسة فى أذنك يا أستاذ وائل :

من أين لهؤلاء الدعاة بكل هذا المال حتى يتابعوا هذا الزخم العلمى والمعرفى من خلال : ( الكتب والمجلات والصحف اليومية والإنترنت ) كما تقول !!

# الهجـــرة وانطـــلاق الدعـــوة

● **الرسـالة الثانيـة من الأسـتاذ المهندس / السيـد حسين العزازي رئيس قطاع بالكهرباء يقول:**

ـ بقدر ما تعنيه الهجرة من اغتراب وانتقال واحتمال فإنها تحمل قصدا مباركا وتحديا للحصار المضروب والإرهاب المرفوض والمفروض لتضييق الخناق والحيلولة دون انطلاق الإسلام من مكة عبر الآفاق. وهي أعظم من أن تكون فرارا بل كانت قرارا عمليا لالتماس النجاة والانتصار للعقيدة بحملها وطرحها بالحسنى على قلوب تنجذب لها وتتفاعل معها وتعاهد الله بالعزم والحزم على حماية الدعوة والداعية والتابعين وهو ما تكفل به أهل يثرب في بيعتي العقبة الأولى والثانية وشكلوا بتوحدهم وصدق توجههم أنصارا يزودون عن الإسلام رسولا ورسالة ويبذلون لأجل ذلك النفس والنفيس.

ـ ومهما قلنا عن المهاجرين وتضحياتهم وعذاب تحملوه أو مال تركوه أو وطن هجروه فقد عوضهم الله بصدور انشرحت بقدومهم وبيوت اتسعت لتحتويهم ونفوس سمت بالتضامن والرخاء إلى حد الإيثار وَمَنْ غيرُ الأنصار يتصفون بذلك؟.

وبالهجرة انتصر الله لرسوله ـ ﷺ ـ واستخلص الهدى من الضلال واستنقذ النور من الظلام مصداقا لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾(١).

ـ وتظل الهجرة معلماً للصبر والتوكل على الله والثقة في نصره وتأييده ودافعا للأمل في نفوس الصامدين والمناضلين بأن الله على نصرهم لقدير كما يتجلى فيها الصدق والالتزام وعمق الإخلاص والتفاني ممثلا في المسلك الإنساني الرفيع للصديق أبي بكر فكان نعم الرفيق والصديق للرسول ﷺ آزره في دعوته ورافقه في هجرته وافتداه بنفسه وماله وقدمه على أهله وعياله وصدقه حين كذبه الناس ولم يخالف للرسول الكريم رأياً.

هكذا تظل الهجرة عنوانا مضيئا يؤرخ به لانقشاع الغيوم وبزوغ النور وانطلاق الإسلام.

والهجرة ليست رأياً بل وحياً، وليست هروبا بل خروجا بإذن الله وفي ظل توفيقه ورعايته، والرحلة من بدايتها منذ أن بارحت ناقة رسول الله ـ ﷺ ـ مكة حتى أناخت عند بيت أبي أيوب الأنصاري في يثرب تخللتها معجزات شهد بها المشركون وهم يترصدونه بالباب ليلا ويتعقبون أثره حتى غار ثور نهارا وفي ذلك يقول الله تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾(٢).

**ولنا على هذه المقالة ملاحظة:**

سببها: الاهتمام بالسجع الوارد بين كلمتي

---

(١) التوبة (٤٠).

(٢) يس (٩).

«قرار وفرار» في قولك عن الهجرة «... أعظم من أن تكون فرارا بل كانت قرارا عمليا ...».

وأقول إن الهجرة لم تكن قرارا يتخذه الرسول -ﷺ- من تلقاء نفسه أو بعد مشاورة، بل كانت تنفيذا لأمر الله -تعالى-.

ولم يكن ترك مكة بالشيء الهين على رسول الله -ﷺ- لما يكنه لها من حب وهو ما نراه في قوله -ﷺ-: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ...» رواه البخاري ج٣ ص٢٩ : ٣٠.

وهذا ما لم يغب عن ذهن القارئ بل أثبته في آخر كلمته حيث قال: «والهجرة ليست رأيا بل وحيا ...» إلخ.

وشكر للقارىء العزيز جهده في هذه المقالة، ونأمل أن يكون حواره معنا متواصلا.

## اهتمام الإسلام بالشباب

**أما رسالة القارئ: حيشي حسن حسين من طنسا - ببا - بني سويف:**

فيستهلها بقوله: «لا شك أن الشباب هم عدة الحاضر وأمل المستقبل وهم الذين يعمرون هذه الحياة بنشاطهم وجهدهم وحيويتهم».

ثم يقدم عددا من الشباب كنماذج للشجاعة والإقدام والبحث عن الحق والتمكن المبكر من أمور دقيقة كالعلم بتأويل القرآن، أو العلم بالخطط الحربية فقدم دليلا على ذلك:

١ - علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - كمثال للشجاعة والتضحية والفداء لما نام في فراش النبي ليلة الهجرة.

٢ - أبو ذر الغفاري - رضي الله عنه - كمثال للشجاعة والبحث عن الحق، حين أتى متحديا حواجز المسافة وحواجز الصدود عن الإسلام يبحث عن رسول الله - ﷺ - ليعلم منه أمر الدين الجديد، ثم جهره بإسلامه برغم علمه بما سيلقاه من أذى على أيدي المشركين - لكنها الرغبة في إظهار الحق.

٣ - أسامة بن زيد - رضي الله عنه: كمثال للموهبة الحربية وقد ولاه النبي - ﷺ - قيادة الجيش وهو شاب وكان تحت إمرته شيوخ من الصحابة

٤ - ابن عباس - رضي الله عنه: كنموذج لمن وفقه الله وأفاض عليه من العلم حيث قدمه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو شاب على شيوخ الصحابة لعلمه بتأويل القرآن.

وللقارئ الكريم تقديرنا على ما قدم، نأمل لشبابنا أن يجدوا في شباب أسلافهم القدوة بدلا من البحث عنها في سراب (الأفلام الأجنبية).

# شهداؤهم .. أحيى من الأحياء

شعر / نعمت عامر

**جاءتنا من الشاعرة الأديبة نعمت عامر هذه الأبيات التي تفيض بالحماسة الدافقة حيث تقول:**

ـ (الفطر .. والأضحى) بلا استثناء:
عيدان هذا العام .. في البأساء
ـ إخواننا بعد انتفاضتهم نرى
شهداءهم أحيى من الأحياء
ـ ونعد بالمليار في تعدادنا
لكن .. نفئ لرقدة البلهاء
ـ بعد اقتتال توحش ونذالة
أين الحماة بحومة الهيجاء
ـ سيحاسبون بيوم حشر هائل
هذا التقاعس .. باعث الأرزاء
ـ شذاذ آفاق الأنام تنمروا
واستأسدوا في هجمة هوجاء

●●●

# قبس من الهجرة

شعر / وفيقة عواد سلامة

(كنز الكنوز) وقمة العلياء ... في البدء كم لاقى من الجهلاء
لكن منهم قلة قد آمنوا ... بعد انقشاع غشاوة بلهاء
لم يحفلوا بوعيد كفر مُنذرٍ ... بالبطش والتنكيل في الرمضاء

***

هيهات من بالسفح يبلغ قصده ... من ذا يداني رفرف الجوزاء؟!
خابت وسائلهم وطار صوابهم ... فاستنجدوا بالوعد والإغراء
عرضوا على «المعصوم» ملكا بلاغنا ... فيهم وأموالا بلا إحصاء
لكن خير الخلق لم يعبأ بهم ... فسراب دنياهم كمحض غثاء
لم ييأسوا وتدبروا، وتوجهوا ... للعم .. للإقناع باسترضاء
وأبى الرسول وقال قولة صادق ... متسلح بالهمة الشماء
والله لو وضعوا ذكاءً في يدٍ ... والبدر في الأخرى بلا إبطاء
ما كان ينكص عن طريق هداية ... للناس طرا .. في أتم صفاء

***

اذن الإله بهجرة ميمونة ... كانت سبيل تحفز ومَضاء
ليتم نصر الله والفتح الذي ... عم الجزيرة كالسنا الوضاء

●●●

# أنباء مكتب شيخ الأزهر

## لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

## استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الاثنين ٢٦/٢/٢٠٠١م السيد الرئيس عبدالرحمن واحد رئيس جمهورية أندونيسيا والوفد المرافق لسيادة رحب فضيلة شيخ الأزهر الشريف بالضيف الكبير ومرافقيه فى رحاب الأزهر الشريف مشيدا بعمق العلاقات بين البلدين والروابط القوية بين مصر وأزهرها الشريف ودولة أندونيسيا الشقيقة الممتدة منذ عشرات السنين، وأوضح أن فى الأزهر الشريف أكبر عدد من طلاب وطالبات أندونيسيا يدرسون فى الأزهر بمعاهده وجامعته العريقة، ويقيمون فى مدينة البعوث الإسلامية ويتلقون العلم بجانب إخوانهم المصريين جنبا إلى جنب، وأعدادهم تفوق أعداد الطلاب من الدول الأخرى، وقد وصل عدد الطالبات الأندونيسيات اللائى يدرسن بالأزهر الشريف حوالى ٥٥٪ من إجمالى عدد الطالبات بمدينة البعوث الخاصة بالطالبات، وتقدم لهن كل التيسيرات الممكنة وتذلل لهم الصعاب حتى لا يشعرن بالغربة، لأنهن فى بلدهن الثانى مصر.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر بأن الدراسة فى الأزهر الشريف تمتاز بالاعتدال والوسطية، والبُعد عن العصبية البغيضة، كما تمتاز بالتمسك بحفظ القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة والعمل بهما إلى جانب دراسة الفقه بمذاهبه المختلفة، وعلوم اللغة العربية والدراسات الأخرى، كما أجاب فضيلته عن استفسارات السيد الرئيس بالنسبة للطلبة الإندونيسيين الذين يرغبون فى الالتحاق بالكليات العملية كالطب والهندسة وغيرهما، وكذلك الالتحاق بالدراسات العليا فى الأزهر الشريف، وأكد فضيلته على دراسة هذه الطلبات وتذليل

العقبات للتيسير على هؤلاء الطلاب. وقال فضيلته: نحن نسعى لأن يعم الخير والرخاء والأمان والاستقرار لدولة أندونيسيا. كما نسعى لبلدنا مصر، وندعو الله - عز وجل - أن ينعم على أهل أندونيسيا بالأمن والأمان والاستقرار وأن يكثر عدد العقلاء عن عدد السفهاء، كما نسعى لأن تكون شريعة الإسلام لخدمة الناس جميعا لما فيها من حسن المعاملة ومن حسن القضاء والعدل والطهارة.

شكر السيد الرئيس فضيلة الإمام الأكبر على حُسن اللقاء مشيدا بدور مصر والأزهر الشريف بقيادة الزعيم والقائد السيد الرئيس محمد حسني مبارك الذى لا يدخر جهداً فى الوقوف مع الشعب الأندونيسى، ودور الأزهر الشريف دور رائد وعظيم في تعليم أبناء العالم ومنها أندونيسيا التى تحصل على منح دراسية كثيرة. وأضاف أنه تعلم بالأزهر الشريف وتخرج فيه وهو حاصل على الدكتوراه، وكان يسكن فى مدينة البعوث الإسلامية وعلى وجه التحديد بالعمارة رقم ١٨ فى أول مدخل المدينة، وقال فضيلة الإمام الأكبر: «ستسمى العمارة باسم السيد الرئيس عبدالرحمن عبدالواحد»، وأوضح السيد الرئيس أن الاستقرار يعم جمهورية أندونيسيا بعكس ما تظهره الصحف ووسائل الإعلام، ونحن نسير كما أمرنا الدين الإسلامي الحنيف ولا نخشى إلا الله، وقد وجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة أندونيسيا لما لتلك الزيارة من أثر كبير فى نفوس المسلمين هناك.

وفى نهاية اللقاء قدم فضيلة الإمام الأكبر المصحف الشريف طبع الأزهر هدية إلى السيد الرئيس. كما قدم لسيادته ولأعضاء الوفد المصحف المفسر أيضا.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف ونوابه. كما حضر السيد سفير مصر فى أندونيسيا وسفير أندونيسيا فى مصر، وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية.



● اجتمع مجلس مجمع البحوث الإسلامية برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يوم ٢٨ / ٢ / ٢٠٠١ وناقش الموضوعات المدرجة بجدول الأعمال، وقد احتسبوا عند الله - تعالى - فضيلة المرحوم الشيخ إبراهيم الدسوقى وزير الأوقاف الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية الذى وافته المنية يوم الأربعاء ٢١ / ٢ / ٢٠٠١ وقرأوا الفاتحة ترحما على روحه الطاهرة.

كما ناقش المجلس الرد على الفتاوى الواردة من الجاليات الإسلامية التى تقيم فى الدول الأوروبية بشأن تحديد القبلة.

كما وافق المجلس على فتوى مفتى فلسطين بخصوص المكانة الشرعية لمكانة المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى سيدنا رسول الله ﷺ، كما

تم مناقشة بعض التقارير المقدمة من السادة الأعضاء عن الكتب والأبحاث التي ووفق على نشرها وتداولها لما لها من فائدة تعود على المجتمع، والكتب التي تم حجبها وعدم نشرها وتداولها لإساءتها إلى الإسلام.

وفي جلسة طارئة لمجلس مجمع البحوث الإسلامية برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر في يوم ١٠ / ٣ / ٢٠٠١ وتمت مناقشة قانون التمويل العقاري بعد تعديله تنفيذاً لتوصيات الأزهر، وفق ما رأى المجلس، وبعد مناقشات أقر المجلس القانون من الناحية الشرعية حيث إنه لا يخالف في مواده الشريعة الإسلامية، ورأى المجلس أن تعرض اللائحة التنفيذية للقانون على مجلس المجمع قبل اعتمادها من الوزير المختص.

وناقش المجلس ما يحدث في أفغانستان من تدمير للآثار القديمة ورأى المجلس بالإجماع مناشدة طالبان التوقف عن تدمير الآثار القديمة لما يترتب على ذلك من فتن، العالم الإسلامي في غنى عنها.

حضر هذه الاجتماعات فضيلة الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية وفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد وفا أبو عجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية والسادة الأعضاء ومندوبي وزارتي العدل والاقتصاد.



● رأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اجتماعاً ضم أصحاب الفضيلة السادة رؤساء المناطق الأزهرية وذلك لمتابعة ما تم تنفيذه وإنجازه من أعمال بالمعاهد الأزهرية، وأوضح فضيلته أن الأولوية في الترميم للمعاهد المضارة بالزلزال وسرعة الانتهاء منها، وأشار إلى أنه تم رصد مبلغ كبير من الميزانية للترميم وإنجاز الأعمال الضرورية الخاصة بالعملية التعليمية في المناطق الأزهرية، وكلف الإدارة الهندسية بمتابعة المناطق، كما تم تكليف رؤساء المناطق بالإسراع في إرسال خطة الترميمات للعام الجديد لإدراجها بميزانية العام الجديد. كما أكد فضيلته على سرعة الانتهاء من استلام الكتب التي وصلت لمخازن القطاع ليتم استلام المتبقي من الكتب. وأكد على أن يكون لكل طالب مقعد خاص به ليتمكن من التحصيل على الوجه المطلوب، والتأكيد على استمرار الدراسة حتى نهاية العام الدراسي المقرر، على أن ترسل استمارات الشهادات في آخر شهر مارس ٢٠٠١.

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ علي فتح الله رئيس قطاع المعاهد وفضيلة الشيخ عبدالكريم محمد عبدالرحمن الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر والسادة وكلاء القطاع.

● قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الأحد ٢٥ / ٢ / ٢٠٠١ بتكريم سبعين من العاملين المتميزين وأصحاب الجهد الوفير



والمشهود لهم بالكفاءة وحُسن الانتاج وحُسن الخُلق والسلوك القويم من العاملين بالأزهر الشريف تحت إشراف اللجنة النقابية بمنطقة القاهرة الأزهرية برياسة السيد / هاشم مصطفى اسماعيل.

وتحدث فضيلته الإمام الأكبر عن أهمية الدور الذى يقوم به العاملون فى حقل التعليم فى نشر العلم والمعرفة والإبداع العلمى لخدمة المجتمع والإسلام، وقال فضيلته فى يوم الوفاء إن ما يقوم به التنظيم النقابى هو واجب قومى لأن هدفه الأساسى هو خدمة ورعاية أبناء المجتمع، والأزهر الشريف يرعى جميع العاملين به وليس هناك تفرقة بين خريجى الأزهر الشريف وخريجى الجامعات الأخرى وغيرهم الذين يعملون فى المعاهد الأزهرية، وقد أشار فضيلته إلى أهمية التعاون بين الإدارة والنقابة لتوفير الخدمات والرعاية للجميع وقرر فضيلته دعم أنشطة اللجنة النقابية بمنطقة القاهرة الأزهرية بخمسين ألف جنيه، كما قرر دعم صندوق التكافل للعاملين بالأزهر الشريف بمائة ألف جنيه.

وتحدث السيد / محمد وطنى رئيس النقابة العامة للتعليم والبحث العلمى فقدم الشكر لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على رعايته للعاملين وأشاد بدور مدرسى الأزهر الشريف فى النهضة العلمية والتربوية التى تشهدها مصر الآن مؤكدا أنهم يقفون صفا واحدا بجانب إخوانهم فى التربية والتعليم، وأن ما يقوم به الأزهر لرموز العطاء فى يوم الوفاء هو بادرة طيبة من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف والنقابات العاملة بالأزهر الشريف ثم قام فضيلة الإمام الأكبر بتوزيع الجوائز وشهادات التقدير على المكرمين على رأسهم فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، والشيخ سيد وفا أبو عجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، والشيخ عبدالفتاح جمعان الأمين المساعد للثقافة الإسلامية بالأزهر، وفضيلة الشيخ محمد عباس رئيس الإدارة المركزية لمنطقة القاهرة الأزهرية، والشيخ موسى على قويشتى رئيس الإدارة المركزية، لمنطقة أسيوط الأزهرية.



● أكد فضيلة الإمام الأكبر فى خطبة عيد الأضحى المبارك - والتى ألقاها بمسجد الشهداء بمدينة شرم الشيخ بحضور السيد رئيس الجمهورية وكبار رجال الدولة - أن الله - عز وجل - شرع الأعياد من أجل الترويح عن النفس الإنسانية ومن أجل الإخاء والتعاون على البر والتقوى وحتى يتآخى الناس ولكى يقدم الغنى للفقير ما هو فى حاجة إليه.

وأوضح أن الأعياد تزداد بهجة وسرورا عندما ترى الأمة الإسلامية تتكاتف وتتعاون من أجل نصرة الحق والفضائل، ومن أجل أن تتعاون كل دولة مع شقيقتها، ومن أجل أن ينال الفلسطينيون حقوقهم كاملة غير منقوصة، مؤكدا على أن مصر رئيسا



وحكومة وشعبا تقف إلى جانب الشعب الفلسطيني وتؤيده وتساعده.

وقد أرسل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر برقية تهنئة بهذه المناسبة للسيد رئيس الجمهورية نصها:

فخامة السيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية -السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد-.

فبمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك أتقدم لسيادتكم باسم الأزهر الشريف طلابه وعلمائه والعاملين فيه بأسمى آيات التهنئة القلبية داعيا المولى - سبحانه وتعالى - أن يديم على مصرنا الحبيبة الأمن والرخاء في ظل قيادتكم الحكيمة، كما أدعوه - سبحانه - أن يمتعكم بالصحة العافية، إنه سميع مجيب، وكل عام وأنتم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

**شيخ الأزهر الشريف**

**د. محمد سيد طنطاوي**

● تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، وبحضوره عُقِدَ (المنتدى الفكري الأول في العمران الإسلامي وبناء المدن المعاصرة) بقاعة المؤتمرات الكبرى للأزهر الشريف بمدينة نصر والذي تنظمه كلية الهندسة بجامعة الأزهر الشريف. وأكد فضيلة الإمام الأكبر في كلمته في حفل الافتتاح على أن شريعة الإسلام مع التطور والتقدم في حدود ما أحله الله - سبحانه وتعالى - لأن الحياة تتطور بتطور العلوم، مشيرا إلى أن ما كنا نراه من الكماليات أصبح اليوم من الضروريات عند أبنائنا، وأن التحديث وضرورة الأخذ بمعطيات العلم الحديث ووضع خطة للنهوض بمرافق الدولة وتجميلها في الجوانب المختلفة أمر تقره شريعة الإسلام وترحب بكل تطور من شأنه إسعاد الناس وتيسير سبل الحياة لهم وسنة الحياة في التطور، والأمة الإسلامية في حاجة إلى التقدم العمراني السليم وهي في حاجة ماسة إلى بناء صحي ومناسب يدخله الشمس والهواء النقي.

وأعلن الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف أن المؤتمرات التي تعقد تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف هدفها تواصل الأجيال ومواكبة التقدم العلمي والتحدي الحضاري لأن الجامعة تقوم برسالات الحضارة بجانب الرسالة الدينية كما أشاد بالعمارة الإسلامية.

وقال الدكتور عبدالواحد جبر عميد كلية الهندسة: إن المنتدى يناقش عددا من الأبحاث لإيجاد الحلول السريعة لمشكلات التحضر والموضوع الحيوي بالمنتدى هو دور التشريع الإسلامي في تكوين البنية العمرانية وفي نهاية الجلسة الافتتاحية قام الدكتور محمد بن عبدالله بن صالح عميد كلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك سعود بإهداء فضيلة الإمام الأكبر درع جامعة الملك سعود كما تم إهداء الإمام الأكبر درع جامعة الأزهر وتم تبادل الدروع بين جامعة الأزهر والمشاركين، وفي الجلسة الختامية:

طالب المؤتمر في توصياته بإقامة وحدة بحوث تختص بأمور العمران للبحث عن حلول سريعة لمشكلات الإسكان والتحضر في المدن الإسلامية، والعمل على إيجاد كفية للتعاون والاتصال بين المهتمين والباحثين في شئون العمران والتخطيط، والعمل على إجراء اتصالات مع المؤسسات والأفراد بما يدعم البحوث والدراسات، وإنشاء بروتوكول للتعاون بين الأجهزة المنظمة لإقامة المؤتمر، وإيجاد آلية للتآخي بين الجمعيات العلمية العمرانية لكل من البلاد العربية الشقيقة المشاركة في المؤتمر بالإضافة إلى تأسيس منظمة إقليمية للمخططين العرب تحت مظلة جامعة الدول العربية شارك في المؤتمر الجمعية المصرية للتخطيط العمراني، والهيئة العامة للتخطيط العمراني، ووزارة الإسكان والمرافق، وزارة الشئون البلدية والقروية بالسعودية، وكلية التخطيط والعمارة بجامعة الملك سعود، والجمعية السعودية لعلوم العمران وكليات الهندسة والمراكز البحثية.

• • •

● استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف نيابة عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد حسن جانس رئيس جمعية خريجي الأزهر الشريف بتركيا، وأكد فضيلته أن الأزهر الشريف على استعداد دائم لتذليل جميع العقبات للطلاب المسلمين جميعا، وخاصة الطلبة الأتراك الذين يرغبون في الدراسة بالأزهر الشريف ليتعلموا العلم النافع. وأشار فضيلته إلى أنه تم تخصيص ١٢ منحة دراسية للأتراك للدراسة بالأزهر الشريف وذلك بصفة استثنائية لأن تركيا ليس لها طلبات رسمية للحصول على منح.

وقال رئيس اتحاد خريجي الأزهر بتركيا: إن تركيا لا تعتمد أية منح دراسية للتعليم بالأزهر الشريف وبالتالي لا تعترف بخريجي الأزهر من الأتراك ولكن نحن لنا رغبة قوية في التعلم في الأزهر الشريف وكثير من خريجي الأزهر في تركيا يعملون خارج تركيا نظرا لهذه الأوضاع وقال: إنه يوجد في تركيا حوالي ٧٠٠ مدرسة دينية بتركيا تسمى بمدارس الأئمة والدعاة مع أنها تخرج تخصصات مختلفة.

وطالب بمعادلة شهادات هذه المدارس بشهادات الأزهر الشريف حتى يتيسر لطلاب هذه المدارس الالتحاق بجامعة الأزهر دون الحاجة إلى معادلة.

وأكد فضيلة الشيخ وكيل الأزهر الشريف أنه سيتم دراسة الأمر واعتماد شهادات هذه المدارس في حالة معادلة مناهجها بمناهج الأزهر، وقال: إنه يتم اعتماد المنح الدراسية للطلاب الأتراك من خلال السفارة المصرية في تركيا نتيجة لرفض القوانين التركية اعتماد المنح الدراسية ويمكن اعتمادها من السيد رئيس جمعية خريجي الأزهر بتركيا.

• • •



● قام فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يرافقه فضيلة الشيخ سيد وفا أبوعجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ عمر البسطويسي رئيس الإدارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر للإعلام والعلاقات بافتتاح المركز الثاني للكمبيوتر للحاسب الآلي والإنترنت بمدينة البعوث الإسلامية. وصرح فضيلة الشيخ فرحات المنجي المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية بأن هذا المركز انشيء على نفقة طلاب جزر المالديف خدمة لطلاب وطالبات العالم الإسلامي في مدينتي البعوث الإسلامية بالقاهرة الذين يدرسون في الأزهر الشريف بمعاهده وجامعته، حضر حفل الافتتاح لفيف من العلماء وبعض رجال الأعمال الذين قاموا ببناء عمارات سكنية للطلاب وأعلن فضيلة الشيخ فرحات المنجي المشرف العام على مدن البعوث في القاهرة والإسكندرية أنه سيتم افتتاح مركز في مدينة الإسكندرية للبعوث لخدمة الطلاب هناك أيضا ثم قام فضيلة الشيخ محمود عاشور بإلقاء محاضرة للمشرفات اللائي تم اختيارهن للإشراف على مدينة الطالبات عن دور الأزهر الشريف وعنما يجب عليهن حيال الطالبات من معاملة حسنة وروح طيبة وعناية ورعاية تعوضهن عن غربتهن ويكن بمثابة الأخوة الكبار حتى يعدن لبلادهن وهن يحملن ذكريات طيبة عن مصر وأزهرها الشريف.



● صدر قرار رئيس مجلس الوزراء رقم ٢٩٦ لسنة ٢٠٠١ بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بتعيين فضيلة الشيخ السيد وفا حسن أبو عجور أمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بالدرجة الممتازة لمدة سنة.



● صدر قرار شيخ الأزهر رقم ١٣٧ لسنة ٢٠٠١ بتجديد عضوية كل من:

١- فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمود حمدي زقزوق.

٢- السيد الأستاذ الدكتور/ إبراهيم جميل مصطفى بدران

٣- فضيلة الشيخ/ إبراهيم الدسوقي عبدالحميد -رحمه الله تعالى.

اعضاء بالمجلس الأعلى للأزهر الشريف ممثلين لمجمع البحوث الإسلامية لمدة عامين اعتبارا من ٢٧/٢/٢٠٠١.

## الأزهر يرأس لجنة التحكيم لمسابقة القرآن الكريم بدولة قطر

صدر قرار شيخ الأزهررقم ١٨٢ لسنة ٢٠٠١.

بالموافقة على سفر عدد من علماء الأزهر في مهمة علمية إلى دولة قطر لرياسة لجنة تحكيم مسابقة القرآن الكريم للسنة الثامنة التي تنظمها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر.

# الفهـــرس


● الافتتاحية: [illegible] والذهب الهابط
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ...... ٢

● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى ...... ٧

● العناية بكتابة السنة النبوية
للأستاذ الدكتور / أحمد معبد ...... ١٩

● الدعوة كما ينبغى أن نبلغها
لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى ...... ٢٥

● دعوة الإسلام إلى الوحدة
للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ...... ٣٠

● لا حياة بلا دين
لفضيلة الشيخ / إبراهيم الدسوقى ...... ٣٦

● الإسلام وحوار الحضارات
للأستاذ الدكتور / محمد عبدالمنعم خفاجى ...... ٤٢

● الإسلام... والغرب.. وحقوق الإنسان
للدكتور / محمد عمارة ...... ٤٧

● محمد - ﷺ - فى كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور / عبدالعظيم المطعنى ...... ٥٣

● استفتاءات القراء
إعداد وتقديم الشيخ / عبدالفتاح حسين الزيات ...... ٦٠

● دار الهجرة والتحذير من هجرها
لفضيلة الشيخ / عبدالحفيظ فرغلى القرنى ...... ٦٦

● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
إعداد الشيخ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ...... ٧٢

● أبو عبيد بن مسعود الثقفى
للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين ...... ٧٨

● لمحات عن صاحب الفضيلة الشيخ عبدالرحمن تاج
للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى ...... ٨٢

● الشيخ / إبراهيم الدسوقى فى رحاب الله ...... ٨٥

● مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى
للمستشار الدكتور / محمد شوقى الفنجرى ...... ٨٧

● مواقف إسلامية: بين الأشرار والأخيار
للأستاذ الدكتور / محمود عمارة ...... ٩٣

● طرائف ومواقف
للشيخ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ...... ٩٦

● قصة العدد: إرادة جبارة ...... ٩٨

● روضة الشعر ●

- نور الإسلام
للشاعر / محمود حسن إسماعيل ...... ١٠٣

- الرأى
للشاعر / أحمد زين ...... ١٠٧

● من عيون التراث
للأستاذ / محمد أبو الفضل إبراهيم ...... ١٠٨

● الحوارات الأدبية: نوعياتها.. دلالاتها (١)
للأستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب ...... ١١٣

● القصيدة العربية بعد البارودى بين الشكل والمضمون
للأستاذ الدكتور / محمود جمعة أمين ...... ١١٧

● لمحة عن الاتجاه الإسلامى فى شعر إبراهيم عيسى
للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ...... ١٢١

● ما يقال عن الإسلام
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ...... ١٢٥

● كتاب الشهر: عصر الإلحاد
للأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين ...... ١٣٢

● المجتمع الإسرائيلى
للدكتور / محمد حسن عبدالخالق ...... ١٤٢

● التراث العلمى الإسلامى
للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا ...... ١٤٦

● من الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم
للأستاذ الدكتور / السيد الجميلى ...... ١٥١

● قبل أن تصير حصيدا
للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير ...... ١٥٤

● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ / محمود الفشنى ...... ١٥٨

● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم / الأستاذ عادل خفاجة ...... ١٦٣

● أنباء مكتب شيخ الأزهر
لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى ...... ١٦٩






# الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

●●●

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ج.م.ع

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة





## داخل العدد


- دعوة الإسلام إلى الوحدة
للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
- أمتنا وفن إدارة الأزمات
للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة
- محاولة لفهم العولمة
للأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومي
- شئون المرأة والوثب الأشل على الإسلام
للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني
- ذاكرة الأمة ورصيدها الحضاري
للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا



## الاشتراك السنوى

- داخل مصر ...... ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ...... ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ...... ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ...... ١٢٠ دولارا أمريكيا

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠






بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾[1].

صدق الله العظيم

# الدين مرتكز الخلق الحميد

### ١- رأى الماديين في نشأة الخلق الإنساني:

ينكر الماديون أن تكون هناك صلة ما بين الدين والخلق، إذ يرون الوازع الخلقي قد يكون تلقائياً لدى الإنسان في عصوره الأولى خضوعاً لما صادفه من صعاب، فهو حين كان يأوى إلى الغابات ويتغذى بالثمار والفواكه، لم تكن لديه في رأيهم حاسة خلقية تدفعه إلى الخير، وتنئيه عن الشر، بل كان يندفع كالحيوان إلى حاجاته الجسمية تلقائياً دون نظر في هذا الدور يتصرف بمحض الغريزة، ومازال كذلك حين اضطرته عوامل البرد في الشتاء وما يسقط من الأمطار والثلوج إلى أن يترك الغابات إلى المغاور والكهوف لتحميه مما يسبب الهلاك، وهو عندهم قد رأى زملاءه يموتون تحت عوامل الإفناء المروعة، فرأى أن ينجو بنفسه، ثم هو مضطر إلى اصطياد رزقه، ولكن وحوش الأرض من آساد ونمور وذئاب وضباع تعترض طريقه، ولابد من مقاومتها، فهي تتسلح بالأنياب والمخالب، ولابد من تعاون بني الإنسان لدرء ما يصادفه من غزوات الوحوش، وإذا تعاون مع غيره فلابد أن يعمل على إرضاء من ينضم إليهم، وأن يعرف لهم بعض الحقوق، كما عليهم أن يحترموا رغباته، ومن هنا شرع المجتمع بضع قواعد للسلوك تحفظ حق الفرد وتمنعه أن يعتدى على سواه، وكانت هذه القواعد بدائية في أولياتهم ثم أخذت تتفرع وتتسع بتقدم الأيام حيث نشأت الأسرة فالقبيلة فالدولة، حتى أصبح لدينا قانون أخلاقي لا تجوز مخالفته!

---

(١) الشمس (٧ - ١٠).

والإنسان في نظر هؤلاء الماديين لا يكاد يفترق عن النمل أو النحل حين يضطر إلى التعاون الجماعي سعياً وراء المنفعة، فالتعاون لديه عمل غريزي أكدته الحاجة، ودعت إليه الضرورة، وكذلك نجد الوازع الخلقي لدى الإنسان قد نشأ متدرجاً بتأثير أحواله الاجتماعية وسيتدرج في نهضته بتدرج أحواله حيث تأتي عصور قادمة ببعض القواعد الأخلاقية التي لا نلتزمها الآن.

**٢ - الدين مصدر الخلق القويم:**

وحين نتركهم إلى غيرهم من ذوي الرسالات السماوية فإننا نجدهم يرون الإنسان قد ولد مزوداً بالوازع الخلقي، لأن الله - عز وجل - حين علم آدم الأسماء قد أوضح له طريق الخير، وطريق الشر، وقد زوده بما ينفعه من الصالحات، وهداه النجدين، وقد قال الله عز وجل في كتابه

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾[٢].

فالنفس البشرية قد ألهمت معرفة الفجور والتقوى إلهاماً كان المصدر الأول للوازع الخلقي في هذه النفس، ومن هنا يختلف الحيوان عن الإنسان، لأن الحيوان يسير في دنياه بمقتضى غريزته التي تدفعه إلى حفظ الكيان بالتغذية وبقاء النوع بالتناسل، أما الإنسان فقد سما بعقله حين عرف الخير والشر فطرياً بحكم تكوينه، وبإحساسه حين رزق العاطفة الداعية إلى الرحمة والإحسان.

والمأساة الإنسانية الأولى على الأرض تظهر مكان الوازع الخلقي في النفس، وتدل على أن صوت الضمير يبعث تحذيره من دوافع الشر كما يرسل صيحات الندم والأسف لدى وقوع الكارثة، فحين تنازع قابيل وهابيل، إذ قدما قرباناً، فقبل الله أحدهما ولم يتقبل من الآخر، صاح قابيل لأقتلنك، وكان هابيل عاقلاً يهتدي بوازعه الخلقي، فرد عليه فيما حكى الله عنه:

﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾[٣].

وقائل هذا الكلام يعرف معنى الإثم ومعنى الظلم، وهو بالتالي يعرف معنى العدل والطاعة، وغريمه يعرف ذلك، ولكن شراسته قد أسكتت صوت الوازع لديه، يدل على

---

(٢) الشمس (٧ - ١٠). (٣) المائدة (٢٨، ٢٩).

ذلك ندمه المفرط حين اقترف جريمته، ورأى أخاه جثة هامدة يعجز عن دفنها حتى يرشده الغراب! فيصيح منفعلاً:

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾[٤].

**٣- الدين عنصر أصيل:**

وإذا كان أصحاب نظرية التطور قد رأوا في الدين أنه مجرد احساسات غامضة اتجه إليها الإنسان الأول حين رأى العواصف العاتية من بروق ورعود وسيول تكاد تأتي عليه، فاعتقد أن هذه القوى آلهة تتحكم فيه ويتقدم إليها بالقرابين، وأخذ يؤمن بالقوة الغيبية حين جهل التعليل العلمي لحوادث الطبيعة. إذا كان أصحاب هذه النظرية يذهبون إلى ذلك ليجعلوا المصادفة العمياء وحدها هي التي أوجدت الكون، وليطمئنوا إلى ذلك مكابرين، فإن أهل الدراية من علماء الطبيعة أنفسهم قد اهتدوا إلى ما يناقض تخيلاتهم الموهومة، ورأوا في اللجوء إلى المصادفة العمياء في معرض التعليل العلمي ما يشبه المزاح الهش، إذ لا يعقل أن تنتظم أمور الكون في دوراته الطبيعية على نحو لا يختلف، وأن يتعاقب الليل والنهار والشمس والقمر منذ ملايين السنوات على سنن لا يشذ، وأن تنشأ الحياة في النبات والحيوان والإنسان مطردة على أحسن منهج، ثم يكون ذلك كله وليد المصادفة العمياء، فلابد أن يكون هناك صانع حكيم فطر الكون على أبدع نظام، ولابد أن يكون الإنسان الأول قد زُوِّد بمعرفة الخير والشر إلهاماً من ربه الخالق.

وقد قاوم الباحث الألماني الكبير الأستاذ «ماكس موللر» شبهات الماديين في كتابه «الدين وترقيه» جازماً بأن الناس في عهودهم القديمة كانوا أصحاب توحيد في الدين، وأن تعدد الآلهة لم ينشأ إلا بعد انتكاس الطبائع، ولم يكن تأليهاً لمظاهر القوة في الطبيعة بنوع عام، وإذا كان الإنسان الأول قد عرف التوحيد فقد آمن بالعدل والإحسان وميز الخير والشر، استجابة لدعوات الأنبياء، وسيراً وراء النظرة الهادية، وقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم مظهراً ومخبراً وصورة وفكرة لو لا ما اكتنفه من غشاوات التضليل ومتاهاتها المظلمات!

---

(٤) المائدة (٣١).

**٤ - دحض الشبهات :**

وحين ننادى بتبعية الوازع الخلقى للدين، لابد أن نستعرض شبهات من يذهبون المذهب المادى فى نشأة الخلق، وأن نكر عليها بما يدحض أدلتهم الواهية ليتضح الحق دون خفاء.

فأول شبهة لديهم هى أن الجماعات البدائية لا يوجد لديها وازع من خلق، لأنها - وبخاصة فى القبائل الوحشية - تترك من الواجبات الأساسية نحو الآباء والأمهات والأطفال ما يدعو إليه الخلق العادى فضلاً عن الخلق المثالى، ونرد على ذلك بأن فترات الضلال هى التى تطمس هذا الوازع، لذلك اقتضت حكمة الله أن يرسل الرسل فى ظلام هذه الفترات ليهدوا الإنسانية إلى طريق الخير، وإذا كان كل رسول يكافح العتاة ممن خالفوا أمره فإنه ينتصر فى النهاية، إذ يستطيع أن يخاطب العامة بما يكشف ضلال هذه الأغشية وإذ ذاك تنجلى الحقائق شيئاً فشيئاً على يده حتى يعود للوازع الخلقى حصانته المنيعة، وإذ كنا نرى القطة ترتكس فى بعض أحيانها فتأكل أولادها، مع أن غريزتها الأصلية تدعوها إلى الرعاية التامة بأفلاذ أكبادها، فإن مثل هذه القطة لا تنهض دليلاً على فقد الغريزة، بل تدل على أنها استثناء شاذ من قاعدة مطردة، وكذلك من يتنكر للوازع الخلقى من بعض الجماعات البدائية يمثل الشذوذ الإنسانى الذى لا يخرم القاعدة العامة، بل يؤكدها أبلغ تأكيد، فعلى الذين يضربون البدائيين مثلاً لمذهبهم أن يبحثوا عن مثل آخر لو يستطيعون.

أما الشبهة الثانية فهى ما تجده من تناقض فى السلوك الأخلاقى لدى الناس، إذ تجد بعض الأمم تعتقد الخير فى شئ، على حين تعتقد أمة أخرى أنه شر كل الشر، فالرق كان أمراً لا معابة فيه عند فريق عاقل متزن، وهو الآن جريمة نكراء، وقد كانت المرأة سلعة تباع وتشترى عند الإغريق - وهم أهل الحضارة الفكرية، وأنصار الفلسفة العقلية - وهى اليوم شقيقة الرجل وصاحبة حق مثله، والبوذيون - وقد اشتهروا بالرحمة - يرون قتل الحيوان الضار، كالثعبان والعقرب، جريمة نكراء، وقصارى أمرهم أن يتحاموا أمكنة كلّ شرس متوحش، وقتل الضوارى عمل مشروع لا حرمة فيه، والانتحار فى عصر الرومان أداة افتخار ودليل تضحية وشرف، وهو فى الأديان بعامة جريمة لا تغتفر، إذ لا يملك الروح غير فاطر السموات والأرض وحرمة مال الغير لدى بعض الطوائف - كاليهود مثلاً- ليست كحرمة مال من ينتمون إلى مذهبهم الدينى، ولكن المال اليوم ذو حرمة سواء كان مال عدواً أو صديق!

هذا التناقض فى المذاهب الخلقية يوحى أنها لا تجد مصدرها فى الدين، بل تتألف من عادات المجتمع ومثله الشخصية دون هيمنة سماوية.

والرد على هذه الشبهة سهل واضح، لأن هذه الخلافات لا تتعدى الفروع ولا تتوغل إلى

الأصول الثابتة في أرض الأخلاق، إذ لا يوجد خلاف بتاتاً بين جميع الأمم شرقاً وغرباً على الأسس الثابتة لقواعد الأخلاق، كإقامة العدل والإحسان، وإسعاف المحتاج، وعلاج المريض، وعقاب المجرم، وجزاء المصلح، وتعهد الضعفاء بالبر والكفالة، وتدارك الطفولة بالتربية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإذا كان لدى بعض الأمم خلافات في المذهب السياسي فليس ذلك بمانع أن تتفق جميعاً على منهج للإصلاح الخلقي العام، وأول مصادره الكتب السماوية، التي ترسم للبشرية طريقاً قويماً لا يميز عنصراً عن عنصر ولا يرفع قوماً عن أقوام، بل يهتف بقول الله – عز وجل –:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٥).

وإذا وجدت حكومات عنصرية تنادي بالطبقية وتميز البيض عن السود فقد خالفت قواعد الخلق، وشذت عن أوامر الدين، فهي ذات انتكاس يتطلب الإنقاذ.

**٥- ارتكاز الخلق على الدين:**

بقي أن نشير إلى الدلالة الهامة لارتكاز المبدأ الخلقي على الدين، حين نقرر أن الدين يؤدي دوره الخلقي كاملاً حين يكون مصدر ارتكاز لهذا الخلق، فصاحب المعتقد الديني يلتزم بالأخلاق الفاضلة استجابة لأوامر دينه، فهو يخاف الله قبل أن يخاف القانون، فإذا سرق أو قتل أو فجر عرف أن السماء رقيبة عليه وأنه لن ينجو من عقابها إلا بالتوبة النصوح، فأخذ يعمل على الرجوع إلى ربه نادماً مستغفراً، ومصراً على الإقلاع عن الذنب دون معاودة، أما صاحب الخلق الذي لا يؤمن بدين فأكثر ما يخشاه أن يقع تحت سيطرة القانون فتؤاخذه الدولة بجرمه، وإذا نجا من مسئولية القانون فقد انتهى كل أمر بالنسبة إليه، وله أن يعد نفسه بريئاً إذ لا يؤاخذه أحد، وفي ذلك حث على الجريمة، إذ ما أكثر أن تمنع الاحتياطات الدقيقة ظهور الجرائم، فينجو المجرم من العقاب!

ولصلاح المجتمع لابد أن ترتبط الأخلاق بالدين، وأن يعلم كل فرد أن عين الله ساهرة لا تنام.

إن صلة الدين بالوازع الخلقي لا تحتاج إلى إيضاح لدى من يؤمنون بالله، وإذا احتاج غيرهم إلى مزيد من الإيضاح ففي ما تقدم ما يقنع ويفيد.

دكتور/ محمد رجب البيومي

---

(٥) الحجرات (١٣).

# تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله - تعالى -:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ
وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ
أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ
خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ
ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

الآيات من ٢١٩ : ٢٢٠

وبعد حديث جامع عن البذل والتضحية، ساق القرآن في آيتين ثلاثة أسئلة وأجاب عنها بما يشفي الصدور ويصلح النفوس.

قوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾. السائلون هم المؤمنون وسؤالهم إنما هو عن الحكم الشرعي من حيث الحل والتحريم، لا عن الحقيقة

والذات فإنهم يعرفون حقيقة الخمر والميسر وذاتهما.

**قال القرطبي**: والخمر مأخوذة من خمر إذا ستر، ومنه خمار المرأة لأنه يستر وجهها- وكل شئ غطى شيئاً فقد خمره. ومنه «خمروا آنيتكم» فالخمر تخمر العقل أي: تغطيه وتستره.. فلما كانت الخمر تستر العقل وتغطيه سميت بذلك، وقيل إنما سميت الخمر خمراً، لأنها تركت حتى أدركت كما يقال: قد اختمر العجين، أي: بلغ إدراكه. وخمر الرأي ترك حتى يتبين فيه الوجه. وقيل: إنما سميت الخمر خمراً لأنها تخالط العقل من المخامرة وهي المخالطة ومنه قولهم: دخلت في خمار الناس- بفتح الخاء وضمها- أي: اختلطت بهم. فالمعاني الثلاثة متقاربة. فالخمر تركت وخمرت حتى أدركت، ثم خالطت العقل. ثم خمرته، والأصل الستر[1].

ويرى كثير من العلماء أن هذه الآية هي أول آية نزلت في الخمر. ثم نزلت الآية التي في سورة النساء

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾

ثم نزلت الآية التي في سورة المائدة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

والدليل على ذلك ما رواه أبوداود وغيره عن عمر بن الخطاب أنه قال: «اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً» فنزلت هذه الآية

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾ فدعى عمر فقرئت عليه فقال: «اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً».

فنزلت الآية التي في النساء

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾

فكان منادي رسول الله - ﷺ - إذا أقام الصلاة- نادى أن: لا يقربن الصلاة سكران. فدعى عمر فقرئت عليه، فقال: «اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً». فنزلت الآية التي في المائدة، فدعى عمر فقرئت عليه، فلما بلغ

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ قال عمر: «انتهينا»[2].

وبهذا الرأي قال ابن عمر، والشعبي، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم.

ويرى بعض العلماء أن أول آية نزلت في الخمر هي قوله- تعالى- في سورة النحل:

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾

وعلى هذا الرأي سار صاحب الكشاف وتبعه بعض العلماء فقد قال: نزلت في الخمر أربع

(١) تفسير القرطبي جـ٣ صفحة ٥١.

(٢) تفسير ابن كثير ج١ صفحة ٢٥٦

آيات، نزل بمكة قوله- تعالى-:

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾

فكان المسلمون يشربونها وهي حلال لهم، ثم إن عمر ومعاذا ونفراً من الصحابة قالوا: يارسول الله، أفتنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال، فنزلت:

﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾

فشربها قوم وتركها آخرون. ثم دعا عبدالرحمن بن عوف ناساً منهم فشربوا وسكروا فقام بعضهم يصلي فقرأ: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت:

﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوماً فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا شعراً فيه هجاء للأنصار فضرب أحد الأنصار سعداً بلحى بعير فشجه، فشكا إلى رسول الله - ﷺ - ذلك. فقال عمر: «اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت «إنما الخمر والميسر ..» إلخ الآية.. فقال عمر: انتهينا يارب[3].

وأصحاب الرأي الأول يقولون: إن آية سورة النحل وهي قوله- تعالى- :

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾

ليس لها علاقة بموضوع الخمر، ويفسرون السكر بأنه ما أحله الله مما لا يسكر وأنه هو الرزق الحسن وأن العطف بينهما من باب عطف التفسير.

ولقد كان موقف الصحابة من هذا التحريم لما يشتهونه ويحبونه من الخمر والميسر، يمثل أسمى ألوان الطاعة والاستجابة لأوامر الله ونواهيه، فعندما بلغهم تحريم الخمر أراقوا ما عندهم منها في الطرقات، بل وحطموا الأواني التي كانت توضع فيها الخمر امتثالاً وطاعة لله- تعالى-.

وهكذا نرى قوة الإيمان التي غرسها الإسلام في نفوس أتباعه عن طريق تعاليمه السامية، وتربيته الحكيمة.. تغلبت على ما أحبته النفوس وأزالت من القلوب ما ألفته الطبائع.

هذا وجمهور العلماء على أن كلمة «خمر» تشمل كل شراب مسكر سواء أكان من: عصير العنب، أم من الشعير، أم من التمر،أم من غير ذلك، وكلها سواء في التحريم قل المشروب منها أو كثر سكر شاربه أو لم يسكر.

ومن أدلتهم ما رواه الامام مسلم عن ابن عمر- أن رسول الله - ﷺ - قال: كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الآخرة».[4]

ومن أدلتهم أيضاً أصل الاشتقاق اللغوي لكلمة خمر، فقد عرفنا أنها سميت بهذا الاسم لمخامرتها العقل وستره، فكل ما خامر العقل من الأشربة وجب أن يطلق عليه لفظ خمر، سواء أكان من العنب أم من غيره.

وقال الأحناف ووافقهم بعض العلماء كإبراهيم

---

(3) تفسير الكشاف في ج1 صفحة 259.

(4) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة ج6 ص 100.

النخعي وسفيان الثوري وابن أبي ليلى: إن كلمة خمر لا تطلق إلا على الشراب المسكر من عصير العنب فقط، أما المسكر من غيره كالشراب من التمر أو الشعير فلا يسمى خمراً بل يسمى نبيذاً. وقد بنوا على هذا أن المحرم قليله وكثيره إنما هو الخمر من العنب. أما الأنبذة فكثيرها حرام وقليلها حلال.

وقد رجح العلماء رأى الجمهور وضعفوا ما ذهب إليه الأحناف ومن وافقهم.

**قال ابن العربي**: وتعلق أبوحنيفة بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة فلا يلتفت إليها. والصحيح ما روى الأئمة أن أنساً قال: «حرمت الخمر يوم حرمت وما بالمدينة خمر الأعناب إلا قليل، وعامة خمرها البسر والتمر» أخرجه البخاري، واتفق الأئمة على رواية أن الصحابة إذ حرمت الخمر لم يكن عندهم يومئذ خمر عنب، وإنما كانوا يشربون خمر النبيذ فكسروا دنانهم- أي أواني الخمر- وبادروا إلى الامتثال لاعتقادهم أن ذلك كله خمر أي: وأقرهم رسول الله - ﷺ - على ذلك [٥].

وقال الآلوسي: «وعندي أن الحق الذي لا ينبغي العدول عنه أن الشراب المتخذ مما عدا العنب كيف كان، وبأي اسم سمي، متى كان بحيث يسكر من لم يتعوده، حرام، وقليله ككثيره، ويحد شاربه ويقع طلاقه ونجاسته غليظة.

وفي الصحيحين أنه - ﷺ - سئل عن البتع - وهو نبيذ العسل - فقال: «كل شراب أسكر فهو حرام» وروى أبوداود «نهى رسول الله - ﷺ - عن كل مسكر ومفتر» وصح «ما أسكر كثيره فقليله حرام» والأحاديث متضافرة على ذلك.

ولعمري إن اجتماع الفساق في زماننا على شرب المسكرات مما عدا «الخمر» ورغبتهم فيها، فوق اجتماعهم على شرب «الخمر» ورغبتهم فيه بكثير، وقد وضعوا لها أسماء - كالعنبرية والإكسير - ونحوهما ظنا منهم أن هذه الأسماء تخرجها من الحرمة وتبيح شربها للأمة - وهيهات هيهات - فالأمر وراء ما يظنون وإنا لله وإنا إليه راجعون»[٦].

بعد هذه الكلمة التمهيدية عن الآية، وعن مدلول كلمة خمر ننتقل إلى معنى كلمة «الميسر»، فنقول: الميسر - القمار - بكسر القاف - وهو في الأصل مصدر ميمي من يسر، كالموعد من وعد. وهو مشتق من اليسر بمعنى السهولة، لأن المال يجيء للكاسب من غير جهد، أو هو مشتق من يسر بمعنى جزر ثم أصبح علما على ما يتقامر عليه كالجزور ونحوه.

قال القرطبي نقلا عن الأزهري: الميسر: الجزور الذي كانوا يتقامرون عليه، سمي ميسراً، لأنه أجزاء، فكأنه موضع التجزئة، وكل شئ جزأته فقد يسرته. والياسر: الجازر لأنه يجزئ لحم الجزور. ويقال للضاربين بالقداح والمتقامرين على الجزور: ياسرون، لأنهم جازرون إذ كانوا سببا لذلك[٧].

وصفة الميسر الذي كانت تستعمله العرب أنهم كانت لهم عشرة أقداح يقال لها الأزلام أو الأقلام، فكانوا إذا أرادوا أن يقامروا أحضروا بعيرا وقسموه ثمانية وعشرين قسما وتترك ثلاثة من

---

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ج١ صفحة ١٤٩.

(٦) تفسير الألوسي جـ ٢ صفحة ١١٢.

(٧) تفسير القرطبي جـ ٣ ص ٥٢.

تلك الأقداح غفلا لا علامة عليها وكانت تسمى: السفيح، والمنيح، والوغد. ومن طلع له واحد منها لا يأخذ شيئاً من الجزور.

أما السبعة الأخرى فهي الرابحة وهي الفذ، وله سهم واحد، والتوأم وله سهمان، والرقيب وله ثلاثة، والحلس وله أربعة، والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة، والمعلى وله سبعة فيكون المجموع ثمانية وعشرين سهما.

تلك صورة تقريبية لقمار العرب كما أوردها بعض المفسرين [(٨)].

ولاشك أنه يدخل في حكمها من حيث الحرمة ما كان مشابها لها في المخاطرة والرهان وأخذ الأموال بدون مقابل مشروع، أو ضياعها فيما حرمه الله.

ومعنى الآية الكريمة: يسألك أصحابك يا محمد عن حكم شرب الخمر ولعب الميسر، قل لهم على سبيل الإرشاد والإعلام: في تعاطيهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ أي: ذنب عظيم، وضرر شديد وذلك لما فيهما من القبائح المنافية لمحاسن الشرع من الكذب، والأذى، وشيوع العداوة والبغضاء بين الناس، واستلاب أموالهم بغير حق.

وقوله: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ أي وفيهما منافع دنيوية للناس إذ الخمر تدر على المتاجرين فيها أرباحا مالية، والميسر يؤدي إلى إصابة بعض الناس للمال بدون تعب.

وأطلق - سبحانه - الإثم وقيد المنافع بأنها للناس، للتنبيه على أن الإثم في الخمر والميسر ذاتي، فهما في ذاتهما رجس كبير، وخطر وبيل، وأن ما فيهما من منافع ضئيل ولا يتجاوز بعض الناس، فهي منافع خاصة وليست عامة، ويشهد لهذا قوله - تعالى - بعد ذلك.

﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ أي أن المفاسد والأضرار التي تترتب على تعاطيهما، أعظم من المنافع التي تنشأ عن تعاطيهما، إذ تعاطيهما يؤدي إلى منفعة بعض الناس، أما مضارهما فكثيرة، من ذلك أن تعاطي الخمر يضعف الضمير، ويفسد الأخلاق، ويميت الحياء، ويفقد الرشد، ويتلف المال، ويغري بالتنازع بين الناس، ويتسبب - كما قال الأطباء الثقاة - في كثير من الأمراض كأمراض الكبد والرئتين والقلب.. إلخ.

وإن شئت المزيد من معرفة مضار الخمر فراجع ما كتبه العلماء والمتخصصون في ذلك [(٩)].

أما تعاطي الميسر فمن مضاره - كما يقول الأستاذ الإمام محمد عبده - «إفساد التربية بتعويد النفس الكسل، وانتظار الرزق من الأسباب الوهمية، وإضعاف القوة العقلية، بترك الأعمال المفيدة في طرق الكسب الطبيعية، وإهمال المقامرين للزراعة والتجارة والصناعة التي هي أركان العمران، وتخريب البيوت فجأة بالانتقال من الغنى إلى الفقر في ساعة واحدة، فكم من عشيرة كبيرة نشأت في العز والغنى

---

(٨) راجع تفسير الألوسي جـ ٢ ص ١١٣، وتفسير القرطبي جـ ٣ ص ٥٨.

(٩) راجع على سبيل المثال «تفسير الجواهر» في معنى الآية للمرحوم طنطاوي جوهري وتفسير المنار جـ٢ ص ٣٢٦.

وانحصرت ثروتها في رجل أضاعها عليها في ليلة واحدة، فأصبحت غنية وأمست فقيرة»[(١٠)].

إذن فالمنفع الدنيوية التي تعود إلى بعض الناس من تعاطي الخمر والميسر لا تساوي شيئاً بجانب تلك المضار الجسيمة التي تعود على أفراد الأمة في دينهم وعقولهم وأجسامهم وأموالهم وترابطهم، وصدق الله إذ يقول:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾

ثم يأتي بعد ذلك السؤال الثاني الذي ورد في هاتين الآيتين وهو قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾.

ومناسبة هذا السؤال لما قبله أنهم بعد أن نهوا عن إنفاق أموالهم في الوجوه المحرمة كتعاطي الخمر والميسر، سألوا عن وجوه الإنفاق الحلال، وعن مقدار ما ينفقون فأجيبو بهذا الجواب الحكيم.

قال الألوسي «أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس أن نفراً من الصحابة حين أمروا بالنفقة في سبيل الله أتوا النبي ـ ﷺ ـ فقالوا: إنا لاندري ما هذه النفقة التي أمرنا بها في أموالنا وما الذي ننفقه منها فأنزل الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ وكان الرجل قبل ذلك ينفق ماله حتى لا يجد ما يتصدق ولا ما يأكل»[(١١)].

وأصل العفو في اللغة الزيادة. قال ـ تعالى ـ:

﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا ﴾ أي زادوا على ما كانوا عليه من العدد. ويطلق على ماسهل وتيسر مما يكون فاضلا عن الكفاية.

يقال: خذ ما عفا لك. أي ما تيسر. كما يطلق على الترك قال ـ تعالى ـ:

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ أي تركه وتجاوز عنه.

والمراد به هنا: ما يفضل عن الأهل ويزيد عن الحاجة، إذ هذا القدر الذي يتيسر إخراجه ويسهل بذله، ولا يتضرر صاحبه بتركه.

والمعنى، ويسألونك ما الذي يتصدقون به من أموالهم في وجوه البر، فقل لهم تصدقوا بما زاد عن حاجتكم، وسهل عليكم إخراجه، ولا يشق عليكم بذله.

وفي هذه الجملة الكريمة إرشاد حكيم إلى التعاون والتراحم بين أفراد المجتمع، وتوجيه إلى المنهاج الوسط الذي يأبى التبذير وينفر من التقتير، وفي أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ ما يؤيد هذا الإرشاد والتوجيه، ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول».

وأخرج مسلم عن جابر أن النبي ـ ﷺ ـ قال «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا»

إلى غير ذلك من الأحاديث التي وردت في هذا المعنى.

---

(١٠) تفسير المنار جـ ٢ ص ٣٢٠.

(١١) تفسير الألوسي جـ٢ صـ ١١٥.

وللأستاذ الإمام كلام جيد في هذا المقام قال ـ رحمه الله ـ ما ملخصه: «إن الأمة المؤلفة من مليون فرد إذا كانت تبذل من فضل ما لها في مصالحها العامة كإعداد القوة وتربية الناشئة ـ تكون أعز وأقوى من أمة مؤلفة من مائة مليون فرد لا يبذلون شيئاً في مثل ذلك؛ لأن الواحد من الأمة الأولى يعد بأمة، إذ هو يعتبر نفسه جزءاً منها وهي كل له، بينما الأمة الثانية لا تعد بواحد لأن كل فرد من أفرادها يخذل الآخر.. وفي الحقيقة أن مثل هذا الجمع لا يسمى أمة، لأن كل واحد من أفراده يعيش وحده وإن كان في جالية أهل الأرض، فهو لا يتصل بمن معه ليمدهم ويستمد منهم»[١٢].

ثم ختم ـ سبحانه ـ الآية بقوله:

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾

أي: مثل هذا البيان الحكيم الذي بينه الله لكم فيما سألتم عنه يبين لكم في سائر كتابه آياته وأحكامه وحججه لكي تتفكروا وتتدبروا فيما ينفعكم في دنياكم وآخرتكم، بأن تعملوا في الدنيا العمل الصالح الذي يجعلكم تظفرون برضا الله في أخراكم.

قال صاحب الكشاف: «وقوله: ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ إما أن يتعلق بتتفكرون، فيكون المعنى: لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم كما بينت لكم أن العفو أصلح من الجهد في النفقة وتتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع. ويجوز أن يكون إشارة إلى قوله: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ فيكون المعنى: لتتفكروا في عقاب الإثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب الأليم. وإما أن يتعلق بيبين على معنى: يبين لكم الآيات في أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون»[١٣].

أما السؤال الثالث والأخير الذي ورد في هاتين الآيتين فهو قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾

أخرج أبو داود والحاكم والنسائي وغيرهم عن ابن عباس قال:

لما نزل قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾

انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه. وشرابه من شرابه، فجعل يفضل له الشيء

---

(١٢) تفسير المنار جـ ٢ صـ ٣٣٨.

(١٣) تفسير الكشاف جـ١ صـ ٢٦٣.



من طعامه وشرابه، فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ فأنزل الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾

فخلطوا طعامهم وشرابهم بشرابهم (١٤).

والمعنى: ويسألونك يا محمد عن القيام بأمر اليتامى أو التصرف في أموالهم أو عن أموالهم وكيف يكونون معهم فقل لهم: إن المطلوب هو إصلاحهم بالتهذيب والتربية الرشيدة. والمعاملة الحسنة، وإصلاح أموالهم بالمحافظة عليها وعدم إنفاقها إلا في الوجوه المشروعة فهذا الإصلاح المفيد لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم، وتركهم، ولذا قال ـ تعالى ـ بعد ذلك:

﴿ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ أى: وإن تعاشروهم وتضموهم إليكم فاعتبروهم إخوانكم في العقيدة والإنسانية، وعاملوهم بمقتضى ما تفرضه الأخوة من تراحم وتعاطف ومساواة.

والجملة الكريمة معطوفة على ما قبله. و« إصلاح » مبتدأ وسوغ الابتداء به مع أنه نكرة وصفه بالجار والمجرور « لهم » و« خير » خبره.

وقوله: ﴿ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ الفاء واقعة في جواب الشرط، وإخوانكم خبر لمبتدأ محذوف والتقدير فهم إخوانكم، والجملة في محل جزم على أنها جواب الشرط.

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ وعد ووعيد، وترغيب في الإصلاح وترهيب من الإفساد، أى: والله يعلم المفسد لشئون هؤلاء اليتامى من المصلح لها، كما أنه ـ سبحانه ـ لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء، وسيجازى كل إنسان على حسب عمله، فاحذروا الإفساد ولا تتحروا غير الإصلاح.

ثم قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ العنت: الشدة والمشقة والتضييق. يقال: أعنته في كذا يعنته إعناتا، إذا أجهده وألزمه ما يشق عليه.

أى: ولو شاء الله لضيق عليكم وأحرجكم بتحريم مخالطة هؤلاء اليتامى، وبغير ذلك مما يشرع لكم، ولكنه ـ سبحانه ـ وسع عليكم وخفف فأباح لكم مخالطتهم بالتي هي أحسن، فاشكروه على ذلك.

ثم ختم ـ سبحانه ـ الآية بقوله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أى: إن الله ـ تعالى ـ غالب على أمره لا يعجزه أمر من الأمور التي من جملتها إعناتكم قادر على أن يعز من أعز اليتامى ويذل من أذلهم، حكيم في كل تصرفاته وأفعاله، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها.

وقد استدل العلماء بهذه الآية على جواز التصرف في أموال اليتامى على وجه الإصلاح، وعلى أن للولى أن يخالط اليتيم بنفسه في المصاهرة والمشاركة وغير ذلك مما تقتضيه المصلحة.

---

(١٤) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٥٦





وقد وردت أحاديث متعددة في رعاية اليتيم وإصلاح أحواله ومن ذلك ما رواه البخاري عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرق بينهما».

وروى الطبراني عن أبي الدرداء. قال: أتى النبي ـ ﷺ ـ رجل يشكو قسوة قلبه، فقال له النبي ـ ﷺ ـ أتحب أن يلين وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك.

وبذلك نرى أن هاتين الآيتين الكريمتين قد اشتملتا على أفضل ألوان الإصلاح للأفراد والجماعات في مطاعمهم ومشاربهم ونفقتهم وعلاقتهم بغيرهم ولاسيما اليتامى الذين فقدوا الأب الحاني، والقلب الرحيم، ومن شأن الأمة التي تعمل بهذا التوجيه السامي الحكيم أن تنال السعادة في دنياها. ورضا الله في أخراها.

ثم تحدثت السورة بعد ذلك في اثنين وعشرين آية[١٥] عن بعض أحكام وآداب الزواج والمعاشرة، والإيلاء، والطلاق، والعدة، والنفقة، والرضاعة، والخطبة، والمتعة، وغير ذلك مما يتعلق بصيانة الأسرة وتقويتها، وبنائها على أفضل الدعائم، وأحكم الروابط، إذ الأسرة هي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، ومن مجموعها يتكون، فإذا صلحت الوحدات والمكونات صلح البنيان، وإذا تصدعت تصدع.

ولقد ابتدأت الآيات التي معنا حديثها عن الأسرة بالحديث عن الزواج لأنه أعمق الروابط وأقواها ومنه تتأتى الذرية، لذا جعل أساس الاختيار فيه هو التدين السليم، والخلق القويم، الذي يسعد ولا يشقى، ويبني ولا يهدم، ويحفظ ولا يضيع.. ولا يتأتى ذلك إلا باختيار المسلمة الصالحة والإعراض عن المشركة الكافرة.

***

(١٥) من الآية ٢٢١ وهي: ﴿ولا تنكحوا المشركات..﴾ إلخ قوله: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون﴾ الآية ٢٤٢.

# وحى الألفاظ فى أسلوب القرآن

للأستاذ الدكتور / عبد الحليم حفنى

من المعروف فى نقد الأدب أن اختيار الألفاظ من أهم الموازين التى يوزن بها الأدب، ومن المقاييس التى يتفاوت بها أسلوب عن آخر، ويعلو بها أو يسفل بعض الكلام عن بعض، وذلك أن الأديب الموهوب هو الذى يحسن اختيار كلماته بحيث تحمل ما يجول فى نفسه من مشاعر، وتنقلها إلى السامع أو القارىء، وهذا الاختيار ليس عملا ماديا أو محسوسا، بمعنى أن الأديب حين ينشىء الكلام لا يعمد إلى الموازنة بين كل لفظ ولفظ آخر ليختار ما يروق لحسه منهما، وإنما تتوارد على ذهنه تلقائيا الألفاظ التى تلائم التعبير عن حسه وشعوره، كما تتناغم حروفها صوتيا مع نسج التعبير.

فالألفاظ قد يوافق بعضها بعضا فى أداء المعنى، فيما يعرف بالترادف، ولكنها كثيرا ما تتفاوت تفاوتا غير يسير فى أداء المدلول البلاغى الأدبى، فنجد مثلا ألفاظا نحو ( جاء - أتى - قدم - أقبل - حضر - وافى ) تؤدى فى المدلول العادى معنى واحدا، ويمكن أن يوضع أحدهما مكان الآخر فلا يتغير المعنى، وتوصف بأنها مترادفة، ولكن الاستعمال الأدبى الدقيق لا يكاد يعترف بالترادف، لأن لكل لفظ فى موضعه البلاغى مدلولا لا يؤديه مرادفه، وقد يختلف علماء اللغة والنقد فى تعليل ذلك، ولكنهم لن يختلفوا فى مبعث التساؤل، وهو أن بعض الألفاظ يوحى بمشاعر أو خيالات لا يوحيها مرادفه لو جئنا بهذا المرادف مكانه، ومثال ذلك أن تقول : أقبل فلان سعيدا مبتهجا، أو يقول شاعر متغزلا فى امرأة : ( أقبلت تتهادى ) فالذوق الأصيل سيجد فرقا بين إحساسه بتعبير أقبل سعيدا مبتهجا وبين حضر سعيدا مبتهجا، وكذلك بين أقبلت تتهادى وقدمت تتهادى، وقد يكون من تعليل ذلك أن لفظ الإقبال يتضمن فوق المدلول العادى تصويرا أو مدلولا آخر يستفاد من معنى الإقبال الذى يستخدم كثيرا فى الرضا أو الرغبة، كما يُقال أقبل علىّ فلان بوجهه، وقد يكون ذلك لأن قائل التعبير ضمّن تعبيره مشاعره الخاصة نحو مدلول التعبير، وليس بعيدا أو غريبا أن يحمل الكلام روح صاحبه ومشاعره، وإن لم يخل هذا من غرابة مصدرها عدم القدرة على إخضاع المشاعر والأحاسيس وكل ما يتعلق بالنفس والروح للمقاييس العقلية.

وهذا الحديث يحتاج إلى بسطة في القول، ولكن خلاصته أننا نجد بعض الألفاظ حين تستخدم استخداما دقيقا تؤدى فوق دلالتها اللغوية دلالة إيحائية، توحى بمشاعر وانفعالات زائدة عن المعنى اللغوى.

وعبدالقاهر الجرجانى إمام البلاغة العربية فى قواعدها يتحدث كثيرا عن إيحاء الألفاظ من خلال حديثه عن الاستعارة، ومن ذلك قوله: «وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة فى مواضع، ولها فى كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد.. ومن خصائصها أنها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ.. فإنك لترى بها الجماد حيا والأعجم فصيحا».

ونستخلص من كل ذلك أن الألفاظ المفردة لذاتها وبمراعاة سياقها وموضعها من الكلام توحى أحيانا بمعان وإشارات كثيرة فوق دلالتها العامة المقصودة من ظاهر التعبير، حيث تصبح هذه الدلالات والإيحاءات أشبه بالهالة المحيطة بالمعنى الأصلى للفظ، فتزيده وقعاً فى النفس، وتأثيرا فى المشاعر، زيادة عن كونها كالتأكيد والتثبيت للمعنى الأصلى.

والقرآن الكريم حافل بهذه الألفاظ ذات الإيحاء زيادة عن معناها الأصلى، ومنها على سبيل المثال:

١- لفظ (تصعر) من قوله تعالى:

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾(١)

فالمعنى فى السياق منصب على النهى عن مشية التعالى والغرور التى يبدو فيها المتكبر معرضا عن الناس بوجهه، والعامة يعبرون عن استنكارهم لهذه المشية وهذا المظهر بمثل قولهم (فلان عاوج رقبته) ويمكن أن يؤتى بكلام مستفيض بليغ عن استنكار الكبرياء، وذم الخيلاء، والنهى عن كل ما يتضمن تعاليا على الناس وتكبرا عليهم، مع إبراز مساوىء هذه الصفة، وما يترتب عليها من غضب الله وسخط الناس، ولكن ذلك كله لا يبلغ من نفوس السامعين، ولا من المتكبر نفسه ما تبلغه هذه الصورة الفنية التى يرسمها لفظ (تصعر) حيث أن أبرز دلالات الصعر (بفتح الصاد مشددة وفتح العين) ما يعرفه كل العرب حتى الصبية من الرعاة عن هذا المرض الذى يصيب بعض الإبل فيلوى أعناقها، فبينما يمشى البعير وصدره إلى أمام يكون عنقه منحرفا إلى جهة اليمين أو الشمال، ويصبح فى صورة تدعو إلى الضحك أو الإشفاق، والقرآن هنا حين يستنكر مشية الخيلاء والتعالى ذات الهيئة المعروفة لدى الناس لا ينعى على صاحبها بالتنفير منها بالكلام، وبيان مدى بُغض الله - سبحانه - لها، ولا بالاستخفاف بها والإنكار عليها، وإنما يكتفى بأن يقرن هذه الهيئة بصورة البعير المصاب بداء الصَّعر، ومن الواضح أن هذا التشبيه يثير فى النفس مالا يثيره أى كلام عن التنفير من الخيلاء والغرور والتعالى على الناس، وأبرز ما فى هذا التأثير أن التنفير بالكلام المجرد هو أسلوب الحقيقة المجردة ولكن هذا التشبيه بصورة الجمل المريض بالصعر فى هيئته المعروفة يلبس الكلام المجرد كساء من الطرافة والسخرية والتندر، وهذا يمثل قمة التنفير من مظاهر الكبرياء والخيلاء، فإن علماء

---

(١) لقمان آية ١٨.

النفس والاجتماع يلحظون أن السخرية أبلغ وسيلة فى تغيير العادات والتقاليد، فإن الذى يزاول عادة ذميمة قد يتغاضى عن إنكار الناس عليه، بل قد يتحداهم بزيادة الإصرار على عادته، ولكنه حين يجد الناس يسخرون منه إزاء هذه العادة، فإن أول ما ينبعث فى نفسه حينئذ هو محاولة ترك هذه العادة، والذى يتقمص هيئة الخيلاء والتعالى هذه حين يتصور أن الناس حين يرونه بهذه الهيئة ينظر بعضهم إلى بعض قائلين: إنه أشبه ببعير مريض بالصعر، فلا يعقل أن يتمثل هذه الهيئة مرة أخرى، وبهذا يكون القرآن الكريم قد بلغ الغاية فى التنفير من عادة بغيضة يتكلفها بعض الناس بلفظ واحد يتضمنه تعبير ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ ولكن القرآن الكريم حين يتهكم أو يسخر يمتاز عن كل أساليب البشر بالصدق والواقعية، فالصعر واضح أنه مرض عضوى فى البعير، وكذلك المشية المقصودة فى الخيلاء، والغرور هى نوع من المرض النفسى، حيث نجد فى علم النفس أن الذى يشعر بالنقص فى شىء يحاول التكلف فى الظهور بعكس هذا الشىء من باب التعويض النفسى، وهذا المختال المتعالى لا شك أنه يحاول بتكلفه هذه المشية تعويض شعوره بنقص فى إعجاب الناس به أو خضوعهم له أو مساواتهم إياه بشخص آخر يتطلع هو أن يكون مثله أو نحو ذلك، فكلاهما مرض، غاية الأمر أنه فى البعير مرض عضوى، وفى المتكبر مرض نفسى.

٢ – ومن هذه الألفاظ لفظ ( النُّزُل ) فى مثل قوله – تعالى –: ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾(٢) فالنزل فى لغة العرب و عرفهم هو ما يُعد من إكرام للضيف والنازل حين يُعدّ مكان خاص بهذا، فالنزل هو الاسم العربى للفنادق، وبطبيعة الحال فإن الذى يُعد مكانا لنزول الضيوف فيه سيبذل جهده ليهيئ، فيه كل ما يستطيع من وسائل الراحة التكريم، إما لأنه سيأخذ أجرا ماديا عاجلا بمقدار ما هيأ فيه من وسائل الراحة إن كان الهدف ماديا، وإما لأنه سيأخذ ثناء ومدحا من الناس إن كان الهدف أدبيا، وهذا كان هو الوضع الشائع عند نزول القرآن، وفى كل الأحوال فإن النزل مرتبط بوسائل الراحة والتكريم للنازل فيه، ولكن القرآن ينقل هذه الصورة الوردية الحالمة إلى صورة بالغة البشاعة والرهبة، هى صورة جهنم، فينتقل المعنى كله من واد إلى واد آخر، وتلتقى فى نفس السامع صورتان بينهما تناقض وتدابر، وفى اقترانهما مفارقة كبيرة، فالصورة التى يحددها سياق الكلام هى صورة جهنم التى لا يرتاب السامع فى تمثلها بكل بشاعتها عذابا لأعداء الله، ولكن السامع يفاجأ بأن المعد لهؤلاء الكافرين ليس جهنم التى يمليها السياق، وإنما أعد لهم شىء مختلف عن جهنم كل الاختلاف، أعد لهم تكريم ونعيم أو حسن ضيافة على الأقل، وذلك ما يدل عليه لفظ النزل، وتدخل الموازنة بين الصورتين المتناقضتين فى نفس السامع فى عملية عقلية مهما تبلغ من سرعة المرور فى الخاطر، وقد تتضمن هذه العملية العقلية تساؤلا سريعا أو خاطفا: هل حقا يُعد الله للكافرين حسن ضيافة و

---

(٢) الواقعة آية ٥٦.

تكريما؟ ولكن هذا الخاطر ينكره العقل بداهة، كما ينكره السياق، فترتد النفس سريعا إلى صورة جهنم، فهي المعدة في الواقع للكافرين، فتستريح النفس وتستقر على هذه الصورة، ولكن تبقى فيها المفارقة والطرافة التي أثارها توارد الصورتين المتناقضتين في موضع واحد، والتي ينبغي أن تثير في نفس السامع وعقله مواعظ شتى، هل كان ذلك للتأنيب والتقريع والتهكم لأنهم اختاروا لأنفسهم العذاب، بدل أن يختاروا النعيم، أم كان ذلك للتذكير والتحذير بأن أمام الإنسان الطريقين ليختار أيهما يشاء: طريق الشقاء والعذاب، وطريق التكريم والنعيم، أم نحو ذلك من المعاني؟ ومما يزيد هذه المعاني بروزا ووضوحا، ويزيدها تأثيرا في النفس لفظ الإشارة المقترن بالصورتين وهو (هذا) من قوله ـ تعالى ـ:

﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ فإن الإشارة تجعل النزل الذي هو في الحقيقة جهنم كأنه شيء مشاهد يشار إليه.

ولو جاء التعبير على أصل الحقيقة وهو هذا عذابهم لما وجدنا كل هذه الإيحاءات التي يوحيها لفظ النزل، فالفارق الكبير واضح بين تعبير هذا عذابهم وبين ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ ﴾.

٣ ـ لفظ الخزنة في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴾(٢).

فلفظ الخزنة يستعمل عادة في الحراس الذين يقومون بالمحافظة والحراسة على شيء معين، وهذا الاستعمال حين يضاف إلى جهنم يرسم في ذهن السامع صورة لجهنم وقد وكل بها حراس ينظمون أمر حفظها، ومراقبة من بداخلها حتى لا يفكروا في الهروب منها، وحراسة أبوابها حتى لا يتسلل أحد من داخلها إلى خارجها، ونحو ذلك مما نتصوره في حراس يوكل إليهم حفظ شيء مهم يخشى ضياع شيء منه، أو امتداد أيدي الطامعين إلى اختطاف أو سرقة شيء منه، مما يجعل السامع لأول وهلة من سماع لفظ الخزنة يتخيل هؤلاء الخزنة قائمين مثلا حول جهنم، وحارسين على أبوابها، خشية أن يهرب أحد من داخلها، أو يتسلل أحد من الخارج فيدخلها، أو تمتد يد إلى شيء مما فيها، أو نحو ذلك، وهذه الصورة يرسمها في الذهن المدلول المباشر للفظ الخزنة، ولكن الصورة الحقيقية التي يؤكدها سياق الكلام ولا يرتاب العقل فيها أن النار لا يناسبها شيء من ذلك، فليس فيها شيء يطمع فيه فيحتاج إلى حراسة، وليست مغرية حتى يفكر أحد في الدخول إليها فتحتاج إلى حجاب، وليس هناك مهرب أو مفر لمن فيها حتى يحتاجون إلى سجان يحول بينهم وبين الهروب، كما يقول الجاحظ: «والخزنة الحفظة، وجهنم لا يضيع منها شيء، فيحفظ، ولا يختار دخولها إنسان فيمنع منها، ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ الخازن سميت به».

حينئذ نجد لفظ الخزنة يوحي لنا بصورة جديدة غير الصورة الحقيقية، فالصورة الحقيقية هي جهنم بنارها وعذابها المتصور في الذهن، أما الصورة الجديدة التي أوحى بها لفظ الخزنة فهي صورة مكان جميل تهفو إليه النفوس، وهو يحوي أشياء

---

(٢) غافر آية ٤٩.

ثمينة تتطلع إليها المطامع والآمال، فهو في حاجة إلى حراس وحجاب لحفظه وحمايته، واقتران الصورتين في الذهن مما يثير كثيراً من المشاعر والمعاني التي تدور حول السخرية والتهكم بأهل جهنم، والتذكير والتحذير لأهل الدنيا قبل أن ينتهوا إلى هذا المصير.

ولولا إيحاءات لفظ الخزنة لما وجدت هذه الطرافة التي توقظ العقول للموازنة بين صورة الحقيقة وهي صورة جهنم وبين الصورة الجديدة التي أوحاها لفظ الخزنة وما يهدف إليه كل ذلك.

٤ - ومن هذه الألفاظ لفظ الصياصي من قوله - تعالى - :

﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾(٤).

والآية الأولى في شأن الأحزاب الذين صرفهم الله فاشلين وكفى المسلمين قتالهم، والآية الثانية في شأن بني قريظة الذين ظاهروا الأحزاب، وناصروهم على المسلمين، فلما فشل الأحزاب تحصن بنو قريظة في حصونهم، يتحدون المسلمين بهذه الحصون المنيعة، ولكن الله يبين لهم أن أية حصون لا تصمد أمام قوة الله وجنوده، وإنما تكون حينئذ شيئا واهيا ضعيفا، وهذا المعنى لا يسطه القرآن صراحة، وإنما يضمنه لفظ ( صياصيهم ) فالمعنى الظاهر: وأنزل الله الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من حصونهم، ولكن القرآن يختار لفظ صياصيهم بدلا من حصونهم ليكون موحيا بمعان وإيحاءات تعد لذاتها صورا مستقلة، وذلك حين ننظر إلى اشتقاق هذا اللفظ، فالصيصية في لغة العرب تستخدم في عدة دلالات، منها قرن الثور والظبي، يقال لكل منهما صيصة، ومنها الشوك الناتيء حول أرجل الديكة كأنه القرون الصغار، ومنها شوك النساجين، ونحو ذلك من الدلالة على أشياء توحي في ظاهرها بالقوة والصلابة، ولكنها في حقيقتها ليست كذلك وهذا مايهدف إليه استخدام لفظ الصيصية في القرآن بدل الحصون، فالعربي صاحب هذه اللغة يفهمه لدلالات ألفاظها لو سمع الآية على أنها إنزال الله لهم من حصون لا تحصر ذهنه في الحصون المعروفة، ولكنه يسمع إنزال الله لهم من صياص فتتوارد على ذهنه ولو في عجلة كل هذه الدلالات التي ترتبط بالصياصي فلا يجد ذهنه محصورا في الدلالة على حصون حربية منيعة ذات شكل وصفة معينة، وإنما يجد في ذهنه أرجل ديكة ونتواء فيها، وشوكا للنساجين، وقرونا للحيوانات تدافع بها عن أنفسها كما يدافع أصحاب الحصون بحصونهم، وغير ذلك من الدلالات التي يضيع معها التركيز في صورة الحصون الحربية بقوتها ومنعتها، وهو ما يهدف إليه أسلوب القرآن، حيث يؤكد السياق كله التهوين من شأنهم وشأن حصونهم، فلفظ ( صياصيهم ) يؤدي المعنى الأصلي وهو الحصون، ولكنه يوحي فوق ذلك إيحاءات أخرى تدور حول تحقير حصونهم التي ظنوها مانعة لهم من الله، هذه الإيحاءات التي تجعل من حصونهم موضعا للسخرية والتفكه زيادة عن التهوين والتحقير، فقد كان يمكن أن يكون التعبير نحو أمكنكم الله منهم، أو نصركم

---

(٤) الأحزاب آية ٢٥، ٢٦.

عليهم، أو ملككم إياهم، أو جعلهم في قبضتكم أو نحو ذلك، وهذا كله في محيط أسلوب الحقيقة، ولكن تصور السامع أن حصونهم أشبه بأشياء معروفة في البيئة يوحي ظاهرها بالقوة والصلابة ولكنها في الحقيقة ليست كذلك. هذا ينقل دلالة اللفظ إلى صور فنية توحي للسامع بخيالات ومشاعر شتى.

وقد يكون من أسباب روعة الإيحاء في مثل هذه الألفاظ أن القرآن الكريم يختار في المواضع ذات الهدف الخاص ألفاظا تستعمل في عدة دلالات في اللغة، فيستخدمها القرآن في إحدى هذه الدلالات بغلبة الاستعمال، أو بتحديد السياق للمعنى المراد، ولكن الدلالات الأخرى للفظ تظل حائمة حول اللفظ متداعية بذكره، مزاحمة للمعنى المراد ولو مزاحمة يسيرة، فيما يعرفه علماء اللغة بدوران المادة حول معنى واحد، فإن هذه الدلالات الفرعية الحائمة حول المعنى الجوهري تفتح لذهن السامع آفاقا وسبلا عديدة متنوعة، وترسم في خياله صورا عديدة، قد يكون بعضها للسخرية والتهكم كما هو الحال في أغلب هذه الدلالات، وقد تكون للتنفير أو الترغيب أو التحقير أو غير ذلك.

٥- ومن هذه الألفاظ لفظ ( أركسهم ) في قوله تعالى:

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾(٥).

فالمعنى فيه عتاب للمسلمين على اختلافهم في شأن طائفة من المنافقين كانوا يظهرون أولاً أنهم مسلمون، ثم انتهزوا فرصة فلحقوا بالمشركين وانضموا إليهم، فالقرآن يقول لهم: لم يكن ينبغي أن تختلفوا في أمر قوم ردهم الله إلى وضعهم الحقيقي وهو الكفر، ولا ينبغي أن تأسوا على فراق الضالين، واللفظ العادي المنتظر هو: والله ردهم بما كسبوا، ولكن القرآن يتجاوز لفظ الرد، ويختار مكانه الإركاس، واستعمال مادة الإركاس عند العرب منه ( أركسه وركسه قلبه على رأسه، وشد دابته إلى الركاسة وهي الآخِيَّة - الحلقة التي تشد إليها الدواب - وهذا ركس رجس، وبناء ركس رم بعد الانهدام ) فحين يسمع العربي لفظ ( أركسهم ) يفهم منه معنى ردهم، ولكن معاني وصورا أخرى يوحيها اللفظ بدلالاته العديدة تتوارد على ذهنه، منها صورة قلب الشيء على رأسه، ومنها شد الدابة إلى ما تربط إليه، ومنها الشيء الرجس النجس، ومنها صورة البناء المتهدم الذي لا يمسكه إلا الترميم، وكل هذه الدلالات لا تتوارد لذاتها وإنما تقترن بالذين يعنيهم السياق وهم المنافقون، فيتصورهم العربي الذي يعرف لغته في كل هذه الصور أو فيما يروق له منها مناسبا للسياق، ومناسبة السياق هنا تجعل كل هذه الدلالات مصاحبة للمنافقين، مهينة لهم، ساخرة منهم، ويكفي من ذلك إشارة اللفظ إلى تشبيههم بالدواب التي ردت إلى مرابطها وقيدت بها.

ولو جاء التعبير على الأصل وهو: والله ردهم، لما وجدنا في الكلام هذه المتعة الفنية التي يوحيها لفظ ( أركسهم ).

---

(٥) النساء، آية «٨٨».

تستفتح مجلة الأزهر نهجا فى الكتابة عن السنة النبوية الشريفة لعالم من علماء الأزهر نجله ونقدره، كما نقدرهم جميعا، كما نقدر أساتذتنا أهل التخصص فى الحديث، نرجو للأستاذ الشيخ أن يتابع مع قراء المجلة هذا النهج الموثق الكريم.

كما نقدم دعوة صادقة لكل أساتذة الحديث والفقه بالأزهر الشريف أن يوافونا بإنتاجهم الرفيع على هذا المستوى العلمى الذى يليق بالمجلة ويليق بهم، حتى نصدر أبوابا خاصة بالفقه والحديث والله الموفق.

# العناية بكتابة السنة النبوية

## فى عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام

### الحلقة الثانية

للأستاذ الدكتور/ أحمد معبد عبد الكريم (*)

فى المقال السابق ذكرت نماذج متنوعة لما كُتب من السنن، بإذنه - ﷺ - أو بأمره المباشر، وبينت استدلال غير واحد من العلماء بذلك على أنه يعتبر إذنا عاماً منه - ﷺ - بكتابة وتدوين عامة ما صدر عنه من قول أو فعل أو تقرير، أو شمائله الخُلقية، أو صفاته الخلقية، وذلك بشرط أن يكون المكتوب من ذلك كله مستقلا عن المكتوب من القرآن الكريم وذلك لأن من الصحابة من كان يكتب عنه القرآن الكريم، ويأخذ عنه الحديث أيضاً تلميذ واحد، مثل بعض تلاميذ زيد بن ثابت - رضى الله عنه - [1].

كما ذكرت بعض نماذج لكتابة بعض الصحابة - رضى الله عنهم - بعض الأحاديث وتداولها.

(*) أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر.

(1) ينظر تهذيب الكمال (10/24 - 26) و (34/105).

وفي هذا المقال أواصل ذكر نماذج أخرى تدل أيضاً على استمرار العناية العامة بكتابة السنة عنه - ﷺ - مباشرة بين يديه بواسطة صحابته الكاتبين، وكذلك كتابتها عن صحابته - رضي الله عنهم - مباشرة بصور كثيرة ومتنوعة. وذلك على النحو التالي :-

١- ألف الإمام محمد بن طولون الدمشقي الحنفي المتوفى سنة ٩٥٣هـ كتاباً بعنوان: «إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين» (٣) وقد أورد فيه ٤٩ كتاباً، أمر الرسول - ﷺ - عدداً من أصحابه بكتابة كل منها عن لسانه، بعضها إلى ملوك دول العالم والحكام في وقته، في فارس، والروم، واليمن، والشام، ومصر، والبحرين، وبعضها إلى قبائل وشخصيات معينة في أنحاء جزيرة العرب وما حولها، وبعضها إلى بعض من عينهم من الولاة على بعض مناطق الجزيرة العربية التي دخلت في الإسلام.

وتعتبر مشتملات هذه الكتب عموماً من سنته - ﷺ - القولية، أو الفعلية أو التقريرية في عامة أمور الدين، العقدية والتشريعية وأحكام المعاهدين من غير المسلمين. ونجد ما ذكره الإمام ابن طولون في هذا الكتاب قد جمعه مما هو مُفرّق في كتب السنة والسيرة النبوية المدونة والتي وقف عليها في عصره، والمتداولة بيننا الآن، وفي مقدمتها صحيحا البخاري ومسلم، وكتب السنن، والمسانيد، وبعضها يرويه المؤلف بسنده إلى أحد المسانيد التي تعتبر حالياً مما افتقدت نسخه الخطية للأسف، وهو مسند بقي بن مخلد الأندلسي (٣) المتوفى سنة ٢٧٦ هـ قال عنه ابن حزم الذي اطلع عليه: ليس لأحد مثله(٤).

ومن يقرأ هذه الكتب النبوية يتضح له من مضمونها، ومناسبة كتابتها، ومَنْ كُتبت لهم أن الكثير منها كان بعد غزوة الحديبية، في أواخر السنة السادسة للهجرة، وخلال السنة السابعة وما بعدها، وهذا يؤيد تأييداً واقعياً أن نهيه - ﷺ - عن كتابة أحاديثه كان متقدماً، وأن إذنه - ﷺ - بالكتابة، وكذا أمره بها وجوباً كان متأخراً كما في مكاتبة الملوك، والحكام لدعوتهم إلى الإسلام وإبلاغهم مجمل عقائده، وأحكامه.

٢- قد سبق أن ذكرت أن عبدالله بن عمرو بن العاص قد أذن له الرسول - ﷺ - بأن يكتب عنه كل ما يصدر منه في كافة أحواله من الغضب والرضا، وأن العلماء استدلوا بهذا على جواز ذلك أيضاً لغير عبدالله بن عمرو من الصحابة.

وقد جاء عن عبدالله بن عمرو نفسه ما يفيد وقوع ذلك فعلاً، فعن أبي قبيل المعافري قال: كنا عند عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - وسُئل: أي المدينتين تفتح أولاً، القسطنطينية(٥) أو رُومِيَة؟ (٦) قال: فدعا عبد الله

---

(٢) طبع أكثر من مرة.

(٣) ينظر إعلام السائلين لابن طولون - ط/ مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٤٠٧ هـ، ص٥٢، ٦٥، ٧٤، ٨٩، ٩١، ١٠٣، ١٣٤.

(٤) الرسالة المستطرفة للكتاني /٧٤- ٧٥.

(٥) هي «استنبول» الموجودة في تركيا حالياً / ينظر معجم البلدان ٤/٣٤٧.

(٦) ذكر ياقوت الحموي أن «رومية» تطلق على بلدين إحداهما تقع شمال غربي «القسطنطينية» السابق ذكرها، والثانية بالمدائن - يعني من بلاد فارس. ينظر معجم البلدان ٣/١٠٠.

ابن عمرو بصندوق له حَلَق، قال: فأخرج منه كتاباً فجعل يقرؤه، قال: فقال عبدالله: بينما نحن حول رسول الله – ﷺ – نكتب، إذ سئل رسول الله – ﷺ – أى المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أورومية؟

فقال النبي – ﷺ –: «بل مدينة هرقل أولاً تُفتح»(7) – يعني القسطنطينية. وتقدم في المقال السابق من حديث عبدالله بن عمرو هذا أيضاً: قلت: يا رسول الله إنا نسمع منك أحاديث لا نحفظها، أفلا نكتبها؟ قال: «بلى فاكتبوها» فمن قول عبدالله بن عمرو – رضي الله عنه – «أفلا نكتبها»، وقوله – ﷺ – «اكتبوها». ومن قوله في الحديث السابق: «بينما نحن حول رسول الله – ﷺ – نكتب» يستفاد أن الكتابة للسنة كانت تقع بين يدى رسول الله – ﷺ – مباشرة، بعلمه وموافقته، وأن عبدالله ابن عمرو استأذن الرسول – ﷺ – لنفسه وللجماعة معه، وأذن الرسول – ﷺ – لجماعتهم فقال: «اكتبوها»، وبمقتضى هذا الإذن كانوا يجتمعون حوله – ﷺ – ويكتبون كتابة جماعية، كما يستفاد من الحديث الأول أن عبدالله بن عمرو كان يعتني بصيانة ما كان يكتبه عن رسول الله – ﷺ – في صندوق خاص حتى لا يتطرق إليه تلف أو ضياع أو دخيل، وهذا يعتبر تأصيلاً لما ذكره علماء المصطلح في ضبط الكتاب، دون أن يذكروا له مثالاً كهذا، ويستفاد كذلك أن عمر كان يخرج المكتوبات التي في هذا الصندوق، ويحدث منها بقراءته ويسمع منه جماعة الحاضرين، ومنهم من يسأله كما يفيده قول الراوي عنه «كنا عند عبدالله بن عمرو – رضي الله عنه – وسئل...» وقول الراوي: إن الصندوق الذى أخرج عبدالله منه المكتوب الذى حدثهم به كان له «حَلَق» إشارة منه لتأكده من مناسبة الحديث وملابساته، ووجود تلك الحَلَق في الصندوق تفيد، إما كبر حجمه، بحيث وُضع له حَلَق تُسهل حمله ونقله، وإما مزيد العناية بوضع حلق فيه لإحكام إغلاقه.

كما أن هذا يدل على أن ما كتبه عبدالله بن عمرو عن رسول الله – ﷺ – لم يكن صحيفته المشهورة فقط، والتي كان يعتز بها، ويسميها (الصادقة) كما سيأتي ذكره، ولكن كان ما كتبه عنه ﷺ أكثر، بحيث احتاج في حفظه وصيانته

---

(7) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٥/٣٢٩ – ٣٣٠ كتاب الجهاد، واللفظ له، والباقون بنحوه.

وأحمد في المسند ٢/١٧٦/ حديث (٦٦٤٥).

والدارمي في سننه ١/١٣٢/ حديث (٤٩٢) كتاب العلم.

والحاكم في المستدرك ٤/٤٢٢، ٥٥٥، كتاب الفتن.

أربعتهم من طرق، عن يحيى بن أيوب عن أبي قبيل – حيي بن ناقع المعافري – عن عبدالله بن عمرو، به، وصححه الحاكم في الموضع الأول على شرط الشيخين، وفي الموضع الثاني قال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي في الموضعين

وأخرجه ابن عبدالحكم في فتوح مصر (٢٨٥) بتحقيق الأخ الدكتور / علي عمر – رحمه الله –.

من طريق سعيد بن عفير عن يحيى بن أيوب به.

وقال الذهبي: «هذا حديث حسن غريب» / السير ٣/٨٧

إلى صندوق له حَلَق مما يدل على أنه كان كبير الحجم.

وقد حكم الذهبي بتحسين حديث الصندوق المذكور، ثم قال: «وهو دال على أن الصحابة كتبوا عن النبي – ﷺ – بعض أقواله...»، ثم قال: وكتبوا عنه كتاب الديات، وفرائض الصدقة، وغير ذلك»[8].

وقال أيضاً عن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنه –: « وكَتْبُ الكثيرِ بإذن النبي – ﷺ – وترخيصه له في الكتابة بعد كراهيته للصحابة أن يكتبوا عنه سوى القرآن، وسوَّغ ذلك النبيُّ – ﷺ – ثم انعقد الإجماع بعد اختلاف الصحابة – رضي الله عنهم – على الجواز والاستحباب لتقييد العلم... ثم قال الذهبي أيضاً: والظاهر أن النهي كان أولاً لتتوفر هممهم على القرآن وَحْدَه، وليمتاز القرآن بالكتابة عما سواه من السنة النبوية، فيؤمَنُ اللَّبس، فلما زال المحذور واللبس ووضح أن القرآن لا يشتبه بكلام الناس، أذن في كتابة العلم، والله أعلم[9] وفي المقال السابق ذكرتُ أن مجمل مرويات عبدالله بن عمرو بن العاص بلغت ( ٧٠٠ ) حديث أو أقل، ولو أننا استعرضنا ما توافر لدينا من أدلة معتبرة على ما كتبه عبدالله بن عمرو بنفسه، وما كتبه عنه بعض من سمع منه، فسنجد أن ذلك يكون نسبة غير قليلة من مجموع ما تقدم ذكره من أحاديثه المدونة في كتب الحديث الأصلية من الصحيحين والسنن والمسانيد وغيرها.

كما جاءت عنه بعض روايات أنه كان يحتفظ ببعض الآثار الموقوفة:

فروى عمرو بن شعيب قال: وجدنا في كتاب عبدالله بن عمرو، عن عمر بن الخطاب قال: «إذا عبث المعتوه[10] بامرأته، أُمر وليُّه أن يُطلِّق»[11].

وفي رواية أن عمر كتب إلى عمرو بن العاص: «أنه يُؤجَّل سَنَةً، فإن برئ، وإلا فرق بينه وبين امرأته»[12]

وجاء عن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنه – أن مما كتبه عن رسول الله – ﷺ – صحيفة سماها ( الصادقة ) قال مجاهد: أتيت عبدالله بن عمرو فتناولت صحيفة من تحت مفرشه، فمنعني، قلت: ماكنت تمنعني شيئاً، قال: «هذه الصادقة، هذه ماسمعت من رسول الله – ﷺ – ليس بيني وبينه ( فيها ) أحد، إذا سلمتْ لي هذه، وكتاب الله – تبارك وتعالى – والوَهْط[13] فما أبالي ماكانت عليه الدنيا»[14]، ومن ذلك يفهم أن عنايته بكتابة السنة، لم تشغله عن عنايته بالقرآن الكريم.

وجاءت عنه رواية أخرى قال فيها: أما الصادقة فصحيفة كتبتها عن رسول الله – ﷺ – وأما

---

(٨) سير أعلام النبلاء ٣/٨٧– ٨٨، ونصب الراية للزيلعي ٣/٣٣٥، ٣٤٤.

(٩) السير ٣/٨٠– ٨١.

(١٠) أي المجنون، وشبهه.

(١١) أخرجه الإمام الدار قطني في سننه/ كتاب الطلاق والخلع والإيلاء ٤/٦٥/ حديث (١٥٩ – ١٦١).

(١٢) أخرجها الإمام الدار قطني في سننه أيضاً/ كتاب النكاح – باب المهر ٣/٢٦٧/ حديث (٨٦)

(١٣) سيأتي تفسير معناه في الرواية الآتية.

(١٤) تقييد العلم (٨٤)، وطبقات ابن سعد ٤/٢٦٢.

الوَخْط فارض تصدق بها عمرو بن العاص، وكان يقوم عليها[١٥].

ونقل الذهبي عن بعض العلماء قوله: ينبغي أن تكون تلك الصحيفة أصح من كل شيء، لأنها مما كتبه عبدالله بن عمرو عن النبي - ﷺ - والكتابة أضبط من حفظ الرجال [١٦].

ويذكر الدارسون: أن هذه الصحيفة الصادقة هي التي رواها عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو [١٧].

ومَنْ يقف على وصف محتوياتها يظهر له أن تسميتها صحيفة ليس معناه أنها عبارة عن ورقة واحدة، بل كانت أوراقاً كثيرة، فقد وقف ابن حبان على نسخة منها ورواها عن شيخه أبي يعلى الموصلي وقال: في نسخة كتبناها عنه طويلة [١٨].

فالمراد بالصحيفة أو النسخة في اصطلاح المحدثين: مجموعة الأحاديث التي رويت بإسناد واحد ولو بلغت أوراقاً كثيرة مثل صحيفة أو نسخة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وبهز ابن حكيم عن أبيه عن جده [١٩].

وقد أطلق ابن معين وغيره على صحيفة عمرو ابن شعيب اسم «الكتاب» [٢٠].

ومن آخر البحوث المتخصصة عن عدد أحاديثها ماقرر فيه صاحبه أنها تبلغ (٢٣١) حديثاً غير المكرر أكثر من مرة، وذلك بعد إحصائه لها من عدد من كتب السنن والمسانيد، وعلم الرجال، حيث روى كل منها بعض أحاديثها [٢١].

لكن بعض تلاميذ عبدالله بن عمرو غير كل من: شعيب والد عمرو هذا، ومحمد بن عبدالله بن عمرو، جد شعيب، جاء عنهم أيضاً مايفيد وجود مكتوبات متعددة عنده، وكان يُسمعهم منها.

فتلميذه أبوراشد الحمراني [٢٢] قال: أتيت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت له: حدثنا ماسمعت من رسول الله - ﷺ - فالقى بين يدى صحيفة فقال: هذا ماكتب لي رسول الله - ﷺ - فنظرت فيها فإذا فيها: أن أبا بكر الصديق قال: يارسول الله علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت، فقال له رسول الله - ﷺ -: يا أبا بكر قل: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، لا إله إلا أنت.. الحديث»[٢٣] وقوله: «هذا ماكتب لي رسول الله - ﷺ» أي: أذن لي بكتابته عنه، كما في الروايات الأخرى التي سبق بعضها في المقال الأول.

---

(١٥) أخرجها الإمام الدارمي في سننه ١/حديث ٥٠٢/ كتاب العلم، وتقييد العلم للخطيب (٨٤-٨٥).

(١٦) تاريخ الإسلام (وفيات سنة ١١٨ هـ) ص ٣٣٤.

(١٧) ينظر كتاب «صحيفة عمرو بن شعيب، وبهز بن حكيم عند المحدثين والفقهاء» للأستاذ/ محمد علي بن الصديق ١٠-١١، و١٢٩ - ١٣٤.

(١٨) المجروحين لابن حبان ٢/٧٢.

(١٩) ينظر تهذيب التهذيب ١/ ترجمة (٩٢٤) و٣/١٢.

(٢٠) الميزان للذهبي ٣/٢٦٣ - ٢٦٤.

(٢١) ينظر كتاب صحيفة عمرو بن شعيب وبهز بن حكيم ص/١٣٢ - ١٣٤.

وتحفة الأشراف للمزي ٦/حديث (٨٦٥٥ - ٨٨١٧).

وإتحاف المهرة لابن حجر ) ٩/حديث (١١٧٠٠ - ١١٨٧١).

(٢٢) تهذيب التهذيب ١٢/٩١.

(٢٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/١٩٦/ حديث (٦٨٥٣) بإسناد حسن.

وكلام أبي راشد هذا، يفيد أنه كان بمفرده عندما جاء إلى عبدالله بن عمرو وأطلعه على صحيفة مما كتبه، ويعتبر صنيع عبدالله بن عمرو هذا مع تلميذه أبي راشد، من تأصيل التحمل بالمناولة، حيث ألقى بين يديه الصحيفة المكتوب فيها الحديث، وأخبره بأنها مما أذن له الرسول - ﷺ - بكتابته عنه، ثم مكنه من النظر فيها، وقراءة الحديث المذكور منها. ويبدو أن جماعة غير أبي راشد قد رأوا هذه الصحيفة أيضاً، وتحملوا منها رواية الحديث السابق نفسه بلفظ مقارب، فقد قال أبوعبدالرحمن الحُبلي المصري، تلميذ عبدالله بن عمرو أيضاً: أخرج لنا عبدالله بن عمرو قرطاساً[٢٤] وقال: كان رسول الله - ﷺ - يعلمنا، يقول: «اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت رب كل شيء...» (الحديث)[٢٥].

فقول أبي عبدالرحمن الحبلي: «أخرج لنا» يفيد أنهم كانوا جماعة، وأن عبدالله بن عمرو قرأ عليهم المكتوب. ومن تلاميذه من روى بعض الأحاديث التي كتبها عبدالله بن عمرو وأرسل بها إليه، فأرض «الوهْط» التي كانت لعبدالله بن عمرو - كما تقدم - كان له فيها عامل زراعي يقال له: «سالم مولى عبدالله بن عمرو» وعرض عليه جيرانه أن يشتروا منه مايفيض عن حاجة عبدالله ابن عمرو من المياه، قال سالم: أعطوني بفضل الماء من أرضه بالوهْط ثلاثين ألفاً، قال: فكتبت إلى عبدالله بن عمرو، فكتب إليّ: لاتبعه، ولكن اقمْ قِلْدَك[٢٦] ثم اسق الأدنى فالأدنى، فإني سمعت رسول الله - ﷺ - ينهى عن بيع فضل الماء»[٢٧].

وجاء عن أحد تلاميذ عبدالله أنه أملى عليه بعض حديثه وكتبها عنه في صحيفة وهو: أبوسبرة الهذلي، فقد قال لعبيد الله بن زياد - لما سمعه يجادل في حوض رسول الله - ﷺ - الذي جعله الله له في الآخرة -: ألا أحدثك حديثاً فيه شفاء هذا، إن أباك بعث معي بمالك إلى معاوية، فلقيت عبدالله بن عمرو بن العاص، فحدثني مما سمع من رسول الله - ﷺ - وأملى عليَّ، فكتبت بيدي فلم أزد حرفاً، ولم أنقص حرفاً، حدثني أن رسول الله - ﷺ قال: «إن الله لايحب الفحش، أو يبغض الفاحش والمتفحش، قال: ولا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة، وحتى يؤتمن الخائن، ويخون الأمين، وقال: «ألا إن موعدكم حوضي عرضه وطوله واحد، وهو كما بين أيلة[٢٨] ومكة»... (الحديث) وفيه: «من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً»، فقال عبيد الله: ماسمعت في الحوض حديثاً أثبت من هذا، فصدق

---

(٢٤) القرطاس: ما يكتب فيه. انظر المفردات للراغب الأصفهاني، مادة قرطس.

(٢٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/١٧٨/ حديث (٦٥٩٧) وإسناده حسن لغيره

(٢٦) يعني اسق ما عندك من نوبتك من الماء، ثم أعط ما زاد لمن يليك دون بيع.

(٢٧) أخرجه الإمام البيهقي في سننه ٦/١٦، والإمام أحمد في مسنده ٢/١٨٣ حديث (٦٧٢٢)

وله شاهد عند الإمام النسائي في سننه ٧/٢٠٧ بإسناد صحيح

(٢٨) هي المعروفة الآن باسم «العقبة» في جنوب الأردن على شاطئ البحر الأحمر، وفيها ميناء العقبة.

(٢٩) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/١٦٢- ١٦٣ / حديث (٦٥١٤)

والحاكم في المستدرك من طريق الإمام أحمد وغيره ١/٧٥ وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي

به، وأخذ الصحيفة فحبسها عنده [29].

وفي رواية أخرى للحديث: أنه لما حبس عبيد الله بن زياد الكتاب عنده، قال أبوبُسرة: فجزعت عليه، فلقيني يحيى بن يعمر، فشكوت إليه، فقال: والله لأنا أحفظ له من السورة من القرآن فحدثني به كما كان في الكتاب سواء [30].

وهذه الرواية تفيد أن حفظ الصدور، وحفظ الكتاب كانا متضافرين على صيانة السنة وتعويض أحدهما ما فُقد من الآخر، وأن حفظ الصدور كان من القوة بحيث يطمأن إلى نيابته عن الكتابة عند افتقادها.

وجاء أيضاً عن أحد تلاميذ عبدالله بن عمرو من التابعين المصريين، وهو شُفي بن مانع الأصبحي المصري[31]: أنه سمع من عبدالله بن عمر كتابين:

أحدهما: عبارة عن أحاديث قولية وفعلية مرفوعة.

والآخر: فيه مايتعلق بما يقع آخر الزمن من الفتن وعلامات الساعة إلى يوم القيامة، وذكر ابن يونس: أن نسختي هذين الكتابين قد افتقدتا بإلقاء أحد الناس لهما في النيل [32]. ووصفهما بأنهما كتابين، مع بيان مشتملاتهما إجمالاً، يستفاد منه أن حجمهما كان كبيراً، لكن قد عوضنا الله – تعالى – عنهما بما حفظه لنا بعض تلاميذ شُفي هذا، إما صدراً، وإما كتابة، ووصل إلينا مدوناً في بعض كتب السنن [33] والمسانيد وغيرها [34].

وهكذا يظهر لنا من خلال ماتقدم: أن ماكتبه عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ـ ﷺ ـ كان قدراً كبيراً، فمنه ماكان يحفظه في صندوق ذي حلقات، ومنه ماكان يعتز به أكثر فيحفظه تحت فراشه ليكون قريباً منه.

وبلغت نسخة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وحدها قرابة مائتين وخمسين حديثاً مرفوعاً بدون المكرر منها مرة فأكثر.

كما يظهر لنا أن عدداً آخر من تلاميذ عبدالله بن عمرو من غير أهله، قد تلقوا عنه مدونات في أكثر من كتاب، مشتملة على سنن فعلية، أو قولية، في العقيدة والشريعة، كما اشتملت أيضاً على بعض سنن الخلفاء الراشدين.

ويظهر لنا أيضاً أن ما أملاه عبدالله بن عمرو، أو كتب عنه عموماً، قد انتشر بواسطة تلاميذه في أقطار الإسلام شرقاً وغرباً، كالشام، ومصر، والعراق، وغيرها. وبالله التوفيق.

---

(30) أخرجها الإمام أحمد في المسند 2/199/ حديث (6872).
(31) تهذيب الكمال 12/357 – 359 و12/543 – 544.
(32) تهذيب التهذيب 1/360، وخطط المقريزي 2/332، وتذهيب تهذيب الكمال للذهبي 1/ق 148 أ، ب (مخطوط).
(33) ينظر تحفة الأشراف 6/ حديث (8825– 8837).
(34) ينظر إتحاف المهرة 9/ حديث(11872، 11872 مكرر، 11873).
والمعجم الكبير للطبراني 13/حديث 16-19.

# الدعوة كما ينبغي أن نبلغها

## ٤

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

**سبق أن ذكرت في عدد ذي الحجة ١٤٢١هـ فتوى الإمام يحيى بن يحيى - وهو مالكي المذهب - التي أفتى بها ملكاً من ملوك المغرب، أفطر عامداً في نهار رمضان بأن عليه الصوم ليس غير وكانت حجة الفقيه في هذا أن الملك موسر ولا يجوز في حقه عتق رقبة ولا إطعام ستين مسكيناً؛ حيث إنه يستطيع بماله أن يعتق رقاباً ويطعم كثيراً من المساكين.**

وقد خطَّأ الفقهاء الإمام يحيى وقالوا: إن الكفارة على التخيير بين أمور ثلاثة هي: الصيام أو العتق أو الإطعام.

وأما أن يلزم الإمام يحيى من أفطر عامداً بالصيام فقط بحجة أنه يستطيع أن يعتق وأن يطعم فلا يزجره العتق أو الإطعام، إنما يزجره الصوم ذكرت ذلك في العدد السابق، وكنت في غنى عن إعادته، غير أن صاحباً لي لما طالع ما سبق أن قلته، قال: إنه يؤيد رأي الإمام يحيى بن يحيى في فتواه، لأن الصيام هو الذي يردع الملك، ثم سألني لماذا أرفض فتوى الإمام يحيى مع أنها هي التي تردع المفطر عامداً؟ ثم سألني: ما هي حجتي في الرفض؟ ولم أثقل على صاحبي فأقول له ما هي حجتك في القبول؟

وقلت له وأقول لغيره - ممن يؤسس رأيه على غير فقه وربما كان أساسه كما أفصح عنه صاحبي هو زجر المفطر عامداً -:

**أولاً**: إن إلزام المفتي للملك بالصوم وتعيينه له فيه انحراف بمهمة المفتي عن الإفتاء، وجعل نفسه قاضياً أو إن شئت فقل جلاداً؛ لأن الذي يلزم هو القاضي وليس المفتي على أنه لفقهائنا كلام جيد ورأي مستنير تجده في بعض الحواشي في عبارة موجزة معبرة يقولون مثلاً: هذا الرأي يجوز فتيا لا قضاء، ومرة يقولون ذاك يجوز قضاءً لا فتيا، وفي عبارتهم الرشيدة فصلٌ بين مهمة المفتي المجتهد وعمل القاضي الذي يحكم، بمعنى أن المفتي المجتهد عليه أن يتحرى ويبحث عن حكم الله في المسألة، وليس



عليه أن يلزم أو يؤدب تبعاً لما يراه، حتى وإن كان بعيداً أو خارجاً عن حدود النص.

ولا أحبك أن تفهم أن معنى أنه خارج عن حدود النص أنه غير مذكور صراحة، فربما يكون الحكم غير مذكور صراحة ومع هذا يتناوله النص بالحظر أو الإباحة وذلك مايعرفه علماء الأصول بأنه فحوى الخطاب، ولعلك اشتقت أن تعرف ما هى (فحوى الخطاب) حيث إنها وردت فى حديث سابق بيننا، وقد وعدتك ببيانها والحديث عنها هى وأخريات مثلها، وإنى سوف بوعدى لك، ولن ألجأ إلى تعريفات قد تنفر منها أو يضيق بها صدرك، لكنى سوف أستعين بمثال يوضح المقصود، وإليك البيان :

يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾(١).

فى هذه الآية حث للمسلمين على الإحسان لليتيم وحفظ ماله وصيانته، وإنمائه وتهديد ووعيد من يتعدى على مال اليتيم ويأكل منه، وتحذير له بأنه إنما يدخل ناراً فى جوفه، هذا فى الدنيا، أما فى الآخرة فسيصلى سعيراً.

هذا فيمن يأكل مال اليتيم، ولكن ما قولك فيمن يتلفه بالإحراق - مثلا - أو التبديد، أو ينتفع به بغير حق بخلاف الأكل. مثل سكنى داره - مثلا -؟ أو استعمال ملابسه؟ أو أشباهه؟

أراك تسارع فتقول: إن له نفس الوعيد ونفس الجزاء. وقد أقول لك من أين أتيت بهذا الرأى؟ وأراك تسارع فتقول: إن هذا الرأى موافق لما جاء فى النص أو هو فحواه ومضمونه، فهذا حكم عقلى أو ضرورة منطقية. أى أن العقل يوجبه لأن النص يحرم أكل مال اليتيم، ويتوعد آكله بالعقاب الشديد، وفى الأكل إتلاف للمال على صاحبه، فمن باب أولى الإحراق والتبديد، وأراك تسارع فتقول: إن الشراب والاستهلاك بأى وجه من وجوه الانتفاع يَحْرُم، ويشمله الوعيد، وأنا أوافقك على هذا الرأى، وهذا الاستنباط الذكى والزكى معا وأسأل الله أن ينفعنا وإياك به، على أن الموضوع قد يكون أكثر وضوحا فى مثال آخر، وهو قوله - تعالى - فى مقام بر الوالدين والإحسان لهما، ووجوب ملاطفتهما وخفض الجناح لهما حيث يقول - سبحانه وتعالى -:

﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾(٢).

إن النهى الذى ورد النص عليه هنا هو التأفيف ولم يرد فى الآية سواه

لكنى ألمح ظلال ابتسامة على محياك تنم عن استنكار لسائل يقول: ما حكم الضرب يا مولانا؟

وكأنى بك تسارع - أيدك الله - فتقول له: إذا كان التأفيف منهى عنه، فالضرب من باب أولى،

---

(١) النساء/ ١٠.

(٢) الإسراء/ ٢٣.



فتلك بديهة العقول السليمة والفطرة السوية، وأكاد أضمك إلى صدري وأقول لك: هذه هي فحوى الخطاب.

على أن تحديد دور المفتي المجتهد في بيان الحكم وأنه يبتعد عن دور القاضي فيه سبق رشيد لما تعالجه القوانين الدستورية المعاصرة، من فصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية.

**ثانيا**: إن حكم الكفارة في الإفطار من خلال النص هو على التخيير، فليس لأحد أن يحول التخيير في الحكم إلى التعيين فإن في ذلك انحرافا بمهمة المجتهد لأن مهمته هي الكشف عن حكم الله في المسألة وليس إنشاء لحكم جديد مهما تكن دوافعه.

**ثالثا**: إن المشرع من خلال النص «القرآن أو السنة» هو الذي قرر التخيير، ولو جاز ملمح التعيين أو كان له مسوغ كما هو في نظر الفقيه يحيى بن يحيى ما كان أيسر على النص أن يستثني الملوك والأغنياء من التخيير - مثلا - كما هو حادث في كثير من الأحكام التي تستثني أصحاب الأعذار أو من تكون عنده أسباب الاستثناء، بمعنى أن النص ورد عن رسول الله - ﷺ - في موضوعنا - لما قال له سيدنا سعد بن أبي وقاص: إني أفطرت في رمضان، فقال له النبي - ﷺ -: «صم ستين يوماً، أو أطعم ستين مسكينا أو أعتق»[3] أو كما قال رسول الله - ﷺ - وما كان أيسر أن يقول - ﷺ - - مثلا - صم إن كنت غنيا وإلا فأعتق أو أطعم.

وأخيرا أعدت على صاحبي قول رسول الله - ﷺ -: «لا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب، ولكن انظروا فيها على أنكم عبيد، والناس رجلان: معافى ومبتلى، فارحموا أهل البلاء واسألوا الله العافية»[4].

ولمست كأن صاحبي قد اقتنع وأرجو أن يكون كذلك، على أن الذي يعنيني في الأمر، هو: التنبيه على أن عمل الفقيه يتركز في النص الموجود أمامه، باعتباره من معطيات ومسلمات يعمل بها ومن خلالها لتفسير النص وبيان الحكم منه، وعليه أن يحاذر من أن ينزلق إلى مهمة غير مهمته فإن هذا يخرجه من دائرة الاجتهاد أو الفقه إلى دائرة القضاء أو إن شئت فقل: إلى فكر أو مهمة رجل الشرطة.

بعد هذا انتقل بك إلى ما سبق أن قلته في عدد المحرم ١٤٢٢هـ من أن ما قاله البعض عن سبب اختلاف الفقهاء، هو قلة النصوص عند العراقيين وكثرتها في دار الهجرة، ليس هو الصواب.

وقد ذكرت لك أن أسباب الخلاف غير هذا، وقد كتب أسلافنا العظام كتباً عن أسباب الخلاف وأدلته تشفي الغليل ويستريح لها العقل وتقوم بها وعليها عُمد التشريع والفقه الإسلامي، سوف تكون موضع حوارات - إن شاء الله - وما أود أن تعرفه وأن يستقر في قلبك وعقلك ووجدانك أن أهل الرأي وأهل الأثر لم يختلفوا لأن نصوصاً كانت نادرة أو كانت كثيرة متاحة، لأن هذه

---

(٣، ٤) يراجع مقالنا السابق.



دعوى - ساذجة أو مغرضة - للقول في الدين بالرأي.

إنما الخلاف في الرأي راجع - فيما نعتقد - إلى التكوين العقلي والنفسي والتأثير الثقافي والبيئي واللغوي - لأن الفقهاء جميعا ممن يسمون بأهل الرأي وأهل الأثر يختلفون فيما بينهم وتتعدد آراؤهم في نص موجود وقد ضربت لك مثالاً في المقال السابق(٥).

وسوف أسوق لك مثالاً آخر من القرآن الكريم اختلف الفقهاء فيه وحوله وتعددت آراؤهم إلى حد التباين ولم يكن سبب الخلاف قلة الأحاديث ولا مجال للصحيح والسقيم من الروايات؛ لأن دليل كل فقيه هي الآية نفسها. والمسلمون جميعا يمارسون العمل عن وعي بحرية الاختلاف العلمي الواعي مادام مبنيا على فهم سديد لأدلة الأحكام وكل ذلك بعيدا عن الأغراض المشبوهة عن أسباب اختلاف الفقهاء حتى لقد قال لي قائل ينتسب إلى أهل العلم ويزعم أنه ينشد وحدة المسلمين وأنه يسعى من وراء قوله إلى رأب الصدع. وكان مما قال: لماذا لا تقوم المجامع الإسلامية بجمع الأحاديث النبوية كلها وتأخذ الأحكام الفقهية منها حتى لا يقع خلاف بين المسلمين في الفقه؟ ؛ وبذلك نقضي على تمذهب المسلمين أو إن شئت نص ما قاله - مذاهب المسلمين وسوف لا أشغلك برد هذه المقولة البلهاء لكن حسبي وحسبك أن تعلم أن السنة النبوية المطهرة مجموعة موثقة كأحسن ما يكون التوثيق وذلك ما يغيظ الجاهلين والأعداء على السواء.

وحتى تطمئن لما قلته لك عن أسباب الاختلاف أقول لك: لقد اختلف أو اجتهد الصحابة ليس بعد انتقال النبي - ﷺ - بل اجتهدوا واختلفوا في حياته - ﷺ - فلا حجة إذن لمن يرجع أسباب اختلاف الفقهاء وجنوح أهل الرأي إلى الرأي لقلة الأحاديث فالرسول بين ظهرانيهم والقضية معروضة عليه، نعم القضية معروضة عليه - ﷺ - أؤكد على ذلك حتى لا يقول متقول أو يزعم زاعم بأنه حدث ما حدث في حياة الرسول - ﷺ - لكن الأمر لم يعرض عليه.

بعد رجوع النبي - ﷺ - من غزوة الخندق منتصراً كما روى البخاري عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - ... ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل - عليه السلام - فقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج إليهم، قال: فإلى أين؟ قال: ههنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي - ﷺ - إليهم، فقال النبي لأصحابه يطلب منهم سرعة التوجه لبني قريظة تنفيذا لأمر الله على وجه السرعة: «لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة»(٦) فتوجه الجيش كله سائراً إلى بني قريظة وقبل أن ندخل إلى جوهر وأسباب الخلاف وحجة كل فريق أود أن أسألك حتى تهيىء نفسك لتقبل مبدأ تعدد الآراء ولا تضجر منه وحتى لا تكون ممن يتخيلون أو يتحيزون إلى

---

(٥) انظر عدد محرم ١٤٢٢هـ من مجلة الأزهر.

(٦) البخاري ٣/ ٤٣ ط عيسى الحلبي.







الرأى الواحد ويريدون أن يجعلوا الناس عليه أو قل - إن شئت - يفرضوه على الناس أصغ بقلبك إلى قوله - تعالى -:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾(٧).

فليس الذى تميل إليه صواباً إنما هى دكتاتورية بغيضة واستبداد مرفوض يرفضه الواقع الإنسانى وها هى أشلاء الهوس الماركسى متناثرة تحكى تمرد الطبيعة الإنسانية على القهر والاستبداد والقوالب الجامدة. وبعد هذا أقول لك:

هل قال النبى - ﷺ - «لا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة» لفضيلة الصلاة فى بنى قريظة يود أن يحوز المسلمون فضلها؟ أو لأن الصلاة فيها تساوى الصلاة فى المسجد الحرام أو تدانيه وهو يود أن يدرك المسلمون هذه المزية؟

كل ذلك لم يكن، إنما أظن أن الذى كان والذى هو مقصود: الذهاب والتوجه إلى بنى قريظة والإسراع فى الذهاب وعدم التأخير هو المقصود من كلام النبى - ﷺ - وقد توافقنى فى هذا الاستنتاج أو ترفضه - وأنا أحب ذلك منك ولا أبغضه - شريطة أن تسلم لى حقى فى الاختلاف معك وأن تقدم حجتك فيما زعمت أنه رأيك وأن أقدم حجتى فيما رأيته.

الآن أصحبك إلى ساحة الحدث دخل وقت العصر والجيش فى الطريق إلى بنى قريظة فقال بعضهم: «لا نصليها حتى نأتى بنى قريظة إنا لفى عزيمة رسول الله - ﷺ - وما علينا من إثم، فصلوا العصر ببنى قريظة حين وصلوها بعد غروب الشمس. وقال بعضهم: بل نصلى، لم يرد منا أن ندع الصلاة. فصلوا...»(٨) فأنت كما ترى أن أناسا صلوا وقالوا: إن رسول الله - ﷺ - قصد بقوله الإسراع فى التوجه إلى بنى قريظة وتمسك الآخرون بنص قول النبى - ﷺ - «ولا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة» وقالوا: لا نصلى إلا فى بنى قريظة.

ولعلك متمسك بالنص لا تخرج عنه وذلك لك ما دمت لا تحيد عنه. لكن قل بربك: كيف تفهم قوله تعالى:

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾(٩).

وما هو العمى المقصود هنا فى الدنيا وفى الآخرة؟

---

(٧) هود (١١٨-١١٩).

(٨) فتح البارى (٤٧٠/٧ - ٤٧١) كتاب المغازى - باب مرجع النبى - ﷺ - من الأحزاب ومخرجه إلى بنى قريظة ومحاصرته إياهم - حديث ٤١١٧ - ٤١١٩.

(٩) الإسراء/٧٢.



ومن أين نقطع يد السارق في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾(١٠)

من الكف أم الكوع أم المرفق أم نهاية الذارع؟ بل كيف نفهم قوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾(١١)؟

وهل الخمر يعصر وهو معصور؟ وكيف يعصر الخمر وقد تخمر؟

ولعلك تخرج من ضيق النصوص إلى سعة التأويل وتكون رجلا عصرياً متمرداً تتمرد على الجمود وترفضه وتكون مع الذين قالوا إن الأمر غير مقصود لذاته إنما الهدف والمقصود هو الإسراع وعدم التأخير؟ أما الصلاة نفسها في بني قريظة فليست هو مقصودة.

لكني أقول لك: هل نفعل ذلك في كل أمر وكيف نفعله؟ هل الانفتاح بلا ضابط؟ أو هو تبع لهوانا نمارسه عندما تضيق بالأمر؟ وتلك مقبولة صدق، فلابد أن يكون تأويل النص وتوجيهه راجع إلى أصل يعتد به وليس لمجرد الرأى والتأويل أو الضيق بالأمر نفسه. لقد قال الذين أولوا النص إن الله – سبحانه وتعالى – فرض الصلاة وقال في محكم كتابه:

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾(١٢).

وهذا نص محكم. والنبى – ﷺ – أخبر بأن جبريل أتاه فبيّن له وقت كل صلاة والنبى – ﷺ – كان يحث على أداء الصلاة فى وقتها قولاً وعملاً. فضلاً عن أن إيقاع الصلاة فى وقتها أثناء السير إلى بني قريظة لا يخل بمبدأ الإسراع فلذلك كان من رأينا أن نصلى عند دخول الوقت فنحن لم نخرج عن حيز النص، على أننا نترك هذا كله وندع ونسلم لكل فريق بحجته فيما فعل ما دام مستنداً إلى حجة مقبولة شرعاً وعقلاً ونذهب إلى ساحة المصطفى – ﷺ – لنرى سعة التشريع النبوى ورحابة النبوة؛ يقول راوى الحديث: «فذكر ذلك للنبى – أى تعجيل البعض وتأخير البعض – فلم يعنف – ﷺ – أحداً أى: من الفريقين فإن الذين تمسكوا بالنص قالوا: ما علينا من إثم فى التأخير والذى صلوا قالوا: لم يرد منا خصوص الصلاة فى بنى قريظة؛ فأنت ترى أن لكل فريق حجة مقبولة، وأظن بعد هذا أنه لا مجال عندك للقول بأن أصحاب الرأى قالوا بالرأى لانعدام النصوص فأنت ترى أن النص موجود بل النص واحد وصاحب الشرع المبلّغ عن ربه بين ظهرانيهم.

وأحسب أنى قد بلغت منك ما أريد والله يهدينا وإياك إلى ما فيه الخير وإلى لقاء قادم إن شاء الله مع الآية التى وعدتك بها التى وقع الخلاف حولها.

---

(١٠) المائدة /٣٨. (١١) يوسف/٣٦. (١٢) النساء/١٠٣.

# دعوة الإسلام إلى الوحدة

## ٢

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

ولعموم الدعوة وخلودها كانت حقائق التشريع فيها توحد ولا تفرق وتدعوا إلى التمسك بالوحي الإلهي من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله - صلوات الله وسلامه عليه -، وفي دائرة هذا الوحي المعصوم كان الاجتهاد في الأمور التي لم يرد فيها نص وكان التفكير الإسلامي من أهل العلم المتخصصين.

ولعموم الدعوة وخلودها كان منهاجها الرباني يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، فلم ينتشر بالقوة ولا بالسيف فقد قال الله تعالى:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾[1]

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾[2].

وقال - جل شأنه - ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾[3]

وحين يكون المجتهدون - في أمور الدين - أهلا لهذا الاجتهاد وتتعدد الآراء فإن الإسلام لا يحجر على رأي، ولا يصادر فكراً، وما دام صحيحاً وما دام صاحبه من أهل الاجتهاد، فقد كان رسول الله - ﷺ - يقر الاجتهاد وتعدد الآراء، تأكيداً لسماحة الإسلام ويسره، وما كان يعنف أحداً، فقد روى أن النبي - ﷺ - قال - يوم الأحزاب: « لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة »، فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي - ﷺ - فلم يعنف أحداً منهم.

ومن أمثلة إقرار تعدد الآراء حين تكون صحيحة: نبأ الرجلين اللذين تيمما صعيداً طيباً، وأثناء صلاتهما وجد الماء فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة، ولم يعد الثاني، فقال النبي - ﷺ - للذي لم يعد « أصبت السنة » وقال لمن أعاد « لك الأجر مرتين »

بل كان ينفرد أحياناً بعض الصحابة باجتهاد في مسألة ما من المسائل أو حال من الأحوال التي تعرض له، وقد يرى البعض اجتهاد هذا الصحابي غريباً أو مستبعداً، ولكن رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - حين يرد إليه الأمر يبين لهم الحق فيه، فحين يرى في هذا التصرف أو الاجتهاد وجهاً من وجوه سماحة الإسلام يقره ولا يرفضه،

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦. (٢) سورة ق آية ٤٥. (٣) سورة الغاشية آية ٢٢.

ولا يعنف صاحبه، ولا يتشدد، يقول عمرو بن العاص - رضي الله عنه -: احتلمت في ليلة باردة، في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي - ﷺ - فقال يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي حدث.. ويقول الله - تعالى - :

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾(٤)

«فضحك رسول الله - ﷺ - ولم يقل شيئا» رواه أبو داود والحاكم.

وهكذا نرى أن الرسول صلوات الله سلامه عليه كان يقر الاجتهاد الصحيح ويقبل تعدد الآراء مادام ذلك في إطار الحق والصواب، ومادام ذلك فيما لم يرد فيه نص، ولم يصادم آية من كتاب الله -تعالى- ، ولا حديثاً صحيحاً من أحاديث رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - .. بل إن علماء الحديث يعدون إقرار الرسول - ﷺ - لعمل أحد الصحابة نوعاً من أنواع السنة النبوية، والحديث الشريف، لأنهم يعرفونه بأنه ما أضيف إلى رسول الله - ﷺ - من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

وعبر عصور الإسلام الزاهرة، ما كان سلف هذه الأمة - حين تتعدد آراؤهم - يلزم أحدهم الآخر برأيه، ولا يكره أحدٌ أحداً على شيء، فقد روى عن الإمام أبا حنيفة النعمان - رحمه الله تعالى - أنه قال: هذا الذي نحن فيه رأي لا نجبر أحدا عليه، ولا نقول: يجب على أحد قبوله بكراهية، فمن كان عنده شيء أحسن منه فليأت به.

## موقف الإسلام من الآراء التي لا تكون صحيحة

وأما موقف الإسلام من الآراء التي لا تكون صحيحة، فإنه ينكرها ولا يقرها بل لا يقر - ابتداء - أحد على القيام بالاجتهاد أو الإفتاء أو الرأي في دين الله إلا إذا كان مزوداً بعلوم الاجتهاد والإفتاء من التفسير وعلوم القرآن والقراءات وأسباب النزول والحديث وأسباب الورود والناسخ والمنسوخ والفقه والنحو والصرف وغير ذلك من العلوم.. ويأمر الله - تعالى - من لا علم لهم أن يسألوا العلماء المتخصصين وأهل الذكر العارفين، فقال سبحانه:

﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٥).

وحذر الإسلام من اتباع آراء من لا علم لهم، لأنهم يضلون ويضلون كما - قال رسول الله - ﷺ -: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الصدور، ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوسا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» رواه البخاري.

وإن من لا علم له حين يفتي في دين الله أحداً يضله ولا يهديه، ويعرض من يفتيه إلى الهلاك.

عن جابر - رضي الله - عنه قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجر في رأسه، ثم احتلم فسأل أصحابه: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة، وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات.. فلما قدمنا على رسول الله - ﷺ -، أخبر بذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذا لم يعلموا؟ فإن شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب على جرحه خرقة،

---

(٤) سورة النساء [٢٩].

(٥) سورة النحل [٤٣].



ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده.. » ففي قوله - ﷺ -: « قتلوه قتلهم الله » ما يفيد اعتبار الذين أفتوه خطأ فأوردوه موارد الموت بمثابة القتلة لأخيهم حين أفتوه خطأ بغير علم..

ومن ذلك أيضا ما رواه أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله - ﷺ - في سرية، فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلا فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي - ﷺ -، فقال رسول الله - ﷺ -: « أقال لا إله إلا الله وقتلته؟ قلت: يارسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا؟ من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟ فمازال يكررها حتى تمنيت أن لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم ».

رواه البخاري ومسلم وأحمد أبو داود

ومع الاختلاف في الرأى، فإن الأمر لا يصل إلى حد أن يكفر أحد أحدا ولا أن يحكم أحد على المخطيء بالفسق أو الابتداع، لأنه لا يمكن لأحد أن يدخل قلوب الناس، أو أن يسيطر عليها، فلا يعلم ما في القلوب إلا علام الغيوب، ولا يسيطر عليها إلا الله - سبحانه وتعالى - الذى خلقها.

## لا تعصب في إجتهادات الأئمة

لقد كان لأئمتنا رحمهم الله - تعالى - جهودهم التى تذكر فتشكر في مجال الاجتهاد وكانت لهم آراؤهم المتعددة، والتى قد يختلف بعضهم مع الآخر، ولكنهم مع هذا لم يتعصبوا، ولم يلزم أحدهم الآخر برأيه.

فقد كانت هناك أسباب عديدة لاختلاف وجهات النظر من بينها: ألا يكون الحديث قد بلغ بعضهم، أو يكون بلغه ولكنه لم يثبت عنده، لأن أحد رجال الإسناد مجهول أو متهم أو سيء الحفظ أو يعتقد ضعف الحديث باجتهاد قد خالفه فيه غيره، أو يكون الحديث قد بلغه وثبت عنده ولكنه نسيه.

ومن أسباب الاختلاف - أيضا -، ما يرجع إلى بعض القواعد الأصولية كأن يأخذ بعضهم مثلاً ببعض تلك القواعد الأصولية: ( كالمصالح المرسلة أو سد الذرائع أو الاستحسان أو الاستصحاب أو العرف ) ولا يأخذ البعض بهذه القواعد.

ومع اختلافهم في بعض الأحكام، إلا أنهم لم يتعصبوا لآرائهم لأنها لم تكن اختلافات على الأصول بل في الفروع، كاختلافهم في قراءة البسملة وعدم قراءتها، وفي الجهر بها أو الإسرار، ولم يلزموا أحداً بآرائهم ولم يمنع اختلافهم هذا أن يصلي بعضهم خلف بعض.

فترى الإمام الشافعي رحمه الله - تعالى -، يصلي في مسجد الإمام أبي حنيفة قريباً من مقبرته، فلم يقنت في صلاة الصبح، مع أن القنوت عند الإمام الشافعي سنة، فلما قيل له في ذلك، أجاب قائلاً: أخالفه وأنا في حضرته؟ وعندما أراد الخليفة المنصور أن يلزم الناس بالموطأ قال الإمام مالك: « يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا، فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم.. فدع الناس وما اختار كل بلد منهم لأنفسهم ».. فقال الخليفة: وفقك الله يا أبا عبد الله.

ومن احتياط أئمتنا وتواضعهم ما روى عن الإمام مالك - رحمة الله - أنه سئل عن ثمانٍ وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها: « لا أدرى ».

وقال أبو الدرداء - رضى الله عنه -: « لا أدرى نصف العلم » فلا يصح لمن لم يؤت فقهاً في الدين، وإستعداداً في الاجتهاد أن يتجرأ على القول في دين الله بغير علم، فأجرأ الناس على



الفتوى أجرؤهم على النار، وعلى عامة الناس ألا يسألوا في دين الله - تعالى - إلا من كان عالماً متخصصاً، كما قال الله - تعالى - :

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

وهكذا نهج سلفنا من أئمة المسلمين منهج التثبت في دين الله وعدم التعصب لرأى دون رأى أو اجتهاد دون اجتهاد، ما دام لم يصادم نصاً من كتاب الله - سبحانه وتعالى - أو حديثاً صحيحاً من سنة رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه -.

## دعوة الإسلام إلى توحيد موقف المسلمين تجاه التحديات المعاصرة

إن حقائق الإسلام وتشريعاته، توحد المسلمين، ولا تفرقهم وإن اجتهادات الأئمة وتعدد الآراء واختلافها - أحياناً - إنما كان في الفروع لا في الأصول.. ولم يمنع الاختلاف من وحدتهم وتضامنهم ولم يكن - يوماً - مدعاة للتعصب لرأى دون الآخر.. ولما كان للتشريع الإسلامي هذا المنهج.. فإن من الطبيعي أن تقدر دعوته لتوحيد موقف المسلمين في كل أمورهم الدنيوية، وفي كل خطاهم وحياتهم، وخاصة تجاه التحديات المعاصرة التي يتعرضون لها.

لقد وضح القرآن الكريم وحدة هذه الأمة

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾(٦).

وفي دعوة الإسلام لتوحيد موقف المسلمين تجاه التحديات يحذر القرآن الأمة الإسلامية من أهم تلك التحديات التي يحاول أعداؤها أن ينشروها بينهم وهي التي تتمثل في:

**الخلافات بين المسلمين:**

والخلافات أكبر تحد وأخطر معول هدام يقضى على هذه الأمة، ومن أجل ذلك نرى الاستعمار قبل أن يغادر بعض الدول التي تحررت ترك حدوداً مصطنعة وترك حدوداً تمثل تنازعاً واختلافاً بين الدول حتى لا تتحد الأمة وحتى تظل في خلافات سياسية ودولية فيما بينها.

وإلى جانب الاختلاف على الحدود، راح أعداؤنا يضخمون الخلافات الفقهية التي جرت بين العلماء في بعض المسائل الفرعية، ففي جو الخلاف تضعف الأمة، ويتغلب عليها عدوها، وبهذه الخلافات في الأمور الدينية استطاعوا أن يحدثوا شروخاً بين فصائل الشباب المسلم، ولا شيء أقسى وأخطر من الاختلاف في الدين، إنه إختلاف يتهدد دنيا الإنسان بالأخطار، ويتهدد آخرته كذلك، ولذا اعتبره القرآن خروجا عن حظيرة الإسلام

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾(٧).

والذين يشغلهم الخلاف يهدرون حياتهم دون طائل، ويضيعون أعمارهم من غير فائدة. ومن

---

(٦) المؤمنون (٥٢).

(٧) الأنعام (١٥٩).

بين تلك التحديات ما ينهض به أعداء هذه الأمة من محاولة حصرها في موقف المدافع، لا في موقع المنطلق لنشر دعوته، المهاجم بها لكل الأباطيل، وبهذا المخطط الخبيث بث أعداؤنا كثيرا من الشبهات التي لا تقع تحت حصر ليجعلوا المسلمين في موقف المدافع عنها وليشغلوهم بها، فانتشرت دعاوى وشبهات حول المرأة في الإسلام وكون الرجل يأخذ ضعفها في الميراث وشبهات أخرى حول تعدد الزوجات وحول الطلاق وانتشار الإسلام بالسيف أو بالقوة وكلها شبهات زائفة ولا أساس لها من الصحة.

وتعاليم الإسلام ذاتها تحمل الحكم التشريعية العليا، والأسرار الإلهية التي تحمل سعادة البشر وتحمل العدالة والحق والخير في كل تشريع إلهي محكم.. وليس معنى هذا ألا نرد على تلك الشبهات، بل المراد أن نرد عليها بالقيام بنشر الإسلام وإبراز فضائله ومحاسنه وتشريعاته السمحة التي كانت من أهم الأسباب في نشر الإسلام واعتناق الكثيرين له عن اقتناع ومحبة.

وهناك تحديات كثيرة عسكرية وسياسية واجتماعية واقتصادية وصحية وثقافية.. وتتمثل التحديات العسكرية في الاستعمار وغزوه لكثير من البلاد والدول والأقليات الإسلامية.

وتظهر التحديات السياسية في محاولة نشر المنظمات السياسية التي تفرق الأمة في تناحرة وخلافات لا تنتهي.

وتظهر التحديات الاجتماعية في نشر التعامل في المجتمع بتلك التقاليد الوافدة في الأسرة وفي البيئة وفي الزى وفي غير ذلك من المجالات الاجتماعية.

وتتضح التحديات الاقتصادية في نشر التعامل بالربا ومحاولة تسميته بغير اسمه، ومحاولة استدانة الدولة الإسلامية ووقوعها غريقة بالديون التي تضيع معها هيبتها، ويهتز معها قرارها.

**وأما التحديات الصحية**: ففي نشر الخمور وتداولها والمخدرات والسموم البيضاء، وغيرها من المواد التي تقضي على صحتها وعلى عقل كل فرد من أفراد هذه الأمة.

**وأما التحديات الثقافية**: فتظهر في الغزو الفكري الذي يمثل أخطر هذه التحديات، والذي يعمل على تغريب هذه الأمة وتغييب رسالتها التي تقوم بها، وبإيقاف المد الإسلامي إلى الخارج وبضربه من الداخل.

وفي محيط هذه التحديات المتعددة، والمحيطة بالأمة من كل جانب تصاب الأمة بالوهن، ويوشك الأمم أن تتداعى عليها بسبب ضعفها وبسبب الخلافات التي تفرق فيها، كما أخبر بذلك رسول الله - ﷺ - حين قال: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا، وكراهية الموت». رواه أحمد وأبو داود.

**وفي مواجهة تلك التحديات، لابد لنا من التمسك:**

**أولا**: بالعقيدة الإسلامية، وهي عقيدة التوحيد التي نؤمن فيها بالله ربا، وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد - ﷺ - نبيا ورسولا، ونؤمن

فيها بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ويتطابق الإيمان مع العمل.. والتمسك بالإسلام عقيدة يستوجب التمسك به تشريعاً ومعاملة وسلوكاً وأخلاقاً والتمسك بالعقيدة الإسلامية عقيدة التوحيد، يجعل من الأمة وحدة واحدة لا تختلف ولا تتفرق بل تعتصم بحبل ربها، كما قال - جل شأنه -:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾(٨).

والتمسك بعقيدة التوحيد يجمع الناس ويوحدهم فلايخرج أحد عن الطاعة ولا يفارق الجماعة: قال - ﷺ -: «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات. مات ميتة جاهلية» رواه البخاري.

**ثانياً**: أن نتمسك بالقرآن ونشر تعاليمه ومدارسته، وتطبيق ما جاء به من هداية ومنهج رباني يهدي إلى أقوم السبل ولأهمية القرآن الكريم في توحيد الأمة، وفي إمدادها بالقوة الإيمانية الكبرى، أدرك أعداؤها ما يمثله القرآن من خطر عليهم فقال المستر (غلادستون) وزير بريطانيا الأول وكبير أعمدة الاستعمار في الشرق الأوسط: «ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق بل ولا أن تكون هي نفسها في مأمن».

وقال «سيمون»: «إن الوحدة الإسلامية التي تجمع آمال الشعوب السمر، وتعبر عن أمانيهم هي التي تساعدهم على رفض السيطرة الأوروبية والتخلص منها».

**ثالثاً**: لابد من تكوين وحدة إسلامية بين جميع المسلمين، وحين يكون للمسلمين - على الأقل - موقف إسلامي موحد فإنه لن يكون لتلك التحديات سبيل علينا، بل تصبح الأمة الإسلامية أكبر الدول والأمم وأقواها وأعزها.

إن هذه الوحدة المنشودة هي التي دعا إليها الإسلام وأكد الدعوة إليها

ودعا الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - إلى توحيد المسلمين ومعاونة بعضهم فقال - صلوات الله وسلامه عليه -: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشده بعضه بعضاً ثم شبك أصابعه» رواه البخاري.

وإن على المجتمعات والدول الإسلامية أن توحد موقفها وتتعاون لإنقاذ الأقليات الإسلامية، ومواجهة التحديات العالمية وعلى جميع الدول الإسلامية أن تمد يد العون لكل البلاد المحتاجة والفقيرة وتساعد الأقليات، وتخلصها مما يدبره لها أعداء الإسلام، وحتى لا يكون لتيارات الفساد والشر سبيل عليها..

ويوم أن تتحد بلاد العالم الإسلامي وتتوحد على هدف منشود تحقق به خيريتها، وتنصر دينها، ينصرها الله نصراً مؤزراً، ويمكن لها في الأرض لتقيم شريعة الله في الأرض، مؤكدة صلتها به، ومقوية روابطها بالمجتمع، ومدافعة عن دين ربها، آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر.

---

(٨) سورة آل عمران آية (١٠٢).

# إسلامية المعرفة .. ماذا تعني؟

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

**إسلامية المعرفة.. أو التأصيل الإسلامي للمعرفة.. في أدق.. وأبسط.. وأوفى التعريفات.. هي: الإيمان بوجود علاقة ما بين المعارف والعلوم التي يكتسبها الإنسان وبين الإسلام الذي يتدين به الإنسان، الذي يكتسب هذه المعارف ويحصل هذه العلوم.. وذلك انطلاقاً من تأثيرات عقائد الدين وأحكام شريعته ومعايير التدين به على العادات والتقاليد والأعراف والمواريث والآداب والفنون التي صاغت وتصوغ، النموذج الثقافي، لهذا الإنسان الذي يخوض ميادين البحث والاكتساب للمعارف والعلوم.**

فالمعتقد الديني يلوّن نظرة الإنسان للحياة، وفلسفة رؤيته للكون، ويؤثر في تحديد مقاصده من وراء العلاقات الاجتماعية، وينهض بدور رئيسي في تحديد معايير الحلال والحرام، والمقبول والمرفوض، والولاء والبراء، والانتماء والمفارقة، وقسمات الذات وسمات الآخر... إلخ.... إلخ..... ومن ثم يسهم هذا المعتقد الديني في تمايز الثقافة، التي تمثل المعارف والعلوم أبرز قطاعاتها أو أخطر ميادينها..

وإذا كان التصنيف الموضوعي للمعارف والعلوم يميز ـ انطلاقاً من موضوعات مباحث هذه المعارف والعلوم ـ بين:

● **العلوم الشرعية**.. من مثل علوم العقيدة وأصولها.. والفقه وأصوله.. والقرآن وعلومه.. والحديث وعلومه.. إلخ.....

● **والعلوم الإنسانية والاجتماعية**.. من مثل الاجتماع والاقتصاد، والسياسة، والنفس، والفلسفة، والآداب والفنون.. إلخ......

● **والعلوم الطبيعية ـ الدقيقة والمحايدة ـ**.. من مثل علوم الفيزياء، والكيمياء، والفلك، وطبقات الأرض، والهندسة، والرياضيات.. إلخ.....

فإن نوعية ونسبة العلاقة بين الدين وبين المعارف والعلوم تتمايز هي الأخرى فنسبة العلاقة ـ أي الأسلمة ـ بين الدين وبين العلوم الشرعية عميقة وعالية وشاملة، لأن الشرع والوحي والدين ـ أي الوضع الإلهي المطلق ـ هو موضوع هذه العلوم، حتى لتُسمى هذه العلوم: علوماً شرعية ومعارف دينية بإطلاق وتعميم، ودونما خلاف




على هذه التسمية بين أحد من العلماء والباحثين.. حتى إن الاجتهاد البشرى فيها، والفكر الإنسانى فى ميادينها ـ أى المعرفة الإنسانية المكتسبة فى علومها ـ محكومة بثوابتها وأحكامها وقواعدها ومبادئها، التى هى وضع إلهى ووحى سماوى، يمثل الإطار الحاكم لأى تفكر أو اجتهاد وتجديد فى هذه المعارف والعلوم..

ويلى هذه المعارف والعلوم الشرعية، فى العلاقة بالدين ـ ومن ثم فى نسبة الأسلمة ـ معارف العلوم الإنسانية والاجتماعية، لأن موضوعات هذه العلوم هى النفس الإنسانية، التى تتأثر تجاربها وخبراتها واختياراتها وفلسفاتها وأحلامها وأشواقها بعقائد الدين ومبادئه وقواعده وأحكامه وفلسفته فى التشريع.. فمناهج وتجارب وحقائق ومقاصد هذه العلوم الإنسانية والاجتماعية موضوعها: النفس الإنسانية ـ على المستوى الفردى والاجتماعى ـ ولأن هذه النفس الإنسانية قد اصطبغت وتأثرت وتلونت بعقائد المطلق الدينى، ومعايير الحلال والحرام الشرعية، وصاغتها العادات والتقاليد والأعراف والمواريث المصطبغة أو المتأثرة بمطلقات الدين.. وأيضاً، لتنوع وتعقد عوالم النفس الإنسانية وقرادة واختلاف تجاربها الاجتماعية والروحية والفنية، كان تلون وتمايز المعارف الإنسانية فى ميادين هذه العلوم.. فمهما بلغت ضوابط موضوعيتها تظل مستعصية على الحياد الذى تتميز به حقائق وقوانين ومعارف العلوم المادية..

بل إن تأثيرات المعتقد الدينى تظل فاعلة حتى فى نفس الذين مرقوا من الدين وألحدوا فيه.. تظل ـ كما يقول جمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ ـ ١٣١٤هـ ـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م) ـ كأثر الجرح المندمل.. فإذا هُم مرقوا من روحانية الدين ومناسكه وشعائره تظل فيهم عصبيته.. وحتى إذا فارقهم الحب له، فسيظل الكره له شاغلاً لنفوس هؤلاء الملحدين فيه!..

فالعروة وثقى، إلى حد كبير، بين المطلق الدينى وبين النسبى الإنسانى فى معارف العلوم الإنسانية والاجتماعية..

ويلى هذه العلوم الإنسانية والاجتماعية، فى العلاقة بالمطلق الدينى، حقائق ومعارف وقوانين، العلوم الطبيعية ـ الدقيقة والمحايدة ـ..

ففى هذا الحقل من العلوم والمعارف ـ التى تمثل المادة موضوعاتها ـ يكون الحياد كاملاً، والموضوعية تامة فى الحقائق والمعارف والقوانين المستخلصة من التجارب فى موضوعات هذه العلوم.. فحقائق تجارب الطب والوراثة والفيزياء والكيمياء والفلك وطبقات الأرض.. إلخ..... إلخ.... موضوعية وثابتة ثبات موضوعاتها المادية.. وما التطور فيها والتراكم المعرفى والتجديدات والإضافات إلا ثمرات لنمو القدرات الإنسانية على سبر أغوارها، والتقدم على درب كشف أسرارها، وليست تابعة من اختلاف أو تمايز ديانات وعقائد وفلسفات وثقافات القائمين على البحث والتجريب فى ميادين هذه العلوم.. فلا أسْلَمَة على الإطلاق فى الحقائق والقوانين والمعارف المستخلصة من التجارب العلمية على مواد وموضوعات هذه العلوم الطبيعية.. وإنما ترد الأسلمة ـ فقط ـ فى توظيف هذه الحقائق المحايدة، والقوانين الموضوعية.. فالتدين ـ على المستوى





الفردى والاجتماعى - بضبط توظيف هذه الحقائق بأخلاقيات الدين وقيمه، لتحقق مقاصده الشرعية، بينما الانفلات من الدين قد يوظفها فيما يخالف أحكام الدين..

فحقائق تجارب زراعة العنب - مثلاً - لا تختلف باختلاف عقائد القائمين بزراعته.. لكن هذه العقائد هى التى تحدد اختيارات وتضبط توظيف هذه الحقائق العلمية المحايدة.. فالبعض يوظفها لاستثمار العنب كى يكون خمراً.. والبعض يقف بوظائفها - فى زراعة العنب - عند الطيب والحلال..

وكذلك الحال مع حقائق وقوانين علوم الوراثة والجينات - وهى ثابتة - تقف العقائد عند حدود ضوابط وظائفها.. فالبعض يشوه بها خلق الله، ويخلط بها الأنساب.. بينما تضبط الأسلمة وظائفها وتطبيقاتها بمقاصد الشرعية الإلهية، وأخلاقيات الدين، وقيم الإيمان الدينى..

فالأسلمة، فى ميادين العلوم الطبيعية، لا دخل لها ولا تأثير فى حقائق وقوانين هذه العلوم، وعلاقتها بهذه العلوم خاصة بفلسفة توظيف الحقائق والقوانين المحايدة ومقاصد هذا التوظيف، فقط لا غير..

فإسلامية المعرفة - أى العلاقة بين المطلق الدينى والوضع الإلهى الثابت - وبين المعارف الإنسانية - الكسبية والنسبية - قائمة دائماً وأبداً.. لكن نسبتها وميادينها هى التى تتفاوت وتختلف - فى الدرجة - باختلاف حقول وموضوعات المعارف الإنسانية.. فهى عالية جداً فى العلوم الشرعية.. وكبيرة فى العلوم الإنسانية والاجتماعية.. وواقفة فى العلوم الطبيعية عند فلسفات تطبيقات ووظائف حقائق وقوانين هذه العلوم..



وإذا كانت هذه هى حقيقة إسلامية المعارف والعلوم.. وهى تبدو على هذا النحو من البداهة التى لا يختلف فيها ولا عليها العقلاء.. فإن غرابة وشذوذ إنكار واستنكار هذه الحقيقية - حقيقة وجود علاقة ما بين المعتقد الدينى - وخاصة دين الإسلام المتميز بمنهاجه الحياتى الشامل - وبين المعرفة، تتزايد أكثر وأكثر عندما نرى أن المنكرين لوجود علاقة للإسلام بالمعارف والعلوم الإنسانية والاجتماعية لا ينكرون وجود علاقات للفلسفات والأنساق والمرجعيات الفكرية غير الإسلامية بذات المعارف والعلوم الإنسانية والاجتماعية!!..

● فلا أحد ينكر وجود فلسفة مادية.. أى وجود علاقات وثمرات وتأثيرات للنزعة المادية والمنهج والمعتقد المادى فى تميز نسق فلسفى - أى علم اجتماعى - بالصبغة المادية.. فلم يكون الإنكار والاستنكار - فقط - للعلاقات والتأثيرات بين الإيمان والنزعة الإيمانية والإسلامية وبين الفلسفة، على النحو الذى يثمر معرفة فلسفية إسلامية مؤمنة؟!..

● ولا أحد ينكر وجود فلسفة وضعية، تقف بحقائق العلم عند الواقع وقوانينه ومعارفه.. فلمَ يكون الإنكار لتميّز معرفى يحدثه العالم والعارف إذا هو أضاف إلى آيات الكون آيات الوحى.. وضم إلى معارف الواقع المادى نبأ السماء عن المغيبات التى لا يستقل بإدراكها عقل الإنسان وتجاربه الحسية؟!..



● ولا أحد قد أنكر أو استنكر وجود «علم اجتماع ماركسي»، تلوّن بالفلسفة المادية الماركسية، المادية الجدلية.. والمادية التاريخية، وبالمقاصد الشيوعية في إقامة مجتمع البروليتاريا اللاطبقي..

فلِمَ يكون الإنكار أو الاستنكار ـ فقط ـ لوجود «علم اجتماع إسلامي»، كثمرة لعلاقة الإسلام بمناهج وحقائق هذا العلم في عقول ومجتمعات المتدينين بالإسلام؟!.. وكثمرة لإعمال سنن الله وقوانينه في الاجتماع البشري؟!..

● بل لقد قبل الذين ينكرون ويستنكرون إسلامية المعرفة، وجود علمي اجتماعي للاهوت التحرير[1].. في أمريكا اللاتينية.. بل وحاول بعضهم استلهام وتوظيف هذا اللون من الفلسفة في العلوم الاجتماعية بواقعنا الإسلامي..

فلِمَ يستنكر هذا البعض الصبغة الإسلامية في علم الاجتماع الإسلامي؟!.. أم أن تأثير «لاهوت التحرير» في علم اجتماع أمريكا اللاتينية حلال، وتأثير الإسلام في علم الاجتماع عندنا حرام؟!..

● ولا أحد ينكر ولا يستنكر ما قرره «ماكس فيبر» Max Weber (١٨٦٤ ـ ١٩٢٠م)[2].. عن علاقة البروتستانتية بالرأسمالية ـ فلسفة واقتصاداً واجتماعاً ـ.. بل لقد غدا هذا الذي قاله «ماكس فيبر» إحدى المسلمات عند الذين ينكرون ويستنكرون وجود علاقة بين الدين الإسلامي وبين وجود فلسفة واجتماع واقتصاد متميزة معارفها بالإسلام، ومصطبغة بفلسفة الإسلام المتميزة في علاقة المسلم ـ فرداً ومجتمعاً ـ بالثروات والأموال.. وذلك انطلاقاً من نظرية الخلافة والاستخلاف الحاكمة للعلاقة بين المالك الحقيقي للثروة ـ وهو الله سبحانه وتعالى ـ وبين الخليفة والنائب والوكيل ـ وهو الإنسان مالك المنفعة ـ في الثروات والأموال..

فلا يكون «حلال» البروتستانتية ـ الذي قرره «ماكس فيبر» ـ رغم أنها تدع ما لقيصر لقيصر، ولا تجعله لله ـ لِمَ يكون «حلالها» هذا «حراماً» على الإسلام ـ رغم منهاجه الحياتي الشامل.. وتقرير القرآن الكريم لفلسفة متميزة في علاقة الإنسان ـ فرداً ومجتمعاً ـ بالثروات والأموال؟!..

• • •

إننا في الحقيقة وواقع الأمر ـ أمام تناقض في مواقف هذا النفر ـ المنكرين لإسلامية المعرفة ـ يبلغ درجة الغرابة والشذوذ.. ولا تفسير له إلا الجهل بالإسلام ـ إذا حسنت النوايا ـ أو الكراهة لرؤية أية آثار للإسلام في حياة المجتمعات الإسلامية، ومعارف العلوم الإنسانية والاجتماعية في هذه المجتمعات..

فالليبراليون الرأسماليون ـ من أعداء إسلامية المعرفة ـ يقبلون بوجود «روح بروتستانتية»

---

(١) لاهوت التحرير: تفسير اجتماعي للإنجيل، ينحاز إلى الفقراء والمستضعفين، تبلور في أوساط عدد من القساوسة الكاثوليك ـ ذوي النزعة اليسارية.. وربما الماركسية ـ في أمريكا اللاتينية.. ولقد اتخذت منه البابوية الكاثوليكية ـ في الفاتيكان ـ موقفاً معادياً.

(٢) عالم اجتماع ألماني. من أهم مؤلفاته (الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية) ـ سنة ١٩٠٥م ـ و(المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع) ـ سنة ١٩٢١م ـ.

يسمونها «الإصلاح الديني» ـ كي تقبلها جماهير أمتنا ـ لتصنع هذه الروح الرأسمالية، وتصنع الليبرالية التي يريدون..

والماركسيون الماديون ـ من أعداء إسلامية المعرفة ـ يريدون الفلسفة المادية التي تفسر وتغير «البناء التحتي» ـ الاجتماعي والاقتصادي وما يرتبط به من بناء فوقي بورجوازي ـ في الفكر ـ تستبدل به «بناء تحتياً» شيوعياً، و«بناء فوقياً» شمولياً..

وعلى ما بين الليبراليين والماركسيين من خلاف يبلغ حد التناقض العدائي.. نراهم يجتمعون على الإنكار والاستنكار لإسلامية المعرفة الاجتماعية والاقتصادية في مجتمعات الإسلام، رغم إيمان كل فريق منهم بتأثير فلسفي وفكري في علم الاجتماع الذي يدعو إليه كل فريق، ويريد إقامته في مجتمعات الإسلام!..

فعلاقة البروتستانتية بالاجتماع الرأسمالي ـ عندهم ـ مقبولة.. وعلاقة المادية الجدلية، والمادية التاريخية بالاجتماع الاشتراكي والشيوعي عندهم مقبولة، بينما علاقة الإسلام بالاجتماع الإسلامي هي وحدها الحرام، عند هذا النفر من المثقفين!!..

* * *

وإذا كان «التغريب» هو الداء الذي صنع ويصنع هذا الشذوذ الغريب في موقف هذا النفر الذين ينكرون علاقة الإسلام بالمعارف والعلوم الإنسانية والاجتماعية.. فلقد يكون مفيداً في علاج هؤلاء المرضى ـ الذين لا يستشهدون إلا بكل ما هو غربي.. ولا يحتجون إلا بما هو غربي.. ولا يسلمون إلا بما هو غربي ـ قد يكون مفيداً في علاج مرضهم هذا ـ الغربي الغريب!.. أن نلجأ إلى «الصيدلية الغربية» لنأتي منها بعلاج لهذا المرض الذي بلغ بهم هذا الحال الشاذ والعجيب..

● فالمستشرق الإيطالي «كارلو نلينو» Carlo Nallino (١٨٧٢ ـ ١٩٣٨م) قد كتب دراسة عن «محاولة المسلمين إيجاد فلسفة شرقية»، أثبت فيها أن للإسلام علاقة بالفلسفة الإسلامية، ميزت هذه الفلسفة ـ تبعاً لتميّز الإسلام ـ عن الفلسفة اليونانية[3].. أي أن هناك ـ برأي هذا المستشرق ـ إسلامية للمعرفة الفلسفية في حضارة الإسلام ومعارف المسلمين..

● والمستشرق الانجليزي «ألفريد جيوم» Alfred Guillaume يؤكد على أن الوسطية الإسلامية، التي جعلت الإسلام يؤلف بين العقل والنقل، ويؤاخي بين الحكمة والشريعة، قد صبغت الفلسفة الإسلامية بهذه الصبغة المتميزة.. فتميزت المعرفة الفلسفية الإسلامية بسمة التدين، وامتازت بها عن الفلسفات الأخرى التي انحازت إلى العقلانية المادية المجردة، أو إلى المثالية الباطنية الخالصة، فأصبح للإسلام ـ كما يقول «جيوم» ـ «فلسفة منطقية.. تدرس بوصفها من صميم العقيدة الدينية»[4].. فلقد

---

(٣) ترجم هذه الدراسة ونشرها الدكتور عبد الرحمن بدوي، في كتابه (التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية) ص ٢٤٥ ـ ٢٩٦. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م.

(٤) جيوم (الفلسفة وعلم الكلام) بحث مترجم ومنشور بكتاب (تراث الإسلام) ص ٣٧٩. ترجمة جرجس فتح الله. طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.

أثمر الإسلام معرفة إسلامية في هذا العلم الاجتماعي .. الفلسفة .

● والمستشرق الفرنسي «ديفيد سانتيلانا» David de Santillana ( ١٨٤٥ ــ ١٩٣١م ) ــ وهو حجة في القانون الروماني وفي الفقه الإسلامي ــ يؤكد على علاقة النزعة الدنيوية الغربية بالطابع النفعي الدنيوي للقانون الروماني .. وعلى علاقة الوسطية الإسلامية ــ الجامعة بين الدنيا والآخرة ــ بتميّز القانون وفقه المعاملات الإسلامي، عندما ارتبطت فيه كل مسألة قانونية بالضمير الديني والمقصد الأخلاقي .. أي أن هناك تأثيراً للإسلام في المعرفة القانونية ــ وهي علم اجتماعي ــ وإسلامية للمعرفة القانونية في حضارة الإسلام .. يؤكد «سانتيلانا» على هذه الحقيقة المعرفية التي مايزت بين القانون الإسلامي وبين القانون الروماني .. فيقول: «إن معنى الفقه والقانون بالنسبة إلينا وإلى الأسلاف ــ ( في الحضارة الغربية )ــ: مجموعة من القوانين السائدة التي أقرها الشعب، إما رأساً أو عن طريق ممثليه. وسلطانه مستمد من الإرادة والإدراك وأخلاق البشر وعاداتهم .. إلا أن التفسير الإسلامي للقانون هو خلاف ذلك .. فالخضوع للقانون الإسلامي هو واجب اجتماعي وفرض ديني في الوقت نفسه، ومن ينتهك حرمته لا يأثم تجاه النظام الاجتماعي فقط، بل يقترف خطيئة دينية أيضاً، فالنظام القضائي والدين، والقانون والأخلاق، هما شكلان لا ثالث لهما لتلك الإرادة التي يستمد منها المجتمع الإسلامي وجوده وتعاليمه، فكل مسألة قانونية إنما هي مسألة ضمير، والصبغة الأخلاقية تسود القانون لتوحد بين القواعد القانونية والتعاليم الأخلاقية توحيداً تاماً، والأخلاق والآداب، في كل مسألة، ترسم حدود القانون. فالشريعة الإسلامية شريعة دينية تغاير أفكارنا أصلاً ..»[٥] ..

فالدين الإسلامي وشريعته الإلهية قد صبغت القانون الإسلامي بصبغة ميزته عن القانون الروماني .. أي أننا بإزاء إسلامية للمعرفة في هذا العلم الاجتماعي ــ علم القانون وفقه المعاملات ــ يؤكد عليها هذا المستشرق الكبير ..

فهل تجدي هذه الشهادات الغربية ــ بحسبانها «روشتات» من «الصيدلية الغربية» ــ لعلاج ذلك المرض التغريبي الشاذ، الذي جعل نفراً من مثقفينا يقبلون بوجود العلاقات بين مختلف الفلسفات والمرجعيات الفكرية ــ وبعضها ديانات ــ وبين المعارف والعلوم الإنسانية والاجتماعية .. اللهم إلا إذا كان الأمر بإزاء الإسلام، فإنهم ينكرون ويستنكرون أية علاقة له بالمعارف والعلوم؟! ..

لقد سبق لفيلسوفنا ابن سينا ( ٣٧٠ ــ ٤٢٨ هـ ٩٨٠ ــ ١٠٣٧م ) عندما أراد معالجة ذات المرض الفكري، عند نفر من معاصريه الذين لا يؤمنون إلا بما هو يوناني ــ وكان يسميهم «العوام»! .. أن سلك نفس الطريق في علاج ذات المرض .. مرض «العاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين[٦] .

---

(٥) سانتيلانا (القانون والمجتمع) بحث مترجم ومنشور بكتاب (تراث الإسلام) ص ٤١١ ، ٤٢٨، ٤٣١ مرجع سابق.

(٦) المشاؤون هم أتباع مدرسة أرسطو (٣٨٤ ــ ٣٢٢ ق.م) سُمّوا بذلك لأن التعليم في مدرسته الفلسفية ــ «الموقيون» كان يتم أثناء السير ــ المشي ــ ولقد تأسست هذه المدرسة في أثينا سنة ٣٣٥ ق.م واستمرت نحو ألف عام

الطائين أن الله لم يهد إلا إياهم، ولم يدل رحمته سواهم»، فعرض نصوص الفلسفة المشائية اليونانية، ليقنع بها هؤلاء «العوام».. ثم نبه على الفلسفة الإسلامية الحقة.. المصطبغة والمتميزة بالإسلام ـ فلسفة المشرقيين ـ أو الحكمة المشرقية ـ المتميزة عن الحكمة المغربية ـ فلسفة اليونان ـ[7].

فهل يفيد هذا المنهاج في العلاج؟!..

أم يظل هؤلاء المرضى بالاستلاب التغريبي على جمودهم الفكري، يتحدثون عن علم اجتماع ماركسي.. أو مسيحي.. أو وضعي.. أو حتى لاهوتي تحريري.. إلخ..... مستثنين ـ فقط ـ علاقة الإسلام وتأثيراته في المعارف الإنسانية؟!..

لقد كتب واحد من هؤلاء ـ منذ سنوات ـ مقالاً ناريا يستنكر فيه استخدام كلمة «إسلامي» في تسمية أحد المستشفيات.. فلما لفتُّ نظره إلى أن بالقاهرة ـ منذ سنة ١٩٢٧م ـ مستشفى كبيراً وشهيراً ـ اسمه «المستشفى القبطي».. ولم يهاجم أحد تسميته هذه عبر هذه العقود من السنين ـ صمت هذا الكاتب.. لكن دون أن يقلع عن الهجوم على أي إطلاق لكلمة «الإسلامي» على أية مؤسسة من المؤسسات، أو علم من العلوم الإنسانية.. الأمر الذي فضح ويفضح موضوعية هذا النفر من المثقفين والكُتّاب!..

هذه هي «إسلامية المعرفة» ـ أو التأصيل الإسلامي للمعرفة ـ والتي تعني ـ في أدق وأبسط العبارات:

العلاقة القائمة بين الدين الإسلامي ـ عندما يتدين به الإنسان ـ وبين المعارف والعلوم التي يبدعها هذا الإنسان المتدين بالإسلام..

فالعقيدة ـ أية عقيدة ـ وخاصة إذا كانت الإسلام الشامل لكامل منهاج هذه الحياة وما بعد هذه الحياة إنما تمثل «المنظار» الذي يرى المعتقد بها الكون والاجتماع من خلال عدساته. فتقوم علاقة ما بين هذه العقيدة وبين المعارف والعلوم التي يبدعها هذا الإنسان..

وهذه العلاقة ـ إسلامية المعرفة ـ لا تنفي «النسبية» عن المعرفة الإنسانية.. ولكنها تنبه وتكشف وتبرز علاقة هذه المعرفة الإنسانية النسبية بالمرجعية الدينية المطلقة والمحيطة والكلية فهي تنفي النسبية المطلقة عن المعرفة الإنسانية، في ذات الوقت الذي لا تزعم فيه لهذه المعرفة الإنسانية صفات الإطلاق.. فحتى معارف الإنسان الدينية هي نسبية، وجزء من المطلق الديني.. والعلم الإلهي هو المتفرد بالعموم والشمول والإحاطة والإطلاق..

وهكذا تبلغ إسلامية المعرفة مبلغ الحقيقة، وتصل في البداهة إلى درجة المعلوم من الفطرة السوية بالضرورة.. أي التي لا يختلف فيها ولا عليها العقلاء.. مطلق العقلاء!!..

---

(٧) شيئو (محاولة المسلمين إيجاد فلسفة شرقية) ص ١٧٨ ـ ٢٨٢. بحث منشور بكتاب (التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية) ـ مرجع سابق.

## مواقف إسلامية :

# أمتنا وفن إدارة الأزمات

د. / محمود محمد عمارة

**من الأدعية الأثيرة لدىّ.. العزيزة علىّ.. ما كان يدعو به الصالحون:**
**(اللهم أصلحنا لحكامنا.. وأصلح حكامنا لنا)**
**ذلك بأننا ـ الحاكم والمحكوم ـ ركاب سفينة واحدة.. يتربص بها حوت عظيم..**
**فماذا نفعل؟**
**نقتله؟ أم نستسلم له ليقتلنا هو؟ ثم يحتوينا اليم جثثا طافية؟**

إن أفضل من الاحتمالين معا.. أن نحتويه.. ومعا.. لصالحنا: كل على قدر طاقته وحيلته، ولا تكفى الأماني العذاب عندئذ للقضاء على الخطر الداهم.. ذلك بأن الأماني لا تتحقق لمجرد أن تجيش بها صدورنا.. ألا وإن رغبتنا الملحة في تحقيقها.. لا تعطينا الحق في هجوم غير محسوب النتائج.. على خطر جاثم.. لا يستثنى أحدا من أخطاره.. والموقف الأمثل هو:

أن نتسلح.. بعقل يفهم.. وإرادة.. تنفذ..

ومن وراء ذلك: قلب مخلص.. يتجه بالعقل والإرادة في الاتجاه الصحيح..

أعني:

أن يتعاون الحاكم.. والمحكوم.. معا:

فإذا ارتفع الحاكم إلى مستوى مسئوليته.. فأعد للخطر عدته.. وإذا وقف المحكوم إلى جانبه.. وفي خندق واحد ـ فلا خطر حينئذ.. بعدما صارت الأمة صفا واحدا.. يواجه خطرا واحدا..

وفى مشاهد تاريخنا المجيد.. ما يجلى هذه المعانى تجلية تلقى علينا مسئولية فقه ذلك التاريخ.. ونحن واجدون فيه ما يشفى الصدور:

ذات يوم:

خرج «المعتضد» الخليفة العباسى من معسكره.. ومعه خادمه.. فلقيه أسد.. وهو على فرسه. فقال الخليفة لخادمه:

هل فيك خير اليوم؟!

فقال: لا!!

فقال له المعتضد:

ولا أن تمسك بلجام فرسى؟

فقال الخادم:

أما هذه.. فنعم!!

فنزل الخليفة.

ثم ضرب الأسد ضربة قطعت رجله.. ثم كر عليه فصرعه ماسحا بفروته سيفه!!

يقول الخادم:

ثم مضى الخليفة البطل.. ولم يحدث أحدا بما فعل. كما وأنه لم يلم خادمه على ضعفه!!

**تعليق:**

ونقول بلغة العصر:

إن الأمة تواجه خطرا يتهددها.. وقد تحمل الحاكم مسئولية الموقف برمته.. ولكنه يطلب معونة الشعب ممثلا فى هذا الخادم.. والذى تحسس قواه.. فاعتذر عن مواجهة خطر هو غير كفء له.. لكنه لم يتحلل من المسئولية بالمرة.. عندما وافق على أن يمسك بزمام الفرس.. وهو جهد المقل.. لكنه فى نفس الوقت عمل وإن بدا صغيرا.. إلا أنه يعين الحاكم على الإنجاز الكبير!

لقد واجه الخليفة الموقف بما يكافئه:

١- إعداد القوة المادية.. متمثلة فى سيفه البتار.

٢- ثم العدة الروحية.. المتمثلة فى مجموعة القيم التى كانت مع السيف.. يتسلح بها:

فهو أولا: لم يتفرد باتخاذ القرار.. وإنما عرض القضية على الخادم.. شريكه فى الخطر.. مؤكدا أهمية الشورى فى تناول الأمور.. لاسيما فى المواقف الصعبة. إلى جانب شجاعته النادرة.. والتى لم تكن لما يملك من سلاح ماض.. وعتاد مذخور..

وإنما كان له من الذكاء ما صار متكأ له.. عندما بدأ بقطع رجل الأسد.. ليشل حركته أولا.. حتى يمكن الإجهاز عليه!

وناهيك بزهده فى التحدث بما صنع.. على عظمته.. وكان الظن أن تتقدم أجهزة الإعلام لتلقى الأضواء على الموقف تنويها به وتقديرا له..

لكنها لم تفعل.. لأن الرجل كان زاهدا. فقضيته الأولى والأخيرة هى: حماية الأمة من الخطر..

ولقد تم ذلك كله فى إطار من الحكمة التى كان من مظاهرها أنه لم يفرض الدور على الخادم فرضا.. لم يرهق الأمة من أمرها عسرا.. ملتمسا له العذر.. نازلا به إلى ما يحسن من عمل.. فرارا من نكسة متوقعة إذا أسند إليه دورا لم يتهيأ له!

ولقد كان الخادم صريحا غاية الصراحة.. حين اعتذر بأدب عن القيام بدور فعال فى هذا الموقف العصيب.

لم يحاول أن يرهق نفسه من أمرها عسرا.. حين يحملها دوراً لا تطيقه فكان صادقا مع نفسه.. ومع الخليفة.. ولم يكن ليستطيع أن يغير نفسه هكذا قسرا.. لمجرد أنه يرضى الخليفة.. فالذين يحاولون تغيير مواقفهم لتنسجم مع آمال الآخرين.. سوف يفقدون أنفسهم في نهاية المطاف.

وكما قيل:

إذا لم تنبت المعاني من رأسك.. كما تنبت أوراق الشجر.. فلا داعي لأن تفكر في شيء!

## من هدي السنة

ولموقف الخادم هذا شاهد من السنة المطهرة:

قال رجل لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (إني جبان. وإني ضعيف. فقال له: هلم إلى جهاد لا شوكة فيه: الحج)(١)

وتأمل كيف ركز الرجل على جبنه وكان يكفيه الاعتذار بأنه ضعيف. ولا يجيد صناعة القتال. ولكنه الاعتراف الذي يبصر القائد حتى يجيء تشكيل الجيش محققا النصر المبين.. برجال على مستواه: نفسيا وعسكريا.

ونعود إلى الخادم الصادق مع نفسه:

لقد كان جزاؤه أن عفا عنه الخليفة مقدرا ظروفه.. مدركا أن ضعفه أمر لا حيلة له فيه.. وكل ميسر لما خلق له.. وما أكثر التلاوم بين الرفقاء اليوم: بين قائل أنا فعلت.. وقائل لم يفعل..

وقد تكون القضية تافهة لا تستحق التعليق.. لكنها تصير كالماء: يتسرب إلى أسفل السفينة.. فتتآكل.. ثم تغوص في النهاية وتغرق.

تغرق.. بينما الراكبون لا يشعرون.

**أما بعد:**

فقد مضى الفكر الإسلامي يؤكد هذا المعنى ملتمسا الأعذار للناس دافعا لهم إلى عمل ما يطيقون.. والقليل على أي حال خير من العدم

قال أبوسليمان الداراني لتلميذه: أحمد بن الحواري: يا أحمد: كن كوكبا

فإن لم تكن كوكبا فكن قمرا فإن لم تكن قمرا.. فكن شمسا فقال له أحمد: يا أبا سليمان: إن القمر أضوأ من الكواكب والشمس أضوأ من القمر.. فكيف عكست الترتيب؟! قال أبوسليمان: يا أحمد: إنما أردت:

كن مثل الكواكب: يطلع من أول الليل.. إلى الفجر فقم لعبادة ربك من أول الليل إلى آخره فإن لم تقو على قيام الليل كله.. فكن مثل القمر:

يطلع في بعض الليالي ثم يصيبه «المحاق» فقم بعض الليالي في عبادة ربك فإن لم تقو على قيام الليل.. فكن كالشمس:

تطلع أول النهار إلى آخره.. فإن لم تقو على قيام الليل.. فلا تعص الله ـ تعالى ـ في النهار يريد أن يقول له: اجتهد في العمل.. فإن قصر بك العمل.. فاقلع عن المعاصي وإذا لم تستطع أن تكون وردة.. فلا تكن شوكة!

---

(١) رواه الطبراني في الصغير والكبير. ورجاله ثقات.

# محاولة لفهم العولمة

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي

## (١) الكتاب وجوه الفكرى

**إن خير هدية يهديك إياها صديق هى: الكتاب. والكتاب خير صديق. لقد أهدانى الأستاذ الفاضل صديقى د. محمد عبد الحليم عمر كتاباً إن شئت وصفه وصفاً دقيقاً قلت عنه: إنه كتاب العصر، وتلوح معالم أهميته للمطالع بداية من عنوانه: «السيارة ليكساس وشجرة الزيتون: محاولة لفهم العولمة»، ويعنى الكاتب: «فريدمان» من وراء عنوان كتابه معالجة مقارنة، بين حقبة العولمة، ما قبل الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، وحقبة الحرب الباردة، ثم نظام العولمة الجديد.**

**فالسيارة ليكساس هى رمز السرعة والتقدم والرفاهية وسعى الإنسان نحو التقدم والازدهار والتحديث، وشجرة الزيتون هى رمز الجذور والأصالة والانتماء والتمسك بالأرض والعادات والتقاليد، قيم تمثل دفء العائلة والاعتزاز بالنفس، والأمان.**

من هنا كان موضوع الكتاب على درجة عظيمة من الإمتاع الثقافى يدفعك دفعاً إلى تلاطم أمواج الثقافة المعاصرة بمشاكلها وإشكالياتها، ومعارفها الثقافية والحضارية، وكانت ترجمته إلى العربية ضرورة ثقافية دفعت د. ليلى زيدان على تحمل تبعتها وكانت جديرة بالقيام بها حين قامت بها خير قيام وراجعتها فايزة حكيم، فلهما معا الشكر والتقدير.

والكتاب على هذا النحو حصيلة جهد علمى عظيم، ورحلة إبداعية ونقدية أنفق فيها الباحث زهرة شبابه حرصاً منه على أن يأتى عمله جيداً محوداً.

وكنا نلاحظ على مادته العلمية، سعة ثقافية، وفرزاً نقدياً، ورؤية ذات أبعاد، وظف لها مادته العلمية، لذلك جاءت نتائج الدراسة وفق ما سعى الباحث لا وفق ما سعى البحث، وذلك - رغم زعمه حيدته المنهجية - وقع فيما أراد التنزه عنه ربما من شدة حماسه النقدى والسير وراء رؤاه الذاتية - حيث نقد كثيراً من

الآراء، وهو نقد قائم على الدراسة الموضوعية، لكن حين أخذ يبنى رأيه بناه على ذاتيته الطافحة بالإعجاب بالعولمة الجديدة.

ولا نستطيع أن نتهم مؤلف الكتاب، توماس. ل. فريدمان وهو من ألمع الكتاب الأمريكيين المهتمين بشرح الشئون الدولية.

ولد فى مينا بوليس فى ١٩٥٣ وتعلم فى جامعة ليراند يزو كلية القديس أنطونى باكسفورد وهو معروف، بأنه متيم بوطنه وبنظام العولمة الجديد وبالهيمنة الأمريكية على العالم.

وأسوق على سبيل المثال أنه يرى: أن هذا الكتاب: هو محاولة، لشرح كيف أن هذه الحقبة من العولمة أصبحت هى النظام الدولى المسيطر فى نهاية القرن العشرين، وحلت محل نظام الحرب الباردة، وبحث كيف أنها الآن تشكل السياسات الداخلية والعلاقات الدولية للجميع.

ويحدد المؤلف غايته من الكتاب بقوله: وبهذا المعنى، قصدت أن يكون هذا الكتاب إسهاماً فى مجموعة الدراسات التى تحاول تعريف العالم فى فترة ما بعد الحرب الباردة.

ويعتبر هذا الكتاب من بين أهم الكتب انتشاراً فى هذا النوع من الكتابات التى تنغزل فى أمريكا ومع هذا الكتاب هناك أربعة كتب تتغيا غايته العرقية الثقافية وهى فى مجموعها كتابات تدخل فى نوع من الأساليب التحذيرية للعالم بعدم الخروج من طوع السطوة الأمريكية:

ظهور القوى العظمى وسقوطها: التغير الاقتصادى والصراع العسكرى بقلم بول م. كينيدى. ونهاية التاريخ والإنسان الأخير بقلم فرانسيس فوكاياما. والمقالات والكتب المختلفة بقلم روبرت د. كابلان. وصامويل ب. هنتنجتون بعنوان تصادم الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمى.

ولئن كانت هذه الكتب جميعاً تنطوى على حقائق مهمة، إلا أن أيا منها فى اعتقادى لم يرصد عالم ما بعد الحرب الباردة بصورة كلية.

فقد كان عرض كابلان مفعماً بالحيوية والأمانة، غير أنه بحث فى أكثر أركان العالم تجهماً واستمد منها نتائج عامة لمصير باقى العالم.

ورأى هنتنجتون الصراعات الثقافية حول العالم ووسعها فى جموح لتصبح تصادماً مستمراً وحاد التعريف للحضارات، بل إنه أعلن أن الحرب العالمية القادمة، إن حدثت «ستكون حرباً بين الحضارات».

وفى اعتقادى أن كابلان وهنتنجتون معاً بخسا إلى حد بعيد تقدير مدى ما يمكن أن تفعله القوى الدولية، وجاذبية الأسواق العالمية، وانتشار التكنولوجيا، وظهور الشبكات وانتشار المعايير العالمية لدحض توقعاتهما التى تقتصر على الأبيض والأسود (معظمها سوداء).

لقد حاول كينيدى وهنتنجتون الاعتماد أكثر مما يجب فى التنبؤ بالمستقبل على الماضى، والماضى وحده.

ولقد رصد كينيدى (وببراعة شديدة) انهيار الإمبراطوريات الإسبانية والفرنسية والبريطانية، ولكنه خلص إلى أن الإمبراطورية الأمريكية ستليها فى السقوط بسبب تجاوزاتها الإمبريالية.

وكان يعنى ضمناً بذلك أن انتهاء الحرب الباردة لم يكن يعنى فقط نهاية الاتحاد السوفيتى وإنما كان أيضاً إرهاصاً بسقوط الولايات المتحدة.

وفى اعتقادى أن كينيدى لم يقدر التقدير الكافى أن انحدار الولايات المتحدة نسبياً فى الثمانينيات، عندما كتب ذلك الكتاب، كان جزءاً من إعداد الولايات المتحدة لنفسها لنظام العولمة الجديد وتهيئة نفسها له، وهى عملية لم تخضها الكثير من دول العالم الأخرى إلا الآن فقط.

ولم يتوقع كينيدى بأن أمريكا قد تلجأ تحت وطأة العولمة إلى تقليص ميزانيتها الدفاعية، وخفض عدد المشاركين فى حكومتها، وتحويل المزيد والمزيد من القوى إلى السوق الحرة بطرق من شأنها إطالة وضعها كقوة عظمى، وليس التقليل منه.

أما وجهة نظر هنتنجتون فهى أنه بانتهاء الحرب الباردة، لن يكون الوقت هناك لنوجه إليهم عداءنا بعد الآن، ومن ثم فسوف نتحول نحن بعدائنا بطبيعة الحال نحو الهندوس والمسلمين الذين سيبادلوننا العداء نفسه.

واستبعد ضمناً ظهور نوع ما من النظام الدولى الجديد الذى يمكن أن يشكل الأحداث على نحو مختلف.

وليس هناك، بالنسبة لهنتنجتون، من شىء يأتى بعد الحرب الباردة سوى القبلية، وليس أى شىء جديد آخر.

ثم يأتى كتاب فوكوياما القاطع ليحتوى على رؤية مستقبلية دقيقة إزاء الأشياء التى استجدت، واعنى بها انتصار الليبرالية ورأسمالية السوق الحرة باعتبارهما أكثر الطرق فاعلية لتنظيم أى مجتمع، غير أن عنوان كتابه (وليس الكتاب نفسه) يشير ضمناً إلى نهاية لهذا الانتصار لا تنسجم مع العالم كما أراه أنا.

وأصبح كل عمل من هذه الأعمال مشهوراً بطريقة ما، لأنها حاولت اغتنام فكرة واحدة آسرة هى «الشىء الوحيد الكبير»، أو الجزء المتحرك الرئيسى، المحرك المهم، الذى سيقود الشئون الدولية فيما بعد الحرب الباردة سواء كان ذلك صداماً للحضارات أو فوضى أو سقوط الإمبراطوريات أو انتصار الليبرالية.

## (٢) الكتاب وطابعه الفكرى

أما هذا الكتاب فهو مختلف تماماً عن الكتب السابقة، ففى اعتقادى أنه إذا كنت تريد فهم عالم ما بعد الحرب الباردة فعليك أن تبدأ بالتسليم بأن نظاماً دولياً جديداً قد جاء بعده. وذلك هو ما أطلق عليه بالعولمة العولمة.

فهذا هو «الشىء الوحيد الكبير» الذى يجب على الناس التركيز عليه والعولمة ليست

الشيء الوحيد الذى يؤثر فى الأحداث فى العالم اليوم، ومع ذلك فهى أشبه بالنجم القطبى والقوة التى تقوم بتشكيل العالم أجمع، إنه ذلك النظام فهل هذا ممكن؟ أهو عود لمفهوم الإمبراطورية؟ أهو توحيد الإنسانية العالمية؟ حاولت أن أحدد «نظام العولمة» إجابة على ما أثاره فكرى من أسئلة ما استطعت إلى الإجابة سبيلا.

فالجديد إذن هو النظام، أما القديم فهو سياسات القوة والفوضى وصدام الحضارات والليبرالية كما عرفتها تلك الكتب.

وقد تمثلت تشكيلة عالم ما بعد الحرب الباردة فى التفاعل بين هذا النظام الجديد وتلك الانفعالات القديمة.

إنها نوع من التشكيلة المركبة التى مازال الفصل الختامى لم يكتب لها بعد، ولعل هذا هو السبب فى أنك ستجد فى ظل العولمة صداماً للحضارات وتجانساً للحضارات معاً، وكوارث بيئية وأعمال إنقاذ أو تخطيطا مدهشا للبيئة على السواء، وانتصاراً لرأسمالية السوق الحرة الليبرالية وردة عنيفة عنها معاً، واستمراراً لبقاء الدول الأم وظهور كيانات تمثيلية - جمعيات أهلية لها مسميات ذات قيمة عالية هائلة ولكنها ليست دولة.

يقول المؤلف: «إن ما سعيت إليه هو تأليف كتاب توجيهى لكيفية تتبع هذه الدراما وكيفية التفكير فى إدارتها».

لقد قدم عرضاً متميزاً للقضايا الثقافية والكتب الأمريكية التى ظهرت مصاحبة للعولمة والنظام الجديد يأخذك منطق بيانه وموضوعيته النقدية.

لكن حين يقترب من النظام الجديد أو التشكيل الجغرافى الأمريكى الجديد للعالم يأخذه الحماس غير المنطقى والعصبية الفكرية، وهى لون من الانفعالية الخاسرة فعلى هذه الطريقة الحماسية يقول: إنك إذا نظرت إلى العولمة على أنها النظام الدولى السائد اليوم، ونظرت إلى الصفات التى تحتاجها الشركات والدول على السواء لكى تحقق الازدهار فى هذا النظام، فسوف تخلص إلى أن أمريكا لديها أصول أكثر وخصوم أقل، فيما يتعلق بهذا النظام، من أية دولة كبرى أخرى وهذا هو ما أسميه الحماس المنطقى.

وسيرا على حماية المنطق يقول: إنه الحدس السائد بين المستثمرين العالميين بأنه فى حين مازالت كثير من الدول فى أوروبا وآسيا تحاول أن تكيف مجتمعاتها مع العولمة، وفى حين يقف بعضها بالكاد على خط البداية، فقد انتهى (أنكل سام) بالفعل من أول دورة له حول المضمار بأقصى سرعة.

وثمة طريقة مفيدة لتحليل هذا الحماس المنطقى تتمثل فى طرح السؤال التالى:

لو أنك جئت قبل مائة عام من الآن إلى مهندس جغرافى ملهم وقلت له: إنه فى عام ٢٠٠٠ سوف يعرف العالم بنظام يطلق عليه اسم «العولمة»، فما هو نوع البلد الذى سيقوم بتصميمه لكى ينافس ويفوز فى ذلك

العالم؟ الإجابة هي: أنه كان قد يصمم شيئاً يشبه إلى حد كبير الولايات المتحدة الأمريكية.

إنه قد يصمم دولة توجد في موقع جغرافي نموذجي من حيث القدرة على المنافسة.

بمعنى، أنه قد يصمم دولة تطل على كل من المحيطين الأطلنطي والهادي، بحيث تنظر بارتياح من كلا الاتجاهين، وفي الوقت نفسه تكون متصلة بكتلة من اليابسة بكل من كندا وأمريكا اللاتينية، حتى يتسنى لها التفاعل بسهولة مع كل الأسواق الرئيسية في العالم - آسيا وأوروبا والأمريكتين وهذه كلها ستكون في متناول اليد.

## (٢) المؤلف ومدينة السعادة

ويسرف المؤلف إسرافا شديدا حين يتصور مناجيا نفسه أنه لو استدعى مهندسا وطلب منه أن يرسم قرية نموذجية (مدينة فاضلة) تخيلها الفلاسفة: مدينة الجمال والسعادة ربما كان فريدمان أحد هؤلاء فلاسفة القرن الخامس عشر ولم يصل أمريكا إلا في القرن الواحد والعشرين وقد ألقى رحله فيها وقال: هي تلك البلد الذي لو قبل لمهندس صمم دولة تتمتع بتنوع سكاني متعدد الثقافات ومتعدد الإثنيات (العرقيات) ومتعدد اللغات له ارتباطات طبيعية بكل القارات، ولكن هذه الدولة تكون في الوقت نفسه مرتبطة إلى بعضها البعض بلغة واحدة - هي الإنجليزية - التي قد تكون أيضاً هي اللغة المسيطرة للإنترنت.

وقد يصمم بلداً له أسواق شديدة التنوع والابتكار ورأس المال الكفء، تعتبر فيه الرأسمالية المغامرة بطلا نبيلاً ومقداماً، بحيث يستطيع أي إنسان عنده اختراع معقول (أو حتى سخيف) في بدروم أو جراج منزله أن يجد رأسمالياً مغامراً في مكان ما يقدم له الدعم.

وهذا شيء لطيف، ذلك لأنك عندما تتحدث عن السرعة فلا يوجد من هو أسرع من أسواق رأس المال الأمريكية في إلقاء الأموال إلى الأفكار الجديدة.

ومما لا شك فيه أن مُهندسَنا الجغرافي قد يصمم دولة يوجد بها أكثر البيئات القانونية والتنظيمية أمانة في العالم.

ويستطيع المستثمرون المحليون والأجانب على السواء في هذه الدولة أن يعتمدوا دائماً على وجود حلبة لعب مستوية إلى حد معقول، وبها قدر قليل نسبياً من الفساد، وقدر كبير من الضمانات القانونية لأي أجنبي يرغب في الاستثمار ثم الخروج بأرباحه في أي وقت، وسيادة القانون التي تمكن الأسواق والعقود التجارية من العمل وتحمي وتشجع الابتكار بحماية الاختراع وقد يصمم دولة لها نظام من قوانين الإفلاس والمحاكم يشجع بالفعل أولئك الذين يخفقون في مشاريعهم التجارية على إعلان إفلاسهم ثم معاودة المحاولة من جديد وربما يخفقون من جديد، فيعلنون إفلاسهم مرة أخرى، ثم يحاولون أيضاً من جديد وذلك قبل أن يتحقق لهم النجاح ويبدأون في تأسيس




شركة وذلك دون أن يحملوا وصمة إفلاساتهم الأولى طوال حياتهم.

أما في أوروبا فيعتبر الإفلاس وصمة مدى الحياة.

فقد يصمم مهندسنا الجغرافي بلا شك دولة مستعدة استعداداً طيباً لقبول مهاجرين جدد، بحيث يستطيع أى إنسان أن يأتى إلى سواحلها وأن يعامل دستورياً على قدم المساواة مع أى إنسان آخر، مما يمكن هذه الدولة باستمرار من سحب أفضل العقول في العالم والجمع بينهم في شركاتها ومراكزها الطبية وجامعاتها.

فلكي تكون يابانياً لابد لك أن تكون من مواليد اليابان.

ولكي تكون سويسرياً يجب أن تكون من مواليد سويسرا.

ولكن لكي تكون أمريكياً فما عليك إلا أن ترغب فقط في أن تكون أمريكياً.

وذلك لا يعني أننا نسمح بالدخول لكل من يرغب في أن يكون أمريكياً، ولكن عندما تكون المواطنة مسألة قانونية وليست عرقية أو عنصرية أو وطنية، فإن ذلك يجعل الأمر أسهل كثيراً على البلد لكي يمتص الموهبة الجديدة.

ويحب أحد أصدقائي في وادي السيليكون أن يقول في ذلك: «إنني لا أخاف من اليابان أو الدول الآسيوية الأخرى.

فالآسيويون منا سوف يهزمون الآسيويين منهم في أي يوم».

وقد يصمم أيضاً دولة تقدر التدفق الحر للمعلومات إلى حد الدفاع عن حقوق أسوأ الإباحيين وأشد العنصريين إثارة للفتن في أن يؤدوا أعمالهم.

فقد يكون ذلك رصيداً.

لأنه في عالم سوف تتدفق فيه المعلومات، والمعرفة، والسلع والخدمات بسرعة متزايدة عبر العالم السريع أو عن طريق الفضاء المعلوماتي (السايبر سبيس)، فقد تكون هناك ميزة حقيقية لتلك الدول التي تشعر بالارتياح في مثل هذا الانفتاح وذلك التنافر وتلك الفوضى التي تصاحبه أحياناً، تلك الدول التي تشعر بالارتياح في جو التنافس على أساس التخيل، وليس من خلف أسوار الحماية.

## والنتيجة النهائية

في عالم الفائز فيه يحصد كل شيء فإن أمريكا، بلا شك، حتى الآن على الأقل، لديها نظام يحصل فيه الفائز على الكثير.

وذلك يجعل أمريكا دولة عظمى فريدة، فهي تتفوق في مصادر القوة التقليدية.

أي أن لديها جيشاً عاملاً ضخماً، مزوداً بعدد من حاملات الطائرات والمقاتلات النفاثة المتطورة، وطائرات النقل، والأسلحة النووية يزيد على ما كان لديها في أي وقت مضى، بحيث تستطيع استعراض القوة بدرجة تفوق أي دولة أخرى في العالم.

لم يبلغ هيام قيس بليلاه حد هيام ذلك






الكاتب بأمريكا، فقد أضفى عليها من هالات التقديس ما يجعلها القطب الأوحد الذي تدور عليه العولمة فأمريكا هي العولمة ونظامها، والعولمة، هي أمريكا.

وأمريكا في نظر ذلك الكاتب هي ذلك النموذج الذي فوق مثال المدن الفاضلة.

ولو قيل لمثال أبدع أحسن ما في خيالك، ما استطاع أن يبدع أحسن مثالاً من أمريكا.

فلو قيل للجغرافي أبدع لنا مدينة لها موقع جغرافي متميز ما فعل أكثر من موقع أمريكا، ولو قيل لمهندس قدم تخطيطاً لمدينة مثالية - لكانت أمريكا - ولو قيل للقوة اصنعي مدينة قوية القوى لكانت أمريكا، وهكذا ترى الكاتب جعلها فوق إبداع المبدعين.. من هنا كان الكاتب متحالفاً مع أسلوب الدعاية الرأسمالية الأمريكية والإعلام الأمريكي المغرض.

لذلك يعتبر الكتاب دعاية أمريكية الصنع يضع شعوب العالم في كفة، وأمريكا في كفة بينما علاقاتها بشعوب العالم أشد مرارة وما أوقعته بالشعوب كحرب الخليج والبوسنة والهرسك ليشهد عليها.

ولا نراه مصيباً في قوله: «إن المجتمع العالمي المزدهر هو المجتمع الذي يستطيع أن يحدث التوازن بين السيارة ليكساس وشجرة الزيتون على الدوام، ولا يوجد نموذج لذلك على الأرض اليوم أفضل من أمريكا.

ولهذا السبب فإنني أومن بشدة بأنه يجب أن تكون أمريكا في أفضل حالاتها - اليوم وغداً، وفي كل وقت، حتى يتسنى للعولمة أن تكون قابلة للاستمرار.

إنها يمكن أن تكون، ويجب أيضاً أن تكون، منارة للعالم أجمع. فلنعمل على ألا نبدد هذا الإرث».

وبعد، فإن الكتاب يبحث عن التوازن الدقيق بين السيارة ليكساس وشجرة الزيتون.

إن التوازن الذي هو هدف الكاتب وبثه في كتابه وطرحه على القارئ، وحمل الفكر الإنساني الجديد مسئوليته إنما هو هدف يطلب التوازن بين مرحلة حضارية عارضة طارئة تزدحم بالتكنولوجيا والإنترنت وبين الأساس الجوهري الثابت في الوجود الإنساني وليس الحضاري المتغير وشتان بين تقاليد الأسرة والعائلة التي تعكس فلسفة التوازن التي توحي إليه أصالة الترابط الاجتماعي مشيرا إليه بأشجار الزيتون التي تعكس الروابط الخاصة بالمكان والمجتمع والثقافة والتعارف الودود، وبين عولمة الإنترنت التي تجمع بين أناس لم يتصلوا ببعض قط وبدلاً من أن تخلق أنواعاً جديدة من المجتمعات - خلقت فقط إحساساً زائفاً بالاتصال والحميمية.

هذه التكنولوجيا تؤدي بنا إلى التخبط، إنها تمنحنا فقط القوة للوصول إلى أماكن أبعد من العالم في حين تبعدنا عن الفعل الحقيقي اللازم لبناء علاقات ومجتمعات مع الناس الذين يسكنون إلى جوارنا؟



## ما يقال عن الإسلام

# نقد موضوعى للأفكار الهامة فى كتاب اليمين واليسار فى الفكر الدينى



للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

**كنت أفضل أن يكون الكتاب حديثًا عن الشيوعية بعيدًا عن منطق الإسلام ليقول الكاتب عن مادته ما شاء؛ أمّا أن يحاول أن يجعل الإسلام شيوعيا باسم ما سماه باليسار؛ مع أن الإسلام فى أصوله وفى مد تياره لا يعرف كلمة اليسار أصلا. أمّا أن يحاول أن يجعل الإسلام شيوعيا باسم اليسار فهو ما عجز عن تحقيقه وما أوقعه فى مناقضات مكشوفة لا تستر بلثام!**

ثم ماذا؟! لابد أن تتاح الفرصة للهجوم على السمعيات وأنها ليست بذات دليل والسمعيات لا تضر الحياة الاجتماعية فى شئ هنا بل تفيدها فليس الاعتقاد بالجنة والنار وعذاب القبر وخلود الروح والثواب والعقاب حجر عثرة فى سبيل الإصلاح حتى تكون السمعيات عونا للرجعية على الاضطهاد! إن الاعتقاد بالسمعيات يعصم المجتمع من الشرور، فالذى يخاف الحساب يفكر فى الجريمة قبل أن يأتى بها، وأنت فى أمورك الشخصية تثق بمن يؤمن بالآخرة أكثر مما تثق بالمادى الكافر؛ لأن صاحب الدين ذو ضمير يرتجف للمعصية، وإذا أتى بها ظل الندم يلاحقه، أما الشيوعى الكافر الذى لا يؤمن باليوم الآخر فأكثر تعرضا للمعصية بل يستبيحها إذا لم يجد شاهدا عليه أمام القانون وهذا ما عناه الله - عز وجل - حين قال عن هؤلاء المنكرين.

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾(١).

(١) القيامة ٥، ٦.

فالذين ينكرون السمعيات لا يخدمون المجتمع ولا يدعون إلى إصلاحه بل يريدون أن يخلعوا عن النفوس رهبة المعصية فتأتى الفواحش ما ظهر منها وما بطن! وبعد ذلك كله تتحدث عن صلاح المجتمع ورفاهية الكادحين! وتعد السمعيات ضلالة أليس ذلك نفاقا! فوق أنه باطل صريح.

٦- أما الاختلاق الواضح فهو ما حرف به الباحث الكلم عن مواضعه فى توضيح مكانة الحكم فى الإسلام فقد قال «ص٤٢٦»: إن موقف اليمين يجعل السياسة ملحقا لعلم أصول الدين القديم وليست أصلاً من أصول التوحيد فهى أقرب إلى الفقه والشريعة منها إلى أصول العقائد النظرية مما يهبط حماس الناس السياسى لما كانت السياسة فرعا لا أصلاً.

وهذا الكلام ظاهر البطلان من جميع نواحيه فمن ناحية أولى نجده يقول: إن السياسة ملحق لعلم أصول الدين القديم وعلم الأصول فى العقيدة ليس له أصل وملحق فكل ما فيه لباب جوهرى وكل المسلمين يعلمون أن شهادة أن لا إله إلا الله معناها أن الحاكم المشرع هو الله وحده والحاكم الإنسان ملزم باتباع ما قال الله فكيف تكون قضية الحكم ملحقا تابعا وليست من الأصول.

أما الناحية الثانية فقوله: «إن السياسة أقرب الى الفقه والشريعة فهى فى مرتبة أقل، والفقه والشريعة أحكام واجبة الأداء محتمة التنفيذ، فكيف تكون أقل وأضأل! الميراث والطلاق والبيوع والمعاملات والحدود أليست ذات أحكام مفروضة يجب الالتزام بها؟ فإذا كانت السياسة بابا من أبواب الفقه فكل ما جاء به بشأنهما فى القرآن والسنة محتوم التنفيذ ولن تكون أحكام السياسة الفقهية فى مرتبة أقل لأنها جاءت فى كتب الفقه!

وإذن فالسياسة فى الإسلام أصل من أصول العقيدة باعتبار أن الحكم لله وحده وما فرضه من شرع مطاع وهى باب من أبواب الفقه كأبواب المعاملات والبيوع والأحوال الشخصية والحدود! وكلها ذوات قوانين لازمة الاتباع! فكيف تكون السياسة فى الإسلام فى مرتبة أقل!

ويجىء الافتراء مرة ثانية حين يزعم الباحث أن السياسة فى الإسلام مركزة حول شخص الإمام وصفاته ومناقبه أما المؤسسات الدستورية مثل بيت المال، والخراج، والحسبة، والقضاء، والولاية، وحق الشعب فى الرقابة فلا يدخل فى السياسة لأنها انحصرت فى شخص الإمام وحده كما انحصرت العبادة فى الله!

وهذا الكلام افتراء صارخ لأن الكاتب يعلم أن كتاباً ردّد مثل هذه الأقوال وهو كتاب الإسلام وأصول الحكم وجوبه بالرد الذى يوضح مكانة السياسة فى الإسلام وتعداد الكتب الفقهية المؤلفة فى دراسة: بيت المال، والخراج، والحسبة، والقضاء، والولاية، حتى عرف كل من يجهل أن السياسة الشرعية فى الإسلام بابٌ مستوفى الفصول مقرّر الأحكام متعدد المسائل فهل يجئ بعد ذلك من يتحدث عن السياسة فى الإسلام ليقول: إنها مركزة حول شخص الإمام وحده!

لقد فند الإمام محمد الخضر حسين الدعوى التى لاكتها صاحب الإسلام وأصول الحكم وجاء اليوم يرددها من لا صلة له بالبحوث الفقهية فقال الإمام الخضر فى وضوح[٢]: إن العرب وقفوا على مترجمات كتب السياسة لأرسطو وأفلاطون وأن الكندى ألف

---

(٢) نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم للشيخ محمد الخضر حسين ص ١٧.

في السياسة إثنى عشر مؤلفات وأحمد بن الطيب ألف كتاب ( السياسة الصغير ) وكتاب ( السياسة الكبير ) والفارابي أصدر ثمانية مؤلفات في السياسة منها : كتاب ( السياسة المدنية ) وهو يتحدث عن الاقتصاد السياسي بلغة العصر الحديث، والإمام الماوردي قد كتب عن الأحكام السياسية في كتاب ( سياسة الملك ) والطرطوشي قد أصدر كتاب ( سراج الملوك )، ومضى الحضير يعدد أسماء الكتب السياسية في الفقه الإسلامي في سجل حافل وكلها تدور حول أدق المسائل الدستورية في الحكم، فإذا كان الأستاذ المؤلف لا يطيق صبرا على مراجعة كتب الأقدمين فَلْيَذْهَبْ إلى كلية الحقوق بجامعة القاهرة، ولا أقول كلية الشريعة بالأزهر؛ لأنه يجد في نفسه صدودا عنها، يذهب ليرى عشرات الرسائل عن الحكم في الإسلام أشرف عليها الأئمة محمد أبوزهرة، وعبدالوهاب خلاف، وعلى الخفيف، وعبدالرحمن تاج، ومحمد يوسف موسى، وغيرهم، وكلها تتحدث بإشباع عن كل ما عناه الكاتب من مسائل : بيت المال، والخراج، والحسبة، والقضاء، والولاية، فالقول بأن السياسة في الفقه الإسلامي تركزت حول شخصية الحاكم وحده، مجرد اختلاق مريب! وإذا كان الكاتب لا يعرف شيئا عما قاله الفقهاء في هذا المجال، وأخطأ لجهله فلماذا يكتب فيما لا يعرف ولماذا يغرق هكذا في شبر ماء؟

٧ـ يرى المؤلف أن الإشادة بالعصر الأول رجوع للوراء «ص٢٩»، وأن مقولة «خير القرون قرني» تبعد الشعب عن مساره، ويفيض في انتقاص هذا الرجوع؛ لأنه يدعم موقف الرجعية، والكاتب ينص على عصر النبوة والصحابة زاعما أنه العصر الذي ينادي اليمين باحتذائه تأييداً للرجعية! وأنا أقول للكاتب : أنت تدعو للحرية والمساواة والإخاء وتدافع عن مسئولية الحاكم وتعده فردا يخطئ ويصيب، وهذا هو اليسار المحبوب في رأيك! فلماذا تنكر عهد النبوة والصحابة وتعد العودة إليه رجعية، وهو عهد : محمد، وأبي بكر، وعمر ممن كانوا المثل الأعلى للإخاء العادل والمساواة الحقة، وكان صوت المعارض مجلجلا يسمعه الخليفة الراشد فيذعن إليه إذا وجد الحق في جانبه! لماذا لا تحب الرجوع إلى عهد جاء بأحسن نماذج في العدالة والحرية والمساواة وتعد ذلك تأخراً! لو كنت مستقيم المنهج لقلت : إن بعض عهود الإسلام بعد العصر الزاهر قد تنكب حقائق الإسلام في أمور يجب أن نلتفت إليها وأن الرجوع إلى عصر النبوة والصحابة يمثل أحسن التطبيق العادل لمبادئ الحرية والمساواة! أما التهكم بمقولة : «خير القرون قرني»، ومحاولة الارتماء الذليل في أحضان الماركسيين باعتبارهم طوق النجاة فهذا مما لا يستقيم مع ما تتظاهر به من الدعوة إلى الحرية! الحرية تحققت لدى المسلمين في عهد محمد - ﷺ - وصحابته، فلماذا تجعل العودة لهذا العهد رجعية تجني على الأمة الإسلامية! أتستطيع أن تقارن فظائع لينين، وستالين، وخوربانشوف، بعدالة : محمد - ﷺ -، وأبي بكر، وعلي! وتقول : إن التاريخ لا يسير إلى الوراء وهذا حق، ولكن دساتير الرحمة والمساواة والعدالة والإخاء، ليس اتباعها سيرا للوراء بل هي مصابيح تضيء الطريق إذا أدلهم الظلام.

ثم ما هذا الخلط حين تقرر أن المسلم يعيش حياتين : حياةً في مصنعه ومتجره يعمل ما شاء طبقا للنظام الرأسمالي، وحياة دينية في معبده يقيم الصلاة ويمارس الشعائر! وكأنك تجهل أن ممارسة الشعائر هي الواقع الأكبر لحياة الجد والكفاح! فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والصوم دعوة إلى

المشاركة الوجدانية ليحدث التعاطف بين الغني والفقير وارتقاء عن مهاوي الفحش والسباب؛ لأن من لم يدع قول الزور، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه، والزكاة هي التي تنصف أهل الفقر من أهل الغنى فالكل في حق الحياة سواء! لا أدرى كيف يدعي كاتب معرفة الإسلام، وهو يجهل أنه رقابة دقيقة من الله على عبده، ويهديه طريق الخير ويبعده عن طريق الشر؟

إن التاجر المسلم في متجره، والصانع المسلم في مصنعه، لا يغفل عن دينه طرفة عين، وقد يوجد من يغفل، ولكنه حينئذ لا يلتزم بمنهج الإسلام! وإني لأدعوك إلى قراءة آثار الأفغاني، والكواكبي، والسنوسي، والمهدي، وإقبال، ومحمد بن عبدالوهاب الذين أشدت بهم عقب هذا الكلام لتعرف كيف فهموا الإسلام؟ وكيف صوروه في كتبهم؟ أما أنهم يساريون فمن كان قبل ظهور الشيوعية فهو لا يعلم عنها شيئا ومن عاصرها كمحمد إقبال فقد لفظها وأكد أن الإسلام هو المنقذ الأوحد! يا أخى لا تتمسح بهؤلاء الشرفاء واكتب أسماء من يلتقون معك في طريق لتكون الفواصل واضحة دون التباس.

ثم ماذا أيضاً؟

وصل الكاتب إلى ما مهد له وألح في الحصول عليه حين قال «ص٣٢»: (إن مهمتنا هي تطوير فكرنا الإصطلاحي الحديث ودفعه خطوة للأمام فاختيار مصر بظروفها الحالية وفي مرحلتها الراهنة هو اختيار اليسار ومن ثم كان اختيارها الفكري هو اليسار الديني الذي بدأ في حركات الإصلاح على مستوى ثقافتها والتزامها بقضايا العصر).

فالكاتب يعترف هنا أن اليسار الديني هو الذي بدأ في حركات الإصلاح على مستوى ثقافتها والتزامها بقضايا العصر.

ونحن لا نعيش في جحور النمل حتى نجهل حركات الإصلاح الديني التي آتت أكلها الأولى، ومازالت تنتظر بقية الجنى المأمول ولا أخترع أسماء لزعماء هذه الحركات ولكني أرجع إلى باحث دقيق هو الأستاذ أحمد أمين حيث تحدث عن: (زعماء الإصلاح الحديث) في كتابه المعنون بهذا الاسم فجعل منهم: محمد بن عبدالوهاب، وجمال الدين الأفغاني، وخير الدين التونسي، ومدحت باشا، وعلي مبارك، وأحمد خان، والسيد أمير علي، وعلي مبارك، ومحمد عبده، والنديم، فهل في هؤلاء من قال: إنه يساري أو هل في هؤلاء من يعترف بأن في الإسلام يسارا أو يمينا؟ حتى تقول إن اليسار هو الذي قاد حركات الاصلاح وإذا اعترفت شعوب أوروبا الشيوعية أن اليسار هو الذي دمرها واعترفت الدولة الشيوعية الأولى بذلك! فهل تقدر أنت على أن تبعثه من جديد.

ثم بعد ذلك مباشرة يقفز إلى الغرض الصريح فيقول: إن المعركة بين الماركسية والدين مفتعلة!! يقول ذلك بهذه الصراحة الواضحة، كأنه لا يعلم أن الماركسي ينكر رب الوجود!! ويقول إن الدين أفيون الشعوب، فمن الذي افتعل المعركة إذن؟ قوم يؤمنون بكتابهم، ومتمسكون بتعاليمه، ويعبدون ربا خالقا رازقا، وقوم يكفرون صراحة بكل ذلك ويواجهون المسلمين في القوقاز وأفغانستان والشيشان بالغزو والاحتلال! ثم تقول: إن المعركة مفتعلة! وأن القصد بها معاداة الحركات الوطنية؟ لينهب الأغنياء الثروات! تعال معى إلى زعماء الحركات الوطنية في مصر منذ: أحمد عرابى، ومصطفى كامل، وسعد

زغلول، إلى الآن هل عاداهم أحد باسم الإسلام أو أن الإسلام كان العامل الأول في تأييد هذه الحركات؟ أين تعلم عرابي؟ وفي أي معهد نشأ سعد؟ وعلى أي منبر دوت خطب الثورة المصرية!! ثم من قال إن الرأسمالية والدين متفقان فيما بينهما على الوسائل «ص٣٣»، والإسلام برئ من الرأسمالية كما هو برئ من الشيوعية؛ لأنه مذهب رباني مستقل! ومن آيات التخبط الماركسي في هذا المجال ما زعمه الكاتب من أن أغنياء المسلمين هم الذين كانوا يجهزون جيوش المسلمين بأموالهم! مضافا إلى ما زعمه كاتب آخر من هؤلاء، في قوله: إن أتباع محمد كانوا من الضعفاء والفقراء الذين وجدوا في الدعوة الإسلامية ثورة على الأغنياء!! وكل ذلك هراء زائف فالإسلام دين عام يجمع الغني والفقير وكل يساعد في سبيله مما يملك! ولسنا في حاجة إلى أن يختار كاتب ما أسماء بعض الأغنياء من الصحابة ليجعله دعوة رأسمالية، ويختار كاتب آخر بعض الفقراء ليجعله دعوة شيوعية! في دين كان يقف فيه عمر، وبلال، معا في مكان واحد ولم يمنع هذا الوضع أمير المؤمنين عمر من أن يقول عن أبي بكر وبلال: «أبوبكر سيدنا وقد أعتق سيدنا!! يا قوم! دعوا أسماء الصحابة في صفحات جهادهم مشرقة ناصعة ولا تلتمسوا الأباطيل!».

٨ـ أعاد الكاتب في إسهاب مرة ثانية ما قرره من أن الدين ليس عكوفا على الغيبيات، وليس صلاة وصياما وزكاة وحجا وإنما هو عمل، وحرية، وتحرير للأرض، وقضاء على التخلف ومحاربة للاستعمار، والزود عن حقوق المستضعفين، إلى صفحات كتبها في هذا المجال والكاتب هنا يحارب في غير عدو لأن الدين له كتاب يقرر كل هذه الحقوق ويُتلى على الناس صباح مساء، وتفسر آياته في الإذاعات والصحف بما لم يدع مجالا لخفاء حقائقه! وكل ما ذكره عن الدين معلوم بالضرورة للمسلمين، لا لفريق منهم ولم يأت الكاتب فيه بجديد وكل الذين قاوموا الاستعمار الأوروبي في مصر والجزائر والشام كان علماء الاسلام في طليعتهم، بل إن الجزائر لم تتحرر إلا بقيادة عبدالحميد بن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، وأعضاء جماعة الجهاد الإسلامية هناك، ثم تحدث عن العبادات حديث من يجعلها في الصف التالي لا في الصف الأول، وقد سبق أن أوضحت أن الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائل لغايات عملية لا يتحقق أداؤها إلا لتحقيق ما تصل إليه من غايات! وقوله: إن الشهادة بوحدانية الله تعني رفض الآلهة المزعومة مثل: الجاه والسلطان، والربح، قول مشتهر قرره علماء التوحيد، وكتبوا فيه عشرات الصفحات بحيث أصبح من السذاجة المفرطة أن يذكره باحث معاصر وكأنه شئ جديد! وحديثه عن الروحانية والمادية حديث مستهلك قرره جمال الدين، ومحمد عبده ورشيد رضا، وأبوالحسن الندوي، ومحمد الغزالي، وعشرات الكاتبين مما يعد من البدائة وآفة الكاتب أنه لم يعش مع المتمسكين بالكتاب فيعلم حقيقة ما يقولون ويفعلون، ولكنه قرأ عن الإسلام كلام الموتورين، فظن الصحة فيما يقولون، وهو حين يزعم التفرد بالمناداة بالحرية والعمل والإخاء والكسب ومحاربة الاستغلال والربا وتكديس الأموال، يكون كدون كيشوت حين يحارب طواحين الهواء، وليأخذ أي كتاب من الكتب المقررة على التلاميذ ليجد ما يدعو إليه وقد صار من قبيل البدهيات! واتضح

للكاتب أن يطالع ما كتبه الأجلاء من علماء الإسلام ليعرف أنهم أكثر إدراكا منه فيما يقرر من الحقائق المسلمة، ويزيدون عليه شيئا مهما للغاية هو أنهم متواضعون لا يزعمون التوجيه الكاذب والادعاء المغرض، ولا تلمس في أقوالهم مظاهر الاستعلاء! بل إنهم ذهبوا إلى أكثر مما ذهب إليه من مذاهب الإصلاح وعلموا أكثر مما يعلم ولذلك كانوا محل القدوة وموضع الاحتذاء.

وأخيرا كتب الباحث فصلا تحت عنوان: «المال في القرآن» لم يأت فيه بجديد لا يعرفه المسلمون مع اصطناع أسلوب دعائي هو إلى البهرجة والتعالم أقرب منه إلى التحليل والإقناع، ثم اهتدى في نهايته إلى حقائق زعمها جديدة، ليست مما يعرفه اليمينيون، وكلها مما عرف من الدين بالضرورة وأنا أسجل هذه الحقائق التي زعم جديتها لأسأله: هل يمترى فيها أحد؟ وهل وجد معارضا لها ممن جعلهم خصومه في الرأى؟ ثم تاركا البند الأول الذي تحدث فيه عن الرأسمالية وكأنها من صميم الإسلام وهو خطأ يعرف منحدره ولكنه يصر عليه ليجد مجالا للقول.

١ـ لقد أكد الدارس في نهاية البحث أن المال مال الله وليس ملكا لأحد.. ومن حق السلطة الشرعية المصادرة لنفع العامة فهل نازع في هذا أحد؟

٢ـ أكد أن المال حركة اجتماعية بين أفراد الجماعة لا يجوز اكتنازه واحتكاره، فهل نازع في ذلك أحد؟ إن المجلدات التي أصدرها مجمع البحوث في قرابة عشرين عاما، تؤكد ذلك بأقلام من هم في مرتبة أساتذته، ولهم بحوث شافية تؤكد ذلك بالدليل أزهريون ومدنيون! وقد أوضحوا هذه الحقائق بما لا يستطيع أن يصل إليه! ففي أي ميدان يحارب؟ وإذا لم يصبر على قراءة هذه المجلدات فليكتف بالأجزاء الأولى.

٣ـ المال وسيلة لإظهار النشاط والجهد وليست قيمته في ذاته بل في قيمة العمل، و هذا هو المقرر المتعارف ولا جديد به.

٤ـ المال ليس دافعا إلى العمل في صورة ربح وهذا ما نقف أمامه لنقول! إذا كان العمل مشروعا والربح طبيعيا لا استغلال فيه ولا فحش فذلك مشروع لا اعتراض عليه، والاستثمار لا يكون إلا من شئ يستثمر فهذه المقولة تحتاج إلى تصحيح.

وفيما تقدم نقض ما توهمه الباحث من أفكار مخطئة لا تستند إلى دليل ونلخص ما نريد التركيز عليه في هذه النقاط:

١ـ لا يوجد شئ اسمه اليسار الإسلامي، فالمسلمون أمة واحدة يتفقون على مقررات مستمدة من كتاب الله وسنة الرسول وما يخالف هذين ليس بإسلام.

٢ـ أفكار الكاتب كلها مرددة في كتب الماركسيين ومتعالمة لدى القراء ولم تأت بجديد ينسب إليها، فمصادرتها لا تحجبها عن القراء، والرد عليها بما تقدم كاف لدحضها وإذن فلا مصادرة بل تصويب وتسديد.

٣ـ إن سقوط الشيوعية بعد افتضاح تمويهاتها الخادعة كان دليلا عمليا على فساد ما يهرف به عملاؤها، وأولى بهم أن يبحثوا عن أسباب السقوط لا أن يكرروا ما لهجوا به عن عناد، فالقول الباطل لا يؤدى إلا إلى الباطل وقد وضح الطريق.

# شئون المرأة، والوثب الأشل على الإسلام

للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني

**اتخذ خصوم الإسلام في الغرب والشرق، الحديث عن شئون المرأة المسلمة، طريقا لوثبهم الأشل على الإسلام، وقد خاض في وحل هذا الطريق أبناء الغرب أنفسهم في بدايات هذا الوثب الأشل، ثم نجحوا في تكوين عملاء لهم من بني جلدتنا، وفينا سماعون لهم، فتولوا آثام هذه المهمة، إما جهلا وتطفلا، وإما جهالة وعنادا.**

**وجميعهم سار في الطريق مكبا على وجهه، ورجلاه إلى أعلى، فأنى يبصرون.**

وفي هذه الفترة، التي نشط فيها الغرب في الترويج لـ « العولمة » التي يدعو إليها، ازداد التآمر على الإسلام، وازداد الاهتمام بشئون المرأة بوجه عام في سياساتهم المعلنة ولكن المقصود لهم أولاً وأخيراً، هو فتنة المرأة المسلمة، والكيد للإسلام من خلال الدعاية الكاذبة، وهي رعاية المرأة، وتمكينها من حقوقها، وتوفير الحياة الكريمة لها.

وفي هذا الإطار عقدت عدة مؤتمرات دولية في عواصم مختلفة. تلف وتدور حول ما يسمونه بـ « تحرر المرأة » وإنصافها، وجعلها أكثر فاعلية مما هي عليه الآن.

والملاحظ على هذه المؤتمرات جميعا ما يأتي:

● سيطرة الفكر العلماني الغربي على ما يلقى فيها من بحوث، وما يصدر عنها من توصيات.

● أن أعضاء هذه المؤتمرات يختارون بدقة تامة حيث يرى المنظمون لهذه المؤتمرات، في الأعضاء المختارين انقياداً واضحا للأفكار التي تناقش فيها، والتوصيات التي تصدر عنها.

(*) يعود الأستاذ الدكتور عبد العظيم المطعني لاستئناف سلسلة مقالاته حول افتراءات المستشرقين في عدد قادم بإذن الله.

● إن الإسلام بتوجيهاته وقيمه يكون في هذه المؤتمرات حاضراً - غائباً:

يكون حاضراً من حيث إنه المقصود بالوثب الأشل عليه، وتشويه حقائقه، ووضع المتفجرات في كيانه ويكون غائبا من حيث حجب بضاعته النفيسة عن الأنظار، ومنع قيمه ومبادئه الرفيعة من الانتشار، لأنهم يدركون أن باطلهم وزيفهم لا يقر له قرار أمام مواجهة الإسلام، ومهما طلوا ذلك الباطل وموهوه.

ومن قبل كانوا يحاولون وثبهم الأشل على الإسلام من خلال شئون المرأة من الولائح الآتية:

- إرث المرأة من أبيها أو زوجها.

- جَعْل العصمة بيد الزوج دون الزوجة.

- تعدد زوجات الرجل، وحظر ذلك على المرأة.

- شهادة المرأتين تعادل شهادة رجل واحد.

- دية المرأة في القتل الخطأ نصف دية الرجل في بعض المذاهب الفقهية.

- حظر سفر المرأة بدون محرم سفراً يُخشى عليها فيه من الأخطار، لو كان سفر طاعة.

- قوامة الرجال على النساء.

- عدم تولي بعض المناصب العليا في الدولة.

- حظر الاختلاط المشبوه.

- إلزام المرأة بستر محاسنها ماعدا الوجه والكفين أو «حجاب المرأة».

- اشتراط موافقة ولي المرأة في عقد النكاح.

- حصول إذن الزوج إذا أرادت زوجته سفراً.

وبتأثير هذه المؤتمرات السيئة السمعة، أضاف ادعياء أنصار المرأة مشكلاتٍ أخرى مفتعلة، شملت:

- عمل المرأة وتوسيع نطاقه.

- إطلاق حرية المرأة من كل القيود.

- إلغاء اعتبار عدة المرأة من طلاق أو وفاة مانعًا من زواجها الفوري برجل آخر غير المطلق والمتوفى بشبهة أن تقدم الطب والكشف المبكر عن خلو الرحم من الحمل، جعل العدة غير ذات موضوع!

- تحلل الزوجة من أية حقوق قبل الزوج.

والنظر في هذه «القائمة» يكشف بكل وضوح أن كل واحدٍ من مجموعة القائمة يضاد تشريعا من تشريعات الإسلام ويمهد لحدوث خصومة عنيفة بين الرجال والنساء، وبخاصة الأزواج والزوجات.

والهدف هو إفساد العلاقات العائلية، وإحداث أفتك أنواع الخلل فيها، ليصيبوا الأمة في أقتل مقاتلها.

ولست أدري ماذا كان سيقول خصوم الإسلام في شئون المرأة في الإسلام، لو كان موقف الإسلام من شئون المرأة هو موقف غير الإسلام منها. وموقف غير الإسلام منها هو موقف الإسلام.

أعني لو كان الوضع معكوسا، وأضيف إلى الإسلام مساوىء غيره في شئون المرأة، وأضيف إلى غير الإسلام محاسن الإسلام في هذا المجال.

لسنا ندري ماذا كانوا سيقولون؟ لأنهم مع ما

للإسلام من محاسن يكثرون التحامل عليه، ويتهمونه -زوراً- بأنه ظلم المرأة؟ ثم نَصَّبُوا أنفسهم حماةً لها من ظلم الإسلام إياها.

ولو كان لهم سُلَّمٌ فى السماء، أو نفق فى الأرض، فجدوا فيهما صاعدين هابطين، ما عثروا على سيئة واحدة فى الإسلام تصاب بها المرأة.. ولما ظفروا بحسنةٍ واحدةٍ فى أى نظام غير الإسلام، لم يظفروا بأحسن منها فى تشريعات الإسلام.

ومحاسن الإسلام فى شئون المرأة لا تكاد تُحصى، تجد ذلك فى كتاب الله العزيز، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وتراه فى السنة النبوية الشريفة، وهما المصدران اللذان شيد عليهما صرح الإسلام الشامخ.

ففى كتاب الله العزيز

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(١).

فأنت ترى أن الله ـ عز وجل ـ يثبت الرجال على المعاشرة الحسنة للزوجات حتى فى حال كراهة الزوج لزوجته، ويزيد الأمر ترغيبا بأن كراهية الإنسان لشيء ما ليس دليلاً على شريته، بل قد يجعل الله فى هذا الشيء المكروه خيراً، وليس خيراً فقط، بل خيراً كثيراً.

ثم ينهى الله الأزواج إذا استبدلوا زوجات مكان زوجات ألا يقع منهم ضرر على الزوجات اللاتى يطلقونهن وألا يأخذوا شيئا مما سبق إعطاؤه لهن، ويحذرهم من ذلك تحذيراً شديداً، فيقول جل شأنه:

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾(٢).

ولما كان الرجل هو الذى يتقدم لخطبة المرأة، ثم يتم مراسم التزوج بها، جعل الإسلام العصمة فى يده، لأنه هو الذى أنشأ العلاقة الزوجية بإرادته الحرة، ورغبته الخالصة، فهو إذن الذى ينهى هذه العلاقة لأسباب معتبرة شرعا. وهذا هو أحد معانى قوامة الرجال على النساء، ومع هذا الحق المقرر شرعًا للزوج، فإن الإسلام لا يترك الزوج يتعسف فى استعمال هذا الحق، بما يلحق بالمرأة ضرراً، وإنما أحاط استعمال الزوج لحقه هذا بسياجٍ متينٍ من الأخلاقيات الفاعلة، التى طالب الشرع بها الزوج، ثم ضماناتٍ جعلها بيد الزوجة تدفع بها عن نفسها الضرر إذا أخل الزوج بتلك الأخلاقيات الفاعلة، وهذا كله يكون فى حالات نشوء الخلاف فى العلاقات الزوجية بين الزوجين:

فالأخلاقيات الفاعلة، التى ألزم بها الإسلام الزوج فى حالات النزاع تتلخص فى توخى العدل ورفع الظلم من أى نوع كان وترى هذه الأخلاقيات مبثوثة فى عديد من آيات الكتاب العزيز، منها ما تقدم ذكره من نهى الأزواج عن

---

١- النساء، الآية ١٩.

٢- النساء، الآية ٢٠.

أخذ شيء مما أعطوه للزوجات المطلقات.

ومنها قوله عز وجل:

﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾[3].

فقد حرّم الله على الزوج الباغض لزوجته أن يمسكها اضرارًا بها، وإنما عليه أن يخلي سبيلها لتحل لغيره من الأزواج.

ومنها قوله تعالى:

﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾[4] يعني في حالات إنهاء الحياة الزوجية، فينبغي على الزوجين إنهاؤها بالحسنى دون أن يقع على المطلقة حيف.

ومنها قوله عز وجل:

﴿ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾[5]، فهذا إلزام للأزواج بتوخي العدل إذا تعذر استمرار الحياة الزوجية.

ومنها أن الله فرض على الزوج المطلق متعة تناسب مقدرته المالية يبذلها للمرأة إذا طلقها، وهذه مواساة جميلة من الإسلام للزوجة في حالة الطلاق، لتواجه مشقة الحياة الطارئة عقب الطلاق. وفي ذلك نزل ـ قوله تعالى ـ:

﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾[6].

وإذا كانت المطلقة حاملا أو مرضعًا استمر الإنفاق عليها على مطلقها حتى تضع حملها، وحتى يفطم الطفل، ولها حق الامتناع عن الإرضاع إذا لم ينفق عليها المطلق، لأن الإرضاع تجب تكاليفه على الأب لا على الأم.

ومن محاسن الإسلام أنه يضن أن تعرض الخلافات الزوجية في ساحات القضاء، لأنها لا تخلو من أسرار ينبغي ألا تفشو بين الناس.

لذلك شرع الإسلام مبدأ «التحكيم العائلي» في فحص أسباب الخلاف والتوفيق بين الزوجين، وقد حمل هذا المبدأ قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾[7].

والحكمان من أهلي الزوجين كالآباء والأخوة، وهؤلاء هم أقدر على استكشاف الحقائق والتوفيق بين الزوجين من القضاء، وأحفظ للأسرار، وعرض الخلاف عليهما أولى وأسبق من عرضه في ساحات القضاء.

وفي جميع الأحوال نرى القرآن العظيم يتوجه بهذا الأمر إلى الزوجين وأهليهما في حالات النزاع وفي غيره:

---

٣- سورة البقرة الآية ٢٣١.
٦- البقرة الآية ٢٣٦.
٤، ٥- الطلاق الآية ٦.
٧- النساء الآية ٣٥.

﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[8].

وفوق هذا وذاك نرى الإسلام يجعل للمرأة ـ إن كانت زوجة ـ ربع ما تركه زوجها بعد موته إذا لم يكن له ولد وارث منها، أومن غيرها. فإن كان له ولدٌ وارثٌ فلها ثُمن ما ترك زوجها قل أو كثر، مهما كانت غنية، كما لم يكلفها الإسلام بالإنفاق على نفسها وهي في عصمة الزوج ولو كانت أغنى منه.

وجعل لها الصداق (المهر) هبةً خالصةً تفعل به ماتشاء من الأعمال المشروعة، وليست مطالبة بأن تنفق منه درهمًا واحدًا في تأسيس منزل الزوجية بل على الزوج أن يهيىء لها المنزل المناسب. وفي ذلك ورد قوله تعالى:

﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾[9].

فإن استأثرت به في خاصة شئونها فليس لأحد مشاركتها فيه، لا زوجًا ولا أبًا.

وما يجري في هذا العصر من اشتراك الزوجة في تأسيس بيت الزوجية من المهر وغيره، إنما هو تطوعٌ محضٌ، ولا إلزام فيه شرعًا.

ثم جعل لها الإسلام ذمةً ماليةً مستقلة، ولم يجعل لأحد سلطة معها فيما تملك، ولا حجرًا عليها من أحد يمنعها من التصرف فيه بإرادتها الحرة.

أما في السُّنة النبوية الشريفة فما أكثر التوجيهات والتوصيات بالمرأة في جميع مراحل حياتها وأوضاعها ومن هذا ما قاله ـ ﷺ ـ:

«النساء شقائق الرجال»[10] ولا يخفى ما في كلمة «شقائق» من معاني التواد والتراحم والتعاطف والتعامل بالحُسنى ومنه ما ورد في خطبة «حجة الوداع»، كقوله ـ ﷺ ـ: «استوصوا بالنساء خيرًا»[11].

ومما يذكر بجدارة أن الإسلام أعطى المرأة حق طلب التطليق جبرا على زوجها إذا وقع منه عليها ضرر متكرر، فإذا ثبت هذا الضرر بطرق الإثبات الصحيحة فعلى القضاء أن يستجيب لطلبها، ويفرق بينها وبين الزوج الضار مالم يكف عن الضرر ويعاملها بالمعروف.

وتعدد الزوجات، الذي يعيبونه على الإسلام، هو من تشريعات الطوارىء، التي تحمي المجتمع من الخلل والانهيار الخلقي وهو في الإسلام له ضوابط حكيمة، والرجل حين يعدد زوجاته لحاجة معتبرة شرعا يعددهن من النساء لا من جنس آخر فهو إذن في مصلحة النساء وليس ضدهن، وفي أوروبا نادى به المصلحون في مناسبات عديدة:

فقد عقد في فرنسا مؤتمر عام ١٩٠١م كان موضوعه البحث عن أمثل الطرق للحد من

٨- البقرة الآية ٢٣٧.

٩- النساء الآية ٤.

١٠- كشف الخفا، (٢/٤٥٣).

١١- البخاري (٧/٣٤)، وابن ماجه ص ١٨٥٩.



الإنجاب غير الشرعي، الذي كان قد بلغ في مقاطعة واحدة خمسين ألف طفل اكتظت بهم الملاجيء الخيرية وانتهوا إلى أن العلاج الحاسم لهذا الفسق هو إباحة تعدد الزوجات.

ونادى به بعض الأساقفة في انجلترا كعلاج للخيانات الزوجية وكثرة المواليد غير الشرعيين.

ونادوا به في ألمانيا، وبخاصة النساء للقضاء على العنوسة والفسق، وفشوا الأمراض الناتجة عن العلاقات القذرة بين الرجال والنساء، وبين الشباب من الجنسين.

وقد أكد هذا الاتجاه مؤتمر الشباب العالمي في ميونيخ بألمانيا عام ١٩٤٨م.

أما حظر سفر المرأة بلا محرم فهذا من حرص الإسلام على حمايتها من الأخطار، وليس لعدم الثقة فيها كما يقول الحاقدون على الإسلام.

والتفاوت في الميراث في بعض الحالات بين الذكور والإناث ليس المقصود منه احتقار الإناث أو حرمانهن، بل يرجع هذا التفاوت إلى تفاوت الأعباء المالية بين النوعين فالذكور مكلفون شرعا بالإنفاق على الأسرة وبذل الصداق للزوجة ولم يكلف الإسلام المرأة بالإنفاق حتى على نفسها، فنفقتها على أبيها قبل الزواج، وعلى زوجها بعد الزواج حتى لو كانت أغنى منه ونصيبها من الميراث أشبه ما يكون برصيد إضافي تواجه به الأزمات الطارئة.

وأما تأديب الزوج زوجته ولو بالضرب الخفيف، فإن من يعيب هذا على الإسلام فليرجع إلى الآية الكريمة:

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾(١٢)

ويسأل نفسه هذا السؤال:

- من هي الزوجة التي تُضرب؟ وإذا أصاب في الجواب؛ فإن الزوجة التي تضرب هي الزوجة الفاقدة الإحساس، التي لا يجدي فيها وعظ، ولا يؤثر في مشاعرها هجر.

كما أن الإسلام لم يحتقر المرأة حين جعل ديتها في القتل الخطأ نصف دية الرجل، لأن الرجل إذ قتل خطأ أصاب أسرته ضرر مادي جسيم، أما قتل المرأة فلا يبلغ ضرره مبلغ ضرر قتل الرجل، والدية تعويض عن الضرر، لذلك نحا التشريع الإسلامي هذا المنحى العادل، الذي لا ضرر ولا ضرار فيه.

وعمل المرأة خارج البيت إذا احتاجت هي إليه، أو احتاج إليه المجتمع فإن الإسلام لا يمنعه. وعملها في إدارة شئون البيت ورعاية الأبناء والبنات هو الأصل، فهي سيدة هذه المملكة العظيمة. ولما أخلت بها المرأة المعاصرة أصاب الأسرة والمجتمع ضرر جسيم. وصار النشء -إلا من عصم الله- مخلوقا مشوه

---

١٢- النساء، الآية ٣٤.



الفكر والسلوك، وإن صحت أبدانهم، وطالت قاماتهم، لكنهم فى خواء فكرى قاتل، وانتحار خلقى مدمر.

أما الأم العاملة فما أكثر تعرضها للمتاعب، وتوتر الأعصاب وفقدان الراحة الجسمية والنفسية.

وفى أمريكا أجرت بعض معاهد استطلاع الرأى عام ١٩٩٧م استفتاء نموذجياً بين النساء العاملات، وبين أزواج تلك النساء. حول:

هل الأفضل عودة المرأة إلى البيت والتفرغ لشئونه أم الاستمرار فى العمل؟.

وكانت النتيجة أن ٨٦٪ فضلن العودة إلى البيت. أما نتيجة استفتاء الأزواج فكانت أقل من هذا بقليل.

أما جعل شهادة الرجل بشهادة امرأتين فى الديون، فلأن هذه المعاملات تجرى بين الرجال، وفى مجالسهم. والمرأة فى الإسلام لا تزاحم الرجال فى مجالسهم، فلهن ميدان آخر عظيم الشأن يعملن فيه عملا يعادل الجهاد. فإذا شهدت فى معاملة مالية هى فيها قليلة التجارب، فربما نسيت معالم ما شهدت فيه، لذلك اشترط الإسلام ضميمة امرأة أخرى إليها، يتعاونان معًا عند أداء الشهادة على التذكر والمراجعة، صونا لها أن يذكرها الشاهد الرجل، وهو أجنبى عنها.

هذا، وقد جهل الحاقدون على الإسلام أنه خص النساء بالشهادة فى أمور لم يبح للرجال الشهادة فيها، وهى الشئون الخاصة بالنساء، فلماذا إذن لم ينعوا حظ الرجل هنا ويتباكون عليه كما تباكوا بدموع التماسيح على حظ المرأة؟!

والعجب كل العجب لمن نادين فى مؤتمر تحرير المرأة إياه بإلغاء عدة الطلاق والاكتفاء بالكشف الطبى على أرحام المطلقات إنهن جاهلات حمقاوات، فليس علة الحكم فى وجوب العدة هى استبراء الرحم من الحمل. بل علة الحكم أمر آخر، وهى إطالة مدة العدة ثلاثة أشهر أو ثلاث حيضات، وفى خلال هذه المدة قد يراجع المطلق نفسه، ثم يتبين له خطؤه فيراجع زوجته قبل فوات الأوان.

أما استبراء الرحم من الحمل فهو حكمة تشريع تأتى بعد تطبيق الحكم، وتكون ثمرة له.

وعلة الحكم هى السبب فيه، والمنشئة له. أما حكمة التشريع فلا صلة لها بإنشاء الحكم ولا التسبب، ثم العجب كل العجب لمن طالبن فى المؤتمر نفسه أن تتساوى المرأة مع الرجل فى تعدد الأزواج، اثنين، أو ثلاثة أو أربعة؟! فمن هى المرأة التى ترضى لنفسها هذه المهانة؟ وتصبح مثل أنثى الكلاب يجتمع حولها مجموعة من الكلاب فى مواسم السفاد؟! ألهذا الحد المزرى الوقح يصل تفكير بعض المفتونات.

(يتبــع)

# المثنى بن حارثة الشيباني

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقي الدين

« قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك وأعجبني ما تكلمت به، ولكن علينا عهد من كسرى لا نحدث أحداً ونؤوي محدثاً، ولعل هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما يكرهه الملوك، فإذا أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلي بلاد العرب فعلنا »[1].

بهذه الكلمات أجاب رجل من سادة العرب وأشرافهم دعوة رسول الله - ﷺ - يوم كان يعرض نفسه على القبائل في الموسم.

ما إن سمع رجلنا رسول الله - ﷺ - يتلو قول الله - تعالى -:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2].

ما أن سمع هذه الكلمات إلا واستشعر عظمة منشئها وسننه في خلقه.

وينصر المولى دينه ورسوله على العرب كافة ويسود الإسلام وينتقل رسول الله - ﷺ - إلى جوار ربه بعد أن ترك في أمته ما إن اعتصموا به لن يضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه، وما أن ينتشر خبر وفاته - ﷺ - حتى ارتدت العرب قاطبة بحيث لم يبق لدين الله ذكر إلا في مكة والمدينة، وبعض من هدى الله ومن هؤلاء البعض كان رجلنا.. بل بطلنا الذي آثر إلا أن يقاتل بقومه من نكص على عقبيه فأعمل فيهم السيف ومضى يتعقبهم، لا يمنعه من ذلك لجوئهم إلى دولة ذات حول وطول وقوة باطشة مرهوبة الجانب، فما الذي يمنعه وهو على الحق يبتغي إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة؟!

(١) الاستيعاب (٤٩٦/٢).

(٢) سورة الأنعام آية (١٥١).

ولا يكتفي الرجل بطلب المرتدين بل يصطدم بجيوش تلك الدولة في معارك خاطفة أبلى فيها البلاء الحسن، بل ويكتب إلى الصديق يعلمه بما هو فيه ويسأله المدد.

ويملأ الفخار والإعجاب قلب الخليفة فيقول: من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه؟!

فيجيبه قيس بن عاصم المنقري حكيم بني تميم: «هذا رجل غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا ذليل العماد! هذا المثنى ابن حارثة الشيباني»[٣].

لم يكن الخليفة وهو يسأل ينتظر أو يبتغي إجابة فهو عالم بأنساب العرب إن لم يكن أعلمهم على الإطلاق، ولكنه به أراد أن يشاركه الناس إعجابه بالرجل؛ فبدلا من أن يقول: يالهذا الرجل، لجأ إلى أسلوب الاستفهام التعجبي ليحصل على إجابة تزيد الناس علما وإعجابا به، وممن تكون الإجابة؟ من حكيم بني تميم خصوم بني شيبان قبل الإسلام.

وشيبان في العرب هي من هي، إنها صاحبة الحدث الأكبر في تاريخ العرب قبل الإسلام عندما حملت لواء القبائل العربية لتلحق بفارس هزيمة مذلة في معركة ( ذي قار ) على مقربة من العراق، ومن هنا كانت جرأة المثنى في اقتحام العراق، فقد انتصر قومه على الفرس وهم على الشرك، فكيف وهم على الإسلام ؟

وبنو شيبان أحد فروع بكر بن وائل بن ربيعة، من معد بن عدنان، وكانت ديار ربيعة بين الجزيرة والعراق إلى البحرين على شواطىء الخليج الفارسي.

وما أن انتهت حروب الردة إلا وسار المثنى حتى قدم المدينة على أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - طالبا منه الإذن بالإغارة على جنوب العراق فقال له: «أمّرني على من قبلي من قومي أقاتل من يليني من أهل فارس، وأكفيك ناحيتي» فوافق الخليفة، وعاد المثنى فجمع قومه وأخذ يغير على جنوب العراق.

ولكن المثنى إدرك بحسه العسكري أن الإمبراطورية الفارسية لم تعد كما كانت كما أن العرب لم يعودوا كسابق عهدهم في الجاهلية، بل أعزهم الله بالإسلام، والعراق أرض عربية يحتلها الفرس، فلم لا تسترد هذه الأرض وينتشر الإسلام في ربوعها؟ بل لم لا يدخل الإسلام الأراضي الفارسية نفسها؟!

فبعث المثنى أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر بالمدينة يسأله المدد، ويقول: «إن إمددتني وسمعت بذلك العرب أسرعوا إلى وأذل الله المشركين، مع أني أخبرك يا خليفة رسول الله - ﷺ - أن الأعاجم تخافنا وتتقينا»[٤].

ويجد الصديق في نفسه ميلا للاستجابة لرغبة المثنى، كيف لا وقد أخضع الخليفة العرب قاطبة وأجبرهم على الإذعان للحق،

---

(٣) الاستيعاب (٣/٤٩٦، ٤٩٧).

(٤) فتوح البلدان (١٠٦)، الاستيعاب (٣/٤٩٦، ٤٩٧).



كما عاد الجيش الذى أرسله إلى تخوم الشام لحرب الروم بقيادة أسامه بن زيد، فتجنب الروم مواجهته هربا من نتائج غير مضمونة.

ويستقر عزم الصديق على حرب الفرس وغزو العراق، فكتب إلى خالد باليمامة - حيث كان قد فرغ من أمر مسيلمة الكذاب - يأمره بالمسير إلى العراق، ولم ينس الصديق أن يرسل إلى المثنى رسالة مع أخيه مسعود جاء فيها:

«أما بعد فإننى قد بعثت إليك خالد بن الوليد إلى أرض العراق فاستقبله بمن معك من قومك، ثم ساعده، ووازره، وكاتفه، ولا تعصين له أمرا، ولا تخالفن له رأيا، فإنه من الذين وصف الله - تبارك وتعالى - فى كتابه:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾(٥).

فما أقام معك فهو الأمير، فإن شخص عنك فأنت على ما كنت عليه. والسلام عليك»(٦).

ويلتزم المثنى بتعليمات الخليفة ويسرع للحاق بخالد وجيشه الذى كان قد بلغ موضعا قرب الكوفة يقال له: (النباج).

وكان من الطبيعى أن يكون المثنى من أبرز قادة جيش خالد بن الوليد، فالرجل لم يجلس مكتوف الأيدى فى انتظار قدوم خالد إنما قام بدراسة مواقع القوات الفارسية فى أنحاء العراق وأخذ يدس العيون والأعوان هنا وهناك ليوافوه بأخبار العدو أولا بأول، ساعده على ذلك ولاشك انتماؤه إلى بنى شيبان من بكر ابن وائل الذين كانت منازلهم بتخوم العراق وحوض الفرات.

وقد أدرك خالد بن الوليد مكانة المثنى وما يتمتع به من خبرات هائلة فجعله على رأس مقدمة الجيش.

ورغم إغفال الكثير من المصادر لدور المثنى بن حارثة الشيبانى فى حملة خالد بن الوليد على العراق إلا أننا نستطيع أن نؤكد أن خالد بن الوليد ما كان ليحرز هذه الانتصارات فى هذا الزمن القياسى لولا وجود المثنى بجواره، ففى أقل من أحد عشر شهرا خاض المسلمون خمسة عشر معركة بدأت فى المحرم من عام (١٢) للهجرة وحتى (١٥) من ذى القعدة للعام نفسه أوشك خلالها المسلمون على إخضاع العراق بأكمله.

فعلى سبيل المثال فقد خرج خالد بالجيش من معسكره فى (النباج) إلى (الأبلة) قاطعا مسافة (٥٠٠) كيلو متر ليتصل فى نفس الشهر (المحرم) ليسحق جيوش الفرس فى المعركة الأولى المعروفة باسم (ذات السلاسل) ومنها إلى معركة (المذار) على بعد (٢٥٠) كيلو مترا من موقع الأبلة، وهذه المعركة كانت فى غرة شهر صفر، ومن المذار يقطع (٣٥٠) كيلو مترا ليلحق الهزيمة بالفرس فى

(٥) سورة الفتح آية (٢٩).

(٦) محمد حميد الله مجموعة الوثائق (٣٧١).





( الولجة ) في ٢٢ من شهر صفر، ثم إلى ( أليس ) على بعد ( ٤٠ ) كيلو مترا حيث ألحق بالفرس هزيمة جديدة في ٢٥ من شهر صفر[٧]، وبالتالي فقد كان للمعلومات التي جمعها المثنى قبل قدوم خالد عظيم الأثر فيما تحقق من نصر.

والذي أقصده من هذا الحديث أن المثنى هو بالتأكيد الذي أعد خط سير العمليات العسكرية في العراق، بل وموقع كل معركة بالشكل الذي مكن خالد أن يسير من نصر إلى نصر في زمن وجيز على أرض لم تطأها قدمه من قبل.

وعلى أي الأحوال فقد شارك المثنى بن حارثة الشيباني في جميع الوقائع التي شهدتها حملة خالد بن الوليد على العراق ومنها: ( ذات السلاسل ) و ( المذار ) و( الولجة ) و ( أليس ) و( أمغشيا ) و ( المقر ) ثم الحدث الأعظم على الإطلاق آنذاك وهو فتح ( الحيرة ) حاضرة العراق، ثم ( المصيخ ) ثم ( الثنى والزميل ) و( الفراض )[٨].

على أن الأمور لم تسر على ما هي عليه، حيث قرر الخليفة الصديق أن موقف جيوش المسلمين في الشام بات يحتاج إلى جهود خالد بن الوليد، فكتب له يأمره: «أن سر بنصف الناس حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فإنهم قد شجوا وأشجوا»[٩].

وبدأ خالد بالفعل يستعد للرحيل عن العراق، وشرع يقسم الجيش إلى شطرين كأمر أبي بكر، شطر يخرج معه وشطر يبقى مع المثنى، وبدأ بأصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فاستأثر بهم وترك للمثنى أعدادهم من أهل القناعة ممن لم يكن له صحبة، ثم نظر فيمن بقى، فاستأثر بمن كان قدم على النبي ـ ﷺ ـ وافدا، وترك للمثنى أعدادهم من أهل القناعة، ثم قسم الجند بعد ذلك نصفين.

ورفض المثنى قسمة خالد قائلا: «والله لا أقيم إلا على إنفاذ أمر أبي بكر كله في استصحاب نصف الصحابة، أو بعض النصف، وبالله ما أرجو النصر إلا بهم، فكيف تعريني منهم؟!» فترك خالد للمثنى نخبة من الصحابة حتى أرضاه، وكان فيهم: فرات بن حيان العجلي، وبشير بن الخصاصية، والحارث بن حسان، ومعبد بن أم معبد الأسلمي، وعاصم بن عمرو التميمي[١٠].

وعكف المثنى على إعادة تنظيم جيشه عقب رحيل خالد، ولم يمهله الفرس كثيرا حيث وجه ملكهم جيشا قوامه عشرة آلاف مقاتل يقودهم ( هرمز جاذوية ) ومعهم فيل يتقدمهم، فخرج المثنى للقائهم في سواد ما وراء الفرات وكان على ميمنته أخوه المعنى وعلى الميسرة أخوه مسعود، وزحف بجيشه حتى بلغ ( بابل ) حيث وصلته رسالة من ملك الفرس ( شهر براز بن أردشير ) جاء فيها:

«من شهربراز إلى المثنى، إني قد بعثت إليك جندا من وخش أهل فارس، إنما هم رعاة

---

(٧) أحمد عادل كمال، الطريق إلى المدائن ص٢٣٩، ٢٤٠.
(٨) الطبري (٤/٤، ٥:٢٠).
(٩) الطبري (٤/٤٢).
(١٠) المصدر السابق.

الدجاج والخنازير ولست أقاتلك إلا بهم » فأجابه المثنى برسالة عكست عمق إيمانه، وعظيم فطنته، وصدقه، ودراية وخبرة بالسياسة والملوك :

« من المثنى إلى شهر براز، إنما أنت أحد رجلين، إما باغ فذلك شر لك وخير لنا، وإما كاذب فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وفي الناس الملوك، وأما الذي يدلنا عليه الرأي فإنكم إنما اضطررتم إليه، فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير »

فتطير الفرس وتشاءموا من رد المثنى وقال بعضهم لـ( شهر براز ) : « جرات علينا عدونا بالذي كتبت به إليهم، فإذا كاتبت أحدا فاستشر » وشهدت ( بابل ) نصرا مؤزرا لجيش المسلمين بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني في أواخر ربيع الأول ١٣ هـ وقَتَلَ المثنى ورجاله الفيل الذي جعله الفرس في مقدمة الجيش لإرهاب المسلمين ، وقُتِلَ من المجوس مقتلة عظيمة .(١١)

ويستشعر المثنى حرج موقفه وأنه لا يستطيع أن يحتفظ بما تحت يده بإمكانياته التي صارت محدودة بعد أن تم شطر جيش العراق شطرين، فسافر إلى المدينة المنورة ليعرض الموقف على الخليفة الصديق، فاستدعي الصديق- وكان مريضا مرض الموت- عمر بن الخطاب، وأوصاه قائلا: « إن مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى »(١٢).

وينتقل الصديق إلى جوار ربه وينفذ أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - وصيته،(١٣) ويجهز خمسة آلاف مقاتل على رأسهم أبو عبيد بن مسعود الثقفي الذي صار قائدا على المثنى الذي لم يجد غضاضة في هذا الأمر وامتثل طائعا لأمر الخليفة فهو ليس باحثا عن إمارة وزعامة وإنما كان الجهاد والفتح شاغله الأكبر.

وأبلى أبو عبيد البلاء الحسن في حرب الفرس، وكان المثنى هو مستشاره الأول، إلا أنه ما لبث أن ارتكب خطأ فادحا عندما رفض مشورة المثنى في معركة الجسر، ورماه بالجبن.

ذلك أن ( بهمن جاذويه ) قائد جيوش الفرس كان قد زحف على رأس جيش جرار وقف به على ضفة نهر الفرات في حين كان أبو عبيد واقفا بجيشه على الضفة المقابلة وبينهما جسر، ولابد من عبور واحد من الطرفين للآخر، فأرسل ( بهمن ) أحد رجاله إلى أبي عبيد يقول: « إما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور، وإما أن تدعونا نعبر إليكم ».

فتمسك أبو عبيد بالعبور أولا ورفض نصيحة المثنى الذي حضر مع خالد بن الوليد موقفا مشابها في معركة ( الفراض ) عندما وقف الجيشان وبينهما نهر الفرات فأرسلوا إلى خالد : « إما أن تعبروا إلينا أو نعبر

(١١) نفس المصدر السابق.
(١٢) المصدر السابق ص (٤/ ٦٣، ٦٤).
(١٣) انظر عدد شهر المحرم سنة ١٤٢٢هـ من مجلة الأزهر.

إليكم» فقال خالد: «بل اعبروا إلينا» وكان عبور الفرس أولا أفضل لخالد حتى يقطع عليهم خط الرجعة، فطلبوا من خالد أن يتنحى حتى يعبروا، فقال: « لا نفعل، ولكن اعبروا أسفل منا»عندها قال الفرس لبعضهم البعض: «احتسبوا ملككم! هذا الرجل يقاتل عن دين وعقل وعلم، والله لينصرن ولنخذلن»[١٤] وبهذا الفكر الثاقب كانت الغلبة لخالد بن الوليد، ووعى المثنى درس هذه المعركة جيدا وحاول أن ينقل خبراته منها إلى أبي عبيد إلا أنه أبي، فكانت المأساة وحاقت بجيش المسلمين هزيمة مروعة، واستشهد أبو عبيد بن مسعود الثقفي وانتهى اللواء إلى المثنى وكان المسلمون يتدافعون نحو الجسر طلبا للفرار، فرأى ذلك أحمق من بني ثقيف يدعى عبدالله بن مرثد الثقفي فبادر إلى الجسر فقطعه، ووقف يمنع الناس من العبور ويقول لهم: «موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا» في حين اشتد ضغط الفرس على المسلمين الذين هبطت معنوياتهم فتواثبوا في النهر، وغرق من لم يصبر بينما أسرع القتل فيمن صبر.

أما المثنى فقد بذل جهدا فائقا يفوق الوصف من أجل تأمين انسحاب الجيش بعد إصلاح الجسر، حيث وقف المثنى مع، عاصم ابن عمرو، ومذعور بن عدي، والكلج الضبي، وعروة بن زيد الخيل، وسليط بن قيس الأنصاري، وغيرهم من فرسان المسلمين

وأصحاب رسول الله - ﷺ -،[١٥] وصاح المثنى في جموع المسلمين يهدئ روعهم: «أيها الناس أنا دونكم فاعبروا على هينتكم، ولا تدهشوا، فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ولا تغرقوا أنفسكم» ووقف المثنى وأصحابه درعا منيعا يحمي انسحاب المسلمين حتى تم له ما أراد، ورجل آخر غير المثنى ما كان ليلتمس غير الفرار فقد تسلم قيادة جيش منهزم ولا حرج عليه ولا تثريب، ولكن هيهات إنه المثنى القائد الذي يكون أول من يهاجم وآخر من ينسحب.

وتصل أصداء الكارثة إلى المدينة فيغتم عمر لما حدث ولكنه يعلن النفير ويدعو الناس للجهاد، ويبعث للمثنى كل من وافاه

أما المثنى فما لبثت معنوياته أن ارتفعت بعدما لمس عزم الخليفة على مواصلة الجهاد فلم يدخر جهدا في إعادة حشد وتعبئة قواته استعدادا ليوم الثأر، وقد كان.

أما الفرس فقد علموا بالتعزيزات التي بعث بها الخليفة للمثنى فقرروا أن يبادروا بالهجوم وألا يمكنوا المثنى من تنظيم صفوفه، ولكن خاب ظنهم، فلم يضيع المثنى لحظة واحدة.

وعند نهر الفرات كان لقاء الثأر، في موضع يُقال له (البويب) في رمضان من عام (١٣) للهجرة وقف الفرس بجموعهم تتقدمهم الفيلة وعلى رأسهم قائدهم (مهران) وعلى ضفة النهر الأخرى وقفت

(١٤) الطبري (٤/١٨٥).

(١٥) الطبري (٤/٦٧)، فتوح البلدان (٦٢٥، ٦٢٦).

جيوش المسلمين والمثنى بتامل مسرح العمليات ويتذكر معركة (الجسر)

أقام المثنى على موقعه حتى كاتبه مهران: «إما أن تعبروا إلينا، وإما أن نعبر إليكم» وكانت أوامر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ألا يعبر المسلمون بحرا ولا جسر إلا بعد ظفر، وما كان للمثنى أن يعيد خطأ أبي عبيده، فقال لرسول الفرس: (اعبروا).

والتفت المثنى إلى رجاله يخطبهم ويحمسهم فقال: «إنكم صوام، والصوم مرقة ومضعفة، وإني أرى من الرأي أن تفطروا ثم تقووا بالطعام على قتال عدوكم»

فافطروا، وكان يمر بصفوفهم، وقد اصطفت كصفوف الصلاة فأبصر برجل يستوفز ويستنتل من الصف، فقال: «ما بال هذا؟» قالوا: «هو ممن فر من الزحف يوم الجسر وهو يريد أن يستقتل» فقرعه المثنى بالرمح، وقال: «لا أبا لك. إلزم موقفك، فإذا أتاك قرنك فاغنه عن صاحبك ولا تستقتل» قال: «إني بذلك لجدير».

وامتطى المثنى فرسه «الشموس» وكان لا يركبه إلا لقتال، وطاف بين صفوف الجيش وهو في درعه، ووقف على الرايات راية راية يحض رجاله ويحرضهم يقول لكل منهم: «إني لأرجو أن لاتؤتى العرب من قبلكم. والله ما يسرني اليوم لنفسي شيء إلا وهو يسرني لعامتكم» فيجيبونه بمثل ذلك.

ثم قال لهم: «إني مكبر ثلاثا فتهيأوا، ثم احملو مع الرابعة، وكبر المثنى أول تكبيرة فبدأ الفرس زحفهم، وعاجلوا المسلمين، وأقبلوا نحوهم في صفوف ثلاثة مع كل صف فيل ومشاتهم أمام فيلهم ولهم هدير عال.»، فقال المثنى لجنوده: «أن الذي تسمعون فشل، فالزموا الصمت وائتمروا همسا»

والتحم الفريقان بعد أول تكبيرة للمثنى الذي أخذ يرقب قواته ويوجهها أثناء القتال وكلما لمح خللا في الصفوف أرسل لمن كان منهم ذلك من يقول لهم: «إن الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول: لا تفضحوا المسلمين اليوم» فما يكون منهم إلا أن يقولوا: «نعم»، وجعل قادة الجند يرقبون المثنى ليتفذوا توجيهاته أولا بأول.

وحمي وطيس المعركة وقال مسعود بن حارثة قائد مشاة المسلمين لجنده: «إن رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه، فإن الجيش ينكشف ثم ينصرف، الزموا مصافكم واغنوا غناء من يليكم».

وكان الرجل كان يحسب حساب ما سيقع له فقد أصيب مسعود فتضعضع من معه لإصابته وهو ضعيف قد ثقل من الجراح فقال: «يا معشر بكر بن وائل ارفعوا راياتكم رفعكم الله لا يهولنكم مصرعي»

ويدرك المثنى مايحدث فيصرخ في الجيش: «يامعشر المسلمين لايرعكم مصرع أخي فإن مصارع خياركم هكذا»[16].

---

(١٦) الطبري (٤/٧٥).

ويحمل المسلمون حملة صادقة على الفرس ويأخذ المثنى مكانه فى قلب الجيش صارخا: «انصروا الله ينصركم» وأخيرا تضعضعت صفوف الفرس الذين شرعوا نحو الفرار يلتمسون الجسر ليعودوا أدراجهم فسابقهم المثنى إليه ليقطع عليهم خط الرجعة فتداولتهم خيل المسلمين وتبعتهم إلى الليل ومن الغد إلى الليل حتى أبادوهم[١٧].

ولا يمنع النصر العظيم المثنى من أن يلوم نفسه على قطعه خط الرجعة على الفرس، بل ويندم على ذلك أشد الندم فقال: «لقد عجزت عجزة وقى الله شرها بمسابقتى إياهم إلى الجسر وقطعه حتى أحرجتهم، فإنى غير عائد فلا تعودوا ولا تقتدوا بى أيها الناس، فإنها منى زلة، لا ينبغى إحراج أحد إلا من لايقوى على امتناع».

ولم يكتف المثنى بهذا النصر المؤزر الذى ثبت أقدام المسلمين إلى حد كبير فى العراق ومهد الطريق نحوا انتصار المسلمين الأعظم فى القادسية وسقوط المدائن، حيث أخذ المثنى يجوب أرجاء العراق شرقا وغربا، شمالا وجنوبا يغير على أسواق الفرس وتجارتهم ومن تعاون معهم من العرب فأصابهم بالهلع والخوف وبارت تجارتهم وكسدت.

ولم يكن المثنى هو ذلك الرجل الباحث عن المجد والشهرة، فعلى الرغم مما أحرزه من تقدم وانتصارات هائلة على الفرس إلا أنه أدرك أنه لن يستطيع بما تحت يده من قوات أن يستمر فى التوغل في أرض العراق أو حتى يحتفظ بمكاسبه فقرر أن يحفظ للمسلمين جيشهم إلى أن يكتمل له من العدد والعدة ما يمكنه أو يمكن من يأتي بعده من مواصلة المسيرة فانسحب بجيشه إلى (ذى قار) خارج حدود العراق فى أواخر ذى القعدة من عام ١٣ للهجرة، وفى نفس التوقيت جاءه أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -: «أما بعد فاخرجوا من بين ظهرى الأعاجم وتنح إلى البر وتفرقوا فى المياه التى تلى الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم وادع من يليك..»[١٨].

ورغم الجراح التى أثخنته، أعاد المثنى تنظيم صفوف جيشه على النحو الذى أمر به الخليفة، وكتب إلى كل من يليه من قبائل العرب ليوافوه بكل قادر على حمل السلاح.

فلما أحس البطل بثقل جراحه ودنو أجله حرص على أن يكتب وصيته إلى من سيحمل الراية من بعده بأن يقاتل الفرس على حدود أرضهم وليس فى داخلها وهكذا كرس بطلنا وقته كله حتى وهو على فراش الموت فى سبيل إعلاء راية الحق.

---

(١٧) المصدر السابق.

(١٨) الطبرى (٤/٨٤).

# قطرات أدبية

# حول الشعر العذرى

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

**تنسب حركة الشعراء العذريين إلى قبيلة بنى عذرة إحدى قبائل قضاعة التى كانت تنزل فى وادى القرى شمالى الحجاز، لأن شعراء هذه القبيلة توفروا على هذا اللون من الإبداع الشعرى، فتغنوا حبهم المثالى المعذب، وهاموا على وجوههم فى إثر من يحبون، وظلوا على ولائهم البادى لقيم الحب الطاهر العفيف، ولم يلوثوا هذه العاطفة النبيلة بعرامة الشهوة ولا بجسدية المتاع.**

**وقد شاع مثل هذا اللون فى مثل هذه البيئة البدوية الساذجة التى نأت بنفسها عن جواذب الفتون بما أشاعته الحضارة فى مكة والمدينة من لهو، وصار تقليدا فنيا أن يحب الشاعر هذا الحب المحكوم بالحرمان منذ البدء، وأن يقضى سحابة عمره متطلعاً إلى سماء لا يطولها على الإطلاق.. قيل لرجل: ممن أنت؟ قال: من قوم إذا أحبوا ماتوا، فقالت جارية سمعته: عذرى ورب الكعبة!! ولأن الجمال في بنى عذرة والعشق كثير، فقد قيل لأعرابى عذرى: ما بال قلوبكم تنماث كما ينماث الملح فى الماء؟! أما تجلدون؟ قال: إنا لننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون إليها!!**

وتحت راية هذا الحس العذرى فى الحب نسج الرواة حول أبطال عديد فى القصص الغرامية ما شاء لهم خيالهم الرحب من قصص وأساطير كجميل وعروة وقيس بن ذريح والمجنون، ولعل قصص هؤلاء ما تزال معينا لطوفان من عواطف الحب والحرمان الذى سجل انتصاره الفنى من خلال شعر رائع كثير يتوهج بالمعاناة والتوتر العاشق ويجسد ملامح هذا الاتجاه.

لم يكن كل شاعر من هؤلاء الشعراء يرى غير معشوقته وحدها، وهذه الواحدية فى الحب تعبر عن تماسك روحى لا يتاح إلا لكبار القلوب.

يقول الدكتور زكى مبارك «وللتوحيد فى الحب نظائر فى أكثر الآداب ولكنه فى الأدب العربى أظهر وأوضح لأنه نشأ فى بيئة مفطورة على إيثار التوحيد.. إن الشرك فى الحب قد يعين على فهم الألوان المختلفة

من طبائع الملاح، وهذا ما قصد إليه فريق من شعراء الفرنسيس والألمان.. أما التوحيد في الحب فيوجه العاشق إلى درس نفسه بقوة وعمق ليرى مبلغ قدرته على إدراك ما في الروح من سجاحة الهدى وشراسة الضلال.. المشركون بالحب درسوا طبائع متعددة سمح الشرك بدرس تقلبها دراسة وافية، ولا كذلك الموحدون في الحب فقد درسوا نفوسهم في صحبة أحبابهم دراسة بلغت الغاية في محاولة التعرف إلى سرائر الأرواح).

الحب العذري إذن حقيقة واقعة وليس افتراضا متخيلاً، هو حقيقة لأنه تعبير عن أشواق الروح وتعاليات الوجدان وليس بالجسد وحده يحيا البشر، وهو حقيقة لأنه تجسيد للمثال الذي يحلم الشاعر بتحقيقه ليجعل الجمال غير الممكن ممكناً على الأرض.. وهو حقيقة لأنه يمثل نصف طاقة الإنسان الحي وهو طاقة التخيل والوهم.. وهو حقيقة لأنه ليس تجريدا مطلقا كما قد يظن، ولكنه (معركة عنيفة تقع في ميدانين: الأول ميدان الصراع بين الشاعر وهواه، والميدان الثاني ميدان القتال بين الشاعر ومن يهواه.

وهو في الميدان الثاني لا يطارد فريسة تنال بأيسر الجهد، وإنما يطارد ظبية عصماء لا تنال إلا باقتحام الأهوال فوق قمم الجبال).

وإذا كان كثير من الباحثين يرجع هذه الظاهرة، ظاهرة الحب العذري، والتغني به شعرا إلى يأس شعرائه من المشاركة السياسية على مستوى العصر، وإلى ابتعادهم النسبي عن بيئتي مكة والمدينة اللتين كانتا تعجان بحياة الفراغ والغناء فإن الباحث هنا لا يهمنا كثيرا بقدر ما يهمنا الشعر ذاته، وبقدر ما يهمنا ما ينطوي عليه هذا الشعر من خصائص فنية وجمالية معينة تضعه في مناطه الحقيقي من حركة الشعر العربي في القديم والحديث.

وقد يرى بعض الباحثين أن هذا اللون من الشعر الغزلي يتسم بكثير من عمومية الإحساس والمثال جميعاً، ويتسم كذلك بكثير من التشابه النمطي في التعبير عن هذا الحس وهذا المثال معاً..

بمعنى أن عواطف أي شاعر من هؤلاء الشعراء توشك أن تكون هي عواطف الشاعر الآخر، وأن معشوقة شاعر من هؤلاء الشعراء توشك أن تكون معشوقة الشاعر الآخر، وأن الصيغة الفنية التي يعكس بها هؤلاء الشعراء تجاربهم الذاتية وأشواقهم الروحية توشك أن تكون صيغة واحدة أو قريبة من الواحدية.

إلا أننا (مع التسليم بصوابية بعض هذه الملاحظات) لا نستطيع أن نسلم بها هكذا على نحو من الاستغراق والشمول، لندين بها مرحلة شعرية من أخصب مراحل شعرنا العربي، فكما أن هؤلاء الشعراء الغزليين تشابهوا في التعبير عن عوالمهم تشابهاً قريباً أو بعيداً، هنا وهناك فقد تخالفوا كذلك في التعبير عن عالمهم تخالفاً يؤكد ذاتية الحس واستقلالية التعبير.

ومن قال إن التشابه الفني والعاطفي يمكن أن يدين حركة فنية معينة؟؟ إن هذا التشابه وحده هو الذي يؤكد وحدة العصر وتاريخية الإبداع، بمعنى أنني أعيش عصرا تعيشه أنت، وأعاني هموم مرحلة تعانيها أنت، فإذا عبر كلانا عن إيقاع هذا العصر وضغوط هذه الهموم، فلابد أن مشابه كثيرة تفرض نفسها على حركتي الإبداعية كما تفرض نفسها على حركتك الإبداعية كذلك، مما يؤكد للمتلقي بعد عديد من العصور أنني وأنك عشنا معاً هموم مرحلة واحدة، وعرفنا طريقنا إلى التعبير عن هذه الهموم من منظور فني يتشابه من بعض الوجوه.

ولعل هذا الانتقاء في الحس (والتكنيك) عند شعراء الغزل في عصر بني أمية ينهض دليلا واقعا على





تاريخية أولئك الشعراء الذين أبدعوا هذا الشعر، مهما حاول غير واحد من الباحثين أن يرفض حتى مجرد وجودهم التاريخي، كالدكتور طه حسين، الذي أصرّ على نفي الوجود لكثير من هؤلاء ولكثير -أيضا- من غير هؤلاء.

صحيح أن القدماء أنفسهم شكوا في تاريخية الوجود المادي لشاعر مثل قيس بن الملوح، أو مجنون بني عامر حتى قال أحدهم: ( سألت بني عامر بطنا عن مجنون بني عامر فما وجدت أحداً يعرفه ) وحتى قال آخر: ( رجلان ما عرفا في الدنيا قط إلا بالاسم: مجنون بني عامر، وابن القِرِيّة، وإنما وضعهما الرواة ).. ولكنه من الصحيح -أيضا- أن صاحب الأغاني نفسه في كتابه قال: إن المجنون هو: قيس بن الملوح بن مزاحم بن قيس بن عدى بن ربيعة الخ ويستدل على أن اسمه قيسا بقول صاحبته ليلى:

ألا ليت شعرى والخطوب كثيرة

متى رحل قيس مستقل فراجع

ثم يسوق عديداً من الأقوال تجمع على أن اسم المجنون هو: ( قيس بن الملوح ) لقد ناقشت هذه القضية في كتابي ( دراسات في الأدب ) وقلت فيما قلت:

( إن اختلاف الرواة حول شاعر معين، اسماً أو وقائع حياة، لا يعطى الأجيال اللاحقة إمكان رفضه أبدا، إننا نختلف حول هذه المحاور بالنسبة لشعراء المرحلة الذين سبقونا إلى العالم الآخر، ومع ذلك فلسنا نبيح لأنفسنا أن نسرف إلى درجة إنكار الوجود ).

كما قلت كذلك: ( ولست أدرى لماذا تعجل الدكتور طه حسين الحكم في قضية الشعر المنسوب إلى قيس بن الملوح، لقد عودنا الباحث الرائد أن يطيل التأمل في كل القضايا، وأن يصدر الحكم بعد انسياب كامل مع كل فئات القضية حتى يستوعبها تماماً، ولكنه لسبب لا أدرى ما هو تعجل الحكم في قضية شعر شاعرنا المخبل ولم يزد على كونه قعد لنظرية رائعة، إلا أنه بالتأكيد لم يستطع أن يقوم بدراسة تطبيقية على هذه النظرية ترمى بشاعر الغزل العذرى إلى دوائر الظلمات ).

وقلت: ( فحقيقى أن كل شعر لابد أن يشى بشاعره، ولاسيما شعر العاطفة الغنائى ولكن طه حسين لم يقل لنا كيف أن شعر قيس لم يعكس لنا شخصية قيس؟؟ وحقيقى أن شعراً تتفاوت سطوحه وأعماقه تفاوتا هائلا يشى بأن قائل هذا الشعر إما أن يكون أكثر من شاعر واحد، وإما أن يكون واحداً من أولئك الوضاعين الذين ينحلون شعر فلان لفلان من الناس.. ولكن طه حسين يؤكد هو نفسه بعد معاناة بحث ودرس لها في هذا الصدد بسخاء، كما يقول بأن ( هذا الشعر الذى يضاف إلى المجنون لا يخلو من أن يكون شعراً قد قاله شاعر معروف وأخطأ الرواة فأضافوه إلى المجنون ) وهذا اعتراف بأن كل هذا الشعر ( لشاعر معروف وليس لشعراء كثيرين )..

فإذا كان ذلك كذلك، فلماذا لا يفترض الدكتور أن يكون هذا الشاعر هو قيس بن الملوح الذى ورد خبره في أكثر من مرجع وعلى أكثر من لسان، وليس هو هذا الوهم المتخيل الذى يفترضه الباحث افتراضا ).

ولعلنا من خلال الشعر نفسه نستطيع أن نستروح هذا المناخ الفني الذى يهبه شعر هؤلاء الشعراء، غير ناظرين إلى هذا الخلاف الأكاديمى المعطل، الذى يصيب المتلقى بالجمود والترقب والانحسار، بدلا من إتاحة كل الآفاق أمامه بلا حدود حتى يعبر من حاجز إلى ساحة، ومن سور إلى حديقة، ويعيش في جنة الشعر والحب بلا قيود!!



# عبد العزيز البشري في المرآة

للأستاذ / محمد مصطفى البسيوني

| | |
|---|---|
| اخترت يوم الهول يوم وداع | ونعاك في عصف الرياح الناعي |
| من مات في فزع القيامة لم يجد | قدما تشيع، أو حفاوة ساع |

**أجل من مات في فزع القيامة لم يجد قدما تشيع، كما قال شوقي في رثاء المنفلوطي. إذ أن فقيد البيان العربي الأستاذ عبد العزيز البشري قد رحل عن الدنيا منذ أكثر من نصف قرن في هول القيامة، والصحف والمجلات مشغولة بأنباء الحرب العالمية الثانية، فلم تفسح صدرها حينئذ لتحليل أدبه، ولم تسل أنهارها بعبرات الحزن على فقده، وكنا نظن أن الرجل العظيم سيجد إنصاف معشره فيما يتلو الحرب من سلام هادىء مريح. ولكن أكثر من نصف قرن قد مضى بعد رحيله في مارس ١٩٤٣م دون أن يأخذ الكاتب الكبير بعض حقه من الدراسة، ودون أن تأخذ الأجيال المعاصرة حقها من الاطلاع على سيرة هذا العملاق، والتعرف على مسيرته الفكرية والأدبية إذ أننا لم نطالع في ترجمته وتحليله غير ما كتب عنه في سلسلة أعلام العرب بمصر، وهي كتابة إلى السرد الإخباري أقرب منها إلى التشريح الفني الذي يجلو أمام أبناء الجيل ذلك الكاتب الألمعي الذي أحدث في الأدب العربي أسلوبا طريفا يهز قارئه إمتاعا، ويرتفع به إبداعا، ويهب على روحه كما يهب نسيم الروض مؤرجا بالعبير..**

إنني لا أقرأ البشري مرة إلا ويتجلى أمامي طيف ابن الرومي، وصورة الجاحظ فلقد كان ابن الرومي يرسم الصورة بشعره فتحس أنك أمام مصور بارع قدير، ينقل إليك اللوحة الفنية فتكاد ترى المعاني شاخصات تتجسد، ونماذج تتعدد.. وكأنك إزاء إطار وألوان، لا أمام روى، وأوزان.



هذا ابن الرومي، أما الجاحظ فرب الأقصوصة والفكاهة، والبسط والتفريج دون منازع، وحسبك ما تعرفه عن كتاب «البخلاء» فقد جاءت أقاصيصه فيه أدبا استحال إلى طرب!! ولذلك كان البشرى إلى الجاحظ أقرب وأدنى.. ولا غرو فقد تأثر الرجل بسلفه أشد التأثر، وكأن روح الجاحظ قد هامت طيلة هذه القرون حتى اطمأنت أخيراً في البشري، جسدا يتحرك وعقلا يفكر، وقلما يعبر، ولسنا بهذا ندعى للرجل جديدا، ولسنا نحكي عنه ما لم يعرفه هو عن نفسه، فقد كان البشري قديراً في تحليل نفسه كما كان قديرا في تحليل الناس، وقد سبقنا إلى إيضاح وجوه المشابهة بينه وبين الجاحظ في حديث له مع صاحب «المعرفة» عن الأدباء الذين تأثر بهم فذكر على رأس هؤلاء الأدباء الجاحظ، وعنه يقول: «أقدّر الجاحظ، واستطيع أن أؤكد لك بأني أتأثره، وارتضى صحبته، وأفاخر بها، وأحرص عليها.. لقد عرفته منذ أمد بعيد. عرفته من الساعة التي أدركت فيها أثرا للقراءة القائمة على الدرس والتحقيق» ثم يركز البشرى على الجانب الفكاهي عند الجاحظ، وهو ما يفسر لنا غلبة التبكيت الواضح، والتهكم اللاذع على كتابة البشري - فيقول: «إن الجانب الفكاهي ليصور لنا مبلغ قدرة الرجل - الجاحظ - الفائقة على التهكم الواضح، والتهكم كلما أراد أن يسخر، وكلما شاء أن تخز نقداته في القلوب»

وقد كان كاتبنا الكبير يسمي الجاحظ أحياناً بالإمام في بعض حديثه عنه بمقدمة كتابه «المرآة»، وفي «المرآة» طابع الجاحظ ومنحاه لايكاد يختلف فيهما اثنان.

وليس من شك في أن هذا كله يشير إلى أن مؤلفات الجاحظ كانت ذات مكان بارز في ثقافة البشري، فلا جرم أنه قرأ كتاب «الحيوان» وأعجب - أيضاً - بكتاب «البخلاء» وإن لاحظ عليه أحياناً أنه قد أسرف في وصف بخلائه إسرافاً شديداً.

وقارىء البشرى والجاحظ معا يحس جانب التأثر والتأثير إحساساً متجسداً يُرى بالعين، ويُلمس باليد. كما سبق أن ألمحت إلى ذلك فأنت إذا قرأت كلام الجاحظ عن الكندى أو أحمد بن عبدالوهاب، ثم قرأت بعد ذلك حديث البشرى عن أحمد زيور، ومحجوب ثابت تأكدت أن روحا واحدة كانت على ضفاف دجلة في العصر العباسي أخذت تراوح ضفاف النيل في العصر الحديث! وإذا كان الجاحظ قد أضحك الثكلى بما حكاه عن الكندى، فمن الذي لايطرب لما حكاه عبدالعزيز عن محجوب إذ يقول عنه «في المرآة»: «لاشك في أن الدكتور محجوب ثابت يُعَدُّ بحق في ميراثنا القومي، ولو - لا أذن الله - جرى عليه القدر لكان لابد للأمة من ( دكتور محجوب ثابت ) بأي طريقة من




الطرق. نعم هو في ميراثنا القومي، لايقل عن آثار سقارة وجامع السلطان حسن ومقابر الخلفاء، أصبح على الزمان جزءاً من تقاليدنا الأهلية، كحفلة المحمل، ووفاء النيل وركبة الرؤية، وشم النسيم. ولما فكر المرحوم محمود بك رشاد، في جعل العلم المصرى مُحلّى بصور بعض الآثار القديمة، فرعونية وإسلامية، لم ير المصور بدا من أن يرسم بجانب الهرم وأبى الهول، وجامع برقوق، وحضرة سيدى أبى السعود، صورة الدكتور محجوب ثابت!!! والدكتور محجوب ثابت في المصريين، كانجلترا في الأمم، كل منهما يرى عليه للآخرين تبعات لاتنقضى على وجه الأيام!» هذا بعض ما قال عن محجوب.

أما حافظ إبراهيم فمع تمكنه من نفس صديقه البشرى بحيث كانا كنديمى جذيمة حقبة من الدهر لا يكادان يفترقان في صباح ومساء مصداقاً لقول الشاعر العربي:

وكنا كندماني جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

ومع هذه المودة العريقة فقد أحس شاعر النيل من نار عبدالعزيز ما أحس أحمد بن عبدالوهاب من نار الجاحظ حين تعرض إلى تصوير هيكله الجسمي فقال البشرى في سخرية وإمتاع: «حافظ إبراهيم شاعر.. فهو يحب الجمال، ويجتمع له، ويكره القبح، وينعى على أهله. يحابه بذلك محابهة، لايتقى في القول ولايتحرف. وما طلع عليه فتى دميم الخلق غير مستوى معارف الوجه، إلا قال له: يافتى! ليس الوزر عليك بل على أبيك لأنه لم يؤد مهرا.. وإذا اطردت نظرية حافظ، فلا شك أن المرحوم والده تزوج على الطريقة الإفرنجية فلم يدفع مهراً بل هو الذى أخذ «الدوطة»!! هو جهم الصوت، جهم الخلق، جهم الجسم، كأنما قُد من صخرة في فلاة موحشة، ثم فكر في آخر ساعة في أن يكون إنساناً فكان.. والسلام. أما ما يُدعى فمه، فكأنما شُق بعد الخلق شقا! وأما عيناه.. فكأنما دقتا بمسمارين دقا، وأما لون بشرته. والعياذ بالله! . فكأنما عهد به إلى «نقاش» مبتدئ.. قد تشابهت عليه الأصباغ والألوان.. فذاب أصفرها في أخضرها في أبيضها في بنفسجيها.. فخرج مزجاً من هذا كله، لا يرتبط من واحد بسبب، ولا يتصل بنسب... وإنك لو نضوت عنه ثيابه، وألبسته دراعة من دونها سراويل، وأفرغت عليه من فوقها جبة صافية، وتوجته بعمامة عظيمة متخالفة الطيات، لخلته من فورك دهقانا من دهاقين الفرس الأقدمين، فإذا جردته كله، وأطلقته، في البر.. حسبته فيلا، أو أرسلته في البحر.. ظننته درفيلا..!!

وإذا قال هذا عن حافظ فما ظنك بما حكاه عن حسن غندر، وفكرى أباظة، ونافع باشا، والشيخ أبى الفضل؟ لك أن تقرأ البشرى في ذلك كله لترى أنك تنادى الجاحظ من مكان قريب.



ومن الواضح أن كتب الجاحظ لم تكن هي كل ثقافة البشرى، غير أنها أنست لديه طابع الدعابة والسخرية، وموهبة المرح والفكاهة، فصادفت فيه مكمن الخصوبة الحية فاينعت... كما صادف منها المنهل العذب فتمثل بعد ارتواء..!!

وإذا كان الجاحظ شيخ البشرى في القديم، فإن محمد المويلحي -رحمه الله- هو شيخ البشرى في الحديث.. إذ كانت صحيفته الذائعة «مصباح الشرق» أثيرة لدى البشرى الناشئ يجرى في أنهارها فيض من كلمات المويلحي التهكمية الساخرة حين يصبها في قالب من البلاغة والجزالة، ويضعها في إطار من الإشراق والأناقة.

ولقد قال البشرى عن «مصباح الشرق» أنها أمست مصباحاً يهتدى المتأدبون بسناه إذا أرسلوا القول، أو ألموا بنظم الكلام..

وللبشرى ترجمة مستفيضة للمويلحي بالجزء الأول من «المختار» ألمع فيها إلى بعض ما نقول، فذكر فضل أستاذيته عليه بما لا يحتاج إلى تعليق.. ولو لم يشر عبدالعزيز إلى تأثره بالمويلحي فيما ساقه من ترجمته بالمختار لما سكت ناقدو الأدب المعاصر عن تسجيل ذلك.

فإن الصور الاجتماعية البارعة في حديث عيسى بن هاشم قد انتقل صداها القوى إلى صور «المختار» و«المرآة» ولسنا نقول: إن الأسلوبين يتقاربان تقاربا دانياً فهذا ما لا يوحى به سجع المويلحي وترسّل البشرى، ولكننا نقول: إن الصور الاجتماعية لدى المويلحي قد ظهرت في ثوب آخر لدى عبدالعزيز مع اتحاد المصدر المؤثر، ولك أن تقرأ في حديث عيسى بن هشام غرائب المحكمة الشرعية، وأفانين رجال الإدارة، وغرائب أولاد الذوات ثم اقرأ ما خاض فيه قلم البشرى عن ذلك، لتعلم أن الأستاذ قد وجه التلميذ إلى طريق تتعدد صوره، وتتفرج زواياه عن كل نادر غريب!!.

ولئن غلبت الثقافة الأدبية على كاتبنا الكبير فقد تأثر أيضاً بالثقافة الدينية، وذلك طبيعي لمن نشأ في بيت عريق عرف بالعلم والدين، إذ كان أبوه الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر الأسبق، الذى تقلد هذا المنصب الإسلامي الرفيع مرتين عام ١٨٩٩ وكان أستاذ المالكية في عصره، وله في حوادث جيله سوابق ذائعة دوّنها التاريخ، ومآثر أدبية منها (وضع المنهج) تعليقاً على (نهج البردة) لشوقي.

وقد كان من اتساق الأمور أن يلم البشرى في صباه بمبادئ القراءة والكتابة في «الكُتّاب» على نحو ما كان يفعل لداته حينذاك، ثم يحفظ القرآن الكريم، ولقد أوشك أن ينتظم في المدرسة الابتدائية المدنية بعد ذلك، ولكن أباه -شيخ الإسلام- أبى إلا أن يدخل الأزهر وأن يدرس علوم الدين فكان

ما أراد حيث تلقى الدرس على أساتذة الأزهر المرموقين آنذاك مثل الشيخ عليش والشيخ الباجورى.. وقد هيأته هذه الدراسة لشغل بعض الوظائف الرسمية فقد تولى القضاء الشرعى، كما عُين مراقباً لمجمع فؤاد الأول للغة العربية.

ولسنا نرى أن الثقافة تقاس بالتحصيل المدرسى فحسب، بل بمنابع أخرى تتمثل فيما يحيط بالمرء من ظروف، وما يتفاعل به من أحداث.. إذ لا شك أن ثقافة البشرى التى عبرت عن نفسها فى مقالات تكتب، وأحاديث تذاع، لها أصول اجتماعية وسياسية من طبيعة جيله المعاصر، فقد أدرك الرجل منذ حداثته أحداثاً سياسية، وتقاليد اجتماعية، ونهضة أدبية، ولعل من أهمها إنشاء الحزب الوطنى سنة ١٩٠٦ بزعامة خطيبه المفوه المجلجل مصطفى كامل، ثم اشتعال الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وما وليها من قيام الثورة المصرية سنة ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول، مما أعقب ضجة أدبية حافلة رنت بها المنابر خطابة، وسالت بها الصحف كتابة، وغردت بها الأقلام شعرا رنان القوافى صادح الأبيات، وذلك كله بعض ما شارك فيه البشرى بدءا وختاما...

ولا ننكر مع هذا كله طبيعة المجتمع المصرى، وعاداته، وتقاليده المختلفة، مما ساعد البشرى على إتقان الصور، وابتكار الموضوعات، فكان قلمه البارع كالعدسة الدقيقة التى لا تسجل ما ترى العين المجردة وحدها، بل تضيف إليه من التحليل والتعليل ما يجعل الصورة فوارة الدم، قوية الحركة، تجيش بالحياة.

وإلى جانب هذه الثقافة العربية ذات الروافد الإسلامية، والأدبية والاجتماعية، كان البشرى على بعض الحظ من الثقافة الغربية، وهى وإن كانت قليلة الكم، إلا أنها عميقة الكيف، فقد أخذ البشرى من هذه الحضارة الأوروبية شيئاً يسيرا خفيف الظل، قوى التأثير فى الوقت نفسه.

هذه خواطر تتدافع عن الكاتب الكبير، وحسب هذه السطور أن تذكر القراء بأديب حى المشاعر، بارع الصور، فكه الروح، فى عصر لا يتسع لنظيره على كثرة من به من أدعياء البيان!! ولست أنا الذى أقول ذلك، بل إنه شاعر الأقطار العربية خليل مطران الذى أفزعه الخواء الأدبى بعد رحيل عبدالعزيز فقال فى رثائه:

**أخلا من البشرىّ عصر لم يكن**
**فيه على ذاك المثال اثنان؟**

# رثاء
# الأديب الكبير الشيخ عبد العزيز البشرى

## لشاعر الأقطار العربية الأستاذ خليل مطران

وارحمتا لى من صروف زمانى ... أنى رمت رامت سهام مكانى
إنى لأسأل والرفاق تحملوا ... أترى يطيل عذابى الملوان؟
من مبلغ السلوان مقروح الحشى ... سدت عليه مسالك السلوان؟

***

منعاك يا «عبد العزيز» أمضنى ... وأضاف أشجانا إلى أشجانى
فاجأتنى بالنأى قبل أوانه، ... هل حرقة كالنأى قبل أوان؟
أتسوء إخوانا ملكت قلوبهم ... طرفا، وكنت مسرة الإخوان؟
رب البيان - وأنت بالغ شأوه - ... أعجزت بالسبق البديع بيانى
أدب يخال مطالعو آياته ... أن الكلام مثالث ومثان
فقت الذين أخذت عنهم يافعا ... وبززت من جلوا من الأقران
هذا بإجماع فماذا عارضت ... دعوى دعى من سنى البرهان؟
لا خير فى زمن إذا ما طاولت ... فيه الصعاد عوالى المران

أحدثت أسلوباً وكنت إمامه … وبقيت فذاً فيه ما لك ثان

جمع السهولة والجزالة لفظه … تتخالفان حلى وتأتلفان

ديباجة عربية مصرية … نقشت برائعة من الألوان

من للنوادر تجتني منها النهى … ما تشتهي من طيبات مجان؟

من للنوادر لا يجود بمثلها … قبل الروية أحضر الأذهان؟

من للدعابة وهي قد قرنت إلى … حلم الشيوخ نزاهة الشبان؟

إن ثقفت لطفت وفي ضحكاتها … إيماض برق لا انقضاض سنان

نهل تساقاها القلوب فتشتفي … غلل، وتقضى للقلوب أمان

بدوات أليق كاتب ومحدث … صافي البداهة بارع التبيان

في جده ومزاحه متصرف … بيراعة خلابة ولسان

أخلا من «البشرى» عصر لم يكن … فيه على ذاك المثال اثنان؟

شخص قليل ظله، طاوي الحشى، … يمشي فلا تتوازن الكتفان

طلق المحيا إذ تراه، وربما … نمت بكامن دائه العينان

خبت ملامحه بمسحة أدمة … هي من «مصر» إن شئت أو عدنان

وبعارضيه الهابطين ولمة … شعثاء لم تلمم من الثوران

وبمضنة يطوى عليها صدره … وكأنه أبداً عليها حان

من ذلك التمثال لاحت للورى … آيات أي حجى وأي جنان

حسن المنارة في سطوع ضيائها … لا في زخارفها ولا البنيان

أمَّا خلائقُهُ فقلْ ما شئتَ في | جَمِّ المروءةِ راسخِ الإيمانِ
ما ضاقَ صدراً، وهو أصدقُ مسلمٍ، | بتخالفِ الآراءِ والأديانِ
نعمَ الفتى في غيبةٍ أوْ مشهدٍ، | نعمَ الفتى في السرِّ والإعلانِ
بالعدلِ يقضي في الحقوقِ، وبالندى | يقضي حقوقَ الأهلِ والجيرانِ
يسعى كدأبِ من سعى لمهمةٍ | مهما يجشم دونَهُ ويعانِ
متشمراً بغدوِّهِ ورواحِهِ، | عجلَ الخطى، مسترسلَ الأردانِ
لوْ كانَ ما في جدِّهِ في جدِّهِ | لعلتْ مكانتُهُ إلى كيوانِ
لكنَّهُ لمْ يلفَ يوماً عاتباً، | أوْ طالباً ما ليسَ في الإمكانِ
ورعى حقيقةَ نفسِهِ وأجلَّها | عنْ أنْ تبدلَ عزةً بهوانِ
ما منصبٌ فوقَ المناصبِ، أوْ غنًى | فوقَ المطالبِ، غايةَ الفنانِ
مهما يزاولْ فالكرامةُ عندَهُ | هيَ في إجادتِهِ وفي الإتقانِ
ماذا يكونُ سليلُ بيتٍ صالحٍ | عالي المنارةِ باذخِ الأركانِ؟
الوالدُ الشيخُ الرئيسُ وولدُهُ | شرواهُ في أدبٍ وفي عرفانِ

***

صبراً جميلاً يا أخاهُ وأنتَ منْ | بحجاهُ يدركُ حكمةَ الرحمنِ
كمْ في القضاءِ تلوحُ للفطنِ الذي | ولِيَ القضاءَ سرائرٌ ومعانِ!
وعزاءَكمْ يا آلهُ، إنَّ الذي | تبكونَهُ في نعمةٍ وجنانِ
وعزاءَكمْ يا معجبينَ بفضلِهِ | فيما دنا ونأى من الأوطانِ

## فقيد الأزهر

# الدكتور/ محمد أحمد سحلول

## ١٩٤٠ - ٢٠٠١ م

قد لعمري حكيت لي غصص المو
ت فحركتني لها وسكنتا
« أبو العتاهية »

من أشق الساعات مرارة فى النفس، وحسرة فى الفؤاد ساعة تلقيت نعى الصديق الكريم الأستاذ الدكتور محمد أحمد سحلول وكيل كلية الدراسات الإسلامية بالقاهرة. فقد كان نموذجا منفردا فى السلوك الإنسانى النبيل، وقد نشأ فى القرية التى نشأت بها، وإن كنت أكبره سنا بأمد متطاول. فعرفت من شمائله الكريمة مالم أعرفه عند سواه، إذ كان ذا كف مبسوطة بالخير لمن يعرف، ومن لا يعرف، وكان قدومه للقرية مصدر بهجة غامرة لمن ينفحهم بخيره، وهم كثيرون، ولا أقول ذلك تزكية له، فقد انتقل إلى جوار ربه.

تقدمه عمله الصالح يسعى بين يديه، ولكنى أقوله ليكون قدوة مُثلى لمن يحب مكارم الأخلاق، فيحذو حذوه وقد كان ذا بشاشة راضية ينشرح لها صدر من يراه، فهو يسأل مستفسراً عمن يعرف أن سؤاله سيكون موضع الارتياح لديه ولا يفعل هذا تصنعا بل عن طبع كريم فطر عليه، وإذا كلفه ذو حاجة بمسألة تهمه بذل الجهد الجاهد فى



قضائها، فإن لم يستطع سعى لمن يعرف لديه الاستطاعة، وقد يلحف إلحافا كأن المسألة تخصه هو، وهو شافع كريم.

لقد تعلم في المعاهد الدينية، ونال الإجازة العالية من كلية اللغة العربية، ووظف محررا بدار المعارف حينا من الدهر، ولكن همته سمت به إلى الدراسات العليا فنال الدكتوراه في النحو والصرف بمرتبة الشرف الأولى، وكانت رسالته عن «تاريخ النحو قبل التدوين» فكانت أول رسالة في موضوعها، وقد لا قى صعابا كثيرة، لأن أكثر الذين خصهم بالحديث لم يتركوا كتبا مؤلفة يرجع إليها الباحث كمن جاء بعدهم من النحاة، ولكنهم تركوا آراءً متناثرة في عشرات المؤلفات راجعها الدكتور سحلول بصبر دائب، حتى استوى موضوعه شافيا وافيا بتوفيق الله.

ثم اختارته جامعة الإمام محمد بن سعود في هيئة التدريس بها، فاظهر مقدرة فائقة جعلت القائمين على الجامعة ينتدبونه إلى كليات مختلفة في العام الواحد، كما كان صوته مسموعا في اللجان العلمية، وفي لجان النشر المطبعي، فرفع من قدر بلده بما أسهم من جهد حميد، ثم رأى أن يلتحق بالجامعة، فقدم من البحوث ما أهله للتدريس بها عن جدارة، ومازال يرقى حتى نال الأستاذية، وأشرف على الرسائل العلمية، ووافاه القدر وهو وكيل كلية الدراسات العربية والإسلامية، فأحدث فراغا أى فراغ.

على أن روح الداعية المخلص كانت تتلبسه من يوم التحاقه بالأزهر طالباً، اذ كان يخطب الجمعة، ويلقى الدروس بالمساجد، ويعد ذلك فرضاً محتوما على كل أزهرى، ثم عمل جندياً أمينا بالجمعية الشرعية فأشرف على أوجه النشاط بها علميا واجتماعيا، وتعددت جولاته الإرشادية في مختلف مناحي الجمهورية شرقا وغربا في همة لا تعرف الكلل، واصبح له - ولم يزد - أتباع كثيرون يحرصون على سماع محاضراته الأسبوعية، وذلك جهد يضاف إلى جهده الأكاديمي بالجامعة استاذا للنحو، حيث قدم كثيرا من المؤلفات ذات الجدة المبتكرة والطرافة الحديثة، وقد قرأت أكثر ما وقع تحت يدى منها، فتملكنى الإعجاب الخالص، ولم يقتصر نشاطه في مجال الدعوة على مصر، بل انتقل إلى دول مختلفة في رحلات متوالية، فأدى أمانة العلم فيما خطب وحاضر وناقش، وفي أثناء هذه الرحلات كنت أسال عنه فيقال: إنه غائب، فإذا التقيت به، وسألته عما شاهد اختصر الحديث، قال: وماذا صنعت؟ العبء ضخم، والجهد قليل!

ومؤلفاته العلمية ذات شقين مختلفين، شق يتجه وجهة الدعوة الاسلامية، وقد أصدر في هذا المجال عدة مؤلفات كتبها بلسان الداعية الذى يحاول أن يصل إلى القارئ من اقرب طريق، ومن هذه الكتب: قبسات من





نور الرسالة، والقرآن يتحدث عن محمد - عليه الصلاة والسلام - والانسان في مرآة القرآن، وسعادة الأمة في العمل بالكتاب والسنة، وغيرها، وفي سطور هذه المؤلفات، نور مشرق، لأن كاتبها نقل عن قلبه قبل ان ينقل عن عقله، فسال قلمه عطرا يستنشقه القارئ فينشعه ويهديه، وأثر استاذنا الكبير محمد الغزالي واضح فيما كتب، وهو أثر التلميذ المتشبع، لا المقلد المحتذي، ومن المهم ان اذكر انه اشرف على سلسلة «إسلاميات» التي كانت تصدرها المؤسسة العربية الحديثة، وقد بلغت حلقاتها مائة كتاب راجعها الدكتور سحلول ونقدها واختار وترك وفقا لمنهج قام في ذهنه وإن يريد إلا الإصلاح.

اما مؤلفاته العلمية فذات دسم قوي، وعناوينها تنبئ عنها، ومنها كتب، بين الاستئناس والاحتجاج في النحو العربي، والجرمي النحوي في آرائه العلمية، واليزيدي القارئ النحوي، وروابط الجملة بين الذكر والحذف في اللسان العربي، وشواهد القراءات بين ابن هشام وابن عقيل، وخواطر حول المعنى والإعراب، ولو ولولا ومدلولهما النحوي في القرآن، وهي ثروة نحوية ذات بال، فليت الذين ينهضون بكتابة الرسائل العلمية لدرجتي الماجستير والدكتوراه، يجعلون من هذه المؤلفات موضوعا للبحث العلمي تقديراً لجهود نحوي امين.

ان الخسارة برحيل الدكتور محمد احمد سحلول كبيرة، إذ ان امثاله قليلون، ممن يجمعون بين العلم والعمل في اتزان مستقيم، فقد شعرت في مخالطتي الكثيرة له، أن ما يقوله في دعوات الإرشاد الخلقي صار جزءاً من سلوكه الواقعي، وهي مرتبة عزيزة المنال ولا تتاح إلا لمن اصطفاهم الله من الأخيار، لذلك كان الم لرحيله من القوة بحيث لم يهدئه فيض الدموع، وهو امر اضطراري لا حيلة فيه لباك ولا لصبور!

لم اقل كل ما في نفسي، ولكنها مشاعر ذات أوار محتبس، ويتطلب التنفيس، وقد اختاره الله بعد أن أدى صلاة العشاء في حادث تصادم أرعن فذهب شهيدا.

**أبو حسام**

***



# القلادة المباركة

للأستاذ/ محمد فريد أبو حديد(١)

**بقيت مكة واجمة حيرى، منذ خرج منها محمد بن عبد الله وأعجز مطارديه حتى دخل يثرب وحل فيها عزيزاً بعيداً عن سلطان قريش. ومضى عام طويل لم يزد أهل مكة إلا وجوما وحيرة. بل لقد زادهم قلقا وخوفا. فقد تجرأ عليهم أولئك الضعفاء الذين هاجروا من مدينتهم يتسللون، هربا من التعذيب والتنكيل ورفعوا رؤوسهم يتحدونهم على ملأ من القبائل. واستجمعوا نفوسهم وصاروا يخرجون بين حين وحين إلى سبل القوافل في شرق يثرب وفي غربها يترصدون لتجارتهم في ذهابها إلى الشام أو عودتها منها. بل لقد تجرأ هؤلاء المستضعفون على أن يسيروا إلى قريب من الطائف ويضعوا أيديهم عنوة على عير ضخمة عادوا بها غنيمة إلى مدينتهم ليقسموها بين أنفسهم.**

وما كان أهل مكة يحسبون أن الأمور تؤول بهم يوما إلى مثل تلك الحيرة ولا ذلك القلق، بل كانوا يحسبون أن محمداً وأصحابه لن يلبثوا أن يضيقوا بحياتهم الجديدة ويسألونهم العفو، ويرضون بما يفرض عليهم من الخضوع لقاء السماح لهم بالعودة. ولكنهم رأوا بأعينهم كيف يتحمل هؤلاء كل مشقة في سبيل عقيدتهم الجديدة، وكيف يقاومون الفتنة مهما أوقع بهم العقاب، فلا يزدادون مع الشدائد إلا ثباتًا ومقاومةً. وها هم هؤلاء قد أصبحوا خطراً داهمًا يهدد ينبوع الحياة في مكة ولم يمض عليهم في يثرب إلا عام واحد، فكيف لو امتد بهم الأمر عاما بعد عام؟!

ومضى الصيف مرة أخرى منذ خرج محمد وأصحابه وكان الحر متقداً لا يريد أن يهدأ وكان السماء تعمدت أن تزيد قريشًا من الضيق

(١) من روائع الماضي بمجلة الأزهر (رمضان سنة ١٣٧١هـ) الموافق (مايو سنة ١٩٥٢م).



والحنق، فكانت تشرق على البطحاء محرقة لا تعترضها غمامة تلطف من حرها، وكان الهواء يركد حتى يصير الفضاء كأنه قد فرغ وخوى، لولا دفعات لافحة كانت تثور بين حين وحين، فتعقد في الجو سحائب غبراء خانقة، تلقف الصدور منها أنفاسها وتكاد تشرق بها. وكانت العيون تخشع للأشعة المتوهجة وتعشى منها، والشفاه تجف وتتشقق والنفوس تضيق وتفور غيظاً. وكان الناس مع ذلك لا يطيقون أن يحتجبوا في بيوتهم ليحتموا بظلها إذ كان ظلها أشد وطأة عليهم من وهج الفضاء وركود الهواء وسحب الغبار، كانوا لا يطيقون الاستقرار وكل يوم يطلع عليهم بنبأ جديد تغوص منه القلوب في أجوافها وهي تشتعل بالحقد.

فكانوا يخرجون إلى الرحبة الفسيحة التي حول الكعبة، أو يجتمعون في دار الندوة يقلبون وجوه الرأي، لعلهم يهتدون إلى حيلة في دفع ذلك الخطر الرهيب، الذي يجثم لهم عند الأفق، يهدد حياتهم ويؤذن مجدهم بالزوال.

ولم يعد إلى نفوسهم شيء من السلام، بعد أن خفت وقدة الحر في الخريف، ولا بعد أن أقبل الشتاء وترفقت بهم الشمس، ولان لهم جو السماء فقد بقي القلق جاثماً على حياتهم لا يفارقها. وخرجت القافلة الكبرى التي اعتادوا أن يبعثوا بها كل عام إلى الشام فأودعوها كل ثروتهم، حتى لم يكد يبقى أحد من قريش بغير أن يضارب فيها بسهم، كأنهم أرادوا أن يكابروا خوفهم، ويخادعوا أنفسهم، عن الخطر الذي يحسونه في أعماق صدورهم. ووقفوا أسبوعين طويلين يترقبون عودة الرسل الذين ساروا مع العير ليحملوا إليهم بشرى سلامتها إذا مرت بيثرب بغير أن يتعرض لها محمد. ولما عاد الرسل إليهم لم تزدهم بشرى السلام إلا توجساً من المستقبل، إذ عرفوا أن أبا سفيان قائد العير لم يستطع النجاة إلا بأن تسلل مع الجهد والحذر، وكان يضرب في أكباد الإبل ليلاً ونهاراً ليسرع بها قبل أن يدركه محمد. فكانوا إذا جلسوا في دار الندوة تناجوا فيما بينهم يتساءلون: هل يستطيع أبوسفيان أن ينجو في عودته من الشام، وأن يتسلل بالعير مرة أخرى كما تسلل في ذهابه؟

وكان الحديث يتمادى بهم حتى ينتهي إلى أن تمتلئ قلوبهم غيظاً، فإن مكة لن تستطيع أن تقضي حياتها على مثل ذلك الفزع المتصل. فإذا سأل أحدهم: كيف السبيل إلى تجنب ذلك الخطر أو إزالة ذلك الخوف؟ لم يجدوا جواباً سوى أن يعجبوا كيف استطاع هؤلاء المستضعفون أن يرفعوا رؤوسهم هكذا، وأن يردوا عليهم الكيد بمثل هذه الجرأة العجيبة!

واجتمع سادة قريش في دار الندوة بعد أربعة أشهر من خروج العير إلى الشام، يتنسمون الأخبار عن عودة قافلتهم الكبرى، التي اعتادت أن ترجع في مثل ذلك الوقت. ويتساءلون في ضجر: كيف لم يبعث إليهم أبوسفيان رسولاً يحمل إليهم أنباء العير ليهدئ عنهم المخاوف التي لا تدع لهم قراراً؟ وكان أشد القوم حنقاً أبو جهل عمرو بن هشام.

فقال في إحدى دفعاته الثائرة: أهكذا يستطيع رجل واحد أن يقهرنا جميعاً وأن يذلنا جميعاً وأن يشعرنا هذا العجز الذي نحسه في قلوبنا؟ أهكذا يجعلنا محمد نجلس كل يوم نتبادل





الأحاديث الخانقة كما يجلس النساء لا تملك إلا أن نتساءل ونتجادل؟ أهذا كله ولم يمض على خروجه من مكة خائفاً يترقب إلا عام ونصف عام؟

وكان القوم مطرقين في صمت وقلوبهم تختلج بما فيها من شجون. وعاد أبو جهل فقال وهو أشد ثورة:

ـ مالي أراكم لا تجيبون كأن وجوه الرأى قد أغلقت دوننا؟ مالى أراك يا أبا الوليد لا تحرك ساكنا؟

فرفع الناس رؤوسهم ينظرون إلى عتبة بن ربيعة لا يدرون بم يجيب، وقد عرفوا ما بين الرجلين من موجدة، ونظر عتبة إلى أبي جهل في تحد وهو صامت. ومضى أبوجهل قائلاً:

أرضيت يا أبا الوليد أن يضيع هكذا مجدنا وأن تهون هكذا عزتنا؟ مالى أراك تنكت الأرض بهذا القضيب في يدك، كأنك لا تبالى شيئا من هذه الكوارث التى تهددنا. فإذا كنت لا تبالى ضياع العز، ولا تغضب لما يلحقنا من الهوان، أفلا تحرص على أموالك التى خاطرت بها في عير أبي سفيان؟ وإذا كنت لا تحرص على أموالك في العير لوفرة غناك أفلا تهتم لضياع أموال أهلك من الفقراء؟

وقال عتبة في صوت خافت يحمحم غضبه:

ـ أراك تخصني بالحديث يا أبا الحكم.

فقل أبو جهل متماديا:

ـ أخصك بالحديث لأنني أعرف أنك لا توافقني. فقد طالما نصحت لقومي بالشدة فأبيت إلا أن تلين، ونصحت لهم بالحرب فأبيت إلا السلام ونصحت لهم بالحزم فأبيت إلا الموادعة.

فقال عتبة في دفعة:

ـ ليس هذا أول عهدى بهذا الحديث يا أبا الحكم. وحق هذه الكعبة ما أراك تنتهي بنا إلا إلى الكوارث التي نريد أن نتجنبها. ولقد صبرت عليك حتى نفد صبرى، وسكت حتى صرت تنعي على صمتي، ولست أدرى ماذا يرضيك مني حتى أبادر إليه مطيعا، أما يرضيك أنني في كل موقف أنزل عن رأيي وألوذ بالصمت حتى أرى ما بينك وبين الناس؟ ألا يرضيك أنني أجمجم بما في نفسي كلما أردت شيئاً حتى لا أوقع الفرقة في قومي؟ ألا يرضيك أن أسكت حتى أرى ما يستقر عليه ملأ قريش ثم أمضي وراءه؟ قل لي ماذا يرضيك مني بعد هذا حتى أخضع لك وأطيعك، وإن كان ذلك على رغمي. أم تريدني أن أقف وراءك كلما قلت رأيا صحت بأعلى صوتي: هذا هو الرأى أيها الناس فأطيعوه، لكي أحمل وزر خطئك وأعينك على زيادة البلاء والوباء.

فوقف من الجمع رجل ضخم الجثة عظيم الهامة عميق الصوت وهو أمية بن خلف وقال:

ـ مهلا يا أبا الوليد فما ينبغي لك الغضب ومهلا يا أبا الحكم فلا تمض في هذا القول.

فقال أبو جهل متجهاً إلى أمية ثم إلى عتبة:

ـ لم أقصد كل هذا يا أبا علي، ولا تؤاخذني يا أبا الوليد فما أردت أن أغضبك. ولكنى علمت مالك من سداد في الرأى وشهامة في النفس، فأحببت أن أستطلع رأيك فتشير علينا بما يكشف هذه الغمة.



فقال عتبة وما يزال غاضباً:

ـ تريد أن تجد عندى رأيا أشير به؟ فاسمع يا أبا الحكم ما أقول إذا شئت أن تعرف رأيى:

دع ذلك الرجل حيث هو ولا تعرضنا إلى عداوة صريحة. دعه هناك وجنّب قومك عداوة أهل يثرب. وأما تجارتنا إلى الشام فبقى بيدنا أمرها. فلنبعث مع كل عير جيشا منا يحرسها حتى تبلغ مأمنها ثم لنبعث لها جيشا منا يستقبلها ولنبعد فى سيرنا إلى الساحل حتى تباعد ما بيننا وبين الأوس والخزرج. دعه حتى يبادئنا بالعداء والحرب فلن نعدم عند ذلك أن نجد من العرب أنصاراً يغضبون لنا.

فقال أبو جهل فى سخرية:

ـ أهذا رأيك يا أبا الوليد؟ أترى أن نتركه حتى يستفحل أمره وتنتشر رهبته؟ إذا كان هذا رأيك فلنقبع فى ديارنا حتى يغزونا فى عقر دارنا. أيها القوم دعوا محمداً يبعث على رأس كل شهر سرية تنزع منا أموالنا وتقتل رجالنا. دعوه حتى يجمع الناس عليكم ويقبل على حرمكم هذا ليحطم آلهتكم.

ولم لا تقول يا أبا الوليد أن نرسل إليه وفداً منا يعرض عليه إسلامنا؟ بل لم لا تقول إننا ضللنا سبيل الحكمة إذ لم نخضع له وهو مقيم بين ظهرانينا؟ أهذا ما تريد أن تقول؟

وتحرك الجلوس فى مواضعهم وعلت منهم همهمة غامضة وجعلوا يقلبون أبصارهم بين الرجلين المتحاورين وانفجر عتبة بن ربيعة قائلاً:

ـ مالى أراك تجابهنى بما أكره، وتقول على مالم أقل، وتسلقنى بحد لسانك الساخر؟! قل ماشئت أيها الرجل فلن تسمع منى بعد هذا لفظا. هلم فاذهب إذا شئت إلى يثرب وادع من أطاعك من قريش وأشعلها حربا تنسى الناس مامضى من أيام القتال. اذهب إليه وأضرم نيران حرب ضروس تتحدث عنها الأجيال من بعدنا كما نتحدث نحن عن تفانى عبس وذبيان وحروب بكر وتغلب وأيام داحس والغبراء.

وهمّ واثبا ينفض ثوبه يريد أن يعود إلى بيته ووثب الناس يتمسكون به من كل جانب. وبقى أبو جهل ساكتا لا يكاد يتبين شيئا من الأصوات المختلطة التى تعالت بين جدران المنتدى واستطاع أمية بن خلف أن يعيد عتبة إلى مجلسه واتجه إلى أبى جهل قائلاً:

ـ ما أراك تنصف صاحبك يا أبا الحكم. فقد علمت أنه كان من أشدنا وفاء لآلهتنا، وأنه كان لا يألو جهداً فى ردع سفهائنا، وعقاب ضعفائنا، ولم يخرج عن إرادتنا عندما اعتزلنا بنى هاشم ثلاث سنين فى شعب أبى طالب، ولا عندما تراضينا على الفتك بمحمد، ثم لم يتخلف عنا عندما خرجنا وراءه نقتفى أثره على طريق يثرب.

فقال أبو جهل:

ـ لست أنكر ما تقول يا أبا على وما أردت لوماً ولا تعنيفاً ولا سخرية، فوحق هذه الكعبة ما قلت حرفاً إلا وأنا مشفق على عزة قومنا.

فقال عتبة متمالكا نفسه:

ـ إذن فقل يا أبا الحكم ما شئت فيما نحن فيه، فلعلنا نجد عندك ما يزيل عنا الغمة التى ذكرتها.

فقال أبو جهل:

ـ أنصفت يا أبا الوليد ولن أتعرض لك بما

تكره، ولندع محمداً وأصحابه في يثرب، ولننظر إلى أنفسنا، فلا أقل من أن تجمع رأينا على أمر واحد فلا تتفرق شيعاً وليس يجدينا أن كل عشيرة منا تبرز شوكتها كلما حسبت أن شيئاً يمس فرداً منها، فما لنا ندع البعض منا يوالون محمداً ويتربصون بنا الدوائر هنا؟!

فصاح أمية بن خلف:

ـ بيّن لنا معنى قولك، وكن أكثر إفصاحاً.

وقال عتبة:

ـ ألسنا نمسك بهؤلاء، ونعاقبهم ونحبسهم ونحرمهم من كل خير حتى يعودوا إلى ما نرضى؟

فقال أبو جهل:

ـ بل هذا لا يغني عنا شيئاً. فالذين نحبسهم ونعاقبهم أقل خطراً ممن نخشاهم ونحاسنهم. فالأولون يعلنون ما عندهم ويكشفون عما في أنفسهم. وأما الآخرون فلا يظهرون إلا ما نرضى وهم في قرارة أنفسهم كارهون لنا. يوالون محمداً ويصهرون إليه ويفضون بأسرارنا إلى نسائهم إذا انصرفوا عنا.

فصاح صوت عميق من أقصى الجمع:

ـ بيّن لنا معنى قولك، كما قال أبو علي، كن أكثر إفصاحاً.

وكان المتكلم رجلاً عريض الصدر، كبير الهامة وقام يعدل رداءه فوق كتفيه فكان رجلاً طوالاً كأنه يتحفز لنزال.

فقال أبو جهل في صوت ساخر: أنصفت يا أبا علي إذ تسألني أن أكون أكثر إفصاحاً. هو ذاك يا أبا علي. هو ذاك يا أبا العاص بن الربيع. أنت هنا مثلاً تقيم بيننا وتغشى مجالسنا وتجهر بما تشاء من الرأي في شئوننا ثم تذهب إلى بيتك فتفضي بأسرارنا إلى زينب بنت محمد!

فصاح أمية بن خلف:

ـ على رسلك يا أبا الحكم.

ولكن أبا العاص بن الربيع اندفع قائلاً بصوته المليء: ماذا تقول أيها الرجل؟ لقد عرفت أنك تقصدني وتشهّر بي، وقد طالما تحدثت إلى في خلوة بهذا الحديث.

وأعاد أمية بن خلف قوله:

ـ على رسلك يا أبا علي!

فمضى أبو العاص قائلاً بصوته الجهوري:

ـ ماذا يقول هذا الرجل عنّي وعن أهلي؟ أما كفاه أن تجرأ عليّ فسألني أن أطلق امرأتي؟ أما كفاه أن رددته في رفق قائلاً إنها ابنة خالتي ومن بنات عمومتي؟

ألا فاعلم يا أبا جهل أنك لا تملك رقابنا ولا تفضلنا حسباً ولا نسباً. من ذا سلّطك علينا وأباح لك الأمر والنهي فينا والتعرض لحرماتنا وأعراضنا. أكان محمداً يقول لصاحب له طلق زوجتك لو كانت مخزومية أو كانت ابنة أبي جهل؟ فما بالك تتعدى حدك وتستحل مالاً يباح لك أو لغيرك؟ ألا فاعلم أيها الرجل أن زينب لو كانت زوجة رجل غيري ثم أراد أن يؤذيها لوقفت له بسيفي دونها لأنها بعض دمي، ثم هي بعد ذلك صاحبتي وأم ولدي. وقطع لسان من ينطق يوماً بكلمة تخدش سمعها لو بلغتها. ألا فاعلم يا عمرو ابن هشام أنني قد أعددت لك جواباً شافياً حاسماً إذا حدثتك نفسك يوماً أن تعيد عليّ ما قلت في شأن أهلي.

ثم مد يمينه إلى قائم سيفه واستدار فمضى مسرعا لا يجيب الأصوات التى تعالت من ورائه تناديه أن يبقى.

وما كاد أبو العاص ينصرف حتى شغل الناس عنه وعما كان بينه وبين أبى جهل، فبينما هم فى وهرة من أثر ذلك الخصام المحتدم علا صوت صريخ من جانب الوادى كأنه شيطان يعوى، وأسرع أبو جهل قائما يصيح بصيحات جشاء غير مبينة، وانفض الجمع مضطربا يتبادرون على غير هدى نحو الصوت الذى ما زال ينبعث من بطن الوادى. وبدا من بعيد شخص واقف على بعيره وقد حوّل رحله وشق ثيابه من أمام ومن خلف وكان البعير مقطوع الأذنين مجدوع الأنف والرجل يصرخ بأعلى صوته: «يا معشر قريش أدركوا عيركم! الغوث الغوث!»

ولما اقترب الناس منه جعل يعيد عليهم ما بعث إليهم أبو سفيان قبل أن يصل إلى يثرب، فقد عرف أن محمداً وأصحابه قد خرجوا من المدينة ليهبطوا على العير التى أودعها أهل مكة كل ثروتهم وكل أملهم فى الربح ذلك العام.

ومضت لحظة قصيرة خفتت فيها الأنفاس ثم انفجر أبو جهل قائلاً:

ـ ماذا تنتظر هنا أيها القوم ينظر بعضنا إلى بعض كأننا نساء فى مأتم، ألم أقل لكم ابدءوا به قبل أن يبدأ بكم؟ لا تضيعوا ساعة ولا يقف أحد منا يقول لصاحبه كلمة. هلموا إلى سيوفكم ورماحكم وخيلكم ورواحلكم واجعلوها موقعة فاصلة، إنه صوت الآلهة يناديننا إنه قد آن لنا أن نضرب الضربة القاضية.

وزاد اللغط، واختلطت الأصوات وصاح أبو جهل مرة أخرى:

ـ هلم يا قوم فاستعدوا للحرب ولا يتخلف منكم إلا من آثر القعود مع النساء.

ومضى مسرعا إلى بيته بغير أن ينظر إلى الناس وهم يتفرقون سراعا إلى بيوتهم فى لهفة.

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد خرج من المدينة مع من استطاع الخروج معه من أصحابه يترقبون عودة عير قريش مع أبى سفيان، وكان المسلمون لا يحسبون أنهم يخرجون إلى حرب، بل أرادوا أن يكيدوا للذين أخرجوهم من وطنهم وأبوا عليهم الحرية التى وهبها الله للأحياء جميعا، أولئك الذين شردوهم، وحرموهم من أموالهم، وانتهكوا حرمة أشخاصهم، وعقيدتهم وأرادوهم على إنكار إنسانيتهم، أولئك الذين أرادوا أن يخدعوهم عن عقولهم وقلوبهم وأنزلوا بهم أشد العذاب لينزعوا الإيمان من صدورهم.

ثم جاءتهم الأنباء عندما صاروا قريبا من وادى بدر فعلموا أن أهل مكة قد عرفوا خروجهم وأقبلوا سراعا إلى نجدة صاحبهم، إذن فهى الحرب التى لم يتوقعوها وهى الصدمة التى لم يقصدوا إليها.

وأشفق رسول الله أن يقتحم بأصحابه حرباً على غير أهبة، وكان يعلم أنهم قليل فى العدد قليل فى العُدة، يعتقب الثلاثة منهم أو الأربعة بعيراً واحداً، وليس معهم من السلاح والدروع إلا اليسير الذى لا يغنى فى قتال جيش. وكان لا يريد من خروجه أكثر من إيقاع عقوبة تروّع أهل مكة وتجعلهم أكثر خضوعاً للحق، وأقرب إلى



الإدراك والفهم. كان لا يريد أكثر من أن يفتح عيونهم لتبصر، وأن يفتح آذانهم ليسمعوا، وأن يظهر لهم أن للمسلمين شوكة لعلهم يجنحون إلى المسالمة. ولكنهم خرجوا إليه فصار بين أمرين: إما أن يرجع إلى المدينة، وإما أن يصادم جيشاً كبيراً.

واستمع إلى أصحابه يجيبونه فى صراحة عندما سألهم أن يشيروا عليه.

فقال بعضهم: هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له.

وقال آخرون: امض فى سبيلك فنحن معك.

وقال غيرهم: لو خضت بحراً لخضناه معك. ولو علوت جبلا لعلوناه وراءك، ولو ذهبت بنا إلى برك الغماد لتابعناك عن يمينك وشمالك وبين يديك ومن خلفك.

وعادوا يقولون: سر بنا على بركة الله!

فمضى الجمع المتحمس الصغير نحو وادى بدر، وهو يعلم أنه مقبل على عدو جاء إليه يسعى مدلاً بقوته، حريصاً على أمواله جامحاً مع كبريائه. ثم توالت الأخبار، فعلم محمد وأصحابه أن أبا سفيان استطاع أن يفلت بالعير متباعداً بينه وبين المسلمين مقترباً من ساحل البحر. فلم يبق أمامهم سوى الجيش وحده - وقد أخرجت فيه مكة أبطالها وسادتها فحشدت فيه ألفاً من بواسل فرسانها.

وأقبل الليل فأرخى سدوله على الأرض وكان الوادى صامتاً لا يسمع فيه حس ولا يجلجل فيه صوت جرس فى عنق بعير. ثم طلع القمر بعد حين إذ كان شهر رمضان قد مضى أكثر من نصفه. وغمرت الأشعة الفاترة بطن الوادى وخلعت عليه رهبة وغموضاً.

وجلس محمد وأصحابه مرة أخرى يتشاورون ويتراجعون فلم يذوقوا تلك الليلة نوماً حتى قرب مطلع الفجر بعد أن اختاروا مواقفهم ودبروا معاً خطة القتال إذا أقبل الصباح.

وخرج أبو العاص بن الربيع وحده من جيش مكة فاعتلى جانب الكثيب مشرفاً على الوادى الصامت لا يرى فيه سوى أشباح تبرق ثم تختفى كأنها أرواح شفافة. وذهب خياله إلى مكة حيث ترك امرأته زينب وحيث خلف ولده علياً وابنته أمامة. وجالت فى نفسه خواطر شتى عن قومه، وعن محمد أبى امرأته: أقد جاء حقاً يريد أن يحارب جد بنيه مع أبى جهل وأمية ابن خلف وسائر هؤلاء؟ أكان ينبغى له أن يخشى أقوالهم عندما اتهموه بخيانتهم والولاء لمحمد خفية عنهم؟ وهل كان يقوى على مخالفة قومه والتخلف عن الخروج، فتكون تلك سبة الدهر فتلصق به تهمة الجبن أو الخروج على قومه؟

ولكنه كان كلما تمثل صورة محمد، أحس قلبه يخذله ويكاد يتهمه. فكيف يخرج إلى حرب رجل عرفه ورأى نبله وصدقه؟ أليس هو الذى أخرجه قومه طغياناً وظلماً بعد أن أذاقوه مرارة الاضطهاد والأذى؟ فكيف يخرج مع أبى جهل وأصحابه الذين يشمخون بأنوفهم كبرياء وغروراً لكى يحارب الرجل الذى يدعو إلى العدالة والكرامة؟

ولكنه عاد آخر الأمر إلى خيمته يجرجر قدميه فوق الرمال، وفى صدره معركة عنيفة من جدال خانق. وكان الناس مايزالون يصخبون فى خيامهم يتعللون بما يطلع به الغد عليهم من متع الحياة





ومباهجها، سيجدون الوادى خلاء من المسلمين الذين لن يقدروا على الثبات لهم فى القتال وسيجدون الحوضفا، فيقيمون ثلاثة أيام فى بطن بدر ينحرون الجزائر ويطعمون أهل القرى ويشربون الخمر ويستمعون إلى غناء القيان. وسوف تسمع العرب بموقفهم من محمد فيزدادون هيبة لهم ومسارعة إلى محالفتهم على المسلمين.

وطلع النهار واعتلى جيش قريش جانب الكثيب ليهبطوا على الوادى. وكان أبو العاص يسير قريبا من عتبة بن ربيعة. وكان محمد وأصحابه هناك ما يزالون ينتظرون فى ركن صغير إلى جانب بئر، ومن ورائهم حوض ممتلىء بالماء أقاموه تحت ستر الليل.

فنظر عتبة إلى أبى العاص قائلا فى همسة:

ـ إنها الحرب يا أبا على. إنها الحرب لا ما يزعم هؤلاء، فما هى نزهة ولا خمر ولا قيان.

وقال أبو العاص مجيباً:

ـ فيم الحرب يا أبا الوليد وقد نجت العير التى خرجنا من أجلها.

فقال عتبة:

ـ لقد وددت يا ولدى لو عدت إلى مكة، ولولا المعرة وما يقوله هذا الأحمق أبو جهل لما نزلت إلى هذا الوادى.

وعاد أبو العاص يحدث نفسه:

ـ أحقًا أحارب اليوم وأضرب بسيفى من أجل هؤلاء؟ أئذا رأيت محمداً رفعت يدى هذه وأهويت عليه حتى أشفى غليل أبى جهل وأحرق قلب امرأتى؟

ولما رآه عتبة صامتا قال له:

ـ سوف أبذل الجهد يا ولدى لأخلص قومى من هذا القتال. إن ذلك الرجل يدفع بنا إلى هاوية.

ونزلا فى صمت مع الجيش الصاخب حتى صاروا فى فضاء الوادى وتفرق الناس فى أطرافه ينظرون إلى الجمع الصغير القابع حول حوض الماء، وأخذوا يحزرون عددهم ويجيلون أبصارهم فيما حولهم، وما لبثوا أن عرفوا أنهم لن يجدوا فى يومهم ماء، فقد طم المسلمون كل الآبار غير ذلك القليب الذى بنوا الحوض إلى جنبه.

وجاء حكيم بن حزام إلى عتبة بن ربيعة فقال له، هل لك فى خير لا تزال تذكر به آخر الدهر يا أبا الوليد؟

فنظر عتبة إلى أبى العاص نظرة سريعة ثم قال هادئًا: تجدنى مطيعًا لك.

فقال الرجل: اردع الناس عن القتال وعد بهم إلى مكة.

فقال عتبة: وهل يطيعنى هذا؟

فقال حكيم: أنت سيد قريش وما عليك أن يقول أبو جهل ما يشاء. ألا ترى هؤلاء المسلمين مع قلتهم يتلمظون للقتال. إنهم ثلثمائة رجل، ولكنهم لم يصابوا حتى يصيبوا منا مثل عددهم. وما خير الحياة إذا أصيب من هؤلاء الأشراف ثلثمائة؟

ونهض عتبة إلى بعير فركبه وسار بين الصفوف يدعو الناس إلى الانصراف بغير قتال.

وما كاد أبو جهل يسمع بما قال عتبة حتى انطلق يسير فى الجيش يتهم عتبة بالجبن وأنه



يخشى أن يصاب ابنه أبو حذيفة الذى خرج مع محمد.

وسمع عتبة ما قال أبو جهل فصاح غاضباً:

ـ سيرى هذا الأحمق أينا أولى بأن يكون الجبان المشئوم. هاتوا لى درعا وسأكون أول من يبرز للقتال. سيرى هذا الرجل أينا أحرص على الحياة.

وتفرقت الجموع تتشاحن وتتجادل بعضهم يوافق عتبة، وبعضهم يتابع أبا جهل، وتفرقت الآراء واختلفت الأهواء، واعتزل أبو العاص ركناً من الوادى وقلبه يفيض حزناً وغماً.

ثم بدأ القتال وغطى الغبار على الوادى بسحابة كثيفة تظلل ميدان المعركة الحاسمة. فلما انجلى الغبار آخر اليوم كان جيش مكة بين قتيل وصريع وأسير ومنهزم، يخلفت خلفه ويلوذ بالفرار من حذر المطاردة.

وكان أبو العاص بن الربيع واحداً من الأسرى السبعين الذين أخذوا إلى المدينة من بقايا المعركة، أما بدر فقد طوى رماله على حياة كثيرة كانت لا تعرف الانطواء: أبو جهل وعتبة وأمية بن خلف. وأكثر من كانوا يتجادلون فى دار الندوة ويتقسمون الرأى فى مكة.

وخرجت بقية السادة من مكة مرة أخرى يسيرون إلى المدينة ليسألوا محمداً أن يمن عليهم بإطلاق من عنده من الأسرى. وكان محمد يقبل منهم الفداء، كل على قدر ماله، فمن لم يكن له مال وهو يحسن الكتابة دفع إليه عشرة غلمان من المدينة يعلمهم الكتابة.

وجاء عمرو بن الربيع يطلب أخاه الأسير أبا العاص بن الربيع وعرض على رسول الله فداءه وكان عقدا ثمينا. فما كاد رسول الله يرى العقد حتى عرفه. وفاض قلبه الكبير رحمة ورقة.

كان عقد صاحبته الأولى وزوجه الوفية النبيلة التى وهبت له قلبها وأخلصت له إيمانها، كان عقد الصديقة الأولى التى كانت تشاركه فى البأساء والضراء و تواسيه فى أيام الكرب والشدة، خديجة بنت خويلد.

وقال عمرو بن الربيع: هذا فداء أخى حملته إليك من عند امرأته زينب.

وتمثلت للرسول الكريم صورة امرأته الحبيبة كأنها جاءت إليه تشاركه فى عزة الإسلام كما كانت تواسيه فى أيام شدته.

اهكذا تسخو زينب بهدية أمها، لكى تفدى زوجها، كان ذلك العقد هدية الأم إلى ابنتها عند زفافها، فأى موضع للرجل فى قلب امرأته!

ولم يكن أبو العاص ضئيلا أو خسيسا فقد ذاع بين الناس موقفه من صاحبته عندما تحدى أبا جهل علانية، وأبى أن يتخلى عنها أو يخدش سمعها بكلمة. وقد سمع رسول الله ذلك وشكره له، وإن كان أبو العاص ما يزال فى صفوف أعدائه، فإنه يحمل بين جنبيه قلبا كريما.

ونظر رسول الله إلى أصحابه جائش القلب، وقال لهم وفى صوته فيض من الرقة:

ـ إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا.

وأجاب من حوله وفى أصواتهم صدى رقته فقالوا: نعم يا رسول الله نفعل.

ثم هبوا فأطلقوا أبا العاص وردوا القلادة إلى أخيه عمرو ليحملها معه إلى الزوجة الوفية.



# دعوة إلى نحو عصرى بين الوهم والتخريب

للأستاذ الدكتور / مبروك عطية أبو زيد (*)

**نشرت مجلة الفيصل فى عددها رقم (٢١٨) مقالا بعنوان: «مجامع اللغة العربية ودورها المنشود» جاء فيه ما نصه: «ألا ترى أن أدوات النفى فى عربية عصرنا لا تذهب بعيداً عن «ما» و«لا» و«لم» و«لن» وليس فيها «لما» و«لا» «لام الأمر» و«لا» «إن» النافية. إن هذا كله كان ينبغى أن يفيد منه المجمعيون، وأهل العربية من النحاة المعاصرين، فيقدموا نحواً جديداً مستوفى من العربية المعاصرة».**

وفى هذا الكلام دعوة إلى نحو عصرى، قدّم فيه صاحب المقال تصوراً لما يكون عليه، وقدّم أنموذجاً له تحت عنوان: «أدوات النفى» وناشد المجامع اللغوية وأهل العربية من النحاة المعاصرين أن يؤلفوا نحواً عصريا جديداً مصدره العربية المعاصرة فعليهم إذْنْ أن يرصدوا أدوات النفى مثلاً على أفواه المعاصرين وما دام المعاصرون لا يستعملون من أدوات النفى سوى ما ذكر من (ما) و(لا) و(لم) و(لن) فليدونوا ذلك قائلين: تلك أدوات النفى التى يستعملها أهل الثقة المعاصرون، عرفتهم فالزموا.

وكاتب المقال أهمل «ليس» ولا أعرف إذا كان يرى أنها مع المستعمل أولا!

ومعنى ذلك أنْ يأتى زمان معاصر كذلك فى وقته وناسه، تهمل بعض الأدوات وتهجر فيوضع نحو جديد يدون فيه ما يستعمله أهل هذا العصر الذى سنكون فيه بلا شك

(*) رئيس قسم اللغويات فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات فرع جامعة الأزهر بسوهاج.

في غداد الموتى – والموتى يبعثهم الله – ويهمل غير ما يستعملونه، إلى أن يأتي زمان تصبح فيه أدوات النفي أداة واحدة هي «ما» مثلا، أو «لا» فيرد على مؤلف هذا النحو ناقد حصيف شريف قائلا: لقد أخطأت أيها النحوي المؤلف، كيف تعنون للباب قائلا: «أدوات النفي» وما تحت عنوانك أداة واحدة، ومن المؤكد أنّ ذلك المؤلف الراصد للنحو المعاصر لن يستطيع الرد عليه، فليس بين يديه عندئذ كتاب الخصائص لابن جني ليطلع على سنن العربيّة، ويأتي بمسوغ مقبول يفحم به ناقده، فما الداعي إلى وجود هذا الكتاب النفيس أو إلى وجود غيره، فاللغة مباديتها معروفة، وشوارعها مرصوفة، وأزقتها مسدودة، لا تنفتح على تراث، ولا تلوى على ماض، ولا تتكل على قديم، يخرج أهل المجامع وأهل اللغة المعاصرون إلى المدارس الابتدائية ونوادي الرياضة والفيديو، ويسمعون، ويكتبون، ويدرس ما كتبوا، ولماذا يدرس ما كتبوا، أندرس النحو لمصادره، فلنترك تدريسه وكان لزاما لأنّ تلاميذه هم شيوخه ومصادره، وما حاجتنا يومها – لا قدر الله – إلى مجامع لغويّة!

إنّ ما تقوم به تلك المجامع تقوم به أية بائعة في سوق الخضر، أليست عصرية – معاصرة!

ولسانها هو اللغة المعاصرة، فليقترب منها عالم النحو – أقصد رجل التدوين – وليسألها بأدب قائلاً:

بالله يا خالة: أعندك نعناع؟

فإن قالت: «لا»

كتبت وراءها: لم تستعمل هذه المرأة المعاصرة من أدوات النفي سوى «لا»

ولكن يبذل جهداً يستحق عنه أجراً عليه أن يقول لتلميذ راسب:

هل أهملت؟

فيرد عليه المهمل قائلا: أنا ما أهملت، ولكنّ أستاذ العربيّة لم تعجبه لغتي المعاصرة، وعندئذ يترك المدوّن الأداة الثانية ويتناسى تسجيلها قليلا ليسأل التلميذ:

هل يتحدث هذا الأستاذ بلغة مضبوطة؟

وهل يخرج طرف لسانه عند النطق بالثاء مثلا إذا قال لكم «ثعلب» أينطق بها هكذا أم يقول «سعلب»؟

إنّ هذه الدعوة من قبيل الهزل، وليس فيها من جد يجعلنا نلتف حولها، وتناصرها، والمقال الذي يدعو صاحبه إلى شطب «لمّا» و«لام الأمر» و«إن النافية» من أدوات النفي.

لم يتعرض لورود هذه الأدوات في كتاب ربنا – تعالى – وكأنه يرى أنّ النحو العربي ليس من هدفه صون اللسان عن اللحن في كتاب الله – عز وعلا – ومن أمثلة «لمّا» النافية قول الله – تبارك اسمه –:

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾(١).

ومن أمثلة «إنْ» النافية قول ربنا - سبحانه - ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾(٢).

وأمّا لام الأمر فلعله أراد أنها غير مستعملة في اللغة المعاصرة أداة جزم، فلا أتهمه بأنه يجهل أنها ليست نافية، وإنما هي من الأدوات التي تجزم فعلا واحداً كلم ولمّا، ومثالها من القرآن الكريم قول ربنا - عز وعلا - :

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾(٣).

وأنا أشعر أن صاحب المقال وأقطع بأنه يحفظ مثل هذه الآيات، ويتوقع أن يرد عليه بها، والدليل أنه يقول « ... ثم إنّ النحو القديم بعيد عن النحو في لغة التنزيل»(٤) وهذا حكم كليٌّ كله ظلم، ولا أدري ما الكتب التي اطلع عليها كاتب المقال، فخرج منها بما أثبت وقال، وما وضع النحو الذي سمّاه قديماً إلاّ خدمة للقرآن الكريم فقد روى أنّ سبب وضع عليٌّ - كرّم الله وجهه - لهذا العلم أنه سمع أعرابيًا يقرأ «لا يأكله إلا [ الخاطئين ]» بدلا من «لا يأكله إلا الخاطئون».

ويُروى أنه قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال: من يقرئني شيئاً مما أنزل الله - تعالى - على محمد - ﷺ - فأقرأه رجل سورة براءة، فقال:

«أنّ الله بريءٌ من المشركين ورسولِه».

بالجر فقال الأعرابي: أو قد بريءَ الله من رسوله؟! إن يكن الله - تعالى - بريءَ من رسوله فأنا أبرأ منه، فبلغ عمر - رضي الله عنه - مقالة الأعرابي، فدعاه فقال: يا أعرابي، أتبرأ من رسول الله - ﷺ -؟!

فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي قدمت المدينة، ولا علم لي بالقرآن، فسألت مَنْ يقرئني؟ فأقرأني هذا سورة براءة، فقال: «إن الله بريءٌ من المشركين ورسولِه» فقلت أو قد بريءَ الله - تعالى - من رسوله؟ إن يكن الله - تعالى - بريءَ من رسوله فأنا أبرأ منه، فقال عمر - رضي الله عنه - : ليس هكذا يا أعرابي فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال:

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾(٥).

---

(١) الحجرات ١٤.
(٢) فاطر ٢٣.
(٣) الطلاق ٧.
(٤) الفيصل ص٤٩ العدد (٢١٨).
(٥) التوبة ٣.

فـقـال الأعـرابي: وأنا أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم، فأمر عمر - رضي الله عنه - ألا يُقرئ القرآن إلا عالمٌ باللغة.

وروى أنّ أبا الأسود الدؤلي جاء إلى زياد - وهو أمير البصرة - فقال: إنّي أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وفسدت ألسنتها؛ أفتأذن لي أنْ أضع للعرب ما يعرفون به كلامهم؟ فقال زياد: لا تفعل فلمّا جاء رجل إلى زياد، وقال: أصلح الله الأمير، (توفى أبانا وترك بنونا) فقال له زياد مستنكراً: توفى أبانا وترك بنونا!! أدْعُ لي أبا الأسود فلما جاءه قال له: ضع للناس ما كنت نهيتك عنه، كما روى أنّ أبا الأسود قالت له ابنته: ما أحسنُ السماء؟ فقال لها: نجومُها. فقالت: إنّي لم أرد هذا، وإنما تعجبت من حُسنها فقال لها: إذن فقولي: ما أحْسَنَ السماءَ!

فحينئذ وضع النحو، وأول ما رسم منه باب التعجب[6] واختلاف الروايات وتعددها ينتهي إلى أمر واحد هو أن النحو ما كان وضعه إلا صوناً للسان من الخطأ في كتاب الله - تعالى - لأنّ خطأ اللسان في نحو: «ما أحْسَنُ السماء» مع إرادة التعجب لا يؤمن معه تسرب هذا اللحن إلى قوله - تعالى -:

﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾[7]

فيكون استفهاماً، وهو تعجب، فينحرف المعنى عن مراده، تلك نية العلماء من السلف، وهذه أياديهم شاهدة، وتلك مؤلفاتهم بين أيدينا، وما أكثر الكتب المصنفة في إعراب القرآن الكريم، وبيان مشكله، وقراءاته وتوجيهها والاحتجاج لها، ولو نظر منصف إلى كتب النحو الأخرى لأخذ بقلبه وعينه ما يراه من شواهد سيبويه من القرآن الكريم. رسائل جامعية حصل أصحابها على درجة (العالمية) الدكتوراه فيها، وقد قيل لابن هشام الأنصاري، لم لم تؤلف كتابا في إعراب القرآن؟ فقال - رحمه الله - أغناني المغني، ويقصد بذلك كتابه المشهور: (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) ومن ينظر فيه يقف على تلك الحقيقة - أيضاً - لكثرة ما يجد من آيات الكتاب، ولن تقف المعاصرة حجر عثرة بين الخادم (النحو) والمخدوم الأصلي (القرآن الكريم) أبداً ما دام فينا من يشهد لله بالوحدانية ولسيدنا محمد - ﷺ - بالرسالة وسوف تبقى أدوات النفي شاملة ما جاء في كتاب ربنا وإن كره المعاصرون.

---

(6) وانظر نشأة النحو للشيخ الطنطاوي ص17، 18.

(7) البقرة 175.

# الغرام السُّوقى

**«تحفة من الشعر الاجتماعى الهادف نظمها الشاعر الأزهرى الكبير الأستاذ محمد الأسمر، وقد اختارها للنشر الناقد الأديب الدكتور عبد اللطيف الحديدى الأستاذ بجامعة الأزهر»**

لا يُلْهِيَنْكَ تغريدُ العصافير ... وناعمُ الريشِ عن نقرِ المناقير !!
واحذر من القطةِ الملساءِ، إن لها ... أنيابها، ولها خدشُ الأظافير
ورُبَّ حسناءَ أمسى قُبْحُ ما صنعتْ ... بالناسِ وهو أحاديثُ الجماهير
فاحذرْ غوانى إنْ صدَّتْ وإن وصلتْ ... فهنَّ أشبهُ شىءٍ بالمناشير !!
يُصْبينَ حتى أخا سبعين ليس لهُ ... صبًا فتسخو يداهُ بالدنانير
هُنَّ التواجرُ فى كُلِّ الأمورِ فما ... يسقطْنَ إلا على القومِ المياسير
وهُنَّ حولَ الذى يلقى بلقمتهِ ... شواخصُ الطَّرْفِ أشباهُ السنانير
حتى إذا نضبتْ يومًا موائدهُ ... بحثْنَ عن غيرها بحثَ المساعير
فاحذرْ شواردَ منها لارقيبَ لها ... ولا تغرَّنْكَ ربَّاتُ المقاصير
كم من قصورٍ حوتْ أركانُها دنسًا ... تعجَّبتْ منهُ أركانُ المواخير !!
تلكَ الغوانى غوانى السُّوقِ ليس لها ... خِلٌّ، ولو كان وهَّابَ القناطير
وما شكرْنَ يدًا أسدتْ لهنَّ يدًا ... بل هنَّ فى الأخذِ أشباهُ الأعاصير !!
يبيتُ فى أسْرِهنَّ المرءُ مبتسمًا ... يخدعْنَهُ فهو وضَّاحُ الأسارير
فيا عجيبًا تراهُ وهو مغتبطٌ ... ولو درى لرأى سُخْرَ المقادير !!

***

هذا وكمْ من رجالٍ أدنياءَ لَهُمْ ... إنْ صادفوا غرَّةً فتكُ المغاوير
وإنْ أحاطوا بسرٍّ ليس يعرفُهُ ... سواهمْ أعلنوهُ بالمزامير !!
ومنهمْ معشرٌ أعداءُ أنفسهمْ ... لهمْ غرامٌ بتجريحِ المشاهير !!




مُبالغون، وقد تلقاهمُ وضعُوا … ما يافكون به، وضع الأساطير
لو أن كُلَّ امرىءٍ يعنى بحالته … لم يَمْشِ قومٌ لقومٍ بالأخابير[1]
ياويح من أعرضوا عن بحث أنفسهم … ويحشون سواهُمْ بالمناطير!!
ومن تأمل يوماً ما صحيفتهُ … ألهاهُ ذلك عن فحص الأضابير[2]

***

يالهف نفسي على الزوجات ضيّعها … من البعول رجالٌ كالطراطير
تخفي الحقائقُ عنهمْ وهي واضحةٌ … فينظرون إليها كالسمادير[3]
ولا يثورون بركاناً له حممٌ … لكن يثورون أشباه القراقير[4]
كيف اطمأنوا فناموا عن حدائقهم؟! … سرى اللصوصُ فما نومَ النواطير؟![5]
وكلُّ بستان وردٍ نام صاحبُهُ … عن حفظه فهو منهوبُ الأزاهير!!

***

ولهف نفسي على زوجٍ تدنّسُهُ … قرينةٌ، زوجُها زوجُ (القوارير)
من الغوامض لا (رَمْلٌ) يبيّنها … ولا شيوخٌ قُعُودٌ بالطوامير[6]
من اللواتي إذ ما ريبةٌ عرضتْ … فهنّ ماهنّ في خلق المعاذير!!
فبالها من ظلامٍ غير منكشفٍ … يلوحُ كالصبح، وضّاح التباشير[7]

***

اللهُ للناس، عمّ الشرُّ واستلأتْ … أسواقُهُ بالأباليس المناكير
فاحذرْ وحذّرْ وأصلحْ ما استطعتَ ولا … تبغ الفساد، ورفقاً بالقوارير[8]

(1) الخبر جمعه أخبار، وجمع الجمع أخابير.
(2) الأضابير جمع إضبارة: الحزمة من الصحف.
(3) السمادير: الخيالات والأوهام.
(4) القراقير: المراد بها هنا مايحدث في البطن من الأصوات.
(5) النواطير جمع ناطور: حافظ الكَرْم والزَّرع.
(6) الطوامير: الصحف جمع طامور، وطومار.
(7) التباشير: أول كل شيء.
(8) القوارير: أوعية الشراب الزجاجية، ويكنّى بها عن النساء، وقد جاء أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لأنجشة وهو يحدو بالنساء، حدوا من شأنه إسراع الإبل في المشي (رفقاً بالقوارير). وقالوا في قوله تعالى (قوارير من فضة) إنها مع كونها من فضة فهي في صفاء القوارير وشفيفها.



# يهود الشرق فى الأدب العبرى الحديث

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

**إن الصراع المستعر بين يهود الغرب ويهود الشرق من المشاكل العويصة التى تؤرق الكيان الصهيونى وقد تجلى هذا الصراع فى الأدب.**

**فقد ظهرت فى الأدب العبرى الحديث صور عديدة عن حياة يهود الشرق فى فلسطين وان كان قد كتبها من الأدباء الاشكناز أمثال:**

**«آرى بن ذهاب»، «دوف قمحى»، «حاييم هزاز»، «شموئيل يوسف عجنون»، «لئه جولدبرج»، «يهوشع ابن يوسف وغيرهم».[1]**

كما أن فصول الأدب التى تصف يهود الشرق فى الكتب التعليمية كانت عبارة عن مقتطفات أدبية مختارة لا تحدد شخصية ذاتية ايجابية للطالب الشرقى الأصل، فالأوصاف شكلية تعوزها الأصالة ولا تحتوى إلا على بعض السمات الشخصية لليهودى الشرقى مثل:

«أسود العينين» و«أسود الشعر» و«قصير القامة» و«نحيف» و«هزيل» و«ملابسه ممزقة» و«يسير حافيا» و«يلبس طربوشا أحمر».[2]

وهذا الوصف قد دعم الصور القائمة فى كثير من الأحيان، فاليمنيون يبيعون النعال والأكراد حمالون، واليهود الشرقيون بصفة عامة شهوانيون، متسولون، جهلاء ومتلعثمون.[3]

وبرزت هذه الصورة أيضا بين أبناء الطوائف الشرقية المختلفة فصفة البخل مرتبطة أكثر بيهود إيران، ويحكي أنه عندما سمع بعض الجنود من أبناء طوائف الشرق أن إسرائيل ارسلت مندوبا الى إيران لجمع التبرعات لصالح المشوف، ضحكوا جميعا وأضافوا قائلين: ان الإيرانيين لن يعطوه شيئا، وانتشرت دعابات كثيرة حول هذا

(١) شاطل، توترات طائفية فى شعب إسرائيل (تشجيم بين عداتييم بعم يسرائيل) ص٦٣.

(٢) شاطل، يهود الشرق فى أدبنا (يهودى همزراح بسفروتينو) ص٧.

(٣) المصدر نفسه، ص١٦.

الموضوع، كما يصف يهود كردستان اليهود المغاربة بأنهم قذرون ملعونون يأكلون العشب. أما المغاربة فقد ألصقوا بهم صفة العنف. (٤)

وللحقيقة يجب أن نذكر أنه لم يكن يكفي أن يكون الأدباء سفارد ومن أبناء الطوائف الشرقية لكي يعبروا عن يهود الشرق بصورة إيجابية، فهناك أدباء سفارد صوروا اليهودي الشرقي بصور سلبية وعلى سبيل المثال نجد أن «شلوقو طبعوني» في قصته «شاب في كرمة اليمنيين» و«بن صهيون يهوشع في قصته»، «مدينة في الأفق»، و«مردخاي طبيب في قصته» «قيثارة يوسي» و«دافيد سيطون» في قصته «قصة حي»، قد وضعوا يهود الشرق بصور سلبية، فهم حقراء فاسقون يهملون أولادهم ويضربون زوجاتهم، وقد تفاوتت درجة السلبية التي يصورها الكتاب ليهود الشرق من كاتب لآخر على حسب رؤيته فمن الأوصاف التي يرددها الأشكناز عن يهود الشرق هي «سود». (٥)

وهناك مثل منتشر بين يهود العراق يسخر من الفتاة السمراء التي تحاول عبثا أن تظهر بياضها بالمساحيق «خنفساء في الدقيق».

وتحكي «عليزة ليتبرج» عن أم نزحت من ليبيا حيث تقول عن ابنها وهو ولد جميل أسمر البشرة مسكين! انظروا كم هو أسود. (٦)

وفي قصة «شعشوع وابنته، يحذر شبتاي طبت ابنة شعشوع من الزواج برجل أسود فيقول» لن يكون لك منه بنات على قدر من الجمال ولن يطلبهم أحد منك للزواج. (٧) وهناك أغنية للأطفال مشهورة في إسرائيل تقول:

«كنت مرة في اليمن..... وهناك رأيت زنجيا صغيرا»

وصفة السواد هذه نسبية، فيهود شمال أفريقية الذين يعتبرون سودا في أعين الأشكناز كانوا ينقلون هذا الوصف للذين نزحوا من الهند الأكثر منهم سوادا. (٨)

وكي نتعرف على شعور يهود الشرق تجاه أبناء اليشوف الأشكنازي علينا أن نطالع النتاج الأدبي الذي كتب في هذه الفترة، فقد كتبت «مريم يوسفيلاه جوتمان» تصف أيام ميلادها بحيفا، وما قاسته كبنت لعائلة سفاردية أشكنازية كما تصف الأطفال بالمستوطنة وهم يسخرون منها، أما السفارد في حيفا فقد كانوا يترنمون خلفها بقولهم: «النخلة البولونية»، «يا أشكنازي بيخ. بيخ، حطوا رأسه في الطبيخ» وتضيف قائلة أما أنا فكنت أغطي وجهي وأكتم بداخلي الحقد فقد كنت أحقد على العالم كله. (٩)

وفي رواية «مريض الحياة» للكاتبة مريم طل يظهر صاحب البيت وهو يكيل الشتائم والإهانات

---

(٤) شاطل. توترات طائفية، ص٦٣.

(٥) شاطل. توترات طائفية، ص٦٢،٦١.

(٦) حياط. شمعون. الأسرة في أمثال يهود بابل. (همشباحاه بيتاحميم شل يهودي بابل). أبحاث مركز الفولكلور. القدس. ١٩٧٣. ص١١٧.

(٧) شاطل. توترات طائفية، ص٦٥.

(٨) نفس المصدر.

(٩) شاطل. توترات طائفية، ص٦٦.

للشاب اليمني الذى يعمل عنده ويدعوه باسم «الهمجي الأسمر» واخواته «القذرات» اما الخامى الذى هاجر من المانيا ويظهر في نفس الرواية فإنه يقترح على الطلائع المثقفة العمل فى تخصصاتها اما الاعمال البسيطة فيقوم بها أبناء طوائف الشرق الذين يكونون الطبقة السفلى. [10]

وتقول على لسان بطلتها:

«لقد قالت لى أمى: انه فى الوقت الذى يأخذ الأشكنازى ثلاث ليرات، يأخذ الشاب من عندنا ليرة واحدة فقط، يبدو أن النقود جيدة من أجل اليهود البيض وسيئة من أجلنا. ». [11]

وحسب أقوال عضو الكنيست «مردخاى بن بورات من قبل حزب العمل» أن ٣٪ فقط من الوظائف الكبيرة فى الدولة يشغلها أبناء طوائف الشرق». [12]

أما مردخاى طبيب فى قصته «مثل عشب الحقل» فيصور لنا «يحيى» وهو يستمع لأقوال مسئولة من الموشاف وهى تتحدث أمام النساء اليمنيات عن حقوق المرأة وتعرب عن قلقها لعادة زواج البنات وهن صغيرات، أما يحيى الذى كان يعرف المتحدثة جيدا فقد سألها:

«إن كنت قلقة هكذا على نساء اليمن وبناتهن، فلماذا تعمل النساء اليمنيات العاملات فى المنازل ثمان ساعات فى اليوم، ولماذا تستخدمين الفتيات اليمنيات فى الأعمال الشاقة وهن لم يتجاوزن الاثنى عشر عاما».

كما أن النفس المشحونة بالآلام لم تكن تكتفى بالإجابة الكلامية، فان «مردخاى طبيب» يصف فى نفس الكتاب كيف أوقع «يحيى» اليمنى الفلاح الاشكنازى القوى شندروفيتس وانهال عليه ضربا بكل قوة.

ونفس هذا المضمون يطرحه «شلومة طبعونى» فى قصته «شاب من كرمة اليمنيين» ويحكى انه قد أوقع هو واصدقاؤه مدير المدرسة الاشكنازية الذى يبغضهم وكسرت يداه [13]. وكيف أهين عندما أرسله الكيبوتس الخاص به للاشتراك فى ندوة للمحاضرين وبسبب لون بشرته، أى «بكونه ابن الطائفة اليمنية» عاد وأصيب بخيبة أمل عندما ادرك أنهم لن يعينوه محاضرا رغم انتهاء تعليمه بسبب لون بشرته. [14]

ورواية يهوديت هندل «شارع السلالم» التى تهتم بقضية حب على خلفية من التميز الطائفى فى حيفا فى سنوات الأربعينيات وتصف الحادثة بين فتاة اشكنازية وشاب سفاردى وتقول الفتاة «لا ينبغى ان يكون الانسان أحسن من الآخرين كى يحصل على عمل» فيجيبها الشاب: «وان كان سفارديا فما العمل!». [15]

وهذا المفهوم يتردد صداه فى عديد من الروايات والقصص حيث يحكى لنا «لف حقوق» فى احدى روايته الفولكلورية «المجموعون» عن رجل يعيش فى

---

(١٠) نفس المصدر، ص٣٦.
(١١) نفس المصدر، ص٣٢.
(١٢) مشاكل السفارديم فى إسرائيل، ص٤٢، (بعيوت هسفارديم بيسرائيل) ص٤٢.
(١٣) شامط، توترات طائفية، ص٣٢.
(١٤) نفس المصدر، ص٣٣.
(١٥) نفس المصدر، ص٤٥.

أمريكا ويرسل إلى إسرائيل خطابين متطابقين في المضمون يطلب عملا لدى احدى الوزارات، ويذكر في الخطاب الاول اسم المرسل، وهو اسم اشكنازي وفي الثانية اسم سفاردي، ويأتي الرد بالموافقة على صاحب الاسم الاشكنازي ويقترحون عليه وظائف مختلفة، أما صاحب الاسم السفاردي فيعتذرون له بعدم وجود أماكن شاغرة في الوزارة. (١٦)

كما ان النتائج العملية لهذه التوترات كانت سيئة للغاية، رسوب في المدرسة وتشرد واجرام وشعور بالقطيعة عن المجتمع، مما جعل الشباب من ابناء طوائف الشرق يرفضون الانضمام للمؤسسات التي يؤسسها الاشكنازيم ويفضلون الانضمام للحركات السرية وليس للارجون المركزي المألوف للاكثرية الاشكنازية. (١٧)

وقد كتب «يهودا بورلا» عام ١٩٢٠ في المجلة التي حررها ابراهام المالح «من الشرق والغرب» عن غبن السفارديم واستخفاف اليشوف الاشكنازي القديم في فلسطين بهم لدرجة رفض الاشكنازي الاكل من وعاء السفاردي. (١٨)

كما كتب ابراهام كوهين مزراحي وهو من مهاجري إيران، يصف الطوائف القديمة والواسعة في الموشافاه والتي تتعلق بالايرانيين واليمنيين، وكيف يطلق الاشكنازيم عليهم اسماء مخزية ويصفونهم بصفات سلبية مختلفة. (١٩)

وهذه العلاقة الاشكنازية قد دفعت الشرقيين الى الرد بصور مختلفة وان كان من الصعب الحفاظ على التوازن النفسي تجاه تعابير الازدراء لأبناء الجماعة القوية والتي تتحكم في المجتمع، وفي معظم الاحيان كانت الاجابة التباهي بأمجاد الماضي وقد أثارت هذه العلاقة السلبية العداء لدى الطرفين.

ويصف لنا «مردخاي طيب» في قصة «مثل عرعر في صحر العاراف» شابا يمنيا يسير الى جانب فتاة اشكنازية ولا يريد أن يبدأ معها الحديث كي لا تظن انه متلهف عليها لكونها متعلمة واشكنازية. (٢٠)

وقد اعتاد يهود ليبيا أن يأكلوا في ليلة غرة شهر «ابريل» البسيسة اعتقادا منهم أن بها بركة تكفيهم طول العام وبهذه المناسبة يجتمع أفراد الأسرة جميعا ويحتفلون بهذه الوجبة.

وقد حدث أن جاء احد التلاميذ من نازحي ليبيا إلى مدرسة فصله وأعطاها من البسيسة التي أعطتها له امه، وبالطبع لم تكن المدرسة تعرف هذه العادة. فنظرت اليه بازدراء وقالت له:ما هذه الاشياء البغيضة التي تقزز النفس، هل تأكلون هذا؟

وقد أصيب التلميذ بخيبة أمل وتذكر هذا الموضوع لسنوات عدة. (٢١)

---

(١٦) نفس المصدر: ص٣٥

(١٧) شاطل. توترات طائفية. ص٣٣

(١٨) بورلا. يهودا: السفارديم وأحياؤنا القومي (هسفارديم فتحياتينو هلؤميت) مجلة الشرق والغرب. العدد الأول. ١٩٣٠. ص١٦٧ - ١٧٥.

(١٩ مزراحي. إبراهام كوهين: لقاطيم. تل ابيب. ١٩٣٣، ص١٦٦، ١٦٧.

(٢٠) شاطل. توترات طائفية. ص٣٢

(٢١) شاطل. إبراهام: الاندماج الثقافي في إسرائيل (مزوج تربوتي بيسرائيل)، مكتبة من همونيد. عم عوفيد، التربية والتعليم، القدس، ١٩٧٨، ص٨.



وقد طلبت احدى المربيات في روضة للاطفال من الأمهات السفارديات ان يتكرمن بمساعدتها في أعداد المأكولات الخاصة التي تعودن عليها في طائفتهن كي تستعد الروضة لاستقبالهن في «عيد البوريم» وبدأت احدى الامهات تحكي عما كانت تعده لهذا العيد، لكن الجميع قاطعها قائلا «نحن في اسرائيل ونريد أن يتعلم اولادنا ما يصنع في البلاد، كلنا يهود وكل ما لدينا موجود لديكم». (٢٢)

وقد انتقلت العادات من طائفة الى أخرى سواء بتأثير المدرسة ووسائل الارتباط أو بعلاقات الجوار والزواج بين الطوائف السفاردية وإن كان الوضع يختلف بالنسبة للاشكناز والسفارد.

ففي احدى الوزارات كانت تعمل موظفة من رومانيا، وعلمت أن والد زميلتها الكردية قد توفي وابلغوها أنها ستبقى في منزلها سبعة أيام الحداد طبقا لعادة يهود كردستان، والمعترف بها في عديد من الطوائف الأخرى فلا يطبخ الثكالى لانفسهم، وكل من آتى لمواساتهم يحضر معه وجبات مطبوخة أو مواد غذائية مختلفة كالخضروات واللحم والقهوة والسكر، أما الموظفة الرومانية فقد أنهت عملها وذهبت الى السوق لاحضار ما تحتاجه لبيتها وفي الطريق عرجت على منزل زميلتها الكردية لتواسيها، فقد كان بيتها أمام السوق، ووجدت الزميلة ترتدي السواد وتبكي وتولول وبعد أن أنهت زيارتها وهمت بالخروج دهشت عندما سلمها أحد ابناء عائلة الفقيد سلال مشترواتها فارغة. (٢٣)

وقد وجد المهاجرون من اليمن وإيران وكردستان انفسهم في اسرائيل في اسفل السلم الاجتماعي في حين ان المهاجرين من مصر والعراق وسوريا ولبنان قد استوعبتهم «إسرائيل» من الناحية الاقتصادية والثقافية وليس دائما من الناحية الاجتماعية. (٢٤)

ويعيش الاشكنازيم في ظروف أحسن: فالسيدة الاشكنازية تعمل بالوظائف العامة وتقضي معظم ٤ أوقات فراغها في المقهى وتترك شئون بيتها لتقوم بها احدى السفارديات، والاشكنازي يرفض الضيف الذي يزوره دون سابق موعد بل انه مستعد حتى لطرده(٢٥) كما انه لا يحب كثرة الاولاد وذلك بعكس السفاردي الذي يحب ضيفه ويرحب به في أي وقت يشاء كما يحب كثرة الاولاد حيث يقول يهود المغرب في حيفا: «إننا نحب الاولاد وهم يأوون الكلاب كما أننا نحتفل بأعياد الزواج والختان بيد سخية أما هم فلا يفكرون إلا في كيس نقودهم». (٢٦)

وعندما ذهب داود حداد «بطل رواية الزوجة المكروهة» الى قبر «أمنا راحيل ونطلع الى عديد من النسوة السفارديات وهن يطفن حول الضريح مع أولئك النسوة الاشكنازيات اللاتي يثرثرن اكثر من اللازم قال في نفسه: «هؤلاء

---

(٢٢) المصدر السابق، ص٩.

(٢٣) نفس المصدر، ص٣٠.

(٢٤) كوهين، اليهود في بلاد الشرق الأوسط في العصر الحديث، ص١٧٠. (هيهوديم بارتسوت مزراح هتيخون بيمينو)

(٢٥) شاطل، توترات طائفية، ص٦٢.

(٢٦) شاطل، نفس المرجع السابق، ص٦٣.







الاشكنازيات مزعجات، يفعلن هنا -أيضا- مثلما يحدث في شارع اليهود حيث يتزاحمن وسط الناس يومي الخميس والجمعة وهن يشترين من عنده الدجاج والبيض» . (٢٧)

وعلى العموم فان مستوى الاعتبارات التي تعد ايجابية في عين اليهودي الأوروبي كالتنظيم والتوفير وغيره، تبدو في عين اليهودي الشرقي عكس ذلك ويرى في الاشكنازي الاهمال والبخل، وهنا يبدو الفرق بين ما تعود عليه اليهودي الشرقي في البلاد الإسلامية التي اشتهر أهلها بالكرم وبين ما يراه الآن ولسوف يفكر اليهود الشرقيون بحسرة ومرارة في إهمال الصهيونية للعلاقات المتينة التي كانت تربط اليهود منذ أكثر من ١٢٠٠ سنة. (٢٨)

وعندما جاءت محاضرة بلدة تنمية في الجنوب وحاضرت أمام النسوة اللاتي خرجن من المغرب وإيران على طريقة حفظ الطعام في حجرة التجميد بالثلاجات وعن إعداد وجبة طعام ليوم واحد، قالت النسوة: ساخرات «علمونا كيف نصبح بخيلات». (٢٩)

كما نرى ربة البيت السفاردية في رواية «شارع السلالم» لـ «يهوديت هندل وهي تسخر من الاشكنازيات اللاتي تعددن وجبة الطعام بالمعلبات وتقول عنهن «ربما لعدم اهتمامهن بالطبخ أو بسبب الكسل». (٣٠)

وقد وصف لنا يهودا بورلا في رواية «مغامرات عقبيا» عائلة اشكنازية حيث يقول:

«وكانت هذه العائلة لا تطيب في أعين السفارديم وخاصة من الاناضول والبلقان من أين خرج هؤلاء اليهود الى عالم القدوس -تبارك وتعالى- كيف يحلقون رؤوسهم وكيف تتدلى سوالفهم كاعناق الدجاج المذبوح.. لحاهم معقدة ووجوههم مجعدة وعابسة وظهورهم منحنية وخطواتهم سريعة، ولغاتهم مختلفة، وعندما يرتلون العهد القديم تشعر بأنهم يتفوهون بالفاظ غير مفهومة، وصلاتهم لا نظام فيها ولا قداسة، ولا وصف ولا وقار.. هؤلاء يتحدثون وأولئك يلتفتون والآخرون يتحركون كمن مسهم الجنون.

اما فيما يتعلق بالنظافة والزينة -يرحمنا الله! فإنهم قذرون ورائحة الثوم والبصل والسمك المالح تنبعث من منازلهم طوال الأيام والخلاصة: هؤلاء ليسوا بشرا» (٣١).

فلا عجب أن ينعت كل منهما الآخر بتعبيرات سيئة وتحدى كل منهما الآخر وتخاصموا فيما بينهم.

اما عن انطباعات الاشكنازيم حيال يهود الشرق فيصف لنا «مردخاي طيب» أولاد الموشاف الاشكنازيم وهم يتطلعون لزميل لهم يمني حين طرد من فناء المدرسة كما لو كان نوعا مختلفا من المخلوقات.

---

(٢٧) بورلا: يهودا الزوجة المكروهة (إيشتو هسنواه) دار نشر متسفا ١٩٢٢، ص٩.

(٢٨) بوماس، لوسيان كافرو: العار الصهيوني - ترجمة أحمد رضا محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢، ص١٢٥.

(٢٩) شاطل: توترات طائفية، ص٦٣. (٣٠) نفس المصدر، ص٤٥.

(٣١) بورلا: يهودا: مغامرات عقبيا (عليلوت عقبيا) دار نشر مؤسسة بيالق، تل أبيب، ١٩٤٨، ص٢٥٤ - ٢٥٥.





«أيهـا الأولاد! تعـالوا وانظروا ولد يمنى، وكـان أصـدقـاء هذا اليـمنى يتهـلون أقواله بظمـأ عندمـا يتحدث عن انطباعاته لدى الأشكناز كما لو كان قد عاد من رحلة بعيدة»[٣٢] وفي معظم النتاج الأدبي نرى تعبيـرات بين الأشكنازيم والسـفـارديم وأحيانا يقوم التناقض بين الجماعات السفاردية نفسـها.

فان طوفاه ابنة شعشوع قد لاقت معارضة من جانب عائلتها مهاجرى العراق عندما صادقت شابا يمنياه ماذا! يا طوفاه، أتتزوجين من زنجى».[٣٣]

ويقول يهوشع فنيبل: «لدينا إحصاءات عن الزواج الطائفي بين الطبـقـات ذات المسـتوى المرتفع، وبين المستوى الأكثر انخفاضا، أما الطبقة المتوسطة، وهي القاعدة العريضة فحالات الزواج الطائفي فيها قليلة[٣٤].

أما «يعقوب يهوشع» فيصف «الحياة في القدس في بداية هذا القرن ويقول: ان الزواج المختلط كان قليلا بسبب عدم رغبة الأشكنازيات الثريات في الزواج من الشباب السفاردى الفقير والجاهل ولوجود فوارق كبيرة في أنماط الحياة والتي يمكن ملاحظتها بسهولة في شتى مناحي الحياة.[٣٥]

كمـا يصف زواج «يهودى هنغـارى» من «يهودية سفاردية» ويقول: «وذات يوم وعندما عاد من المعبد وجد زوجته تمسح الأرض وهي حافية القدمين، وعندما رآها هكذا طلقها».[٣٦]

ويحاول بورلا في روايته «نعمة» أن يطمس هذه الحقيقة ويرفع من شأن يهود الشرق حيث يصف الجدال بين «نعمة» وصديقاتها عن موضوع امكانية زواج يمنية من اشكنازى وتعرب نعمة عن رأيها وتقول:

«انني لا أعترف بالفوارق بين الطوائف، ومن يعتقد هذا، فهو دليل على انه يعترف في أعماقه بأنه مختلف وأقل من أبناء طوائف اخرى لكنني لا أعتقد ذلك ولا اشعر به لكنهم يعتقدون ويشعرون بذلك، وما فائدة أن كنت لا تفكرين ولا تشعرين بهذا.

ـ لا يهمني تفكيرهم وشعورهم، فأنا أعرف تفكيرى وشعورى.[٣٧]

وقد صور لنا «حاييم هزاز» في رواية «الجالسة في الجنات».

«رومية»: ابنة صهيون والتي تمثل الجيل الثالث، وهي تعاني مما تشاهده من تفرقة عنصرية بين الأشكنازيم واليمنيين.

وركز «هزاز» في قصصه على هذه الظاهرة لدرجة أنه أشار أكثر من مرة الى أن الترتيب الأبجدى في حياة الطائفتين يجعل الأشكنازيم في أول القائمة واليمنيين في آخرها[٣٨] وهي ظاهرة لها مغزاها فيما تعانيه

(٣٢) طبيب: نفس المصدر، ص٤٤،٤٦،٤٧.

(٣٣) شاطل: توترات طائفية، ص١٥.

(٣٤) نفس المصدر: ص٢٤.

(٣٥) نفس المصدر: ص٢٥.

(٣٦) نفس المصدر: ص٢٦.

(٣٧) بورلا، يهودا «نعمة» أو «من السر والعلانية» (بنستار أوبنجليه)، دار نشر سفاريم «متسبا» تل أبيب، ص٨٩.

(٣٨) حاييم هزاز، الجالسة في الجنات «هيوشفت بجانيم» ص٦٨.





إسرائيل اليوم نتيجة التناقر الموجود في مجتمعها فبمجرد نظرة خاطفة الى المجتمع الاسرائيلي سوف نلاحظ من اول وهلة مدى الفارق الكبير بين العناصر البشرية المكونة للمجتمع الاسرائيلي والتي تتمثل في السفارديم والاشكنازيم والعرب حيث نجد ان الاشكناز يحتلون المرتبة العليا في بناء الهرم الاجتماعي في إسرائيل ويأتي اليهود السفارد بعدهم من حيث التدرج الطبقي اما العرب فيمثلون المرتبة السفلي.

اما عن العلاقات الأيجابية تجاه يهود اليمن فقد ظهرت أيضا في أدب الاطفال فنجدها على سبيل المثال في كتاب اليعزر شموئيلي أو في اغنية «لغني يمني» لـ «يوآب الشطين حيث تقول كلماتها:

«وجهي أبيض وهو اسود، وأبوه منحن على كتاب قديم، انه العهد القديم المقدس، وهو الجسر بيننا[٣٩] ومن العوامل النفسية التي تلعب دورا بارزا في ازدياد حدة التفرقة شعور اوائل اليهود الاشكناز بأسبقية اليهود الشرقيين في الاقامة في فلسطين.

لذلك كانت ردة فعل هؤلاء الأشكناز تجاه اليهود الذين قد استوطنوها قبلهم. بالاضافة الي اعتقاد الاشكناز باقتران اليهود الشرقيين الذهني بالعرب، فهم يشبهون العرب في شكلهم وانماط حياتهم.

ومن بين الاشكناز من يقول:

«من يعلم، قد يأتي اليوم الذي ينحاز فيه اليهود الشرقيون مع العرب، اذ ليس هناك فرق بينهم وبين العرب».[٤٠] بالرغم من ان اليهودي الشرقي هو يهودي قبل كل شئ.

ومن كان يعتقد بأن الفوارق الطائفية آخذة في التقلص ربما اندهش عندما رأى التوتر على الخلفية الطائفية قد زاد في سنوات الاسترخاء والتي اعقبت حرب الاستنزاف مع تنظيمات «الفهود السود» في يناير ١٩٧١.

اما فيما يتعلق بالتمثيل فان المشاكل الكثيرة التي تحدثنا عنها هي نتيجة عدم تمثيل ابناء طوائف الشرق في المراكز الحكومية الحساسة والمؤسسات العامة، فان ابناء طوائف الشرق محرومون فيما يتعلق بالأحزاب والمؤسسات العامة، وعلى الرغم من أن الطائفة السفاردية تشكل نسبة لا بأس بها من السكان، وكما أوضحنا أن ظاهرة التوترات الطائفية كانت قائمة من قبل وجذورها عميقة ولا حلول لها، طالما أن عصا السلطة وتعنتها في يد الاشكناز يهود الغرب وسيظل الصراع قائما.

---

(٣٩) شاطل: توترات طائفية، ص٥٦.

(٤٠) شاطل: المصدر السابق ص١٠٨.









# دور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية

للدكتور محمد محمد إبراهيم زغروت

عرض وتقديم

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

**لا ريب فى أن الأديان السماوية موحى بها من الله - سبحانه - لهداية البشرية على اختلاف بيئاتها؛ فهى - فى حقيقتها - تقوم على أصول واحدة ثابتة، لا يعتورها خلاف. يقرر ذلك ما حكاه القرآن الكريم على لسان عيسى - عليه السلام - فى قوله:**

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾(١).

**وما بين هذه الديانات من خلاف فى بعض الفروع إنما هو ذلك الخلاف الذى يستلزمه التباين البينى بين حاجات الإنسان، واحتياجاته وظروفه.**

ولا ريب - كذلك - فى أن الإنسان هو الذى اصطنع تلك الخلافات الناشبة باسم الدين بين اليهود والنصارى والمسلمين، فهى صور من الصراع البشرى الذى يُلبس ثوب الدين، على الرغم من وحدة هذه الديانات، وتوافقها فى مصدرها، وحقيقتها، ومقاصدها.

وكان أبرز هذه الخلافات وما واكبها من صراع وتآمر.. تلك التى أثارها اليهود بين بنى إسرائيل من مبعث المسيح - عليه السلام -؛ فاشتعلت نيران الفتن بين من بقى على يهوديته، ومن اعتنق النصرانية. فلما بُعثَ محمد - ﷺ - ازدادت نيران الفتن احتداماً، حتى كادت حقيقة الدين - فى صوره الثلاثة - تختفى وراء ما اصطنعه هؤلاء من تآمر، وما أقاموا عليه العلاقات الإنسانية من تدابر وشقاق، اعتمدوا فيه على الدس والتزييف خصوصاً حين لمسوا قوة الإسلام الذاتية، واستشعروا ما فيه من إمكانات أخافتهم، فانطلقوا بكل وسائل الكيد يتتبعونه فى كل موقع لينالوا من قوته وصلابته، ويقضوا على وحدة المسلمين.

وقد بدأ اليهود تلك الحرب فى حياة الرسول - ﷺ -، وواصلوا تلك الحرب، مع تطويرها فى كل مرحلة بما يناسبها.. إلى عصرنا الحديث.

والكتاب الذى نقدمه اليوم، يصور قطاعاً صغيراً من اللوحة الكبرى التى تبرز هذا التآمر والتزييف الموجه من اليهود إلى الإسلام والمسلمين.

وهو يضم نحو خمسين ومائة صفحة من القطع المتوسط، أعده الدكتور محمد محمد إبراهيم زغروت، ونشرته دار التوزيع والنشر الإسلامية بمصر سنة ١٩٩١م وكان وقتئذ أستاذاً مساعداً بكلية الملك خالد العسكرية بالرياض، وقد ضمن الكتاب مقدمة وفصلين وخاتمة.

(١) الصف (٦).

## أصـــل الدُّونمـــة

الفـصل الأول «تسلط حـركـة الدونمة على الدولة وعزل السلطان عبدالحميد» يضم ثلاثة مـباحث. عـرَّف فى المبحث الأول بالدونمة، وأصولها، فذكر أن كلمة «دونمة» كلمة تركية مركبة من جزءين؛ الأول «دو» الفارسية بمعنى اثنين، والجـزء الثـانى «نمة» بمعنى «نوع»، فالتركيب يعنى: الفرقة القائمة على نوعين من الأصول؛ إشارة إلى أنها تطلق على تلك الجماعة ذات الأصل اليهودى المتظاهرة بالإسلام وأصبحت ذات هويتين، إحداهما مُظْهَرة – وهى الإسلام– والأخرى مُضْمَرة، وهى اليهودية.

وقد أطلقها الأتراك على اليهود الذين فتحت تركيا الإسلامية أبوابها لتؤويهم من اضطهاد الأسبان، وما لاقوه من محاكم التفتيش هناك فتوافدوا على «سالونيك»، و«الأستانة».

ولم يكن هذا السلوك الازدواجى من اليهود مقصوراً على من فروا إلى أرض الإسلام، فقد صنع ذلك من فروا منهم إلى البرتغال حيث تظاهروا باعتناق المسيحية الكاثوليكية، وأضمروا التمسك باليهودية –على ما كان عليه كثير من يهود المدينة المنورة منذ العهد النبوى، وكيف كانت منهم جماعة المنافقين.

بيد أنهم فى تركيا أحكموا التخفى، فتمكنوا من التدخل فى شئون الدولة، والهيمنة الكاملة على جـمـيـع مـجـالات الأنشطة الفكرية والاقتصادية والتربوية والسياسية.

والذى أعانهم على إحكام التخفى قيام شاب يهودى فى أواسط القرن السابع عشر يدعى ( شبتاى صبيتى ) بتجميعهم سراً، بعد أن أقنعهم بأنه «المسيح المنتظر» ليخلصـهم من ويلات الاضطهاد الذى يلاحقهم من أوروبا، مستغلاً فى ذلك جو الحرية الذى كفله الحكم الإسلامى فى تركيا، فبلغ «شبتاى» أوج مجده فى عاصمة الدولة العثمانية. ولما تنبهت الدولة إلى ما يقوم به –وكادت تفتك به– أعلن إسلامه؛ فنال إكرام الدولة، وتم تعيينه رئيساً للحُجاب، دون أن تعى الدولة ما يضمر، بينما أرسل إلى مريديه يطمئنهم إلى استمراره على الطريق، وأنه تظاهر بالإسلام ليتمكن من أداء دوره.

ثم طلب من المفتى أن يسمح له بدعوة اليهود إلى الإسلام، فلما أذن له أمر مريديه بالدخول فى الإسلام، ولبس الجبب والعمائم مبالغة فى إخفاء هويتهم، مكوناً بذلك أخطر تنظيم يهودى سرى، تنمو فى إطاره جماعة الدونمة، وتتحرك فى حرية من مركزها فى «سالونيك».

## التحرك السرى للدونمة

وفى المبحث الثانى تتبع حركة «الدونمة» بعد أن أصبحت تنظيماً يسعى إلى هدف وغاية؛ فذكر أن «الدونمة» استمدت فلسفتها من تعليم مدرسة «الكابالا اليهودية»، بل إنها توسلت فى نشاطها السرى بما أفرزته «الكابالا» فى أوروبا من جمعيات سرية، مثل «الماسونية» وما انبثق عنها من جمعيات، مثل «إخوة الشيطان»، و«أصحاب



القداس الأسود»، و«جماعة شهود يهوه»، ومثل «أندية الروتاري»، و«أندية الليونز».

فبعد أن استطاعت الدولة العثمانية إبان قوتها أن تعصم نفسها من هذه الجمعيات السرية، تمكن يهود «الدونمة» المتمركزون في «سالونيك» من نشر هذه المحافل والجمعيات السرية في أرجاء البلاد العثمانية، فأتيحت بذلك الفرصة للصهيونية العالمية، وقوى الاستعمار الأوروبي للعمل الجاد المنظم على إبادة تلك الإمبراطورية الإسلامية مترامية الأطراف.!

وكان وسيلتها في ذلك إنشاء حركتين كان لهما الدور البارز في إسقاط الخلافة الإسلامية، وتحويل الإمبراطورية العثمانية إلى دويلات لا حول لها ولا طول.

وكانت أولى هاتين الحركتين هي تحول الصهيونية إلى منظمة سياسية تسعى لإيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين، وتمثلت ثانيتهما في ظهور جماعة «الاتحاد والترقي» التي استطاعت -بما كفلته لها الدونمة- أن تهيمن على مجريات الأمور في تركيا.

ويذكر المؤلف أن الوثائق تشير إلى أن العقول المفكرة لجماعة الاتحاد والترقي كانوا من يهود «الدونمة» الذين خططوا لتتريك تركيا من جهة، وللهيمنة الاقتصادية عليها من جهة أخرى.

ولمّا تنبه السلطان عبدالحميد إلى أطماع اليهود في فلسطين بدأت تتحول - بعد ميلاد الصهيونية - من الصلة الدينية الروحية، إلى المطامع السياسية الاستعمارية... لما تنبه السلطان إلى ذلك أصدر في سنة ١٨٨٥م أمراً يسمح بدخول اليهود إلى فلسطين كحجاج فقط لمدة إقامة محددة، ولكن اليهود -بالتعاون مع القناصل الأجنبية- استطاعوا تعطيل هذا القانون، والالتفاف حوله.

وحين ظهرت الحركة الصهيونية الحديثة بزعامة «هرتزل»، وأصبحت قضية الوطن المأمول في فلسطين هي محور الحركة الصهيونية... حينئذ. وكانت يهود «الدونمة» من أبرز الطوائف التي استجابت لتلك الحركة، حيث ارتبطت بشبكة الصهيونية العالمية التي آزرت القوى الاستعمارية في تطلعها للإجهاز على الدولة العثمانية بهويتها الإسلامية: فالصهيونية تسعى إلى ذلك لتيسر الاستيطان اليهودي في فلسطين، والقوى الاستعمارية تؤازرها في ذلك استجابة لدوافع الحروب الصليبية، لتمزيق تركة الرجل المريض - بعد الإجهاز عليه - للاستيلاء على تلك التركة.

وتقرر الوثائق التي استعرض الدكتور بعضها أن يهود «الدونمة» في تركيا هم الذين تحملوا عبء تحقيق ذلك، حيث تمخض نشاطهم عن ميلاد حزب «تركيا الفتاة» الذي قام على يهود الدونمة والماسونيين، وكان ذلك داعياً لأن يمتد نشاطهم ليشمل يهود أوروبا، فتمكنوا من الهيمنة -ليس على السياسة في تركيا وحدها- ولكن على السياسة الأوروبية كذلك؛ فكان ليهود الدونمة وجود قوى في جميع المراكز الحساسة في كيان الدولة العثمانية. ولم يتنبه السلطان عبدالحميد إلى ذلك إلا بعد فوات الأوان.

## محفـل سـالونيك

وفي المبحث الثالث كشف معد الدراسة أسرار إحدى خطوات «الدونمة» في تركيا للتمكين لنفسها؛ فذكر أن هؤلاء اليهود اختاروا ولاية «سالونيك» لتكون مقراً لنشاطهم؛ لما لها من مميزات استراتيجية خاصة، فصاروا يشكلون الأغلبية العظمى من سكانها الذين بلغوا سنة ١٩٠٩م ٣٤٠ ألفاً منهم ٢٨٠ ألفاً من اليهود، حتى كادت تخرج من هيمنة السلطان؛ فحينما أدرك السلطان عبدالحميد خطر المحافل الماسونية أمر بإغلاقها، فاستجابت جميع المحافل، ما عدا محافل «سالونيك»، بل إنها -إلى ذلك- بدأت توجه الطعنات الظاهرة للسلطان؛ فارتبط كل يهود «الدونمة» و«الماسون» في سالونيك بالصهيونية العالمية، وصارت ولاية «سالونيك» بمحفلها الماسوني في أواخر القرن الثامن عشر مركزاً بارزاً للنشاط السياسي والعسكري ليهود «الدونمة» عن طريق الاتصال المباشر بالقوى الصهيونية العالمية في أوروبا، خصوصاً جماعة «الاتحاد والترقي» التي برزت في المحيط السياسي التركي قوة مؤثرة، والتي كان أكثر أعضائها من «الدونمة»، كما يؤكد ذلك المؤرخ الصهيوني (Kallen).

ولم يقف يهود «الدونمة» عند حد الارتباط بالصهيونية العالمية، وصيرورتها مركزاً للنشاط الصهيوني العالمي، بل دعموا ذلك بنشر الجاسوسية في شتى المناحي العثمانية، واستغلال ذوي النفوس الضعيفة من الأتراك في تنفيذ أهدافهم، متسترين في جماعة «الاتحاد والترقي» السرية، وحزب «تركيا الفتاة».

وكان أبرز هذا النشاط نجاحهم في عزل السلطان عبدالحميد سنة ١٩٠٩م، وتعيين السلطان محمد رشاد، ليجعلوا منه ستاراً يحكم باسمه جماعة الاتحاد والترقي التي هيمنت على الحكم، وتمكنت من زمام الدولة بأكملها.

## إثارة الأقليات غير المسلمة

وضمن الفصل الثاني «المؤامرة على إلغاء الخلافة العثمانية» أربعة مباحث، يمثل كل مبحث منها وسيلة من وسائل «الدونمة» لإلغاء الخلافة.

ففي المبحث الأول منها «إثارة الأقليات غير المسلمة» تحدث عن استغلال يهود «الدونمة» وجود تلك الأقليات متنوعة المذاهب في الدولة الممتدة، ليجعلوا منها قوة تزلزل كيانها، وتثير الدول الأوروبية ضدها؛ فأشعلوا الفتنة بين الأرمن والأكراد، وحدثت مذابح سامسون وسواها، وخربت ثلاثون قرية من قرى الأرمن عن آخرها، وفيها كان بعض الأرمن يذبحون بعضهم لينسب ذلك إلى الأتراك، بل إن منهم من ارتدى زي الأتراك، وقاموا بهذا العدوان إمعاناً في الإثارة ضد الدولة، حتى ألصقوا بالدولة تهمة اضطهاد الأقليات زوراً، ولا أدل على ذلك التزوير من لجوء الأروام إلى دار الفتوى التركية لتفصل في النزاع الناشب بينهم وبين البلغار على الكنائس الموجودة في مقدونيا. هذا إلى جانب أن القسم الأعظم من وظائف الدولة في يد الأقليات.

ومع كل ذلك أحكم يهود «الدونمة» خطتهم الدعائية، وحتى خلقوا من هذه الفرية مسألة تشغل الرأى العام العالمى آنذاك، وتناولتها الصحف الأوروبية بشكل دائم، لإثارة الشعب، وإشعال الثورات فى البلاد، وإشاعة العداء للنظام الإسلامى الذى تمثله الدولة، وإبرازه فى الصورة المشوهة البغيضة، التى يسعى الناس فى الداخل والخارج للخلاص منها.

## تمجيد الحضارة الغربية

وفى المبحث الثانى «تمجيد الحضارة الغربية وتغريب تركيا» ذكر أن هذه كانت الوسيلة الثانية، فبينما يلصق بالنظام الإسلامى كل أسباب التخلف، نهضوا يمجدون الحضارة الغربية لتصبح هى الأمل المنشود، وكان «ضياكوك آلب» العقل المدبر للاتحاديين قد خطط بدقة لاستغلال جوانب الضعف فى الدولة العثمانية، ويربط بين هذا وبين انتمائها الإسلامى، ويقابل ذلك بالتقدم الأوروبى الكاسح، ليؤكد أن التمسك بالإسلام هو الذى فرض ذلك التخلف، وأن صالح البلاد يقتضى تقليد الأوروبيين.

وظل يبشر بذلك حتى إذا جاء مصطفى كمال جعل ذلك واقعاً يصبغ الحياة التركية، فأجبر نساء أنقرة على نبذ الحجاب، وعمل على غسل العقل التركى من كل تقليد إسلامى موروث فى أنماط معيشتهم، وأساليب حياتهم، زاعماً أن ذلك هو السبيل للوصول إلى النمط الأوروبى، وأصدر أوامره بإلغاء الكتابة بالحروف العربية، وترجمة القرآن إلى اللغة التركية، ومنع الأذان باللغة العربية، وجعل العطلة الأسبوعية يوم الأحد، وأصدر قانوناً سماه القانون المدنى الذى غير به حياة الأتراك الأسرية والاجتماعية والاقتصادية؛ فصارت الخمر والميسر ولحم الخنزير من أمارات الترقى والتحضر فى أنقرة، لدرجة أن الصحف التركية آنذاك صرحت بأن المقامرة ومعاقرة الخمر هما من ضرورات المدنية الحديثة، وأن الأمة التركية إذا شاءت أن تعلو فى درجات الترقى العصرى. فلابد من أن تسوق أبناءها إلى اللعب والشرب، والهزء بتعاليم الإسلام التى تمنع ذلك. الأمر الذى قاد إلى بتر كل صلة أو علاقة بالإسلام.

وهكذا استغل يهود «الدونمة» والصهيونية العالمية أخطاء بعض الحكام الأتراك، وتخلف بعض الأنظمة ليصنعوا منها الصورة المتخلفة المستبدة، ويلصقوها بالإسلام، حتى يتحقق لهم ما قصدوا إليه من أول الأمر، وينفر منه القاصى والدانى، وبالتنظيم الدعائى الدقيق والمحكم نجحوا فى فرض تلك الصورة، ووصم النظام الإسلامى بها.

## التتريك وبعث القوميات

وفى المبحث الثالث «سياسة التتريك وبعث القوميات» ذكر أن هذه السياسة كانت أحد الخطوط العريضة فى المؤامرة على إسقاط الخلافة، والتى لعب الدور الأساسى فيها يهود «الدونمة» والدوائر الصهيونية.

وتقوم هذه السياسة على نقض البناء الموحد لدولة الخلافة، حتى يسهل التحكم فى كل جزء بعد ذلك، متوسلين فى ذلك بإحياء النزعات

القومية، والنعرات الطائفية القديمة التى أماتها الإسلام.

وكان يمثل هذه القوى الصهيونية جماعة الاتحاديين، ثم الكماليون بما يتزيون به من أزياء تركية، وما ينطوون عليه من نزعات يهودية «دونمية»، فبدأوا بوضع بذرتها فى عهد السلطان عبدالحميد الثانى، مستغلين فى ذلك بعض المناوئين له، والحانقين على الخلافة الإسلامية، حتى إذا تمكن الاتحاديون والكماليون من الأمر، كان لهم ما أرادوا؛ فمزقوا شمل الدولة، ليجعلوا منها أكثر من ثلاثين دولة، لكل منها قوميتها، ودياناتها، وجنسها، ومشكلاتها، وتوجهاتها.

وقد استعرض المؤلف هذه السياسة منذ بذرتها الأولى فى شيء من التفصيل المعتمد على الوثائق الكاشفة، والمؤكدة صحة رؤيته، فتنقّل معها بين عهدى السلطان عبدالحميد، والاتحاديين والكماليين، وكيف أن السلطان عبدالحميد تنبه إلى ذلك هو وبعض المفكرين المسلمين، وحاولوا صد هذا التيار. ولكن يهود «الدونمة» كانوا أقوى منهم تأثيراً، بما بثوه بين المفكرين المسلمين من أسباب الخلاف والفرقة التى أوهنت قواهم؛ فلم يستطيعوا الصمود أمام هذا الموج الكاسح، على الرغم من أن العلاقات بين العرب والأتراك كانت طيبة، باستثناء بعض الحالات التى كانت تحركها المكائد الصهيونية، والمحاولات الاستعمارية.

ثم أوضح دور الاتحاديين فى دعم تلك البذرة ورعايتها حين تولوا الحكم بعد انقلاب «سالونيك» الدونمى على السلطان عبدالحميد سنة ١٩٠٩م حيث بدأوا بالدعوة إلى الجامعة العثمانية، ثم الدعوة إلى الجامعة الطورانية -بعد حرب البلقان- التى أقاموها على ربط الأتراك بسائر أجناسهم خارج الدولة، وتحرير الثقافة واللغة التركية من الثقافة واللغةالعربية، والعمل على سيادة العنصر التركى حتى وصل بهم الأمر إلى أن يكون شعارهم: «نحن أتراك فكعبتنا طوران»، وإلى أن يعبدوا رمز الأتراك القدامى «الذئب الأغبر» وفى المقابل سعوا بكل الوسائل إلى دحر الإسلامية والعربية دحراً ساحقاً، حتى يتفسح المجال لتحقيق مآربهم.

## فصل الدين عن الدولة

وفى المبحث الرابع «فصل الدين عن الدولة وإلغاء الخلافة» ذكر أن فصل الدين عن الدولة، وإفساح المجال لقيام حكومة علمانية كان أحد خطوات الاتحاديين والكماليين فى مسيرتهم إلى غايتهم العظمى، وهى القضاء على الوجود الإسلامى فى عمومه؛ فلم يكن كافياً لديهم فصل تركيا عن الأمة العربية، ولا عن العالم الإسلامى.

ولذلك نظر هؤلاء إلى الماضى، فوجدوا أن الإسلام يمتاز بأنه إذا حورب فى بلد، نهض فى بلد آخر، كما كان الحال عندما قضى على الخلافة العباسية فى بغداد سنة ٦٥٦هـ فقد رأوها تنهض فى أماكن أخرى من الدويلات الإسلامية، محافظةً على رمزيتها المسلمون باعتبارها رابطة دينية وسياسية أصيلة... ولذلك حرص هؤلاء على أن تكون ضربتهم شاملة قاضية، ولا تقف عند حد فصل تركيا وحدها؛ ففى الوقت الذى

استهدفوا فيه الرأس، قاموا بتعقب الأطراف، محاولين تسريب العلمانية إليها لتحل محل الأنظمة الإسلامية الموروثة.

وقد عملت الدوائر الصهيونية العالمية، متعاونة مع القوى السياسية الاستعمارية على إنجاح تلك المحاولات. وقد تحقق لهم كثير مما أرادوا، فسرعان ما انتقلت ظاهرة الحكومة العلمانية إلى البلدان العربية والإسلامية، على اختلاف بينها في الظهور والتخفي.

ويلاحظ المؤلف أن هذه القوى سلكت في ذلك السبيل شعبتين تقودان إلى غاية واحدة؛ الأولى منهما: استغلال الوسائل الإعلامية المختلفة في إبراز السلطان عبدالحميد في صورة الحاكم المستبد المتخلف، وإرجاع استبداده وتخلفه إلى النظام الإسلامي.

والشعبة الثانية هي العمل على تفتيت دولة الخلافة، ببيعها للعواصم الأوروبية، على ما كان من الاتحاديين في مؤتمر الصلح بلوزان، وقد مثل تركيا فيه الحاخام ناحوم المعروف بـ «قره صو»، ورضا نور الذي اعترف في كتابه «حياتي وذكرياتي» بأنه هو الذي أعلن علمانية تركيا في هذا المؤتمر. وقد تم ذلك سراً، دون علم المسلمين بما اتفقوا عليه.

ثم جاء مصطفى كمال ليقيم صلحه مع بريطانيا على أربعة شروط هي:

١ ـ إلغاء الخلافة الإسلامية نهائياً في تركيا.

٢ ـ أن تقطع تركيا كل صلة بالإسلام.

٣ ـ أن تضمن تركيا تجميد وشل حركة جميع العناصر الإسلامية الباقية في تركيا.

٤ ـ استبدال الدستور المدني بالدستور العثماني القائم على الإسلام.

ويلاحظ أن معد الكتاب قد حرص على دعم كل هذه الأحداث بالوثائق الرسمية، والاعترافات الشخصية، تقديراً لدور يهود «الدونمة» الخطير، مقابلين بذلك المعاملة الحسنة من المسلمين لهم، وموجهين ضربة قاضية لمن آووهم، وملتفين - في الوقت نفسه - حول من طردوهم من قبل وشردوهم، بالتعاون معهم على تدمير دولة الإسلام.

كما يلاحظ أن الدكتور معد الدراسة أطال الحديث عن جمال الدين الأفغاني، وأصله، وعلاقته بالسلطان عبدالحميد، ومخاوف السلطان منه، ودور يهود «الدونمة» في إثارة تلك المخاوف.

كما أطال الحديث عن عبدالرحمن الكواكبي والخديوي عباس حلمي الثاني إطالة هنا وهناك تكاد تشغل القارىء عن الموضوع الأساسي، وما كان في حاجة إلى ذلك؛ إذ كان يكفيه ذكر دورهما، مع التنبيه في الهامش إلى أن الحديث المفصل عن كل منهما يحتاج إلى دراسة قائمة بذاتها ليفسح المجال لمزيد من التفصيل لدور يهود «الدونمة»، وكيفية تغلغلهم في الحياة التركية؛ فالموضوع أوسع من أن يضمه نحو مائة وعشرين صفحة منها نحو ثلاثين صفحة خصصت للحديث عن الأفغاني والكواكبي.

وقد يشفع للدكتور حرصه على تغطية جوانب الموضوع، وإبراز ما للمفكرين المسلمين الذين عاصروا تلك الأحداث، وما عليهم في ذلك.

والله من وراء القصد.

# الحقائق العشر الحتمية لتحول النبوة من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل

للدكتور / محمد عبد العليم (*)

**أول ما تستدعيه الذاكرة المؤمنة عندما تذكر فلسطين.. المسجد الأقصى والقدس الشريف والسر فى ذلك ببساطة شديدة يكمن فى ارتباط هذين المكانين بمعتقدات المسلمين وبعباداتهم وبجهادهم وبقرآنهم وبنبيهم - صلى الله عليه وسلم - كما يمثل فى ارتباطهما بوحدة الدين وانتقال السيادة والإمامة إلى أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - لكونها ونبيها أولى الناس بإبراهيم. عليه السلام. الذى طلب ذلك لذريته عندما قال له ربه**

**﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ فأجابه سبحانه: ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[1].**

لكن ويتبجح منقطع النظير يتردد دائما وأبدا على ألسنة زعماء أبناء صهيون وحاخاماتهم أن بيت المقدس ملك لشعب يهود وأن القدس الشريف عاصمة دولتهم المزعومة وقد كان ضمن هذه التصريحات ما جاء على لسان رئيس وزرائهم[2] الذى لم يكتف بالقول بأن «ستكون هناك أورشليم أكبر مما كانت عليه منذ الملك داود. وستكون موحدة ومعترفا بها من العالم كعاصمة لإسرائيل»[3]، حتى أتبع القول بالعمل فسمح[4] لزعيم الحزب اليمينى المتطرف

(*) المدرس بجامعة الأزهر.

(١) البقرة/١٢٤.

(٢) السابق إيهود باراك.

(٣) جريدة الأهرام فى غرة رجب ١٤٢١ ، ٢٩/٩/٢٠٠٠ الصفحة الأولى.

(٤) فى محاولة منه لتنفيذ مخططاته الأربع لتهويد القدس والإحاطة بها من كل جانب تمهيدا لما أسماه (مشروع القدس الكبرى) (صوت الأزهر. فى غرة رجب ١٤٢١ ص٤).

المعارض يومئذاك(*) باعتباره أول زعيم يهودى يتعامل مع القدس بحدية ويسعى للقضاء على الوجود العربى والإسلامى بها سمح له بإرسال كتيبة من العسكر يبلغ قوامها ثلاثة آلاف لحمايته أثناء اقتحام المسجد الأقصى عشية غرة رجب ١٤٢١ الموافق ٢٩ من سبتمبر لعام ٢٠٠٠ أى فى ذكرى تحرير صلاح الدين للقدس فى رجب ٥٨٣، سبتمبر ١١٨٧م.

وإذا كان أبناء صهيون يدعون أن نصوص كتبهم، بل ونصوص قرآننا المتبرئ منهم ومن فعالهم تشير إلى وعد قطعه الله على نفسه أن يمكن لإبراهيم ولنسله من بعده فى أرض فلسطين (أرض الميعاد) فإن هناك مجموعة من الحقائق المهمة التى تجدر الإشارة إليها والتذكير بها وتتمثل فى:

**الحقيقة الأولى**: تعليق موعود الله لبنى إسرائيل على استيفاء شروط:

إن وعد الله بالسيادة والإمامة كان بالنسبة لبنى إسرائيل وعدا مشروطا بتنفيذ التعاليم، ويصون أوامر الرب وبحفظ العهود والمواثيق التى أخذت عليهم، يؤكد هذا ما جاء فى القرآن الكريم إذ يقول — سبحانه —:

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾(٦).

وفى نصوص كتبهم فى سفر التثنية إصحاح: عدد ١٧، ١٨: «احفظوا وصايا الرب إلهكم وشهاداته وفرائضه التى أوصاكم بها، واعمل الصالح والحسن فى عينى الرب لكى يكون لك خير، وتدخل وتمتلك الأرض الجيدة التى حلف الرب لآبائك»، ونفس المعنى فى التوراة السامرية فهل وفى بنو إسرائيل بعهودهم ومواثيقهم؟

**الحقيقة الثانية**: إخلال بنى إسرائيل بأوامر الله: إن الجواب المنصف عن السؤال - سالف الذكر - والبعيد عن كل تعصب يدعونا لأن نسوق - لإثبات نقض سوادهم الأعظم لجميع المواثيق - نسوق طرفا مما نسبوا لموسى عليه السلام وجاء فى سفر التثنية ٩: ٢٣-٢٤ «يقول موسى: عصيتم قول الرب إلهكم ولم تصدقوه وذلك على لسان عيسى روح الله، جاء فى إنجيل متى ٢٣: ٣١ - ٣٣.

«فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء.. أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم» وما بين هذين النبيين من أولى العزم، من زمن امتد بهم عشرات القرون، وضم خلاله مئات بل آلاف الأنبياء

﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾(٧).

ومصداقا لذلك قال تعالى:-

---

(*) أريل شارون (رئيس وزراء إسرائيل الحالى)

(٦) البقرة/ ٤٠.

(٧) المائدة/ ٧٠. وانظر فى العهد القديم بشرح ١١/٧، وملوك ١٠/٩ و نحميا ٣/ ٢٠ وميخا ٣/٩/ ١٢.

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾(٨).

والنصوص فى ذلك فى القرآن وفى الأسفار أكثر من أن تعد، وحسبنا منها ما ذكرنا .. فأنى لقوم لم يحققوا فى أنفسهم فعل الشرط أن يتحقق لهم من قبل الرب، أو ينتظروا منه جوابه وجزاءه؟

**الحقيقة الثالثة**: موعود الله لبنى إسرائيل موقوت بفترة زمنية محددة: وكما كان وعد الله لبنى إسرائيل مشروطا بوصايا وبعهود، لم يصونوها، ومنوطا بتعاليم ومواثيق لم يراعوها .. فقد كان مرهونا كذلك وموقوتا بفترة زمنية محددة، شاء الله لها أن تختم بنبى الله عيسى - عليه السلام - وتآمرهم عليه كما تآمروا على قتل غيره لولا أن رفعه الله إليه وألقى شبهه على غيره، لذا كان مجيء عيسى - عليه السلام - فرصة لهم لينزعوا إلى صبغة الله، ولا يرغبوا عن ملة آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ويفسر لنا ذلك سر تركيز دعوة عيسى - عليه السلام - على التبشير بنبى آخر الزمان ففى إنجيل يوحنا ١٤: ١٥ وما بعدها «إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد، وروح الحق الذى لن يطيق العالم أن يقبله لأنه ليس يراه ولا يعرفه، وأنتم تعرفونه لأنه مقيم عندكم، وهو ثابت فيكم، والفارقليط روح القدس الذى يرسله الآب باسمى هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كما قلته لكم، والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنوا» وفيه ١٦: ٧: «لكن أقول لكم الحق أنه خير لكم أن أنطلق لأنى إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط فأما إن انطلقت أرسلته إليكم فإذا جاء يوبخ العالم».

وفى إنجيل متى ٢١: ٣٣ وما بعدها بشأن كرم غرس وله ثمر قال لهم يسوع: أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره».

فالكرم - كما هو بين - كناية عن الأرض المقدسة. والكرامون هم بنو إسرائيل.

**الحقيقة الرابعة**: تمايز القلة المؤمنة من بنى إسرائيل مرده التمسك بعهد الله:

نفيد مما سبق أن النصوص الدالة فى آى الذكر الحكيم على تكريم بنى إسرائيل وتفضيلهم وجعلهم أو بعضا منهم أئمة يهتدى بهم .. إنما جيء به فى معرض الامتنان على بنى إسرائيل قبل تكليفهم وإعذارهم، أى قبل انحرافهم وإعلانهم الكفر والتأبى على أحكام الله وأوامر أنبيائه، استمالة

---

(٨) البقرة ٦٣/٦٥

لقلوبهم وحضا لهم على فعل الخيرات كما جيء بها في معرض الحديث عن تميز الفئة الظاهرة بما هي عليه من الحق.. والتي عادة ما تكون قليلة العدد.. عن الكثرة المنحرفة، وذلك للإعلام ـ على ما يقتضيه العدل الإلهي والإنصاف.. قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(٩).

**الحقيقة الخامسة**: واتباعا لهذه السنة الماضية ـ سنة تفضيل الله وتمكينه للطائفة المؤمنة، قليلة العدد والعدة ـ واستكمالا للحديث عن الشق الثاني منها والذي جاء ذكره في مثل قول – الله تعالى –:

﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴾(١٠).

نقول: إن جرائم بني إسرائيل التي تعدت كل وصف وفاقت ـ كما وكيفا ـ كل حد، لا تخفى على ذي لب، والسؤال: ماذا يفعل الله بقوم تركوا ملة آبائهم التي امروا الا يعيشوا إلا في كنفها، والا يموتوا إلا عليها، وبدلا من يفعلوا ذلك راحوا يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وطفقوا يلتمسون الهدى في عبادة العجل تارة وفي العقائد الباطلة التي برأ الله منها ساحة خليله إبراهيم وبنيه من الأنبياء جميعا، تارة أخرى، راغبين بذلك عن وصاياهم وضاربين بكلامهم عرض الحائط؟ يقول – سبحانه – مبينا ما وصل إليه حال تلكم الكثرة من بني إسرائيل:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾(١١).

ويحكي عنهم سلفا وخلفا قولهم:

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ﴾.

ويأتي الرد على ذلك والتحذير منه والتنديد به في قوله بعد

﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(١٢).

لقد ارتكبوا بصنيعهم هذا، الخيانة التي تستوجب استبدال غيرهم بهم، واقيمت عليهم وبنص كتبهم، الحجة حيث جاء في سفر التثنية ٣٢ : ٢١ ما نصه «هم أغاروني بغير إله وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة، وأنا أيضا أغيرهم بغير شعب، وبشعب جاهل أغضبهم» وإليه الاشارة بقوله:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(١٣).

---

(٩) السجدة /٢٤.
(١٠) الصافات/ ٧١.
(١١) الأعراف/ ١٥٢.
(١٢) البقرة/ ١٣٥.
(١٣) الجمعة/ ٢.

وإذا كان الجانب الآخر من الكبر يتمثل - بعد بطر الحق والكفر به - في غمط الناس وظلمهم، فإن الناس الذين غمطهم بنوا إسرائيل ليسوا كأى أناس، لكنهم أنبياء مبلغون عن الله رسالاته، أى أنهم مصدر هداية لمن أرسلوا إليهم، ولو كان غمطهم إياهم اقتصر على مجرد التكذيب لهان الخطب على فظاعته، لكنه تعدى ذلك بكثير ووصل إلى ما هو أبعد منه بمراحل، إنه إزاء كفرهم بالله وتآمرهم على أنبيائه ورغبتهم عن ملة إبراهيم ومن صار على نهجه من النبيين، ولغناء ظلمهم وطغيانهم وتحريفهم للكلم عن مواضعه، كان لابد حسب ما تقضى به سنن الله الكونية في الاستبدال والاستخلاف من أن تتحول إمامة وخلافة وريادة هذا العالم إلى آخرين يحافظون على العهد ويصونون الأمانة ويحفظون الوصايا وينفذون التعاليم فيستحقون عندئذ وعد الله الذى لم يتحقق لغيرهم لا في الأرض المقدسة وحسب بل وفي إرث النبوة والأرض جميعا حيث، يقول - تعالى - وهو أصدق القائلين:

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾[14].

«أى: ويكونون سامعين مطيعين له ولأوامره»[15].

**الحقيقة السادسة**: الإيذان بتحول الإمامة كان في ليلة التتويج (ليلة الإسراء): وعلى نحو ما كانت إمامة النبي - ﷺ - ليلة الإسراء بإخوانه من الأنبياء عن طواعية وطيب نفس، إشارة واضحة إلى أن النبوات يصدق بعضها بعضا ويمهد السابق منها للاحق، وإقرارا مبينا بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى خلقه أخذت كما هي على يد رسولنا - ﷺ - بعد أن وطأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين[16]... فقد كانت كذلك تتويجا مشرفا لهذا النبي الخاتم ولأمته وإنفاذا مرتقبا لسنن الله الكونية والشرعية في الاستبدال والاستخلاف وفي تحول الإمامة والقيادة والخلافة من بني إسرئيل الذين رغبوا عن ملة إبراهيم إلى إخوتهم وبني أعمامهم من بني اسماعيل الذين رغبوا فيها، أما وقد تخلى بنو إسرائيل - أعني أحفاده ممن هم من صلبه - عن تأدية هذه المهمة، وفعلوا ما استوجب استبدالهم فإن الحكمة تقتضي وفق سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير، أن يستعاض عنهم بآخرين ولابد أن يكونوا هنا من أبناء العم لكونهم ممن قال إبراهيم:

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾، وأن يأتي من صلب اسماعيل الذى هو من نسل إبراهيم - أيضاً - من يجدد هذه الملة ويرسخ معالمها ويقيم دعائمها ويرفع بنيانها ويعيد أمجادها ويعلي من قدرها وهذا ما حدث بالفعل ليلة الإسراء التي انتقل فيها إرث الملك والنبوة إلى محمد

---

(14) محمد/ 38.

(15) تفسير ابن كثير: 4/182.

(16) فقه السيرة لمحمد الغزالي ص 140، 141.

- ﷺ - والمؤمنين به من أمته بعد فترة تمهيد استمرت قرابة العشر سنوات، الأمر الذى يعنى ضمنا أن هذه الأمة وهى وحدها المؤهلة لوراثة أرض النبوات أرض الميعاد - بيت المقدس وسائر الأراضى الفلسطينية - وليس هذا فى شريعة المسلمين فحسب، بل وفى كتب اليهود والنصارى أيضا، فقد ورد فى سفر حجى ٢ : ٦ - ٩ « قال رب الجنود : « من بعد قليل فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة، وأزلزل كل الأمم ويأتى مشتهى كل الأمم فأملأ هذا البيت مجدا .. ومجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجده الأول، قال رب الجنود، وفى هذا المكان أعطى السلام » انتهى النص، ومشتهى كل الأمم المذكور فيه أصله العبرانى « حمدون » أى محمود الأمم وهذا بصريح نبوة حجى ينطبق على سيدنا محمد - ﷺ - لأن اسم « محمود » هو من ضمن أسمائه - ﷺ - ويفاد من النبوءة أن المراد من البيت بيت المقدس، ذلك أن رسولنا صلوات الله وسلامه عليه حين أسرى به إليه فى حياته زاد ذلك من شرفه وهذا ما يوافق عبارة « أملأ هذا البيت مجدا » أما بعد وفاته - ﷺ - فقد قام المسلمون بفتحه[17]، وفى هذا المكان أعطى السلام؛ لأن الخليفة عمر بن الخطاب أعطى الأمان لبيت المقدس بعقد المعاهدة وتوثيق شروط الصلح مع بطريرك المدينة؛ والملفت فى قوله : « فى هذا المكان أعطى السلام » أنه لم يقل « إن مشتهى الأمم يعطى السلام بنفسه، لعلم الله أزلا أن الذى سيعطيه هو واحد من أخلص خلصائه »[18]، وقد كان ذلك لعمر رضوان الله عليه، وفى هذا يروى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة فى كتاب الإيمان قوله - ﷺ - : « لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط . قال : « فرفعه الله إلى أنظر إليه ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة[19] وإذا عيسى بن مريم عليه السلام - يصلى أقرب الناس به شبه عروة بن مسعود الثقفى، وإذا إبراهيم - عليه السلام - قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم يعنى نفسه، فحانت الصلاة فأممتهم .. الحديث »[20] إنها الاشارة الواضحة إلى تحول المسار وإسلام القيادة من قبل أصحاب الرسالات جميعا بلا استثناء لإمامهم وإمام البشرية جمعاء - صلوات الله عليه وسلامه - كما أنها الإشارة الواضحة إلى استحقاقه وأمته دون غيرهم إرث بيت المقدس ليعلم الناس جميعا أن شريعته ناسخة لجميع الشرائع، وأن كتابه مهيمن على جميع

---

(١٧) وذلك بعد أن مهد - عليه السلام - لهذا الأمر بغزو الروم فى مؤتة وتبوك وبسريته التى مات عنها وجعل على رأسها أسامة بن زيد .

(١٨) ينظر (محمد نبى الإسلام) للطهطاوى ص ٣٦ .

(١٩) الضرب من الرجال: الوسيط فى كثرة اللحم وقلته. والجعد: المسترسل الشعر. وشنوءة: قبيلة عربية .

(٢٠) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ١٩٢/٢ .

الكتب، وأن إمامته إمامة لجميع النبيين، وأن رسالته لسائر الخلق أجمعين.

والذى تجدر الإشارة إليه أنه ما إن تحمل هذا النسل المبارك من نسل إبراهيم أمانة الدين وعبء المسئولية إلا وانساح فى كل مكان من أرض الله يدك معاقل الشرك ويقوض برسالة التوحيد أركان الوثنية التى فشل أتباع الرسالات قبلها فى القضاء عليها وانطلق لا يبالى ولا يتوانى عن تنفيذ ما ندب إليه حتى تم على يديه إطفاء نار فارس وإجلاء الرومان عن المنطقة بأسرها، وحقق وعد الله فى أقل من عشر سنوات وأقام شريعته فى المنطقة وما يليها فى أقل من قرن من الزمان.

**الحقيقة السابعة**: التواصل الإيمانى هو الأصل والأساس:

إن الأصل فى عمارة الكون الذى لا يعبأ بنو إسرائيل به كثيرا - لا سلفا ولا خلفا - هو التواصل الإيمانى، وما التواصل النسلى إلا تبعا لهذا الأصل، وفرعا عن ذاك الأساس، وهذه المقدمة تجعلنا نؤكد أن لا صحة لما فهمه كتبة العهد القديم من نصوص تشير إلى أن وعد إبراهيم بأرض فلسطين، إنما كان قاصرا على أولاده وأحفاده من نسل إسحاق،.. لأنا نقول إن هذا كان إبان المدة المقررة والمقدرة لهم أزلا، كما يدل عليه - أن ذلك كائن لنسل إسماعيل - أيضا - كما هو كائن لنسل إسرائيل، ففى العهد قال الله لإبراهيم «بإسحاق يدعى لك نسل، وفى إسماعيل أيضا «سأجعله أمة لأنه نسلك» سفر التكوين ٢١: ١٢، ١٣ هذا وليس فى العهد القديم ولا الجديد ما ينفي هذا الانتقال، ولا ما يفيد أن هذا الوعد سيظل إلى الأبد حكرا علي بنى إسرائيل بل إن العكس - علي ما رأينا فى النصوص السابقة - هو الصحيح، يؤكد هذا ويؤيده أنه لم يأت من نسل إسماعيل بن إبراهيم نبى غير محمد - ﷺ - كما يؤيده ويؤكده أن كلمة (الأبد) ما جاءت فى التوراة والإنجيل إلا فى حق هذه الأمة المنتسبة إليه إلى محمد المنتهى نسبة إلى إسماعيل بن ابراهيم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام[21]..

وهذا يعني أن الأبوة المقصودة فى الخطاب لإبراهيم: (أجعلك أبا لجمهور الأمم) وكذا البنوة المرادة من قوله تعالى - على لسان إبراهيم:

﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾[22] ليست هى مجرد أبوة أو بنوة نسب بل هى مع ذلك وقبله أبوة وبنوة إيمانية، الأمر الذى يعنى أن أبناء إبراهيم حقا هم الذين يتبعون ملته، وفى ذلك يقول - عز من قائل -:

---

(٢١) ومما ورد من ذلك فى سفر أشعيا ٢٦: ٢ - ٤، افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة للأمانة ذو الرأى الممكن. توكلوا على الرب إلى الأبد، وقد ثبت عدم وجود هذه الصفات فى أمة يعقوب.. ومما جاء فى إنجيل يوحنا ١٤: ١٦، أنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد ولم يبعث بعد عيسى - عليه السلام - نبى سوى محمد - ﷺ -.

(٢٢) البقرة/ ١٢٤.

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢٣).

ولقد تحد الولاء والتوادد الإيمانى مع الولاء والتوادد النسلى فى محمد الذى ينتهى نسبة - كإسرائيل تماما - إلى إبراهيم - عليه وعليهما أفضل الصلاة وأزكى التسليم - فما وجه الغرابة إذا؟

**الحقيقة التاسعة**: تقصية هاجر كان بمثابة التمهيد لإيجاد البديل المستحق لموعود الله:

لقد أراد الله أزلا من إبعاد هاجر عن الشام هذه التقصية التى ورد ذكرها ضمن نصوص العهد القديم والجديد، تحقيق وعد آخر لإبراهيم الخليل ذلك أنه - عليه السلام - لما وضع زوجه هاجر وابنهما اسماعيل، بأمر الله فى جزيرة العرب كان ذلك توطئة لرفع قواعد البيت الحرام، وإيذانا بإعمار هذا المكان، وإعداده للطائفين والعاكفين والركع السجود.. جأر إلى ربه ودعا ضمن ما دعا

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٢٤).

وقد وافقت هذه الدعوة التى أجيبت بعد حين، قضاء الله الأزلى فى تعيين محمد - ﷺ - رسولا فى الأميين، بل وإلى سائر الأعجميين من الانس والجن، فكان هذا التحول المشرف.. ليس إجابة لدعوة إبراهيم فحسب، ولا إنقاذا لبشارة عيسى وإعمالا للميثاق الذى قطعه الله عليه وعلى سائر الأنبياء بأن ينصروه ويؤمنوا به ويأمروا بذلك أقوامهم.. وفقط، بل إنقاذا فى المقام الأول للبشرية من وهدتها التى سقطت فيها، والذى سببه إفساد بنى إسرائيل فى الأرض.

وقد سبق وأن ذكرنا من نصوص العهد الجديد فى هذا الصدد - على سبيل الاستشهاد - ما به تقام الحجة وإلا فبشارات التوراة والانجيل بصفاته وبمقدمه - ﷺ - أكثر من أن تحصى(٢٥) ونرمق تأييد القرآن لما هو منسوب إلى الكتب السابقة فى مثل قوله - تعالى - على لسان إبراهيم حين أودع زوجه وولده إسماعيل بواد غير ذى زرع

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾(٢٦).

---

(٢٣) آل عمران/ ٦٨. (٢٤) البقرة/ ١٢٩.

(٢٥) بل لهذا مجلدات ومراجع لا يحصيها عد نذكر للاستزادة: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيميه، وهداية الحيارى لابن القيم وإظهار الحق لرحمت الله الهندي، ومحمد نبى الإسلام للطهطاوي.

(٢٦) البقرة/ ١٢٦.





ناهيك عن دعائه الصريح بأن يبعث في ذرية من أودعه عند بيته المحرم من به ـ على أساس من منهج الله ـ يستمر صلاح الكون، وتستقيم حركة الحياة والأحياء، ويتحقق موعود الله بوراثة الأرض وإمامة من عليها.

**الحقيقة التاسعة**: أحقية المسلمين من ذرية إسماعيل فى أرض فلسطين كما ترويه حقائق التاريخ وأدلة العقل والنقل:

وإذا كان يهود عصرنا لا يكفون عن دعوى أحقيتهم فى أرض الميعاد بل وينازعون المسلمين فى قبلتهم الأولى (المسجد الأقصى) فيعملون جاهدين وجاهدين لإثبات هذا الحق المزعوم والوعد المكذوب على نقضه وطمس معالمه، فإن الثابت شرعا وتاريخا:

أن أول من بنى مدينة القدس منذ ثلاثين قرنا قبل الميلاد هم اليبوسيون وهم من العرب القدامى، وأن الفتح الإسلامى جاء والمدينة خالية تماما من اليهود لأنها كانت محرمة عليهم، وهم من بعد موسى ومن بعد الغزو البابلى والرومانى، قد قطعهم الله فى الأرض أمما، ومزقهم كل ممزق، وأن وجودهم المتقطع على مدار هذه الفترة كان وجودا طارئا، لم يقم لهم خلاله ملك ولا دولة.. مما تأكد عدم أحقيتهم لا فى مدينة القدس فحسب بل ولا فى أى شبر من أرض فلسطين، أن ما فعله عمر بن الخطاب عشية تسلم مفاتيح بيت المقدس حين اشترط عليه بطريرك القدس ألا يسمح لليهود بدخولها أو الإقامة فيها، لم يأت من فراغ فالعهد العمرى يجب أن يظل محترما ومعمولا به، لأن المسلمين مأمورون أن يتبعوا سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ولا ريب أن عمر أحدهم، ودين الله الخاتم يحتم على المنتسبين إلى محمد، وإسماعيل – عليهما السلام – والراغبين فى ملة أبيهم إبراهيم، والمؤمنين بحق بسائر النبيين، أن يحرروا تلك البقاع المباركة باعتبارهم وحدهم أصحاب الحق الشرعى والتاريخى فيها، والمؤتمنين عليها سيما وقد شهد التاريخ ولا يزال سيل الفظائع التى يرتكبها معشر يهود فى حقها وفى حق أصحابها المقيمين بها، كما شهد ما أصابها عندما احتلها الصليبيون من قبل وقتلوا فيها وفى مسجدها ما يقرب من السبعين ألفا من المسلمين وبقيت ترزح تحت أيديهم تسعين عاما أهلكوا خلالها الحرث والنسل إلى أن حررها القائد المسلم صلاح الدين عام ١١٨٧م.

**الحقيقة العاشرة**: مستقبل أرض فلسطين القريب والبعيد يحدده الشرع الحنيف لا أمزجة البشر:

وابتناء على ما سبق فإن النزاع الآن بين بنى إسرائيل وبنى إسماعيل على تحقيق وعد الله لا محل له، لأن هذا الوعد قد قضى الله فيه بأمره وضمن ما قضاه ألا حق لبنى إسرائيل فيه بعد بزوغ فجر الإسلام، لا لأنه كان موقوتا بمدة معينة انتهت وفقط، بل ولأنهم مع ذلك تعجلوا ـ باحتيالهم على محارم الله ومخالفتهم أوامره وشرعه واعتداءاتهم على أنبيائه والصلحاء من عباده ـ هذه المدة، ولو أنهم استقاموا على الطريقة لظل موعود الله لهم ومعهم إلى أن أسلموه لأبناء أعمامهم عن طواعية اقتداء بحال أنبيائهم مع نبينا ليلة الإسراء، ولكان لهم فى ذلك أيضا الشرف أن لم يخرج هذا الأمر إلى أحد من غيرهم، بل ولما سلط الله عليهم ومن قبل ذلك بزمن طويل وإلى يوم القيامة من يسومهم من كل أمة سوء العذاب.

# مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي

## ٢

للمستشار الدكتور/ محمد شوقي الفنجري

**انتقل إلى نقطة أخيرة وهي التي تتعلق بتحديد معالم أو خصائص الاقتصاد الإسلامي، والتي من خلال معرفتها نستطيع أن نتبين حقيقة الاقتصاد الإسلامي، بل وأن نحدد مقدما موقفه بالنسبة للاقتصاديات الوضعية السائدة.**

**ولقد عرضت هذه الخصائص في كتاب مستقل بعنوان (ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية)[١].**

**ولقد حصرت هذه الخصائص في ثلاث خصائص رئيسية، أمر عليها مرورا سريعا وهي:**

### أولاً: خاصية الجمع بين المصالح العامة والمصالح الخاصة

او ما أسميه خاصية التوفيق بين المصالح المتضاربة، وهو ما عبر عنه البعض (بخاصية الوسطية) التي تعني الاعتدال والتوازن. فهي ليست وسطية حسابية مطلقة، (وإنما) هي وسطية اجتماعية نسبية، إذ الاعتدال، وهو سمة الإسلام، وأسلوبه في كافة نواحي الحياة، لا يمكن أن يوضع في قالب جامد، أو صيغة معينة، ولكنه أمر إجتهادي يختلف باختلاف ظروف الزمان والمكان.

وهذا المبدأ الإسلامي، وهو التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، وعدم اهدار أحدهما لحساب الآخر، كما هو الشأن في الاقتصاديات الوضعية السائدة، يجد سنده في قوله تعالى:

﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[٢] وقول الرسول - عليه الصلاة والسلام - (لاضرر ولاضرار)[٣] بل

---

(١) والذي صدرت منه حتى اليوم خمس طبعات، وترجم إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية بمعرفة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالرباط (إيسيسكو ESESCO).

(٢) البقرة ٢٧٩.

(٣) ابن ماجة - ٢٣٤٠، ٢٣٤١ والإمام أحمد ٣١٣/١ مجمع الزوائد ١١٠/٤.

لقد أعطانا الرسول ـ ﷺ ـ صورة مبسطة، ولكنها عميقة الدلالة على تحقيق التوازن بين المصلحتين الخاصة والعامة بقوله :( مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين من أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا من نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادو هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا )[٤].

وتطبيقا لذلك فإن الحلول الاقتصادية الإسلامية، تتميز عن غيرها من الحلول الرأسمالية أو الاشتراكية، بأنها ثمرة التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة .. ونبين ذلك باختصار في ثلاثة مجالات رئيسية وهي :

١ـ مجال الحرية الاقتصادية وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، فإنه في الإسلام، ليس متروكا لمزاج ولي الأمر، أو أهواء الفئة الحاكمة، وإنما هو محكوم بالقدر الذي يكون دور الدولة عنصرا « مكملا » أو « مصححا » وليس عنصراً بديلاً أو « منافسا » للأفراد. فالأفراد مثلا لن يقيموا المرافق العامة، ولن يعمروا الصحارى، فيصير شرعا « فرض عين » على الدولة القيام بكافة الأنشطة الضرورية التي يعرض عنها الأفراد، أو يعجزون عن القيام بها، بخلاف أنشطة الزراعة أو التجارة أو الصناعة التي يجيدها الأفراد فتترك لهم.

ومؤدى ذلك أن التنمية الاقتصادية في الإسلام ليست « مسئولية الأفراد » حسبما يؤكد المذهب الفردى، وسائر النظم الرأسمالية المتفرعة عنه، كما أنها ليست « مسئولية الدولة » حسبما يؤكد المذهب الجماعي وسائر النظم الاشتراكية المتفرعة عنه، وإنما هي في الاقتصاد الإسلامي مسئولية كل من الدولة والفرد، يكمل كلاهما الآخر،ولا يغني أحدهما عن الآخر.

٢ـ في مجال الملكية: يقوم الاقتصاد الإسلامي على الملكية المزدوجة: الخاصة والعامة في وقت واحد، يتوازنان بحيث يكمل كل منهما الآخر، كلاهما كأصل وليس استثناء، وكلاهما ليس مطلقا بل هو مقيد بالصالح العام، بحيث تسقط شرعية الملكية، سواء كانت خاصة أو عامة، إذا لم يحسن الفرد أو الدولة، استخدام المال استثماراً أو إنفاقا في مصلحته ومصلحة الجماعة. وقد عبر عن ذلك أصدق تعبير الخليفة الثاني عمر بن الخطاب حين قال للصحابي بلال، وقد أقطعه الرسول عليه الصلاة والسلام، ـ أرض العقيق ( إن رسول الله ـ ﷺ ـ لم يقطعك لتحجز عن الناس، وإنما أقطعك لتعمل ، فخذ ما قدرت على عمارته وردّ الباقي ).

وفي هذا الخصوص جاء الإسلام بفكر جديد، وهو أن ( المال مال الله، وأن البشر مستخلفون فيه )، وعليه فإن اختصاص البعض بالمال في الإسلام، ليس « امتلاكا »، وإنما هو وظيفة وأمانة ،

---

(٤) رواه البخاري عن النعمان بن بشير. صحيح البخاري ١٨٢/٣ومسند الامام احمد ٢٦٩/٤

يسأل عنها لقوله تعالى:

﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾[٥].

وقوله تعالى:

﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾[٦].

وقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾[٧].

إن الإسلام تشجيعا للعمل والاكتساب، وحفزا للمبادرة والحافز الفردى. لا يضع حدا أعلى للثروة أو الغنى، ولكنه يحاسب الغنى من زاوية لا تخطر على بال بشر وهى كيفية استخدام المال، فإنه فى كافة النظم الوضعية، متى اكتسب الفرد مالا بالطرق المشروعة، التى يقرها هذا النظام، فهو بعد ذلك حر فى استعمال ماله كيف يشاء، يخزنه، أو يترفه به، أو يرميه فى البحر لو أراد، بخلاف الإسلام، فالفرد ليس حرا فى التصرف فى ماله كيف شاء، وإنما هو مقيد بعدة قيود فهو:

أ- لا يملك أن يكنز ماله أو يحبسه عن التداول بين الناس والإنتاج، لقوله تعالى -:

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٨].

ب- وهو لا يملك أن يصرف ماله على غير مقتضى العقل، وإلا عد «سفيها»، وجاز الحجر عليه لقوله - تعالى -:

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾[٩].

ج- هو لا يملك أن يعيش عيشة مترفة (أى مبالغ فيها) وإلا اعتبر بنص القرآن مجرما، لقوله - تعالى -:

﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[١٠].

د- وهو مأمور بأن ينفق كل مازاد عن حاجته فى سبيل الله لقوله - تعالى -:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾[١١]

فالإسلام لا يكتفى بفريضة الزكاة بل يطالب القادرين أيضاً بفريضة الإنفاق فى سبيل الله وينذرهم حين إغفالها، بالتهلكة والحساب العسير، لقوله - تعالى -:

﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[١٢].

٣- فى مجال التوزيع: فالأساس الأول فيه، هو الحاجة بمعنى ضمان حد الكفاية، لكل فرد فى المجتمع الإسلامى أيا كانت ديانته، أو جنسيته،

(٥) الحديد ٧.
(٦) النور ٣٣.
(٧) التكاثر ٨.
(٨) التوبة ٣٤.
(٩) النساء ٥.
(١٠) هود ١١٦.
(١١) البقرة ٢١٩.
(١٢) البقرة ١٩٥.

باعتبار ذلك حق الله الذى يعلو فوق كل الحقوق، ثم بعد ذلك يكون لكل، تبعا لعمله لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾(١٣).

وإنه إذا كان الناس يتفاوتون في كفايتهم، وفى مقدار مايبذلونه من جهد، فإنه من الطبيعى ان يتفاوتوا في مقدار ما يحصلون عليه من دخل، أو يكونونه من ثروة. إلا أن التفاوت الذى يسمح به الإسلام، هو التفاوت المنضبط، الذى لا يخل بالتوازن الاقتصادي بين افراد المجتمع، او يمحق تماسكه، وإلا تعين على الحاكم التدخل لإعادة هذا التوازن عند افتقاده، وهو ما فعله الرسول ـ ﷺ ـ حين منع الأنصار من تأجير أرضهم الزراعية، وحين قصر توزيع فيء بنى النضير على المهاجرين، واثنين من الأنصار كانوا فقراء.

والواقع ان مشكلة الاقتصاد الوطني، هى أساساً في اختلال التوازن فى توزيع الثروات، والدخول، بين أفراد المجتمع. كما ان مشكلة الاقتصاد العالمى اليوم هى الهوة المتزايدة بين الدول المتقدمة الغنية، والدول النامية الفقيرة. ولا يستهدف أساساً اى تغيير او اصلاح أو اى نظام اقتصادي جديد، سوى البدء فى تحقيق التوازن الاقتصادى بين افراد المجتمع على المستوى المحلى، وتحقيق التوازن الاقتصادى بين دول العالم على المستوى العالمى. الأمر الذى نبه إليه الإسلام منذ اربعة عشر قرنا لقوله تعالى:

﴿ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾(١٤)، بمعنى الا يكون المال، متداولاً بين فئة قليلة، تستأثر به دون غيرها، سواء كان ذلك على مستوى افراد المجتمع أم علي مستوى دول العالم.

وخلاصة القول فى التوزيع، ان الاقتصاد الإسلامى، لا يسمح بالثروة والغنى إلا بعد القضاء على الفقر والحاجة، بضمان حد «الكفاية» لا «الكفاف» لكل فرد، بمعنى انه إذا عجز اى فرد يتواجد فى مجتمع إسلامى، ايا كانت جنسيته أو ديانته، عن أن يوفر لنفسه المستوى اللائق للمعيشة، بسبب خارج عن إرادته، كمرض أو عجز أو شيخوخة، فإن نفقته تكون واجبة على بيت مال المسلمين، اى خزانة الدولة، وبالذات من فرع الزكاة وهو ما فعله الخليفة عمر بن الخطاب مع الشيخ الضريراليهودى باعتباره مسكيناً يستحق من الصدقات.

كما أن الاقتصاد الإسلامى لا يسمح بتاتاً أن تستأثر اقلية من الافراد او الدول بخيرات المجتمع او العالم، بل يطالب بان يعم الخير الجميع. كما انه لا يسمح كلية بممارسة اية صورة من صور الترف او البذخ المفضى الى البطر، ولا صرف المال فى غير موضعه، مما يسمى بلغة اليوم، الانفاق المبدد أو الاستهلاك الاستفزازى.

كما لا يسمح الاقتصاد الاسلامى باى حال من

(١٣) النساء:٣٢.

(١٤) الحشر ٧.

الأحوال، أن يكون التفاوت في الثروة والدخول، فاحشا أو كبيراً، بما يخل بالتوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع أو دول العالم، وإنما هو حسبما سبق بيانه، تفاوت منضبط بالقدر الذي يحض على العمل ويوفر الباعث، ويشجع المبادرة والإبداع، وبما يحقق التكامل لا التناقض، والتعاون لا الصراع، بحيث يتعين على أولى الأمر التدخل لإعادة التوزيع، كلما اختل هذا التوازن.

هذا وقد لخص الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سياسة الإسلام في توزيع الثروة، بعبارتين دقيقتين مشهورتين عنه، أولهما قوله: (ما من أحد إلا وله في هذا المال حق: الرجل وحاجته أي كفايته، ثم الرجل وبلاؤه أي عمله).

وثانيهما قوله: (إني حريص على ألا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجزنا تآسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف)، وقوله في عام المجاعة: (لو لم أجد للناس ما يسعهم، إلا أن أدخل على كل بيت عدتهم ـ أي عددهم ـ فيقاسموهم أنصاف بطونهم، حتى يأتي الله بالحيا ـ أي المطر ـ لفعلت، فإنهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم). ولقد عبر الامام الشافعي عن موقف الإسلام بالنسبة لتوزيع الثروة، وذلك في عبارة فقهية دقيقة مشهورة عنه هي قوله: (إن للفقراء أحقية استحقاق في أموال الأغنياء، حتى صار بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير).

ذلك أن الحديث النبوي صريح «تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم»[15]، بمعنى أن يؤخذ من الأغنياء بقدر ما يكفي الفقراء.

### ثانياً: خاصية الجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية

أو ما أسميه بخاصية الإحساس بالعبودية لله ـ تعالى ـ ومراقبته، وابتغاء وجهه ـ تعالى ـ في كل نشاط اقتصادي. فالهدف في كافة النظم الاقتصادية الوضعية رأسمالية كانت أم اشتراكية، تحقيق المصالح المادية، وأن النشاط الاقتصادي ذو صبغة مادية بحتة. وخطأ هذه النظم الوضعية، أنها تصورت الإنسان مادة فحسب، وأن حقيقة العالم تنحصر في ماديته، وأن الكسب المادي أو الكفاية المادية هي كل حياة البشر، ومن ثم كان هذا الخواء الروحي وذلك الإفلاس الذي تعانيه المجتمعات التي تدين بهذه النظم.

أما الاقتصاد الإسلامي، فإنه، إلى جانب إيمانه بالعمل المادي، وأن النشاط الاقتصادي لا يمكن إلا أن يكون ماديا، إلا أنه لا يغفل الجانب الروحي في الكائن البشري. وكل ما يفعله الإسلام بهذا الخصوص، هو التنبيه بأن يتجه المرء بنشاطه الاقتصادي إلى الله ـ تعالى ـ ابتغاء مرضاته، وخشيته، مما يضفي على ذلك النشاط، الطابع الإيجابي والروحي، وشعور الرضا والسعادة.

وهنا تبرز نظرية هامة يغفل عنها الكثيرون، وهي أن الإسلام لا يعرف الفصل

---

(١٥) صحيح الإمام مسلم م. الإيمان رقم ٣١٢٩.

بين ما هو مادي وما هو روحي، ولا يفرق بين ما هو دنيوي وما هو أخروي... فكل نشاط مادي أو دنيوي يباشره الإنسان، هو في نظر الإسلام عبادة، طالما كان هذا النشاط مشروعا وكان يتجه به إلى الله ـ تعالى ـ فليس صحيحاً ما يدعيه الفكر الغربي بأن هناك صراعاً بين الدين والدنيا، أو أن هناك مجالا لكل من النشاط الدنيوي والنشاط الأخروي... فالإسلام لا يعترف بهذا الفصل الميتافيزيقي بين الحاجات المادية أو الروحية، وذلك التمييز المصطنع بين الأنشطة الدنيوية أو الأخروية، إلا على أساس مشروعية العمل وابتغاء وجه الله ـ تعالى ـ ويحكي أن بعض الصحابة رأى شاباً قويا، يسرع إلى عمله، فقال أحدهم: (لو كان هذا في سبيل الله) فرد النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ (لا تقولوا هذا، فإنه إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً، فهو في سبيل الله ـ وإن كان خرج على نفسه، يعفُّها، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياء ومفاخرة، فهو في سبيل الشيطان)[16] والإيمان في الإسلام ليس إيماناً مجرداً abstrait، وإنما هو إيمان محدد Concret، مرتبط بالعمل والإنتاج لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[17].

ومرتبط بالعدل وحسن التوزيع لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[18]، ومرتبط بالإنفاق في سبيل الله، وفعل المعروف لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾[19].

وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس)[20] ولم يقل أكثرهم صلاة أو صياماً. وقد أراد أحد الصحابة الخلوة والاعتكاف لذكر الله فقال له الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله ـ أي الجهاد في خدمة المجتمع ـ أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما)[21]، وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (لأن يمشي أحدكم في قضاء حاجة أخيه، أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين[22]. ورحم الله عمر بن الخطاب حين قال: (والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة)، ورحم الله جمال الدين

---

(16) اتحاف السادة المتقين ٥/١٤٤.

(17) التوبة ١٠٥.

(18) المائدة ٨.

(19) النساء ١١٤.

(20) مجمع الزوائد ٨/١٩١ والطبراني في الكبير ٣/٢٠٩.

(21) الترغيب ٢/٢٨٩، اتحاف السادة المتقين ٦/٣٣٧.

(22) الحاكم على المستدرك ٢٦٩، ٢٧٠ والترغيب ٣/٣٩١.

الأفغاني حين كان يردد: ( أنا لا أفهم معنى لقولهم الفناء في الله، وإنما الفناء يكون في خلق الله بمساعدتهم وتوعيتهم بما فيه خيرهم )، وهذا الفهم الصحيح للإسلام يتفق مع الحديث القدسي: ( ابغوني الضعفاء )[٢٣]، وحديث ( إن الله تعالى ـ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، فيقول العبد: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول ـ تعالى ـ: مرض عبدي فلان فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لو جدتني عنده. يا ابن آدم استسقيتك فلم تطعمني، قال. رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين، قال ـ تعالى ـ: استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي. يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين، قال ـ تعالى ـ استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي )[٢٤] إنه في كافة الاقتصاديات الوضعية، الرقابة في مباشرة النشاط الاقتصادي، هي رقابة خارجية، مناطها القانون. أما الاقتصاد الإسلامي، فإنه إلى جانب رقابة القانون أو الشريعة، فانه يحرص في ذات الوقت، على إقامة رقابة أخرى ذاتية أساسها عقيدة الإيمان، وحساب اليوم الآخر. ولاشك أن في ذلك ضمانة قوية لسلامة السلوك الاجتماعي، وشرعية النشاط الاقتصادي، لشعور الفرد المؤمن، بأنه إذا استطاع أن يفلت من رقابة ومساءلة القانون والشريعة، فإنه لن يستطيع أن يفلت من رقابة ومساءلة الله ـ تعالى ـ ومن هنا كان أساس المسئولية في الإسلام ( اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن ترا فإنه يراك )، وتأكيدا لقول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه: ( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن )[٢٥].

ومؤدى ما تقدم، أن ثمة عامل مميز في الاقتصاد الإسلامي هو اعتداده بالوازع الديني، في توجيه النشاط الاقتصادي، باستشعار المسلم رقابة الله ـ تعالى ـ في كل تصرف، من تصرفاته، ومسئوليته، بحيث يلتزم المسلم تعاليم الإسلام، وذلك تلقائياً بباعث العقيدة والإيمان، أي عن رغبة وإختيار بغير حاجة إلى سلطان الدولة لإنفاذه، وهذا يعكس ما هو سائد في النظم الإقتصادية الوضعية، حيث لا تهتم بعنصر الإيمان وتأثيره في النفوس، بل ينكر بعضها الوازع الديني، في توجيه النشاط الاقتصادي، ويبدو أثر ذلك في محاولة البعض في ظل هذه النظم الوضعية التهرب من التزاماتهم أو الانحراف بنشاطهم الاقتصادي كلما غفلت عين الدولة أو عجزت أجهزتها عن رقابتهم ومساءلتهم.

وإنه من المفيد هنا الإشارة بأن الاقتصاد الإسلامي ينفرد دون سائر الاقتصاديات الوضعية

---

(٢٣) أبو داود ٤٠٩٤ البيهقي في السنن الكبرى ٣/٣٤٥، ٦/٣٣١ وسنن النسائي ٦/٤٦.

(٢٤) إتحاف السادة المتقين ٩/٥٦٩ شرح السنة/٢١٨.

(٢٥) صحيح البخاري ٣/١٧٨، ٧/١٣٦، ٨/١٩٥، ١٩٧ والترمذي ٢٦٢٥ ومسند الإمام أحمد ٢/٣٧٦.

بالكشف عن عنصر هام من عناصر الإنتاج تغفله مختلف النظم الوضعية، بل يعتبره من أهم عناصر الإنتاج، الا وهو عنصر « التقوى » أى إبتغاء وجه الله - تعالى - ومراعاته وخشيته فى كل ما نقوم به من عمل أو نباشره من نشاط اقتصادى، وعائده هو « البركة »، وهو ما عبرت عنه عدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية نذكر منها على سبيل المثال لقوله - تعالى - :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(٢٦).

وصدق الله العظيم اذ يقول:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾(٢٧).

وقوله - تعالى - : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾(٢٨)

ويقول - تعالى - :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾(٢٩)

**ثالثًا : خاصية الجمع بين الثبات والتطور**

او ما اسميه بخاصية المذهب والنظام، فالاقتصاد هو اقتصاد « إلهى » من حيث أصوله، و« اجتهادى » من حيث تطبيقه.

ومؤدى ذلك انه يتميز بصفتين أولهما : انه « اقتصاد ثابت » من حيث أصوله الاقتصادية، حسبما وردت بنصوص القرآن والسنة مما سبق بيانه، فهذه الأصول غير قابلة للتغيير أو التبديل، ولا يجوز الخلاف حولها، وبحيث يخضع لها المسلمون فى كل زمان ومكان، بغض النظر عن تطور المجتمع من حيث تقدمه أوتخلفه، وبغض النظر عن أدوات واشكال الإنتاج السائدة، وهو ما عبرنا عنه بمصطلح ( المذهب الاقتصادى الإسلامى )

ثانيهما : انه « اقتصاد متطور » وذلك من حيث تطبيق المبادىء والأصول الاقتصادية الإسلامية بحسب ظروف الزمان والمكان. او بيان مقدار حد الكفاية او الحد الادنى للاجور، أو إجراءات تحقيق العدالة الاجتماعية وإعادة التوازن الاقتصادى، عند افتقاده، أو بيان مدى الحرية الاقتصادية وتدخل الدول فى النشاط الاقتصادى، أوخطة التنمية الاقتصاية والتخطيط.. إلخ مما يتسع فيه مجال الاجتهاد وتتعدد فيه صور التطبيق، والتى نعبر عنها على المستوى النظرى أو الفكرى بمصطلح ( النظرية او النظريات الاقتصادية الإسلامية ) وعلى المستوى العملى أو التطبيقى بمصطلح ( النظام أو النظم الاقتصادية الإسلامية )

وفقنا الله تعالى وسدد خطانا

---

(٢٦) الأعراف ٩٦.
(٢٧) طه ١٢٤.
(٢٨) التوبة ٦٧.
(٢٩) الحشر ١٩.

# التراث العلمي الإسلامي

## ذاكرة الأمة ورصيدها الحضاري

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا (*)

**الاعتبار من دروس التاريخ:**

**إذا كانت الخبرة الإنسانية تدعونا دائما إلى الاعتبار من دروس التاريخ، فإن تاريخ العلوم لا يدلنا فقط على المراحل الزمنية للتغيرات التي شهدها، ولكننا نتعلم منه أيضا أن المشكلات والقضايا العلمية التي تواجهنا الآن ليست جديدة تماما، فالأساليب التي عولجت بها هذه القضايا في ظروف مغايرة عبر العصور لن تخلو أبداً مما يمكن أن نفيد منه اليوم أو غداً، ولذا فإن أية نظرية تطرح لنقد العلم قديما وحديثا تكتسب أهميتها من المبررات المنطقية التي تقدمها كمسوغ لإعادة قراءة تاريخ العلوم في ضوء المرحلة التي يبلغها من تطوره على أساس ما يستجد دائما من أفكار تتعلق بالجوانب المختلفة لنظرية العلم والتقنية، بحيث تجعل من هذه القراءة المعاصرة أساسا لتحليل الواقع واستشرافا لآفاق المستقبل.**

ومن هنا نعثر على السبب الحقيقي وراء الاهتمام العالمي المتزايد بإعادة تحليل تاريخ العلم والتقنية برؤية موضوعية قدر الإمكان، من خلال المؤسسات الأكاديمية والمجلات الدورية والترجمة والتأليف وإحياء تراث الأعلام في فروع العلم المختلفة.

ومن هنا أيضاً تظهر بجلاء أهمية إحياء التراث العلمي للحضارة العربية الإسلامية، والعودة - من خلال الدراسات التأصيلية - بالعلوم التخصصية المعاصرة إلى جذورها في المجتمع الذي كان شاهداً على ميلادها، والتعرف على طبيعة الظروف التي سمحت للمفاهيم والأفكار الوليدة

(*) عميد كلية العلوم ـ جامعة القاهرة

أن تنمو وتزدهر، وتصبح بعد ذلك فروعاً في شجرة المعرفة، وراوفد لا غنى عنها لتغذية الحضارة الإنسانية، ذلك لأن الحقائق العلمية ليست كلها على درجة متكافئة من الأهمية والدلالة عندما يتناولها المؤرخ بالتحليل والتفسير في أي عصر من العصور، كما أن قيمة العلماء ومكانتهم تتحدد بقيمة القوانين والنتائج العلمية التي يتوصلون إليها، ومدى أثرها في دفع مسيرة التقدم العلمي والحضاري[1].

وكمثال على أهمية الاعتبار من دروس التاريخ في مجال العلوم والتقنية نعرض بإيجاز لما جاء في تقرير عن ندوة « تاريخ العلوم والثقافة العلمية في أوروبا »، التي عقدت في فلورنسا عام ١٩٩١م للبحث عن جهود إحياء التراث العلمي في أوروبا المعاصرة، والمكانة التي يمكن أن يحتلها تاريخ العلم والتقنية في المجتمع الأوروبي المعاصر[2]:

جاء في هذا التقرير أن العلم والتقنية ينظر إليهما كأساس ضروري لمكونات « العزة القومية ». لهذا فإن تاريخيهما يميل إلى اتخاذ شكل الدفاع والمباهاة فيما يتعلق بالمجتمع العلمي للبلد المعني، ومن سماته المثيرة في معظم البلدان الأوروبية ميله إلى النمو في إطار قومي بالضرورة، على الرغم من العديد من اللقاءات والصلات الدولية القائمة بين الباحثين، ويتجلى الانحياز المقصود أو غير المقصود، بوضوح عند مؤرخي بلد ما، عند اختيارهم لموضوعات البحث، ومنها الحقب التاريخية، أو الإنجازات التي تبين تفوق دولة على الأخرى، مثال ذلك: الثورة الصناعية: الصلب والبخار والمنسوجات في إنجلترا خلال القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وصناعة الحديد والصلب في السويد في القرن الثامن عشر، والميكانيكا والهيدروليكا في إيطاليا في عصر النهضة، وتقنيات التسليح والملاحة في إسبانيا خلال عصر الاكتشافات، وهلم جرا. والنتيجة الواضحة لهذه الظاهرة هي صورة مشوهة لتطور العلم والتقنية في أوروبا، وهي تشبه منظراً طبيعياً لا تظهر فيه سوى قمم الجبال.

كذلك أشار التقرير الهام إلى أهمية انتشار الفهم العميق للماضي العلمي والتقني، وأكد على النقاط التالية:

١- إن مستوى العمل المؤسسي لرعاية التراث العلمي الأوروبي يكاد يكون غائباً، حيث يتناثر الباحثون في جهات أكاديمية متعددة. واقترح البعض مناقشة تأسيس اتحاد أوروبي وإصدار دورية أوروبية لتاريخ العلم والتقنية، بالإضافة إلى إجراء مشروعات مشتركة على أساس تعاوني، مثل طبع الأعمال الكاملة لكبار العلماء.

٢- الباحثون المحرومون من الثقافة التاريخية، والمتعزلون عن الأسس التي تقوم عليها علومهم يكونون أكثر عرضة لأن يضلوا طريقهم ويضاعفوا أخطاءهم. وبعض الاكتشافات التي تقدم اليوم على أنها إنجازات ثورية وإبداعية غير

(١) راجع في ذلك: د. أحمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي، دراسات تأصيلية، دار الهداية، القاهرة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٢) مايكل أندريه، تاريخ العلوم والثقافة العلمية في أوروبا، مجلة العلم والمجتمع، عدد ١٦٧، اليونسكو ١٩٩٢م




مسبوقة، قد لا تكون في الحقيقة سوى إعادة تشكيل لبعض الأفكار القديمة التي أهملت وغمرها النسيان لسنين عديدة.

والآن، ترى هل يمكن أن نجد شيئاً يخصنا – نحن معشر العرب والمسلمين – فيما ذكرناه عن مظاهر وأسباب الاهتمام الدولي والأوروبي بقضايا التراث العلمي؟ ذلك الاهتمام الذي أخذ في الازدياد بصورة تلفت النظر خلال النصف الثاني من القرن العشرين، خاصة بعد أن أظهرت الدراسات المتعلقة بتاريخ العلم وفلسفته أن الباحث الجيد هو الذي يكون على دراية تامة بأحدث ما توصل إليه زملاؤه في مجال تخصصه، وأن يكون في الوقت نفسه ملما إلماما كافياً بأصول المفاهيم العلمية المتصلة بموضوع بحثه، وذلك من خلال متابعته الدقيقة لطبيعة نموها عبر مراحل تطورها. وهذا يعني أن الجمع بين الأصالة والمعاصرة في العلوم الكونية يعد من أهم سمات الباحث المتميز الذي يكون بلاشك أقدر من غيره على ممارسة البحث العلمي برؤية أعم ومنهج أصوب وذوق أرقى.

## دعاوى مفتقدة:

التراث العلمي الإسلامي يشمل جزءاً كبيراً من التاريخ العلمي والحضاري، ويخص الحضارة الإسلامية ودورها الرائد في مسيرة الحضارة الإنسانية، بشهادة المنصفين من المؤرخين، لكن بعض المنظرين يغفلون هذا الدور الإسلامي الرائد، في الوقت الذي يحاولون فيه أن يؤرخوا لنظرية العلم بإيجاد أساس لها عند أفلاطون وأرسطو في الحضارة الإغريقية، أو عند «بيكون» و«ديكارت» و«مل» وغيرهم من رواد النهضة العلمية الحديثة. بل إننا نجد من يثنى كثيراً على ما يسمى «بالعلم العبري» أو «العلم المسيحي»، كما تساق التبريرات الواهية لاعتبار إسرائيل ضمن الحضارات الكبرى القديمة في الشرق، وللإشادة بالعصر الذهبي «للعبقرية السامية» في حضارة بابل وآشور.[3] ولم يستطع أكثر المؤرخين المعاصرين إنصافاً للحضارة الإسلامية أن يخفي نزعته العرقية عندما تحدث عما أسماه «بالمعجزة اليونانية» وتفوقها على الحضارات المجاورة لها، قائلاً: «وحديثنا عن الماضي محدود من عدة وجوه، وأحد هذه الوجوه الضرورية أنه يجب علينا أن نقصر أنفسنا على أسلافنا فحسب... والواقع أن ثقافتنا النابعة من الأصل الإغريقي والعبري هي الثقافة التي تعنينا كثيراً، إن لم تكن هي كل ما يعنينا... والزعم بأنها بالضرورة أرقى الثقافات فيه خطأ وشر.. لأنني إن كنت أرقى من جيراني فليس لي أن أقول ذلك، ولكن لهم فقط أن يقولوه، وإذا زعمت لنفسي شيئاً من العلو لا يستطيعون – أو لا يقبلون – أن يصادقوا عليه، فإن ذلك لا يثمر سوى العداوة بيننا»[4].

وفي كتاب «العلم في التاريخ» لم يستطع المؤلف (جون ديزموند برنال) أن يخفي تحيزه

---

(٣) رينيه تاتون R. Taton، تاريخ العلوم العام، العلم القديم والوسيط، ترجمة د. علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٨م.

(٤) جورج سارتون، تاريخ العلم، الترجمة العربية، دار المعارف بمصر ١٩٧٦م.

الواضح إلى جانب الإغريق والفرس والرومان، فى الوقت الذى يكيل فيه اتهامات متنوعة للإسلام والمسلمين دون أن يشرحها أو يدلل عليها، فالإسلام – فيما يزعم برنال – أقام ثقافة متلاحمة ظلت باقية إلى يومنا هذا، بالرغم من أنها ليست ثقافة تقدمية، واللغة العربية – فيما يزعم برنال أيضاً – هى التى حجبت الدور الكبير للعنصر الفارسى فى العلوم الإسلامية الشرقية، والمسلمون يتحملون مسئولية كبيرة عن إقامة حواجز بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية إلى يومنا هذا، بدعوى أنهم لم يترجموا إنسانيات الإغريق مثلما ترجموا التراث العلمى والفلسفى، فانتقلت الإنسانيات والعلوم إلى الثقافة الحديثة عن طريقين مختلفين. وينكر «برنال» مآثر علماء المسلمين ويقصرها فقط على مجرد حفظهم لمواريث القدماء قائلاً: «رضى معظم علماء المسلمين بالنمط الكلاسيكى الأخير للعلوم، ووثقوا هذا النمط. ولم يكن لديهم طموح كبير ليحسنوه، ولم يكن لديهم أى طموح لأن يطوروه تطويراً ثورياً»(٥).

وتجدر الإشارة أيضاً بإيجاز إلى بعض صور التحيز الواضح من جانب بعض المؤرخين عندما يتجهون إلى التأليف فى تاريخ العلوم وتقنياتها لإذكاء نزعة قومية، حيث نجد بينهم من يكتب عن علم غير غربى، لا ليؤكد حق حضارة أخرى أسقط دورها من حركة التاريخ الإنسانى، ولكن لكى يثبت أسطورة الجنس الآرى وتفوقه، ويؤكد مقولة: «إن العلم لا يمكن إلا أن يكون غربياً». فعندما صنف «جوزيف نيدهام» وزملاؤه سبعة مجلدات ضخمة (بدأ إصدارها عام ١٩٥٤م) عن العلم والحضارة فى الصين، إنما كانوا يحاولون أن يفسروا السبب الذى حال دون أن تتبع التنمية فى الصين نفس المسار الذى اتبعته الثورة العلمية الحديثة فى أوروبا ثم يسعون من خلال ذلك إلى تأكيد فرض ضمنى، مُفاده أن العلم والتقنية اللذين أينعا فى أوروبا النهضة، عالميان، وأن كل ما هو أوروبى لابد أن يكون عالمياً. وغالباً ما يطرح أمثال هؤلاء المؤرخين المتحيزين مسألة «العلم القومى» فى صورة منافسة يحاول فيها كل فريق التصدى بحماس لا يخلو من المبالغة فى كثير من الأحيان للرد على كل ما يقلل من شأنهم فى ساحة الفكر العالمى(٦).

وعلى غرار ما فعل «نيدهام» بالنسبة للعلم الصينى. أو شئ قريب منه، حاول «توبى هاف» مؤخراً أن يجيب على سؤال: لماذا ظهر العلم الحديث فى أوروبا، على حين أن العالم العربى الإسلامى كان متقدماً على الغرب الأوروبى بكثير طوال الفترة التى مهدت لظهور هذا العلم؟ وروج بالطبع لبعض المغالطات التاريخية فى نقده للثقافة الإسلامية، لكنه لم يستطع أن يخفى جوانب التقدم التى أحرزها العالم العربى الإسلامى، وتفوق بها على العالم الغربى فى المرحلة التى يسميها «فجر العلم الحديث»(٧).

---

(٥) ج.د. برنال، العلم فى التاريخ، ترجمة د. على على ناصف، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩١م.

(٦) مجلة العلم والمجتمع، الترجمة العربية، اليونسكو، ع٧٣، ١٩٨٩م.

(٧) توبى ا. هاف، فجر العلم الحديث، الإسلام – الصين – الغرب – جزءان، ترجمة د. أحمد محمود صبحى، عالم المعرفة، الكويت، مارس وابريل ١٩٩٧م، وقد أعددنا دراسة نقدية لهذا الكتاب نشرت بمجلة الأزهر، الأعداد ٧، ٨ (١٩٩٧م) و٣ (١٩٩٨م).




أما أولئك الذين حاولوا اختراق الثقافة الإسلامية من خلال دراستهم لتراثنا العلمي، فقد تطرقوا لأمور من صميم العقيدة الإسلامية ذاتها وروجوا لأفكار خاطئة عن الإسلام والمسلمين. ومن أمثلتهم «إميلي سيفيج سميث» الذى أورد فى دراسة حديثة حول «الاتجاهات الجارية فى دراسة العلوم والطب عند المسلمين فى العصر الوسيط» كلاماً مستتراً عن الطب النبوى، والرسائل المؤلفة من قبل علماء الدين، وليس من قبل الأطباء، على أساس اعتقادهم بأن المعرفة يمكن الحصول عليها فقط عن طريق الوحي، والنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وأعراف الصحابة المقربين وآرائهم. ويزعم سميث فى دراسته أن رسائل الطب النبوى قد شاعت فى مقابل الطب القائم على أساس إغريقى على أيدى فريق من الأطباء النطاسيين، أمثال ابن جميع[٨].

وفى مقال آخر بعنوان «العلم فى خدمة الدين» يتخذ ديفيد كينج من خلال دراسته للتراث العربى الإسلامى مدخلاً لترويج أفكار خاطئة عن الإسلام، ويتخذ من هذا الستار العلمى رداء خادعاً، بحيث تبدو هذه الأفكار وكأنها تعبير صادق عن واقع الإسلام والمسلمين. ففى غمرة انشغاله بقضايا التراث العلمى الإسلامى المتعلقة بمسائل تحديد اتجاه القبلة واستطلاع أهلة الشهور القمرية، نجده يثير أسئلة لا تؤهله ثقافته للرد عليها، فهو مثلاً يتساءل عن سبب اعتماد المسلمين لخمس صلوات رئيسية فقط، زاعماً أن هذا التحديد لم يرد بشأنه – نص صريح فى آيات القرآن الكريم. أو فى أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – ويظهر من خلال مناقشته لهذه القضية التى أقحمها على موضوع بحثه إقحاماً أنه يخلط بين الصلوات المفروضة وصلوات التطوع، ويسوق روايات من عنده تنسب إلى – الرسول – صلى الله عليه وسلم – قوله: بأن صلاة الضحى بدعة موروثة، وهذا كان سبباً واضحاً – فيما يزعم – لحيرة المتأخرين وترددهم فى ضم صلاة الضحى إلى الصلوات الخمس الرئيسية[٩].

إن مثل هذه المواقف المتحيزة بدرجات متفاوتة للعلم الغربى، بل لكل ما هو غربى، على حساب الإنجازات الحضارية للأمم الأخرى بصورة عامة، والأمة العربية الإسلامية بوجه خاص، ومثل هذه الدعاوى والافتراءات الموجهة ضد الإسلام، والمشوهة لحقائق التاريخ والعلم على حد سواء، هو الذى يدعونا دائماً إلى البحث فى كنوز التراث لتأصيل ثقافتنا الإسلامية وإعادة صياغتها بما يلائم إيقاعات العصر، وتوقعات المستقبل، وذلك فى إطار الإلمام الواعى بكل الخصائص والقسمات الحضارية التى تخصنا وتميزنا عن الآخرين.

---

(٨) راجع الترجمة العربية لمقال «سميث» فى مجلة الثقافة العالمية، العدد ٤٤، الكويت ١٩٨٩م

(٩) يعمل ديفيد كنج مديراً لمعهد تاريخ العلوم التابع لجامعة (يوهان فولفجانج (جوته) فى فرانكفورت. وقد قام منذ سنوات بفهرسة مقتنيات دار الكتب المصرية من المخطوطات العربية والفارسية والتركية المتعلقة بالفلك والرياضيات والميكانيكا والبصريات (٢٥٠٠ مخطوط)، ونشر أبحاثه فى ثلاثة مجلدات، يعرض كل منها نفس المخطوطات (٢٥٠٠) من خلال منظورات مختلفة. ومقاله المذكور «العلم فى خدمة الدين» منشور فى مجلة: Impact of Science on Society. Unesco, No. 159,245-262 (1990)

# جُنُونُ البَقَرِ.. والخُرُوجُ عَنِ الفِطْرَةِ

للأستاذ الدكتور/ عبد الراضي حسن المراغي (*)

**ظهر مرض جنون البقر عندما غير الإنسان من غذاء الأبقار والأغنام والماشية من الأعلاف النباتية الى الأعلاف الحيوانية وعندما قدم لها غذاء يشتمل على مخلفات حيوانية جافة مصنعة من جثث الأبقار والأغنام النافقة المصابة بأمراض مثل: جنون البقر والحكة بالنسبة للأغنام أو حتى جثث الحيوانات الغير مصابة بهذه الأمراض. وتدخل جثث هذه الحيوانات فى سلسلة من المعالجات مثل التعقيم بالبخار وفصل العظم لاستخدامه فى صناعة مستحضرات التجميل، وتجفيف اللحم وطحنه. ويخلط مسحوق اللحم بمسحوق العظام ومسحوق الدم المجفف الذى يتم جمعه من المجازر ويضاف الخليط إلى علف الحيوان كعليقة تمتاز بكونها عليقة غنية بالبروتين رخيصة الثمن. ولم يخطر ببال الإنسان أنه غير من نظام تغذية هذه الماشية من تغذية نباتية عاشبة إلى تغذية حيوانية لاحمة وهذا التغير هو خروج عن الفطرة. فإذا كان المولى ـ عزوجل ـ قد حرم على الإنسان أكل الميتة والدم ولحم الخنزير ( والذى إذا أصيب بهذه الأمراض تكون إصابته بالغة وكمية الأجزاء المصابة أكثر، بالاضافة الى أن جسم الخنزير ملىء بالطفيليات ودهونه تسبب أمراض القلب ) . قال ـ تعالى ـ فى محكم كتابه:**

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾(1).

ويرجع سبب تحريم أكل الحيوانات النافقة إلى تحللها بواسطة المحللات والرميات والكائنات الحية الدقيقة وأيضاً إلى احتواء لحوم الميتة على الدم الذى يتعرض لتفاعلات كيميائية وتغيرات فسيولوجية وبيوجزيئية غريبة تنتج أنواعاً من الأحماض الأمينية والبروتينات غير العشرين حمضاً أمينياً المعروفة فى الطبيعة.

(*) أستاذ بكلية العلوم جامعة الأزهر.

(1) سورة المائدة: الآية (3).

ونتيجة لكل المعالجات التى يتم بها تحضير العلائق والأعلاف الحيوانية من جثث الحيوانات النافقة والدم المجمع من المجازر ظهر نوع جديد من البروتينات يسمى بالبريون الذى يعتقد أن جزيئه يتكون من ٢٥٠ حمضاً أمينياً ويختلف هذا البروتين عن البروتينات الطبيعية بأن له خصائص فذة لاتمكن الإنسان من القضاء عليه مثل أنه يقاوم الحرارة العالية، ويقاوم المواد الحافظة مثل الكحول والفورمالين والفورمالدهيد ولايمكن القضاء عليه لا باستخدام الأحماض أو المواد المشعة. وينتج هذا الجزىء البروتينى الغريب نتيجة عمليات إعادة الاستخدام والهضم المتكررة بواسطة الحيوانات والرميات والكائنات الحية الدقيقة.

وعندما تتغذى الأبقار والأغنام والماشية بالأعلاف الحيوانية لايتم هضم البريون كأى بروتين غذائى آخر وعلى هذا الأساس لايتغير تركيب البروتين ولايستطيع الجهاز المناعى للجسم مقاومته ويخترق الأمعاء الدقيقة عند منطقة اللفائفى (وهو جزء هام من الأمعاء الدقيقة يتم فيه امتصاص الطعام) ويصل إلى المخ والنخاع الشوكى عبر الأوعية الدموية ويحدث مرض التحول المخى الإسفنجى المعدى ويسمى بمرض جنون البقر (أو مرض جاكوب) والذى من أعراضه فقدان المخ لوظائفه الحيوية بالتدريج مما يؤدى إلى خروج الحيوان عن طبيعته ويصاب بتشنجات فى الجسم ويجلس جلسة الحصان ويسير بنفس طريقة سيره، وتقل كمية إدرار اللبن ويفقد الحيوان وزنه ويحرك رأسه حركة بندولية ويلعق أنفه فى حركة غير طبيعية بالإضافة إلى كونه سريع الهياج والقلق والتعثر فى السير عند الخروج من الحلب (مكان حلب الأبقار) ثم يصاب بالشلل فى النصف الخلفى ثم الشلل التام مما يؤدى إلى الموت.

وقد تمكن العلماء من اكتشاف صبغة معينة يحقن بها الحيوان لها المقدرة على أن تظهر الأماكن المصابة من الأعضاء والأنسجة بمرض جنون البقر وهى ثمانية وأربعون عضواً أو نسيجاً فى الحيوان مثل: المخ، النخاع الشوكى، العين، جميع الأنسجة العصبية، جميع الغدد الليمفاوية، الطحال واللفائفى. وتصل فترة حضانة المرض فى الأبقار من ثمانية إلى عشر سنوات وعلى هذا الأساس يفضل ذبح واستخدام الأبقار التى لايتجاوز عمرها ثلاثين شهرا لعدم إصابتها بهذا المرض.

وقد نشرت إحدى الهيئات العلمية فى موقعها على شبكة الانترنت بحثاً علمياً يشير إلى إمكانية انتقال مرض جنون البقر إلى الإنسان من خلال الألبان ومنتجاتها والحلويات والعدسات اللاصقة وخيوط الجراحة، بالإضافة إلى ماعرف بالفعل عن انتشار المرض الخطير عبر اللحوم والأعلاف التى قد تحمل الاصابة بجزىء البريون. ذلك بالرغم من عدم ظهور

حالات إصابة بجنون البقر في الإنسان نتيجة تناوله اللبن أو منتجاته إلا أن هذا الأمر لايمكن إغفاله.

ويعود اكتشاف المرض إلى منتصف القرن العشرين في بريطانيا وشخصت أعراضه في عام ١٩٨٦ وعرفت أعراضه العصبية بدقة في عام ١٩٨٧م وانتشر في الفترة مابين عامي ١٩٨٩ إلى ١٩٩١م وتم حظر استخدام الأعلاف الحيوانية المسببة لهذا المرض في أوائل عام ١٩٩٠م، وكان هذا الانتشار هو الأزمة الأولى لهذا المرض حيث تم تسجيل ١٨٠ ألف حالة إصابة في الأبقار خلال الثمانينات وحتى أواخر التسعينات وذلك نتيجة انتقال المرض من مكان الى آخر واستمرار بعض أصحاب مزارع تربية الابقار في استخدام الاعلاف الحيوانية.

وعادت الأزمة للظهور مرة أخرى في أكتوبر من عام ٢٠٠٠م عندما انتشر المرض بصورة كبيرة في كل من بريطانيا وفرنسا وسبب لهما خسارة اقتصادية كبيرة وامتدت الاصابة عبر أوروبا من المانيا حتى بلجيكا، وأكدت الفحوص الطبية انتشار مرض جنون البقر في انحاء أوروبا بدرجة أكبر مما كان معتقداً من قبل بعد الكشف عن حالات اشتباه الاصابة بالمرض في الكثير من الابقار، وأدى ذلك إلى انخفاض استهلاك لحوم البقر بنسبة ٢٧٪ في دول الاتحاد الاوروبي وفي المانيا انخفض الاستهلاك بنسبة الثلث.

وقد تفاقمت أزمة مرض جنون البقر في بداية عام ٢٠٠١م عندما صدرت بريطانيا منتجات ومعدات طبية وطعوم لشلل الأطفال ملوثة بمرض جنون البقر إلى ١١ دولة في أنحاء العالم ومنها دول بالشرق الأوسط.

وأعلنت أيرلندا أن طعوم شلل الأطفال المصدرة إليها من بريطانيا تحتوى على زلال مستخلص من دم متبرع بريطاني مصاب بمرض جنون البقر وقد حصل الأطفال على معظم الجرعات المعطاة من الطعم وعددها ٨٣٥٠٠ جرعة وقد كشفت الشركة المصنعة لهذه الطعوم عن هذه المعلومات الخطيرة. وقد تم تصدير منتجات بلازما دم المصابين بمرض جنون البقر والتي استخدمت عن طريق الخطأ في تصنيع عقار الجلوبيولين المناعي الذي يستخدم كبديل للمضادات الحيوية.

ويعتبر مرض جنون البقر من الأمراض المشتركة بين الحيوان والإنسان، وتتلخص أعراض مرض جنون البقر الذي يصيب الإنسان في أعراض عصبية، وحركات لا إرادية واختلال في طريقة الكلام ويؤدي حركات تشنجية مفاجئة ويترنح ويظهر عدم استمرارية في الكلام والحركة كما تختل الذاكرة ويصاب المريض بالقلق والاكتئاب وغير ذلك من الأعراض النفسية كما تظهر بعض الأعراض العصبية مثل العته والخرف وعدم القدرة على التمييز والتعبير وخلل في الإدراك وتتراوح أعمار المصابين بهذا المرض في الإنسان فيما بين ٥٠ إلى ٧٠ عاماً.

وعندما تظهر هذه الأعراض تؤدى إلى وفاة المريض خلال فترة من أربعة أشهر إلى سنتين ومن غرابة جزىء البريون أنه استطاع أن يظهر صور مرضية أكثر مقاومة حيث زادت فترة حضانة المرض من ٨ إلى ١٠ سنوات إلى مابين ١٥ إلى ٢٠ عاماً بل واستطاع البريون أيضاً أن يصيب كل الأعمار.

وتجدر الإشارة إلى أن عدد المصابين بمرض جنون البقر في بريطانيا يصل إلى أكثر من ٩٤ شخصاً منهم ١٣ شخصاً تبرعوا بدمائهم وجرى استخدام مكوناتها في إسعاف الآخرين وفي تصنيع هذه المنتجات. كل هذه المخاطر التي قد تنتقل إلينا عن طريق لحوم الأبقار أو الأغنام والماشية المصابة بمرض جنون البقر أو أى من منتجاتها نحن في غنى عنها ويجب أن نتجنبها بالالتزام بنصح المولى - عزوجل - بالابتعاد عن مانهى عنه من عدم أكل لحوم الميتة والدم وعدم استعمالها كعلائف لتغذية الحيوانات وعدم أكل لحم الخنزير. فعندما يحرم الله - جلت قدرته - أمراً فهوا لصالح الإنسانية ورفاهية البشرية فالمولى - عز وجل - أعلم بما يفيد الناس ويضرهم. وظهور الأمراض الغريبة والشرسة هو تحذير للذين يخالفون طاعة أوامره قال - تعالى -:

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢).

وجوانب الوقاية متعددة وخير العلاج هو الوقاية وأول خطوات الوقاية عدم الخروج عن الفطرة التى فطر الله - سبحانه وتعالى - خلقه عليها بمعنى عدم إجبار الأنعام من الأبقار والأغنام على التغذية اللاحمة بدلاً من التغذية النباتية والعاشبة وطاعة الله واتباع أوامره بعدم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وعدم استيراد لحوم الأبقار والأغنام من الدول التى انتشر فيها هذا المرض أو التى تستورد منها هذه الحيوانات وينطبق ذلك على منتجات الأبقار والأغنام من ألبان ومستحضرات تجميل وعدسات لاصقة وخيوط الجراحة ومكونات الدم والمستحضرات الطبية والأدوية المصنعة من هذه المكونات وكذلك الجيلاتين وعدم استيراد اللحوم الغير مشفاة ووقاية العاملين بالمجازر وحرق الأجزاء المصابة بالمرض في محارق تصل درجة حرارتها إلى ٥٠٠ درجة مئوية وتطوير طرق الكشف والتعرف على الحيوانات المصابة والعمل على الاكتفاء بالأبقار والأغنام المحلية وتنمية المزارع المحلية وتشجيع مشاريع تنمية الماشية مثل مشروع البتلو والاعتماد على تنويع التغذية باستخدام الدواجن والأسماك.

(٢) سورة النور: الآية (٦٣).

# هل تغرق السفينة ؟ لطفك اللهم

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

**كثيرة هى الأخطار التى تواجه الأرض، وجلها من صنع الإنسان، وأهمها كما زعم: تدمير الأرض عن طريق اصطدامها بأحد المذنبات أو النجيمات الصغيرة، أو الشهب، أو النيازك، وذلك فى مدة لا تتجاوز الخمسة وستين مليون سنة القادمة، وأن نسبة حدوث ذلك الخطب الجلل لا تتعدى واحداً فى المليون فى العشرين سنة المقبلة.**

ورغم كل تلك المخاوف، فإن سنة الله في الخلق لا تختلف، وأن الإنسان يواصل المسيرة - شاء أم أبي - مهما كانت الصعاب، يقول - تعالى - :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾[1].

ومبعث هذا الذعر المحض هو التصور المادي البحت والنفعي المحض الذى يرى نهاية الإنسانية وما شادت من عمران شمل شتى المجالات بما فيها من لغات معقدة، وإرسال المستكشفين الآليين، وسفن الفضاء التي تحمل الآدميين لاستكشاف ما بالكواكب الاخرى يرى نهاية كل ذلك أمر من الصعب الإلمام به أو استيعابه، وهو تصور أهوج يريد ان يوحي من طرف خفي ان ذلك الإنسان الضعيف هو الذى خلق الكون، جاهلاً أو متجاهلاً خالقه ومبدعه جل في علاه، والملوم الحقيقي فيما يحدث للارض هو ذلك الإنسان، وما جنت يداه من مفاسد واقترفت من آثام بينتها الآية:

---

(١) الانشقاق (٦).

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٢).

كما حسمها كل النشاطات البشرية التي يصعب التمييز فيها بين الطموح المشروع والجشع المرفوض، فكل تلك الأنشطة البشرية التي تعيق مسيرة التقدم الإنساني، بل تنفذ من حيث تدري أو لا تدري ما قاله المثل العربي: «على نفسها جنت براقش» حيث تضر بنفسها طالبة النفع والفائدة. وتعتبر عمليات الانقراض لبعض المخلوقات التي ارتفعت نسبتها إلى عشرة آلاف مثلها في العصور السابقة مثلاً صارخاً على ما نقول، وأهم ما طاله الانقراض مؤخرا: «السناجب الحمر» و«القواقع الحلزونية» و«الطيور المائية». وإيقاظاً للنوام تقدم مجلة "DISCOVER" عشرين سببا يكفي كل منها للقضاء على الحياة قضاء مبرماً، لكنها تناقش كل سبب مناقشة موضوعية لتضع يدنا على الداء، سائلين الله - تعالى - الشفاء والنماء.

١ - **أثر النيازك والشهب**. وهو أثر شديد الضرر ولا علاقة له البتة بالتهاويل الفنية والمعالجات الخيالية. ففي سنة ١٩٠٨م اخترقت قطعة من نيزك بلغ اتساعها «٢٠٠» قدم اخترقت الغلاف الجوي للأرض وانفجرت فوق منطقة بسيبيريا مولدة طاقة فاقت القنبلة الذرية التي ألقيت على هيروشيما باليابان ألف مرة، لكن من رحمة الله أن حدث ذلك في منطقة قليلة السكان.

ويقدر الفلكيون أن أحداثا مماثلة تقع في فترات تتراوح بين قرن إلى ثلاثة قرون، وأن إحداها كما يقول أحد علماء الاجتماع الإنجليز أودى بحياة عشرة آلاف إنسان في الصين سنة ١٤٩٠م. ولطف الله وعنايته بالإنسان حتى ولو كان كافرا أمر لا مراء فيه ولاشك، حيث إن تلك الشهب والنيازك تهبط في أعماق المحيطات أو المناطق غير الآهلة بالسكان. لكن هذا لا يمنع أن أجساما يربو حجم كل منها على نصف ميل ترتطم بالأرض كل ربع مليون سنة فتشعل العواصف النارية، التي يتبعها برود كوني ناشئ عن الغبار المتخلف عن تلك الأجرام التي تسبب انفجار إحداها -والذي زادت مساحته على خمسة أميال- تسبب في نهاية عصر الديناصورات.

## حزام كويبر Kuiper belt

وأما إن شئنا التحدث عن الشلل الحقيقي الذي يمكن أن يصيب المدنية، فلننظر إلى «حزام كويبر» وهو كما عرفه الفلكيون: منطقة تقع خلف كوكب نبتون وتحوي على الأقل مائة ألف كرة ثلجية يزيد قطر كل منها على خمسين ميلاً، ويبعث حزام كويبر وابلاً من النيازك الصغيرة في اتجاه الأرض التي لو وصل أكبرها إلى كوكبنا لقضى على كل ألوان الحياة وأشكالها بما فيها الصراصير.

٢ - **طفرات أشعة «جاما»**، فلو شاهدت السماء بمنظار أشعة «جاما» لوجدت نفسك محاصراً بأشعة كونية عرفها الفلكيون بأنها وميض

(٢) الروم (٤١).

ساطع لامع يظهر ويفوق بريقه كل شيء على سطح الأرض، وسرعان ما يختفي وهو كما اتضح أخيرا قادم من مجرات موغلة في البعد تزيد طاقتها على طاقة الشمس بمقدار عشرة «فوادر ليون» أي واحد وعن يمينه ستة عشر صفرا وربما كانت ناتجة عن اندماج نجمين عملاقين وهو اندماج لا يمكن تقصيه أو التنبؤ به. لكن على بعد ألف سنة ضوئية، وهي مسافة أبعد من كل النجوم التي نراها في ليلة صافية على هذا البعد يظهر ذلك البريق ساطعا كالشمس، بيد أن الله لا يتخلى عن الإنسان، ولطفه معه حيثما كان، إذ سخر سبحانه الغلاف الجوي ليحمينا ويقينا من معظم الأشعة القاتلة، كأشعة «إكس» و «جاما» والنتيجة مرة أخرى أن ذلك الإشعاع القوي يحاول جاهدا أن يفتك بالغلاف الجوي، فيتسبب في وجود «الأكاسيد النيتروجونية» التي تدمر طبقة «الأوزون» والتي لولاها لوصلت إلينا الأشعة فوق البنفسجية مسببة سرطانات الجلد.

والأخطر من ذلك أنها تقتل وتبيد نباتات البلانكتون الصغيرة المخلفة ضوئيا في أعماق المحيطات، والتي تمد الغلاف الجوي بالأكسجين، فإن ماتت تلك النباتات البحرية، كان ذلك مؤذنا بانقطاع السلسلة الغذائية التي يعتمد بعضها على بعض، لكن بفضل الله فإن حدوث تلك الطفرات في الأشعة نادر ولا يُعلم عنه الكثير.

**٣- انهيار الفراغ الكوني وتداعيه.** ففي كتابه «مهد القطة» أشاع مؤلفه فكرة أسماها (الثلج «٩») وعرف ذلك الثلج بأنه نوع من الماء، لكنه أشد كثافة منه، ولذا يكون صلبا حتى ولو وُضع في درجة حرارة الغرفة العادية، فإن قمت بإذابة قطعة منه، وردها إلى عناصرها الأساسية، لتحول كل ما على الأرض من ماء إلى (الثلج رقم «٩») وذلك بشكل فجائي ثم تجمد وصار صلبا، وواضح أن هذه الفكرة ابتكار فكاهي لا غير، لكن نشوء فترة انتقالية ملأى بالكوارث المباغتة أمر غير مستبعد.

وقد أكد أحد علماء الكونيات البارزين أن الفضاء الكوني في بداية الخلق كان مكتظاً بالطاقة، وهو ما أسماه الفراغ الزائف، ثم ظهرت نوعية من الفراغ أشد ثباتاً، نتج عنها كميات هائلة من الطاقة، أدت إلى التمدد السريع للكون، ومن المحتمل كذلك تخلق فراغ أشد ثباتا.

وفي الوقت الذي يتمدد فيه الكون ويبرد، فإن فقاقيع صغيرة من ذلك الفراغ تبرز إلى حيز الوجود بسرعة تماثل سرعة الضوء، الأمر الذي يؤدي إلى تغيير قوانين الفيزياء لتنشأ طاقة يحول انفجارها كل شيء إلى فتات.

لكن أحد علماء الدراسات المتقدمة بأمريكا يفيد ذلك، ويلفت انتباه العلماء للتهديدات الأعظم خطراً التي أصبحت من اليقينيات عند المحققين من العلماء، وأهمها «الثقوب السود».

**٤- الثقوب السود**

تمتلئ مجرتنا بالثقوب السود، وهي أجرام شمسية متصادمة، يبلغ حجم كل منها عشرات الأميال، ولا ندري عددها. لكن لتسميتها سبب هو أن قوة جاذبيتها شديدة وخالقة لدرجة تمكنها من ابتلاع كل شيء، حتى الضوء الذي يحاول التسرب منها، وقد تمكن أحد العلماء



مؤخراً من تحديد ثقبين أسودين، والسبب أنهما تمكنا من تشويش وتضخيم ضوء النجوم العادية، الموغلة في البعد، حين امتد منهما خطوط الكترونية إلى تلك النجوم، ويقدر العلماء وجود عشرة ملايين ثقب أسود في مجرتنا المعروفة بـ «درب اللبانة» وهي تحوب الفضاء كالأجرام الأخرى، لكنها تخالف غيرها في أنها قليلة الإعلان عن نفسها ولذا فمن الصعب تحديد موقع وكتلة كل منها. والأدهى أن الثقب الأسود ليس بحاجة للاقتراب من الأرض حتى يحدث ضررا إذ أن مجرد مروره عبر النظام الشمسي يصيب بالاختلال كل مدارات الكواكب وربما دخلت الأرض مداراً تسبب في تقلبات مناخية حادة.

٥- كورونا الشمس

وهي أجسام لامعة متاججة عملاقة شديدة التوهج ناشئة عن انفجارات مغناطيسية هائلة تحدث على سطح الشمس وتمطر الأرض من الذرات التي تتميز بسرعتها الشديدة.

والحق أن الغلاف الجوي للأرض ومجالها المغناطيسي يقومان بتحييد وتقليل خطر الآثار الفتاكة لتلك الانفجارات. ورغم كشف العلم عن انفجارات عملاقة من هذا النوع إلا أنها تسببت في ترقيق طبقة الأوزون أو على الأقل الحد من كفاءتها.

ويؤكد أحد العلماء بمركز علماء فيزياء الفضاء أن الكثير من النجوم من نوعية الشمس تمر بفترات خمود ممتدة تصبح في أثنائها أكثر إظلاماً حيث تقل نسبة ضوئها ١٪ وهي نسبة وإن بدت طفيفة، لكن لو تعرضت الشمس لمثلها لكانت سببا في دخولنا عصراً جليدياً آخر. وقد بين العالم السابق أن نشاطات شمسية متناقصة كانت السبب في ما تراوح بين ١٧ : ١٩ حقبة جليدية مرت بالأرض في العشرة آلاف سنة المنصرمة.

٦- انعكاس المجال المغناطيسي وانقلابه

يحدث ذلك كل بضعة مئات الألوف من السنوات حيث تتضاءل القوة المغناطيسية لتصل إلى لا شئ وذلك مدة قرن من الزمان. ثم يعود المجال المغناطيسي للظهور تدريجياً وقد تغير شكل القطبين الشمالي والجنوبي قليلا. وآخر مرة حدث فيها ذلك الانقلاب كانت منذ ٧٨٠ ألف سنة ولربما كنا على وشك حدوث انقلاب آخر. لكن الأسوأ هو أن قوة مجالنا المغناطيسي قلت بنسبة ٥٪ في القرن الماضي الأمر الذي أدى إلى هبوب زوابع من الجزيئات والأشعة الكونية القادمة من الشمس إضافة إلى الجزيئات الفرعية للذرة القادمة من الفضاء السحيق بعنفوانها المعروف. ولولا الحماية التي يوفرها المجال المغناطيسي لضربت هذه الزوابع الغلاف الجوي للأرض ومحت طبقة الأوزون الهشة، كما لا ينبغي أن يغيب عن البال أن الكثير من المخلوقات تسترشد في سيرها على الأرض بالمجال المغناطيسي وهو ما يعني أن الانقلاب المغناطيسي المروع سيتسبب في ضرر بيئي خطير. ورغم عدم وجود دلائل في الحفريات السابقة على ذلك إلا أن هذا لا ينفي حدوثه. ويعطي أحد علماء ناسا برهانا على ذلك حين يؤكد أن الجائحة التي أودت بربع السكان في أوربا ويعني بها الطاعون الأسود لم توقف بشكل جيد.

٧- الفيضانات البازلتية البركانية

ففي سنة ١٧٨٣ ثار أحد البراكين في ايسلندا





مخلفا ثلاثة أميال مكعبة من الحمم، وقد أزاحت الفيضانات والرماد والأبخرة ٩ آلاف نسمة من على وجه البسيطة وأبادت ٨٠٪ من الثروة الحيوانية كما قتلت المجاعة التي تلت ذلك ربع سكان أيسلندا. أما الغبار الجوي فقد تسبب في فصول شتاء ذات درجات حرارة منخفضة جدا. أما ما حدث منذ ٦٥ مليون سنة فهو أن كتلة ملتهبة من الصخر انفصلت عن قشرة الأرض مكونة ما يعرف الآن بالهند. وتوالت الفورات البركانية قرنا بعد قرن مخلفة ربع مليون ميل مكعب من المواد المنصهرة. هذا وتنتج الغازات البركانية الكبريتية الأمطار الحمضية كما تمثل المركبات المحملة بالكلور تهديدا آخر لطبقة الأوزون وهو ما يوفر بيئة مناسبة لنمو الفطريات وتوالدها.

وصحيح أن البراكين تتسبب في تدمير قصير المدى إلا أنها تطلق ثاني أكسيد الكربون الذي يؤدي بدوره إلى نشوء ما يعرف بالبيت الزجاجي الذي له آثار بعيدة المدى في رفع درجة حرارة الأرض. وقد أدى آخر تلك البراكين إلى نشأة حوض نهر كولومبيا وذلك منذ ١٧ مليون سنة.

### ٨- الأوبئة

ولو توقفت الأرض عن الإضرار بنا لتولت الكائنات الأخرى القيام بتلك المهمة فلطالما تعايش الناس والجراثيم، لكن سرعان ما يفلت الزمام ويختل التوازن فقد قتل الطاعون الأسود ربع سكان أوروبا في القرن الرابع عشر الميلادي كما أبادت الأنفلونزا ٢٠ مليونا بين سنة ١٩١٨ و١٩١٩ كما فعل الإيدز ما هو أشد وأنكى ففي ١٢ سنة فقط امتدت من ١٩٨٠ إلى ١٩٩٢م ارتفعت نسبة المصابين بأعراض نقص المناعة المكتسبة إلى ٥٨٪ كما بينت ذلك تقارير مراكز السيطرة والوقاية من الوفاة الناشئة عن العلل المعدية بأمريكا. أما الأمراض القديمة كالكوليرا والحصبة فقد طورت مقاومة جديدة للمضادات الحيوية. كما أن الزراعة الكثيفة وتنمية الأراضي تقرب الإنسان شيئا فشيئا من الإصابة بما يصيب الحيوان من أمراض كجنون البقر والحمى القلاعية. ولا ننس أن سرعة الانتقال والسفر يعجل بنشر العلل. ويصف أحد الأطباء حالة السوء التي وصل الإنسان إليها بقوله: «إن الإنسان يحاول السباحة ضد التيار في بحر عال العباب متلاطم الأمواج فهل يفلح في ذلك؟!» وأسوأ الاحتمالات هو ظهور نوع جديد من الأمراض أو الإجهاد يكون سريع الانتشار لدرجة لا يستطيع الإنسان معها حيطة ولا حذرا إذ تقاوم كل وسائل التحكم الكيماوي وذلك نتيجة حتمية لإثارتنا الدائمة والمستمرة للنظام البيئي. فمنذ ١٢ ألف سنة اجتاحت موجة مباغتة مجموعة الثدييات فانقرضت في الأمريكتين، ويقول أحد المسئولين بالمتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي معلقا: «إن الجاني الحقيقي هو مرض ذو أثر وبيل نقله الإنسان أثناء هجرته إلى العالم الجديد» وهو تعليق عنصري يكاد يؤكد خلو بلده من الأوبئة ويلقي باللوم كله على من قدموا من تلك البلاد متهمهما إياهم بنقل العدوى والأمراض».

(يتبع)



# طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

## من لا يعلم.. فليقل الله أعلم

جاء رجل إلى ابن مسعود، وقال له: تركت رجلا في المسجد، يفسر القرآن برأيه، إذ يفسر قوله- تعالى:

﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾(١).

بأن الناس يوم القيامة يأتيهم دخان، فيأخذ بأنفاسهم، حتى يأخذهم كهيئة الزكام، فقال ابن مسعود: من علم فيقل به، ومن لا يعلم فيقل الله أعلم، ثم أخذ يشرح سبب نزول هذه الآية ويبين أصل معناها، فقال: إنما كان ذلك لأن قريشا استعصوا على رسول الله - ﷺ - فدعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام. فجعل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد.

## رأيـــان مختلفـــان

دخل أعرابي على بعض الولاة، وهو يجود بنفسه، فرآه مسرورا في هذه الحالة الخطيرة، فقال له ما هذا السرور؟ فقال المحتضر: يا سبحان الله أخرج من بين الظالمين والحاسدين والمغتابين، وأقدم على أرحم الراحمين ولا أسرُّ!.

وسأل الوليد بن عبدالملك شيخا كبيرا بلغ من العمر أرذله: أتحب الموت أيها الشيخ؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين، ذهب الشباب وشره، وجاء المشيب وخيره، فإذا قمت حمدت الله، وإذا جلست ذكرته، فأنا أحب أن أعيش لتبقى لي هاتان الخصلتان.

## أتشتمني وفيَّ ثلاث خصال

شتم رجل ابن عباس- رضي الله عنهما- فقال ابن عباس: إنك لتشتمني، وإن فيَّ ثلاث خصال: إني لأقرأ الآية في كتاب الله فلوددت أن جميع الناس يعلمون ما أعلم من هذه الآية، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح ولعلي لا أقاضي إليه أبدا، وإني لأسمع بغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح وما لي به سائمة.

(١) الدخان (١٠).



## الأجواد

أجواد الإسلام ثلاثة كانوا في عصر واحد: عبيد الله بن عباس، وعبدالله بن جعفر، وسعيد بن العاص.

فمن جود عبيد الله أنه أول من فطر جيرانه، وأول من وضع الموائد على الطريق، وأول من حيا على طعامه، وفيه يقول شاعر المدينة:

وأنت ربيع لليتامى وعصمة
إذا المحل من جو السماء تطلعا
أبوك أبو الفضل الذى كان رحمة
وغوثا ونورا للخلائق أجمعا

## من كلام السيدة رابعة العدوية

رأت رابعة العدوية قوما يذمون الدنيا في مجلسها، فصاحت بهم، اسكتوا عن ذم الدنيا، فلولا موقعها في نفوسكم ما أكثرتم ذكرها، فمن أحب شيئا أكثر حديثه.

وقال الثورى لرابعة: لكل إيمان حقيقة، فما حقيقة إيمانك، فقالت: ما عبدت الله خوفا من الله فأكون كالأمة السوء إن خافت عملت، ولا حبا في الجنة، فأكون كالأمة السوء إن أعطيت عملت، ولكنني أعبده حبا له، وشوقا إليه.

## رذيلة الجهل

قال حكيم: اجتنب الجاهل فإنه يجنى عليك، ويجنى على نفسه، وهى أحب النفوس إليه.

قال أرسطو: الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديقا لغيره.

وقال آخر: الفرق بين الجاهل والعاقل أن العاقل منطقه لنفسه، والجاهل منطقه عليه لا له.

## قال سفيان الثورى

بلغنى أن قوما من بنى إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة، وكانوا يخرجون إلى الجبال يبكون ويتوسلون بنبى لهم فأوحى الله إليه: لو مشيتم بأقدامكم حتى تحفى ركبكم، وتبلغ أيديكم عنان السماء، وتكل ألسنتكم عن الدعاء، فإنى لا أجيب لكم داعيا، ولا أرحم باكيا حتى تردوا المظالم إلى أهلها، ففعلوا، فأمطرت السماء.

## من دعاء زين العابدين بن على

إلهى ومولاى، ارحمنى مريضا مطروحا على الفراش، تقلبنى أيدى أحبتى، وارحمنى مطروحا فى المغتسل، يغسلنى أحد أقربائى، وارحمنى محمولا على جنازتى والناس من حولى، وارحم نومتى فى قبرى المظلم ولا أنيس لى غير رحمتك، فأنت أرحم الراحمين.



# إلى الجيل الجديد

في كلمة تنسب إلى عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه - قال: «يحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور».

والمعنى: أن الأحكام والقضاء يتغير تبعاً لتغير الناس وخير مثال على ذلك أن الصناع كانوا لا يضمنون ما تحت أيديهم تطبيقاً لقاعدة: «الأمين لا يضمن».

ومعنى هذه القاعدة أنك إذا ائتمنت شخصاً ما على شيء فتلف أو هلك عنده فليس عليه الضمان إلا إذا ثبت تعديه بمعنى أنه مصدق في أنها هلكت أو تلفت وذلك لأنه أمين.

وعلى هذا جرى الحكم والقضاء بشأن الصناع، فمثلاً: الترزي والنجار، إذا أعطيته قماشاً أو خشباً ليصنع لك جلباباً أو شباكاً وتلف عنده الثوب أو الخشب فإنه لا يضمن لك ما تلف عنده، وذلك أنه أمين على ما عنده وتحت يده أما الآن فقد جرى الحكم والقضاء على تضمين الصناع لأن الناس سرى فيهم الفساد وقلت عندهم الأمانة فتغير الحكم إلى أن الصناع يضمنون ما عندهم، لتغير الناس. وكذلك الحال في العلوم، ما كان معلوماً ومعروفاً أصبح يحتاج الآن إلى بيان وإيضاح، فمثلاً أحكام الوضوء والغسل والصلاة، والإمام والمأموم وصلاة العيدين والجمعة وغير ذلك كان ذلك معروفاً، لكن الحال أصبحت غير الحال وكثرت الأسئلة لأن المعلومات عند كثير من الناس معدومة فأصبح الأمر يتطلب البيان والتوضيح، وليس في ذلك من حرج لهذا رأت «مجلة الأزهر» أن تقوم بدورها في هذا المجال ولما عرض الرأي في الاجتماع الدوري للمجلة تعددت الآراء قال البعض: إن مجلة «الأزهر» ليس هذا دورها ولا رسالتها فليس من رسالة المجلة تعليم أحكام الفقه، إنما رسالتها في توضيح أو بيان فلسفة التشريع مثلا ونشأة الفقه ومذاهبه وبيان طرق الاستدلال، والرد على هذا الرأي ما جاء في صدر هذا المقال من أن الحال تغير

وما لم يكن واجباً أصبح واجباً وضرورياً، وإذا كان الحديث عن فلسفة التشريع ونشأة الفقه هنا من رسالة المجلة فليكن، وما المانع من أن يكون للمجلة دور إلى جانب هذا فى تعليم الفقه وأحكام العبادات، مادامت الحاجة تدعو إليه والضرورة تلزمه وقال الآخرون: إن الأحكام الفقهية فى العبادات متيسرة متاحة فى كتب كثيرة متداولة، ومن احتاج إليها فليرجع إلى ما هو موجود متاح، وكان الرد بأن ما هو موجود من كتب الفقه فى العبادات بالذات جيد دون شك وقد نعتمد عليه فيما نكتب لكن ليس كل الناس يستطيع أن يقتنى كتب الفقه، وليس كل الناس أيضا - يرغب فى ذلك فضلاً عن كونه قد لا يستطيع أن يستوعب ما فيها من مسائل والمجلة بسعرها الزهيد متاحة للجمهور، كما أنها للمثقف المتعدد الثقافة الذى يحتاج إلى المزيد، كما لاحظنا أن خطبة الجمعة فى كثير من المساجد مستواها ضعيف هابط واللغة العربية تبكى على منابر الخطباء فضلا عن عدم وحدة الموضوع وترابط الفكرة، مما لا يخفى على كثير من المسلمين، رأينا أن يكتب أحد علمائنا خطبة جمعة وليست عناصر تصلح أن تكون خطبة أو موضوعا يقتبس منه الخطيب فيزيد عليه أو ينقص منه، إنما تكتب خطبة مكتملة العناصر والأفكار والشروط فى موضوع بسيط واضح فيه من الرقائق والحوادث وسير الصالحين.

يستطيع أى إمام وأى خطيب أن يقرأها أو يحفظها ويلقيها لتصح صلاته وصلاة المسلمين خلفه، ويستفيدون من موضوع محدد، واستقر الرأى أن نبدأ بعون الله وتوفيقه فيما دعت الضرورة إليه من كتابة خطبة وبعض أحكام العبادات تحت هذا لعنوان: «إلى الجيل الجديد»

ويسعد المجلة أن تتلقى آراء وأسئلة السادة القراء على عنوان المجلة - باب:

«إلى الجيل الجديد».

والله المستعان

**أسرة التحرير**

منبر الجمعة

# من أضرار المعاصي

لفضيلة الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

## العناصر

١- حقيقة المعصية ٢- أنواع المعاصي ٣- حكم مرتكب المعاصي

٤- الإصرار على المعصية ٥- المعاصي تزيل النعم ٦- المعصية تورث الذل

## البيان

الحمد لله رب العالمين، جعل العز والسعادة في طاعته وتقواه، وقضى بالذلة والشقاء على من خالفه وعصاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق الخلق ليعبدوه، وأنعم عليهم بنعمه الكثيرة ليشكروه، قال عز من قائل:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله خير من دعا إلى الله القائل: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قيل ومن يأب يا رسول الله؟! قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد فيا عباد الله.

إن الخير كلُّ الخير فيما أمر الله -عز وجلَّ- به، وإن الشرَّ كلُّ الشر فيما نهانا عنه وحذرنا منه.

وإن من رحمة الله بعباده، وإحسانه إليهم، وتفضيله عليهم أن أرسل إليهم الرسل والأنبياء ليدعوهم إلى صراطه المستقيم، ويهديهم إلى العمل النافع، ويرشدهم إلى مكارم الأخلاق، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة ومن حق الله على عباده أن يعبدوه وأن لا يخالفوا أمره ولا يعصوه.

(١) الذاريات (٥٦:٥١).



قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾(٢).

كما نهانا - سبحانه وتعالى - عن المعاصي لما فيها من أدناس وأرجاس ولما تؤدى إليه من نتائج اليمة، وعواقب وخيمة، فهى رجس من عمل الشيطان، والشيطان عدو مضل مبين يأمر بالفحشاء والمنكر قال تعالى:

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾(٣).

وبالمعاصى تقع العدواة والبغضاء بين الناس، وبها يصد المرء عن ذكر الله وعن الصلاة، والمعاصى فى جملتها خروج عن ما رسمه الشارع الحكيم من مبادىء وأخلاق يسعد بها الفرد وتسعد بها الجماعة، والمعاصى كثيرة الأضرار حيث تبدل الألفة عداوة، والأمن خوفا والعز والنصر ذلاً وهواناً وفقرا. ولهذا حذر الإسلام منها، ونبه إليها: فما ظهرت المعصية فى قوم إلا منعوا الغيث، وظهرت فيهم الأمراض والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم، وحلت بهم النقم، وحرموا الخير وفقدوا النعم.

وللمعاصى التى يغرى بها الشيطان أولياءه ويدفع إليها أحباءه منها ما هو من الكبائر ومنها ما هو من الصغائر كما هو رأى الجمهور وإن كان قد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس: إن كل شيء عصى الله به فهو كبيرة قال العلامة ابن حجر: إنه لا خلاف بين الفريقين فى المعنى وإنما الخلاف فى التسمية والإطلاق لإجماع الكل على أن من المعاصى ما لا يقدح فى العدالة، ومنها ما لا يقدح فيها وإنما الأولون فروا من التسمية، فكرهوا تسمية معصية الله - تعالى - صغيرة نظراً لعظمة الله وشدة عقابه وإجلاله عن تسمية معصيته صغيرة، لأنها إلى باهر عظمته كبيرة أى «كبيرة» قال - تعالى -:

﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾(٤).

والكبائر قيل إنها سبع كما جاء فى الصحيحين «اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم وأكل الربا، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات، الغافلات، وقيل تسع، وقيل عشر، وقيل أكثر» روى عبدالرازق عن ابن عباس أنه قيل له: «هل الكبائر سبع؟ فقال هى إلى السبعين أقرب» روى ابن جبير: «هى إلى السبعمائة أقرب».

أيها المسلم: إن الإصرار على المعصية وإن كانت صغيرة فإنها تصبح به من الكبائر التى تورد الإنسان موارد التهلكة، إذ مَنْ يُصرُّ على المعصية عامداً متعمداً عالماً بالنهى والوعيد لا يكون مؤمنا يُصدِّق الرسول ولا مذعناً لشرعه الذى تنال الرحمة والرضا بالتزامه والعذاب والنكال بتعدى حدوده ومخالفته. قال تعالى:

---

(٢) الأنفال (٢٤).

(٣) البقرة (٢٦٨).

(٤) النساء (٣١).



﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(٥).

وعن ثوبان - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - فيما رواه النسائي وغيره «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»(٦).

قال صاحب فيض القدير - المناوى - أى يحرم بركته اوسعته او الشكر عليه، بل إن للمعصية آثارها السيئة على قلب صاحبها ونفسيته وشخصيته وحياته من الضيق والقلق والسخط وانعدام الثقة قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾(٧).

قال: صاحب التفسير الواضح - الشيخ حجازى - عقب هذه الآيات: «ومن اعرض عن ذكر الله وسلك سبيل الغواية والشيطان، فإن له معيشة ضنكا فيها تعب والم، وهو دائما فى تعب ونصب إن أعطى مالاً فهو مستقله ويطلب المزيد منه، وإن حرم منه فهو غير راض عن ربه فهو فى الحالين فى معيشة تعسة وحياة منغصة.

فاحذر المعاصى ايها المسلم فإنها تزيل النعم، وتجلب النقم واعمل الصالحات تفوز بجنة عرضها الأرض والسموات.

وتب إلى الله فإن التائب حبيب الرحمن والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، فتوبوا إلى الله أيها المؤمنون لعلكم تفلحون. وادعو الله وانتم موقنون بالإجابة.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له حذرنا من الشيطان، إن الشيطان للإنسان عدو مبين.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، ناصح الامة وكاشف الغمة، والداعى إلى سبيل الرحمن، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الذين نصروا الله فنصرهم ولم يجعل للشيطان سبيلاً عليهم أولئك حزب الله الا إن حزب الله هم المفلحون.

أيها المسلمون، روى عن رسول الله - ﷺ - انه قال: «ما من أحد إلا وله شيطان»، قالوا وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير».

والناس فريقان فريق يفزعون إلى ربهم بالذكر والاستغفار والتوبة كلما مسهم طائف من الشيطان فيفسدون على الشيطان حيلته،

---

(٥) النساء (١٤).
(٧) طه (١٢٤: ١٢٧).
(٦) الترغيب والترهيب جـ ٤.

ويقطعون عليه سبيله، وهؤلاء هم المتقون الذين أخبر الله عنهم بقوله سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾(٨).

جاء في إغاثة اللهفان(٩):

قال شقيق: ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على أربعة مراصد: من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي فيقول: لا تخف فإن الله غفور رحيم، فاقرأ:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾(١٠).

وأما من خلفي فيخوفني الضيعة على من أخلفه فاقرأ

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾(١١).

ومن قبل يميني يأتيني من قبل النساء فاقرأ

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١٢).

ومن قبل شمالي، فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾(١٣).

وهناك فريق استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وقعد لهم كل مرصد يزين لهم سوء أعمالهم يزخرف لهم أهواءهم وشهواتهم، ويشغل قلوبهم عن التفكير في نعم الله والقيام بشكرها، ويشغل ألسنتهم عن ذكر الله بالكذب والغيبة. وكل ما نهى الله عنه.

أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون.

فاحذروا عباد الله شيطان الجن واستعيذوا بالله من شره وكيده، واحذروا شيطان الإنس فهو أشد خطرا من شيطان الجن. فجليس السوء شيطان يوقع فيما نهى الله من الشر والفساد، ويتناجى بالإثم والعدوان ومعصية الله ورسوله.

واعلموا أن الله مطلع عليكم ولا يرضى لكم المعاصي.

وسوف تردون إلى عالم الغيب والشهادة فيجازيكم بما كنتم تعملون

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(١٤).

وتوجهوا إلى الله أن يوفقنا إلى صالح القول والعمل. اللهم وفقنا إلى طاعتك وجنبنا معاصيك، وباعد بيننا وبين الشيطان، وقنا فتنة المحيا والممات.

ووفق ولاة أمور المسلمين لما فيه صلاح حال البلاد والعباد. واجعل أوطاننا آمنة مطمئنة.

واهدنا سواء السبيل. وأقم الصلاة.

---

(٨) الأعراف (٢٠١)

(٩) ص ٩٦.

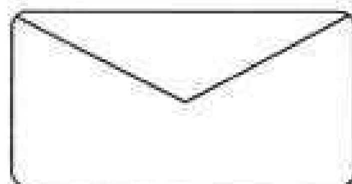
(١٠) طه (٨٢)

(١١) هود (٦)

(١٢) الأعراف (١٢٨).

(١٣) سبأ (٥٤).

(١٤) الزلزلة (٨،٧).



# رسالة و رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان (*)

**جاءتنا فى بريد المجلة رسالة بتوقيع «مسلم»، ونحن ننشرها، لأن رسالة الأزهر هى التعليم والتوجيه وشرح أمور الدين، وكنا نود من الأخ «المسلم» أن يوقع الرسالة باسمه فإن العالم كله يتحدث عن الشفافية والوضوح وليس فى الدين الاسلامى «بروتوكولات» سرية أو أعمال تحت الأرض، والأزهر ومجلته تعملان فى وضح النهار، وتقدم الرسالة والجواب عملا - بقوله تعالى -:**

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾

بعث أحد القراء إلى المجلة رسالة مطولة ذيلها بتوقيع مسلم يقول فيها:

هل يجوز أن يذكر اسم الله - سبحانه وتعالى - فى الأغانى التى يتراقص عليها المغنون والمغنيات وأبشع من ذلك والعن تصوير تلك الأغانى بمصاحبة فتيات عاريات راقصات يذكرن اسم الله على نغمات الموسيقى وهن يتمايلن ماذا أقول أرجو أن تتقوا الله فينا يا علماء الأزهر ويكون لكم رأى قاطع حازم جازم يمنع ذلك منعا باتا، فتلك الأغانى تغنى فى كباريهات فيها الخمر والمخدرات والنساء العاريات، أليس ذلك بحرام. بالله عليكم أين دور الأزهر فى ذلك أليس منكم أحد يغار؟ أناشدكم الله امنعوا ذلك قبل السؤال يوم الحساب.

وقبل أن أجيب على هذه الرسالة الحماسية أوجه للأخ المسلم كلمتين هادئتين:

الأولى أشكر لك غيرتك على دينك وأحمد الله - تبارك وتعالى - أن فى المسلمين شبابا واعيا غيورا يتمسك بدينه ويلتزم بآدابه وتعاليمه لا تجرفه التيارات الهابطة ولا تؤزه رياح الفساد الهوج التى تهب من كل جهة على شبابنا المسلم، ونسأل الله أن يعصمه ويحفظه ويقيه شر

(*) الأمين المساعد للثقافة بمجمع البحوث الإسلامية



آثارها السيئة ليبقى درعا للإسلام وموئلا للمسلمين، فالشباب المسلح بالإيمان، المترسم خطى السلف الصالح هم عدة المستقبل وجند الله وأمل الأمة فى غد مشرق بنور النبوة ريان بمجد الإسلام.

والثانية: لست أدرى لماذا يسئ أبناؤنا من الشباب المسلم المتحمس للدين الظن بعلماء الأزهر الشريف وهم منارات الهدى والعلم الصحيح البعيد عن الغلو والتطرف، حيث لا افراط ولا تفريط، الآن بعضهم استمد معلوماته عن الدين من كتابات بعض من يسمون أنفسهم السلفيين والذين ينظرون إلى الإسلام نظرة ضيقة غير شاملة والسلف الصالح برئ من هذه النظرة، فالسلف - رضوان الله عليهم - أول من آمنوا بالتعددية فى الرأى، الناشئة عن الاجتهاد الواعى فى فهم النص الصحيح من الكتاب والسنة، تلك التعددية التى اثرت الفكر والفقه الإسلاميين فاخرجت امثال: ابى حنيفة، ومالك، والشافعى، وابن حنبل والليث، والثورى، وابن حزم، وداود الظاهرى، والحسن البصرى، وأبى حسن الاشعرى، وواصل بن عطاء وغيرهم كثير ممن كانوا غايتهم الوصول إلى الحق وكان لسان حالهم بل ومقالهم يقول: رأيى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب وكانوا جميعا يقولون الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية إذ هو اختلاف لا خلاف.

وليت أبناءنا هؤلاء يتبعون السلف فى سعة الأفق وقبول الرأى المخالف مادام فى نطاق الاجتهاد الشرعى ولم يخرج عن النصوص الصحيحة.

وليتهم يعرفون كذلك أن الأزهر كان وما يزال كعبة العلم وقبلة قصاد المعرفة من كل أرجاء المعمورة ومهوى أفئدة العلم فى كل مجال، وأن هؤلاء الذين يتعصبون لآرائهم اغترفوا من معين الأزهر مباشرة أو عن طريق مؤلفات علمائه الأبرار فمعظم العلماء النابهين الفاقهين من شتى أرجاء العالم الإسلامى من تلاميذ الأزهر إما أن يكونوا رحلوا إلى الأزهر للتزود من علومه أو رحل الأزهر إليهم عن طريق أساتذته وشيوخه الذين أعيروا لجامعات الإسلام فى شرق الدنيا وغربها.

ولعل الهاجس الذى يهجس فى نفوس هؤلاء الشباب ما يشاع من أن العلماء يمالئون السلطة أو الحاكم وهذا ليس صحيحا على الاطلاق، فقد أمرنا الله بطاعة ولى الأمر فى غير معصية قال - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(١).

وسيظل الأزهر هو المنبر الإسلامى الشامخ الجهير الصوت الذى تنطلق منه الكلمة المعتدلة والرأى المتزن الذى لا غلو فيه ولا

---

١- النساء / (٥٩).







تسيب وما على علماء الأزهر من بأس حينئذ إذا أدوا واجبهم ووفوا بحق الله عليهم في النصح والإرشاد استجاب الناس أو لم يستجيبوا لأن وعظ العالم أو رأيه وفتواه أمر غير ملزم فقد استقر رأى أهل العلم أن الفتوى تخالف القضاء من حيث أن الثاني ملزم والأولى غير ملزمة.

ولا شك أن أخي القارئ ممن يعلمون أن رجال الأزهر ما فتئوا يقولون كلمة الإسلام في دور العلم وقاعات الدروس ومن فوق المنابر وفي ساحات المساجد وفي كل محفل ومنتدى. وبعد هذه الكلمة التي كان لابد منها بين يدى الإجابة إليك الأجابة عما سألت:

لا يجوز أبدا ذكر اسم الله - تعالى - في الأغاني التي يتراقص عليها المغنون والمغنيات، بل هو حرام حرمة مؤكدة أن يقحم اسم الله - تعالى - في حفلات المجون والرقص في أماكن أقل ما يقال فيها أنها أوكار للمعصية والفساد ولا أجد اسما ينطبق على الأماكن التي يشرب فيها الخمر والمخدرات ويختلطن النساء العاريات بالرجال العابثين الماجنين إلا أنها أوكار أو حانات أو مباءات للرذيلة هذا هو الرأى القاطع يا أخي فيما سألت عنه، لأن إقحام اسم الله - تعالى - في هذه البذاءات تدنيس للمقدسات، وهل هناك أقدس من اسم الله - تعالى؟! إن من يفعل ذلك كمن يلقي بورقة من المصحف في النجاسة أو القمامة، بل إن ما يفعله أصحاب هذه الأغاني أشد قبحا وحرمة،

ولست أدري ما الذى يدفعهم إلى ذلك العمل المرذول؟ هل لعلمهم أن جماهير الشعب المصرى متدين بطبعه فيريدون أن يروجوا سمومهم عن طريق تملق الجماهير المتدينة بإيهامهم أنهم يفعلون شيئا يتصل بالدين؟ كمن يضع السم في الدسم إن الجماهير المتدينة على مستوى من الوعى والذكاء بحيث لا تنطلي عليهم هذه الحيلة ولا تلك الخدعة، أم يريدون أن يقولوا للناس الطيبين أن هذه أغان مباحة، لأن فيها اسم الله - تعالى - فاسمعوها وأنتم مطمئنون، وهذه أيضا لن تنطلى على الناس الطيبين.

ومما لا شك فيه أن من الغناء ما هو حلال مباح كأغاني الأعراس التي ليس فيها إخلال بالأدب ولا تهيج للغرائز ولا ذكر مفاتن النساء وليس معه رقص أو شرب أى شئ يتعارض مع الدين، فقد جاء في البخارى (عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت: زُفّتْ امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبى - ﷺ -: يا عائشة ما كان معكم لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو) وفي بعض روايات هذا الحديث كما في فتح البارى قال - ﷺ - هل بعثتم جارية تعزف بالدف، قلت: تقول ماذا؟ قال: تقول:

أتيناكم أتيناكم
فحيانا وحياكم
ولولا الذهب الأحمر
ما حلت بواديكم





**ولولا الحنطة السمراء**

**ما سمنت فتاياكم**

واختم هذه الإجابة بما قال شيخ الدعاة الراحل الشيخ (محمد الغزالى) - رحمة الله عليه -: فإذا أراد أحد أن يغنى أو يستمع إلى غناء فليفعل أما تحويل الإسلام نفسه إلى غناء فيصبح القرآن ألحانا عذبة وتصبح السيرة قصائد وتواشيح فهذا لا سائغ له وما لا يفعله إلا الصغار الغافلون. وقد تم هذا التحول على حساب الإسلام فانسحب الدين من ميدان السلوك والتوجيه إلى ميدان اللهو واللعب وحق فيمن فعلوا ذلك قول الله تعالى:

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾(٢).

فمن أراد أن يغنى أو يستمع إلى غناء فليفعل، وإثم ذلك عليه بحسب نوع الغناء الذى يقوله أو يسمعه وفى هذه الحالة يكون عمله صريحا واضحا لا يلبس الحق بالباطل أما أن يلبس الغناء الماجن والرقص الفاجر ثوب الدين بترديد اسم الله فى هذا الغناء الوقح فقد ارتكب إثمين كبيرين: أولهما: الغناء وما لابسه وصاحبه من عرى وعهر وخمر وثانيهما تدنيس اسم الله - تعالى - فى هذا الرجس الشائن وخداع جماهير المسلمين الطيبين.

هذا والله أعلم وبه التوفيق.

هذا وفى رسالة الأخ المسلم موضوع آخر يسأل فيه عن موقف علماء الأزهر من إعلان بعض الطوائف الدينية عن شريط يشخص السيد المسيح ويصور مراحل حياته ويقرر عقيدة التثليث ويستنكر الأمرين معا ويطلب رأى الأزهر فيهما والعمل على وقف هذه الأمر.

أما بالنسبة للأمر الأول وهو تشخيص المسيح - عليه السلام - عن طريق ممثل يتقمص صورته وحياته، أى ممثل، فالأزهر يستنكره بل يحرم تمثيل جميع الأنبياء نظرا لقداستهم ولاستحالة أن يوجد ممثلون يستطيعون الاقتراب من هذه القمم السامقة ولأن تمثيلهم يقلل من قداستهم وتبجيلهم عند المشاهدين ولا يقف الأمر على تحريم تمثيل الأنبياء بل تجاوز الأزهر ذلك وحرم تمثيل كبار الصحابة - رضوان الله عليهم -.

أما الأمر الثانى: فالإسلام أقر التعايش مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ما داموا غير محاربين بل وأحل للمسلمين ذبائحهم وزواج بناتهم وقد عاهد رسول الله - ﷺ - اليهود وهم أسوأ خلق الله.

وإليك يا أخى العبارة التى ساقها ابن اسحاق فى هذا المقام قال ابن اسحاق: (وكتب رسول الله - ﷺ - كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم

وشرط عليهم واشترط لهم ١-هـ) قال - تعالى -:

---

٢- الأنعام / (٧٠).

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ﴾(٣).

وليس معنى هذا أننا نقر ما عدا التوحيد من العقائد، لأن القرآن الكريم صريح وقاطع فى إنكار واستنكار كل ذلك والآيتان اللتان ساقهما الأخ المسلم فى رسالته أكبر دليل على ذلك وسورة المائدة حافلة بهذه الحقائق وفى ختامها جاء قوله – تعالى –:

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٤).

وهذه السورة وغيرها تتلى صباح مساء فى الإذاعة والتليفزيون والمحافل والمنتديات ودور العلم وهذا ما يجعلنا واثقين من ثبات عقيدتنا وغير وجلين عليها بسبب إعلان هنا وهناك ولموضوع الإعلانات حديث آخر ليس هذا محله ولكن نقول: إن الأزهر لو كان يملك وقف الإعلانات، لكان الأولى بالوقف الإعلانات التافهة التى تحمل النداءات وتخدش الحياء وتغرى بالخلاعة والميوعة وتنشر الفساد مع أن ما تدعو إليه من كل ذلك لا صلة بينه وبين الشئ المعلن عنه على الاطلاق.

فالأزهر لا يملك أن يوقف هذه الإعلانات لأنه لا سلطان له على هذا الجهاز خاصة قطاعه الاقتصادى.

هذا والله أعلم.

٠٠٠

٣- المائدة / (٨٢).

٤- المائدة / (١١٦: ١١٨).

﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

# استفتاءات القراء

## تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد وتقديم فضيلة الشيخ/ عبدالفتاح حسين الزيات

● السؤال من إبراهيم شوقي عبدالعزيز / مفتش لغة عربية بالمعاش / العطارين الإسكندرية:

نسمع في هذه الأيام عن التفسير العصري للقرآن والتفسير العلمي للقرآن والتفسير الموضوعي، والقول بأن القرآن يتطور بتطور أحوال الناس وأنه يجب أن يفهم الآن فهما قد يختلف أو يخالف ما فهمه الرسول وأصحابه، إلى غير ذلك مما تطالعنا به دور النشر من وقت لآخر.

فهل يجوز تفسير القرآن بالرأي؟ وهل يجوز أن يفسر القرآن تفسيرا يتطور بتطور الزمن كما يقول بذلك بعضهم؟ إن خوفي على كتابنا العزيز هو الذي دفعني إلى الكتابة إليكم.

●● الجواب:

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: فنفيد بأننا نشكر للأخ السائل غيرته على كتابنا العزيز ونحب أن نطمئنه بأن الذي أنزله -سبحانه- هو الذي يتولى حفظه والدليل على ذلك أنه مضى على نزوله أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان لم يستطع أي مخلوق أن يتناوله بالزيادة أو النقصان أو الحذف أو التغيير أو التبديل. قال -تعالى-:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(١)

فهو كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على سيدنا محمد -ﷺ- بلسان عربي مبين لهداية

(١) الحجر (٩).

الناس وبيان الأحكام التي يتعبد الناس ربهم بها فحفظه بألفاظه وعباراته ووعاه قلب رسول الله - عليه الصلاة والسلام - حتى وصل إلينا وسيظل هكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

غير أنه يشترط فيمن يتعرض لتفسير القرآن شروط ضرورية لابد منها وهي:

١- أن يكون ملما باللغة العربية إلماما واسعا كبيرا - عالما بأحوال البشر وما كان عليه العرب..

٢- أن يقف على كل ما نقل عن الرسول - ﷺ - في بيان القرآن وتوضيحه.

٣- أن يعرف ما فهمه الصحابة، لأنهم أقرب الناس إلى رسول الله - ﷺ -.

٤- أن يعرف أسباب النزول، فإن معرفة أسباب النزول يعين على الفهم الصحيح للقرآن.

والخلاصة أن تفسير القرآن وفهم معانيه مباح لكل مسلم توفرت فيه الشروط السابقة وهو مأمور شرعا بأن لا يفسره بالهوى، فالبشر متقلبو الأهواء، والقرآن فوق ذلك، ولا يوجد ما يمنع فيما وراء ذلك من تفسير غير معتمد على السماع والنقل فيما لم يرد فيه نقل أو سماع تفسيرا يظهر فضل القرآن وشرفه وعظمته وإعجازه وبلاغته، أما إغفال ما قاله العلماء السابقون واللاحقون والاستقلال عنهم بفهم القرآن، فأمر محفوف بالمخاطر، إذ أنه قد يوقع صاحبه في الخطأ أو الغلط وهذا أمر غير جائز شرعا، أما القول بأن القرآن يتطور بتطور أحوال الناس.. الخ، فإن أريد به إبطال ما جاء إلينا عن رسول الله وصحابته فهو قول مردود مرفوض، وإن أريد به أن ما جاء في القرآن يتفق مع أحوال البشر وحاجاتهم في العصر الحاضر مما لم يسبق لغيره من المفسرين معرفته فإنه لا يكون مذموما ولا يوجد ما يمنع منه.

وإذا أردت مزيد إيضاح فعليك بكتب: السيوطي، والإمام محمد عبده، والإمام الغزالي، والقرطبي، والإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر وغيرهم.

هذا إذا كان الحال كما ورد في السؤال والله أعلم.



**● السؤال من الشيماء محمد السيد / المحلة الكبرى:**

إن ضغوط الحياة ومشاغلها واهتمام الإنسان بخصوصياته ومتطلباته تجعل الإنسان ينشغل أثناء الصلاة وتعتريه بعض الخواطر التي تباعد بينه وبين الخشوع في الصلاة ولو للحظات، فهل لذلك تأثير في صحة الصلاة، وما السبيل إلى التغلب على هذه الوساوس أو السرحات، لأنني أخشى أن تكون الصلاة في هذه الحالة باطلة؟ افيدونا أفادكم الله.

**●● الجواب:**

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه فنفيد:

بأن الله -تعالى- قال في كتابه العزيز:

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾(٢).

فهذه الآية تفيد وجوب الخشوع والتوجه

(٢) البقرة (٢٣٨).



الكامل لله - عز وجل - فإن في ربط الصلاة بالله صلاح للمؤمن وفلاح له في الدنيا والآخرة.

وقال - تعالى -:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[3].

فقد أفادت هاتان الآيتان أن الصلاة لا تثمر ثمرتها من النهي عن الفحشاء والمنكر واقتلاع بذور الشر من النفس المؤمنة إلا إذا كانت ذات خشوع وخضوع وتوجه لله. هذا هو الواجب على العبد أثناء الصلاة.

ولكن الله - وهو العليم بأحوال النفس، إذ هو خالقها ومتوفاها - علم مشقة الخشوع القلبي على الإنسان وعلم أن شرود الفكر عنده غالب عليه قد يخرجه عن الخشوع المطلوب في الصلاة مستشعرا عظمة الله - جل جلاله - رغب إليه أن يحارب ما يغلبه من الشواغل القلبية والخطرات النفسية التي تباعد بينه وبين الإحساس بلذة الروحانية في الصلاة، وقد صور سيدنا رسول الله - ﷺ - هذا المعنى فيما روى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضُراطٌ حتى لا يسمع الأذان، فإذا قضى الأذان أقبل، فإذا ثوب بها أدبر فإذا قضى التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا وكذا، مما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل أن يدرى كم صلى، فإذا لم يدر أحدكم كم صلى ثلاثا أو أربعا فليسجد سجدتين وهو جالس»[4] أي سجدة السهو، فهذا الحديث يرشدنا إلى أن حديث النفس في الصلاة مما يصرف القلب فهو من عمل الشيطان. وأرشدنا رحمة بنا إلى صحة الصلاة التي استوعب التفكير جزءا منها.

فعلى المسلم أن يذكر إذا وقف بين يدي الله وكبر للصلاة أن الشيطان واقف له بالمرصاد، وعليه أن يعتصم بذكر الله، ويتدبر ما يذكره بلسانه في ركوعه وسجوده وقيامه وقعوده، وأن ينظر إلى موضع سجوده وهو قائم وإلى ظهر قدمه وهو راكع وإلى أرنبة أنفه وهو ساجد ويربط حواسه بهذه المواضع فتكمل له صلاته والله أعلم.



**● السؤال من إبراهيم صالح عبد المجيد - دسوق - كفر الشيخ:**

ما حكم الشرع في الأموال التي ينذرها أصحابها لبعض الأولياء والتي توضع في الصناديق الموجودة لذلك بأضرحتهم، هل تصح المطالبة بها من أي شخص يدعي بأن له فيها حقا لانتسابه لهذا الولي، وإذا كان لهذا الضريح مسئول معين لإدارة شئونه فهل يكون هذا المسئول حرا في توزيع النذور حسب إرادته وأهوائه، وإذا سبق لهذا المسئول أن عقد اتفاقا مع بعض الأشخاص على توزيع هذه النذور بطريقة معينة، فهل يكون

---

(3) المؤمنون (1 - 2)

(4) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب من يكبر في سجدتي السهو (2/75).



ملزما بتنفيذ هذا الاتفاق أم يكون له حق العدول عنه، وإذا توفى من حصل الاتفاق بينهم وبين المسئول، فهل يكون لأحد الحق فى التمسك بهذا الاتفاق على اعتبار أنه وارث لمن تم هذا الاتفاق معه؟

نرجو الإفادة بحكم شرعى يضع الأمور فى نصابها الصحيح خوف الوقوع فى الشرك الأصغر.

●● الجواب:

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، فنفيد بأنه بعد اطلاعنا على ما جاء فى هذا السؤال وبعد قراءتنا فى هذا الباب نقول وبالله التوفيق ومنه الهدى والسداد:

إن النذر على ما هو مشاهد وواقع فى هذه الأيام قد يكون لإنسان غائب أو مريض أو له حاجة وما شابه ذلك، فهذا النذر باطل بالإجماع وذلك لوجوه منها:

أنه نذر لمخلوق، والنذر لمخلوق باطل شرعا، لأن النذر عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله -تعالى- ومنها أن المنذور له ميت، والميت لا يملك، إذ الملكية مقترنة بالحياة، ومنها أن الناذر يظن أن الميت يتصرف فى الأمور من دون الله -تعالى- وهذا شرك ظاهر، لكن إن قال: يا الله إنى نذرت لك إن شفيت مريضى أو رددت ضالتى أو قضيت حاجتى. أن أطعم الفقراء الذين بباب السيدة أو الحسين أو سيدى إبراهيم الدسوقى إلى غير ذلك مما يكون فيه نفع للفقراء والمساكين، فالنذر هنا لله - عز وجل - ولا شيء فيه إذ مصرف النذر هنا الفقراء وقد وجد المصرف، ولا يجوز أن يصرف ذلك لغنى، ولا يجوز لخادم المسجد أخذه ولا أكله ولا التصرف فيه بوجه من الوجوه، إلا أن يكون فقيرا وله عيال فقراء عاجزون عن الكسب فيأخذون على سبيل الصدقة.

فإذا علم هذا كان ما يؤخذ من الدراهم أو الشمع أو الزيت المنقولة لضريح الشيخ حرام بالإجماع، ومتى علم أن هذه النذور صدقات للفقراء فحكمها حكم الصدقة.. ومعلوم أن الصدقة لا تملك إلا بالقبض ولا يختص بها أشخاص من الفقراء بأعيانهم، فيستوى فيها القريب من صاحب الضريح مع غيره فإذا كان للضريح مسئول معين لإدارة شئونه وكان من مقتضى وظيفته تقسيم ما يرد من النذور وتوزيعه، فله تقسيمه وتوزيعه على الفقراء مطلقا بحسب ما يراه فى كل وقت ولا يتقيد باتفاق سابق حصل مع آخرين

والله أعلم

●●●

● السؤال من زينب عبد الله عبد المقصود - المعصرة:

ما حكم لبس السواد حدادا على الميت، وما هى مدة الحداد المشروعة، فإننا نرى ونسمع عادات مختلفة فى هذه المسائل، فما هو المشروع فيها والمنهى عنه؟

●● الجواب:

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد، فنفيد بأن الحزن حالة نفسية وقلبية تعترى الإنسان لفقد عزيز أو فاجعة أو مصيبة أو ما شابه ذلك وهى

حالة لا يد للإنسان فيها لأنها من طبائع النفس البشرية.

فالواجب على كل مسلم ومسلمة تلقى مصيبة الموت بالصبر الجميل والرضا بقضاء الله - سبحانه وتعالى- الذى قال فى كتابه الكريم:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾(٥) وإن مدة الحداد المشروعة أربعة أشهر وعشرا على الزوج المتوفى، وثلاثة أيام على من مات من الأقارب ونحوهم.

فيجب على الزوجة أن تحد على زوجها أربعة أشهر وعشرا فقط، ويباح للمرأة أن تحد على أقربائها ونحوهم ثلاثة أيام فقط، ويحرم الإحداد فيما زاد على ذلك لقوله - ﷺ -: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج فإنها تحد أربعة أشهر وعشرا) .(٦)

والإحداد يكون بترك الزينة والطيب ولبس الثوب الواصف ونحو ذلك ولا يكون بلطم الخدود وشق الجيوب وحلق الشعر والنوح والندب وغير ذلك مما هو محرم شرعا لقوله - ﷺ -: «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية..»(٧).

هذا إذا كان الحال كما ورد فى السؤال. والله أعلم

●●●

● السؤال من البسيونى على النجفى - الوراق - الجيزة:

انتشرت فى هذه الأيام ظاهرة الأتارى (والفيديو جيم) وبعض ألعاب الهدف منها القمار والرهان والاستيلاء على أموال الناس بهذه الطرق.

فما حكم الشرع فى ذلك وما عقوبة من يساعد على انتشار هذه المفاسد بين الناس وخصوصا الشباب ومن هم فى مقتبل العمر؟

●● الجواب:

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، نفيد بأن القمار محرم شرعا بنص الكتاب والسنة قال -تعالى-:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٨).

وقد ذكر سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - أن الميسر هو القمار، فكل ما كان قمارا فهو ميسر محرم بالآية الكريمة وهو نوع من أنواع أكل أموال الناس بالباطل.

ذلك لأن أكل المال بالباطل على وجهين: أحدهما، أخذ المال بغير رضا صاحبه، على وجه الظلم والغصب والقهر والسرقة والخيانة وغيرها، والآخر أخذه برضا صاحبه وهو موضع السؤال لأنه أخذه على وجه محظور شرعا وهو القمار والميسر.

---

(٥) القصص (٨٨)

(٦) رواه البخارى ومسلم

(٧) أخرجه الشيخان.

(٨) المائدة (٨٩).

وعلى ذلك فإن ما كان على سبيل المقامرة بين شخصين أو أشخاص بحيث يغنم كل منهم ما يخسره الآخر، فهذا قمار منهي عنه شرعا، وذلك أخذا مما روى أن رجلا قال لرجل: إن أكلت كذا وكذا فلك كذا وكذا، فارتفعا إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال: «هذا قمار» ولم يجزه.

وقال الحنفية في هذا الموضوع أخذا عن الجصاص في كتابه - (أحكام القرآن) إن الرهان بمال إنما يجوز فيما دل الدليل عليه بالإذن كالمسابقة بالخيل والإبل والرمي والأقدام، وقالوا: إن حكمة المشروعية أن الحاجة ماسة إلى تعلم هذه الأشياء، والمسابقة في هذه الأشياء وسيلة إلى ذلك وهي تعلم الفروسية لإعداد الخيل والخبرة بالرمي.

وبناء على ماسبق فإنه يعلم أن مايحدث في هذه الأيام من أنواع الرهان هو من القمار المحرم شرعا وليس هناك نصوص تبيحه، بل دلت النصوص على حرمته، وذلك لما يترتب عليه من المفاسد العظيمة التي نشاهدها كل يوم فقد أدى إلى ضياع أموال كثيرة وخراب بيوت وحدوث كثير من البغضاء والشحناء والقعود عن ذكر الله وعن الصلاة وضياع الوقت الذي يجب أن يستثمر فيما ينفع ويفيد، ووضع مستقبل الشباب في يد عابثة ماجنة لا تخاف الله ولا تخشى عقابه فإن من يشيع ذلك له في الدنيا خزي وله في الآخرة عذاب عظيم.. فالواجب الابتعاد عن هذه الأماكن المشبوهة المضللة التي تحارب الفضيلة وتروج للرذيلة، هذا إذا كان الحال كما ورد في السؤال والله أعلم.

**● سؤال من السيد/ عادل صلاح سليمان الذي يقول فيه:**

١- لقد قلت لأهل زوجتي أن ابنتكم طالق، لأنه كان هناك معركة بيني وبين أهلها.

٢- قلت لزوجتي: لو اتصلت بأهلي تصبحي طالقا، ولم يكن في نيتي الطلاق وكنت أنوي التهديد.

٣- قلت لزوجتي: أنت طالق بعد يوم ١٦/ ٨ فما هو الحكم الشرعي في هذه الأيمان؟

**●● الجواب:**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد، فنفيد عن السؤال الأول بأن هذا طلاق باللفظ الصريح فيقع به طلقة رجعية. وعن السؤال الثاني بأن هذا يمين وحيث إنه لم يقصد الطلاق فعليه كفارة يمين إطعام عشرة مساكين أكلتين مشبعتين.

وعن السؤال الثالث بأنه يقع عليه طلاق بعد يوم ١٦/ ٨ لأن هذا بصريح لفظ الطلاق فيقع به طلقة رجعية.

والخلاصة بأن هذا الزوج قد أوقع على زوجته طلقتين رجعيتين وله أن يراجعها مادامت في العدة بدون إذنها، فإذا خرجت من العدة فيراجعها بعقد ومهر جديدين وبرضاها، وأما السؤال الثاني فعليه كفارة فقط والله أعلم.

# بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

## ماذا يريد الغرب منا؟!

في كل المجالات يتدخل الغرب بأسلوب سافر في أدق شئوننا بما لا يتسع المجال لذكره، ولا يطيق اللسان ترديده، مما يعرفه الجميع، وهو في هذا يمتطي بعضاً من الساسة والمتغربين ليبث سمومه ويدس أفكاره، ومن هذا تلك البدعة التي أشاعها بين جمهرة ممن ينتسبون الى الثقافة والتحقيق تسمى: الأرقام الهندية، وان الأرقام العربية هي ما يستعمله الغرب (1، 2) وأشاعها في المغرب العربي، وإخواننا في المغرب يستعملون هذه الارقام مكرهين او مخدوعين، فإذا كانت هذه الارقام (1، 2، 3) هي الارقام العربية، ويريد الغرب ان يردها إلينا، كأنه اعتراف بأننا أصحاب الحق فيها! فهل يرد إلينا الغرب ما سلبه منا طوال سنوات الاستعمار البغيض من ثروات وأموال؟

على أى حال، نحن نرفض هذه الأرقام (1، 2، 3)حتى وإن زعم الغرب انها لنا، فنتركها له، لانها ليست لنا، كما يقول اساتذة كلية الهندسة في مؤتمرهم الموفق، فهي لاتوافق الخط العربي.

وإلى القارئ نبأ عن المؤتمر:

اقامت الجمعية المصرية لتعريب العلوم، يوم الأربعاء ١٩ من ذى الحجة ١٤٢١هـ الموافق ١٤ من مارس ٢٠٠١ م، ندوة بعنوان « قضية الأرقام العربية » بالتعاون مع معهد الاهرام الاقليمى للصحافة، في رحاب مؤسسة الأهرام. وشارك في الندوة عدد كبير من أساتذة الجامعات وممثلى الهيئات والأفراد المهتمين بقضية الرقم العربى. وبعد تلاوة مباركة لما تيسر من آى الذكر الحكيم افتتح الندوة الأستاذ الدكتور حمدى حسن المستشار الاعلامي لمعهد الأهرام الأقليمى للصحافة والأستاذ الدكتور عبدالحافظ حلمى محمد، رئيس الجمعية المصرية لتعريب العلوم ورئيس الندوة.

وقد انتهى الحاضرون إلى اتخاذ التوصيات الآتية:



١- تأييد استمرار بلاد المشرق العربي في استخدام الأرقام العربية الأصيلة ( ٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠ ) المستخدمة في مصر والتي ظل العرب جميعهم يستعملونها وباستمرار لأكثر من اثني عشرقرنا حيث لايوجد على الإطلاق مايبرر العدول عنها إلى الأرقام الغبارية المستعملة حاليا في أوربا (01234567890) والتي طوعت لتلائم الحرف اللاتيني، مع ملاحظة أن تغيير الأرقام كان تمهيدا لتغيير الحروف العربية نفسها عند من نبذ الحرف العربي.

٢- تمسك المشرق بالأرقام العربية الأصيلة ( ٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠ ) فيه حفاظ على اللغة العربية ذاتها التي تتشكل مفرداتها من الحروف بجانب هذه الصورة من الأرقام، وحفاظ على تواصل التراث العربي القديم بزمننا الحاضر، ومحافظة على هويتنا، وييسر للتواصل بين البلاد الاسلامية غير العربية التي تستخدمها. فالأرقام العربية الأصيلة أكثر ملاءمة للحروف العربية وانتماء إليها والتصاقا بها على مر العصور، علاوة على أنها أكثر كفاءة من الأرقام الغبارية، ومن ثم يكون من المنطقي أن يتوحد العرب جميعهم على الأرقام العربية الأصيلة فالتمسك بها تمسك بالعربية.

٣- يهيب المجتمعون بالأفراد والهيئات والمؤسسات الاقتصادية والانتاجية والعلمية والثقافية وبجميع القطاعات الحكومية والعامة والخاصة والأهلية في مصر وفي جميع البلدان العربية ومنها وسائل الإعلام وهيئات تحرير الصحف والمجلات والدوريات ودور النشر، أن يتبنوا قضية الرقم العربي المشرقي الأصيل ( ٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠ ) وأن يقتصروا على استعماله بمفرده بالأسلوب والمواصفات الصحيحة في مختلف مناشطهم وأعمالهم المحلية والعربية. كما يشكر المجتمعون الأفراد والمؤسسات وهيئات تحرير المجلات الدوريات التي أعادت استعمال الرقم الأصيل بعدما هجروه بعض الوقت.

٤- يناشد المجتمعون الهيئات والمؤسسات والشركات المنتجة والمستوردة للبرمجيات وللمعدات وللمطبوعات ولمختلف المنتجات أن يكون أساس الاستخدام هو الرقم العربي المشرقي الأصيل ( ٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠ ) فضلا عن الحروف العربية وذلك في جميع ما تنتجه أو تستورده أو تتعامل فيه من منتجات بالأسلوب والمواصفات الصحيحة.

٥- يشكر المجتمعون رجال الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية على اهتمامهم الواضح بمتابعة أنشطة الندوة ويرجونهم متابعة اهتمامهم بالدعوة المقنعة الهادئة لقضية الرقم الأصيل. وهم إذ يؤكدون شكرهم لمعهد الأهرام الإقليمي للصحافة لرعاية هذه الندوة، يرجون أن تتولى مؤسسة الأهرام نشر كتاب يبسط الحقائق المتعلقة بقضية الأرقام، حتى تتاح موثقة لجمهور كبير من القراء.

**المحرر**: إلى من يهمه أمر اللغة العربية نقدم هذا العنوان:

الجمعية المصرية لتعريب العلوم، ص.ب ٥٣٠١ غرب مصر الجديد، القاهرة ١١٧٧١ هاتف ٦٣٢١٤٦٥ ناسوخ ٦٣٧٧٤٤٦ - القاهرة
بريد إلكتروني: mhamalwy @ hotmail .com
الصفحة الإلكترونية:
http:/ Communities. msn. com/ taareeb





# لغــــة القــرآن

**وللغة العربية نبض نحسه مع نبضات قلوبنا ويحسه كل مسلم، وتعبيرا عن هذا النبض والشعور الدافق كتب الأستاذ محمد محمد عبدالحي الشافعي ـ من المحلة الكبرى ـ غربية يقول:**

سلاماً وإعظاماً، وتحية وإكراماً، وشوقاً وهياماً إلي لغة القرآن التي رفع الله شأنها ومن فوق سبع كرّمها، وبالقرآن طيّبها، فهنيئاً لها ولكل من رغّب فيها ورغّبها.

**إن الذى مــلأ اللغــات مـحـاسـنـاً**

**جــعـل الجــمــال وســره فى الضــاد**

فمن المميزات التى ميز الله بها العربية احتوائها على حرف الضاد، وهو صوت نادر بل يكاد لا يوجد فى غير العربية إذا أديت بصورة فصيحة لذلك قالوا عنها إنها لغة الضاد.

وقـد شـهـد بذلك أهل الغـرب فـقـال برجشتراسر:

«فالضاد العتيقة حرف غريب جدا غير موجود في لغة من اللغات إلا العربية» ومن ينعم النظر يرى أن النبى ـ ﷺ ـ كـان على حب شـديد للعربية وأوصى بها خيراً حين قال:

«أحبوا العرب لثلاث لأنى عربى، والقرآن عربى وكلام أهل الجنة في الجنة عربى» رواه الترمذى.

إنها لغة القرآن التي اختارها الله لتكون وعاء لكتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأعجز الله بها أهل الفصاحة وأرباب البيان فهي اللغة التي عندما سمع العربى القرآن بها وكان كافرا خرّ على الأرض مغشيا عليه فقال له أصحابه: هل آمنت بما نزل على محمد بن عبدالله؟

قال: لا. قالوا: ولم فعلت ما فعلت؟ فقال: «سجدت لفصاحة الكلام المنزل على محمد».

ـ لغتنا العظيمة لك من الود أخلصه، ومن الإخلاص أعظمه فالخير منك وإليك يالغة القرآن.

**بقـيت بعـز فى العُـلا لك مــجلس**

**علىٌ وقــدرى فى الكـمـــال عظيم**

# زهــــور المســـتقبل

لقد أسعدنا أن تصل إلينا طاقة أخرى من «زهور المستقبل» أقصد عدد جديد من مجلة زهور المستقبل التي يصدرها أبناء معهد أسوان الابتدائى النموذجى الأزهرى، وإذا كان مصدر سعادتنا من قبل هو صدور المجلة عن معهد ابتدائى فمصدر سعادتنا هذه المرة هو استمرار صدور الزهور واستمرار التواصل مع أبنائنا.

ولقد حققت المجلة قفزة أخرى فى طريق التقدم، ونتمنى للقائمين عليها ولأبناء المعهد النجاح والتفوق.

وننقل عن المجلة هذه الفقرة من موضوع المسجد الأقصى.

يقع المسجد الأقصى المبارك ذو القبة الفضية المتميزة في الطرف الجنوبي للحرم الشريف مواجهاً الكعبة الشريفة في مكة المكرمة وخلفه مدينة القدس العربية.

والمسجد الأقصى أكبر مساجد القدس، وطوله ٨٠ متراً وعرضه ٥٥ متراً.

**حدود المسجد الأقصى:**

الجهة الغربية للمسجد طولها ٤٩٠ متراً والشرقية ٤٧٤ متراً والشمالية ٣٢١ متراً والجنوبي ٢٨٣ متراً وهذا المكان كله حرم ووقف إسلامي، حتى حائط البراق، الذي وقف عنده البراق الذي حمل سيدنا رسول الله - ﷺ - في إسرائه ومعراجه.

**المحرر:** تنشر مع الموضوع صورة لمسجد قبة الصخرة ذو القبة الذهبية برغم إشارة الكاتب أن المسجد الأقصى ذو قبة فضية، لذا وجب التنويه.

وننشر للقراء صورة لكل من المسجدين.



المسجد الأقصى ذو القبة الفضية



مسجد قبة الصخرة ذو القبة الذهبية

# جنـــون البقـــر.. وفســـوق البشـــر

**أما رسالة د / أحمد شوقي عرفة، فقد تناول فيها خروج الانسان عن الفطرة، وما يستتبع ذلك من أمراض.**

يقول:

توالى الصحف والإذاعات والتليفزيون نشر أنباء عن مرض جنون البقر، وعن البلاد التى أصابها والإجراءات التى اتخذت لمنع انتشاره فى البلاد الأخرى ومنها قتل الأبقار المصابة ومنع تصديرها أو تصدير لحومها، كما تذكر وكالات الأنباء الإجراءات التى تتخذها البلاد المستوردة فهى تمنع استيراد اللحوم ومنتجاتها والأعلاف من أى بلد موبوء. كـمـا تنشر أنباء عن بعض المصدرين الذين يتلاعبون فى كتابة تاريخ تصدير اللحوم وبلد المصدر حتى يمكنهم تصدير بضاعتهم والحصول على بعض المكاسب بالرغم من الأخطار التى يمكن أن يتسببوا فيها لمواطنى الدول المستوردة.

وعن أسباب حدوث المرض قيل أن المربين يضعون فى أعلاف الأبقار مسحوق عظام الحيوانات وبقايا حيوانية أخرى من دم وأمعاء وجلود حتى تنمو الماشية بسرعة فتزداد مكاسب المربين.

ولكننا إذا نظرنا إلى هذه الماشية نجد أن الله سبحانه وتعالى قد خلق البقر وجعله يتغذى على النباتات، وهيأ جهازه الهضمى لهضم النباتات التى يتغذى عليها ليستفيد فيكبر ويتكاثر، فلما أكلت المواد الحيوانية وفيها مواد بروتينية حيوانية وهى غير مهيأة للتغذى عليها أصيبت بمرض جنون البقر.

وتحضرنى هنا أنه بعد أن أخبر موسى عليه السلام فرعون أنه رسول رب العالمين، سأله فرعون: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾

٤٩ طه

فأجابه موسى - عليه السلام -:

﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾

٥٠ طه

يقول المفسرون إن ربنا أبدع كل شئ خلقه ثم هداه لمنافعه ومصالحه فقد أعطى العين الهيئة التى تطابق الإبصار والأذن الشكل الذى يوافق الاستماع وكذلك اليد والرجل والأنف واللسان. فإذا تدبرنا أمر البقر والحيوانات التى تتغذى على النباتات نجد أن الله - سبحانه وتعالى - جعل لها أمعاء يمكنها أن تهضم وتستفيد من المواد البروتينية الموجودة فى النباتات وبها جميع الأحماض الأمينية باستثناء اثنين يوجدان فى الحيوانات، ثم إن الحيوانات آكلة النباتات حينما تجتر النباتات التى أكلتها تكون فى معدتها هذين الحامضين، وعلى ذلك فهى ليست فى حاجة إلى التغذى على مواد بروتينية من أصل حيوانى فى طعامها ويكفيها النباتات والحشائش لتتغذى عليها. فلما أعطيت مواد بروتينية حيوانية أصيبت بجنون البقر.



وهذا يذكرنا بمرض آخر أصاب الإنسان وهو مرض الإيدز الذى حدث بسبب إتيان الرجال بالمخالفة لأمر الله - سبحانه وتعالى - الذى أباح التزاوج بالنساء للتكاثر وعمارة الأرض. لقد خالف الشواذ أوامر الله بالرغم من أنه - سبحانه وتعالى - نهى عن هذه الفعلة الشنعاء فى جميع الأديان فمارسوها فى نواديهم فانتشر بينهم هذا المرض الخطير الذى يصيب الجهاز المناعى فى الجسم فلا يعود قادرا على مقاومة الأمراض المعدية إن الأعراض عن أوامر الله ونواهيه له عواقب سيئة فى الدنيا والآخرة.

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾

١٢٣- ١٢٤ طه

وهنا نتساءل ما الحل فى أزمة جنون البقر؟

أول إجراء هو أن يتوقف مربو الماشية فى أوروبا - وبالطبع فى باقى بلاد العالم - عن إعطاء الماشية مواد حيوانية لتتغذى عليها، لكن هذا الإجراء سيؤدى الى نقص فى المعروض من اللحوم. فإذا أردنا توفير احتياجات العالم من اللحوم فعلى مربى الماشية اللجوء إلى بلاد العالم الثالث فى افريقيا وآسيا وامريكا الجنوبية حيث توجد المراعى وحيث توجد الأراضى الخصبة ولكن ينقصها التمويل وإصلاح البنية الأساسية، فعلى من ينادون بالعولمة إن العالم أصبح قرية واحدة أن يطبقوا ما ينادون ويبشرون به. وأن إقامة المراعى فى هذه البلدان تحتاج إلى تمويل ونقل الخبرات واللقاحات وإنشاء الثلاجات الضخمة ثم إصلاح البنية الأساسية من طرق وخلافه وإنتاج اللقاحات والأدوية وتدريب العاملين فى الطب البيطرى. حينئذ يمكن لدول العالم الثالث أن تساهم فى تغذية بعض مناطق فى العالم بغذاء صحى خال من الأمراض.

وهنا ندعو المسئولين فى العالم الإسلامى إلى إنشاء مزارع فى البلاد الإسلامية فى أفريقيا وآسيا لزراعة المحاصيل وتربية المواشى فتزود العالم الإسلامى بما يلزمه من غذاء بدلا من استيراد هذه المواد الأساسية اللازمة لشعوبها.

- الخور:

هكذا حال الانسان - دائما - يسعى إلى الكثرة والسرعة حتى ولو كان فيهما هلاكه بداية من استخدام الكيماويات فى تغذية النباتات وما نتج عن ذلك من فشل كلوى لكثير من الناس، فالإنسان وهو يبتعد عن الفطرة التى فطر الله الناس عليها - بل والتى فطر كل الخلق عليها - إنما يبتعد عن منطقة الأمان، ليأتى بالدمار إلى بنى جلدته وهو يظن أنه يحسن صنعاً.

بداية من استخدام الكيماويات فى تغذية النباتات والهرمونات فى تغذية الدواجن وما نتج عن ذلك من أمراض مختلفة وهو ما أعلنه عدد من مراكز الأبحاث العلمية من أن استخدام الكيماويات فى تغذية النباتات هو السبب الرئيسى وراء انتشار امراض الكلى وغيرها من الأمراض!!

وانتهاء بمحاولة استنساخ النعجة «دوللى» ثم الجنوح إلى استنساخ البشر!! ولا عاصم للإنسان من هذا التخبط إلا بالتمسك بهدى الله - تعالى -.

# من إبداعات القراء:

## الـدرة هيج أحـزانى

شعر: عادل محمد ابوالهيثم
خطيب ومدرس بأوقاف الغربية

الـــدرة هيـــج أحـــزانى ** وأثـــار النـــار بأركـــانى
الولـــد يهـــرول يا أبتـــى ** احـفظـــنى فالغـــدر برانـــى
أقبـــل يا ولـــدى لا ترهـــب ** ربـــى يرعـــاك ويرعـــانى
اضـــممنى أبتـــى أمْنـــى ** من خـــوف رصـــاص الخـــوان
أبتـــاه أصـــابتنى طـــلقة ** بلـــغ إخـــوانى تحنانـــى

نشرنا فى عدد سابق للأستاذ محمد سليم الدسوقى مقطوعة بعنوان «كم ذا عسيب وكم ذا ثمر» وننشر له فى هذا العدد هذه المقطوعة آملين استمرار الشذى وانتشار العبير.

## إليك تهلل ذات الزغب

إلـــيك تـــهلـــل ذات الـــزغـــب ** وتـــســـعى إليك مـــروج الذهب
وتغـــدو الـــفـــروح تزف الحـــيـــاة ** وتـــجـــد فـــوق خـــبـــايا النُّوب
وطـــيـــرى تعـــود بطانا تعـــود ** إلـــى وكـــنـــات المـــنـــى والـــطـــرب
تصـــفق للعـــشـــب والأغنيـــات ** وتـــقـــطـــف من دانيـــات العـــنب
وترقص للفـــجـــر عند الشـــروق ** وتعـــشـــق شـــتى فنون القُـــرُب.

# بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

## حتى لا ننسى

**في يوم ٨ إبريل سنة ١٩٧٠ قام الطيران الإسرائيلي الغادر بضرب مدرسة أطفال في قرية بحر البقر التابعة لمدينة أبو حماد محافظة الشرقية فامتزجت دماء الأطفال الصغار بالأقلام والكراريس والكتب وليس غريبا على نذالة الصهاينة هذا الفعل الحقير**

**المحرر**

## الوحيد الذي هلل للجنة المشبوهة

قرأت في إحدى الصحف أن الدكتور سعد الدين إبراهيم أصدر أخيرا بيانا - تعليقا عن عدم استطاعته استقبال اللجنة الأمريكية المشبوهة التي وصلت إلى القاهرة، بسبب ظروف محاكمته - ولكنه انتهز الفرصة ليؤكد في بيانه: «إن أقباط مصر يتعرضون لممارسات تمييزية بغيضة»!

ما زعمه سعد الدين إبراهيم في بيانه الحقير، هو - بالضبط - ما جاءت اللجنة الأمريكية المشبوهة لسماعه!

## الازدواج النفسي

طالعتنا جريدة صوت الأزهر بمقال على صفحاتها في عددها رقم ٧٨ الصادر في ٢٣/٣/٢٠٠١ تحت عنوان الازدواج النفسي بهذا المقال الرائع جاء فيه:

نلحظ أن الأمراض النفسية تزداد انتشارا بتقدم وسائل الحضارة، إذ ترى أبناء هذا الجيل أسرع إلى التوتر وأقرب إلى الانفعال ممن عاشوا في الجيل الماضي، بل إن أبناء الجيل الواحد يفترقون صحة وهدوءا بالقياس إلى أماكنهم من القرى والمدن، فساكن القرية أهدأ نفسا، وأروح خاطرا إذا قرن بساكن المدينة، وأمريكا اليوم أكثر بلاد الله

رفاهية واستمتاعا، ولكن الأمراض النفسية تنتشر فيها بنسبة تجذب الانتباه وفي إحصائية عالمية لحوادث الانتحار ما يثبت أن اشتداد الأزمات النفسية لدى الأثرياء أكثر منها لدى الفقراء، فما معنى هذا؟!

إن أكثر ما يعانيه إنسان العالم المتحضر اليوم انه مرتبط بقيود لا يستطيع الخلاص منها، وأشد هذه القيود حرجا في نفسه انه لا يستطيع أن يفصح عن ذاته تمام الإفصاح فهو يضطر في أحوال كثيرة إلى أن يقول ما لا يعتقد وكأنه ممثل يتقمص على المسرح شخصية سواه، ولست أقول: إن جميع الناس يفعلون ذلك، بل أقول إن كثيرين منهم يضطرون إلى التمثيل على مسرح الحياة، بحيث يعانون آلاما شاقة في كتمان عواطفهم الحقيقية، فقد يبغض الزميل زميله لأمور يأتيها تكون موضع النقد، ولكنه يضطر إلى أن يتقبل أخطاءه دون تعليق، وقد يفرض عليه رئيسه من الأعمال ما لا يجد مبررا للقيام به، ولكنه يكبت إحساسه الداخلي متظاهرا بالسرور، وربما اندفع إلى تزكية ما يكره تملقا، فاذا خلا إلى نفسه صلى حربا اليمة من التأنيب والزجر، وبتكرار هذه المواقف تتأزم حياته، ويراها عبئا ثقيلا يود الخلاص منه، و هذا في محيط العمل الخارجي وحده، فقد يرجع المرء إلى منزله فيجد أنه محتاج إلى التمثيل أيضا، بل يضطر إلى محاباة الزوجة وترضية الابن بالموافقة على أمور يراها غير جائزة في رأيه، وهنا تتكاثف عليه الضغوط ولابد أن يأتي يوم يؤذن بالانفجار، وهذا كله مشاهد ملموس.

إن هذا الازدواج النفسي الذى يجعل صاحبه ذا مظهرين مختلفين، داء يتطلب العلاج، وأولى خطوات هذا العلاج، أن يحاول الإنسان تجربة الصدق شيئا فشيئا فيخلوا إلى نفسه مفكرا فيما يصنع، وليكن في هذه الخلوة شخصا محايدا لا ينحرف عن صواب الرأى، ثم يتساءل: ماذا كان سيحدث من الخطر لو أنه التزم الصدق الحقيقي دون خداع؟ إنه سيتعرض إلى غضب بعض الناس، ولكن الغاضب بينه وبين نفسه سيحترم قوة شخصيته ويراه أهلا لأن يعتد به في الأزمات، وكم من أناس وقفوا موقف الصراحة المهذبة المخلصة، فلم يقفوا على حافة الخطر، بل عرف عنهم الصدق، واحترام الواجب، لأن كل إنسان مهما كان نزاعا إلى الشر يحترم الفضائل الخلقية، ويود أن يتمسك بأسبابها ولكن غرائزه الهابطة قد تندفع به إلى ما يعرف عن يقين أنه طريق الانحراف وإذن فالصدق النفسي هو سبيل الراحة المطمئنة خارجا وداخلا، ففي داخل النفس يأمن الصادق هذا الصراع المتأزم، وما يعقبه من تأنيب الضمير، وسهر الليل دون استراحة وفي الخارج سيرتفع قدره أمام مجتمعه، فأصدقاؤه يولونه الثقة الأكيدة، ولا شئ أغلى منها، وخصومه يتمنون في قرارة أنفسهم أن يصلوا إلى مستواه على أن الشاب الناشئ قد يجد نفسه صريع الازدواج النفسي لأمر لايد له فيه، وقد ظهر هذا بوضوح بين طائفة من الشباب الجامعي أهلهم مجموعهم إلى الالتحاق بكليات لا يرغبونها، وقد يكون ولي الأمر أحد أسباب هذا البلاء، إذ يصر على أن يلتحق ولده بكلية معينة يراها باب التقدم، وليس لولده من الرغبة فيها ما يدفعه إلى الالتحاق بها، ولكنه يصر، فيضطر الطالب إلى



دراسة لا تمت إلى إحساسه، ولا يجد لديه من النشاط ما يدعو إلى استيعاب علومها، وتكون النتيجة فى هذه الحالة مؤلمة، أعرف أن طالبا أجبره والده على الدراسة بكلية الطب، وهو بطبيعته نفور من رؤية المرضى، وصرخات الآلام، ويعرف سلفا أن هذه المهنة لا تناسب مشاعره الذاتية، وقد حاول جاهدا أن يختار كلية أخرى، فقال له والده أتكون مثل أخيك الذى دخل كلية الزراعة إنها كارثة لمثلى، وكانت النتيجة الأليمة أن الذى التحق بالطب فصل بعد عامين، وأخذ يبحث عن كلية تقبله، وأن الذى التحق بالزراعة حاز درجة الامتياز فى البكالوريوس وعين معيدا وسارت به الأيام فأصبح عضوا بهيئة التدريس، هذا الازدواج النفسى بين كثير من الطلاب حقيقة واقعة، وعلاجها أن يترك كل طالب وما يريد.

اعلم أن الإخلاص فى إعلان الرأى الصادق، يتطلب فى هذا العصر الوصولى شجاعة، ولكن هذه الشجاعة ليست مستحيلة إذا نشأ الإنسان فى بيئة مؤمنة تعلم جيدا أن فضائل الإسلام الداعية إلى الصدق والحق والعدالة هى أقوى وسائل التوفيق والنجاح، وقد يتأخر النجاح وقتا ما ولكنه لابد آت.

## عفوا إنى اعتراض

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ الدكتور محمد مجدى مرجان فى جريدة الأخبار

حتى لا يندفع المتهورون بحُجة انصاف المرأة فيقلبون موازين المجتمع قال:

إننى أعتقد أن المعيار الحقيقى للتمييز بين الجنسين فى العمل هو الكفاءة والإنتاج، بحيث يعين فى الوظيفة أو المنصب الأكفأ منهما والأقدر عليه، مع ملاحظة أنه إذا تساوى الاثنان فى الكفاءة والنشاط فإن الأسبقية تكون للرجل لأن ذلك هو ما يتفق وظروف مجتمعنا وما تقتضيه قواعد الدين والقانون، فالمعروف شرعا أن الرجل هو الملزم بالانفاق على زوجته من كده وعرقه، بحيث إذا قصر الرجل فى ذلك تم الحجز على مرتبه ودخله بل وقضت المحكمة بحبسه لعدم الانفاق، أما الزوجة فإنه مهما كان مقدار دخلها أو ثرائها فليست ملزمة بشئ تجاه زوجها، ولا تقبل نخوة وكرامة أى رجل حر أن تنفق عليه امرأة ولو كانت زوجته.

فإذا أضفنا إلى ذلك ما تعانيه مصر حاليا من تزايد حجم بطالة الشباب، وأن الرجل العاطل يكون معرضا للانحراف وربما ارتكاب الجرائم والاخلال بالأمن أضعاف المرأة التى ينفق عليها أباها أو زوجها، فإن المصلحة العامة ومقتضيات الأمن القومى تقتضى دائما تفضيل الرجل وأسبقيته على المرأة فى التوظيف والعمل.

ولهذا فإننى أعترض وبشدة على التزام الحكومة الذى أعلنه رئيس الوزراء بأن تكون فرص العمل متكافئة للإناث والذكور فى شغل الوظائف الحكومية، وكذلك مطالبة القطاعين العام والخاص بالسير على هذا المنوال فى شغل الوظائف الخالية لديهما، ليس هذا فقط فلقد أعلنت الدكتورة فرخندة حسن الأمين العام الجديد للمجلس القومى للمرأة موافقة رئيس الوزراء على أن يكون ثلث وظائف مساعدى الوزراء على الأقل من النساء.

وهذا قرار غريب أشك فيه كثيرا واستبعد تماما أن يأخذ صفة الالتزام أو جدية التنفيذ لأنه يتضمن تمييزا عكسيا لصالح المرأة ضد الرجل، خاصة في الوزارات التي يكون فيها دور النساء هامشيا أو مقهورا مثل وزارات الدفاع والداخلية والعدل وغيرها، كما أنه سيؤدي في كثير من الأحيان إلى تعيين الشخص غير المناسب في المكان غير اللائق فتتقدم الأقل كفاءة لأنها امرأة على الأكثر كفاءة لأنه رجل وهذا بالطبع في غير صالح العمل وإن كان يفيد كثيرا في مهرجانات النفاق والتهريج والمزايدة على تلميع المرأة وركوب «الموجة» أو «الموضة» الحديثة التي يتسابق فيها وللأسف الشديد العديد من المسئولين والقيادات بل والعلماء والكتاب الرجال وعلى عكس ما يؤمنون به أو يضمرونه في أنفسهم وخلافا لما هو معروف عنهم ما يتبعونه في حياتهم الخاصة وداخل بيوتهم مع زوجاتهم وبناتهم وأخواتهم ولكن لزوم أكل العيش وتسلق المناصب بأي ثمن ويا خسارة يامصر.

## اللغة العربية في محنة

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ الدكتور محمد شوقي الفنجري في جريدة الأخبار في عددها بتاريخ ٥ / ٤ / ٢٠٠١.

ومجلة الأزهر تهيب بكل مسئول في موقعه أن يهب لنجدة اللغة العربية في محنتها فإن اللغة هي الهوية.

فالذين لا لغة لهم لا هوية لهم ولا تراث.

تتميز اللغة العربية بأنها لغة عبادة، ومن ثم انفردت اللغة العربية مهما ضعفت همة وحضارة أهلها ببقائها واستمرارها حتى تقوم الساعة وإلا فلنسأل أنفسنا أين اللغة الفرعونية أو اللغة الرومانية أو اللغة اللاتينية التي سادت العالم عقودا وقرونا. فاللغة العربية تنفرد دون سائر اللغات الشائعة أو المتداولة بأنه تستمد قوتها بل وعالميتها من كتاب الله -تعالى- وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾[1].

وقوله -تعالى-:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2]

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3].

إلا أنه بالرغم من اطمئناننا على اللغة العربية، باعتبارها لغة القرآن ولغة خاتم الأديان، فإن ذلك لا يمنعنا أن نصرح بأنها اليوم في محنة بعد أن فقد الكثيرون الإحساس بها والشعور بأهميتها وضرورتها، لذلك كان لابد من وقفات وحساب، بعد أن رأينا مايلي:

**أولا:** اختلاط اللغة العربية الفصحى باللغة العامية بلهجاتها المختلفة والواقع أنه لا يضيرنا

---

(١) الرحمن/١-٤
(٢) الحجر/٩
(٣) يوسف/٢

استخدام العامية في مجالاتها الطبيعية أي المشافهة، وإنما الذي يزعجنا هو شيوع اللحن في اللغة العربية وكثرة الأخطاء النحوية والإملائية.

**ثانيا**: إن وزارة التربية والتعليم في مصر، ويقلدها في ذلك وزارات التربية والتعليم في كثير من الدول العربية، تعمل اليوم على تقليص ساعات تدريس اللغة العربية ولا تلقى اهتماما بتحفيظ القرآن الكريم، وحتى في تدريسها للغة العربية فإنها تفتقر إلى الطرق الحديثة والإجراءات التي تحيلها إلى حصة استمتاع وتذوق وليس العزوف عنها.

**ثالثا**: إن كثيرا من علمائنا خاصة في الطب والهندسة والعلوم، يلجأون إلى اللغة الأجنبية ومصطلحاتها التكنولوجية، دون محاولة لإكساب اللغة الأم المعرفة العلمية الحديثة. وذلك بالرغم مما هو معروف، بأن نمو أو ضمور أية لغة في عصر العلم والمعلومات مرهون بأهليتها كإطار تتولد فيه الأفكار والمصطلحات العلمية، واتساع مفرداتها لمضامين المعرفة والتقنية الحديثة.

**رابعا**: ان الآباء اليوم يحرصون على تعليم أولادهم اللغات الأجنبية. دون اهتمام باللغة العربية. ولا يعني ذلك أننا نعترض على تعليم أطفالنا للغات الأجنبية، بل بالعكس إننا نطلبها للتواصل الخارجي والتقدم التقني، وإنما بشرط التركيز أيضا على لغتنا الأم.

**خامسا**: ان أغلب أجهزة الإعلام العربي، مكتوبة كانت كالصحافة، أو مسموعة كالإذاعة، أو مرئية كالتلفاز، لم تعد تشترط في العاملين بها وخاصة كتابها ومقدمي برامجها، الإتقان اللغوي، وفاقد الشيء لا يعطيه.

**سادسا**: ان حركة الترجمة والتعريب سواء على المستوى العربي أم الإسلامي، مازالت قاصرة ومحدودة، وهي تحتاج إلى دفعة لما تحققه من تواصل وإثراء للغة الأم. ولاشك أننا اليوم في حاجة ملحة إلى ألفاظ جديدة لمسميات حديثة، واللغة هي الإنسان، وبالتالي فإن العمل على تطويرها وإثرائها هو ضرورة حضارية وحتمية.

**سابعا وأخيرا**: ان مؤسسات اللغة العربية ومراكزها، سواء في مصر أو في العالم العربي أو الإسلامي، وسواء كانت هذه المؤسسات أو المراكز رسمية أم أهلية، فإنها تفتقد التخطيط والتنسيق والتعاون فيما بينها، ومن ثم تأتي جهودها مكررة أو مبعثرة دون أن نحس بها أو نلمس أثرها. هذا فضلا عن عدم تحديثها بتطبيق التجارب وابتكار الأساليب واستخدام الوسائل الحديثة لتيسير أو تطوير أو تجويد أو تعميم تعليم اللغة العربية وقد يكون من المناسب اليوم المناداة بدعم مجمع اللغة العربية باعتباره المؤسسة الأم أو إنشاء مجلس أعلى للغة العربية.

ما تقدم هو بعض الإشكاليات أو التحديات التي تواجه لغتنا الأم، التي لا تشكل الوعي والإدراك فحسب، وإنما هي تصوغ الوجدان والسلوك، وأنه يجب التعامل مع اللغة العربية ليس فحسب باعتبارها وسيلة أو أداة التعبير والتخاطب، أو أنها مجرد وعاء فكر الأمة وقوام ثقافتها وتراثها الحضاري وإنما باعتبارها غاية في ذاتها إذ هي الأساس في إقامة الحياة ونموها وتقدمها، وأن وحدة العرب والمسلمين إنما تتحقق بوحدة لغتهم وتقدمها.

وإنه إذا صح التعبير عن الحضارة بالعملة الواحدة فإن أحد وجهيها هو التنمية الشاملة بمختلف صورها، والوجه الآخر هو اللغة أداة التعبير وحاملة الثقافة والتراث ورمز الهوية والاستقلال.

# أنباء مكتب شيخ الأزهر

## لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى

## استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

استقبل فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الازهر الشريف بمشيخة الازهر الشريف بحديقة الخالدين بالدراسة فى ١٨/ ٣/ ٢٠٠١ الوفد اليمنى من القضاة الذين يتلقون دراسات تدريبية فى معهد الدارسات القضائية بوزارة العدل المصرية بالقاهرة.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف موضحا لهم مكانة الأزهر الشريف داخل مصر وخارجها، وان المعاهد الأزهرية بلغت الآن حوالى ستة آلاف معهد ابتدائى واعدادى وثانوى بنين وبنات، كما بلغت كليات جامعة الأزهر الشريف ٦٥ كلية تشمل جميع التخصصات وهى منتشرة فى أنحاء الجمهورية، وبين فضيلته ان الدراسة بالأزهر الشريف تمتاز بالوسطية والاعتدال حيث يتم تدريس العلوم الشرعية والعربية بتوسع إلى جانب تدريس المواد الثقافية واللغات الأجنبية، وحفظ القرآن الكريم أساسى بجميع مراحل التعليم الأزهرى فيحفظ الطالب ١٨ جزءاً فى المرحلة الأبتدائية ومدة الدراسة بها ست سنوات، ويحفظ الطالب ٧ اجزاء فى المرحلة الاعدادية ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات ويحفظ الطالب خمسة أجزاء فى المرحلة الثانوية ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات ويتم الامتحان فى المنهج المقرر على الطالب فى السنة التى يدرس بها وتقدر درجات النجاح بـ ٥٠٪ كما يتم الامتحان فى المنهج السابق وتقدر درجات النجاح فيه بـ ٥٠٪ حتى يتخرج الطالب وهو يحفظ القرآن الكريم حفظا كاملا وقد اجاب فضيلته عن اسئلة الوفد واستفساراتهم حول الخلاف فى

الموضوعات الاجتهادية في الفقه الإسلامي، وأوضح فضيلته بأن الخلاف في الفروع لا يؤثر ولايضر لان اختلاف الائمة رحمة للامة، وأما الاصول الثابتة فلا خلاف عليها، وفي الفقه الإسلامي متسع لكل مستفت، كما أوضح فضيلته ان لكل قضية او مسالة حكمها الشرعي الذي يناسبها، وحول سؤال عن وجود تأثيرات خارجية على إصدار الفتاوى الشرعية، أجاب فضيلته بأنه عمل مفتيا لمصر لاكثر من عشر سنوات وشيخا للازهر لاكثر من خمس سنوات وحتى الآن ولم يتدخل أي انسان في أي موقع بمصر لطلب إصدار فتوى معينة وكل الفتاوى التي صدرت في مصر من الازهر أو دار الافتاء تكون خالصة لوجه الله ودون تدخل من احد كائنا من كان، والحمد لله ان هذا شئ لايحدث في مصر على الاطلاق.

شكر الوفد فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر على حسن الحفاوة والاستقبال وعلى المعلومات القيمة التي استفادوا منها.

● استقبل فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه في ٢٤/٣/٢٠٠١ وفد مكتب الحرية الدينية العالمية برياسة السيد فيروز كاظم زادة وقد شرح فضيلته للوفد بأن الحرية الدينية ركن من أركان الشريعة الإسلامية وأن كل قول أو فعل يأتي عن طريق الاكراه أو الإجبار فهو مهدر ولاقيمة له.

وأن الحرية الدينية هي أساس الشريعة الاسلامية وعندنا في مصر فإن حرية العقيدة مكفولة للجميع، المسلم يذهب إلى المسجد ليصلي، والمسيحي يذهب إلى الكنيسة ليؤدي شعائر دينه بحرية تامة، ولا إكراه على العقائد إطلاقا لان الإكراه على العقائد لايولد مؤمنين صادقين وإنما منافقين كذابين، وأنا كشيخ للأزهر الشريف أقول دائما في ندواتي ولقاءاتي وللجميع وسائل الإعلام إن كل من يحمل الجنسية المصرية يتساوى في الحقوق والواجبات، أما العقائد فالذي يحاسب عليها هو الله - عز وجل -، ونحن نعيش أخوة متحابين متجاورين، تجمعنا مصالح مشتركة بيوتنا متجاورة ونعيش على أرض واحدة وتظلنا سماء واحدة ونشرب من ماء واحدا، ونستنشق هواء واحدا بل إن بيوت العبادة معظمها متجاورة، الخير الذي يعم مصر للجميع للمسلم وللمسيحي يشترك المسلم والمسيحي في التجارة وفي الزراعة وفي معظم المعاملات، وأنا شخصيا تربطني بالبابا شنودة علاقات أخوية فلا يكاد يمضي شهر حتى نلتقي ونتزاور في المناسبات المختلفة، وأؤكد وأقول: إن الحرية الدينية في مصر حقيقة واقعة يراها الناس بأعينهم ويحسونها بمشاعرهم، ولاانكر ان هناك بعض الخلافات بين المسلم والمسلم، وبين المسيحي والمسلم وبين المسيحي والمسيحي وهي خلافات فردية



شخصية، وهذه المسائل موجودة فى امريكا واوروبا وآسيا وكل دول العالم وما يحدث من خلاف يحكم فيه القضاء المصرى الذى يتسم بالنزاهة والذى يقول كلمة الحق.

ولايوجد فى مصر شئ اسمه المحاربة للحرية الدينية.

واكرر بأن القضاء فى مصر إذا قال كلمته فنحن فى مصر نحترم حكم القضاء لما له من موازين واجتهادات مبنية على الموضوعية دون تميز لا لمسلم ولا لمسيحى او اى ملة اخرى، وذلك من منطلق ان الشريعة الإسلامية تأمر بالعدل مع الصديق ومع غير الصديق ومع المسلم ومع غير المسلم، والخلاف بين الناس من اجل المصالح موجود فى امريكا وفى اوروبا وفى كل دول العالم واحب ان اؤكد ان من يأتى إلينا ليتعلم منا فمرحبا به، ومن يأتى إلينا لكى يفرض علينا رأيا معينا فنحن نرفض ونرفض ونرفض، وهذه حقائق جميع الأديان السماوية وجميع العقول السليمة تؤيدها.

واجاب فضيلته عن اسئلة واستفسارات الوفد ومنها أن هناك بعض الاضطهاد للعقائد والحريات الدينية فى بعض انحاء العالم كالصين وغيرها، اجاب فضيلته بأننا كمصريين وانا كشيخ للأزهر الشريف باسمى وباسم الأزهر الشريف وباسم جميع المصريين نحن ضد منع اى أحد من إقامة شعائره الدينية.

وتحدث السيد رئيس الوفد فقدم التحية والاحترام لفضيلة شيخ الأزهر الشريف على إتاحة الفرصة لهذا اللقاء، موضحا بأن هذه اللجنة انشئت بقرار الكونجرس الامريكى عام ٩٨ وهى ليست لها صفة الدبلوماسية ومهمتها ان تستوضح عن حالة الحريات الدينية الموجودة فى انحاء العالم، وبداية اعمالها كانت عما يحدث فى الصين نظرا لان الكنائس البروتستانتية لايسمح لها هناك بأداء الشعائر، كما ان المسلمين فى تركستان لايسمح لمذهب معين بأداء شعائر الصلاة، وكذلك فى الهند وباكستان، وإننا كلجنة نقوم بجمع المعلومات ومعرفة الحقائق من مصادرها لكى نعلم الصدق.

وقد اشاد بالكلمات التى سمعها من فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر الشريف وقال إنها كلمات هامة جدا وتعلمنا منها الكثير، وقد جئنا لنتعلم.

وحول سؤال عن عدم تولى المسيحيين مناصب عليا فى مصر اجاب فضيلة الأستاذ الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف بأن بعض قادة الجيوش فى حرب اكتوبر المجيدة سنة ٧٣ كان مسيحيا وبعض الوزراء فى مصر وبعض قيادات الشرطة وكثير من رؤوس الاموال ورجال الاعمال وكثير من اعضاء مجلس الشعب والشورى المنتخبين مسيحيون، وقد أوضح فضيلة الإمام الاكبر





شيخ الأزهر الشريف بأن المسلمين والمسيحيين في مصر لا يودون تدخل أي جهة في شئونهم فهم يعيشون في حب ووئام وتجمعهم المصالح المشتركة ويعيشون متعاونين في كل شيء في حياتهم.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر أن بالأزهر لجنة تسمى لجنة الحوار بين الأديان ومقرها بإدارة الأزهر الشريف وهي تقابل جميع المهتمين بحوار الأديان.

وفي نهاية اللقاء شكر الوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إتاحة الفرصة لهذا اللقاء وهذه المعلومات التي تعلموها.

● استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر الوفد الباكستاني لممثلي المنظمات الإسلامية بباكستان برئاسة السيد كرم إلهي بمؤسسة الشباب في باكستان.

رحب فضيلته بالوفد شارحا لهم المراحل التعليمية التي يمر بها الدارسون حتى الانتهاء من التعليم الجامعي بجامعة الأزهر الشريف والدراسات العليا، وأشار إلى أن الأزهر يستقبل أبناء المسلمين من العالم الإسلامي للدراسة به على منح دراسية من الأزهر الشريف، ويقيمون في مدينة البعوث الإسلامية التي يسكنها طلاب من نحو ٩٥ دولة من دول العالم فهي جامعة شعوب إسلامية وأشار إلى أن المعاهد الأزهرية في تزايد مستمر سواء داخل جمهورية مصر العربية أو في الدول التي تنشئ معاهد أزهرية ويمدها الأزهر بالسادة العلماء المدرسين والمناهج والكتب الدراسية، وأوضح أن أعدادا كثيرة من الطلبة الباكستانيين يدرسون بالأزهر الشريف في المعاهد والكليات بجامعة الأزهر وهم متفوقون في دراستهم والدراسة في الأزهر الشريف تمتاز بالتوسط والاعتدال وتمتاز بحفظ القرآن الكريم بالإضافة إلى دراسة العلوم الشرعية والعربية والعلوم الثقافية واللغات، ولذا لا تجد أي انحراف أو إرهاب في طلبة الأزهر أو جامعته، وكما يوجد طلبة من باكستان يدرسون في الأزهر الشريف تجد بعثة من علماء الأزهر وأساتذته يذهبون إلى باكستان يدرسون لأبنائها في معاهدها.

وقد أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم التي دارت حول تحطيم الأصنام في أفغانستان موضحا لهم بأن الشريعة الإسلامية تأمرنا باحترام التراث الإنساني لأنه ملك للبشرية جميعا، وأشار إلى أنه ذهب إلى أفغانستان وفد على مستوى عال من رجال الدين الإسلامي وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية برئاسة فضيلة الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية، لمناشدة طالبان التوقف عن تدمير الآثار القديمة لما يترتب على ذلك من

فتن، العالم الإسلامي في غنى عنها، كما أجاب عن أسئلتهم في النواحي الفقهية والشرعية وأوضح أن وحدة العرب والمسلمين في الوقوف إلى جانب الحق ونبذ الاعتداء والعدوان على الآمنين أمر مطلوب، كما أوضح أن الدين الإسلامي لا يمنع حرية العقيدة بل إن حرية العقيدة أمر مكفول للجميع، وإن مسايرة التقدم لرقي الأمم وازدهارها مع التمسك بتعاليم الإسلام السمحة أمر تقره شريعة الإسلام.

● وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على مشروع المنح السنوي الذي يقدمه الأزهر الشريف على مستوى العالم وتم تخصيص ٢٠٠٠ منحة دراسية لعدد ٩٤ دولة من دول العالم وأكبر الدول الحاصلة على منح دراسية هي الصومال وإندونيسيا وماليزيا والفلبين وذلك نظرا للكثافة السكانية في هذه الدول، كما تم تخصيص خمس منح جامعية لأبناء فلسطين، كما تم إقرار مشروع منح الوفورات التي تعطى للطلاب الوافدين المتواجدين داخل جمهورية مصر العربية حيث تم اعتماد ٣٦٢ منحة.

● حضر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل افتتاح مؤتمر كلية الدراسات الإنسانية حول ( قضايا المرأة المعاصرة من منظور إسلامي ) والذي كان تحت رعاية فضيلته حيث أعلن أن الحياة لا تصلح ولا تعمر ولا تتقدم وترقى إلا بوجود الرجل والمرأة وأشار إلى أن هناك بعض أوجه المساواة بين الرجل والمرأة، المساواة في أصل الخلقة، وفي الواجبات التي كلفنا الله تعالى بها، وفي التكاليف الشرعية من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها، والتحلي بمكارم الأخلاق، والمساواة في الكرامة الإنسانية فكرامة الرجل من كرامة المرأة وكرامة المرأة من كرامة الرجل، والمساواة في الحقوق العامة، كالحقوق المدنية من بيع وشراء ووكالة وتصرف فيما يملكه الإنسان وطلب العلم وحق العمل وهذه الأمور وضحتها شريعة الإسلام توضيحا بأسلوب حكيم.

وأشار فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر إلى أن العالم الحديث يموج بالفتن، وتظهر منظمات تدعي الدفاع عن حقوق الإنسان وهي بعيدة كل البعد عن هذا.

وأشادت الدكتورة فرخندة حسن أمين عام المجلس القومي للمرأة ورئيس لجنة التنمية بمجلس الشورى بدور الأزهر الشريف وجامعته في توضيح دور المرأة وحقوقها الأساسية التي أعطاها لها الإسلام من قديم الزمان وأن المجلس القومي الذي أنشئ بقرار من السيد الرئيس محمد حسني مبارك وترأسه السيدة الفاضلة سوزان مبارك قرينة السيد الرئيس يمكننا والمجتمع من ممارسة

هذه الحقوق وأكدت على المتابعة المستمرة من المجلس لكل ما يعمل على تنمية المرأة وقالت: إن كلمة فضيلة شيخ الأزهر المستنيرة ستكون منهج عمل لكل نساء مصر وسيسعى المجلس لتوزيعها ونشرها.

● برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عرض على مجلس مجمع البحوث الإسلامية بجلسته المنعقدة في ٤ من المحرم ١٤٢٢هـ الموافق ٢٩/٣/٢٠٠١ موضوع استخدام رحم امرأة أجنبية لوضع ماء زوجين في رحمها وقد قرر المجمع: أن ذلك يكون حراماً سواء أكان الموضوع في رحم تلك المرأة الأجنبية منيا أو بويضة أو جنيناً.

وقد قرر مجلس المجمع أن وضع ماء الزوج في رحم زوجته بعد وفاته حرام شرعاً لأنها لم تصبح امرأة المتوفى، وهذا الفعل محرم شرعاً لأنه وضع حيوانات منوية من رجل في امرأة صارت أجنبية عنه وقد قطع الموت ما بينهما.

● قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرافقه الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر الشريف ورئيس الإدارة المركزية بمكتب شيخ الأزهر للإعلام والعلاقات والأمين العام المساعد للدعوة والإعلام الديني بالأزهر الشريف بزيارة لمحافظة أسيوط ومحافظة سوهاج.

وقد حضر فضيلته اللقاء الشعبي الكبير بمبنى محافظة أسيوط بحضور السيد المحافظ والقيادات التنفيذية والشعبية وأساتذة الجامعات وطلاب الأزهر وغيرهم وقد ألقى فضيلته محاضرة تحت عنوان «مصر وقضية القدس» وقال: إن القدس عربية ولن تسمح بأي اعتداء على المسجد الأقصى، وإننا نقف إلى جانب الحق وإلى جانب المظلوم حتى ينتصر ونقف في وجه الظالم حتى يندحر، فمصر والحمد لله وقفت في وجه المعتدين على مر التاريخ فهزمت التتار وردتهم على أعقابهم خاسرين وانتصرت في معركة عين جالوت، ومصر خاضت أربعة حروب ٤٨، ٥٦، ٦٧، ٧٣ خاضتها مصر من أجل فلسطين وإخواننا في فلسطين ومن أجل القدس الشريف لأن فلسطين قطعة من مصر ومصر قطعة من فلسطين، ويجب أن نكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً لقد ضحت مصر بفلذات أكبادها وزهرة شبابها إلى جانب ما تكبدت من أموالها واقتصادها.

مصر تقف رئيساً وحكومة وشعباً تقف إلى جانب إخواننا في فلسطين تساعدهم وتعاونهم وتقويهم وتشد من أزرهم وكلنا يعرف ما يبذله السيد الرئيس مع أخيه السيد ياسر عرفات ويقدم للفلسطينيين كل دعم وعون حتى يحصلوا على حقوقهم كاملة غير منقوصة ولتكون لهم دولتهم تحت الشمس.

# الفهـــرس




● الدين مركز الخلق الحضاري (الافتتاحية)

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي ——— ١٧٨

● تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر ——— ١٨٣

● وحي الألفاظ في أسلوب القرآن

للأستاذ الدكتور / عبد الحليم حفني ——— ١٩٢

● العناية بكتابة السنة في عصر الرسول ﷺ وصحابته

للأستاذ الدكتور / أحمد معبد عبد الكريم ——— ١٩٨

● الدعوة كما ينبغي أن نبلغها (٤)

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي ——— ٢٠٥

● دعوة الإسلام إلى الوحدة

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ——— ٢١١

● إسلامية المعرفة.. ماذا تعني؟

للأستاذ الدكتور / محمد عمارة ——— ٢١٧

● أسس وفن إدارة الأزمات

للدكتور / محمود محمد عمارة ——— ٢٢٤

● محاولة لفهم العولمة

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي ——— ٢٢٧

● نقد موضوعي للأفكار الهامة في كتاب اليمين واليسار في الفكر الديني

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي ——— ٢٣٤

● شئون المرأة والوثب الأشل على الإسلام

للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني ——— ٢٤٠

● المثنى بن حارثة الشيباني

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقي الدين ——— ٢٤٧

● حول الشعر العذري

للأستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب ——— ٢٥٥

● عبد العزيز البشري في المرآة

للأستاذ / محمد مصطفى البسيوني ——— ٢٥٨

● رثاء الأديب الكبير الشيخ عبد العزيز البشري (قصيدة)

للأستاذ / خليل مطران ——— ٢٦٣

● فقيد الأزهر: الدكتور محمد أحمد سحلول

للأستاذ الدكتور / أبو حسام ——— ٢٦٦

● القلادة المباركة

للأستاذ / محمد فريد أبو حديد ——— ٢٦٩

● دعوة إلى نحو عصري بين الوهم والتخريب

للأستاذ الدكتور / مبروك عطية أبو زيد ——— ٢٧٨

● الغرام السوقي (قصيدة)

للأستاذ / محمد الأسمر ——— ٢٨٢

● يهود الشرق في الأدب العبري

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق ——— ٢٨٤

● دور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية

عرض الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين ——— ٢٩٢

● الحقائق العشر لحتمية تحول النبوة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل

للدكتور / محمد عبد العليم ——— ٣٠٠

● مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي (٢)

للمستشار الدكتور / محمد شوقي الفنجري ——— ٣٠٩

● التراث العلمي الإسلامي

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا ——— ٣١٧

● جنون البقر.. والخروج عن الفطرة

للأستاذ الدكتور / عبد الراضي حسن المراغي ——— ٣٢٢

● هل تغرق السفينة.. لطفك اللهم

للأستاذ / مجدي عبد الحميد بشير ——— ٣٢٦

● طرائف.. ومواقف

لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ——— ٣٣١

● إلى الجيل الجديد

أسرة التحرير ——— ٣٣٣

● منبر الجمعة: من أسرار المعاصي

لفضيلة الشيخ / علي حامد عبد الرحيم ——— ٣٣٥

● رسالة و.. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان ——— ٣٣٩

● استفتاءات القراء

إعداد الشيخ / عبد الفتاح حسين الزيات ——— ٣٤٤

● بين المجلة والقارىء

إعداد وتقديم الأستاذ / عادل رفاعي خفاجة ——— ٣٥٠

● بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني ——— ٣٥٧

● أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد الشيخ / عمر البسطويسي علي ——— ٣٦٢




# الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

• • •

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة





## داخل العدد


- مع سورة الفتح فى ذكرى مولد رسول الله ﷺ
  لفضيلة الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر
- فى ذكرى ميلاد سيد البشر
  لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان
- ذكريات وتأملات فى يوم مولد الرسول ﷺ
  لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى
- محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
  للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعنى
- ما يقال عن الإسلام
  للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى


## الاشتراك السنوى

| | |
|---|---|
| ● داخل مصر | ١٨ جنيها مصريا |
| ● الدول العربية | ٥٠ دولارا أمريكيا |
| ● أوربا وأمريكا | ٨٥ دولارا أمريكيا |
| ● اليابان وشرق آسيا | ١٢٠ دولارا أمريكيا |

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٦٢٠٠٠٨٥


ربيع الأول ١٤٢٢هـ - يونيه ٢٠٠١م - الجزء الثالث - السنة الرابعة والسبعون

افتتاحية العدد

# في ذكرى المولد النبوي

## (تحليل أدبي لبعض مواقف النبي الكريم)

حظيت السيرة النبوية بأوفى نصيب من التسجيل التاريخي والتحليل الأدبي في القديم والحديث، لأن مواقف رسول الله -ﷺ- كانت من الروعة البالغة بحيث جذبت إليها أقلام المفكرين عن طواعية دافعة، إذ شاقهم أن يغوصوا على اللآلىء المكنونة في سيرة هذا النبي العظيم، ولم يكن تعدد الكاتبين، وتنوع الدارسين مدعاة سأم للقارىء المستوعب، لأن لكل كاتب جدير بهذا الوصف مرآته الذاتية التي تريه من الملامح الخاصة ما يغيب عن سواه، لذلك تجد الموقف التاريخي الواحد لا يفقد جدته عند الكاتب الأصيل، إذ يلهمه من العواطف الذاتية ما يجعل قارئه يشهد الجديد الطريف، إذ يقرأ الحدث القديم.

ولعل هذا العصر كان من أحفل العصور وأشدها اهتماماً بتاريخ الرسول ﷺ، لأن سيرته الطاهرة لم تنحصر في نطاق المتخصصين من أساتذة التاريخ، بل جذبت إليها كبار الأدباء من ذوي التصوير الناطق والتحليل المتعمق، والتعبير الشفاف، ونريد اليوم أن نعرض لموقف مؤثر من مواقف صاحب الرسالة ﷺ لنرى كيف ظهر في مرايا الكاتبين من أدباء هذا العصر، ويضيق المجال عن تتبع هؤلاء، فيحتم علينا أن نقصر الحديث عن الرواد منهم، وفي طليعتهم: عباس محمود العقاد، وطه حسين، ومحمد حسين هيكل، وأحمد حسن الزيات!

أما الموقف الذي نعنيه فموقف الصابر المحتسب محمد بن عبد الله حين فقد ابنه الوحيد إبراهيم، وهو موقف شديد اللوعة جذب قطرات الدمع من عين الرسول القدوة، فبكى لبكائه من شهده من صحابته، وسُجّل الحدث الرائع في كتب السيرة على توالي الأجيال فجعل العيون القارئة تشارك العيون السالفة بكاءها الدامع، إذ يبلغ الموقف المؤثر من الروعة الآسية أقصى ما يبلغ موقف لهيف.

ونبدأ بالعقاد - عن عمد مقصود - إذ أنه العلم الفاحص الذي يتغلغل في أعماق الموقف التاريخي مسلطاً مجهره الدقيق على الحواقي الكامنة من ذراته الضئيلة، حتى يأتلق للعين، ساطع الملامح، مؤتلق السمات.

## عباس محمود العقاد

يقول الأستاذ توفيق الحكيم عن كتاب عبقرية محمد: «لقد أدركت من الفصل الأول أن لدى العقاد ما يقول، وأن الكلام الذي عنده يرغمنا على أن نصغي إليه، وأن كل ما عرف من قبل عن النبي محمد لن يغنينا عما عند العقاد، لأن العقاد قد درس وفكر، واستنتج لنفسه، ثم صنع للنبي -ﷺ- صورة قلمية لايمكن أن يرى نظيرها على هذا التمام في صفحات مثل صفحات عبقرية محمد»

وهذا حق، لأن العقاد قد استبطن السيرة النبوية فشاهد في مطاويها الغائبة ما جلاه لأول مرة، وكأنه يكتب عن حدث جديد! لقد كان إبراهيم قرة عين والده، وقد سعد بمشرقه، ورأى ملامحه في وجهه فازداد به تعلقاً، وقضى ستة عشر شهراً لايرى عليه أثراً لمرض ثم دهمته العلة، ولم يطل به المرض، فسرعان ما شاهده أبوه في حجر أمه يحتضر! وقد احتضر من قبل ولداه القاسم والطاهر صغيرين وماتت جميع بناته غير فاطمة، ورأى الرسول ماترل بوحيده من الخطب فذرفت عيناه باكياً! وأحس أن أصحابه يتعجبون لبكائه، فقال: تدمع العين ويحزن القلب، ولانقول غير ما يرضي الله! وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون.

هذا لباب الموقف ملخصاً من كتب التاريخ! فماذا قال عنه العقاد؟

إن الكاتب الكبير قد تغلغل إلى أدق الخلجات الهامسة، حين نظر بعين الصقر إلى الحدث النفسي في أبعاده المترامية فجلاه أحسن جلاء إذ قال:

«مات الطفل ولم يبلغ السنتين، مصاب صغير إن كانت المصائب تقاس بسنوات المفقودين، ولكن المصائب في الأعزاء إنما تقاس بمبلغ عطفنا عليهم، والصغير أحوج إلى العطف من الكبير المستقل بشأنه، وإنما تقاس بمبلغ تعويلهم علينا، وتعويل الصغير على وليه أكبر من تعويل الكبير، وإنما تقاس بمبلغ الأمل فيهم، والأمل يطول في بداءة الطريق، وقد يقصر في منتصف الطريق.

إنما تقاس آلام المفقودين بأعمار الفاقدين، وأي مصاب أفدح من مصاب الستين وما بعدها في الأمل الوحيد، الواصل بينها وبين الزمان ماضيه وآتيه.



ما تخيلت محمداً أدنى إلى القلوب الإنسانية في موقف من مواقفه على قبر الوليد الصغير، ذارف العين مكظوم الوجد ضارعاً إلى الله.

نفس قد نفثت الرجاء في نفوس الألوف بعد الألوف، وهي في هذا الموقف قد انقطع لها رجاء عزيز، رجاء ـ واأسفاه ـ لايحييه كل ما ينفثه المصلح من رجاء.

وكأني بمحمد يوم ذاك، كان أقرب إلى نفوس الخالفين من بعده مما كان مع الجالسين حوله، ومع أقرب الناس إليه، كان أقرب الناس إليه زوجاته أمهات المؤمنين، وكن يحببنه غاية ما يحب النساء الأزواج، ولكن حبهن إياه لم يكن في هذا الموقف من المقربات العاطفات، لأنه حب أثار غيرتهن من أم الوليد المأمول، فاحتجب من عطفهن بمقدار تلك الغيرة، وبمقدار ذلك الحب، ولالوم عليهن فيما طبع عليه الإنسان، وفيما لا يقصدونه ولايقدرن عليه وكان أقرب الناس إليه أصحابه الخاشعون بين يديه، وكان إكبارهم لسيد الأنبياء ينسيهم أنه أب من الآباء، بل إنه أب أرحم من سائر الآباء.

ظنوا أن النبي لا يحزن، كما ظن قوم أن الشجاع لايخاف، ولايحب الحياة، وأن الكريم لايعرف قيمة المال، لكن القلب الذي لايعرف قيمة المال لافضل له في الكرم، والقلب الذي لايخاف لافضل له في الشجاعة، والقلب الذي لايحزن لافضل له في الصبر، إنما الفضل في الحزن والغلبة عليه، وفي الخوف والسمو عليه، وفي معرفة المال والإيثار عليه»

هذا بعض ما قال العقاد في موقف الرسول من رحيل إبراهيم! وهو على إيجازه يغني عن إسهاب مطيل.

## الدكتور طه حسين

إذا كان العقاد قد قال عن رحيل إبراهيم مالا يخطر في بال أحد، فإن الدكتور طه حسين على النقيض، إذ قال في هذا الموقف ما يمكن أن يخطر في نفوس الكثيرين، ولكنه ساقه مساقاً بارعاً، إذ التزم الأسلوب القصصي فيما كتبه في مؤلفه الشهير ( على هامش السيرة ). والدكتور قاص بارع حقاً يسرد الأحداث ويصور الشخصيات في تسلسل وانسجام، وله خياله المصور، يرسم به مايريد أن يعبر عنه من العواطف والانفعالات، وهو كما قال الأستاذ أحمد الشايب قد انتقل بخياله إلى أناس في صدر الإسلام، يحس بإحساسهم، ويأكل مما يأكلون، ويشرب مما يشربون! وبذلك استطاع أن يقص الأحداث بجوهرها فنقل إلينا الماضي أو نقلنا إليه بحيلة لطيفة، فإذا أردنا أن نعرف كيف صور رحيل إبراهيم فإننا نجده قد اصطنع الخيال ليربط حادثاً بحادث! فقد تخيل من يسمى بحنظلة الخزاعي، فرسمه شيخاً مهيباً له مكانة أثيرة لدى الناس في الفسطاط،






وقد قدم إلى قرية من قرى الريف فوجد كبيرها مرزوءاً في ولده، يعزى عنه فلا يتعزى، فأسرع إلى مواساته إذ قص عليه مصاب الرسول في ولده إبراهيم! هما إذن مشهدان، لامشهد، مشهد متخيل جعل إطاراً لمشهد حقيقي، وبهما اكتمل الفن القصصي لدى الراوي المبين.

**يقول الدكتور عن المشهد الأول متحدثا بلسان حنظلة الخزاعي:**

«لقد ذهبت إلى القرية أتعهد بعض أعمالي، فما أبلغها وما استقر فيها حتى أعرف أن عظيما من عظماء النصارى قد رزئ في صبي له، فأرى من الخير والبر أن أسعى إليه معزيا فأفعل، ويلقاني الرجل حفياً بي، وقد ملك الجزع كل أمره، وأخرجه عن طوره، وكنت أعرفه جلداً صبوراً وقوراً، ولكن هذا الصبي كان وحيده، وكان قرة عين له حين تولى الشباب وأدركته الشيخوخة، فلما نزل به الخطب لم يثبت له، ولم يستطع عليه صبراً، وقد عجز من يحيطون به من القسيسين والرهبان عن تسليته، ويأخذني الرفق به والإشفاق عليه، فأتحدث إليه في لغته القبطية، مواسياً مسلياً، وأقول له فيما أقول، لو عرفت أن أحاديث نبينا تعزيك أو تسليك لقصصت عليك طرفاً منها، فقد رزئ نبينا في صبي وحيد له، كما رزئت في صبيك هذا الوحيد،فتلقى الرزء كريماً يملأ قلوبنا نحن المسلمين إكباراً له، وإعجاباً به، ورحمة للصبية من أبنائنا، في احتفاظ بالرجولة، وثبات على المروءة، واصطناع للوقار، واعتراف بحق الله، فيما يمن به علينا من المال والولد، يأخذ كما أعطاه، دون أن يكون لنا أن تضيق بذلك أو نثور عليه، وإنما هي نعمة أهديت إلينا ثم أخذت منا، وقد ابتلينا بإهدائها إلينا كما ابتلينا بأخذها منا»

قال الرجل: فحدثني بحديثك، فإن ما تقوله يبعث في نفسي شيئاً من راحة وأمن ودعة!

هنا إنتهى المشهد الأول الذي جعله الدكتور إطاراً بارعا للمشهد الثاني، مشهد رسول الله حين وقع الخطب، فحزن الفؤاد ودمعت العين، ولم يقل نبي الله غير ما يرضي الله!

قال الدكتور على لسان حنظلة: إن نبينا قد رزق في آخر أيامه صبياً ابتهج لمولده ابتهاجاً عظيماً، وسر به سروراً لا يقدر، ولكن نبينا كان يحسن لقاء النعمة كما كان يحسن لقاء المحنة، كان لا يخرجه الابتهاج عن طوره، وكان البطر والأشر أبعد الأشياء عنه، وكان إذا رضي لم يستأثر بلذة الرضا، وإنما يشرك فيها الناس، فلم يكد يرزق هذا الصبي حتى أعلن ذلك للناس مغتبطاً، ثم تصدق على الفقراء ووسع على من ضيقت عليهم الحياة، وكان رفيقاً بابنه هذا يسعى إليه عند مرضعه إذا قال الناس، فيأخذه ويقبله، ويقول له: ما شاء الله أن يقول من الألفاظ الحلوة التي تصور أجمل تصوير حنان الآباء ورحمتهم لأبنائهم، وقد كانت نعمة الله على نبينا لا تحصى، وكان فيها امتحان الله له في أحب الأشياء لديه، وآثر الناس عنده، فما يبلغ ابنه ستة عشر شهراً أو ثمانية عشر شهراً حتى



تسعى إليه العلة، ويمضى النبى مع صفى من أصفيائه يقال له: عبد الرحمن بن عوف ليعوده، فيبلغه وهو يجود بنفسه، وينظر الأب إلى صبيه الوحيد الذى جاءه حين تولى عنه الشباب، وحين أقبلت عليه الشيخوخة، وحين استيأس من الولد، ينظر الأب إلى ابنه هذا أسفا محزونا، ولكنه ينظر إليه مع ذلك راضياً مطمئناً، مذعنا لقضاء الله، وهذه عينه تدمع، وهذا صفيه ينكر منه ذلك، ويقول له: أتبكى وقد نهيت الناس عن البكاء؟ فيجيبه: إنما هذا رحم، وإن من لايرحم لايرحم، إنما ننهى الناس عن النياحة، وأن يندب الرجل بما ليس فيه ثم قال: لولا أنه وعد جامع، وسبيل مئتاه، وأن آخرنا لاحق بأولنا لوجدنا عليه وجداً غير هذا، وإنا عليه لمحزونون، تدمع العين ويحزن القلب، ولانقول ما يسخط الرب».

هذا لباب ما ذكر الدكتور طه حسين فى رحيل إبراهيم! وفى مجال الموازنة بينه وبين ما تقدم من كلام الأستاذ العقاد، نرى أن حديث العقاد يخاطب العقل أولاً والوجدان ثانيا، وحديث الدكتور طه يخاطب الوجدان أولا والعقل ثانيا! وكل قارىء فى حاجة إلى إقناع العقل وإمتاع الوجدان، ولست ترى منطقيا متحجراً، ولاعاطفيا ذائباً، إذ لابد من قدر مشترك بينهما فى الكيان الإنسانى، والذين يعكفون على طعام واحد يرون الدنيا بعين واحدة! وكما يحتاج الإنسان إلى أستاذ حاسم يوجه ويسدد، فهو فى حاجة إلى صديق مخلص يمتع ويؤنس!

## أحمد حسن الزيات

أصيب الأستاذ أحمد حسن الزيات فى ولده الصغير (رجاء) فبكاه بمقال حار سال دموعا وتقاطر دما على صفحات مجلة (الرسالة) ثم شاء أن يخفف عن برحائه مرة ثانية فاهتدى إلى حديث إبراهيم بن محمد ﷺ حيث وجد فى مصاب الرسول أسوة شافية لجراحه، فكتب بالعدد الممتاز من مجلة (الرسالة) مقالاً حارا تحت عنوان (محمد الوالد) يحس قارئه أن مأساة الزيات فى ولده قد رفرفت فى خياله حين تحدث عن إبراهيم -عليه السلام-، وقد ختم مقاله بقوله مناجيا رسول الله:

«تعزيت يا رسول الله، لأن الألم سبيل من سبيل دعوتك، والعزاء أصل من أصول دينك، والأرض وما عليها أهون من دمعك والسماء وما فيها ثواب لصبرك، ولكن ماذا يصنع البائس المحزون إذا فقد الرجاء وليس له فى يومه صبر، ولا فى غده عزاء».

والبائس المحزون فى هذا المجال هو الأستاذ الزيات، وأشهد أن حزنه البالغ كان من أسباب توفيقه فيما كتب عن محمد الوالد، إذ كان مقاله تحفة رائعة من البيان المصور، أقول هذا!

وأنا أعرف أن أعداء البلاغة العربية يضيقون بالبيان المنمق الأنيق، ويعدونه مصدر افتعال وتكلف، وهم بعد أناى عنه طريقا وأجفاهم عن تفهمه واستشفافه، ولو كتبوا جملة واحدة منه لطاروا بها فرحا، ولكنه العى والقصور ثم التهجم والغرور.

وإذا كان العقاد محللا، وطه قاصا، فالزيات رسام مصور حين وصف المسرح الهادئ لبيت النبوة، فقال: «بين ظلال النخل والكرم، وفي بيت محمد ﷺ المصرىّ على العالية من ضواحي المدينة، أتم الله نعمته على رسوله، فوهب له على الكبر إبراهيم، يومئذ تنفس الصبح بأنفاس الفردوس، وضاحكت الشمس خمائل يثرب من خلال الأجنحة المنيرة، ومست يد الربيع المخصبة دوحة النبوة، وغرقت نفوس المؤمنين في مثل صفاء الخلد، وأقبل المهاجرون والأنصار على المسجد المستبشر، يهنئون النبي بالخليفة الوليد، والأمل الجديد، والعوض المبارك، ونهض الرسول الوالد إلى بيت مارية القبطية، ليرى نعمة ربه، وبضعة كبده فوجد في طلعة إبراهيم الأنس الذى يعوزه، والرضا الذى يرجوه والخلف الذى يتمثله، ففاضت غبطته لله حمدا، وعلى المؤمنين بركة وفى الفقراء صدقة، رفع أمه إلى مقام أزواجه، ونفح مرضعته بسبع من المعزى سمان يحلبن عليها وعليه، ثم عق له بكبشين أملحين، وتصدق بزنه شعره فضة، وتعود كل صباح أن يزور أم ولده، فيحمله عنها ليضمه ويشمه، ويتذوق طعم السعادة الأرضية من أريجه، ويطالع نفسه العائدة فى نفسه، ثم يدخل به على الأمهات اللائى ولدن جميع المسلمين ولم يلدن، فيباهى بحسنه ويغتبط بنموه» وهذا التصوير الجيد تعقبه الحكمة الرائعة، حكمة ابتلاء الله لأنبيائه ورسله، وهم موضع أمانته، ومبلغو رسالته، وقد أحسن الزيات رسمها فى دقة بليغة حين قال ممهدا لحادث الفقد المحزن وأثره فى نفس الرسول:

«ولكن أنبياء الله موضع بلائه وسر حكمته، ودعوتهم الحق، والحق ثقيل، وعدتهم الصبر، والصبر كليل، وبرهانهم الألم والألم قاتل، غرباء في الأرض لأنهم من السماء، وأغراض لسهام القدر لأنهم ضحايا، وأمثلة لبؤس العيش لأنهم عبر، هذا إبراهيم حبة قلب أبيه، وسواد عين أمه، مسبوتا على فراش المرض تحت النخيل، تذوى نضارته على وهج الحمى، وتذوب حشاشته على عرك الموت، وأمه وخالته قائمتان على سريره، تشهدان منظرا أى منظر، وهذا أبو إبراهيم يضعضعه النبأ،لهيف الفؤاد إلى الصغير المحتضر، لو كان لمتاع العيش غناء لتقلب فيه المؤمن،ولو كان لقانون الموت استثناء لأفلت منه المصلح، ولو كان فى قلب الثاكل المحزون شبهة لجلتها محنة الله ورسوله، أخذ إبراهيم من حجر أمه فوضعه فى حجره، ثم نظر من خلال الدمع إلى قسماته المشرقة تغشاها ظلال الموت، وقال بصوت متهدج، وفؤاد متأجج، واستسلام مطمئن: «إنا يا إبراهيم لا نغنى عنك من الله شيئا»!

بالله، إن النبي الذي ولد في مهد اليتم، ودرج في حجر العدم، وتقسمت عمره عوادي الخطوب، فكابد أذى قريش، وحقد المنافقين وكيد اليهود، وعالج مكاره الدعوة من القلة والذلة والهزيمة والفتنة قد احتمل كل ذلك بصبر المجاهد، ويقين المؤمن، وعزم الرسول، ويصيبه الله في إبراهيم، فيرفض عنه الصبر، ويتملكه الجزع، ويقف من الثكل الأليم موقف كل والد، يرى جزءه الجديد يبلى، ورجاءه الناشئ يخيب، ثم يقول: «إن العين لتدمع، وإن القلب ليجزع، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

هذا أيضا بعض ما قال الزيات، والمقال بتمامه في الجزء الأول من وحي الرسالة، وما هو ببعيد.

## محمد حسين هيكل

من مزايا أسلوب الدكتور هيكل -رحمه الله- التدفق والانسيال في غير كدورة ولاغبش، فهو لا يكتب إلا حين يجيش خاطره بأمواج كثيرة يرسلها إلى القارئ في تحدر واندفاع! وحين كتب ( حياة محمد ) لم يفارقه هذا الأسلوب الفياض المتدفع، ولا يرجع ذلك لقدرته الأسلوبية وحدها، بل يرجع إلى صدق حميته وعميق يقينه! وقد رأينا أناسا يشيحون عن كتابه الرائع لبعض ملاحظات لا يخلو من أمثالها كتاب يؤلفه إنسان! وقد نسوا أن الكاتب الكبير جعل حياة الرسول مجالا لأقلام جذته، وتأثرت به، ولولاه ما فكرت في اتجاهه الرشيد، بل لنسوا أنه بكتابه الرائع عن رسول الله ﷺ قد جذب عشاقا لسيرته الطاهرة كانوا يصدون عنها من قبل، إذ لم تعرض في مثل بيانه المؤثر ومنطقه المبين.

**يقول هيكل عن إبراهيم وموقعه في نفس أبيه:**

«لم يكن تعلق محمد بإبراهيم لغاية في نفسه لها اتصال برسالته أو بمن يخلفه، فقد كان ﷺ في إيمانه بالله وبرسالته لا يفكر في ولده ولا فيمن يرثه، بل كان يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»، إنما هي العاطفة الإنسانية في أسمى معانيها، العاطفة الإنسانية التي بلغت من السمو في نفس محمد مالم تبلغه في نفس أحد غيره، العاطفة الإنسانية التي جعلت العربي يرى فيمن يخلفه من الذكر أنه صورة من صور الخلود، هذه العاطفة هي التي جعلت محمدا يخلع على إبراهيم كل هذا الحب، ويرمقه من العطف بما لا عطف بعده، وقد زاد هذه العاطفة رقة وقوة في نفسه أنه فقد ولديه ( القاسم والطاهر ) وهما ما يزالان طفلين في حجر أمهما خديجة، وأنه قد فقد بناته بعد خديجة واحدة بعد الأخرى بعد أن كبرن

وصرن أزواجا وأمهات. فلم تبق له منهن غير فاطمة، هؤلاء الأبناء والبنات الذين تساقطوا من حوله فدفنهم بيده تحت صفائح الثرى، تركوا في نفسه قرحة ألم، اندملت بمولد إبراهيم، وأثمرت مكانها رجاء وأملا، وكان حلاله أن يمتلئ بهذا الأمل غبطة واستبشارا».

وبعد أن يفيض في وصف الاحتضار ومشهد الوداع ومسيرة الدفن يقول الدكتور هيكل:

«ووافق موت إبراهيم كسوف الشمس، فرأى المسلمون في ذلك معجزة، وقالوا: إنها انكسفت لموته، وسمعهم النبي، أترى فرط حبه لإبراهيم وجزعه لموته قد جعله يتعزى بسماع مثل هذه الكلمة أو يسكت على الأقل عنها، أو يعذر الناس إذ يراهم مأخوذين بما يحسبونه المعجزة،، كلا! فمثل هذا الموقف إن لاق بالذين يستغلون في الناس جهالتهم، أو لاق بالذين يخرجهم الحزن عن رشادهم، فهو لا يليق بالنزيه الحكيم، فما بالك بالرسول العظيم، لذلك نظر محمد إلى الذين يذكرون أن الشمس انكسفت لموت إبراهيم فخطبهم قائلا: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا حياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله بالصلاة». فأية عظمة أكبر من ألا ينسى الرسول رسالته في أشد المواقف التي تملأ النفس بالفجيعة والهول!» رحم الله الدكتور هيكل، فقد ترك بكتابه مجدا لا يبيد.

## شعراء العصر

ذكرنا اقباسا من بيان الكبار من الكتاب في موت إبراهيم، ولم أجد شاعرا معاصرا جعل من هذا الموقف المؤثر مستردا لخاطره، لأن أكثر شعرائنا يقفون عند الأحداث الرنانة كالهجرة والمولد وبدر، ولا أنكر أن الشاعر الكبير أحمد محرم قد نظم سيرة الرسول في ديوان رائع، ولكن أين من شفع جهد الشاعر الكبير -رحمه الله- بجهود تزيد عليه زيادة فنية تستجيب لعامل التطور الزمني، وتقدم مواقف السيرة في أفقها الأرفع بعيدا عن الرصف الحجري، والاندفاع الخطابي... أين تجد من فعل ذلك، وفي كل بلد إسلامي أسماء ترن، وأبيات تصلصل دون غناء كبير.

دكتور/ محمد رجب البيومي

(بمناسبة مولده ﷺ اختارت المجلة هذه الآيات الكريمة من تفسير فضيلة الإمام الأكبر لتقدمها للقراء احتفاء بمولده الشريف ﷺ).

# مع سورة الفتح
## فى ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله - تعالى -:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ②
وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ③ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ④ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ⑤ وَيُعَذِّبَ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ
بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ⑥ وَلِلَّهِ جُنُودُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ⑦﴾

افتتحت سورة «الفتح» بهذه البشارات السامية، والمدائح العالية للنبى - ﷺ - افتتحت بقوله - تعالى - :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ .

والفتح فى الأصل: إزالة الأغلاق عن الشىء، ، وفتح البلد: المقصود به الظفر به، ووقوعه تحت سيطرة الفاتح.

والذى عليه المحققون من العلماء أن المراد بالفتح هنا: صلح الحديبية وما ترتب عليه من خيرات كثيرة، ومنافع جمة للمسلمين.

ويشهد لذلك أحاديث متعددة منها: ما أخرجه البخارى وأبو داود والنسائى عن ابن مسعود قال: أقبلنا من الحديبية مع رسول الله - ﷺ - وكان قد خرج إليها - ﷺ - يوم الاثنين هلال ذى القعدة، فأقام بها بضعة عشر يوما، ثم قفل راجعا إلى المدينة، فبينما نحن نسير إلى المدينة إذ أتاه الوحى - وكان إذا أتاه اشتد عليه - فسرى عنه وبه من السرور ما شاء الله، فأخبرنا أنه أنزل عليه:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ .

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن مجمع بن جارية الأوسى قال: شهدنا الحديبية، فلما انصرفنا منها وجدنا رسول الله - ﷺ - واقفا عند كراع الغميم - موضع بين مكة والمدينة - وقد جمع الناس وقرأ عليهم:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ . الآيات.

فقال رجل: يا رسول الله، أو فتح هو؟ فقال - ﷺ - : «أى والذى نفسى بيده إنه لفتح»[1].

ويرى بعضهم: أن المراد بالفتح هنا: فتح مكة، والتعبير عنه بالماضى فى قوله:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾

لتحقق الوقوع، فهو من قبيل قوله - تعالى - :

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾[2] ويبدو لنا أن المراد بالفتح هنا صلح الحديبية لوجود الآثار الصحيحة التى تشهد لذلك، ولأن هذا الصلح قد ترتب عليه من المنافع للدعوة الإسلامية ما يجعله من أعظم الفتوح، إن لم يكن أعظمها.

لقد ترتب عليه أن انتشر الأمان بين المسلمين والمشركين، فاستطاع المسلمون أن ينشروا دعوة الحق فى مكة وفى غيرها، كما استطاعوا أن ينتقلوا من مكان إلى آخر للتبشير بدينهم، فترتب على ذلك أن دخل فى الإسلام عدد كبير من الناس.

قال الزهرى: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين، فسمعوا كلامهم، وتمكن الإسلام من قلوبهم، وأسلم خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام.

قال ابن هشام: والدليل على صحة قول الزهرى، أن رسول الله - ﷺ - خرج إلى الحديبية فى ألف وأربعمائة من أصحابه ثم خرج إلى مكة فى عام الفتح - بعد ذلك بسنتين - فى عشرة آلاف من أصحابه.

---

(١) راجع تفسير ابن كثير (٧/٢٠٧)، وتفسير الآلوسى (٢٦/٨٣).

(٢) النحل/ ١.

وقد أكد - سبحانه وتعالى - هذا الفتح بثلاثة أنواع من المؤكدات، وهى «إنّ» والمصدر «فتحا» والوصف «مبينا» وذلك للمسارعة إلى تبشير المؤمنين بتحقيق هذا الفتح، ولإدخال السرور على قلوبهم، بعد تلك الشروط التى اشتمل عليها الصلح، والتى ظنها بعضهم أن فيها إجحافا بالمسلمين.

وأسند - سبحانه - الفعل إلى نون العظمة ﴿ فَتَحْنَا ﴾ لتفخيم شأن المخبر - عز وجل - وعلو شأن المخبر عنه وهو الفتح.

وقدم - سبحانه - الجار والمجرور ﴿ لَكَ ﴾ على المفعول المطلق ﴿ فَتْحًا ﴾ للاهتمام وللإشعار بأن ذلك الفتح كان من أجله - ﷺ - وفي ذلك ما فيه من تعظيم أمره - ﷺ - ومن وجوب طاعته، والامتثال لأمره.

ثم ذكر - سبحانه - بعد ذلك مظاهر فضله على رسول الله - ﷺ - فقال:

﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾

واللام فى قوله: ﴿ لِيَغْفِرَ ﴾ متعلقة بقوله: ﴿ فَتَحْنَا ﴾ وهى للتعليل. والمراد بما تقدم من ذنبه - ﷺ - ما كان قبل النبوة، وبما تأخر منه ما كان بعدها.

والمراد بالذنب هنا بالنسبة له - ﷺ - ما كان خلاف الأولى، فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، أو المراد بالغفران: الحيلولة بينه وبين الذنوب كلها، فلا يصدر منه - ﷺ - ذنب، لأن غفران الذنوب معناه: سترها وتغطيتها وإزالتها.

قال الشوكاني: وقوله - تعالى - :

﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾

اللام: متعلقة بفتحنا وهى لام العلة، قال المبرد: هى لام كى ومعناها: إنا فتحنا لك فتحا مبينا - أى: ظاهرا واضحا مكشوفا - لكى يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة فى الفتح، فلما انضم إلى المغفرة شىء حادث واقع حسن معنى كى.

وقال ابن عطية: المراد أن الله فتح لك لكى يجعل الفتح علامة لغفرانه لك، فكأنها لام الصيرورة.[٢]

وقال بعض العلماء: وقوله:

﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾

هو كناية عن عدم المؤاخذة. أو المراد بالذنب ما فرط منه - ﷺ - من خلاف الأولى بالنسبة لمقامه ﷺ أو المراد بالغفران: الحيلولة بينه وبين الذنوب كلها، فلا يصدر منه ذنب. لأن الغفر هو الستر، والستر إما بين العبد والذنب، وهو اللائق

(٢) تفسير فتح القدير (٥/٤٤) للشوكانى.

بمقام النبوة، أو بين الذنب وعقوبته، وهو اللائق بغيره.

واللام في ﴿ لِّيَغْفِرَ ﴾ للعلة الغائية. أي: أن مجموع المتعاطفات الأربعة غاية للفتح المبين، وسبب عنه لا كل واحد منها.

والمعنى: يسرنا لك هذا الفتح لإتمام النعمة عليك، وهدايتك إلى الصراط المستقيم ولنصرك نصرا عزيزا.

ولما امتن الله عليه بهذه النعم، صدرها بما هو أعظم، وهو المغفرة الشاملة ليجمع له بين عزى الدنيا والآخرة. فليست المغفرة مسببة عن الفتح(4).

ولقد كان - ﷺ - مع هذه المغفرة من الله - تعالى - له، أعبد الناس لربه، وأشدهم خوفا منه، وأكثرهم صلة به.

قال ابن كثير: قال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرحمن، حدثنا سفيان عن زياد بن علاقة قال: سمعت المغيرة بن شعبة يقول: كان - النبي ﷺ - يصلي حتى ترمَ قدماه أي: تتورم - فقيل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أفلا أكون عبدا شكورا»..

وعن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: كان رسول الله - ﷺ - إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه - أي: تتشقق - فقالت له عائشة: يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟.

فقال: «يا عائشة، أفلا أكون عبدا شكورا»(5)

وقوله - تعالى - :

﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾ معطوف على ما قبله. أي: ويتم - سبحانه - نعمه عليك - أيها الرسول الكريم - بأن يظهر دعوتك، ويكتب لها النصر، والخلود، ويعطيك من الخصائص والمناقب ما لم يعطه لأحد من الأنبياء، فضلا عن غيرهم.

﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾

أي: ويهديك ويرشدك - سبحانه - بفضله وكرمه، إلى الطريق القويم، والدين الحق، والأقوال الطيبة، والأعمال الصالحة.

﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ ﴾ - تعالى -

﴿ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ أي: نصرا قويا منيعا لا يغلبه غالب، ولا يدفعه دافع، لأنه من خالقك الذي لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.. هذا، والمتأمل في هذه الآيات الكريمة، يرى أن الله - تعالى - قد أكرم نبيه - ﷺ - إكراما لا يدانيه إكرام، ومنحه من الخير والفضل ما لم يمنحه لأحد سواه.

---

(4) تفسير صفوة البيان (٢/٣٢٢) لفضيلة الشيخ حسنين مخلوف.

(5) تفسير ابن كثير (٧/٣٠٩)

ثم بين - سبحانه - بعد ذلك جانبا من مظاهر فضله على المؤمنين فقال:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾

والسكينة: من السكون، والمراد بها الثبات والطمأنينة التي أودعها - سبحانه - في قلوب المؤمنين، فترتب على ذلك أن أطاعوا الله ورسوله، بعد أن ظنوا أن في شروط صلح الحديبية ظلما لهم. وأن بايعوا النبي - ﷺ - على الموت بعد أن بلغهم أن عثمان - رضي الله عنه - قد قتله المشركون، وفي التعبير عن ذلك بالإنزال، إشعار بعلو شأنها، حتى لكأنها كانت مودعة في خزائن رحمة الله - تعالى - ثم أنزلها بفضله في قلوبهم بعد ذلك.

أى: هو - سبحانه - بفضله ورحمته، الذى أنزل السكينة والطمأنينة والثبات في قلوب المؤمنين، فانشرحت صدورهم لهذا الصلح بعد أن ضاقت في أول الأمر.

وقوله:

﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ تعليل لهذا الإنزال للسكينة.

أى: أوجد السكينة وخلقها في قلوبهم، ليزدادوا يقينا على يقينهم، وتصديقا إلى تصديقهم وثباتا على ثباتهم.

وشبيه بهذه الآية قوله - تعالى - :

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾(٥)

وقوله - سبحانه - :

﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(٦)

وقد أخذ العلماء من هذه الآية وأمثالها، أن الإيمان يزيد وينقص.

قال الآلوسى ما ملخصه: قال البخارى: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص.

واحتجوا على ذلك بالعقل والنقل أما العقل فلأنه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان لكان إيمان آحاد الأمة المنهمكين في الفسوق والمعاصى، مساويا لإيمان الأنبياء، واللازم باطل، فكذا الملزوم.

وأما الثانى: فلكثرة النصوص في هذا المعنى ومنها الآية التى معنا وأمثالها ومنها ما روى عن ابن عمر قال: قلنا: يا رسول الله، إن الإيمان يزيد وينقص، قال: «نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخله النار».

وقال الإمام النووى وغيره: إن الإيمان بمعنى التصديق القلبى، يزيد وينقص - أيضا - بكثرة النظر، ووضوح الأدلة، ولهذا كان إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم(٧)

ثم بين - سبحانه - شمول ملكه وقدرته فقال:

---

(٥) الأنفال (٢).

(٦) سورة التوبة الآية (١٢٤).

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

أى ولله - تعالى - وحده جنود السموات والأرض من ملائكة وجن وإنس، إذ الكل تحت قهره وسلطانه، فهو - سبحانه - الذى يدبر أمرهم كيف شاء ويدفع بعضهم ببعض كما تقتضى حكمته وإرادته وهو - تعالى - العليم بكل شيء، الحكيم في جميع أفعاله..

واللام في قوله - سبحانه - :

﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

متعلقة بمحذوف أو بقوله: ﴿ فَتَحْنَا ﴾..

أى : فعل - سبحانه - ما فعل من جعل جنود السموات والأرض تحت سيطرته وملكه، ومن دفع الناس بعضهم ببعض، ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ خلودا أبديا ﴿ وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ التى فعلوها فى دنياهم، بأن يغفرها لهم، ويزيلها عنهم، بل ويحولها لمن شاء منهم بفضله وكرمه إلى حسنات.

﴿ وَكَانَ ذَلِكَ ﴾ الإدخال للمؤمنين الجنة، وتكفير سيئاتهم..

«عند الله» - تعالى - ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ لا يقادر قدره، لأنه نهاية آمال المؤمنين، وأقصى ما يتمناه العقلاء المخلصون.

﴿ وَيُعَذِّبَ ﴾ - سبحانه - بعدله

﴿ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾

أى: الظانين بالله - تعالى - وبرسوله وبالمؤمنين الظن السيىء بأن توهموا أن الدائرة ستدور على المؤمنين وأنهم هم الذين سينتصرون. أو أنهم هم على الحق. وأن الرسول ﷺ وأتباعه على الباطل.

فقوله: ﴿ السَّوْءِ ﴾ صفة لموصوف محذوف. أى: الظانين بالله ظن الأمر السوء.

وقوله - تعالى - :

﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ دعاء عليهم بأن ينزل بهم ما توقعوه للمؤمنين من سوء، أى: عليهم وحدهم ينزل ما يتمنونه للمؤمنين من شر وسوء.

والدائرة فى الأصل: تطلق على الخط المحيط بالشيء. ثم استعملت فى النازلة المحيطة بمن نزلت به وتستعمل أكثر ما تستعمل فى المصائب والمكاره.

قال صاحب الكشاف: قوله:

﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ أى: ما يظنونه

(٧) راجع التفسير الألوسى (٢٦/٢٩)

ويتوقعونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم.

والسوء: الهلاك والدمار.

فإن قلت: هل من فرق بين السَّوء والسُّوء؟ قلت: هما كالكَره والكُره، والضَّعف والضُّعف: من ساء إلا أن المفتوح غالب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء، وأما السوء بالضم، فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير[8].

ثم قال - تعالى -:

﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾

أى: ليس عليهم دائرة السوء فقط بل وفضلا عن ذلك فقد غضب الله - تعالى - عليهم، وطردهم من رحمته، وأعد لهم في الآخرة نار جهنم، وساءت هذه النار مصيرا لهم.

ثم أكد - سبحانه - ملكيته لكل شيء فقال:

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

أى: ولله - تعالى - وحده جنود السموات والأرض، وكان - سبحانه - ومازال غالبا على كل شيء، حكيما في كل أوامره ونواهيه. وفي كل تصرفاته وأفعاله.

ولما كان المقصود من ذكر الجنود هنا: تهديد المنافقين والمشركين، وأنهم في قبضته - تعالى - ناسب أن تذيل الآية هنا بقوله:

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ لأن العزة تقتضي الغلبة للغير.

ولما كان المقصود من ذكر الجنود في الآية الرابعة، بيان أن المدبر لهذا الكون هو الله - تعالى - ناسب أن تذيل الآية هناك بقوله - سبحانه -:

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾.

ثم حدد الله - تعالى - الوظيفة التي كلف بها رسوله - ﷺ - وبشر المؤمنين الذين وفوا بعهودهم بالأجر العظيم فقال: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

وقوله:

﴿ مُبَشِّرًا ﴾ من التبشير، وهو الإخبار بالأمر السار لمن لا علم له بهذا الأمر. وقوله:

﴿ وَنَذِيرًا ﴾ من الإنذار وهو الإخبار بالأمر المخيف، لكي يجتنب ويحذر.

أى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ ﴾ - أيها الرسول الكريم - إلى الناس، لتكون ﴿ شَاهِدًا ﴾ لمن آمن منهم

---

(٨) تفسير الكشاف (٤/٣٣٤).

بالإيمان، ولمن كفر منهم بالكفر بعد أن بلغتهم رسالة ربك تبليغا تاما كاملا.

وتكون ﴿ مُبَشِّرًا ﴾ للمؤمنين منهم برضا الله عنهم ومغفرته لهم ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ للكافرين وللعصاة بسوء المصير إذا ما استمروا على كفرهم وعصيانهم.

والحكمة في جعله ﷺ شاهدا مع أن الله - تعالى - لا يخفى عليه شيء: إظهار العدل الإلهي للناس في صورة جلية واضحة واضحة، وتكريم النبي ﷺ بهذه الشهادة.

وجمع - سبحانه - بين كونه ﷺ ﴿ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ لأن من الناس من ينفعه الترغيب في الثواب ومنهم من لا يزجره إلا التخويف من العقاب. وانتصاب ﴿ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ على الحال المقدرة.

وفي معنى هذه الآية وردت آيات كثيرة، منها قوله - تعالى -:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[9].

وقوله - سبحانه -:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[10].

وقوله - عز وجل -:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[11].

ثم بين - سبحانه - الحكمة من إرساله ﷺ فقال:

﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾

وقوله: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ من التعزيز بمعنى النصرة مع التعظيم والتفخيم.

وقوله: ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ أي: تعظموه وتقدروه.

وقوله: ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ من التسبيح بمعنى التنزيه. تقول: سبحت الله - تعالى - أي: «نزهته عما لا يليق به». و«بكرة» أول النهار، و ﴿ أَصِيلًا ﴾ آخره والمراد ظاهرهما، أو جميع أوقات النهار، كما يقال: شرقا وغربا لجميع الجهات.

والخطاب للرسول ﷺ ولأمته - كقوله - تعالى -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾[12] والقراءة بتاء الخطاب، هي قراءة الجمهور من القراء.

قال الآلوسي: وهو من باب التغليب، غلب فيه المخاطب على الغائب فيفيد أن النبي ﷺ مخاطب بالإيمان برسالته كأمته.[13]

أي: أرسلناك - أيها الرسول الكريم - شاهدا

(9) سورة البقرة الآية (143).
(10) سورة النحل الآية (89).
(11) سورة الأحزاب الآية (45).
(12) الطلاق: 1.
(13) تفسير الآلوسي (26/95).

ومبشرا ونذيرا، لتكون على رأس المؤمنين بما أرسلناك به، وليتبعك في ذلك أصحابك ومن سيأتي بعدهم، بأن يؤمنوا بالله ورسوله إيمانا حقا، ولينصروك ويعظموك، وليسبحوا الله - تعالى - في الصباح والمساء. وعلى هذا يكون الضمير في قوله - تعالى -:

﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ يعود إلى الرسول ﷺ وفي قوله ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ يعود إلى الله - تعالى -.

قال القرطبي ما ملخصه: قرأ ابن كثير وأبوعمرو ﴿ ليؤمنوا ﴾ وكذلك

﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ كله بالياء على الخبر..

وقرأ الباقون بالتاء في الخطاب.. والهاء في قوله:

﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ للنبي ﷺ وهنا وقف تام، ثم تبتدئ بقوله: ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ أي: تسبحوا الله بكرة وأصيلا.

وقيل: الضمائر كلها لله - تعالى - فعلى هذا يكون تأويل: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ أي: تثبتوا له صحة الربوبية، وتنفوا عنه أن يكون له ولد أو شريك.[14]

ثم مدح - سبحانه - الذين عاهدوا الرسول ﷺ ووفوا بعهودهم أكمل وفاء، فقال:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ وقوله - سبحانه -: ﴿ يُبَايِعُونَ ﴾ من المبايعة أو من البيعة، بمعنى المعاهدة أو العهد، وسميت المعاهدة مبايعة، لاشتمال كل واحدة منهما على معنى المبادلة، وعلى وجوب الصدق والوفاء.

والمراد بهذه المبايعة، ما كان من المؤمنين في صلح الحديبية، عندما عاهدوا الرسول ﷺ على الثبات وعلى مناجزة المشركين بعد أن أشيع أنهم قتلوا عثمان - رضي الله عنه - أي: إن الذين يبايعونك على الموت أو على عدم الفرار عند لقاء المشركين، إنما يبايعون ويعاهدون الله - تعالى - على ذلك قبل أن يبايعوك أنت، لأن المقصود من هذه البيعة إنما هو طاعته - سبحانه - وامتثال أمره، كما قال - تعالى -:

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[15]. فالمقصود بقوله:

﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾

تأكيد وجوب الوفاء بما عاهدوا الرسول ﷺ عليه من الثبات وعدم الفرار، والطاعة له في كل ما يأمرهم به.

وقوله - سبحانه -:

﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ زيادة في تأكيد وجوب الوفاء.

ومذهب السلف في هذه الآية من آيات الصفات: أنه يجب الإيمان بها، وتفويض علم معناها المراد منها إلى الله - تعالى - وترك تأويلها مع تنزيهه - تعالى - عن حقيقتها لاستحالة مشابهته - تعالى - بالحوادث، كما قال - سبحانه -:

---

(14) تفسير القرطبي (16/266)

(15) النساء / 80.

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(١٦).

أما الخلف فمذهبهم تأويل هذه الصفات على معنى يليق بجلاله، فيؤولون اليد هنا بالقوة أو القدرة. أى: قوة الله - تعالى - وقدرته ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم، كما يقال: اليد في هذه المسألة لفلان، أى: الغلبة والنصرة له.

أو المعنى: يد الله - تعالى - بالوفاء بما وعدهم من الخير والنصرة فوق أيديهم.. والمقصود بهذه الجملة - كما أشرنا - زيادة التأكيد على وجوب الوفاء والثبات.

قال صاحب الكشاف: لما قال - سبحانه -: ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ أكده تأكيدا على سبيل التمثيل، فقال: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ يريد أن يد رسول الله ﷺ التي تعلو أيدي المبايعين: هي يد الله، والله - تعالى - منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام..

وإنما المعنى: تقرير أن عقد الميثاق من الرسول ﷺ كعقده مع الله - تعالى -(١٧).

ثم بين - سبحانه - سوء عاقبة الناكثين فقال: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ أى: فمن نقض العهد بعد إبرامه وتوثيقه، فإنما عاقبة نقضه يعود وبالها وشؤمها عليه.

فقوله: ﴿ نَّكَثَ ﴾ مأخوذ من النكث - بكسر النون - وهو فك الخيوط المغزولة بعد غزلها، وقوله:

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

أى: ومن ثبت على الوفاء بما عاهد الله - تعالى - عليه فسيعطيه - سبحانه - من فضله أجرا عظيما على ذلك.

والهاء في قوله: ﴿ عَلَيْهُ ﴾ قرأها حفص بالضم، توصلا إلى تفخيم لفظ الجلالة، الملائم لتفخيم أمر العهد المشعر به الكلام، وقرأها الجمهور بالكسر.

هذا، وقد وردت أحاديث متعددة، تصرح بأن الذين كانوا مع - النبى ﷺ - في صلح الحديبية قد بايعوا جميعا النبى - ﷺ - على الموت أو على عدم الفرار، سوى جماعة من المنافقين، امتنعوا عن هذه البيعة، لمرض قلوبهم، وسوء طويتهم..

ومن هذه الأحاديث ما أخرجه الشيخان عن سلمة بن الأكوع قال: بايعت رسول الله - ﷺ - تحت الشجرة، قيل: على أى شيء؟ قال: على الموت.

وروى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله أنه سئل: كم كان عددكم يوم الحديبية؟ قال: كنا أربع عشرة مائة، فبايعنا الرسول - ﷺ - على أن لا نفر - سوى الجد بن قيس فإنه اختفى تحت بطن بعيره، ولم يسرع مع القوم..

وهكذا فاز المؤمنون الصادقون بشرف هذه البيعة وحرم منها المنافقون لمرض قلوبهم.

---

(١٦) الشورى/ ١١.

(١٧) تفسير الكشاف (٤/٣٣٥).

# ذكريات وتأملات في يوم مولده صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

**الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.**
**لما أهل هلال ربيع قلت لنفسي: هل أقدم اعتذارا للقارىء على قطع سلسلة المقالات التي أكتبها تحت عنوان: الدعوة كما ينبغي أن نبلغها، والمناسبة جديرة أن أكتب عن رسول الله ﷺ وميلاده، ثم راجعت نفسي وقلت: لماذا أقدم اعتذارا وأنا أكتب عن سيد الدعاة ﷺ وهي ليست قطعا لسلسلة مقالات الدعوة، إنما فيها كمال اتصال به ﷺ.**

فالحديث عنه ﷺ لا ينبغي أن يكون محل اعتذار، إنما هو أهم حلقة في هذه السلسلة ولذلك أكتب عنه ﷺ من هذا المنطلق فأنا أحب أن أقدم للقارىء في ذكرى ميلاده ﷺ تحت هذا العنوان: «ذكريات وتأملات في يوم مولده ﷺ».

وأول هذه الذكريات التي تداعت إلى خاطري: ذكريات حب لرسول الله ﷺ تمثلت في مواقف رائعة وخالدة من السيرة النبوية نحن في حاجة إلى أن نعيدها ونعيشها حية نابضة غضة كما كانت وليس حبه ﷺ ترفا يمارسه الهواة، وليس غناء يمارسه المداحون وليس دروشة يعالجها مجاذيب إنما هو ركن من أركان الإيمان، لا يتم إيمان المؤمن إلا به، وقبل أن أوضح لك هذه المسألة أود أن نعيش معا في رحاب الذكريات العطرة.

روت كتب السنة أن النبى ﷺ كان يحتجم - والحجامة هى استخراج بعض الدم من الرأس علاجا فى بعض المناطق الحارة - فأخذ شاب قرشي الدم الشريف الخارج من رسول الله ﷺ وذهب به خلف جدار، ثم عاد إلى النبى ﷺ ودار الحوار الآتى بين الشاب والنبى ﷺ :

قال النبى ﷺ : أين الدم؟

قال الشاب: غيبته يا رسول الله:

فقال النبي ﷺ : أين؟

فقال: من وراء الحائط ( وهى إجابة فيها فطنة وذكاء وترقب ووجل مخافة أن يكون ما فعله لا يُرضى رسول الله ﷺ كما أنه يرفض أن يكذب، فالتقى بهذه الإجابة الذكية التى لا توقعه فى الكذب ولا تقطع عليه خط الرجعة ) لكن النبى ﷺ قال طالبا التحديد فى الإجابة : أين غيبته ؟

فلم يجد الشاب مناصا من أن يقول: هو فى بطنى يا رسول الله. قال النبى ﷺ : «لقد أحرزت نفسك من النار»(١) وموقف ثان أحبك أن تعيه جيدا، فليس للتسلية أكتب لك، إنما أردت أن تعيش هذه المواقف، وأن ترتشف من رحيقها، وتعبُ من سلسبيلها حتى ترتوى بها عظامك ولحمك ودمك، وجلدك وينبت بها شعرك، وتعيش بها مُتْبِعًا هديه ﷺ فى كل أحوالك، ليس افتعالا أو ادعاء فى مواجهة الناس، حتى تحمد بينهم، إنما فى خلوتك مع نفسك وفي ليلك الطويل بعيدا عن الناس، وأذكر كلمة لأحد الصوفية رضوان الله عليهم قال يستعيذ بالله من عمل فى ظاهره يرضى الله لكنه يبغى به الناس قال:

«اللهم إني أعوذبك أن أقول قولاً فيه رضاك أبتغى به أحدا سواك، وأعوذ بك أن أعمل عملا يزينني عند الناس ويشينني عندك».

أما الموقف الثانى الذى أحبك أن تعيه فهو كما يروى ابن هشام:

أن النبى ﷺ كان يصف الجيش فى غزوة بدر فخرج عن الصف قليلا سيدنا سواد بن الغزية رضى الله عنه فارجعه رسول الله ﷺ بقدح فى يده وقال: «إستَوِيا سواد» فقال: أوجعتني يا رسول الله وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدني. فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال: «استقد» فاعتنقه فقبل بطنه.

فقال النبى ﷺ : ما حملك على هذا ( أى أن الموقف لا يحتمل هذا ولا يستدعيه ) فأجاب الصحابى الجليل إجابة تشى بما يضم جنبيه عليه من حب لرسول الله ﷺ فى موقف هو صعب قال: ما ترى يا رسول الله فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك فدعا له رسول الله ﷺ(٢) إن خيوط الحب هى التى أبدعت هذا الموقف ونسجته.

---

(١) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية للنبهاني ٢١٨، ٢١٩.

(٢) سيرة ابن هشام (٢٨/٣).

إذاً عندما ندعي أو نزعم فنقول إننا نحب رسول الله ﷺ فلسنا متزيدين في هذا ولسنا مُفْرطين إنما هو واجب علينا ولا يكتمل إيماننا إلا بحبه ﷺ فوق ما نحب أنفسنا ولنا في ابن الدثنة أسوة حسنة فنحن أحفاده وينبغي أن نكون كذلك، فله موقف رائع جميل فريد يعرفه المسلمون جميعا لكنهم لا يفهمونه ولا يعوونه. لما أحضر للقتل وحوله زعماء قريش فأراد أبوسفيان -ولم يكن قد أسلم بعد - أن يستخرج من الرجل شيئا ينم عن إيثار ابن الدثنة نَفْسَه عن رسول الله ﷺ فقال له مخاطبا: هل وددت لو أنك آمن في بيتك الآن ورسول الله ﷺ مكانك الآن يقتل؟ اختبار صعب لكنه ليس صعبا على رجل يفتدى رسول الله ﷺ بنفسه وهكذا كل المسلمين وكل المؤمنين، فقال ابن الدثنة كلمة تقف الإنسانية حيالها معظمة مكبرة عارفة قدرها: والله ما أود لو أني في مكاني هذا أقتل ورسول الله ﷺ في بيته تصيبه شوكة فقال أبوسفيان وقد انهزم كبرياء الشرك في نفسه هو ومن معه: والله ما رأيت أحدا يحب أحدا مثل حب أصحاب محمد محمدا ﷺ.

قلت لك: «إن حبه ﷺ ليس ترفا يمارسه هواة وليس غناء يمارسه مداحون وليس دروشة يعالجها مجاذيب إنما هو ركن من أركان الإيمان لا يتم إيمان المسلم إلا به، ودليلي في هذا قول النبي ﷺ في حديث رواه الإمام البخاري: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» قال عمر بن الخطاب كما عهدناه صريحا واضحا لا يماري ولا يخفي شيئا ولا يجامل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله لأنت أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا نفسي فقال له النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك التي بين جنبيك ثم سار ساعة» فقال عمر: والله يارسول الله لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي. فقال له النبي ﷺ: «الآن يا عمر!»[3] يقول شراح الحديث: معنى الآن يعني: الآن اكتمل إيمانك أي أنه قبل هذا لم يكن إيمان سيدنا عمر كاملا لأن النبي ﷺ لم يكن أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه. إذاً نحن مطالبون بأن نحب رسول الله ﷺ فوق ما نحب أنفسنا ولذلك في القرآن الكريم يقول الله - تعالى -:

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[4]: على أنه إن كان البعض يرى أن إظهار الوجد في حبه ﷺ غير مقبول ولا مستساغ، فإننا نرى أن ادعاء الوجد والتكلف في إظهاره هو الذي لا نقبله، أما إن بدى الوجد وظهرت لواعج الشوق على البشرة، ونم عنها الكلام، فإننا نرتضيه ونقبله.

(٣) البخاري ١/١٦٦.

(٤) الأحزاب (٦).

ولنا في ثوبان رضي الله عنه أسوة حسنة، ذلك الصحابي الذي كان يشتاق إلى رسول الله ﷺ فيتغير لونه وتشحب بشرته، ويذبل عوده حتى يروى نفسه وقلبه ويعطر وجدانه برؤيته ﷺ وذهب يشتكي إلى رسول الله ﷺ ما به من وجد وما يعانيه من بُرَحاء الشوق، وتَذَكُّرُ الآخرة، ومقام النبوة السامي، ومنزلته ﷺ الرفيعة ومكانه في الجنة وكأنى به يقول: وأين مكانك أنت يا ثوبان من الحبيب ﷺ فازداد شحوبا وبدا عليه ما يعانيه من وجد، فذهب يحمل همه وبين يديه معاناته، يلقيها بين يديه ﷺ .

فقال له الحبيب المصطفى ﷺ : «المرء مع من أحب»[٥].

يقول راوى الحديث: قال الصحابة: ما فرحنا بعد الإسلام أكثر من فرحنا بهذا الحديث.

ونزل قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[٦].

قد يقول البعض: إن احتفالنا بمولد رسول الله ﷺ بدعة لم ترد، وأنا لا أوافقهم على هذا وبرغم جفوة هذا القول، فأنا أناقشهم فيما يزعمون فأقول: صام النبي ﷺ يوم الإثنين وسن صيامه للمسلمين وفي هذا كفاية، لكنه لما سئل عن سبب صيام هذا اليوم قال: «ذلك يوم ولدت فيه»[٧].

أليس في ذلك خصوصية منه ﷺ لهذا اليوم؟ ثم لماذا خصصه بهذه العلة أو هذا الحدث وهو الميلاد؟ مع أن أحداثا أخرى عظيمة وجليلة حدثت معه ﷺ في نفس يوم الإثنين، ربما تكون أخطر في نظرك ونظر الدعوة، ألم يبعث النبي ﷺ يوم الإثنين ؟! ألم يهاجر من مكة إلى المدينة يوم الإثنين؟! ألم يصل إلى المدينة يوم الإثنين؟! يوم أن استقرت الدعوة وأمن المسلمون وبدأ الإسلام عصرا جديدا، لماذا لم يعلل به النبي ﷺ صوم ذلك اليوم؟ أليس في تعليله بالميلاد معنى يفتح للمسلمين العاشقين له ﷺ مندوحة لا يلامون عليها ولا يكتمون حبهم، بل ويظهرون بعض ما عندهم من الحب والتقدير لرسول الله ﷺ .

ولعلك تذكر ذلك الصحابي الذي جاء إلى رسول الله ﷺ يسأله عن الساعة، قال له النبي ﷺ : ما أعددت لها ؟ قال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام، ولكني أحب الله ورسوله. فقال له رسول الله ﷺ : «أنت مع من أحببت»[٨]. وأعتقد أنك لا تفهم أن الرجل مُفَرِّطٌ في الصلاة أو الصيام كما أنني أحبك ألا تفهم أن هذا الحب يغني عن الاتباع

---

(٥) رواه أحمد والبيهقي عن أنس.
(٦) النساء (٦٩)
(٧) رواه أحمد ومسلم عن أبي قتادة.
(٨) رواه مسلم ١/٢٨٨.

والاقتداء بسنته ﷺ فإن الحب الذي لا ينتج تمسكا بالسنة والعمل بكتاب الله حب عاجز كسيح، وأنا أبغي لك حبا يدفعك إلى العمل بالسنة في منشطك ومكرهك، في فراغك وشغلك في نهارك وليلك.

هل أرقت يوما فلم تضق بالأرق؟

وهرعت إلى ميضائك ومصلاك تنشد فيهما قوله ﷺ : «ركعات في جوف الليل والناس نيام خير من الدنيا وما فيها»(٩).

هل سمعت النداء - الأذان - وقلت كما يقول المؤذن، ثم صليت على رسول الله ﷺ ثم سألت الله الوسيلة والدرجة العالية الرفيعة لرسول الله؟ هل واظبت على ذلك موقنا بأن هذا العمل الذي تراه بسيطا لك فيه براءة من النار؟ ووجبت لك الجنة.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ، صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله ليّ الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل ليّ الوسيلة حلت له الجنة»(١٠).

هذ هو الحب الذي يجعلك مع من أحببت.

على أنني أرى في مظاهر التقدير الإلهي لرسول الله ﷺ احتفاء بمولده وفي اعتقادي إن الله سبحانه وتعالى هزم جيش أبرهة بفعل خارق، إكراما للنبي ﷺ إذ الثابت تاريخيا أن النبي ﷺ ولد عام الفيل.

فإنني أرى أن هذا النصر المؤزر المعجز على أبرهة وجيشه كان إكراما لميلاد النبي ﷺ بمعنى أننا لو تخيلنا أن أبرهة قد استطاع أن يغزو مكة وأن يفتحها بجيشه ماذا كان يفعل أي جيش غاز؟ يقتل الرجال ويستحي النساء ويسبي الأطفال وهكذا والنبي ﷺ كانت أمه حاملا فيه فكان من الممكن أن تقع آمنة بنت وهب أسيرة في جيش أبرهة لكن الله سبحانه وتعالى أكرم نبيه ﷺ وأكرم مكة كلها. بأن دَحَرَ وهَزَمَ أبرهة وجيشه بهذه المعجزة الخارقة أو بهذا العمل الخارق الذي جاء ذكره في القرآن الكريم في سورة عرفت بسورة الفيل وهي قوله سبحانه وتعالى

«بسم الله الرحمن الرحيم»

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾(١١)

فأهل مكة كانوا وثنيين يعبدون الأصنام وهم أسوأ حالا من أبرهة وجيشه، فهؤلاء أهل كتاب، فتأمل معي لماذا ينصر الله الوثنيين

---

(٩) رواه البيهقي عن أنس، وأحمد وابن حبان عن أبي ذر الغفاري
(١٠) رواه مسلم والنسائي والبيهقي
(١١) سورة الفيل

على أهل الكتاب؟! لم يكن ذلك في رأيي وتصوري إلا إكراما له ﷺ حتى لا تقع آمنة بنت وهب أسيرة عند جيش أبرهة. ثم تعال معي إلى حديث آخر، ترويه كتب السنة لما سئل رسول الله ﷺ: متى وجبت لك النبوة يا رسول الله؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد وفي رواية وآدم منجدل في طينته(١٢).

وقبل أن أسائلك عن المعنى الذي تفهمه من هذا الحديث أحب أن أوضح لك معنى كلمة «وجبت»، وأظنك توافقني على أنها لا يمكن أن تكون بمعنى فُرضت، لأن نبوته ﷺ لم تفرض إلا بعد بعثته، كما أنك توافقني على أنها لا يمكن أن تكون بمعنى ثبتت في علم الله، لأن علم الله قديم، ونبوة سيد الخلق وخاتم النبيين ثابتة في علم الله قبل أن يخلق الخلق، قديمة بقدم علمه تعالى.

إذاً فما معنى «وجبت»؟ أرى أنها بمعنى عُرِفَتْ وأذيعت في الملأ الأعلى. أي أن نبوته ﷺ عرفت وأذيعت في الملأ الأعلى يوم أن كان سيدنا آدم منجدل في طينته بين الروح والجسد؟

ولنا أن نتساءل معا أنت وأنا: لماذا لم تذع نبوة ذلك المخلوق الذي يوشك أن تدب فيه الروح وهو: أبو البشر؟

ذلك الذي جرى بشأنه حوار بين الله وملائكته:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ﴾(١٣)

ولماذا لم تذع نبوة نبي آخر؟ ولماذا محمد ﷺ وهو آخر الأنبياء؟

أليس في ذلك تقدير واحتفاء وإعلاء لمقامه المنيف؟

فهل ألام لو أني طربت يوم مولده، وأحسست بالكون كله يطرب معي حتى أطفالي؟ وكيف يطربون؟ بل كيف يفهم الأطفال معنى النبوة العظيم؟ وكيف أدعوهم إلى محبته وأحرضهم عليها؟ وهل ألام لو أني قدمت لهم حلوى، حتى يدرك أطفالي هذا المعنى أو بعضه؟

إن كتابا صدر أغناني عنوانه عن قراءته، صدقني لقد فرحت بالعنوان، وأحسست به دعوة كريمة، ضممت عليها جوانحي، حتى لا تهرب مني بين الكلمات، هذا الكتاب بعنوان كريم نبيل حبيب: «علموا أولادكم حب النبي ﷺ» لمؤلفه الوزير السابق محمد عبده يماني جزاه الله خيرا.

قبلت الدعوة وأرجو أن يقبلها جميع المسلمين، وأن يوجهوا ويقوموا بعض التجاوزات التي تحدث إن وجدت دون غضاضة أو نشاز.

والله يهدينا إلى ما فيه الخير والصواب.

---

(١٢) رواه أحمد.

(١٣) البقرة (٣٠ : ٣٤).

# أنشودة في محراب نور البشرية

شعر/ محمد فهمي سند

من زمان التخلّق الأرضيّ ... وبدايات كوننا البشريّ

من ظلام القرون، والظُّلم جاثٍ ... يتمطّى على الطريق السّويّ

وسماء الوجود تحملُ وعداً ... بضياءٍ لطينها الآدميّ

بشرٌ الله خلقه فاستفاقوا ... من جنونٍ وكلُّ فعلٍ غبيّ

وتنادتْ براعم النّور: يا أرْ ... ضُ أفيقي من رجسك الوثنيّ

واستعدّي لمقدم الخير، كُوني ... خير أرضٍ لمرسَلٍ قُرشيّ

طهّري قلبك العصيَّ من البغْي ... على كلِّ طاهرٍ وأبيّ

فالحبيب الذي أضاء البرايا ... سوف يأتي لهدْي كل شقيّ

الحبيب الذي أنار قلوباً ... أشعلتْ حلمها بقلب العصيّ

***

وصحا الكونُ من سباتٍ عميق ... يتناجى بوحيه القدسيّ

واستردَّ الرجالُ عقل المروءات ... ففاءوا إلى السّميع العليّ

واستعاد الرجال صوت البطولات ... فدوّتْ في كل دربٍ قصيّ



يبذرون الخير الذى قد أضاءتْ ... من حواشيه مهجة العربىّ

رفرفتْ راية الهدى فاستظلّتْ ... بشذاها غرائز البدوىّ

واستجابت قلوبُ أقسى رجال ... لندى الفجر والشعاع السنىّ

***

ياحبيبى وأنت أغلى حبيب ... للبرايا، لكل قلب نقىّ

أنت سر الوجود، أنت انطلاق ... النور من فيض نوره الأزلىّ

أنت من عطر الإله به الكون ... فيغنّى بعطره كلُّ حىّ

ياطبيبى والداء يفرش ظلاً ... لدماء الخلاف فى كل شىّ

يانصير العبيد من كل عَبْد ... يتعالى بوهمه الإنسىّ

أنت مَنْ حرّر الأرقاء من ظلم ... عقول قد تدثّرتْ بغوىّ

أنت فيض الكريم، أنت نبىٌّ ... ورسول لكل خلق وحىّ

أنت فيض الرّحيم يارحمة الله ... لدنيا الروحىّ والأرضىّ

أنت من صانه الإله دعاءً ... يتهادى بنوره النبوىّ

حاملاً خاتم الرسالات يهدى ... كل برٍّ وفاجر وبغىّ

***

دارت الأرض واستجابتْ جموعٌ ... لصدى دعوة الرسول الوفىّ

وتنادتْ قلوبُ هذى البرايا ... فاستردَّ الزمان وجه النقىّ





أصبح الإسلامُ أنبثاق ضياء يغسل الأرض باليقين الشهيّ
عزّ دين السلام حين اتبعناك ، وشُدنا على الوجود العصيّ
وبنينا حضارةً أيقظتْ أفئدةً من ظلامها الأزليّ
ونعمنا بكل خير وحق وشربنا من كل شهد رويّ

***

وصحا الناس بينما نحن غرقى في كوابيس ليلنا اللّجيّ
نتنادى واللفظ صار غريبًا والوجوه اكتست قناع الغبيّ
آل صهيون عربدوا في فلسطين وباتوا من عصبة السامريّ
ينهبون التاريخ والأرض والأطفال من بين مهجة العربي
يسرقون الشمس التي قد توارتْ خلف جدران المسجد القدسيّ
زمن البعث يارجال ، أفيقوا واستعيدوا يقين صحب النبيّ
إنكم عصبة الرسول فكونوا شعلة النور في الظلام العتيّ
اخرجوا من ثياب تلك المرائي فدماء الأطفال تهفو لريّ
طهروا كل خفقة من تراب دنّستها جحافل البربري
حققوا وعد ربكم واستردوا دُرّة القدس من عيون البغيّ
ارفعوا راية الهدى لتكونوا خير جند الله العزيز القوي

***




في موسم حج السنة التي سبقت هجرة الرسول - ﷺ - من مكة إلى المدينة، كانت «بيعة العقبة»، التي عقدت بين الرسول وممثلي سكان المدينة، من الأوس والخزرج.. كانت هذه البيعة هي عقد التأسيس للدولة العربية الإسلامية الأولى، تلك الدولة التي بدأت تمارس سلطانها، عقب الهجرة، في المدينة المنورة، ثم اتسعت حدودها بغزوات الرسول - ﷺ - وفتوحات الإسلام..

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

ومنذ اللحظات الأولى، في حياة هذه الدولة، كان لها «دستور» ينظم علاقات الرعية، ويحدد الحقوق والواجبات..

والمصادر التاريخية القديمة، بدءا من سيرة النبي، التي وضعها ابن هشام (٢١٣ هـ/٨٢٨م) تسمي هذا الدستور «الصحيفة» و«الكتاب»..

وتسميتها هذه مأخوذة من صلب هذا الدستور.. فهو - كما جاء في إحدى مواده -: «كتاب من محمد النبي، رسول الله، بين المؤمنين والمسلمين.. ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم» وبين غيرهم من أهل يثرب - (المدينة) - الذين دخلوا في رعية الدولة الجديدة دون أن يدخلوا في الإسلام الدين وفي جماعة المؤمنين والمسلمين.. والرعية المحكومين بهذا الدستور يوصفون - في إحدى مواده - بأنهم: «أهل هذه الصحيفة».

وإذا كان مصطلح «الدستور» هو من المصطلحات المعربة، التي دخلت العربية من اللغات الأخرى، وإذا كان هذا المصطلح يعني - حديثا -: «مجموعة القواعد الأساسية التي تبين شكل الدولة ونظام الحكم فيها، ومدى سلطانها إزاء الأفراد..» - (المعجم الوسيط) - فإن هذه



الصحيفة -«الكتاب»- هي «دستور» الدولة العربية الإسلامية الأولى، بكل ما يعنيه -حديثا- مصطلح «الدستور» من مضامين.

● وإذا كانت مصادر التاريخ لا تذكر لنا كيف «وضع».. وصيغ» هذا الدستور.. فإننا، بحكم القاعدة الإسلامية الشرعية، نميل إلى أن وضعه وصياغته هي ثمرة لمشاورة الرسول - ﷺ - لوجوه الرعية، الذين يسمون فيه «أهل هذه الصحيفة».. فهو نص ينظم شئون الدولة، ويقنن العلاقات الدنيوية بين رعيتها بالدرجة الأولى، ومن ثم فإن موضوعه هو مما تجب فيه الشورى الإسلامية، وفق منطوق ومفهوم القرآن الكريم.

● ولقد صيغ هذا الدستور، لينظم القواعد الأساسية لدولة المدينة ورعيتها، بعد أن نزل الوحي بقسم كبير من القرآن الكريم.. فكان ذلك دليلا على أن «القرآن»، بالنسبة لدستور الدولة، هو الإطار، فيه «المبادئ» وبه «الروح» والمقاصد والضوابط والغايات، وليس هو نص الدستور وذات مواده وعين قوانينه.. فوجود القرآن الكريم لا يغني، في نظام الدولة وتنظيمها، عن الدستور الذي يضبط القواعد وينظم الحقوق ويحكم العلاقات ويصوغ جميع ذلك صياغة دستورية محكمة الدلالة بينة الحدود!..

● وإذا كانت الدولة التي صيغ هذا الدستور مع تأسيسها قد قامت في السنة الأولى منذ سني الهجرة -(سنة ٦٢٢م)-.. فإن حقيقة وجود دستور مكتوب لهذه الدولة، عرفته حضارتنا العربية الإسلامية، هي سنة من سنن الإسلام السياسي، لا تدعو إلى الفخار فحسب، وإنما تدعو - قبل ذلك وفوقه - إلى العض عليها بالنواجذ، كي لا تغيب هذه السنة الحسنة والضرورية من قسمات «الدولة» ومقوماتها في دنيا الإسلام السياسي وواقع السياسة عند المسلمين.. فغيابها، شكلا أو فعلا، عار لا يليق بخلف عرف أسلافهم هذه السنة قبل أربعة عشر قرنا من الزمان؟!..

***

وفي هذا الدستور، الذي قامت على أساسه دولة متحضرة، في «الحاضرة» (المدينة)، التي تحيط بها بيئة تغلب عليها «البداوة»... والذي كان ثمرة إسلامية للشريعة التي أخرجت العرب من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام... في هذا الدستور يستطيع المتأمل أن يرصد الكثير من المبادئ، والقواعد، التي مثلت معالم على درب تطور وتقدم وتحرر وتحضر إنسان ذلك العصر... بل والتي لاتزال تحمل الخير لإنسان العصر الذي نعيش فيه!..

● ففيه تقنين لخروج الإنسان من إطار «القبيلة والقبلية» إلى رحاب «الدولة والأمة».. فبعد أن كانت القبيلة هي «الأمة والدولة» غدت مجرد لبنة في كيان الدولة الجديدة والأمة الوليدة، والرعية السياسية التي أقامت بناءها الاجتماعي على أساس هذا الدستور.

وقبل هذا الدستور ودولته، كانت شخصية الفرد ذائبة في كيان القبيلة شرفه لها.. ووزره عليها.. وتبعاته مطلوبة منها.. وعليها عقوبات الجرائم التي يقترفها... فجاء هذا الدستور ليقنن لطور جديد في تطور الإنسان العربي.. «ففروض الكفاية» -الاجتماعية- جعلها الإسلام على



«الأمة».. و«فروض العين» -الفردية- أوجبها على الفرد.. وبدلا من «القبيلة» - التي سعى الإسلام إلى تذويبها في الأمة - برزت ذاتية الفرد ومسئوليته، ووقفت الآثار، في أحيان كثيرة، عند «أهل بيته».. فنص الدستور على أن ( من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ - ( يهلك ) - إلا نفسه وأهل بيته ).... وبعد أن كانت «القبيلة» تلحق إثم «الحليف» بحليفه، جاء هذا التطور، الذى قننه هذا الدستور، عندما نص على ( انه لا يأثم امرؤ بحليفه ).. وكذلك الحال مع «الجار».. فنص على ( أن الجار كالنفس، غير مضار ولا آثم )..

لقد برزت ذاتية : الفرد، المسئول، المكلف.. ونص الدستور على انه ( لا يكسب كاسب إلا على نفسه )!

● ولقد اسس هذا الدستور «التكافل» بين رعية الأمة وجماعتها في مختلف الميادين، مادية أو معنوية كانت تلك الميادين..

فالأمة متكافلة ومتضامنة في «الحق».. ( وان النصر للمظلوم )!.. وهي متكافلة ومتضامنة في المساواة القانونية.. ( ذمة الله واحدة.. والمؤمنون يجير عليهم أدناهم ).. الامر الذي يعنى رفض «الطبقية» الجاهلية، عرقية كانت أو اجتماعية... وهذه الأمة متكافلة متضامنة، كذلك، في المعاش والأموال.. فهي مع ( المفرح ) - اى المثقل بالدين - حتى يتحرر من الدين الذي يثقل كاهله.

● ورغم ان «الحاكم» للدولة كان النبي ﷺ - وعليه يتنزل وحي السماء بالقرآن الكريم.. اي أنه قد جمع «الولاية الزمنية» إلى «النبوة والرسالة»، إلا أن هذه «الدولة» لم تكن «دولة دينية» بالمعنى الذى عرفته مجتمعات غير إسلامية، وفلسفات غير إسلامية والذى تسربت بعض من مقولاتها إلى بعض من فرق الإسلام!..

فهذا الدسور قد «تميز» عن القرآن وإن لم يخالف روحه ومبادئه.. و«رعية» هذه الدولة لم تقف عند «الجماعة - الأمة - المؤمنة» بل كانت «رعية سياسية» اتخذت من المعيار السياسي والإطار «القومي» ميزانا حددت وميزت به الرعية عن الاغيار... فهي قد شملت، إلى جانب الجماعة «المؤمنة» بالإسلام : سكان ( يثرب )، ومن حالفهم ووالاهم وتبعهم ولحق بهم، بمن فيهم من العرب الذين كانوا قد تهودوا، ومن الأعراب الذين «أسلموا» - بمعنى انهم انخرطوا في الرعية السياسية - ولما يدخل «الإيمان» بالدين الإسلامي بعد إلى قلوبهم.. وكذلك ضمت هذه «الرعية السياسية الذين «نافقوا» النبي والمؤمنين، فاظهروا الإسلام واستسروا كراهية الإيمان بالدين الجديد؟!..

ولقد استخدم هذا الدستور مصطلح «الأمة» - بمعنى الرعية السياسية - وهو يعبر عن هذا البناء «السياسي - الاجتماعي» الجديد.. لقد نص على أن المؤمنين والمسلمين هم «أمة واحدة من دون الناس» - فهم «أمة الدين» وجماعته المؤمنة به -

ثم نص على أن يهود بني عوف - «ومن ماثلهم من اليهود العرب» - أمة مع المؤمنين لليهود دينهم للمسلمين دينهم»!.. فقررت التسوية في «المواطنة» وحقوقها وواجباتها بين هذه «الرعية السياسية» وأقر التمايز الديني القائم في داخل هذا الإطار «القومي - السياسي».. (وأنه من تبعنا من يهود فإن له: النصر والأسوة)؟!..

إنها، إذن، دولة «إسلامية -قومية».. القيادة العليا فيها للمسلمين.. والإطار الحاكم و«الجامع - المانع» في تحديد «الرعية» وتمييزها عن الغير: قومي، لا يستبعد غير المسلمين الذين ارتضوا الحياة داخل هذه الدولة الواحدة، والذين جمعتهم بالمؤمنين سمات القومية الواحدة.. فهم رعية واحدة - بالمعنى السياسي - يحكمها وينظم علاقاتها هذا الدستور.

● وهذا الدستور الجديد لهذه الدولة الجديدة لم ينسخ - جملة وبإطلاق - كل أعراف الجاهلية، بل أقر منها ما هو صالح لا يتعارض مع روح الشريعة، ولا يتصادم مع التطور الجديد.. فالقبائل، التي دخلت في التنظيم «الاجتماعي - السياسي» الجديد، وغدت لبنات في الرعية «السياسية - القومية» للدولة الجديدة.. هذه القبائل، فيما يتعلق بالديات، (يتعاقلون معاقلهم الأولى).. أي يسيرون في الموقف من «الدية» - (العاقلة) - على ما كان معروفا لهم ومتعارفا عليه قبل الإسلام!..

● وإذا كان هذا الدستور قد مثل «القانون الأعلى» الذي نظم «الواجبات» على الرعية.. والذي ضمن مالها من «حقوق».. فإنه قد استثنى «الظلم» و«الإثم» وقرر أن لا حماية لظالم أو آثم حتى ولو كان من الرعية التي ارتضت الحكم بهذا الدستور!.. فنص على (أنه لا يحول الكتاب دون ظالم أو آثم)!..

وإذا كانت «يثرب» - (المدينة) - قد مثلت وطن الدولة التي حكمها هذا الدستور.. فلقد قرر هذا الدستور أن هذا الوطن حرم آمن لرعية هذه الدولة.. وقرر، في ذات الوقت، وفي نفس النص، أن لا حصانة لظالم أو آثم، حتى ولو كان معتصما «بيثرب»، وعضوا برعية دولة هذا الدستور، فنص على (أنه من خرج آمن «ومن قعد آمن» بالمدينة، إلا من ظلم وأثم)؟!

***

● وإذا كان تطور المجتمعات، وتعقد شئون الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، قد فرض ويفرض التطور في الآفاق وفي الصياغات اللازمة للدساتير المعاصرة.. فإن قراءة هذا الدستور الأول للدولة العربية الإسلامية الأولى هي من الضرورات النافعة للأمة، رغم تجاوز واقعنا للملابسات التي قننها ذلك الدستور.

لقد حدد لنا - اقتداء بالقرآن الكريم - أن المرجع عند الاختلاف هو كتاب الله وسنة رسوله.. ففيهما «المبادئ» و«الفلسفات»

و«الأطر» الحاكمة للواقع المتغير دائما والمتطور باستمرار.. (وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله وإلى محمد)..

كذلك تعلمنا منه – ويجب أن نتعلم – أن أمة اقترن تأسيس دولتها الإسلامية الأولى بالدستور المكتوب – المنظم للعلاقات والحقوق والواجبات – لا يليق بها أن تنكص على أعقابها، فيحكمها الاستبداد، متحللا من ضوابط الدستور، «شكلا» و«فعلا» – كما يحدث حينا – و«فعلا» – برغم وجود «الشكل» كما يحدث في كثير من الأحايين؟!..

***

والآن.. وبعد هذا التقديم – إلى النص الكامل لهذه الوثيقة.. وثيقة الدستور الأول للدولة العربية الإسلامية الأولى..

نص: «الصحيفة – الكتاب»: –

(سنة ١ هـ سنة ٦٢٢م)

(١) هذا كتاب من محمد النبي، رسول الله، بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.

(٢) أنهم أمة واحدة من دون الناس.

(٣) المهاجرون من قريش على ربعتهم[1]، يتعاقلون بينهم[2]، وهم يفدون عانيهم[3] بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

(٤) وبنو عوف على ربعتهم، يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى، وكل طائفة تَفْدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

(٥) وبنو الحارث بن الخزرج على ربعتهم، يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى، وكل طائفة تَفْدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

(٦) وبنو ساعدة على ربعتهم، يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى، وكل طائفة تَفْدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

(٧) وبنو جشم على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تَفْدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

(٨) وبنو النجار على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تَفْدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

(٩) وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تَفْدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

(١٠) وبنو النبيت على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تَفْدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

---

(١) أي على أمرهم الذي كانوا عليه

(٢) العاقلة: الدية، التي تجب عصبة القاتل. والقارد: دية القتل الخطأ

(٣) العاني: الأسير.

( ١١ ) وبنو الأوس على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

( ١٢ ) وأن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً[٤] بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء، أو عقل[٥].

( ١٣ ) وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه.

( ١٤ ) وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم أو ابتغى دسيعة[٦] ظلم، أو إثما، أو عدوانا، أو فسادا بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعا، ولو كان ولد أحدهم.

( ١٥ ) ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن.

( ١٦ ) وأن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس.

( ١٧ ) وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم.

( ١٨ ) وأن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم.

( ١٩ ) وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعض.

( ٢٠ ) وأن المؤمنين يبيىء[٧] بعضهم عن بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله.

( ٢١ ) وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه.

( ٢٢ ) وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن.

( ٢٣ ) وأنه من اعتبط[٨] مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود[٩] به، إلا أن يرضى ولى المقتول بالعقل[١٠]، وأن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا القيام عليه.

( ٢٤ ) وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذا الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا[١١] أو يؤويه، وأن من نصره، أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

( ٢٥ ) وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله وإلى محمد.

( ٢٦ ) وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.

---

(٤) المفرح- بضم الميم وسكون الفاء وفتح الراء - المثقل بالدين، والكثير العيال.

(٥) العقل: الدية.

(٦) الدسيعة: العطية، أى طلب أن يدفعوا له عطية على سبيل الظلم.

(٧) يبيئ- من البواء - أى المساواة.

(٨) اعتبط مؤمنا: أى قتله بلا جناية جناها، ولا ذنب يوجب قتله.

(٩) القود - بفتح القاف والواو - القصاص.

(١٠) العقل: الدية.

(١١) المحدث: مرتكب الحدث.. الجناية.. الذنب




( ٢٧ ) وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ[١٢] إلا نفسه وأهل بيته.

( ٢٨ ) وأن ليهود بني النجار مثل ماليهود بني عوف.

( ٢٩ ) وأن ليهود بني الحارث مثل ماليهود بني عوف.

( ٣٠ ) وأن ليهود بني ساعدة مثل ماليهود بني عوف.

( ٣١ ) وأن ليهود بني جشم مثل ماليهود بني عوف.

( ٣٢ ) وأن ليهود بني الأوس مثل ماليهود بني عوف.

( ٣٣ ) وأن ليهود بني ثعلبة مثل ماليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

( ٣٤ ) وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.

( ٣٥ ) وأن لبني الشطيبة[١٣] مثل ماليهود بن عوف، وأن البرّ دون الإثم.

( ٣٦ ) وأن موالي ثعلبة كأنفسهم.

( ٣٧ ) وأن بطانة يهود كأنفسهم.

( ٣٨ ) وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد.

( ٣٩ ) وأنه لا تنحجز على ثار جرح، وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته، إلا من ظلم، وأن الله على أبرّ هذا.

( ٤٠ ) وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم.

( ٤١ ) وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم.

( ٤٢ ) وأن اليهود ينفقون، مع المؤمنين ماداموا محاربين.

( ٤٣ ) وأن يثرب حرام[١٤] جوفها لأهل هذه الصحيفة.

( ٤٤ ) وأن الجار كالنفس، غير مضار ولا آثم.

( ٤٥ ) وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

( ٤٦ ) وأنه ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يُخاف فساده. فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله - ﷺ - وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.

( ٤٧ ) وأنه لاتجار قريش ولا من نصرها.

( ٤٨ ) وأن بينهم النصر على من دهم يثرب.

( ٤٩ ) وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.

( ٥٠ ) على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

( ٥١ ) وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وأن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه.

( ٥٢ ) وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جارٌ لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله[١٥] ١٠هـ.

---

(١٢) يوتغ: يهلك.

(١٣) في «نهاية الأرب» للنويري: «الشطنة» - بضم الشين مشددة، وضم الطاء.

(١٤) أي حرم.

(١٥) انظر نص هذه الوثيقة في (سيرة ابن هشام) و(نهاية الأرب) للنويري. وهي محققة في (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة) ص١٥ - ٢١ جمعها وحققها د محمد حميدالله الحيدر ابادي. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.

# محمد صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين

٣

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

**لو جاز في وهم واهم (عاقل أو مجنون) أن يقول: إن واحدا ما من الناس، هو الذى خلق السموات والأرض، وما بينهما جاز أن يقع في وهم واهم (عاقل أو مجنون) أن يقول: إن القرآن العظيم من تأليف محمد - ﷺ -. وإذا امتنع عقلاً وواقعاً أن يكون للأرض والسموات وما بينهما خالق إلا الله، امتنع عقلا وواقعا - كذلك - أن يكون للقرآن العظيم مصدر إلا الله.**

أثبتنا هذه المقدمة الضرورية، بين يدى مواجهتنا الثالثة، للخرافة، التى تفوه بها مجموعة من المستشرقين المعاصرين، وهي:

«أن القرآن ألفه محمد - ﷺ - في عزلته المعروفة في غار حراء، ولما فرغ من تأليفه، قال للناس: أنا رسول من عند الله للناس جميعا، وقد أنزل الله عليَّ وحيا، وهو القرآن».

المواجهة الأولى اقتصرنا فيها على ماقاله بعض المستشرقين أنفسهم في تكذيب هذه الخرافة.

والمواجهة الثانية، اقتصرنا فيها على الاستشهاد ببعض ما في القرآن نفسه من حقائق محال عقلا وواقعا أن يحيط بها أحد غير الله- عز وجل- ومحمد بشر مخلوق، لا يميزه عن البشر إلا كونه رسولاً موحى إليه من عند الله- عز وجل- وليس إلها يحيط علما بكل شئ.

وفي هذه المواجهة، نتصدى بخطى ثابتة، لخرافة المستشرقين (المضحكة) حقا، بما يعرفه هؤلاء المستشرقون، من حقائق العلم الحديث، التي ثبتت صحتها يقينا، ولم تكن معروفة في عصر نزول القرآن، ولا بعده، إلا منذ عهد قريب، يناهز المائتين سنة، ولا يتجاوزها.

حقائق اكتشفها قوم المستشرقين أنفسهم،



وباهوا بها، وظنوا أنهم غير مسبوقين بها، أو بشيء منها، ولو كان قيل لهم: إن عالما ما من الناس سبقكم بها قبل وصولكم إليها بمائتي عام - مثلا - لسخروا ممن قال لهم ذلك، ولأقاموا مئات الأدلة على تكذيبه، ولقالوا: إن هذا لم تعرفه البشرية قط قبلنا، لأنه ثمرة النهضة العلمية الحديثة، التي على أيدينا نشأت، وفي جامعاتنا ترعرعت.

وها نحن في هذه المواجهة نقول لهم:

إن القرآن العظيم، الذي تزعمون أن محمدا هو الذي ألفه من عنده، ولم ينزل به عليه وحي من الله، أشار، أو لمح، أو قرر كثيراً من تلك الحقائق، قبل أن تخلقوا بأكثر من اثنى عشر قرنا، وليس مائتي سنة.

والبشرية جمعاء كانت تجهل هذه الحقائق تماما في عصر نزول القرآن، إذن، لو لم يكن القرآن العظيم وحيا من عند الله ما استطاع محمد - ﷺ - أن يأتي ولو بمقدار مثقال ذرة منها، لأنه - لو لم يكن رسولا موحى إليه من الله المحيط علمه بكل شيء. ما اهتدى إلى شيء مما أثمرته الحضارة الحديثة الآن. وهذا حكم العقل، وهو عامل مشترك بيننا وبينكم، فهيا نحتكم إليه، ولنرض جميعنا حكومته.

## حركة الأرض حول نفسها

كان العالم أجمع قبل اليوم السابع والعشرين من شهر يناير سنة ١٨٦٠م، وهو اليوم الذي ظهر فيه مرقب جاليليو، وبدأت فيه فكرة حركة الأرض حول نفسها، كان العالم أجمع يعتقدون أن الأرض ثابتة، وأن الشمس هي التي تتحرك وتدور بين المشرق والمغرب، وقد ورث الناس هذا الاعتقاد عن مصدرين:

**أحدهما**: الإحساس الظاهري بثبات الأرض ودوران الشمس

**والثاني**: الفلسفة اليونانية القديمة، التي جاهرت بهذا الاعتقاد العشوائي.

ورسخ هذه الفكرة في الغرب الفكر الكنسي في القرون الوسطى واعتبار من يخرج عن معتقداتها كافر بالله، مطروداً من الرحمة.

وكان ما كان في حياة جاليليو وتلاميذه، من رواد النهضة الأوروبية الحديثة، وغلب العلم الجهل، وخطا خطوات واسعة إلى الأمام، حتى صارت فكرة دوران الأرض حول نفسها حقيقة علمية راسخة، وواقعا محسوسا لا ريب فيه، وثبت - يقينا - أن الشمس لا تكف ضوءها عن الكون لحظة واحدة، على مدى الأربع والعشرين ساعة، تكون الأرض خلالها ليلا في شق من الأرض ونهاراً في شق آخر.

وكثيرا ما يشاهد ركاب الطائرات في آخر النهار، ظلام الليل في شرق الأرض، وضوء النهار في غربها.

وعكس هذه الظاهرة يشاهد ركاب الطائرات في آخر الليل، ضوء النهار في شرق الأرض، وظلام الليل في غربها.

وهكذا، وهكذا، يتعاور الليل والنهار سطح الكرة الأرضية، في نظام بديع، وتعاقب دقيق، دون أن يختل من هذا النظام الإلهي شيء.



ولا ريب أن الذى حققه العلم الحديث فى هذا الجانب، وفى غيره، إنجاز حضارى عظيم، ومذهل. وهذا ما وعدنا الله به فى كتابه العزيز:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1].

والسادة المستشرقون، الذى سمحت لهم عقولهم أن يزعموا أن محمداً - ﷺ - هو الذى ألف القرآن وزعم أنه وحى من عند الله، يعلمون أن اكتشاف دوران الأرض حول نفسها، لم يدركه أحد قبل القرن التاسع عشر الميلادى، وهذا القرآن الذى تنسبوه إلى مصدر بشرى قد أشار إشارات ذكية إلى هذه الحقيقة الكونية، قبل جاليليو وتلاميذه بأكثر من اثنى عشرة قرنا من الزمان نكتفى فى إقامة الحجة عليهم بإشارتين منها.

**الأولى:**

وفى القرآن منها ثلاث آيات فى ثلاث سور مكية، وهى وفق ترتيب نزولها:

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾[2].

﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾[3]

﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾[4]

هذه الآيات الثلاث، يدور معناها حول قطب واحد هو امتنان الله على خلقه بتثبيت الأرض لهم، ليعيشوا عليها وهم آمنون.

واللافت للنظر أن كلمة «تميد» وهى فعل مضارع تكررت فى الآيات الثلاث، بلفظها ومعناها. واللغة العربية غنية بمفرداتها، فلماذا - إذن - التزم البيان القرآنى بذكر هذه الكلمة؟ هل هذا يرجع إلى فقر فى اللغة العربية، فلم يكن فيها كلمتان بديلتان تختلفان فى اللفظ وتتفقان فى المعنى، مع كلمة تميد، وتأتى هاتان الكلمتان، فى آيتى سورتى «النحل» و«الأنبياء»، بدلاً من تكرار «تميد» فى المواضع الثلاثة؟

كلا. فإن فى اللغة العربية نظائر لكلمة «تميد» مثل: تتحرك، تهتز وآثر القرآن هذه الكلمة «تميد» فى الآيات الثلاث. بل أصر عليها إصراراً جازما لمعنى عظيم لا يفى به غيرها وفاء تاما.

لأن «الميد» هو الاضطراب، والاضطراب لا يكون إلا وصفا لحركة، لأن الحركة نوعان:

- حركة منتظمة.

- وحركة غير منتظمة (مضطربة) والاضطراب فى اللغة: هو وصف للجسم المتحرك.

وإصرار القرآن فى الآيات الثلاث على كلمة «تميد» وصفا منفيا للأرض، إعجاز علمى دقيق

---

١- فصلت (٥٣).
٢- لقمان (١٠).
٣- النحل (١٥).
٤- الأنبياء (٣١).



الملحظ. يدل دلالة ذكية على أن الأرض متحركة لا ثابتة ولا ساكنة، لأن الجسم الساكن لا يضطرب أبداً، وهذه حقيقة ملموسة لكل أحد، وإنما الذي يضطرب هو الجسم المتحرك.

فالسيارة الواقفة، والطائرة الهابطة على الأرض، لا يضطرب واحد منهما، وإنما يتوقع الاضطراب إذا فارقت الطائرة الأرض وحلقت في الفضاء، وإذا قاد السيارة صاحبها وأسرع بها ولو كانت الأرض ساكنة، كما كان يعتقد ما حدث منها اضطراب ولا ميد.

لكن لما امتن الله علينا بأنه أرسى الأرض بالجبال لئلا يختل توازنها وتضطرب فتهلك، دل ذلك على أن الأرض تتحرك ولكن حركة منتظمة لا اضطراب فيها.

هذا هو السر في التزام القرآن ذكر «تميد» في الآيات الثلاث. وهذا هو ملمح الإعجاز العلمي، الذي ألمح إليه القرآن منذ أكثر من أربعة عشرة قرناً(*).

وبجانب هذا الإعجاز العلمي، نجد إعجازاً بلاغياً في كلمة «تميد» إذا قارناها بكلمتي: تتحرك، وتهتز.

لو قيل: تتحرك بكم، لفسد المعنى، لأن مراد الله- عز وجل- هو نفي الاضطراب لا نفي الحركة، لأن حركة الأرض موجودة فكيف يقال: لئلا تتحرك بكم؟

وكذلك لو قيل: لئلا تهتز بكم، فإن المعنى يفسد كذلك، لأن الاهتزاز لايشمل كتلة الأرض كلها، فقد يكون في جزء منها. أما الاضطراب فهو يعتري جسم الأرض كله.

هذه واحدة.

أما الثانية فإن الله- عز وجل- أثبت الاهتزاز لقشرة الأرض، فقال:

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾(٦).

فاهتزاز قشرة الأرض، حين ينزل الله عليها الماء اهتزاز حقيقي لا مجازي، كما يرى بعض المفسرين حيث يجرون فيه المجاز الاستعاري، بأن الأرض أشبهت العروس، ففرحت بانزال الماء عليها

والثابت علميا وواقعيا الآن، أن تربة الأرض تهتز فعلا عند تساقط الماء عليها. ولا مجاز في هذا الاهتزاز أما قوله تعالى: «وربت» بمعنى: زادت، فهذا كما ثبت علميا وواقعيا حقيقي لا مجاز فيه.

لأن التربة أو قشرة الأرض «الفوقية» تزيد فعلا في أثناء اختلاط الماء بها.

وبعد: فإننا نقول للسادة المستشرقين من أين عرف محمد - ﷺ - أن الأرض متحركة لا ساكنة في عصر كان العالم كله يعتقد أنها ساكنة لا متحركة؟ لو كان القرآن من تأليفه- صلى الله عليه وسلام- ما وجدنا في القرآن شيئا من هذا. ولكنه كلام رب العالمين.

***

أما الإشارة القرآنية الثانية، الدالة على حركة

---

*- وفي هذه الآيات دلالة أخرى على حركة الأرض حول الشمس كذلك.

٦- الحج (٥).





الأرض حول نفسها، فتراها في قوله- تعالى-:

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾(٧).

انها إشارة ذكية حقا، إلى تقرير حقيقة كونية عميقة الدلالة على قوة قدرة الله، وكمال حكمته، لان القرآن نحا بها منحى الكناية الخفية الظاهرة، على تقرير تلك الحقيقة الكونية، في اسلوب بليغ حكيم، يخاطب الناس في كل العصور، بما لا يصدم مشاعرهم، ولا يخرج عن تقرير الحقيقة على ماهى عليه في الوجود، وكل المعاني التي تشع من العبارة صحيحة، لا يلغى بعضها بعضا. ولا يبطل معنى منها معنى آخر.

فالناس - فعلا - في كل عصر، يحسون من مجرد النظر إلى الجبال أنها «جامدة»: أى ساكنة مستقرة. وهذا ما قررته الآية من حيث الإحساس الظاهرى «وترى الجبال تحسبها جامدة» ثم تقرر في الوقت نفسه أنها تتحرك. كما يرى الناس السحاب، وهو يتحرك في الآفاق.

وقبل الناس هذا التزاوج في المعنى «(جمود، وحركة) في آن واحد، لم يرفض جيل أى عصر هذه الدلالة، التي تبدو في طرفين متنافرين، كتنافر الإقبال مع الإدبار في آن، أو الصعود والهبوط في وقت.

والذى سوّغ لهم قبول هذا التزاوج في المعنى، سياسة البيان القرآني الحكيمة، حيث أوردت هذه الآية عقب آية اخرى تتحدث صراحة عن اهوال يوم القيامة، وهى قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾(٨).

فهذه الآية، تتحدث عن يوم القيامة حديثا صريحا لاخفاء فيه.

ثم ذكر بعدها مباشرة آية الجبال:

[ وترى الجبال تحسبها جامدة، وهى تمر مر السحاب ] ثم ذكرها بعدها آيتين تتحدثان عن يوم القيامة في وضوح وهما:

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٩).

فتأمل روعة البيان الإلهى كيف أخرجت؟ وفى اى نظام عُرِضَتْ

حركة الأرض حول نفسها، التي أدركناها في العصر على وجه اليقين، لو كان القرآن قد صرّح بها في عصر النزول، لاحدثت شروخا في صرح الإيمان، ولاتخذ منها خصوم الدعوة منفذا واسعا في التشكيك في صحة الرسالة، وصدق الرسول، ولوقع الريب عند كثير من الناس، وسياسة الخطاب الدينى في الاسلام هى:

---

٧- النمل (٨٨).

٨- النمل (٨٧).

٩- النمل (٨٩ - ٩٠).

« مخاطبة الناس على قدر عقولهم » في رفق وأناة .

لذلك وضع الله آية حركة الجبال، الدالة على حركة الأرض حول نفسها، وضعها بين آيات تتحدث عن يوم القيامة، فوقع في إدراكهم أن جرى الجبال سيكون يوم القيامة، واطمأنت بذلك قلوبهم، ودخلوا في دين الله أفواجا، وظل هذا الإدراك مستقرا في الأفهام، إلى أن أثبت العلم الحديث حقيقة مراد لله من مرُّ الجبال مرَّ السحاب.

لقد ادخر الله الدلالة الأم على حركة الأرض حول نفسها، التي كنى عنها بـ تمر» مسندا إلى ضمير الجبال، ادخرها لتظهر ظهور الشمس في عصرنا هذا، عصر الازدهار العلمي في « الجغرافية الفلكية » وهندسة الكون العظيم، ولما ظهرت هذه الحقيقة الكونية على وجه اليقين، لم تبطل المعنى الذي تبادر إلى الأذهان من جمود الجبال وثباتها، بل بقي ذلك المعنى صحيحا في دائرة الحواس، فالناظر إلى الجبال في أي مكان، وفي أي زمان، يراها قارة راسخة في مكانها، لا تميد ولا تميل.

أما مرُّها مر السحاب . وهي الحركة الناشئة دائما من حركة الأرض الحاملة للجبال، فهو معنى صحيح كذلك، ولكن في « سلطان العقول » لا في « دائرة الحواس » وبرز من كل ذلك الإعجاز العلمي القرآني العظيم، قبل جاليليو وبرونو ونيوتن وكبلر بأكثر من اثني عشر قرنا من الزمان.

***

وهذا الإعجاز العلمي في هذه الآية الحكيمة، يصاحبه إعجاز بلاغي بياني تسجد العقول لصانعه. ويظهر هذان الإعجازات ( العلمي والبلاغي ) المتعانقان من النظر في وجه الشبه بين المشبه، وهو مر الجبال، والمشبه به، وهو مر السحاب، ووجه الشبه – عموما – عند البلاغيين، قد يكون أمرا واحدا كتشبيه الشجاع بالأسد في الجراءة، وقد يكون أمرين أو ثلاثة لتشبيه القمر بالعرجون[10] القديم في قوله– تعالى–:

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[11].

أي في التقوس، والنحافة واصفرار اللون[12]

وتشبيه مر الجبال بمر السحاب قائم على عنصرين أو صفتين لا صفة واحدة، أو وجهي شبه لا وجه واحد .

**الوجه الأول**: يسر الحركة وسهولتها، لأن السحاب يجري في الفضاء بلا عوائق تعرقل حركته وحريته، وكذلك الجبال، لأنها تجري بتأثير قدرة الله التي لا تعجز، ولا يقف شئ في سبيلها.

**أما الوجه الثاني**: وهو مكمن الدلالة على الإعجاز العلمي فهو أن كلا من المشبه ( الجبال في

---

١٠- وهو سباطة النخل الحاملة للبلح.

١١- يس (٣٩).

١٢- الكشاف (٣/٢٢٣).



حركتها ) والمشبه به ( السحاب فى حركته ) لا يتحركان حركة ذاتية، بل بدافع خارجى فالسحاب تدفعها الرياح فى الاتجاه الذى يريده الله- عز وجل-.

ألم يقل الله- عز وجل-:

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾(١٣)

وكذلك الجبال، لا تتحرك حركة ذاتية من تلقاء نفسها وإنما حركتها ناشئة عن حركة الأرض الحاملة، ولو كانت الجبال تتحرك حركة ذاتية منفصلة، عن حركة الأرض لشاهدها الناس بأبصارهم، قبل أن يدركوها ببصائرهم وهذا ما لا يحسه أحد أبدا.

وهكذا يخاطب القرآن العقل المثقف الحديث، وفى كثير منه عناد ومكابرة، ولكن هل يبقى عناد أو مكابرة أمام قذائف الحق المعجز، التى تحملها كلمات القرآن المنزل من عند الله.

القرآن جلى الحقيقة فى يسر، ليؤمن من يؤمن عن بينة ويقين وليقيم الحجة على المكابرين والمعاندين. الله وليس محمد - ﷺ - هو صانع هذا الإعجاز وهو الذى جعله دليلا قاهرا لكل العقول المتمردة، على صحة الرسالة وصدق الرسول، وأن هذا القرآن ليس له مصدر إلا الله.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١٤).

ويتفرع عن الحقائق التى تقدمت أمران:

أحدهما تعقيب مهم.

والثانى إجابة عن سؤال قد يثار فى بعض الأذهان.

أما التعقيب فهو دفع شبهة، أثيرت قديما، ومازال تثار وهى:

أن رؤية الجبال تمر مر السحاب، لما ذكرها الله فى سياق ثلاث آيات تتحدث عن أحوال وأهوال يوم القيامة، يجب فهمها فى سياق تلك الآيات، وتكون رؤية الجبال تمر مر السحاب ظاهرة من ظواهر القيامة، ولا ضرورة تقتضى انتزاعها من ذلك السياق.

وهذا كلام يبدو وجيها أمام النظر العابر، أما من حيث الواقع المدعوم بالبراهين فلا.

بل إن انتزاع تلك الرؤية من أحداث يوم القيامة هو المتعين، ولا شئ سواه، والذى يمنع من درجة من أحداث يوم القيامة أمران:

**الأول**: أن الله- عز وجل- قال فى عَجُز هذه الآية: «صُنْعَ الله الذى أتقن كل شئ. انه خبير بما تفعلون» وهذان المقطعان من الآية:

«صنع الله الذى اتقن كل شئ».

«انه خبير بما تفعلون».

**أولهما**: مقطع هداية وإرشاد، ولفت أنظار إلى كمال قدرة الله، وتصريفه الحكيم فى الكون، وهذه الاعتبارات الثلاثة، تمثل جانبا من مهمة التبليغ، وإقامة الحجة لله على المعاندين. وهذا مجاله الحياة الدنيا لا الآخرة.

---

١٣- الروم (٤٨).

١٤- هود (١٣ - ١٤).

**وثانيهما:** مقطع تهديدى إنذارى تخويفى، وهذا كذلك مجاله الحياة الدنيا لا الآخرة.

ولو لم يكن فى القرآن إلا هذان المقطعان لكفيا كفاية تامة فى الرد على من يقول: إن رؤية الجبال تمر مر السحاب واقعة من وقائع يوم القيامة، ولا صلة لها بالإعجاز العلمى الذى تتساهون به.

ولكن بقى لنا فى القرآن أدلة أخرى مفحمة، للمعارض كل الإفحام. منها ما سنذكره فى الأمر الثانى بعد قليل. ومنها لمحة أخرى عميقة الدلالة على ما نحن فيه وهى كلمة «جامدة» فى قوله -تعالى-:

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ أى مستقرة ثابتة. والناس يوم القيامة لن يروا الجبال جامدة ثابتة. بل سيرونها فى أشكال أخرى ستأتى فى الأمر الثانى، وتعجل للقارئ الكريم بلقطة منها، وهى قوله -تعالى-:

﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾[15]

**الأمر الثانى:** تحدث القرآن عن الجبال، بما يشمل أوضاعها فى الدنيا والآخرة، حديثا مستفيضا ومتنوعا، وهو حديث خبير عليم بكل ما فى الكون من دقائق وأسرار، والذى يدخل معنا من حديث القرآن المستفيض عن الجبال، ما قرره القرآن من أوضاعها فى الآخرة.

ومن ذلك الآيات الآتية:

﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾[16].

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾[17].

﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾[18].

﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾[19]

﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾[20].

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾[21].

﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾[22]

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾[23]

هذه الآيات تقرر وضعين من أوضاع الجبال يوم القيامة.

**الأول:** إزالة تماسكها، وتفتيت كتلها، وقد أفاد هذا المعنى تشبيهها بالصوف المندوف (المحلوج) فى آيتى المعارج والقارعة وبكثيب

---

١٥- النبأ (٢٠).
١٦- المعارج (٩).
١٧- المزمل (١٤).
١٨- التكوير (٣).
١٩- القارعة (٥).
٢٠- المرسلات (١٠).
٢١- طه (١٠٥ - ١٠٧).
٢٢- الواقعة (٥ - ٦).
٢٣- الكهف (٤٧).

الرمل الرخو في آية المزمل، وكونها مسيرة زاهية في سورتي التكوير والكهف. وكونها مفتتة حتى تصير هباء طائرا في سورة الواقعة.

أما الوضع الثاني، فهو كونها منسوفة مذراة طائرة كالشعاع في الفضاء، كما في سورتي الكهف والمرسلات، وقد شاركتهما في هذه الدلالة آية سورة الواقعة رقم ( ٦ ).

ونخلص من هذه كله، بأن الجبال ستزول يوم القيامة، ولا يكون لها وجود.

فكيف يمكن لفت الانظار إليها في قوله تعالى:

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾

وأن تكون هذه الظاهرة إرشاداً وتوجيها إلى الإيمان، وتهديدا لمن عاند وتكبر؟

أما السؤال الذى وعدنا بالإجابة عنه، فحاصله: أن يقول جاهل:

إن وضع الله آية رؤية الجبال جامدة، وهي تمر مر السحاب بين آيات تتحدث عن يوم القيامة، فيه نوع من الخداع اذا كانت لإثبات حركة الارض حول نفسها في الدنيا، وكان حريا الا يكون هذا الإلهاء عن حقيقة المراد.

**والجواب:**

ان توسط آية رؤية الجبال جامدة، وهي تمر مر السحاب في الدنيا بين آيات تتحدث عن أهوال الآخرة، سمة من سمات الإعجاز البلاغي في القرآن، وكونه كتابا يخاطب الأجيال في كل العصور ولا يبطل معنى فيه مراداً لله معنى آخر أراده، مهما اختلفت درجات الثقافة بين الأجيال المتعاقبة، وهذا هو الرفق في الخطاب المعجز، وقد تقدم ان جمود الجبال هو في دائرة الحواس معنى صحيح، وإدراك العقول الآن مع تقدم العلم أنها تمر مر السحاب معنى صحيح كذلك. فأين الخداع يا ترى.

وهكذا يثبت الإعجاز العلمي للقرآن سبق الكتاب المنزل من عند الله ويعلمه هو، لا يعلم سواه.

إن القرآن ليس من تاليف محمد - ﷺ - لان محمداً بشر، فلو لم يكن رسولاً صادقا من عند الله ما اهتدى إلى الرمز الكاشف لكثير من حقائق العلوم الكونية، بأكثر من اثنى عشر قرنا من ظهورها في عصر التقدم العلمي.

والإعجاز العلمي للقرآن هو أمضى سلاح الآن في مجال الدعوة، وإن ورمت أنوف. وانتفخت أوداج، وضاق بالحق كارهوه.

***

# في ذكرى ميلاد سيد البشر

## « أحبوني بحب الله.. »

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

**باسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،**
**فكلما أشرق علينا هلال ربيع الأول حمل معه أجمل الذكريات وأخلدها وأحبها إلى المسلمين وأعذبها،**
**ذكريات مولد خير الورى وصفوة المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ.**
**إنها ذكريات معطرة بأريج النبوة، متضوعة بعطر السماء، ريانة برحيق الخلد، موصولة بجلال الوحي.**

إن ميلاد محمد ﷺ أجل حدث وقع على هذه الأرض، فهو الحدث الذي لوى عنان التاريخ، وغير وجه البسيطة، وأثر في كل شيء، وما يزال يؤثر حتى اليوم، فهو حدث له ما بعده.. لا بل الصواب أن نقول: له ما قبله وله ما بعده.

وجدير بالمسلمين بل بالبشر جميعا على اختلاف مللهم ونحلهم ودياناتهم ومعتقداتهم أن يترقبوا ذكرى هذا الحدث العظيم ترقب الظامئ للرى ليعيشوا في إيحائه ورحابه فترة تجدد إيمانهم بالمثل العليا وتعلن عن تمسكهم بالمبادئ السامية والقيم الرفيعة، جدير بهم أن يحتفلوا بهذه الذكرى الخالدة وفاء لصاحبها صلوات الله عليه وتعبيراً عن حبهم العميق له، ذلكم الحب الذي لا يكمل إيمان المؤمن إلا به.

فحب محمد ﷺ فرض على كل مسلم ودَيْن في عنق كل من ينتسب إلى الإسلام العظيم، قال ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعم وأحبوني بحب الله»[1] ومعنى الحديث أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ صاحب الخَلْق والأمر والمن والنعم، جدير بالحب، ويترتب على ذلك حب من عرفنا بالله ـ تعالى ـ وبلغنا عنه، قال ـ تعالى ـ:

---

(١) أخرجه الترمذي والحاكم.

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

إن الله ـ عز وجل ـ لا يقبل الإيمان من أحد حتى يقرنه بحب رسول الله ﷺ فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»(٣).

قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾(٤).

قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ تعليقاً على هذه الآية: فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها ﷺ إذ قرّع الله تعالى ـ من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله ـ تعالى ـ(٥).

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»(٦) وحلاوة الإيمان هنا حلاوة روحية عقلية يدركها المؤمن بقلبه ويجد لها لذة في وجدانه كما يجد آكل العسل لذته وحلاوته في لسانه، والمراد بقوله «مما سواهما» كل شيء عداهما.

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال للنبي ﷺ: (لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي التي بين جنبي) فقال له النبي ﷺ: «لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» فقال عمر: (والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إليّ من نفسي التي بين جنبي) فقال له النبي ﷺ «الآن يا عمر»(٧).

فعمر ـ رضي الله ـ عنه حين علم أن إيمانه لا يكون كاملاً ولا معتبراً إلا إذا كان حب الرسول ﷺ أربى عنده وآثر من حبه نفسه أعلنها على الفور: (لأنت أحب إليّ من نفسي التي بين جنبي) وأكدها بالقسم بالله ـ تعالى ـ الذي أنزل على رسوله الكتاب وكأنه ـ رضوان الله عليه ـ يشير إلى علة هذا الحب وسببه فهو حب ناشيء عن عقل وتفكير وروية إذ الكتاب ومن أنزله عليه هو السبب في هداية عمر والناس أجمعين وهو في نفس الوقت السبب في هذا الحب.

---

(٢) آل عمران (٣١).

(٣) رواه مسلم

(٤) التوبة (٢٤).

(٥) شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفا ﷺ جـ٣ ص٥٣٦ وما بعدها ـ مطبعة المدني.

(٦) رواه البخاري ومسلم

(٧) رواه البخاري.



وقوله ﷺ: «الآن ياعمر» معناه الآن بعد أن قلت ذلك كمل إيمانك.

وقال بعض الشراح «لايبعد أن يكون على الاستفهام للقدر والمراد به الاستبطاء أى: إنك أبطأت فى هذا الأمر الذى ينبغى أن يكون من أول وهلة والمقصود من محبة الرسول ﷺ طاعته واتباع سنته فالحب بلا طاعة دعوى ليس عليها دليل فهى دعوى كاذبة وما أحسن قول الشاعر:

**تعصى الإله وأنت تزعم حبه**
**هذا لعمرى فى القياس بديع**
**لو كان حبك صادقاً لأطعته**
**إن المحب لمن يحب مطيع**

ولهذا قال بعض العلماء: «المراد بالحب هنا ليس الحب الحقيقى لأن الطبع يدعو إلى محبة النفس أكثر من الولد والوالد، ومحبة الولد والوالد أكثر من غيرهما، لكن المراد الحب العقلى الاختيارى الذى هو إيثار ما يقتضى العقل رجحانه وإن كان على خلاف الطبع، ألا ترى أن المريض يكره الدواء المُرّ بطبعه ومع ذلك يميل إليه باختياره ويهوى تناوله إذا ظن أو علم أن صلاحه فيه؟ وكذلك المؤمن إذا علم أن الرسول ﷺ لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح دينه ودنياه وآخرته وعقباه وتيقن أنه ﷺ أشفق الناس عليه وألطفهم إليه وحينئذ يرجح جانب أمره بمقتضى عقله على أمر غيره وهذا أول درجات الإيمان وأما كماله فهو أن يكون طبعه تابعا لعقله فى حبه ﷺ قيل ومحبته ونصر سُنته والذب عن شريعته والاقتداء بسيرته[٨].

ولأن هذه المحبة تنتج الطاعة وتستلزم الاتباع كان ثوابها عند الله عظيماً، فعن صفوان بن قدامة ـ رضى الله عنه ـ قال: «هاجرت إلى النبى ﷺ فأتيته فقلت: يارسول الله ناولنى يدك أبايعك فناولنى يده فقلت: يارسول الله أنى أحبك قال: «المرء مع من أحب»[٩].

والمعنى أن صفوان ـ رضى الله عنه ـ مع النبى ﷺ فى الجنة، ومحال أن يرقى امرؤ إلى منزلة رسول الله ﷺ فى الجنة إلا بالعمل الصالح المتواصل والاقتداء الكامل الذى لاينقطع، لذا قال العلماء تعليقا على هذا الحديث ما معناه: «أجاب الرسول ﷺ صفوان ـ رضى الله عنه ـ بحكم عام شامل تام فيه إشارة إلى أن المعية على قدر المحبة الموجبة للطاعة». تأكيدا لقوله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ لأنس ـ رضى الله عنه ـ: «من أحبنى كان معى فى الجنة»[١٠] وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ (أن رجلاً ـ قيل هو ثوبان مولى رسول الله ﷺ أتى النبى ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ فقال: يا رسول الله لأنت أحب إلىّ من أهلى ومالى، وإنى لأذكرك فما أصبر حتى أجىء فأنظر إليك وإنى ذكرت موتى وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين، وإن دخلتها لا أراك. فأنزل الله ـ تعالى ـ:

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾[١١]

---

(٨) شرح الشفا جـ ٣ ص ٢٣٩.
(٩) رواه الترمذى والنسائى.
(١٠) رواه الأصفهانى فى الترغيب.
(١١) النساء (٦٩)





فدعا به فقرأها عليه.

في هذه الآية دليل على أن المراد بالمحبة.. الطاعة والامتثال.. ولذا فسر العلماء قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ أي يحبهما ويتبع أمرهما.

وأكبر دليل على أن المراد بالمحبة الطاعة قول الرسول ﷺ لمن أخبره أنه يحبه: «أعني على نفسك بكثرة السجود» أي بكثرة الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر المؤدية إلى لزوم الطاعة والامتثال والاقتداء.

فإذا كان هذا معنى حب الرسول ﷺ فإن ما يفعله كثير من المسلمين الآن من ادعاء الحب مع البعد عن سنته ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ ومخالفة أمره ونهيه مع الاكتفاء بقصائد المديح والصلاة على الرسول فيما يسمى بالتواشيح لا يغنيهم فتيلا ولا يقربهم من رسول الله ﷺ حتى يحيوا سنته ويقيموا شريعته.

يقول الشيخ الغزالي ـ رحمة الله عليه ـ في مقدمة كتابه (فقه السيرة):

وما جنح المسلمون إلى هذه التعابير في الإبانه عن تعلقهم بنبيهم إلا يوم أن تركوا اللباب المليء وأعياهم حمله فاكتفوا بالمظاهر والأشكال ولما كانت هذه المظاهر والأشكال محدودة في الإسلام فقد افتنوا في اختلاق صور أخرى لن تكلفهم جهداً ينكصون عنه) ثم يقول: (فليفقه المسلمون سيرة رسولهم وهيهات أن يتم ذلك إلا بالتفقه في الرسالة نفسها والإدراك الحق لحياة صاحبها والالتزام الدقيق لما جاء به.. ألا ما أرخص الحب إذا كان كلاما وأغلاه عندما يكون قدوة وذماماً).

أما وقد عرفنا كيف نحب رسول الله ﷺ فقد بقي علينا أن نعرف كيف نحتفل بميلاده ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ.

أنحتفل بهذه الذكرى العاطرة بالدفوف نقرعها ونتمايل على دقاتها أم بالحلقات التي يسميها كثير من الناس ذكراً، والذكر مظلوم فيها وبريء منها إذ يحدث كل شيء فيها من غناء وطرب وتمايل أقرب ما يكون إلى الرقص عند الذكر.. أم نحتفل بالحلوى والمأكولات أم بالقصائد والموشحات؟

يالضيعتنا إن كان ذلك كل احتفالنا بمولد رسول الخير والهدى سيد الرسل والورى وما أشد تفاهتنا وإسفافنا إذا كانت هذه المظاهر هي كل صلتنا برسولنا العظيم المكافح الجاد، إن الصورة المثلى للاحتفال بميلاد خير الأنام ﷺ تتمثل بعد الاقتداء به في عرض سيرته وحياته وكفاحه وصبره على أنفسنا تبصرة وتذكرة، وتعليما لشبابنا الذي أصبح معظمه في معزل تام عن حياة المصطفى ﷺ نتيجة الجهل المطبق بتاريخه وسيرته وسيرة خلفائه وأصحابه بينما هم على معرفة شبه تامة بما يسمون النجوم في الفن والرياضة.

إن سيرة النبي محمد ﷺ حافلة بالدروس المفيدة والعظات النافعة وما أحرانا أن نتتلمذ عليها وتربي أبناءنا على نورها كي تعيننا على اجتياز الطرق المدلهمة والظروف الصعبة التي تعيشها معاشر العرب والمسلمين.

فاللهم عرفنا بسيرة رسولك وفقهنا في سنته وارزقنا حبه الحب الذي يحفزنا إلى العمل والطاعة.. اللهم آمين،،

وصلى الله على سيد الخلق وصاحب الذكرى وسلم.

# يا خير من يشفي الضنا مس كفه (*)

**لفضيلة الشيخ/ محمد الطاهر الحامدى**

**أهدانى الأستاذ الطاهر الحامدى شذرات من شعر والده الكريم فرأيت أن اختار إحداها بمناسبة الذكرى العاطرة بمولد رسول الله ﷺ . وها هى ذى:**

**د. محمد رجب البيومى**

هلالُ ربيعٍ عدت باليمن ثانيا ... فحركتَ أشجانى وهيجت مابيا
وأضرمت نار الوجد بين جوانحى ... وأبديت منه اليوم ما كان خافيا
وأذكرتنى أيام كنا بطيبةٍ ... نشم الغوادى أو نشم الغواليا
وأحييت آمالى ونحنُ بواليا ... وجددت لى عهد الصبا والتصابيا
وقربت لى دار الحبيب كأننى ... أراها وإن شط المزارِ حياليَا
ومثلت لى لمَّا دنونا من الحمى ... وقد أغرقتْ منا الدموعُ المآقيا
ولما عطفنا نحو روضةِ أحمدٍ ... وقمتُ تجاه القبر ثمْ مناجيا
وقمت تجاه القبر ولهان باكيا ... أبث له وجدى وأشكو التنائيا

(*) قيلت هذه القصيدة بمناسبة المولد النبوى الشريف عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

أناشده المعطف الذى هو أهله ... وأسأله عما جنيتُ التغاضيا
وأرجوه أن يأسو جراحي وعلتي ... ومازال في رأيي الطبيبَ المداويا
هو المصطفى أزكى البرية محتدًا ... وأشرفها أصلا وأكرم ناديا
وصفوة خلق الله إنسا وجنةً ... وأفضل مبعوث إلى الخلق داعيا
أقام على الإنصاف والعدل ملةً ... تُحاكي رواسيها الجبال الرواسيا
تباشرت الدنيا بليلة وضعه ... وعم به كل السرور النواحيا
وزادت به حسنا معاهدُ مكةٍ ... وفاقت مغانيها الحسانَ الغوانيا
أتاها كغوثٍ من الحيا متدفقا ... ولاح كبدر التم يجلو الدياجيا
وقد خرت الأصنام للأرض سجدا ... وإيوان كسرى قد غدا متداعيا
وقد خمدت نار المجوس لأنها ... رأت نوره الوضاح أزهر صافيا
أيا خير من تسعى المطايا لأجله ... ويا ملجأ العاني قصيا ودانيا
ويا خير من يشفى الضنا مس كفه ... ويا خير من يكفي الخطوبَ العواديا
ومن جوده فاق البحار زواخرا ... وفي بأسه فاق السيوفَ المواضيا
قصدتك من مصر ومصرُ بعيدة ... وجئتك ظمآنا أجوب الفيافيا
أجوب الفيافي مستهاما متيما ... وأقضي الليالي هاطل الدمع هاميا
(على نفسه فليبك من ضاع عمرُه) ... وما ذاق من سلسالها العذبَ صافيا
أيا سيد السادات مهما تعاظمت ... ذنوبي ومهما قد جنيتُ المساويا
فمازلتُ مشغولا بحبك مغرما ... ومازال قلبي حافظ العهد راعيا



أحن إلى وادى العقيق تشوقا ... إليك واشتاق النقا والعواليا
واهتز إن غنى الحداة بطيبة ... لأنك فى أحشائها بتَّ ثاويا
فبالله خلِّى الطيف منك يعودُنى ... ويبرى جراحاتى ويشفى سقاميا
وقد كنت قبل اليوم فى الوصل طامعا ... ولكن قنعت اليومَ بالطيف ساريا
على أننى بالهجر أرضى وبالنوى ... إذا كنت يا مولاى بالهجر قاضيا
ومالى لا أرضى بأمر قضيته ... وأنت طبيبى والخبير بدائيا
ومهما يكن لى فى الحقيقة مأرب ... فإن رضاك العذبَ أقصى مراميا
فيا حبذا لو أكرم الله خاطرى ... بهذا وبتَّ اليوم عنّى راضيا
إذا فزت يا مولاى بالحظ كله ... ونلتُ مدى قصدى وحزتُ الأمانيا
وهل مانعى هذا الرضا فعل زلة ... بها قدمى زلت وزل الهوى بيا
إذا ضاق بى باب النبى وجاهُهُ ... ففى أى باب بعدُ ألقى رحاليا

***

حنانا أبا الزهراء قد قل ناصرى ... ومس الضنى جسمى وولى شبابيا
وأصبحت مكسور الجناح مضيَّعا ... وبت قليل الحظ حيران صاديا
وقد خفت أن ألقى المنية بغتةً ... وفى النفس حاجات إليك كما هيا

***



## قصة العدد

# بشائر النبوة

**اتجه زيد بن عمرو بن نوفل إلى الكعبة ناقما، لأنه رأى الأصنام تعبد من دون الله، وشاهد الزائرين من كل صوب يطوفون حولها خاشعين، ويذبحون الضحايا من الإبل والبقر والغنم تقربا لها، ويعقدون عليها الآمال الدنيوية، فالمريض يلتمس شفاءه بزيارتها، والتاجر يرجو ربحه بعبادتها، والطريد يسألها الأمن، والمحارب يرجو منها النصر، وهى ألواح خشبية كانت مرماة فى قارعة الطريق، فأخذها نجار ليصنع منها آلهة، وجعل لها أسماء!**

**اتجه زيد بن عمرو إلى الطوفان الزاخر حول الكعبة، ليقول فى نفسه: أين عقول هؤلاء؟ أهذا دين إبراهيم الحنيف الذى دعا لعبادة الله وحده، وكسر أصنام قومه، فجعلها جذاذا إلا كبيرا منها اتخذه مدعاة سخرية واستخفاف! ثم مضى يتساءل عن سر هذا الانصياع الذى امتد به الزمن، فلا يجد صيحة تعصف به، ورآه ورقة بن نوفل متأففا يريد وجهه من الحنق، فخاف على انفعاله أن يشتد، وصحبه إلى مكان فى أقصى البيت ليقول له: هون عليك يا زيد، فقد كابدت ما كابدت، ونصحت القوم فما استمع إلى أحد، وأوشك سفلؤهم أن يريقوا دمى، هون عليك يا زيد!**

قال زيد: ولماذا لا تهديهم إلى الحق، وهو جلى للعيان! فرمقه ورقة متطلعا ثم قال:

لكل صنم سادن يا زيد، يذيع عنه الأباطيل، ويزعم أنه يدبر الكون، ويرصد شئون الحياة، إن السدنة يجمعون الذهب والفضة مما يزعمون، فما يجدون صاحب حاجة يرجو، إلا فرضوا عليه النذور، وأخذوا ما معه من الفتات إن كان فقيرا. ومن الجامد والسائل إن كان غنياً، وقالوا له: إنهم يبذلون ما يأخذون فى سبيل الآلهة. وهم يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها!

قال زيد: وإذا كان السدنة مضللين؟ فأين عقول قريش؟

فضغط ورقة على يد زيد! وقال سامحك الله يا زيد! تسأل عن عقول قريش، وهى ترى عزها الشامخ، ومجدها الباذخ فى أن يفد الناس من شرق

وغرب، ليطوفوا بهذه الأصنام! كما ترى في حمايتها عزة ومهابة لها بين العرب، هذا إلى ما تربحه من الموسم التجاري حين يأتي الناس بعروضهم ويبيعون ويشترون، ومنهم من يطمع في الرياسة في بلده حين يزعم أنه أهدى الأصنام من حر ماله. وساق الهدى لها عن طوع، فيزداد مكانة وحظوة! وهكذا تآمر الناس على أن تكون الأصنام مجلبة جاه، ومورد ثراء، والناس هم الناس!

فظهر الغضب الآسف في دم زيد، وقال: ولكني لن أرجع عن مهاجمة الأصنام! لأن الله وحده هو المعبود، تلك ملة إبراهيم الحق، فلماذا أسكت عن الأباطيل يا ورقة!

قال ورقة: أخزى الله عمرو بن لحي فهو الذي جلب هذا العار للبيت منذ مئات السنين؟

فانتبه زيد كمن استيقظ من غفلة، وصاح بورقة: سمعت عن عمرو هذا؟ ولم أتحقق حديثه، فبالله خبرني عما تعلم عنه، فقد تستطيع بما تعرف من غيه أن ترشد الناس إلى ما ابتدع من ضلال!

قال ورقة: كان عمرو بن لحي زعيماً في مكة، فنازعه ابن عمه، وجلب عليه بماله وسطوته، وعز على عمرو أن يندحر بعد استعلاء، وقد نظر فرأى المال باب السيطرة في القوم، وبه استطاع ابن عمه أن يستحوذ على نفوذه، فأصر على أن يضرب في شاسع الأرض، حتى يعود بما يرفع من قدره، أو يظل شريداً تائهاً، لا يرى عزته تزول بمكة، وسيطرته تغيب عنها، وهو قابع في منزله لا يملك شيئاً!

سار عمرو في فجاج الأرض، حتى وصل إلى البلقاء من أرض الشام، فشاهد أصناماً تعبد هناك، وسأل عنها بعض السدنة، فقال إنها آلهة تنفع وتضر! فتعجب لما سمع، ثم رأى السادن يجمع المال من كل وافد، حتى ضاقت خزائنه بما يجمع، فتودد إليه وقال له: ولماذا يبذل الناس لك المال عن طوع! فقال: ليس لي ولكنه للآلهة وقد أجازت لي أن أتصرف فيه كما أشاء! وقد أنفقت ما أنفقت وبقيت كنوز الذهب معي لا أستطيع لها إنفاقا، وهنا تنبه عمرو إلى ما أهمه، فحدث نفسه أن يكون سادناً للأصنام. وأن يجمع المال فيثرى ويعظم، وهنا قال للسادن أتسمح لي أن أحمل أحد هذه الأصنام إلى الكعبة ليعبده الناس! فضحك السادن، وقال: عجباً لك يا مكي، تحمل الصنم من البلقاء إلى مكة متعباً جاهداً، وأنت تستطيع أن تصنعه من خشبة هناك! فسكت عمرو قليلاً ثم قال: وكيف أصنع الصنم من الخشبة أمام القوم، ويصدقون أنه إله يعبد، وله قوة الأمر والنهي؟

قال السادن: خذ الخشبة إلى منزلك، واصنعها مستترا، واخرج بها إلى الناس، وكأنك أتيت بالصنم من البلقاء.

قال عمرو: وإن كذبتني امرأتي، وهي تشهد الخشبة قبل أن تصنع! فضحك السادن وقال: تكذبك، وهي ترى المال يملأ بيتها، والناس يعظمون قدرك، هي إذن حمقاء! وقد اقتنع عمرو بحديث السادن، وشاهد المكيون صاحبهم يخرج عليهم بصنم سماه «هبل» ودعا الناس إلى عبادته، وجعله مصدر الرجاء والأمل، فهرع إليه ذوو الحاجة من كل صوب، ولم يكتف عمرو بصنم واحد، بل كان يحدث أصناما متعددة بتوالي الأيام، حتى امتلأت الكعبة على عهده وعهد من تبعه! هذه قصة الأصنام يا زيد!

فصاح زيد: تعرف هذه القصة. ولا تذيعها في الناس! أما والله لابد أن أشيعها بين الزائرين والقاطنين حتى أكشف هذا الزيف الصريح! ولم يتمالك زيد أن وقف على أعلى الصفا وصاح: إلىَّ يا قوم، فهرع الناس نحو الصفا من كل حدب، فقال: إنكم تعبدون خشباً وأحجاراً، ابتدأ بها عمرو بن لحي، وإن ملة إبراهيم الحنيف تدعو إلى رب واحد، هو رب السموات والأرض!

دهش الناس، وقالوا: أمجنون هذا؟ أيعيب عبادة الأصنام! وهمُّوا به، ولكن الخطاب بن نوفل عم زيد، رأى أن يكون هو المتصدى لزيد، كيلا يسبه أحد من القبائل الأخرى، فيضطر إلى نصرته باسم العصبية، وتسمه قريش بالجبن والعقوق إن تلكأ، فأقدم الخطاب إلى أعلى الصفا ليزيح زيد بن أخيه، ويقول له: أعرف أنك مجنون يا زيد، ولئن استمررت على غيك لأريقن دمك! ويصفق القوم للخطاب، وينسحب زيد مخذولاً، فيتلقاه ورقة آسفا ويقول له في عتاب: ألم أقل لك؟ جربت يا أخي من قبل، فلقيت الهوان!

لم يصبر الخطاب بن نوفل على فعل ابن أخيه، بل توجه إليه في منزله مع مشيخة من بني عدى قومه، وقادوه مقيدا بالحبال إلى مغارة بجبل أبي قبيس، يأتيه طعامه وشرابه، ولا يخرج حتى ينتهي موسم الحج قبل الإسلام، وزيد صابر يتلمس رجلاً ينصره في محنته فلا يرى غير دموع ولده الصغير سعيد بن زيد، الذي يقول له سائلا معك يا أبي في مغارة الجبل، فيقول زيد: تعال يا سعيد لأعرفك ما في نفسي، أنت غلام صغير، فانظر إلى هذه الصخرة القائمة في مرأى عينك بأعلى الجبل، ما قيمتها؟ فيقول حجارة لا تضر ولا تنفع، فيقول الوالد، لو جاء الخطاب بن نوفل من الغد وقطعها، وحمل منها جزءاً يجعله صنما، هل تغير وضعها؟ فيقول الغلام: لا، يقول الوالد: هذا ما أريد أن أعلنه بين الناس فأقول: إنكم تعبدون من دون الله حجارة لا تضر ولا تنفع! فيقول سعيد: ولكن الناس جميعاً يعبدون الحجارة، فماذا تفعل معهم؟ قال الوالد: لقد قلت يا بني وسأقول.

انتهى موسم الحج، وفكت أغلال زيد بعد تهديد الخطاب ووعيده، وكانت صحته قد توعكت لما لاقى من برودة الجبل، وقسوة المعاملة، وتهكم الناس، وقد اشترطوا عليه ألا يبرح داره إلا بإذن الخطاب فقبل ظاهرا، ثم ارتقب حتى إذا حان موسم عكاظ تسلل خفية إليه. وفي نفسه أن يصادف رجلاً عاقلا يبثه نجواه إذ ليس من المعقول أن تكون جميع القبائل الضاربة في الجزيرة العربية شمالا وجنوبا خالية من رجل عاقل يأتي إلى عكاظ فيعلن رأيه في سوقها، كما أعلن زيد رأيه في ساحة البيت، وفي أعلى الصفا، وصح ما توقع زيد أن يكون، إذ ما كاد يأتي هذه السوق، حتى وجد رجلاً مهيباً يلبس السواد، ولحيته البيضاء تملأ وجهه نوراً. وقد ركب جملا أورق فعلا مكانه وارتفع صوته وهو يقول:

أيها الناس اسمعوا وعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا، اعلمُوا أن من عاش مات. ومن مات فات. وكل ماهو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، إن في الأرض لعبرا، وإن في السماء لخبرا، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تُركُوا هناك فناموا، لا ورأس قُسّ، إن للكون إلهـا هو وحده الذي يملكه ويتصرف فيه..





ذُهل زيد لروعة ما يسمع، وأخذ يتأمل قول الرجل: «إن للكون إلهاً هو وحده الذي يملكه، ويتصرف فيه».

ويقول: هذا ما أعنيه! وكأنه هاب الخطيب فلم يشأ أن يتقدم إليه، وهو على جمله الأورق، فوقف غير بعيد، يحادث رجلاً، رأى على وجهه من الدهشة ما يرى مثله في نفسه، فقال له في تودد: من هذا يا أخاه! فقال الرجل: ألا تعرفه، إنه خطيب العرب قُسُّ بن ساعدة الأيادي! وهو من قومه في منعة، يتكلم بما يشاء فيسمعون ولا يعترضون! قال زيد: ولماذا يحبه قومه، ولا يؤذونه، وقد آذاني قومي لأني قلت بمثل ما قال؟

فنظر الرجل إلى زيد وقال: إن بني إياد قد رأوا قُسّاً يجلس في الصحراء وحوله الأساد، تقرب منه ولا تؤذيه فعلموا أن له مكانة تحول دون إيذائه، فهل تقدر أنت إخضاع الأساد! قال: أما هذه فلا!

زاد زيد رسوخاً في عقيدته، وصمم على أن يهاجر بدينه إلى حيث يرى بصيصاً من ضياء! وأين، لقد علم أن صوامع الرهبان تملأ الآفاق في العراق والشام واليمن، وأن بها من يهدونه السبيل، وإذا كانت مكة قد ضاقت به. وإذا كان رئيس قومه الخطاب بن نوفل قد جعل عشيرته إلباً عليه، فليرحل إلى حيث يطمئن قلبه دون اضطهاد، وانتهز زيد أول قافلة تسير، فالتحق بها، ورحب ببعده عن مكة، كما رحب بذلك من تضايقوا منه في أهله وعشيرته، وصاحب الفكر المستمد من يقينه، يستشعر قوة تعينه على البلاء، وإذا كانت الرحلة مجهدة على مثله، فإن هذه القوة ظلت تمده بالعزم، وتطلق من لسانه، إذا اجتمع بالرهبان والمتألهين! لقد كانت خطبة قس موقد لهيب متأجج في صدره، فلعله يسمع أمثالها ممن يؤمهم في كل دير، وقد سئل عن نسبه وبلده، فقال: إنه عربي مكي! وكان عجيباً أن يسمع أن مكة ستكون مشرق النور، بل سمع فعلاً أن نبياً بُعث بمكة بعد أن ارتحل، وأنه يدعو دعوة إبراهيم، ويقول لقومه إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، وقد خطب بأعلى الصفا فقال في أول كلمة علنية هتف بها: والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً وإنها لجنة أبداً أو لنار أبداً!..

ما هذا الذي فوجيء به زيد!! لقد ظن مكة موئل الشرك فإذا هي الآن مشرق التوحيد، وعليه أن يسرع إلى القافلة الجديدة التي أشرق عليها الضياء. لو كان يعلم ذلك ما تكبد هذه الرحلة المضنية، وما تعرض لصعاب شاقة تغلب عليها بقوة يقينه، وسيتغلب على مثلها رب هم بالرجوع، كانت كل خطوة تدنيه من مكة مبعث فرحة في قلبه وابتسامة في ثغره، وقد تصور نفسه وقد رجع إلى مكة. فوقف بأعلى الصفا وصاح: يا قوم لقد حدثتكم بالأمس في هذا المكان بما كنتم تنكرون. وأنا اليوم أحدثكم بما يعرفه نفر من خياركم. إذ ظهر نبي التوحيد، وأنا أول متبعيه! تصور زيد نفسه هكذا، ولعله أعد في خياله خطوات متتابعة ينهض بها في سبيل تأييد الدعوة ولكن ما يعده المرء في خياله لن يكون حقيقة واقعة، إلا إذا قدر لها أن تكون، وقد قدر الله أن يموت زيد في طريق العودة إذ هجم عليه من يريد أن يأسره ليصبح عبداً تحت يده، وقد دافع الرجل عن نفسه ما استطاع، حتى لقي حتفه موحداً غريباً! وسئل الرسول ـ ﷺ

ـ عنه، فقال: إنه سيبعث أمة وحده.

أشرق النور الوضيء في مكة! وأفاق سعيد بن زيد بن عمرو على أصداء الرسالة الجديدة، رسالة التوحيد، فاستمع إليها في حنين، وتذكر ما قاله أبوه له وهو في مغارة أبي قبيس إذ سأله: يا سعيد انظر إلى هذه الصخرة القائمة في مرأى عينك بأعلى الجبل، ما قيمتها؟ فيقول سعيد: حجارة لا تضر ولا تنفع! فيقول زيد: لو جاء الخطاب بن نوفل من الغد. وقطعها. وحمل منها جزءاً يجعله صنماً، هل تغير وضعها؟ فيقول سعيد: لا، فيرد الوالد، هذا ما أريد أن أعلنه للناس فأقول إنكم تعبدون حجارة لا تضر ولا تنفع! تذكر سعيد ذلك. فجاشت في نفسه عواطف شريفة واندفع إلى زوجته فاطمة بنت الخطاب بن نوفل، يحدثها حديث الأمس عن أبيه زيد، وحديث اليوم عن رسالة محمد بن عبدالله! فأشرق في صدرها نور الإيمان كما أشرق في صدر سعيد، وذهبا إلى الرسول فأديا الشهادة، وكتبا ما سمعاه من آيات القرآن، ورجعا إلى منزل زيد، يعيدان ذكراه، ويتلوان آيات كتاب الله!

مات الخطاب بن نوفل! ولم يشهد مشرق النور في مكة! وقام ولده عمر بن الخطاب مقامه في محاربة الإسلام، وقد سمع أن أخته فاطمة وزوجها سعيداً قد اعتنقاه. فهاج هائجه. وتوجه إلى منزلهما يقرع الباب في عنف، وهما يتلوان شيئاً من كتاب الله، ودخل مغيظاً فسارعت فاطمة تخفي الصحيفة بين فخذيها، وأخوها يسأل في حنق: ما هذه الهينمة التي سمعتها قبل أن ألج الباب؟ لعلكما صبأتما كما صبأ المستضعفون؟! فقال سعيد في هدوء: أرأيت يا عمر لو كان الحق على غير دينك، ماذا أنت صانع؟ فوثب عمر عليه وبطش بلحيته وتواثبا وكان عمر شديداً فضرب بسعيد الأرض، وجلس فوق صدره، وهرعت فاطمة تدفعه فلطمها بيده حتى أدمى وجهها، فصاحت به أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله رغم أنفك!! فلما سمع عمر مقالة أخته. أدركه هدوء لم يعهده، وقال: أين الصحيفة التي كنتما تقرءان منها، فقالت أخته: إنك رجس، ولا تمسكها حتى تغتسل. فنهض مذعناً. وكأن قوة خافية بدلت شعوره، فدفعت إليه الصحيفة. وكانت تحمل الآيات الأولى من سورة طه. فجعل عمر يقرأ حتى إذا وصل إلى قول الله:

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾(1).

فصاح عمر: ينبغي لمن يقول هذا، أن لا يعبد معه غيره، دلوني على محمد.

ابتهجت فاطمة وابتهج سعيد، إذ رأيا ما لم يكونا يتوقعان! وهتف سعيد، في هذه الدار المؤمنة هتف زيد والذي بالحق، وفي هذه الدار أسلم فتى قريش عمر بن الخطاب! وهتفت فاطمة: وسيكون إسلام أخي عزة وتأييداً لدينه الحنيف! وبهجة لرسول الله ﷺ.

**عابر سبيل**

---

(1) طه (14 - 16).




# مولد النبي صلى الله عليه وسلم (١)

للأستاذ/ محمد فريد وجدي

إعداد وتقديم الشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

**من الأحداث الكريمة ما يغير مجرى التاريخ الإنساني، ويبدل أوضاع الحياة، ويعدل سلوك الناس، وينقلهم من الضيق إلى السعة، ومن الجور إلى العدل، ومن الرذيلة إلى الفضيلة، ومن أنصع الحوادث التي مرت بالإنسانية فغمرتها بالنور والسعادة، ونقلتها من الضلالة إلى الهداية، ومن الظلم والفجور إلى العدل والتقى : ميلاد الرسول الأكرم محمد بن عبد الله النبي الأمي الذي أرسله ربه إلى الإنسانية يقوم منها السلوك والأخلاق، ويوجهها إلى الكمال في ترابط ونظام لا يختل إذا ما استكانت إلى وحي الله، واهتدت بسنة رسول الله ﷺ.**

إن حياة صاحب الذكرى محمد ﷺ قانون إلهي خالد وكتابه بحول الله وقوته يتلى، وفيه صلاح الدين والدنيا، وإن من أساس الإسلام أن تطيع الله في كتابه، ونطيع الرسول - في سنته وآدابه

فهل مع هذا النبع الإلهي الصادق يظل المسلمون في مراغة الخمول، ويقتنعون بالدون، ويتخلون عن مكان الصدارة في هذا الوجود.

أما لو أنهم اتخذوا من أحكام ربهم منهاجا، ومن كلام رسولهم علاجا، لو فعلوا ذلك لرفع الله عنهم الإصر، وأنعم عليهم بما لا يقع عن النعم تحت الحصر.

قال الكاتب - رحمه الله -:

يبحث المؤرخ المنصف تاريخ محمد - ﷺ - فيرى أمرا جللا: يرى نبيا أرسل بشريعة لهداية الخلق كافة، وأيد بالآيات، فلم يمض على رسالته كبير زمان حتى أسس على

(١) مجلة الأزهر ملحق العدد الثالث / ربيع الأول سنة ١٣٥٤هـ المجلد السادس.

أنقاض الجاهلية الأولى دولة أصبحت بعد سنين معدودة، سيدة الدول فى العلم والحضارة، كلما أنشأ من فلول الأمم المتباغضة، أمة كان لها تاريخ حافل بالعظائم وجلائل الأمور.

وأخيرا يرى أن ما جاء به - ﷺ - من ضروب الإصلاح الاجتماعى قد دُعّم على أصل راسخ عام صالح لكل الأزمان، ولكل الأمم والبيئات.

فإذا قارن المؤرخ هذه الأصول بما أتى به بعده كبار المجددين لم يجد لهم شيئا مذكورا. هذا قول لم يحمله علينا التحمس للعقيدة، ولكنه يعبر عن حقيقة يسهل التدليل عليها من طريق عملى محسوس، لا من طريق الاستنتاج الذى يمكن أن تقبل مقدماته التعديلَ أو التجريح.

نعم: إن محمدا أوجد أمة، ولكن أية أمة؟ هنا مجال فسيح للكلام يقف حياله علم الاجتماع حائرا، لخروجه عن دائرة النواميس المعروفة، ولدلالته على مؤثرات علوية لم تدخل فى نطاق معلوماته وتجاربه بعد.

وهو مؤسس دولة، ولكن أية دولة؟ هنا أيضا ميدان بعيد الأرجاء للقول يرى علم السياسة نفسه إزاءه ضئيلا، حتى ليكاد يعتقد أنه لايزال فى المهد.

وهو صاحب شريعة، ولكن أية شريعة؟ وهذا موطن للبيان لو عرض على صاغة القوانين، وفلاسفة الأشتراع لحاروا فى فهم كيف تتولد أصول هذه الشريعة قبل أن تولد مقتضياتها ولم تنضج لها الشئون الاجتماعية بعد؟ وكيف تبلغ أقصى ما يتخيله العقل من العدل المطلق، ولم يتحقق هذا الخيال فى أرقى الأمم إلى اليوم؟

وهو رسول ديانة، ولكن أية ديانة؟ وهذه باحة قصية الأكناف تقوم تجاهها فلسفة الأديان حيرى لاتدرى كيف تروج أصول هذه الديانة السامية فى شعب كان بالأمس مضرب المثل فى الفوضى والجهل؟

وهو واضع أصول إصلاح عام شمل جميع ما قام به العباقرة بعده من التجديدات - فى سائر فروع النشاط الإنسانى فى خلال قرون متوالية إلى يومنا هذا. وهذا موطن يجد علم النفس فيه أنه من القصور بحيث لايستطيع أن يفهمه فضلا عن أن يدلى فيه برأى.

## أمة محمد

أتدرى ما هى أمة محمد؟ هى أمة رابطتها الاجتماعية الأصولُ الأدبية، والمبادىء الخُلقية، لا الحاجات المادية، ولا الضرورات المعاشية. فهى أول أمة فى تاريخ العالم قامت على هذه القواعد الخالدة. وهذه الرابطة بهذا الوصف وُضعت لتسع العالم كافة، بصرف النظر عن اختلافهم فى البيئات والألوان واللغات، خلافا للروابط الاجتماعية المبنية على الحاجات المادية، فهى لاتصلح إلا لقوم تجمعهم بيئة واحدة، وتؤلف بينهم مقتضيات مشتركة. فالأولى رابطة جامعة لأمة، والثانية خاصة مفرقة.

لهذا السبب جمعت الرابطةُ الاجتماعية الإسلامية بين آحاد من قوميات شتى، وأجناس ليس بينها أدنى صلة من لون ولا لغة ولا تاريخ. فالأمة التي تقوم عليها يصح أن توصف بأنها عالمية عامة.

ولما كانت رابطتها المبادىء الأدبية، والأصول الخلقية، كانت بنيتها تأبى الاعتداد بالفوارق القومية، وبالطبقات الاجتماعية، ولا تعول إلا على شيء واحد وهو الفضائل الشخصية. وقد أشار الله إلى ذلك بقوله – تعالى –:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[1].

وقال النبي – ﷺ –: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى أو بعمل صالح، كلكم من آدم وآدم من تراب»[2].

هذا لعمري أجلُّ من أن يقال فيه إنه ترق في رابطة الاجتماع، لأنه فذ في نوعه لايمت إلى الروابط الاجتماعية بأدنى صلة. فأين تلك الروابط التي تقوم على الحاجات القومية التي أثرها الفرقة والعداوة، من هذه الرابطة الإسلامية التي تقوم على الناموس الأدبي ويكون من أثرها التسوية بين الناس، ومعاملتهم كافة بالعدل والإحسان، ورفع الأصلح إلى أعلى مكانات الشرف ولو كان عبدا حبشيا، أو أسود زنجيا، أو نزيلا أعجميا، أو مجهول الأصل؟

فهذه أول أمة في تاريخ العالم وصل فيها الذين كانوا عبدانا بالأمس إلى ولاية الخطط الحكومية، وإلى سيادة الأقاليم في العلم والإمامة.

فكم تقدَّر أن يمر من الزمن حتى تصل أرقى الأمم إلى مثل هذه الحالة الاجتماعية المبنية على العدل المطلق، والحقوق الطبيعية؟

## دولة محمد

دولة محمد – ﷺ – ديموقراطية دستورية بأوسع ما يحتمله مدلول هاتين الكلمتين: فهي ديموقراطية لأنها كانت شعبية محضة مُحقت فيها الفروق الطائفية، والامتيازات الأريستوقراطية. وُجِّه الخطاب فيها إلى الشعب كافة لا إلى طبقة منه خاصة؛ ووزعت الحقوق والواجبات فيها على الأفراد على حد سواء، لافرق بين ذكر وأنثى ولا بين سيد ومولى؛ وفتحت آفاق الوصول إلى الغايات البعيدة أمام المتنافسين من كل جنس ولون وبيئة، ينال قصب السبق فيها مَن سمتْ به همته وكفايته إليها لايصده حائل من أي نوع كان. ألم يول النبي – ﷺ – بلالا على المدينة وفيها جلة العرب من الأنصار والمهاجرين وهو عبد حبشي اشتراه أبوبكر وأعتقه؟

أولم يسند عليه السلام إلى مهران الفارسي ولاية اليمن وهو من صميم الفرس،

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٢) مجمع الزوائد (٨/٨٤).



فلما مات أسندها إلى ابنه؟ أو لم يقل صلوات الله عليه وسلامه: «سلمان منا أهل البيت» وهو فارسي لاتزال العجمة تعتور لسانه؟

وقد جرى أصحابه وأتباعه على هذا المبدأ لأنه أصل من أصول الإسلام. قال الحسن البصري - رضي الله عنه -: حضر باب عمر سهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام وأبوسفيان ابن حرب في نفر من قريش من تلك الرءوس، وصهيب وبلال من أولئك الموالي (أي الذين كانوا بالأمس عبيدا) وقد شهدوا بدرا. فخرج إذن عمر لأولئك الموالي وأخر أولئك السادة. فقال أبوسفيان: لم أركاليوم قط: يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لايلتفت إلينا؟! فقال سهيل بن عمرو وكان رجلا عاقلا: أيها القوم إني والله أرى الذي في وجوهكم، إن كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم، دُعي القوم ودُعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم؟

وكانت دولة محمد - ﷺ - دستورية، لأن الحكومة قيدت فيها بكتاب إلهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وهذه أخص صفات الأمم الدستورية. وقد حقق هذا الكتاب كل أغراض الحكومة الدستورية: فجعل الحكم شوريا، وحذف الامتيازات الفردية والطائفية، ومحا ما بين الطبقات من الفروق في الحقوق والواجبات، ووحد الشريعة، وأخضع لها الكافة لا فرق بين حاكم ومحكوم. رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو يطوف على الناس رجلا وامرأة على فاحشة، فحار في أمره، فجمع الناس وخطبهم وقال: ما قولكم إذا رأى أمير المؤمنين رجلا وامرأة على فاحشة؟ فنهض إليه علي بن أبي طالب وقال: يأتي على صحة قوله بأربعة شهداء وإلا فيقام عليه حد القذف.

الله أكبر! أرأيت قوما في جميع أدوار الحكومات أرسخ أقداما، وأقوى إيمانا في الدستور من هؤلاء؟ هذه هي الدولة التي وضع محمد أساسها، وشيد بنيانها قبل أن يعرف الناس حقيقة الدستور ومعنى الديموقراطية الصحيحة بنحو اثني عشر قرنا.

## شريعة محمد

شريعة محمد - ﷺ - أساسها المساواة والعدل بأخص معاني هاتين الكلمتين: المساواة والعدل بين الأغنياء والفقراء، وبين الشرفاء والوضعاء، وبين العلماء والجهلاء، بل وبين المؤمنين والكافرين، لا يتهضم فيها حق ضعيف لضعفه، ولا يحابى فيها مؤمن لإيمانه.

حدث وعمرو بن العاص واليا على مصر أنَّ أحد ولده ضرب رجلا من العامة لأمر بدر منه قائلا له: أنا ابن الأكرمين. فلما كان موسم الحج تكلف المجني عليه بمشقة الانتقال إلى المدينة ليرفع أمره إلى أمير المؤمنين نفسه. فبينما كان عمر في حشد من رجال دولته



وفيهم عمرو بن العاص وابنه، قام ذلك الرجل ورفع أمره إلى الخليفة، وأقر الضارب بما فعل. فناول أبوحفص الشاكى درته ( عصاه ) وقال له: اضرب ابن الأكرمين كما ضربك، فصدع الرجل بما أمر به حتى اشتفى. فالتفت أمير المؤمنين إلى المشكو منه وقال له: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟

انظر كيف ساوى عمر بين ابن قائد من أكبر قواد دولته، وبين رجل من عامة الناس لا يمت إلى أحد بصلة؟ ولكن مبدأ المساواة الذى أوجبه الإسلام على القائمين بالأمر هو الذى دفع عمر إلى ما فعل، ولم يصادف فعله اعتراضا من أحد، بل أعجب به الكافة، وجعلوها منقبة من مناقبه.

وحدث أيضا أن يهوديا شكا على بن أبى طالب إلى عمر فى أمر كان بينهما، فأحضرهما أمير المؤمنين للنظر فى شأنهما. فلما عرض قضيتهما التفت الخليفة إلى على وقال له: قم ( يا أبا الحسن ) فقف بجانب خصمك، فلاح على محيا علىّ شئ من التأثر. فقال له عمر: أكرهت يا على أن تقف إلى جانب خصمك؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين ولكننى رأيتك لم تسوّ بينى وبينه، إذ عظمتنى بالتكنية ولم تكنه.

ما أجلّ هذه الآداب وأكرمها، وما أولى مثل هذه الأمة بسيادة الأمم، وقد نصب الخصوم أنفسهم على المبادئ العالية حراسا، وعلى حرم العدالة حفظة!

وغرض شريعة محمد - ﷺ - العدل المطلق لا المقيد ببيئة أو طائفة أو أى امتياز لأحد. فليس أمام هذه الشريعة شريف ووضيع، ولا أبيض وأسود، بل ولا مؤمن ومشرك، ولكن أمامها أن تصل إلى العدل الخالص من الشوائب فى كل ما يستنزل فيه حكمها. أتريد أعجب من وصايتها بالعدل حتى فى مواطن البأس حيث تتهاوى السيوف على الرقاب، وتتسابق الرماح إلى الصدور، وتغلى الدماء فى رؤوس الأبطال طلبا لإحدى الحسنيين؟!

نعم: تطالب شريعة الإسلام أهلها بالعدل حتى فى هذه المواطن، وتنذر المقصرين فى جنبه بالعقاب الشديد. أرأيت شبيها بهذا العدل فى تاريخ الشرائع الوضعية حتى لدى الأمم الآخذة بأكبر قسط من المدنية؟ قال الله - تعالى -:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾(٣)

( أى ولا تحملنكم عداوتكم لقوم على أن لا تعدلوا فيهم )

﴿ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٤)

---

(٣) سورة المائدة الآية ٨.

(٤) سورة المائدة الآية ٨.

وقال - تعالى -:

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾(٥)

حقا لم تر الأرض شريعة أرسخ قواعد في العدل، ولا أبعد مدى في المساواة واحترام الحقوق والحياة الإنسانية، من الشريعة الإسلامية. ويخيل لي أنه قد تنقضي أجيال كثيرة ليصل التطور الاجتماعي بالناس إلى فهم كنه هذه العدالة الإلهية.

## ديانة محمد

ديانة محمد - ﷺ - عامة للبشر كافة، قال الله - تعالى-:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(٦)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾(٧).

ربما يستبعد بعض السطحيين أن يكون للناس دين عام تسكن له نفوسهم، وتطمئن به قلوبهم، وهم يتخالفون عواطف وميولا ووجهات وأغراضا، وقد قضى عليه هذا التخالف بأن يتخالفوا في أديانهم ونحلهم إلى ما بعد الحدود المعقولة حتى بلغ عدد الأديان في الأرض المئين الكثيرة. ولكن لو دقق هؤلاء السطحيون في هذه المسألة لرأوا أن كل هذه الخلافات عرضية اقتضتها أحوال عرضية مثلها، الزمان كفيل بإزالتها، ومتى زالت استقر أمر الإنسان على الحقائق الطبيعية.

ولتفصيل هذا الإجمال نقول: إن الإنسان منقاد في نشاطه الأدبي والمادي إلى عاملين: فطرته الإنسانية، وعقله فأما فطرته فهي جملة الغرائز والميول والعواطف التي طبع عليها، وهي مشتركة في جميع أفراد نوعه. وأما عقله فهو ذلك النور العلوي الذي منحه ليستضيء به في ظلمات هذا العالم، ويفرق به بين الحق والباطل والحسن والقبيح لمصلحة وجوده وترقيه.

نعم: كثيرا ما يفسد الناس فطرهم بالتعاليم الضارة والعادات المرذولة، ويطمسون نور عقولهم بالعقائد الباطلة، والموروثات المضلة، ولكن ناموس الترقي دائب على تخليص الفطرة والعقل من شوائب التربية الناقصة، وحجب الوراثات والتقاليد الساقطة. وقد لوحظ أثر ذلك الناموس في كل زمان ومكان، وهذا الأثر اليوم أصبح جليا واضحا بتقدم العلوم، وارتقاء

---

(٥) سورة البقرة ١٩٠.

(٦) سورة سبأ الآية ٢٨.

(٧) سورة النساء الآيتان ١٧٤، ١٧٥.

المدنيـة، حتى إننا لنجد أن سليمي الفطرة والعقل من كل نحلة يؤلفون أسرة عالية قد توحدت ميولهم، وتساوت عقولهم، فتوافقت مذاهبهم، وتلاءمت مداركهم، وأصبحوا على بعد الديار إخوانا كأنهم اشتقوا من نبعة واحدة. وسيكثر عديدهم على مر الزمان بشيوع العلوم حتى تكون لهم الغلبة في العالم كله.

فإذا كان هذا التآخي بين الناس في المذاهب والمرامي نتيجة طبيعية لسلامة الفطرة وصحة العقل، فإن الله قد أقام دينه العام عليهما، فقال – تعالى –:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(8).

وقد أكثر من الإشادة بذكر العقل فختم عشرات من الآيات بقوله – تعالى –:

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(9). وقال – تعالى – في الهالكين:

وحصر الخير كله في العقل فقال:

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾(10).

﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾(11) وقال النبي ﷺ: «قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له»(12).

والدين الإسلامي في ذاته سيؤيده حتما جهاد الإنسان وراء العقيدة الجامعة العادلة التي يصبو إليها، ويمكن أن تتفق كلمة العالم كافة عليها، فتزول من بينهم هذه الخلافات التي فرقتهم شيعا، وأحلت التناكر بينهم محل التعارف، والتزاحم محل التعاطف. فالديانة الإسلامية تقتضي القائم على صراطها أن يعترف بأن دين الله واحد لا يتعدد، وأنه قديم كقدم العالم، وأن الخلاف المشاهد بين أصحاب الأديان قد أتى من بغي قادتها، في تحريف بيناتها، وتأويل آياتها، وأن الدين الجامع لميول العالم كافة هو الذي ينص على الإيمان بجميع رسل الله وكتبه لا يفرق بين أحد منهم، وأن يستقيم على جادة العقل والعلم حتى يصل إلى الكمال الذي دُفع بفطرته للوصول إليه. فأنزل الله الإسلام موفيا بهذه الحقائق العلمية فقال - تعالى -:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ ﴾(13)

(8) سورة الروم الآية ٣٠. (9) سورة البقرة الآية ٧٦. (10) سورة الملك الآيتان ١٠، ١١.
(11) سورة الرعد ١٩. (12) المطالب العالية رقم ٢٧٤٧، وابن عدي (٩٦٧/٣). (13) سورة الشورى الآيتان (١٣، ١٤).

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ ﴾ واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم، الله ربنا وربكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا حجة بيننا وبينكم) الله يجمع بيننا وإليه المصير».

وقوله - تعالى - : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ ﴾ أى فادع لهذا التوحيد فى الدين. وقوله:

﴿ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ﴾ أى: لا محاجة: ولا خصومة.

وقال - تعالى - :

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾(١٤).

وقال - تعالى - :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾(١٥)

وقال - تعالى - :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾(١٦).

فالدين فى نظر الإسلام كل لا يتجزأ، يجمع كل من أرسله الله للأمم من رسل، وما أنزل إليها من كتب، فهو عام فى جوهره، شامل للإنسانية كلها بطبيعته. قال الله - تعالى - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾(١٧).

هذا هو الإسلام الذى جعله الله دينا عاما للبشر، أفلا ترى أن انتهاء الناس إليه سيكون كنتيجة طبيعية لمحاولاتهم الأدبية، متى خلصت فطرهم وعقولهم من الشوائب التى رانت عليها، وتجلت لها آيات الله بتقدم العلوم واستبحار الحكمة؟

نعم: وهذا ما أشار الله - تعالى - إليه بقوله:

﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾(١٨)

بل صرح الكتاب بأن الإنسانية ستنادى إلى هذا تحت تأثير ناموس التطور العام طوعا أو كرها، فقال - تعالى - :

---

(١٤) سورة آل عمران الآية ١٩.

(١٥) سورة الأنعام الآية ١٥٩.

(١٦) سورة البقرة الآية ١٣٦.

(١٧) سورة النساء الآيتان ١٥٠، ١٥١.

(١٨) سورة فصلت ٥٣.



﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(١٩).

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾(٢٠).

## اتيان النبى بجميع أصول الإصلاح العالمى

إن من مميزات الشخصية المحمدية أنها تلقت من طريق الوحى المباشر كل أصول التطورات الأدبية والفلسفية والعلمية مما ألهم ببعضه كبار العباقرة على توالى العصور، واعتبروا بسببه فاتحين لآفاق جديدة فى وجه الإنسانية.

فما ( ديكارت ) فى وضعه الشك أساسا للبحث، وما ( بيكون ) طارد الظنون والأوهام من حظيرة العلم، ( وما أوجوست كونت ) واضع الدليل على أساس المحسوسات، ما هؤلاء جميعا وغيرهم إلا مسبوقون بالنبى - ﷺ - قرونا كثيرة. ويجرى هذا المجرى كل ما حدث فى الأمم من الانقلابات الاجتماعية التى كان من ثمراتها تحرير العامة من أسر الخاصة، والاعتراف بالسيادة للحق لا للقوة، والتسوية بين الأقوياء والضعفاء فى الحقوق المدنية والسياسية، وإبطال امتيازات الطوائف والطبقات الاجتماعية، وتحرير العقل من أسر التقاليد الوراثية، وفرض حقوق للمحرومين فى أموال الطبقات الثرية الخ الخ من ضروب الإصلاحات التى تمت فى الأمم عقب ثورات دموية. كل هذه الانقلابات فى أحوال الأمم وشئونها أتى بها النبى - ﷺ - بوحى من ربه، ومضى فى تطبيقها على العمل. وقد افردنا لتفصيلها فصولا فى هذه المجلة لا يتسع المقام لإعادتها هنا.

إن محمدا - ﷺ - استنادا إلى هذه الدلائل المحسوسة القاطعة، يعتبر بحق أكبر نبى أنجبته الإنسانية، وهو الرجل الوحيد الذى تزداد عظمته كل يوم ظهورا بتقدم العلوم وارتقاء العقلية الإنسانية. ولسوف ينتهى العالم تحت سائق من العلم وإلى الاعتقاد برسالته العامة للبشر كافة، وإلى اعتبار الكتاب الذى جاء به وحيا إلهيا

﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(٢١).

---

(١٩) سورة آل عمران (٨٣، ٨٤).

(٢٠) سورة الزمر الآيتان (١٧، ١٨).

(٢١) سورة فصلت الآية ٤٢.



# إنها النبوة

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي

حقاً، إنها النُّبُوَّة، وليست سلطاناً أو مُلكاً

النُّبُوَّة، وما أعظمها!!

والوحي، وما أكرمه!!

والرسالة وما أرفعها!!

رسالة الله إلى محمد ﷺ سيد الأنبياء وخاتم المرسلين، رسالة إلى الإنسانية كلها، وإلى العالم جميعاً. وإلى البشر كافة وإلى كل العصور والأجيال.

رسالة حملت شريعة الله، وكان الإسلام هو نهاية المطاف في حياة البشرية، التي انحرفت عن جادة السبيل، وهوت في مزالق الشرك والضلال.

الإسلام هو النور يضيء الطريق، وهو الأمل يدفع بالناس إلى حياة الطموح والعمل، وهو العزة والشرف والفوز للمؤمنين، ولمواكب المحرومين والمعذبين والمضطهدين والحائرين.

لقد رفض نبي الإسلام أن يكون ملكاً حين عرضت قريش عليه الملك على أن يترك الدعوة لدين الله، وأبان للناس أنه رسول من الله.

وكان العرب يظنون النبوة ملكاً، حتى لقد قال أبوسفيان بن حرب للعباس عم الرسول ﷺ في فتح مكة، وقد شاهد من عظمة النبوة ما شاهد: والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك -الغداة- عظيماً، فردَّ عليه العباس: يا أبا سفيان إنها النبوة. وقال عروة بن مسعود، يوم وجهته قريش إلى الرسول مفاوضاً عام الحديبية: أيا معشر قريش، إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً قط في قومه مثل محمد في أصحابه، وأخطأ عروة، إنها ليست ملكاً، ولا سلطاناً إنها النبوة حقاً وصدقاً، وليست ملكاً ولا رياسة ولا شرفاً، إنها رسالة الله رب العالمين إلى خاتم النبيين وسيد المرسلين ﷺ.

وكان في الجاهلية من يطمح أن يكون له مثل هذا المجد الكبير، وأن يكون نبياً، كأمية

ابن أبي الصلت، ولكن الله أعلم بمن يمنحه رسالته، وكفر أمية وكان من الهالكين، بل كان منهم من طمع في أن تكون له الرياسة على قومه، وكانوا يظنون النبوة سيادة وملكاً وجاهاً ونفوذاً، فهذا الوليد بن المغيرة في مكة قد عملت له قريش تاجاً ليتوجوه به، وكانوا يسمونه «ريحانة قريش»، فلما اصطفى الله محمداً برسالته حسده وكفر به، وعظم عليه الأمر، واشتد في مقاومة الدعوة والرسالة، وهو والد خالد بن الوليد، وكان يقول: أينزل على محمد وأترك، وأنا كبير قريش وسيدها، ويترك ابن مسعود الثقفي سيد ثقيف، ونحن عظيما القريتين -مكة والطائف- فنزل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾(١).

ولما قدم رسول الله - ﷺ - المدينة كان سيد أهلها هو عبدالله بن أبيّ بن سلول، لا يختلف عليه في شرفه اثنان، ولم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين غيره، ومعه في الأوس رجل هو في قومه شريف مطاع، وهو «أبوعامر بن صيفي»، وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح، وصار يقال له «الراهب»، وكان يبشر برسول يبعث إلى الناس، ويطمع أن يكون هو ذاك الرسول، فلما بُعث رسول الله وهاجر إلى المدينة، وصار للإسلام فيها السيادة انتكس ابن أبي وأبوعامر هذا وانسلخا عن آيات الله، والتهم الحقد قلبيهما على رسول الله ﷺ، فتآمرا عليه بالعداوة والبغضاء والحرب الخفية والمعلنة، ولكنهما باءا بغضب من الله وعذابه، وقال سعد بن عبادة: يا رسول الله اترك ابن أبي لغضب الله، فوالله لقد جاءنا الله بك وإنا لننظم له الخرز لنتوجه، وإنه ليرى أن قد سلبته ملكاً.

ويقول الله - عز وجل - في كتابه الحكيم من سورة الأحزاب:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾(٢).

وسلام على نبي الله محمد في الأولين، وسلام عليه في الآخرين وسلام عليه إلى يوم الدين.

لقد بعثه الله رسولاً إلى العالمين، وبه ختمت الرسالات فهو خاتم المرسلين، وآخر أنبياء الله إلى البشر أجمعين.

---

(١) الزخرف (٣١، ٣٢).

(٢) الأحزاب (٤٥: ٤٧).

ويقول الله -عز وجل- لرسوله الكريم:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(٣).

ويقول:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(٤).

أرسله الله شاهدا على أمته بأنه قد بلغهم الرسالة، وأدى إليهم شريعة الله كاملة غير منقوصة.

وأرسله مبشرا للمؤمنين من أهل طاعته، ونذيرا للكافرين والعاصين، وداعيا إلى الله، وإلى منهج السماء، وإلى الإيمان والطاعة، وإلى الفضائل والصراط المستقيم، وسراجا منيرا يستضاء بهديه في كل شئون الحياة إلى يوم الدين.

والبشارة بشارة بالنصر والغلبة وانتشار الدين، وبشارة بالفوز بالنعيم المقيم في الدار الآخرة.

ومن ثم أطلق على رسول الله لقب «البشير النذير» وهو لقب شرف عظيم، ومجد كريم، لم ينعم به أحد غير رسول الله (ﷺ) وقد تكرر في كتاب الله لفظ البشير ولفظ النذير ومشتقاتهما أكثر من مائتي مرة ومن أولى وظيفة الرسالة أن يكون الرسول بشيرا ونذيرا، وما أجملهما من وظيفتين، وما أعظمهما من صفتين.

ولم تكن قريش تفهم معنى الرسالة والنبوة، ولا تدرك أن قدرة الرسول النبي لا تخرج عن قدرة البشر ولا تعلو على ما في متناول الإنسان.

لذلك قالوا لرسول الله ما قالوا، قالوا له ما يقصه علينا القرآن الكريم:

﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾(٥)

ومعنى جنة: أي بستان مثمر.

واستمر كفار قريش في لجاجهم وجدالهم، بل وسخريتهم، وكما يقص علينا القرآن الكريم، يقول الله - عز وجل -:

﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾(٦)

(٣) الأعراف (١٥٨).
(٤) سبأ (٢٨).
(٥) الفرقان (٧، ٨).
(٦) الإسراء (٩٠-٩٣).



ومعنى: كسفا أى قطعا، وقبيلا: أى جماعة أو مقابلة وعيانا. وزخرف: أى ذهب أو زينة مزوقة.

وكان رد الرسول عليهم واضحا وحاسما، قال لهم: ما جئت بما جئتكم به، أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثنى رسولا، وأنزل علىّ كتابا، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالات ربى، ونصحت لكم، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بينى وبينكم، وما بعثت بهذا، ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا.

وبهذا حدد لهم رسول الله (ﷺ) معنى الرسالة تحديدا واضحا لا لبس فيه ولا خفاء.

ولقد بشر رسول الله(ﷺ) الناس كافة بنزول الرسالة عليه، وبعموم هذه الرسالة، وخلودها ما دامت الدنيا وما بقيت الحياة.

ولسوف يبقى الإسلام شريعة الله فى الأرض، تتلاقى عليه الأجيال، وتسعد بضيائه العصور والأحقاب والدهور لأنه دين الله، وشريعة الحق والصدق، ودعوة الإيمان والتوحيد إلى البشرية كافة. دين أعلى من شأن العقل والفكر ورفع كرامة الإنسان إلى أعلى ما يطمح إليه الإنسان، وقام على الطهر والشرف وسمو الغاية، ونبل المقصد وعلى كل القيم الرفيعة، والفضائل السامية، ورعى حقوق الضعفاء والمعذبين فى الأرض، كما رعى المرأة والطفل والعامل والخادم والمريض والهرم والفقير والمسكين وجعل الزكاة فريضة والإحسان شريعة والصدقة سلوكا كريما فى الحياة.

وعزز مكانة الأسرة ومكانة الأم ومكانة الأب إلى أعلى درجة.

دين جعل العدل ناموسا للمسلم فى الحياة، وألزم المسلم به كما ألزمه بالتقوى وعمل الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلا.. والتحام طبقات المجتمع فى نسيج قوى متين وتكافل الطبقات اجتماعيا، من أهم فرائض الإسلام والعلم والقراءة واحترام العلماء، كل ذلك مبادىء قامت عليها حضارة الإسلام، وما أعظم ما نادى به ديننا الخالد

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾(٦)

---

(٧) فاطر (٢٨)



# في ذكرى المولد النبوي

## للشاعر المطبوع الأستاذ أحمد محرم

| | |
|---|---|
| من هيبة يغضي القريض ويطرق | ويميل فيك إلى السكوت المنطقُ |
| إيذن يفض هذا البيان فإنه | مما يفيض بيانك المتدفقُ |
| ما في النوابغ من لبيب حاذق | إلا وأنت ألبُّ منه وأحذق |
| إن يلبس الشعر الجمال منوراً | عبقاً، فأنت جماله والرونق |
| والقول مستلب المحاسن عاطلٌ | حتى يقولَ العبقريُّ المفلق |
| رُضْتُ الأوابد لي أقودُ صعابها | ورضيتني، إني إذاً لموفق |
| هي مُدْحَتي انطلقتْ إليكَ مشوقة | والسُّبْل تسطع، والمنازل تعبق |
| أنت المجال الرحب تحتصر القوى | فيه، وتمتحن العتاق السبق |
| (حسان) منبهر و(كعب) عاجز | و(الشاعر الجعدي) عانٍ موثق |
| أطمعتهم فتنازعوا فيك المدى | وأبيت فانقلبوا وكل مخفق |
| لي عذرهم، ما أنت من عدة المنى | إلا وراء مخيلة ما تصدق |
| أنت احتملت الأمر تنصدع القوى | مما يشق على النفوس، وتصعق |
| وسننت للمستضعفين سبيلهم | متبلجاً سمحاً يضئُ ويشرق |
| يمشي الهدى فيه على يدك التي | هي للهدى عضدٌ أبر ومرفق |

(١) من ديوان الشاعر الكبير.

ذُعرت (قريش) هل يبدل دينها … رجل ضعيف في العشيرة مملق؟

لا المال ينصره، ولا هو إن دعا … خفق اللواء له، وخف الفيلق

ينهى عن الأصنام وهي بموضع … تحمي حواليه النفوس وتمحق

المال والعرض الممنَّعُ سورُه … والمجد والشرف الصميم المعرق

من وصفه الأسد الضواري تدعى … والخيل تصهل، والقواضب تبرق

***

الحق أقبل في لواء (إمامه) … والحق أولى أن يسود وأخلق

يرمي به سود الغياهب ساطعا … تنجاب حول سناه أو تتشقق

حار الظلام، فما يلوذ بجانبٍ … إلا يحيط به الضياء ويحدق

الوحي مطرد، وبأس (محمد) … جار إلى غاياته لا يلحق

لا الضعف يأخذ من قواه ولا الوني … بأولئك الهمم الدوائب يعلق

بغْي الأولى خذلوه من أنصاره … والبغي نصر للهـ[1] ـحقق

زعموا الأذى مما يفل مضاءه … فمضى البلاء به، وجد المصدق

يأوي إلى النفر الضعاف وإنهم … لأشد منهم في النضال وأوثق

هم في حمى (الوحي المنزل) صخرة … تُعْيي الدهاة، وجذوة تتحرق

وهبوا لربهم النفوس كريمة … لا تفْتدى منه، ولا هي تعتق

المؤمنون الثابتون على الهدى … والأرض ترجف، والشوامخ تخفق

رزقوا اليقين، فلا ذليل ضارع … يطوي الجناح، ولا جبانٌ مشفق

جند النبي، إذا تقدم أقبلوا … والموت يفزع، والمصارع تفرق

صدعوا بناء الشرك تحت لوائه … فهوى، وطار لواؤه يتمزق

***

إن الذى جعل الرسالة رحمة ... لم يرحم الدم فى الغواية يهرق
بعث الرسول معلماً ومهذباً ... يبنى الحياة جديدةً يتأنق
بتخير الأخلاق ينظم حسنها ... فى كل ركن قائم وينسّق
عفت الرسوم وأخلقت فأقامها ... شماء لا تعفو ولا هى تخلق
قدسية الأرجاء، ما برحابها ... عنتٌ، ولا فيها مكان ضيق
تسع الممالك والشُّعوبَ بأسرها ... وتفيض خيراً ما بقين وما بقوا
عَرَفَتْ لحاجات العصور مكانها ... فلكل عصر سؤْلُهُ والمرفق
منعت مغالقها الشرور وما بها ... للخير والمعروف بابٌ مغلق
فيها لدنيا العالمين مثابة ... لولا التباعد والهوى المتفرق
(المصلح الأعلى) أتم نظامها ... فانظر أينقضه الغبى الأخرق؟
أوفى على الدنيا، وملْءُ فجاجها ... بَغْى يزلزلها، وظلم موبق
والناس فوضى فى البلاد يغرهم ... دينٌ من الخبل المضل ملفق
النفس مغلقة على أوهامها ... والعقل مضطهد يضام ويُرهق
سجدوا لما صنعوا! فأين حُلُومُهم؟ ... ولمن جباه بالمهانة تُلصق؟
أهى التى رفعوا وظنوا أنهم ... قوم لهم فوق السماك مُحلِّق؟؟
من يدعى شرف الحياة لمعشر ... كفروا بمن يهب الحياة ويخلق؟

***

إن تَنْبُ (مكة) بالرسول فما نبا ... عزم تُهدُّ به الصعاب وتُسحق
كَذَبَ الطغاة: أيرجفون بقتله ... والوحى سورٌ والملائك خندق؟؟
وَرَدَ (المدينة) زاخراً فجرى بها ... آذيُّهُ، وطما العُباب المغرق
بطلٌ توسّع فى ميادين الوغى ... لما تضايق عن مداه المأزق



ساس الحوادثَ والنفوس، فتارة ... يَقِصُ الرقاب، وتارة يترفق

يدعو إلى الحسنى، فإن جمح الهوى ... فالسيف مسنون الغرار مذلق

يرمي العدوان بكل أغلب باسل ... يهفو إلى غمراتها يتشوق

لمس العروش فما يزال يهزها ... ذعر يطوف بها. وهمٌ مقلق

صَدَعَتْ قُوَى الإسلام شامخ عزها ... فإذا الملوك أذلة تتملق

وإذا الممالك ما يهلل مغربٌ ... إلا استجاب له فكبر مشرق

***

هذا تراث المسلمين، فبعضه ... يُرجى علانية، وبعض يسرق

عجز الحماة، فنائمٌ متقلبٌ ... فوق الحشيّة، أو مغيظ مُحنق

عجزوا، فلا السلب المباح كريمه ... يحمى، ولا العاني المكبّل يطلق

القوم صمٌ في السلاح، وقومنا ... متصرع بعوى، وآخر ينعق

إن كنت ذا حق فخُذْه بقوة ... الحق يخذله الضعيف فيزهق

لغةُ السيوف تحُلُّ كُلَّ قضية ... فدع الكلام لجاهل يتشدق

وكن اللبيب، فليس من كلماتها ... شرع يداس، ولا نظام يخرق

الخيل والرهج المثار حروفها ... والنار والدمُ والبلاء المطبق

فتشت ما بين السطور فلم أجد ... أن الأسود بصيدها تتصدق

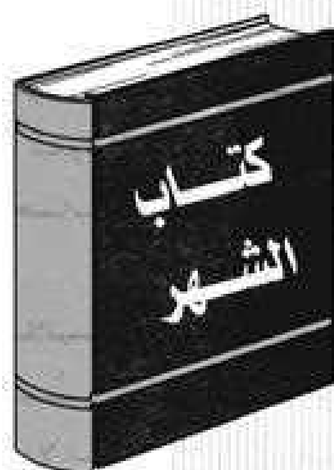
أرأيت أبطال الكفاح وما جنى ... أمل بأجنحة الرياح معلق؟

لا يأس من نفحات ربك إنني ... لأرى السنا خَلَلَ الدُّجى يتألق

***






# سيرة النبي محمد

تأليف

كارين أرمسترونج




عرض وتقديم

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

**مع ذكرى ميلاد خير البشرية تفعم النفس بمشاعر الحب، والوفاء، والإخلاص، التى تمازج كل ذرة فى كيان المسلم، وتهيمن على كل خلية تنبض بالحياة فى جسمه، وتوجه فكره، وتقود رؤاه.**
**من هنا.. رأيت مع إقبال شهر ربيع الأول، بما يحمل من أنسام عطرتها ذكرى مولده ﷺ أن أتخير واحدا من الكتب التى تناولت حياته ﷺ أو طرفا من حياته، أو التى تضمنت دراسة تناقش ما كتب عنه ﷺ.**

ومع كثرة هذه الكتب كثرة تستعصى على الإحصاء والمتابعة، ومع تنوع اتجاهاتها تنوعا يوقع فى الحيرة.. أثار انتباهى كتاب محمد للكاتبة البريطانية «كارين أرمسترونج»، فلما قرأته استحوذ على اهتمامى استحواذا حفزنى على أن تستقبل به مجلتنا العزيزة «الأزهر» شهر ربيع الأول، لعلى به أستطيع تقديم التحية لصاحب الذكرى ﷺ ولعلى به أستطيع أن ألفت نظر المسلمين إلى أن تقدير محمد ﷺ ليس منوطا بالنزوع العاطفى وحده، ولكنه ثمرة للعقل المتوازن، والفكر العميق كذلك، فهذه الكاتبة البريطانية إنما دفعها لتقديم تلك الدراسة الجادة عن محمد ﷺ ما لمسته فى أبناء الغرب من جهل به وبدينه، تملكهم بما توارثوه من رؤية عمياء، وآراء متعصبة، خلفها لهم آباؤهم وأجدادهم - عن جهل أو عن سوء مقصد - منذ حاولوا الاستيلاء على بلاد الشرق الإسلامى، فأشعلوا ما عرف بالحروب الصليبية، وما واكبها من دعاوى مضللة تسم الإسلام ورسوله بكل السمات المنفرة والمثيرة للازدراء والاحتقار.

وكان المحرك الأصيل لتلك الكاتبة ما أحدثه سلمان رشدى بروايته «آيات شيطانية» من رفض إسلامى ثائر أخرج الكثيرين عن الصواب، وقبول غربى مسيحى مرحب، فلم تقبل الكاتبة أن تسكت عن إعلان الحقيقة، ولو واجهت بها أبناء جلدتها. وكان أن نشطت لتقديم تلك الدراسة التى قصدت بها الإنصاف، وسعت من ورائها إلى تجلية الحقيقة، وتفسير ما يبدو على السطح هنا وهناك من خطل وخلل، متوسلة إلى ذلك بالخطاب الغربى الذى يقتحم على العقل مكمنه، فيحرك به العواطف، ويدفع إلى القبول الراضى المقتنع، فهى إنما تخاطب أبناء الغرب بذلك لتعدل الميزان لديهم، ولتصحيح الرؤية أمام أعينهم، فلا يندفعوا وراء هذا الزيف الحديث المتشح بسواد القرون الوسطى المضلل.

ومع ذلك، فقد رأيت فى تقديم الكتاب مترجما إلى العربية فائدة أخرى تعنى الدعاة وأصحاب الأقلام إذا اضطرتهم الظروف إلى مواجهة من يرفضون خطاب العاطفة فى شأن الإسلام ورسوله من العلمانيين الذين يعيشون بيننا، أو ممن ثقفوا ثقافة غربية من أبناء المسلمين.

## الإسلام والتعصب

وكتاب «سيرة النبى محمد» ألفته الكاتبة البريطانية «كارين أرمسترونج» التى شغلت بالبحث فى تاريخ الأديان، بعد أن قضت شقا من حياتها راهبة؛ فكرست جهدها للدراسة المستنيرة، والبحث الدءوب، لتصحيح المفاهيم، ودحض الأساطير.

وقد ترجم هذا الكتاب الدكتورة فاطمة نصر، والدكتور محمد عنانى، وقامت بنشره شركة سطور،



الطبعة الثانية سنة ١٩٩٨، فجاء في أكثر من أربعمائة صفحة، تضم عشرة فصول.

في الفصل الأول «العدو محمد» عملت الكاتبة على تقديم صورة محمد ﷺ في رؤية أبناء الغرب، لتوضح السر في عدم تفهم أبناء الغرب مدى الإساءة التي وجهت للمسلمين بسبب الصورة الخيالية التي رسمها سلمان رشدي للنبي محمد ﷺ في رواية (آيات شيطانية) مؤكدة أن أبناء الغرب لم يستشعروا شيئا مما استشعره المسلمون إزاء ذلك؛ لاختلاف رؤيتهم عن رؤية المسلمين اختلافا شاملا، ولو أن أبناء الغرب عرفوا مكان محمد ﷺ من نفوس المسلمين، لعرفوا أن سلوكهم تجاه سلمان رشدي لم يكن عن تعصب لا يرجى لهم البرء منه، كما توهم أبناء الغرب، ولكنه رد الفعل للتعدي الكاذب على محمد بقصد تشويه صورته.

وما كان لأبناء الغرب أن يدركوا ذلك، لأنهم مازالوا خاضعين لما توارثوه عن أجدادهم من كره حاقد لمحمد ﷺ جعلهم لا يرون محمدا على حقيقته، ولا قريبا من حقيقته. ولم يكن لذلك من سبب موضوعي، سوى رفض أبناء الغرب المسيحي للآخر، على ما بدا واضحا، منذ عهد لويس التاسع، فالغرب المسيحي ـ لا الإسلام ـ هو الذي لا يطيق التعايش مع الآخرين.

ومن هنا.. أخذت الكاتبة تستعرض من الأحداث ما يؤكد أن المسلمين أبعد الناس عن هذا التعصب؛ فذكرت ما كان من الراهب (بير فكتوس) سنة ٨٥٠م، حين خرج إلى سوق قرطبة ـ عاصمة دولة الأندلس الإسلامية ـ فسأله بعض المسلمين أن يفاضل بين النبي عيسى، والنبي محمد، فتحفظ في أول الأمر، ثم انطلق يصب وابلا من الشتائم والسباب في نبي الإسلام ـ على الرغم من أن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين كانت طيبة على وجه العموم ـ وعند تقديمه للمحاكمة قدر القاضي المسلم أن الراهب كان ضحية استفزاز من بعض المسلمين، فلم يحكم بإعدامه، على ما يقضي به القانون في ذلك الوقت، ولكن الراهب أفلت زمامه ثانية، وطفق يسب نبي الإسلام سبا بذيئا، فقدم للمحاكمة من جديد، ولما نفذ فيه حكم الإعدام قام جماعة من المسيحيين بتمزيقه قطعا، ليضفوا عليه هالة من التقديس، ويظهروا المسلمين في هيئة المتعصبين.

وأصبح هذا المسلك الجنوني يمثل ظاهرة، اضطرت أسقف قرطبة نفسه إلى أن ينهض لمقاومتها، والحد من تيار هذا التقديس المزيف، الذي يضفونه على كل من يسب محمدا والإسلام، حتى إذا أعدموا جعلوهم شهداء، ونهضوا يدافعون عنهم، ويزعمون أنهم من «جنود الله» الذين كانوا يقاتلون دفاعا عن عقيدتهم.

وذكرت الكاتبة أن المسلمين ـ إلى ذلك ـ لم يكونوا ينفرون من الاستماع إلى ما تقوله الأديان الأخرى، فلم يكن قانون الإمبراطورية الإسلامية يحرم جهود الدعوة المسيحية، بشرط أن لا يتعرض المسيحيون في غضون ذلك للهجوم على النبي محمد.

ومن هنا.. ظل أبناء أديان التوحيد الثلاثة ـ اليهود والنصارى والمسلمون ـ يعيشون في سلام نسبي على مدى الأعوام الستمائة التالية، على الرغم مما كان يسود أوروبا من تخلف وهمجية، كان من آثرها ما أصاب اليهود هناك من بطش، وقتل وطرد.

## عداوة محمد موروث غربي

وتقرر الكاتبة أن الغربيين في ظل هذا التسامح الإسلامي انطلقوا يحاربون الإسلام، حتى يوقفوا مده



الكاسح، فأخذوا يرسمون صورة من خيالهم تضم كل المنفرات، ليخيفوا منه عامة أبناء الغرب، ويحولوا بينهم وبين الإسلام بستار كثيف يخفي الحقيقة كل الإخفاء.

وكان على رأس هؤلاء الغربيين المتعصبين القسيسان ( يولوجيو ) و( بول الفارو )، اللذان نهضا ينشران عن محمد ﷺ الأكاذيب المضللة، مستعينين في ذلك بما كان لديهما من سيرة مختصرة لحياة محمد، أعدها في أواخر القرن الثامن أحد الأديرة ( ديرلير ) بالقرب من بامبلونا.

وعلى الرغم من أن بعض الباحثين قد حاولوا وضع تصور موضوعي صادق لنبي الإسلام وللدين الذي أتى به، ولكن الصورة الخيالية التي قدمها هذا القسيسان كانت أسرع انتشارا، وأقرب إلى نفوس العامة من الغربيين، حتى أصبح محمد العدو الأكبر للهوية الغربية الناشئة، واستمر هذا الوهم مسيطرا على الغربيين حتى يومنا هذا.

وقد اهتم القائمون على الحروب الصليبية من الأوربيين بإشاعة هذه الأوهام الخيالية عن محمد ﷺ وعن الإسلام، حتى يقنعوا العامة في أوربا بجدوى الحرب، فيتقبلوا تكاليفها المادية والمعنوية الباهظة عن طيب خاطر، مادام فيها تطهير الأماكن المقدسة من هذا الوباء الذي اصطلح هؤلاء الصليبيون على أن يطلقوا عليه ( القذارة )، وأن يحرفوا اسم محمد ﷺ ليطلقوا عليه ( ماهوند )، والصقوا به من الصفات المنفرة، والأفعال الأسطورية الكاذبة ما يسوغ لهم تفسير نزول الوحي عليه بمعاناته من مرض الصرع، واتهامه بأقذع ضروب الشذوذ والدجل؛ من كل ما يجعلهم اليوم يتقبلون ما جاء في رواية ( آيات شيطانية )؛ لاتفاقها مع الأوهام الغربية الراسخة.

وتواصل الكاتبة قائلة: وحقيقة الأمر أن الغربيين إنما لجئوا إلى ذلك تعبيرا مشتطا عن بواعث قلق المسيحيين على هويتهم؛ فلجئوا إلى وصم الإسلام بما فيهم من عدوان على الآخرين، أناطوه بعقيدتهم ليضمنوا استجابة عامة الأوربيين لهم، ويحملوا صورة المسيحية في عدوانها.

ولما فرضت الكنيسة على رجال الدين الامتناع عن الزواج، لجئوا إلى وصم الإسلام بأنه دين المتعة والشهوة.

ولما حظر الغرب مناقشة المسائل الدينية – خصوصا في زمن الحملات الصليبية – بادروا بإلصاق هذه التهمة بالإسلام، وهو بريء منها كل البراءة.

## والجهل الطاغي وراء التعصب ضد المسلمين

وتأكيداً لذلك قدمت الكاتبة عدة صور تعكس آثار تجاوز ذلك، ولما وجدوا أن أثر الإسلام في الأوربيين أقوى من آثار تصرفاتهم الإرهابية هناك؛ فقد فرضوا على المسيحيين مقاطعة جيرانهم المسلمين، وصدرت تشريعات كنسية بهذا. وفرضوا على المسلمين أزياء خاصة بهم، حتى أعلن البابا ( كليمنت الخامس ) سنة ١٣٠٥م– ١٣١٤م أن وجود مسلم على الأرض يعتبر إهانة لله.

وفي ظل هذا بادر الحكام بالتخلص من المسلمين إرضاء للكنيسة، وأعانهم في ذلك المفكرون والأدباء. ولقد شذ بعضهم عن ذلك فحاولوا التوصل إلى رؤية تتسم بشيء من الموضوعية، كما نرى في دراسة ( وليم مافريري ) في نحو سنة ١١٢٠م حيث بلغ العداء للإسلام ذروته – التي جاء فيها: «إن أبناء الشرق والأتراك يعبدون الله الخالق، ويجلون محمدا، لا باعتباره ربا، بل باعتباره نبيا لهم؛ ولكن مع تلك



المحاولة الحجولة المنصفة من بعض الغربيين كان العداء للمسلمين يتفجر، مطبوعا بالعنف الشديد.

وقد استمرت صورة الإسلام الموهومة التي روجها نصارى قرطبة، وقادة الحروب الصليبية، ومعهم رجال الكنيسة.. استمرت هذه الصورة الموهومة والمكذوبة مسيطرة على أبناء الغرب في عصر النهضة الأوربية، حتى أولئك الذين تصدوا للدراسات الإسلامية؛ فقد قدم ( بارتلمي ديربيلو ) سنة ١٦٩٧م دراسته التي وصفها بأنها ( دائرة المعارف الإسلامية الأولى )، فجاء حديثه في مقدمتها عن محمد، مما يبعث على الأسى، حيث ردد فيها ما كان يردد من قبل من نعوت وصفات للإسلام ولمحمد ﷺ كاذبة لا تليق.

وفي هذا العام نفسه نشر المستشرق الإنجليزي ( همفري بريدو ) كتابه ( محمد: طبيعة الرجل الحقيقية ) مؤكدا به استمرار سيطرة الأفكار غير العقلانية على المفكرين الغربيين.

ومع إشراق القرن الثامن عشر بدأ بعض المفكرين - على استحياء وخوف من إغضاب العامة - يعدلون من نظرتهم إليه فيما يكتبونه، كما وضح في كتاب تاريخ الإسلام الذي أصدره ( سايمون أوكلي ) سنة ١٧٠٨م، وكتاب ( أخلاق الأمم وروحها ) الذي قدمه ( فرانسوا فولتير ) سنة ١٧٥٦م، وكتاب ( حياة محمد ) الذي قدمه ( الكونت هنري دي بولانيه ) سنة ١٧٣٠م.

ولما أراد المستشرق الهولندي ( يوهان يعقوب رايسكي ) المتوفى سنة ١٧٧٤م أن يبرز السمة الربانية في حياة محمد ونزول القرآن، أصابه اضطهاد زملائه؛ فالتعصب الموروث كان أقوى من مقاومة بعض الأصوات التي حاولت الإنصاف، أو النظر الموضوعي إلى محمد ﷺ وإلى القرآن الكريم.

ومع اتسام القرن التاسع عشر بسيطرة الروح الاستعمارية، تملك الأوربيين اعتقاد سقيم بتفوقهم على الأجناس الأخرى، وأن عليهم إنقاذ العالم الهمجي في أفريقيا وآسيا من مصابهم، فانتكس التفكير الأوربي، وعاد إلى ما كان عليه إبان الحروب الصليبية، ففي عام ١٨١٠ - ١٨١١م نشر ( شاتوبريان ) كتابه ( الرحلة من باريس إلى أورشليم، ومن أورشليم إلى باريس ) وصف فيه القرآن بأنه لا يتضمن « مبدأ واحدا من مبادىء الحضارة، ولا فرضا يسمو بأخلاق الإنسان »، وأنه « لا يحض على كراهية الطغيان أو حب الحرية ».

ودعم الأوربيون نهجهم القولي على الإسلام بالانقضاض العسكري في وحشية على الأرض الإسلامية، حتى إن المؤرخ الفرنسي المعاصر ( م. بودريكور ) وصف إحدى تلك الغارات بقوله: « وحتى جنودنا الذين عادوا من الغارة كانوا يشعرون بالخجل » من كل ما أغضب العالم الإسلامي، وأشاع مشاعر العداء للغرب بينهم، فتولد من بين المسلمين من نزع إلى مواجهة التعصب الغربي بالتعصب الإسلامي الذي تمثل في رفض الغرب خيره وشره، ومقاومة كل ما يفد من أوربا. وكان أن قابلنا ذلك في الغرب بوضع أنماط وقوالب جديدة للتعبير عن كراهيتنا للإسلام، مستغلين مسألة ( سلمان رشدي ) في تصوير الإسلام بأنه يهدر دم الإبداع وحرية الفنان، مخالفين الواقع الحقيقي للإسلام الذي وقفت عليه من خبرتي في دراسة القرآن، وتاريخ الإسلام.

وتصرح الكاتبة بأنها إذ تقرر ذلك عن الإسلام والقرآن تعلم سلفا ما سوف يجلبه ذلك عليها من





اتهام بالنفاق والجهل، من وجهة نظر من يحيون التقاليد الصليبية التى تعتبر أن أى احترام للإسلام يعنى الخيانة الثقافية . ولكن الذى يخفف عنها من أثر ذلك أن هذا الاتجاه الصليبى لايسير فيه جميع النقاد الغربيين اليوم .

فالمشكلة الغربية – فى مجملها – ترجع إلى أن الغرب ظل على امتداد قرون طويلة ينظر – عن تعصب أو عن جهل – إلى محمد باعتباره مناقضا للروح الدينية، وعدوا للحضارة المهذبة .

## محمد رجل الله

وتخلص الكاتبة من استعراضها صورة محمد ﷺ فى رؤية الغربيين لتقدم – على عجل – فى الفصل الثانى ( محمد رجل الله ) صورة مجملة لمحمد– ﷺ– كما تبدو على صفحة الواقع العربى والعالمى والتراثى . وكأنها تلاحق القارىء بالصورة الحقيقية لمحمد ﷺ تؤكد بها ما قررته فى الفصل الأول من أن تعصب الغربيين وجهلهم كان وراء تشويه صورة محمد هذا التشويه الغريب .

وفى هذا الفصل استعرضت الكاتبة نهج كتب السيرة التى قدمت سيرة محمد ﷺ فى تاريخها المبكر، لافتة النظر إلى تميز محمد ﷺ والإسلام من بين سائر الأنبياء والقادة والديانات بوجود وفرة من المؤرخين سعت بكل وسيلة فى زمن مبكر للتأريخ لهما، معرِّفة بمنهجهم فى تقصى الحقائق، ومعاناتهم فى التنقل وراء الأخبار والمعلومات، منبهة إلى مواطن الدقة فى جمعهم المعلومات وتحليلها، وتصفيتها، ثم عرض مايستوثقون من مصداقيته، مع نسبته لمصدره، تاركين للقارىء حرية اختيار الأصلح والأكثر مصداقية، فرغم تبجيلهم لمحمد لم تكن كتاباتهم لونا من سير القديسين غير النقدية .

ثم أخذت الكاتبة تستعرض البراهين التى تقرر أن محمدا ﷺ رجل الله، فذكرت أن تعاليمه أطلقت مخزون قوة العرب، لدرجة أنهم – وفى خلال مائة عام – امتدت امبراطوريتهم من جبل طارق إلى الهيمالايا، وأنهم لم يحققوا هذه الانتصارات بسهولة، ولكن ارتكازهم على الدين جعلهم يستهينون بذلك، وكتب لهم البقاء، وذكرت أن القرآن بأسلوبه غير العادى كان وراء دخول كثيرين فى الإسلام فور سماعه، كما كانت قوته وراء تغيير شعوب كثيرة للغاتها، وأنه قدم محمدا شخصية شديدة الإنسانية، قوية المشاعر، لديه مواهب روحانية وسياسية عظيمة، وأنه ألقى على كل واحد من الأفراد المتدينين مسئولية إقامة مجتمع خير عادل، فلم يدع أحد من المسلمين أنه مقدس .

وذكرت أن معرفة محمد باليهودية والمسيحية كانت محدودة للغاية، فلم يعمل على إحلال الحل التوحيدى من خلال موروث ذى رؤية خاصة، ولكن شق طريقه وحده نحو روحانية توحيدية خالصة . وأنه بنهاية حياته كان قد قضى على جذور دورة العنف القبلى المزمنة التى تسود المنطقة، كما قضى على الوثنية .

ولكى توضح أبعاد ما أحدثه محمد ﷺ فى بلاد العرب، وقيمة قضائه على العنف والوثنية قدمت فى الفصل الثالث ( الجاهلية ) صورة للبلاد العربية وللعرب فى ظلال الجاهلية، وعلاقاتها بالدولتين العظميين المجاورتين لها، وأثرهاتين الدولتين فى التوجه الدينى لبعض القبائل العربية،

ووصول صور المسيحية المحرفة إلى وسط الجزيرة العربية. وأشارت إلى تقبله بعض القيم الإنسانية التى تتوائم مع الإسلام مثل المروءة والكرم ـ ورفضه من ذلك مالايتوائم مع الإسلام مثل الثأر، والغزو، والسطو، إلى غير ذلك مما ينافى الأخلاق.

وفى ثنايا ذلك تعرضت الكاتبة لما يقال عن الإسلام خطأ أنه دين الصحراء، بينما هو شأن جميع الأديان كان نتاجا للمدنية، وإن كان ذلك غريبا عليهم فى أوربا، لأنهم درجوا على اعتبار عزوف عيسى عن العالم هو خلاصة الروح الدينية.

## الوحـــى

وفى الفصل الرابع (الوحى) مهدت الكاتبة لبحثها بحديث عقلى متبصر عن حياة محمد المبكرة، فعقدت مقارنة سريعة بين ماروى عن ميلاد محمد ﷺ وطفولته، وماروى عن المسيح عليه السلام وماقد يكون صنعه الخيال فى هذه الروايات، ثم ميزت محمدا بأنه لم يكن صانع معجزات كعيسى ـ عليه السلام ـ ولكنه كان دائم القول: إن تنزيل القرآن هو فى حد ذاته معجزة، وأنه كثيرا ما كان يصر على أنه رجل مثل كل الرجال.

ومع ذلك.. كانت هناك إرهاصات بقرب بعث نبى من العرب جعلت بعض العرب يهيئون أنفسهم لذلك، وجعلت بعضا آخر يسعى لمحاولة التعرف على من يمكن أن ينال ذلك الشرف، حتى إن بعض المسيحيين العرب فى الكنيسة السريانية ترجموا جزءا من الإنجيل بطريقة تبين أنهم كانوا يتوقعون رسالة محمد، وأن بعض هذه الترجمة جاءت مطابقة لما ذكره القرآن من أن المسيح بشّر برسول من بعده اسمه أحمد، وأن أحد حاخامات اليهود السوريين نبه يهود يثرب إلى ذلك، ودعاهم إلى المسارعة لتوطيد علاقتهم به، من كل مايشير إلى سيطرة عدم الارتياح الروحى على العرب وغيرهم فى مطلع القرن السابع الميلادى.

وأتبعت الكاتبة ذلك باستعراض لبعض ماذكرته كتب السير عن طفولة محمد ونشأته، وفى أثناء ذلك أشارت إلى ما أبداه بعض الباحثين من تشككهم فى ممارسة محمد التجارة، وعزت ذلك التشكك إلى كراهيتهم محمدا؛ لعدم وجود سبب يدعو إلى اختراع أمر كهذا.

وذكرت ـ فى إيجاز ـ ماتحقق لمحمد من وراء اشتغاله بالتجارة، وأبرزت من بين ذلك إعجاب خديجة بنت خويلد به إعجابا دفعها إلى السعى للزواج منه، وكانت زيجة موفقة ـ على الرغم من غمز كثير من الغربيين ـ ولا أدل على ذلك من أنه لم يتزوج بأخرى أصغر منها سنا طوال زواجه منها، كما تستدل بذلك على أن تعدده الزواج بعد ذلك لم يكن لاستجابة عاطفية، أو جنسية، أو سعيا وراء مصلحة شخصية.

وتلتفت الكاتبة فى أثناء ذلك إلى دور محمد ـ وهو فى الخامسة والثلاثين ـ حين احتكم إليه زعماء قريش فى شأن وضع الحجر فى مكانه من الكعبة بعد إعادتهم بناءها، فقدم الحكم الذى أرضى الجميع، وقضى على النزاع، تشير إلى ما كان عليه من فطنة، وما كان له فى النفوس من تقدير.

ثم خلصت الكاتبة إلى الحديث عن خلوته للتعبد، وتلقيه الأحلام الصادقة، دون أن يكون لديه إدراك لما وراء ذلك؛ فهو ـ كما نعلم من القرآن ـ لم يتخيل قط للحظة واحدة أنه سيكون ذلك الرسول،




ولذلك كان وقع زيارة الملك له في الغار عنيفا على نفسه، حيث أصابه من الفزع ما الجاه إلى العودة السريعة إلى زوجته يرتعد، متوسلا إليها أن تدثره حتى تزول عنه أسباب تلك الرعدة كما تصور.

وترى الكاتبة أن ماصادفه محمد في خلوته، وما أصابه من جراء ذلك قد عانى منه أنبياء سابقون ـ بيد أن محمدا يختلف عنهم في أنه لم يكن هناك دين آخر قائم يؤازره ويساعده على تأويل تلك التجربة، وكل ماكان.. أن خديجة عملت على تخفيف الأمر عليه بنفسها وبواسطة ابن عمها ورقة بن نوفل الذى كان ملما بعض الإلمام بالديانات السابقة، والذى أشاعت تعليقاته على ماحدث في نفس محمد الطمأنينة، حيث صاح قائلا: قدوس. قدوس، والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني ياخديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة، فقولي له: فليثبت.

وتحاول الكاتبة أن تقرب أمر الوحي إلى عقل الغربيين الذين كانوا من قبل يحكمون على مثل تلك الرؤى بأنها هستيريا، أوعقائد فاسدة، فتذكر أن ماحدث الآن من كشوف علمية تفرض رفض هذه الأحكام القديمة، وتقرب ذلك بما حدث من (أرشميدس) الذى قفز من حمامه حين اكتشف مبدأه الشهير، صائحا: (وجدتها)، وما ذلك إلا لأن العقل في تلك اللحظة قد تزايدت سرعته، وليس كما كان يقال: إن العقل تراجع.

وتواصل الكاتبة عملها لذلك، فتقول: وبلغة علمانية محضة فإن محمدا قد وصل إلى أعماق المشكلة التي كانت تواجه معاصريه، ثم جاءهم بما لم يكن إلا لدى القلة منهم الاستعداد للاستماع له.. وكان عرب الحجاز على مايبدو يبحثون عن حل ديني يوائم احتياجاتهم المحددة، لكن محمدا لم تكن لديه حينذاك أي فكرة أنه يؤسس دينا عالميا جديدا. وكان التنزيل الذى بدأ محمد تلاوته يوحي إلهي على جبل حراء قرآنا عربيا. ولم يكن هناك ماهو جديد، فجميع الأديان بشكل جوهري ديانة واحدة، وقد أكد الأنبياء جميعا ذلك، أما الشيء الفريد الذى تميز به وحي محمد فهو أن الله قد أرسل رسولا إلى قريش، وأنزل كتابا بلغتهم، فلم يجد المسلمون قط مشكلة في أن يتعايشوا مع أهل الكتاب، لكن أوربا الغربية المسيحية هي التي وجدت أنه من شبه المحال أن تتقبل المسلمين واليهود في أراض مسيحية.

ورغم أن محمدا يدعى في القرآن النبي الأمي ـ بمعنى الذى لايعرف القراءة ولا الكتابة ـ يفسر بعض الدارسين الغربيين كلمة (الأمي) بمعاني أخرى بعيدة، ليتفوا معجزة القرآن، وليدعموا المعنى العنصري الذى يحاولون إلصاقه بالمسلمين، متجاهلين الحقائق التاريخية التي تؤكد عدم معرفته القراءة والكتابة.

وتذكر الكاتبة أنها لاتعلم كل ما أنزل على محمد في الأيام الأولى، ولكنها تعلم أن محمدا وخديجة وورقة آثروا الصمت، فلم يكن محمد أبدا ذلك الفرد الذى يشتاق أن يروج لنفسه كما يصفه أعداؤه الغربيون. ولكن المعلوم أنه بعد الإيحاءات القليلة الأولى مر بفترة عامين، صمت أثناءها الوحي، فكانت فترة أسى وألم عظيم.

وبعد.. فلانملك إلا أن نرجيء بقية العرض إلى العدد القادم إن شاء الله ـ تعالى ـ وبالله التوفيق.

«يتبع»



## مواقف إسلامية

# درسٌ في الإنصاف

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

**على أي أساس تقوم علاقة الحاكم بالمحكوم؟**

**على أساس من النفاق؟.. لا!**

**لأن الحاكم حينئذ يملك الأجساد.. يملك الأشباح.. لا الأرواح.. ومهما ملأ الجيوب.. فإنه لن يملك القلوب!!**

**بمجرد التبعية؟.. لا!**

لأن الله تعالى يقول:

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾(١)

بتبادل المنافع؟.. أيضا: لا..

لأن الله تعالى يقول:

﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾(٢).

ولكنها في الإسلام شيء آخر:

إنها إنسانية الحاكم.. والتي تنشر رحمتها على المحكوم.. الذي يجد في ظله برد الأمان.. وما يترتب على ذلك من ثقة متبادلة يصلح الله تعالى بها الحاكم.. والمحكوم معاً.. فإذا طاقة الأمة متجهة إلى البناء والتعمير.. بدل أن تتبدد في معارك جانبية تستنزف هذه الطاقة.. بدداً.. وفي غير ميدان.

وهذا الموقف الذي نحن بصدد التعليق عليه

(١) سورة البقرة (١٦٦).

(٢) سورة الزخرف (٦٧).

واحد من دروس الإنصاف التي استطاعت القيادة به أن تجمع القطيع الشارد على كلمة سواء:

خطب رسول الله ﷺ في مرض موته، فقال:

من كنت جلدت له ظهراً.. فهذا ظهري فليستقد منه. [ ليتقدم ليقتص مني ] ومن كنت شتمت له عرضا.. فهذا عرضي فليستقد منه. ومن كنت أخذت له مالاً.. فهذا مالي فليستقد منه لايقول رجل: إني أخشى الشحناء من قبل رسول الله ﷺ.

الا وإن الشحناء ليست من طبيعتي. ولا من شاني. الا وإن أحبكم إليّ: من أخذ حقاً كان له.. أو حللني.. فلقيت الله وأنا طيب النفس.

فقام إليه رجل فقال: يارسول الله: إن لي عندك ثلاثة دراهم!! قال: أما إنا لانكذّب قائلا. ولا نستحلفه.. ففيم صارت لك عندي؟ قال: تذكر يارسول الله يوم مرّ بك مسكين فأمرتني أن أدفعها إليه. فقال: ادفعها إليه يا فضل ] « ابن عمه »[٢]

## تمهيـــد:

قرأت مقالاً لواحد من أشياخنا حول هذا الموقف تحت عنوان: « درس في العدل »

وقلت على الفور:

لا.. بل درس في الإنصاف. لأن العدل أن يقول ﷺ هنا: من جلد ظهره أو شتم عرضه. أو أخذ ماله.. فأنا معه حتى آخذ له حقه..

أما إذا كان المسلم طرفاً في القضية.. ثم يأتي طواعية واختيارا.. ليحرض قومه على أن يناقشوه الحساب.. وأنه مستعد للقصاص.. فهذا مالا عهد للبشرية به.. على مستوى الحكام على الأقل.

إن كثيرا من الرواد ونستعير هنا قلم « جبران » [ يقولون في أنفسهم: أريد أن انتفع من أمتي. ] بينما شعار الأطهار: أريد أن أنفع أمتي.

## وكثير منهم تجار:

يتخذون من عوز الناس وسيلة للربح والانتفاع: فيحتكر الضروريات.. ليبيع بدينار ما ابتاعه بدرهم. وقد يسهل التبادل بين الحائك والزارع.. ويجعل نفسه حلقة بين الراغب والمرغوب.. فيفيدهما.. ثم في النهاية يستفيد!

وقد ينسج المدير من [ سذاجة الناس لباساً ورياشا ويصوغ من بساطة قلوبهم تاجاً لرأسه.. ثم يدعى كره إبليس.. بينما يعيش بخيراته؟

لكن التقى الورع:

يرى في فضيلة الفرد أساسا لرقى الأمة في مدارج الكمال فإن كنت الأول: فأنت لاشئ: صمت النهار. أم صليت الليل.

وإن كنت الثاني: فأنت زنبقة في جنة الحق. ضاع أريجها بين أنوف البشر.. أوتصاعد حراً طليقاً.. إلى الغلاف الأثيري.. حيث تحفظ أنفاس الأزهار.

وعلى هذا النحو يريد ﷺ أن يصوغ أمته لتكون حقاً شاهدة على الناس: إنه ليس ذلك الرائد:

---

(٢) رواه أبو يعلى والطبراني في الكبيرة الأوسط

الذى يتصاغر أمام ولى نعمته.. ليستصغر من تولى عليهم ولايحرك يدا إلا ليضعها فى جيوبهم.. ولا يخطو خطوة إلا لمطمع له فيهم.. وإنما هو الراعى الأمين الذى يدير شئون الناس، ساهراً على مصالحهم ساعياً لتحقيق أمانيهم.

## مغزى الموقف

إن الرسول ﷺ وفى آخر عهده بالحياة يوزع تركته: وتركته كإخوته من الأنبياء ليست ديناراً ولا درهماً.. وإنما هى القيم التى يُمكِّن لها فى القلوب حتى فى اللحظة التى يشغل فيها الإنسان بنفسه.. وهو يجود بآخر أنفاسها.

وحين تختلط المبادئ بالمصالح.. وتتشابك الأفكار مع العواطف.. فإنه ﷺ يحرر المبادئ مما علق بها من أهواء البشر.

وإذا كان أصحاب المنافع يدورون معها حيث دارت.. ولو على أشلاء الضحايا.. فإن أرباب المبادئ.. يكونون حيث تكون القيم.. وإن لم تتحقق لهم مصلحة فردية.

ألا يسترخص المؤمن روحه.. متى كان ذلك سبيلاً إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل؟!

وهكذا كان الرواد الأوائل فى مدرسة الرسول ﷺ: يدورون مع الحق.. ناسين حظوظ أنفسهم صاعدين من العدل إلى الإنصاف:

لقد غضب علىّ رضى الله عنه لما ناداه القاضى بكنيته.. دون خصمه.

وعمر رضى الله عنه عندما يقيم «عمرو» الحد فى مصر على ابنه يقيمه سراً.. لكن عمر رضى الله عنه يوبخ الوالى.. ثم يعيد إقامة الحد على ابنه.. وعلانية!

إن قيمة الإنصاف يجب أن تبقى ولو ذهب عمر.. وآل بيت عمر جميعاً.

وكان عمر كذلك لأن رائده ﷺ لم يكن يكذب أهله.. وإنما كانت شرعته الإنصاف.. فسار على دربه الأصحاب..

ولو أنه رتع.. لرتعوا!!

## سؤال:

ولكن.. متى جلد رسول الله ﷺ ظهراً، أو شتم عرضاً أو أخذ مالاً؟

لقد كان هو الذى حمى الظهور من عدوان جلاديها.. فاستقامت.. وارتفعت الهامات اعتزازا بدين الله عز وجل ثم هو النبى العربى الذى اختصت لغته بمعنى «العرض» الذى لا نظير له فى أية لغة من لغات الدنيا والتى خلت من هذا المعنى.. فلم تحفل به ولم تصنه؟

وفيما يتعلق بالمال.. فنحن نقول: هل كان ﷺ يأخذ.. أم كان يعطى؟

إنه القائل ﷺ:

«أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم: فمن توفى من المؤمنين. فترك ديناً.. فعلىّ قضاؤه ومن ترك مالاً فلورثته»[4] متفق عليه.

---

(٤) متفق عليه.

## موقف الصحابة

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يعرفون ذلك.. ومن ثم كان المتوقع أن يسكتوا.. صادرين في صمتهم عن يقين عميق بأنه ﷺ ماجلد ظهراً، ولا شتم عرضاً ولا أخذ مالاً.. بل إذا كان ولابد من حساب.. فأولى بالصحابة أن يكونوا هم في موقف الاتهام.. لا الرسول ﷺ الذي جاءهم بالهدى، وحماهم من الردى.

## من الاهتداء.. إلى الاقتداء

ولكن الرسول ﷺ يريد فيما يريد.. أن يعمق في قلوبهم قيمة أخرى هي: الشجاعة الأدبية.. والتي تعني بإيثار الحق والانحياز له مهما كانت التكاليف.. يريد الاستعلاء بهم في مدارج الرقي.. حتى لايرضوا بالدرى بديلاً، وإذا كان أهل الدنيا يتنافسون في اللذاذات هابطين.. فأولى بالمؤمنين أن يتنافسوا في الكمال صاعدين: اهتداء بالكتاب، واقتداء بالرسول ويعني ذلك: أنه ﷺ لايقول ذلك استهلاكاً محلياً. ولا خروجاً من العهدة.. وإنما يحرضهم تحريضاً بقوله:

هذا ظهري.. وهذا عرضي.. وهذا مالي.. هاأنذا بين أيديكم فمن شاء أن يقتص مني فأنا جاهز لهذا القصاص.. إنه إذن لايقول الإنصاف كلاماً.. ولكنه يصنعه صنعا ولكن الحياء قد يعقد الألسنة.. فلا تنطلق بما تعتقد أنه الحق.. من أجل ذلك يقول لهم:

« لايقول رجل إني أخشى الشحناء من قبل رسول الله ﷺ »

لايسكت واحد عن المطالبة بحقه خشية منازعة الرسول له.. لأن الشحناء ليست خيطا في طبيعته.. ولا هي من شأنه.. فلو فرض أنه تكلفها.. ما طاوعته نفسه.

بل إنه إذا كان فيكم من يسكت حياء.. ومن يطالب بحقه، فأحبكم إليَّ: من يطالب بحقه ويأتي المتسامح في مرتبة تالية، يقول ﷺ ذلك لمن قالوا له من قبل: خذ من أموالنا ما شئت وما تأخذه أحب إلينا مما أبقيت.. وهكذا تكون العلاقة بين الحاكم والمحكوم.. في أمة من دعائها: اللهم أصلحنا لحكامنا.. وأصلح حكامنا لنا!

## النفس العظيمة

إنها نفس القائد العظيم.. والتي تعطي لحظة الفراق ما تجمل به الحياة وتكمل.. بل إن العطاء لحمتها وسداها.. ومن قوانين هذه النفس في حياة الأفذاذ:

[ أن أوجاع ميسور لايؤخذ منه.. أشد هولاً من قنوط فقير لايرزق.. وأفضل أن أكون قيثارة تشنف الآذان.. على أن أكون قيثارة فضية الأوتار.. في منزل: ربه مبتور الأصابع.. وأهله طرشان ]!!

إنها النفس المثقلة بثمارها.. والتي تحمل الرخاء إلى الأرض الجدباء.. إنها النفس التي تنادي في الناس:

**أنا مثقلة بثماري:**

**ألا فارحموني.. وخذوا مني**

**اشفقوا عليَّ.. وخذوا مامعي..**

**نفسي مثقلة بثمارها..**

فهل من جائع.. يحتى ويأكل ويشبع؟

أليس بين الناس من صائم رؤوف.. يفطر على تناجى.. ويريحنى من أعباء خصيى وغرارتى؟

نفس وازحة تحت عبء من التبر واللجين.. فهل بين الناس من يملأ جيوبه.. ويخفف عنى حملى؟!]

## الـدرس.. يؤتـى أكلـه

وقد وضح ذلك فى هذا الرجل الذى قال:

يارسـول الله: إن لى عندك ثلاثة دراهم!! ونستشعر هنا رد الفعل العنيف لدى الصحابة من هذا الادعاء الذى يواجه به رسول الله ﷺ وكأنى بهم يحدثون أنفسهم بما يلى:

١ إنها فقط ثلاثة دراهم.. قدر زهيد.. فلم الإحراج؟!

٢ ثم إنها خرجت من يده.. مباشرة إلى يد مسكين..

٣ لم يعطها النبى ﷺ لقريب له أو محسوب عليه!

٤ ثم هى صدقة منك على المسكين.. فقد أعطيتها مالاً.. فكانت لك ثواباً.. مآلا!

٥ وقد اختصك ﷺ بالذات.. دون رفاقك من الجالسين.. فليكن ذلك شرف أربى فى ميزانك من هذه الدريهمات!

## الدفـاع عن الرجـل

ويسارع الرسول ﷺ إلى إسكات هذه الخواطر

أولاً: دفاعاً عن الرجل.

وثانياً: رأباً للصدع الذى يمكن أن يحدث بين الصحابة.. ليظلوا موحدين متوحدين.

وإذا كان من قيادات الدنيا من سياسته: فرق تسد.. فإن محمدا ﷺ يوحد أمته.. ولايمكن الشيطان الرجيم من أن يجد ثلمة ينفذ منها ليجعلهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض.

## حســن الظــن

من أجل ذلك يقول.. وفور انتهاء الرجل من بسط دعـواه: أمـا إنا لانكذب قـائلاً ولا نستحلفه.. وإذن فالرجل صادق فى دعواه طبق هذه القاعدة.. التى تبدو فيها قيمة الثقة بالمسلم الذى هو بحكم إسلامه صادق فى دعـواه.. لايكذب.. ولايطالب باليمين تأييداً لدعواه..

حتى يظل القائد.. قائداً

ولكن الدعوى على أى حال وبمنطق البشر لاشك مُحْدِثةٌ شبهة قد تفسد التصور فتفسد الأحكام.. من أجل ذلك يثنّى ﷺ بقوله: «فبم صارت لك عندى»؟

كيف أخذتها منك.. وفى أية ظروف تم ذلك.. وذلك حتى لاتذهب الظنون بالناس كل مذهب.. وحتى يظل القائد قائدا.. وقبل أن يتخذها المغرضون تكأة لهم فى ترويج بضائعهم الكاسدة.

## أدب المسـلم

ويبدو الفتى المسلم على غاية مايكون الأدب: فهو لايقول للرسول: إن لى عليك..

ولكنه يقول: إن لى عندك.. فاستبعد حرف الجر.. على.. ومايفيده من إلزام.. وصور القضية كأنها أمانة عنده.. وهو وإن لم يستردها فهي عنده في الحفظ والصون!

ثم إنه يقول له: (تذكر يارسول الله يوم كذا).. وإذن فلم تكن الواقعة أمس.. أو أمس الأول.. وإنما هى واقعة قديمة.. بعيدة رابضة هناك في اللاشعور.. ومن ثم.. يذكره بها.

ويعني ذلك: أن الرجل لم يكن في نيته أن يطالب بدينه.. فقد مضت مدة طويلة ولم يطالب به.. وإنما المطالبة له.. وليست عليه: لأنه ﷺ يلح على كل صاحب حق أن يطالب به..

ورغبة من الرجل في أن يلقى الرسول ربه «طيب النفس» فإنه يطالبه بأمر منته بالفوز بحبه ﷺ وهو غاية المراد من رب العباد. وإذن.. فالطلب محسوب له.. لا عليه!

## قيمة صلة الرحم

ولايغيب عن البال قيمة صلة الرحم.. عندما أمر ﷺ ابن عمه «الفضل بن العباس» والذى قضى دينه.. وقيل هذا كان هو الذى جاء بالنبى ﷺ إلى المسجد ليخطب هذه الخطبة وهو: موعوك.. معصوب الرأس.. وهكذا أبناء العم دائماً: أو مايجب أن يكون: معاً في الملمات..

## المربى.. الإنسان

قال عمر بن عبدالعزيز يوماً: «أيها الناس: إنما يراد الطبيب.. للوجع الشديد. ألا فلا وجع أشد من الجهل. ولا داء أخبث من الذنب. ولا خوف أخوف من الموت»

ولقد كان ﷺ هو الطبيب الذى حرض مرضى الذنوب على التحلى بشجاعة الاعتراف بالذنب.. حتى يتم تشخيص العلة.. وتتأكد رغبة المريض في الشفاء.. وإلا فإن الجبن المانع من طلب الشفاء.. دافع إلى سريان العلة إلى الحد الذى تتفاقم فيه تداعياتها..

ولقد ظهر ذلك.. في نفس هذا الموقف الذى شجع فيه صاحب الدراهم الثلاثة إخوانه على أن يكونوا صادقين مع أنفسهم. ومع رسولهم ﷺ في محاولة لاستئناف حياة جديدة:

جاء في مجمع الزوائد: ثم قام إليه رجل آخر. فقال: عندى ثلاثة دراهم. غللتها. قال: ولم غللتها؟ قال: كنت محتاجاً إليها. قال: خذها يافضل.. ثم قال: «ياأيها الناس: من خشي من نفسه شيئاً فليقم أدعو له».

## من أصول التربية

إن أول خطوة على طريق الشفاء أن يحس المريض بعلته.. ثم يرغب في التخلص منها مضحياً بما قد يترتب على هذا الاعتراف من حرج.. وذلك بعدما وجد اليد الحانية تمتد إليه.. وهذا ماحدث بالفعل:



فقد قام رجل فقال: يارسول الله. والله إني لكذاب. وإني لمنافق. وإني لنؤوم. فقال ﷺ: «اللهم ارزقه صدقاً. وإيمانا. واذهب عنه النوم.. إذا أراد!».

ولاحظ من مظاهر عمق رغبة الرجل في الخلاص انه يتطوع من تلقاء نفسه مؤكداً تخلقه بكل خصلة من هذه الخصال الوبيلة.. بالقسم.. ونون التوكيد.. مشفوعة باللام..

ولاشك ان غريزة حب الذات كانت تنازعه لكنه غلبها مؤثراً براءته من علته على الأوضاع الاجتماعية.. وما تفرضه من فضيحة يخف بها ميزانه لدى الناس.. ويجئ دعاء الرسول ﷺ بلسماً شافياً.. وهو في نفس الوقت شهادة بصدق رغبة الرجل في التخلص من أوضاره صدقاً أعان الطبيب على وصف الدواء الشافي بإذن الله تعالى.

ولاحظ من فقهه ﷺ هنا قوله: [إذا أراد] ذلك بأن الخطوة الأولى على طريق الشفاء تبدأ من قلب المذنب نفسه: فإذا أراد الشفاء.. ورغب فيه.. بل وصمم عليه كان ذلك سبيلاً إلى بلوغ المراد.

وهذا مايقرره علماء النفس اليوم عندما يشترطون للشفاء أن يكون المريض صادقاً مع نفسه.. وإلا.. فلا أمل في الشفاء!

## الفضيلة تسري بالعدوى!

يقول بعض الصالحين: لكي تتقي حقد الناس عليك: كن قاسياً على نفسك.. كريماً معهم.

لقد كان من ثمرات هذا الموقف المبارك.. أن حرك الرغبة في الخلاص لدى بعض الجالسين.. الذين فرض عليهم منطق الرسول ﷺ أن يستجيبوا لدعوته إلى الاعتراف بما قدمت أيديهم وصولاً إلى تحقيق أعز أمانيهم.. حين يدعو رسول الله لهم فيتقبلهم ربهم.

إن الخطأ وإن كان فاحشاً.. مع الاسترشاد.. أحمد من الصواب مع الاستبداد..

وهو نفسه الدرس الذي يعلن عن نفسه من خلال هذا النقد الذاتي.. لرجال غالبوا نوازع النفس.. ثم في النهاية غلبوها..

وذلك عندما توفرت لديهم شجاعة الاعتراف بالخطأ بعدما استيقظ الضمير فيهم.. والذي هب مزعوراً في كيانهم.. في محاولة لتطهير النفس من أدرانها.. في أمة يقول صالحها:

لان أترك التهجد في الليل.. لأصبح مستغفراً.. خير لي من أن أتهجد، ثم أصبح مغرورا.

أجل هبوا.. تحت وطأة الإحساس بأن أحدهم قد يستغني عن الطعام والشراب أياماً.. بل قد يستغني عن الهواء لحظات.. لكنه لايستغني عن فضل الله تعالى لحظة من زمان وهاهي ذي تباشير هذا الفضل متمثلة في دعوته ﷺ إلى الاعتراف سبيلاً إلى الخلاص.



## تصحيح المفاهيم

ولقد سرى ذلك التيار فأيقظ النوام الذين هبوا من رقادهم متحررين من كيد الشيطان.. وهذا رجل ثالث يقول: إنى لكذاب. وإنى لمنافق. وما من شئ من الأشياء إلا وقد أتيته.

فقال له عمر: ياهذا: فضحت نفسك! قال: مه ياعمر: فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة! ثم قال: اللهم ارزقه صدقاً، وإيماناً وصير أمره إلى خير فكلمهم عمر بكلمة فقال رسول الله ﷺ: عمر معى. وأنا معه والحق بعدى مع عمر حيث كان.

فقام رجل فقال: يارسول الله: إنى رجل جبان. كثير النوم.

قال: فدعا له. قال الفضل: فرأيته أشجعنا. وأقلنا نوماً. قال: ثم أتى بيت عائشة.. فقال للنساء مثل ماقال للرجال. ثم قال: من غلب عليه شئ فليسألنا ندعو له. قال: فأومأت امرأة إلى لسانها. قال: فدعا لها"(*)

لقد كانت دعوة الرسول ﷺ مسك الختام الذى توج الله به جهاد هؤلاء المرضى.. جهادهم أنفسهم النزاعة إلى تجاهل العلة دون حساب لمخاطر المستقبل.

## موقف المرأة

وإذا كان موقف الرجال هنا عجيباً.. فأعجب منه موقف المرأة التى تناست طبيعتها.. ثم دامت على أشواقها.. متجاهلة ما سوف يجر عليها الاعتراف من قبل زميلاتها من شماتة.

لكنها قررت أن تفر إلى الله تعالى والفارُ إلى سيده لايلوى على شئ.. ولايفكر فى شئ إلا فى الوصول إلى بر الأمان.

ولاحظ من حكمتها أنها لم تعلن عن نفسها كما أعلن الرجال.. ولكنها فقط تشير إلى لسانها.. لأن أمرها قائم على الستر.

ألا إن الإنسان ليحب حسن السمعة. وطيب الذكر.. لكن التجربة تقول: لايكفى أن تحب شيئاً ليصبح بمجرد حبه ملكاً لنا.

بل يجب قبل ذلك أن ندفع الثمن.. مهما كان ذلك الثمن.. ولقد دفع الناس هنا الثمن.

وقد يبدو الثمن أحياناً صغيراً.. لكنها سماحة الإسلام التى تجعلنا نحقق بالعمل الصغير أعظم أمانينا.

درس فى الوحدة

وما تزال قيمة الوحدة هى الدرس الأثير فى خطابه ﷺ فى مرض موته.

الوحدة التى لم يكن يلقيها خطباً.. وإنما يتمثلها عملاً وسلوكاً..

---

(*) مجمع الزوائد.

# أشواق.. حجازية الإيقاع

شعر د. صابر عبد الدايم

مِنَ النيل شُرياني إلى البيت يَمْتَدُّ ... وشوقي إلى أم القرى ما له حَدُّ
وإني إمامُ العاشقين.. ولا أرى ... لمعشوقتي نِدًّا.. وهل في الهوى نِدُّ؟؟!!
هي الشمس تجري.. والهُدَى مستقرُّها ... وفي كُلِّ روحٍ من أشعتها وَقْدُ
هنا البيت ريحانٌ وروحٌ.. وقبلة ... هنا النفس طير لا يكبله قَيْدُ
هنا الخلق أفواجٌ.. ومن كل بقعة ... يطوفون كالأطياف يَنْظِمُهُمْ عِقْدُ
«تساووا.. فلا الأنساب فيها تفاوتٌ» ... ولا سَيِّدٌ فيهم يُؤلِّهُهُ عَبْدُ!!!
هنا الركن والحجرُ الطهور وزمزمٌ ... هنا مشرقُ الرؤيا.. هنا الحبُّ والمَهْدُ
وإني إمام العاشقين.. وقصتي ... حجازيةُ الإيقاع.. تعزفها نَجْدُ
تسيرُ بها الركبانُ.. تروي مواسمًا ... من الشوق تُذكيها الصَّبابةُ والوَجْدُ
أفيءُ إلى الأستار.. ألقي مواجعي ... وأحملُ أثقالا.. ينوءُ بها الجَهْدُ
وتجأر أسراري.. وتنطق أدمعي ... بما النفس تطويه.. وفي بَوْحِها يَبْدُو
وتظمأ أشواقي.. وتذوي منابعي ... وفي حجر إسماعيل ينهمرُ الرَّغْدُ
وعيني تاجتْ.. واللسان مشاهدٌ ... يرى الضوء فوّاحًا به الحجرُ الصَّلْدُ!!!

هنا الضوء إيقاعٌ .. هنا العطر سدرةٌ بها تسبح الأرواحُ فى ساحها تشدو

هنا أولُ الأشواق .. من عهد آدمٍ هنا كان ميثاقُ النبيين .. والعهدُ

هنا قصة الإيمان تترى فصولُها هنا الحق .. والإيثار والعزُّ .. والمجدُ

هنا البأسُ .. والإيلافُ .. والهدى والنهى هنا الفتح أسيافٌ ورحمتُها حدُّ

هنا رايةُ التوحيد تعلو على المدى وفى ظلِّها الوضّاء أحلامُنا تعدو

وفى كلِّ فجٍّ .. كم يروحُ ممزَّقٌ ومن فيْءِ بيت الله فى أمنه يغدو

وإنى إمام العاشقين .. وقصتى حجازيةُ الإيقاع .. تعزفُها نجدُ

هنا تركض الأشواقُ ملهمةَ الرؤى وللشوق أفراسٌ مسوَّمةٌ جُردُ

هنا تبدأُ الأشواق رحلةَ نبضها وكم فى دياجير الرؤى ضلَّ مرتدُّ!!!

هنا القلب فى شمس الحقائق سابحٌ وكم تاه فى الأبعاد .. لم ينجه بعدُ!!!

وكم طال إبحارى .. وكم تاه مرفأى!!! وكم غرَّنى برق .. وكم غالنى رعدُ!!!

وكم مال ميزانى .. وكم جف منهلى!!! وكم صدَّتْ أحزانى .. وذاتى هى الضدُّ!!

وفى ظل بيت الله فى موئل الهدى أقمتُ موازينى ،، وعاد لى الرشدُ

وإنى إمام العاشقين .. وقصتى حجازيةُ الإيقاع .. تعزفُها نجدُ

تسيرُ بها الركبانُ .. تروى مراسما من الشوق تذكيها الصبابةُ والوجدُ

من النيل شريانى .. إلى البيت يمتدُّ وشوقى إلى أم القرى ماله حدُّ

***

# مُشكلاتٌ أعجزت العِلم وحلّها الإيمان

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

**كان للعلم الحديث أثر بالغ فيما قدمه إلي الحضارة الإنسانية من خدمات، وفيما بذله من عناصر ومقومات، كان له أثره كذلك فيما اكتشفه واخترعه من أشياء قربت البعيد، واختصرت المسافات، ووفرت الزمن وقدمت للإنسان المعاصر العديد من أسباب الراحة ومظاهر السعادة.**

ولكن كل ما قدمه العلم الحديث إنما هو في شكل الحياة وليس في داخلها، وفي مظهرها وليس في مخبرها، بمعنى: أنه قدم تلك الأسباب المادية التي تعين الإنسان في حياته، وفي مختلف شئونه وأموره ووظائفه بيد أنه لم يستطع أن يدخل إلى الأعماق الإنسانية أو أن يعالج النفس البشرية من تلك المخاوف التي ازدادت أشباحها مع زيادة العلم الحديث، وتعددت تعدد نظرياته واكتشافاته.

إننا في هذا لا ننكر العلم الحديث جملة، ولا نرفضه جملة، ولا نعول عليه وحده، أما أننا لا ننكره، فلأنه قائم بيننا بنظرياته وأدواته وعباداته ومصانعه واكتشافاته واختراعاته التي قدمت خدماتها للإنسان، والإنسان محتاج دوما إليها.

ثم لأن الإسلام هو دين العلم، لا يتعارض معه بل يدعو إليه ولا يهون من شأنه بل يكبره.

ولهذا فنحن لا ننكره ولا نرفضه بالجملة، وإنما نرفض أن يعول الناس عليه وحده وأن يكون هو الموجه وحده للحياة الإنسانية.



ومما لا شك فيه أن التعويل عليه وحده، ضرب من الإسراف فى القول والبعد عن الجادة وضياع وتغريب لأنه مازال عاجزا أمام العديد من المشاكل التى لم يجد لها حلا، والتي حاول أصحابها اقتحام لجة علم النفس فاغرقهم بدل أن يحل مشاكلهم.

وإذا كان الطب الحديث استطاع تقديم العديد من العلاج للعديد من الأمراض فإن هناك أمراضا كثيرة مازال الطب الحديث عاجزا عن تقديم العلاج لها.

ومازال سر الحياة والموت وكيفية الموت وأمور كثيرة، لم يزل العلم واقفا أمامها دون جدوى.. معنى هذا أنه لا يعول عليه وحده، ولكن هناك قوة أكبر منه، وأعظم أثرا هي قوة العقيدة، والإيمان بالله. ومع هذه القوة الإيمانية تختفي بادىء ذي بدء كثير من المشاكل و المتاعب والألغاز.

إن المؤمن لا يخاف، ولا يجبن، ولا يكذب ولا يغش ولا يحتال، والمؤمن لا يؤذى جاره، والمؤمن يقول الحق والخير، والمؤمن صادق فى القول، مخلص فى العمل، وفي بوعده، أمين على ما اؤتمن عليه.

والإيمان، هو الذى يمكّن صاحبه من مواجهة المشاكل العديدة والكوارث الفادحة التى لا يمكن للعلم أن يقدم فيها شيئا.. إن حوادث الحياة المتكررة من غرق وحرق وزلازل وبراكين وأمثال ذلك كثير، ماذا يقدم العلم لأصحابها وللمحيطين بهم؟ لا شيء أما الإيمان ففى صيدليته جزاء للصابرين، ودعوة صادقة للصبر وعلاج للنفس من الجزع والفزع والهلع وأخذ بيد الإنسان إلى شاطىء الأمان.

ومن أجل هذا نقول: إن العلم الحديث والطب الحديث وعلم النفس فى أمس الحاجة إلى الإيمان وبدونه لا يستطيع العلم أن ينجح فى علاج النفس البشرية ولا أن يدفع عنها ما يساورها من شكوك، ولا ما يحيط بها من مشاكل لا تنتهي ولا حلول لها.

يقول «ديل كارينجى»: إنى لأذكر الأيام التي لم يكن للناس فيها حديث سوى التنافر بين العلم والدين، ولكن هذا الجدال انتهى إلى غير رجعة، فإن أحدث العلوم ـ وهو الطب النفسى ـ يبشر بمبادىء الدين، ولماذا؟

لأن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوى، والاستمساك بالدين والصلاة كفيلة بأن تقهر القلق والمخاوف والتوتر العصبى، وأن تشفي أكثر من نصف الأمراض التى تشكوها. نعم إن أطباء النفس يدركون ذلك، وقد قال قائلهم الدكتور «أ. ابريل»: إن المرء المتدين حقا لا يعانى مرضا نفسيا أبدا.. وإذا كان المؤمن يحيا فى أمن وطمأنينة، فإن غير المؤمنين من الملاحدة والمنحرفين يحيون فى مخاوف دائمة.

وفرق واسع بين المؤمن ونظرته إلى الآخرة وبين غيره ونظرته إليها وفرق واسع كذلك بين





النظرتين تجاه الموت. فغير المؤمن يخاف الموت ويخشى عواقبه ويرى فيه انتهاء لحياته وانحلالاً لبدنه، وبطلانا لتركيبه.

وأما المؤمن فيرى أنه ينتقل إلى ربه الذي خلق فسوى وقدر فهدى، وخلق الموت والحياة والنشور.. ويشير ابن مسكويه إلى الأول في قوله:

«إن الخوف من الموت ليس يعرض إلا لمن لا يدري الموت على الحقيقة ولا يعلم إلى أين تصير نفسه، أولأنه يظن أن بدنه إذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور، وأن العالم سيبقى موجودا، وليس هو بموجود فيه».. وأما المؤمن فكما لم يخف في دنياه، فإنه لا يخاف من آخرته ولا من الموت. وقد قيل لأعرابي اشتد مرضه: إنك ستموت، فقال: وإلى أين يذهب بي بعد الموت؟ قالوا: إلى الله.. فقال: ويحكم، وكيف أخاف الذهاب إلى من لا أرى الخير إلا من عنده؟

إذن ففي الإيمان حفاظ على الإنسان وعلى الحياة من الانقلاب النفسي، والتدهور والضياع، لأن الذي يؤمن به هو الله الذي أحسن كل شيء خلقه ثم هدى.

والإيمان فيه هداية للقلب وهداية للنفس وأمان لها من كل المخاوف

﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾(١).

والإيمان يحفظ لأصحابه حياة طيبة في الدنيا، وأما في الآخرة فيقول الله تعالى:

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢)

والمتتبع لنماذج البشر من المؤمنين وغيرهم، ومن مشاكل هؤلاء وأولئك يتضح له إلى أي مدى كان للإيمان أثره البالغ على حياة الناس، وكيف حل مشاكلهم وأخذ بأيدي المجتمعات المؤمنة إلى شاطئ الأمان.

●●●

فلما قسى قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا مني لعفوك سُلّمَا
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

الإمام الشافعي

---

(١) التغابن (١١).
(٢) النحل (٩٧).








# الإسلام السياسي

تأليف

جويل بنين جو ستورك

مناقشة وتحليل :

الأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

**ألف الأستاذان جويل بنين أستاذ تاريخ الشرق الأوسط، ومدير برامج الفكر الحديث والأدب بجامعة ستانفورد، وجو ستوك مؤسس مشروع أبحاث الشرق الأوسط والمعلومات ألفا كتابا تحت عنوان: (الإسلام السياسى) فى خمسة أجزاء تتحدث عن الإسلام فى القديم والحديث حديثا يتجه إلى نظرة خاصة بهما، وقد قام الأستاذ سليمان أمين عبد الحميد بتلخيصه على نحو ما رآه، وقدم التلخيص تحت عنوان (عرض كتاب الإسلام السياسى) ورأت وزارة الإعلام (الهيئة العامة للاستعلامات) أن تطلب رأى الأزهر فى هذا التلخيص، وقد قرأت ما جاء به، حين كلفت بكتابة تقرير عنه وها هو ذا.**

## ١- الإسلام السياسى:

يتحدث المؤلفان عما يسمى بالإسلام السياسى: وكأنه معادل لإسلام آخر غير سياسى، والحقيقة أن هذه التسمية مضللة، لأن الإسلام فى جوهره قانون واحد يشمل شريعة الله التى تصلح لكل زمان ومكان، والسياسة جزء من هذا القانون، فكما تقول العبادات فى الإسلام والمعاملات فى الإسلام والحدود فى الإسلام نقول السياسة فى الإسلام، أما أن نقول «الإسلام السياسى» فتلك خديعة توحى بأن هناك إسلاما آخر غير سياسى وكل من قرأ كتاب الله يعرف أن الإسلام دين ودولة لا يفصل أحدهما عن الآخر، وغير ذلك لا يدعى إسلاما.

وقد اختار المؤلفان هذه التسمية ليتمكنا من مهاجمة أنصار السياسة الإسلامية، وتأييد العلمانية التى تحارب شريعة الله، وكأن دعاتها يمثلون الإسلام فيما يتجهون مع أنهم حين ينادون بفصل الدين عن الدولة لا يتبعون شريعة الإسلام!

وبادئ ذى بدء أعلن أن التلخيص الذى قدم إلينا يتحدث عن أمور فى السياسة المعاصرة فى دول الإسلام كإيران والسعودية والسودان والجزائر ويتجه إلى نقدها، وفى هذه الأمور قد لانملك الدليل على صحته، لذلك فإننا فى هذا التقرير لا نتحدث عن الوضع السياسى لهذه الدول كما جاء فى الكتاب وليس لنا أن نبدى حكما على رجالها وزعمائها، لأن الأدلة الصحيحة غير متوفرة، ومن ثم نتجه إلى مناقشة ما يتعلق بالآراء الإسلامية التى وردت فى التلخيص لنحكم عليها فى ميزان الإسلام الحق، ونحن بذلك نخوض فى بحر نعرف السباحة فى موجه، ونستطيع أن نميز بين الخطأ والصواب، أما الآراء السياسية المتعلقة بالدول المعاصرة فليست مما نعنى به إذ لا نملك الأدلة الصحيحة على ما سطره المؤلفان، ونصرف النظر عما قيل عن نشأة ما يسمى بالإسلام السياسى منذ جمال الدين إلى العهد الراهن لأن الوقائع التاريخية لا تجعل مثل محمد عبده، وجمال الدين ومن تبعهما إلى الآن متميزين بلون خاص يفصلهم عن الدين الصحيح، بل هم يتحدثون بالدليل المقنع من الكتاب والسنة، وهم أولى بالحديث من أناس لم يتصفوا بمعرفة الشريعة الإسلامية، وإذا تحدثوا عن السياسة فى الإسلام جانبوا الصواب، ومع ذلك فقد تتبع المؤلفان آراءهم، وجعلاها مقابلة للاتجاه الآخر بل أفهما القراء أن هؤلاء هم المستنيرون! وأنهم يصلون هجوما ضاريا لا مبرر له، وهذا خطأ واضح، فليس فيهم من تثقف بثقافة دينية تؤهله للخوض فى أحكام الإسلام، وأعرض عن ذكر الأسماء فما أقصد إلى التشهير!

وقد تحدث المؤلفان في نهاية المقدمة بأن غرضهما من هذا الكتاب هو التضامن مع كل من العلمانيين والإسلاميين الذين يكافحون من أجل الحقوق الإنسانية والسياسية ضد الدول والحركات الديكتاتورية، والسياسة في الإسلام ترعى حقوق الإنسان وتحارب مظاهر الطغيان، وليست تتفق مع الاتجاه العلماني الذي ينكر رقابة الله على الأعمال والأقوال! فجمع الإسلاميين مع العلمانيين في خندق واحد يعطي أبعد معاني التضليل.

وقبل أن يدخل المؤلفان في صميم موضوعهما، ذكرا أن المستشرقين القدامى يميلون إلى أن الإسلام يعاون الاستبداد، ويسري الاستبداد في كيانه، وأن المستشرقين المحدثين يكتفون بأن الإسلام لا يتفق مع الديمقراطية، ومن يتأمل الرأيين عند الفريقين يجدهما رأيا واحدا، يصم الإسلام بالسيطرة والتحكم ولا نتوقع من كهنة الاستشراق غير هذا اللغو! فلنتركه.

## ٢- الأزهـــر:

وإذا كانت هذه هي الروح السائدة في هذا البحث المغرض، فلا ننتظر أن تقال كلمة إنصاف عن الأزهر الشريف، بل لابد أن تكال له التهم الظالمة حيث جاء في هذا التلخيص ما نصه ص ٩: «إن الدافع الاستبدادي في مصر لا ينبع فقط من الدولة، ولكن أيضا من بعض مراكز السلطة الإسلامية، وهناك أصوات استبدادية تخرج من الأزهر الذي هو صوت الإسلام الرسمي في مصر، وترتفع بشكل متزايد ضد الرأي العلماني والليبرالي، ومثال ذلك منع كتب علاء حامد والمستشار سعيد العشماوي، هذا بالإضافة إلى أن المؤسسات الإسلامية تشكل وسيلة يتحكم بها التيار الإسلامي، ويوجه الجماهير، والخطاب الديني لا يعطي صوتا لهذه الجماهير، ولكنه يوجهها نحو التعليم الأخلاقي على المستوى الفردي، وأن العوائق التي تواجهها القوى الليبرالية هائلة».

وفي هذه العبارة ما يلخص هدف الباحثين من تأليف الكتاب بأجزائه الخمسة، فالغرض الأساسي عندهم هو حماية من يهاجمون شريعة الله من أمثال عشماوي وعلاء حامد، وإذا تدخل الأزهر ليقول: إن هؤلاء لا يفهمون القرآن كما نزل، وأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه كان ذلك صوتا استبداديا يخرج من الأزهر! وكان الأزهر عقبة في سبيل التقدم!

ولم يسأل الباحثان عن رسالة الأزهر في صميمها، وهل خرج عنها حين وضح الصواب من الخطأ في أقوال تحرف كتاب الله وتغاير ما انعقد عليه الإجماع بالدليل! أكان الباحثان ينتظران من الأزهر أن يقول للمستشار العشماوي ومن سار على دربه، أنت على صواب في خطتك ولن نبين ماوقعت في تدوينه من الانحراف، فإذا جهر الأزهر بالحق ووضح طريق الانحراف كان صوت استبداد! ومناهضا للحرية!

## ٣- ملاحظة هامة:

حين يتعرض الباحثان لرأي الإسلاميين يوجزانه إيجاز مخلا، أما حين يتعرضان لرأي العلمانيين فالبسط والإسهاب، وقد حددا ما يريده العلمانيون في هذه السطور ص١١.

«خصوم الشريعة أو بالأحرى تطبيق الشريعة يقرون بأن الشريعة قائمة على كلمة الله، ولكنها قابلة للتطوير والتعديل، وتخضع للتحفظات مثل القوانين الوضعية، هذه واحدة، والفقه غير قابل للتطبيق في كل الظروف الحالية وهذه نقطة ثانية، والنقطة الثالثة أن الحدود تتعارض مع حقوق الإنسان، وفوق ذلك فهي (أي الشريعة) قد تسهل الميول الدكتاتورية للحكام»

هذه الاعتراضات الأربعة، أجاب عنها الفقهاء بما لا تريد بعده من الإقناع، ولكن أبواق العلمانية ترددها وكأنها لم تقرأ ردا شافيا يقنع ذا البصيرة المحايدة، ولو كانت هذه الاعتراضات الخاطئة لم تجد التصحيح الحاسم لقلنا: إن الذين يرددونها معذورون إذ لم يهتدوا إلى يقين، ولكن الردود تعاقبت وذاعت، فكان على المعترضين أن يكفوا عن ترديد ما ثبت بطلانه، ولكنهم لا يبحثون عن الحقيقة لذات الحقيقة بل يلبسون الحق بالباطل، وسأحاول أن أشير إلى رد موجز لهذه الاعتراضات فأقول:

( أ ) هناك فرق بين القول بتطوير الشريعة كالقوانين الوضعية، والقول باختلاف الفتوى وتغيرها بحسب الأزمنة والأحوال والبيئات والعوائد، لأن كلمة التطوير تدل على العدول عن أصل، والتمثيل بالقوانين الوضعية غير الثابتة يؤكد ذلك، أما اختلاف الفتوى وتغيرها بحسب الأزمنة والأحوال والبيئات فقد أكده الفقهاء، وعملوا بمقتضاه؛ يقول ابن القيم في أعلام الموقعين بالجزء الثالث[1] تحت عنوان ( فصل في تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال ): هذا فصل عظيم النفع جدا، وقد وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجدت من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم، ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها، ومصالح كلها،وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، ومن الرحمة إلى غيرها ومن المصلحة إلى المفسدة، ومن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل». اهـ.

وكتب التشريع المعاصر قد ضربت عشرات الأمثلة بما لا إيضاح بعده! فهل قرأ هؤلاء ما قيل؟

( ب ) الفقه غير قابل للتطبيق في الظروف الحالية! هذه قضية يجاهر بها من لم يقرأ كتب التشريع المعاصرة، حيث تخصص أعلام من الدارسين في كتابة الفقه الإسلامي على نحو يرتفع في تقنينه وتدليله إلى أسمى ما تعورف من كتب القوانين، وقد كان من الجائز أن يقال ذلك منذ قرن مثلا، أما أن تزخر المكتبة الفقهية بالآثار المعاصرة التي تقنن التشريع الدقيق لمستحدثات العصر ومتطلباته مقارنة بما يماثلها من القوانين الوضعية، ومرجحة وجهة النظر الإسلامي ثم يقال: إن الفقه غير قابل للتطبيق فهذا خطأ صريح.

( ج ) القول بأن الحدود تتعارض مع حقوق الإنسان، لغو باطل، وضح الدليل على خطئه، لأن حقوق الإنسان شرعت لمن يبعد عن الجريمة لا لمن ينغمس فيها! والقانون العادل لا يحمي المجرم، ولا يدلل المارق، والرحمة بالجاني هي القسوة بعينها، ولكل حد من الحدود شروط واضحة بحيث لا تطبق إلا على المنحرف الأصيل، وجريمة السرقة بالذات لا تكون غالبا إلا في الخفاء، ولا تثبت إلا بجهد، فكانت عقوبتها صارمة! والذين يصفون الحدود بالقسوة هم الذين يشنون الحروب الظالمة لتحصد آلاف الأرواح في دقائق معدودات، ويعدونها عملا وطنيا مشروعا، وفي مجال القول سعة لو أردت، وقد تحدث الفقهاء بإسهاب عن عدالة الحدود.

( د ) والداهية القاصمة أن يقول قائل: إن شريعة الله تسهل الميول الديكتاتورية للحكام! وسياسة الحكم في الإسلام توضح مركز الحاكم، وتقيده بالشرع، واختياره بالشورى، وعزله مفروض إذا لم يصلح! وما جاءت

---

(١) أعلام الموقعين جـ (٣)، صـ (١) وما بعدها.

النظم الديكتاتورية إلا بمخالفة أصحابها للإسلام! وليذكر لنا الباحثان حاكما واحدا حكم بالبغي والديكتاتورية باسم الإسلام! بل إن القوانين الوضعية هي التي أوجدت الطغاة من أمثال نابليون وهتلر وموسوليني ومن لا تحصى من أعداء الشعوب.

وانتقل المؤلفان إلى ما سمياه: المبادئ الرئيسية في الإسلام، فأشارا إلى موقع الفرد في السياق الاجتماعي الإسلامي، وإلى تحريم الربا في الإسلام، ونظام الزكاة، واصمين بذلك كله بدعوى غموض المسئولية في تحديد المنفعة الاجتماعية، ودعوى أنه لا اقتصاد بدون فائدة، وأنه ليس هناك تعريف واضح للمساواة والعدالة، وأن الزكاة لا تكفي بتوفية حق الفقراء، وكل ذلك مدروس ومردود عليه، وأذكر أن المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر المنعقد في المحرم سنة ١٣٨٥هـ الموافق مايو سنة ١٩٦٥م، قد درس شئون المال والاقتصاد دراسة مستوعبة، فتحدث الدكتور محمد عبدالله العربي عن المعاملات المصرفية، وتحدث الأستاذ أبوزهرة عن الزكاة، وتحدث الدكتور العربي ثانيا عن طرق الاستثمار، وبين الدكتور محمد مهدي علام معنى الصدقة في الإسلام، وشغل ذلك فراغا كبيرا في المجلد الخاص بالمؤتمر، وهو مطبوع متداول، ولمن يريد النظر الموضوعي النزيه أن يراجع بحوث المؤتمر التي أشرت إليها ليعرف أن كل ما ذكره الباحثان فقاقيع تبدو على السطح ثم يهوى بها التيار، وليس هذا التقرير مجالا للرد حتى أفيض ببعض ما أشار إليه هؤلاء الفضلاء، وفي أعداد المؤتمر التي أصدرها من بعد والتي بلغت تسعة أعداد بحوث أخرى تنحو هذا المنحى فتفيد من ألقى السمع عن صدق وإخلاص.

وفي الختام تحدث الباحثان عن المرأة في الإسلام حديث من يرصد بعض ظواهر الحجاب في دول خاصة ودون أن يرجع إلى الوضع القانوني للمرأة في الإسلام، وإنما المصدر شاشات التليفزيون وأقوال مراسلي الصحف! وما هكذا يدور البحث في مسائل التشريع.

واختتم التلخيص بآراء لعدة أناس اختارهم الباحثان كما أرادا فادلوا بآراء عن الجماعات والأشخاص، لتلقى انطباعا خاصا بالنفور من المد الإسلامي، وقد ذكرت أننا لا نرد على المسائل المستقاة من الصحف المغرضة، والتي ساقها الباحثان وكأنها حق لا شبهة فيه، واختيار هذه الأسماء المنحرفة عن تعاليم الإسلام يدل على الغرض الأول وهو الإشادة بهذا الانحراف على أنه هو الأسلوب الصحيح!

ومجمل القول يتضح فيما يلي:

١- أن كتاب الإسلام السياسي يمثل اندفاعا لتأييد العلمانيين ممن يعارضون حكم الله، ويعدهم أصحاب الرأي البصير، وكأنهم هم المصيبون.

٢- كما يمثل ضيقا بالفكر الإسلامي المتمسك بالثابت من أصول التشريع قرآنا وسنة، ووصما له بالديكتاتورية حينا، وبالتأخر حينا آخر.

٣- لم يأت الكتاب بجديد مما حول ما أثاره كاتباه، فصحف العلمانيين متشابهة المضمون متحدة الإيقاع! والكتاب محاولة للهتاف بما يروجون.

٤- وإذا كانت حقائقه مشهورة لدى أصحابها الذين لا يملون ترديدها، فقد اكتفينا بتسليط الضوء على المخالفات الصريحة لأصول الإسلام وقضاياه، أما الأحداث السياسية فليس من شأننا أن نخصها بالتعليق، ولكننا نصرح أن الكاتبين لم يكونا في سرد الأحداث منصفين، بل كان الانحياز واضحا إلى غير سبيل المؤمنين، مع التهجم على كل من يعلن تمسكه بشريعة الإسلام، وكأنه مناوئ عنيد.

# الإسلام وإشكالية الفكر الحضارى

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

**يوصف الإنسان فى نظر مؤرخى الأديان، بأنه حيوان متدين. كما يوصف فى نظر علماء الاجتماع، بأنه حيوان اجتماعى. فمثلما يوصف بالضرورة الدينية فى حياته، يوصف أيضا بالضرورة الاجتماعية، ومعنى وصفه بالضرورة الدينية، أن طبيعته الدينية لا تنفض عنه ولا ينفض عنها، فالدين ضرورى له فى حياته، ومعنى وصفه بالضرورة الاجتماعية، أن طبيعته الاجتماعية لا ينسلخ عنها ولا تنسلخ عنه، فالاجتماع ضرورة له.**

فالإنسان وفق هذين التفسيرين هو: حيوان اجتماعى متدين.

غير أن الجدل الإنسانى فى الميادين الفكرية ينازع المعنى الاجتماعى الذى يوصف به الإنسان، وينازع أيضا المعنى الدينى الذى هو عليه الإنسان... فهناك من الفلاسفة الذين يشقون الرأى على أنصار النزعة الاجتماعية بالنزعة الفردية، وهناك كذلك من المفكرين الذين ينفضون أيديهم عن القائلين بالفطرة الدينية ليزعموا فى قولهم بأن الأصل فى الإنسان: النزعة الإلحادية... ولا نظن أننا ننتظر من دوائر الفكر الإنسانى الجدلى أكثر أو أقل مما هو عليه فى الرأى والمذهب من الاختلاف... فالخلاف سمة بارزة فى تاريخ الفكر الإنسانى.

وليس بدعا أن نرى خلافا بين الذين يرون: أنه حيوان اجتماعى، وبين الذين يرون: أنه حيوان متدين. فحين يرى الاجتماعيون: أن الظاهرة الاجتماعية متغيرة من صنع الجماعة وتفرض نفسها على الفرد.. أى على الفرد أن

يوافق أعراف الجماعة موافقة إلزامية ولايكاد يخالفها حتى يتعرض لقهر من الجماعة فالإنسان في نظر علماء الاجتماع يوصف بالمتغيرات الاجتماعية وهذا ماعليه الفكر الحضاري. في حين يرى علماء الأديان: أن الدين الإلهي غير الوضعي له خصائص منها أنه ثابت غير قابل للتغيير ولا تصنعه الجماعة فالإنسان في نظر علماء الأديان يوصف بالثوابت الفطرية.. فإذا كانت الظاهرة الاجتماعية متغيرة ويوصف بها الإنسان وإذا كانت الظاهرة الدينية غير اجتماعية أي ليست من صنع الجماعة وهي ثابتة لا تتغير ويوصف بها الإنسان.. فكيف يوصف بهما معا؟.. أي كيف يوصف بالثابت وبالمتغير؟

وإذا كان من المفروض لدينا. أن تقود الظاهرة (الثابتة) الظاهرة الاجتماعية (المتغيرة) فكيف يقود الثابت المتغير؟

رأى علماء الاجتماع أنه من أجل الا يقعوا في خلط كبير - ومن خلال دراسات لنماذج دينية ليس الإسلام من بينها - رفضوا كون الدين وحيا إلهيا كما رفضوا أنه ينطوي على قيم ثابتة، وأخضعوا تفسيره على أنه ظاهرة، وقدم " أوجست كونت " تفسيره للظاهرة الدينية: بأنها أحد مظاهر قانون الأحوال الثلاثة الذي يرى فيه: أن الفكرة الدينية تعد مرحلة من مراحل التطور العقلي للإنسانية.

ورأى علماء الاجتماع فيما بعد.. ووفق ظروف قاسية مر بها المجتمع الاوربي في العصور الوسطى... بسبب هيمنة الكنيسة عليه - أن ينقلوا معنى "إلهية الدين" إلى "بشريته".. أي أنه من وضع الجماعة البشرية، وشاء لهم أن يضعوا قوانين تخدم معنى التطور الديني في حياة البشرية.

كما وجد علماء الاجتماع في المجتمع الاوربي ما ينهض لهم حجة تقيم الدعوى على مناهضة الرأي القائل بقيادة الضرورة الدينية للضرورة الاجتماعية... ووجدوا في الكنيسة مثالا سيئا حين تصدرت قيادة المجتمع الاوربي، لطخت من سمعتها ومن سمعة الدين فنبذها المجتمع واصبحت هي ومرحلتها الزمنية مثالا حيويا على سوء القيادة الدينية لدى دوائر الفكر الفلسفي يشهرونه حين يريدون أن ينبهوا على سوء القيادة الدينية للمجتمع الإنساني، وكانت المسيحية منذ تاريخها الأرض السهلة التي اخترقتها المذاهب الإنسانية الناشئة في أوربا حيث لم تقو أظافرها ومخالبها دفاعا عن نفسها.. كذلك لم يشهد لها واقعها بحُسْن الأسوة مما قوى على ضعفها حركة نقدية نشطة.. كما آذر من مسلك الحرية النقدية للمسيحية وجود ديانات على شيء من ضعف المسيحية كاليهودية والهندوسية... حتى بات من المسلم به أن المسيحية تآكلت من الداخل بفعل التحديث منذ مدرسة الإسكندرية حتى الآن.

أما البوذية والهندوسية، فهى، فى نظر الغرب: أقرب الى الخرافة.. واليهودية ديانة منغلقة واتباعها قلة.. وكانت تلك المواقف من نتائج الحركة العقلية فى أوربا.

أما الإسلام فإن الغرب لم يدرسه حتى عصر النهضة وإنما عمم حكمه واعتبر شأنه شأن الأديان التى درسها أو أقل درجة منها.

نلاحظ أن الدين الذى تناوله الفكر الأوربى إبان عصر النهضة لفظ عام أطلق من غير تخصيص على:

* الأديان الوضعية.
* الأديان السماوية باختلاف درجاتها.

والمعايب التى اتخذها الفكر الأوربى كانت مستوحاة حقيقية من الواقع الاجتماعى الذى عاش فيه وعاشته أوربا.

وكان هذا الواقع خاضعا لحكم طبقة دينية أظهرت دينها كأنه مخدر للأمة.

وبدراسة الدين الذى كان سائدا فى العصر الوسيط لاحظنا أنه مجموعة مزيجها فلسفة مشوهة واجتهادات كهنوتية فى مجموعها تخدم أغراض الكهنة وأطماعهم الدنيوية، ولما كـان دينهم هو هذا المزيج الفكرى الذى يخالف دين التوراة والإنجيل ثار عليهم قديس ألمانى "مارتن لوثر".

فالثورة على الدين فى أوربا أشعلها رجل الدين نفسه.

ومن هنا نؤكد على أن الدين الإسلامى لم يكن مقصودا بالثورة عليه إبان النهضة الأوربية، إنما الذى كان مقصودا بالهجر والنبذ هو الدين الكهنوتى.

والدين الكهنوتى ليس هو الدين النموذجى الإلهى، إنما كان دينا مشوها ومحرفا ثار عليه الإسلام بالرد والنقد قبل أن تثور عليه أوربا، غير أن أوربا كانت على غير علم كامل بنظام الإسلام ولا بموقفه من الأديان السابقة عليه.

فإذا ثارت أوربا على الكنيسة فليست بدعا فى ذلك، إنما تعتبر ضاعفت وتناصرت من صوت الإسلام أخيرا حين اعتبر المسيحية دينا منسوخا وأنها غير صالحة للتطبيق الاجتماعى.

أما الإسلام فلقد بنى سنته الحياتية على العقل الإنسانى الذى يخطىء ويصيب.. دون العقل المعصوم التى تقوم به المسيحية وبعض الأديان وتفوض إليه سلطة الرقابة والحكم فى محاكم تفتيش لتتضادر به حرية الفكر، أو لفرض رقابة على الآراء والمعتقدات والأعمال.

كذلك لايعرف الإسلام نظام الحكم الاستبدادى الذى يقف أمام الفكر فيمنعه من البحث الحر لمعرفة حقيقة جديدة أو يقف دون كشف نور جديد حائلا دون سعى العقل فى عالم المجهول ليس فى الإسلام هذه السلطة سواء كانت كنيسة أو طبقة دينية معصومة تمثل المركز الوحيد فى تفسير الحقيقة السماوية وتلزم الإنسان أن يخضع لها أو تفرض عليه



فكرا معينا باسم "القوة الروحية" لتنظيم المجتمع.

آية على ما نذهب إليه أن الخلافة الإسلامية اعتمدت على المبايعة الحرة واصطبغ بعض الجدل السياسي حولها بصبغة المصلحة الشخصية وبعضه بصبغة المصلحة الدينية دون أن يَدَّعِ الخليفة أنه يستمد شرعيته من مصدر إلهى أو أنه مفوض من أسرة دينية لها تقاليد القداسة. الدينية ليستبد بمقاليد السياسة والحكم.. لذلك اهتم الإسلام بأساسيات المعرفة منها: العقل الإنسانى. والتجربة: بدءا من ملاحظة أحوالنا الداخلية إلى ملاحظة ما حولنا فى الكون.

منها تكونت مواد التفكير فى العقل الإسلامى.. وكان المسلمون يصدرون فى أعمالهم دائما عن دافع المصلحة العامة والغاية الدينية.

أعانت هذه الأساسيات المسلم على أن يمارس حياته العملية.. وزادت من اهتمامه بالنشاط الفكرى ليناضل ضد الجمود والركود موطئا طريق الاستقامة فى المنهج نحو إرساء نظرية الرأى التى تساعده على مواكبة التغيرات الاجتماعية.. حتى أصبح الرأى الاجتهادى من أهم سمات الحركة الفكرية فى الإسلام يحمل الطابع الإسلامى من حيث الشمول والوحدة خالصا من التعصب الأعمى.. وأدرك العلماء من مفكرى المسلمين مغزى الدعوة إلى الرأى.. فقاموا بجهود مشتركة إلى بناء أصول البحث والنظر فى الدين.. لإرساء قواعد فكرية إسلامية تركز أصولها بالطرائق النقدية فى العلم والمعرفة اعتبرت مصادر للتشريع الإسلامى بجانب الوحى الإلهى وهى متعددة وهى: الإجماع، القياس، الاستصحاب، شرع من قبلنا، الاستحسان، المصالح المرسلة، سد الذرائع، مذهب الصحابى، البراءة الأصلية فى العصر النبوى.. فضلا عن قواعد أخرى مثل: الأمور بمقاصدها، والمشقة تجلب التيسير، مصادر متنوعة عكف على التأليف فيها مفكرو العرب القدامى الذين حملوا راية الإسلام.. حين أرادوا أن يعالجوا الرأى العلمى وضعوا له مقاييس علمية دقيقة تتوخى البرهان العقلى لتقود الضرورة الدينية الضرورة الاجتماعية غير أنها تحتاج منا إلى نظرة معاصرة.

ولما كانت طبيعة القضايا الاجتماعية التى تجد لهم متنوعة.. فإنهم اعتمدوا لحلها على مصادر متنوعة.. بدءا من القرآن إلى الاجتهاد.. تنوعا استوجب منهم الاعتماد على العقل.. أضف إلى ذلك تأويلهم الذى كان يتم بشكل حر دون تقيد بمدرسة أو مذهب، أو عبارات بلاغية أو كما يقول الأصوليون دون عبارات مبسوطة.. وكان غير كاف لديهم بل مرفوض أن ينتحلوا لإثبات صحة الرأى أن يستشهد، أو يستأنس له برأى تاريخى قديم وفقط دون التفكير فيه.



وكنا نرى من خلال اختلافهم - أى علماء أصول الفقه الإسلامى - حول تقرير تلك القواعد، نقاشا حرا مستنيرا للغاية، يتيح للعقل أن يتفهم مكانه من النص الإلهى وعلاقته به دون أن نرى مقالة تكفر هذا، أو تلعن ذاك، أو أن النقاش بدعة، وإنما كانوا يقولون: "للمجتهد أجر إن أخطأ، وأجران إن أصاب[1]"، وذلك هو حال الطبيعة الإنسانية على ما هى عليه من غير ادعاء العصمة لها.

وساد المدارس جو هادىء من الحوار الفكرى الخلاق المبدع كفل لها أن تباشر مسئوليتها نحو دينها ونحو مجتمعها.. من غير أن تنعزل عن دينها باسم المجتمع أو عن المجتمع باسم دينها.. فكان هدفها خلق مجتمع يحكمه طابع التوافق والانسجام بينه وبين القانون الإلهى.. فجاء إسهامها فى فهمها التاريخى للأشياء ليس لاهوتيا صرفا، إنما كانت عدة اعتبارات تحكم اختلافها منها: أن العالم ليس ثابتا، وإنه فى كل مظاهره فى تبديل ونمو، ومنها احترام اختلاف الأماكن.. أى فلا تسوى المدينة بالعراق.. فالأولى يحتج مالك بعملها، والشافعى قد كان له بالمشرق ماكان من فقه، ثم أحكمه بمصر فصار له مذهبان: جديد بمصر وقديم بالعراق.

كل ذلك كان منهم تقديرا لسير الحياة المتغيرة ووزنا لتدرجها المتطور.. بهذه الطرق المصنوعة دخل على الدين تيار إنسانى ليرفع قيمة تعامل الإنسان مع النص الإلهى وقيمته الخلقية والفكرية ويربط الدين بالمجتمع ومتغيراته ويؤازر مسلك العقل فى فهم سنن الإسلام الحياتية ويعزز مقاييسه التى تقرر الاجتهاد وتنتقد التقليد فى الدين ويعايش بها المؤمن سننه الحياتية وسننه الدينية.

وأثبتت هذه الطرق المصنوعة والمتنوعة: أن كل ما أوحى الله به غير مناقض للعقل والحياة الاجتماعية المتغيرة.. وفى النهاية كانت هذه الطرق بالنسبة للعقل مولدا جديدا له قربت بينه وبين الدين وحافظت عليه من أن تستهويه نظرة خاصة أو فكرة شخصية نزقه.

وليست الفرق الإسلامية ومذاهبها إلا تعبيرا عن الممارسة العملية للمسلم وأنها ليست واحدة من حيث الفهم والتطبيق.. وبفضلها ظل الدين بجهود الفقهاء معبرا عن حاجات الإنسان الدينية والاجتماعية فى جميع مراحلها الزمنية والمكانية متآلفا مع ما يستجد من معارف ومشكلات ومع المتغيرات الحضارية ونظم الفكر والاجتماع، لأن الفقهاء كانوا يرون أن واجبهم الأول يقتضيهم أن يعملوا على توافق النظام الاجتماعى مع مبادىء الدين وكان قسطا من النزاع شجر بينهم من محاولة مخلصة لتوضيح الرأى الصحيح من غير أن يجعلوا من نزاعهم حواجز تحجز بين آرائهم..

(١) كانوا يقولون ذلك استناداً لحديث «إذا حكم الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر».

ولقد وضحت نتائج كثيرة من الموضوعات الدينية بفضل مناقشتها في أماكن العلم العامة حتى أصبح تداول نقاشها في الميادين العامة.. وذلك ليس خاصا بأمور الشريعة وليس ذلك فقط خاص بالجانب التشريعي إنما أيضا كنا نلاحظ أن الجانب العقدي وهو خاص بعالم الغيب فإن له علاقة بالعقل التي يصفها الفكر الإنساني بأنها علاقة مشوبة بحذر أو بتوتر، لماذا؟

لأن تلك العلاقة ليست واضحة أمام العقول بمستوى واضح.. فبعضها يبني علاقته على الإيمان بتلك العوالم الغيبية.. ويوصف مثل هذا الموقف في عرف الفكر الإنساني بأنه ينطوي على الاحترام الظاهر بينهما.. ومن حيث الحقيقة يوصف بأنه في حالة جمود مغلق أمام الدين وفي ذلك وفق مايرون مايجرح كبرياء العقل.. ويعتذر العقل عن ذلك بأن هذا الجانب لاعقلي وليس بالضرورة أن يسبر غوره.. إنما يكتفي معه بالإيمان فقط. هنا تتدرت بعض دوائر الفكر الإنساني بالعقل الذي يؤمن باللامعقول وقالت: حينما تكون هناك أمور غير مفهومة لدى العقل ينبغي أن يلجأ إلى الإيمان للخروج من الحيرة.. وكان هذا التندر مدخلا سهلا للذين وصفوا عالم الغيب بالخرافة وحملوه مسئولية الجمود العقلي.. بينما هذا الجانب ذاته اعتبره أصحاب النوايا الطيبة مجالا جديدا للعقل تعرف عليه بعد أن كان محدودا بآفاق معينة وذلك بفضل الدين.

أما في الإسلام فإننا نراه يربط بين عالم الغيب والعقل.. ويشير على العقل بأن يعمل الفكر في الكون وهو مليء بالأسرار التي تحفزه سعيا لاكتشاف معقولية الوجود مع رفض النزعة الشكلية التي تنتهي بالإنسان إلى عبثية الوجود.

لذلك حرص مفكرو الإسلام على إبراز التفاعل بين جانبي الدين: المعقول منه، واللامعقول، حين قرروا وفق قواعد منهجية:

أن العقل لا يستطيع أن يعرف ما هو الله.. إلا من خلال الوجود الطبيعي وقوانينه التي تعين على الجزم بوجوده خارج أنفسنا وداخلها مثل قولهم:

العالم متغير. وكل متغير حادث.

إن العالم حادث.. هذه نتيجة صارت بدورها مقدمة لقضية أخرى تقول: كل حادث لابد له من محدث.. وذلك المحدث هو الله. من غير شرح أو تفصيل فإن هذه النتيجة ربطت بين الطبيعي وغير الطبيعي.

فمن خلال فهم العقل للواقع الطبيعي.. يبرز لنا نظما ومناهج نتخذها ضمانا للحقيقة ومعراجا لإثبات وجود الله.. وحين بين الإسلام مشكلات عالم مابعد الطبيعة (اللامعقول) فما يبقى على المسلم إلا اعتناقها ثم يتفرغ لكل ما يجب فيه البحث والنظر.. وتصلح له المناهج العملية.. وفي ذلك تقدير للعقل ليُعنى بمجالات الطبيعة وشئونها وهو مايخص مجالات التجربة الإنسانية وما يقع في إطار تاريخها.



# محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

شعر الأستاذ الدكتور محمد سيد سعيدى

بدا الهلال فعمّ الكون ألحان ... والسعد لاح ودوح البشر فينانُ
والطير تعزف بالبشرى مغردة ... والأيك بالنبأ الميمون.. نشوانُ
بطحاء مكة في شدو وفي طرب ... ويومُها باسمٌ بالنور.. يزدانُ
يوم به عز دين الله مرتفعا ... وأشرقت بهدى التوحيد.. أكوانُ

***

يوم إذا عدت الأيام كان لها ... قلبا يغلفه حبٌ.. وتحنانُ
فيه المنى ببشير الخير مقبلة ... وقد تغنى بها في الدهر ركبانُ
الله أكبر جاء الحق.. مؤتلقا ... وقد تلاشى إزاء الحق.. بهتانُ

***

محمد أنقذ الأكوان من ظلم ... وحقبة ملؤها ظلم.. وطغيانُ
تنكب الناس هديا للطريق ولم ... تصخْ إلى منطق الإنصاف آذانُ
تراكضوا لسبيل الغي وانطلقوا ... قدما وطاف بهم للفتك.. طوفانُ
فجاء أحمد يعليها مدوية ... تعنو لصيحتها بالحق.. أركانُ
الناس في الدين إخوان سواسية ... سيان عندهم عمرو.. وسلمانُ
وكعبة النور والإيمان تجمعهم ... إذا نأت بهمُ دور.. وبلدانُ
وإن أتقاهم في الله أكرمهم ... ومن هداه إلى التوحيد قرآنُ

***

دستورنا المنقذ الهادي إلى سنن فيه لأمتنا نور.. وعرفانُ
لقد شقينا بهجران لشرعته وقد تداعى على الأوطان سرحانُ
وليس من قلة فينا تهددنا فجمعُنا كغثاء السيل.. وستانُ
ما ذاك علمنا المختار قائدنا وما بذا جاءنا هدى.. وإيمانُ
فأجمعوا أمركم يا قوم وائتلفوا فالمؤمنون لدى الهيجاء بنيانُ
أحيوا الجهاد فما من أمة قعدت إلا وعاث بها للبغي.. ذؤبانُ
وطهروا القدس من رجس يدنسه ويستبيح حماه اليوم.. طغيانُ
لا تأمنوا القوم إن الغدر طبعهم وإن ديدنهم جور.. وبهتانُ
لا تأمنوا لعهود ملؤها خدع وبين طياتها صل.. وثعبانُ
فالعهد عندهم قتل ومرزأة والعهد في شرعهم بغي وعدوانُ
سل عن جرائمهم لبنان باكية وعن فظائعهم تنبيك جولانُ

***

يا مسلمون ألا هبوا بقوتكم ولا تناموا فإن الشر.. يقظانُ
إن لم تصونوا بلاداً صانها عمر وخالد وأبوبكر.. وعثمانُ
فلا تقولوا بأنا مسلمون فمن يقل بذا قوله زورٌ.. وبهتانُ

***

أتباع أحمد للقرآن فاحتكموا فحكمه رحمة كبرى وريحانُ
ومن أعز من القرآن محتكماً تمضي الدساتير والقرآن ربانُ
ولن يعود لنا عز ومكرمة حتى يحكم في الأرجاء قرآنُ
ويشرق الكون بالقرآن مؤتلقا ويستعاد لنا عز.. وسلطانُ
ويرجع القدس مختالاً بقبلته تيها ويُهزم عدوان.. وبطلانُ
أقول والنفس بالآمال مشرقة بدا الهلال فعمَّ الكون.. الحانُ

***

# التراث العلمي الإسلامي

## ذاكرة الأمة ورصيدها الحضاري



للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

**يتساءل البعض عن جدوى العمل التراثي وما يمكن أن يقدمه إحياء التراث العلمي من فوائد للأمة في الحاضر والمستقبل ومن عجب أن نجد أنفسنا مطالبين باتخاذ موقف المدافع عن التراث والبحث عن أدلة مقنعة تؤكد أهميته ومكانته في حياتنا المعاصرة والآتية. في الوقت الذي نجد فيه أناسا زالت حضارتهم واندثرت على مر العصور، وغدت لغتهم أغرب من أن يتكلمها حتى المنتمون إليها، ومع ذلك فلا يزالون يعتزون ويفخرون بما يسمونه «حضارتهم» مع أنهم لم يقدموا للإنسانية إلا المآسي تعقبها المآسي.**

والحق أن الفوائد التي نجنيها من تحقيق تراثنا العلمي ودراسته عديدة ومتنوعة، ويفاد منها في مختلف المجالات المعرفية والتطبيقية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- بفضل المعلومات الجيولوجية والتعدينية التي تضمنها كتاب «الجوهرتين» للهمداني اهتدت بعثة المسح الجيوفيزيائي لمعرفة موارد اليمن المعدنية والبترولية إلى اكتشاف العديد من المناجم المهمة التي تحتوي على خامات الزنك والحديد والرصاص، إلى جانب الفضة، بكميات تجارية.

٢- كتب باحث غربي عن الفولاذ الدمشقي أنه أكثر أنواع الفولاذ صلابة، وسرد تاريخ دراسته من جانب الأوربيين، وأشار إلى أهميته في الصناعات الحديثة.

٣- جاء في عدد من الكتب التراثية وصف دقيق للهزات الزلزالية التي تعرضت لها البلدان العربية والإسلامية خلال القرون الماضية، منها:

كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني، وكتاب «بدائع الزهور ووقائع الدهور» لابن إياس، وكتاب «كشف الصلصلة عن وصف

الزلزلة» لجلال الدين السيوطي، وغيرها. ولا شك أن مثل هذه المؤلفات التراثية تعد بمثابة سجلات زلزالية موثقة، على أساس من الملاحظة والتجريب. والاسترشاد بما جاء فيها عن كل ما يتعلق بظاهرة الزلازل، وتواريخ حدوثها، ودرجات تأثيرها في المنطقة العربية والإسلامية خلال القرون الماضية، يعد ضرورة منهجية ومعرفية لأي دراسات معاصرة أو مستقبلية تتعلق بخرائط التوزيع الزلزالي وتوقعات حدوث الزلزال في منطقة ما، خاصة بعدما ظهر حديثا ما يشير إلى أن أجزاء كثيرة من الأرض العربية والإسلامية لم تعد بعيدة تماما عن «الأحزمة» النشطة زلزاليا في أماكن محددة من العالم.

٤- يزخر التراث الإسلامي بالعديد من المؤلفات في مجالات علوم النبات والحيوان والعلوم الزراعية وعلم الرعي والمراعي، نذكر منها:

كتاب «النبات» للدينوري، وكتاب «جامع فوائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة» لرضي الدين بن محمد الغزي، وكتاب «الفلاحة النبطية» لأبي بكر أحمد بن وحشية، وكتاب «الفلاحة الأندلسية» لأبي زكريا محمد بن العوام الإشبيلي. وقد ترجم هذا الكتاب الأخير في القرن الماضي إلى الإسبانية والفرنسية، وقال عنه «أنطوان باس» في تقرير قدمه سنة ١٨٥٩م إلى الجمعية الوطنية الفرنسية: أنه موسوعة زراعية تامة تفرد بها القرن الثاني عشر الميلادي. وقال عنه مؤرخ الحضارة «وول ديورانت»: إنه أكمل بحث في علم الزراعة ألف في القرون الوسطى برمتها.

ويمكن الإفادة من هذه المؤلفات التراثية حاضرا ومستقبلا في تحديد العوامل الأكثر أثرا في زحف الملوحة والجفاف على مناطق عديدة من الأرض العربية والإسلامية التي تعجز الآن عن تلبية احتياجات أهلها، بعد أن كانت تجذب في عصور الازدهار الإسلامي كل الأوربيين بجمالها وخيراتها. ويبقى على المهتمين والمختصين أن يدرسوا أنواع النباتات بهذه المناطق، وكيفية نموها والعناية بها وبيئاتها.

والأسماء العربية للنباتات كثيرة في التراث العلمي الزراعي، وتحتاج من المحققين العرب الهمة والدأب للكشف عن كنوز علمية وتعريبية في غاية الأهمية للأجيال العربية القادمة.

٥- توجد مؤلفات تراثية عديدة يمكن الإفادة منها في مجال طب الأعشاب، الذي برع فيه علماء السلف ولا يزال معتمدا في أكثر الدول، فقد أنشأت الهند والصين وباكستان معاهد وكليات لتدريسه، وتجرى فيه بحوث تطبيقية في أكثر من مؤسسة بمصر والمملكة العربية السعودية، ويدعو بعض الباحثين الغربيين إلى إحياء تدريس الطب العربي وإنشاء اللوائح والأنظمة الضابطة للأطباء والصيادلة الممارسين له.

ومن الملاحظ أن علماء أوروبا وأمريكا بدأوا يعيدون قراءة هذه المؤلفات التراثية، بعد أن قل الاهتمام بها لفترة أمام التطور العلمي والتقني، وشرعوا في إجراء التجارب على الوصفات الشعبية التي وردت فيها، في محاولة للكشف عن أدوية جديدة للأمراض.

وفي السنوات الأخيرة زاد اهتمام شركات الأدوية في ألمانيا والدانمرك وهولندا وإيطاليا وأمريكا بهذا الموضوع، وطلبوا من مصر وبعض دول المشرق شراء بعض النباتات، مثل ورق السكران لتصنيع البنج الموضعي، وبذور الحلة لاستخلاص أدوية القلب، وبذور البقدونس لعلاج احتباس البول، وبذور الرجلة لعلاج الأرق، وغيرها.

وإذا علمنا أن هناك كثيرا من الأمراض لا تزال تنتظر تطوير العلاج اللازم لها، وأن العلماء يبحثون في كل مكان في أعماق الغابات وقيعان المحيطات، عن أعشاب تخلص البشرية من الأمراض الصعبة، وأن كتب التراث لا تزال كنزا لم تصل إليه أيدي الباحثين- أدركنا أهمية هذا التراث في عصرنا هذا، وتزايد حاجتنا إليه في المستقبل.

٦- يهتم الباحثون المعاصرون بدراسة الأساس العلمي للتصميمات الهندسية التي قامت عليها تقنية العقود والقباب بأشكالها المختلفة وزخارفها المتنوعة، وذلك لإظهار قيمتها الجمالية الفائقة من جهة، ولإرشاد المعنيين برعاية الآثار قبل الشروع في أعمال الترميم والصيانة وإعادة البناء والتركيب والزخرفة، من جهة أخرى.

ونشير هنا إلى أهمية الأبحاث التي تجرى حاليا حول هندسة العمارة الإسلامية في معهد أمير ويلز للآثار بلندن. أيضا يقوم العديد من الباحثين بتطبيق ما ورد في كتب التراث العلمي باستخدام الحاسب الآلي، وخرجوا بنتائج بالغة الطرافة والدقة والنفاسة، ومن ذلك أن أكثر من باحث استعمل الصيغ الرياضية التي وردت في كتاب «مفتاح الحاسب» لجمشيد الكاشي حول تصميم القبة المقرنص والأزج أو الطاق، وأدخل تلك الصيغ في الحاسب الآلي لاستخراج تصاميم جديدة في العمارة الإسلامية.

٧- كتب التراث العلمي والتقني تفيد كثيرا في مجال التربية والتعليم، لتدريب الطلاب على إعادة تركيب بعض الأجهزة والآلات البسيطة. فقد كان المهندسون والتقنيون في عصر الحضارة العربية الإسلامية يتبعون منهجاً علمياً رائداً في كل أعمالهم، ويبدأون في الحالات الصعبة برسم مخططات، ثم يصنعون نموذجا مصغرا لما ينوون تنفيذه. وقد أعاد التقنيون المحدثون بناء العديد من التركيبات والآلات تبعاً للشروح التي قدمها التقنيون الإسلاميون في مؤلفاتهم، ثم «كتاب الحيل» لبني موسى بن شاكر، وكتاب «الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل» لبديع الزمان الجزري، وكتاب «الطرق السنية

فى الآلات الروحانية » لتقى الدين بن معروف الدمشقى، وكتاب « الأسرار فى نتائج الأفكار » لأحمد بن خلف المرادى.

الشيء نفسه يصدق على الآلات والأجهزة والأدوات العلمية والفلكية التى طورها علماء الحضارة العربية الإسلامية. ومثل هذه الأعمال تفيد كثيرا فى الأغراض التعليمية، كما تفيد لمعارض ومتاحف العلوم. وقد قام أكثر من باحث بتحديث التعامل مع المعلومات التراثية، لاستخراج أوقات الصلوات، وتحديد المناسبات الإسلامية المهمة من الصيغ الرياضية المقتبسة من كتب التراث، وأمكن الاستعانة بالحاسب الآلى لوضع جداول حديثة لكل المدن فى العالم، فى كل أيام السنة الشمسية[1]. ونجد فى عصرنا جهازا شبيها بالأسطرلاب الخطى، هو المسطرة الحاسبة الزلاقة Slide Rule، والتى كانت الآلة الحاسبة الأحدث، المعتمدة فى الأبحاث العلمية قبل نحو خمسة وعشرين عاماً، عندما انتشرت الآلات الحاسبة الإلكترونية ( أجهزة الكمبيوتر ).

## فوائد أخرى لدراسة التراث العلمى الإسلامى

( أ ) إثراء المدخل التاريخى فى تدريس العلوم، وتنمية الحس النقدى والثقة بالنفس لدى الناشئة، والوقوف على طبيعة التطور العلمى ومنهجية البحث والتفكير فى العلوم المختلفة.

( ب ) كشف حالات الغش الفكرى والقرصنة العلمية من قبل بعض المؤرخين والنقلة والمستشرقين فى حق تراثنا العربى والإسلامى.

( جـ ) التأصيل الجيد لمختلف فروع العلم المعاصر ( البصريات – الصوتيات – الوراثة – البيئة – الشفرة – الجيولوجيا – الفلك .. إلى آخره ).

( د ) الكشف عن المزيد من النظريات والاختراعات المتقدمة فى التراث الإسلامى ونسوق مثالا على ذلك: قوانين الحركة والجاذبية التى اكتشفها ابن ملكا البغدادى والحسن الهمدانى قبل نيوتن بعدة قرون.

يقول ابن ملكا البغدادى فى كتاب « المعتبر فى الحكمة » معبراً عن تناسب القوة مع تصارع الحركة: « القوة الأشد تحرك أسرع وفى زمان أقصر ». ويقول معبراً عن قانون الفعل ورد الفعل: « إن الحلقة المتجاذبة بين المصارعين لكل واحد من المتجاذبين فى جذبهما قوة مقاومة لقوة الآخر، وليس إذا غلب أحدهما فجذبها نحوه تكون قد خلت من قوة الآخر، بل تلك القوة موجودة مقهورة، ولولاها لما احتاج الآخر إلى كل ذلك الجذب ».

وإن شئنا مثالا آخر، فقد أبرز ديفيد كنج أن رسالة السلطان الأشرف اليمنى ( ت ١٢٩٦م ) تحتوى على أول إشارة مُبَكِّرة فى المصادر الفلكية البسيطة إلى بوصلة مغناطيسية، وذلك

---

(١) M. Ilyas, Astronomy of Islamic Time for the 2 its Century, Mansell Publishing Ltd. London. 1989.



على الرغم من أن السلطان لم ينسب هذا الابتكار لنفسه. وقد ألحقت بهذه الرسالة إجازتان من أستاذى السلطان تشهدان له بصحة ستة أسطرلابات صنعها الأشرف بنفسه. ويوجد أحد هذه الأسطرلابات حالياً في متحف «متروبوليتان» للفنون في نيويورك، وبالرغم من مدى أصالته كان مدار تساؤل قبل نشر فهارس (ديفيد كنج).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ديفيد كنج نشر في عام ١٩٨٣ مجلدا عن «علم الفلك في اليمن الوسيط»، استعرض فيه أكثر من مائة مخطوطة فلكية يمنية محفوظة في مكتبات أوروبا والشرق الأوسط، وقدم قائمة بأكثر من خمسين فلكياً، يمنياً مع مؤلفاتهم، بعد أن عرض تاريخ علم الفلك في اليمن من القرن العاشر إلى أوائل القرن العشرين، كما تضمن الكتاب مؤلفين في الحساب، والمساحة، والمعضلات المتعلقة بتحديد أنصبة الميراث.

(هـ) يمكن توظيف نصوص جيدة من التراث العلمي العربي في أغراض التأصيل لمناهج البحث العلمي ونظريات فلسفة العلم المعاصر. ويكفي أن نشير هنا على سبيل المثال إلى ما ذكره ابن الهيثم في مقدمة كتابه «المناظر» عن المنهج العلمي ومقارنته بآراء فرنسيس بيكون وغيره، وما ذكره في مقدمة كتابه «في الشكوك على بطليموس» ومقارنته بمبدأ التكذيب المنسوب إلى كارل بوبر. وهنا يجد الباحث في تراثنا العلمي مدداً متدفقاً ومتجدداً لدراسات مستقبلية في مجالات الفكر العلمي.

(و) تتضمن مخطوطات العلوم إفادات مباشرة وغير مباشرة تغني مؤرخي الحضارة. مثال ذلك أن كتاب أبي الوفاء البوزجاني في المنازل السبع، تضمن أدق البيانات عن الضرائب ونظام الخراج وأعطيات العساكر، مما يُعد إضافة فريدة لا توجد في غيره، وأن كتاب «التيسير في صناعة التدبير» لابن زُهْر الإشبيلي، اشتمل على تفاصيل مهمة عن الصراعات الداخلية والدسائس في أسرة دولة المرابطين بالمغرب، وهو كتاب طب لا يقصده الباحث عادة لمثل هذه الإفادات[٢].

**(اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على طمس البصيرة منك).**

**ابن عطاء الله السكندري**

(٢) إبراهيم شبوح، لماذا التراث؟ مؤتمر الفرقان: «تحقيق مخطوطات العلوم في التراث الإسلامي»، لندن ١٩٩٧.



# إســـرائيل من الـــدَّاخِل




الصورة من صحيفة يديعوت أحرونوت فى عددها الصادر فى ٢٠٠١/٤/٢٧ لطفل يهودى يجلس فوق المدفع يقول:

**( أنا أكره العرب )**



صورة الطفلة الشهيدة التى أودت بحياتها شظية من قنبلة إسرائيلية.

تتساءل الشهيدة:

**( لماذا تكرهنى ؟ )**

# عرب فلسطين

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

**إن المرحلة الراهنة التى تعيشها الأمة العربية ليست مرحلة نضال لاسترداد حقوق الشعب الفلسطينى ولكنها المرحلة الأخيرة لرصد النوايا الصهيونية وكشف أوراقها ونواياها تجاه مضمون السلام الشامل والعادل.**

**شئنا أم أبينا.. لابد من إعادة ترتيب البيت العربى. ولم الشمل عملياً وفى أسرع وقت.**

**لابد من البحث عن آليات فعالة للتأثير الإعلامى العربى، وأن نرصد له كل الإمكانيات، خاصة ونحن أصحاب الحق الشرعى، ولا ننسى دور الإعلام الصهيونى فى تزييف الحقائق.**

**أين اللوبى العربى فى الولايات المتحدة الأمريكية فى مواجهة اللوبى الصهيونى؟**

## العرب فى فلسطين

منذ صيف ١٩٤٨، وبعد قيام إسرائيل أصبح مليون مواطن عربى فريسة للجوع والحرمان والمرض، وأسيئت معاملتهم وأهملت القوى العظمى قضيتهم .وفى نهاية عام ١٩٤٩م، قامت حملة باسم «لجنة الطوارئ للأرض المقدسة» – دعيت باسم H. E. L. P، غايتها توجيه أنظار الأمريكيين إلى حالة المواطنين العرب، لمساعدتهم، وكان يرأس هذه المنظمة الرئيس السابق لاتحاد المدارس اللاهوت، الدكتور «هنرى كوفن» كم ضم مجلسها حوالى ٣٠ شخصية من رجال الدين والقضاء ورؤساء الكليات والدبلوماسيين والكُتاب والمحسنين(١).

وقد حاربت الصهيونية كل من انضم إليها، ولم تتمكن المنظمة من الاستمرار فى أعمالها، فتوقفت بعد ثلاثة أشهر من تأسيسها(٢).

ومن الشعارات التى رفعتها الحركة الصهيونية

(١) الفريد ليلينتال: ثمن إسرائيل، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨٦ ص ١٠٨

(٢) المصدر السابق: ص ١١٠

من أجل تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين «شعب بلا أرض إلى أرض بلا شعب».

مع أنهم يدركون جيداً أن فلسطين لم تكن خالية من السكان، بل كان يسكنها العرب الفلسطينيون، وهم عائلات ترجع بأصولها إلى عمق التاريخ عندما كانت تسمى أرض كنعان.

وشاء قدر عرب فلسطين أن يعيشوا تحت ظل احتلال فُرض عليهم بهويته الإسرائيلية. وذاقوا كل أنواع الذل والهوان، على مرأى ومسمع من العالم كله، لم يتخلوا عن عروبتهم، وتحلو بالصبر.

ويرى الدكتور (عزمي بشارة)(*) في تعبير لا يخلو من القسوة:

«أن عرب إسرائيل بقايا مهزومة لمجتمع مهزوم سعوا للحصول على الأمن وليس على المساواة، وأن الهوية المزدوجة لدى عرب إسرائيل تعكس تناقضاً خطيراً بين الفلسطينية التي ينتمون إليها وبين الإسرائيلية التي فرضت عليهم، وأن الخط الأول للسياسة هو «الدولة اليهودية»، التي امتنعت عن إدماج العرب داخل الهوية الإسرائيلية وأنها دولة لليهود، وخدعة الديمقراطية التي يتشدقون بها فيما يتعلق بحق المواطنة والتصويت والخدمات لكل رعاياها لا تشمل العرب. (٢)

ومن أوائل زعماء الصهيونية الذين جاهروا بالدعوة إلى طرد الفلسطينيين «إسرائيل زنجويل» الذي زار فلسطين عام ١٨٩٧م، حيث قال: «علينا أن نستعد لطرد القبائل صاحبة الملكية بحد السيف كما فعل أجدادنا».

وعلى العرب دراسة الخاصية السلوكية الخاصة بالروح العدوانية تجاه العرب لدى الشخصية اليهودية الإسرائيلية دراسة مستفيضة. مع العلم بأن هناك العديد من مراكز البحوث الإسرائيلية، أنشأت خصيصاً لرصد وتحليل أوصاف «الطابع العربي»، في الوقت نفسه فإن الدراسات عن الشخصية اليهودية الإسرائيلية لم تحظ باهتمام واسع من الباحثين العرب المعنيين بالدراسات الإسرائيلية بالمقارنة بما لديهم رغم الجهد الواضح للدراسات الجادة التي يقوم بها الأساتذة المختصون، بالإضافة إلى المراكز البحثية العديدة التي تتبع المؤسسات الصحفية وغيرها وكذلك المؤسسات الخاصة إلا أنها جهود فردية.

والمجتمع الإسرائيلي مجتمع معقد بطبيعته من حيث البناء الفكري، مجتمع تحيط به هالة من الكذب والتشويه وطبيعة اجتماعية تفرض التغيير السريع، ولديهم حساسية مفرطة تجاه سقوط القتلى في المعارك والحرب لجيش الدفاع الإسرائيلي المرتبط بعوامل تاريخية ونفسية ودينية عديدة طوال تاريخهم.

مما جعل الأدباء يلتزمون بفكرة الغربة والخلاص، وتبعهم الزعماء وسار على هديهم

---

(*) باحث فلسطيني، رئيس «التجمع العربي» وعضو الكنيست الإسرائيلي عن كتلة «حداش» (الحركة من أجل الديمقراطية والسلام)

(٢) عزمي بشارة: عل شتيلت هميعوط هيلستيني بيسرائيل (حول مسألة الأقلية الفلسطينية في إسرائيل تل أبيب ١٩٩٣م ص٢٠٣ - ٢٢٦

بقية اليهود، وهي الفكرة الصهيونية التي شاعت وشغلت بالهم منذ بداية خطواتهم في الأدب والسياسة والتي تقوم على:

١- نبذ التاريخ اليهودي القديم السابق لقيام الدولة والمحمل بالمفهوم السلبي.

٢- طرح مبدأ الصهيونية كحد فاصل بين التاريخين الماضي والحاضر كنتاج لهذا الرفض، والتي جاءت تحمل معها العنف والقوة التي زودت بها الفرد اليهودي كبديل للاضطهاد والخذلان الذي فرضه عليه المفهوم اليهودي الممثل في تاريخ اليهود السابق لقيام الدولة.

فقد كرهتهم شعوب الأرض جميعا نظير ما اقترفت يداهم قبل الميلاد وبعده، فقد أبعدوا عام ٧٢٠ ق. م على يد الآشوريين، وفي ٥٨٦ق. م طردهم البابليون، وفي عام ٧٠م طردهم الرومان وفي ١٢٩٠م طردوا من إنجلترا وفي عام ١٤٩٢م طردوا من أسبانيا، وفي ١٨٨١ طردوا من روسيا وفي ١٩٣٣ - ١٩٤٥ طردوا من ألمانيا.

وقد اتضح هذا المفهوم كثيرا في الأدب، حيث يقول «يودكي» بطل قصة الموعظة:

«إنني لا احترم التاريخ اليهودي كله تنكيل واضطهاد وموت. كما أنني أقترح عدم تدريس مادة التاريخ اليهودي في المدارس لأطفال اليهود».

لأنه قد لاحظ «أن أطفال اليهود يعجبون بقصص العرب المليئة بالبطولات والفتوحات»[٤].

وقد حدث لهم صعود فجائي فهم - كما زعموا - شعب الله المختار، ثم سقوط فجائي، تشتتهم بين الأمم منذ موسى -عليه السلام- ثم صعود فجائي آخر تمثل في سلبهم فلسطين وانتصارهم عام ١٩٦٧م، ثم سقوط فجائي عام ١٩٧٣م قضى على مقولة الجيش الذي لا يقهر، والآن لا يريدون العودة إلى سقوط فجائي آخر قد يكون الأخير، وإذا تشردوا مرة أخرى فلن تقبلهم شعوب العالم أجمع.

وقد بات واضحاً أن المجتمع في إسرائيل يتكون من قوتين متنافرتين هما اليهود المحتلين والعرب أصحاب الحق الشرعي وما أقلق الكيان الصهيوني أنه وطوال نصف قرن من الزمان لم يستطع أن يجعل العرب يتخلون عن هويتهم العربية رغم الضغوط والظروف الصعبة التي حلت بهم.

وتعرض العرب للتنكيل وفقا للمخطط الصهيوني الذي وضعه مؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتسل: حيث قال «لا تستبعد فكرة طرد الفلسطينيين وترحيلهم»[٥].

والمخطط مستمر حتى وصل إلى الإبادة الجماعية على يد ما يسمى جيش الدفاع الإسرائيلي الشاروني.

وقد استغلوا انتصارهم عام ١٩٦٧م أسوأ

---

(٤) حاييم هزاز: هدراشاه «الموعظة» ص ٩ - ١٢.

(٥) ظاهر شاش: التطرف الإسرائيلي ص٦٤

استغلال حتى وصل بهم الأمر إلى معاملة العرب في فلسطين أسوأ معاملة تتسم بالقسوة والعنف وكأنهم مغانم حرب .

كما أن الصورة التى يرسمها الأدب والفكر والإعلام الصهيونى للشخصية العربية هى صورة سلبية تضع العربى فى مرتبة متدنية للغاية تصل إلى حدّ نزع الصفات الإنسانية عنه وتجريده من صورته البشرية ليس من قبيل السب والتجريح ولكن فى إطار عملية فكرية نابعة من عقيدة دينية مزيفة يعرفها علماء النفس جميعاً وهى عملية تسهيل العدوان عليه باعتباره كائن أدنى .

وقد وصفهم أحد قادة جيش الدفاع الإسرائيلى بأنهم « خنافس سامة لا تستحق سوى أن تحشر فى زجاجة ليأكل بعضها بعض » .

وقد لعب الأدب دوراً بارزاً بالإضافة إلى وسائل الإعلام الإسرائيلية فى غسل العقول اليهودية والافتراء على العرب بقصص دنيئة أصابت العرب فى كل عزيز وغال حتى يهيئوا يهود العالم للانتقام .

فبعد أن هاجر الأدباء والمفكرون من شتى بقاع العالم وخاصة يهود الغرب فى أوائل القرن ١٩ مع بدء الهجرات اليهودية الحديثة إليها كان من الطبيعى أن يتناولوا هذا العالم الجديد فى أعمالهم الأدبية، وكان رفض العرب لهذه الهجرات هو أحد الموضوعات الرئيسية فى الأدب العبرى الحديث الذى كتب فى فلسطين فى بداية هذا القرن والصدام كان حتمياً بسبب سعى اليهود إلى إقامة قرى زراعية خاصة بهم والاستيلاء على أرض يملكها العرب ويتوارثونها جيلا بعد جيل وكان من الطبيعى أن يحمل المهاجرون الجدد مشاعرالعزلة والكراهية تجاه العرب .

وينخدع العرب فى التفريق بين اليهودى والصهيونى .

والحقيقة أنهم يسطون التقريب بينهما ، بجملة تتكون من خمس كلمات وهى بالعبرية :

« مَاريخْ لهْيُوت إيرتْس لِعَم يسْرائيل » أى « يجب أن تكون هناك أرض لشعب إسرائيل » وكل يهودى يؤمن بهذه الجملة فهو صهيونى .

ويسعى القائمون على أمور التجمع الإسرائيلى سعياً دؤوبا إلى تمييع الحدود بين الإسرائيلى والصهيونى واليهودى والمتدين والعلمانى وذلك تنفيذاً لقرارات المؤتمر الصهيونى السابع والعشرين ١٩٦٨ والذى يعتبر أن « محاولة التفريق بين الصهيونية والشعب اليهودى محاولة إجرامية »(٦).

واتخذوا كنهاينة فى الانتقام من العرب، وكل رئيس وزراء إسرائيلي انتقم من العرب يعتبر -فى نظرهم- بطلا قوميا، وعليه أن يسطر تاريخه القومى بدماء عربية، ولنستعرض أبطالهم وما اقترفت يداهم بحق العرب :

بن جوريون : مذبحة كفر قاسم.

---

(٦) أ. د قدرى حفنى: دراسة فى الشخصية الإسرائيلية (الاشكنازيم) مركز بحوث الشرق الأوسط ص٨٤

جولدا مائير: مذبحة بحر البقر.

مناحم بيجين: مذبحة صابرا وشاتيلا.

إسحاق شامير: مذبحة دير ياسين.

إسحاق رابين: مذبحة الأسرى المصريين.

شيمون بيريز: مذبحة قانا.

نتنياهو: مذبحة المسجد الأقصى.

باراك: مذبحة المسجد الأقصى.

شارون: مذابح تصفية الشعب الفلسطيني علناً وعلى مسمع ومرأى من العالم أجمع.

وقد وصفهم المؤلف الإنجليزي ( سيريل سكوت ) قائلاً:

«إن أساليبهم تشبه أساليب هتلر النازية يبثون الخوف والرعب والإرهاب، يثيرون القلاقل والاضطرابات في العالم ويعيشون في الأرض فساداً»[7].

ومسلسل الإجرام والتطاول على العرب والمسلمين مستمر في الصحافة والإعلام والأدب العبري، بإشارات تهدف إلى التنكيل بهم وإخراجهم من فلسطين، ولم يقتصروا على تشويه السمات فقط ولكن امتد تطاولهم ليشمل الجانب الديني أيضاً.

وقد سمعنا عن الإهانات التي يرددها المتطرفون اليهود ضد الإسلام والمسيحية بنشر صور تسيء للرسول الكريم محمد ﷺ والسيدة مريم العذراء.

وكذلك بالنسبة للمسجد الأقصى انطلقت مقولة هدمه وبناء الهيكل على أنقاضه في عدة قنوات فضائية، وقامت إحدى الجماعات الدينية المتطرفة والتي أطلقت على نفسها «جماعة إعادة بناء الهيكل»، بنشر صورة للهيكل اليهودي المزعوم مكان المسجد الأقصى ( في حالة هدمه ) على سبيل تحقيق ذلك مستقبلاً، وكان ذلك في أوائل الثمانينات، وتصدت لهم مجموعة من المسيحيين المنصفين واستمر نمو هذه الحركة وتغلغلت في نسيج صناعة القرار الأمريكي في غياب خط فعال عربي في مواجهتها[8].

ويستعيد العالم الذكرى الثانية والثلاثين لجريمة إحراق المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث المساجد التي تشد إليها الرحال، وقد نفذتها أياد يهودية ملطخة بالدماء في ١٢/٨/١٩٦٩م، وهو اليوم الذي أعلنت فيه منظمة المؤتمر الإسلامي في جدة بياناً بأن هذا اليوم هو يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني.

وتعمل السلطات الإسرائيلية حاليا على تقسيم المسجد الأقصى كما فعلت بالمسجد الإبراهيمي في الخليل حيث أصدرت المحكمة الإسرائيلية العليا قراراً بالسماح لليهود بأداء

---

(7) (SYRIL SCOTTA:) An Outline of modern Occultism, second edition 1949p. 210.

(٨) حسن وجيه: نحو هندسة عربية لدبلوماسية السلام الثاني ص١٠.



صلواتهم داخل المسجد الأقصى.

وكل ما فعلوه يتعارض مع أبسط القيم الإنسانية ومع القرار الجماعي للكونجرس الأمريكي الصادر في ١٩ من ديسمبر ١٩٤٥ والذي قرر فيه عدم المساس بالحقوق الدينية لجميع الطوائف الأخرى[٩].

وإن ما يقوم به إرئيل شارون هو ترجمة لفكر أستاذه جابوتينسكي الذي كان يرى:

«أن الدولة اليهودية سوف تضم جالية عربية كبيرة لن تكف عن المقاومة إلا إذا أقامت الصهيونية جداراً حديدياً يقضي على كل آمال لديها» [١٠].

وأود أن أشير هنا إلى أن حركات الاحتجاج على هزيمة إسرائيل في حرب العاشر من رمضان أكتوبر سنة ١٩٧٣ قد تلاشت بنفس السرعة التي ظهرت بها، فإن مجموعتين فقط من بين هذه الحركات واصلتا الوجود في اتجاهين متناقضين تماماً.

المجموعة الأولى: هي جماعة «جوش إيمونيم» الدينية الأصولية التي كان لديها حل جاهز ينطوي على تعزيز الإيمان بالخلاص والعيادة، وحددت أن مبادئها هي:

لا تنازل ولا انسحاب ولا تخلي عن طريق الإيمان بضرورة استيطان كامل «أرض إسرائيل التاريخية» حسب ما يزعمون.

المجموعة الثانية: حركة السلام الآن.. التي نادت بأن نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣ تقود إلى الطريق المعاكس وهو حتمية التفاوض حول إعادة الأراضي المحتلة مقابل السلام، وقد ظهرت في أثرها حركات أخرى للسلام. إحداها تمثل اليهود الشرقيين هي «الحركة من أجل السلام»، وحركتان تمثلان الرؤية الدينية للسلام هما «السلام والقوة» و«سبل السلام»[١١].

ولتزييف الحقائق سبق أن قال بيجين:

«لم ولن نستخدم تعبير الشعب الفلسطيني وأن الضفة الغربية ستسمى: «يهودا والسامرة» وهذه الأرض تخص الشعب اليهودي بينما يمتلك الشعب العربي ٢٠ دولة، ١٢ مليون كيلو متر مربع أرض، ومن يزن هذه الإدعاءات بميزان العدل، يستخلص بنفسه أن قضيتنا هي العادلة»[١٢].

وأكد هذا المفهوم بنيامين نتنياهو حيث قال:

«يجب أن يتنازل العرب عن أربعة أجزاء من عشرة آلاف جزء (٠,٠٠٠٤) من المناطق الواسعة التي يسيطرون عليها وهذا التنازل يجب أن يكون عن منطقة الضفة الغربية قلب الوطن القومي اليهودي، والسور الواقي لدولة إسرائيل

---

(٩) وثائق فلسطينية ١٨٣٩ – ١٩٨٧ – دار الثقافة منظمة التحرير ص ١٧٣.

(١٠) السفير طاهر شاش: التطرف اليهودي جذوره وحصاره ص٥٨/٥٩.

(١١) د. رشاد عبد الله الشامي: إشكالية الهوية في إسرائيل ١٩٩٧ عالم المعرفة ٢٢٤ الكويت ص ١٤٨.

(١٢) هاني عبد الله: الأحزاب السياسية في إسرائيل ص ٧٠.

(١٣) بنيامين نتنياهو: مكان تحت الشمس ص ٢٨٦.



والتي تشكل استمرارا للجدار الواقي في هضبة الجولان »[١٣].

والضفة الغربية بالنسبة لهم حيوية استراتيجية، ولهذا فهم يستميتون في ضمها وطرد أو إبادة من فيها وقد كتب نتنياهو:

« على إسرائيل ضمان سيطرتها على مصادر المياه في الضفة الغربية، أي السيطرة على المناطق الواقعة فوق أحواض المياه الجوفية الحيوية للاقتصاد المائي الإسرائيلي.

حيث يوجد أسفل مرتفعات « السامرة » الغربية حوض المياه « يركون تنيتيم » الذي يزود إسرائيل بحوالي ٤٠٪ من مياهها الجوفية.. ودون هذا الحوض ستواجه إسرائيل مشكلة خطيرة تهدد وجودها بصورة لا تقل عن مسألة الأمن العسكري »[١٤].

ويجب ألا يغيب عن أذهاننا بأن الدعوة إلى « إسرائيل الكبرى » لا تقتصر على حزب أو فريق صهيوني دون آخر، وإن اختلفت الأساليب وتعددت الطرق ومناورات « الحق التاريخي، دواعي الأمن، متطلبات الدفاع.. » التي يتشدقون بها إنما يخفون نواياهم وخرائطهم التي رسمها قادتهم.. والتي يسعون جاهدين لتنفيذها.

فقد كتب « تيودور هرتسل » ١٨٦٠ ـ ١٩٠٤ يقول:

شعارنا فلسطين داود وسليمان[١٥].

كما أفتى الحاخام « يهودا كوك » قائلاً:

« أن الله أمرنا أن نستولي على الأرض ونستوطنها ومعنى الاستيلاء هو الغزو »[١٦]. والهدف الإقليمي للصهيونية غير محدد، وليست هناك أية تصريحات تحدد معالم وحدود الدولة المغتصبة:

فنرى إسرائيل « هرتسل » في رواية « الأرض القديمة ـ الأرض الجديدة » امتدت من النيل للفرات واشتملت على بيروت وسلسلة جبال لبنان.

وإسرائيل « بن غوريون »: تضم النقب برمته وسنجق الكرك « معان والعقبة » وجزء من سنجق دمشق.

وإسرائيل « موشيه ديان »: أيضاً لم تُعرف لها حدود ولم تُرسم لها خرائط « لأن شعب إسرائيل هو الذي سيقرر حدود دولته ».

وحتى جولدا مائير تقول: « لم تعين لنا حدود ولن يتعين، نحن الذين نعين الحدود في أي مكان »

وقالت أيضاً: « واعلموا جيداً أن أي مكان تستوطنون فيه وتدافعون عنه سيكون هذا المكان داخل حدودنا »[١٧].

أما بنيامين نتنياهو فيقول:

« بما أن السلام في الشرق الأوسط يرتكز أولاً وقبل كل شيء على الأمن، يجب أن نوضح ما هي الحدود الآمنة بالنسبة لإسرائيل، وأن حدود ما قبل حرب الأيام الستة كانت حدود حرب وليست حدود سلام... لذلك يجب السيطرة على جبال الضفة الغربية الجدار الواقي للدولة »[١٨].

---

(١٤) بنيامين نتنياهو: مكان تحت الشمس ص٢٩٢.

(١٥) غازي السعدي: الأحزاب والحكم في إسرائيل ص ١٤٧.

(١٦) طاهر شاش: التطرف الإسرائيلي ص ٧٥.

(١٧) أ. جورجي كنعان: سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية ص ١٩.

(١٨) بنيامين نتنياهو: مكان تحت الشمس ص٣٧٧.

فعلى مدى خمسين عاما من الزمان، حكم اليهود شعبا أجنبيا لأول مرة في التاريخ مما حملهم أعباء مرهقة لم يتعودوها في سياق التجربة اليهودية، مما أسفر عن معارك أيدلوجية مريرة داخل إسرائيل نفسها، وقد أضر هذا بالهيكل الاجتماعي لها وأدى إلى اعتبار إسرائيل في الداخل والخارج دولة قمعية(١٩).

وما نراه الآن منذ بدء انتفاضة الأقصى وقد دخلت في شهرها الثامن غنى عن التعريف. وليعلم العالم والعرب أن هناك أكثر من مليون و ٣٠٠ ألف فلسطيني يعيشون تحت خط الفقر في غزة والضفة الغربية.

وتضخم معدلات البطالة ٣١٠ آلاف عاطل وأقامت إسرائيل ٩١ حاجزا عسكريا تقطع أوصال الضفة الغربية وقطاع غزة.

والمشكلة الحقيقة التي يواجهها الكيان الصهيوني أن عدد اليهود في العالم شبه ثابت وبالمقارنة فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد بارك في نسل العرب، وهذا ما تخشاه المؤسسة الصهيونية ولهذا فإنها تعارض بشدة أي اتفاق يتعلق بعودة اللاجئين الفلسطينيين، ولابد من الاعتراف بأن انتفاضة الأقصى قد قلبت الموازين العسكرية والأمنية الصهيونية، وانتقلت بؤرة الخطر على إسرائيل من الخارج للداخل، ووجدت المؤسسة الصهيونية الحاكمة أنها أمام نمط جديد من المقاومة يختلف جذريا عن نمط الحروب التي اعتادت عليها من الخارج.

وقد أكد هذا المعنى من قبل «شيمون بيريز» حيث قال:

«إن المخاطر الخارجية تتضاءل أمام المخاطر الداخلية المتمثلة في أنشطة العنف والزيادة الكبيرة المتوقعة في عدد السكان العرب»(٢٠).

وليت العرب يعلمون ذلك ويساندون الانتفاضة بالجهد المادي والإعلامي الحقيقي.

والحل في نظرهم: ـ حرب هجومية إجهاضية سريعة.

- تدمير الآلة العسكرية العربية.
- احتلال الأراضي كورقة للمساومة والتوسع.
- التوصل السريع لوقف إطلاق النار.
- تغييب الوعي العربي.
- بث الفرقة بين العرب.
- العمل على إبادة الشعب الفلسطيني أو ترحيله.

وضاع حلم اليهود في سياسة التوسع بعد الغزو الفاشل عام ١٩٨٢م، وانقلبت مغامرة (شارون) إلى خيبة أمل يعوض عنها الآن بحرب البقاء بعد نشوب الانتفاضة الفلسطينية بكل تداعياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وحملات التهديد التي تشنها أبواقهم ليست إلا بالونات اختبار لجس رد الفعل العربي والإسلامي والذي يقاس عليه ما سيكون بعد ذلك.

والسؤال المطروح على الساحة العربية والإسلامية:

- أين هي الشرعية الدولية التي تطبق على العرب فقط وتستعرض الدول الأوروبية عضلاتها مع أمريكا لتدمير كل من يخرج عن الشرعية الدولية بالحرب

---

(١٩) ميلتون فيورست: رمال الأحزان ص ١٠٨.

(٢٠) شيمون بيريز: الشرق الأوسط الجديد - ترجمة محمد حلمي عبد الحافظ - الأهلية للنشر والتوزيع ١٩٩٤ ص ٣٢.

# إسرائيل والبحث عن الهوية

للأستاذ / صلاح عبدالرحيم محمد

**تمثل مشكلة الهوية فى إسرائيل إحدى المعضلات التى تحاول هذه الدولة الناشئة أن تجد لها مخرجاً خاصة أنها مجتمع من المهاجرين اليهود. ولقد تزامن ظهور هذه المشكلة بالنسبة لليهود مع عملية «العلمنة» فى بداية القرن الثامن عشر، حينما قامت حركة التنوير اليهودية (الهسكالاة) بمحاولة إزاحة الدين اليهودى عن عرش سلطانه باعتباره أساس الانتماء بين اليهود. كما برز على الصعيدين الاجتماعى والدينى مفهوم جديد وهو: «كن يهوديا فى بيتك، أما خارجه فلتكن إنسانا». ومن ذلك الحين واليهود فى حيرة من أمرهم، وهم يبحثون عن إجابة لسؤال يلح على فكرهم، ويشغل بالهم ألا وهو: «ما هى هويتهم؟».**

إن اليهود فى بلاد الشتات التى يعيشون فيها يكتسبون السمات الحضارية لهذه البلاد، فيكتسبون لغتها، وثقافتها، وقيمها، وتقاليدها بحيث تتميز الشخصية اليهودية بعدد من سمات الهوية القومية الخاصة بهذه المجتمعات، فلا يمكن فهم يهودية اليهودى الفرنسى أو اليهودى الرومانى، أو اليهودى المغربى، أو اليهودى اليمنى بمعزل عن التأثيرات الحضارية للمجتمع الذى يعيش فيه كل منهم، وإسرائيل باعتبارها مجتمعاً من المهاجرين اليهود، فهى خليط من أجناس عديدة، وثقافات، ولغات، وعادات مختلفة، فاليهودى الشرقى الوافد من الشرق الأوسط وإفريقيا له ثقافته ولغته التى يحملها معه من المجتمع الذى نشأ فيه، واليهودى الغربى القادم من أوروبا وأمريكا له - أيضاً - ثقافته ولغته التى يتميز بهما عن اليهودى الشرقى.

وثمة اختلاف بين إحساس اليهودى الشرقى، واليهودى الغربى بهويته اليهودية، فقد نقل «بتشوفسكى» الوصف التالى عن أوضاع اليهود الوافدين من أوروبا الشرقية: «فى المجر يُشار إلى اليهودى باعتباره يهودياً، وفى رومانيا

يقال له: يهودي، وكذلك يكون الأمر في بولونيا، لكن عندما يأتي هؤلاء اليهود الثلاثة إلى إسرائيل، فالأول يُعتبر مجرياً، والثاني رومانياً، والثالث بولونياً»، وربما كان هذا الشعور المغاير بالهوية يصدق على اليهود الشرقيين إلى حد أبعد وأعمق، ففي تحليل مماثل لأوضاع اليهود القادمين من بلدان شرقية وغربية نجد أنفسنا أمام الظاهرة التالية: «إن اليهودي المصري، أو العراقي عندما كان يعيش في وطنه الأصلي كان يطلق عليه اسم يهودي وبالتالي كانت يهوديته جزءاً من شعوره بالذات، ولكنه عندما ذهب إلى إسرائيل أطلقوا عليه هناك اسم المصري أو العراقي، وبالتالي أصبحت مصريته أو عراقيته جزءاً من إحساسه بذاته ويهوديته، وهذا جعله يحرص على الاحتفاظ بالعلاقات الاجتماعية والثقافية مع اليهود الآخرين الذين أتوا من مصر أو العراق، بينما فقدت اليهودية دورها كأداة للتماسك الاجتماعي[1] لكن معظم الباحثين يجمعون على مقولة: «إن سد الهوة الفاصلة بين اليهود الشرقيين والغربيين سوف يبقى مسألة وجود بالنسبة لدولة إسرائيل، وحتى في ظل دولة إسرائيلية تعيش مع جيرانها في سلام وأمان لابد للمفعول التراكمي الناتج عن التناقضات الإثنولوجية والاجتماعية من البقاء كسيف مسلط فوق الرقاب»[2].

وبالنسبة للواقع الإسرائيلي هناك أقوال وصفية منها أن إسرائيل مجتمع من المهاجرين اليهود، وأنها أيضاً مجتمع صهيوني تقوده عقيدة تنبع من مبادىء معينة، وهناك منطلق آخر يقول: «إن إسرائيل هي مجتمع مازال يبحث عن هويته القومية أو اليهودية، وهنا يثور سؤال: ما هو حظ المجتمع الإسرائيلي من «الإسرائيلية» أو «اليهودية» إلى جانب صهيونيته؟. وأين يقبع مغزى البحث الإسرائيلي عن الهوية القومية بالنسبة لمجتمع المهاجرين؟»[3].

ويتحدثون الآن في إسرائيل عن الحاجة إلى مرونة أكثر في تعريف من هو اليهودي، خاصة بعد أن تأكد أن عدداً كبيراً جداً من المهاجرين اليهود القادمين من روسيا ودول الانفراط السوفيتي ليسوا من اليهود المتشددين، بل يغلب على كثرتهم الطابع العلماني، بمعنى آخر يكفي في المستقبل أن يقول إنسان إنه يهودي، أو يريد أن يكون يهودياً حتى يصبح في نظر إسرائيل يهودياً، وينسجم هذا التطرف في المرونة مع اتجاه آخر يطلق عليه «التهويد العلماني»، ويعني السماح للأغيار «أي غير اليهود» بالانتماء إلى الشعب اليهودي، وليس إلى الديانة اليهودية استناداً إلى قاعدة أن اليهودية دين أو قومية، وليس إلى قاعدة أن اليهودية دين وقومية في آن واحد[4] ففي دراسة قامت بها «آن دو تنغي» الباحثة في المركز

---

(١) د. أسعد رزوق، في المجتمع الإسرائيلي، ص٨٥ ـ ٨٦.

(٢) المرجع السابق، ص٩٢.

(٣) المرجع السابق، ص٤٣ ـ ٤٤.

(٤) جميل مطر، تهويد العالم في الخيال الإسرائيلي، مجلة الهلال، يوليو ٢٠٠٠

الوطني للبحث العلمي في فرنسا والمختصة بالشئون الروسية، عالجت فيها الخصائص التي تميز «الروس» الإسرائيليين بوصفهم جماعة إثنية جديدة في إسرائيل، فمع أن اندماجهم «السهل» في الحياة السياسية، و«الصعب» في الحياة الاقتصادية قد تحقق إلا أن ذلك الاندماج تم على قاعدة رفض الثقافة الجديدة في إسرائيل، والحفاظ على الطابع الإثني للجماعة الروسية، وعلى هوية خاصة استندت على العديد من القواسم المشتركة منها: حاضرهم الإسرائيلي بأفراحه وأحزانه، وماضيهم المشترك، وثقافتهم الروسية، بحيث نجح هؤلاء المهاجرون الجدد في حصر أنفسهم داخل بيئة روسية بالكامل تقريباً، وصاروا يمتلكون فيها بالإضافة إلى حزبهم السياسي، لغتهم، وصحافتهم، وجمعياتهم، وفرقهم الموسيقية، وأحياءهم، وتذكر الباحثة «آن دو تنغي» في معرض حديثها عن طبيعة تركيب المهاجرين الروس بأنه وفقاً للمصادر الرسمية كان ٨١,٢٪ من الوافدين من الاتحاد السوفيتي السابق، ما بين ١٩٩٠، ١٩٩٤ من اليهود، في مقابل ٩,٤٪ من اليهود من جهة الأب فقط، و٧,٣٪ من غير اليهود، غير أن نسبة غير اليهود بين الوافدين «الروس» راحت تتزايد سنة بعد أخرى، وبعد أن تتطرق الباحثة إلى الطبيعة العلمانية لغالبية الروس (أعلن أكثر من ثلاثة أرباعهم في استطلاع للرأي أجري في عام ١٩٩٦ أنهم علمانيون، وتضمن حزبهم السياسي «يسرائيل بعلياه» في العام نفسه دعوة صريحة إلى إقامة مقابر علمانية، وتشريع الزواج المدني، وعدم الخلط بين الدين والدولة تخلص الباحثة إلى أن العلاقة بالمجتمع الإسرائيلي التي حدد الروس طبيعتها تسمح للكثيرين منهم من غير اليهود أو من العلمانيين بالتدخل في العملية الرامية إلى تحويل إسرائيل من دولة خاصة بالشعب اليهودي إلى دولة لكل مواطنيها تقوم على التعددية الثقافية نظراً لاستحالة صهر هذا الخليط المتنافر في بوتقة واحدة(*).

ولقد أشار «سامي سموحة» أستاذ علم الاجتماع في جامعة حيفا في دراسة له حول المشكلات الكبرى التي تواجهها إسرائيل اليوم، فذكر منها أنها بلد يجمع ثقافات عديدة، وثقافات فرعية متنوعة، لكنه مجتمع يفتقد تعددية ثقافية حقيقية، إذ أن الصهيونية بعد أن فشلت في مسعاها الرامي إلى تجاوز الاختلافات الإثنية القائمة بين اليهود، وجمعهم في إطار وحدة قومية أحادية الثقافة من خلال الدمج والمماثلة بينهم، وجدت نفسها مضطرة إلى الاعتراف بشكل من أشكال التنوع الثقافي حيث لم يعد اليهود الشرقيون والروس والأثيوبيون يطالبون بالتخلي عن تراثهم الثقافي، وإنما صار بوسعهم الحفاظ على خصوصياتهم الثقافية إن هم اندمجوا في المجتمع، ويشير الباحث إلى الإنقسام التاريخي بين اليهود الأشكناز الذين يمثلون ٥٥٪ من السكان اليهود، ويرجعون بأصولهم إلى بلدان أوروبا الوسطى والشرقية في

---

(*) إسرائيل إزاء تحديات هويتها، (مجموعة دراسات)، عرض ماهر الشريف، مجلة النهج



الأساس، واليهود السفارديم الذين يمثلون ٤٥٪ من السكان اليهود، ويرجعون بأصولهم إلى بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ليثبت بأن هذا الانقسام لم يكن عابراً وسطحياً، بل كان حقيقياً، ففي التسعينات ظهرت علاقات عديدة تدل على استمرار الطابع الإثني للجماعات اليهودية.

ويخلص الباحث إلى أن وجود ثقافات عديدة، وثقافات فرعية قد تخلق انطباعاً خاطئاً بوجود «ديمقراطية إسرائيلية متعددة الثقافات»، بينما هناك عوائق من طبيعة أيديولوجية تحول دون إبراز واقع متعدد الثقافات بصورة حقيقية في إسرائيل، إذ إن الصهيونية بوصفها أيديولوجية مهيمنة نظرت دوماً بعين الشك إلى التعدد الثقافي، وبرغم التسامح النسبي مع اليهود الشرقيين والروس والأثيوبيين، ومع العرب (الأقلية العربية) إلا أن كل هؤلاء يظلون إسرائيليين من الدرجة الثانية، مما يزيد من إشكالية الهوية في إسرائيل[٦] أما عن أوضاع الأقلية العربية في إسرائيل، ومستقبلهم، فذكر الباحث «مجيد الحاج» أستاذ علم الاجتماع المساعد في جامعة حيفا في دراسة له حول هذا الموضوع أن المجتمع اليهودي ينظر إلى الأقلية العربية في إسرائيل على أنها أقلية معادية، وغريبة عنهم، لكنهم نجحوا، رغم الحصار الذي ضرب حولهم، في بلورة هوية قامت على مركبين اثنين، أوجدوا بينهما نوعاً من التوازن هما: «المواطنة الإسرائيلية» من جهة، و«الوطنية الفلسطينية» من جهة ثانية. ويخلص الباحث في هذه الدراسة بأن عملية السلام المتعثرة والصراع العربي الإسرائيلي قد عمق الوضعية المزدوجة للأقلية العربية في إسرائيل، في ظل انشغال إسرائيل المتزايد بمصير هويتها وبمستقبل الانقسام العميق داخل غالبيتها اليهودية[٧] أما بالنسبة للمتدينين اليهود في إسرائيل، فهناك شريحتان رئيسيتان: شريحة «اليهودية الصهيونية» أي الذين يعترفون بالصهيونية، وبدولة إسرائيل، ويعتبر الحزب الديني القومي (المفدال) أفضل ما يعبر عن هذه الشريحة، أما الشريحة الثانية فهي الخاصة «بالحريديم» أي غلاة الأصوليين اليهود الذين يرفضون الدولة الإسرائيلية، والحركة الصهيونية ويعبر عنهم حزب «أجودات إسرائيل» أي «جمعية إسرائيل». وقد استند هذا الحزب على العقيدة اليهودية، واستنكر بشدة علمنتها من قبل الصهيونية، وعارض بشدة مفهوم «الوطن القومي اليهودي»، لكن هذا الصدام خفت وكاد أن يتلاشى بعد ذلك عندما دخل هذا الحزب انتخابات الكنيست الإسرائيلي (البرلمان)، وأصبح جزءاً من النظام السياسي الإسرائيلي (حكومة ومعارضة) رغم معارضته اعتبار إسرائيل دولة يهودية، لها علم، ونشيد وجيش، لذا فهو يرفض خدمة المنتمين له في الجيش الإسرائيلي، كما يعبر عن الشريحة الثانية أيضا حزب شاس «اتحاد حراس التوارة السفارديم». ويقف هؤلاء المتدينون جميعاً على عقيدة واحدة، وهي أن خلاص اليهود سيكون بأمر إلهي على يد المسيح،

(٦) إسرائيل إزاء تحديات هويتها، المرجع السابق.

(٧) نفس المرجع السابق.



وليس أمراً أرضياً بيد إنسان، وحتى يتحقق ذلك على اليهود أن ينتظروا[٨] وقد أكد عضو الكنيست (في انتخابات ١٩٩٦) «شلومو بنيزارى» من حزب شاس على أهمية خلق «هوية طائفية» قائمة بذاتها في إسرائيل بقوله: «في المعاهد التلمودية (اليشيفوت)، وفي مدارس معينة في «بني باراك»، وفي القدس نسبة محددة للسفارادم لكي يدرسوا فيها، وهذه المعاهد الدينية، والمدارس تابعة للأحزاب الأشكنازية، مثل الحزب الديني القومي (المفدال)، وحزب «أجودات إسرائيل»، وغير مسموح فيها بالدراسة إلا لليهود المتدينين الأشكناز[٩]، ومن هنا فإن هذه الظاهرة الطائفية التي تسعى لتمييز نفسها كهوية قائمة بذاتها تشكل حائلا دون تطبيق الطرح الإسرائيلي للهوية لأسباب شديدة منها وجود حالة من الانعزال - على المستوى المرتبط بالحفاظ على التقاليد الدينية السفارادية - عن الكتلة الأشكنازية المهيمنة في المجتمع الإسرائيلي وهو ما يحول دون تكوين ثقافة إسرائيلية عليا داخل المجتمع الإسرائيلي يلتزم بها مواطنوها من اليهود السفارادم والإشكناز، وهو أحد شروط الطرح الخاص «بالدولة - الأمة» الذي تنادي به الهوية الإسرائيلية، فضلا عن اتجاه اليهود الشرقيين «السفارادم» إلى دعم الاستقطاب الطائفي داخل إسرائيل بتكوين أحزاب سفارادية دينية، وهي ظاهرة تؤثر بشكل واضح على فعالية جهود إسرائيل من أجل تذويب اليهود الشرقيين في الثقافة الأشكنازية المهيمنة على المجتمع الإسرائيلي وتسوده. وستؤدي هذه الظاهرة - على المدى البعيد - إلى قيام «هوية يهودية سفارادية» مستقلة داخل المجتمع الإسرائيلي، وقيام «هويات يهودية فرعية» أخرى على أساس ديني، وعلماني، وإثني[١٠].

ويخضع اليهود في إسرائيل - سواء كانوا متدينين أو علمانيين - لسلطات دار الحاخامية الأرثوذكسية الأشكنازية في أحوالهم الشخصية، وغير ذلك من المسائل التي تتناول حرية المواطن، وكرامته الإنسانية، كما تقع مسئولية الأوضاع السائدة في إسرائيل على غياب الدستور المكتوب لأن المواد الدستورية التي تحدد طبيعة الدولة بوصفها كياناً علمانياً وديمقراطياً لا وجود لها مما يفسح المجال كليا أمام الطوائف الدينية لتمارس الإكراه الديني ضد المواطنين العلمانيين، إذ أن إسرائيل دولة بلا دستور[١١].

لاشك أن مشكلة «العلاقة بين الدين والدولة» في إسرائيل هي واحدة من المعضلات التي يكاد يستحيل حلها على الصعيد الإيديولجي والعقائدي طالما أنه يتعذر الاتفاق على طبيعة الدولة، وتحديدها في نصوص مواد دستورية مكتوبة، فعلى حسب قول البعض أن التوراة لا يمكنها بحال من الأحوال أن تصبح دستور

(٨) أمين اسكندر، السلام في برامج أحزاب الحريديم، مختارات إسرائيلية، العدد ٦٨، أغسطس ٢٠٠٠.

(٩) د. رشاد عبدالله الشامي، إشكالية الهوية في إسرائيل، ص٢٥١.

(١٠) إشكالية الهوية في إسرائيل، المرجع السابق، ص٢٥٢.

(١١) د. أسعد رزوق، قضايا الدين والمجتمع في إسرائيل، ص١٩٧.

إسرائيل الحديثة وفقاً لما تطالب به الأحزاب الدينية، ومن جهة ثانية يستحيل على إسرائيل أن تتبنى دستوراً ليبرالى الطابع مضموناً وروحاً بحيث يكفل هذا الدستور حرية الدين والمعتقد بصورة كاملة فى إطار دولة علمانية القلب والقالب[١٢]، والرأى السائد لدى نفر من الباحثين هو أن السواد الأعظم من دعاة العلمانية فى إسرائيل - رغم معارضته الشديدة للنزعة الثيوقراطية ( العرقية ) - يؤيد فكرة إسرائيل كدولة يهودية، ويأخذ على عاتقه مسئولية خاصة فى الحفاظ على التقليد الدينى اليهودى، لأن يهود إسرائيل يعرفون تمام المعرفة كيف أن الطقوس والشعائر الدينية اليهودية أصبحت وثيقة الارتباط بكيان الشعب اليهودى، مما يعيدنا الى صميم المعضلة اليهودية فى العصر الحديث وهى: هل اليهود يؤلفون « طائفة دينية » ينتمى أفرادها إلى سائر الشعوب والقوميات فى العالم؟ أم أنهم يشكلون « أمة » متميزة تجمع بين « الدين والقومية » تحت سقف واحد[١٣] وإزاء الإصرار الصهيونى على اعتبار اليهودية « دينا وقومية » فى آن واحد تقف إسرائيل وسط بحثها المحموم فى سبيل العثور على هويتها القومية، وتبرز قضية: « من هو اليهودى؟ » فى إطار الدولة والدين[١٤] وكما هو معروف فى إسرائيل أن اليهودى من ولد لأم يهودية، أو من تهود وفق الطقوس والشعائر اليهودية .

إن العبء الأكبر من المسئولية يقع على عاتق الصهيونية، والكيان السياسى الذى أوجدته على شاكلة دولة يهودية اسمها « إسرائيل » . فقد قامت الصهيونية على أساس الإدعاء القائل بضرورة تقديم حل سياسى ونهائى للمشكلة اليهودية فى العالم[١٥] ولقد عبر « ليونارد فاين » أصدق تعبير عن أزمة الصهيونية وإسرائيل فى سعيهما الجاد للبحث عن هوية يهودية وقومية محددة بقوله: « تتصف سائر البلدان عموماً بحتمية لا تشارك فيها إسرائيل، فهى إما بلدان لها جذور تاريخية كأمم مستقلة لها حدودها المعروفة والمحددة، أو أن شعوبها عاشت منذ قديم الأزمنة داخل حدود جرى تعيينها حديثاً .

بينما يختلف الأمر بالنسبة للإسرائيليين، فإسرائيل بلد مصطنع أوجدوه بأنفسهم[١٦] أى أن إسرائيل دولة ليس لها جذور فى أرض فلسطين إذ هى صنيعة الصهيونية وهى دولة تحت الإنشاء قامت على أساس دعوى كاذبة مفادها: « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » وهى مجتمع مهاجرين يهود، وطنهم الأصلى بلاد الشتات، وفلسطين المحتلة التاريخية ليست وطنهم، بل هى وطن الفلسطينيين أصحاب الأرض ذوى الأصول العربية الضاربة فى عمق التاريخ .

وإسرائيل تنظر إلى ذاتها باعتبارها دولة « يهودية ديمقراطية »، وبرغم التناقض بين يهودية الدولة

(١٢) نفس المرجع السابق، ص١٩٩ .

(١٣) قضايا الدين والمجتمع فى إسرائيل، المرجع السابق، ص٠٢٠ .

(١٤) المرجع السابق ص٢٠٢ .

(١٥) المرجع السابق ص٢٠٢ .

(١٦) قضايا الدين والمجتمع فى إسرائيل، المرجع السابق ٢٠٣ .

وديمقراطيتها، فإن غالبية علماء الاجتماع في إسرائيل، وغالبية النخب الثقافية يقررون أن صورة الحكم في إسرائيل « ديمقراطية غربية ليبرالية ».

وطبقا لهذه الدعاوى فإن هذين الأساسين ( يهودية ديمقراطية ) في الرؤية الذاتية لإسرائيل هما متساويان في المكانة، إذ لا تقصر يهودية الدولة بديمقراطيتها، فيقول النائب السابق لرئيس المحكمة العليا الإسرائيلية « مناحم الون » بهذا الصدد: « إن مبدأ كون دولة إسرائيل هي دولة الشعب اليهودي هي أساس وهدف دولة إسرائيل، ومبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بين المواطنين ليس من شأنه أن يغير مبدأ أن دولة إسرائيل هي دولة الشعب اليهودي فقط ».

لكن جاء البعض منتقداً، وعلى رأسهم « سامي سموحة » استاذ علم الاجتماع بجامعة حيفا الذي ذكر أنه لا يمكن وصف النظام الحاكم في إسرائيل بالديمقراطية الليبرالية، أو التعددية لأن الدولة الإسرائيلية ليست على الحياد من الناحية العرقية، فهي لا تقيم مساواة كاملة وتامة بين مواطنيها اليهود من جهة، ولا تعترف بالمواطنين العرب ( الأقلية العربية في إسرائيل ) ولا بحقوقهم من جهة أخرى، ويصف نظام الحكم في إسرائيل بأنه « ديمقراطي عرقي »[(١٧)]. ويعتقد البعض أن إسرائيل بها نوعان من المواطنة: مواطنة « ليبرالية » للعرب. بمعنى أنها تسمح بالاحتفاظ بحقوق فردية معينة للعرب، ومواطنه « جمهورية » لليهود، بمعنى أنها تسمح لجمهور اليهود بالمشاركة في تقرير « الشأن العام الأفضل » للمجتمع الإسرائيلي، ولا تسمح للعرب بهذه المشاركة، مما يؤدي إلى إقصائهم من الجماعة السياسية الإسرائيلية، وتحويل الأقلية العربية في إسرائيل إلى مواطنين من الدرجة الثانية، كما يشكل الانتماء العرقي اليهودي شرطاً حاسماً للعضوية في الجماعة السياسية ( عضوية الأحزاب ) الإسرائيلية، ويرى البعض أن إسرائيل، في أساسها، وبرغم عيوبها الكثيرة، هي « دولة ديمقراطية »، وهي من ناحية التمييز العرقي تعتبر « دولة عرقية » غير ديمقراطية، تمنح أفضلية تامة لجماعة عرقية واحدة ( كل الجمهور اليهودي ) وهي التي تحكم وتدير الدولة[(١٨)].

والتعريف العرقي للانتماء في إسرائيل يؤدي إلى عدم التفريق بين اليهودية والمواطنة، وهكذا لم يتبلور حتى اليوم في إسرائيل « شعب إسرائيلي » أو « أمة إسرائيلية » ذات صلة بأرضها، ولا ترتبط باليهودية[(١٩)]. وهذا مما يعد مشكلة الهوية في إسرائيل، ويجعلها قضية مفصلية تعاني منها كثيراً لكونها مجتمعا من خليط متعدد الهويات، يكاد يستحيل صهره في بوتقة واحدة، تفرز هوية متميزة، واضحة الملامح، دقيقة السمات. ومع بروز إشكالية الهوية في إسرائيل، فقد تؤدي التناقضات الإثنولوجية والاجتماعية فيها إلى تفسخ المجتمع الإسرائيلي بخليطه السكاني المتنافر، وربما تصبح الفجوة الفاصلة بين هذا الخليط أحد الأسباب المؤذنة بزعزعة أركان هذا المجتمع المصطنع.

---

(١٧) رون جيغرزون، عصام أبورية، الفجوة اليهودية العربية في إسرائيل، السمات والتحديات، مختارات إسرائيلية، العدد ٥٩، نوفمبر ١٩٩٩.

(١٨) الفجوة اليهودية العربية في إسرائيل، السمات والتحديات، المرجع السابق.

(١٩) المرجع السابق.

## من قادة الفتوحات الإسلامية:

# القعقاع بن عمرو التميمى

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

١

**قال لى رسول الله ﷺ: «ما أعددت للجهاد؟» قلت: طاعة الله ورسوله والخيل. قال ﷺ: «تلك الغاية».**

**حوار دار بين رسول الله ﷺ وبطل من أبطال الفتوحات الإسلامية أغفلت كتب التاريخ دورهم وقدرهم مع عظم ما كان لهم من قدر ومكانة.**

**حوار إن دل على شىء فإنما دل على ما سيصير إليه حال القعقاع والغاية التى سيسعى إليها ألا وهى الجهاد فى سبيل الله ابتغاء مرضاة الله ورسوله.**

وبطلنا الذى نتحدث عنه هو القعقاع بن عمرو التميمى، كان لهذا البطل دور وأى دور فى فتوح العراق والشام معا وهى حقيقة تؤكدها المصادر التاريخية، ولكن مع بخل وشح فى التفاصيل، فالكل يجمع على شجاعته وفروسيته وبطولته، ولكنه لم ينل من الاهتمام ما ناله آخرون أمثال عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وعقبة بن نافع، وطارق بن زياد وغيرهم من عظماء الفاتحين، وإن عده المؤرخون من قادة الصف الثانى بخلاف الحقيقة.

أسلم القعقاع بن عمرو التميمى فى العام التاسع للهجرة، حين أسلمت قبيلته تميم، وقدم وفدها على النبى ﷺ فى عام الوفود.

وكان من الرجال الذين اعتمد عليهم أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - فى حروب الردة فوجهه للقضاء على ردة بنى كعب وكان عليهم علقمة بن علاثة وأوصاه الصديق بقوله: «يا قعقاع سر حتى تغير على علقمة بن علاثة لعلك تأخذه لى أو تقتله، واعلم أن شفاء الشق الخوض، فاصنع ما عندك».

وكانت تلك أول مهمة حربية يعهد بها الخليفة إلى القعقاع ولعلها أول مهمة له في الإسلام ولذا حرص على أن يقوم بها خير قيام، فبعث علقمة فأسره هو وزوجته وبناته ونساءه ومن أقام معه من الرجال، ولا تذكر المصادر وقوع قتلى من الجانبين في هذا اللقاء الأمر الذي يؤكد على أمرين هامين: الأول كفاءة القعقاع العسكرية حيث بغت بني كعب في سرعة أذهلتهم عن المقاومة، الثاني حرص القعقاع على أن يأسر الجميع لعلهم يثوبوا إلى رشدهم ويندموا على ما كان فلم يعمل فيهم السيف، وكان القعقاع مصيبا في عمله هذا، حيث تبين أن من بين الأسرى من لم يرتد ومنهم ابن علقمة وزوجته، وحمل القعقاع الجميع إلى الخليفة فأسلموا فقبل منهم الصديق ذلك بما فيهم علقمة نفسه.

ويعجب الصديق بالقعقاع وحسن تصرفه فهو من جهة قضى على ردة بني كعب، في سرعة وحسم، ومن جهة أخرى منحهم فرصة التوبة فلم يقتلهم على ردتهم، ولو فعل ما لامه أحد.

وعندما قرر الصديق أن يشرع في فتح العراق كتب إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة بعد أن فرغ من أمر مسيلمة الكذاب يأمره بالمسير إلى العراق، وأن يأذن لمن شاء بالرجوع ولا يستكره أحدا، فلم يبق مع خالد إلا ألفان هم كل جيشه الذي سيتوجه به إلى العراق، فكتب إلى الخليفة الصديق يسأله المدد، فأمده برجل واحد! ياللعجب رجل واحد هو كل المدد الذي يرسله الخليفة لفتح العراق وحرب الفرس، أحد أعظم قوتين في العالم آنذاك كان الرجل الذي أمد الخليفة به خالد بن الوليد لفتح العراق هو القعقاع بن عمرو التميمي، فقيل للصديق: أتمد رجلا قد انفض عنه جنوده برجل واحد؟ وكان أبو بكر عليما بالرجال، فقال:

**«لا يهزم جيش فيه مثل هذا ..»**

كما قال:

**«لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل»**

وصدق حدس الخليفة وتقييمه للقعقاع ففي أول لقاء بين المسلمين وبين الفرس في المحرم عام ١٢هـ في معركة (ذات السلاسل) تجلت براعة القعقاع، حيث تراصت صفوف جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد، في مواجهة جيوش الفرس بقيادة «هرمز» في (الأبلة) ورسم هرمز خطته على الغدر بخالد، فخرج بين الصفين وطلب المبارزة فنادى: «رجل ورجل .. أين خالد؟ وكان هرمز قد عهد إلى فرسانه بالغدر وتواطأوا على ذلك، ونزل خالد بين الصفين وخرج هرمز، فالتقيا فاختلفا ضربتين .. وغدرت حامية هرمز فهجموا على خالد وهو مشتبك مع هرمز وأحاطوا بهما من كل جانب حتى اختفيا بينهم فما شغل ذلك خالدا عن قتله أما القعقاع فقد تولى قيادة الجيش وهجم على الفرس ليحول بينهم وبين ما أرادوا والتحم بهم فكشفهم عن خالد.

واعتبارا من هذه المعركة أصبح القعقاع بن عمرو الساعد الأيمن لخالد بن الوليد حيث

شهد إلى جواره جميع المشاهد في العراق وكان صاحب مشورة مسموعة عنده من ذلك ما حدث فى معركة أليس فى ٢٥ من صفر عام ١٢هـ حيث كان خالد ابن الوليد قد أقسم بقوله: «اللهم إن لك علىّ إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقى منهم أحدا قدرنا عليه حتى أجرى نهرهم بدمائهم» فما أن بدت بشائر النصر حتى صاح خالد فى جنوده: «الأسر .. الأسر .. لا تقتلوا إلا من امتنع» وجمع خالد الأسرى، وحبس الماء عن فرع من نهر الفرات ووكل إلى رجال الشقاهم يضربون أعناق الأسرى فكان للقعقاع رأى سديد منع القتل وأبقى على الأسرى وحقن الدماء.

وفى ربيع الأول عام ١٢هـ سقطت الحيرة ودخلها خالد وإلى جواره القعقاع بن عمرو الذى أنشد يقول:

سقى الله قتلى بالفرات مقيمة
وأخرى بأثباج النجاف الكوانف
فنحن وطئنا بالكواظم هرمزا
وبالثنى قرنى قارن بالجوارف
ويوم أحطنا بالقصور تتابعت
على الحيرة الروحاء إحدى المصارف
حططناهم منها وقد كاد عرشهم
يميل به فعل الجبان المخالف
رمينا عليهم بالقبول وقد رأوا
غبوق المنايا حول تلك المحارف
صبيحة قالوا نحن قوم تنزلوا
إلى الريف من أرض العريب المقانف

## القعقاع نائبا لخالد

وكان سقوط الحيرة حدثا عظيما، إذ هى آنذاك حاضرة العراق، بل هى من أهم حواضر الامبراطورية الفارسية إن لم تكن فى أهمها على الإطلاق بعد المدائن على الإطلاق، ولم يكن بإمكان خالد أن يترك الحيرة ليواصل عملياته العسكرية ويعود إليها فيما بعد، بل كان يجب أن يجعل عليها رجلا يستطيع أن يدافع عنها باعتبارها قاعدة انطلاق جيوش الفتح ومركز القيادة، نظر خالد حوله فلم ير غير هذا الرجل الذى عندما سأل الصديق المدد أمده به فحسب، وقال عنه: «لا يهزم جيش فيه هذا» أجل اختار خالد القعقاع بن عمرو نائبا له على الحيرة وكان اختيارا موفقا تجلت آثاره فيما بعد.

ذاك أن خالد غادر الحيرة بجزء كبير من الجيش فى أواخر جمادى الآخرة عام ١٢هـ لمواصلة عمليات الفتح فى الأنبار وعين التمر ودومة الجندل، فلاحظ الفرس غياب خالد بجزء كبير من الجيش فخرجت حشود فارسية من المدائن تريد الأنبار التى كانت قد سقطت فى قبضة المسلمين، فرصد الزبرقان بن بدر عامل خالد على الأنبار خروج هذا الجيش وكتب بذلك إلى القعقاع بن عمرو فى الحيرة.

وكان القعقاع قد اكتسب من خبرات خالد بن الوليد الكثير واصطبغ بصبغته، فما أن بلغته أنباء تحرك الفرس حتى بعث قوة إلى (الحصيد) - بلد فى طريق الأنبار - يقودها

أعبد بن فدكي وأخرى إلى (الخنافس) يقودها عروة بن الجعد البارقي ليستطلعا الأمر ويقطعا الطريق على الجيش الفارسي المتجه إلى الأنبار وقال لهما القعقاع: «إن رأيتما مقدما فاقدما» فخرجا من الحيرة وحالا بين جيوش الفرس وبين الأنبار، ولم يكتف القعقاع بذلك إنما عمد يبث السرايا الواحدة تلو الأخرى على طريق الأنبار كما لو كانت الإمدادات تتوالى فدب القلق في صفوف الفرس فتوقفوا لاستطلاع الموقف، وعاد خالد إلى الحيرة بعد أن فتح الله عليه دومة الجندل ليحيطه القعقاع علما بما حدث، فيعبئ خالد جيشه ويرسل القعقاع إلى (الحصيد) حيث أوقع بجيوش الفرس هزيمة منكرة، ومنها اتجه إلى (المصيخ) على طريق الأنبار أيضا ليلحق بخالد ليطبقا معا على فلول الفرس المنهزمة ومنها انطلق القعقاع إلى (الثني والزميل) في ٢٣ من شعبان ليدحر جيوش الفرس فيها ثم يلتقي بخالد ثانية عند (الفراض) إلى الجنوب الشرقي في طريق العودة على تخوم الشام والعراق والجزيرة حيث أنهيا تماما وجود الفرس في هذه المنطقة.

وهكذا بلغت ثقة خالد بالقعقاع عنان السماء تركه منفرداً بالقيادة في الحيرة لنحو شهر كامل. ليس هذا فقط بل قام خالد بن الوليد بأداء فريضة الحج تاركا جيشه تحت إمرة القعقاع حتى يعود، وهو تصرف مع ما فيه من مآخذ إلا أنه يعكس ثقة غير عادية من جانب خالد في كفاءة القعقاع وحسن قيادته.

## الرحيل إلى الشام

على أن الخليفة الصديق رأى أن الشام صار محتاجا لجهود خالد بن الوليد حيث كان خليفة رسول الله ﷺ قد وجه أربعة جيوش على رأسها يزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وأبو عبيدة عامر بن الجراح وعمرو بن العاص، وشق الأمر على المسلمين في مواجهة جحافل الروم، فكتب الخليفة إلى خالد بالعراق: «أن سر بنصف الناس حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فإنهم قد شجوا وأشجوا»

وأبى خالد بن الوليد إلا أن يكون القعقاع بن عمرو في صحبته إلى الشام وفي ذهنه مقولة الصديق «لا يهزم جيش فيهم مثل هذا» بل كيف لا يصطفيه لنفسه وقد قاتل بجانبه في معارك طاحنة كان فيها صاحب رأي سديد ومشورة مخلصة الى جانب أنه مقاتل عنيد على مدى عام كامل بدأت أحداثه في معركة ذات السلاسل في المحرم عام ١٢هـ مرورا بمعارك (المذار) و (الولجة) و (أليس) و (أمغيشيا) و (المقر) و (الحيرة) و (حصيد) و (خنافس) و (المصيخ) و (الثني والزميل) وانتهت بمعركة الفراض في ١٥ من ذي القعدة عام ١٢هـ[1].

«يتبع»

---

(١) الطبري أحداث سنة ١١، ١٢ هـ. الإصابة ٧١٢٩، الاستيعاب ٣/٢٥٢.

# الرافعي .. ومواقفه من قضايا الشعر

## ١

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

**حين تنسى تاريخنا الأدبي.. كله.. أو بعضه.. يصيبنا من هذا النسيان دواريغيم الرؤية.. ويشوه من حقائق الأشياء.. ويعطى المحدثين من أدبائنا.. وشعرائنا على السواء.. انطباعاً عاماً يخيل إليهم أنهم فعلا جيل بلا أساتذة.. أو حاضر بلا ماض على الإطلاق !!!**

**وقد لاتنسى تاريخنا عمداً.. فالذين يحرقون إمكانية الخصب في تراب أرضهم صغار.. لا يستحقون حتى مجرد أن يكون لهم انتماء إلى تاريخ معين.. أو تراث حضارى بالذات.. ولكن النسيان قد يكون شيئا من غباء التضييع لا من غباء الرفض. ومادامت النتيجة فى نهاية الشوط طرحا لا جمعا.. فالذين يقفون فى منحنى هذا المنطلق يحملون كل وزر القضية. وقد يحملون بعد ذلك منطق التجريم !**

والمفكر العربي المسلم «مصطفى صادق الرافعي» واحد من أولئك الذين فرضوا أنفسهم على تاريخنا الفكرى فأصبح بذلك جزءا من هذا التاريخ.. ونسيانه هكذا مدخل إلى حكم قد يكون قاسيا على جيلنا بأكمله، وقد لايكون، ولكنه حكم فى غير صالح الجيل على أية حال.. إن لم يكن بديمومة الرفض، فبرعونة التضييع !

إن الرافعي - على مستوى فكرى بحت - يجب أن يظل فى منطقة الضوء، فالقضايا التى أثارها قلمه منذ عشرات السنين مازال حية جائشة فى معتركنا الأدبى حتى اليوم، ومازال آراؤه فيها حية وقابلة للحياة.. وقادرة إلى جوار ذلك على الفعل عبر أجيال وأجيال.

ولقد اخترت أن أتحدث من الرافعي عن موقفه من قضية الشعر عاشقا - وناقدا. فربما كان هذا الجانب هو أضوأ الجوانب الفكرية جميعا فى شخصية هذا الرجل. وربما كان ذلك أدل على مزاجه الفنى، ومنطلقه فى

تناول الأشياء، فالرافعي شاعر قبل كل شيء.. شاعر حتى وهو يكتب المقال والبحث والنظرية النقدية، حتى وهو يدير بينه وبين مقاتليه بالقلم الحوار.

أنا إذن في هذه السطور، سأتناول موقف الرافعي من قضية الشعر، وموقفه من قضية النقد، لنرى معا إلى أي مدى كان تحليقه الفكري حين يتحدث عن أخطر قضايانا المعاصرة، بفكر كاشف ووعي عميق.

ونبدأ بالتعرف على ملامح موقفه من قضية الشعر، وأرجو أن لا يلفتنا شيء عن حقيقة أنه كان شاعرا أولا. وإذا لم يكن الرجل شاعرا فماذا نسميه حين يقول بحساسية بالغة النفاذ والعمق: «الشاعر.. هو ذلك الذي يرى الطبيعة كلها بعينين لهما عشق خاص.. وفيهما غزل على حدة»؟؟؟

أي أن الشاعر - كما يرى الرافعي - متفرد بالبصر الثاقب في أسرار الكون، والتفاف الطبيعة مدفوعا إلى ذلك بنوعية خاصة مؤهلة بالعشق الكوني، والغزل الطبيعي لقشور الوجود ومضامينه على السواء. فإذا وفق الشاعر على نحو ما للترقي إلى هذا الأوج من العشق الثنائي للوجود - قشريا وجوهريا - فإنه - أي الشاعر - مطالب بعد على مستوى شعري بالغوص وراء الجوهري.. والصميمي من الأشياء.

٢

يلتقي الرافعي مع أكثر النظريات النقدية حداثة ومعاصرة إذا ما تحدث عن الشعر، فإن ما يطلب الآن من الشاعر ليس هو التماس القشري مع سطوح الأشياء في مجال الكون.. أو مجال النفس.. بقدر ما هو معانقة ماوراء السطوح والأشكال. وليس يطلب من الشاعر أن ينقل إلينا الطبيعة بقدر ما يطلب إليه أن ينقل إلينا إحساسه بالطبيعة. ولقد فطن الرافعي إلى هذه الحقيقة فقال في معرض حديثه عن فلسفة الشعر ونقده: «... والشعر في أسرار الأشياء... لا في الأشياء نفسها».

إن الشعر - كما يرى الرافعي - استقطار لمعنى الحياة الخالد الأبدي. وليس مجرد تداعيات هشة وساذجة.. تخاطب على الأكثر في إنسانها المتلقي نوازع عرضية وقشرية.

يقول:

«ولو سئلت أزمان الدنيا كيف فهم أهلها معاني الحياة السامية، وكيف رأوها في آثار الألوهية عليها، لقدم كل جيل في الجواب على ذلك معاني الدين ومعاني الشعر».. وهكذا يعطي الرافعي إمكانية الكشف الملون بإمكانية الوحي، ويؤكد أن الشعر ليس ترفا عائما في حياة الناس بقدر ما هو معنى من معاني الحياة السامية التي نراها دائماً في آثار الألوهية عليها.

ويرى الرافعي أن الشاعر إذا كان مطالبا بتجلية غوامض الكون، وتفسير قضاياه الوجودية، فهو ليس مطالبا على الإطلاق بالبحث عن حقائق خالية من الجماليات، بقدر ما هو مطالب بالبحث عن جماليات لا تخلو من الحقائق.. وفي هذا الصدد يقول الرافعي:

«وليست الفكرة شعرا إذا جاءت كما هي في العلم والمعرفة.. فهي في ذلك علم وفلسفة.. وإنما الشعر في تصوير خصائص الجمال الكامنة في هذه الفكرة»!

وهنا نتذكر الضجة المثارة الآن حول قضية «الشعر والفكر» إيجابا وسلبا. ونذكر للرافعي تهديه إلى هذا المفهوم الحقيقي والمعاصر للشعر في كلماته الفاهمة: «وإنما الشعر في تصوير

خصائص الجمال في هذه الفكرة». وليست الفكرة التي يتحدث عنها الرافعي من لون الفكرات العابرة في حياة الناس، وإنما هي الفكرة الشمولية الكونية التي تسيل على قلمه حين يقول: «الشعر فكرة الوجود في الإنسان، وفكرة الإنسان في الوجود».



حين تنطلق مع الرافعي في حديثه عن الشعر كعاشق وفنان، إلى حديثه عنه ناقدا ومفكرا، تجبهنا في هذا الصدد حقائق كثيرة. في طليعتها أن الرافعي غيور على الشعر بقدر ما هو غيور على شيء مقدس وهو ساخر حتى الأغوار من أولئك النقاد الذين لايزيدون في نقدهم على أن يسيحوا معلقين على كلام الشاعر كأنهم شروح على متنه الموجز. ويسخر من أولئك الذين «يتناولون الشاعر باعتباره رجلا له موضعه من الناس، ومنزلة من الحياة، ثم لايعدو ذلك». ويرى أن الناقد الحقيقي: «يجب أن يجمع إلى الإحاطة بتاريخ الآداب وتقصي مواردها ذوقا فنيا مهذبا مصقولا. ثم يجمع إلى هذين «أي الإحاطة والذوق» تلك الموهبة الغريبة التي تؤلف بين العلم والفكر والمخيلة فتبدع من المؤرخ، الفيلسوف، الشاعر، العالم، شخصا من هؤلاء جميعا هو الذي نسميه «الناقد الأدبي»».

واعتقد أن هذا المستوى الضوابي في ثقافة الناقد هو ما يعوز المرحلة التي نحياها أعماقا وأبعادا، فإن شلل الإبداع الفني الذي يوشك أن يكون سمة المرحلة ليس شيئا منفصلا تماما عن شلل الفكر النقدي المعاصر، الذي يرجع بالدرجة الأولى إلى نضوب ثقافة الناقد، أو ضمورها على أحسن الفروض! وإلى تقحم النقاد ميادين لم تؤهلهم ملكاتهم النقدية أساسا إلى تقحم مجاهلها الكثيفة. ولقد يعزز الرافعي رأيه في هذا الصدد حين يعاود الحديث عن هذه القضية مرة أخرى فيقول: «لاينبغي لنقد الشاعر والكلام عنه إلا شاعر كبير يكون ذا طبيعة في النقد، أو كاتب عظيم يكون ذا طبيعة في الشعر، أي لابد من الأدب والشعر معا لنقد الشعر وحده. فيأتي الكلام فيه من العلم والذوق والإحساس والإلهام جميعا».

ولقد يتهم الرافعي بأنه كاتب «جمالي» يعنى بالقضايا الكلية المجردة لأنه لايستطيع أن ينزل إلى أرض التطبيق وربط الشعر بقضايا الإنسان، ومعاناته الحياتية. والرافعي لايرفض هذا الاتهام، ولايريد -فيما نظن- لأحد أن يدفع عنه، ولكنه يأخذ هذا الاتهام من يديه جميعا، ليضعه في موضعه الصحيح من قضية النقد وقضية الفن على السواء.. إن دراسته للشاعر الكبير حافظ إبراهيم تبرز هذا الفهم إبرازا لايتحمل من أحد أن يزيد عليه بتأويل، لأنه يضع الرؤية الشعرية ابتداء في مفترق بين التعبير عن معاناة الشاعر الاجتماعية، وللتعبير عن خوالج عالم الإنسان. ثم ينحاز إلى التعبير الإنساني الشامل من أول الطريق، رافضا أن يكون الشاعر عظيما لأنه يعبر عن معاناة اجتماعية: «فالشاعر الاجتماعي شاعر في حيز محدود من وجوه الشعر ومذاهبه، وإذا كان الاجتماع كل شعره فلا يسمى شعره فنا، إذا كان الفن إنسانيا، وكان شاملا عاما».

وكذلك يستقيم الفهم السوى للرافعي في هذه القضية، قضية أن يكون الشعر بوقا اجتماعيا أولا يكون، فليس مجد الشاعر أن يتغنى بدخان المصنع، وفأس الحطاب، وهزائم البسطاء، بقدر ما هو استقطاب الإنسان الأعلى في كل منازع تفكيره الروحي والحياتي بما في ذلك معاناته الاجتماعية.

« فالفلسفة الشعرية كلها أن يحل في الشاعر الملهم ذلك السر الجميل الجاذب والمنجذب معا، المستقر والمتحول جميعا، الباطن والظاهر في وقت واحد، فيكتبه الشاعر ما لا يدركه غيره » كما يقول الرافعي !!



ولابد أن يرد تعريف الرافعي للخيال الشعري، كواحد من التعاريف التي تطلق الخيال في فضائه اللانهائي ولا تكبل أجنحته الطائرة في أفق واحد مكسور. يقول الرافعي : « إن الخيال الشعري يزيغ بالحقيقة في منطق الشاعر لا ليقلبها عن وضعها ويجيء بها ممسوخة مشوهة ولكن ليعتدل بها في أفهام الناس ويجعلها تامة في تأثيرها.. وتلك من معجزاته.. إذا كانت فيه قوة فوق القوة؛ عملها أن تزيد الموجود وجودا بوضوحه مرة، وبغموضه مرة أخرى.. ».

وعلى غير موعد، تفجؤنا كلمة الرافعي : « وبغموضه مرة أخرى » إن ما يتصايح به النقاد من أن اكتشاف الغموض في الشعر الحديث كواحد من الشواهد المميزة، إضافة لها قيمتها ولها خطرها في آن. فقد فطن إليه الرافعي وهو ماض في طريقه لا يتشدق بأنه قد صادف كشفا أو قريبا من الكشف، حين أكد أن من معجزات الخيال تعميق وجود الموجود بالوضوح مرة وبالغموض مرة أخرى. صحيح أننا لا نتعامل اليوم مع القصيدة التي تبذل نفسها من أول لقاء وعند أول قراءة بقدر كاف من التقدير. ولكننا نتعامل بأقدار من الإعزاز مع القصيدة الأخرى، التي تخفي أكثر مما تبدي وتسر أكثر مما تعلن. أولا : على أن يكون إسرارها وغموضها ليس حائطا غير قابل للكسر، وإلا استحالت القصيدة إلى نبع جاف وجامد تماما. وثانيا : على أن يكون وراء هذا الغموض ثراء في الرؤية الشعرية، وزخم في الخيال الشعري، وغنى في الخلفية الفلسفية التي يصدر عنها الشاعر. وثالثا : على أن يكون الغموض في القصيدة الشعرية غموضا نابعا من عفوية ذات ثراء خاص. وليس نابعا من عمدية فجة، هادفة أساسا إلى الظهور بمظهر الشعراء الفلاسفة أو الفلاسفة الشعراء، وغير خاف هنا أن الرافعي لم يتعرض لقضية الغموض. على هذا النحو التفصيلي. ولكن يكفيه فعلا أن يكون قد اهتدى إلى أساس للقضية، وجاوزها إلى ما يريد !

هذه لمحات خاطفة، أوقل بعض انطباعات عن رؤية الرافعي مبدعا، وناقدا، في مجال الحديث عن الشعر. وهي رؤية إن لم ترتفع إلى مستوى النظرية الأكاديمية المحددة الملامح والسمات، وقد ترتفع إلى مستويات الفهم الأولى لعملية الإبداع والخلق في بكارة ميلادها الأول. وإذا كان « للنظرية » دورها الإيجابي في تعميق الدراسة الأكاديمية المتخصصة فإن كونها « نظرية » يضعها دائما في مهاب التغيير كلما أتيح لنظرية أخرى أن تدفع موجها في عباب الخضم النقدي والفكري، وفي الوقت الذي تظل فيه « الرؤية ».. من نوع ما كتب الرافعي، محتفظة ببقائها وشموليتها.. لأنها لم تقف عند رصد الظاهر الحسي.. وإنما تغلغلت إلى مواطن التعرف على سمات الجمال والجلال في ملامح وجه العمل الفني.. وليست سمات الوجه الحقيقي مما يقبل التغيير.. والتحوير!

على أية حال،

أرجو أن نراجع ـ كجيل ـ موقفنا من الفكرية.. حتى وأن تراحبت بيننا وبينهم آماد الخلافات. فأنا أختلف معك.. وأن تختلف معي.. شيء مغاير حتى الأعماق.. لأن لوثت قلبي بكراهيتك.. وأن تلوث يديك بدماء تاريخي المذبوح!

## من شعراء الأزهر:

# السيد حسن القاياتي
# الشاعر الجزل الرقيق

للأستاذ / محمد مصطفى البسيوني

**شاء الله ـ عز وجل ـ أن ألتقي بالأزهري الفاضل والألمعي الكبير الشيخ حسن القاياتي، وأن أتعرف على عبقريته الفذة وإبداعه الخلاق، وأنا لم أزل بعد في السن الجياشة حيث تبحث الملكة عن قدوة، ويشرئب الاستعداد إلى مثل أعلى يأخذ بيده إلى الأدب الجيد، والإبداع الجاد..**

ولئن درج التلاميذ على التهيّب من الاقتراب من سيرة الأساتذة، فإنني على عكس ذلك استشعر المتعة واللذة معاً عندما أتحدث عن أستاذي القاياتي العملاق لأنني أحس عند ذلك بأنني أنوب عن الأجيال الثقافية - التي يبدو أنها قد نسيت ذلك الرائد الكبير - في إحياء ذكراه محاولاً على استحياء شديد أن أعيد صورته من جديد إلى بؤرة الشعور الأدبي والثقافي الذي اختلط فيه الغث بالسمين والحابل بالنابل كما يقول المثل العربي القديم، وإني لأجد في ذلك عملاً يتضافر فيه التشريف والتكليف جميعاً.

عرفت شاعر الجزالة والرقة والرصانة الشيخ حسن القاياتي لأول مرة منذ الأربعينيات، وذلك في زوراته الموسمية لمحبيه ومريدي طريقته وطريقة آبائه الصوفية من أبناء مدن وقرى «الفيوم» حيث كان يمشي في ركابه في هذه الزورات الوعي الرشيد، والرأي السديد، والتصوف المستنير إلى أعماق عشاقه من الفلاحين والبسطاء رواد ندواته المسائية بين الحقول الخضراء والحدائق الغناء يتبسط معهم في الحديث الشهي فيبسط لهم جوهر الدين ومبادئ الأخلاق ونقاوة الإيمان.

وكنت وزملائي من ناشئة الأدب حينذاك نسعى إلى تلك الندوات الريفية المسائية الشيقة سعياً فنلتف حول « السيد » .. وكان التعجب والإعجاب يستوليان على أنفسنا الغضة ونحن نستمع إلى عضو مجمع اللغة العربية وعضو مجلس النواب آنذاك وهو يصوغ لأهلنا البسطاء في أعماق الريف المعاني الدينية الرفيعة والقيم الأخلاقية المنبعة في غذاء سائغ الهضم، وميسور الفهم لا يكاد يمس الأسماع حتى يتعمق العقول والقلوب لينضح فيما بعد سلوكا ومثلا عليا تمشي على الأرض.

وكان « السيد » يخصنا – نحن هواة الإبداع – بحديث خاص أحيانا يتناول فيه سيرة معاصريه من علماء الأزهر الأفذاذ مثل الشيخ مصطفى عبدالرازق والشيخ عبدالجليل عيسى، وكذلك رفقائه من أساطين الفكر والأدب المحدثين والمعاصرين، مثل: عبدالعزيز البشرى، وحافظ إبراهيم، وعبدالحميد الديب، وطاهر ابوفاشا كما كان يحلولنا– وله – أن يستمع إلى إبداعاتنا الناشئة في الشعر والفكر فيعلق عليها في رفق مشجع يشعل جذوة الأمل في جوانب الأفئدة المتطلعة إلى المستقبل المضيء.

وعندما انتقلنا إلى التعليم الجامعي في القاهرة كانت سعادتنا الكبرى في أننا سنحظى في العاصمة بلقاء رائدنا الكبير، وشاعرنا الخطير السيد القاياتي، وكم كان يرحب بنا في حدب وحبور في بيته القاياتي العريق الذي كان لصيقاً بسور القاهرة القديم في عطفة القاياتي «السكرية سابقا»، بجوار باب زويلة أو «بوابة المتولى» كما يقال، في حي الغورية العتيق.

وفي رحبة هذا البيت، ذات الفناء الواسع، كنت ترى الأرائك مصفوفة، ومعدة في كل يوم لاستقبال الزائرين من كبار الأدباء وناشئيهم ومن مريدي التصوف ومحبيه، وكنت ترى أقداح الشاي العربي الهنيء تدار على القاعدين من حين لآخر، فيرتشفون الأدب والعلم، والشاي في آن.

كما تشهد هذا المتكأ من عل نخلة سامقة تشرئب في وسط الفناء، لو تحدثت لروت مما تسمع أدبا، ولحكت مما ترى عجبا. وقد حدثني « السيد » – رحمه الله – أن هذه النخلة قد شهدت ميثاقا مبرما عقده في ظلها – وفيما بينهم – زعماء الثورة المصرية برياسة الزعيم أحمد عرابي.

فبيت القاياتي إذن بيت جمع فيما بين الجدر، عديد الصور، وشتى الذكريات، فهو بيت الدين والعلم. وبيت الأدب والسياسة، إذ من أعلامه في الدين: السيد أحمد عبدالجواد أحد علماء الأزهر وشيخ الفشنية في القرن التاسع عشر، والسيد عبدالعظيم شقيق شاعرنا السيد حسن، ومن زعمائه في السياسة السيد محمد عبدالجواد والد أديبنا الكبير، وشقيقه السيد أحمد في الصف الأول من زعماء الثورة العرابية وقد أبعدا إلى الشقيقة سورية نفياً لمدة أربعة أعوام أفرزت كتابا تاريخيا قيما للسيد محمد عبدالجواد القاياتي بعنوان « رحلة الشام » .. وفي السياسة كذلك يحدثنا التاريخ عن الشيخ مصطفى القاياتي أستاذ الزعيم الوطني مصطفى كامل، ومن بعده شقيقه السيد إبراهيم شيخ الفشنية السابق بالأزهر الشريف كأبطال للثورة المصرية سنة ١٩١٩ بزعامة خالد الذكر سعد زغلول باشا.. وهي أسماء خالدة فذة لها – إلى جانب الدين



والسياسة - دور في الأدب جد عريق كان فارسه المحجل «السيد حسن»..

والرجل مع منزلته الأدبية كان يتمدح بدور عائلته السياسي ولا ينسى أن يتحدث في ثقة واعتداد عن بعض ذكريات طفولته، وعندما طرق بابهم طارق، ذات يوم فذهب ليرى من الزائر، فإذا برجل فعل الزمن بهيئته كل سوء ظهر أثره في ثيابه، ولحيته وانحناء ظهره، فسأل «الطفل» هل السيد محمد عبدالجواد بالدار؟ فلما استفسر «السيد» عن اسمه أجابه بأنه «أحمد عرابي»..

أجل!! زعيم الثورة المرموق في عهدها الثائر، وكانت كل البيوت قد تنكرت للرجل بعد عودته من المنفى، مجاملة للخديو وللقصر، إلا بيتا واحدا. هو بيت القاياتي..

وإن بيتاً اجتمعت فيه إمامة الدين، وزعامة السياسة وريادة الأدب وعراقة الفكر، لهو دون شك بيت يفتح للكرم والجود أوسع الأبواب، فلقد كانت تؤمه الوفود من الواحات وبلاد المغرب، وأقاليم مصر الوسطى لتجد فيه الأهل والسهل جميعا.

أما السيد حسن القاياتي فهو في ذلك الحفل اليومي رائد وفي تلك الندوة العامرة إمام يضفي على المكان من مهابته مهابة، ومن بساطته بساطة، حتى لتكاد تلمح روح «السيد» تشع في كل شئ هنا وهناك وهو بعد جالس في الصدارة يتحدث في هدوء يلزم مريديه إلزاما على التسمع الدقيق والإنصات العميق.

ولقد كان الرجل مؤمناً بدوره الأدبي إيمانا شديدا، ولعله كان يرى في إقامة هذه الأمسيات الأدبية في داره تحقيقا لرسالة يؤمن بها، وهي جمع رواد الأدب ومريديه في صعيد واحد، يؤلف الشمل ويلف الجمع.

وقد ذكر هذه المعاني يوماً في صحيفة الأهرام بعددها الصادر في ٢٨-٧-١٩٤١، عندما تحدث عن «النادي الأدبي الرياضي في الدولة الأموية» ثم ذيّل حديثه بدعوة صادقة إلى «إخوتنا الأدباء العصريين والشعراء لتأليف منتديات أدبية يأوى إليها من رجالات البيان بأوعية الفكر بالأدب البكر».

ولقد كان القاياتي يتحلى بتواضع العلماء، وكرامة العظماء، وفي الذاكرة نقوش كثيرة، وأمثلة وفيرة على ذلك التواضع الرفيع والخلق المنيع، فمن ذلك أن يطلب منا الرجل وكانت أقلامنا لم تزل تحبو على صفحات الصحف الإقليمية بالفيوم - أن يكتب أحدنا عنه مقالا في تلك الصحف المحلية محدودة الانتشار بعنوان «القاياتي أديباً»..!!

هكذا كان الرجل يمدنا بالنموذج العملي في معاملة الرواد للناشئة، وكم أود أن يبعث اليوم مثل هذا الخلق في مجالات التربية وآفاق الفكر والإبداع في الآداب والعلوم والفنون، إذن لصار لهذه المجالات والآفاق شأن وأي شأن.

يطلب منا الرجل ذلك في ابتسامة هادئة لم تخف ما وراءها من مرارة وأسى أنه لم يجد من يكتب عنه وعن شعره الذي طبع ديوانه الأول في عام ١٩١٠، أو عن نثره الذي زخرت به كبريات الصحف والمجلات مثل «الرسالة والثقافة وكوكب الشرق وصحف الأهرام والمصري» وغيرها أو عن





جهوده اللغوية الأصيلة في اللغة العربية سواء في مجمع فؤاد الأول للغة العربية، أو في الندوة القاياتية بالسكرية أو في اللقاءات الأدبية «بكازينو الحلمية» في باب الخلق بالقاهرة.. ألم أقل لك منذ قليل أني أبادر دائماً إلى الكتابة عن ذلك الرجل العظيم أداء لبعض حقه على الأوفياء من تلاميذه وقليل ما هم؟

وعندما بدأ القلم يستقر بين أصابعي كتبت عنه مقالاً بعنوان «السيد حسن القاياتي» في «مجلة الأديب اللبنانية» في عددها الصادر في نوفمبر ١٩٦٧؛ وساقت الأقدار هذا المقال إلى باحث أزهري من مغاغة بلدة القاياتي وهو الشيخ محمد عبدالوهاب عبداللطيف مفتش الوعظ آنذاك بمحافظة بني سويف، وكان يبحث عن موضوع غير مطروق لرسالة الماجستير يتقدم به لكلية اللغة العربية فشعت في وجدانه النفحات القاياتية عندما قرأ المقال، وأراد الله أن يختار «القاياتي شاعرا» موضوعا لرسالته.. وسأل «الباحث» عن صاحب المقال حتى التقينا معا وتوالت بيننا اللقاءات التي كنت فيها أمده بما أملك من معلومات شخصية وعامة عن «القاياتي» وبما كنت أحتفظ به من المخطوطات القاياتية النادرة التي كان قد خصني بها «السيد حسن» من أشعار ومكاتبات، حتى اتخذ فضيلة الباحث مني مرجعاً حياً رأى القاياتي وعاش فكره الرائع، وحديثه الممتع.، وخلقه المتين.

وفي إحدى أمسيات شهر ديسمبر لعام ١٩٨٠ وبعد ما يقرب من ربع قرن على وفاة القاياتي وفي قاعة الشيخ أحمد حمروش بمبنى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف دارت مناقشة الرسالة حول القاياتي الذي أحببته حب القلب واللب جميعا، وذلك بإشراف الأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي وعضوية الأستاذ الدكتور محمد السعدي فرهود، وكنت من بين عشرات الحضور- أسعدهم جميعا لأنني كنت أتمثل أمامي القاياتي بقامته الفارعة وهندامه الأنيق الرشيق، كما كان ينظر إليّ في جذل وحبور إذ أصبح موضوعا يناقشه العلماء ويبحثه المفكرون وتدبج فيه الرسائل العلمية ولاسيما في الأزهر المعمور أعرق جامعات الدنيا وهو المعقل العلمي العتيق الذي شهد القاياتي طالبا أديبا ومفكرا لبيبا مع لداته ممن تصدروا الرعيل الذي تحلق حول الأستاذ الإمام محمد عبده يتفقه في الدين ويتفهم العلم من ذلك المنبع المتدفق المعطاء، وهو الجيل الذي ملأ النصف الأول من القرن العشرين علما، وأدبا عبر المحافل الفكرية الحافلة، والصحافة الجادة الهادفة والصالونات الأدبية الممتازة، وما أكثرها في ذلك الزمان.

غير أنه يبدو أن عزة النفس، وأنفة العبقرية، والثقة في إمكانات الذات قد نأت بالقاياتي أو نأى القاياتي بها عن ارتياد مجالس الدعاية والإعلام والإعلان، ولم يكن ذلك تكبرا أو غرورا فقد تحدثنا منذ سطور عن تواضع الرجل مع البسطاء وناشئة الأدباء، ولكن لعل ذلك كان إيمانا بمبدأ توارثته الأصالة الإبداعية العربية جيلا بعد جيل، وهو أن يحج الناس إلى أصحاب الفكر الثري ويتعرفوا عليهم، وينهلوا منهم عرفانا لهم وتقديرا لمكانتهم التي ينبغي أن تصان عزيزة الجانب كريمة السيرة يقتدى بها الناس فكرا وعملا، ومبدأ وسلوكا.. أليست عزة المفكرين وكرامتهم مستمدة من عزة الفكر وكرامته؟ وهكذا كان «السيد» عيوفا عزوفا





ارتضى مقامه المفضل في دار آبائه وأجداده أصحاب الأيادي البيضاء المعروفة على الحركة الوطنية والثقافية في مصر في تلك البقعة العريقة من سور قاهرة المعز القديم مؤمنا تماما بأن العلماء يُطلبون ولا يَطلبون.

ولقد ضم شعر القاياتي كثيرا من المعاني التي تبرر سلوكه المتعالي لا عن غطرسة واستعلاء ولكن عن اعتزاز وإباء، ولك أن تقرأ في ذلك بعض الأبيات الحارة في «قاياتية» صادقة معبرة عما في نفس الرجل عندما يقول:

**أنا في عهد خداع، أهله**
**نفخوا الزق وظنوه السمن**
**كل من سارت له أكذوبة**
**بجميل، نحلوه كل فن**
**كم عظيم الكبر باد جهلة**
**ظنه الناس على شئ فطن**

ثم يعيب على الأدعياء وأشياعهم فيقول:

**طائرل الصيت لديهم كل من**
**أرسل الشعر سقيما أو لحن**
**ليس طيب الذكر حقا كله**
**يذكر البدر بحسن ما فتن**
**حسب من أحسن صنعاً صنعه**
**لا تقل: من رب هذا وابن من؟**

وينحي باللائمة على الشعراء الذين يدعون الوطنية في أشعارهم لقاء جاه أو منصب أو مال:

**جل من ناحوا على أوطانهم**
**أخذ الأجر على الدمع ومن**

وما أهون هؤلاء الأدعياء المفتونين على الناس، إنهم موتى بين الأحياء فما بالهم لو ماتوا حقا إنهم عندئذ لن يستحقوا الكفن الذي يلفهم إلى التراب:

**إن في الناس لموتى نتقي**
**موتهم ضنا عليهم بالكفن.**

وفي قصيدة تقرب من الستين بيتا نشرت في مجلة الرسالة (٢١ فبراير ١٩٣٨)

يعيب على بعض أبناء جيله التباهي بالحرية بينما هم عبيد لكل معطاء.

**جيلٌ تباهى بِلُبِّ حُر**
**وظل عبداً لدى العطايا**
**من ادعى أنه طليق**
**إلام يختال في السبايا؟**

وشعر القاياتي حول هذه المعاني كثير ووفير، وفي مقابل ذلك نراه في بعض شعره يعتز بنفسه أيما اعتزاز حين يقول مثلاً:

**إني لأضخم من في مصر قافية**
**ليسمع ذاك من في أذنه صمم**
**الشعر يشهد أني قائل لبق**
**لا تجحدوني هذا أيها العجم**

أو حين يقول:

**أصد والحظ يبتغيني**
**أقول باسمي دعا سوايا**

غير أن الرجل لم يكن منطوياً عن مجتمعه أو بعيدا عن أحواله وظروفه وإنما كان معبرا عن نبضه مفصحا عن كرامته، ففي قصيدة بعنوان «غوث







اللهيف » يدعو الأثرياء إلى مد يد المعونة إلى الفقراء والمحتاجين دون أن يبددوا أموالهم فيما لا طائل تحته فيقول:

لهفى على مال يذوب نضيره
نهبا لكأس مرة أو غانية

أبذل تسد فى الناس غير مسود
ليس التشدد من خصال السيد

كم تحت جنحك يا دجنة موجع
قال الأسى لونه: لا ترقدى

ثم ينهى قصيدته الطويلة قائلاً:

تلك النصيحة فاشهدوا أسديتها
لسراة مصر، وأنت يا مصر اشهدى

وفى موضوع آخر فى قصيدة نشرت له عام ١٩٥٦ بمنبر الشرق التى كان يصدرها صديقه الحميم الشيخ على الغاياتى نراه يستنهض همم قومه ليسعوا إلى طلب العلم النافع الذى سيبوئهم المقعد اللائق بهم تحت الشمس فيقول:

كفى بالجهل منقلة وغيا
إذا كان الهوان له عتابا

ثم يشير إلى أهمية العمل فى الدنيا مهادا للآخرة:

إذا لم تملك الدنيا لنناء
فلست بمالك الأخرى ثوابا

وكان شاعرنا الصادق مع نفسه وبلده يسهم دائما فى المناسبات الوطنية ويتفاعل معها، ويعبر عنها فى إخلاص شديد.. وعندما أعلنت الجمهورية فى عام ١٩٥٣ عبر عن شعوره بهذه المناسبة فى قصيدة ضمن مخطوطاته لدىّ بعنوان «النيل ملكى» يقول فيها:

نعمتُ بعد التشكى
النيل أصبح مِلْكى

تبسم النيل حرا
فقل لفرعون يبكى

ثم يحيى اللواء محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر:

هذا نجيب رئيسى
ووحدة النيل مُلكى

لمن ثناء المساعى
أشم نفحة مِسْكِ

«نجيب»، ويُنجى وانوح»
بجحفل وبفُلك

ذلكم بعض ما جال بخاطرى، وتداعى بفكرى ووجدانى نحو أستاذى الراحل الكبير السيد حسن القاياتى، وإن هذا النزر جد يسير مما أحفظ له من ذكريات حبيبة غالية.

غير أنى لا أبرح حتى أسوق لذواقة الشعر القاياتى هذا المثال الذى أوحى إلى «السيد» وهو يخطر متأملا على شاطئ بحر يوسف الذى يشق الفيوم كترعة تراثية قديمة تستمد اسمها - كما يقال - من اسم يوسف الصديق -عليه السلام-

مشى الحسن رفافا على «بحر يوسف»
فيالك من حسن على النهر مترف

زُليخا تشق الثوب أم شق «يوسف»
حُلى نهره الفتان من حُسن يوسف؟



# هل تغرق السفينة؟ لطفك اللهم



للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

**التسخين الكونى**

**فالأرض ترتفع حرارتها ولذلك آثار وخيمة تتمثل فى ذوبان الجليد وارتفاع منسوب مياه البحار والأنهار وإغراق المدن بالفيضانات وتدمير المحاصيل.**

وقد دق الباحثون مؤخرا أجراس الإنذار التى تحذر من أن كوكبا رطبا يمكن أن يساعد على انتشار الأمراض المعدية حيث يوفر مناخا أكثر ملاءمة للطفيليات وانتشار الأمراض الاستوائية كأمراض المحاصيل. وإضافة إلى التغيرات المناخية الحادة تتسبب كل هذه الأمراض فى انتشار المجاعات. وتقوم الغازات الجوية والحرارة الكافية الموجودة بالقرب من سطح الأرض بجعل الصورة أكثر سوءا فإن زاد الحر قليلا اشتد الخطر إذ يتبخر الماء بشكل أسرع يؤدى إلى ظاهرة الاحتباس الحرارى الذى يؤدى بدوره إلى امتصاص ثانى أكسيد الكربون من الصخور فتزداد درجات الحرارة ارتفاعا حتى يصل الأمر بالأرض إلى أن يشبه جوها فى حرارته جو كوكب الزهرة حيث تصل الحرارة إلى ٩٠٠ درجة فهرنهيت.

**١٠ - انهيار النظام البيئى:**

إن صور الأفيال المذبوحة والغابات المطيرة التى تم حرقها صور مروعة من الصعب أن تزول من ذاكرة الإنسان. لكن الطامة الكبرى تتمثل فى الفقدان الكلى لما بالبيئة من تنوع

وثراء ولنائية تتمثل في الذكر والأنثى. فعلى مر السنين خلق الله عالما اعتمد فيه ازدهار ورفاهية كل كائن حى على الآخر في نسيج موشى من الكائنات والمخلوقات التي لا يحصيها عد ولا تقع تحت حصر. وهاك مثل تمت دراسته.

فقد شجعت فصول الشتاء كثيفة الثلوج الذئاب على صيد الأيائل والغزلان بأعداد كبيرة مما أدى إلى نمو شتلات خشب التنوب السام التي كانت تتغذى عليها الغزلان الأمر الذى أدى إلى أن تلك الشتلات سحبت ثانى أكسيد الكربون من الغلاف الجوى وهو ما أثر بدوره على المناخ، إنها سلسلة متصلة الحلقات ولمواجهة الأعداد المتنامية من البشر تزال الغابات للبناء عليها والزراعة فيها ونحن بذلك نستبدل النباتات البرية شديدة الثراء والوفرة بحفنة قليلة من المحاصيل الضعيفة. كما نقوم بضخ كيماويات جديدة في البيئة، وتسبب النشاط البشرى كذلك في أن يختفى في كل عام نحو ثلاثة آلاف نوع على الأقل من النباتات، ويقول أحد علماء نظم البيئة الاجتماعية: إن هناك عددا من الوسائل والأساليب التى يسىء بها الإنسان إلى التوازنات البيئية المعقدة وهو ما يعنى نشوء أنماط جديدة من الأمراض. كما أن الحشرات الملقحة للنباتات يمكن أن تنقرض، الأمر الذى يعجل بفشل وبيل الآثار على المحاصيل وهو أمر لابد من تداركه قبل فوات الأوان.

**١١ - مضار التقنيات الحيوية:**

وليتنا توقفنا عند الإضرار بمخلوقات الله - تعالى - بل إننا نوجد أنواعا جديدة من خلال الهندسة الوراثية.

صحيح أن المحاصيل المعدلة وراثيا تمتاز بقوة تحملها وبأنها ألذ طعما وأشد إشباعا لآكليها إلا أن كل تلك الأمور نسبية. كما أن الميكروبات المهندسة يمكن أن تخفف من مشاكلنا الصحية وكذا العلاج بالمورثات يقدم إنجازا واعدا في تثبيت العيوب الأساسية في الحمض النووى للخلية ( DNA ) وبرغم عدم توفر أدلة على خطورة النباتات المعالجة وراثيا إلا أن هناك أدلة على بعض المورثات منها يمكن أن تتسرب وتتخذ طريقها إلى المخلوقات الأخرى، كما يمكنها أن تكون مرفا لمقاومة المبيدات الحشرية. ويقول المتشككون: إن الأعشاب الضارة العملاقة والآفات الشرهة يمكن أن تؤدى إلى زيادة زعزعة النظام البيئى المهترىء أصلا. ناهيك عن صعوبة التحكم في الميكروبات الأخرى. وأما أشد الأمور إفزاعا فهو الاستخدام السيىء المتعمد للتقنيات الحيوية. خذ مثلا على ذلك جماعة ترى أن مادة الانثراكس السامة ليست سامة بما فيه الكفاية ومن ثم تقضى الليل قبل النهار لإنتاج نموذج من مرض الإيبولا وتنشره في الهواء الذى نتنفسه فما أشر الإنسان وأطغاه.



## ١٢- عشوائية معجلات الإليكترونات :

وقد هذى أحدهم مرة بفكرة تقول : إن تجربة لأحد معجلات الجزيئات يمكن أن تؤدى إلى سلسلة من التفاعلات تؤدى فى النهاية إلى تدمير العالم .

والمخيف أنها فكرة تشيع لدى ذوى العقول الجبارة من الفزيائيين ويصرحون بها فى اجتماعاتهم الخاصة وفيما يكتبون بخطوط لا تكد تقرأ على أظهر المظاريف التى يستخدمونها وشاع ذلك الموضوع شيوعا بعد تقرير نشرته صحيفة لندنية جاء فيه : إن تصادم الشحنات الثقيلة نسبيا مثل الذى حدث فى إحدى الجزر بنيويورك والمشار إليه بالأحرف RHIC يمكن أن يوجد ثقبا أسود مؤلفا من فرعيات الذرة الأمر الذى يؤدى إلى تآكل بطئ لكوكبنا .

وعلى العكس من ذلك أن يخلق فتاتا مروعا من المادة المتغيرة التى أطلق العلماء عليها اسم "Strangelets" ومن خواصها أنها تطمس معالم المادة العادية وكنوع من التطمينات عقد أحد مديرى المعامل مؤتمرا رفض فيه تلك الفكرة بجانبها المهين والمهول .

## ١٣- المضار الناجمة عن تقنيات النانو :

فقبل إن تنسخ لوحة مفاتيح حاسوبك الخاص فإن الجهاز المنزلى سيظل معقما والسبب هو التقدم اللاهث الذى لا يكاد يلم به عقل فى تصغير وتدقيق الدوائر على رقائق السليكون فالمهندسون يستخدمون تلك التقنية الآن وموازين ذرية بحتة ليوجدوا مجالا جديدا سموه تقنيات النانو .

ففى غضون بضعة عقود أو أقل سيصبح ميسورا صنع الإنسان الآلى المجهرى .

وستقوم تلك الأجهزة بإجراء العمليات الجراحية داخل جسم المريض وسيمضى كل شيء على ما يرام إذا ما صنعت تلك التقنيات كما هو مخطط لها .

## ١٤- السموم البيئية :

يمتلئ التاريخ البشرى بأمثلة مريعة لأخطار الملوثات الصناعية ففى مدن رئيسية حول العالم يمتلئ الهواء بجزيئات وذرات الديزل التى تعتبرها المعاهد الصحية من المسرطنات فالمعادن الثقيلة المعبأة بالأدخنة تشكل حزاما حول الكرة الأرضية حتى أن قطرياتها تتوطن القارة المتجمدة كما أن الاستخدام المفرط للمبيدات الحشرية فى الزراعة يؤدى إلى أنها سرعان ما تتسرب للأنهار والترع .

فإذا زادت الجرعات وبقيت فى النباتات فإنها تعرقل نمو الأجنة وتعيق الوظائف التناسلية، وقد أحصت إحدى الهيئات الصحية ٢١٨ مادة غير معروفة ومسببة للسرطان ويؤكد المسئولون بمؤسسة الحياة البرية أن كل المركبات السابقة تشبه فى آثارها الهرمونات التى تقلل الخصوبة ويعارض علماء آخرون تلك الآراء التى إن ثبتت صحتها لهددت المخلفات الكيماوية بقاءنا .

## ١٥- الحروب :





لاتزال امريكا وروسيا تحوزان ١٩ الف راس حربى نووى نشط وصحيح ان الحرب النووية امر مستبعد بل مستحيل لكن المواقف السياسية غير ثابتة فى الوقت الذى تظل القنابل فتاكة، كما لا ننسى احتمال نشوب حرب نووية عشوائية «غير متعمدة» أما نظام الدفاع بالصواريخ البالستية ذات التقنيات العالية فلن يكون قادرا إلا على إيقاف حفنة من الصواريخ التى تضل طريقها وذلك لو افترضنا ان هذا النظام يعمل أصلا.

كما لاتغفل ايضا الانواع الاخرى من الأسلحة فقد بدات اليابان تجربة الأسلحة البيولوجية بعد الحرب العالمية الاولى كما ان العلماء يقومون بتجريب الجراثيم القاتلة.

وبمقارنة الأسلحة الجرثومية والبيولوجية بالقنابل الذرية وجد ان للنوعين الاولين ميزات وخصائص - ان صح التعبير - منها: رخص ثمنها وسهولة إنتاجها ويسر إخفائها وصعوبة السيطرة عليها بعد إطلاقها، ويشير أحد الفلاسفة الكنديين إلى أن الهندسة الوراثية تساعد على إيجاد سلاح بيولوجى عرقى صنع وصمم لمهاجمة مجموعات عرقية بعينها.

١٦ - عصر الإنسان الآلى:

ابتكر البشر الإنسان الآلى الرشيق الذى سرعان ما تمرد على الإنسان وشرع فى الهيمنة على امور العالم والتحكم فيه ويتوقع أحد مؤسسى اقسام الإنسان الآلى انه بحلول سنة ٢٠٢٠ سيماثل ذكاء الآلة ذكاء الإنسان وربما وعيه وضميره وقد يتفوق.

١٧ - الجنون الجماعى:

فبينما تحسنت الصحة الجسدية فى معظم ارجاء العالم فى القرن الماضى اخذت الصحة النفسية فى السوء والتدهور وتقدر منظمة الصحة العلمية ان نصف بليون نسمة يعانون من اضطرابات نفسية وفى سنة ٢٠٢٠ سيكون الاكتئاب ثانى الأسباب الرئيسية المؤدية للوفاة وهو فى ذلك يلى مرض الأوعية الدموية.

وطول اعمار البيئة يعقد المشكلة إذ ان أرذل العمر مدعاة للوحدة ووهن الشيخوخة فالامريكان فوق سن الخمسين والستين يقدمون على الانتحار بشكل مطرد.

وقوة الإيمان حصن حصين من الاكتئاب الذى ربما يكون ناشئا عن خوف قلة الرزق أو الاجل وهما أمران كفلهما الله لكل إنسان.

١٨ - الأمر الإلهى

وهو ما يزعمونه التدخل الإلهى فى الكون ولاشك أننا نحن المسلمين نرفض هذا المصطلح ونلفظه سائلين بدورنا: متى تخلى الله عن شئون العالم حتى نتدخل فيها؟ فاليهود والنصارى والمسلمون كلهم تبشر كتبهم بيوم الدين يوم الجزاء والثواب والعقاب.

وما يقلق الكفرة والملحدين والماديين أيا كانت نزعاتهم هو أن يأخذ إنسان الأمر بيده

ويقرر إفناء العالم وقد جرت محاولات من هذا القبيل سنة ١٩٩٥ حينما قام أعضاء طائفة يابانية تسمى « أومشينريكيو » بإطلاق غاز السارين السام في أحد محطات أنفاق طوكيو العاصمة فقتلوا ١٢ وأصابوا أكثر من خمسة آلاف.

ولو سارت الخطط كما دبروا لكانت المصيبة أفدح، وإذا كان هذا هو الحال مع من أهملوا نعمة الله عليهم واخذوا يحلون مشاكلهم بالخلب والناب فماذا لو كان هذا المخلب وذلك الناب سلاح فتاك قاتل مميت نوويا كان أو بيولوجيا من تقنيات النانو كان أو جرثوميا وحازته مجموعة أشربت قلوبهم الشر والعنف؟!

**١٩ - أبدا ما كان حلما:**

ولا مناص هنا من الرؤى الأدبية وأضغاث الأحلام حين يهب أحدهم من نومه زاعما مدعيا أن كل ذلك كان حلما لا غير، ثم يتمادى أصحاب ذلك الرأى في أوهامهم قائلين: هل نحن نعيش وجودا زائفا تدفعنا فيه حماقتنا وجهلنا إلى الاعتقاد بأننا نعيش حقيقة واقعة وما يفتأ ذلك السؤال المعتوه يتردد في الفكر الثقافي والكتابات المختلفة.

وقد عبر عن تلك الهلوسات الأدبية والتهويمات البوهيمية أحد فلاسفة الصين القدماء في القرن الرابع ق. م وذلك في أسلوب شاعرى وتصور خيالى مضلل فقال وهو يصف حلما قام منه للتو وتخيل نفسه فيه مجرد فراشة لا تعي أو تدرى ما وجودها ولا حياتها فعندما استيقظ من نومه أخذ يتساءل قائلا: هل كنت أنا من قبل فلانا الذى رأى نفسه في المنام فراشة أو تراني الآن فراشة ترى نفسها في النوم فلانا؟! وهو تصور أجوف يدغدغ المشاعر ويلعب بالأحاسيس ويفرغ الحياة من مضمونها الجوهرى ويخلى عقل الإنسان وقلبه من رسالته العظمى في الحياة التي حددها الله - سبحانه وتعالى - وبينهما في قوله عز وجل:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١).

فتلك مهمة الإنسان التي إن أضاعها استحق ما يلاقي لولا لطف الله.



(١) الذاريات (٥٦).

# طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

## أكرم.. الثلاثة

جلس بعض القوم يفضلون الكرماء، ويوازنون أيهم أكرم من صاحبه؟ فقال رجل: أسخى الناس في عصرنا هذا، عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وقال ثان: بل أسخى الناس عُرابة الأوسي، وقال ثالثٌ: بل أسخى الناس: قيس بن سعد بن عبادة، وأكثروا اللجاج، وعلا ضجيجهم حول الكعبة، واجتمع عليهم الناس، فقال قائل منهم: ولماذا الجدل؟ ليذهب كل واحد منكم إلى صاحبه فينظر ما سيعطيه، وبعد ذلك يكون التفضيل، والحكم على العيان.

فذهب صاحب عبدالله بن جعفر إليه فصادفه خارجاً من منزله، وقد وضع قدمه في ركاب راحلته يريد ضيعة له، فقال له: يا بن عم رسول الله، قال: قل ما تشاء قال: أنا ابن سبيل، ومنقطع به، فأخرج رجله من مكانها، وقال له: ضع رجلك، واستو على الراحلة، وخذ ما في الحقيبة واحتفظ بالسيف فإنه من سيوف علي بن أبي طالب.

فجاء بالناقة والحقيبة وفيها مطارف من حرير، وأربعة آلاف دينار، وأعظمها وأجلها سيف علي بنّ أبي طالب.

ومضى صاحب قيس بن عبادة فصادفه نائماً، فقالت جاريته: هو نائم فما حاجتك؟ قال: ابن سبيل ومنقطع به، فقالت: حاجتك أهون من إيقاظه، هذا كيس فيه سبعمائة دينار، والله يعلم أن ما في دار قيس غيره، ثم امض إلى معاطن الإبل، فخذ من رواحلها ما يعينك على السفر وامض لشأنك، ولما انتبه قيس حدثته فشكرها وأعتقها.

ومضى صاحب عرابة الأوسي، فألفاه قد خرج من منزله يريد الصلاة، وهو يمشي مع عبدين وقد كف بصره، فقال يا عرابة: ابن سبيل قد انقطع به الطريق، فخلى العبدين، وصفق بيمناه ويسراه، وقال: أواه، ما تركت الحقوق لعرابة مالاً، ولكن خذ

العبدين، فدهش الرجل، وقال: كيف تسير وليس معك من يهديك؟ ما كنت والله بالذي يقص جناحك؟ فصاح عرابة: إن لم تأخذهما فهما حران فإن شئت فخذ، وإن شئت فاعتق.

ورجع إلى منزله يتلمس الحائط بيده، فليس معه من يهديه! فأخذهما الرجل وذهب إلى رفاقه فمن أكرم الثلاثة؟

## من أدبك؟

يروى أنه قيل لسيدنا عيسى - عليه السلام - من أدبك؟ قال: ما أدبني أحد، رأيت جهل الجاهل شيناً فاجتنبته.

## علامات حسن الخلق

جمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال:

هو أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، براً وصولاً وقوراً صبوراً شكوراً رضياً حليماً، لا لعاناً ولا سباباً، ولا نماماً ولا مغتاباً، ولا حقوداً ولابخيلاً، ولا حسوداً، بشاشاً، هشاشاً، يحب في الله، ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق.

## لا تطيلوا الجلوس

دخل قوم على مريض فأطالوا، ثم قالوا عند انصرافهم: أوصنا شيئاً، فقال: أوصيكم أن لا تطيلوا الجلوس عند المريض إذا عدتموه.

## عزة المؤمن

حج هشام بن عبدالملك أيام خلافته، فوجد في الكعبة سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، فقال له: يا سالم سلني حاجتك أقضيها لك.

فقال سالم: استحي وأنا في بيت الله أن أسأل غيره، فلما خرج من الكعبة ناداه، وقال: يا سالم الآن فاسأل، قال: سالم إني ما سألت الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها؟.

## دعاء

اللهم أفردني لما خلقتني له، ولا تشغلني بما تكفلت لي به، ولا تحرمني وأنا أسألك، ولا تعذبني وأنا استغفرك.

## منبر الجمعة :

# مولد خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام

لفضيلة الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

**الحمد لله رب العالمين الذي شرف الوجود بأكرم مولود، وأنعم على عباده بميلاد خاتم الأنبياء والمرسلين، ليقود الناس إلى الحق وإلى صراط الله المستقيم، وليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط الله العزيز الحميد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل:**

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(١).

وأشهد أن محمدا عبدالله ورسوله الأمين، ورحمته إلى الناس أجمعين القائل: «إنما أنا رحمة مهداه» اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين الذين سعدوا بمولده، وابتهجت نفوسهم بمشهده.. فنصروا دعوته، واتبعوا سنته، أولئك الذين صدقوا، وأولئك هم المتقون.

أما بعد: فيا عباد الله: يستقبل المسلمون

(١) الأحزاب (٢١).



فى مشارق الأرض ومغاربها فى شهر ربيع الأول ذكرى من أعظم الذكريات، وما اهتمت الدنيا لميلاد إنسان كاهتمامها بميلاد سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ، وما تحدث الناس عن مولود قبل ميلاده كتحديثهم عن الصادق الأمين قبل ظهوره، فقد تحدثت الكتب السماوية قبل ميلاد الرسول الأعظم والنبى الأكرم ﷺ ـ بقرون عديدة، وعن أهداف رسالته ﷺ من قبل أن يكون فى عالم الوجود، قال تعالى:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾(٢).

كما أنبأنا التاريخ عن حديث الكهان والرهبان عن ذلك النبى الذى حان حينه ولمعت أنواره، وقالوا عنه: نبى مصلح يظهر فى بلاد العرب يغير وجه التاريخ ويفك الإنسانية من أسرها وأغلالها ويهديها إلى الصراط المستقيم، وصدق الله حيث يقول:

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٣)

وذكرى مولد رسول الله ﷺ هى الذكرى التى أذن الله فيها للعالم أن يهتدى بعد الضلالة، وأن يستقيم بعد الغواية وأن يستنير بعد الجهالة، وأن يتحد بعد الفرقة والشتات، وأن يتآخى بعد النكران، وأن يتطهر من المآثم، وأن يترفع عن المظالم، وأن يعبد الله لا يشرك به سواه.

إن ذكرى خير الورى، ونور الهدى، تحو الخير والفلاح، إنها لذكرى تشع منها أضواء تتلألأ تنير الطريق لمن أراد أن يعتبر، أو ألقى السمع وهو شهيد، إنها أضواء من سيرة المصطفى وشمائله وهديه وفضائله، وهى مجموعة من المثل العليا فى مكارم الأخلاق، ومحامد الأفعال، وجلائل الأعمال، والتاريخ أصدق شاهد على صبره ومثابرته، وجده فى نشر رسالته، واحتمال الأذى فى سبيل دعوته مع صدق وأمانة، وإقدام وشجاعة، وتواضع وسماحة، ولطف وسخاء، ورحمة ووفاء، إلى غير ذلك من عظيم الصفات لقد بلغ ﷺ القمة فى الأخلاق الفاضلة، والذروة فى

---

(٢) الأعراف (١٥٦)، (١٥٧)

(٣) المائدة (١٥) و(١٦)



الشمائل الحميدة، وكيف لا يكون كذلك وهو الأسوة الحسنة التى ينهل من ينابيعها الصافية كل راغب فى خير الدنيا والآخرة، لقد كان خلقه القرآن، قال عنه ربه فى القرآن:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم» «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق».

فإذا جئت إلى حسن معاملته - تجده ﷺ - أحسن الناس معاملة - فإذا استلف سلفا رد وقضى خيرا منه - ودعا لصاحبه فقال: بارك الله فى أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الحمد والأداء. ولم يكن صلى الله عليه وسلم يتصف بالقسوة حتى مع أعدائه مهتديا فى ذلك بقول ربه عز وجل:

﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾(٥).

وعندما أمسك أحد المشركين برقبته - عليه السلام - وشهر عليه سيفه قائلا: من ينجيك منى فقال النبى ﷺ: (الله) فسقط السيف من يد المشرك، وفعل النبى مع المشرك ما فعله معه، فطلب المشرك من الرسول العفو عنه، فعفا عنه وأخلى سبيله ولا أدل على ذلك من عفوه عن أهل مكة الذى آذوه وآذوا أصحابه: كيف عفا عنهم، عفو القادر المتمكن قائلا: اذهبوا فأنتم الطلقاء. بل يدعو لمن آذاه بالهداية: «اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون» لقد أقام الحق والعدل. وعندما أراد أن يقيم الحد على السارقة وتشفع أسامة فى العفو عنها - قال النبى «يا أسامة أتشفع فى حد من حدود الله؟!» ثم قام فخطب فقال: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

وفى جانب الجرأة والشجاعة فى الحق كان له صلى الله عليه وسلم مواقفه الجريئة أمام جبروت الكفرة وضيقهم بدعوته إلى الإسلام لقد قال لعمه أبى طالب حين جاء يحمل إليه دعوة القوم ويقدم له عروضهم السخية فى حالة عدوله وتركه لدعوة الإسلام فقال: «والله يا عم، لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله أو أهلك دونه» وكان شجاعا فى مواجهة المقاطعة التى استمرت سنوات حتى أكل المسلمون أوراق الشجر حتى سقطت المقاطعة وانتصر الحق، كما كان شجاعا فى مواقف السلام، يؤثر الحكمة،

(٤) القلم (٤).

(٥) الحجر (٨٥).

والموعظة الحسنة حتى يبلغ أمر الله، استجابة لقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾(٦).

لقد كان الرسول الكريم معروفا منذ نشأته بالجود والسخاء والبذل والعطاء، يحمل الكل ويكسب المعدوم ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق، يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، وهكذا كان النبى صلى الله عليه وسلم: أقوى الناس إيمانا بالله وأسخاهم بمال الله، وأعطفهم على المعوزين من عباد الله، إذ كانت ثقته بما فى يد الله أشد من ثقته بما فى يده، فلابدع أن كانت كفه أجرى بالخير من الريح المرسلة.

فها هو رسول الله الذى طهره الله من دنس الجاهلية، وكرّمه وشرف الوجود برسالته، فكان داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فكان أفضل الناس فى جميع الكمالات: أحسنهم خلقا، وأكرمهم حسبا، وأعظمهم حلما، وأحسنهم جودا، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال، فهدى الله به الناس بعد ضلالة، وأرشدهم إلى الطريق القويم، فكان الرحمة المهداه وصدق الله حيث يقول:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٧).

فهل نهتدى بهدى رسول الله، فنأخذ من أخلاقه من صفات العزة والشجاعة التى تجعل المسلمين يدافعون عن دينهم، ويحمون محارم الله، ويحررون الأرض، ويحافظون على العرض والشرف والكرامة، حتى ينتصر الحق على الباطل وتعلو راية السلام فى كل مكان، وحق الذكرى علينا أن نؤمن بمنهج نبينا، ونتمسك بجميل فعاله حتى تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾(٨).

فاتقوا الله أيها المؤمنون واعلموا أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا.

هذه بعض أخلاق رسول الله تلك التى أبرزت عظمته للعالمين فما أحوجنا إلى أن نكمل أخلاقنا من خلقه ونجمل سيرتنا من سيرته ونقتفى أثره، ونترسم خطاه، حتى نفوز برضا رب العالمين قال رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

أو كما قال: التائب حبيب الرحمن والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

فادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة.

---

(٦) النحل (١٢٥).

(٧) الأنبياء (١٠٧).

(٨) التوبة (١٠٥).

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

# استفتاءات القراء

## تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد وتقديم فضيلة الشيخ/ عبدالفتاح حسين الزيات

● السؤال من إبراهيم القبانى موظف سابق فى وزارة الحكم المحلى - المرج.

قال الله - تعالى -:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ ﴾(1).

وحيث إن الإسلام قد قضى نهائيا على الرق بحيث لم يصبح له وجود فى الحياة، فلم يبق إلا الدية، فهل لكم أن تلقوا الضوء على هذه العقوبة، وهل مازال معمولا بها وما مقدارها ولمن تؤدى، لأن الكثير - إن لم تكن الغالبية العظمى من المسلمين - لا يعرفون عنها شيئا خصوصا فى هذا العصر الذى تعددت فيه أسباب القتل وتنوعت وسائل المركبات وغير ذلك.

●● الجواب:

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه نفيد:

بأن الله - سبحانه وتعالى - قد شرع الدية عقوبة مالية مقدرة بنص الآية الواردة فى السؤال وهى تجب كاملة فى القتل الخطأ وفى فقد الأطراف أو الحواس كالسمع والبصر

(1) سورة النساء: 92.



والشم واللمس فقدا كاملا، وتقدر بحسب الإصابة إذا أدت إلى أقل من ذلك.

والأصل أن الدية تجب على المتسبب في الضرر فإن عدم لأى سبب من الأسباب فعلى عصبة الجانى البالغين، ومن ذلك قضاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بالدية على عاقلة الجانى لأنهم أصل ديوانه، وأصل الديوان فى أيامنا هذه هم الجهة التى ينتسب إليها الجانى أو يعمل بها كالمؤسسات والهيئات والنقابات وغير ذلك من جهة العمل. فهى الملزمة بالدية للمجنى عليه أو لورثته، لأن الجانى واحد منها فى هذا الالتزام، ولا تسقط إلا بالعفو منها.

وقد يثور تساؤل: هل تختلف الدية من شخص إلى آخر باختلاف الدين والملة؟

والجواب: لا: فلا فرق فى إيجاب الدية بين مسلم وغير المسلم أو بين المرأة والرجل وذلك بنص القرآن الكريم:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾[٢].

فبالنظر لهذه القاعدة التى جاء بها القرآن الكريم نجد أنها الأنسب فى المعاملة مع الناس على اختلاف الملل والأجناس وبهذا أخذ الدستور المصرى فى التسوية بين المواطنين إذ الكل نسيج واحد لحمته المحبة وسداه الإخاء.

أما مقدار الدية فهو (١٠٠٠) ألف دينار ذهبا- وهذا تحديد متقدم جدا ولكنه لا اختلاف فيه مطلقا، وقد دلت بعض الأبحاث التى أجريت على العملات التى كانت تستخدم فى صدر الإسلام على أن الدينار فى ذاك الوقت كان وزنه ٤،٥ جرام وهذا التقدير يمكن أن يتخذ أساسا فى تحديد قيمة الفدية فى الوقت الحاضر وبالسعر المعمول به فى الذهب فإذا فرضنا أن متوسط سعر الجرام فى الوقت الحاضر هو ثلاثون جنيها تصبح الدية ١٠٠٠ دينار × ٤،٥ جرام × ٣٠ جنيها يكون مقدارها ١٣٥٠٠٠ جنيه تقريبا.. وهذا المبلغ على ما فيه من ضخامة إلا أن حياة الإنسان أغلى وأثمن عند الله من أضعاف هذا المبلغ.

وبهذا علم الجواب والله أعلم.

● **سؤال من الآنسة فاطمة ع. ز- ميتا القمح - شرقية.**

**أنا أداوم على الصلاة منذ سنين طويلة ولكن منذ بضعة سنوات أصبح الشك يلازمنى كثيرا فى الوضوء وأنا أتوضأ وبعده فى الصلاة وخارجها وترتب على ذلك أننى أقوم بإعادة الوضوء عدة مرات وكذا الصلاة إذ أننى أصبحت أشك فيها من ناحية الزيادة أو النقصان وذلك بعد الفراغ منها..**

**فما الحكم الشرعى وماذا أفعل للتغلب على هذا الشك؟**

---

(٢) المائدة ٤٥.



●● الجواب :

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه نفيد :

بأنه يفهم من سؤال السائلة أن الشك يحدث لها أثناء الوضوء وفي صحة الصلاة بعد الفراغ منها، ومعنى ذلك أن الشك يطرأ عليها بعد الوضوء وتيقنها من الطهارة وبعد تمام الصلاة وتيقنها من هذا التمام، وقد فهم من السؤال أن هذا الشك أصبح يلازمها منذ عدة سنوات وإنها أصابها من جراء ذلك وهم من عدم قبول صلاتها.

وإلى الأخت السائلة نقول بأن حكم الوضوء شرعا في حالتك هذه صحيح وتطهرك لاشك فيه فيجب عليك عدم الالتفات إلى ما يعتريك من شك في هذا الامر لأن الشك لا يرفع الأمر المتيقن شرعا.

وكذلك حكم الشك في الصلاة مادام يحدث بعد تمامها. إذ الشك في هذه الحالة غير معتبر إذ أنه لا يرفع الأمر المتيقن شرعا كما سبق.

هذا كله إذا لم تتيقني من وجود الحدث أو لم تتيقني من ترك بعض أركان الصلاة أو ارتكاب ما يبطلها بالقول أو الفعل.

وعلى الأخت السائلة أن تتوضأ مرة واحدة وتصلي ولا تلتفت لهذا الشك مطلقا مهما كان أثره في نفسها، ولا تعيد الوضوء ولا الصلاة فإنها إن فعلت ذلك تكون قد أدت الواجب عليها شرعا وأبرأت ذمتها أمام الله، لأن الدين يسر، وعليها أن تطرد وساوس الشيطان من مخيلتها لأن الشيطان لا يسوؤه أمر قدر ما يسوؤه وقوف العبد المؤمن بين يدي خالقه عند ذلك يولي مدبرا وهو كظيم، فإذا داومت على ذلك وتغلبت على هذا الشك اطمأن قلبك وارتاح خاطرك وغمرك رضوان الله من كل جانب.

هذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال والله أعلم.

**● السؤال من عبدالعزيز الدسوقي البدوي، سيدى سالم - محافظة كفر الشيخ.**

**ما حكم الشرع في تصرف بعض الآباء أو بعض الأمهات في البيع الصورى لبعض أملاكهم أو كلها لأحد الأبناء أو أحد البنات أو زوجة محبوبة مثلا وحرمان باقي الأبناء من حقهم الشرعي الذى فرضه الله في كتابه. وطبقه رسول الله ﷺ قولا وفعلا..؟**

●● الجواب :

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه نفيد :

فإن الإسلام وضع الأسس السليمة لبناء الأسرة المسلمة ناهيا نهيا قاطعا عن كل ما يهدد كيان هذه الأسرة وهدم بنيانها، بنبذ أسباب العداوة والبغضاء والشحناء بين أبنائها، لأن الأسرة في الإسلام هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع وأن الآباء لابد أن يكونوا قدوة للأبناء في البر والعطف والعدل



والتسوية وخصوصا فيما يتعلق بموضوع «الميراث» لأنه قد يكون من أهم الأسباب التي تنبت الشرور وتذرع المفاسد بين الآباء والأبناء.

فالميراث حق مقرر في القرآن والسنة وفريضة محكمة لا يعتريها تغيير أو تبديل قال تعالى:

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾(٣)

وقوله:

﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٤).

ومع وضوح هذا التشريع الرباني وهذا التحذير المشدد، إلا أننا نرى بعض المسلمين - آباء وأمهات - يغضون الطرف عن حكم الله في الميراث ويتعجلون توزيع أموالهم وهم على قيد الحياة بدافع الميل والهوى والشهوة والغرض، فيحرمون المستحق ويعطون غيره، ويعكسون حكم الله في الميراث فيفسدون أسرهم ويزرعون بذور العداوة والبغضاء بين أبنائهم فيخربون بيوتهم بأيديهم ويهدمون كيان أسرة بتصرف طائش، ورأى نزق، معتمدين في ذلك على بعض الأقوال التي لا تكون نصا في الموضوع مثل «أنت ومالك لأبيك» و«المالك حر فيما يملك» متناسين أن الله - عز وجل- تولى توزيع التركات وبيان أنصبة المواريث.

نعم أباح الشرع للمالك أن يوصى بشيء من ماله، تقربا إليه أو دفع حاجة وقد قال ﷺ: «إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم عند وفاتكم زيادة في حسناتكم ليجعلها لكم زيادة في أعمالكم» وعلى ذلك وبناء على ما تقدم فإن الوصية أو ما في معناها كالبيع الصوري أو الاحتيالي أو الهبة لزوجة ذات منزلة خاصة في نفس زوجها أو لأولادها وحرمان الأولاد الآخرين تصرف سيء محظور شرعا ويدخل في ذلك الوصية أو البيع للأبناء الذكور دون الإناث، كل ذلك تصرف منهي عنه شرعا فكل هذه التصرفات وما في معناها منهي عنها شرعا.

كذلك فإن تفضيل بعض الأبناء على بعض في العطايا والهبات، له من الآثار السيئة ما نراه ونقرأ في الصحف والمجلات من مآس ومشاكل ونزاعات وقضايا ترفع أمام المحاكم.

فليتنا نأخذ من توجيه الرسول ﷺ إلى بشير والد النعمان: «لا تشهدني على جور، إنه عمل غير صالح» «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» «إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم كما لك عليهم من الحق أن يعدلوا في برك، والله أعلم.

● **سؤال من منصور. د. ع - الزرقا - دمياط.**

**ما حكم الشرع في زوجة موظفة وشعرها من النوع الأكرت الذي يلتف حول نفسه دائما وهي لذلك تذهب إلى مصفف الشعر**

---

(٣) النساء (١١).

(٤) النساء (١٧٦).







مرة كل خمسة عشر يوما أو أقل أو أكثر كي يضع له بعض الكريمات وما يساعد على إظهاره بمظهر لائق.

وما هي الكيفية التي تتطهر بها هذه الزوجة لأن الماء يفسد شعرها ويذهب مفعول ما وضع عليه من كريمات أو أصباغ وهي لذلك لا تغسله إلا عند تصفيفه أي كل أسبوعين تقريبا.

●● الجواب:

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه نفيد:

بأنه من المقرر في فقه السادة الحنفية أنه لا بد من مسح الشعر بالماء في الوضوء أما في الغسل من الجنابة أو من الحيض أو النفاس، فلابد أن يصل الماء إلى منابت الشعر وفروة الرأس غير أنه لا يلزم المرأة نقض ضفائرها إذا كان الشعر مضفورا.

وفي واقعة السؤال المطروح نقول للسائل أولا: أنه لا يجوز شرعا للزوجة أن تذهب إلى مصفف الشعر أصلا إذا كان المصفف رجلا لأن شعر المرأة عورة لا يجوز شرعا للأجنبي أن يلمسه فضلا عن أن يصففه أما إذا كانت المصففة امرأة مأمونة فلا بأس.

ولابد لها أن تمسح شعرها بالماء في الوضوء وإلا كان الوضوء غير صحيح شرعا، أما في الطهارة من الحيض أو النفاس ومن الجنابة فلابد من وصول الماء إلى أصول الشعر وفروة الرأس مهما ترتب على ذلك. إذ بغير ذاك لا تتم الطهارة ولا عبرة بأية حجة تتحجج بها ما لم يترتب عليها ضرر هذا إذا كان الحال كما ورد في السؤال والله أعلم.

**● سؤال من أبوالمعاطي سعد مصطفى - وراق العرب - جيزة.**

**سمعت وأنا أقضي فريضة الحج هذا العام من يقول بوجوب غسل العضو بعد الجماع والوضوء قبل الغسل من الجنابة وكان هذا القول غريبا على لأن العادة جرت على أن يستحم الإنسان مباشرة لإزالة الجنابة بدون وضوء، فما هو الرأى الصحيح في هذا الأمر؟**

●● الجواب:

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه نفيد:

بإن فقهاء المذاهب الأربعة اختلفوا في فرائض الغسل على أقوال.

قال الحنفية إن فرائض الغسل: المضمضة والاستنشاق وغسل سائر البدن وقال المالكية: النية وتعميم الجسد بالماء ودلك جميع الجسد مع صب الماء قبل الجفاف وموالاة غسل الأعضاء مع الذكر، والقدرة وتخليل جميع شعر جسده بالماء.

وقال الشافعية إن فرائض الغسل: النية وتعميم ظاهرة الجسد بالماء.

وقال الحنابلة: تعميم الجسد بالماء وادخلوا في الجسد الفم والأنف فيجب غسلهما تبعا للبدن واشترطوا النية في صحة الغسل



واوجبوا التسمية فى أوله.

ولكن ثبت أن رسول الله ﷺ كان يتوضأ قبل الغسل، فقد روى عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - عن غسل النبى ﷺ من الجنابة قالت: كان يبدأ بيديه فيغلسهما ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ثم يخلل أصول شعره حتى إذا ظن أنه قد استبرأ البشرة اغترف ثلاث غرفات فيصبهن على رأسه ثم أفاض على سائر جسده» قال ابن نمير: غرف بيديه ملىء كفيه ثلاثا» مسند الإمام أحمد ومن هذا يتبين أن الوضوء قبل الغسل من الجنابة ليس بفرض ولا واجب عند الائمة الأربعة بل هو سنة قبل الغسل عندهم.

هذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال والله أعلم.

● **السؤال من شلاضم بطاوى - البدرشين.**

**توفى رجل وترك أما وأختا لأم وأولاد أخ ذكورا وإناثا وأولاد أخت ذكورا وإناثا، فمن يرث ومن لا يرث من هؤلاء؟ ولكم جزيل الشكر.**

●● **الجواب:**

بعد الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله نفيد:

بأن للأم الثلث فرضا لعدم وجود الفرع الوارث، وللأخت لأم السدس فرضا ولأولاد الأخ المتوفى إذا كان شقيقا أو لأب الباقى للذكور فقط دون الإناث تعصيبا لقول رسول الله ﷺ : «ألحقوا الفرائض بأهلها وما بقى فلأولى عصبة ذكر» يقسم بينهم بالتساوى ولا شيء للإناث لأنهن لا يرثن تعصيبا.

أما إذا كان المتوفى قد ترك أولاد أخ لأم فلا يرثون لأنهم من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والباقى من التركة فى هذه الحالة يرد إلى الأم والأخت لأم حسب تصيبهما، فتأخذ الأم الثلث فرضا والثلث ردا أى تأخذ الثلثين فرضا وردا، وتأخذ الأخت لأم السدس فرضا والسدس ردا أى تأخذ ثلث التركة فرضا وردا.

هذا إذا كان الحال كما ورد فى السؤال، والله أعلم.

***

# فقه العبادات فى ضوء غاياته

**بقلم/ أبو محمد الأقصرى**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..**

**وبعد**

**فلما تهيأت للكتابة عن فقه العبادات، وجدت كثيراً من الكتب التى تكلمت عنه وهى متاحة وجيدة، ولكنها فى الأعم الأغلب تهتم بالجانب الفقهى البحت، بمعنى أنها تبين الأحكام من فرائض وسنن ومندوبات وأحسست أن القارىء يخرج منها بنتاج عقلى يهتم ويركز على صحة الأداء، لكنى لم ألمس فى أغلبه أو فيما هو متاح منها الجانب السلوكى الذى ينشد الغاية من العبادة وهو مقصود التكليف، فأصبح الإنسان يؤدى العبادة وكأنها لم تمس قلبه.**

ولا نلوم من كتبوا فى الفقه فهم أساتذة عظام، لكن هى ضريبة التخصص فيما نظن، وقد لا أتفق مع أساتذة كبار فى أسباب هذه الظاهرة، لكنى أتفق معهم فى ضرورة تغيير المنهج، وقد أعجبنى فى هذا المجال كلمتان للأستاذ الدكتور محمد عمارة وفضيلة الدكتور يوسف القرضاوى يلحيان على النهج القديم، وأتفق معهما فى هذا، لكنى قد أختلف معهما فى الأسباب كما ذكرت.

يقول الدكتور محمد عمارة:

إن كثيراً من الأحكام الفقهية التى تعود إلى فترة تراجع العقل المسلم والحضارة الإسلامية قد وقفت عند شكل الأحكام وشكل العبادات وقفت عند الطقوس وغاب منها الروح الإسلامية وعلى سبيل المثال: فإننا عندما نرى تعريف السجود فى كتب الفقه أجده تمريناً رياضياً، أين البعد الروحى لها؟ هذا غائب! وعندما نقرأ الكتب التى توزع على الحجاج نجدها أقرب إلى الدليل السياحى الذى يصف الطرق وغاب منها روح

المناسك، فالحاج يرمي جمرات العقبة دون أن يعلم أن هذه العقبة قد عقد فيها تأسيس الدولة الإسلامية. مثلاً أصلّي في الروضة لأن الثواب فيها سيعدل ضعفاً يعني صفقة تجارية BUSINESS أما أنها الجامعة التي خرج منها النور وغيرت مجرى التاريخ والحضارة فهذا لا نحسه.

حينما تطوف حول الكعبة لا تشعر أنه أول بيت وضع للناس في الأرض وأصبح قبلة هذه الأمة الخاتمة تجسيداً لوحدة الدين وإمساكاً للمجد من طرفيه فروح العبادة أصبح غير موجود.

كذلك فإن عقد الزواج في القرآن الكريم هو عقد مودة ورحمة وسكن وميثاق غليظ بينما أصبح في الفقه عقد تمليك بضع الزوجة لا علاقة له بروح الشريعة ومضامينها الجميلة الراقية.

ولعل هذا ما دفع أبا حامد الغزالي إلى رفع شعار ثورة «إحياء علوم الدين» لأنها ماتت وجفت روحها وهذا الإحياء هو ما نحتاج إليه.

وفي هذا الإطار فإننا نحتاج أيضاً إلى الجمع بين العقل والقلب ولعل ما ميز علماء مثل محمد عبده وحسن البنا ومحمد الغزالي أنهم جمعوا بين العقل والقلب وهذا ما نحتاجه في تجديد الفقه حتى فقه العبادات الذي يحتاج إلى بث إشعاعات القلب والوجدان في الصلاة والصيام والحج والزواج.

كما كتب الدكتور يوسف القرضاوي في هذا المعنى أنه ينبغي بيان الحكمة من التشريع حتى يقتنع به العقل ويطمئن به القلب فإن الله ـ تعالى ـ لم يشرع شيئاً إلا لحكمة وهو كما تنزه عن الباطل في خلقه

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ ﴾(١).

تنزه عن العبث في شرعه حتى إن القرآن الكريم جعل للعبادات المحضة عللاً وحكماً مفهومة كما في قوله تعالى عن الصلاة:

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾(٢)

وقال في تعليل فرضية الصوم

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٣).

وفي الحج:

﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾(٤)

كما قال في الزكاة:

﴿ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾(٥) وينبغي الاستفادة مما كتبه الاختصاصيون في هذا العصر مما يفيدنا في بيان حكمة الشرع واشتماله على

---

(١) آل عمران/١٩١.
(٢) العنكبوت/٤٥.
(٣) البقرة/١٨٣.
(٤) الحج/٢٨.
(٥) التوبة/١٠٣.



أعلى المصالح للبشر مثل ما يكتبه الأطباء في بيان مضار الخمر وأكل لحم الخنزير والأمراض الخطيرة التي تنشأ من اقتراف الزنا والشذوذ الجنسي ونحو ذلك.

ومثل ما يكتبه الاقتصاديون عن الآثار المدمرة للربا في الحياة الإنسانية وما يكتبه النفسيون عن أثر الصلاة والعبادة في تكوين الشخصية السوية القوية المتمتعة بالسكينة والطمأنينة والتي لا تنهار لأول صدمة.

على أنه يجب الحذر والتحذير من التعليلات القاصرة التي تفتح باباً للمتحللين والمنكرين مثل تعليل تحريم الربا باستغلال حاجة الفقير وتعليل تحريم الزنا بمنع اختلاط الأنساب فهذه وما شابهها تعليلات قاصرة لا تعطي كل الصورة الواقعية «للعبادات والمعاملات في الإسلام».

لهذا كان مما ينبغي العناية به في الفقه المعاصر بيان الأسرار الباطنة للعبادات المفروضة، فمما لا ريب فيه أن للعبادات الإسلامية حكماً وأسراراً ينبغي الالتفات إليها والاهتمام بإبرازها.

فالعبادة جسم وروح فجسم العبادة هو الشروط والأركان الظاهرة التي تؤديها الجوارح، أما روحها فهي التقوى والإخلاص والإحسان الذي فسره النبي ﷺ بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذه لباب العبادات أما الرسوم الظاهرية فهي مظهرها ولهذا قال تعالى في هدايا الحج وذبائحه:

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾(٦).

وقال في الصلاة:

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾(٧)

وقال في الصوم:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٨)

وفي الصحيح: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه).

إن عيب الفقهاء في كتبهم في - الأعم الأغلب - أنهم وجهوا عنايتهم إلى (الظاهر) ولم يلتفتوا كثيراً إلى الباطن فإذا بحثوا في الصلاة دار بحثهم كله حول تحقق الأركان والشروط المتصلة بصورة الصلاة وظاهر المصلي أما روح الصلاة وهو الخشوع وحضور القلب - فهم بمعزل عنه وإذا تحدثوا عن ذلك

---

(٦) الحج/٣٧.

(٧) المؤمنون/٢٧.

(٨) البقرة/١٨٣.





فلابد من أن يكون ذلك بصفة أخرى غير صفة الفقيه.

ولهذا نجد الإمام الغزالي يتحدث عن الجوانب الظاهرة والشكلية التي يعتني بها إخوانه وتلاميذه من أهل الفقه ثم يقفز قفزة إلى الأمام وإلى أعلى ليتحدث عن الأسرار والروح كما نجد ذلك في الربع الأول من الإحياء فهو يتحدث عن الصلاة وشروطها ثم يثب وثبة عالية ليتحدث عن الخشوع والخاشعين، وكذلك في الزكاة والصيام والحج: يتحدث عن الأسرار الباطنة وراء كل عبادة من هذه العبادات وهذا ما ينبغي للفقه المعاصر ألا يغفله[9].

بعد هذا أقول: إن أول من نظن أنه كتب في الفقه على هذا النحو هو الامام أبو حامد الغزالي - رضي الله عنه - ومن نحا نحو هذا المنهج نذكر منهم: الامام الشعراني في كتابه «لواقح الأنوار القدسية» وكتاب آخر له قد لا يعرفه الكثيرون وهو «الميزان» وهو قمة في أسباب الخلاف بين الفقهاء وعلة التشديد والتخفيف في بعض الأحكام، واهتم بالجانب الروحي أو الغايات من العبادات وكتب أخرى كثيرة.

وأقصد من هذا أن أبين للقارىء الكريم أنني لست مبدعاً أو مؤلفاً إنما أنا ناقل أسأل الله أن أكون أميناً في النقل محسناً في العرض وتبدأ حديث العبادات بالوضوء وأحبك أن تنظر إلى الوضوء على أنه عبادة مستقلة، هي قربة إلى الله - تعالى - فتؤديها بإتقان، واستحضار نية العبادة وأن المحافظة عليها من كمال الإيمان لأن المؤمن جليس الملائكة فعليه أن يحافظ على الوضوء وطهارة الثوب والبدن والمكان فليس الوضوء غسلاً لأعضاء تبيح الدخول في الصلاة فقط بل هو تأهيل عملي للدخول في حضرة الله فالوضوء سلاح المؤمن وللمحافظة على دوام الوضوء منزلة عظيمة يقول النبي ﷺ يسأل بلالاً عن المنزلة الرفيعة التي بلغها، بأي عمل وصل إليها.. يقول الرسول ﷺ «بم سبقتني يا بلال إني دخلت الجنة فسمعت خشخشة نعليك في الجنة؟ فقال: والله يارسول الله إني منذ أسلمت ما أحدثت إلا توضأت، وما توضأت إلا صليت ركعتين»[10] ويكفي الوضوء منزلةً أن النبي ﷺ يقول فيما يرويه البخاري ومسلم عن أبي هريرة: (إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع أن يطيل غرته فليفعل) فهذه دعوة من رسول الله ﷺ لك أيها المسلم على إحسان الوضوء وإتقانه وأن تطيل غرتك.

يكفي أنه علامة يعرفك بها رسول الله ﷺ

---

(٩) من تعقيب دكتور محمد عمارة في ندوة تجديد الفقه - القاهرة في ١٣/٢/١٩٩٨ يرجع إلى كتاب (تجديد الفقه الإسلامي) للدكتور جمال عطية والدكتور وهبة الزحيلي ص٣٦ وما بعدها.

(١٠) رواه أحمد ٥/٣٥٤.

يوم القيامة وتكون بها في كنفه في ذلك اليوم العصيب كما يقول النبي ﷺ فيما روى مسلم وغيره عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم عن قريب لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد.. قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ قال: أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دُهم بهم ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض.. رواه مسلم وغيره.

وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة وأنا أول من يرفع رأسه فأنظر بين يديّ فأعرف أمتي من بين الأمم ومن خلفي مثل ذلك وعن يميني مثل ذلك وعن شمالي مثل ذلك. فقال رجل: كيف تعرف أمتك يا رسول الله من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟ قال: هم غر محجلون من أثر الوضوء ليس لأحد كذلك غيرهم وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم تسعى بين أيديهم ذريتهم.[11]

الوضوء فيه محو للذنوب فالانسان خطاء كثير العثرات وله حواس أنعم الله عليه بها، هومسئول عنها في كل ما يصدر منها من خير أو شر ومسئوليته توجب المحاسبة والمحاسبة تعني وقوفا بين يدى الله وكما يقولون من نوقش الحساب عُذب. يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[12]

فالوضوء وسيلة من وسائل محو ما ارتكبت الحواس وما أكثرها يقول النبي ﷺ إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب.

أو كما قال رسول الله ﷺ.

وإلى لقاء قادم إن شاء الله مع أحكام الوضوء.

***

(11) رواه أحمد.

(12) الاسراء/36.

# أسس العلاقات الاجتماعية في الإسلام

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفني

**الإنسان اجتماعي بطبعه، بمعنى أنه لا بد أن ينشأ في مجتمع يعيش فيه ويتعامل معه، ولذلك احتل المجتمع مكانا بارزا في التشريع الإسلامي، حيث تناول التشريع الإسلامي كل جوانب المجتمع وحاجاته اللازمة لاستقراره، واطمئنان أفراده، وجعل لكل هذه الجوانب أسسا ينبغي أن تقوم عليها، ومن أهم هذه الأسس:**

## أسس التضامن الاجتماعي

**أولا**: ينبغي أن تقوم العلاقات بين أفراد المجتمع من الناحية الاجتماعية على رابطة نفسية مطمئنة وثابتة، هي رابطة الإيمان، والعلاقات المعروفة نوعان، علاقة دائمة، وهي علاقة النسب، وعلاقة عارضة، وهي علاقة المصالح والظروف الطارئة، فالدين يجعل علاقة الإيمان من النوع الدائم، لأن الرابطة وهي العقيدة دائمة، فهي تشبه علاقة النسب، وفي القرآن الكريم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] ويجعل الإسلام هذه العلاقة أساسا يترتب عليه ما يترتب على علاقة أخوة النسب في الود والمعاملة؛ فالأخوة لذاتها ليست هي الهدف، لأنها لا فائدة منها إذا لم يظهر أثرها في التعامل، بل قد تتحول الأخوة إلى عداوة.

**ثانيا**: يجب التعاون بين أفراد المجتمع في كل ما تتطلبه مصلحة المجتمع، كما يحرم التعاون في كل ما ينتج عنه ضرر، وفي القرآن

(١) الحجرات (١٠).

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾(٢).

فوجوب التعاون على ما فيه مصلحة، وتحريم عكسه، يتحقق سواء أكان الأمر يتعلق بالمجتمع كله أم ببعضه.

**ثالثا**: مراعاة الخلق الإسلامي في التعامل، وفي الصلة بين أفراد المجتمع، وهي جوانب كثيرة في كل مجالات التعامل والصلة، ومنها الآداب العامة، التي تتضمن على سبيل المثال وجوب رد التحية عند اللقاء، وفي القرآن الكريم

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾(٣).

ومن أمثلتها وجوب الاستئذان عند دخول أي بيت للغير، وفي القرآن:

﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾(٤).

وحتى في الطعام من آداب الأكل مع الغير، كما في الحديث النبوي «سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك».

**رابعا**: يخص الإسلام نوعين من أفراد المجتمع بجعل حسن الصلة بهما حقاً لهما وليس تفضلا عليهما، وهما قرابة الأرحام، والجيران، لأنهما يمثلان الصلة الملاصقة، وفي القرآن

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾(٥).

وفي كثير من الأحاديث النبوية بيان لحقوق هذين النوعين.

## أسس التضامن الأمني

الحاجات الضرورية لأفراد أي مجتمع تنحصر في أمرين: أحدهما الأمن النفسي، والآخر الأمن المعيشي، فالأمن النفسي أن يشعر الفرد بالأمن على نفسه وعرضه وماله، والأمن المعيشي أن يشعر بالأمن على وسائل معيشته وأهمها الطعام، والقرآن الكريم يجمع الأمرين في سياق المن على قريش في قوله تعالى:

﴿ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾(٦)

والإسلام يضع تشريعا مفصلا وأحكاما محددة شاملة كأحكام العقوبات فيما يتعلق بالأمن النفسي، ويضع أحكام الزكاة بكل صورها وفروعها فيما يتعلق بالأمن المعيشي لتحقيق هذه الغاية في المجتمع، ولكنه يدعو إلى أن يعمل أفراد

---

(٢) المائدة (٢).
(٣) النساء (٨٦).
(٤) النور (٢٧).
(٥) النساء (٣٦).
(٦) قريش (٤).

المجتمع أنفسهم على تحقيق هذه الغاية بوازع دينى وليس بالوازع القانونى وحده، لأن الوازع الدينى أدوم وأعم وأشد إخلاصا فى التطبيق.

فأما عن التضامن المعيشى بين أفراد المجتمع فإن من جوانبه أن الزكاة وهى ركن من أركان الإسلام تؤدى معنى التضامن الاجتماعى، والقرآن يكرر أنها ليست تفضلا من المزكى، وإنما هى حق للمحتاجين من أفراد المجتمع، كقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾[7].

وبالإضافة إلى ذلك نجد فى الإسلام دعوة صريحة وواضحة إلى التضامن المعيشى بين الأفراد فى كثير من الأحاديث النبوية مثل: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»[8] ومثل: «أيما أهل عرصة (حى) أصبح فيها امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله»[9] ومثل: «لا يشبع الرجل دون جاره»[10].

وقد طبق المسلمون الأوائل هذا التضامن كما حدث فى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار عند الهجرة، فلم يكن المهاجرون الوافدون إلى المدينة يملكون شيئا، فضم كل أنصارى أخا من المهاجرين وقاسمه كل ما يملك، ولذلك نجد فى الإسلام دعوة ملحة إلى الإنفاق فى سبيل الله زيادة عن الزكاة المفروضة، فالزكاة أنصبة معلومة محددة فى كل نوع من أنواع المال، ويشير إليها القرآن كما فى الآية السابقة:

﴿ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾

ولكن فى آية أخرى حق مطلق، أى غير معلوم ولا محدد، وإنما هو متروك لما يمليه دافع الإيمان والسخاء، ففى القرآن

﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾[11]

فهو حق مطلق وليس محددا معلوما كالزكاة. ويحرص التشريع الإسلامى على معنى بالغ الأهمية، وهو ألا تشوب الزكاة أو الصدقة أية شائبة تشعر المحتاج بذل ومهانة، ويوضح التشريع أن أى إيذاء لنفسية المحتاج يبطل الصدقة ويفسد نتيجتها، ويوضح أن الكلمة الطيبة التى تحفظ على المحتاج مروءته وكرامته خير من الصدقة التى يتبعها إيذاء نفسى له، وفى القرآن

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾[12].

---

(٧) المعارج (٢٥).

(٨) رواه أحمد ٤/٢٧٠.

(٩) اتحاف السادة المتقين ٥/٢٤٨، الترغيب والترهيب ٢/٥٨٢.

(١٠) رواه أحمد ١/٥٥.

(١١) الذاريات (١٩).

(١٢) البقرة (٢٦٢ - ٢٦٤).

٢- وأما عن التضامن في الأمن النفسي فإن الإسلام يجعل كل فرد في المجتمع مشتركا في المسئولية عن حماية هذا الأمن، ومطالبا ببذل كل جهده المستطاع لمنع كل ما من شأنه الإخلال بهذا الأمن، بل مطالبا بمنع أي انحراف عن السلوك المشروع من أي شخص مهما يكن وضعه في المجتمع، لأن أي انحراف لا بد أن يكون فيه إضرار، مباشر أو غير مباشر بالغير، أو تهديد لأمن الغير على نفسه أو عرضه أو ماله، والمنحرف بطبيعته غير مأمون الضرر، ووجود منحرفين في المجتمع يتضمن تهديدا لأمن أفراد المجتمع.

ومقاومة المنكر والنهي عنه مسئولية كل أفراد المجتمع في صورة فرض الكفاية الذي إذا أداه البعض سقط عن الكل، وإذا لم يؤده أحد أثم الجميع، وفي القرآن الكريم

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾(١٣).

وأيضا

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾(١٤).

والحديث النبوي المشهور: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

ولو أن المجتمع الإسلامي طبق تشريع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تطبيقا صحيحا لتحقق المجتمع المثالي الذي تحلم به البشرية منذ تخيل أفلاطون لهذا المجتمع، وقد استطاع الجيل الأول من المسلمين الذين تتلمذوا على يد النبي - ﷺ - أن يطبقوه فكونوا مجتمعا يشهد له التاريخ بسيطرة الفضائل الخلقية على سلوكه، ونلحظ أن القرآن الكريم حين شهد لهم بأنهم خير أمة، حدد سببا واحدا غير العقيدة وجعله سابقا لها وهو التزامهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث يقول:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(١٥).

وتقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان إشارة إلى أنه أجدى في إصلاح المجتمع من الإيمان السلبي من باب «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن».

وإذا نظرنا إلى الحديث النبوي المشهور في النهي عن المنكر وهو: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»(١٦).

ثم أخذنا منه أضعف وسيلة وهي النهي بالقلب لكانت كافية لتحقيق الأمن النفسي في المجتمع وحمايته من وسائل الانحراف وإن كانت

(١٣) آل عمران (١٠٤).

(١٤) لقمان (١٧)

(١٥) آل عمران (١١٠).

(١٦) رواه أحمد (٣/٢٠).



بطيئة الأثر أحيانا، وذلك أن التطبيق الصحيح للنهى بالقلب هو معاملة مرتكب المنكر معاملة انفعالية ظاهرة، لأن القلب رمز للحب وللكراهية، ومؤدى النهى عن المنكر بالقلب أن يشعر مرتكب المنكر بكراهية أفراد المجتمع له ونفورهم منه، وأن تظل هذه المشاعر من الجميع واضحة نحوه، ولا يستطيع شخص في العادة أن يتحمل بصفة دائمة الشعور بأنه مكروه ومنبوذ من المجتمع كله، فحينئذ إما أن يقلع عن المنكر، وإما أن يغادر هذا المجتمع، فإذا انتقل إلى مجتمع إسلامى آخر فعلوا به كالمجتمع الأول، وفى كل هذا صلاح للمجتمع، وهذا ما يهدف إليه الإسلام من تشريع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وأما أمن أفراد المجتمع على أعراضهم وكرامتهم وسمعتهم فقد فرض الإسلام لحمايته عقوبات صارمة تعرف بالحدود كحد الزنا، وحد القذف، وكذلك شرع عقوبة التعزير التى يحددها ولى الأمر أو القاضى فيما لم ترد فيه عقوبة محددة فى التشريع.

ومن هذا يتبين أن الإسلام يجعل التضامن الأمنى والمعيشى بين أفراد المجتمع ليس خلقا كماليا اختياريا، وإنما هو واجب اجتماعى مما يعرف فى التشريع الإسلامى بفرض الكفاية الذى إذا أداه البعض سقط عن الكل وإذا لم يؤده أحد أثم الجميع.

وهذه الأسس التى يضعها التشريع الإسلامى ليبنى عليها المجتمع، تكفل للمجتمع -فضلا عن أمنه واستقراره- أن يظل متمتعا بقوة البنيان وصلابة التماسك، والفرد والمجتمع كلاهما فى حاجة إلى العنصرين، الإيمان النفسى، واستقامة السلوك، ولكن الفرق بينهما فى الترتيب، فالفرد أحوج إلى الإيمان والمبادئ أولا، أما المجتمع فهو أحوج أولا إلى استقامة السلوك، ثم الاهتمام بالقيم الروحية والنفسية، والقرآن الكريم يشير إلى هذا الفارق فى الترتيب فى أكثر من موضع، فحينما يتحدث عن الفرد يقدم الجانب الروحى فيقول:

﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(١٧).

وحينما يتكلم عن المجتمع والأمة يقدم جانب السلوك فيقول:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(١٨).

## أسس التضامن الاقتصادى

يدور التشريع الاقتصادى فى الإسلام حول عاملين محددين، أحدهما التشجيع على العمل والاستثمار، والآخر المحافظة على روح الأخوة بحيث لا يطغى عليها حب المال، والنتيجة هى الموازنة المعتدلة بين الدعوة إلى الإنتاج والاستثمار، والدعوة إلى روح الإخاء والتعاون فى المجتمع.

ففى مجال الدعوة إلى العمل نجد القرآن يكرر

---

(١٧) لقمان (١٧).

(١٨) آل عمران (١١٠).





كثيرا نحو قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾(١٩).

والمراد بالمشي في مناكب الأرض السعي في أوجه العمل والرزق، وكذلك في الحديث النبوي الشريف نجد كثيراً نحو: «من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له»(٢٠).

وفي مجال الدعوة إلى الاستثمار نجد الإسلام يبيح كل الوسائل التي لا تخل بروح الأخوة والخلق القويم، وهذه الوسائل تكاد تنحصر في أمرين يحققان استثمار كل ما يمكن استثماره عادة وهما:

١- أن يستثمر الإنسان ما يملكه بنفسه، فإن كان يملك ما يصلح للتجارة استثمره في التجارة ونحوها من المشروعات الاستثمارية، وإن كان يملك ما يصلح للزراعة استثمره في الزراعة، وإن كان يملك ما يصلح للرعي استثمره في الرعي، وهكذا.

٢- الوسيلة الأخرى أن يكون مالكا للشيء الذي يصلح للاستثمار، ولكنه لا يحسن الاستثمار أو لا يستطيعه، فالإسلام يبيح له الاستعانة بغيره في استثمار ما يملكه، فإن كان يملك مالا نقديا يجوز له أن يستعين بغيره في استغلال ماله، بأن يتفق مع شخص أو جهة على استثمار ماله، هو عليه رأس المال، والآخر عليه العمل والاستثمار، والربح شركة بينهما حسب ما يشترطان في نصيب كل منهما، وهذا يسمى في الإسلام «المضاربة».

وإن كان المالك يملك أرضا زراعية أو ذات أشجار أو حدائق فله أن يسلمها إلى شخص يتولى زراعتها أو سقيها مقابل نسبة معينة من الغلة يتفقان عليها، وهذا يسمى في التشريع الإسلامي المزارعة أو المساقاة، لمن يتولى الزراعة أو السقي، وكذلك له أن يؤجرها.

وكل هذا له بحوث واسعة مستفيضة في الفقه الإسلامي، ولكنه جميعا يتجه إلى الدعوة إلى العمل والاستثمار، سواء بالنفس أو بمعاونة الغير.

وأما العامل الثاني مما يدور حوله تشريع الاقتصاد في الإسلام فهو المحافظة على روح الأخوة والخلق القويم في التعامل بين أفراد المجتمع، فالخلق القويم الذي تدعو إليه كل الأديان ينافي الغش والخداع في التعامل، وكل تعامل بهما في الإسلام باطل، سواء تعامل بهما المسلم مع مسلم أو غير مسلم، فإذا غش البائع المشتري وخدعه فالبيع باطل ولو بعد دفع الثمن، وفي الحديث النبوي المشهور: «من غشنا فليس منا»(٢١) ومن التنفير بل الوعيد للغش في المكيال والميزان قوله - تعالى -

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾(٢٢)

---

(١٩) الملك (١٥).

(٢٠) رواه أحمد ١٩٨/٣.

(٢١) اتحاف السادة المتقين ٩/٦.

(٢٢) المطففين (١-٥).

# بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

## مولد خير الأنام

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد فقد تنافس القراء فى شرف المشاركة فى الاحتفال بذكرى مولد الرسول ﷺ وورد العديد من الرسائل وأكثرها محاولات شعرية منها الجيد ومنها ما يحتاج إلى مزيد صقل.

وأمام هذه المشاعر الجياشة نقدم بعض ما ورد ونكتفى بأجزاء من القصائد لإتاحة الفرصة لأكثر من قارىء.

وننتهز هذه المناسبة لنقدم أصدق التهانى للمسلمين كافة مع خالص شكرنا لكل من ساهم بقلمه فى هذه الذكرى العطرة.

وقد وقع اختيارنا فى هذا العدد على رسالتين ليتقدما رسائل القراء، أما الأولى : فلأنها ناسبت ذكرى مولد رسول الله ﷺ، ولأنها فى - نظرى - على صغر حجمها عالجت الفكرة بشكل جيد، وهى بعنوان شعراء حول الرسول أما الرسالة الثانية .. فهى رسالة القارىء / محمد عنتر محمد عبدالكريم الطالب بكلية الآداب - قسم اللغة العربية - جامعة الإسكندرية وقد أسعدنا ورود تلك الرسالة - على ما تحتوى عليه من عتاب - فقد دلت على أن هناك من يقرأ المجلة بكاملها ( أو كما يقال : من الجلدة إلى الجلدة ) كما أوضحت أن صاحب الرسالة قارىء متميز ونحن إذ نشكر له اهتمامه ومتابعته نؤكد أن الرسائل التى ترد الى المجلة لا ينالها - أبدا - أى إهمال يا أستاذ محمد وإنما تدرس بعناية وما بها من أفكار جيدة يجد طريقه إلى النشر.

وإنه ليسعدنا ويثلج صدورنا أن تعلم أن : ( أناسا لا يزالون يمتلكون الفطرة السليمة والحاسة الصادقة، يستطيعون التمييز بين الجيد والردىء ) يحملون بين أيديهم مجلة الأزهر .. يقرءون جل صفحاتها إن لم يكن كل صفحاتها. نسأل الله لنا ولكم الهداية والرشاد.



ونعود مرة أخرى للرسالة الأولى بعنوان: **شعراء حول الرسول**، وهي - كما قدمت - رسالة جيدة المحتوى وإن لم تقدم غير شاعر واحد هو **الصلصال ابن الدلهمس بن جندلة** مع وعد بتقديم العديد من الشعراء، ولا ينقصها سوى إثبات المراجع. وهي للأستاذ محمد عبدالحليم غنيم يقول:

هو **الصلصال بن الدلهمس بن جندلة** بن المحتجب بن الأغر بن الغضنفر بن تيم بن ربيعة بن نزار أبو الغضنفر. أحد الصحابة الذين قدموا على النبي ( ﷺ ) مع وفد بني تميم، وعندما أوصاهم النبي ( ﷺ )، قال قيس بن عاصم الذي أعجبه كلام النبي ( ﷺ ): وددت لو كان هذا الكلام أبياتا من الشعر، نفتخر به على من يلينا، وندخرها، فأمر النبي ( ﷺ ) بأن يأتوه بحسان بن ثابت، وعند ذلك قال الصلصال: يا رسول الله قد حضرتني أبيات أحسبها توافق ما قلت يا رسول الله، فقال له النبي ( ﷺ ): هاتها. فقال:

تجنب خليطا من مقالك إنما
قرينُ الفتى في القبر ما كان يفعلُ
ولابد بعد الموت من أن تعدّه
ليوم يُنادى المرءُ فيه فيقبل
وإن كنت مشغولا بشيء فلا تكن
بغير الذي يرضى به الله تشغلُ
ولن يصحب الإنسان من قبل موته
ومن بعده إلا الذي كان يعملُ
ألا إنما الإنسان ضيفٌ لأهله
يقيم قليلا بينهم ثم يرحلُ

والمعاني في الأبيات السابقة إسلامية لاشك في ذلك، فهي في الأصل صياغة شعرية لأقوال النبي ( ﷺ )، لذلك تُعد أشعار الصلصال بن الدلهمس من أشعار الدعوة الإسلامية ولا يعرف له غير هذه الأبيات.

## في حب النبي ﷺ

**ويرسل الأستاذ/ إبراهيم عبدالوهاب شرف - مدير الإدارة القانونية - بجامعة المنصورة**

**يقول:**

«حبيبي يا رسول الله - لقد كان خلقك القرآن الكريم كنت قرآنا تمشي على الأرض، كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

صلاة وسلاما وبركة عليك يا خاتم الأنبياء وإمام المرسلين

أنت الذي نظم البرية دينه
ماذا يقول وينظم الشعراء
المصلحون أصابع جمعت يدا
هي أنت، بل أنت اليد البيضاء

وكأني بالأستاذ/ إبراهيم شرف ينادي بكل المسلمين أن اجعلوا احتفالكم بالرسول الكريم «بالصلاة عليه» حيث يقول:

سيدي يا رسول الله ولا يتم حبنا لك إلا بالصلاة عليك آناء الليل وأطراف النهار.







وروى مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» ومعنى حلّت أي وجبت.

## مولد الهادى

**يشارك الشاعر محمد حسن داود بقصيدة «مولد الهادى» من ديوانه «اغتراب النوارس» نقدم له منها هذه الأبيات:**

في كل عام استحث مواهبي ** ويفوتني نغم له أصداء

هذا المقام تهزني أضواؤه ** والعي في حرم الكبار ثناء

من أي بحر استقي أغرودتي ** وبرف من شذراتها لألاء

كانت حياة الناس ترزح في دجى ** والقهر بين صدورهم مذ جاءوا

عبدوا الحجارة حين عمّ ضلالهم ** والعقل قد لعبت به الصهباء

وإذا (بحيرا) لا يكذب ظنه ** في رصد نجم باليقين يضاء

منحٌ من الآيات تترى بالهدى ** والمعجزات هداية وجلاء

في يوم مولده الشريف يهزني ** شوقي وكم ملأ الفؤاد سناء

علّ الحبيب على هوان قصيدتي ** يهب الشفاعةَ والقبولُ رجاءُ

***



# من ذكريات العلماء في مولد خاتم الأنبياء

**أرسل الدكتور / صلاح محمود عبدالوهاب العادلي مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية - جامعة الأزهر هذه الكلمة التي نقدم منها قوله:**

كثيرة هي تلك الذكريات الخاصة بذكرى مولد أشرف مولود شُرِّفَ به الوجود، وهو سيدنا محمد ﷺ، وليس في مكنة هذه السطور الإلمام بها، ولا بأكثرها، وهاك بعضها:

رغب الشيخ محمد رشيد رضا أن يكون مولد كتابه «الوحي المحمدي»، في يوم مولد النبي ﷺ، بيد أنه وجد أمامه تاريخين:

أولهما: ما اشتهر بين المسلمين من أن تاريخ ميلاد النبي ﷺ هو الثاني عشر من ربيع الأول.

ثانيهما: ما حققه المغفور له محمود حمدي الفلكي «المتوفى في ١٩ يوليو ١٨٨٥م»، من أن مولده ﷺ يوم الاثنين التاسع من ربيع الأول، وذلك في كتابه «التقويم عند العرب قبل الإسلام» الذي كتبه بالفرنسية ونشرته الأكاديمية البلجيكية في بروكسل، وترجمه إلى العربية المرحوم احمد زكي باشا «المتوفى في ٥ يوليو ١٩٣٤م» بعنوان «نتائج الافهام في تقويم العرب قبل الإسلام» ط المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٠٥هـ.

فماذا يفعل الشيخ رشيد، وهو يريد أن يرى كتابه النور في يوم مولد النور الهادي ﷺ تحديدا؟، وأنى له ذلك؟

فما كان من الشيخ - رحمه الله - إلا أن كتب مقدمة الكتاب في ليلة التاسع، ونشر الكتاب في الثاني عشر، فقد قال في ختام مقدمة الطبعة الأولى للكتاب سالف الذكر:

«وحررت هذه المقدمة في ليلة ذكرى المولد المحمدي من شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٢هـ وهي على الأرجح عند المحدثين التاسعة من هذا الشهر، ونشر الكتاب في اليوم الثاني عشر منه، وهو يوم المولد النبوي المشهور.

وأذكر أيضا أنه في إعادة طبع الكتاب أرجيء الطبع شهورا حتى يهل هلال شهر مولد النبي ﷺ !!

مما يبين أن هذا في طبعه أصيلا.

***

## في ذكرى مولد النور

**أما القارىء: رفيع عبداللطيف النجار من دراجيل / الشهداء / منوفية:**

فيقول:

لكل أمة من الأمم أعياد ومواسم عزيزة عليها وللشعوب على اختلاف ألوانها ذكريات مجيدة تحتفل بها على مر الزمان ومن قديم الأبد وللأمة الإسلامية ذكرى مجيدة تعتبر هذه الذكرى من أجلّ الذكريات وأعظمها إنها ذكرى مولد سيدنا محمد ﷺ وإذا أردنا أن نتحدث عن مولده فعلينا أن نُرجع شريط الذكريات عندما دخل عبدالله ابن عبدالمطلب بزوجه آمنة بنت وهب في ليلة صفت سماؤها، وطاب هواؤها وبعد أيام من بنائه بها خرج عبدالله مع قافلة ذاهبة إلى الشام، وطال الفراق بين آمنة وبينه، وعادت القافلة ماعدا عبدالله.

لقد مات ودفن بالمدينة عند أخوال أبيه من بني النجار، وهكذا ولد الرسول ﷺ يتيما، فآواه الله من يُتم، وأغناه من فقر، وهداه إلى طريق الحق ومهما كانت الكلمات بليغة والعبارات فصيحة فلن تصل إلى درجة الكمال في الكلام عنه وما علينا في هذه الذكرى الجميلة إلاَّ أن نتذكر ما تحلى به من مكارم الأخلاق، وجميل الخصال وعظيم الفعال حتى يكون لنا فيه الأسوة الحسنة، والقدوة الطيبة.

قال تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

الأحزاب ٢١

## في الشرف وعلو الهمة

**ونختتم بهذه المساهمة من القارىء أحمد علي حسانين - القناطر الخيرية عمارة ٤٥ التقسيم الساحي يقول:**

«قيل لقيس بن عاصم: بم سدت قومك؟ قال: لم أخاصم أحدا إلا تركت للصلح موضعا..»

وقال سعيد بن العاص: ما شاتمت رجلا مذ كنت رجلا. لأني لم أخالط إلا أحد رجلين.. إما كريمًا فأنا أحق أن أجله. وإما لئيمًا فأنا أولى أن أرفع نفسي عنه.

وإلى اللقاء إن شاء الله..

**المحرر: نأمل أن يكون هذا اللقاء قريبا**

# أنباء مكتب شيخ الأزهر

## لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسي

### وزير الثقافة السوداني:

### مكانة شيخ الأزهر في السودان
### لا تدانيها مكانة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بمشيخة الأزهر الشريف، معالى الوزير / عبدالباسط عبدالماجد وزير الثقافة والسياحة بدولة السودان الشقيق يرافقه السيد المستشار / إبراهيم عبدالباسط، المستشار الثقافى لسفارة السودان بالقاهرة فى ٨ / ٥ / ٢٠٠١م.

رحب فضيلته بالضيفين الكريمين فى الأزهر الشريف، مشيدا بعمق الروابط التى تجمع بين شعبى مصر والسودان من أخوة صادقة ومحبة خالصة، وأكد أن بين الشعبين مصالح مشتركة وواجبنا أن نتكاتف ونتعاون لتدعيم الأخوة والمحبة الخالصة لوجه الله، لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾(١).

ومصر وأزهرها الشريف تقف بجانب الشعب السودانى الشقيق تؤازره وتمد له يد العون والمساعدة فى شتى المجالات العلمية والتعليمية والثقافية بل فى كل مناحى الحياة، كما أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى تلبية احتياجات السودان من العلماء والأئمة والمدرسين والوعاظ ويدرس بالأزهر مئات من الطلاب السودانيين على منح من الأزهر الشريف ويحصلون على أعلى الشهادات ويعودون إلى السودان الشقيق لينشروا العلم النافع بين أبناء بلدهم.

شكر الضيف فضيلة الإمام على حُسن الحفاوة واللقاء، وأعرب عن سعادته بهذه الزيارة وأنه لا يشعر بالغُربة فى مصر وأزهرها الشريف، وخاصة أنه تعلم فى الأزهر وتخرج فيه حاصلا على شهادة العالمية.

(١) المائدة (٢)




وأوضح أن شعب السودان يتابع أخبار مصر الشقيقة وأخبار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ويقرأون مؤلفاته ويستفيدون من محاضراته ودروسه التي يقدمها خدمة للمسلمين في شتى بقاع الدنيا، وأن مكانة مصر ورئيسها ومكانة شيخ الأزهر لدى المسلمين في السودان لا تدانيها مكانة.

وطمأن سيادته فضيلة الإمام الأكبر على الوضع في السودان الشقيق من خير ووفاق، وأن العلاقات مع مصر تتطور وتتقدم للأفضل، وطلب أن تدعم العلاقات السياسية المتطورة بالعلاقات الثقافية في مجال الدعوة والبحث.

وقدم الوزير الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر من مجلس الفقه الإسلامي بالسودان لزيارة السودان ومجمع مجلس الفقه الإسلامي على أن يحدد فضيلته الموعد الذي يناسبه، كما طلب التواصل بين مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ومجمع الفقه الإسلامي بالسودان، والتعاون المثمر بينهما. كما أوضح أن جامعة أم درمان الإسلامية تنتهج منهج الأزهر في التوسع والتطوير وأن هناك جامعة القرآن الكريم وتهتم بالدراسات القرآنية و الشرعية والدعوية والإعلامية، وطلب التعاون بينها وبين جامعة الأزهر في كافة المجالات الثقافية والعلمية والتعليمية، والمناهج والأساتذة والكتب و المنح الدراسية، وأضاف بأنه تم تكوين دار لرابطة خريجي الأزهر ومقرها الخرطوم، تضم حاليا أربعة آلاف خريج.

وطلب فضيلة الإمام الأكبر من السيد الوزير أن يرسلوا أبناء السودان لحضور الدورات التدريبية التي يعقدها الأزهر الشريف لأئمة ووعاظ العالم الإسلامي وتستمر الدورة ثلاثة أشهر على نفقة الأزهر الشريف وهذه الدورات تعود عليهم بالنفع والفائدة العظيمة حيث يتم تبادل الخبرات وتلقى العلوم الدينية والعربية المختلفة وفي نهاية الدورة يتم تسليم كل عالم مكتبة إسلامية قيّمة تعينه على أداء مهمته كداعية إسلامي.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

## المالديف تطلب إشراف الأزهر على مناهجها الدراسية

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد / إبراهيم مانيك وزير الإعلام والثقافة بجمهورية المالديف والسيد / محمد رشيد إبراهيم رئيس المحكمة العليا ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وهو خريج الأزهر الشريف، والسيد / أحمد فاروق نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بدولة المالديف.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف في الأزهر الشريف مشيرا إلى أن الأزهر في خدمة أبناء المسلمين في كل مكان من أرجاء المعمورة، وبخاصة أبناء جمهورية المالديف ويوجد طلاب من المالديف يدرسون في الأزهر الشريف في مراحل التعليم المختلفة وفي جامعة الأزهر الشريف، وأضاف فضيلته أنه تربطه بفخامة السيد الرئيس مأمون عبدالقيوم رئيس جمهورية المالديف علاقات وروابط طيبة وتعاون كامل في مجال التعليم، وسيادته تعلم وتخرج في جامعة



الأزهر الشريف، وندعو الله له بدوام السداد والتوفيق.

شكر السادة الضيوف فضيلته على حُسن اللقاء والحفاوة التي استقبلوا بها في مشيخة الأزهر الشريف ونقلوا تحيات السيد الرئيس مامون عبدالقيوم ودعوته لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة جمهورية المالديف.

وقد أشادوا بدور علماء الأزهر الموفدين للمالديف الذين يقومون بالتدريس في معهد الدراسات الإسلامية والمعهد الأزهري، وقد طالبوا بزيادة عدد المنح الدراسية لأبناء المالديف. وأشاروا إلى أن السيد الرئيس مامون عبدالقيوم نادى بتطوير معهد الدراسات الإسلامية تحت إشراف الأزهر وانشاء قسم الدراسات الإسلامية وقسم اللغة العربية وقسم أصول الدين لمواكبة العصر، طبقا للخطة الموضوعة.

رحب فضيلته بهذه الطلبات ووعد بدراستها تمهيدا لتلبيتها في القريب العاجل.



## إريتريا تطلب علماء من الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد / محمود عمر ثروم، سفير أريتريا بالقاهرة، حيث رحب فضيلته بالضيف موضحا له أن الأزهر الشريف يقوم على نشر العلم النافع لأبناء المسلمين وتوضيح المفاهيم الإسلامية الصحيحة بعيداً عن التطرف أو الانحياز لمذهب معين، والأزهر الشريف لا يدخر وسعا في تقديم العون والمساعدة لأبناء دولة أريتريا.

شكر الضيف فضيلته على حُسن الاستقبال والترحيب وعلى ما يقدمه الأزهر لأبناء الشعب الأريترى الذين يتعلمون ويدرسون بجانب إخوانهم المصريين في معاهد الأزهر وكليات جامعته على منح من الأزهر، كذا مواكبة التعليم في معاهد أريتريا بما يعادلها في الأزهر الشريف من تطور وتحديث. وطلب إمداد دولة أريتريا بعلماء الأزهر الشريف لتعليم أبناء أريتريا أمور الدين الإسلامي الحنيف الذي يتميز بالوسطية والاعتدال والبُعد عن المغالاة.

وقد وعد فضيلته بتلبية رغباته في القريب العاجل.



## مجمع أزهري تعليمي بدولة جيبوتي

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر سعادة السفير / محمود على يوسف سفير جمهورية جيبوتي بالقاهرة يرافقه السيد / إبراهيم عثمان صالح مستشار أول السفارة، رحب فضيلته بالضيف ومرافقه في الأزهر الشريف، مشيدا بعمق الروابط بين البلدين وبخاصة في مجال التعليم والثقافة الإسلامية، وقال: إن الأزهر الشريف دائما يمد يد العون والمساعدة لتعليم أبناء دولة جيبوتي بالأزهر حيث يدرسون على منح بأعداد كبيرة.

شكر الضيف ومرافقه فضيلة شيخ الأزهر وفضيلة وكيل الأزهر على حُسن الاستقبال والحفاوة البالغة وعلى ما يقدمه ويقوم به الأزهر نحو أبناء دولته لتلقي التعليم بالأزهر الشريف على منح وبأعداد وفيرة، بما للأزهر من باع طويل

وعريق في هذا المضمار ومن ينكر ذلك فإنما ينكر جهد الأزهر الشريف في خدمة المسلمين في كل مكان وقدم سيادته الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة جيبوتي ووضع حجر الأساس للمجمع الأزهرى الابتدائى والإعدادى والثانوى الضخم الذى يتم بناؤه على أرض دولة جيبوتي لنشر القرآن الكريم وتعلم العلوم الشرعية والعربية، وقد تبرعت الدولة بالأرض، واشتركت الهيئات بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة في تمويل بنائه ويكون أكبر مجمع أزهرى تعليمى يخدم أبناء دولة جيبوتي، حيث يتولى الأزهر الإشراف الفنى عليه، وفق المناهج التى يتم تدريسها فى معاهد الأزهر الشريف.

شكر فضيلة الإمام الأكبر الدعوة وأناب فضيلة الشيخ وكيل الأزهر الشريف لزيارة جيبوتي على رأس وفد لوضع حجر أساس المجمع الأزهرى فى منتصف شهر يونيه ٢٠٠١م إن شاء الله ـ تعالى ـ.

●●●

## تخفيض سن القبول بمعاهد الأزهر الابتدائية

● برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اجتمع السادة أصحاب الفضيلة رؤساء ومديرو عموم المناطق الأزهرية بأنحاء الجمهورية حيث تم مناقشة الأسس والإجراءات التى تتعلق بامتحانات النقل والشهادات بالمعاهد الأزهرية، على مستوى الجمهورية ووضع الإطار اللازم لتأمين اللجان ومراكز توزيع الأسئلة وتقدير الدرجات، كذا تحديد الدور الذى يضطلع به رؤساء المناطق وأجهزة الإشراف فى كل منطقة فى متابعة سير الامتحانات.

كما تم اتخاذ التدابير اللازمة لاستلام الكتب الدراسية للعام الدراسى ٢٠٠١ / ٢٠٠٢ وتذليل كل المعوقات التى تعترضها فى هذا الصدد.

كما وافق فضيلة الإمام الأكبر على صرف مبالغ مالية للمناطق، لإنشاء المكتبات، وتجهيز المعاهد بالإمكانات الضرورية للعملية التعليمية، وتم التنبيه على الإدارة الهندسية باتخاذ الاجراءات اللازمة على وجه السرعة فيما يخص ترميمات المعاهد الأزهرية.

كما تمت الموافقة على النزول بسن القبول بالمعاهد الأزهرية الابتدائية ثلاثة أشهر فيقبل الطالب بالصف الأول الابتدائى وسنه خمس سنوات وتسعة أشهر ويقبل بالحضانة وسنه ثلاث سنوات وتسعة أشهر بالتنسيق حسب الأماكن الحالية ويختص بذلك رئيس كل منطقة ازهرية، كما تمت الموافقة على أن يعلن عن خمسة آلاف درجة توزع على المناطق طبقا لاحتياجاتها من المدرسين والوعاظ والعمالة الفنية والخدمات المعاونة.

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، وفضيلة الشيخ عبدالكريم محمد عبدالرحمن، الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ورؤساء المناطق ونواب رئيس قطاع المعاهد الأزهرية.

## المجلس الأعلى للأزهر يقرر:

### إنشاء فرع لكلية البنات الإسلامية بأسيوط

● اجتمع المجلس الأعلى للأزهر الشريف برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر حيث وافق المجلس على قواعد وشروط قبول الطلاب المصريين والوافدين بمرحلة الإجازة العليا بكليات جامعة الأزهر -بنين وبنات- في العام الجامعي ٢٠٠١/٢٠٠٢.

ووافق المجلس كذلك على إنشاء فرع لكلية البنات الإسلامية بأسيوط، ويكون مقره مبنى دار الزهراء بمدينة قنا محافظة قنا. كما تقرر في الاجتماع كذلك جعل اللغة الفرنسية لغة ثانية بالمعاهد الأزهرية اعتبارا من الصف الأول الثانوي وإلغاء تدريسها بالمرحلتين الابتدائية والإعدادية.

حضر الاجتماع فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، وفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر، وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر والسادة أعضاء المجلس.

## الإمام الأكبر لأئمة ودعاة العالم الإسلامي:

### الداعي إلى الله قدوة طيبة قبل كل شيء

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة ٥٢ لأئمة ودعاة العالم الإسلامي الذين أتموا الدورة التدريبية بمدينة البعوث الإسلامية وعددهم ٢٧ إماما وواعظا من دول: بوروندي- غينيا كوناكري- الكاميرون- إفريقيا الوسطى- قيرقيزستان- سيرلانكا والجزائر، واستمرت الدراسة لمدة ثلاثة أشهر اعتبارا من ١/٢/٢٠٠١ وحتى ٣٠/٤/٢٠٠١ تلقوا خلالها التدريبات على الفتيا وتلقوا أيضا المحاضرات في العلوم والمعارف الإسلامية من أساتذة متخصصين من علماء الأزهر الشريف وعلى رأس المحاضرين فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي وفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر.

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف كلمة حث فيها الخريجين على الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والتوسط والاعتدال في الفتوى في أمور الدين، موضحا بأن الدين الإسلامي دين يُسر لا عُسر، ودين تبشير لا تنفير، ودين يدعو إلى الوسطية في كل شيء، يبغض العنف والتطرف، والظلم، واغتصاب حقوق الغير، دين يحث على إعطاء كل ذي حق حقه، ينصر المظلوم ويقف بجانبه، يساوي بين الناس في الحقوق والواجبات، كما وجههم فضيلته بأن يظهروا سماحة الإسلام، الذي يدعو إلى التعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان. كما حثهم على أن يتحلوا بمكارم الأخلاق، والترفع عن الخلافات المذهبية والتيارات الخارجية، كما وجههم بأن يكونوا عند عودتهم لبلادهم رسل سلام ويذكروا مصر وأزهرها الشريف وأساتذتهم وإخوانهم في مصر بالخير وأن يكونوا على تواصل دائم، وأن تكون دعوتهم دائما إلى الله لإخوانهم في بلادهم بالحكمة والموعظة الحسنة،

لأن الله عز وجل يقول:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾(٢).

والداعي إلى الله - عز وجل - قدوة طيبة قبل كل شيء، والله يقول:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(٣).

وأشار فضيلته إلى أن هذه الدورات أقيمت من أجل خدمة ديننا وأمتنا الإسلامية عن طريق تقديم العلم النافع ونشر المفاهيم الصحيحة عن ديننا الحنيف.

وأكد الأئمة العلماء في كلمتهم التي ألقاها نيابة عنهم الشيخ عبدالكريم محمد الصالح من الجزائر أن الدورات التي يقيمها الأزهر الشريف في مجال الدعوة الإسلامية هي فرصة عظيمة لتعلم بعض العلوم المعاصرة كالاقتصاد الإسلامي إلى جانب التعرف على كثير من القضايا الدينية على أيدي كبار العلماء وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، خاصة أن علماء الأزهر يعتبرون من أفضل علماء العصر الذين ينهل منهم طلاب العالم الإسلامي، وقال: إن وفود العالم الإسلامي من الدعاة والأئمة يعتبرون سفراء للإسلام وللأزهر الشريف في بقاع الأرض.

وقال الشيخ عبدالخالق نصير، الأمين العام للجنة العليا للدعوة: إن الاحتفال بتخريج أئمة ووعاظ العالم الإسلامي بمثابة ثمرة جهد الأزهر في نشر الدعوة الإسلامية والعقيدة الصحيحة، وهذا الجهد يسلح الدعاة بالعزيمة القوية والمعرفة الصحيحة للدين أمام التيارات المختلفة المعاصرة، وأن نشر الدعوة الإسلامية الصحيحة في العالم الإسلامي هو هدف من الأهداف السامية التي يقوم بها الأزهر الشريف من خلال تدريب دعاة العالم الإسلامي في رحاب الأزهر على فن الدعوة وثقافة الداعية بأسلوب يتناسب مع التقدم العلمي والحضاري في العالم على أيدي أساتذة وعلماء متخصصين ليصبح للإسلام سفراء في كل مكان.

ثم قام فضيلة الإمام الأكبر بتوزيع شهادات التخرج على الأئمة والوعاظ وأهدى كل عالم مكتبة إسلامية بها كتب قيمة لتكون مرجعاً له ويستعين بها في أداء مهمته العلمية.

كما قام فضيلته بافتتاح الدورة ٥٣ لأئمة ودعاة العالم الإسلامي وعددهم ٢٣ إماما وواعظا من دول: الصين- اليمن- سيراليون- بورما- الجزائر.. وتبدأ هذه الدورة من ١/٥/٢٠٠١ وتنتهي في ١/٨/٢٠٠١ وتتحمل موازنة الأزهر الشريف تذاكر السفر ذهابا وعودة لهؤلاء الدارسين بالإضافة إلى نفقات الإعاشة والإقامة في مدينة البعوث الإسلامية.

حضر الحفل فضيلة الشيخ سيد وفا أبو عجور، الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الشيخ عبدالفتاح جمعان، الأمين العام المساعد للدعوة والثقافة الإسلامية، وفضيلة الشيخ علي أبو الحسن، الأمين العام المساعد للدعوة والاعلام الديني.

---

(٢) النحل (١٢٥).

(٣) الأحزاب (٢١).

## الإمام الأكبر في الموسم الثقافي للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية:

### الداعية الإسلامي هدفه التيسير على الناس

● في ختام الموسم الثقافي للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية للعام ٢٠٠٠ / ٢٠٠١ ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف محاضرة موضوعها (الإمام الفخر الرازي وجهوده في خدمة الدعوة الإسلامية) بقاعة المحاضرات بمسجد النور بالعباسية، وقد ألقى فضيلته الضوء على جهود الإمام الفخر الرازي في خدمة الإسلام، ومفسرا، واهتمامه بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم وهو ما لم يتعرض له من سبقه من الأئمة أو من جاء بعده من التفاسير.

وطالب فضيلته الداعية بضرورة الاهتمام بقضايا العصر ومشكلاته واحتياجاته، والالتحام بالجماهير لمعرفة مشاكلهم والإسهام في حلها من خلال عمله كداعية إسلامي هدفه التيسير على الناس في حياتهم ومعيشتهم وذلك هو باب النجاح للداعية، كما طالب الدعاة ببذل الجهد في تحصيل العلم النافع ومعرفة كل جديد ليواكبوا العصر، وألا يتوقفوا لحظة عن المعرفة والبحث والتنقيب في كنوز المعارف، وعليهم أن يتأسوا بعلماء الإسلام الأوائل العظام والأفذاذ الذين أثروا الحضارة الإنسانية بفكرهم الثاقب وعطائهم العلمي والفكري المتميز، وهو واجب ديني وثقافي وقومي يفرضه الإسلام على علمائه ودعاته.

وقدم فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على هذه المحاضرة القيمة بهذا الأسلوب السهل الممتع وهذه المعلومات القيمة. وأشار إلى أن الدولة حريصة على العلماء والدعاة وتوفر لهم كل احتياجاتهم المادية والأدبية، وبالتالي فلا بد أن يقابل الدعاة ذلك بالجهد في العمل والتواجد بين الناس في أماكن تجمعهم. وقال: إن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية يستأنف نشاطه بمعسكر (أبو بكر الصديق لشباب العالم الإسلامي) بالاسكندرية في منتصف يونيو ٢٠٠١، وقال: إن القاهرة سوف تشهد مؤتمراً إسلامية عالميا وذلك لمناقشة سبل تطوير الأمة ويشارك فيه أكثر من ٣٠٠ وزير ومفتي وعالم من أكثر من ٨٥ دولة من العالم.

حضر الندوة علماء الأزهر الشريف والأوقاف وعلماء العالم الإسلامي الذين يتدربون في الأزهر الشريف وطلاب جامعة الأزهر وطلاب وطالبات البعوث الإسلامية.

### الإمام الأكبر في سلطنة عمان

● بدعوة كريمة من جلالة السلطان قابوس بن سعيد سلطان دولة عُمان الشقيقة، قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بزيارة لسلطنة عمان على رأس وفد رفيع المستوى ضم الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف، وفضيلة الأستاذ الدكتور نصر



فريد واصل مفتي الجمهورية، وغيرهم من رجال الفكر والصحافة والإعلام، وذلك لحضور حفل افتتاح جامع (السلطان قابوس الأكبر بمسقط).

وقد استقبل جلالة السلطان قابوس بن سعيد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والوفد المرافق لفضيلته بحفاوة بالغة وتقدير يليق بقدر الأزهر وتاريخه ورسالته، وكان هذ الوفد على رأس الوفود المشاركة في الافتتاح وأكد السلطان قابوس خلال الافتتاح أن للمسجد في الإسلام دورا عظيما حيث تربى فيه الرعيل الأول من الصحابة، فحملوا مشاعل الدين والهداية، واستمر دور المسجد كمصدر إشعاع علمي وفكري على امتداد الساحة الإسلامية وانطلاقا من هذا المفهوم جاء انشاء هذا المسجد المبارك ليكون مركزا للثقافة والفكر، وليسهم في إحياء التراث الإسلامي، ويبرز القيم الحضارية للأمة الإسلامية.

وتحدث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فقدم خالص تقديره لمواقف السلطان قابوس بن سعيد الشجاعة في مناصرة الحق والقضايا الإسلامية وعلى دوره في توطيد عُرى المحبة والأخوة بين الشعوب الإسلامية، وقال:

إن السلطان صاحب آراء متميزة وأفكار مستنيرة، وإن جهوده في خدمة القضية الفلسطينية وفي القلب منها قضية القدس الشريف تستحق التقدير وخاصة الدعم الكبير الذي يقدمه للأشقاء في فلسطين في انتفاضتهم الباسلة، ودفاعهم عن مقدسات الأمة الإسلامية.

وأثنى فضيلته على جهود السلطان في خدمة الإسلام والمسلمين عامة وعمارة بيوت الله خاصة، وهي جهود يلمسها الجميع.

وأشار فضيلته إلى أن التعاون بين الأزهر الشريف وسلطنة عمان يُعد نموذجا رائعا وخاصة في مجالات الوعظ والإرشاد والدعوة ونشر رسالة الإسلام، وهو تعاون تدعمه قيادة البلدين الشقيقين، وأن اهتمام السلطان بإنشاء هذا الجامع دليل على قوة الإيمان وسلامة العقيدة. وقال فضيلته: إننا سعداء بوجودنا على أرض عمان الطيبة لنشارك في افتتاح هذا الصرح الإسلامي العظيم، ودعا الله -عز وجل- أن يديم نعمة الصحة والعافية والأمن والأمان والسلام على شعبي البلدين الشقيقين ويثبتهما بنعمة الإخاء والمحبة والمودة والتعاون الصادق على البر والتقوى تحت قيادة رئيس مصر وسلطان عمان.

وأكد الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف أن السلطان قابوس زعامة إسلامية بارزة تستحق كل التقدير من الجميع وجهوده في خدمة الإسلام واضحة على الصعيدين الدولي والاقليمي ومواقفه مشهودة في إعلاء كلمة الحق والوقوف إلى جانب الشعوب الإسلامية وأعرب عن خالص تمنياته للشعب العماني، وقال: إن هناك تعاونا مستمرا بين وزارة الأوقاف المصرية وسلطنة عمان في مختلف الأمور التي تهم المسلمين وهو تعاون يدعمه السلطان قابوس بكل إخلاص.





وقال فضيلة الدكتور نصر فريد واصل، مفتي الجمهورية: إن جهود السلطان قابوس في إعلاء كلمة الإسلام ونشر الدعوة واضحة وملموسة ويعتز بها المسلمون في كل مكان، والتاريخ سيظل يسجل مواقف جلالته الراسخة بكل فخر واعتزاز، وخاصة مواقفه في مساندة ومساعدة الشعوب الإسلامية انطلاقاً من مبدأ الأخوة الإسلامية التي حث عليها الله - عز وجل - المسلمين، وقال: إن مصر قيادة وشعبا تعتز بدور السلطان الرائد في إيجاد مناخ التسامح والتصالح بين الشعوب العربية والإسلامية.

وشارك فضيلة الإمام ومرافقوه في ندوة في السفارة مع الجالية المصرية أجابوا فيها عن أسئلتهم واستفساراتهم.

## الإمام الأكبر في محافظة سوهاج

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على رأس وفد ضم عددا من السادة أصحاب الفضيلة علماء الأزهر بزيارة إلى محافظة سوهاج، حيث استقبله السيد المحافظ اللواء أحمد عبدالعزيز بكر وفضيلة الشيخ رئيس منطقة سوهاج الأزهرية وعلماء الأزهر والأوقاف والقيادات الشعبية والتنفيذية ورجال الدين للمشاركة في احتفالات المحافظة بعيدها القومي وافتتاح مشروعات الأزهر الجديدة بالمحافظة ومنها استراحة علماء الأزهر الشريف وافتتاح معهد حماد حسين مخلوف العمدة الديني الابتدائي الأزهري بقرية الكوامل القبلية، والمعهد الديني بقرية المزالوة، والمعهد الديني الإعدادي للفتيات بقرية إدفا، والمعهد الديني بمركز طما (مجمع فضيلة الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف) ووضع حجر أساس معهد ديني بمدينة طما وفي قرية الكشح تم افتتاح المعهد الديني الابتدائي الاعدادي، كما التقى فضيلته بالسادة المسئولين بمنطقة سوهاج الأزهرية حيث تم دراسة احتياجات المنطقة الأزهرية ومعاهدها المختلفة وخصص فضيلته بمبلغ مليون ونصف المليون جنيه وذلك لاستكمال متطلبات المنطقة من إعداد مقاعد للطلاب وبناء أسوار حول الأراضي الفضاء الخاصة بالأزهر وشراء أثاث للمنطقة والمعاهد الأزهرية وترميم بعض المعاهد إلى غير ذلك لاستقبال العام الدراسي الجديد.

***

# بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ/ محمود الفشني

**طالعتنا صحيفة الأهرام بمقال للدكتورة سعاد صالح أستاذ ورئيس قسم الفقه المقارن بجامعة الأزهر في موضوع طفا على سطح الأحداث بضعة أيام، وذهب أدراج الرياح، وكان للدكتورة الفاضلة هذا المقال الرائع الذي يقدر الأمومة حق قدرها، ويحفظ للإنسان كرامته، وليس كل شئ للإيجار أو للبيع، والمجلة تنشر المقال كاملا، تقديرا لهذا الرأي.**

## تكريم الإنسان وتأجير الأرحام

مسالة تأجير الأرحام والأم البديلة وهو مصطلح حديث وافد إلينا يخترق أخص خصائص الإنسان وهو تكريمه، بل أخص خصائص الأمومة وهي المهنة المميزة لدى المرأة التي احتفظت بها منذ بداية الخليقة حتى يأتي زمن العجائب العلمية فينتزعه منها من أجل مكاسب دنيوية وتقطع أهم صلة إنسانية أبدية لا يتصور انقطاعها وهي صلة الأم بوليدها وأحقيتها التامة لأمومتها له.

ولاشك أن هذه المسالة أثارت جدلا واسعا ورفضا عاما، لأنها تتعلق بكرامة الإنسان عامة وكرامة المرأة والمحافظة عليها بصفة خاصة بقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(١).

ويقول جل شانه:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾(٢).

وهذه المسالة ترتبط بمقصد مهم من مقاصد الشريعة الإسلامية وهو حفظ النسل، ولئن كانت الذرية رزقا وهبة من الله يهبها من يشاء ويمنعها عمن يشاء فكل شئ بإذنه ووفق مشيئته والحكمة

(١) الإسراء/ ٧٠.

(٢) لقمان/ ١٤.

هو يعلمها وإن كان الإسلام يكرم العلم وأهله ويحث على طلبه إلا أنه يضع له الضوابط الأخلاقية التي تحافظ على الأسرة الإنسانية في مجملها وعلى الفرد باعتباره خليفة الله على هذه الأرض. ولهذا فإننا نجد أن الإسلام كما أمرنا بالرضا بما قسم الله والامتثال لمشيئته فإنه قد أمرنا بالأخذ بالأسباب التي يسرها الله لنا لتحقيق مشيئته في الشفاء، فعلينا أن نأخذ بالأسباب ونشرع في العلاج، راضين بقضاء الله في الحالتين، فإن شاء وهبنا وإن شاء منعنا ولكن في حدود الضوابط التي رسمتها الشريعة لتحقيق هذا الهدف.

فالنسب في الإسلام ليس هبة تمنح، ولا رداء، يخلع ولا يخضع لإرادة الناس ولا إلى أهوائهم أو قوانينهم لهذا حرصت الشريعة الإسلامية كل الحرص على ثبوت النسب وصيانته من التدليس والتزييف والضياع وجعلته حقا خاصا للولد والوالدين قال تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» ولهذا نادى العلماء بضرورة وضع إطار من الضوابط والأخلاقيات في الإخصاب الطبي ولعل أهم فتوى حول هذا الموضوع هي التي صدرت في الدورة الثامنة للمجمع الفقهي بمكة المكرمة والتي جاء فيها:

● يجوز تلقيح الزوجة صناعيا داخليا بماء زوجها حتى يتم الحمل.

● التلقيح الذي يتم خارجيا في إناء ببذرتي الزوجة والزوج ثم يعاد إلى رحم الزوجة هو أسلوب مقبول مبدئيا في ذاته بالنظر الشرعي ولكنه غير سليم تماما من موجبات الشك فيما يستلزمه ويحيط به من ملابسات فلا ينبغي أن يلجأ إليه إلا في حالات الضرورة القصوى وبعد أن تتوافر الشروط التالية:

● أن يتم التلقيح من مني الزوج.

● أن يتم ذلك في حياة الزوج وليس بعد مماته.

● أن يكون الطبيب من المسلمين المؤتمنين.

● أن يتم ذلك بموافقة الزوجين.

أما بالنسبة للفتوى الخاصة بالأم البديلة «الرحم المستأجر» فقد صدرت في ندوة «الإنجاب في ضوء الإسلام» وفحواها «أن يكون حراما إذا كان في الأمر طرف ثالث سواء كان منيا أم بويضة أم جنينا أم رحما» وهذا معناه تحريم هذه الصورة تحريما قاطعا: لأنها تتضمن إدخال نطفة رجل في رحم امرأة لا تربطه بها علاقة زوجية شرعية وعلى هذا يمنع التبرع أو الاتجار بالبويضات أو الخلايا المنوية، فالمتطوعة بالحمل أجنبية عن الزوجين مصدر البذرتين فتدخل هذه الأساليب في معنى الزنا، دون أدنى شك حيث إنها تؤدي إلى اختلاط الأنساب قال تعالى:

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾(٤)

والأمشاج هي الأخلاط وهذا يدل على اشتراك صاحبة البويضة في تكوين الجنين ولكن مع ذلك

(٣) الفرقان/ ٥٤.

(٤) الإنسان/ ٢.



فاللقيحة لا تسمى جنينا فعلا إلا بعد تصويرها في مرحلة تالية في رحم الأم وقد دل على أن هذه اللقيحة ليست ولدا قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾(٥).

إذن اللقيحة المشتركة فيها صاحبة البويضة ليست ولدا ولم تكن هي التي حملته في رحمها في المراحل التالية والتي تنتقل فيها من حال إلى حال حتى يتخلق فيها إنسان سوى وما يستتبع ذلك من تغذيتها بدمها وتحمل لآلام الحمل وآلام الوضع وغير ذلك ـ مع هذا ـ فإنه لا يمكن القطع بأن هذه المرأة هي أمه وإن كانت شبهة الجزئية فيها قائمة أما صاحبة الرحم فإننا نراها هي التي حملت البويضة الملقحة في رحمها وتنقلت من طور إلى طور حتى خلق الله فيها إنسانا سويا ثم وضعته بعد تكوينه وتصويره وتحملت بسببه آلام الحمل والوضع وكانت غذاءه ومأواه في رحمها ومرضعته بعد انفصالها قال تعالى :

﴿ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ﴾(٦).

وقال تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾(٧).

فالقول بالتحريم أقرب إلى الاحتياط صونا للنسب وحماية للأعراض من العبث .

إن هذه الوسيلة فضلا عن كونها ذريعة إلى اختلاط الأنساب نتيجة الأزدواج في التكوين والنشأة والخلقة فإنها وسيلة أيضا إلى الشر والفساد وكل ما يؤدى إلى الضرر أو الحرام فهو حرام فعادة الشارع ألا يترك المفسدة حتى تقع ثم يعالجها بل يحتاط في سد المنافذ إليها . ولا يقال أن ذلك من باب الضرورات التي تبيح المحظورات لأن ضابط الضرورة خوف الهلاك أو الضرر الشديد على إحدى الضروريات للنفس أو للغير يقينا أو ظنا إن لم يوجد ما يدفع به الهلاك أو الضرر الشديد ومن ضوابطها أن تكون متفقة مع مقاصد الشارع وأن تكون مستندة إلى قواعد شرعية وألا يترتب على إزالتها إلحاق مثلها بالغير ( الضرر لا يزال بالضرر ) وأن تقدر بقدرها والأهم ألا يخالف المضطر مبادئ الإسلام في تحريمه للزنا وحرصه على ثبوت النسب وعدم اختلاط الأنساب والأصل في الإسلام : « دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح »

ولا يقال أيضا إن مسألة تأجير الأرحام جائزة شرعا مثل تأجير المرضعة للاختلاف بينهما في أمور عدة منها:

أن المنفعة في تأجير المرضعة منفعة مشروعة أجازتها النصوص من الكتاب والسنة في قوله تعالى :ـ

(٥) الحج/ ٥.

(٦) المجادلة/ ٢.

(٧) لقمان/ ١٤.



﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى ﴾(٨).

وقوله تعالى في بيان المحرمات

﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ ﴾(٩).

وقوله صلى الله عليه وسلم «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»، اما العقد على استئجار الرحم فهو عقد على منفعة غير مشروعة لأن الرحم جزء من آدمية حرة لا تصلح للمعقود عليه.

وإن الولد في عقد الرضاع وليد مكتمل ثبت نسبه من أبوية بينما هنا جنين غير مكتمل تتم مراحل اكتماله داخل الرحم المستأجر.

الرضيع يمكن ان يستغنى عن الغذاء باللبن الى غيره لحالات ذكرها الفقهاء كامتناعه عن التقام الثدى أو وجود مرض معد في المرضعة بينما في حالة الرحم المستأجر فالجنين لا يستطيع الاستغناء عن الغذاء من الأمشاج أو دم الأم.

من شروط صحة العقد الا يترتب عليه نزاع او خصام بين المتعاقدين وهذا العقد يقينا يؤدى إلى النزاع بين الأبوين وبين المستأجرة في أحقية كل منهما لامتلاك الجنين ونسبه إليهما.

هذا العقد - تاجير الرحم - يؤدى الى الفساد من وجوه:

١ - جعل المرأة ممتهنة ومبتذلة بعرضها رحمها للبيع او الهبة.

٢ - الاعتداء على امومتها واحقيتها في ضم الوليد بعد ان تغذى منها وحملته وهنا على وهن.

٣ - حينما تكون المستأجرة متزوجة وعندما يجامعها زوجها فيختلط ماؤه مع ماء غيره وذلك محرم قطعا لقوله صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه ولد غيره»

٤ - قد تكون المستاجرة - بل يجب ان تكون - في حالة تبويض كما جزم الأطباء بذلك فماذا لو تم تلقيح بويضتها مع نطفة زوجها أثناء حملها ببويضة المخصبة؟! وهل تمنع من معاشرة زوجها الأصلي حتى تضع حملها المستأجر؟!

٥ - هل الطفل بعد ولادته سيكتب باسم أمه صاحبة البويضة الملقحة ام باسم صاحبة الرحم التي حملته حتى ولادته؟

٦ - ماذا لو كانت الأم البديلة أما أو أختا لصاحبة البويضة الملقحة؟

٧ - ماذا لو تمسكت صاحبة الرحم بالرضيع باعتباره ابنها أو لو رفضت صاحبة الرحم استلامه إذا ولد مشوها؟

٨ - ماذا لو قامت صاحبة الرحم بتأجير رحمها لأكثر من أسرة ثم حدث مستقبلا تزاوج بين أبناء هذه الأسر؟

٩ - وأخيرا ماذا لو كانت الأم البديلة غير متزوجة ثم ظهر عليها الحمل اليس في ذلك تعريض لها للقذف وإشاعة الفاحشة في المجتمع

(٨) الطلاق/ ٦.

(٩) النساء/ ٢٣.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١٠)

ومن ثم فإننا يجب أن نحافظ على شريعتنا وثوابتها ومصالحها وقواعدها حتى يعم الأمن والأمان بين أفرادها.



**وفى جريدة الأخبار الصادرة بتاريخ ٢٠٠١/٥/٦م كان هذا المقال للدكتور محمد الفار، أستاذ الكيمياء الحيوية بجامعة المنصورة**

## تأجير الأرحام بين العلم والقرآن

نشهد بهذه الأيام – للأسف الشديد – جدلاً واسعاً حامى الوطيس حول قضية «تأجير الأرحام» أو «الأم البديلة» ويعزى ذلك لكونها قضية متعددة الأبعاد ولابد أن ننظر إليها بمنظور طبى وعلمى ودينى وأخلاقى وقبل كل ذلك بمنظور إنسانى وليس حيوانياً.

وبداية فأسلوب «الرحم المستأجرة» فى الإنجاب يتم بأخذ البويضة من الزوجة ليجرى إخصابها – خارجياً – بالحيوان المنوى من زوجها. وكنتيجة لأسباب متعددة تجعل صاحبة البويضة غير قادرة على الحمل فى رحمها فلقد ابتدع علماء الغرب فكرة إدخال هذه البويضة الملقحة لرحم امرأة أخرى بدلاً من رحم صاحبة البويضة وبهذا الأسلوب تحمل الأم البديلة هذا الجنين وحتى الولادة وبهذه الطريقة فإن المولود الجديد يولد معه جدل لا يموت إلا بموت صاحبيه لأنه سيظل دائماً فى حيرة من أمره ولا يعرف من هى حقاً أمه، ولهذا ظهر اصطلاح «الأمومة المشتتة» وبهذا يصبح العذاب النفسى هو توءم المولود بهذا الأسلوب.

وبادئ ذى بدء فإن الرحم ليس مجرد وعاء أو حضانة وكما يدعى البعض بل هو القرار المكين بالأم لحمل الجنين فيه

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾(١١).

وهناك آيات وأحاديث تؤكد بصورة جلية الصلة الربانية النورانية بين الله - تعالى - والأرحام وأكبر دليل على ذلك أن الله جعل الرحم يشهد أهم أطوار خلق الإنسان وتصويره وكذا نفخ الروح بالجنين فيه

﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ ﴾(١٢)

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ ﴾(١٣).

وللدلالة على تشريف الله للرحم فلقد اشتق المولى اسمها من اسمه لقوله فى حديثه القدسى «أنا الرحمن وهذا الرحم شققت لها اسماً من

---

(١٠) النور/ ١٩.

(١١) المؤمنون/ ١٣.

(١٢) الزمر/ ٦.

(١٣) آل عمران/ ٦.

اسمى ... » . بل جعل الرحم معلقة بالعرش لقول رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فى حديثه الشريف « الرحم معلقة بالعرش » ولهذا وضع المولى - تعالى - اكبر سر من أسرار أطوار الخلق به وأحاطه بصفات معجزة فى كيفية أداء عمله ولذا فالرحم - فى أوقات الحمل وشهوره - يتضاعف حجمه ليصل آلاف المرات ويتضاعف وزنه أيضاً لمئات المرات وذلك لكى يحتضن الجنين على الرحب والسعة به.

ويطرح البعض سؤالاً محيراً وهو: هل يمكن اعتبار البويضة الملقحة كائنا بشريا متكاملا؟!

والجواب تجده فى آيات القرآن الكريم عن مراحل خلق الإنسان وسبحان الله فهى تتلاقى مع ثوابت العلم الحديث وتقنياته المبتكرة فى رصد وتصوير مراحل خلق الجنين بالأرحام.

ويشير المولى بجلاء إلى ان طور الخلق بعد آدم هو طور النطفة

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾(١٤)

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه فى قرار مكين » .

أما النطفة الأمشاج « بمعنى المختلطة » فهى التى يختلط فيها نطفة الذكر « الحيوان المنوى » بنطفة الأنثى « البويضة » من أجل انتاج البويضة الملقحة وسبحان الله الذى قال:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾(١٥)

ومن أصدق الله قيلا؟!

وبعد هذا الاختلاط فإن هذه البويضة الملقحة تبدأ فى الانقسام الخلوى المتتالى وفى خلال أيام يصبح شكلها مثل الكرة وتشبه مجازا ثمرة التوت وتنتقل بعد ذلك لآخر مرحلة فى طور النطفة وتعرف باسم الكرة الجرثومية و« جرثومة الشئ أصله » وتسمى البلاستولا أو الخلية الأورمية أيضاً.

وتبدأ بعد ذلك الخلية الأورمية بدفن نفسها فى تلافيف جدار الرحم وتتعلق به لتبدأ بذلك طور العلقة، وسبحانه أشار لأطوار الخلق الأساسية

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ﴾(١٦)

والحقائق العلمية الموثقة بالصور ثلاثية الأبعاد لمراحل المضغة قد نشرت حديثاً بمجلة العلوم الأمريكية وتشير إلى ان طور المضغة يبدو عليه نتوءات تجعله يظهر بالصور ككتلة بدنية وكأنما مضغتها الأسنان « وكما وصفها القرآن » بل وجد انه لا يوجد فى بدايتها أى ملامح انسانية لأى عضو جسدى ولكن بمرور الأيام يتطور شكل المضغة فيظهر عليها براعم الأيدى والأرجل والرأس والصدر والبطن وتتكون معظم الأعضاء الداخلية وتختفظ - بالرغم من كل ذلك - بالشكل

---

(١٤) المؤمنون/ ١٢ - ١٣.

(١٥) الإنسان/ ٢.

(١٦) الحج/ ٥.

الخارجي ككتلة بدنية تشبه قطعة اللحم الممضوغة.

وسبحان الخالق الذى وصفها بأنها مخلقة وغير مخلقة وهذا من أسرار الإعجاز بالوصف القرآني والذى يتطابق تماما مع الصور التى نراها لأطوار الجنين.

ثم يشهد طور المضغة التخليق ويبدأ بعد ذلك طور تخليق العظام ويتبعه كساء العظام باللحم وتلك هى الأطوار الأساسية وكما صورتها الآيات ١٢-١٤ من سورة المؤمنون وسبحان الخالق.

والعلماء أشاروا إلى أن الأسابيع الثمانية الأولى من عمر الجنين بالرحم يتكون خلالها معظم الأجهزة وتتشكل بها الملامح الأساسية لشكل الكائن البشرى. وبهذا فالبويضة الملقحة لا تعتبر كائناً بشريا متكاملا.

والسؤال التالى هو: هل الرحم البديل يؤثر فى صفات الجنين أو الموروثات «الجينات» التى يحملها؟

وحتى نستخلص الإجابة فعلينا أن نعلم أن هناك تفاعلاً حيوياً وكيميائيا وبيولوجيا بديعا بين الجنين والأم الحاملة له وثبت أن هناك كثيرا من الخفايا عن موروثات الجنين بالأرحام وأن صورة عمل تلك الجينات كاملة مازالت فى طى الكتمان ولا يعلمها إلا الله كلها.

ويقول العلماء بأن دم الأم - الموصول بالجنين - يحمل كل مكوناته الوراثية، وإذا كانت الأم حاملة لموروث «جين» أحد الأمراض الوراثية فإن ذلك يؤثر على الجنين بل وقد يستمر تأثيره لبعد ولادته.

وللعلم فلقد نشر كتاب لعالم أمريكى شهير منذ عام بعنوان «الحياة فى الرحم» وأشار فيه بجلاء، إلى أن حالة الإنسان الصحية طوال حياته تتحدد بالفعل أثناء التسعة أشهر برحم الأم، وبذلك فإن صفات الجنين قد تتأثر بالبيئة المحيطة به بالرحم وهذا للعلم لا يلغى نظرية الوراثة وكما أشار هو.

والسؤال التالى هو: ما هو موقف الأطباء ونقابة الأطباء من موضوع تأجير الأرحام أو الأم البديلة؟

والجواب - والحمد لله - منشور بمجلة «المصور» حيث أشار أ.د. محمد فياض رئيس الجمعية المصرية للخصوبة والعقم ورئيس الجمعية الأفريقية لصحة الأم والطفل بأنهم ضد هذه الفكرة فى نقابة الأطباء وبأن نقيب الأطباء وزملاءه وضعوا ضوابط قانونية وأخلاقية لمنع إجراء هذه العملية فى عشرات المراكز بمصر، ونحمد الله أن أطباء مصر أتقياء يراعون الله.

والسؤال الأخير هو: ما هو موقف مجمع الفقه الإسلامى السعودى ومجمع البحوث الإسلامية المصرى؟

أشار مجمع الفقه الإسلامى بمكة - منذ عامين تقريباً - بتحريم كل الحالات التى يقحم فيها طرف ثالث على العلاقات الزوجية سواء أكان رحما أم بويضة أم حيوانا منويا أم خلية جسدية للاستنساخ.

أما مجمع البحوث الإسلامية المصرى فلقد قرر تحريم تأجير الأرحام أو الأم البديلة.

وبهذا يجب أن يسدل الستار الآن حول هذه القضية فهناك أمور علمية فى علم الغيب للآن ولذا من الأفضل تطبيق المبدأ والمنهج الإسلامى بأن دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح.

وختاما أقول: أن الغاية لا يجب أن تبرر أبداً الوسيلة وفوق كل ذى علم عليم..



# الفهـــرس


- في ذكرى المولد النبوي (الافتتاحية)
  للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ـــــ ٣٧٠
- مع سورة الفتح في ذكرى مولد رسول الله ﷺ
  لفضيلة الإمام الأكبر/ محمد سيد طنطاوي ـــــ ٣٧٨
- ذكريات وتأملات في يوم مولده ﷺ
  لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدي ـــــ ٣٨٨
- أنشودة في محراب نور البشرية
  شعر/ محمد فهمي سند ـــــ ٣٩٤
- وثيقة دستور دولة النبي في المدينة
  للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ـــــ ٣٩٧
- محمد ﷺ في كتابات المستشرقين
  للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعني ـــــ ٤٠٤
- في ذكرى ميلاد سيد البشر
  لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ـــــ ٤١٣
- يا خير من يشفي الضنا مس كفه
  لفضيلة الشيخ/ محمد الطاهر الحامدي ـــــ ٤١٧
- قصة العدد: بشائر النبوة ـــــ ٤٢٠
- من روائع الماضي في مجلة الأزهر
  إعداد الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ـــــ ٤٢٥
- إنها النبوة
  للأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجي ـــــ ٤٣٤
- في ذكرى المولد النبوي
  للأستاذ/ أحمد محرم ـــــ ٤٣٨
- سيرة النبي محمد
  عرض الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ـــــ ٤٤٢
- درس في الإنصاف
  للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة ـــــ ٤٥٠
- أشواق حجازية الإيقاع
  شعر للدكتور/ صابر عبدالدايم ـــــ ٤٥٨
- مشكلات أعجزت العلم وحلها الإيمان
  للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ـــــ ٤٦٠
- ما يقال عن الإسلام
  للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ـــــ ٤٦٣
- الإسلام وإشكالية الفكر الحضاري
  للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي ـــــ ٤٦٨
- محمد رسول الله ﷺ
  شعر للأستاذ الدكتور/ محمد بدر معبدي ـــــ ٤٧٤
- التراث العلمي الإسلامي
  للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ـــــ ٤٧٦
- إسرائيل من الداخل ـــــ ٤٨١
- عرب فلسطين
  للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ـــــ ٤٨٢
- إسرائيل والبحث عن الهوية
  للأستاذ/ صلاح الدين عبدالرحيم محمد ـــــ ٤٩٠
- القعقاع بن عمرو التميمي
  للأستاذ/ أحمد السيد تقي الدين ـــــ ٤٩٧
- الرافعي ومواقفه من قضايا الشعر
  للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ـــــ ٥٠١
- السيد حسن القاياتي
  للأستاذ محمد مصطفى البسيوني ـــــ ٥٠٥
- هل تغرق السفينة؟! لطفك اللهم
  للأستاذ / مجدي عبدالحميد بشير ـــــ ٥١١
- طرائف.. ومواقف
  إعداد الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ـــــ ٥١٦
- منبر الجمعة: مولد خير الأنام
  لفضيلة الشيخ/ علي حامد عبدالرحيم ـــــ ٥١٨
- استفتاءات القراء
  إعداد وتقديم/ عبدالفتاح حسين الزيات ـــــ ٥٢٢
- فقه العبادات في ضوء غاياته
  بقلم/ أبو محمد الأقصري ـــــ ٥٢٨
- أسس العلاقات الاجتماعية في الإسلام
  للأستاذ الدكتور عبدالحليم حفني ـــــ ٥٣٣
- بين المجلة والقارئ
  إعداد وتقديم الأستاذ/ عادل خفاجة ـــــ ٥٣٩
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
  لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسي ـــــ ٥٤٤
- بين الصحف والمجلات
  إعداد الأستاذ/ محمود الفشني ـــــ ٥٥٣






# الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

• • •

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩


بسم الله الرحمن الرحيم

## داخل العدد


- تفسير سورة البقرة
  لفضيلة الإمام الأكبر
- الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان
  للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
- الدعوة كما ينبغي أن نبلغها
  لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي
- محمد ﷺ في كتابات المستشرقين
  للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني
- العربي بين الأصالة المعاصرة
  للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي



## الاشتراك السنوى

- داخل مصر ــــ ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ــــ ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ــــ ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ــــ ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠






افتتاحية العدد

# العدل ظاهرة كونية قبل أن يكون فضيلة خلقية

﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ
رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ
بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾(١).

## ظاهرة كونية

العدل سنة من سنن العالم الطبيعي به سارت الكواكب في مجاريها وعلى نظامه توقف مجرى الليل والنهار، فالشمس تجرى لمستقر لها لا تتزحزح عنه، والقمر له منازل معلومة مرصودة، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان.

لقد اكتشف الفلكيون بعد أن رصدوا الكواكب السيارة أن أبعادها بالنسبة إلى الشمس تسير على نظام عادل لا يختلف [٣- ٦ - ١٢- ٢٤- ٤٨] وبالعدل الدقيق قامت حركة الكون في اطرادها المديد، كما أن الخلل الشاذ في بعض مظاهر الكون لا يكون إلا عقابا على ترك العدل، لأن الظلم يمحق الحياة الإنسانية كما تمحق الزلازل والبراكين هدوء العالم الأرضي في وقت من الأوقات، وإذا كان الزلزال يرسل الحمم ويبعث الصواعق، فالظلم الحائد عن طريق العدل هو مدعاة هذه الأهاويل، لذلك كان الخسف والرجف والزلزال بعض العقاب الذي سلطه الله على الطغاة من الظالمين.

(١) سورة الرحمن الآيات من ٥ إلى ٨

## الظلم يدمر الكون

وقصص الجبابرة من الطغاة في كتاب الله تنتهي دائما برجفة كونية تكون نتيجة لانهيار العدل في مجتمع هؤلاء البغاة، وقد عرضت سورة هود قصص البغاة ممن مردوا على الحق، وكانت كل قصة تنتهي بالخسف والمحق والغرق، فقد فار التنور وماج الماء مدرارا من السماء وفوارا من الأرض في قصة نوح، وأخذت عاد وثمود بالرجفة والصيحة، وأرسلت على قوم لوط حجارة من سجيل منضود، وأخذت الذين ظلموا من قوم شعيب الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين، ثم قال الله ـ عز وجل ـ عقب هذه الأحداث:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾(٢).

وفي مثل هذا المعنى يقول الله ـ عز وجل ـ:

﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾(٣).

فكأن العوامل الطبيعية التي تنزل الكوارث بالناس هي في كثير من أحوالها نتيجة منطقية للظلم القائم، وسبب من أسباب تغيب العدالة بين الناس، لذلك وضع الله الميزان بالقسط حين خلق السماوات والأرض وجعل العدل مناط الاستقرار، وقد شاع لدينا المثل القائل: «بالعدل قامت السماوات والأرض».

## العدل اتجاه فطري

وكما أن العدل ظاهرة كونية فهو أيضا اتجاه فطري في النفس إذا سلمت من غواشي البيئة الفاسدة، وبرئت من سيطرة الغريزة الهابطة، فحين ترتكس النفوس في حمأة الضلال لا تطمئن اطمئنانا كافيا لشذوذها المنحرف بل تضيق به وتحس كأنها بمنأى شاسع عن الطريق الصحيح إحساسا يورثها لذع الألم، وبَرْحَ الندم، مهما تظاهر المذنب بالتماسك والاتئام، إذ

---

(٢) سورة هود الآيات من ١٠٠ إلى ١٠٣.

(٣) سورة الحج الآية ٤٥.

يشعر شعورا داخليا أنه يأتى مما لا يناسب إنسانيته من الآثام، ويتمنى لو أمكنه سريعا أن يسدل ستارا على مخازيه بأن تهيىء له الظروف ما ينجيه من انحداره نجاء خالصا لا رجعة فيه لأن صوت الفطرة فى أعماقه يؤرقه، وقد يموت الضمير نهائيا عند قلة قليلة، وهؤلاء شواذ لا تستقيم بهم قاعدة عامة، ومن دلالة هذا الاتجاه الفطرى فى النفس أن صاحب الخلق المحمود إذا عدل فى أهله ورعيته يشعر بالارتياح المغتبط فى كل موقف من مواقف عدالته، حتى ولو عادت عليه هذه العدالة المتحرزة ببعض الأضرار المادية أو المعنوية، لأنه يعرف أن الجزاء من جنس العمل وأن الضرر الذى لحقه بإجراء العدالة ضرر ظاهرى يخفى نفعا كثيرا له قبل أن يلحق النفع سواه، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره خضوعا للقانون الإلهى فى الحياة وهو العدل، وحين قال الله ـ عز وجل ـ:

﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾[4].

وقد مهد جل جلاله لذلك كله بقوله: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾[5]، ومن علّمه البيان لا يستطيع أن ينكر أن كل شيء يقوم فى الحياة بميزان أى ميزان، فالبيان هو ثمرة الحكمة العاقلة ذات الوعى البصير.

## عدالتان: خارجية وداخلية

وعلماء الأخلاق حين يتحدثون عن العدالة يجعلونها عدالتين: عدالة داخلية، وعدالة خارجية.

فالعدالة الداخلية هى مراعاة الالتزام الدقيق بقواعد النظام العادل فى السلوك الإنسانى بحيث لا تقوى ناحية ما فتسيطر على غيرها سيطرة تفقد المرء توازنه النفسى، أو تعظم غريزة هابطة فيسوء أثرها حين تسيطر على عاطفة شريفة فتمحقها، وتفصيل ذلك أن الإنسان يخضع لقوى عقلية وقوى شهوية، والقوة العقلية هى التى تحتل مكان القيادة فتوجه صاحبها إلى الطريق الصحيح، وتكبح جماح القوة الشهوية حين تميل إلى تجاوز ما أحل الله من متاع، أو سلب ما يحوزه الغير من مال، وبمراعاة العدالة بين القوتين يحدث الانسجام النفسى لدى الإنسان، إذ يكون موفقا فى حياته فلا تعصف به نزوة هائجة إلى عمل عدوانى، أو انحطاط بهيمى، لأن العدالة الإلهية قد منحت الإنسان إدراكه البصير ليسير فى المحيط الزاخر آمنا مهاب العواصف الهوج، والزعازع الهائجة، فيصل إلى الشاطىء

---

(٤) سورة الرحمن الآيات من ٥ إلى ٧.

(٥) سورة الرحمن الآيتان ٣، ٤.



بسلام وما يقوله الأخلاقيون قديما عن القوى العقلية والقوى الشهوية يقوله علماء النفس حديثا عن الإدراك والوجدان والنزوع، والمآل واحد، وإن اختلف الاصطلاح.

هذه هي العدالة الداخلية، وكثيرا ما يغفلها المتحدثون عن العدالة مع أنها أصل من أصول الاستقرار الإنساني، وبتحقيقها يعيش المرء سعيدا هانئا ولاشك أنها تتطلب جهادا شاقا، وكفاحا مريرا، لأن للغرائز سيطرتها الغاشمة إذا اتسع أمامها ميدان دون كبح، فلابد أن يعالج الإنسان توازنه النفسي ليوصد منافذ الشر فلا يندلع شرورها على حياته، وللتربية الخلقية أثرها في السيطرة على النوازع الهابطة، وهي تربية لابد أن تلزم الناشيء من مفتتح حياته ليسمو بنفسه مبدئيا، فيظل بعيدا عن جواذب الشرور، ودواقع الانحطاط.

## العدالـــة الخارجيـــة

أما العدالة الخارجية فهي التي تتجاوز التنظيم الداخلي للنفس إلى الاتصال الاجتماعي بين الناس، ولاشك أن كل إنسان حريص على ألا يضيع حقه فهو يتطلع إلى استيفاء ثمرات جهوده، تطلعا قد يدفعه إلى الطمع في ثمرات غيره.

إذا فقد عنصر الحق في نفسه، إذ من الحق كل الحق ألا يجور إنسان على إنسان، حتى ولو كان في نهاية الحد الأقصى من عدالة المتربصين، فقد قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٦).

والنصوص القرآنية في هذا المجال كثيرة يعرفها الدارسون، وعلينا أن نتفهم نفوسنا حين نصدر الحكم في تحديد العلائق بيننا وبين الناس، لأن الشيطان يعجز عن أن يدفع المسلم المتحرز دفعا صريحا للظلم، فيأتي إليه من باب التدليس، ليزين له الشر حين يرسمه في صورة الخير، فيجعل من ميوله الذاتية في حب الاستئثار بالنفع ما يريه الباطل المحض في صورة الحق الصريح إذا لم يعتصم بالحجة الواضحة دافعا تطلعات الهوى المغرض، ومن هنا قال الله ـ عز وجل ـ مخاطبا نبيه داود ـ عليه السلام ـ:

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾(٧).

---

(٦) سورة المائدة آية ٨.

(٧) سورة ص آية ٢٦.





وداود نبي ذو خلق وعقل وإيمان، وقد حذره الله مع مواهبه التالية من الهوى. فتحذير غير الأنبياء أوجب وألزم وإذا كنا نستعرض نوازع الشر في النفوس، فلا نظلم الحق حين نقول: إن في بعض النفوس كرائم نفيسة يدفعها التسامح الحميد إلى التنازل عن بعض الحقوق العادلة حبا في الرحمة المطلقة، فهي ترضى بالعدالة عن التخاصم، فإذا تحقق لها ما تريد تنازلت عن حقها الصريح استجابة لقول الله:

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾(٨)

ولن يرتفع الإنسان إلى الرحمة الغافرة إلا إذا تأصلت أخلاق القرآن الكريم في نفسه بحيث أصبح لا يستطيع عن المثل الأعلى صبرا واحتمالا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم.

## العدل في العدل

يقول الأستاذ إبراهيم الجبالي ـ رحمه الله ـ: «إذا نظرت إلى المعاملات وجدت قانون العدل محكما، وطريق الإنصاف محتما لأن الإسلام قد عدل في العدل، نعم لقد عدل حتى في العدل، لأنه لم يحتم على صاحب الحق أن يأخذ بالعدل، كما لم يحرمه حقه من العدل، وإنما قال له: لك الحق في أن تستوفي حقك بالعدل، ولكني مع ذلك أرغبك في الإحسان فما أشبه الإتيان بالإحسان بعد العدل أن يكون اعتدالا في تقرير العدل».

وكان الأستاذ الجبالي ينظر إلى قول الله ـ عز وجل ـ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾(٩)

فيجد العدل هو الميزان الطبيعي للمصالح العامة ويرى الإحسان في العدل منزلة مستثناة للخاصة، وهي التي تجاوز العدل إلى العفو وهو الإحسان وإذا كان من علماء الأخلاق في الغرب من جعل الإحسان في العدل دون تجاوز، فإن هذا الأخلاقي الكبير لم يحط خبرا بكل النفوس، إذ أن من البشر من تسمو نفسه إلى التسامح متنازلا عن حقه العادل، وقد رأينا من كرام الناس من يبكي لمآسي أعدائه ويود لو هادتهم الأوصاب ومن يتنازل مشكورا عن حقه العادل في ساحة القضاء رغبة في ثواب الله يوم الجزاء، وتجاوز العدل إلى الرحمة سمو نفسي دعا إليه الإسلام مخيرا بين الحسن والأحسن، والفاضل والأفضل، وتلك عليا مراتب الفضلاء.

دكتور/ محمد رجب البيومي

(٨) سورة الشورى الآية ٤٣.

(٩) سورة النحل الآية ٩٠.

# تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله - تعالى - :

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

الآية : ٢٢١

قوله - تعالى - :

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾

النكاح فى اللغة الضم وتداخل أجزاء الشىء بعضها فى بعض، ثم أطلق على العقد الذى به تكون العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة مشروعة.

والمشرك في لسان الشرع: من يدين بتعدد الآلهة مع الله ـ تعالى ـ وأصله من الإشراك بمعنى أن تجعل الشيء بينك وبين غيرك شركة، فمن يعبد مع الله ـ تعالى ـ إلها آخر يعد مشركا، وهو في الآخرة من الخاسرين.

ويرى كثير من العلماء أن إطلاق كلمة: مشرك، ومشركين، ومشركات في القرآن الكريم تعني عبدة الأوثان، وأنها صارت في استعمال القرآن حقيقة عرفية فيهم ولم يطلقها القرآن على اليهود والنصارى وإنما عبر عنهم بهذا الاسم أو بأهل الكتاب، أو بوصف الكفر دون الشرك كما في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[1]

وعليه فالمراد بالمشركات والمشركين في الآية عبدة الأوثان.

وذهب بعضهم إلى أن لفظ المشركات يشمل بمقتضى عمومه المرأة الوثنية، واليهودية والنصرانية.

وقد ترتب على هذا الخلاف في إطلاق كلمة مشرك، أن أصحاب الرأي الأول قالوا: إن النهي في الآية إنما هو عن زواج المشركات اللاتي يعبدن الأوثان ولا كتاب لهن، وأنه يجوز ـ مع الكراهة ـ أن يتزوج المسلم الكتابية، لأن القرآن يقول:

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾[2].

ولأنه قد جاءت الروايات بأن بعض الصحابة قد تزوج بكتابيات فعثمان بن عفان تزوج نصرانية ثم أسلمت، وطلحة بن عبيد الله وحذيفة بن اليمان تزوجا يهوديتين.

أما من قال بالرأي الثاني فيرى حرمة الزواج بالوثنية واليهودية والنصرانية لأن لفظ المشركات يشملهن جميعا، وأصحاب هذا الرأي ـ كما يقول الألوسي ـ يجعلون آية المائدة وهي قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾[2]..

منسوخة بالآية التي معنا نسخ الخاص بالعام.. وإلى هذا الرأي ذهب الإمامية وبعض الزيدية[3].

وروى عن عمر وعبدالله ابنه ـ رضي الله عنهما ـ أنهما حرما ذلك وفي رواية أنهما كرهاه وهي الأصح.

**قال القرطبي**: وروى عن عمر أنه فرق بين طلحة بن عبيدالله وحذيفة بن اليمان وبين كتابيتين وقالا: نطلق يا أمير المؤمنين ولا تغضب، فقال: لو جاز طلاقكما لجاز نكاحكما ولكن أفرق بينكما صغرة قماء، قال ابن عطية وهذا لا يستند جيدا، وأسند منه أن عمر أراد التفريق بينهما فقال له حذيفة: أتزعم أنها حرام فأخلي سبيلها يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا أزعم أنها حرام ولكن أخاف أن تعاطوا المومسات منهن.

ثم قال القرطبي: وكان ابن عمر إذا سئل عن نكاح الرجل النصرانية أو اليهودية، قال حرم الله المشركات على المؤمنين ولا أعرف شيئا من

(١) سورة المائدة الآية (٧٨). (٢) سورة المائدة الآية (٥). (٣) تفسير الألوسي جـ٢ ص١١٨.

الإشراك أعظم عن أن تقول المرأة ربها عيسى أو عبد من عباد الله، قال النحاس: وهذا قول خارج من قول الجماعة الذين تقوم بهم الحجة، لأنه قال بتحليل نكاح نساء أهل الكتاب من الصحابة والتابعين جماعة منهم: عثمان وطلحة وابن عباس.. ومن التابعين: سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد.. وفقهاء الأمصار عليه، وأيضا فيمتنع أن تكون هذه الآية من سورة البقرة ناسخة للآية التي في سورة المائدة، لأن البقرة من أول ما نزل بالمدينة والمائدة من آخر ما نزل، وإنما الآخر ينسخ الأول ـ أو يخصصه ـ وأما قول ابن عمر فلا حجة فيه، لأن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ كان متوقفا، فلما سمع الآيتين في واحدة التحليل وفي أخرى التحريم ولم يبلغه النسخ توقف، ولم يؤخذ عنه ذكر النسخ وإنما تؤول عليه، وليس يؤخذ الناسخ والمنسوخ بالتأويل(٤).

والذي نراه أن زواج المسلم بالكتابية جائز لأن القرآن صريح في ذلك، ولأن عمر ـ رضي الله عنه ـ أقر بأنه ليس بحرام، فتكون آية المائدة مخصصة لآية البقرة على فرض عمومها، ومبينة لحكم جديد خاص بالكتابيات، وهو الجواز ولكن هذا الجواز لايمنع كراهته، لأن الزواج بالكتابية كثيراً ما يؤثر في إضعاف العاطفة الدينية عند المسلم، وعند الأطفال الذين يكونون ثمرة لهذا الزواج، لأنهم يخرجون إلى الحياة وقد رضعوا الميل إلى دين أمهم، ولأن المرأة الكتابية التي تقبل الزواج بالمسلم كثيرا ما تكون منحرفة في سلوكها وأن الدافع لها إلى هذا الزواج إنما هو المال أو الجمال أو الجاه وليس الدين أو الخلق، لأنه لو كان الدافع ذلك لرضيت بالإسلام دينا، وبآدابه خلقا لها، وما أحكم قول عمر لحذيفة: «لا أزعم أنها حرام ولكن أخاف أن تعاطوا المومسات منهن».

هذه خلاصة لآراء العلماء في هذه المسألة ومن أراد المزيد فليرجع إلى أقوالهم في مظانها(٥) والمعنى: أنهاكم أيها المؤمنون أن تتزوجوا بالنساء المشركات حتى يؤمن بالله ـ تعالى ـ ويذعن لتعاليم الإسلام وآدابه.

وقوله:

﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾

تعليل للنهي، وبيان لفضل المؤمنات على المشركات، ولفضل طهارة النفس على جمال الجسم والمراد بالأمة هنا الأنثى المملوكة من الرقيق، وبالمشركة الحرة الجميلة بقرينة المقابلة.

أي ولأنثى رقيقة مؤمنة مع ما بها من الرق وقلة الجاه والجمال خير في التزوج بها من امرأة حرة مشركة ولو أعجبتكم بجمالها ونسبها وغير ذلك من منافع دنيوية، لأن ما يتعلق بالمنافع الدينية يجب أن يقدم على المنافع الدنيوية، ولأن الزواج ارتباط روحي بين قلبين، ومن العسير أن يتم هذا الترابط بين قلب يخلص لله في عبادته، وقلب لا يدين بذلك،

---

(٤) تفسير القرطبي جـ٣ ص٦٨ بتصرف وتلخيص.

(٥) راجع ـ على سبيل المثال ـ تفسير الفخر الرازي جـ٦ ص٥٧، وتفسير القرطبي جـ٣ ص٦٦.

وصدرت الجملة بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في إفادة التأكيد مبالغة في الحمل على الانزجار، وقد أمر النبي ﷺ أتباعه أن يجعلوا الدين أساس رغبتهم في الزواج، فقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة أن رسول ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك».

وعن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولاتتزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، لأمة سوداء ذات دين أفضل».

والأحاديث النبوية في هذا المعنى كثيرة

ثم قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾

أي: لا تزوجوا أيها المؤمنون النساء المؤمنات للرجال المشركين حتى يتركوا ما هم عليه من شرك ويدخلوا في دين الإسلام، فإذا فعلوا ذلك حل لكم أن تزوجوهم النساء المسلمات، لأنهم بدخولهم في الإسلام قد أصبحوا إخوانا لكم.

والنهي هنا يتناول المشرك الذي يعبد الأوثان ويتناول غيره ممن لايدين بالإسلام كأهل الكتاب، لأن القرآن قد جعل الإيمان غاية للنهي، فإذا لم يكن هناك إيمان من الرجل لم يكن له أن يتزوج من المرأة المؤمنة، لأن الله ـ تعالى ـ يقول في آية أخرى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾(٦)

فهذه الآية صريحة في أن زواج المسلمة بالكافر لايجوز وكلمة كافر تشمل أهل الكتاب بدليل قوله ـ:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾(٧).

**وقوله تعالى:**

﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(٨).

**قال الفخر الرازي:** لا خلاف هاهنا في أن المراد به ـ أي بلفظ المشركين ـ الكل، وأن المؤمنة لايحل تزويجها من الكافر البتة على اختلاف أنواع الكفرة(٩).

وقوله:

﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾

بيان لفضل الإيمان على الشرك، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ ﴾

إذ نسبة المؤمن أو المؤمنة إلى هذا الدين الذي

(٦) سورة الممتحنة الآية (١٠).

(٧) سورة المائدة الآية (٧٨)

(٨) سورة البقرة الآية (١٠٥).

(٩) تفسير الفخر الرازي جـ٦ صفحة ٦٤.




ارتضاه الله لعباده أفضل وأجل من الانتساب إلى أى شيء آخر.

ثم بين - سبحانه - علة النهى عن الزواج بالمشركين والمشركات فقال - تعالى -:

﴿أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ﴾

أى: أولئك المذكورون من المشركين والمشركات يدعون من يقارنهم ويعاشرهم إلى الأقوال والأفعال والعقائد التى تفضى بصاحبها إلى دخول النار فى الآخرة والله - تعالى - يدعو عباده على ألسنة رسله إلى الأقوال والأعمال والعقائد التى توصل إلى جنته ومغفرته.

فالمراد بالدعاء إلى النار الدعاء إلى أسبابها وإلى ما يوصل إليها، وكان الاقتران بهؤلاء المشركين والمشركات سببا فى الوصول إليها، لأن الزواج من شأنه الألفة والمودة والمحبة وشدة الاتصال، وكل ذلك يجعل المسلم أو المسلمة يتقبلان ما عليه المشرك أو المشركة من فسوق وعصيان لله - تعالى - بل ربما بمرور الأيام لا يكتفيان بالتقبل بل يستحسنان فعلهما، وبذلك تنحل عرا الإسلام من نفس المسلم والمسلمة عروة فعروة، حتى لايبقى منه سوى الاسم، كما نشاهد ذلك فى كثير من المسلمين الذين تزوجوا بغير مسلمات.

والمقصود من قوله - تعالى -:

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ﴾ إغراء المؤمنين بالتمسك بتعاليم دينهم، وتنفيرهم من الاقتران بغير من يكون على شاكلتهم فى الدين، لأن من يخالفهم فى عقيدتهم طريقه يغاير طريقهم، وهدفه يخالف هدفهم، وعاقبته تباين عاقبتهم.

والدعاء إلى الجنة والمغفرة المراد به الدعاء إلى أسبابهما كما فى الجملة السابقة المقابلة وقيد - سبحانه - الدعاء إلى الجنة والمغفرة بقوله:

﴿بِإِذْنِهِ ۖ﴾ أى بأمره وإرادته وعلمه، لأنه - سبحانه - هو المالك لكل شيء، ولايقع فى ملكه إلا ما يريده ويقدره.

قال بعض العلماء ما ملخصه: وقد يقول قائل: هذه الدعوة إلى النار قد تكون أيضا فى زواج المسلم بالكتابية، كما هى فى زواج المسلم بالمشركة، وكان مقتضى هذا أن يحرم زواج المسلم بغير المسلمة مطلقا، كما حرم زواج المسلمة بغير المسلم مطلقاً وإن لذلك الكلام موضعه، ولذلك أجمع الفقهاء على كراهة زواج المسلم بالكتابية، بل زعم بعض العلماء أن زواج المسلم من الكتابية محرم كزواجه من المشركة.

ولكن الجمهور لا يقطعون بالتحريم أمام النص القاطع بالحل، ولا يعملون العلة ليهمل النص، بل يرون علة التحريم لا تتوافر فى الكتابية توافرها فى المشركة، فإن المشركة لا ترتبط بأى قانون خلقى يعصمها من الزلل.. أما الكتابية فإن مجموع الفضائل الإنسانية.. لا تزال باقية فى تعاليم دينها فيمكن الاحتكام إليها.



والقرآن فى جدله مع أهل الكتاب كان يلاحظ إمكان التفاهم معهم على قواعد يمكن حملهم على الإقرار بها كما فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾(١٠).

وأمرنا أن نجادلهم بالتى هى أحسن فقال:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾(١١).

فكان من اطراد تلك المعاملة الحسنة المقربة غير المبعدة، أن أباح الإسلام الزواج من الكتابيات.

بيد أنه يلاحظ فى إباحة الزواج من الكتابيات أمران:

**أولهما**: أن النص القرآنى المبيح خاص بالمحصنات منهن، إذ قال ـ سبحانه ـ:

﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾(١٢)

والمحصنات ـ فى أظهر التفسير ـ هن العفيفات، فأولئك الذين يعمدون إلى المنحرفات منهن فى أخلاقهن وعقولهن ولا يتخيرون، خارجون عن موضع الإباحة فيما أحسب، لأن الله أحل المحصنات وهم استحلوا المنحرفات.

**ثانيهما**: أن ولى الأمر إذا رأى خطرا على الدولة الإسلامية أو على المجتمع الإسلامى له أن يمنع الناس من ذلك الزواج بوضع عقوبات لمن يقدم عليه سدا للذريعة ومنعا للشر، وذلك من باب السياسة الشرعية، لا من باب تحريم ما أحل الله، لأن الحل قائم على أصله، والمنع وارد على الضرر الذى يلحق المسلمين، إذ فى ذلك من الاعتداء على جماعتهم ما فيه، كما أن أصل الأكل حلال، ولكن اغتصاب أموال الناس لتأكلها حرام، ولذلك سارت الدولة على منع بعض رجالها من الزواج بالأجنبيات.

وقوله ـ تعالى ـ فى ختام الآية:

﴿ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

معطوف على يدعو إلى الجنة أى أنه ـ سبحانه ـ يدعو الناس إلى ما يوصلهم إلى جنته ومغفرته ويبين لهم آياته وأوامره ونواهيه فى شئون الزواج وفى غير ذلك من الأحكام لكى يتعظوا ويعتبروا ويتذكروا ما أمرهم الله به فيعملوه، وما نهاهم عنه فيتركوه.

وبذلك نرى أن الآية الكريمة قد رسمت للناس أقوم السبل، لكى يعيشوا فى ظل أسرة فاضلة، تظلها السعادة ويسودها الأمان والاطمئنان ويتعاون أفرادها على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

(يتبع)

(١٠) سورة آل عمران الآية (٦٤).

(١١) سورة العنكبوت الآية (٤٦).

(١٢) سورة المائدة الآية (٥).

## قضايا قرآنية :

# قضية الوقف على رؤوس الآيات فواصل الآيات : لدى القدامى والمحدثين



فضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

**إن مؤلف كتاب «الفرقان» - رحمه الله وسامحه - يندد بالقراء، لوقوفهم على رؤوس الآي، لمجرد أنها رؤوس آي.. ويا ليته كان أكثر دقة وأمانة، وأبعد مصداقية في مناقشة مثل هذا الموضوع.. إذن لدعا القراء للوقوف على رؤوس الآي إحياء لسنة النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعوهم، مراعاة للمعنى، إلى وصل ما يستحق الوصل! حيث نسمع القارئ يتوقف عند آخر الآية، وليس هناك ما يمنع من ذلك، ثم يصل ما يستحق الوصل.**

قال - تعالى -: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١).

في هاتين الآيتين الكريمتين، عدة وقفات تتراوح بين الجواز مع ترجيح الوصل، وقد رمز لها بالعلامة ( صلى )، والجواز مع ترجيح الوقف وقد رمز لها بالعلامة ( قلى ) وإن من يتأمل الآية يرى جواز هذا وذاك حسب توجيه المعنى - ولا داعي للإطالة في تحليلها فليس هذا مكانه - وهي أيضا تشمل الوقف على رأس الآية

(١) البقرة/ ٢١٩، ٢٢٠.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ مع التعلق النحوي الواضح بين هذه الجملة وأول التي تليها. لكن لم يقل أحد - فيما نعلم - من علماء المسلمين بخطأ الوقف عليها أو حرمته، وكثيرا ما نسمع الوصل بعد الوقف.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾

وهو وجه حسن، يقتضيه المعنى، وإن لم يمتنع الوقف، مراعاة للسنة، وللحفاظ على الجمل الموسيقية التي يشعر بها في الإطار العام للآيات (خالدون - غفور رحيم - لعلكم تتفكرون - عزيز حكيم - لعلهم يتذكرون).

مثال آخر:

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾(٢).

في هذه الآية المباركة، وقف لازم عند كلمة «قولهم» وقد أشاروا له بالعلامة «مـ» ومن الواضح أن المعنى يأبى الوصل تماما. ولذا كان الوقف موضع اتفاق بين كافة المسلمين. لكن لماذا لم تكن رأس آية؟ الجواب: إن رؤوس الآيات في هذا الجو المبارك كانت كالتالي (أفلا يشكرون - ينصرون - محضرون - يعلنون - خصيم مبين) فلو كان رأس الآية في وسط هذا الجو العام «قولهم» لعد ذلك نشازا بين جمل الموسيقى التي يعيش القارئ في ظلها حال القراءة. هذا من جانب. ومن جانب آخر لكان الوصل خيارا محتملا تمشيا مع ما هو سائد في القرآن كما رأينا في مقالنا السابق، وهو ما يرفضه المعنى تماما. وقد قيض الله لهذا القرآن رجالا نذروا أنفسهم لبيان كل هذه المواضيع بما لم يعد فيه مجال لأي شك، ومصاحفنا والحمد لله مدون بها كل ذلك. سواء ما يراه القارئ على امتداد التلاوة كلها، أو ما هو مدون في آخر أغلب الطبعات الحديثة من المصاحف مما أطلق عليه علماؤه «اصطلاحات الضبط - وعلامات الوقف».

وهذا كله لا يعني أن يقف المسلم القارئ في أي موضع يشاء خارج هذا الإطار، إذ لابد من أن يصطحب حصافته ووعيه دائما، حتى لا يسول له عقله أن يقف في قراءة

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾(٣).

قبل أن تتم العبارة برمتها فلا يقف على «الأرض» ولا «بينهما» ومثل ذلك تماما في قوله - تعالى -:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾(٤).

وما شابه ذلك، حتى لا يوهم غير مرادات الله من الآية أو ما يتنافى مع سلامة العقيدة.

ومن كل ما مر نرى أن رأس الآية يلتقي ويفترق الوقفات، التي أجمع عليها المسلمون، وبجميع أنواعها، حسبما يقتضيه الحال..

---

(٢) ياسين/ ٧٦

(٣) الحجر (٨٥).

(٤) الدخان (٣٨)



وهذا يقطع الطريق أمام مثل هذه الهجمات الظالمة التي يشنها مؤلف كتاب «الفرقان» على القراء دون مبرر. وإن لم يقطع الطريق أمام النظر الدائم في كتاب الله - تبارك وتعالى -، لاستنباط ما فيه من حكمة هنا وراء هذا الوصل، وحكمة هنا وراء هذا الفصل، وحكمة هنا وراء جواز الفصل والوصل.. وغير ذلك مع الاستدلال على ترجيح طرف منهما أو عدم ترجيحه.. إلى مالا نهاية له من كنوز هذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه.

ولكن المؤلف يثق بعقله أكثر مما يجب حتى وصل الى درجة الاغترار بالنفس، فاقام من نفسه حكما يصادر آراء الآخرين من علماء المسلمين والسلف الصالح، وما توارثته الأمة عن رسول الله ﷺ وصحابته الأبرار، ولذا فهو - للأسف الشديد، وكما يفهم من كلامه - يدعو الى إلغاء رؤوس الآيات، وإعادة رسم أوائلها وأواخرها، حسبما يزعم أنه المعنى. وهو لا يدرى، أن الوقوف على رؤوس الآي، لم يسد الطريق أمام فهم مرادات - الله - تعالى فيها، لأنها تتدارك بإعادة الوصل لمن يرى ذلك.

## رأى الزركشي في قضية الفواصل

يقول الإمام بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي في كتابه القيم «البرهان في علوم القرآن» عن ضوابط الفواصل في القرآن نقلا عن الجعبري: «ولمعرفتها طريقان: توقيفي وقياسي:

«الأول التوقيفي، روى أبوداود عن أم سلمة: لما سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ قالت: «كان يقطع قراءته آية آية. وقرأت: (بسم الله الرحمن الرحيم) إلى (الدين)، تقف على كل آية» فمعنى «يقطع قراءته آية آية» أي يقف على كل آية، وإنما كانت قراءته - ﷺ - كذلك ليعلم رؤوس الآي.

«قال (أي الجعبري): ووهم فيه من سماه وقف السنة، لأن فعله ﷺ إن كان تعبدا فهو مشروع لنا، وإن كان لغيره فلا. فما وقف عليه السلام عليه دائما تحققنا انه فاصلة، وما وصله دائما تحققنا انه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى، احتمل الوقف أن يكون لتعريفهما، أو لتعريف الوقف التام، أو للاستراحة. والوصل أن يكون غير فاصلة، أو فاصلة وصلتها لتقدم تعريفها»(*).

ولابد من وقفة هنا قبل الاسترسال في عرض ما ذكره الزركشي لبيان ما يعنيه الجعبري بقوله: «ووهم فيه من سماه وقف السنة» فإن الجعبري لا يقصد نفي السنة من أساسها في الوقف، وإنما يقصد نفي أن يكون تحقيق السنة في الوقف على رؤوس الآي هو الهدف الوحيد، وإلا كان هناك تعارض، فيما ذكره، فكل ما أثر عن النبي ﷺ داخل في إطار السنة بمفهومها المطلق سواء كان تشريعا واجب التنفيذ، أم مستحب التنفيذ. ومجمل ما نطمئن إلى فهمه من عبارة الزركشي التي نقلها عن الجعبري أن الوقف

(*) جـ١ ص٩٨ من كتاب «البرهان».



على رؤوس الآى توقيفى عن رسول الله ـ ﷺ ـ وليس مجرد سنة مستحبة التنفيذ، لك أن تخرج عليها أو تغير فى أماكنها.

يقول الزركشى: «الثانى القياس، وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب. ولا محذور فى ذلك، لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل، والوقف على كل كلمة جائز، ووصل القرآن كله جائز، فاحتاج القياس إلى طريق تعرفه، فأقول: فاصلة الآية كقرينة السجعة فى النثر، وقافية البيت فى النظم، وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحذو والإشباع والتوجيه[6] فليس بعيب فى الفاصلة، وجاز الإنتقال فى الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر، بخلاف قافية القصيد. ومن ثم ترى (يرجعون) مع (عليم)(آل عمران ٧٢، ٧٣)، و(الميعاد) مع (الثواب)، و(الطارق) مع (الثاقب) (آل عمران ١٩٤، ١٩٥ ـ الطارق ١، ٣)[7].

هذا ما قاله الإمام الزركشى فى ضوابط الفصل فى القرآن، وهو ما عنيناه بجانب السنة فى التلاوة، ثم ما حمل عليه أو ألحق به دون أن ينص عليه.

أما جانب موسيقى التلاوة، التى روعيت فى فواصل الآى، فللإمام الزركشى كلام طويل أيضا، لا يتسع المقام لذكره، غير أننا سنكتفى بذكر بعض المقتطفات التى تدل على صدق العالم مع نفسه، أثناء النظر فى كتاب الله ـ تعالى ـ يقول الإمام ـ رحمه الله ـ: «اعلم أن إيقاع المناسبة فى مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جدا، ومؤثر فى اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها فى مواضع:

«أحدها زيادة حرف لأجلها، ولهذا ألحقت الألف بـ«الظنون» فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾[8] لأن مقاطع فواصل هذه السورة ألفات منقلبة عن تنوين فى الألف، فزيد على النون ألف لتساوى المقاطع، وتناسب نهايات الفواصل. ومثله:

﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾[9].

﴿ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾[10].

«الثانى حذف همزة أو حرف اطرادا، كقوله تعالى:

---

(٦) الحذو والإشباع والتوجيه من عيوب القافية، التى تندرج تحت ما اصطلحوا على تسميته بالسناد، وهو اختلاف ما قبل الروى، «هو الذى تبنى عليه قافية القصيدة من الحروف» وسناد الإشباع هو اختلاف حركة الدخيل، مثل كسرة الهاء، وفتحة العين فى قولك: «مجاهد وتباعد». وسناد الحذو: اختلاف حركة الحرف الذى قبل الروى المطلق، مثل فتحة النون وكسرة الكاف فى قولك: «سند، وكبد» وسناد التوجيه: اختلاف حركة الحرف الذى قبل الروى المقيد، كفتحة اللام وضمها فى قولك: «حلم وحلم» (البرهان ص٩٩ ج١ ذيل الصفحة تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم)

(٧) البرهان للزركشى ص٩٨، ٩٩.

(٨) الأحزاب (١٠).

(٩) الأحزاب (٦٧)

(١٠) الأحزاب (٦٦).



﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾(١١).

« الثالث الجمع بين المجرورات، وبذلك يجاب عن سؤال في قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ﴾(١٢).

الإسراء ٦٩

فإنه قد توالت المجرورات بالأحرف الثلاثة، وهي اللام في ( لكم ) والباء في ( به ) و« على » في ( علينا ) وكان الأحسن الفصل » .

« وجوابه » أن تأخر « تبيعا » وترك الفصل أرجح من أن يفصل به بين بعض الروابط، وكذلك الآيات التي تتصل بقوله:

﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ﴾(١٣)، فإن فواصلها كلها منصوبة منونة، فلم يكن بد من تأخير قوله: ( تبيعا ) لتكون نهاية هذه الآية مناسبة لنهايات ما قبلها حتى تتناسق على صورة واحدة » .

« الرابع تأخير ما أصله أن يتقدم، كقوله - تعالى -:

﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴾(١٤) لأن أصل الكلام أن يتصل الفعل بفاعله ويؤخر المفعول، لكن أخر الفاعل، وهو « موسى » لأجل رعاية الفاصلة » .

« قلت: للتأخير حكمة أخرى، وهي أن النفس تتشوق لفاعل « أوجس » فإذا جاء بعد أن أخر وقع بموقع »(١٥).

## رؤوس الآيات وروعة الأداء القرآني

وللأستاذ/ مصطفى صادق الرافعي كلام جيد في قضية فواصل الآيات يحسن بنا أن نورد بعضه هنا ليكون مدخلا مناسبا للحديث عن سياق الجو الشعوري العام، الذي يستلزم نوعا معينا من الجمل الموسيقية، التي تتضافر جميعها لتعطي لخواتيم الآيات ومفتتحها مذاقا إيمانيا خاصا يدعو إلى أن تنتهي الآية على هذا النحو أو ذاك.

يقول - رحمه الله - في كتابه « إعجاز القرآن والبلاغة النبوية »: « وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما

(١١) لنا في هذه الألفات رؤية أخرى تضاف إلى ما قاله الإمام الزركشي - رضي الله عنه - فألف «الظنونا» تصور أمام القارئ أبعاد هذه الظنون التي تترامى أبعادها، عمقا وشمولا، حيث لم تترك أحدا من المسلمين، فكلهم قد أحاطت بهم الظنون، وذهبت بهم كل مذهب من خوف على الإسلام وعلى رسول الله - ﷺ - في هذا الموقف العصيب، الذي أطبق فيه الأعداء على المدينة من كل جانب، حتى زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر أما زيادة الألف في «وأطعنا الرسولا» فإنها توحي بطول الهم والحزن على ما أضاعوا من فرصة سنحت لهم في الدنيا، وهي طاعة الله وطاعة الرسول، فهم في حالة ندم طويل لا ينقضي. أما زيادة الألف في «وأضلونا السبيلا» فهي تدل على أنه ضلال بعيد، ذلك الذي أطاعوا فيه سادتهم وكبراءهم. ولا منافاة هنا بين ما ذكره الزركشي من تساوي المقاطع المستفاد من هذه الألفات، وبين ما ذكرناه، مما يدل على أنه تطريب هادف. (كاتب المقال)

(١٢) الفجر (٤).

(١٣) الإسراء (٦٩).

(١٤) طه (٦٧).

(١٥) البرهان جـ١ ص٦٠ - ٦٢.





الحرفان الطبيعيان في الموسيقي نفسها، أو بالمد، وهو كذلك طبيعي في القرآن، فإن لم تنته بواحدة من هذه، كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى، كان ذلك متابعة لصوت الجملة وتقطيع كلماتها، ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه وأليق بموضعه، وعلى أن ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلا في الجمل القصار، ولا يكون إلا بحرف قوي يستتبع القلقلة أو الصفير أو نحوها مما هو ضروب أخرى من النظم الموسيقي.

« وهذه هي طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة، وأثرها طبيعي في كل نفس، فهي تشبه في القرآن الكريم أن تكون صوت إعجازه الذي يخاطب به كل نفس تفهمه، وكل نفس لا تفهمه، ثم لا يجد من النفوس على أي حال إلا الإقرار والاستجابة، ولو نزل القرآن بغيرها لكان ضربا من الكلام البليغ، الذي يطمع فيه أو في أكثره، ولما وجد فيه أثر يتعدى أهل هذه اللغة العربية إلى أهل اللغات الأخرى.

ولكنه انفرد بهذا الوجه المعجز، فتألفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره أو أقحم معه حرف آخر، لكان ذلك خللا بينا، أو ضعفا ظاهرا في نسق الوزن وجرس النغمة، وفي حس السمع وذوق اللسان، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج وتساند الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض، ولرأيت لذلك هجنة في السمع، كالذي تنكره من كل مرئي لم تقع أجزاؤه على ترتيبها، ولم تتفق على طبقاتها وخرج بعضها طولا وبعضها عرضا، وذهب ما بقي منها إلى جهات متناكرة »[16] ولنضرب مثالين على ما جاء بكلام الرافعي خذ المثال الأول: سورة طه. هذه السورة، لها مذاق خاص، تستيقظ فيه النفس على أضواء الملأ الأعلى، وقد أشرقت على الأرض من طور سيناء، حيث الشجرة المباركة التي تجلى عليها الرب - تبارك وتعالى - في لحظة فريدة من الزمان.

والملاحظ أن خواتيم الآيات تتناسب مع إيماءات هذا الجو المبارك

﴿ طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَٰوَٰتِ الْعُلَى ۝٤ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ ﴾[17].

إلى آخر السورة المباركة:

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝١٣٣ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ۝١٣٤ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ الصِّرَٰطِ السَّوِىِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾[18].

يقول الشهيد سيد قطب « في ظلال القرآن » ص٢٣٢٧: « وللسورة ظل خاص يغمر جوها

---

(١٦) إعجاز القرآن ص٢١٦، ٢١٧.

(١٧) طه (١ : ٨).

(١٨) طه (١٣٣ : ١٣٥).

كله.. ظل علوى جليل، تخشع له القلوب، وتسكن له النفوس، وتعنو له الجباه.. إنه الظل الذى يخلق تجلى الرحمن على الوادى المقدس، على عبده موسى، فى تلك المناجاة الطويلة، والليل ساكن، وموسى وحيد، والوجود كله يتجاوب بذلك النجاء الطويل.. وهو الظل الذى يخلق تجلى القيوم فى موقف الحشر العظيم:

﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[19].

والإيقاع الموسيقى للسورة كلها (وملاكه خواتيم الآيات) يستطرد فى مثل هذا الجو من مطلعها إلى ختامها رخيا شجيا نديا بذلك المد الذاهب مع الألف المقصورة في القافية كلها.

حتى تلك الآيات القليلة التى خرجت خواتيمها على هذا الإطار الذاهب فى السماء كان لها مد آخر، حيث إنها تسبح فى الإطار الموسيقى العام للسورة، فلقد ذهبت بعيدا بعيدا فى أطواء النفس البشرية التى أشرقت عليها أنوار الرب - تبارك وتعالى - فصارت أرحب من الكون المترامى، وأبعد غورا من أقاصيه. اقرأ هذه الآيات وركز على خواتيمها:

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾[20].

مثال آخر: سورة الأحزاب. الملاحظ فيها أن خواتيم آياتها عدا القليل النادر تقوم على قافية واحدة، وهى ياء المد، التى بعدها ألف الإطلاق، ويفصل بينهما حرف واحد.

وإن من يتأمل محتوى السورة الكريمة بشكل عام متكامل، يرى أن ذلك يتمشى تماما مع أهدافها العليا، وما بها من مواضيع كبرى، تنتظم فى عقود السورة المباركة، فالسورة تشمل:

**أولاً**: التوجيهات والآداب الإسلامية.

**ثانياً**: الأحكام والتشريعات الإلهية.

**ثالثاً**: الحديث عن غزوتى: الأحزاب وبنى قريظة[21].

والواقع أن السورة بتطرقها لهذه المواضيع، إنما تضع أسس مجتمع قوى صالح لأن يكون نواة لدولة مسلمة قوية ناهضة، تتحرر من أغلال العادات والتقاليد الجاهلية، التى جاء الإسلام لإبطالها، كما تضع بعد ذلك نظاما جديدا تنطلق فيه ملكات الفرد والجماعة، دون ضغط من جماعات الشرك والبغى، سواء من خارج مجتمع المدينة أو من داخله.

وإن من يتبع النظرة بعد النظرة، فى أهداف السورة المباركة يرى ألف الإطلاق أمامه، تمتد إلى عنان السماء، بآفاقها الرحبة، وهى تعلن:

**أولاً**: أن التشريعات الإسلامية، ما جاءت لتحد من ملكات الإنسان فى هذه الأرض، وإنما جاءت لترفعه من مادته الطينية الخالصة، إلى أن يصبح خليفة لله فى أرضه، يرتفع بهمته وعقيدته إلى عنان السماء.

---

(19) طه (108).

(20) طه (25 - 32).

(21) راجع صفوة التفاسير، مقدمة سورة الأحزاب.

وتعلن ثانيا: أن تألب قوى الشرك والبغي، ما كان لينال من الإسلام وأهله، فالإسلام جاء ليبقى، وتسمق شجرته، حتى تصل ما بين الأرض والسماء، ومن هنا، فالمسلم حينما يقرأ هذه السورة المباركة، ويرى أمامه هذه الحدود العالية، التي تنهي كل آية من آياتها، تتسلل إلى أعماقه روح الثقة في ظهور الإسلام، كما تتولد لديه أيضا روح السخرية بكيد الكائدين، وتدبير المنافقين والمرجفين. اقرأ معي هذه الآيات الكريمات، وتدبر حكمة الله - تعالى - في هذه الحدود، التي تشكل قافية السورة:

﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما (١) واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا (٢) وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾(٢٢).

وقال:

﴿قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا (١٨) أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا (١٩) يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا﴾(٢٣).

وقال أيضا:

﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا (٦٠) ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا (٦١) سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٦٢) يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا (٦٣) إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا (٦٤) خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا﴾(٢٤)

إلى آخر السورة على هذا النحو من خواتيم الآيات المحدودة، لتتمدد معها طموحات وآمال المؤمنين إلى عنان السماء..!!

هكذا يجب أن يكون النظر في كتاب الله - عز وجل - لمن أراد أن يستنبط وجوه الإعجاز وروعة الأداء في رؤوس الآي، لا أن يقرأه فقط لاستنباط أوجه التشكيك في جهود العلماء، وإهالة التراب على كل ما بذلوه في خدمة كتاب الله - تبارك وتعالى -.

وإلى اللقاء في قضية أخرى من قضايا هذا الكتاب الأقدس.

***

(٢٢) الأحزاب (١: ٣).

(٢٣) الأحزاب (١٨: ٢٠).

(٢٤) الأحزاب (٦٠: ٦٥).

# الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان

(١)

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

**اشتملت الشريعة الإسلامية على كل ما فيه سعادة البشرية فى الدنيا وفى الآخرة واستوفت بتعاليمها السمحة، وقوانينها الثابتة المحكمة، كل ما يكفل للفرد والجماعة حياة طيبة فى الدنيا، ومثوبة عظيمة فى الآخرة، قال الله، تعالى،:**

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(١).

وكان للشريعة الإسلامية فضلها الذى لا ينكر حتى من أعداء الإسلام فى ترسيخ دعائم الحق ونشر قوانين العدالة التى أنقذت الإنسانية المعذبة من مخالب الجهالة والضلالة وأخذت بيد الضعيف ورفعت من قيمة البسطاء العاديين والفقراء والكادحين وكل فئات النوع الإنسانى التى كادت تجرفها تيارات الضياع والهلاك وهى معزولة .. وضعيفة لا تملك من أمرها شيئاً، وكان للشريعة فضلها الذى لا ينكر فى نظرتها الحانية إلى الفقراء والمساكين، وأبناء السبيل واليتامى والأرقاء والخدم وأصحاب المهن البسيطة والحرف العادية وغير ذلك، فجعلت الشريعة لهم فى صفوف الحياة الكريمة مكاناً واضحاً ووضعاً لا يغبنون فيه كل ذلك قبل أن تعرف المواثيق الدولية حقوق الإنسان بأربعة عشر قرناً، وكان للشريعة فضلها فى إعطاء المرأة حقها بعد أن كانت لا حق لها، بل كانت محرومة من كل الحقوق حتى من حق الحياة نفسها إذ كانت توءد وهى طفلة صغيرة إلى غير ذلك من الحقوق التى لا تحصى، فى شتى المجالات، ولسائر فئات الناس من رجل أو امرأة، ومن حُرٍّ أو عبد، ومن غنى أو فقير، ومن أفراد أو جماعات، ومن أمم أو شعوب. لقد كفلت الشريعة الإسلامية لبنى الإنسان الكرامة والعزة

---

(١) النحل (٩٧)

يتمتع بها المؤمنون السائرون على هديها ومبادئها قال الله ـ سبحانه ـ:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . . (٢)

## أساس حقوق الإنسان

وأقامت شريعة الحق بناء دعوتها، وجميع ما فيها من حقوق للإنسان على أساس الإيمان بالله ـ تعالى ـ وحده لا شريك له، وهنا نقف على عظمة الشريعة الإسلامية وحكمتها وعلى قوة تنفيذ هذه الحقوق من الحاكم ومن المحكوم، ومن الرئيس والمرءوس ومن الغنى والفقير وهكذا. . فإذا كان الإيمان هو القاعدة التى تنطلق منها دعوات المصلحين والنداء بحقوق الإنسان تشريعاً وتطبيقاً فإن للإيمان أثره في الالتزام بتحقيق العدل والخير، وبسرعة الطاعة في كل أمر وتنفيذ كل حق من الحقوق ويظهر جانب الالتزام بتنفيذ كل الحقوق على هدى من الكتاب والسنة وطاعة لله ولرسوله . .

قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾(٣).

وبين الله ـ تعالى ـ أن فى تنفيذ ما أمر به وفى طاعة رسوله ﷺ الرحمة للإنسان قال ـ سبحانه ـ :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٤).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾(٥).

وهنا نرى الفارق الكبير بين دعوة الشريعة إلى حقوق الإنسان، وبين الدعوات الأخرى التى تنادى بها المواثيق الدولية، فإن الدعوة إلى حقوق الإنسان فى رحاب الشريعة تابعة من الإيمان، صادرة عن العقيدة الإسلامية التى يلتزم أمامها الإنسان المسلم، ويرى ضرورة العمل والتطبيق وتنفيذ الحقوق بأسرع ما يكون، ففى تنفيذها الأمن وفى تطبيقها الرحمة وفى البعد عنها والنكوص عما تنادى به بُعْدٌ عن حقيقة الإيمان ووقوع فى الخسران، فثمرة حقوق الإنسان، فى رحاب الإيمان، أنها مأمونة الجوانب لا خوف عليها من أحد، لأن المسلمين يصدرون عن عقيدة وراءها حساب وثواب أو عقاب بخلاف غيرهم وأما الجانب الثانى: الذى يلزم فيه بتطبيق وتحقيق حقوق الإنسان، انطلاقاً من الإيمان فهو جانب المراقبة وهذا ليس موجوداً عند غير المسلمين، ويظهر أثر ذلك فى سرعة إعطاء كل ذى حق حقه، وعدم الجور على حقوق الآخرين فإذا حدثت

---

(٢) سورة المنافقون الآية (٨).

(٤) سورة النور الآية (٥٦).

(٣) سورة النساء الآية (٥٩).

(٥) سورة الحشر الآية (٧).

إنساناً نفسه أن يسطو على مال الغير أو حياته أو عرضه أو حريته وأن يسلبه حقاً ما من الحقوق فإن عنصر المراقبة يوقظ في أعماقه الضمير الديني، الذي يجعله يدرك خطورة ما يقع فيه ومدى عاقبة الجرم الذي يرتكبه فإنه يؤمن بأن الله مطلع يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ويعلم ما تبدون وما تكتمون.

وكما رأينا بأن الإيمان هو الأساس الأصيل ومنه يكون الالتزام بأداء الحقوق ومراقبة الله السميع البصير فيها، فإن في الشريعة الإسلامية تطبيقات لحقوق الإنسان واجبة الأداء كالزكاة وصلة الرحم وإكرام الجار وحسن معاملته وإعطاء كل ذي حق حقه. في البيع والشراء، في العمل، وفي الشركة، وفي الإجارة، وغير ذلك من المعاملات التي استوفاها الفقه الإسلامي بأبوابه وفصوله.

ثم كان في الجانب الأخلاقي استثمار لهذه الحقوق وسموٌّ بها إلى المثالية العالية حيث لا يكتفي الإنسان بالقيام بالواجب فحسب؛ بل إن هناك جوانب نادى بها الإسلام ارتفاعاً بحقوق الإنسان وشمولاً لكل مناحي الحياة وجوانبها المختلفة وعلاقاتها المتعددة.

وتحقيقاً للأمان لهذه الحقوق نجد في الحدود الإسلامية ما يحفظ للإنسان حقه في الحياة وفي المال وفي العرض وفي الحرية والمساواة والعمل والشورى والكرامة وما إلى ذلك من الحقوق التي كفلها الإسلام وحافظ عليها ودعا لها.

ففي الاعتداء على حق «الحياة» تكون العقوبة من جنس الجريمة قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٦).

وبالنسبة لحق الإنسان في الأمن نجد الشريعة قد جعلت للاعتداء على هذا الحق حداً هو حد الحرابة، قال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(٧).

وبالنسبة لحق المال نجد الشريعة قد جعلت عقوبة الاعتداء على هذا الحق ما وضحه القرآن الكريم في قوله ـ تعالى ـ:

---

(٦) سورة البقرة الآيتان (١٧٨، ١٧٩).

(٧) سورة المائدة الآيتان (٣٣، ٣٤).

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٨).

وعن حق النسل أو العرض، نرى عقوبة ذلك في قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾(٩).

وبالنسبة للمحصن الرجم وهكذا.. إلى آخر الحدود والعقوبات التي جاءت في الشريعة الإسلامية ولا تجد لها مثيلا في أي قانون من القوانين الوضعية..

إنها حدود وعقوبات عادلة تقوم بحفظ حقوق الإنسان ورعايتها وصيانتها من التعرض لها. إنها تصون حقوق الإنسان في حياته ونفسه وفي ماله ونسبه وعرضه وهكذا نرى في شريعة الله المحافظة على حقوق الإنسان واستتباب الأمن والطمأنينة في الحياة على شتى مجالاتها ومما سبق يتضح أن الشريعة الإسلامية، قد استوفت كل الحقوق بعقيدتها الصحيحة التي هي أساس العبادة والعمل والأحكام والأخلاق وبتشريعاتها ومبادئها المستقيمة، التي تصون حقوق الإنسان وتحافظ عليها وتدعو لها على هدى وبصيرة. إنها الشريعة التامة الكاملة التي أكملها الله وأتم بها النعمة قال ـ سبحانه ـ

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(١٠).

وقال الرسول ﷺ «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي..»(١١).

وبهذا التشريع الرباني المحكم، والوحي الإلهي صان الإسلام حقوق الإنسان، ونادى بتطبيقها وشرع الحدود عقوبة للمعتدين عليها والمقتحمين حماها بغير حق وبهذا أعطى الإنسان حقه في الحياة الكريمة بعد حقبة من الزمن عاشها الإنسان يرسف في أغلال الظلم والاستعباد حتى جاء الإسلام ففك هذه الأغلال وحرره وكرمه وجعل حياة المجتمع الإسلامي تشرق بالتوحيد الخالص الذي لا شرك فيه وبالعدالة الكاملة التي لا ظلم معها وأحلّ الإسلام الكرامة محل الاستذلال، والمساواة محل التفرقة، والعلم محل الجهل، والحرية بدل الاستعباد، والتعارف والتآلف بدل التناكر والاختلاف، والعمل بدل البطالة، والشورى بدل الاستبداد بالرأي، والإيثار بدل الأنانية، والحق بدل الباطل، وأكد الإسلام على حرمات المسلمين.. فلقد جاء في خطبة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في حجة الوداع، قوله: «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»(١٢) ويدعم القرآن أصول الحق وركائز الإيمان، منادياً بالأصول الأساسية لحقوق الإنسان في قوله ـ تعالى ـ :

---

(٨) سورة المائدة الآية (٣٨).

(٩) سورة النور الآية (٢).

(١٠) سورة المائدة (٣)

(١١) رواه الحاكم.

(١٢) كنز العمال جـ٥، برقم ١٢٣٠١ وعزاه إلى مسلم وأبي داود وابن ماجة عن جابر.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾(١٣).

## حرمة النفس وحقها فى الحياة

حق الحياة بالنسبة للإنسان أغلى ما يكون إذ أنّ الحياة منحة إلهية أعطيت للإنسان، ليقوم برسالته على ظهر الأرض وليؤدى دوره فى الحياة إيماناً وعملاً، وعبادة لله الخالق الرزاق، المحيى المميت، الذى بيده مقاليد السموات والأرض وهو على كل شيء قدير.

وقد حدد الإسلام مهمة الإنسان فى الحياة ورسالته فيها، باستخلافه فى الأرض وقيامه بتوحيد خالقه ورازقه، وعبادته وحده لا شريك له شكراً لله على آلائه ونعمائه وهو سبحانه الغنى الحميد..

قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾(١٤).

إذاً فلم يخلق الله عباده عبثاً ـ حاشا لله ـ وليست حياة الناس من السهولة بمكان بحيث يتخلصون منها أو يعتدون على نفوس غيرهم، فإن الحياة والموت بيد الله المحيى المميت.

## فى خطبة الوداع

وأكد الإسلام حرمة النفس وحقها فى الحياة ووضح رسول الله صلوات الله وسلامه عليه هذه الحقيقة فى خطبة الوداع إذ يقول: ( .. إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم فاشهد، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ).

من أجل هذا نجد أن الإسلام قد حرم كل ألوان الاعتداء على حق الحياة بأية صورة وعلى أى وضع كان هذا الاعتداء والظلم. فحرم قتل الأولاد الصغار وحرم وأد البنات كما كان فى الجاهلية وأنكر عليهم تلك الوحشية الظالمة

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(١٥).

وقال ـ سبحانه ـ:

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾(١٦).

وقال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾(١٧).

كما حرم اعتداء الإنسان على نفسه كظاهرة

---

(١٣) سورة النساء (٥٨).

(١٤) سورة الذاريات (٥٦، ٥٨).

(١٥) سورة النحل الآيتان (٥٨، ٥٩).

(١٦) سورة التكوير الآية (٨).

(١٧) سورة الإسراء (٣١).

الانتحار. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾(١٨).

ولمرتكب هذا الجرم عقابه في الآخرة، من نوع ذنبه وجريمته في الدنيا فإن قتل نفسه بسم أو حديدة أو تردى من جبل فهو على ذلك في النار. قال رسول الله ﷺ: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»(١٩).

## تحريم قتل الغير

كما حرم الإسلام قتل الغير بغير حق وتوعد عليه فالقتل من أكبر الكبائر وأخطر الجرائم وأشدها على الأفراد والجماعات. إنها جريمة إذا ظهرت في مجتمع أو تفشت في بيئة نشرت الرعب والفزع وقضت على الأمن والاستقرار وأشاعت الإحن والبغضاء وقضت على الروابط الإنسانية ورملت الزوجات ويتمت الأطفال. لهذا أنزل الله تعالى في شأن القاتل وعيداً شديداً قال ـ سبحانه ـ:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(٢٠).

وقال سبحانه:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾(٢١).

وهذا الحق فسرته السنة الشريفة، قال صلوات الله وسلامه عليه، «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة»(٢٢).

## القصاص في الشريعة

ولما كان القتل عدواناً على نفس بغير حق وعلى النوع الإنساني وإفساد للمجتمع وقضاء على عضو من أعضائه وإهدار لحق الحياة وهو أغلى شيء عليه. شرع القصاص زجراً للناس وجزاء على الاعتداء على النفس فهو من أعظم الجنايات بعد الشرك بالله، لهذا كان القصاص، ليكف الجاني، وتسلم الحياة من العدوان وصدق الله إذ يقول:

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

وحين تحدث القرآن على أول جريمة قتل على ظهر الأرض في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾(٢٣).

---

(١٨) سورة النساء (٢٩).

(١٩) رواه البخاري ومسلم.

(٢٠) سورة النساء الآية (٩٣).

(٢١) سورة الإسراء الآية (٣٣).

(٢٢) رواه البخاري ومسلم.

(٢٣) سورة المائدة الآية (٢٧).

حين تحدث القرآن بهذا النبأ كشف عن طبيعة العدوان الكامنة في النفوس الشريرة، والعدوان الصارخ منها، وكشف عن الجريمة المنكرة التي تثير الضمير الإنساني والشعور الجارف الحار والحاجة الملحة إلى قصاص عادل يصون حق النفس فمن أجل هذه النماذج الشريرة والعدوان على الأبرياء كان قتل النفس الواحدة، حين لا يكون قصاص ولا دفاع عنها، يمثل قتل جميع الناس، لأنها واحدة من نفوس البشر جميعاً، تشترك هي وغيرها في حق الحياة وكان إبقاؤها حية للدفاع عن حقها في الحياة أو بالقصاص إذا اعتدى عليها يمثل إحياء النفوس جميعاً ففي صيانة حياتها صيانة لحق الحياة الذي يشترك فيه الناس جميعاً، فقال ـ تعالى ـ تعقيباً على نبأ ابني آدم

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾(٢٤).

## القصاص حياة

وقد بين الله ـ تعالى ـ أن في القصاص حياة وهذا وجه الحكمة فيه قال ـ سبحانه ـ :

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ وذلك من وجهين:

**الأول**: أن فيه الحياة بطريقة الزجر، فإن الإنسان الذي يقصد قتل إنسان آخر إذا فكر في عاقبة أمره وما يلحقه من جريمته، وأنه إذا قتله قتل به انزجر عن قتله فكان حياة لهما لذا فإن الإنسان الذي تحدثه نفسه بهذه الجريمة . حين يعلم أن حياته ثمن لجريمته، أو أنه إذا قطع أو أتلف عضواً ألحق به مثل ذلك، فلا شك أنه يفكر مرات ومرات قبل الإقدام على مثل هذه الجريمة، مما يجعله يكفّ عما يريده، فتكون فيه حياة لمن يريد الاعتداء عليه وحياة له وليس الأمر كذلك حين يعلم أن جزاءه السجن مثلاً: إذ أن إلحاق عقوبة في البدن مثلاً قطعاً أو تشويهاً في الخلقة شيء غير آلام السجن.

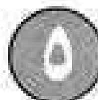
**الثاني**: أن في القصاص دفعاً لسبب الهلاك، فإن القاتل بغير حق يصير حرباً لا هوادة فيها على أولياء القتيل لإحساسه بأنهم يلاحقونه لما ارتكبه فهو يخشى على نفسه منهم، فيقصد حربهم ويتمنى إفناءهم ليزيل شبح الخوف الذي يلاحقه ويتابعه، والشرع قد مكنهم من قتله قصاصاً لدفع شره عن أنفسهم، وفي القصاص إطفاء لثورات القلوب المشتعلة بالسخط والكراهية وقضاء على حزازات النفوس التي يقودها الغضب والحمية إلى ظاهرة الثأر ذات العواقب الوخيمة، ظاهرة الثأر التي تحرك أهل القتيل لتلمس كل ذريعة لإرواء أحقادهم وتحين الفرص لإهدار الدماء التي لا تقتصر على القاتل وحده أحياناً بل تسيل الدماء على مذابح الأضغان العائلية وبين الحين والحين يهدر دم من هنا ودم من هناك، لهذا كله شرع القصاص، فكان فيه حياة بكل ما تتسع له معنى الحياة، حياة لمن تحدثه نفسه بالقتل فيكف عنه حين يعلم مصيره وفيه حياة لمن كان سيقع عليه القتل وفيه حياة للعائلات وللأفراد والجماعات بسدّ باب الثأر والعداوات .. ففي القصاص شفاء لنفوس أهل القتيل من الحقد والرغبة في الثأر.

(يتبع)

---

(٢٤) سورة المائدة الآية (٣٢).

# الدعوة كما ينبغي أن نبلغها



لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

**كنا قد انتهينا في آخر لقاء (في شهر صفر ١٤٢٢هـ) إلى وعد أن أذكر لك آية من كتاب الله اختلف حولها الفقهاء أو إن شئت فقل: إلى حكم من الأحكام تباينت فيه آراء الفقهاء أشد التباين إلى درجة الاختلاف.**

**وقد تضيق بالاختلاف وتتهم الفقهاء بأنهم يعقدون الأمور، وحولوا العبادات والمعاملات الإسلامية إلى معارك كلامية، زاعماً أنها لا تفيد. فإنك تريد أن تعبد الله في هدوء بعيداً عن هذه الصراعات وكأني بك تقول: أحرى بنا أن نعيش عصر الكمبيوتر والانترنت. فلا وقت لهذه المعارك الكلامية. وأراك تتحدث عن الكمبيوتر والإنترنت كأنك أجدتهما أو كأنهما منهج حياتك. ولا أقول كأنك اخترعتهما.**

فإنني أراك تلهث خلف استهلاك فج واستخدام مترهل لاختراعات الشعوب الجادة، وحتى لا تضيق أو لا تنفر من خلافات الفقهاء، أحب أن أسمع إجابتك عن سؤال أطرحه عليك في قضية مصيرية للأمة العربية جميعاً وليس لك وحدك، أو لوطنك وحده: هل تعرف أن خلافك الأزلي مع إسرائيل حول أشهر قرارات الأمم المتحدة (قرار رقم ٢٤٢) هو خلاف حول حرف «ال»؟!..

وأحسست من صاحبي أنه لا يعرف القرار أصلاً، وأنه بعيد عن ما يدور في الأرض المحتلة، وتحاملت على نفسي وكتمت غيظاً يوشك أن ينفجر.. محاولاً شرح المسألة. إن خلافنا مع إسرائيل حول تفسير القرار سالف الذكر يتلخص في حرف «ال» كما قلت لك حيث إن القرار ينص على ضرورة جلاء القوات الإسرائيلية عن الأرض العربية التي احتلت عام ١٩٦٧، وزعمت إسرائيل أن القرار ينص على جلاء القوات الإسرائيلية عن أراض عربية احتلت بعد عام ١٩٦٧.

ولعلك أدركت الآن الفرق بين العبارتين يعني مرتفعات الجولان والضفة الغربية، حتى سيناء لم تتنازل عنها إسرائيل إلا في اتفاقية مع مصر، وكل هذا بسبب الفرق بين كلمة الجلاء عن (أراض عربية) أو (الأراضي العربية).



وأرجو أن تكون قد أدركت الفرق بين الأراضى التى احتلت و ( أراض ) فإن معنى الأولى كل الأراضى التى احتلتها إسرائيل بعد سنة ١٩٦٧، أما أراض بغير « الـ » فهى يمكن أن تكون أى جزء من أرض احتلتها إسرائيل بعد ١٩٦٧..

ربما أكون قد أطلت عليك، لكن الذى يعنينى أنى قد وصلت إلى أن أثير اهتمامك بما نحن بصدده، وخطورة الحرف خصوصاً عند الفقهاء، ناهيك عن الكلمات.

ولعلك تهيأت نفسياً لقبول موضوعنا اليوم، لقد اختلف الفقهاء فى حكم مسح الرأس فى الوضوء.. ما هو المقدار الواجب مسحه من الرأس على النحو التالى:

قال الإمام مالك: الواجب مسح جميع الرأس.

وقال أبو حنيفة: الواجب مسح ربع الرأس.

أما الإمام الشافعى فقد قال: إن الواجب يسقط بمسح شعرة واحدة.

وأرجو ألا تتسرع وتقول: لماذا لم يتفق الفقهاء.. ما لنا ولهذا التباين؟. وهذا الخلاف الذى لا نعرف أسبابه ولا طائل تحته؟. فهل عند الفقهاء ما يستوجب هذا الخلاف؟.

أما قولك: أنك لا تعرف أسبابه، فأنا أوافقك على هذا وأرتضيه منك ولأنك صادق فيه ولا أكذبك. شريطة أن تطلب المعرفة وتبحث عنها جاداً مثابراً، أو على أقل تقدير أن تعترف لأهل الاختصاص والفقه بحقهم فى النزاع، أو الاختلاف.

أما أنه لا طائل تحته، فأنا أرفض منك هذا ولا أرتضيه.. لأن هذه اللا مبالاة قد ساهمت فى أن نزدرد ذلك الطعم الذى قدمه لنا أحد ساسة بريطانيا أو إن شئت فقل أحد ثعابين بريطانيا من النوع السام. فوافقنا على القرار ٢٤٢ بصيغته الماكرة.

ولعلك ترمى الفقهاء بأنهم ربما استندوا فى آرائهم إلى أحاديث ضعيفة، وأراك تسارع، تحاول ضجراً أن تتذكر آية الوضوء، فتقول: إن هناك آية تناولت أحكام الوضوء قلها لى، فإننى أظن فيها فصل الخطاب، ولعلها تريحنا من عناء فقهائك!.. قلت:

أسأل الله لى ولك الهداية وكأنى بك تعنى قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾(١).

وكأنى بك تبادر فتقول: الحمد لله.. انتهى الخلاف، وكنا نقول فى الأمثال العربية: ( قطعت جهيزة قول كل خطيب ).. الآن وضح الأمر، وليضع الفقهاء السلاح، ولا داعى للمعارك اللفظية!.. أقول لك: لقد عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء.

تعال معى نتأمل الآية التى أجهدت نفسك فى البحث عنها وهى آية الوضوء.

وأرجو أن نتحلى أنا وأنت بالجد والصبر والأدب، إذا أردنا لأنفسنا أن ندخل ساحة العلماء!..

---

(١) المائدة (٦).



وحتى نصل معاً إلى الصواب. أرجو أن تضع نُصْبَ أعيننا الملاحظات الآتية علها تهديك وتدفعك إلى تقبل خلاف الفقهاء، وتحمد لهم جهدهم.

**وأولى هذه الملاحظات:**

أن الآية تناولت فرائض الوضوء الفعلية وهي: غسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين، ومسح الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين، وأظنك تعلم أن فرائض الوضوء سبعة هي: عدا هذه الأربعة (النية - والترتيب بين الأعضاء - والموالاة).

**أما الثانية:**

تأمل لفظ الآية مع كل فرض ورد فيها..

١- قوله - تعالى -: ﴿ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ .. ﴾.

٢- قوله - تعالى -: ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ .. ﴾.

٣- قوله - تعالى -: ﴿ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ .. ﴾.

٤- قوله - تعالى -: ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾.

**ثالثاً**: لنتأمل كل فرض ونبين حده ومدى غسله:

١) ﴿ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ .. ﴾ ترك تحديد الوجه. بعكس الأيدي والأرجل، فقد نص في الأيدي فقال: ﴿ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾.. وقال في الأرجل: ﴿ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾.

**رابعاً**: تأمل أن الأيدي محددة بغاية - أي نهاية - وهي المرافق، مع أنها في نفس آية الوضوء وهي الآية رقم (٦) من سورة المائدة وردت في التيمم قال - تعالى -:

﴿ فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴾..

وأيضاً كما في حد السرقة قال - تعالى -:

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾(٢).. وردت الأيدي غير محددة.

فإلى أين يكون المسح في التيمم، وإلى أين يكون القطع في حد السرقة؟.. ولماذا؟..

وسوف أعفيك من الإجابة الآن، عن غاية المسح في التيمم وغاية القطع في حد السرقة حتى نكمل ما نحن بصدده، خوفاً عليك من الملالة.

**خامساً**: تأمل أن مسح الرأس جاء في آية الوضوء مخالفاً للفرائض الأخرى؛ حيث إنه دخل عليه حرف الباء، فقد جاءت الآية:

﴿ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ ﴾.. ولم تجيء الباء في الوجه أو اليدين أو الرجلين.. ولعله يلفت نظرك ونظري ولابد إن أسألك: لماذا جاءت الباء هنا؟. وماذا أفادت؟.. فإن مجيئها، ودخولها على مسح الرأس لابد أن يكون له معنى، فما هو هذا المعنى؟.

ولا أحبك أن تقول أن الباء زائدة - تنزه كلام الله - تعالى - عن الزيادة، وتنزه سبحانه عن العبث - ولا أحب أن أستدرجك إلى اصطلاحات النحويين في حرف الجر الزائد وغير الزائد، فأنا أعلم سلفاً أنك لا تحب ذلك ولا تطيقه. وأكتفي بأن أتلو على مسامعك قول الله - تعالى -:

---

(٢) المائدة (٣٨).

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾(٢)

وليس الإحكام من عند الحكيم الخبير تاركاً مجالاً للزيادة بله العبث.

وتعال معي نبحث عن معنى هذه الباء التي دخلت على مسح الرأس دون باقي الأعضاء، ولابد لي أن أصحبك إلى كتب اللغة نستطلع منها معنى حرف الباء، فنأتي البيوت من أبوابها، ولا نُخَبِط خبط عشواء كما يقولون.. والأمر يسير ولا عناء فيه، فثمة كتاب رشيق سوف تجد فيه مبتغاك يُغنيك عن كتب كثيرة لعالم مصري ذؤب اسمه ابن هشام. وهو بعنوان «مغنى اللبيب».. واللبيب هو أنت بإذن الله فأحسبك نابهاً لبيباً مادمت تبحث معي وتصحبني في رحلة البحث.

هذا الكتاب موضوعه باختصار شديد معاني الحروف المفردة: الهمزة، والباء، والتاء.. وهكذا، ثم الهمزة مع الباء ومع التاء.. وهكذا مع باقي الحروف الأبجدية. شواهده وأمثلته من الشعر العربي القديم والكتاب العزيز وسوف تجد فيه بغيتنا. فقد أورد ابن هشام للباء المفردة أربعة عشر معنى ولا أحبك أن تفهم أن ابن هشام هو الذي اخترع هذه المعاني للباء أو لغيرها، وإنما هو متتبع جامع فقط لما ورد في لغة العرب التي نزل القرآن بها.

ومن بين هذه المعاني ماذا نختار؟. وكيف نختار؟. بل، ولماذا نختار؟. والذي أحبك أن تعرفه قبل الإجابة عن هذه التساؤلات، أن اختيار أي من هذه المعاني الأربعة عشر ليس عشوائياً، إنما هو اختيار مبني على استقراء المعاني، واستجلاء معنى الآية نفسها والمعاني الأخرى للباء أيضاً. وكل ذلك في هدى من اللغة والسنة المطهرة، وحتى لا نتوه أنت وأنا في المعاني المتعددة الكثيرة للباء، أقول لك: إنك تدرك قطعاً الفرق بين قولك مسحت المنديل، ومسحت بالمنديل. فالأول يفيد تعميم المسح.. أما قولك مسحت بالمنديل، فإنك تفهم أن المسح لم يشمل المنديل كله وإنما شمل جزءاً منه.. إذاً فإن الباء أفادت معنى جديداً هو التبعيض أو الآلة.

ولو أنك قلت أمسكت باللص، وقلت أمسكت اللص.. فإنك واجد فرقاً بين العبارتين. وسببه الباء. وذلك أن قولك أمسكت باللص تفيد أنك قبضت على شيء من جسمه أو ثوبه. أي أن المسك كان فيه تلامس بين يدك وبين شيء منه. أما قولك أمسكت اللص، فلا تفيد هذا التلامس إنما تفيد الإمساك المجازي. أي أنك قدرت وتغلبت عليه ومنعته من التصرف وحبسته مثلاً. في حين أنك لم تلمسه كأن يقول الضابط مثلاً أمسكت اللص بمعنى أنه قدر عليه وألقى رجاله القبض عليه وحبسوه.

في حين أنه لم يلمسه بيده، بعكس المعنى الأول وهو أمسكت باللص. فهو يفيد أنه ألصق يده بجسمه أو بشيء من ثوبه. وهذا المعنى الدقيق تقوله إذا كنت تجري خلف لص هارب أنت وآخرين وكانت هناك جائزة لمن يمسك به، وأنت صاحب الجائزة تقول في هذه الحالة أمسكت باللص.

---

(٢) هود (١).

وهذا المعنى الذى هو الإلصاق قالوا إنه معنى لا يفارق الباء بمعنى أن المعانى الأخرى الثلاثة عشر تجىء مع وجود هذا المعنى، أى أن الإلصاق هو المعنى الأصلى للباء وما عداه من معانٍ أخرى يزيد على هذا المعنى أو يقويه.

ومن معانى الباء أيضاً أنها تدخل على الآلة فنقول مثلاً قطعت بالسكين وكتبت بالقلم، ومن معانيها أيضاً أنها تفيد المصاحبة كقوله ـ تعالى ـ:

﴿ اهْبِطْ بِسَلَامٍ ﴾(٣) وتفيد السببية مثل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ ﴾(٤)

وكقوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ﴾(٥).

وقال المالكية إن الواجب مسح جميع الرأس لأن معنى الإلصاق يتحقق باستغراق الممسوح بآلة المسح، والممسوح هو الرأس لابد أن تعمها آلة المسح وهى اليد حتى يتحقق معنى الإلصاق الذى هو المعنى الأصلى للباء. ولذلك أوجبوا مسح جميع الرأس.

أما الأحناف فقالوا: إن الباء للآلة، وتدل على التبعيض ولا يفارقها معنى الإلصاق، وأما أنها للآلة فيجب أن تعم آلة المسح وهى اليد الممسوح الرأس وهو ولو قدرنا اليد لكانت تساوى ربع الرأس تقريباً لذا قالوا: إن الواجب مسح ربع الرأس. وهذا يتفق مع المعنى الأصلى للباء، فإن ذلك يقتضى إلصاق آلة المسح وهى اليد بالممسوح. كما أنه يمشى مع التبعيض الذى تفيده الباء. وقد استدل الأحناف على معنى التبعيض للباء بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾(٦) والتبعيض جاء من أن الباء هنا أخذت معنى مِنْ، لأنه لا يمكن أن تكون للآلة لأن المقربين يشربون من هذه العين ولا يمكن أن يشربوا بها. وقال العلماء إن التعبير هنا بالباء متضمناً معنى مِنْ يفيد معنى الرِّى.. وأن اليد هى آلة المسح وعليه قال الشافعى: إن الباء للتبعيض مثل قول الشاعر: شربن بماء البحر أى شربن من ماء البحر.. ولهذا قال: إن الواجب يسقط بمسح بعض الرأس. ولأن الباء تفيد التبعيض فقد جاءت بمعنى مِنْ، ومِنْ للتبعيض أصلاً، فلما جاءت الباء بمعناها فقد أفادت التبعيض ومنه قوله ـ تعالى ـ:

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾.

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾(٧).

فالمعنى لابد أن يكون يشرب منها، فالعين لا يشرب بها، والعين لا تكون آلة للشرب، ولكن يشرب منها.

أما لماذا جاءت الباء بدلاً من (مِنْ) فذلك ملمح رائع كتب فيه المفسرون من أهل اللغة

---

(٣) هود (٤٨). (٤) البقرة (٥٤). (٥) العنكبوت (٤٠).
(٦) المطففين (٢٨). (٧) الإنسان (٦).



والبلاغة ما حكوه من أن الكلمة لها في السياق القرآني إشعاع يتصل بما قبلها وما بعدها. ولذلك تسقط الترجمة في براثن العجز اللغوي عن الأداء القرآني مهما أوتي المترجمون من براعة وإتقان، ولذلك قيل بحق: لا يمكن ترجمة القرآن الكريم.. إنما تترجم التفاسير والمعاني فقط.

وأحس بك كأنك تريد أن تستريح من عناء البحث، لكن قبل أن أودعك أرجو أن تتاح لك الفرصة لقراءة ما كتبه علماء اللغة والأدب في أسرار حروف الجر في القرآن الكريم.

ولا أحب أن أترك الحديث إليك، فإن الحديث معك يوقظ في نفسي متعة الدرس والتحصيل.

وثمة آية أخرى اختلف الفقهاء في فهم معناها ومن ثم اختلف الحكم فيها على رأيين متباينين أشد التباين.. وهي قوله -تعالى-:

﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾[8]..

وقبل أن تجيب أو قبل أن تسأل ما هي عدة المطلقة التي تحيض. هل هي ثلاثة حيضات، أم ثلاثة أطهار، لابد أن تفهم ما معنى كلمة «قرء»؟. لأنه بفهم المعنى سوف يتحدد الحكم الواجب التطبيق ولا يعيب الفقهاء أنهم لم يتجرأوا على الفُتيا وإصدار الأحكام قبل الرجوع إلى اللغة وأدوات الاجتهاد، ولكن يعيبنا أننا قصرنا في محاولة فهم لغتنا والاعتزاز بها وإننا تجرأنا على فقهائنا بالملامة والعتاب.

لا عليك يا أخي ولنرجع إلى كتب اللغة وأيسرها متناولاً وأظنك تقتنيه وهو «مختار الصحاح» ارجع إلى مادة «ق ر أ» فتجد القَرء بالفتح الحيض. وجمعه أقراء كأفراخ و«قروء» كفُلوس. وأقرُءٌ كأفلُس والقرء أيضاً الطهر وهو من الأضداد.

وإذا رجعت إلى شرح القاموس المسمى بتاج العروس[9] فستجد «القرء» يطلق على الحيض والطُهر وهو ضد، ذلك لأن القرء هو الوقت فقد يكون للحيض والطُهر. وأكتفي معك بهذا القدر وحسبي أن أكون قد أثرت غيرتك على لغتك التي هانت عليكم أبناء هذا الجيل.. ولا أكتمك ضيقاً أحس به، يصل إلى حد الإحساس بالقهر مما أعانيه وأنا أسير في بعض شوارع قاهرة المعز أو إن أردت الحقيقة فقل بعض أحيائها، فأجد لافتات الحوانيت قد تنكرت للغتنا العربية في وقاحة شرسة، فهي تحمل أسماء أجنبية.. حتى هذا الذي يظن أنه يتفضل علينا، فيكتب النطق الأعجمي بحروف عربية، فلا تكاد تعرف شيئاً، وتذكرت شاعر العربية العظيم المتنبي وبيته الشهير وهو يخطو في شعب بوان قال كأنه يعني حاله أو حالنا قال:

ترى الفتى العربي فيها
غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها
سليمان لسار بترجمان

وبهذا القدر أكتفي وأتركك على موعد للقاء مع أحكام أخرى في أصول الفقه يسمونها:

(8) البقرة (228).

(9) جـ1 ص 100، 101، 102.



«المطلق والمقيد» ولعلك تذكرت ما كنا بصدده في أول اللقاء من قوله -تعالى-:

﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾..

مع قوله -تعالى- «في التيمم»:

﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾

ما هو حد المسح في التيمم ولماذا؟.

وهذا ما يسميه علماء الأصول: «المطلق والمقيد» وهو بحث رائع ودقيق لهم فيه شروط حكيمة موفقة، سوف أجعلها موضوع لقائنا المقبل بإذن الله -تعالى-.

لكني أود أن أثير شوقك فقط إلى ما سوف نتناوله، بأن أحاول أن نفهم معاً معنى كلمة «مطلق» ومعنى كلمة «مقيد» وما المقصود بهما.

واستعين على الفهم بمثال، فلو أن مسئول مدينة الطلبة طلب منك قائلاً: أرجو أن تجيئني بطالب من الداخل، فما عليك إلا أن تنادي أي طالب أمامك، وتطلب منه أو تأخذ بيده إلى مسئول المدينة، وتكون بذلك قد نفذت الأمر وهو سهل ميسور، ولو أن المسئول قال لك: أرجو أن تجيئني بطالب هندسة أو شريعة مثلاً، فأنت لست في حل أن تصحب أي طالب، لكن لابد من البحث عن طالب هندسة أو طالب شريعة.

أرأيت الفرق بين الأمرين. أظن أنه واضح ظاهر، ولعلك تقول: إنه لايحتاج لكل هذه الإطالة، ومادمت أدركت أنه واضح ظاهر، فالحمد لله على ذلك. وأقول لك: إن الأمر الأول هو مايسميه علماء الأصول «المطلق» والأمر الثاني يسمونه «المقيد».

ثم اقرأ معي على مهل، وكثيرا ما أقول: إن القرآن في حاجة منا الى قراءة متأنية، أو نحن في حاجة إلى أن نقرأ القرآن قراءة متأنية اقرأ قول الله -تعالى:

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾(١٠)

ولو أنك أكملت الآيات لرأيت الشروط التي وردت في وصف البقرة أو القيود في الأمر بعد أن كان مطلقا بلا قيد، ولهذا قال ابن عباس ما قال.

الخلاصة: ان هذا هو المطلق وهذا هو المقيد.

لكن حوار الأصوليين جاء على النحو التالي: ماذا لو أن الشيء جاء مقيدا في أمر وهو نفسه جاء مطلقاً في أمر آخر؟

**مثال:** اليد في التيمم مطلقة، وفي الوضوء مقيدة بالمرافق.

للأصوليين تقسيمات وشروط عديدة، وبيان يثري العقل الفقهي الحديث، كما أثراه في القديم، ويقنع جيل «الإنترنت» - وتلك مهمة الداعية - ويكشف له عن عظمة تراثه، ويكسبه اعتزازاً بحاضره وذلك ما أرجو، وهو موضوع لقائنا القادم إن شاء الله.

(١٠) البقرة (٦٧) وراجع تفسير ابن كثير ١٠/١٠٩، وكتب التفسير عند قوله تعالى: «وإذا قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة»

# اختلاف فقهاء الشريعة حول التأمين

للمستشار الدكتور/ محمد شوقي الفنجري (*)

## تمهيد

( ١ ) يتصور البعض بأن الخلاف الفقهي حول عقد التأمين، هو خلاف مستحكم، بل ردد البعض بغير حق، بأن فقهاء الشريعة المعاصرين عاجزون أن يصلوا إلى حل بشأن عقد التأمين التجاري يتفق وحكم الشرع ويحقق مصالح المجتمع.

ويدللون على ذلك بأن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، قد عرض موضوع التأمين على مؤتمر علماء المسلمين الثاني المنعقد بالقاهرة في المحرم وصفر سنة ١٣٨٥هـ الموافق مايو ويونيو سنة ١٩٦٥م، فاتفقوا بشأن التأمين التعاوني ونظام المعاشات الحكومية ونظام التأمينات الحكومية، وأنها من الأعمال الجائزة شرعا واختلفوا بشأن التأمين التجاري، حتى ولو تولته الدولة عن طريق شركات القطاع العام كما هو حادث في مصر.

وإنه منذ انعقاد مؤتمر علماء المسلمين الثاني سالف الذكر سنة ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م، وحتى انعقاد مؤتمر علماء المسلمين التاسع المنعقد بالقاهرة في مارس سنة ١٩٨٣م، والموضوع يؤجل لعدم إمكان الاتفاق على رأي حوله.

( ٢ ) نقول: إنه رغم ذلك، فإن الخلاف بين فقهاء الشريعة على نحو ما سنبينه هو خلاف ظاهري لا حقيقي.

وإنه إذا كانت قد تأخرت نسبيا إعلان كلمة الشرع بشأن التأمين التجاري فذلك لمتطلبات الدراسة الدقيقة، وللرغبة في الوقوف على آراء علماء المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية بالقدر المستطاع.

( ٣ ) وقد جاء المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي المنعقد بمكة المكرمة في الفترة من ٢١ إلى ٢٦ من صفر سنة ١٣٩٦هـ/ الموافق ٢١ إلى ٢٦ فبراير سنة ١٩٧٦م، والذي جمع بين علماء الدين وعلماء الاقتصاد في جميع أنحاء العالم

(*) وكيل مجلس الدولة المصري سابقاً.
وأستاذ الاقتصاد الإسلامي وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

الإسلامى، وبعد دراسة دقيقة لمختلف أوجه النظر قرر فى توصياته الختامية: (يرى المؤتمر أن التأمين التجارى الذى تمارسه شركات التأمين التجارى فى هذا العصر، لا يحقق الصيغة الشرعية للتعاون والتضامن، لأنه لم تتوافر فيه الشروط الشرعية التى تقتضى حلّه، ويقترح المؤتمر تأليف لجنة من ذوى الاختصاص من علماء الشريعة وعلماء الاقتصاد المسلمين لاقتراح صيغة للتأمين خالية من الربا والغرر وتحقق التعاون المنشود بدلاً من التأمين التجارى).

ونلاحظ أن المؤتمر قد قطع الرأى بالنسبة للتأمين التجارى الذى تتولاه شركات القطاع الخاص، ولكنه لم يتعرض للتأمين التجارى الذى تتولاه شركات القطاع العام كما هو الحال فى مصر.

( ٤ ) ونرى أن الأمر مازال يحتاج إلى بيان وتفصيل، ونحاول أن نلقى عليه أضواء أخرى، فى الفروع الثلاثة الآتية:-

**الفرع الأول**: بيان ما اتفق عليه فقهاء الشريعة.

**الفرع الثانى**: بيان ما اختلف عليه فقهاء الشريعة.

**الفرع الثالث**: الخلاف بين فقهاء الشريعة ظاهرى لا حقيقى.

## الفرع الأول
## بيان ما اتفق عليه فقهاء الشريعة

( ١ ) لقد اتفق فقهاء الشريعة على مبدأ وفكرة التأمين، فهو يقوم على التعاون بين المستأمنين والذى يشكل وحدة الأساس المشترك بالنسبة للتأمين بجميع أنواعه.

كما اتفقوا على أهمية وضرورة التأمين، فهو وإن كانت فكرته قديمة إذ الأخطار قديمة قدم الإنسانية، إلا أنه بتقدم الحضارة والتصنيع وزيادة المخاطر أصبح التأمين اليوم ضرورة لاغنى عنها.

كما اتفقوا على أن عقد التأمين بصورته المعروفة حاليا، هو عقد مستحدث سنده الشرعى هو المصلحة، وأنه لا يقاس عليه أى من العقود الشرعية المعروفة، فهو لا يشبه عقد المضاربة، ولا ولاء الموالاة، ولا الكفالة بجعل ولا نظام العواقل، ولا الوعد الملزم... الخ.

( ٢ ) ولقد سبق أن أوضحنا أن الزكاة هى مظلة التأمين الكبرى فى الإسلام، وأن سندها الشرعى هو النص.

كذلك أوضحنا أن التأمين يقوم جنبا إلى جنب بجوار الزكاة، محققا أهدافها، وأن لكل منهما مؤسساته ومنظماته، ولكل مجاله، ولكل الحاجة القصوى إليه.

فمؤسسة الزكاة فى الإسلام تؤمّن غير القادرين من الفقراء والمساكين وغيرهم بدون مقابل، بينما منظمات التأمين تؤمن القادرين وبمقابل، وقد اشتدت الحاجة اليوم إلى التأمين بعد أن ازدادت المخاطر التى يتعرض لها الإنسان واشتدت وطأتها مع تقدم الحضارة الحديثة بحيث أصبح من ضرورات المجتمع.

( ٣ ) كذلك اتفق فقهاء الشريعة على شرعية نوعين من أنواع التأمين: وهما التأمين التعاونى، والتأمين الحكومى فى صورتين منه هما نظام

التقاعد والمعاشات ونظام التأمينات الاجتماعية.

**أ- من حيث التأمين التعاوني:**

فإن المستأمنين يؤمن بعضهم بعضا دون وسيط سوى المنظمة التي تمثلهم وتعمل لحسابهم، وأن ما يدفعه كل مستأمن إنما يريد به التعاون مع زملائه في تخفيف الضرر أو رفعه عن أحدهم إزاء ما نزل به بحدوث الكارثة المؤمن عليها، وكل ما يأخذه مما خصصه أصحابه لذلك تبرعا منهم له وإرصادا لهذا الغرض وهو غرض التعويض عما لحقه من ضرر.

فالتأمين التعاوني هو معاملة أساسها التعاون والتبرع، فهي خالية من معنى المعاوضة بتاتا، وإذا انعدم في هذا النوع من التأمين معنى المعاوضة، فقد انتفت عنه مفسدة الجهالة والضرر والغبن وشبهة الربا.

وهذا النوع من التأمين يحقق مصالح كثيرة يأمر بها الشرع، فهو يحقق التعاون وقد أمرنا به بقوله - تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[1]، وهو يحقق الحذر، وقد أمرنا به بقوله - تعالى:

﴿ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾[2].

وهو يحقق الوقاية من المكروه والضرر، والذي أمر به الشرع بقاعدة ( لا ضرر ولا ضرار ).

**ب- ومن حيث التأمين الحكومي في صورة نظامي المعاشات والتأمينات الاجتماعية:**

فإن الحكومة هي التي تؤمن المستفيدين منه سواء كانوا موظفين بها أو مواطنين عمالا.

والحكومة تفرضه على سبيل الإلزام بالنسبة لهذه الفئات بحيث لا يكون لهم خيار بشأنه ولا يستقل المستفيدون منه بأداء أقساطه بل تشارك فيه الدولة أو أصحاب العمل بحسب الأحوال.

فالتأمين الحكومي في صورة تأمينات اجتماعية، هو معاملة إلزامية أساسها التعاون والمعاوضة، وهو كمعاوضة احتمالية يصاحبها ولاشك مفسدة الجهالة والغرر، فقد يأخذ الموظف أو العامل أو ورثتهما أكثر أو أقل مما دفعا، وقد يموت الموظف أو العامل وليس له من يستحق معاشا فتأخذه الحكومة.

ومع ذلك فقد أغفلت شبهة أو مفسدة هذا الضرر، ورجحت المصلحة التي تقتضي العمل بهذا النظام لاسيما وأن أغلب الموظفين والعمال يموتون عن زوجة وقصر، فلا يكون للمفسدة أو الشبهة أثر إذا ما تعارضت مع المصلحة، وذلك إعمالا للقاعدة الشرعية أن ( المفسدة المحتملة إذا عارضتها مصلحة راجحة، قدمت المصلحة وألغي اعتبار المفسدة )، وهو ما عبر عنه الإمام ابن حزم بقوله: ( المفسدة المفضية إلى تحريم، إذا عارضتها مصلحة أو حاجة راجحة، أبيح المحرم ).

على أن شرعية التأمين الحكومي في صورة نظم المعاشات والتأمينات لا تستمد في نظرنا من يسر الشريعة وترجيح المصلحة على المفسدة، مما قد يختلف في تقديره أوجه النظر والاجتهاد.

وإنما لأن هذا النوع من التأمين ليس بعقد يبرم اختيارا مثل عقد التأمين وإنما هو نظام تفرضه الدولة إلزاما، كما أن الدولة لا تستهدف من

---

(١) سورة المائدة الآية (٢).

(٢) سورة النساء الآية (١٠٢)




ورائه كسبا، وإنما تأمين مستقبل موظفيها أو مواطنيها من العمال حتى إنها تشارك مع موظفيها في أداء الأقساط وتجبر أرباب العمل على مشاركة العمال في أدائها.

على أنه لا مانع عندنا بالإضافة إلى الحجتين الأساسيتين اللتين سقناهما، أن نذكر ما أبداه البعض بشأن إباحة هذا النوع من التأمين، بأنه من قبيل كفالة الدولة للعاملين في خدمتها ولرعاياها، فهو ضرب من ضروب ولاية الدولة وهيمنتها على جميع شئون أفرادها واضطلاعها بسد حاجتهم ورفع الضرر عنهم بعونهم في مغارمهم.

ونضيف أيضا ما يذكره البعض بأن ما تحصله الدولة من الموظفين والعمال وأرباب العمل من أقساط، يعتبر تجميعا لمدخراتهم لديها، مما يكون عونا ماليا لأداء مهمتها في شتى مرافق الحياة ومنها تأمين مستقبل الموظفين والمواطنين من العمال ورعاية أسرهم، وعليه فإن ما يؤدونه من أقساط بحسب هذا الرأي، هو من قبيل «الضريبة» أو التوظيف وإن سمتها نظم المعاشات والتأمينات الاجتماعية «اشتراكا».

## الفرع الثاني

## بيان ما اختلف عليه فقهاء الشريعة

(١) لقد اختلف فقهاء الشريعة حول التأمين التجاري، وهو الذي تتولاه شركات التأمين لحسابها الخاص وبقصد تحقيق أكبر قدر من الربح، فهذا النوع من التأمين هو معاوضة احتيارية بحتة، وهو كمعاوضة احتمالية يصاحبها ولاشك مفاسد أو شبهات الجهالة والغرر والربا، فضلا عن جنوح شركات التأمين التجاري إلى فرض شروط تعسفية واستغلال المستأمنين جريا وراء الربح.

وقد رأى البعض إجازة هذا النوع من التأمين، باعتبار أنه لا يكون للشبهات والمفاسد أثر إذا ما تعارضت مع الحاجة والمصلحة، وأنه يمكن دائما للقضاء أو للسلطة التشريعية في الدولة التدخل لإبطال الشروط التعسفية ولمنع الاستغلال.

في حين رأى البعض تحريمه ومنعه، باعتبار أنه ليس لنا به حاجة أو مصلحة، إذ يمكن الاستغناء عنه بإحلال التأمين التعاوني الذي لا مفسدة ولاشبهة فيه، بل يحقق مصالح ومنافع باستبعاد دور الوسيط المستغل ممثلا في شركات التأمين.

(٢) كذلك اختلف فقهاء الشريعة حول التأمين الحكومي الذي تحل فيه الدولة محل شركات التأمين التجاري، حيث تتولاه شركات القطاع العام كما هو الشأن في مصر.

فيرى البعض إجازة هذا النوع من التأمين التجاري الذي أممته الدولة وأشرفت عليه، وذلك باعتبار أن ما كانت تحققه شركات التأمين التجاري من أرباح وتستقل به وحدها، أصبحت تستقل به الدولة ويعود نفعه على المجتمع كله إذ أن أموال الدولة هي أموال الناس جميعا.

بينما يرى البعض تحريمه، طالما الثابت أن شركات القطاع العام تسير على نفس النهج الذي كانت تسير عليه شركات التأمين الخاصة من حيث استغلال حاجة الناس إلى التأمين.

(٣) ونرى أن التأمين التجاري المؤمم بصورته الحالية كمصر، وإن حقق فائدة مؤكدة من حيث سيطرة الدولة على مدخرات المواطنين والحيلولة




دون خطر تحكم أفراد قلائل في الاقتصاد القومي أو استغلالهم هذه المدخرات وفقا لمصالحهم الخاصة وعلى هواهم دون اعتداد بصالح المجتمع، إلا أنه لم يراع صالح المستأمنين أنفسهم إذ ظلت شركات القطاع العام تفرض ذات الشروط التعسفية كما ظلت تحصل ذات الأقساط المبالغ فيها.

وإنه من هذه الوجهه الأخيرة، أصبح هذا النوع من التأمين أكثر خداعا وتضليلا، إذ يمارس فيه الاستغلال باسم الدولة، وهو أمر غير جائز وغير مقبول شرعا، وأنه يتعين على الدولة إعادة النظر في شروط هذا النوع من التأمين، وفي تقدير الأقساط، وبما ينفي عنه أية صفة من صفات الاستغلال، حتى يمكن الترحيب به والقول بشرعيته.

## الفرع الثالث

## الخلاف بين فقهاء الشريعة ظاهرى لا حقيقى

( ١ ) يتبين مما تقدم أن الفقهاء المعاصرين مجمعون على شرعية التأمين التعاوني كما أنهم متفقون على شرعية التأمين الحكومي الذى يتمثل في نظام التقاعد والمعاشات وكذا نظام التأمينات الاجتماعية، ولكنهم مختلفون حول شرعية التأمين التجارى، ولو تولته الدولة.

على أن المتأمل في أقوال فقهاء الشريعة المجيزين للتأمين التجارى بإطلاقه يتبين أنهم جميعا ضد الشروط التعسفية التي تفرضها شركات التأمين، وأنهم جميعا ضد أقساط التأمين المرتفعة أو المبالغ فيها والتي تشكل عنصرا من عناصر الاستغلال، وأنهم جميعا لا يقرون استغلال شركات التأمين لأموالها في استثمارات ربوية،وأنهم لا يسلمون بأى حال من الأحوال بأى شرط يحل حراما أو يحرم حلالا.

ويحرص فقهاء الشريعة من أنصار التأمين التجارى على التأكيد بأن المفاسد والشبهات التى تصاحب التأمين التجارى، هى صفات خارجة عن جوهر التأمين فى ذاته، لأنها ليست منه وليست إلا عملا أضيف إليه وقرن به بناء على رغبة أحد المتعاقدين لا بناء على أنها عنصر من عناصر التأمين، وأنهم بالتالى يصرون على ضرورة إحكام رقابة الدولة على التأمين التجارى، وإعادة تنظيمه على وجه يحول دون قيام هذه المفاسد والشبهات، وأنهم فى النهاية إذ يجيزون التأمين التجارى بعد إعادة تنظيمه وإحكام الرقابة عليه، فإنهم بسبب صفته الاسترباحية لا يقبلونه إلا على مضض لحاجة الناس إليه.

( ٢ ) وقد عبر عن ذلك كله، أكثر أنصار التأمين بإطلاق تحمسا، وهو فضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى الزرقاء، فنجده مثلا فى بحثه الأخير المقدم إلى المؤتمر العلمى الأول للاقتصاد الإسلامى المنعقد بمكة المكرمة فى الفترة من ٢١ - ٢٦ صفر سنة ١٣٩٦ هـ الموافق ٢١-٢٦ فبراير سنة ١٩٧٦م يقول فى صفحة ٢٢ : ( الذى حصل أن عنصر الربح لما دخل فى الموضوع أصبح عنصر إغراء يدفع إلى الاستفادة، وأصبح بالتالى هو الهدف الرئيسى لدى شركات التأمين قبل الفكرة التعاونية

النبيلة، فانعكس الموضوع وأصبحت الوسيلة غاية والغاية وسيلة، وأصبحت شركات التأمين تتحكم في الحاجة الملحة إليه، لاسيما حين تفرضه القوانين بصورة إلزامية على الناس كالتأمين على السيارة من المسئولية وتأمين رب العمل على حياة العمال، أو يفرضه التعامل التجارى كالتأمين على البضائع المستوردة إذا فتح اعتمادا بقيمتها لدى مصرف فإنه لايفتح بقيمة البضاعة اعتمادا إلا إذا أمن المستورد عليها لتكون ضمانا للاعتماد المصرفي. وهكذا أصبحت شركات التأمين تفرض أقساطا عالية وتجنى أرباحا باهظة استغلالا لحاجة الناس واضطرارهم طمعا في زيادة الربح الذى أصبح هو هدف شركات التأمين.

وينتهى فضيلته في بحثه المذكور بقوله: «كون الجهة التي تنصرف إلى القيام بهذه العملية تربح منها، فإنه أمر طبيعي أن يربح من العمل من ينصرف إليه ويقوم به، وهذا لا ينفي ولا ينافي المعنى التعاوني الموجود في أساسه ومبناه، وهو موضوعه الأصلي. وإنما تبقى الشوائب اللاحقة بهذا العمل التعاوني من سلوك القائمين به كالمراباة والاستغلال للاستكثار من الربح، فهذه أمور جانبية ليست في صميم التأمين ولا من مستلزماته فتأخذ أحكامها بصورة منفصلة وتعالج بالتدابير القمعية على حدة».

«٣» فالثابت أن أنصار التأمين التجارى، وهو التأمين محل الخلاف، لا يسلمون به إلا بعد تخليصه من الشوائب والمفاسد التي أخذها عليه معارضو هذا النوع من التأمين، ويكون بذلك الخلاف بينهم خلافا ظاهريا لا حقيقيا وأنه كلما اتسعت الرؤيا ضاق الخلاف.

فإذا أضفنا إلى ذلك ما أغفله فقهاء الشريعة من أنصار التأمين التجارى، حيث إنهم لم ينظروا إليه من الوجهة الاقتصادية ومدى تأثيره على الاقتصاد القومي، وأنه يمثل خطرا اقتصاديا على الدولة من حيث سيطرة شركات التأمين ممثلة في أفراد قلائل على مدخرات المواطنين وتوجيهها وفق هواهم ومصالحهم الخاصة، الأمر الذى اضطر بعض الدول إلى التدخل بإلزام شركات التأمين باستغلال أموالها في أوجه معينة تعود بالنفع على المجتمع، واضطر بعضها إزاء لجوء شركات التأمين على التحايل أن تؤمم جميع شركات التأمين التجارى.

وإذا أضفنا أيضا، ما سبق أن أوضحناه بكتابنا (الإسلام والتأمين)، أن التأمين التجارى هو في انكماش تلقائي، إن لم يكن إلى زوال نهائي بسبب صفته الاستغلالية، وتبعا لانتشار التأمين التعاوني في صورته الحديثة المتطورة، فإنه بذلك لا يكون ثمة خلاف حقيقي بين فقهاء الشريعة حول التأمين، فهم جميعا يجيزونه في صورته المتفق عليها وهما:

أ- التأمين التعاوني.

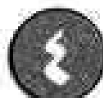
ب- التأمين الحكومي في صورة نظام التقاعد والمعاشات أو في صورة التأمينات الإجتماعية.

وهم إن اختلفوا حول التأمين التجارى، فهو على نحو ما توضح هو خلاف ظاهرى لا حقيقي.

إذ لا يقرونه إلا بعد تخليصه من الشوائب والمفاسد التي قارنت تطبيقه الحالي.

نسأله تعالى التوفيق والسداد.

# محمد صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين



للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعني

**كتابات المستشرقين عن الإسلام - عموما - تسيطر عليها ثلاث آفات شديدة التأثير على ما يقولون، إلا من عصم منهم، وهم قليلون. هذه الآفات هي:**

**- الشعور بالاستعلاء، حيث يرون أنفسهم وأيدلوجياتهم ومناهجهم أعلى قدرا من الإسلام الذي يتصدون للكتابة عنه.**

**- نظرتهم إلى الإسلام على أنه محبوس أمامهم في «قفص الاتهام»، وأن مهمتهم هي توثيق «الجرائم» التي صار بها الإسلام متهما في نظرهم.**

وأقلهم تحاملا على الإسلام هو من يرى نفسه محاميا عن هذا «المجرم» ولكنه يطالب بتوقيع «أخف» العقوبات عليه، كما يقول واحد كان منهم، هو ليوبولد فانس، الذي أسلم وتسمى «محمد أسد» في كتابه «الإسلام في مفترق الطرق» فالاتهام عندهم قرين الإسلام دائما، وليس من هؤلاء، ولا أولئك الذين درسوا الإسلام بوعي وعناية، ثم اعتنقوه عن اقتناع لما ظهرت لهم علائم الحق فيه.

● أما ثالثة هذه الآفات، فهي الجهل بالإسلام، والوقوف أمام «جزئيات» لاتصلح أساسا للحكم على الإسلام أو الحكم له.

فلا غرو - إذن - أن تبلغ تحاملاتهم على الرسول ﷺ اتهامه بتزوير القرآن، على النحو الذي تقدم لأن كل واحدة من تلك الآفات الثلاث كافية في نزع الثقة عن كل ما تأثر بها، فما بالك إذا اجتمعت في التأثير في كل ما يكتبه هؤلاء المستشرقون؟ إنهم - خضوعا لهذه الآفات - لا يبالون على أي وضع كانت نتائج دراساتهم وبحوثهم عن الإسلام؟ فيستوي عندهم الكذب والصدق، والباطل والحق وإن أدى إلى إضحاك العامة عليهم.



والقرآن الذي ينسبونه إلى التزوير، يحمل قوة دفاع «ذاتية» غير محتاج في الدفاع عنه، إلى

وسائل تستجلب من خارجه، فـ «قوة الدفاع الذاتية الكامنة فيه» قادرة على نسف كل ما يوجه إليه من مطاعن، لأنه:

﴿ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾(١).

وما تقدم في الحلقات الثلاث كاف في الرد على هذه المزاعم الكاذبة، وفيه إفحام قاهر لخرافة هؤلاء المستشرقين، الذين حملهم الحقد الأسود على تلك «المقولة» التي هي أوهى من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون، ولكن لايزال لنا رصيد آخر من «قذائف الحق» الناسفة لباطلهم، وإن بعضهم لبعض ظهيرا، وحالهم ـ كما قال الشاعر:

**وليس يصح في الأذهان شيء**
**إذا احتاج النهار إلى دليل**

## حركة الأرض حول الشمس

كان الحديث في الحلقة الماضية يدور حول: حركة الأرض حول نفسها، أو حول محورها كما يقول كثير من أهل العلم، وهي حقيقة كونية اكتشفها العلم الحديث، منذ قرن ونصف قرن تقريبا.

وقد عرضنا كيف أن القرآن العظيم كان قد سبق العلم الحديث في الإشارات «الذكية» إلى تقرير هذه الحقيقة، قبل العلم الحديث بأكثر من اثني عشر قرنا.

وحركة الأرض حول الشمس حقيقة كونية من سمات الحقائق سبق القرآن العظيم في أسلوب محكم معجز إلى تقريرها وثبوتها في الوجود، منذ خلق الله الكون العظيم، ومعلوم أن صلة العلوم الحديثة بهذه الحقائق الكونية، هي صلة اكتشاف لا صلة تكوين وإيجاد. فالموجد المكون لها هو الله ـ عز وجل ـ.

وفي القرآن العظيم، الذي أنزله رب العالمين، على خاتم النبيين إشارات «ذكية رائعة» إلى وجود هذه الحقيقة الكونية، القديمة الوجود، قدم وجود الكون نفسه، وقبل إعداد الأرض للحياة، أي في مرحلة الخلق الأول ومن هذه الإشارات الذكية الآيات الآتية:

﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ ﴾(٢).

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ ﴾(٣).

﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ ﴾(٤)

القرآن العظيم في هذه الآيات يعبر بالفعل «يولج» عن حقيقة، كونية ناشئة عن دوران الأرض حول الشمس في كل سنة دورة واحدة كاملة.

وهذه الدورة البطيئة، بالنسبة لدورة الأرض حول نفسها يترتب عليها حقيقتان كونيتان أخريان، هما حدوث الفصول الأربعة: الشتاء ـ الربيع ـ الصيف ـ الخريف، وكل فصل منها ينشأ عن وضع كوني

---

(١) فصلت [٤٠ ـ ٤١].
(٢) الحج [٦١].
(٣) آل عمران [٢٧].
(٤) فاطر [١٣].

للأرض تجاه الشمس، في الرحلة الكونية للأرض، ويستغرق كل فصل ثلاثة أشهر كما هو معروف.

أما الحقيقة الكونية الثانية، التي تترتب على دوران الأرض حول الشمس فهي:

تفاوت الليل والنهار في الطول والقصر، وإلى هذا المعنى أشار القرآن العظيم بالفعل

﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾.

والولوج الدخول[٥]، والإيلاج الإدخال، والأول يأتي لازما ومتعديا.

فمن اللازم: دخل الليل، بمعنى أقبل.

والمتعدي مثل: دخل فلان السوق، وفيه قوله - تعالى -:

﴿ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[٦]

أما الثاني فلا يأتي إلا متعديا بالهمزة.

والفرق بين الدخول والولوج بعد اشتراكهما في أصل الدلالة أن الدخول أعم، والولوج أخص، لأن الولوج هو الدخول بلطف ويسر، واستعمال القرآن لمادة «ولج» يدل على هذا الفرق الدقيق بين مجرد الدخول، والولوج.

وإيلاج الليل في النهار كناية عن أخذ الليل أجزاء من زمن النهار، وإيلاج النهار في الليل كناية عن أخذ النهار أجزاء من زمن الليل.

وهذا الإيلاج يكون بنسب متفاوتة كل يوم، ففي الشتاء يأخذ الليل في الطول تدريجيا بدءاً من ٢٢ ديسمبر، ثم يبدأ في النقصان بدخول فصل الربيع ٢١ من مارس، وهكذا بالنسبة للفصول الأخرى حسب مواقعها على الأرض.

ولما كان هذا الإيلاج له حكمة عظيمة، وينشأ عن إرادة الله وقدرته هو وحده، نرى النظم القرآني الحكيم يسند هذا الفعل: «تولج» أو «يولج» إلى الله - عز وجل - لأنه هو وحده، الذي قدّر وأنجز حركتي الأرض اليومية والسنوية.

وجعل هذا الصنع من أدلة الإيمان، والاتعاظ والاعتبار ففي سورة «لقمان» يقول:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[٧].

فها هنا توقيف وتوجيه ولفت أنظار للتأمل في هذه الآيات الإلهية، باعتبارها دلائل على الإيمان بالله العظيم.

وقد أجمع علماء الهيئة، وبخاصة في العصر الحديث، على أنه من المحال أن يكون تفاوت الليل والنهار في الطول والقصر والاعتدالان الربيعي والخريفي ظواهر كونية ناشئة عن حركة الأرض حول نفسها، وإنما هي ناشئة عن حركة الأرض حول الشمس، وكذلك تعاقب الفصول الأربعة.

وبهذا يكون القرآن العظيم قد أثبت للأرض حركتين قبل اكتشاف العلم الحديث هذه الحقائق العلمية اليقينية بأكثر من ثلاثة عشر قرنا.

---

(٥) مفردات الراغب [٥٣٢].

(٦) الإسراء [٧]

(٧) الآية [٢٩] لقمان

ومنهج القــرآن العظيم في تقــرير هذه الحقائق، لم يكن بطريق مباشر، وإنما قررها عن طريق آثارها المترتبة عليها في الوجود. وهو ما عــبرنا عنه من قــبل مــرات بـ «الإشــارة الذكية» ونقصد بها الإشارة الملائمة لفهم كل جيل، وكل عصر، مهما كان حظه من الثقافة والمعارف السائدة وهذا ـ بلا ريب ـ وجه من وجوه الإعجاز القرآني، الذي لم يتوقف، ولن يتوقف، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ويعبر بعض العلماء عن هذه الإشارة الذكية تعبيرا آخر إذ يقول:

«وللقرآن الكريم ـ في كل من ميداني الخاص والعام أسلوبه الحكيم، للدلالة على ما يريد أن يدل عليه من أسرار الفطرة؛ ليكون كل سر منها ـ إذا أذن الله بالكشف عنه ـ هاديا إلى الله فاطر الفطرة، ومنزل القرآن، ولما كان القرآن إنما أنزل لهداية الناس إلى من أنزله ـ سبحانه ـ فقد اقتضت الحكمة الإلهية، في آياته الكونية، أن ينزل بأسلوب لا يصدم البديهي المسلم به عند الناس فيكذبوه ولا ينافي الحقيقة الكونية، فيكون ذلك داعيا إلى تكذيبه إذ يسَّر الله سبيل الكشف عنها لأولي العلم في مستقبل العصور.

وهذا من أعجب عجائب القرآن، التي لا تنقضي، ومن أدل الدلائل على أن القرآن حقا من عند الله، فإن التعبير عن الحقيقة الكونية بأسلوب يطابقها تماما، أو يدل عليها أولي العلم، ثم لا يصدم الناس في ما يعتقدوه.. هذا الأسلوب القرآني في التعبير عن الحقائق الكونية، أو في دلالة أولي العلم عليها، أمر يعجز عنه البشر، ولا يقدر عليه إلا الله»[8].



هذه الحقائق العلمية الكونية، غير مجهولة عند جماعة المستشرقين وفي بيئاتهم المعاصرة، ولكثير من علمائهم بحوث ودراسات قيمة في كل المجالات، وبخاصة في مجال الفلك والجغرافيا، ومع هذا يتهمون محمدا ﷺ بأنه زوّر القرآن فكيف ساغ لهم ذلك، وترجمات معاني القرآن إلى لغاتهم وفيرة لديهم، ومنهم من يجيد قراءة القرآن نفسه باللغة العربية التي أنزله الله بها، وليس مقبولا أن يعتذر عنهم بأنهم جاهلون بالقرآن ودلالته، وحتى لو صح هذا فليس لهم أن يحكموا عليه بالتزوير، وهم له جاهلون وإنما السبب الوحيد في هذا «التهور» هو التعصب والعناد، لأنهم لو كانوا قد أذعنوا لصدق القرآن للزمهم الإيمان به، وهم غير مؤهلين لهذه المهمة، التي لو حدثت لكان معناها أنهم اعترفوا ببطلان ما هم عليه ولا نهدم حاضرهم قبل ماضيهم، اللذان بنوهما على الأوهام.



وبقيت إشارات عظيمة الدلالة، على حركة الأرض حول الشمس، غير دلالة «الإيلاج».

هذه الدلالة هي ما ورد في القرآن العظيم، من إفراد المشرق والمغرب، ثم تثنيتهما، ثم جمعهما، وذلك في الآيات الآتية:

---

(٨) الإسلام في عصر العلم [٣٣٩] د/ محمد أحمد الغمراوي ـ رحمه الله.

في إفراد المشرق والمغرب ورد قوله تعالى:

﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(٩).

وفي تثنيتهما ورد قوله تعالى:

﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾(١٠).

وفي جمعهما ورد قوله تعالى:

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾(١١).

تحدث القرآن العظيم عن شروق الشمس وغروبها وقد حصر ذلك في ثلاثة معان هي ما يدركه الحكم العقلي غير ناقص ولا زائد عما هو في الوجود، لأن الأعداد لا تخلو من الفردية، أو الإثنينية أو ما زاد عليهما وهو الجمع، الذي يبدأ من ثلاثة، فما فوق إلى غير نهاية ومجيء حديث القرآن على هذا قد يثير تساؤلا، بل قد أثار هذا التساؤل فعلا في القرون الثلاثة الأولى للإسلام، أثاره بعض الطاعنين في القرآن من الزنادقة وبخاصة في القرن الثالث، فتصدى لهم الإمامان الجليلان: أحمد بن حنبل، ومحمد بن مسلم بن قتيبة ـ رضي الله تعالى عنهما ـ.

والسبب في هذا التساؤل أن المحسوس للناس من حيث الإدراك الظاهر مشرق واحد، ومغرب واحد، لا مشرقان ومغربان، ولا مشارق ومغارب.

وقد حاول المفسرون القدامى توجيه التثنية والجمع على النحو الآتي:

«والمراد بالمشرقين مشرقا الشتاء والصيف، وبالمغربين مغرباهما»(١٢).

هذا هو توجيه التثنية، أما توجيه الجمع فهو:

«مشرق كل يوم ومغربه»(١٣).

أما الإفراد فالمراد به الجهة، على وجه العموم: أي جهة الشروق، وجهة الغروب.

وما قاله القدماء صحيح إلا في توجيه التثنية، فإنه احتمال بعيد.

والمحدثون لهم إضافات في توجيه التثنية والجمع جاراهم عليها الجغرافيون، بناء على ملاحظات عملية واقعية، تنظر في مظانها من الدراسات الحديثة(١٤).

فالشيخ محمد متولي الشعراوي ـ رحمه الله ـ أضاف توجيها جديدا لكل من التثنية والجمع، وخلاصة ما قال:

إن كل وجه من وجهي الأرض له مشرق تشرق منه الشمس صباحا، ومغرب تغرب منه مساء، فيكون هناك مشرقان ومغربان بالنسبة، لوجهي الأرض، على مدى الـ ٢٤ ساعة هذا ما يراه ـ رحمه الله ـ في توجيه التثنية الواردة في قوله تعالى:

﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾.

أما ما أضافه في توجيه الجمع «المشارق ـ المغارب» وتابعه عليه آخرون، فهو: أن لكل قطر

(٩) الشعراء [٢٨]

(١٠) الرحمن [١٧]

(١١) المعارج [٤٠]

(١٢) فتح القدير للإمام الشوكاني [١٦١/٥]

(١٣) فتح القدير للإمام الشوكاني [٣٥٢/٥]

(١٤) انظر ـ مثلا ـ : المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم [ص ٣٦٨] وما بعدها. د/ عبدالعليم عبدالرحمن خضر الدار السعودية للنشر

مشارق ومغارب حسب خطوط الطول كل أربع دقائق . فالشمس فى حركتها الظاهرية، من المشرق إلى المغرب فى كل وجه من وجهى الأرض لها مشرق ومغرب كل أربع دقائق، ففى نصف الكرة الشرقى تكون مشارقها ومغاربها ١٨٠ مشرقا ومغربا .

وكذلك الشأن فى نصف الكرة الغربى فيكون المجموع الكلى لوجهى الأرض هو ٣٦٠ مشرقا ومغربا .

هذا هو خلاصة ما يفهم من كلام الشيخ الشعراوى ـ رحمه الله ـ [١٥] .

ولا يخفى أن المشارق والمغارب بهذا المفهوم تخضع لعوامل سرعة متناهية .

وبعض الجغرافيين المعاصرين طبق ما قاله الشيخ محمد متولى الشعراوى [١٦] .

وما ذهب إليه الشيخ الشعراوى مقبول، ولكن أساس حركة الشمس الظاهرية من المشرق إلى المغرب، وهذه الحركة كما تقدم ناشئة عن دوران الأرض حول محورها، لا عن دورانها حول الشمس، وهى الدورة التى تقطعها الأرض فى عام كامل .

والمعروف أن هذه الدورة تكون فيها حركة الشمس الظاهرية من الجنوب إلى الشمال، ومن الشمال إلى الجنوب، وهى موضوع الحديث فى هذه المقالة .

والذى نعوّل عليه هنا هو حركة الشمس الظاهرية من الجنوب إلى الشمال، ومن الشمال إلى الجنوب، لأن هذه الحركة هى دليل على دوران الأرض حول الشمس .

والمعروف أن الشمس لها كل يوم مشرق ومغرب على مدار أيام العام ولا تشرق ولاتغرب يومين أو أكثر من مكان واحد شروقا وغروبا، إلا فى الاعتدالين الربيعى والخريفى وهما مشرقان ومغربان متباعدان فى الزمن، فإذا استبعدنا مشرقى ومغربى الاعتدالين من أيام السنة « القمرية » نجد المشارق والمغارب المختلفة طول العام ٣٥٢ مشرقا ومغربا .

وترتيبا على هذا فإن قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾ .

بجمع « المشارق والمغارب » إشارات صادقة إلى هذه الحقائق الكونية . وهذا هو ما أشار إليه صاحب « فتح القدير » وغيره من قدامى المفسرين ـ كما تقدم ـ حيث وجهوا الجمع فى « المشارق والمغارب » بأنه مشرق كل يوم، ومغرب كل يوم .

أما التثنية « رب المشرقين ورب المغربين » ففيه توجيه آخر محتمل غير التوجيه الذى تقدم .

إذ لا مانع أن يكون المراد بـ « المشرقين والمغربين » هما مشرقا الاعتدالين ومغرباهما . ويكون السر فى اختصاصهما بالذكر هو اتفاقهما فى المقدار الزمنى، بخلاف ماعداهما من مشارق ومغارب .

---

(١٥) معجزة القرآن - «كتاب اليوم» [٢٥ : ٢٨] .

(١٦) المنهج الإيمانى [٢٧٠] وما بعدها . مرجع سبق ذكره .

ودلالات هذه الإشارات على الحركة الثانية للأرض وهي حركتها حول الشمس، قد ألمح إليها القرآن الحكيم بإضافة كلمة «رب» إلى المشرق والمغرب، والمشرقين والمغربين والمشارق والمغارب، لأن هذه الإضافة تفيد تكوين المضاف «رب» للمضاف إليه: المشرق والمغرب، والمشرقين والمغربين، والمشارق والمغارب.

لأنه ـ عز وجل ـ خالق ومدبر حركة الأرض حول الشمس التي ترتب عليها هذا التفاوت العظيم في الوجود.



وقد أكدت آية أخرى هذا المعنى المفهوم من إضافة «رب» إلى ما أضيفت إليه في الآيات الثلاث التي تقدم ذكرها، وهي قوله ـ تعالى ـ:

﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾(١٧).

أفادت إضافة «رب» إلى «المشرق والمغرب» التمهيد للألوهية والوحدانية؛ لأن الحركة العظيمة التي ترتبت عليها ظاهرات الشروق والغروب والإيلاج سواء كانت ملاحظة من الشرق إلى الغرب، أو من الجنوب إلى الشمال ومن الشمال إلى الجنوب، هذه الحركة لا صانع لها في الوجود غير الله ـ عز وجل ـ.

وهذه الظواهر الكونية التي صارت الآن حقائق تحدث عنها القرآن المعجز، في عصر كانت البشرية فيه في أمية ضاربة أطنابها على العالم كله. فإن جارينا ـ جدلا ـ بعض المستشرقين، الذين اتهموا محمدا ﷺ بتزوير القرآن في غار حراء، فنحن وهم مطالبون أولا بأن نقنع أنفسنا بمصدر تطمئن إليه النفس، علّم محمدا ﷺ هذه الحقائق المذهلة. ونحن وهم لسنا واجدين في الأرض من يصلح في ذلك الوقت أن يكون مصدرا استقى منه محمد ﷺ هذا الفيض العظيم من العلوم والمعارف، التي لم تكن معروفة لأحد من البشر إلا منذ قرن أو يزيد قليلا من الزمان.

فهل من سبيل أمامنا وأمامهم يُعثرنا على ذلك المصدر، الذي علم محمدا ﷺ ما لم يكن يعلم، حتى يمكن القول بأن محمدا هو الذي ألف القرآن في غار حراء، وليس وحيا عُلْويا من عند الله.

لانخال أن أحدا منهم سيجده أو حتى يسلم مجرد تسليم بأن محمدا تلقى هذه المعارف المذهلة عن مصدر كان يجيد الإحاطة بها في تلك العصور.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(١٨).

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١٩).

(١٧) المزمل [٩].

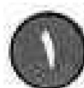
(١٨) البقرة [١١١]

(١٩) هود [١٤].

# بلبل الفردوس .. بلال بن رباح

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾
الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾
الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن
نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾
وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ **سورة الليل الآيات (١٤: ٢١)**

أبو حسام



سجع الطير في الوكور فأبكاه
من الطير أنه يتغنى
نغمات تهز منه حناياه
فيشتاق أن يعالج لحنا
كلما دوت اللحون دعته
أن يعيد الصدى ليبدع فنا
أن رأى خلوة من الناس غنى
بأهازيجه فرادى ومثنى
وتر في اللهاة يغفو مع الصبح
ويصحو مع الدجى حين جنا
كتم الشدو عن ذويه حياء
من من السامعين ينصف فنا
لو تغنى صاحوا به في ازدراء
دونك البيد ، فارع نوقا وضأنا
حبشي تزوده لغة الضا
د فتمضي الألفاظ في فيه لكنا
دفع اللفظ ، واستمع بحة الصو
ت فتلك التي لمن يتمنى !
ساكن السطح ثائر الغور يغلي
بالظهر منه يناقض بطنا !
ولعينيه في محياه ومض
هل رأيت البروق تخطف وهنا
يستشف الذكاء من مقلتيه
وبه يعتلي على الرق شأنا
سلس ، هين القياد وإن قا
سى من القيد ما يقاسي المعنى
ألف الصبر ، حين لا يبعث الصبر
لذي الهيبة المروع أمنا

أتراه قد كان يسمع همسا
من وراء الغيوب يسرى الهوينا
معلنا مشرق السنا خفاة
قد تراموا فى البيد سهلا وحزنا



وأصاخت أم القرى ذات يوم
لنداء من سدة العرش رنا
بعثت قوة الحقيقة فيه
منطقا يفحم المقاول معنى
لو على الطود رتلت منه آى
سجد الطود فى خشوع وحنا
أمراء البيان قد شدهوا منه
فصاروا بكما وكانوا اللسنا
قد تحداهمو، فهموا، ولكن
بعدت شقة التفاضل بونا
كم خصيم مفوه بات بالعجز
مغيظا، فراح يقرع سنا
زلزل الحق أذنه فحشا السمع
بإبهامه، يريد مجنا!
ينظم الفاتن الخلوب من العصم
قصيدا يروق معنى ومبنى
فإذا حاول التحدى بشىء
راح بالعجز والفهاهة يعنى
الألداء روعوا وذوو الإنصا
ف شاموا فى الوحى سعدا ويمنا

همر السلسل النمير عليهم
فكأن السماء تنهل مزنا
الشفاه الظماء روت غليلا
طالما لوح الصدور وعنى
والقفار الفساح أورق فيها الصخر
روضا، وظلل الكرم مغنى
(وبلال) يصغى لرائعة الوحى
فيختال معجبا يتثنى!
فضض الوحى نور كون جديد
من بخال الألفاظ تبعث كونا!
هز معنى الإنسان فيه وقد كا
ن بديدا يكاد فى الرق يفنى
وجلا معدن الكرامة فيه
فعلا واثبا، ورف، وغنى
ليس غير الرحمن أولى بتقد
يس فأنس بظالم يتجنى
سادة، قبل عنهمو، ورءوس
عاليات منهم لدى الصخر تحنى
عبدوا الصخر ويحهم ثم راحوا
يقهرون العبيد ذلا وغبنا
(وبلال) فى قبضة الهول يبدى
البشر زيفا، ويمضغ الشوك حزنا
عبدالله وحده فتلظت
أنفس تعتلى على الله ضغنا
أيشذ العبد الرقيق عن القو
م ولا يحتسى المنية هونا

فليعذب، ولا خيار إذا ما
ت، فلن يسمو القمىء، وأنى!
طرحوه على اللظى ما تواني
عن تسابيحه، ولانذ ذهنا
كتم الحسرة اللهيفة في القلب
فما ناح جازعا أو أنا
أحد درعه يعود بها الصخر
على صدره المعذب عهنا
أحد في اللظى نداء لهيف
فإذا ردد النداء اطمأنا
أسلموه لفتية سحبوه
فوق حر الرمال يسرى ويمنى
لم يصعد من زفرة أو يغضن
صفحة الوجه وهو سأمان مضنى
كاد لولا (الصديق) يلقى رداه
حيث واتاه عاجلا ما تأنى
بذل التبر عن سخاء حيي
يا لنيل، لغيره ما تسنى
طاب دنيا، فرف روحا شفيفا
أي قلب من قلبه البر أحنى
قدم المال مؤمنا يتزكى
فمضى غانما، وبوىء عدنا

٣

وزهت غرة الحنيفة في الكو
ن فكانت من طلعة الشمس أسنى
وتوارى الذباب في نفق الأر
ض وقرت ملائك النور عينا
وعلت راية الهدى فأظلت
قوة تعتلي قلاعا وحصنا
وأثار الحنين صوت بلال
فعلا شاديا يؤذن وهنا
عاشق الطير في الوكور تغني
بأذان هز الأحاسيس منا
لا تسل كيف كان قبل، ولكن
ردد الطرف كي ترى كيف كنا!
جل أن يطلب الأغاني فنا
فغدا بالأذان أكرم فنا
قام يشدو (الله أكبر) فاهتا
ج ضمير، ورف قلب، وحنا
وغدا داعي السماء فيالأ
رض تربو على صداه وتغنى
كان قبل الإسلام لا شيء لكن
قد حباه الإسلام ما يتمنى

***

# العربي بين الأصالة والمعاصرة

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي

**... تردد سؤال في دوائر الفكر الإنساني عن العرب في تاريخهم [1].. هل قدم العرب المسلمون الأوائل للحضارة الإنسانية عطاء يستحق من المرء أن يقف عنده؟ أم أن هؤلاء البداة الذين انطلقوا من الجزيرة العربية.. ما عرفوا النور لو لم تكن لهم تلك المماحكات مع الفكر اليوناني: فلسفة.. ورياضة.. وعلوما..؟**

**ما بال أولئك.. يحاولون التجريح بحضارتنا تارة.. وبفكرنا طورا.. وبتطلعات أمتنا مرة أخرى، ترى من ينكر علينا أننا هضمنا الفكر الإنساني، وأضفنا إليه جديدا في كل شيء، ثمة أكاذيب كبرى في التاريخ.. ولكن عطاء أمتنا العربية المسلمة كان حقيقة.**

وفي تلك هوية الإنسان العربي وهوية انتمائه إلى تاريخه، وإذا لم يمتلك هذا الإنسان هوية الانتماء التي تميزه عن الآخرين.. فجدير به أن يكون عرضه للضياع والتمزق والقلق.. وبالتالي السقوط في مهب التيارات العاصفة تقذف به كيف تشاء.

ونحن كأمة عربية مسلمة يليق بنا أن نصل أسباب تقدمنا بأسباب أصولنا المعرفية والفكرية على ألا يتحول هذا الموروث العظيم إلى «صنم» نتحجر» أمامه.. أو نحرق البخور له.. جامدين في أماكننا لا نريم.. فالتراث حركة متجددة مشعة ومضيئة في الأجيال إذا أردنا ذلك.

لذلك يطرح هذا الكتاب قضية أساسية ومركزية تواجه الإنسان المعاصر، ولاسيما بعد النقلة الحضارية التي طرأت على المستويات والصعد: الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، والسياسية.. هذه القضية هي العودة إلى «الأصالة» كنوع من أشد أنواع الانتماء الإنساني على أنه في المقابل تقف مسألة «المعاصرة» ومواجهة العصر والحداثة التي تغزو حياتنا اليومية.

فهل نحن حقا معاصرون؟ بمقدار ما نحن منتمون إلى أصالتنا؟

---

(١) من حوار أجراه معي الشاعر الإذاعي السوري حسان عطوان.

أم ننطلق من فراغ؟

.. وهل تعنى المعاصرة أن ندخل العصر مجردين من تراثنا العربى والإسلامى؟

وهل تعنى العودة إلى التراث: التشبث بكل الموروث الحضارى؟.. ترى كيف نعود إلى هذا التراث؟

وهل هى عودة المأخوذ المستلب؟ أم عودة المتسائل الطارح قلقه، والباحث بين تضاعيف هذا التراث عن أسئلة شافية لأدواء هذا العصر؟

هل نأخذ كل ما ورد فى هذا التراث؟ أم هى عودة انتقائية؟

يتطرف البعض ويقول: علينا أن نرفض كل ما ورد فى التراث.. بدعوى أننا لا ندخل العصر حتى تندمج معه فعلينا أن نطرح جانبا كل ما يشدنا إلى الماضى ونقوم بعملية تهوية كاملة.

والبعض الآخر يتطرف بدوره فيقول:

.. لا.. علينا أن نرفض المعاصرة جملة وتفصيلا لأنها نوع من الاستلاب الحضارى بمعطيات الغرب.. وعلينا أن نتمسك بتراثنا ولندخل هكذا..

وهناك من يقف بين هؤلاء وهؤلاء

لذلك علينا أن نبدأ بالتعريف.. ماذا تعنى «المعاصرة» و«الحداثة» ومفهوم التراث والأصالة؟

.. لا شك أن قضية التراث والأصالة طرحت مقابل دعوتين:

الدعوة إلى التراث فقط.. مقابل الدعوة إلى المعاصرة.. أو التحديث فقط.. ولكل من هاتين الدعوتين أنصار.. غير أننا لا ندخل فى التفاصيل كى لا يرهقنا الجرى وراء الدفاع بمقدار ما نريد أن ندخل بالتفاصيل فى تلك القضية، وهو أن الذين يدعون إلى المعاصرة يحولون الولاء العربى بمعنى الانتماء إلى اتجاهات غربية بكل أصنافها.. كذلك الذين يدعون إلى التراث هم مبالغون لأن الإنسان لا يستطيع مطلقا أن يكون معاصرا وهو يعيش فى ضمير الماضى.. هذا هو الصراع الحقيقى، كذلك الذين يدعون إلى المعاصرة يبالغون لأنهم يتصورون أننا نشأنا من فراغ.. هذا من شأنه أن يؤدى إلى توتر بين الطرفين.. الأمر الذى رتب على هاتين الدعوتين فواصل أقامت بناءها على كثير من التنابذ..

فمثلا: الذين يدعون إلى التراث يصمون أهل المعاصرة بألقاب التقدمية واليسارية.. وكذلك هؤلاء يصمون الذين يدعون إلى التراث بألقاب أخرى كالرجعية والتزمت.. ولكن لو أردنا أن نفصل بين هؤلاء وهؤلاء، فإننا نجد من يدعو إلى المعاصرة منبتا عن الماضى موصولا بحاضره.. والذى يدعو إلى التراث تجده كذلك منبتا عن العصر موصولا بماضيه.

فكلاهما منقطع عما يدعو إليه.. والمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى.. هناك من يرى أن القول بالوسطية هو المخرج الوحيد من الطريق المسدود، وكما يقولون نتجنب بذلك سوء الفهم، وحين نطرح القول بالوسطية للمناقشة بمعنى أن نأخذ من التراث شيئا.. ومن المعاصرة شيئا عن طريق الانتقاء.. سنجد أنفسنا أمام مشكلة البحث عن معيار الانتقاء.. بمعنى، على أى معيار أخذنا هذا من التراث وتركنا ذلك؟ وأخذنا هذا وتركنا ذلك من المعاصرة؟.. سوف نقع مرة ثانية فى



دائرة الخلاف مليء بالتعصب حول المعيار الفاصل بين الصالح من التراث أو المعاصرة، ولاسيما أن هناك أنصارا للمعاصرة سوف يبالغون في معيارهم وأنصارا للتراث سوف يبالغون كذلك في معيارهم.. فندخل بسبب تلك الاختلافات حول استفهامات قد تنهك العقل، إذن ليست ثمة دعوة للوسطية.

وإنما دعونا نستجيب لطبيعة الإنسان والأشياء تفرض قوانينها،..

.. ذلك لأن ثمة اختلافا بين حضارتين: الحضارة الأوربية تأخذ قوتها من المعاصرة فقط مهملة بقية جوانب الروح.

أما الحضارة العربية الإسلامية فتستمد قوتها من المواءمة بين حاجات الروح وحاجات الحياة.. هنا يظهر الاختلاف.. فلنستجب إلى أصالتنا الإسلامية إذن، لنرتد إلى الأصالة لنأخذ منها قوة متجددة، ومن المعاصرة: الحركة والتوظيف لكل الممارسات الحضارية.. تراثنا العربي الإسلامي كان ممارسة وحضارة ولم يكن ذكريات فقط.. ولكي يعيش الانسان معاصرا لعصره فلابد أن يمتد إلى آفاق الماضي كي يستطيع أن يأخذ برنامجه، أو أن يوظف معالم حضارته المعاصرة، فالتراث والمعاصرة وجهان لعملة واحدة، لذلك ندعو إلى التفاعل بينهما بكل ما تعني كلمة التفاعل من آفاق.

من هنا نطرح هذه القضية من خلال الحركة الدءوب بين القديم والحديث وهي:

مسالة الانتماء والولاء.. فلا يمكن إذن أن نبدأ من فراغ، ولاسيما إذا أخذنا في الاعتبار أن الحركة الأوربية لم تدع أنها بدأت من فراغ وإنما اتجهت إلى ما ينفعها من اللاتينية والإغريقية والإسلامية حتى استوفت مقوماتها عبر ارتدادها إلى الماضي بحثا عن العلوم التطبيقية ومقوماتها المنهجية منذ تاريخها.

فنحن نذهب إلى أى بلد أوربي نجد الإيطالى في فرنسا يستعمل سيارة إيطالية، والفرنسي في إيطاليا يستعمل سيارة فرنسية، إنه يعتز بطابع تكنولوجيته الخاص، حتى السيارة فهي متميزة في إيطاليا أو في فرنسا للمحافظة على سمة التميز الحضارى وانتمائه.

أما نحن.. عن أسف لا نكاد نتلمس هويتنا الحضارية وتميزنا العظيم.

وأنا اعتقد أننا إذا تمسكنا بفكرنا العربي ولغتنا العربية نستطيع أن نحقق ولاءنا لأصالتنا، وإذا تمسكنا بأصالتنا، فسوف لا نقف حيارى أمام المعاصرة التى تجعلنا نعانى أزمة أمام تراثنا.. لأن الإنسان العربي غير متفاعل بالشكل المطلوب مع حضارته سواء من حيث التفكير أم اللغة.. ولهذا نسوق مثالا وهو.. موقفنا من لغتنا، فنحن نتحدث بلغة: لهجة دارجة.. ونكتب ونقرأ في مدارسنا بلغة عربية، ولا نجد لها استعمالا في الحياة اليومية.. وحياتنا التكنولوجية ليست من اللغة التى نتفاهم بها أو التى نكتبها.. إنما هى لغة غير عربية: إنجليزية أو فرنسية.. إلخ.

فهنا نقطة أساسية، وهى أن اللغة العربية لا نجدها على ألسنتنا في الممارسة العامة بل نتحدث



بلهجات محلية.. على أنى أعتقد أن اللغة العربية ليست عاجزة إطلاقا عن مواكبة العصر، فاللغة صالحة وإنما العجز كامن فينا نحن.

وكذلك نضع أمامنا ما يمكن أن نطلق عليه «متغيرات العصر» تحملها كتب ونظريات تجاوزها الزمن وألغاها وأبطل ما جاء بها: إما باكتشاف حقائق أكثر صحة ودقة، أو بتخطى ما جاء فيها.. فهناك ضرورة لغربلة وانتحال التراث.. فنبعث المضىء والمشرق منه.. ونطرح ما كان دعوة إلى الانحطاط والاضمحلال، وذلك لا يتم بشكل بناء إلا إذا أقمنا بيننا وبين تراثنا حوارا بناء وإيجابيا ولا نتركه عرضة لتراكم غبار الزمن عليه، كما لا يمكن أن نعتمده كله.. كيف يكون مقبولا أن نأخذ بكتب ونظريات بعض الجغرافيين العرب الأوائل.. الآن ثبت أن هناك حقائق علمية تناقض ما قالوا به.. وهناك كتب لابن سينا.. والزهراوى.. وجابر بن حيان.. اعتبرت إلى مطلع القرن التاسع عشر.. كتبا معتمدة فى التدريس، ولكن الآن وبعد تقدم الاكتشافات العلمية، على كل صعيد نظريات متواضعة فلا يكون التشبث بها إلا لكونها تشكل تراثنا.

ومع تقاصر المسافات وكثرة وسائل الاتصال وسرعتها أصبح التراث الإنسانى العام تراثا للجميع.. وكما يقال: ليست المعرفة مقتصرة على وطن أو أمة.. وكما جاء فى الأثر: «اطلبوا العلم ولو فى الصين».

فأنا أفهم المعاصرة على أنها منهاج وليست انتقاء من هذا لذاك ومن ذاك لهذا.. إذ كيف أنتقى وأنا لست محكما على القديم.. بمعنى أنه لا ينبغى أن أعطى نفسى لكونى معاصرا حق الحكم على القديم بأن هذا يتفق مع العصر وهذا لا يتفق، لأن الإنسان الذى يمنح نفسه هذه السلطة مازال غير متلائم مع عصره.. وغير متلائم مع الماضى.

أما حين تكون المعاصرة منهاجا فهو الذى يحدد لى ما هو المطلوب من التراث وفق المكتشفات العلمية.. هذا كله فيما ليس داخلا فى الثوابت منه.

.. ومن الذين اعتمدوا منهج الانتقاء والاختيار.. د. زكى نجيب محمود حين ألف كتابه «تجديد الفكر العربى» وكتبا أخرى.. حمل قلمه وأراد أن يجدد فى الفكر.. طبعا له نظراته قد نوافق على بعضها ونختلف معه على البعض الآخر.. وهذا شأن الإنسان مع كل فكر.. لكننا نأخذ عليه، أنه حين أراد بيان وجهة نظره فى الفلسفة الإسلامية: اعتمد على كتاب «هنرى كوربان» فى الفلسفة الإسلامية مترجم إلى العربية.. وكان عليه الرجوع إلى مصادر الفلسفة الإسلامية ذاتها، ثم يردف برأى كوربان مادام يريد الحكم على التراث.

ولاشك أن نظرة الانتقاء تعنى بشكل جوهرى الأخذ، والترك، وما أتركه يلزمنى الحكم عليه واضطهاده، وما آخذه يجب على أن أتقولب داخله، وفى هذا عنت شديد.. فالتناقض فى الواقع ليس فى التراث ولا فى المعاصرة وإنما فى فكر الإنسان المعاصر فهو لا يعيش حضارته إلا بقدر ما يستهلك منها.. بمعنى أنه لا يدخل بعقله فى آفاق الغابر، ولا



في آفاق التجارب العلمية، وغير مشارك كذلك في التنظير العلمي.

إنسان يعيش حياته قلقا مشدوها، حاضرا متدنيا، غير واع لتاريخه الذي مارسه في ظل دولة الإسلام الأولى، فمازال الإسلام هو الإسلام الذي قلب حياة ذلك البدوي لينشر في الآفاق حضارة ومعرفة، وجادل الفكر الوثني وصرعه وانتصر عليه، لا نظن أنه مهما كتب أعداؤه ضده سوف ينالون منه.. فالإسلام دين الحياة ودين الممارسة.. فأنا لا أقول بالوسطية بين التراث والمعاصرة إنما أقول: إن الحكم التقويمي بالمعقول أو اللامعقول.. يحدده العصر نفسه، بمعنى أنه ثمة قضايا.. إذا تجاوزت مع تاريخها وأصبح ليس لها نظير معاصر في منتطلب عصري.. وربما كانت الأهواء الشخصية قد أدرجتها في عداد الآراء غير المعقولة.. فليس التراث إثما كله، وليست المعاصرة حاضرا منقطعا عن الماضي، وأسوق مثالا على ذلك، آراء ابن باجة وهي من التراث.. أرى أنها تحمل كيانا فكريا جديرا بالمناقشة، لأنه يتصور وجود مدينة فاضلة يعيش فيها الإنسان ابنا للطبيعة.. أنا قد لا أتجاوب مع آرائه وأتخيل أنها عديمة الفائدة.. والواقع أنني أستفيد منه في دراسة المنحنيات الفكرية التي تربط المفكر بعصره أو تفصله.. وتثير في الذهن أسئلة منها.. لماذا يهرب المفكر من عصره إلى مدينة يتخيلها يعيش فيها متوهما أنها كنف السعادة مثل هذه الاستفهامات ضرورية.. لأنني محتاج إلى بناء فكري متكامل.. أحتاج إلى ذلك البناء الخيالي والعقلي، ومتى عاش الإنسان بعقله فقط؟ وهذا هو معنى المنهج، فالتراث مهم لأنه يعطينا نهجا إصلاحيا لحاضرنا، ويزداد هذا المنهج الإصلاحي تفاعلا مع رواد الإصلاح بفضل مقررات قواعد القياس والاستحسان وسد الذرائع، مثل هذه القواعد لم توضع عبثا وإنما هو جهد إنساني وضعه أسلافنا ليواكبوا بين الإسلام، وحاجات العصر، وعندما كنت أدرس في فرنسا وجدت تراثنا العربي والإسلامي مفهرسا فهرسة جديدة، ومعنيا به عناية شديدة ازددت زهوا وأنا غريب في ديار الفرنسيين وجدت فيه ذاتي، فهلا ننهض بجمع تراثنا دراسة وتبويبا ولدينا الإمكانات والحمد لله لنقوم بعبء تبعته.. ومن أجل أن يستقيم المنهج فلابد أن تزدهر روح النقد والتحليل، وإلا أعطينا الحقيقة والكذب نفس السلطة.

فلاشك أن الاهتمام بالتراث ضرورة من ضرورات المعاصرة كي لا تستولي علينا روح الشك فنقذف بقيمنا كما نقذف بالأشياء المهملة، ونتولى عن ماضينا، وإذا تولى الناس عن الماضي وتراءى لهم غير مؤكد أو غير صحيح سحبوا الثقة منه وجرفهم عن الماضي تيار عاصف من الشك في أسلافهم غير مبالين بقيم هؤلاء الأسلاف وماضيهم، وتتارجح أحكامنا بين الخطأ في الحكم، وبين الكذب على الأسلاف، وإذا اهتزت علاقتنا بالماضي يحدث ما يماثل الانهيار الشديد في الذاتية والهوية، وصار الناس لا يرون شيئا مؤكدا إلا حاضرا مشوشا، وأما المستقبل فيكون قد انتقل إليه سراب الشك من الماضي.



## مواقف إسلامية

# من دروس التربية العملية

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

**من الأهمية بمكان، أن نعود إلى الماضى.. وفى أزهى عصوره.. نتملاه ممثلاً فى رموزه وكنوزه من الرجال العظام:**

**نفتح أبصارنا على أعمالهم.. وبصائرنا على أخلاقهم..**

**نرطب ألسنتنا بمأثور كلامهم.. ومنثور حكمهم.. من كل مفيد نبعث به من جديد.**

**فإذا الأمة:**

**ماضية، بسليقة الإقدام.. وليس الإحجام.. الاقتراب.. لا الانسحاب.. الانتعاش.. لا الانكماش.**

وفى تأمل سير الصالحين إلى جانب ذلك: فرار من الثقافات الرديئة.. والبدع السيئة.. من كل مايعكر هذا النبع الرائق.. وذلك مايشير إليه علماؤنا.. الذين قالوا: (من شغل نفسه بالبدعة، قلّت رغبته فى السنة، فمن سمع الأغانى، قلّت رغبته فى سماع القرآن.. ومن شغل نفسه بالسفر سياحة.. لم يفكر فى الحج.

وهكذا:

إذا أخذ العبد من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته.. قلّت رغبته فى المشروع. وقلّ انتفاعه به).

وتأسيساً على هذه القاعدة.. فنحن مدعوون إلى سفر طويل فى أعماق ماضينا.. تجلية للعبرة.. وكشفا عن الأسوة فى صحبة الإمام: عبدالله بن المبارك ـ رضى الله عنه ـ

من هو ابن المبارك

كان جواداً سخياً: ينفق ولا يخشى من ذى العرش إقلالاً.. وكان ـ مع غناه ـ عاشقاً للحديث الشريف.

قيل له يوماً:

الم تمل من طول البقاء في دارك.. دارساً للحديث؟

فقال لعاذليه:

كيف أمل صحبة رسول الله ﷺ.. ثم.. لعل الكلمة التي ساتجو بها.. لم اقلها بعد!

ومع هذا:

فلم يقف جوده عند بذل المال.. ولا علمه عند الشرح والتحليل.. ولكنه جاد باعز مايملك: روحه.. روحه التي حملها على كفه مجاهداً جسوراً.. مخلصاً.. ومن إخلاصه: أنه كان يجاهد ملثّماً، حتى لا يعرفه أحد.. وقد أعجب به رجل يوماً.. وهو يجاهد الكفار.. فكشف الغطاء عن وجهه.. فما كان من ابن المبارك إلا أن عاتبه.. لأنه فضحه!!

ولك أن تتصور.. ابن المبارك.. حركة دائبة لا تتوقف.. وهو واحد من مدرسة يقول قائلها: أثقل الساعات عليّ.. ساعة آكل فيها!!

ابن المبارك.

الرائد الذي لا يكذب أهله

هكذا كان ابن المبارك عظيماً في جهاده.. وجوده.. وعلمه..

كان يجاهد عاماً.. ويحج عاماً..

ولم يكن حجه «سياحياً» ترفيهياً.. ولكنه كان فيه مصلحاً اجتماعياً.

كان يخرج مع الموكب الذاهب إلى الحج.. من اليوم الثالث من شوال.. طبق خطة الرحلة. والتي تتلخص فيما يلي:

١ - كل حاج يدفع من جيبه: الواجد. والفاقد.. الكل في الدفع سواء.

٢ - يضع كل ما أخذه في خزانته.

٣ - أثناء الرحلة: يأكل الجميع من طعام واحد.. وفي وقت واحد. إلا رجلاً واحداً هو ابن المبارك نفسه.. والذي يمر عليهم متفقداً.. ثم لا يتناول طعامه إلا أخيراً.

وهكذا القائد الإنسان.. يطمئن على جنوده أولاً..

٤ - ثم.. وبعد العشاء.. يكون الغذاء الروحي: إنه ينقلهم بدروسه من الأرض.. إلى قيم السماء.

فكانت دروسه تهيئة للنفوس من أو شابها.. حتى تكون مستعدة للتعامل مع جو الحج الطهور.

## العلمـــاء.. والأمـــراء معـــاً.. على الطـريق

كان من دعاء الصالحين:

اللهم أصلح لنا ولاة أمورنا.. وأصلحنا لولاة أمورنا. ذلك بأن صلاح الحاكم والمحكوم مؤدٍ إلى صلاح الأمة كلها.. والتفرغ للعمل الجاد لها.. بدل بذل الطاقة في التنافر والتنابز.. فإذا كان المحكوم عالماً.. فإن ثمرات الوفاق ستكون أزكى.. من حيث كان اتحاد الأمراء والعلماء مدخلاً إلى عزة أمة انسجمت عناصرها المؤثرة والتي تتساند ولا تتعاند.

نذكر هذا.. ونحن نرى بعين خيالنا موكب ابن المبارك يدخل مكة المكرمة: لقد سبقه الرشيد



إلى هناك بموكبه الضخم الفخم.. ولكن الرشيد يذهل من موكب العالم الذى كان على أو فى مايكون الوقار والجلال..

ولكن الخليفة المؤمن لم يحقد عليه.. ولم تأخذه عزة الخلافة بالإثم.. بل قرر أن يضيف من جلال الشيخ إلى حسابه.. حين قرر أن يستفيد بابن المبارك فى تدعيم ملكه..

لقد استبعد الخليفة الحسد المدمر.. حتى لا يدير معركة تنزف بها دماء الأمة فى دوامة التنافس المحموم.. حين صمم على أن يكون عز ابن المبارك عز له.. والقلوب الملتفة حوله.. تميل إليه وتقبل عليه.. جزاء إكرامه للشيخ..

وليس بالضرورة أن يكون من مقومات العالم.. مقاومته للحاكم.. ولا أن تكون مميزات المحدث على قدر هجومه على السلطة القائمة.. لكن الحكم على هذا أو ذاك.. راجع إلى توفير جو من الانسجام بين الطرفين.. فراراً من فتنة تنتهى حتماً بهزيمة الإثنين.

## الحاكم.. عند حسن الظن به

أراد الحق ـ تعالى ـ أن يوضع إخلاص الخليفة على محك الاختبار.. فكان من تدبيره ـ تعالى ـ أن يحدث جفاف..

وعلى الفور.. أمر الخليفة أن يكون الإمام فى صلاة الاستسقاء.. «ابن المبارك».. إيماناً منه أولاً بورعه وتقواه.. وثانياً: استجابة لمشاعر المسلمين المتعلقة به.. والراغبة فى إمامته.

وتقدم ابن المبارك.. وأمّ المصلين.

ثم دعا بدعاء علىّ ـ رضى الله عنه ـ:

[ اللهم: قد يبست جبالنا. واغبرت أرضنا. وهامت دوابنا. وتحيرت فى مرابضها. وعجت عجيج الثكالى على أولادها. وملّت التردد فى مراتعها. والحنين إلى مواردها. اللهم فارحم أنين الآنة وحين الحانة. اللهم فارحم حيرتها فى مذاهبها.

اللهم خرجنا إليك حين اعتكرت علينا السنون.. فكنت الرجاء للمبتئس.

والبلاغ للملتمس. ندعوك حين قنط الأنام ومنع الغمام: ألا تؤاخذنا بأعمالنا. ولاتأخذنا بذنوبنا. اللهم سقياً منك تُعشب بها نجادنا. وتجرى بها وهادنا. وتُخصب بها جنابنا. فإنك تنزل الغيث بعدما قنطوا وتنشر رحمتك. وأنت الولى الحميد ].

وعندئذ.. تطلعت القلوب إلى تحقيق أملها فى المطر.. لكن المطر لم ينزل. وخيم على الناس حزن دفين.

## سر الله.. فى أضعف خلقه

وكانت المفاجأة الكبرى.. عندما التفت ابن المبارك.. وهو فى دوامة شجونه.. فأبصر فتى أسمر.. يتعلق بأستار الكعبة. ثم يدعو بهذا الدعاء:

[ اللهم إنى لا أسألك لنفسى.. فإنى لا أخشى الموت ظمآناً.

ولكنى أسألك:

للطفل الرضيع. والحيوان الجائع. والأرملة البائسة.. هم عبادك يارب.. وقد قصدوا حرمك. ووافوا ساحتك ].





عندئذ بكى ابن المبارك.. واتجه صوب هذا الفتى.. والذى اختفى بين الزحام.. ثم.. أمطرت السماء!!

## رجال لا يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا

وقد أسرع الناس إلى ابن المبارك مبتهجين مهنئين.. ظانين أنها بركة ابن المبارك..

ولكنه ذكر لهم أن ذلك ببركة هذا الفتى الأسمر.. والذى حاول رؤيته فى اليوم التالى.. ثم كرر المحاولة دون جدوى..

## من جوانب العظمة فى شخصية ابن المبارك

إذا كان هناك ناس مزوّرون: يفرحون بأفعالهم.. بل ويحبون أن يحمدهم الناس بما لم يفعلوه.. فإن لله ـ تعالى ـ رجالاً ينسون مايفعلون من الخير.. راجعين بالفضل لأهله.. وفى مقدمتهم ابن المبارك ـ رحمه الله ـ

وفى الصنف الأول يقول صاحب الظلال:

«نموذج الرجال الذين يعجزون عن احتمال تبعة الرأى. وتكاليف العقيدة. فيقعدون متخلفين عن القتال. فإن غُلب المكافحون وهزموا.. رفعوا رءوسهم وشمخوا بأنوفهم. ونسبوا إلى أنفسهم التعقل والحصافة والأناة. أما إذا انتصر المكافحون وغنموا.. فإن أصحابنا هؤلاء يتظاهرون بأنهم كانوا من مؤيدى خطتهم. وينتحلون لأنفسهم يداً فى النصر. ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا!!

إنه نموذج من نماذج البشرية يقتات الجبن والادعاء.

نموذج يرسمه التعبير القرآنى فى لمسة أو لمستين.. فإذا ملامحه واضحة للعيان.. وسماته خالدة فى الزمان.. وتلك طريقة القرآن»[(1)] وحين نطالع الجمال.. جمال الاعتراف بالحق ونسبته إلى أهله يتمثله ابن المبارك ـ رحمه الله ـ فإن إعجابنا به يزداد عمقاً.. واتساعاً: وهو درس للدعاة اليوم:

فإذا كان هناك من هو أقل منى: سناً.. ورتبة.. ثم حقق الله الخير على يديه. فليكن سرورى بذلك معادلاً لسرورى لو تحقق الأمل على يدىّ..

إن هذا الذى حقق الله أملنا على يديه.. يسير على ذات الطريق.. إلى نفس غايتى، التى أريدها.. وإذن.. فمجهوده تدعيم لجهودى وليس مناقضاً له.

وإلا.. فإن تصور الحق حكراً علىّ وحدى.. مناقض لطبائع الأشياء.. وهو نضح قيمة عفنة ذكرها القرآن الكريم فى قوله. واصفاً خُلق المعاندين الحاقدين القائلين ماحكاه عنهم:

﴿ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ.. ﴾[(2)].

لقد آمن ابن المبارك بحكمة الله ـ تعالى ـ ومن أجل ذلك رضى بحكمه ـ تعالى ـ

ومن حكمته أن يجرى الخير على يد من

---

(1) تفسير سورة آل عمران.

(2) الأحقاف (11).



يبدو أقل منه.. فقد يكون في المفضول ماليس في الفاضل..

ويا ويل أمتنا من هؤلاء الذين لا يرحمون.. ولا يريدون لرحمة الله ـ تعالى ـ أن تنزل..

الذين يريدون الخير حكراً عليهم.. أما من غيرهم.. فلا.

إن جهود الدعاة مضمومة إلى بعضها.. تشكل في النهاية صرحاً ممرداً قائماً على أصوله..

بقدر مايكون التنافر والتناحر بعثرة للجهود الكبيرة والصغيرة معاً..

في وقت يحاول اللصوص فيه التجمع.. على حساب تفرقنا.. ومن خيانة الأمانة أن تمكنهم من رقابنا.. وباختيارنا!!

## من خداع النفس

وماأكثر ماتضحك علينا أنفسنا.. حين تملى لنا أننا الأفضلون دائماً.. دون اعتبار لغيرنا ممن هم في الواقع أفضل منا.

ومن خداع النفس:

أنك قد تمدح إنساناً في مجلس مّا.. لكنك.. سرعان ماتنقبض.. ويتلون وجهك.. حين ينبري واحد في المجلس ليمدح من تثني عليه.. ليمدحه.. بما لا تعرف أنت من فضائله..

ولكن.. لماذا تغيرت وتحولت.. لما أمسك غيرك بطرف المديح؟ إنك:

أولاً: تريد أن تنفرد بالحديث عنه لتثبت أنك منصف.. فأنت في الحقيقة تمدح نفسك.

وثانياً: فإذا تحدثت.. كان ذلك بالقدر الذي تسمح به نفسك أنت.. بلا زيادة من أحد.. حتى تظل أنت.. وحدك.. سيد المجلس.. أو سيد الناس!!

لأنك تتصور أن مدحه مخصوم من حسابك أنت..

ولقد كان موقف ابن المبارك مثالياً.. مؤكداً للناس أن تقدير المواهب حساب يضاف إلى رصيد الأخلاق.. ودم جديد يتدفق في شرايين الأمة..

وقد كان من الممكن أن يركب الموجة مع من تصوروا أن المطر نزل بسببه..

ولكن.. كانت له في رسوله الكريم ﷺ أسوة حسنة لما مات ولده إبراهيم: فلقد كسفت الشمس عند وفاته.. وأرجع الناس ذلك الحدث إلى وفاة إبراهيم.

ولكن الرسول ﷺ.. يحق الحق ويبطل الباطل.. مؤكداً بركة الصدق.. وإن بدا أنه يضرك.. وفساد الباطل.. وإن بدا أنه ينفعك.. فقال: [إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله: لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته][3].

لقد سعد ابن المبارك بهذا الفتى الذي حقق الله بسببه أمل الأمل.. منطلقاً من تواضعه

(3) كنز العمال جـ7، برقم 21556 وعزاه إلى مالك وأحمد والبيهقي وأبو داود والنسائي عن عائشة.

الجم.. وعلمه اليقين بأنه: عبدالله.

ومهما عبدالله ـ تعالى ـ فلن يوفيه نعمة واحدة أنعمها عليه ـ تعالى ـ وهو لم يأخذ عهداً مع الله ـ سبحانه ـ أن يحقق دعاءه.. كما أراده ولو بكى ابن المبارك.. حتى سقطت عيناه. ولو رفع يديه إلى السماء.. حتى تجمدت يداه.. ولو ركع.. حتى انحنى ظهره. ولو سجد.. حتى التصقت جبهته بالتراب..

بل لو أكل من هذا التراب ما وفّى بعض حق الله ـ تعالى ـ عليه. ومن أجل ذلك.. كان راضياً بما حدث..

ورب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره.

ثم إن لحظة الهداية والتوفيق.. لا تدرى متى تكون.. وعلى يد من تكون.

وينبغى ألا تغرنا الأسماء اللامعة ـ على ماتملك من علم وإخلاص..

ولابد من المراجعة.. كما راجع سليمان عليه السلام أباه فى قضية الحرث.. وكان الحق على لسان سليمان.. على لسان الجيل الجديد.. الذى أسعد بتوفيقه.. قلوب الجيل القديم!

## فى دار العبيد

أرسل ابن المبارك رجاله فى إثر الفتى.. فرأوه يدخل دار العبيد.. الذين يتاجر فيهم «ميمون الأشدق».

قال ابن المبارك لميمون:

أين عبيدك؟

فعرض عليه عبيده..

وسأله ابن المبارك «ميمون» هل بقى منهم أحد؟

قال:

بقى شاب.. أهوج.. أحمق.. لا نفع فيه..

قال ابن المبارك:

ولكنى أريد أن أراه!

فلما جئ به.. إذا هو الفتى الذى يريد.. والذى دعا الله ـ تعالى ـ فنزل الغيث!

وساوم ابن المبارك عليه.. لكن ميمون قال له:

خذ سواه.. فهو ذو ريبة.

لكن ابن المبارك اشتراه.. ثم قال له:

اعتقتك.. فانتظرنى بمكانك بالحرم.

فقال الفتى لابن المبارك:

إن كنت قد اعتقتنى.. فدعنى حراً.. انتظر. أو لا انتظر!!

ألقاك كما أريد!!

فقال له ابن المبارك:

ماتراه!!

فانطلق الفتى مسرعاً.

## ميلاد إنسان

ولد الفتى من جديد.. وعلى يد ابن المبارك ـ رضى الله عنه ـ لقد كان بين هذا الفتى وبين الله ـ تعالى ـ سريرة.. كان من بركاتها نزول المطر غيثاً مدراراً.

وماأكثر الكفايات الغائبة فى زحام الحياة.. لكنها فقط تحتاج إلى رائد مصلح ينقذها من براثن العبودية.. وقبل أن تحطم ملكات الخير فيها.

وكان ابن المبارك واحداً من هؤلاء المصلحين.. الذين حرر الله - تعالى - على أيديهم ذلك العبد المؤمن.

والذى كان يعيش تحت رحمة ميمون الجشع.. المفترى وفى بيئة يتحكم فيها الفجار.. حافظًا على عقيدته..

فخرج.. أو أخرج من البيئة الفاجرة بقلب طاهر.. وعقل حر. وهكذا النخلة: تمتد هامتها فى الفضاء.. بين المقابر.

وبينما جذورها تمتص من دماء الموتى.. لكن فطرة الطهر فيها تحول الرميم.. كيماوياً.. إلى عزة وإباء: لقد تحول العظم.. إلى نواة.

وصار رميمها ثمراً حلواً.. تماماً.. كما صار الفتى بالحرية خلقاً آخر.

إن الإنسان وسط الذئاب المتوحشة.. والسباع الباطشة لا يستسيغ.. بل لايستطيع أن يعيش فيها.. لكن العظماء من الرجال يستعلون عليها - وإن كان لها أثر ما - فيظلون محتفظين بكبريائهم.. فلا تفرض عليهم البيئة مالا يريدون.. ولن يكون الإنسان كذلك.. إلا إذا وجد فى الأمة هذا الطراز المتخصص فى إنقاذ المواهب من أعدائها..

ومن هذا الطراز: عبدالله بن المبارك.. والذى كانت شيبته: زبدة.. محضتها الأيام. وفضّة.. سبكتها التجارب.. يضئ له شعره الأبيض.. مسالك الطريق.. فأبصر على سناه تلك الموهبة التى حررها.. فقدم إلى الوطن هدية هى أحوج ماتكون إليها:

**إن المشيب رداء العقل والأدب**
**كما الشباب رداء اللهو والطرب!**

## تحرر السادة.. قبل تحرير العبيد!

ولكن مازال فى الموقف أسرار تغرى بالبحث والنظر؛ فقد تحمل ابن المبارك مرارة الموقف.. حين رفض الفتى أن يستجيب لرغبته.. التى من أجلها حرره.. وفى نفس اللحظة، ذلك بأنه إنما حرر الفتى.. لله.. وليس إرضاء لغروره.. لقد كان مؤهلاً بأريحية تسع هذا الموقف المتصلب من قبل الفتى..

وماكان لهذه الأريحية أن تحرره من يد «ميمون» ليصير عبداً لابن المبارك.. لقد تحمل ابن المبارك مسئولية الموقف.. راضياً.. ولم يكن عجباً أن يفعل ذلك.. لكن العجب أن يكون غير ذلك:

**تعجبين من سقمى**
**صحتى هى العجب**

**أما عن إباء الفتى:**

فقد بهرنا بالحقيقة التى تسيطر على العقول بصدقها.. وتأسر القلوب بجمالها: لقد أذن مؤذن الحرية.. فاستيقظ.. [وصاحت ديكة الفجر تطرد بقايا النوم من عيون الزهر].

[لقد نبتت له بالحرية أجنحة النسر.. الذى خلق ليضرب فى كبد السماء مشرقاً يحدق فى عين الشمس.. ثم سار على درب الهجرة. الذى فرشت أرضه بالنجوم].



لقد استشعر معنى الحرية.. والحرية منذ اليوم سلاحه في معركة التعمير.. ولن يتنازل عن سلاحه بعدما تمكن منه.. لأن اليد العزلاء لاينتصر بها حق، ولا ترتفع بها راية.

ثم رفض الحرية المشروطة والتي يراد لها أن تكون منحة لتصير من بعد محنة!..

لقد تحرر ابن المبارك من هنا في نفسه.. ومن إسار هواه.. فكان مؤهلاً لتحرير فتى.. كان هو أيضاً مرشحاً.. لهذه الحرية التي صار جديراً بأهلها..

إنه الإيمان الذي يصنع الرجال: لقد حرر بعض الأغنياء في دولة كبرى.. بعض العبيد.. لكنهم عادوا إلى أسيادهم في اليوم التالي.. لأنهم لم يتحملوا مسئولية الحرية.. التي نهض بها فتى مغمور.. لا يعرفه الناس.. لكن رب الناس يعرفه!

## ميمون ينتهز الفرصة

لما رأى ميمون ذلك الفتى يتمرد على من حرره.. انتهزها فرصة ليقول لابن المبارك:

قلت لك إنه أهوج، وذو ريبة.. فلم تصدق!

فصاح ابن المبارك:

كفّ يارجل عنه.. فأنا أعرف مكانته من ربه، وقد شاهدت منه ماشاهدت.. فقلب التاجر يديه.. ثم قال له: إن لم تصدقني.. فاسأل «زيتونة» فهي تحكي عنه ماتعلم!

وسأله ابن المبارك:

ومن زيتونة؟ قال:

جارته هنا بدار الرقيق.

ونذكر هنا.. ماقاله الحكيم عندما سئل: ماهو أثقل من وقوع السماء على الأرض قال: ظلم البرئ!

ولقد كان الفتى واحداً من هؤلاء المظلومين..

لكن الحق - تعالى - لا يجعل للفساق على الأبرياء سبيلاً..

الفساق: الذين ينتهزون الفرص.. موظفين كل إمكاناتهم في تلويث سمعة الأبرياء..

ولكن الحق - تعالى - يقيض لعباده المظلومين مايرفع من شأنهم.. ويرد كيد الكائدين إلى نحورهم.. على نحو يفرض على كل مظلوم ألا يقطع حبل الآمال في نصر قريب..

لقد دبر الحق - تعالى - ذلك الموقف.. ليخرج الفتى من الظلمات إلى النور.. ثم ليقف إلى جانبه شيخ العلماء في عصره.

## خير الخطائين

وجاءت زيتونة تمشي على استحياء.. وهي تبكي.. وخلا ابن المبارك بها.. مع ميمون التاجر.. ثم سألها:

ماشأن هذا الشاب معك ياأمة الله؟ فقالت: أنا تجنيت عليه وافتريت الباطل: فلقد وقع هواه في قلبي.. فلم يعد فيه سواه.. فانتهزت فرصة خلا بها في مكان منعزل.. وهرعت إليه أقبله دون مقدمة!

فصفعني على وجهي.. وصرخت من الألم.

ودوى الصوت.. فتجمع القوم.







وأقبل سيدى ميمون. فأردت أن أنقذ نفسى فقلت:

إنه راودنى فأبيت. فلطمنى.

وسكت الشاب ولم ينطق. فصدق سيدى مازعمت!!

ولم أزل ناقمة على نفسى. ألتمس الطريق لاسترضائه.

حتى فوجئت الآن بعتقه وقراره:

هو برئ.. وأنا المريبة!

قال ابن المبارك:

كم ثمن هذه ياميمون؟

لقد صدقت القول.. فلابد أن تعتق. وعندى من سيتزوجها فى ركب خراسان.. إذا رضيت.. فهيا يا ابنتى!!

## نصـــرة المظــــلوم

عندما انتهز «ميمون» الفرصة للحط من قيمة الفتى.. كان الحق على لسان ابن المبارك.. الذى وقف إلى جانب المظلوم ينصره.. بما يملك من أدلة على براءته مما نسب إليه..

بل إنه نصر الظالم نفسه بما كشف عنه من دلائل تكف لسانه عن مواصلة الافتراء..

وما أكثر الذين نظلمهم.. فنفترى عليهم الكذب.. وما أحوج الأمة إلى شجاعة الدفاع عن المظلوم.. الذى تجعل منه بالإنصاف عنصراً فعالاً.. يأخذ موقعه فى خدمة دينه وأمته.

ثم ما أحوج الأمة إلى «شجاعة الاعتراف بالخطأ» مشفوعة بالعزم على التوبة النصوح.. وكذلك كانت زيتونة..

وما أحوج المظلوم إلى الدفاع عن نفسه.. قبل أن يغرق فى طوفان الادعاء والافتراء.. فلقد سكت الفتى لما رمته زيتونة بدائها.. فركبته التهمة.. وفتح على نفسه باب الظنون.. وكان الظن أن يهب ليرد التهمة الباطلة.. كما ردها يوسف - عليه السلام- عندما قال فيما حكاه القرآن الكريم عنه (هى راودتنى عن نفسى).

## سـلامة إجـراءات التحقيــق ولاحــظ من فقهــه

**أولاً:** أنه لم يستنطق.. زيتونة.. على ملأ من الناس.. فقد يعقد الخجل لسانها.. وتظل الحقيقة خافية.. ومن ثم.. قرر الاجتماع بهما منفردين.. ضماناً لسلامة إجراءات التحقيق.

**وثانياً:** لما جاءت الأمة تبكى.. لم يفاجئها بالسؤال وهى فى دوامة الانفعال، لأن قوة الانفعال مانعة من اعتدال المزاج.. فيعتل الكلام..

**وثالثاً:** قرر مكافأة المرأة على شجاعة الاعتراف.. وفضيلة الإنصاف.. فاشتراها ثم أعتقها.. مما يحملنا على أن نقول: أنها «غُدة» المروءة التى تفرز القول جميلاً.. والعمل





حليلا.. غذة شيمتها العطاء.. تضيف كل يوم جديداً.. بلا زهو.. وبلا ادعاء.

وهو درس يحمل الأغنياء مسئولية البحث عن المواهب واستثمار ملكاتها.. ليأخذوا سمتهم العملي.. فيجوسوا خلال الديار.. وإنهم لواجدون من المواهب المطمورة ما يكون إحياؤها إحياء للأمة.. وتجديد للدم في شرايينها.

## زيتونة المرأة الشريفة

ويفتح المجتمع ذراعيه لزيتونة.. الأمة الشريفة.. لتأخذ مكانها تحت ظل زوج يسعد بها.. وتسعد به..

ويسدل الستار على ماض تولى.. لتستأنف حياة جديدة على تقوى من الله ورضوان..

ولاحظ من حكمة ابن المبارك:

انه لم يعتقها فقط.. لكنه أحس بالفراغ الذي يمكن أن يحتويها لو لم تجد الصاحب المعين..

وفراراً بها من معاطب الانطلاق.. أراد تحصينها بالزواج.. ومن تكريمه لها أنه لم يفرض عليها زوجاً.. لكنها لو أرادت.. فإنه سيختار لها ذلك الزوج.. وهكذا يستقبل المجتمع فتى.. وفتاة.. كان كلاهما من قبل رهين السجن.. واليوم.. يتعلقان بمواهبهما التي كانت معهما حبيسة.. إلى الساحة الكبرى.. ليردا إلى المجتمع جميلا.. لا ينسى.

## درس في مخاطر الاختلاط

ويبقى بعد ذلك درس في مخاطر الاختلاط:

لقد خلا الجو.. فكان سبباً في هجمة الفتاة على الفتى.. وكان ما كان.. ولولا الخلوة.. ولولا الاختلاط.. لما حدث ذلك.. لقد اجتمع الرجل والمرأة.. فكان الشيطان ثالثهما.. وإذ يتجاهل أناس ذلك الخطر مهونين من شأنه محسنين الظن.. حيث لا مكان للحسن هنا.. إذ يفعلون ذلك.. فلسنا على استعداد أن نصدقهم.. ثم نكذب الواقع الصارم المبين!!

وما أكثر التائبات توبة نصوحاً.. الراغبات في عود حميد إلى الأسرة الكبيرة.. تحت مظلة الطهر والعفاف..

أجل ما أكثرهن..

ولكن ناساً يقفون في طريقهن.. جاعلين من أنفسهم أصحاب جنة ما أقامهم الله -تعالى- حراساً عليها.. وإنهن لا حوج ما يكون إلى:

قلب وسيع كقلب ابن المبارك.. يستقبل العائدات بهذا القلب المفتوح.. حتى تتحول إرادة المتعة الحرام إلى غرام بالعمل الخيري، تكفيراً عن الماضي.. وإعماراً للمستقبل.. حتى لتتمنى المرأة عندئذ أن لو كان عمرها أعماراً.. تستحيل بها الحياة جنات وأنهاراً.

## قصة العدد

# الحق المُر

**أرق الحجاج في ليلة، فلم يذق للراحة طعما، وكأن هذا الجبار يخفي شجونه عن أهله وولده، فهو إذا انفرد بهم اعتكف دون أن يكلم أحدا، وقد عرف معاشروه في منزله عادته تلك، فكانوا لا يجرءون على مخاطبته، إلا إذا فاتحهم ببعض ما يشغلهم عن أمره، وهم يعلمون أنه يتظاهر بما لا يبطن فيسايرونه كما يريد، وقد نادى ولده محمدا في حندس الليل، وصاح به: عليّ بإبراهيم بن محمد بن طلحة عالم الحرمين، فقال محمد: وهل أوقظه من نومه، والرجل لا محالة نائم يستريح! فعبس الحجاج في وجهه، وصاح به: يعز عليك أن يستيقظ إبراهيم ساعة من ليل ولا يعز عليك ألا يذوق أبوك من النوم ساعة من ليل، فهرع محمد إلى منزل إبراهيم يستدعيه، فوجئ الفقيه العالم بمن يوقظه من مثل هذه الهجعة الهادئة، ليقابل الحجاج، فقال في نفسه: الرجل غضوب عسوف، ولابد أن واشيا بغيضا أوحى إليه بما كدر خاطره علي وجمع نفسه من تشتتها الحائر، ليسأل محمدا؟ كيف حال الأمير؟ وماذا أهمه فاستدعاني - قال محمد: وهل يعلم أحد ما أهم الأمير؟ إنه أرق ليله الأطول ثم صفق بيده فاستدعاني لأحضرك وهذا مبلغ علمي، قال إبراهيم: كل خاف سيعلم وليس لي أن أسيء الظن، فقد تجري السنن على ما أحب، وما لقيت من أبيك إلا كل خير!**

ولم يطل الوقت حتى كان إبراهيم في مجلس الحجاج، وقد عرف ما يختلج في خاطره من الشجون حين نظر إلى وجهه العابس المتجهم، فقال له في هدوء: طاب ليلك أيها الأمير فابتسم الحجاج مكرها، وأدنى جليسه منه ليقول له في جد واهتمام: تعلم يا إبراهيم أن عبدالله بن عمر قبل أن يلقى ربه شكاني إلى أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان، لأني قاومت معارضته لي في بعض ما أصدر من المهام، ولن يستقيم أمري إذا وجدت معارضا في منزلة ابن عمر بن الخطاب يجابهني بالرد على مشهد من العامة، فأغلظت له القول، وبعث بشكايته إلى أمير المؤمنين، فغضب عليّ غضبا شديدا وكتب يقول: لو أن ابن عمر جابهني في قصر الخلافة ما استطعت أن أرد عليه فكيف تجابه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن الفاروق عمر؟ وجعل يتهددني، وأنا

أعرف أن حاجة أمير المؤمنين إليَّ هي التى عاقته حينئذ عن عزلي! ليطمئن العامة على كرامة صاحب رسول الله!

قال إبراهيم وقد مات ابن عمر، وخلا الجو من معارضته، وسكت عنك أمير المؤمنين فماذا أهمك؟

فقال الحجاج: أنس بن مالك صاحب رسول الله وخادمه، ظن نفسه في منزلة ابن عمر، فجعل يعارضني، ولكني أغلظت له القول بما أطار النوم عن عينه، فكتب إلى أمير المؤمنين كتابا لا أعرف كيف اهتدى إلى معانيه القارصة وأفكاره الموجعة، لا أعهد في أنس بلاغه وإصابة ولكنه أتى بما يُعجز سواه! فقال إبراهيم: إن إصابة أنس لا تستغرب فقد كان جليس رسول الله فبربك أن تخبرني ما قال لأمير المؤمنين.

فأخرج الحجاج كتابا كان تحت وسادته ونشره ليقرأ منه قول أنس: يا أمير المؤمنين لو أن رجلا خدم عيسى بن مريم أورآه أو صحبه تسمع عنه النصارى، لهـا جـرت إليـه ملوكـهم ولنزل من قلوبهم المنزلة العظيمة، ولعرفوا له ذلك ولو أن رجلا خدم موسى بن عمران أورآه وسمع به اليهود لهرعوا إليه وفعلوا له من الخير والمحبة ما استطاعوا وإني خادم رسول الله وصاحبه، رأيته وأكلت معه، ودخلت عليه وخرجت وجاهدت معه أعداءه، ولكن عاملك الحجاج أضر بي علانية وفعل بي ما فعل قال الحجاج وقد أخبرني من شهـد أمير المؤمنين أنه بكى وصاح: قاتل الله الحجاج لأفعلن به، ولأفعلن! وأنا أتوقع الخطر منذ عرفت ذلك، فماذا بعد أن يبكي أمير المؤمنين ؟

قال إبراهيم، الأمر جاد أيها الأمير ولابد من علاج!

فنظر إليه الحجاج وقال: ولهذا استدعيتك فأنا أعلم فقهك وورعك ومنزلتك من أهل الحرمين، ومكانك من أمير المؤمنين، وقد كتب إليَّ يدعوني للقائه، ولابد أن تكون معي لتزور الخليفة ويسعد بك.

دهش إبراهيم بن طلحة، وقال: وكيف أزوره وهو لم يدعني! فنظر إليه الحجاج غاضبا، وقال: تكون معي في حضرة أمير المؤمنين، وتشهد أني لا أفرط في حق الدولة، وأقابل الصعاب وأحرم النوم لكي تستقر الأمور على نحوما يرضي أمير المؤمنين! ولك عندي بعد ذلك أن استشيرك في كل ما أهم به نحو السابقين من صحابة الرسول وتابعيهم بإحسان!

قال إبراهيم: على بركة الله، وليس لي غير أن أطيع!

كانت الرحلة شديدة في أشهر الصيف، ولكن الحجـاج قـد بذل جـهده الجاهد في ملاطفة إبراهيم، والعمل على راحته وسوى بينه وبين نفسه فيما يركب ويأكل ويشرب ويلبس، بل جعل يقدمه ليؤم الركب إذا حانت الصلاة على غير عادته مع من بقي من صحابة رسول الله! حتى إذا دنت الساعة، وطلب الحجاج إذنه على أمير المؤمنين، صحب إبراهيم بن طلحة، وخاطب الخليفة قائلا:

لقد قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز وعالمه وفقيهه ولا أعلم له نظيرا في الفضل والأدب والمروءة وحسن المذهب مع قرابة الرحم ووجوب الحق.

فابتسم عبدالملك وقال للحجاج، كأنك تجهل

منزلة إبراهيم لدى فتعرفني به يا حجاج! أتجهل أني قضيت أطيب حياتي بمكة والمدينة وعرفت خيارهما وأشرارهما؟ وعقدت الأواصر بيني وبين علماء الشريعة، حتى جعلوني واحدا منهم وقد سعدت بصحبة إبراهيم! لقد ذكرتني عهدا سعيدا وصحبة ماضية ورحما قريبة، وحقا واجبا، إذن يا إبراهيم فمكانك لدى أقرب من مكان الحجاج!

ودار نقاش عام حول ما صنع الحجاج بأنس فأخذ الرجل الماكر يعتذر، ويتعلل ويذكر أنه يجمع الناس من حوله وكأنه أمير فصاح به عبدالملك: أشيخ همٌ في التسعين يا حجاج يجمع الناس من حوله وكأنه أميرا!! لماذا لم تجعله أحد مستشاريك فإذا كان له في الناس سابق فضل رأوا إعظامك إياه، وتفضيلك لرأيه عرفوا أنك تحب أهل الحق، وغفروا ما سبق من هناتك، لأن الحسنات يذهبن السيئات!

أدرك الحجاج أنه لا يناقش نظيرا، بل يناقش رئيسا يملك الأمر والنهي فقال: هذا ما فاتني يا أمير المؤمنين ومن لي بمثل رأيك وهدى عقلك، وسأفعل مع أنس ما يشرف قدري لديك وشاهدي أمامك إبراهيم بن طلحة، ولن يشهد بغير ما يرضي الرحمن!

فسكت عبدالملك مفكرا، ثم قال في هدوء، تنح عنا قليلا يا حجاج! فقد يكون بيني وبين إبراهيم ما لا أود أن تسمعه، وسأدعوك حين أفرغ! ونهض الحجاج حيث أراد عبدالملك، وخلا الرجلان في مجلسهما، فابتسم عبدالملك وقال لإبراهيم: لا عليك الآن، قل ما تعلمه عن الحجاج! وإني لسامع فمستجيب.

فقال إبراهيم مندفعا دون تلكؤ: لقد عمدت يا أمير المؤمنين إلى الحجاج في كبريائه الآثمة، وتغطرسه السفيه، وبعده عن الحق، واندفاعه إلى الباطل، فوليته الحرمين وهما ما هما؟ وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار، والموالي والأخيار يطؤهم هذا الفاجر بطغام أهل الشام ومن دونهم، ثم يسومهم الخسف، ويحكم بغير السنة بعد الذي كان من سفك دمائهم وانتهاك حرمهم في مدة ابن الزبير، ثم ظننت يا أمير المؤمنين أن الذنب لدى الله ذنب الحجاج ولا ذنب لك وأنت الذي وليته ووضعت في يده السيف! وسوف تجلس غدا للخصومة بين يدي الله، وفي حضرة نبيه، يعدد قبائح الحجاج ويحملك وزرها! أما والله لن تنجو من الموقف إلا بحجة فارق بنفسك يا أمير المؤمنين.

فسكت عبدالملك مغضبا، وقال: لقد خنت صاحبك يا إبراهيم لقد حملك كريما مهيبا، وقال عنك ما لم يقله عن أحد وظن بك الخير، فإذا بك العدو اللدود، والحاسد البغيض، لقد آذيتني بحديثك قبل أن تؤذي الحجاج، فقم إلى مجلس مجاور حتى استدعيك.

خرج إبراهيم وقد اسودت الدنيا في وجهه، وعرف متأكدا أن عبدالملك لن يترك الحجاج مهما طفح الكيل، واستطار الشر وخيل إليه أنه كان متسرعا حين ذكر أمير المؤمنين بمجلس الحساب في اليوم الآخر، وبمخاصمة رسول الله إياه، إذ كانت مثالب الحجاج مما تضاف إلى حسابه، ثم عض على يده وهو يقول: ظننت أمير المؤمنين رجل حق ودين، فإذا هو رجل باطل ودنيا لقد نسيت أن عبد الملك قد غدر بأقرب أقربائه،

وعاجلة بالسيف بعد أن استأمنه!؟ إنه لا يهتم بغير تثبيت الملك، ولو بأسنة الجور وأسلحة الطغيان! إنه الآن مع الحجاج وسيطلعه على ما قلت وسيُحذره منى وليس الحجاج ممن يسكت عن وشاية! وأنا شهد الله لست واشيا، ولكنى ناصح أؤدى الشهادة على وجهها الأمين! ولا آمن أن يرجع بى الحجاج فيدفعنى فى الطريق إلى من يكتم أنفاسى، ثم يقول: قدر حان وموت نزل! على الآن أن أستعد للقاء الله، فقد قامت النذر، وسطع البرهان!

مضت فترة ظنها إبراهيم دهرا طويلا، وكان يتوقع أن يرى الحجاج عقب خروجه من مجلس أمير المؤمنين، عابس الوجه أحمر العينين طائر الشرر، ولكنه فوجئ بالحجاج يُقبل عليه ضاحكا ثم يحتضنه فى شوق، ويقبل رأسه، ووجهه ويقول فى فرحة، جزاك الله عنى كل خير يا إبراهيم، لئن سلمت لك فيما بقى من حياتى لأرفعن قدرك، وأعلين كعبك، ولأتبعن الرجال غبار قدمك! ثم تركه لأمر بدا له!

قال إبراهيم فزادت حيرتى وتطرق بعض الشك إلىّ فقلت لعل الحجاج يمكر بى حتى أطمئن إلى جانبه، وأرجع معه فى طريق واحد، ثم ينفذ فى ما يريد، إن الرجل لئيم، وله كيد تزول به الجبال الرواسى ومثله من يبسم ظاهرا ويلعن باطنا، وقد جربت ذلك كثيرا منه، فماذا أنا صانع معه!؟ ورفعت يدى إلى السماء قائلا: رباه، رباه، أنقذنى من حيرتى، فقد ضللت السبيل؟

ثم جاء الحاجب فاستدعانى إلى مجلس أمير المؤمنين وكنت أظن أن لا لقاء بعد أن تجهمنى وعنف علىّ فقمت مترددا أقدم رجلا وأؤخر الأخرى! حتى وجدتنى بين يدى عبدالملك ورأيت وجهه يموج بالبشر، فاطمأنت قليلا ثم جلست إلى جواره بعد أن أشار على بالاقتراب الدانى وربت على كتفى وهو يقول:

أصدقنى يا بن طلحة؟ هل كانت نصيحتك هذه من وحيك وحدك أم شاركك فيها مشارك!؟

قلت عفوك يا أمير المؤمنين فالناس فى المدينة يعرفون صلتى الوثيقة بالحجاج ولا يقدرون على أن يتحدثوا إلىّ بما يغضبه فأنا أمامهم ممالئ مساير؟ فكيف ينصحنى أحد بما يغضب الحجاج! إنى لأعرف فى وجوههم نفرة منى، وضيقا بى فأكلُ أمرى إلى الله! فهو عليم بالسرائر.

قال عبدالملك: ولماذا تضطر إلى مسايرة الحجاج وأنت تعرفه ظالما غشوما، هلا اعتزلت!؟

فبادر إبراهيم يقول: لقد وازنت بين أمرين يا أمير المؤمنين، أن اعتزل الحجاج فيتمادى فى بغيه، أو أدنو منه فأحذره مرة بالشدة ومرة باللين ثم أنقذ من رقاب المسلمين بذلك ما استطيع فرأيت الاعتزال سلبا لا خير فيه، ووجدت الاقتراب إيجابا قد يفضى إلى الخير، فآثرت الاقتراب عن الاغتراب!

قال عبدالملك، هذا نظر سديد، ولكن أين كنت؟ حين أغضب عبدالله بن عمر، وآلم أنس بن مالك، وهما من هما؟

فقال إبراهيم: لقد كان لى موقفان موقف مع الحجاج وموقف بين الناس فى شأن عبدالله بن عمر - رضى الله عنه- فقد مات جريحا بسبب حديدة رمح وقع عليها وكانت





مسمومة، فسرى الموت إلى جسمه، وقال الناس: إن الحجاج رمى بها فى طريقه عن عمد ليلقى مصرعه بعد أن عرفوا ما كان بينهما من الخلاف، وقد اتجهت إلى الحجاج أسأله عن حقيقة ما يذاع وهو فى غير حاجة لأن يكذب على، فما به خشية منى ولا من الناس، فأنكر أنه فعل شيئا مما يهرف به العامة وعلا الغضب وجهه فى غيظ أكد لى أن الرجل برئ فأسرعت إلى مسجد رسول الله، وحدثت العامة بما اعتقد وقلت لهم: إنى خبرت الحجاج عن ظهر وبطن وساررته الحديث وجاهرته، وقد وقفت على براءته مما قذف به متهما، فلا تتحدثوا دون بينة، فتفرق الناس بين مصدق ومكذب إذ لم يجتمعوا على قول واحد.

أما أنس – رضى الله عنه – فقد ساءنى موقف الحجاج من تقريعه، وأعلنت له ما أضمر من الإجلال لصاحب رسول الله، فنكص على عقبيه، وأصر على ألا يعود لإيلامه، ثم اتصلت بأنس – رضى الله عنه – أرفه عن خاطره، وأقول له: إن الناس اليوم ليسوا كما كانوا على عهد رسول الله وعهد الصالحين أبى بكر وعمر فقد شغلتهم الدنيا وتطلعوا إلى الزخرف وزينة الحياة، والحكام اليوم غير حكام الأمس، فإذا التمست من الحجاج سيرة ولاة السلف فى صدر الإسلام فقد وجدت المستحيل فسكت ولم يرد، وعلمت أنه خاطب أمير المؤمنين فأنصفه ورعاه!

ثم سكت أمير المؤمنين، فاتجه إبراهيم يسأله فى حذر لقد لمست غضبك على حين صارحتك برأيى فى الحجاج ولكن الحجاج خرج من لديك مسرورا يعانقنى فوقعت فى حيرة!

فقال عبدالملك وقد دعوتك لأزيل حيرتك، فقد عرفت إخلاصك النصيحة وأنك ما أردت بها غير وجه الله، ولو كنت محابيا أحدا لغرض من أغراض الدنيا لحابيت الحجاج لفرط إكرامه لك وتعظيمه إياك، وقد أعلنت الحجاج أنك أشرت على بأن يترك الحرمين استقلالا لهما بجانب كفاءته ومقدرته على أن يولى على العراقين فهما فى حاجة إلى حزمه ويقظته، وقد وافقتك على مشورتك فإذا لقيته فاخبره بما كان كما قلت وستجد من بره وإخلاصه ما تعهد! إنى أردت يا إبراهيم أن يستريح أهل الحرمين فأنا متهم ويسوءنى أن يرهقوا بما لا يستطيعون!

انطلق وجه إبراهيم بالبشر، وصفق أمير المؤمنين يدعو الحجاج، فأقبل مبتهجا قريرا، وصاح به عبدالملك فى دعابة! يا حجاج! صاحبك ولاك العراقين، وقد رجوته أن يقتصر على ذلك إذ كان فى عزمه أن يمتد بسلطانك إلى مصر، ولو أصر لأجبت!

قال الحجاج – الشكر لله ولك يا أمير المؤمنين، ونعم الصاحب إبراهيم بن محمد بن طلحة، فقد أسدى إلىّ من الفضل ما لا ينساه مثلى فى يوم، وإذا شاء أن يترك الحجاز إلى العراق فأنا به سعيد، فقال عبدالملك: هيهات يا حجاج فلن يترك جوار رسول الله!!

**(عابر سبيل)**






# نقد علمي لمقال ديني

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

تلقى الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي خطاباً من القس الدكتور لبيب ميخائيل بأمريكا، وذكر أنه أذاعه في الصحف والقنوات الفضائية، فأحاله الإمام الأكبر على الدكتور محمد رجب البيومي ليتولى الرد على أفكاره المخطئة وقد نشر الرد في حينه، ولكن الدكتور القس الفاضل أذاع الخطاب ثانية على نحو أوسع وفي عدة اتجاهات، فرأينا أن نعيد نشر الرد على صفحات مجلة الأزهر، لتعلن الحقيقة فيما يذاع.

يذكر القس الدكتور لبيب ميخائيل أنه قرأ القرآن الكريم قراءة دقيقة لمدة أكثر من عشر سنوات فوجده يحرض المسلمين في كثير من آياته على أن يقاتلوا اليهود والمسيحيين والمشركين.. ثم سرد آيات كثيرة من سور مختلفة تدل - في رأيه - على هذا التحريض..

والرجل كما يلوح في الاستشهادات التي ذكرها، لم يخرج من السنوات العشر التي قضاها في دراسة القرآن - كما قال - بآراء صحيحة، لأنه لم يرجع إلى أسباب النزول وأقوال المفسرين، فوقع في الخطأ.

وأنا لا أدري كيف مرت عليه هذه السنوات العشر وهو يدرس ويجتهد دون أن يكلف نفسه الرجوع إلى المصادر التي تضيء أمامه!.

إن المسلم لا يستطيع فهم القرآن دون أن يرجع إلى كتب التفسير، وكتب أسباب النزول، وهو الذي نشأ في بيئة تردد القرآن صباح مساء! فكيف يكتفي القس بظاهر النص المجرد دون أن يعرف شيئاً عن أسبابه ودواعيه، ودون أن يلم بالضوابط التشريعية التي استنبطت من النص الكريم، ثم يتصدر للحكم الجرئ! وكي لا يتشعب الكلام دون جدوى سأحصر النقاش في نقاط محددة تنتهي إلى عكس ما أراده القس مستعيناً بما لم يستعن به من كتب التفسير والسيرة النبوية، دون ميل إلى التعمية أو التهويل، لأن الحق المجرد هو وجهة هذا الرد الهادف ولا اعتبار لسواه..

إن الهدف الذي يبتغيه القس من سرد الآيات هو إثبات أن في آيات القرآن ما يدعو إلى قتل المسيحيين بمصر، وأن هذه الآيات هي التي دفعت إلى مظاهر الإرهاب في الصعيد، فلننظر أكان ذلك صحيحاً أم هو غير صحيح..



١ - لقد استشهد القس بخمس آيات كريمة من سورة الأنفال، وكلنا يعلم أن سورة الأنفال نزلت في غزوة بدر، وهي بين المسلمين والمشركين، وليس للنصارى واليهود علاقة ما بها وإذن فالنصوص التي استشهد بها مثل قوله تعالى:

أ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾(١)

ب ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٢)

جـ ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾(٣).

(١) الأنفال (٦٥).
(٢) الأنفال (٣٩).
(٣) الأنفال (١٢).

د- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(4).

هـ- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(5).

هذه النصوص خاصة بقتال المشركين، وليس في مصر اليوم مشرك والحمد لله.. وغزوة بدر كانت حرباً دفاعية، إذ قدم المشركون إلى المدينة لاستئصال المسلمين، فوجب عليهم أن يتهيئوا للقائهم، فنزلت الآيات الكريمة تشد عضد المسلمين ضد المشركين! وبذلك يكون استشهاد القس بهذه الآيات على أنها دعوة لقتال المسيحيين خطأ صريح لا أدرى كيف وقع فيه!

وتلحق بغزوة بدر غزوة أحد وكانت بين المسلمين والمشركين، وقد خف المشركون إلى المدينة غازين، فوجب على المسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم، وقد استشهد الدكتور بقول الله ـ عز وجل ـ في سورة آل عمران:

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (157) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾(6).

فأين التحريض على المسيحيين واليهود، والسورة جميعها خاصة بالمشركين، والمعركة معركتهما..

فإذا تركنا ما استشهد به من السورتين الكريمتين (الأنفال وآل عمران) فإننا نجد سورة التوبة أكثر السور الكريمة استشهاداً بما نقل من آياتها، وسنتتبع كل استشهاد بما يؤدى معناه الصحيح..

بدأ القس مستشهداً بقول الله ـ تعالى ـ:

1) ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(7).

2) ثم استشهد بقول الله عز وجل في سورة التوبة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(8).

وقد قال الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت(9): يزعمون أن الدين الإسلامي يأمر بقتال الكفار عامة، حصل اعتداء منهم أو لم يحصل، والواقع أن الآية ليست واردة في بيان سبب القتال، وإنما جاءت إرشاداً لخطة حربية يجب أن يترسمها المسلمون

(4) الأنفال (15)، (16).
(5) الأنفال (74).
(6) آل عمران (157، 158).
(7) التوبة (5).
(8) التوبة (123).

عند نشوب القتال المشروع، فهى ترشدهم إلى وجوب البدء عند تعدد الأعداء، بقتال الأقرب فالأقرب عملاً على إخلاء الطريق من الأعداء المناوئين، وتسهيلاً لسبل الانتصار، وهذا المبدأ الذى قرره القرآن من المبادئ التى تعمل بها الدول المتحاربة فى العصر الحديث، فلا تخطو دولة محاربة إلى دولة أو قوة بينها وبينهم دول عملاً على الاطمئنان إلى زوال العقبات من الطريق أما الآيات الأخرى فهى :

٣ ) قال تعالى :

﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ۝١٢ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾(١٠).

الحديث : الآيات الكريمة عن المشركين ابتداء من قول الله - عز وجل -

﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ ﴾(١١).

والمشركون هم الذين نكثوا إيمانهم فى عهد الحديبية وهموا بإخراج الرسول من مكة قبيل الهجرة ومن المدينة حين جمعوا القبائل فى غزوة الخندق لاستئصال المسلمين، وهم الذين لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة، وإذن فقتالهم مشروع، لأنهم نكثوا العهد، وقد قال الله عنهم

﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ ﴾(١٢).

فالنص لا صلة له إطلاقاً بالمسيحيين، فإذا كان الاستشهاد لوجود الأمر بالقتال فقتال المعتدى أمر مشروع، بل هو ضرورى لسير الحياة..

٤ ) ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴾(١٣).

إن بعض الذين قاموا على رعاية البيت الحرام، وسقاية الحاج اخذوا يقولون : إنهم مجاهدون كمن اشترك مع الرسول فى الجهاد وآمن به، فرد الله عليهم بقوله :

﴿ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾(١٤).

---

(٩) تفسير القرآن الكريم للإمام محمود شلتوت (ص ٥٤)

(١٠) التوبة (١٢، ١٣).

(١١) التوبة (٧)

(١٢) التوبة (١١).

(١٣) التوبة (٢٠، ٢١).

(١٤) التوبة ١٩، ٢٠).



فالمفاضلة في النص الكريم بين فريقين ليس بينهما المسيحيون فهل تكون الآية داعية لقتال المسيحيين.

٥ ) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾(١٥).

وبعدها مباشرة جاء قوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾(١٦).

فالحديث هنا عن المنافقين الذين كفروا بعد إيمان وعن الذين يجرحون المسلمين بالقول الكاذب فإذا حوسبوا على ذلك قالوا إنما كنا نخوض ونلعب، وعن الذين كانوا يستهزئون بآيات الله ورسوله ويصدون الناس عن مصادقة الرسول في تبوك!! أليس من الضروري أمام هذه الفئة العارمة من هؤلاء أن ينزل القرآن بجهادهم وقتالهم، وقد بسط لهم حبل الأمل فقال:

﴿ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾(١٧).

فهل لهذا النص القرآني صلة بالمسيحيين!

٦ ) ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(١٨).

نعلم أن هذه الآيات وكثيراً من آيات التوبة نزلت في غزوة تبوك، وكان الرومان قد اعتدوا على من أسلموا من العرب بالشام وجاءت الأنباء بأنهم سيتوجهون لغزو المدينة، فرأى الرسول ﷺ، أن يأخذ زمام المبادرة، فاستعد لقتالهم في وقت حر شديد، وجدب أليم حيث لم تينع الثمار، وأخذ المنافقون يخوفون المسلمين من حرب ( بني الأصفر) وهم الرومان، ويقولون أن ذهبتم لقتالهم فلن تعودوا

﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ﴾(١٩).

فنزلت آيات الكتاب مشجعة للمسلمين على القتال دفاعاً عن بيضة الإسلام فقال الله ـ عز وجل ـ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾

فالنص الكريم لا يدعو إلى عدوان ولكن يشجع على رد العدوان، والجزاء الجنة!

هذا ما استشهد به القس من آيات سورة التوبة، وقد جانب وجه الحق فيها، وقريب منها ما استشهد به من سورة الفتح في قول الله ـ عز وجل ـ:

(١٥) التوبة (٧٣).
(١٦) التوبة (٧٤).
(١٧) التوبة (٧٤).
(١٨) التوبة (١١١).
(١٩) الفتح (١٢).



﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٢٠).

فقد نزلت بعد غزوة تبوك حين جاء المخلفون من الأعراب يقولون

﴿ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾(٢١).

وقد ظنوا المسألة مسألة غنائم ومكاسب، فرد الله عليهم بقوله:

﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾(٢٢).

وللقتال في الإسلام حدوده المشروعة، وموجباته الضرورية، والنص بعيد بعيد عما يردده الكاتب.

## ٢

وبعد هذا نأتي إلى الآيات التي تحث على القتال، واختارها القس دليلاً على إرهاب المسيحيين وقتالهم، وها هي ذي:-

١) ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢٣).

٢) ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

٣) ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٢٤).

٤) ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾(٢٥).

٥) ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾(٢٦).

٦) ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٢٧).

٧) ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾(٢٨).

هذه النصوص السبعة التي اختارها الباحث الفاضل لا تدل على شرعية القتال في الإسلام، بل لا تدل على قتال المسيحيين في مصر واستئصالهم كما يزعم..

ونحن لا ننكر مشروعية القتال في الإسلام، ولكن ننكر أن الآيات قد جاءت لجواز قتال

---

(٢٠) الفتح (١٦). (٢١) الفتح (١٥) (٢٢) الفتح (١٦)
(٢٣) البقرة (٢١٦). (٢٤) النساء (٧٤). (٢٥) النساء (٧٦)
(٢٦) النساء (٨٤). (٢٧) النساء (٩٥). (٢٨) الصف (٤)

المسيحيين في مصر، لسبب واضح هو أن الإسلام لم يدخل مصر حين نزل القرآن، إذ كان الفتح الإسلامي لمصر في عهد عمر بن الخطاب، وإذن فالآيات تدور حول القتال بوجه عام..

والقتال المشروع في الإسلام هو الحرب الدفاعية سواء كانت دفاعاً عن النفس، أو إغاثة شعب مسلم ضعيف لا يستطيع الدفاع عن نفسه! وقد جاءت الآيات السابقة دائرة في هذا النطاق، ولا أدري لماذا لم يذكر القس قول الله في سورة البقرة

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾(٢٩).

وقوله:

﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣٠).

لقد استشهد بنصوص من البقرة، فلم لم يتأمل هذين النصين، وقد درس القرآن في مدى عشر سنوات!! ثم استشهد بآيات من سورة النساء لا تؤيد دعواه كما بينا من قبل، فلم لم يستشهد بقول الله في هذه السورة:

﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾(٣١).

ولماذا لم يستشهد بقول الله في هذه السورة نفسها

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾(٣٢).

أليس القتال في هذه الآية مشروعا لأنه حماية للضعيف ودفاع عن النفس!

ولماذا لم يستشهد بقول الله:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾(٣٣).

على أن التسامح الإسلامي بلغ أقصاه في نصوص القرآن بما لا يوجد في شريعة أخرى، وقد درس القس كتاب الله فلم لم يقف عند قوله:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(٣٤).

---

(٢٩) البقرة (١٩٠).

(٣٠) البقرة (١٩٢).

(٣١) النساء (٩٠).

(٣٢) النساء (٧٥).

(٣٣) الحج (٣٩، ٤٠).

(٣٤) الممتحنة (٨، ٩).

لقد كتب الفقهاء عن مشروعية القتال فى الإسلام، فى حدود الدفاع عن العقيدة، ونصرة الجانب المظلوم ما فيه الإقناع كل الإقناع لمن يدرس القرآن درساً محايداً، لا لمن يأخذ نصاً فيبتره عن سياقه أو يتجاهل نصاً آخر ينقض كل ما يريد..

ولا أترك حديث القتال فى الإسلام دون أن أشير إلى استشهاد القس بقول الله ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(٣٥).

فقد رأى القس فى الآية دليلاً على إباحة تقتيل الأقباط، مع أن النص الكريم، لا يخص أهل ملة بعينها، بل هو تشريع للمسلمين، يعاقب به الفسقة فيهم ممن يسعون فى الأرض بالفساد وقد عرف باسم ( الحرابة ) فى الفقه الإسلامى! وليت الباحث يتدبر فى النص من جديد ليعرف أن الإسلام يحتقر العصاة وأصحاب الفساد ممن يعيثون فى الأرض تخريباً وتنكيلاً سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وإنى لا أتساءل إذا كان هذا الفهم الغريب قد هجس فى خاطر الكاتب على وضوح النص الشريف وسطوع مرماه! أفيجوز له أن يدعى أنه وقف على معانى القرآن بدراسة عمرها عشر سنوات!

ثم ماذا يقول القس لبيب ميخائيل: إن الأتراك المسلمين فى سنة ١٩١٥ خلال الحكم العثمانى قتلوا مليون مسيحى أرمنى كانوا يعيشون فى تركيا بمدينة ( ناردين ) فى ليلة واحدة! ومحال أن يقتل مليون فى ليلة واحدة، وهب أن ذلك قد وقع فهو مخالفة صريحة للإسلام، ولا يحسب عليه، والذين قاموا بذلك هم جماعة « حزب الاتحاد والترقى العثمانيون » لأن الخليفة كان صورة شكلية فقط ليس بيده من الأمر شئ، وإذن فكلمة الحكم العثمانى مضللة! إنما هو الحكم العلمانى الذى حارب الإسلام فى عهد الخلافة الأخير وبعد سقوطها!

وفى تاريخ المسيحية ما هو أبشع من ذلك، مع أن المسيح قد نهى عن القتال، فالحروب الصليبية التى فتكت بآلاف الألاف من المسلمين فى سبع حملات جبارة توالت على الشرق الإسلامى بالحديد والنار والصواعق، كان البابا هو الذى بعثها! فهل يؤخذ بذلك المسيح!

يقول السير توماس أرنولد فى كتابه ( الدعوة إلى الإسلام ) : وربما حل الاضطهاد والتنصير الإجبارى محل الدعوة الهادية إلى كلمة الله، حتى كان الملك ( أولاف ترايجفسون ) ينشر الدين المسيحى بالقسم الجنوبى من النرويج بذبح الذين أبوا الدخول فى المسيحية، أو يقطع أيديهم وأرجلهم أو نفيهم من الأرض..

وفى وصية القديس لويس: عندما يسمع الرجل العامى أن المسيحية قد أسئ إليها، فإنه لا ينبغى أن يذود عنها إلا بسيفه، يجب أن يطعن الكافر فى أحشائه طعنة نجلاء. وهذا قول أرنولد المسيحى!! وأنا أقول: إن المسيحية فى صميم تعاليم المسيح لا تتحمل هذا الوزر، وكذلك الإسلام لا يتحمل أوزار مخالفيه، فهل آن لنا أن نزن الحقائق التاريخية بميزان دقيق؟!

( يتبع )

---

(٣٥) المائدة [٣٣، ٣٤].




# سيرة النبي محمد

تأليف

كارين أرمسترونج

٢

عرض وتقديم

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

**هذا الكتاب - كما ذكرنا فى اللقاء السابق - كاتبته كارين أرمسترونج الإنجليزية تخاطب به الغربيين بمنطقهم ولغتهم التى يتفاهمون بها؛ لتعرفهم بحقيقة الإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، التى وقفت عليها من دراستها المحايدة، ولتزيل عن أعينهم وعقولهم ماران عليها من غشاوات وضلالات تراكمت على مدى قرون متطاولة، وفصلتهم عن واقع الحياة الجادة، فظلوا يعادون محمداً وما جاء به عداء حاقداً، دفعهم إلى الحروب الصليبية ابتداء، ثم إلى الاستعمار والتآمر حديثاً، والترحيب بكل شاذ يرضى فيهم طوايا الحقد، بما يقدم من سباب، وزيف وزور عن محمد صلى الله عليه وسلم وعن الإسلام، من نحو ما قدمه أخيراً سلمان رشدى فى روايته (آيات شيطانية).**

وفى المقالة السابقة استعرضنا ما قدمته الكاتبة فى الفصول الأربعة الأولى من الكتاب.

## مع الوحى فى أطواره الأولى

وفى الفصل الخامس (النذير) تتبعت الكاتبة تدرج الوحى مع محمد ﷺ فذكرت أن محمداً ﷺ فى مبتدأ بعثته كان يتصور أن الدور المنوط به مقصور على إبلاغ رسالة إلى أهل مكة، ولم يدرك أنه مبعوث إلى الناس كافة، ولا حتى إلى العرب جميعاً، كما أنه لم يدرك أنه مكلف بمهمة سياسية؛ ولذلك اهتم فى أول أمره بالسعى إلى مجتمع العدل، فسعى إلى إصلاح ميثاق الشرف العربى القديم الذى كانت قريش تعرفه.

ولم يجنح محمد إلى إدانة الثروة والممتلكات مثلما فعل المسيح، ولكنه بفريضة الزكاة عالج الفوارق بين الأغنياء والفقراء، إلى جانب النهى عن كنز الأموال، والنهى عن أكل أموال اليتامى، مع الأمر برعاية الفقراء.

وحين أمر محمد بتعميم الإنذار، وطلب من قريش أن تنظر فيما يترتب على إيمانها بالله.. لم يكن يقترح عليها شيئاً غريباً ولا مستحيلاً، فقد كانت قريش على استعداد للإيمان ضمناً؛ إذ لم يكن القرآن يسبط اللثام عن شئ جديد، بل كان يقول: إنه تذكرة، وعلى قريش أن تشرع فى الحوار، وأن يعيدوا النظر فى شعائرهم القديمة، وأن يقيموا ميزان العدل.

وتقرر الكاتبة أن الإنسان لا يسعه إلا أن يدهش للعبقرية الروحية للنبى محمد الذى لم تكن له أية صلة باليهود أو بالنصارى الممارسين لدينهم، ومع ذلك فقد نفذ إلى قلب الخبرة بدين التوحيد.

والإسلام لا يؤمن بما تتسم به المسيحية من رؤية تشاؤمية للعالم الطبيعى بسبب الاعتقاد بسقوط الإنسان فى الخطيئة الأصلية، وما ترتب على ذلك من آراء. كما أن الإسلام لا يقدم عقيدة لاهوتية، بل إنه يدفع كل فرد على حدة للتوجه إلى الله، مع عدم الجنوح إلى شطحات التأمل فى الذات الإلهية.

ومع قيام محمد بالإنذار فى قريش، وإقدام كثيرين على اعتناق الإسلام، نشب صراع أحدث صدوعاً أدت إلى الانقسام داخل الأسرة الواحدة، على الرغم



من أن الناس كانوا - بصفة عامة - راضين عن محمد، بحيث لم يوجه أحد أي انتقادات لتعليماته الاجتماعية، من كل ما يقرر أن محمداً قد حقق نجاحاً كبيراً في السنوات الأولى من بعثته.

## (آيات شيطانية) السيئة السمعة

وفي الفصل السادس (افتراق الطرق) ترصد الكاتبة أثر ما حققه محمد من نجاح في نفوس القرشيين وسلوكهم؛ فتذكر أن بعض أفراد من قريش تتبعوا جماعة من المسلمين إلى شعاب مكة، وهاجموهم في أثناء تأديتهم الصلاة هناك، واضطر المسلمون إلى الدفاع عن أنفسهم، فضرب - سعد بن أبي وقاص - أحد مهاجميه بعظمة بعير أصابته بجرح، فكان أول دم يسيل في سبيل الإسلام؛ فأصاب ذلك أهل مكة بصدمة، زاد من عنفها مجاهدة محمد ﷺ بتسفيه آلهتهم، والنهي عن عبادتها، فتجمع سادات مكة ضد محمد، وأعلنوه عدوا لقومه، مستغربين فكرة عدم وجود إله سوى الله، رافضين ذلك، لتهديده مقدسات يعتقدون أن بقاء مجتمعهم يعتمد على بقائها.

وتشبّه الكاتبة ما كان من قريش في استقبال دعوة محمد بما كان من الرومان في استقبال رفض المسيحيين تقديس آلهة روما الوثنية، لاعتقاد الرومان أن تلك الآلهة هي حامية الدولة. وكما عدّ الرومان ذلك إلحادا من المسيحيين نالوا بسببه الاضطهاد والإيذاء الذي أثمر العديد من الشهداء، كذلك عدّ القرشيون ذلك من محمد وصحبه إلحادا يجازون عليه الاضطهاد والإيذاء.

وتندفع الكاتبة مع التشبيه والمقارنة، فترى أن بعض المسيحيين الأوائل حاولوا أن يجدوا تواصلاً مع الوثنيين للتخفيف من قسوتهم وعنفهم، كما صنع عالم اللاهوت الفلسطيني (جستين) الذي كتب دفاعين سنة ١٥٠، وسنة ١٥٥م، ذكر فيهما أن المسيحية ليست بدعة تكفيرية للوثنية، وأن المسيحيين يتبعون خطوات أفلاطون وغيره من الفلاسفة المبجلين الذين آمنوا بإله واحد.

وترى أن محمداً - تحت ضغط الاضطهاد والتعذيب فيما يبدو - قد مر بلحظة فكر فيها أن يهادن قريشاً ويتقرب منهم بمثل ما صنع (جستين)، ولكن القرآن جاءه محذراً من ذلك، فنزل قوله تعالى:

﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾(١).

وتذكر الكاتبة أن الدارسين في الغرب يفترضون أن تلك الآية تشير إلى حادثة ما يدعى (آيات شيطانية) السيئة السمعة، وأنهم يدعون أن محمدا قدم تنازلات مؤقتة للمشركين، مستندين إلى قصة جاءت في طبقات ابن سعد، وتاريخ الطبري، فحواها أن الشيطان - في إحدى المناسبات - تدخل في أثناء تلقي محمد لكلمة الله، فدس كلمات ترضي قريشا، وتوحي بأن القرآن يعترف بعبادات آبائهم، وأن محمدا تخلى عن الرسالة التوحيدية.

---

(١) الإسراء (٧٣ : ٧٥).



وتدفع الكاتبة هذا الافتراض الغربي، بأن مسلمين كثيرين يعتقدون أن هذه القصة غير صحيحة؛ فلم يرد في القرآن إشارة إليها، ولم تذكر لا في صحيح البخاري ولا في صحيح مسلم، وابن إسحاق لم يذكرها في سيرته الموثوق بها. ولكن الغربيين المعادين للإسلام رأوا في القصة مناسبة مهمة للتشكيك في محمد، والبرهنة على عدم إخلاصه؛ فكيف لرجل قام بتغيير الكلمات السماوية أن يكون نبياً!!

وترى أن اعتراض المسلمين على رواية سلمان رشدي (آيات شيطانية) التي نشرت سنة ١٩٨٨م ناشئ من أنهم يرونها تقدم محاكاة ساخرة لحياة محمد، وتكرر الأساطير الغربية القديمة عن محمد، وتقدمه على أنه (مدع)، ذو طموحات سياسية خالصة، وأن صحابته الأوائل أشخاص تافهين، وأن القرآن إيحاءات إنسانية محضة، كما يدعي الغربيون دائماً.

وترى أن من أيدوا سلمان رشدي يعلنون أن الإسلام ينفي البحث والحرية الإبداعية، متجاهلين أن المسلمين الأوائل أسسوا حضارة عظمى، وأرسوا دعائم تقليد فلسفي عقلاني، كان مصدر إلهام المفكرين في أوروبا في العصور الوسطى.

ومن هنا تنطلق الكاتبة لتفند المزاعم الغربية في شأن محمد ﷺ مرتكزة على تعارض القصة مع القرآن نفسه، ومع المأثورات الأخرى؛ فلم يكن محمد في تلك المرحلة المبكرة جداً من رسالته مهتماً بالقوة السياسية، بل إنه - فيما بعد - رفض عروض قادة قريش التي تشبه ذلك دون تردد، خصوصاً أن الطبري لا يقطع بجميع ما يرويه؛ إذ يذكر ما لا يطمئن إليه مسنداً إلى قائله، متوقعاً من القارئ أن يقارن الروايات بعضها ببعض. وقد ذكر الطبري أن - رسول الله - لما رأى تولي قريش عنه شق عليه ذلك، وتمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه.

## على طريق التوحيد

وفي ثنايا مناقشة الكاتبة هذا الموضوع تذكر أن الإسلام يرفض مبدأ السقوط بمعناه المسيحي، فهو يخبرنا أن آدم - بإرادته الحرة - استسلم لغواية الشيطان، ورغم ذلك فقد أصبح أول الأنبياء، وأن رسلا من بعده تعرضوا لأقوال شيطانية في أثناء تبليغهم كلمة الله لأقوامهم، ولم يعن هذا تلويث كتبهم أو رسالاتهم بأثر للشر.

وكأنها تقصد بذلك أن تدفع عن القرآن تهمة التلوث - على فرض انزلاق محمد إلى التفكير في مهادنة القرشيين - فلو أن نفس محمد حدثته بشئ من ذلك، فإن الواقع القرآني يقرر أن ذلك الحديث النفسي لم يخرج إلى نطاق الواقع، فقد نزل القرآن مقرراً أن تلك الآلهة إن هي إلا اختراع إنساني واهم.

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ﴾(٢).

---

(٢) النجم (٢٣)

وترى الكاتبة أن محمداً منذ ذلك الحين - أصبح شديد الحرص على رسالته التوحيدية في مواجهة تمسك قريش بما استقروا عليه من تعدد الآلهة، تأثراً بما كانت عليه النظرات الأولى؛ فقد قوى وعيه بحاجة العرب الدينية لأن يجدوا حقيقة عليا واحدة وراء آيات الطبيعة المتعددة والمتنوعة، وأن يعرفوا أن ما اتخذوه آلهة ما هي إلا مخلوقات ضعيفة - إنساً كانت أو جناً أو ملائكة - لا تملك تقديم أية مساعدة.

كما ترى أن القرآن قدم مفهوماً للإله العلى بشكل جوهري يمكن للعربي أن يستدعيه، وجعل الجزء الأول من الشهادة (أشهد أن لا إله إلا الله) يلخص عزم كل مسلم على أن لا يحفل بأي شكل آلهة أخرى، وأن لا يسمح لأي مغنم أن تشتت ولاءه لله.

وكان هذا العزم وراء تحذير المصلحين الإسلاميين في العصر الحديث بعض المسلمين حين تخلوا عن الشريعة الإسلامية، والتجأوا إلى الأفكار الغربية، مثل الفردية والاشتراكية.

وكان هذا التوجه فيصلاً حاسماً، دفع كثيراً من أتباع محمد إلى الفرار من قومهم، مما أثار سخط سادات قريش، ولجوءهم إلى مطالبة أبي طالب ليرفع عنه الحماية، فأحرجوه بذلك الطلب، ولكنه رفض مطلبهم، ثم اضطروا إلى معاودة الطلب مرة أخرى، فدعا محمد إليه متوسلاً أن ينقذه وينقذ نفسه من ذلك العناء، فأجابه بقوله: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته»[٣]. فناداه عمه قائلاً: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشئ أبداً.

## العداء الغربى يحول دون وقوفهم على تأثير القرآن

ومع يأس قريش من النيل من محمد، عمدوا إلى الشطط في إيذاء المستضعفين، حتى اضطر محمد إلى جعلهم يهاجرون للحبشة، ومع اشتداد قريش في ضغطها على المسلمين ازداد الإقبال على الدخول في الإسلام. وكان للتأثير القرآني أكبر الأثر في اختراق تحفظات القوم، مما ألجأ قريشاً إلى اختيار وفد للتفاوض مع محمد، وتقديم العروض المغرية، فاستقبلهم هم وعروضهم بتلاوة آيات قرآنية، اضطروا أمام أسرها إلى أن يعودوا أدراجهم مذهولين، من قوة تأثير ما سمعوا من محمد!

وتلتفت الكاتبة إلى أن أحداً من أعداء محمد - مع كل هذا الخصام والعداء - لم يتهمه بتزييف الوحي، حتى إن عتبة - أحد أعضاء الوفد - لم يملك إلا أن يصيح في قومه محذراً وهو يقول: والله إني قد سمعت قوله، والله ما سمعت مثله قط.. والله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ عظيم.

وتستدل الكاتبة على قدرة أمر القرآن وتأثيره بما رصده (شتاينر) - الذي لا يعتقد في وجود الله، في كتابه (حضور حقيقي) - من تأثير للفن يجعله يمثل الإمكانية الوحيدة للتسامي

(٣) سيرة ابن هشام

في عالم مليء بالشكوك، حتى إن هذا الفن ليتطلب منا ضمنا أن تغير حياتنا، فإن نظريته تلك التي قوبلت بترحيب كبير تمدنا بلمحة عن تأثير القرآن في نفوس من ينصتون إليه؛ فقد تجاوبت أصداء القرآن مع شئ ما مدفون في أعماق العرب، حيث ألمح القرآن إلى موجودات خارج نطاق النص. وبذلك يتجلى القرآن في استطاعته ممارسة ذلك التأثير إلى يومنا هذا، حتى على الذين يتكلمون غير العربية؛ فتلقى القرآن ليس مجرد تجربة عقلية لاستخلاص المعلومات، أو لتلقى الإرشادات. لكنه - إلى هذا وذاك - تنظيم روحانى.

ومن الطبيعى أن تجربة الشخص الغربى ستكون مختلفة تماماً؛ لأن الترجمات لا تقدم جمال العربية الأصلي، ولأن هذه التجربة تتطلب من المتلقى توجهاً غريباً على معظمنا، خاصة أن القراءة تتم بروح عدائية، ومن منظور استعلاء متخيل كحالة ( جيبون ) في قراءته مثلاً.

وتلفت النظر إلى أن القرآن يرى كل القصص التى يقدمها آيات ترمز إلى علاقة الله مع البشر، وليست مجرد سرد للأحداث. كما إن القرآن يحاول استخلاص النتائج من أحداث القصص التى يقدمها، ليصل إلى لب الرسالة.

وإلى أن رسالة القرآن لم تكن كلها دماراً وخراباً؛ فالقرآن يحث المسلمين على الصبر، ويدفعهم عن الانتقام الشخصى من أعدائهم، حتى في أثناء المقاطعة التى فرضها القرشيون عليهم، إلى أن فقدت المقاطعة شعبيتها، فعدلوا عن المقاطعة.

## لكل شدة مخرج

وفى الفصل السابع ( الهجرة : قبلة جديدة ) ترصد الكاتبة أبرز الأحداث التى كانت وراء اشتداد قريش على محمد، وبالتالى : اضطراره إلى الهجرة، فتذكر أنه بعد وفاة خديجة سند محمد المخلص، وإصابة أبى طالب - فى العام نفسه - بمرض عضال، عمل أبوجهل على الضغط على محمد، فذهب إلى أبى طالب على رأس وفد، طالباً من محمد الاعتراف بدينهم لينصرفوا عنه. ولكن الوفد - أمام إصرار محمد على توحيد الله - عاد بمزيد من التحدى.

وإنه مع موت أبى طالب فقد محمد الحامى المباشر. وكان على أبى لهب أن يخلف أبا طالب في سيادة العشيرة، وحماية محمد، ولكن تلك الحماية لم تكن على نفس المستوى، خصوصاً بعد أن حفز أبوجهل أبالهب على أن يسأل محمداً عن مصير عبدالمطلب؛ ليوقعه فى حيرة.

من هنا.. كان على محمد أن يبحث عن سند آخر، فاتجه إلى ثقيف فى الطائف، فلم يجد منهم إلا الصدود والإهانة. وكان عليه أن يستجير بمطعم بن عدى ليحميه فى مكة مؤقتاً، وبدأ يسعى بالدعوة بين حجاج البدو فى مواسم الحج، لعله يجد منهم مجيراً أو سنداً، ومع إعراضهم فى البداية اشتد حزنه، حتى كانت حادثة الإسراء والمعراج، لتعود إليه الطمأنينة.

وتستدل الكاتبة بالإسراء والمعراج على أن محمداً كان قد بدأ يرى أنه ربما أصبح أكثر من مجرد المنذر المتواضع لقريش، ومع ذلك فقد كان لايزال يبحث عن مجير من أبناء البشر، ففى

موسم الحج سنة ٦٢٠م التقى بستة من وثنيي يثرب، فلما أسمعهم بعض القرآن وجد منهم إقبالاً عليه لتوقعهم أنه النبي الذي يتوعدهم به اليهود، ولم يجدوا فيما يدعوا إليه من التوحيد ما يزعجهم لتعودهم على سماعه من جيرانهم اليهود. بل لقد عادوا في العام التالي ومعهم سبعة آخرون ليلتقوا به في وادي العقبة، ويبايعوه على عبادة الله وحده والالتزام بأوامره ونواهيه، ويرسل معهم مصعب بن عمير العائد من الحبشة لتلقينهم القرآن، ودعوة الآخرين إلى الإسلام، حيث استجابوا لدعوته، باستثناء مجموعة صغيرة في عشيرة الأوس ظلت على وثنيتها؛ فلما كان موسم الحج التالي سنة ٦٢٢م غادر يثرب عدد كبير - ممن أسلم ومن بقى على وثنيته - إلى مكة، حيث اجتمع محمد بثلاثة وسبعين ممن أسلموا عند العقبة ليبايعوا محمداً على السمع والطاعة، والمؤازرة الكاملة.

## الحياة الجديدة في يثرب

وترى الكاتبة أن الهجرة لم تكن بقرار اختياري من محمد - كما يؤكد ابن إسحاق - ولكنها كانت قراراً مفروضاً عليه، كما يشير إلى ذلك القرآن في آيات عدة، نحو قوله تعالى:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾(١).

ففي أعقاب عودة الأنصار إلى المدينة، شرع محمد يحث المسلمين على الهجرة إليها؛ فتوافدوا عليها أرسالاً. ولما توفي مطعم بن عدى في هذا العام تأكد محمد من أن حياته أصبحت معرضة للخطر، ولم يعد مجرد احتمال، وبالفعل اتفق قادة قريش - في اجتماع تغيب عنه أبولهب - على قتل محمد بواسطة جمع من فتيانهم يمثلون جميع القبائل، ولكنه ﷺ استطاع الفرار منهم، بعد أن نبهه جبريل إلى المؤامرة، حيث كانت رحلته هو وصاحبه أبوبكر إلى المدينة، ليبدأ فور وصوله في بناء مسجد، يضم المسلمين، ويتخذه منزلاً له ولأسرته.

وأخذ محمد في وضع المعاهدات والتشريعات ليحكم الرابطة بين المهاجرين والأنصار، وليوطد العلاقة مع القبائل العربية واليهودية المجاورة، وبذلك أصبح مهاجرو قريش والأوس والخزرج أمة واحدة محكمة الأواصر، تستند إلى وحدة الخالق، ولا تسمح لرابطة الدم أن تؤثر في التحام نسجها؛ فبدد بذلك ما كان يشيعه كفار قريش من أن الإسلام يفصم عرى المجتمع، وأن محمداً يسرق الأطفال من أبويهم.

وقرر بعض اليهود الدخول في الإسلام، وعلى الرغم من أن محمداً لم يكره أحداً منهم على ذلك انقلب اليهود على الإسلام، وأخذوا يسخرون من المسلمين، ويهزءون بدينهم، فنزل القرآن بالحجج التي تكشف خفايا اليهود وتعرف بهم من كتبهم التي تقرر أنهم شعب لا يؤتمن، وأنهم انتهكوا عهد الله بانتكاساتهم إلى الوثنية، ودأبوا على عصيان الأنبياء. ومن هنا عرف محمد والمسلمون الاختلاف بينهم وبين

---

(١) محمد (١٣)

المسيحيين، على الرغم من رفضهم الزعم أن لله ولداً.

ومع ذلك ظل محمد يقول: إن ما أنزل إليه يتفق مع ما أنزل على من قبله من الأنبياء – مفرقاً بذلك بين علاقته بالديانات السابقة وعلاقته بأهل الديانات – وعلى ذلك فعلى المسلمين ألا يناهضوا من اليهود والمسيحيين إلا من يعادون القرآن.

وظلت هذه السياسة ثابتة، على الرغم من تفاقم النزاع مع القبائل اليهودية الرئيسية في المدينة.

وترى الكاتبة أن إصرار اليهود على عداوتهم كانت وراء إعلان الله استقلال الدين الجديد عن الدين القيم، ونزل الوحي بالتحول في الصلاة من جهة القدس إلى جهة مكة، فكان ذلك دليلاً على هوية إسلامية جديدة، تدعم وحدتهم القائمة، حيث جاءت العبادات كلها على طريق التوحد، فالمسلمون جميعاً – رغم انتمائهم إلى ثلاث قبائل – يستيقظون عندما يعلو صوت بلال بأذان الفجر، ويتوقفون عن العمل جميعاً في موعد صلاة الظهر. والزكاة تذكرهم بأنهم يتحملون مسئولية مشتركة عن الفقراء.

## الإسلام دين السلام وتزييف الغربيين

وفي الفصل الثامن (الحرب المقدسة) تذكر الكاتبة أن ما حققه محمد بعد الهجرة من نجاح سياسي وروحي مذهل، دفع المسيحيين الغربيين للشك في ذلك، وعدوا محمداً مدعياً، استغل الدين وسيلة للقوة، حتى لقبوا الإسلام بـ (دين السيف)، ورأوه عقيدة تخلت عن الروحية الحقة، وارتكزت على العنف وعدم التسامح، على الرغم من أن هؤلاء المسيحيين الغربيين كانوا يشنون حروبهم المقدسة في الشرق الأوسط في ذلك الوقت.

وامتد هذا التصور الزائف إلى وقتنا هذا، حيث تلهو الكتب وبرامج التليفزيون بإبراز عناوين مثل (حنق الإسلام)، و(سيف الإسلام)، و(الحنق المقدس)، و(الرعب المقدس) بقصد الإصرار على تشويه الحقيقة، متغافلين عن أن لكل دين عبقرية خاصة – أو بصيرة خاصة – تميز بحثه عن معنى أو قيمة كلية، فمثلاً نجد أن اتسام المسيحية بأنها ديانة المعاناة والحزن، كانت وراء العزوف عن الدنيا، حيث أسيئ استخدام تلك السمات، فأصبحت معتقداً يقرر أن الله يساند نظاماً هجومياً، يجلس الغني فيه في قصره، بينما الفقير ينتظر عند الباب راضياً، منتظراً أجر معاناته في الآخرة. وقد عملت المؤسسة الأمريكية على التبشير بتلك المبادئ في وسط وجنوب أمريكا. ومن هنا وجد ميل جاد قوي في الغرب المسيحي للنظر إلى النشاط السياسي كشيئ خارج نطاق الحياة الدينية، وما نشأ عن ذلك من فصل بين الكنيسة والدولة.

ومن هذا التصور الغربي المسيحي للدين والسياسة عبنا على الإسلام خلطه بين المجالين، فجعلنا أعرافنا الغربية المسيحية ميزاناً نقدر به أعراف الإسلام، على الرغم من الخلاف الجذري بين منشأ الديانتين.

وترى الكاتبة أنه مع تزايد دور محمد كرجل دولة، ظل يوحى إليه، فلم يشغله الدور السياسي عن رسالته الاجتماعية، ولا رؤيته الدينية، فكل

آيات الله فى الطبيعة توجه المسلمين للخضوع لإرادة الله، حتى يتمكنوا من تحقيق إمكاناتهم.

كما ترى أنهم فى الغرب غالباً ما يتخيلون محمداً قائد حرب، يلوح بسيفه ليفرض الإسلام على مجتمع كاره له بقوة السلاح، على الرغم من اختلاف الحقيقة عن ذلك التخيل؛ فقد كان محمد والمسلمون الأوائل يكافحون فى سبيل الإبقاء على حياتهم، كما إنهم كانوا قد أخذوا على عاتقهم مسئولية كان العنف معها حتمياً.

وتقف الكاتبة أمام كلمة (الجهاد) وجذرها اللغوى، لتلفت النظر إلى أن اختيار القرآن للجهاد يشير إلى أنه يعنى أكثر من مجرد الحرب المقدسة، بما تفيده الكلمة من جهد جسمانى وأخلاقى وروحانى وعقلى؛ إذ لو كان القرآن يريد الحرب فقط لكان أمامه ألفاظ عربية كثيرة تؤدى ذلك، مثل: (الحرب، والقتال، والصراع، والمعارك، والقتل).

هذا إلى أن الجهاد ليس أحد أركان الإسلام الخمسة، وليس هو دعامة الإسلام المحورية، خلافاً للرأى السائد فى أوروبا، فالجهاد يعنى التزام بالنضال على جميع الجبهات؛ الأخلاقية منها، والسياسية، والروحية، من أجل خلق مجتمع عادل كريم جدير بالاحترام. وتستشهد الكاتبة على ذلك بحديث الرسول ﷺ لدى رجوعه من إحدى المعارك: «لقد عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

وتذكر الكاتبة أن القرآن - دعما لهذا المفهوم - بدأ يطور تشريعاته للحرب؛ إذ الحرب تكون أحياناً ضرورية للحفاظ على القيم الفاضلة، والله سينصر المسلمين فقط إن هم أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، ووضعوا قوانين عادلة شريفة، وأوجدوا مجتمعاً كريماً.

## محمد فى مواجهة اليهود

وترصد الكاتبة وضعية اليهود بعد بدر، فتذكر أن قبائلهم صارت مخاطرة أمنية، يخشى تعاونهم مع أى قوة تهاجم المدينة من جنوبها أو من شمالها؛ فكان على محمد أن يعمل على تأمين تلك الجبهة، خصوصاً بعد علمه أن قينقاع هم الأشد عداء للأمة.

وتقرر أن من الأمور شديدة الصعوبة علينا فى الغرب: فهم علاقات محمد بيهود المدينة؛ لأن الموضوع يبعث أشباحاً مخزية عديدة من ماضينا؛ فقد كان صراع محمد مع القبائل اليهودية مختلفاً تماماً عن الكراهية الدينية والعرقية التى أدت إلى أن يشعل مسيحيو أوروبا المذابح لمدة تقرب من ألف عام، ثم وجد إرهابُ المسيحيين اللاعقلانى تعبيره النهائى فى حملة هتلر العلمانية ضد اليهود.

لكن محمداً لم تكن لديه أية رغبة فى رفع شعار الإبادة لليهود؛ فقد كان تآمرهم على المسلمين وراء تصرفه معهم، كما حدث حين تآمرت قريظة مع أحزاب قريش فى غزو المدينة، فلما فرت الأحزاب كان على محمد أن يعاقب قريظة على فعلتهم التى تهددت أمن الأمة، فبوحى من السماء توجه على الفور إليهم. ولكن الغرب يضفى على ذلك معانى من الكآبة والرعب، رابطين ذلك بأفعال النازى الشنعاء.

وتؤكد الكاتبة تلك الرؤية، مسجلة أن هذا المسلك لم يؤثر - بصفة دائمة - في موقف المسلمين من اليهود؛ فبمجرد أن أقام المسلمون إمبراطوريتهم العالمية الخاصة، وطوروا نظاماً متقدماً في شريعتهم أسسوا نظام تسامح ظل يسود الأجزاء المتمدينة في الشرق الأوسط لمدة طويلة، حيث تعايشت مجموعات دينية في ظله جنباً إلى جنب؛ فالمعاداة للسامية خطيئة مسيحية غربية، وليست خطيئة إسلامية، فلم يعان اليهود في ظل الإسلام قط ما عانوه في ظل المسيحية.

كما تؤكد أن هدف أي حرب في الإسلام هو إحلال السلام والوفاق في أسرع وقت؛ فلفظ ( إسلام ) مشتق من جذر يعني: ( السلام )، والصلح، ولأنه لم يكن عليه أن يقاتل من أجل الحياة.. أصبح بإمكان محمد أن يبدأ في فرض السلم الإسلامي.

## محمد والمرأة.. وبذاءات الغربيين

ولأن الغربيين وجدوا في رواية (آيات شيطانية ) ما يرضي رغبتهم في الحط من شأن محمد ﷺ وتشويه حقيقة الإسلام.. اهتمت الكاتبة بإبراز علاقة محمد بالنساء، ونظرة الإسلام إلى المرأة؛ ملتزمة بمنهجها الموضوعي، وتفكيرها الهادئ، وخطابها العقلي؛ فقالت: «وقد أثار موضوع زوجات النبي تأملات كثيرة في الغرب تتسم بالبذاءة والصفاقة، وبكثير من مشاعر الحسد التي فشل الكتاب في إخفائها، ليصموا الإسلام بأنه دين المتعة والشهوة».

وذكرت أن الاقتصار على زوجة واحدة لم يكن من الأعراف المستحبة في بلاد العرب، بل يغلب أن يكون تعداد الزوجات هو العرف السائد في المجتمع القبلي، وتقرر ذلك بقولها: «يخطئ من يظن أن محمداً كان ينعم بالملاذ في حديقة من المتع الدنيوية، بل إن كثرة زوجاته كانت أحياناً نعمة ونقمة معاً؛ فالزواج كان أقرب إلى لون من الترتيبات العملية منه إلى زواج يقوم على الحب، فزواجه من عائشة وسودة كانت له أبعاده السياسية».

وتذكر الكاتبة أن النقاد الغربيين يميلون إلى أن يروا في السماح بتعدد الزوجات شوفونية ذكورية، كما تروج الأفلام التي تقدم صورة مبالغاً فيها عن الحياة الجنسية لمشايخ المسلمين، على الرغم من أن النظر إلى الأمر في سياقه يبين أنه لم يقصد بتعدد الزوجات إباحة نوع من الممارسة الجنسية للرجال فقد كان ذلك نوعاً من التشريع الاجتماعي؛ حيث كانت مشكلة الأيتام محل اهتمام محمد منذ بداية رسالته، ثم تفاقمت بعد وفيات أُحد، فلم يترك الشهداء زوجات فقط، لكنهم تركوا بنات وأخوات وقريبات في حاجة لمن يكفلهم.

هذا إلى احتمال وجود فائض في عدد النساء غير المتزوجات، واللاتي كن يستغللن استغلالاً سيئاً، مما ألجأ القرآن إلى إباحة تعدد الزوجات وسيلة علاج.

وتواصل قائلة: ومع ذلك فلو أننا نظرنا إلى قاعدة تعدد الزوجات في سياقها - حيث كان



يباح للرجل أن يتزوج أى عدد من النساء – لوجدنا أن التقييد بأربع إنما هو حد لتلك الممارسة، وليس ترخيصاً باضطهاد جديد، خصوصاً مع اشتراط المقدرة على العدل، وإلا فعليه الاكتفاء بواحدة.

وتلاحظ الكاتبة أن النقاد الغربيين يلومون الطريقة التى يعالج بها القرآن شئون المرأة، مع أن الحقيقة هى أن تحرير المرأة كان من الأمور المحببة إلى الرسول، وأن ما أنجزه للمرأة غير عادى، ويجب أن نتذكر أن المرأة فى أوروبا المسيحية لم تحصل على شئ من حقوقها إلا فى القرن التاسع عشر، حتى إننا مازلنا فى الغرب نقود الحملات من أجل حقوق متساوية للنساء.

وتلتفت الكاتبة إلى تحريم القرآن وأد البنات، وأن بدلاً من تلك الممارسة الوحشية لتحديد النسل، فإن القرآن يحث المسلمين على الوثوق بالله كافل الرزق للجميع، فعلى المجتمع أن يكفل للمسنين واليتامى والأطفال حقوقا إنسانية كاملة، وأن يقيموا أسرا متعددة الأفراد واثقين أن لهم الحياة.

وتتوقف الكاتبة – فى هذا المجال – أمام الحجاب فى الإسلام، فتذكر أن الغربيين يرون فى حجاب المرأة – رمز للقمع الذكورى، بينما هو فى القرآن ليس سوى جزئية إجرائية، فالمسلمات – كالمسلمين – مطالبات بمراعاة الاحتشام فى ملابسهن، دون أن يفرض عليهن حجب أنفسهن فى جزء منفصل من المنزل، حتى إن النساء رأين فى الحجاب رمزاً للقوة وحسن الأثر، حتى لقد حاول نساء الصليبيين – بارتدائهن الحجاب – إجبار الرجال على إحسان معاملتهن، حين رأين ما تلقاه المسلمة من احترام.

وفى ضوء هذا تفسر الكاتبة عودة بعض النساء المسلمات إلى زيهن الإسلامى، فهن يرون فيه عودة إلى جذورهن الحضارية، ورفضا منهن للحضارة الغربية، وليس كما يقول الغربيون نتيجة إخضاعهن لعملية ( غسيل المخ ) من قبل ديانة شوفونية.

وترى الكاتبة أن الأولى بدعاة نصرة المرأة فى الغرب – ممن يتهمون الإسلامية بكراهية المرأة – أن يتساءلوا السلبية الشديدة فى التقاليد المسيحية إزاء المرأة، حتى إن الكراهية المسيحية للمرأة تتسم بنزعة عُصابية خاصة؛ لأنها تقوم على رفض الحياة الجنسية التى تتفرد به المسيحية.

كما ترى أن النظرة الغربية إلى المرأة نظرة متخبطة، فبينما تدعو إلى تحريرها تستغلها وتمتهنها فى الإعلانات والفنون الإباحية بأسلوب يستهجنه المسلمون، ويتأذون منه، حتى إن المسلمات رفضن – عن اقتناع – ما قدمناه لهن من الحريات الغربية.

## السلم المقدس

وتذكر الكاتبة – فى الفصل التاسع ( السلم المقدس ) – أن محمداً بعد انتصاره على قريش، وتخلصه من قريظة.. أصبح سيداً من أهم سادات العرب، وأنه بدأ فى العمل على التحالف مع القبائل المختلفة تحالفاً سياسياً، يأمل معه أن يؤدى آخر الأمر إلى



التزام ديني، وأنه في صلح الحديبية بين أن الإسلام كانت له جذوره الضاربة في أقدس التقاليد العربية، حيث وضح أن التشريعات الاجتماعية الإسلامية لا تبتعد تماماً عن الروح القبلية، فهي بما تفرضه من قيود تهذبها وتخلصها للعدالة، كما صنع في القصاص.

هذا إلى أن المجتمع الإسلامي يقوم على المساواة، فليس هناك صفوة أو بناء هرمي من القسس والرهبان، حتى يمكننا أن نلمس ما تنميه تلك المساواة الإسلامية من حب وإخاء، لصب الناس في مستوى اجتماعي وسياسي واحد.

وإنه على الرغم من صرامة القوانين القرآنية، كان محمد يتميز بالرحمة ولين الجانب، والشفقة التي شملت الحيوان. ومع ذلك دأبنا - في الغرب على مر القرون - نقدم محمداً في صورة الرجل الجهم، والمحارب القاسي، والسياسي البارد.

وإن علمه بأن القتال وشن الغارات من عناصر أسلوب الحياة العربية، وإدراكه - بناء على ذلك - أن محافظته على السلام الذي تحقق أخيراً تتطلب وجود قوة دفع خارجية؛ ولذلك وجه طاقة المسلمين إلى غزو القبائل الشمالية التي ظلت على عدائها للمسلمين.

وإنه من منطلق الحفاظ على هذا السلام، بدأ في أكتوبر سنة ٦٣٠م الاستعداد بجيش كبير للتوجه إلى تبوك المتاخمة للأرض الخاضعة لبيزنطة، وتقع في الشمال الغربي من المدينة، حيث أقام عشرة أيام أثار فيها إعجاب العرب هناك، فسارع بعضهم إلى التحالف معه.

ثم لم يمض أكثر من ثلاثة شهور حتى استسلمت الطائف، آخر معاقل الوثنية؛ فأصبحت عوامل الحركة الداخلية التي تحدث التغيير الاجتماعي تؤازر محمداً؛ ليتقرر لدينا أن محمداً ما أنجز هذا الإنجاز الفذ في نحو عشر سنوات استناداً إلى الوحي وحده، بل إنه طبق المبدأ القرآني القائم على حتمية التوسل بالأسباب، فاستخدم جميع موارده الطبيعية، وعبقريته الشخصية الفائقة، مقرراً بذلك أن الإسلام دين واقعي عملي.

## الإسلام والنشاط السياسي والإنساني

ومن هنا ترى الكاتبة - في الفصل العاشر (وفاة الرسول) - أن التاريخ والنشاط السياسي لدى المسلمين هدفان في حد ذاتهما، لكن يظلهما ويحكمهما النظام الإلهي الأسمى، كما يقرر ذلك - باستمرار - الرموز القرآنية المتعلقة بالحساب، والجنة، والنار.

وهكذا تمكن محمد من إنشاء مجتمع قوي، له استقلاله عن الفوضى المحيطة وما يسودها من دوائر لا تنتهي من سفك الدماء.

وفي العاشر من الهجرة سنة ٦٣٢م بدأ محمد رحلته للحج مع كل زوجاته، وحشد كبير من المسلمين، والحج شعيرة مازالت مصدر إلهام للمسلمين بتجربة دينية شديدة العمق بما تقوم عليه من مناسك مختلفة، وإن كانت تبدو غريبة في نظر الشخص الغربي.

وتخلص الكاتبة من تلك الرحلة إلى أن



للسياسة أهميتها في الإسلام؛ لأن المشروع الإسلامي هو محاولة لخلاص التاريخ من الانحطاط والفوضى؛ فالجهد السياسي ليس عرضياً في حياة المسلم الروحية الشخصية؛ إذ إن للأمة أهمية مقدسة.

وأن لذلك - بعد وفاة محمد - كان النجاح المستمر للمشروع الإسلامي مبرراً للجهد السياسي؛ فما لبثت الجيوش العربية أن أسست إمبراطورية امتدت من جبال الهيمالايا حتى جبال البرانس، مع أن العرب لم يحاولوا إجبار شعوب تلك البلاد على الإسلام؛ مما يدل على أن القرآن أجاب احتياجات الناس الدينية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، كما يدل على أن الإسلام أمكنه استيعاب الحضارات القديمة الأخرى، وأقام إرثه الحضاري المتميز، وأن الإسلام لم يكن قوة تهديد أو تفريق، ولكنه أثبت قدرته على توحيد المجتمع.

وتلاحظ أن المسلمين قد واصلوا المسيرة بعد وفاة محمد، باستمرارهم على الاستجابة الخلاقة للتحديث حتى عصر متأخر نسبياً، مع مجابهة المصائب والكوارث التي نجمت عما أحدثه المغول في القرن الثالث عشر، فقد استمر القرآن يمنح الشعوب الإسلامية سبل التغلب على الكوارث، وتوفير الشجاعة على الاستمرار، كما طور المسلمون علاقات دبلوماسية مع جيرانهم في دار الحرب، ولم يقع منهم أي ضغط على اليهود أو المسيحيين أو الزرادشتيين لاعتناق الإسلام.

وتختم الكاتبة دراستها مقررة أن سر المسلمين يكمن في أن حب المسلمين لمحمد لا ينصب على الشخصية الذاتية التاريخية - كتخصيص المسيحيين لعيسى - لكنه ينصب على السر المقدس، فهو يضيء الحياة، ويضيف إليها معنى جديداً، ولذلك انطلقوا يجمعون الأحاديث النبوية، باذلين الجهد الجبار في تنقيتها من الدخيل والمدسوس، وكان ذلك سر وحدة الهوية الإسلامية، مهما نشب من خلافات بينهم، فحادثة سلمان رشدي إنما أثارت المسلمين في جميع أنحاء الأرض، لأنهم رأوا فيها هجوماً على الرسول ﷺ، انتهك حرمة منطقة مقدسة في نفوس الجميع.

ومع هذا النظر الموضوعي المحايد، أرى أن الكاتبة قد جانبها التوفيق في بعض الأحيان، كما حدث في تفسيرها تحريك محمد لسانه بالوحي خشية النسيان أنه صياغة للوحي ص١٣٧، وكما حدث في استبعادها صحة ما روي من أنه ﷺ دعا هرقل وكسرى إلى الإسلام لعدم وجود دليل على أن محمداً كان يرى عالمية الإسلام ص٣١٤، وأن أهل الديانات الأخرى منعوا من اعتناق الإسلام نحو مائة عام بعد وفاة محمد ص٣٨٤، وما كان أحد من المسلمين يملك منع أحد من اعتناق الإسلام، ولكن على الجميع أن لا يكرهوا أحداً على ذلك.

وصفوة القول أرى أن الكتاب نبراس يضيء الطريق لمن يتصدى بالدعوة في الميدان الغربي العلماني الحديث.

والله من وراء القصد

## من عيون التراث

# الأضداد

لمحمد بن القاسم الأنباري

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

**يقصد بالأضداد فى اصطلاح اللغويين الكلمات التى تؤدى إلى معنيين متضادين بلفظ واحد، ككلمة « الجون » تطلق على الأسود والأبيض، و« الجلل » تطلق على الحقير والعظيم، وهكذا.**

**وقد كانت الأضداد - ومازالت - بهذا المعنى، مرادا للقول عند الباحثين، وموضعاً للجدل عند العلماء والدارسين، فمنهم من قال بإمكان وقوعها، وعدوضعها فى مألوف القوانين اللغوية، والمواضع الاصطلاحية - وذلك لأن المعانى غير متناهية والألفاظ متناهية - وذكروا من عللها وأسبابها وشواهدها الشىء الكثير، ومن هؤلاء: الأصمعى، وأبو عبيدة السجستانى، وابن السكيت، وقطرب، وابن الأنبارى، وغيرهم، كما يبدو ذلك واضحاً من مصنفاتهم وآرائهم المنتشرة فى كتب اللغة والأدب.**

ومنهم من أنكر هذه الأضداد إنكاراً عنيفاً، وأبطلها إبطالاً تاماً، وتأول ما ورد منها فى اللغة ونصوص العربية، وأشهر من أعلن هذا الرأى ابن درستويه، فإنه ألف كتاباً أسماه « إبطال الأضداد » وذهب إلى جحد الأضداد جميعها.

ومنهم من قال: بوجود الأضداد، إلا أنهم عدوها منقصة للعرب، ومثلبة من مثالبهم، واتخذوها دليلا على نقصان حكمتهم، وقلة بلاغتهم، وزعموا أن ورودها فى كلامهم، كان سبباً فى كثرة الالتباس عند المحاورة وإدارة الخطاب، وهؤلاء هم الشعوبية أو من كان يسميهم ابن الأنبارى: « أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب ».

وقد جرد ابن فارس من هذه الآراء كتاباً، ذكر فيه ما احتج به كل فريق على فريق، وإن كان هذا الكتاب لم يصل إلينا فيما وصل من كتب ابن فارس إلا أنه أشار إليه فى كتابه « فقه اللغة » وقديما حاول العلماء حصر هذه الكلمات وجمعها من كلام العرب فيما شعروا ونثروا، وفيما ورد منها فى القرآن والحديث والشعر.

وقد حظيت هذه المؤلفات بكثير من العناية فى النشر والتحقيق، فقام الدكتور ( أوغست هفنر ) بنشر كتب الأضداد للأصمعى، والسجستانى، وابن السكيت، والصغانى، وطبعت هذه المجموعة طبعة علمية جيدة فى بيروت سنة ١٩١٣.

كما نشر الأستاذ هانس كوفلر كتاب أبى محمد بن المستنير المعروف بقطرب، فى مجلة إسلاميكا « المجلد الخامس » سنة ١٩٣١.

ثم نشر محمد آل يس كتاب أبى محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان، ضمن مجموعته المعروفة بنفائس المخطوطات، وطبعت فى النجف سنة ١٩٥٢.

ونقل السيوطى أن ممن ألف فى ذلك أيضا التوزى، وأبو البركات بن الأنبارى، وإن كان لم يقع لنا شىء من هذين الكتابين. هذا عدا الفصول التى وردت فى كتاب الجمهرة لابن دريد، والغريب المصنف لأبى عبيد، والمخصص لابن سيده، وفقه اللغة للثعالبى، وديوان الأدب للفارابى.

ولكن أعظم هذه الكتب خطراً، وأوسعها كلما، وأحفلها بالشواهد، وأشملها للعلل، هو كتاب أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى، فإنه أتى على جميع

ما ألف قبله وأربى عليه وجاء بالعجيب من أراجيز وشواهد الشعر الحديث والقرآن، في كثرة اللغة، وإسهاب كثير، مع عذوبة المورد، ووضوح التعبير، وإشراق الدلالة واطراد التنسيق وسهولة الأسلوب، وأعانه على ذلك كثرة محفوظه، ووفرة روايته، ووضوح الفكرة في عقله، مع دقة التعليل وقوة الحجاج، ثم استطرد لشرح الشواهد شرحاً أبان فيه المعنى الدقيق، وكشف النقاب عن اللفظ الغريب، وقدم لكتابه ببحث ضاف شامل، انتصر فيه للعرب فيما ورد على ألسنتهم من ألفاظ الأضداد، وأبان على حكمتهم فيما أرادوا، وعلل كل ذلك تعليلا دقيقا أمينا، وبكل هذا عُدّ كتاب ابن الأنبارى أشمل كتاب وأوفاه في هذا الموضوع.

والمؤلف هو: أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروه بن قطن بن دعامة الأنبارى ولد في بغداد يوم الأحد، لإحدى عشر ليلة خلت من رجب سنة إحدى وسبعين ومائتين.

ونشأ في كنف أبيه القاسم، وكان أحد أعلام الأدب في عصره، وممن عاناه تأليفا وإملاء، وأخذ عن أحمد بن يحيى المعروف بثعلب، وكان أنجب طلابه والمعهم، كما أخذ عن إسماعيل القاضي وأبي العباس الكديمي، وأحمد بن الهيثم البزاز وطبقتهم، ولم يلبث أن أصبح إماما في اللغة والنحو والأدب والتفسير، وعُدّ من أعلام الطبقة السادسة من النحويين الكوفيين أصحاب ثعلب - على ما ذكره الزبيدى في طبقاته - من أضراب أبي موسى الحامض وهارون الحائك، ونفطويه، وكيسان.

ثم أملى في المساجد، واشتغل بالتصنيف، واتصل بالخلفاء من بني العباس، وعلى الخصوص الخليفة الراضي - يعلم أولادهم ويؤدبهم.

وكان كما يقول ابن النديم «في نهاية الذكاء والفطنة وجودة القريحة وسرعة الحفظ، وكان مع ذلك ورعا من الصالحين، لا يعرف حرمة ولا ذلة، وكان يضرب به المثل في حضور البديهة وسرعة الجواب». وتحدث عنه الأزهري في مقدمة كتابه: التهذيب، فقال: «كان واحد عصره، وأعلم من شاهدت بكتاب الله ومعانيه وإعرابه ومعرفة اختلاف أهل العلم في مشكله، وله مؤلفات حسان في علم القرآن، وكان صائنا لنفسه مقدما في صناعته، معروفا بالصدق، حافظا حسن البيان، عذب الألفاظ، لم يذكر لنا إلى هذه الغاية من الناشئين بالعراق وغيرها من يخلفه أو يسد مسده».

وقال أبو علي القالي: «إنه كان يحفظ ثلاثمائة بيت شاهدا في القرآن، وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيرا بأسانيدها وكتابه أكبر شاهد على وفرة محفوظه».

ويبدو أنه لم يكن يدع لغير العلم والمعرفة سلطانا عليه، وذكروا أن جارية سألته عن تعبير رؤيا، فقال: أنا حاقن، ثم مضى من يومه فحفظ كتاب الكرماني في التعبير، وجاء من الغد وقد صار معبرا للرؤيا. ووهب الراضي جارية حسنة كاملة الوصف، فلما صارت إليه اشتغل قلبه بها، فاختلفت عليه مسألة كان يطلبها، فقال للخادم ردها، فليس قدرها أن تشغل قلبي عن علمي. فلما بلغ الراضي - أمره، فقال: لا ينبغي أن يكون العلم في قلب أحد أحلى منه في صدر هذا الرجل.

وكانت حلقته في المسجد من أحفل الحلقات وأملئها بأعيان الوزراء والكتاب والأشراف، وكان في جميع ما ألف يملى من حفظه لا من كتاب.

وكان مع علمه وحفظه رقيقا متواضعا، نقل الخطيب عن أبي الحسن الدارقطني أنه حضر في مجلس إملاء يوم جمعة، فصحّف اسما أورده في إسناد حديث.

قال أبو الحسن: فاعظمت أن يحمل عن مثله في فضله وجلالته هم، وهبته أن أوقفه على ذلك فلما انقضى الإملاء تقدمت إلى المستملي، وذكرت له وهمه، وعرفته صواب القول وانصرفت ثم حضرت الجمعة الثانية مجلسه، فقال أبو بكر للمستملي: عرف جماعة الحاضرين أنا صحفنا الاسم الفلاني لما أملينا حديث كذا في الجمعة الماضية، ونبهنا ذلك الشاب إلى الصواب، وهو كذا، وعرف ذلك الشاب، أنا رجعنا إلى الأصل، فوجدناه كما قال.

وكان أيضا - على علمه باللغة وبصره بالشعر وفقهه لمعاني القرآن - من كتاب الأخبار والأقاصيص، مشغوفا بتصوير الشخصيات عن طريق القصص الأخلاقي والوصفي والفكاهي، وفي أمالي أبي علي القالي الكثير من هذه الأقاصيص.

وكان شاعرا وشعره شعر العلماء، ذكر منه ياقوت:

**إذا زيد شدا زاد ضرا كأنما**

**هو المسك ما بين الصلابة والطهر**

**فإن فتيت المسك يزداد طيبه**

**على السحق والحر اصطبارا على العسر**

وتوفي بعد هذه الحياة الحافلة بالعلم والتأليف والإملاء سنة ٣٢٧.

وله مؤلفات:

١- أدب الكاتب، ذكره ابن النديم وياقوت.

٢- الأضداد، وهو هذا الكتاب.

٣- الأمالي، ذكره ياقوت.

٤- الألفات، ومنه نسخة بمكتبة «لاله لي».

٥- إيضاح الوقف والابتداء، ومنه نسخ مخطوطة في بلدية الإسكندرية وسليم أغا والأحمدية بحلب، وكبريلي والأوسكريال.

٦- الرد على من خالف مصحف عثمان، وذكره ياقوت.

٧- الزاهر في معاني الكلمات التي يستعملها الناس في صلاتهم ودعائهم وتسبيحهم، ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية، عن النسخة الأصلية المحفوظة بمكتبة كبريلي. واختصره الزجاجي، ومن هذا المختصر نسخة خطية بدار الكتب المصرية.

٨- السبع الطوال، وسماه ياقوت «شرح الجاهليات» ومنه نسخة خطية بمكتبة نور عثمانية. وفي دار الكتب المصرية نسخة خطية مختصرة منه، ونشر في مجلة الشرقيات معلقة زهير من هذا الشرح.

٩- شرح المفضليات، وطبع بمطبعة الآباء اليسوعيين.

١٠- ضمائر القرآن، ذكره صاحب كشف الظنون، ونقل عنه البدر الزركشي في البرهان.

١١- غريب الحديث، ذكره ابن النديم، وقال ابن خلكان: «قيل إنه خمس وأربعون ألف ورقة»، وذكره ابن الأثير في مقدمة كتابه النهاية.

١٢- الكافي في النحو، وذكره ابن النديم وياقوت، وقال ابن خلكان: هو نحو ألف ورقة.

١٣- اللامات، وذكره ابن النديم وياقوت.

١٤- المجالس، ذكره القفطي وسماه ياقوت «المجالسات»

١٥- المذكر والمؤنث، ومنه نسخة خطية بالفاتح، وشهيد على، وعاطف، ولاله لى.

١٦- مسائل بن شنبوذ، ذكره ابن النديم وياقوت.

١٧- المشكل فى معانى القرآن، رد فيه على ابن قتيبة وأبى حاتم، ذكره ابن النديم وياقوت وابن خلكان.

١٨- المقصور والممدود، ذكره ابن النديم وياقوت والقفطى.

١٩- إبهامات فى كتاب الله -عز وجل- ومنه نسخة محفوظة فى باريس.

٢٠- كتاب الهجاء، ذكره ابن النديم وياقوت والقفطى.

٢١- الواضح فى النحو، ذكره ابن النديم وياقوت.

وعمل عدة من دواوين الشعراء، ذكر منهم ابن النديم، زهير، والنابغة الذبيانى، والأعشى والجعدى، والراعى.

وكتاب الأضداد سبق أن قام بنشره الأستاذ هوتسما فى لدين ١٨٨١ فى طبعة علمية جيدة، ووضع له فهارس محكمة، وعنى بإخراجه عناية مشكورة، ثم عن هذه الطبعة، نشرت فى مصر سنة ١٣٢٥ طبعة لم تخل من الخطأ والتحريف.

وقد اقترح علىّ الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية أن أحقق الكتاب نظرا لفقدان مطبوعه فى أوروبا من ناحية، وقيمة الكتاب من ناحية ثانية، ويسر لى الاطلاع على نسخة نفيسة مصورة عن الأصل المخطوط بليدن محفوظة فى معهد المخطوطات، وهى النسخة التى رجع إليها الأستاذ هوتسما حين نشر هذا الكتاب. وهى نسخة جيدة مضبوطة بالشكل الكامل، كتبها محمد بن سنجر الخازندار المعظمى فى غرة شهر شعبان المبارك سنة اثنين وخمسين وستمائة، ونقلها من خط مؤلفها.

ويبدو أنه كان من الكتاب المحسنين، لعنايته بقواعد النسخ وضبط الكلمات.

وبحواشيها بعض تعليقات لأحد العلماء ممن تملكوا النسخة، كما أثبت فى عدة مواضع منها معارضتها للأصل. وبأولها توقيع العلامة ابن خلكان «أحمد بن محمد بن إبراهيم» صاحب وفيات الأعيان. ومطالعة للعلامة محمد بن خليل الصالحى الحنفى، وتملك للنسخة مؤرخ سنة ٨٨٥، باسم يحيى بن حجى الشافعى.

وتقع فى ٤١ لوحة، ومسطرتها ٢١ سطرا، ومتوسط عدد الكلمات فى كل سطر أحد عشر كلمة.

وقد اعتمدت هذه النسخة أصلا نظرا لنفاستها وجودتها، ثم عارضت النصوص التى نقلها المؤلف عن الأصمعى والسجستانى وقطرب، بكتبهم الموضوعة فى هذا الموضوع، كما رجعت إلى المؤلفات الأخرى فى الأضداد، والنصوص المذكورة فى كتب اللغة والمعاجم، وخرّجْت ما ورد من الشعر عن الدواوين والأصول من كتب الأدب، وشرحت ما عَنْ لى شرحه فى سهولة ويُسْر، كل ذلك على حسب ما ورد فى قواعد نشر النصوص التى وضعها معهد المخطوطات.

وحسب ما وسعنى جهدى وأمكنتنى الطاقة، وما يسر الله لى من العون والتوفيق.

# صرعى الأغراض

للشاعر/ أحمد الزين (*)

(تحفة من عيون الشعر العربي وطرفة من الشعر الاجتماعي نظمها الشاعر الأزهري الكبير الأستاذ أحمد الزين منذ سبعين عاماً، مصوراً مأساة المواهب المظلومة، والكفايات المهضومة وكأنها قيلت الآن، فما أشبه الليلة بالبارحة).

يا للعزائم يَثْنى من مواضيها ** أنّ الكفايات يُقْضَى بالهوى فيها
وللمواهب بالأغراض يقتُلها ** من يستمدُّ حياةً من أياديها
وللجهود بأعشى الرأى يُطْفِئها ** ماضٍ على ضوئها سار بهاديها
وللنوابغ يَقْضى فى مراهبهم ** بما يشاءُ هواهُ غيرُ قاضيها
جادُوا بأعمارهم حتى لجاحدهم ** إنّ المواهبَ سلّمٌ فى أعاديها
كالشمس تقبسُ منها عينُ عابدها ** وتُرسلُ النورَ فى أجفان شانيها
والنفسُ إن مُلئتْ بالود فاض على ** جذبِ البلادِ خلوفٌ من هواميها
لا يدّعِ العدلَ قومٌ فى عدالتهم ** صرعى الكفاياتِ تشكُو ظلم أهليها

(١) من كبار شعراء الجيل الماضى، وصاحب التخصصات العلمية فيما نشر من كتب التراث مع صديقه الدكتور أحمد أمين مثل العقد الفريد، والإمتاع والمؤانسة، وديوان حافظ إبراهيم، وقد اشتغل بكتب أخرى فى دار الكتب مثل «نهاية الأرب» وأجزاء من صبح الأعشى وغيرها توفى سنة ١٩٤٧.

ولا المساواة والأفهام لو وُزنت ** مع الغباوة فيهم لا تساويها
ولا الحضارة من تجزى توابغهم ** وحشية تسكنُ البيداء والتيها
إذا البلادُ تخلّت عن حياطتها ** يدُ النبوغ تداعت من صياصيها
دع الحديث عن القسطاس فى غضب ** ما سوّدت بينها إلا مرائيها
سوقُ النفاق بهم شتّى بضائعُها ** تُزجى لمن يشترى إفكاً وتمويها
أرخصتمُ غالىَ الأخلاق فى بلد ** لم تغلُ قيمته إلا بغاليها
يارُبّ نفس أضاء الطهرُ صفحتها ** أقعدتموها فزلّت فى مهاويها
وكم قلوب كساها الحسن نضرته ** دنّستموها فعاد الحسنُ تشويها
أغلقتمُ سبُلَ الأرزاق لم تدعوا ** لفاضل الخلق سعياً فى نواحيها
مدارسٌ تغرس الأخلاقَ فى نشءٍ ** ومُغلقُ الرزق بعد الغرس يذويها
لا تفلح طالب رزق فى نقائصه ** إنّ الضرورات من أقوى دواعيها
ما أطهر الخُلقَ المصرىَّ لو طهُرت ** تلك الرياساتُ من أهواء مُوحيها
يا آخذين بقتل النفس قاتلها ** فتلى المواهب لم يُسمعْ لشاكيها
كمْ للنبوغ دماءٌ بينكم سُفكتْ ** باسم المآرب لا باسم الله مُجريها
هلا اقتصصتم لها من ظلم سافكها ** وقلْ فيما جناهُ قتلُ جانيها
أولى الورى بقصاص منه ذو غرض ** يخشى الواهب تُخفيه فيُخفيها
ملءُ المناصب منهومون قد جعلوا ** من دونها سدّ ذى القرنين يحميها
على مناعة ذاك السدّ تنفذه ** عصابةٌ تتواصى فى حواشيها
من كل أخرق تنتلُ الحظوظُ به ** إلى المراتب يسمو فى مراقيها



خابي القُوى عبقرىُّ الجهل يُثقِلُه ** عبءُ الرياسة إذ يدعوه داعيها
يا حافرين تراب الأرض عنْ حجَرٍ ** أو جُثّةٍ في ظلام الأرض يطْويها
ومنفقين من الأموال أنْفَسها ** في البحث عن خِرَقٍ لم يُغنِ باليها
مُستبشرين بما يَلْقَوْنَ من تُحفٍ ** للقوم أو خَزَفاتٍ من أوانيها
ورافعين من البُنْيان شاهقةً ** فيه الذّخائرُ قد صُفّتْ لرائيها
هلاّ عرَفْتم لمصرٍ فضْلَ حاضِرها ** يا عارفين لمصرٍ فضلَ ماضيها
إنّ العصورَ التي جادتْ بمن سلفُوا ** على الحضارة لم تَبْخَلْ أياديها
ذُخْرُ المواهبِ في أحيائكم تُحَفٌ ** بذّت متاحفَكم وصْفاً وتشبيها
ما إنْ يُقالُ لها الله صانعُها ** لكنْ يقالُ تعالَى اللهُ باريها
هَبُوا النوابغَ مَوتَى فاجعلوا لهُمْ ** حظّ النّواويس أكرمتمْ مثاويها
جعلتمُ الحيّ يرجو حظّ ميْتكم ** فحظُّ أحيائكم في مصر يُشقيها
أيُحْرمُ النحلُ غضّ الزهرِ يلفِظُه ** شُهْداً وقد شَبِعتْ منه أفاعيها
ويُقتلُ الروضُ ذو الأثمار من ظَمَأٍ ** والماءُ يُروِي مَواتاً من فيافيها
من يقتل الجُهدَ يَقتلْ فيه أُمّتَه ** وأُمّةُ الجُهد تُحْييه فيُحْييها
إنّ الشعوبَ إذا ماتتْ مواهبُها ** تُقاضِهُ أعْوَزَتْها كفُّ بانيها

***



# طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

## قولوا لفلان يغسلني

لما مرض الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ مرضه الذي مات فيه، قال لقومه: إذا أنا مت فقولوا لفلان يغسلني، فلما توفي وبلغه الخبر، قال: ائتوني بتذكرته فجيء بها إليه، فوجد فيها على الشافعي سبعين ألف درهم لفلان وفلان، فكتبها الرجل على نفسه، وقال: هذا هو الغسل الذي أراده.

## لو بدأت بي لأكثرت

خرج الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر حجاجا فسبقتهم رحالهم ومن يحملونها، وجاعوا وعطشوا فمرّوا بعجوز في خباء لها، فقال أحدهم: هل من شراب؟ فقالت: نعم، فأناخوا عندها وليس لديها إلا ( شويهة ) فقالت: احلبوها، واشربوا لبنها ففعلوا. فقالوا: هل من طعام، فقالت: ليس إلا الشاة، فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون، وقام أحدهم فذبح الشاة وكشطها، ثم هيأت الطعام، فأكلوا، وقالوا لها: نحن نفر من قريش نريد الحج، فإذا رجعنا فألمي بنا بالمدينة لنجزيك خيرا. وأقبل زوجها، فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب، وقال: ويحك، تذبحين الشاة لنفر لا تعرفين من هم؟ ثم تقولين إنهم من قريش.

ثم ألجأتهما الحاجة ـ الرجل وامرأته ـ إلى المدينة، فذهبا يلتقطان الفتات من الشوارع ومرت بمنزل الحسن، فعرف العجوز، وكان واقفا أمام داره، فبعث إليها غلامه، فدعا بها وقال لها: يا أمة الله، ألا تعرفينني؟ قالت: لا، قال أنا ضيفك بالأمس يوم كذا وكذا. قالت: فداك أبي وأمي، فاشترى لها من شياه الصدقة ألف شاة، وأعطاها ألف درهم، وبعث بها مع غلامه إلى الحسين وعبدالله بن جعفر، ففعلا ما فعل، وقال عبدالله بن جعفر: لو بدأت بي لأكثرت، ولكني لا أخالفهما فرجعت العجوز إلى زوجها بثلاثة آلاف درهم، وثلاثة آلاف شاة!



## التقوى زينة الصالحين

خرج بعض الزهاد في يوم عيد، وليس عليه جديد، فقيل له: لم تخرج في مثل هذا اليوم في مثل هذه الهيئة، والناس متزينون؟ فقال: ما تزين لله - تعالى - بمثل طاعته.

## متى يكون الأدب شرا من عدمه؟

قيل لبعض الحكماء: متى يكون الأدب شرا من عدمه؟

قال: إذا كثر الأدب ونقص العقل، وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله.

وقال سليمان بن عبدالملك: زيادة منطق في عقل خدعة، وزيادة عقل على منطق هجنة، وأحسن من ذلك ما زين بعضه بعضا.

وقال الشاعر:

**رأيت اللسان على أهله**

**إذا ساسه الجهل ليثا مغيرا**

## إني قد أعددتك

قال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد: إني قد أعددتك لأمر، قال: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعد لك مني قلبا معقودا بنصيحتك، ويدا مبسوطة بطاعتك، وسيفا مشحوذا على عدوك، فإذا شئت فقل.

## حقا

قال الشاعر:

**يخونك ذو قربى مرارا وربما**

**وفي لك عند العهد من لا تناسبه**

## حقيقة

من نصب نفسه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم.

## أي إخوتي أنت؟

روي أنه قيل لمعاوية بن أبي سفيان: يا أمير المؤمنين بالباب رجل يقول: إنه أخوك فقال: كيف لا أعرف إخوتي؟ أدخلوه، فدخل الرجل فقال له معاوية: أي إخوتي أنت؟ قال: أخوك من آدم!! قال: رحم مقطوعة، والله لأكونن أول من وصلها، وقضى له حاجته.

## دعاء لرد كيد الشيطان بمشيئته تعالى

اللهم إن هذا الشيطان يراني من حيث لا أراه، وأنت - سبحانك - تراه من حيث لا يراك، فأسألك ربي أن ترد عني كيد من تراه ولا أراه.





## من مختارات مجلة الأزهر :

# العلم والدين

للأستاذ / محمد أحمد الغمراوي

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

**ننشر هذا البحث على طوله نقلاً عن مجلة الأزهر ( المحرم سنة ١٣٥٦هـ ) بمناسبة ما أثير حول التفسير العلمى الآن، وقد كتب رئيس التحرير بجريدة ، صوت الأزهر، رأيه فى اجتهاد الدكتور زغلول النجار الممتاز حقاً. ونريد اليوم أن نطلع القراء على بحث ضليع كتبه الأستاذ الكبير محمد أحمد الغمراوى منذ خمسة وستين عاماً يؤيد قضية البحث العلمى، والكاتب علم من أعلام الفكر الإسلامى الحديث. رحمه الله.**

يظن بعض من لا خبرة له بالعلم أو بالدين الإسلامى أو بكليهما، أن هذه العلوم المسماة بالعلوم الطبيعية، والتى يصح تسميتها بعلوم الفطرة، علوم مستحدثة، وأنها غريبة عن الدين، وأن من الجائز وجود تناقض بين حقائقها وحقائقه. لكن ظنهم هذا باطل، لأن هذه العلوم الطبيعية هى فى الواقع علوم إسلامية، لأنها فى الواقع علوم قرآنية، قرآنية فى موضوعها، قرآنية فى طريقتها، بل قرآنية فى اسمها، لأن مادة ( علم ) بهذا المعنى الطبيعى المعروف واردة أيضاً فى القرآن.

فأما ورود مادة ( علم ) فى القرآن الكريم بمعنى العلم الكونى الذى يسمى الآن بالعلم الطبيعى فذلك تراه فى القرآن فى أكثر من آية. ففى سورة الأنعام وردت آيات كثيرة موضوعها الحث على طلب هذا العلم بآيات الله فى الكون، نذكر منها قوله -تعالى-:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(١).

---

(١) سورة الأنعام الآية (٩٧)

كذلك وردت آيات عدة في سورة الروم، نذكر منها قوله – تعالى –:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾(٢).

كذلك في سورة فاطر آيات كونية، نذكر منها قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾(٣).

وواضح من السياق أن المراد بالعلماء هنا هم العالمون بالآيات وأسرار الخلق التي أودعها الله – سبحانه – فيما أشارت إليه هذه الآيات الكريمة.

هؤلاء العلماء، إذا كانوا مؤمنين حملهم علمهم بأسرار الفطرة على خشية الله فاطر الفطرة، لأنهم يكونون بعلمهم أبصر بعظمة الله – سبحانه – وجلاله وقدرته المتجلية في آيات صنعه. وهذا في الواقع هو الحكمة الكبرى التي من أجلها أمر الله الإنسان في كثير من آيات القرآن بالنظر فيما خلق الله في السموات والأرض من خلق. وهناك طبعاً إلى هذه الحكمة الكبرى حكم أخرى هي ما يتبع طلب هذه العلوم الكونية من منافع مادية دنيوية آتية من استخدام حقائق العلم في شئون الإنسان، كالانتفاع مثلاً بخواص الكهرباء والبخار والحديد في هذه القطارات والسفن البخارية، وهذه المركبات والمصابيح الكهربائية. والحكم كلها مرادة لله – سبحانه – حين أمر الإنسان بالنظر في ملكوت السموات والأرض، إلا أن الحكمة الأولى حكمة خشية الله المشار إليها في

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

هي الحكمة الكبرى، إذ عبادة الله وخشيته هي الغاية الأولى والآخرة من وجود الإنسان.

## العلم قرآني بموضوعه

وأما قرآنية موضوع هذه العلوم الطبيعية فذلك واضح من الآيات السابق ذكرها، ومما لا يتيسر الآن ذكره من نحو خمس آيات القرآن وإن تيسر ذكر بعضه مثل قوله – تعالى –: – من سورة النحل:

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (٦٦) وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾(١).

---

(٢) سورة الروم الآية (٢١)

(٣) سورة فاطر الآيتان (٢٧، ٢٨)

(١) سورة النحل الآيات (٦٦ – ٧٠)

ومثل قوله –تعالى– في سورة الجاثية:

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٥).

فموضوع هذه الآيات الكريمة، ما ذكر منها وما لم يذكر، هو نفس موضوع العلم الطبيعي بأوسع معانيه، ما عرف الإنسان منه وما سيعرفه.

فالعلم الطبيعي، كما قلنا، يبحث عن الأشياء الكونية: طبائعها وخواصها، والعلاقات بينها، ثم عن حقيقتها إن أمكن، أي عن آيات الله المودعة في هذه الأشياء. ففي آية «فاطر» مثلا لا يعرف سر نزول الماء من السماء إلا بعلم الطبيعة، ولا يعرف تركيبه وخواصه إلا بعلم الكيمياء، ولا يعرف الإنبات والإثمار وأثر الماء فيهما إلا بعلم النبات، ولا يعرف ما الجبال ولا ما طرائقها البيض والحمر والسود إلا بعلم طبقات الأرض، ولا يعرف اختلاف أجناس الناس والدواب والأنعام إلا بعلمي أصل الشعوب والحيوان الخ. وعلى هذه الآية فقس غيرها.

فهذه العلوم الطبيعية ليست قرآنية الموضوع فقط، بل هي لابد منها لتفسير الآيات الكونية في القرآن.

## العلم قرآني بطريقته

أما أن طريقة العلم في طلب أسرار الفطرة هي نفس الطريقة التي أمر بها القرآن فيتبين مما يأتي:

**أولاً**: أن العلم لا يقول عن شيء إنه حق إلا إذا قام عليه البرهان اليقيني القاطع، والقرآن الكريم يأمر كذلك بأن لا يقبل الإنسان شيئاً على أنه حق إلا إذا قام عليه البرهان. يتبين ذلك من مثل قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٦).

وقوله تعالى:

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾(٧).

والعلم هنا هو الحق اليقيني القائم الثابت بالحجة القاطعة، بدليل عيبه عليهم إنزالهم الظن والتخمين منزلة الحجة واليقين في قوله تعالى:

﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾.

---

(٥) سورة الجاثية الآيتان (١٢، ١٣).

(٦) سورة البقرة (١١١).

(٧) سورة الأنعام (١٤٨).

**ثانياً** : أن العلم يحاذر كل المحاذرة أن يجعل يقينيا ما ليس بيقيني، وأن ينزل الظن منزلة اليقين، أو أن ينزل الفرض والتخمين منزلة الظن والترجيح. فهو يقيس مقدار اقتراب القضية من الحق بمقدار متانة الحجة التي تشهد للقضية، فإذا كانت الحجة قاطعة فالقضية حق، وإذا كانت غير قاطعة فالقضية ظن، ويسميها العلم في هذه الحالة نظرية إذا كانت أرجحيتها كبيرة، إذ من الواضح أن هناك في الرجحان مراتب بعضها أرقى من بعض. أما إذا تساوى ما يشهد للقضية وما يشهد عليها، فتلك هي القضية المجهولة التي وقعت موقعاً وسطاً بين الحق والباطل لا يدري إلى أيهما هي أقرب. وأمثال هذه القضية وما قبلها من القضايا الواقعة في منطقة الرجحان، قل حظها من الرجحان أو كثر، هي موضع النظر العلمي والبحث، لا يزال العلم يبحث عنها ويمحصها حتى ينتهي فيها إلى حكم قاطع فيلحقها إما بالحق اليقيني وإما بالباطل اليقيني. وهذا التفريق من العلم في المنزلة بين ما هو حق وما وهو راجح وما هو دون الراجح يتفق تماماً مع روح القرآن الكريم في النظر، ومع طريقته المتجلية في القرآن الكريم كله، خصوصاً تلك الآيات منه التي من قبيل ما ذكر تحت: (أولاً) مثل قوله – تعالى –من سورة النجم:

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾(٨).

ومثل قوله – تعالى – من سورة الجاثية

﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾(٩).

وقوله – تعالى – من سورة يونس:

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾(١٠).

**ثالثاً** : وهو ملتحق بالأصلين السابقين: أن العلم يمنع التقليد في النظر من غير وقوف على الدليل واقتناع به، والعلم الحديث يخالف العلم قديما في هذا، لأن العلماء قديما، خصوصاً في القرون الوسطى، كانوا كثيراً ما يقنعون في الاستدلال على الصحة أو البطلان بإثبات أن القضية توافق أو تخالف رأى فلان أو علان من المشاهير، فكان ما يثبت عن أرسطو مثلاً يتخذ حجة قاطعة في موضوعه من غير أن ينظر في رأى أرسطو هذا في

---

(٨) سورة النجم الآيات (١٩ – ٢٣)

(٩) سورة الجاثية الآية (٢٤)

(١٠) سورة يونس الآية (٣٦)

ذاته، ومن غير أن يسأل ما دليل أرسطو. وكان هذا منبع شر كبير، ولعله كان سبب كثير من الشبه الكلامية التي قامت بين علماء المسلمين، بعد أن ترجمت كتب اليونان في العصر العباسي، فيما يتعلق بالعلاقة بين الشريعة وما كانوا يسمونه الحكمة، يريدون بالحكمة غالباً ما أخذوه عن حكماء اليونان مثل أفلاطون وأرسطو وأضرابهما، حتى جاء أمثال الغزالي من المسلمين فوضعوا الأمر في نصابه.

والعلم في منعه التقليد الأعمى يتفق تمام الاتفاق مع القرآن الكريم الذي شدد النكير على أناس كانوا يستمسكون بالرأي، لا لأنهم عقلوه، ولكن لأن آباءهم فعلوه. ترى ذلك من مثل قوله - تعالى - من سورة البقرة:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(١١).

وقوله - تعالى - من سورة المائدة:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(١٢).

أو قوله - تعالى - من سورة الزخرف:

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ۝ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ۝ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ۝ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(١٣).

فالتقليد الأعمى، أي الأخذ بالرأي من غير دليل أو رغم الدليل متابعة لزيد أو لبكر من الناس، محرم على أهل النظر في حكم العلم وفي حكم القرآن.

والأصل الجامع لذلك كله في العلم وفي الدين هو تحكيم العقل في كل ما يعرض للإنسان من أمر. والمراد بالعقل ليس هو العقل الخاص عقل الفرد، ولكن العقل العام أو العقل المطلق الذي ضبطت قوانين تفكيره عن طريق الاستقراء وأودعت ما يسمى بعلم المنطق. هذا العقل هو الحكم في العلم، وهو الحكم في الدين. فالقرآن دائماً يحاكم إلى العقل وينعى على من لا يستعمله. بل إن العقل قد أكبره الإسلام إكباراً دونه أي إكبار، حتى لقد أوجب الشرع تأويل النص إلى ما يطابق العقل إذا كان ظاهر النص يناقض ما ثبت قطعياً بالعقل. وكلمة «قطعياً» هنا مهمة، فلا يجوز تأويل النص من أجل ما هو راجح عند العقل، لأن العقل نفسه يجيز بطلان ذلك الراجح، فلا

(١١) سورة البقرة (١٧٠).
(١٢) سورة المائدة الآية (١٠٤).
(١٣) سورة الزخرف الآيات ٢٢ - ٢٥.

حكمة هناك إذا في تأويل النص الشرعي من أجل ما قد يثبت المستقبل أنه من الباطل. والأمثلة التي ضربت في الشرع لوجوب التأويل كلها من باب قوله -تعالى-:

﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾(١٤).

فإن نسبة الجارحة إلى الله -تعالى- محال، فوجب تأويل الآية عن ظاهرها إلى معنى من المعاني المجازية اللائقة به -تعالى-، فأولوا اليد إلى القدرة. لكن من الممكن أن يقال إن هذا النوع من التأويل غير لازم عند النظر في الآيات الكونية القرآنية. بل كثيراً ما يكون المعنى الحرفي للآية الكريمة هو المنطبق على ما ثبت عند العلم بالبرهان.

**رابعاً**: أن العلم في تطبيقه قوانين التفكير المجموعة في علم المنطق القياسي يتخذ أصلين اثنين يبني عليهما:

**الأول**: أنه لا تناقض مطلقاً بين الحقائق، فليس من الممكن أن ينقض حق حقاً، وما ينقض حقاً إذا فهو باطل. وهذا يصح أن يسمى بأصل توافق الحقائق.

**الثاني**: أصل اطراد الفطرة: فما ثبت أنه حق في وقت ما سيكون دائماً حقاً، أو بعبارة أخرى أن الحق مستقل عن الزمان والمكان.

وليس عند العلم برهان على هذين الأصلين إلا تجاربه الماضية، فإنه لم يشاهد مطلقاً أن قضية حقيقية نقضت أخرى حقيقية، أي لم يشاهد مطلقاً تناقضاً بين حقائق العلم، سواء اكتشفت تلك الحقائق في الماضي أم في الحاضر، في الأرض أم في كوكب من الكواكب، بل كثير من حقائق العلم إنما استنتج بناء على هذين الأصلين: أصل اتساق الحقائق أو امتناع التناقض بينها، وأصل اطراد الفطرة، وكانت التجربة دائماً تؤيد الاستنتاج. بل من الواضح أن العلم يصبح مستحيل الوجود ومستحيل النمو لو انهار أحد هذين الأصلين أو كلاهما.

وهذا سبب آخر يجعل العلم يستمسك بهذين الأصلين محافظة على وجود نفسه، وإن عجز العلم عن إقامة الدليل على صحتهما فيما يتعلق بالمستقبل.

هذان الأصلان اللذان يستمسك العلم بهما هذا الاستمساك هما أصلان قرآنيان أكدهما منزل القرآن -سبحانه- كل التأكيد، وهو -سبحانه- أعلم بما خلق. فأصل اطراد الفطرة ثابت قرآنياً من مثل آية الأحزاب:

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾(١٥).

أو آية فاطر:

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾(١٦).

وآية الروم:

---

(١٤) سورة الفتح الآية (١٠)

(١٥) سورة الأحزاب الآية (٦٢)

(١٦) سورة فاطر الآية (٤٣)

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾(١٧).

فهذه آيات صريحة في اطراد الفطرة وبقاء سنن الله فيها على الزمان كله من غير تحويل ولا تبديل. والفطرة سننها هذا تشمل كل ما وجد في ملكوت الله، سواء في ذلك ما تعلق بغير الإنسان من جماد ونبات وحيوان، أو ما تعلق بالإنسان من ناحية النفس والروح في الفرد والجماعة مما لم يرتق العلم إليه إلى الآن.

أما أصل توافق الحقائق أو استحالة تناقضها فثابت قرآنياً من الآيات السابقة، لأن تناقض الحقائق يستلزم تناقض الفطرة، ويزداد ثبوتاً بقوله- تعالى -من سورة تبارك:

﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾(١٨)

فإن التناقض هو أكبر التفاوت، فإذا ما انتفى التفاوت في خلق الله لزم أن ينتفي التناقض في خلق الله أيضاً.

**خامساً: أصل المشاهدة:**

عرفنا أن العلم في بحثه عن الحقيقة يسلك سبيل العقل، فلا يعتبر حقاً إلا ما قام البرهان على أنه حق. فالعلم دائب البحث إذا عن البراهين التي تثبت حقائق الأشياء. هذه البراهين عرفنا من أنواعها النوع القياسي، أي الذي يتوصل إليه بالقياس الصحيح. لكن القياس الصحيح إنما يؤدي إلى نتيجة صحيحة إذا صحت المقدمتان كلتاهما. أما إذا كانت إحداهما باطلة أو مشكوكاً فيها فإن النتيجة يصيبها من البطلان أو الشك مثل ذلك، وإن صحت طريقة الاستنتاج. وبعبارة أخرى يلزم لصحة النتائج شرطان: صحة المقدمات كلها، وصحة طريقة الاستنتاج التي هي نفس القياس. أما صحة طريقة الاستنتاج فقد تكفل بها المنطق القياسي، لكن المقدمات ما شأنها وما طريق التثبت من صحتها؟

كثير من المقدمات ناتج عن طريق القياس من مقدمات أولية بدهية الصحة، لا يختلف في صحتها العقلاء ويصلون إليها مستقلا بعضهم عن بعض. وعلم الهندسة النظرية على تعقد نظرياته مستنتج كله من أمثال هذه البديهيات. لكن ليس كل المقدمات يمكن رده إلى بدهيات كهذه عند إثبات صحته. ولابد إذاً في إثبات صحة هذا النوع الثاني من طريق آخر غير طريق الاستنتاج من البدهيات. هذا الطريق الآخر هو طريق المشاهدة الصحيحة. وهو الطريق الذي سلكه إلى حد ما العلم قديماً. ويسلكه دائماً العلم حديثاً حتى صار طابعه الذي طبع به وميزته التي امتاز بها.

هذه المشاهدة العلمية تستعمل فيها الحواس خصوصاً السمع والبصر، لكن بشرط تربيتها وتدريبها من ناحية، وإعانتها على دقة الملاحظة بالآلات الدقيقة من ناحية أخرى. هذه الآلات هي في الواقع وسائل هدى الله إليها الإنسان ليزيد في مدى حسه، فيزيد من مدى إبصاره مثلاً بالمجاهر أو (المكرسكوبات) التي يستطيع

(١٧) سورة الروم الآية (٣٠).

(١٨) سورة الملك الآية (٣).

الإنسان بها أن يرى من الأجسام ما صغر حتى دق عن أن تبصره العين المجردة، كالجراثيم وكرات الدم وخلايا الأجسام الحية، أو يزيد فى مدى إبصاره بالمراقب ( التلسكوبات ) التى تقرب للإنسان الأجسام البعيدة فيرى منها ما لم يكن يراه من قبل. فأما المجاهر فتستعمل كثيراً فى المعامل، وأما المراقب فتستعمل غالباً فى المراصد.

هذا الأصل أصل المشاهدة الصحيحة هو إذن الطريق الثانى الذى يسلكه العلم الطبيعى للوصول إلى مقدمات صحيحة، ولولاه ما اتسعت العلوم الطبيعية هذا الاتساع، ولا تمت هذا النمو ولا كشفت ما كشفت من أسرار الخلق. فالمشاهدة أصل علمى عظيم، وهى أيضاً أصل قرآنى عظيم، فإن الآيات التى تأمر بالمشاهدة واستعمال السمع والبصر والعقل كثيرة فى القرآن، نذكر منها ما يأتى:

## (١) استعمال البصر مع العقل:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾(١٩).

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾(٢٠).

الآيات - .

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾(٢١).

## (٢) استعمال السمع مع العقل:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ ﴾(٢٢).

## (٣) استعمال السمع والبصر مع العقل:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾(٢٣).

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٢٤).

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾(٢٥).

---

(١٩) سورة العنكبوت الآية (٢٠).

(٢٠) سورة الملك الآية (١٩).

(٢١) سورة الغاشية الآيتان (١٧ ، ١٨).

(٢٢) سورة الحج الآية (٤٦).

(٢٣) سورة الأعراف الآية (١٧٩).

(٢٤) سورة النحل الآية (٧٨).

(٢٥) سورة الإسراء الآية (٣٦).

## ( ٤ ) استعمال جميع وسائل المشاهدة مع العقل:

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾(٢٦).

فهذه الآيات القرآنية الكريمة تحض الإنسان على استعمال العقل والسمع والبصر وما إليها من طرق المشاهدة الصحيحة بجميع أساليب الحض، ثم هي مع ذلك تؤدبه من حيث استعمال هذه المواهب على وجهها الصحيح. فآية [ ولا تقف ما ليس لك به علم ] الآية: تنهاه من ناحية أن يجرى مع الوهم أو الظن، وتدله من ناحية أخرى على طريق الوصول إلى ما ليس بوهم ولا ظن، أى إلى اليقين والحق عن طريق إحسان استعمال السمع والبصر والعقل.

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

وفى قوله سبحانه:

﴿ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

ليس فقط أمر شديد بإحسان استعمال البصر والسمع والعقل وعدم إهمالها، بل فيه أيضاً أمر بالاستمساك بما يهتدى إليه الإنسان من الحق عن طريقها. ففى هذه الآية وحدها ثلاثة أصول هى جماع أصول النظر العلمى:

**الأول**: ألا يتبع الإنسان إلا الحق المعلوم يقينا ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾.

**الثانى**: أن طريق الوصول إلى هذا الحق هو المشاهدة الصحيحة والتفكير الصحيح.

**الثالث**: أن على الإنسان أن يستمسك بما يصل إليه من الحق عن طريق هذه المشاهدة والتفكير الصحيح.

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

على أن علم الإنسان كله مصدره العقل والمشاهدة الصحيحة. بل إن العقل لا يقوى ولا ينمو إلا عن طريق التجارب والمشاهدات. فلو أخذ طفل وحبس عن العالم إلا فيما يكفى لحياته من طعام وشراب، فإنه وإن نما جسمه حتى يبلغ جسم الرجال لا ينمو عقله عن عقل الطفولة. بهذا يقول علماء التربية، وإلى هذا تشير الآية الكريمة:

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٢٧).

فإن هذه الآية تكاد تكون صريحة فى أن ما يحصله الإنسان من علم بعد أن يولد إنما يكسبه عن طريق السمع والبصر والعقل.

## مقارنة بين العلم القديم والعلم الحديث

وأصل المشاهدة الصحيحة هذا هو من أهم الفروق بين العلم الحديث والعلم القديم، فإن القدماء كانوا فى جملتهم يعتقدون أن من الممكن أن يصل الإنسان إلى ما يشاء من علم عن طريق العقل وحده، أى لم يكونوا يقولون

---

(٢٦) سورة الأعراف الآية (١٨٥).

(٢٧) سورة النحل الآية (٧٨).

بضرورة المشاهدة لحصول العلم، بل منهم من كان يرى أن المشاهدة تضل العقل لأن الحواس غير مأمونة في أنبائها، ترى الشيء صغيراً كالنجم مثلاً وهو كبير. لذلك كانوا كثيراً ما يكتفون في طلب العلم وأسرار الفطرة بالجلوس والتفكير، فكانوا يصلون إلى قضايا كلية يزعمون أنها حقائق، ولما يقم عليها دليل، إنما كان دليلهم فروضاً يفترضونها يرونها حقاً ويركنون إليها في الإثبات، ففيثاغورث مثلاً يقول عن الكون: إنه متفرد كامل كروي لأن الكرة أكمل الأشكال، وإنه حي عاقل لأن ما هو حي وعاقل خير مما ليس بحي ولا عاقل. فمثل هذا النوع من الاستنتاج الخيالي غير المرتكز على حقائق يقينية ينكره العلم الحديث كما ينكره القرآن.

ومن هنا وقع قدماء الفلاسفة من اليونان في أغلاط كثيرة من حيث لا يشعرون، كقولهم: إن للأجرام السماوية في أفلاكها نغمات يطرب لها من يسمعها، وإن لهذه الأجرام أثراً كبيراً فيما يصيب الإنسان من نحس أو سعود. وقد سقط كثير من المسلمين في نفس هذه الأغلاط حين أخذوا علم اليونان كله على أنه حق من غير أن يطبعوا الله فيه فيمحصوه، ومن غير أن يردوه إلى القرآن. بل بلغ بهم الأمر أنهم كانوا يردون القرآن إليه، كقول إخوان الصفا: إن إدريس -عليه السلام- هو هرمس المثلث بالحكمة، صفت نفسه فصعدت إلى السماء وطافت مع بعض أجرامها ثلاثين عاماً، وشاهدت من العجائب ما لا يشاهده إلا من يطوف ذلك الطواف، وأن إلى هذا في زعمهم يشير القرآن الكريم في قوله -تعالى-:

﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾(٢٨).

وهذا نوع من فهم القرآن لا يجيزه القرآن كما رأيت ولا العقل. ولعلنا لو بحثنا في تاريخ الفلسفة الإسلامية، وما كان بين علماء المسلمين من خلافات كلامية، لوجدنا أكثر هذه الخلافات إن لم يكن كلها راجعاً إلى قضايا فلسفية أخذها المسلمون عن اليونان من غير تمحيص.

كان قدماء الفلاسفة إذن يرون العقل مصدراً للحقائق مستغنياً بذاته عن المشاهدة، أما محدثوهم فيرونه وسيلة. أما الحقائق نفسها عند العلم الحديث فهي خارج النفس، خارج العقل. كان القدماء لا يرون امتحان الأشياء نفسها ضروريا لطلب الحقيقة، أما المحدثون فلا يرون سبيلاً للوصول إلى الحقيقة إلا امتحان الأشياء تحت إشراف العقل. والعلم الحديث باختراعاته واكتشافاته قد ولد حين ترك الإنسان مذهب الأقدمين في طلب العلم عن طريق التفكير البحت، وبدأ هو يطلب العلم عن طريق المشاهدة مع التفكير. لذلك كان الدور الأول من أدوار نشوء العلم الحديث هو دور مشاهدة تكاد تكون بحتة، ليس للتفكير فيها إلا بقدر ما يضمن صحتها.

---

(٢٨) سورة مريم الآية [٥٧].

# ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

**• الترجمة من حيث هى حاجة معرفية وضرورة حضارية:**
**الأصل فى الترجمة من لغة إلى أخرى أنها نزوع طبيعى عند الإنسان إلى تنمية ثقافته وتطوير علومه ومعارفه بالانفتاح على ثقافات أخرى، فضلا عن أنها ضرورة حضارية لتحقيق التفاعل والتكامل والتواصل بين الأمم.**

ويعرف الدارسون لتاريخ الحركة العلمية فى عصر الحضارة العربية الإسلامية أن عناية العرب فى صدر الإسلام - خاصة أيام الأمويين - كانت موجهة بصورة رئيسية إلى علوم الدين واللغة التى عرفت باسم «العلوم النقلية»، تمييزا لها عن «العلوم العقلية» المعنية بالبحث فى ظواهر الكون والحياة، والتى وجه العرب نشاطاتهم الفكرية إليها بصورة مكثفة فى العصر العباسى بعد أن استقرت أمور الحكم وقلت الحروب والفتوحات وكثرت الأموال والثروات وراجت التجارة ونشطت الرحلات وبدأت الاتصالات الثقافية مع أمم الحضارات القديمة الذين جمعتهم حضارة الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها.

ولقد قدمت الحضارة العربية الإسلامية نموذجا رائدا لتفاعل الثقافات وحوار الحضارات عن طريق حركة ترجمة واسعة النطاق عميقة المضمون، وكان طبيعيا أن تبدأ النهضة العلمية العربية بنقل معارف السابقين، فانكب العلماء على ترجمة المؤلفات اليونانية والسريانية والقبطية والفارسية والهندية وغيرها. وكانت عمليات الترجمة تعتمد فى أمانتها ودقتها على تمكن المترجمين من اللغة العربية وإتقانهم للغات الأخرى التى ينقلون منها. وممن اشتهر بالترجمة آل ماسرجويه، وكانوا يهودا، وآل بختيشوع، وآل حنين بن إسحاق وكانوا نصارى وآل ثابت بن قرة وكانوا صابئة. ومن

(*) شارك الكاتب بهذا البحث فى مؤتمر «حوار الحضارات» الذى نظمته الأكاديمية المصرية بروما - إيطاليا يومى ١٧و١٨ مايو ٢٠٠١.

أهم الكتب القديمة التى ترجمت إلى اللغة العربية وأثرت تأثيرا عظيما فى فكر العرب كتاب « أصول الهندسة » لإقليدس، وكتاب « المجسطى » لبطليموس، وكتاب « السند هند » للفلكى الهندى « براهما جوبتا ».
وكان علماء الحضارة العربية الإسلامية يقومون بدراسة الكتب المترجمة دراسة نقدية فاحصة، ويستوعبون كل ما فيها، قبل أن يبدأوا فى تنقيحها وترتيب علومها وشرحها والتعليق عليها.

وانتقلت الحركة العلمية من طور الترجمة واستيعاب العلوم القديمة إلى مرحلة الابتكار الأصيل وإنتاج معارف جديدة عن طريق البحث وفق منهج علمى سليم يؤدى إلى الأحكام الصائبة والنتائج الواثقة.

ويمكن التعرف على الإنتاج العلمى الغزير الذى تميز به عصر الحضارة العربية الإسلامية بالرجوع لكتب التراجم التى تزخر بها المكتبات العربية، حيث يوجد للأطباء تراجمهم وللأدباء معاجمهم وللعلماء وللفقهاء طبقاتهم وسيرهم. وهناك بجانب هذا التصنيف العلمى تصنيف آخر زمنى مثل كتاب « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » ( أى القرن الثامن الهجرى )، وكتاب « الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع »، وكتاب « الكواكب السائرة فى تراجم علماء المائة العاشرة » ( أى القرن العاشر الهجرى )، و« خلاصة الأثر فى تراجم علماء القرن الحادى عشر »، و« سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر »، وغيرها. وهناك أيضا من اختار أن يقسم تاريخ العلم إلى مراحل زمنية كل نصف قرن وينسبها إلى شخصية علمية رئيسية، على نحو ما فعل مؤرخ العلم المعاصر « جورج سارتون » فى مؤلفه الضخم ذى المجلدات الخمس فى تاريخ العلم عندما سجل أن الفترة من عام ٧٥٠م إلى عام ١١٠٠م تشكل تعاقبا متصلا لعصور: جابر بن حيان، والخوارزمى، والرازى، والمسعودى، وأبى الوفاء البوزجانى، والبيرونى، وابن سينا، وابن الهيثم، وعمر الخيام، الذين انحدروا من أصول وثقافات مختلفة فمنهم العربى والتركى والأفغانى والفارسى، لكنهم أبدعوا جميعا تحت مظلة الإسلام وتفاعلت ثقافاتهم فى بوتقة الثقافة الإسلامية.

وعندما بدأ ظهور الأسماء الغربية فى تاريخ « جورج سارتون » للعلوم بعد عام ١١٠٠م وتتابعت التراجم من العربية إلى اللاتينية ( أو العبرية ) على أيدى: جيربرت، وقسطنطين الأفريقى، وأديلار الباثى، وجيرار الكريمونى، وروجر بيكون، وغيرهم – استمر شرف التنسيب إلى المراحل الزمنية فى تاريخ العلم على مدى ٢٥٠ سنة أخرى بأسماء علماء الحضارة العربية الإسلامية أمثال: ابن رشد صاحب كتاب « الكليات فى الطب »، ونصير الدين الطوسى مدير مرصد مراغة ( أذربيجان )، وابن النفيس المصرى مكتشف الدورة الدموية الصغرى، وكمال الدين الفارسى شارح بصريات ابن الهيثم فى كتابه « تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر » وغيرهم.



حتى عندما فقدت ديار الإسلام وهجها العلمي بعد عام ١٣٥٠م، بقيت هناك ومضات عارضة تصلها بعصر الازدهار الأول، كتلك التي لمعت في المشرق العربي على أيدي الخليلي وابن الشاطر، أو في سمرقند على أيدي أولغ بك وجمشيد الكاشي، أو في المغرب العربي على يد القلصادي (ت ١٤٨٦م). لكن هذه الإنجازات العارضة - على أهميتها - لم تكن قادرة على جعل الحياة تدب من جديد في عروق الحركة العلمية العربية لأنها كانت قد يبست وتحجرت، وتأكد في ذلك الوقت حيوية الغرب وقدرته على تسلم مشعل الحضارة من العرب لاحتضان الحركة العلمية في المرحلة الحديثة من تطورها.

وهنا ربما تجب الإشارة بإيجاز إلى إشكالية تتعلق بلفظ «العرب» ودلالته في الثقافتين العربية والغربية، ودور الترجمة في تحديد هذه الدلالة عند الحديث عن الحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها في أوربا:

كلمة «العرب» تستعمل بمعناها الحقيقي المشير إلى الأمة القاطنة في جزيرة العرب، وذلك كلما يكون الكلام عن زمان الجاهلية أو أوائل الإسلام. أما اتخاذ لفظ «العرب» عند الكلام عن العصور التالية للقرن الأول من الهجرة بمعنى اصطلاحي فإنه يطلق على جميع الأمم الإسلامية المستخدمين اللغة العربية في أكثر تآليفهم العلمية، ولا مشاحة في الاصطلاح، فلنا أن نقول حضارة عربية ونقصد بها الحضارة الإسلامية، أو العكس بالعكس، فقد امتزجت الناحيتان بحيث يصعب الفصل بينهما، وحينما نقول «العرب» إنما نقصد ما كان لهم من حضارة ليست اللغة أو الدين أو العلوم أو الآداب أو الفنون إلا عناصر من عناصرها، وإن كان الإسلام أهم ما يميز هذه الحضارة عن غيرها من الحضارات.

وكان الغربيون يطلقون على العرب اسم «السراسنة»، وكلمة «سراسنة» آتية من الكلمة اللاتينية Saracenus، نقلاً عن اليونانية Sarakenos وتعني ساكن الخيام. وقد ظهر هذا المصطلح للمرة الأولى في مؤلفات كتاب القرن الأول الميلادي وقصدوا به البدو الذين كانوا يعيشون منذ أزمان طويلة على أطراف المناطق المزروعة ما بين النهرين ويهددون طرق التجارة أو يحمونها بتكليف من القوتين العظميين يوم ذاك: الرومان والفرس. ويدخل في التسمية الأنباط وأهل الحيرة وتدمر.

ويذكر بعض الباحثين أن أصل الكلمة آت من «شرقي» Sharqi، وهذا محتمل، لأن هؤلاء البدو كانوا يعيشون في شرق الإمبراطورية الرومانية. وقد كتب كاتب إغريقي من القرن السادس الميلادي بعد سياحة في الجزيرة العربية أن ثمة فرقا كبيرا ما بين سكان اليمن والسراسنة. على أنه لابد من استبعاد الفكرة التي تعيد أصل الكلمة إلى «سارة» زوجة النبي إبراهيم - عليه السلام - لأن العرب لا علاقة لهم بها، وهي أم إسحاق لا إسماعيل.

والكتاب المسيحيون في أوربا العصور



الوسطى كانوا يفرقون في التسمية ما بين العرب، فيطلقون على من كان يعيش منهم وراء البحر الأبيض المتوسط اسم «الإسماعيليين» بينما يطلقون اسم «السراسنة» على من جاءوهم فاتحين في الأندلس وفي صقلية وفي جنوب فرنسا. فكأنهم، وهم ورثة الحضارة الرومانية، أرادوا أن يعطوا الاسم الذي يحمل معنى السلب والتدمير لهؤلاء الغزاة الذين كانوا في الواقع خليطا من العرب والبربر، كما كان فيهم جماعات من الروم ومن الأسبان ومن اليهود يعاونون الفاتحين. ولهذا فإن كلمة «سراسنة» لا ينبغي تعريبها إلى كلمة عرب أو مسلمين حفاظا على ما تعني لدى الغربيين، ولأن تعريبها بكلمة مسلمين أو عرب لا يؤدي معناها الحقيقي النفسي لديهم[١].

## العربية لغة العلم والتقنية

اللغة – أي لغة – هي وسيلة التواصل الفكري بين أبناء الأمة الواحدة، وهي في الوقت نفسه تمثل حاجة ملحة وضرورة لا غنى عنها لكل أمة تشرع في النهوض من كبوتها وتسعى إلى اللحاق بركب الحضارة الإنسانية، مؤمنة بالدور الأساسي للعلوم وتقنياتها في صنع التقدم والرقي. هذه الحقيقة التاريخية المؤكدة استوعبها علماء الحضارة العربية الإسلامية عندما ترجموا معارف السابقين إلى اللغة العربية، واستوعبها أيضاً الغربيون عندما ترجموا علوم الحضارة العربية الإسلامية في أوائل عصر النهضة الأوربية الحديثة، وتعيها اليوم كل أمة تسعى بخطى حثيثة نحو المشاركة الفعالة في انتاج المعرفة وإعلاء صرح الحضارة المعاصرة.

ويشهد التراث العلمي العربي – بغزارته كماً وكيفاً وتنوعاً – على أن اللغة العربية قد فتحت صدرها لتراث الإنسانية، وانتشرت مع انتشار الإسلام بطريق المدنية والتنوير، لا بطريق الغزو والاستعمار، وكان في هذا دليل قوتها وأصالتها وقدرتها على استيعاب مصطلحات التقدم المتجددة والمتزايدة. فأصبحت لغة عالمية تتسع للتعبير عن دقائق العلوم والتقنية، وظهر في الدولة الإسلامية أصحاب اللسانين الذين أجادوا اللغة العربية ولغاتهم المحلية إجادة تامة، وكان العلماء من الموالي يفضلون كتابة مؤلفاتهم بها، حتى أن أبا الريحان البيروني – الذي أتقن عدة لغات أجنبية غير لغته الفارسية – صنف جل مؤلفاته التي تربو على المائة باللغة العربية، ويؤثر عنه قوله: «إن الهجو بالعربية أحب إليّ من المدح بالفارسية»، ووصف أسلوبه العلمي بأنه أسلوب سلس خال من الالتواء، يخرج منه القارئ بثروتين: أدبية وعلمية. كما امتدح البعض أسلوب الخوارزمي في كتابه «الجبر والمقابلة» ووصفوه بأنه أسلوب أخاذ لا ركاكة

---

(١) مكسيم رودنسون: الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية. الفصل الأول من الجزء الأول من كتاب «تراث الإسلام» تحرير شاخت وبوزورث. الطبعة الثانية سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٨م.

فيه ولا تعقيد، ينم عن أدب رفيع وإحاطة بدقائق اللغة. كذلك أظهرت الدراسات التحليلية والتركيبية للغة العلمية أن مسيرة المصطلح العلمي في تاريخ العربية تدين لجهود حنين بن إسحق، وأبي بكر الرازي وأبي عبدالله الخوارزمي، والشيخ الرئيس ابن سينا، وغيرهم، وذلك بفضل أعمالهم العلمية التي اقتحموا بصياغتها العربية علوم الحضارة آنذاك، مع اختلاف ينابيعها من هندية إلى سريانية إلى يونانية إلى فارسية.

وليس هناك من شك في أن هذه التجربة الأولى لترجمة العلوم إلى العربية تعد نبراسا لقدرة هذه اللغة على التوسع والاغتناء واستيعاب المصطلحات والتعابير العلمية الجديدة، فاستحقت أن توصف بأنها لغة العالم المتحضر عدة قرون، وأشاد الغربيون الذين نقلوا العلم العربي بجمالها وثروتها وسهولة دراستها والتكلم بها وقراءة مؤلفات رجالها، حتى أن «روجير بيكون» كان يعجب ممن يريد أن يبحث في العلم والفلسفة وهو لا يعرف اللغة العربية، كما أنه اعترف بأن المؤلفات العربية كانت مصدر العلوم في عصره وأن كتابات أرسطو لم تفهم ولم تلق رواجا في الغرب إلى أن أوضحتها كتابات الكندي، وابن سينا، وابن رشد، وغيرهم. ويسجل الأستاذ رسل GA Russell من معهد «ولكوم» لتاريخ الطب بلندن، في معجم حديث لتاريخ العلوم (١٩٨١) المعالم الأساسية للعلم العربي ثم قال: «كانت اللغة العربية هي أداة هذا النشاط العلمي كله.

فلما كانت اللغة العربية هي لغة القرآن أصبح لها أهمية خاصة في الإسلام، بيد أن طبيعة اللغة العربية نفسها هي التي قامت بالدور الحاسم. فمرونتها الرائعة قد مكنت المترجمين من دفع مفردات محددة دقيقة للمصطلحات العلمية والتقنية أو ابتكارها. وهكذا اتخذت لغة للشعر اللغة العالمية للعلم والحضارة». وهذه الإشارة إلى عالمية لغة العلم لفتة بارعة إلى فضل للغة العربية يؤكده المحققون من مؤرخي العلم ويغيب عن بال الكثيرين.

ولقد امتد تأثير اللغة العربية في اللغات الحية الأخرى، حيث يحصي معجم «وبستر» Webster's Third New International Dictionary– على سبيل المثال – أكثر من ستمائة ألف كلمة مأخوذة من اللغة العربية، منها خمسمائة كلمة فقط من الألفاظ المستعملة في الكتابة والأحاديث العادية، والباقي في الشئون العلمية الفنية، ومن يتتبع تأثير اللغة العربية في اللغات الأخرى يجد لها آثارا واضحة في الأسبانية، والبرتغالية، والفرنسية، والألمانية، وفي اللغات الجرمانية الأصل كالهولندية والاسكندنافية في شمال أوربا، وفي الروسية والبولندية واللغات الصقلية والإيطالية. حتى بعد ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية، حرص بعض علماء الغرب على تعلم اللغة العربية لدراسة الكتب في أصولها العربية ولم يكتفوا بالاطلاع عليها في ترجماتها اللاتينية. **(يتبع)**

# الشيخ محمد الخضر حسين :

# صفحة من الجهاد ضد الاستعمار والتغريب



للأستاذ الدكتور / محمد عمارة

ليست هذه بالترجمة المستفيضة لحياة الشيخ الفاضل محمد الخضر حسين وانما هى «بطاقة» تجتهد لتكشف هذه الحياة الخصبة فى سطور..

بمناسبة ما أخرجته المجلة من تراث الإمام الشيخ الخضر حسين في عددي صفر، وربيع الأول سنة ١٤٢٢هـ رأينا أن ننشر هذا المقال ليكشف عن جوانب مضيئة في حياة الراحل العظيم.

● فمن أسرة جزائرية «شريفة» يرتفع نسبها إلى الأمراء الأدارسة، بالمغرب، جاء والده.. ومن أسرة تونسية، اشتهرت بالعلم والفضل والتقوى - هي أسرة عزوز - جاءت والدته..

● وفي مدينة «نفطة»، من أعمال «الجريد»، بجنوب القطر التونسي، ولد شيخنا في ٢٦ من رجب سنة ١٢٩٣هـ ١٦ من أغسطس سنة ١٨٧٦م.. وفي «نفطة» كانت نشأته الأولى، التي تأثر فيها بأبيه، وبخاله السيد محمد المكي بن عزوز، الذي كان من كبار العلماء، وموضع احترام رجالات الدولة العثمانية يومئذ. والذي قضى الشطر الأخير من حياته في الأستانة، تلبية لرغبة السلطان عبدالحميد (١٢٥٨ - ١٣٣٦هـ ١٨٤٢ - ١٩١٨م).. وله مؤلفات علمية معروفة، وترجمة في بعض كتب التاريخ.

وفي هذه النشأة الأولى «بنفطة»، حفظ شيخنا القرآن الكريم، وألم بجانب من الآداب، والعلوم العربية، والشرعية..

● وفي الثانية عشرة من عمره (١٣٠٥هـ ١٨٨٨) انتقل مع أسرته إلى تونس العاصمة.. وبعد عامين (١٣٠٧هـ ١٨٨٩م) التحق «بجامع الزيتونة»، المناظر في تونس والمغرب، للجامع الأزهر الشريف..

وفي الزيتونة تقدم الفتى في تحصيل العلم، وظهرت أمارات نبوغه في علوم العربية وعلوم الشريعة، وتجلى ذوقه الأدبي، في الإنشاء وفي التذوق، حتى لقد طلبته الحكومة ليتولى بعض الخطط العلمية، قبل إتمامه دراسته.. لكنه اعتذر عن عدم القبول لرغبة حكومة تونس الفرنسية؟!

● كانت رحلته الأولى، خارج تونس، إلى الشرق - ولما يزل طالبا - فزار طرابلس الغرب، في ليبيا، سنة ١٣١٧هـ سنة ١٨٩٩م، فأقام بها أياما، ثم عاد إلى تونس، فلازم جامع الزيتونة.

● وفي سنة ١٣٢١ هـ الموافقة لسنة ١٩٠٣م نال شهادة العالمية، وأصبح من علماء الزيتونة.. وفي نفس العام الذي تخرج فيه في جامع الزيتونة أنشأ مجلة (السعادة العظمى)، التي كانت رائدة المجلات العلمية والأدبية في بلاد الشمال الأفريقي يومئذ.. فلفت الأنظار إلى قلمه ولسانه.. فلقد كان خطيبا ومحاضرا إلى جانب كونه أديبا وشاعرا وكاتبا..

● وفي سنة ١٣٢٤هـ ١٩٠٥م تولى قضاء مدينة بنزرت ومنطقتها، إلى جانب التدريس والخطابة بجامعها الكبير.

● وفي ١٧ من ربيع الآخر سنة ١٣٢٤هـ ٩ من يونيو سنة ١٩٠٦م ألقى في نادي قدماء خريجي المدرسة الصادقية محاضرة عن «الحرية في الإسلام»، فكشف بها عن موقف فكري ذي مغزى في بلد يستبد يحكمه المستعمرون الفرنسيون؟!.. ثم مالبث أن استقال من قضاء بنزرت، وعاد إلى تونس العاصمة، مدرسا بالمدرسة الصادقية، وكانت المدرسة الثانوية الوحيدة بتونس يومئذ.. وكان ذلك في سنة ١٣٢٦هـ ١٩٠٨م.. وفي العام التالي لتدريسه بالصادقية (سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) تطوع للتدريس بجامع الزيتونة.. ثم أحيلت إليه مهمة تنظيم خزائن الكتب الخاصة بهذه الجامعة.. وتم تعيينه رسميا، مدرسا بجامع الزيتونة.

● وفي سنة ١٣٢٥هـ/سنة ١٩٠٧م اشترك في تأسيس «الجمعية الزيتونية».. ثم كلف بالخطابة في «الخلدونية» وفي ١١ من شوال سنة ١٣٢٧هـ/٢٦ من أكتوبر ١٩٠٩م ألقى محاضرة في نادى الجمعية الخلدونية عن «حياة اللغة العربية».. وفي العام التالي (سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م) نظم قصيدة يدعو فيها علماء جامع الزيتونة إلى العناية بتنشئة جيل من الكتاب والأدباء والدعاة.. فوضحت مقاصده من وراء الدعوة إلى إحياء قيم «الحرية» و«العروبة» وأدوات «الكتابة» و«الخطابة» في وطن يخضع لاستعمار ينهب خيراته ويستبد بمقدراته ويمسخ هويته العربية الإسلامية!!..

● ولما قامت الحرب الطرابلسية في ٥ من شوال سنة ١٣٢٩هـ/٢٩ من سبتمبر سنة ١٩١١م بين إيطاليا والدولة العثمانية، وزحفت الجيوش الإيطالية فاحتلت طرابلس وبنغازي، وقف الشيخ الخضر بقلمه ولسانه، ومن خلال مجلته (السعادة العظمى) يستنفر الأمة لتقاوم الغزو الإيطالي، ويستنهض الدولة العثمانية لاستخلاص الحق من غاصبيه ومن بيانه في ذلك قصيدة مطلعها:

**ردوا على مجدنا الذكر الذى ذهبا**

**يكفي مضاجعنا نوم مضى حقبا!**

● ثم سافر إلى الجزائر زائرا لأمهات مدنها، ومحاضرا فيها.. وعاد إلى تونس يواصل دروسه بالزيتونة، ونشاطه في المحاضرات والخطابة والكتابة في الاصلاح الإسلامي والنهضة العربية وإذكاء الروح الوطنية..

● وفي هذه الفترة رفض رغبة الحكومة ضمه إلى سلك القضاء في محكمة فرنسية؟!..

● وكان لابد من الصدام بين سعي الشيخ المناضل وبين سلطات الاستعمار الفرنسي في تونس، فوجهت هذه السلطات إليه في سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م تهمة «بث روح العداء للغرب، وبخاصة لسلطة الحماية الفرنسية في تونس».. فلما استشعر الشيخ الخطر على حياته، غادر تونس إلى الآستانة، بحجة الرغبة في زيارة خاله السيد محمد المكي بن عزوز، الذى كان يعيش هناك.. وكانت رحلته هذه إلى الآستانة، عبر مصر، فدمشق.. لكنه لم يلبث أن حن إلى وطنه تونس، فعاد إليه، عبر نابولي في إيطاليا ونشر أخبار رحلته هذه.. وعينته الحكومة عضوا بإحدى لجان التاريخ التونسي.. لكن الجو الخانق الذى كان مفروضا على تونس من سلطات الاحتلال الفرنسي دعاه إلى الهجرة ثانية، فقصد إلى دمشق.. وفي طريقه إليها مر بالقاهرة فلبث فيها مدة وجيزة تعرف فيها على كوكبة من العلماء الأعلام المناضلين في سبيل النهضة العربية والإحياء الإسلامي، منهم: الشيخ طاهر الجزائري (١٢٦٨ - ١٣٣٨هـ/١٨٥٢ - ١٩٢٠م) والسيد محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ/١٨٦٥ - ١٩٣٥م) والسيد محب الدين الخطيب (١٣٠٣ - ١٣٨٩هـ/١٨٦٦ - ١٩٦٩م) وأحمد تيمور باشا (١٢٨٨ - ١٣٤٨هـ/١٨٧١ - ١٩٣٠م).. وفي دمشق عين مدرسا للغة العربية في المدرسة السلطانية سنة ١٣٣٠هـ/سنة ١٩١٢م.. وخلال تلك الفترة سافر الى القسطنطينية فوصلها يوم إعلان حرب البلقان «الروسية - العثمانية».. ذى القعدة سنة ١٣٣٠هـ/أكتوبر سنة ١٩١٢م.. ثم عاد إلى دمشق، ومنها سافر، بسكة حديد الحجاز، إلى المدينة المنورة سنة ١٣٣١هـ/سنة ١٩١٣م.. ثم عاد إلى دمشق.




ومن دمشق سافر إلى الآستانة، ولقى وزير حربيتها أنور باشا (١٢٩٩ - ١٣٤٠هـ ١٨٨٢ - ١٩٢٢م) فاختاره محررا عربيا بالوزارة.. ولقد أتيحت له الفرصة ليلمس عوامل الفساد التي تفتك بمقومات الدولة العثمانية، فسجل ذلك شعرا في قصيدته التي نظمها سنة ١٣٣٢هـ ١٩١٤م، والتي يقول فيها:

أدمى فـــؤادى أن أرى الـ
أقـلام ترسف في القـيـود
فـهـجـرت قـومـا كنت فى
أنظارهم بيت القـصـيـد
وحسـبت هذا الشـرق لم
يـبرح على عـهـد الرشـيـد
فـإذا المجـال كـأنـه
من ضـيـقـه خلق الوليـد!

● وفى سنة ١٣٣٣هـ ١٩١٥م أرسله أنور باشا إلى العاصمة الألمانية برلين فى مهمة رسمية، فمكث بها تسعة أشهر، اجتهد خلالها أن يتعلم اللغة الألمانية.. وعندما تحدث إليه المدير الألماني للقسم الشرقي بوزارة الخارجية الألمانية، خلال صحبته بقطار ضواحي برلين، عن قول ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ ١٣٣٢ - ١٤٩٦م) قائلا: إن العرب أبعد الناس عن السياسة.. رفض هذا التفسير العنصرى لكلام ابن خلدون، ودافع عن العرب.. ونظم أبياتا قال فيها:

عـزيـزى من فـتـى أزرى بقـومى
وفـى الأهـواء مـا يلد الـهـذاء
سلوا التـاريخ عن حكم تملت
رعـايـاه العـدالـة والإخـاء
هـو الفـاروق لـم يـدرك مـداه
أمـيـر هز فى الدنـيـا لواء

ومن برلين عاد إلى الآستانة.. وما لبث أن ضاقت به، فحن إلى دمشق، وعاد إليها..

● وفى دمشق اعتقله السفاح أحمد جمال باشا (١٢٨٩ - ١٣٤٠هـ ١٨٧٢ - ١٩٢٢م) الحاكم العام فى سورية، فى رمضان سنة ١٣٣٤هـ يوليو ١٩١٦م، لعدة أشهر، حتى أنقذه من السجن تدخل وزير الحربية العثمانى أنور باشا.. فغادر دمشق، بعد الإفراج عنه، إلى الآستانة، فأوفده أنور باشا، ثانية، إلى برلين سنة ١٣٣٥هـ ١٩١٧م، فالتقى فيها بزعماء الحركات الإسلامية هناك، من مثل الشيخ عبدالعزيز جاويش (١٢٩٣ - ١٣٤٧هـ ١٨٧٦ - ١٩٢٩م) والدكتور عبدالحميد سعيد (١٢٩٩ - ١٣٥٩هـ ١٨٨٢ - ١٩٤٠م) والدكتور أحمد فؤاد (١٣٠٣ - ١٣٥٠هـ ١٨٨٦ - ١٩٣١م)، ثم عاد بعد فترة طويلة، إلى الآستانة.. ومنها رجع إلى دمشق، وإلى التدريس فى المدرسة السلطانية بقية سنة ١٣٣٥هـ و١٣٣٦هـ - ١٩١٧م و١٩١٨م - فشرح لنجباء الطلاب كتاب ابن هشام (٧٠٨ - ٧٦١هـ ١٣٠٩ - ١٣٦٠م) «مغنى اللبيب» فى علم العربية.. وهو الشرح الذى كان الأساس لبحثه فى «القياس وشروطه ومواقفه وأحكامه».. وهو البحث الذى طوره فيما بعد، كتابا نال به عضوية «هيئة كبار العلماء» بالجامع الأزهر.. وطبع سنة ١٣٥٣هـ ١٩٣٤م

● وفى سنة ١٣٣٧هـ ١٩١٨م سافر من دمشق إلى الآستانة، وكانت الحرب العالمية الأولى فى نهاياتها، ومنها توجه إلى ألمانيا للمرة الثالثة، فقضى بها سبعة أشهر.. وكانت نذر الزوال للدولة العثمانية



تظل في الأفق.. فعاد من ألمانيا إلى دمشق مباشرة:

● وصادفت عودته إلى دمشق إقامة الحكم العربي بقيادة فيصل بن الحسين (١٣٠٠ - ١٣٥٢هـ ١٨٨٣ - ١٩٣٣م).. سنة ١٣٣٨هـ ١٩١٩م.. لكن الاحتلال الفرنسي عاجل هذا الأمل العربي سنة ١٣٣٨هـ ١٩٢٠م.. ففكر الشيخ، الذي هاجر من تونس المحتلة بالفرنسيين، في العودة إليها بعد أن احتلوا دمشق أيضا.. لكنه رحل إلى القاهرة وألقى بها عصا ترحاله الذي استمر عشر سنوات، فاستوطن القاهرة سنة ١٣٣٩هـ ١٩٢١م.

● وفي القاهرة أعانه الاستقرار على الإنتاج العلمي المنظم، والنشاط الإصلاحي الدائم، فوضحت معالم نهجه في التجديد والإصلاح، وتكونت من حوله حلقات الطلاب والمريدين، واخذت تأثيرات علمه وإصلاحه تلفت إليه أنظار العلماء وطلاب الإصلاح.

ففي سنة ١٣٤٠هـ ١٩٢٢م ألف رسالته «الخيال في الشعر العربي».. واشتغل عدة سنوات في التحقيق لكتب التراث بالقسم الأدبي في دار الكتب المصرية.. وتجنس بالجنسية المصرية.. ثم تقدم إلى امتحان العالمية بالجامع الأزهر، فحصل عليها بجدارة، وأصبح واحدا من علماء الأزهر الشريف..

● ولم يكن التجنس بالجنسية المصرية، ولا الانخراط في «هيئة كبار العلماء»، والاشتغال بالبحث والتحقيق.. لم يكن في ذلك مايعوق الشيخ الخضر عن مواصلة النهوض بمسئولياته وواجباته كعالم مسلم ومجاهد عربي.. وأيضا رعاية حقوق وطنه الأصلي تونس، وأشقائه الرازحين، بالمغرب تحت نير الاستعمار الفرنسي.. فنهض الشيخ في ١٣٤٢هـ ١٩٢٤م بتأسيس (جمعية تعاون جاليات أفريقيا الشمالية) لتكتيل وتحريك جهود أبنائها في خدمة قضية تحرير هذه البلاد من الاستعمار.. ولقد كانت هذه الجمعية مكان اللقاء والتعاون بين أحرار تلك البلاد ومناضليها، فضمت عضويتها من المغرب: الفضيل الورتلاني (١٣٧٨هـ ١٩٥٩م) ومن الجزائر البشير الإبراهيمي (١٣٠٦ - ١٣٨٥هـ ١٨٨٩ - ١٩٦٥م) ومن تونس: الحبيب بورقيبة (١٣٢١ - ١٤٢١هـ ١٩٠٣ - ٢٠٠٠م).

● وفي سنة ١٣٤٤هـ ١٩٢٥م بدأت معاركه الفكرية الكبرى بكتابه (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) ولقد كان الشيخ صديقا لأسرة عبدالرازق، يتردد على منزلهم، وبينه وبينهم علاقات المودة والاحترام.. وعندما قارب طبع كتاب الشيخ علي عبدالرازق (الإسلام وأصول الحكم) على التمام، طلب آل عبدالرازق من الشيخ الخضر عناوين زعماء العالم الاسلامي ومفكريه ليهدوا إليهم الكتاب، فأتاهم بقائمة العناوين من صديقه محب الدين الخطيب.. فلما طبع كتاب (الإسلام وأصول الدين) أهديت إليه نسخة منه، ففاجأته أفكار صاحبه.. فعكف على الرد عليه ونقضه، فطبع الرد في نفس السنة، ونفذت طبعته خلال شهر واحد!.

وفي العام التالي (١٣٤٥هـ ١٩٢٦م) ظهر كتاب (في الشعر الجاهلي) للدكتور طه حسين فرد عليه الشيخ بكتابه (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) فصنع معه ما صنع مع كتاب (الإسلام وأصول الحكم) عندما فنده فقرة فقرة وفكرة فكرة، مع أدب رفيع في الحوار وبراعة في الجدل كشفت عن عقل متمكن ومتمرس في ميدان البحث والمناظرة يغترف صاحبه من معين من العلم لا يغيض.

لقد أدى الرجل بهذين الكتابين حق دين وأمة



ونهض بفرض كفائي وجب على الأمة جمعاء.. وكان بحق كما قال هو:

ناضلت عن حق يحاول ذو هوى
تصويره للناس شيئا منكرا

● وفي سنة ١٣٤٦هـ ١٩٢٧م اشترك مع صديقه العلامة أحمد تيمور باشا في تأسيس (جمعية الشبان المسلمين) التي جاءت طليعة الجمعيات الإسلامية التي تكونت للتعريف بالإسلام والذود عن حضارته في تلك الحقبة التي تميزت بزحف فكرية «التغريب» على وطن العروبة وعالم الإسلام ولقد رأس أول اجتماع تحضيري لتأسيسها في ٢٥ من نوفمبر سنة ١٩٢٧م.

كذلك نهض الشيخ الخضر بتأسيس (جمعية الهداية الإسلامية) التي ضمت كوكبة من المثقفين ثقافة دينية ومدنية.. وأصدر لها مجلة (الهداية الإسلامية) وكون لها مكتبة عامة جعل من مكتبته الخاصة نواة لها.. ولقد امتد نشاط هذه الجمعية إلى الأقاليم فقامت لها فروع فيها.. وكانت محاضراته المستمرة فيها ومقالاته في المجلة جهدا منظما ومستمرا قدم من خلاله معالم دعوته للإحياء الإسلامي والنهضة العربية، وتحرير ديار العروبة والإسلام.. ولقد جمعت مقالاته ومحاضراته هذه في كتاب من ثلاثة أجزاء هو (رسائل الإصلاح)..[1]

● وعندما أصدر الأزهر مجلته التي بدأت باسم (نور الإسلام) في سنة ١٣٤٩هـ ١٩٣٠م عهد إلى الشيخ الخضر برياسة تحريرها، فنهض بهذه المهمة من عددها الأول (المحرم سنة ١٣٤٩هـ ١٩٣٠م) حتى عدد ربيع الآخر سنة ١٣٥٢هـ يوليو ١٩٣٣م عندما استقال من رياسة تحريرها، رافضا التعاون مع الأستاذ محمد فريد وجدي (١٢٩٥ - ١٣٧٣هـ ١٨٧٨ - ١٩٥٤م) الذي عين دون إذن الشيخ خضر مديرا لتحرير المجلة وكان بينهما جدل فكري يومئذ في الصحف والمجلات.. ولم تفلح وساطة الشيخ الظواهري (١٢٩٥ - ١٣٦٣هـ ١٨٧٨ - ١٩٤٤م) شيخ الأزهر - في إثنائه عن الاستقالة وكان معاشه يومئذ أقل من خمسة جنيهات؟! لكن نشاطه تواصل في التدريس بكلية أصول الدين.

● وعندما تكون «مجمع اللغة العربية» بالقاهرة في سنة ١٣٥١هـ ١٩٣٢م، من عشرين عضوا عاملا كان الشيخ الخضر واحدا من أقدم هؤلاء الأعضاء ومن أكثرهم إنتاجا.. فلقد شارك في كثير من لجان المجمع العلمية من مثل: لجنة اللهجات.. ولجنة الآداب والفنون الجميلة.. ولجنة دراسات معجم فيشر.. ولجنة الأعلام الجغرافية.. ولجنة الأصول.. ولجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم.. ولجنة المساحة والعمارة.. ولجنة المعجم الوسيط - الأمر الذي يعكس وزنه العلمي وثقله الفكري وثقافته الموسوعية وجهده الدؤوب في خدمة الفكر كذلك نشرت له مجلة المجمع العديد من الأبحاث، من مثل:

١- «المجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة العربية»..

٢- «شرح قرارات المجمع والاحتجاج بها وتكملة مادة لغوية ورد بعضها في المعجمات ولم ترد بقيتها»

٣- «الاستشهاد بالحديث في اللغة»

---

(١) أعادت المجلة نشر بعض مقالاته في هديتها لشهري صفر وربيع الأول ١٤٢٢هـ.





٤- «وصف جمع العاقل بصفة فعلاء».

٥- «اسم المصدر في المعجم».

٦- «طرق وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها في البلاد العربية».

٧- «شعراء البديع في نظر الأدباء».

٨- «من وثق من علماء العربية ومن طعن فيه».

ولم يقف نشاطه المجمعي عند مجمع القاهرة فلقد اختير عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق.

● وفي سنة ١٣٦٦هـ سنة ١٩٤٧م رأس تحرير مجلة (لواء الإسلام) وبدأ فيها تفسيره للقرآن الكريم..

● وفي سنة ١٣٧٠هـ سنة ١٩٥١م نال عضوية «هيئة كبار العلماء» برسالته (القياس في اللغة العربية)

● عندما قامت الثورة المصرية في ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢م كان منصب شيخ الأزهر شاغرا فوقع اختيار الثورة وحكومتها على الشيخ الخضر إماما أكبر وشيخا للإسلام ووجها مشرقا لهذه الجامعةالعريقة تطل من خلاله على عالم العروبة والإسلام فتوجه ثلاثة من الوزراء إلى منزل الشيخ بشارع خيرت، في يوم الثلاثاء ٢٦ من ذي الحجة سنة ١٣٧١ هـ ١٦ من سبتمبر سنة ١٩٥٢ طالبين منه قبول مشيخة الأزهر فنهض بالأمانة ما وسعته الطاقة وعندما أحس بضغوط تحول بينه وبين تنفيذ مايريد، أو تطلب منه تنفيذ ما لايرضى صمم على الاستقالة في ٢ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٣هـ ٧ من يناير سنة ١٩٥٤م قائلا كلمته الشهيرة: «يكفيني كوب لبن وكسرة خبز، وعلى الدنيا بعدهما العفاء»؟!

ولقد ألمح إلى ملابسات استقالته عندما قال: «إن الأزهر أمانة في عنقي أسلمها حين أسلمها موفورة كاملة، وإذا لم يتأت أن يحصل للأزهر مزيد من الازدهار على يدي فلا أقل من ألا يحصل له نقص»!

● ومنذ ذلك التاريخ تفرغ للبحث والكتابة والمحاضرة حتى وافاه الأجل، فانتقل إلى جوار ربه مساء يوم الأحد ١٣ من رجب سنة ١٣٧٧ هـ ٣ من فبراير سنة ١٩٥٨م فشيعه العلماء والفضلاء والعارفون لفضله وعلمه ونضاله حتى لقد امتد موكب جنازته ما بين ميدان باب الخلق والجامع الأزهر الشريف؟!

ولم يخلف الراحل وراءه من حطام الدنيا شيئا، حتى لقد دفن - بناء على وصيته - بمدفن الأسرة التيمورية مع صديقه العلامة أحمد باشا تيمور!.. لكنه خلف، غير النضال والأثر الطيب والذكر الحسن والقدوة الصالحة كنوزا من الفكر شاهدة على عقله المبدع والمجدد، وجهده الدؤوب، وعزمه الذي لم يعرف الوهن أو التقصير.. فغير خطبه ومحاضراته ومقالاته وأبحاثه التي لم تجمع.. خلف لنا هذه المؤلفات:

١- (رسائل الإصلاح) - في ثلاثة أجزاء..

٢ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم.

٣ - نقض كتاب في الشعر الجاهلي.

٤ - القياس في اللغة العربية.

٥ - الخيال في الشعر العربي.

٦ - آداب الحرب في الإسلام.

٧ - خواطر الحياة - (ديوان شعره).

٨ - تعليقات على كتاب (الموافقات) للشاطبي.



لقد كان - رحمه الله - عقلا إسلاميا مجددا.. ومناضلا فى سبيل النهضة العربية والإحياء الإسلامى، يتحلى بخلق الأولياء والصديقين والشهداء.

فهو فى تونس يواجه الاستبداد الاستعمارى والمسخ الحضارى بالدعوة إلى إحياء العربية لتكون سلاحا فى معركة الأمة من أجل حريتها واستخلاص هويتها العربية الإسلامية.. ويستنهض الشعب بإبراز قيمة ومكانة «الحرية» فى الإسلام.. ويدفع الثمن هجرة من الربوع التى نشأ فيها!

● وهو فى المشرق بدمشق يواجه تسلط السفاح أحمد جمال باشا فيدفع الثمن سجنا وتعذيبا فلقد كان عداؤه للاستعمار الأجنبى وللاستبداد الداخلى شديدا ودائما.

فلا كان من عيش أرى فيه أمتى
تساس بكفَّىْ غاشم وغريب

● وهو فى مصر يتصدى لخطر الغزو والفكر الممثل فى تيار «التغريب» فينقض كتابى على عبد الرازق وطه حسين.. ويسهم بالفكر، فى إنهاض العروبة وتجديد الإسلام.. ويسلك سبل التنظيم الاجتماعى والفكرى والقومى والعلمى، من خلال (جمعية الهداية الإسلامية) ومجلتها و(جمعية تعاون جاليات أفريقيا الشمالية) و(جمعية الشبان المسلمين).. و(هيئة كبار العلماء) و(المجامع اللغوية).. و(القسم الأدبى بدار الكتب المصرية).. ومجلات (نور الإسلام) و(لواء الإسلام).. إلخ.. ليجمع الأنصار حول فكرة التجديد وليمهد السبل لهذا الفكر كى يوضع فى الممارسة والتطبيق.

لقد جمع إلى وعيه بتراث أمته وكنوزها الحضارية وعيا بالتحديات المعاصرة التى تحول بينها وبين النهضة والإحياء فكان لسان «الأصالة» المعبر عن مشكلات «المعاصرة وضروراتها يذود عن «فكر الإسلام ومجد العروبة» ويدعو إلى النهضة الحديثة المرتكزة على «المعارف» و«الصناعات»:

أبناء هذا العصر، هل من نهضة
تشفى غليلا حره يتصعد؟!
هذى الصنائع ذللت أدواتها
وسبيلها للعالمين ممهد
إن المعارف والصنائع عُدة
باب الترقى من سواها موصد

ولقد أصاب صديقه العالم الفاضل محب الدين الخطيب، عندما وصفه فقال: «هذا رجل آمن بالإسلام ودعوته، وأحب من صدر حياته أن يكون من الذين قال الله - سبحانه - فيهم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾(٢، ٣).

---

(٢) فصلت: ٣٠.

(٣) لقد جمعنا مادة هذه الصفحات عن حياة الشيخ الخضر من مقال صديقه محب الدين الخطيب، وعنوانه: (شيخ الأزهر السابق السيد محمد الخضر حسين) مجلة «الأزهر» عدد شعبان سنة ١٣٧٧هـ. وكتاب «مشيخة الأزهر» لعلى عبد العظيم جـ٢ ص١٤٧- ١٦٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩م.

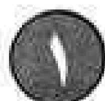




# العقاد الشاعر بين منهجين في النقد

للأستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب

**يثير شعر العقاد إشكالية نقدية لاتزال فى حاجة إلى تأمل زواياها وأبعادها، حتى نضعها فى إطارها الصحيح.. لأن شعر العقاد يتسم بكثير من الفكرية الواضحة فى كثير من نماذجه، حتى إن بعضا من أشد حوارييه من النقاد والأدباء والمفكرين لا يستطيعون إنكار هذا الجانب الفكرى الذى يتكىء فى شعره على درجة واضحة من الوعى المتيقظ، والتأمل التجريدى، والتجارب المنطقية، التى تتنفى غالبا ما يتطلبه الشعر من رفرفة وانطلاق وتظليل وسبحات..**



ولكن الأمر ليس على هذا النحو من الإجماع الذى قد يُخيّل أن كل نقاد العقاد الشاعر يأخذون عليه غلبة الجانب التفكيرى فى شعره، ويدلفون بالتالى من هذا المدخل إلى إدانة الشعر والشاعر على السواء، فهناك نقاد يرون أن عظمة شعر العقاد تكمن فى قدرته على التفكير بالشعر، وأن هذا الجانب الفكرى فى شعره يمنحه نوعا من الخصوصية الفنية الممتازة التى تجعله ليس مجرد مرور عائم على سطوح الأشياء، وإنما مجاسدة وكشف لبواطن البواطن فى هذه الأشياء، ومن هنا يوصف شعر العقاد - بما هو شعر مفكر - بكثير من صفات الرصانة والصلابة والعمق والسموق.. أو هو اقتراب من حد الشعر العظيم كما يحدده العقاد ذاته فى هذه المقولة: «وحدُّ الشاعر العظيم عندى هو أن تتجلى فى شعره صورة كاملة للطبيعة بجمالها وجلالها وعلاتيها وأسرارها، أو أن يستخلص من مجموعة كلامه فلسفة للحياة ومذهبا فى حقائقها وفروضها، أيا كان هذا المذهب، وأيا كانت الغاية الملحوظة فيه» - (مطالعات ١٩٧)

وبين هذين الاتجاهين فى تناول الظاهرة الشعرية عند العقاد، يظل المجال مفتوحا لعديد من الاجتهادات فى هذا الصدد، وتظل الكلمة الأخيرة فى شعر العقاد - وفى سائر الشعر - احتمالا غير وارد بالضرورة، لأن الفن الحقيقى هو الذى يثير أكبر كمٍّ من الأسئلة، ويفتح عيوننا النقدية باستمرار على مستوى من الفهم بعد مستوى، ربما لأن أعماق هذا الفن أبعد من أن تصل إليها بضربة معول واحدة.

وقد اخترنا فى هذه الدراسة أن نقف شعر العقاد بين منهجين فى النقد: منهج فنى يعالج الظاهرة الشعرية من وجهة جمالية ترتكز فى مجملها على الإحساس بالنص، ثم على تأمل جماليات هذا النص من حيث هو بناء لغوى يحمل فى طياته تجربة نابضة.. ومنهج فلسفى يعالج الظاهرة الشعرية من وجهة أخرى، ترتكز فى مجملها على الإحساس بالنص كذلك، ثم على محاولة ربط هذا النص كجزء بكلية الحركة الكونية، من خلال تأويل مقولاته وأبنيته، وأيضا من خلال إقامة نوع من التعادل بينه وبين نوعيات من التصاميم الفنية الأخرى التى تنهض جميعها فى النهاية بعبء إقامة حوار جمالى مع سائر الأشياء والأحياء.

أما المنهج الأول فيمثله الناقد العربى الراحل «سيد قطب».. وأما المنهج الثانى فيمثله الناقد العربى الكبير «الدكتور زكى نجيب محمود».. وسنرى أن كلا من الناقدين يحاول تبرير العقاد الشاعر من وجهة خاصة، ترتكز عند سيد قطب على الحس الجمالى، وعند زكى نجيب محمود على الحس الفلسفى، ولكنهما يلتقيان فى النهاية على اجتهاد جاد فى شعر العقاد، لا يهمنا أن يكون اجتهادا مع هذه النوعية الشعرية أو ضدها، بقدر ما يهمنا أن يكون اجتهادا مسلحا برؤية نقدية ثاقبة، وأيضا بطوية نفسية نظيفة.



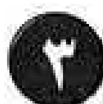
وسيد قطب يرى أن العقاد الشاعر يتميز دائما بالحضور وبالوعى وبالوضوح ومن ثم فإن للمجهول عنده نصيبا أقل من الضئيل، حتى فى هذا القدر فهو محكوم عنده بكونه فكرة واعية لا مجهولا ضبابيا.. ويذهب إلى أنه من هذه

الينابيع يتفجر شعر العقاد، فيكثر فيه تصوير النفس والفكر والمنطق، بعيدا عن تأمل الانطلاقات والظلال.. وإن كانت الحيوية المتدفقة والحبكة الرصينة والعمق الدقيق والصدق النفسي في هذا الشعر المفكر تعوضه كثيرا عن الرفرفة الطليقة، وعن الإيقاع المتموج، وعن الانطلاق الهائم، وعن السبحات التائهة.. ومن هنا فإن هذه الحيوية الدافقة تبلغ بشعر العقاد - كما يرى - ذروة التوفيق إذا أتيحت له بكم يؤهله لبلوغ مثل هذه الذروة.

ويقرر سيد قطب أن الإيقاع في شعر العقاد يبدو محددا رصينا، لا طلاقة فيه، ولا مدى للتموجات والرقص وتمرد الاندفاع، ومن ثم فقد يجوز القول بأن كثيرا من شعر العقاد يمكن أن يضاف إلى رصيده من التجريد الذهني والتأمل النثري، وليس إلى رصيده من الإبداع الشعري والتحليق الخيالي.

و إذا كان الشعر ليس فقط مجرد التعبير عن اللوعة اللاعجة، وإنما هو كذلك التعبير عن الطلاقة والمرح والتعبير عن الشجى الخافت، والتعبير عن ألوان شتى من هذه الآفاق.. فإن حدود الشعر - كما يرى سيد قطب - تتجسد في أن الشعر لا يحدده الموضوع الذى يقال فيه، ولكن يحدده درجة الشعور بهذا الموضوع وطريقة التعبير عن هذا الشعور وهذا هو ما كان ينبغي أن يتوافر في شعر العقاد.. (فإنما إحساس استجاش النفس، ورفع نبضها عن النبض العادى اليومى، وجعلها تحس بالوهج أو الانطلاق أو الرفرفة أو السبح في عوالم مجهولة، وخلصها - ولو لحظة - من الوعي الكامل أو الصحو المتيقظ، فيه إحساس شعرى).

هذا مجمل الرؤية النقدية التي واجه بها سيد قطب شعر العقاد الشاعر، ثم أفضى بعد هذه الرؤية إلى إجراء نقدى تطبيقي حلل فيه نماذج من شعر العقاد، ورضى عن بعضها ورفض بعضها الآخر، دون أن نستشعر في أى لحظة نوعا من مرارة الحقد، أو نوعا من تسيب المجاملة.



أما الدكتور زكي نجيب محمود فيتناول شعر العقاد من وجهة فلسفية نحس بإيقاعها منذ أول السطور.. ونعنى هنا بالوجهة الفلسفية محاولته في رد الجزئى إلى مكانه في الكلى، والمحدود إلى سياقه في اللامحدود، والخاص إلى موقعه في العام.. أى رد الظاهرة الشعرية إلى مناطها من حركة التعبير الشمولي عن الحياة والأشياء والمابعد..

ولأن سمة الشعر العظيم - كما يرى الناقد - تكمن في أن يستحيل البصر موحيا إلى البصيرة، والحس محركا لقوة الخيال، والمحدود منتهيا إلى اللامحدود.. فإن شعر العقاد يعد في الشعر العظيم

لأنه يجتاز هذه السمات: أى لأنه يعبر بالمتلقى من الخاص إلى العام، ومن الآنى إلى اللازمنى.. وهذا هو ما يميزه من غيره من الشعر.

ويحاول الدكتور زكي نجيب أن يضيء شعر الشخصية بهذا الفهم النقدى المرهف الذى ينضح إيحاء.. فإذا قيل إن الشاعر الحق يصور الحياة فليس التصوير المقصود هنا تصوير المرآة

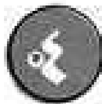
للواقف أمامها، بل هو تصوير المثال الثابت للجزئية الطارئة حتى تلحق به ولا تظل مجرد جزئية منفصلة.

وكذلك ينهض شعر العقاد شاهدا على الشعر الذي يعكس صورة شاعره ولا يعكسها معا، لأن الشعر الذي يعكس شاعره شعر ردئ، ولأن الشعر الذي يعكس شاعره «فقط» شعر ردئ كذلك، وما هكذا شعر العقاد، إنه يطل من خلاله على الكون، فهو موجود وغائب معا في نفس القصيدة؛ محدود ومطلق في نفس العمل الفني، ومن هنا تتأكد العلاقة الصحيحة بين الشعر والشاعر: الشعر كعمل إبداعي يخاطب الكون، والشاعر كمفرد ينطوي في النهاية على معنى الجمع.. ومن هنا كذلك تلوح الأشياء الحسية في شعر العقاد غير مقصودة لذاتها، وإنما لتجسيد المعاني والأفكار وأمواج النفس.

وكإجراء نقدي يتناول الدكتور زكي نجيب محمود نماذج من شعر العقاد ليدلل بها على قضيته - ففي قصيدته «العُقاب الهرم» مثلا، تتجسد هذه الملامح الفنية، «فاللقطة الحسية هنا هي عُقاب زالت عنه قوة شبابه، فجثم على الأرض عاجزا عن النهوض والتحويم في أقطار السماء كما كان يفعل إبان عنفوانه ويتلفت الشاعر حوله، فإذا صرصور ناشط بوثباته وإذا طائر القطا يصيح، أما شيخ الطيور فقد حطمته السنون، ولم يعد له من حياته إلا الحطام، لكن واعجبا لعينيه الواهنتين، مازالتا ترهبان بغاث الطير فتفر هاربة لا تقوى على مجرد النظر إلى صاحب السطوة حتى بعد أن زالت عنه سطوته... هذه هي الصورة المرئية المحسوسة، يرسمها الشاعر بتفصيلاتها رسما يوحي للقارئ أشد إيحاء بالصورة الخالدة المتكررة في شتى الكائنات وعلى مر العصور: صورة المجد المخوف المهيب المرهوب الجناب، تذهب مع الأيام قوته المادية، لكن تبقى له آثار الهيبة الماضية يخشع لها الرائي راضيا أو كارها».

وإذن فلا غرابة أن يكون شعر العقاد - كما يرى الدكتور زكي نجيب محمود - أقرب شيء إلى فن العمارة والنحت، فلا الفكرة عنده قريبة المنال، ولا المادة سهلة التشكيل، إنه يرغم المادة إرغاما حتى تستوي على النحو الذي يريده هو لها، كما يرغم المثال قطعة الجرانيت على التشكل بالصورة التي يبتغيها لها، فهي التي تطاوعه وأما هو فلا يطاوعها إلا بالمقدار الذي يبرز طبيعتها وصلابتها.

ويحاول الدكتور زكي نجيب أن يجرد الحديث النقدي تجريدا يشارف به روح التفلسف الشامل، فإذا كانت هناك حدود نقدية بين ما نطلق عليه «الجليل» وما نطلق عليه «الجميل» كما يقول، فإن شعر العقاد أدخل في باب «الجليل» منه في باب «الجميل»، لأن فيه قوة، وصحوا، وعزما، وكبرياء وجدا، فلا عجب أن يمس ديوانه العابثون فيتركوه قائلين: هذه فلسفة وليست شعرا.



وبهذه الرؤية الجمالية التي حددها سيد قطب لشعر العقاد، وبهذه الرؤية الفلسفية التي حددها زكي نجيب محمود لشعر العقاد

أيضا، نجد أنه على الرغم من تباين المنهجين النقديين، يظل شعر العقاد مناط الإعجاب والتقدير هنا وهناك، وإن كان ذلك لم يمنع بالطبع من مؤاخذات نقدية تستدرك على مثل هذا الشعر نسيانه أحيانا بدائه أنه شعر، وخوضه في مقولات تجريدية أو منطقية، بصيغة فكرية تقريرية وليس بصيغة شعرية تخييلية.

على أننا نسارع بالقول بأن من حق الشعر أن يخوض في شتى آفاق الإحساس والفكرة، وأن يحمل في طياته كل رؤى التحقيق والاستقصاء ولكن بشرط أن يظل شعرا قادرا على امتلاك قارئة من خلال إشعال نوع من الحرائق العاطفية في وجدانه المتلقي، وإقامة جسور واصلة بينه وبين سرائر الأشياء والأحياء.

وإذا كان سيد قطب رفض جانب التقرير والمباشرة وتعقيل الأحاسيس في شعر العقاد فقد كان على حق تماما في هذه القضية، لأن مهمة الشعر تكمن في التخييل أكثر مما تكمن في التحقيق.. ومن حق الناقد أن يرفض في أي شعر هذا النوع من التحديد الإيقاعي الممل، وأن يدعو باستمرار إلى نوعية من الإيقاع الراقص المتدفق.. كما أن من حق الناقد أن يدعو الشعر إلى اقتحام المجاهيل وخطاب الماضي والحاضر والمستقبل، لا أن يظل شاهدا على المتواتر والآني والمعروف.. وهذا كله قد أشار إليه سيد قطب في تصويبه لشاعرية العقاد الشاعر، دون أن تحجزه عن مقولة الحق علاقته الوطيدة المعروفة به وولاؤه الصادق الحميم له.

ولكن الدكتور زكي نجيب محمود - مع التسليم بأصالة رؤيته النقدية لشعر العقاد وشاعريته معا - آثر جانب الدفاع المطلق عن شاعره الأثير، فبرره جميعا، دون أن يتلبث قليلا أو كثيرا عند بعض مزالق الإبداع في شعر العقاد.. فبرر أحجام الكم الفكري في شعره، وبرر تجريداته الفلسفية، وبرر العمدية المقصودة في تطويع المادة وليس في إذابتها، أو حتى على الأقل جعلها خلفية فلسفية ينزع عنها الشعر وهو قابض على أساسية التخييل والغياب.. ولكن ذلك لا يطفيء من بريق هذه الرؤية النقدية الثاقبة، ولا يقلل من قيمة الجهد النقدي في العبور من مجرد التحديق الجزئي في النص، إلى محاولة امتلاك رؤية شمولية تجعل من الشعر إبداعا صحيحا، وليس مجرد مغازلة للأشياء بالكلمات.

وإذن فنحن مع هذين المنهجين في دراسة شعر العقاد أمام نوع من المحاولات الجادة المثقفة، التي تحترم عقل القارئ، وإبداع الفنان، وتبذل من معاناة الفهم قدرا مساويا أو يوشك أن يكون مساويا لمعاناة الفنان في تشكيل عمله الفني، وأيضا لمعاناة المتلقي في محاولته لقراءة النص قراءة تجعل منه ربما رمزا، وربما معادلا، وربما كونا لغويا يومئ إلى الكون الحي بلا حدود.. وهذا هو المدخل الحقيقي إلى فن قادر على إثرائنا من الداخل، وإضاءة عيوننا بفرحة الكشف، ونشوة الامتلاء!!!

# فقيد الأزهر
## الأستاذ الدكتور إبراهيم الدسوقي خميس

للدكتور/ رضا عبد المجيد المتولى إبراهيم(*)

لا أجد ما أعزى به نفسى وإخوانى وأساتذتى على رحيل الأستاذ الدكتور إبراهيم الدسوقى محمد خميس، أستاذ التفسير بجامعة الأزهر، الذى لقى ربه يوم الخميس ٢٥من المحرم ١٤٢٢هـ الموافق ١٩ من إبريل ٢٠٠١م سوى قوله ـ تعالى ـ مخاطبا حبيبه ومصطفاه ﷺ

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾(١).

وقول الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ

(*) مدرس التفسير بكلية أصول الدين بالمنصورة.

(١) سورة الأنبياء (٣٤، ٣٥).



ومن نزلت بساحته المنايا ... فلا أرض تقيه ولا سماء
وأرض الله واسعة ولكن ... إذا نزل القضا ضاق الفضاء
دع الأيام تغدر كل حين ... فما يغني عن الموت الدواء

ولد - رحمه الله - عام ١٩٢٢م في قرية (الهياتم) إحدى قرى المحلة الكبرى محافظة الغربية، وألحقه والده بالكتاب فحفظ القرآن الكريم وعمره تسع سنوات، ثم التحق بمعهد طنطا الأحمدي عام ١٩٣٨م، فحصل على الشهادة الابتدائية ثم الثانوية وكان ترتيبه الأول فيهما ومن أهم من تأثر بهم في هذه المرحلة الشيخ عبد الكريم جاويش، الشيخ محمود المصري، عبد الباسط سليم، محمد عثمان أغا، الأستاذ الشيخ محمد متولي الشعراوي.

ثم التحق بعد ذلك بكلية أصول الدين بالقاهرة، وحصل على الشهادة العالمية عام ١٩٥١م ثم التحق بكلية اللغة العربية فحصل على العالمية مع إجازة التدريس.

وبعد التخرج عين مدرسا بمعهد الفيوم، وبعد أربع سنوات نقل إلى معهد طنطا الأحمدي وعمل به في سنة ١٩٥٥م إلى ١٩٥٩م، ثم نقل بعد ذلك إلى معهد المحلة الكبرى بعد إنشائه، وفي عام ١٩٧٢م نقل إلى كلية أصول الدين بالقاهرة معيدا فمدرسا مساعدا، وظل إلى سنة ١٩٧٥م وحصل بعدها على الدكتوراه في التفسير وكانت رسالته عن: «تصوير القرآن لجوانب الجهاد» وبعد خمس سنوات حصل على درجة أستاذ مساعد ثم أستاذ. وسافر إلى المملكة العربية السعودية مرتين وعمل هناك بالرياسة العامة للبنات بكلية البنات بجدة. ثم عاد إلى مصر يعمل بكليات أصول الدين بالقاهرة، وطنطا، والمنصورة، وكذا بكلية اللغة العربية بالمنصورة وكان يقيم ندوات علمية بها مع صديقه الأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدي، وكلاهما مبرز في ميدانه.

وبهذا ملأ الدكتور خميس الأرض علما ونورا، وتتلمذ على يديه الكثير من علماء مصر، ومنهم الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الحميد سلامة، والأستاذ الدكتور عبد الرحمن حواس، والأستاذ الدكتور شكري شفيق الأخضر، والأستاذ الدكتور محمد النقراشي، والأستاذ الدكتور محمد محمد الشريف، والأستاذ الدكتور محمد بلتاجي، والأستاذ الدكتور أبو اليزيد العجمي، وغيرهم كثير.

ومن خلال التلقي على يديه ـ رحمه الله ـ في مرحلة الدراسات العليا وما بعدها أشير إلى أهم ملامح منهجه التفسيري والقضايا التي كان يعالجها ويركز عليها أثناء تفسيره، وذلك كما يلي:

أولا: تبجيل المفسرين السابقين واحترامهم، ومن ثم فعلينا أن نتأدب معهم في تلقي آرائهم، وأن نحاول التوفيق بين المختلف من آرائهم إن أمكن، ونلتمس الأعذار لهم إن لم نوافقهم، وكان هذا مسلك أستاذنا مع المفسرين السابقين، وكان يقرر قائلا: (إن أكثر اختلاف المفسرين اختلاف تنوع لا تضاد)، وكان يرشدنا في تفصيل ذلك إلى كتاب «مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية».

ثانيا: تضييق دائرة القول بالنسخ في القرآن، فإذا أمكن التوفيق بين النصين المتعارضين في القضية الواحدة فالقول بالتوفيق أولى من القول بالنسخ، لأن إعمال الدليلين خير من إعمال أحدهما وإبطال الآخر، وأرشدنا إلى قراءة كتاب «النسخ في القرآن الكريم» للدكتور مصطفى زيد، ووصفه بأنه مؤلف فريد في بابه.

ثالثا: نفي التكرار عن القرآن الكريم، فالنصوص القرآنية الواردة في الموضوع الواحد يجب بيان أسرار تعبيراتها المختلفة حتى تخرج عن دائرة التكرار، ومن المسلم أن كل نص فيه معنى جديد، وأرشدنا في معرفة ذلك إلى «كشف المعاني في المتشابه من المثاني لابن جماعة»، «فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن» للشيخ زكريا الأنصاري» وغير ذلك.

رابعا: ليس في القرآن من حرف زائد، وإن قال بعض المفسرين عن حرف في القرآن: إنه زائد، فيحمل قولهم على أن المراد به الزيادة في اصطلاح النحاة لا الزيادة الحقيقية، وأرشدنا في بيان ذلك إلى كتاب: «النبأ العظيم» «للدكتور محمد عبد الله دراز»، «بحوث قرآنية ولغوية» للشيخ عبد الرحمن تاج.

خامسا: كان يرى ـ رحمه الله ـ أن التفاسير على اختلاف مناهجها وتنوع مشاربها متكاملة، فكل تفسير فيه جديد ومن ثم كان الشيخ يحث طلابه على قراءة التفاسير كلها مرتبة حسب الترتيب الزمني لمؤلفيها حتى يتسنى لهم الوقوف على المعاني الجديدة التي يفتح الله بها على المفسرين واستدراكات بعضهم على بعض.

سادسا: كان ـ رحمه الله ـ يرى أن التفسير التحليلي للقرآن الكريم أخذ حظاً وافرا من المفسرين السابقين، ويجب الاعتناء الآن بالتفسير الموضوعي، وكان يصفه بأنه زاد

الدعاة في العصر الحديث، وقد أسهم فيه بمؤلفين عظيمين. الأول: «تصوير القرآن الكريم لجوانب الجهاد» وقد نال به درجة الدكتوراه، والثاني: «مقومات الحياة من القرآن الكريم» وصدره بمقدمة تحدث فيها عن التفسير الموضوعي وأهميته وألوانه ومنهج البحث فيه.

سابعا: كان ـ رحمه الله ـ أثناء تفسيره يركز على إبراز جوانب الهداية ويرى أن الاقتصار على حل ألفاظ الآية من ناحية اللغة والإعراب والبلاغة لا يحقق الغرض المنشود من إنزال القرآن.

ثامنا: كان ـ رحمه الله ـ لا يوافق بعض المفسرين في قولهم بترجيح بعض القراءات المتواترة على بعض.

تاسعا: كان يرى ـ رحمه الله ـ أن القرآن هو مصدر القواعد النحوية، فالقرآن حاكم لا محكوم عليه. فإذا خالفت القاعدة النحوية نصا قرآنيا أو قراءة متواترة عدلت القاعدة حتى توافق النص القرآني تأدبا مع القرآن ومن أنزله.

عاشرا: كان ـ رحمه الله ـ يرى أن هناك فروقا لغوية دقيقة بين الألفاظ التي تبدو في الظاهر مترادفة، وأن الوقوف على تلك الفروق يبرز لونا من ألوان الإعجاز القرآني.

هذا عن الدكتور خميس كمفسر، أما عن علاقته بطلابه وحبه لهم وتشجيعه إياهم واهتمامه بهم وبشاشته لهم إذا حضروا وفتحه قلبه وبيته لهم، وسؤاله عنهم إذا غابوا فحدث عن ذلك ولا حرج.

ومن أهم مؤلفاته العلمية: من أسرار سورة الحج، تفسير سورة ص، الزمر، مقومات الحياة من القرآن الكريم، تصوير القرآن لجوانب الجهاد. تفسير سورة يس في مجلة الأزهر عامي ١٩٩٥م، ١٩٩٦م، ومئات المقالات في جريدة (عقيدتي).

هذه بضعة خطوط رئيسية في سيرة الدكتور إبراهيم خميس ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ وأجزل له المثوبة والعطاء، وجزاه عن الإسلام وطلاب العلم خير الجزاء، ولعلها تتخذ نواة لتاريخ حافل بمآثره ونواحي عظمته وسر نجاحه في حياته، وحسن الأحدوثة عنه بعد وفاته، وذلك أقل مظاهر الوفاء وعرفان الجميل.

## من قادة الفتوحات الإسلامية:

# القعقاع بن عمرو التميمى(*)

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

**وينتقل القعقاع بصحبة خالد بن الوليد الى الشام لحرب الروم وفى اليرموك كان اللقاء الاول وكالعادة كان القعقاع فى قلب الجيش بجوار خالد الذى كان قد أعاد تنظيم الجيش وجعل القيادة بالتناوب بينه وبين باقى القادة، وتولى هو القيادة فى اليوم الاول والذى انتهى بانتصار كاسح للمسلمين على الروم.**

وينتقل الصديق إلى جوار ربه، ويتولى الفاروق عمر بن الخطاب الخلافة فيكون أول قرار له عزل خالد بن الوليد وتولية أبو عبيدة عامر بن الجراح على قيادة جيوش المسلمين فى حين يظل خالد قائدا على الجيش الذى قدم به من العراق.

ثم تتحرك جيوش المسلمين لفتح دمشق التى تحصنت حاميتها داخل أسوارها المنيعة وتقف الجيوش الاسلامية عاجزة عن اقتحام دمشق حتى تفتق ذهن القعقاع عن حل جرئ وهو ان تتولى مجموعة من المسلمين تسلق الاسوار وفتح أبوابها من الداخل ويوافق خالد بن الوليد على هذه العملية الجريئة غير المسبوقة بل ويقوم بالتنفيذ خالد بن الوليد نفسه ومعه القعقاع بن عمرو، ومذعور بن عدى العجلى، وأمثالهم من الابطال الأشداء، وكانت التعليمات لسائر الجيش: «إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا إلينا، وانهدوا للباب».

ويعبر الأبطال الخندق المحيط بالسور والمغمور بالمياه سباحة، ويقذفوا بـ (أوهاق)(١) الحبال حتى انشبك منها وهقان بأعلى السور وثبتا فيه، فتسلق عليهما القعقاع بن عمرو، ومذعور بن عدى،

(*) الطبرى أحداث سنة ١٥ هـ.

(١) خطاف الحبل.



ومعهما باقى سلالم الحبال فأثبتاها جميعا بأعلى السور، وكان هذا المكان الذى اقتحموا منه أحصن موقع بدمشق كلها، أكثره ماء وأعرضه خندقا وأشده مدخلا، ويعتلى خالد ابن الوليد السور مع باقى رجاله ليكبروا جميعا بصوت رجل واحد ليعبر باقى جيش خالد الخندق ويتدافعون نحو سلالم الحبال يتسلقونها، ويتكاثرون حول باب الحصن الشرقى الذى نجح خالد بن الوليد والقعقاع بن عمرو فى فتحه بعد قتال مرير، فلم يجد أهل دمشق بدا من الاستسلام وطلب الصلح.

وفى ذات الوقت كانت جيوش المسلمين فى العراق بقيادة سعد بن أبى وقاص تواجه جحافل الفرس وكان موقف تلك الجيوش شديد الحرج، فكتب عمر إلى أبى عبيدة بن الجراح بعد أن تم فتح دمشق يأمره بصرف جيش العراق أصحاب خالد إلى العراق، ولم يذكر خالدا، فاستبقاه أبو عبيدة معه بالشام ليكون عونا له على حرب الروم، وأرسل جيش العراق تنفيذا لتعليمات الخليفة، وأمَّر عليهم هاشم بن عتبة بن أبى وقاص، وعلى المقدمة القعقاع بن عمرو التميمى.

وأسرع القعقاع بالمقدمة، فسبق أصحابه، وطوى المسافة مسرعا فبلغ القادسية يوم أغواث، وقبل دخوله القادسية قسم القعقاع أصحابه - وكانوا ألف مقاتل - الى عشرات، أى مائة عشرة، كلما بلغ عشرة منهم مد البصر سارت فى إثرهم عشرة أخرى.

قصد القعقاع من هذا العمل أن يرفع الروح المعنوية لجيش القادسية عن طريق إشعارهم بتتابع الأمدادات حيث كان القعقاع يحرص دائما على رفع الروح المعنوية لعلمه بمدى أثر الروح المعنوية على أداء الجنود فى المعركة وكان القعقاع فى أول دفعة، فأتى الناس فى القادسية، وسلم عليهم وبشرهم بالمدد وقال لهم: «أيها الناس إنى قد جئتكم بقوم والله ان لو كانوا بمكانكم ثم أحسوكم حسدوكم حظوتها، وحاولوا أن يطيروا بها دونكم، أيها الناس اصنعوا كما أصنع».

وتقدم القعقاع يشق طريقه بين جيوش المسلمين حتى تقدم الصفوف كلها ووقف فى مواجهة جيوش الفرس مناديا: «من يبارز؟؟».

من يصدق هذا يأتى من سفر بعيد من الشام قادما من معركة مريرة ليقف فى مواجهة جيوش الفرس يطلب المبارزة دون أن ينال أى قسط من الراحة؟!.

ويشتعل حماس المسلمين وتبلغ معنوياتهم عنان السماء من جراء وجود هذا الرجل الذى قال عنه الصديق: «لا يهزم جيش فيهم مثل هذا».

ويخرج من بين صفوف الفرس بهمن جاذويه ليبارز القعقاع الذى يبدره بالسؤال: «من انت؟» فقال: «انا بهمن جاذويه» فثار الدم فى عروق القعقاع إذ تذكر معركة الجسر وشهداءها وما فعله بهمن جاذويه فى ذلك اليوم فصاح: «يا لثارات أبى عبيد وسليط وأصحاب يوم الجسر».



ثم تبارزا بالسيوف فقتله القعقاع، وكان بهمن جاذويه هو قائد قلب جيش الفرس.

وكان القعقاع يرمي ببصره نحو الطريق الذى يسلكه جنوده متتابعين وجعل يكبر كلما ظهرت عشرة منهم والمسلمون يكبرون وراءه.

ارتفعت المعنويات كثيرا فالمدد يتتابع وبهمن جاذويه قُتل والقعقاع يلهب حماس الجنود، فكانت بحق أغواث النصر ومن جديد خرج القعقاع ينادى «هل من مبارز؟».

وأراد قادة الفرس ان يستردوا معنوياتهم وان يثاروا لبهمن جاذويه الذى كانت جثته ملقاه بين الصفين تنظر إليها جموع الفرس فى حسرة، والمسلمون فى فخر وعزة.

خرج اثنان من قادة الفرس هما: (بيرزان) قائد المؤخرة، و(بندوان) فانضم إلى القعقاع الحارث بن ظبيان، فاما القعقاع فقد اطاح براس (بيرزان)، وفعل الحارث مع بندوان نفس الفعل.

ثم برزت فرسان المسلمين للمبارزة، فكان القعقاع يقول لهم: «يا معاشر المسلمين باشروهم بالسيوف، فإنما يُحصد الناس بها».

## ذكــــاء مقاتـــل

ورأى القعقاع عجز المسلمين عن مواجهة (فيلة) الفرس التى أفزعت خيل المسلمين فجعلتها تنفر وترتد بمن عليها من الفرسان، فعمد القعقاع إلى إبل المسلمين فألبسها الجلود والبراقع فتغيرت هيئة الإبل وصارت مفزعة فنفرت من مواجتها خيل الفرس وولت هاربة بفرسانها تاركة مشاة جيوش الفرس وحدهم فى الميدان فحصدهم فرسان المسلمين حصدا.

وفى المدينة علم عمر بامر يوم اغواث وبلاء المسلمين فيه فيبعث أربعة أسياف، وأربعة افراس هدية يقسمها قائد الجيش سعد بن أبى وقاص بين من أبلى أحسن البلاء. فينال منها القعقاع فرسا.

ثم يأتى يوم عماس ١٥ من شعبان لعام ١٥هـ ليشهد عملا استراتيجيا جديدا للقعقاع الذى رأى التعب والإنهاك قد حل بجيوش المسلمين وتسرب إليهم اليأس من تأخر وصول جيش هاشم بن عتبة بن أبى وقاص فانتحي القعقاع بجنوده الألف وأخرجهم سرا من معسكر جيش المسلمين وقسمهم إلى عشر مجموعات، كل مجموعة مائة جندى، وقال لهم: «إذا طلعت الشمس فاقبلوا مائة مائة كلما توارى عنكم مائة فليتبعها مائة، فإن جاء هاشم فذاك، وإلا جددتم للناس رجاء وجدا».

هذا هو القعقاع القائد الذى يفرض قيادته بسلوكه وحُسن تصرفه وحرصه على الإبقاء على معنويات الجنود عالية تطاول عنان السماء.

وقف القعقاع ينظر ويتطلع نحو الطريق، ملقيا فى روع المسلمين أن يتوقع هاشما

وأصحابه، وجعل يكبر كلما ظهرت في الأفق نواصي الخيل التي أقبلت مائة في إثر مائة ومثله فعل أخوه عاصم بن عمرو فانتعش المسلمون واصطفت جموعهم للقتال واقترب هاشم من معسكر المسلمين في سبعمائة من طلائع جيشه فأخبره المسلمون بما فعل القعقاع، فأعاد هاشم تعبئة جنوده سبعين سبعين لتتلاحق جماعة في إثر جماعة.

أما المعركة فقد حمي وطيسها ودفع الفرس بأفيالهم فتضعضعت في مواجهتها صفوف المسلمين، فارس سعد بن أبي وقاص إلى القعقاع وعاصم يقول لهما: «اكفياني الفيل الأبيض» وكان أكبر أفيال الفرس مع فيل آخر يسمى «الأجرب».

فأخذ القعقاع وعاصم رمحين أصمين لينين ودبا في كتيبة من خيل ومشاة، وقالا لهم «اكتنفوه لتحيروه» وهما معهم فاطافوا به وخالطوا حراسه والتحموا معهم، وظل الفيل متحيرا ينظر يمنة ويسرة وهو متحير، فحمل القعقاع وعاصم على الفيل وهو متشاغل بمن حوله فوضعا رمحيهما معا في عينيه فجلس الفيل على يديه ورجليه وألقى بمن فوقه من جنود الفرس، فاستل القعقاع سيفه وقطع خرطوم الفيل فسقط صريعا فكبر المسلمون وهللوا واستبشروا بالنصر، وحملت جماعة أخرى على الفيل الأجرب فقتلته.

وتتابع أيام القادسية ولياليها حتى كانت ليلة الهرير، والفريقان وقوف كل في مواجهة الآخر، فأتى من جهة الفرس سهم فأصاب خالد بن يعمر التميمي، وكان القعقاع يتشوق للقتال فأثارته إصابة خالد فزحف ببني تميم بغير إذن سعد، وعلم سعد فدعا الله وقال: «اللهم اغفرها له وانصره، قد أذنت له إذ لم يستأذني، واتميماه سائر الليلة» وأقر سعد أمام الناس ما فعل القعقاع وقال: «إن الأمر الذي صنع القعقاع فإذا كبرت ثلاثا فازحفوا» وخلف القعقاع اندفعت كندة والنخع وأسد فدعا لهم سعد بمثل ما دعا للقعقاع، فكان قتالا لم يشهد المسلمون مثله.

وفي ١٦ من شعبان ١٥هـ كان اليوم المشهود، يوم القادسية، في هذا اليوم سار القعقاع بين جموع المسلمين يشد أزرهم وكان يدرك أن المعركة الفاصلة قد حان أوانها فقال مخاطبا جيوش المسلمين: «إن الدبرة بعد ساعة لمن بدأ القوم بالتخاذل فاصبروا ساعة واحملوا فإن النصر مع الصبر، فآثروا الصبر على الجزع» وأنشد يقول:

**يدعون قعقاعا لكل كريهة**

**فيجيب قعقاع دعاء الهاتف**

والتحم الفريقان التحاما رهيبا، وهجم القعقاع مع قومه بني تميم على قلب جيش رستم فأزالوهم عن مواقعهم حتى انتهوا إلى سرير رستم وكان قد غادره مذعورا ليتلقاه هلال بن علقمة التيمي فيرديه قتيلا ويصيح «قتلت رستم ورب الكعبة».

# الجيتو والكيبوتس فى الوجدان اليهودى

للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق

## الجيتـــو

**كلمة (جيتو)[1] تستخدم بشكل خاص للإشارة لأحياء اليهود فى أوروبا وقد أقيم أول جيتو يهودى فى روما عام ١٥١٦.**

**وللجيتو أسماء متعددة من بينها ما أطلق عليه «الحى الرابع»، وهو عبارة عن جزء من المدينة تعمد الدولة إلى إسكان اليهود فيه لتسهيل معرفة تحركاتهم والوقوف على أحوالهم. وسبب التسمية أن المدينة كانت تقسم إلى أربعة أقسام، أو أربعة أحياء، وكان أحد هذه الأحياء يخصص لليهود[2].**

وكانت هذه الأحياء محاطة بالأسوار العالية، وقد انتشر الجيتو المغلق جداً فى نهاية العصور الوسطى فى أسبانيا وإيطاليا وأوربا الشرقية، وغالبا ما أجبر اليهود على التجمع فى أسوأ الأماكن من المدينة، وكانوا يضعون حارساً على باب كل جيتو لمنع اليهود من مغادرته فى ساعات الليل أو فى الأعياد المسيحية، وكان اليهود يستأجرون حراساً خصوصيين منهم لحراستهم بالليل، وغرف هذه الحراسة تقع فوق الأسطح وتوزع على الحى كله.

وبدأت هذه الأحياء المغلقة تلغى بعد الثورة الفرنسية، ورحلات نابليون الحربية، وقد ألغى الجيتو فى روما عام ١٨٧٠م[3].

وفى الحرب العالمية الثانية جدد النازيون «الجيتو» للتعجيل فى الحل النهائى للقضية اليهودية وقد انتشر بين سكان الجيتو فى ألمانيا المرض والجوع والموت.

---

(١) يقال إن الكلمة مشتقة من الكلمة الألمانية «جيهتر» التى تعنى «مكاناً محاطاً بالأسوار» أو من الكلمة العبرية «جت» بمعنى الطلاق أو الانفصال. أو من الكلمة الإيطالية التى تعنى قسماً صغيراً من المدينة.

(راجع موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية.. د. أحمد المسيرى ص١٥١).

(٢) السيد محمد عاشور: التفرقة العنصرية ص١٧٤.

(٣) إفرايم ومناحم تسلمى: معجم المصطلحات الصهيونية ١٩٨٨ ص٩٨.



وقد صفى جيتو «وارسو» بعد التمرد الكبير الذي نظمه اليهود في نيسان ١٩٤٣[٤].

وعلى وجه العموم فمنذ بداية القرن ١٩ أخذت أسوار الجيتو في السقوط وهنا لابد أن نذكر تأثير حركة الاستنارة اليهودية «الهسكلاه»[٥] في سقوط هذه الأسوار، وأصبح الفرار من «الجيتو» لدى قطاع كبير من الجيل الشاب اليهودي هو بمثابة «خروج» للحرية والاندماج في الشعوب الأخرى ومن خلال تحليل الواقع الاجتماعي لحياة الجيتو والمؤثرات التي أثرت على عقلية اليهود الذين عاشوا فيه والذي أثر في الشخصية اليهودية التي ظلت حبيسة فيه قروناً طويلة، وقد نجم عن هذه العزلة اكتسابهم صفات خاصة بهم[٦] كبعد النظر والاحتياط للطوارئ، بالإضافة إلى الذكاء وسرعة التصرف.

وكان الجيتو هو الحصن الذي يعيشون بداخله كي يحافظوا على هويتهم ويدافعوا عن أنفسهم من خطر الاضطهاد المحتمل في أي وقت، وكل هذا كان نابعاً من اعتقادهم بأنهم شعب مكروه.

وعلى العموم فكان اليهودي يرى في حياة الجيتو الأمن والأمان، وهذا يعود بنا إلى الحيوانات المفترسة التي تولد في الأسر، وتتأقلم عليه، ولاترضى عنه بديلاً، وتحارب من داخل الأقفاص الحديدية وتقوم بتوسيعها إن استطاعت.

وكل هذا ليس بجديد عليهم، فقد تكونت لديهم عقدة الدونية، فهم شعب الله المختار- كما يزعمون- ويعيشون منبوذين في العالم أجمع، فهم سلالة دونية اختارت حياة الجحور طوعاً لاكرهاً[٧].

وقد ساعدتهم الحياة داخل هذه الجيتوات في ممارسة شئونهم الدينية وشعائرهم الخاصة، وإقامة معابد داخل هذه الجيتوات حسب فرقهم الدينية وبعيداً عن عيون الأغيار بالإضافة إلى أن الحياة في الجيتو تحفظ الكيان اليهودي من الذوبان في الشعوب الأخرى.

ولم يستطع اليهود التكيف مع المجتمع الخارجي بأوضاعه المختلفة، وكان الحلم والملاذ هو «الجيتو» الذي يعيشون فيه، أما الحلم الكبير فهو جيتو كبير على أرض فلسطين.

---

(٤) المصدر السابق ص ٩٩.

(٥) الهسكلاة: أي «التنوير» أو «الاستنارة» وقد أطلقت هذه الكلمة على الحركة التي ظهرت بين يهود أوروبا في منتصف القرن الثامن عشر «حوالي ١٧٥٠ - ١٨٨٠» والتي كانت تنادي بأن على اليهود أن يحاولوا الحصول على حقوقهم المدنية الكاملة عن طريق الاندماج في المجتمعات التي يعيشون بين ظهرانيها».

(موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص٧٢).

(٦) إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل فتنة الأجيال، ١٩٧٠ ص ١٩.

(٧) إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل فتنة الأجيال، ١٩٧٠ ص ١٩.



والجيتو اليهودى من الداخل عبارة عن مجموعة من المنازل المتلاصقة والتى لا تفصلها إلا حارات متعرجة مظلمة رطبة لايزيد اتساعها على المتر والنصف، وأسفل هذه المنازل محلات صغيرة شبه مظلمة يزاولون فيها أعمالهم والتى كانت تحتاج إلى مساحة صغيرة كالصياغة وسك العملة، وإصلاح الساعات، ورفى الملابس وصناعة الأدوات المقدسة التى يستعملونها فى العبادة، مثل شال الصلاة وغيره.

وقد ترك الجيتو آثاره العميقة على عقلية المفكرين الصهاينة ونفسياتهم، ومعظمهم نشأ فى الجيتو وقد قال أحد المفكرين: «إن الدائرة اليهودية السحرية هي نتاج «الجيتو» ولايمكن الفكاك منها».

**والسؤال الذى يطرح نفسه:**

لماذا كرههم العالم أجمع وأجبرهم على العيش فى جيتوات لها باب واحد يغلق فى المساء وحرم عليهم الخروج يوم الأحد وفى الأعياد المسيحية فى الدول المسيحية.

**والإجابة:**

لأنهم يعيشون على الوقيعة بين «الأغيار» وبث الفتن وإشعالها وكم من المؤامرات تمت داخل هذه الجيتوات، وأحس الجميع بأنهم سبب البلاء لكل الشعوب التى تطوعت بإيوائهم.

وتتعمد المراجع العبرية أن تتغنى بالمذابح التى وقعت لليهود طوال تاريخهم وحتى العصور الحديثة دون ذكر سبب واحد لهذه المذابح كى لايدينون أنفسهم والهدف استدرار عطف العالم عليهم لما عانوه.

فنذكر أن الهجرة الأولى إلى فلسطين ١٨٨٢- ١٩٠٤ قد حدثت فى أعقاب المذابح التى نفذت ضد اليهود فى جنوب روسيا فى الثمانينات من القرن ١٩، وأن الهجرة الثانية: ١٩٠٤- ١٩١٤ حدثت بعد المذابح التى نفذت ضد اليهود فى كيشينوف عام ١٩٠٣ وفى هوميل ١٩٠٤ وأن الهجرة الثالثة ١٩١٩- ١٩٢٣ بسبب المذابح الجماعية، وخلال الحرب الأهلية وبعد وعد بلفور ١٩١٧[٨].

وكان كثير من الصهاينة يتصور أن سقوط الجيتو سيتسبب فى اختفاء اليهودية لأن اليهودية حسب رؤيتهم لايمكن أن تتعايش مع ظروف الانعتاق والاندماج وبالفعل واجهوا صعوبات عديدة فى التكيف مع الأوضاع الجديدة ولذا طالب الصهاينة بإنشاء دولة يمكن أن يمارس اليهود فيها مكائدهم بعيداً عن عيون الآخرين[٩].

أما الجيتو فى العالم العربى فكانوا أسعد حظاً به من العالم الغربى وقد اتخذ عدة أسماء.

---

(٨) الرايم ومناحم تسلمى ١٩٨٨ ص ٣٣٠- ٣٣١.

(٩) د. عبدالوهاب محمد المسيرى، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص١٥٦.



ففي دمشق كان الجيتو اليهودي يسمى ( حارة اليهود ) عاش فيه أغنياؤهم وفقراؤهم على حد السواء[١٠] ويعترفون بأنهم تعموا بالحياة داخله.

حيث يقول ( ديفيد سيطوف ) بأن جيتو دمشق الذى تبدو شوارعه مهمله، أقام أغنياء اليهود بداخله قصوراً متعددة الحجرات رصعت مبانيها بالمرمر وكانت مساحات القصور واسعة وعالية[١١].

وفي اليمن: كان يسمى « قاع اليهود » والحي محاط بسور، يدخلون ويخرجون من باب واحد، وكان يعيش فيه بصنعاء ستة آلاف يهودي[١٢].

وفي أيام السبت والأعياد يختفي اليهود من الشوارع العامة معتكفين في حيهم والمعابد داخل الحي، ويمارس اليهود عباداتهم الخاصة في حرية تامة ولم تكن هناك قيود على إقامة دور العبادة بالإضافة إلى غرفة « الحيدر » التي يتعلم فيها الأولاد القراءة والكتابة والتوراة، وهي مثل « الكُتاب » لدى المسلمين[١٣].

وفي المغرب: كان يسمى « الملاح » ويرجع إطلاق اسم الملاح على حي اليهود بالمغرب؛ لأنهم كانوا يشتغلون بتجارة الملح ودبغ الجلود.

وعلى وجه العموم فقد عاش اليهود في دول المغرب العربي في ظروف أفضل من أوربا. فقد اعترف بحقهم في الحكم الذاتي الداخلي في جميع الأدوار التي مرت على المنطقة بعد الفتح العربي[١٤].

أما في مصر: فكانوا يعيشون في « حارة اليهود » وقد نعم يهود مصر بما لم يحظ به يهود العالم أجمع مما شجع بعض يهود أوروبا للقدوم إليها والعيش فيها فقد عملوا كسائر الأقليات والجاليات الأجنبية في الحياة المالية والتجارية والمشاريع والمؤسسات العامة ووظائف الدولة.

وقد سعى يهود مصر شأنهم شأن يهود الدول العربية إلى الحصول على الجنسيات الأوروبية لفوائد نظام الامتيازات الذى لايؤمن فقط حماية القناصل الأجانب بل يعفيهم من الخضوع للمحاكم المصرية[١٥]. وهؤلاء قد جندهم المستعمر في خدمته كي يكونوا شبه جواسيس لتحقيق مآربه.

---

(١٠) ديفيد سيطون: فهلوت يهودى سفارد فهمزراح بعولام بيمينو (جماعات يهود سفارد الشرق في العالم في أيامنا) ص٤٦.

(١١) المصدر السابق: ص٤٩.

(١٢) هانز هولفرتيز: اليمن من الباب الخلفي ص١٨٩.

(١٣) على إبراهيم عبده، وخيرية قاسمية: يهود البلاد العربية ص١٤٩.

(١٤) د. على ابراهيم عبده وخيرية قاسمية: يهود البلاد العربية ص٢٢.

(١٥) المصدر السابق ص١٦٠ – ١٦٣.






وأود أن أشير هنا أنه في مجال الاستقلال الزراعي:

أنشأ اليهود عدداً من شركات الأراضي الزراعية في مصر التي تقوم بامتلاك الأراضي واستغلالها والمضاربة فيها منها شركة البحيرة المساهمة وشركة وادي كوم امبو وشركة أراضي الدلتا أسسها «موصيري» عام ١٩١٠[١٦].

**ويقول ديفيد سيطرف:**

إن أول «جيتو» يهودي كان في مصر، فبعد أن أجلي اليهود على يد نبوخذ نصر إلى بابل، فإن جزءاً من المنفيين قد خرج إلى مصر[١٧].

وكانت اليهودية داخل هذه الجيتوات لها صفة خاصة حيث كانت تحثهم على معاداة الأغيار والنيل منهم. فالوصايا العشر الموجودة في التوراه التي بين أيديهم: لاتقتل، لاتسرق، . . . إلخ.

يفسرونها. لاتقتل اليهودي ولاتسرق اليهودي ولاتتعامل بالربا مع يهودي. أما الأغيار فافعل بهم ماتشاء دون أن تعرض حياتك للخطر، وطعامك مقدس. وشرابك مقدس وتوراتك مقدسة والجيتو مقدس، وتعليم التوراه داخل الجيتو مقدس، وعلى كل يهودي أن يخصص ساعات معينة كل يوم لقراءة التوراه، ويسمونها بالعبرية «عيسق توراه»، أي «شُغْل التوراه» لأنهم يعتقدون أن الله سيحاسبهم على عدد الساعات التي كرسوها في قراءة التوراه، وليس على مافهموه منها والطعام الحلال أكله دينياً يسمى «كاشير» له صفات معينة وأدوات خاصة لا يمسها غير يهودي، وإن مسها يصبح «طاريف»، أي حرام أكله دينياً. وكل هذا لايتحقق إلا في الجيتو.

ويعلل العلماء ذلك، بأنهم فضلوا حياة الانطواء، لهم جيتو خاص بهم ومعابد خاصة بهم وأسواق خاصة بهم مما جعل أخلاقهم تتناسل وراثياً جيلا بعد جيل[١٨].

وكل هذا لايتحقق إلا داخل هذه الجحور التي لايرضون عنها بديلاً.

وإن حياتهم داخل هذه الجيتوات كانت بالنسبة لهم حياة تتناسب مع طبيعتهم تنمى وتضخم عنصر الإحساس بالتمايز والتعالي، وهم يسمون أنفسهم «شعب الله المختار» حيث يعتقدون أن هذا الاختيار هو برنامج إلهي، فبهم يعاقب الله الأمم الأخرى، وهم الذين يبقون وحدهم في آخر الزمان متسلطين على رقاب العالم. فهم الشعب المقدس والشعب الأبدي.

**والخلاصة**: إن الغزو الصهيوني يستمد الوحي والقوة الدافعة لتصرفاته، من أحلام وتطلعات تلك الأرواح التي تعرضت للتعذيب في الجيتوات الأوروبية مما أحدث شرخا عميقاً في البنية الروحية لليهود الأوروبيين الذين يقودون إسرائيل اليوم.

**(يتبع)**

---

(١٦) المصدر السابق ص١٦٦.

(١٧) ديفيد سيطرف: مصدر سابق ص٦٦.

(١٨) د. رشاد الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية ١٩٩١ ص٥٨.



# من صفحات الخير

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

**بحمد الله وفضله بدأت تنتشر فى السنوات الأخيرة ظاهرة حميدة يرى البعض فيها مظهرا من مظاهر الخير وسبيلا من سبل البر وثمرة طيبة للتعاون البناء، يفيء إلى وارف ظلالها كل من شاء الله له الامتحان والابتلاء، والظاهرة الخيرة التى أعنيها تتمثل فى إنشاء المكتبات الصوتية أو السمعية، سمها ما شئت، التى يستفيد منها إلى جانب المكفوفين كل من أصبح على مر الأيام كليل البصر عن أن يواصل القراءة ساعات طوال وكل من قصرت إمكاناته عن اقتناء النفيس من الكتب والنادر من المراجع، بيد أن المشكلة التى تواجه ذلك العمل الجليل هى المشكلة القديمة الجديدة التى تواجه كل المحبين للخير، الراغبين فى أن تتوج السعادة كل المحيطين بهم.**

إنها المعضلة المتمثلة فى فقدان العمل بروح الفريق والتنسيق بين كل من يهمهم الأمر فإلى جانب العفوية والتلقائية نرى أن ذلك الأمر لا يخرج عن كونه مجرد مبادرات فردية تفتقد إلى روح الجماعة والعمل المنظم القائم على أسس سليمة تضمن له الاستمرار والدوام وتمده بروافد القوة التى تحميه من عبث العابثين وتقيه جدال المجادلين وتشكيك المشككين الذين لا هم لهم ولا غرض إلا أن يكون لكل شىء ربح مادى سريع، ولو أنهم صدقوا مع أنفسهم لأدركوا أن لتلك المكتبات مردودا ماديا واجتماعيا، وأنها نوع من التكافل الاجتماعى الذى لا يقل بحال عن توفير الغذاء والكساء والمسكن وغيرها من وسائل الراحة التى لا غنى للإنسان عنها.

وحتى لا يحس القارىء العزيز أننا ندور فى حلقة مفرغة نضع بين يديه مثلا يحتذى فى مجال العمل الاجتماعى، يرى فيه البعد الشديد عن مجرد المبادرات الفردية وأنه ما ضاع حق وراءه مطالب يلح فى طلبه شرعا وقانونا واستثمارا لأجمل ما فى الإنسان من سجايا البر وخصال الخير لينشأ فى النهاية مجتمع متوازن نفسيا، متكافل متعاضد، والمثال المقصود هو قصة الكتاب الناطق فى أمريكا التى حظى أولو الضرر فيها بدرجات من الرعاية أولى بها نحن

المسلمين أصحاب الحضارة التي أرساها سيدنا محمد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين ﷺ .

والقصة التي نريد التركيز عليها هنا تبدأ حينما نطرح سؤالاً يقول: هل هناك تطور حدث في عالمنا كان عميقا الأثر بعيد المدى بالغ المغزى في حياة عدد كبير من ذوى البصيرة من ذلك الأثر الذي أحدثه مشروع الكتاب الناطق؟ وربما سارع البعض إلى القول إن ابتكار الخط النقطي البارز هو الذي فتح أبواب العلم والمعرفة والفكر والأدب والتقنية وكل ما ينهض بالحياة ويفتح أبوابها واسعة على مصاريعها للمكفوفين ومكن كل من يستطيع القراءة بتلك الأنامل الذهبية من ولوج دنيا التعلم والثقافة. لكن أصحاب هذا الرأى - على وجاهته - سرعان ما يقل حماسهم له حين تصدمهم حقيقية تقول: «إن المستخدمين للخط النقطي البارز لا تتجاوز نسبتهم ١٠٪ من المكفوفين الأمر الذي يعني أن الكتاب الناطق كان بحق فاتحة الخير التي فتحت للجميع نوافذ الأطلاع على الكتب والمجلات والمراجع والدوريات.

لكن خدمة الكتاب الناطق المسجل على شريط شابتها - كما أسلفنا - كثير من العقبات الناجمة عن اختلاف المقاصد وتعدد وجهات النظر التي أدت إلى ضروب من الصراعات وأنواع من المعاناة وصنوف من العراقيل.

ففي أوائل سنة ١٩٢٧ قام مدير المؤسسة الأمريكية للمكفوفين - وكان كفيفا - بخطوة جريئة حين فكر أن يقترب عن كثب من معامل التسجيل وكان هدفه طبعا لفت انتباه أصحاب تلك المعامل لتلك الفئة وجعلهم يهتمون بإنتاج وإخراج كتب ناطقة مسجلة على شرائط للمكفوفين ولكل من يحتاج إليها لكنهم لم يعيروا كلامه أدنى اهتمام، والسبب أن اقتراحاته لن تحقق لهم الأرباح التجارية والمكاسب المالية الطائلة التي يصبون إليها ومن ثم اعتبروها مغامرة غير محسوبة ولا مأمونة العواقب لكن ذلك الرجل كان ذا معنويات عالية فلم يفت في عضده ذلك الاستقبال غير الكريم لمبادرته الطيبة بل زاده تصميما على مواصلة الكفاح وانتهاج شتى السبل الكفيلة بتحقيق بغيته والوصول به إلى هدفه المنشود فلما أصبح واضحاً له وضوح الشمس تقاعس أصحاب معامل التسجيل عن تلبية مطلبه اتخذ قراراً لا يقل جرأة وعبقرية عن سابقه، إذ قرر أن تقوم المؤسسة الأمريكية للمكفوفين بأخذ الأمر على عاتقها بمعنى أن تتولى الهيئة بنفسها مهمة التسجيل للمكفوفين ليرى مشروع الكتاب الناطق النور ويخرج إلى حيز الوجود.

وبعد كفاح مرير دام ست سنوات أوصلتنا إلى سنة ١٩٣٢ وهي السنة التي عم فيها الكساد كل أنحاء العالم، الأمر الذي كان من الممكن أن يحتج به البعض في عدم أهمية مثل ذلك المشروع واعتباره من الكماليات وصل ذلك الرجل إلى قناعة مؤداها أن مكتبات المستقبل للمكفوفين سوف تضم في محتوياتها كتبا ناطقة أكثر مما تحوى من كتب بطريقة «بريل» ولأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه فقد التقطت المؤسسة الأمريكية للمكفوفين مهندسا شابا لامعا ذا خبرة عالية في مجال التسجيلات ثم قامت مؤسسات أخرى

ومشرعون من أهل الخير بدفع الأموال اللازمة للإنفاق على المشروع المزمع حيث تم تزويد المؤسسة بالأموال المطلوبة لشراء الأجهزة والمعدات اللازمة لتشغيل غرف التسجيل الخاصة بالكتاب الناطق وبنهاية سنة ١٩٣٣ تمكنت المؤسسة من إتمام تلك المهمة تقريبا وإكمال الترتيبات الكفيلة بأن تخطو تلك القضية الحيوية خطوات أوسع وذلك بعد أن أكمل المهندس المذكور مشكورا التصميمات الهندسية لآلة التسجيل التى تيسر لمستخدميها استعمالها فى غير عنت ولا مشقة. ثم كانت الخطوة المقدامة التالية حينما قام رئيس المؤسسة بالاتصال بمكتبة الكونجرس لتتحمل الدولة نصيبها فى الإنفاق على مشروع الكتاب الناطق وقد استند فى خطوته تلك إلى أن الدولة كانت قد شرعت من قبل فى تحمل الأعباء المالية لطباعة الكتب البارزة ومن ثم فما على المسئولين إلا أن يطبقوا على الكتاب الناطق نفس الأسس والمعايير التى طبقت على الكتب البارزة فكلا الوسيلتين تصبان فى مصب واحد هو الصالح العام والحق المكفول لكل من يعيش فى تلك البلاد - وكما ترى - عزيزى القارىء - كيف أن الحب للعمل العام والرفاه الاجتماعى لابد له أن يعمل فى النور ولا ينبعث عمله من فراغ أو يخبط خبط عشواء، كما أن عليه أن يدرك أنه كلما انتهى من معركة دخل موقعة جديدة تستدعى سلاحا جديدا وفكرا خلاقا مبدعا يجعل الحياة أكثر رونقا وأبهى رواءا.

فقد فوجىء الجميع بطلب من أحد أعضاء مجلس النواب وآخر من مجلس الشيوخ يريدان به تعديل القانون الصادر سنة ١٩٣١ والمعروف باسميهما والمشهور أيضا بقانون كتب المكفوفين وذلك استجابة لطلب رئيس المؤسسة الأمريكية للمكفوفين بمعاملة الكتاب الناطق بنفس الطريقة التى تعامل بها الكتب المطبوعة بالخط النقطى إنها الفلسفة الإسلامية التى لخصها حديث: «ابغونى فى الضعفاء فهل تنصرون وترزقون وتجبرون إلا بضعفائكم»[1] لكن المعركة بين الخير والشر لن تنتهى إلا بقيام الساعة والمثل يقول: مصائب قوم عند قوم فوائد فقد ثارت اعتراضات قوية على ذلك التعديل من دور النشر بطريقة بريل التى علت أصوات ملاكها بالاحتجاج والسبب طبعا أن أصحاب مشروع الكتاب الناطق سيشاركونهم الأرباح التى يحصلون عليها من الدولة كما انضم إليهم أصحاب مدارس المكفوفين والمشرفون عليها وقاموا بإرسال سيل هادر من البرقيات إلى لجنة العمل والتعليم وكلهم يعارضون للأسف توسيع دائرة الفائدة ويريدون الاستئثار وحدهم بالأموال التى يستنزفون فيها موارد الأمة.

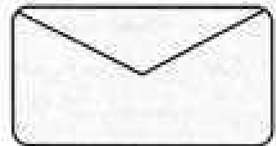
ومرة أخرى علا صوت رئيس المؤسسة الأمريكية للمكفوفين وارتفع موضحا للجنة النيابية ومبينا لها أمورا غابت عنها فقال: إن من يعارض مشروع الكتاب الناطق هو واحد من اثنين أما مالك لأحد بيوت الطباعة للمكفوفين أو عضو مجلس إدارة فى أحد دور النشر وهم

(١) رواه أبو داود برقم ٢٥٩٤.

لأنهم لا يريدون أن يشاركهم أحد فيما يحصلون عليه من أموال يتحملها دافعو الضرائب كما ينبغي التنبيه هنا إلى أن المشرفين على مدارس المكفوفين كانوا من أوائل الذين أخروا ظهور الكتاب الناطق لسنين عديدة والسبب أنه مجتمع رأسمالي يهمه بالدرجة الأولى حساب الربح والخسارة وفي ٣/٣/١٩٣٣ وهو آخر أيام العام ٧٢ من عمر الكونجرس قام أحد أعضاء مجلس الشيوخ بمعارضة التعديل القاضي بضم مشروع الكتاب الناطق إلى قانون كتب المكفوفين وحجته في الأعتراض ما استمع إليه من المشرفين على مدارس المكفوفين في ولايته ولكن سرعان ما تبين أن ذلك المشرف المذكور لم يكن إلا أحد أعضاء مجالس إدارة لأحد بيوت الطباعة للمكفوفين إضافة إلى أنه هو وابنته من المنتفعين من الطباعة للمكفوفين ومن ثم فإن رفض التعديل يستند إلى رغبتهم الجامحة في الأستئثار بالأموال وحدهم مما حدا بالكونجرس إلى رفض الأقتراح وإقرار التعديل المقترح في اليوم التالي في جلسة استثنائية لكن المعركة ازدادت ضراوة حيث انتقل الصراع إلى مجال جديد شمل الآت التسجيل المستخدمة في إنتاج الكتاب الناطق.

فقد بدأت المؤسسة للتو في تصنيع تلك الآلات والأجهزة ودخل المعركة طرف آخر هو مؤسس معهد «بري» بأمريكا الذي كان يحوز أحد بيوت الطباعة والنشر بالخط النقطي وطالما حاول إيقاف وعرقلة قانون ضم مشروع الكتاب الناطق فلما فشلت محاولاته، رأى أن من الأجدى له أن يلعب اللعبة بطريقة مختلفة فقد أعلن أنه اخترع آلة أفضل من تلك التي أبدعها المهندس التابع للمؤسسة الأمريكية للمكفوفين وسماها القراءة عن طريق الهاتف فلما طلب إليه إرسال اختراعه للتقييم رفض ذلك الأقتراح كما رفض اقتراحا آخر بأن ترسل المؤسسة إليه مهندسا يقيم اختراعه وزعم أنه يخشى سرقة اختراعه وأخيرا لم تجد المؤسسة بداً من دفع نفقات سفر كل من مخترع جهاز القراءة عن طريق الهاتف وزوجته وأحد المهندسين ليأتوا إلى المؤسسة لترى جدوى ذلك الأختراع على الرغم من الثمن المكلف لتلك الرحلة وبعد كل ذلك المعاناة والمكابدة قررت اللجنة المختصة بذلك الأمر أن ذلك الأختراع غير عملي على الإطلاق كما أكدت أنه باهظ التكاليف وحاول صاحب الأختراع بإستمالة الأتصال برئيس مكتبة الكونجرس كما حاول جاهدا تحريض المكفوفين على تزكية ابتكاره لكنه فشل في كل محاولاته فشلا ذريعا إذ قررت مكتبة الكونجرس إنهاء ذلك الصراع المرير حين قررت نهائيا أنها لن تشتري الكتب المسجلة لمشروع الكتاب الناطق إلا من المؤسسة الأمريكية للمكفوفين فاسقط من أيدي كل المنتفعين والمتاجرين بمتاعب المُتْعَبين، وكان ذلك القرار الشجاع هو خاتمة المطاف لنضال طويل قاده رجل ذو همة عالية وعزيمة صادقة لا يمل ولا يكل ويتخذ المناسب والملائم من الإجراءات التي أدت في النهاية إلى ميلاد الخدمة المعروفة بخدمة الكتاب الناطق بمكتبة الكونجرس.

إنها صفحة من الجهاد ليتها تحتذى بعد أن أميط عنها اللثام لتكون نموذجا للعمل الصالح النافع البناء.



# رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبدالفتاح جمعان

**وردت إلى المجلة رسالة من الأستاذ / بهاء علوان من المنصورة - ١١٢ شارع السكة القديمة - يقول فيها: الأمل في الإفادة برأى الدين في قول إمام مسجد حكومى عبر الميكرفون، إن المسلم الذى لا يعرف للمسجد طريقاً هو من المشركين ومن لم يعرف للجامع طريقاً فهو مشرك، وأكد سيادته كلامه هذا بأن أرسل مع رسالته شريطاً مسجلاً به كلام الإمام المذكور.**

●● وللإجابة على هذه الرسالة المهذبة أقول بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله: شكر الله لك ثقتك في المجلة والقائمين عليها وشكراً على مؤلفك «عبدالعزيز الشاوى مؤرخاً».. وبعد.. فإن المساجد بيوت الله، وعمارها الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

وعلى الرغم من أنه من خصائص أمة الإسلام أن الله - تعالى - جعل لها الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من المسلمين أدركته الصلاة، فليصل حيث أدركته، ومع ذلك فإن للمساجد في الإسلام منزلة كبيرة وفضلاً عظيماً، وكان أول شيء فعله الرسول ﷺ بالمدينة بعد الهجرة أن بنى مسجده الشريف وعمل في بنائه مع الأصحاب الكرام، وقال صلوات الله عليه: «من بنى لله مسجداً يبتغى به وجه الله، بنى الله له بيتاً في الجنة»(١) وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط»(٢).

وقد أراد بنو سلمة أن يبيعوا بيوتهم البعيدة عن المسجد ويشتروا بيوتا قريبة منه، فنهاهم الرسول ﷺ عن ذلك وقال لهم: «بنى سلمة دياركم تكتب آثاركم»(٣) - أى الزموا دياركم

(١) رواه البخارى ومسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.

ولا تنقلوا منها تكن خطواتكم إلى المسجد حسنات فى صحائف أعمالكم.

وعن أبى المنذر أبى بن كعب ـ رضى الله عنه ـ قال: كان رجل ـ لا أعلم رجلاً أبعد من المسجد منه ـ وكان لا تخطئه صلاة ـ أى فى المسجد برغم بُعد بيته عنه ـ فقيل له أو فقلت له: لو اشتريت حماراً تركبه فى الظلماء والرمضاء، فقال: ما يسرنى أن منزلى إلى جنب المسجد إنى أريد أن يكتب لى ممشاى إلى المسجد ورجوعى إذا رجعت إلى أهلى. فقال رسول الله ﷺ: «قد جمع الله لك ذلك كله»[1] وفى رواية «إن لك ما احتسبت». وقد ذكر الرسول ﷺ كما جاء فى البخارى أن من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله رجلاً قلبه معلق بالمساجد.

لكن هذا كله مع أهميته لا يعنى أن صلاة المسلم فى بيته ولو من غير عذر، باطلة، وحديث «لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد» أوله العلماء على أنه لا صلاة كاملة الثواب والأجر، كما لا يعنى على الإطلاق أن من لم يعرف للمسجد طريقاً فهو مُشرك أو كافر، فلم يقل بذلك أحد من السلف ولا من الخلف إذ الحكم على المسلم بالكفر أمر فظيع منكر، نهى عنه الرسول ﷺ وأخبر أن من رمى أخاه بالكفر باء أحدهما بهذا الوصف. ولم يكفر جمهور العلماء تارك الصلاة كسلاً وتهاونا مع اعتقاده فرضيتها ولم يقل بكفر تارك الصلاة إلا الإمام أحمد ـ رضى الله عنه ـ ومن الطريف فى ذلك أن الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ حاجّ الإمام أحمد ـ رضى الله عنه ـ فى هذه المسألة وقال له: يا أحمد إذا أراد تارك الصلاة أن يعود إلى الإسلام مرة أخرى ويصلى فماذا يفعل، فقال له: يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقال له الشافعى ـ رضى الله عنه ـ: إن الرجل يقولها باستمرار وما تركها لحظة. فسكت الإمام أحمد ولم يَرُدَّ.

هذا هو الفقه الحقيقى وهذا هو فهم الأئمة الكبار للدين وإنى أنصح الأخ الإمام الذى نُسب إليه هذا القول أن يتمهل ويتريث فى إصدار الأحكام، خاصة ما يتعلق بتكفير الناس أو تفسيقهم وإن كان يغلب على ظنى أن ما دفعه إلى ذلك الحرص على ترغيب المسلمين فى المساجد لينالوا الأجر الكبير والشرف الرفيع، وقد كان فى الأحاديث الكثيرة الواردة فى فضل المساجد وثواب ارتيادها وعمارتها غنية عما لجأ إليه من تكفير المسلمين والله الموفق الهادى إلى سواء السبيل.

## كلمة حق أم كلمة باطل

● وهذه رسالة طويلة من الأخ القارئ «سيد محمد نصر إبراهيم من الجزيرة دقهلية يذكر فيها أنه استمع إلى حلقة من برنامج تليفزيونى اسمه (كلمة حق) وكان موضوع الحلقة «ختان الإناث» كان ضيوفها من رجال الدين: والطب والصحافة، فقال رجل الطب: إن ختان الإناث ليس من السنة، فسأله رجل الدين وما هى السنة، فلم يجب. وقال الصحفى أنه يجب أن يُجرَّم من يشترك فى هذا الفعل وأن يعاقب بالسجن (الطبيب والأب والأم).

---

(1) رواه مسلم

والأخ القارىء الذى يذكر فى رسالته أنه أزهرى وقارىء قديم لمجلة الأزهر منذ كان طالباً، يعترض لأن هذا الموضوع ما كان ينبغى أن يشغل الناس بهذه الطريقة ويقرر أن ختان الإناث مكرمة للأنثى وهذا أمر قد فُرغ منه ويطلب رأى المجلة فى ذلك كله.

●● **أولاً**: ينبغى أن لا يتحدث فى الدين عموماً إلا رجاله، ولهذا جعل البرنامج من المتحدثين أحد رجال الدين ليتكلم باسم الدين، فما كان ينبغى أن يتكلم الطبيب باسم الدين، وكان الواجب عليه أن يجعل كلامه فى إطار الطب، فيبين هل خفاض الأنثى ضار بها أم لا، فإذا ثبت ذلك عن يقين انتقل الموضوع إلى دائرة التحريم.. والقانون هو الذى يحدد ذلك، لا الصحفى ولا الاجتماعى ولا الطبيب، وبهذه المناسبة يسرنى أن أنقل رأى الأستاذ الدكتور أحمد شوقى إبراهيم رئيس لجنة إعجاز القرآن الكريم بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية المنشور فى جريدة (عقيدتى) عدد ١٣ من شهر ربيع الأول - ٥ / ٦ / ٢٠٠١م وهو طبيب متخصص باحث فى الدين أيضاً يقول سيادته وهو يشير إلى هذا البرنامج الذى تحوّل فى رأيه إلى (كلمة باطل) لأن أحد المشاركين فيه قال: إن الرسول خالف قوله فعله عندما قال لأم عطية «اخفضى ولا تنهكى» وهو فى الوقت نفسه لم يختن بناته.

وحاشا لرسول الله أن يخالف قوله فعله وهو المبلغ عن ربه الذى لا ينطق عن الهوى

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾(*).

يقول الدكتور أحمد -بارك الله فيه- بعد أن بيّن أن الحديث وحى من الله - تعالى - ومن أصول التشريع وأنه واجب التطبيق فى كل زمان ومكان إلى يوم القيامة وأن كلمات القرآن والأحاديث كالجواهر لها أكثر من وجه يقول بعد كل ذلك: «ولكن كيف تسأل أم عطية الرسول الكريم عن صنعتها وهى تعلم أن الرسول ﷺ لم يختن بناته».. إنها سألته لتعلم هل فيما تفعله حُرمة أم لا، فأجابها الرسول ﷺ «اخفضى ولا تنهكى» والذى يجب أن نفهمه من ذلك أنه إذا كان لا بُد من الخفض لأسباب طبية فلا بد أن يكون خفضاً يسيراً جداً يزيل ما زاد عن الحجم الطبيعى ولا أكثر بحيث لا يُزيل سبب المتعة للمرأة واستمتاع زوجها بها والخفض كما نفهمه من حديث رسول الله لأم عطية فى مختلف رواياته يعنى أن يكون الخفض إذا كان لا بد منه أن يكون فى أيسر اليسير أو لأقل القليل من العضو المراد خفضه وحديث رسول الله ﷺ واجب الحكم والتشريع.. لقد سن رسول الله السنة الواجبة وهى عدم الخفض إلا أنه أعطى الرخصة لأم عطية لتخفض البنات إذا كان ذلك ضروريا وبشروط ذكرها الحديث الشريف وذكر لها ضماناً هو أن خفض البنات إذا كان لضرورة لا حُرمة فيه فقد أعطى صلوات الله عليه الرخصة لأم عطية فى فعله ثم يقول وحديث رسول الله ﷺ ليس لأم عطية وحدها بل للأمة الإسلامية جميعاً فى كل عصر وزمان ومكان أو يشرّع لها فى هذا الموضوع

---

(*) الكهف (٥).

الذي يهم كل امرأة ويخاطب الأطباء في عصرنا هذا ولولا أن الرسول ﷺ أعطى الرخصة فيه عند الضرورة وبشروط محددة لكان الخفض محرماً مهما كانت الأسباب والأحوال من كل ما سبق.

والكلام مازال للدكتور أحمد شوقي: ينبغي أن يدرك الناس أن الرسول ﷺ لم يخالف أمره فعله ولم يتعارض ثم يقول والرأي السائد بين الأطباء في العصر الحالي أن خفض البنات لا يكون إلا في حالات نادرة عندما يكون مكان الخفض متضخماً يحول دون متعة المرأة ودون استمتاع زوجها بها وحديث سيدنا رسول الله هو ما يتبعه الأطباء اليوم في البلاد الإسلامية بل وفي العالم بأسره وهو ﷺ لم يخفض بناته». ثم يستنكر الدكتور أحمد شوقي بشدة التجرؤ على السنة النبوية المطهرة بغير علم ولا هدى ولا بصيرة لأن كثيراً من المسلمين أصبحوا أعداء للدين الإسلامي من خلال الإساءة للسنة النبوية المشرفة. ا. هـ.

واعتقد أن هذا الكلام الطيب هو الكلام الفصل في هذا الموضوع الذي ثار حوله لغط شديد لا مبرر له وهو كلام لا يحتاج إلى مزيد من التوضيح وإذا جاز لي أن أعلق بكلمة موجزة عليه فلتكن كلمة قصيرة متضمنة عدة أمور:

١- إننا في عصر التخصص الدقيق فلكل علم رجاله بل لكل فرع من فروع العلم رجاله المتخصصون فيه، فللطب رجاله وللقانون رجاله وللسياسة رجالها وللصحافة رجالها وللدين رجاله.. فكما لا يجوز أن يتكلم في الطب إلا الطبيب وفي الفلك إلا الفلكي يجب ألا يتكلم في الدين إلا عالم الدين وليس هذا كهنوتا وليس في الإسلام رجال دين ورجال دنيا، فالمسلمون جميعاً رجال الدين بمعنى التمسك به والدفاع عنه ولكن في الإسلام علماء دين لا يجوز أن يتكلم سواهم في علوم الدين ويبدو أن الدين هو الكلأ المباح الآن يرتع فيه كل إنسان بلا فقه ولا علم ولا دليل.

٢- إن خفض البنات ليس واجبا ولعل عدم اشتهاره عن النبي -ﷺ- أن بنات النبي -ﷺ- ولدن جميعاً قبل بعثته -ﷺ- فلم يكن هناك تشريع يُروى أو يُعرف. علاوة على أن ختان الأولاد غالبا ما يصاحبه احتفال بعكس خفاض البنات فإنه عادة ما يتم في هدوء بلا احتفال كما هو معروف في معظم قرى مصرنا الغالية. ولذلك لم يخفض الرسول الكريم ﷺ بناته وليس سنة مؤكدة بل أمر رخص فيه صلوات الله وسلامه عليه يُعمل بها عند وجود مقتضاها، كالفطر في السفر وقصر الصلاة فيه، إذن هو مُباح لا واجب ولا مُحرم فمن شاء فعله عند وجود دواعيه ومن شاء لم يفعله ولهذا سماه العلماء مكرمة. كما ذكر الأخ الشيخ سيد بحق.

٣- إن العضو الذي يخفض من الأنثى إذا تضخم أو طال كان سبباً في إثارة المرأة لأدنى سبب حتى من ملامسة ثيابها، وهذا من شأنه أن يشيع الفاحشة وأحياناً يطول هذا العضو حتى يعوق ممارسة الرجل للعملية الجنسية، وهو ما أشار إليه الدكتور أحمد بقوله «يحول دون استمتاع الزوج بزوجته».

٤- في حياتنا المعاصرة وواقعنا الأليم أمور ملحة عاجلة وساخنة تستدعي أن يُقال فيها كلمة الحق، فلماذا لا يقتحمها هؤلاء الغاوير إن كانوا فعلاً ممن يدافعون عن الحق ويقولون كلمته؟

وفقنا الله جميعاً لقول الحق والعمل به وعلمنا الأدب مع الله ورسوله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

# استفتاءات القراء

## تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ/ عبدالفتاح الزيات

● **سؤال من محمد البشير عبدالعظيم - الطوابق متفرع من شارع فيصل الجيزة.**

ما حكم الشرع في الصلاة في مسجد مكون من طابقين يؤم الإمام فيه المصلين بالطابق العلوى ويصلى باقى المصلين بالطابق السفلى معتمدين فيه على السماع من مكبر الصوت؟ فهل صلاة من فى الطابق السفلى صحيحة في هذه الحالة وهل وجود الإمام فى هذه الحالة؟ يعتبر من باب ارتفاع الإمام عن المأمومين؟ أفيدونا ولكم من الله حسن الجزاء.

●● **الجواب:**

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه نفيد بأن الصحيح من مذهب الحنفية أنه يصح اقتداء المأموم وبينه وبين الإمام حائط كبير لا يمكن الوصول منه إليه متى كان المأموم على علم بانتقالات الإمام بسماع أو رؤية لما روى أن النبى ﷺ كان يصلى فى حجرة عائشة - رضى الله عنها - والناس فى المسجد يصلون بصلاته - وعلى ذلك صح الاقتداء فى المساكن المتصلة بالمسجد الحرام وأبوابها من خارجه إذا لم يشتبه حال الإمام عليهم لسماع أو رؤية، وفى هذا رخصة عظيمة وتيسير على الناس وذهب المالكية إلى جواز الجمعة فى الطريق المتصلة بالمسجد من غير فصل بنحو بيوت. أو حوانيت بدون كراهة عند ضيق المسجد واتصال الصفوف، فإذا اتصل أحد الصفوف بالصف خارجه صحت صلاتهم وصلاة من يقف وراءهم خارج المسجد مع وجود حائط المسجد، وذهب

الشافعية إلى جواز الاقتداء، إذا كان بين الإمام والمأموم جدار المسجد والباب النافذ بينهما مفتوحاً ووقف المأموم في قبالته.

وذهب الحنابلة إلى أنه لو كان بين الإمام والمأموم حائل يمنع من رؤية الإمام أو من يقف وراءه فلهم رأيان الأول أنه يصح الاقتداء والثاني لا يصح.

وعلى ذلك وبناء على ما سبق من أدلة وما عليه الفتوى فإن صلاة المأموم الذي في الطابق السفلي مقتديا بالإمام الذي في الطابق العلوي صحيحة متى كان المأموم يعلم بانتقالات الإمام إما بالرؤية أو بالسماع بواسطة مكبر الصوت.

وحبذا لو استبدلنا مكبر الصوت داخل المسجد بسماعة تؤدي الغرض المطلوب من غير ضجيج أو إزعاج حيث إن من شروط الأدب في الصلاة والخشوع وعدم انشغال القلب والفكر عن كل ما ينقص من هذا الخشوع، ومكبر الصوت من دواعي الانشغال خصوصاً إذا كان عالي الصوت وما قد يسببه أحياناً من صفير وطنين.

أما ارتفاع الإمام عن المأموم فقد قال المالكية: تبطل صلاته إن كان وحده يصلي في مكان مرتفع عن المأمومين أما إن كان معه مأمومون فلا تبطل صلاته.

والله أعلم

## أفضل الطرق لتكوين أسرة صالحة

● **سؤال من جاد السيد علي جاد «أجا - دقهلية»:**

أصبحت هناك ظاهرة متفشية في هذه الأيام وهي أن الخاطب بمجرد أن يتفق على الخطبة فإنه يستبيح لنفسه أن يجلس أو يخرج مع مخطوبته ويظن أن هذا أصبح حقاً مكتسبا له، فهل يجوز له ذلك حقاً؟ وهل له أن يختلط بمخطوبته وقد يقبلها أو يعانقها بحجة أن هذا يزيد من المودة والتآلف بينهما؟

●● **الجواب:**

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه نفيد بأن ما يسأل عنه السائل أصبح من الظواهر المتفشية في هذه الأيام بحجة التقدم والمدنية وتطور العصر والاختلاط الذي أصبح ظاهرة طبيعية في المجتمع وهذا بلاشك له آثار سلبية في المستقبل قد لا ينفع معها الندم أو يفيد ما لم نتبع تعاليم الإسلام ونسير على هديه قرآنا وسنة قولاً وعملاً.

نعم قد أباح الفقهاء للخاطب أن يرى مخطوبته وأن تراه بحضور أحد محارمها كأبيها أو أخيها أو عمها أو خالها، وله أن يكرر الرؤية إذا لم تكف المرة الواحدة بالشروط المذكورة والدليل على ذلك ما ثبت عن النبي - ﷺ - عن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - أنه خطب امرأة فقال له النبي - ﷺ -: «انظر إليها فإن أحرى أن يؤدم بينكما»[1] وعن جابر قال: سمعت النبي - ﷺ - يقول: «إذا خطب أحدكم المرأة فقدر أن يرى منها بعض ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل»[2] وهناك أحاديث كثيرة في هذا الباب فيها دليل على أنه لا بأس أن ينظر الرجل إلى المرأة التي يريد أن يتزوج بها.

ولكن ما هي المواضع التي يجوز للخاطب أن

---

(١) رواه الخمسة.

(٢) رواه أحمد وأبوداود.

ينظر إليها في مخطوبته؟ ذهب الأكثر إلى أنه يجوز النظر إلى الوجه والكفين فقط، وقال داود: يجوز النظر إلى جميع البدن، وهناك أقوال كثيرة في المواضع التي يجوز النظر إليها من المرأة التي يريد الزواج منها ولكن الغالب فيها أن ينظر إلى الوجه والكفين فقط لأنهما ليسا بعورة ولأنه يستدل بالوجه على الجمال أو ضده وعلى الكفين ما يدل على الخصوبة أو ضدها.

هذه هي الضوابط التي وضعها الإسلام للرجل إذا أراد أن يخطب امرأة، لا يباح الخروج عليها لأي سبب أو بأية حجة فإن الإسلام يرسم لأبنائه أفضل الطرق لتكوين أسرة صالحة وعلى الذين يبالغون في مفهوم الخطبة وأنها تبيح لهم ما يظنون أنه أصبح حقا لهم أن يتقوا الله ويتأكدوا من أن هذه المرأة مازالت أجنبية عنهم تتمتع بكافة الحقوق التي منحها لها الإسلام صيانة لها ولعفتها وشرفها وكرامتها، وأنه لا يجوز للخاطب بأي حال من الأحوال أن يتخطى هذه الحدود، وليعلم هذا الخاطب أن التقدم أو المدنية الزائفة التي وردت إلينا من خارج الحدود لها هدف محدد وهو ضرب الإسلام بأيدي أبنائه فعلينا أن نحارب هذا بتمسكنا بتعاليم ديننا قولاً وعملاً، هذا إذا كان الحال كما ورد في السؤال والله أعلم.

## حكم الصلاة في مسجد أرضه مغتصبة

أرسل فاعل خير يقول: في بلدتنا رجل اغتصب أرض أخوته الأيتام وبنى فوقها منزلاً، وبنى فوق جزء آخر مسجداً فما حكم الصلاة في هذا المسجد؟

**●● الجواب:**

إن الغصب محرم بالقرآن والسنة وبإجماع المسلمين يقول تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٣).

وما رواه سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: من أخذ شبراً من الأرض ظلما طوقه الله من سبع أرضين وقد أجمع المسلمون على تحريم الغصب في الجملة.

ولهذا، اتفق الفقهاء على أن من غصب شيئاً عقاراً أو منقولاً أو أرضاً لزمه رده لقول النبي ﷺ: وعلى اليد ما أخذت حتى تؤديه ولأن حق المغصوب معلق ما بين ماله وماليته ولا يتحقق إلا برده والمالك من حقه أخذ العين المغصوبة وما نقص منها بسبب الاستعمال أو التعدي أو الإهمال، ولو وهب الغاصب هذه الأرض إلى أي جهة تقع الهبة باطلة لأنه غير مالك لما وهب.

ولو اتخذها مسجداً حرمت الصلاة فيه باتفاق الفقهاء وإن اختلفوا في سقوط الفرض ولا أجر له، ومنهم من قال: لا يسقط الفرض ويظل معلقاً في ذمة المصلي كأنه لم يؤده أي أن الصلاة في الأرض المغصوبة باطلة، والله – سبحانه وتعالى – أعلى وأعلم.

---

(٣) البقرة (١٨٨)

# خطبة الجمعة :

# من ملامح الشخصية المسلمة

## لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

**هذه الخطبة ننقلها من الموسوعة الشرباصية لفضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ أحمد الشرباصي. لعل الإخوة أئمة المساجد يجدون فيها موضوعاً مناسبا لخطبة الجمعة وقد ألقيت يوم الجمعة ١٦ من رجب سنة ١٣٨٤هـ الموافق ٢٠ من نوفمبر سنة ١٩٦٤م.**

**الحمد لله، عز وجل، خلق الإنسان فى أحسن تقويم، وكرمه بفضله أعظم تكريم:**

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(١).

**أشهد أن لا إله إلا الله، أنعم على الإنسان بما أنعم، فجعله خليفة فى أرضه، والمقدم بين خلقه، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، مزكى الإنسانية ومطهر البشرية، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وذريته، وأنصاره وصحابته، ومن استقام على طريقته:**

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢).

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام:

شخصية الإنسان مجموعة من الصفات تميزه عن غيره، وتحدد ملامح ذاته، وتعطيه الطابع الخاص به؛ وللمسلم شخصية مثالية يمكن أن تجتلى مكوناتها فى هدى القرآن الكريم، وأدب السنة المطهرة، وعمل الصالحين من سلف المؤمنين، ومن هذه المكونات ما يتصل بالبدن ومنها ما يتصل بالعقل، ومنها ما يتصل بالروح. فالمسلم الحق رجل صحيح البدن قوى

(١) الإسراء (٧٠).

(٢) آل عمران (١٠١).

العضل، صالح بقوته وفتوته للعمل والنضال، والاحتمال وهدوء البال، لأن الجسم الضعيف أو العليل قد ينال تفكير صاحبه بالخلل، وقد يدخل على نفسه بالسأم والملل، وجسم الإنسان بناية ربه الذى خلقه فسواه فعدله، فى أى صورة ما شاء ركبه، وبناية الرحمن يجب أن تحفظ وتصان، والمسلم الصادق رجل معرفة وفقه، يطلب العلم من المهد إلى اللحد، وكلما نال مزيداً من العلم أقنعه ذلك المزيد بأنه ما زال بحاجة إلى ازدياد، لأن العلم لا نهاية له، والقرآن يقول:

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3].

كلما أدبنى الدهر
أرانى نقص عقلى
وإذا ما ازددت علماً
زدت إيماناً بجهلى

والمسلم الحق رجل أخلاق فاضلة كريمة، لأن مكارم الأخلاق هى دعامة الإسلام وأس بنائه. وهذا التكامل الجسمى العقلى النفسى قد نلحظه فى الهدف العام لقول الله ـ عز من قائل ـ:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[4].

أى فى أحسن تعديل من جهة الشكل والصورة، ومن جهة العقل والفهم، ومن جهة الاستعداد ليكون خليفة الله تبارك وتعالى فى هذا الكون العريض؛ وخير الناس من استغل هذا التقويم المثالى الكريم ليؤتى أكله وثمرة بأفضل الوسائل وفى أنظف الميادين، وشر الناس من تنكر لهذا التقويم الحسن، فاستحق الانتكاس إلى حمأة الأرجاس، ولذلك قال الحق ـ جل جلاله ـ:

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[5].

ومن مقومات شخصية المسلم أنه سيد نفسه بامتلاكه زمامها، وسيد العالم بصلاحه، وقوامته على الناس، وشهادته على العاملين، ولكنه أيضاً عبد الله وحده، وليس عبداً لسواه، لاتذل جبهته لغير الله، ولا تنخفض هامته إلا لبارئه ومولاه، إذ خضوع المخلوق للبارىء عز، ورضا المسلم بالمذلة أمام سوى الله كفر:

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[6]

وسيادة المسلم فى العالم تقتضيه أن يكون أهلاً لهذه السيادة، بعلمه وفضله، وهدايته وعدله، وأن يكون قدوة عليا للناس، يحملهم على حقه، ولا يحملونه على باطلهم.

والمسلم الصادق موصول بيمين الحق ـ عز وجل ـ وهذه الصلة ترفعه عن ترابية الأرض إلى نورانية السماء، ومن حضيض الضعف والاستكانة إلى معاقل الاعتزاز والصيانة، وتجعله موقناً بحقه، مستمسكاً برأيه، قوياً على بهتان الناس، نفوراً من أهوائهم الضالة.

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[7]

وما دام المسلم قد وصل حبله بحبل الله، وقد أسلم وجهه لله، وقد استمسك بالعروة الوثقى فلن يكون للشيطان عليه سبيل، بل سيراه المسلم دائماً عدواً مبيناً له، فلا يقبل عليه، ولا يميل إليه، بل يقيم من نفسه على نفسه حسيباً رقيباً، لأنه يتذكر دائماً أن ساعة

---

(٣) الإسراء (٨٥).
(٤) التين (٤).
(٥) التين (٥، ٦).
(٦) آل عمران (١٣٩).
(٧) البقرة (٢٥٦).

سنأتي يلقى إلى الإنسان فيها سجل أعماله، ويقال له:

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾(٨)

وسيجد هذا الكتاب دقيقاً في التسجيل والتدوين، وسيجد الجزاء هناك إن خيراً فخير، وإن شراً فشر:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ۝ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾(٩).

ومن مقومات شخصية المسلم الصادق أنه رجل جماعي وليس بأناني، يغرس في نفسه معاني الأخوة والمحبة والتآليف والتعاون، لأن مولاه - جل جلاله - يقول له:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾(١٠).

والمسلم الصحيح الشخصية يقول كلمة «أنا» في مواطن البذل والتضحية والإيثار، فحينما دعا الله نبيه إلى أن يتمسك بالحق، أمره أن يذكر نفسه أولاً، لأن المقام مقام تبعة وجهاد وتطبيق، فقال الحق - جل جلاله -:

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(١١).

ورسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يصور في الأنصار هذه الروح التي تجعل صاحبها ينسى نفسه في مواطن الشهوة والرغبة، ويقدمها في مواطن النضال والبذل.

ومن تمام شخصية المسلم الحق أن يتجلى فيه الاطمئنان والثبات، لأن النفس المطمئنة هي الراضية المرضية عند الله في الدنيا والآخرة، وثبات المسلم على دينه وخلقه ومبادئه هو عنوان إيمانه ويقينه، وهو الذي يجعله لا يبغي عند النعمة. ولا يتزلزل لدى المحنة، والداء العياء الذي تشكو منه المجتمعات هو ذبذبة الأخلاق واضطراب النفوس، ولو آتى الله عبده ثباتاً على ما يرتضيه، وصبراً على ما يلاقيه، وثقة بالذي يرتجيه، لو جدت مكارم الأخلاق حراسها وحماتها ورجالها، ولصان الله المجتمعات من مآثم الثعالب الماكرة التي تتلون بطباعها وأخلاقها تلون الحرباء كل يوم، ولقد صور القرآن ثبات النفوس عند خيار المؤمنين فقال:

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾(١٢).

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام. هذا جانب من ملامح الشخصية المسلمة، ولو تابعنا بقية الملامح لأسلمنا هذا الجانب إلى جوانب، فإن شأن المسلم الكامل أن يظل دائماً مترقياً في مدارج الفضل والنبل، ومراتب السمو والعلو، حتى يكون في الدنيا ربانياً، وحتى يكون نعم الخليفة لبارئه في هذا الوجود، وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعاً إلى سواء السبيل، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(١٣)

---

(٨) الإسراء (١٤).
(٩) النجم (٣٩-٤٢).
(١٠) المائدة (٢).
(١١) يوسف (١٠٨).
(١٢) الأحزاب (٢٣).
(١٣) النحل (١٢٨).

# فقه العبادات في ضوء غاياته

أبو محمد الأقصرى

**انتهينا فى مقالنا السابق إلى أن الوضوء وسيلة من وسائل محو ما ارتكبت الحواس من الذنوب، لقول رسول الله ﷺ : إذا توضأ العبد المسلم ـ أو المؤمن ـ فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب.**

وهذا يقتضي منا أن نحسن أعمال الوضوء وأن نستحضر النية عند غسل كل عضو أو مسحه وأن نستحضر هذا المعنى وهو محو الذنوب ـ بإذن الله ـ مع أفعال الوضوء، فذلك مع ما فيه من الفوائد ما ذكرنا، فيه ـ أيضا ـ تعويد القلب معنى الحضور مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ

ولقد تكلم الفقهاء عن الماء المستعمل ـ ما هو؟، وما حكم استعماله؟، كلاما يوحى بعدم جواز استعماله في العبادات وسموه الماء المستعمل، مما جعل البعض من الفقهاء يرفضون هذا الحوار برمته أى أنهم يقولون بجواز استعمال الماء المستعمل، وهذا فى حد ذاته فيه دلالة على أن المسألة فيها خلاف

لكن لماذا كان هذا الخلاف؟ وما أساسه؟

جاء في كتاب الفقه الواضح ص٣٣ ما نصه:

«يظن بعض الناس أن الرجل لو وضع يده في الماء وهو جنب نجسه، وأن المرأة لو وضعت يدها فيه نجسته كذلك، وهذا الظن غير صحيح، إذ يرى جمهور الفقهاء أن هذا الماء لا يصير مستعملا بوضع اليد فيه، وحتى لو صار مستعملا فإنه يجوز استعماله ما لم يتغير وصف من أوصافه عند المالكية، وكثير من الفقهاء على اختلاف مذاهبهم.

والجنب في الحقيقة ليس نجسا يده ورجله وأعضاؤه كلها طاهرة مادامت نظيفة ليس عليها نجاسة خارجية وكذلك الحائض.

وقد جاء في كتاب الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك(١): (المراد بالمستعمل في حدث ما تقاطر من الأعضاء أو غسلت فيه. وأما لو اغترف منه وغسلت الأعضاء خارجه فليس بمستعمل).

وبهذا القول للمالكية أصبح الأمر أكثر تحديدا حيث إن البعض يفهم أن الماء المستعمل هو ماء غمست فيه يد المتوضئ أو الجنب، أما المالكية فقد بينوا أن الماء المستعمل هو المتقاطر من الأعضاء وبهذا تعلم أن المالكية يعنون بالماء المستعمل هو الذي سبق استخدامه بالفعل وهذا هو المعنى اللغوي الدقيق، أما مجرد غمس اليد فلا يفيد ولا يعني الاستعمال.

وقد تظن أن هذه المسألة ماكان ينبغي أن تشغل بال الفقهاء حيث إن الماء متوافر والأمر يتعلق بعبادة، لكنك تتحدث وأنت في مصر بلد النيل والماء من الكثرة بمكان، ولكن الحكم الفقهي والشريعة الإسلامية عامة زمانا ومكانا، ولو أدركت هذا لعرفت أن هذا البحث في البلاد الصحراوية أو قليلة المياه، جدير بعناية الفقهاء.

وقد ورد حديث لرسول الله ﷺ لو نظرت إليه من منطلق فكرك المصري - ابن النيل - ربما انزلقت إلى فهم خاطئ فيه، ذلك أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يتوضأ ويسرف في استخدام الماء فقال النبي ﷺ للرجل: لم هذا السرف؟

فأجاب الرجل: أو في الوضوء سرفٌ يا رسول الله؟

فقال النبي ﷺ نعم: وإن كنت على نهر جار أو كما قال ﷺ.

إذا الحكم ليس لشخص معين جالس على نهر الماء إنما هو في الاستخدام الأمثل، وذلك

(١) الجزء الأول ص ٦٠ من التعليق المسمى الحاوي لبعض البحوث على شرح الصاوي تأليف محمد إبراهيم النبارك مطبعة عيسى الحلبي.

عام فى كل زمان ومكان فإن هذا التعبير من رسول الله ﷺ فى رفض الإسراف ليس من منطلق الضرورة إنما هو من منطلق إرساء قواعد السلوك لدى المسلمين فى الاستخدام الأمثل - كما قلت لأنه ﷺ عاب السرف ولو كنت تتوضأ من نهر جار.

وبحث الفقهاء فى الماء المستعمل، ونسب إلى الإمام أبى حنيفة والشافعى ومالك - رضى الله عنهم - أن الماء المستعمل لا يجوز استعماله فى رفع الحدث مرة أخرى.

وقد يشير كما نسب إلى الأئمة الثلاثة ولكن إذا تأملت قول النبى ﷺ الذى أوردناه سابقا «إذا توضأ العبد المسلم - أو المؤمن - فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه ..... » إلخ الحديث.

ألا يفيد هذا الحديث أن الذنوب تنزل مع قطر الماء؟ ومادمنا نتحرز من النجاسات الحسية فلماذا لا نتحرز - أيضا - من النجاسات المعنوية. وهى أولى بالاحتراز بل هى مقصود العبادة، لكنا لا نرى النجاسات المعنوية.

وهل كل ما لا نراه غير موجود؟!

وإذا كنا لا نرى، فهل ننكر على من يرى ؟

اسمع الإمام الشعرانى فى كتابه الميزان ص٩٣ يقول:

كان الإمام أبوحنيفة من أهل الكشف فكان تارة يرى غسالة الكبيرة فى الماء فيحكم باجتهاده أو كشفه بأنها كالنجاسة المغلظة، وتارة يرى غسالة الصغيرة فى الماء فيقول إنها كالنجاسة المتوسطة لأن الصغائر متوسطة بين الكبائر والمكروهات وهى مرتبة بين النجاسة المغلظة والمخففة تبعا لأصلها.. إلى أن يقول: كان أبوحنيفة من أهل الكشف فإذا رأى الماء الذى يتوضأ منه الناس يعرف تلك الخطايا التى خرت فى الماء، ويميز الكبائر من الصغائر والصغائر عن المكروهات والمكروهات عن خلاف الأولى، كالأمور المجسدة حسا على حد سواء». انتهى كلام الإمام الشعرانى - رضى الله عنه - أى أن الإمام أبا حنيفة كان يرى الخطايا وهى معنوية كالأمور الحسية على حد سواء. رضى الله عنهم - ونفعنا بهم. . آمين.

وإلى لقاء آخر إن شاء الله

***

# بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

كتب الأستاذ عبد الرحمن الأبنودي في «جريدة الأخبار» في ٢٧ مايو سنة ٢٠٠١م كلمة لم نجد لها ما يناسبها غير قول الله - تعالى:

﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾(١)

الفلاح المصري هانت عليه حياته لقد أخطأ واستدان جنيهات قليلة من بنك الائتمان السحري الذي حول الدين إلى آلاف مؤلفة يصعب ردها ولا يغطيها ثمن الأرض نفسه.

ولا الدولة ولا الفلاح يستفيد احدهما من الآخر وإنما المستفيد هم موظفو البنوك الذين يساومون الفلاح على التقسيط والجدولة على طريقة (من دقنه وافتله) إذ يفتحون له الاستدانة الجديدة ليسد منها القديم ويترك لهم في نظير ذلك مبالغ ومبالغ حتى أثروا وبنوا العمارات بينما الدولة كل همها مطاردة الفلاح الذي أهمل الأرض هربا من الدولة.

أيتها الدولة ماذا تريدين من هؤلاء الشهداء الذي أصبحوا يتمنون الموت بعد أن ضاقت بهم الحياة وصاروا مدينين هم وأمهاتهم وأخواتهم وأبناؤهم في لعبة الجدولة والتقسيط؟!!

أيها البنك المرابي، إن بك ما يوقظ نار جهنم!!

انتهت كلمة الأستاذ الأبنودي وكما قدمنا لها بآية من كتاب الله نختم لها أيضا بقوله - تعالى:

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾(٢).

(١) البقرة ٢٧٩. (٢) البقرة (٢٨٦).

## كلمة حق

ونشرت جريدة «الأخبار» في صفحتها الأخيرة تحت عنوان يوميات الأخبار للشاعر عبدالرحمن الأبنودي بتاريخ ٢٧ من مايو سنة ٢٠٠١.

لا يوجد شيء اسمه فلسطين كما حاولتم إفهامنا، هناك شيء واحد اسمه إسرائيل يرتع في جميع أنحاء الأرض الفلسطينية ويتمتع بحماية عربية ودولية.

سكنت الدبابات الحارات، والبيوت المهدومة ومصانع الحليب والعمارات التي لم تكتمل، وطفقت تهدم الأبنية الأمنية العرفاتية، مبنى مبنى، وتقتل جنوده حزمة حزمة.

إن نشيد القتل الدموي في فلسطين هو ملحمة ملاحم العصر «تسلطن» العالم على نغماته، وإن أشهى أنواع عطور العصر في كل أطراف الدنيا هو رائحة الدم الفلسطيني!!

وأفضل ما نعلق به على هذه الكلمة هو ما رُوي عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ:

«يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن» فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال «حب الدنيا وكراهية الموت».

رواه ابن ماجة

## أية ملكة وأي جمال؟!!

تحت هذا العنوان كتبت الأستاذة / كوثر بنت عبدالحليم في جريدة «الأخبار» يوم ٢٢ / ٥ / ٢٠٠١:

إن أعجب العجب هو ذلك الذي رأيته في برنامج تليفزيوني يعرض مسابقة لاختيار ملكة جمال مصر.. ووجدت نفسي أهتز ضحكا وحسبتها اهتزازة الجنون وخشيت على نفسي لولا أن تذكرت بيت المتنبي الشهير:

وكم ذا بمصر من المضحكات.. ولكنه ضحك كالبكا

إذن فقد كنت أريد أن أبكي فضحكت وتحقق المثل القائل «إن شر المصائب ما يضحك».

والمصيبة التي تمثلت أمامي هي: كيف نسيت هؤلاء الفتيات المتبخترات بدلال على منصة المسابقة شبابا وأطفالا تسيل دماؤهم فوق أرض فلسطين؟

وكيف قبلنا أن تهدر أموالٌ في عرض أبهة لهن، وفي أوطاننا من يحتاج إلى هذا المال في ضرورات الحياة؟

ثم كيف قبلن أن يعرضن أنفسهن جيئة وذهابا أمام هيئة تحكيم تقول فيهن نعم أو لا؟

وكيف رضي الآباء والأمهات لهن هذا؟! وكأننا في سوق النخاسة؟

ثم كيف قبلن أن يعرضن أنفسهن على اعتبار أنهن الجميلات والجمال ليس صنعتهن فالخالق والصانع هو الله - جل شأنه - وليس لهيئة تحكيم بشرية أن تحكم في صنعة إلهية أرادها الله صورا تختلف من إنسان لإنسان ليتعارف الناس وتتسمى كل صورة باسمها والجمال نسبي بالنسبة لنا (وحسن في كل عين من تود) وإلا ما تزوجت الشقراء بالأسود ولا تزوج الأبيض بالسمراء.

والجمال في الإنسان لا يقتصر على الصورة التي جعلتها هيئة التحكيم مؤدية إلى الفوز ونيل الجائزة، فالله جلت قدرته يقول في القرآن الكريم:



﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(٣).

فكلمة ( أحسن ) اسم تفضيل ومعنى ذلك أن كل خلق الله من أرض وسماء وما فيهما كلها في تقويم حسن ولكن أحسنها الإنسان، لأن الله قد اختصه بالعقل الذي يختار.

فليكن اختياركن أيتها الشابات الجائزة تفوق علمي أو أدبي أو رياضي من صنع أيديكن ويجب ألا تخدعن بأحكام من لا حكم له.. إذ كيف تصدقين يا من أعطيت تاج ملكة جمال مصر أنك أجمل امرأة في مصر؟ ثم ما قيمة صورة الإنسان إذا لم يعتن بجوهره؟ وجوهر الإنسان في قلبه ولسانه وقديما قال الحكماء، ( المرء بأصغريه قلبه ولسانه ).

فلنكن العقلاء ولنعقل ما أنعم الله به علينا ونعلم أن الإنسان هو المستور وحده حيا وميتا بأمر من الله - جل شأنه -.

وصفة الحياء خلقت معه وحكتها الكتب السماوية عن آدم وحواء قبل هبوطهما إلى الأرض عندما استمعا إلى الشيطان وأكلا من الشجرة التي حرمها الله عليهما فبدت لهما سوءاتهما وظلا يعملان على ستر عوراتهما بورق شجر الجنة وكان ذلك بداية الحياء وإرادة الستر وقد حثت الديانات السماوية على الاحتشام ولا يقال إن الإسلام وحده هو الذي دعا إلى ذلك وإلا ما كان زي الراهبات المسيحيات والمتدينات اليهوديات مطابقا لأمر الله في الاحتشام.

أما ما نراه الآن من العري وتلك السراويل الضيقة للصبيان والبنات فيدخل تحت ما يسمى بالفعل العلني الفاضح: ويقع تحت طائلة القانون، ولا يقال إنه يدخل تحت مسمى الحرية الشخصية، لأنه اعتداء على حريات الآخرين وهو سبب الفساد الذي جر البشرية إلى ما هي فيه من تعاسة تظهر في ذلك العنف الذي ساد المجتمعات وفي تناول المخدرات وحوادث الاغتصاب.

فهل يعي الآباء والأمهات ذلك حفاظا على أجيالنا من الضياع؟ أسأل الله أن يلهمنا الصواب.

● **حقا إن ما يسمى بالحرية الشخصية فيه اعتداء على حريات الآخرين، لكن ماذا نفعل إذا كنا في سوق النخاسة انتبهوا أيها الآباء والأمهات.. شكراً للأستاذة كوثر.**

## قضية تأجير الأرحام

برغم أننا نعارض الفكرة، ولا نقبل أن يكون كل شيء للبيع أو للإيجار، إلا أننا بحق في قرارة نفوسنا نرى أن حجة الذين يجيزون من الناحية الفقهية أقوى لأن قياسهم جلي، فقد قاسوا الرحم على الرضاع وليس فيما يدعون إليه شبهة زنا أو اختلاط أنساب، وبرغم ذلك فقناعتنا فقهياً حتى هذه اللحظة مع المجيزين، إلا أننا لم نستسغ الفكرة، ولا نقول بها، إلا أننا صدقاً وبكل نزاهة لا نستطيع أن نقدم حججاً فقهية مقنعة ولا نحب أن نقدم سفسطة أو خُطباً رنانة في مجال الفقه الجاد ونحترم بنزاهة وموضوعية حُججاً فقهية قيلت في برنامج نور على نور في التليفزيون أن الأصل في الأشياء الإباحة، والأصل في الدماء والنساء الحرمة إلا بنص.

---

(٣) التين آية (٤).



وبصدق.. نتمنى وندعو الله أن ينصر هذا الفريق، لكننا لا نرضى أن نكون ممن يحرمون شيئاً لمجرد أنهم لا يحبونه، أو يُحلون شيئاً لمجرد أنهم يمارسونه.

وممن رحبنا بفكرهم وحججهم الأستاذة الدكتورة/ سعاد صالح..

«بارك الله فيما تقول وما تكتب» فنحسبها تهرع إلى الفقه تستجليه الفُتيا، ولقد نشرنا لها كلمتها من جريدة الأهرام في عددنا الماضي «ربيع الأول» واليوم ننشر لها مقالاً ورد في جريدة أخبار الجمعة ١٥ / ٦ / ٢٠٠١م. وهذا نص ما قالته ـ أيدها الله ونفع بها:

«إن للشريعة الإسلامية نوعين من الأحكام، ثوابت وأصول وهي التي وردت بنصوص ولا يجوز فيها الاجتهاد، وأحكام ظنية جاء فيها سبب من أسباب الاختلاف يمكن فيها الاجتهاد، ولكن من الذي يجتهد، وضعت الشريعة شروطاً كثيرة يجب توافرها في المجتهد ولأن هذه الشروط يصعب توافرها الآن، أصبح الاجتهاد الآن اجتهاداً جماعياً وليس فردياً وأن الضرورات تبيح المحظورات.. والضرورات حددها الشرع بكل ما يتعلق بالدين والنفس والمال والعرض. بشرط أن تتفق هذه المحظورات مع مقاصد الشريعة الإسلامية.

أما مسألة تأجير الأرحام ما هي إلا اختراق للأسرة المسلمة تحت زعم ضرورة الإنجاب، وهو أمر يتعلق بحفظ النسل، فالرسول ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر لا يسقي زرعه بماء غيره» من هنا حرص الشرع على فترة العدة بعد طلاق الزوجة وأوضحت «أن تأجير الأرحام يعني إدخال عنصر ثالث في مسألة الإنجاب ومن المتفق عليه أنه يحرم تحريماً شديداً أن يكون هناك عنصر ثالث في الإنجاب، نطفاً أو رحماً، فكل إنسان له نسبان الأم والأب وليس الأب فقط، فعندما نسمح بتأجير الأرحام، سيكون هناك ازدواجية في الأمومة، ويصبح عندنا الأم نسباً، والأم رحماً، ومن هنا اتفق الفقهاء في مجمع البحوث الإسلامية على تحريمها لسببين.. الأول: اختلاط الأنساب من ناحية الأم والثاني: أنه يشتمل على صورة من صور الزنا، فهناك نطفة لرجل أجنبي في رحم امرأة أجنبية عنه، ولذا بعدما أباح المجمع الفقهي في عام ١٩٨٦ أن الرجل إذا كان متزوجاً من امرأتين يمكن لإحداهما استضافة نطفة الأخرى، قام بتحريم ذلك، لأنه يفتح الباب لمفاسد كثيرة، وهناك قاعدة شرعية تنص على أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

## نوع من الزنا

وأكدت الدكتورة سعاد صالح أن قضية الاستنساخ البشري ستؤدي إلى نسف الأسرة، إذ أين الأسرة في ذلك الاستنساخ، أين الروابط الأسرية؟.. أما فيما يتعلق ببنوك النُطفْ.. والذي يمكن عن طريقها أن تُلقح زوجة (مثلاً) بنطفة زوجها بعد وفاته.. فتقول عنها الدكتورة سعاد: إنها صورة من صور الزنا إذ أن صلة الزوجة بزوجها تنقطع بوفاته.

وإذا كانت الضرورات حقاً تبيح المحظورات، فما الضرورات المتحققة وليست المتوهمة؟. والضرورة تقدر بقدرها، أي بالقدر الذي يدفع الضرر ولا يُزال الضرر بضرر مثله، فالإسلام يرحب بكل ما هو جديد في البحث العلمي بشرط ألا يدمر هذا العلم حياة الأسرة نواة المجتمع، ويؤدي إلى نشر الفساد فيه.

# بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم/ عادل رفاعي خفاجة

## الأرشانة بين العامية والفصحى

لغتنا العربية هي ذلك الكنز الثمين الذي شرفه الله -تعالى- بكلامه عز وجل ودُرّات هذا الكنز الثمين وفرائده هي تلك المفردات العربية الفصيحة.

ومع كر السنين تتناثر بعض هذه الفرائد بعيداً عن الاستخدام، فيلفها النسيان، ولا يبقى لها ذكر إلا لمن يطلبها في بطون الكتب والمعاجم، ومنها ما يُعْرِض عنه الأدباء والخطباء ظناً منهم أنها عامية أو دخيلة على العربية؛ فيعرفون عنها مؤثرين السلامة، مع أنها من الفصاحة بمكان!!..

ومن هذه الألفاظ لفظ «الأرشانة» وقد وردت رسالة القارئ **هلال الحبشي من برهمتوش ـ دقهلية، ليثبت فصاحتها ويعيدها إلى موضعها من القلادة.**

يقول:

أعتقد أن بين اللغة العربية واللغة العامية في مصر، صلة وثيقة؛ لأن أكثر كلمات العامية محرفة عن اللغة العربية.

فكلمة (الأرشانة) التي يطلقها العامة على المرأة الماكرة الخبيثة لها أصل عربي.

قالت كتب اللغة: (الأرش: الفساد.. والتأريش: السعي بين الناس بالفساد، وأرشت الحرب بين الفريقين.. أي أشعلتها فحصل الدمار.

وكم لهذه الكلمة من أمثال، تُسكت الذين يدعون أن اللغة العربية غريبة عن مصر والمصريين.

**نشكر للأستاذ/ هلال حبشي** إرساله هذه المساهمة الطيبة.

ونتمنى أن تصلنا إسهامات أخرى تثبت بها أصالة العامية المصرية أو تتناول كلمات مهجورة ننفض عنها غبار الزمن لنُحْيِيها.

# مفتريـــات ساذجة

**أرسل أحد القراء مع رسالته صورة ضوئية لرسالة يقول إنها وصلته بالبريد، ولا يدرى من أرسلها؟.. والرسالة مُزيلة بالوعيد لكل من وصلته ولم يوزعها على غيره، والخير العميم لكل من وزعها بأعداد كبيرة.**

**ويطلب القارىء رأى العلماء فى هذه المسألة.**

وقد وردت إلى المجلة رسالة مشابهة منذ ما يقرب من ثلاث سنوات قمنا بالرد عليها وتفنيد مفترياتها وأوضحنا أن هذا محض دجل يجب أن لا يشغل بال المسلمين.

وآثرت الا أرد على هذه الرسالة مرة أخرى.

ولكنى بينما أتصفح مجلة الأزهر فى أعدادها الأولى، وتحديداً فى عدد ربيع الآخر ١٣٥١هـ الموافق ١٩٣٢م. وجدت رداً عن نفس السؤال أفردت له المجلة العديد من الصفحات التى لا يتسع المقام لعرضها مرة أخرى.

فرأيت أن أكتفى بعرض مقدمة هذا الرد الذى جاء فيه:

«بُلى الإسلام بأشخاص يتخذون من الافتراءات عليه طرقاً للتنفير منه، أو حبائل لاصطياد شىء من المال، ومن هذا القبيل صحيفة تشتمل على حكاية رؤيا منسوبة لشخص يسمى نفسه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية، وقد اخترعت هذه الأكذوبة من مدة تزيد على أربعين سنة، ولا يزال مخترعها يتعهد بها الناس فى الشرق والغرب من سنة إلى أخرى، وكثيراً ما كتب أهل العلم فى تزييفها وبيان ضلالتها، ورجاؤنا اليوم فى الخطباء والوعاظ أن ينبهوا الأمة لفريتها وسخافة عقل من يتقبلها».

ونحن الآن نتساءل: لماذا يصدق المسلمون اليوم هذه الخرافات، ويسارعون إلى تصديقها؟!.. ويتشككون فى أحاديث تلقى عليهم، فيقولون هذا ضعيف، وذاك موضوع!!..

وكيف يتأتى لهذا العقل أن يقبل مثل هذه الخزعبلات التى لا سند لها من الدين أو العقل؟!.

لقد رد الأزهر على نفس هذه المسألة سنة ١٩٣٢م. وقبلها بنحو أربعين سنة.. ثم هذه المرة وقبلها بنحو ثلاث سنوات.

أظن أن الأزهر قد أدى رسالته، وعلى الناس أن تستجيب لندائاته.

# القرآن الكريم يخاطب العقل

**وردت من الدكتور / أحمد شوقي عرفة هذه الكلمة التي يقول فيها:**

جاء القرآن الكريم بأفكار ومبادئ جديدة لم يعهدها مشركو مكة والجزيرة العربية. هذه الأفكار تصادم ما عهدوه وألفوه وما وجدوا آباءهم عليه وهم عاكفون على أصنام وتماثيل يعبدونها ويقدمون لها الذبائح والقرابين قبل أن يقدموا على عمل أو سفر طالبين منها العون والمشورة.

وحتى يمكنهم الاقتناع بمبادئ القرآن الكريم واتباعها كان من الضروري أن يقدم لهم الدليل وأن يحاول إقناعهم بالحجة البالغة والبراهين الدامغة.

يحدثنا القرآن الكريم عن سيدنا إبراهيم حينما حطم الأصنام التي يعبدها قومه أنه ترك أكبرها، فلما سألوه: «أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم» أجابهم بالجواب المقنع وبالدليل الناصع الذي لا يحتاج إلى مناقشة أخرى قال:

﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾(١).

لقد بين إبراهيم أن هذه الأصنام التي ينحتونها بأيديهم ثم يعبدونها لا تسمع ولا تنطق ولا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضراً، وبالتالي لا تقدم لهؤلاء المشركين أي نفع، ولا تستطيع أن تمنع عنهم أي ضرر، يذكر القرآن الكريم:

﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٢).

إلا أنهم نكسوا لخبثهم الإفك والمكابرة والطغيان

﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾(٣).

وبالرغم من البراهين التي ساقها سيدنا إبراهيم من أن هذه الأصنام لا تنطق فكيف يعبدونها وهي لا تنفعهم شيئاً ولا تضرهم، فتنادوا مطالبين بحرقه.

يذكر القرآن الكريم في مواضع كثيرة أن الله - سبحانه وتعالى - هو خالق هذا الكون بما فيه من سماوات وبها الكواكب والأجرام السماوية كما أنه خالق الأرض وما فيها من دواب ونبات وجماد وبحار وأنهار وهو الذي خلق الإنسان، فيكابر المشركون وينسبون إلى آلهتهم الخلق وينفون عن الله هذه الصفة. فيرد القرآن بأدلة ناصعة:

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾(٤).

وفي آية أخرى:

---

(١) الأنبياء (٦٣).

(٢) الأنبياء (٦٤).

(٣) الأنبياء (٦٥).

(٤) الرعد (١٦).



﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾(٥)

أخبروني عن آلهتكم -الأوثان والأصنام- الذين عبدتموهم من دون الله وأشركتموهم معه في العبادة، بأي شيء استحقوا العبادة، أروني ماذا خلقوا في هذه الدنيا من المخلوقات، أم أنهم شاركوا الله في خلق السماوات فاستحقوا بذلك الشركة مع الله في الألوهية!.

يقول - سبحانه وتعالى -:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾(٦)

أي: خلقوا من غير رب ولا خالق أم هم الخالقون لأنفسهم حتى أنكروا وجود الله -جل وعلا- أم أنهم خلقوا السماوات والأرض؟.. هل وُجدوا بدون خالق؟. فهذا لا يجوز لأن تعلق الخلق بالخالق ضروري، فإن أنكروا وجود الخالق لم يجز أن يوجدوا، أم هم الخالقون لأنفسهم؟. وهذا أشد بطلاناً، لأن ما لا وجود له لا يمكن أن يخلق، فإذا بطلت الحجتان فقد قامت عليهم الحجة، فيجب أن يوقنوا بأن لهم خالقاً فليؤمنوا به وليعبدوه.

## علاج مشكلاتنا الحياتية

**أرسل القارىء/ محمد عباس محمد عرابي هذه الكلمة التي يقول فيها:**

في ظل الظروف التي نعيشها، نحن في أشد الحاجة إلى علاج مشكلاتنا الحياتية الناجمة عن الأفكار التي تغزونا عبر الشبكات المختلفة الفضائية والتليفزيونية والإنترنت، وبخاصة أن كثيراً من المواطنين منبهرون بما تبثه فكراً وسلوكاً وتطبيقاً ويتخذونها قدوة لهم في حياتهم اليومية، الأمر الذي يجعلهم دائماً في حالة من القلق والتوتر الشديد نتيجة لعدم وضوح المنهج الواجب الاتباع.

ولعلاج هذه المشكلات معالجة فعالة لابد من فحص الأفكار التي تغزونا ووضعها على ميزان الشريعة الغراء، لكي نتعرف على صحيحها من فاسدها، ولنعلم تمام العلم أن من أهم وسائل العلاج اتباع المنهج الإسلامي الصحيح فهو يواكب الفكر السليم والعقول المستقيمة فلا ينحرف يميناً في تطرف ولا يساراً في خضوع ومذلة وخذلان، وإنما هو وسط عدل وخير فاضل صالح للتطبيق في كل زمان ومكان.

---

(٥) فاطر (٤٠).

(٦) الطور (٣٥).





# أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى

## استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بمشيخة الأزهر الشريف بحديقة الخالدين بالدراسة ٢٠/٥/٢٠٠١ السيد/ سامى قرنفل سفير لبنان بالقاهرة رحب فضيلته بالضيف فى مصر وأزهرها الشريف مؤكدا على أن العلاقة بين مصر ولبنان علاقة قوية ووثيقة، والروابط العلمية قائمة والتعاون بين البلدين مستمر وقديم، وقال: إن الإخوة اللبنانيين جاءوا إلى مصر وأنشأوا الصحف والجرائد والمجلات، وأن مفتى لبنان تخرج فى الأزهر الشريف، وكان للأزهر بعثة من علماء الأزهر ظلت موجودة بلبنان ما يقرب من خمسين عاما ومهمة الأزهر الشريف التعاون فى نشر العلوم الدينية والعربية والإسلامية.

والأزهر دائما يقدم العون والمساعدة لتعليم الشعب اللبنانى ولا يدخر وسعا فى تلبية احتياجات لبنان دينيا وعلميا وثقافيا وهذه هى رسالة الأزهر، ونحن نقف إلى جانب الشعب اللبنانى والفلسطينى ونؤيده فى نضاله المشروع لاسترداد حقه المسلوب وأرضه المغتصبة من المغتصبين اليهود، وندعو الله أن ينصر الشعب الفلسطينى فى نضاله وحصوله على حقه كاملا غير منقوص لأننا جميعا فى قارب واحد، والخير يعم علينا جميعا وكذلك الألم يصيبنا جميعا، وأكد فضيلته على أن البقاء دائما يكون للأصلح فالأيام دول ويوم لنا ويوم علينا ولا يجب أن نتألم مما يحدث. فإن كان يقتل منا فإنهم يقتل منهم وهم أكثر خوفا.

شكر الضيف فضيلته على حسن الحفاوة واللقاء، وقدم دعوة لفضيلته لحضور المؤتمر الإسلامى الذى سيعقد فى لبنان، وأشاد الضيف بدور الأزهر الشريف وشيخه فى نشر التعليم الإسلامى الصحيح بسهولته ويسره، كما أشاد بالدروس التى يلقيها فضيلة شيخ الأزهر من خلال وسائل الإعلام والتى لها الدور البالغ لدى الشعب اللبنانى فى الحصول على المعلومات القيمة، وأشار إلى أن كثيرا من كتب

علماء الأزهر الشريف موجودة فى مكتبات لبنان والأزهر الشريف ترك أثرا طيبا فى نفوس الشعب اللبنانى.

كما أشاد الضيف الكبير بالمواقف الإيجابية والجهود المكثفة التى يبذلها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك للم شمل الأمة ولدى دول العالم المختلفة لوقف الاعتداء على الشعب الفلسطينى الأعزل وعودة الهدوء والسلام للمنطقة العربية وهو أمر يشكر عليه السيد الرئيس.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد وفا أبو عجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ٢٣ / ٥ / ٢٠٠١ السيد / صلاح الدين الجمالى سفير الجمهورية التونسية بالقاهرة.

رحب فضيلته بالضيف فى مصر وأزهرها الشريف بمناسبة توليه منصبه كسفير جديد لبلاده فى القاهرة مشيدا بعمق الروابط بين البلدين، وأنه تربطهما روابط أخوة ومحبة على مر التاريخ، وتطرق الحديث حول زيارة فضيلته لتونس والمحبة والترحاب الذى قوبل به فضيلته من كل المستويات، وأشاد فضيلته بالسماحة والمحبة والخلق الطيب الذى يتمتع به الشعب التونسى الشقيق، وتمنى لجمهورية تونس دوام الرقى والسلام والأمان والرخاء، وأعرب فضيلته عن أن الأزهر الشريف دائما فى خدمة أبناء تونس فيقدم لهم العون والمساعدة لأن تعاليم الدين الإسلامى تحثنا على ذلك، ليفهم الجميع أمور الدين فهما صحيحا بعيدا عن التطرف والمغالاة، لأن الدين الإسلامى هو دين السماحة واليسر ودين الأمن والأمان والرخاء والتعاون، وهو دين ينشر الخير والفضائل ويحث على مكارم الأخلاق وينبذ العنف والتطرف والإرهاب، ثم شرح فضيلته للضيف نظام التعليم فى الأزهر الشريف من الحضانة وحتى الجامعة مؤكداً على أن حفظ القرآن الكريم أمر أساسى وهام فى كل مراحل التعليم الأزهرى وهو على رأس العلوم إلى جانب دراسة العلوم الشرعية والعربية والثقافية.

ودعا فضيلته للسيد السفير بالتوفيق فى عمله كسفير لبلاده وتمنى له إقامة طيبة فى مصر.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء والحفاوة وعلى المعلومات القيمة التى سمعها من فضيلته وعلى مواقفه الإيجابية فى معظم القضايا الإسلامية المطروحة والتى تتسم بروح الدين وسماحته وقال إن حفظ القرآن هو نعمة عظيمة من الله - سبحانه وتعالى - وهو حفظ وعصمة للإنسان من الوقوع فى الأخطاء والمحظورات، وقال إن علماء تونس تعلموا من علماء الأزهر الشريف لأنه منارة للمسلمين جميعاً كما قدم الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على زيارته لتونس حيث إن وسائل الإعلام التونسية تناولت تلك الزيارة لفترات طويلة، وتمنى أن تتكرر.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه ٢٩ / ٥ / ٢٠٠١ معالى وزير العدل والأوقاف الكويتى الشيخ أحمد يعقوب الباقر والوفد المرافق له.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف معربا بأنها فرصة طيبة أن تأتى هذه الزيارات فى إطار انعقاد المؤتمر العام الثالث عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، كما أعرب عن سعادته لهذا اللقاء الخالص لوجه الله - تعالى -

والمحبة الصادقة داعياً المولى - عز وجل - أن يعيد مثل هذه الأيام وهو احتفال المسلمين بذكرى المولد النبوى الشريف وتكون الأرض الفلسطينية والقدس الشريف قد تحررا من براثن العدو الصهيونى وعادت الأرض لأصحابها وعاد المسجد الأقصى الشريف للسيادة العربية، وقال فضيلته: أن الصراع مهما طال سينتهى وسينتصر أهل الحق، وعليهم أن يثبتوا ولا ييأسوا ويخلصوا العبادة لله الواحد القهار فالثبات على الحق والإصرار عليه وعدم التهاون فيه، دون العدوان على الآخرين سيكون مرجعه فى النهاية عودة الحق لأصحابه، وعلى المسلمين إلى جانب إخلاص العبادة لله، أن يجتمعوا على كلمة سواء، وأن يبتعدوا عن الضغائن التى من شأنها إضعاف قوة المسلمين وتفرق الجماعة، وقال: نحن كعلماء نحمل مسئولية التصدى للدعوة وجمع الشمل واتحاد الرأى بعيداً عن الاختلاف والفرقة، فنكون يدا واحدة.

ونحن دائماً مستعدون للتصدى والرد على الادعاءات بالاقناع وبالحجة فى المؤتمرات الدولية.

شكر الضيف ومرافقوه فضيلته على حسن الاستقبال والحفاوة مشيدين بدور الأزهر الشريف وعلمائه فى التصدى لما يقال وما ينشر عن الإسلام وخاصة فيما تتبناه بعض الدول الأوروبية من قضايا حقوق الإنسان تحت شعارات ليست حقيقية ويقحمون الدين فى أمور مخالفة للشرع والدين، فعلينا أن نتصدى لكل هذه الانحرافات وذلك بالتمسك بكتاب الله - عز وجل - وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعلن السيد وزير العدل والأوقاف الكويتى بأن علينا، إقرار قاعدة أساسية وهى أن مايوافق حقوق الإنسان وتقره الشريعة الإسلامية توافق عليه، وما لا يتفق والشريعة الإسلامية لا توافق عليه.

وأوضح فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر بأن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يتعرض للرد على تلك الافتراءات من خلال لقاءاته وحواراته سواء فى وسائل الإعلام المختلفة أو فى المحاضرات واللقاءات والندوات والمؤتمرات التى يحضرها فضيلته.

قدم الضيف الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر. وفضيلة وكيل الأزهر لزيارة دولة الكويت فى القريب العاجل، وقد وعده فضيلته بدراسة الدعوة تمهيداً لتلبيتها، ودعا فضيلته بمناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف أن يجمع البلدين على التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وأن يوحد قلوبنا جميعاً ويرزقنا نعمة الأمن والرخاء والاطمئنان والأمان وأن يجعل كلمة أهل الحق هى العليا وكلمة الأعداء هى السفلى.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه ٣١ / ٥ / ٢٠٠١ سعادة السفير / تراون مان سترون سفير النمسا بالقاهرة والدكتور / حسن إسماعيل موسى رئيس الأكاديمية الإسلامية بالنمسا، والدكتور / أنس بن حسن الشقفة بالهيئة الإسلامية بالنمسا، وتأتى تلك الزيارة فى إطار انعقاد المؤتمر الثالث عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية حيث حضروا هذا المؤتمر.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف مشيداً بعمق التعاون الوثيق بين مصر والنمسا، ولوقوفها إلى جانب نصرة الحق وللنمسا باع طويل فى ذلك.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على حسن اللقاء مشيداً بكلمة فضيلته في المؤتمر التي كان لها صدى طيب في نفوس الحضور، كما أبلغ تحيات سفير القاهرة في النمسا لفضيلة الإمام الأكبر وتحيات الجالية الإسلامية هناك، كما أشاد بالدور الفعال لبعثة الأزهر في النمسا في الفترة من ٢٠-٢٧ / ٥ / ٢٠٠١ برئاسة فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف والوفد المرافق لحضورهم ندوة الإرهاب وحقوق الإنسان من منظور إسلامي، بمقر الأكاديمية الإسلامية بفيينا، وقد طلب السيد السفير إنشاء معهد أزهري بالنمسا بناء على طلب الجالية الإسلامية هناك ويكون تحت إشراف الأزهر الشريف بمناهجه وكتبه، ومدرسيه، رحب فضيلته بالفكرة على ٣أن يتم اتخاذ الإجراءات اللازمة وتحديد الخطوات والترتيبات اللازمة لذلك وذلك لنشر التعليم الإسلامي بالنمسا ومساعدة أبناء الجالية الإسلامية هناك.

كما أبدى السيد السفير رغبته في زيارة فضيلة الإمام الأكبر لدولة النمسا وسيقوم بإرسال الدعوة رسمياً عقب عودته حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

● استقبل فضيلة الأمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه في ٣٠ / ٥ / ٢٠٠١ فضيلة الشيخ درويش علي مفتي جمهورية قازاخستان.. والسيد السفير / عسكر موسيوف سفير قازاخستان بالقاهرة والأستاذ / شمس الدين كريم مدير الجامعة الإسلامية. والوفد المرافق لهم وذلك في إطار حضورهم المؤتمر الثالث عشر للمجلس الأعلى للشؤن الاسلامية رحب فضيلته بالسادة الضيوف مشيدا بالنهضة الدينية التي تنتهجها دولة قازاخستان ومؤكدا على أن الأزهر الشريف في خدمة المسلمين في كل مكان وهو يقدم العون والمساعدة العلمية والدينية والثقافية لبلدان العالم، وأوضح أنه يوجد طلبة من جمهورية قازاخستان يدرسون بالأزهر الشريف على منح دراسية، أشاد السادة الضيوف بدور الأزهر الشريف وبمكانته العالمية وريادته في تعليم أبناء المسلمين شاكرين فضيلته على المنح التي يقدمها لأبنائهم للتعليم بالأزهر، وأبلغوا تحيات شعب وحكومة ورئيس الجمهورية إلى مصر رئيسا وحكومة وشعبا وللسيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية، لإنشاء جامعة نور مبارك بقازاخستان، وقدموا لفضيلة الإمام الأكبر الدعوة لزيارة دولة قازاخستان بمناسبة مرور عشر سنوات على استقلالها، وقال فضيلة المفتي إن تعداد السكان وصل إلى ١٥ مليون نسمة، ٧٠٪ منهم مسلمون، ووصل عدد المساجد إلى ألفي مسجد وطلبوا تزويد الجامعة الأسلامية بالكتب العلمية في أفرع العلوم المختلفة لأن الأزهر الشريف هو المصدر الأساسي والمرجع الهام للمعرفة، وقد وعدهم فضيلته بدراسة طلباتهم تمهيداً لتلبيتها.

كما استقبل فضيلته سماحة الشيخ / محمد رشيد قباني مفتي جمهورية لبنان والسيد السفير / سامي قرنفل سفير لبنان بالقاهرة وفضيلة الشيخ / محمد علي الجوزو مفتي جبل لبنان والوفد المرافق لهم، وتناول اللقاء بحث سبل عودة البعثة الأزهرية المصرية إلى لبنان وذلك لأهمية تواجد وحضور الأزهر الشريف الضروري والحتمي لدى الشعب البناني كما تطرق الحديث عما يحدث بجنوب لبنان والأراضي الفلسطينية، مؤكدين على دور مصر

الإيجابي والفعال والنهج الذي ينتهجه السيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية تجاه قضية العرب وقضايا العالم وكذلك موقف الأزهر الشريف وشيخه الجليل في عقد المؤتمرات الخاصة بقضية القدس وفلسطين وما يتعرض له أطفال فلسطين في التصدي بالحجارة أمام جحافل العدو الصهيوني المدجج بالأسلحة الحديثة ودعا فضيلته إلى أن تتعاون الدول تعاونا خالصا لوجه الله - تعالى - من أجل نصرة الحق ونشر الخير والحق والفضائل والدفاع عن المظلوم والوقوف في وجه الظالم حتى يرتدع، والتعاون الذي من شأنه أن يقوى الأمم الضعيفة ويجعلها قوة قوية في وجه الظلم والبغي والعدوان والطغيان.

● كما استقبل فضيلته سماحة الشيخ / عبد الأمير قبلان نائب رئيس المجلس الإسلامي بلبنان والسيد السفير سامي قرنفل سفير لبنان بالقاهرة والوفد المرافق لهما، حيث تناول اللقاء التصدي للصورة الخاطئة التي تنشرها وسائل الإعلام المغرضة عن أهل الشيعة وذلك بهدف تمزيق الروابط الإسلامية بين المسلمين وبعضهم، وتفرقة الصف العربي الإسلامي، وأكد الضيف على أن الشيعة يعتبرون الأزهر الشريف نقطة انطلاق للتفاهم والاحترام، والأزهر هو ممثل الأمة الإسلامية للتصدي لتلك الإدعاءات المغرضة.. وطلب من الأزهر الشريف زيادة فاعلية هذا التعاون للتعامل مع توضيح الرؤية للمسلمين.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن المسلم هو من نطق بالشهادتين والتزم بأداء الفرائض التي أمر الله - تعالى - بها في كتابه، وأن الاختلاف في المسائل الفرعية أمور اجتهادية، أما الأسس والأركان فهي ثابتة ولاخلاف عليها: وقدم الضيف الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة لبنان.

● كما استقبل فضيلة معالي السيد/ قاسم أحمد الأعجم وزير الأوقاف اليمني والسيد/ عبد السلام قاسم العواض الوزير المفوض، والسيد علي محمد القزان مدير الإدارة الدولية بوزارة الأوقاف اليمنية، ودار الحديث عن أهمية دور الأزهر الشريف وعنايته البالغة في البعثات التي يوفدها للمسلمين في كل بقاع الأرض لخدمة أبناء المسلمين، وطلب السيد الوزير المساعدة من الأزهر لإمداد معهد الإرشاد والتوجيه الذي أنشيء في اليمن عام ٩٤ بإرشادات وتوجيهات الأزهر ليؤدي نشاطه على الوجه الأكمل، كما طلب الاسترشاد بالكتب والمخطوطات التي بمكتبات الأزهر الشريف، وطلب أيضا علماء من الأزهر الشريف لمراجعة الكتب والمخطوطات التي بمكتبات الوزارة باليمن حتى لا تتعرض للتحريف ولحفظها من أيدي المتطرفين والعابثين، وقد وعد فضيلته بدراسة الطلبات تمهيدا لتلبيتها.

● كما استقبل فضيلته سماحة الشيخ/ سيد عبد المجيد الخوئي الأمين العام لمؤسسة الإمام الخوئي الخيرية بلندن ودار الحديث حول إمكانية إقامة مؤتمر إسلامي بالندن تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، حضر هذه اللقاءات فضيلة الشيخ محمود عاشور.

● التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه في ٢٦ / ٥ / ٢٠٠١ ووفد السياحة الأمريكي المكون من ١٩ فردا من طلبة وخريجي الجامعات الأمريكية برياسة السيد / جيمس جود المشرف على الوفد.

رحب فضيلته بالوفد في مصر وأزهرها الشريف شارحا لهم مبادىء الدين الإسلامي في الصلاة والصوم

والزكاة وشرح لهم نظام التعليم فى الأزهر فى مراحله المختلفة من الحضانة وحتى المرحلة الجامعية والدراسات العليا والمميزات التى يمتاز بها طالب الأزهر حيث يحفظ القرآن الكريم كاملا حتى المرحلة الثانوية إلى جانب دراسة العلوم الدينية والعربية والثقافية التى تؤهله للدراسة فى الجامعة سواء الكليات النظرية القديمة مثل كلية أصول الدين والشريعة واللغة العربية أو الكليات العملية كالهندسة والطب والزراعة والعلوم وطب الأسنان والتربية الرياضية واللغات والترجمة الخ .

كما أوضح فضيلته بأن الأديان السماوية كلها تتفق فى أمرين هما إخلاص العبادة لله الواحد الفرد الصمد، والتحلى بمكارم الأخلاق وهما أمران لا يختلفان من جيل إلى جيل، فمنذ أن أوجد الله الدنيا والعقلاء يتفقون على الصدق والعدل فضيلة، والكذب والظلم رذيلة، ولا فرق بين أبيض وأسود فالناس جميعا من أب واحد وأم واحدة فهم إخوة فى الإنسانية سواء أكانوا فى أمريكا أو فى آسيا أو فى أفريقيا أو فى أوروبا وكلهم ينتسبون إلى أب واحد هو آدم وأم واحدة هى حواء، وأن العبادات التى كلفنا الله - تعالى - بها كلف بها جميع الأمم السابقة. فالأديان السماوية كلها تدعو إلى مكارم الأخلاق وإلى احترام كرامة الانسان كما أن الإسلام يدعو إلى نشر الإخاء بين الناس جميعا ونشر الأمانة ونشر الفضائل وتبادل المنافع بين الناس سواء من يعيشون فى أوروبا أو أفريقيا أو آسيا أو استراليا أو أمريكا ولا يستغنى بعضهم عن بعض، ولابد أن يتعاونوا فيما بينهم تعاونا فيه الكرامة الإنسانية، فيه العدل وفيه الأمان والمودة والرحمة والتسامح والوقوف إلى جانب المظلوم حتى يأخذ حقه والوقوف فى وجه الظالم حتى يرتدع، كما شرح فضيلته للوفد موجز عن نشأة الأزهر الشريف وعن المعاهد الأزهرية وعدد الطلاب بها وأيضا عدد كليات جامعة الأزهر الشريف وأعداد طلابها وطالباتها، كذلك فإن الأزهر يفد إليه طلاب من ٩٤ دولة من دول العالم يقيمون بمدينة البعوث الإسلامية بالقاهرة والإسكندرية طلاب وطالبات يدرسون على منح الأزهر الشريف، وهناك طلاب وطالبات يدرسون بالأزهر ولكنهم يقيمون على نفقتهم الخاصة خارج مدينة البعوث الإسلامية.

وقد أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم حول تعليم الفتيات فى الأزهر والتخصصات المختلفة فى كليات جامعة الأزهر الشريف.

● استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف نيابة عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى ٢٠٠١/٦/٧ السيد / محمد ياسين والسيد يتروج مهر مدير مؤسسة سعد عبد الله نورى بجمهورية طاجكستان رحب فضيلته بالضيف الكريم فى مصر والأزهر الشريف شارحا لهم الدور الذى يقوم به الأزهر فى تعليم أبناء المسلمين حيث تمتاز الدراسة فى الأزهر الشريف بالوسطية والاعتدال والبعد عن المغالاة والتعصب والتطرف ولا يتحيز لمذهب بعينه وإنما تدرس فى الأزهر كل المذاهب، وقال إن فى الأزهر أبناء من طاجكستان يتعلمون على منح الأزهر وهذا هو دور الأزهر الشريف لأنه بيت المسلمين جميعا.

شكر الضيفان فضيلته على حسن اللقاء وطلبا إنشاء معهد أزهرى فى طاجكستان لتعليم أبناء المسلمين هناك كما طلبا إمدادهم بالكتب والمناهج الدراسية والكتب العلمية والثقافية، كما طلبا اشتراك علماء طاجكستان فى الدورة التدريبية التى يعقدها الأزهر كل ثلاثة شهور، كما طلبا زيادة المنح الدراسية.

وقد وعد فضيلته بدراسة طلباتهم تمهيدا لتلبيتها.

# من أخبار العالم الإسلامى

إعداد / محمد الشرقاوى

## اكتشاف مقابر جماعية جديدة لشهداء البوسنة

مازال مسلمو البوسنة يتألمون ويعانون فآثار العدوان الصربى الإجرامى لم تختف بعد وأصبح من المعتاد أن يتم اكتشاف مقابر جماعية تضم رفات شهداء من ضحايا مجرمى الحرب من الصرب ففى بلدة «فلاسنتشا» بضواحى مدينة توزلا البوسنية شيعت جنازة جماعية لرفات «٧٨» مسلما قتلوا خلال المذابح التى ارتكبها الصرب عام ١٩٩٢ .

الأخبار ٤ / ٥ / ٢٠٠١

## تدريس الإسلام فى مدارس ألمانيا

فى إطار برنامج سياسى اجتماعى يهدف إلى إدماج الأجانب فى المجتمع الألمانى بدأت الحكومة الألمانية مشروعا جديدا لتدريس مادة التربية الإسلامية فى المدارس الحكومية وقد تم توجيه الدعوة لعدة جهات مثل وزارة التربية التركية لتقديم محتويات هذه المادة غير أنه تم استبعاد المجلس الأعلى للمسلمين فى ألمانيا من هذه المهمة الأمر الذى جعله يقوم بجمع توقيعات من الجالية الإسلامية حتى يفرض مشاركته فى تحديد محتويات المنهج الدراسى .

مما يذكر أن عدد المسلمين فى ألمانيا حوالى ثلاثة ملايين مسلم ويصل عدد أبنائهم فى المدارس الألمانية إلى «٣٥٠٠» ألف تلميذ أى حوالى «٦٠٪» من إجمالى التلاميذ فى المدارس الألمانية .

الأخبار ٢٨ / ٥ / ٢٠٠١

## اتفاق أمريكى روسى على فرض عقوبات على أفغانستان

اتفقت الولايات المتحدة وروسيا على خطورة الوضع داخل أفغانستان وضرورة العمل المشترك لتنفيذ العقوبات التى تفرضها الأمم المتحدة على شعب أفغانستان المسلم .

الأهرام ٢٥ / ٥ / ٢٠٠١

## انعقاد الدورة الثالثة والخمسين لدعاة ووعاظ العالم الإسلامى

عقد فى القاهرة يوم الأربعاء ٢٢ من ربيع الأول ١٤٢٢ هـ ١٤ من يونيو ٢٠٠١م المؤتمر الثالث والخمسون لدعاة ووعاظ العالم الإسلامى والذى نظمه الأزهر الشريف بالتعاون مع مركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الدكتور



محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وحضره دعاة ووعاظ العديد من الدول الإسلامية والعربية.

من الجدير بالذكر أن المركز يقدم محاضرات للدعاة حول القضايا الاقتصادية المعاصرة من منظور إسلامى مثل العولمة والخصخصة والبنوك وشركات التأمين والتجارة الإليكترونية وبطاقات الائتمان والبورصة كما يتم تدريبهم على الكمبيوتر والإنترنت وكيفية استخدامها فى الدعوة والرد على الشبهات التى يثيرها أعداء الإسلام.

**الأهرام ١٤ / ٦ / ٢٠٠١**

## مسلمو أمريكا يعترضون

عقدت مجموعة من المسئولين المسلمين الأمريكيين مؤتمرا صحفيا فى واشنطن تنتقد فيه وزارة الخارجية الأمريكية بسبب الدعم الذى تقدمه للسياسة الإسرائيلية التى وصفوها بالفصل العنصرى تجاه الفلسطينيين وأوضحت المجموعة التى تمثل ست منظمات إسلامية، أنها تعارض الدعم المتواصل ـ وبدون أى تحفظ ـ الذى تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية للسياسة الجائرة واللا أخلاقية واللاشرعية التى تنتهجها إسرائيل ضد الفلسطينيين والمسلمين.

**الأهرام ١٥ / ٦ / ٢٠٠١**

## «المعجم الفقهى» أول موسوعة إسلامية من نوعها

صدرت فى مدينة «قم» الإيرانية أول موسوعة إسلامية من نوعها فى العالم الإسلامى عن مركز «المعجم الفقهى» الإيرانى وقال مسئول المركز إن الموسوعة التى تشتمل على ثلاثة آلاف مجلد من أمهات الكتب الفقهية فى المذاهب الدينية الرئيسية وضعت تحت تصرف الجامعات ومراكز الأبحاث والدارسين وأنها متاحة لمن شاء على أكثر من ألف موقع إسلامى فى شبكة المعلومات الدولية وأوضح أن الموسوعة خرجت شاملة ومبسطة جدا بحيث تتيح للطالب الوصول إلى أية معلومة بمجرد اختيار واحد من عشرات المفاتيح وأضاف أنه إذا كان الطالب يعد بحثا عن نظام المواريث مثلا فيمكنه أن يحصل على كل ما كتب فى هذا المجال لدى جميع المذاهب الإسلامية عندما يطبع كلمة «مواريث» فترتسم أمامه عشرات المراجع التى تناولت الموضوع.

**الأهرام ١٥ / ٦ / ٢٠٠١**

## مصير مجهول ينتظر المسلمين فى مقدونيا

محنة المسلمين فى مقدونيا تتزايد، فموجات الهروب من جحيم نيران القوات المقدونية لم تنته ومعظم الهاربين من النساء والأطفال والعجائز الذين استخدموا جرارات وشاحنات بضائع النقل للفرار إلى داخل إقليم كوسوفو وقد اتخذ جنود مقدونيا موقفا أكثر تعسفا زاد من معاناة المسلمين وهو أنهم منعوا الرجال من العبور إلى داخل كوسوفو بحجة أنهم يساندون الثوار المسلمين ـ أو لاستخدام هؤلاء الرجال فى خدمة جيش مقدونيا.

**الأخبار ١٥ / ٦ / ٢٠٠١**

## قناة تليفزيونية إسلامية على الانترنت

بدأ مركز «اكتشف الإسلام» بالبحرين بثاً تليفزيونياً على شبكة الإنترنت تمهيداً لإطلاق قناة تليفزيونية عالمية باللغة الإنجليزية موجهة لغير المسلمين فى مختلف أنحاء العالم ويستفيد منها المسلمون وتهدف برامج هذه القناة إلى تعريف غير المسلمين بدين الإسلام.

**الأهرام ١٥ / ٦ / ٢٠٠١**

# الفهـــرس


- العدل ظاهرة كونية قبل أن يكون فضيلة خلقية (الافتتاحية)
  للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ـــ ٥٦٢
- تفسير سورة البقرة
  لفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى ـــ ٥٦٧
- قضايا قرآنية: قضية الوقف على رؤوس الآيات
  لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة ـــ ٥٧٣
- الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان
  للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ـــ ٥٨١
- الدعوة كما ينبغى أن نبلغها
  لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ـــ ٥٨٨
- اختلاف فقهاء الشريعة حول التأمين
  للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى ـــ ٥٩٥
- محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
  للأستاذ الدكتور عبدالعظيم المطعنى ـــ ٦٠١
- بلبل الفردوس.. بلال بن رباح (قصيدة)
  بقلم/ أبوحسام ـــ ٦٠٨
- العربى بين الأصالة والمعاصرة
  للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ـــ ٦١١
- مواقف إسلامية: من دروس التربية العملية
  للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة ـــ ٦١٦
- قصة العدد: الحق المر
  بقلم/ عابر سبيل ـــ ٦٢٦
- مايقال عن الإسلام: نقد علمى لمقال دينى
  للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ـــ ٦٣١
- (عرض كتاب) سيرة النبى محمد ﷺ
  للأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ـــ ٦٣٩
- من عيون التراث: الأضداد
  تحقيق الأستاذ/ محمد أبوالفضل إبراهيم ـــ ٦٥٢
- صرعى الأغراض (قصيدة)
  للشاعر/ أحمد الزين ـــ ٦٥٧
- طرائف ومواقف
  إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ـــ ٦٦٠
- من مختارات مجلة الأزهر:
  العلم والدين للأستاذ/ محمد أحمد الغمراوى ـــ ٦٦٢
- ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية
  للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ـــ ٦٧٢
- الشيخ محمد الخضر حسين
  للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ـــ ٦٧٧
- العقاد الشاعر بين منهجين فى النقد
  للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ـــ ٦٨٥
- فقيد الأزهر الأستاذ الدكتور/ إبراهيم الدسوقى خميس
  للدكتور/ رضا عبدالمجيد المتولى ـــ ٦٩٠
- القعقاع بن عمرو التميمى (٢)
  للأستاذ أحمد السيد تقى الدين ـــ ٦٩٤
- الجيتو والكيبوتس فى الوجدان اليهودى
  للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ـــ ٦٩٨
- من صفحات الخير
  للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ـــ ٧٠٣
- رسالة و رد
  لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان ـــ ٧٠٧
- استفتاءات القراء
  تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ـــ ٧١١
- خطبة الجمعة: من ملامح الشخصية المسلمة
  لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ـــ ٧١٤
- فقه العبادات فى ضوء غاياته
  للشيخ/ أبومحمد الأقصرى ـــ ٧١٧
- بين الصحف والمجلات
  للأستاذ محمد الفشنى ـــ ٧٢٠
- بين المجلة والقارئ
  للأستاذ/ عادل خفاجة ـــ ٧٢٤
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
  إعداد الشيخ/ عمر البسطويسى ـــ ٧٢٨
- من أخبار العالم الإسلامى
  إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى ـــ ٧٣٤






# الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

●●●

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / الأزهر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩


بسم الله الرحمن الرحيم

## داخل العدد


- تفسير سورة البقرة
  لفضيلة الإمام الأكبر
- لغو عن ميراث المرأة
  للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى
- التثبت من رواية الحديث
  للدكتور / أحمد محمود أحمد شيمى
- الدعوة كما ينبغى أن نبلغها
  للشيخ / الطاهر الحامدى
- حول الأصالة والمعاصرة
  للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومى



## الاشتراك السنوى

- داخل مصر ........ ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ........ ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ........ ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ........ ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

جمادى الأولى ١٤٢٢هـ  اغسطس ٢٠٠١م  الجزء الخامس  السنة الرابعة والسبعون




افتتاحية العدد

# لغو عن ميراث المرأة

**«اضطر إلى تفصيل ما أوجزته من قبل في حديث عن ميراث المرأة ردا على من يجادل في التشريع بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير»**

من أعجب ما يلاحظه الدارس المتأمل في صحف اليوم، أن كثيراً من القضايا الاجتماعية التي يتصدى لمعالجتها بعض الكتاب قد فرغ من أمرها بعد أن ظلت قرابة قرن كامل موضعاً لنقاش وضح فيه وجه الرأى الصريح وكان الأجدر بمن يدعون لأنفسهم حرية النظر، وجدة البحث أن يتركوا المكرر المعاد إلى غيره، لأن الجديد يجعل المناقشة ذات مستوى فكرى مشرف، كما أن لصاحبه فضلاً في سعة أفقه وطرافة منحاه! ولئن شط بعض الشطط فيما يذهب إليه فإن من ورائه من يقوم بتقويم الاعوجاج إذ لا يخلو عصر ما من صادع بكلمة الحق وجاهر بمنطق العدل، مهما كثر المرجفون.

وقد كنا نظن أن الحديث عن ميراث المرأة، والذهاب إلى مساواتها بالرجل، قد فات زمنه بعد أن خاض فيه المغرضون، ووجدوا من يظهر كلمة الله ساطعة تقذف بالحق على الباطل، ولكن بعض الكتاب يلجأ إلى صحيفة شهيرة ليقرن فيها منحى الشريعة الإسلامية بالقانون الروماني والفرنسي، ثم يذهب إلى أن ضرورة الحياة تحتم الأخذ بالقانون الوضعي، وينقل نصوصاً عن رجال هذين القانونين، وكأن ما ينقله عن هؤلاء كفيل أن يطمس شريعة الله، وأغرب ما في منحاه أن يعتقد أنه فاجأ الناس بالجديد حين ذكر نصوص القانونين الروماني والفرنسي! وما يوم حليمة بسر.

ولن أحاول الرد على الكاتب بتلخيص ما هو مشتهر في هذه القضية ولكن اكتفي بنقل رد موجز لعالم فاضل هو أستاذنا المغفور له الشيخ عبد المتعال الصعيدى، إذ أفرد كتاباً جليلاً تحت عنوان (الميراث في الشريعة الإسلامية والشرائع الوضعية) قال فيه بصدد هذا الموضوع ما ملخصه: «وقد ذهب القانون الروماني إلى التسوية بين الذكور والإناث في الميراث، فغالى في شأن الإناث كما غالت بعض الشرائع الأخرى حين حرمتهن حرماناً تاماً، أما الإسلام فقد توسط بين

هذه الشرائع في إرث النساء فلم يذهب إلى حرمانهن منه مع الذكور كما في الشريعة اليهودية، ولا إلى التسوية بينهن وبين الذكور كما في القانون الروماني والفرنسي، وقد نعلم جميعاً أن المرأة لا يطلب منها إلا أمر نفسها، وقد يكون أمرها مطلوباً من غيرها، أما الرجل فيطلب منه أمر نفسه وأمر نسائه وأولاده، لأنه يربيهم ويتعهدهم بما يطلبون، وكذلك يطلب منه أن يقوم بحقوق الأسرة - كالخ مثلا - إذا فقدت رئيسها، كما إن ميل المورث دائماً مع أبنائه، إذ يرى أن مال البنات يذهب إلى زوج أجنبي، فإذا لم تميز الذكور عن الإناث فإن المورثين سيضطرون في حياتهم إلى تخصيصهم بأكثر ما في أيديهم، ويكون هذا مصدر تشاحن وبغضاء بين الورثة جميعاً، والرجوع إلى حكم الإسلام يدرأ السوء».

## وشــهد شـــاهد من أهلهـــا

من أكثر من نصف قرن حاضر الأستاذ سلامة موسى في بعض الأندية المصرية مطالباً مساواة المرأة بالرجل في الميراث جرياً وراء القانون الفرنسي! ونشر محاضرته في الصحف، ووجد من أبواقه من يعلقون على المحاضرة معجبين، وقد ظن أنه بهذا الدوى المتشنج سيكسب قلوب السيدات من جماعة النهضة النسائية فكتب إلى الزعيمة المصرية السيدة هدى هانم الشعراوى يستحثها على المناداة بالمساواة في الميراث بين الجنسين، وظن أن زعيمة النهضة النسائية ستصفق لمذهبه وربما توهم أنها ستنادى به محرراً للمرأة فينزل مع قاسم أمين في مستوى واحد، ولكن السيدة هدى هانم شعراوى قد خيبت أمله حين ردت عليه بما يلي نقلاً عن مذكراتها المنشورة بمجلة حواء في تاريخ ٢٠ / ٩ / ١٩٨٠ م ببعض التصرف:

يهمني أن أبلغ حضرة الأستاذ - تريد سلامة موسى - ومن حضروا خطبته أني في خدمتي لهذه النهضة أؤدى واجباً معهوداً إليّ من جمعية الاتحاد النسائي التي شرفتني برياستها، ولما كان نصيب المرأة في الميراث ليس من المسائل الداخلة في برنامجها فليس لي أن أتدخل في هذا الموضوع وإن كان ولابد من إبداء الرأى فيه، فأقول إني لست من الموافقين على رأى الأستاذ فيما يتعلق بتعديل نصيب المرأة، ولا أظن أن النهضة النسوية في هذه البلاد يجب أن تتأثر بالنهضة الأوروبية لأن لكل بلد تشريعه وتقاليده وليس ما يصلح في بلد مما يصلح في البلد الآخر، على أننا لم نلحظ تذمراً من المرأة وشكوى لعدم مساواتها للرجل في الميراث، لأن اقتناعها بما قسم لها من نصيب ناشئ من أن الشريعة عوضتها مقابل ذلك بتكليف الزوج بالإنفاق عليها، وعلى أولادهما، كما منحتها حق استقلال التصرف في أموالها، أما

القول بأن عدم المساواة في الميراث من دواعي إحجام بعض الشبان عن الزواج في الشرق، فغير وجيه، لأننا نشاهد في أوروبا انتشار هذا الداء في عصرنا الحالي انتشاراً أشد خطورة منه في الشرق بالرغم من أن المرأة الأوروبية ترث بقدر ما يرث الرجل، فضلاً عن أنها ملزمة بدفع المهر ومكلفة بالتخلي عن إدارة أموالها لزوجها.

ولو سلمنا بنظرية الأستاذ سلامة موسى وجاريناه في طلب تشريع جديد فهل لا يخشى أن يؤدى ذلك إلى إسقاط الواجبات الملقاة على عاتق الزوج نحو زوجته وأولاده بالاشتراك في الصرف وفي ذلك ما فيه من حرمان يعود بالشقاء والبؤس على الزوجات الفقيرات اللاتي لم ينلن ميراثاً من ذويهن وهذه الطبقة تشمل أغلبية الزوجات، ولا يخفى ما هن عليه من جهل وأمية.

ثم وازنت السيدة هدى هانم شعراوى بين المرأة المسلمة والمرأة الغربية فقالت: نرى الغربية أكثر حظاً منا لأنها تظهر حائزة لقسط كبير من الحرية المدنية بيد أنها أقل حظاً من أختها الشرقية في الحرية الاقتصادية، فبينما نرى الشرقية غير المتساوية في الميراث، تتمتع بكافة أنواع الاستقلال في إدارة أعمالها وأموالها نجد الغربية المساوية لأخيها في الميراث محرومة من هذه النعم، إذ لا يمكنها أن تنفق أى مبلغ من مالها، ولا أن تتعاقد مع الغير، ولا أن تحترف حرفة دون تصديق زوجها وموافقته لذلك نراها ثائرة في جميع بلدان أوروبا، على تلك القيود التي تحول بينها وبين الحرية الحقيقية والاستقلال اللذين تتمتع بهما الشرقية منذ عصور طويلة.

## دعـــوى كاذبـــة

وقد ادعى الأستاذ سلامة موسى في محاضرته التي ألقاها بجمعية الشبان المسيحيين ونشرتها جريدة المقطم أن الأستاذ قاسم أمين كان ينوى المطالبة بمساواة المرأة للرجل في الميراث، ولكنه أغفل ذلك حتى يمهد له مستطلعاً الرأى العام في ذلك، وهي دعوى كاذبة لأن قاسم أمين لو اتجه هذه الوجهة ما وجد مانعاً يعوقه عن تسطيرها في كتابيه (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) وحين كتب مؤلفه تحرير المرأة الذى أحدث هذه العاصفة المدوية بالمجتمع الإسلامي لم يتمهل قليلاً قبل إصداره كتابه ليستطلع أفكار الرأى العام فلماذا حرص على ذلك في مسألة المساواة بين المرأة والرجل في الميراث بالذات!! ثم إن الأستاذ سلامة موسى لم يكن من تلاميذ قاسم أمين ومن مريديه حتى يعرف أنه كان يرمى الجمهور بهذه الدعوى

الكاذبة! وقد أحسنت السيدة هدى هانم شعراوى حين دفعت هذه الفرية فقالت بصددها:

«ومن الرجم بالغيب أن يقال إن المرحوم قاسم أمين لما قام بنشر كتبه فى سبيل تحرير المرأة كان ينوى المطالبة بمساواة المرأة بالرجل، وأن الذى أخره عن إعلان هذا المطلب هو انتظار نضوج الرأى العام، لأن المطلع على كتب المرحوم قاسم أمين يقرأ من بين سطورها أنه كان يعنى فقط بجعل المرأة عضواً صالحاً فى الهيئة الاجتماعية بأن تعد الفتاة لتكون أهلاً للقيام بنصيبها من العمل فى خدمة عائلتها ووطنها».

## تعقيب الأمير عمر طوسون

كان الأمير عمر طوسون من كبار مفكرى عصره، وله اتجاهه الإسلامى الرصين، وكان يرقب أمثال هذه النزعات العاثرة فى يقظة وقد كتب خطاب تأييد للسيدة هدى هانم الشعراوى حين جهرت برأيها فى دعوى الأستاذ سلامة موسى، وقد جاء فى خطابه الحاسم قوله:

«قرأنا المقال الحكيم المنشور فى جريدة الأهرام تحت عنوان (نصيب المرأة فى الميراث) فسرنا أن تكون الحكمة رائد عصمتك فيما توخينه من نهضة المرأة المصرية والعمل على رقيها، من الاحتفاظ بالشرائع الإلهية، والصالح من عاداتنا وأخلاقنا ومميزاتنا القومية، كامة لها كيان بقوماتها ومشخصاتها، فهذه هى طريق الإصلاح النافع، وسبيل النهضة الصحيحة، أما الدعوة إلى إطراح قوميتنا، والانفصال شيئاً فشيئاً عن أصول ديننا، تلك الدعوة التى يدعو لها الآن نفر منا رأوا الشقة بيننا وبين الغربيين بعيدة فأرادوا بحسن قصد وفيما نظن أن يعلوا بنا إليهم من طريق الطفرة، وحسبوا من استحكام حلقات التأخر وتغلغله فينا، أن ليس لنا نجاة إلا بتحطيم ما نحن عليه من خلق وعادات ودين، فتلك دعوة خطرة المغبة، وسيرون بأعينهم قريباً أنهم قد ضلوا الطريق وأصبحوا حيارى لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء».

هذا وقد اتسع المجال حينئذ لنقدات قومية جهر بها أكابر العلماء من أمثال الأساتذة عبد ربه مفتاح، ويوسف الدجوى، ومحمود أبو العيون، وعلى سرور الزنكلونى، فأرضوا الله بما قالوا، رحمهم الله جميعاً إذ هتكوا حجاب الضلال فبدا شائه المنظر، بشع العاهات.

د. محمد رجب البيومى

# تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله – تعالى – : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

الآيات من ٢٢٢ : ٢٢٣

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها فى البيوت أى لا يسكنون معهن – فسأل الصحابة النبى ﷺ فأنزل الله – تعالى – :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ .

الآية، فقال رسول الله ﷺ اصنعوا كل شيء إلا النكاح. فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه. فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله، إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما – أي غضب – فاستقبلتهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ فأرسل في آثارهما فسقاهما، فعرفا أن لم يجد عليهما[(١)].

**والمحيض**: الحيض مصدر حاضت المرأة تحيض حيضا ومحيضا فهي حائض، وأصله السيلان. يقال حاض الوادي إذا سال، ومنه الحوض لسيلان الماء إليه.

ثم أطلق الحيض على ما يقذفه رحم المرأة من دم في أوقات مخصوصة على وجه مخصوص.

**والأذى**: الشيء الذي يتأذى منه الإنسان ويصيبه الضرر بسببه.

والسؤال كان من بعض الصحابة، لأنه لقوة إيمانهم كانوا يحبون أن يعرفوا حكم الإسلام في شئونهم الخاصة والعامة، ولأنهم وجدوا أن اليهود وغيرهم يعاملون المرأة في حال حيضها معاملة غير كريمة فسألوا رسول الله ﷺ عن هذا الأمر الذي يتصل بأدق العلاقات بين الرجل والمرأة وهو حكم مباشرة النساء في حال الحيض، فأجابهم الله – تعالى – جوابا شافيا.

**والمعنى**: ويسألك أصحابك يا محمد عن حكم مباشرة النساء في حال الحيض فقل لهم معلما وموجها: إن الحيض أي الدم الذي يلفظه رحم المرأة في وقت معين أذى يتأذى به الإنسان تأذيا حسيا حسيا، فرائحته يتأذى منها من يشمها، وهو في ذاته شيء مستقذر تعافه النفوس، وتنفر منه الطباع.

وقوله:

﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ﴾

بيان للحكم المتفرع على تلك الحالة التي يتأذى منها وهي حالة الحيض.

**والاعتزال**: التباعد، وهو هنا كناية عن ترك الجماع والمباشرة، كما أن النهي عن قربهن كناية عن النهي عن جماعهن، يقال: قرب الرجل امرأته إذا جامعها.

و﴿يَطۡهُرۡنَ﴾ من الطهر – بضم الطاء – بمعنى النقاء من الوسخ والقذر.

**والمعنى**: عليكم أيها المؤمنون أن تمتنعوا عن مباشرة النساء في زمن حيضهم، ولا تجامعوهن حتى يطهرن من ذلك، لأن غشيانهن في هذه الحالة يؤذيكم بسبب عدم نقاء المحل الذي يكون فيه الغشيان للمرأة، والمرأة أيضا تتأذى من مباشرتها في زمن الحيض لأنها لا تكون في حالة تستسيغ معها المباشرة، فجهازها التناسلي في حال اضطراب، وهيئتها العامة في حالة تجعلها من شأنها أن تنفر من الجماع، والولد الذي يأتي عن طريق الجماع في حالة الحيض – على فرض إتيانه – في هذه الحالة – كثيراً ما يأتي مشوها ضعيفا،

(١) صحيح مسلم. كتاب الحيض (١/١٦٩)

لأن النطفة إذا اختلطت بدم الحيض، أحدثت البويضات في التخلق قبل وقت صلاحيتها للتخلق النافع الذي يكون وقته بعد انتهاء فترة الحيض وقد قال بذلك الأطباء الثقاة[٢]. وعرفه العرب القدامى بالتجربة، قال أبو كبير الهذلي:

**ومبرأ من كل غبر حيضة**
**وفساد مرضعة وداء معضل[٣]**

وقد أجمع العلماء – كما بينا – على أن المراد بالاعتزال هو اجتناب المباشرة، إلا أنهم اختلفوا فيما يجب اعتزاله من المرأة بعد ذلك.

فبعضهم يرى اعتزال جميع بدن المرأة، وحجتهم أن الله أمر باعتزال النساء ولم يخصص من ذلك شيئا دون شيء.

وبعضهم يرى اعتزال موضع الأذى – أي مكان خروج الدم – لقول النبي ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح».

وبعضهم يرى اعتزال مابين السرة إلى الركبة من المرأة وله ما سوى ذلك، لقول عائشة: كانت إحدانا إذا كانت حائضة أمرها النبي ﷺ أن تأتزر ثم يباشرها. وقوله:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ تأكيد لحكم الاعتزال وتقرير له، وتنبيه على أن المراد به عدم جماعهن لا عدم القرب منهن أو مخالطتهن أو الأكل معهن كما كان يفعل اليهود وبعض العرب.

والدليل على ذلك ما جاء في الصحيحين عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «كنت أرجل رأس رسول الله ﷺ وأنا حائض».

وروى البخاري عن عائشة – أيضا – قالت: كان رسول الله ﷺ يتكيء في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن[٤].

وروى مسلم عنها أيضا قالت: كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيَّ فيشرب.

وقوله:

﴿ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ بيان لغاية الاعتزال وقرأ حمزة الكسائي ﴿ حَتَّىٰ يَطَّهَّرْنَ ﴾ بفتح الطاء والهاء مع التشديد.

ومعناه عند جمهور الفقهاء ولا تجامعوهن حتى يغتسلن، لأن القراءتين معناهما واحد، ولأن الله – تعالى – قد علق الإتيان على التطهر فقال:

﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ ﴾ والتطهر هو الاغتسال. فالمرأة إذا انقطع حيضها لايحل للزوج مجامعتها إلا بعد الاغتسال.

ويرى الأحناف أن معنى ﴿ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ أي حتى ينقطع الدم، لأنه إذا كان سبب الأذى هو الدم فانقطاعه طهور منه، وبناء على ذلك فيجوز

---

(٢) راجع تفسير التحرير والتنوير (٢/٣٥٠) للشيخ محمد بن عاشور
(٣) غبر الحيضة: جمع غبرة، وهي آخر الشيء، يريد أن يقول: إن أم هذا الممدوح لم تحمل به في آخر مدة الحيض لذا جاء مستقيم الخلقة.
(٤) صحيح البخاري: كتاب الحيض جـ١، ص ٨٢

للرجل أن يباشر زوجته قبل أن تغتسل متى انقطع دمها لأقصى مدة الحيض، وهو عشرة أيام. أخذا بالقراءة المشهورة ﴿ يَطْهُرْنَ ﴾ بالتخفيف. أما إذا انقطع الدم قبل ذلك فلا تحل مباشرتها إلا بالتأكد من زوال الدم بعمل من جانبها وهو الاغتسال الفعلي، لأن قراءة ﴿ يَطَّهَّرْنَ ﴾ بالتشديد عندهم معناها يغتسلن. وقال بعض الفقهاء يكفى فى حلها أن تتوضأ عند انقطاع الدم.

ولكل فريق أدلته المبسوطة فى كتب الفقه.

وفى هاتين الجملتين الكريمتين:

﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ
وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾

من سمو التعبير، وبديع الكناية ما يغرس فى نفس السامع حسن الأدب، ويصون سمعه عن الألفاظ التى يجافى سماعها الأذواق السليمة، وما أحوج المسلمين إلى التأسى بهذا الأدب الذى يحفظ عليهم مروءتهم وكرامتهم.

ثم قال - تعالى -:

﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾

أى: فإذا تطهرن من الحيض فجامعوهن فى المكان الذى أمركم الله بتجنبه فى الحيض وهو القبل ولا تتعدوه إلى غيره.

والأمر فى قوله - تعالى -: ﴿ فَأْتُوهُنَّ ﴾ المراد به إباحة المباشرة، لأن من المقرر عند العلماء أن الأمر بعد النهى يكون للإباحة، خصوصا إذا كان الموضع موضع حل وإباحة لا موضع تكليف وإلزام، وليس المراد به الحتم واللزوم، لأن الإتيان مبنى على الرغبة والطاقة وشبه بهذا التعبير قوله - تعالى -:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾(٥)

وقوله: ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾(٦).

**قال الجمل**: ومن فى قوله: «من حيث» فيها قولان:

**أحدهما**: أنها لابتداء الغاية، أى من الجهة التى تنتهى إلى موضع الحيض.

**والثانى**: أن تكون بمعنى فى، أى المكان الذى نهيتم عنه فى الحيض ورجح بعضهم هذا بأنه ملائم لقوله:

﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾(٧).

وعلى كلا القولين فالمقصود أن يأتى الرجل زوجته فى المكان الفطرى الطبيعى لتلك العلاقة الجنسية، وهو القبل إذ هو مكان البذر والإنسال، ولا يخرج عن ذلك إلا الذين أصيبوا بشذوذ فى عقولهم، وضعف فى دينهم.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

والتواب صيغة مبالغة من تائب بمعنى راجع إلى ربه إذا زل وهفا.

**والمتطهر**: هو الإنسان المتنزه عن الفواحش والأقذار.

(٥) سورة الجمعة (١٠). (٦) سورة المائدة (٢). (٧) حاشية الجمل على الجلالين جـ ١، صفحة ١٧٩.

أى: إن الله - تعالى - يحب عباده الذين يكثرون الرجوع إليه إذا ما ظلموا أنفسهم بسيئة من السيئات، والذين يصونون أنفسهم وينزهونها عن المعاصى والآثام، ويرضى عنهم فى الدنيا والآخرة.

**قال الآلوسى:**

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ مما عسى يبدر منهم من ارتكاب بعض الذنوب كالإتيان فى الحيض المستدعى لعقاب الله - تعالى - فقد أخرج الإمام أحمد والترمذى والنسائى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «من أتى حائضا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» وهو جار مجرى الترهيب فلا يعارض ما أخرجه الطبرانى عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: «يا رسول الله، أصبت امرأتى وهى حائض فأمره رسول الله ﷺ أن يعتق نسمة» وهذا إذا كان الإتيان فى أول الحيض والدم أحمر، أما إذا كان فى آخره والدم أصفر فينبغى أن يتصدق بنصف دينار كما دلت عليه الآثار»[8].

ثم قال - تعالى -:

﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾

روى الشيخان عن جابر قال: كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها فى قبلها ثم حملت كان ولدها أحول. فأنزل الله - تعالى - قوله:

﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ الآية.

**والحرث فى الأصل:** تهيئة الأرض بالحراثة لإلقاء البذر فيها. وقد تطلق كلمة الحرث على الأرض المزروعة كما فى قوله - تعالى -:

﴿ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ ﴾[9] أى على حديقتكم لجمع ما فيها من ثمار.

وشبهت المرأة بالأرض لأن كليهما يمد الوجود الإنسانى بأسباب بقائه، فالزوجة تمده بعناصر تكوينه، والأرض تمده بأسباب حياته.

و ﴿ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ بمعنى كيف شئتم، أو متى شئتم فى غير وقت الحيض.

**والمعنى:** نساؤكم هن مزرع لكم ومنبت للولد، أعدهن الله لذلك كما أعد الأرض للزراعة والإنبات، فأتوهن إذا تطهرن من الحيض فى موضع الحرث كيف شئتم مستلقيات على ظهورهن أو غير ذلك ما دمتم تؤدون شهوتكم فى صمام واحد وهو الفرج.

وفى هذه الجملة الكريمة إشعار بأن المقصد الأول من الزواج إنما هو النسل، ويشير إلى ذلك قوله:

﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ إذ من شأن الحرث الصالح الإنتاج وإشعار كذلك بما شرعه الله للزوجين من مؤانسة ومباسطة ويشير إلى ذلك قوله - تعالى -:

﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾.

ويرى صاحب الكشاف أن التشبيه بين ما يلقى فى الأرحام من النطفة وبين البذر الذى يلقى فى الأرض من حيث إن كلا منهما ينمو فى مستودعه ويكون به البقاء والتوالد، فقد قال - رحمه الله -:

---

(8) تفسير الآلوسى جـ2، صفحة 124، وبتلخيص قليل.

(9) سورة القلم (22).

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ مواضع الحرث لكم ، وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور، وقوله:

﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ تمثيل ، أي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تحرثونها من أي جهة شئتم، لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى: جامعوهن من أي شق أردتم بعد أن يكون المأتي واحدا وهو موضع الحرث.

ثم قال: وقوله - تعالى -:

﴿ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ ﴾ وقوله:

﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ وقوله:

﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ من الكنايات اللطيفة والتعريضات الحسنة. وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاورتهم ومكاتبتهم.

فإن قلت:ما موقع قوله:

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ مما قبله؟ قلت: موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله:

﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ يعني أن المأتي الذي أمركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا، أو إزالة للشبهة ودلالة على أن الغرض الأصيل في الإتيان هو طلب النسل لاقضاء الشهوة فلا تأتوهن إلا من المأتي الذي يتعلق به هذا الغرض»[١٠].

ثم ختم الله - تعالى - الآية بقوله:

﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

أي: عليكم أيها المؤمنون أن تقدموا في حاضركم لمستقبلكم من الأعمال الصالحة ما ينفعكم في دنياكم وآخرتكم، بأن تختاروا في زواجكم ذات الدين، وأن تسيروا في حياتكم الزوجية على الطريقة التي رسمها لكم خالقكم وعليكم كذلك أن تتقوه بأن تصونوا أنفسكم عن كل ما نهاكم عنه، وأن تعلموا علم اليقين أنكم ملاقوه فيحاسبكم على أعمالكم ويجازيكم عليها بما تستحقون.

وقوله:

﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بشارة طيبة لمن آمن وعمل صالحا، وتلقى ما كلفه الله - تعالى - بالطاعة والامتثال.

وبذلك نرى أن هاتين الآيتين قد أرشدتا المسلم إلى أفضل الوسائل، وأقوى الدعائم التي يقوم عليها صرح الحياة الزوجية السعيدة، والتي عن طريقها تأتي الذرية الصالحة الرشيدة، وأن الإسلام في تعاليمه لا يحاول أن ينكر أو يحطم غرائز الإنسان وضرورياته، وإنما الإسلام يعترف بغرائز الإنسان وضرورياته ثم يعمل على تهذيبها وتقويمها بالطرق التي من شأنه إذا ما اتبعها أن يظفر بالسعادة والطمأنينة في دنياه وأخراه.

«يتبع»

(١٠) تفسير الكشاف جـ١، صفحة ٢٦٦.

# التثبت من رواية الحديث النبوي

للدكتور/ أحمد محمود أحمد شيمي (*)

**إن المتأمل فى أحوال السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يرى أنهم كانوا يتحرون أشد التحرى فى روايتهم لأحاديث النبى ﷺ، وذلك لعلمهم أن حديث النبى ﷺ يأتى فى المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، ولأن أحاديث النبى ﷺ دين وقد تعبدنا الله، تعالى، به.**

**فلا يندفعون فى روايتهم للأحاديث بدون فهم أو روية، بل لابد من التثبت والتدقيق، وإمعان النظر فيما يقول الراوى أو الناقل، حتى يحفظوا للأمة مصدرها الثانى وهو الأحاديث النبوية.**

وعلى هذا النحو صار الصحابة والتابعون - رضوان الله عليهم - فتراهم يتثبتون فيما يقوله الراوى وفى المروى. فما اطمأنوا إليه قبلوه ورووه، وما لم يطمئنوا إليه طلبوا عليه شاهدا، وما لم تقم البينة على صدقه ردوه على قائله، ذكر الحافظ الذهبى أن أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - كان أول من احتاط فى قبول الأخبار عن رسول الله ﷺ. فروى ابن شهاب عن قبيصة: أن الجدة جاءت إلى أبى بكر تلتمس أن ترث، قال أبو بكر: ما أجد لك فى كتاب الله شيئا. ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال: كان رسول الله ﷺ يعطيها السدس فقال له: هل معك من يشهد لك؟ قال: فقام محمد بن مسلمة فشهد بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر - رضى الله عنه[1].

وعن أسماء بن الحكم الفزارى[2] قال:

(*) مدرس الحديث الشريف وعلومه بكلية أصول الدين بالزقازيق.

(1) أخرجه أبو داود فى سننه، كتاب الفرائض باب فى الجدة ٣/١٢١ (٢٨٩٤)

- وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الفرائض باب ما جاء فى ميراث الجدة ٤/٤١٩ (٢١٠٠)
- وأخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب الفرائض باب ميراث الجدة ٢/٩٠٩ (٢٧٢٤)
- وأخرجه مالك فى الموطأ كتاب الفرائض باب ميراث الجدة ٢/١٣.

(٢) «أسماء» مما سمى به العرب الرجال والنساء، فهو من الأسماء المشتركة. وإن كان فى النساء أكثر منه من الرجال، وأسماء بن الحكم الفزارى هذا، وثقه غير واحد، وصحح الترمذى له هذا الحديث الذى رواه عن على - رضى الله عنه - مع العلم أنه ليس له فى الكتب الستة إلا هذا الحديث. تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ١/٢٤٢ طبعة/دار الكتب العلمية

«سمعت عليًا يقول: إني كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني به، وإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، وإنه حدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر. قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهر، ثم يصلي، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له»[٣]، ثم قرأ هذه الآية:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٤].

وهذان الأثران يدلان دلالة واضحة على أن الصحابة كانوا يتثبتون في أمر الحديث، ويزنون الراوي والمروي، بميزان النقد العلمي الصحيح، الذي هو أشد من موازين الذهب والفضة.

وهذا أبو العالية يقول: كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالبصرة فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم[٥].

وانظر إلى أبي أيوب الأنصاري الذي يرحل من المدينة المنورة إلى عقبة بن عامر الجهني بمصر يسأله عن حديث سمعه من سيدنا رسول الله ﷺ، فلما قدم منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري وهو أمير مصر خرج إليه وعانقه ثم قال له: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ قال: حديث سمعته من النبي ﷺ لم يبق أحد سمعه منه غيري، وغير عقبة بن عامر، فابعث من يدلني على منزله، فبعث معه من يدله على منزل عقبة فخرج إليه عقبة فعانقه فقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ، ولم يبق أحد سمعه منه غيري، وغيرك في ستر المؤمن قال عقبة: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة»[٦].

قال أبو أيوب صدقت، ثم انصرف إلى راحلته فركبها راجعا إلى المدينة، فما أدركته جائزة مسلمة إلا بعريش مصر.

ويؤكد لنا هذا الحديث المعنى الذي ندور حوله، وهو شدة حيطة الصحابة والتابعين في روايتهم لحديث النبي ﷺ.

فانظر إلى الواحد منهم وهو يسافر السفر الطويل متحملا عناءه ومشقته، بل ربما لايجد الراحلة فيسافر على قدميه حتى يتثبت مما يقول، ولا يتقوه على النبي ﷺ بما لم يقل.

وهذا على الرغم من العلم الذي يلغوه، ولا نصل إليه، فلا يغتر ولا يتكبر ان يسأل عن ما لا يعلم، وهذا من بركة العلم.

ولقد تشدد العلماء في هذا الأمر. فكانوا لا يأخذون الحديث إلا من أهله وحفاظه، ونقدته.

---

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب أبواب الصلاة باب ما جاء في صلاة التوبة ٢/٢٥٧ (٤٠٦) وقال هذا حديث حسن

(٤) سورة آل عمران/١٣٥

(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ١/١٦٨ ط/مكتبة الفلاح بالكويت

(٦) رواه ابن ماجه في سننه برقم ٢٥٤٤

روى الحاكم من طريق ابن عبدالحكم عن أشهب قال: «سئل مالك، أيؤخذ العلم ممن لا يحفظ حديثه وهو ثقة؟ فقال: لا، قيل فإن أتى بكتب فقال سمعتها وهو ثقة، فقال: لا يؤخذ عنه، أخاف أن يزاد في حديثه بالليل، يعني وهو لا يدري»[٧].

وروى البيهقي عن مالك قال: أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون لا يؤخذ عنهم شيء من الحديث، يقال ليس من أهله[٨] أقول: إن رواية الأحاديث لها أهلها المتخصصون فيها الذين أفنوا أعمارهم في خدمتها، وذلك لعلمهم أن الكلام عن رسول الله ﷺ عليهم ليس سهلاً، بل هو في غاية الخطورة التي يأوي صاحبها إلى النار والعياذ بالله.

روى علي عن النبي ﷺ قال: «من روى عني حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[٩].

وفي رواية أبي قتادة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول، على هذا المنبر «إياكم وكثرة الحديث عني، فمن قال عليَّ فليقل حقا أو صدقا ومن تقول عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار»[١٠].

وفي صحيح البخاري «من كذب على متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار»[١١].

قال العلماء في معناه: أي فليتخذ لنفسه منزلاً، يقال تبوأ الدار، إذا اتخذها مسكنا، وهو أمر معناه الخبر، يعني فإن الله يبوئه، وتعبيره بصيغة الأمر للإهانة، ولذا قيل: الأمر فيه للتهكم أو للتهديد إذ هو أبلغ في التغليظ والتشديد من أن يقال: كان مقعده في النار، ومن ثم كان ذلك كبيرة، بل قال الشيخ أبو محمد الجويني: إنه كفر، يعني لأنه يترتب عليه الاستخفاف بالشريعة، ويؤخذ من الحديث أن من قرأ حديثه وهو يعلم أنه يلحن فيه، سواء في أدائه أو إعرابه، يدخل في هذا الوعيد الشديد، لأنه بلحنه كاذب عليه، وفيه إشارة إلى أن من نقل حديثا وعلم كذبه يكون مستحقا للنار، إلا أن يتوب، قال الطيبي: فيه إيجاب التحرز عن الكذب على رسول الله ﷺ، بأنه لا يحدث عنه إلا بما يصح بنقل الإسناد»[١٢].

ولأجل هذا التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ كان الصحابة يتوقون الحديث عن رسول الله ﷺ بل ربما كان الواحد منهم – مع علمه وحفظه لكثير من الأحاديث – لا يحدث حتى بالحديث الواحد.

فعن السائب بن يزيد، قال صحبت سعد بن مالك من المدينة إلى مكة، فما سمعته يحدث عن النبي ﷺ بحديث واحد[١٣].

وروى الشعبي قال: جالست ابن عمر سنة فما سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ شيئا[١٤].

---

(٧) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ص٢٩٦ ط/دار الفكر.

(٨) المصدر السابق ص٢٩٦.

(٩) أخرجه ابن ماجة في سننه/المقدمة باب من حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا وهو يرى أنه كذب ١/١٥ (٤٠).

(١٠) سنن ابن ماجة ١/١٤ (٣٥).

(١١) كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ١/٣٤٢ (١٠٧).

(١٢) قواعد التحديث لجمال الدين القاسمي ص١٧٣ ط/دار الكتب العلمية بيروت.

(١٣) سنن ابن ماجة/المقدمة باب التوقي في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١/١٢ (٢٩).

(١٤) سنن ابن ماجة المقدمة ١/١١ (٢٦).

وعن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: قلنا لزيد ابن أرقم: حدثنا عن رسول الله ﷺ قال: كبرنا ونسينا. والحديث عن رسول الله ﷺ شديد[١٥].

وكان أنس بن مالك إذا حدث عن رسول الله ﷺ حديثا ففرغ منه، قال: أو كما قال رسول الله ﷺ[١٦].

ومن المقرر عند العلماء أن عبدالله بن عمر وأنس - رضي الله - عنهما كانا من السبعة المكثرين لحفظ أحاديث النبي ﷺ وروايتها، ومع ذلك كانوا يُقلون الحديث عن رسول الله ويخافون من ذلك.

وإذا كان الأمر كذلك - أخي المسلم - مع من جالسوا النبي ﷺ وصحبوه وسمعوا منه الكثير، فإنه في حقنا نحن يكون أشد تأكيداً نظراً لما وقع من الفتن، ومحاولة الكذب على رسول الله ﷺ لغرض من الأغراض.

فينبغي على الداعية أو الخطيب، أو حتى من يتصدون للفتوى أن يتحروا الأحاديث النبوية التي يدعمون بها خطبهم وفتاواهم وذلك لثقة الناس فيهم ونقلهم عنهم، وذلك عن طريق تخـــريج هذه الأحاديث والآثار التي يستندون إليها من مصادرها المعتمدة وهي كثيرة جدا، أو حتى الرجوع إلى الحاسب الآلي (الكمبيوتر) الذي حفظ لنا الكثير من كتب السنة، حتى أصبح هذا الأمر في غاية اليسر والسهولة، التي لم تتوفر لسلفنا - رحمهم الله -.

وفي النهاية أنقل لك - أخي المسلم - هذه الفتوى لابن حجر الهيتمي[١٧] - رحمه الله - الذي سئل عن خطيب يرقى المنبر في كل جمعة، ويروي أحاديث كثيرة، ولم يبين مخرجيها، ولا رواتها فما الذي يجب عليه؟ فأجاب بقوله: ما ذكره من الأحاديث في خُطبه من غير أن يبين رواتها، أو من ذكرها، فجائز بشرط أن يكون من أهل المعرفة في الحديث أو ينقلها من مؤلفه كذلك، وأما الاعتماد في رواية الأحاديث على مجرد رؤيتها في كتاب ليس مؤلفه من أهل الحديث أو في خطبة ليس مؤلفها كذلك، فلا يحل ذلك، ومن فعله عُزِّر عليه التعزير الشديد، وهذا حال أكثر الخطباء فإنهم بمجرد رؤيتهم خطبة فيها أحاديث حفظوها وخطبوا بها من غير أن يعرفوا أن لتلك الأحاديث أصلاً أم لا، فيجب على حكام كل بلد أن يزجروا خطباءها عن ذلك، ويجب على حكام بلد هذا الخطيب منعه من ذلك إن ارتكبه.. ثم قال: فعلى هذا الخطيب أن يبين مستنده في روايته فإن كان مستندا صحيحا، فلا اعتراض عليه، وإلا ساغ الاعتراض عليه، بل وجاز لولي الأمر - أيد الله به الدين، وقمع بعدله المعاندين - أن يعزله من وظيفة الخطابة زجرا له عن أن يتجرأ على هذه المرتبة السنية بغير حق[١٨].. انتهى ملخصا أقول: ولا يقتصر الأمر على الخطباء فقط، بل ليتنا جميعا نتعلم علم الحديث وبخاصة تخريجها وعزوها إلى مصادرها الأصيلة، وكذلك دراسة أسانيدها حتى يتبين لنا الحديث الصحيح من الحسن أو الضعيف أو غير ذلك.

والله الموفق وعليه نتوكل

---

(١٥) المصدر السابق (٢٥). (١٦) تدريب الراوي ص٣٧٩.

(١٧) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن بدر الدين بن محمد شمس الدين بن علي نور الدين بن حجر الهيتمي الشافعي المحدث الفقيه، المولود بمحلة هيتم - بالمثناة الفوقية - من اقليم الغربية بمصر وإليها ينسب، توفي سنة أربع وسبعين وتسعمائة من الهجرة. يراجع البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١٠٩/١.

(١٨) قواعد التحديث ص١٦١ جمال الدين القاسمي الدمشقي

# الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان

## ٢

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

### عناية الإسلام بحرمة الأموال

عنى الإسلام بالمحافظة على حرمة الأموال، كما عنى بالمحافظة على حرمة النفس الإنسانية، وعلى حرمة الأعراض، تلك الحرمات الثلاث التى هى أغلى ما يحرص عليه كل إنسان فى حياته ومن أجلها يضحى بكل غال ونفيس بل قد يضحى بحياته نفسها. ولقد حفلت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه بالعناية بها ليأمن الناس فى مجتمعاتهم، وتسكن حياتهم، فلا تدنسهم فاحشة، ولا يلاحقهم خوف ولا يفزعهم عدوان وفيما رواه الشيخان من خطبة الرسول صلوات الله وسلامه عليه يوم النحر: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه».

وأريد هنا أن أبرز جانب عناية الإسلام بحرمة الأموال، وأن الله ـ تعالى ـ حرم أكل الأموال بالباطل فقال ـ سبحانه ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾(١).

وفى هذا تذكير لهم برحمة الله بهم وإذا لم يجد التذكير فهناك التحذير

﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾(٢).

ويوضح القرآن الكريم، مدى رحمة الله الواسعة إذا اجتنبت الكبائر ولم يعتد على حرمات العرض والمال والنفس فقال سبحانه ـ وتعالى ـ:

(١) سورة النساء، الآية (٢٩).

(٢) سورة النساء، الآية (٣٠).

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾(٣).

وإذا نظرنا إلى تعاليم الإسلام فيما يتصل بجانب المحافظة على حرمة الأموال وجدنا أن الإنسان مسئول عما بيده من مال، من جهة اكتسابه والحصول عليه، ومن جهة صرفه وإنفاقه من أين اكتسبه وفيم أنفقه. ولا يقبل الله أى تصرف للمال إذا لم يكن طيبا وحلالا حتى لو أنفقه فى وجوه الخير، وفى الحديث: «من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحمه أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قذف به فى نار جهنم»(٤).

وكثير من الناس يظن أن ما اكتسبه من حرام إذا أدى زكاته، أو إذا قام بإنفاقه فى وجوه الخير لا يكون عليه إثم، وهذا خطأ فاحش وزعم باطل ولا أساس له.. فكما أن المال الحرام لا ينفع صاحبه ولو أنفقه فى الخير بل يكون زاده إلى النار فكذلك يمنع الكسب الخبيث والمال الحرام من قبول دعاء صاحبه.

قال سعد بن أبى وقاص: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال النبى ﷺ: «يا سعد والذى نفس محمد بيده إن العبد يقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل الله منه عملاً أربعين يوماً، أيما عبد نبت لحمه من حرام فالنار أولى به»(٥).

وقد دعا الإسلام إلى العمل والكسب الطيب الذى يكتسب به العبد العزة والكرامة والذى يدفع عن نفسه ذل المسألة ومد اليد كما رسم منهج الإنفاق فى قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله»(٦).

وكما دعا الإسلام إلى الكسب والإنفاق فى الوجوه المشروعة، فقد نهى عن إضاعة المال وصرفه فى غير منفعة أو فيما حرم الله فالرجل الصالح يكسب المال الصالح، لينفقه فى العمل الصالح وفى الحديث: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»(٧) وإضاعة المال مما يكرهه الله لعباده من الخصال وفيما رواه مسلم يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»(٨)، وليست السعادة الحقيقية فى جمع المال وصرفه على حسب الهوى والرغبات النفسية والمتعة المادية والحسية، ولكن المال الذى يغتبط عليه صاحبه هو الذى يصرف فى الوجوه المشروعة وفى جانب الحق يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه

---

(٣) سورة النساء، الآية (٣١).
(٤) كنز العمال برقم ٩٢٥٦.
(٥) مجمع الزوائد ١٠/٢٢٩، ٢٩١.
(٦) رواه البخارى.
(٧) مسند أحمد ٤/١٩٧.
(٨) مسند أحمد ٢/٣٦٧.

الله ما لا فسلط على هلكته في الحق ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها )[٩].

ولم تقتصر تعاليم الإسلام في العناية بحرمة الأموال عند تحديد طرق كسبها ووسائل إنفاقها وعدم إضاعتها في الباطل، لم تقتصر على ذلك فحسب؛ بل إن الشريعة الإسلامية قد أحاطتها بعناية كبيرة، وفرضت عقوبات رادعة لكل من يعتدي على حرمة الأموال فقررت قطع يد السارق فقال الله - تعالى - :

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١٠].

وشدّد الإسلام في تنفيذ حد السرقة حتى لا يتلاعب الناس ويسطو بعضهم على بعض ويأخذ أحدهم حق الآخر. عن عائشة - رضي الله عنها - أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة فقال ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله؟» ثم قام فاختطب فقال: «أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[١١].

ويشدد الإسلام في الوعيد لمن يغصب حق امرئ مسلم أو يقتطعه «من غصب شبرا من أرض طوقه الله - تعالى - من سبع أرضين يوم القيامة»[١٢].

ويقول: صلوات الله وسلامة عليه: ( من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان ) . .[١٣] وفي حال الاعتداء على المال أجاز الإسلام للمالك أن يدفع عن ماله كل معتد حماية لحرمة المال وحفاظاً على الملكية الفردية مهما كلفه ذلك وفي الحديث ( من قُتل دون ماله فهو شهيد )[١٤] وقد أعلن رب العزة - سبحانه وتعالى - خصومته ووعيده لمن يأكل حق إنسان أو عامل أو أجير أو لا يعطيه أجره كاملاً: قال ﷺ: ( قال الله - عز وجل - : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره )[١٥] وحماية للملكية وحفاظاً على حرمة المال حرم الإسلام الغش في الكيل والميزان فقال - تعالى - :

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[١٦].

---

(٩) رواه البخاري
(١٠) سورة المائدة الآية (٣٨)
(١١) رواه مسلم
(١٢) مجمع الزوائد ١٧٦/٤.
(١٣) رواه أحمد
(١٤) رواه البخاري
(١٥) رواه البخاري
(١٦) سورة المطففين (١ - ٣)

وحرم الإسلام الربا ـ والقرض بفائدة ـ حتى لا يظلم الناس بعضهم بعضاً أو يستغل بعضهم بعضاً قال ـ سبحانه ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾(١٧).

وتوعد الله ـ سبحانه ـ أولئك الذين يكنزون المال ولا ينفقونه في سبيل الله توعدهم بعذاب أليم فقال ـ سبحانه ـ:

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾(١٨).

وهذا الوعيد لهؤلاء لأنهم أكلوا حق الفقراء والمحتاجين وكنزوا المال واحتكروه فهم بالتالي لم يعملوا له حرمة، ولم يصونوا للمحتاجين حقاً هذا وإن الاعتداء على حرمة الأموال بأية صورة من الصور، أو حيلة من الحيل ظلم كبير، وإثم لا يتحلل منه ولا تقبل من صاحبه توبة إلا برد الحق إلى صاحبه ومهما يكن عمله صالحاً أو تضحيته عظيمة فإن كل أعماله في ضياع.

## محافظة الإسلام على حرمة الأعراض

الإسلام دين الطهر والعفاف صان الأعراض كما صان الأنفس والأموال، ودعا إلى حمايتها والدفاع عنها، وأكد الإسلام حرمات المسلمين وفي الحديث: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»، وحماية للأعراض وصيانة لها كفل الإسلام لها حقوقاً شرعها تتسق وفق ما أحلّه الله من علاقات نقية طاهرة تتميز بالثبوت والاستقرار، وتحكم بحقوق، وواجبات، تشرق في ظلها المودة والرحمة، وتنبثق من خلالها المشاعر الإنسانية الوفية والمعاملات النظيفة الراقية. ونفى الإسلام عن المجتمع الإسلامي كل رذيلة من الرذائل وميز عباده ووصفهم بصفات تتفق مع عقيدتهم الصحيحة وإيمانهم الصادق وبين أنهم موحدون لا يدعون مع الله إلهاً آخر ومحافظون على حرمة الأنفس فلا يقتلون ومحافظون على الأعراض فلا يزنون إلى غير ذلك من الصفات.

قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١٩).

---

(١٧) سورة البقرة (٢٧٨ - ٢٧٩).

(١٨) سورة التوبة (٣٤ ، ٣٥).

(١٩) سورة الفرقان الآيات (٦٨ - ٧٠).



وحرم الإسلام الاقتراب من الزنا وذلك لأنه من الكبائر والفواحش قال الله ـ تعالى ـ :

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾(٢٠).

## الاعتداء على الأعراض

وجريمة الاعتداء على الأعراض من أخطر الجرائم وأكبر الكبائر التي إذا تفشت في بيئة نشرت التحلل والإباحية وولدت أخطر الأمراض الفتاكة بين مرتكبيها وأدت إلى غيرها من الجرائم كما أن فيها إهداراً لماء الحياة ولمادتها في غير موضعها المشروع وطريقها الحلال، كما ينشأ عن هذه الجريمة تشرّد وضياع لمن جاء من الأبناء من طريقها واختلاط للأنساب وفقدان للحياة العزيزة الطيبة النظيفة المحترمة. وهذه الجريمة المنكرة تعتبر من أشد الآفات الاجتماعية خطورة فيما يتصل بالناحية الأخلاقية والناحية الاجتماعية، ففيها محاربة للحياة الزوجية السليمة ومحاربة للعفة والفضيلة وعزوف عن الزواج وهي ظاهرة تحللية وفعلة شنعاء لا تظهر إلا في البيئة البعيدة عن زواج الإسلام والتي لا تخشى الله وعذابه. وهي أكثر ما تكون مصاحبة لظاهرة العزوف عن الزواج وذلك لأن البعض حين يرى قضاء شهوته بهذه الوسيلة يستهين بشأن الزواج ويرى فيه من الأعباء والمسئوليات ما يمكن أن ينأى بنفسه عنها، ويريح حياته منها.

وبتلك النظرة الهابطة الرخيصة، تصغر الأسر وتقل وتضعف وتتفكك ويضعف أبناؤها جسمياً وعقلياً وخلقياً، ولما كان الزنا والاعتداء على الأعراض له خطورته وله نتائجه السيئة التي تودى بالأفراد والأسر، وتهدم كيان البيوت وتقوض دعائم الحياة، شرع الإسلام عقوبته القاسية لتكون أكبر رادع ومانع مع الوقوع في هذه الجريمة، فالزاني المحصن يقتل رجماً بالحجارة، والبكر يجلد مائة جلدة.. وتنزل به هذه العقوبة الرادعة. على مرأى ومسمع من الناس ليكون في ذلك أشد الرذائل الرادعة، وليكون عبرة لغيره ممن تسول له نفسه ارتكاب مثل هذه الجريمة البشعة، وينهى الله ـ تعالى ـ من أن تكون هناك رأفة أو عطف على الجاني حين تنزل به العقوبة حتى لا تتعطل الحدود أو يخف الحد. قال الله ـ تعالى ـ :

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢١).

ومن الجرائم التي ترتكب اعتداء على الأعراض (القذف) فمن قذف رجلاً محصناً أو امرأة محصنة واتهم أحدهما بارتكاب جريمة الزنا ولم يقم البينة والدليل المطلوب شرعاً فإنه يجلد ثمانين جلدة وتسقط شهادته، وهما عقوبتان اثنتان لا عقوبة واحدة، فالأولى: وهي الجلد عقوبة مادية توقع على جسده والثانية: وهي إسقاط

---

(٢٠) سورة الإسراء (٣٢).

(٢١) سورة النور الآية (٢).



شهادته عقوبة معنوية أدبية توقع على كرامته وتظل دائمة قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٢٢)

وللقاذف من الوعيد الشديد ما يستحقه مما قرره الإسلام في الكتاب والسنة فالذين يقذفون المحصنات الغافلات يرتكبون أكبر الكبائر وتحلّ عليهم لعنة الله في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم بقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾(٢٣).

وقال ـ سبحانه ـ وتعالى ـ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢٤)

وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات من السبع الموبقات التي نهى عنها الإسلام وحذّر منها الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأمر المسلمين باجتنابها.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه عن النبي ﷺ : ( اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا، وأكل مال اليتيم والتولّي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات )(٢٥) المحصنات: اسم مفعول، أي التي أحصنهن الله وحفظهن عن الزنا والمراد بهن العفيفات وأما ( الغافلات ) فالمراد الغافلات عن الفواحش وما قذفن به.

وفيما رواه ابن أبي حاتم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال لأصحابه: ( تدرون أربى الربا عند الله قالوا الله ورسوله أعلم. قال فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرىء مسلم )(٢٦) ثم قرأ رسول الله ﷺ :

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾(٢٧).

ومن الذنوب التي تمثل اعتداء صارخاً على حرمات الناس وأعراضهم ( السخرية ) و( اللمز ) و( التنابز بالألقاب ) و( سوء الظن ) و« التجسس » والغيبة و« النميمة » وقد نهى الله ـ تعالى ـ عن هذه الأمور كلها وحذر منها ونادى المؤمنين أن يحذروها

---

(٢٢) سورة النور (٤)
(٢٤) سورة النور الآية (١٩).
(٢٦) إتحاف السادة المتقين ٨/٢٢٧.
(٢٣) سورة النور الآيات (٢٣ - ٢٥).
(٢٥) رواه البخاري.
(٢٧) سورة الأحزاب الآية (٥٨).

ناداهم بوصف الإيمان الذي يتنافى مع تلك الآفات ولا يستقيم مع تلك الرذائل فقال ـ سبحانه ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢٨).

فلا يجوز لإنسان أن يسخر من إنسان ولا يحل له أن يستهزىء بأخيه أو يسخر منه لأنه في بدنه نحافة في بعض أعضائه أو قلة في ماله أو غير ذلك من الأمور، وقد روى أن عبد الله بن مسعود انكشفت ساقه وكانت دقيقة هزيلة فضحك منها الحاضرون فقال النبي ﷺ :

« أتضحكون من دقة ساقيه والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من جبل أحد »(٢٩). وتأكيداً لحرمة الأعراض، والحفاظ على كرامة الإنسان وعدم الاعتداء عليه بالتجسس أو التطلع إلى أسراره أو بيته جاء في الحديث المتفق عليه : « من اطلع فى بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقئوا عينه »(٣٠) وقال صلوات الله وسلامه عليه : « يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله »(٣١).

***

---

(٢٨) سورة الحجرات الآيتان (١١، ١٢).

(٢٩) رواه الإمام أحمد.

(٣٠) متفق عليه.

(٣١) رواه الترمذي.

# الدعوة كما ينبغي أن نبلغها

٦

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

**تحدثت إليك فى آخر لقاء عن المطلق والمقيد وضربت لك مثالا لكل منهما وكنت على موعد معك للحديث عما يجب عمله إذا ورد اللفظ ـ فى نص ـ مطلقا ونفس اللفظ ورد فى نص مقيدا . هل يبقى المطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده؟**

**أى نعمل بالنص المطلق فى موضوعه ونعمل باللفظ المقيد فى موضوعه أم نحمل المطلق على المقيد؟ بمعنى أن القيد يسرى على المطلق حتى تستقيم النصوص ولا تتعارض أم أن استقامة النصوص تكون فى إعمال كل نص كما ورد؟ دون أن يقيد المطلق، وقد كنت على موعد معك للحديث فى هذا الموضوع، وأكاد أرى على ملامحك شيئا من الضيق والضجر كأنك أحسست بثقل المهمة لكنك أخفيت ما بك خلف ستار. بسؤال أنت محق فيه كل الحق فقلت: ما علاقة هذا بعنوانك الدائم: الدعوة كما ينبغى أن نبلغها ؟ ثم أردفت تقول: هل شققت عن قلبى فعرفت أنى ضيق ضجر فزعمت أنى أخفى ما بى خلف سؤال عن علاقة ما تتحدث فيه من المطلق والمقيد بعنوانك الدائم « الدعوة كما ينبغى أن نبلغها » ؟وقبل أن أجيك أرجو أن يتسع صدرك للإجابة أو للإطالة فى الإجابة:**

أولا : الذى أحب لك أن تتأكد منه أننى أحوج منك إلى مدارسة العلم فلست أزعم أنى عالم ألقى عليك علما ليس عندك، لكنى إذا سمحت لى أنا طالب علم، وكما يقولون: « حياة العلم مدارسته » فأنا أحوج إليك منك إلىّ، فلست أدعى أن عندى علما لكن الذى أنا متأكد منه أن عندى رغبة ملحة فى التعلم والمعرفة وعندى اعتزاز بتراث الأسلاف وما قدموا من جهد وبى ألم يعتصرنى وأنا أرى هوانا لهذا التراث على يد الأبناء والأحفاد، وأخطر ما تصاب به أمة أن تترك تراثها تحته عوامل التعرية وعوامل التعدى المدبر المقصود الدؤوب فتفقد هويتها وتسقط فى مستنقع الضياع ولعلك منتبة لما تقوم به من تسمى

نفسها «مراكز بحثية» وتزعم النزاهة والإخلاص فيما تقدمه من سموم.. وللأسف فإننا نزدرد ما يقدم إلينا في شراهة ونهم!! ولعلك تكون قد أدركت بعض ما أعانيه لما ذكرت لك في المقال السابق من شعر المتنبي وأنا أتجول في بعض أحياء القاهرة أطالع لافتات المحلات من تنكر شديد الوقاحة للغتنا العربية وهو دليل على تآكل الهوية، وأضيف إلى شعر المتنبي بيتا آخر لشاعر عربي قديم كان له مذاق مختلف لما سمعته من الداعية المجاهد فضيلة الشيخ محمد الغزالي - رضي الله تعالى عنه ورحمه - يصرخ به وكم كان عذبا صادقا جريئا قال:

**أنا ابن دارة معروفا بها نسبي**

**وهل بدارة يا للناس من عار**

هل بدارة من عار؟ أيها الناس:

أكاد أحترق والله لما أشاهد التليفزيون وأرى عربا يلوكون اللغة فلا تكاد تتبينها ثم تأمل الواحد منهم عندما تأتي كلمة «كمبيوتر» مثلا أو كلمة «كاريكاتير» كيف ينطقها بإتقان؟ تأمل ذلك لعلك تتأثر ويدفعك تأثرك أن تعمل من أجل لغتك وهويتك حيثما كان موقعك، لماذا لا يجيد هذا المتحدث لغته ويتهمنا بالتقعر؟ ألا يحق لنا أن نصفه بمهزوم النفس فاقد الهوية؟

**ثانيا**: تقول تلومني، لماذا حكمت بأنك ضيق صدر فهل شققت عن قلبك؟ ولا أكتمك يا صديقي لقد هالني ما قلت، فإني أحس بك كأنك تستدعي حادث أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - وموقف رسول الله ﷺ معه، تلقيه صاعقة فوق رأسي فأفقد توازني العقلي والنفسي. ولا أكتمك رغم هذا فقد أثلج صدري أنك استوعبت السيرة العطرة لنبي الفطرة والعدل تستشهد بها فيما يعن لك، ولعل القارئ الكريم يشاركني ما أنا فيه من غبطة فأذكر قصة أسامة بن زيد - رضي الله عنه وعن أبيه - مع رسول الله ﷺ لأعطر مجلسنا بذكر سيد الوجود ﷺ فقد روى الإمام البخاري عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: بعثنا رسول الله إلى الحرقة من جهينة قال: فصبحنا القوم فهزمناهم قال: لحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله قال: فكف عنه الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ قال: فقال لي: يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله قال: قلت يا رسول الله إنه إنما كان متعوذا قال: قتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ قال: فمازال يكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[1].

---

(١) فتح الباري ١٢/١٩١ - ١٩٢ حديث رقم ٦٨٧٢ كتاب الديات.

وقد يقول قائل: ليت أسامة لم يعترف!! حتى يخرج من الموقف كله سليما معافى، وما كان لأسامة أن يكذب، وعلى من؟ على رسول الله ﷺ وليس الكذب من خلق مسلم فهكذا قال الرسول، فقد روى مالك عن صفوان بن سليم أنه قال: قيل يا رسول الله ﷺ أيكون المؤمن جبانا؟ فقال: نعم. فقيل له: أيكون المؤمن بخيلا؟ فقال: نعم. فقيل له: أيكون المؤمن كذابا؟ فقال: لا[٢] لأن الذي يكذب ليهرب من مؤاخذة الدنيا أصبح إيمانه ناقصا لأنه من أركان الإيمان أن تؤمن باليوم الآخر، وما أدراك ما اليوم الآخر؟! فيه تتكشف الحقائق فلا يمكن أن يكون المؤمن كذابا لأن الذي يكذب يخالجه شك في أنه سوف ينجيه الكذب والمؤمن يعلم أن أهم نجاة هي نجاة الآخرة، فلا فائدة ترجى من كذب ينجيك في العاجلة ويرديك في العقبى، ولذلك فعندما تتعامل مع المسلم تستريح لأنك لاتجده مراوغا، ولا ختالا، فأنت تتعامل سوى النفس والسريرة مع سوى النفس والسريرة..

لكن تعال معي إلى رسول الله ﷺ لقد كان في قوله وتصرفه - مع أسامة - إرساء لمبدأ هام - غاب الآن من المجتمع أو يكاد - من مبادئ التحقيق والتقاضي، قال أسامة يدافع عن نفسه وعن فعلته: إنه قالها يتقي بها القتل فغضب النبي ﷺ غضبا لم يغضب مثله قط ثم قال: «أشققت عن قلبه يا أسامة؟»[٣] كأني برسول الله يقول لأسامة إن دفاعك أنكى من فعلتك؟ يقول راوي الحديث: فقال أسامة: «تمنيت لو أني لم أكن قد أسلمت» ولعلك تكون - هداني الله وإياك - قد استوعبت الموقف كله.

وبعد نعود إلى ما كنا فيه، تأمل ما قلته لك فأنا لم أتعرض لقلبك ونواياك لا تصريحا ولا تلميحا فلماذا التسرع في الاتهام لكنها سمة شباب العصر وكل ما قلته - وارجع إليه إن شئت - أنني أكاد أرى على ملامحك شيئا من الضيق والضجر، فأنا لم ألج قلبك، بل إن لم أحم حول حماه، بل حكيت ما ظهر على ملامح وجهك من ضيق وضجر، فهل أخطأت يا صديقي؟ أرشدني فأنا حريص على صحبتك ولعلك تقول: كل ذلك لم يكن، فأقول: ليته ما كان.

أما سؤالك عن علاقة ما نحن بصدده من المطلق والمقيد بعنوان: الدعوة كما ينبغي أن نبلغها، أقول لك «حولها ندندن له» وتلك كلمة قالها رسول الله ﷺ لكنها صارت مثلا فيمن يسأل عن أمر هو يريده وأنت حريص على العمل تعمله فيخيل إليه أنك في منأى عن الأمر كله فتنبهه إلى أن ما أنت فيه هو من أجل الهدف الذي يسعى هو إليه.

واسمح لي أن أحكي لك ما حدث حتى يزداد الأمر وضوحا.. كان النبي ﷺ يجلس

(٢) الموطأ جـ٢ ص: ٩٩٠ رقم ١٩ كتاب الكلام

(٣) رواه أبوداود وابن ماجة وأحمد

مع سيدنا معاذ فجاء رجل فسأله النبي ﷺ: ماذا تقول في الصلاة «أي بماذا تدعو» ؟ فقال الرجل: أتشهد ثم أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار، أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال النبي ﷺ «حولها ندندن»(٥).

وبعد فإن كل ما نقوله وما يجرى بيننا من حوار هو - أسأل الله أن يكون - تصحيح لمسار الدعوة كيف تكون.

والآن اعتقد أنه حان الوقت لكي أوضح لك المطلق والمقيد واقرأ معي قول الله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ الَّٰتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ الرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ الَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ الَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٦).

وأولا: ثمة عبارة للفقهاء - هي عبارة موجزة - كأنها قاعدة قالوا: إن العقد على البنات يحرم الأمهات، والدخول بالأمهات يحرم البنات «ومعنى هذه العبارة: أنك لو عقدت على امرأة عقد زواج ولم تدخل بها فإنه بمجرد تمام العقد تحرم عليك أم زوجتك تحريما مؤبدا، بمعنى أنك حتى لو طلقت زوجتك والتي هي ابنتها قبل الدخول فإنه لا يحل لك أن تتزوج بأمها وهذا مقتضى قولهم «العقد على البنات يحرم الأمهات» هذا هو النصف الأول من القاعدة الفقهية المحترمة.

أما النصف الثاني من هذه القاعدة، فهو يعني أنك لو عقدت على امرأة ولها بنت فإن ابنتها لا تحرم عليك بمجرد العقد مثل الحالة الأولى بل لابد من الدخول بالأم حتى تحرم البنت فإن مجرد العقد على الأم لا يحرم البنت، هذا هو النصف الثاني من القاعدة، وهي: «الدخول بالأمهات يحرم البنات».

وأحسبك تسألني: من أين جاء الفقهاء بهذا الحكم؟ وما أحسب سؤالك اتهاما للفقهاء بعدم وجود دليل لهم على ما جاءوا به وجعلوه قاعدة، لكنه سؤال عن مرجع الحكم من الكتاب والسنة. - هداني الله وإياك -.

وأعود بك إلى الآية التي صدرنا بها حديثنا عن المطلق والمقيد وهي قوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم إلى آخر الآية.

تأمل معنى كلمة ﴿نِسَائِكُمْ﴾ في الآية فتجد أنها وردت مرتين وهما في سياق التحريم الأولى «وأمهات نسائكم» والثانية «من نسائكم اللاتي دخلتم بهن» فتجد أن «وأمهات نسائكم» لم تقيد بقيد الدخول فلم يقل الله - تعالى - «وأمهات نسائكم اللاتي

(٥) سنن ابن ماجه ج١/٢٩٥ حديث رقم ٩١٠.

(٦) النساء - ٢٣.



دخلتم بهن » – مثلا – أما فى الكلمة الثانية فإنه قال « وربائبكم[7] اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ».

فهنا قيدان :

**الأول** : فى حجوركم .

**والثانى** : اللاتى دخلتم بهن .

لذلك قال الفقهاء : إن العقد على البنات يحرم الأمهات لأن الآية فى حقهن وردت مطلقة من أى قيد أما فى الربائب ، فإن القيدين فيها كما ذكرنا وهو « حجوركم » .. و « دخلتم بهن » فإن القيد الأول وهو كون الربيبة فى حجر الزوج ، قالوا : إنه قيد خرج مخرج الغالب إذ أن الربيبة غالبا ما تكون فى حجر زوج أمها ، لكن حتى وإن كانت فى بعض الأحيان فى غير حجره وكفالته ، فإنها تحرم بالدخول على أمها فهذا القيد كما يقول الفقهاء خرج مخرج الغالب ، أما القيد المعتبر فهو « دخلتم بهن » والذى يدل على أن القيد « فى حجوركم » خرج مخرج الغالب وأنه لا اعتبار له أن الله ـ تعالى ـ فى مقام التحليل اكتفى بنفى الدخول فقال تعالى : « فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم » فدلت الآية على حل التزوج بالربيبة عند عدم التزوج بالأم ولو كان وجود الربيبة فى حجر الزوج شرطا فى التحريم لما اكتفى المولى – عز وجل – فى إثبات الحل بنفى الدخول فقط ولقال ـ سبحانه وتعالى ـ مثلا « فإن لم تكونوا دخلتم بهن ولم يكن فى حجوركم فلا جناح عليكم » فالاكتفاء فى ثبوت الحل بنفى الدخول فقط دليل على أن وجود الربيبة فى الحجر ليس شرطا فى التحريم وهذا القيد الملغى – بمعنى أنه لا اعتبار له كما بينا وأنه خرج مخرج الغالب – يشبهه قيد آخر لا اعتبار له فى قوله – سبحانه وتعالى – :

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[8] .

فإنه – سبحانه وتعالى – أحل لكم أكل ما تستخرجه من البحر لكنه قيد هذا الذى تستخرجه بأنه ( لحما طريا ) فقالوا : إن هذا القيد لا اعتبار له فلو استخرجنا لحما غير طرى لجاز أكله وقالوا : إن هذا القيد لبيان المنة وإلى لقاء آخر نتكلم فيه عن بيان الحكم فيما إذا ورد اللفظ فى نص مطلقا وورد نفس اللفظ فى نص آخر مقيداً هل نقيد المطلق أم نطلق المقيد ؟ مع بيان آراء الفقهاء ، وحجة كل فقيه فيما قال لنرى لونا من ألوان رحابة الفقه وأصالة التراث .

ومن الله نستمد العون والهداية .

---

(7) الربيبة : بنت زوجتك من رجل آخر .

(8) فاطر – 12 .





# حول الأصالة والمعاصرة

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي

(٢)

**لا تتصور أن هناك مشكلة فى التراث أو مشكلة فى المعاصرة. فليس هناك أمة تعيش تاريخها دون أن يكون لها تراث حضارى، إذ التراث فى أبسط مظاهره يظهر فى أسماء الأشخاص. فاسم الشخص تراث. لغته. مجاملاته. مظاهر أكله وشربه.. إلخ. فالأمة تراث. الوطن تراث. وعلى ذلك يمكن تعريف التراث بأنه مجموعة الأعراف والتقاليد والأفكار والمعتقدات والنظم والآراء والأساليب المكونة للتاريخ الحضارى القومى والدينى، أو بتعبير آخر هو مجموعة النظم الاجتماعية، والثقافية، والدينية، والاقتصادية، والسياسية، وما تكوّن حولها من أعراف وتقاليد، والممارسات التى تكون منها التاريخ الحضارى لقوم ما.**

هذا التراث القومى يُكوّن هوية الإنسان العربى ـ مثلاً ـ وهوية انتمائه القومى الذى يميزه عن الآخرين.

فماذا تعنى الدعوة إلى المعاصرة، ومن مفاهيم المعاصرة: الإحياء، الحداثة.

وماذا تعنى الدعوة إلى التراث: الأصالة، والمحافظة.

تعنى الدعوة إلى المعاصرة ـ فى نظر دعاتها ـ استنساخ النموذج الغربى وتقليد العقل الغربى، وفى سبيل تقليد الغرب علينا أن نطرح جانبا التراث القومى. فالمعاصرة على هذا الموقف نوع من الاستلاب الحضارى بمعطيات الغرب. فالدعوة إلى المعاصرة لهذا المعنى، منبتة عن الماضى. والدعوة إلى التراث تعنى من وجهة نظر بعضهم التشبث بكل الموروث الحضارى جامدين فى أماكننا لا نريم. والدعوة إلى التراث بهذا المعنى منبتة عن الحاضر والمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

من الصعب أن نعايش المعاصرة أو أن نكون معاصرين مجردين من التراث كما لو كنا نشأنا فى فراغ ونتوخى خطى الغرب فى حضارته، أو لا نعايش المعاصرة ونحن نعيش فى ضمير الماضى، هذا هو الصراع الحقيقى الذى من شأنه أن يؤدى إلى توتر بين

الطرفين.. الأمر الذى ترتب عليه على هاتين الدعوتين فواصل أقامت بناءهما على كثير من التشابه.

ولولا ضيق المقام لذكرنا الفريقين، إنما حسبنا أن نذكر أن الوقوف بجانب أى من الدعوتين مجاف للوضع الطبيعي للقضية. فلا ينبغي الاحتماء بالتراث لنعادى المعاصرة ولا ينبغي الاحتماء بالمعاصرة لمعاداة التراث، فالتراث والمعاصرة وجهان لعملة واحدة، لذلك ندعو إلى التفاعل بينهما بكل ما تعنى كلمة « تفاعل » من آفاق.

طرح دعاة الإصلاح مناهج متعددة للربط بين الأصالة والمعاصرة:

## ١ - الدعاة إلى الوسطية:

ماذا يعني القول بالوسطية - أى التوسط بين الأمور - فليس التوسط دائماً هو المعادل بين الطرفين، قد يكون اختيار أحد الطرفين هو العدل وقد يكون في التطرف عن الوسط.. فالأمور كما يقول الفقهاء بمقاصدها وليس بالوسط بين الطرفين: ولدينا أمثلة كثيرة منها: كثيراً ما تحتاج المعارك الحربية إلى فرق انتحارية.. وهى خصائص فوق الشجاعة التى يظن البعض أنها وسط بين التهور والجبن.

كذلك من السمو الخلقي: الإيثار وفق قوله تعالى:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(١)

وهى صفة فوق الكرم يظن البعض أنها صفة تتوسط الفقر والبخل.. فالإيثار إعطاء ما فى اليد وإن أدى إلى العوز.. إلخ.. فليست الوسطية دائماً: الوسط العادل، قد يكون أحد الطرفين هو ذلك العدل العادل وحين نطرح القول بالوسطية للمناقشة وفق وجهة نظرهم.. بمعنى أن نأخذ من التراث شيئاً عن طريق الانتقاء، سنجد أنفسنا أمام مشكلة البحث عن معيار الانتقاء.. فيدور القول على معنى على أى معيار أخذنا هذا من التراث وتركنا ذاك؟ ونقع مرة ثانية فى دائرة اختلاف ملئ بالتعصب حول المعيار الفاصل بين الصالح من التراث أو المعاصرة، وهكذا يوقعنا القول بالوسطية فى مزالق استفهامات قد تنهك العقل وتبعدنا كثيراً عن جادة الصواب.

## ٢ - دعاة الانتقاء والاختيار:

رأينا أن القول بالوسطية ينتهى بدوره إلى القول بالانتقاء والاختيار.. والقول بالانتقاء والاختيار يعنى بشكل جوهرى: الأخذ والترك أى آخذ من التراث وأترك، فما أتركه يلزمنى الحكم عليه بعدم جدواه، وما أخذته منه يجب على أن أتقولب داخله وفى هذا عنت شديد.

---

(١) الحشر (٩)



ثم من الذى له حق الحكم على التراث، وما هى مؤهلاته التى تؤهله للحكم على التراث، هل لكونى معاصراً أعطى نفسى حق الحكم على التراث، بأن هذا يتفق مع العصر، وهذا لا يتفق؟ لاشك أن الإنسان الذى يحاسب تراثه بهذا الحكم لا يتلاءم مع عصره ولا مع ماضيه.

### ٣ - التفاعل بين التراث والمعاصرة:

يرى البعض أنه من الإنصاف بعد بطلان القول بالوسطية والقول بالانتقاء أن يعدل إلى القول بالإحياء، وهو مصطلح قديم كان قد استعمله الإمام الغزالى عنواناً لمؤلفه العظيم «إحياء علوم الدين» ولكننا نعدل إلى القول بالتفاعل بين التراث والمعاصرة لأن الإمام الغزالى قد حصر مصطلح «الإحياء» فى علوم الدين، وتلك حقيقة فلا حياة لمن لا دين له إنما حاجة العصر ملحة لتحديد الموقف من التراث الدينى وغير الدينى، لذلك فضلنا مصطلح التفاعل على غيره من المصطلحات المطروحة.

### ٤ - التراث يشتمل على ثوابت ومتغيرات:

فالثوابت هى دائماً الدين، واللغة، والجنس، والأرض، والتاريخ المشترك. فتلك ثوابت الأرض التاريخية لا يستطيع الإنسان منها فكاكاً، لا ينفع معها القول بالوسطية ولا القول بالانتقاء، والاختيار، إنما لا يكون الإنسان إنساناً إلا بالتفاعل معها وهو تفاعل مع تراث بحت.

أما المتغيرات: وهو ما نطلق عليه «متغيرات العصر» فتحملها كتب ونظريات تجاوزها الزمن وألغاها وأبطل ما جاء بها: إما باكتشافات حقائق أكثر صحة ودقة، أو بتخطى ما جاء فيها.. فهناك ضرورة لغربلة وانتخال التراث فنبعث المضىء والمشرق منه، وذلك لا يتم بشكل بناء إلا إذا أقمنا بيننا وبين تراثنا حواراً بناء وإيجابياً ولا نتركه عرضة لتراكم غبار الزمن عليه كما لا يمكن أن نعتمده كله كيفما يكون: فما يدخل فى مفهوم «متغيرات العصر» من التراث من آراء وكتب ونظريات متواضعة فلا يمكن التشبث بها إلا بكونها تشكل تراثاً قد نستفيد منه فى تطور التاريخ العلمى كالإفادة فى مجال المصطلحات العلمية، أما ما تحمله من حقائق علمية ينبغى أن تكون قابلة للنظر فقد تكون معطيات العصر العلمية قد تجاوزتها بكثير.. لذلك نقول دعونا نستجب لطبيعة الإنسان والأشياء. لفرض قوانينها..

من هنا نقول: إن تفاعلنا مع التراث ضرورى فيما هو من ثوابت وتفاعلنا مع المعاصرة ضرورى أيضاً فيما هو من متغيرات، كالنظر العلمى.. والتفكير العقلى، بذلك نستطيع الاستجابة لطبيعة الإنسان والأشياء لفرض قوانينها، ولا يتسنى لنا ذلك إلا إذا ازدهرت روح النقد والتحليل لفرز الزائف من التراث من أصيله وإلا وضعنا الزائف فى مرتبة الأصيل، وخصائص الثابت للمتغير.

وعندما يرتقى العقل العربى إلى تلك الرؤية المميزة سوف يكون من أولى مهامه العمل على إيجاد نظرة جامعة إلى مكونات الثقافة فى ظل الإسلام.

ولا يطول بنا الكلام حول الأصالة والمعاصرة، دون أن نعرض للموقف الفكرى المعاصر من الإسلام، لذلك نتجه إلى معالجة هذا السؤال من واقع خطنا الفكرى، وهو:

ما هى مشكلتنا مع الإسلام؟ قد تكون المشكلة نابعة من جهلنا به بالرغم من أننا مسلمون.. لو صدق هذا الاحتمال لاستطعنا أن نضع تصورنا حول تلك الفجوة التى بيننا وبين غيبة الحل الإسلامى، ونحصر حلنا حول كفاح الجهالة وبث المزيد من المعرفة، وانحينا بالأئمة على الأزهر وعلى تقصيره وعلى المؤسسات التعليمية والتربوية، وناديننا بمزيد من النشاط الثقافى والتعليمى.. لكن مشكلتنا مع الإسلام ليست من هذا القبيل، لأننا نعلم أن المسلم منذ أن يولد يتلقى دينه من أبويه عقيدة، وما ينبغى أن يكون عليه سلوكه، ويتلقاه فى المسجد ويتعلمه فى المدارس والجامعات وفق مناهج الثقافة الإسلامية، ثم أخيراً ما تنشره عليه الكتب والمجلات.. على أية حال هذه وجهة نظر لها أنصارها يدافعون عنها، وفى سبيل الدفاع عن وجهة نظرهم يركزون على تقصير أجهزة الإعلام وإلقاء التبعية على مؤسسات التعليم.. أو أن مشكلتنا مع الإسلام هى نوع من اضطراب فى العلاقة التى تربط بين المسلم وإسلامه وبين حضارته، أو بمعنى آخر هى جمود المسلم، أى عدم تجاوب المسلم مع الإسلام من ناحية، ومع الحضارة من ناحية أخرى.. وهذا لا نحاله بالحا إلا من توهم الخوف على الإسلام من أن تحتويه أو تهزه أو تعصف به تيارات المذاهب الحضارية التى تقوم أساساً على نوع من الاعتبار الإنسانى، وتأخذ فى اعتبارها قيمة التجربة الإنسانية.. ومما لا ريب فيه أننا لو استسلمنا لعقيدة الخوف لوقعنا فى نفس المشكلات التى وقعت فيها أوروبا قبيل عصر النهضة، وتحولنا بالإسلام إلى مسيحية كنسية ترفض به المواقف العقلية وتتجمد حول مواقف الرفض، وتصبح وظيفتنا مع الإسلام هى إلغاء وظيفة العقل الأساسية التى هى: الفكر والتفكير، مع أن ديننا ليست فيه طاعة سلبية لأوامر الكهنة أو معتقدات باطلة.

يبدو أن أغلب الناس تصوروا أن تلك مشكلتهم مع الإسلام لذلك رأينا كتابات كثيرة حول المذاهب العقلية الإنسانية والإسلام.. وتصوروا أنهم بذلك أدوا ما عليهم نحو تصورهم لمشكلتنا مع الإسلام.. هكذا خيل إليهم، ولهم أن يتخيلوا، لكن عليهم أن يعلموا أنهم أبعد الناس فهما عن التجاوب بين الإسلام والحضارة من جانب، وأشد مناقضة لأنفسهم أخيراً من جانب آخر.

أما عن بعدهم عن فهم قضية التجاوب

فهم يعلمون أن الإسلام منوط بالعقل والتفكير، وكما يقول العقاد «التفكير فريضة إسلامية» إذا وضح ذلك فلا خوف على الإسلام من العقل وتياراته.

أما عن مناقضتهم لأنفسهم فإن منهجهم اقتضاهم مناقشة تيارات العقل الفكرية بنصوص إسلامية.. فلو كان الإسلام ألغى العقل ووظيفته لما حرم المسكرات وكل ما يعوق العقل عن وظيفته، ولا وجدنا من بين نصوص الإسلام ما يجادل تيارات العقل الفكرية.

لذلك نقول: إنه لا خوف على الإسلام من هذا الجانب، وليست مشكلتنا معه وفق هذا التصور.. فليست مشكلتنا مع الماركسية ولا مع الرأسمالية، إنما مشكلتنا مع أنفسنا.

إن مثل هذه الكتابات تصور لنا جبهات غير حقيقية لمشكلتنا مع الإسلام. كما تشير إلى انقسامات في الأمة الإسلامية في الفكر والتطبيق.. وتحب أن نطيل النظر حول موقفنا الفكري من تلك القضايا ومنهج معالجتها من خلال المؤلفات الدينية والإسلامية التي تكثر يوماً بعد يوم، تغرى القارىء المثقف عناوينها المختلفة، ولا يكاد النظر يمتد إليها إلا ويرتد مطمئنا من فيضها الزاخر فبعض من فيضها يؤذن بازدهار الثقافة الدينية في عالمنا المعاصر الذي يتميز بالحركة غير العاقلة في بعض جوانبه، ومازالت كثرتها تبعث في ذهن القارىء المتابع للحركة الثقافية تساؤلات من عدة جوانب لدى من يحب بحثها كظاهرة ثقافية تلفت النظر، منها: هل هذه الكثرة صادقة النية فيما تكتب؟

هل هذا الفيض الزاخر من المؤلفات عالج موضوعات ترفع من شأن توظيف الإسلام بين الإيديولوجيات المعاصرة؟

هل حاولت الطبقة التي نهضت بالكتابة عن الإسلام أن تبحث عن ضرورة الحوار الفكري كما يفعل مناصرو الإيديولوجيات الأخرى؟..

هل حاول الذين هم أنصع فكرة في الفهم الراشد في الميدان الاجتماعي للإسلام أن يشيروا إلى ما يجب الكتابة فيه؟

يرسل الخاطر أسئلة بقصد، ومن غير قصد، منبعثها السيل الجارف من المؤلفات الإسلامية التي تغمر المكتبات والميدان الثقافي ومع ذلك مازلنا في مفترق الطريق.. لماذا؟

إننا مازلنا في مسيس الحاجة إلى فهم طبيعة الفجوة التي بيننا وبين الإسلام ليتحدد مسلكنا الحضاري وإطارنا الفكري، فما هي المشكلة؟ إذا صدق الأساس العقلي لهذه الأسئلة فإن الأمر يصبح بحاجة إلى شرح وإبراز خفايا النوايا الطيبة للصدق النفسي كي لا يرى غيرنا أنها من سوء الظن أو مرض الوهم.

إن بعض هذه الكتب تكفل بمحاربة الإلحاد مع أن الإلحاد مشكلة قديمة وظاهرة تواكب ظاهرة التدين في قوتها.. والظاهرة قد تظهر في شكل من الاستهزاء إما تطرفا وتحدياً، وإما

مجونا وفسوقا، وإما شكا ورفضا للعقائد والمقررات الدينية.

أما الإلحاد في عالمنا المعاصر فهو شيء آخر قد يظهر في شكل مذهب غير عقائدي كالماركسية لها دعاتها ومؤسساتها التي تخدمها، وفي سبيل مناهضتها ومكافحتها ظهر هذا السيل من المؤلفات الدينية، ويقول الجاحظ: ومن البلاء أن كل إنسان من المسلمين، يرى أنه متكلم «من علماء الكلام» وإنه ليس أحد أحق بمحاجة الملحدين من أحد.

ونحن نرى أن الدعوة إلى مناهضة الإلحاد دعوة توحد بين الأديان جميعاً: الإسلام والمسيحية، واليهودية، دون تفريق بينها، لذلك تعتبر مناهضة الإلحاد هدف جميع الأديان السماوية من حيث هي أديان سماوية. فهل نستطيع من توحيد وحدة الهدف هذه أن نجعل من مكافحة الإلحاد بشتى ألوانه دعوة عالمية تتبناها الأديان جميعها؟ تلك دعوى تحتاج إلى توحيد الجهود إن كنا صادقين.. ثم بعد ذلك ننظر إلى ما يتميز به الإسلام عنها وهو شمول نظامه: الديني، والسياسي، والاجتماعي، وذلك ما لم تزعمه الأديان الأخرى لنفسها.

هذه الشمولية التي ينفرد بها الإسلام، تحتم علينا أن ننظر من جديد: حول تقييم موقفنا من الإيديولوجيات التي ملأت الساحة الثقافية وقسمت الوطن العربي والإسلامي إلى من يتملق الغرب وإلى من يمالئ الشرق الماركسي، وجاءت إلينا من أوسع أبوابها.

ومن وجهة نظرنا: إن الكتاب الإسلاميين الذين حصروا موقفهم الثقافي في الدفاع ضد الإلحاد الماركسي وحده قد قصروا - إن كانوا دعاة - عن فهم شمولية الإسلام أو لعب بهم الهوى أن كانوا سياسيين.

أما الذين قصروا في عرض قضية الإسلام والماركسية فهم الذين حصروا منهجهم في الدفاع عن الإسلام حينما عرضوا لمكافحة الماركسية، وكانت وجهة نظرهم لا تعدو أن تكون تشنيعاً على الماركسية بأنها دعت في حماس زائد إلى التحلل من الدين، ومن قواعد الإيمان الديني، تراهم أخذوا عليها هذا الجانب فقط وتناولوه بالنقد والرد دون أن يمتد نظرهم إلى إبراز نظام الإسلام المتكامل ودون معالجة الفجوة التي بيننا وبين التطبيق الإسلامي.

وأما الذين لعب بهم الهوى، فهم الذين شايعوا وجهة النظر السياسية التي ترفض التعاون مع الكتلة الشرقية، تراهم جندوا الإسلام لمكافحة الماركسية مع أنهم كانوا من قبل قد جندوا الإسلام للدعوة إلى الاشتراكية: غير أنهم جعلوها مؤمنة.

أصبح الإسلام - في نظر هؤلاء، أي الذين قصر نظرهم الثقافي والديني - دعوة إلى الإيمان فقط.

وفق نظر هؤلاء - أي الذين لعب بهم الهوى - جعلوا الإسلام أسلوب دعوة يخدم السياسة وأهواءها ليس إلا.

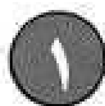







# بين
# على عبدالرازق والخضر حسين

# قضية وكتابان




للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

# الإسلام وأصول الحكم

بحث في

الخلافة والحكومة في الإسلام

تأليف

علي عبد الرازق

من علماء الأزهر وقضاة المحاكم الشرعية

« الطبعة الثالثة »

سنة ١٣٤٤ هـ سنة ١٩٢٥ م



# نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم

تأليف

السيد

محمد الخضر حسين

أحد مدرسي جامع الزيتونة وقضاة المحاكم الشرعية

بتونس سابقاً

القاهرة

كانت «العلمانية» - بما تعنيه من فصل الدين عن الدولة - بالنسبة للواقع العربي والإسلامي - وقبل أن يتبلور في حياتنا الفكرية، في القرن التاسع عشر الميلادي، تيار مجلة [المقتطف] [١٨٧٦-١٩٥٢م] وصحيفة [المقطم] [١٨٨٩-١٩٥٢م] - كانت «العلمانية» بالنسبة لنا، قبل تبلور هذا التيار، لا تعدو أن تكون نبتا أوربيا خالصا وخاصا، نسمع عنها ونقرأ حولها كما نسمع ونقرأ عن الأفكار التي لا علاقة لها بتاريخنا القديم أو واقعنا الحديث.. فهي قضية من قضايا الفكر الأوربي، خاصة به، أثمرتها الملابسات الخاصة بواقع القرون الوسطى والمظلمة التي عاشها الأوربيون تحت الهيمنة المستبدة للكنيسة الكاثوليكية.. لم ينبت لها نبت، بل ولم توضع لها بذرة واحدة في أرض العروبة والإسلام.

أما بعد تبلور تيار [المقتطف] و[المقطم] - يعقوب صروف [١٨٥٢-١٩٢٧م] وفارس نمر [١٨٥٦-١٩٥١م] وشاهين مكاريوس [١٨٥٣-١٩١٠م] - ومن نحا نحو هذا التيار في هذه القضية، من مثل شبلي شميل [١٨٦٠-١٩١٧م] ونقولا حداد [١٨٧٨-١٩٥٤م] وجرجي زيدان [١٨٦١-١٩١٤م] وفرح أنطون [١٨٧٤-١٩٢٢م] وسلامة موسى [١٨٨٨-١٩٥٨م] - وذيوله المعاصرة - ... أما بعد تبلور هذا التيار العلماني، فلقد ظلت «العلمانية» مجرد خيار غير إسلامي لنفر من غير المسلمين، أنشأه وبلوره وزكاه - لدى بعضهم - : العداء المستكن للإسلام، والإعجاب المفرط، إلى درجة الانبهار والتقليد للحضارة الغربية، ورد الفعل الحاد لمأساة التعصب الطائفي الذي لعب الاستعمار الدور الأول في إشعال ناره بلبنان والشام سنة ١٨٦٠م.. إلى جانب الرفض المشروع والمبرر لبعض ممارسات الدولة العثمانية. المحسوبة - ظلما وافتراء - على الإسلام وموقفه من «الكتابيين» غير المسلمين.

لقد ظلت «العلمانية» خاصية من خصائص هذا التيار، بلورها في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وصحبها، مع ذيوله، إلى الربع الأول من القرن العشرين.. لم يشاركه في القول بها، فضلا عن الدعوة إليها مفكر مسلم.. إلى أن كان شهر إبريل سنة ١٩٢٥م عندما طلع علينا المرحوم الشيخ علي عبدالرازق [١٣٠٥-١٣٨٦هـ ١٨٨٧-١٩٦٦م] بكتابه: [الإسلام وأصول الحكم] فكان أول كاتب مسلم يسعى إلى زرع «العلمانية» في العقل الإسلامي، وفي واقع المسلمين.

ولقد كان أخطر ما في هذه المحاولة الوحيدة والفريدة، أنها قد جاءت في «ثوب إسلامي» وتحت «رايات إسلامية»، ومن عالم فاضل تخرج في الجامع الأزهر، ويشغل منصب القاضي في المحاكم الشرعية الإسلامية.

فبعد أن كانت «العلمانية» حلاً أوربياً خاصاً لمشكل أوربي خالص، لا يدعو إليه، في واقعنا الفكري، سوى نفر من غير الإسلاميين غير المسلمين، المقلدين لحضارة الغرب.. جاء الشيخ علي عبدالرازق فتصور القضية، في الفكر الإسلامي وفي واقع المسلمين، القديم والحديث، على النحو الذي كانت عليه في المسيحية الكاثوليكية وفي واقعها الأوربي!..

● **فالإسلام، عنده: دين لا سياسة.. ورسالة لا حكم.. وروحانية لا دولة.. وبلاغ مجرد عن التنفيذ - كما كانت**

**المسيحية الأولى دعوة لـ «دعوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله».**

● **والخلافة الإسلامية، عنده: كانت «كهنوتا».. خليفة مستبد، لا يُسأل عما يفعل، لأنه يستمد سلطانه من الله - كما كان الحال مع تجربة الحكم «بالحق الإلهى» فى أوربا المسيحية، عندما ساد تحالف الكنيسة والأباطرة والملوك -.**

● **ولذلك، فلقد تصور الشيخ على عبدالرازق الحل عندنا - كما كان فى أوربا الكاثوليكية - هو «العلمانية»!..**

لقد صور الإسلام، فى هذا الجانب: مسيحية.. وصور الخلافة الإسلامية، تاريخيا: كهانة كنسية وحكما، مستبدا، بالحق الإلهى.. فكانت «العلمانية» عنده، بسبب هذا التصور، حلا إسلاميا لمشكل إسلامى، بعد أن كانت - قبل كتابه (الإسلام وأصول الحكم) - حلاً أوربياً خاصاً لمشكل أوربى خالص، لا يدعو إليه، فى بلادنا، سوى نفر قليل من غير المسلمين المقلدين للحضارة الغربية!..

ooo

وإذا كان أبناء المرحوم الشيخ على عبدالرازق يؤكدون أن أباهم قد عدل، أواخر حياته، عن تصوره هذا، وتراجع عن دعواه هذه.. فرفض إعادة طبع كتابه.. وهَمّ بكتابة نقد ذاتى للأفكار المحورية التى تضمنها كتابه، لكن الأجل وافاه قبل أن يتمه.. إذا كان هذا هو أمر الشيخ ورجوعه عن «العلمانية»، فإن كتابه الذى ادعى «علمنة الإسلام» لا يزال شهيراً، يحمل سحراً خاصاً لدى قطاع مؤثر من المفكرين والمثقفين والقراء على امتداد وطن العروبة وعالم الإسلام.

والذين عاشوا تلك الحقبة التى ظهر فيها كتاب (الإسلام وأصول الحكم)، وكذلك الذين درسوا الأحداث الفكرية لتلك الحقبة، يعلمون أنه قد صدرت كتب ونشرت دراسات عديدة، ردت على دعاوى الشيخ على عبدالرازق، وفندت ما حواه كتابه من آراء.. وكل هؤلاء يعلمون أن على رأس هذه الردود يأتى كتاب الشيخ الفاضل والمجدد الإسلامى الإمام الأكبر محمد الخضر حسين [١٢٩٣-١٣٧٧هـ-١٨٧٦-١٩٥٨م]، الذى حمل عنوان: [نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم].

وأمام هذه الحقيقة من حقائق تاريخنا الفكرى، تبرز مفارقات وتساؤلات:

● **فكم من الناس هم المفتونون بعلى عبدالرازق.. حتى ولو لم يقرأوا كتابه؟!..**



**● وكم من الناس قد سمع ويسمع بالخضر حسين؟.. فضلا عن كتابه الذى نقض به بناء كتاب على عبدالرازق؟!..**

إن قطاعات مؤثرة من الحركة الفكرية، وفيها، تنحاز للعلمانية - دون أن تدرى خصوصية نشأتها الأوربية - وهذه القطاعات تتصور الإسلام علمانيا - دين لا دولة، ورسالة لا حكم - لأن الشيخ على عبدالرازق قد قال ذلك سنة ١٩٢٥م.. دون أن تعرف أن هناك من نقض هذه المقولة وفند هذه الدعوى بمنطق وبراعة يشهدان للعقل العربى والمسلم بالأصالة والتفوق والإبداع.

كذلك، فإن هناك قطاعات مؤثرة من الحركة الفكرية، وفيها، يدينون على عبدالرازق، دون أن يقرأوه!.. وأخطر من ذلك تصورهم أن الرد عليه وعلى «العلمانية» هو «غثاؤهم الفكرى» الذى يعرض الإسلام: «كهانة».. و«دولة دينية».. و«حاكمية» تجرد الأمة من حقها فى أن تكون - حيال السياسة والدولة وتنظيم المجتمع وعمارة الكون - هى مصدر السلطات.. الأمر الذى يؤدى - شاءت تلك القطاعات «الإسلامية» أو لم تشأ - إلى أن يصبح هذا «الغثاء الفكرى» هو المرتكز الذى يبرر به العلمانيون «العلمانية» التى إليها يدعون وبها يبشرون!..

ومن سخريات حياتنا الفكرية أن هذه القطاعات «الإسلامية» لا تدرى أن كتاب على عبدالرازق قد نقضه وفنده علماء لم يسلكوا لذلك سبيل تجريد الأمة الاسلامية من حقها - بل واجبها - فى أن تكون مصدر السلطات!

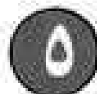
**ومن هنا جاء اعتقادنا الراسخ بأنه لا شئ يسهم فى ترشيد الحركة الفكرية، بفصائلها وتياراتها المختلفة، مثل: الوعى بالمقولات موطن الخلاف.. والإحاطة الواعية بمعالم الصراع الفكرى الخصب الذى دار حول هذه القضية الجوهرية من قضايا ديننا ودنيانا.. وتأمل وثائقها الفكرية التى جمعت حجج مختلف الأطراف والفرقاء.. ثم الانطلاق من ذلك، وبعده، إلى الإبداع والإضافة، مواكبة للجديد الذى يطرحه الواقع الذى نعيش فيه.**

**«يتبع»**





# محمد صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين



للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني

**في المقالات الأربعة، السابقة، واجهنا بكل موضوعية فرية المستشرقين، وهى، أن محمدا ﷺ هو الذى ألف القرآن في غار حراء، حين كان يعتزل الناس فيه، ثم ادعى أنه وحى من الله إليه، وأنه رسول الله إلى الناس جميعا.!!**

**والقارىء يعرف أن هذا الوهم، الذى طنطن به المستشرقون قد صار ـ بعد المواجهة ـ هباء منثورا، حيث أثبتت المواجهة أنه محال عقلا وواقعا، أن يكون للقرآن مصدر غير الله، المحيط علمه بكل شىء.**

وبدءا من هذا المقال نواجه خرافة أخرى من خرافات المستشرقين، وهم يكتبون عن خاتم النبيين ﷺ وهى قريبة الشبه جدا بالخرافة السابقة، المشار إليها آنفا. ويمكن تصوير هذه الخرافة في العبارة الآتية:

«رسول صادق، ولكن رسالته كاذبة»!!

في الخرافة الأولى: اتهموه بتعمد الكذب ١٠٠٪، وفى هذه الخرافة تظاهروا بتبرئته هو من الكذب، ثم اتهموا رسالته ـ يعنون واقعيات الرسالة ـ عقائد و عبادات، ومعاملات، وأخلاقا، وقيما، ومبادىء، وقصصا ـ بالكذب ١٠٠٪ كذلك.!!

لكن الهدف من الخرافتين واحد لم يطر عليه أى تعديل، وهو: أن الإسلام منظومة من الأوهام، وليس له مصدر سماوى قط!!

وهم حين تظاهروا بتبرئة محمد ﷺ من الكذب، رموه بنقيصة أخرى، هى أشد شناعة وقبحا من الكذب، وهى أنه «مخدوع»!!

ومحصول الخرافتين معا، هو ـ لا محالة ـ وصف محمد ﷺ بأنه:

● إما مخادع كاذب «الخرافة الأولى».

● وإما مخدوع موهوم «الخرافة الثانية».

وفى مقدمة هؤلاء المستشرقين: رودنسون، ولودى[1] ورودول،[2] وغيرهم.

(١) مصدر القرآن، إبراهيم عوض ص١١٨.

(٢) الإسلام في عصر العلم، للدكتور محمد أحمد الغمراوى ص١١٢.




وواقعيات رسالة محمد ﷺ ليست من صنعه هو، وإنما هي من صنع الله - عز وجل - أعنى أن هذا النفر الحاقد من المستشرقين، حوّلوا مجرى الخصومة، فصار المتهم بالكذب - عندهم - هو الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا، بعد أن كانوا يخاصمون النبى فى الخرافة الأولى والذى دفعهم إلى تبرئة محمد من الكذب، فى هذه الخرافة، هو محاولة التوفيق بين ما يقولونه على الإسلام من افتراءات، وبين ما عرفه الواقع من صدق الرسول ﷺ فى حياته كلها، فادركوا أن اتهامهم له بالكذب دعوى لا يمكن قبولها. لأن ليس فى حياة الرسول ما يبررها عند الناس. ولو كانوا من ألد خصومه.

ولو كان هؤلاء المستشرقون عقلاء، يحترمون عقولهم، لأدركوا أن واقعيات رسالة محمد ﷺ لها من الصدق والصحة، والبراءة من كل خلل أو عيب، ما للرسول نفسه، الذى عجزوا عن نسبة الكذب إليه، فاعترفوا - مكرهين - بصدقه، لما رأوا أن سيرته الطاهرة لا يمكن عقلا وواقعا أن يوصف شيء منها بالكذب وكذلك واقعيات رسالته، لا يمكن عقلا وواقعا وصف أى عنصر منها بالكذب، أو ما هو أوسع دوائر من الكذب، وهو: الخطأ.

فكلها صدق وحق، وصواب وصحة، ومع هذا فقد تمادوا فى وصفها بالكذب، ولم يصفوها بالصدق - كما وصفوا به الرسول، وهم مكرهون، لأنهم لو أقروا بصدق الرسول مع صدق الرسالة، لوجب عليهم أن يعلنوا فورا خروجهم عن الباطل الذى هم عليه، لأن الإيمان به مع الإيمان بما جاء به محمد ﷺ، مستحيل، مستحيل.



ومن حسن حظنا، وسوء حظهم، أن بضاعتنا جاهزة وصالحة للفحص، فمن ارتاب فى شيء منها، فعليه أن يتجرد من هواه، ويقبل على الإسلام، أو واقعيات الرسالة الخاتمة، ويختبرها أصلا أصلا، وفرعا فرعا. ونحن واثقون أنهم لن يجدوا فيها ما يريب، أو ينزع عنها مثقال ذرة من الثقة:

فليختبروا ما فى واقعيات الرسالة الخاتمة من:

عقائد، وعبادات، ومعاملات، وأخلاق، وتشريع، وقصص، ولا نريد أن نثقل عليهم - سواء كانوا من أهل التوراة، أو من أهل الإنجيل - فنطالبهم بأن يجروا مقارنة، بين الرسالات وأن يفحصوا واقعيات الرسالة الخاتمة، وهى كفيلة - إذا تركوا التعصب والعناد - أن تنتشلهم مما هم فيه وتحملهم إلى ساحات الحق الفواحة بشذا الإيمان.



لقد اعترفوا بصدق الرسول، وهذا حق، سواء اعتقدوه، أم كان نوعا من الهروب سوّلته لهم أنفسهم حتى لا يفتضحوا.

وكى يبرروا صدق الرسول، ويظهروه فى صورة مخدوع موهوم، قالوا:

إن ظروف نشأة محمد ﷺ بين اليتم، حيث فقد أباه وهو جنين فى رحم أمه، وفقد أمه وهو فى السادسة من عمره.

وبين الفقر المدقع الذى أخذ بتلابيبه، وبين الحرمان الذى صاحب صباه وشطرا من شبابه،





وبين انتمائه إلى عائلة ليست عريقة .!!

كل هذه العوامل ولدت عنده شعورا بالكبت، وملأت نفسه بالرغبات الحالمة، كتعويض عما كان يحس به من فاقة ومحاولة للخروج منها، ومن الشعور بالنقص، فكان يحلم انه سيكون له شأن . ثم خيل إليه انه رأى ملاك الرب، وأنه نزل عليه من الله وحي، وأنه صار رسول الله.



ومواجهتنا لهذه الفرية، التي باء بإثمها المستشرقون، لها مداخل كثيرة، نبدأ منها بهذا المدخل:

صدق رسالة حق بمقاييس صدق الرسالات عند أهل الكتاب . أهل الكتاب: مصطلح قرآني إذا أطلق صح أن يشمل كلا من اليهود والنصارى، ما لم يكن في الكلام، أو في المقام دليل يخصص المراد منه في طائفة واحدة دون الأخرى منهما، أما نحن فقد قصدنا من ذكر أهل الكتاب هنا، الطائفتين معا: اليهود والنصارى، وإن كنا سنسوق الأدلة من العهد القديم «التوراة»، لأن النصارى يعتبرون التوراة جزءا من الكتاب المقدس كالأناجيل التي بين أيديهم الآن.

ومواجهتنا لهم ـ معا ـ تقوم على ذكر ما ورد في التوراة من معايير صدق رسالة أي رسول. وقد ورد في التوراة معياران لمعرفة صدق الرسالة والرسول. وهما في إيجاز يعقبه تفصيل:

المعيار الأول: صدق التنبؤات، التي يُخبر بها النبي، أي نبي.

المعيار الثاني: دعوة النبي إلى عبادة الله الواحد الذي لا معبود سواه.

وأي نبي يتحقق فيه هذان الأمران، فهو رسول صادق، جاء برسالة صادقة.

هذا هو مفهوم الصدق عند اليهود والنصارى، وفي المعيار الأول تقول التوراة:

«قال الرب لموسى، ولبني إسرائيل: إذا قام في وسطك نبي أو حالم حُلما، وأعطاك آية ـ يعني معجزة ـ أو أعجوبة، ولو حدثت الآية، أو الأعجوبة، التي كلمك عنها، قائلا لنذهب وراء آلهة أخرى، فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم، لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم: هل تحبون الرب إلهكم، وإياه تعبدون، وبه تلتصقون.

«وذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم يقتل، لانه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلهكم»[٣].

فالدعوة إلى التوحيد الخالص سمة من سمات صدق الرسالة والرسول، وإذا دعا مدعي النبوة إلى عبادة غير الله فهو كاذب حتى لو اقترن بدعواه بعض الخوارق والمعجزات ولا تكتفي التوراة بتكذيب «هذا النبي» بل تنص على أن «الرب الإله» قضى عليه بالقتل.

وفي المعيار الثاني تقول التوراة:

«قال الرب لموسى، ولبني إسرائيل:

«وإن قلت في قلبك: كيف تعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبي باسم

(٣) سفر التثنية (الإصحاح ١٣: فقرة ١ ـ ٥).



الرب، ولم يحدث ولم يصر- أى لم تحدث له معجزة - فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى، فلا تخف منه»[4].

وهذان المعياران، من حيث الجملة، معياران صادقان ومما يعتبرهما الإسلام أساسين يدلان على صدق الرسالة والرسول.

إذا تقرر هذا فإننا نقول بكل ثقة: إن وجود هذين المعيارين فى التوراة التى يؤمن بها اليهود والنصارى على حد سواء يلزم كلتا الطائفتين بالإيمان الجازم بصدق محمد ﷺ وبصدق رسالته، وهما يقولان - كما تقدم - أن محمدا صادق، ولكنه مخدوع موهوم!

وأن رسالته كاذبة!!

وذلك لأن هذين المعيارين:

● الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد بلا شريك.

● وصدق النبوات التى أخبر بها ﷺ سمتان ظاهرتان فى الرسالة الخاتمة، بل ليس لهما مثيل فى العهدين القديم والجديد «التوراة والإنجيل»[5].

●●●

فالدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد، والإقرار له بالوحدانية فى الذات والصفات والأفعال، تمثل فى القرآن وفى السنة، وهما أساسا الإسلام، خطوط العرض والطول وكل ما عداها فى خطاب الشرع الإسلامى عُرى مشدودة إلى عقيدة التوحيد، سواء فى ذلك ما أنشأه الإسلام إنشاء فى خطاب الله والرسول للمسلمين، أو ما حكاه عن رسالات الرسل السابقين، مثل نوح وإبراهيم - عليهما السلام -.

وإذا ولينا وجوهنا شطر القرآن وحده، ضاق بنا المقام عن ذكر عُشْر معشار ما ورد فيه مناصرا لعقيدة التوحيد وإفراد الله - عز وجل - بالعبادة، لذلك نكتفى بما قل ودل من آيات القرآن العظيم.

ولنكن باكورة ما نذكره، آية الكرسى، وفيها يقول الله - عز وجل -:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[6].

ولا نعلم كلاما فى غير القرآن مجد الله هذا التمجيد، أو عظمه هذا التعظيم.

وقد اشتملت هذه الآية العظيمة الشأن على المعانى القدسية الآتية نذكرها فى إيجاز:

● تقرير وحدانية الله جل ثناؤه.

● دوامه الذى لا يلحقه، ولم يتقدم عليه فناء.

● هيمنته التى لا نظير لها.

---

(٤) سفر التثنية (الإصحاح ١٨: فقرة ٢١ - ٢٢).

(٥) أما ما قصه الله علينا فى القرآن عن الأنبياء والرسل، ومنهم موسى وعيسى - عليهما السلام - فهو صدق كله.

(٦) البقرة (٢٥٥).

● سلب أدنى درجات الغفلة عنه.

● ملكيته الخالصة للكون كله، علوية وسفلية وما بينهما.

● تفرده بالتصرف والسلطان.

● علمه الدقيق بأحوال العباد.

● لا يدرك أحد كنه علمه، ولو بمقدار يسير إلا إذا شاء هو.

● إحاطة علمه بواقعيات الكون كله علوا وسفلا.

● حفظه خلقه جميعا. أحياء وجمادا.

● تفرده بالكبرياء والعظمة.

هذه الآية لو لم يكن في واقعيات رسالة محمد ﷺ غيرها من عقيدة التوحيد، لكانت وافية بالمقصود منه على أعلى مستوى، لأنها لم تقف عند تقرير وحدانية الله الواحد الأحد، بل ضمت إليه كماليات التوحيد وجمالياته وجلالياته، سالبة عنه - عز وجل - نقائض تلك الصفات والمحامد، التي يسمو بها التوحيد في رسالة محمد سموا ليس بعده غاية، تدرك.

وليت شعري ماذا يكون صدق رسالة إذا كان ما قررته رسالة محمد - هنا - صورة من صور الكذب الذي وصمها به أولئك المستشرقون؟

أجل؛ إذا كان هذا كذبا فليرنا هؤلاء المستشرقون أين هو الصدق في التوحيد، في أي عهديهم القديم والجديد؟

وإذا كانت آية الكرسي الآنفة الذكر، قد قررت في منطوقها ومفهومها التوحيد الخالص لله، بكل ما فيه من كمال وجلال وجمال، فإن في واقعيات رسالة محمد ﷺ نصرة لعقيدة التوحيد من زاوية أخرى:

تلك الزاوية هي إقامة البراهين القاطعة على وحدانية الله عز وجل بما يقطع الطريق بكل حسم أمام كل شاك أو مرتاب ويكفي أن نذكر في هذا الصدد ما يأتي:

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٧).

هذا أحد البراهين العقلية على توحيد الله، ونفي التعدد ودلالته القاطعة تدرك من الواقع المحسوس. فالكون كله يسير على نظام محكم بديع، ولو كان مع الله آلهة أخرى لاختل هذا النظام، ولاضطرب نظام الكون، ولكننا لا نرى إلا إحكاما في الصنع، وحكمة في التصرف، فذلك هو الدليل العقلي على تفرد الله بالألوهية والسلطان. ولن ينكر هذا إلا من اختل عقله، وذهب صوابه، وصار من عداد الجمادات، بل إن الجمادات لتسبح بحمد ربها وإن كنا لا نعي من ذلك شيئا

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾(٨).

وفي القرآن أدلة وبراهين أخر تُجلي للعقل وحدانية الله - عز وجل - لم نرد الإطالة بذكرها.

أما إفراد الله بالعبادة فنكتفي توضيحا للإيجاز

---

(٧) المؤمنون (٩١).

(٨) الإسراء (٤٤).

بآية واحدة، هي قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾(٩)

وما أكثر ما ورد في القرآن الكريم من الدعوة إلى إفراد الله بالعبادات، والتحذير من عبادة غير الله وبهذا يكون المعيار الأول لصدق الرسالة قد تحقق بما لا يدع وليجة للنزاع، وعلى هذا فإن رسالة محمد ﷺ صادقة ٥٠٪ باعتبار تحقق المعيار الأول، كما جاء في التوراة، في سمات صدق الرسالة والرسول.

أما المعيار الثاني، وهو صدق التنبؤات التي يخبر بها الرسول، فلدينا على تحققه في الرسالة الخاتمة ما يضيق المقام عن ذكره، أو مجرد الإشارة إليه.

ونكتفي منه بذكر مثالين لا يملك الخصم مبررا أيا كان للطعن فيهما، أو في أحدهما صدق واقعيات الرسالة، ومنها صدق التنبؤات، شيء القرآن به حافل.. ومنها ما أخبر به القرآن الحكيم قبل وقوعه بما يقارب عشر سنين، وهو:

انتصار الروم على الفرس، في زمن حدده القرآن، فجاء ذلك الانتصار في الإطار الزمني الذي حدده القرآن، وفي ذلك يقول القرآن واعدا بانتصار الروم، وهزيمة الفرس:

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾(١٠)

هذه الواقعة كثير من المستشرقين احتفل بها، وسجلها في مصنفات علمية، مثبتا أن حصول النصر للروم كان بعد إخبار القرآن عنه، وأن الأوضاع تحولت بسرعة في المعسكرين المتخاصمين:

- هبوط في معسكر الفرس مؤذن بالانكسار.

- وصعود في معسكر الروم مؤذن بالانتصار.

- ومن المستشرقين الذين احتفلوا بهذه الواقعة:

المؤرخ الإنجليزي ستيفن رنسيمان(١١).

والمستشرق كارل بروكلمان(١٢).

هذا الحدث التاريخي العظيم حقيقة لايرتاب فيها أحد لا في الغرب، ولا في الشرق.

وليست هي أنبوءة واحدة، بل هي أنبوءات من حيث التحليل والتفصيل:

● وقوع النصر في جانب، والهزيمة في جانب آخر.

---

(٩) الإسراء: (٢٣).

(١٠) الروم (١: ٥).

(١١) الحروب الصليبية (١/ ٢٤، ٢٧)

(١٢) موسوعة تاريخ العلم (٢/ ١٧٨) وانظر الإسلام والأديان الأخرى، لواء أحمد عبدالوهاب ص٦٤

● التحديد الزمني.

● فرح المؤمنين «المسلمين» بانتصار الروم على الفرس ردا على فرح الوثنيين في مكة، بانتصار الفرس وهزيمة الروم أولا.

ونسأل السادة المستشرقين، الذين اتهموا رسالة محمد ﷺ بالكذب:

أين الكذب في هذه الواقعة؟ وقد شهد شاهد أهلكم فقال:

«هلل المكيون لهذه الانتصارات الفارسية، ولكن محمدا أعلن أتباعه أن الهزيمة لابد أن تحل بالفرس في وقت قريب»[١٣].

●●●

أما النبوءة الثانية فهي إعلام الله حفظ رسوله الكريم من أي اعتداء جسيم يقع عليه من الناس، وفي ذلك يقول الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[١٤].

وقد صدق وعده، فحفظ رسوله الكريم من كل سوء، ولم ينل منه أعداؤه منالا يذكر، وهو يمشي بينهم ويخالطهم ويبلغهم ما أنزل الله إليه، لم يكن له حراس من الناس بعد نزول هذه الآية، القاضية بحماية الله له، وظل يسير على الأرض آمنا غير عابىء بعدو، وإن مكر وحقد.

وظل في آمن الله ورعايته حتى أدى رسالته كاملة غير منقوصة. وأعلن الله كمال الرسالة في قوله ـ عز وجل ـ:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[١٥] ثم انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وقضى نحبه على فراشه وتحققت النبوءة الثانية، كما تحققت الأولى وبهذا استكملت رسالة محمد المعيارين اللذين ذكرهما الكتاب المقدس، الذي يؤمن به جميع المستشرقين، بصدق وصحة الرسالة، وصارت رسالة محمد ﷺ، رسالة، صادقة ١٠٠٪ لا ٥٠٪ باعتبار معايير الصدق والصحة، التي يؤمن بها المستشرقون وعلى هذا فيلزمهم الإيمان والتصديق الجازم بصدق رسالة محمد. فإن أبوا فإنهم يكونوا مكذبين بما ورد في كتابهم المقدس. وهذا أمر خطير بالنسبة لقضية الإيمان الكتابي عندهم، يقلب أوضاعهم عقبا على رأس.

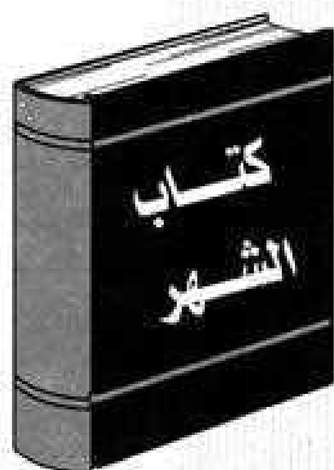
أما رسالة محمد ﷺ فلن يغيرها شيء، سواء سلموا بصدقها أم أصروا على وصفهم لها بالكذب. فهم وحدهم الخاسرون.

---

(١٣) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٩.

(١٤) المائدة (٦٧).

(١٥) المائدة (٣).

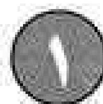



# سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

## لابن إسحاق

للدكتور

محمود علي مراد




**ينقده ويعلق عليه**

**الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين**

**فى العددين السابقين من مجلة الأزهر الغراء، ومع مقدم شهر ربيع الأول قدمت كتاب ( سيرة النبى محمد ) للكاتبة الانجليزية كارين أرمسترونج، تحية لصاحب الذكرى عليه الصلاة والسلام. وفى أثناء إعداد المقالين السابقين اتصل بى بعض الإخوة ينبئنى أن الدكتور محمود على مراد الذى كتبت من قبل فى مجلة الهلال ردا على مقاله فى سيرة ابن هشام.. هذا الدكتور قدمت له مطابع دار الهلال أخيرا كتابا بعنوان ( سيرة رسول الله ﷺ ). آملين منى معاودة النظر فى ذلك الكتاب لتقديمه أو للرد عليه.**

أما مقال الدكتور محمود على مراد فقد نشرت له مجلة الهلال فى أول يناير سنة ١٩٩٨ مقالا تحت عنوان ( سيرة ابن هشام.. هل أنصفت الحقيقة ) وجدت فيه ما حفزنى على الرد فى ثلاث مقالات، أفند فيها ما ساقه فى مقاله من افتراءات ومغالطات، نشرت منها مجلة الهلال مقالين اثنين فقط.

وفى ٢٠/٢/١٩٩٩ - وبعد قراءة المقالين - أرسل أخى الفاضل الأستاذ الدكتور إبراهيم عوض الأستاذ بآداب عين شمس كتابه ( إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية ). فوجدت أنه مشكورا - بعد قراءته ما كتبته، وتلقيه رسالة من الدكتور مراد - أعد هذا الكتاب، ليفند كذلك مزاعم الدكتور عن ابن إسحاق وكتابه، مع إضافات أفادها من اطلاعه على أصل الكتاب، وجدت فيه ما يضئ الطريق أمامى، ويعرفنى بالدكتور أكثر مما عرفته من مقاله، فتأكد لدى ما كنت أراه ظنا يحتمل الصواب والخطأ.

## بين يدى دراسة الدكتور مراد

أما الدكتور مراد فهو - كما ذكر فى مقدمة مقاله فى الهلال، وفيما أرسله إلى الدكتور إبراهيم عوض - مصرى، ولد سنة ١٩٢٦ بالخرطوم، ويقيم بجنيف منذ ربع قرن، وقد حصل على ليسانس الحقوق من جامعة الإسكندرية، ودبلوم دراسات عليا إنجليزى من فرنسا، ودبلوم دراسات عليا فى الدراسات العربية والإسلامية من فرنسا. ثم دكتوراه فى التاريخ الإسلامى من جامعة باريس ( السربون الجديدة ) فى ( سيرة الرسول لابن إسحاق / ابن هشام - الفترة المكية ) - وهى موضوع هذا الكتاب - بناء على اقتراح استاذه المشرف أن يترك الموضوع الأول، وأن يعد رسالة فى نقد سيرة ابن هشام. وكان قد سجل منذ نحو ٢٥ سنة موضوع رسالة دكتوراه دولة عن ( برنارد شو والإسلام ).

وأما الكتاب فهو الترجمة العربية لرسالته التى حصل بها على الدكتوراة سنة ١٩٩٧، ويضم ٥١٦ صفحة من القطع المتوسط، طبع مطابع دار الهلال سنة ٢٠٠٠، ولم يرد بالكتاب اسم المترجم، لأن الدكتور مراد لما حاول ترجمة الرسالة بنفسه لم تعجبه الترجمة، ففضل أن يحولها إلى مقالات يحاول أن ينشرها فى المجلات المصرية، لأنه فيها - على

حد قوله - يقدم استنتاجات تقلب المفاهيم التي استقرت في موضوع السيرة على مدى ١٢ قرنا رأسا على عقب.. بدلا من أن يكون لها وقع القنبلة النووية إذا قدمت في رسالة أو كتاب واحد(١).

ويبدو أنه بعد ردي عليه في مقالين بمجلة الهلال آثر أن يهجم على غرضه سريعا بإلقاء قنبلته النووية، مستأنسا بمن يسَّر له أمر الطبع في مطابع دار الهلال، ومن انبرى يقرظ الكتاب في بعض الصحف المصرية.

والدكتور مراد قد وعد - في رسالته للدكتور إبراهيم عوض - أن يواصل دراسته عن الفترة المدنية ليحصل على الدكتوراه من جامعة جنيف، إذا لم يجد إعتراضا على دراسته الأولى، يعتمد فيها على القرآن وحده، دون الحديث النبوي، لأن كتب الحديث بحرها غويط أولا، ولأن من اعتمدوا على كتب الحديث (بلعوا) كلام ابن إسحاق كما هو، ولم يدركوا ما فيه من مخالفة كبيرة للقرآن(٢).

وهكذا لم يكتف الدكتور بإلقاء قنبلته على السيرة النبوية، ولكنه صوبها كذلك إلى كتب الحديث، والمحدثين.

## بين الموضوعية المحايدة والانطباعية الجائرة

والدكتور الذي لم تسعفه عربيته في ترجمة رسالته إلى العربية، يجد لديه من القدرة والتمكن من العربية ما يتمكن به من نقد كتب الحديث، وليس كتاب ابن إسحاق وحده، فيذكر:

أنه لاحظ اعتماد كل من كتبوا في السيرة حتى الآن على ابن إسحاق، وأنهم (بلعوا) كلامه كما هو، ولم يدركوا ما أدركه هو مما فيه من مخالفة كبيرة للقرآن، وأنه حيث عرض تلك الملاحظات على أستاذه المشرف، اقترح عليه أن يترك موضوع رسالة الأول، وأن يعد رسالة في نقد سيرة ابن هشام.

وأنه لاحظ اشتمال سيرة ابن إسحاق على عدد من السمات الغريبة، سار وراءه فيها عشرات كتب السيرة التي رجع إليها!

وقد أجمل هذه السمات في خمس هي: قلة مادة الحديث عن الفترة المكية، وإبراز صورة محمد في الفترة المكية بأنه محمي أو ينشد الحماية، وضآلة الحيز المخصص لحالات اعتناق الإسلام، وعدم وجود أية بيانات عن انتشار الإسلام خارج مكة والمدينة، وتصوير محمد في المدينة بأنه رجل حرب.

وأنه حين رجع إلى كتب السيرة المختلفة وجد - دون جهد كبير - أن ما فيها من معلومات قد استمدت من السيرة القديمة التي تحمل اسم ابن هشام، والتي كان مؤلفها هو ابن إسحاق، كما وجد أنها هي الأصل في معظم السمات التي استوقفته فيما ألف في العصر الحديث من كتب السيرة النبوية(٣).

---

(١) انظر: رسالته للدكتور إبراهيم عوض في كتاب (إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية) ١٦ - ٢٠.

(٢) السابق صـ ١٨.

(٣) سيرة الرسول لمحمود علي مراد: ٢/٦.

ويبدو أن تلك الملاحظات ـ على ما فيها من جراة مغرورة ـ فتحت شهية من يتحينون الفرص للانقضاض على الإسلام، والانتقاص منه ومن رسوله محمد ﷺ، فأغرى الدكتور مراد بأن يستبدل ذلك الموضوع بموضوع رسالته الأول، أو لعل الدكتور مراد نفسه رأى في ذلك الموضوع ما يرضي أساتذته في السربون، ويخلصه من موضوعه الذي لم يستطع إعداده على مدى نحو ٢٥ سنة، وقد يكون هذا وذاك، أو لا هذا ولا ذاك، وإنما دفع إليه العجلة والغفلة عن الحقيقة، وعن الإمكانات الشخصية!.

المهم: أن التفسير الذي أرضى الدكتور مراد والدكتور المشرف هو أن ابن إسحاق ـ في هذا الكتاب ـ كان أداة عباسية، وظف كل إمكاناته في الدعاية العباسية، ضاربا بكل ماعدا ذلك من القيم والمقاصد عرض الحائط.

وفي سبيله إلى ذلك: استخلص من تلك الملحوظات أمورا ـ سوف يكون أبرزها محور ردودنا ـ إن شاء الله تعالى ـ كان من أهمها أن كتاب ابن إسحاق يصور الرسول ﷺ من البداية إلى النهاية على أنه رجل ليس ذا حيثية، وأن هذه السيرة ـ في جزئها المكي ـ إنما هي كتاب دعاية كتب تمجيدا لبني هاشم قبيلة الخليفة العباسي، وتمجيداً لأهل المدينة، وثأرا من عشيرة القائد العربي الذي أسر جده ـ يعني خالد بن الوليد ـ وأن هذه السيرة دعاية عباسية، اقتضت الارتفاع بعبد المطلب إلى درجة إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وإظهار أبي طالب الكافر في هيئة الشخصية التي تتفرد بالتوقير، وإظهار بني هاشم في صراع مع قريش جميعها لحماية محمد، وأن هذه السيرة ـ إلى هذا وذاك ـ دعاية مدنية تقوم على: سرعة استجابة أهل المدينة للإسلام، واستقبالهم المهاجرين من مكة، ومؤازرتهم الرسول ﷺ في فتوحه وغزواته.

ومن هنا.. انطلق الدكتور مراد يصف سيرة ابن إسحاق بأن ما فيها من أخبار مختلقة، تحمل في الواقع علامات واضحة لنية التزييف والاختلاق، ويشوبها التحيز ضد مسلمي مكة، وأنها تقوم على لعبة الظل والضوء، والصمت والتفصيل لإبراز ما ليس مهما، وإخفاء المهم، وأنها تقوم على النزوع العسكري، وتخضع للمؤثرات الشخصية، وأنها لا تقوم على السرقة فحسب، بل على التلاعب كذلك(٤).

ثم أجمل كل ذلك في وسيلتين، ذكر أن ابن إسحاق اعتمد عليهما في السيرة، هما: الاصطناع المقترن بالتزوير، والتلاعب بالقرآن والإغفال المقصود لبعض آياته(٥).

## ويمكرون ويمكر الله

بذلك توهم الدكتور مراد ـ أو من وراءه ـ أنه تمكن من تفجير القنبلة النووية التي تنسف السيرة النبوية، وأنه قدم لأستاذه المشرف الثمن

---

(٤) سيرة الرسول لمحمود علي مراد صفحات: ٤٢ /١٠٩/ ٢٠٧/ ٢١٠/ ٢١٣/ ٢٨٣/ ٢٨٥/ ٢٩٠/ ٢٩٤/ ٤٢٣/ ٤٢٥/ ٤٤٩/ ٤٥٢/ ٤٥٣/ ٤٥٥.

(٥) السابق: ٥٠٤/ ٥٠٦.

الذى يستحق به درجة الدكتوراه ـ بعد أن طوى نحو ربع قرن من الموضوع الآخر دون أن يحصل على تلك الدرجة ـ حيث قدم ما يثبت أن الرسول ﷺ أصبح فى حاجة إلى من يعيد كتابة سيرته، فما دامت كتب السيرة المختلفة ـ قديماً وحديثاً ـ مستمدة من سيرة ابن إسحاق التى أثبت أنها تضم أحداثا وروايات مختلقة مزيفة، مشوهة للحقيقة، تقوم على التلاعب والاصطناع والتزوير، فهذا يعنى بالضرورة أن جميع كتب السيرة قائمة كذلك على باطل، وليس بين أيدينا إذن تاريخ صادق أمين نتعرف منه على حقيقة السيرة النبوية.

ولا ندرى ـ كما ألمحنا من قبل ـ من الذى رسم هذا المخطط ـ أو السيناريو ـ لهدم السيرة النبوية، ولا يعنينا أن نعرف من الذى رسمه، إنما الذى يعنينا هنا هو أن ننبه إلى أن الدكتور ـ فى وهمه هذا ـ غفل عن حقيقة صارخة ـ أو لعله تغافل عنها عامدا ـ بقصد تفريغ الميدان من سيرة موثقة للرسول ﷺ.

ولو أن الدكتور تجرد من الغرض الشخصى، والاستسلام الخانع لما ادعاه المستشرق (وليم سوير) من قبل على ابن إسحاق، واتهامه بموالاة العباسيين فى كتابه..

ولو أنه استعان بسلاح الباحث عن الحقيقة، المتوج بالتواضع.. إذن لعرف أن المبادرة إلى اتهام ابن إسحاق بموالاة العباسيين، وقيامه بأخطر عملية تزييف وتلفيق، وكذب وتزوير لينال رضاهم.. أقول: إذن لعرف أن هذا الاتهام لن يحقق له ولا لأستاذه السريونى ما أراد من هدم سيرة الرسول ﷺ، لأنه عندئذ كان سيتبين أن ابن إسحاق لم يكن هو أول من كتب فى سيرة محمد ﷺ، وأن ما اتهم به ابن إسحاق بأنه افتراء واختلاق، جامل به العباسيين، قد ذكره من المؤرخين ـ قبل ابن إسحاق ـ من لا يمت بصلة أى صلة بالعباسيين، وكتبهم محققة مطبوعة، تتداولها أيدى الباحثين عن الحقيقة.

نعم.. لقد غفل الدكتور مراد ـ أو تغافل ـ عن أن ما ذكره ابن إسحاق من الأحداث فى كتابه قد سبقه إلى ذكره عروة بن الزبير بن العوام الأسدى، المتوفى سنة ٩٣هـ سنة ٧١٢م فى كتابه (مغازى رسول الله ﷺ)، وهو كتاب حققه الدكتور محمد مصطفى الأعظمى، ونشره مكتب التربية العربى لدول الخليج/ الرياض سنة ١٤٠١هـ سنة ١٩٨١م، كما سبق ابن إسحاق كذلك إلى كتابة السيرة النبوية محمد بن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤هـ سنة ١٧٤٢م فى كتابه (المغازى النبوية)، وقد حققه سهيل زكار، ونشره دار الفكر سنة ١٤٠١هـ سنة ١٩٨١م كذلك. وما كان واحد من هذين عباسيا ولا أدرك العباسيين.

أضف إلى هذا ما قدمه ابن حزم الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦هـ سنة ١٠٦٤م فى كتابه (جوامع السيرة النبوية) الذى أعده أحمد حسن جابر، ونشر ملحقا بمجلة الأزهر جمادى الأولى ١٤١٣هـ.

فابن حزم- على الرغم من أنه كان فى زمان الدولة العباسية- أبعد الناس عن مجاملة العباسيين، لأنه كان يعيش فى الأندلس التى



كان يحكمها الأمويون وكان هو وأبوه أحد وزراء الأمويين هناك كما أنه لم يكن بالعالم الذى يسهل تطويعه لتغيير الحقيقة، ولا كان بالذى يأخذ عن ابن اسحاق أو غيره من غير اقتناع، فلقد اشتهر بالصلابة فى الرأى، حتى استقل عن مشاهير الفقهاء، بمذهب فقهى أخذ عليه فيه عنفه وشدته فى مواجهة آراء الآخرين، ونقدها، من كل ما يؤكد انه لم يكن بالذى يجامل العباسيين أو غيرهم، أو بالذى ينقل عن ابن اسحاق وغيره دون تمحيص ونقد.

ولا نتصور ان جهل الدكتور مراد بوجود هذين المصدرين المبكرين للسيرة النبوية، كان وراء قراره أن ابن اسحاق أول من كتب السيرة، خصوصا أن ابن اسحاق نفسه روى فى كتابه كثيرا من الأحداث عن عروة بن الزبير، وابن شهاب الزهرى، كما روى عن غيرهما، فلفت النظر إلى أن هناك من سبق ابن اسحاق إلى كتابة السيرة، وإلى أن هناك من قام برواياتها.

ولكن الدكتور لما رأى فى ابن اسحاق شبهة الالتقاء بالعباسيين بادر بإغفال من سبقه ليجعل منه كبش الفداء الذى يحقق بذبحه ما قصد إليه ابتداء منتسف السيرة النبوية، وتفريغ الساحة من سيرة تؤرخ له ﷺ، حتى يخلو الجو له ولأساتذته المستشرقين كى يصطنعوا السيرة التى يرضونها والتى تحقق لهم المراد. ومــا دروا أن الله من وراء المزيفين محيط.

وما قصدت بهذا أن أدفع عن ابن اسحاق أو غيره احتمال الخطأ، فكل جهد بشرى يحتمل الخطأ والصواب، ولكن الذى قصدت إليه أن أدافع عن ابن اسحاق ما كاله له الدكتور مراد من تهم خطيرة، وما ألصقه به من صفات ذميمة بدون سند أو حجة.

## بين الكم والكيف

وأول الأمور المثيرة التى رأى الدكتور مراد أن ابن اسحاق وقع فيها، وتأثرت به الكتب الحديثة: أن الجزء المخصص فى كتاب السيرة للفترة المكية ابتداء من مبعث الرسول ﷺ، إلى وصوله المدينة أقل من خُمس الجزء المخصص للفترة المدنية!(٦)

وإننا لنعجب من أن يقف الدكتور هذا الموقف من كم الصفحات، مع ماله من باع واسع فى ميدان البحث العلمى، أفرزه لسيادته- بالضرورة- سنه، وهيأه له تتلمذه فى تلك السن على استاذ فى إحدى الجامعات الفرنسية.!

فليس من شك فى أن كل من له صلة بالبحث العلمى، والدرس الجاد، يدرك أن محتوى البحث هو الذى يدور حوله النظر، وتقوم عليه الموازنة، ويتخذ مجالا للقبول أو الرفض، سواء ضُمِّنته صفحة واحدة، أو مائة صفحة.

فعدد الصفحات لم يكن- ولن يكون- معيار الصدق والكذب، ولا دليل الصواب والخطأ ولا مناط الإنصاف وعدم الإنصاف،

(٦) سيرة رسول الله ﷺ: صـ ٦.



حتى في مجال الإبداع الأدبي.. قد يكون الإعجاز في الإيجاز، كما قد يكون في الإطناب، فلكل مقام مقال.

فإذا وجدنا ابن هشام أرخ المرحلة المكية في مائتي صفحة، وأرخ المدنية في ألف صفحة، وجب علينا أن ننظر فيما تضمنت كل مرحلة من أحداث، وعلاقة تلك الأحداث بالموضوع- وهو في كتاب ابن إسحاق حياة المصطفى ﷺ- ومكانتها منه.. إلى غير تلك الأمور، التي يعرفها كل من مارس الدرس والبحث والنظر الناقد.

ومن هنا يصبح علينا- ونحن نقوم كتاب ابن إسحاق- أن نوازن بين ما تضمنته المرحلة المكية من أحداث تتعلق بالرسول ﷺ، وما تضمنته المرحلة المدنية من ذلك، ولا نطلق الحكم دون سند بأن قلة الصفحات في المرحل المكية. قصد به ابن إسحاق إخفاء حقائق لأغراض أخرى غير تجلية الموضوع الرئيسي.

أما المرحلة المكية بالنسبة لصاحب السيرة ﷺ، فنعلم جميعا أنها مرحلة الميلاد، والنشأة، والمبعث، والدعوة إلى الإسلام وما واكب ذلك من أحداث، انتهت بالهجرة إلى المدينة المنورة. بينما كانت المرحلة المدنية مرحلة الانتشار الشامل، والمواجهة العامة، حيث تجاوز الأمر محور قريش والوافدين لمكة بل تجاوز أرض الجزيرة العربية - لتتشعب العلائق، وتتردد أصداء الدعوة في شتى أنحاء الأرض، وتنتقل الحياة من بساطة الحياة البدوية، إلى تعقيدات الدولة، وما واكب ذلك من أحداث ومواقف؛ فبعد أن كان محمد ﷺ - في مكة - يواجه قريشا وحدها، أصبح - في المدينة - يواجه قبائل العرب جميعهم، وقبائل اليهود، وأطماع الروم والفرس المسيطرين على أطراف الأرض العربية كلها، فضلا عما واجهه من مشكلات نشأت مع هجرة من هاجر من مكة مجردا من كل ما يملك، وما يحتاجه ذلك من تدبير وتنظيم يقيم العلاقة بين أفراد هذا المجتمع الجديد على أسس راسخة قوية.

فأي المرحلتين - بربك - أيها الدكتور تثريها الأحداث، التي يعلم كل مشتغل بالتاريخ أنها هي الشغل الشاغل لأي مؤرخ يتوفى الأمانة، ويحترم متلقيه، ويلتزم الإنصاف لمن يكتب عنه؟!

فإذا ذكرت طبيعة المرحلة المكية ياسيادة الدكتور، وذكرت أن ابن إسحاق مؤرخ ذو منهج محدد واضح، يقوم على تقديم ما توفر لديه من أخبار، استقاها من الرواة الذين نقلوها من غيرهم، في سلسلة متتابعة.. وأنه ليس مؤرخا يعتني بفلسفة التاريخ.. أقول: إذا ذكرت هذا تبين لك أن المرحلة المكية لم تكن تتسع لأكثر من ذلك؛ لأن اهتمام الرواة بالنشأة دائما أقل بكثير من اهتمامهم بما يلي النشأة من أحداث متشابكة، حتى إن نشأة كثير ممن اشتهروا في شتى الميادين تكاد تكون مجهولة.

## السلام والحرب.. ومحمد ﷺ

ولكن نظر الدكتور الفاضل لم يلتفت لتلك الحقيقة التي يجب أن لاتغيب عن باحث ولا



مؤرخ – فضلا عن ناقد التاريخ – والتفت إلى ما يحرص عليه بعض المستشرقين والصليبيين ممن يزعمون أن رسول الله ﷺ كان رسول حرب؛ فظن أن المرحلة المكية كانت مرحلة سلام، وأن المرحلة المدنية كانت – وحدها – مرحلة حرب، طبقا لتصور المؤلف.

وبناء على ذلك.. يرى الدكتور مراد أن ابن اسحاق – بكتابه هذا – يقرر أن رسول الإسلام كان رسول حرب لاسلام، وأن الإسلام دين حرب لا دين سلام[7].

ولا أدرى ماذا يقصد الدكتور – ومن تأثر بهم أو من تأثروا به – بالسلام المكي، والحرب المدنية.!

إن أي دارس جاد منصف لايمكن أن يفرق بين حقيقة ما واجه النبيُّ ﷺ من الأحداث في مكة والمدينة، اللهم إلا في حجمها؛ فمنذ علمت قريش ببعث محمد ﷺ، ونار الحرب موقدة، لم يهدأ لها أوار، فمحاربته في المدينة امتداد لمحاربته في مكة، بيد إن كيفية الحرب وسلاحها في مكة اختلف عنها في المدينة؛ فقد أعلنتها قريش – في مكة – حربا يواجهون بها محمدا ﷺ وأتباعه بالتعذيب والتسفيه، والسب، والدعاية المضادة، والحصار، إلى غير ذلك من وسائل الحرب ومظاهرها، حتى إن أبا جهل – كما ذكر ابن إسحاق – كان إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنَّبه، وخزاه، وإن كان تاجرا قال: لنكسدنَّ تجارتك، ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفا ضربه، وأغرى به[8].

ويواجهونه بها – كما روى ابن إسحاق – بمطالبة عمه أن يكف عنهم ابن أخيه، حين سعوا إليه قائلين: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلى بيننا وبينه[9].

ويواجهونه بالمشي إلى عمه– على ما روى ابن إسحاق – مرة أخرى، قائلين له: يا أبا طالب إنا قد استنهيناك من ابن أخيك، فلم تنهه عنا، وإنا والله لانصبر على هذا.. حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين[10].

ثم بالمشي إلى أبي طالب ثالثة بعمارة بن الوليد بن المغيرة، ليتخذه أبوطالب ولدا، ويسلم إليهم محمدا الذي قد خالف دينهم، وفرق جماعتهم، فلما رفض أبوطالب ذلك العرض اشتد الأمر، وحميت الحرب، وتنابذ القوم، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم، ويفتنونهم عن دينهم، وقام أبوطالب في بني هاشم، وبني عبدالمطلب يدعوهم إلى ما هو عليه، من حماية رسول الله ﷺ، والدفع عنه، فأجابوه إلى ذلك إلا ما كان من أبي لهب[11].

---

(7) سيرة رسول الله ﷺ: ٣٩٤-٤٢٥.

(8) سيرة النبي ﷺ لابن هشام: ٢٤٣/١.

(9) السابق: ٢٧٦/١ ، ٢٧٧.

(10) السابق: ٢٧٨/١.

(11) السابق: ٢٨١/١.



ويواجهون محمداً ﷺ بتلك الحرب - كما روى ابن إسحاق - بإغراء سفهائهم به ويسبونه، ويطعنون فيه بالقول، حتى وقف قائلاً في ثوب التوعد: «أتسمعون يا معشر قريش؟! أما والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بالذبح»! فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع حتى إن أشدهم تحريضاً عليه قبل ذلك ليُقبل عليه يهدئه بأحسن ما يجد من القول[١٢].

ولكن واحداً من هؤلاء السفهاء يواجهه في الغد، فيأخذ بمجمع ردائه، حتى قام أبوبكر - رضي الله عنه - يدفع عنه، وهو يقول: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله» ويرجع أبوبكر ذلك اليوم إلى بيته وقد صدعوا فرق رأسه من شدة جذبهم بلحيته[١٣].

ويواجهونه بها - كما روى ابن إسحاق - بما أغروه به من مال وجاه وسلطان، فلما أبى إلا الدعوة نهض أبوجهل ليعلن قريشاً بأن قرر أن يتعهده غداً بحجر ثقيل يشدخ به رأسه حين يصلي، وليفعل بي بنو عبد مناف ما بدا لهم[١٤].

ويواجهونه بها، بعزله عن الوافدين إلى مكة من خارجها، بشتى المزاعم والأكاذيب، كما فعلوا مع الطفيل بن عمرو الدوسي، حيث مشى إليه رجال من قريش قائلين يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أشتد أمره، وفرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر.. وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه، ولا تسمعن منه شيئاً[١٥].

ويواجهونه ﷺ بالضغط على قبيلته، بفرض المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية عليه، وعلى بني عبدالمطلب، وبني هاشم سنتين أو ثلاثاً. حتى جهدوا، لا يصل إليهم شيء إلا سراً، مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش[١٦].

ويواجهونه بها في الحبشة، حيث أرسلوا وراء المهاجرين عبدالله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص بهدايا للنجاشي ووزرائه ليسلم المهاجرين إليهما فلم ينعت الدكتور ما كان من مشركي مكة في تلك المرحلة؟ ولم يصف موقف محمد ﷺ وأصحابه من تلك المواجهات المتنوعة؟!

أم إنه يرى أن الحرب إنما تكون بالسيف والرمح فحسب!

إنها - كما ترى - حرب معلنة متطورة - وإن لم يستعمل فيها سيف ولا رمح - شنها مشركو مكة على محمد ﷺ، وعلى أصحابه، ولم تلن للمسلمين فيها قناة، فما ضعفوا وما استكانوا، ولكنهم واصلوا نشاطهم رادين الصاع صاعين بطريقتهم

(١٢) السابق: ٣١٠/١.

(١٣) السابق: ٣١١/١.

(١٤) السابق: ٣١٧/١ - ٣١٨.

(١٥) السابق: ٤٠٧/١.

(١٦) السابق: ٣٧٢/١.



الخاصة والمناسبة، والتي كان من بينها إذاعة ما كان ينزل في بعضهم من القرآن، مثل أبي لهب وامرأته، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل السهمي وأبي جهل بن هاشم، والنضر ابن الحارث، والأخنس بن شريق، والوليد بن المغيرة، وأبي بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، والأسود بن المطلب.

نعم.. يا سيادة الدكتور إنها لحرب شرسة اضطر إليها محمد ﷺ في مبتدأ الأمر، فلم يملك إلا أن يمتشق لها ما يناسبها من السلاح، ويخوضها دفاعاً عن نفسه وعمن معه، وعن دعوته، لا تقل في شراستها عما واجهه بعد الهجرة إلى المدينة من حروب عسكرية وغير عسكرية، حيث أبى المشركون واليهود، ثم الروم والفرس أن يتركوا له فرصة يهنأ فيها بشيء، من الراحة والأمان - على مدى عشر سنوات - حتى لحق بالرفيق الأعلى، ظنا منهم أن تلك الحروب سوف تردعه عن مواصلة الدعوة، أو أنها ستنال منه فتضعف نشاطه، ولكنهم فوجئوا بما لم يكن لهم في حسبان، فوجدوه المثابر على دعوته، في الوقت ذاته الذي ينهض فيه محارباً، يدفع العدوان، ويرد الكيد، ويبشر الأمن والسلام.

فابن إسحاق- بإطالة الحديث عن المرحلة المدنية- ليس هو الذي يقرر أن محمدا ﷺ كان رسول حرب، لأن المرحلة المكية لم تخل من الحرب كما رأينا. غاية الأمر أن سلاح الحرب في مكة كان مختلفا عن سلاحها في المدينة، ومحور الحرب، وأعداء محمد ﷺ هم الذين كانوا وراء تغيير السلاح، وبالتالي كانوا وراء تغيير هيئة الحرب.

وابن إسحاق ما أطال الحديث عن المرحلة المدنية إلا استجابة لما ضمته تلك المرحلة من أحداث، وإلا إستجابة لما كانت تفرضه طبيعة الحياة، تطور الدعوة من وقائع، بخلاف المرحلة المكية.

فهناك ملابسات واكبت كل مرحلة هي التي وجهت ابن إسحاق، وهي التي توجه كل من يتصدى للحديث عنها.

أما هؤلاء الذين يغمضون أعينهم عن تلك الملابسات والظروف التي كانت وراء ما نسب من حروب، وما كان من سرايا، والذين يغمضون أعينهم عما واكب عنت القرشيين في مكة من أساليب القهر والعنف، ليحكموا على الإسلام بأنه دين حرب لا سلام، فهم من ينقبون عما يمسخ الحقائق، ويزيفوا الواقع، ويصطنعوا المواقف. ليشينوا الإسلام، ويشوهوا صورة رسول الله صلوات الله تعالى وسلامه عليه، فلم يكن أمامهم إلا أن يسلكوا سبيل من يقول: إن القرآن ينهى عن الصلاة؛ لأن يقول: «فويل للمصلين» ولو أنهم قرأوا سيرة ابن إسحاق قراءة البصيرة المحايد لما خطر ببالهم ما خطر ببال الدكتور محمود مراد ومن ماثله من المستشرقين وغيرهم.

هذا... والحديث حول ما قدمه الدكتور محمود مراد في كتابه متصل أن شاء الله، سعيا وراء تجلية الحقيقة، وإبطال مفعول تلك القنبلة النووية، بنزع المفجر منها. والله من وراء القصد أولا وآخرا.






# ما يقال عن الإسلام

## نقد علمي لمقال ديني




للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

٣ ثم أترك آيات القتال بعد أن وضح الحق في تفسيرها، إلى آيات أخرى رأى القس الفاضل أنها تؤيده في منحاه، وإن جاء ذكر القتال فيها عرضاً!

لقد بدأ فذكر آية الجزية

﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾(١).

وإقحام حديث الجزية، يدل على أن الباحث لم يقرأ ما كتبه الفقهاء عنها، ولا أطيل في سرد ما قيل، ولكنني أكتفي بما ذكرته من قبل في تقرير آخر إذ تعرض بعضهم لمثل ما تعرض له الباحث فقلت دافعا قوله: إن الجزية ليست ضريبة مفروضة ولكنها بدل عن الدفاع الحربي الذي يقوم به المسلمون عن البلاد، فإذا قاموا بالدفاع مع المسلمين فلا جزية..

يقول السيد محمد رشيد رضا، في كتاب «الوحي المحمدي» ط٣ص٢٧٨، وهو خلاصة لما نشر بالمنار عند تفسير الآية الكريمة في سورة التوبة: «إن الجزية في الإسلام لم تكن كالضرائب التي يضعها الفاتحون على من يتغلبون عليهم، فضلاً عن المغارم التي يرهقونهم بها، وإنما هي جزء قليل على ما تلتزمه الحكومة الإسلامية من الدفاع عن أهل الذمة، وإعانة للجند الذي يمنعهم أي: يحميهم ممن يعتدي عليهم، كما يعلم من سيرة أصحابه ﷺ، وهم أعلم الناس بمقاصد الشريعة، وأعدلهم في تنفيذها»..

ثم استشهد السيد محمد رشيد بمثالين من تاريخ الصحابة، استشهد بهما موجزين، فرأيت أن أرجع إلى مصدره التاريخي لأستوعب ما قيل..

١- جاء في كتاب «الخراج» للقاضي أبي يوسف، «أن أبا عبيدة بن الجراح كان قد جمع من أهل الذمة أموالاً للدفاع عن مدنهم، ثم علم من أهل الذمة أنفسهم أن الروم قد جمعوا لحربه جيوشاً لا طاقة للمسلمين بدفعها، فأمر أبوعبيدة بأن يرد إلى كل مدينة، ما أخذ منها من جزية. وقال: إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وأنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا لكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط أن ينصرنا الله عليهم».

٢- جاء في «فتوح البلدان» للبلاذري أن أباعبيدة صالح أهل السامرة بالأردن وفلسطين دون أن يأخذ الجزية لأنهم كانوا عيوناً للمسلمين على أعدائهم، وبذلك ساهموا في الحرب..

ويقول الأستاذ المستشار علي منصور في كتاب «الشريعة الإسلامية» والقانون الدولي العام ص٢٦١ تعليقاً على ذلك، وأصل هذا سنة عمر ابن الخطاب حين قرر أن من استعين به من غير الملة، لا يدفع جزية، وروى ذلك الطبري في حوادث سنة ٢٢ هـ عن حادث ملك «شهر بزار» الذي قال لأمير المسلمين: أنا اليوم منكم، ويدي مع أيديكم، وبارك الله لنا ولكم، وجزيتنا إليكم هي النصر والعون والقيام بما تحبون فتقبل منه ذلك.

---

(١) التوبة (٢٩).



٣ـ جاء في فتوح البلدان، أن حبيب بن مسلمة الفهري، غزا الجرجوقة فصالحه أهلها على أن يكونوا للمسلمين عيوناً ومسالح، وإذا دعوا إلى الحرب مع المسلمين أجابوا، على أن يتقلدوا أسلاب من يقتلونه من أعداء الإسلام.

٤ـ نقل السيد محمد رشيد رضا ( الوحي المحمدي ط٣ص٢٧٩ ) عن خالد بن الوليد أنه كتب لصلوبا بن قسطونا «إني عاهدتك على الجزية والمنعة، وما منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا».

وفي كتاب السير توماس أرنولد «الدعوة إلى الإسلام، تحت عنوان ( الغرض من فرض الجزية ) بسط شاف لهذه المعاني، واستشهاد واف بأحداث التاريخ في القديم، ومن أحسن ما قاله.. إن الفلاحين من المصريين كانوا رغم إسلامهم يعفون من أداء الخدمة العسكرية مقابل جزية فرضوها على أنفسهم»..

ولعلي بعد ذلك أكون قد وضعت مفهوم الجزية في نصابه الصحيح، وصححت ما فهم عنه خطأ، فليتامله القس الفاضل.

**٤** ننتقل إلى الحديث عن التوراة واختيار القس لآيات من الكتاب، فهم منها ما شاء وتركه آيات أخرى لم يشأ أن يذكرها لأنها لا تساير وجهته، وذوو البحث العلمي يرفضون هذا الاتجاه، فعلى الباحث في موضوع أن يذكر كل ما قيل فيه، فإذا اقتنع بوجهة نظر خاصة، ورأى ما يعارضها من النصوص، حاول الرد على ما يخالف، ويبسط للقارئ وجه الحقيقة كاملاً دون نقص وقبل أن أذكر الآيات التي اختارها الباحث، مع ما تركه من الآيات الأخرى، أشير إلى خلاصة ما قرره القرآن بشأن التوراة، وقد جاء في قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾(٢).

فهذا النص الصريح يدل على أن القرآن مهيمن على ما جاء بالتوراة والإنجيل، فما اتفق فيهما مع القرآن فهو هدى ونور، وما خالف فيهما فهو الحق الذي أنزله الله، إذ من أصحاب التوراة من حرفوا الكلم عن مواضعه، ومن نسوا حظاً مما ذكروا به فجاء القرآن ليسيطر على ما أنزل من قبل، فقوله في القرآن هو الفيصل..

هذا ما نقرره مبدئياً بشأن ما نعرضه من الآيات التي استشهد بها القس، وها هي ذي:ـ

١ـ

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾(٣).

تتحدث الآية عن قوم من اليهود جاءوا للرسول يرضون حكمه في حالة «زنا» وقرروا أن التوراة ترى أن الزاني يفضح ويجلد «وظنوا موافقة الرسول على اتجاههم، فطلب الرسول من عبد الله بن سلام أن يقرأ

---

(٢) المائدة (٤٨).

(٣) المائدة (٤٣، ٤٤).





التوراة فإذا الحد الرجم، وإذا القوم كاذبون! فنزل قول الله

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ﴾

وهذا الحكم لم يبدل ولم يلحقه التحريف، وكل ما كان كذلك من التوراة فهو هدى ونور، وما لم يكن فهو ضلال وظلام!.

٢-

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٤).

نعم! الإنجيل فيه هدى ونور ومصدق لما بين يديه من التوراة، ولكن أى إنجيل؟ أهو الذى نقرؤه اليوم؟ إننا نقرأ للباحثين قولهم: «إن الإنجيل لم يكتب منه شئ أيام المسيح، فقد قام تلاميذه وتلاميذ تلاميذه بكتابة ما روى عنه، وكلها مقطوعة السند، وأنا لا أريد أن أمس مشاعر الباحث فأنا حريص على الود الذى يجب أن يكون مشتركاً، ولكننى أعلن وجهة الإسلام فى الهيمنة على ما جاء فى التوراة والإنجيل، وقد استشهد بما لم يدرك مرماه، فوجب التنبيه.

٣-

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾(٥).

نحن نتمنى أن تتبع الفضائل الإنسانية التى جاءت فى التوراة والإنجيل، ولا خلاف فى هذه الفضائل المعترف بها بين المسيحية واليهودية والإسلام! ومن أسمى هذه الفضائل المحبة والتسامح والإخاء.

٤-

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾(٦).

كما لا نمارى فى أن الله ـ عز وجل ـ قد أنزل التوراة والإنجيل هدى للناس، كما أنزل القرآن مصدقاً لهما، وكل مسلم يؤمن بذلك!

ونأتى بعد ذلك إلى آيات عن التوراة لم يقف عندها القس، وكان عليه أن يتتبع كل ما فى الكتاب، لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً.

١- قال الله ـ تعالى ـ فى سورة النساء:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾(٧).

قال الأستاذ الإمام محمد عبده نقلا عن المنار: «قوله أوتوا نصيباً من الكتاب، لأنهم لم يأخذوا الكتاب كله بل تركوا كثيراً من أحكامه، لم يعملوا بها، وزادوا عليها والزيادة فيه كالنقص عنه، فالتوراة تنهاهم عن الكذب وإيذاء الناس وأكل الربا، وكانوا يفعلون ذلك»..

---

(٤) المائدة (٤٦)
(٥) المائدة (٦٦)
(٦) آل عمران (٣، ٤)
(٧) النساء (٤٤، ٤٥).




وقال السيد محمد رشيد رضا تعقيباً على هذا التفسير: ولما انتهى الإمام من الدرس قلت له: أليس التعبير بالنصيب إشارة أو نصاً على أنهم لم يحفظوا الكتاب كله، بل فقدوا حظاً ونصيباً منه آخر منه؟ فقال: بلى..

٢ـ قال تعالى في سورة المائدة:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾(٨).

قال صاحب المنار: أثبت الله في هذه الآية أن اليهود يحرفون كلم كتابهم عن مواضعه وأنهم نسوا حظاً مما ذكروا به، ثم قال: «وذلك بفقدهم الكتاب وعدم حفظهم له كله في الصدور، ثم إن الذي أوتوه منه، وبقي لهم ما كانوا يعملون به كما ينبغي بل كانوا يحرفونه عن مواضعه باللي والتأويل».

٣ـ قال تعالى في سورة الأنعام

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾(٩).

فالآية تدل على أن الأحبار منهم من كان يكتب الآيات في قراطيس، ليخرج منها ما يدل على ميله الخاص، فإن كان النص معارضاً لاتجاهه أخفاه! هذا فيما لديهم من التوراة، وما غاب عنهم أكثر، وقوله ـ تعالى ـ بعد ذلك:

﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ﴾(١٠).

أي عرفتم من القرآن ما ليس لديكم وذلك تصديق لقول الله:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(١١).

لأنه هو المهيمن المسيطر فهذه آيات كان من المتوقع أن يقف عندها القس طويلاً، ليعلم أن القرآن هو الكتاب الخاتم، وأن ما جاء به يجب كل ما خالفه من أقوال حرفت عن موضعها الصحيح، ولم استقص ما ذكر من الآيات الكريمة، لأن المضمون واحد، والإجابة عن بعض تغني عن بعض منعاً للتكرار.

ولست أرى داعياً للرد على ما ذكره القس حين استشهد بالآيتين الكريمتين:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾(١٢).

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾(١٣)

لأن هاتين الآيتين من صميم العقيدة الإسلامية، وهي لا تتفق في مسألة التوحيد مع المسيحية وكل يؤمن بما يعتقد؟ وليس في النصين ما يدعو المسلمين إلى قتال المسيحيين، وهو الهدف الذي تمناه القس من تسطير بيانه، ولعله ظن أن قول الله:

---

(٨) المائدة (١٣)
(٩) الأنعام (٩١)
(١٠) الأنعام (٩١).
(١١) النمل (٧٦)
(١٢) التوبة (٣٠).
(١٣) المائدة (١٧)



﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ يدعو إلى القتال، وعبارة «قاتلك الله» في العربية تقال في مجال التعجب وهي نمط من الأساليب (البيانية) بل إنها تقال في المدح أحياناً، حين يتعجب الإنسان من فعل خارق فيقول لصاحبه (قاتلك الله) مثلما يقول لصاحبه (لا أبا لك!) في مجال الثناء فهل كان القائل يدعو على أبيه أو عليه!!

وفي الختام نقف عند الآية الكريمة التي فهمها القس بطريقته الخاصة، لتدل على أن معناها الصحيح، ولا أترك هذا الرد دون أن أنقل قول القس معقباً عليه..

يقول: (عندما تعرض النبي محمد للشك فيما أنزل عليه من القرآن) يقول القرآن:

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾(١٤).

فهذه الآية جعلت الكتاب المقدس (كتاب المسيحيين والذين يقرأونه المرجع الأعلى لمحمد عندما داخله الشك فيما أنزل إليه)..

هنا تناسى الباحث كل ما جاء في القرآن عن تحريف التوراة للكلم عن مواضعه، وعن إخفاء بعض آياته وإظهار الآيات الأخرى، مما أشرنا إليه من قبل، واعتصم بآية لم يفهم معناها على الوجه الصحيح، لأن دراسة البيان العربي لم تكن من حظه في يوم، وقد تمرأ فقال: (عندما داخله الشك!).

إن الحديث يوجه إلى المخاطب في الظاهر، ويراد به غيره لأسباب بلاغية تحدث عنها البيانيون، وقد نزل القرآن بالأسلوب العربي، ففهمه العرب كما يفهمون كل بيان..

فإذا قال الله ـ عز وجل ـ (مخاطباً رسوله):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(١٥).

**٥**

فليس المراد رسول الله بالخطاب، ولكن المراد بعض أتباعه ممن يوسوس الشيطان في نفوسهم فيستمعون أقوال المنافقين والكافرين، وتقوى الله أقوى ما يحرص عليه رسول الله، ويلتزمه، فكيف يؤمر بشيء هو في صميم كيانه؟

وإذا قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾

فما شك رسول الله فيما أنزل إليه، ولكن إذا خطر الشك في نفس بعض أصحابه فليسأل ذوي الأمانة من أهل الكتاب ممن أسلموا، كعبد الله بن سلام وسواه، وإذا جاز لغافل أن يقول: إن النبي لم يتق الله جاهلاً حقيقة الأسلوب البياني، فإننا نقول له: ضللت السبيل، كما نقول لمن يتوهم أن الرسول قد شك فيما أُنزِلَ اليه لقد ضللت وغفلت!

---

(١٤) يونس (٩٤).

(١٥) الأحزاب (١، ٢).



وإلى القارئ بعض ما قاله مفسران معاصران حول الآية الكريمة..

يقول الأستاذ الكبير محمد متولى الشعراوى (ص٦١٩٨ من تفسيره) «إن الحق - سبحانه وتعالى - يضمر خطاب الأمة فى خطاب رسوله، لأن الأتباع حين يقرأون ويسمعون الخطاب، وهو موجه بهذا الأسلوب إلى الرسول ﷺ فهم لن يستنكفوا عن أى أمر يصدر إليهم ومثال ذلك: لو أن قائداً يصدر أمراً لاثنين من مساعديه اللذين يقودان مجموعتين من المقاتلين، فيقول القائد الأعلى لكل منهما، إياك أن تفعل كذا، أو تصنع كذا، والقائد الأعلى بتعليماته لا يقصد المساعدين له، ولكنه يقصد كل مرؤسيهم من الجند، وجاء الأمر هنا لرسول الله ﷺ لتفهم أمته أن الرسول ﷺ، ما كان ليتأبى على أمر من أمور الله، بل هو ﷺ، ينفذ كل ما يؤمر بدقة، وذلك من خطاب الأمة فى شخصية رسولها ﷺ..

وقال الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى (المجلد السابع ص١٣١) ليس المراد ثبوت الشك لدى رسول الله ﷺ، وإنما المراد على سبيل الفرض والتقدير، لا على سبيل الثبوت، وشبيه بهذه الآية قوله - تعالى - فى شأن عيسى - عليه السلام:

﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾(١٦).

أى إن كنت قلته على سبيل الفرض والتقدير، فقولى هذا لا يخفى عليك»..

- ٦ -

وبعد، فهذا بعض ما عن لى بعد قراءة ما كتبه الدكتور القس لبيب ميخائيل، أرجو أن يقراه بهدوء واطمئنان ليتجلى نور الحق لعينيه، وإنى لأذكره بقول الله عز وجل:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾(١٧).

***

(١٦) المائدة (١١٦).

(١٧) المائدة (٨٢، ٨٣).



مواقف إسلامية

# الزوجة الوفية: كأنك تراها

للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة

أخرج الطبرانى بإسناد حسن، عن طلحة بن يحيى، عن جدته سعدى رضى الله عنها قالت: دخلت يوما على طلحة، تعنى: ابن عبيد الله زوجها، فرأيت منه ثقلا، فقلت له: مالك؟ لعله رابك منا شىء. فنعتبك، نترك ما تكره.. ونفعل ما يرضيك».
قال: لا.. ولنعم حليلة المرء المسلم أنت
ولكن: اجتمع عندى مال.. ولا أدرى كيف أصنع به.
قالت: وما يغمك منه! أدع أهلك، وقومك، فاقسم بينهم.
قال: يا غلام، علىّ بقومى
فسألت الخادم، كم قسم؟ قال:
أربعمائة ألف.

تمهيد:

قال المثنى بن زهير:

ما رأيت شيئا قط فى رجل وامرأة.. إلا وقد رأيته في الحمام: رأيت حمامة لا تريد إلا ذكرها. ورأيت حمامة لا تمنع شيئا من الذكور. ورأيت حمامة لا تزيف «تمشى فى دلال» إلا بعد شدة طلب. ورأيت حمامة تزيف للذكر ساعة يطلبها. ورأيت حمامة وهى تمكن آخر. ما تعدوه»(١).

ومن مملكة الطير. إلى مملكة الإنسان لتجد الناس مذاقات وطعوما.. فإذا كان الإنسان هو

(١) عيون الأخبار، كتاب الطبائع



الزوج.. أو الزوجة.. كان إحساسنا قويا بما يكون هناك من فروق فردية بينهما.. ربما تتسع بها مسافة الخلف.. إلا أن تداركها كلمة هادية..

ذلك بأن الأمر على ما قيل:

إن شرارة الاختلاف - وخاصة بين الزوجين - سريعة الانتشار: إنها كالخلية الواحدة: تتكاثر بالانقسام.

الا وإن غضب الزوج أو الزوجة أمر وارد على أن تظل القضية محصورة بينهما.. وتحت سقف البيت لا تتعداه: لماذا؟

لأن الزوجين - وفي لحظة غضب طارئة - قد يتبادلان العتاب.. والذي قد يصعُد ليكون السباب.. فالعذاب!

وفي لحظة صفاء.. يُنسى كل شيء.. وكأن شيئا لم يكن.. ولكن تظل الأم أو الأب يذكران ما حدث فلا يغيب.. إن لم يكن مضروبا في عشر!

وإذن فلا بأس من الغضب.. لكن البأس كل البأس أن تنتقل الأسرار خارج الدار.. أو لا يكون خلاف بالمرة.. وعلى هذا السنن.. سار الأتقياء من سلفنا الصالح ومنهم الإمام أحمد الذي قال يوما:

تزوجت أم صالح فمكثت معي ثلاثين عاما ما اختلفنا في كلمة واحدة!!

وربما كان حول هذا العالم الجليل دور وقصور.. تعج بمباهج الدنيا.. ولكن القلوب هناك مختلفة:

يغضب الزوج.. لأن رأيه لا يطاع.. وعندئذ يتحول البحر إلى بحيرة، بحيرة تموت فيها كل الأسماك.. ولا يبقى إلا الدموع.. حين لا تجدي الدموع.

## «سعدى» ومبادرة الصلح

لقد كانت الزوجة صاحبة مبادرة الصلح.. وحين يأخذ بعض الأزواج الموقف المتشدد.. صادرين عن إحساس حاد.. بالرجولة التي لا ينبغي أن تلين..

وإذا كان هناك في البيت صغار.. لا يرقب الزوج فيهم راحة ولا سعادة.. فإن الزوجة البارة الوفية.. تتودد.. وتتحبب إلى زوجها..

إن الهدف هنا عظيم وهو: إنقاذ الأسرة من الانهيار.. إذا ما اشتط بالرفيقين المزار..

ومادام الهدف عظيما.. فإن التضحيات مهما كانت جساما.. فإنها تهون.

على أن يدخل في هذه التضحيات:

التفكر بعمق لاكتشاف أسباب الاختلاف.. وجذوره.. لتبدأ مهمة الإصلاح والعود الحميد إلى الماضي المجيد.

وهنا.. لن تستطيع المجاملة العابرة.. ولا الترضية بمعسول الكلام.. أن تحل العقدة.. لأنه دهان على الوبر لا يستأصل العلة الكامنة هناك تحت هذا الوبر.

وهذا ما فعلته الزوجة هنا.. حين اقتربت من زوجها.. في لحظة صفاء تهيىء النفوس للفهم.. ثم للتفاهم:

لقد كان الزوج منذ لحظات سعيدا.. يسعد به البيت كله لكن شيئا غريبا عكر الصفو.. وسحابة داكنة حجبت الشمس.. وفتح الصغار أعينهم على شيء لم يعهدوه.. ذلك الصمت المريب بين الوالدين.. فانطفأ في وجوههم القنديل وجلسوا ينتظرون الفرج.





## الأم تنقذ الموقف

وإذا كانوا يقولون: ما بين الكرام حساب.. بمعنى أن ينفق كل واحد ما شاء له كرمه.. بلا حساب ولا عتاب.. فإن الزوجة هنا تبادر فتتساءل في أدب عن سر ما ترى:

إن بعض الزوجات قد يلذن بالصمت بينما يبدو الزوج معتل المزاج..

لكنه الصمت المريب الذي يعني الاستغناء عنه.. مما يعتبره تحديًا لرجولته..

من أجل ذلك تقطع «سعدى» هذا الصمت بقولها:

مالك؟ لعله رابك منا شيء فنعتبك؟

## الأصل القرآني

والمرأة المسلمة هنا صادرة في تصرفها عن القرآن الكريم: فالله - تعالى - يقول:

﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ .. ﴾(٢).

فالزوج حصن للزوجة تأوي إليه.. ثم هي من «النساء» والنساء: اسم جمع لا واحد له من لفظه.. وإذن.. فهي لا وجود لها منفردة.. إنما وجودها في بستانها.. في بيتها.. وتحت رعاية زوجها.. أو أبيها.. أو أخيها.. أو ولدها.. وهي هنا تحقق هذا المعنى: فهي لا تريد أن تتخذ البيت مهجورا.. وإلا وجدت نفسها في العراء..

ومن ثم.. تقرر العودة إلى البيت المهجور عن طريق العتاب.. ويبقى الود ما بقي العتاب.

وهكذا المرأة الوفية دائما: لها من نفسها الأبية عدة إذا فقدت العدة.. وفي لحظة الشدة تظهر المعادن.. والحر وإن فقد كل شيء فيها لكنه لا يفقد مروءته.. ولا وفاءه:

وتراها تؤنس زوجها.. فيطوى سمعه على صوتها حين ينام.. تنثر من قلبها في البيت.. فإذا هو جنة وارفة الظلال.. وإذا استوى الناس في العافية.. فإنهم عند نزول البلاء يختلفون.. وتظل الزوجة الوفية على الود القديم.. وتسفر لحظات الشدة عن وفائها، الذي صار حياتها، فإذا هي لون آخر من النساء، في الوقت الذي تسقط في الامتحان زوجات غافلات:

إن الحب الصغير يضخم الهفوات.. لكن الحب الكبير بحر بعيد الشطآن.. لا تعكره الدلاء.

## ناس.. أغلى من الماس

لقد كانت الزوجة من قبل طفلة.. تفسر الأمور كما تراها.. لكنها اليوم تكبر.. ويكبر معها وعيها.. فإذا هي تعرف أن كل ما تراه ليس صحيحا.

إنها تلك المرأة الحكيمة التي تسجل عيوبها.. لتراها ماثلة أمامها.. ثم تحاول إصلاحها يوما بعد يوم.. وهي بذلك تؤكد طبيعة الجيل الذي رباه رسول الله ﷺ، إنه الجيل الصالح أبدا لأن يكون القدوة: في صفاء المعدن. وصياغة البناء.. إنها معادن ناس.. هي أغلى من الماس..

## موقف الزوج

لقد أتاحت الزوجة لزوجها فرصة ذهبية:

١- إنها أعفته من صعوبة الابتداء بالكلام.. فبقي في الموقف الأفضل

---

(٢) النساء/ ٢٤.





ب- ثم طردت بهذا التودد ذلك الشيطان المريد الذى نزغ بينهما..

جـ- وقبل ذلك أكدت كيف كان اختيار الشريك قطعة من عقل الرجل.. وأن التوفيق فى الاختيار طيب الثمار.. على ما قال ابن الجوزى:

«ينبغى للعاقل أن ينظر إلى الأصول فيمن يخالطه ويعاشره ويشاركه، ويزوجه أو يتزوج إليه.

ثم ينظر بعد ذلك فى الصور. فإن صلاحها دليل على صلاح الباطن.

أما الأصول فإن الشىء يرجع إلى أصله.. وبعيد ممن لا أصل له أن يكون فيه معنى مستحسن وإن المرأة الحسناء إذا كانت من بيت رديء.. فقلَّ أن تكون صينة.

فإياك أن تخالط إلا من له أصل يخاف عليه الدنس فالغالب معه السلامة وإن وقع غير ذلك كان نادرا»

وقد اختار «طلحة» - رضى الله عنه - ذات الأصل.. وها هى ذى فى المحنة تؤتى أكلها.. توددا وتقربا.. ثم يجنى هو ثمرة اختياره.. إن لحظة من الاختلاف لا تمحو بجرة قلم أو جرة لسان ما فى شخصية الزوج من قيم أصيلة.. لاسيما وهى التى وصفته قبل ذلك فقالت: إنى لعارفة بخلائقه:

إن دخل.. دخل ضاحكا، وإن خرج.. خرجا باسما، وإن سألت.. أعطى، وإن سكت ابتدأ، وإن عملت.. شكر.. وإن أذنبت.. غفر.

وها هو ذا لا يكتفى بالمغفرة وقد ضاقت المعذرة.. وإنما يبالغ فى الإحسان عندما سارع إلى نفى التهمة عنها.. مؤكدا أصالتها وتفردها

## لا.. ولنعم حليلة المرء المسلم أنت

إن معنى تودد الزوجة هنا أنها مستعدة للمساءلة.. لو فرض وكانت هناك إساءة.. وسوف تعود من بعدها إلى ما يرضيه.. وكما كانت له فى ماضيه.. فهى له كذلك فى آتيه.

وقد أثبت الزوج فعلا أنه أيضا (لنعم حليل المرأة المسلمة.. هو) إنه الزوج الذى إذا حاورته زوجته.. كان عليما وإذا خبرته وجدته حكيما وإذا غضبت كان حليما وإذا ظفر كان كريما وإذا وعد وفى.. وإن كان الوعد عظيما» بل إنه ذلك الزوج الذى قيل له:

إن زوجتك أحسنت القول فيك فقال:

لا جرم أكافئها.. فلما قيل بماذا؟ قال:

أحقق قولها

ولقد حقق الرجل قولها بهذه الإشادة بها.. وما يترتب على هذه الشهادة من أنس ينشر ظله على كل من فى البيت إن بعض الأزواج قد يعتصم برجولته.. ثم بسعة الساحة خارج البيت.. والتى يمكن أن يتغلب فيها بعيدا عن من فى البيت.. حرا طليقا.. بينما أهله يتضورون جوعا إلى حنانه.. لكن طلحة رضى الله عنه.. وإن كان يملك ذلك.. كان يعتقد أن تفتح زهرة واحدة لا يدل على مجيء الربيع.. لابد أن تتفتح كل الأزاهير.. وأن تغنى كل العصافير.. وأن سعادة لا تنقسم على الزوج وأهله وولده.. لهى سعادة عقيمة..

عقيمة يعنى: لا تلد.. لا تلد أمنا فى البيت ولا سلاما

لقد أظفره الله تعالى بذات الدين فهى: أقل



معونة.. وأكثر معونة.. وها هي ذى تثبت ذلك عمليا وفى نفس الجلسة المباركة: إن الزوجة - بعد أن اطمأن قلبها - يهمها أن تطمئن على قلب زوجها الذى بدا مغموما.. ولابد أن تقف معه فى خندق واحد.

فلما بين لها السبب اقترحت عليه أن يقسم ماله فى أهله هو.. لا فى أهلها.. متجاوزة بذلك واحدة من أعقد المشكلات الأسرية وهى تلك العداوة التقليدية بين الزوجة وأهل زوجها!! والتى لا مسوغ لها.

وهكذا تفعل الزوجة الأصيلة.. والتى لا يتخلى عنها أصلها فى ساعة العسرة.

إن الخاتم الحديد.. والخاتم الذهب: كلاهما يدفن فى كومة من التراب.. لكن الحديد يصدأ.. بينما الذهب يظل محتفظا ببريقه لا يصدأ وإن طال به المدى.

## وبضدها تتميز الأشياء

وإذا كان «أهل الزوج» واحدا من المجالات التى تمتحن فيها القيم.. وإذا كانت زوجة.. طلحة بن عبيد الله.. قد تجاوزت الامتحان بنجاح.. فقد سقطت.. نائلة بنت عبد الله.. زوج طلحة بن عبد الرحمن فيما نجحت فيه أخت لها من قبل:

لقد كان طلحة بن عبد الرحمن بن عوف من أجود قريش فى زمانه

قالت له زوجته «نائلة» يوما: ما رأيت قوما ألأم من إخوانك!

قال لها: مه!.. ولم ذلك؟ قالت:

أراهم إذا يسرت.. لزموك، وإذا أعسرت تركوك!

فقال لها: هذا والله من كرم أخلاقهم.. يأتوننا فى حال قدرتنا على إكرامهم، ويتركوننا فى حال عجزنا عن القيام بحقهم!.

وهكذا كانت المرأة كما قيل:

«فيها عمق البحر، ومد الأمواج وجزرها، ولمعان النجوم، وحرارة الشمس، وقطرات الندى، وتقلبات الرياح، وارتجاف النبات، ولون الأزهار وعطرها، وخفة أوراقها، وتمايل الأغصان، ولطف النسيم..

كما أن فيها لين الحية ونعومتها، وتلون الحرباء، ونفار الغزال.

## الزوج حيث يضع نفسه

وإذا كانت هذه طبيعة المرأة كأنثى.. والتى يكمن فيها السم.. والترياق معا.. فإن الزوج مطالب بحسن التعامل معها.. وهو حيث يضع نفسه:

إن داخل كل زوج هناك فارس متمنطق بالرمح والدرع.. هناك عنتر وعبلة!

وعندما يشعر الرجل بالثقة فإنه يخرج ما فى نفسه من أشياء جميلة وعندما يشعر أنه غير موثوق به يخسر احترامه لنفسه، ويكون أقل رعاية لشريكته.

إنك أيها الزوج تعيش مع شخص آخر.. وهذا الشخص له مثل مالك.. وبالمعروف.. له حياة وآمال وعواطف وعليك أن تفكر فيها.. ولو كان الخلاف بين رجل ورجل.. لكان المتوقع هو الشد باتجاهين متعاكسين.. يوصلان إلى القطيعة فى النهاية أما إذا كان الطرف الآخر هو الزوجة فإن الأمر يختلف فالرجال يحتاجون إلى الاحترام





والإخلاص والشفقة.. والنساء يحتجن إلى الإعجاب والرعاية والتشجيع وقد وقف كل من الزوجين في هذا الموقف عند حدوده.. وطبق ما تمليه وظيفته.. فكان الوئام بعد الخصام وقد نرى وقع الزوجين اليوم يجافي هذه الحقيقة فالزوج يتعامل مع زوجته.. بناء على ما يعرف وما يتوقع.. والزوجة تتعامل معه.. لا بناء على ما يحتاجه.. ولكن.. بناء على ما تهوى.

وتتسع المسافة بين ما يتوقع.. وما تهوى.. حتى تظن أن الزوج من كوكب المريخ والزوجة من كوكب الزهرة!!.

## إلى الود من جديد

قلنا فيما سبق إن «النساء» اسم جمع لا مفرد له.. بمعنى أن المرأة لا وجود لها منفردة.. وأن سعادتها مع إيقاف التنفيذ حتى تتكامل مع شريك حياتها.. ليجتمع بذلك: السالب والموجب.. فيضيء المصباح أو يشرق المصباح..

وقد أكدت الدراسات العلمية هذا المعنى:

بعكس ما قد يعتقده البعض، أوضحت دراسة أمريكية في جامعة نيويورك أن قضاء وقت أطول مع شريك الحياة يعد واحدا من أفضل الطرق لخفض ضغط الدم، وقالت الدراسة إنه عندما يكون الزوج أو الزوجة بصحبة شريك حياته، فإن ضغط الدم ينخفض إلى ما دون المستوى الذي يصل إليه عندما يكون الشخص وحيدا أو مع أصدقاء.

وقالت إن هذه النتيجة تنطبق أيضا حتى لو كانت العلاقة بين الزوجين ليست جيدة. وأكدت الدراسة أن السبب في ذلك هو علاقة الاعتياد بين الزوجين التي من شأنها بث الشعور بالاسترخاء، بينما يؤدي التعامل مع الغرباء إلى شعور بالتحفز.

## بضاعتنا ردت إلينا

وما يقوله الباحثون الأجانب هو بضاعتنا ردت إلينا: «فالعرب لم يكونوا شعبا بدائيا يجهل عاطفة الحب ويقيم الزواج على أنه اتصال حيواني لإشباع الجنس.. لقد شهد المنصفون من الباحثين شرقا وغربا بأن الزوجة العربية كانت أرفع مكانة من المرأة اليونانية والرومانية لأن هذه أو تلك لم تكن تنال مثل ما نالت المرأة العربية في ظلال الأسرة العربية. من حب زوجها وتقديره.

كما شهدوا بأن الأوروبيين لم يعرفوا للمرأة هذه المكانة الرفيعة إلا بعد أن فتح العرب الأندلس.. ونقل عنهم الأسبان والأوروبيون حب المرأة وتقديرها فيما نقلوا»[٣].

وما لم يسجله الكاتب هنا هو: ما أضافه الإسلام إلى عروبة المرأة من وفائها لزوجها وتقديرها له: حيا وميتا إلى الحد الذي قرر فيه الفقهاء أنه إذا خرجت الزوجة لأداء فريضة الحج ثم بلغها وفاة زوجها قبل الميقات.. فإن عليها أن تعود إلى دارها.. وفاء وانتماء!

مع الشيخ على الطنطاوى

وقد يكون من المفيد أن نؤكد ما قلناه.. بما قرره الشيخ على الطنطاوي في هذا المجال.

---

(٣) المرأة في الشعر الجاهلي - أحمد الحوفي ١٥٩ - ١٦٠.

قال رحمه الله:

قد يغتفر الرجل لصديقه ما لا يغتفر لزوجته، ويحمل منه مالا يحمل منها، ويتسامح معه فيما لا يتسامح معها فيه، وما ذلك إلا لأنه يصدق الخرافة التي تقول إن الرجل والمرأة كليهما مخلوق واحد: فهو يريد منها أن تفكر برأسه، وهي تريد منه أن يحس بقلبها، مع أن الناس كخطوط مستطيلة وفيها اعوجاج يسير، فإذا كانت متباعدة بدت للعين متوازين متوافقة تضيع من البعد هذه الفوارق الصغيرة بينها، فإذا تدانت وتقاربت، بانت الفجوات، فأنت تصحب الصديق عشرين سنة، فلا ترى بينك وبينه اختلافا ثم ترافقه أسبوعا في سفر، تنام معه وتأكل وتشرب فترى في هذا الأسبوع ما لم تره في السنين العشرين، فتشنؤه وتبغضه وقد كنت تحبه وتؤثره.

والله لم يخلق اثنين بطباع واحدة، لا الصديقين ولا الزوجين، فليكن الزوجان متباعدين قليلا، حتى لا يظهر الاختلاف بينهما وليكن بينهما شيء من الكلفة والرسميات.. كما يكون في عهد الخطبة وأوائل الزواج، ولتكتم عنه بعض ما في نفسها، فإنه ما تكاشف اثنان إلا اختلفا. وما زالت الكلفة إلا زالت معه الألفة، لأن المرأ يتظرف ليظرف، ويتلطف ليلطف، ويساير الناس ليحببه الناس، فإن لم يفعل ثقل عليهم، وأنا أعرف رجالا من أهل النكتة والظرف، يحرص الناس عليهم في مجالسهم لخفة أرواحهم، وحلاوة أحاديثهم إذا دخلوا بيوتهم كانوا أجهم الناس وجها، وأيبسهم لسانا، وأثقلهم نفسا وما ذاك إلا لإسقاط الكلفة، وإذهاب المجاملة.

إن الرجل يمشي في الطريق فلا يرى إلا نساء في أحسن حالاتهن قد طلين وجوههن، وجملن ثيابهن، ثم يدخل داره، فيرى زوجه على شر هيئة، وأقبح صورة: مصفرة الوجه، قذرة الثوب، منغمسة في أوضار المطبخ أو غارقة في غبار الكنس، فيظن أن نساء الطريق من طينة غير طينتها، وأن عندهن ما ليس عندها، فيميل إليهن وينصرف عنها، والدواء أن تكون المرأة عاقلة، فلا تجعله يراها إلا في الهيئة التي تخرج فيها من بيتها، وتستقبل عليها ضيفها، ولا تدعه يبصرها نائمة ولا يراها بغير زينة، ولا يطلع عليها في مباذلها وأعمالها.

ولابد لكل شركة أو جماعة من رئيس، فإن كان في المركب رئيسان غرق المركب، ولو كان في السماء والأرض إلهان فسدت السماء والأرض فلابد من ترئيس أحد الزوجين والرجوع عند الاختلاف إلى رأيه، واعتراف الثاني برياسته وعلى الرئيس بعد أن يكون حاكما بعدل ورفق، وعلى المرؤوس أن يكون طيعا بفهم واحترام.

ولدوام المودة لابد من اغتنام الفرصة لإظهار العاطفة المكنونة بحديث حلو، أو مفاجأة منه: هدية ولو صغرت، وطرفة ولو قلّت، واهتمام منها بصحته وراحة نفسه ومطعمه وملبسه وكتبه، وأن يصبر كل منهما على غضب الآخر وتعتبه.

يا سادة: إن مشكلات البيت هيّنة سخيفة، ولكنها إذا استفحلت نغصت العيش وسودت وجه الدنيا، ولم ينفع معها ملك ولا مال، فلقد كان الإمبراطور نابليون الثالث يجد من مكارهها ما لم ينجه منه ملكه، وكان الرئيس لنكولن يلقى من متاعبها ما لم يخلصه منه سلطانه، وإني لأستأذن السيدات بأن أختم هذا الحديث بكلمة لامرأة مثلهن هي «آن شرور» قالت: «إن بين كل عشر

نساء تسعا يحرصن على مضايقة الرجل، وتنكيد عيشه ولهن إلى ذلك وسائل لا تحصى، وهن يعتقدن أنه لا عمل للرجل إلا الثناء على جمالهن يومه كله، وامتثال أوامرهن، وإجابة رغباتهن، وإذا رأينه مقبلا على قراءة أو كتابة أو عمل له، اقتحمن عليه مكتبه، ونغضن في وجه من المنغصات ما يحيل عزلته سجنا، وحياته جحيما».

فيا سيداتي: أرجو أن لا تكون فيكن واحدة من هؤلاء!! أ. هـ

لم تكن «سعدى» بيضة الديك

لم تكن «سعدى» رضي الله عنها.. لم تكن وحدها على طريق الوفاء.. إحسانا للتبعل.. ولكن كانت هناك مدرسة للوفاء تجعل من رضا الزوج غاية المراد بعد رضا رب العباد..

وهذه سهلة بنت سهيل رضي الله عنه تقف نفس الموقف توددا إلى زوجها.. ورغبة فيما يرضيه

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

جاءت سهلة بنت سهيل إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أرى في وجه «أبي حذيفة» الكراهية من دخول سالم عليّ

فقال النبي ﷺ: «أرضيعه» قالت: كيف أرضعه وهو رجل كبير؟! فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «قد علمت أنه رجل كبير»

ففعلت فأتت النبي ﷺ فقالت ما رأيت في وجه أبي حذيفة شيئا أكرهه بعدُ وكان شهد بدرا[4].

إن من حق الزوج أن يغضب.. ولابد من التنفيس.. ولكن كيف؟

إنه هنا مجرد ملامح تظهر على الوجه.. ولا تعنيف هناك.. ولا تأنيب.. وإذا كانوا يقولون: إن الناس لا خير فيهم.. فإنا نقول: ومع هذا.. فلابد منهم!

ومن علم ذلك.. عامل الناس على أساس من هذا العلم.. فإذا تعلق الأمر بعلاقة الزوجية كان المقام للفضل والإحسان.. ومن حكمة الزوجة أنها لم تذهب لتشكو إلى أمها.. حتى لا يتسع الخرق على الراقع.. ولكنه تذهب إلى الرائد الذي لا يكذب أهله ﷺ مفترضة أن ما تراه من إعراض زوجها.. له ما يسوغه وإذا كان اختيار المرء قطعة من عقله.. فقد دل اختيارها على رجاحة عقلها. وصفاء قلبها.

ومن خلال تصرف الزوج تبرز حقيقة تفرض نفسها وهي أن الغيرة حق مكفول للطرفين.. شريطة ألا تتحول إلى غول يذهب بسلام البيت.. ودليل ذلك:

أن سالما وإن عُد واحدا من أفراد الأسرة.. ثم أنه مع ذلك كان «بدريا» لكن ذلك لم يبلغ حق الزوج في غيرة الحر.

ولكنه إذا لامس قلبه برد اليقين.. عاد إلى الحق المبين وهذا هو الذي حدث بعد أن تدخل ﷺ بهذا الحل العملي.. فكان بردا.. وكان سلاماً على أهل البيت.

---

(4) رواه مسلم في كتاب الرضاع.

(5) أبو حذيفة زوج سهلة وقد تبنى سالما حين كان التبني مباحا، فكان يسكن معهم في بيت واحد ولما نزل «ادعوهم لآبائهم» وحرم التبني كره أبو حذيفة دخول سالم مع اتحاد السكن وكان تعدد السكن صعبا عليه. «وكان شهد بدرا» قبل الإرضاع والجمهور على خصوص ذلك الحكم بتلك الحادثة يؤيد ذلك رواية «وما يدرينا: لعل ذلك كان رخصة لسالم وحده»

## مختارات من مجلة الأزهر

# لا تيأسوا من روح الله

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد المدنى (*)

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

**أشد ما تصاب به الأمم والجماعات من نكبات، هو يأسها من نفسها وشعورها بأن أمورها قد وصلت من السوء إلى حد لا يستطاع معه إصلاحها، وأن كبوتها قد وصلت بها إلى الحضيض، فلا نهوض لها من بعدها وأن كل يوم يمضى عليها هو شر من سابقه وخير من لاحقه.**

**شعور الأمة أو الجماعة بهذا وامتلاء نفوسها به من شأنه أن يفت فى عضدها، وأن يصور لها المستقبل فى صورة قاتمة مظلمة وأن يساعد على تقويض بنيانها ويعجل بآخرتها وزوالها من الوجود.**

والأمر فى الأفراد وإن كان كذلك لكنه أقل خطرا وأضعف أثرا وأيسر علاجا فإن الفرد إذا يئس لم تمت بموته الأمة ولم تضطرب باضطرابه شئونها العامة، وها نحن أولاء نرى أفرادا ييأسون فيستسلمون للموت الأدبى أو يقدمون على الانتحار فيذهبون إلى حيث اختاروا لأنفسهم ولا تكاد الأمة أو الحياة الاجتماعية تشعر بهم.

وقد يجد الأفراد من أمتهم أو أسرتهم أو أصحابهم أو ذوى المروءة فى مجتمعهم من يأخذ بأيديهم وينتزعهم من بين أحضان اليأس ويفتح أمامهم مجال الأمل والعمل؛ أما الأمم والجماعات فإنها إذا فقدت الثقة بنفسها ويئست من استقامة

(*) مفتش بالأزهر



أحوالها وقدرتها على معالجة أمراضها لم تلبث أن تدخل في سكرات الموت وتعالج منها الكروب والأهوال حتى تموت، ولن تجد من يحول بينها وبين هذا المصير ذلك بأن «عجلة الإنقاذ» لابد أن تأتيها من غيرها ولم نعهد في تاريخ البشرية - إذا استثنينا عهود الفتح الإسلامي العادل - أمة تدفعها إنسانيتها إلى التقدم لغيرها من الأمم بنية صادقة وباعث شريف مخلص هو مجرد الرغبة في إنقاذها من الخطر الذي يتهددها، وإن زعم ذلك أهل السياسة من دهاقين أوربا وأمريكا وأشباههم من الطامعين.

لم يرتفع مستوى الإنسانية إلى هذا الحد، ولم يصل الضمير البشري بعد إلى هذه المرتبة، وما من أمة اليوم تمد عينيها إلى غيرها من الأمم إلا وهي: تبطن منفعتها هي ومصالح أبنائها أو المتسلطين فيها وقل مثل ذلك في الجماعات أو الهيئات فإن إحداها لا يمكن أن تمد يدها لإنقاذ سواها مما يعاني، إلا إذا كان ذلك لمصلحة تعود عليها هي بأن تقوى من مبادئها أو تضعف من قوة خصومها ومنافسيها والأحزاب السياسية مثل لذلك واضح، فإننا لا نرى حزبا يتقدم لمؤازرة حزب آخر بنية تقويته وتأييده وتخليصه مما يعانيه إلا حيث يحسب أن ذلك قهر لخصومه أو تقوية له فيجعل ذلك قنطرة لأغراضه ووسيلة ينال بها ما يهدف إليه.

لاشك إذن في أن التماس الإنقاذ عن «الغير» إن صح أن يؤدي إلى خير في شأن الأفراد فإنه لن يؤدي إلى خير في شأن الأمم والجماعات.

ولهذا كان الخطر شديدا حين تشعر الأمة والجماعة باليأس من إصلاحها، واستقامة شئونها وتفقد الثقة بنفسها.



في أمم الشرق الآن غربان ما تزال تنعب في كل صباح ومساء ونعيبها مقلق للنفوس مميت للأمل في القلوب يصور للناس حياتهم في صورة كريهة ويخيل إليهم أن شئون العرب والمسلمين قد فسدت فسادا لم يعد معه أمل في الإصلاح وأن المسلمين الأولين قد ذهبوا بالمثل الطيبة في الإيمان والخلق والتضحية والإيثار، فلم يتركوا وراءهم حظا منها لغيرهم وأن العزة التي كانت للآباء قد زالت حيث لا رجعة وأن الموت الزؤام هو نصيب اللاحقين، كما كانت الحياة السعيدة القوية هي نصيب السابقين.

لست أريد أن أحدا من الناس ينادي بذلك حرفيا، ويقوله لفظا أو معنى وإنما أصف شأنهم في تضخيم الأمور، وتفظيع المساوىء والبكاء الملح على المجد الضائع والعزة المفقودة والكرامة الذاهبة والأخلاق التي دنست والتقاليد التي أهملت والرزايا التي تتابعت فهذه النظرة التشاؤمية بمثابة القول الصريح بأنه لا سبيل لأهل هذا الجيل أن يدركوا شأو الأجيال قبلهم، أو يدانوها، وفيها إيحاء قوي بأننا ضعفاء وعاجزون وأننا مهما حاولنا أن نعمل أعمالهم أو ننهض كما نهضوا فلن نصل إلى ذلك ولن نقارب.

إن هذا لن يكون داعيا إلى ملاقاة النقص ومضاعفة الجهد، وإنما هو دعوة إلى اليأس والإذعان والتسليم فيه تثبيط للعزائم وإرجاف على النفوس الوثابة الطلعة ولو أن امرءا ظل يردد على مسامع ولده أنه قاصر متخلف وأن عقله راكد وجهده ضئيل، وأن فلانا من إخوته أو أبناء عمومته أو خئولته خير منه عقلا وأذكى قلبا وأحرص على أداء واجبه وأقرب إلى درك النجاح في مستقبله القريب والبعيد: لو أن أحدا ظل يقول ذلك لابنه وهو يربيه ويحاول أن يبعث في نفسه الرغبة والعمل والنشاط لما كان إلا مسيئا إليه مميتا مواهبه قاتلا فيه الهمة والعزيمة والثقة





بالنفس ناشرا اليأس فى اقطار قلبه، وهو يحسب انه من الذين يحسنون صنعا.



إن المسلمين بخير وإن عدت عليهم العوادى ونزلت بساحتهم الأحداث، وما كان ضعفهم وتخلفهم إلا تمحيصا وتهذيبا سيخرجون منه إن ـ شاء الله ـ أقوياء ذوى عزة ومنعه، وإن فيهم الآن لدلائل نهضة فى العلم والقوة والسياسة والتضحية تبشر بمستقبل سعيد وحياة طيبة فليترفق الكتاب والخطباء والدعاة بأنفسهم وأهليهم وليعترفوا بنواحى القوة والحيوية والنهوض فى أمتهم، وليصوروا لهم المستقبل فى صورة جميلة تشرح الصدور وتحيى ميت الآمال، وتثير العزائم والهمم إلى التدرج فى مدارج الكمال والانبعاث فى طريق التقدم.

ولا يحسبن أحد أننى أدعو إلى غض العيون، وسد الآذان عن نواحى النقص، فإن ذلك أيضا من أسباب الضياع والانحلال ولكن علينا أن نصف الداء ونصف العلاج، فإننا إذا تعامينا عن الداء سرى فينا وأهلكنا وإذا استسلمنا له وهولنا فيه وشغلنا أنفسنا باستفظاعه وتأمل وجوه الخطر فيه ضعفنا عن مقاومته، وأعانه علينا هزال يصيب الهمم، وضعضعة تسرى إلى العزائم وتتغلغل فى الأعمال، وإجداب فى الفكر يسرى من الكبير إلى الصغير ومن الصغير إلى الكبير ويمر فى كل طبقة ويجول فى كل دائرة وكفى فى بيان شناعة ذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى يقول ـ :

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(١).

وإذا كنت أرجو من الكتاب وأهل القيادة والتوجيه فى الأمة أن يفطنوا إلى ذلك ويعملوا على إحياء الآمال فى نفوس الناس، فإنى أوجه ذلك ـ أيضا ـ إلى أساتذتى وإخوانى وأبنائى من الأزهريين، فقد سرى إليهم أن ضعفا شديدا قد استولى على العلم والدين والخلق، وأن الأزهر لم يعد يجد مكانا له بين أهل الرأى والقيادة فأصبح محصورا بين كلياته ومعاهده، يدرس ما يدرس ويهمل ما يهمل ويجرى فى كل ذلك على سنن من التباطؤ والتكاسل لا يدفعه عنه دافع ولا يعبأ به عابىء، سرى إليهم ذلك، وظنوا أن مصلحة العلم والدرس مضيعة بين التراخى والإهمال فيئسوا أو كادوا، وصار كبارهم يتحدثون بما كان من علم الماضين ودأبهم وقوة إيمانهم، ويشكون مر الشكوى من انصراف القلوب وانحلال العزائم وضعف الأخلاق، وصار المحدثون منهم يفعلون ما يشاءون، ويأتون من الأمر ما يأتون، ويدعون منه ما يدعون، لا يدفعهم إلى ذلك دافع من العلم والتكمل بالدرس والمعرفة، ولكن دافع من الرغبة فى مستقبل مادى يضاهون به غيرهم من أهل المعاهد والجامعات الأخرى، كأن المستقبل يضمن بالقوانين والقرارات، لا بالتمكن من العلم، وإقناع الأمة بكفاية الخرجين.

نعم صرنا إلى ذلك كله، والأمر فيه خطير إذا لم يتدارك ولكن لا ينبغى أن نيأس ولا ينبغى أن ننسى أن ظروف الحياة الدراسية والفكرية فى البلاد قد تطورت وخير لنا أن نعالج أسباب الضعف بالحزم والقوة والصبر وتوسيد كل أمر إلى من يصلح له ويستقيم به فإن أكبر الإصلاح أن يباشر الأمور أهل الإصلاح، أما أن نندب ونستغيث ونتصور الأمور تصور المشدوهين المغلبين ونتربص أن يصلح الله الأحوال بأمر من السماء يتنزل به جبريل أو سواه من ملائكة الرحمن فسيطول تربصنا وتكثر متاعبنا ولن يجدينا الصياح ولا العويل.

**المجلد الحادى والعشرون ١٩٤٩م**

---

(١) يوسف (٨٧).



# إحساس النبات

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾
الرحمن (٦٠)

أبو حسام

سرتُ في موكب الربيع وللطيـ ـر هتافٌ يرن في الآذان
وعلى الدوح من غدائره الخضـ ـر ثيابٌ بهيجة الألوان
ما أجلّ الربيع يغمر قلبي بشعور يحيا به وجداني
سبتِ العينَ منه أشجار توتٍ تتهادى تحت النسيم الواني
دونها مقعدٌ جلست عليه مستريحاً في ظلها الفينان
وأتى صاحبي فعاث فساداً في حماها كمارد شيطان
هصّر الغصنَ كي ينال جناه أي ذنب لديه للأغصان
صحت في وجهه: جنيتَ عليه آثماً فانتظر عقابَ الجاني
ارحم الغصن لا تنله بسوءٍ قد يحس النبات كالإنسان
واستمعْ للحفيف منه تجده بات يشكو الإنسان للرحمن

***

قال لي صاحبي ولجّ به الغيـ ـظ فأزرى بمنطقي وبياني
أيُّ هزلٍ تقول دون اكتراثٍ هل يحس النبات كالإنسان؟!




| | |
|---|---|
| ألــديـــه روح تــلاقــى الـــرزايـــا | ثم تبكي بدمـــعـــهـــا الهـتّـــان |
| منطق خـــانه الدليل فـــأمـــسى | يتـداعى كـــــواهن البنيـــان |
| ربما قـــــــد قـــــرأته ذات يوم | لأديب فـى غـــــابر الأزمـــــان |
| تبع الـوهـم ثم أحـــــــدث رأيـاً | نمقـتــــه زخــارف البـهــتـــان |

***

| | |
|---|---|
| وجلسنا مـــعـــــاً فطال نقـــاشٌ | أعـــــوزته بلاغـــــة البـــرهان |
| ترسل القــول مثلما جـاء فـأعـجبْ | للســـــان يصــــول فــوق لـســـان |
| ومـضتْ ســـاعـــةٌ فـهبَّ نسيم | لامَسَ الدوح كـــالرفـــيق الحاني |
| فــإذا الغـصن يسـقط التوت فـوقي | دونـه ، وهْـو لاصق مـتـــــداني |
| قلت : يا صــاحـــبي ملكت دليلي | إذ بدا الحق واضـحـــاً للعـيــــان |
| أدرك الغـــصـن رأفـــتي وحـنـاني | فــحـبـــاني ببـــره ورعـــاني !! |
| إن يكن لا يحس كـــيـف تـراه | قـام يجزي الإحــســـان بالإحسان |
| منطق قـد يجـادل العـقل فـيـه | غـــيـــر أن الفـــؤاد ذو إيمان |
| وأتى طـائرٌ فـــرجّع لحـنـاً | هيّج المــسـكنَ من أشـجـاني |
| أبصـر الغـصن كـالجريح فـواسـاه | مـلـيـــاً بصـــوته المرنان |
| يبـصـر الطائرُ المصـابَ فـيـبكي | ونراه فــيـضـحك الشـفـتـان !! |

***

| | |
|---|---|
| ارحم الغـــصن لا تنله بســوء | قـــد يحس النبــات كــالإنسـان |
| واســتـمعْ للحـفـيـف منه تجده | قـــام يشكو الإنســان للرحـمن |

***



## من قادة الفتوحات الإسلامية

# القعقاع بن عمرو التميمى (*)

**٢**

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

**وانتهت معركة القادسية وظل سعد بن أبى وقاص مرابطا بجنوده بالقادسية مدة شهرين حتى جاءه أمر الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بالزحف نحو المدائن، فاقتحم (بهرسير) فى صفر سنة ١٦هـ ووقف بجيشه على نهر دجلة ولم تكن لديه سفينة واحدة، والنهر عريض متسع، فكيف السبيل إلى عبوره؟! لم يجد سعد بدا من أن يعبر النهر على ظهور الخيل، ولكن كان لابد أن تسبقه كتيبة تستطلع الأمر على الضفة الأخرى للنهر وتمهد له السبيل فصاح فى جنوده، « من يبدأ ويحمى لنا الفراض [1] حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من الخروج؟ فتطوع له أهل البأس والقوة، وكان فى مقدمة المتطوعين عاصم بن عمرو - الذى تولى قيادة هذه الكتيبة - والقعقاع بن عمرو ومعه فرقته وكان يقال لها الخرساء وكانت تضم فحول فرسان المسلمين، ومعهم ستمائة من أهل النجدة.**

اندفعت هذه الكتيبة بخيلها فى نهر دجلة، فلما اقتربوا من ضفة النهر أحس بهم المجوس فهبطوا بخيلهم إلى النهر لمواجهتهم، فصاح عاصم والقعقاع معا: « الرماح الرماح، أشرعوها وتوخوا العيون » هذا الأسلوب فى المواجهة أنهى المعركة قبل أن تبدأ فقرسان المجوس عجزوا بسيوفهم عن اختراق صفوف المسلمين إزاء ما فعلته فيهم الرماح.

### أعجزت الأخوات أن يلدن مثلك يا قعقاع

ورغم أنه لم يكن القائد إلا أن روح القيادة كانت تسرى فى دمه، تفقد القعقاع الجند بعد

(*) انظر الطبرى، الجزء الرابع، أحداث سنة ١٦، ١٧هـ.

(١) الشاطىء.

الوصول إلى ضفة النهر الأخرى فوجدهم سلموا من عند آخرهم إلا رجلا من بارق يدعى «غرقدة» زال عن ظهر فرس له شقراء، فثنى القعقاع بن عمرو عنان فرسه عائدا إلى النهر باحثا عنه فوجده فأخذ بيده فجره حتى عبر، فقال له «غرقدة»، وكان من أشد الناس: «أعجزت الأخوات أن يلدن مثلك ياقعقاع».

واندفع عاصم والقعقاع - بعد أن قاما بتطهير الشاطئ من بقايا فلول الفرس - صوب المدائن وكانت قد اقفرت من الجند وخلت من الناس.

وأبصر القعقاع فارسا فارسيا يهرب متسحبا فلحق به فاقتتلا، فقتله القعقاع، وإذا مع المقتول جنيبة[2] عليها عيبتان[3]، وغلافان[4] في أحدهما خمسة أسياف، وفي الآخر ستة أسياف. وإذا في العيبتين ثروة لاتقدر، فيها درع كسرى ومغفره، وساقاه، وساعداه، ودرع هرقل، ودرع خاقان، ودرع النعمان بن المنذر، وأدراع مشاهير قادة الفرس، أما الأسياف فكانت لكسرى (أنو شروان) و(هرمز) و(قباذ) و(فيروز)، و(هرقل) و(خاقان) و(النعمان) و(داهر) و(سيا وخش) جاء القعقاع بكل هذا وألقاه تحت قدمى سعد بن أبى وقاص الذى ذهل بما رأى وقال: «والله إن الجيش لذو أمانة، ولولا ما سبق لأهل بدر لقلت وأيم الله على فضل أهل بدر» وقال جابر بن عبدالله: «والله الذى لا إله إلا هو ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة».

هذه الغنائم كلها غنمها القعقاع بطل فتوح العراق والشام وفارس الذى لم ينكسر له سيف ولم يخسر معركة واحدة، وكان صوته ساعة الوغى كما قال الصديق- رضى الله عنه: (خير من ألف رجل) ترى أكان أحد سيلومه لو احتفظ لنفسه بهذه الغنائم؟! نظر إليه سعد نظرة فخر وإعجاب، وقال له: «اختر أحد هذه الأسياف» فاختار سيف (هرقل) وأعطاه درع (بهرام جوبين) ومنح سائر الغنائم لجنود القعقاع ماعدا سيف كسرى، وسيف النعمان بعث بهما إلى الخليفة عمر ابن الخطاب ضمن الأخماس.

ولم يكد سعد يستقر فى المدائن حتى علم بأن الفرس قد أعادوا تجميع جيوشهم فى جلولاء بقيادة (مهران الرازى)، فكتب إلى الخيفة عمر يعلمه بذلك فجاءه الرد: «سرح هاشم بن عتبة إلى جلولاء فى اثنى عشر ألفا، واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو» وهكذا يظل القعقاع قائد قوة الاقتحام الرئيسية، وقد يقول قائل لماذا لم يعهد عمر إلى القعقاع بقيادة هذا الجيش بدلا من أن يتولى فقط قيادة المقدمة مع بلائه فى كل المواقع التى خاضها؟ أقول: إن تفرغ رجل مثل القعقاع لقيادة مجموعة من مجموعات الجيش كان أمرا مطلوبا حتى يتفرغ ذهنه

(٢) الجنيبة: الدابة تسير بجانب صاحبها.

(٣) العيبة: كيس من الجلد.

(٤) الغلاف: حافظة جلدية.

للفرقة التي يقودها فقط بدلا من أن يتوزع جهده على سائر الجيش فضلا عن أن القعقاع طبقا لأولويات القيادة في خطاب عمر كان هو الرجل الثاني في الجيش، والفرقة التي يقودها - وهذا هو الأهم - هي المقدمة أي قوة الاقتحام والاشتباك الرئيسية، فضلا عن أن طبيعة المعركة كانت تتطلب أن يكون جميع القادة بلا استثناء على أرفع مستوى، وهو ما قد حدث بالفعل.

## بطـــل جلـــولاء

وصل القعقاع بمقدمة الجيش إلى جلولاء ليجد الفرس قد أقاموا خندقا كبيرا متسعا وعميقا حفروه حول مواقعهم يحوطه حسك الخشب وهي قطع خشبية مدببة تنغرس في حوافر الخيول إذا ما حاولت التقدم تجاه مواقع الفرس.

فأرسل القعقاع إلى هاشم بن عتبة يخبره بما استعد به الفرس، فكتب إلى سعد بن أبي وقاص يسأله المدد فأمده بستمائة مقاتل

ووقف هاشم يخطب في الجيش: «إن هذا المنزل منزل له مابعده، أبلوا الله بلاء حسنا يتم لكم عليه الأجر والمغنم واعملوا لله».

والتحم الفريقان التحاما شديدا استمر حتى الليل واكتشف القعقاع أن الفرس أنشأوا مدارج ومعابر لنقل جيوشهم من وراء الخندق مما أضعف من قوته الدفاعية، ولما حل الليل وبدأ الفريقان يتحاجزان استعدادا لجولة جديدة صاح القعقاع: «يامعشر المسلمين هذا أميركم قد دخل خندق القوم وأخذوا به فاقبلوا إليه ولا يمنعنكم من بينكم وبينه من دخول» ألهب صوت القعقاع حماس الجنود، إذا كيف يتركون قائدهم هاشم بن عتبة في يد الفرس، ولم يحدث قط أن ترك المسلمون قائدهم لعدوهم يقتلوه أو يأسروه، وكانت حيلة بارعة من القعقاع، فهاشم لم يكن في الخندق، ولكن القعقاع كان قد نجح في اقتحامه في نفس التوقيت الذي بدأ فيه الفرس الانسحاب طلبا للراحة ففوجئوا بالقعقاع داخل الخندق يقطع عليهم خط الرجعة، والمسلمون من خلفهم يكرون عليهم لاستنقاذ قائدهم فحاقت بهم الهزيمة وملأت جثثهم ميدان المعركة وكان ذلك في غرة ذي القعدة لسنة ١٦هـ.

وسار القعقاع بمقدمة الجيش إلى حلوان حيث لجأ إليها يزد جرد، فاستولى عليها القعقاع بمعاونة نفر من العجم الذين أسلموا واطمأن القعقاع إلى إسلامهم، حتى أنه ولى أحدهم ويدعى (قباذ) على حلوان، وعاد ليلحق بسعد ابن أبي وقاص الذي كان قد نزل الكوفة.

## إلى الشـــام

وفي ذلك الوقت كان أبوعبيدة عامر بن الجراح يواجه موقفا حرجا في الشام، فقد تحالف أهل منطقة (الجزيرة) مع الروم للقيام بعمل ضد المسلمين فكتب أبوعبيدة إلى عمر بن الخطاب يسأله المدد فأرسل عمر من فوره إلى سعد بن أبي وقاص في الكوفة يأمره بإنفاذ أربعة آلاف مقاتل على رأسهم القعقاع بن عمرو لنجدة أبي عبيدة فخرج القعقاع مسرعا من الكوفة إلى الجزيرة ليجد أن أبا



عبيدة قد دمر جموع الروم فأمر عمر أن يشرك القعقاع ومن معه في الغنيمة وقال: «جزى الله أهل الكوفة خيرا، يكفون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار».

## فـــارس نهاونـــد

أما الفرس فكانوا قد أعادوا تنظيم صفوفهم واحتشدوا في نهاوند، فرصد قباذ بن عبدالله الفارسي المسلم الذي استخلفه القعقاع بن عمرو على حلوان جموعهم، فكتب إلى سعد يعلمه بذلك فكتب سعد بدوره إلى الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب الذي اختار بعد المشورة النعمان بن مقرن المزني لقيادة جيوش المسلمين في نهاوند والقعقاع على الفرسان وكان الفرس قد أحكموا تحصيناتهم في نهاوند، فضرب المسلمون الحصار حولها، ولكن الفرس اكتفوا بالقتال من خلف الأسوار، وطال الحصار أياما مرت ثقيلة على المسلمين، فجمع النعمان قادته يستشيرهم، فاستقر الرأي على أن يتحرش القعقاع مع فرقة من فرسانه بالفرس ويتظاهرون بالانسحاب فيعتقد الفرس أنهم يهربون فيخرجون من حصونهم لمطاردتهم.

فتقدم القعقاع بفرسانه نحو خنادق العجم وحصونهم وتحرش بهم فخرجوا لقتاله فجعل يتراجع وكأنه منهزم والفرس في أعقابه في حين سلك النعمان بقواته طريقا آخر صوب حصون الفرس الذين أخذوا يخرجون قواتهم فرقة وراء أخرى لمطاردة القعقاع حتى لم يبق في حصونهم إلا من يقوم على أبوابها وكان القعقاع مطالبا بالصمود مع فرسانه في مواجهة جحافل الفرس حتى يكتمل خروجها من الحصون وينقطع سبيلهم إليها لينقض عليهم النعمان بسائر الجيش.

وكان موقف القعقاع بالغ الدقة فلم يكن مطلوبا منه أن ينهزم وينسحب سريعا، إنما كان المطلوب منه أن يقاتل ثم ينهزم وينسحب وألا يكون الانهزام والانسحاب سريعا إنما ينبغي أن يكون على مراحل وأن يكون بطيئا وليس سريعاً حتى لا تنكشف الخطة، بمعنى أن عبء المعركة كلها واقع على عاتق القعقاع، إذ سيصل به الأمر في النهاية إلى أن يقاتل بفرسانه جحافل الفرس ولابد له من الصمود حتى يتمكن النعمان من اتخاذ مواقعه للانقضاض على الفرس الفرحين بانتصارهم المزعوم.

ونجح القعقاع وصمد، وانقض النعمان بسائر الجيش على جحافل الفرس، واستدار القعقاع بفرسانه يكر بهم على جموع الفرس منتقلا من موقف الانهزام إلى الهجوم الخاطف بسيفه البتار، فذهل الفرس، ولم يجدوا إلى حصونهم سبيلا، فالقعقاع أمامهم والنعمان خلفهم وحصونهم خالية من كل مدد ممكن أن يأملوا فيه وأحرز المسلمون نصرا مؤزرا، وأنشد القعقاع:

نحن حبسنا في نهاوند خيلنا
لشر ليال أنتجت للأعاجم
ملأنا شعابا في نهاوند منهم
رجالا وخيلا أضرمت بالضرائم

(يتبع)





# ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

**بدايات انتقال العلوم العربية إلى أوربا**

**يؤكد المنصفون من المؤرخين بما لا يدع مجالاً للشك أن من أهم العوامل التى ساعدت على ظهور النهضة الأوربية الحديثة وانتشارها كان اتصال الأوربيين بمراكز الحضارة العربية، سواء فى فترة الحروب الصليبية، أو أيام حكم العرب للأندلس حيث ساد ما يقرب من ثمانية قرون، أو عن طريق جزيرة صقلية التى خضعت لحكم العرب ما بين منتصف القرن التاسع الميلادى وأواخر القرن الحادى عشر الميلادى.**

وقد تأثر الأوربيون بالحضارة العربية المزدهرة فى مصادرها المختلفة، واقتبسوا منها الشئ الكثير، ولا سيما فى مجال الفنون والعلوم الطبيعية والتكنولوجيا، ونشطت حركة الترجمة من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية التى كانت وحدها لغة الأدب والعلم والدين. ولكن عندما زاد اهتمام الأوربيين بلغاتهم القومية، كالإيطالية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية، بدأوا فى التأليف فى هذه اللغات، ومن ثم انتقلت المعارف المتنوعة إلى الشعوب الأوربية فى سهولة ويسر، وكان لاطلاعهم على الكتب العربية المترجمة عن الإغريقية أكبر الأثر فى تنبيههم إلى أهمية تراث الإغريق والرجوع إليه ومحاولة الاستفادة من تراث الحضارة العربية الإسلامية فى القرون الوسطى ثم الاجتهاد فى إيجاد صياغة جديدة للمعرفة بما يلائم العقلية المتحررة ويفتح الطريق أمام تقدم حضارى فى جميع المجالات.

وما يعنينا هنا على أية حال هى ثمرة اختلاط العرب بالأمم اللاتينية فى القرون الوسطى، واللقاء بين ثقافة يانعة براقة وثقافة ناشئة اجتذبها البريق الأخاذ. وكان الإخصاب الذى أسفر عنه هذا اللقاء فذاً رائعاً لا ينضب معينه، ولا ينقطع مدده.. ولولاه لتأخرت مسيرة المدنية عدة قرون، ولما وصلنا إلى حضارة اليوم بكل شمولها وأبعادها وآثارها.

وقد تمت عملية الإخصاب هذه - في جانبها الفكرى والعلمى - بصورة رئيسية عن طريق ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية:

( ١ ) في صقلية وجنوب إيطاليا من ناحية.

( ٢ ) وفي الأندلس ومدينة طليطلة من ناحية أخرى.

وكان المترجمون غالبا من المستعربين أو اليهود، وفي بعض الأحيان من العرب الذين لديهم معرفة واسعة ومباشرة بالعالم الإسلامي.

( ١ ) أما صقلية التى افتتحها العرب على يد الأغالبة سنة ٨٢٧م وطالت أيامهم فيها إلى أن سقطت في أيدى النورمان عام ١٠٦٠م، فقد شهدت تأسيس أول مدرسة للطب في عاصمتها بالرمو Palermo، وأدخل العرب في الجزيرة صناعات وزراعات لم تكن معروفة لأهلها، منها صناعة الورق التى انتشرت منها إلى إيطاليا، وصناعة المنسوجات الحريرية، وأدخلوا أساليبهم الفنية في العمارة والصناعات الدقيقة.

وكان أوجين البالرمى Eugene de Palermo من أشهر المترجمين عن العربية، ويعرف بأن واحد اليونانية والعربية واللاتينية، وترجم إلى اللاتينية كتابي: «المجسطي» و«أوبتيكا» (البصريات) لبطليموس، وكتاب «كليلة ودمنة» أو على الأقل ساعد في ترجمته. كذلك اشتهر الجغرافى العربى الشريف الإدريسى (ت ١١٦٦) الملقب «باسترابون العرب»، واقترن اسمه باسم ملك صقلية النورمندى روجر الثانى Roger II، وصنف كتابه الشهير «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» عام ١١٤٥م جمع فيه بين الجغرافيا الوصفية والجغرافيا الرياضية الفلكية، وكانت درة عمله خريطة العالم التى نحتها على شكل كرة من الفضة قطرها متران، ورسم فيها العالم ببره وبحره وجباله وسهوله وأنهاره وبحيراته ومدنه وممالكه، وجعلها تقترب من وضعها العالمى الصحيح الذى هى عليه اليوم. وترجم كتاب الإدريسى إلى اللاتينية وترجمت كل أمة ما يعنيها منه، وتعلمت أوربا منه علم الجغرافيا في القرون الوسطى واستمرت تنسخه لأكثر من ثلاثة قرون، وجاء في دائرة المعارف الفرنسية: «.. إن كتاب الإدريسى هو أوفى كتاب جغرافى تركه لنا العرب، وإن ما يحتويه من تحديد المسافات والوصف الدقيق يجعله أعظم وثيقة علمية جغرافية في القرون الوسطى». ومن مؤلفات الإدريسى أيضا كتاب «الجامع لصفات أشتات النبات وضروب أنواع المفردات من الأشجار والثمار والحشائش والأزهار والحيوانات والمعادن وتفسير أسمائها باللاتينية والسريانية واليونانية والبربرية».

وفي مجال الرياضيات والفلك تدلنا أعمال الراهب «جيربرت» Gerbert (ت ١٠٠٣م) على أنه أول عالم كبير عمم ونشر الأرقام العربية والأسطرلاب في أوربا. وكان جيربرت قد أقام في أسبانيا بين سنتى ٩٦٧و٩٦٩م وعرف فيما بعد (٩٩٩م) باسم البابا سلفستر الثانى Sylvester II وأظهرت مراسلاته أنه طلب من صديقه «لوبيتوس» Lupitus (أو ليوبيه Liobet) في برشلونة إرسال كتاب عن «علم التنجيم Astrology» (ربما كان

متخصصاً في الاسطرلاب )، ويعزى إلى جيربرت فضل استجلاب الأسطرلاب إلى العالم اللاتيني ثم شيوع استخدامه بفضل الراهب « ريشينو Reichenau » .

وقد اعتنى بوبنوف N.Bubnov بنشر المؤلف الذى وضعه جيربرت في الرياضيات وضمنه مساله أصل الأرقام العربية وإجراء العمليات الحسابية وفقاً لطريقة المعداد Abacus الذى أخذه عن العرب . وبصورة تدريجية أصبحت الأرقام تدون كما عند العرب فوق الرمال أو فوق الغبار[1] . ويعتقد ان انتشار طريقة المعداد الحسابية في الغرب قد تم عن طريق الأندلس بواسطة المعاملات التجارية والرحلات والسفارات، وأن ظهور الاسطرلاب في الغرب في نفس حقبة المعداد قد تم بنفس هذا النهج النقلي المباشر.

وعلى غرار ما حدث للرياضيات والفلك على يد جيربرت، كانت بداية دخول الطب العربي إلى أوربا عن طريق مدرسة سالرنو Salerno التي يعزى تأسيسها إلى أربعة أساتذة كان كل منهم يعلم بلغته، وهم: سالرنوس Salernus باللاتينية، وبونتوس Pontos باليونانية، وأديلا ( ربما عادل أو عبدالله ) Adelah بالعربية، وهيلينوس Helinus بالعبرية .

وظهر الراهب العربي قسطنطين الافريقي ( ت ١٠٨٧م ) كرائد لفريق الترجمة في مدرسة سالرنو، وكان تاجراً من قرطاجة، ترك عمله وانصرف إلى الطب، ثم تنصر وهرب الى إيطاليا حاملاً العديد من المخطوطات العربية التى عكف على ترجمتها الى اللاتينية، ولكن ترجماته جاءت صعبة غامضة، وفى أغلب الأحيان خاطئة رغم تصحيحات صديقيه الراهبين، اتو ويوحنا الفاسى Atto & Johannes . وقد أورد مؤرخو الطب العربي قائمة للكتب التى صنفها قسطنطين بلغت اربعة وعشرين كتاباً، وكان لا يشير إلى ان اغلبها كان مجرد ترجمة، وعثرت البحوث الحديثة على أصولها العربية، ومنها « الكتاب الملكى » أو « كامل الصناعة الطبية » الذى ترجم إلى اللاتينية تحت عنوان ( Liber Regius) لعلى بن عباس المجوسى ( ت ٩٩٤م )،

---

(١) الأرقام الغبارية (Ghubar) هى أرقام هندية الأصل هذبها العرب، وسميت غبارية لأن الهنود كانوا ينثرون غبارا على لوح من الخشب ويرسمون عليه الأرقام ١، ٢، ٣... وقد انتشر استعمالها في بلاد المغرب العربي وأوربا وعرفت باسم «الأرقام العربية Arabic numerals». أما معداد جيربرت ذو الأعمدة (الخانات) فكان يعتمد في الحساب على ترتيب قطع صغيرة من قرون الحيوانات رقمت عليها الأعداد من ١ إلى ٩ بسبب مواقعها التنوعية ضمن العامود الذى يحتويها.

راجع:


N. Bubnov, Gerberti opera mathematica, Berlin, 1899. -

- E. Smith, History of Mathematics, Boston, 1923 - 1925.

- R. Taton, Histoire Generale de sciences, Tome I: La Science Antique et Medievale (Des Origines a 1450). Arabic Edition, 1988.

- G. Sarton, Introduction to the History of Science, 1929-1948.

- S.Hunke, Allahs Sonne Uber Dem Abendland Unser Arabisches Erbe. Arabic Edition, 1981.

وعرف باللاتينية باسم ( Haly Filius Abbas)، وهو الكتاب الذى ألف قسطنطين على منواله « كتاب الكليات » Liper Pantegni . ومن ترجمات قسطنطين أيضا كتاب « زاد المسافرين» Viaticum Peregrinantis لابن الجزار القيروانى، « وطب العيون» لحنين ابن اسحق، وعدة رسائل لاسحق الإسرائيلى فى البول والحميات والأدوية . وكانت معظم هذه الكتب التى ترجمها قسطنطين تدرس فى مدرسة سالرنو وامتد تأثيرها إلى أنحاء أوروبا بأكملها.

ومن صقلية وإيطاليا تدفق سيل الترجمة تدفقاً متواصلاً، وظلت حركة الترجمة على أشدها حتى القرن السادس عشر الميلادى.

( ٢ ) وأما أسبانيا فقد أصبحت المركز الثقافى المتميز الذى يأتيه مثقفو أوروبا كلها طلبا للعلم من المصادر العربية، وكان آديلار الباثى Adelard de Bath ( ١٠٩٠ - ١١٦٠م ) من رواد هذه النهضة، فقد ولد فى « باث » ( قرب بريستول ) ثم انتقل وهو شاب صغير إلى فرنسا، وسافر إلى صقلية وسيليسيا، وأجرى قياسات فلكية فى القدس عام ١١١٥م، وزار دمشق وبغداد ومصر، وأمضى فى إنجلترا سنوات رشده، وكتب « المسائل الطبيعية » حوالى سنة ١١١٦م، وعرضها بشكل حوار فلسفى عالج مختلف المسائل البيولوجية بتدرج تصاعدى من النبات إلى النفس الإنسانية، وبعدها تأتى المسائل المتعلقة بالطبيعيات، وحاول من خلال ذلك أن يرسم بداية منهج علمى مؤكدا على أهمية البحث عن الأسباب الطبيعية، فقد كتب يقول: « إذا كانت مشيئة الخالق تقضى بوجوب إنبات النبات من الأرض، فإن هذه المشيئة ليست خالية من السبب » . وفى بعض الأحيان يعبر عن تشيعه بالعلوم العربية فيصرح بتعبير أقوى قائلا: « هل من أحد غيرى تعلم على يد المعلمين العرب سلوك درب العقل. فعليك من جهتك أن لا تعميك غشاوة السلطة، إذ لو فعلت فكأنك قد ربطت برس ( أى رسام على الأنف )، وأى شئ يمكن أن توصف به السلطة غير وصف الرسن؟ إن تركت نفسك تخضع للسلطة تكن كالحيوانات التى لا تعرف لا إلى أين ولا إلام تجر » .

ومن أهم ترجمات آديلار الباثى كتاب الخوارزمى فى الحساب بعنوان « الجمع والتفريق بحساب الهند » وترجمه بعنوان Algoritmi de Nemero Indorum، وهو أول كتاب من نوعه من حيث الترتيب والتبويب والمادة العلمية، كما أنه أول كتاب دخل أوروبا وبقى المصدر المعتمد فى البحوث الحسابية، وبقى علم الحساب لمدة قرون معروفا باسم « الجورتمى » نسبة إلى الخوارزمى . كذلك ترجم « زيج الخوارزمى » المعروف فى أوروبا باسم Tablas Astronomicas.

وأفصح آديلار الباثى من خلال ترجماته اللاتينية للنصوص العربية عن مدرسة المترجمين فى طليطلة Collegio de tradutores Toledanus صاحبة الفضل فى نقل العلوم الإغريقية، وما أضافه العرب إليها من شروح وتعليقات إلى المدارس الأوربية.

ولابد من التنويه هنا بفضل ريموندو

Raimondo (ت ١١٥٢م) أسقف طليطلة وكبير مستشارى ملوك قشتالة آنذاك، فهو الذى شجع حركة الترجمة ونقل الكتب العربية إلى اللاتينية، فكان فعله هذا حدثا حاسما ترك أبعد الأثر فى مصير أوروبا - فيما يقول رينان. ثم توالى خلفاؤه من الأساقفة فى تشجيع هذه الحركة والحدب عليها.

ونذكر من كبار المترجمين الأسقف دومينكوس جونديسالفى Gundisalve (أو Gundisalinus) المتوفى سنة ١١٨٠، وهو من كبار كنيسة طليطلة وقد شاركه فى الترجمة غالبا يوحنا بن داود Aben Daud المعروف بالإشبيلى أو الأسبانى، فنقلا بعض مؤلفات ابن سينا (النفس) و(الطبيعة) و(ما وراء الطبيعة)، وبعض آثار الغزالى (مقاصد الفلاسفة).

كما اشتهر فى حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية جيرار الكريمونى Gererd of Cremona (ت ١١٨٧م)، ويذكر له جورج سارتون قائمة من سبعة وثمانين كتابا ترجمها عن العربية فى الفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك وفى الطبيعيات والميكانيكا (علم الحيل) مع شرح الكندى، وثابت بن قرة، وابن ماسويه، وأبى بكر الرازى، وأبى القاسم الزهراوى، وابن سينا، وغيرهم.

وهناك أيضا روبرت الشستري Robert of Chester الذى يؤثر عنه اهتمامه الكبير بمآثر الشرق فى الرياضيات، حيث ذهب إلى أسبانيا ودرس فى برشلونة، وكانت ترجمته لكتاب الخوارزمى «الجبر والمقابلة» أساسا لدراسة كبار العلماء فيما بعد أمثال ليونارد البيزى Leonard of Pisa وكردان Cardan وتارتاجليا Tartaglia وفيرارى Ferrari وغيرهم من الذين تقدمت على بحوثهم موضوعات الجبر العالى.

* ونذكر من أمثلة الكتب العربية ذات التأثير الواضح فى النهضة العلمية الأوربية :-

كتاب «الزيج الصابى» للبتانى، الذى ترجمه أفلاطون التيفولى Plato of Tivoli فى القرن الثانى عشر الميلادى بعنوان De Sciencia Sttellarum أى «علم النجوم»، وكتاب «غاية الحكيم» للمجريطى الذى ترجم إلى اللاتينية فى القرن الثالث عشر للميلاد بأمر الملك الفونس تحت عنوان Picatrix، وكتاب الحاوى Continens والمنصورى Almansorem فى الطب للرازى Rhases، وكتب «القانون» و«الشفاء» و«النجاة» لابن سينا Avecenna، وكتاب «المناظر» لابن الهيثم Alhazem، وكتاب «التيسير» لابن زهر Avenzoar وكتاب «التصريف» لأبى القاسم الزهراوى Albucasis وكتاب «الكليات» Colliget لابن رشد، وكتاب «الأقربازين» لابن الجزار Liber fiducia de simplicibus medicimis، وغيرها.

وعلى كل حال، لقد نشطت حركة الترجمة والنقل فى صقلية وإيطاليا وأسبانيا، وتسابق الرجال من ذوى العقول النيرة إلى بالرمو وسالرنو وطليطلة لتعلم اللغة العربية ودراسة العلوم العربية. ولم يظهر فى أوروبا آنذاك كتاب واحد تقريبا إلا وقد ارتوت صفحاته بالينابيع العربية وظهرت فيه بصمات

الفكر العربى واضحة جلية، سواء من حيث اللفظ والكلم، أو من حيث المعنى والمضمون.

## ترجمة العلوم العربية عمل ضخم لم يتم

إن الحديث عن ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية لا ينبغى أن يغفل قضية بالغة الأهمية تتعلق بإحياء التراث العربى وترجمته، وهذا الموضوع مسرح عمل ضخم لم يتم، حيث تقدر المخطوطات العربية المفقودة أو المحفوظة فى العالم بعشرات الآلاف، ولم يحقق منها إلا النزر اليسير، فى الوقت الذى تشهد فيه ساحة الفكر العلمى منذ عدة عقود نشاطا منظما على مستوى العالم بهدف نشر الأعمال الكاملة لكبار العلماء، على اعتبار أن إحياء التراث العلمى مسئولية دولية تستوجب الرعاية والتعاون من جميع الدول. وقد حدث أن لجأت الهيئات المسئولة عن نشر الأعمال الكاملة للعالم الشهير «برنوللى» Bernoulli إلى تدعيم جهودها عن طريق الاكتتاب العام، ويجرى حاليا إعداد طبعة جديدة لهذه الأعمال من خلال التعاون بين عدة دول لتصدر تباعا فى خمسة وأربعين مجلدا. ومن أسف ألا يحظى التراث العلمى بأى رعاية على خريطة الاهتمام العالمى بالقضايا التراثية. ومن ثم فإن الدعوة إلى إحياء التراث العلمى العربى وترجمته تكتسب اليوم ذات الأهمية التى أوضحتها لنا تجربة الترجمة فى عصرى النهضة العلمية العربية والأوربية، وذلك من أجل صياغة أكثر دقة وموضوعية لنظرية العلم وتاريخه وفلسفته، والعودة بالعلوم التخصصية الحديثة إلى جذورها فى المجتمعات التى كانت شاهدا على ميلادها، والتعرف على طبيعة الظروف التى سمحت للمفاهيم والأفكار الوليدة أن تنمو وتزدهر، وتصبح بعد ذلك فروعا فى شجرة المعرفة، وروافد لا غنى عنها لتغذية الحضارة الإنسانية، ولقد أظهرت بحوث العلماء حديثا أهمية ما ندعو إليه عندما كشفت عن المزيد من النظريات العلمية والاختراعات المتقدمة فى كتب التراث العربى وأوضحت الحاجة إلى إعادة تأصيل فروع العلم المعاصر: البصريات والصوتيات والميكانيكا والشفرة والبيزرة والفلك والرياضيات والبيئة والمراعى والجيولوجيا والطب والصيدلة والوراثة وغيرها. هذا بالإضافة إلى ضرورة إعادة بحث الظاهرة العلمية وتحليلها فى ضوء حقائق تاريخية لا يمكن إغفالها. فالشرق والغرب قد التقيا طوال التاريخ لقاءات حضارية عدة أثمرت فى حصيلتها ما تنعم به البشرية اليوم، وكانت الترجمة هى إحدى صور التفاعل المتبادل بين هذه اللقاءات الحضارية[٢].

---

(٢) راجع:

- د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة القاهرة ١٩٨٣.
- د. أحمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة فى التراث الإسلامى، دراسات تأصيلية، دار الهداية، القاهرة ١٩٩٧.
- J.H. Hayes (Editor), The Genius of Arab Civilization, Source of Renaissance, 2nd Edition, London 1983.
- J. Dhombres; On the Track of Ideas and Explantions Down the Centuries: The History of Science Today, Impact of Science on Society, Unesco, No. 159, 1990.
- D. Speiser and P. Radelet - de Grave; Publishing Complete Works of Great Scientists: An International Undertaking, Impact of Science on Society, Unesco, No. 160, 1991.

# أثر العقيدة الصادقة على التقدم العلمي عند المسلمين

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيوني

**على كثرة ما نقرأ عن النهضة العلمية التى واكبت الثقافة الإسلامية عبر العصور، فإننا لا نكاد نرى مرجعا وافيا أو مؤلفا ضافيا يعكف ـ فى تخصص وعمق ـ على دراسة الوشائج المتينة بين ذلك التقدم العلمى الذى أحرزه المسلمون فى كفاية واقتدار، وبين العقيدة الإسلامية الصادقة التى وقرت فى قلوبهم، وعمرت بها أرواحهم، وكانت هى الزاد الدافع والطاقة الحافزة لهم على ما حققوه من نهضة علمية خلاقة، وجهد علمى مبين.**

وكم نحن الآن في حاجة ملحة إلى بعث هذا المعنى، وشرحه، وتعميقه لدى الناس ولاسيما عند أبنائنا من الشباب حتى تواجه دعاوى كثير من المستشرقين والمستغربين الذين يدعون ـ في تعصب مقيت وذاتية ضيقة ـ أن هذا العصر الذى نحياه مدين للغرب بما آل إليه من فكر علمي، ومنهاج تجريبي، وأن المسلمين السابقين ـ إن كان لهم دور في بعض الميادين مثل الطب أو الفلك أو الطبيعة ـ إن هم إلا نقلة مقلدون، وليسوا روادا مبدعين!!

وتناسوا ما تحلى به المسلمون الأوائل من مثابرة على البحث الدقيق، والمصابرة على التنقيب المتأني في ظروف ( تقنية ) صعبة، ومن خلال إمكانات ( اتصال ) قاسية، فلقد كان على الباحث المسلم آنذاك ـ ولم يكن هناك باحث غيره ـ أن يستهلك عصارة عينيه على ذبالات الزيت والشموع، وأن يستنفد

جمع جهده فى نسخ مؤلفاته المخطوطة بأقلام بدائية، على قراطيس معتمة.

ولعمرك، إنّ هذا كله، وغيره من ضروب المشقة، وألوان المعاناة لهو أمر جد يسير إزاء المحاولات المتوالية، والحيل المتتالية فى سبيل الحصول على مرجع يطلع عليه، أو سفر يهتدى به، فكل صعب يهون بجانب هذا الأمر الشاق إذ لا مطبعة حينذاك تفرز ألوف الألوف من النسخ، كما نرى الآن، وإنما هى آحاد من المخطوطات اليدوية لا يدرك أحدها إلا بالجهد الجهيد، والعناء الشديد.

وبالرغم من ذلك كله فقد تمتع الأسلاف العباقرة من المسلمين بعناد صارم، وإصرار حازم، حتى خلفوا لنا تراثا عجبا، كان له فى الآفاق دويّه وصداه، وكان له فى حياة البشرية آثاره التى مازالت الإنسانية تجترها حتى اليوم فى صور متباينة، وألوان شتى.

فأية طاقة هائلة تلك التى دفعت هؤلاء الباحثين الرواد إلى إبداع هذا التراث الأصيل مستعذبين فى سبيل ذلك كل صعب وشاق؟

وإذا كان مفكرو العالم قد شغلوا بتناول هذا التراث الفذ من جوانب عدة دون أن يعنوا كثيرا بالبواعث التى جعلت من مبدعى هذا التراث علماء أجلاء يفتحون لخلفائهم أبواب البحث العلمى الصحيح، ويضعون أيديهم على طرائق الاتجاه التجريبى الدقيق؛ فما أحرانا أن ندق اليوم هذا الباب دقا حثيثا إنصافا للحق، وإبرازا لدور العقيدة الإسلامية الجليلة التى كانت وراء ذلك التراث العظيم.. إذ لم يعد يكفى التنبيه إلى تأثير هذا التراث العلمى الخلاق فى النهضة الأوروبية أو التنويه بأئمة البحث والتجريب من أمثال الحسن بن الهيثم، وجابر بن حيان، وابن النفيس، وغيرهم من ذوى الأفكار الرائدة التى أثرت ـ دون جدال ـ على فكر روجر بيكون، وفرنسيس بيكون، وجون ستيورت مل، وهارفى، وأمثالهم.

نعم، لم يعد هذا الواقع الجهير كافيا للتعرف على فضل الإسلام الحنيف على عمارة الكون، وحضارة الإنسان، ومن ثمة كان جديرا بنا مدارسة العامل الأساسى، والوازع الأصيل الذى جعل علماء المسلمين يتسنمون قمة الحضارة، ويحتلون محل الصدارة فى مواكب المعلمين الخالدين بما قدموا للإنسانية من أساس سليم لمنهج فكرى قويم.

لقد عزا نفر من الدارسين ذلك التقدم العلمى عند المسلمين الأوائل إلى بعض العوامل التى هى إلى العرض أقرب منها إلى الجوهر فى هذا المجال، وإننا ـ مهما بدت أمامنا الأسباب المتصلة بالتقدم العلمى عند المسلمين ـ لا نرى على قمة هذه الأسباب جميعا إلا سببا واحدا أصيلا، ألا وهو «العقيدة الإسلامية الصادقة» التى أوحى بها إلى محمد ﷺ، والتى ربّى عليها النبى ﷺ

تلاميذه الذين أشاعوا بدورهم في قلوب المؤمنين المخلصين من التابعين، وتابعي التابعين، رضوان الله عليهم أجمعين.

إنها العقيدة الدافعة التي كان الاستشهاد في سبيلها هو أسمى ما يأمل أصحابها الأبطال الذين هتف أحدهم ذات يوم :

**ولستُ أبالي حين أقتلُ مسلما**

**على أي جنب كان في الله مصرعي**

هؤلاء قوم لم يملكوا ـ أمام قلوبهم العامرة بالإيمان ـ إلا أن يكونوا طلاب علم ورواد حضارة.

فقد كان تقدير العلم والاحتفال به من صميم جوهر العقيدة الإسلامية التي احترمت الإنسان، وسمت بعقله، ودعته إلى التفكر في خلق السموات والأرض، ولم تفرض عليه مصادرات مسلما بها دون برهان، أو قضايا مبهمة تفتقر إلى بيان، بل فتحت أمامه الآفاق لاكتناه المعلوم، واكتشاف المجهول حتى يعمر الكون، ويتقدم العمران، وبهذا استحق الإنسان أن يكون ـ بحق خليفة في الأرض مصداقا لقول الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(١)

وأن يكون جديرا بالتكريم الإلهي الحكيم

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾(٢).

ومن ثمة انطلق المسلمون بدفعهم إيمانهم الصادق، وتحفزهم عقيدتهم الحقة يبحثون فيما حولهم من كائنات وينقبون عن حقائق الأشياء، ويتدبرون صنع الله الذي أتقن كل شيء، وبهذا يزدادون إيمانا مع إيمانهم، ثم هم إلى هذا يفيدون الفائدة العظمى مما سخر الله لهم في هذا الكون العامر بما ينفع الناس، وهكذا يجمعون بين النظر والعمل، أو بين العقيدة الخالصة، والسلوك العلمي البناء.. فجعلوا من البحث العلمي الحافل بالمجاهدة أشبه ما يكون بالطقوس العملية التي تعبر عن الإيمان المتدفق الفياض.. فهم لم يبحثوا في السنن الكونية ليكونوا علماء أو ليقول الناس عنهم ذلك ولكن ليتقربوا إلى الله ـ عز وجل ـ وليكونوا عبادا قانتين له مذعنين لأوامره، عاكفين على تأمل خلقه الأكمل، ونظامه الأبدع الأجمل، وعنايته المثلى بالعالمين.

وهكذا التقت فطرةُ العقيدة التي فطر الله الناس عليها، وفطرة السنن الكونية، فتم الاتساق بين الذات الباحثة، والموضوع المبحوث، فلله ما أروع الاتساق، وأبدع الاتفاق.

ومن هنا رأينا أن هؤلاء المسلمين الذين دفعهم إيمانهم إلى البحث العلمي كانوا يرجون التوفيق دائما من الله وحده، ويبتهلون إليه ـ سبحانه ـ كلما حزبهم أمر فكري أو استعصت

(١) البقرة (٣٠)

(٢) الإسراء (٧٠)

عليهم مسألة علمية مؤمنين ـ بصدق ـ بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذى حثهم على التفكير والبحث لابد فاتح لهم بقدرته أبواب العلم الموصدة ماداموا مخلصين له الدين، متجهين إليه، قاصدين وجهه.. ولله در حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالى ـ رضى الله عنه ـ عندما يقرر ( أردنا أن نطلب العلم لغير الله، فأبى العلم إلا أن يكون لله ).

ورضى الله عن عالم قريش الإمام الشافعى عندما ينشد فى ابتهال عميق:

**شكوتُ إلى «وكيع» سوء حفظى**
**فأرشدنى إلى ترك المعاصى**
**وأخبرنى بأن العلم نور**
**ونورُ الله لا يُهدى لعاصى**

ولك أن تعيش الآن مع الطبيب المسلم العالم «ابن سينا» بعض الوقت لتستمع إليه وهو يتحدث فى ترجمته الذاتية التى نقلها عنه تلميذه عبدالواحد الجوزجانى :

«وكلما كنت أتحير فى مسألة أو لم أكن أظفر بالحد الأوسط فى قياس ترددت إلى الجامع وصليت وابتهلت إلى مبدع الكل حتى فتح إلى المنغلق، وتيسر المتعسر».

أرأيت كيف تمكنت العقيدة من قلب المفكر المسلم، ودفعته إلى الابتهال إلى المبدع الأعظم ليفتح له مغاليق العلم؟

ولنستمر فى الإنصات إلى حديث الشيخ الرئيس :

«ثم عدلت إلى ( الإلهى ) وقرأت ( كتاب ما بعد الطبيعة ) فما كنت أفهم ما فيه،والتبس على غرض واضعه حتى أعدت قراءته أربعين مرة، وصار لى محفوظا، وأنا مع ذلك لا أفهمه، ولا المقصود به، وأيستُ من نفسى وقلت : هذا كتاب لا سبيل إلى فهمه، وإذا أنا فى يوم من الأيام حضرتُ وقت العصر فى الوراقين، وبيد دلال مجلدٌ ينادى عليه، فعرضه علىّ فرددته ردّ متبرم معتقدا أن لا فائدة فى هذا العلم، فقال لى : اشتر منى هذا فإنه رخيص أبيعكه بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج إلى ثمنه، فاشتريته فإذا هو كتاب ( أبى نصر الفارابى ) فى ( أغراض كتاب ما بعد الطبيعة ) «ويستطرد ابن سينا فيقول : «ورجعت إلى بيتى، وأسرعت إلى قراءته فانفتح علىّ فى الوقت أغراض ذلك الكتاب» ثم يقول : «وتصدقت فى ثانى يوم بشىء كثير على الفقراء شكرا لله ـ تعالى ـ»[٢].

نعم، شكراً لله ـ تعالى ـ الذى فاض عليه بالفهم والاستيعاب... ذلك هو ابن سينا صاحب كتاب ( القانون ) الذى ظل المنهل الوحيد لطلاب الطب والمشتغلين به فى أوروبا حتى القرن السابع عشر، ومازالت أوربا تتنسم نفحاته حتى اليوم.

ثم هذا هو عالم الطبيعة ومؤسس علم الضوء

---

(٢) منطق المشرقيين، تصنيف الرئيس أبى على بن سينا.

فى كتابه الأشهر «المناظر».. ذلكم الحسن بن الهيثم الذى يحكى عن نفسه فيقول :

«اشتهيت إيثار الحق، وطلب العلم، واستقر عندى أنه ليس ينال الناس من الدنيا شيئا أجود ولا أشد قرابة إلى الله من هذين الأمرين».

ولعلنا نذكر أن كتب الكندى التى كان يوجهها إلى الخليفة المعتصم وابنه أحمد كان يستهلها ويختتمها جميعا بالدعاء إلى الله بالتوفيق لطالب المعرفة، لأن التأييد والتوفيق والعون من الله ـ تعالى ـ خالق كل شىء، والمبدع المدبر، الفاعل القادر، مما يشير إلى تأصيل الروح الإسلامية فى قلب الكندى، وإلى عقيدته التى يؤمن بها، ويخلص لها، ويدعو إليها.

أما ابن النفيس الذى اكتشف الدورة الدموية ـ ونسبت فى غفلة من الزمن إلى العالم الإنجليزى هارفى ـ فقد نصحه طبيبه المختص ـ فى مرض وفاته ـ بتناول قليل من النبيذ كدواء، ولكن ابن النفيس رفض شرب الخمر ولو دواء قائلا «لا أريد أن ألقى الله وفى بطنى شىء من الخمر».. فما أصدق إيمان العلماء.

وطيب الله ثرى العالم الكيميائى المسلم الأشهر جابر بن حيان الذى كثيرا ما صرح بأن مصدر علمه هو النبى ﷺ فيقول مثلا فى المقالة الرابعة والعشرين من كتاب «الخواص الكبير» : «فو الله مالى فى هذه الكتب إلا تأليفها، والباقى علم النبى ﷺ».

وقد عنى جابر بن حيان بإبراز السلوكيات العلمية التى ينبغى أن يتحلى بها العلماء، وقد كان الإسلام عنده أهم مصدر يجب أن يستمد منه العالم أخلاقه، وكم نصح العلماء فى مقالته آنفة الذكر بأن يثابروا على البحث العميق، والدرس الدقيق مهما اشتد العناء دون يأس، ثم هو يستشهد فى هذا بقول الله ـ عز وجل ـ:

﴿ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1].

وأنت تحس عند هذا العالم المسلم الجليل بقوة الدافع الدينى نحو البحث العلمى فى وصيته التى يرويها عن أستاذه «الإمام جعفر الصادق» ومنها قوله لمن يريد أن يكون باحثا عالما :

«ابدأ بالطهر بأن تفيض على بدنك ماء نظيفا فى موضع نظيف، ثم تلبس ثيابا طاهرة نظيفة.. ثم تستخير الله ألف مرة وتقول فى استخارتك :

اللهم إنى استخيرك فى قصدى فوفقنى، وازغ الشيطان عنى إنك تقدر عليه، ولا يقدر عليك».

ثم تستمر الوصية فى النصح بالصلاة والابتهال والدعاء العميق ومنه «اللهم إنى قد مددتهما إليك ـ أى يديه ـ طالبا مرضاتك، وأسألك ألا تردهما خائبتين».

---

(1) يوسف (87).

ويستطرد الدعاء كما يلي في ضراعة ضارعة :

اللهم إني قصدتك فتفضل علي بموهبة العقل الرصين، وإرشادي في مسلكي إلى الصراط المستقيم».

فأكرم بهؤلاء من قوم طلبوا العلم لله، فرفعهم ولم يطلبوه شهوة في شهرة، أو طمعا في مال، أو زلفى إلى جاه أو سلطان، أو رثاء الناس.

كما طلبوا العلم للعمران، وهو مناط خلافة الإنسان في الأرض، وليس للدمار والفناء. وهكذا التقى نبل الدافعية الإيمانية ونبل الغاية العصماء إذ انتشر العلماء المسلمون في الأرض فانتشر في ركابهم ما أفاء الله به عليهم من معرفة بناءة، وعلم مفيد، وه تنويره حقيقي نافع.

والله أعلم بمراده حين يضع العلماء في موقف خشيته، وتقواه إذ يقول عز وجل

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾(٥)

وأي موقف أرقى وأسمى من هذا الموقف، ولعلنا ندرك أن الخشية هنا ليست مجرد موقف سلبي ولكنها عمل إيجابي فعال، إنها سلوك نابع من طاعة الله، والائتمار بأمره والانتهاء بنهيه، والإيمان بعقيدته، والقيام على شريعته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ذلك أن العلماء.. يدركون مواطن العظمة في الشهادة، فيستدلون بها على بواطن العظمة في الغيب، وهي مسائل تحتاج إلى المعاناة العقلية، والمجاهدة النفسية، والرفعة الروحية التي لا قبل بها إلا لأولي العزم.. وقليل ما هم.

ويذكرنا هذا بسحرة فرعون الذين ألقوا ساجدين من خشية الله

﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾(٦).

وذلك عندما أدركوا ـ وهم العلماء الخبراء في فنهم ـ أن ما أتى به موسى ليس هو بالسحر، ولكنه الآية المعجزة من رب العالمين.

ولله ما أوثق الرباط بين التقوى الحقة، والعلم الحق في قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٧)

ولئن دفعت العقيدةُ الإسلامية الصادقة أبطالَ المسلمين إلى الدفاع عنها في فتوحات الأمصار والبلدان، فقد حفزتهم هي أيضا إلى الحرص عليها في فتوحات العلم والعرفان، فاستحقوا بهذا سيادة الأرض، وهي سيادة لم تقم على تسلط جبروت أو طغيان، وإنما نبعت من ذل العبودية الخالصة للواحد البارئ الديان.. لاشريك له..

---

(٥) فاطر (٢٨).

(٦) الأعراف (١٢١، ١٢٢).

(٧) البقرة (٢٨٢).

# الغد المحجّب

## للمرحوم الأستاذ / عبدالمغنى المنشاوى (*)

كم سألنا الغدَ ماذا فى الوطابْ ... ولسان الغد عيٌّ بالجواب

وجهدنا أن نرى صفحتَهْ ... فتصدى دوننا ألف حجاب

عجبًا للغد يتلو عجبًا ... إنما أمر غدٍ أمر عجاب

كلّما قلنا ازجُروا أطياره ... أودعت أسراره صدر عُقاب

حار فيه الناس جاروا أعجمًا ... يحذق الصمت ولا يدرى الخطاب

غامض السر وإن لامسته ... تجهل الروح وإن مس الإهاب

نازلٌ فى كل يوم راحلٌ ... ما طوى الرحل ولا حط العياب

يالَهُ ضيفًا قِراهُ أبدًا ... أنفس الشيب وأرواح الشباب

شمه يحفر فيها رَمسَهُ ... وكذا الدنيا مجئ وذهاب

* * *

مستكفٌ(1) الغد رفقًا لم تصب ... فقصارى العين منه أن تصاب

جحر ضبٍ قد أضبت(2) شمسه ... هل ترى الزرقاء(3) جحرا فى ضباب

* * *

(*) الأستاذ بدار العلوم سابقاً.

(1) استكف الشئ استوضحه بأن وضع كفه على حاجبه كمن يستظل.

(2) أضبت الشمس حجبت بالضباب.

(3) زرقاء اليمامة أو العين.

إن هذا الغد بحر زاخر ... لجه الصاب أو الشهد المذاب
هم فلك فطوى آذيه ... ومضى آخر يطويه العباب
أو هو الليل: نجوم تزدهي ... وشهاب ينتهي إثر شهاب
أو هو السيف: يهوى نازلاً ... بين غمدين: قراب ورقاب
بل هو الغيب المهول المرتجى ... بل هو الحظ: نعيم أو عذاب

* * *

كم عروس فوقوا أثوابها ... فتولى غدها شق الثياب
خضبوا بالمسك كفا لو دروا ... بدلوها دم دمع بالخضاب
وجلوها شمس حسن دلكت[4] ... أكذا كل طلوع لغياب
ثم غنوا لحنها حتى قضت ... منه نحبا فإذا اللحن انتحاب
زوجوها القبر في زينتها ... لتقضي فيه أوطار الشباب
مما تراخي القبر عن جلوتها[5] ... ملأ القبر يديها بالتراب

* * *

وكمي زلزلت عزمته ... ما حوى الغاب وما ضم القراب
فابنة الريح تراه نسرها ... وتراه زيدها الخيل العراب
ينظر الموت مغيظا مشفقا ... من عقاب تتحاماها العقاب[6]
قد طواه الغد في شكته[7] ... وذباب السيف ماذاب الذباب

* * *

ومليك بنت الجن له الـ ... ـملك والريح جرت حيث أصاب[8]

---

(٤) اصفرت أو مالت أو زالت عن كبد السماء.
(٥) الجلوة بالكسر ما يعطى للعروس وقت الجلاء.
(٦) جمع عقبة.
(٧) شكته سلاحه.
(٨) أصاب أراد.

فاسألوا بلقيس منْ منْ سبا ... أحضر العرش ومن ألقى الكتاب
ما احتواها الصرح حتى أسلمت ... عز من أسلم للحق وثاب
وأجد الغد هدماً فغدا ... ذلك الصرح سواء واليباب
فسلوه هل عدا عمر الندى ... قبلته شفتا الشمس فذاب

* * *

كم أقام الغد ما تحت الثرى ... وأمال الغد ما فوق السحاب
فنجا المعتل في كبرته ... وقضى السالم في شرخ الشباب
واستراح العبد من ربقته ... وشكا السيد أغلال الرقاب

* * *

ليس يدري العقل في حكمته ... أله في الغد حظ من صواب
ليس يدري الليث في ربضته ... أبراه الغد ذا ظفر وناب
ليس يدري الجيش في عدته ... أتقيه في الغد الحرب[9] الخراب
ليس يدري الصب في خلوته ... أيديم الغد نعمى الاقتراب
ليس يدري الثغر في ريقته ... أيلاقي الغد معسول الرضاب
ذئب ختلٍ لا يحابي ظفره ... من تولى عمره حتى الذئاب

* * *

عالج الإنسان أبواب العلا ... وتخطاهن باباً إثر باب
ذلك المخلوق من طينٍ مضى ... ينطق الطين ويأتي بالعجاب
خشيته الريح طيراً بشراً ... يزجر الريح ويستاق السحاب
وشكاه النجم عيناً رصداً ... ترقب النجم فلا تخطي الحساب
وسرى في الكون صوتاً أحداً ... ليس يثنيه جبال أو هضاب
فإذا الدنيا لديه رحلة ... وإذا المريخ من كفيه قاب

* * *

ثم كان الغد طلسماً فهل ... حل ذا الطلسم أو شاب الغراب

---

(٩) الحرب الشديد.

دق باب الغد حتى مسه | دون باب الغد نصب وعذاب
هو باب الغيب لا يفتحه | غير مولى عنده أم الكتاب

* * *

فاطو ذكر الغد يا طيف كرى | أسفر الصبح لعينيه فغاب
ولد الناس فرجل وطئت | هذه الدنيا ورجل في الركاب
كل حي بعد حين ميت | عاش عمر النسر أو عمر الحباب(١٠)
فاحذر الدنيا ولا تسكن لها | يا ترابا ماشيا فوق تراب
ناقة تنتج آلافا فلا | تأم الوضع ولا تبقي السقاب(١١)
حلبوها أشطرا لكنهم | لم يفيدوا الحزم من هذا الخلاب
ورأوها جيفة فاستكلبوا | حدثوا الصدق أناس أم كلاب

* * *

إنما الأحياء موتى غرقوا | في ملاهي ذلك العيش الكذاب
نومهم موت فإما استيقظوا | فشياه تمن عن ختل الذئاب
خطبوا الجدة في دنيا البلى | نشدوا العمران في دار الخراب
فاسكنوا الدور قبورا زورت | إنما أكفانكم تلك الثياب

* * *

ساعة الهول أتت أشراطها | أيها الجاني فأيان المتاب
قد دعا الحق فللحق استجب | يستمع منك الدعاء المستجاب
وارقب الأوبة واسجد واقترب | في خشوع فإلى الله المآب
لا تقل عتبك مر فاقتصد | تعذب العتبى إذا مر العتاب
لا تهيمن بأسرار غد | ما عهدنا الهيم(١٢) يرويها السراب
واغتبط واجهل مصابا في غد | إنما الحكمة في جهل المصاب
أيها الغيب عن الناس احتجب | شق عيش الناس لو شق الحجاب

* * *

(١٠) فقاقيع الماء. (١١) جمع سقب وهو ولد الناقة. (١٢) الهيم الإبل العطاش.

## قصة العدد

# المهاجرة الصبور

للأستاذ / شوقى محمود أبو ناجى

**لم تنتظر هند حتى يجلس زوجها لتسأله. فقد كانت متلهفة على معرفة ما حدث، أو ما جعل أساريره تنبسط والمسلمون يمرون فى هذه الأيام بالمحن الشداد.. فالعام عام الحزن -كما سماه النبى ﷺ إذ توفى منذ أيام عمه أبو طالب الذى كان يحول بين قريش وبين ابن أخيه ﷺ وهو الذى كان يعيش عبد الله بن عبد الأسد، أبو سلمة، فى جواره، وهو الذى رد فى قوة وحزم على بنى مخزوم عندما استنكروا عليه أن يضم إلى كنفه واحداً منهم -أى من بنى مخزوم- وسألوه:**

ـ يا أبا طالب: منعت منا ابن أخيك، أتمنع منا ابن أخينا؟!

فقال لهم:

ـ نعم.. أمنع ابن أختى مما أمنع منه ابن أخى.

ولم يستطع رجال بنى مخزوم أو غيرهم من مشركى قريش أن ينالوا من أبى سلمة إلا بعد موت أبى طالب.

ومع أنه كـــان فى جــوار رجل لم ينطق الشهـــادتين، إلا أنه كـــان سعيــداً بأمنه لأن رفيقه فى هذه الحماية هو أخوه من الرضاع، ومعلمه وهاديه ومرشده إلى سواء السبيل محمد ﷺ. ولهذا كان مطمئناً إلى هذا الكنف، ولم يفكر أن يفعل كما فعل عثمان ابن مظعون الذى رد جوار الوليد بن المغيرة لأنه مشرك.

وأعادت هند السؤال بلهفة لم تستطع إخفاءها، وبنبرة هى المزيج من الرقة والخوف والرجاء، بينما تسوى له حشية الأدم ليجلس عليها:

ـ انتظرى يا هند.. ستعرفين كل شىء.

ـ أخشى أن تكون سعيــداً على حســاب إخلاصى وحبى لك.. ألست رجلاً مثل بقية الرجال؟

- قلت لك ألف مرة أقلعي عن هذه الغيرة التي لا مبرر لها.. دعك من هذه الوساوس، فليس في قلبي مقدار قلامة ظفر يمكن أن يكون لغيرك.. ولا ولم ولن أساوى بك امرأة، ولست أرى في الدنيا بأسرها أجمل منك ولا أرق ولا أعقل.. رضيت؟!

- إذا أشركني فرحتك.. قل لي.. قل لي بربك حتى أفرح معك.

- أحكمي رتاج الباب أولا ثم اسمعيني.

وجلست هند تحدق في وجه زوجها كأنها تستنطق قسماته قبل أن تنفرج شفتاه:

- شكونا إلى رسول الله ﷺ ما نلاقي من أذى قريش فقال لنا:

«إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها».

- تعني أننا سنهاجر إلى المدينة؟

- نعم.. سنقيم في قرية نأمن فيها على عقيدتنا وأنفسنا.. كما أن الدعوة ستنطلق إلى الدنيا كلها من المدينة بعون الله وتأييده.. فما رأيك؟

- عبدالله.. إني أحس انقباضا وأخشى أن يحدث لنا ما نكره في هذه الرحلة.

- دعي عنك هذه الأوهام يا هند.. أين الإيمان القوي الذي أعرفه عنك وتعتزين به وتواجهين الشدائد بوازع منه.. لا تخافي، فليست هذه الرحلة بأشق من رحلتنا إلى الحبشة.. ثم إننا سنعيش بين قوم مسلمين بايعوا الله ورسوله.. قومي، تجهزي حتى أرحل البعير.

خرج أبو سلمة سعيدا يقود الجمل الذي يحمل زوجه هند «أم سلمة» التي قاسمته ولا تزال تقاسمه الصبر على أذى المشركين والارتحال في أرض الله هروبا من بطشهم، وفي حجرها ابنهما «سلمة» ومع أن الجد والصرامة كانا يرسمان قسمات أبي سلمة، إلا أن شيئا من مشاعر السعادة ألم به فجعل يترنم بأبيات من شعر عبدالله بن الحارث بن قيس قالها في الحبشة:

**إنا وجدنا بلاد الله واسعة**
**تُنجي من الذل والمخزاة والهون**
**فلا تقيموا على ذل الحياة وخز**
**ي في الممات وعيب غير مأمون**
**إنا تبعنا رسول الله واطرحوا**
**قول النبي وعالوا في الموازين**

كانت مشاعر السعادة أقوى من أن يخفيها، بل شغلته أن يتحوط لنفسه وأهله، فإذا بهذه الأبيات التي يترنم بها تنفذ إلى آذان بني المغيرة رهط زوجه أم سلمة فيخفّون إليه تدفعهم شهوة البطش، فلم يسر طويلا حتى وجد ذوي الانفعالات الشرسة يحيطون به ويصرخون في وجهه وكلهم متحفز للبطش به:

- هذه نفسك غلبتنا عليها.. أرأيت إلى صاحبتنا هذه.. علام نتركك تسير بها في البلاد؟!

وقبل أن يستجمع أبو سلمة ما اضطرب من



مشاعره ليواجه الصدمة التي لم تكن في حسبانه، وكيف يتصرف في سرعة للتخلص من هؤلاء الذين يعترضون سبيله، كانت يد قوية تنتزع منه خطام البعير في عنف ليقف ذاهلا ينظر إلى ما حدث وهو فاغر الفم زائغ العينين.. ولم يقف الأمر عند هذا، فكأنما انشقت الأرض عن رجال من بني عبدالأسد «رهط أبي سلمة» أناخوا البعير وهم يصيحون في رجال بني مخزوم:

ـ لا نترك ابننا عندها بعد إذ نزعتموها من صاحبنا.

ونظر الزوجان في فزع إلى القوم وهم يتجاذبون الطفل بلا أدنى شعور من رحمة كأنه شيء من المتاع، وهو يصرخ في هلع بوالديه أن يستنقذاه من هذه الأيدي الغاشمة التي خلت قلوبها من مشاعر الإنسانية، وقلب الأم يكاد يسقط بين ضلوعها وهي تحاول -دون جدوى- أن تقتحم جموع المتصارعين فيدفعونها دون وعي يمنة ويسرة.. ويطلق الفزع من داخلها صرخة تخر بعدها مغشيا عليها، بينما تتجمد الدموع في عيني والد الطفل «أبي سلمة» وهو ينظر إلى ذراع ابنه يشدها القوم في قسوة، ويحس خورا في قواه وجفافا في حلقه، فلا يملك إلا أن يفوض أمره إلى الله ويسير في وجوم متثاقلا والحزن ينهش كل جارحة فيه، وهو يترك بضعة منه. ابنه الوحيد مغشيا عليه بين ذراعي رجل من بني عبدالأسد ينطلق به وكأنه غنم مالم يقدر غيره عليه!، وزوجه التي لا تكاد تقوى على النهوض بين يدي رجلين من بني المغيرة.

لم يكن أمام أم سلمة إلا اجترار الأسى والمنظر المفزع متجمد في محجريها لا يبرحهما في يقظة أو منام، وهل تستطيع أن تنسى -ولو للحظة- منظر ابنها الوحيد يتجاذبه غلاظ القلوب في غير رحمة حتى يخلعوا ذراعه، وزوجها الذي لم يفارقها يوما منذ دخلت داره، ولم تتركه يهاجر وحده إلى أرض الحبشة، إنها لا تكاد تصدق أن يعيش كل منهما في بلد لا يعلم عن أخبار الآخر إلا ما يتناقله الركبان، ولم يكن بوسعها إلا أن تخرج كل غداة لتجلس في الأبطح تسح الدمع حتى يخيم المساء.

عام كامل -أو قرابة عام- لا تدري كيف كانت تنصرم أيامه الطوال ولياليه الحوالك، والهم يفرغ كل يوم هما جديدا والأسى تزداد وطأته حتى غاضت نضارتها وجف عودها.. وكان الحزن اختصرها في عينين ذابلتين لا تكفان عن البكاء، ووجه مصفر كأن هموم البشر اجتمعت لتمتص النضارة منه وترسم عليه من خطوطها ما ينطق أن الحزن لو بدا في صورة مجسمة ما كان غير هذا الوجه الذي كان في يوم ما مضرب المثل في الرواء والملاحة.

كانت صورة لم يستطع أمامها أحد بني عمومتها «بني المغيرة» إلا أن يغلبه الإشفاق عليها وهو يبصرها تتوكأ على نفسها ذات مساء عند عودتها من الأبطح، فاقتحم نادي القوم صائحا:




ـ ألا ترحمون هذه المسكينة . . فرقتم بينها وبين زوجها . . وبينها وبين ولدها .

وكأنما تسللت الرحمة -في هذه الساعة- إلى قلوب المتحلقين، فإذا بها تسمع ما لا تكاد تصدق من أصوات هؤلاء:

ـ الحقي بزوجك إن شئت يا أم سلمة .

كانت الليلة الأولى -منذ ذلك الحادث الأليم التي تشرف فيها انبلاج الصبح بعد أن كادت تفقد إحساسها بمرور الزمن . . ورغم ما كان بها من ضعف إلا أنها بدت خفيفة نشطة، وعاد شيء من البشر إلى ملامحها، ولجأت إلى مصلاها تقف أمام الله شاكرة فضله حتى تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، فغفت ساعة لتستيقظ على صوت ابنها سلمة يحمله رجل من بني عبدالأسد وهو يصيح في لهفة: أمي . . أمي . . أمي .

وتلقفت الأم الوالهة ابنها في شوق تمطره بقبلاتها وتبلل وجهه بدموع الفرح وهي تتحسس مكان الخلل المؤلم في الذراع المخلوعة حتى كادت مشاعر الرحمة تستدر الدمع من عيني الرجل الذي قدم بالطفل .

وكالذي حبس ظلما ثم ظهرت براءته فجأة، انطلقت أم سلمة في سرعة وعجلة لترحل بعيرها -وابنها في حجرها- وتنطلق إلى حيث هاجر الزوج الحبيب، دون أن تفكر كثيرا فيما يلزم الرحلة والطريق، وكأنها تخشى الطلب، كان كل همها أن تنجو بنفسها ووحيدها .

لم تقطع أم سلمة شوطا كبيرا من الطريق حتى رأت عند التنعيم من يحملق فيها من بعيد ثم يخف إليها قائلاً :

ـ إلى أين يا ابنة أبي أمية؟

ـ أريد زوجي بالمدينة .

ـ أو ما معك أحد؟

ـ لا والله إلا الله . . وابني هذا .

وإذا بعثمان بن أبي طلحة «أخي بني عبدالدار» يتذكر أباها «أبا أمية» وكيف كان إذا سافر لم يتزود معه أحد، ولا يدع غريبا ولا مارا في طريق، ولا محتاجا يجتاز به إلا أنزله وتكفل به حتى يظعن، حتى سمي بزاد الركب . . ويرى عثمان أنه ليس من الأريحية أو الشهامة أن يترك ابنة «زاد الركب» تقطع المفاوز دون دليل أو صاحب . . ولم يطل به التفكير فإذا به يقول لها :

ـ والله مالك من مترك . . وأخذ بخطام البعير وانطلق يهوي بها في شجاعة وكرم، كان إذا بلغ منزلا أناخ البعير ثم استأخر عنها حتى إذا نزلت استأخر بالبعير ثم قيده في الشجرة ثم تنحى إلى الشجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى البعير فقدّمه ورحله ثم استأخر عنها وقال: اركبي، فتستوي عليه ثم يأخذ بخطامه فيقوده حتى ينزل بها، ولم يزل يفعل ذلك حتى أقدمها المدينة، فلما نظر قرية بني عمرو بن عوف قال لها :

ـ زوجك في هذه القرية،! فادخليها على بركة الله .



# من بلاغة الخطابة النبوية

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفنى

**من مكرور القول الحديث عن بلاغة الرسول ﷺ، وقد أفاض وسيفيض المتحدثون فى هذا ولكن يبقى كل ما يقولون وكل ما يصفون دون التعبير الكامل عن القمة البيانية التى وهبها الله لرسوله الكريم وهى موهبة جوامع الكلم التى خصه بها دون العالمين وهذا الحديث لا يعدو أن يكون دلوا صغيرا يلقى فى بحر من بحور البلاغة النبوية، وهو بحر الخطابة، ومهما يرجع به الدلو من هذا البحر فسيبقى البحر زاخرا شاسعا لا يغيض ولا ينضب مهما تدافعت نحوه الدلاء.**

وهذا مثال من أمثلة خطابته ﷺ وهو خطبته فى الأنصار يوم حنين، هذه الخطبة التى رأبت صدعا كان أخطر صدع فى كيان المسلمين، فكل الصدوع والشروخ فى الكيان الإسلامى كانت جانبية وفرعية لا تؤثر على الكيان العام تأثيرا ذا قيمة ولكن الصدع يوم حنين جرف الفرع الرئيسى الذى قام عليه كيان الإسلام وكيان الأمة الإسلامية وهو فرع الأنصار، فالذى حدث أن الأنصار كانوا من أهم أسباب نصر المسلمين فى موقعة حنين، حيث انهزم المسلمون فى بداية الموقعة حتى تفرقوا عن رسول الله وتركوه مكشوفا للأعداء ولكن شجاعة الأنصار وحبهم الشديد لشخص النبى جعلهم يسرعون إلى النبى ويلتفون حوله فيعود المسلمون حينئذ إلى التماسك والتجمع حتى يتحقق النصر الذى سقطت به راية الشرك فى الجزيرة العربية كلها، وغنم المسلمون ما لم يكونوا يحلمون بأيسره، أموالا وعبيدا، حيث أصبحت أموال قبائل ثقيف كلها غنيمة، وأصبح أهلها أسرى أى عبيدا، لأن قائد العدو حشد كل القبائل فى ميدان القتال، الرجال للحرب، والنساء والأطفال لتشجيع المقاتلين، والوضع فى الكيان الإسلامى حينئذ كان خطيرا ولم يكن فى مجموعة كيانا صلبا حيث كان معظم هذا الكيان من الذين دخلوا فى الإسلام حديثا منذ أيام أو أسابيع فقط، فقد كان جيش المسلمين يوم فتح مكة عشرة الآف وبعد

ذلك بنحو ثلاثة أسابيع اتجه الرسول بالجيش إلى قبائل هوازن في ثقيف فبلغ المسلمون ثلاثين ألفا فكان هؤلاء العشرون ألفا من الأفواج التي دخلت في دين الله عقب فتح مكة تصديقا لقوله ـ تعالى ـ قبل ذلك:

﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾(١).

وأغلب هؤلاء الذين دخلوا في دين الله أفواجا عقب فتح مكة كانوا من الذين يصدق عليهم قوله ـ تعالى ـ:

﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾(٢).

بمعنى أن دخولهم في الدين لم يتعد مرحلة الانقياد والاستسلام ولكن دخول الإيمان إلى قلوبهم يحتاج إلى وقت ومداومة على الطاعة.

ورغم أن الفتنة التي استدعت هذه الخطبة النبوية التي هي موضوع الحديث نشأت بين صفوف الأنصار إلا أن جذورها ومصادرها جاءت من بين صفوف هؤلاء الذين دخلوا في دين الله أفواجا.

والسبب المباشر في الفتنة كان هو الغنائم، حيث كان النبي ـ ﷺ ـ هو الذي يتولى تقسيم الغنائم وكانت طريقته المعروفة والواضحة عنه أنه لم يكن يهتم كثيرا بعطاء الذين يثق في إيمانهم، وإنما يهتم بأن يعطي ضعاف الإيمان، ليقربهم من الإيمان ويحميهم من التفكير في الردة عن الدين، أو الانزلاق إلى النفاق، ولذلك كان يقول «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله في النار». وبهذا المنهج وزع غنائم يوم حنين الهائلة، فأفاض في العطاء على هؤلاء الذين دخلوا في دين الله أفواجا، وخصوصا سادة القبائل الذين يتألف قلوبهم كما أعطى عيينة ابن حصن والأقرع ابن حابس كلا منهما مائة ناقة، بينما لم يعط الأنصار شيئا ذا قيمة لثقته في صدق وثبات إيمانهم، ولم يكن الأنصار ليأبهوا للعطاء قليله أو كثيره أو منعه، فالصفة التي عرفت عنهم في الإسلام أنهم يقلون عند الطمع، ويكثرون عند الفزع ولكن الفتنة اشتعلت بينهم حينما وجدوا القبائل من هؤلاء الذين دخلوا في دين الله أفواجا يتنافسون في الفخر بعطاء النبي من الغنائم، ويقرنونه بمنزلتهم وبلائهم في الموقعة فكل من كان عطاؤهم أكبر يشدو شعراؤهم بأنهم إنما نالوا ما نالوا لأنهم كانوا عصب الموقعة وكانوا سبب النصر، كما فعل شعراء بني سليم الذين جندوا في الموقعة ألف مقاتل وكان عطاؤهم وعطاء سادتهم كبيرا فانطلقت أشعارهم بأن المسلمين لولاهم ما انتصروا وسيطرت روح الجاهلية بعصبيتها وفخرها وتنافسها على هذه الحشود التي دخلت في دين الله أفواجا بدون تمحيص لهم، حتى إن بعض شعرائهم أخذ يعاتب النبي ﷺ على أنه لم يرع منزلته الاجتماعية فميز بعض السادة عليه مع أنهم ليسوا أعلى منه نسبا، كما فعل العباس بن مرداس وهو من سادة بني سليم وفرسانهم حين قال في إحدى قصائد

---

(١) سورة النصر.

(٢) الحجرات (١٤).



فخره يومئذ يعاتب النبي:

أتجـعل نهـبي ونهب العُـبـيـد

دون عـيـينـة والأقـرع

ومـا كـان حـصن ولا حـابس

يفـوقـان مـرداس في مـجـمع

والعبيد اسم جواده، بمعنى كيف تجعل نصيبي ونصيب فرسي دون نصيب عيينة بن حصن والاقرع بن حابس مع ان ابويهما لم يكونا يفوقان منزلة ابي في المجتمع؟وحين بلغ النبي ذلك قال من القائل:

أتجعل نهبي ونهب العبيد دون الاقرع وعيينه؟ وغير قافية البيت حتى لا يصبح شعرا لانه لا ينبغي له ان ينطق الشعر، فقال العباس بن مرداس: أنا، فقال النبي لعلي بن أبي طالب: اقطع عني لسانه، اي اعطه حتى يرضى فيكف عني لسانه.

وبعد أن سيطرت روح الجاهلية على هذه الحشود التي دخلت في دين الله افواجا منذ ايام او اسابيع انتقلت عدوى هذه الروح إلى الانصار عبر المنافقين، وعبر الشباب الذي لم يفقه حكمة الرسول في تقسيم الغنائم حق فهمها، ثم اخذ شررها يتطاير بين الانصار حتى عمهم جميعا وحتى خيمت روح الجاهلية على الأنصار كما خيمت على غيرهم، وأرادوا أن يفخروا كما فخر غيرهم فلم يجدوا ما يفخرون به، لان الأنصبة من الغنيمة اصبحت يومئذ هي ميزان التفاضل وسبيل التفاخر بين القبائل، وبين السادة والفرسان، والانصار لم يأخذوا من الغنيمة شيئا ذا قيمة فبماذا يفخرون؟ وكيف يحافظون على كرامتهم بين القبائل وليس لديهم ما يفخرون به بينهم؟ حتى إن حسان بن ثابت الأنصاري الذي يوصف بانه شاعر الرسول او شاعر الإسلام أخذ يعاتب النبي ﷺ على انه قدم الذين دخلوا في الإسلام حديثا على الانصار الذين بنى مجد الإسلام على أكتافهم فيقول فيما قال:

عـلام تدعى سليم وهي نـازحـة

قـدام قـوم هم آووا وهم نصـروا؟

وحيث بلغت الفتنة بين الانصار هذا المبلغ فمعنى ذلك انه حدث في كيان المسلمين شرخ خطير، وصدع كبير لا يعلم مدى ما ينتج عنه إلا الله ولكن دون ريب سيكون أخطر صدع في تاريخ الإسلام منذ بدئه إلى ما شاء الله، وأخطر ما فيه أن غضب الانصار حينئذ متجه إلى شخص النبي، فهو الذي يتولى كل امر عام، ومنه قسمة الغنائم، والأزمات وخصوصا الحروب هي أخصب المجالات لتفريخ الإشاعات ونشر الفتن والدسائس، فانتهز المنافقون هذه الفرصة وأخذوا يغدون ويروحون بين الانصار يوغرون صدورهم بكل ما يرون انه ينفرهم من الدين، ويهز ثقتهم في شخص النبي، ولا شك في انهم اوحوا إليهم بان النبي إنما كان يقدرهم حين كان في حاجة إلى عونهم، ولكنه الآن ليس في حاجة إلى عون فنفض يديه منهم حتى جعلهم سخرية القبائل، بل اوحوا إليهم بما هو أخطر عند الانصار شأنا، وهو أن النبي إنما لجأ إلى المدينة حينما لفظته مكة، اما وقد فتح مكة وسيطر عليها فسيعود إلى الإقامة فيها تاركا مدينتهم وما فيها ومن فيها، وكل شيء يهون عند الانصار إلا هذه، وهكذا ظلت الوساوس تتكاثر في نفوس الانصار



وتتضخم حتى فاضت، وحتى أصبحوا في موقف خصومة حقيقية بينهم وبين النبي نفسه وإن لم تنطق بها ألسنتهم، وأحس النبي ﷺ بهذا فضلا عما ترامى إلى سمعه مما فاضت به نفوسهم فنطقته ألسنتهم. وحينئذ تسطع موهبة القيادة في شخص النبي ﷺ بكل جوانبها المعجزة، ومنها إعجاز الخطابة:

فقد جمع النبي الأنصار وحدهم دون غيرهم والقى فيهم هذه الخطبة التي لا تتجاوز في توقيتنا بضع دقائق، ولكنها جعلت الأنصار ينتقلون في هذه اللحظات من السخط والغضب إلى البكاء الذي بلل لحاهم بالدموع، وذلك أنه استخرج كل ما يدور في أعماقهم من هواجس فناقشه عنصرا عنصرا ببلاغته التي لا تحيط بوصفها الألفاظ، ولكنه بدأ بأن سجل عليهم ما بلغه من سخطهم حتى لا يحرجه سفيه أو منافق بأن يقول له ولكن ما تنسبه إلينا لم يصدر منا، فسألهم عن القول الذي قالوه عن تقسيم الغنائم وعن السخط الذي سخطوه من أجل ذلك، فلم يردوا فكان هذا إقرارا منهم بأن ما بلغه عنهم صحيح، ثم تبدو الحكمة البالغة فإذا هو صلوات الله عليه يلجأ إلى عرف شائع عند العرب في الخصومات، وهو أن يلجأ طرفا الخصومة إلى حكم يقضي بينهما بعد أن يعرض كل طرف حقه من خلال مزاياه وعارضا عدم أحقية خصمه من خلال نقائص هذا الخصم، فيرد عليه الطرف الآخر بعكس ما عرض الطرف الأول، وتسمى هذه العادة عند العرب «المنافرة» ولها مواقف تاريخية مشهورة في الجاهلية، فلجأ النبي إلى هذه العادة وكأنه يقول لهم ما دمتم قد وضعتم أنفسكم في موضع الخصومة مني فافترضوا أنني لست نبيا ولا رسولا بل خصم عادي حتى تأخذوا حقكم كاملا دون حرج، وسأعرض حقوقي عليكم، فاعرضوا حقوقكم أنتم علي، وكان أول حقوقه عليهم ما لا تساويه الدنيا بكل ما فيها وهو الإيمان بالله مقابل كفرهم قبل أن يكون هو سببا في إيمانهم، وكان حقه التالي أن ما لديهم من الغنى إنما كان بسببه هو، ثم حق ثالث وهو أن فريقي الأنصار الأوس والخزرج كانا في صراع دائم وحروب متلاحقة حتى قدم عليهم رسول الله فأصبحوا إخوة متوادين، فيقول لهم «ألم آتكم ضُلالا فهداكم الله؟ وعالة - فقراء - فأغناكم الله؟ وأعداء فألف بين قلوبكم؟» فأجابوا بالإيجاب لأنها حقائق لا تقبل الجدال فيها، وانتظر النبي أن يقوم من ينوب عن الأنصار فيعرض حقوق الأنصار على النبي بأسلوب المنافرة فلم يقم أحد، فأراد أن يستحثهم على الرد عليه كما يرد الخصم على خصمه ليستخرج كل ما في نفوسهم دون حرج منه بوصفه رسول الله فقال ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ فأبوا أن يقفوا منه موقف الخصم قائلين، بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ورسوله المن والفضل فإذا النبي يقف نيابة عنهم موقف الخصم ضد نفسه قائلا «أما والله لو شئتم لقلتم - فلصدقتم ولصُدِّقتم - أتيتنا مكذَّبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا - فقيرا - فآسيناك» ولا شك أن الأنصار ذهلوا من هذه المشاعر التي يحملها الرسول لهم، فبعد أن ملأت وساوس المنافقين ومرضى القلوب نفوسهم بنحو أن النبي كان يقدر لهم قدرهم حينما كان محتاجا إليهم في مؤازرته ونصره والدفاع عنه،




فلما بلغ ما بلغ من القوة وأصبح العرب جميعا فى قبضته هان الأنصار عنده، وصغر شأنهم فى نظره، فإذا هم يجدون النبى يشعر نحوهم بما لم يكن يخطر لهم بصورته هذه على بال، يشعر بأن الناس كذبوه، ولكن الأنصار وحدهم صدقوه، وأن الناس خذلوه، ولكن الأنصار وحدهم نصروه وأنه أتى إلى الأنصار مطرودا، فالأنصار آووه، وأنه آتاهم فقيرا فالأنصار أغدقوا عليه العون والمواساة وأقصى ما كان يتمناه الأنصار يومئذ أن يكون النبى لازال راضيا عنهم، لم ينصرف حبه عنهم واهتمامه بهم إلى غيرهم من القبائل التى كانت حينئذ تتباهى وتتنافس على ألسنة خطبائها، وشعرائها بأن النبى رفعهم فوق القبائل جميعا حبا لهم وتقديرا لفضلهم وبلائهم بكثرة ما أعطاهم من الغنائم، فإذا هم يجدون النبى يحمل لهم من الشعور بالشكر والامتنان والفضل ما لا يمكن أن يحمله لأحد سواهم.

وتواصل الحكمة البالغة فى بلاغة النبوة مناقشة العناصر التى نبع منها سخط الأنصار، فيعاتبهم على أنهم سخطوا من أجل عرض تافه زائل قدمه إلى أناس ضعاف الإيمان ليتألف به قلوبهم، بينما تركهم هم مطمئنا واثقا من إسلامهم، ومعنى ذلك أنه ربا بهم، ورفع قدرهم عن أن يجعلهم من المؤلفة قلوبهم، وإذن فقد كان منع الغنائم عنهم تكريما وتفضيلا لهم، وليس حطا من قدرهم فيقول لهم «أوجدتم يا معشر الأنصار - أى سخطتم وغضبتم - فى لُعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟» واللعاعة يراد بها الشيء القليل الزائل.

ثم تعمد البلاغة النبوية إلى صورة فنية بالغة الروعة، حيث كانت هذه الصورة هى قلب الموضوع، والموضوع هو سخط الأنصار من أجل نصيبهم من الغنائم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يفزعون أشد الفزع من أن يتصوروا أن النبى سيترك المدينة، ويعود إلى موطنه الأصلى مكة بعد أن فتحها، ولكن إعجاز الخطابة يصور هذين العنصرين هذا التصوير الفنى البالغ الروعة، فأما عن عنصر الغنائم، فإن أحسن ما فى الغنائم عندهم الإبل والغنم، فيصور الأنصار فريقا، وسائر الناس فريقا آخر، فأما فريق الناس فقد رجعوا بغنائم هائلة من الإبل والغنم، وأما الأنصار فلم يرجعوا إلا بشخص النبى وحده، فأى الفريقين أعظم نصيبا، الذين رجعوا يسوقون الإبل والغنم، أم الذين رجعوا يحملون معهم رسول الله ﷺ؟ وأى النصيبين أعظم قدرا، الإبل والغنم ولو ملأت بطاح الأرض، أم شخص النبى ﷺ وحده؟ والإجابة عند الأنصار أوضح وأسطع من ضوء الشمس، وأما عن عنصر الخوف من عدم رجوع النبى إلى المدينة فإن هذه الصورة الفنية البالغة الروعة أجابت عنه أبلغ إجابة، حيث لم يكتف النبى بأن يطمئنهم إلى أنه سيعود معهم إلى المدينة، وإنما جعل الصورة كأنهم أصبحوا يملكونه كما يملك المرء متاعه، ويضعونه فى رحالهم كما يضع الشخص متاعه فى رحله، فلم يقل لهم إنه سيعود معهم إلى مدينتهم أو إلى ديارهم، وإنما يقول لهم إنهم سيعودون به إلى رحالهم، ولا أظن أحدا يملك من الألفاظ ما يعبر عما يحدثه هذا الأسلوب من أثر فى نفوس الأنصار، حيث قال لهم «ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟»



ولكن النبى لا يكتفى بذلك، وإنما يخرج لهم من قلبه وعواطفه نحوهم ما يقلب موقفهم الغاضب رأسا على عقب، فيحلف لهم وهو أصدق القائلين بعد الله أنه يتمنى أن يكون واحدا من الأنصار، ولولا أن الله جعله بصفته مهاجرا فى أعلى منازل الدين فلا يملك أن ينزل بنفسه عن منزلة رفعه الله إليها، لولا ذلك لأعلن أنه أحد الأنصار، فيقول لهم «فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار».

ثم يعقب النبى على ذلك وكأنه يقول لهم مع أننى مع المهاجرين فى المنزلة إلا أننى مع الأنصار فى المسلك، وفى الرابطة الاجتماعية، ولو أن الناس جميعا ومنهم المهاجرون سلكوا مسلكا وسلك الأنصار مسلكا لتركت الناس جميعا وسلكت مسلك الأنصار، فيقول: لهم «ولو سلك الناس شعبا – طريقا – وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار».

وحيث يعلم النبى أن كل ما يتعلق به سترويه وتتناقله الأجيال، فقد تشعر الأجيال التالية من الأنصار أن آباءهم المعاصرين للنبى لم يكونوا موفقين فى هذا الموقف الغاضب من أجل غنائم ولعلهم يتوجسون خيفة من أن يكون الله قد غضب على آبائهم من أجل هذا الموقف، وقد يمتد شىء من هذا الغضب إلى الأجيال التالية لهم من ذرياتهم من حيث إن الأولاد يرتد إليهم ما يكسبه آباؤهم من خير أو شر، فالنبى يطمئن الأنصار إلى أنه راض عنهم وعن ذرياتهم من بعدهم ويدعو لهم الله أن يكون راضيا عنهم كما يرضى هو فيقول «اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار».

ولنا أن نتصور كيف أصبحت نفوس الأنصار وقلوبهم بعد أن سمعوا من النبى هذا الذى سمعوه، بعد أن كانت كل أمانيهم محصورة فى أن يطمئنوا إلى أن النبى راض عنهم وأنه سيعود معهم إلى المدينة بعد أن تهيأت له الإقامة فى مسقط رأسه مكة.

وأما نص الخطبة فهو:

**«يا معشر الأنصار: ما قالةٌ بلغتنى عنكم؟ وجدة وجدتموها فى أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف بين قلوبكم؟ قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل ثم قال: ألا تجيبوننى يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ورسوله المن والفضل قال: أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك، وعائلا – فقيرا – فآسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ولو سلك الناس شعبا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار فبكى الأنصار حتى اخضلوا – بللوا – لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسما وحظا[٣].**

(٣) سيرة ابن هشام ١٥٦/٤، ١٥٧.

## قضية للمناقشة

# هل كان النقد فى العصر الجاهلى سطحيا

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

**تواضع معظم الذين كتبوا عن النقد الجاهلى على أن هذا النقد يمثل وضعية ساذجة تلقى بأحكامها التأثرية اللحظية على نحو من العفو الذى لا يعلل حكماً، ولا يرتب نتيجة على مقدمة، ولا يصدر فى نظره النقدى عن رؤية فنية شاملة، تكشف أبعاد النص المنقود من مناحيه الجمالية واللغوية والنفسية والبيئية، أو تضعه فى مكانه الطبيعى من خارطة الإبداع متابعة واحتذاء، أو تمرداً فى وجه هذه المتابعة وهذا الاحتذاء، أو تحاول الكشف عن نوعية العلاقة الرابطة بين المبدع وإبداعه الشعرى.. وربما كان بعض هذا الاتهام صحيحاً فى عمومه إذا نظرنا إلى التاريخية الراهنة للنقد الجاهلى كما نراها الآن.**

ولكن.. لابد أن نفترض.. حتى مجرد افتراض.. بأن هذا النقد لا يمكن أن يكون قد بدأ من هذه النقطة لأن ما فيه من قيم أصيلة، وإن بدت مبعثرة هنا وهناك بفعل غياب التدوين واستعصاء النثر على الذاكرة، يؤكد أن هذا النقد الجاهلى يمتلك تاريخاً أعرض من تاريخه المعروف، وأن منطق الأشياء يحتم أن تكون هذه الذكايات النقدية التى أثرت عن أمثال النابغة، وطرفة، وأم جندب.. لها رصيد أعرض فى عمق التاريخ النقدى، وإن ضاع مع كثير مما ضاع فى هذه العصور.. كذلك يمكن القطع شبه اليقينى بأن ما أثر عن العقل الجمعى الناقد فى هذه المراحل من رؤى نقدية فاهمة ـ من مثل ما يقال: «وقد عاب «العرب» على النابغة وبشر ابن أبى حازم الإقواء فى شعرهما..» أو: «.. فقدم المدينة فعيب عليه ذلك، فلم يأبه لهما، حتى «أسمعوه» إياه فى غناء..» أو «.. كانت العرب تعرض شعرها على «قريش» فما قبلوه منها كان مقبولاً، وما ردوه منها كان مردوداً..» أو: «.. وأخذ العرب على المهلهل ابن ربيعة أنه كان يبالغ فى القول، ويدعى فيه بأكثر من فعله..» أو: «.. وكانت «الأسواق».. «وبلاط الملوك والأمراء تعمل عملها فى نقد الشعر» كل هذه المقولات تؤكد أن النقد لم يكن هم رجل أو رجال متخصصين فحسب بل كان هما جماعيا إذا جاز أن يقال، حتى صح أن تنسب الواقعة النقدية



هكذا إلى مدينة، أو قبيلة أو جنس، كما رأينا منذ قليل.

ولعل أخطر من هذه الدلالة الاستنتاجية، دلالة أخرى يمكن تسميتها دلالة استقرائية، وهي طبيعة البناء الفني في الشعر الجاهلي ذاته، فالذين يقرأون هذا الشعر في هذه المستويات الفنية المتكاملة التي تتسم بالنضج التعبيري والكمال الفني، كما في المعلقات ودواوين الشعراء الجاهليين التي وصلتنا، لا يمكن أن يأخذوا ظاهرة هذا الكمال الفني على أنها ظاهرة نشأت هكذا في فراغ نقدي، وإنما يجدون أنفسهم في حتمية أن يلاحظوا بأن هذا الإبداع الشعري لابد أن يكون قد نشأ في حضن حركة نقدية ناهضة. زاملت خطواته الأولى، وأضاءت دروبه البكر بكثير من مشاعل التقويم والترشيد والتصويب، حتى شارف هذا المستوى الفني المتكامل الذي نراه في نماذجه الجاهلية التي ما تزال تبهرنا حتى اليوم، على الرغم من هذه المناخات الثقافية والفكرية التي حدثت على الساحة الفنية منذ الجاهلية حتى الآن.

وهل يمكن أن تكون عفوية كل هذه القيم الشعرية التي استقرت في صميم الشعر الجاهلي. من مثل استطراده على: وحدة الروي.. ووحدة حركة هذا الروي.. والتصريع في أوائل القصائد أو في معظم أوائل القصائد.. وافتتاحها بالغزل.. والوقوف على الأطلال.. ووصف الناقة والصحراء والرحلة.. والخلوص إلى الغرض.. وتجنب الإقواء.. والزحافات.. والعلل.. وسائر عيوب الشعر؟؟

هل يمكن أن تكون عفوية كل هذه التقاليد التي أصبحت قواعد النظرية الشعرية العربية، والتي جاء الإسلام فشكل على النمط الجاهلي ثورة عارمة اقتلعت جذوره ورمت بها في غياهب النسيان، ولكنه لسبب ما لم يكتسح هذه التقاليد الفنية للقصيدة الشعرية الجاهلية وظل على ولائه لها برغم الانقلاب المضموني الكامل الذي طالع به الكون والحياة؟؟ يوشك النظر النقدي هنا أن يؤكد أن هذه التقاليد الفنية كانت شبه طبائع مركوزة في أعماق الذات العربية وما تزال، وأن جريرة غياب التدوين هي المسئولة عن هذا التيبس في حركة السير إلى الوراء، ونحن ننقب في أعماق التاريخ النقدي عن نقطة البداية، أو حتى ونحن نفترض فروضاً هي إلى اليقين أقرب منها إلى مجرد الافتراضات.. إن ما تم في هذا الصدد على سذاجته يوحي بأن المسار الفني الذي استطرد فيه الشعر كان محروساً بتشريعات نقدية متعقبة ومتعاقبة، حتى استوى له هذا النموذج الفني على هذا النحو من الكمال.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن هناك أصواتاً شعرية رائدة: كامرئ القيس، وزهير، وعنترة. سمعناها تشكو من بطء الإيقاع في شعرها، وتتململ من تقليدية الصوت في حناجرها، تأكد لدينا أن هذه الأصوات مجرد مرحلة تالية لمراحل سبقتها بالتأكيد، وأن هذا الحس الناقد في قولها الشعري يعكس ملامح حركة نقدية كانت موجودة بالفعل يقول امرؤ القيس:

**عوجا على الطلل المحيل لعلنا**
**نبكي الديار «كما بكى ابن حزام»**

ويقول زهير:

**ما أرانا نقول إلا «معاراً**
**أو معاداً من لفظنا مكروراً»**

ويقول عنترة:

**«هل غادر الشعراء من متردم»**
**أم هل عرفت الدار بعد توهم؟**

فامرؤ القيس يشكو من الغناء بحناجر الآخرين «ابن حزام».. وزهير كذلك ولكن بشكل أكثر جرأة وصراحة «معاراً.. معاداً.. مكروراً» وعنترة يبكي هذه الوضعية الراسفة في قيود التقليد حيث





لم يغادر الشعراء من متردم.. مما يوحي بأن هؤلاء لم يكونوا طليعة الشعر الجاهلي. وأن تاريخ هذا الشعر أبعد عمقاً من امرئ القيس وغير امرئ القيس، وبالتالي فإن تاريخ النقد الذي نشأ بالضرورة مواكباً أو حتى تالياً لهذا الشعر الموغل في الزمن، لابد أن يكون أبعد عمقاً في التاريخ من هذا الذي تطالعنا به المدونات، وإن كان من المحزن حقاً أن معظمه قد ضاع، ولم يبق أمامنا إلا أن نلجأ إلى هذه الفرضيات التي تلوح شبه يقينية لولا ما يعوزها من شواهد مادية تؤكد حلولها في التاريخ.

وإذا صح تعليق القصائد السبع بستار الكعبة فإن هذا الانتخاب الفني قد يعد لوناً من ألوان النقد الذي كانت تمارسه الذهنية العربية الجاهلية، لأنه إيثار لبعض الفن على بعضه الآخر، وإجماع يوشك أن ينبئ بأن ذوقاً عاماً تواضع من خلال إيمانه بتقاليد موروثة ومكتسبة ـ على أن ما في المعلقات من قيم فنية يضعها بالضرورة على رأس الإبداع في ذلك العصر..

ومن هنا يجوز أن تكون المعلقات مصدراً من مصادر التعرف على طبيعة المنحنى النقدي الذي كان سائداً في الجاهلية، إذا ثبت أساساً أن هذه المعلقات صحيحة النسب كاملاً إلى شعرائها من جهة، أو أنها قد سميت بالمعلقات في هذه المرحلة الغابرة من جهة أخرى.. فهناك روايات متضاربة في هذا الصدد يشير معظمها إلى أن مصطلح «المعلقات» لم يظهر إلا في القرن الثالث الهجري، وأن بعضها يعزى إلى أكثر من شاعر في وقت معاً.

إلى جوار ذلك نستطيع أن نلاحظ كما لاحظ كثير من الباحثين أن ألواناً من التأثير والتأثر اللذين قد يصلان إلى تشكيل مدرسة أو تشكيل اتجاه، كان قد حدث في ذلك الحين، فالرواة يحدثون بأن زهيراً كان راوية أوس بن حجر، وأن الحطيئة كان راوية زهير، وأن كعب بن زهير كان شاعراً تعلم الشعر من أبيه. فإذا عرفنا أن زهيراً كان ينفق الحول في تسوية بعض مثاله الفني قبل أن يخرج به على الناس، وأن الحطيئة كان من عبيد الشعر الذين يتكلفون ويعاودون في صنعته.. وأن كعباً ذكر صناعة الشعر وتثقيفه ومعاودة النظر فيه، عرفنا أننا أمام مدرسة شعرية أو فلنقل أمام اتجاه شعري يشترك في كثير من خصائص اللفظ، وخصائص المعنى، وخصائص الصورة، وخصائص البناء، وأن ملاحظة تدفق هذا الاتجاه من الوجهة النقدية أتاحت له أن يمتد في جميل الذي أخذ في الإسلام عن الحطيئة، وفي كثير الذي أخذ عن جميل.. كل هذا قد لا يمكن أن يتم ـ كما أسلفنا ـ في غيبة حركة نقدية متابعة، لها رصيد من النظر النقدي الموروث ـ حتى في جوانب منه ـ يؤهلها لاكتشاف جوهر ما تم بين الشعراء من تأثر وتأثير، وما انطووا عليه من ظواهر تشكيلية أفضت في النهاية إلى رسم ملامح مدرسة أو ملامح اتجاه.

أما لماذا لم تتحدد المدارس تحديدا منهجياً علمياً في هذه المرحلة؟ فيكفي أن نقول: إن غياب التدوين وحده يضع الناقد المنهجي في مأزق تاريخي، فهو لا يستطيع ـ مع غياب التوثيق النصي للشعر ـ أن يعايش النصوص معايشة منهجية ليتأمل خصائصها الجمالية والبنائية كما ينبغي، ومن ثم تقويمها تقويماً شمولياً عميقاً.. كذلك يصعب على مثل هذا الناقد أن يضع الشعراء وشعرهم في مكانهم المحدد دائماً على خريطة الإبداع الفني. وهو من صميم عمل الناقد، لأن هذا الواقع الفني نفسه غائب كله أو بعضه في أدمغة الرواة، أو مشتت في ذاكرة الناقد، أي أنه ليس له وجوداً مطروحاً للرؤية الكلية الشاملة.. ومن هنا يأتي قصور التحديد المنهجي في هذا النقد بلا جدال!!




# الشاعرة جليلة رضا.. وداعا

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

كأن لم يمت حي سواك، ولم تفض
على أحد، إلا عليك.. اللواعج

فهكذا نفذ السهم، وماتت جليلة رضا، في يوم السبت الموافق التاسع من مارس عام ٢٠٠١م، بعد رحلة عطاء خصبة.. وكيف لا؟ وقد كان شأنها مع الشعر، كشأن صديقنا الشاعر الراحل الدكتور عزت شندي موسى، الذي قال في قصيدة له:

وهبت للشعر نفسي ... غدي ويومي وأمسي

بل وقول جليلة رضا نفسها:

إيه يا شعر ما الذي بك أغرا ... ني حتى أذيت فيك شعوري
وتفانيت في رضاء خيالي ... وطويت الحياة.. في التفكير

ويا لها من حياة، تلك التي تتحدث عنها الشاعرة، في بيتها الثاني، فقد حفلت بكل ما هو مثير حقا، إذ أتت إلى الوجود لحظة ميلادها، غير مرغوب فيها..! أو بتعبيرها هي الصريح: (فوق البيعة)[1]، فقد جاءت مولودا: (أنثى)، في حين كان والدها يتمنى أن يكون المولود: (ذكرا).. وتقص علينا هذا الأمر، بقولها بديوانها: (اللحن الباكي) ص٦٢ تقول:

في ليلة من ليالي الدهر حالكة ... ثوب البسيطة من هم وأكدار
جئت الحياة وفي عيني ظلمتها ... جئت الحياة.. وخلفي طيف أقداري
وهل طيف أبي في الدار منفعلا ... وفي جوانحه: جمر على نار

(١) انظر كتابها (صفحات من حياتي) سلسلة كتاب الهلال ١٩٨٦ ص٩.



وقد توهم أن الأرض قاطبة
في راحتيه- وقد زينت بأقمار
حتى إذا ما انحنى فوقي بداعيني
رأى الحقيقة، في رعب وإحقار:
«بنت»؟ إلهي!.. وما أرجو سوى ولد
يا وصمة في دمي.. يا وصمة العار
ورحت في صحراء العمر ضاربة
تحنو علي.. بصدر ثائر ناري
في معصمي قيود البؤس خالدة
والطوق في عنقي، أشدو بأشعاري

وهكذا كان الشعر خير متنفس لها، فيما كابدته بعد ذلك، من ضروب الأسى المتلاحقة، التي مرت بها وعانت منها طويلاً.

لقد كانت جليلة رضا ـ رحمها الله ـ شديدة الإيمان بقضاء الله وقدره، ونلمس ذلك في قولها ـ لله تعالى ـ:

أنت روح الوجود سر وجودي
وخيال الرجاء ساعة رمسي

وكانت تجتر آلامها في أحزان وحدتها، بعد أن ابتعدت عن المحافل الأدبية، والتزمت عقر دارها، وتشرح لنا ذلك كله، بقولها:

إني على طول الطريق كما أنا
أمضي وأعثر في ذبول هواني
وحدي أداعب في الظلام كآبتي أمدها..
بالصبر والإيمان
وعلى جدار اللانهاية أرتمي
حيرى.. أسائل من أنا؟ ما شاني؟

يارب فيضا من حنانك في دمي
وظلال آمال.. على أجفاني

ولشعر الأسرة نصيب كبير في دواوينها، تسجل فيه التجارب الأليمة التي مرت بها، وخاصة تلك الواقعة التي حدثت لها مع زوجها، على إثر مشادة حدثت بينهما وصممت على أن تنطلق لتشكوه لذويها إلا إنها سرعان ما ذهب غضبها شيئا فشيئا، وهي في طريقها إليهم، وما أن وصلت إلى باب الدار، حتى تلاشى انفعالها تماما، وكأن شيئا لم يكن!.. وهي تصور ذلك كله في قصيدتها التي تحمل عنوان: (رب الدار) بقولها:

وتركت بعدك في الصباح دياري
وأنا على غيظي وثورة ناري
وذهبت أشكو منك عند أقاربي
وبحدة الإفضاء آخذ ثاري
وعلى الطريق تبخرت من خاطري
ذكرى الإهانة، والأسى، والعار
حتى وصلت، فلم أجد بمشاعري
ماأبتدل به.. على الإعصار!
ولمحت في فلق خيالك قائما
بيني وبين الأهل في إصرار!
وخشيت أروى عنك أية هفوة
لتظل في الأذهان: رمز وقار
وذهلت.. كيف نويت أكشف سرنا
وحياتنا قدسية الأسرار
وأجاب عقلي:- يابنية إنه
- رغم الخلاف المر- : رب الدار





وقد اتسع قلب جليلة رضا، حتى أصبح مفعما بحب الخير للناس جميعا، برغم انزوائها عنهم، في عقر دارها، حين بلغت سن الأربعين، كالدرة التي عادت إلى محارتها وهو العنوان الذي أطلقته على آخر دواوينها - برغم ذلك كله- يتناهى إلى أسماعنا دعاؤها الحار، الذي تقول فيه:

**يارب أعط السائل المحروم أسباب السرور**
**وامنح لكل مشرد**
**ركنا موشى بالحرير**
**أطفئ وقود الحرب في الدول المؤججة السعير**
**وامنح جميع الكون أسباب السعادة والحبور**

وإذا أردنا - في هذه العجالة - ان نتعرف على مذهب جليلة رضا في الشعر، فإنها تبدو في معظم قصائدها، كلاسيكية الشكل، رومانسية المضمون، وإن ألقت الواقعية بظلالها على بعض القصائد التي وصفت فيها وقائع الحياة اليومية المألوفة وفي تقديمها لديواني الذي يحمل عنوان (ما أبقت الأيام)، تصف مواتاة الفكرة لها، بقولها، في السياق: « تحضرني الآن بعض أبيات، ناديت بها الفكرة، في سكون الليل- بينما قلبي يستعد، وكلماتي تتأهب:

**تعالى وامنحيني الوحي، في صدق وحرية**
**تعالى وارسمي للعقل لوحة فنه الحية**
**ما أبدأ رحلة الكلما**
**ت والتصوير والمعنى**
**سأسبح في بحار التيه، أغزو الكيف والأينا**
**سأدخل معملي السحري، حيث أشيد أغنية**

ثم تتساءل: ما هو مذهبي في الشعر؟ وهل أسير على مذهب بعينه؟

وتجيب على هذا التساؤل، بقولها حائرة:- لست أدرى.. ربما اكتشفني غيرى، أما أنا.. فشعرى هو نفسي، وأنا لم اكتشف نفسي بعد.. كل ما أدريه، هو أن شعرى متداخل متمازج، مذهبه الحب، ومدرسته الحرية، وأسلوبه العطاء.. إن شعرى- على وجه التحديد- تلميذ صغير، خرج يوم عطلته المدرسية، يطوى دربه حرا طليقا، ولا يزال.. إنه

**إنه شعرى فوق الدرب يمضى ثم يمضى**

| | |
|---|---|
| **يعبر الظلمة والنور** | **وآفاقي وأرضى** |
| **جائعا يقتات بالفكر** | **ويروى من شعورى** |
| **حاملا معطف بردى** | **ومظلات هجيرى** |
| **هو كالتلميذ يطوى** | **الدرب حرا يوم عطله** |

**جاهلا أين يقود الدرب رجليه وظله**

وسلام على جليلة رضا في جوار ربها - عز وجل - ورحمته، بعد منغصات السن المرتفعة، وأشجانها، وعزلتها، وانفرادها بالألم.. وعزاء لابنتها الصابرة المحتسبة بعد أن وقفت بإخلاصها وتفانيها زهاء ثلث قرن من الزمان- إلى رسم ابتسامة على وجه والدتها الشاعرة الكبيرة، في أخرياتها، بما كانت تنقل إليها من أنباء احتفاء (الهلال) و (الأزهر) و (الثقافة) بخرائدها، الأمر الذى كان يمنحها الأمل، والاستبشار بالحياة من حولها، بعد افتقادها مكانتها السابقة السامقة، لدى تلاميذها وعشاق فنها وإبداعها.

# الجيتو والكيبوتس فى الوجدان اليهودى



للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

## الكيبوتس

**وهى كلمة عبرية تعنى (مزرعة) والمقصود بها نظام المستعمرات (المزارع) الجماعية التى أقامتها الحركة الصهيونية فى فلسطين منذ مطلع القرن العشرين. ولا تتوفر لدينا مصادر نقدية عبرية تبين مواطن الضعف فيه، وقد مدحه الباحثون وأشاد به الأدباء اليهود فى أدبهم ووجدوا به مادة خصبة ووصفوه بأنه «مصنع الرجال اليهود».**

وتدعى المراجع الصهيونية أن مزارع الكيبوتس هى أنقى تجربة اشتراكية عرفها التاريخ [1].

وقد سبق أن تحدثنا عن (الجيتو) أى حارة اليهود خارج فلسطين والآن نتحدث عن الجيتو الزراعى داخل فلسطين.

فمنذ التفكير فى إنشاء هذه «الكيبوتسات» والهدف الصهيونى واضح وتأكد وضوحه بمرور الأعوام كى يكون قاعدة زراعية عسكرية لغزو واحتلال فلسطين، ويجب علينا ألا ننسى الدور الخطير الذى لعبته هذه المستعمرات الزراعية فى تحقيق آمال الصهيونية، فمنذ كانت الخلية الأولى لمجتمع المستقبل والذى نرى إفرازاته اليوم، فالفكرة قديمة والتخطيط لاحتلال فلسطين أقدم منها.

وأود أن أشير إلى أن أول كيبوتس قد أسس فى بلدة (دجانيا) عام ١٩٠٩ - ١٩١٠، وكان يتكون من عشرة رجال وامرأتين، وفى نهاية عام ١٩١٨ بلغ عدد المزارع «٢٨» مزرعة.

ونذكر جميعا المؤتمر الصهيونى الأول عام

(١) عبدالوهاب المسيرى: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٣٢٢.



١٨٩٧ – بال / سويسرا والذى ذكر أن تحقيق الهدف الصهيونى يكمن فى أربعة أهداف:

**الأول:** العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة[٢].

وقد تبلور هذا الكيان بعد الهجرة الثانية، التى كانت دوافعها صهيونية وأفرادها أعضاء فى (حركة الشباب) الصهيونية فى أوروبا الشرقية، والتى كان هدفها استعمار فلسطين وبناء وطن لليهود، وصاحب الأثر الأكبر على رواد الهجرة الثانية هو آ. د غوردون ١٨٥٦ / ١٩٢٢، وهو صاحب فلسفة (دين العمل) والذى قال كلمته المشهورة:

«إننا بحاجة إلى متعصبين للعمل متزمتين لهم بأعلى معانى الكلمة»

وقد اختاروا الزراعة لأنها ترتبط بالأرض التى يسعون جاهدين إلى اغتصابها وادعاء ملكيتها، وهى الوسيلة لديهم.

ولكونهم قد تعودوا على حياة (الجيتو) فى أرض الأغيار طوعاً أو كرهاً، فقد حانت الفرصة لامتلاك مجموعة من الجيتوات تكون فى المستقبل جيتو كبيراً.

ومنذ أيام الانتداب البريطانى قاموا بتأسيس ثلاثة كيبوتسات زراعية تجريبية كبيرة، منها كيبوتس (جفولوت) وتعنى بالعربية (حدود) ١٩٤٣ على حدود النقب بسبب الرغبة المستقبلية فى توسيع الحدود، وبنفس نظرتهم (الجيتوية) بنى الكيبوتس على شكل قلعة وأحيط بسور مرتفع[٣].

وهكذا تكونت المستعمرات الزراعية وازداد عددها وحققت وجودها وانضم إليها الفلاح والعامل والمقاتل، كل هذا وفق خطط استراتيجية صهيونية مرسومة.

إذا فالكيبوتس هو مزرعة جماعية يشترك فيها كل الأعضاء فى مسئوليات متساوية.

وأصبح البوتقة التى حاولت الصهيونية من خلالها صهر يهود الشرق مع يهود الغرب. وهو خليط من يهود أوروبا الشرقية وأوروبا الوسطى والغربية (إثر الاضطهاد النازى) وأيضا من (الصابر)[٤] أى أبناء المهاجرين المولودين فى فلسطين.

وهو مجتمع مُغلق والعمل إجبارى ويشبه النظام العسكرى فى صرامته والعائلة المكونة من (رجل وامرأة) تسكن فى غرفة واحدة، أمام الحمام وغرف الغسيل وصالة الطعام فهى منافع عامة.

---

(٢) عبدالوهاب كيالى: الكيبوتس. دراسات فلسطينية/٤ ص ١١.

(٣) إفرايم ومناحم تسلمى: معجم المصطلحات الصهيونية ١٩٨٨ ص ٩٨.

(٤) الصابرا: كلمة عبرية مشتقة من الكلمة العربية «نبات الصبار» أو «التين الشوكى» واتخذ هذا الاسم لليهود المولودين فى فلسطين رمزاً للخشونة والشدة والتحمل.



حيث يقوم الفرد في الخامسة صباحا يتناول الإفطار في دقائق معدودة، وبعدها يذهب إلى عمله حتى وقت الظهيرة، حيث يتناول وجبة الغداء الرئيسية ويستغرق ساعة ثم يعود للعمل حتى الرابعة في الشتاء والخامسة في الصيف.

والعائلة في الكيبوتس تعبير مجازي ويصبح الزواج قانونيا عندما تحمل المرأة وصالة الطعام العامة هي مركز الحياة الاجتماعية في الكيبوتس.

وكما هو مفهوم فإن وضع المرأة في الشريعة اليهودية متدن للغاية، وقد حررها الكيبوتس من كل هذا، وأصبحت تتمتع بنفس حقوق الرجل، حتى العمل الجسدي، وقد اتضح من الممارسة العملية بالكيبوتس أن طبيعة المرأة غير مؤهلة للأعمال الشاقة التي يقوم بها الرجل، مما دفعهم بعد ذلك لتشغيل حوالي ٨٠٪ من النساء في فروع الخدمات(٥).

وأود أن أشير إلى أنه في عام ١٩٠٨ كان هناك ست فتيات فقط يعملن في مزارع «الشجرة» في الجليل التابعة للمنظمة اليهودية لاستعمار فلسطين (٦).

والانضمام للكيبوتس تطوعي.. يتم على مراحل، الستة شهور الأولى يعتبر زائرا ثم مرشحا لمدة ستة شهور أخرى، وأخيرا يقبل كعضو عامل إذا وافق عليه ثلثي أعضاء الكيبوتس على الأقل.

وإتقان اللغة العبرية هو أحد المعايير الهامة للانضمام للكيبوتس.

والاعتماد على الشباب من يهود الصابرا هو الأساس، فهم يمثلون القوة ويتمتع الصغير مع الكبير بكل شئ، حتى أخذ القرارات والاقتراحات مما كان يغضب الكبار، ويضطر بعض كبار السن إلى مغادرته لهذا السبب.

وهذه الكيبوتسات تخضع في تبعيتها للأحزاب - دينية وغير دينية - كل حزب حسب اتجاهه وفكره وعقيدته إلا أن (الدولة) تتولى التمويل والنظام العام.

وبعد أن كان الكيبوتس أداة استيطانية، أصبح أداة استيعابية فمفهوم العائلة غير موجود، وأصبح إضعاف الروابط العائلية يتم لحساب الروابط القومية ولحساب الولاء للدولة أو المؤسسة أو الحزب(٧). وقد برعت الصهيونية وأبواق دعايتها في اجتذاب شباب اليهود في هذه المستعمرات كل حسب هواه، فهناك المستعمرات الدينية والاشتراكية، وكل شئ مباح.

وساعد هذا على دمج أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود في نوع جديد من الحياة كل هذا بالرغم الاشتراكي لحركة الكيبوتس.

---

(٥) موسى حنا عنتر: الكيبوتس من الداخل - دراسات فلسطينية ١٩٧٠ ص ٢٤.

(٦) أديب قعوار: المرأة اليهودية - دراسات فلسطينية ص ٢٢.

(٧) موسى ضاهر: الكيبوتس من الداخل ص٢٥.



وفضل العرب على يهود العالم العربي كبير جدا. حيث رفض يهود الشرق حياة الكيبوتس لأنها تتعارض مع القيم التي تعلموها بين أحضان العرب من احترام الأسرة ومكانة الأب ورعاية الأبناء... الخ

وفضلوا شأنهم في هذا شأن العرب المقيمين هناك بالعمل كأجراء في مزارع الكيبوتس.

ويتألف التنظيم الإداري من السكرتير العام للكيبوتس والسكرتارية وعدة لجان أهمها:

١- لجنة الأمن - وهي مسئولة عن الأمن والدفاع والاستعداد العسكري وكل حزب إسرائيلي هو مؤسس لعديد من الكيبوتسات، ويتمتع بحكم ذاتي محلي، حيث يشارك أعضاؤه في إدارته ضمن إطار السياسة التي يرسمها الحزب التابع له.

ويرفع الكيبوتس شعار:

«التعليم أداة للتحرر القومي والاجتماعي للشعب اليهودي»

والتعليم في الكيبوتس إجباري من الابتدائي وحتى الثانوي، وعلى وجه العموم فإن الهدف الرئيسي للتعليم الجماعي هو ضمان استمرار (قيم) الكيبوتس التي تترجم إلى العمل التطوعي.

والهدف الأساسي للتعليم في الكيبوتس هو تنمية المفهوم الصهيوني بين أطفاله.

## نظام التعليم في الكيبوتس

يدخل الطفل سلك النظام التعليمي وعمره أيام حيث يعتني به منذ اللحظة التي يولد فيها مجموعة من الممرضات والمختصات بدلا من والديه ثم يلحق بالحضانة وعمره عام.

ويعني منذ طفولته بالمفاهيم الصهيونية وعلى رأسها معاداة العرب.

ويتبع نظام الكيبوتس «النجاح التلقائي» بحيث ينتقل الطالب من صف لآخر دون امتحان نهاية العام، وبعد الثانوية يلتحق معظم خريجيه بالجيش أو يعملون بالزراعة وينظر إلى جندي الكيبوتس أفضل من باقي الجنود الإسرائيليين ويشكل الطيارون القادمون من الكيبوتس نسبة عالية بين الطيارين الإسرائيليين وقد بلغت نسبة القتلى من أعضاء الكيبوتس في عدوان ١٩٦٧ ٢٥٪ من مجموع القتلى الإسرائيليين.

وقد بلغ من تبجحهم أن هذه المصانع البشرية الفريدة غير قابلة للتصدير فهي قاصرة على «شعب الله المختار» أي أن كل أعضائها يهود وهم صادقون في هذا، فهي مؤسسات أقامتها حركة عنصرية مرتبطة بالغرب وكانت الطريقة الوحيدة التي فرضوا بها وجودهم على الواقع الفلسطيني العربي.

وكانت تؤسس تحت ستار الليل كندرع عسكري / زراعي جديد.

وقد ساهم الجيش الاسرائيلي في حصول هذه المزارع على مساحات شاسعة من الأراضي العربية مجانا بالاضافة إلى الإعفاءات من الضرائب والتمويل والتسهيلات

الائتمانية التى يوفرها الكيان الصهيونى بالإضافة إلى دعم المؤسسات الصهيونية فى العالم لهذه المستعمرات ماديا.

وبالإضافة الى هذه المستوطنات الزراعية هناك مستوطنات غير زراعية اى سكنية.

وقد اكتسبت كلمة (اليشوف) اى الاستيطان عدة معان وهى كلمة عبرية تعنى (التوطن) أو السكن. وهناك نوعان لهذا اليشوف:

**النوع الأول**: ويسمى اليشوف القديم، ويقصد به الجماعات اليهودية التى كانت تسكن فلسطين لاغراض دينية.

واليشوف الاستيطانى: وهى الجماعات التى سكنت فلسطين واحتلتها لاغراض سياسية.

وفى عام ١٩٤٨ كان اليهود يملكون ماانسبته أقل من ٦٪ من إجمالى مساحة فلسطين، للمنظمة المركزية الصهيونية لاقتناء الأراضى والصندوق القومي اليهودى «قيرين هقييمت» وقد وقع اختيار مواقع المستوطنات استنادا إلى اعتبارات سياسية طبيعية وعسكرية، ومعظم هذه المستوطنات كانت مجرد حاميات عسكرية، وأغلبية السكان القرويين من الرجال خصوصا فى المستوطنات الجماعية ينتمون إلى المنظمة العسكرية الصهيونية الرسمية «الهاجاناه»[٨].

وهذا ما يفسر لنا الآن استماتتهم فى بناء مستوطنات جديدة عنوة، واقتطاع مساحات من فلسطين العربية تضم إلى بقية ما نهبوه من أراض والآن أصبح الكيبوتس الواحد يمتلك منشآت مقامة على أرضه ومصانع أخرى على غير أرضه وتطور الكيبوتس من الداخل وأصبح مكانا مرفها به كل وسائل التسلية والترفيه واصبح عضو الكيبوتس مسئولا له وضعه فى مراقبة العمال الاجراء.

وأود ان اشير إلى ان جميع الحكومات الاسرائيلية بلا استثناء قد لجأت منذ احتلال الأراضى العربية عام ١٩٦٧ إلى إقامة المستعمرات لتنفيذ المخطط التوسعى على الأراضى العربية، والتسويف والمماطلة والخداع، شيمة مميزة للمجتمع. فقد خدع (رابين) الرأى العام العالمى بان هناك فرقا بين المستعمرات الامنية والمستعمرات السياسية ومع الاسف تجاوب معهم (بوش) الأب، واصدر قرار استكمال بناء ٩٨٥ وحدة سكنية فى الضفة الغربية، و١٢٠٠ فى قطاع غزة ومثلها فى الجولان السورية واكمل بناء ١٦,٢٤٧ وحدة فى القدس وبلغ عدد المستعمرات الإسرائيلية حتى نهاية ١٩٩٥- ١٥٠ مستعمرة فى الضفة الغربية، ١٠ فى القدس الشرقية، ١٦ فى قطاع غزة.

---

(٨) المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة ص٤٩٧.



وواصل نتنياهو وباراك نفس السياسة، حيث وصلت لأكثر من ٢٠٠ مستعمرة يسكنها ٢٠٠ ألف يهودي.

ومع بدء عملية السلام، لا ننس الموقف العادل الذى قام به ( بوش ) الأب أمام إسحاق شامير، وطالبه بالتوقف عن بناء المستوطنات، وتسببت هذه الأزمة فى سقوط حكومة شامير.

وكان المتوقع أن يحذو الابن حذو أبيه، ولكن!!

والجدير بالذكر أن شارون هو الرجل الأول المنفذ لخطة الاحتلال هذه وله خطة تحمل اسمه. تستولى على نصف أراضى الضفة الغربية وقطاع غزة فقد أقام ١٥ مستعمرة جديدة منذ توليه. والمسلسل مستمر. وعملية تجميد المستوطنات هى لعبة قديمة حديثة، حفظ أوراقها عن ظهر قلب، فقد جمدها مناحم بيجين لفترة وجيزة أيام كامب ديفيد كما فعل رابين.

وأود أن أشير إلى أن هذه الكيبوتسات قد أسسها يهود الغرب ( الأشكناز ) وهى خاصة بهم وبأبنائهم، أما بالنسبة ليهود الشرق فالوضع يختلف، ويتضح هذا جليا فى الأدب، فقد تناول عديد من الأدباء «الكيبوتس» فى أدبهم وأشادوا به ومجدوه ومنهم «يهودا بورلا» لكنه يعترف بالغبن الذى لاقاه يهود الشرق فيه حيث يقول:

وانضمت جماعة من يهود الشرق تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والخامسة عشرة إلى الكيبوتس، وقد سببوا الضيق لكل من فيه، حيث أقلقوا قادتهم وأظهروا لهم العناد»[٩].

وعندما طلب منهم القيام ببعض الأعمال الوضيعة مثل تنظيف المراحيض، رفضوا، واحتار القادة لأنهم لا يفهمون العبرية جيدا ومن الواجب التحدث إليهم بلغتهم العربية، فكلفوا «تمارا» للقيام بهذه المهمة.

وعندما سألتهم عن سبب شكواهم فأجابوا:

«إننا نعمل نصف اليوم بلا توقف كالخدم، ولم نحضر إلى هنا كى نكون عبيدا.. ولن نقبل الأعمال الوضيعة ولن نتحمل تنظيف المراحيض ولم نسمع أبدا أن أبناء المحترمين يقومون بهذه الأعمال، بالإضافة إلى أننا جياع»[١٠].

«لا نحب أكلهم ولا نستطيع بلعه كما أننا رفضنا الكيبوتس ونريد المدينة، وقد خدعونا، وقالوا إننا سنعيش فى إسرائيل فى مدن جميلة وسننعم بالحرية والهناء، وهنا فى الكيبوتس لا حرية ولا هناء ولاشئ إطلاقا»[١١].

(٩) يهودا بورلا: البرعم الأول، «ستوتيت ريشونا»، ص ٢٠٥.

(١٠) المصدر السابق ص ٢٠٦.

(١١) المصدر السابق ص ٢٠٧.

# من منظمات الإرهاب الصهيونى فى إسرائيل

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد

**إن تاريخ إسرائيل - منذ تأسيس كيانها الصهيونى بقرار التقسيم رقم ١٨١ فى ١٩٤٧/١١/٢٩، وإعلان قيامها فى ١٩٤٨/٥/١٤، وحتى قبل ذلك - ما هو إلا سلسلة من الاغتيالات والمؤامرات، والقتل والطرد والتشريد لعرب فلسطين. ومازالت مذابح دير ياسين، وكفر قاسم، وقانا، وصبرا وشاتيلا، وضرب انتفاضتى ١٩٨٧ و٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠ ماثلة فى الأذهان تجلل تاريخ إسرائيل الإرهابى بالعار، وتصمه بالعدوان وانتهاك الحرمات والاستهانة بالمقدسات وسلب حقوق أصحاب الأرض: العرب إننا الآن أمام كيان سياسى عدوانى قائم على اغتصاب حقوق الغير يفرض وجوده بالقوة المسلحة الغاشمة بعد أن سرق أمة فلسطينية بمؤامرة صهيونية، ومساندة دولية، مما يؤكد أن إسرائيل كيان استيطانى إحلالى استعمارى تقوده جماعة من العسكر.**

فإسرائيل، والحال كذلك، دولة قائمة على الإرهاب، ولولاه ما قامت لها قائمة، فهى تضم مهاجرين يهود من قوميات عديدة، أصولهم الحضارية متباينة ليس هناك ما يوحدهم إلا زرع الإحساس بخطر العرب الفلسطينيين عليهم وهى مهمة تصدى للقيام بها، ومارسها باقتدار قادة إسرائيل من بن جوريون إلى شارون كبير الإرهابيين المعاصرين مما خلق شعورا بالكراهية وروحا من العداء الشديد فى نفوس المجتمع اليهودى بمختلف فئاته، واتجاهاته تجاه العرب بعامة، والفلسطينيين بخاصة وتبعا لهذا كله صار ممارسة العنف والإرهاب اليهودى سواء على المستوى الرسمى أو الشعبى أمرا اعتياديا وأمرا طبيعيا الأمر الذى مهد السبيل لقيام العديد من المنظمات الإرهابية المعادية لكل



ما هو عربي وفلسطيني وإسلامي داخل دولة الكيان الصهيوني. وسأستعرض فيما يلي أهم المنظمات الإرهابية الصهيونية لبيان أهدافها ومراميها وكيف ساندتها دولة إسرائيل لنشر الفزع والترويع في نفوس الشعب الفلسطيني حتى يخضع ويستسلم لواقع الاحتلال الإسرائيلي:

**حركة كاخ:** وهي حركة يمينية متطرفة، أسسها الحاخام اليهودي الأمريكي «مائير كاهانا» عام ١٩٧٢ المعروف بتمسكه بتعاليم التلمود التي تنادي بطرد العرب الفلسطينيين من فلسطين لتظل خالصة لليهود فقط لا يشاركهم أحد من الأغيار. وتعتبر هذه الحركة امتدادا لمنظمة الدفاع اليهودي التي أرسى أساسها الحاخام «مائير كاهانا» عام ١٩٦٥.. ويرى «كاهانا» أن جبل الشيخ في سوريا، وقناة السويس، والأردن هي الحدود الآمنة لإسرائيل، وبدونها لا يمكن استيعاب المهاجرين اليهود الجدد. ويتمحور برنامج هذه الحركة حول ضرورة نشر الرعب وبث الفزع بين عرب فلسطين لإجبارهم على ترك فلسطين، وتفريغها منهم لإقامة المزيد من المستعمرات اليهودية عليها[1] ويأتي على رأس أهداف هذه الحركة الإرهابية الاستيلاء على المسجد الأقصى، والتخطيط لتفجير مسجد قبة الصخرة وبث الفزع والهلع في قلوب المصلين في هذين المسجدين.

ففي الحادي عشر من إبريل عام ١٩٨٢ قام «الان جودمان» اليهودي الأمريكي وعضو حركة كاخ بإطلاق النار - من بندقيته الآلية - على المصلين بالمسجد الأقصى فقتل اثنين وجرح العديد منهم وعندما عرض الحادث على مجلس الأمن الدولي في ٢٠ / ٤ / ١٩٨٢ استخدمت الولايات المتحدة حق النقض «الفيتو» كعادتها في مثل هذه الأحداث ضد المشروع الذي قدمته لجنة القدس مع دول أخرى لمنع إدانة إسرائيل عن أعمالها الإرهابية في حق الشعب الفلسطيني. ولا ينسى العرب يوم ٢٧ / ٤ / ١٩٨٢ محاولة جماعة من حركة كاخ بزعامة «كاهانا» اقتحام المسجد الأقصى وهم يحملون لافتات تنادي بطرد العرب من فلسطين، كما حملوا أيضا صورة كبيرة يبدو فيها الحرم القدسي الشريف خاليا من المسجد الأقصى ومسجد الصخرة وحل محلهما الهيكل اليهودي الذي يخططون لإقامته مما يؤكد أطماع اليهود في إزالة المقدسات الإسلامية وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك ومازالت الذاكرة العربية والإسلامية تعي الجريمة الشنعاء التي ارتكبتها حركة كاخ داخل الحرم الإبراهيمي بمدينة الخليل في ٢٥ / ٤ / ١٩٩٤ عندما قام «جولد شتاين» ضابط الاحتياط اليهودي في الجيش الإسرائيلي بإطلاق الرصاص على المصلين وهم في صلاة الفجر فقتل منهم ما يقرب من

---

(١) ايمن حمودة، أهم المنظمات الإرهابية داخل الكيان الصهيوني، مجلة المنار الإسلامي، عدد صفر ١٤٢٢ هـ/مايو ٢٠٠١.



خمسين مصليا وجرح ما لا يقل عن مائتي مصل[٢].

ولقد لقي هذا العمل الإجرامي قبولا شعبيا بين اليهود، وحتى الأطفال منهم، إذ علقوا على صدورهم عبارة تقول: «لقد شفى جولدشتاين غلل إسرائيل»[٣] مما يكشف العداء اليهودي لكل ما هو عربي وإسلامي. وقد أدى التنافس الشديد على زعامة هذه الحركة الإرهابية إلى انشقاق العديد من أعضائها مكونين تنظيمين آخرين لحركة كاخ هما: لجنة الأمن في الشوارع، وشرطة يهودا[٤].

**جماعة جوش إيمونيم**: وهي تعني كتلة الإيمان، وهي جماعة تطلق على نفسها «حركة التجديد الصهيوني» أسسها «موشى ليفنجر» في مايو ١٩٧٤.

وهي حركة تسعى للاستيطان في الضفة الغربية وغزة وإقامة الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى. ومن مبادىء هذه الجماعة أنه لا تنازل، ولا انسحاب من الأراضي العربية المحتلة وهذه الجماعة تؤمن بأرض إسرائيل الكاملة، ومعظم أعضائها من شباب المدارس الدينية التابعة للحزب الديني القومي «المفدال» الذي يمثل الصهيونية الدينية.. وقد تعهد الإرهابي شارون ـ رئيس الوزراء الحالي ـ بتنفيذ سياسة «جوش إيمونيم» في غضون النصف الثاني من فترة حكومة «بيجين» اليمينية عام ١٩٧٧ وقد نالت هذه الحركة الإرهابية دعم الحكم العسكري الإسرائيلي ومساندته خاصة من رئيس الأركان الإسرائيلي «رفائيل إيتان» أثناء هذه الفترة. وشعار «جوش إيمونيم» هو تكثيف الاستيطان في كل أنحاء إسرائيل، وطرد العرب من فلسطين بالقوة والعنف. وتحظى هذه الجماعة بدعم مختلف التيارات الحزبية في إسرائيل، مما أكسبها تأييدا شعبيا جارفا. يقول «داني روبنشتاين» مؤلف كتاب «حركة جوش إيمونيم الوجه الحقيقي للصهيونية»: «لا تعتقد أن حركة جوش إيمونيم كانت تستطيع تكوين نفسها، والعمل وفق أسلوبها بدون التعاون العلني والخفي من الحكومات الإسرائيلية في الماضي والحاضر، خاصة من قبل حكومة الليكود اليمينية وتعتبر الأداة الطيعة لسياسة «بيجين ـ شارون» في المناطق المحتلة فهما اللذان قدما التمويل والإمكانات ومنحا الصفة الشرعية لهذه الحركة الدينية المسماة «جوش إيمونيم»[٥] وقد أعلن أحد قادة «جوش

---

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) دكتور/ عبدالرحيم أحمد حسين، ظاهرة الإرهاب في تعاليم التلمود، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٤١٠ شوال ١٤٢٠هـ.

(٤) أهم المنظمات الإرهابية داخل الكيان الصهيوني، مرجع سابق.

(٥) عبدالعزيز مصطفى، قبل أن يهدم الأقصى، ص ٢٠٦.




إيمونيم» وهو «إسرائيل أريبل» «إن الأرض لن تفتح بالسلام ولكن بسفك الدم»[٦] ولعل أقدم المصادر الثقافية التي تغذي هذه النزعة الدموية تتجسد في التوراة المحرفة والتلمود فهما المصدران العقيديان لليهود التي تعلي من شأن الشعب الإسرائيلي كشعب اختاره الله لقيادة العالم[٧].

واستنادا إلى فهم اليهود للتلمود فقد صرح أحد أعضاء جماعة «جوش إيمونيم» وهو «شلومو أفنيري» قائلا: «إن الشريعة اليهودية تقر إعدام العرب الذين يلقون الحجارة على اليهود ولو كانوا أطفالا . فإعفاء الأطفال من العقوبة تحت سن ١٣ للذكور، وتحت سن ١٢ للإناث لليهود فقط.[٨] وهذا يفسر إقدام جنود الجيش الإسرائيلي على قتل الطفل الفلسطيني «محمد الدرة» وهو في أحضان أبيه بالرصاص الحي على الرغم من أنه لم يكن يحمل حجارة في يده.

ويؤكد ذلك السلوك الإرهابي اليهودي ما صرح به «أفنيري» في قوله: «إن من حق مجلس الحاخامات اليهودي قتل أي إنسان غير يهودي إذا ما كان ذلك القتل في مصلحة العالم اليهودي»[٩] وتستقي جماعة جوش إيمونيم فكرها المتطرف، وسلوكها الإرهابي من تعاليم التلمود خاصة النص التلمودي القائل: إنه «إذا ضرب أممي «غير يهودي» إسرائيليا فإنه يستحق الموت»[١٠] وهذا ما نشاهده على شاشات التليفزيون، أثناء انتفاضة الأقصى من قيام الجيش الإسرائيلي بإطلاق الرصاص على البراعم الفلسطينية التي تقاوم الاحتلال الإسرائيلي بالحجارة وقد عارضت حركة جوش إيمونيم مفاوضات فصل القوات في سيناء عام ١٩٧٣ / ١٩٧٤ واستنكرت ما جاء باتفاقية «كامب ديفيد» الأولى بدعوى أنها لا تحقق السلام الذي تطالب به هذه الحركة والذي لا يعترف إلا بالسيادة الإسرائيلية على أرض إسرائيل، كما رفضت أيضا اتفاق أوسلو ١٩٩٣[١١] وهذه الجماعة المتطرفة لا تتورع عن إخفاء أطماعها في المسجد الأقصى فقد احتشد حوالي ثلاثمائة يهودي من هذه الجماعة في أغسطس ١٩٨١ وكسروا أحد أبواب المسجد الأقصى وهو «الباب الجديد» واقتحموا ساحته وقاموا بالصلاة مستفزين بذلك مشاعر

---

(٦) ظاهرة الإرهاب في تعاليم التلمود، مرجع سابق.

(٧) هيثم الكيلاني، مقدمة في الإرهاب الإسرائيلي، مجلة الحرس الوطني السعودية، العدد ٢١٩، جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ.

(٨) ظاهرة الإرهاب في تعاليم التلمود، مرجع سابق.

(٩) نفس المرجع السابق.

(١٠) محمد علي البار، الرئيس موسى بن ميمون وتعاليم التلمود، مجلة المنهل العدد ٥٦١، رجب ١٤٢٠ هـ.

(١١) أهم المنظمات الإرهابية داخل الكيان الصهيوني، مرجع سابق.



المسلمين[١٢] وتدعو هذه الحركة الإرهابية إلى تهويد فلسطين وتفريغها من أصحابها العرب، وتكثيف الاستيطان اليهودي، وتشجيع الهجرة اليهودية، وإقامة هيكل سليمان المزعوم وبسط السيادة اليهودية على الحرم القدسي الشريف. وهذه الجماعة أكثر تطرفا وعدوانية من حركة كاخ وسائر المنظمات الإرهابية التي نتناولها في الصفحات التالية.

**حركة أمنا**: ومعناها الأمانة أو الميثاق. وهي تنظيم استيطاني يضم جماعة من الشباب المتطرف دينيا «المتدينين الأصوليين» ذوي القبعات السوداء واللحى الطويلة من خريجي المدارس الدينية. ويؤمن أعضاء هذه الحركة الدينية المتشددة بعودة المسيح اليهودي الذي سيقيم لهم دولة تتمسك بتعاليم التوراة وتقوم بتطبيق الشريعة اليهودية على جميع يهود إسرائيل، وتنادي هذه الحركة بمناهضة الاتجاهات العلمانية ورفض أي تعاليم تتعارض مع تعاليم التوراة. وترفض أيضا الصهيونية ولا تعترف بدولة إسرائيل الحالية لأنها من صنع البشر وهي في الوقت نفسه تعارض الانسحاب من كافة المناطق الفلسطينية المحتلة، وتدعو إلى تكثيف الاستيطان اليهودي فيها. وتختلف هذه الحركة الدينية عن كل المنظمات والحركات الإرهابية الأخرى في إسرائيل فيما يختص برفضها للصهيونية وعدم شرعية قيام دولة إسرائيل، لأنها صنيعة الإنسان، إذ أن إسرائيل الشرعية هي التي تقوم بمشيئة إلهية على يد المسيح اليهودي المخلص وفقا لمنظور هذه الحركة الحديدية المتطرفة.

**تنظيم سري في صفوف الجيش الإسرائيلي**:- هذا التنظيم السري اكتشف أمره عام ١٩٨٤ قبل قيام جماعة عسكرية من سلاح الجو الإسرائيلي بمحاولة قصف المسجد الأقصى بالقنابل من الجو لتدميره. وقد تبين بعد ذلك أن أعضاء التنظيم السري ليسوا جميعا من الجماعات الدينية وكان أغلبهم من العسكريين في الجيش الإسرائيلي[١٣] ولتمجيد العنف والإرهاب والحرب يقول «موشي ديان» وزير الحرب الأسبق «إن إسرائيل تعتمد على السيف، وهذا قدر جيلنا أن نكون مستعدين ومسلحين وغلظاء، وإلا سوف يسقط السيف من قبضتنا وحينئذ تنتزع حياتنا»[١٤] وهناك أيضا العديد من الحركات السرية الأخرى التي لها نفس الأهداف نذكر منها حركة «حيرب ديفيد» أي سيف داود، وحركة «سيف جدعون»، وحركة «جال»، وحركة «موكيد ياهاف»،

---

(١٢) عبدالعزيز مصطفى، قبل أن يهدم الأقصى ص ٢٣٣ – ٢٣٤.

(١٣) نزار جميد، المنظمات والجماعات اليهودية المعنية بهدم الأقصى، مجلة معلومات دولية، سوريا، العدد ٦٥.

(١٤) حمد سعيد/ الزغد، الصهيونية واستغلال الدم اليهودي، مجلة معلومات دولية، سوريا، العدد ٦٦.



وحركة «تسقيا» ومنظمة إيال «التنظيم اليهودي المقاتل»، ومنظمة «دوف» أي منظمة قمع الخونة[١٥] ويرى بعض الباحثين أن فكر، وسلوك هذه المنظمات الإرهابية في إسرائيل يُعزى إلى العديد من الأسس التي تقوم عليها العقيدة الصهيونية نذكر منها استباحة الحقوق الطبيعية للعرب، ومنها حق الحياة حتى تصبح إبادة الجنس العربي عملا مطلوبا ومشروعا، وتسويغ اللجوء إلى أي وسيلة مهما كانت صفتها الإجرامية لتحقيق الأهداف الصهيونية، واعتماد قانون أعلى هو «الحق الصهيوني المطلق» فلا يعلو عليه أي حق أو مفهوم آخر، والإيمان بالقوة، وتنشئة الأجيال المتعاقبة من اليهود عليها حتى تصبح قوام ثقافتهم وتكوينهم النفسي، ويؤكد الزعيم الصهيوني «ديفيد بن جوريون» على ذلك قائلا: «القوة إذا لم تستعمل تصبح خطرا على صاحبها وعلى المجتمع»[١٦] كما أن هناك العديد من الأساطير والخرافات التي تقرر مصير إسرائيل وتدعوها إلى العنف والإرهاب والخوف من الآخر وتجعل اليهود في حالة استنفار كامل وتحفز للعدوان والعنف منها: اللاسامية أو أبدية العداء لدى شعوب العالم وكراهيتهم لليهود كيهود، وتفوق اليهود على بقية شعوب العالم، والمصير المشترك لليهود[١٧] وكلها أساطير لا توجد إلا في خيالهم المريض. ولا يفوتني أن أنوه في هذا الصدد إلى ما سبق أن أشرت إليه سلفاً من قيام إسرائيل بوضع برنامج تربوي بهدف غرس الفكر الإرهابي وتنميته في نفوس الشباب الإسرائيلي من خلال التخطيط التربوي لمحتوى المناهج الدراسية لبعض المواد مثل اللغة العبرية، الدين اليهودي، التاريخ اليهودي، والأدب العبري مما ساعد على ولادة هذه النزعة العدوانية والخوف من الغير، وجعل الإسرائيلي في حالة تحفز واستنفار دائم ضد كل ما هو غير يهودي.

ويمكن القول بأن الإرهاب الذي تمارسه إسرائيل ـ من خلال هذه المنظمات الإرهابية التي يبنت أهدافها ومراميها من تهويد لفلسطين العربية، وتكثيف للاستيطان، وتكريس للاحتلال الإسرائيلي في الأرض العربية المحتلة، وسعي مخطط لبناء الهيكل اليهودي، مكان المسجد الأقصى ـ ليس وليد اليوم إنما يضرب بجذوره في أعماق الفكر الصهيوني، وفي تطبيقات وممارسات إسرائيل العدوانية كما هو مشاهد في الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس، وسائر الأراضي العربية المحتلة، مما يعزز، بيقين مطمئن، إرهابية الكيان الصهيوني، في فلسطين العربية، ونازيته.

---

(١٥) المنظمات والجماعات اليهودية المعنية بهدم الأقصى، مرجع سابق.

(١٦) مقدمة في الإرهاب الإسرائيلي، مرجع سابق.

(١٧) الصهيونية واستغلال الدم اليهودي، مرجع سابق.

# طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

## إشراقات روحية لابن عطاء الله السكندري يتحدث عن ربه

● كيف يتصور أن يحجبه شئ، وهو الذي أظهر كل شئ.

● كيف يتصور أن يحجبه شئ، وهو الذي ظهر بكل شئ.

● كيف يتصور أن يحجبه شئ، وهو الذي ظهر في كل شئ.

● كيف يتصور أن يحجبه شئ، وهو الظاهر قبل وجود كل شئ.

● كيف يتصور أن يحجبه شئ، وهو الواحد الذي ليس معه شئ.

● كيف يتصور أن يحجبه شئ، وهو أقرب إليك من كل شئ.

● كيف يتصور أن يحجبه شئ، ولولاه ما كان وجود شئ.

## أخي..

إذا جهلت فاسأل، وإذا أسأت فاندم، وإذا ندمت فاقلع، وإذا أفضلت على أحمد فاكتم، وإذا منعت فأجمل.

## القلوب الكبيرة

كان كعب بن زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي ممن هجا النبي ﷺ، فأهدر دمه، فلما بلغه ذلك خشي عاقبة أمره بعد فتح مكة، ونصحه بعض أصحابه بأن يستسلم لرسول الله فإنه لا يحمل ضغنا لأحد، قائلا: إن هذا أنجى من كل وسيلة. فقصد إليه في المسجد واندفع ينشده لاميته المشهورة حتى بلغ إلى قوله:

نبئت أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول

فألقى رسول الله ﷺ بردته عليه.

## المنافق العليم

عن أبي عثمان النهدي، قال: سمعت عمر ابن الخطاب يقول على المنبر: «إياكم والمنافق العليم» قالوا: وكيف يكون المنافق عليما؟!! قال: «يتكلم بالحق ويعمل بالمنكر».




## حيا

قال الأصمعي: قلت لأعرابي معه شاة، لمن هذه الشاة؟!

فقال: هي لله عندي.

## أبو تمام.. والكندي

امتدح أبو تمام الخليفة العباسي أحمد بن المعتصم بقصيدة، فلما بلغ إلى قوله:

إقدام عمرو في سماحة حاتم

في حلم أحنف في ذكاء إياس

قال له الكندي بجرأة وثبات: الأمير فوق من وصفت، فاطرق أبو تمام مليا ثم قال:

لا تنكروا ضربي له من دونه

فالله قد ضرب الأقل لنوره

مثلا شرودا في الندى والباس

مثلا من المشكاة والنبراس

فسكت الكندي، وأعجبت الفئة الحاضرة لفطنة أبي تمام وأصالة رأيه، وجودة فكره، وسرعة خاطره.

## لم تخطئ.. فراسته

قال عمرو بن نُجيد: كان شاه الكرماني حاد الفراسة لا يخطئ ويقول: من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمر باطنه بالمراقبة، وظاهره باتباع السنة، وتعود أكل الحلال، لم تخطيء فراسته.

## لكم أقول

يا معشر الأغنياء لكم أقول: استكثروا من الحسنات فإن ذنوبكم كثيرة.

ويا معشر الفقراء لكم أقول:

أقلوا من الذنوب فإن حسناتكم قليلة.

## هي أكثر من أن تحصى

اجتمع قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟

قال: هي أكثر من أن تحصى، وقد وجدت خصلة إذا استعملها الإنسان سترت عيوبه.

قال: وماهي؟ قال: حفظ اللسان.

## دعاء

اللهم إني أسألك بك، ولا أسألك بأحد غيرك أن توفقني لصالح الأعمال وتطلق لساني عند السؤال، وتثبت قلبي على دينك يوم الرجف والزلزال ياذا العزة والجلال.



# تهنئة ودعاء

أصدر فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية قراراً يقضى بأن يسند إلى الشيخ:

**الطاهر محمد الطاهر الحامدى**

مدير عام مجلة الأزهر القيام بعمل وظيفة «مدير عام البحوث والتأليف والترجمة»، إضافة إلى عمله الأصلى بصفة مؤقتة وذلك لحين شغلها بصفة أصلية بمن تتوافر فيه شروطها وفق أحكام قانون الوظائف القيادية رقم (٥) لسنة ١٩٩١م ولائحته التنفيذية.

ويسر «مجلة الأزهر» أن تهنىء الشيخ الجليل الطاهر محمد الطاهرى الحامدى باختياره «مديراً عاماً للإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة»، راجية له ما تعهده فيه من اليقظة والإخلاص والعمل الدائب مع ارتقاب عودته وتفرغه للمجلة ليأخذ مكانه العزيز.

[أسرة تحرير مجلة الأزهر]

## خطبة الجمعة :

# نزهوا الإسلام عن صغائركم (١)

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

**الحمد لله يا عزيزا يريد لعباده العزة بلا طغيان، وقديرا يريد لأهله دينه اقتدرا لا يبغون به على إنسان ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢) نشهد أن لا إله إلا أنت، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبدك ورسولك، كان سيد قومه بلا استبداد، ورأس جماعته بلا فخر أو اعتداد، فصلواتك اللهم وسلامك عليه، وعلى آله وحزبه، وجماعته وصحبه، الذين لانوا في غير ضعف، واشتدوا في غير عسف، فأولئك لهم الأمن وهم مهتدون.**

يا أتباع محمد ﷺ ...

كان المسلمون في أيام العزة والسيادة، لا يشغلون أنفسهم إلا بما يتناسب مع عالي هممهم، وكبير عزائمهم، فهم يفتحون عقول الناس بالحكمة والنور، ويقتحمون أرجاء العالم بالهداية والتبشير، ويحررون العبيد من أغلال الإهانة والتحقير، ويبطشون صادقين بالجبارين، فإما هداية من غواية، وإما تطهير للدنيا ممن يريدون أن يكونوا في الأرض آلهة من دون الله يعبدون، ولكن الذين يسمون أنفسهم بالمسلمين في عصور الضعة والضعف والهوان، لا يفكرون في شيء من هذا النضال، ولا يهمون بقليل أو كثير من جليل الأعمال، بل حسبهم أن يتكلوا على ميراث الأجداد، وأن يتباهوا بكثرة الأعداد،

---

(١) ألقيت يوم الجمعة ٨ من ذي الحجة ١٣٦٨هـ ـ الموافق ٣٠ من سبتمبر سنة ١٩٤٩م.

(٢) الشورى: (٤٠).



وأن يطلبوا الجدال بألسنة حداد، وحسبهم أن يقيموا الدنيا ويقعدوها من البكاء والأنين، والنشيج الحزين، كلما ضاعت من الوطن الإسلامي رقعة، أو هتكت للدين المحمدي حرمة، أو عطلت من شريعة السماء فريضة.

وتراهم يقبلون على تفاهات وصغائر يحسبونها من الدين، والدين عنها بعيد، ويظنونها من الخير للإسلام وهي لو علموا طعنات توجه إليه منهم وهم لا يشعرون.

إن الإسلام قد جاء ليحقق في المرء معنى إنسانيته الكاملة، التي تتعالى عن شهوات الأجساد ونزوات النفوس، وضلالات العصبية وترهات العقول، ولقد روى عن جابر بن عبدالله قال: مرت جنازة فقام لها رسول الله ﷺ وقمنا معه، فقلنا يا رسول الله، إنها يهودية، فقال: «إن الموت فزع، فإذا رأيتم الجنازة فقوموا» أي إن الموت له رهبته وزلزلته التي تخشع لها القلوب، وتعتبر لديها الألباب، فيجب أن يقوم المرء له مذكرا موقرا، دون التفات إلى شخص من مات. وفي رواية أخرى أن سهل بن حنيف وقيس بن سعد، كانا قاعدين بالقادسية، فمرت بهم جنازة فقاما لها، فقيل لهما: إنما هو من أهل الذمة «أي ليس مسلما» فقالا: إن رسول الله ﷺ مروا عليه بجنازة فقام لها، فقيل له: إنه يهودي فقال: «أليست نفسا؟!» .. نعم يا سيدي يا رسول الله، إنها نفس لها حرمتها الإنسانية، وإن الموت له جلاله وعظته، فإذا مر علينا مثل هذا الحادث، دون أن نتعظ به أو نلتفت إليه فكيف نكون من الناس، أو ندعي أننا من أصحاب القلوب.

والنصوص الدينية والوقائع التاريخية الإسلامية، التي تدلنا على سماحة الإسلام، وعدالته مع غير المسلمين، كثيرة مشهورة، قد صافحت الأسماع وطالعت العيون مرات ومرات، وها هو ذا نبي الملة وإمام الأمة محمد ﷺ، وهو المثل الأعلى في التمسك بالدين، والحرص على رضاء رب العالمين، كان نبيلا كريما، يعاشر جيرانه من اليهود والنصارى معاشرة كلها سماحة ورجاحة فهو يعيتهم وينصحهم، ويعودهم ويزورهم، ويحدثهم ويسمع منهم، ويهدي إليهم من طعامه ومتاعه، وما فكر صلوات الله عليه وسلامه يوما أن يتخذ من اختلاف العقيدة أو تغاير الدين، سببا للتطاول السفيه، أو الاعتداء الظالم، بل لقد كان منه ما هو أسمى من ذلك وأكرم.

قدمت إليه يهودية شاة مسمومة تريد بذلك قتله، ثم أعلمه الله بأمرها، واعترفت المرأة بفظيع جرمها، ومع ذلك عفا عنها مع أنها يهودية مجرمة، لأنه يريد أن يوضح للعالمين كيف بعثه ربه متمما لمكارم الأخلاق، وكثرت جراحه ﷺ في غزوة أحد جرحه المشركون الذين لا يدينون إلا بالأصنام وشق ذلك على أصحابه فقالوا له: لو دعوت عليهم؟. فقال: «إني لم أبعث لعانا، ولكني بعثت داعيا ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون».

فانظر كيف ترفع صلوات الله عليه عن طلب العقاب والنقمة لهم، فضلا عن الاعتداء عليهم، أو الإساءة لهم، مع أنهم هم البادئون!

قد يضل ضال في التفكير فيقول: إن هذا التصرف من باب الغيرة على الملة، والغضب من





مخالفيها والخارجين عليها، فنقول: بئست الغيرة، إنها لغيرة مجنونة حمقاء عمياء. لا تحسن تصرفا، ولا تعرف كيف تدعو إلى دينها، لأن الغيور على الدين يفعل ما ينفعه ويرفعه، لا ما يشينه ويضعه، ومثل هذه الحماقات الصغيرة، التي يرتكبها أولئك الأغرار باسم الإسلام، وهم يعدون من المسلمين، تصور الإسلام للجاهلين به دينا همجيا وحشيا، لا يحترم حقوق الناس، ولا يرعى حرمة حرياتهم، مع أنه الدين الذي يوصي بالإحسان إلى أهل الأديان كلها، وأن نعامل المخالفين لنا في الدين، من مواطنين وذميين، معاملة المساواة والقسطاس، لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وإن المسلم الصحيح ليستطيع أن يكون أفضل داعية إلى دينه بمعاملاته الشريفة، وأخلاقه الجميلة وآدابه العالية، وحسن سلوكه مع جيرانه ومعاشرته، لأن المسلم إلف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف، وأقرب الناس من رسول الله في الجنة يوم القيامة أحاسن الناس أخلاقا، الموطئون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون!..

ليت الذين يدعون بأن الغيرة تأكل قلوبهم على الدين، فتضلهم عن الصراط المستقيم، ليت هؤلاء يوجهون طاقة جهودهم وجهادهم إلى ما يستحق المجاهدة والكفاح، من كبائر الإثم وعظائم السيئات.. ليتهم يؤدبون الذين يحاربون الله جهارا نهارا، ويناهضون شريعته، ويعطلون تعاليم كتابه، ثم يقولون: بلا خجل نحن من المسلمين!.. ليتهم يؤدبون أولئك الذين سادوا في غفلة الزمن، فاتخذوا من الناس عبيدا ومطايا، يركبونها ويسيمونها الخسف والهوان، ثم لا يتفضلون عليها بالقوت! ليتهم يؤدبون الذين يمتصون دماءهم وأموالهم، ثم ينفقونها جهارا نهارا على أجسام البغايا، وموائد الخمور، وحلقات القمار!.. ليتهم يؤدبون أولئك الذين يظنون أن الأرض قد ألقيت عليهم من السماء، مختومة بأسمائهم وألقابهم، فذهبوا يتحكمون ويتكلمون، ويشردون ويتعسفون ويعطون ويمنعون، ويرتكبون كبريات المخازي والمآسي، لا في سبيل غرض شريف أو قصد نبيل، بل في سبيل المطامع والشهوات، والأهواء الضالة ضلال الشيطان اللعين!..

يا أتباع محمد ﷺ..

هناك نوع من البطولات يسمى البطولات الرخيصة وهو أن يعجز الإنسان عن بلوغ غاية أو وصول نهاية أو التغلب على مشكلة فيحاول أن يستر ضعفه ويرضي مركب النقص فيه بالتردي في أعمال صغيرة حقيرة، لا تقدم ولا تؤخر، ثم يفتح فمه كالبركان قاذفا منه عريض الادعاءات وطويل الافتخارات فحاشا كم أن تكونوا من هؤلاء فإنما أعددتم لعمل موصول وسعي مقبول فترفعوا بأنفسكم عن سفاسف الأمور وعلقوا همتكم بعظائم الأعمال، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون!..

قال ﷺ: ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء وقال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن!».



# فضل قراءة القرآن الكريم وتعلمه وتعليمه

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

**القرآن الكريم كتاب الله المكنون لا يمسه إلا المطهرون، أنزله الله على رسوله الصادق الأمين محمد بن عبد الله ﷺ ليكون معجزته الكبرى على صدق رسالته، وشرف الله شهر رمضان على سائر شهور السنة بنزول القرآن الكريم فيه**

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾(1)

**وسمى الليلة التى نزل فيها ليلة القدر، وأعطاها الله -جل شأنه- منحة خاصة لأمة محمد ﷺ بأن جعل العبادة فيها خيراً من ألف شهر.**

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾(2).

ولقد وقف العرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة - عند نزول القرآن الكريم وسماعه مذهولين مبهورين مشدودين عاجزين عند التحدى عن الإتيان بمثله.

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(3)

---

(1) البقرة (185).

(2) سورة القدر.

(3) الإسراء (88).

أو الإتيان بمثل عشر سور فقط

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٤).

أو الإتيان بمثل سورة واحدة فقط وهذا منتهى التحدى.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٥).

ويصف الرسول ﷺ القرآن فيقول سيدنا على ابن أبى طالب - رضى الله عنه -: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتاب الله فيه خبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق «يبلى» على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، هو الذى من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين والذكر الحكيم، والصراط المستقيم»(٦).

والقرآن الكريم هو الكتاب السماوى الذى ضمن الله حفظه من الضياع والتحريف

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٧).

ولقد أنعم الله على الأمة المحمدية فأجزل لها العطاء والأجر والثواب والحسنات بفضل القرآن الكريم، فجعل تلاوته تعبدا، وفاض بالحسنات على من يقرأه، فعن عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»(٨).

ويرغب النبى ﷺ المسلمين فى تلاوة القرآن الكريم، وتدبر معانيه، ودراساته وتعلمه وتعليمه، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»(٩).

وقراءة القرآن الكريم نور للمسلم فى دنياه، يرشده إلى الخير، ويهديه إلى الصواب، ويبعده عن الشر، ويجنبه الزلل، ويحميه من الوقوع فى الخطأ، ويصرف عنه الشيطان، ويلبسه ثوب السكينة والاطمئنان، والهدوء وراحة البال، أما فى أخراه فهى رصيد ضخم من الحسنات، وكنوز مليئة بالخيرات من ثواب الله، تفتح له أبواب رضا الله، وتقوده إلى الجنة، وتصعد به إلى أعلى درجات الجنان فعن أبى ذر - رضى الله عنه - قال: قلت يا رسول الله: أوصنى؟ قال: «عليك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله، قلت: يا رسول الله زدنى، قال: عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك فى الأرض، وذخر لك فى السماء»(١٠).

(٤) هود (١٣).
(٥) يونس (٣٨).
(٦) الدر المنثور ١ / ١٥ وكنز العمال ٨٨٧.
(٧) الحجر (٩).
(٨) اتحاف السادة المتقين ٤/٤٦٦ والقرطبى ١/ ٧، ١٠/٣٢٠.
(٩) رواه مسلم فى الذكر والدعاء، ب ١١ رقم ٣٨، والبيهقى ٣٢٥.
(١٠) الترغيب والترهيب ٢/٣٤٩.

وفضل قراءة القرآن عامة تشمل من يقرأه ومن يستمع إليه، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة»[11].

ويتفاوت العباد في مردود حسنات قراءة القرآن الكريم بالنسبة لهم، وفي تأثير القراءة بالنسبة لغيرهم، فمنهم من له النصيب الأوفر من الحسنات والتأثير وهو المؤمن القارىء، ومنهم من لا نصيب له مطلقاً وهو المنافق الحقيقي، ومنهم من له تأثير ظاهر دون الباطن وهو المرائي، ومنهم من له تأثير باطن دون الظاهر وهو المؤمن الذي لا يقرأ القرآن الكريم، يوضح ذلك الحديث الشريف الذي يرويه أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة وطعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر «وفي رواية المنافق» الذي يقرأ القرآن، كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها، ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه»[12].

ويراعى عند قراءة القرآن الكريم أمور كثيرة يغفل عنها كثير من الناس منها: صحة التلاوة، وتدبر معانيه، والعمل بأوامره ونواهيه، والتخلق بأخلاقه.. فعندما سئلت السيدة عائشة -رضي الله عنها- عن خلق الرسول ﷺ أجابت: كان خلقه القرآن.. فعار على قارىء القرآن الكريم أن يكون بوقاً مزماراً لا يعي ما يقول.. ولا يعمل بما ينطق.

قال رجل لإبراهيم النخعي: إني أختم القرآن كل ثلاث. قال: ليتك تختمه كل ثلاثين وتدري أي شيء تقرأ!!

وقالت السيدة عائشة- رضي الله عنها -: كانت تنزل علينا الآية في عهد رسول الله ﷺ فنحفظ حلالها وحرامها وأمرها وزجرها، قبل أن نحفظها.

وقال ﷺ: «سيكون في أمتي قوم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، هم شر الخلق والخليقة»[13].

وقال الحسن: حملة القرآن ثلاثة نفر: رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس، ورجل حفظ حروفه وضيع حدوده، واستدر به الولاة، واستطال به على أهل بلده. وقد كثر هذا الضرب في حملة القرآن لا كثرهم الله - عز وجل- ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه، فسهر ليلته،

(11) مجمع الزوائد ١٦٢/٧. وابن كثير/ ٥٤٣.

(12) سنن أبي داود جـ٦٦١/٤ رقم ٤٨٢٩.

(13) رواه مسلم في كتاب الزكاة.

وهملت عيناه، تسربل الخشوع، وارتدى الوقار، واستشعر الحزن، ووالله لهذا الضرب من حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر، بهم يسقى الله الغيث وينزل النصر، ويدفع البلاء.

والقرآن الكريم كتاب الله

﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾(١٤)، وكله يتعبد بتلاوته، وكل حرف من كل آية فيه يثاب المسلم بحسنات عند قراءته. غير أنه وردت بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ تعظم سورا من القرآن الكريم وتعظم بعض آياته، وترغب في الإكثار من قراءتها مثل: سورة الفاتحة، وسورة البقرة، وآية الكرسي، وسورة آل عمران، وسورة الكهف، وسورة ياسين، وسورة تبارك «الملك»، وسورة التكوير، وسورة الزلزلة، وسورة التكاثر، وسورة الكافرون، وسورة الصمد «الإخلاص»، والمعوذتين.. من هذه الأحاديث: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «بينما جبرائيل عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضا «صوتاً» من فوقه فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»(١٥).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله - تعالى -: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل. وفي رواية فنصفها لي ونصفها لعبدي، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين. قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم. قال: أثنى عليّ عبدي، فإذا قال: مالك يوم الدين، قال مجدني عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل(١٦).

وعن معقل بن يسار - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً، واستخرجت: الله لا إله هو الحي القيوم من تحت العرش فوصلت بها، أو فوصلت بسورة البقرة، وياسين قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له»(١٧).

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قلب القرآن ياسين لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له، اقرؤوها على موتاكم»(١٨).

---

(١٤) الواقعة (٧٩).

(١٥) رواه مسلم في صلاة المسافر ٨٠٦ والقرطبي ١/١١٦.

(١٦) رواه البيهقي ٢/٣٧ وإتحاف السادة ٣/١٥٠.

(١٧) مجمع الزوائد ٣١١٦ ومسند الإمام أحمد ٥/٢٦.

(١٨) مسند الإمام أحمد ٥/٢٦.



وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «يؤتى الرجل في قبره فتؤتى رجلاه، فتقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ سورة الملك، ثم يتؤتى من قبل صدره أو قال: بطنه، فتقول ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك، ثم يتؤتى من قبل رأسه فتقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك، فهي المانعة تمنع عذاب القبر، وهي في التوارة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب»[19].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾[20]: تعدل نصف القرآن، و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾[21]: تعدل ثلث القرآن، و﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾[22]: تعدل ربع القرآن[23].

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: لا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية كل يوم؟ قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال: أما يستطيع أحدكم أن يقرأ: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾[24].

سبحانك ربي أنزلت على نبيك ورسولك قرآنك، وفتحت به أبواب الخير لعبادك، وجعلته مصدر رحمتك وحسناتك، نزل به الروح الأمين على خير الأنبياء والمرسلين، فعنت لعظمته وجوه الفصحاء، وخرت لسحر بيانه جباه البلغاء، فأذعنوا له صاغرين، وآمنوا به ساجدين، وأيقنوا أنه تنزيل من رب العالمين.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واحرصوا على تعلم القرآن الكريم وتعليمه، وعلى تلاوته وترتيله، وربوا أبناءكم على حفظه وتجويده، تفوزوا وتربحوا وتنجوا، فهو الذي أخرج الناس من ظلمات الجهل والغي والفساد إلى نور العلم والاستقامة والصلاح، وسطع نور هديه في الأكوان، وظهرت آثار عدله ورحمته في كل مكان. قال -تعالى-:

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[25].

***

(19) المستدرك ٢/٤٩٢.

(20) الزلزلة (١).

(21) الإخلاص (١).

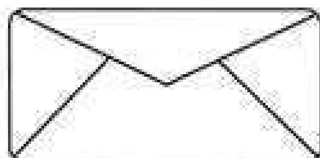
(22) الكافرون (١).

(23) رواه الترمذي ٢٨٩٤ والمستدرك ١/٥٦٦.

(24) الترغيب والترهيب ٢/٣٧٩.

(25) فصلت (٤٢).





# رسالة .. و .. رد

**رسالة هذا العدد وردت من القارئ .. أمين جمعة محمد ـ السباعية ـ أسوان .. يقول فيها:**
**جاء في بعض الكتب أن المحشر سيكون في الشام وهذا يتنافى مع قوله ـ تعالى ـ:**

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَٰوَٰتُ ﴾(١).

**ثم إن أرض الشام ضاقت بمن فيها في عصرنا هذا، فكيف تكون أرض المحشر لجميع الخلائق من لدن آدم إلى يوم القيامة؟.**

وقبل أن نبين المراد من الآية المذكورة وازيل شبهة الأخ القارئ، أبادر فأقول إنه لا تعارض البتة بين آيات الكتاب العزيز ولا بين القرآن والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ وقد جاء في السنة أن أرض المحشر بالشام، فقد روى أحمد وأبو داود وابن ماجة عن ميمونة مولاة رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قالت: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس قال: «أرض المحشر والمنشر، ائتوه وصلوا فيه فإن صلاة فيه بألف صلاة».. وفي رواية لأحمد عن بعض نسائه عليه الصلاة والسلام ـ أنها قالت: يا رسول الله فإن لم تستطع إحدانا أن تأتيه؟. قال: «إذا لم تستطع إحداكن أن تأتيه فلتبعث إليه زيتاً يُسْرج فيه؛ فإن من بعث إليه بزيت يسرج فيه كان كمن صلى فيه».. والمراد ببيت المقدس في هذا الحديث وغيره، المسجد الأقصى والأرض التي بارك الله فيها حوله وهي لُب الشام، ولفظ الشام يطلق عليها وعلى ما جاورها كما أن أهل سوريا يطلقون كلمة الشام على دمشق.

أما قوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَٰوَٰتُ ﴾

فيقرر بلا جدال أن الأرض والسماوات يبدلان يوم القيامة لا محالة وللعلماء في هذا التبديل رأيان:

**الأول**: أنه تبديل صفة لا ذات.. بمعنى أن الذات باقية والذي يُغَيَّر الصفة والشكل.. كما تقول بَدَّلْت الفضة خاتماً، إذا أذبتها وسويتها خاتماً.. فنقلتها من شكل إلى شكل، ومنه قوله ـ

(١) إبراهيم (٤٨).

تعالى ـ:

﴿ فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾[٢].

ويقال بدلت قميصى جبة، أى نقلت العين من صفة إلى صفة. ويقال تبدل زيد إذا تغيرت أحواله.

**الثانى**: أن تفنى الذات الأولى وتحدث ذات أخرى كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه قوله ـ تعالى ـ عن الكفار فى جهنم:

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[٣].

وكقوله ـ تعالى ـ عن أهل سبأ:

﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾[٤].

فجلود الكفار المبدلة فى جهنم غير الجلود السابقة التى تهرأت وفنيت من النار، وكذلك جنتا سبأ بعد الكفر غير الجنتين الأوليين اللتين كانتا لهم قبل الكفر واللتين قال عنهما ربنا:

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾[٥]

بدلهم الله بالجنتين العظيمتين جنتين أخريين تحتويان على شجر ذى ثمر مُرّ وشوك وقليل من النبق عقوبة لهم على عدم الشكر[٦].

وذكر الألوسى فى تفسيره أن ابن ـ عباس رضى الله عنه ـ قال: «تبدل الأرض يزاد فيها وينقص منها وتذهب آكامها وجبالها وأوديتها وشجرها وما فيها وتُمَدّ مَدّ الأديم وتصير مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً». وتبدل السماوات بذهاب شمسها وقمرها ونجومها، وحاصله يُغيّر كلٌّ عما هو عليه وأنشد:

وما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التى كنت أعلم

وقال ابن الأنبارى: بطيّها وجعلها مرة كالمهل، ومرة وردة كالدهان.. وأخرج ابن أبى الدنيا، وابن جرير، وغيرهما عن على ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال: تبدل الأرض من فضة والسماء من ذهب.

وأخرج ابن المنذر عن مجاهد أنه تكون الأرض كالفضة والسماوات كذلك. وصح عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: تبدل الأرض أرضاً بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يسفك عليها دم حرام ولم يعمل فيها خطيئة[٧].

ورجح الألوسى أن يكون الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ على التشبيه، أى شبه الأرض المبدلة بالفضة فى البياض والسماء بالذهب.

---

(٢) الفرقان (٧٠).
(٣) النساء (٥٦)
(٤) سبأ (١٦)
(٥) سبأ (١٥).
(٦) مفاتيح الغيب للرازى جـ ٩ ص ٣٧٦ وما بعدها بتصرف.
(٧) روح المعانى للألوسى جـ ١٣ ص ٢٥٤.




وجاء في صحيح البخاري عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى»[8].. قال سهل أو غيره ليس فيها معلم لأحد.

قال ابن حجر في شرح هذا الحديث.. قرصة النقى أى الدقيق النقى من الغش ومن النخالة.. وشرح قوله ﷺ «ليس فيها معلم لأحد».. المراد أنها ليس فيها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر ولاشيء من العلامات التى يهتدى بها في الطرقات كالجبل والصخرة البارزة، وفيه تعريض بأرض الدنيا وأنها ذهبت وانقطعت العلاقة بينهما».. وقال ابن أبي جمرة: فيه دليل على عظم القدرة والإعلام بجزئيات يوم القيامة ليكون السامع على بصيرة، فيخلص فيه من ذلك الهول لأن في معرفة جزئيات الشيء قبل وقوعه رياضة النفس وحملها على ما فيه خلاصها، بخلاف مجيء الأمر بغتة وفيه إشارة إلى أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة جداً، والحكمة في الصفة المذكورة أن هذا اليوم يوم عدل وظهور حق، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذى يقع فيه ذلك طاهرا من عمل المعصية والظلم وليكون تجليه ـ سبحانه وتعالى ـ على عباده المؤمنين على أرض تليق بعظمته ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده...». وفيه إشارة إلى أن أرض الدنيا اضمحلت وأن أرض الموقف تجددت[9].

هذا وأقوال أئمة المفسرين والشراح يرجحون الرأى القائل بأن التبديل تبديل ذات لا صفات، وبقي أن نشير إلى أمرين: الأول: أين يكون الخلق عند التبديل؟ الثاني: وهو ما اشتبه على الأخ السائل، كيف يحشر الناس جميعاً على أرض ضيقة.. أما عن الأول فقد أجاب عليه حديث عائشة الذى أخرجه مسلم ـ رضي الله عنه ـ أنها سألت النبي ﷺ عن هذه الآية: «يوم تبدل الأرض غير الأرض».. أين يكون الناس يومئذ. قال: «على الصراط»[10]. وفي رواية الترمذي: «على جسر جهنم»[11] ومثله في رواية «أحمد على متن جهنم»[12].. وقد جمع البيهقي من هذه الأقوال جميعاً بأن المراد بالجسر والمتن.. الصراط.. والله أعلم.

أما عن الثاني فإن أرض المحشر سواء أكانت أرض فلسطين أو غيرها لا تبقى على حالها بل تُمد كمد الأديم كما سبق أن ذكرنا. فتسع الناس جميعاً والله قادر على كل شيء، فالذى أعادهم بعد العدم وحشرهم جميعاً بنفخة واحدة من الصور، قادر على أن يوسع أضيق المساحات لتسع الناس جميعا. فلا تقس يا أخي أحوال القيامة على أحوال الدنيا.

---

(8) رواه البخاري.

(9) فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ٢١ ص ١٧٨.

(10) رواه مسلم.

(11) رواه الترمذي.

(12) رواه أحمد.




وفي المسألة أحاديث أخرى وكلام كثير لا يتعارض بعضه مع بعض، وفيما ذكرنا كفاية لإزالة الشبهة التي عرضت للأخ السائل. والله أعلم.

● وفي رسالة الأخ أمين جمعة سؤال آخر عن تسبيح الله وتحميده وتكبيره دُبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين. ويقول: لكننا نرى المصلين يفعلون ذلك بسرعة لا تليق وجلال اسم الله - تبارك وتعالى - ويسأل: هل نُطق لفظ الجلالة في الذكر سواء في الصلاة أو غيرها يكون كنطقه في قراءة القرآن الكريم.

وفي حديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَبّح لله دُبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسع وتسعون.. ثم قال تمام المائة.. لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.. غُفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»(١٣).

وروى أن الفقراء شكوا إلى رسول الله ﷺ أنهم ليس لهم ما يتصدقون به كما يفعل إخوانهم الأغنياء. فأرشدهم إلى ختام الصلاة السابقة كي يعوضوا ما فاتهم من ثواب الصدقة، ففعلوا. ثم عادوا إليه مرة أخرى يقولون: إن إخواننا الأغنياء سمعوا ما نقول وعلموا ما نفعل، ففعلوا فعلنا. أي أنهم مازالوا متفوقين علينا في الثواب بسبب غناهم.. فقال لهم - صلوات الله عليه وسلامه -:

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾(١٤).

والعدد مطلوب بذاته كما قال العلماء ولا يجوز أن ينقص أو يزيد لاحتمال أن يكون لتلك الأعداد حكمة وخاصية تفوت بمجاوزة ذلك العدد، وقد عدّ القرافي الزيادة من البدَع المكروهة لأن شأن العظماء إذا حددوا شيئا أحبوا أن يوقف عنده، ويعد الخارج عنه مسيئاً للأدب، قالوا: وذلك كالدواء، إذا زيد فيه أو نقص ذهبت فائدته ومثلوا لذلك بأسنان المفتاح، إذا زيد فيها أو نقص لا تفتح. فكذلك العدد المذكور إذا زيد فيه أو نقص لا يحصل على الثواب الموعود به، فعليك بالاتباع واترك الاختراع والنزاع(١٥).

بقي أن نقول للأخ السائل: إن لفظ الجلالة وكل أسماء الله الحسنى له قدسيته وجلاله، لابد أن ينطق نُطقاً صحيحاً كما يُقرأ في القرآن الكريم بلا مد في أوله ولا في آخره لأن المد في أوله كُفر.. لأنه يتحول إلى استفهام. والمد في آخره، لحن لا يليق بجلال الله. على أن الذكر لا يؤدي ثمرته المرجوة من خشوع القلب وامتلائه بالخشية إلا إذا كان النطق بلفظ الجلالة والأسماء الحسنى عموماً على النحو الوارد في القرآن الكريم. والله أعلم.

---

(١٣) أخرجه مسلم.

(١٤) المائدة / ٥٤.

(١٥) الدين الخالص للشيخ محمود خطاب جـ٢ ص٢٤١ بتصرف.

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

# استفتاءات القراء

## تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

**إعداد الشيخ/ عبد الفتاح الزيات**

● **سؤال من خالد عبد المحسن سعد - حوش عيسى -:**

**- أنا رجل مسلم من المواظبين على أداء الصلوات في وقتها ولكنني أصبت بمرض في ساقي ولا أستطيع الجلوس للتشهد إلا على كرسي وكذلك في الركوع. فما هي الطريقة التي أستطيع أن أؤدي بها فريضة الصلاة من غير تقصير؟**

●● **الجـواب:**

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه نفيد بأنه من المنصوص عليه شرعا أن المريض إذا عجز عن الصلاة وهو قائم، أو خاف زيادة المرض أو أصابه من ذلك الم يشغله عن الخشوع الواجب في الصلاة، عليه أن يصلي قاعداً كيف شاء لأن ذلك أيسر على المريض، والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ لعمران بن حصين: «صل قائما فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنبك... إلخ» [الحديث]

ولأن عذر المرض أسقط عن المريض الأركان فلأن تسقط عنه الهيئات أولى، فإذا تعذر الركوع والسجود أومأ برأسه قاعداً إن قدر على القعود وجعل سجوده بالإيماء أخفض من ركوعه.

وإذا كان السائل يقول: إنه لا يستطيع

الجلوس إلا على كرسي وأنه لا يستطيع الركوع ففي هذه الحالة يصلي وهو جالس على الكرسي وعليه أن يكبّر تكبيرة الإحرام ثم القراءة واقفا ثم يكمل صلاته جالساً، ويومىء للركوع برأسه ويسجد فعلاً إن كان يستطيع السجود فإن لم يستطع أومأ له برأسه كالركوع وجعل إيماءه للسجود أخفض من الركوع، وصلاته صحيحة مادام العذر قائما فإن زال عذر المرض وجب عليه أن يصلي وهو قائم بركوع وسجود لعدم وجود العذر حينئذ.

هذا إذا كان الحال كما ورد في السؤال والله أعلم.

**● سؤال من فضل الله. س. ف - وادى حلفا -:**

**- قمت ببيع بعض أطيانى الزراعية بمبلغ لا بأس به لأشترى به عمارة فى أسوان ولكنى لم أوفق فى الشراء وترتب على ذلك أننى كنت أصرف من هذا المبلغ حتى بلغ ما قمت بصرفه حوالى النصف وبقى النصف الآخر فهل تجب فيه الزكاة مع العلم أنه ليس فائضاً عن حاجتى وحاجة أولادى لأننى كلما احتجت أية مصاريف آخذ منه؟**

**●● الجواب:**

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله ومن والاه نفيد بأن شرط وجوب الزكاة كما نص على ذلك فى فقه المذاهب -ملك نصاب حولى تام فارغ عن دين عليه لأى من جهة العباد وكذا عن حاجته الأصلية تحقيقا كالنفقة ودور السكن وآلات الحرب والثياب المحتاج إليها لدفع الحر والبرد، أو تقديرا كالدين فإن المدين محتاج حتما إلى قضائه خوف الحبس الذى هو فى الحكم كالهلاك وآلات الحرفة وأثاث المنزل ودواب الركوب وكتب العلم، فإن كان عنده مبالغ مستحقة بصرفها إلى تلك الحوائج صارت كالمعدومة وصارت مثل الماء الذى يحتاج إليه للدفع العطش فإنه يصبح كالمعدوم وجاز التيمم للصلاة.

وصرح ابن مالك بأن من معه دراهم ومسكها بنية صرفها إلى حاجته الأصلية فإنه لا تجب فيها الزكاة إذا حال عليها الحول وهى عنده، وهذا الذى جاء عن ابن مالك وإن كان موافقا لظاهر عبارات المتون فإنه يحمل على ما إذا امسكه لينفق منه كل ما يحتاجه فإن حال عليه وبقى فى يده نصاب فإنه يزكى ذلك الباقى وإن كان قصده الإنفاق منه على نفسه وعياله فى المستقبل.

وعليه فإن ما بقى فى يد السائل من هذا المال بعد الصرف فى حوائجه الأصلية وبلغ النصاب الشرعى وحال عليه الحول فإنه تجب فيه الزكاة وهى ربع العشر أى: ٢,٥٪.

هذا إذا كان الحال كما ورد فى السؤال والله أعلم.



● **سؤال من رباب السيد فرحات - المنيب - الجيزة:**

**- نظراً لما نراه ونسمعه عن جرائم إسرائيل وفظائعها وتقتيلها للفلسطينيين الذين يدافعون عن أرضهم وعرضهم فهل يجوز إخراج الزكاة لهؤلاء الفلسطينيين على أية صورة وبأية وسيلة؟**

●● **الجواب:**

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه نفيد بأننا نشكر الأخت السائلة على هذه النخوة وهذا الإحساس الذي هو نابع من عقيدتنا التي ترفض الظلم وتحث على مقاومة المعتدي الباغي الغاصب.. ثم نقول: لقد بيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ مصارف الزكاة في الآية رقم ٦٠ من سورة التوبة والتي حددتها بثمانية مصارف، والفقهاء متفقون على تحديد المراد منها فيما عدا المصرف المعبر عنه بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(١). فإنهم اختلفوا في تحديد المراد منه، والأكثر على أن المراد منه «الغزاة»، والغزاة هم جند المسلمين الذين يعدون ويجهزون للدفاع عن الوطن ويردون عنه العدو ويقومون على حماية الدين وتأمين الدعوة الإسلامية والإنفاق على هؤلاء الغزاة وعلى كل من يدافع عن الأرض والعرض وعن بيوت الله في الأرض يشمل كل ما يحتاجونه ويعينهم على أداء واجباتهم والقيام بها على الوجه المطلوب من عتاد وسلاح وتموين وكل ما يؤدي إلى مساعدتهم لتحقيق مطالبهم. والأخوة الفلسطينيون أحوج ما يكونون إلى مثل هذه المساعدة التي تقويهم على الوقوف في وجه هذا المعتدي الباغي الغادر المدجج بالعتاد والسلاح ونظم القتال الحديثة وهم بلا شك داخلون في معنى «وفي سبيل الله» والمعبر عنهم بالغزاة وهم بذلك مصرف من مصارف الزكاة المنصوص عنه في الآية السابقة.

غير أنه لاعتبار المبلغ المدفوع لهؤلاء المدافعين عن حقهم الشرعي، من الزكاة الواجبة شرعاً في المال فإنه يجب على صاحبه أن ينوي عند الدفع أن يكون المبلغ المدفوع زكاة ماله، إذ النية شرط من شروط إخراج الزكاة.

هذا إذا كان الحال كما ورد في السؤال. والله أعلم.

---

(١) التوبة ٦٠.





# الزواج مشكلات وحلول

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

**اقتضت حكمة الحكيم الخبير ـ سبحانه ـ حفظ النوع البشرى وبقاء النسل الإنسانى إعماراً لهذه الدنيا وإصلاحاً لشئون العالم. يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾(١)**

**ولذا شرَع الحكم العدل ما ينظم العلاقات الإنسانية بين الجنسين الذكر والأنثى ومن أجل ما شرَع وأجمله سنة الزواج وما لها من حكم وأحكام ومقاصد وغايات وآداب فالزواج ضرورة اجتماعية لها دورها الفعال فى بناء الحياة وتكوين الأسر وتأسيس البيوت. كما أنه المنوط به تكوين أوثق الوشائج وأقوى الروابط. وهو شرعة إلهية ثمرتها اليانعة استقامة الحال وهدوء البال وراحة الضمير. إنه أمر يتواءم مع الفطرة وتقتضيه السجايا الطيبة قبل أن تحث عليه الملة وتطلبه الشريعة السمحة. إنه ينسجم تمام الانسجام مع الطباع السليمة والفطر السوية. إنه حصانة وابتهاج.. وغاية القول فيه إنه آية من آيات الله الدالة على حكمته.**

قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

والفرد يسعى إلى الزواج منذ شبابه الباكر مستجيباً لنداء الرسول الكريم ـ ﷺ ـ حين قال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(٣) كما أن الشاب يدقق فى الاختيار استجابة لقوله ـ ﷺ ـ: «تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»(٤).

(١) هود (٦١)

(٢) الروم ـ آية ٢١

(٣) أخرجه البخارى ومسلم من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه.

(٤) أخرجه أبوداود والنسائى وغيرهما.



وقد بين الفاروق ما يمكن أن يمنع من الزواج بقوله لقبيصة: «ما يمنعك من الزواج إلا عجز أو فجور». وقانا الله الأمرين. وفي تبيان أن الزواج أمر جوهرى مُلح.. يقول ابن مسعود - رضى الله عنه -: «لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام ولي طول على النكاح لتزوجت كراهة أن ألق الله عزبا». ثم يوضح الرسول ﷺ أن الخير كل الخير في الزواج حين قال - ﷺ -: «وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(*).

وبعد تلك الإلمامة السريعة بمكانة الزواج وآثاره نجد أنفسنا أمام سؤال وهو: ما بال كثير من الناس يشكوا ويتبرم؟. ولماذا تزداد المشكلات الاجتماعية للزواج وتتفاقم؟. وما السبب في أن الأدواء الأسرية تكثر وتتعاظم؟.. نعم لقد كثر الحديث عن مشكلات الزواج وتوالت فيه الكتابات والمقالات وحيث إن تلك المشكلة الخطيرة تضرب بجذورها العميقة في صميم الحياة الاجتماعية للفرد والجماعة على مختلف الظروف والمستويات، فتكاليف الزواج تمثل شبحاً مخيفاً للشباب. فهل من مخرج؟.

ولا ريب أن شريعتنا الغراء قد أبانت المنهج الواضح الصحيح حين جاءت بتيسير أمور الزواج والتشجيع على الاقتصاد في نفقاته. فقد روى الإمام أحمد من حديث عائشة أن رسول الله - ﷺ - قال: «إن أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة» ومن ثم فالذين يخالفون هذا المنهج بالتسويف والتأخير وأى لون من ألوان التعقيد، إنما يحيدون عن شرع الله ويجانبون سنة رسول الله - ﷺ - القولية والفعلية.

**أولى تلك الظواهر**: ظاهرة العنوسة وتأخر كثير من الجنسين عن الزواج. وهي ظاهرة استشرت، وحجة المستمسكين بها المدحوضة هي تعلقهم بآمال وأحلام، وتشبثهم بخيالات وأوهام وتمسكهم بطموحات أو قل مثاليات هي في الحقيقة نسج الشيطان وتلبيسه.

إن العنوسة مدعاة للوقوع فريسة لأنواع الزواج المشبوه ومرد تلك المشكلات ضعف المعتقد وقلة الديانة وسوء الفهم لأحكام الشريعة. إنه النظر المشوش حول المستقبل والتخوف الذى لا مبرر له.. والسلف الصالح عليهم الرضوان قدوتنا، يقول الصدّيق: أطيعوا الله فيما أمركم من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى. ويقول ابن مسعود: التمسوا الغنى من النكاح. وأما التقاعس عن ذلك فإن له مضاره الخطيرة وعواقبه الوخيمة لا سيما في زمن فشت فيه أسباب الفتن والسبل المنحرفة لقضاء الشهوة. فلا عاصم إذن من الانزلاق في مهاوى الرذيلة والفساد الأخلاقي إلا التحصن بالزواج الشرعي.

**وثاني الظواهر هي**: ظاهرة عضل النساء من زواج الأكفاء. والرسول - ﷺ - يقول: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكون فتنة في الأرض وفساد

---

(*) رواه أحمد.



عريض» (أخرجه الترمذي وابن ماجة والحاكم بسند صحيح). والحقيقة أن هناك بعض أولياء الأمر - هداهم الله - يخونون الأمانة التي حملوها تجاه بناتهم حينما يرفضون زواجهن من الأكفاء ديناً وخُلقاً، وأمانة.. فقد يتقدم لهم الخاطب الكفء فيعتذرون متعللين بأعذار لا تصمد أمام المنطق السليم.. فمنهم من يحتج بقلة مال الخاطب ودنو وظيفته وعدم وجاهته، أو مكانته.. وكلها أمور نسبية ويغفلون أمر دينه وخلقه وأمانته. بل قد يدفع الجشع والطمع بعضهم أن يعرض ابنته الحرة المسلمة، سلعة للمزايدة والمساومة، فياللظلم والعضل!!.. وقصة النبي شعيب أشهر من أن تحكى والأسوة في السلف الصالح متوافرة، فها هو عمر يعرض ابنته حفصة على أبي بكر ليتزوجها، ثم على عثمان.

**وثالث المشاكل وأهمها**: مشكلة غلاء المهور والمبالغة في الصداق من بعض الأوساط الأمر الذي جعل الزواج عند البعض مشكلة صعبة مستعصية على الحل، إذ كيف السبيل وقد وصلت بعض المهور أرقاماً فلكية خيالية تثقل كاهل الزوج. وقد بيّن الفاروق - رضي الله عنه - خطأ كل تلك السلوكيات حين قال: «ألا لا تغالوا في صداق النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى في الآخرة لكان النبي - ﷺ - أولاكم بها. لم يصدق امرأة من نسائه ولم تصدق امرأة من بناته بأكثر من اثنتي عشرة أوقية». وانظر إلى البساطة واليسر في فعله - ﷺ - فقد زوج رجلاً بما معه من القرآن. وقال لآخر التمس ولو خاتماً من حديد.

**رابعاً**: التكاليف الباهظة والعادات العقيمة التي فرضها البعض تقليداً ومفاخرة وإسرافاً ناسين قول الله: «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا».

**وخامس الأمور**: ما أحدثه البعض في حفلات الزواج من أمور منكرة يأباها الشرع إضافة إلى ما سبق. فقد توسع البعض في الاختلاط بين الرجال والنساء.

**السادس**: أنه بعد أن حُلّت المشاكل وأزيلت العقبات وبنى الزوج بزوجته ودخل بها يدعى لهما: بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير. وتلك دعوة الإسلام التي خالف بها دعوة الجاهلية.

فما أجدرنا بالسير على منهج الإسلام لنحقق الحياة الاجتماعية السعيدة الموفقة التي ترفرف عليها رايات المحبة والوئام وحينها قل على مشكلات الطلاق السلام بعدما بلغت إحصاءاتها أرقاماً مذهلة تنذر بخطر كبير وشر مستطير.

والختام قوله - ﷺ -: «لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين».. رواه ابن ماجة والبيهقي وغيرهما. والله أعلى وأعلم.

# بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

## ( مسابقات أم قمار )

**طالعتنا جريدة الأخبار في عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠١/٧/٥ بهذا التحقيق الجريء، وضمت فيه رأي خيرة رجال الدين والعلم وعلى رأسهم فضيلة مفتي الجمهورية د. نصر فريد واصل، الذي أفتى بتحريم برامج المسابقات واعتبارها لوناً من ألوان القمار وتغريرا بالمشاهدين. نفتح بابا للمناقشة الجادة لمحتوى هذا السيل المتدفق من برامج المسابقات التي تطل علينا صباح مساء من جميع القنوات التليفزيونية بإلحاح.. تطرح أسئلة ساذجة وتسيل لعاب المشاهد بجائزة مالية ضخمة مقابل اتصال تليفوني عبر النداء الآلي.. ويظل يتأرجح بين الأمل والاحباط حتى يكتشف أنه سراب!!**

تعليقا على فتوى فضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية بتحريم المسابقات الهاتفية عبر وسائل الإعلام لأنها صور مستحدثة من صور القمار والميسر، اتفق د. أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر في الرأي مع فضيلة المفتي، لأن المسابقات التي تركز على الجوانب الهزلية والمعلومات غير المفيدة محرمة، ويقسم الدكتور أحمد عمر هاشم المسابقات الهاتفية إلى نوعين: الأول يتعلق بسؤال ديني أو اجتماعي أو ثقافي يختبر فيه ذكاء المتسابق وثقافته فإذا حصل على جائزة دون التقدم بمال أو بذل لشيء يكون كالرصيد أو كالقمار فهو جائز وحلال، أما النوع الثاني فهو مسابقات عن موضوعات غير مفيدة وليس لها قيمة علمية أو ثقافية أو مسابقات يدفع المتسابق ثمنا للاشتراك فيها مثل ثمن المكالمة التي تحتسب لصالح الجهة التي تجري المسابقة فتكون رصيداً مالياً من ثمن آلاف المكالمات بينما يفوز بالجائزة المالية شخص واحد فقط فهي حرام لأنها تشجع على إهدار الوقت..

أما التأثير الاجتماعي لهذا الطوفان من برامج المسابقات التي انتشرت في الفترة الأخيرة في جميع قنوات التليفزيون فيثير قلق الدكتورة عزة كريم الخبير الاجتماعي بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية لأنها غريبة على مجتمعنا. فهناك مسابقات

إيجابية تهدف إلى تحفيز المواهب والابتكارات مثل مسابقات الاختراعات أو مسابقات تحفيظ القرآن الكريم.. هذه المسابقات مطلوبة لأنها تؤدى إلى تنمية شخصية الإنسان ومواهبه وذكائه والمفروض أن نتوسع فيها لأنها تعطى الفرصة للمغمورين من أصحاب المواهب للظهور والإبداع وتعطى الأمل للشباب بظهور القدوة المبدعة.

القمار بالتليفون هو أنسب تسمية لبرامج المسابقات عبر الهاتف التى انتشرت هذه الأيام. هذا ما يؤكده الدكتور صفوت العالم أستاذ الإعلان والعلاقات العامة بكلية الإعلام جامعة القاهرة لأنها تختلف عن مسابقات ترويج السلع والخدمات التى تهدف إلى تنشيط المبيعات وينحصر ضررها فى تعظيم وإثارة النزعة الاستهلاكية لدى الأطفال وتركيز القرارات الشرائية فى نوعيات محددة من السلع قد لا تكون مفيدة أو ضرورية للمستهلك. أما مسابقات الهاتف فشخصية المعلن فيها مبهمة بالنسبة للمشاهد فتنطوى على الخداع خاصة لعدم إعلان اسم الفائز بالجائزة حتى يتحقق من مصداقية المسابقة، والملاحظ أن أرقام الهواتف المعلنة على الشاشة هى أرقام خدمات والمفروض أن تكون مجانية حتى لا تصبح وسيلة للتربح للمعلن. كما أن تكرار إذاعتها بين الفقرات يفسد متعة المشاهدة ويشتت انتباه الجمهور، ويؤكد مفهوم ضربة الحظ والمقامرة عن طريق النسبة والتناسب بين تكلفة المكالمة وقيمة الجائزة وقد كشف لى أحد المعلنين أنه قدم مسابقة جائزتها ٥٠٠ جنيه ربح من خلالها ٥٥ ألف جنيه قيمة المكالمات التى أجراها المشاهدون البسطاء الطامعون فى الجائزة!! هذا العبث بأحلام الناس من خلال الشاشة له تأثير خطير فى دولة نامية تعانى من ارتفاع نسبة البطالة والكساد. ومن خلال الأسلوب المتعمد لإطالة مدة الاتصال إذا نجح المشاهد فى إتمام المكالمة. لتصل إلى ٦ أو ٧ دقائق لتصل قيمة المكالمة إلى حوالى ١٥ جنيها كشرط للاشتراك فى المسابقة هو نوع من المقامرة بينما المفروض أن يتم اختيار المتسابقين عشوائيا.. وأخيراً يؤكد الدكتور صفوت العالم أن شكل الشاشة المصرية التى تتغنى بالريادة والتميز صار شكلا متعبا ومهلهلا بتكرار إذاعة هذه المسابقات العقيمة التى لا تقدم معلومات مفيدة، بل تغرى البسطاء بأحلام الكسب السريع، وتعظم من قيمة ضربة الحظ والمقامرة.

■ **التعليق:**

هذه المسابقات ضرب من الميسر وإهدار للوقت فى لهو من الحديث لا يُسمن ولا يُغنى من جوع.

## الفهم الصحيح للإسلام

فى جريدة الأخبار فى عددها الصادر فى ٢/٧/٢٠٠١ كانت لنا هذه الوقفة مع الكاتب السورى الغيور على دينه «عبدالقادر يحيى الديرانى» قال فيه:

لقد تداعت جميع الأوساط الثقافية شرقا وغربا علينا نحن المسلمين كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ذما وقدحا واتهاما بانتهاك حقوق المرأة وأصدروا حكمهم بأننا نحن المسلمين أعداء المرأة وطواغيتها بل وأننا أمة ضحكت من جهلها وظلمها الأمم لا سيما فى قضية تعدد الزوجات.

وبسبب الفهم الخاطئ، بل والمنحرف لقضية تعدد الزوجات وبسبب هجر القرآن الكريم وعدم دراسته والأخذ من كتب وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، بسبب ذلك نسب لهذا الدين الحنيف الظلم كل الظلم وهضم المرأة فى هذا

الأمر كل الهضم، فقد ظلمت المرأة وهضمت حقوقها وغبنها الإسلام وما ذلك إلا لعدم فهمهم للإسلام ولتأويل الآيات الواردة بهذا الخصوص.. فهم يقرأون فقط

﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾(١).

وقد أخذوا هذا النصف الأخير من الآية الكريمة وقرأوها ناقصة فعموا عن القرآن الكريم وصموا.

الحقيقة أنه لا يصح قراءة آية قرآنية دون ربطها بما قبلها وما بعدها لأن آيات القرآن الكريم محكمة مترابطة فيما بينها، أما هم فقد أخذوها منقوصة دون إعطائها حقها من التدبر والتفكر ودون ربط بداية الآية بنهايتها، لذا فسروها بتفسيرات شهوانية نفسانية لا تتوافق والمراد الإلهي السامي الذي وضعها به الله -تعالى- فلم يدركوا حقيقة معانيها السامية وهضموا حقوق المرأة وأساءوا لها بالغ الإساءة بل وشوهوا سمعة الإسلام السامية أيما تشويه.. إن هذه الآية الكريمة نزلت لأهداف إنسانية سامية، وقد وردت في حق النساء اللاتي توفي أزواجهن أو استشهدوا وعندهن أطفال بحاجة إلى رعاية وتربية إيمانية تسمو بهم إلى مكارم الأخلاق، فالآية الكريمة جاءت لأمرين:

**أولاً: المرأة الأرملة. وثانياً: الأيتام.**

وإنه لا يجوز لأحد أن يقسم الآية نصفين وعلى حسب المزاج وذلك لأن الآية الكريمة أبدا لا تقبل التقسيم لأنها مشروطة بـ «إن» الشرطية ولا تقبل التجزيء فالآية القرآنية:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾.

أي: في حالات الحروب ونقص الرجال بالاستشهاد وقد خلفوا وراءهم أرامل ويتامى.. في هذه الحالة فقط أو بحالات إنسانية، لا نفسانية أنانية، يحق للرجل المتزوج الاقتران بأكثر من زوجة بغية تربية أبنائها التربية الصالحة؛ فيربي ذلك الرجل الصالح هؤلاء الأيتام مع أولاده كما لو كان أبوهم موجودا وكأنه أب ويأخذ أموالهم ويديرها لهم بتشغيلها لصالحهم حتى تتأمن منها نفقاتهم وأمور معيشتهم وإذا ما كبروا يجدونها بين أيديهم محفوظة كما ينقذهم من براثن الانحطاط الأخلاقي والفساد الاجتماعي لعجز الأم «الأنثى» عن قيامها بهذا الدور من حيث تقويمهم وتسليكهم سبيل الرشاد والسيطرة على سلوكيات أبنائها البالغين وكبح جماح انحرافهم وشذوذهم إذ ليس الذكر كالأنثى، ولكل مقام على حسب الخلق والتكوين الطبيعي، فسيطرة الرجل الأبوية والطبيعية «من ناحية نفسية وفسيولوجية» تختلف تماما عن سيطرة المرأة.. وهذا أمر مقطوع فيه بالواقع العملي والعلمي. فللأمهات سكب الحنان والحب والدلال للابن وللأب العطف وكبح جماح الشذوذ والانحراف، فينشأ الابن النشأة الصالحة القويمة بين الرغبة والرهبة فلا يميع ولا يتعقد.

وإن هذا القسط وهذه الرعاية للأيتام وهذا الحفظ لأموالهم يستلزم أن يدخل الرجل الذي يرعاهم عليهم بيتهم دائما وفي ذلك ما فيه من

(١) سورة النساء (٣).

الشبهة بحق الأرملة والرجل الذى أراد الإحسان لها ولأيتامها إن لم يتزوجها لذلك أمر -الله عز وجل- بالزواج منها، وتلك هى إنسانية هذا التشريع الإلهى الحكيم.

وعندما يستشهد الأب الصالح فى سبيل الله دفاعا عن الوطن والأهل والولد هل يضح ترك الأبناء دون أب يصلح ويقوّم اعوجاجهم ويحول دون شذوذهم وضياعهم؟.. هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، هذا الشهيد الذى ضحىّ بحياته «والجود بالنفس اسمى غاية الجود» هل جزاؤه أن تبقى زوجته أرملة عرضة للانحلال الأخلاقى والفساد الاجتماعى، فإذا كان الإسلام قد أمر بالإنفاق على الأرملة فهل يكفيها الإنفاق وحده بعد رحيل الزوج؟ اليست بحاجة إلى رجل هى أيضا يحنو عليها ويؤنس وحدتها ويشبع غرائزها الفطرية من طريق حلال وبما تحمد عقباه!؟

وهل يبقى الأيتام دون مشرف قوى على تربيتهم التربية القويمة لا سيما عند سن المراهقة عندما لا تقوى المرأة على ضبط سلوكياتهم؟ هل نتركهم عرضة للإجرام والشذوذ، فيصبح أبناء الشهيد «دون ضابط حازم قوى» فيتشردون ويغدون مجرمين أشقياء؟

من أجل ذلك، وحباً ورحمة بنا خاطب الله -تعالى- فينا إنسانيتنا لنستفيد من هذا العمر الثمين

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ﴾.

إذا خفت الا تسوس الأيتام وتؤدى لهم حقوقهم والعناية بهم

﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾.

## تـــزوج أمهاتهـــم

ويشترط القرآن الكريم انه يحق للمتزوج القادر من الناحية المالية والجسمية والعقلية أن يتزوج أرملة أو اثنتين أو باقصى الحدود والإمكانات البشرية ثلاث أرامل لإيواء أبنائهن وحفظ شرفهن وامدادهن بالعيش الكريم بشرط ان يكون: حكيما عالما حائزا على قسط من الكمال والحكمة ليعدل بين الزوجات وينشأ الأبناء النشئة الصالحة إذ معنى آية

﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ ﴾ لكم جميعا انه لن تطيب الحياة الزوجية إلا بتوافر ثلاثة شروط أساسية فى الزوج:

١- السعة المالية. ٢- القوة الجسمية.

٣- الحكمة الإيمانية.

إذن الزواج بأكثر من زوجة لا يجوز أبدا إلا لأهداف إنسانية سامية مشحونة بالرحمة على الأطفال والحفظ لأموالهم والحنان، والعطف على الأرامل لإنقاذهن من الدمار الاجتماعى وتلك لعمرى أسمى الآيات، آيات الله الرحيم وعطفه على عباده، إذ أن تعدد الزوجات أمر بناء مزدان بالتآزر والتضامن والإحسان للشهيد الكريم ولزوجته وأبنائه.. بناء على الآيات الكريمة لا يجوز تعدد الزوجات إلا لأهداف سامية إنسانية وبغية إنقاذ الأرامل واليتامى لا لإشباع الميول المنحطة والتمسح بالدين والقرآن وهضم حقوق المرأة والإساءة لها.

■ **التعليق:**

نشكر الكاتب على متابعته لما يُقال عن الإسلام وغيرته التى جعلته يرد بحجة دامغة من قول كريم فى لوح محفوظ.

# بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم/ عادل رفاعى خفاجة

## بين الجد والفكاهة

كنت أعتقد أن كلمة «الأرشانة» تنفرد بها النساء، وأنها ميراث خالص للمرأة دون الرجال لا تسمح أن تقتسمه مع أحد.

غير أن الأستاذ الدكتور فرج كامل سليم، الأستاذ بجامعة الأزهر أبى إلا أن ينصف المرأة وينتصر لها ويثبت مشاركة الرجل لها فى هذا الإرث الوبيل، وأن من بين الرجال من هو «أرشان» أيضا، فيُمْتِعُنا بهذه الكلمة الطريفة حيث يقول:

ـ قرأت فى «مجلة الأزهر» ما جاء بشأن كلمة «الأرشانة» وردها لأصلها العربى، ويسرنى أن أمتع القراء بأبيات شعرية تدور حول هذه الكلمة نظمها الشاعر الأديب محمد حسين عبدالحليم عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة.

أرشانةٌ زُفت إلى أرشان
فتواثبا ذئبين يصطرعان
خاضا عراكهما لأول ليلةٍ
فتطايرتْ فوق الخدود يدان
أمن الأنام فنعجبُ أم هما
شيطانةٌ مردت على شيطان
خضعا لقانون الغريزة لحظة
وتواعدا بالشرِّ بعد ثوان

وكم فى ندوات المجالس من شعر فكاهى يستحسن أن يُتحف به القراء.

● **المحرر**: كم نتمنى أن يثرى القراء هذا الباب بمثل هذه الطرائف الجادة ونحن إذ نقدم شكرنا للأستاذ الدكتور فرج كامل سليم ننتظر من سيادته ومن السادة القراء المزيد.

# كيف تحسب رزقك؟

● ومن الصديق الدائم الاستاذ / السيد حسين العزازى وكيل وزارة بالكهرباء والطاقة وردت هذه الكلمة عن مفهوم الرزق يقول فيها :

ـ علماء الاقتصاد يفرّقون بين نوعين من الدخل، أحدهما الدخل النقدى والآخر الدخل الحقيقى، والاول يمثل جملة النقود والمقبوضات التى تصلك فى صورة أجر أو مرتب أو بدلات وخلافه، أما الثانى فيشكل الدخل النقدى مضافاً إليه الخدمات التى يحصل عليها المواطن فى صورة دعم للسلع والخدمات الاساسية كالتعليم والصحة والتموين والمواصلات .. إلخ. وعلى ذلك فالدخل الحقيقى أشمل من الدخل النقدى ويدل على دور الدولة فى تحقيق العدالة الاجتماعية وتقليل الفوارق بين الطبقات من خلال ما تقدمه من تسهيلات لذوى الدخول المحدودة وإزالة اسباب الفاقة والعوز وهذا أمر نرجو أن يستمر ويضطرد ويتزايد لأنه الترجمة الحقيقية للتكافل.

ـ ولأن اسباب الحياة ليست مادية فقط فلا يمكن الاقتصار فى حساب مصادر الإشباع والإمتاع على النقود وما يقابلها من خدمات ذات قيمة حيث لا يمكن إنكار الجوانب المعنوية وأثرها فى كينونة الفرد وديمومة الحياة على نحو من الرضا والقبول وقبل ذلك وبعده محتوى الإيمان الذاتى الذى يرتب الامن النفسى والتعامل مع الآخرين بثقة وثبات لا يخالجه شك أو تردد وذلك من شأنه تهيئة جماليات شعورية وتأملية تنمى فينا روح الامل وتكسر موجات الاحباط وترفع عنا غائلة الوقوع فى براثن العجز واستشعار الذل وجماع هذه الايجابيات الاخلاقية والسلوكية يضمه معنى واحد وهو التقوى. والتقى من يستشعر الرضا فيسعى دون كلل ويجد بلا ملل ويرضى بالمقسوم فإذا به أغنى الناس.

ـ وعلى هذا فعلينا ونحن بصدد الكلام عن الدخل الا نبتعد به عن دائرة الرزق لئلا يفوتنا ان نستجمع الربط بين ما نحوزه بفعلنا وما يصلنا بفضل الله علينا وذلك حتى لا نقع فريسة المادية الفجة التى تحاصرنا بغشاوة لا نتبين معها ما حولنا أو حتى ما بداخلنا من كنوز وفيوض ربانية أولها الحواس المدركة والعقل المفكر وتلك مداخلنا للتفوق والتميز بقدر توظيفها والاستفادة منها فإذا أضفنا إلى ذلك مشاعرنا ودخيلتنا ومتانة عقيدتنا وتفعيل ذلك لخيرنا وغيرنا ومردود ذلك علينا لتضاعف الحصاد نقودا وسعودا..

والهوايات من الرزق... فالذى تروقه الكتابة أو سبل التعبير الاخرى كالرسم ووسائل الفنون الجميلة أو حتى القراءة والتأمل فى قدرة الله وبديع صنعه يضم بين جنبيه روحا محلقة وإرادة وثابة وبصيرة ثاقبة ونفساً مفعمة بالمحبة للخالق والخلائق وهؤلاء يتمتعون بالاستغناء أى انهم يملكون ما هو أرقى وأنقى وأبقى.

ـ ومن الرزق ما نحسه ولا نلمسه ممثلا فى (الستر) وهو عناية الله بعباده وعطفه عليهم وتفضله بالغوث والتيسير فيزيل الهموم ويفرج الكروب ويبهج القلوب بما لا يعدله مال الدنيا فى

نظر الشاكرين. وفى ظروف كثيرة تجد من يقضى حاجتك دون عناء أو من يتفضل بإفادتك فى أمر يرتبط بمصلحتك ولولاه لتعرضت لضرر مادى أو أدبى وهو مما يُعد رزقا يضاف إلى حسابك بغير تدخل منك وهو ما تحتسبه فضلا من الله ونعمة.

ـ والسعادة الزوجية والتوافق الأسرى والصداقة الحميمة والزمالة الراقية وعلاقات العمل الجيدة والتفاهم بشكل عام، مبعث للسعادة وذلك مما لا يقوّم بمال.

ـ والذُّرّية من الرزق وإن كان البعض يضيق بها فى ظل اعتبارات الغلاء وتفاقم أعباء وتكاليف المعيشة وواقع الأمر أنهم ذخر فى الشباب وسند فى المشيب وإضافة مادية ومعنوية وإيمانية لمن أفاء الله عليه بالذرية الصالحة فضلاً عما يخامر الآباء من سعادة بالأبناء تكتمل بشكر الله وابتغاء مرضاته فإذا بالأبناء طاقة عطاء للآباء تستحث إخلاصهم وتستنفر شفافيتهم واستغفارهم وتقربهم إلى الله وتغلف تصرفاتهم بالشفقة على من سواهم اتقاء لله فى ذريتهم وكلنا يعلم أن الذرية لا تشترى ولا تستجلب بالمال بل عطاء الله لمن يشاء من عباده والله يرزق من يشاء بغير حساب.

ـ والسلام الاجتماعى مما لا يقدّر بمال، وهو مقدّم على كثير من مطالب الحياة وعندما ننعم بروح الأخوّة وتحتوينا المبادىء الرفيعة فى العمل والتعامل فمن شأن هذا توفير مناخ الاستقرار والحرص على الانطلاق والاستمرار على دروب التنمية والارتقاء. وعندما نرقب الدنيا من حولنا بما يدور فيها من خلاف واختلاف واقتتال بين أبناء الوطن الواحد نشعر بنعمة السلام والوئام وتجدد العهد على التماسك والتمسك بكل أسباب الترابط والاتحاد.

ـ وعدل الله ينشر ألويته ويبسط أجنحته على خلقه جميعا وبلا استثناء ولو تأمل كل منا واقعه لوجد خيرا كثيرا تترجمه حقائق منها صحة الجسم وسلامة العقل والحلم والصبر وحسن النية وانشراح الصدر وامتلاء القلب بكل أسباب الرقة والعطف وتلك وغيرها أدوات وآليات لجلب السعادة وهى الغاية التى يتمناها البشر ولا يمكن توفيرها بالأسباب المادية بل تستند على مقومات وعناصر معنوية يمنحها الله إيانا بلا مقابل، ومن ذلك نتبين سذاجتنا وضيق أفقنا عندما نقصر الرزق على الدخل فلا نحسب فضل الله الذى لا ينفد بل يتوالى مدده دون توقف ولكن أكثر الناس يجحدون.. ومن ذلك يتضح أنك تستطيع أن تحسب ( دخلك ) ولكنك تعجز عن أن تحصى رزقك لأنه عطاء الله ونعمته التى تشكل المظلة الواقية والروضة التى تغذى عقلك وقلبك وكوامنك وتسرى فى أوصالك فتجعل الحياة مشرقة بضياء الأمل والإيمان. وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

[ آية ٣٤ / سورة إبراهيم ]

● **المحرر** : تذكرنا هذه الكلمة بقول علماء الرياضيات: «إن الكمية المحدودة إذا ما قورنت بكمية غير محدودة تؤول إلى الصفر» ولا خلاف أن غير المحدود هنا : نعم الله التى لا تعد ولا تحصى، وأن المحدود هو الدخل مهما عظم، فياليت الذين يتطاحنون ويتباغضون من أجل الحصول على دخل أكبر يعلمون أنهم إنما يتطاحنون من أجل الحصول على كمية تؤول إلى الصفر!!!

# أى الأطفال يدخل المساجد؟!

إن اصطحاب الأطفال إلى المساجد لتعويدهم على الصلاة أمر هام، ولكن الحفاظ على هيبة المسجد أمر أكثر أهمية.

**حول هذا المعنى وردت رسالة القارىء خيرى محمد إبراهيم -كفر الجرايدة- بيلا- كفر الشيخ.. يقول فيها:**

- نحن مأمورون بأن نعوّد أطفالنا منذ الصغر على الصلاة والصيام وسائر أعمال الخير حتى إذا بلغوا حد التكليف، كانت ممارستها سهلة عليهم إذا ما كبروا وبلغوا سن التكليف. كما يندب تدريبهم على الأعمال الجماعية لتقوية روح الاجتماع فى نفوسهم ومن ذلك شهودهم الجُمَع والجماعات فى المساجد، والفقهاء تحدثوا عن ترتيب صفوف الجماعة فقالوا:

- يكون الرجال فى الصفوف الأولى ثم يليهم الصبيان ثم يليهم النساء.

ولا تعارض مع الحديث الذى رواه ابن ماجه والطبرانى من أن النبى ﷺ قال: «جنّبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم».

لأنه يُقصد به المحافظة على نظافة المسجد وتوفير الجو الهادىء الذى يليق بمكانته ويساعد المتعبدين والمصلين على أداء عبادتهم بخشوع وخضوع واطمئنان وورع والغالب من الصبيان صدور أعمال تتنافى مع ما تقدم ذكره. وحتى لا يكون هناك تعارض بين صلاتهم فى المساجد والأمر بإبعادهم عنها قال العلماء: إن التجنيب يكون للأطفال غير المميزين الذين يكثر منهم العبث واللعب واللهو. أما المميزون العقلاء فلا مانع ولا بأس باصطحابهم إلى المساجد ومشاركتهم الكبار فى الصلاة والعبادة وقراءة القرآن الكريم وأعمال الخير الأخرى، مع متابعة تنبيههم إلى المحافظة على آداب المساجد والآداب الاجتماعية بوجه عام.

وهذا ما أوصى به النبى الأكرم والرسول الأعظم فى حديثه النبوى الشريف حيث قال ﷺ: «مُروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرّقوا بينهم فى المضاجع» [رواه الإمام البخارى فى صحيحه].

● **المحرر:**

● نسأل الله العظيم أن يوفقنا لاتباع هدى نبينا الكريم، ونسأله - جل وعلا - أن يجد هذا القول استحسانا لدي هؤلاء الآباء الذين يصرون علي **اصطحاب أطفالهم** برغم ما يحدثونه من صخب وجلبة بين صفوف المصلين وأولئك الآباء الذين **يتركون أبناءهم** لايعرفون للمسجد طريقا، وكأن الأمر لا يعنيهم!!!

# أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ / محمد عبد الحميد الشرقاوى

## مساعدات إسلامية لإعمار مساجد كوسوفا

قررت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية صرف مبلغ ١٣ مليون ريال سعودى لإغاثة وإعمار إقليم « كوسوفا » الذى يقطنه أغلبية الباقية مسلمة.

وصرح مدير مكتب الهيئة فى بريشتينا عاصمة كوسوفا بأن الهيئة صرفت ثلاثة ملايين ريال على اللاجئين الكوسوفيين فى ألبانيا كما كفلت فى تلك المرحلة أكثر من ٢٠ ألف معلم وداعية وطبعت ووزعت ١١٥ ألف كتاب إسلامى وأنفقت فى إعمار المساجد وتشييد المدارس والمنازل أكثر من ٦ ملايين ريال.

وأضاف مدير مكتب الهيئة أيضاً أنها تسعى لإقامة عشرة مساجد جديدة فى مختلف مدن الإقليم وتخطط لرفع عدد من تكفلهم من الأيتام إلى أربعة آلاف يتيم.

## ترجمة لمعانى القرآن فى المالديف

تم إنجاز ترجمة لمعانى القرآن الكريم باللغة الديفيهية وهى اللغة التى يتحدث بها سكان جزر المالديف وقد أنجز هذه المهمة لجنة من علماء المسلمين تم تشكيلها بقرار من رئيس الجمهورية « مأمون عبد القيوم » على أن يتم طبعها قريباً وتوزيعها فى البلاد وجدير بالذكر أن « عبد القيوم » رئيس جمهورية المالديف من خريجى الأزهر الشريف.

## جنود الاحتلال الإسرائيلى يشربون الخمر داخل الحرم القدسى

ندد أحمد هاشم الصغير عضو المجلس التشريعى الفلسطينى عن محافظة القدس بقيام جنود الاحتلال الإسرائيلى بشرب الخمر داخل الحرم القدسى الشريف وأكد أن هذا التصرف اعتداء سافر على مشاعر المسلمين، وانتهاك لحرمة المسجد الأقصى المبارك.

## حريق متعمد فى مسجد بفرنسا

دمر حريق متعمد مسجداً ببلدة بورـ دو ـ بوك الفرنسية يقع على بعد ٣٠ كيلو متر تقريبا غرب مرسيليا بعد ثلاثة أشهر من افتتاحه حيث أتى الحريق على المسجد بأكمله وقال الأمين العام لمجلس أئمة مرسيليا وضواحيها « عزالدين عينوش » أن المسجد لم يكن قد افتتح رسميا بعد لكن مسجد باريس انتدب إماما له وقال مسئول المسجد أنه لما جاء لفتحه لصلاة الفجر وجد رجلاً

مسلحاً أمره بالابتعاد قبل اشتعال الحريق وبدأت الشرطة تحقيقا عن الحادث.

وصف عينوش ما جرى بانه «مشين» مؤكدا انه أثار حالة كبيرة من الاستياء.

## الأزهر يصادر كتبا تدعو الى البهائية

قرر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف مصادرة جميع كتب البهائية التي تحاول جماعات خبيثة ترويجها في مصر وقد ابلغ الجهات المسئولة لمنع دخول هذه الكتب إلى مصر لتصادمها مع العقيدة الإسلامية وهي كتب: العهد والميثاق «لدرويش مصطفى و«المجموعة المباركة» وهي مجموعة رسائل تعليمية لنشر البهائية أصدرها المحفل البهائي بالاسكندرية و«مفاوضات عبد البهاء» المطبوع في دار النشر البهائية في بلجيكا.

## مسلمو بريطانيا يحتجون على فصل صحفي مسلم من «B.B.C»

اعرب بيان اصدره المجلس الإسلامي البريطاني عن استنكاره لقرار اتخذته شبكة الإذاعة البريطانية «B.B.C» بفصل مراسل مسلم بسبب انتماءاته الإسلامية وقال البيان الذى نقل تفاصيله موقع ليلة القدر على شبكة الانترنت ان مسئولا في «B.B.C» أعلن عن وقف التعامل مع صحفي فلسطيني يدعى «فيصل بودى» بسبب ما ورد إليها من شكاوى حول انحيازه الواضح للمسلمين وهو ما اعتبرته الشبكة متنافيا مع الحياد الذى يجب ان يراعى في أخبارها.

واعتبر البيان ان قرار «B.B.C» يمثل تفرقة واضحة بين موظفيها بسبب اتجاهاتهم الدينية ودعا البيان الإذاعة للتراجع عن هذا القرار.. وقال السكرتير العام للمجلس ان «B.B.C» كانت قد اثنت مراراً على كفاءة هذا الصحفي وحياده في صياغة تقاريره مما يدل على ان هذا القرار استجابة لضغوط يهودية وبخاصة أنها لم تتخذ نفس الخطوة تجاه كثير من مراسليها اليهود الذين يعدون لها تقارير متحيزة ضد المسلمين.

**شبكة المعلومات الدولية «الانترنت»**

## من أجل شارون بوليس واشنطون يعتقل زعماء المسلمين

اعتقلت شرطة واشنطن قادة أكبر المنظمات المسلمة الأمريكية خلال احتجاج نظمه القادة المسلمون اعتراضا على استقبال الرئيس الأمريكي «بوش» لرئيس الوزراء الإسرائيلي «شارون» وما يعنيه هذا الاستقبال من اعتراف ضمني بسياسات القمع الإسرائيلية حيث يرى الزعماء المسلمون الأمريكيون أنه ينبغي معاملة شارون كمجرم حرب وليس كقائد دولة.

جاء اعتقال القادة المسلمين بعد ان تعمدوا الجلوس أمام البيت الأبيض ورفضوا أوامر الشرطة بالتحرك، من بين الزعماء الذين تم اعتقالهم رؤساء: مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية ـ منظمة المسلمين الأمريكيين من أجل القدس ـ مجلس الشئون العامة الإسلامية ـ المجلس الإسلامي الأمريكي ـ الجمعية الإسلامية الأمريكية ـ منظمة التضامن الدولي من أجل حقوق الإنسان.

ومن الجدير بالذكر انه يعيش بالولايات المتحدة حوالى «٧» ملايين مسلم.

# أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

## استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد السفير / أبوبكر بن داود سفير ماليزيا بالقاهرة يرافقه السيد / وان أبوبكر وان المستشار التعليمي بالسفارة والسيد / عبدالرزاق عبدالوهاب مدير الشئون القنصلية والسيد / محمد نور بن يعقوب الملحق التعليمي بالسفارة والوفد المرافق لهم.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف مشيرا إلى أن طلبة وطالبات دولة ماليزيا يدرسون بالأزهر الشريف على منح منه ويصل عددهم حوالي ستة آلاف طالب وطالبة، وقد أثنى فضيلته على خلق الطلاب الماليزيين؛ مما جعلهم قدوة طيبة لغيرهم من الطلاب.

وأوضح فضيلته بأن الأزهر الشريف دائما في خدمة دولة ماليزيا ولا يدخر وسعا في تقديم العون والمساعدة العلمية والتعليمية والثقافية.

● كما استقبل فضيلته وفدا من أعضاء مجلس الشيوخ التايلاندى ورجال الصحافة والإعلام برئاسة الدكتور / كريسال شونها وان رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ التايلاندى يرافقهم السيد روراويث كانفيثاسين سفير تايلاند بالقاهرة رحب فضيلته بالوفد في مصر شارحا لهم دور الأزهر الشريف في تعليم أبناء المسلمين أمور الدين الصحيح، وموضحا أن منح الأزهر الدراسية لطلاب وطالبات دولة تايلاند وجامعته الصديقة تجاوزت أعدادها ٥٠٠ طالب وطالبة ومشيدا بالخلق الطيب للطلاب والطالبات والنبوغ والاجتهاد الذي يتمتع به طلبة وطالبات تايلاند وهم يمثلون القدوة الطيبة لغيرهم، وأوضح فضيلته أن الأزهر الشريف لا يألوا جهدا في تقديم المساعدة والعون للمسلمين التايلانديين في النواحي العلمية والتعليمية والثقافية.

شكر السيد رئيس الوفد فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء والحفاوة معربا عن أن حضورهم إنما هو لتقديم الشكر والعرفان ومد جسور التعاون بين تايلاند والأزهر الشريف، وطلب زيادة المنح الدراسية، وتقديرا وعرفانا لدور الأزهر الشريف فإنهم بصدد إهداء معدات وآلات طبية لمستشفى جامعة الأزهر

الشريف مساهمة منهم في التعبير عن عمق الروابط بين البلدين.

وقد شكرهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ووعدهم بتلبية طلباتهم.

● واستقبل فضيلته السيد / ابديز تيام نائب رئيس مجلس الشعب ومبعوث الرئيس السنغالي والسيد بابا عثمان سن وزير مفوض السفارة في السنغال بالقاهرة.

رحب فضيلته بالضيفين الكريمين بمصر والأزهر الشريف مؤكدا على عمق الروابط الأخوية بين البلدين وأن الأزهر الشريف يقدم المنح الدراسية لطلاب السنغال حيث يدرس في الأزهر ٢١٨ طالبا على منح الأزهر الشريف، كما أن للأزهر بعثة أزهرية من العلماء يقومون بالتدريس لأبناء السنغال.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء.

● واستقبل فضيلته الوفد النيجيري من ولاية سكوتو برئاسة الحاج حمزة عيسى نائب محافظ سكوتو والسيد / دوث إما سفير نيجيريا بالقاهرة والوفد المرافق.

رحب الإمام بالضيوف في مصر والأزهر الشريف وقال نحن لاندخر وسعا لخدمة الإسلام والمسلمين وأوضح أن في الأزهر الشريف حوالي ١٣٥ طالبا بالقاهرة والإسكندرية، يدرسون على منح بالأزهر وحوالي ١١٢ يدرسون على نفقتهم الخاصة شكر السادة الضيوف فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء وطلبوا زيادة المنح الدراسية وزيادة عدد المدرسين كما طلبوا تزويدهم بالكتب الدينية كالتفسير والحديث وسيرة الرسول ﷺ وطلبوا معادلة الشهادات الموجودة في نيجيريا بالشهادات الأزهرية والمساهمة في إنشاء معاهد أزهرية بالولاية وقال السادة الضيوف إن الأزهر الشريف فيقوم بالتعليم بالطرق الصحيحة والمعتدلة وفي نهاية اللقاء قدم السادة الضيوف الشكر لفضيلة الإمام وقدموا الدعوة لفضيلته لافتتاح معهد أزهري بولاية سكوتو النيجيرية وقد وعد فضيلته بدراسة طلباتهم تمهيدا لتلبيتها.

## حفظة القرآن أمل الأمة

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر حفل تكريم الطلاب والطالبات أوائل الشهادات الأزهرية كذا تكريم المناطق الأزهرية الفائزة في مسابقات أنشطة رعاية الطلاب الجائزة الكبرى والتي تنظمها الإدارة المركزية لرعاية الطلاب وذلك بمبنى مجمع المعاهد النموذجية بمدينة نصر ويبلغ عدد الطلاب الأوائل المكرمين ٢٤ طالبا وطالبة هم أوائل ثماني شهادات أزهرية : الابتدائية والإعدادية والثانوية ودبلوم المعلمين وشهادة التجويد وتخصص التجويد وعالية التجويد وثانوية البعوث الإسلامية بالإضافة إلى تكريم ١٠٧ من العاملين بالمناطق الأزهرية وبلغت قيمة الجوائز أكثر من ١٦٤ ألف جنيه، كما تم تكريم المناطق الأزهرية التي فازت في المسابقة الكبرى وجاءت في المركز الأول محافظة الغربية، والمركز الثاني الدقهلية والمركز الثالث الشرقية ومحافظة كفر الشيخ والاسكندرية وسوهاج والبحيرة والجيزة وقنا والقليوبية والقاهرة والمنيا ودمياط.

وفي كلمته اكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن حفظة القرآن الكريم هم أمل الأمة في دفع مسيرة التقدم مشيرا إلى أن الإنجازات التي تحققت للأزهر الشريف جامعا وجامعة في عهد السيد الرئيس محمد حسني مبارك حفظه الله، وقد حث فضيلته الطلاب المكرمين على مداومة الفوز والاستمرار في التقدم لمسابقات حفظ القرآن الكريم وذلك بالمثابرة على قراءة القرآن الكريم وحفظه، وقد رصد الأزهر الشريف مبلغ ثمانية ملايين ونصف لحفظة القرآن الكريم لمسابقة هذا العام وسيتم الإعلان عنها قريبا.

ثم قام فضيلته بتوزيع الجوائز وشهادات التقدير

والدروع للطلاب والطالبات ولرؤساء المناطق والعاملين بالمناطق الأزهرية ومتوسط ما حصل عليه الطالب أو الطالبة من جوائز حوالي ٥٠٠ جنيه مصرى.

حضر الحفل الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف ونواب رئيس الجامعة وفضيلة الشيخ رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وقيادات قطاع المعاهد والمسئولين عن رعاية الطلاب.

## لا مساس بموضوعات التراث

● رأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف جلسة المجلس الأعلى للأزهر الشريف، وقد وافق المجلس على تعديل المناهج الدراسية والكتب المقررة على المراحل المختلفة الابتدائية والإعدادية والثانوية مع الالتزام بعدم المساس بموضوعات التراث القديم، وتدريس كتاب الفقه الميسر للمرحلة الإعدادية، وتدريس كتب التفسير الوسيط للمرحلة الثانوية وكتاب مباحث في علم التوحيد والأخلاق في الصفوف الثلاثة.

كما تمت الموافقة على الأخذ بنظام التقييم المستمر على القائمين بالتدريس في المعاهد الأزهرية والتكثيف على الدورات التدريبية التنشيطية للمدرسين في فترات الاجازة الصيفية وذلك في المواد التي يدرسونها للارتقاء بالمستوى العلمي لهم، كذا تمت الموافقة على تشكيل لجان متخصصة لتقييم الأداء من حيث مستوى الطالب والمدرس ونتائج الامتحانات وترفع نتائج هذه اللجان لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف.

وقد أكد المجلس على أن المعادلة التي تمت بين جامعة الأزهر الشريف والجامعة الإسلامية الأمريكية المفتوحة بأمريكا خاص بالدارسين داخل الولايات المتحدة الأمريكية.

الموافقة على اعتماد مشروع اللائحة الحالية الداخلية لمركز جامعة الأزهر لأبحاث علوم المواد والزجاج بكلية العلوم للبنين بالقاهرة، كذا الموافقة على تصويب مسمى قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بشعبة أصول الدين بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية ليصبح قسم «العقيدة والفلسفة» حضر الاجتماع فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف والسادة نواب رئيس الجامعة وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر الشريف وفضيلة الشيخ عمر البسطويسي رئيس الإدارة المركزية للإعلام والعلاقات.

## ترجمة «معاملات البنوك وأحكامها الشرعية» إلى الأردية

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد السفير أنور سماك سفير باكستان بالقاهرة رحب فضيلته بالسيد السفير في مصر وأزهرها الشريف مؤكدا على العلاقات الطيبة والممتازة بين البلدين في مجالات كثيرة وأهمها الناحية التعليمية والتثقيفية حيث توجد بعثة من علماء الأزهر الشريف بدولة باكستان الشقيقة لنشر الثقافة الاسلامية كما توجد معاهد أزهرية بباكستان تدرس مناهج وكتب الأزهر الشريف، كما يوجد طلاب من باكستان يدرسون على منح الأزهر في معاهده وجامعته الصديقة.

شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على حسن الاستقبال، وقد طلب من فضيلة الإمام الأكبر الموافقة على ترجمة الكتب الخاصة بالمعاملات الإسلامية وأحكامها الشرعية إلى اللغة الأردية لينتفع بها أبناء باكستان وبخاصة كتاب «معاملات البنوك وأحكامها الشرعية» لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف

مؤكدا على أن الحكومة الباكستانية هي التي تتولى عملية ترجمة وطبع الكتاب وسيقوم بالترجمة متخصصون في اللغة العربية والأردية وسيتم العرض على فضيلته قبل اتمام الطبع.

وقد أبدى فضيلة الإمام الموافقة المبدئية من قبيل نشر العلم والانتفاع به على أن تتم بعض الإجراءات القانونية مع السفارة في هذا الشأن.

كما طلب السيد السفير وفدا من علماء الأزهر لمناقشة معاملات البنوك في دولة باكستان حيث لم تحسم هذه المسائل في دولة باكستان وقد رأى فضيلته أنه من الأفضل أن يأتي وفد من علماء باكستان والمهتمين بهذه القضايا إلى مصر ونحن مستعدون لشرح وتوضيح هذه المسائل والإجابة على كل تساؤل في هذا الخصوص من الناحية الشرعية حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ رئيس الإدارة المركزية للإعلام والعلاقات.

## الإسلام يدعو الى مكارم الأخلاق

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد القضاة بدولة قازاخستان حيث رحب فضيلته بالضيوف شارحا لهم دور الأزهر الشريف في نشر العلم وتصحيح المفاهيم الإسلامية وتعليم أبناء المسلمين في شتى انحاء المعمورة ومبينا وجه الإسلام السمح للزائرين من دول الغرب حتى يتعرفوا على سماحة الإسلام ويسره، وأن ما ينشر عن الإسلام بقصد تشويه صورته لا أساس له من الصحة لأن الإسلام هو دين الأمن والأمان والعدل ويدعو إلى مكارم الأخلاق وينبذ العنف والتعصب ويبتعد عن المغالاة والتطرف كما شرح لهم التفاصيل المتعلقة بالتعليم في الأزهر من الحضانة حتى الجامعة وأكد أن الأزهر يقدم العون والمساعدة لكل من يطلب ويوجد أبناء من دولة قازاخستان يدرسون بالأزهر الشريف على منح منه، وشكر الوفد فضيلته على حسن الاستقبال وعلى ما يقدمه الأزهر لأبناء دولتهم وحسن الرعاية لأبنائهم في مصر حيث يقيمون في مدينة البعوث الإسلامية تقدم لهم كل الخدمات التعليمية والتثقيفية والترفيهية والصحية مثل غيرهم من أربع وتسعين دولة يسكنون في مدينة البعوث إقامة دائمة.

## لا مجاملات في حرمات الله

● التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بوفد الملحقين الدبلوماسيين في إطار تدريب الدفعة ٣٠ بمعهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية حيث رحب فضيلته بهم في الأزهر الشريف مؤكدا على أننا نعيش في عصر التخصص الدقيق وأن الأمم السعيدة القوية هي التي يعمل جميع أفرادها كل في مجال تخصصه وذلك لمصلحة الأمة، وأن الأمم العاقلة هي التي يكثر بين أفرادها التواضع وحب العمل وحب العلم والمعرفة والتزود بالثقافات المتنوعة النافعة التي تجعل الفرد فاهما لدينه ومتفهما ظروف أمته وما يجب عليه نحو نفسه وأسرته ووطنه مشيرا إلى أن شريعة الإسلام لها مميزات كثيرة على رأسها الوضوح فلا يوجد بها طلاسم ولا يوجد سؤال إلا وله جواب، أسأل ماشئت تجد الجواب الواضح الصريح الذي يقنع العقول السليمة، من هنا نجد أن شريعة الإسلام واضحة في العقائد والعبادات والمعاملات والآداب والسلوك واضحة في كل ما يسعد الإنسان سواء كان ذكرا أم أنثى وما نعانيه الآن أساسه عدم فهم لحقيقة وضوح الشريعة الإسلامية مما أدى إلى ظهور بعض السلبيات في المجتمع وعلى رأسها الوساطة معلنا أن هذا سوء سلوك في المجتمع يؤدي إلى تأخره لأنها تضع الإنسان غير المناسب في مكان لا يستحقه لأنه بن فلان، وهو مما يؤدي إلى فساد الأمم وفسادها يبدأ من الوساطة

والرشوة والمحسوبية حتى يتقدم من لا يستحق ويتأخر من يستحق والإسلام امر بان يعطى كل ذى حق حقه دون ظلم.

وأجاب فضيلته على الأسئلة التى طرحت من أعضاء الوفد ومنها سؤال عن تقديم الخمور فى الحفلات التى تقيمها السفارات وقال إنك إذا دعيت إلى حفلة فى إحدى السفارات فإنك تؤدى الواجب الدبلوماسى مادمت لم تشارك فى أى شيء يخالف أو يغضب الله، وإذا أقمت أنت حفلة مثلا فلا تقدم ما يخالف الله عز وجل أو يغضبه ويتنافى مع شريعة الإسلام ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولا مجاملة فى تقديم ما حرمه الله ونحن مسلمون ويجب علينا احترام ديننا وشريعتنا حتى يحترمنا الناس، ولا مجاملات فيما يتعلق بحرمات الله ودين الله وشريعته مهما كانت الامور والظروف حتى لو كان هذا العمل دبلوماسيا، والمجاملة مرحبا بها بشرط الا تتعارض مع الآداب وما ثبت من الدين بالضرورة مؤكدا على أن الدول العربية لا تقدم الخمور او شيئا يغضب الله ولو حدث لقام اعداء الإسلام بفضحهم فى جرائد العالم.

كما أجاب على الأسئلة الخاصة بتأجير الأرحام، وتحطيم طالبان للتماثيل وحقوق المرأة والتعامل مع البنوك، والتعديلات التى شملتها وثيقة الزواج المدنية، والحوار بين الحضارات إلى غير ذلك من الأسئلة.

## الإمام الأكبر يؤدى العمرة

● غادر القاهرة إلى المملكة العربية السعودية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى ١٠ / ٧ / ٢٠٠١ وذلك لأداء مناسك العمرة وسيلتقى فضيلته خلال هذه الرحلة التى تستمر عشرة أيام مع بعض المسئولين فى المملكة العربية السعودية لبحث توثيق الروابط بين الأزهر الشريف وبين المؤسسات الدينية فى المملكة.

## مجمع البحوث يبحث موضوع المسابقات

● صدر بيان مجمع البحوث الإسلامية بمناسبة ما أثير فى الصحف حول موضوع المسابقات وتم اجتماع برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وحضره فضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية وتقرر فى هذا الاجتماع عرض الموضوع على مجمع البحوث الإسلامية خلال هذا الشهر لمزيد من الدراسة فى ٨ / ٧ / ٢٠٠١.

## فضيلة وكيل الأزهر يشهد اجتماعات منظمة الدعوة

● صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف برقم ٧٣٧ لسنة ٢٠٠١ بالموافقة على سفر فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر إلى جمهورية السودان وذلك لحضور اجتماعات منظمة الدعوة الإسلامية فى الفترة من ١٦ – ١٨ / ٧ / ٢٠٠١م وتتحمل موازنة الأزهر قيمة تذاكر السفر ذهابا وعودة وبدل السفر المقرر قانونا.

كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رقم ٧٣٨ لسنة ٢٠٠١ بالموافقة كل سفر فضيلة الشيخ عمر البسطويسى على حمزة رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة بالأزهر الشريف لجمهورية السودان وذلك لحضور اجتماع هيئة الرئاسة للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة الذى سيعقد فى الفترة من ١٦– ١٨ / ٧ / ٢٠٠١ بناء على الدعوة الموجهة من منظمة الدعوة الإسلامية بدولة السودان.

# الفهـــرس


● الافتتاحية (لغو عن ميراث المرأة)
فضيلة أ.د. محمد رجب البيومي ——— ٧٣٧
● تفسير سورة البقرة
فضيلة أ.د. محمد سيد طنطاوى ——— ٧٤٢
● التثبت من رواية الحديث
فضيلة أ.د. أحمد محمود شيمى ——— ٧٤٨
● الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان (٢)
فضيلة أ.د. أحمد عمر هاشم ——— ٧٥٢
● الدعوة كما ينبغى أن نبلغها
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ——— ٧٥٩
● حول الأصالة والمعاصرة
فضيلة أ.د. محمد إبراهيم الفيومى ——— ٧٦٤
● بين على عبد الرازق والخضر حسين
فضيلة أ.د. محمد عمارة ——— ٧٧٠
● محمد (ﷺ) فى كتابات المستشرقين
فضيلة أ.د. محمد عبد العظيم المطعنى ——— ٧٧٥
● حول نقد سيرة رسول الله لابن إسحاق
نقد وتعليق أ.د. إبراهيم عوضين ——— ٧٨٢
● ما يقال عن الإسلام
فضيلة أ.د. محمد رجب البيومى ——— ٧٩٢
● الزوجة الوفية .. كأنك تراها
فضيلة أ.د. محمود عمارة ——— ٧٩٩
● من مختارات مجلة الأزهر: لا تيأسوا من روح الله
لفضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ——— ٨٠٧
● إحساس الثبات (قصيدة)
بقلم: أبو حسام ——— ٨١٠
● القعقاع بن عمرو التميمى
للأستاذ / أحمد تقى الدين ——— ٨١٢
● ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية (٢)
أ.د. أحمد فؤاد باشا ——— ٨١٦
● أثر العقيدة على التقدم العلمى عند المسلمين
للأستاذ/ مصطفى البسيونى ——— ٨٢٢
● الغد المجب (قصيدة)
للأستاذ عبد المغنى المنشاوى ——— ٨٢٨
● قصة العدد: (المهاجرة الصبور)
للأستاذ شوقى أبو ناجى ——— ٨٣٢
● من بلاغة الخطابة النبوية
فضيلة أ.د. عبد الحليم حفنى ——— ٨٣٦
● قضية للمناقشة
أ.د. محمد أحمد العزب ——— ٨٤٢
● الشاعرة جليلة رضا .. وداعاً
للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ——— ٨٤٥
● الجينو والكيبوتس فى الوجدان اليهودى
د/ محمد حسن عبد الخالق ——— ٨٤٨
● من منظمات الإرهاب الصهيونى فى إسرائيل
للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد ——— ٨٥٤
● طرائف ومواقف
للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ——— ٨٦٠
● تهنئة ودعاء ——— ٨٦٢
● خطبة الجمعة: نزهوا الإسلام عن صغائركم
أ.د. أحمد الشرباصى ——— ٨٦٣
● فضل قراءة القرآن الكريم
لفضيلة الشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف ——— ٨٦٦
● رسالة... و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبد الفتاح سيد جمعان ——— ٨٧١
● استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ——— ٨٧٥
● الزواج: مشكلات .. وحلول
للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير ——— ٨٧٨
● بين الصحف والمجلات
للأستاذ/ محمود الفشنى ——— ٨٨١
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ/ عادل خفاجة ——— ٨٨٥
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد عبد الحميد الشرقاوى ——— ٨٨٩
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذ/ عمر البسطويسى ——— ٨٩١






# الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / بمجمع البحوث الإسلامية / الأزهر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩


بسم الله الرحمن الرحيم

## داخل العدد


- تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر
- إنسانية الغرب فى الميزان
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى
- من ركائز التضامن الإسلامى
للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
- الدعوة كما ينبغى أن نبلغها
لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى
- مساجلة بين فقيهين كبيرين
للدكتور / حمدى فتوح والى
- محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعنى



## الاشتراك السنوى

| | |
|---|---|
| ● داخل مصر | ١٨ جنيها مصريا |
| ● الدول العربية | ٥٠ دولارا أمريكيا |
| ● أوربا وأمريكا | ٨٥ دولارا أمريكيا |
| ● اليابان وشرق آسيا | ١٢٠ دولارا أمريكيا |

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠






افتتاحية العدد

# إنسانية الغرب في الميزان

لا أدرى أين قرأت هذه الحادثة ذات الدلالة النفسية البعيدة. قرأت أن قاضياً يحب أن يذاع عنه العدل والإنصاف عُرضت عليه قضية كان الحاكم خصماً فيها، وكان الحق معه، ولكن القاضي حكم ضده مع وضوح حقه ليذاع في الناس أنه وقف أمام ولى الأمر!! وقد اضطر الحاكم إلى عزله فجعل السطحيون يقولون: إن الوالى جبار طاغية وإن القاضي برىء شهيد!!.

قرأت هذه الحادثة، فذكرت ما يشابهها لدى بعض الكتاب، حين يعرض باحث مسلم لمسألة يتضح فيها وجه الحق في جانب الإسلام، فيحاول جاهداً أن يفترى على الإسلام، وهو من أبنائه لينال شهرة لدى السطحيين والمغرضين بأنه فوق الشبهات، وأنه من حرية الفكر بحيث لم يقف مع دينه، وإذا كان هذا مستغرباً لدى نفر من القراء يستشعرون في صدورهم حمية متوهجة لدينهم الحنيف، فإنه ليس بمستغرب لدى من درسوا الواقع الأدبى في العالم العربى في هذا القرن، فعرفوا كيف بهرت أوربا نفراً من المبعوثين إليها، فانطلقوا يشيدون بحضارتها، وتطرفوا في الإشادة فانتقصُوا الإسلام عامدين، ليقال عنهم إنهم أحرار تخلصوا من معتقداتهم حين استضاءوا بنور الفكر الحديث.

كتب أحدهم عن مظاهر القسوة والطغيان في التاريخ العالمى، فلم يكن من همه أن يقارن حضارة بحضارة ولكن همه الأكبر أن يجعل الإسلام في ناحية وأوربا القديمة والحديثة في ناحية، ثم يهدف إلى موازنة مخطئة خاطئة تنتهى به إلى القول بأن مظاهر القسوة عند المسلمين تتضح بجلاء في تاريخهم المتكرر، وأن أوربا في القديم والحديث أقل قسوة وأكثر رحمة من دول الإسلام في شتى عصوره، وإذا كان الحق لم يعدم نصيراً فقد رأينا من الباحثين من كشف عوار هذا الإفك بالدليل القاطع والمنطق الحاسم، وقد بدا لى أن أضيف الجديد إلى هذه القضية لعل الذين لايخجلون من الافتراء على ذويهم البررة يستشعرون ندماً تائباً فيرجع إلى الحق من يستمع إلى القول فيتبع أحسنه، أما الجاحد المتعصب فلا حيلة لنا فيه.

إن تاريخ أوربا في قديمها لايختلف عنه في حديثها بالنظر إلى القيم الإنسانية وإهدارها،



وإذا ظن ظان أن عصر النهضة قد عاد على العالم أجمعه بالحرية والإخاء والمساواة كما يتشدق بهذا الظن نفر يطمسون وجوه الحقائق عن عمد، إذا ظن ظان هذا الوهم فليعلم جيداً أن ما نادت به الثورة الفرنسية من مبادىء إنسانية لم يجدْ تطبيقه إلا في أوربا وحدها!

فإذا عشقت فرنسا الحرية وأقامت لها تمثالاً وهتفت بأناس دعوا إليها، وجاهدوا في سبيلها، فإن هذه الحرية وقف على الدولة وحدها!! لها أن تعتنقها في أمورها السياسية والاجتماعية، وأن تحرص على تطبيقها قدر ما تستطيع، ولكنها في الوقت نفسه لاترى هذه الحرية حقاً لسواها، فهي تستعمر الشعوب، وتقهر الأمم وتسلط شتى فظائع الإبادة على من يقاومون استعمارها إذ لانصيب لهم في هذه الحرية التي تعتنقها داخل أسوارها! وقل في انجلترا وإيطاليا وهولندة وبلجيكا وسائر دول الاستعمار ما تقوله في فرنسا! فقد لاقت افريقيا وآسيا - وامريكا من قبل - من شرور هؤلاء الطغاة ما لايجهله أحد، وما اضطر الاستعمار إلى أن يحمل عصاه على كتفه ويبادر بالرحيل إلا حين وجد من المقاومة الرهيبة ما أخذ يوازن به بين الكسب والخسارة فإذا الرحيل كسب ظافر، وإذا الاحتلال خسارة فادحة، فأين اعتناق الحرية والمناداة بمبادئها إذا كانت وقفاً على أناس دون أناس.

لنرجع إلى تاريخ أوربا فنتساءل أين وجدت المعاني الإنسانية لدى هؤلاء المتحجرين، أفي عهد الحضارة الإغريقية حين كان يعذب الأرقاء ظلماً وعدواناً إذا اتهم سيدهم بجريمة، فهم وحدهم يعذبون ليعترفوا بجريمة سيدهم، فإذا لم يجدوا لدى أنفسهم مايقولونه إذْ غابوا عن المسرح، فإن العذاب يسلط عليهم حتى يحصل الاعتراف، والسيد آمن مستريح لايهمه في شيء أن يعذب أرقاؤه مدىً يقصر أو يطول، فإذا اضطر أحد هؤلاء الضعاف إلى الاعتراف بشيء قد رآه تحت سياط العذاب، فإن الحكم يصدر على السيد، ثم عليه بعد ذلك أن ينتقم من عبده المعترف بأفظع وسائل التعذيب!! أم ترى وجدت هذه الحضارة في عهد الرومان وكانوا يشنون الحرب على المدن الآمنة، فإذا تحقق لهم الظفر قتلوا الرجال وباعوا الأطفال والنساء في سوق الرقيق، وكانت مشاهد القتل الآثم أعظم حفلات الترفيه لدى الرومان! إذ يقيمون السرادقات الممتدة في الميادين الواسعة ثم يدفعون بالوحوش الجائعة من آساد ونمور وذئاب لتنقض على الأسرى بين صيحات الإعجاب، وتصفيق المشاهدين! أين المعاني الإنسانية في هذه الفظائع المنكرة، وأين ما يقال عن التقدم الحضاري حين ترى الأجساد مصلوبة في الطرقات، وحين تنظر إلى الأحشاء والأرجل والأيدي والرءوس تملأ الشوارع لتدل على معاني الانتصار الآثم لدى قوم يعتزون بأكرم الخصال!! وقد يكون الموت أهدأ حالة من سواه حين تقطع الأيدي والأرجل ويترك أصحابها في الطريق يلاقون الموت البطيء استنزافاً ويتضرعون إلى الله كي يعجل بخلاصهم من الحياة.



ومن يرزق العمر بعد أن بترت أعضاؤه يعيش حياً كميت، فلا يجد غير الحسرة الكاوية، والذل المبين! هذه أوربا القديمة إغريقية ورومانية، فهل وجدت المعاني الإنسانية لديها في واقع أو مثال! إن كبار الفلاسفة قد نادوا باختلاف الطبقات، وجعلوا جماعة من الناس أحراراً يتولون الرياسة والسلطان، وجماعة أخرى عبيداً يخضعون ويذلون فإذا كان كبار الفلاسفة في أوربا لايدينون بالمساواة ويرون أن يتسلط قوم على قوم فأين هي قيم الإنسان؟

وحين ظهرت المسيحية كانت روما ذات الجهد البارز في اضطهادها، وقد أحرق نيرون روما ليلقى تبعه إحراقها على المسيحيين، ويقيم المذابح لاستئصالهم وقد بلغ من الفظاعة في التعذيب أن ألبس ضحاياه جلود الوحوش وطلا أجسامهم بالقار والزيت ثم أشعل الجلود لتأكلهم النار وهم أحياء، على حين أقام حفلة الألعاب، والنار تأكل بني جنسه ليزداد طرباً مع من يشاهدون هذه الفظائع من مؤيديه، وما دار الزمن وتمكنت المسيحية من السيطرة في أوربا ( وهي دين الرحمة في شرعها السماوي ) حتى تركت تعاليم هذا الدين، ووالت تعذيب المعارضين جرياً على سنن السابقين، وكان من الغرائب حقاً أن يقوم قديس مفكر ذو مكان بارز في دنيا العلم بصياغة نصوص تدعو إلى الإرهاب الفكري إذ رأى القديس أوغسطين أن يكون من حق الملحد النفي والجلد والتغريب، ووضع قانوناً للكنيسة يلزمها اتباع هذا الحق، إذ يعزوه إلى السيد المسيح نفسه!! وهي مفارقة ساخرة، يكون فيها نبي الرحمة رسول الانتقام والفظاعة، وأعجب ما قاله القديس أوغسطين أنه بهذا التعذيب القاهر يرحم الضحايا! وينقذهم من العذاب الأبدي يوم القيامة فإذا شئت فجوراً في الدعوى الفاحشة فلن تجد أقوى من فجور يدعي الصلاح ليقوم بأعنف ضروب الفساد، وبهذه السلطة التي خولها ( أوغسطين ) للكنيسة يكون قد قدّم لقساة البابوات حججا قوية في استباحة ما لايستباح من شنائع التعذيب، وطبيعي أن يفرح هؤلاء بما أوتوا وأن يستزيدوا أحبارهم، وحفظة أنا جيلهم من الحجج القامعة، حتى استطاعوا بهذا الاختيال الآثم أن يمنحوا البابا حق الإله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء! أليست بيده صكوك الغفران يمنحها لمن ارتكبوا الموبقات فقتلوا وأثموا وفجروا جزاء أموال تساق إلى الكنيسة سوقاً، لتجد ما يشبع نهمها الأرضي تجبراً وعتواً، وقد كان للبابا سلطة إصدار القرار للأمراء وحكام الإقطاع كي يستأصلوا أعداءه إذ نصّ قرار مجمع ( لاتران ) على إلزام الحكام بمحاربة أعداء الكنيسة، وأن ينحصر جهادهم الدنيوي والأخروي معاً في هذا المجال، ولاتسل عن فرحة الحكام بهذا القرار، إذ أتاح لهم أن يدحروا أعداءهم بتهمة الخروج عن الكنيسة مهما أظهروا التبرؤ من هذه التهمة، وفي شهادات الزور وتلفيق

الأحداث ما يدفع بالأبرياء إلى مقاصل الإعدام لأنهم أعداء الكنيسة!!

وإذا تعجب القارئ مما أقول وعده مبالغة فليقرأ نص قرار الكنيسة الصادر في عام ١٢٢٩م إذ يقول «يحتفظ الحاكم بعرشه متى قام بواجبه في استئصال الإلحاد، فإن تردد في الاستجابة لأمر البابا أكره على الطاعة فوراً، فإن تراخى صودرت أملاكه، وبيعت لمصلحة الكنيسة، واعتقل فوراً ليحاكم على ما فرط في حق المسيح» وقد قرأنا في التاريخ عن أباطرة كبار تراخوا بعض الشيء في تنفيذ رغبات البابا الانتقامية، فأصدر أمره بعقابهم حتى اضطر أحدهم أن يخلع ثياب الإمبراطورية وأن ينتظر حافياً عاري الرأس أمام الكنيسة أربعة أيام حتى يأذن له البابا بالدخول فيقدم توبته، ويصدر قرار العفو عنه، قرأنا ذلك وعرفناه! فهل رأينا شيئاً من ذلك في تاريخ الإسلام!.

والحديث عن محاكم التفتيش ليس سراً، فقد ألفت الكتب ذات المجلدات الضخمة لتشرح فظائع هذه المحاكم التي صبت نارها على الأبرياء، والتي اصطلى المسلمون بنارها في الأندلس، وننقل عنها عن كتاب قصة الاضطهاد الديني بعض ما كتبه مؤلفه الأستاذ الدكتور توفيق الطويل حين قال ص٧٣.

أما الطريقة التي اتبعت في محاكمة المتهمين بالهرطقة في أسبانيا فكانت تنكر كل طريقة معقولة لتوكيد الحقيقة فلم يكن المتهم بريئاً حتى يثبت اتهامه، بل اعتبر كل متهم مذنباً حتى تثبت براءته - إن كان هذا ممكنا - ومن ثم وكلوا إليه عبء التدليل على براءته، وكان قاضيه هو المدعي عليه، وكل من تقدم للشهادة ضده قبلت شهادته، ولو كان من أرباب السوابق، إذ كانت قواعد ادعاء المشهود عليه مرنة طلقة، وعلى عكسها كانت القواعد التي وضعت لرفض شهود الدفاع، إذ كان من حق اليهود والمغاربة والخدم والأقارب إلى الدرجة الرابعة أن يقدموا ضد المتهم ما يثبت إدانته من الأدلة، ولكنهم ممنوعون أن يشهدوا في صالحة، وكان المبدأ الذي اعتنقته محكمة التفتيش هو: لأن يدان مائة بريء زوراً وبهتاناً خير من أن يهرب من العقاب مذنب واحد، ومن ساهم في تقديم الوقود الذي يحرق به الملحد فقد استحق المغفرة.

والحديث عن فظائع محاكم التفتيش لايقف عند حد! وهذه بعض فظائع أوربا، أما رحمة الفاتحين من المسلمين، والأخذ بمبدأ المساواة العادلة بين الأفراد، فقد تحدثت عنه في أكثر من مقال، وقد أعود.

د. / محمد رجب البيومي

# تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله – تعالى –:

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا
وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾
لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ
قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا
الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

الآيات من ٢٢٤ / ٢٢٧

العرضة: فعلة – بضم الفاء – بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة، وهى اسم لكل ما يعترض الشيء فيمنع من الوصول إليه، واشتقاقها من الشيء الذى يوضع فى عرض الطريق فيصير مانعا للناس من السلوك والمرور يقال فلان عرضة دون الخير أى حاجز عنه.



وتطلق كذلك على النصبة التي تتعرض للسهام وتكون هدفا لها، ومنه قولهم: فلان عرضة للناس إذا كانوا يقعون فيه ويعرضون له بالمكروه قال الشاعر:

دعوني أنح وجدا كنوح الحمائم
ولا تجعلوني عرضة للوائم

يريد اتركوني أنح من الشوق ولا تجعلوني معرضا للوم اللوائم.

والأيمان: جمع يمين وتطلق بمعنى الحلف والقسم، وأصل ذلك أن العرب كانوا إذا أرادوا توثيق عهودهم بالقسم بقسموته وضع كل واحد من المتعاهدين يمينه في يمين صاحبه، و «تبروا» من البر وهو الأمر المستحسن شرعا.

والمعنى على الوجه الأول: لا تجعلوا الحلف بالله- أيها المؤمنون- حاجزا ومانعا عن البر والتقوى والإصلاح بين الناس، وذلك أن بعض الناس كان إذا دعي إلى فعل الخير وهو لا يريد أن يفعله يقول: حلفت بالله ألا أفعله فنهاهم الله- تعالى- عن سلوك هذا الطريق.

وهذا المعنى هو الذي رجحه كثير من المفسرين لأنه هو المناسب لما يجئ بعد ذلك من قوله -تعالى-:

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾(١).

ووجه المناسبة أن الله- تعالى- يكره للمؤمن أن يجعل الحلف به مانعا من رجوعه إلى أهله، ولأن هناك أحاديث كثيرة تحض من حلف على ترك أمور الخير أن يكفر عن يمينه وأن يأتي الأمر الذي فيه خير، ومن هذه الأحاديث ما جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «إني والله إن شاء الله، لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها»(٢).

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير»(٣).

وشبيه بهذه الآية في النهي عن الحلف على ترك فعل الخيرقوله- تعالى- في شأن سيدنا أبي بكر عندما أقسم ألا ينفق على قريبه الذي خاض في شأن ابنته عائشة:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُواْ أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَٰكِينَ وَالْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾(٤).

فالآية على هذا الوجه تنهى المؤمن عن المحافظة على اليمين إذا كانت هذه اليمين مانعة من فعل الخير.

واللام في قوله: ﴿ لِّأَيْمَٰنِكُمْ ﴾ متعلق

---

(١) البقرة (٢٢٦).

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٦٦.

(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٦٦.

(٤) النور (٢٢).





بعرضة، وقوله:

﴿ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ ﴾ مفعول لأجله أي: لا تجعلوا الحلف بالله سببا في الامتناع عن عمل البر والتقوى والإصلاح بين الناس.

والمعنى على أن عرضة بمعنى النصبة التي تتعرض للسهام: لا تجعلوا - أيها المؤمنون - اسم الله - تعالى - هدفا لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به في كل حق وباطل، وذلك لأجل البر والتقوى والإصلاح بين الناس، فإن من شأن الذي يكثر الحلف أن تقل ثقة الناس به وبأيمانه، وقد ذم الله - تعالى - من يكثر الحلف بقوله:

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾[5] وأمر بحفظ الأيمان فقال:

﴿ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ ﴾[6].

قال الإمام الرازي: «والحكمة في الأمر بتقليل الأيمان، أن من حلف في كل قليل وكثير بالله انطلق لسانه بذلك، ولا يبقى لليمين في قلبه وقع، فلا يؤمن إقدامه على اليمين الكاذبة، فيختل ما هو الغرض الأصلي في اليمين، وأيضا كلما كان الإنسان أكثر تعظيما لله. كان أكمل في العبودية، ومن كمال التعظيم أن يكون ذكر الله - تعالى - أجل وأعلا عنده من أن يستشهد به في غرض دنيوي، وأما قوله بعد ذلك

﴿ أَن تَبَرُّواْ ﴾ فهو علة لهذا النهي. أي: إرادة أن تبروا والمعنى إنما نهيتكم عن هذا - أي عن الإكثار من الحلف - لما أن توقي ذلك من البر والتقوى والإصلاح، فتكونون يا معشر المؤمنين بسبب عدم إكثارهم من الأيمان - بررة أتقياء مصلحين»[7].

وهذا الوجه أيضا استحسنه كثير من العلماء، ولا تنافي بينهما، لأن الله - تعالى - ينهانا عن أن نجعل القسم به مانعا من فعل الخير، كي ينهانا في الوقت نفسه عن أن نكثر من الحلف به في عظيم الأمور وحقيرها.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

أي: سميع لأقوالكم وأيمانكم عند النطق بها عليم بأحوالكم ونياتكم فحافظوا على ما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم لتنالوا رضاه ومثوبته.

وقوله - تعالى -:

﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾.

استئناف بياني، لأن الآية السابقة لما أفادت النهي، عن التسرع في الحلف، أو عن اتخاذ الأيمان حاجزا عن عمل الخير، كانت نفوس السامعين مشوقة إلى حكم اليمين التي تجري على الألسنة بدون قصد.

---

(5) القلم (10).

(6) المائدة (89).

(7) تفسير الفخر الرازي جـ 6 ص 80.

والمؤاخذة: مفاعلة من الأخذ بمعنى المحاسبة أو المعاقبة أو الإلزام بالوفاء بها.

واللغو من الكلام: الساقط الذي لا يعتد به ولا يصدر عن فكر وروية مصدر لغا يلغو ويلغى.

والمعنى: لا يعاقبكم الله- تعالى- ولا يلزمكم بكفارة ما صدر عنكم من الأيمان اللاغية فضلا منه-سبحانه- وكرما.

واليمين اللغو هي التي لا يقصدها الحالف، بل تجرى على لسانه عادة من غير قصد، وقد ذكر العلماء صورا لها منها- كما يقول ابن كثير:

ما رواه عطاء عن عائشة أنها قالت: (اللغو في اليمين هو كلام الرجل في بيته كلا والله وبلى والله) وفي رواية عن الزهري عن عروة عنها أنها قالت: (اللغو في اليمين هو ما يكون بين القوم يتدارءون في الأمر- أي يتناقشون ويتذاكرون فيه- فيقول هذا لا والله وبلى والله وكلا والله لا تعقد عليه قلوبهم) أي تجرى على ألسنتهم ألفاظ اليمين ولكن بدون قصد يمين:

ومنها ما جاء عن عروة أنها كانت تتأول هذه الآية يعنى قوله- تعالى-:

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾

وتقول: «هو الشيء يحلف عليه أحدكم لا يريد منه إلا الصدق فيكون على غير ما حلف عليه».

ثم بين- سبحانه- اليمين التي هي موضع المحاسبة والمعاقبة فقال:

﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾.

أي: لا يؤاخذكم الله في اليمين التي لم تصدر عن روية وتفكير ولكن يؤاخذكم أي يعاقبكم في الآخرة بما قصدته قلوبكم وتعمدتم فيه الكذب في اليمين، بأن يحلف أحدكم على شيء كذب ليعتقد السامع صدقه، وتلك هي اليمين الغموس- أي التي تغمس صاحبها في النار- ويدخل فيها الأيمان التي يحلفها شهود الزور والكاذبون عند التقاضي ومن يشابههم في تعمد الكذب.

ويرى جمهور العلماء أن هذه اليمين لا كفارة فيها وإنما كفارتها التوبة الصادقة ورد الحقوق إلى أصحابها إن ترتب على اليمين الكاذبة ضياع حق أو حكم بباطل.

ويرى الإمام الشافعي أنه يجب فيها فوق ذلك الكفارة.

والباء في قوله: ﴿ بِمَا ﴾ للسببية، وما مصدرية أي، لا يؤاخذكم باللغو ولكن يؤاخذكم بالكسب، أو موصولة والعائد محذوف أي ولكن يؤاخذكم بالذي كسبته قلوبكم.

وقوله:

﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ تذييل لتأكيد معنى عدم المؤاخذة في اللغو. أي والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو، حليم حيث لم يعاجل المخطئين بالعقوبة.

وبعد بيان هذه الأحكام في الأيمان عامة، عقب - سبحانه - ذلك ببيان حكم اليمين الخاصة فقال:

﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

و﴿ يُؤْلُونَ ﴾: من الإيلاء مصدر آلى يؤالى ويؤلى إيلاء بمعنى حلف. قال الشاعر:

قليل الألايا حافظ ليمينه

وإن سبقت منه الألية برت

وقد خص الإيلاء في الشرع بالحلف على ترك مباشرة الزوجة. وكانوا في الجاهلية يحلفون ألا يقربوا نساءهم السنة والأكثر إضرارا بهن.

و﴿ تَرَبُّصُ ﴾ التلبث والانتظار والترقب. قال الشاعر:

تربص بها ريب المنون لعلها

تطلق يوما أو يموت حليلها

و﴿ فَآءُو ﴾ معناه رجعوا. والفيء في اللغة هو رجوع الشيء الى ما كان عليه من قبل، ولهذا قيل لما تزيله الشمس من الظل ثم يعود فيء. وقيل لما رده الله على المسلمين من مال المشركين فيء كأنه كان لهم فرجع اليهم.

قال الشاعر:

ففاءت ولم تقض الذى أقبلت له

ومن حاجة الانسان ما ليس قاضيا

و﴿ عَزَمُواْ ﴾ من العزم وهو عقد القلب على الشيء، والتصميم عليه. يقال عزم على الشيء يعزم عزما وعزيمة، إذا عقد نيته عليه.

و﴿ ٱلطَّلَٰقَ ﴾ هو حل عقد النكاح الذى بين الرجل والمرأة، وأصله من الانطلاق، وهو الذهاب. يقال: طلقت المرأة تطلق - من باب نصر - طلاقا، إذا أصبحت مخلاة بدون رجل بعد أن كانت في عصمة رجل معين.

قال الفخر الرازى: كان الرجل في الجاهلية لا يريد المرأة ولا يحب أن يتزوجها غيره، فيحلف أن لا يقربها، فكان يتركها بذلك لا أيما ولا ذات بعل والغرض منه مضارة المرأة. ثم إن أهل الإسلام كانوا يفعلون ذلك - أيضا - فأزال الله - تعالى - ذلك، وأمهل الزوج مدة حتى يتروى ويتأمل فإن رأى المصلحة في ترك هذه المضارة فعلها، وإن رأى المصلحة في المفارقة عن المرأة فارقها».

ومعنى الآيتين الكريمتين: أن الله - تعالى - جعل للذين يحلفون على ترك مباشرة أزواجهم مدة يراجعون فيها أنفسهم، وينتظرون فيها ما يستقر عليه أمرهم، وهذه المدة هي أربعة أشهر فإن رجعوا عما حلفوا عليه من ترك مباشرة الزوجة، ورأوا أن المصلحة في الرجوع فإن الله - تعالى - يغفر لهم ما فرط منهم. وإن استمروا على ترك مباشرة نسائهم، وأصروا على ذلك بعد انقضائها فإن شرع الله - تعالى - يحكم بالتفريق بينهما، لأن الحياة الزوجية لا تقوم على البغض والكراهية والهجران، وإنما تقوم على المحبة والمودة والرحمة.

وقوله:

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ ﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. وتربص مبتدأ مؤخر. وقدم الخبر على المبتدأ للاهتمام بهذه التوسعة التي وسع الله بها عليهم، فهي مدة كافية لأن يراجع المرء فيها نفسه، ويعود إلى معاشرة زوجه خلالها.

وعدى فعل الإيلاء بمن، مع أن حقه أن يتعدى بعلى، لأنه تضمن هنا معنى البعد. كأنه قال: للذين يؤلون متباعدين من نسائهم.

و﴿ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾ على حذف المضاف، أو من إقامة العين مقام الفعل المقصود منه المبالغة أي للذين يؤلون من مباشرة نسائهم

وأضيف التربص إلى الظرف ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ على الاتساع إذ الأصل تربصهن في أربعة أشهر. وقوله:

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ دليل الجواب. أي فإن فاؤا إلى زوجاتهم وحنثوا في أيمانهم التي حلفوها بالابتعاد عنهن، بأن كفروا عنها وتابوا إلى ربهم فحنثهم مغفور لهم لأنه - سبحانه - غفور لمن تاب من بعد ظلمه وأصلح، رحيم بعباده في كل أوامره وتكاليفه.

وجواب الشرط في قوله:

﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلَاقَ ﴾ محذوف والتقدير وإن عزموا الطلاق فقد وجب عليهم ما اعتزموه، والطلاق منصوب على نزع الخافض لأن عزم يتعدى بعلى.

وفي قوله:

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ وعيد شديد لمن يحلف على ترك مباشرة امرأته أو يمسكها بقصد إيذائها ومضارتها.

أي فإن الله - تعالى - سميع لكل ما كان من الزوج الحالف، عليم بما يقع منه من مضار أو غيرها، وسيجزيه يوم القيامة بما يستحقه.

قال القرطبي ما ملخصه: وقد جعل الله للزوج مدة أربعة أشهر في تأديب المرأة بالهجر، وقد آلى النبي ﷺ من أزواجه شهرا تأديبا لهن - عندما طالبنه بزيادة النفقة - وقد قيل: الأربعة الأشهر هي التي لا تستطيع أن تصبر عنه أكثر منها، وقد روى أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سأل بعض النساء عن مقدار صبر المرأة عن زوجها فقلن أربعة أشهر، فجعل عمر مدة الرجل في الغزو أربعة أشهر، فإذا مضت أربعة أشهر استرد الغازين ووجه بقوم آخرين، وهذا - والله أعلم - يقوى اختصاص مدة الإيلاء بأربعة أشهر»[٨].

وعلى أية حال فإن الطبائع تختلف في مثل هذه الأمور، والأربعة الأشهر مدة كافية ليختبر الرجل نفسه وميوله، فإما أن يعود إلى معاشرة زوجه بالطريقة التي شرعها الله، وإما

---

(٨) تفسير القرطبي جـ ٣ صفحة ١٠٧ بتصرف وتلخيص

أن تعاد إلى الزوجة حريتها بالطلاق، ليبدأ كلاهما حياة زوجية جديدة مع شخص آخر، فذلك أكرم للزوجة وأعف وأصون، وأنفع للرجل كذلك وأشرف. وقد اختار الله هذه المدة وهو الأعلم بحكمة اختياره فعلينا أن نتقبل ما شرعه لنا طائعين خاشعين.

هذا وجمهور العلماء على أن الطلاق لا يقع بانتهاء هذه المدة، وإنما بانتهائها يأمره الحاكم بالفيئة، فإن تقبل أمر الحاكم بالرضا أمهله مدة يمكنه الفيئة فيها، وإن لم يتقبله بالرضا أمره بالطلاق، فإن طلق فبها وإلا طلقها الحاكم منه.

وعليه فإن الفاء في قوله - تعالى -:

﴿ فَإِن فَآءُو ﴾ لترتيب الحكم الذى يحصل بعد مدة التربص.

وقال الأحناف: إن الطلاق يقع بمجرد انتهاء هذه المدة وهى الأربعة الأشهر، والرجوع إنما يكون خلالها فلا زيادة فوقها، ويكفى فى مراجعته لنفسه تلك المدة، ومادام لم يرجع إلى معاشرة امرأته خلالها فقد آثر فراقها، ولا يصح أن نعطيه أية مهلة من الوقت بعدها. وعليه تكون الفاء عندهم للتفصيل، أى تفصيل ما يحصل من الزوج فى هذه المدة.

وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد نهت المسلم عن اتخاذ الحلف بالله حاجزا بينه وبين فعل الخير، وأمرته بأن يحفظ لسانه عن الإكثار من الحلف بالله من الأمور الصغيرة والكبيرة، وحذرته من تعمد الأيمان الكاذبة التى تؤدى إلى غضب الله - تعالى - لأن اليمين الكاذبة الفاجرة من كبائر الذنوب، وحذرته كذلك من أن يهجر زوجته بقصد إيذائها والإضرار بها، لأن الحياة الزوجية يجب أن تقوم على المودة والرحمة، وأرشدته إلى أن أقصى مدة لهجر الزوجة بقصد تأديبها وعلاج اعوجاجها هى أربعة أشهر يراجع فيها نفسه، فإما أن يعود إليها ويكفر عن يمينه، وإما أن يقع بينهما الفراق

﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾(١).

وبهذه الأحكام السامية يكون الإسلام قد شرع للرجل والمرأة ما ينفعهما ويصون كرامتهما، ويحفظ لهما حريتهما وحسن استمتاعهما بالحياة.

«يتبع»

***

---

(١) النساء (١٣٠).

## قضايا قرآنية :

# قضية الوقف على رؤوس الآيات

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

**من القضايا القرآنية العظيمة ذات الأثر الواضح فى موسيقى القرآن الكريم، قضية الوقف على رؤوس الآى. ولقد رأى مؤلف كتاب «الفرقان»[1]. رحمه الله. أن هذه القضية فى حاجة شديدة إلى أن تحل عليها «بركاته» ليترك فيها بصماته «البيضاء» وذلك بالرغم من أنها بعيدة عن الهدف الأول الذى ألف كتابه من أجله. وأعلنه فى مقدمته ص٨، ٩ وهو بيان حكم ترجمة القرآن إلى اللغات الأخرى غير العربية.**

وياليته فعل ذلك بقصد البحث، أو حتى إبداء الرأى، الذى يحترم آراء الآخرين، ويرى فيها الخطأ الذى يحتمل الصواب، كما يرى فى رأيه الصواب الذى يحتمل الخطأ، كما هى سنة الحوار العلمىّ المنظم!! وياليته فعل ذلك فيما يحتمل الاجتهاد، وإبداء الرأى الشخصىّ؛ إذن لهان الأمر. ولكنه - سامحه الله - دسّ أنفه فيما هو متناقل عن رسول الله ﷺ وعن صحابته الأبرار - رضى الله عنهم - أجمعين؛ ولهذا كان موضع تسليم تام من جميع المسلمين وفى كل العصور وخارج دائرة الحوار والمناقشة تماما.

وقد أفردت لها حديثا خاصا أناقشه فيها على الرغم من أن مؤلف كتاب «الفرقان» أورد الكلام فى ثنايا حديثه عن القراءات والتجويد، حيث اعتاد - وعلى امتداد الكتاب كله - الخلط بين القضايا داخل الفصل الواحد وبين الفصول المتعددة.. أقول أفردت لهذه القضية حديثا خاصا.. لأنها موضوع قائم برأسه من الأجدى الفصل بينه وبين القراءات والتجويد. وفى هذا المقال والذى يليه - إن شاء الله تعالى - :

(١) تمت مناقشة هذا الكتاب المسمى بـ «الفرقان» فى قضايا: الرسم العثمانى - الأحرف السبعة - التجويد فى هذه المجلة الغراء «الأزهر» فى أعداد سابقة، فليرجع إليها من شاء ليتعرف عن قرب على هذه الافتراءات والأكاذيب التى تفترى حول كتاب الله. وقد تمت مصادرة هذا الكتاب فى مصر منتصف القرن العشرين، ولكنه وجد طريقه مرة أخرى وطبع فى إحدى البلاد العربية خارج مصر



يناقش كتاب «الفرقان» فيما ذهب إليه مؤلفه.. ونبين وجه الخطأ لديه، ثم نقدم بعض الرؤى، لما يجب أن تكون عليه دراسة الفواصل، ورؤوس الآيات، كما أننا سوف نقدم بعض الدراسات لبعض الأعلام السابقين، الذين صدقوا مع الله ومع أنفسهم. وأخلصوا في قراءة القرآن الكريم، واستنباط أوجه العظمة في هذا الكتاب المعجز.

يقول صاحب كتاب «الفرقان» مندداً بالقُرّاء وعلى وجه الخصوص علماء القراءات والتجويد منهم في صفحة ١٤٩، ١٥٠: «وقد اعتاد كثير من القُراء التزام الوقوف على رُؤوس الآي، والابتداء من أوائلها بدون مراعاة المعنى، ولا مراعاة الاحتياج إلى الوصل.

«وحجتهم في ذلك أن الوقوف على رُؤوس الآي، سنةٌ عن رسول الله ﷺ.

«وقد فاتهم - ولايزال الكلام لصاحب كتاب الفرقان - أن الرسول عليه السلام، إنما وقف عليها ليُعلم مكانُها ولتدوّن الفواصلُ، وتعدّ الآياتُ.

«ولولا وقوف الرسول ﷺ على رؤوس الآي؛ لما علمنا كم آية نزلت، ولما أدركنا مواضعها، وأمكنتها، وأوائلها».

«ولا شك أنّ الرسُول الأمين، صلواتُ الله تعالى وسلامُه عليه كان يقف على رأس كل آية فيصل مايستحق الوصل، ويدعُ مايكونُ قد اكتملت معانيه واستتمت مراميه.

أما المحافظة على الفواصل، لمجرد أنها رؤوسُ آي فحسب، بدون مراعاة لحسن النظم والتئامه، وارتباطه بما قبله؛ فليس من الحكمة ولا من البلاغة في شيء» اهـ كلام الأستاذ.

وهو بذلك إنما يفجر قضية من أكبر قضايا التلاوة القرآنية المباركة، قضية الوقف على رؤوس الآي. ولقد كان من الميسور على الرجل، أن يتجه إلى البحث، والدرس في هذه القضية الكبرى، التي لم يشبع منها العلماء ولا أظنهم يشبعون؛ فهي تفتح الباب واسعا على قضية موسيقى القرآن الكريم، وقضية بلاغته في تكوين العبارة من بدئها لختامها، وقضية المعنى.. وقضية ما استنبطه العلماء من علامات الوقف بجميع أنواعه: الواجب، والممتنع، والجائز مع استواء الطرفين، والجائز مع ترجيح أحد الطرفين، وعلة كل شيء من ذلك، وعلاقته بأهداف الآية أو الآيات، والبعيد منها والقريب، وعلاقة كل ذلك بإعجاز الكتاب العزيز، والحقّ أن الرّجل لم يكن بعيدا عن كل ذلك أو بعضه، وإنما كان على ضربة معْوَل. ولو أنه اتجه إلى ذلك، محترما آراء الآخرين، الذين يختلفون معه؛ إذن لأضاف إلى المكتبة الإسلامية ضوءا كاشفا، تستجلي به جانبا من هذا الكتاب الذي لاتنقضي عجائبه.. كان من الميْسُور عليه أن يتجه إلى ذلك، ويحقق فيه الكثير، لو أنه أراد؛ لكنه لم يشأ؛ حيث غلبه تيار الرفض، الذي ركب منه كل مركب، منذ أول صفحة طالعنا بها في كتابه.

إن المؤلف بحديثه عن الوصل أو الوقف على أواخر الآي، إنما يفتعل معركة شرسة، بلا أدنى مبرر.. وإلا فإن من يفتح المصحف - أيّ مصحف - لينظر في تشكيل أواخر الآيات، فسوف يرى أنّ القرآن كله، قائم على الوصل فيما بين آخر كل آية مع أول التي تليها؛ حتى آخر سورة الناس مع أول سورة الفاتحة. إذن هذا مبدأ ثابت في القرآن كله، ماعدا الأحرف المقطعة التي تبدأ بها بعض سور القرآن

الكريم، مثل: الٓمٓ. حمٓ. طسٓ. الٓر. كهيعص. حم عسق. ق. ن. وماشابه ذلك فإنها تقوم على الوقف دون الوصل.. وهذا يدركه كل مسلم اعتاد قراءة القرآن، والنظر بعينيه في المصحف الشريف، فلا معركة في هذا المجال إطلاقا، ومع ذلك لامانع من الوقف على أواخر الآيات، اقتداء بسُنّة النبيّ ﷺ، التي أشار إليها المؤلف، مع وجود بعض العلاقات النحوية والتركيبية في بناء العبارة القرآنية. فالوقف مع وجود بعض العلاقات لايعني انقطاع الجملة وفساد النظم؛ إذ لا دخيل، وليس هناك فاصل زمني يُفْسد المعنى، أو يَنسىٰ مامرّ في أول الجملة.

فلو أن المؤلف «العلامة» ـ اجتهادا منه فقط ـ أعلن أنه يختار الوصل هنا، أو يختار الوقف هنا لسبب يذكره، أيا كان موقع هذا السبب بين تقدير الصواب والخطأ. لكان له ذلك؛ إذ لا دليل من نص خرج على مقتضاه، ولن يكون لنا اعتراض على مايقول، وإذا اختلفنا معه فلن يَفْسُد مابيننا وبينه من علاقة الود والاحترام. ولكنه سخر بأسلوب يدعو إلى الاشمئزاز والتقزز، من علماء القرآن الكريم، ولم يدر ـ سامحه الله ـ أنه حفظ شيئا وغابت عنه أشياء؛ حفظ أن هناك علاقات نحوية، ونسي أن هناك علاقات وملابسات بلاغية، وكلا النحو والبلاغة وجهان لعملة واحدة، هي اللغة الصحيحة قلْبا وقالباً. فإذا كان النحو يمثل القالب، فالبلاغة هي القلْبُ داخل هذا القالب؛ فلا منافاة إذن بينهما، والوصل له وجهته والفصل أيضا له وجهته، ولانعني بذلك أن نُسوّي بينهما في جميع المواضع؛ فتلك قضية كبرى من قضايا القرآن، وهي تخضع لمراجعة التفاسير، وآراء العلماء تفصيلا في كل موضع، وقد وضعوا لها رموزا تشير إلى ذلك كله. ولكي ندلّل على صحة ماذهبنا إليه دون إطالة سنكتفي بالرّد على بعض الأمثلة التي ذكرها؛ لنبين خطأه في المصادرة على آراء الآخرين، وليس فيما ذهب إليه من صحة الوصل هنا أو الوقف هنا. يقول سيادته صفحة ١٥١ من كتاب «الفرقان»:

..ومن ذلك أيضا قوله ـ تعالى ـ:

﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾(٢).

فإذا قرأنا مابعدها بدون وصل؛ لما وضح له معنى. وهو قوله ـ جل شانه ـ:

﴿ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾(٣).

بل يجب أن يقرأ:

﴿ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ ﴾(٤).

«وذلك لأن «يعبدون» فعل، و«من دون الله»: متعلق به، ولا يجوز الفصل بين الفعل ومتعلقه» ا.هـ كلام المؤلف.

أما نحن، فنقول: الوصل هنا وارد بمقتضى مافي العبارة من تعلق نحويّ أشار إليه المؤلف. وليس هناك من يمنعه من القراء، ولا من غيرهم من علماء المسلمين. وللوقف أيضا بلاغته؛ حيث إنّ الذهن ليتساءل عند قوله ـ تعالى ـ: «يعبدون» عن أسباب حشرهم في جهنم، وكيف يُحشرون فيها مع أنهم يعبدون؟!

فإذا بالسبب يأتي بعد لحظة الفصل التي هي

---

(٢) الصافات (٢٢)

(٤) الصافات (٢٢ ـ ٢٣).

(٣) الصافات (٢٣)

لحظة التساؤل.. «من دون الله» ليبين أن عبادة غير الله هي السبب في أن يُحشروا في جهنم.

وفيه أيضا نكتةٌ بلاغية أخرى تترتب على ذلك، وهو التأكيد على نسبة عبادتهم لغير الله - تعالى - بتكرار الإسناد، المضمر في النفس عند قراءة «من دون الله» فكأن القارئ قال: يعبدون من دون الله. وهو مايسميه البلاغيون شبه كمال الاتصال.

وهناك رد آخر على وجود الفصل مع التعلق النحوي، ورد على لسان المؤلف نفسه، وجرى به قلمه، دون أن يتدبره. ونحن هنا سننقل عبارة الكاتب ملتزمين بتسجيل الفواصل التي خطها قلمه، لأنها ذات دلالة هنا. يقول: «فإذا قرأنا مابعدها بدون وصل؛ لما وضح له معنى، وهو قوله جل شأنه. إلخ» تدبر معى أيها القارئ الفاصلة المنقوطة، والتى تعنى أن للقارئ أن يتوقف برهة لالتقاط الأنفاس، مع أنها توسطت بين الشرط وجوابه، وهما يشكلان جناحَيْ العبارة.. نحن لا ندّعى أن المؤلف مخطئ فى ذلك؛ وإنما نقول: إن الوقف عند «يعبدون» لايعنى انقطاع النظم، ولا يعنى الفصل بين الفعل ومتعلقاته، والفواصل التى وردت على لسان المؤلف من هذا القبيل أكثر من أن تُحصَى.

مثال آخر: يقول المؤلف صفحة ١٥٣: «والذى يقطع بما قدمناه، ويحزم بوجوب الوصل عند رؤوس الآى، مادام المعنى ناقصا وغير تام: قوله تعالى:

﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴾(٥)

وهو رأس آية. فإذا وقفنا على ذلك بدون وصل، لم يحسن. لأنه إخبار بأنهم يقولون، بدون ذكر لما يقولونه. وإذا بدأنا الآية التى تليها بدون وصل، لكان ذلك مكفرا، لأن البادئ بذلك يقول: «ولد الله»، وكأنه يقرر أن الله قد ولد، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

«وفى مثل هذه الحال يجب الوصل وجوبا، فيقول:

﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾(٦).

«وذلك لأن «ولد الله» مقول القول، ولا يجوز الفصل بين القول ومقوله» ا.هـ كلام المؤلف.

أما نحن فنقول: الوصل هنا وارد للتعلق النحوى الذى أشار إليه المؤلف، ولم يمنعه أحد من القراء، كما تُوهم سيادته، أو كما تقرر عبارته، وللوقف أيضا بلاغته. فالقارئ عندما يقف على «يقولون» هنا يبدو الذهن فى حالة ترقب، لمعرفة مضمون هذا الإفك، الذى نبهت الآية على خطورته بعدة وسائل، كما أكدت نسبته إليهم بعدة أدوات. ويظل الذهن يطوف بين احتمالات تشمل مابين المشرق والمغرب، فى هذه البرهة التى تبلغ الغاية فى القصر الزمنىّ؛ لكنها تتسع لما بين المشرقين من حيث قوتها، وماتحمله من مشاعر فوارة بالتوق إلى معرفة حقيقة ذلك الإفك، ثم تأتى بعد ذلك الإجابة لتقع كالعاصفة المباشرة على أذن السامع، ولذا أعقبها بما يحكم به عليهم حكما قاطعا، يغسلُ ماعلق بنفوس المؤمنين؛ من شعور بالمرارة من سماعهم لهذه الفرية النكراء «ولد الله. وإنهم

(٥) الصافات (١٥١)

(٦) الصافات (١٥١ ، ١٥٢)

لكاذبون» فالوقف هنا فيه تسليط للضوء على ضخامة هذه الفرية. وهذه هى النكتة البلاغية التى لم يفهمها الأستاذ المؤلف.

مرة أخرى. نحن لانستنكر على المؤلف أو غيره الوصل. فيما لو رأى المعنى يدعو إلى ذلك؛ ولكن مانعجب له حقا أن يستنكر هو وقف القراء على أواخر الآى، وهو يقرر فى نفس الوقت «أن الوقف سنة عن رسول الله ﷺ »أفتراه يدعو للتخلص من هذه السنة، ليكتب المصحف بعد ذلك، وقد تخلصت طبعاته من الفواصل المرقمة، التى تشير إلى نهاية الآية، وبداية التى تليها؟! أم أنه يدعو إلى إعادة النظر فى ترقيم الآيات داخل كل سورة من سور القرآن الكريم؟!

## تقسيم الآيات، بين التوقيف والاجتهاد

إن قضية تقسيم الآيات، قضية محسومة، ولم تعد محل خلاف أو اجتهاد، بين هذا وذاك، ولم تعد قابلة للأخذ والرد، سواء اعتبرناها توقيفية عن رسول الله ﷺ، أو من اجتهاد الصحابة والسلف الصالح، الذين هم أعرف منا بالجو الإسلامى العام، والجو القرآنى الخاص.

يقول الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى فى «الجامع لأحكام القرآن»: «.. وذكر أبو بكر الأنبارى فى كتاب الرد: أن الله - تعالى - أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا، ثم فُرِّق على النبى ﷺ فى عشرين سنة، وكانت السورة تنزل فى أمر يحدث، والآية جوابا لمستخبر يسأل، ويوقف جبريل رسول الله ﷺ على موضع السورة والآية، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف، فكله عن محمد خاتم النبيين، ﷺ عن رب العالمين.. فمن أخّر سورة مقدّمة. أو قدّم أخرى مؤخّرة، فهو كمن أفسد نظم الآيات.. وكان جبريل عليه السلام يقفه على مكان الآيات»[٧].

ويقول أيضا: «.. وقال يحيى بن أبى كثير: كان القرآن مجردا فى المصاحف فأول ماأحدثوا فيه النقط على الباء والتاء والثاء، وقالوا: لا بأس به، هو نور له، ثم أحدثوا نقطا عند منتهى الآى، ثم أحدثوا الفواتح والخواتيم..»[٨].

وبقراءة هذه المنقولات والجمع بينها، نرى أن أواخر الآى، وأوائل التى بعدها، قد استقرت منذ عصر النبوة؛ حيث وقف جبريل رسول الله - ﷺ - غير أنه ﷺ، لم يأمر بوضع النقط بين الآيات، وإنما تركها، وهى محفوظة فى الصدور، محدودة المعالم حفظا وتلاوة. إلى أن جاء اجتهاد الصحابة - رضوان الله عليهم - فوضعوا النقط - ضمن تحديداتهم - بين الآيات، كما وضعوا النقط فوق الحروف، للتفريق بين المتشابهات فى الرسم: كالباء، والتاء، والثاء مثلا.. ولم يبتكر الصحابة شيئا من ذلك، وإنما قاموا - فقط - بتمييز ما استقر عليه الأمر منذ عهد رسول الله ﷺ.

ومن هنا نستطيع أن نقول: إن تحديد أوائل الآيات وأواخرها، توقيفى عن الرسول أولا، ثم كان وضع العلامات اجتهادا من الصحابة ثانيا، فيما استقر عليه عن الرسول ﷺ الذى نقل عن جبريل - عليه السلام - فلا مجال هنا لاجتهاد صاحب كتاب «الفرقان» أو غيره.

---

(٧) الجامع لأحكام القرآن ص٦٢.

(٨) نفس المصدر ص٦٥.

## من روائع أسلوب القرآن

# حذف جواب "لو ترى"

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفني

**لفظ (لو) من الأدوات التى تتضمن معنى الشرط، فلها فعل شرط وجواب شرط، تقول: لو زرتنى أكرمتك، فالزيارة فعل الشرط، والإكرام جوابه، وتقول لو نزل المطر نبت العشب، فنزول المطر فعل الشرط، والإنبات جوابه، وحين يصرح بجواب الشرط أيا كان يصبح معروفا والنفس تستطيع أن تستوعب صورته ولو تخيلا محددا.**

**ولكن يراد أحيانا حذف جواب الشرط حين يقترن لفظ (ترى) بلفظ (لو) فتصبح (لو ترى) ويبقى الشرط وملابساته ليدل على الجواب، فيكون التعبير حينئذ دالا على التهويل وتضخيم المشهد.**

والقرآن الكريم يصور مشاهد للوعيد يحذف فيها جواب (لو) ليترك للخيال فيها مجالا فسيحا يتخيل فيه ما يشاء فى ضوء ملابسات فعل الشرط، أو كما يقول علماء البلاغة لتذهب فيه النفس كل مذهب.

ومن هذه المشاهد ما يبدأ من أول لحظة فى قدوم أعداء الله على الآخرة، أو آخر لحظة فى حياتهم الدنيا، وهو مشهد خروج الروح، حيث يصور المشهد أعداء الله وقد دخلوا فى سكرات الموت، وغمرتهم أهواله، وملائكة الموت لاينتزعون أرواحهم مرة واحدة، وإنما يتركون الأجساد تطرد هذه الأرواح وكأنها تتبرأ منها، وكأن أعداء الله هم الذين يخرجون أرواحهم، فيكون هذا أشد إيلاما لهم، كما نتصور إنسانا يضطر إلى إجراء جراحة لنفسه، فإن الألم حينئذ يكون أشد مما لو أجراها له غيره، والملائكة يطلبون منهم هذا قائلين لهم:

﴿ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴾(١) وفى هذا المشهد نجد عذاب الإهانة والإذلال يكون معدا بحيث ينالهم فور خروج أرواحهم، ولو نشاهدتهم هذا العذاب منتظرين أن يحين دخولهم فيه، وفى الأمثال الشائعة: قولهم وقوع البلاء أيسر من انتظاره، بمعنى أن حلول المصيبة أهون احتمالا من انتظار حلولها، وهذا المشهد فى قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ﴾(٢).

ومن الواضح أن هؤلاء كانوا من سادة القوم ذوى الأتباع والأنصار، وأصحاب الثراء والجاه، وهذا يدل عليه الكثير من مضمون ما سبق فى الآيتين الكريمتين، مثل:

﴿ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ فإن الكبرياء لا تصدر عادة من عامة الناس، وإنما من خاصتهم، وكذلك

﴿ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾ حيث يتضمن هذا أنكم تركتم أتباعكم وأعوانكم فى الدنيا وجئتم يوم القيامة فرادى بدون أتباع أو أعوان، وكذلك

﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ ﴾ بمعنى تركتم ما كان لديكم فى الدنيا من نعم الله فى الجاه والبنين وغير ذلك، وكذلك:

﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ﴾ أى تركتم الذين كنتم تظنون أنهم آلهة ينفعونكم أو يشفعون لكم، كما قال بعضهم فى الدنيا عن الأصنام:

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾(٣).

وكل هذا تأنيب وتهكم بهم ليكون هذا التهكم عذابا نفسيا يضاف إلى عذابهم البدنى، ولكن تركيز الوصف وبيان حالهم يومئذ كان فى حذف جواب لو من تعبير:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ فالمعنى لو رأيت حالهم يومئذ لرأيت شيئا فظيعا أو شيئا مهولا أو شيئا لاتوصف بشاعته أو لرأيت أبشع ما يمكن أن يتصوره الخيال من سوء حالهم وهوانهم أو نحو ذلك من كل ما تستطيع النفوس أن تتخيله وتتصوره، فالتعبير لايهدف إلى تحديد صورة معينة لسوء حالهم حينئذ، وإنما يهدف إلى نحو ما يصفه علماء البلاغة بقولهم: لتذهب فيه النفس كل مذهب، أى لتتصور أو تتخيل كما تشاء.

وبعد أن ينتهى المشهد السابق نجد مشهدا آخر من مشاهد الموت لأعداء الله حين يتوفاهم الملائكة فيتها لون عليهم بنوعين من العذاب، وليس نوعا واحدا، أحدهما لا يقصد به الإيلام البدنى، وإنما تقصد به الإهانة والإذلال، وهو صفعهم على وجوههم، وضربهم على أدبارهم، والعذاب الآخر هو العذاب الأليم جسديا، وذلك

---

(١) الأنعام (٩٣) (٢) الأنعام (٩٣)، (٩٤) (٣) الزمر (٣)

في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾(٤).

أي يقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق، وحقه أن يقال اصطلوا هذا العذاب، أو ادخلوا فيه، ولكن التعبير بالذوق ﴿وَذُوقُوا﴾ هو من باب السخرية بهم، لأن الذوق والتذوق هو اختبار طعم الشيء باللسان أو بطرفه، وعذاب جهنم لايذاق باللسان ولا يختبر طعمه، لأنه معروف، وهو يحرق حرقا، ويشوى شيا، ولا يذاق ذوقا.

ولكن حذف جواب لو في:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يقتضى تضخيم المشهد وتهويله، حيث يكون المعنى لو رأيت هذا المشهد لرأيت شيئا فظيعا تتخيل فيه أبشع ما تتصور من حالهم يومئذ.

وإذا كان فيما سبق تصوير لمشاهد خروج أرواحهم، وتصوير ما يعقب ذلك، فهذا مشهد يصور بعثهم من القبور، حيث يخرجون من قبورهم مسرعين متزاحمين أذلاء منكرين كما يصورهم قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾(٥).

ولكن حذف جواب لو يأتي في صورة أخرى لهذا المشهد نفسه، حيث تصور الصورة المشهد حين يفزعون من قبورهم بالبعث ولكنهم يفاجأون بأنهم مأخوذون من كل وجه بقبضة قوية بالغة القوة والشدة لا يجدون منها منجى ولا مهربا، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾(٦).

وحذف جواب لو يضخم المشهد ويكسبه هولا غير محدود رغم أن الصورة لاتتضمن حديثا مباشرا عن العذاب أو الإيلام، ولكن حذف الجواب يوحي بما يعوض ذلك، بل بما هو أشد منه، حيث يكون المعنى لو رأيت حالهم حينئذ لرأيت مشهدا مهولا وحالا غير موصوفة في شدة ما يحيط بها وما تعانيه نفوسهم، وفظاعة ما يحيط بها.

وفي مشهد آخر تنتقل الصورة إلى مشهد الحساب والمساءلة أمام الله، وهو مشهد رهيب لأعداء الله، حيث يشعرون بكل مشاعر الصغار والندم والتهيب والخوف وكل ما من شأنه أن يملأهم حسرة على ما ضيعوه في حياتهم الدنيا من فرصة الإيمان وإرضاء الله، وعلى أنهم ورطوا أنفسهم في التكذيب بدين الله ورسوله، ولفظاعة هذا المشهد على أعداء الله يكرره القرآن

(٤) الأنفال (٥٠).

(٥) القمر (٦ - ٨).

(٦) سبأ (٥١).

مبرزا السبب الذى وضعهم فى هذا الوضع الرهيب، وهو معاداتهم دين الله، وتكذيبهم بالبعث، ففى القرآن :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ ﴾(٧) ..

فحذف الجواب فى :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾ وفى :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ لأن التعبير لم يذكر ماذا سيحدث حين يراهم فى أحد الموقفين، والحذف لتهويل المشهد وتضخم آثاره، وكلاهما مرتبط بالآخر، فمشهد وقفهم على النار يجسد ندمهم البالغ الشدة والإيلام بسبب أنهم كانوا يكذبون بما يرونه الآن ماثلا أمام أعينهم من العذاب، بل بما يعذبون به اليوم عذابا لايوصف، ومشهد وقفهم على ربهم يجسد إحساسهم بالخزى والهوان عند ربهم وهو يسجل عليهم اعترافهم بما كسبت أيديهم.

ولكن حذف الجواب فيهما يصور كأن المشهدين لايوصفان لفظاعة مافيهما من هول وآثار، وكأنه قيل لو رأيت أعداء الله فى المشهدين لرأيت هولا شنيعا، وحالا لا توصف.

وفى مشهد آخر نرى صورة أعداء الله وهم غارقون فى الذل والندم، حتى إنهم لا يستطيعون رفع رءوسهم من الشعور بالذل والهوان، يضرعون إلى الله أن يعيدهم إلى الدنيا ليضعوا أنفسهم فى الوضع الصحيح الصالح، بدل الوضع الخاطئ الذى أودى بهم ووصلهم إلى هذا المصير، ولكنها ضراعة جاءت فى غير أوانها، حيث كان أوانها فى الدنيا وليس فى الآخرة، فيقول تعالى :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾(٨)

فمفهوم اعترافهم أنهم كانوا عميا عن رؤية الحق، ولكنهم حينما أصبحوا عند الله وعقابه صاروا مبصرين، وكانت آذانهم صما عن سماع الداعى إلى الله فى الدنيا، فأصبحوا فى الآخرة من السامعين، وكانوا يكذبون بالدين أو يرتابون فى صدقه فأصبحوا اليوم موقنين بصدقه، ولكن حذف جواب «لو» يضخم مشهد الذل والهوان والندم الرهيب الذى يسيطر عليهم، وكأنه قيل : لو رأيت حالهم حينئذ وهذه العوامل تصطرع فى نفوسهم لرأيت شيئا شنيعا ومشهدا رهيبا لايوصف.

وفى مشهد من نوع آخر تدور معركة حامية بين الأتباع وسادتهم الذين كانوا سببا فى كفرهم، حيث يتبادلون الاتهام، ويتقاذفون بالشتائم، يقول الأتباع للسادة أنتم الذين

---

(٧) الأنعام (٢٧ - ٣٠).

(٨) السجدة (١٢).

صدَدْتمونا عن دين الله، ولولاكم لكنا مؤمنين، فعليكم اليوم وزر كفرنا، ولكن السادة يسفهونهم مؤكدين لهم أنهم كانوا يعرفون الحق، وكان يستطيعون أن يخرجوا من طاعتهم ويؤمنوا بربهم، ولكنهم آثروا الضلال وارتكبوا جريمة الكفر مختارين غير مكرهين، فيرد عليهم الأتباع مذكرين إياهم بما كانوا يدبرونه من كيد ومكر بالدين، وبما كانوا يأمرونهم به من الكفر والشرك، وهكذا في معركة حامية صاخبة يصور القرآن بأسلوب إيجازه أهم عناصرها في قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٩).

ومن الواضح أن هذا المعنى من أهم ما يعبر عن الواقع الاجتماعي في ملابسات توصيل الدعوة الدينية إلى الناس، فإن السادة وقادة المجتمعات كانوا هم العقبة الكئود أمام كل دعوات الدين والإصلاح في كل العصور وكل البيئات على الإطلاق، فهم يرون الدين بما يدعو إليه من المساواة هدما لسيادتهم وقيادتهم، وهم يشعرون بأنهم يملكون زمام العامة بحيث يوجهونهم كما يريدون، ولكن الدين ينقل هذا الزمام إلى الله - سبحانه -، لتكون طاعة الإنسان لله قبل أن تكون لغيره، فيرى السادة في الدين سلبا لسيادتهم أو انتقاصا منها على الأقل، ومن هنا تأتي أهمية هذا المعنى الذي تتضمنه الآيات السابقة، والذي يتكرر في القرآن كثيرا، في صورة هذه الخصومة التي تنشب في الآخرة بين السادة والأتباع، لتكون تنبيها وتحذيرا للأتباع من خطورة انقيادهم للسادة في سبل الضلال والكفر، ولتكون تبصيراً لهم بأن لديهم الفرصة في حياتهم الدنيا ليفكروا في مصلحتهم ومسئوليتهم أمام الله قبل أن يفوت الأوان بالموت، ويجدوا أنفسهم في مثل هذا المشهد الذي يصوره القرآن كثيرا في أوضاع مختلفة.

والذي يعنينا هنا هو حذف جواب «لو» في:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾.

فإن التقدير لو رأيت هذا المشهد بما يحفل به من خزي الكافرين جميعا أمام الله، ومن ندمهم الشديد على ما ارتكبوه في حق أنفسهم من جريمة الكفر، وبما يحفل به هذا المشهد من صراع بين السادة والأتباع، وبما يحفل به من إذلال لهؤلاء المتكبرين حيث توضع في أعناقهم الأغلال، لو رأيت ذلك لرأيت شيئا شنيعا لك أن تتخيل أو تتصور فيه كل ما يمكن أن يخطر ببالك مما يستدعيه هذا السياق.

(٩) سبأ (٣١ - ٣٣).

# من القصص التربوى في القرآن الكريم

# ولدان

للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى

**يولى علماء النفس وخبراء التربية القصص المعبر والمثال المؤثر أهمية كبرى وعناية قصوى باعتبارهما من أخطر وسائل الإيضاح وطرائق الإفصاح، فتراهم يوصون بهما الوصية الأكيدة ويلحون على ضرورة اصطناعها الإلحاح الشديد لما يرون لهما من الفعل النافع والأثر الناجع فى مجال التربية والتعليم والتقويم.**

ولقد ظن هؤلاء وأولئك أنهم قد خلقوا فى هذا خلقاً، أو أنهم ابتكروا به صنعاً ولكن إن يتبعون إلا الظن، فقد سبقهم إلى هذا - ولا ريب - الكتاب التربوى الأعظم الذى أنزله رب كل شئ وخالق كل شئ على قلب المعلم الأمثل، محمد ﷺ بعد أن أدبه سبحانه فأحسن تأديبه.

إذ ضرب الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم أدق الأمثال، وقص أحسن القصص لتكون عبرة لمن يعتبر وذكرى لمن يذكر.

ولئن كلف علماء النفس، وخبراء التربية بالقصص والأمثال الرمزية التى تزخر بها كتب المناهج الدراسية، وبعض كتب التراث مثل كتاب «كليلة ودمنة» الذى يسوق ما ينبغى أن تكون عليه الأخلاق فى أسلوب يرضى بالتلميح دون

التصريح، فإن القصص القرآني الحكيم، والمثل السماوي المحكم جاءا بالفكرة الحية التي تعيش بين الناس، وتتجسد أمام الأسماع والأبصار.

والقرآن بهذا يواجه الإنسان بنفسه ويكشف النفس أمام صاحبها، فكأنما الإنسان ونفسه مرآة عاكسة ومعكوسة معاً ومرسلة ومستقبلة في آن واحد.

فإذا لم يتأثر المرء بالمثل بعد هذا الحق الصراح والبيان المفحم فإن ذلك لهو العتو بعينه، وإن هذا لهو الضلال المبين.

ولك في هذا المجال أن تتأمل بفكرك الواعي بعض الأمثال التربوية الرائعة التي يسوقها إلى الناس، رب الناس.

فهذان مثلان جهيران ضربهما الله ـ سبحانه ـ وتعالى في القرآن الكريم في موقف المحنة والاختبار على سبيل الموعظة والاعتبار.

﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(١).

وهما مثلان لفتيين يافعين إن يكونا قد اختلفا في نسب البنوة والأبوة فقد اتفقا في الانتساب إلى بيتين عريقين من بيوت الرسالة والنبوة.

واحد هذين الفتيين هو ولد نوح ـ عليه السلام ـ وثانيهما هو إسماعيل ولد إبراهيم ـ عليهما السلام ـ.

ولقد بين الله ـ عز وجل ـ هذين المثلين في كتابه التربوي المجيد مبيناً تقابل الخير والشر، وتنافي الرشد والحمق في مدى استجابة الأبناء لتوجيهات الآباء ولاسيما في مواقف الشدة، والخطر، ومواطن الرهبة، والحذر.

فنحن أمام هذين المثلين إزاء وسيلة تربوية إلهية معجزة وموقف سماوي مبين.

وما أظن الشباب المسلم اليوم إلا في حاجة ـ وأية حاجة ـ إلى الوقوف ملياً أمام هذه الأمثال الباهرة، والدروس العامرة في تأمل طويل، وفي دراسة وتحليل، ممعناً فيها ما وهبه الله من لب ومهيئاً لها ما منحه الله من قلب.

لقد وضع كل من الولدين في امتحان عسير واختبار خطير، وناهيك بامتحان عقدته المشيئة الإلهية، هل يجتازه إلا الصابرون المؤمنون؟!!

فأما ولد نوح فقد شهد الطوفان الغامر شهادة العين، ورأى بعيني رأسه سفينة أبيه ذات الألواح والدسر، وقد حملت من كل زوجين اثنين وأهله.

نعم!! شهد الابن ذلك المشهد المصيري الرهيب حيث تجري السفينة بمن فيها من المؤمنين الصادقين في موج كالجبال ولكنه في عناد وغرور، يأخذ مكانه بعيداً بعيداً مؤثراً العصيان على الطاعة، ومفضلاً العزلة المهلكة على الجماعة ظناً منه أن مأواه إلى الجبل سيعصمه من الماء.. وهيهات.

وعندئذ يرتجف قلب الوالد الواله فرقاً على ولده الذي يحدق به الخطر من كل مكان، ويحيق

---

١- إبراهيم (٢٥).



به الهلاك من كل صوب أمام ناظريه، فيدعوه في لهفة شديدة وإشفاق رحيم:

﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(٣)

ولكن الولد الأحمق العاق يرد أباه القلق الحاني في صلف واستهتار، ويزين له صلفه واستهتاره أنه قد عثر على الحجة التي تبرر له هجر أبيه وعصيانه:

﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾(٣).

ولكن الأب الشفوق اللهيف يعود إلى مناجاة ولده، ومناداة فلذة كبده، لا ينال من أمله يأس، ولا يضعف من همته خور ولا فتور.. ومن يدري؟ لعل الإلحاح يعيد ابنه إلى الرشاد، ويهديه إلى السداد!!

هناك ظل الوالد الشيخ يجادل ولده، ويؤكد له نصحه الصادق الأمين:

﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴾(٤).

ولما كانت إرادة الله ـ عزوجل ـ فوق كل إرادة، ولما كان علمه الأزلي القديم ـ سبحانه ـ قد سبق كل علم، كان لابد أن تصل المأساة إلى ذروتها، وأن يكتمل الدرس لتنفعل به النفس لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فوقع حكم الله، وتمت مشيئته بين الوالد النبي والولد الشقي.

﴿ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴾(٥).

ولعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهو بمراده أعلم ـ قد أتاح للابن وأبيه فرصة الجدل وفسحة الحوار حتى يستنفد كل منهما حقه في القول، وعندئذ يكتمل المثل، وينقضي الأجل، ليصبح بعد ذلك آية للناس جيلاً بعد جيل.

ذلك ولد ينصحه والده بأن ينجو من خطر داهم وطوفان عارم، ويبين له سبيل النجاة، ويرسم له وسيلة الحياة، بل وتكاد هذه النصيحة الأبوية الخالصة أن تخرج إلى الرجاء والتوسل، ولكن الابن الجانح سادر في غيه كأن في أذنيه وقراً فهو لا يسمع نداء، أو كأن على بصره غشاوة فهو لا يرى فضاء، أو كأنه قد أصر إصراراً على عصيان أبيه ولو دفع حياته وروحه ثمناً لذلك العصيان.. فلله ما أشقى!!

وأما الولد الآخر فإسماعيل ـ عليه السلام ـ لا يكاد أبوه إبراهيم ـ عليه السلام ـ ينهي إليه ما رآه في المنام ـ مجرد المنام ـ من أنه يذبحه حتى يهب طائعا ملبيا هاتفا في حماس شديد وإيمان أكيد

﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ ﴾(٦).

فلله ما أعظم بطولة الأب، وما أروع بطولة الابن.

---

٢- هود (٤٢).
٤- هود (٤٣).
٦- الصافات (١٠٢).
٣- هود (٤٣).
٥- هود (٤٣).



ولئن دخل إسماعيل مع أبيه في جدل - وحاشاه - فما كان أيسر عليه من أن يذكر لأبيه أن ذلك المنام قد يكون أضغاث أحلام.. ولكن الطاعة المذعنة والاستجابة المؤمنة تمنع إسماعيل أن يقف من أبيه موقف المراوغ المجادل حتى لو كان موضوع هذه المراوغة والمجادلة نجاة روحه وتجدد حياته وإنقاذ نفسه من الذبح الأليم، وحتى لو كان هذا الذبح قد جاء أمره في المنام، وليس في العيان.

وكأننا بإسماعيل لم يكتف بتلبية حلم أبيه وهو يعرضه له في صورة الحديث الجاري وليس الأمر القاطع:

﴿ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾(٧).

كأننا بإسماعيل لم يكتف بالطاعة فقط، ولكن لعله عند ذاك قد أخذ يربت على كتف أبيه الشيخ مهدئاً من عاطفته، معزياً له، مطمئناً إياه في إسلام عامر، وإيمان باهر.

﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾(٨).

لم يكن الخطر مشهوداً للابن كما كانت الحال في الطوفان ولكنه كان مناماً، ولم يكن الابن نفسه هو الذي رأى ذلك المنام، كما لم يكن خطاب إبراهيم لولده في صيغة الأمر كأمر نوح لابنه

﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا ﴾(٩).

ولكن إسماعيل في إيمانه المطلق، وإذعانه للحق، قد عرف النجاة العظمى في طاعة أبيه، وهي نجاة تدركها البصائر النافذة دون الأبصار الجامدة، وتعيها القلوب الواعية التي لا تقف عند النماذج المحسوس من الأمور.

ثم نقف في نهاية المشهدين المتقابلين عند نقطة المصير، فبينما ينتهي أمر الولد العاصي إلى أن يكون من المغرقين، إذا بالولد المطيع يكافأ على طاعته بالمثوبة والنجاة.

﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾(١٠).

وهكذا نرى أنفسنا أمام صورتين تجلت إحداهما بالإيمان، وباءت الأخرى بالعصيان والخسران.

فلله كم نتشوق إلى المدارسة الدؤوب لمثل هذه العبر والأمثال مع أبنائنا الشباب الذين ندعو لهم بالتوفيق في كل حين.

إن الله - سبحانه وتعالى - عندما يضع أمامنا هذه الصور الناطقة، والنماذج الصادقة فكأنما يلفتنا إلى ما نصادفه في حياتنا الإنسانية عبر الزمان والمكان من أنماط السلوك التي نلمسها لدى الناشئة في علاقاتهم بالوالدين والمربين حيث نرى منهم الشقي

٧- الصافات (١٠٢).
٨- الصافات (١٠٢).
٩- هود (٤٢).
١٠- الصافات (١٠٧).

والرضى، والجانح والقالح، فماذا يكون موقف هؤلاء الآباء والمربين إزاء سلوكيات أبنائهم المختلفة وأخلاقياتهم المختلطة؟ إننا لا نشك فى أنهم ينبغى عليهم أن يتأسوا بهذه النماذج التربوية التى ساقها القرآن الكريم فى هذا المجال.

ولا ننسى دور الأم فى هذا السياق إذ من المعروف أن امرأة نوح - عليه السلام - كانت تحت هذا النبى الكريم ولكنها خانته كما وصمها بذلك الذكر الحكيم، وهذا يلفتنا إلى أنها كانت نموذجا تربوياً فاشلاً حيال ولدها الذى سلك سبيل العصيان فهوى فى هاوية الخسران المبين.

بينما نستشعر دور «هاجر» الأم الرءوم التى احتملت الوحشة الموحشة والاغتراب الأليم فى واد غير ذى زرع لا يؤنسها إلا الإيمان الفطرى الغامر والمسئولية الواعية نحو رضيعها إسماعيل الذى تعهدته ورعته حتى بلغ مع أبيه السعى فى ولاء رائع وطاعة مذعنة لا تعرف التمرد والمروق.

حتى إذا جاء موعد الامتحان الربانى الحاسم لكل من الولدين والوالدين على بعد الزمان والمكان تجلت الحكمة الإلهية الباهرة فى قصة الفداء والطوفان.

وهكذا نتأمل قدرة الله - عز وجل - عندما يجرى التجربة السلوكية على من اصطفاهم من أولى العزم من الرسل حتى يتفهم الإنسان هذه التجربة ويعى الدرس ويتأسى بما يعى ويفهم فى حياته العملية مع أبناء الجيل لكى تستقيم الحياة وتستنير البشرية ويتحقق مراد الله فى الخلق، وحكمته فى الكون:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(١١).

وإننا اليوم لنجد من البيوت ما شابه العصيان والجنوح، كما نجد منها ما يعمره الطاعة والامتثال.

ومما يحلو لى ذكره فى هذا المقام أننى أشاهد شاباً رقيق الحاشية، مضىء الوجه، هادئ الروح، يصطحب أباه الأزهرى الصالح المسن إلى باب المسجد عقب الصلاة ثم ينكفئ على قدمى أبيه ليضع فى قدميه الحذاء دون أن تأخذه العنجهية والكبرياء التى نشاهدها عند الكثيرين من أبناء جيله من الشباب، ولك أن تعلم أن هذا الشاب البار التقى النقى يعمل طبيباً ناجحاً متميزاً وقد أنعم الله عليه بالبصيرة الحية النافذة التى عمقت فى وعيه أن طاعة الأب والبر به هى من طاعة الله - سبحانه - والإيمان به.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

---

١١- البقرة (٣٠)

# دعوى بشرية القرآن وموقف المستشرقين

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي

**تعنى بشرية القرآن، من حيث السند التاريخى، عزوه إلى تأليف محمد، أى أن القرآن من وضع بشرى، وليس من وضع إلهى، وتعنى القضية، أيضاً، أن محمداً ليس برسول إنما هو مفكر استطاع أن يؤلف القرآن، هذه هى جوانب القضية، سجلها القرآن كدعوى مفتراة من العرب على الرسول ﷺ ذكرها القرآن فى قوله -تعالى-:**

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾(١).

هذه الآية على صغرها، تناولت القضية شكلاً ومضموناً ورداً عليها حين قالت: «يقولون إنما يعلمه بشر» هذه هى الدعوى. والرد عليها جاء تالياً بعد الدعوى مشاراً إليه فى قوله -تعالى-:

﴿ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾

فالدعوى والرد عليها من قبل القرآن تفيدنا أنها من حيث الجانب التاريخى قديمة، منذ أن تحمل الرسول رسالته وقام بعبء الدعوة إليها، كذلك تفيدنا من جانب آخر أن القضية حين سجلها القرآن- ونحن نعلم أن القرآن كتاب عالمى لايختص بزمان ولابمكان ولابأمة- كان يعنى بتسجيلها وتلاوتها من جميع المسلمين على مر الدهور أن يرد على العقل الإنسانى أنى وجد وحيثما اتفق لهذا العقل أن يدعى تلك الدعوى على الرسول ﷺ. فالقرآن حين سجلها إنما يعين المسلم وهو بصدد التيارات الفكرية أن يدفع تلك القضية لأن القرآن دافع عنها، ثم هى فى النهاية تصيب صميم دينه.

---

(١) سورة النحل الآية: ١٠٣.

هذا ماتعنيه قضية بشرية القرآن بوجه عام، اما شكلها التفصيلى فإنها تحتاج إلى تسطيح فكرى يعالج القضية بعد أن يحللها تحليلاً تاريخياً، من جانب، وواقعياً من جانب آخر، مع الاهتمام بالجانب المنطقى فى مناقشة بعض القضايا الموضوعية التى تعرض لها فيما تعرض، وذلك حين يطرح العقل سؤاله خلال إثارة دعوى «بشرية القرآن».

وحقيقة هناك أسئلة كثيرة من الممكن أن ترد إلى سؤال واحد يقول أو يتساءل:

إذا كان الرسول ألف القرآن و هو الآن بين أعيننا وأيدينا، فياترى متى تعلم الرسول وفى أى مدرسة من المدارس القديمة انتظم ومن علمه؟

وياترى عندما ألف القرآن: هل استمده من المسيحية، أو من اليهودية، أو من المجوسية، أو من الصابئة، أو من الوثنية؟ وهل كانت هذه الأديان أو تلك النحل منتشرة فى الجزيرة العربية؟ وبأى لغة كانت؟ ونحن نعلم أن هذه الأديان التى عددناها ليست ناشئة فى مكة، وإنما نشأت بعيداً عن الجزيرة العربية، وحقيقة كانت بلسان أعجمى، فالمسيحية مثلاً: لم تكن باللسان العربى وإنما كانت لساناً سريانياً، واليهودية لم تكن لساناً عربياً، وإنما كانت لساناً عبرانياً، والمجوسية كذلك لم تكن باللسان العربى وإنما كانت باللسان الفارسى، كذلك الصابئة لم تكن باللسان العربى إنما كانت باللسان الآرامى، كذلك الوثنية الفكرية لم تكن باللسان العربى إنما كانت باللسان الإغريقى الرومانى على أساس أن الفلسفة اليونانية كانت لاتعتقد بعقيدة دينية وإنما كانت تؤمن بالعقل الإنسانى وفكره وحسب.

فإذا ماتكلمنا عن الوثنية الفكرية لابد للذهن أن يتجه نحو اليونان، اما الوثنية المنتشرة فى العرب فإنها كانت وثنية ساذجة ليس لها مضمون فكرى، وهى -أيضاً- كما تذكر الرواية العربية- أن شيئاً منها وفد إلى العرب على يد «عمرو بن لحى» حينما جاء «بهُبَل» من بلاد البلقان أيام الإسكندر الأكبر، هكذا تقرر المراجع العربية، فالوثنية العربية بالرغم من أنها وفدت إلى العرب فإنها كانت وثنية لاتخرج عن عبادة الحجر من غير شكل فنى، أى من غير صورة يخلعها العربى على هذا الحجر نحتاً، أو تصويراً، إنما كانت العرب تكتفى بعبادة الحجر وحسب.

واضح مما قدمنا سابقاً أن الأديان التى انتشرت فى الجزيرة العربية ومكة منها والتى جمعها الله فى قوله -تعالى-:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(٢).

هذه الأديان- كما عرضنا سابقاً- كانت أعجمية وفق ماقال القرآن: ( لسان الذى يلحدون إليه أعجمى ) فتسجيل القرآن لتلك الأديان يعنى من وجهة النظر التاريخية أن العرب كانوا يعلمون شيئاً أو أشياء عن تلك الملل والنحل ( المذاهب ) المنتشرة فى أجواء الجزيرة العربية.

فهل ياترى أى شئ تعلم منها؟ وماهى اللغة

---

(٢) سورة الحج الآية : ١٧.

التي قدر لمحمد أن يتعلمها؟ قطعا الإجابة سوف توجه بشكل تحليلي، بمعنى أننا نسير بخطوط متوازية مع تلك الأديان وعلاقة الرسول بها بادئين بالمسيحية.

بدأنا بالمسيحية لما لها من أهمية في تاريخ الدعوة الدينية فكانت ديناً رسمياً للدولة الرومانية إبان مولد الرسول ﷺ وبعثته، وكانت لها بعثاتها التبشيرية التي كانت تؤم الجزيرة العربية إما في شكل جاليات مضطهدة، وإما في شكل رسل وهبوا أنفسهم للدعوة إلى المسيحية.

على أي حال، فإن الدعوة المسيحية كانت أكثر الأديان السماوية انتشاراً بعد أن اجتازت مرحلة الاضطهاد الروماني لها ومنذ أن أعلن الوفاق بين المسيحية والدولة الرومانية في حكم قسطنطين، لذلك بدأنا بالمسيحية وعلاقة الرسول بها. والسؤال الذي يواجهنا هو:

هل المسيحية دخلت مكة أم لا؟

بلا شك أن هذا السؤال على جانب عظيم من الأهمية مادمنا تجاه دعوى تأثر الرسول بالمسيحية، ومن غير استفاضة حول هذا السؤال فإننا نجد أنفسنا مضطرين إلى مناقشة قضية انتشار المسيحية داخل مكة.

لقد دخلت المسيحية مكة واتخذت سبيلها إليها من عدة روافد:

**الرافد الأول**: الرحلات التجارية التي قام بها البيت القرشي، وقد سجلت سورة قريش من هذه الرحلات رحلتين: رحلة الشتاء، ورحلة الصيف، ولم تكن هذه الرحلات التجارية تسير مسار الصدفة، وإنما كانت رحلات منظمة وفق عهود ومواثيق تجارية عبر عنها القرآن «بالإيلاف».

ومعنى الإيلاف: المعاهدات والعقود التجارية إذ وقعت هذه العقود مع الدولة الرومانية، ومع الدولة الفارسية، ومع الحبشة، ومع اليمن، كل هذه الأطراف المتعددة مع طرف واحد هو بيت بني هاشم، وكانت تعني هذه العهود التجارية جانبين.

جانب منها: يتعهد تأمين سفن الصحراء التجارية من قناصة البدو، أي تأمين الممر التجاري حتى تصل إلى الجهة التي تقصدها.

وجانب آخر: تعني هذه المعاهدات التنظيم التجاري بين حاجات العرب وحاجات الدول المتعاهدة، وهذا المعنى في شكله النهائي يعطينا أو «يذكرنا بوظيفة» الغرف التجارية المعاصرة.

إذن فالعربي في تجارته كان يصدر عن تنظيم تجاري يبدد عنه مقالة من يضمه بالهمجية.

على أي حال هذا لايعنينا، إنما الذي نقصده أن العربي حينما وقع هذه المعاهدات وقعها وفق صيغ في أكثرها روماني مسيحي، لأن الدولة الرومانية مسيحية والحبشة مسيحية واليمن مسيحية. إذن بعض هذه العقود الموقعة كانت تحمل بعض صيغ مسيحية وعربية.

ومهما يكن الأمر، فإن العربي قد تمرس وفق هذه المعاهدات على النقل التجاري المؤمن عليه فإنه من الجائز جداً أن يكون أيضاً قد تمرس على النقل الثقافي بصورة ضئيلة، وسر ضآلتها أن العربي وهو يجتاز فيافي الصحراء وبواديها يكون قد أصابه شيئاً من النصب قد ينسى الذاكرة بعض ماجمعته من الثقافة،

ومهما تنس الذاكرة فإن العربي سوف يذكر بعد راحته ماجمعه من الثقافة، وطبيعي أن يتعامل مع دول مسيحية، وسوف يصادف- وهو بطبيعته متدين- أفكاراً دينية يأنس إليها فيحملها، فمن الممكن أن تنتقل المسيحية في شكل أفكار متناثرة إلى مكة.

**الرافد الثاني: غزو أبرهة الحبشي مكة:**

نحن نعلم أن أبرهة الحبشي قام بغزو مكة لهدم بيتها وإحلال القليس- أي الكنيسة باللغة الحميرية- محلها، أي أن جيش أبرهة كان موجهاً توجيهاً دينياً، ولانستفيض في ذكر القصة إنما نُقرر أن الحملة فشلت حربياً يقول الله -تعالى-:

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾(٣).

وننتهي إلى أن حملة أبرهة فشلت حربياً، لأن الله أراد ذلك، غير أن فشلها لم يكن كاملاً إنما يمكن أن نقول:

إنه تخلف أفراد من جيش أبرهة في مكة، ومن الممكن أن يكونوا حملوا المسيحية معهم.

**الرافد الثالث: الحنفاء:**

وهم الذين سلخوا أنفسهم من عبادة الوثنية، وانشقوا عليها وراحوا يلتمسون ديناً سماوياً يرضي نفوسهم القلقة، وذلك حينما قللوا من شأن الأصنام وعبادة العرب لها.

وحينئذ جدوا في البحث عن دين يرضي نزعتهم، فتفرقت بهم السُبُل، منهم من اتجه نحو الحنفية دين إبراهيم، وبعضهم التمس المسيحية، والثالث اعتنق اليهودية، والأخير دعته السياسة فارتمى في أحضانها.

ومن غير استفاضة تاريخية حول منازع هؤلاء الحُنفاء اعتنق بعضهم المسيحية، ودرسها من منابعها، ثم رجع إلى مثواه في مكة، كما كان بقية الحُنفاء مصدراً لأديان أخرى دخلت مكة، فالمسيحية تكاد تكون بشكلها الرسمي دخلت مكة قبيل بعثته ﷺ، وذلك مثل ورقة بن نوفل.

**الرافد الرابع: دولة بني غسان:**

من المعلوم تاريخياً أن قبيلة من القبائل العربية استطاعت أن تقيم دولة على مشارف الجزيرة العربية عاصمتها «بصرى»، وكان رئيسها الحارث ابن جبلة الغساني، وكانت دولة الغساسنة تتبع في ولائها السياسي الدولة الرومانية، واستطاع الحارث الغساني أن يحرز لقب «فيلارك» أي شيخ الدولة أو رئيسها، وهو لقب هيليني منحه إياه الإمبراطور الروماني، وفي سفرة من سفرات الحارث الغساني أراد أن يعرب للإمبراطور الروماني عن مدى إخلاصه السياسي له. فطلب منه أن يمنحه راهباً مسيحياً ليقوم بقداس الكنيسة في بصرى، فاستجاب له الإمبراطور، ومنحه الراهب يعقوب البرادعي.

وهكذا أصبحت دولة بني غسان سياسياً، ودينياً تتبع الدولة الرومانية وأعلنت فيها المسيحية بشكل رسمي، وأقيمت في بصرى كنيسة رسمية لها قديسها وقداسها، ومن هذه الكنيسة انتشرت بعض أفكار مسيحية فيما حولها.

---

(٣) سورة الفيل الآية: ٣ - ٥.

**الرافد الخامس: العبيد والإماء:**

انتشر في مكة بعض العبيد، وبعض الإماء كانوا يتبعون الدين المسيحي، وهذا الرافد ليس على وجه من الجزم غير أننا اعتبرناه مصدراً خامساً، وإن كان ينقصه المعلومات التاريخية الأكيدة بالرغم من ذلك ذكرناه، لأن العقل لايمنع فرضه، وعرضنا له نقدم مسحاً شاملاً لأطراف المشكلة ومالدينا من معلومات حول هؤلاء العبيد- وإن كانت غير مؤكدة كما قلنا- فإنها تفيد أنهم كانوا يشتغلون في بيوت الخمر ومراقص النساء التي كان يشرف عليها يهود العرب، فربما يكون عن طريق هؤلاء، قد تسربت بعض أفكار المسيحية بين العرب.

وبعد، فإن ماقدمنا من الروافد الخمسة التي يمكن للمسيحية أن تتخذ سبيلها من خلالها فإن السؤال هو:

هل استطاع الرسول -بعد ماتأكدنا من دخول المسيحية مكة- أن يتعلم شيئاً منها؟

هذا السؤال ضروري في طرحه والوقوف أمامه بعض الوقت، ثم نعقب بكلمة عامة قبل التفصيل فنقول: إن الروافد التي ذكرناها قد تساعد على نشر بعض أفكار عن المسيحية ولاتساعد مطلقاً على نشر المسيحية من حيث هي دين.. فالرحلات التجارية- كما قلنا- يظن أنها حملت بعض الأفكار.

وحملة أبرهة كذلك لم توفق حربياً، وماتبقى منها كان قد أختى عليه الدهر.. على أية حال، فإن الروافد الخمسة لم تستطع أن تخلق جواً مسيحياً بدليل أن الوثنية في مكة ظلت ديناً رسمياً، إذن ماهي علاقة الرسول بالمسيحية بعدما شرحنا احتمال وجود المسيحية في مكة؟

للإجابة على هذا السؤال؟ ينبغي علينا تقسيم الإجابة عليه لتشمل علاقة الرسول بالمسيحية قبل البعثة، وعلاقة الرسول بعد البعثة، فأما عن علاقة الرسول قبل بعثته: فهي كما يذكر مؤرخو كتب السيرة النبوية حين كان الرسول ﷺ غلاماً يافعاً وكان في رحلة عمه أبي طالب التجارية فصادف الركب - وهو في مسيرته قرب صومعة- راهباً نصرانياً يدعى بحيرا الراهب، وكما تذكر الرواية التاريخية أن هذا الراهب استضاف أعضاء الركب التجاري القرشي، كما أن القوم تعجبوا من هذه الدعوة إذ كانوا يمرون عليه ولم يعبأ بهم غير هذه المرة، فأخذ الراهب يتفرس من بينهم غلاماً صغيراً وتساءل عن أوصاف فيه وخصائص هي له من علامات النبوة، ثم أقبل على الغلام وبشره بمستقبل رسالته ونبوته، ثم حذر عمه من أن تغتاله يد اليهود.

فهذه الرواية يستفاد من دراستها أن أول علاقة للرسول برهبان المسيحية كانت في سن لاتسمح لمثله أن ينال حظاً من المعرفة كما كانت المدة الزمنية ليست بالطويلة حتى تسمح للغلام أن يجالس الراهب المسيحي لينال حظه من تعليمه.

والذي يستخلص من الرواية أن الراهب المسيحي- وهو بحيرا وفق ماتذكره الرواية-



أنه كان مبشراً للرسول بمستقبل رسالته. وليس فيها مايفيد أن بحيرا كان معلماً وأن محمداً كان متعلماً، فعلاقة الرسول بالمسيحية كما ذكرت الرواية التاريخية فيها مايدعيه بعض المستشرقين من أن محمداً تعلم المسيحية على يد بحيرا الراهب، إنما كل ما أفادته الرواية مع ملاحظة الأمانة التي اتصف بها مؤرخو السيرة حيث ذكروا مثل هذه الجزئيات من قبيل الإرهاصات لنبوة الرسول ﷺ.

هذا عن العلاقة الأولى.. أما عن العلاقة الثانية: فإنها كانت كما يذكر مؤرخو السيرة أيضاً في سن يمتنع فيها التعلم، لأنه كان هو صاحب الركب التجاري عن خديجة زوجته - رضي الله عنها - تقول الرواية أنه قابل نسطورا. غير أن هذه الرواية أبانت عن ضعف كامن فيها مؤداه: أن الرواة تشككوا في شخص نسطورا وفي زمن الرواية نفسها.

أما الروافد التي اعتبرها المستشرقون مسالك صالحة لحمل المسيحية إلى الرسول ﷺ وأنها أثرت فيه، فهي ثلاثة:

( ١ ) ورقة بن نوفل.

( ٢ ) مارية القبطية.

( ٣ ) الإماء العبيد المنتشرون هنا وهناك.

فأما عن الرافد الأول: وهو ورقة بن نوفل، فتطالعنا الروايات التاريخية التي تكلمت عنه بأنه كان مبشراً للرسول ﷺ بالنبوة والرسالة، وذلك حين ذهبت إليه خديجة زوج الرسول ﷺ لتقص عليه الحدث الذي تعرض له الرسول في غار حراء، فما أن سمعه منها إلا أن قال: «قدوس قدوس، إن هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى من قبل» ثم قال: «والله إنه لنبي هذه الأمة» ثم تقول الرواية الأخرى: «إنه قابل الرسول ﷺ وهو يطوف بالكعبة فأكد بشارته له -أي الرسول- ثم انصرف ولم تذكر الروايات التارخية شيئاً آخر عن علاقة ورقة بالرسول أو علاقة الرسول من حيث التعليم أو التعلم أو عن معرفة سابقة ربطت بينهما، وإنما- وكما تدير الرواية- أن خديجة هي التي اقترحت على نفسها وعلى الرسول الذهاب إلى ورقة ليقصا عليه مارآه الرسول ﷺ، فالمقابلة تمت باقتراح من خديجة وبحضور خديجة أيضاً، وكان ذلك بعد أن وافاه الوحي فلم يدع ورقة أنه علم الرسول وإنما كل الذي حدث أنه بشر الرسول بمستقبل، فهل كان ورقة بن نوفل قيمة تارخية تصلح لأن يعلق عليها بعض المستشرقين مايذهبون إليه من افتراءات، أو تشويش على الرسالة الإلهية التي رشح لها الرسول ﷺ من قبل الله..».

﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾(١) ومثل هذا الموقف أيضا يقال عن عداس، وكان مملوكاً للوليد ابن المغيرة في الطائف.

أما الرافد الثاني: وهو مارية القبطية: فترجع قصة مارية القبطية إلى زمن الرسل

(١) سورة الأنعام الآية: ١٢٤.





والكتب التى أرسلها الرسول ﷺ إلى الملوك حينئذ، فكان ممن أرسل اليهم المقوقس عظيم القبط بمصر، وعندما وصل إلى المقوقس كتاب الرسول ﷺ أرسل اليه جاريتين: مارية وسيرين، وعبد مجبوب وبغلة. فأما مارية فتزوجها الرسول ﷺ واستبقاها لنفسه.

فأى دور يسند إلى مارية وقد تزوجت الرسول ﷺ بعد أن تكونت الدولة الإسلامية وقاربت الرسالة من الاكتمال، وكيف يسند إليها دور وهى ذاتها هدية من المقوقس فأى دور إذن قامت به مارية بالنسبة للرسول ﷺ؟ ولقد ظلت مارية تعيش فى صمت إلى حد أنه لم يؤثر عنها حديث واحد، وتوفيت فى زمن عمر ابن الخطاب وقام عمر بدعوة الناس إلى تشييع جنازتها، فليس هناك كذلك مايصلح أن يسند إلى مارية اى دور تاريخى من قريب أو بعيد، ولاسيما بعد أن اكتملت رسالة الإسلام ودولته.

أما عن الرافد الثالث: وهو الإماء والعبيد (طواشى مكة): فليس لهم دور يذكر فى حياة الرسول ﷺ، لما لهم من حياة خاصة يتصرف فيها سيدهم او المالك لهم.

فأما مانقرأه عن عداس، فإنه كان فى الطائف ونعلم أن الطائف بعيدة عن مكة وكان مملوكاً أيضاً لسيد، وليس متفرغاً للتعليم والتعلم، وبعضهم كان يشتغل فى حانات الخمر ومراقص النساء، ونحن نعلم أن الرسول ﷺ كان بطبعه عزوفاً عن مراكز الرجس والإثم فلم يؤثر انه أم هذه الأماكن أو نزل فيها، فأى دور تاريخى يمكن ان يقوم به عبد هو كل على مولاه؟

من هنا نستطيع أن نؤكد زيف ماذهب إليه المستشرقون من ان الرسول ﷺ تعلم على يد حبر مسيحى.

## نماذج وردت فى القرآن ولم ترد فى الأسفار المقدسة

نقدم بين ايديكم أشياء وردت فى القرآن ولم ترد فى الأسفار المتداولة، وأشياء وردت فى القرآن والأسفار مع تغاير فى الجزئيات، منها:

ليس فى سفر التكوين- مثلاً- ماورد فى القرآن من أمر الله الملائكة بالسجود لآدم وعصيان إبليس، وليس فى هذا السفر- مافى القرآن من قصص إبراهيم مع قومه وتخريبه لأصنامهم ونظرته فى النجوم، وحجاجه مع قومه ومحاولتهم إحراقه فى النار وإسكانه بعض ذريته عند بيت الله المحرم -أى مكة- واشتراك إبراهيم وإسماعيل فى بناء الكعبة، وليس فى هذا السفر (سفر التكوين) - مافى القرآن من محاورة بين نوح وابنه الكافر وعدم ركوب هذا فى السفينة وغرقه، ومحاورة نوح مع الله فى ذلك.

وليس فى هذا السفر مافى القرآن من تمزيق امرأة العزيز قميص يوسف، ولاكلام النسوة ودعوة امرأة العزيز إياهن وتقطيعهن أيديهن، وليس فى أسفار الخروج والعدد والتثنية التى فيها قصص موسى وفرعون وبنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر وحياتهم فى سيناء مافى القرآن من خبرة سحرة فرعون والتقام الثعبان لحبالهم وعصيهم وسجودهم ومحاورتهم مع



فرعون، ولا غرق فرعون وجنوده حينما خرجوا لمطاردة بنى اسرائيل، والقرآن يذكر ان الشخص الثانى الذى أراد موسى أن يبطش به هو عدوه فى حين أن سفر الخروج يذكر أنه عبرانى.

والقرآن يذكر ان الذى صنع العجل لبنى إسرائيل هو السامرى فى حين ان هذا السفر - سفر الخروج - يذكر هارون - والقرآن يذكر موقفاً لمؤمن من آل فرعون، وموقفاً آخر لناصح نصح موسى بالخروج وليس هذا وارداً فى أى سفر.

والقرآن يذكر أن بنات رجل مدين اثنتان فى حين أن هذا السفر -سفر الخروج- يذكر أنهن سبع.

وليس فى اى سفر ماورد فى القرآن من محاورة بين فرعون وهامان لاجل بناء صرح ليطلع إلى إله موسى.

وليس فى هذه الأسفار ماورد فى القرآن من خبر امر موسى قومه بذبح بقرة ومحاورته معهم، ولا أمر الله بدخول الباب سجداً ومخالفتهم لهذا الأمر، ولا خبر عداوتهم فى السبت ومسخهم قردة.

وليس فى الأسفار التى تذكر قصص داود وسليمان ماورد فى القرآن من تسخير الله الشجر والطير والحديد لداود، وتسخير الريح والجن لسليمان، ولا قصة الهدهد ولا كتاب من سليمان لملكة سبأ وإسلامها وإحضار عرشها بلمح البصر من قبل الذى عنده علم من الكتاب.

ويلمح بعض الفروق فيما ورد من جزئيات فى القرآن وماورد فى سفرى يونان (يونس) وايوب أيضاً.

ونذكر هذه الأمثال من قبيل التمثيل لا الاستقصاء (الحصر) فهناك نقاط وأمور كثيرة أخرى فى قصص آدم وابنيه، ونوح، وإبراهيم، ولوط، ويوسف وإخوته، وموسى وفرعون وبنى إسرائيل، وداود، وسليمان، وطالوت، وردت فى القرآن ولم ترد فى الأسفار أو وردت فى القرآن مباينة قليلاً أو كثيراً لما ورد فى الأسفار.

فإذا كان ماذكرناه بين أيديكم هو الواقع الحقيقى للقرآن والكتب المقدسة، فياترى إذا كان محمدٌ استقى معلوماته من الكتب المقدسة، فمثل هذه الزيادات التى انفرد بها القرآن عنها من أين أتى بها محمد؟

إنه لامناص -علمياً وتاريخياً- من الإيمان بأن المصدر الوحيد الذى استقى منه محمد ﷺ، هو الوحى الإلهى اتفق معه مالم يحرف من الكتب المقدسة لأنها من نفس المصدر.

ذلك نمط مازال يرتد فى تفسيره إلى تلك الرؤية الاستعمارية التى تدور فى مدار نظرية العرق، أى تفضيل الأجناس وذلك لهدف استعمارى هو:

أن الشرق السامى لايصلح للحياة إلا بوصاية الغرب الآرى عليه.

# من ركائز التضامن الإسلامى

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

قال الله ـ تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(١).

فى هذه الآية الشريفة، يقرر الإسلام أخوة الإيمان، وأنها لا تتقيد بعلاقة النسب، فإن أخوة النسب تنقسم بمخالفة الدين، ولكن أخوة الدين لا تنقسم بمخالفة النسب. وفى الصحيحين عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا»(٢) والتجسس: هو الاستماع لحديث القوم. والتناجش: هو أن تزيد فى ثمن السلعة دون رغبة فى شرائها لتحريض الغير عليها. وفى رواية أخرى بلفظ مسلم يبين الرسول صلوات الله وسلامه عليه حقوق هذه الأخوة وواجباتها: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»(٣).

١- الحجرات (١٠). ٢- رواه البخارى ومسلم. ٣- رواه مسلم.



ومن الواجبات المترتبة على أخوة الإيمان بين المسلمين ما جاء في الآية الشريفة:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

فالإصلاح بين كل مسلمين أو طائفتين واجب تمليه أخوة الإيمان، وقد مهدت الآية الشريفة طريق الإصلاح بالتزام التقوى، حتى لا يحيد المصلحون ولا يحابي بعضهم بعضا، بل يكون العدل رائدهم والتقوى طريقهم، وبهذا تتحقق الغاية الكريمة وهي رحمة الله بالمؤمنين دنيا وأخرى:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ويدعو القرآن الكريم جميع المؤمنين أن يطهروا البيئة الإسلامية من رذائل شتى:

١- منها الرذائل الظاهرة التي تتعلق بالجوارح كالسخرية واللمز والتنابز بالألقاب.

٢- ومنها الرذائل الباطنة التي تتعلق بالمشاعر كالظن.

أما الأولى الظاهرة: فيقول فيها القرآن:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾(٤).

فينهى الله - تعالى - عن سخرية بعض الناس ببعض، فعسى من سخروا منه أن يكون خيرا منهم عند الله- تعالى- في عقيدته وفي عمله وفي باطن أمره. فإن مقاييس الخيرية ليست في المظهر ولا في الشكل، ولكنها فقط في التقوى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٥) وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن - ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(٦).

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾

نرى أنه ورد في سبب نزولها آراء منها: أنها نزلت في وفد بني تميم عندما استهزأوا بفقراء الصحابة أمثال عمار، وبلال، وخباب، وابن فهيرة، وصهيب، وسلمان، وسالم مولى أبي حذيفة، وغيرهم، لما رأوا من رثاثة حالهم..

وقيل: نزلت في سخرية الغني بالفقير، وقيل: في عكرمة بن أبي جهل، فعندما جاء إلى المدينة مسلما كان بعض المسلمين إذا رأوه قالوا ابن فرعون هذه الأمة، فشكا ذلك إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه فنزلت هذه الآية، وقال ابن عباس: نزلت في ثابت بن شماس كان في أذنه وقر، فإذا سبقوه إلى مجلس النبي ﷺ أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه ليسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد

---

٤- الحجرات (١١).

٥- الحجرات (١٣).

٦- رواه مسلم





فاته من صلاة الفجر ركعة مع النبي ﷺ فلما انصرف النبي ﷺ أخذ أصحابه مجالسهم منه فرضي كل رجل منهم بمجلسه وعظوا فيه - أي لزموه - فلا يكاد يوسع أحد لأحد حتى يظل الرجل لا يجد مجلسا، فيظل قائما فلما انصرف ثابت من الصلاة تخطى رقاب الناس ويقول: تفسحوا تفسحوا، فتفسحوا له حتى انتهى إلى النبي ﷺ وبينه وبينه رجل فقال له: تفسح فقال الرجل: قد وجدت مجلسا فاجلس، فجلس ثابت من خلفه مغضبا ثم قال: من هذا؟ قالوا: فلان، فقال ثابت: ابن فلانة، يعيره بها يعني أما له في الجاهلية فاستحى الرجل فنزلت[7].

وقد نصت الآية على النساء، كذلك وأفردتهن بالذكر في النهي عن السخرية، وذلك لأن السخرية تقع كثيرا منهن ؛ فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، ولذا نص عليهن فيقول:

﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرًا مِّنۡهُنَّ﴾[8].

وقد جاء في سبب نزولها أن امرأتين من أزواج الرسول ﷺ سخرتا من أم سلمة عندما ربطت خصريها بثوب أبيض وسدلت طرفيها خلفها فكانت تجرها فقالت عائشة لحفصة - رضي الله عنهما -: انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب، فهذه سخريتهما. وقال أنس وابن زيد: نزلت في نساء النبي ﷺ، عيرن أم سلمة بالقصر. وقيل: نزلت في عائشة أشارت بيدها: يا نبي أنها لقصيرة، تعني صفية بنت حيي - رضي الله عنها -، وقال عكرمة عن ابن عباس: إن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله إن النساء يعيرنني فأنزلت هذه الآية..

وقد نهى الله - تعالى - كذلك عن اللمز (وهو العيب)، ويكون تعبيرا باليد، أو العين أو اللسان أو الإشارة.

وأما الهمز فيكون باللسان قال تعالى:

﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[9] ويدل هذا التعبير الحكيم على أن المؤمنين نفس واحدة، فلا يليق بهم أن يعيب بعضهم بعضا، وكما لا يعيب المؤمن نفسه، لا ينبغي أن يعيب غيره، فالمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

## ولا تنابزوا

ومن الرذائل التي نهى عنها الإسلام: التنابز بالألقاب. قال تعالى:

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾[10] قيل إنها نزلت في بني سلمة، قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله ﷺ يقول: يافلان، فيقولون: مه يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم، فنزلت الآية، وقال الحسن ومجاهد: كان الرجل يعير بعد إسلامه بكفره كأنه يقول له: يا يهودي يا نصراني، فنزلت الآية،

---

٧- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

٨- الحجرات (١١).

٩- الحجرات (١١).

١٠- الحجرات (١١).

وقال قتادة: وقول الرجل للرجل يافاسق يا منافق..

قال تعالى:

﴿ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾(١١).

يقول ابن زيد أي بئس أن يسمى الرجل كافرا أوزانيا بعد إسلامه وتوبته.. وقيل: من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق. أما بعض الصفات التي يكون ظاهرها الكراهة، ولكن لا يراد بها العيب حين التحدث بها فلا بأس بها. وقد سئل عبدالله ابن المبارك عن الرجل يقول حميد الطويل، سليمان الأعمش، وحميد الأعرج، ومروان الأصفر، فقال: إذا أردت صفته ولم ترد عيبه فلا بأس به.

وقد ختم الله – تعالى – الآية الكريمة التي تنهى فيها عن تلك الرذائل بتهديد من تسول له نفسه الاسترسال في مثل هذه المعايب بأنه وقع في الهلاك وأصبح من الظالمين لأنفسهم لارتكابها فقال تعالى:

﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(١٢).

وإذا كان التنابز بالألقاب مما يعيب المسلم ويمزق ود الصدور، فإن بديله وهو نداء المسلم لأخيه بأحب الأسماء مما يصفي له ود أخيه، يقول ﷺ: «ثلاث يصفين لك ود أخيك: تسلم عليه إذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه»(١٣).

ومثال النوع الثاني وهي الرذائل الباطنة التي تتعلق بالقلب والشعور: (ظن السوء) وقد حذر الله – تعالى – من الظن في قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾(١٤)

وقد نزلت هذه الآية الكريمة كما قال أبوعبدالله القرطبي في رجلين من أصحاب النبي ﷺ اغتابا رفيقهما، وذلك أن النبي ﷺ كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما فضم سلمان إلى رجلين، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام، ولم يهيئ لهما شيئا فقدما فلم يجدا طعاما وإداما فقالا له: انطلق فاطلب لنا من النبي ﷺ طعاما وإداما فذهب فقال له النبي ﷺ: اذهب إلى أسامة بن زيد فقل له إن كان عنده فضل من الطعام فليعطك. وكان أسامة خازن النبي ﷺ فذهب إليه فقال أسامة: ما عندي شيء، فرجع إليهما وأخبرهما، فقالا: قد كان عنده ولكنه بخل ثم بعث سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فقالا: لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة – وهي بئر قديمة بالمدينة بها ماء غزير – لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شيء فرآهما النبي ﷺ فقال: مالي أرى خضر اللحم في أفواهكما؟ فقالا: يا نبي الله، والله ما أكلنا في يومنا لحما ولا غيره، فقال: ولكنكما ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة فنزلت الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴾

---

١١، ١٢ – الحجرات (١١).

١٤- الحجرات (١٢).

١٣- رواه الحاكم والطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان.

وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[١٥].. والظن الذي تحذر الآية منه هو: الظن الذي يقوم على اتهام لا أساس له ولا سبب يوجبه.

ومن الرذائل المنهي عنها «التجسس» وهو البحث عما يكون خفيا عن الإنسان كمن يتهم إنسانا بفاحشة أو بشرب الخمر مثلا دون أن يبدو له ما يقتضي ذلك أو أن تظهر له علامة على تحقيق ظنه، كأن يكون المظنون به من أهل الصلاح والتقوى فإن ظن السوء به حينئذ يكون محرما، هذا بخلاف من عرف واشتهر بين الناس بمخالفة الشرع والمجاهرة بالمعاصي فلا يكون الظن به محرما.

هذا ويترتب على الظن التجسس ثم الغيبة، وذلك لأن مجرد التهمة يكون سببا في البحث عما ساور الإنسان من خاطر فيحاول التجسس ليتحقق مما يظنه فينتقل من درجة الظن إلى درجة التجسس ثم يدعوه وقوفه بالتجسس على بعض ما يعلم أو مالا يعلم إلى غيبة أخيه فينتقل إلى درجة أسوأ وحالة أكبر وهي الغيبة وهكذا.

ويتقي الإسلام جو المجتمع على مختلف طبقاته ويوضح كيف يتفاقم الخطر من جراء الظنون السيئة بين الناس بعضهم مع بعض، بل وبين الحاكم والمحكوم، فحين يبتغي الحاكم الريبة في الناس يفسد ذات بينهم، ويوضح الرسول ﷺ خطر الغيبة والتجسس ويبين نتائجها السيئة التي لا تقتصر على الآخر فحسب، بل إن المغتابين والمتجسسين ينالون جزاءهم في الدنيا وعقابهم فيها قبل الآخرة، قال ﷺ «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن اتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته»[١٦] ولذلك أدرك سلفنا الصالح خطر التجسس فنهوا عنه وحذروا منه.

فقد كان سلفنا الصالح يدركون خطر التجسس ومدى حرمته، فكانوا يبتعدون عن التجسس وعن تتبع أسرار الناس حتى ولو ترتب على ذلك إقامة حكم من أحكام الشريعة، أو إقامة حد من حدود الله، قال عبدالرحمن بن عوف: حرست ليلة مع عمر بن الخطاب –رضي الله عنه – بالمدينة إذ تبين لنا سراج في بيت بابه مجاف على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهما الآن شرب فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه.. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ وقد تجسسنا وانصرف عمر وتركهم.

## كفارة الغيبة

ومن الرذائل المنهي عنها: الغيبة، قال الله– تعالى –:

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾[١٧] وقد فسر الرسول

---

١٥– رواه البخاري ومسلم.

١٦– رواه أحمد وأبوداود والترمذي.

١٧– الحجرات (١٢)

ﷺ معنى الغيبة: ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»[18].

وقد رأى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج صورة محسوسة لأولئك المعتدين المغتابين وكيفية عذابهم، عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس ويقعون في أعراضهم»[19]. وقد صور القرآن الكريم صاحب الغيبة في هيئة مستقذرة، وصورة تدل على خسة الطبع ودناءة النفس وفساد القلب، قال - تعالى -:

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[20]

فصور الله - تعالى - الغيبة بأكل الميتة لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحي لا يعلم بغيبته ممن اغتابها، ولننظر بعد تصوير الرسول ﷺ للغيبة: روى أبو هريرة - رضي الله عنه - أنه حين جاء ماعز إلى النبي ﷺ فشهد على نفسه بالزنا فرجمه الرسول ﷺ فسمع نبي الله رجلين من أصحابه يقول أحدهما للآخر: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلاب، فسكت عنهما، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال: «أين فلان وفلان»؟ فقالا: نحن يا رسول الله، قال: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار، فقالا: يانبي الله ومن يأكل هذا؟ قال: فما نلتما من عرض أخيكما أشد من الأكل منه، والذي نفسي بيده إنه لفي أنهار الجنة ينغمس فيها»[21].!!

وحكم الغيبة: أنها من الكبائر، قال رسول الله ﷺ «دماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»[22]. واتفق العلماء على أنها من الكبائر تجب التوبة إلى الله منها، واختلفت الآراء هل يستحل المغتاب أم لا؟!

١- فقال بعض العلماء: ليس عليه استحلاله، وإنما هي خطيئة بينه وبين ربه واستدل أصحاب هذا الرأي بأنه لم يأخذ شيئا من ماله، ولا أصاب من بدنه ما ينقصه فليس في ذلك مظلمة يستحلها منه وإنما المظلمة ما يكون في المال والبدن.

٢- وذهبت فرقة أخرى: إلى أن الغيبة مظلمة، وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذي اغتابه، واستدلوا على ذلك بما روى عن الحسن: كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته.

٣- وذهبت فرقة ثالثة: إلى أن الغيبة مظلمة، وعلى صاحبها الاستحلال منها، واستدلوا على ذلك بما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه

---

١٨- رواه مسلم.

١٩- رواه أحمد وأبوداود.

٢٠- الحجرات (١٢).

٢١- رواه أبوداود.

٢٢- رواه البخاري ومسلم.



- قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شئ فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون له دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[٢٣].

والذي نرجحه: هو الرأي الثالث القائل بأن على الذي اغتاب الاستحلال من غيبته لحديث البخاري، فهو يدل على التحليل، وحديث الرسول ﷺ هو الحجة والبيان الصحيح ولأن التحليل كذلك يدل على التعاطف والتراحم وهو من قبيل العفو قال تعالى:

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾[٢٤]

اللهم إلا إذا ترتب على الاستحلال خطأ شديد، ومخافة أن يجر إلى اندلاع فتنة كبرى فإنه حينئذ يمسك عن الاستحلال حتى يواتيه الوقت الملائم له ويقول بالتوبة والاستغفار لأخيه.

وأما الرأيان الثاني والأول: فنرى أن أصحاب الرأي الأول ينفون الاستحلال متعللين بأنه لم يصب مالاً ولا بدناً فليس في ذلك مظلمة، والحق: أن اجتماع العلماء منعقد على أن على القاذف للمقذوف مظلمة بأخذه بالحد حتى يقيمه عليه، وذلك ليس في البدن ولا في المال، فهذا دليل على أن الظلم في العرض والبدن والمال، وأما الرأي الثاني القائل: إنها مظلمة يستغفر لصاحبها ففيه تناقض لأن قولهم «مظلمة» يثبتون ظلامة المظلوم وإذا ثبتت لم يزلها عن الظالم إلا إحلال المظلوم له، وهذه الأحكام سارية في سائر المظالم. وأما صاحب الهوى والفاسق المعلن فسقه والإمام الجائر فكل هؤلاء لا غيبة في حقهم فإن من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له، بل إن ذكرهم بما هم عليه يحذر ويكشف عوارهم.

قال ﷺ: «اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس»[٢٥] وإذا كانت واجبات الأخوة في الدين تقتضي تكريم المؤمن ونفي كل الرذائل عن دائرة نفسه ومجتمعه وتحتم احترام المسلم لأخيه ومساعدته له وعدم التعرض بما يسيئه في نفسه أو ماله أو عرضه.

إذا كانت هذه وغيرها من أسمى المبادئ لتكريم الإنسان المسلم فإن الله - تعالى - قد وسع دائرة هذه الأخوة فلم يجعل للأسرة الإسلامية حدودا تحدها قرابة أو نسب أو زمان أو مكان أو بيئة أو مجتمع بل إن الإسلام فتح أمام أتباعه آفاق التعارف والتآلف.

واستهدف من وراء جعله لهم شعوبا وقبائل التعارف المثمر الذي يكمل بعضهم بعضا في إطاره المشرق.

ولم يجعل من اختلافهم في اللون أو اللغة أو المال أو القوة سببا للتمايز والتعاظم، فنفى أن تكون هذه الأسباب أصولا للتكريم أو قواعد للتعظيم، وإنما جعل المعيار الحقيقي الذي توزن به منازلهم منحصرا في شئ واحد هو «تقوى الله»..

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٢٦].

---

٢٣- رواه أحمد والبخاري.

٢٥- رواه ابن أبي الدنيا، وابن عدي، والطبراني.

٢٤- الشورى (٤٠).

٢٦- الحجرات (١٣).



# الدعوة كما ينبغى أن نبلغها

## ٧

### لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

**ختـــام المجـــلس**

**جلس إلىَّ صاحبى هذه المرة ضائقاً ضجراً متبرماً ولم يخف ضيقه ولا ضجره، بل أعلنه فور جلوسه إلىَّ، ولفت نظرى ما رأيت منه، وعجبت من إعلانه الضيق والضجر، وأنه لم يزعم ما زعمه فى الجلسة السابقة من أننى أعلن ما أخفاه، كأننى شققت عن قلبه، وعلى غير ما هو متوقع منه ومنى، فلم أجزع أنا لضيقه ولم يخف هو ما بدا منه، بل كان يعمل على إظهاره فى إلحاح واضح.**

فقلت ـ أحاول أن أستجلى حقيقة أمر صاحبى وما طرأ عليه من تغيير: عجبت لأمرك، أقيس حالك اليوم بحالك بالأمس، فأجد بوناً شاسعاً، فما الذى غيرك؟. قال ـ فى استعجال واضح كأنه يريد أن يلتقط شيئاً أو يلحق به قبل أن يفلت منه ـ: دعك منى ومن حالى، المهم عندى أننى سمعتك تقول: أقيس حالك اليوم بحالك بالأمس، فأرجوك حدثنى عن القياس، فأنا أعرف أن للأصوليين فيه مقالاً واسمح لى أن أطلب منك الدخول فى الموضوع مباشرة، ولا أخفيك سراً، فأنا أكاد أن أضيق بمقدماتك التى لا تخلو من إطالة وإطناب.

قلت ـ برغم عتاب صاحبى علىَّ فى الإطالة والإطناب ـ: إذاً لماذا الضيق والضجر باديان عليك، تعلنهما ولا تخفيهما؟.

قال صاحبى:

على أى حال دعك مما أعانيه من ضيق وتبرم، وأرجو أن تحدثنى عن القياس.

قلت لصاحبى: ما أعظم المقارنة بين حالك اليوم وحالك بالأمس، لكن لا عليك ولا تشغل بالك بمقارناتى بحالك، المهم

عندى أن تعرف أن للقياس شروطاً وأركاناً قد بيَّنتها كُتُب أصول الفقه، وأفاضت في الشرح والبيان، بل إنها عرضت لرأى قد أنكر القياس أصلاً وبيَّنت حججه، وسمت القائلين به: نفاة القياس. وبالطبع اشتمل البيان على رأى وحجج المثبتين للقياس والعاملين به، وكان الحوار شيقاً وجميلاً، أرجع إليه عند من أنشأ علم أصول الفقه، وأول من بوبه وجعله علماً بعد أن كان شذرات أو ومضات في فقه مَنْ سبقوه وهو الإمام الشافعي - رضي الله عنه وعنّا به، آمين - في كتابه القيم: «الرسالة». وأيضاً أرجع إلى كتاب آخر هو: «إعلام الموقعين لابن القيم» حيث انتصر للحديث الذى جعله كل من تكلم في القياس وأجازه وعمل به، جعل هذا الحديث أساس الباب وحُجة له، وهو حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - حين بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً ومعلماً (انظر الحديث في البخارى) فإنك ترى ابن القيم محدثاً فقيهاً واسع العقل قوى الحُجة على أننى أوثر أن تكون هذه البحوث القيمة وهذه الحوارات في القياس وعنه بعيدة عن مقال عابر في مجلة وليكن لهذه الكتب وغيرها كثير متسع في وقتك إن شاء الله، والذى أحب أن أحدث إليك عنه هو علة القياس وما شروط الفقهاء في العلة؟. فإن حديثهم فيها رفيع المستوى عميق الفكر.

أما شروط القياس وأركانه فهى سهلة التناول والشرح، والبيان في كتب الأصول.

أما علة القياس فهى في رأيى أهم ما في موضوع القياس لأنها أساس استخراج الحكم وجعله سارياً إلى غيره، وقبل كل شيء أحبك أن تعلم أقسام القياس أو أنواع القياس: فمنها ما هو معمولٌ به: أى يُعْتَد به عند من أخذ بالقياس - ومنها ما ليس معمولاً به. أما أقسامه فهى ثلاثة: قياس علة، وقياس دلالة، وقياس شبه.

ولو أننا - أنت وأنا - جلسنا نتكلم عن كل نوع وبيَّنّاه ومثلنا له، لاحتجنا إلى كتاب، وليس إلى جلسة يضمها مقال. ولنكتف الآن بالحديث عن علة القياس التى هى أساس نقل أو إثبات حكم أمر لأمر آخر لم ينص فيه على الحكم. فأساس نقل الحكم المنصوص عليه إلى آخر هو: العلة التى تجمع بين الأمرين الأول والثانى.

قلت لصاحبى: أستسمحك عذراً في حديث يبتعد عن شروط القياس قليلاً. ويمكن تسميته اشتراطات فيمن يقيس أو قل إن شئت محاذير حتى لا تزيغ به الأهواء، فنحن بشر قد نتحاز - وقد هنا أحبها أن تكون للتحقيق - وأسباب الانحياز كثيرة متعددة قد تكون: القرابة أو المصلحة أو المعاصرة. وأخطرها الهوى، وحيث قلت: إن هذه من أسباب الانحياز، وأحبك أن تعلم



أنهـا من الممكن أن تكون (مع أو ضـد)؛ لذلك فقد وضع الفقهاء ـ أهل الاختصاص ـ تعـريفـات وشـروطاً للعلة هي في الواقع ضمانات حتى لا يحيد الاجتهاد عن مساره، ناهيك عما كانوا عليه من زهد وورع وتجرد وإيثار ومراقبة لله ـ تعالى ـ والخوف منه، وإنكار للذات وحب للخمول، هل تعرف هذه المصطلحات أو بعضها؟. أو هل تذوقت هذه المعاني؟. أو طُفتَ حول حماها؟. أرجو أن تكون قد فعلت، وعلى أي حال تزود منها في كتب السلف الصالح أو على أيدي الرجال وبرغم كل هذا فقد وضعوا شروطاً للعلة أو قل قيوداً للعلة حتى لا يحيد الفقيه.

قال صاحبي: حدثني عن علة القياس وشروطها ـ رعاك الله.

قلت: شرط العلة أن تكون وصفاً ظاهراً منضبطاً متعدياً مناسباً للحكم، ولا مجال لشرح التعريف هنا لكن لابد من الإشارة إلى بعض معاني التعريف.

فمن بعض معانيه في العلة: أن تكون وصفاً ظاهراً بمعنى أنه يمكن التحقق منه، فلا يصح أن تكون العلة أمراً خفياً، أي: قلبياً مستتراً في ضمير الإنسان، لأن ذلك يوقعنا في دائرة الغموض والتخمين التي لا تبنى عليها أحكام عادلة. قال صاحبي: كيف؟. مع أن الشارع الحكيم جعل علة العقود هي التراضي بين المتعاقدين، والتراضي أمر باطني خفي؛ لأنه علةٌ في إباحة الشيء المشترى أو المبيع وإباحته للمشتري، فكيف تقول: إن العلة لابد أن تكون وصفاً ظاهراً؟!.

قلت لصاحبي: إن شئت، فضُمّ إلى البيع من العلل الباطنة الخفية: النكاح وإباحة كل من الزوجين للآخر، بل أضيف لك ثالثاً: القصاص، فإن علة القصاص هي إزهاق الروح عمداً عدواناً، والعمد أمر باطني، وأرجو منك ألا تتسرع باتهام الأصوليين بالقول في الدين بما لم يأذن به الله، فالواقع أنهم يتحرون إذن الله وأمره ويضعون الضوابط لمن يأتي بعدهم، فالأصوليون يقولون: إن الرضا في البيع والنكاح ونية إزهاق الروح عمداً عدواناً في القصاص، وهي وإن كانت نوايا باطنة إلا أن الشارع الحكيم جعل لها أموراً ظاهرة واضحة يمكن التحقق منها، دليلاً على هذه النية وهي الأمر الباطني فجعل الإيجاب والقبول وهو أمر ظاهري جعله دليل التراضي وهو علة في المعاوضة وكذلك النكاح، أما في القتل العمد فقد جعل استعمال آلة من شأنها أن تقتل هو علة القتل. وإيجاب القصاص، لذلك تجد حتى في القانون الوضعي الذي اقتبس هذا من أصول الفقه الإسلامي في حيثيات الحكم في أي قضية جنائية لابد أن يُبيّن القاضي في حكمه دليلاً مادياً على وجود نية إزهاق الروح وبيان علاقة السببية بين الفعل المؤدي إلى القتل والنتيجة.



واسمح لي أن أقول لك: قد تكون العلة وصفاً ظاهراً مادياً، لكنه يتم في السر والخفاء.. من أجل هذا، لا يصلح ربط الحكم به، فمثلاً ثبوت نسب ولد الزوجة من زوجها، علته في الحقيقة وصول ماء الرجل إلى رحم الزوجة، لكنه أمر خفي لا يمكن الاطلاع عليه، لذلك فقد قال الأصوليون: فراش الزوجية الثابت بالعقد الصحيح يقوم مقامه، وهو أمر ظاهر يمكن التحقق من وجوده وعدمه، وهذا القول يفتح مجال الاجتهاد في نفي العلة الخفية، فلا حاجة إذن لأمر ظاهر ـ وهو فراش الزوجية الثابت بين الزوجين بالعقد الصحيح ـ لأن يقوم مقام العلة الأصلية.. بمعنى: لنا أن نجتهد في إثبات العلة الحقيقية أو نفيها، فمثلاً إذا كان الزوج عقيماً أو صغيراً لم يبلغ الحلم، فهذا دليل على أن الولد ليس منه، فلا يقوم فراش الزوجية مقامه وإن ثبتت الزوجية بين الزوجين بالعقد الصحيح. قال صاحبي: أسرفت على نفسك وعليّ، في بيان الوصف الظاهر للعلة، فهلا بيّنت لي كيف يكون منضبطاً متعدياً ومناسباً؟!..

قلت: لقد حيرني أمرك يا صاحبي... أتشكو السرف في العلم؟! قال: إن الرأس وعاء، وكل وعاء له نهاية وحد وأنا أحب أن يمتلا وعائي بمعاني أصول الفقه، فقد أحببت هذا العلم وأهله، قلت: الحمد لله لك ما تريد ـ إن شاء الله..

قلنا: إن الوصف لابد أن يكون ظاهراً وقد عرفت ذلك، أما أن يكون منضبطاً، فمعناها أن يكون له حدود لا تتفاوت، باختلاف الأشخاص والأحوال.. فمثلاً لو قلنا: إن المشقة علة في قصر الصلاة، أو الإفطار في السفر، فإن ذلك لا يصلح أن يكون علة للقياس، لأن المشقة أمر مرن غير منضبط، يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فلا تصلح المشقة أن تكون علة لإباحة الفطر للمسافر، لأنه يمكن أن تحدث المشقة من غير سفر، أما العلة المنضبطة أي المحددة فهي السفر بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان.

أما معنى أن يكون الوصف متعدياً، أي أن يمكن وجوده في غير الأمر الأصلي المقيس عليه، فإن أساس القياس هو العلة، فإذا كانت العلة قاصرة على الأمر الأصلي ولا توجد في غيره، فلا يمكن القياس، ومثال ذلك: السفر.. فإنه علة قاصرة لإباحة الفطر في رمضان إذ لا توجد في غير المسافر، كمن يشتغل في أعمال شاقة، فإنه لا يمكن قياسه على المسافر. وكذلك المرض، فإنه علة قاصرة على المريض بالنسبة للصيام والصلاة، فلا يمكن القياس عليهما، وحتى تتضح المسألة، أضرب لك مثالاً بعلة متعدية، توجد في الأصل ويمكن أن توجد في غيره، وبذلك نقيس الفرع على الأصل مثل الإسكار، فهو علة متعدية توجد في الخمر، ولهذا حُرِّمت،

ويمكن ان توجد في اي مشروب آخر، فإذا وُجدتْ أخذ هذا المشروب حكم الخمر مع فارق بسيط هو ان الخمر تُحَرَّم ولو لم تُسْكِر حيث إنها الأصل، اما غيرها فلا يُحَرَّمُ إلا بثبوت الإسكار، ولا عبرة بحال الأشخاص قوة وضعفاً. لأن الأحكام ـ كما قلنا ـ والعلل لا تبنى على التفاوت بين الناس، ولا عبرة أيضاً بالمسميات، أقول هذا بمناسبة ما أشيع ويشاع من فَسَقَةٍ أو مغرضين، من أن الإمام أبا حنيفة أباح شرب النبيذ، وذلك باطل من وجهين:

**الأول**: أن ما أفتى عليه الإمام أبو حنيفة هو ما نعرفه الآن ونتناوله في إفطار رمضان وهو التمر المنبوذ في الماء[1]. أما إن ترك هذا التمر في الماء عدة أيام حتى تخَمَّرَ وأسكر فإنه يُحَرَّم.

فأنت ترى أن الإمام لم يُفْتِ بحل مُسْكِرٍ، وإنما قال إن الخمر محرمة بالنص والنبيذ محرم بالقياس إذا أسكر، فإذا لم يُسْكِر بمعنى أن العلة لم تتوافر في الفرع كما توافرت في الأصل، فلا ينطبق الحكم، وبهذا يقول جميع الفقهاء، لأن من شرط القياس وجود العلة في الفرع كما هي في الأصل.

أما من أين جاءت الشبهة أو راجت الإشاعة أو رغب قوم في التشويش بها على الإمام، فأولاً: لأنهم يريدون أن يسكروا ويشربوا ويريدون أن يُلْبِسوا فعلهم الآثم ثوب الحلال والاجتهاد.

**ثانياً**: تغَيُّر استعمال لفظ النبيذ الآن، حيث أصبح يطلق على نوع من أنواع الخمور، شديد الإسكار[2].

وإذا بصاحبي يذكرني بموضوع كنا قد تواعدنا على استكماله في هذا اللقاء، وهو تكملة الحديث عن المطلق والمُقيد، قلت لصاحبي وأنا مغتبط فرح بما آل إليه حاله لتعلقه بعلم «أصول الفقه» أراك الآن تطلب الاستزادة من الحديث في علم أصول الفقه، بعد أن كنت تضيق به ولا تطيق الحديث فيه إلا على مضض منك.. قال صاحبي: الحق أني أحببت هذا العلم وتعلقت به، قلت ـ وأنا أهم بالانصراف ولا أخفي فرحي واغتباطي بصاحبي وما آل إليه حاله:

الحمد لله أني قد بلغت منك وبك إلى ما أريد، فهذا العلم لا تكفيه مقالات عابرة في مجلة سائرة مهما تكن مكانتها العلمية وإنما هو في حاجة منك إلى قاعة درس منضبطة أو مجلس علم ملتزم بقواعد الدرس والتحصيل، قال صاحبي ـ وهو يمسك بي ـ: مهلاً، لا تجعل هذا آخر العهد بمجلسنا. قلت في استجابة حانية لكنه ربما كان آخر عهدنا بحوارات أصول الفقه.

---

(١) هو ما يطلق عليه المصريون «خشاف».

(٢) راجع كتاب الإمام أبي حنيفة لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة ـ رحمه الله.

من تاريخ التشريع الإسلامى:

# مساجلة بين فقيهين كبيرين

للدكتور/ حمدى فتوح والى (*)

**تحتاج الأمم فى مسيرة حضارتها، إلى معالم تنير طريقها، وتهدى خطوها وتحفزها بقوة لتواصل سيرها، وتضاعف عطاءها.**

**وتشتد الحاجة إلى تلك المعالم عند اختلاف الدعوات، واختلاط الصيحات، وتعدد المناهج، وتباين الطرائق، وكثرة المتصدين للتزعم والقيادة ممن لا يملكون أسبابها، ولا يفقهون فى الغالب حقوقها وأسرارها.**

وفى عالم الاقتصاد لا يلجأ الفرد إلى الاستدانة وله رصيد مذخور، قبل أن يراجع رصيده فيرى إن كان فيه غناء، ولا تلجاء الدولة إلى الاستيراد قبل أن تراجع خزائنها وتنظر فى خاماتها ومقدراتها كذلك، أفلا يقوم رصيد الروح وزاد الفكر ووراثات القلب والضمير، كما تقوم السلع والأموال فى حياة الناس؟! بلى، ولكن الناس فى عالمنا الإسلامى لا تراجع رصيدها الروحى، وتراثها الفكرى قبل أن تفكر فى استيراد المبادىء والقيم، واستعارة النظم والشرائع من خلف السهوب ومن وراء البحار.

ومن هنا كان ضرورياً أن نقدم لأبناء جيلنا صفحات مضيئات من تاريخنا التشريعى العظيم.

والصفحة التى نجلوها اليوم تعرض نموذجاً عالياً للأدب الرفيع، والخلق الرصين فى المناظرات العلمية، وما ظنك بنقاش فقهى يدور بين إمام المدينة وعالمها «مالك بن أنس» وإمام الكنانة

(*) مستشار تربوى بوزارة التربية والتعليم

وفقيهها « الليث بن سعد » وهما من هما مكانة وعلماً في تاريخنا التشريعي .

وقد كانت تربية الإمامين الجليلين في دور الطلب مما ساعد على ارتقائهما العلمي والروحي والأدبي . يقول ابن القاسم : أفضى طلب العلم بمالك إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه ثم أقبلت عليه الدنيا بعد ذلك .

ويقول الإمام مالك عن نفسه : « ما جلست للفتيا حتى شهد لي سبعون شيخاً بالعلم »[1] ومع هذا الرسوخ العلمي والتمكن الأدبي والروحي فقد كان أكثر الناس تهيباً للفتيا حتى اشتهر عنه القول المأثور « من قال لا أدري فقد أفتى » وكان لشدة تعظيمه لمدينة رسول الله ﷺ أن حرم على نفسه أن يركب مطية في المدينة ، حتى مع تقدم السن ، وضعف القوة عن المسير ، فإذا روجع في ذلك قال : « لا أركب في مدينة بها قبر رسول الله ﷺ » .

أما الليث بن سعد إمام مصر فيكفيه شهادة قول الإمام الشافعي - رضي الله عنه - « الليث أفقه من مالك إلا أن قومه ضيعوه »[2] وقول الإمام أحمد بن حنبل « ليس في المصريين من هو أثبت من الليث بن سعد » وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال : « كان من سادات أهل زمانه فقهاً وورعاً وعلماً وسخاءً » .

والقضية التي دار حولها النقاش وكانت موضوعا للمساجلة بدأت بإنكار الإمام مالك على الإمام الليث في بعض المسائل الفقهية بما يخالف ما أجمع عليه أهل المدينة .

إذ يرى الإمام مالك - رضي الله عنه - أن إجماع أهل المدينة وحدهم يكون حجة على من خالفهم في انعقاد إجماعهم . وهي مسألة أصولية يلتزمها علماء المذهب المالكي ، ويضيفون إليها فوق ذلك أن خبر الواحد من نقل أهل المدينة يرجح من يعارضه من خبر مخالف تناقله من أهل المدن الأخرى ويعلل الإمام مالك هذا التفضيل بقوله : « انصرف رسول الله ﷺ من آخر غزواته ومعه نحو كذا وكذا ألفاً من الصحابة ، مات بالمدينة منهم عشرة آلاف ، وباقيهم تفرق في البلدان ، فأيهما أحرى أن يتبع ويؤخذ بقولهم ؟ من مات عندهم النبي ﷺ وأصحابه الذين ذكرت . أو من مات عندهم واحد أو اثنان من صحابة رسول الله ﷺ »[3] .

وهي دعوى قد تبدو قوية واضحة ، وحججها ظاهرة دامغة ؛ وتزداد أهمية وقوة مكانة المدينة في قلوب المسلمين إذ هي ملاذ رسول الله ﷺ ومهجره . وبها عاش وفيها قبر ، وبها أيضاً عاش غالب أصحاب رسول الله ﷺ ، وفيها ماتوا . ومن هنا تكتسب دعوى الإمام مالك أهميتها وقوتها ، فإذا أضيف إلى ذلك ما يتمتع به الإمام مالك من هيبة ، وما يحظى به من شهرة أدركنا مدى حرج موقف الإمام الليث .

فلنر كيف جرت المناقشة وكيف كانت نتيجتها ؟

تبدأ المساجلة برسالة من الإمام مالك معارضاً

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ صـ ١٧٤ .

(2) مجالس العلم في حرم المسجد د . محمد رجب البيومي صـ ٤٣ .

(3) المرجع نفسه صـ ١٦٦ .

ومتكراً بعض فتاويه قائلاً: «من مالك بن أنس إلى الليث بن سعد، سلام عليكم فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: عصمنا الله وإياك بطاعته في السر والعلانية، وعافانا وإياكم من كل مكروه، واعلم - رحمك الله - أنه بلغني أنك تفتي الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا وببلدنا الذي نحن فيه، وأنت في أمانتك وفضلك، ومنزلتك من أهل بلدك، وحاجة من قبلهم إليك، واعتمادهم على ما جاء منك، حقيق بأن تخاف على نفسك وتتبع ما ترجو النجاة باتباعه، فإن الله - تعالى - يقول:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١).

وقال - تعالى -:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾(٢).

فإن الناس تبعاً لأهل المدينة، إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن، وأحل الله الحلال وحرم الحرام إذا رسول الله بين أظهرهم، يحضرون الوحي والتنزيل، ويأمرهم فيطيعونه ويسن لهم فيتبعونه، حتى توفاه الله واختار له ما عنده صلوات الله عليه ورحمته وبركاته، ثم قام من بعده أتبع الناس له من أمته، ممن ولي الأمر من بعده، فما نزل بهم مما علموا أنفذوه وما لم يكن عندهم، فيه علم سألوا عنه، ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا في ذلك في اجتهادهم وحداثة عهدهم، وإن خالفهم مخالف، أو قال امرأ غيره أقوى منه وأولى ترك قوله وعمل بغيره.

ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون ذلك السبيل، ويتبعون تلك السنن، فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهراً ومعمولاً به لم أر لأحد خلافاً للذي في أيديهم من تلك الوراثة التي لا يجوز لأحد انتحالها، ولو ذهب أهل الأمصار يقولون هذا العمل ببلدنا، وهذا الذي مضى عليه من مضى منا ولم يكونوا من ذلك على ثقة، ولم يكن لهم من ذلك الذي جاز لهم، فانظر رحمك الله فيما كتبت إليك فيه لنفسك واعلم أني أرجو ألا يكون ما دعاني إلى ما كتبت به إليك إلا النصيحة لله - تعالى - وحده، والنظر لك والظن بك، وأنزل بكتابي منك منزله، فإنك إن فعلت تعلم أني لم آلك نصحاً. وفقنا الله وإياك لطاعته، وطاعة رسوله في كل أمر وعلى كل حال.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتبت يوم الأحد لتسع مضين من صفر.

تلك كانت رسالة الإمام مالك، التي جمعت إلى قوة الحجة وضوح العبارة، ودقة اللفظ وسهولة التعبير وجمال الأسلوب.

وواضح من خلالة الرسالة قوة إيمان صاحبها بفكرته، وامتزاجه بقضيته، وثقته الكاملة في صحة دعواه. كما يظهر من خلالها عمق الحب وصدق الود، وخلوص النية، وسلامة القصد.

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٠.

(٢) سورة الزمر الآيتان ١٧، ١٨.

كما تحتى كمال الخلق، وروعة الأدب، ورقة الخطاب، وحسن العرض. إذ بدأ الإمام مالك رسالته بالدعاء لأخيه، واختار من الدعوات ما يتناسب وموضوع الرسالة؛ ليكون ذلك توطئة لقصده ومدخلاً لمراده، ثم لا ينسى أن يضيف نفسه إلى أخيه عند الدعاء تلطفاً وأدباً بقوله: «عصمنا وإياك»، «وعافانا وإياكم» وهي صيغة فى الخطاب أرق وأجمل مما قال: «عصمك وعافاك» فإن ذلك يوحى بنقص ذلك عند المخاطب واحتياجه إليه.

ثم يدخل فى موضوع المناقشة فى حسن تخلص، وجمال تلطف، فيكشف له عن سبب الرسالة قائلاً: «واعلم رحمك الله أنه بلغنى أنك تفتى الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا وبلدنا الذى نحن فيه» لكنه يسارع فيغلف هذا الإنكار قبل إتمامه بغلاف من الثناء الجميل فيثنى عليه بعظيم فضله وعلو شأنه فى بلده، لكنه يستثمر هذا الثناء وذلك الإطراء لخدمة قضيته فيخوفه عاقبة التسرع بمخالفة ما عليه إجماع أهل المدينة، فإن تبعة ذلك ثقيلة لأن الناس فى مصر سيتبعونه. وكان الإمام مالك قد استوثق من صحة دعواه وخطأ ما عداها حتى جعل ما عداها أمر يخاف منه، ويتقى الوقوع فيه، ويخشى على صاحبه من فعله. وحجة الإمام مالك فى ذلك كما أشرنا «أن الرسول ﷺ انصرف من آخر غزواته ومعه نحو كذا وكذا ألفاً من الصحابة، مات بالمدينة منهم عشرة آلاف، وباقيهم تفرق فى البلدان فأيهما أحرى أن يتبع ويؤخذ بقولهم ...».

فلننظر كيف كان جواب أمام مصر على رسالة إمام المدينة، لقد كتب إليه يقول: «سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو - أما بعد - عافانا الله وإياك وأحسن لنا العاقبة فى الدنيا الآخرة. قد بلغنى كتابك تذكر فيه صلاح حالكم الذى يسرنى، فأدام الله ذلك لكم، وأتمه بالعون على شكره، والزيادة من إحسانه وذكرت نظرك فى الكتب التى بعثت بها إليك وإقامتك إياها، وختمك عليها بخاتمك، وقد أتتنا فجزاك الله عما قدمت منها خيرا، فإنها كتب انتهت إلينا عنك فأحببت أن أبلغ حقيقها بنظرك فيها.

وذكرت أنه قد أنشطك ما كتبت إليك من تقويم ما أتانى عنك إلى ابتدائى بالنصيحة، ورجوت أن يكون لها عندى موضع وأنه لم يمنعك من ذلك فيما خلا إلا أن يكون رأيك فيها جميلا إلا أنى لم أذكر مثل هذا وأنه بلغك أنى أفتى الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم، وأنى يحق على الخوف على نفسى لاعتماد من قبلى على ما أفتيهم، وأن الناس تبع لأهل المدينة التى إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن.

وقد أصبت بالذى كتبت به من ذلك إن شاء الله - تعالى -، ووقع منى بالموقع الذى تحب، وما أجد أحداً ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا ولا أشد تفضيلاً لعلماء أهل المدينة الذين مضوا، ولا آخذلفتياهم فيما اتفقوا عليه منى. والحمد لله رب العالمين، الذى لا شريك له.

وأما ما ذكرت من مقام رسول الله ﷺ بالمدينة ونزول القرآن بها عليه بين ظهراني أصحابه وما علمهم الله منه، وأن الناس صاروا تبعا لهم فيه فكما ذكرت. وأما ما ذكرت من قول الله ـ تعالى ـ :

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٦).

فإن كثيراً من أولئك السابقين الأولين خرجوا إلى الجهاد في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله ـ تعالى ـ، فجندوا الأجناد، واجتمع إليهم الناس، فأظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله وسنة نبيه، ويجتهدون برأيهم فيما يفسره القرآن والسنة، وتقدمهم عليه أبو بكر وعمر وعثمان والذين اختارهم المسلمون لأنفسهم، ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعين لأجناد المسلمين ولا غافلين عنهم، بل كانوا يكتبون في الأمر اليسير لإقامة الدين والحذر من الاختلاف بكتاب الله وسنة نبيه، فلم يتركوا أمراً فسره القرآن، أو عمل به النبي ﷺ بمصر والشام والعراق، أو ائتمروا فيه بعده إلا عملوه، فإذا جاء أمر عمل فيه أصحاب رسول الله ﷺ بمصر والشام والعراق على عهد أبوبكر وعمر وعثمان، ولم يزالوا عليه حتى قبضوا لم يأمرهم بغيره، فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمراً لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم، مع أن أصحاب رسول الله ﷺ قد اختلفوا بعد في الفتيا في أشياء كثيرة، ولولا أني قد عرفت أن قد علمتها كتبت بها، ثم اختلف التابعون في أشياء بعد رسول الله ﷺ : سعيد بن المسيب ونظراؤه أشد الاختلاف، ثم اختلف الذين بعدهم فحضرتهم بالمدينة ورأسهم يومئذ ابن شهاب، وربيعة بن عبدالرحمن. وكان من خلاف ربيعة لبعض من قد مضى ما عرفت وحضرت. وكان يكون من ابن شهاب اختلاف كثير إذا لقيناه، وإذا كاتبه بعضنا فربما كتب إليه في الشيء الواحد على فضل رأيه وعلمه بثلاثة أنواع ينقض بعضها بعضاً، ولا يشعر بالذي مضى من رأيه في ذلك. فهذا الذي يدعوني إلى ترك ما أنكرت تركي إياه».

ورسالة الإمام الليث طويلة نكتفي منها بهذا القدر. إذ فيه كما لمسنا ردوداً وافية وشواهد كافية للرد على ما جاء في رسالة الإمام مالك. وتعقب حججها واحدة واحدة في عبارات واضحة، وحجج ظاهرة وشواهد دامغة، دون أن ينسيه ذلك كله مكانة صاحبه وهيبته وفضله.

ورسالة الإمام الليث شاهدة على ما كان يتحلى به علماؤنا في مناقشاتهم ومناظراتهم من أدب جم وذوق رفيع وخلق نبيل وهو ما سيكون موضوع حديثنا في المقال القادم أن شاء الله ـ تعالى ـ :

(٦) سورة التوبة آية ١٠٠.







# بين الخضر حسين و على عبد الرازق

# قضية وكتابان




للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

# الإسلام وأصول الحكم

بحث في

الخلافة والحكومة في الإسلام

تأليف

علي عبد الرازق

من علماء الأزهر وقضاة المحاكم الشرعية

« الطبعة الثالثة »

سنة ١٣٤٤ هـ سنة ١٩٢٥ م

« حقوق الطبع محفوظة »

# نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم

تأليف

السيد

محمد الخضر حسين

أحد مدرسي جامع الزيتونة وقضاة المحاكم الشرعية بتونس سابقاً

القاهرة

**في هذا الكتاب (كتاب الشيخ الخضر) - (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) - عمد المؤلف إلى نهج يغنى قارئه عن قراءة الكتاب الذي يرد عليه وينقضه.. فإذا لم يتيسر للقارىء الاطلاع على كتاب الشيخ على عبد الرازق - (الإسلام وأصول الحكم) - فإنه سيطلع عليه في ثنايا كتاب الشيخ الخضر، حتى ليكاد الرجل لا يترك من كتاب (الإسلام وأصول الحكم) فقرة إلا أوردها ليناقش صاحبها ولينقدها وينقض فكرتها أو يبين رأيه فيها.. فهو يتتبع أبواب الكتاب، موضوع النقض، بابا بعد باب، فيبدأ بتلخيص الباب.. ثم يأخذ في إيراد الفقرة المعبرة عن الفكرة، فينقضها، وهكذا، إلى نهاية الباب.. ففيه معظم نصوص كتاب على عبد الرازق.. الأمر الذي يغنى القارىء عن كتاب على عبد الرازق.**

وفي هذا الكتاب يتجلى الشيخ الخضر، في أسلوبه واختيار ألفاظه، «عالما- أديبا».. فهو ينتقي ألفاظه المعبرة بدقة شديدة عن المعنى المراد كما يصنع «الفلاسفة- العلماء».. وهو يتخير من هذه الألفاظ المحكمة ما هو جميل، ويصوغها في أسلوب بالغ الرقي، كما يصنع الأدباء الذين برعوا في تذوق العربية وفقهوا أسرار جمالها وأعانهم على ذلك علم غزير بعلومها.. حتى ليصلح أسلوب الرجل وبيانه لأن يكون نموذجا للغة «العلماء- الأدباء»!..

وفي هذا الكتاب نرى الشيخ الخضر «عالما بالمنطق وقضاياه»- بالمعنى الفني والاصطلاحي- بارعا في فن الجدل والمناظرة.. وإذا كان الشيخ علي عبدالرازق قد برع في «المراوغات التشكيكية» التي مكنته من أن يضع في كتابه متناقضات يستطيع أن يلجأ من إحداها إلى الأخرى عند المناظرة، وفي أسلوب وبألفاظ قد تسعفه إذا هو شاء أن ينفي عن كتابه التناقض؟! -وهو الأمر الذي وضح جليا في «مذكرة» دفاعه عن نفسه ودفعه لاتهامات «هيئة كبار العلماء»[1].. فإن براعة الشيخ الخضر في فن الجدل وأدب المناظرة قد مكنته من تتبع «المراوغات التشكيكية» للشيخ علي عبدالرازق، في صبر وأناة ورسوخ قدم، يحسده عليها أهل العلم وأساطين الجدل والمناظرة.. وإن بدا الرجل، في هذا الميدان، غير مألوف بالنسبة للقراء المتعجلين؟!..

كذلك، يتجلى الرجل، في كتابه هذا «ناقدا- محققا أمينا».. فهو لا يقف في نقد مصادر خصمه عند ما استند إليه الخصم من نصوص واقتباسات، بل يعود إلى المصادر التي يقتبس منها الخصم، ليتحقق من أمانته في النقل، وليرى هل انتزع النص من سياقه على نحو مخل باتساق الأفكار؟.. ولقد استطاع الرجل أن يمسك بتلابيب الشيخ علي عبدالرازق في بعض من هذه المواطن!..

وكمثال على هذا «النهج التحقيقي» في نقد استخدام المصادر، تتبع الشيخ الخضر لمقولة الشيخ علي عبدالرازق القائلة إن علماء الكلام الإسلاميين قد قرروا للخليفة والإمام سلطانا إلهيا مطلقا.. فلقد ذهب الشيخ الخضر إلى المصادر التي عزا إليها الشيخ علي هذه المقولة، فكشف غياب الدقة عن الرجل في هذا الادعاء.. وهو يكشف لنا هذه الحقيقة، التي هي نموذج لهذا النهج في «النقد بالتحقيق» فيقول: «قال المؤلف -(علي عبدالرازق)-، عازيا إلى (طوالع الأنوار)[2] وشرحه (مطالع الأنظار)[3]: «ولا غرو أن يكون له -(الخليفة)- حق التصرف في رقاب الناس وأموالهم وأبضاعهم»[4].

قطف المؤلف هذه الجملة من أصلها وأطلقها خالية من الروح التي تجعلها حكمة جليلة؛ فإن صاحب (الطوالع) إنما ألقاها في نسق التعليل لأخذ العدالة شرطا من شروط الإمامة، فقال:

(١) انظرها في كتابنا [الإسلام وأصول الحكم - للشيخ علي عبدالرازق].

(٢) هو متن في التوحيد، للإمام البيضاوي، ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد بن علي.

(٣) لشمس الدين أبي الثناء محمود بن عبدالرحمن الأصفهاني.

(٤) الأبضاع: الفروج.

(الرابعة: أن يكون عدلا، لأنه يتصرف في رقاب الناس وأموالهم وأبضاعهم). وقال شارحة في (المطالع: (لو لم يكن -يعني الإمام- عدلا لم يؤمن تعديه، وصرف أموال الناس في مشتهياته، وتضييع حقوق المسلمين)؛ فالمراد من التصرف في الأموال والرقاب والأبضاع التصرف بحق، وهو التصرف بنحو القضاء، أو بعمل مشروع، كاستخلاص الأموال المفروضة، وحمل الناس على أمر الجندية، وولاية نكاح من لا ولي لها»[٥].

فهو، هنا، يحقق التباسات خصمه، ويكشف التجاوز الذي حدث في الاستشهاد بسبب عزل العبارة المقتبسة، قسرا، عن السياق الذي وردت فيه!..

ولقد كانت المعركة بين الشيخ علي عبدالرازق وبين خصومه، في نظر التيار «العلماني»، على وجه الخصوص، قد اتخذت صورة الصراع بين «التجديد» وبين «الجمود والتقليد».. فصاحب (الإسلام وأصول الحكم) قد قدم نفسه كمجدد إسلامي، وتحدث عن كتابه كإسهام في التجديد الديني.. كما اشتملت جبهة خصومه على أصوات كثيرة مثقلة بتهمات «الجمود والتقليد».. لكن الشيخ الخضر حسين لم يكن ضد هؤلاء، ولا كان كتابه صوتا من هذه الأصوات.. فلقد كان الرجل مجددا إسلاميا راسخ القدم على درب تجديد الإسلام، يخاصم الجمود والتقليد، ويرى فيهما شذوذا على نهج الإسلام الحق والمسلمين الحقيقيين.. وفي هذا الصدد يقول: «.. من أول ما عني به الإسلام في تشريعه أن أطلق العقول من وثاق التقليد، وفتح أمامها باب النظر حتى تعبر إلى قرارة اليقين على طريق الحجة والبرهان، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[٦].

وقال:

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾[٧].

وقد جرى علماء الإسلام، ولا سيما السلف الصالح، على هذا المنهج، فكانوا لا يتابعون ذا رأي على رأيه ولا يتقلدون حكما قبل أن يعلموا مستنده، وإذا عرفوا المستند عرضوه على قانون الأدلة السمعية ووزنوه بميزان النظر ليعلموا مبلغه من الصحة، فإذا ثبت على النقد وسلم من وجوه الطعن رفعوه على كاهل القبول وإلا نبذوه نبذ الحذاء المرقع، غير مبالين بمقام مذعيه وإن حاكى القمر رفعة وسناء! ومن درس مسائل الخلاف من عهد الصحابة، ـ رضي الله عنهم، ـ إلى العصر الذي ساد فيه القول بسد باب الاجتهاد، رأى الصحابة كيف يخالف بعضهم بعضا ولا ينقاد صغيرهم إلى كبيرهم إلا بزمام الحجة، وسار على هذا الاستقلال وحرية الفكر التابعون فمن بعدهم، ولا يكبر على أحد من المجتهدين أن يناظر أستاذه أو من كان أوفر منه علما وأوسع نظرا فيقارع حجته بالحجة، حتى إذا لم تمتلىء نفسه بالثقة من أدلته اجتهد لنفسه وأقام بجانب مذهبه مذهبا، ولتجدن

---

(٥) الباب الأول من الكتاب الأول [ص١١ من طبعة الأصل].

(٦) الإسراء: ٣٦.

(٧) النجم: ٢٨.

من هؤلاء من يبلغه مذهب الصحابى فى قضية لم ينعقد عليها إجماع فيستأنف النظر فى دلائلها ولا يكون فى صدره حرج أن يخالف الصحابى أو يرجح مذهب تابعى على مذهبه»[٨].

وهذا الانحياز الإسلامى إلى التجديد قد ظل نهجا لم يخل منه عصر- وإن ذبل خلال مرحلة الانحطاط والجمود- المملوكية العثمانية- أما فى عصرنا، عصر اليقظة «فإن فى العالم الإسلامى علماء شبوا على حرية الفكر وإطلاق العقل من وثاق التقليد الأصم، فهم لا يكرهون لذوى الألباب أن يبحثوا حتى فى أصل العقائد (وجود الخالق)، وهم لا يستطيعون أن يحولوا بين المرء وما يعتقد من باطل، وليس فى أيديهم سوى مقابلة الآراء بما تستحقه من تسليم أو تفنيد»[٩].

هكذا حدد الشيخ الخضر موقعه فى هذه المعركة وأبان عن هويته، فهو نصير للتجديد، وخصم للجمود والتقليد، ومن هذا الموقع يتقدم لنقض كتاب الشيخ على عبدالرازق «بمقابلة الآراء بما تستحقه من تسليم أو تفنيد»!

وإذا كان الرجل قد حدد موقعه وأبان عن هويته فى هذا الصراع الفكرى، فهو قد نفى عن على عبدالرازق سمة التجديد، وأعلن عن أن «التغريب» والافتتان بالغرب ومقولات كتابه ونظريات فلاسفته وتصورات مستشرقيه هو الذى جعل الشيخ على عبدالرازق ينظر إلى الإسلام -فى قضية الدولة والسياسة- بالمنظار الذى نظرت به النهضة الأوروبية إلى المسيحية الكاثوليكية، فيرى الخلافة: استبدادا وحكما بالحق الإلهى وكهانة تجعل الحاكم نائبا عن الله، لا يُسأل عما يفعل.. ويرى الإسلام: دينا لا دولة، ورسالة روحية يتباعد ما بينها وبين السياسة وتنظيم المجتمعات.

إنه تقليد الغرب، ذلك الذى جعل صاحب (الإسلام وأصول الحكم) يرى الإسلام مسيحية تطلب أن تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله!.. هو «التغريب» إذا، وليس «التجديد»، المنطلق الذى رآه الشيخ الخضر مصدرا لهذا الفكر الذى انفرد به الشيخ على عبدالرازق دون كل علماء الإسلام على امتداد تاريخ الإسلام!..

إنه يحدد «التغريب» -وتطور الإسلام فى السياسة مسيحية، كعلة أولى لهذا الفكر، فيقول: «يتساءل الناس أحيانا عن الحال الذى ليس قلب المؤلف -(الشيخ على عبدالرازق- حتى أصبح يقول على الله غير الحق: هل اقتحم هذه الخطيئة لقصور فى الفهم؟ أم لداعية افتتانه بملة أخرى؟. إذا صح للقارىء أن يتردد فى بعض المباحث السابقة، فإن هذا البحث -(الذى تصور فيه على عبدالرازق) الإسلام «رسالة لا حكماً ودينا لا دولة) لا يبقى له ريبة فى أن المؤلف قد يقصد إلى قلب الحقائق، حيث لا يصح أن تنقلب فى نظره»![١٠] فليس قصور الفهم هو علة هذه الأفكار.

---

(٨) الباب الثالث من الكتاب الأول. ص٣٨، ٣٩ من طبعة الأصل.

(٩) الباب الأول من الكتاب الثانى [ص١٢٠، ١٢١ من طبعة الأصل].

(١٠) الباب الثالث من الكتاب الثانى [ص١٧٢ من طبعة الأصل].

وعندما يتحدث على عبدالرازق عن وجود تصورين للحاكم فى نظر علماء الإسلام، أحدهما – وهو مذهب الجمهور فى رأيه– يرى الحاكم ذا سلطان إلهى مستبد.. يبصر الشيخ الخضر أثر التقليد لمذاهب الغربيين– لا مذاهب الإسلاميين– فى هذا الادعاء.. فيقول– فى تحفظ العلماء ودقتهم–: «والذى يؤخذ بطريق الاستنتاج أن المؤلف عرف أن للغربيين فى سلطة الملك مذهبين فابتغى أن يكون للمسلمين مثلهما، ولما لم يجد فى كلام أهل العلم عن الخلافة ما يوافق أو يقارب القول بأن سلطان الخليفة مستمد من سلطان الله تلمسه فى المدائح من الشعر أو النثر..»؟!(11).

وعندما يستند الشيخ على عبدالرازق إلى آراء المستشرق «السير آرنولد» [١٨٦٤ – ١٩٣٠م] فى تقرير «أحكام شرعية» خاصة بالإمامة والخلافة، يبصر الشيخ الخضر أثر الافتتان بالغرب وتأثيرات الهيمنة التى تمارسها الحضارة الغربية على عقول البعض إلى الحد الذى جعلتهم يأخذون عنها، لا المباحث التاريخية والاجتماعية، بل وأحكام الشرع والدين؟!.. فيقول: «... ولو أحالنا المؤلف –(على عبدالرازق)– على كتاب السير آرنولد –(الخلافة)– فى بحث تاريخى أو اجتماعى له مساس بالخلافة لأخذ منا الأسف على أن فاتنا الاطلاع عليه، مأخذا بليغا، ولكنه أحالنا على كتاب السير آرنولد فى الراسخين فى علومها!.. يجب أن تكون قيمة الأحكام الشرعية فى نظر المؤلف فوق هذا التقدير، وما ينبغى له أن يخيل إلينا أنا فى حاجة إلى الاقتداء بعقول الغربيين حتى فى أمور الدين من واجب وحرام. وإذا كان المؤلف يدرى أن للشريعة أصولا ومقاصد لم يدرسهما السير آرنولد حق دراستهما، فإن إحالتنا على كتابه ليست سوى عثرة فى سبيل البحث تعترض المدلج فتكبوا بهم فى تردد وارتياب»!(12).

وعندما يتصور الشيخ على عبدالرازق، ويصور الرسول ﷺ مجرد «مبلغ» رسالة، لا حظ له ولا شأن «بالتنفيذ» لما تضمنته هذه الرسالة من تنظيم للمجتمعات وسياسة للناس.. ينبه الشيخ الخضر إلى تأثيرات صورة المسيح –عليه السلام– بنظر علمانية الحضارة الغربية، فى تلوين تلك الصورة المدعاة لنبى الإسلام.. «فالرأى الذى يقصده المؤلف –(على عبدالرازق)– حسبما تصرح به ألفاظه وما يسوق عليه من الشبه– هو أن النبى ﷺ مبلغ فقط، ولم يكن من وظيفته تنفيذ ما أوحى إليه بتبليغه، وأنه لم يأت بشريعة لها مساس بالقضاء وسياسة الدولة، وهو رأى لم ينسج على أصل شرعى ولم يقم على بحث علمى، ولكن الافتتان بزخرف الحياة الافرنجية يخامر العقل، فإذا الخيال ينقر بالقلم ما شاء أن ينقره، ويقلب صور الحقائق، إلى مالا يخطر على قلب أفاك أثيم»!(13).

وإذا كان اللاهوت المسيحى قد تصوَّر المسيح منبت الصلة بالدولة والسياسة، يدعو إلى أن ندع مالقيصر لقيصر، وما لله لله.. فهو قد تصوره إلها أو ابنا لله، له خصائص الألوهية وصلاحياتها.. فإذا جاء الشيخ على عبدالرازق وتحدث عن سلطان الرسول ﷺ على القلوب سلطانا يجعل له «حق التصريف

---

(11) الباب الأول من الكتاب الأول [ص١٤ من طبعة الأصل].

(12) الباب الثانى من الكتاب الأول [ص٢٩ من طبعة الأصل]

(13) الباب الثالث من الكتاب الثانى [ص١٦٥ من طبعة الأصل]

لكل قلب تصريفا غير محدود». . رأينا الشيخ الخضر ينبه على أن الإسلام يرى الله - سبحانه وتعالى - هو المنفرد بتصريف القلوب. . وينقل رأى الحافظ ابن حجر العسقلانى [ ٧٧٣ - ٨٥٢هـ/ ١٣٧٢ - ١٤٤٩م ] فى ( فتح البارى ) والذى يقول فيه: «إن - الله تعالى - تمدح بالانفراد بذلك ولا مشارك له فيه». . ورأى البيضاوى [ ٦٨٥هـ ١٢٨٦م ] الذى يقول فى تفسير آية:

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ ﴾(١٤).

إن فى نسبة تقليب القلوب إلى الله إشعارا بأنه يتولى قلوب عباده ولا يكلها إلى أحد من خلقه». . ثم يحدد الشيخ الخضر مصدر هذا «الغلو» فيقول: «وإنك لتجد فى هذه الجمل من الغلو فى الوصف ما لم يذكره النبى ﷺ عن نفسه، وإنما علق بقلم المؤلف -( على عبدالرازق )- من أثر ديانة أخرى»(١٥).

وفى الحديث عن موقف علماء الإسلام من الفلسفة يلمح الشيخ الخضر خطر النهج الذى يجعل أصحابه مقلدين «لكل ما يلفظ به الغربيون(١٦).

ولم يكن الرجل داعية لإقامة الأسوار بين الحضارات، ولكنه كان نصيرا للتفاعل الصحى الراشد، الذى يقوم بين حضارات مستقلة بما تتمايز به وتتميز من سمات وخصائص ومتصديا للافتتان بزخرف الحضارة الغربية. . وهو يتحدث عن هذا الموقف المتوازن عندما يعرض لموقف حضارتنا من الحضارة اليونانية، فيقول: «لقد عنى المسلمون من علوم اليونان بالفنون التى كانت معروفة لهم، أو كانت بضاعتهم فيها مزجاة(١٧)، وكانوا يصرفون عنايتهم إلى هذه العلوم على قدر ما يرون لها من فائدة، وعلى حسب ما تمس إليه الحاجة، فأقبلوا على العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفة والمنطق بمجامع قلوبهم، وأعطوا جانبا من عنايتهم إلى ما نقل لهم من سياسة أفلاطون وأرسطو، مع علمهم بأن أيديهم مملوءة بمبادىء السياسة الكافية فى تدبير مصالح الأمة وصيانة حقوقها على منهج الحرية السامية والعدالة الصادقة. . ومن نظر فى تاريخ عظماء الإسلام ببصيرة لم تفتتن بزخرف المدنية الغربية رأى أن سيرتهم العملية وما يلفظون به من روائع الكلم ما يشهد له بأنهم أدركوا فى فن السياسة شأوا بعيدا ولم يكن حظهم منها أقل من حظ دارسى كتابى الجمهورية والسياسة»!(١٨)

لقد أبصر الشيخ الخضر أثر «التغريب» و«الافتتان بالحضارة الغربية» فى مجىء دعوى الشيخ على عبدالرازق جانحة عن مسار الفكر السياسى الإسلامى منذ تبلور هذا الفكر وحتى عصرنا الحديث. . ذلك أن من آفات هذا «التغريب»:

● تصور تطور كل المجتمعات على ذات الدرب وبذات المراحل وعلى نفس النحو الذى سلكه المجتمع الغربى فى التطور:

● وتصور كل المدارس الفكرية والمذاهب والمنظومات الفكرية فى ضوء مثيلاتها الغربية. . إلى الحد الذى نرى فيه ذاتنا وتاريخنا وواقعنا بمنظار الاستشراق!. .

---

(١٤) الأنعام: ١١٠.

(١٥) الباب الثالث من الكتاب الثانى [ص١٦٦ من طبعة الأصل].

(١٦) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص٩١ من طبعة الأصل].

(١٧) أى رائجة.

(١٨) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص٤٨ من طبعة الأصل].



# مصر

## (للشاعر الكبير الأستاذ على الجارم)

صور الله فيك معنى الخلود ... فابلغى ما أردته ثم زيدى
أنت يامصر جنة الله فى الأر ... ض، وعين العلا وواو الوجود
أنت أم المجدين بين طريف ... يتحدى الورى وبين تليد
كم جديد عليه نبل قديم ... وقديم عليه حسن جديد!
قد رآك الدهر العتى فتاة ... وهو طفل يلهو بطوق الوليد
شاب من حولك الزمان ومازلـ ... ـت كغصن الريحانة الأملود[(١)]
أنت يامصر بسمة فى فم الحسـ ... ـن ودمع الحنان فوق الخدود
أنت فى القفر وردة حولها الشو ... ك، وفى الشوك عزة للورود[(٢)]
يلثم البحر منك طيب ثغور ... بين عذب اللمى وبين برود[(٣)]
يابنة النيل أنت أحلى من الحـ ... ـب وأزهى من ضاحكات الوعود
نثر النيل فيك تبرا وأوهى ... لينه من قساوة الجلمود[(٤)]
فتن الأولين حتى أشاروا ... نحو قدسى مائه بالسجود

---

(١) الريحانة: واحدة الريحان وهو نبت طيب الرائحة. الأملود: الغصن الناعم اللين.

(٢) المراد بالقفر هنا: الصحارى التى تحيط بمصر وتكتنفها.

(٣) الثغور: جمع ثغر وهو الفم، والثغور - أيضا - هى المدن التى تقع على البحار. اللمى: سمرة الشفتين.

(٤) الجلمود: الصخر.

وشي للرياض ثوبا وحلي ... كلَّ جيد من الرُّبا بعقود[5]
أنت للاجئين أم، وورد ... لظماء القلوب عذب الورود
قد حملت السراج للناس، والكو ... ن غريق في ظلمة وخمود
لا نرى فيك غير عهد مجيد ... قرنته العلا بعهد مجيد
وجهود تمثلت في صخور ... وصخور تشبهت بجهود
عظم يبهر السماء، وشأوٌ ... عاق ذات الجناح دون الصعود[6]
أنت يا مصر صفحة من نضار ... لمعت بين سالفات العهود
أين رمسيس والكماة حوا ... ليه مشاة في الموكب المشهود؟[7]
ملأ الأرض والسماء: فهذي ... بجنود، وهذه ببنود
وجموع الكهان تهتف بالنصـ ... ـر وتتلو النشيد إثر النشيد
وبنات الوادي يمسن اختيالا ... ويحيين بين دف وعود[8]
أين عمرو فتى العروبة والإقـ ... ـدام أوفى مجاهد بالعقود؟[9]
شمري يحطم السيف بالسيـ ... ـف ويرمي الصنديد بالصنديد[10]
لم يكن جيشه لدى الزحف إلا ... قوة العزم صورت في جنود
قلة دكت الحصون وبثت ... رعدة الرعب في الخضم العديد
ذعر الموت أنهم لم يخافو ... هُ ولم يرهبوا لقاء الحديد
ينظرون الفردوس في ساحة الحر ... ب فيستعجلون أجر الشهيد

---

(٥) وشى الثوب: زينه بالنقوش. الربا: جمع ربوة وهي المرتفع من الأرض.
(٦) البهر: الغلبة. الشأو: الغاية.
(٧) الكماة: جمع كمي: الشجاع أو لابس السلاح. الموكب: الجماعة. بنود: البند العلم الكبير.
(٨) دف: الذي يضرب به.
(٩) يشير الشاعر إلى الفاتح العظيم عمرو بن العاص، ويصفه بالشجاعة والإقدام والوفاء بالعهود.
(١٠) شمري: ماض في الأمور مجرب. الصنديد: السيد الشجاع.

صــعـدوا للعـــلا بريش نـــسور ... ومــضـــوا للردى بعـــزم أســود
أينمـــا ركـــزوا الرمـــاح ترى العـــد ... ل مـقـــيـمـــا فى ظلهـــا الممدود[11]
وترى الملك أريحـــيـــا ، عليـــه ... نضـرة من ســمـاحـة التوحـيـد
وترى العـــزم غـــابـــا لوثوب ... وترى الســيف ضـاحكا فى الغـمـود
وترى العلم يلتـــقى بهـــدى الديـ ... ـن على منهج ســوى ســديد[12]
ملكوا الأرض لم يُشـيـنـوا الى شـعـ ... ـب ولم يحكمــوه حكم العـبـيـد
هم جــدودى ، وأين مــثل جــدودى ... إن تصـدى مـفــاخــر بالجــدود؟
فــتــحـــوا صــدرهم لحكمـــة يونا ... ن وآداب فـــارس والـهـنـود
وأصــاروا بالتـــرجـــمـــات علوم الرو ... م وردا للناهل المـســتـفـيـد
حـــذقـــوا الطب والزمـــان غـــلام ... والثــقـــافـــات رُضَّعٌ فى المهـود
وشـعــوب الدنيــا تعــالج بالسـحـ ... ـر وحـرق البـخـور والتـعـقـيـد
هل ترى لابن قــرة من مــثــيـل؟ ... أو ترى لابن صـــاعـــد من نديد ؟[13]
والطبـــيب الكندى لم يبق فى الطـ ... ـب مـزيدا لحـاجـة المسـتـزيد[14]
أيــن أيـــن الــرازى ، أيـــن بنـــو زهـــ ... ـر دعـاة النهـوض والتـجـديد؟[15]
وابن ســينا ، وأين كــابن نفــيس ... عـجـــز الوهم عن مـــداه المديد؟[16]

---

(١١) ركز الرمح: اثبته فى الأرض. وهذا كناية عن الإقامة

(١٢) المنهج: الطريق الواضح. سوى: قويم

(١٣) ذكر الشاعر بعض أعلام الطب من العرب مفاخرا بهم. «وابن قرة» هو سنان بن ثابت بن قرة. وكان من أطباء المقتدر «وابن صاعد» هو هبة الله ويعرف بابن التلميذ. كان فى أيام المقتفى لأمر الله قالوا: ولم يكن مثله بعد أبقراط.

(١٤) الكندى: هو أبويوسف يعقوب بن إسحاق الكندى من بيت شرف نبيل. ويلقب بفيلسوف العرب. ولد فى أواخر القرن الثانى للهجرة. وكان مترجما عالما بالطب والفلسفة والحساب والمنطق. واتصل بالمأمون والمعتصم

(١٥) الرازى: هو أبوبكر محمد بن زكريا الرازى الطبيب الكيميائى، توفى سنة ٣١١هـ ألف كتاب الأقطاب فى ثلاثين مجلدا «وبنو زهر» أهل بيت كلهم علماء وأطباء. وأشهرهم أبوالعلاء بن زهر ثم ابنه مروان ثم ابنه أبوبكر.

(١٦) ابن سينا: هو أبوعلى الحسن بن سينا، ولد فى قرية من بخارى. درس الفلسفة والطب ونضج نضجا مبكرا. وتقلد الوزارة لشمس الدولة فى همذان. توفى سنة ٤٢٨هـ. وابن النفيس: هو على بن أبى الحزم القرشى صاحب كتاب الشامل فى مائة مجلد وهو أندلسى.

هذه أمة من الصخر . كانت ... في قفار من الحياة وبيد

تأكل القد والدُّعَاعَ من الجو ... ع وتهفو شوقا لحب الهبيد(١٧)

وتثير الحروب شعواء جهلا ... وتدس الوئيد إثر الوئيد(١٨)

نبع النور بالنبوة فيها ... فطوى صفحة الليالي السود

ومضى يملأ الممالك عدلا ... باسم الوعد مكفهر الوعيد

أطلق العقل من سلاسله الدهـ ... ـم ونحاه عن صليل القيود

بلغت مصر في التأليف أوجا ... فات طوق المنى بمرمى بعيد(١٩)

فاسأل الفاطمي كم من كتاب ... زان تاريخه وسفر فريد(٢٠)

والصلاحي والمماليك كانوا ... موئل العلم في عصور الركود(٢١)

تلك آثارهم شهودا على المجـ ... ـد، وماهم بحاجة لشهود

اتئد أيها القصيد قليلا ... أنا أرتاح لاتئاد القصيد(٢٢)

وإذا ما ذكرت نهضة مصر ... فاملأ الخافقين بالتغريد(٢٣)

---

(١٧) القد: جلد الشاة الصغيرة. الدعاع: حب شجرة برية أسود يختبز منه. الهبيد: الحنظل.

(١٨) الوئيد: وأد بنته، دفنها حية.

(١٩) الأوج: ضد الهبوط وهو هنا الرفعة والعلو.

(٢٠) السفر: الكتاب.

(٢١) الموئل: الملجأ. الركود: عصور تراجع النهضة العلمية ببغداد- وهو في هذا البيت يذكر أن مصر كانت ملجأ العلوم والعلماء زمن صلاح الدين وزمن المماليك في عصور انحطاط النهضة في بغداد.

(٢٢) اتئد: تمهل وتأن.

(٢٣) الخافقين: المشرق والمغرب.

# محمد صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين

للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني

**الإسلام، صنع الله، وليس صنع أحد غير الله، وقول المستشرقين: إن محمداً ﷺ صادق، ولكن رسالته كاذبة؟!**
**هذا القول إنما هو اتهام لعمل الله - عز وجل - بالكذب؟!**
**فهم - إذن - يلتمسون عذراً للمخلوق، ويضعون الخالق في قفص الاتهام؟!**
**وقد واجهنا هذه الفرية الشنيعة في المقال السابق بما يبطلها بمقاييس الصدق في الكتاب المقدس، الذي يؤمن به المستشرقون سواء كانوا يهوداً أو نصارى، وكان ذلك كافياً في الرد على فريتهم التي طنطنوا بها ولم يستطيعوا أن يجدوا لها دليلاً أو حتى ما يشبه الدليل.**

بيد أننا لا نكتفي بالمواجهة الحاسمة لهذه الفرية لأننا - والحمد لله - نمتلك من أسلحة المواجهات الحاسمة لكل ما يثار ضد الإسلام معيناً لا ينضب، سواء طالت معاركهم أو قصرت.

وقبل البدء في المواجهة الجديدة - هنا - رأينا من الأفضل أن نضع بين أنظار قراء «مجلة الأزهر» الكرام، حقيقة قد تغيب عن بعض الأذهان، أو لا يلتفت إليها أحد.

تلك الحقيقة أن خصوم الإسلام، منذ ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية، وإلى الآن، لم يمتلك واحد منهم سلاحاً يساعده على الصمود والاستمرار في نقد الإسلام، أو يصيبه في مقتل:

واجهه في عصر نزول القرآن مشركو العرب، وكان القرآن يذكر شبهاتهم التي يثيرونها ضد الإسلام بكل أمانة وصدق، ثم يتصدى لها بكل قوة، ويحيلها إلى سراب خادع.

وللقارئ الكريم أن يعود إلى القرآن نفسه، لتتأكد له هذه الحقيقة، وذلك من خلال مواجهة القرآن لشبهات خصومه القدامى لقضيتي:

إنكار البعث، وتعدد الآلهة.

وقد أثمرت هذه المواجهة الانبهار بمبادئ الإسلام وقيمه ونكوص المشركين عما كانوا متمسكين به من قبل، ودخل الناس - بعد فتح مكة - في دين الله أفواجاً إلا من مات منهم على الشرك قبل الفتح المبين.

●●●

وفى العصر الحديث ظهر جيش من المبشرين والمستشرقين ووقفوا ـ جميعا ـ فى صف واحد يحاربون الإسلام .. الفريق الأول: «المبشرون» هدفهم تضليل عوام المسلمين، والفريق الثانى: «المستشرقون» هدفهم تشكيك المثقفين فى واقعيات الإسلام: كتابا ورسالة وعقيدة وتشريعا.

وفى فترة من الزمن، من سنة ١٨٠٠ م إلى سنة ١٩٥٠م، أى فى مائة وخمسين سنة كتبوا ضد الإسلام مؤلفات بلغت ٦٢ ألف مجلد.

وفى هذه الأعمال كلها لا نجد كلمة، واحدة صائبة قالها مبشر، أو كتبها مستشرق، استطاعت أن تخترق الغلاف الخارجي المحيط بالإسلام، فضلا عن إحداث أية أضرار بقيم الإسلام وواقعياته الخالدة.

ومن هذا القبيل هذه الفرية التى نواجهها الآن وهى:

«محمد صادق، لكن رسالته كاذبة»؟

إن هذه الجملة ـ مع قصرها ـ أشنع جريمة ترتكب لا ضد الإسلام فحسب، ولكن ضد العقل، وضد الواقع المعاش فى كل البيئات والعصور.



وفى هذه المواجهة لن نحتكم إلا إلى مقياس واحد لا يختلف معنا فيه أحد، لا من المبشرين، ولا من تلاميذهم المستشرقين، ولا من غيرهم ممن ينتسبون إلى ذوى الإدراك والتمييز، لأننا سنحتكم إلى أمور هُم يؤمنون بها، ويعدونها من تراثهم المقدس وإن شوهوا هُمْ دلالاتها عن طريق الاختلاق والوهم.

## وحدانيـــة اللـــه

عقيدة التوحيد لها جذور فى الكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد، وهو كتاب يُعد أعز ما لديهم من كتب «الديانتين» اللتين يؤمن كل فريق منهما ـ أعنى اليهود والنصارى ـ بصدق كل ما ورد فيه من نصوص.

هذا الكتاب مازال بعض نصوصه تقرر وحدانية الله، رغم «التثنية» عند اليهود، و«التثليث» عند النصارى:

ففى سفر الخروج «٢٠ / ٢-٥» تأتى الوصية الأولى لموسى ولبنى إسرائيل هكذا:

«أنا الرب إلهك، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى لا تصنع لك تمثالا منحوتا، ولا صورة ما.. لا تسجد لهن، ولا تعبدهن، لأنى أنا الرب إلهك، إله غيور»

وفى كتاب أشعياء «٤٣ / ١٠-١١» ومواضع أخرى نجد العبارات الآتية:

«قبلى لم يُصوَّر إله، وبعدى لا يكون، أنا، أنا الرب، وليس غيرى مخلِّص.. أنا الأول، وأنا الآخر، ولا إله غيرى.. أنا وليس آخر»

هذان نصان من العهد القديم «التوراة» ينطقان بكل وضوح، ويدلان بكل قوة: أن الله واحد، لا اثنان، ولا ثلاثة، ولا أكثر من ثلاثة.

كما يدلان بأن الله هو الأول، وهو الآخر، وأن الله هو وحده «المخلص» لا غيره هذه العقيدة ينبغى أن يؤمن بها النصارى كما هى فى العهد القديم «التوراة» لأن النصارى يؤمنون بصدق التوراة، ويعتبرونها القسم الأكبر من «الكتاب المقدس».

والذى تقرره التوراة - هنا - هو ما جاءت به رسالة محمد - ﷺ - وورد هذا فى القرآن الحكيم فى سور متعددة، معناها مطابق لما ورد فى التوراة فى ما ذكرناه آنفا، وصياغاتها مختلفة ومما ورد فى القرآن، الذى هو رسالة محمد - ﷺ - ما يأتى:

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾(٢).

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٣).

﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾(٤)

هذه الآيات من عشرات الآيات التى تقرر وحدانية الله، وتنهى عن الإشراك به.

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٥)

وهذه الآية نظير ما نقلناه من قبل عن أشعياء: «أنا الأول، وأنا الآخر».

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾(٦).

وما ورد فيها يناظر ما نقلناه عن أشعياء كذلك: «قبلي لم يصور إله، وبعدى لا يكون».

ومعنى ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ لم يسبقه إله، ومعنى ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ لم يعقبه إله.

كما تفيد هاتان الآيتان كونه - عز وجل - الأول الذى لم يكن فى الوجود قبله شىء، والآخر الذى لن يأتى فى الوجود وجود لشىء آخر مكافىء لوجوده - عز وجل - والسورة كلها قرار حاسم يبطل عقيدة الإشراك بالله، وإقامة لصرح عقيدة التوحيد.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(٧).

فى هذه الآية ينهى القرآن، وهو رسالة محمد ﷺ عن السجود لغير الله، مما يتخذه المشركون آلهة أخرى مع الله، أو من دون الله وما قررته هذه الآية مناظر لما نقلناه من قبل من سفر الخروج:

«لا تسجد لهن، ولا تعبدهن».

- ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(٨).

---

(١) البقرة ١٣٣.

(٢) البقرة ٢٥٥

(٣) آل عمران ٦.

(٤) الإسراء ٢٢.

(٥) الحديد ٣.

(٦) الإخلاص

(٧) فصلت ٣٧.

(٨) آل عمران ١٣٥.

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(٩)

وهاتان الآيتان تقرران ان الله وحده هو الذى يملك غفران الذنوب، وهو وحده الذى يعفو إذا شاء عن عباده.

وما قررته هاتان الآيتان نظير ما تقدم ذكره نقلا عن كتاب اشعياء:

« انا، انا الرب، وليس غيرى مخلص » نكتفى بهذا القدر من المقارنات بين ما ورد فى رسالة محمد ﷺ وما ورد فى أسفار العهد القديم من حقائق تتعلق بعقيدة التوحيد، يوافق القرآن ما ورد فى الاسفار.

نكتفى بهذا القدر، وقد مهدنا الطريق لنوجه إلى السادة المستشرقين، الذين يؤمنون بصدق التوراة من أهل الديانتين « اليهودية والنصرانية » ويصفون رسالة محمد ﷺ بأنها رسالة كاذبة، نوجه إليهم ما يأتى:



إن كلاً من العهد القديم « التوراة » والقرآن الكريم قد اتفقا على عقيدة توحيد الله ـ عز وجل ـ ونفى الشريك معه فى الوجود، وأنه وحده بيده مقاليد كل شيء ولا يملك أحد معه نفعاً ولا ضرا، وأنه وحده الديان، وأنه هو القديم « الاول » والابدى « الآخر » وأنه وحده المستحق للعبادة.. إلخ.....

وأنتم تؤمنون بصدق رسالة موسى وغيره من انبيائكم، وهذا الإيمان يلزمكم ـ عقلا ـ بان تؤمنوا بصدق رسالة محمد ﷺ لانها أيدت ووافقت ما ورد فى كتابكم المقدس.

فإن لم تؤمنوا بصدق رسالته في ما اتفقت فيه مع كتابكم المقدس لزمكم ـ عقلا ـ كذلك ان تتهموا كتابكم المقدس بانه كتاب كاذب.

ولا مخرج لكم من احد مصيرين:

إما ان تؤمنوا بصدق الاثنين: رسالة موسى وما لحق بها من رسالات العهد القديم، ورسالة محمد ﷺ فإن آمنتم بصدقهما ـ نزولا على حكم العقل ـ كان هو المطلوب، ولكنتم قد هديتم إلى سواء الطريق وإن اصررتم على انهما كاذبتان ورسالة موسى ( رسالة محمد ﷺ ) فانتم وشانكم وحسابكم على الله.

اما نحن فدائمون على تصديق رسالة محمد ﷺ وعلى تصديق ما ورد فى كتابكم المقدس فى ما يتعلق بوحدانية الله وتنزيهه، وهى النصوص التى ذكرنا من سفر الخروج وكتاب « اشعياء »

● لان ما ورد فيها بشأن التوحيد صدق كله من حيث المعنى المراد أما حرفية « النصوص » وكونها هى هى وحياً من الله فلا ننفيه ولا نثبته.

اما ان تؤمنوا بصدق ما ورد فى كتابكم المقدس وتكفروا بنظيره الذى ورد فى رسالة محمد ﷺ وتتهموا هذه الرسالة بانها كاذبة فهذا فى حكم « العقل » تحكم وعناد وتعسف، وجرى مع هوى النفس.

---

(٩) الزمر ٥٣.



● أما عند الله ـ أى عنادكم وتعسفكم ـ فهو زور وبهتان، فتأملوا جيدا ما أنتم عليه قبل فوات الأوان.

●●●

أما العهد الجديد «الإنجيل» فقد وردت فيه نصوص صريحة، تقرر وحدانية الله ـ عز وجل ـ ومن ذلك ما يُسند إلى المسيح ـ عليه السلام ـ:

«.. وهذه الحياة الأبدية: أن يعرفوك، أنت الإله الحقيقى وحدك، ويسوع المسيح الذى أرسلته» يوحنا «١٧ / ٣».

فى هذه الفقرة يعلن المسيح ـ عليه السلام ـ وحدانية الله بكل وضوح، كما يعلن أنه رسول الله، وفى مطلع هذه الفقرة يعلن أن الآخرة هى الحياة الأبدية وأنها لا تُنال إلا بالإقرار بوحدانية الله، وهذه معان صحيحة.

ـ «كيف تعرفون أن تؤمنوا، وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض، والمجد الذى من الإله الواحد لستم تطلبونه» يوحنا: «٥ / ٤٤».

هذه موعظة صادقة، يرويها إنجيل يوحنا عن المسيح ـ عليه السلام ـ حيث يُنكر على سامعيه الاشتغال بالمجد الزائل، والإعراض عما عند الإله الواحد، والموعظة ـ كما ترى ـ تشهد لله بالوحدانية.

ـ «بالحق قلت، لأن الله واحد، وليس آخر سواه» إنجيل مرقس «١٢ / ٣٤».

وهذه شهادة أخرى يرويها مرقس عن المسيح ـ عليه السلام ـ تشهد بعقيدة التوحيد بكل جلاء.

ـ «أنت تؤمن أن الله واحد، حسنا تفعل» رسالة يعقوب: «٢ / ١٩».

جاءت هذه العبارة فى رسالة يعقوب، أحد تلاميذ المسيح ـ عليه السلام ـ وهى على قصرها تشهد بوحدانية الله ـ عز وجل ـ.

وهذه كلها معان صحيحة، تشهد رسالة محمد ﷺ بصدقها.

ومما جاء فى رسالة محمد «أعنى القرآن» هنا، شاهداً يصدق هذه الأقوال قول الله ـ عز وجل ـ:

﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾(١٠).

فهذه الآية يناظرها قول المسيح ـ عليه السلام ـ: «وهذه هى الحياة الأبدية».

وقوله ـ تعالى ـ فى شأن رسالة المسيح:

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾(١١).

وهى تقابل قول المسيح: «ويسوع المسيح الذى أرسلته».

أما قول المسيح ـ عليه السلام ـ: «أنت الإله الحقيقى وحدك» فله نظائر كثيرة فى رسالة محمد ﷺ منها قوله تعالى:

﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ﴾(١٢).

وقوله فى لوم من اغتر بزخارف الدنيا وأعرض عن رضوان الله: «والمجد الذى من الإله الواحد لستم تطلبونه» يناظره فى رسالة محمد ﷺ قوله ـ

---

(١٠) الأعلى ١٧.

(١١) آل عمران ٤٩.

(١٢) الأنبياء ٨٧.



تعالى ـ:

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾(١٣).

وأما ما ورد في رسالة يعقوب: «أنت تؤمن أن الله واحد حسناً تفعل.. إن الإيمان بدون أعمال ميت».

هذه العبارة، نظيرها في رسالة محمد ﷺ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾(١٤).

وهكذا لا نجد معنى صادقاً في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، إلا ظفرنا بنظائر كثيرة له في رسالة محمد ﷺ ـ التي يزعم كثير من المستشرقين ـ يهوداً ونصارى ـ بأنها رسالة كاذبة!!..

●●●

ومما ورد في العهدين القديم والجديد «التوراة والاناجيل» ما يأتي:

«ليس مثل الله، الإله القديم» سفر التثنية «٣٣/ ٢٦».

ـ «الله لم يره أحد قط» إنجيل يوحنا «١/ ١٨».

ـ «الذي لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه» الرسالة الثانية إلى تيموثاوس: «٦/ ١٦».

هذه النصوص الثلاثة تقرر بعضاً من صفات الله المقدسة، وهي:

● نفي المثلية عن الله ـ عز وجل ـ.

● عدم رؤيته والإحاطة بذاته العلية.

وهاتان الصفتان ثابتتان لله ـ عز وجل ـ وهما مما لا يكمل إيمان أحد إلا بهما.

فإذا ولينا وجوهنا شطر القرآن الكريم «رسالة محمد» ﷺ وجدناه يقرر ما ورد هنا في أسفار الكتاب المقدس.

ففي نفي المثلية عن الله ـ عز وجل ـ نقرأ قوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(١٥)

وفي عدم رؤيته في الدنيا نقرأ قوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(١٦).

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٧)

هذه هي رسالة محمد ﷺ التي حلا لمستشرقي العهدين أن يتهموها بأنها رسالة كاذبة وهذا الاتهام لا يمكن أن يكونوا

(١٣) النحل ٩٦.

(١٤) الكهف ٣٠.

(١٥) الشورى ١١.

(١٦) الانعام ١٠٣.

(١٧) الاعراف ١٤٣.



صادقين فيه مع أنفسهم، لأنها رسالة تشهد لله بالوحدانية وصفات الجلال والكمال وقد رأينا أن أسفار الكتاب المقدس قد بقيت فيها عبارات وجمل تحمل معانى صادقة فى جانب الإيمان بالله وبعض صفاته القدسية.

واتهامها بالكذب جريمة تقع خارج نطاق العقل، وهو معيار عام مشترك بيننا وبينهم فى التمييز بين الصواب والخطأ والحق والباطل، وبناء على حكم العقل فإن إيمانهم بما ورد فى عهدى الكتاب المقدس فى مجال العقيدة الإلهية، كما ورد فى نصوصهم المتقدم ذكرها، ونظائرها من أساسيات رسالة محمد، يلزمهم بالإيمان بصدق رسالة محمد ﷺ.

فإن أبوا هذا المصير واجهناهم من طريق آخر، هو:

أن كفرهم برسالة محمد يلزمهم ـ عقلا ـ بأن يكفروا برسالات العهد القديم والجديد فى آن واحد، أو أن يكفر المستشرقون اليهود على الأقل برسالة موسى ـ عليه السلام ـ.

وأن يكفر المستشرقون النصارى برسالة عيسى ـ عليه السلام ـ وبرسالات العهد القديم كلها.

أما نحن فنستظل مؤمنين برسالات جميع الرسل، على الصفة التى أرسلهم الله بها، وقصها علينا القرآن الأمين، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

وبقيت نقاط أخرى وافقت رسالة محمد ﷺ بعض ما ورد فى الكتاب المقدس، بعهديه: القديم والجديد، أغضينا عنها توخيا لعدم الإطالة، ولأن قصدنا إبطال افتراءات هؤلاء المستشرقين، على الإسلام كتاباً ورسولاً، بأقصر طريق، وما قدمناه فى هذه الحلقة والتى تقدمتها، كان فيه الكفاية فى دحض ما ادعوه من اتهام واقعيات رسالة محمد ﷺ بالكذب وقد وضعناهم أمام خيارات صعبة، لأنها محرجة كما التزمنا جانب الدفاع دون الهجوم، وأثبتنا أن رسالة محمد فى قمة الصدق بالبرهان الفعلى، لا بقوة العضلات.

وفى نهاية مواجهتنا لهم فى هذه الفرية نقول لهم ما أمرنا الله به:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(١٨).

والحمد لله رب العالمين..

(١٨) آل عمران ٦٤.








# سيرة رسول الله ﷺ

## لابن إسحاق

للدكتور

محمود علي مراد




**ينقده ويعلق عليه**

**الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين**

**يقيم الدكتور محمود مراد كتابه - أو رسالته - على فرض سلم به مقدما، مفاده: أن ابن اسحاق عميل عباسي، قصد من وراء كتابه الدعاية للعباسيين في مواجهة فلول الأمويين.**

**ويرى الدكتور أن من مظاهر الدعاية العباسية التي أقام عليها ابن اسحاق حرصه على تمجيد بني هاشم، وأن حرصه على تمجيد بني هاشم ألجأه إلى أن يخترع من الأحداث، ويلفق من القصص ما يحقق له ذلك، حتى ينال - رضا العباسيين.**

وكان في مقدمة ما لاحظه الدكتور من أكاذيب ابن اسحاق إضفاؤه على عبد المطلب من الأهمية ما لم يضفه على شخصية أخرى، خلال الفترة المكية[1]، حيث قدم صورة عبد المطلب من خلال ثلاثة أحداث؛ هي: حدث أبرهة، وزمزم، وفداء عبد الله، وما تخلل ذلك من أشعار.

ويغلب على ظن الدكتور مراد أن صورة عبد المطلب التي أراد ابن اسحاق أن يرسمها له لا تمت إلى الحقيقة بصلة، وأن فيها قدرا لا يستهان به من الاختلاق، ويرجح الدكتور أن المؤلف ومصادره أرادو إعلاء شأن قبيلة عبد المطلب التي ينتمي إليها الخليفة العباسي، بقصد تعزيز مشروعية خلافته، ويبني هذا الترجيح على عدة أمور، كان من أبرزها: تصوير عبد المطلب – في حديث أبرهة – على أنه سيد قريش وشريفها، والإسهاب في الحديث عن عبد المطلب حتى على الحديث عن محمد ﷺ في أربعين سنة الأولى من حياته[2].

والدكتور مراد – بقصره حديث عبد المطلب على ابن اسحاق وجعله من اختراعه – يدين نفسه ابتداء، ويعلن أنه يكذب على ابن اسحاق؛ فلو أنه نظر فيما قدمه مثل ابن شهاب الزهري الذي عاش في كنف الأمويين، ومات سنة ١٢٤هـ قبل أن تكون للعباسيين دولة لوجد أنه ذكر في كتابه (المغازي النبوية) ما قدمه ابن اسحاق عن عبد المطلب في قصة حفر زمزم، وما كان من تكرار رؤاه وسماعه الهاتف الذي أتاه وهو نائم عند الكعبة يدله على موضع زمزم بعبارات قصيرة مسجوعة[3]. على الرغم من أن الكتاب مخصوص للمغازي النبوية كما يوضحه العنوان، مما يؤكد أن هذا الحديث ليس من اختلاق ابن اسحاق كما يزعم الدكتور، وأنه ليس مختلقا؛ إذ لا حاجة لمثل ابن شهاب الزهري تدعوه إلى اختلاق مثل ذلك.

ومع ذلك، فلو جرينا مع الدكتور مراد في إغرامه بالإحصاء، لوجدنا أن الصفحات التي

---

(١) سيرة رسول الله للدكتور مراد: ٢٥.

(٢) المغازي النبوية: ٣٣ وما بعدها.

(٣) السابق: ٢٦ – ٢٤.

شغلها ابن اسحاق بالحديث عن عبد المطلب لا تتجاوز خمس عشرة صفحة متناثرة بين صفحة ٥٠ - حيث الحديث عن اعتراض ابرهة - إلى صفحة ١٨٠ حيث الحديث عن وفاته. وفى هذه الصفحات تحدث ابن اسحاق عن عبد المطلب فى اعتراضه ابرهة، وفى قصة حفر زمزم، وفى توليه السقاية، وتحليته الكعبة بالذهب، ونذره ذبح ولد من ابنائه، وتزويجه ابنه عبد الله، ثم وفاته!

هذا إلى ان عبد المطلب لم يكن جد لبنى العباس وحدهم، فقد كان كذلك جدا لمحمد ﷺ، وجدا للعلويين، وللزبيريين، فما ينال العباسيين من رفعة عبد المطلب، ينال محمدا، وينال العلويين، والزبيريين.

وما كان بنو العباس من السذاجة ولا الجهل بالدرجة التى يخدعهم بها ابن اسحاق - كما رجحه ظن الدكتور - حيث يقدم هذه الصورة النموذجية لعبد المطلب لإعلاء شأن قبيلة بنى عبد المطلب التى ينتمى إليها الخليفة العباسى الحاكم، اللهم إلا إذا كان الدكتور يرى ان عبد المطلب كان جد العباسيين وحدهم!

كما إن حديث ابن اسحاق عن عبد المطلب لم يرد إلا فى سياق ذكر نسب المصطفى ﷺ، كلما استدعى ذكره الحدث الذى يتناوله، و ليس كما توهم عبارة الدكتور حديثا منقطعا عن السياق؛ فالحديث عن عبد المطلب، ومن سبقه، ومن لحق به إنما هو فى الواقع حديث عن محمد ﷺ؛ لانه حديث يعرف بأسرته.

## مقارنة واهية خادعة

ويصر الدكتور على وصم ابن اسحاق بجريمة رفع مكانة عبد المطلب على حساب محمد ﷺ، فيعقد مقارنة بين موقف عبد المطلب مع أبرهة، وموقف محمد ﷺ مع عمه، فيرى - كما ذكر فى ص ٦٨ من هلال يوليو سنة ١٩٩٨ - أن ابن إسحاق قدم عبد المطلب - فى حديثه مع أبرهة - واثقا معتزا، متحديا، بينما قدم الرسول ﷺ - فى حديثه مع عمه - مستخذيا، يبكى، حيث ظن انه يتخلى عن حمايته؛ فأرانا محمدا ﷺ لا يملك إيمان جده الوثنى.

هكذا قدم الدكتور مراد ابن إسحاق فى سعيه لنيل رضا أبى جعفر المنصور، من خلال هذه المقارنة الواهية، وتلك النتيجة الفاسدة.

وإلا.. فأين عبد المطلب - فى موقفه تجاه المعتدى الغازى - حين هدده بغزو الكعبة، من محمد ﷺ - فى موقفه تجاه عمه وكافله ورأس أسرته وقبيلته - حين يظن انه سيتخلى عن دوره القبلى معه، ومكانه منه، ويسلمه إلى سفهاء قريش؟!

ثم أين الحقيقة والصدق فيما نقله الدكتور مراد من كلام ابن إسحاق، وما فهمه منه؟!

إن الدكتور - لكى يصم ابن إسحاق بوصمة التلفيق والتزييف - التقت إلى بعض ما ذكره ابن إسحاق من أن الرسول ﷺ استعبر فبكى، ليصوره ﷺ أقصر قامة من أبى طالب، مغفلا فى سبيل بقية العبارة التى

واجه الرسول ﷺ بها عمه، والتى سبقت بكاءه، فقد ذكر ابن إسحاق انه ﷺ قال: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أوأهلك فيه ما تركته»[4].

ولا أعتقد أن الدكتور يغفل ذلك إلا ليقول: وتصوير أبى طالب ومحمد على هذا النحو ينطوى على تزييف كبير للحقيقة[5]. فلو كانت الحقيقة هى مقصد الدكتور لما أغفل هذه العبارة التى ترينا محمدا شامخا، ثابتا، مرفوع القامة، لا يعرف الضعف، ولرأى أن بكاء محمد لم يكن استخزاء - كما ذكر - لأنه بكاء ابن أمام أب ضعف عن حماية ابنه - أو بدا ضعيفا - فهو الاستجابة للعاطفة البشرية الفطرية، وليس الاستخزاء.

ولكن قلم الدكتور دائما يكشف طواياه، معلنا أنه هو الذى يقيم دراسته على لعبة الظل والضوء، والصمت والتفصيل، لإبراز ما ليس مهما، وإخفاء المهم، التى اتهم بها ابن اسحاق، والتى تعلمها هو من أساتذته فى أوروبا.

## ابن إسحاق ومحاوركتابه

ويذكر الدكتور مراد من جرائم ابن إسحاق التى زيف بها الحقيقة ليمالىء العباسيين: أنه جعل حماية أبى طالب لمحمد الموضوع الأساسى الذى تعالجه سيرة النبى، حتى ليكاد حديثه عن الفترة المكية يدور كله حول هذا المحور.

ويرى أن ابن إسحاق من أجل إثبات تلك الفرية اصطنع كثيرا من الأحداث التاريخية التى تتعلق بمحمد ﷺ، وبالدعوة إلى الإسلام، وبأسماء من أسلم، وإغفال كثير من الآيات القرآنية التى نزلت فى هذه المرحلة... إلى غير ذلك من الأمور والأحداث.

ويرى الدكتور مراد ابتداء أن حماية أبى طالب الكافر لابن أخيه الذى خرج على دين القبيلة أمر لا يتصوره عقل، وأن حاجة محمد ﷺ إلى حماية أبى طالب الكافر أمر لا يمكن تصديقه... ثم ينطلق وراء تلك الرؤى بتكذيب كل ما رواه ابن إسحاق واستبعاده.

ويومىء الدكتور مراد إلى أن ابن إسحاق بتلك الفرية التى اصطنعها إنما اصطنعها لينال رضا العباسيين، وإن أغضب الله ورسوله بهذه المفتريات، فيذكر أن مؤدى هذه الحماية أن محمد ﷺ مدين ببقائه على قيد الحياة لقبيلته، وأن الإسلام مدين لهذه القبيلة - بالتالى - بوجوده.

ويخلص الدكتور مراد من ذلك إلى أن الخبرين الأساسيين اللذين أقام ابن إسحاق عليهما فريته، وهما: أن الدعوة فى أول الأمر كانت خفية، وأن قريشا لما علمت بأمر محمد ﷺ واجهته بالحرب والمعارضة، مما ألجأ عمه إلى حمايته... يخلص الدكتور مراد إلى أن هذين الخبرين لا أساس لهما من الصحة، وأنهما يدلان على نية التزييف والاختلاق[6].

---

(٤) السيرة لابن هشام: ٨٢٧/٦.

(٥) سيرة رسول الله: ٢٠٩.

(٦) سيرة رسول الله للدكتور مراد: ١٠٩.



فلا يسعنى إلا أن أسأل الدكتور: ماذا تتصور من إنسان أوحى إليه بدين يختلف تماما عما عليه قومه؟! أيسوغ عقلك أنه بمجرد نزول الوحى عليه ينهض صائحا فى قومه، معلنا دعوته؟! وإذا صور الوهم لإنسان هذا الأمر، فما تفسيره لنزول الوحى عليه آمرا إياه بإنذار عشيرته الأقربين، فى قوله تعالى:

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۝ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[7].

ثم مواصلا الأمر بالنهوض بعبء الدعوة العامة دون خوف، فى قوله تعالى:

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[8].

وإذا أوغل هذا الإنسان فى أوهامه، معتمدا على ما يجده فى النص القرآنى من احتمالات، يرجح منها ما لا يتعرض مع وهمه أو مع بدعته التى اصطنعها ليعزز رأيه فى ابن إسحاق... أقول: إذا أوغل هذا الإنسان فى اتجاهه ذلك الذى ينفى به أن تمر الدعوة فى أول الأمر بمرحلة الاستخفاء، وما سبقها من مرحلة فتر فيها الوحى حتى ظن محمد ﷺ أن ربه قلاه، فماذا يقول فيما رواه الإمام البخارى المتوفى سنة ٢٥٦هـ والإمام مسلم المتوفى سنة ٢٦١هـ عن أبى هريرة، قال: لما أنزلت هذه الآية: «وأنذر عشيرتك الأقربين» دعا رسول الله ﷺ قريشا فاجتمعوا، فعم وخص، فقال: يابنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذى نفسك من النار، فإنى لا أملك لكم من الله شيئا، غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها.» وفى رواية: فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾[9].

أم لعل الدكتور يتهم البخارى ومسلم بأحاديثهما مع ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨هـ، الذى علق على سيرة ابن إسحاق، واختصرها، ونقد بعض ما ورد فيها... ليضع ثلاثتهم مع ابن إسحاق فى طابور المتهمين بتزييف الحقائق، وتلفيق الأحداث واصطناعها لينالوا رضا أبى جعفر المنصور أو غيره من بنى العباس؟

ويواصل الدكتور مراد رحلته مع ابن إسحاق، فذكر أنه حين تحدث عن توقف الوحى فى الابتداء لم يعط أى بيان عن المدة التى فتر فيها الوحى، واكتفى بتفسير سورة الضحى.

ولا أدرى ماذا يريد الدكتور من ابن اسحاق – أو ماذا يأخذه عليه – وقد ذكر ما بلغه، دون تزيد، فقال: ثم فتر الوحى عن رسول الله ﷺ فترة من ذلك؟!

أما الدكتور فيستمر فى بذر الشكوك والمغامز قائلا: يتضح من هذه الملحوظات أن الآيات القرآنية التى أوردها النص فى جزئه الأول تتعلق فى معظمها بمسائل دينية، وليس لها طابع

(٧) الشعراء (٢١٤ ـ ٢١٥). (٨) الحجر (٩٤).

(٩) سورة المسد آية (١ ـ ٢)، والحديث فى صحيح البخارى: ٦/١٤٠، وصحيح مسلم: ١/١٣٢.



تاريخي[10] ولا أدري - كذلك - ماذا يقصد الدكتور بذلك؟!

## التلاعب بالقرآن بين ابن إسحاق وابن مراد

ويرى الدكتور مراد أن من مظاهر الدعاية العباسية التي أقام عليها ابن إسحاق كتابه: حرصه على تمجيد بني هاشم، وأن حرص ابن إسحاق على تمجيد بني هاشم الجاه إلى أن يخترع من الأحداث، ويلفق من القصص ما يحقق له ذلك لينال رضا العباسيين، حتى لقد بلغ ذلك بابن إسحاق أن يزيف صورة الرسول ﷺ، ويخفض حجمه إلى حجم مجرد رجل من بني عبد المطلب وبني هاشم تشمله قبيلتاه بحمايتهما بصفته هذه، لا باعتباره نبيا لله - سبحانه وتعالى - خرج على قومه، وعلى عقائده[11] وأن من أخطر هذه الأحداث الملفقة: دعواه اضطرار محمد ﷺ إلى الاستخفاء ثلاث سنوات تقريبا، وما استتبعه ذلك من مواقف وقضايا لفقها ابن إسحاق ليدعم مقصده الأساسي.

وقد استنتج الدكتور مراد - بعد استعراض تلك الأحداث والمواقف - أن نص ابن إسحاق الذي تناول تلك المرحلة لا يعتد به في أي موضوع من الموضوعات التي تناولها، ثم قرر أن ابن إسحاق تلاعب بالقرآن وسخره لخدمة تحزبه العباسي، معتمدا في تقريره ذلك على افتراض أقامه على التسليم لما زعمه (بلاشير) في مقدمة ترجمته للقرآن، حيث زعم أن الفترة الأولى من الدعوة نزل فيها وحدها ١٢١٣ آية، وتعادل ربع ما نزل في الفترة المكية كلها، وأن قرآن هذه الفترة حين يذكر الله، يتحدث عن سمتيه الرئيسيتين، وهما ما يتعلق بصفاته، وما يتعلق بقدراته سبحانه وتعالى.

ومن هذا الافتراض المستسلم لزعم (بلاشير) في تاريخ نزول القرآن، وفي ترتيب سورة، والمتجاهل كل التراث الإسلامي والعربي مما قدمه العلماء المسلمون على مدى تلك القرون المتطاولة... أقول من هذا الافتراض انطلق يستعرض ما يروقه من صفات الله وقدراته، معلقا عليه بما يتخيله من أثر في نفوس العرب حين سمعوه من محمد، ومفسراً الآية تلو الأخرى بما يروقه ويوافق هواه، من غير أي سند من فهم لغوي، أو رواية مأثورة؛ قاصدا من وراء ذلك كله الإيهام بأن ما نزل من القرآن خلال هذه الفترة الذي يعطي صورة أقرب إلى التصديق من تلك التي يعطيها نص ابن إسحاق عن دعوة رسول الله ﷺ، وعن ردود الفعل التي أحدثته[12].

أي إن الدكتور مراد قرر ابتداء أن ابن إسحاق ادعى كذبا أن الفترة الأولى من الدعوة كانت سرية، وأنه دعم هذا الادعاء الكاذب التلاعب بالقرآن، حيث لم يورد الآيات التي هي من أم الكتاب، والتي تشكل في آن واحد جوهر رسالة الإسلام، قاصدا من وراء ذلك تزييف صورته صلوات الله وسلامه عليه، وتخفيض حجمه إلى حجم مجرد رجل من بني عبد المطلب وبني هاشم، وتزييف تاريخ بداية الإسلام، وتسخير آية:

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[13].

---

(١٠) السيرة للدكتور مراد: ٦٩.

(١١) السيرة للدكتور مراد: ١١٠ - ١١١.

(١٢) السابق: ٧٢ - ١١١.

(١٣) الشعراء (٢١٤).

وآية:

﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾[14].

وآية:

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[15].

لخدمة ما اخترعه من فترة الاستخفاء التي لم توجد إلا في خيال ابن إسحاق[16].

وهكذا أصبح الدكتور مراد الذي وجد نفسه عاجزا عن ترجمة رسالته إلى العربية – كما صرح بذلك في رسالته للدكتور إبراهيم عوض –[17] قادرا على تأويل القرآن الكريم، وتفهم نصوصه تفهما يكشف به تلاعب ابن إسحاق وغير ابن إسحاق من مؤولي القرآن الكريم، منذ ابن عباس إلى العصر الحديث، فقد أوتي القدرة على تأويل القرآن، والوصول إلى مراميه على الرغم من أن مقامه في أوروبا أكثر من ربع قرن قد أضعف عربيته عن القدرة على ترجمة رسالته إلى العربية.

ويبدو أن سيطرة هذه الفرية على الدكتور بلغت من القوة للدرجة التي جعلته يتوهم – أو يفرض – أن ابن إسحاق وحده من بين المؤرخين هو المتلاعب بالقرآن – كما يزعم – وفاته أن محمد بن شهاب الزهري في كتابه ( المغازي النبوية ) تحدث عن سرية الدعوة في سنواتها الأولى ثم الجهر بها إثر نزول قوله تعالى:

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[18].

وأن ابن حزم تحدث عن ذلك كذلك، فقال: «ثم أعلن رسول الله ﷺ بالدعاء إلى الله – عز وجل – وجاهرته قريش بالعداوة والأذى»[19].

كما أن الدكتور بتلك الفرية يتجاوز ما ذكره مؤولو القرآن الكريم من الصحابة والتابعين الذين تقدموا العباسيين والأمويين، مثل ابن عباس الذي أول قوله تعالى:

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ بقوله: اظهر أمرك بمكة[20]، وهو الذي ذكره عبد الرزاق في تفسيره[21].

ويتجاوز كتب السنة الصحاح، فلا يلتفت إلى ما رواه الإمام أحمد – الذي تحمل سجن العباسيين وتعذيبهم لتمسكه برأيه – عن جابر ابن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثم فتر الوحي عني فترة، فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء الآن قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجثثت منه فرقا – أي فزع – حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي، فقلت: زملوني، زملوني، زملوني، فأنزل الله عز وجل:

---

(14) الحجر (89).
(15) الحجر (94).
(16) السابق: 110 – 111.
(17) إبطال القنبلة النووية: 16.
(18) المغازي النبوية: 46، 74.
(19) جوامع السيرة النبوية: 1/ 80.
(20) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: 267.
(21) تفسير عبد الرزاق: 2/ 262، 468.

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[٢٢].

ثم حمي الوحي بعد وتتابع»[٢٣].

بل إنه لا يكتفي بتجاوزه كتب السنة الصحاح، ولكنه يبالغ في هذا التجاوز، فيغفل مابذله علماء المسلمين من جهد - لم يسبقوا إليه ولم يلحقهم فيه إلى اليوم لاحق - في توثيق المروى من الأحاديث النبوية، وتنقيتها من كل الشوائب، ووصف كل حديث بما يستحقه؛ مخلفين أضخم وأعظم تراث عرفته البشرية إلى اليوم في تقويم الرجال ونقدهم، وما استوجبه ذلك من دقة تاريخية، وعمق مخلص صادق في التعريف برواة السنة جرحا وتعديلا، حتى أصبح المروى من السنة منذ نحو اثنى عشر قرنا كتابا مفتوحا، ترى فيه الحديث الموضوع، والضعيف، والحسن، والصحيح، والمتواتر.. إلى غير ذلك من الصفات التي قرن بها كل حديث.

نعم.. تجاوز الدكتور مراد كل ذلك ليشكك في الحديث النبوى، ويكرر الزعم الاستشراقي الخبيث بأنه لا يطمئن إلا إلى القرآن في الوقوف على سيرة الرسول ﷺ، حتى لكأن القرآن كتاب سيرة وتاريخ، لا كتاب هداية ورحمة.

فمن هذا المنطلق ذكر الدكتور بطريقة ملتوية خبيثة بعض الأحاديث الموضوعة - على الرغم من عدم الحاجة إلى ذلك في رسالته - موهما أنه هو الذي اكتشف وضع تلك الأحاديث، ومغفلا دور العلماء المسلمين في كشف ذلك وتخصيص الكتب للتعريف بمثل تلك الأحاديث، من كل ما يدعم الثقة فيما تضمنته كتب الصحاح.

وأعتقد أن الدكتور مراد ما تجاوز كل ذلك - في طريق اتهامه ابن إسحاق بالتلاعب بالقرآن - عن جهل منه بأن كثيرين من الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين الذي لا يمكن وصمهم بممالأة العباسيين قد سبقوا ابن إسحاق إلى القول بأن الدعوة الإسلامية كانت في أول أمرها سرية، فضلا عن أن العقل السليم يفرض حتمية مرور مثل هذه الدعوة بمثل تلك المرحلة.

لكن الدكتور مراد لايكفيه كل هذه التجاوزات، فيأبى إلا أن يتلاعب بالنص القرآني، مستجيبا لأستاذه (بلاشير) فيراوغ باستعراض ساذج لبعض الآيات الكريمة، ليقرر أن آيتي الحجر (٨٩، ٩٤) لا يصح تحت أى تفسير ممكن اعتبارهما النقطة التي تنتهي عندها مرحلة السرية، وتبدأ مرحلة الجهر[٢٤].

## على طريق التلاعب بالقرآن الكريم

ويندفع الدكتور مراد إلى غايته الأصلية - وهي نسف السيرة النبوية - مستهينا بكل شيء في سبيل ذلك، دون أن يمنعه من ذلك مانع من عقل، أو قيم، أو دين، ويوظف القرآن الكريم في تحقيق مقصده مبالغة منه في الإيهام أنه ملتزم بالمنهج العلمي، فتراه يعرض لتأويل ماجاء في سورة البروج من حديث عن

---

(٢٢) المدثر: (١:٥).

(٢٣) المسند ١١/٦٦١.

(٢٤) سيرة رسول الله ﷺ للدكتور مراد: ٧٠ - ٧١.

قصة أصحاب الأخدود، فينحي جانبا كل ما تضمنته كتب السنة الصحاح من الحديث النبوى عن أصحاب الأخدود وهويتهم[٢٥]، ويتجاهل ما ذكره المؤرخون وكتاب السيرة، من أنها تشير إلى قصة جماعة من الموحدين النصارى تحدوا إرادة حاكم أن يقهرهم على عبادته مع الله، فلما رأى إصرارهم على الرفض، خد لهم أخدودا ملأه بالنار وأمر بإلقائهم فيه. فجاء الدكتور مراد بادعاء - لا أعلم أن أحدا سبقه إلى مثله - فحواه: أن أصحاب الأخدود هم بنو عبد المطلب وعلى رأسهم أبو لهب؛ فقد كان أبو لهب رجلا غنيا ذا نفوذ، وكان سيدا - سيد بنى عبد المطلب، أو بنى هاشم، أو حتى سيد قريش - ولابد أن ما جنت يداه من أفعال كان أخطر بكثير مما ذكره ابن إسحاق، ولابد أنه كان جلادا، جعل للإرهاب الكلمة العليا فى قبيلته، وأنه استخدم نفوذه لدى رؤساء القبائل الأخرى كى تطبق حيال مسلميها سياسة قمعية لا تعرف الهوادة. ولابد أن كل تصرفاته جعلت منه أعدى أعداء الإسلام خلال الفترة المكية بأكملها[٢٦].

رأى الدكتور مراد أنه باختلاق هذه الصورة لأبى لهب، يقيم الدليل على أن ابن إسحاق خفف من نعوت أبى لهب، ولم يذكر حقيقته لأنه واحد من بنى عبد المطلب الذين أراد أن يجامل العباسيين برفع شأنهم.

والدكتور فى سبيله إلى ذلك لم يجد مانعا من أن يتوسل بالقرآن الكريم، ويوجه آياته لخدمة غرضه، فصور له خياله الواهم أن أبا لهب لابد أن يكون هو زعيم بنى هاشم، أو زعيم قريش كلها، ولابد أن يكون هو الذى استخدم نفوذه فى مقاومة المسلمين والتصدى لهم فى مكة بالإحراق بالنار؛ وبذلك يصبح هو ومن معه أصحاب الأخدود، حيث لا يملك الدكتور إلا أن يلاحظ صلة مابين سورة المسد، وآيات سورة البروج المتضمنة قصة أصحاب الأخدود.

وهكذا.. نرى الدكتور مراد يبذل قصارى جهده فى الوصول إلى غايته معتنقا مبدأ الغاية تبرر الوسيلة - حتى لو كانت وسيلته إلى ذلك قائمة على التلاعب بالآيات القرآنية.

## محمد ﷺ بين الحماية والمقاومة

والدكتور مراد يرتكب كل هذه التجاوزات - وهو آمن من لوم أستاذه - ويجترم خطيئة التلاعب بالقرآن على النحو الذى أشرنا إليه؛ لينعت ابن إسحاق بالتزييف، والتزوير، والكذب، والتلفيق، والاختلاق، والتلاعب بالقرآن، وطرح كل القيم خلف ظهره.. كل ذلك يرتكبه ابن إسحاق - فى ادعاء الدكتور مراد - ليصطنع أحداثا يمهد بها لدعواه اضطهاد قريش لمحمد ﷺ، وحاجته إلى حماية عمه أبى طالب، حتى ينال هذا المزيف المزور الكذاب رضا أبى جعفر المنصور، وخلفاء بنى العباس؛ إذ أعطاهم الوسيلة التى يدعمون بها حكمهم فى مواجهة فلول الأمويين.

ومن هنا... يرى الدكتور مراد أن حماية محمد ﷺ هو ثانى الأمور التى لم يتصف فيها ابن إسحاق الحقيقة، حيث أبرز ابن إسحاق قول أبى طالب لمحمد ﷺ حين علم بما يدعو إليه: «أى ابن أخى، إنى لا

---

(٢٥) صحيح مسلم: ٢٢٩/٨ - ٢٣١، وسنن الترمذى: ٤٣٧/٥ - ٤٣٩ وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ٥٩٠، وتفسير عبد الرزاق: ٤١٣/٣ - ٤١٥.

(٢٦) السيرة للدكتور مراد: ١٤٤ - ١٤٥.



أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، لكن والله لا يُخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت . »(٢٧)، وحيث واصل ابن إسحاق بعد ذلك حديثه عن تلك الحماية - بعد أن أظهر محمد الدعوة، وبادى قومه بالدعوة - في لقاءاته الأربعة مع رؤساء قريش، ليجد الوعد المزعوم الذي وعده أبو طالب لمحمد ﷺ خلال فترة الاستخفاء(٢٨) .

ومن هنا . . يطلق الدكتور مراد لخياله العنان، فيسوق افتراضات صنعها وهم الخيال المريض، ولا صلة لها بالعقل المتوازن، ولا بالوقائع المأثورة، فيملأ تلك الصفحات التي تقارب مائة وخمسين صفحة بافتراضاته المؤسسة على قوله: ( لابد )، مثل: لابد أن كذا قد حدث، ولابد أن محمدا لم يستطع كذا، ولابد أن بعض من استمعوا إليه كانوا كذا. . . إلى غير ذلك من الافتراضات القائمة على ( لابد )، ولا سند له في شيء منها إلا ( لابد )، وكل همه من تلك الافتراضات التي ينفي فيها وبها معظم الأحداث التي رواها ابن إسحاق، ولها صلة أي صلة بحماية أبي طالب ابن أخيه محمدا ﷺ لأن حماية أبي طالب له - في تقدير الدكتور مراد - أمر ينزل بمحمد ﷺ إلى درجة أدنى من درجة حاميه، ويتعارض مع علم محمد ﷺ أنه تحت حماية من هو أقوى من عمه ومن قبيلته، كما يتعارض مع وجوب عدم خشيته أحدا غير الله، خصوصاً أن القرآن نهاه عن اتخاذ أولياء سوى خالقه. وينفي دور المسلمين الذين كانوا يكنون له من الحب أكثر من محبتهم لأبنائهم، والذين كانوا على استعداد للتضحية بأنفسهم فداء له(٢٩) .

فالدكتور مراد لا يتصور أن يحمي محمدا ﷺ أحد غير ربه أو المسلمين الذين استجابوا لدعوته، فأين كان الله - تعالى - حتى يترك أبا طالب ليقوم بهذا الدور؟ ولماذا لم ينهض المسلمون الذين يحبون الرسول ﷺ لدفع أذى قريش عنه في هذه المرحلة المبكرة من عمر الدعوة؟ وكيف يتطلع محمد إلى حماية واحد من الكفار - حتى لو كان عمه - وهو يعلم أنه في حماية ربه؟!

على هذا بنى الدكتور مراد قراره بأن ابن إسحاق مزيف وكذاب، وبهذا الاعتراض ملأ نحو نصف الرسالة العلمية بافتراضاته الخيالية التي لا تمت بأي صلة للتفكير العقلي، ومن هذا وذاك خرج باستنتاجه افتراء ابن إسحاق وتزييفه في جرأة لا يمكن تصور صدورها عن إنسان في مجال البحث العلمي، كي ينال عليه تلك الدرجة العلمية العليا .

فعقل الدكتور مراد يرفض أن يقول أبو طالب حمى محمداً ﷺ من اعتداء قريش، مع بقائه على دين آبائه، لما فيه من تناقض بين فعله ومعتقده، ويرفضه لأن أبا طالب لم يكن سيد قومه بسبب فقره، ويرفضه لأن حمزة أخاه هو الذي خطب إليه خديجة، فكيف لا يكون هو الذي يحمي محمدا ﷺ، ويرفضه لأن أخاه العباس هو الذي ورث من أبيه ولاية زمزم والسقاية. ويرفضه لأن أبا طالب إذا لم يستطع حماية ابنه جعفر الذي اضطر إلى الهجرة إلى الحبشة فرارا من أذى قريش، فكيف يستطيع أن يحمي ابن أخيه؟!

أيا ما يكن طابع هذا الرفض، ودوافع تلك الأوهام الخيالية . . . فإن لنا مع هذا الدكتور وكتابه لقاء آخر في العدد القادم إن شاء الله - تعالى - نكشف فيه خطل هذا التفكير، وفساد تلك الأوهام، يضطرنا إليه ضيق المقام، مع الحاجة إلى شيء من البسط الموضح .

---

(٢٧) سيرة ابن هشام: ١/١٦٥.

(٢٨) السيرة للدكتور مراد: ٤٩ - ١٨٦.

(٢٩) السيرة للدكتور مراد: ٦٣.






# الأذان فى الإسلام

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

**تقوم الدراسات المقارنة بين الشرائع والقوانين المختلفة فتؤتى ثمارها الطيبة متى سارت على النهج الصحيح فى التزام الحيدة، والإخلاص للحق وحده. وقد قرأنا بحوثا شافية تتحدث عن مقارنات بين الصيام والصلاة والمواريث والمعاملات والحدود وغيرها من قضايا التشريع الإسلامى وبين مثيلاتها فى الشرائع السماوية والقوانين الوضعية. فاتسع المجال أمام القارىء المتيقظ ليشترك فى الرأى، ويهتدى إلى الصواب. هذا إذا كان البحث سائرا على سننه المنطقى، خالصا من الهوى، نائيا عن الغرض المسف. ولكن نفرا من الذين انصبوا على شريعة الإسلام انصبابا هاجما لا يتبين الحق إلا ليطمس معالمه ويشوه وجوهه.**

قد اندفعوا يقارنون بين العبادات والمعاملات فى الإسلام وما سبقه من الشرائع كى يجعلوا ما جاء فى كتاب الله منتزعا من سابقه، وكأن محمدا النبى الأمى الذى نشأ فى الأميين بمكة قد ألم بدراسات المشترعين ليأخذ منها ويدع! ونحن لا ننكر أن شرع الله واحد، وأنه الدين الخاتم مكمل متمم لما سبقه، فإذا تشابهت مسألة من مسائل التشريع مع سابقتها، فلأن الدين القيم من عند الله! هذا ما يفطن إليه الباحث البرىء من الغرض، أما الذين يتخذون من وجوه التشابه دليلا على النقل والتلفيق، فلماذا لايطبقون نظرهم المعوج، على ما انفرد به الإسلام وتبعته فيه القوانين الوضعية تبعية ينهض عليها الدليل، إنهم حين يجدون هذا التأثر الواضح، يعز عليهم أن يكون التشريع الإسلامى رائدا غير مسبوق، وكان الهدف المنشود أن يكون التشريع الإسلامى أمشاجا مختلطة لاتخضع لنظرية شاملة جاء بها الذكر الحكيم، وطبقها رسول الله ومن وليه من خلفائه الراشدين.

## تقرير كاشف

يقول الأستاذ الدكتور جواد على فى مقدمة بحث له عن الصلاة فى الإسلام «بين يدى رسالة للمستشرق اليهودى المعروف (أويكن ميتوخ) بحث فيها عن الصلاة عند المسلمين وقارن بينها وبين الصلاة عند اليهود، وقد أجهد المستشرق نفسه ليصل إلى نتيجة كان يقصدها ويريدها قبل الدخول فى الموضوع، وهى أن الرسول الكريم أخذ صلاته من صلاة اليهود، كما أخذ سائر الطقوس والعبادات.

وبين يدى بعض الأبحاث العلمية التى قام بها نفر من المستشرقين فى هذا الموضوع أى تطور الصلاة ونشوء العبادات فى الإسلام كبحث المستشرق المجرى اليهودى كولدزهير، وبحث المستشرق الهولندى جرينبول، وبحث

(١) مجلة الرسالة العدد ٦٢٥، ١٥ من رجب ١٣٦٤هـ.



المستشرق بيكر، وهى تسير على نفس الأسلوب، ولكنها تختلف فى النتائج، إذ من رأى هؤلاء أن النبى ﷺ أخذ صلاته من النصارى لا اليهود».

هذا ما ذكره الدكتور جواد على فى مقدمة بحوث جيدة نسف بها محاولات من يطمسون اللألاء المشرق، تأتى بالمنطق الصائب داحضا مبطلا، وقد أصاب مقطع الصواب حين ذكر فى هذه المقدمة أن المستشرق من هؤلاء يجهد نفسه ليصل إلى نتيجة كان يقصدها ويريدها قبل الدخول فى الموضوع، ومعنى ذلك أن الحق لا يقصد لذاته وأن الغرض قد تسلط على الحقائق الصريحة ليشوهها أفحش التشويه! وأن جماعة من المبشرين قد لبسوا ثياب الباحثين ليقولوا على الله الكذب وهم يعلمون!

ومن الحق أن الذين يكتبون عن التشريع الإسلامى من أعلام الفاقهين لايعيرون هؤلاء المغرضين التفاتا، إنما يرجعون فى بحوثهم إلى المعتمد الثابت من قول الله، وحديث الرسول، وإجماع أهل الرأى فيجيئون بالحق المبين، ولكن نفرا من مدرسى التاريخ فى بعض كليات الجامعة، يتحدث عن حياة الرسول ﷺ فيكتب فصلا عن التشريع، ويزحمه بنقول عن المنصف والمغرض، وما كان لهؤلاء وقد تعرضوا للتشريع بعيدا عن تخصصهم التاريخى أن يشيروا فى شىء إلى تخرصات المبطلين، بل ما كان لهم أن يتجاوزوا التاريخ إلى الفقه الإسلامى وهم لايعرفون عنه شيئا! ولكنهم وجدوا من الاستطالة العلمية أن يتحدثوا عن كل شىء وأن يجمعوا بين المخطىء والمصيب ليظهروا سعة الاطلاع دون تمحيص!

## الأذان فى الإسلام

من العجيب أن الأذان لا يشتبه فى شىء مع وسائل الإعلام عن الصلاة لدى السابقين، فقد انفرد بعبارات إسلامية لامثيل لها من قبل، ولكن الذين فى قلوبهم مرض.. يحاولون أن يرجعوه إلى الإعلام اليهودى، متجاهلين كل ما دونته كتب السيرة وروايات الحديث النبوى فى هذا النطاق، وهو من الوضوح بحيث لايقبل الالتباس.

تناقلت كتب الحديث والفقه مرويات صحيحة منها ما جاء فى البخارى ومسلم من أن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون، فيتحينون للصلاة، وليس ينادى بها أحد، فتكلموا يوما فى ذلك، فقال بعضهم، اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: قرنا مثل قرن اليهود، فقال عمر: ألا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة، فقال رسول الله ﷺ «قم فناد بالصلاة».

فهذا الحديث الصحيح المروى فيما دونه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى، ينطق بأن الأذان لم يكن اقتباسا من أحد، بل اهتداء بما وافق عليه الرسول من مشورة عمر،

وفيه بعد صريح عما يفعله اليهود والنصارى حيث اتخذ هؤلاء ناقوسا وأولئك قرنا».

وإذا كان في هذا الأثر الشريف إجمال موجز، ففي أثر آخر تفصيل شاف رواه أبوداود عن أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار، قال:

«اهتم رسول الله ﷺ للصلاة كيف يجمع الناس لها؟ فقيل: انصب راية عند حضور الصلاة، فإذا رأوها آذن بعضهم بعضا، فلم يعجبه ذلك، فذكر له القُنع، وهو شبور اليهود «بوقهم» فلم يعجبه ذلك ـ وقال: هو من أمر اليهود، فذكر له الناقوس، فقال: هو من أمر النصارى، فانصرف عبدالله بن زيد الأنصارى، وهو مهتم لهم رسول الله ﷺ، فأرى الأذان في منامه، فغدا على رسول الله ـ ﷺ، فقال: يارسول الله إني لبين نائم ويقظان، إذ أتاني آت فأراني الأذان، وكان عمر بن الخطاب قد رآه قبل ذلك، فكتمه عشرين يوما، ثم أخبر رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: ما منعك أن تخبرنا فقال: سبقني عبدالله بن زيد، فاستحييت، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ قم يا بلال، فانظر ما يأمرك به عبدالله فافعل فأذن بلال، قال بعضهم: إن الأنصار تزعم، لولا أن عبدالله بن زيد كان يومئذ مريضا لجعله رسول الله ﷺ مؤذنا».

وفي شرح النووي(٢) لحديث الأذان كلام «جيد» نقله عن القاضي عياض: حيث قال تعقيبا على رؤيا ابن زيد: إن رسول الله شرع الأذان بعد هذه الرؤيا إما بوحي أو باجتهاده ﷺ، وليس عملا بمجرد المنام».

وشبيه به ما ذكره الأستاذ محمد أبوزهرة إذ نقل عن ابن هشام في سيرته ما يفيد نزول الوحي بالأذان فقال رحمه الله:

«إن الأذان شعار من شعائر الإسلام، وإنه تعرف به الجماعات الإسلامية، وما يكون كذلك من العبادات لا يكون من الأمور التي تكون بشورى الناس، وقد تكون الشورى ابتداء لمعرفة طريق الإعلام، فجاء الوحي بهذا الطريق الذي يعتبر سنّة»(٣).

وليس في الأمر بعد هذا الوضوح خلاف، فالرسول قد استشار، ثم رأى عمر وعبدالله رؤيا، وجاء الوحي مصدقا، فاتصلت الحلقات، وإذا اقتصر كل حديث على خبر معين، ففي اجتماع الأخبار ما يوحي بالتسلسل والتماسك، لا بالتعارض والخلاف.

ثم إن للأذان صيغة معروفة، وهي ذات ترتيب متصل، ولن يأمر الرسول بلالا بأدائها دون أن تكون شرعا أوحي له، أو اجتهد فيه، لأن للرسول ﷺ يجتهد، ومن اجتهاده إقراره بصيغة الأذان كما جاء في شرح الإمام النووي لحديث مسلم.

---

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ص جـ ٧٦٤ المطبعة المصرية.

(٣) خاتم النبيين للأستاذ محمد أبي زهرة جـ ٢ ص ٥٧٠ – دار الفكر.



## رجع إلى ما سبق

نعود بعد ذلك إلى ما قاله المستشرق اليهودى ميتوخ، ونقله عنه الدكتور جواد علي حين أقر: أن الأذان في الإسلام مأخوذ من الأذان عند اليهود، لأنهم يدعون إلى الصلاة، ويتخذون البوق أداة للدعوة، فإذا اجتمعوا قالوا أيها الكهنة استعدوا لأعمالكم أيها اللاديون قفوا فى مصاطبكم، أيها الإسرائيليون، خذوا مواقعكم».

فإذا كان الرسول يعلم أن البوق أداة الدعوة إلى الصلاة لدى اليهود، وقد أشير عليه به فكره أن يوافق اليهود، ولم يسترح إلى البوق، كما نص الحديث الشريف، وهو مما يعرفه المستشرق جيدا، فكيف يكون الأذان فى الإسلام مأخوذا عن هؤلاء؟

وإذا كانت للدعوة إلى الصلاة فى اليهودية صيغة معروفة هي: «أيها الكهنة استعدوا لأعمالكم، أيها اللاديون قفوا فى مصاطبكم. أيها الإسرائيليون خذوا مواقعكم» فكيف تلتقى هذه العبارات مع صيغة الأذان، وليس بين النصين أدنى اتفاق؟!

إن ما قاله ميتوخ فى خطئه، لا يقل خطأ عما قاله «بيكر» حين حاول أن يرجع الأذان إلى تأثير المسيحية، وكأنه قد عز عليه أن يسبقه المستشرق اليهودى فينسب التأثير لليهودية، فرأى وهو المسيحى أن تكون ديانته صاحبة التأثير فقال: وليس الأذان إلا قطعة من القطع الكنائسية التى يرددها الكاهن أو الشماس حيث يقوم الإمام فى الإسلام مقام الكاهن، ويقوم المؤذن مقام الشماس»[4].

لقد تظر بيكر، فوجد فى الإسلام أذانا وإقامة، فشاء أن يوزع الشعيرتين بين المؤذن والإمام، وقد نسى أن الإمام لا يقوم بالإقامة وإنما ينطق بها مصل جهير الصوت ممن يأتمون به، كما أغفل ابتعاد النصين في المسيحية والإسلام كل الابتعاد، فكيف يأتي التأثير!؟ وإذا كان مجرد الكلام يعتبر اتفاقا مهما تباعد المضمون، فكل نطق فى الشعائر منذ نوح، بل كل نطق فى مقدمة الاجتماعات الدينية يكون بتأثير الكاهن والشماس! وإذا انتهينا إلى هذا المنطق فلا نقاش.

## خاتمة

إن مجرد النظر العابر يهدم ما اتجه إليه الذين يحاولون إرجاع الأذان إلى اقتباس يهودى أو مسيحى، وقد تعمدت أن أشير إلى ذلك، لأقول إذا كانت المسائل الواضحة التى لاتحتمل اللبس تجد من يحاولون تمويهها بزائف الأباطيل، فعلينا أن نأخذ الحذر حين نقرأ بحوثا تتسم بالمنهجية فى ظاهرها المكشوف، أما الباطن فتدليس مغرض، يؤول النصوص، ويبتر النقول، ويخفى الحقائق ويختلق الأحداث، لينتهى بعد ذلك كله إلى ضباب واهن، إذا خدع الجهلاء، فقد فنده العلماء، والحق لا يعدم النصير، مهما كثرت الجلبة وساد الضجيج.

---

(4) الرسالة العدد ٦٢٩، ١٤ من شعبان ١٣٦٤ هـ.



مواقف إسلامية

# وفاء الأشقاء

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

**مدخل**

ذهب فريق الأطباء إلى القرية.. فكانت المفاجأة من نتيجة البحث أكدت خلو القرية من أمراض القلب تماما.. واحتار الأطباء من تفرد هذه القرية بتلك الخصيصة.. دون جيرانها من القرى.. وبدأ البحث عن السبب:

هل هو فى نوعية الطعام والشراب؟ أم هو راجع إلى طبيعة البيئة؟ أم لا هذا.. ولا ذاك.. إنما هو عامل الوراثة؟

ولكن ثبت أن أهل القرى النائمة فى أحضان الجبل.. كلها سواء فى نوعية الطعام.. وطبيعة الجو.. وأن عامل الوراثة لا أثر له هنا.

وأخيرا وجدوا فى القرية المتميزة ما لم يكن لدى كل القرى من حولها:

لقد ركز المختصون على نوعية العلاقات بين أفراد هذه القرية فوجدوا:

التعاون على البر.. والحب فى الله..

وكان هذا الحب.. وذلك الانتماء سبب راحة القلوب التى برئت من علة الاختلاف.. والكراهية.. إن يدهم ممدودة بالعطاء.. فلا يحس أحد باغتراب.. فالسرور يعم الجميع.. فاستراح القلب.. إنهم المؤمنون.. والذى أثمر الإيمان فى قلوبهم الرحمة.. فكان هذا الود الجامع المانع.. فى الوقت الذى كان الخلاف وكانت الأنانية قانون التعامل بين أهل القرى من حولهم..



ومـوقف اليـوم واحـد من المواقف التي يرعى ذلك الود الحميم حتى يظل رابطا بين الأقارب.. جامعا قلوبهم على كلمة سواء.. بما يؤكد من قيمة «حسن الظن» بالآخرين. وما يجب على الأخ حيال أخيه والذي يدافع عنه في موقف يحاول الآخرون النيل منه.. عكس ما يحدث أحيانا من مثل ما قاله الشاعر:

**يمر أقـــاربي بحـــذاء قـــبـــري**

**كـــأن أقـــاربي لم يعـــرفـــوني**

ومن مثل ما قاله الآخر:

**وكـــان ســـراج الوصل أزهر بيننا**

**فـــهـبت به ريح من البين.. فـــانطفـــا!**

ألا إنه إذا كـان هناك من أمْـر الهـوى على نفسه.. فنطق بالبدعة.. فإن هناك من أمْر السنة عليها.. فنطق بالحكمة.

ومن هؤلاء الحكمـاء الأوفـيـاء.. سلمـة بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ والذي كان وقوفه إلى جانب أخيه المتهم درسا في ضرورة التثبت قبل الحكم.. حتى لا تشطب بالتسرع تاريخ رجال لهم في الإسلام قدم صدق.

ومن حديثه ـ رضي الله عنه ـ أنه قال:

لما كان يوم خيبر قاتل أخي قتالا شديدا مع رسول الله ﷺ.

فارتد عليه سيفه فقتله.

فقال أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك وشكوا فيه:

رجل مات في سلاحه! وشكوا في بعض أمره.

قال سلمه:

فـقـفل رسول الله صلى الله عليـه وسلم من خيبر. فقلت:

يا رسول الله: إذن لي أن أرجزلك.

فأذن له رسول الله ﷺ:

فقال عمر بن الخطاب: أعلم ما تقول: قال: فقلت:

**والله لولا الله مــــا اهتَــــدينا**

**ولا تـصـــــــدقنا ولا صـلـينـا**

فقال رسول الله ﷺ: «صدقت».

**وأنـزلـن سـكـيـنـة عـلـيـنـا**

**وثبت الأقـــدام إن لا قـــينـا**

**والمشـركـون قـد بغـوا علينا**

فقال رسول الله ﷺ ـ: «صدقت».

قال فلما قضيت. رجزي قال ﷺ من قال هذا؟ قلت: قاله أخي.

فقال رسول الله ﷺ: «يرحمه الله».

قال: فقلت: يارسول الله: إن ناسا ليهابون الصلاة عليه يقولون: رجل مات بسلاحه.

فقال ﷺ: «مات جاهدا مجاهدا» ـ وفي رواية «كذبوا مات جاهدا مجاهدا فله أجره مرتين وأشار بأصبعيه»(١).

---

(١) رواه مسلم ج ١٢، ص ١٦٩، ١٧٠.



## تمهيد

كان عامر بن الأكوع ـ كما روى مسلم ـ رجلا شاعرا وكان رفاقه في الجهاد والسفر يناشدونه أن يسمعهم من رجزه تنشيطا للقوى ـ ليواصل الركب المسير ـ فلا يحس بالألم.

وحدث يوما أن تصاف القوم وكان سيف «عامر» فيه قصر.. ولما قصد به ساق يهودى ليضربه ـ في خيبر ـ رجع ذباب سيفه فأصاب ركبته فمات منه.

قال أخوه «سلمة» رضى الله عنه ـ:

«فلما قفلوا: رآنى رسول الله ﷺ ساكتا.. فقال: مالك؟

قلت له: فداك أبى وأمى.. زعموا أن عامرا حبط عمله.

قال: من قاله؟ قلت: فلان. وفلان. وأسيد بن حضير الأنصارى. فقال: كذب من قاله.

إن له لأجرين.. وجمع بين أصبعيه.. إنه لجاهد. مجاهد».

لقد كان صالح ـ رضى الله عنه ـ جاهدا.. يجهد نفسه فى العبادة.. وكان على أرض المعركة مجاهدا.. يبطل الله به إحساس الكافرين..

كان نجما فى السماء يتجدد نوره.. فلا يخبو وكان المتوقع أن يحسن الظن بهذه القيادة العسكرية الفريدة وفى لحظة من زمان.. وهذا حقه.. على ما يقول الشاعر:

كل شىء له زكـــاة تؤدى
وزكاة الجهـاد.. رحمة مثلى!

ولكن رفاق السلاح لم يرحموه..

وإذا كانوا فى نقدهم اللاذع صادرين عن نية خالصة.. لا شماتة معها.. فقد كان عليهم أن يدركوا أن محاولة النيل من قيادة مؤمنة عمل غير صالح.

لأنه يحقق ماربا من مآرب أعدائنا الذين يقعدون لنا بكل سبيل متخذين من مثل هذا الاتهام دليلا يحاولون به تأييد مزاعمهم.

وضرب القيادات الفاعلة.. حتى تصبح أمة بلا تاريخ.

وإذا سقطت قيادة منا.. وبأيدينا نحن.. فإن ذلك يشكل خصما من حساب قوتنا.. يضاف إلى حساب أعدائنا.

وعندئذ سوف يستنسر البغاث بأرضنا.. وسوف تحاول الأرانب أن تتفاخر بآذانها الطويلة.. وهى ترمق الخيول.. من بعيد!

## ضرورة التثبت

لقد كان على من اتهموا «صالحا» ـ رضى الله عنه ـ أن يدركوا حجم اتهامهم.. وما دام الاتهام خطيرا.. فلابد أن يكون له كفؤه من التثبت قبل التسرع فى الحكم.

وذلك ما تؤكده طبيعة الإسلام التى تقضى:

**فى الغيبيات** : الدليل.

**وفى المحسوسات** : المشاهدة.

**وفى النقول** : توثيق النص.

والأمر هنا لا يعدو أن يكون مجرد وهم..



وكان المتوقع أن يحيلوه إلى ماضى «صالح» العظيم.. ليحسنوا الظن به.

الأخ.. يدافع عن أخيه.

وعلى الفور ينهض سلمة ـ رضى الله ـ ليدافع عن أخيه.. حين عرض القضية برمتها على الرائد الذى لا يكذب أهله ﷺ.. والذى كان عتابه شديد اللهجة إلى الحد الذى دفع بالكذب كل من اتهم «صالحا».

ولا يجيء هذا العتاب من فراغ.. فإن لصالح ـ رضى الله عنه ـ ماضيا يزكيه.. وحاضراً يكفيه!

فهو كما وصفه ﷺ: «مات جاهدا.. مجاهدا».

فكيف يمسح هذا السجل الحافل بجرة لسان؟!

إن اتهام القيادة المؤمنة ضعف للإسلام.. وواجبنا أن ندفع عنها ليبرز الإسلام من خلالها قويا مهابا.

## معنى الكذب هنا

وقوله ﷺ: «كذبوا» لا يعنى الكذب الذى يناقض الإيمان..

وإنما هو الكذب: بمعنى الخطأ. مثلما تقول:

كذب سمعى كذبت عينى.. يعنى توهمت.. فأخطأت.

وقد يكون التعبير بالكذب صدمة للحس الإيمانى ليصحو على مرارة ما ادعاه.

ولله در سلمة ـ رضى الله عنه ـ والذى خف لنجدة أخيه عن طريق رسول الله ﷺ.

وإذا كان إخوة يوسف – عليه السلام – قد اتهموه.. فإن سلمة كان عظيما فى وفائه حين دافع عن أخيه.. فدافع عن كرامته فى نفس الوقت.

ويا ليت قومى يعلمون اليوم..

يعلمون إلى أى حد يركبون الشطط حين يتعقبون القيادات من ذوى قرباهم فى محاولة لضربها.. مع أن نجاحها نجاح لهم.. وعزها عز لهم.

ولقد كان من عدل الله تعالى أن يجبر خاطر المظلومين.. حين يعترف المخطيء بخطئه: إدانة له.. وتبرئة للمظلوم.. تماما كما اعترف إخوة يوسف، وكما اعترفت امرأة العزيز.. بل إن العدل ليأخذ مجراه عندما يضع الله ـ تعالى ـ الظالمين تحت رحمة المظلوم الذى أحوج الله ظالمه إليه.. ثم يكون العفو مسك الختام.

## المسلمون اليوم

كان هذا الموقف.. والجو صاف.. والقلوب أيضا صافية: من شأن هذه السماء الصافية أن تظهر الخطأ.. الذى ينبغى تلافيه.

إن «الرادار» حساس.. لا يسجل الطائرة فقط.. وإنما يسجل حتى الذرة التائهة فى جو السماء.

أما اليوم.. فقد تلبد الجو بالغيوم.. وصدرت الأحكام على الناس والأحداث بدافع من التربص وسوء الظن.

حتى رأينا من يريد جزاء التواضع.. وهو عند الله من المتكبرين.. ومن يرجو أن يكون من ورثة جنة النعيم.. وهو لم يسع لها سعيها.





## واجب المسلمين

أما واجب المسلمين اليوم فهو التسلح بخلق العفو.. فلعل العفو أن يلين قلوبا قاسية..

فلا تشتم من شتمك.. حتى لا تظهر رأيه فيك.. وعجزك أمامه.

ولكن عامله بالصمت على الأقل.. لتستر عجزك.

وأمامك على الطريق رواد.. منهم الأحنف بن قيس.

لقد سكت الأحنف يوما.. فلم يرد على شاتمه.. فقال الشاتم: وا لهفي! والله ما منعه من أن يرد على.. إلا هواني عليه.

ولاحظ كيف يعبر الشاتم عن مشاعره بصوت مسموع.. شاهدا بقدرة العاقل على صدع قلب شاتمه.. بصمته الذي يشبه صمت القمر في سمائه العالية.. حين يقطع رحلته ساكنا.. بينما هو الذي يهيج سكينة البحار مدا وجزرا!

ومن قبل الأحنف كان أبو ذر - رضي الله عنه:

فقد شتمه رجل فقال له:

لا تُغرق في شتمنا.. ودع للصلح موضعا فإنا لا نكافيء من عصى الله فينا بأكثر مما نطيع الله فيه.

ولما شتم هو «بلالا» وضع له خده على الأرض ليطأه.

وما أصدق ما قيل:

ليست الأحلام في حين الرضا

إنما الأحلام في حين الغضب

وإذا بذل سلفنا الصالح العفو فطرة.. طبعا.. لا تطبعا فقد حاول العقلاء من غيرنا أن يريحوا قلوبهم من عناء الغضب والانتقام.. طبق فلسفة قد تفيد في معاملة من تخاصمهم.. فقالوا:

بالمال تستطيع أن تشترى.. «كلبا».

ولكنك لن تشترى به.. «قلبا».

فاستخدم كل جوارحك.. ما عدا قلبك..

عليك أن تريحه من عناء الخصام.. فليس هناك من هو جدير بحبنا.. أو كراهيتنا!

**أما بعد:**

فبعد أن بينا صدق الصحابة في رضاهم وسخطهم.. نجد أنفسنا أمام سؤال يفرض نفسه تلفت به نظر أمتنا وقد غام الجو من حولها: لماذا لا تدافع عن أخيك بظهر الغيب.. حتى تجد من يدافع عنك في فرصة آتية.

إن الله تعالى يقول:

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾(١).

وإذن.. فسوف تحصد من جنس ما زرعت.. وسوف تكتشف في النهاية أنك تلمز نفسك قبل أن تلمز أخاك.. فاشتم من شئت.. فإنما تشتم نفسك.

واضرب من شئت.. فإنما تضرب نفسك.

إنما أنت.. حيث تضع نفسك!.

---

(١) البقرة / ١١٠.





قصة العدد

# القمة الموحشة

للأستاذ/ محمد فريد أبو حديد

إعداد الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

«ستذهب إلى هذا الرجل يا سليمان بن مخلد، وستجلس إليه خاليا أو مع غيرك من أهل هذه الدولة، وستسمع منه، وتفضى إليه بما تراه من رأيك، فاعلم ياسليمان أنك لن تستطيع أن تدرك غوره، وإن خيل إليك أنك تفعل» هكذا كان عبدالملك بن حميد يتحدث إلى سليمان بن مخلد أبو أيوب الموريانى عندما أراد أن يقدمه لأبى جعفر المنصور أمير المؤمنين العباسى.

وكان أبو أيوب شابا حسن الهيئة تلوح عليه الوداعة ويلمع الذكاء فى شعاع نظراته إذا رفع عينيه من إغضائهما. وأجاب الفتى قائلا:

ساكون يا سيدى عندما تحب، وسترضى عن اختيارك إياى، وسأحفظ لك هذا الصنيع ما دمت حيا.

فقال الشيخ ـ وكان فى صوته ما ينم عن الحزن ـ: لست أدرى يا ولدى إن كنت تعرف هذا الرجل وما تكلفك مصاحبته من المشقة. وقد كنت أحاول جهدى أن استميل قلبه وأبلغ عنده ما أحب ولكنها الشيخوخة يا ولدى، الشيخوخة والمرض وضيق الصدر تجمع على فلا أملك نفسى ولا يطيعنى لفظى حتى عرفت أننى ثقلت عليه وتبينت أنه يريد أن يستبدل بى غيرى.

وها أنذا أسبقه فأختارك لتكون عنده بدلا منى حتى لا يختار له كاتبا آخر يهدم علينا كل ما بنيناه ويفسد كل ما ترفقنا فى إصلاحه. ولست أحب أن أخيفك أو أن أخلع قلبك قبل أن تبدأ عملك، ولكنى لا أجد بداًمن أن أفتح عينيك وأجلو بصيرتك لعل الله يكتب لك التوفيق معه. فقال الشاب هادئا:

ـ بارك الله عليك يا سيدى فقد عرفت مقدار برك بى وحدبك على، وليست هذه أول مرة تغمرنى بفضلك وبرك. ولكنى أحسب أننى أعرف الرجل ولا أجد فى نفسى قلقا من التقرب إليه.

فقال الشيخ فى فتور:

ـ تحسب أنك تعرفه؟

فقال أبو أيوب: بل أعرفه حقاً يا سيدى أعرف أنه لا يشبه إذا حلق فى الفضاء وانقض على فريسة وأعرفه كالذئب ينام بإحدى مقلتيه ويسهر بالأخرى وأعرفه كسنان الرمح لا يلين فى طعنته. عرفت فيه هذا وغيره ولكنى لا أجد فى نفسى قلقاً من التقرب إليه.

فقال الشيخ باسماً:

ـ أمروض سباع يا أبا أيوب؟

فقال الشاب باسما كذلك:

ـ ولم لا أكون ياسيدى؟ أنت تعلم أننى من أول من دخلوا فى دعوة هذه الدولة وأننى بايعت آل محمد وكنت من المقربين إلى أبى سلمة الخلال. ولست بعيداً عن قلب الرجل فقد كانت لى عليه يد لا ينساها. فصاح الشيخ عبدالملك.

ـ لك عليه يد؟

فقال سليمان بن مخلد: إذا شئت أن تسميها يدا، كنت كما تعلم كاتباً لسليمان بن حبيب وهو عامل لمروان بن محمد على الأهواز، فأتى خراسة برجل، قالوا عنه: إنه أبوجعفر عبد الله بن محمد العباسى فما وقعت عينى عليه حتى عرفت أنه سيكون صاحب هذه الدولة الجديدة إذا لم يحل الموت دونه. وجعل سليمان يعنفه ويطالبه بما معه من الأموال ويتهمه بأنه اختان الدولة وسلب رعيتها ودعا

بالسياط فضربه أربعين سوطاً. ولكن الرجل كان كما قلت فى وصفه أصلب من سنان الرمح فلم يستطع سليمان بن حبيب أن ينال منه شيئاً. فالقيت بنفسى عليه وحميته بظهرى وأخذت أجادل بن حبيب وأخوفه من دولة بنى العباسى المقبلة وأشعره باليأس من دولة بنى أمية حتى رضى أن يضعه فى السجن ويعدل عن تعذيبه.

فلما سكن الليل حركت الجنود المضرية فاقتحموا عليه سجنه وأطلقوه فأصبح يسير آمنا على طريق البصرة. ألم تكن هذه يدا لى عنده؟

فقال عبدالملك فى اهتمام:

-إذن فالرجل يعرفك يا ولدى. لقد نبهتنى إلى شئ لم أفطن إليه قبل هذا أذكر الآن أنه كان يتجه بى إلى جهتك فى حديثه حتى إذا ما نطقت باسمك وثب إليه وثوبا. ألا ترى أنه رجل لا يسبر غوره؟حتى أنا لم أستطع أن أسبر غوره.

ثم قام وأمسك بيد الفتى وتلفت حوله كأنه يخشى أن يكون أحد فى ركن من أركان الحجرة فيسمع من قوله حرفا. ثم قال هامساً.

- تذكر يا سليمان بن مخلد أننا نخاطر بحياة أمة بأسرها، ماضيها وحاضرها، ومستقبلها. تذكر ما ذاقه قومنا الفرس منذ مائة عام حتى لاحت لنا هذه البارقة من آل محمد. فهؤلاء هم يبذلون لنا الوعود ويظهرون لنا المودة ويعتمدون علينا ويجعلون ثقتهم فى ولائنا، وإذا لم يفسد علينا هذا الأمر كان من اليسير علينا أن نستعيد فى دولتهم مجد أمتنا. ولكن آمالنا كلها معلقة على شعرة، أتفهم قولى؟

كان الفتى يستمع إليه فى لهفة وقلبه يخفق سعيداً بأن عبدالملك بن حميد يتحدث إليه ويثق فيه ويفضى إليه بمكنون أسراره، وقال فى صوت متهدج:

أظننى أفهم ما تقول ياسيدى، ولكنى لا أفهم كيف تتعلق الآمال بشعرة.

فقال الشيخ مرتاحا:

أحسنت فى سؤالك وهذه بشرى تنبئ بأنك جاد فى نيتك أقول إن آمالنا معلقة على شعرة لأن أبا جعفر مثل أخيه الذى سبقه - أبى العباس عبدالله بن محمد ومثل سائر بنى هاشم ليسوا سوى عرب خلص. وإذا كان غيظهم من بنى أمية يجعلهم يلجأون إلينا ويستندون على نصرتنا، فإنهم لن يلبثوا أن ينقضوا عهدنا إذا أحسوا منا خوفا.

ورفع الفتى رأسه فى شئ يشبه الذعر فتلاقت عيناهما فى صمت، ومضى الشيخ قائلا:

فليكن كل همك ألا تقطع هذه الشعرة يا ولدى، بل اجعل همك أن تقويها وتعززها حتى تصير سبباً متيناً يصل بين هذه الدولة وبين أمتنا. هلم تذهب إلى أمير المؤمنين يا ولدى فإنه ينتظرنا ولا ينبغى أن يرانا أحد نطيل حديثنا،سوف ألقاك فى مجلس الخليفة بين حين وآخر، ولكنى سأعرض عنك ولا أظهر لك ارتياحا، ولتكن مراسلتنا سرا ورمزا. وسأختار لك الأمين الذى يحمل رسائلنا، هلم بنا إلى القصر لندرك وقت الصلاة فنصلى العشاء وراءه جماعة.

وخرج الشيخ مع صاحبه فركبا إلى قصر أمير المؤمنين أبى جعفر فى مدينة الكوفة. وهكذا اتصل أبو أيوب أول مرة بالخليفة العباسى الصارم فى أول حكمه عندما كان لا يزال يبنى قواعد ملكه.

وكان أبو أيوب ظريفاً لبقا حلو الحديث كأنه



خلق ليكون صاحبا للملك. كان خبيراً بالكيمياء والطب، حاذقا فى الحساب، اديبا بارعا فى اللغة، وكان فوق هذا عالما بالنجوم يتحدث إليها ويستطلع أخبارها، قديراً فى السحر حتى قالت العامة إنه اتخذ لنفسه دهنا يمسح به وجهه كلما دخل على الخليفة فإذا هو أسلس الناس له قيادا.

وما أسرع ما صار سليمان بن مخلد سيد رجال الدولة واقرب أولياء الخليفة حتى كان أبوجعفر يقول لأمرائه إذا أعدت له مجلساً أنيقاً، إنه لا يجد فى ذلك المجلس متعة إلا إذا شاركه فيه كاتبه أبو أيوب الموريانى.

وهل يستطيع الإنسان أن يكون سوى إنسان؟ كان قلب أبى أيوب عندما دخل على الخليفة أول مرة يحس أنه يحمل معه أمل أمه. كان كما قال له عبدالملك يعرف أن ذلك الأمل معلق على شعرة، وأن عليه أن يقويها ويحميها ويعززها، ولكنه بلغ من المجد مالم يبلغه أحد من رجال الدولة، ونال من بر الخليفة وثقته مالم ينله كاتب ولا وزير فى دولته. ووجد نفسه آخر الأمر يعتلى ذروة شامخة لم يستطع أحد أن يطمح إليها، ولم يجرؤ وزير قبله أن يرقى إليها. أصبح هو العين التى يرى الخليفة بها، والأذن التى يسمع بها واليد التى يحركها إذا أراد بطشاً.

ومنذ بلغ تلك القمة نسى كل شيء إلا أن يحتفظ بمكانته السامية فوقها.

صار كل همه أن يحمى نفسه من المنافسين الذين يخشاهم على نفسه، وأن يحتفظ بثقة سيده الذى أعطاه مالم يعطه ملك لأحد من رعيته.

وبدأ يشعر بالقلق والخوف ويمتلىء بالهم والرهبة. كان يحس فى أعماق حسه المرهف أنه لن يتحرك من ذروته الشاهقة إلا لكى يهوى إلى هوة عميقة. كان ينظر حوله من فوق تلك الذروة التى يتسنمها، فلا يرى إلا خلاء موحشاً ليس فيه أنيس ولا صديق، ثم يلقى بنظرة إلى أسفله فلا يرى سوى غور مظلم بعيد. كان لا يحس فى قلبه سلاماً، ولا يعرف اطمئنانا، بل كان فى مجده شقياً وفى سلطانه العظيم مضطربا خائفا.

كان مثل الثرى الذى تحوى خزانته الكنوز العظيمة، ويقضى أيامه ولياليه فى حراستها دائم القلق والنصب.

ومع ذلك فإنه لم يستطع أن يدفع عن نفسه إرادة القضاء فنفذت إليه المقادير من حيث كان يريد أن يزداد أمنا على مكانته، وهكذا نحن معاشر الأحياء نتجه إلى مصائرنا كأن عيوننا مغلقة، وإن خيل إلينا أننا نبصر، ونتقاد إلى أقدارنا وإن حسبنا أننا نمسك بأعنتها.

كان أبوجعفر قد نقل عاصمته إلى بغداد الجديدة ـ بغداد الصغيرة التى بدأت مثل عدد ضئيل لا يستطيع أحد ممن دخلوا إليها أول مرة يتصور أنها ستبلغ من السعة والعظمة ما بلغته من بعد. كانت عند ذلك لا تزيد على حصن يشبه الدائرة يحيط به نطاقان من الأسوار وفى قلبه قصر أمير المؤمنين مثل النواة فى الثمرة.

وأما أمير المؤمنين المنصور فمقامه فى حجرة تكاد تكون عارية، ليس فيها شىء ما يدل على أبهة الملك أو براعة الفن. وكان يخلو هناك إلى نفسه وإلى هموم دولته الفسيحة كأنما هو أحد السباع الحانقة يتربص فى مكمنه ويجيل بصره فيما حوله ولا يشم إلا رائحة الدماء.





لم يجلس هناك يوم في لهو أو طرب ولم يحيا فيه بسمر أو نجوى صديق كان ينتظر صاحب البريد الذي يحمل أنباء الثورات أو صاحب الشرطة يحمل إليه رقاع الجواسيس الذي يبلغونه الهمسات الخافتة.

وهناك أتى إليه يوما فتى يريد أن يفضي إليه بنصيحة وأبى الإدلاء بها إلى أحد غير الخليفة.

بل إنه أبى أن يفضي بها إليه إلا إذا خلا المجلس من كل من هناك من خاصة رجال الدولة فلما صار وحده مع أبي جعفر رفع إليه عينيه فوجده ينظر إليه كما ينظر السبع الحانق إلى فريسته.

وثارت في قلب الفتى دعوة كما ثارت في قلب الخليفة شكوك كثيرة. فماذا يريد ذلك الفتى الذي لم تقع عينه عليه من قبل؟ أهو أحد البائسين جاء إليه يتعلل بتلك النصيحة ليحاول أن يفتك به؟ ولكن وجهه كان لا ينم على شيء من الشر أو الغدر، فهو وسيم وديع فيه شبه عجيب بصورة مألوفة. فمن يكون؟ وما تكون تلك الصورة المألوفة التي تشبه الطيف في الحلم البعيد؟ وجعل أبوجعفر يتأمل نظرة الفتى وجبينه وأنفه ولونه الأسمر وقامته الفارعة المتينة.

كانت نظرته إلى الخليفة نظرة كلب أليف فيها جرأة وفيها مودة وفيها انكسار وخشوع. فاطمأن أبوجعفر وأحال النظر إلى مودة الفتى مرتاحا كأنه يسبح في حلم غامض بعيد العهد وقال في نفسه: «لا ليس مثل هذا من يضمر الغدر بي».

وقال للفتى:

ـ هات ما عندك يا فتى. من أنت أولا؟

فقال الشاب في صوت خافت به هزة مكبوتة:

ـ أنا ابنك يا أمير المؤمنين.

فقال المنصور في صرخة: ابني!

فأجابه الشاب: نعم أنا ابنك وهذه علامتي.

وأخرج من جيبه قميصا وخاتما وقال:

ـ هذه علامتي.

فاستلقى المنصور على ظهر وسادته كأنه كان مشدودا إلى وثاق ثم انفك منه فجأة وغاب لحظة طويلة في ذكريات قديمة هجمت عليه كما تهجم الأمواج على الشاطئ الصخري في ساعة المد.

إنه يعرف هذا القميص حقا وهذا هو الخاتم الذي أعطاه لزوجته الأهوازية عندما كان يضطرب في الأرض وحيدا طريدا خائفا يتخفى في بيوت أصحابه ويخشى أن تمتد إليه أيدي أعدائه. حقا هذا هو الخاتم الذي خلفه عند امرأته الحسناء ابنة دهقان الأهواز. لقد أنسته الحوادث الجليلة تلك الزوجة المسكينة التي سكن إليها أشهرا قليلة ثم أزعج عنها فغادرها وذهب في الأرض ليستأنف اضطرابه، ويمهد لدولة بني العباس بالعرق والدماء والأشلاء. وتذكر يوم ودعها وهي تتمسك به باكية وتذكره بالجنين الذي يجاور كبدها.

مسكينة تلك الزوجة البعيدة، فماذا كان اسمها؟

لقد نسي اسمها كما نسي الجنين الذي خلفه عندها، وها هو ذا يرى ابنها أمامه شابا فيه ذلك الشبه العجيب من الصورة الغامضة التي لاحت له كأنها شبح في حلم بعيد العهد. وقام فاعتنق الفتى وأسال من دمعه على كتفيه واختفى المنصور العارم المخيف ولم يبق منه إلا الوالد الذي يهزه الحنين.

وكان بينهما حديث طويل أحس فيه الرجل الذي قضى حياته في الصراع والجلاد بأنه عاد شابا طريدا يتوجس خيفة من أنظار الأعداء.





الا ما اعجب هذه المقادير في تصاريفها، وما اضعف القلب البشري في نسيانه! كان عند ذلك لا يملك شيئاً من دنياه ولا يأمن شيئاً على نفسه، وها هو ذا قد أصبح سيد الدنيا ويملأ الآفاق بهيبة سلطانه، ومع ذلك فهو مايزال مضطربا لا يأمن على نفسه شيئاً. أهي سخرية القضاء ان يهب له كل ما كان يطمح إليه ثم يدعه آخر الأمر دائم الطموح والقلق كأنه لم يقبض إلا على خيال.

ودعا صاحبه أبا أيوب المورياني بعد ان قضى حيناً في حديث مع ولده وكان قلبه مازال يشتعل حنيناً وقلقاً. فماذا يقول لوزيره وماذا يقول للناس؟ أيأمن ان يجهر قائلا ها هو ذاك ابني؟

وماذا يقول ابنه محمد المهدي الغيور الذي كان اشد حرصا على ولاية عهده من ابيه على ملكه؟

إنه لو جهر بهذه الحقيقة لادخل على الدولة سبباً جديداً للفتنة وفتح للناس باباً جديداً من الاحاديث، ومن يدري؟ من يدري ماذا يكون وراء هذه الأحاديث وتلك الفتنة؟

وأوصى الفتى قائلا:

ـ لا يسمع أحد منك لفظاً مما قلت لي يا ولدي. ولا يجتمع بك أحد من الناس إلا ان يكون في حضرتي واما هذا الذي بعثت إليه، هذا الوزير أبو أيوب المورياني، فإنه رجل أهوازي مثلك، وستقيم عنده في بيته حتى أدبر لك من بعد هذا أمرا. ولكن السر الذي بيننا لا ينبغي له ولا لغيره أن يعرف منه حرفا. أتعدني؟

فقال الفتى: أسمع وأطيع يا أبي.

ووقعت نغمة صوته في اذن أبي جعفر كأنما هو يسمع نفسه.

وقال المنصور لوزيره عندما اقبل عليه:

اجعل هذا الفتى في بيتك واصنع له ما كنت تصنع لولدي لو بعثت به إليك، وله أن يزورني متى شاء فلا حجاب لاحد عليه، ولكن لا يقترب منه أحد غيري.

وخرج أبوأيوب مع الفتى من القصر خفية حتى بلغ داره. وكان في طريقه صامتاً دهشاً لا يدري أي سر جديد ذلك الذي طرأ على الخليفة بغتة. من هذا الفتى؟ ولم بعثه المنصور إلى بيته ليقيم معه؟ وما الذي يحمله على كل ذلك التستر، وعلى كل هذه التوصية؟ ثم من هو حتى يذهب إلى القصر متى شاء فلا يحجب عنه ولا يؤذن لاحد أن يراه أو يقترب منه غيره؟

ومنذ حل الفتى في بيت أبي أيوب لم يهدأ له بال في ليل ولا في نهار، فكان كل يوم يصابحه ويماسيه لغزاً غامضاً مستعصيا.

كان الفتى لا ينبس بكلمة كأنما هو باب مغلق ينطوي على سر عميق، باب نهاه أمير المؤمنين أن يعرف ما وراءه. إنها القصة القديمة لا تدخل من هذا الباب فيحترق القلب شوقا إلى الدخول، ولا تأكل يا آدم من هذه الشجرة فيخاطر آدم بالخروج من الجنة ويأكل من الشجرة.

وهكذا أحس أبوأيوب. أحس كأنه وهو واقف على قمته العالية ومن حوله الفضاء الموحش ومن تحته الهوة العميقة، يرى شبحا غامضا يقبل عليه فيزاحمه ولا يدري من أين اتى. فماذا يبغي المنصور من وراء إقامة ذلك الفتى عنده؟ أيضمر له كيدا كما أضمر من قبل لابي مسلم وغير أبي مسلم من أوليائه الذين اقاموا له دولته؟



أم هو يطمع في أمواله كما كان يطمع في أموال غيره من العمال الذين يرفع إليه جواسيسه أنهم يخفون كنوزهم العظيمة حيث لا يطلع أحد عليها؟

إن أعداءه كثيرون يتربصون به الدوائر ويحاولون في كل يوم أن يدفعوه عن القمة التي يعتليها، ولكنه يدفعهم عنها ويلقي بهم إلى الهاوية العميقة التي تحف بها. فهل ذلك الفتى أحد هؤلاء؟ وحاول مرة بعد مرة أن يعرف من الفتى أو يكشف عما يكون بينه وبين أمير المؤمنين إليه، فخلا إليه ولكن الفتى كان لا يبيح له أن يتحسس إلى شيء من أسراره.

وهكذا نسي أبو أيوب كل شيء إلا الخطر الذي يلوح له من جانب الفتى الصامت الذي لا يريد أن ينطق له بكلمة. نسي كل شيء إلا نفسه والقمة العالية التي يقف عليها وحده، والهوة العميقة التي تحت قدميه.

وقضى ليلة مسهدة طويلة يفكر في أمر المنصور وذلك الشاب الغريب الذي كان يذهب إليه كل ليلة فيخلو معه ساعة طويلة ثم يعود إليه متستراً بالظلام ولا يقول له فيم كانا يتناجيان، فماذا عليه لو دفع ذلك الشاب المجهول عن قمته التي جاء يزاحمه فيها، ثم يبتدع عذراً يحتال فيه بحكمته كما ابتدع من قبل أعذاراً كثيرة فيمن تخلص منهم من المنافسين.

وكان أبو أيوب بارعا في الطب والكيمياء كما كان بارعا في حساب النجوم. وها هي ذي النجوم تبسم له قائلا «أقدم ولا تتردد».

وأعد في أكوابه وبواتقه جرعة لا يفيق من يتجرعها، ثم أعد معها طعاما من طرف مختارة، وفواكه ممتازة، وحلوى شهية، في ليلة من ليالي الخريف الساجية فلما عاد الشاب من مجلسه في القصر وقف له يخدمه بنفسه وفاء بوصية أمير المؤمنين، ثم تركه وذهب إلى مخدعه ينتظر الصباح في لهفة، فلما طلع الصباح ذهب إلى الفتى على عادته ليقوم على خدمته فوجده على الأرض ميتا وجهه المقلص يدل على ما قاساه من الآلام المبرحة.

وما هي إلا ساعة قصيرة حتى ضجت الدار بالفزع والحزن وانطلقت أصوات الفجيعة من النساء والجواري يندبن الفتى النبيل الذي وافاه الأجل كما يوافي الناس فجاة.

وذهب أبو أيوب مسرعا إلى الخليفة ليحمل إليه النبأ الفظيع وكانت عيناه تدمعان وصوته يضطرب وهو يروي قصة المفاجأة القاسية.

بات الفتى أتم ما يكون شبابا وصحة ثم طلع عليه الأجل في الصباح كما يقتل الصقيع الزهرة وأطرق حزينا ويداه على صدره خشوعا، وكانت تلوح له من وراء غشاء الدمع صورة الفتى وهو يزاحمه على القمة العالية يريد أن يدفعه إلى الهوة التي تحتها. وكاد يصرخ عندما خيل إليه أن شبح الفتى يريد أن يتمسك به لكي يترديا في الهاوية معا:

وسمع المنصور وهو يقول له في صوت أجش كأنه حشرجة قتيل: «أمات حقا فجأة؟».

ونظر إليه أبو أيوب فلم يقو على أن يلقي نظرة عينيه الصارمتين التي تشبه نظرة الفهد الغاضب، فأغضى مرغما وخرج موليا غير متمالك من الخوف، كأن الفهد يثب من ورائه يريد أن ينشب فيه أنيابه.

وقضى أبو أيوب الليلة في سجن القصر مسهداً كما قضى الليلة السابقة في داره مسهداً. ثم دخل عليه الموكلون بالعذاب ليستقصوا منه أمواله قبل أن يقذفوا به إلى الهاوية المظلمة التي تحف بالقمة التي كان واقفا عليها ـ القمة الموحشة.






## من الأدب الإنساني

# القط الأعمى

أبو حسام

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(١).

ما برحت ذاكرتي قصة ... تذكرها العين لقط ضرير
قد سارت الأعوام من خلفها ... وطيفها الماثل ما أن يبير

***

شاهدته عن كثب حائرا ... يشم ترب الأرض كالفاحص
يظن فيها مطعما إنما ... قد بعد الدرعن الغائص

***

الأنف بالإلاتف يوحي له ... بأن في البيت طعاما يفوح
والعين بالعين تنأى به ... عن قصده ، فهو حزين ينوح

***

(١) سورة هود آية ٦.



| | |
|---|---|
| كم يرفع الرأس كمن يشتكى | فإن وهى عن حمله أطرقا |
| له مواء شف عن حسرة | كاد بها الأعجم أن ينطقا |

***

| | |
|---|---|
| مواؤه الضارع مسترسل | تلمس فيه ذلة السائل |
| يحسبه بعطف بعض الورى | لكنه يمضى بلا طائل |

***

| | |
|---|---|
| وربما يصمت فى غفوة | صمتا يدوى حزنه الواضح |
| كالجمر يغشاه الثرى برهة | ووقده من حوله لافح |

***

| | |
|---|---|
| هزاله المر دليل الطوى | ووجهه الجهم دليل الضجر |
| رعشته تنبىء عن خافق | فى صدره لاقى الضنى فانفجر |

***

| | |
|---|---|
| أعمى الورى يفصح عن نفسه | لكنه الأبكم لا يفصح |
| مأساته فاقت مآسى الورى | وما لها من ناطق يشرح |

***

| | |
|---|---|
| فى صدره الزفرة لم تنطلق | إلا تفاريق بمجرى النفس |
| كهائج البركان لم ينفطر | رسا عليه طوده فاحتبس |

***

| | |
|---|---|
| يشم ما يرجو فإن رامه | لم يلق غير الأسف اللاذع |
| كالآل يبدو لامعا إنما | قد ضاع فيه أمل الطامع |

***

| | |
|---|---|
| يفتح جفنا يدلهم الدجى | به فما من قبس يسطع |
| إن بدت الشمس مضت دونه | حسرى طواها ليله الأسفع |

***



قد هان عند الفأر واحترتا ... فحوم الفأر عليه لاهيا
رأى به ذلا فلم يكترث ... وخف في فرحته شاديا

* * *

مقلته الخضراء تحت الدجى ... تشع بالضوء ولا تبصر
جوهرة زيفها حظها ... فما لها من قيمة تذكر

* * *

ينصب من خلف الدجى سمعه ... كمجهر يبرز ما يختفي
صوت الشواء الحلو يجلى به ... لكنه بالصوت لا يكتفي

* * *

يظن ما في الأرض من جنسه ... يشكو الدجى فالليل مستحكم
ظن بربح النفس إذ لا حجا ... برشده ، والرشد قد يؤلم

* * *

بحثت عن كاف له مسعد ... بظلمه أطبق فيها الشقاء
وكدت أستيئس في حيرتي ... لولا يقين ثابت في السماء

* * *

أسأل نفسي ما الذي قد جنى ... وما غناء الكون من بؤسه
يحيا حياة ما استفادت به ... أرغد منها النوم في رمسه

* * *

لعله اعتاد الدجى فاغتدى ... بالفه ذا سلوة وارتضاه
وبت وحدي شاكيا همه ... وذو الأسى مستمرىء ما دهاه

* * *

لا انكسار الرأس في خطوه ... ينبىء عن إحساسه الناقم
وصاحب الإحساس وا لهفتا ... من حسه بين لظى جاحم

* * *

قد يرتقي القط بإحساسه ... إلى سماء القمة العالية
وفي طغام الناس من يرتمي ... إذ يفقد الحس إلى الهاوية



# عَالِمٌ زاهِدٌ.. وتَقِيٌّ ورِعٌ

لفضيلة الشيخ / على محمود أبو الحسن (*)

**بسم الله وصلاة وسلاما على سيد من آمن بالله. وأكرم إنسان دعا إلى الله. وأعظم هاد أوقف الناس على طريق الله سيدنا محمد وآله ومن ولاه واتبع هداه. وبعد:**

فإن لله عبادا فطنا
طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا
أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا
صالح الأعمال فيها سفنا

كان عالما زاهدا، وتقيا ورعا، بهي الطلعة، زكي السمعة، عابدا صوفيا. وزعيما سياسيا. يؤثر دينه على دنياه. فلم يشغله شاغل ولم تلهه تجارة ولا بيع عن ذكر الله. واسع الآفاق غيورا على ما أقر الإسلام من أخلاق.

إذا سمعته قلت: أفصح الخطباء. وإذا قرأته قلت: أكبر الفقهاء. وإذا جاورته قلت: أكرم

---

(*) أمين عام مساعد مجمع البحوث للدعوة والإعلام الديني ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر.




الأسخياء. وإذا عايشته قلت: إمام الأتقياء وشيخ الصوفية الفضلاء. وإذا أردت أن تضعه في مكانه من عصره عدت به إلى عصر العلماء الزعماء. الأبطال العظماء. وإذا تمثلت فيه قول حكيم. فكأنه يقول:

أنا إن عشت لست أعدم قوتا
وإذا مت لست أعدم قبرا
همتي همة الملوك ونفسي
نفس حر ترى المذلة كفرا
وإذا ما رضيت بالقوت عمري
فلماذا أخاف زيدا وعمروا

إنه فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر - رضي الله عنه وأرضاه - نشأ في ربوع الريف من أسرة مشهورة بالصلاح معروفة بالتمسك بشعائر الإسلام. في ظل والده الشيخ محمود على الذي كان شغوفا بالعلم محبا للعلماء. بقرية «أبوحمد» المسماة بدار السلام من أعمال بلبيس محافظة الشرقية، التحق بالأزهر الشريف ينهل العلم عذبا من منابعه في حلقاته الأولى حول أعمدة الجامع المعمور في سنة ١٩٢٣م، ثم ألحقه والده بمعهد الزقازيق الديني بعد افتتاحه للدراسة سنة ١٩٢٥م، فواصل دراسته في جد وعزم، حتى ما كان يترك الكتاب من يده، لا في دراسة ولا في أيام أجازة. حتى نال شهادة العالمية وحقق لوالده آماله وأسمى أمانيه.

ثم آثر الكفاح على الراحة. متطلعا إلى مواصلة الدراسة بالجامعات الأوربية. فشد الرحال إلى فرنسا ليلتحق «بجامعة السربون» في باريس على نفقته الخاصة. زاده التقوى وسلاحه الإيمان. حتى التحق بالبعثة الأزهرية هناك في عام ١٩٣٧ وآثر أن تكون رسالته للدكتوراة في التصوف الإسلامي. وكان موضوعه الذي أحبه شخصية «الحارث بن أسد المحاسبي» فشرب وارتوى حتى غدا حارسا لدينه أسدا في عرينه محاسبا لنفسه قبل أن يحاسب الآخرين.

فلما قامت الحرب العالمية سنة ١٩٣٩م فر من ويلاتها الكثير من زملائه في ديار الغربة. لكنه كان الوحيد الذي أنساه إيمانه بالله وحبه للعلم الخوف على نفسه فآثر البقاء حتى أتم رسالته التي تحدد لمناقشتها يوم ٨ من يونيو ١٩٤٠م فنال الدكتوراه بدرجة الامتياز مع مرتبة الشرف الأولى حتى لقد أصرت الجامعة على طبعها بالفرنسية على نفقتها.

ثم عاد إلى مصر مدرسا بكلية اللغة العربية لمادة علم النفس. ثم عمل أستاذا للفلسفة في كلية أصول الدين سنة ١٩٥١ ثم عميدا للكلية في سنة ١٩٦٤ ثم عضوا بمجمع البحوث الإسلامية ثم تولى أمانة المجمع ليقوم بإعادة تنظيمه، فما لبث أن جعله مؤسسة عالمية تقوم على حراسة الثقافة الإسلامية وتجديدها ثم تجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب للسياسة والمذهب فنظم أروقته وعزز في العالمين






**الشيخ/ عبدالحليم محمود مع الرئيس الأمريكى جيمى كارتر فى البيت الأبيض**
**خلال زيارته للولايات المتحدة الأمريكية فى ١٩٧٧/١١/١٥**

مكانته وعقد مؤتمره المؤلف من كبار علماء العالم الإسلامى.

ثم والى انعقاده وأصدار قراراته واهتم بتنفيذها فى قوة وعزم لا تثنيهما قلة المال ولا محاصرة الظروف وفى سنة ١٩٧٠ صدر قرار جمهورى بتعينه وكيلا للأزهر فزادت أعباؤه التى ضاعف لها جهوده فى القيام بخدمة الدعوة الإسلامية فى الداخل والخارج وإعلاء راية الأزهر خفاقة فى ربوع الدنيا بالإذاعة المسموعة والمرئية داخل وخارج الحدود ثم كانت نهاية المطاف حيث استقر فى المكان الطبيعى الذى أعدته له وللمسلمين العناية الإلهية. بصدور قرار تعيينه شيخا للأزهر فى ٢٧ من مارس سنة ١٩٧٣ بعد قضاء فترة وجيزة وزيراً للأوقاف.

طاف - رحمه الله - بالدعوة الإسلامية إلى الله على بصيرة وهدى فسافر إلى العراق بدعوة من حكامها ثم إلى دمشق فى أحد مؤتمراتها ثم إلى تونس محاضرا بجامعاتها،

ثم إلى ليبيا أستاذا زائراً للجامعة الإسلامية بها وكذلك أستاذاً زائراً بكل من أندونيسيا وباكستان والسودان، ثم إلى ماليزيا لتنظيم شئون المسلمين بها، ثم إلى الكويت لإلقاء بعض المحاضرات في شهر رمضان، ثم إلى الإمارات العربية لافتتاح الموسم الثقافي سنة ١٩٧٤، ثم إلى ماليزيا مرة أخرى بدعوة من حكومتها وقد أشهر يومذاك على يديه أربعة آلاف مواطن مسيحي إسلامهم، ثم سافر إلى يوغوسلافيا، ثم الهند، ثم لندن لحضور مهرجان العالم الإسلامي، ثم إلى مكة المكرمة لحضور مؤتمر رسالة المسجد في ١٦ ابريل من سنة ١٩٧٦ ثم إلى تشاد لافتتاح المؤسسة الإسلامية الكبرى بها، ثم كانت رحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت مثار حديث صحافة وإذاعات العالم، واستقبل كزعيم ديني كبير في البيت الأبيض الأمريكي في ١٥/١١/١٩٧٧ وكان في استقباله الرئيس الأمريكي بنفسه.

لقد كان - رضي الله عنه - على دراية كافية وغيرة وافية بقضايا أمته. يسعى في آمالها. ويبكي لآلامها. ملما بأحداث الأمة الإسلامية عامة. وكان يعرف لهذه الأحداث دوافعها فما يقع خلاف بين دولة إسلامية وأخرى إلا وسارع بإصدار البيانات باسم الأزهر الشريف بيت الأبوة الروحية للمسلمين ويستضرع في الحكام أن يسارعوا إلى وقف نزيف الدماء. ثم المناداة بفريضة الإصلاح بين المتخاصمين عملا بقوله - تعالى -:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾(١).

ثم كان يعرف لعدوة خبثه وحقده على الإسلام والمسلمين فكان يخطط بحكمة لإبطال كيده ورده إلى نحره. فكم واجه وهو الرجل الصوفي مؤامرات الشيوعية حتى ضربها في مقتل حينما جمع آراء المذاهب والطوائف.

ودون فتاوى جميع المؤسسات الدعوية والبحثية في كتيب باسم الأزهر يحمله جميع الناس في يسر للحصول عليه، يبين فيه الحكم بردة الشيوعي التي يترتب عليها طلاق زوجته وعدم صحة إرثه أو الإرث عنه. وعدم جواز الصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين، سمعناه يصرخ في وجوههم ونحن طلاب بالجامعة وفي مؤتمر بقاعة الإمام محمد عبده يقول بكل صراحة وقوة: «إن مثل الشيوعي كالكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث».

---

(١) الحجرات (٩)



لقد عرف الرجل بقيادته الواعية ومواقفه المبدعة وريادته المبصرة الصانعة وحجته المانعة. من خلال أخلاقه المثالية وفلسفته الصوفية وبلاغته العربية، وغيرته الإسلامية، وهيبته المهابة، مما ساعده على أن يقف مواقف الأبطال في صياغة الحق وإزهاق الباطل. فكم صدَّ وردَّ وأقام الحدَّ في مواقف الجدّ، حتى هابه العظماء، وتصاغر أمامه الكبراء، وأحبته قلوب العلماء، وغدا بحق الأب الروحي للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بعد غروب شمس الخلافة الإسلامية، كتب وحقق، ونشر وألف، بالعربية وغير العربية ما يعجب الإنسان من أجله. كيف تم هذا؟ ومتى؟

والمشاغل كثيرة والمهام كبيرة ووفيرة والأيام قصيرة؟ لكنه الإيمان ونور البصيرة، حتى نيف على سبع وستين ٦٧ كتابا كان آخرها كتاب «الحمد لله هذه حياتي» كأنه كان يعرف نهاية حياته ودُنو أجله. [طبع دار المعارف سنة ١٩٧٦].

نعم جد وكد، وسعى ودعا، وصان ورعى، وأعطى حتى أغنى، وعشق ربه حتى أبلغه الغاية وبلغه المنى، بعدما بلغ الأزهر المعمور المجد والسنا، حتى أطل على الناس فجاة صباح يوم بغيض، غصت فيه الحلوق بالحسرات وامتلأت القلوب بالزفرات، وفاضت العيون بالعبرات.

وكان يوم الفراق يوما عصيباً
شاب فيه الصغير شيبا طويلا
ليتني قبل ما قد بدا لي
في رؤوس الجبال أرعى الوعولا
كل عيش وإن تطايب حينا
فقصارى أيامه أن يزولا

وغاب عن أسماعنا من كان ملء الأسماع والأبصار، وملتقى الخواطر والأفكار والأمل الممدود بالليل والنهار بعد عودته من الأراضي المقدسة، حيث أحس ببعض الآلام فداعبها بالصبر الجميل كعادته ولكنها اشتدت عليه فأشار عليه الأطباء بإجراء عملية جراحية عاجلة فأمهلهم حتى صلى ركعتين خاشعتين ودع بهما الدنيا إلى الآخرة فلقي ربه راضيا مرضيا بمستشفى الشبراويشي صبيحة يوم الثلاثاء الخامس عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٣٩٨هـ الموافق السابع عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٧٨م وكان آخر ما نطق به لسانه الطهور: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» [والله حق»] طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه، وجمعنا معه في دار رضاه يوم نلقاه. وإنا لله وإنا إليه راجعون.





# مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

**لا نشك فى أن الأمة الإسلامية تستشعر اليوم مسئوليتها الكاملة تجاه القضايا المعاصرة والمستقبلية المطروحة على ساحتى الفكر والواقع العالميين، حيث امتد الاهتمام ليشمل العلوم والتقنيات المتقدمة، على نحو ما نلحظ فى الخطاب السياسى، وفى المقالات والندوات والمؤتمرات وغيرها من وسائل التعبير. لكن هذا كله لم يؤد حتى الآن إلى حصاد ملموس، ولم يترجم بعد إلى سياسة علمية وتقنية واضحة المعالم، وبرامج ومشاريع محددة الأهداف، وآليات إدارية وتنفيذية متطورة.**

من هنا تأتى أهمية الحديث عن نهضة علمية إسلامية من خلال إتاحة الفرصة أمام علماء الأمة ومفكريها ليسهموا بتقديم رؤاهم وأفكارهم فى رسم صياغة الإطار الفكرى والعملى لاستراتيجية إسلامية طموحة تلبى حاجيات الأمة لمواجهة تحديات القرن الحادى والعشرين وتدفعها إلى الإسهام فى حضارة العصر بنصيب يتناسب مع تاريخها المجيد.

## تشخيص الواقع العلمى فى ظل العولمة

يتحدثون الآن عن «العولمة» أو «الكوكبية» Glopalization باعتبارها السمة المميزة لحضارة العصر المادية فى سعيها إلى الهيمنة وفرض النموذج الغربى سياسيا واقتصاديا وثقافيا وعلميا.

والحقيقة أن صياغة تعريف جامع مانع - كما يقول المناطقة - لمصطلح «العولمة» ليس بالأمر اليسير نظراً لتعدد مفاهيمه التى تتأثر كثيراً بتعدد الاتجاهات إزاءه رفضا أو قبولاً بدرجات متفاوتة. فهناك من لا يرى فى «العولمة» إلا بعدها المكانى، ويعرفها بأنها مجرد وصف لمجموعة من العمليات التى تشمل أغلب الكوكب، أو التى تشيع على

(*) عميد كلية العلوم جامعة القاهرة.

مستوى العالم، وهناك من يرى أن «العولمة» تعنى فقط حالة التداخل المكثف فى العلاقات بين دول العالم على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية والايديولوجية وغيرها، وذلك نتيجة الإنجازات العلمية والتقنية فى مجالات الاتصالات والمعلوماتية وصناعة المعرفة خلال العقد الماضى، بعد أن توفرت القدرة على اختراق الحدود من خلال الفضائيات التى حولت العالم إلى «غرفة كونية صغيرة»، لكن مهمة إيجاد صيغة محددة لوصف كل هذه العمليات والأنشطة تبدو عملية بالغة الصعوبة. وحتى لو تم التوصل إلى مثل هذه الصياغة المحددة، فإنها فى الأغلب لن تحظى بالقبول أو الاستعمال على نطاق واسع.

والأفضل - فيما نرى- أن يتم تعريف «العولمة» بتحديد أهم خصائصها وصفاتها ومظاهرها التى تدل عليها، ويمكن - من جانبنا - أن نجسد هذه الخصائص والصفات بصورة إجمالية فى أمرين مهمين جداً:

- الأمر الأول نستشفه من تحاشى أنصار «العولمة» وبعض فلاسفتها إدخال الدين ضمن مجالات نشاطها، فهم يحصرونها بصورة رئيسية فى مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة، وفى بعض الأحيان يدرجون مجال العلم والتقنية.. وهم بهذا الاختزال المقصود، يجعلون منها «علمانية» جديدة تستبعد الدين من دائرة التأثير.

- الأمر الثانى هو ذلك التحيز الواضح الذى يصل بالمشايعين «للعولمة» إلى درجة التعصب وفرض الهيمنة والسعى إلى اختراق خصوصيات الغير وطمس القسمات التى تتشكل منها شخصيات الأمم والشعوب الأخرى، وخاصة المستضعفة منها. وهم يسخرون من أجل هذا كل إمكانات النموذج الغربى العلمية والتقنية، وقدراته الاقتصادية والإعلامية، بل وقوته العسكرية إذا اقتضى الأمر، ليفرضوا تصوراتهم الخاصة عن السلام والأمن والحرية وحقوق الإنسان، وغير ذلك من المفاهيم التى لها عند كل أمة، بل عند كل توجه فكرى وسياسى، تصور خاص.

وهذان الأمران اللذان يجسدان أهم خصائص العولمة الغربية ومظاهرها التى تدل عليها قد صاحبهما خلال السنوات الأخيرة ظهور اتجاهات نقدية جعلت كثيرا من الشعوب، بل الحكومات، فى الغرب نفسه، تخشى هذا الخطر القادم وترفض الاستجابة لدعواته والانخراط تحت لوائه، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل ظهرت حركات فكرية مضادة للعولمة داخل الولايات المتحدة الامريكية ذاتها، وفى الوقت نفسه تحاول هذه الحركات تقديم البديل للعولمة.

من ناحية أخرى، يتفق دعاة العولمة الغربية على اعتبار الإسلام فى مقدمة الأخطار التى تواجههم أو تقوض أركان دعوتهم فى جانبها «الايديولوجى».

وقد ظهرت عقب انهيار الشيوعية كتابات وبحوث ومقالات تحذر من الإسلام على أنه الخطر الجديد. وفي المقابل، هناك بعض المعتدلين الذين يصفون الإسلام بمبادئه وقوته الروحية، ولا يجدون غضاضة في التعامل معه ومع أتباعه من خلال الحوار، ولا مانع لديهم من أن تكون الغلبة لمن يصلح للبشرية حتى ولو كان هو الإسلام.. فهم يرون البون واسعا بين «عالمية النموذج الإسلامي وحضارته» وبين «عولمة النموذج الغربي المعاصر»، حتى وإن حاول الغرب أن يضفي على تصوراته طابعاً إنسانياً، ويرفض أي نوع من الاختلاف حول هذه التصورات.

وفي ضوء هذا الإطار العام للفكر العالمي السائد نجد أن العلم أيضا لم يسلم من السقوط في أسر أيديولوجيا العولمة، فقد تحول البحث العلمي إلى سلطة سياسية مرتبطة بنفس الأيديولوجية، وأصبح «العلم السرّي» Secret Science تعبيراً عادياً يبرر استثناء بعض مجالات البحث العلمي من «قانون حرية المعلومات» بحجة أن هذه المجالات مرتبطة بالمركز التنافسي الاقتصادي وبالأمن القومي، الأمر الذي يؤدي إلى تخلف العلم نفسه في بعض الميادين.

كذلك أصبح العلم سلعة وموضوعاً للإنتاج في صناعة جديدة هي «صناعة المعرفة» التي حلت تدريجيا محل المادة في الإنتاج.. الأمر الذي جعل مكانة المواد الأولية الطبيعية أكثر تدهوراً لأن الحاجة إليها تقل تدريجيا، وهذا ينعكس سلبا على حركة التقدم العلمي في الدولة التي تلهث وراء تقنيات جديدة تحتكر العولمة إنتاجها. ومن الأمثلة الصارخة على الخلل الذي أحدثته العولمة في توجيه مسيرة العلم والتقنية مشكلة التلوث البيئي التي تزداد تفاقما يوما بعد يوم، وأصبحت خطراً قائما يهدد حياة الإنسان في كل مكان على الأرض، وينذر بأوخم العواقب.

وإن الفاحص المدقق لواقع الأمة الإسلامية الآن لا يجد صعوبة في تشخيص هذا الواقع وتقييمه من مختلف الجوانب، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية وغيرها، مقارنة بالأحوال المناظرة في دول العالم المتقدم، الأمر الذي يتضح معه أن فجوة التخلف العلمي والتقني التي تفصل بين دول العالم الأول ودول العالم النامي فجوة هائلة تزداد اتساعاً يوما بعد يوم ويعتقد الكثيرون أن سد هذه الفجوة، أو حتى تقريبها، يكاد يكون مستحيلاً.. ويروج البعض لما يقول به الغرب من أن حالة التخلف التي يعيشها المسلمون نتيجة طبيعية لارتباطهم بالإسلام، وأن ما يقاسونه اليوم عقوبة يستحقونها لانسلاخهم عن الغرب، خاصة وأنه يزعم أن حضارته وتصوراته وثقافته هي المعيار الذي يجب أن يقاس عليه الحال عند الأمم الأخرى، فكل ما وافق الفكر الغربي اعتبره الغرب حضارة وتقدما، وكل ما

خالف نظامهم وصف بالتخلف والبعد عن الحضارة، ولما كان التركيز منصبا بصورة رئيسية على العداء لدين الإسلام وحضارته، فإن العولمة الغربية تسعى بكل السبل إلى تدمير النموذج الإسلامي، وتستخدم في المجال العلمي أساليب عديدة منها:

١ ـ إضعاف نظام التعليم في العالم الإسلامي وجعله مجرد وسيلة للحصول على شهادة متوسطة أو عليا لا تعبر في أغلب الأحوال عن المستوى الذى يناظرها في الدول المتقدمة، ولقد فقد نظام التعليم في جميع مراحله القدرة على إعداد متخصصين أكفاء قادرين على المنافسة العالمية في المجالات العلمية: النظرية والتطبيقية.

٢ ـ نشر ثقافة التغريب التي تدعو إلى تهميش دور الدين وإبعاده عن دائرة التأثير وإحداث قطيعة معرفية مع الماضي، والترويج لفلسفة العلم الغربية.

٣ ـ تحجيم البحث العلمي والحد من انطلاقه بحيث لم يتناسب العائد منه كما وكيفا مع الإمكانات والقدرات والأموال التي تنفق دون ترشيد، بالرغم من آلاف الخريجين ومئات الجامعات والمعاهد والمراكز المتخصصة الموزعة في مختلف دول العالم الإسلامي.

## مواجهة التحديات العلمية والتقنية

إذا ما قبلنا هذا التشخيص لحالة العلم والتقنية في ظل العولمة فإنه يمكن تحديد صور التحدي التي تواجه الأمة الإسلامية بصورة إجمالية فيما يلي:

١ ـ على المستوى الفكري لابد من تفنيد المزاعم المعادية للإسلام دينا وتاريخا وحضارة، والمروجة لاتساع الفجوة العلمية والتقنية واستحالة اجتياز حالة التخلف العلمي والتقني التي تعيشها الأمة الإسلامية استنادا إلى الفهم الواعي لطبيعة التقدم العلمي والتقني الذي يسير في شكل موجات أو أجيال، إذا فاتنا الإسهام في جيل منها، فلا يعني هذا أننا لا نستطيع اللحاق بالأجيال التالية.. وهناك مجالات يمكن أن تحقق الأمة فيها تفوقا على غيرها إذا ما أحسنت الإفادة من الثروات والإمكانات المتوفرة لديها فالأمة الإسلامية تمثل ربع سكان العالم تقريبا، وتشغل أكثر من ربع مساحة اليابسة في موقع متوسط من العالم يمتاز بسهولة الاتصال وتعدد الثروات وتكامل التضاريس والمناخ وتنوع مصادر المياه، ويطل على مسطحات مائية عديدة، كذلك يمتلك العالم الإسلامي حوالي ٧٥٪ من احتياطي النفط العالمي، وأكثر من ٢٥٪ من احتياطي الغاز الطبيعي، بالإضافة إلى حوالي ١٪ من احتياطي الفحم، ونسبا متفاوتة من المواد المشعة، ومعادن القصدير، والكروم، والمنجنيز، والرصاص، والزنك، والحديد، والنحاس، والألومنيوم، والكوبالت، والنيكل، والذهب، والفضة، وأملاح الفوسفات، والصوديوم، والبوتاسيوم، والكالسيوم، وغيرها.




وفي الوقت الذى تعاني فيه البشرية الآن من مشكلات التلوث البيئي ونضوب مصادر الطاقة التقليدية واستنزاف الموارد الطبيعية، نجد أن الأمة الإسلامية قد حباها الله - تعالى - شمساً ساطعة خلال أغلب أيام السنة، بالإضافة إلى السيليكون المتوفر في مساحات شاسعة من الرمال، وهذان مصدران مهمان من مصادر الطاقة النظيفة والصناعات الإلكترونية الدقيقة، بالإضافة إلى مصادر الطاقة المائية والهيدروجينية والهوائية (الرياح) وغيرها.. ناهيك عن وجود مساحات شاسعة من الأراضي البكر الصالحة للزراعة.

٢ - لاشك أن إصلاح مناهج التعليم لإعداد الباحث الجيد يعتبر من التحديات التي تحتاج إلى مواجهة تأخذ في الاعتبار طبيعة المجتمع الإسلامي وقيمه، إلى جانب الاسترشاد بالنماذج الناجحة في الدول التي مرت بنفس ظروفنا، ومتابعة برامج الإصلاح لمختلف عناصر العملية التعليمية والبحث العلمي وهي: المحاضر (المعلم)، والمتعلم (الطالب أو المتلقي)، والمنهج الدراسي (المقرر والمراجع)، ومكان الدرس والبحث والتدريب (المدرج، والمدرسة، والمعمل أو المختبر) وما يلزم ذلك كله من معدات وأجهزة وأدوات وتمويل، وينبغي عدم إغفال العلاقة المتبادلة بين هذه العناصر أخذا وعطاء لتفعيل دورها في خدمة وتنمية المجتمع الإسلامي.

٣ - كذلك يشهد واقع البحث العلمي في الجامعات ومراكز البحوث - على كثرتها في العالم الإسلامي - بأن الوقت والجهد يضيعان سدى - ناهيك عن الأموال بسبب غياب الإدارة العلمية الجيدة للتخطيط والتنسيق بين الباحثين أنفسهم، فضلا عن غيابها بين مختلف المؤسسات العاملة في ميدان البحث العلمي والمتصلة به، والحقيقة أن غياب هذا العامل المهم يأتي في مقدمة الأسباب التي تحول دون نهضة علمية إسلامية متكاملة ويمكن التغلب على هذه العقبة بإنشاء «اتحاد علمي إسلامي» يضع السياسات العلمية والتقنية الدقيقة والمستقرة من واقع الإمكانات المتاحة للأمة الإسلامية، ويعمل على تحقيق التكامل بين البرامج العلمية الإقليمية، ويقضي على العزلة القائمة حاليا بين العلم الإسلامي والعلم العالمي، ويسهل متابعة كل ما يستحدث في مجال إنتاج المعرفة واستخدامها.

وهذا كله يتطلب بطبيعة الحال توفر الإرادة القوية، بالإضافة إلى توفير رعاية مالية سخية من القادرين، أفرادا ودولا ومؤسسات، خاصة وأن العلم في عصرنا أصبح صناعة ثقيلة ومكلفة تنفق عليها الدول المتقدمة بسعة وبذخ.

«يتبع»





# موكب الشهداء













# الفكر التلمودى
# فى الوجدان اليهودى



للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

**إن ما نراه اليوم على الساحة الفلسطينية، وما يقوم به جيش الدفاع الإسرائيلى من إبادة للشعب الفلسطينى على مرأى ومسمع من العالم أجمع وهذه الغطرسة التى فاقت الحدود، لم تأت من فراغ، ولم تكن وليدة الظروف، ولكنها خلاصة فكر توارثوه عبر الأجيال من كتاب إرهابى صهيونى وضعه وبث السموم فيه تجاه كل الأغيار، غير اليهود، ألف حاخام، واستغرق تأليفه أكثر من خمسمائة عام!! ويعتبره اليهود الشريعة الشفوية التى نزلت على موسى ـ عليه السلام ـ ويعادل بل ويعلو على الشريعة المكتوبة لديهم وهى «التوراة»، إنه كتاب «التلمود».**

وكى يقنع الحاخامات جمهور اليهود بالتلمود، فقد بذروا فى نفوسهم عبر الأجيال أن كلام الكهنة يُطاع طاعة عمياء، وأن مخافة الحاخامات هى مخافة الله.

والحقيقة التى يجب الإشارة إليها أن الذى جمع اليهود منذ قديم الزمان وحديثه هى التوراة، بالإضافة إلى الرباط الوثيق بين «حرب إسرائيل» و«رب إسرائيل»، فالحرب فى عقيدة بنى إسرائيل عمل مقدس، وبقاء إسرائيل مرتبط بدق طبول الحرب، فهى الرباط المقدس الذى يجمعهم، وبسببها تذوب الخلافات، حتى المستعصية منها.

وقد سبق أن قال (بن جوريون): «إن جميع الحروب التى خاضتها إسرائيل هى حروب مقدسة: الأولى لتحرير الأرض والثانية لاستمرار الدولة والثالثة تحقيقا لنبوءات أنبياء إسرائيل...». فإسرائيل دولة حرب بحكم عقيدتها الدينية وارتباطها توراتيا وتلموديا بفكرة تفوق الجنس اليهودى على كافة ما عداه من أجناس.

فقد ورد فى التوراة التى بين أيديهم:

«لأن الرب إلهكم سائر معكم لكى يحارب عنكم أعداءكم ليخلصكم... ولتكن حربكم مقدسة».(١)

وكذلك فى نفس السفر:

«حين تقترب من مدينة لكى تحاربها... فلا تستبق منها نسمة واحدة».(٢)

وإذا اعتبرنا أن كتاب التوراة الموجود بين أيديهم الآن والذى تم تدوينه فى عهد عزرا، لم يسلم من التحريف والتبديل، وهذه التوراة هى حلقة واحدة فى سلسلة طويلة من الكتب والأحاديث والأفعال المقدسة، وتحتل مكانة هامة فى وجدان اليهود الدينى وأنها عروس الله التى تجلس إلى جواره على العرش. وقدسية التوراة المكتوبة لا حدود لها، فما بالنا بقدسية التوراة الشفوية بالنسبة لهم وهى «التلمود» الذى أصبح المعيار الأساسى فى الوجدان اليهودى.

وقد انعكس هذا الفكر التلمودى على الأدب العبرى الحديث، حيث نرى فى رواية (يعيش)

(١) سفر التثنية: ٢٠ : ٤.

(٢) سفر التثنية: ٢ : ١٠.




للأديب الصهيوني حاييم هزاز، وهو يعترف بالضغينة الدينية في نفوس اليهود ضد جميع الشعوب فيقول على لسان أحد الفتيان في مجتمع للهو والمجون:

«لو أراد الله لاستطعنا حشد قوة كبيرة، ومن جميع أنواع الأسلحة، ونمتطي ظهور الخيول والبغال، ونركب السفن في البحر الكبير ونحتل المدن والبلدان، ويهرب أمامنا جميع الشعوب كالجراد».(٣)

وإذا أردنا أن نتحدث عن التلمود، فلا بد أن نتعرف أولاً على «المِشْنا»(٤) و«الجمارا»(٥).

والعهد القديم «التوراة» الموجود بين أيديهم مكتوبا يطلقون عليه «مقرا» من قرأ، أما «المِشنا» فهي الشريعة الشفوية التي تتناقلها الألسن؟، وهي تكرار شفوي لشريعة موسى - عليه السلام - كما يدعون.

وتُعد المِشنا مصدرا من مصادر الشريعة الأساسية لديهم، وتأتي في المقام الثاني بعد العهد القديم. وقد تم جمعها على مدى ستة أجيال (١٠ - ٢٢٠م).

**وتتكون من ستة أقسام:**

١- كتاب «زراعيم» ويعني بالزراعة والحاصلات الزراعية ونصيب الحاخام من المحصول.

٢- كتاب (موعد) ويعني بالأعياد.

٣- كتاب (ناشيم) أي النساء، ويتعلق بالزواج والطلاق.

٤- كتاب (نزيقين): أي الأضرار. وفيه كل سمومهم تجاه الأغيار من بيع ومبادلة وربا وغش واحتيال.

٥- كتاب (طهاروت): ويعالج أحكام الطهارة.

٦- كتاب (قداشيم) أي المقدسات.

وهو عن الشرائع الخاصة بالطقوس وخدمة الهيكل.

ومن العجيب أن العهد القديم (التوراة) والمشنا والجمارا لم تشف غليلهم؛ فقاموا بتأليف (التلمود) وبثوا فيه سمومهم.

وهو أهم الكتب الدينية على الإطلاق، موسوعة كاملة بها كل ما يتعلق بهم من دين وشريعة وتاريخ وأدب وعلوم طبيعية وزراعة وصناعة ومهن وتجارة وربا وميراث وضرائب وفلك وتنجيم، وباختصار وضع اليهود جميعا في قالب لا يحيدون عنه. وتم الانتهاء من كتاب التلمود في القرن الخامس، أي أن تأليفه استغرق أكثر من ٥٠٠ سنة، ويبلغ عدد صفحاته ستة آلاف صفحة في كل منها ٤٠٠ كلمة، وأن ألف حاخام

---

(٣) حاييم هزاز: رواية (يعيش) جـ١ ص١٩٢ (مصدر عبري).

(٤) كلمة (مِشنا) مشتقة من الفعل العبري (شاناه) معناه يثني أو يعيد تكرار الشيء، ومن الفعل الآرامي (تانا). راجع د. عبدالوهاب المسيري: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص٣٦٥.

(٥) الجمارا: من الفعل العبري (جامر) بمعنى أنهى أو أتم أو ختم، وهي اسم عام لكل كتاب من كتب التلمود التي تضم فصول المشنا وتفاسيرها، وكلمة جمارا: كلمة آرامية أيضا وتعني الاكمال.




اشتركوا في تأليفه، وهو التلمود البابلي. وقد تمكنت الحاخامية اليهودية التلمودية من السيطرة على اليهود بالإضافة إلى تأكيد النزعة الانعزالية المتعالية.

وهناك التلمود الأورشليمي (وهو مجموعة الأحكام الفقهية وتفاسير المشنة التي وضعها حاخامات إسرائيل وخصوصا حاخامات طبريا وتسيبوري، وقد تم قبل التلمود البابلي بمائة وخمسين سنة أي في عام ٣٧٥م).

وكلاهما مكوّن من المشنا والجمارا، ووجه الاختلاف بينهما في الجمارا.[٦]

كما تطلق كلمة «التلمودية» على علية الربانية، وهم يضفون القداسة على التلمود وينزلونه من أنفسهم منزلة أعلى من منزلة التوراة عند جمهور اليهود، وعندهم أنه روح الشعب هي التي أهلت «موسى» ـ عليه السلام ـ لتلقي الألواح في سيناء، وهو جهد اليهود في إقامة الدين المقابل للجهد الإلهي المتمثل في تنزيل التوراة.

والتلمودية هم شراح التلمود ومفسروه، وهم الفقهاء العارفون ببواطن التلمود الخفية، وتأويلاتهم نبوءة مفتوحة.[٧]

## لغـــة التلمـــود

تتصف لغة التلمود بالغموض في نصوصه وتفاسيره لما يحتوي عليه من حشو ومغالطات وأكاذيب ومهاترات، كما يحتوي على عبارات كثيرة تدعو للتفرقة العنصرية، وكل ذلك نشأ من ميل العلماء منهم إلى جعل التلمود طلسما من الطلاسم لكي يستغلوا العامة.

وقد نشأ هذا الحشو والغموض نتيجة أن التلمود ليس من وضع مؤلف واحد أو لجنة من المؤلفين، كما أنه لم يوضع في عصر واحد، كما أن مؤلفي التلمود كانوا رجالا من مختلف الأقطار لا يتفقون في اللغة، إذ كان بعضهم يعرف الآرامية والبعض الآخر يعرف العبرية أو الفارسية أو اليونانية، فالتلمود تنقصه الوحدة اللغوية القواعد النحوية.[٨]

والشعب مقدس، والتوراة مقدسة، والتلمود مقدس، والأرض مقدسة واللغة مقدسة، وكل شيء لهم وبهم، حتى المولى ـ سبحانه وتعالى ـ خاص بهم وحدهم وعليهم أن يحتفظوا بجنسهم، وهذا هو الأساس في فكرة عدم التبشير عندهم.[٩]

كما أن الحلولية من خصائصهم فقط، بمعنى أن روح الله لا تحل إلا في الشعب اليهودي المقدس، وأن العالم أجمع بالنسبة لهم عالم مُدنَّس.

وبعد ظهور المسيحية سيطرت أسطورة الشريعة الشفوية سيطرة تامة على اليهود، وأصبح معادلا للتوراة المكتوبة إن لم يكن أكثر منها قداسة، وقد لقبوه بالتوراة الشفوية.

---

(٦) د. عبدالوهاب المسيري: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص١٤٦.

(٧) د. عبدالمنعم الحفني: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ١٩٨٠م - دار المسيرة، بيروت، ص٨٦.

(٨) أ. سيد عاشور: (مركز المرأة في الشريعة اليهودية) ص١١٢ - ١١٣.

(٩) أ. سيد عاشور: (اليهود في عصر المسيح) ١٩٩٢/ ص٩٠.

● **وقد قال أحد الحاخامات:**

«يا بنى كن حريصا على مراعاة أقوال الكتبة [أى الحاخامات مؤلفى التلمود] أكثر من حرصك على أقوال التوراة، لأن أحكام التوراة تحوى الأوامر والنواهى، أما شرائع الكتبة فإن من ينتهك واحدة منها يجلب لنفسه عقوبة الرب».

وإفرازات اليوم هى نتاج مفاهيم الأمس، وما ينفذه اليهود عملياً على الساحة الفلسطينية، ما هو إلا تجربة عملية لنظريات تلمودية يؤمنون بها أكثر من إيمانهم برسولهم موسى ـ عليه السلام ـ، وهو برىء منهم ومن كتبهم وأفعالهم.

وقد نغضب حين نرى تطاولهم على الدين المسيحى أو الإسلام.

فما بالنا بقوم قد تطاولوا على المولى ـ سبحانه وتعالى ـ.

واستأذن القارىء الكريم فى أن يفسح لى صدره فى نقل صورة أمينة لبعض ما ذكر فى التلمود، وفى محاولة لسبر غور هذه الشرذمة التلمودية، وأن يكون القارىء العربى مسلماً كان أم مسيحياً على دراية بما يحكيه له عدو الله وعدو الرسل وعدو الشعوب.

● **فقد ذكر فى التلمود:**

«أن النهار اثنتا عشرة ساعة.. فى الثلاث الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة، وفى الثلاث الثانية يحكم وفى الثلاث الثالثة يطعم العالم وفى الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك».

● **ويقول (مناحم) وهو من علماء التلمود:**

«إنه لا شغل لله فى الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين (أسمودية) فى مدرسة السماء».

«والحوت كبير جدا يمكن أن يتسع حلقه لسمكة طولها ٣٠٠ فرسخ. ونظرا لحجمه الكبير فقد رأى الله أن يحرمه من زوجته، لأنه إن لم يفعل ذلك امتلأت الدنيا وحوشاً تهلك من فيها، ولهذا حبس الله الذكر بقوته الإلهية وقتل الأنثى وملّحها وأعدها لطعام اليهود فى الفردوس!!»(١٠)

● **وفى التلمود:**

«الله يندم على تركه اليهود فى حالة تعاسة حتى إنه يلطم ويبكى كل يوم فتسقط من عينيه دمعتان فى البحر فيسمع دويهما من بدء العالم إلى نهايته، وتضطرب المياه وترتجف الأرض فى أغلب الأوقات فتحصل الزلازل.

> القمر يقول لله: لقد أخطأت حيث خلقتنى أصغر من الشمس؛ فاعترف الله بخطئه وقال: «اذبحوا لى ذبيحة أكفّر بها عن ذنبى».

والأمثلة عديدة وكلها قدح فى الذات العليا، وسأكتفى بهذا القدر فيما يتعلق بالمولى ـ سبحانه وتعالى ـ.

وكى لا يصدم القارىء أود التنويه بأن مفهوم الرب لدى اليهود يختلف عن مفهومه ـ سبحانه وتعالى ـ لدى العالمين عداهم؛ وذلك فى التوراة الموجودة بين أيديهم، فما بالنا بالمكتوب فى التلمود، وهذا ليس بجديد على فكرهم، فالإله

---

(١٠) كتاب من التلمود ص٢١، راجع كتاب الفكر الدينى- للدكتور حسن ظاظا.

عندهم بشر يأكل ويشرب ويلعب بل ويندم على أنه خلق الإنسان.

«ورأى الربُّ أن شرَّ الإنسان قد كثر في الأرض.. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض»(١١).

وأود أن أشير إلى أن التوراة الموجودة بين أيديهم لم يرد فيها ذكر أو وصف للجنة، وقد استغل حاخامات اليهود هذا ووصفوها على هواهم في التلمود حيث قالوا:(١٢)

ـ «مأكل المؤمنين في الجنة هو لحم زوجة الحوت المملحة، ويقدم لهم أيضا على المائدة لحم ثور بري كبير جدا كان يتغذى بالعُشب الذي ينبت في مائة جبل. ويأكلون كذلك لحم طير كبير لذيذ الطعم، ولحم أوز سمين، أما الشراب فهو النبيذ اللذيذ المعتق المعصور ثاني يوم خلق فيه العالم».

«ولا يدخل الجنة إلا اليهود».

«أما النار فهي مأوى الكفار ولا نصيب لهم فيها سوى البكاء لما فيها من الظلام والعفونة والطين».

«والنار أكبر من الجنة ستين مرة، وسيظل المسلمون في النار إلى الأبد لأنهم لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم والمسيحيون لأنهم لا يختتنون».(١٣)

والتلمود مليء بالحقد والكراهية تجاه المسيح ـ عليه السلام ـ ومن اتبع ديانته، والسؤال الذي يطرح نفسه: «لماذا كره اليهود المسيح ـ عليه السلام ـ؟».

الأسباب عديدة، منها ما يتعلق بالديانة اليهودية، والتي ورد في بعض فقرات التوراة بما سيحدث عند مجيئه، من أن السلام سيعم والمرض سيختفي، وأن البحر سوف يلفظ اللآليء الثمينة، وأن الحيوانات المفترسة سوف تأكل عشب الأرض... إلخ

ومنها أنهم كانوا يعتقدون أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سيبعث إليهم رسول يخلصهم مما حل بهم من كوارث وأزمات.. ولكن خاب ظنهم، إذ كان عيسى ـ عليه السلام ـ مرسلا من قِبَلْ المولى ـ سبحانه وتعالى ـ ليعلمهم الأخلاق الكريمة التي نبذوها وراءهم وليصلح حالهم بعد أن غرقوا في بحور الانحرافات.

بالإضافة إلى أنهم أرادوا أن يكون (المخلص) قائدا حربيا يحمل السيف، عدا كونه من أهل الجليل التي كانوا يتهمون أهلها بالوثنية، وكان يرفض عدم القيام بالأعمال المقيدة يوم السبت.(١٤)

بالإضافة إلى أنهم لم يعترفوا بالمسيح ـ عليه السلام ـ فهم مازالوا ينتظرون مسيحهم.

---

(١١) سفر التكوين: ٦ : ٥ – ٦.

(١٢) د. حسن ظاظا، محمد السيد عاشور: (شريعة الحرب عند اليهود) ص٢١.

(١٣) من التلمود: ص٣٥.

(١٤) أ. سيد عاشور: (اليهود في عهد المسيح) ص١٠.

وكما هو معروف فإن التلمود قد تم تدوينه قبل الإسلام، ولكنهم أضافوا إليه الكثير بعد ظهور الإسلام، ويُقال أنهم حتى القرن العاشر الميلادى كانوا يضيفون إليه.

● **وقد ذكر في التلمود :**

« عندما يأتى المسيح تطرح الأرض فطيرا وملابس من الصوف وقمحا حبه في حجم كلاوى الثيران الكبيرة، وحينئذ تعود السلطة لليهود وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له، وفى هذا الوقت يكون لكل يهودى ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه .. لكن المسيح لن يأتى إلا بعد القضاء على حكم الأشرار الخارجين عن دين بنى إسرائيل ».

« وأن اليهود سيعيشون فى حرب طاحنة مع باقى الشعوب فى انتظار ذلك اليوم، وسيأتى المسيح الحقيقى ويحقق النصر المنتظر.

ويقبل المسيح إذ ذاك هدايا جميع الشعوب ولكنه يرفض هدايا المسيحيين، وتكون الأمة اليهودية يومئذ فى غاية الثراء لأنها تكون قد ملكت كل أموال العالم. وأن هذه الكنوز ستملأ بيوتا كثيرة لا يمكن حمل مفاتيحها وأقفالها إلا على ثلثمائة حمار وترى الناس كلهم حينئذ يدخلون في دين اليهود أفواجا ويقبلون جميعا عدا المسيحيين فإنهم يهلكون لأنهم من نسل الشيطان ».

● **وورد أيضا :**

« وعلى اليهودى ألا يبالغ فى مدح المسيحيين، ولا يصفهم بالحسن والجمال إلا إذا قصد أن يمدحهم كما يمدح الإنسان حيوانا، لأن الخارج عن دين اليهود يشبه الحيوان ».

ويعتبر التلمود المسيح ـ عليه السلام ـ بأنه « ارتد عن الدين اليهودى وعبد الأوثان ».

وقد ساوى التلمود بين الوثنى الذى لم يتهود والمسيحى الذى بقى على دين المسيح وأن كلاهما عدو الله وعدوهم.

وقد يباح لليهود أن يزوروا مرضى المسيحيين ويدفنوا موتاهم إتقاء أذاهم أو ضررهم.

● **فقد قال (ففنكرن) :**

أموال المسيحيين مباحة لليهود كالأموال المتروكة.

وجاء أيضاً: « إن الكفار –كما قال الحاخام اليعازر– هم يسوع المسيح ومن اتبعه ».

وورد أيضاً :

« إن المسيح كان مجنونا، وإن الكنائس النصرانية بمقام قاذورات، وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة ».

وهذا ليس غريباً على كل من يعوزه البرهان، فيعمد سريعاً إلى وصف خصمه أو عدوه بالجنون أو السحر وللنظر إلى القرآن الكريم فيما حكاه عن الكفار واتهامهم الأنبياء بالجنون :

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾(١٥).

---

(١٥) الحجر (٦).



﴿ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾(١٦).

## الأغيار في نظر التلمود

ورد في التلمود ما يلي:

● غير مصرح للكاهن بأن يبارك الشعب باليد التي قتل بها شخصا حتى لو حدث القتل بطريق الخطأ، أو ندم الكاهن بعد ذلك.

وقد أفتى الحاخام ( شار ) بقوله:

ـ إن الكاهن يمكنه أن يبارك الشعب بتلك اليد إذا كان المقتول غير يهودي.

● إذا ضرب أمي ( غير اليهودي ) إسرائيليا فالأمي يستحق الموت.

● النطفة التي خلقت منها بقية الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان.

● الأجانب كالكلاب.

● الكلب أفضل من الأجنبي.

وقد ذكر في التلمود:

ـ إذا وقع كلب في حفرة فعلى اليهودي إخراجه وإطعامه، أما إذا وقع بها أحد ( الأغيار ) فعليه اتباع ما أمر به الرب بأن يحضر حجرا ثقيلاً ويغطي به فوهة الحفرة ويحرسها سبعة أيام حتى يتأكد من أنه مات خوفا وهلعا وجوعا وعطشا، فيبارك له الرب.

● قتل غير اليهودي من الأفعال التي يكافيء عليها الله.. وإذا لم يتمكن من قتلهم فواجب عليه أن يتسبب في هلاكهم في أي وقت وبأي طريقة ممكنة.(١٧)

● أرواح غير اليهود هي أرواح شيطانية تشبه أرواح الحيوانات.

● يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع تملك باقي الأمم في الأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم(١٨)

● حياة غير اليهودي ملك لليهود فكيف بأمواله.

● لا يخطيء اليهودي إذا انتهك عرض الأجنبي، فكل امرأة ليست من بني إسرائيل بهيمة، وكل عقد نكاح لغير اليهود فاسد.

● إذا زنا اليهودي بامرأة غير يهودية فلا يكون قد ارتكب محرما، لأن لليهودي الحق في اغتصاب غير اليهوديات.

## اليهودي في نظر التلمود

● يعتبر اليهود أنفسهم مساوين للعزة الإلهية، ولذلك تكون الدنيا بما فيها ملكاً لهم، ولهم عليها حق التسلط، ولهم مطلق التصرف في كل شيء.

● يعتبر اليهودي عند الله أفضل من الملائكة.(١٩)

---

(١٦) الذرايات (٥٢).

(١٧) شوقي عبد الناصر - التلمود ص١٤٦، ١٤٧.

(١٨) د. مصطفى مراد: استعدوا لقتال اليهود ص٢٧.

(١٩) د. حسن ظاظا ومحمد السيد عاشور (شريعة الحرب عند اليهود) ص٣١.





● اليهودى جزء من الله، كما أن الابن جزء من أبيه.

● إذا لم يُخلق اليهود انعدمت البركة من الأرض ولما خُلقت الأمطار والشمس.

● الفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وباقى الشعوب.

● الشفقة ممنوعة لغير اليهود.

● إذا زنى الولد بأمه الأرملة لا يقام عليه الحد ولا يوجه إليه لوم وعليه أن يستمر فى معاشرتها كذلك حتى بعد أن يتزوج رعاية لحقها عليه، وكذلك الوالد الذى يزنى بابنته التى توفى زوجها فلا لوم عليه ولا حد.

وتبريرهم لهذا المنكر الفظيع والفساد العريض الذى تنفر منه الطباع السليمة أن هذا الوضع يحفظ عليه ماله فلا ينفقه على العاهرات.(٢٠)

● من يرتد عن الدين اليهودى يعامل معاملة الأجنبى، غير أنه إذا فعل ذلك لأجل غشهم، فلا خوف عليه ولا جناح، لأنه إذا استطاع اليهودى أن يغش أجنبيا ويوهمه أنه غير يهودى فهذا جائز.

● محظور على اليهود تلموديا أن يحيوا الكفار بالسلام مالم يخشوا ضررهم أو عداوتهم، فاستنتج الحاخام «بشاى» من ذلك أن النفاق جائز وأن الإنسان (أى اليهودى) يمكنه أن يكون مؤدبا مع الكافر ويدعى محبته كذبا، إذا خاف أن يؤذيه.

● مصرح لليهودى أن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يستطع مقاومتها بشرط أن يكون ذلك سرا.

● وقد جاء فى التلمود:

«إنه غير مصرح لليهودى أن يقرض الأجنبى إلا بالربا»

- «لا يعتبر أى قسم يقسمه اليهودى لأى فرد من باقى شعوب العالم يميناً، لأن القسم لغير اليهودى هو قسم لحيوان فلا يُعد يمينا».

وأود أن أشير إلى أن هذه القواعد ذكرت فى التلمود القديم، وفى النسخ الجديدة المطبوعة في أمستردام سنة ١٦٤٤م، وسلزبورج سنة ١٧٦٥م ووارسو سنة ١٨٦٤م.

- «كما يدعو التلمود إلى تقديس مبدأ الغزو والتوسع للعودة إلى فلسطين ومنها يتم السيطرة على العالم أجمع»(٢١)

والتوراة التى بين أيديهم والتى جمعتهم طوال السنين مليئة بالعنصرية، وجاء التلمود بزيفه ليزيد الطين بلة ويؤكد لهم أن العالم كله حل لهم، وخلق من أجلهم، علماً بأن أكثر من ثلثى يهود اليوم لا صلة بينهم وبين يهود التوراة ولا بالأراضى المقدسة، فقد أثبت علم الأجناس هذا النص:

«إنه لا توجد اختلافات بين السلالات البشرية أكثر مما نجده بين الجماعات اليهودية فى مختلف القارات، واليهود ينتمون إلى عدد كبير جدا من

---

(٢٠) د. على عبدالواحد وافى: الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص٢٠ - ٣٤.

(٢١) د. حسن ظاظا، السيد محمد عاشور: (شريعة الحرب عند اليهود) ص٣٥.





السلالات وهم يشبهون الجماعات التى يعيشون فى وسطها، ولقد استطاع كثير من اليهود الألمان أن يثبتوا بالوثائق وتحليل الدم أنهم آريون لم تجر فى عروقهم قطرة من دم آخر سوى الدم الآرى».

والعجيب أن حاخامات الفكر التلمودى يتطاولون يومياً على العرب بلا خجل أو حياء كالحاخام (عوفاديا يوسف) الزعيم الروحى لحزب شاس المتطرف، وآخر ما طالعتنا به من إسفاف يوم ٢٧/٧/٢٠٠١ حيث هاجم العرب وكان كعادته يصفهم كل مرة بصفة، مرة بالأفاعى، وآخرها بأنهم كالنمل يتكاثرون، وطلب من شارون إبادتهم وقال:

«من تكون تلك الأمم.. سيأتى المسيح ولن يلقوا سوى الاحتقار والذل والتقوقع».

ولعل فى ذلك دعوة لكل من كان له قلب وقرأ التلمود وتاريخ اليهود بشىء من التدبر ليعرف أنه من الأغيار وأن وصفه لا يزيد عن حيوان فى الفكر التلمودى.

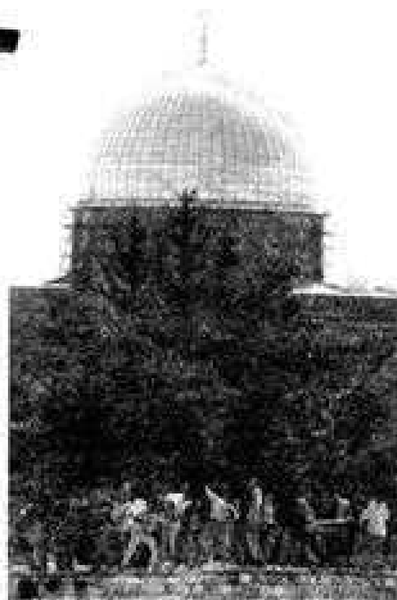
وأذكرهم فقط بما قاله الحاخام (ماغنس) عميد الجامعة العبرية عام ١٩٤٨ حيث قال بالحرف الواحد:

«سينزل بنا عقاب من الرب، إننا نعبد الذهب وننشر الدعايات المأجورة، ونعبد الدم، ونبث الرعب بين الناس، وهذا لدى الرب حرام، وشعائرنا شاهدة على أننا كنا نتلقى العقاب فى كل مرة فعلنا مثله».(٢٢)

---

(٢٢) د. محمود دياب (الصهيونية العالمية) ص ٣٧.

# حجر من أرض الإسراء!



للأستاذ / السيد الصديق حافظ

أيظل القدس أسيرا ... ويقاسي العيش مريرا؟!
وتئن الأرض وتشقى ... وتغض الطرف كسيرا؟!(1)
أيذلُّ العرب يهود ... خلقوا للذل حصيرا؟!(2)
لعنوا في كل كتاب ... جعلوا للشؤم نذيرا!
زرعوا الآلام وعاشوا ... مرضا في الكون خطيرا!
وعتوا في الأرض عتوا ... وطغوا مالا ونفيرا!
يتباكى من يتباكى ... ويفيض الدمع غزيرا
نعموا بالظل ظليلا ... وفراش النوم وثيرا

---

(1) تغض الطرف كسيرا: تخفض بصرها في ذلة وانكسار.

(2) خلقوا للذل حصيرا – ضربت عليهم الذلة والمسكنة.

«وعلى الأعراف رجالٌ» صَلِيتْ حراً وهجيرا!(٣)
صلوا لله وصاموا لجهاد دام عمرا!
قدس الإسراء سيبقى قبسا لله منيرا!
و«فلسطينٌ» وبنوها عرب أرضا وعشيرا!
وشباب الأرض أسود ملأوا الأجواء زئيرا!
ضربوا للناس جميعا مثلا قد عز نظيرا!
حجر كالأسعد يمنا شهد الإسراء قريرا!(٤)
قذفته كف صبي فجرى بالفجر بشيرا!
ولى، الرشاش. جبانا وانطلق القهر مغيرا!(٥)
يختفي منه يهود فزعا يرجون مجيرا!
دبت في الصخر حياة رسمت للمجد مسيرا!
فتعالى الله عزيزا وتعالى الله قديرا!
حجر في كف صغير سيعيد الحق كبيرا!
ليعيش العدل عزيزا ويموت الظلم حقيرا!
حصيات الأرض جمار وبها يَصْلَوْنَ سعيرا!
وجهادي لن يتوانى ما دام الصخر وفيرا!(٦)
وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا!

---

(٣) على الأعراف رجالا – الأعراف – سور بين الجنة والنار. والمراد هنا موقف المجاهدين بحجارة أرضهم بين الموت والحياة فقد خلفوا حياة الذل والمهانة وراءهم واستقبلوا بطلب الشهادة حياة النعيم الأبدي والكرامة الدائمة في جنات النعيم

(٤) كالأسعد – كالحجر الأسود يمنا وبركة – شهد الإسراء قريرا – أي شهد الحجر في طفولته أنوار الإسراء تغمر أرض القدس المباركة

(٥) القهر – الحجر ملء الكف

(٦) لن يتوانى – لن يكل ولن يفتر ما بقي الصخر وفيرا..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾

التوبة ( ٤١ )

## من قادة الفتوحات الإسلامية

# القعقاع بن عمرو التميمى



إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

**وكما كان للقعقاع تاريخه الناصع المشرق فى ساحة الوغى، كانت له كذلك مكانته السياسية، وهو الأمر الذى تجلى واضحاً إبان أحداث الفتنة الكبرى، التى اشتعل إوارها، وأكلت الأخضر واليابس.**

**فبعد استشهاد ذى النورين، عثمان بن عفان - رضى الله عنه - يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمسة وثلاثين على المشهور، عدل الناس إلى على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - فبايعوه بالخلافة.**

**فى حين رفض معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - أن يبايع علياً إلا بعد إقامة الحد والأخذ بدم عثمان.**

وفى الكوفة وقف القعقاع بن عمرو التميمى خطيبا، معلناً بيعته لعلى بن أبى طالب -كرم الله وجهه- بالإمامة، وحث الناس على بيعته قائلاً:

«لابد للناس من أمير يردع الظالم وينصف المظلوم وينتظم به شمل الناس، وأمير المؤمنين على يلى بما ولى، وقد أنصف بالدعاء، وإنما يريد الإصلاح فانفروا إليه».

وفزع القعقاع عندما علم بخروج أم المؤمنين

عائشة -رضى الله عنها- فى جمع من فرسان المسلمين على رأسهم الصحابيان: الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله إلى البصرة تطلب القصاص من قتلة عثمان.

فذهب إليها من فوره قائلاً: أى أماه! ما أقدمك هذا البلد؟ فقالت: أى بنى! الإصلاح بين الناس. فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها، فحضرا، فقال القعقاع: إنى سألت أم المؤمنين ما أقدمها؟ فقالت: إنما جئت للإصلاح بين الناس. فقالا: ونحن كذلك. قال: فأخبرانى ما وجه هذا الصلاح؟ وعلى أى شىء يكون؟ فو الله لئن عرفناه لنصطلحن، ولئن أنكرناه لا نصطلحن. قالا: قتلة عثمان؛ فإن هذا إن تُرك كان تركا للقرآن. فقال: قتلتما قتلته من أهل البصرة، وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة رجل، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم (حرقوص ابن زهير) فمنعه ستة آلاف، فإن تركتموه وقعتم فيما تقولون، وإن قاتلتموهم فأديلوا[1] عليكم، كان الذى حذرتم، وفرقتم من هذا الأمر أعظم مما أراكم تدفعون وتجمعون منه - يعنى أن الذى تريدونه من قتل قتلة عثمان مصلحة، ولكن يترتب عليها مفسدة هى أربى منها- وكما أنكم عجزتم عن الأخذ بثأر عثمان من (حرقوص بن زهير) لقيام ستة آلاف فى منعه ممن يريد قتله، فعلىٌّ أعذرُ فى تركه الآن قتل قتلة عثمان، وإنما أخر قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكن منهم؛ فإن الكلمة فى جميع الأمصار مختلفة، ثم أعلمهم أن خلقا من ربيعة ومُضر، قد اجتمعوا لحربهم بسبب هذا الأمر الذى وقع.

فقالت له عائشة -رضى الله عنها-: فماذا تقول أنت؟

قال القعقاع: أقول: إن هذا الأمر الذى وقع، دواؤه التسكين، فإذا سكن اختلجوا، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة، وإدراك للثأر، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه، كانت علامة شر وذهاب هذا الملك، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً، ولا تعرضونا للبلاء فتتعرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وايم الله لأقول قولى هذا وأدعوكم إليه، وإنى خائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التى قل متاعها ونزل بها مانزل، فإن هذا الأمر الذى قد حدث أمر عظيم، وليس كقتل رجل رجل، ولا النفر الرجل، ولا القبيلة القبيلة.

فقالوا: قد أصبت فأحسنت فارجع، فإن قدم علىٌّ وهو على مثل رأيك، صَلُحَ الأمر. قال: فرجع إلى علىّ، فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه، ورضيه من رضيه.

واصطلح الناس على رأى القعقاع، فأسقط فى أيدى رؤوس الفتنة وعلى رأسهم (عبدالله ابن سبأ) وغيره ممن تورطوا فى قتل عثمان بن عفان - رضى الله عنه- فتبادلوا الرأى بينهم حتى توصلوا إلى إنشاب القتال.

---

(١) غلبوكم وانتصروا عليكم.

وبالفعل أنشب الغوغائيون القتال بأسباب تافهة، إذ تسابب الصبيان، ثم تراموا وتتابع العبيد حتى إذا توترت الأجواء باشر السفهاء.

واندلع القتال الذى فوجىء به على ابن أبى طالب -كرم الله وجهه- بين جيشى البصرة وعلى رأسه طلحة والزبير، وجيش الكوفة وكان القعقاع من قادته.

وأبصر القعقاع هودج الجمل الذى تجلس أم المؤمنين السيدة عائشة -رضى الله عنها- بداخله قد رشقته السهام من كل جانب، والسيدة عائشة تصيح من داخله: «الله الله يا بنى.. اذكروا يوم الحساب». ورأى القعقاع أنه لا يمكن حماية الهودج من السهام المصوّبة إليه من الجانبين إلا إذا انخفض فأصبح قريبا من سطح الأرض، فعقر الجمل فسقط على الأرض، وأوكل القعقاع إلى عدد من رجاله بحماية الهودج وأن يموتوا دونه.

وأبصر القعقاع (طلحة بن عبيد الله) قائد جيش البصرة يقاتل جريحا، فقال له: يا أبا محمد إنك جريح، فحبذا لو دخلت أحد البيوتات!!

لله درّك يا قعقاع.. قائد يبصر قائد خصومه جريحا فينصحه بالراحة بدلاً من أن يجهز عليه. من منا يزعم أن هذا المسلك له ما يماثله فى تاريخ الحروب فى العصر الحديث؟!

وانتهت المعركة وكان أول ما فعله القعقاع أن أشرف بنفسه على نقل هودج السيدة عائشة والذى كان يقاتل بجواره، ثم تتبع كل من سولت له نفسه التعرض للسيدة عائشة مُنزلاً به أشد العقاب، وقام بجلد عدد غير قليل ممن أساءوا الأدب فى حق أم المؤمنين - رضى الله عنها -.

وتضع الحرب أوزارها، وينتهى الأمر بتولى معاوية بن أبى سفيان مقاليد الحكم.

أما القعقاع فقد أدرك أن لهذه الفتنة ما بعدها، وأن النفوس ما زالت تحمل الكثير من الضغائن، فضن بسيفه وبنفسه وهو الذى لم تنكسر له حرب فى سبيل الله من أن تكون له جولات أخرى مع أبناء دينه، وهو المقاتل فى سبيل الله، أفبعد أن نشر الأسلام فى الشام، وفارس كلها يشهر سيفه فى وجه مسلم، كيف هذا؟! بماذا يصيح وهو يحمس جنده؟! فى مواجهة الفرس والروم كانت صيحته: «الله أكبر» وبها كان ينتصر ولم يرزق فيها الشهادة، أفبعد هذا يرفع سيفه فى وجه أخيه المسلم؟! فكيف يلقى ربه إن قتل مسلما، أو قُتلَ بسيف مسلم؟! فانتقل إلى إيلياء بفلسطين حيث توفى بها عام ٤٠هـ.

وفى روايات أن معاوية أخرج من الكوفة المستغربين فى أمر على؛ فأخرج القعقاع إلى إيلياء.

رحم الله القعقاع بن عمرو، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾(٢).

(٢) الأحزاب (٢٣).

من قضايا النقد

# ثقافة الناقد فى مرآة ابن المعتز

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

**كان ابن المعتز فى كتابه: (البديع) رجل بلاغة ونقد، وكان فى كتابه: (طبقات الشعراء) رجل نقد فحسب.. على هذا تواضع معظم الباحثين.. ربما لأن حسن التأصيل فى (البديع) كان لافتا تماما إلى أن الرجل كان ساعياً وراء جمع الظاهرة البلاغية من مظانها المختلفة، وإعطائها شكلاً من أشكال التحديد العلمي الذى ينأى بها عن أن تظل مجرد ظواهر عمومية بلا تحديد.. فى الوقت الذى يلوح فيه ابن المعتز من خلال (طبقات الشعراء) منصرفاً تماماً عن هذا التوجه البلاغى فى شكله القاعدى إلى نوع من أنواع النظر النقدى الذى يتسم بالانطباعية والذاتية والرفق فى تناول الأشياء، إلى جوار ما يتسم به من استقصاء قارىء لشعر التراث فى مراحله المتعددة، مما يتيح له - أحياناً - أن يصل إلى جواهر بعض القضايا النقدية فى ذكاء لامح، ووعى شديد.**

وقد ألم ابن المعتز فى (طبقات الشعراء) بعديد من القضايا النقدية التى تتصدى للعملية الشعرية من جانبيها معاً: جانب الإبداع.. وجانب المبدع.. ويمكن أن نحصر هذه القضايا التى أثارها فى قضية (ثقافة الناقد) وقضية (ثقافة الشاعر) وقضية (الطبع والتكلف) وقضية (الصنعة الفنية) وقضية: (القديم والحديث) وقضية (الانتحال) وهى قضايا تتفاوت عند ابن المعتز تعميقاً وتسطيحاً.

فى قضية (ثقافة الناقد) يشير ابن المعتز إلى المستوى الذى يمكن أن يؤهل إنساناً ما لعملية التصدى لدراسة الإبداع، وإعطاء أساس نقدى أو تنظيرى لضروبه المختلفة، وأنماطه المتشابهة ولعل ابن المعتز كان موفقاً

تماماً حين جسد هذا المستوى المثالي من خلال (الخليل بن أحمد) لأن هذا الرائد العظيم أقمن قمين في التراث العربي بكامله يمكن أن يرتبط اسمه بالنظرية الشعرية العربية، التي كان أول من حدد تخومها، وجمع شتاتها، وصنف إيقاعها الضخم في هذا السياق الرياضي الضابط والمتناغم في آن.. فإذا جسد منه ابن المعتز مستوى مثالياً للناقد المثقف، أو لثقافة الناقد كيف كان ينبغي أن تكون. فإنه قريب من صواب الرؤية إلى مدى بعيد.

يقول ابن المعتز:

(حدثني إسحاق بن الصلت الأنباري قال: حدثني المعلى بن جعفر السعدي قال: كان الخليل بن أحمد أعلم الناس بالنحو والغريب، وأكثرهم دقائق في ذلك، وهو أستاذ الناس، وواحد عصره، وأول من اخترع العروض وفتقه، وجعله ميزاناً للشعر، وكان سببه: أنه مر في سكة القصارين بالبصرة فسمع من وقع الكدين[1] أصواتاً مختلفة، ففكر في هذا العلم، وقال: لأضعن من هذا أصلاً لم أسبق إليه، فعمل العروض على هذه الأصوات التي في أيدي الناس، وكان ذكيا فطناً عالماً بأيام الناس وأخبارهم، وكان مع ذلك شاعراً مفلقاً، وأديباً بارعاً، وله أيضاً في الألحان والنغم كتاب معروف، وهو صاحب كتاب «العين» الذي جمع فيه أصول الكلام للعرب كلها.

حدثني محمد بن يزيد المبرد، قال حدثني أبان بن رزين البصري قال: زعم يونس النحوي أن الخليل بن أحمد كان يستدل بالعربية على سائر اللغات، ذكاء منه وفطنة.

فمعرفة الخليل كانت معرفة يمكن أن تسمى -بمنطق عصرها- شمولية لأنه رجل عالم بالنحو والغريب، وهو ريادة تاريخية على طريق التأصيل لعلم العروض، ثم هو لا يخوض في كل ما يتصدى له إلا عن أصالة في الطبع. فقد لا نتصور أن الخليل صادف العروض هكذا في سكة القصارين بالبصرة، ولكن من المؤكد أن هذا العروض كان همه الشاغل الذي يفكر فيه بياض نهاره وسواد لياليه، فما إن صادف بداية الخيط في إيقاع الكدين حتى تفجر فيه شلال العمل على جمع ما تناثر في كل الشعر العربي من إيقاعات، وحصرها على النحو التاريخي المعجز بحق، ليس ذلك فحسب، ولكن الخليل كان كذلك عالماً بأيام الناس وأخبارهم، وكان شاعراً وأديباً، وله بصر بالألحان والنغم، ثم هو ريادة أخرى أعظم وأضخم على الطريق التأصيل للمعجم العربي، حين تصدى لجمع اللغة في كتابه الرائد (العين)[2]، وكان إلى جوار أولئك

(١) الكدين: فارسية جمع كدينة، أي مدقات القصارين.

(٢) لا نهمل في هذا الصدد الخلاف الكبير في نسبة (العين) إلى الخليل ولكننا لا نجد البديل المقنع لهذه النسبة التاريخية، التي تؤكد على الأقل نسبة النصف الأول إلى صاحبه.

كله يستدل -كما يقول يونس- بالعربية على سائر اللغات.. فإذا أضفنا إلى ذلك جميعه رسوخه في الذاكرة العربية المثقفة كأحد القلائل العدول الذين يمكن أن يعتد بآرائهم ومصدريتهم الموثوقة، كما حدث في قصة الليث بن نصر هذه التي تؤكد أن كتاب الخليل كان عشقه الأول، حتى إنه حفظ نصفه، وحتى إن زوجته المشتعلة بالغيرة لم تجد ما تفجعه فيه من مال أو ولد غير هذا الكتاب الأثير، وحتى إن الرجل طلبه -بعد احتراقه وموت الخليل- (في الدنيا كلها) وحتى إنه جمع -بعد يأسه البادي- علماء أهل زمانه لينسجوا على منواله فعجزوا عن المشي في مجرد غباره.. إذا أضفنا هذه القيم الجليلة التي ترشح صاحبها لصدارة الشمول المعرفي ووثوقيته معاً، عرفنا إلى أي مدى ينبغي أن تكون (ثقافة الناقد) ومن هو الرجل الذي يمكن أن يضيف إلى الظواهر الفنية والفكرية بعداً نقدياً أو تأصيلياً ربما يفوق حجم الظاهرة ذاتها، وهذا هو الدور الذي نهض به الخليل بجدارة هائلة.. فهل يستطيع الآن أن نتصور مثلاً كيف كان يمكن أن يكون شكل العروض العربي والمعجم العربي معاً لولا جهود هذا الرائد الجليل؟

ويحدد ابن المعتز داخل إطار ثقافة الناقد – طبيعة المسئولية التي يستشعرها حيال جمهوره القارىء أو المتلقي وهي مسئولية يراها الناقد جزءاً من صميم رسالته النقدية، ويرى أن التخلي عن بعضها يمكن أن يتحيف المضمون النهائي لعمله النقدي، فهو يحيل قراءه على دواوين الشعراء حتى يستحث في هؤلاء القراء نزوعهم إلى المشاركة في تشكيل العملية الفنية، لا أن يستسلموا لمجرد التلقي عن هذا الذي يساق إليهم كاملاً أو مبتوراً، صحيحاً أو غير صحيح.. فإذا ندرت هذه الدواوين، ولم توجد عند كافة المثقفين، فإن مسئولية الناقد حينذاك تحتم عليه أن يضع أمام قرائه مجموعاً صالحاً من هذا الشعر، حتى يكون ذلك اقتراباً حقيقياً من كمال الفائدة، أو فائدة الكمال.

يقول ابن المعتز:

(ومن أراد شعر القوم على الوجه، فإن دواوينهم موجودة، ولا سيما هؤلاء المشهورين عند أكثر الناس، فأما من ليس يوجد شعره إلا عند الخواص، فستضمن الكتاب لهم قطعة صالحة، وصدراً وافراً، ليكون أكمل للفائدة عندنا)(٣).

فهنا تحريض غير مباشر على رؤية الشاعر من خلال ديوانه كله، لأن ذلك وحده هو الذي يحقق للمتلقي لقاءه بشعر القوم (على الوجه) وبخاصة إذا كانت دواوين الشعراء موجودة غير مفقودة ولا نادرة، فإذا لم يتحقق هذا الكمال المنشود، فلا أقل من أن يتحمل

---

(٣) ابن المعتز طبقات الشعراء، ص٤٧، ٤٨.

الناقد عبء توصيل حد من الإبداع القارئ، حتى يوفر له أساساً يلتقي فوقه مع أوضد هذا الإبداع.

وحين يتحدث ابن المعتز عن قضية (ثقافة الشاعر) نراه يركز في هذا الحديث على محورين متوازيين: محور ضرورة الثقافة العامة.. ومحور ضرورة الثقافة الشعرية.. لأن الثقافة العامة هي الخلفية الفكرية التي ينزع عنها الشاعر في إبداعه الشعري، وبمقدار ما يحصل الشاعر منها يصبح ذا أفق عريض أو ضامر، وذا رؤية شمولية أو أنانية.. ويلوح ابن المعتز من خلال هذه السياقات دافعاً إلى حتمية امتلاك هذه الثقافة، وإلى تقدير الشاعر الذي يمتلك منها أعرض ما يمتلك سواه.. ثم لأن الثقافة الشعرية هي المدخل الطبيعي لقدرة الشاعر إلى عالم التعبير بشكل فني جدير بالبقاء، وكلما كان الشاعر أعرف بالموروث الشعري، وأوعى لتقاليده وقوانينه وتطوره، كلما كان أقدر على تمثيل تجاربه الفنية بصورة أعمق، ومن ثم على نقل هذه التجارب بصورة أكمل، فجزء لا يتجزأ من طبيعة تشكيل التجربة طبيعة إحساسنا، وهذا هو مناط التفوق في إبداع المبرزين.

وابن المعتز في تراجمه لعديد من الشعراء يركز بشكل أولي على منحى أولئك الشعراء في امتلاك نوعية شمولية من الثقافة العامة، فاسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري (كان شاعراً ظريفاً، حسن النمط، مطبوعاً جداً، محكم الشعر مع ذلك، وكان أحذق الناس بسوق الأحاديث والأخبار والمناقب في الشعر، لم يترك لعلي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ فضيلة معروفة إلا نقلها في الشعر)[4] .. وأبو نواس كان على تفوقه الشعري ضارباً بسهم في علوم كثيرة متشابكة: (ومما يذكر من خصال أبي نواس المحمودة، ما حدثني به أحمد بن أبي عامر قال: حدثني سلمان شحطة قال: كان أبو نواس عالماً فقيهاً، عارفاً بالأحكام والفتيا، بصيراً بالاختلاف، صاحب حفظ ونظر ومعرفة بطرق الحديث، يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وقد تأدب بالبصرة وهي يومئذ أكثر بلاد الله علماً وفقهاً وأدباً، وكان أحفظ لأشعار القدماء والمخضرمين وأوائل الإسلاميين والمحدثين)[5].

ومن هذا المنطلق كان أبو نواس يدعو بشكل تقدمي إلى الإيغال في المعرفة، لأن امتلاك المعرفة مشروط بحتمية الإيغال في بحارها المترامية. فقد حدث محمد بن زياد بن أبي هفان قال: (قال لي أبو نواس: الشره في الطعام دناءة، وفي الأدب مروءة، وكل من حرص على شيء فاستكثر منه سكن حرصه، وقرت عينه غير الأدب، فإنه كلما ازداد منه

(٤) ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٣٢.

(٥) ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٢٠٦.



صاحبه ازداد حرصاً عليه، وشهوة له، ودخولاً فيه)[٦].

وقد جسد أبو نواس نفسه حقيقة هذه المقولة التى تضع الشاعر الجائع أبداً للزاد المعرفى على قمة الحضور الإبداعى، فقد حدث إبراهيم بن حرب الكوفى قال: حدثنى بن الدابة قال: (اجتمع أبو نواس ومسلم بن الوليد والخليع وجماعة من الشعراء فى مجلس، فقال بعضهم: أيكم يأتينى ببيت شعر فيه آية من القرآن وله حكمه؟ فأخذوا يفكرون فيه، فبادر أبو نواس فقال:

وفتية فى مجلس وجوههم
ريحانهم قد آمنوا التنقيلا
دانية عليهم ظلالها
وذللت قطوفها تذليلا

فتعجبوا وافحموا، ولم يأت أحد منهم بشىء، قال محمد بن عبدالوهاب: فسمعت بعد ذلك بمدة بيتاً لدعبل استحسنته وهو:

ويخزهم وينصركم عليهم
وليشف صدور قوم مؤمنينا[٧].

ويركز ابن المعتز على (ثقافة الشاعر الشعرية) تركيزه على (ثقافته العامة) وأكثر، لأن هذه الثقافة الشعرية فى النهاية، هى التى تصقل أداة الشاعر ورؤيته جميعاً، وتجعله باستمرار واعياً لتقاليد موروثة وقادراً على تجاوزه وتخطيه، ومن هنا نشأت فى النقد العربى إشكالية فكرية ما تزال بحاجة إلى درس مستفيض، فالنقاد كانوا يدعون إلى احتذاء القديم من خلال الوعى به وتمثيل تقاليده الثابتة، وكانوا يدعون فى نفس اللحظة إلى حتمية التجديد وأن يكون الشاعر صوت نفسه الخاصة.. ومن خلال هذه الجدلية نشأت إشكالية فكرية تحار بين تمثل الموروث واحتذائه من جهة، وبين تجاوزه والاستواء الفنى على عرش الأصالة الذاتية من جهة أخرى.

ولو أحسن النقاد في التعبير عن أنفسهم، وارتفعوا فوق مهابط التعصب للقديم وحده أو للحديث وحده لرأينا تناغماً كاملاً فى مقولاتهم بلا تخليط، فالشاعر المحدث مطالب بامتلاك موروثه الشعرى ليس ليتنفس من حوله، وإنما لكي يسلح نفسه بمعرفة طرائق القدماء والمحدثين على السواء في التعبير عن عوالمهم الخاصة، ليشتق لنفسه طريقاً خاصة يحمل من خلالها همومه إلى الناس، رافضاً فى كل آن أن يذوب فى غيره، أو أن يتحدث بصوت الآخرين.

هنا تصبح المعرفة الشعرية بمثابة إرهاف لحد الشاعرية لدى الشاعر، وزخماً فنياً موحياً قد يمده بزاد من تأمل تجارب الغابرين والمعاصرين، فتتسع رقعة الحركة الرؤياوية والحركة التعبيرية عنده في وقت معاً، وتنحل الإشكالية الفكرية والنقدية إلى لا شيء على وجه التقريب.

(٦) ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٢٠٤.

(٧) ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٢٠٧.





# طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

## الأنس بالله

قال بعضهم: مررت بجماعة يترامون، وواحد جالس منفرد عنهم! فتقدمت إليه، وأردت أن أكلمه، فقال: ذكر الله أشهى!

فقلت: إنك وحدك: فقال: معي ربي وملكان. فأشرت إلى أصحابه، وقلت: من سبق منهم؟ فقال: من غفر الله له.

ثم قام ومشى وهو يقول: أكثر خلقك متشاغل عنك.

## نصيحة

أخي:

عف عن المعاصي تكن عابدا.

وارض بما قسم لك تكن غنيا.

وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما.

وصاحب الناس بمثل ماتحب أن يصاحبوك به تكن عدلا.

## ثلاث.. وأربع

قال جعفر بن محمد: من كان فيه ثلاث فقد وجب له على الناس أربع: إذا خالطهم لم يظلمهم، وإذا حدثهم لم يكذبهم، وإذا وعدهم لم يخلفهم، وعلى الناس أن يظهروا عدله، وأن تظهر فيهم مروءته وأن يجب عليهم أخوته، وأن يحرم عليهم غيبته.

## كلام يكتب بالذهب

خطب عبدالملك بن مروان يوما خطبه بليغة ثم قطعها وبكى بكاء شديدا، ثم قال:

يارب إن ذنوبي عظيمة، وإن قليل عفوك أعظم منها، اللهم فامح بقليل عفوك عظيم ذنوبي قال الأصمعي: فبلغ ذلك الحسن فبكى، وقال: لو كان الكلام يكتب بالذهب لكتب هذا الكلام.

## إياكم لبستين

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: إياكم لبستين: لبسة مشهورة ولبسة محقورة وقال بعض الحكماء: البس من الثياب مالايزدريك فيه العظماء، ولايعيبه عليك الحكماء، وقال بعض الشعراء:

**إن العيون رمتك إذ فاجأتها.**

**وعليك من شهر الثياب لباس**

**أما الطعام فكل لنفسك ماتشا**

**واجعل لباسك مااشتهاه الناس**

## أعظم المصائب

قال قتادة: أعظم المصائب مصيبة الدين، ثم الموت، وموت الأب قصم الظهر، وموت الابن صدع في الفؤاد، وموت الأخ قص الجناح وموت الزوجة حزن ساعة

قال راويه: ولعلها الزوجة السوء!!

## الإصابة بالظن

قيل لعمرو بن العاص: ما العقل؟ قال: الإصابة بالظن، ومعرفة مايكون بما قد كان.

وقال الشاعر:

وقلما يفجأ المكروه صاحبه

حتى يرى لوجوه الشر أسبابا

وإنما ركب الله العقل في الإنسان دون سائر الحيوان ليستدل بالظاهر على الباطن، ويفهم الكثير بالقليل.

## دعاء

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ونعوذ بك من شر السلاطة والهذر كما نعوذ بك من شر العي والحصر.

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

# استفتاءات القراء

## تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

**إعداد الشيخ/ عبد الفتاح الزيات**

● سؤال من سلوى م.م. الرمل – الإسكندرية:

زوجي عاطفي جداً نحو أبويه ويمدهما بمبلغ من المال من راتبه كل شهر ونحن لسنا في يسر نستغني معه عن هذا المبلغ وقد اعترضت على زوجي في هذا الشأن بحجة أن أبويه رفضا إمدادنا ببعض النقود في وقت كنا في أمس الحاجة إلى مبلغ من المال وأن لوالد زوجي بعض العقارات لو باعها لكفته مدة طويلة وأن زوجي يعيش في معاناة من تأنيب الضمير لأنه قطع ما كان يمد به أبويه من نقود فما حكم الشرع بالنسبة لفعل زوجي هذا؟

●● الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه نفيد بأن الله – سبحانه وتعالى – فرض بر الوالدين على أولادهما في آيات كثيرة من القرآن الكريم ومن ذلك قوله – تعالى –:

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾(1).

وفي آية أخرى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾(2).

فبر الوالدين فرض من الفروض التي أوجبها الله على الأبناء وليس هذا البر مشروطاً بفقرهما أو احتياجهما، لأن الولد كسب أبيه كما جاء في

(1) النساء (٣٦).

(2) الإسراء (٢٣).

الحديث الشريف عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: أتى أعرابي رسول الله ﷺ فقال: إن أبي يريد أن يجتاح مالي، قال ﷺ: «أنت ومالك لوالديك إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أموال أولادكم من كسبكم فكلوه هنيئا»[٣] فالمفهوم من الآيتين السابقتين والحديث أن بر الوالدين واجب ولو كان الأبوان موسرين وذلك قضاء لحقهما على أولادهما من وجوه عدة أقواهما أنهما سبب في وجوده ونحن ننصح الأخت السائلة بأن تشجع زوجها على وصل ما انقطع من إمداد أبويه ببعض المال وأن تكوني عونا له في هذا الأمر فإن الله - سبحانه وتعالى - مخلف عليكما بما انفقتما، فإن المال يزكو بالعطاء، وإياك أن تكون عامل فرقة وسببا من أسباب قطع صلة الرحم حتى لايعاملك أبناؤك بهذا الأحساس ولأنه كما تدين تدان ومن يعمل سوءاً يجز به.

هذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال والله أعلم

**● سؤال من صبرى عبدالعزيز أبوالسعد. مصر القديمة - القاهرة: بمناسبة ما أثير أخيرا على صفحات الجرائد والتليفزيون حول زواج بعض المصريين من يهوديات وتباين الآراء حول هذه المسألة.. أرجو من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف إفادتنا برأى الشرع فى هذا الزواج.**

**●● الجواب:**

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه نفيد بأن الإسلام أباح أن يتزوج المسلم من نساء أهل الكتاب - اليهود والنصارى، وذلك بنص القرآن الكريم: قال تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[٤].

ونساء أهل الكتاب هن: النصرانيات واليهوديات.. وبالنظر إلى منطوق الآية الكريمة، نلاحظ تقديم المحصنات المؤمنات فى الذكر على المحصنات من أهل الكتاب، وأنه يعطينا إشارة إلى أن الزواج من المؤمنات أولى وأفضل من الزواج من اليهوديات والنصرانيات.. وذلك لاعتبارات كثيرة أهمها: وحدة الدين والعقيدة والمحافظة على النسل من أن تتلاعب به أهواء وأغراض غير المؤمنات من أهل الكتاب.

وربما يكون هذا هو الذى جعل أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - فيما أثر عنه - يحث ويشير على بعض من الصحابة ممن تزوجوا بيهوديات أن يطلقوهن لضمان حسن تربية الأولاد وتنشئتهم نشأة إسلامية سليمة. وإن كان التفاهم فى الحياة الزوجية يمكن أن يتخطى هذه المسائل إلا أن التوافق العقدى من أهم الروابط الأسرية حتى لاتذوب العقيدة أو تختلط لدى الأبناء فتقع المحاذير وتنتهك الحرمات ويصبح هذا الزواج سببا قويا للتحلل من الدين والتفسخ الأسرى بلا داع وهذا بداية للانزلاق إلى الهاوية يؤدى إلى سوء المنقلب. والسبب نزوة طارئة أو انفعال مؤقت ومالنا لانتخذ من حديث رسول الله ﷺ «فاظفر بذات الدين تربت يداك»[٥] - وقوله: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»[٦]

(٣) مسند الإمام أحمد.
(٥) البخاري ٩/٧.
(٤) المائدة (٥).
(٦) شرح السنة ١١/٩.

ولن تكون المرأة صالحة إلا إذا كانت مسلمة حقا، وعلى شبابنا وأبنائنا أن لاينساقوا وراء نزواتهم وعواطفهم وأن يبتعدوا ما أمكن عن الهبوط فى هذا الدرك وليعلموا أن فى بناتنا وفتياتنا الخير كل الخير وهن أفضل ألف مرة من غيرهن، والله الموفق، هذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال والله أعلم.

● **سؤال من ج. س. - الوادى الجديد:**

**زوج أثبت الطب أنه غير قادر على الإنجاب ولكنه لشدة حبه لزوجته أخفى عليها هذا الأمر، وهذه الزوجة أثبت الطب - أيضا - أنها صالحة للإنجاب وليس بها أى عيب يمنع ذلك. فوقعت هذه الزوجة فريسة للحيرة والقلق إلى أن وقعت فى أيدى إحدى الدجالات التى أوهمتها أنها قادرة على حل مشكلتها فانخدعت هذه الزوجة وانساقت وراء هذه الدجالة التى أعطتها صوفة مغموسة فى منى رجل آخر على أن تضعها فى فرجها، وبعد فترة من الزمن حدث الحمل فعلا فلما علم الزوج اتهم زوجته بالزنا بناء على حالته المرضية وتقارير الأطباء.**

**فما موقف الشرع من هذا الحمل الذى جاء عن هذه الطريقة، وهل تعتبر الزوجة زانية فى هذه الحالة، وهل يباح إجهاض هذا الحمل؟ وإذا بقى الحمل فلمن ينسب؟ نرجو الإجابة الشرعية لهذه الحالة، ولكم من الله حسن الجزاء.**

●● **الجواب:**

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه نفيد:

بأن نطفة الرجل لاتتخلق الا إذا وصلت إلى رحم المرأة المستعد لقبولها عن طريق الاتصال الجنسى المعتاد بين الزوجين وعندئذ يكون نسب الولد من هذا الاتصال إلى أبيه قطعا. وذلك لحديث رسول الله - ﷺ -: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»(٧)، وقد يكون الاتصال عن طريق إدخال نطفة الزوج فى رحم زوجته - بغير الاتصال الجسدى المعتاد، وذلك لما جاء عن أبى حنيفة - رضى الله عنه - فى البحر الرائق - «إذا عالج الرجل جاريته فيما دون الفرج فأخذت الجارية ماءه فى شىء فاستدخلته فرجها فى حدثان ذلك» أى لحظة الإنزال، فعلقت الجارية وولدت فالولد ولده، والجارية أم ولد له» ومن هذا يتبين أن الصلة العضوية بين الزوجين والاختلاط الجسدى هو الوسيلة الأساسية لإفضاء كل منهما إلى الآخر.

أما إذا أدخلت الزوجة منى رجل آخر غير زوجها إلى فرجها فإن هذا يكون محرما شرعا لما يترتب عليه من اختلاط الأنساب ونسبة الولد إلى أب لم يتخلق من مائه، وهذا الإدخال إذا حدث الحمل بسببه يكون فى «معنى الزنا» والزنا محرم فى كل الشرائع السماوية. أما عن التساؤلات التى وردت فى السؤال. فنجيب:

بخصوص حدوث الحمل نتيجة استدخال الزوجة صوفة مغموسة بمنى رجل غير زوجها ممكن ومحتمل ويعتبر الحمل حمل سفاح إذا ثبت ذلك.

ولايقام على هذه الزوجة حد الزنا، لأن هذا الحد إنما يقام على المباشرة الجنسية الفعلية وثبوت ذلك بالإقرار به أربع مرات أو شهادة أربعة شهود بواقعة الزنا أمام القضاء.

---

(٧) رواه الجماعة.

وأما بالنسبة لإباحة الإجهاض في هذه الحالة فنقول: إن هذا الجنين نفس محترمة له مقومات النفس الإنسانية منذ انعقاد الحمل، ومن ثم يحرم على هذه المرأة أن تجهض نفسها تخلصا من هذا الجنين، ولايحتج هنا بقاعدة: «الضرورات تبيح المحظورات».

وعن نسب الولد نقول: إذا استكمل الحمل الموصوف في هذه الواقعة أشهره الرحمية ووضعته أمه كان نسبه إلى الزوج ثابتا بحكم الفراش القائم بين الزوجين وذلك للحديث السابق: «الولد للفراش..» فإذا أنكر الزوج أنه منه وأقام الدليل الصحيح وأنه عقيم حتى تاريخ هذا الحمل وطلب من القضاء نفي نسب هذا الطفل إليه، قضى له بذلك، وفي هذه الحالة لاينسب هذا المولود إليه وإنما ينسب إلى أمه التي ولدته باعتبار أن الولادة واقعة مادية لايمكن إنكارها.

فإن عجز الزوج عن إثبات الواقعة لسبب أو لآخر، ثبت النسب إليه بالقرينة الشرعية وباعتبار أن العقم قد يزول قبيرا من عقمه ويصير صالحا للإنجاب، وإثبات النسب في هذه الحالة أولى من نفيه خصوصا وأن التقدم في مجال الطب فتح آفاقا واسعة، وأحيا آمالا كانت في حكم المعدومة، وفي النهاية فإن قدرة الله فوق كل شيء وهو على كل شيء قدير.

هذا إذا كان الحال كما ورد في السؤال والله أعلم

● **السيد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف مقدمة لفضيلتكم / جمال بيومي كساب - شبين القناطر:**

**نرجو من فضيلتكم الإجابة الشرعية عن سؤالنا هذا:**

**نهينا عن الاسراف في الماء ولو كنا على نهر جار، ونصيب الفرد من الماء في تناقص مستمر ونجد كثيراً من الناس يرشون المياه النقية أكثر من مرة في اليوم الواحد أمام محلاتهم وبيوتهم، فما حكم الدين في ذلك وهل يعد هذا من الاسراف المحرم؟.**

●● **الجواب:**

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وبعد

فالإسراف حرام سواء كان في الماء أو غيره لقول الله - تعالى -:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾(٨) ويبين المولى - عزوجل - أن المسرفين والمبذرين بإسرافهم وتبذيرهم أصبحوا إخوة الشياطين فقال - تعالى -:

﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾(٩).

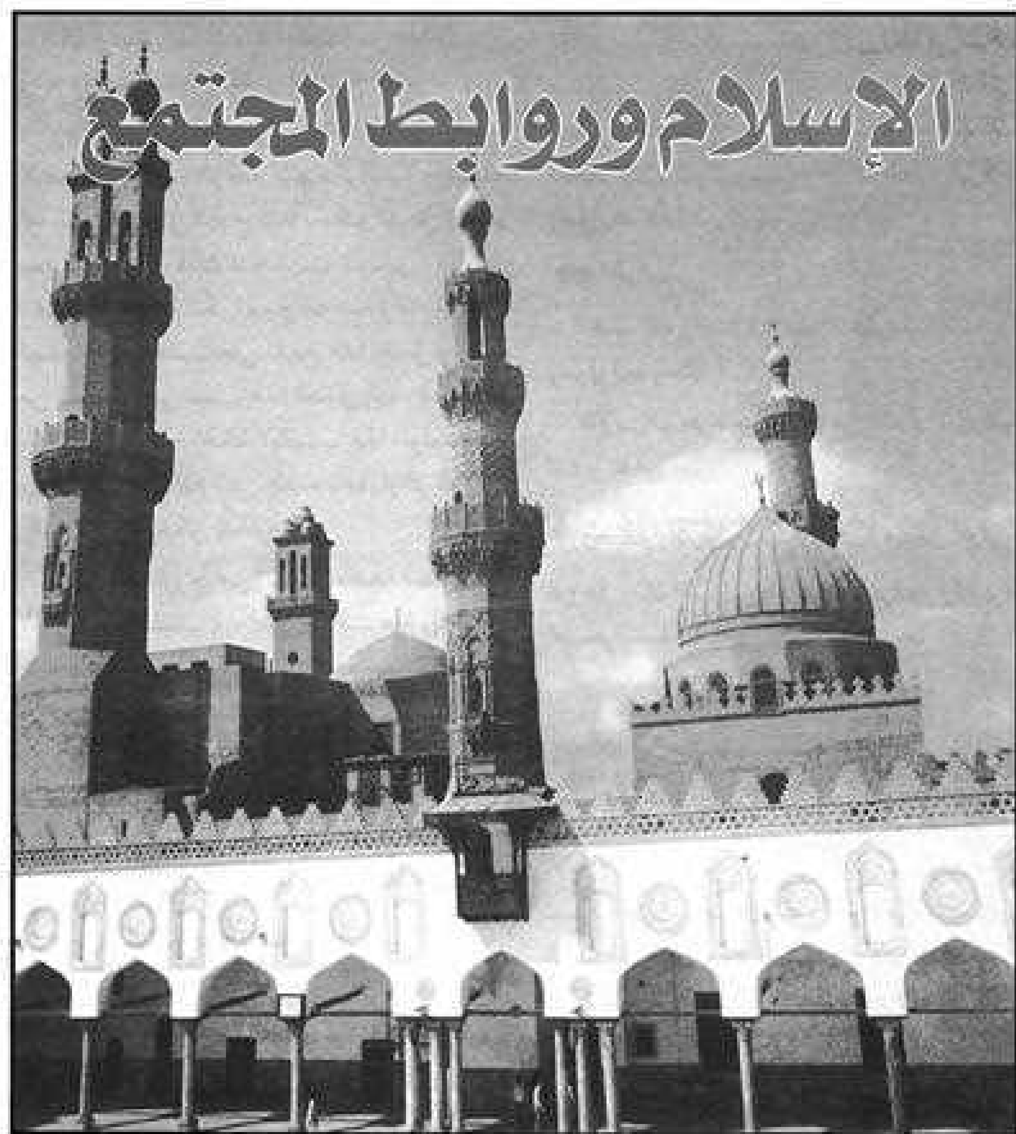
وإذا كان المولى - عز وجل - نهانا عن الاسراف والتبذير في الأكل والشرب فأولى بنا ألا نسرف في استعمال المياه سواء في الوضوء أو الغسل أو الري أو رش الشوارع، لأن هذا مضيعة لثروة المياه وبالنسبة لرش الشوارع لايصح إلا في الضرورة القصوى ولايكون بالمياه النقية وإنما يكون بالمياه المستعملة في الوضوء وغسل الملابس ونحوها هذا والله ولي التوفيق.

---

(٨) الأعراف (٣١)

(٩) الإسراء (٢٧).

# خطبة الجمعة :




لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

**الحمد لله عز وجل، هو رحمن الدنيا والآخرة، وقيوم السماوات والأرض، والهادى إلى الصراط المستقيم، أشهد أن لا إله إلا الله، هو ولى النعمة ومصدر الرحمة:**

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

**وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله، القائل له ربه:**

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[2].

**فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى ذريته وأنصاره وأهل صحبته، والقائمين بأمر دعوته:**

﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾[3].

**يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام:**

لقد جاء الإسلام ليوثق علاقة المؤمن بالمؤمن على أكرم أساس، وفى ضوء أطهر نبراس، ومن أجل هذا أقام مجتمعه على أساس «الأسرة» باعتبار أنها اللبنة المتينة الحصينة التى تجعل روابط هذا المجتمع عميقة وثيقة، لأن الأسرة تتكون من شريكين يرتبطان بعقد توثقه كلمة الله، ثم تكون للزوجين حياة مشتركة، وعواطف متجاوبة، ثم تكون لهما ذرية تزيد روابط الأسرة وثاقة وعمقاً، ولم يجعل الإسلام معنى «الأسرة» مقصوراً على حياة هذين الشريكين وبيتهما، بل علم أبناءه أن ينظروا إلى الحى أو القرية أو المدينة على أنها «أسرة» أكبر نوعاً من أسرة البيت، وأن ينظروا إلى أمتهم المؤمنة على أنها الأسرة الكبيرة الواسعة النطاق، إنما المؤمنون إخوة وأن الإنسانية أو البشرية هى الأسرة الكبرى التى تنتهى إليها غاية الإنسان وعزيمته بعد أن يكون قد أدى ما عليه من واجبات وتبعات نحو ما يسبق هذه الأسرة الكبرى من أسر أخرى أضيق منها نطاقاً، وهى بحكم ضيق نطاقها، وبحكم قربها من صاحبها أولى بالتقديم والعناية والاهتمام، ولذلك قال رسول الإسلام ﷺ : «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول»[4]، ثم قرر أن أقرب الأقربين أولى بالمعروف، ثم أوصى بالجار القريب والجار البعيد، ثم قرر أن المؤمنين إخوة ثم قرر أخيراً أن خير الناس أنفعهم للناس.

ولتوثيق الروابط الإنسانية بين الأفراد شرع الإسلام نظام «الميراث» الذى يحفظ كيان الأسرة ويدعمه، ويوثق الروابط بين الأقرباء

---

(1) الأعراف ٥٦.

(3) فاطر ١٨.

(2) آل عمران ١٥٩.

(4) البيهقى ٤/ ١٧٨، ١٠/ ٣٠٩.

وشرّع نظام «النفقة» بين الأصول والفروع أو بين الأقارب ليحقق التكافل بين هؤلاء وهؤلاء، وشرّع نظام «الحضانة» الذى يصون الطفولة من التشرد والضياع، وشرّع نظام «الوصاية» على القاصر، لكى يتصرف الوصى الرشيد بدله تصرفاً سليماً حكيماً يؤدى إلى خير القاصر وحفظ ممتلكاته وتثمير أمواله، فإذا كبر القاصر أدرك أن سابقيه قد صنعوا معه الجميل فيقابلهم بمثله. وشرّع نظام الحَجْر على السفيه الذى لا يحسن التصرف حتى لا يبدد ماله ولا يضيع ثروته، وهناك نظام «الكفالة لليتيم» و«الكفالة للقيط» و«الضيافة للغريب» و«الإرشاد للضال»، وكل هذه نظم أراد الإسلام بها أن يعمق الصلات بين الفرد والفرد، وأن يقيم العلاقات بين أبناء الأمة على أسس من الإخوة والمحبة والتعاون على البر والتقوى.

ولتوثيق هذه العلاقات شرّع الإسلام آداباً وقواعد للمعاملة الاجتماعية الحميدة فى الأمور الكبيرة والأمور الصغيرة، حتى شملت هذه الآداب النظرة واللفتة والكلمة والتحية وهيئة الحركة، فالإسلام يحث المسلم مثلاً على أن يُحسن القول ويبذل التحية لمن يلقاه عرفه أم لم يعرفه، حتى يشيع التعارف والتآلف، فيقول سيد الخلق محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: «إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحُسن الكلام»(٥). ويحرضه على مصافحة معارفه حتى يتأكد الود بينه وبينهم، وتزول عنهم ما قد يكون غائماً فى أفق صلاتهم وروابطهم، ولذلك يقول الحديث: «ما من مُسْلِمَيْن يلتقيان فيتصافحان إلا غُفِر لهما قبل أن يتفرقا»(٦). ويحرضه على أن يتذكر دائماً أنه ليس وحده فى بيته ومجاله، بل هناك من قد يكون أحق بسبقه فى ركوب أو نزول أو مسير أو تناول شىء من الأشياء، إلى غير ذلك من الأوضاع. وها هو ذا القرآن يُعلّم أهله مثلاً أن يوسعوا فى المجلس أو يُخلوا مكاناً فيه لمن يستحق التوسعة أو النهوض، فيقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(٧).

والحديث النبوى يعلمنا فى هذا المجال أن نُكْرِم الشيخ الطاعن فى السن، والمرأة العجوز أو الحامل، والضعيف مهما يكن، فيقول: «ما أكْرَم شاب شيخاً لسِنِّه إلا قيّض الله له من يُكْرِمه عند سنه»(٨) أى عند شيخوخته، وفى رواية: «من أكرم ذا شيبة سخّر الله له من يكرمه عند شيبته» ويقول أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ: «الضعيف أمير الركب» ويقول الحديث الشريف:

---

(٥) الترغيب والترهيب ٣/١٢٦.

(٦) البيهقى ٧/٩٩.

(٧) المجادلة (١١)

(٨) ابن عدى ٣/٨٩٨.

«ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف، وينه عن المنكر»[٩]. ويعمم الرسول الحث على الرحمة والرفق بالضعفاء وتقديم من يستحق التقديم فيقول: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[١٠]، ويوسع الإسلام باب الإحسان في المعاملة وييسر أسبابه، فتجد الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يخبرنا بأن الكلمة الطيبة صدقة، وأن التبسم في وجه الإنسان صدقة، وأن إعطاء القليل من الماء صدقة، وكأن الإسلام بهذا يريد أن تتحلى كل ألوان المساعدات للناس بحلية إلهية ربانية تؤدى إلى جمالها وبهائها في الدنيا، وإلى حُسْن الثواب عليها في الآخرة.

ومن حرص الإسلام العظيم على توثيق الروابط الكريمة بين الناس أنه دعا إلى معاونة الإنسان غيره للاستقامة في السلوك والتحلي بالمكارم، وذلك عن طريق النصح الرقيق والتوجيه الرقيق، ومن هنا قال سيد البشرية محمد - عليه الصلاة والسلام -: «الدين النصيحة»[١١] وقال: «المؤمن مرآة المؤمن»[١٢] وقال: «إن أحدكم مرآة أخيه، فإن رأى به أذى فليمطه عنه»[١٣]. ومن ألوان التعاون على هذه الاستقامة أن يحسن المرء الإغضاء عما يقع فيه صاحبه من هفوة أو خطأ، فالحديث يقول: «من أقال مسلماً من عثرته أقاله الله يوم القيامة»[١٤]، ويقول: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»[١٥] ويقول: يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تتبعوا عورات الناس، فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته فقضحه ولو في عقر بيته»[١٦]. ولا يكتفي المسلم في هذا الباب بالإغضاء عن الزلة، أو العفو عن الخطأ، بل هو لا يتيح الفرصة للمفسدين كي ينالوا الناس بالتجريح أو الافتراء، فما أوسع باب الشر في هذا المجال، والحديث يقول: «من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار»[١٧].

**يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام:**

فليكن الإنسان منا في هذه الحياة بحسن معاملته للناس، وجميل سلوكه معهم - وردة تنفح غيرها بالشذا الطيب والعبير اللطيف، فإذا رآها الناس شُغفوا بها وحرصوا عليها، وإن غابت عنهم طلبوها وسعوا إليها.

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[١٨].

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾[١٩].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[٢٠].

---

(٩) ابن عدي ٩١٨/٣.
(١٠) البيهقي ٤١/٩.
(١١) البخاري ٢٢/١.
(١٢) البيهقي ٣٧٥/٣.
(١٣) الترمذي ١٩٢٩.
(١٤) اتحاف السادة المتقين ٢٥٦/٦
(١٥) اتحاف السادة المتقين ٢٣٨/٧، ٤٦٥، ٥٤٨.
(١٦) سنن أبي داوود ٤٨٨٠.
(١٧) مسند أحمد ٤٥٠/٦.
(١٨) العنكبوت (٦٩).
(١٩) المائدة (٨٨).
(٢٠) النحل (١٢٨).

# الإنفاق في سبيل الله

لفضيلة الشيخ / فوزي فاضل الزفزاف (*)

**جبلت النفس البشرية على حب المال وجمعه واكتنازه، كما طبعت النفس البشرية على الشح والبخل والإمساك بالمال، فالمال هو زينة الحياة الدنيا وبهجتها، ومن شدة حب الإنسان للمال وتعلقه به وتطلعه إليه قدمه الله - سبحانه وتعالى - على الأولاد في حب الإنسان لتملكه والزهو والافتخار به، فقال - سبحانه وتعالى -:**

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[1].

كما أن إغواء المال شديد، وسيطرة الرغبة في اقتنائه قوية، وشهوة حب تملكه عنيفة يقول الله – تعالى –:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[2].

وخطب ابن الزبير – رضي الله عنهما – على منبر مكة فقال: أيها الناس إن النبي ﷺ كان يقول:

« لو أن ابن آدم أعطي واديا ملآن من ذهب أحب إليه ثانيا، ولو أعطي ثانيا أحب إليه ثالثا، ولايسد جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب »[3].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: « قلب الشيخ شابٌ على حب اثنتين: طول الحياة وكثرة المال »[4].

واقتضت حكمة الله – سبحانه وتعالى – من باب الاختبار والابتلاء أن يتفاوت الناس في الغنى

---

(*) وكيل الأزهر السابق.

(1) الكهف (46).

(2) آل عمران (14).

(3) رواه البخاري ٨/١١٥.

(4) مسند الإمام أحمد ٢/٣٥٨.



والفقر، وفي السعة في المعيشة، والضيق فيها، وفي الرزق الكثير الواسع والرزق القليل الضيّق، يقول الله - تعالى -:

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِ ﴾(٥).

ويقول - سبحانه وتعالى - :

﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾(٦).

كما اقتضى عدل الله - سبحانه وتعالى - أن يدّخر الآخرة لفقراء الدنيا الراضين الحامدين المتعففين فيعطيهم من فضله وكرمه ونعمه ما يجعل غنيّ الدنيا يتمنى في الآخرة عندما يرى مكانة هؤلاء الفقراء عند ربهم في الآخرة ومنزلتهم في الجنة أن لو كان ضمن فقراء الدنيا، فعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «يجتمعون يوم القيامة، فيقال: أين فقراء هذه الأمة؟ قال: فيُقال لهم: ماذا عملتم؟ فيقولون: ربّنا ابْتُلينا فصبرنا، وولّيت الأموال والسُّلطان غيرنا، فيقول الله - جل وعلا: صدقتم. قال: فيدخلون الجنة قبل الناس ويبقى شدّةُ الحساب على ذوي الأموال والسلطان. قالوا: فأين المؤمنون يومئذ؟ قال: يوضع لهم كراسيّ من نور ويُظلَّلُ عليهم الغمامُ يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار»(٧).

ولذا نرى رسول الله ﷺ كان يحب الفقراء والمساكين، ويحرص على القُرب منهم لمكانتهم ومنزلتهم عند الله - تعالى -، بل كان يدعو الله - سبحانه وتعالى - أن يحشُر معهم، فعن أنس - رضي الله عنه - : أن النبي ﷺ قال: «اللهم احيني مسكينا، وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة، فقالت عائشة: لم يارسول الله؟ قال: «إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا، يا عائشة لاتردّي مسكينا ولو بشق تمرة، يا عائشة حبّي المساكين وقرّبيهم فإن الله يُقرّبك يوم القيامة»(٨).

وتحقيقا للعدالة الاجتماعية، ولكي يعيش المواطنون في المجتمع الإسلامي عيشة تسودها المحبة والمودة، والصلة والرحمة، والترابط والتلاحم، فرض الله زكاة المال على الأغنياء، ولم يجعلها منحة من الأغنياء تخضع لأهوائهم ورغباتهم إن شاءوا أخرجوها وإن شاءوا منعوها، بل جعلها ركنا من أركان الإسلام الخمسة، يقول الرسول ﷺ : «بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن

---

(٥) النحل (٧١).

(٦) الزخرف (٣٢).

(٧) كنز العمال (٢٩٣٩٢).

(٨) الترمذي (٢٣٥٢).






استطاع إليه سبيلا»(٩)، وجعلها حقا مفروضا إخراجه لاتهاون فيه ولاتقصير ولاتأخير، يقول الله – تعالى –:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١٠).

ويقول – عز وجل –:

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾(١١).

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾(١٢).

ولأهمية الزكاة بصفتها ركنا من أركان الإسلام، ولأهمية الآثار المادية والاجتماعية المترتبة على إخراجها سواء بالنسبة لمن يخرجها أو لمن يستحقها اهتم الإسلام اهتماما بالغا بها، فقد ورد الأمر بإخراج الزكاة صراحة «أى بلفظ الزكاة»، أو الثناء على من يخرجون الزكاة فى أكثر من ثلاثين آية فى القرآن الكريم، بخلاف الآيات الكثيرة الأخرى التى تتضمن الإشارة إلى الزكاة والحث على إخراجها.

وقد تضمنت كتب الفقه الإسلامى شروط إخراج الزكاة، والنصاب المقرر فى جميع أنواع المال: من ذهب وفضة، وأوراق مالية، وعروض التجارة، والمحاصيل الزراعية، والأنعام على اختلاف أنواعها.. الخ.

كما حدد القرآن الكريم مصارف الزكاة فى قوله – تعالى –:

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(١٣).

ولأن لله – سبحانه وتعالى – علام الغيوب، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، ويعلم طبيعة النفس البشرية وحبها للمال فهو خالقها وبارئها، حذر من اكتناز المال وعدم انفاقه، حتى لايكون للإنسان حجة أمام الله يوم الحساب فقال – سبحانه وتعالى –:

وقال جل وعلا:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾(١٤).

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال: «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا «الحية الذكر» أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه

---

(٩) البخارى ٩/١.
(١٠) التوبة (١٠٣).
(١١) البقرة (٤٣).
(١٢) الأنعام (١٤١).
(١٣) التوبة (٦٠).
(١٤) التوبة (٣٤، ٣٥).



«عظم اللحى تحت الأذن»، ثم يقول له: أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا - ﷺ -:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾(١٥)

وصدقة المال ليست قاصرة على الزكاة المفروضة فقط، وهذا خطأ يقع فيه كثير من الناس، فالزكاة فرض لافضل للمسلم في إخراجها لأنها ركن من أركان الإسلام.

غير أن فضل الله - سبحانه وتعالى - على عباده - فهو الرءوف الرحيم - يثيب ويمنح مخرج الزكاة المفروضة ثوابا وحسنات وأجرا يوم القيامة، يوم لاينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، يجعله يفرح بما أخرج في دنياه من زكاة المال، ومن عظم الأجر والثواب والنعيم الذي يلقاه لو كان قد أنفق كل ماله صدقة في دنياه.

فعن فاطمة بنت قيس - رضي الله عنها - قالت: سألت أو سئل النبي ﷺ عن الزكاة فقال: إن في المال لحقا سوى الزكاة ثم تلا:

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾(١٦).

ويقول الله - سبحانه وتعالى -:

﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(١٧).

ويقول - جل وعلا -:

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾(١٨).

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولاتلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى»(١٩)، وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله - عز وجل - من الرحيق المختوم»(٢٠).

وخير الصدقة وأفضلها عند الله - تعالى - ما كانت على الأهل وذوى القربى، وأن يخرجها الإنسان وهو في شبابه وصحته

(١٥) البقرة (٢٥٤).

(١٦) البقرة / ١٧٧.

(١٧) المنافقون/ ١٠.

(١٨) آل عمران / ٩٢.

(١٩) الترمذي (٢٣٤٣).

(٢٠) الترغيب والترهيب ٣/ ١١٧.

وقوته، فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال: «دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك. أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك»[٢١]، وسئل النبى ﷺ عن الصدقة على القريب فقال: «له أجران أجر القرابة وأجر الصدقة» ولفظه «الصدقة على المسكين صدقة، وهى على ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة»[٢٢]، وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: «جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يارسول الله أى الصدقة أعظم أجرا؟ قال: أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولاتمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان»[٢٣].

ولقد أدرك كثير من الصحابة – رضوان الله عليهم – بصدق عقيدتهم، وقوة إيمانهم، وصفاء قلوبهم ونقاء سريرتهم، وحبهم الذى لا حدود له للخير، وزهدهم فى الدنيا – أدركوا أن المال الذى فى ايديهم هو مال الله استودعه عندهم لإنفاقه فيما يرضى الله وفيما ينفعهم فى الدنيا والآخرة وأنهم سيحاسبون عليه حسابا عسيرا، وأن الدنيا عرض زائل، وأنهم سيغادرون الدنيا بأكفان تسترهم فقط إلى قبور موحشة، لاحول لهم فيها ولاقوة، ولاصديق لهم فيها ولاخليل، قبور لاتنقل إليها خزائن حفظ المال، بل إنهم سيتركون أموالهم لورثة يتنعمون بها، وينفقونها فيما يشتهون حلالا كان أم حراما.

آمن هؤلاء الصحابة – رضوان الله عليهم – بأن ما عند الله هو خير وأبقى، وأنه الرصيد الذى ينفعهم فى أخراهم، فلم يكتفوا بإخراج زكاة أموالهم المفروضة فقط، بل سارعوا بإخراج أموالهم فى سبيل الله وأقاموا تجارة رابحة مع الله، ووصل الأمر ببعضهم إلى قيامه بتجهيز جيش كامل للمسلمين على نفقتهم الخاصة..

ولقد سجل التاريخ أمثلة رائعة لهؤلاء الصحابة منهم: سيدنا أبوبكر الصديق – رضى الله عنه –، وسيدنا عثمان بن عفان – رضى الله عنه – وسيدنا عبدالرحمن بن عوف – رضى الله عنه – تدل على مدى قوة إيمانهم بالله، وهوان الدنيا فى نظرهم.

●●●

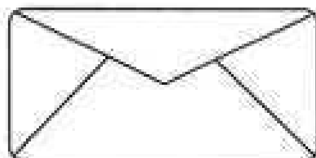
---

(٢١) البيهقى ٧/٤٢٧.

(٢٢) مسلم، كتاب الجهاد.

(٢٣) البخارى ٢/١٧٧.

# رسالة.. و.. رد



لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

● رسالة هذا العدد وردت من قارئ وقعها بـ «مسلم غيور على دينه يبحث عن الصواب» يقول فيها:
قرأت في «سورة محمد» الآية رقم ٣٥ وفهمت منها أنه ليس من حق المسلمين أن تهون عليهم نفوسهم ويتهافتوا على السلم بأي ثمن حتى ولو كان هذا الثمن كرامتهم، وأجدني أشعر أن المسلمين في هذه الأيام تركوا العمل بهذه الآية وهم يطلبون السلم بأي ثمن والعدو يقتل الأطفال والنساء يوميا بالإضافة إلى الكثير من المخازي التي نراها على شاشة التليفزيون. فهل معنى الآية كما فهمت؟ وإذا كان المعنى كما فهمت فما العمل؟ ولماذا نحن هكذا؟ وهل نحن محاسبون على تفريطنا في العمل بهذه الآية والأمر الذي تضمنته من الله؟ أفيدونا أفادكم الله.

هذه هي رسالة الأخ المسلم الغيور بنصها تقريبا وفي البداية أشكره على ثقته في مجلة الأزهر مجلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها كما أشكره على تقريظه القائمين على تحرير المجلة ثم أقول له: إن المعنى الذي فهمته من الآية لا يبعد كثيرا عن المراد منها، فقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾(١).

فبين سبحانه أن الكفار لا حرمة لهم في الدنيا والآخرة ولذا أمر بقتالهم، وبين أن النصر عليهم حليف المؤمنين لا محالة فقال:

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾(٢).

والمعنى: فلا تضعفوا أيها المؤمنون عن جهاد المشركين وتجبنوا عن قتالهم وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة خوراً وإظهاراً للعجز وأنتم العالون الغالبون والله معكم بنصره

(١) سورة محمد آية (٣٤).

(٢) سورة محمد آية (٣٥).

وتأييده ولن يظلمكم بانتقاص أجوركم على القتال والشهادة.

قال الفخر الرازي في تفسيره: مفاتيح الغيب: وفي الآيات ترتيب في غاية الحسن وذلك لأن قوله تعالى:

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾[٣].

يقتضي السعي في القتال لأن الله ورسوله أمرا به وقد أمروا بالطاعة فذلك يقتضي ألا يضعف المكلف ولا يكسل ولا يهن ولا يتهاون فإن علمتم ذلك فلا تهنوا وأنتم الأعلون بالإيمان وحتى لا يعجب المؤمنون بأنفسهم لأنهم الغالبون قال: «والله معكم»[٤] أي أن هذه الغلبة ليست من أنفسكم بل من الله - تعالى - »[٥].

وقال الألوسي في تفسيره (رُوح المعاني): (واستدل بعض العلماء بهذه الآية على منع مهادنة الكفار إلا عند الضرورة وعلى تحريم ترك الجهاد إلا عند العجز)[٦].

وعليه فإن بعض العلماء أباح المهادنة وطلب السلم عند العجز والضرورة ولا عجز أشد مما فيه المسلمون اليوم فقد صاروا في حالة من العجز والضعف والوهن ليس لها مثيل بسبب تركهم دينهم وتفرق كلمتهم مع أن دينهم دين التوحيد يدعو إلى اجتماع الكلمة ووحدة الصف فربهم واحد ورسولهم واحد وقبلتهم واحدة وعباداتهم واحدة ولغتهم في الأعم الأغلب واحدة.

لقد قال ربنا عن اليهود:

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[٧].

ومعنى هذا أن الذلة والمسكنة المضروبتين على اليهود واللاصقتين بهم ترتفعان عنهم إذا واتاهم حبل من الله وحبل من الناس، أما حبل الله ليس لأمر ذاتي فيهم ولكن لأمر يرجع إلينا بابتعادنا عن إسلامنا وتخلينا عن ديننا، وإخلادنا إلى الأرض والدنيا واتباع أهوائنا لأن الله - تعالى - لا يحابي أحداً من الناس بالنصر بل نصر الله - تعالى - يجري وفق قانون مطرد:

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[٨].

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾[٩] ونصر الله في اتباع دينه وتنفيذ أحكامه واتباع أوامره واجتناب نواهيه، وأما حبل الناس فحاصل لهم من مساندة

---

(٣) النساء (٥٩).

(٤) سورة محمد آية (٣٥)

(٥) مفاتيح الغيب جـ١٤ صـ٢٩٦ وما بعدها بتصرف.

(٦) روح المعاني جـ٢٦ صـ٨٠.

(٧) آل عمران (١١٢).

(٨) محمد (٧)

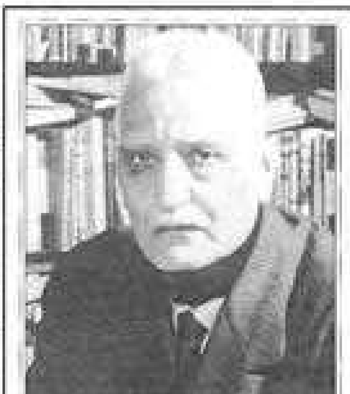
(٩) الحج (٤٠)

أمريكا دولة الظلم والطغيان والعربدة الدولية فقد تعهدت لهم منذ ما يقرب من نصف قرن على أن تجعلهم أقوى تسليحا من العرب مجتمعين، وهى لا تخجل من هذه المساندة وتعتبر المدافعين عن أرضهم وعرضهم وشرفهم إرهابيين، مع أنها تعيش على بترول العرب والمسلمين الذى لو قُطع عنها لعاشت هى وأوروبا - التى تحالفها - فى ظلام دامس.

وجاء فى تفسير المراغى لهذه الآية: «والخلاصة أن هؤلاء لا عزة لهم فى أنفسهم لأن السلطان والملك قد فقدا منهم وإنما تأتيهم العزة من غيرهم بهذين العهدين، العهد الذى قرره الله والعهد الذى تواطأ عليه الناس».

ولا تفهمن يا أخى أن فى هذا الكلام تيئيسا وتقنيطا، فرغم أن هذا هو الواقع المؤلم إلا أن أمامنا كثيرا من الأسلحة لو أدخلناها المعركة لجنينا من ورائها الخير الكثير ومنها على سبيل المثال:

**١ - المقاطعة**: وهى من أمضى الأسلحة من أقدم العصور، لقد عرف العرب الجاهليون خطرها وأثرها فاستعملوه ظالمين فى مقاطعة بنى هاشم والمسلمين حتى يرغموهم على ترك دينهم، ومنذ أكثر من أربعين


العقاد: العرب لم يهزموا إسرائيل إلا بالمقاطعة الاقتصادية

عاما قال الأستاذ العقاد فى إحدى ندواته لرواده: إن العرب لن يستطيعوا أن يهزموا إسرائيل عسكريا لكن هزيمتهم الاقتصادية ممكنة، ولن يتحقق ذلك إلا عن طريق المقاطعة وقد كانت معظم دول أفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا وبعض دول أوروبا تقاطع إسرائيل حين كان العرب يقاطعونها فلما تخلى العرب عن هذه المقاطعة تخلى عنها الجميع، فقد أصبح لإسرائيل سفارات فى كثير من الدول العربية وفى بعضها الآخر مكاتب تجارية أهم من السفارات وقد دعا مؤتمر القمة إلى اجتماع طارئ من أجل المقاطعة فاعتذر كثير من دول البترول اعتذارات واهية كانت مثارا للتندر ومجالا خصبا لأفكار أحمد رجب وريشة مصطفى حسين.


الملك فيصل: بترول العرب ليس أغلى من الدم العربى

**٢ - البترول**: فلو علمت أمريكا أن مصالحها عند العرب - خاصة دول البترول - مهددة لغيرت موقفها ورحم الله الملك الراحل فيصل بن عبدالعزيز آل سعود الذى قال: إن بترول العرب ليس أغلى من الدم العربى الذى يراق كل يوم هنا وهناك وأدخل سلاح البترول المعركة فكان له أثره الفعال فى وقف أمريكا عند حدها ومعها أوروبا المنافقة.



٣ - الإعلام العربى والإسلامى المدروسين جيدا وذلك لتغيير الرأى العام العالمى الذى مازال ينظر إلى إسرائيل على أنها دولة صغيرة مظلومة وسط وحوش من العرب يكادون أن يبتلعوها، وتعبئة الرأى العام العربى قضية يعمل لها الحكام ألف حساب، فلو أن إعلامنا أولى قضية الانتفاضة أو الحرم القدسى ربع ما أولاه لموت أحد الفنانين أو الفنانات لتغير الأمر كثيرا.

هذه يا أخى بعض الأسلحة التى مازالت أمامنا جاهزة للاستعمال وأهم منها سلاح الإيمان بالله فلو كنا مؤمنين حقا لأمدنا الله بجند من عنده:

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(١٠).

فالزلازل من جند الله، والبراكين من جند الله والريح التى نصر الله بها المسلمين فى غزوة الأحزاب من جند الله، والميكروبات من جند الله، والحشرات من جند الله.

وأهم هذه الأسلحة الملائكة التى نصر الله بها المسلمين فى بدر.

لقد رووا أنه فى حرب فلسطين قبل الثورة حوصرت كتيبة من المسلمين المتطوعين وأوشكوا أن يموتوا جوعا فقال قائدهم وكان مسلما حقا: يارب إن نبيك ورسولك نوحا - عليه السلام - دعا فقال:

﴿ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾(١١).

فنصرته بالطوفان، وأنا يارب أدعوك بما دعاك به نبيك نوح، فلم يمض وقت كبير حتى رأوا طائرات إسرائيلية تسقط عليهم صناديق الأغذية ولم يكن المقصود الكتيبة المسلمة بل كانوا يسقطونها على كتيبة يهودية كانت محاصرة هى الأخرى قريبا منهم فخطأ التقدير يعتبر من جند الله أيضا مثل خطأ خداع البصر.. ألم يغير الله قانون الرؤية فى بدر كى ينتصر المسلمون الذين نصروا الله فى أنفسهم فاستحقوا النصر وصدق الله العظيم:

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾(١٢).

هذا وبالله التوفيق والله أعلم وإلى اللقاء فى مقال آخر إن شاء الله رب العالمين.

---

(١٠) الفتح (٧).
(١١) القمر (١٠).
(١٢) الأنفال (٤٤).



# المفهوم الصحيح للحرية

لفضيلة الشيخ محمد فوزان

**كلمة الحرية أصبحت شعارا على كل لسان.. ولكن هل هى التصرف المطلق وحرية الكلمة المطلقة والرأى المطلق. كما يفهمها البعض؟ وما معنى كلمة الحرية فى القرآن الكريم؟ وما هو المفهوم الصحيح للحرية..؟ الحرية إذا كانت كما يفهما البعض على أنها حرية الانسان فى أن يفعل ما يشاء. وأن يقول ما يشاء.. فهذا فهم خاطئ يتنافى مع الشرائع السماوية والقوانين الوضعية. ولا توجد حرية بهذا المعنى فى أى مجتمع إنسانى. وقد لا توجد الحرية بهذا المفهوم إلا فى الغابة فقط. حيث لا شرائع سماوية. ولا قوانين وضعية. ولا عقل يحكم الحيوان.**

أما معنى كلمة حرية فى القرآن الكريم، فقد جاءت بمعنى حرية الرقبة من العبودية. فإذا كان الإنسان مملوكا لإنسان آخر كان عبدا يباع ويشترى. وإذا كان غير ذلك، كان حرا لا يباع ولا يشترى.. وهذا المعنى مبين فى آية القصاص فى قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ﴾(١).

فهذا هو المعنى الحقيقى للحرية وعدم الحرية فى القرآن الكريم.. ولا مانع من أن تستعمل هذه الكلمة، استعمالا مجازيا فى الفعل أو القول، بمعنى أن الإنسان حر فى بعض أفعاله، وبعض أقواله.. لا فى كل أفعاله وكل أقواله.. وعلى هذا فحرية الإنسان مقيدة وليست مطلقة، كما يحدث فى هذه الأيام التى عمت فيها الفتن، وفاحت فيها رائحة الحقد والكراهية وعم فيها الظلم، وضاعت فيها الحقوق، واختلط الحابل بالنابل.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

لذا جاءت الشرائع السماوية، لتقول للإنسان، افعل كذا ولا تفعل كذا.. وكذلك القوانين الوضعية. فإذا كانت حرية الإنسان

(١) البقرة : (١٧٨)



مطلقة لا قيود عليها، لما كانت هناك حاجة للشرائع السماوية. ولا القوانين الوضعية.. لأن أول ما خلق الله آدم ـ عليه السلام ـ وحواء في الجنة. لم يطلق لهما حرية التصرف.. وإنما فرض عليهما قيودا.. حيث قال ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾(٢).

وهذه سنة الله في خلقه. افعل ولا تفعل.. وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم. الذي جاء لإصلاح البشرية، نجد أنه يأمرنا بأفعال فيها صلاحنا إذا فعلناها.. وينهانا عن أشياء فيها شقاؤنا إذا لم ننته عنها.. فمثلا يأمرنا بالصلاة والزكاة، والصوم، والحج، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، إلى غير ذلك من المأمورات التي فيها صلاحنا. واستقامة أمورنا وسعادة نفوسنا.. وينهانا عن المعاصي مثل القتل بغير حق، والزنا، وشرب الخمر، والسرقة، والظلم، والغش، والفتن، الى غير ذلك من المنهيات التي فيها شقاؤنا.. ومعنى هذا أن الإنسان ليس حرا في كل أفعاله. وإنما هو مقيد، بما أمر الله به، وبما نهى عنه وعلى هذا فحرية الإنسان إنما تكون في إمتثال ما أمر الله به، وإجتناب فإذا خرج عن هذا الإطار تهدر حريته وكرامته. ويقع تحت طائلة العقاب الإلهي. الذي وضعه الله لمن يخالف أوامره، ونواهيه وكذلك من يخرج على قوانين الدولة التي تنظم العلاقات الاجتماعية والأمنية بين أفراد المجتمع يقع تحت طائلة القانون. ولا حرية ولا كرامة مادام خارجا على القانون.. وكذلك لا توجد في الإسلام حرية كلمة مطلقة أو حرية رأي مطلق كما يفهم البعض.. ولكن هناك ضوابط وضعها الإسلام.. إذا ما التزمنا بها أصبحنا مجتمعا متحابا ومتماسكا، لا متباغضا ومتفرقا.. فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يأمرنا بالكلمة الطيبة التي تجمع بين القلوب وتؤلفها.. وينهانا عن الكلمة «الخبيثة» التي تفرق بين القلوب وتباعدها.. فيقول ـ سبحانه ـ:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾(٣).

فهو سبحانه ـ يأمرنا بالكلمة الطيبة لما لها

(٢) البقرة: ٣٥.

(٣) إبراهيم: ٢٤ - ٢٧.





من أثر طيب في صلاح أمورنا وأحوالنا. وأعمالنا. فيقول ـ عز من قائل ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾(٤).

ويقول سبحانه:

﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾(٥).

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(٦).

ويقول:

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾(٧)

ويقول رسول الله ـ ﷺ ـ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

إلى غير ذلك من القول الطيب.. وينهانا ـ سبحانه وتعالى ـ عن القول السيء الذي يفرق بين القلوب ويباعدها، ويؤدي إلى إثارة النفوس وتخاصمها.. حيث يقول سبحانه:

﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾(٨).

ويقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾(٩).

ويقول ـ ﷺ ـ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

إلى آخر ما جاء في القول السيء، فمن خرج عن هذا الإطار تهدر حريته، ويقع تحت طائلة الإلهي الذي وضعه الله ـ عز وجل ـ لمن خالف ذلك.. أو العقاب القانوني الذي وضعه القانون لذلك..

وبعد هذا الإيضاح يجب أن نعرف أن الكلمة التي تهدم، أو التي تفرق، أو التي تشكك، لا مكان لها في مجتمعنا الآمن والمتماسك. أن ما يكتب في الصحف الصفراء بقصد النيل من الأديان والتفريق بين عنصري الأمة مرفوض وغير مقبول لأن الشرائع السماوية ـ كما ذكرنا آنفا ـ تؤكد على أن حرية الإنسان ليست مطلقة. وأن الحرية الحقيقية هي تحرير الإنسان من الشرور والرذيلة.

إن حرية الكلمة لا تعني الفوضى. والحديث عن أعراض الآخرين. وإنما هي لتحقيق الصالح العام. للوطن وإرساء دعائم الديمقراطية الصحيحة. وبالله التوفيق..

---

(٤) الأحزاب: «٧٠، ٧١».

(٥) البقرة: «٨٣».

(٦) النحل: «١٢٥».

(٧) البقرة «٢٦٣».

(٨) الأنعام «١٠٨».

(٩) الحجرات «١١».

# أيها الإعلاميون رويدكم..

للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير

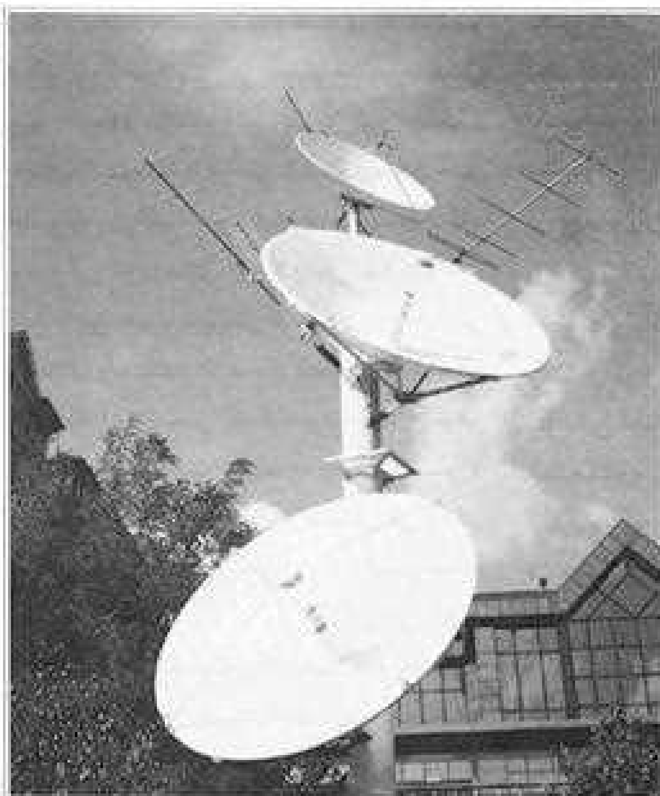
**كلما تلوت قول الله عزوجل:**

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(١).

**أدركت كم يفتح الله للناس من طرق الخير وييسر من سبل البر، فى الوقت الذى ازداد فيه أسا ولوعة للمنحى الذى تسلكه كل وسائل الإعلام فى تقديم صورة بشعة مرعبة لكثير مما يحدث فى العالم مصورة إياه وكأنه خلا تماما من الخير والحق والجمال، ولا عجب فتلك إحدى الخصائص الغريبة التى تريد العولمة ومنظروها تأصيلها فى النفوس وترسيخها فى العقول والتى علق عليها قارىء برازيلى يبدى رأيه فى كيفية الاحتفال بأى شىء جديد فقال: (إن احتفالنا بأى جديد فى حياتنا ينبغى أن يلبس ثوب الأمل الزاهى والعزم القوى على أن يكون مستقبلنا أفضل من ماضينا وغدنا أشد ثراء من أمسنا).**

وهذا - لشديد الأسف - ما لايحدث، والسبب أن غالبية الإعلام المقروء والمسموع والمرئى لايغير ما اعتاد من نغمة تصيب الواحد منا بالكآبة والانقباض وإنك لن تجد إلا فيما ندر سوى تركيز على الجوانب السلبية والسلوكيات غير الحميدة التى يبالغ

(١) (النساء: ١١٤).



فى إبرازها وتضخيمها خصوصاً فى دول العالم الثالث.. أجل فعيون أولئك الصحفيين لاتبصر فى تلك الشعوب غير الأخطاء الأمر الذى يصيب القارىء بالدوار، وحجتهم فى ذلك أن بإمكانك ألا تقرأ أو تسمع أو ترى، وهى حجة واهمة تفترض فى الإنسان تعطيل منافذ الإدراك لديه.. صحيح أن بإمكان البشر اختيار الأخبار التى تروقهم، لكن من الصعب إن لم يكن من المستحيل تحاشى الجوانب السلبية.

الهدف النهائى للعولمة إذاً هو قولبة كل شيء ووضعه فى أطر محدده، وصيغ ضيقة وهو ما اتهم به المغرضون الإسلام كثيراً ووصموا به تعاليمه السامية والإسلام من ذلك برىء فهو منهج حياة متكامل ورسالة عالمية تنظر إلى كل مشكلات البشرية بعين الواقع لتوجد لها الحلول الممكنة، شريطة توافر النيات الطيبة والهمم العالية والعزائم المثبتة التى تبتغى وجه الله. أما كل وسائل الإعلام - أو معظمها - فقد أصبحت أذناباً لمصدرى العولمة وأصداء لنعراتها الجوفاء وأبواقها الخالية.

ولتوضيح الصورة أدعوك إلى أن تتأمل بعين المنصف كيف تتفنن كل تلك الوسائل فى قولبة كل شيء ووضعه فى نماذج وأشكال لايخرج عنها وهدفها المحورى هو إعلاء القيم المادية. فهم يجعلون الناس يفكرون بطريقة واحدة وأسلوب عقيم لايستطيعون منه فكاكا مرتكزين على الطنين الفضائى الذى لاينقطع ولاينفك يردد أننا نعيش حقبة العولمة التى اتخذت الكيل بمكيالين وجعلت من تعدد المعايير والازدواجية أمراً عادياً

لايكاد يجد معارضوه صدى لنداءاتهم المتكررة ولأصواتهم التى بحت منادية بالعدل ونبذ المحاباة، مؤكدة أنها الطريق إلى الهلكة.

وحتى أبتعد بك أخى القارئ، عن جو الحروب الخائفة وحديث الموت الذى يكاد يشيع فى كل وسائل الإعلام ليل نهار، دعنى آخذك فى جولة نتريض فيها داخل حدائق الأخلاق وبساتين الأعمال الصالحة والأفعال الخيرة التى ينسى المسلمون أنها جوهر الإسلام ولحمته وسداه، وهذه الصورة الوضيئة لا أقول مثلاً إنها تتمثل فى أكثر الأنفاق نظافة فى «ساوباولو» أكبر مدن أمريكا اللاتينية - ولا حتى فى أرقى المستويات الاقتصادية والاجتماعية والتقنية فهذه كلها أمور حياتية ملموسة معاشة، لكنها تتمثل فى الطابع الإنسانى الرقيق لتلك المجتمعات، فهناك مثلاً - وهو ما تغفله العولمة ويتجاهله أصحابها - ما يعرف بالجماعات الراكبة التى يتألف كل منها من ثلاثين فرداً من طلاب الجامعة مهمتهم خدمة أناس تجاوز كل واحد منهم سن الخمسين منهم، يقومون بقضاء مصالح أولى الضرر من المعاقين ذهنياً أو بصرياً أو بدنياً أو سمعياً لمدة ثلاثة أيام أسبوعياً مضافاً إليها أيام عطلات نهاية الأسبوع، وتشمل تلك المشاوير الخيرة العناية بهؤلاء المساكين والذهاب بهم إلى أماكن البيع والشراء لجلب حاجياتهم بل يصل الأمر أحياناً إلى إطعامهم الطعام والقيام بخدمة من لايستطيع منهم حراكاً ومؤانستهم بالتحدث معهم لتخفيف وحدتهم وما يشعرون به من فراغ قاتل ووحشة شديدة.

إن ما يوليه أصحاب القلوب الرحيمة من الرعاية والعناية والعطف والمحبة لتلك الفئات المحرومة وتمكينهم من تخفيف بعض رغباتهم وتلبية شيء من حاجياتهم الملحة، لأمر جدير بنا نحن أمة الخير أن نحرص عليه فمعاونة الضعفاء، وتوصيل الخير إليهم جعله رسولنا الكريم ﷺ طريق الفوز والفلاح حين قال: «إبغونى فى الضعفاء فهل تنصرون وترزقون وتجبرون إلا بضعفائكم» ولا يقف الأمر طبعاً عند قضاء المصالح الضرورية بل يتعداه إلى الترفيه المباح والتسلية البريئة لإزالة ما أصاب الأنفس من كدر، وتخفيف ما علق بها من أدران وهو اتجاه مخالف لمنطق العولمة التى تجعل من متاعب الناس ومعاناتهم غذاء ضرورياً ومورداً لاينفد لأخبار تخلق من الدنيا مكاناً يكاد يمقت الإنسان فيه نفسه ويجد الصورة قاتمة يحس معها بالغربة. فأنت غير واجد فى البوسنة والهرسك إلا المقابر الجماعية للمسلمين. والمحاكمات الدولية لمجرمى الحرب وهو أمر إيجابى لاشك. أما فى «فلسطين» فالصورة تختلف تماماً فعلى الرغم من المجازر البشعة التى يتعرض لها أولئك البائسون وتهديم البيوت وإزالة

المزروعات وكل الأعمال البربرية التى تتنافى تماماً مع أى حضارة أو مدينة تجد عالماً يصم آذانه ويغمض أعينه ويقسو قلبه إلى درجة تجعله لايفرق بين الجانى والضحية ويصدر أحكاماً تلبس الذئب المفترس ثوب الحمل الوديع وتسمى الأشياء بغير أسمائها، فالجهاد عندهم إرهاب، ومقاومة الاحتلال عنف لابد من إيقافه. فإن ذهبت إلى «الصومال» ارتعدت فرائصك لمنظر أناس ذوى وجوه شاحبة وأشخاص هم أقرب إلى الأشباح منهم إلى الآدميين نظراً لما يعانون من نحافة أجساد واهنة لاتكاد تميز فيها بين العظام والجلود. أما أعمال الخير وتطبيق الشريعة هناك فلا يكاد يحدثك عنه أحد وأما «أفغانستان» فلن يخبرك عنها إعلاميو العولمة إلا أنها مكان طغى فيه الجهال وفشا فيه التخلف والزمت فيه المرأة بيتها لاتعمل ولاتتعلم. أما تحويل دور المسرح والسينما وغيرها إلى مساجد ودور لأعمال البر والخير فلا يُذكر عنها كلمة واحدة. وحتى تحويل المساحات الشاسعة التى كانت مزروعة بالحشخاش والأفيون والماريجوانا والكوكا وكلها نباتات مخدرة تغتال عقل الإنسان قبل حياته، تحويل كل تلك المساحات إلى مساحات خضراء تزرع فيها المحاصيل المثمرة والنباتات المفيدة كالقمح والذرة والأرز وغيرها مما لاغناء للإنسان عنه فى حياته اليومية يسد به جوعته ويرفع مستواه الاقتصادى فهو فى نظر أولئك المحجفين أمر غير ذى بال لايستحق التحدث عنه أو التنويه به. وتقوم الدنيا ولاتقعد عندما تحطم تماثيل بوذا. أما أن يزال المسجد البابرى بالهند من فوق الأرض ويحرق من فيه فالدنيا فى سبات عميق تطبق الشفاه على المرارة والألم. والأمثلة لاتنتهى فى «السودان» التى يُحَارَبُ الإسلامُ فيها حرباً ضروساً شعواء وكذا الجزائر التى يراد لها أن تغير هويتها الإسلامية العربية. كل ذلك لأن العولمة لا تكل أو تمل وتعتبر الإسلام هو العدو الباقى بعد أن قضت على الزحف الأحمر للشيوعيين. وهنا نهمس أو نصرخ لأبهم ونقول: أيها الإعلاميون رويدكم واجعلوا الناس تلتقط أنفاسها وترى فى الدنيا شيئاً جديراً بالتقدير والإعجاب والشكر والامتنان فدنيا الله لم تخل ساعة من مظهر من مظاهر الخير والحق والجمال.

إن من الأخبار أخباراً لاتكتب إلا فى زوايا الصحف وأركانها التى لاينتبه لها الكثيرون وكان حقيقاً بها أن تُدون بارزة فى أماكن ظاهرة يقرأها القاصى والدانى محيياً متهللاً مستبشراً مؤمناً بأن المستفيدين من طفرات العلم أناس لهم الحق فى الحياة كأقرانهم سواء بسواء، وأقصد بهم كل من شاء الله له أن يستظل تحت شجرة البلاء فهم ليسوا فى حاجة إلى مصمصة الشفاه والشفقة المحبطة

إنما هم في حاجة ماسة إلى أن ترفع قضاياهم وتعرض بصدق يبتغي لها حلولاً جذرية تساعد أصحابها على تحمل البلاء وتعينهم على رفع معنوياتهم وهو أمر لن يتحقق إلا أن تتسنم هذه القضايا أولويات العولمة.

وهنا أقدم أمثلة تمس حياة أولئك الناس في أدق تفاصيلها ألا وهي العملة المالية ورقية كانت أو معدنية. فحينما أقدمت الحكومة الأمريكية على تغيير شكل العملة تيسيراً على الضعفاء قابلها الإعلاميون بالعبوس والتجهم والسخرية والتهكم وهو أمر يناقض ما يفترض أن يتسم به أولئك الإعلاميون من التحضر وتقدير ظروف الآخرين. إن هؤلاء الإعلاميين لايقدرون أن تلك الخطوة ذات فوائد جمة من أهمها أنها تكسب المعاقين ثقة أكثر في أنفسهم وتجعلهم أقل اعتماداً على غيرهم. ومن هنا بادرت الحكومة الكندية بما بدأته أمريكا على استحياء إذ جعلت كندا اللون الأزرق مميزاً للورقة من فئة خمسة دولارات والأخضر للعشرة والأرجواني للعشرين والأحمر للخمسين والبني للمائة. ولم يقف الأمر عند تحديد الألوان تيسيراً على ذوي الرؤية المحدودة بل تعدده إلى خطوة أكثر جرأة وأشد مراعاة لظروف مستخدميها فمنذ بداية هذا العام سيتم كتابة الفواتير بطريقة «بريل» وهو أمر يلتزم به كل المتعاملين مع المكفوفين ومخالفته أو تجاهله تقتضي المساءلة القانونية الرادعة. إنهم يتعاملون مع الأمور الشائكة تعاملاً بناء لايقف عند حد الكلمات المعسولة والوعود البراقة. أما الخطوة الأخيرة المذهلة حقاً والتي أقدمت عليها الحكومة الكندية أيضاً في مسألة العملة والتي لم تعرها الصحافة أدنى انتباه فهي مساعدة حتى أولئك الذين لايستطيعون قراءة الخط البارز، وكانت قدراتهم ومهاراتهم فيه محدودة ضعيفة. فقد زودت تلك الحكومة الرشيدة كل فاتورة بمشفر كودي يسمى بالانجليزية « Bar code » يتم قراءته عن طريق جهاز مبتكر صغير يحمل في اليد ويقوم بنطق قيمة العملة بصوت مسموع لمستخدميه تماماً كما تعمل أجهزة كبيرة من مثل الساعة الناطقة والحاسوب الناطق والقفاز الناطق.. فهل آن لحكومات أخرى أن تكون العملة فيها بهذا الشكل الميسر الذي تقدره كثيراً؟!.

***




للأستاذ / أحمد إسماعيل إبراهيم (*)

**كانت القلاع والحصون منذ القدم تحاط بأسوار ضخمة تتخللها أبراج قوية بها فتحات تخرج منها أسلحة الرماة لصد الأعداء عند هجومهم.**

**وكان يتم اختيار المواقع المرتفعة والمسيطرة لإقامة القلاع عليها، بحيث ترقب ما حولها بيسر وسهولة، وإذا تطلب الأمر يخلى ما حولها من الأشجار أو كل ما يحجب الرؤية للراصدين.**

---

(*) مدير متحف الملك عبدالعزيز الحربي سابقاً.

وتطبيقا لهذا الفكر الاستراتيجي في اختيار مواقع القلاع فقد تم اختيار موقع قلعة القاهرة فوق احدى المرتفعات العالية المتصلة بجبل المقطم، الامر الذى هيئ لها ان تشرف على مدينة القاهرة باكملها فى ذلك الوقت دون وجود حجاب او ساتر حولها.

## تشييد القلعة:

أمر السلطان صلاح الدين بن أيوب وزيره (بهاء الدين قراقوش الأسدى) بتشييد القلعة عام (٥٧٢هـ- ١١٧٦م) ولكن لم يتم الانتهاء من بنائها إلا فى عهد ابن أخيه الملك الكامل (٦٠٤هـ- ١٢٠٧م). وكان الهدف من بناء القلعة في ذلك الوقت هو تحصين مدينة القاهرة وتهيئة مقر آمن للسلطان.

## فصل القلعة عن المقطم:

كانت القلعة عند بنائها على هيئة شكل مستطيل غير منتظم، ومتصلة بجبل المقطم لذلك أمر صلاح الدين الأيوبى بفصل القلعة عن جبل المقطم بهوة كبيرة (خندق) حتى يمنع العدو فى حالة سيطرته على جبل المقطم من السيطرة على القلعة.

**ومن منشآت صلاح الدين في القلعة:**

١- إقامة ثلاثة أبواب بها:

● باب المدرج (المواجه لمدينة القاهرة).

● باب القلعة (المواجه لجبل المقطم).

● باب القرافة (فى المنطقة الشرقية للقلعة).

٢- الإيوان الكبير (المعد لجلوس السلطان فى أيام المواكب).

٣- البئر (وقيل إنه كان ينزل إليها بثلاثمائة درجة).

٤-الاسطبلات السلطانية.

٥- قاعة الصاحب (الوزير).

٦- أبراج الحمام.

٧- خزانة الكتب.

٨- الجامع.

## القلعة في العصر المملوكى (١٢٥٠-١٣٨٢م):

كان هذا العصر مثل سابقه من أزهى العصور ارتقاء بالقلعة، فقد اهتم سلاطين الدولة المملوكية بالقلعة، والذين عرف عنهم جهادهم الكبير فى مقاومة الصليبيين، والمغول والعثمانيين. ولقد صاحب هذا الاهتمام ظهور التنظيم الحربى الدقيق والانضباط فى إدارة شئون القلعة مما علا شأنها، خاصة في عهد الظاهر ركن الدين بيبرس الذى شيد فيها دار الذهب (قاعة فخمة ومهيبة) ودار العدل القديمة، وبرج الزاوية.

كما ازدهرت القلعة فى عهد الناصر محمد بن قلاوون (٧١٠هـ - ١٣١٠م) والذى انشأ فيها الجامع والإيوان، وقصر الابلق (١٣١٣م) والسبع قاعات والاسطبلات والبرج المربع (١٣٣٤م)



والميدان كما أنشأ أربعة أسواق على النيل لنقل المياه إلى السور ثم من السور إلى القلعة.

## القلعة في عهد العثمانيين (١٥١٧-١٧٩٨م):

لم تظفر القلعة في عهد العثمانيين بشئ يمجد تاريخهم الطويل في حكم البلاد، بل على النقيض من ذلك.. بدأت القلعة تفقد بالتدريج مكانتها الرفيعة، فبمجرد أن وطأت أقدامهم القلعة دب الخراب في دورها، وبدأت الأيدي تنتزع رخامها، وحليها ونقوشها وتحفها وتم شحنها إلى إسطنبول، وهكذا خيم الخراب على قلعة القاهرة في عهدهم.

ولم تكن القلعة أسعد حظا أثناء الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨- ١٨٠١م) فما أن نزل الفرنسيون قلعة القاهرة حتى هدموا أبنيتها، وقوضوا مواضع كثيرة ودمروا قصر صلاح الدين ووضعوا مدافعهم في أماكن تم اختيارها حسب تصورهم التكتيكي، وعموما فقد بدلوا محاسن القلعة إلى مساوئ.

## القلعة في عهد محمد علي وخلفائه:

ومنذ أن تولى محمد علي باشا حكم مصر عام (١٨٠٥م)، أخذت القلعة اهتمامه الشخصي واتخذها مقرا لحكمه. فبدأ دولاب

العمل ينشط فى كل ركن من أركانها، فبدأ بإصلاح وترميم ما أفسده وخربه السابقون فأصلح أسوارها، ورمم أبراجها وأبوابها، وبنى ثكنات للجند، ودواوين للحكومة، ومصانع للذخيرة ومدارس للجيش، وقصورا للسكنى، ومسجدا للصلاة. فأعاد للقلعة مجدها وعظمتها ورونقها.

● **قصر الجوهرة**: الواقع فى الزاوية الغربية للقلعة. وتحديدا يقع جنوبى مسجد محمد علي، وكان هذا القصر مخصصا لاستقبالات محمد على الرسمية. وهو يتكون من عدة غرف كبيرة وصغيرة، وكلها لها أبواب تصل إلي القاعة الكبرى المسماة بقاعة العرش أوالفرمانات، والقصر يطل علي ميدان صلاح الدين، ومنه هرب مراد بك بحصانه فى مذبحة المماليك التي دبرها محمد على لهم وسمي بالمملوك الشارد.

● **الدفتر خانة (دار المحفوظات)**: شيدت هذه الدار عام ١٨٢٨م ، على أنقاض طبلخانة بيبرس، وهي تقع على يمين باب القلعة الجديد والذى يؤدي إلي ميدان صلاح الدين. والدار تتكون من عدة غرف أعدت للمحفوظات، وهي مازالت دارا للحفظ علي مستوى الجمهورية.

● **قصر الحرم (١٨٠٧م)**: ويشغله الآن المتحف الحربى.

● **دار الصناعة**: وحشد فيها ما تبقى من الصناع المهرة (فى عهد العثمانيين) وهى تضم مصانع ومعامل متعددة لصناعة الأسلحة الخفيفة وطرق النحاس وصب المدافع وصناعة السيوف والرماح والسروج واللجم وغيرها. من أهم معاملها معمل صب المدافع عيار (٨ رطل) وكان يصنع فيه من ثلاثة مدافع إلي أربعة مدافع كل شهر، وكذا مدفع الهاون عيار (٨ بوصة) ومدافع قطرها (٢٤ بوصة). ،وقد بلغ عدد الصناع فى هذ الدار نحو تسعمائة صانع ينتجون شهريا ما بين (٦٠٠) إلي (٦٥٠) بندقية.

● **جامع محمد علي**: وقد عهد محمد على




ضريح محمد علي
فى الركن الغربى القبلى

باشا إلى المهندس التركى ( يوسف بوشناق ) بوضع تصميم له، فاختار تصميما لطراز مسجد السلطان أحمد بالأستانة مع تعديلات طفيفة عليه، والمسجد عبارة عن بناء مستطيل الشكل ويتكون من قسمين: المسجد ويتوسطه نافورة للوضوء، ولكل من القسمين بابان أحدهما قبلى والآخر بحرى. ولقد شرع فى بنائه عام ( ١٨٣٠م ) واستمر العمل فيه حتى وفاته عام ( ١٨٤٩م ) ودفن فيه ( يقع ضريحه فى الركن الغربى القبلى ). وأكمل خلفاؤه النقوش والأسوار وغيرها وفى عهد الملك فؤاد الأول تم إزالة قبة المسجد لوجود خلل حل بها وأعاد بناءها من جديد عام ( ١٩٣٩م ).

وللقلعة حاليا بابان، الأول للقادم إليها من ميدان صلاح الدين ( وهو الباب العمومى الذى شيده محمد على عام ١٨٢٥م ). والآخر للقادم إليها من طريق صلاح سالم. وكلاهما يؤدى إلى أهم المآثر الباقية فى القلعة والتى تستحق الزيارة وهى:

■ **مسجد محمد على**: الذى يتميز بعمارته الفريدة، وزخارفه البديعة.

■ قصر الحرم: وتتزين جدرانه وأسقفه بالرسومات والزخارف الرائعة، وبعضها مذهب. ويشغله الآن المتحف الحربى للقوات المسلحة المصرية.

■ وأمام الباب المؤدي للمتحف تشاهد مجموعة ضخمة من مدافع الحصون والقلاع التي صنعت في عهد محمد علي.

■ البئر: التي أنشئت في عصر السلطان صلاح الدين الأيوبي.

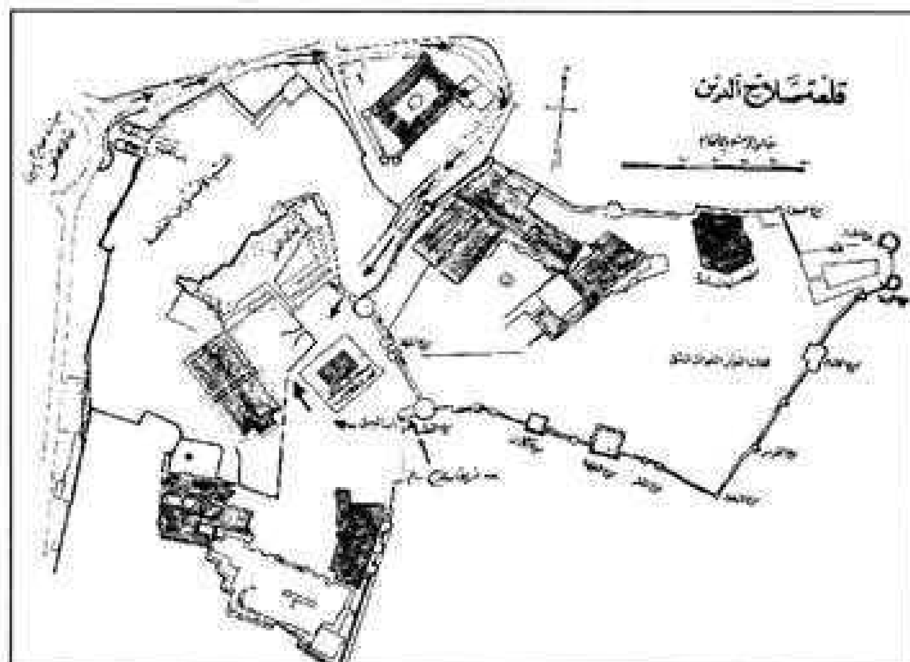
■ قصر الجوهرة: ويمتاز برسوماته وزخارفه الرائعة والذي كان مقرا لحكم محمد علي.

■ مسجد السلطان الناصر بن قلاوون (وبدأ العمل فيه عام ١٣٢٨م) ولهذا الجامع منارتان حجريتان.

■ مسجد سيدي سارية: أنشأه الوالي سليمان باشا عام ١٥٢٨م، وتحيط بصحن المسجد أروقة ذات قباب صغيرة.

وهكذا نرى أن قلعة القاهرة بأسوارها الشاهقة وأبراجها الضخمة وجنودها المدربين على جميع أنواع القتال كانت مركزا هاما لأحداث جسام خلال حقبة تاريخية هامة، وذلك نظرا لكونها مقرا للحكم ومكانا آمنا للحكام منذ عهد صلاح الدين الأيوبي إلى عهد الخديوي اسماعيل الذي نقل دواوين الحكومة من القلعة إلي دور داخل مدينة القاهرة.

ومن ثم أضحت قلعة القاهرة أثرا إسلاميا شامخا في البلاد، مما حدا بوزارة الثقافة (في وقتنا الحاضر) القيام بعملية ترميم شاملة لأسوار القلعة، وأبراجها، وجامع محمد علي، وقصر الحرم، وبابها المطل على المقطم بأسلوب علمي رفيع وحديث.



# بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

## قراءة صحيحة لتاريخ القدس

**طالعتنا جريدة عقيدتي في عددها الصادر في ٣١ / ٧ / ٢٠٠١ بهذا المقال للكاتب الإسلامي الكبير الدكتور أحمد صدقي الدجاني.**

حاجتنا ماسة نحن العرب هذه الأيام لقراءة صحيحة لتاريخ القدس، كي نحسن التعامل مع ملف قضية القدس. وذلك في وقت نشهد فيه قيام الحركة الصهيونية بهجمة قوية لتعميم قراءة خاطئة لتاريخ القدس على العالم أجمع.

والهدف الصهيوني هو استكمال تهويد القدس بعد احتلالها واغتصابها وتعميم الزعم الإسرائيلي «بأن القدس عاصمة أبدية لدولة إسرائيل التي لها السيادة على المدينة» وحصر قضية القدس في «كونها خلافا مع مسلمين ومسيحيين حول أماكنهم المقدسة فيها كيف تتم إدارتها».

ويتداعى إلى الخاطر ما أورده (فيليب حتي) في كتابه: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين.. عنه، والنتيجة التي نستخلصها من هذه الوقفة هي أن تاريخ القدس لا ينفصل عن تاريخ فلسطين وتاريخ الوطن العربي بمغربه ووادي نيله وشامه وعراقه وجزيرته العربية وتاريخ ديار الإسلام عامة. وأن موقع القدس يتميز بأهمية استراتيجية بالغة بالنسبة لجميع «الحواضر» في منطقتنا من القاهرة إلى دمشق إلى بغداد إلى مكة وصنعاء.. وصولا للرباط وطهران والأستانة. وقد شاء الله أن يجعل أهل القدس من خلال هذا الموقع في رباط إلى يوم القيامة.

حين ننتقل إلى بعد الزمان في تاريخ القدس نجد أن هذا التاريخ جزء من تاريخ فلسطين والمنطقة، وأنه موغل في القدم ومتصل على مدى عصور وحافل بأحداث كثيرة ويمكن أن نميز فيه بين قسمين تفصل بينهما الانطلاقة العربية بالإسلام في القرن

السابع الميلادى «الأول الهجرى»، لما لهذا الحدث من تأثير كبير.

لقد سكن الانسان فى منطقة القدس منذ فترة ما قبل التاريخ - حسب اصطلاح المؤرخين - وهناك آثار له فيها تم اكتشافها تعود إلى العصر البيستوسيني، وأخرى من العهد الباليوليتي، وثالثة من العهد النيوليتي الذى شهد حدوث الثورة الزراعية. وظهرت القدس مدينة فى بدايات العصر البرونزى حين بناها الكنعانيون مع مجموعة مدن على طريق المياه بين الشمال والجنوب حوالى الألف الرابعة قبل الميلاد على مرتفع الضهور قرب عين ماء جيحون فى موقع حيوى. واكتسبت القدس منذ إنشائها مكانة دينية وكان ملكها هو عبدالإله «السلام» وهى مدينة سالم «أور سالم». وقد عرفت باسم سالم وكونت مملكة مدينة وعرف من أسماء ملوكها قدوم سالم وملكى صادق وجاء ذكرها فى نصوص العرب قد تردد فى تاريخ فلسطين من قبل. واعتنق جزء من شعب فلسطين الإسلام وبقى جزء آخر يدين بالنصرانية واليهودية. واستمرت فلسطين بعد الفتح وطنا لشعبها العربى هذا بملله كلها، واندمج فى هذا الشعب مهاجرون جاءوا إليها آمنين ومستأمنين حملتهم غزوات اندلعت.

والنتيجة التى نخلص إليها من الوقوف أمام هذه العلامات السكانية أن القدس وفلسطين وطن لشعب فلسطين العربى الذى تمتد جذوره فيها إلى أقدم العصور والذى فيه مسلمون ونصارى ويهود، وهى لم تكن قط وطنا لشعبين كما تحاول الحركة الصهيونية أن تفرض بالقوة وبالأمر الواقع أن يتبنى هذا الزعم بعض أبناء فلسطين والعروبة، توطئة لفرض زعمها أنها وطن لشعب يهودى يسعى للاستئثار بها. وما العبرانيين الذى جاءوا إلى فلسطين إلا جماعة من جماعات عدة أتوا - كما يقول فيليب حتى - بشكل متجولين ومغامرين ومرتزقة وجنود استقروا تدريجيا بين سكان كانوا أرقى منهم فتعلموا الحرث والبناء والقراءة والكتابة وورثوا المظاهر الأساسية للحضارة الكنعانية. وتحاول الصهيونية اليوم بعد إبرام اتفاق أوسلو - واشنطن عام ١٩٩٣ أن تنزع صفة الوطن عن قضية القدس وتقدمها للعالم على أنها قضية أماكن مقدسة يقوم تزاحم حول كيفية إدارتها. ومن المؤسف أن ينساق البعض وراء هذه المحاولة فيخوض غمار حديث حول الأماكن المقدسة ويغفل عن أن القدس وفلسطين وطن لشعبها بداية وأن قضية القدس هى قضية وطن فى الأساس هو وطن شعب فلسطين العربى الواحد بما يضم من مسلمين ونصارى ويهود وكل من يلجأ إليه مستأمنا لا غازيا. وهذا الشعب هو جزء من أمة عربية واحدة فى وطنها العربى الكبير.

**التعليق:**

**ياليت شبابنا وأطفالنا يعرفون بأن صراعنا مع العدو الإسرائيلى طويل ذو ميادين متعددة**

## ضعف العرب والمسلمين سبب قوة إسرائيل

**حرص فضيلة المفتي في كلمة له بجريدة الوفد في عددها الصادر في ٣١ / ٧ / ٢٠٠١ على إبراز أهم قضايا الساعة ومنها قضية أن قوة إسرائيل نتجت عن ضعف العرب والمسلمين وبسبب تفرقهم وحبهم للدنيا.**

طالب المفتي العرب بالتوحد ونبذ الخلافات ودعم الانتفاضة الفلسطينية بكل الوسائل المشروعة ومواجهة الغزو الثقافي الإسرائيلي.

ووصف فضيلة المفتي تصريحات آرييل شارون رئيس الوزراء الإسرائيلي حول السلام بأنه سلام الخضوع والردع للعرب وأكد أن سياسة إسرائيل تهدف إلى تخريب العالم.

**التعليق:**

**قال رسول الله ﷺ: يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها قيل: يارسول الله ﷺ «أفمن قلة بنا يومئذ؟ قال: لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل يجعل الوهن[1] في قلوبكم وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكراهتكم الموت».**

## ضحك كالبكا

**نشرت جريدة الاخبار في يوم ٢٥ / ٧ / ٢٠٠١ للأستاذة ـ سهير عبدالرحمن رئيس قطاع الإعلام بالهيئة العامة للاستعلامات تقول:**

● صحيفة أعدت تحقيقات عن النكات وعلى ماذا يضحك المصريون، ولم تدرك أن ما كتبته كان أيضا من المضحكات ولكنه والله ضحك كالبكاء.

قالت لا فض فوها: وإن نكات المصريين تتركز على «الأقليات» مثل أهل الصعيد والشرقية والمنوفية. وحتى ساعتها لم أكن أعرف أنني أنتمي للأقليات ولكنني عرفت منها والحمد لله، أن أهل الصعيد أصبحوا من الأقليات وكذلك غيرهم من أبناء المنوفية وغيرها من المحافظات. أليست هذه بالله عليكم فكاهة في حد ذاتها.. ولم لا فقد سبقتها صحيفة أخرى بموضوع عن أهل النوبة وسألت أحد أبناء النوبة عن وضع «الجالية» النوبية في مصر وكأنهم الجالية العربية في كندا أو أمريكا.... اضحكوا أو ابكوا فالأمر يرجع اليكم.

**التعليق:**

ولم نجد تعليقاً على ذلك إلا قول المتنبي:

**وكم بك يا مصر من مضحكات**
**ولكنه ضحك كالبكا**

---

(١) رواه أبوداود رقم سنة ٤٢٩٧ والإمام أحمد ٥/٢٧٨



## مــــن أيــــن نجلبــــه؟!

**فى مجلة أكتوبر فى عددها الصادر بتاريخ ٢٩/٧/٢٠٠١ كانت ثورة الغضب وصيحة الاستغاثة من الكاتب الكبير عبدالعال الحمامصى قائلاً:**

أقول لكم..

نعم إنقاذ اللغة العربية يبدأ من الابتدائية ولكن مدرس الابتدائى من أين نجلبه.

● المحنة التى تعانيها لغتنا العربية.. لا تحتاج أعراضها البادية وظواهرها الفاشية إلى من يبرهن عليها.. فالمرض قد استشرى فى كل المواقع.. حتى فيما يعتبر معاقل لحمايتها من الكليات والمعاهد.. وحتى بين من يكتبون أدباً خامته الأساسية هى اللغة.. والمحزن أن هذا يحدث فى كتب مطبوعة من جهات، المفروض أنها محترمة.. وإذا كنتم تريدون شواهد على واقع الحال فعندى ما أقدمه.

وفى مرات كثيرة عندما كنا نناقش قضية اللغة فى شعبة الآداب بالمجالس القومية المتخصصة.. كانت الأبحاث جميعاً تركز على توصية تتكرر فى كل تقرير فحواها: إن بداية الإنقاذ تبدأ من المدارس الابتدائية.. وهذه حقيقة لاشك فيها.. ولكن من أين يتخرج المعلم الذى يتولى تدريس اللغة العربية فى المدارس الابتدائية اليس من نفس الكليات والمعاهد التى استشرى الداء فيها.. وأصبح المتخرجون فيها لا يجيدون حتى قواعد الإملاء ناهيك بصحة اللغة.. ولقد دفعنى الغيظ مرة من هذه التوصية لأن أطالب بتوصية أخرى موازية لإنشاء معاهد تقتصر الدراسة فيها على مواد اللغة العربية ومشتقاتها فحسب.. بشرط أن نجلب لها الأساتذة من العراق واليمن وبلدان الشام ودول الخليج! والله لم أكن ساخراً ولا متهكماً.. كنت صادقاً مع نفسى.. لأننى أتحدى أن تجدوا فى هذه البلدان مذيعاً أو كاتباً أو متحدثاً يذبح اللغة كما يفعل جهابذتنا.. والله أسأل أن يقيلك يا مصر من كبوتك التعليمية.. لتعودى رائدة ومعلمة!!

ومما يزيد الطين بلة ويجعل أمر المستقبل محفوفاً بالتشاؤم.. أن ظاهرة تدنى مستويات اللغة فى جامعاتنا ومدارسنا.. أصبحت تصاحبها ظاهرة التكالب على إدخال الصغار منذ الحضانة مدارس اللغات قبل أن يعرفوا أولاً ما هى لغتهم الوطنية.. وهذا ما لا يحدث فى أى بلد من بلدان العالم غير مصر المحروسة.. هل أضرب لكم مثلاً؟.. ليست هناك دولة من دول العالم اتجهت إلى تقليد الغرب فى كل شأن مثل ما فعلت تركيا منذ استيلاء كمال أتا تورك ورفاقه على مقاليد أمورها.

ولكن تركيا هذه تحرم على أبنائها أن يلتحقوا بأى مدرسة أجنبية إلا بعد الانتهاء من التعليم الابتدائى.. حيث كل المواد باللغة التركية وحدها.. ليس هذا فحسب.. بل لابد أن يكون قد بلغ الحادية عشرة من عمره.. وفوق هذا فإن القانون يحتم على كل ملتحق بأى مدرسة أجنبية ـ بعد هذه الشهادة الابتدائية وبعد هذا السن ـ بأن يتعلم اللغة التركية جنباً إلى جنب مع اللغة الأجنبية على مدى مراحل التعليم.. هذا ما تفعله تركيا المتغربة.. أما مصر ـ بلد الأزهر الشريف ـ فكم ذا بها من المضحكات.. وهو فى الحقيقة ضحك أمر من البكاء.. كما قال المتنبى قديماً!!

**التعليق:**

**(حسبنا الله ونعم الوكيل)**

# بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

## معاهدة سيكو / بيكو

عفواً عزيزي «القارئ».. ليس هذا خطأ في الطباعة، فلن نتحدث عن معاهدة سايكس ـ بيكو الشهيرة. ولكن عن معاهدة أخرى تمت بدار للحضانة، وإني أدعوك لتتعرف على هذه المعاهدة من خلال ما سأقصه عليك:

عاد عبدالرحمن إلى المنزل بعد أن قضى يومه في الحضانة، تناول غداءه، وقام يقفز هنا وهناك حتى نال منه الجهد، جلس يشاهد برامج الأطفال المحببة إليه.

لاحظ الأب أن وقت النوم قد حان ولم يجلس الطفل ليكتب واجبه المنزلي المعتاد، نبه الأب صغيره إلى ذلك، لكن الصغير أجاب بثقة كبيرة: «لا دراسة غداً»، ولكن الأب أكد لابنه أن غداً دراسة، ووجدها فرصة ليشرح لصغيره أن الاجازات تكون أيام الجمع وأيام الأعياد و.... إلخ.

أوقف الطفل شرح أبيه بثقة أكبر قائلاً: ان غداً ليس اجازة.. لكنه «سيكو ـ بيكو».

بدت الدهشة على وجه الأب الذي تساءل عن معنى ذلك اللفظ العجيب!!

فإذا بالمدرس الصغير يقول: إنه يوم عادي ليس اجازة، ولكن «مس[1] فلانة» إذا أرادت أن تتغيب تقول لنا: إن غداً (سيكو ـ بيكو) حتى لا يحضر أحد.

أنهى الطفل كلامه وعلى وجهه علامات الاستعجاب والاستغراب لحال أبيه، وكأن ما قاله من المنطق بمكان!!

بدت على وجه الأب علامات الأسف وقال:

---

١ ـ كلمة مس (MISS) كلمة انجليزية تعني «الآنسة»، تستخدم هذه الأيام بدلاً من الكلمة العربية «المدرسة»، يحدث هذا في معاهد العلم المنوط بها تعليم اللغة العربية، ونحن نعقد المؤتمرات للارتقاء بشأن اللغة العربية.. فهل يوافق قولنا ما ننادي به؟!!

ليتني أدخلت ابني الأزهر.

قلت له: يا صديقي العزيز إن المشكلة ليست في التربية والتعليم أو في الأزهر.

إن المشكلة تكمن في «مس فلانه» كما ترى، وهي مشكلة: «مدرس اليوم» الذي تغيَّر كثيراً.

إننا لا ننسى كيف كان مدرسونا يحاولون ايجاد بعض الوقت لمزيد من الشرح إما قبل طابور الصباح بساعة أو بعد نهاية اليوم الدراسي يفعلون ذلك بدون مقابل لا يبتغون الثواب إلا من الله - تعالى -، كان أكثرهم يفعل ذلك وكانوا يأتون من أماكن بعيدة يعلمون أنهم أصحاب رسالة.

أما مدرس اليوم فإنه يبحث عن كيفية إهدار الوقت، كما رأينا!!.

لقد دعاني إلى كتابة هذه القصة أمران:

**الأول**: أننا نستعد لاستقبال عام دراسي جديد، نأمل ألا تكون فيه مثل هذه الاتفاقيات.

**الثاني**: ما كتبه فضيلة الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي رئيس تحرير «مجلة الأزهر» وعضو مجمع البحوث الإسلامية تحت عنوان: كتب ومذكرات بجريدة صوت الأزهر يوم الجمعة ١٣ من جمادى الأولى ١٤٢٢هـ حيث تناول الكتاب في الماضي والحاضر. وأوضح الفارق بين كتاب تلميذ الابتدائي البسيط في الماضي، وحمله الثقيل في الحاضر وأن المدرسة الابتدائية كانت لسنوات خلت، لا تهييء للتلميذ غير كتيب في كل مادة فكان ما يحمله لا يلفت نظر مشاهد وكانت هذه الكتب القليلة ذات محصول جدي يهدف إلى اللباب دون القشور وكيف اتسعت تلك الكتب اتساعا مفرطاً بحيث يشفق الإنسان على ذلك الطفل الصغير بالمدرسة الابتدائية حين يجده حاملا حقيبة منتفخة ينوء بها!!

نقول للمسئولين عن التربية والتعليم في بلدنا:

- لقد تضخم الكتاب المدرسي واضطر التلاميذ للبحث عن كتاب خارجي.

- وتخلى المدرس عن واجباته، ولجأ التلاميذ وأولياء الأمور إلى البحث عن مدرس خصوصي.

واتسع الأمر لتدخل الدروس الخصوصية فصول المدرسة تحت مسمى «فصول التقوية»، ثم يتسع الأمر أكثر حين تضم فصول التقوية كل طلاب الفصل بدلاً من الطلاب المحتاجين إلى معاونة فقط؛ ليتضح أن الهدف هو جمع المال ليس أكثر، والسؤال الذي يطرح نفسه تلقائياً: ما الفرق بين شرح المدرس صباحاً وبين شرح نفس المدرس آخر النهار مادام عدد الطلاب هو.. هو.. والمدرس نفس المدرس.

لا أعتقد أن هناك فرقاً غير طلاب أكثر تركيزاً ومدرس أكثر نشاطاً صباحاً، وخمول يلحق الطرفين آخر النهار.

ثم يزداد الأمر سوءاً حين تزحف تلك الدروس الخصوصية لتصل إلى مرحلة الحضانة!!

وعلى الطفل أن يلتحق بهذه الدروس الخصوصية أو أن يسبقه زملاؤه ويتخلف هو بقية سنوات عمره!! فأي ابتزاز يفوق هذا؟!

نأمل أن يكون لدى الوزارة حل.

# بين الجد والفاكهة

إن ما يجب علينا أن نثبته هنا ونثنى عليه هو ذلك التواضع الجم وذلك التعاون المثمر الذى يثرى «باب القراء» بأقلام أساتذة كبار مثل:

الأستاذ الدكتور فرج كامل سليم الذى شارك معنا فى العدد السابق

**والأستاذ الدكتور عبداللطيف الحديدى الأستاذ بجامعة الأزهر الذى يشارك معنا فى هذا العدد حيث أرسل يقول:**

نشرت مجلة الأزهر طرفة شعرية فى العدد الماضى عن ( الأرشانة ) وطلبت المجلة بعض ما ينتمى لهذه الفكاهات.

وعندى طرفه شعرية قالها الشاعر الأديب الدكتور محمد حسين عبدالحليم عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة، صاحب الطرفة الشعرية السابقة وهى تتحدث عن عريف بعض الكتاتيب فى الريف حين يُصرّ كل عام بمناسبة شم النسيم أن يحضر كل صبى أرنبا حيا ليشترك مع زملائه فى غداء جماعى مع إحضار قدر من الأرز، وعدد الأطفال يفوق الخمسين، فيقوم بذبح حوالى خمسة أرانب فقط ويلتهم التلاميذ هذا اليسير مما قدم لهم، أما باقى الأرانب فيذهب إلى منزل العريف لتقوم الزوجة ببيعه تباعا فى سوق الثلاثاء، ولتذبح منه إذا احتاجت إلى لحم.

هذه الواقعة التى كانت تتكرر كل عام قال فيها الدكتور محمد حسين عبدالحليم - حفظه الله - متفكهاً:

عريفى الهمام له حيلةٌ
تدلّ على منتهى الشيطنهْ
يضمُّ الأرانب فى بيته
ليأكل منها جميع السنهْ
وما ليس يؤكل يمضى به
إلى السوق كالسلعة الهينهْ
ونكتم من خوفنا أمره
ومن حقنا اليوم أن تعلنهْ

**المحرر: كم نتمنى لو نتعرف على أحفاد هذه الأرانب التى تخص الدكتور محمد حسين عبدالحليم - حفظه الله - فنستعيدها له، إذن لسمعنا لعودتها أعذب مما قال لذهابها.**

# فى الإيمان بالله وقاية من الشائعات

**أما رسالة الأستاذ / عبد السلام محمد وحيد عمرى.. مدرس العلوم الشرعية بمعهد أبنوب- أسيوط فقد ورد فيها:**

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾(١).

ستظل الشائعات دوما الخطر الداهم الذى يهدد كيان بنى الإنسان فكم للشائعات من ضحايا على مر الأزمنة فبسببها كم من أواصر قطعت، ورحم اهملت وعادى الأخ أخاه، وطلق الزوج زوجته وتبرأ الوالد من ولده وتنكر الولد لوالده.

وكم من حروب اشتعلت ونار استعرت بسبب الشائعات. فالشائعات دمار على مستوى القبيلة والقرية والمدينة والدولة والدول والشائعات لا تصدر إلا من منافق أو عدو حاسد أو جاهل مكابر.

**فالمنافق** لا يحب الاستقرار للفرد ولا للمجتمع ومن أجل ذلك يذيع الإفك وينشر الباطل ويخون الأمانة.. ولقد بصرنا رسول الله ﷺ بعلامات النفاق فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان».

متفق عليه

**أما العدو** فإنه ينتهز فرصة يجد من خلالها التنفيس عما بداخله من نار العداوة والحسد فيردد الشائعات ويظهر الشماتة فيقع فى الخطيئة التى تؤدى به إلى الهلاك قال النبى ﷺ: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» رواه أبو داود، كما أن إظهار الشماتة يكون سبباً فى ابتلاء الشامت قال رسول الله ﷺ: «لا تظهر الشماتة لأخيك، فيرحمه الله ويبتليك» رواه الترمذى.

**والجاهل** أيضا بعدم وعيه ومكابرته يقع فيما لا تحمد عقباه.

**وللوقاية من الشائعات. يجب على المسلم التثبت من الأخبار عملاً بقول الله تعالى:**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾(٢).

**والإعراض عن مجالس اللغو واللهو والمحرمات** قال الله تعالى موجهاً نبيه ﷺ بصفة خاصة وكل مسلم فى كل زمان ومكان بصفة عامة:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٣).

---

(١) الحجرات الآية ٦.

(٢) الحجرات الآية ٦.

(٣) الأنعام ٦٨.



وقد مدح الله المؤمنين فقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[4].

والبعد عن الشبهات عملاً بقول النبي : «إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات . وقع في الحرام»[5].

فيجب على المسلم الا يضع نفسه موضع شبهة فعلاً أوقولا أو سلوكا .. كما يجب عليك أيها المسلم تجلية الموقف والأفعال والتصرفات وتفسير وتوضيح الكلمات إن شعرت أن لبسا قد حدث في موقف أو تصرف أو في فهم الكلمات التى خرجت من فيك خشية أن يوسوس الشيطان لمن شاهدك أو سمعك بسوء وإليك أيها القارئ الكريم هذا الموقف النبوى لرسول الله ﷺ والذى ترويه أم المؤمنين صفية رضى الله عنها « كان رسول الله ﷺ معتكفا فاتيته أزوره ليلا، فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معى ليقلبنى - أى ليصرفها - فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبى ﷺ أسرعا فقال النبى ﷺ : على رسلكما إنها صفية بنت حيى . فقالا : سبحان الله يارسول الله فقال: إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا . أوقال . شرا»[6] .

وختاما : فليعلم أولئك الذين يروجون الشائعات أن الكلمة الخبيثة لا بقاء ولا قرار لها .

## من إبداعات القراء :

### وليستمر الشذى يرسل الأستاذ / محمد سليم الدسوقى هذه المقطوعة الشعرية

### دلائــــل للـــه فى الخلقـــة

(١) دنـــوتُ لــذاتــك فـــى خـلـــوتـــى ... وعطرتُ من روضـــهـــا جنتـى

(٢) أرشُ عـبـيـر الـضيـاء الوثـيـر ... على لجـة الموج والصخـــرة

(٣) وأرسمُ فـوق الفـضـاء الفسيـح ... بدوراً تنـورهـا ضــحــوتـى

(٤) فـمـشـكاةُ عـرش مليك الملوك ... تضوى، تبدد أمسيتى

(٥) ويختلجُ الكونُ ذاك البـديع ... دلائـل لـلـه فـى الخـلـقـة

(٤) المؤمنون٣.

(٥) رواه البخارى ومسلم

(٦) رواه البخارى ومسلم





# أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى



## مكتبات إسلامية شاملة لـ ١٥ دولة بأمريكا وأوروبا وآسيا وأفريقيا

أهدى الدكتور محمود حمدى زقزوق ـ وزير الأوقاف ـ عدة مكتبات إسلامية شاملة ومتميزة من المطبوعات التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية باللغة العربية ومختلف اللغات الأجنبية إلى ١٥ دولة بأمريكا وأوروبا وآسيا وأفريقيا وروسيا وبعض الدول العربية.

وتتضمن هذه المكتبات أمهات الكتب وكتب التعريف بالإسلام وقرص الليزر (CD) المسجل عليه الموسوعة الإسلامية المتكاملة والتى تتضمن عدداً هائلاً من المعلومات الإسلامية من مراجع وفتاوى وترجمة لمعانى القرآن الكريم بست لغات هى: الفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية والروسية والأندونيسية، وموسوعة للأحاديث الشريفة وغيرها من المفاهيم الإسلامية الهامة، إضافة إلى المصحف المعلم والمصحف المرتل بصوت الشيخ الحصرى. وسيتم تصدير عدد من المكتبات والمطبوعات إلى ١٦ من المراكز الإسلامية فى الولايات المتحدة الأمريكية.

عقيدتى

١٤/٨/٢٠٠١م

## دور القضاء الإسلامي في الهند

قرر مجلس مسلمي الهند لقانون الأحوال الشخصية إنشاء دور للقضاء الإسلامي في عدد من مناطق الهند ـ وصرح الشيخ «مجاهد الإسلام قاسمي» رئيس المجلس بأنه تم إنشاء معهد في مدينة باتنا لتخريج القضاة والمفتشين، وقد تخرجت فيه دفعتان حتى الآن ـ.

الأهرام

٢٥ / ٧ / ٢٠٠١م

## دراسة ألمانية حول مشكلات المسلمين في ألمانيـــــا

يعاني المسلمون في ألمانيا من أزمات في ممارسة دينهم بشكل طبيعي، هذه النتيجة توصلت إليها دراسة ألمانية جديدة. وتكشف الدراسة التي أعدتها مؤخراً مؤسسة فريدريك إيبرت المقربة من الحزب الديمقراطي الاجتماعي الحاكم في ألمانيا عن وجود أزمات في العديد من مناطق ألمانيا بشأن بناء المساجد. ولاحظت الدراسة وجود مشكلات على صعيد ممارسة بعض الشعائر الإسلامية في مواقع العمل كالصلاة، والصيام، وارتداء النساء المسلمات للزي الإسلامي الشرعي في القطاعات العامة، وتحدثت الدراسة التي حملت عنوان «الحياة اليومية الإسلامية في ألمانيا» عن بعض الجوانب والصعوبات الأخرى التي تعترض المسلمين.

● نأمل أن تسفر هذه الدراسات عن نتائج طيبة على طريق حصول الأقليات الإسلامية في بلاد أوروبا على حقهم في ممارسة شعائرهم الدينية.

اللواء الإسلامي

٢٦ من يوليو ٢٠٠١م

## الإعداد لترجمة عبرية للقرآن الكريم

يعتزم مجمع الملك فيصل لطباعة المصحف الشريف إصدار ترجمة صحيحة لمعاني القرآن الكريم باللغة العبرية!!..

وفي بيان صادر عن وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية أن المجمع انتهى الآن من طباعة ثماني وعشرين ترجمة آسيوية وأفريقية وأوروبية ليصل بذلك مجموع لغات الترجمات إلى تسع وثلاثين لغة عالمية.

الأهرام

٢٧ / ٧ / ٢٠٠١م

## إذاعة إسلامية لمسلمي أوروبا وآسيا

قررت مؤسسة الوقف الإسلامي لمسلمي هولندا إنشاء إذاعة إسلامية تغطي أوروبا الشرقية وآسيا الوسطى لنشر الثقافة الإسلامية لمسلمي هذه البلاد.

تذيع الإذاعة برامجها بالهولندية والألمانية بالإضافة إلى لغات البلاد التي شملها إرسال الإذاعة.

الجمهورية ٣ / ٨ / ٢٠٠١

## مركز إسلامي كبير في أديس أبابا

أعلنت لجنة مسلمي إثيوبيا للتنمية والإغاثة تنفيذ خطة خمسية سيتم من خلالها بناء العديد من المساجد والمراكز والمعاهد الإسلامية من بينها مركز إسلامي كبير في العاصمة أديس أبابا. ودعا الحاج أدان ألمانا - رئيس اللجنة العربية والإسلامية - إلى تقديم الدعم لإخوانهم المسلمين في إثيوبيا ومساعدتهم على إنشاء هذه المعاهد والمراكز وقال ألمانا: إن اللجنة كانت قد تأسست منذ ثلاثة عشر عاماً من أجل رفع مستوى المسلمين في إثيوبيا وإخراجهم من دائرة الفقر والجهل من خلال الاستفادة من الثروات الطبيعية التي تذخر بها بلادهم.

الأهرام

٣ / ٨ / ٢٠٠١م

## مساعدات إلى المسلمين في الصين

أجرى الدكتور أحمد شريف أمين عام جمعية الدعوة الإسلامية العالمية محادثات في بكين مع مسئولي الجمعية الإسلامية الصينية برياسة الحاج - هلال الدين تشن جوانج يوان - حول التعاون بين الجانبين والمساهمة في عدد من المشروعات التي تنفذها الجمعية الصينية لخدمة المسلمين في الصين.

وأضاف أن جمعية الدعوة الإسلامية تعمل بالتنسيق مع الأزهر الشريف والعديد من الهيئات والجمعيات الإسلامية في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي لتقديم العون للمسلمين في شتى مناطق العالم وتعريف المسلمين الجدد بأساسيات دينهم بأسلوب بسيط يسهل عليهم فهمه واتباع قواعده.

الأهرام

١٠ / ٨ / ٢٠٠١م

***



# أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

## الإمام الأكبر:

# من حق الفلسطينيين أن تكون لهم دولتهم

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بمكتبه السيد جراهام بويس السفير البريطانى بالقاهرة وذلك بمناسبة انتهاء فترة عمله كسفير لبلاده فى القاهرة.

رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر مشيدا بالتعاون بين جمهورية مصر العربية والمملكة المتحدة، وأوضح فضيلته أن للأزهر مبعوثين لدى المملكة المتحدة يقومون بشرح الإسلام وإظهار سماحته ويسره فى المراكز الإسلامية ،





وقال فضيلته إن الارتقاء بالحوار من أجل التقارب وتوضيح الصورة الصحيحة والحقيقية للإسلام الحنيف أمر لا خلاف عليه، وقد حمل فضيلته السيد السفير إبلاغ تحياته وتقديره إلى الصديق رئيس أساقفة كانتربرى لرجاحة عقله، وأيضا إبلاغ تحياته للسيد تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا لما له من تفكير سديد وعقلية ناضجة، وكذلك إبلاغ تحياته للسيد / روبن كوك.

وطلب فضيلته أن تقف المملكة المتحدة إلى جانب الحق لمساندة إخواننا فى فلسطين لأن من حقهم العيش على أرضهم وأن تكون لهم دولة يمارسون فيها حقوقهم المشروعة، وما نراه الآن من ظلم يقع على الفلسطينيين أمر لا نرضاه ولا يرضاه أى عاقل، وعلى المملكة المتحدة أن تتحمل المسئولية، وأن تدافع عن الحق وأن تمنع الظلم لما لها من كلمة مسموعة وثقل فى المجتمع الدولى شكر الضيف فضيلته وأشار إلى أنه سيقوم بإبلاغ حكومته رسالة شيخ الأزهر، لأن ما يحدث فى فلسطين هو اهتمام مشترك، وأن هناك الكثير من المتابعة والضغوط من المملكة المتحدة حتى تأتى بنتائج لضمان السلام والأمن فى المنطقة لرجوع الحقوق للفلسطينيين.

***

# وكيل الأزهر: رسالة الأزهر هى تعليم أبناء المسلمين

● استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفد الجمعية الإسلامية الصينية للإخاء والثقافة بهونج كونج بالصين برئاسة السيد/ محمد نور الدين يانغ رئيس الجمعية.

رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف شارحاً لهم مراحل التعليم فى الأزهر الشريف وتطور الدراسة به لمواكبة العصر وأن المعاهد الأزهرية تضم معاهد نموذجية من الحضانة والابتدائى والإعدادى والثانوى، وأيضاً فإن الكليات الأزهرية بها كليات نظرية كالشريعة والقانون، واللغة العربية، وأصول الدين، والدراسات الإسلامية، والعربية، ومنها الكليات العملية كالطب، والهندسة، والزراعة، والعلوم، واللغات والترجمة، والتربية الرياضية، ومنها كليات فى القاهرة والاسكندرية وعواصم المحافظات والكليات بجامعة الأزهر الشريف تستوعب جميع الطلاب الأزهريين الذين أكملوا الدراسة الثانوية الأزهرية وأوضح فضيلته بأن الأزهر الشريف بصدد تشغيل خط على الإنترنت يتم من خلاله عرض جميع المخطوطات والوثائق العلمية التى تحتويها مكتبة الأزهر الشريف والتى تعين الباحثين والدارسين فى الحصول على المعلومات التى تساعدهم على أداء مهامهم العملية والثقافية والإسلامية من مصادرها الأصلية.

كما أشار إلى أن رسالة الأزهر الشريف هى تعليم أبناء المسلمين وتثقيفهم فى الأزهر الشريف وبيان سماحة الإسلام ويسره ووضوحه بعيداً عن المغالاة والتعصب، كما أن للأزهر الشريف بعثات من العلماء يوفدون إلى معظم بلدان العالم فى آسيا وافريقيا واوروبا وامريكا، لتعليم المسلمين فى بلادهم، كما أن الأزهر يعقد دورات تدريبية لأبناء العالم الإسلامى من الأئمة والدعاة مدة الدراسة بها ثلاثة شهور يتعلمون فيها القرآن والفقه والتفسير والحديث والعلوم الأخرى على يد أساتذة وعلماء كبار وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ويستقبل طلاب أكثر من ٩٤ دولة للدراسة على منهج الأزهر الشريف ويقيمون فى مدينة البعوث الإسلامية ويتعلمون فى الأزهر الشريف معاهده وكلياته.

وأجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الوفد والتى تدور حول دور الأزهر فى



القضايا الإسلامية المعاصرة، وفى كيفية الإصلاح بين الدول الإسلامية المتحاربة.

وفى نهاية اللقاء شكر الوفد فضيلة وكيل الأزهر على حسن الحفاوة وأبدوا سعادتهم بهذا اللقاء وهذه الزيارة للأزهر الذى هو منارة الإسلام للعالم كله، وطلبوا زيادة المنح الدراسية لأبناء الصين للدراسة بالأزهر.

## نتيجة الابتدائية الأزهرية

● اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر نتيجة امتحان الدور الثانى للشهادة الابتدائية الأزهرية للعام الدراسى ٢٠٠٠ / ٢٠٠١ حيث تقدم لأداء الامتحان ٣٤١٢١ طالبا وطالبة حضر منهم أداء الامتحان ٣٢٩٣٩ طالبا وطالبة نجح منهم ٢٤٧٨٣ طالبا وطالبة، وبلغت النسبة المئوية للنجاح فى الدور الثانى ٧٥,٢٤٪ ولما كانت النسبة المئوية للنجاح فى الدور الأول ٩٦,٧٣٪ وبذلك تصبح النسبة المئوية للنجاح فى الدورين الأول والثانى معاً ٩٢,٠٨٪.

## افتتاح معاهد أزهرية جديدة

● قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بافتتاح معهد الحاجة / صفية الإعدادى الثانوى فتيات والمسجد الملحق به الكائن بشارع ترعة الإسماعيلية المطرية القاهرة، والمعهد بنى على نفقة الأستاذ الدكتور طلعت السيد أحمد يوسف ومقام على مساحة ٣٠٦٠م٢ ومكون من خمسة طوابق وبه ٢٩ فصلاً دراسياً، وعدد ٧ حجرات للإدارة ومعملين وحجرتين للتحضير والمحاضرات وشيد المعهد طبقاً للمواصفات الخاصة بالأبنية التعليمية وأثث بأثاث على أحدث النظم التعليمية وتكلف إنشاؤه حوالى مليون ونصف المليون جنيه ويستقبل الطلاب هذا العام، وتكلف إنشاء المسجد الملحق به حوالى المليون جنيه.

كما قام فضيلته بتفقد إنشاء وأعمال البناء والتشطيب لمعهد الدكتور محمود طلعت الفقى الإعدادى الثانوى فتيات بمعهد حلمية الزيتون وهو مكون من أربعة طوابق ويحتوى على ٢٤ فصلاً دراسياً، وثلاث حجرات للأنشطة، ومعملين وأربعة حجرات للإدارة والمعهد مقام على مساحة ١٣٢٠م٢ وبلغت تكلفته حوالى المليون ونصف المليون جنيه وسيتم تجهيزه للافتتاح فى العام الدراسى الجديد.

رافق فضيلته فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر وفضيلة الشيخ محمد أبوالعلا رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ووكلاء قطاع المعاهد ورئيس الإدارة المركزية لمنطقة القاهرة الأزهرية.



الإمام الأكبر:

## محاولة بث الفتنة لن تجدى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه القمص شاروبيم الباخومى نائب البابا بالأسكندرية يرافقه الأب انطنيوس، حيث دار اللقاء حول الأخوة وتوطيد العلاقات الطيبة.

كما قام الضيفان بلقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف الذى أكد على أن اللقاءات التى تجمع بين المسلمين والمسيحيين هى لقاءات طيبة وبناءة وحيوية، وأن محاولة بث الفتنة أو النيل من قوة مصر لن تجدى لأن شعب مصرى قوى ومترابط مهما حاول المغرضون الذين يتربصون للنيل من قوة مصر واقتصادها، وأكد على عمق العلاقات والترابط منذ القدم وقبل دخول الإسلام مصر، كما أضاف الأب شاروبيم بأن العقل المفكر هو الشعب المصرى، ولذلك فهو مستهدف، ولكن الوعى المصرى يقف صلباً أمام التحديات، ولن يستطيع أحد النيل من قوة وترابط المسلمين والمسيحيين فى مصر وقد وجها الدعوة لفضيلة وكيل الأزهر لزيارة الكنيسة

## الإمام الأكبر فى محافظة الشرقية

● بدعوة كريمة من السيد الأستاذ الدكتور / حامد محمود شتلة محافظ الشرقية قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بزيارة محافظة الشرقية حيث التقى فضيلته بالسيد المحافظ والسيد محمد المسلمى سكرتير عام المحافظة والمسئولين التنفيذيين والشعبيين، والتقى برجال الصحافة والإعلام وأجاب عن أسئلتهم واستفساراتهم حول الاجتهاد وقال مرحباً بالاجتهاد فى الدين طالما فى حدود الحق والعدل وعنده وسائل الاجتهاد، ونحن لا نستطيع أن نكمم الأفواه ولكل إنسان أن يجتهد ومن كان اجتهاده خطأ صححنا له خطأه.

وعن نقل الأعضاء قال فضيلته: إن نقل الأعضاء لا يمثل مشكلة مادام يتم عن طريق التبرع التام الخالص لوجه الله - عز وجل - وبموافقة الأطباء وهو لون من الإيثار الذى مدحه الله - عز وجل - فى قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(١).

والذى نمنعه هو المتاجرة بالأعضاء وبيعها لأن جسد الإنسان ليس محلاً للبيع أو الشراء

(١) الحشر (٩)

إلى غير ذلك من الأسئلة حول ما يفعله اليهود بالمسجد الأقصى وما يسمونه هيكل سليمان على أنه تحت المسجد الأقصى أو قريب منه قال فضيلته : إن سيدنا سليمان نبي من أنبياء الله تجله وتحترمه أعطاه الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده والحديث عن هيكل سليمان لا أساس له من الصحة ولا أساس له من الناحية النقلية أو العقلية لأن سيدنا سليمان توفي منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة، والأمور التي تركها أمور مضى عليها الزمان وجاء بعده أقوام وأقوام.

ثم توجه فضيلته والسيد المحافظ والوفد المرافق لفضيلته إلى المجمع الإسلامي بعزبة الحاج عبدالرحمن سمرى - القضاة مركز كفر صقر حيث قام بافتتاح المجمع، وقد قام ببنائه بالجهود الذاتية الحاج عبدالرحمن سمرى على مساحة ١٢ قيراطا ويتكون من أربعة طوابق ويضم معهداً ابتدائياً يشتمل على ١٣ فصلا دراسيا، ومعهدا إعداديا ويشتمل على تسعة فصول، ومعهد ثانوى ويشتمل على ٩ فصول ومسجد مجاور للمجمع الأزهرى وقد تكلف إنشاء المجمع والمسجد أكثر من مليون جنيه.

ثم تحدث فضيلة شيخ الأزهر في السرادق المقام والذى تجمع فيه أكثر من ثلاثة آلاف شخص من العلماء والأهالى والإعلام والصحافة فقال : إن عدد المعاهد الآن على مستوى الجمهورية أكثر من ستة آلاف معهد ابتدائي وإعدادى وثانوى بنين وبنات ومعظمها بالجهود الذاتية ويوجد في محافظة الشرقية وحدها أكثر من سبعمائة معهد أزهرى وقال : إن في الشرقية أقدم معهد الزقازيق الديني الأزهرى والذى تعلم ودرس فيه العديد من علماء الأزهر الكبار وعلى رأسهم العالم الجليل المرحوم أستاذنا الشيخ محمد متولى الشعراوى الذى ندعو الله - عز وجل - أن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وقال : عندما كنا طلابا في الأربعينيات كان عدد المعاهد الأزهرية قليل جداً لا يتعدى ثمانية معاهد دينية واليوم والحمد لله يقوم أهل الخير والفضل ببناء المعاهد الأزهرية لتعليم القرآن وعلومه وعلوم اللغة العربية والفقه والحديث والعلوم الحديثة فيشع فيها العلم النافع وحينما ننظر إلى هذا المبنى الفخم الجميل نقول : الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله كي الحق بالمجمع الأزهرى مسجداً أسس على تقوى الله ورضوانه ندعوا الله - عز وجل - أن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات من

قام ببنائه يوم القيامة كما ندعوه سبحانه أن يبارك في شعب محافظة الشرقية رجالاً ونساء، شيبا وشبانا، حكاما ومحكومين، وأن يجعل مصر في خير وألا تمد يدها إلا إلى خالقها - عز وجل - ونحن في عصر تتنافس فيه الأمم بالعلم وعندما ينتشر العلم النافع في أمة من الأمم لابد أن تتقدم وترقى ويسودها الرخاء والأمن والاستقرار ولأن فضيلة العلم ميز الله بها أبانا آدم على الملائكة قال تعالى:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾(٢).

فالميزة التي ميز الله بها أبانا آدم على الملائكة أنه أعطاه علماً لم يعطه الملائكة.

وتحدث الدكتور / حامد شتلة محافظ الشرقية الذي قدم الشكر لفضيلة الإمام على حسن رعايته واهتمامه بهذه الزيارة التي كانت الاستجابة فيها سريعة فقال: إن العلم مطلوب لكل مسلم ومسلمة ودعا إليه القرآن الكريم فقال:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝﴾(٣)

والمتغيرات الحديثة التي تمر بها العالم أجمع تتطلب علماً عميقاً لأنه السبيل الوحيد للتنمية، والجهود الذاتية مطلوبة ليعم الخير أرجاء مصر، ومصر ستظل - إن شاء الله - بخير بأزهرها الشريف وعلمائها الأفاضل.

## مصر ستبقى وفية لعهودها من أجل القدس

● التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بطلاب الجامعات والمعاهد العليا بمعهد إعداد القادة بحلوان وبحضور الأستاذ الدكتور عبد الهادي الجوهري مدير المعهد وقال فضيلته: إن مصر التي تقف دائماً إلى جانب الشعب الفلسطيني ستبقى وفية لعهودها من أجل القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى سيدنا رسول الله ﷺ، وبالنسبة للتبرع بالأعضاء قال: إذا كان

(٢) البقرة (٣١-٣٣).

(٣) العلق (١-١٩).

التبرع من أجل المحافظة على صحة إنسان آخر فهو لون من الإيثار الذى مدح الله - تعالى - أصحابه فى قوله تعالى:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(٤)

أما إذا كان على سبيل البيع والحصول على المال فهذا حرام لأن جسد الإنسان ليس محلاً للبيع والشراء، وأوضح فضيلته أن الإعلانات فى وسائل الإعلام المقروءة والمرئية يجب ألا تتنافى مع مكارم الأخـــلاق ويجب أن تكون هناك ضوابط لمثل هذه الإعلانات، وأى إعلان يشتمل على الرذيلة ويأتى بشكل فاضح ويتنافى مع القيم والآداب الإسلامية النبيلة، فالإسلام ضده ونحن لا نقره وهو حرام، والاعلانات التى تقدم خدمات معينة للناس ومنها الإعلان عن ندوة أو محاضرة أو مدرسة إلى غير ذلك فهذا لا شئ فيه.

وعن شرعية الحصول على جوائز من برامج التليفزيون قال فضيلته: إذا كانت الجوائز مقابل عمل شريف مثل التى تمنح للنابغين من الطلبة والعلماء فهى حلال، أما إذا كان الحصول عليها مقابل عمل قبيح فهى حرام، وإذا نظمت مسابقة لحفظ القرآن الكريم ورصدت لها الجوائز فهى حلال بالإضافة إلى الجوائز التى تعطى للنابهين والنابغين والمتفوقين.

وبالنسبة لقوانين الأحوال الشخصية وهل هى مستمدة من الشريعة الإسلامية والحكم الشرعى هو السائد وتتراوح النسبة التى لم يتم تطبيقها من الشريعة بين ١ إلى ٢٪ فقط.

وأشار إلى أن الاستنساخ إذا كان من أجل زيادة الإنتاج النباتى والحيوانى فهو حلال.

وحول سؤال عن مشروعية الختان للإناث قال فضيلته: إن مسألة ختان الإناث مسألة اختيارية لم يرد فيها حديث صحيح يأمر بختان الإناث وهو عادة وليس عبادة ولا علاقة لها بالدين فهى مسألة اختيارية وليست إلزامية، وحول سؤال عن مزاعم اليهود بوجود بقايا هيكل سليمان - عليه السلام - أسفل المسجد الأقصى أو بالقرب منه، قال فضيلته: إن هيكل سليمان الذى تدعى إسرائيل وجوده فى أرض المسجد الأقصى أكذوبة ولا يوجد شئ بهذا الاسم وإنما هى دعاوى من اليهود ولا دليل عليها، وأكد على أن مصر رئيسا وحكومة وشعبا تقف إلى جانب إخواننا فى فلسطين تؤازرهم وتناصرهم وتعاونهم وتمدهم بكل عون ومساعدة وقد خاضت مصر أربعة حروب وضحت بآلاف من الشهداء والكثير من الأموال من أجل فلسطين وستبقى مصر بعون الله

---

(٤) الحشر (٩).

وفية لعهدها تجاه القدس الشريف ونصرة الشعب الفلسطيني، وأكد فضيلته على ضرورة تحصيل العلم النافع وطلب الاستزادة منه لأن طبيعة المنافسة تقوم بين الأمم على العلم والتفوق فيه وحث طلاب الجامعات والمعاهد على ضرورة التفوق والنبوغ العلمي وأن يكونوا مثالاً للرقي العلمي والانضباط والتحلي بمكارم الأخلاق، والتمسك بالقيم النبيلة وجميع الشرائع تدعو إلى نشر العلم النافع، والعالم الآن يتطور بصورة سريعة ومذهلة، والإسلام بل والأديان كلها ترحب بكل تفوق علمي مادام يستخدم في الخير والتقدم والإصلاح لصالح البشرية وخدمة الإنسان، ولقد جاءت الرسل جميعاً برسالة واحدة في جوهرها دعوة الناس إلى وحدانية الله - سبحانه وتعالى - والأزهر الشريف يرحب بكل تفوق ورقي علمي وقد تم شراء ٧٠٠ جهاز كمبيوتر لتوزيعها على المعاهد الأزهرية حتى تتمكن من متابعة العلم الحديث، لأن تعلم هذه العلوم أصبح من مستلزمات العصر.

## الإمام الأكبر يلتقي بطلبة البعوث الإسلامية

● التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بطلبة البعوث الإسلامية بمعسكر الطلاب بالإسكندرية في الملتقى الثقافي وقال فضيلته: نشكر أولاً وسائل الإعلام على اختلاف ألوانها المرئية والمسموعة والمقروءة وعلى رأسها إذاعة القرآن الكريم تلك الإذاعة التي تسمعها على مدى ٢٤ ساعة تبث العلم النافع وتحرص على أن تعرف المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بما يجب عليهم نحو دينهم ونحو أنفسهم ونحو غيرهم وبصفة خاصة نحو إخوانهم المسلمين، ونحمد الله - سبحانه وتعالى - أن وفقنا لكي نلتقي جميعاً على طاعة الله - عز وجل - مع طلبة وطالبات أكثر من ٩٤ دولة جاءوا إلى الأزهر الشريف لكي ينهلوا من العلم النافع ولكي يعودوا إلى أوطانهم وقد تزودوا بهذا العلم فيعلموه لأهليهم وذويهم، ونحن نعلم أن الذين يخدمون دينهم وأوطانهم عن طريق علمهم لا يقلون في المنزلة عند الله - تعالى - عن الذين يبذلون أموالهم وأرواحهم والدليل على ذلك قول الله - تعالى - في أواخر سورة التوبة:

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(٥).

---

(٥) التوبة (١٢٢).



فالآية الكريمة معناها واضح أى ما استقام للمؤمنين أن يخرجوا جميعاً لقتال أعدائهم إذا كان بعضهم يغنى فى قتال هؤلاء الأعداء وإنما الذى يصح ويستقيم، أن يقسم المسلمون أنفسهم إلى قسمين قسم يتفرغ إلى تعليم أنفسهم وغيرهم وقسم يتفرغ لقتال الأعداء.

والأزهر الشريف الذى عمره الآن أكثر من ألف سنة وهب نفسه لخدمة أبناء المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ونحن نشعر بالسعادة النفسية وبالاطمئنان القلبى عندما نجد فى مدن البعوث الإسلامية فى القاهرة والإسكندرية طلبة بهذا العدد الكبير يأتون من دول آسيا وأفريقيا وأوروبا تفتح لهم مصر قلبها قبل أن تفتح أبوابها بكل سرور، ومحبة وأخوة صادقة وتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، عندما نجد أبناءنا من مشارق الأرض ومغاربها يفدون إلى أرض مصر ليتلقوا العلم فى معاهدها بصفة عامة، وفى الأزهر الشريف بصفة خاصة.

لقد استمعنا إلى آيات كريمة من كتاب الله - عز وجل - قرأها علينا الطالب النجيب قبل المحاضرة، والآيات الكريمة تبين لنا كيف أن الله - عز وجل - مدح المؤمنين الصالحين وذكر لنا جزءاً من صفات هؤلاء الصالحين، آيات من سورة الفتح وهى من السور المدنية التى نزلت فى المدينة المنورة على رسول الله ﷺ بعد هجرته من مكة إلى المدينة وكان نزول معظم آياتها بعد صلح الحديبية وهو من الأحداث المشهورة التى تحدثت عنها السيرة النبوية بالتفصيل وملخصها أن الرسول ﷺ رأى أنه يطوف بالبيت الحرام ورؤيا الأنبياء حق وصدق، وطلب من الصحابة أن يخرجوا معه ولكن المشركين منعوهم وتمت معاهدة بين المسلمين وبين أهل مكة وعاد المسلمون فى تلك السنة على أن يرجعوا فى عمرة القضاء، وفى العودة نزلت معظم آيات هذه السورة الكريمة:

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾(٦).

أى لقد صدق الله ما رآه وقال سيدنا عمر - رضى الله عنه - لسيدنا أبا بكر -

---

(٦) الفتح (٢٧).





رضى الله عنه - إن الرسول ﷺ قد أخبرنا أنه سيطوف في هذه السنة، فالآية تقص علينا ما رآه النبي ﷺ وأن ما رآه سيتحقق إن عاجلاً أو آجلاً وقد تحقق في عمرة القضاء في السنة السابعة:

﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾

أى لتدخلن المسجد الحرام آمنين من كل خوف فنعمة الأمان ونعمة عدم الخوف وما وجدت في أمة إلا وكانت كلمتها هي العليا وكلمة أعدائها هي السفلى، نعمة الأمان عندما تسود في الأمة يتعاونون على نشر الفضائل وعلى إماتة الرذائل يتعاونون على كل ما يجعلهم يتقدمون ويسبقون غيرهم إلى كل مكرمة، والآية:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾(٧).

أرسل محمدا رسول الله ﷺ شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وفيها مدح لأصحابه ﷺ وأتباعه لأنهم يتعاونون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان فهم يقتدون به:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٨).

وهم أشداء على الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون وعلى من ينتهكون حرمات الله - عز وجل -، وهم أشداء على من يعتدى عليهم في النفس أو المال أو العرض أما الذين لا يعتدون علينا ولا يسيئون إلينا فالقرآن يقول:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(٩).

ليس معنى ذلك أن المسلمين قساة القلوب على غيرهم وإنما المقصود أنهم أشداء على أعدائهم.

(٧) الفتح (٢٩).
(٨) الأحزاب (٢١)
(٩) الممتحنة (٨)، (٩)



بعض الناس يزعم أن الإسلام انتشر بالسيف وبالقتال وهذا زعم باطل فالإسلام انتشر بهدايته وسماحته وعدالته انتشر لأنه دين الفطرة . فطرة الله التى فطر الناس عليها لأنه الدين الذى يبقى ولا يهدم يصلح ولا يفسد يعمر ولا يخرب الدين الذى يجمع ولا يفرق .

ثم قال فضيلته : إن الذين يعتدون على مقدساتنا وديننا وقيمنا وأرضنا كما نرى الآن فى فلسطين نرى الإسرائيليين يبطشون بإخواننا فى فلسطين بطريقة تحرمها الديانات السماوية فعلى الفلسطينيين أن يدافعوا عن أنفسهم ويردوا على المعتدين ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون عرضه فهو شهيد وعلينا جميعاً بصفة خاصة كمسلمين أن نقف إلى جانب إخواننا فى فلسطين ونمدهم بكل ألوان المساعدة المادية والمعنوية وإذا لم نفعل ذلك نكون مقصرين ويحاسبنا الله - عز وجل ومصر والحمد لله رئيسا وحكومة وشعبا تقدم لهم كل ما يحتاجون إليه والمعونات المستترة أكثر بكثير مما يقدم ظاهراً ولا يكاد يمضى أسبوع إلا ويتقابل السيد الرئيس محمد حسنى مبارك مع السيد الرئيس ياسر عرفات للتشاور والتناصح ، وقد مدح الله - عز وجل - المؤمنين الذين يتعاونون على البر والتقوى ثم شرح فضيلته الآيات الكريمة وبين صفات المؤمنين فى التوراة وفى الانجيل وفى القرآن .

ثم ختم اللقاء بقوله : نحن سعداء بهذا اللقاء الخالص لوجه الله - عز وجل - ونحن نلتقى لا من أجل شئ من عرض الدنيا وإنما التقينا من أجل خدمة ديننا وأمتنا ومن أجل أن نتناصح ونتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، والأخوة عندما تسرى بيننا نكون قد امتثلنا لقول الله - عز وجل - :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(١٠) .

ندعو الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وقدم فضيلته الشكر لفضيلة الشيخ فرحات المنجى المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية والعاملين بالمدينة وللسادة الحضور ولوسائل الإعلام .

## الإمام الأكبر يلتقى بطلاب العالم الإسلامى

● التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مع شباب معسكر أبى بكر الصديق بالاسكندرية ، بحضور فضيلة الأستاذ

---

(١٠) الحجرات (١٠)



الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وقيادات وزارة الأوقاف وعلماء الأزهر والطلاب فى إطار النشاط الثقافى والذى تضمن لقاءات مع كبار العلماء والمفكرين والمسئولين.

ويضم المعسكر نخبة من طلاب جامعات مصر والعالم الإسلامى الذين يدرسون بالأزهر الشريف وهو عبارة عن أربعة أفواج كل فوج يضم حوالى ٥٠٠ طالب وتنظمه وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وهو للطلبة المتميزين دراسياً ودينياً وأعلن الدكتور محمود حمدى زقزوق أن طلاب أكثر من ٩٠ دولة من طلاب مدن البعوث الإسلامية يشاركون فى هذا الملتقى وأن أبناء ٥٦ دولة من آسيا وأفريقيا وغيرهما يشاركون فى هذا المعسكر مما يؤكد اهتمام مصر والرئيس مبارك البالغ بزيادة المنح الدراسية لشباب العالم الإسلامى والدارسين فى الأزهر الشريف موضحاً أن هناك أكثر من ١٤ ألف طالب وطالبة من مختلف العالم الإسلامى يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته بعضهم على منح الأزهر الشريف وبعضهم على منح من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وبعضهم على نفقته الخاصة، وأضاف أن الوزارة تشرف على ٥٦ ألف مسجد، و١١٢ ألف زاوية، وخلال عام واحد سوف تشرف الوزارة على جميع المساجد والزوايا بالجمهورية بهدف ضمان سلامة الكلمة من فوق منابرها،



وأكد فضيلته أن مصر تبنى نفسها بكل قوتها من أجل تقديم الخير لكل فرد فى هذا البلد، وأن الدين الإسلامى يقدس العلم والعمل من أجل الدين والدنيا فهناك ثورة فى عالم الاتصالات والمعلومات والعالم اليوم يتنافس فى مصادر القوة، ومصدر القوة الأساسى هو العلم والذى يملك العلم يملك القوة، والشباب هم عدة الأمم، وعلى أكتافهم تبنى الأمم أوطانها، وقال إنه يجب ملاحقة هذا بالتقدم العلمى، والثورة فى عالم الاتصالات وطالب الشباب بأن يتسلحوا بالعلم لأن الذى يملك العلم يستطيع مواجهة المتغيرات العالمية حتى لا نتخلف عن ركب التقدم.

وأعلن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أن ما تقوم به مصر بقيادة الرئيس محمد حسنى مبارك لنصرة القضية الفلسطينية واجب دينى مقدس، وأن مساندة الفلسطينيين لاستعادة كامل حقوقهم المشروعة غير منقوصة على ترابهم وأرضهم واجب وفرض على مختلف

الحكومات والشعوب العربية والإسلامية، ومصر تحرص على أن تساعد إخواننا فى فلسطين بكل ما تملك وتقف دائماً إلى جانب الحق وتقف دائماً إلى جانب المظلوم فقد خاضت مصر أربعة حروب من أجل إخواننا فى فلسطين وتقف إلى جانبهم بكل لون من ألوان المساعدة وأوضح فضيلة شيخ الأزهر الشريف أن هناك أنواعاً من الجهاد وأفضلها جهاد النفس وطلب العلم هو نوع من الجهاد وبذل النفس نوع من أنواع الجهاد، والمؤسسات الدينية الآن فى أسمى درجات التعاون من أجل خدمة ديننا ومن أجل خدمة وطننا، هذا التعاون يزيدنا قوة، والقوة هى الحياة، والمسلمون ليسوا قلة وهم يشكلون خمس سكان العالم، والمسلمون الآن فى أشد الحاجة إلى التضامن حتى يمكن لهم أن يدافعوا عن مقدساتهم، فالقدس ليست ملكاً للفلسطينيين وحدهم، بل للمسلمين جميعاً، وننتظر من شبابنا أن يبذلوا كل ما يستطيعون من أجل أن يبنى نفسه علمياً بأسلحة العصر من تكنولوجيا ومعلومات وثقافة من أجل خدمة هذا البلد حتى ينعم بالاستقرار والأمان ويأخذ المكان اللائق به، فالضعفاء ليس لهم فى دنيا الأقوياء مكان أو نصير، مشيراً إلى أن مصر بلد الأمن والأمان وقلعة الفكر الإسلامى بوجود الأزهر الشريف على أرضها، وحث فضيلته الشباب على التمسك بالقيم الإسلامية النبيلة والتردد على المساجد وقراءة القرآن والتمسك بالفضائل ومكارم الأخلاق، إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا وقد أجاب فضيلته عن أسئلة الطلاب والطالبات واستفساراتهم.

## اتفاقية علمية بين الأزهر وماليزيا

● استقبل فضيلته الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٢ / ٧ / ٢٠٠١م السيد / يعقوب ابن إدريس مدير عام هيئة الامتحانات بوزارة التربية والتعليم بماليزيا، ودار الحديث حول الاتفاقية العلمية والثقافية بين الأزهر الشريف ودولة ماليزيا وتطبيق مناهج الأزهر فى مدارس ومعاهد ماليزيا وتوحيد الشهادات مع الأزهر بحيث يلتحق الطالب الحاصل على الشهادة الثانوية الأزهرية فى دولة ماليزيا بجامعة الأزهر الشريف، والأزهر الشريف يمد هذه المدارس والمعاهد بالكتب والمناهج الدراسية وبالسادة المدرسين من علماء الأزهر الشريف.

# تهنئة ودعاء

● أصدر السيد رئيس مجلس الوزراء القرار رقم ٩٣١ لسنة ٢٠٠١ وبناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف بتعيين فضيلة الشيخ/

## محمد سيد أبو العلا عزيز

### رئيساً لقطاع المعاهد الأزهرية

بالدرجة الممتازة اعتباراً من ٢٠٠١/٧/١م حتى بلوغه السن القانونية المقررة لترك الخدمة.

ويسر مجلة «الأزهر الشريف» أن تهنئ السيد صاحب الفضيلة الشيخ/ محمد سيد أبو العلا باختياره:

رئيسا لقطاع المعاهد الأزهرية

وتدعو لفضيلته بالتوفيق،،

أسرة تحرير مجلة الأزهر

# الفهـــرس


● افتتاحية العدد: إنسانية الغرب فى الميزان
لفضيلة أ.د. محمد رجب البيومى ـــ ٨٩٨
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة أ.د. محمد سيد طنطاوى ـــ ٩٠٢
● قضية: يوقف على رؤوس الآيات
لفضيلة الشيخ صديق بكر عيطة ـــ ٩٠٩
● حذف جواب: لو ترى
أ.د. عبدالحليم حفنى ـــ ٩١٤
● من القصص التربوى فى القرآن الكريم: ولدان
للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى ـــ ٩١٩
● دعوى بشرية القرآن
أ.د. محمد إبراهيم الفيومى ـــ ٩٢٤
● من ركائز التضامن الإسلامى
أ.د. أحمد عمر هاشم ـــ ٩٣٢
● الدعوة كما ينبغى أن نبلغها
لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدى ـــ ٩٣٩
● مساجلة بين فقيهين
للدكتور حمدى فتوح والى ـــ ٩٤٤
● بين الخضر حسين وعلى عبد الرازق: قضية وكتابان..
أ.د. محمد عمارة ـــ ٩٤٩
● مصر
شعر الأستاذ على الجارم ـــ ٩٥٦
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
أ.د. عبدالعظيم المطعنى ـــ ٩٦٠
● كتاب الشهر
نقد كتاب (سيرة رسول الله ﷺ لابن اسحق للدكتور على مراد)
نقد وتعليق أ.د / إبراهيم عوضين ـــ ٩٦٧
● ما يقال عن الإسلام (الأذان فى الإسلام)
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ـــ ٩٧٧
● مواقف إسلامية: وفاء الأشقاء
أ.د. محمود عمارة ـــ ٩٨٢
● قصة العدد.. القمة الموحشة
للأستاذ محمد فريد أبو حديد ـــ ٩٨٧
● القط الأعمى
شعر: أبو حسام ـــ ٩٩٤
● عالم زاهد.. وتقى ورع
لفضيلة الشيخ / على محمود أبو الحسن ـــ ٩٩٧
● مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية
أ.د. أحمد فؤاد باشا ـــ ١٠٠٢
● الفكر التلمودى فى الوجدان اليهودى
للدكتور / محمد حسن عبدالخالق ـــ ١٠٠٨
● حجر من أرض الإسراء
شعر الأستاذ / السيد صديق حافظ ـــ ١٠١٨
● القعقاع بن عمرو التميمى
للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين ـــ ١٠٢٠
● من قضايا النقد: ثقافة الناقد فى مرآة ابن المعتز
أ.د. محمد أحمد العزب ـــ ١٠٢٣
● طرائف ومواقف
للأستاذ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ـــ ١٠٢٨
● استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر ـــ ١٠٣٠
● خطبة الجمعة
لفضيلة أ.د. أحمد الشرباصى ـــ ١٠٣٤
● الإنفاق فى سبيل الله
لفضيلة الشيخ / فوزى فاضل الزفزاف ـــ ١٠٣٨
● رسالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ / عبدالفتاح سيد جمعان ـــ ١٠٤٣
● المفهوم الصحيح للحرية
لفضيلة الشيخ محمد فوزان ـــ ١٠٤٧
● أيها الإعلاميون رويدكم
للأستاذ مجدى عبدالحميد بشير ـــ ١٠٥٠
● قلعة القاهرة
للأستاذ / أحمد إسماعيل إبراهيم ـــ ١٠٥٥
● بين الصحف والمجلات
للأستاذ محمود الفشنى ـــ ١٠٦١
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ / عادل رفاعى خفاجة ـــ ١٠٦٥
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ محمد الشرقاوى ـــ ١٠٧٠
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذ عمر البسطويسى على ـــ ١٠٧٣



# الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي





المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾

الإسراء آية (١)

افتتاحية العدد

# ثقافة الداعية المعاصر

لا نجد عصرا تجسدت فيه أسباب الشك حتى تكاد تُلمس باليد كهذا العصر، إذ وُجدت فيه من ضروب العلم وأفانين المعرفة ما ساعد على زعزعة كثير من القواعد الراسخة في العقول، ثم جاء الفن الأدبي بشعره وقصصه ومسرحه وتمثيله، فساعد على تأكيد هذه البلبلة مساعدة طائشة، لأن أكثر القائمين بالتمثيل والإخراج قد ألهاهم الكسب الرخيص فأخذوا يستهوون النفوس بما يعرضون من مغريات هابطة وليس لديهم من الحصانة الخُلُقية في أكثرهم الغالب ما يزجرهم عن هذا الاستهواء الآثم، ومن وُجد لديه بعض السمو فحاول الارتقاء بفنه رأى نفسه متخلفا غير سابق في دنيا الربح والاتجار، ومصيبة التأثر بالفن أكبر هولا من مصيبة التأثر بالعلم، لأن العلم في كتبه الخالصة وفروعه الدقيقة ومسائله المتشعبة، وقف على الخاصة من المثقفين أما الفن المسرحي بعد ذيوع الراديو والتليفزيون فقد أخذ يغشى كل منزل وأصبح ضروريا لا كماليا، إذ أن قضاء السهرات أمام الروايات التليفزيونية صار عادة متبعة لا سبيل إلى الخلاص منها، فماذا تقول في تأثير هذه الروايات على مستواها الفسيح إذا شحنت بضروب الملهيات، وملئت بشتى مظاهر الإسفاف! تلك مأساة دامية يدعى فيها الصبر، ويتحتم الإسراع بالعلاج.

ونعود إلى الشك الذى أحدثه ما يدعى بالتقدم العلمى فى هذا العصر فنقول: إن العلوم الحديثة في وضعها الجديد، قد مالت بالعقل إلى الزعزعة الخلقية، لأن أوربا المعاصرة في دراستها المتعددة لهذه العلوم لم تشأ أن تربط بينها وبين الخلق الكريم، بل جعلتها في كثير من أمورها، تصطدم بما تقرره قواعد الأخلاق من مثل، بل إن بعضها يعد المثل الأعلى خرافة مضحكة يشتغل بها البلهاء! وقد ازدهرت هذه العلوم ازدهارا كبيرا، وأصبحت مادة الدراسة في الكليات والمعاهد، وباب القراءة في الصحف والمجلات، وميدان البحث النظرى في الكتب والمحاضرات، والداعية المعاصر مضطر تمام الاضطرار إلى أن يلم بهذه العلوم كي يقنع هذه العقول المتشككة،

فإذا اقتصر على الكتب الدينية وجدها جوبه بما لا يستطيع الثبات أمامه من اعتراضات، وأصبح داعية السذج من العوام، وهؤلاء مؤمنون أصلا بفطرهم السليمة لا يحتاجون إلى جهد جبار في الدعوة إلى الرشاد. وهو بمعاودة إرشادهم لا يضيف أرضا جديدة للإسلام، وإن كان عمله لا يخلو من نفع واضح في تأكيد العقيدة وتثبيت القلوب على الإيمان، ولكن الأهم من ذلك كله أن يرتقي بنظره إلى الخاصة ممن درسوا علوم العصر فتعرضوا لزعازع الشك، وفيهم من أراح نفسه حين استكان إلى الإلحاد جهلا وقصورا ومن لم يسلك هذا السبيل قد صار في مهب العواصف لا يدري أين يتجه، فإيمانه الموروث يدعوه إلى الثبات والصمود، وزعازع العلوم المعاصرة تهب عليه من كل سبيل، فتزعزع الرواسخ من قواعد هذا الإيمان ولابد من أن يتجه الداعية إلى دراسة هذه العلوم ليميز الخبيث من الطيب ويجذب إليه نفوسا تريد أن تتلمس وسائل الإرشاد النافع فتضل السبيل.

إن من أول هذه العلوم القوية التأثير في بذر الشك الديني ما يعرف بعلم النفس، إذ اتجه هذا العلم إلى دراسة ما يسمى بالعقل الباطن، فاهتدى إلى أن الانحراف والشذوذ والتسفل نتائج محتومة لغرائز طبيعية تعمل عملها، ولا حيلة في مصادمتها، ومن ثم أغار على الفضائل النبيلة غارات مكتسحة حين ردها كلها إلى دواع هابطة من حب الظهور والإغراق في الأنانية، فالمجاهد الذي يستشهد في سبيل الله مثلا، هو لدى علماء النفس إما أناني يحب نفسه أكثر من اللازم فيندفع بها إلى الاستشهاد ليحدث له دويا بعد استشهاده حين يتحدث الناس عن بطولته، ويعطرون المجالس ببسالته، وإما أن يكون معذبا في حياته فيحاول الخلاص منها انتحارا في ميدان القتال، فيندفع إلى المعركة لا حبا للعقيدة، ولا دفاعا عن الوطن بل للنجاة من مضايق كريهة يصلاها سرا دون أن يشعر بها أحد سواه، والجواد الكريم حين يتبرع بماله لا يريد وجهه الله قدر ما يريد حسن الأحدوثة وجمال الإطراء وإعظام العامة والخاصة، والداعية الذي يهدي الناس إلى الصراط القويم، لا يبتغي وجه الله في صميم عمله، بل يريد وجاهة بين العامة والخاصة، ويحرص على مظاهر التبجيل والتعظيم، وهكذا تعرضت الفضائل الإنسانية في أكثر أمورها إلى تفسير خاطئ يجعلها ظواهر لأمراض خلقية، بل إن حب الوالد لولده والأم لابنها حب مغرض، لا ينبعث في منطق هؤلاء عن رحمة حانية وإشفاق نبيل، بل ينبعث عن حب للذات حين يريد الوالد أن يكون الأبناء عامل نفع في الحياة فيساعدوا الآباء في زمن الكبر والشيخوخة، وحين يكونون عامل تذكار لهم بعد الموت، إذ يحملون أسماءهم ويخلدون آثارهم! وإذا كان هذا الشعور الأبوي الصادق مريبا في تحليله النفسي، فماذا نقول إذن فيما دونه من مشاعر الصداقة والأخوة وظواهر التعاون والتماسك والإيثار!!

نترك علم النفس إلى علم الاجتماع، لنجده قد أوقع الإنسان في جبرية محتومة لا سبيل إلى

الخلاص منها، لأن الفرد رهن بالوراثة من ناحية، وبالبيئة من ناحية أخرى، فعامل الوراثة يدفعه إلى سلوك معين يمليه عليه كيانه الداخلي بما ورث من أعصاب وانفعالات وما يصيب كيانه العضوى من صحة ومرض وعامل البيئة يخضعه إلى ظروف خاصة تغله بقيودها الثقيلة، فالمناخ الجوى والمناخ الاجتماعي والمناخ الاقتصادى وسائر ما يحيط بالمرء في مجتمعه يسيره تسييرا آليا بحيث لا يكون الانحراف عنه إلا موضعا للشذوذ الطارئ، أما القاعدة العامة فهى التى تحتم السير نحو ما توجبه أوضاع البيئة، ولهذا الكلام وجاهته إذا روعى كل شئ بقدر، فيعرف للوراثة أثرها، وللبيئة ضرورتها كما يراعي للإنسان من ناحية ثانية تفكيره وتميزه، وقدرته على تمييز الطيب، ورفض الردئ وسلوكه النابع من هذا التمييز، وهذا ما يحدث فعلا، لأن الإنسان فى صميم نفسه يتمتع بقدر كبير من الحرية يهديه سواء السبيل، ويريه سبيلى الخير والشر، تصديقا لقول الله عز وجل:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞
قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾

سورة الشمس (٧ : ١٠)

والطفل الصغير ذو إرادة معقولة تجعله يصحب من يحب ويبتعد عما يكره، ويأكل ما يستطيب ويتجنب ما يرفض، وهو بعد طفل لم يكتمل إدراكه كل الاكتمال وكذلك الحيوان الأعجم يفهم اتجاهه ويتجنب شرور ما يتوقع، ويحتال إلى الوصول لما يريد، فهو ممتع بمقدار كبير من الحرية، ولكن نفرا من علماء الاجتماع يحاولون أن يجعلوا الإنسان كما قال الشاعر القديم:

**ألقاه في اليـم مكتوفا وقال لـه**

**إيــاك إيــاك أن تبتـل بالمـاء**

وواجب الداعية أن يدرس هذا العلم ليجابه ما يعترض الناس من شكوك، وليظهر رأى الإسلام مدعما بالحجة العقلية والنص القرآنى معا، وما ورد فى الصحاح من آثار.

أما علم الاقتصاد فقد ساء حظه لدى الدارسين، الذين التزموا الوجهة الأوربية فى التحليل والتعليل لأن المعسكر الرأسمالى يدفع أساطينه إلى نوع خاص من التفكير المالى يغلب عليه الحرص، وتسوده الرغبة فى الابتزاز والانتهاز حتى لكأن الأسواق المالية غابات تتصارع فيها الوحوش لينهش كل وحش بما يستطيع الوثوب عليه من ضحايا وفرائس، وإذا وجدت ضوابط حافظة فهى للوقاية من الاصطدام لا لرعاية الحقوق وتقديس الواجبات، أما المعسكر الشيوعى فقد بنى سياسته المالية على إثارة الحقود، وتأليب الطبقات وإحداث المنازعات بحيث لا يخلو المجتمع من حاقد ومحقود عليه، وادعاء الاشتراكية أصبح من الزيف فى مجال التطبيق بحيث لا


الأستاذ/ محمد فريد وجدى
ترك مؤلفات تثرى ثقافة الداعية

يصدقه من يرى الرؤساء في العالم الشيوعي يعيشون عيشة الأباطرة، ويزعمون أنهم يرعون حقوق الطبقات الكادحة، ويناصرون العمال والفلاحين، ويسهمون فى تكوين مجتمع عالمى ينتفى فيه الحسد وتنعدم البغضاء! وإذا صح ذلك فمالنا نرى الدول الشيوعية تصطدم وتتنازع، ولا يقل الصراع السياسى بينها عن صراع المعسكر المقابل! وإذا كانت هذه التيارات المتقابلة قد وجدت دعايتها البراقة في المجتمعات الإسلامية فلابد أن يفتح الداعية المسلم عينيه على هذه الهزات التى تزلزل أرضه زلزالا عميقا، والتى تحتاج منه إلى تسكين وتمكين.

وأما العلوم السياسية فقد اتجهت الوجهة الميكافيلية بحث أصبحت الغاية تبرر الوسيلة، وأصبحت الدولة المنتصرة هى صاحبة الحق مهما قام انتصارها على البغى! وقد ساد منطق القوة بين الشعوب المتأخرة، ولا عجب أن يسود فى عالم غابت عنه رسالة السماء، ولكن العجب أن يجد من علماء السياسة من يشيدون بالاتجاه الميكافيلى ويرونه دليل النجاح! مهما قام على البغى والاعتداء، لأن الحصول المبكر على الثمرة الناضجة هو الهدف المنشود ولا يعنى هؤلاء أن يكون هذا الحصول عن طريق السرقة والاغتصاب أم عن طريق الكسب المشروع وللسياسة كتبها ودعاتها ولها بريقها الخادع ولكن ذلك كله بعيد عن منطق الإيمان.

ولعل العلم الطبيعى بعد ظهور ( دارون ) وشيوع نظرية أصل الأنواع لم يعد خافيا على الناس بما أحدث من بلبلة دينية، وقد يكون من الحق أن نذكر أن فضلاء من الباحثين قد مزقوا الأسطورة الدروونية كل ممزق بما اهتدوا إليه من الحق الصريح، ولكن من الحق أن نقول: إن مؤيدى هذه النظرية لا يقفون عند مدلولها العلمى المعقول بل يتعدونها إلى شكوك تتجه نحو عالم الغيب، وفيهم من تشربته المادية تشربا جعلته يكفر بكل ما جاءت به الأديان السماوية جميعها من يهودية ومسيحية وإسلام! ومن حسن الحظ أن اللغة العربية لم تعدم كتبا علمية ذات سلاح باتر يهدم هذه النظرية، ويظهر عوارها الخادع، وعلى الداعية الإسلامى أن يقرأ ويدرس ليحارب العلم بالعلم، ويفل الحديد بالحديد، **ومن أشهر ما كتب فى هذا المجال مؤلفات الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى رئيس تحرير مجلة الأزهر الأسبق.**

على أن سلوك الداعية في تصديه للنقاش، ومبادرته للدفاع، يجب أن يكون في مستوى الأستاذ الموجه، والقائد المرشد، لأن سلوكه الإنساني يقدم النموذج الأتم للمسلم المكتمل، ومهما برع علما وفاق حجة فالسلوك الأمثل مناط التأثير وموضع الانصياع، ولا نريد بالسلوك سلوك الحياة في أسلوب معيشتها وحده. بل تضيف إليه سلوك الداعية حين يقوم بأعباء الدعوة، مناقشا ومجيبا ومعترضا وموافقا، فإن سبيل الهداية يحتاج إلى سعة صدر، ورحابة أفق، قدر ما يحتاج إلى قوة بصيرة وغزارة علم، وعمق خبرة، إن سعة الصدر عنصر قوى من عناصر النجاح إذ بها يمتص الداعية كل غضب، ويتغلب على عوامل الشطط والجموح حين يصدران من المناقش اللجوج، ولذلك قال الله - عز وجل - في محكم كتابه:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

سورة النحل (١٢٥)

أعرف أن الإنسان كبشر يضيق بالتعسف واللجاج، ويرى المشتط في تعسفه إنسانا مريضا يحتاج إلى علاج، والعلاج لدى الداعية هو الحلم الكاظم والصبر الصفوح، إذ يجب عليه أن يتوقع كل شطط، وأن يعلم أن الريح ستهب من كل اتجاه تحمل الغبار الثائر، وتطمس وجه الأفق وقد يعقبها رعود وبروق وأمطار، يعلم ذلك ويقدره ويراه غير غريب، حتى إذا جوبه به، ملك زمام تفكيره وأخذ يتصرف أمام مناوئه كما يتصرف الأب المجرب أمام ولده المراهق النزق، يعرف أنه مخطئ متسرع. ولكنه بحنانه يدفعه إلى أن يبتسم وأن يهدى للتى هي أقوم، بصبر راسخ وحلم رشيد.

قد يجابه الداعية أقسى ما يتوقع من انكار لوجود الله، ومن إنكار لبعثة الرسل ومن إنكار ليوم البعث، وعليه حينئذ أمام هذه الدواهي المنكرة أن يتسلح بالابتسام ليرى من صفحة وجهه ما يدل على السماحة والرفق حتى إذا ملك زمام نفسه بدأ بالرد في رفق ولين.

أسوق تجربة واعية لداعية أمين. ووجه بالإنكار الصارم لهذه المسائل الثلاث، مسألة وجود الله، ومسألة البعث الأخروى. ومسألة إرسال الرسل، فلم يعبس في وجه صاحبه، بل رحب بما سأل مبتسما ثم قال في رفق غفور، متجها إلى المعارض في حنو وكأنه يعاتب صديقا من أعز الأصدقاء.

قال الداعية في سماحة لصاحبه:

إن ما سمعته منك لم يكن مستغربا لدى، فقد عصفت بى العواصف، كما عصفت بك، ومضى علىّ زمان وقفت فيه فى مهب الأعاصير، أشك ولا أوقن، وأضل ولا أهتدى، وأثور ولا أهدأ، ولكنى كنت أطلب العون من عقلى دائبا مفكرا، فرأيتنى أزيح ما تراكم فى عينى من الغيوم شيئا فشيئا بطول النظر وإمعان الفكر حتى صفا الجو وأشرقت الشمس فى الآفاق.

لقد نظرت إلى نظام هذا الكون حيث تسير الحياة فى نسق مطرد

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

سورة ياسين ( ٤٠ )

ينزل المطر فيروى الأرض، وينشق الجماد عن نبات أخضر يحمل رزق العباد! يتكون الإنسان جنينا فعلقة فمضغة ثم يصير طفلا يرى الوجود فى وقت معلوم، وقد جهز بآلات وقف العلم أمامها حائرا وسار على نظام لا يختل ولا يعتل! يولد الحيوان كما يولد الإنسان ليؤدى دوره الطبيعى فى الحياة، تزدحم الأكوان بالكواكب والنجوم والأفلاك دون أن تتصادم، تجرى البحار بالمياه، وتكن آلاف الأسماك والحيتان لتكون رزقا للناس! أيكون هذا الإبداع فى السماء والأرض والإنسان والحيوان قد جاء اعتباطا دون أن يقوم على أمره إله!

أى عقل يقبل أن ينهض بناء أرضى كمنزل أو مدرسة أومصنع دون أن يقوم به أناس يفكرون ويعملون! وإذا استحال أن يُبنى منزلٌ صغيرٌ بدون بان، فكيف تنتظم أمور الكون دون موجد يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

إلى هنا ـ يا أخى ـ وجدت طبقة من الغيم تنزاح من فوق عينى، فآمنت بإله خلق الكون، وأبدع الكائنات، فزالت الكربة الأولى.

ثم جعلت أفكر فى أمر القيامة وساءلت نفسى: أحقا سيقوم الناس لرب العالمين؟ أحقا سينفخ فى الصور يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة؟ أحقا ستنشق السماء فهى يومئذ واهية، والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية؟ أحقا سيخرج الناس من الأجداث كأنهم إلى نصب يوفضون، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى يوعدون؟

جعلت أسأل نفسى هذه الأسئلة؟ فوجدتنى أتجه إلى هذا الخالق الذى أبدع

الكائنات جميعها وقد اعترفت بوجوده، وأصبحت لا أشك لحظة في قيامه على أمر السموات والأرض، فقلت في نفسي أيجوز أن يخلق الله هذا الكون وأن يجعل الإنسان خليفته في الأرض، ثم يدع الناس كما شاءوا دون ثواب أو عقاب؟ لو جاز أن يكون ذلك ما صلح نظام وما استقام أمر، لابد أن الذي خلق الناس وهداهم بالعقل قد كفل لهم رسالة حية يؤدونها على ظهر البسيطة فإما أن يكونوا أخياراً بررة، فيلقوا ثوابهم وإما أن يكونوا أشراراً فجرة فيلقوا عقابهم:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

سورة المؤمنون (١١٥)

وإذا اعترفنا بأن مبدع الكون مصور حكيم فإن من حكمته البالغة أن يجزي بالمعروف معروفاً وبالمنكر منكرا وليس من الحكمة أن يودع الإنسان عقلا حصيفاً وإدراكا مستنيراً ثم يتركه كالسائمة!! وإذن فما نفع الحياة؟ إذا كانت مجرد حياة وفناء!! دون أن تؤدي إلى بقاء دائم، لتذهب إذن إذا كانت دورتها الأولى في الأرض هي كل شيء، لأن الإنسان مهما عاش فسيموت، ولن يجديه العيش نفعا إذا انتهت حياته بموته أما إذا استقبل حياة أخرى، فإن البقاء بها اكتمال لحكمة الوجود، وتنفيذ لمشيئة خالق الكون ذي الجلال والإكرام.

قلت في نفسي ذلك، وأخذت أفكر فيما أقول، فوجدت الحياة بدون جزاء عبث لا يفعله إله، ورأيت لدىّ يقينا جازماً باليوم الآخر حين يتم الثواب والعقاب، فشعرت أن طبقة أخرى من الغيم قد زالت عن عيني، وأني صرت أومن بيوم الجزاء كما آمنت من قبل بوجود الله.

بقيت الثالثة: وهي إرسال الرسل! فماذا أقول فيها؟

لقد قرأت ما يقول الملحدون عن الرسل، فعرفت اتجاههم نحو هؤلاء، إذ هم في رأيهم مصلحون أذكياء، رأوا العالم في فساد، ففكروا في هدايته، وكان لهم من ثاقب النظر، وعمق التفكير، وصفاء البصيرة ما حبب إليهم النضال من أجل سعادة الإنسان! وحين عرفوا أنهم على الحق زادوا إيمانا بواجبهم الإصلاحي، وتغلغل هذا الإيمان لديهم حتى اعتقدوا أنهم مسيرون لا مخيرون وأنهم مرسلون من الله! هذا ما يقوله من يحترم الأنبياء، والرسل ويشك في صلتهم بالسماء!



ولكن النظر إلى الرسالات السماوية، يهدى إلى أنها جاءت بما فوق طاقة البشر أن يأتوا به، فمهما بلغ الرسل من الذكاء والفصاحة فهو لا يستطيع أن يخترع كتاباً سماوياً، لدينا مثلا كتاب الله ـ عز وجل ـ وهو القرآن أيجوز أن يأتي به بشر؟ وقد تحدى الله جميع الإنس والجن أن يأتوا بسورة من مثله فلم يستطيعوا! أيجوز أن يكون قد صنعه محمد ﷺ؟ إننا نقرأ الحديث الشريف ونعرف أسلوب الرسول فيما ترك من خطب وقصص ورسائل وفيما قال من حديث! أيوجد أدنى تشابه بين الأسلوبين: أسلوب القرآن وأسلوب الحديث، وإذا تعذر أن يوجد تشابه ما بين الأسلوبين، فأسلوب القرآن منفرد بالإعجاز، ولن يكون إلا من لدن حكيم عليم.

ثم إن العقل البشرى مهما زاد اكتمالاً، وعلا سمواً، وائتلق ضياء، فله حد يقف عنده!

أفيجوز أن يصنع كتابا سماويا يتحدث عن الغيب؟ وتأتي الأيام بما يصدق هذا الحديث، لن يعرف الغيب إلا عالم الغيب والشهادة فكيف يرتقى إليه الإنسان كائنا من كان!

هنا وجدت الغشاوة جميعها تنزاح عن عيني وعدت مبصراً أرى الحياة سعيدة تأتلق بنور الإيمان.

هذه خلاصة ما واجه به الداعية صديقه المفكر، وقد جذبه إلى معتقده بما ساق من حجج وما اعتصم به من سلوك رشيد، فعلى الدعاة أن يكونوا على مستوى الكلمة من الهداة، لتتأكد الثقة بهم في نفوس المستمعين والقارئين، كما أن على الداعية إذا وفق إلى اجتذاب الناس ألا يشمخ مزهوا فالله ولى التوفيق، وفى دراسته الواعية لما اعتصم به السابقون من الدعاة من تواضع مخلص، ورضا هادىء وحنو صادق، ما يجعله يخفض لمستمعيه جناح الذل من الرحمة ليبلغ بهدايتهم ما يريد.

د. / محمد رجب البيومي



# مع سورة الإسراء في ذكرى الإسراء والمعراج

بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج تقدم مجلة الأزهر هذه الآيات الكريمة من تفسير سورة الإسراء احتفاء بالذكرى العطرة.

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله - تعالى -:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

الإسراء آية رقم (١)

افتتحت سورة الإسراء بتنزيه الله - تعالى - عن كل ما لا يليق بجلاله، كما يدل على ذلك لفظ ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ الذى من أحسن وجوه إعرابه، أنه اسم مصدر منصوب - على أنه مفعول مطلق - بفعل محذوف، والتقدير: سبحت الله - تعالى - سبحانا أى تسبيحا، بمعنى نزهته تنزيها عن كل سوء.

قال القرطبى: وقد روى طلحة بن عبيد الله الفياض أحد العشرة - أى المبشرين بالجنة



ـ أنه قال للنبي ﷺ: ما معنى سبحان الله؟ فقال: «تنزيه الله من كل سوء»[1].

وقوله: ﴿أَسْرَىٰ﴾ من الإسراء، وهو السير بالليل خاصة.

قال الجمل: يقال أسرى وسرى، بمعنى سار في الليل، وهما لازمان، لكن مصدر الأول الإسراء ومصدر الثاني السرى ـ بضم السين كالهدى ـ فالهمزة ليست للتعدية إلى المفعول، وإنما جاءت التعدية هنا من الباء. ومعنى أسرى به، صيره ساريا في الليل[2].

والمراد ﴿بِعَبْدِهِ﴾ خاتم أنبيائه محمد ﷺ، والإضافة للتشريف والتكريم.

وأوثر التعبير بلفظ العبد، للدلالة على أن مقام العبودية لله ـ تعالى ـ هو أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلها، إذ لو كان هناك وصف أعظم منه في هذا المقام لعبر به، وللإشارة ـ أيضا ـ إلى تقرير هذه العبودية لله ـ تعالى ـ وتأكيدها، حتى لا يلتبس مقام العبودية بمقام الألوهية، كما التبسا في العقائد المسيحية، حيث ألهوا عيسى ـ عليه السلام ـ وألهوا أمه مريم، مع أنهما بريئان من ذلك..

قال الشيخ القاسمي نقلا عن الإمام ابن القيم في كتاب «طريق الهجرتين»: أكمل الخلق أكملهم عبودية لله ـ تعالى ـ، ولهذا كان النبي ﷺ أقرب الخلق إلى الله ـ تعالى ـ وأعظمهم عنده جاها، وأرفعهم عنده منزلة، لكماله في مقام العبودية. وكان ﷺ يقول: «أيها الناس ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي. إنما أنا عبد». وكان يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبدالله ورسوله».

وذكره ـ سبحانه ـ بسمة العبودية في أشرف مقاماته: في مقام الإسراء حيث قال:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾

وفي مقام الدعوة حيث قال:

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾..[3]

وفي مقام التحدي حيث قال:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾.[4]

وقوله: ﴿لَيْلًا﴾ ظرف زمان لأسرى.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل؟.

قلت: أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير، تقليل مدة الإسراء، وأنه أسرى به بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية..».[5]

---

١- تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ٢٠٤.

٢- حاشية الجمل جـ ٢ ص ٦٠٨.

٣- سورة الجن الآية (١٩).

٤- تفسير القاسمي جـ ١٠ ص ٣٨٨٤ والآية من سورة البقرة (٢٣).

٥- تفسير الكشاف جـ ٢ ص ٤٣٦.



وقوله:

﴿ مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾.

بيان لابتداء الإسراء وانتهائه.

اى: جل شأن الله ـ عز وجل ـ وتنزه عن كل نقص، حيث أسرى بعبده محمد ﷺ في جزء من الليل، من المسجد الحرام الذى بمكة إلى المسجد الأقصى الذى بفلسطين.

ووصف مسجد مكة بالحرام، لأنه لا يحل انتهاكه بقتال فيه، ولا بصيد صيده، ولا بقطع شجره.

ووصف مسجد فلسطين بالأقصى، لبعده عن المسجد الحرام، إذ المسافة بينهما كان يقطعها الراكب للإبل في مدة شهر أو أكثر.

قال الألوسي: ووصفه بالأقصى ـ أى الأبعد ـ بالنسبة إلى من بالحجاز. وقال غير واحد: إنه سمى به لأنه أبعد المساجد التى تزار من المسجد الحرام وبينهما زهاء أربعين ليلة. وقيل ـ وصف بذلك ـ: لأنه ليس وراءه موضع عبادة فهو أبعد مواضعها..[6]

وظاهر الآية يفيد أن الإسراء كان من المسجد الحرام، فقد أخرج الشيخان والترمذى والنسائى من حديث أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا في الحجر ـ وفى رواية ـ في الحطيم، بين النائم واليقظان، إذ أتانى آت فشق ما بين هذه إلى هذه، فاستخرج قلبى فغسله ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يقال له البراق فحملت عليه»..

وقيل أسرى به من بيت أم هانئ بنت أبى طالب، فيكون المراد بالمسجد الحرام: الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه به. فعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: الحرم كله مسجد.

ويمكن الجمع بين هذه الروايات، بأن الرسول ﷺ بقى في بيت أم هانئ لفترة من الليل، ثم ترك فراشه عندها وذهب إلى المسجد، فلما كان في الحجر، أو في الحطيم بين النائم واليقظان أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السموات العلا. ثم عاد إلى فراشه قبل أن يبرد ـ كما جاء في بعض الروايات.

وبذلك يترجح لدينا أن وجود الرسول ﷺ في تلك الليلة في بيت أم هانئ، لا ينفى أن الإسراء بدأ من المسجد الحرام، كما تقرر الآية الكريمة.

وقوله:

﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ صفة مدح للمسجد الأقصى.

أى: جل شأن الله الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، الذى أحطنا جوانبه بالبركات الدينية والدنيوية.

أما البركات الدينية فمن مظاهرها: أن هذه الأرض التى حوله، جعلها الله ـ تعالى ـ مقرا لكثير من الأنبياء، كإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى.

قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ
إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾[7].

---

6- تفسير الألوسي جـ 15 ص 9.

7- سورة الأنبياء الآية (81)




وقال ـ سبحانه ـ في شأن إبراهيم:

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾(٨).

والمقصود بهذه الأرض: أرض الشام، التي منها فلسطين.

وأما البركات الدنيوية فمن مظاهرها: كثرة الأنهار والأشجار والثمار والزروع في تلك الأماكن.

قال بعض العلماء: وقد قيل في خصائص المسجد الأقصى: أنه متعبد الأنبياء السابقين، ومسرى خاتم النبيين، ومعراجه إلى السموات العلا.. وأولى القبلتين وثاني المسجدين، وثالث الحرمين، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه.(٩)

وقوله ـ سبحانه ـ:

﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ إشارة إلى الحكمة التي من أجلها أسرى الله ـ تعالى ـ بنبيه ﷺ فقوله:

﴿ لِنُرِيَهُۥ ﴾ متعلق بـ ﴿ أَسْرَىٰ ﴾.

و «من» للتبعيض لأن ما رآه النبي ﷺ وإن كان عظيما إلا أنه مع عظمته بعض آيات الله بالنسبة لما اشتمل عليه هذا الكون من عجائب.

أي: أسرينا بعبدنا محمد ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله، ثم عرجنا به إلى السموات العلا، لنطلعه على آياتنا، وعلى عجائب قدرتنا، والتي من بينها: مشاهدته لأنبيائنا الكرام، ورؤيته لما نريد أن يراه من عجائب وغرائب هذا الكون.

ولقد وردت أحاديث متعددة في بيان ما أراه الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ في تلك الليلة المباركة، ومن ذلك ما رواه البخاري عن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال:

«... ووجدت في السماء الدنيا آدم فقال لي جبريل: هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه ورد عليّ آدم السلام فقال: مرحبا وأهلا بابني، فنعم الابن أنت..»

وفي رواية الإمام أحمد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي ربي ـ عز وجل ـ مررت بقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم..».(١٠)

ثم ختم ـ سبحانه ـ الآية الكريمة بما يدل على سعة علمه، ومزيد فضله فقال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

أي: إنه ـ سبحانه ـ هو السميع لأقوال عباده: مؤمنهم وكافرهم، مصدقهم ومكذبهم. بصير بما يسرونه ويعلنونه،

---

٨- سورة الأنبياء الآية ٧١.

٩- تفسير القاسمي جـ ١٠ ص ٣٨٨٥.

١٠- تفسير ابن كثير المجلد الخامس ص ٨ طبعة دار الشعب.





وسيجازى كل إنسان بما يستحقه من ثواب أو عقاب، بدون ظلم أو محاباة.

هذا وقد ذكر المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآية جملة من المسائل منها:

١- أن هذه الآية دلت على ثبوت الإسراء للنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأما العروج به ﷺ إلى السموات العلا فقد استدل عليه بعضهم بآيات سورة النجم، وهي قوله - تعالى -:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾[١١].

وقد ساق الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية أحاديث كثيرة بأسانيدها ومتونها، وقال في أعقاب ذكر بعضها:

**قال البيهقي**: وفي هذا السياق دليل على أن المعراج كان ليلة أسرى به - ﷺ - من مكة إلى بيت المقدس، وهذا الذى قاله هو الحق الذى لا شك فيه ولا مرية.[١٢]

**وقال القرطبي**: ثبت الإسراء في جميع مصنفات الحديث، وروى عن الصحابة في كل أقطار الإسلام، فهو من المتواتر بهذا الوجه، وذكر النقاش ممن رواه عشرين صحابيا.[١٣]

٢- قال بعض العلماء ما ملخصه: ذهب الأكثرون إلى أن الإسراء كان بعد المبعث، وأنه قبل الهجرة بسنة. قاله الزهري وابن سعد وغيرهما. وبه جزم النووي، وبالغ ابن حزم فنقل الإجماع فيه. وقال: كان في رجب سنة اثنتى عشرة من النبوة.

واختار الحافظ المقدسي أنه كان في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب.[١٤]

والذى تطمئن إليه النفس أن حادث الإسراء والمعراج، كان بعد وفاة أبى طالب والسيدة خديجة - رضى الله عنها -.

ووفاتهما كانت قبل الهجرة بسنتين أو ثلاثة. وفي هذه الفترة التى أعقبت وفاتهما اشتد أذى المشركين بالنبى ﷺ فكان هذا الحادث لتسليته ﷺ عما أصابه منهم، ولتشريفه وتكريمه.

٣- من المسائل التى ثار الجدل حولها، مسألة: أكان الإسراء والمعراج في اليقظة أم في المنام؟ وبالروح والجسد أم بالروح فقط؟

وقد لخص بعض المفسرين أقوال العلماء في هذه المسألة فقال: اعلم أن هذا الإسراء به

---

١١- سورة النجم الآيات من ١ - ١٢.

١٢- تفسير ابن كثير المجلد الخامس ص ٧ طبعة دار الشعب.

١٣- تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ٢٠٥.

١٤- تفسير القاسمي جـ ١٠ ص ٣٨٨٨.



ﷺ المذكور فى هذه الآية الكريمة زعم بعض أهل العلم أنه بروحه دون جسده، زاعما أنه فى المنام لا فى اليقظة لأن رؤيا الأنبياء وحى.

وزعم بعضهم أن الإسراء بالجسد، والمعراج بالروح دون الجسد.

ولكن ظاهر القرآن يدل على أنه بروحه وجسده ﷺ يقظة لا مناما، لأنه قال:

﴿ بِعَبْدِهِۦ ﴾ والعبد مجموع الروح والجسد.

ولأنه قال: ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ والتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كان مناما لم يكن له كبير شأن حتى يتعجب منه.

ولأنه لو كان رؤيا منام لما كان فتنة، ولا سببا لتكذيب قريش له ﷺ لأن رؤيا المنام ليست محل إنكار لأن المنام قد يرى فيه ما لا يصح.

ولأنه ـ سبحانه ـ قال:

﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ والظاهر أن ما أراه الله ـ تعالى ـ لنبيه إنما كان رؤيا عن طريق العين ويؤيده قوله ـ تعالى ـ:

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[15].

ولأنه ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن الرسول ﷺ قد استعمل فى رحلته البراق، واستعماله البراق يدل على أن هذا الحادث كان بالروح والجسد وفى اليقظة لا فى المنام.

وما ثبت فى الصحيحين عن طريق شريك عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن الإسراء المذكور وقع مناما، لا ينافى ما ذكرنا مما عليه أهل السنة والجماعة، ودلت عليه نصوص الكتاب والسنة من أنه كان يقظة وبالروح والجسد، لإمكان أنه ﷺ رأى الإسراء المذكور مناما، ثم جاءت تلك الرؤيا كفلق الصبح، فأسرى به يقظة تصديقا لتلك الرؤيا المنامية.[16]

هذا، ومن العلماء الذين فصلوا القول فى تلك المسألة تفصيلا محققا، القاضى عياض فى كتابه: «الشفا» فقد قال ـ رحمه الله ـ بعد أن ساق الآراء فى ذلك:

«والحق فى هذا والصحيح ـ إن شاء الله ـ أنه إسراء بالروح والجسد فى القصة كلها، وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، وليس فى الإسراء بجسده وروحه حال يقظته استحالة..»[17]

وما قاله القاضى عياض ـ رحمه الله ـ فى هذه المسألة هو الذى نعتقده، ونلقى الله ـ تعالى ـ عليه.

---

١٥- سورة النجم الآية (١٧، ١٨).

١٦- تفسير أضواء البيان جـ ٣ ص ٣٤٨ لفضيلة المرحوم الشيخ محمد الأمين الشنقيطى.

١٧- راجع «الشفاء» للقاضى عياض جـ ١ ص ١٤٥، وما بعدها.

# جماليات الأداء الأسلوبى في الحديث النبوى

للأستاذ الدكتور/ صابر عبد الدايم يونس

● إن جماليات الأداء الأسلوبى فى الحديث النبوى تتعدد وجوهها.. وتتنوع طرائقها، ولكن الأثر الباقى فى النفس الإنسانية المؤمنة برسالة الإسلام، والتى تعمق فيها الإحساس بعظمة الشخصية المحمدية وعبقريتها.. هذا الأثر الباقى هو الإحساس بجمال المنطق، وحلاوة التعبير وشرف المعنى وصحته، وسمو قصده وحكمته..

● والأسلوب هو الرجل - كما يقول النقاد فى العصر الحديث - وجمال الفطرة والخلق الذى تحلى به المصطفى ﷺ.. هو منبع أسرار الجمال فى أساليبه وأحاديثه الناطقة بكل معنى عظيم وعن خصال الجمال والكمال التى تحلى بها (محمد) ﷺ.. يقول القاضى عياض:

«اعلم أيها المحب لهذا النبى الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم أن خصال الجمال والكمال فى البشر نوعان:

(أ) ضرورى دنيوى اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا.

(ب) ومكتسب دينى، وهو ما يحمد فاعله، ويقرب إلى الله زلفى.

● وهذا المكتسب الدينى على فنين أيضا:

.. منها ما يتخلص لأحد الوصفين، ومنها ما يتمازج ويتداخل.

فأما الضرورى «الدنيوى» المحض.. فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب، بل فطرة وطبعا، مثل ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله، وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسه، وأعضائه، واعتدال حركاته، وشرف نسبه، وعزة قومه، وكرم أرضه.

● وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين والعلم، والحلم، والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفو، والعفة، وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها وهى التى جماعها «حسن الخلق».



ثم يؤكد القاضي عياض أن هذه الخصال الجمالية الكمالية التي ينبع منها المنطق الجميل، والفعل الجميل والأسلوب الجميل.. كان لنبينا ﷺ شرف التحلي بها جميعا فهو الأسوة الحسنة في الأقوال.. وفي الأفعال.. وفي الخَلْقِ والخُلُق».

يقول: «إذا كانت خصال الكمال والجلال- ما ذكرناه ورأينا الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر- إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم، أو حلم أو شجاعة أو سماحة، حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الأمثال، ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرة وعظمة».

فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال، إلى مالا يأخذه عد، ولا يعبر عنه مقال، ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء، والرؤية والقرب، والدنو والوحي، والشفاعة والوسيلة، والفضيلة والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود، والبراق والمعراج، والبعث إلى الأحمر والأسود، والصلاة بالأنبياء، والشهادة بين الأنبياء والأمم، وسيادة ولد آدم، ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش، والطاعة والأمانة والهداية، ورحمة العالمين، وإعطاء الرضى والسؤال والكوثر، وسماع القول، وإتمام النعمة والعفو عما تقدم وما تأخر، وشرح الصدر، ووضع الإصر، ورفع الذكر، وعزة النصر، ونزول السكينة، والتأييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب والحكمة، والسبع المثاني والقرآن العظيم، وتزكية الأمة والدعاء إلى الله، وصلاة الله -تعالى- والملائكة، والحكم بين الناس بما أراده الله، ووضع الإصر والأغلال عنهم، والقسم باسمه وإجابة دعوته، «وتكليم الجمادات والعجم، وإحياء الموتى، وإسماع الصم، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير القليل، وانشقاق القمر، ورد الشمس، وقلب الأعيان، والنصر بالرعب، والاطلاع على الغيب وظل الغمام، وتسبيح الحصى وإبراء الآلام، والعصمة من الناس، إلى مالا يحويه محتفل، ولا يحيط بعلمه إلا مانحه ذلك، ومفضله به، لا إله غيره إلى ما أعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة، ودرجات القدس، ومراتب السعادة والحسنى وزيادة، التي تقف دونها العقول، ويحار دون إدراكها الوهم» .. إنه المصطفى ﷺ ولامرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق، وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة، مع عجب شمائله، وبديع سيرته، فضلا عما أفاضه من العلم، وقرره من الشرع، دون تعلم سبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب منه، لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة، وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحققه»[1].

● وهذا الجمال الشمولي النابع من شخصية المصطفى ﷺ . ليس جمالا نسبيا، ولا رأيا ذاتيا، ولا ميلا تعصبيا، إنما هو حقيقة ساطعة باهرة.. لم تنطفئ شمسها على توالي العصور وتعاقب الأزمان.

---

(١) انظر الشفا للقاضي عياض. و«السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض د/ أحمد جمال العمري، (ص ٢٠٥-٢١٠).



● فبيان المصطفى ﷺ مسكون بالجمال الإنساني.

● ومنطقه نابع من إنسانيته، ووحي الله- عز وجل- وحتى قبل أن يهبط عليه الوحي.. كان منطقه جميلا.. أمينا صادقا.. لأن الحق- سبحانه- يعده لتبليغ الرسالة العظمى، وأداء الأمانة المثلى.. «وإذا احتكمنا إلى آراء علماء الجمال نجد أن فريقا منهم يرى أن الجمال هو الصفة المستقرة في ذات الشئ، فحقيقة الجمال مستقرة في ذلك الشئ ومنهم «شوبنهاور» و«هيدجر» أما الفريق الآخر فيرى أن الجمال هو الشعور الذي ينبع من نفس الإنسان تجاه شئ ما..، وحينئذ تكون حقيقة الجمال مستقرة في نظرة الإنسان من خلال ما يشعر به نحو ذلك الشئ..، ومنهم «كانت» و«كاسيرر» الفيلسوفين الألمانيين[٢].

فجمال منطق المصطفى ﷺ.. طبيعي مكتسب لأن الله فطره على ذلك..، ومن وصاياه الكريمة التي من أسباب النجاة من المهالك.. ومن فتن الحياة قوله ﷺ لمن سأله عن أسباب النجاة:

«أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك وابك على خطيئتك»[٣].

وقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[٤].

**أولا «هند بن أبي هالة وتصويره لمنطق المصطفى ﷺ».**

● وأبلغ شاهد على جمال المنطق النبوي.. ما قاله هند بن أبي هالة حينما سأله الحسن بن علي- رضي الله عنهما- عن منطق رسول الله ﷺ فأجاب:

«كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، فصلا لا فضول فيه ولا تقصير، دمثاً ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لايذم شيئا، لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام[٥].

● وتفيض الأوصاف السابقة بصفات الجمال والجلال والكمال.. التي تحلت بها شخصية المصطفى ﷺ وهي لم ترو عن بعد.. ولم يبدعها وجدان محب للمصطفى ﷺ، وإنما هي حقائق واقعية رآها..

---

(٢) انظر الظاهرة الجمالية في الإسلام ص ٢٥ صالح أحمد الشامي

(٣) أخرجه الترمذي.

(٤) أخرجه البخاري ومسلم

(٥) انظر تاريخ آداب العرب للرافعي ص٢٩٠ - ٢٩١.



وعاصرها.. وشهد بها واحد من الذين كرمت أبصارهم.. واضيئت بصائرهم بمشاهدة وجه النبي الكريم الذي كرمه الله- عز وجل- في قوله:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾(٦).

وفي قوله ـ سبحانه ـ مخاطبا أشرف الخلق

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٧).

ويروى عن ابن عباس «أن النبي ﷺ كانت روحه نوراً بين يدي الله- تعالى- قبل أن يخلق آدم بألفي عام. يسبح ذلك النور، وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه، فقال رسول الله ﷺ: «فاهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح، وقذف بي في صلب إبراهيم، ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة، والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من أبوي، ولم يلتقيا على سفاح قط»(٨).

● والمناقب التي أضفاها: هند بن أبي هالة، على رسول الله ﷺ لا مبالغة فيها، ولا تكلف، ولا مجاملة ولا رياء ولا تخالطها عاطفة مشبوبة، ولا عصبية مفرطة في الهوى، وإنما هي مناقب صادقة، وليست أحوالا طارئة ولا انفعالات خاصة، وتواصل الأحزان في حياة المصطفى ﷺ لا ينبئ عن ضعف أوعدم رضا بالقضاء والقدر، أو اعتراض على مراد الله وعلمه، ولكنه حزن المسؤولية الجسيمة، والملقاة على عاتقه، مسؤولية هداية الناس إلى منهج الله وتبليغهم رسالة رب العالمين، وقد أمره الحق سبحانه بتبليغ الرسالة في مواضع كثيرة في القرآن الكريم.

ففي سورة المائدة يجئ الأمر صريحا، وحاسما، وفيه صيغة الإنذار، وفي قوله عز وجل:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾(٩).

ويخفف الرحمن الرحيم الأحزان عن نبيه ومصطفاه.

فينادي الحبيب المصطفى، نداء حانيا كريما مطمئنا قلبه ووجدانه، وموحيا إليه أن لا يترك الحزن يتراكم في نفسه في سبيل الحرص على هداية الناس أجمعين، قال تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(١٠).

فكم يتعاظم حزن المصطفى- عليه الصلاة والسلام- وهو يشاهد مسلما يرتد عن الإسلام، وأمنا فقا يبطن الكفر ويظهر الإسلام، أو فاسقا ينهك حدود ما حرم الله.... يقول الله عز وجل مطمئنا مصطفاه وحبيبه:

---

(٦) سورة الأنبياء آية (١٠٧). (٧) سورة القلم آية (٤).

(٨) الشفا في أحوال المصطفى، للقاضي عياض ص٨١ نقلا عن «السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض» د. أحمد جمال العمري والحديث في المطالب العالية للحافظ ابن حجر ٤/١٧٧ برقم ٤٢٥٦.

(٩) سورة المائدة آية (٦٧). (١٠) سورة القصص آية (٥٦).



﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(١١).

وفي سورة «الأنعام» نقرأ الحزن في حياة الرسول حقيقة مشاهدة وواقعة انعكاسا لمواقف الجاحدين المعاندين المستكبرين فيقول الله عز وجل مؤكدا واقع الحزن في حياة المصطفى ﷺ:

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾(١٢).

ومما يضفي سمة الإيجابية على «صفة الحزن» في شخصية المصطفى - عليه الصلاة والسلام - أنه دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم.

وهي صفات تجمع بين الجمال والجلال، لتعلن عن خاصية «الكمال»... وكان سكوته ﷺ على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكير. وفي وصف هند لطريقة كلام الرسول في أحاديثه بأنه «يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه» ويتكلم بجوامع الكلم» تفسير لجمال الأداء وجلال في منطق الرسول عليه السلام»

فمدلول هذه الصفة أنه كان يستعمل جميع فمه للتكلم، ولا يقتصر على تحريك الشفتين، وذلك من قوة النطق والصوت والمعنى، وحضور الذهن واجتماعه وهذ الطبيعة السوية في المنطق والأداء الجميل كان مظهر فضل وتفوق عند العرب، فقد كانت العرب تتمادح بسعة الفم، وتذم بصغره، لأنه السعة أدل على امتلاء الكلام وتحقيق الحروف وجهارة الأداء، وإشباع ذلك في الجملة، ولأن طبيعة لغتهم ومخارج حروفها تقتضي هذا كله، ولا تحسن في النطق إلا به ولا تبلغ تمامها إلا أن يبلغ فيها، وهو بعد مزيتها الظاهرة في أفصح أساليبها، إذ كانت الفصاحة راجعة إلى حسن الملائمة بين الحروف باعتبار أصواتها ومخارجها، حتى تستوي في تأليفها على مذاهب الإيقاع اللغوي.

فكانت محاسن هذا الباب في النبي ﷺ طبيعية لأنها عن أسباب طبيعية.

فقد برأ الله رسوله عن عيوب المنطق الخلقية التي لا تتفق مع جلال الرسالة ومهابة

---

(١١) سورة المائدة آية (٤١).

(١٢) سورة الأنعام آية (٣٣).

التبليغ، حيث برئ الأداء النبوي في منطقه من عيوب النطق «مثل التعتعة، والفأفأة، وغيرها، وبرئ أسلوبه من تنافر الحروف، ومن التعقيد والمماطلة، ومن الغرابة المستكرهة، ومن الألفاظ الوعرة والوحشية في غير قصد أو غرض كما برئ المصطفى -ﷺ- من عيوب النطق التي تصدر عن مبالغة وتكلف كسبا لرضا المستمعين، واستجلابا لثنائهم، مثل: «التنطع، والتمطق، والتفيهق، وغيرها».......

فالتنطع في الكلام هو رمي اللسان إلى نطع الفم أي الغار الأعلى... مبالغة من المتكلم في إظهار الكلام والتأثير في المستمعين.

**والتمطق**: هو ضم الشفتين ورفع اللسان إلى الغار الأعلى للفم.

**والتفيهق**: هو الكلام من أقصى الفم.

وهو العيوب التي تصيب حاسة النطق عند كثير من الخطباء والعلماء وعامة الناس، قد سلم منها حديث النبي ومنطقه، وهو عليه السلام يقول مؤكدا رفضه للتكلف في المنطق، والمبالغة الممقوتة في طريقة إخراج الحروف: «أبغضكم إلى الثرثارون المتفيهقون»[١٣]، وكان- عليه الصلاة والسلام- يقول: «إياكم والتشادق»[١٤].

فلا جرم كان منطقه عليه- الصلاة والسلام- على أتم ما يتفق في طبيعة اللغة وبتهيأ لها إحكام الضبط وإتقان الأداء، لفظ مشبع، ولسان بليل،وتجويد فخم، ومنطق عزب، وفصاحة متأدية، ونظم متساوق، وطبع يجمع ذلك كله، مع تثبيت وتحفظ وتبين وترسل وترتيل[١٥].

ويقول القاضي عياض.. في معرض إشادته بفصاحة المصطفىﷺ: «فجمع له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة، وورنق كلامها، إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشر».

قالت أم معبد في وصفها له: «حلو المنطق، فصل لا نزر، ولا هذر، كان منطقه خرزات نظمن وكان جهر الصوت حسن النغمةﷺ[١٦].

● ويروى عن قتادة أنه قال:

«ما بعث الله نبيا إلاحسن الوجه، حسن الصوت، وكان نبيكمﷺ حسن الوجه، حسن الصوت».

---

(١٣)، (١٤) رواه الترمذي عن جابر.

(١٥) انظر: تاريخ آداب العرب للرافعي: ٢٩٥، ٢٩٦.

(١٦) السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض ص: ٢١٤، د. أحمد جمال العمري وانظر: الشفا بتحقيق حقوق المصطفى للقاضي عياض.



وقد صاحب جمال المنطق وجلاله في شخصية المصطفى ﷺ كمال الخلق وجمال الصورة. وحين نتأمل مدلول الجمال عند علماء اللغة وعند أئمة المسلمين ندرك أن المصطفى ﷺ تجسدت فيه كل القيم الجمالية، الظاهرة والباطنة، القولية والفعلية.

قال ابن سيده: الجمال: الحسن يكون في الفعل والخلق. وقال ابن الأثير: الجمال يقع على الصور والمعاني.

وفي كتاب «الفروق في اللغة» يوضح أبو هلال العسكري الفرق بين الحسن والجمال فيقول: «والحسن في الأصل للصورة، ثم استعمل في الأفعال والأخلاق، والجمال في الأصل للأفعال والأخلاق والأحوال الظاهرة، ثم استعمل في الصور.

والإمام أبو حامد الغزالي، يضع تعريفا للجمال في صدد حديثه عن معنى الحسن والجمال: فيقول: «حسن كل شئ في كماله الذي يليق به» ثم يقول: «كل شئ فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال، وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر».

والإمام ابن القيم يوضح الأمر، ويزيده جلاء، ورؤيته للجمال تقترب من الرؤية الشمولية الكونية للجمال، وهي رؤية تقترب من جمال الخلق والخلق، وجمال القول والفعل، وجمال الأداء والسلوك، في شخصية المصطفى ﷺ.

**يقول ابن القيم:**

«واعلم أن الجمال ينقسم إلى قسمين: ظاهر وباطن. فالجمال الباطن: هو المحبوب لذاته، وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة.

وأما الجمال الظاهر فزينة خص الله بها بعض الصور عن بعض، وهي من زيادة الخلق التي قال الله تعالى فيها:

﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾(١٧).

قالوا: هو الصوت الحسن والصورة الحسنة(١٨).

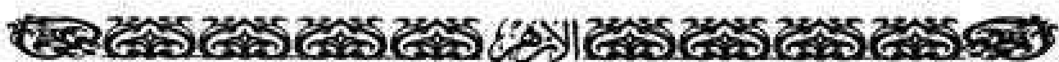
وهذا المدلول لحقيقة الجمال، يتفق مع الآثار التي وردت في الإشادة بالشمائل المحمدية، وقد اتفق هذا المدلول مع ما روى عن قتادة الذي ورد سابقا، أنه قال: ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه وحسن الصوت

---

(١٧) سورة فاطر اية (١).

(١٨) انظر: الظاهرة الجمالية في الإسلام من ص: ١١٤-١١٧ صالح أحمد الشامي.





وكان نبيكم عليه الصلاة والسلام حسن الوجه، وحسن الصوت.

وما أصدق قول أم معبد، وما أجمله في وصف منطق المصطفى- ﷺ. بأنه: حلو المنطق، فصل، لانزر ولا هزر، كان منطقه خرزات نظمن.

ومما يكون الصورة العامة لجمال النبوة وجلالها وكمالها ما ورد في وصف هيئة الرسول- عليه الصلاة والسلام- فلقد كان رسول الله ﷺ فخما مفخما يتلألأ وجهه كوجه القمر ليلة البدر، إذا سره شئ يمتلئ بشرا، أزج الحواجب أي دقيقها، وبين الحاجبين فرق، وفي هذا الفرق عرق يظهر إذا غضب ﷺ من شئ، ولرسول الله نور يعلوه هالة من الضياء، وتشع من فوقه، شديد سواد العينين، واسع الفم، سهل الخدين، أي لا يوجد في أحد خديه علو أو بثور أو ورم، مفلج الأسنان، أي أن أسنانه مستوية بينهما مسافات قليلة، دقيقة، عريض الصدر ما بين المنكبين، عنقه في صفاء الفضة، وفي ظهره خاتم النبوة الذي تحدثت عنه الكتب السماوية السابقة، وكان رسول الله أحسن الناس وجها، وأعظمهم خلقا، إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين، وإذا صافحه أحد امتلأت يد المصافح برائحة ذكية كأنها العطر، فقد كانت رائحة رسول الله أطيب من العطر، وكان عرق رسول الله ﷺ أزكى من العطر، وكانت رائحة رسول الله ﷺ تسبقه إلى أي مكان يذهب إليه.

وكان- كما يصفه- هند بن أبي هالة: خافض الطرف نظره إلى الأرض، أطول من نظره إلى السماء، يبدأ من يلقاه بالسلام متواصل الحزن، دائم الفكر، طيب الرائحة، لا يتكلم في غير حاجة.

ولقد ترك رسول الله ﷺ من نفسه ثلاثة أمور الرياء والإكثار، ومالا يعنيه. وترك الناس في ثلاثة أمور: لايذم أحدا، ولا يعير أحدا، ولا يطلب عور أحد، إذا تكلم سكت جلساؤه، وإذا سكت تكلم أصحابه كل حسب دوره، لا حسب مكانته، لا يقاطع أحدهم الآخر. ولا يقاطع رسول الله ﷺ أحدهم، وكان صبورا حليما، صبرا على الغضب، وحلما على الجهل، وكان حازما في رد النفاق، وكان صبيح الوجه، حسن الصوت- عليه الصلاة والسلام.

***



# الإسلام والعلاقات الاجتماعية

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

لقد ربط الإسلام بين جوانب المجتمع الإسلامى بروابط وثيقة، وشد بين علاقات الأفراد والجماعات بوشائج من القوة بمكان، بحيث لا تنفصم لها عرى؛ لأنها تنبع من قاعدة ثابتة قوية، هى الإيمان بالله وحده لا شريك له.. وجانب التصديق فى الإيمان، لابد معه من جانب التطبيق فى العبادات، وهى بدورها، وعلى أساس الإيمان، تثمر فى حياة المسلم السلوك المستقيم، والعلاقات الاجتماعية القوية.

وتختلف العلاقات الاجتماعية، فى المجتمع الإسلامى، عن غيرها فى المجتمعات الأخرى اختلافاً واسعاً فى الأساس، وفى البناء، وفى الهدف والنتيجة.

أما اختلاف العلاقات الاجتماعية الإسلامية في الأساس عن غيرها، فهذا واضح في أن عقيدة المجتمع الإسلامي هي التوحيد الخالص، الذى لايتجه معه المسلم إلا إلى الله الواحد، وهذا الأساس يجعل العلاقات محكومة بضوابط الدين ومبادئه، ولايصدر الناس عنها في أى عمل من الأعمال إلا بما كان متفقاً مع روح هذا الإيمان.

وهذا على عكس العلاقات في مجتمعات غير المسلمين، فهذا الأساس غير موجود فيها، وبالتالى فهي علاقات لا أساس لها من الإيمان الذى يعصم من الخطأ، ويحذر من الوقوع في الشرور والمخالفات..

ومما لا شك فيه أن من أسس بنيانه على الإيمان ثبتت دعائمه، ونهض بناؤه ومن لم يؤسس بناءه، أو أسسه على طرف جانب مشرف على السقوط، فهو في ضياع وخسران، يقول الله ـ تعالى ـ

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١).

وأما اختلاف العلاقات في المجتمع الإسلامى عن غيرها في المجتمعات الأخرى في الطريق والبناء، فإننا نجد أن الإسلام قام على خمس دعائم:

**أولاً: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله:**

وفي هذا توحيد لله وإقرار بالرسالة التي بعث بها رسوله هادياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا، وعلى أساس ذلك فلا نأخذ إلا ما جاء به القرآن وما جاءت به السنة، لأن صاحبها رسول الله ﷺ وهو لا ينطق عن الهوى.

فلا يأخذ المجتمع الإسلامي قوانين علاقاته من شرق أو غرب، أومن فكر بشرى متضارب، قابل للخطأ والصواب، ولكن يأخذها من كتاب ربه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ومن السنه المطهرة التى جاءت مفصلة وموضحة للقرآن الكريم.

**ثانياً: إقام الصلاه:**

بأدائها على أكمل وجه، واستمرار القيام بها، وهي لقاء متكرر كل يوم خمس مرات، ليظل الإنسان على صله دائمة بربه، متذكراً له، مطيعاً مخلصاً، وهي تعمل عملها في كف صاحبها عن كل منكر، وتطهيره من الذنوب والدنايا، كما قال الله ـ تعالى ـ

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾(٢).

وفي أدائها في جماعة، تآليف للقلوب، وغرس لأصول الوحدة والتواصل بين المسلمين، وجمعهم على كلمة واحدة، يتجهون فيها إلى الله الواحد سبحانه وتعالى.

**ثالثاً: أداء الزكاة:**

وفي أداء الزكاة تقوية للرابطة الإنسانية والاجتماعية بين المسلمين، وتطهير للمال وتطهير للغني من الشح وتطهير للفقير من

---

(١) التوبة: ١٠٩.

(٢) العنكبوت: ٤٥.



الحقد، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[٣].

**رابعاً: صوم رمضان:**

وفي الصيام تربية للإرادة، وغرس لفضائل الصبر والاحتمال، والتعاطف والإحسان إلى المحتاجين، وبالجملة الوصول إلى تقوى الله ـ تعالى ـ كما قال سبحانه وتعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٤].

**خامساً: الحج إلى بيت الله الحرام:**

وفي الحج تعبير عن الإخلاص لله، وأداء لركن هام، ولقاء على أكبر مستوى بالجماعة الإسلامية لإصلاح أمور دينهم ودنياهم، وإرساء لقواعد التقوى وتطهير من كل آفات الشر كما قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٥].

وهذه الأركان يجمعها الحديث الصحيح:

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»[٦].

وأما عن اختلاف العلاقات الإسلامية في الهدف والنتيجة عن غيرها، فذلك قائم على أن مرجع العلاقات الاجتماعية الإسلامية، يتركز في مرضاة الله ـ سبحانه وتعالى ـ فإذا أحب المسلم أخاه المسلم، فإنه لا يحبه إلا لله، وهو بهذا يكون ضمن من يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله، وفي الحديث:

« . . ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه . .»[٧] وفي الحديث الآخر:

« . . وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله . .»[٨].

أما في المجتمعات الأخرى المادية، فلا تجد تلك العلاقات الحميمة القائمة على الإخلاص لله وحده، نتيجة فقدان العقيدة الصحيحة فيها، ولذا تقوم العلاقات في تلك المجتمعات المادية على أساس مادي بحت، وفي وسائل وغايات مادية، يسعى ـ خلالها ـ الأفراد والجماعات للمصلحة الشخصية، والمنفعة الذاتية ،وتخيم فيها الأثرة والأنانية وحب الذات، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى :فإنها لما لم تقم على أسس دينية، وخلت من الوازع الديني، أصبحت تلك العلاقات مضطربة في مهب الفتن، تذيبها الأهواء والشهوات، وتنحرف بها الأغراض والنزعات.

---

(٣) التوبة: ١٠٣.

(٤) البقرة: ١٨٣.

(٥) البقرة: ١٩٧.

(٦) رواه الإمام البخاري في صحيحه.

(٧) رواه الإمام أحمد ( ٢/٣٦٩).

(٨) مجمع الزوائد(٦/٥٥، ٥٦).



وهكذا يتضح أن العلاقات الاجتماعية فى الإسلام تقوم على أساس التوحيد، وينهض بناؤها على دعائم الإسلام، التى تثمر العلاقة النقية الخلصة، والسلوك المستقيم، والخلق الرفيع.

فالإيمان أساس، والعبادات طاعة وتطبيق، ومكارم الأخلاق فى المعاملات وغيرها غايات ونتائج وثمرات وأهداف.

وإذا قام المسلم بذلك، ولكن بقى منطوياً على الشر، منحرفة علاقاته مع الآخرين، وتسرب منه الأذى للناس، فإنه حينئذ بعيد عن الإيمان، لم تثمر عباداته الثمرة المطلوبة من تهذيب العلاقات ومكارم الأخلاق. وقد روى عن الرسول ﷺ أن رجلاً قال له: يا رسول الله إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها!

فقال: «هى فى النار». ثم قال: يارسول الله، فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها وانها تتصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذى جيرانها؟ قال: «هى فى الجنة»[9].

ومما سبق يتبين أن العلاقات الاجتماعية فى الإسلام قامت على أساس ونهضت بدعائم واستهدفت غايات.

ولكى تأخذ تلك العلاقات صورتها المتحدة وتتشكل فى دائرة منضبطة تصان فيها الحقوق، أحاطها الإسلام برباط الأخوة الإسلامية، ليشعر كل فرد أو مجتمع أن فى أعناقه وذمه صلة قوية، ورباطاً وثيقاً يلزمه بتحمل التبعة والمسئولية بالنسبة لإخوانه المسلمين. يقول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[10].

لقد نادى الإسلام بتنقية العلاقات من كل الآفات، ودعا إلى التقريب بين قلوب المسلمين وتصفية الود بينهم، فأمر بالإصلاح، ونهى عن الخصومة، وحذر من السخرية واللمز، والتنابز بالألقاب، وسوء الظن، كما نهى عن التجسس، والغيبة والنميمة..

وحث على التعارف لتتسع مجالات العلاقات الاجتماعية، ويكون لها إشعاعها المضىء فى شتى المواقع، حتى تتصل البيئة الإسلامية، وتتلقى روافدها المترعة بالفضائل والتعاون والخير.

لقد نظم الإسلام كل العلاقات، وأقام بناءها على أساس الإيمان، وشمل تنظيم الإسلام للحياة كل ما يتصل بالفرد والأسرة، وصان حرمة النفس

---

(٩) رواه الإمام أحمد.

(١٠) الحجرات: ١٠-١٣.

من الاعتداء عليها وصان الأعراض من الفاحشة أو الاعتداء عليها، وحافظ على أموال اليتامى، ونظم علاقة البيع والشراء، والأمانة في الكيل والميزان، ونادى بالعدالة التامة، وبالوفاء بالعهد، أما ما يتصل بتوحيد الله وعدم الإشراك به، وما يتصل بالوالدين والإحسان لهما، وعدم الاعتداء على الأبناء مخافة الفقر، وصيانة الأعراض والمحافظة على النفس في ذلك، يقول القرآن:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١١).

وأما ما يتصل بالمحافظة على مال اليتيم، وتنظيم العلاقات التجارية في البيع والعدل، والوفاء بعهد الله، في ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١٢).

ولما كانت المعاملات المالية، تعتبر محور الكثير من العلاقات الاجتماعية، ولما كان للمال حبه عند الناس، وشدة الرغبة فيه فإن الإسلام قد حذر من أكله بالباطل فقال الله ـ تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾(١٣)

ومن أكل أموال الناس بالباطل: أخذ الرشوة، وقد لعن رسول الله ﷺ: «الراشي والمرتشي والرائش» والرائش هو الذي يقوم بالتوسط بين المرتشي والراشي وقد كان للإسلام فضل السبق على سائر النظم الحديثة، في تشريع قانون الكسب المشروع، قانون: «من أين لك هذا؟»..

«عن أبي حميد الساعدي أنه قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد، يقال له: ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدى إليَّ، قال: فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول: هذا لكم، وهذا هدية أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه، حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حله إلا لقي الله يحمله يوم القيامة فلا أعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر (أي تصيح والبعار صوت الغنم) ثم رفع يديه حتى رُئي بياض إبطيه، يقول: اللهم قد بلغت»(١٤).

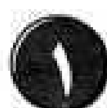
وإن معالم العلاقات الاجتماعية في الإسلام، مصونة بالكتاب والسنة، ففيهما أسس الحياة الكريمة للفرد والجماعة وللأمم والشعوب.

---

(١١) الأنعام: ١٥١.
(١٢) الأنعام: ١٥٢، ١٥٣.
(١٣) النساء: ٢٩.
(١٤) رواه الشيخان.



# الإسراء والمعراج
# تأملات جديدة فى حادث قديم



لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

**جلس إلىّ صاحبى متسائلاً كأنه يتهكم أو متهكماً كأنه يتساءل، ما معنى عنوان مقالك تأملات جديدة فى حادث قديم؟! ولماذا تكتب عن الإسراء والمعراج؟ كأنك أصبحت موسمياً، تكتب فى المناسبات، تكتب فى كل مناسبة خطبة أو مقالاً؟!!**

**أما كانت لك فسحة فى أصول الفقه، تيسر وعره وتقرب معنى شارداً منه؟ وتشرح غامضه وتذيعه يسيراً متاحاً محبباً للطلاب؟!**

**قلت لصاحبى وأنا فرح مسرور، ذكرتنى ببيت من الشعر قديم كنا نتراشق به فى عهد الصبا أيام الطلب فى الأزهر على سبيل المزاح والمشاكسة.**

**أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رمانى**
**وكم علمته نظم القوافى ... فلما قال قافية هجانى**

لست موسمياً ياصديقى، ولست من خطباء المناسبات ولا أحب أن أكون كذلك، ولا أحب أن يكون المسلمون موسميين فمثلاً تراهم فى رمضان ركعاً سجداً يهرعون إلى المسجد فى كل صلاة، فإذا مضى رمضان كأنهم لايعرفون المساجد أو كأن أقدامهم ضلت تلك الطرقات. فلا يكادون يعرفونها، وتراهم فى مناسبة المولد النبوى الشريف، يتغنون بسيرة النبى ﷺ ويملأون الفضاء مديحاً وغناء وضياء وتراهم فى سلوكهم كأنهم نسوا السنة ونسوا الاقتداء

برسول الله ﷺ على أن المناسبات ليست كلها مرفوضة، ولا خطباء المناسبات كلهم بغيض، وإن كان بعضهم كذلك. ولعلك تتفق معي أن بعض المناسبات جدير بالحديث عنه والاحتفاء والتذكير به، وأن بعض خطب المناسبات شيق وجميل ومقبول، ومن هذه المناسبات الجليلة ذكرى الإسراء والمعراج.

ولست أحب أن أسرد لك القصة سردا، فمطبيا أنت تعرفه، لكن لي تأملات فيها أحسبها جيدة ونافعة، وجديرة بالتأمل منك وعلها تلقى عندك ارتياحا وعند الله ورسوله رضاً وقبولاً.

فليس همنا أن نسرد قصة الإسراء والمعراج، فهي ثابتة ومثبتة في كتب الحديث والسيرة، إنما الذي نحب أن نتحدث فيه أنت وأنا عدة نقاط:

**أولا**: إنه لامعنى للهراء المحجوج أو الشغب المرفوض بأن الإسراء كان بالروح ذلك لأن الأمر كان مستغربا مستبعدا من أهل مكة ومن بعض الذين آمنوا وصدقوا برسالة النبي ﷺ ولو أن الأمر كان بالروح لما كان هناك وجه للاستغراب على أن أصحاب العقول الضعيفة الذين ينسبون الخوارق للبشر لما علم الله ذلك منهم بدأ الآية بقوله:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١).

وكلمة ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ للتنزيه والتعجب من حال المنكرين المكذبين لتنزيهه ـ سبحانه وتعالى ـ والتعجب إذن في الآية كما نحسب ـ ممن يستحيلون على قدرته تعالى ـ أن تأتي بخوارق العادات، فمثلا بعض الناس ينسبون الأشياء لمن جرت على أيديهم، وينسون أن الفاعل في الحقيقة لكل شئ هو الله جلَّ جلاله.

والأمر الخارق للعادة الذي يجريه الله على يد نبي قبل البعثة يسمى إرهاصا، وإن كان بعد البعثة يسمى معجزة، وإن جرى على يد رجل صالح يسمى كرامة، ولادخل للنبي ولا للولي في الفعل وإنما الفعل لله وحده في جميع الأحوال ولما كان الأمر كذلك فإن ضعفاء العقول والقلوب نسبوا الفعل للمخلوق لذلك استبعدوا حدوث الأمر الخارق للعادة على يديه فكأنهم نسبوا العجز لله لهذا بدأ القرآن القصة بقوله:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ ..

تنزه الله جل جلاله عن العجز، وعن كل صفة من صفات النقص فهو القادر الذي لايعجزه شئ، الذي خلق جميع الكائنات، وخلق السموات بغير عمد، هو الله جل جلاله الذي أسرى بحبيبه محمد ﷺ وقال «أسرى بعبده» والعبودية تقتضي الروح والجسد فالتنزيه لله والتعجب ممن ينسبون الفعل لغيره تعالى.

**ثانيا**: لقد زعم وشغب بعض الناس في إسرائه ﷺ ومعراجه، لأنهم كما قلنا نسبوا الفعل للنبي ﷺ وهم كذلك ينكرون كرامة الأولياء، لأنهم ينسبون الفعل للولي وهم بذلك

---

(١) الإسراء: ١.

ينسبون الفعل للمخلوق، مع أن الفاعل في كل شئ والفاعل لكل شئ هو الله – سبحانه وتعالى– كما سبق أن قلنا– الله – سبحانه وتعالى – نسب الفعل اليه ولم ينسبه للنبي لكن رغم ذلك ضل من ضل وهلك من هلك، وذلك يجعلني أتساءل، لماذا كل هذا اللغط قديماً وحديثاً حول إسرائه ﷺ مع أنه جاء في القرآن الكريم ماهو أشد استبعاداً في الوقوع– في زعم من زعم، وفي مقاييس هؤلاء المنكرين– حادث الإسراء، ومع ذلك لم ينكر أحد حدوثه وذلك قوله تعالى: حكاية عن سيدنا سليمان وعرش بلقيس والرجل الصالح الذي نسب إليه هذا الفعل على سبيل الكرامة – لم ينكر أحدٌ ذلك– فلماذا كل هذا اللغط وإنكار إسرائه؟ هل لأنهم يكرهون محمداً ﷺ؟ أم يستبعدون أن يسرى الله به؟ ويسلمون برجل صالح ينقل عرش بلقيس؟ ياسبحان الله!!! يقول الله – سبحانه وتعالى – على لسان سيدنا سليمان:

﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[٢].

وقد يقول قائل: إن العفريت والرجل الصالح الذي عنده علم من الكتاب زعما القدرة على الإتيان بالعرش لكنهما لم يفعلا، لكن الله – سبحانه وتعالى– حكى في القرآن الكريم أن العرش انتقل إلى سليمان، وأن بلقيس لما حضرت إلى سليمان– عليه السلام – رأت العرش ولما سئلت عنه قالت: كأنه هو، قال الله تعالى– حاكياً كل ذلك:

﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾[٣].

أحيلك أن تتامل أن الطلب من سيدنا سليمان موجه للعفريت والرجل الصالح، وأن الفعل منسوب إليهما، وسليمان – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام– نسب الأمر إلى الفاعل الحقيقي وهو الله – سبحانه وتعالى – فقال:

﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي ﴾[٤] قلت لصاحبي: لماذا لم ينكر أحد هذا الفعل الذي تم بنقل العرش من اليمن حيث بلقيس إلى الشام حيث سيدنا سليمان، وهو أبعد مسافة من مكة إلى بيت المقدس وأن العرش والصرح أكبر حجماً وجرماً من جسده الشريف ﷺ فلماذا لم تسمع أو أسمع منذ نزول القرآن إلى وقتنا هذا رواية واحدة أو شغباً محدوداً حول إنكار هذا الحدث واسأل نفسك لماذا كثرت الأقاويل والروايات في نفي الإسراء والمعراج به ﷺ في حين أن فعل الإسراء والمعراج نسبه الله– تعالى– إلى نفسه حيث قال:

---

٢ـ النمل ٣٨.
٤ـ النمل ٤٠.
٣ـ النمل ٤٠ – ٤٢.

﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ وأن نقل عرش بلقيس نسبه الله إلى الرجل الصالح باعتبار أنه ظهر على يديه، قل لي بربك أيهما أولى بالانكار؟! واسأل نفسك من وراء كل هذا؟! قال صاحبي: عجيب أمر هذا الحدث وصدقت في تأملاتك الجديدة، قلت لصاحبي: الحمد لله كأنك قد أجبت على تساؤلك في أول المجلس على أنني أود أن أضيف إليك شيئاً آخر.

ثانياً: تعددت الروايات عن السيدة عائشة، ونسبت إليها - رضي الله عنها - رواية تقول: ما فقد جسد رسول الله ﷺ أو ما فقدت جسد رسول الله ﷺ وفي رواية: وأن فراشه لم يبرد.

ولست أناقش الحديث من حيث السند، حيث إنني لست من أهل هذا الفن، ولكن أناقش المتن، فأقول: إن حادث الإسراء كان قبل الهجرة، ولم تكن السيدة عائشة - رضي الله عنها - زوجاً للنبي ﷺ.

فالثابت أنه دخل بها بعد الهجرة في المدينة المنورة وعلى هذا فرواية ( ما فقدت ) غير مقبولة سنداً ومتناً رواية ودراية - كما يقول أهل الاختصاص.

لكن يمكن أن تقبل الرواية الأخرى ( ما فقد ) بالبناء للمجهول. وعلى هذا فيكون هذا القول حكاية عمن أخبرها، ولم تبين ولم تذكر الرواية من الذي أخبرها أما الرواية التي تقول: ( وإن فراشه لم يبرد ) والتي يتعلق بها المنكرون للإسراء والمعراج، بأن السيدة عائشة حكت عمن أخبرها بأن فراشه لم يبرد يتخذون ذلك ذريعة لإنكار الإسراء والمعراج، فنقول: إن السيدة عائشة - رضي الله عنها - حكت ما روى لها بأمانة وصدق ما حدث، وتلك أمانة النقل عند المسلمين ولو أنها قالت وحكت أن فراشه برد لكان في ذلك تشكيكاً في المعجزة. هذا رأينا قال صاحبي - مقاطعاً -: كيف تحفل بقولها وفراشه لم يبرد، مع أن الذين تمسكوا بهذا القول يزعمون به أن هذا القول هو نفي للإسراء والمعراج حيث إن هذا القول يثبت أن جسد رسول الله ﷺ لم يبرح الفراش بزمن يمكن أن يبرد فيه فراشه بما يسمح له بالذهاب والعودة في زمن يجعل الفراش يبرد، فقلت لصاحبي: مستوضحاً إياه - ماذا تعني بقولك هذا؟ قال: إن عبارة «فراشه لم يبرد» لاتؤيدك فكيف تتمسك بها؟ قلت لصاحبي: أتمسك بها لأنها تدل على صدقها فيما حكت - رضي الله عنها. لأنها تدل على الواقع حيث إن الإسراء والمعراج تم في «لازمن» لأن الله - سبحانه وتعالى - قديم وفعله قديم والزمن حادث ولايمكن أن يحتوي الحادثُ القديم، فلو أنها قالت: إن فراشه برد على فرض قولها لم يكن ذلك معجزة لأن الإعجاز في أن الحدث تم في «لازمن» أي: خارج نطاق الزمن فالله - سبحانه وتعالى - نسب الفعل لنفسه فيكون الفعل خارج نطاق الزمن تأمل معنى قوله - سبحانه وتعالى -:

﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ ﴾(٥)

---

٥- النحل ١.



فإن أمر الله - تعالى - هنا هو يوم القيامة وهو لم يجئ بعد، لكن الله - سبحانه وتعالى - لما نسب الفعل إلى نفسه، أخبر عنه بالماضي، وهو يدل على أن الفعل خارج نطاق الزمن!!! نعم. قال المفسرون: إن الفعل جاء في الزمن الماضي للدلالة على تحقق الوقوع، لكن هذا لاينفي ماقلناه وإن كنا قاصراً عنه، وفي رأينا أن ماحكته السيدة عائشة من أن فراشه لم يبرد أقرب إلى التصديق مع الفهم السليم والقلب السليم حيث إن الرواية تدل على افتقاد جسده الشريف وحدث ذلك في «لازمن» حتى إن الفراش لم يبرد وهنا المعجزة، تأمل معي قول الله - تعالى - في آيات كثيرة من القرآن الكريم حين ينسب الله - سبحانه وتعالى - الفعل إلى نفسه، نجد أن الفعل يأتي في الزمن الماضي ومنها قوله تعالى:

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[٦].

مع أن الحدث لم يقع، وليس ذلك لتحقق الوقوع فقط إنما لأن فعل الله - تعالى - لايحده زمن، فالزمن حادث والله سبحانه قديم وهكذا - فيما يبدو لي في كل آي القرآن، حيث أنني لم أقم بالإحصاء بعد.

بعد هذا قلت لصاحبي: تعال معي إلى درس من عالم رباني - رضي الله عنه - نفعنا الله به - حكى قصة الإسراء والمعراج لا أقول بأسلوب جذاب ولكن أقول: فاضت الكلمات من قلب عامر بحب رسول الله ﷺ وأدب مع الله فانسابت تسكب الإيمان في قلوب أحبابه. قال رضي الله عنه:

بينما النبي ﷺ مضطجع - فالنوم الوارد في بعض الروايات معناه الاضطجاع والمراد نوم من غير غفلة لأنه لو كان مستغرقاً في النوم لما رأى انفراج السموات ونزول الملائكة. في بعض الروايات بينما هو نائم في بيت أم هانئ وفي بعضها في شعب أبي طالب أو في حجر اسماعيل ولاتنافي بين هذا وذاك إذ انفتح السقف. وفي هذا إشارة إلى أنه سوف يحصل في هذه الليلة أمور خارقة للعادة - و جاء جبريل وميكائيل - عليهما السلام - وحملا النبي ﷺ من بيت أم هانئ إلى حجر اسماعيل و في هذا إشارة إلى تكريم النبي ﷺ بحمله على الأعناق ثم إلى زمزم وتولى جبريل - عليه السلام - شق صدره الشريف. هل كان ذلك بآلة أو بغير آلة؟ الإجابة: هذه عملية يراها بعينه سيد الخلق ﷺ ولايتكلم ولاينزعج دلالة على أنه أقوى خلق الله.

ورد في بعض الروايات أن جبريل - عليه السلام - شق قلبه الشريف وأخرج منه علقة سوداء وقال هذا حظ الشيطان منك.

هنا مواطن الزلل.

بعض العلماء - عفا الله عنهم وعنا - يذكرون ذلك ويقولون هل حصل هذا - أي إخراج العلقة - مرة أو مراراً ويقولون: إن جبريل يخرج علقة سوداء ويقول هذا حظ الشيطان منك

---

٦ـ الفجر ٢٢.





فإذا كان أخرجها أول مرة فلم تكرر ذلك وهل يعقل هذا؟ فالطبيب الذي يجرى عملية جراحية إذا كررها مرة ثانية يسقط من نظر الأطباء، فهل جبريل - عليه السلام - يجرى العملية عدة مرات لأنها لم تنجح أول مرة؟

الأمر من أصله والله أعلم ليس كذلك.

فالله - سبحانه وتعالى - قادر على أن يفيض الكمالات على قلب حبيبه ﷺ بدون هذه العملية - إذا فلم كانت؟ ومامعنى إخراج العلقة السوداء التي هي حظ الشيطان؟ ولماذا تكرر الشق أربع مرات وقيل خمس مرات؟

بعض العلماء تأول إخراج العلقة السوداء أي على أنه لو كان للشيطان عليه سبيل فرضاً وكأنه أي هذا البعض خشى أن يُرد عليه بقول الله - تعالى - عن الشيطان:

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[7].

**أولاً**: هذه الآية الكريمة تنفى نفياً باتاً تسلط الشيطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون - ومن باب أولى الأنبياء ومن باب أولى سيد الأنبياء والرسل، وهذه الآية أيضاً تنفى نفياً باتاً كل مانسب إلى سيدنا آدم - عليه السلام - من اتباعه للشيطان وتستوجب تأويل آية:

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ﴾[8].

**ثانياً**: شق الصدر حصل أربع مرات وقيل خمس مرات والطبيب الذى يتمرن على عملية ثم يحتاج إلى إعادتها تسوء سمعته ولكن تأمل معى الحكمة فى هذا التكرار. المرة الأولى حصل شق الصدر للنبى ﷺ فى ديار بنى سعد ولم يبلغ الخامسة من عمره بعد وشأن الأطفال فى هذه السن العبث واللعب فقط ولكن أراد الله أن يظهر فضل النبى ﷺفى الملأ الأعلى[9] مع صغر سنه ويبين أنه كامل وعظيم وشجاع بدليل أن جبريل يأخذه ويشق صدره وهو ينظر إليه بدون خوف ولا وجل ثم فى سن العاشرة وقد وصل الطفل فى هذه السن إلى أوائل سن المراهقة وقد تتغلب شهوته على عقله فأراد الله أن ينفى ذلك عن النبى ﷺ ويبين للملأ الأعلى أنه فى هذا السن كامل العقل والقوة والشجاعة وأنه أهل لكل كمال وجلال.

والمرة الثالثة: عند بعثته ﷺ يعنى أنه قد جاوز مرحلة الامتحان وإظهاراً لفضله وتوضيحاً لمكانته ﷺ و مثال ذلك أن تتوجه بسؤال لشخص أمام الناس - وأنت تعلم أنه عالم - لكى يجيب على السؤال أمامهم فيظهر بذلك علمه وفضله عليهم.

والحق أن كل مايقع للأنبياء من العوارض البشرية إنما هو لإرشاد الخلق ومنفعتهم ومن هذه العوارض شق الصدر.

---

٧ـ النحل ٩٩.

٨- البقرة ٣٦.

٩ـ لعل فى قوله الشيخ «أن يظهر فضل النبى ﷺ... الخ إشارة إلى قصة خلق آدم، وجعله خليفة واعتراض الملائكة على ذلك، وقد ورد فى كثير من الأحاديث أن الله يباهى بعباده الصالحين الملائكة فذلك مثله أيضا، والله أعلم



وقد قال الله – تعالى – لرسوله ﷺ :

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[10].

أي أن المسئولية الملقاة عليك عظيمة جداً.

وقد يكون الشخص شجاعاً وعالماً وعظيماً ومتمكناً من نفسه ولكنه إذا ولي منصباً قد يتبخر كل ذلك و يفقد شجاعته وينسى علمه ولهذا فإنه بعد بعثته ﷺ أراد الله أن يظهر لجبريل والملائكة والملأ الأعلى والملأ الأسفل أن النبي ﷺ عظيم وكفء وشجاع ومتين وأنه أهل لأن يقال فيه:

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[11] في أحرج المواقف وأصعبها وأنه ﷺ كامل كل الكمال وهذا كله ليشير لنا ويبين للأمة المحمدية أنه بقدر مايكون الإنسان نظيفاً طاهراً يقدر مايكون استعداده للترقي طيبا – وبقدر التخلية تكون التحلية – بمعنى لايتفق الكبر مع التواضع ولايكون حب الخير للناس مع وجود الحسد في القلب ولابد لمن يدخل حضرة القدوس الا يكون من أرباب النفوس فإن القلب لاتنزل عليه تجليات الحق وأنواره حتى يتخلى عما فيه من الأغيان والأغيار وانك إذا أردت أن تعرج روحك إلى الطباق وما فوق الطباق فاهجر أرض الشهوات وطهر قلبك من الظلمات ولايتسنى لك أن تترقى وأن ترى الملائكة وأنت مكبل بالحظوظ والغايات.

أما حظ الشيطان فلا يعقل أن يكون في قلبه ﷺ حظ للشيطان وقد قال الله تعالى للشيطان:

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[12]

وهذا سيد الخلق وما أكرم الله – تعالى – من أكرمه إلا بسببه ﷺ فكيف يقال ذلك بالنسبة له؟ الإجابة والله أعلم أن المقصود كما قدمنا هو إظهار قوته وفضله ﷺ ذلك بأن الله – تعالى – أمر جبريل – عليه السلام – بشق الصدر وإذا تم ذلك على يده فإن النبي ﷺ يخبر به و يحدث به فيتناقل هذا الحديث المسلمون والمؤرخون وحديث النبي صادق ومصدق فيعلمون أن النبي ﷺ الذي واجه هذه العمليات لايخاف من تبليغ الرسالة ولايتزحزح عن أمر ربه ولايتزعزع مهما قابلته الصعاب ولا ييأس مهما قابلته الشدائد وهو ينشر دين الله.

قلت لصاحبي وقد بدا مشدوها لما يسمع: لعلك وقد رأيت بعض قوة جنان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض فضله، قارن ذلك بقول الله ـ تعالى ـ لسيدنا موسى ـ عليه السلام ـ لما ألقى عصاه وصارت ثعبانا: ﴿ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ﴾[13].

قال صاحبي: زدني من رحيق شيخك.

قلت: لك ما تريد في جلسة قادمة إن شاء الله تعالى.

«يتبـــع»

---

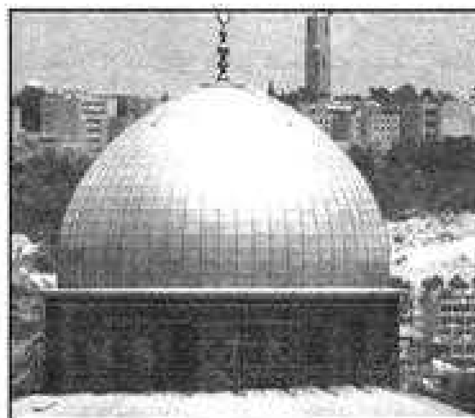
١٠- المزمل «٥».

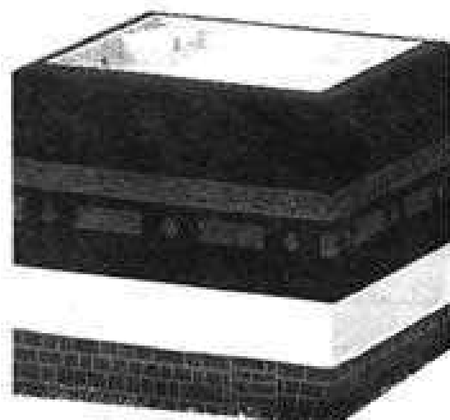
١١ النجم «١٧».

١٢- الحجر «٤٢».

١٣- القصص «٣١».

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ سورة الإسراء آية (١).





# الإسراء والمعراج

لفضيلة الأستاذ الشيخ / يوسف الدجوى (*)

نشر هذا الموضوع فى شهر رجب سنة ١٣٥٣هـ، بمجلة الأزهر، أى منذ سبعين عاما، وقد أشار الكاتب إلى أمور كونية يراها قريبة التحقيق، وقد تحققت فعلا بعد صدور المقال كالنزول على القمر، ونحن نختاره للنشر بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج فى هذا الشهر الكريم.

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

(*) عضو جماعة كبار العلماء.

إن الناس اليوم يقدسون عقولهم، ويسيرون وراء ما يمليه عليهم علمهم القاصر ونظرهم الضعيف، وكل من سار وراء عقله ووزن كل ما جاء عن الرسول بميزان فكره فقلما يؤمن إيمانا صحيحا. وإذا راقك منه ما يشقشق به في بعض الأحيان لم تلبث أن يسوءك منه ما يهذي به في وقت آخر، ولا غرو فالجهل حليف الإنسان، والضعف لازم من لوازم البشرية، وقصور العلم من صفاتها الذاتية وأعراضها اللازمة. وكل من لم يصدق إلا بما وصل إليه عقله وبلغته حدود علمه، فليس مؤمنا بالرسول على الحقيقة، وإنما هو مؤمن بعقله «لا بالرسول».

وما جاءت الرسل إلا لتخبرنا عما وراء الطبيعة مما لم تصل إليه العقول التى لا تستمد معلوماتها إلا من المحسوسات، وما تنتزعه منها من المعقولات الثانية مما هو راجع إليها ومتوقف عليها، ومقدورات الله لا نهاية لها، وعوالمه لا حد لها؛ ولكل عالم ناموس يخصه.

ومن الغلط البين الحكم على عالم من العوالم بأحكام عالم آخر. وإذا كنا نرى من بعض أنواع الحيوان ما لا يعيش إلا في الماء، ومن بعضها ما لو مكث في البحر لمات، ومن بعضها ما يقتله الكربون كالإنسان، ومنها ما يقتله الأكسوجين ككثير من الحيوانات الدنيا «ولعلنا كنا لا نصدق بذلك قياسا على أنفسنا لولا مشاهدتنا إياه» فكيف بما لم نقف له على عين ولا أثر من العوالم الأخرى التى تحس والتى لا تحس؟

وإنى لأعجب لهم كيف يتبجحون هذا التبجح ويحكمون في كل شئ بالأحكام الجازمة اعتمادا على بضع نواميس وصلوا إلى ظواهرها من نواميس هذا الكون التى لا يحصيها إلا الله ولا يدرى كنهها غير مبدعها الذى لا حد لقدرته ولا نهاية لعلمه.

وليت شعرى بعد ذلك كله أى عقل نحكمه فيما ورد عن الشارع: أهو عقل الأفراد أو عقل الجماعات؟ وما هو الضابط إذا اختلفت العقول، وليس هناك نوع من الأنواع وقع التفاوت فيما بين أفراده مثل نوع الإنسان الذى هو مظهر المتناقضات ومجمع العجائب والغرائب؟ وقد خاطب الله الخلق جميعا بقوله:

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].

ويقول في حق الإنسان:

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[2].

ولقد نرى في تخبطه وتناقضه وارتباكه في أحواله واضطرابه في أعماله الدليل الساطع على أنه مخلوق من الطيش والجهالة والعجز والقصور. فعلام تلك الكبرياء، وهو من الضعف بحيث يرثى له ويشفق عليه؟!

الموضوع:

لا يستند هؤلاء المنكرون إلا إلى الاستبعاد العقلي، وقياس الشاهد على الغائب، وإرجاع ما لم يعلموا إلى ما علموا؛ والجاهل لا يعرف قدر نفسه ولا قدر العلم؛ ويعتقد أن كل ما خرج عن دائرة علمه فهو في دائرة العدم:

---

١- الإسراء ٨٥.

٢- الأحزاب ٧٢.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾(٣).

ومن الغريب الذى يؤسف له أنهم إذا سمعوا أن بعض الأوربيين يريد الوصول إلى القمر ويفكر فى إعداد العدة لذلك لم يتحرك منهم ساكن؛ بل ربما استبصروا لما سمعوا وقالوا: إن العلم يلد العجائب والاكتشاف يأتى بالغرائب. ولكن إذا سمعوا أن الرسول عرج به إلى السماء قامت قيامتهم، وهدرت شقاشقهم، وظهر كل ما فى نفوسهم الضعيفة من خبث وإلحاد. وستتكلم معهم بما يخضعون له إذا سمعوه عن ساداتهم «الأوربيين» الذين لم يعلموا علمهم ولا أحسنوا تقليدهم»:

أما الكلام فى الموضوع من الجهة النقلية فأظن أنه لا يعنيهم كثيرا، ولا يقنعهم لا كثيرا ولا قليلا. ومع هذا فنقول فيه كلمة موجزة من أجل الفريق الثانى الذى ينتسب للعلم ولا يمكنه الخروج عن الكتاب والسنة، ولكنه يؤول ويحرف اغترارا ببعض الروايات، إجابة لنزعة عنده وعقيدة لديه لا تبتعد كثيرا عن عقيدة الماديين، وإن كان مذبذبا بين ذلك لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، فنقول:

إن من قال: إن الإسراء بالروح تمسك ببعض روايات مطعون فيها، كالرواية عن عائشة التى ردها الحفاظ وقالوا: إنها غير صحيحة من وجوه عديدة لا نطيل بها؛ وكرواية شريك بن أبى نمر التى طعن فيها الحفاظ بما يطول شرحه. وليس الغرض إلا أن نشير إلى ذلك إشارة خفيفة يعرفها ذلك الفريق من إخواننا المتفيهقين من الشيوخ. والعالم كل العالم من لا يتأثر بكل ما رآه أو يتشوش بكل ما رواه، بل العالم كل العالم من يعرف المقبول المردود، والضعيف والصحيح، ومن يجمع بين الروايات المختلفة إذا أمكن الجمع، أو يرجح الراجح ويسقط المرجوح إذا تعذر التوفيق.

وما أدرى كيف يقبل الذوق السليم أن الإسراء كان بالروح بعد ما يقول الله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٤).

فها أنت ذا ترى الآية الكريمة قد افتتحت بـ﴿سُبْحَانَ﴾ المشعر باستعظام ما كان من الأمر والتعجب منه لجلالته، وهو لا يصح موقعه و لا يتناسب وبلاغة القرآن الكريم الحكيم إلا إذا كان ذلك أمرا غير معهود ولا مقدور لأحد من البشر.

ولو كان هذا الإسراء بالروح فقط لم يكن ثمة ما يقتضى هذا الاستعظام وذلك التعجيب، إذ لا خطورة فى إراءة النبى ﷺ آيات ربه فى منامه، فإن هذا أمر عادى يجوز أن يقع لكل أحد، بل قد يرى الإنسان فى منامه رب العزة الذى هو أكبر من كل شئ؛ وإنما يظهر وجه الاستعظام والتعجيب لو قلنا: إن ذلك الإسراء كان بالجسد والروح، كما هو ظاهر لكل ذى فطرة طاهرة وعقل سليم.

ثم تراه يقول: ﴿أَسْرَىٰ﴾ وهو لا يقال فى

---

٣- يونس «٣٩».

٤- الإسراء «١».



النوم كما قال القاضي عياض، لأن ما يقع في النوم إنما هو تخيل وضرب مثل لا غير، ولا يحسن أن يعبر عن ذلك بأنه أسرى به، وإنما يحسن ذلك إذا أسرى به ليلا سيرا حسيا على ما هو المعهود المعروف.

ثم يقول: ﴿ بِعَبْدِهِۦ ﴾ وهو نص قاطع في الموضوع، لأن العبد لا يطلق فيما تعرفه العرب إلا على الشخص بجملته المكون من الروح والجسد؛ ولم يعهد في لغة العرب إطلاقه على الروح فقط؛ فهم لا يعرفون من العبد إلا الشخص المحسوس المنظور، كما في قوله تعالى:

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾[5].

وقوله:

﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾[6] إلى غير ذلك.

ثم يقول:

﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ ويقول في سورة النجم:

﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[7].

ولا شك عند من له ذوق سليم أن هذه الآيات الكريمة تدل على أن النبي ﷺ أسرى به إلى بيت المقدس، وأنه عرج به إلى السموات العلا بجسمه وروحه، وأنه رأى جبريل عند سدرة المنتهى، وأنه رأى من آيات ربه الكبرى.

وإني أستحلفك بعلمك وذوقك وإنصافك أن تنظر معي لقوله:

﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ ثم قل لي بعد ذلك ماذا ترى: أفيسهل عليك أن تسلم أن المراء والجدال كانا في رؤية منامية؟ وهل يكون في رؤية الروح وحدها في المنام جحود ومجادلة؟ وهل لذلك وقع عند القائل أو السامع حتى تذكر فيه تلك الآيات، وتحصل به تلك الحركات والمجادلات، وينوه بشأنه في القرآن هذا التنويه العظيم؟ وهل عهد مثل ذلك في الرؤى المنامية؟ وهل ينكرون على أنفسهم ذلك حتى ينكروه عليه ﷺ؟

لا شك أن مناكرتهم ومجادلتهم ما كانت إلا لعلمهم أنه يدعي أن ذلك كان يقظة لا مناما؛ فهذا هو محل الاستبعاد والاستنكار، فإنه غير معهود لديهم، ولا من متناول قدرتهم.

أما منامات الأرواح فيجوز أن تقع لكل أحد حتى المشركين أنفسهم. وهل ينكر الله عليهم إنكارهم بقوله:

﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ ويقرعهم على مجادلتهم بالباطل، ويقسم على أن صاحبهم ما ضل وما غوى، ويقول: إنه رأى ولا يليق أن تماروه فيما رآه، هل يكون كل ذلك لرؤيا منامية؟ وهل يقول:

---

٥- العلق: ٩، ١٠.
٦- الجن: ١٩.
٧- النجم: ١٢-١٨.





﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۝ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ﴾

وينوه بأمر هذه الرؤية ويقول إنها عند سدرة المنتهى ويجعلها مرة أخرى لرؤيا منام؟ وهل يقول المنكر: إن رؤية جبريل فى المرة الأولى التى جاءت فى الحديث الصحيح حين رآه ﷺ بحراء على صورته التى خلقه الله عليها قد سد الأفق، هل يقولون إن ذلك كان مناما أيضا، أم يفرقون بينهما والقرآن لم يفرق وجعل الرؤية فى المرة الأخرى عند سدرة المنتهى كالرؤية الأولى فى الأرض بلا فرق؟

فهل يقال إذا كانت إحدى الرؤيتين فى المنام والأخرى فى اليقظة؟ وهل يحسن أن تجعل الضمير فى قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ لروح النبى دون جسده وتغاير بينه وبين ما قبله وما بعده من الضمائر العائدة على شخصه ﷺ لا على روحه فقط؟ وهل يسهل عليك أن تقول: إنها رؤيا منامية مع قوله تعالى:

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾؟ وهل يقال ذلك فى أحلام النائمين؟ اللهم إن ذلك لا يقال إلا فى أوهام الواهمين.

وهل يقال فى الرؤيا المنامية:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾(٨)؟.

ومتى كانت رؤيا المنام فتنة لأحد؟ فإن كل إنسان يرى بروحه من الكون ما شاء الله أن يرى، فماوجه الإفتتان وما معناه؟

وأما التشبث بلفظ الرؤيا دون الرؤية فقد رده أهل اللغة واستشهدوا عليه: ورؤياك أحلى فى الجفون من الغمض.

على أنه جاء فى القصة ما هو قاطع فى الموضوع: فإن النبى ﷺ لما أخبرهم بذلك هاج هائجهم وقامت قيامتهم، فمنهم الواضع يده على رأسه تعجبا، ومنهم المصفق، ومنهم القائل له: ولقد كان أمرك أمما (أى قريبا) قبل هذا. حتى ورد أنه ارتد بعض من دخل فى الإسلام. فهل ترى - أيدك الله - أن ذلك كله كان من أجل رؤيا منامية؟

بل فى القصة ما هو أكثر من هذا، وهو أنهم سألوا النبى ﷺ عن عيرهم التى كان فيها تجارتهم، فأجابهم ﷺ بأنه مر بها، وقد ند منها بعير فانكسر، وأنه مر بعير أخرى قد ضلوا ناقة لهم، وكان معهم قدح من الماء فشربه ﷺ. وقد سألوهم عند ما قدموا مكة فصدقوا ذلك كله. وفى القصة أكثر من هذا. فهل ترى أن الروح شربت الماء من القدح؟ وهل يمكننا أن نقبل أنهم يسألونه عن عيرهم وعن بيت المقدس وأبوابه وكل ما يتعلق به إذا كانت الرؤيا منامية؟ وأى علاقة بين رؤيا المنام وبين عيرهم التى تجىء من الشام، وقد رأى لهم عدة قوافل من تجارتهم وأخبرهم عنها؟

ولا تزال تقول: أى معنى لقصة قدح الماء إذا كانت الرؤيا منامية؟ وأظن أن هذا القدر كاف للمنصف. ولو شئنا لأطلنا.

---

٨- الإسراء، ٦٠.



## الفريق الأول الذي يتمسك بالشبه العقلية

يقول هذا الفريق: إنه يستحيل العروج إلى السماء لأن بيننا وبينها كرة نارية كما قرره الفلاسفة الأقدمون. ونقول له: إن ذلك خيال لم يقم عليه برهان؛ والفلاسفة العصريون ينفون ذلك بتاتا. فهذا كاف في إسقاط ذلك الزعم. وستسمع عن ذلك جوابا آخر مشتركا دافعا للشبه كلها.

ويقول العصريون في استحالة ذلك: إن الهواء يرتفع عن الأرض مقدار بضعة آلاف من الأمتار فإذا وصل الإنسان إلى ذلك الحد لم يمكنه أن يعيش، لأنه لا يجد من الهواء ما يتنفس به، فلابد أن يموت، وقد وصلوا بطياراتهم إلى ما يقرب ذلك فخرج الدم منهم بهيئة منكرة لفقد الضغط الجوى.

ونقول في دفع هذه الشبهة: إن ذلك مسلم ولا نمارى فيه، ولكن هناك قوانين أخرى لا يعرفها الماديون، ومحال أن يصل إليها الطبيعيون: ذلك أن الأرواح الإنسانية من عالم آخر لا تسرى عليه قوانين هذا العالم؛ فإذا غلبت على الإنسان روحانيته كان الحكم للروح لا للجسد، فكان السائد عليه هو النواميس الروحانية لا الجسمانية؛ ومتى ساد سلطان الروح سلطان البدن كان الحكم للروح لا للبدن، فيمكنه أن يطوى المسافات البعيدة في لحظة قصيرة، ويمكنه أن يرى المغيبات على حد محدود، ويمكنه أن يخترق الجدران ويقتحم المهالك من غير أن يحصل له ضرر أو يلاحقه ألم. ومن هنا جاءت كرامات الأولياء. وإذا كنا نصدق بذلك في الجن، وأرواح النوع الإنساني أعظم لطافة وأقوى نفوذا وأشد قربا من الملأ الأعلى، فلماذا تستبعد ذلك في خواص البشر الذين غلبت عليهم الروحانية حتى صاروا كأنهم من الملأ الأعلى، وبذلك تنخرق لهم العادات ولا تحكم عليهم نواميس المادة؟

## براهين عصرية على ذلك

وما لنا نذكر كرامات الأولياء أو معجزات الأنبياء وبعض العصريين لا يقتنعون بذلك، ولعلهم يعدونه من الخرافات والترهات؟ فلنسق لك ما هو أقرب إلى إقناعهم وأليق باستعدادهم، فنقول:

قد ثبت ثبوتا لا شك فيه أن المنوم تنويما مغناطيسيا يسأل عما في البلاد البعيدة فيجيب عنها بأجوبة صحيحة، فهل يمكن تعليل ذلك بالتعاليل المادية؟

وقد قالوا: إن المنوم ( بصيغة اسم فاعل ) إذا أمر المنوم ( بصيغة المفعول ) أن يخوض النار وأفهمه أنها ليست نارا، خاضها ولم تؤثر فيه، لأنه تحت سلطان الروح فله حكمها، والأرواح لا تؤثر فيها النيران ولا تحكم عليها هذه النواميس ( وسلطان الروح فوق سلطان المادة ) .

وقد قالوا: إنهم جاءوا للمنوم بالنوشادر المركز الذى إذا شمه أحدمات لوقته فلم يؤثر فيه أدنى تأثير، فقام بعض الأطباء وقال: إن ذلك غش وخداع. فأخذ النوشادر المركز وشمه فخر ميتا. وأعجايب التنويم



المغناطيسي أصبحت لمس اليد ورأى العين، وسرها ماذكرنا من أن سلطان الروح فوق سلطان المادة.

وإذا ثبت هذا فلتعلم أن النبي ﷺ عند العروج كان على غاية ما يكون من الروحانية، بل كانت روحانيته إذ ذاك فوق روحانية جبريل -عليه السلام- ولذلك ورد أن جبريل تأخر عنه بعد سدرة المنتهى وقال له: لو تقدمت أنملة لاحترقت. فإذا وصل النبي ﷺ إلى ذلك الحد الذي يتخلخل فيه الهواء أو ينقطع بالكلية، وقد غلبت عليه الروحانية من كل جهاته، لم يكن لذلك تأثير فيه ولا ضرر عليه لما قررناه.

ويمكننا أن نستشهد على ذلك بما أصبح معروفا لا ينكر، وهو أن بعض الهنود يوضع في صندوق باختياره أو يدفن في موضع من الأرض عشرين يوما وثلاثين يوما وأكثر من ذلك، ثم يخرج ويعمل له ما يرجعه إلى حسه ولا تفارقه الحياة مع أنه كان لا يتنفس أصلا في تلك المدة. فكيف ينكر مثل ذلك على رسول الله ﷺ وهو سيد الروحانيين وأفضل الخلق أجمعين؟

وهذا تنزل يقتضيه الحال وقوانين الجدال، وإلا فلست أدري كيف يقيسون عالم الملكوت على عالم الملك، وأحكام الأرواح على أحكام الأشباح، مع أنهم لم يتقنوا علومهم المادية، وكثيرا ما تخبطوا فيها فنقضوا ما أبرموا. وهو شأن هذا النوع الضعيف منذ خلقه الله إلى أن تقوم الساعة!

ولقد أقام العالم ثمانية عشر قرنا يدين نظرية (بطليموس) صاحب كتاب (الماجسطي) في الأرض والشمس ودورتها، وغيرها ذلك من النظريات الفلكية؛ حتى جاء دور الانقلاب العلمي في القرن السادس عشر ونادى العلامتان (كوبرنيق) و(كبلر) الألمانيان والبحاثة (غاليلي) الإيطالي بعكس نظرية السابقين، وأثبتوا فرضا مخالفا لفروضهم؛ ثم جاء إينشتين في عصرنا هذا فرد عليهم وقلب نظرياتهم رأسا على عقب. ولا ندري ماذا يجيء به الغد.

**الخلاصة:**

والخلاصة أن الإسراء لو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولا استبعده الكفار ولا كذبوه فيه، ولا ارتد بعض ضعفاء من أسلم وافتتنوا به، إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر.

ويؤكد ذلك مجيء جبريل له بالبراق، وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال: ومن معك؟ فيقول: محمد ولقاؤه الأنبياء فيها وترحيبهم به، وخطبهم في بيت المقدس ورده عليهم، وصلاتهم وراءه، وتعيين محل كل واحد منهم والإخبار عنه بخبر خاص؛ وحديث فرض الصلاة ومراجعة موسى في ذلك، وقوله: «ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام» وأنه وصل إلى سدرة المنتهى. إلى غير ذلك مما جاء في القصة.

وهل عهد مثل ذلك في رؤيا المنام؟ وهل يقال في رؤيا المنام:

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ أو ينوه بشأنها هذا التنوية كله؟ وهل يحسن أن يكون فرض الصلاة



وهي عمود الإسلام في المنام على حين أن غيرها كان في اليقظة؟

ولست أفهم إلا أن هذا إنكار لقدرة الله ، وإذا فتش عن إيمان ذلك المنكر وجد ضعيفا به خلل وفيه دخل . وما أدري ماذا يصنع في مثل قوله تعالى:

﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾(٩).

وقوله:

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١٠).

وقوله: ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾(١١).

إلى غير ذلك من الآيات والمعجزات؟ وإن الإيمان بذلك كله سهل لدى من يعتقد أن الله على كل شيء قدير، وأننا أوتينا من العلم إلا قليلا.

ولنرجع للموضوع فنقول بالاختصار:

لو كان مناما لم يكن فيه آية؛ مع أن الله يقول:

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾(١٢).

ولو كان المعراج في النوم عند عائشة - رضي الله عنها - عنهما كما يزعمه بعضهم لما أنكرت رؤيته ﷺ ربه. فهي لم تنكرها إلا لفهمها أن ذلك كان يقظة لا مناما، لأن رؤية المنام لا تنكر من عائشة ولا من غيرها.

وبعد: فقد عرج به ﷺ ليستبين بذلك العروج أن مقامه فوق مقامات الأنبياء، حيث ارتفع عليهم جميعا حتى سمع صريف الأقلام، وكانت مناجاته فوق السموات العلا على غير ميعاد ولا رياضة سابقة لكمال استعداده ﷺ، ليعلم ما بينه وبين غيره من الفرق في التقريب والاصطفاء.

وكان العلو الحسي مستتبع للعلو المعنوي، فكلما ارتقى في درجات السموات وما فوقها كان يرتقي في درجات الروحانية والاستغراق في جلال الله وعظمته: ولا غرو فالأماكن لها خصائص ومميزات. وانظر إلى الكعبة وما اختصت به من الرفعة والتعظيم ونزول الرحمات والبركات حتى استحقت أن تسمى بيت الله وحرم الله.

ولتعلم أن قصة الإسراء والمعراج قد وردت عن كثير من الصحابة، عد منهم في المواهب اللدنية ستة وعشرين. [illegible] القلم على الوقوف عند هذا الحد ففيه مقنع وكفاية [illegible]ن أراد الله هدايته.

أسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم: صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا بمنه، وكرمه.

٩- النمل، ٤٠.

١٠- البقرة، ٧٣.

١١- البقرة، ٢٦٠.

١٢- النجم، ١٨.

من تاريخ التشريع الإسلامي

# مساجلة بين فقيهين كبيرين

٢

للدكتور/ حمدي فتوح والي

**عرفنا كيف تدفق الإمام الليث كالسيل عند رده على الإمام مالك، في عبارات واضحة وحجج ظاهرة، وشواهد دامغة، دون أن ينسيه ذلك كله مكانة صاحبه وهيبته، وفضله وإمامته.**

**ورسالة الإمام الليث شاهدة على ما كان يتمتع به علماؤنا من أدب جم، وخلق فاضل، وذوق رفيع. فبرغم عظمة القضية، وجدية الحوار، وثقة كل طرف من صحة رأيه وسداد فكره، فإن أحدا منهما لم يحاول النيل من أخيه بتلميح أو تصريح، ولم نلمس في أسلوب الإمامين الكبيرين ما يوحي من قريب أو بعيد بشئ من حظ النفس، من رغبة في الغلب أو حب الظهور، أو غمز أو لمز، وإنما هي الطهارة في القول، والنزاهة في التفكير، والأدب في الحوار، والشرف في الخصومة والتجرد الكامل للوصول إلى الحق. بل إن الأمر ليصل في هذه المساجلة إلى ما هو أبعد من مجرد الوصول إلى الحقيقة، فنحس نوعا من الأخوة الصادقة، والمودة الخالصة، والحب العميق.**

فالإمام الليث يبدأ رده على رسالة صاحبه بهذا الدعاء الرقيق: «عافانا الله وإياك، وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة» وهو دعاء جامع لخيري الدنيا والآخرة، وهل يطلب العاقل أفضل من المعافاة في الدنيا وحسن العاقبة في الآخرة، وينتقل من الدعاء له إلى إظهار سروره بما بلغه من صلاح حاله، معاودا الدعاء له بدوام تلك الحالة الطيبة وتمامها، راجيا الله له العون على شكره، وأن يزيد من إحسانه وبره.

ومن استقصاء ردود الإمام الليث نلاحظ ردا على أمور لم ترد في رسالة الإمام مالك، مما يعني رسالة الإمام مالك التي بين أيدينا ليست كل ما كتب الإمام، وإنما سقط منها أجزاء من فعل الرواة، وكان الظن برسالة الإمام مالك ألا يسقط منها شئ نظرا لعناية تلاميذه بتدوين

مذهبه وعنايتهم بكل ما يكتب، وكثرة المحيطين به، وخاصة في قضية مشهورة كمناظرته مع إمام مصر. وكان المتوقع أن يكون النقص في رسالة الإمام الليث، نظرا لعدم انشغاله بالتدوين وعدم عناية تلاميذه بتسجيل آثاره. لكن يبدو أن القضية لقيت عناية من الإمام الليث ومن أهل مصر، نظرا لخطورتها، وعظم ما يترتب عليها، فضلا عن التوفيق الكبير الذي أصابه الإمام الليث بردوده على الإمام مالك، مما عد حدثا عظيما استحق من أهل مصر كل عناية وتقدير.

والمتتبع لردود الإمام الليث لا يملك نفسه من الإعجاب بهذا الأدب العالي، وهذا الخلق الرفيع، فبرغم علو مكانته في قومه ورسوخ قدمه في علمه، واستبحار سلطانه، وعظم منزلته لدى خليفة المسلمين هارون الرشيد، فإنه يبدو في رسالته أشد ما يكون تواضعا ولينا، إذ لا يجد في نفسه حرجا من إنكار الإمام مالك عليه، وتحذيره إياه، بل إنه يرى ذلك حقا له على أخيه، أن يسارع إلى تنبيهه إن غفل، وتذكيره إن نسي، وإلى تقويمه إن رأى فيه اعوجاج.

وهو في تواضعه يفصح عن خلق آخر لا يتمتع به إلا المخلصون من أولي العلم والأئمة الأعلام في كل عصر وهو خلق الإنصاف من النفس والاعتراف بالفضل لأهله، وقديما قيل: «لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه». ويظهر خلق الإنصاف واضحا في إقراره أخاه فيما وصف به أهل المدينة من الإمامة والسبق، وأن الناس تبع لهم. ويقره فيما بلغه عنه من أمر الفتيا قائلا: «وذكرت أنه بلغك أني أفتي بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم، وأني يحق عليَّ الخوف على نفسي لاعتماد من قبلي على ما أفتيهم به، وأن الناس تبع لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن، وقد أصبت بالذي كتبت به من ذلك إن شاء الله - تعالى - ووقع مني بالموقع الذي تحب».

ومن مظاهر تواضعه التي لا تتأتى إلا للنفوس العظيمة والقلوب الكبيرة، ما نلاحظه عند كلامه عن نفسه في معرض التحدث عن العلم: إذ تراه لا يصف نفسه بالعلم ولا يدخل نفسه في دائرة العلماء، وإنما يجعل العلم منسوبا إليه من الناس في قوله: «وما أجد أحدا ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا، ولا أشد تفضيلا لعلماء أهل المدينة الذين مضوا ولا آخذ لفتياهم فيما اتفقوا عليه مني».

أما عند حديثه عن إخوانه من أهل المدينة فيقول علماء أهل المدينة، وهو خلق فاضل لا يعرفه إلا أفاضل العلماء وأكابرهم، ممن خلت نفوسهم من الحقد، وبرأت من الهوى، وتطهرت من العجب والكبر، فليت سادتنا من علماء هذا الزمان يفقهون عن أئمتنا وعلمائنا هذا الخلق الفاضل، وينهجون في خلافهم هذا المنهج القويم.

ويواصل الإمام الليث إنصافه لأخيه، واعترافه له بما ذكر، وإقراره بصواب ما ذهب إليه بقوله: «وأما ما ذكرت من مقام رسول الله ﷺ بالمدينة، ونزول القرآن بها عليه بين ظهراني أصحابه، وما علمهم الله منه، وأن




الناس صاروا تبعا فيه فكما ذكرت...».

حتى إذا وصل إلى ما ينبغي الرد عليه، وما يقتضي إبداء الرأي فيه، وإظهار ما خفي على أخيه منه انبرى يوضح ذلك في جزالة وفصاحة وبيان. لا يصرفه عن قصده هوى، ولا يشغله عن بلوغ الحق شاغل، ولا يعوقه عن إظهار ما يرى من الحق عي أو جهل أو عجز أو سفسطة أو مراء فيقول:

«وأما ما ذكرت من قوله الله - تعالى -:

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1].

فإن كثيرا من أولئك السابقين الأولين خرجوا إلى الجهاد في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله، فجندوا الأجناد واجتمع إليهم الناس، فاظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله وسنة نبيه ولم يكتموهم شيئا علموه، وكان في كل جند منهم طائفة يعلمون كتاب الله وسنة نبيه، ويجتهدون برأيهم فيما لم يفسره القرآن والسنة. وتقدمهم عليه أبوبكر وعمر وعثمان الذين اختارهم المسلمون لأنفسهم.

ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعين لأجناد المسلمين ولا غافلين عنهم، بل كانوا يكتبون في الأمر اليسير لإقامة الدين، والحذر من الاختلاف بكتاب الله وسنة نبيه، فلم يتركوا أمرا فسره القرآن أو عمل به النبي صلى الله عليه وسلم أو ائتمروا فيه بعده إلا علموه، فإذا جاء أمر عمل به أصحاب رسول الله ﷺ بمصر والشام والعراق على عهد أبي بكر وعمر وعثمان، ولم يزالوا عليه حتى قبضوا لم يأمروهم بغيره، فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمرا لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين له.

وواضح ما في كلام الإمام الليث من وجاهة، وما في حججه من قوة لا تترك زيادة لمستزيد، فانتقال أصحاب رسول الله ﷺ إلى أقطار الأرض فاتحين، واجتماع الناس بهم، والتفافهم حولهم، واستماعهم لهم، وأخذهم لفتياهم، واستقرار أمور الناس على ما أخذوه من كتاب الله وسنة رسول الله، وما أفتى به أصحاب رسول الله ﷺ وعملوا به على عهود الراشدين الثلاثة أبي بكر، وعمر، وعثمان وهم من هم غيرة على الدين، وشدة في الحق، ودقة في اتباع رسول الله ﷺ. وحرصا على كل أمر من أمور الدين مهما كان يسيرا، كل ذلك يجعل اتباع أهل المدينة وحدهم أمرا عسيرا.[2]

---

١- التوبة (١٠٠)

٢- أورد الطبري روايتين في كتابه «ذيل الذيل» ص ١٠٧، إحداهما عن الخليفة المهدي، والأخرى عن الخليفة أبي جعفر المنصور، كلاهما يطلب منه أن يضع كتابا يحمل الناس على العمل به في جميع الأمصار، لكن مالك لم ير ذلك.

انظر ذلك بالتفصيل في البحث الذي أعده الدكتور محمد كامل حسين في مقدمة كتاب «الموطأ» تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.



ثم يصل الإمـــام الليث عن طريق هذه المناقشة الهادئة العميقة المستندة إلى العقل والشـرع وواقع الحـال إلى إبداء رأيه رافضـاً مطلب الإمام مالك أن يجعل المسلمين جميعا تبعـا لما يراه أهل المدينة وألا يخالفوهم في شيء مما أجمعوا عليه.

قائلا: «فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمرا لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم، مع أن أصحاب رسول الله ﷺ قد اختلفوا في الفتيا في أشياء كثيرة، ولولا أني قد عرفت أن قد علمتها كتبت بها إليك».

ونلاحظ أدب الإمام الجم وذوقه الرفيع عند إبداء رأيه رغم قوته ووجاهته إذ لا يعمد إلى تنقيص أو تجريح، بل لا يحدد أحدا بعينه وإنما يكتـفي بقـوله: «لا يجـوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا أمرا لم يعمل به سلفهم من أصحـاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم» وواضح أن المقصود بأجناد المسلمين هم الإمام مالك وأصحـابه، ولكن أدب الإمـام الليث يمنعه عند حديثه عن إحداث أمر يخالف ما عليـه المسلمـون أن ينسب ذلك إلى أهل المدينة وإنما يجعله عاما دون تحديد لأهل بلد أو مذهب أو جهة . أدبا منه ولطفا، وكياسة وورعـا، ويبلغ الإمـام الغـاية في الإقناع بقضيته، وإبراز وجه الحق في دعواه عندما يقدم أمثلة من الاختلاف بين التابعين وتابعي التابعين، حتى يصل إلى أمور من الاختـلاف وقعت بين يدي صاحبه، وربما كان طرفا فيها، أو على الأقل شاهدا عليهـا، والإمام الليث كان حاضرا تلك المناقشات أيضا فيقول: «ثم اختـلف الذين كانوا بعدهم فحضـرتهم بالمدينة ورأسهم يومئذ ابن شهاب وربيعة بن عبدالرحمن، وكان من خلاف ربيعة لبعض من قد مضى ما عرفت وحضرت، وكان يكون من ابن شهاب اختلاف كثير إذا لقيناه، وإذا كاتبـه بعضنا فربما كتب إليه في الشيء الواحد ـ على فضل علمه ورأيه ـ بثلاثة أنواع ينقض بعضها بعضا، ولا يشعر بالذي مضى من رأيه في ذلك، فهذا الذي تدعوني إلى ترك ما أنكرت تركي إياه».

وهكذا تصل القضية إلى نهايتها، ويصل الإمام الليث وبصاحبه وبالقارئ إلى الإقناع التام، على جسـر من الحب الصادق، والود الخالص، والأدب الجم، والخلق الرفيع.

وبرغم أن القضية بذلك قد انتهت فإن رسالة الإمام الليث لم تنته، فما أن انتهى من رده على دعوى صاحبه حتى تحول من الرد إلى النقد، ومن الدفاع إلى الهجوم، فأحصى على الإمام مالك أمورا خالف بها إجماع أهل المدينة من أصحـــاب رســول الله ﷺ ومن التابعين، وقد أحصيت تلك الأمور في رسالة الإمام الليث، فبلغت عشر مسائل من أهم قضايا تراثنا الفقهي المجيد.

# فلسفة خطاب الإعلام العربي بين التبرير والتغيير

(١)

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي

**يلعب الإعلام المعاصر، من خلال وسائل الحضارة التكنولوجية، دورا مهما أكثر من أي عصر مضى، في تكوين أفكار الناس، وتحريك عواطفهم، وتوجيه حياتهم، وتشكيل عقائدهم، ولقوته العظمى يؤثر على أسلوب حياتنا، ومعيشتنا، على أفكارنا السياسية، وعلى أخلاقنا بل وعلى مصيرنا.**

من هنا: يقع الإنسان المعاصر، تحت وطأة وسائل الإعلام وشراستها، فأينما يكون توجيهها تكون وسيلته، فهي التي تحرره إن كانت حرة في اتجاهاتها، وهي التي تستعبده وتسخره إن كانت استبدادية النزعة، لذلك كانت وسائل الإعلام هي عنوان الأمم وعنوان رقيها وتحضرها، هي السفير المعتمد الذي يرسم وسائل الاتصال بين الشعوب.. وبين الدول ومواطنيها.. ويقيم علاقاتها برباط شديد أواصره، من الوطنية والأخلاق والدين.. ولا تجد وسيلة أقوى وأشد فعالية في وحدة الأمة من الإعلام، فبه تلتقي الإنسانية على صعيد الحكمة، لذلك يجب أن تكون الكلمة مؤسسة على أشرف المبادىء وأسماها، تلتقي لقاء إنسانيا، لا يعكره ما صنعته الظروف من الحواجز المصطنعة، تذوب فيه الإقليمية، والجغرافية والعنصرية، والمذهبية، وبه أيضا تتعرف الشعوب على مجريات الأحداث أينما كانت، وعلى ثقافاتها وخصائصها ومتطلباتها ومشاكلها وتغيراتها.

لذلك تدرك الأمم الحية الراقية أن نهضتها، وبعثها الحضاري، ورفعة شأنها بين الأمم تتوقف على وسائلها الإعلامية، وعلى نوع



ما تقدمه للأمة، وأفرادها، فهناك نوعان من الإعلام:

نوع من الإعلام، يساعد الأمة على بناء شخصيتها حضاريا وثقافيا . من خلال ما يقدمه لها من نماذج حضارية، وتاريخية، فيربى فيها القيم الفاضلة والعادات الحسنة فيزودها بعظيم القيم الأخلاقية من الوفاء والصدق والإخاء، والأمانة في المعاملات، والانضباط في العمل، وتقديس الوقت واحترامه، ويعينها على التفتح الذهنى الذى يعى المتغيرات الحضارية والثقافية وينمى فيها حاسة التذوق الجمالى.

ونوع من الإعلام: يعمل على صنع جيل، بما يقدمه من نماذج سيئة يشوبها التبعية، والانتهازية فيصنع جيلا متكاسلا، لا يبالى بالحياة ولا بالقيم، مهزوزا متوترا غير واثق من نفسه، يفضل أن يكون تابعا لغيره، عالة على مجتمعه، اقتصاديا، وسياسيا، غير واع لظروفه الحضارية ولا متغيراتها، لا يحسن إنتاج أى شيء، يتقلب مع الهوى لايثبت على رأى، يجرى وراء كل ناعق.

من هنا: أطرح قضية خطاب الإعلام العربى الإسلامى، إذا أردنا تحضرا وحضورا للإنسان العربى على الساحة العربية الدولية، وأردنا الخروج مما وقعنا فيه، تحت وطأة ظروف استثنائية فرضت علينا لونا من ثقافة، ونمطا من سلوك، تخدم أهدافا غير أهداف الأمة وتصنع مجتمعا تعلوه الذلة، والاستكانة، يسلم قيادة نفسه لغيره حتى تروضه لقابلية الوصاية والتبعية.. ويصبح أداة طيعة تلعب به نزوات الحكام. من هنا وقفنا بين فلسفتين:

فلسفة الذين يستمدون تربيتهم من قراءات مشوهة للتاريخ، أنه لا سبيل إلى التحضر والنهضة الإصلاحية، ومن تلافى الظروف الاستثنائية التى وقعت فيها الأمة إلا إذا خف ضغط القوى العالمية التى تريد لشعوب العالم الثالث أن تكون كذلك، وقادهم تأويلهم المتعسف.

لأحداث الخمسينيات والستينيات.. حين بدأت الثورة فى بداياتها الأولى بالميل نحو الاعتماد على النفس، حين أعلنت مبادئها الإصلاحية.. ومن أهمها ضرب الاستعمار.. وإقامة حكم وطنى ديمقراطى.. الخ.

أدت تلك المحاولات الاستقلالية كما يذهب أصحاب فلسفات التبعية إلى الاصطدام بالقوى الخارجية صاحبة المصلحة فى المنطقة العربية التى خشيت على مصالحها وبسبب ذلك تعرضت الأمة لتلك النكسات المتكررة والخطيرة، فأحدثت شرخا فى كيان الوطن والأمة والشخصية.. واتخذ تيار التبعية الجارف الذى أخذ يشيد بفلسفة التبعية متخذا من ذلك الاصطدام وزعزعة الثقة فى الاعتماد على النفس، وعدم جدوى التحدى، والميل إلى المهادنة.. لذلك أرفض مثل تلك الفلسفات التى تربى فى الأمة العجز، وتغيب الأمة عن رعيتها وتعفيها عن تحمل مسئولياتها أمام الله والوطن والتاريخ.. وبدلا من تدعيم فلسفة الاعتماد على الذات لمواجهة قصورها وتقصيرها.. تشيع بين الأمة، زعزعة إيمانها بالتحدى مفضلة عليه الميل إلى المهادنة.







وإذا تفشي هذا الشعور في جسد الأمة المناقض للشعور بتحمل المسئولية تنشأ علتان خطيرتان في جسد الأمة إحداهما: العجز وضعف النفس.. وثانيهما: عدم الوعي وسوء الإدراك ولاشك أن التهرب من المسئولية الذاتية والتمادي في إلقاء التبعية علي الآخرين من أسوأ الأمراض الاجتماعية.. فما أكثر ما نجد أبناء المجتمع العاجز يشتكون من كل شيء إلا من أنفسهم، ويحملون على الشعوب الخارجية، والنظام والحكومة والطبيعة وكل ما عداهم ناسين أو متناسين قسطهم من المسئولية ونصيبهم من التبعة وهذه النزعة إذا استفحلت استفحل معها قصر النظر، وخداع النفس والجبن، والتخاذل وعملت علي ترسيخ العجز ومضاعفة شروره، في حين أن الحاجة الماسة هي النهوض منه والتغلب عليه.

فمصدر العلتين: هو: اللامسئولية ومعالجتها تكون بالجهد الدائب لتنمية روح الانضباط والعدالة في النظر والفكر والسلوك، والتروض علي استقصاء التبعية الذاتية وتحمل أعبائها،وهو ضيق شاق ولكنه الضيق الواجب اتباعه إذا أراد الفرد أن يحقق قابلياته التحررية وأراد المجتمع أن يحرز القوة والقدرة والكرامة حتى لا يكون ملهاة للعبث به، على الساحة الدولية فلا سبيل أمامه سوى أن يتحمل مسئوليته أمام التاريخ نتيجة لخفوته.

وتلك قوانين التاريخ التي لا يوجد فيها عطاء دون جزاء أبدا.

لذلك أرى أن إعلامنا العربي مطالب باجتياز هذه العقبات وتلك الفلسفات وقبول التحدى التي أفرزتها التحديات والأحداث التاريخية والتغيرات الدولية حتى تأخذ الأمة العربية مكانتها القومية والدولية في إطار صبغة من صبغ التوحد إذا أردنا أن نحتل مكانتنا الدولية في إطار النظام العالمي الجديد.. وإلا سوف نغدو أمة مشتتة وموزعة لا نملك من أمر أنفسنا شيئا، تتحكم فينا وفي مصيرنا ومصير أجيالنا قوى التحكم في توجهنا وتوجهاتنا، فلا خلاص لنا إلا إذا قمنا بترتيب بيتنا العربي وتفهم همومه وتحديد مهامه وتمسكنا بفلسفة التحدى فيها نكون أو لا نكون.

وإنني أضع أمام الخطاب الإعلامي العربي تلك المهام القومية والإسلامية لفلسفة التحدى الحضارى إذا أردنا أن نمهد لإحياء التضامن العربي على شكل إيجابي فعال:

### الأولى:

## الدعوة إلى إلغاء التميزات الإقليمية

ظهرت التميزات الإقليمية، التي هي في الأصل مناطق نفوذ للاستعمار في الوقت الذي كانت الساحة الإسلامية تزخر بالدعوات الإصلاحية لوضع تخطيط جديد يجمع شمل العرب بنفس مقتضياته المعاصرة، فدعا بعضهم إلى فكرة الجامعة الإسلامية، وبعضهم إلى فكرة الجامعة العربية.. ولم تذهب تلك الدعوات أدراج الرياح، وإنما تمت تلك الأفكار تحت فكرة التضامن العربي التي تمخضت في





الأربعينيات عن مؤسسة الجامعة العربية وميثاقها، وكان ذلك قبل أن تتخذ الأمم المتحدة طريقها إلى الوجود.

وكنا نتوقع من الجامعة العربية أن تسمو بمفهوم التضامن العربي من الشكل إلى المضمون السياسي، والثقافي والاجتماعي، الذي يبين عن أمة عربية تتحدث عن تاريخ مشترك، وجامعة إسلامية واحدة، وتاريخ ثقافي واحد لكن التميزات الجغرافية التي رسمتها السياسة الاستعمارية إبان تصارعها حول توزيع «تركة الرجل المريض» ثم تصالحت على توزيعها فيما بينها تحت اسم استعماري كريه «مناطق نفوذ» من ذلك اليوم أصبح لكل دولة استعمارية منطقة نفوذها في الشرق الأوسط، قضت هذه التميزات على وظيفة الجامعة العربية، وعلى نمو فكرة التضامن العربي وعاقتها عن أن تتطور إلى وعي كامل بها، وأتاحت الفرص لكل دولة على تنمية الفروق، بين النزعات القبلية، والخصائص المحلية للظهور، كاللهجات اللغوية، والعادات والتقاليد حتى المذهبية البيئية تمت على حساب وحدة الكيان العربي الإسلامي الفكري والعقلي، فهل من الممكن أن يتكفل الخطاب الإعلامي العربي بأن يذيب فوارق تلك الإقليمية؟

**الثانية:**

## تطويع المزاج العربي لقابلية المؤثرات الحضارية

كان من الطبيعي أن ينتج عن التميزات الإقليمية عدم وحدة الميول إلى التفليل الحضاري، وعدم قابلية صيغة عامة للفكر، فهذا يحب لونا من الفكر، وذلك يفضل لونا آخر، وثالث ينظر إلى الإعلام من حيث بيئته المذهبية.. ولا شك أن ذلك التعدد وذاك التباين في الفكر أدى إلى سريان موجة الاندفاع إلى الدفاع عن الأوضاع الثقافية وفقا لتمايزات الإقليمية وميولها، ومذهبيتها الدينية، ويرافق الدفاع عادة هجوم شرس من جانب آخر، على الحرية الثقافية، وعلى الرؤية الحضارية الإسلامية الواسعة التي لا تلتزم بالمذهبية الدينية البيئية، وقد يوهم تعدد ألوان الفكرعلى الساحة الثقافية بوجود حرية ثقافية لأنه فكر يحمل طابع التميزات الإقليمية، يضل ولا يهدي، يشتت ولا يجمع، واشتغل بقضايا التجزئة الإقليمية ومحسناتها المحلية،و لم يستطع أن يؤهل ذاته لحمل رسالة الأهداف القومية والإسلامية التي نكن لها أعظم التقدير وأجل الأماني.. و التي إذا ما ظهرت على الساحة لا تلقى إلا صمتا يحمل معنى السلبية الأليمة والانسحاب في هدوء، وحسبنا أن نغطيها بأغطية التكافل وكأنها دعوة تائهة في أرض الغربة، لتظل الساحة الفكرية خاصة بالأنماط الثقافية الإقليمية مع أنماط النظم المحلية، وتظل الساحة تزخر بلغو فكر محلي جدا غير قابل للتطور، وغير قابل للتفاهم معه أو حتى تفهمه، وكأنه عملة أهل الكهف، غير قابل للتعامل.. تسوده نزوات انفعاليةملىء بالفحش والتنابز.. صيغته العامة الصراع مع كل فكر له أهداف قومية عليا، إقليمي يحمل عصبيات إقليمية.

.. تلك هى مهمات الفكر العربى، تقع بين قيم إقليمية متناقضة فإذا ما أرادت الأمة العربية أن تنهض نهضة حقيقية وترفع من شأنها بين الأمم، ويكون لها خطرها، فلا سبيل إلا بصحوة الخطاب الإعلامى العربى لينبهها إلى سبيل التوحد الحقيقى بأى شكل من أشكال التوحد المعروف فى النظم السياسية، ولتكن صيغة التوحد كما تكون حتى تعمل على تدارك الأزمات كما حدث فى أزمة الخليج، ويقى الأمة من النزعات الفردية، ونزعات التسلط، ونزعات التآمر الغادر.. ولا يتم ذلك إلا بالمصالحة بينها وبين صيغ العصر الحضارية، والمفهوم الإسلامى للأمة الإسلامية، فهل من الممكن أن يتكفل الخطاب العربى الإعلامى تلك الرسالة فى تنمية وحدة القبول لتقبل التوجهات الحضارية؟.

**الثالثة:**

## الإسلام والعروبة وجهان لحضارة واحدة

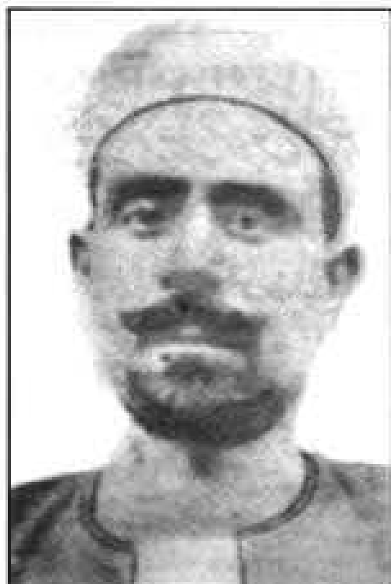
يشيع على الساحة الفكرية نوع من الضلال الثقافى الذى تشيع أنماطه فى عصرنا بين طائفة من المثقفين، كثيرا ما يفتعلون نقاشا غير مجد سوى قضايا أساسية صاغت تاريخنا وحضارتنا، وليس ذلك فحسب، بل هى التى صنعت هوية الإنسان العربى وصاغت سلوكه وقيمه ومازال، ومن لغوهم ما يثيرونه من جدل مفتعل، حول: «قضية الخيار بين الإسلام والعروبة».. وكنا نرى فى ذلك الجدل لغوا وتزييفا لاطائل من ورائه سوى العبث فى شئون الثقافة وشئون الفكر والتاريخ.. فمتى كان الإسلام ضد العروبة؟ ومتى كانت العروبة ضد الإسلام؟ ومتى كان التوحد الإسلامى يعمل ضد العروبة؟ ومتى كانت الوحدة العربية تعمل ضد الإسلام؟

فمن الضلال الثقافى أن نرى أمر الإسلام بيننا بات محل نقاش فى تأصيل الوحدة العربية. ومن العجب أن تلقى الثقافات الوافدة استقبالا عظيما وتوقيرا لدى دعاتها الذين يدعون إليها ولايرضون لأنفسهم وصفا إلا وصف أنفسهم برواد التنوير، وهم فى حقيقة الأمر ليسوا إلا مقلدين، فاتخذوا معيبات التبعية مزية ثقافية.. ومن مزيتنا الحضارية، معيبات ثقافية، يجوز حولها النقاش والجدل، فلا إسلام من غير عروبة، ولا عروبة من غير إسلام كيف تحدث جدلا حول مزية العربى الثقافية والحضارية؟ فأين كان العربى قبل الإسلام؟ وأين العرب الآن، بعد ما غابوا أو غيبهم الاستعمار عن الإسلام.

لاشك أن الفصل بينهما لعبة استعمارية بغيضة، تريد أن تضرب الوحدة الروحية فى صميمها، فيبوء قوم باسم الإسلام، ويبوء آخرون باسم العروبة. وتقسمنا الطائفية من جديد. ولكن بشكل مر واليم، وهذا بلا شك تآمر على الإسلام قبل أن يكون على العروبة وعدم وعى بهويتنا وتاريخنا، فليس من المعقول أن نضع الإسلام أمام خيار العروبة، وليس من المعقول أن نضع العروبة أمام خيار الإسلام.

إننا فى حيرة شديدة من تفجير قضية العروبة والإسلام وانقسام المفكرين حولها.. إنها غربة عانى منها المجتمع وعانت منها الوحدة الثقافية حين عصفت بها تيارات الأعاصير.. فهل من الممكن أن يتكفل الخطاب الإعلامى العربى برفع تلك الغشاوة عن أعين المثقفين ليعيد إلى الأذهان عوامل انصهار الوحدة العربية ويقيم شأن التضامن الإسلامى؟





# بين الخضر حسين و على عبد الرازق

# قضية وكتابان

## ٣

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

## الإسلام وأصول الحكم

بحث في

الخلافة والحكومة في الإسلام

تأليف

علي عبد الرازق

من علماء الأزهر وقضاة المحاكم الشرعية

« الطبعة الثالثة »

سنة ١٣٤٤ هـ — سنة ١٩٢٥ م

« حقوق الطبع محفوظة »

## نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم

تأليف

السيد

محمد الخضر حسين

أحد مدرسي جامع الزيتونة وقضاة المحاكم الشرعية بتونس سابقاً

القاهرة

**فى رد الشيخ محمد الخضر حسين -بكتابه (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم)- على الشيخ على عبدالرازق- عندما أصدر كتاب (الإسلام وأصول الحكم) سنة ١٩٢٥م- ألقى الشيخ الخضر الأضواء على دور التغريب، والإعجاب المفرط بالحضارة الغربية، فى ذلك الانحراف الفكرى، الذى جعل الشيخ على عبدالرازق يصور الإسلام: مسيحية يدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله!.. ويجعل الخلافة الإسلامية، دولة دينية -بالمعنى الكهنوتى الغربى- مثلت سلطان الاستبداد الدينى بالشعوب التى حكمتها..**

**يبصر الشيخ الخضر هذا العامل وهذا السبب من عوامل وأسباب هذا الانحراف الفكرى.. فينبه عليه.. ويتصدى لتفنيده بوعى وأدب واقتدار!..**



ولم يكن خلاف الشيخ الخضر مع هذا «النهج التغريبى» مجرد استمساك بفضيلة الاستقلال الفكرى، وفرط أنفة من التبعية لقوم غير مسلمين، كما قد يفهم البعض خطأ وقصر نظر..! وإنما كان وراء هذا الموقف.. فضلا عن أن فضيلة الاستقلال الفكرى هى السبيل الوحيد لرؤية الخصائص التى تمايز بين الحضارات، ومن ثم فإنها السبيل الوحيد لتحصيل الحقيقة وإدراك الصواب- كان وراء هذا الموقف المعادى لهذا «النهج التغريبى» «موقفا وطنيا» يدرك وظيفة هذا النهج التغريبى فى تكريس التبعية السياسية والعسكرية والاقتصادية المفروضة على وطن العروبة وعالم الإسلام من قبل أبناء الحضارة الغربية الغزاة المستعمرين.. فالتبعية الفكرية، هنا، تلعب دورا فاعلا وفعالا فى تأبيد وتأييد الاستعمار الذى يحول بين المسلمين وبين الحرية والنهضة والتقدم إلى الأمام!..

لقد كان الخضر: «شيخا- مجددا- مناضلا»..

فهو عالم ملتزم بأصول الشريعة ومقاصدها.. وهو مجدد، جعله تجديده مهتما بواقع المسلمين المعاصر، معنيا بالحلول الكافلة للأمة تجاوز سلبيات الواقع الذى تعيش فيه -وهو مناضل يدرك دور الشريعة والتجديد فى التصدى لأعداء الأمة، الذين يفرضون عليها القهر والعبودية والتخلف، ويحولون بينها وبين الحرية والقوة والانطلاق..

● **فهو، فى تونس، قد ناهض الاستعمار، الذى اضطره إلى الهجرة من وطنه الأول إلى الشام..**

● **وهو، فى الأستانة، يشارك فى العمل السياسى، ويضطلع بمهام فى السفارات الخارجية، تجعله على دراية بما يصنع الغرب وما يبيت لعالم الإسلام.**

● **وهو فى دمشق، يناضل الاستبداد، ويدخل السجن.. ثم يضطره الاستعمار الفرنسى- الذى هجّره من تونس- إلى الهجرة من دمشق إلى القاهرة.**

● **وفى القاهرة -وبصدد كتاب (الإسلام وأصول الحكم) -أبصر الرجل كم هى جليلة تلك الخدمة التى يقدمها للاستعمار كل من يدعو إلى تجريد الإسلام من طابعه ودوره السياسى، وتجريد الدولة، فى وطن المسلمين، من صبغتها الإسلامية، وتقديم الإسلام «دينا لا دولة، ورسالة روحية لا شرع فيها ولا سياسة.. ذلك أن المسلمين، فى ظل الاستعمار، إذا اهتموا «بمالله»، «وتركوا ما لقيصر لقيصر»، كان المستفيد الأول من ذلك هو الأجنبى، لأن «قيصر» هنا هو الاستعمار!.. «فعلمنة الإسلام» هى -فى حقيقتها- وبصرف النظر عن النوايا- تشريع يمنع الحرج والإثم عن ضمير المسلم- إن هو خضع لسلطان أجنبى أو سلطة غير إسلامية.. ومن ثم فإن اشتراط «أسلمة الدولة» و«أسلمة القانون» هو -فى الحقيقة- دعوة للمسلمين كى يثوروا فى سبيل حريتهم وتسويد شريعة الإسلام فى الوطن الذين يعيشون فيه!..**

أبصر الشيخ الخضر هذه الحقيقة الجوهرية، ونبه إليها وهو يرد دعوى الشيخ على عبدالرازق: «علمانية الإسلام»!

فهو عندما ينبه على تهافت أدلة الشيخ على عبدالرازق وحججه، يشبهها -ساخرا- بوعود الدول الاستعمارية وعهودها؟!.. فيقول عنه: «إنه تشبث بأوهى من عهد دولة استعمارية؟!»(١)

---

(١) الباب الثانى من الكتاب الثانى [ص١٥٩ من طبعة الأصل]







وعندما يستدل على عبدالرازق على أن محمدا ﷺ، كان رسولا مبلغا، ولم يكن حاكما منفذا، بأن «الرسالة» غير «الملك»، وبكلمة المسيح ـ عليه السلام ـ : «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، وبأن يوسف ـ عليه السلام ـ كان عاملا فى دولة لا تدين بدينه، ينبه الشيخ الخضر على مغايرة النهج الإسلامى لما سبقه من نهج فى هذا الأمر.. ويشير إلى الخطر البادى من استغلال هذه الدعوى فى تكريس انفراد «القيصر» المعاصر، الاستعمار، بالسلطة والسلطان فى عالم الإسلام..

فيقول: «لم يرض محمد بن عبدالله ﷺ أن يقيم تحت سلطان غير سلطان الله، ولم يرض لمعتنقى دينه الحنيف أن يستكينوا لسلطة غير إسلامية، وفرض الهجرة والجهاد على ما نقول شهيد. وما ينبغى للمؤلف ـ [على عبدالرازق] ـ أن يحشر فى غضون كتابه مثل هذه الكلمة ـ (أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ـ التى تقضى حاجة فى نفس المخالف المتغلب، وتبقى فى النفوس أثر الاستكانة إلى أى يد تقبض على زمامها»[2]؟!.. «إن محمدا بن عبدالله، صلوات الله عليه، لم يعترف بسلطة دار الندوة بمكة، وحاربها حتى خضد شوكتها واستأصل جرثومة فسادها، ولم يعترف بسلطة قيصر، وأخذ يعد ما استطاع من قوة ليدفع شره ويقوض دعائم ملكه..»[3].

كذلك، فإن الادعاء بأن الإسلام دين ليست به شريعة لسياسة الدولة والمجتمع، هو ـ وعينا أم لم نع ـ دعوة تمنح المشروعية لسلطان الأجنبى المتغلب وفلسفة قانونه الغريبة عن روح الأمة وهويتها الحضارية، ذلك أن «الإسلام يقصد من تأسيس الدولة الإسلامية أمرين:

**أحدهما**: إجراء أحكامه العادلة ونظمه الكافلة بسعادة الحياة، إذ لا يقوم عليها بحق إلا من آمن بحكمتها وأشرب قلبه الغيرة على تنفيذها.

**ثانيهما**: الاحتفاظ بكرامة أوليائه وإعزاز جانبهم حتى لا يعيشوا تحت سلطة مخالف يدوس حقوقهم، ويرفع أبناء قومه أو ملته عليهم درجات»؟![4].

والذين يجعلون الإسلام «دينا» لا «شرعا» سيهدرون، ضمن ما يهدرون، من «مقاصد الشريعة» مقصد «الجهاد»، الذى تجاوز كونه سبيلا «لحفظ الدين»، وأصبح، فى مواجهة الاستعمار الأجنبى السبيل الأول لحفظ مقاصد الشريعة كلها؟!.. ذلك «أن المقاصد التى تقصدها الشريعة السماوية ترجع إلى حفظ النفس، والدين، والعقل، والعرض، والنسب، والمال.

فالقصاص، مثلا، مشروع لحفظ النفس، وحد الزنا لصيانة النسب، وحد القذف لصيانة العرض، وعقوبة شارب الخمر لصيانة العقل، والجهاد لحفظ الدين. بل الاستعمار الأجنبى دل على أن الجهاد مشروع لحفظ الدين والنفس والعرض والمال»، ويرشد إلى هذا قوله تعالى:

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[5].

فللشريعة الإسلامية، فى الواقع الإسلامى، دور تحريرى.. وهى ليست مجرد نصوص!

---

(٢) الباب الثانى من الكتاب الثانى [ص١٣٦، ١٣٧ من طبعة الأصل].

(٣) الباب الثانى من الكتاب الأول [ص٣١ من طبعة الأصل].

(٤) الباب الثانى من الكتاب الثانى [ص١٤٦ من طبعة الأصل].

(٥) الباب الأول من الكتاب الثالث [ص٢٠٠ من طبعة الأصل]. والآية من سورة التوبة (٨).



ولقد كان طبيعيا للرجل الذى أدرك دلالة سيادة الشريعة وأحكامها على استقلال الأمة ودولتها، أن يبصر دلالة سيادة « الشريعة » الاستعمارية فى بلادنا على خضوعنا لهذا الاستعمار.. فأحكام الشريعة الإسلامية هى قانون الأمة الطبيعى، وفى سيادتها، بدلاً من الفلسفة القانونية للحضارة الغازية، مظهر من مظاهر الاستقلال.. « وإذا كانت القوانين الوضعية لا يخضع لها المسلمون بقلوبهم، ولا يتلقون القضاء القائم عليها بتسليم، كان تقريرها للفصل بينهم غير مطابق لقاعدة الحرية، إذ المعروف أن الأمة الحرة هى التى تساس بقوانين ونظم تألفها وتكون على وفق إرادتها أو إرادة جمهورها. فالشعوب الإسلامية لا تبلغ حريتها إلا أن تساس بقوانين ونظم يراعى فيها أصول شريعتها، وكل قوة تضرب عليها قوانين تخالف مقاصد دينها فهى حكومة مستبدة غير عادلة. فالذين ينقلون قوانين وضعها سكان رومة أو لندرة أو باريز أو برلين، ويحاولون إجراءها فى بلاد شرقية، كتونس، ومصر أو الشام، إنما هم قوم لا يدرون أن بين أيديهم قواعد شريعة تنزل من أفق لا تدب فيه عناكب الخيال أو الضلال، وأن فى هذه القواعد ما يحيط بمصالح الأمة حفظا، ويسير بها فى سبيل المدنية الراقية عنقا[6] فسيحا. ولو قيّض الله لشعوب هذه الأمة الإسلامية رؤساء يحافظون على قاعدة حرية الأمم لألفوا لجانا ممن وقفوا على روح التشريع الإسلامى، وكانوا على بصيرة من أحوال الاجتماع ومقتضيات العصر، وناطوا بعهدتهم تدوين قانون يقتبس من أصول الشريعة ويراعى فيه قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد. وبغير هذا العمل لا يملك المسلمون أساس حريتهم، ولا يسيرون فى سبيل سعادتهم آمنين »[7]!

فسيادة أحكام الشريعة فى الأمة، وهيمنتها وهيمنة فلسفتها بالمؤسسة القضائية الوطنية قسمة من قسمات « الاستقلال الحضارى »، بدونها ستظل سيادة الأمة منقوصة، وحريتها ناقصة، حتى ولو حققت « الاستقلال السياسى »، فأصبح لها « علم » و« نشيد »؟!..

ومن هذه « الزاوية النضالية »، وبهذا « المنطق التحريرى » أبصر الشيخ الخضر مهمة « الخلافة » الإسلامية، ودورها التوحيدى للأمة، ومردود هذا الدور وفعاليته فى مواجهة التحديات التاريخية التى فرضها الاستعمار الغربى على عالم الإسلام.. « فالخلافة لا تزيد على ما يسمى دولة، إلا أنها رابطة سياسية تجعل شعوبا مختلفى العناصر والقومية يولون وجوههم شطر رايتها بعاطفة من أنفسهم واختيار. ومن هذه الوجهة ينظر إليها بغاة الاستعمار بعين عابسة، ويحاول الغِرّ الذى ينخدع ببهرج آرائهم، أن يطوى رايتها ويمحو أثرها[8] »؟!..

لقد كانت الحصن الذى جمع المسلمين، على امتداد تاريخهم الطويل، فى مواجهة الغزاة.. وحتى فى لحظات ضعفها ومرضها، كانت « الرمز » الذى ظل الاستعمار على عدائه له وسعيه لمحوه، مخافة أن يتداركها التجديد والإصلاح فتعود حصنا للمسلمين، يجمع وحدتهم، ويحول بين الاستعمار وبين التهام أوطانهم واستنزاف ثرواتهم واحتلال عقلهم بفكرية التغريب!..

هكذا أدرك الشيخ الخضر خطر دعوى « علمانية الإسلام » على قضية القضايا بالنسبة للأمة.. قضية: رفضها لسلطان الأجنبى، ونهوضها لانتزاع حريتها من الاستعمار.

---

(٦) العَنَق- بفتح (العين والنون) هو السير السريع.

(٧) الباب الثالث من الكتاب الثالث [ص٢٤٣، ٢٤٤ من طبعة الأصل].

(٨) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص٨٧ من طبعة الأصل].




# محمد  فى كتابات المستشرقين

## ٧

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى

كنا قد أشرنا فى نهاية المقال السابق إلى أننا اكتفينا بما تقدم فى المقالين الأخيرين، فى الرد على مقولة المستشرقين: «إن محمداً صادق، لكن رسالته كاذبة»!

لكننا تلقينا رغبات من بعض القراء والمعارف، باستمرار الرد على هذه المقولة؛ لأنها أغرب فرية يفترونها على رسالة محمد ﷺ.

ونزولاً على هذه الرغبات نواصل الحديث فى هذا المقال، وربما الذى يليه، على دحض هذه الفرية الغريبة بكل اعتبار.



ومدخلنا في الحديث في الرد عليها الآن، هو المقارنة بين حديث القرآن ( رسالة محمد ) وحديث الكتاب المقدس بعهديه، عن مواضيع اشترك كل من الكتب الثلاثة في الحديث عنها.

التوراة - الأناجيل - القرآن، ولن نحتكم إلا إلى العقل والواقع، في إثبات صدق رسالة محمد ﷺ سواء في ذلك مواضع الاتفاق بين الكتب الثلاثة، ومواضع الاختلاف بين القرآن ( رسالة محمد ) وبين العهدين القديم والجديد. وسوف نرى أن الصدق - دائماً - هو ما ورد في القرآن، إذا كان ما في عهدي الكتاب المقدس يخالف ما ورد في القرآن وذلك بدلالة العقل الحاسمة، والواقع المشاهد والمحسوس.

## متى يكون البعث؟..

لكن هذه «الفكرة» هي موضوع المقارنة الآن بين ما ورد عنها في «الأناجيل» وما ورد في «القرآن» أما التوراة وملحقاتها، فلا يكاد يرد فيها شيء عن الحياة الآخرة عموما، فضلا عن الحديث عن البعث والنشور، فلننح التوراة وملحقاتها جانبا من هذا المجال.

أما الأناجيل فهي محط المقارنة لنا بين ما ورد فيها وما ورد في القرآن.



والذي ورد في الأناجيل عن: متى يكون البعث؟ فهو الآتي:

«هؤلاء الإثنا عشر، أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، وفي ما أنتم ذاهبون كرروا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات.. إن الحق أقول لكم لا تكملوا مدن إسرائيل، حتى يأتي ابن الإنسان».. إنجيل: ١٠: ٥-٧-٢٣[1].

«الحق أقول لكم: إن من القيام ها هنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته».. إنجيل متى: ١٦-٨، وإنجيل مرقص: ٩-١، وإنجيل لوقا: ٩-٢٧.

بحسب ما ورد في هذه الفقرة في الأناجيل الثلاثة المذكورة فإن المسيح عيسى - عليه السلام - كان يجزم أن نهاية العالم ستأتي، وبعض من كان يعيش حين قال المسيح هذه العبارة سيدرك في حياته نهاية العالم، وهذا ما يفيده قوله:

«إن من القيام ها هنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته»؟!.

وليس ما تقدم هو كل ما في هذه الأناجيل الثلاثة عن اقتراب فناء العالم في حياة المسيح في أقل من مائة سنة، بل إن هذه الأناجيل روت فقرات أخرى أكثر وضوحا في هذا المعنى.

فقد جاء في الأناجيل الثلاثة الفقرة الآتية:

«فيما هو جالس على جبل الزيتون، تقدم إليه التلاميذ - يعني الحواريين - على انفراد قائلين: قل لنا: متى يكون هذا، وما علامة مجيئك وانقضاء الدهر، فأجاب يسوع وقال للوقت بعد ضيق تلك الأيام، تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه،

(١) مجيء ابن الإنسان في العهد الجديد (الأناجيل) كناية عن نهاية العالم، وكذلك مجيء «ملكوت الله».





والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماء تتزعزع، وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء، ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير.

الحق أقول لكم: لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله»[2].

ومعنى هذا: أن المسيح - عليه السلام - حسب هذه الروايات حدد نهاية العالم بأقل من أعمار الجيل الذي كان يعيش وقت أن قال هذا الكلام، وبمقتضى هذه التنبؤات الإنجيلية كان ينبغي أن يفنى العالم، وتزول الحياة الدنيا، وتحل محلها الحياة الأخرة منذ تسعمائة وألف سنة مضت على الأكثر؟؟!...

ولكن الحياة الدنيا ماتزال قائمة حتى الآن، وإلى أجل لا يعلمه إلا الله علام الغيوب.

ومن الملاحظ لمن له اطلاع على الأناجيل أن إنجيل يوحنا قد خلا تماماً من هذه التنبؤات التي وردت في الأناجيل الثلاثة: (متى - مرقص - لوقا) فهل لذلك من سر يا ترى؟!..

الجواب في العبارة الآتية:

«أما إنجيل يوحنا، فقد كان هو الوحيد الذي تجنب هذا المازق الخطير، لأن هذا الإنجيل كُتِبَ في مطلع القرن الثاني (الميلادي) بعد أن تبين للناس عدم عودة المسيح سريعاً إلى الأرض»[3].

لقد استفاد يوحنا من أخطاء سابقيه، وإنجيله آخر الأناجيل تدويناً، ولما رأى أن تنبؤات متى ومرقص ولوقا لم تتحقق، عزف عن محاكاتهم فلم يذكر هذه التنبؤات في إنجيله، ولو كان قد أثبتها لكان خطؤه أفحش من أخطائهم، لأنهم أسبق زمنا من توقُّعْ حدوث نهاية العالم، ويوحنا كتب إنجيله بعد زمن توقُّعْ حدوثها. فهو مكره لا بطل، والقديس بولس كان يعتقد هذا الاعتقاد قبل متى ومرقص ولوقا، واضعي الأناجيل الثلاثة المسماة بأسمائهم، كان يعتقد أن نهاية العالم ستحدث وهو حي. وفي ذلك يقول:

«إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب (يعني: المسيح) لا نسبق الراقدين (يعني الأموات)؛ لأن الرب نفسه (يعني: (المسيح) سوف ينزل من السماء، والأموات في المسيح سيقومون أولاً، ثم نحن الأحياء الباقون سنخطف جميعاً معهم لملاقاة الرب في الهواء»[4].

كل هذه النصوص (المقدسة) قد أجمعت على أن نهاية العالم كانت ستكون في القرن الأول الميلادي ومضى - حتى الآن - عشرون قرناً ميلادياً، والعالم موجود، بل هو يزداد وجوداً قرناً بعد قرن، ولم يحظ، ولن يحيط بنهاية العالم أحد.

## تعقيبات على تلك الروايات

إن الغربيين أنفسهم، قبل أي مخالف لهم في العقيدة، قد نقدوا روايات الكتاب المقدس (الأناجيل) التي تقدم ذكرها. وهذا أمر طبيعي،

---

(2) متى: (24/3 - 29/34) مرقص: (13/3 - 24/30) لوقا: (21/7 - 10/32)

(3) الإسلام والأديان الأخرى (135) لواء مهندس/ أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى 1998م

(4) رسالة تسالونيكي لبولس (4/15 - 17).





لأن كتاباً يوصف بأنه «مقدس» ينبغي أن يخلو تماماً من الأخبار أو التنبؤات الباطلة. وإليك نموذجين من ذلك النقد، فهذه دائرة المعارف البريطانية تكتب تعقيباً على ما جاء في أناجيل متى ومرقص ولوقا، من روايات عن السيد المسيح ـ عليه السلام ـ بفناء العالم في القرن الأول الميلادي فتقول:

«إن الاعتقاد في المجيء الثاني للمسيح، كان دائماً هو المعتقد الشرعي للمسيحيين. وبالرغم من ذلك فإن نهاية العالم لم تحدث!!..

وحتى لو حدثت الآن، فإنها لن تكون تحقيقاً لما هو مكتوب في العهد الجديد، لأن ما كان منتظراً هو النهاية الوشيكة؛ للعالم»[٥].

هذا النقد ـ على قصره ـ ذو مغزى خطير الشأن وتأمل قول الدائرة:

«وحتى لو حدثت الآن، فإنها لن تكون تحقيقاً لما هو مكتوب في العهد الجديد».

وذلك لأن الأناجيل الثلاثة حددت لنهاية العالم عمر جيل واحد، هو الجيل الذي كان فيه المسيح ـ عليه السلام ـ ولكن الزمن تجاوز هذا التحديد، الذي نسبته الأناجيل الثلاثة لعيسى ـ عليه السلام ـ وبهذا فقدت تنبؤات تلك الأناجيل محتواها. وأصبح وجودها مسطوراً في أسفار العهد الجديد آفة خطيرة، بالنسبة لـ «قدسية» تلك الأناجيل.

ويقول (وليم باركلي) تعليقاً على كلام القديس بولس هذا: «عندما كتب بولس هذا، فمن الواضح أنه كان يتوقع المجيء الثاني للمسيح أثناء حياته (يعني حياة بولس) وحياة أولئك الذين كان يكتب لهم، وهو يكتب في الرسالة الأولى لأهل تسالونيكي (٥/٢٣) أنه يصلى لله لكي تحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء الرب يسوع (المسيح).

إن الشيء ذا المغزى الخطير هنا هو ذكر الجسد، فمن الواضح إذاً توقع بقائهم في الجسد عند عودة المسيح، أي أنه توقع عودة المسيح أثناء حياتهم وحياته»[٦].

وباركلي وإن لم يكن حاسماً في التعليق على كلام القديس بولس، فإن عبارته:

«إن الشيء ذا المغزى الخطير هنا، هو ذكر الجسد».. وباركلي كتب هذا الكلام سنة ١٩٥٨م. في لندن. ومعنى هذا أنه كان يريد تسجيل ذلك الخطأ الواضح الذي وقع فيه القديس بولس. ولعل كلامه هذا هو الذي أوعز إلى كتبة الأناجيل الثلاثة: (متى ومرقص ولوقا) بذكر التنبؤات التي مر بنا ذكرها من قبل، ولا غرو فإن بولس هذا قد أحدث إضافات كثيرة في الإيمان المسيحي. حتى عده بعض علماء اللاهوت، صاحب مسيحية جديدة، مغايرة لمسيحية عيسى ـ عليه السلام.



هذه هي فكرة «نهاية العالم» في «العهد الجديد» شطر الكتاب المقدس، ويجوز لنا أن

---

(٥) دائرة المعارف البريطانية (٢/٥٢٣) وانظر: (الإسلام والأديان الأخرى (١٣٧) لواء مهندس/ أحمد عبد الوهاب.

(٦) يُنظر (الإسلام والأديان الأخرى).. مرجع سبق ذكره.



تسميها: «رسالة المسيح ـ عليه السلام ـ كما رسمتها الأناجيل، في مقابلة رسالة محمد ﷺ التي يصفها المستشرقون بأنها رسالة كاذبة!!..

والفكرة كما عرضتها الأناجيل الثلاثة: متى ومرقس ولوقا إذا عرضناها على حكم العقل والواقع، حكما برفضها بلا تردد.

وعيسى ـ عليه السلام ـ رسول صادق مصدق، لا يمكن أن يصدر عنه أخبار أو تنبؤات غير صادقة، حاشا لله.

وهذا يسلمنا إلى نتيجة لا مفر منها، وهي أن عيسى ـ عليه السلام ـ لم يصدر عنه ما نسبته إليه الأناجيل الثلاثة، لأنه لا يقول إلا حقاً وصدقاً.

وهذه النتيجة ملزمة لكل من كان له عقل، وملزمة لرجال اللاهوت المسيحي، وهي من عويصات المشكلات لديهم، وكان حرياً بالمستشرقين، الذين وصموا رسالة محمد ـ ﷺ بالكذب، أن يقفوا أمام هذه «المشكلات الخطيرة» التي تتصل بالنصوص المقدسة عندهم.

أجل: إنها مشكلة عويصة، لأنها إذا ظلت تذكر في أسفار العهد الجديد، كانت سُبَّة فيه.

وإذا حذفوها كان هذا إقراراً منهم بأن «الكتاب المقدس قد ناله التحريف».

أمران أحلاهما مر، إن كان فيهما «أحلى».

## فكرة نهاية العالم في رسالة محمد ﷺ

رسالة محمد ﷺ هي «القرآن»، ولما وصف المستشرقون رسالة محمد بأنها رسالة كاذبة، كانوا يقصدون القرآن!!..

وها نحن قد فرغنا من فكرة نهاية العالم في الأناجيل (رسالة المسيح كما تصورها أسفار العهد الجديد) وعرفنا حكم العقل فيها: أنها لا يمكن أن تكون صادقة، ونفي الصدق عنها لا يرجع إلى رسالة عيسى الحقة، كما أرسله الله بها، ولكن باعتبار الأقوال المنسوبة إليه افتراء عليه.

ونريد هنا أن نذكر ما قاله القرآن الكريم عن نهاية العالم الدنيوي، لنرى هل ورد فيه ما ليس حقاً ولا صدقاً، بمقياس العقل، والواقع، وحقائق الإيمان الصحيح.

نذكر النصوص القرآنية في هذا الشأن، أو بعضاً منها، ثم نواجه المستشرقين. الحاقدين الذين أعماهم العناد، وسيطر عليهم الحقد، فألبسوا الحق ثوب الباطل، وألبسوا الباطل ثوب الحق، وألغوا عقولهم لينالوا من القرآن. وهيهات هيهات ما يريدون:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٧).

في هذه الآية إلحاح من الناس، في سؤال محمد ﷺ عن الساعة متى تكون؟.

وفيها توجيه من الله لرسوله أن يكون جوابه على هذا السؤال الذي كرره السائلون، هو نفي أن يكون هو عالماً بها. وأن من يعلم بها هو الله وحده.

---

(٧) الأعراف (١٨٧).

وقد ورد هذا المعنى مؤكداً مكرراً:

﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾.

﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾.

﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾.

﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ ﴾.

إسناد علم الساعة إلى الله وحده جاء في هذه الآية مؤكداً بأسلوبين من أساليب التوكيد في البيان العربي.

**أولهما**: التكرار أربع مرات.

**والثاني**: أسلوب القصر في ثلاثة مواطن:

﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾ فعلم الساعة مقصور، وكونه عند ربي مقصور عليه.

﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾ فتجلية وقت الساعة مقصور و «هو» مقصور عليه.

﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ ﴾ فعلم الساعة متى تكون، مقصور، و ﴿ اللَّهِ ﴾ مقصور عليه.

وجميع أساليب القصر عادة من جملتين:

الجملة الأولى تفيد نفي المعنى عن شيء.

والجملة الثانية تفيد إثبات ذلك المعنى لشيء آخر.

وفي جمل القصر الثلاث تحقق هذا البيان، فكل جملة منها تنفي عن «غير الله» أن يكون له علم بالساعة متى تكون، ثم تثبت هذا المعنى لله على جملة «الاختصاص» الذي لا يقبل اشتراك أي طرف آخر فيه.

هذا خلاصة القول في آية الأعراف وبقيت آيات أخرى كثيرة، معناها معنى آية الأعراف. منها قوله تعالى:

﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾(٨).

أجملت هذه الآية ما فصلته آية «الأعراف» حيث قصرت العلم بوقت ومجيء الساعة على الله وحده دونما سواه من جن أو إنس، أو ملائكة.

ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾(٩).

في هذا الحوار الحكيم، ألقن القرآن منكري البعث حجرا غليظا، ودحض شبهاتهم في إنكار البعث ثم ترى هؤلاء الخصوم قد سألوا صاحب الرسالة سؤالا تفوح منه رائحة السخرية والامتعاض يسألون صاحب الرسالة: متى تكون تلك الإعادة؟

وإذا بالجواب يأتيه من علام الغيوب:

﴿ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾.

---

(٨) الأحزاب (٦٣).

(٩) الإسراء (٥٠، ٥١).

مُبهَمة مخيفة، مبهمة لأنها لم تحدد مثلما تورط كتبة الأناجيل لم تحدد الزمن الذى تكون فيه.

ومخيفة، لأنها لوحت باحتمال قربه، لكن هذا القرب ـ نفسه ـ محوط بسحابة كثيفة من الضباب القاتم، لا لشيء، إلا لأن علم قيام الساعة لا يحيط به إلا الله ـ عز وجل ـ ولا ينبغى لأحد غير الله أن يكون لديه إدراك له.

وقوله عز وجل:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾(١٠).

وفى هذه الآيات ينفى القرآن أن يكون لمحمد ﷺ أدنى معرفة بوقت قيام الساعة. ثم يعود البيان القرآنى إلى حسم الموضوع فيقول:

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾.

وهو تركيب قصر طريقه التقديم والتأخير: تقديم ما حقه التأخير، وهو «إلى ربك» ثم تأخير ما حقه التقديم، وهو «منتهاها» لأنه مسند إليه «مبتدأ» فحقه التقديم، ولكنه أخر.

و﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ مسند (خبر) وحقه التأخير فقُدِّمَ وكان الأصل أن يقال: منتهاها إلى ربك، لكن حدث ما حدث فى نظام بناء الجملة، ليكون المعنى: إلى ربك لا إلى غيره منتهاها.

ولو قيل: منتهاها إلى ربك، ما أفاد هذا المعنى القصرى، الذى تقدم بيانه.

هذا هو موقف رسالة محمد ﷺ من وقت قيام الساعة متى يكون لم تحدد هذه الرسالة المعصومة من الخطأ زمنا معينا لقيام الساعة، ونهاية العالم.

ولم يقتصر هذا على ما ورد فى القرآن وحده، بل إن السنة النبوية الشريفة «الحديث النبوى» نهجت منهج القرآن فى متى تقوم الساعة.

ونكتفى ـ منها ـ بالحديث الذى رواه عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ الذى مثل فيه جبريل أمام النبى ﷺ مثول المتعلم من العالم، وأخذ يسأله والرسول يجيب، ليعلم الناس دينهم كما ورد فى الحديث فى هذا الحديث الجامع سأل جبريل ـ عليه السلام ـ محمداً ﷺ فيما سأل ـ:

«متى الساعة؟ فقال ﷺ: ما المسئول عنها

---

(١٠) النازعات (٤٢:٤٤).

بأعلم من السائل. المسئول هو محمد ﷺ والسائل، هو جبريل ـ عليه السلام ـ.

والأصل في السائل أن يسأل عن أمر هو به جاهل، أما المسئول فهو من يعتقد السائل أنه عالم بما السائل به جاهل.

ولما كان جواب المسئول، وهو محمد ﷺ «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» أفاد هذا الرد البليغ أن كلا من المسئول «النبي» والسائل «جبريل» يستويان في عدم العلم بالمسئول عنه، وهو: وقت قيام الساعة، ونهاية الحياة الدنيا وهكذا تتفق مصادر رسالة محمد ﷺ، وهما الكتاب والسنة، في تبهيم الوقت الذي تقوم فيه الساعة، وتنتهي الحياة الدنيا:

فلا القرآن حدد لها زمنا معينا.

ولا الحديث النبوي حدد لها زمنا معينا وبذلك سمت رسالة محمد فوق كل طعن أو نقد. ولم توقع أتباعها في حرج حاد كالسيف يطيح بالأعناق ولم تترك ثغرة لمثل دائرة المعارف البريطانية في تسجيل أخطاء، أو رصد أكاذيب ولا لمثل وليم باركلي ناقد رسائل القديس بولس ولا أحوجت أتباعها لوضع رؤوسهم في الرمال حرجا وخزيا، وسيظل هذا شأنها حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

والآن، وقد فرغنا من هذه المقارنة الحاسمة بين ما ورد في رسالة عيسى ـ عليه السلام ـ كما صورتها الأناجيل، ووضع أسسها القديس بولس وبين رسالة محمد ﷺ، كما وردت في كتاب الله العزيز، وفي حديث رسوله الكريم.

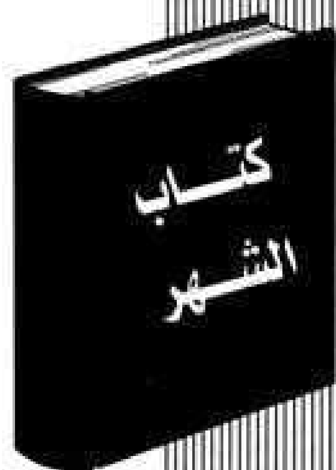
جرت هذه المقارنة حول وضع قيام الساعة ونهاية العالم في الرسالتين.

وبعد هذه المقارنة نتوجه إلى السادة المستشرقين الذين وصموا رسالة محمد ﷺ بالكذب نتوجه إليهم ـ بكل هدوء ـ بهذا السؤال، دون أن ننتظر منهم جوابا:

أين تجدون الكذب في الإخبار عن نهاية العالم؟

نترككم تسمعون أنفسكم «الجواب»، أما نحن فلسنا في حاجة أن نسمع منكم شيئاً.

***




# سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

## لابن إسحاق

للدكتور

## محمود علي مراد

٣

عرض وتقديم

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

**يؤكد الدكتور مراد بما قدمه في رسالته العلمية، وتقوم على نقد كتاب ابن إسحاق في سيرة الرسول ﷺ أنه يعني بالنقد تلمس الأخطاء والعيوب، فإن لم يجد ما يملأ به صفحات الرسالة اخترع من الأكاذيب ما يتمكن به من جعله عيوبا وأخطاء، فهو إنما يقصد إلى هدم الكتاب من مبتدئه إلى منتهاه، ليحقق الغاية المطلوبة منه، وهي نسف السيرة النبوية، كما أوضح ذلك في كتابه المرسل إلى الأستاذ الدكتور ابراهيم عوض، والذي سبق التنويه به فيما تقدم.**

**ولكي يحقق الدكتور ذلك رفض، من غير أي سند، أن تبدأ الدعوة إلى الإسلام سرا ورفض أن يعاني محمد من حرب قريش له، ورفض أن ينهض أبو طالب ليحمي ابن أخيه، ورفض أن يقبل محمد ﷺ حماية عمه.. إلى آخر تلك القائمة المستفيضة من المرفوضات، التي لا سند له في واحد منها سوى أن عقله لا يقبل ذلك، وأن خياله لا يستطيع أن يراه، فكل ذلك إنما اخترعه ابن إسحاق ليدعم حكم العباسيين بتعظيم بني هاشم، الذي يعني بالضرورة، كما يرى، الحط من شأن الأمويين.**

**ومن هنا بذل جهدا كبيرا ليختلق الفروض الخيالية التي تدعم تلك الرحلة الرافضة مع كتاب ابن إسحاق.**

## الحماية دستور قبلي.. يحترمه الجميع

وكان من أبرز ما رفضه عقل الدكتور أن ينهض أبو طالب بحماية ابن أخيه، على الرغم من بقائه على دين آبائه!

ولو أن الدكتور - وهو في مجال البحث العلمي - حلق بعقله بعيدا عن جنيف أو باريس، وأطل من عليائه على المجتمع المكي في زمن البعثة، لعرف أن مبدأ الحماية والإجارة - في أبعاده المختلفة - كان من أهم القيم القبلية التي تقوم عليها الحياة، فكان دستورا غير مكتوب، يدين به الجميع دون أي تردد، وأنه يعني التزام القبيلة بحماية أبنائها، وحماية من يستجير بواحد من أبنائها، أيا كان هذا المجير في القبيلة، وأيا كان المجار، بحيث ينهض المجير بإعلان ذلك، حتى يلتزم الآخرون من قبيلته ومن القبائل الأخرى بعدم الاعتداء عليه، بل وبحمايته من أي عدوان، وإلا كان التقاطع الذي قد يؤدي إلى نشوب الحرب.

ولعرف أن هذه القيمة القبلية هي التي أفرزت الوصاة المأثورة: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» التي جاء الإسلام فعدل من مفهومها فيما بعد.

ولتبين له أن من هذا المنطلق القبلي جاءت عبارة أبي طالب لمحمد حين صادفه متلبسا بالصلاة هو وعلي في أحد شعاب مكة: «اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء تكرهه أبدا»، مؤكدا أن مكانه منه ومن عشيرته لم يتغير بسبب ما جاء به.

وأن أبا طالب لم يكن وحده - بين قريش - هو الملتزم بهذا المبدأ الدستوري، فقد تضمنت سيرة ابن إسحاق مواقف عديدة تشبه موقف أبي طالب

مع ابن أخيه، فقد ذكر أن رجالا من مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد - حين أسلم أخوه الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن ربيعة، وجمع آخر - فقالوا له وقد خشوا شره: إنا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذى أحدثوا، فإنا نأمن بذلك فى غيرهم. قال: هذا فعليكم به فعاتبوه، وإياكم ونفسه: ثم قال: احذروا على نفسه، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلا. فقالوا: اللهم العنه، من يُغرر بهذا الحديث؟ فوالله لو أصيب فى أيدينا لقتل أشرفنا رجلا، فتركوه ونزعوا عنه[1] فإن الدارس العقلى المنصف حين يتلقى مثل هذا الخبر لا يملك إلا أن يسلم بأن القوم جميعهم كانوا على تلك القيمة - أو المبدأ الدستورى - التى تفرض عليهم حماية أبنائهم من أى معتد، لأن فى الاعتداء عليه امتهانا للقبيلة نفسها، وعدوانا صريحا عليها، يمكن أن ينشأ عنه خلل فى البناءالاجتماعى، واضطراب فى النظام العام، تشتعل بسببه حروب وقلاقل لا حدود لها، مهما كان الدافع لهذا الاعتداء.

بل إن قيمة الحماية لم تكن وقفا على حماية القبيلة أبناءها، إذ كانت تمتد للالتزام بحماية من يجيره واحد من أفرادها، والعرب جميعهم كانوا يرون هذه القيمة من أبرز القيم التى يعتزون بها، ويحافظون عليها بشتى الطرق، ويفخرون بها، حتى كانوا يأنفون من رفض إجارة من يطلب الإجارة، أنفة تبلغ بهم درجة الانتقاص والعيب، حتى إنه ليكفى أن يجير الواحد منهم إنساناً، ليصبح هذا الإنسان المجار فى مأمن تام، كأنه واحد من أفراد قبيلة المجير، دون نظر إلى معتقده، أو سلوكه الشخصى. كما كان يكفى أن يطلب الواحد من شخص إجارته، فلا يملك أن يرفض طلبه، حتى لو كان على خلاف معه، إذ يعد ذلك شينا له، وانتقاصا من مكانته، وجبنا عن حماية من يستجير به.

١- فهذا عثمان بن مظعون، المسلم العائد من الحبشة، يتوقع ماينتظره على أيدى سفهاء قريش، فيدخل فى جوار الوليد بن المغيرة- ونعلم جميعا من يكون الوليد بن المغيرة فى محاربة الإسلام والمسلمين- ويظل فى أمان من أى معتد إلى أن يرد على الوليد جواره، فيذهب الوليد عندئذ إلى مجتمع القوم ليعلنهم بذلك، كما أعلنهم من قبل أنه أجاره[2].

٢- وهذا أبوسلمة بن عبدالأسد يدخل فى جوار أبى طالب، فيعلن أبوطالب حمايته إياه، حتى إن رجالا من مخزوم مشوا إليه قائلين: ياأباطالب ماهذا؟ منعت منا ابن أخيك محمداً، فما بالك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال: إنه استجار بى، وهو ابن أختى، وإن أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى.

فقام أبولهب فقال: يامعشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ- يعنى أباطالب- ماتزالون تتواثبون عليه فى جواره من بين قومه، والله لتنتهُن عنه أو لنقومن معه فى كل ما قام فيه،

---

(١) سيرة النبى لابن هشام: ١/٣٤٢، ٣٤٣.

(٢) السابق: ١/٣٩١.

حتى تبلغ ماأراد. فقالوا: بل ننصرف عما تكره ياأباعتبة- يعنون أبالهب- وكان لهم وليا ناصرا على رسول الله ﷺ[3].

٣ـ وهذا أبوبكر حين خرج مهاجرا إلى الحبشة، ثم بدا له العود، دخل في جوار ابن الدغنة- أخي بني الحارث بن بكر- فلم تمتد له يد بأذى، إلى أن ضج القرشيون من صلاته في مسجده خارج منزله، وخشوا أن يؤثر في صبيانهم ونسائهم- فمشوا إلى ابن الدغنة يطلبون منه أن يكف أبابكر عما يصنع... إلى آخر القصة[4].

ترى.. لم يقف الدكتور مراد على هذه الاستجارات والإجارات، فلم يقف على مكان ذلك من القبيلة، أم وقف عليه، وضمه إلى حماية أبي طالب لمحمد ﷺ في ضمن ما اصطنعه ابن اسحاق واختلقه من الأحداث والمواقف، استجابة لفلسفته العباسية- أو تزويره العباسي- وأن ولاءه لأبي جعفر المنصور كان دافعه إلى تزوير ذلك ليخفي به أكاذيبه.

إن ابن اسحاق إذا كان في تزويره على هذه الدرجة من الوعي، والقدرة على التمويه لهو أبرع من معدي السيناريوهات الأمريكان، الذين يشهد لهم جميع العاملين في الحقل السينمائي والسياسي بالبراعة والتفوق.

أم لعلك ترى أن أثر الفلسفة العباسية على ابن اسحاق كان مقصورا على اختراعه قصة أبي طالب وحمايته ابن أخيه على وجه الخصوص؟!

واضح جلي أنه لا هذا ولاذاك، وإنما هو إفراز التوجه الصليبي، وأثر فلسفة التلمذ على المستشرقين الاستعماريين، ومحصلة الافتتان بمناهج الأوربيين المتعصبين في معالجة التاريخ الإسلامي والقضايا الإسلامية معالجة تقوم على طمس الحقيقة وإنكارها ـ أو التشكيك فيها ـ بشتى الحجج الواهية، المتظاهرة بالمنهج العلمي، والمتخفية في ثوب الدفاع عن الحقيقة، والبحث العلمي الجاد وتجلية الإسلام الحق.. إلى غير ذلك من الشعارات.

إن حماية أبي طالب وعشيرته لابن أخيه ـ مع بقائهم على دين آبائهم ـ مثل حماية هشام بن الوليد لأخيه، مثل حماية الوليد بن المغيرة لعثمان ابن مظعون مثل حماية أبي طالب لأبي سلمة، مثل مناصرة أبي لهب لأخيه في ذلك، مثل حماية ابن الدغنة لأبي بكر.. كلها سلوك قبلي مفروض، يصدر فيه الفرد والجماعة عن قيمة مقررة، لها مكان الدستور غير المكتوب من نفوسهم جميعا، بحيث يدرك كل فرد منهم أنه لو قصر فيها لحقه من المذمة والعار ما يظل عالقا به طوال حياته، ويظل يلاحقه ويلاحق عشيرته بعد مماته.

ولكن يعمى البصر ويصم الأذن، ويغفل العقل، فلا يرى إلا حماية أبي طالب ابن أخيه، ولا يسمع إلا عبارته لمحمد، ولا يتنبه إلا إلى موقف أبي طالب وحده مع محمد على طريق تلك القيمة القبلية، فيتمحل ليلصق بابن إسحاق تهمة الاختلاق والتزييف!

(٣) السابق: ٢٩٣/١.

(٤) السابق: ٢٩٤/١.

ولو قصد الحقيقة لتأني، فرأى، وسمع، وعرف أن ما نسبه ابن إسحاق إلى أبي طالب ليس فيه خروج على المألوف، ولا شذوذ عن القاعدة العامة، ولا افتئات على العرف السائد.

## ابن إسحاق عميل عباسي أم علوي؟!

وقبل أن نواصل النظر فيما وقف أمام عقل الدكتور مراد دون قبول حماية أبي طالب ابن أخيه.. نعرض لأمر عجيب - وكل أمور الدكتور في رسالته تثير العجب - كان من الأسباب التي جعلت الدكتور يرفض تلك الحماية، ويعدها من مخترعات ابن إسحاق.. وذلك أنه يرى أن ابن إسحاق اخترع ذلك - في ضمن ما اخترع - ليدعم الحكم العباسي، ويروج له.

ويرى أن ذلك المخترع كان من الأهمية لابن إسحاق بمكان، حيث جشم نفسه عناء التمهيد له بعدة مخترعات أخرى، بادئا باختراع سرية الدعوة، واضطهاد قريش محمد، وسعيهم لمنعه من مواصلة دعوته ثم الوصول إلى اضطرار أبي طالب لحمايته، والعمل على تضخيم دور أبي طالب في حماية ابن أخيه، حتى يخيل إليّ أن دكتورنا الفاضل يهيئ ابن إسحاق لنيل الجائزة العالمية في الإبداع القصصي، والإخراج السينمائي، إذ كيف ساغ الدكتور وأساتذته أن ينسبوا كل تلك الأحداث إلى افتراءات وأكاذيب ابن إسحاق، مغفلين أن ابن إسحاق هذا لم يكن منقطعا عن أمته - بما تضم في هذه الآونة من علماء جادين يبحثون في شتى مجالات العلم خدمة للقرآن والسنة - ولا كان فارق الزمن بين وقت وقوع هذه الأحداث ووقت تلفيقها واسعا للدرجة التي لا يتوقع معها وجود من يكشف كذبه، حيث لم يثبت أن أحدا تحدث عن هذا الزيف، أو ناهض هذا الاختلاق، إلى أن ظهر الدكتور مراد بعد أكثر من اثني عشر قرنا ليكشف ذلك التزوير والاختلاق بمعاونة أستاذه السربوني، بعد أن ظل عاجزا عن إتمام رسالته الأولى خمسة وعشرين عاما!

ولو أن الدارس أنصف نفسه، وسعى إلى التعرف على الحقيقة ليقدم دراسة يستحق بها درجة الدكتوراه... لرأى أن هذه الفرية التي أبى إلا أن يلصقها بابن إسحاق، تحمل إعلانا بارزا يصرخ: إن من يدعي على ابن إسحاق فرية الاختلاق، هو نفسه المختلق المزيف، وأن ابن إسحاق ما ذكر إلا الصواب، لأن قصة الحماية لو كانت من اختلاق ابن إسحاق لجلبت عليه غضب أبي جعفر المنصور وصحبه، ولعرضته لأخطر أنواع العقاب، إذ كيف يعيش في كنف العباسيين، ويوهمهم بأنه يخترع قصصا لدعم سلطانهم - مستهينا بغضب صاحب السيرة ﷺ فإذا بتلك القصص لدعم العلويين الخصوم المائلين للعباسيين في ذلك الوقت، حيث يتجشم كل هذه العقبات ليصنع قصة من نسج الخيال تقول إن فضل حماية الرسول ﷺ يرجع إلى أبي طالب جد العلويين أو ليس أبو طالب هذا والد علي بن أبي طالب، والد

العلويين الذين كانوا يمثلون - في ذلك الوقت - القوة الأخطر على العباسيين، فهم الذين كانوا ينازعونهم السلطة، بعد التخلص من الأمويين؟!

أم إن الدكتور مراد يرى أن أبا جعفر المنصور ومن معه من قادة العباسيين كانوا من الغفلة بالدرجة التي لا يستطيعون معها كشف ما في مخترعات ابن إسحاق من التنويه بأحقية العلويين في الخلافة، ودفعهم إلى مقارعة العباسيين لانتزاع حقهم المسلوب - مادام لجدهم وجدهم فضل حماية محمد ﷺ - خصوصا أن العلويين لم يكونوا بعيدين عن ساحة الصراع في تلك الآونة، لدرجة أن العباسيين كانوا يترصدونهم، ويحسبون لهم ألف حساب.

ألم يخطر ببال الدكتور مراد وأستاذه المشرف أن ابن إسحاق لو كان داعية عباسيا يختلق من القصص والأحداث ما يدعم الحكم العباسي لجعل العباس بن عبد المطلب، عم محمد وجد العباسيين - هو القائم على حماية محمد، بدلا من أبي طالب، خصوصا أن العباس هو الذي ورث من أبيه عبدالمطلب ولاية زمزم، وسقاية الحجيج على ما ذكره الدكتور مراد من قبل - وما كان ذلك بمجشم مؤلف القصة عناء، ولايضيف إليه مزيد مشقة، فكل ما عليه أن يجعل العباس مكان أبي طالب، بل إن ذلك كان جديرا بأن يضفي على القصة ما يقنع القارئ ويمتعه، وينهي القصة نهاية تريح المتلقين، حيث يموت حامي محمد ﷺ على الإسلام.

أم إن ابن إسحاق في تقدير الدكتور وأستاذه - لم يكن فنانا بارعا في اختيار أشخاص قصصه، للدرجة التي لا يستطيع معها الوقوع على أبطال قصصه التي يحقق بها الغاية المكنونة في نفسه؟!

لو أن ابن إسحاق - بمقدرته على تزييف التاريخ كما يقول الدكتور - أراد إرضاء أبي جعفر المنصور، وخدمة الفلسفة العباسية، والدعاية لها، لبذل جهده الخلاق هذا في اختراع حدث ينسب للعباس بن عبدالمطلب، يرفع به قدره على أبي طالب، حتى يحقق هذا التزييف التاريخي الذي فرغه العباسيون لخدمة فلسفتهم، والدعاية لدولتهم.. خصوصا أن العباس - وكان لايزال على دين قومه - أبى إلا أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له ليلة العقبة، فلما جلس كان أول متكلم، فقال: يا معشر الخزرج - وهو إطلاق يشمل الأوس والخزرج - إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده... الخ هذا الحديث المستفيض(*).

ألا يرى الدكتور مراد أن ابن إسحاق المزور الكذاب لم يكن من البراعة إذن حين نسب إلى أبي طالب حماية محمد من قريش ونسب إلى العباس حماية محمد من تقلب الخزرج، لأنه لو كان بارعا في التلفيق، أو لو

(*) سيرة النبي لابن هشام: ٤٩/٢ .

كان مخلصا لبني العباس لنسب الحمايتين للعباس فنال رضا العباسيين حقا، دون أن يعرض نفسه لأي مؤاخذة؟!

ولكن - بمنطق الدكتور مراد - يبدو أن ابن إسحاق لم يكن على هذا القدر من البراعة في التزييف، أو أنه لم يكن مخلصا الإخلاص الحق للعباسيين، أو أن بني العباس لم يكونوا على ذلك القدر من البصر والذكاء الذي يكشف لهم تلاعب ابن إسحاق بهم - أو ضعفه الإبداعي - حيث دعا للعلويين وهو يوهمهم أنه يدعو للعباسيين.

## ولماذا حرم جعفر من حماية أبيه؟

ومما يقف أمام عقل الدكتور عائقا دون قبول حماية أبي طالب لمحمد ﷺ هجرة جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة فرارا من تعذيب قريش أو اضطهادها، أو تنفيذا لقرار قريش بنفي هذه المجموعة من المسلمين.

فالدكتور مراد حين تلقى عن ابن إسحاق نبأ هجرة جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة وجد في ذلك فرصته للتأكيد على تزييف حماية أبي طالب لمحمد ﷺ، حيث رأى في هجرة جعفر إلى الحبشة فرارا من الاضطهاد دليلا على أن أباه كان عاجزا عن حمايته من قبيلته ذاتها، وإلا لكان أولى به أن يحمي ابنه أولا ثم يحمي ابن أخيه.

ولكي يصل الدكتور إلى هذه النتيجة أبى إلا أن يجعل هجرة جعفر فرارا من الاضطهاد، وإلا أن يجعل هذا الاضطهاد متمثلا في رؤية جعفر قبيلته تعذب أبناءها المسلمين، وذلك حتى يصل إلى النتيجة التي قصد فرضها في البداية، وهي: كيف يحمي أبو طالب ابن أخيه، في الوقت الذي لم يستطع فيه أن يحمي ابنه؟!

وغاب عن الدكتور هنا سؤال أرى أنه أول ما يجب أن يتبادر إلى ذهن الباحث الجاد، وهو السؤال عن السر الذي جعل جعفرا يستشعر خطر الاضطهاد، فيبادر بالفرار إلى الحبشة، ولم يجعل عليا أخاه يشاركه هذا الشعور، ويصحبه في الفرار، خصوصا أنه يرى أباه عاجزا عن تحقيق الحماية لأخيه؟!

ثم إذا كانت هجرة جعفر لأنه خشي من اضطهاد بني عبدالمطلب للمسلمين، كما اضطهدتهم القبائل الأخرى[٦] فهل يظن الدكتور أن سذاجة جعفر وسطحيّة تفكيره جعلته يظن أن فراره هو - في تلك الهجرة - يمكن أن يكون سبيلا لامتناع بني عبدالمطلب عن اضطهاد المسلمين؟!

وإذا كان هذا هو اعتقاد الدكتور في جعفر، فهو إذن لم يهاجر لحاجته إلى الحماية المفقودة في مكة، وبالتالي فإن أبا طالب كان يكفل الحماية لابنه جعفر، كما كان يحمي

---

(٦) سيرة رسول الله للدكتور مراد: ٦٢.

ابن أخيه، لكن جعفرا هاجر لغاية أخرى، وهى ـ كما يقول الدكتور ـ خشيته على المسلمين من اضطهاد بنى عبدالمطلب.

وهكذا.. نرى أن حرص الدكتور على نفى حماية أبى طالب لابن أخيه، جعله يتخبط فى تصوراته، ويتخبط فى افتراضاته فى شأن جعفر، كما حدث فى الشئون الأخرى، بحيث يبدو واضحا ـ بكل جلاء ـ أن وراء كل ذلك السعى إلى نفى حماية أبى طالب بأى وسيلة.

ولاشتغال الدكتور مراد بهذه الغاية غفل عن دوافع هجرة الكثيرين إلى الحبشة، فلم ير إلا دافع الفرار من التعذيب، ولو أنه اعتصم بأناة العلماء ـ أو لو أن أستاذه كان جادا فى توجيهه ـ لرأى للهجرة إلى الحبشة وظيفة أخرى، وهى فرار المحميين والأقوياء من تضييق قريش عليهم سبل الدعوة إلى الإسلام، ومنعهم بكل الوسائل من الاتصال بالآخرين ممن يفدون إلى مكة، فلم يكن إلا الإذن منه ﷺ فى الهجرة لتحقيق الغايتين معا، ويكفى النظر إلى أسماء المهاجرين إلى الحبشة، ليلفته إلى أن من بينها أسماء أشخاص ذوى مكانة مرموقة مهابة بين عشائرهم مثل: عثمان بن عفان من بنى أمية، والزبير بن العوام من بنى أسد، وعبدالرحمن بن عوف من بنى زهرة، وغيرهم، وغيرهم، ممن ذكرهم ابن إسحاق، ويكادون ينتمون إلى أكثر قبائل قريش ولرأى أن أبا بكر ـ بماله من مكانة بين قريش ـ ما كان ليفكر فى الهجرة إلى الحبشة أو إلى غير الحبشة فرارا من أذى واقع أو متوقع، ولكنه السعى إلى كسر الحصار القرشى المضروب على الدعاة إلى الإسلام!

ولقد كان هذا المسعى من أبى بكر وراء عودته ثانية، فبعد طول تفكير فى الأمر رأى أن بقاءه بجوار الرسول ﷺ فى مكة أجدى على الإسلام والدعوة إليه، خصوصا أنه أحس فى نفسه بالاطمئنان إلى أن من سبقه من المسلمين إلى الحبشة يقومون بدور الداعية فى ظل ملك لا يظلم عنده أحد كما جاء فى توجيهه ﷺ[٧].

ولو أن الدكتور كلف نفسه مراجعة أسماء أول من هاجر إلى الحبشة ـ فيما رواه ابن إسحاق ـ لتبين أن جعفر بن أبى طالب لم يكن بينهم، ولكنه لحق بمن سبقوه إلى الحبشة ـ وكانوا عشرة يمثلون تسع قبائل ـ لسبب آخر بعيد كل البعد عن الفرار من التعذيب، فقد خرج إلى الحبشة، ولم يؤثر أن أحدا ناله فى شخصه بأى أذى، اللهم إلا غلق المنافذ التى تمكن المسلم من الاتصال بالوافدين إلى مكة

ثم لو أنه أضاف إلى ذلك النظر فى تاريخ عودة جعفر من الحبشة، إذن لتأكد له أنه خرج

(٧) سيرة النبى لابن إسحاق: ٣٤٣/١.

داعية، ولم يخرج فرارا من أذى قريش ولا خرج نفيا، وإلا فما السر في بقائه بالحبشة - بعد استقرار المسلمين في المدينة - وعودة أكثر من كانوا معه - واستمراره هناك إلى أن استدعاه رسول الله ﷺ هو ومن معه - وكانوا ستة عشر رجلا وزوجاتهم وأبناؤهم - فأرسلهم النجاشي في سفينتين، حيث وصلوا يوم خيبر في السنة التاسعة من الهجرة[٨].

ولكن الدكتور لا يكتفي بإغفال هذه الجوانب المهمة، بل يحاول أن يصرف الآخرين عن النظر فيها، فيزعم أنه في أرض الجزيرة العربية الواسعة من الجبهات التي تستقبل الدعوة إلى الإسلام ما كان يغني هؤلاء المسلمين عن السعي إلى الحبشة، وفتح جبهة للدعوة فيها، على ما في ذلك من عناء، ومشقة، وذهاب إلى المجهول.

ولو تذكر الدكتور ما كان بين قبائل العرب وبين قريش من المصالح المشتركة، وما استلزمته تلك المصالح من الأحلاف والعهود التي تسمح لقريش باستعادة هؤلاء الخارجين - على نحو ما حاولوه مع النجاشي الذي أبى أن يسلم من التجأوا إليه، واحتموا فيه - لما ساق هذا الادعاء في طريق إصراره على دعواه فرار جعفر من أذى قريش، ونفي دوره في الدعوة.

فالذي يهم الدكتور أن ينقب عن أي حدث أو موقف ورد في كتاب ابن إسحاق، ثم يعلن أنه اختلقه، وكذب في إيراده، ثم يبحث في مخيلته عن أي وهم يدعم به وصمة الاختلاق والكذب، دون أن يتلفت حواليه، أو يفكر في الأمر التفكير العلمي الجاد

ولو لم يكن هذا حال الدكتور لتوجه بنظره إلى رأي من سبق ابن إسحاق فيما يشك فيه، فلو رجع إلى ما ذكره عروة بن الزبير[٩] وما ذكره محمد بن شهاب الزهري[١٠] وابن حزم[١١] وما كان لواحد من هؤلاء من صلة بالعباسيين - لوجد أنهم نسبوا إلى جعفر بن أبي طالب ما نسبه إليه ابن إسحاق.

ولكن هو الغرض يعمي الأبصار والبصائر، ويصم الآذان، ويوقع في الخلط والاضطراب

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[١٢]

ولذا فلنا لقاء آخر إن شاء الله مع الدكتور وأباطيله

(يتبع)

---

(٨) السابق: ٢٦١ - ٢٦٣.

(٩) مغازي رسول الله: ١٠٤، ١١١، ١٢٧.

(١٠) المغازي النبوية لابن شهاب: ٩٦.

(١١) جوامع السيرة النبوية لابن حزم: ٨٤/١ - ٨٦، ٩٢.

(١٢) الحج (٤٦).

## مواقف إسلامية

# المبادئ، فوق المنافع

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

أصاب، عبدالرحمن بن مدين، مالا كثيرا - وكان رجل صدق - فجهز سبعين مملوكا، بدوابهم، وأسلحتهم إلى هشام بن عبدالملك ثم أصبحوا معه يوم الرحيل.

فلما استوى بهم في الطريق نظر إليهم وقال:

ما ينبغي لرجل أن يتقرب بهؤلاء.. إلى غير الله!!

ثم قال لهم:

اذهبوا.. فأنتم أحرار وما معكم لكم!!

### تمهيد

قيل لواحد من الزهاد:

مالك تمشي على عصا ولست بكبير ولا مريض؟

فقال:

انى أعلم أنى مسافر.. وأن الدنيا دار قلعة.. وأن العصا من آلة السفر.

حملت العصا: لا الضعف أوجب حملها
على.. ولا أني تحنيت من كبر
ولكنني ألزمت نفسي حملها
لأعلمها أن المقيم على سفر

ولقد كان «عبدالرحمن بن مدين» واحدا من مدرسة هؤلاء السائلين.. السائرين مع دنياهم أنى سارت.. والذين يحسبون العمر بالساعات لا بصالح الطاعات.



وفى لحظة صدق آفاق .. ليكون من مدرسة هذا العابد الزاهد .. الذى عاشت الآخرة فى وجدانه .. فلم تبق للدنيا فى قلبه موضعا .

وموقفه هذا الذى نتأمله اليوم – رسالة موجهة إلى المستغرقين فى لذاذات الدنيا نقول لهم:

«إن الله تعالى سخر لكم الدنيا .. فلا تسخروا أنفسكم لها» . وقسم حظوظكم منها بحكمته .. فلا تنافسوها:

فإن كان لكم حظ فهو آت .

وإن لم يكن حظ .. كان عليكم وزر التقاتل .

وسوف تعلمون غداً: أن ملذات الدنيا .. لم تكن تستأهل كل هذا السرور .. وأن كل آلامها .. لم تكن تستاهل هذه الأحزان .

لقد خسر المترفون كل شئ .

بل ما كانت الدنيا برمتها شيئا .. وما راهنوا فيها على شئ: إنها كانت صفرا .

وإذا كان من أدب الإسلام: أقلوا من الدخول على الأغنياء .. فرارا مما يغركم من الدنيا .. فنحن مأمورون فى نفس الوقت:

أن تعيش الآخرة فى وعينا .. إلى الحد الذى يكسر من فتنة الدنيا الهاجمة .

وهذا ما فعله «عبدالرحمن بن مدين» والذى نفصله فى عدة وقفات .

ونتساءل أولاً:

كم من شبابنا يعرف «عبدالرحمن بن مدين»؟

ألا ما أكثر «عبيد» الرحمن فى حياتنا .. ولكننا نعرفهم إذا كانوا فنانين .. أو نجوم الملاعب ..

أما الأنقياء الأتقياء .. فهم غرباء فى أوطانهم .. ولا بأس:

فإذا لم يعرفهم أحد .. فإن ربهم – سبحانه – يعرفهم .. ثم يعرّفهم إلى عباده بهذا الموقف الأثير، وما يحفل به من أسرار .

لقد كان «عبدالرحمن بن مدين» واحدا من أهل الدنيا .. وإذا كانت الدنيا أمه .. فلا بأس أن يحبها .. ولكن بمقدار .. لقد كان يعيش «الأنا» .. آملا فى حظوة لدى الخليفة بهذه الهدية الغالية .

وبينما تناوشه رؤى المستقبل الوردى فى ظل الخليفة .. إذا بالنبع الصافى .. يتفجر من داخله .. فيجرى نهرا دافقا أخصب به الله الوادى على شاطئيه .

لقد انتقل من ضيق «الأنا» إلى رحابة «نحن» .. وأحس بأنه لم يخلق لنفسه وإنما لغيره .. وأن سعادته الحق فى أن يسعد الآخرين .

وما أبعد المسافة بين الأنا .. ونحن:

واقرأ فى بيان ذلك قوله –تعالى– على لسان موسى عليه السلام:

﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾[1].

لم يقل لتغرقنى .. وإنما لتغرق أهلها .. فقد كانت همته معلقة بالثريا .. حريصا على حياة الآخرين .. والذين لا حياة له إلا بهم .. ومعهم .

وكذلك كان «عبدالرحمن» .

---

(١) الكهف: ٧١.





لقد أعلن عبدالرحمن انفصاله عن طلاب الدنيا.. من رفاق الأمس.. من سمار الليالي.. هؤلاء الذين يجرون وراء سحابة في السماء.. دون جدوى.

وإذا كان الناس من حوله يتعاملون بالعضلات.. والثروات فقد قرر هو أن يرتفع إلى أفق آخر.. تتعامل فيه بالعقول والقلوب.

لقد كان بين يديه سبعون مملوكا بأسلحتهم ودوابهم.. كتيبة عسكرية يمكن أن يكون بها شيئا مذكورا.. ولكن البريق الخلاب لم يخدعه.

وفي لحظة صدق مع النفس.. ومع الله - تعالى - اتخذ قراره العظيم.. مؤكدا أن لحظة صدق واحدة.. هي أغنى من عشرات السنين.. عجاف: بلا عمل.. وبلا أمل.

أجل إن لحظة واحدة مباركة هي أكثر بركة على الأمة من أعمار طوال خواء من عمل الخير.

وذلك ما يعنيه قول المجربين:

مات فلان في سن الثمانين..

ولكنه عاش عشرين سنة فقط

لأن العشرين هي عمره الحقيقي الذي أثمر أينع الثمرات.. وما سواها من السنوات: ظاهر رواء.. وباطن خواء!

لقد كانت مهمته سهلة لو كان عند مرحلة «الهم».. والتي كان من الممكن أن يتغلب على نفسه عندها.

لكنه استوى على الطريق فعلا، وأصبح قاب قوسين من تحقيق آماله لدى الخليفة بهذه الهدية السنية.

لكنه استطاع أن يتحرك تحت هذا الضغط العالي.. بل وأن ينهض ثم يحول وجهته إلى الله - تعالى - بينما فتنة الدنيا تناوشه من قريب.. وأوهام المستقبل الواعد تطل عليه من كل أفق.

ولو كان عبدا واحدا.. لم تكن هناك صعوبة في الاستغناء عنه.. لكنهم كانوا سبعين!

ومع ذلك فقد أخذ موقع المسلم الذي يقف على مفترق الطريق يواجه أمرا..

إنه يقف.. ثم يفكر:

فإن كان لله.. مضى.

وإن كان لغيره.. تأخر.. ولقد تأخر عبدالرحمن مغيرا وجهته.. حين تبين له الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.. فجاء قراره في النور.. فلم يبطله بندم أو تحسر!

لقد كانت المعركة في كيان «عبدالرحمن» ضارية.. بين غريزة حفظ الذات.. وبين المحافظة على القيم.. ولكنه انتصر فيها.. ولئن كان قد حرم من بعض ما يملك.. أو من كله.. لكنه كسب مرضاة ربه.

ولئن كان قد خسر العبيد السبعين.. فقد كسبهم المجتمع كتيبة من الأحرار.. تسري اليوم في عروقهم دماء الحرية.

التي ترفع من قيمة أحدهم ليساوي ألفا من الرجال... فصار رائدا من رواد التحرير.. على مستوى العالم.. ولئن لم يجد إعلاما يتنادى بأمجاده فيكفيه أن ربه - سبحانه - يقدر عمله قدره.. حين حرر هؤلاء العبيد... العبيد الذين يمارسون الحرية اليوم واقعا.. وليس ادعاء.

وصحيح أنه سوف يخسر حب الخليفة.. هشام.. بيد أنه سوف يفرض عليه احترامه حين





أعلن بعمله أن هناك ما هو أغلى مما يتقلب فيه الخليفة.. وإن خطف الأبصار.. وأسال لعاب الطامعين وإنما يبكى على الحب النساء!

وربما كان «هشام».. أسعد بعبد الرحمن.. حين وجد فيه رجلا يملك قراره.. وإن أمة تتألف من مثله لهى أمة جديرة بالبقاء.

وإذا كان هناك من يجلس على كرسى الإدارة.. مزهوا بنفاق أتباعه الذى يضيفون من حساب كرامتهم إلى حسابه إذا وجد من يفعل هذا.. فقد كان هشام سعيدا.. حين يجد نفسه أميرا على أمة من الأحرار.. لا من الأصفار!

لقد أسهم عبد الرحمن بسخائه فى حل مشكلة اجتماعية متوطنة ولئن بدا شكلا أنه حرم الخليفة من هديته.. فإنه بتصرفه قد صبها فى محيط المجتمع الكبير.

وإذن فهو تصرف مواطن صالح.. دل على حل ماله بتوجيهه الوجهة الصالحة.. وكان فى علاقته بالخليفة على ما قيل:

**صديقى: من يقاسمنى همومى**

**ويرمى بالعداوة من رمانى**

**ويحفظنى إذا ما غبت عنه**

**وأرجوه لنائبة الزمان**

وإذا كانت هناك نماذج رديئة تصل بالنفاق إلى درك الشرك حين تقول:

ما شئت.. لا ما شاءت الأقدار.

فقد كان الخليفة أو هكذا يجب أن يكون كان سعيدا بمواطن صالح.. يمكن أن يكون امتداد حياته بعد مماته وهو جزء من عمله حين وقف هذه الوقفة التى آثر فيها ما يبقى على ما يفنى..

وكان هذا المؤمن الذى كان شعاره دائما

يا رب

لا تيأس.. وأنت الغفار

ولا تنكشف.. وأنت الستار

ولا نجزع.. وأنت الرزاق

ثم نرضى.. لأنك أنت الحكيم ولو تصورنا أن «عبد الرحمن» صار بهذا السخاء فقيرا فهل هو حقا كذلك؟!

أبداً.. إن الفقير حقا من ملك نفسا تستغنى عمن استغنى عنها.

وما أكثر الأغنياء الذين يعيشون فى الدنيا عيشة الفقراء.. ثم يحاسبون غدا حساب الأغنياء.

وتلك هى القضية التى ضلت فيها أفهام وزلت أقدام ألا وأن لكل من الغنى والفقير: بنك ورصيد ولا فرق بين الغنى والفقير إلا فى نوعية البنك.

الغنى: يأخذ من رصيده.. بالبطاقة.. وبحساب.

ولكن الفقير: يرفع يديه إلى السماء.. ويداه بطاقته ولن يرد الله يديه.. بطاقته.. لن يردها صفرا بل لابد أن يعطيه ربه.. عطاء.. بغير حساب.

أما رصيد بنوك الدنيا.. فأحيانا: لا يسمح الرصيد!!

واجب المسلم اليوم

أن يزين جوارحه بطاعة ربه -سبحانه وتعالى- قبل أن تكون هى أول شاهد عليه..





وأن تتجه منه الأشواق دائما إلى المبادئ.. لا إلى «المبالغ» يجاهد فيما يطيق.

ويهفو إلى مالا يطيق.. فلعله واصل إليه فى بعض مراحل الطريق.

ونذكر هنا دليل عمله من نصيحة أبى حازم للخليفة الذى سأله: ما هو الواجب؟ قال:

أن تنظر إلى ما عندك: فضعه فيما هو حق وما عند غيرك.. فلا تأخذه بغير حق.

لا تسخر ما تملكه لاغتصاب موقع معد لغيرك!.

قال الخليفة: التكليف صعب.. ومن يستطيع ذلك؟!

فقال أبو حازم:

ولهذا ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين.

فقال الخليفة: وما المخرج: قال:

أن تلجأ إلى الله -تعالى- أطلب منه حاجتك.. أطلبها ممن يقدر عليها فإن أعطاك.. شكرت.. وإن زوى عنك.. صبرت.

وتلك هى القدوة الحسنة.. الصورة الإيجابية التى تعكس حياة الناس بنبلها.

وليست هى القدوة السيئة التى تعكس حياتهم بمشاعر الازدراء.

إن سائح الدنيا يتقلب فى الأرض يضرب فيها بينما يصحب دنياه معه.

أما المؤمن فسياحته فرار من الدنيا إلى الله -تعالى-

إلى الحصن الذى لا يرام، والعين التى لا تنام آخذا فى اعتباره قيمة لا يفرط فيها.. وهى قيمة الوقت قيمة يومه الذى سوف يكون عليه شهيدا.

منطلقا مما قرره الفاقهون:

إن الوقت لا يحترم أحدا.. فلا تتركه ينصرم من بين يديك.

الليل والنهار يعملان فيك.. فلم لا تعمل فيهما؟

إنه صحيح مملكتك لكنك لا تستطيع التصرف فيها بزيادة أو نقصان.

إن الوقت مطيتك وما مضى مخصوم من عمرك بل شاهد عليك إنما الليل نهار الأريب.

وهناك من يعمق زمانه فلا يعمل

الا وإن فى الليل حقا لا يقبل بالنهار

وفى النهار حقا لا يقبل بالليل

وإذا كان الوقت نعمة سوف تسأل عنها.. فإن مرحلة الشباب قمة هذه النعمة.

وإذا سئل الإنسان عن عمره بعامة فسوف يسأل عن شبابه بخاصة.

لأن الفتى بعد الفراغ من عمله اليومى يجد:

الصحة.. والفراغ، ومن الممكن أن يستفيد من الصحة.. لكنه لا يكاد يفعل.. كما أن بإمكانه أن يستثمر وقت فراغه.. لكنه أيضا لا يفعل.. وإذن.. فهو مغبون.. ظالم لنفسه

وهو مطالب بأن ينصف نفسه من نفسه.

**إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها**

**هوانا بها.. كانت على الناس أهونا**



# الإنفاق في سبيل الله

٢

لفضيلة الشيخ / فوزي فاضل الزفزاف

**لقد اشتهر سيدنا أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - بين العرب - قبل الإسلام وبعده - بالعقل الراجح والفكر الثاقب، والنظر السديد، كما اشتهر بالنجاح في التجارة لصدقه وأمانته.**

**غير أن المال لم يشغل أبا بكر - رضى الله عنه - ولم يستحوذ على فكره، ولم يجعله بؤرة اهتمامه، ولم يجعله الغاية والهدف، بل جعل - رضى الله عنه - المال وسيلة لخدمة الدعوة الإسلامية، وفي نصرة الحق والخير مهما كلفه ذلك ولو أدى إلى إنفاق كل ما يملك في سبيل الله.**

وسجل لنا التاريخ مواقف رائعة لسيدنا أبي بكر- رضى الله عنه- تدل على مدى حبه للخير، وعلى أن إنفاق المال في سبيل الله كان طبعه وسجيته، فعندما رأى كفار مكة يؤذون العبيد الأرقاء الذين دخلوا في الإسلام، ويعذبونهم لدرجة الموت، سارع بشراء هؤلاء المستضعفين من ماله الخاص، ثم أعتقهم - بعد الشراء - ابتغاء وجه ربه الأعلى، وقد ذكر بعض المؤرخين أن الذين اشتراهم سيدنا أبوبكر- رضى الله- عنه بماله ثم أعتقهم كانوا سبعة من الذكور والإناث منهم: الصحابي الجليل بلال بن رباح- رضى الله عنه- الذي كان عبدا مملوكا لأمية بن خلف، وبعد أن أعلن بلال إسلامه عذبه أمية عذابا لايتحمله بشر، فكان يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بصخرة عظيمة فتوضع عليه ثم يقول أمية لبلال: لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى. فكان بلال- رضى الله عنه- يقول: أحدٌ أحد. فتوجه سيدنا أبوبكر إلى أمية بن خلف وهو يعذب بلالا واشتراه بخمس أواق من الذهب ثم أعتقه، فقالوا لأبي بكر: لو أبيت شراءه إلا بأوقية واحدة لبعناك إياه! فرد عليهم سيدنا أبوبكر قائلا: لو أبيتم إلا أن تبيعوه بمائة أوقية لاشتريته.

وكانت زنيرة الرومية - من الإماء اللاتي أسلمن فأخذ سيدها يعذبها عذابا شديدا حتى



كف بصرها، فقال بعض المشركين: ما أصابها بالعمى إلا الات والعزى!! فقالت: والله ما هو كذلك، وما يدرى اللات والعزى من يعبدها، وربي قادر على أن يرد عليّ بصرى، فرد الله عليها بصرها، فقال المشركون: هذا من سحر محمد ﷺ وبلغ ذلك أبا بكر فاشتراها وأعتقها.

وكان بعض المشركين يقول: لو كان دين الإسلام حقا ما سبقتنا إليه زنيرة. فأنزل الله- تعالى- قوله:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾(1).

وفى أبى بكر الصديق وفى أمثاله الذين بذلوا أموالهم من أجل معاونة الأرقاء وتحرير رقابهم من الظلم والاستعباد- رضى الله عنهم- أجمعين نزل قوله تعالى:

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾(2).

وأبو بكر الصديق- رضى الله عنه- الذى عرفه المجتمع المكى - قبل الهجرة - جوادا سخيا فى الخير، سباقا إلى بذل المال والعطاء فى سبيل الله، ينفق ماله فى خدمة الدعوة الإسلامية، وفى خدمة أصحابه الفقراء، وفى إعتاق الفقراء والإماء الأرقاء بعد شرائهم بماله ابتغاء وجه الله- تعالى- ورضاه، هو نفسه أبوبكر الصديق- رضى الله عنه- الذى عرفه المجتمع المدنى على وجه خاص والمجتمع الإسلامى على وجه عام - بعد الهجرة - كريما سخيا بماله يبذله فى سبيل الله من غير تردد.

أراد الرسول ﷺ بعد وصوله إلى المدينة المنورة. أراد أن يبنى المسجد كى يجتمع المسلمون فيه للعبادة وإقامة الصلاة، وقضاء مصالح المسلمين.. فأرسل إلى جماعة من بنى النجار وقال لهم:

يا بنى النجار، ثامنونى بحائطكم هذا - أى قولوا لى كم ثمن هذا المكان لكى أبنى فيه مسجدا؟ فقالوا: لا والله لانطلب ثمنه إلا من الله، فأبى ذلك رسول الله ﷺ(2) واشتراه منهم بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر- رضى الله عنه-.

وعندما دعا الرسول ﷺ أصحابه إلى بذل أموالهم للجهاد فى سبيل الله جاء أبوبكر الصديق- رضى الله عنه- بجميع أمواله، فقال له الرسول ﷺ: «ماذا أبقيت لأولادك يا أبا بكر؟» قال: يا رسول الله لقد أبقيت لهم الله ورسوله.

هذا هو سيدنا أبوبكر الصديق- رضى الله عنه- الجواد الكريم الذى لم تشغله الدنيا بمالها، ولم تفتنه بمتاعها، بل كان ينفق ماله فى سبيل الله فتاجر مع الله فاستحق أن يبشره النبى ﷺ بالجنة، ففى الصحيحين عن أبى هريرة- رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق فى سبيل الله نودى من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد،

---

١- الأحقاف (١١)

٢- الليل (١٧-٢١).



ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، فقال أبوبكر: يارسول الله هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم وأرجو أن تكون منهم»، وروى الترمذي عن ابن عمر- رضى الله عنهما- أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «أنت صاحبي في الغار، وأنت صاحبي على الحوض»، وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لايبقين في المسجد باب إلا سُدّ إلا باب أبي بكر».

رضي الله عنك ياسيدنا يا أبا بكر فقد زهدت في مال الدنيا ومتاعها وزينتها، وحرصت على التمسك بزهدك حتى في الشيء الوحيد الذي يخرج به الإنسان من الدنيا عند مماته ويلازمه في قبره - سوى عمله - وهو الكفن، فقد أوصى- رضي الله عنه- قبل وفاته أن يكفنوه في ثوبين قديمين ولايكفنوه في ثياب جديدة، لأن الإنسان الحي أحوج إلى الثياب الجديد من الميت.

ولا أجد في هذا المقام أفضل وأعظم من الكلمات التي قالها سيدنا علي بن أبي طالب في رثاء سيدنا أبي بكر- رضي الله عنهما- من هذه الكلمات قوله:

«رحمك الله يا أبا بكر، كنت والله أول القوم إسلاماً، وأصدقهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ وعن المسلمين خيراً، لقد صدّقت رسول الله ﷺ حين كذّبه الناس، وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، كنت والله للإسلام حصناً وعلى أعدائه عذاباً، كنت كالجبل الذي لاتحركه العواصف، ولا تزعزه القواصف، كنت - كما قال رسول الله ﷺ - ضعيفاً في بدنك، قوياً في دينك، متواضعاً في نفسك، عند الله، جليلاً في الأرض، كبيراً عند المؤمنين، لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى، فالضعيف عندك قوى حتى تأخذ الحق له، والقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه، فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك».

وإذا كان سيدنا أبوبكر- رضي الله عنه- قد حاز فضل إنفاق ماله في سبيل الله، وزهده في دنياه، فقد شاركه في ذلك سيدنا عثمان بن عفان- رضي الله عنه- فقد كان نموذجاً رائعاً للبذل والعطاء، ومثالاً يحتذى به في الإنفاق في سبيل الله، وقدوة حسنة في التبرع بالمال في جميع أوجه الخير، يصدق فيه قول الرسول ﷺ: «إن لله عباداً اختصهم الله بقضاء حوائج الناس حببهم في الخير وحبب الخير إليهم إنهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة»(٣).

وكان سيدنا عثمان- رضي الله عنه- ينظر إلى الآخرة دار القرار والخلود فيعمل لها، ولا يلتفت إلى الدنيا دار المرور والفناء فهو زاهد فيها، ويؤمن بأن ما عند الله هو خير وأبقى.

ورغم أن سيدنا عثمان كان من الصحابة الذين جاءتهم الدنيا راغمة، وبارك الله له في ماله، وكان ذا حظ كبير في تجارته إلا أنه كان زاهداً في

٣- رواه الطبراني عن ابن عمر (الجامع الصغير).



الدنيا والمال: يرتدى الملابس الخشنة الرخيصة، وينام على الحصى، ويطعم أولاده الزيت والخل بينما يطعم الناس طعام الإمارة.

وكان سيدنا عثمان - رضى الله عنه - من الذين يتاجرون مع الله تجارة لن تبور، وكان يجعل نصب عينيه قول الله - تعالى -:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٤).

وليس أدل على ذلك من موقفه من جيش العسرة، فقد خطب النبى ﷺ فحث على التبرع لتجهيز جيش العسرة فى غزوة تبوك، فقال عثمان ابن عفان - رضى الله عنه - علىّ مائة بعير بأحلاسها «الحلس كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج» وأقتابها «جمع قتب أى الرحل»، ثم نزل رسول الله ﷺ مرقاه من المنبر، ثم حث، فقال عثمان - رضى الله عنه -: علىّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها، فأشار رسول الله ﷺ بيده قائلاً: ما على عثمان ما عمل بعد هذا(٥).

وأخرج الدارقطنى وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - قال: بعث النبى ﷺ إلى عثمان - رضى الله عنه - يستعينه فى جيش العسرة، فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار، فصبت بين يديه، فجعل النبى ﷺ يقلبها بين يديه ظهراً وبطناً ويدعو له ويقول: «غفر الله لك ياعثمان ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ما يبالى عثمان ما عمل بعد هذا».

ومن أعمال سيدنا عثمان بن عفان - رضى الله عنه - التى سجلها له التاريخ فى أعمال البر والإحسان وإنفاق المال لنفع المسلمين قيامه بشراء بئر رومة، فقد أخرج ابن عساكر عن بشر بن بشير الأسلمى عن أبيه قال: لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها «رومة» وكان يبيع منها القربة بمد، فقال رسول الله ﷺ للغفارى: تبيعها بعين فى الجنة؟

فقال الغفارى: ليس لى يارسول الله عين سواها، لا أستطيع ذلك، فبلغ ذلك عثمان - رضى الله عنه - فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبى ﷺ فقال: أتجعل لى مثل الذى جعلت له عينا فى الجنة إن اشتريتها، قال: نعم، قال: قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين، وأخرج الحاكم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: اشترى عثمان من رسول الله ﷺ الجنة مرتين: يوم رومة، ويوم جيش العسرة.

ولم يترك سيدنا عثمان بن عفان - رضى الله عنه - بابا من أبواب الخير إلا ولجه، ولا ميدانا من ميادين الإنفاق فى سبيل الله إلا واقتحمه، فحينما دعا المصطفى ﷺ إلى توسعة المسجد وقال: من يزيد فى مسجدنا؟ سارع عثمان - رضى الله عنه - واشترى موضع خمس سوار فزاده فى المسجد.

ولذلك وجدنا الإمام على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - يقول عن سيدنا عثمان: كان عثمان أوصلنا للرحم، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين.

٤- البقرة (٢٧٤)

٥- أخرجه الإمام أحمد



رضى الله عنك ياسيدنا عثمان بن عفان، ياذا النورين، ويا صاحب الهجرتين، ويا من استحت منك الملائكة، ياصاحب الخلق الكريم والفضل العظيم، يامن تاجرت مع الله تجارة لن تبور، يامن انفقت مالك فى سبيل الله فنلت حب رسول الله وفزت بدعائه لك بالمغفرة والبشرى بدخول الجنة، يامن جمعت الأمة على قراءة واحدة للقرآن الكريم فاغلقت باب فتنة لايعلم مداها إلا الله، يامن نلت الشهادة وأنت صائم استجابة لدعوة الرسول ﷺ اليك: فقد اخرج الحاكم عن ابن عمر- رضى الله عنهما - أن عثمان - رضى الله عنه - أصبح فحدث فقال: إنى رأيت رسول الله ﷺ فى المنام الليلة فقال: ياعثمان افطر عندنا، فاصبح عثمان صائما، فاستشهد فى يومه- رضى الله عنه- وكان صائما.

إن الحديث الشريف عن الصحابة- رضوان الله عليهم- الذين تاجروا مع الله تجارة لن تبور فانفقوا أموالهم عن طيب خاطر فى سبيل الله، لايترددون فى البذل والعطاء، بل يسارعون إلى التبرع بأموالهم فى أوجه الخير ابتغاء وجه الله، حديث طويل لا ينتهى.

ومن هؤلاء الكرام الصحابى الجليل سيدنا عبدالرحمن بن عوف- رضى الله عنه- التاجر الصادق الأمين، الذى رزقه الله البركة فى تجارته، والنماء فى ماله، والكسب الحلال فى ربحه، والتوفيق فى إنفاقه، فسخر ماله لخدمة الدعوة الإسلامية، فكان يوزع نصف ماله على فقراء المسلمين ويتجر فى النصف الآخر، فإذا جد ربح جديد استمر فى عطائه، سعيدا بما يفعل، هنيئا بما ينفق، شاكرا الله على ماحباه به من خير وبركة فى التجارة جعلت ينابيع الثراء تتدفق من بين يديه..

وعندما أذن رسول الله ﷺ لاصحابه بالهجرة إلى المدينة كانت تلك الهجرة بالنسبة لسيدنا عبدالرحمن بن عوف موضع تضحية كبيرة لاحد لها، فهو سيترك داره وأقاربه، وماله الوفير، وتجارته الواسعة الكاسبة. ولكن متى كان عبدالرحمن بن عوف عبدا للمال؟ المال فى يد عبدالرحمن وسيلة لاغاية، فالتضحية به هيّنة فى سبيل الله.

وتمت الهجرة إلى المدينة المنورة، ودخلها سيدنا عبدالرحمن بن عوف خالى اليدين من المال، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الانصارى. وكان مشهورا بالكرم والسخاء. فعرض سيدنا سعد على سيدنا عبدالرحمن أن يقتسم ماله نصفين، فاعتذر سيدنا عبدالرحمن وقال له: بارك الله لك فى مالك، فعرض سيدنا سعد إحدى زوجتيه ليطلقها ويتزوجها سيدنا عبدالرحمن، فاعتذر أيضا وقال له: بارك الله عليك فى مالك وأهلك فهما لك وحدك. ولا أريد شيئا، ومعى صحتى وعقلى، دلنى على السوق فأنا تاجر وسيرزقنى الله، لانه عودنى دائما على الكسب الحلال. ودخل سيدنا عبدالرحمن بن عوف السوق لايملك شيئا، فجعل يشترى الشئ بالدين ثم يبيعه بالمكسب القليل فيرد الدين لصاحبه. ثم يشترى من جديد وهكذا.. وفى زمن قليل صار سيدنا عبدالرحمن بن عوف ذا مال وفير، ومن أصحاب التجارة الواسعة فى المدينة المنورة. وأخذ ينفق أمواله فى سبيل الله، يساعد المحتاج، ويعطى الفقير، ولم يكتف بإخراج حق الله فى زكاة المال



المفروضة، بل جعل يتصدق بنصف ماله ويتاجر في النصف الثاني فيعود إليه أكثر مما تصدق به. فيكرر نفس العمل وهكذا.. فصدق فيه قول الله- عز وجل-:

﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(٦).

ولقد سجل التاريخ مواقف كثيرة لسيدنا عبدالرحمن بن عوف تدل على كرمه وسخائه، وعلى أن حب الخير ساكن في قلبه، وعلى أن الإنفاق في سبيل الله هدفه وغايته، فعندما حث النبي ﷺ المسلمين على التبرع لتجهيز جيش العسرة في غزوة تبوك تبرع سيدنا عبدالرحمن بن عوف بمائة أوقية من الذهب الخالص «هي نصف ماله» فقال له رسول الله ﷺ: «ماذا تركت لنفسك؟» قال: بقي عندي مثل ماتبرعت لايزيد ولا ينقص، فقال ﷺ: «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت».. وفي هؤلاء الكرام نزل قول الله- عز وجل-:

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٧).

ومن مواقفه المشهودة أنه حين مرض في بعض أوقات علاته أخرج ثلث ماله فتصدق به بمرأى ومسمع، يعطي كل محتاج ما يكفيه، فقيل له توصي بالمال فيفرق بعد وفاتك، فقال: لأن تعطي وأنت صحيح شحيح تخاف الفقر، وترجو الغنى فهذا أفضل، لا أن تنتظر حتى يأتي الرمق الأخير فتقول هذا لفلان وهذا لفلان..، وحين أعطى الفقراء وبقى لديه المال قال: يا أصحاب رسول الله من كان من أهل بدر فله أربعمائة دينار، فجاء أهل بدر وأخذوا ما أعطاهم، ثم جاء عثمان بن عفان- رضي الله عنه- ليأخذ نصيبه لأنه بدري، فقال له بعض الناس: ألست غنيا يا ابن عفان؟ فقال: هذه صلة لأهل بدر، ولو كانت صدقة ما تقدمت، فكان مبلغ ما أعطى عبدالرحمن بن عوف في هذا اليوم مائة وخمسين ألف دينار، ومرت أعوام وقد شفي عبدالرحمن من مرضه واستأنف تجارته وربح ربحا جزيلا.

وفي يوم من الأيام سمعت السيدة عائشة- رضي الله عنها- رجة في المدينة فسألت: ما هذا؟ فقالوا: قافلة تجارة عبدالرحمن بن عوف تحمل من كل شئ وقد قدمت من الشام، وكانت سبعمائة بعير محملة بأوساقها، فقالت السيدة عائشة- رضي الله عنها-: عبدالرحمن سيدخل الجنة حبوا، وتبلغ مقولة السيدة عائشة- رضي الله عنها- سمع سيدنا عبدالرحمن فقال: إني أرجو أن أدخلها قائما لا حابيا، وثمن ذلك أن أجعل القافلة كلها في سبيل الله، وأوقف الجمال وأنزل ما عليها وجعل يفرق ما حملت على الفقراء.

---

٦- البقرة (٢٤٥).

٧- البقرة (٢٦٢).



ومع كل هذه الصدقات كان سيدنا عبدالرحمن بن عوف يبكى متألما ويقول: أخاف أن يكون الله- عز وجل- بما أملك من مال قد عجل لى الثواب فى الدنيا، وأخذت عيناه تدمعان، فقال أحد جلسائه: ما يبكيك يا أبا محمد؟ فقال لقد مات رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، وها أنا آكل الخبز باللحم؟

كما أتى مرة بطعام شهى وكان صائما فلما رأى اللحم والمرق رفع يديه، وقال لجلسائه: قتل مصعب بن عمير وهو خير منى وكفن فى بردة إن غطت رأسه بدت رجلاه وإن غطت رجليه بدا رأسه، وقتل حمزة بن عبدالمطلب وهو خير منى فلم يوجد ما يكفن به، وها نحن أولاء بقينا لنأكل ونلبس ونتنعم وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا.

رضى الله عنك يا سيدنا عبدالرحمن بن عوف، يا أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد المبشرين بالجنة، يا صاحب الهجرتين، يا من نلت رضا رسول الله ﷺ فدعا لك بالبركة والخير، يا من كنت موضع ثقة سيدنا أبى بكر الصديق، وموضع ثقة سيدنا الفاروق عمر بن الخطاب، يا من قضيت على الفتنة عند اختيار خليفة المسلمين بعد مقتل سيدنا عمر بن الخطاب فأخرجت نفسك من المرشحين للخلافة ودعوت بالبيعة لسيدنا عثمان بن عفان، يا من سخرت مالك لخدمة الدعوة الإسلامية وجعلته حقا لكل محتاج وفقير.

ما أحوج الأمة الإسلامية اليوم إلى أمثال أبى بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف ليقدموا أموالهم فى سبيل الله لإنقاذ الشعب الفلسطينى فى الأراضى المحتلة من حرب الإبادة التى يتعرض لها من اليهود الفجرة، وتقديم العون والمساعدة لهم فى كفاحهم ونضالهم وجهادهم ضد الغزاة المحتلين أعداء الله وأعداء الدين، وتخليص المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الأسير الآن فى أيدى اليهود القتلة السفاحين.

ما أحوج الأمة الإسلامية اليوم إلى أمثال أبى بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف ليقدموا أموالهم لإعانة المسلمين الواقعين تحت ظلم وقهر الملحدين أعداء الإسلام والمسلمين فى الفلبين والشيشان وكشمير وكوسوفا والبلقان.

إن العالم الإسلامى فيه آلاف الأغنياء الموسرين الذين يملكون من المال ملايين الملايين لو أخرجوا زكاة أموالهم فقط ووجهوا بعضها لتحرير فلسطين والأقصى لتم ذلك وعلت كلمة الله، فما بالنا لو اتخذوا أبا بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف قدوة ومثلا وتجاوزوا الزكاة المفروضة وأنفقوا فضلا من أموالهم فى سبيل الله!!! نأمل ونرجو.

قصة العدد

# لا أستجير بغير الله

للأستاذ / شوقي محمود أبو ناجي

كان الحنين إلى الأحباب أقوى من كل مشاعر الخوف لدى العائدين من مهجرهم «أرض الحبشة» ولهذا لم يستجيبوا للرأى الذى نادى بضرورة العودة أدراجهم - إلى جوار النجاشي - مادامت قريش لا تزال على عنادها وكفرها، وتعنتها لكل من يشرح الله صدره للإسلام، مع أنهم قطعوا أياما وليالى رحلة العودة فى فرح غامر، وإن بعضهم ليود لو أوتى جناحين يطير بهما إلى الأعزة فى أحب أرض الله إلى الله (مكة المكرمة). وإن الخيال ليصور لبعضهم أن رقة اكتنفت الوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبى معيط، وأبا جهل بن هشام، وأبا سفيان، وغيرهم من صناديد قريش بعد دخولهم الإسلام - كما أشيع فى أرض مهجرهم «الحبشة» - وقد يسرف أحدهم فى تصوراته، فيتخيل أبا لهب بغير رايات الحمر، وأسماء بنت مخربة (أم أبى جهل) وقد بدأت تنافس السيدة خديجة فى تعضيد الدعوة.



فما أن أبصروا اليابسة من السبيعة – مرفأ مكة – حتى تواثبوا بدفعهم الشوق إلى الأرض الحبيبة، يسجدون شكرا لله ثم يغذون السير إلى القرية التي انبثق منها نور الهداية، ولم تمض ساعة من نهار حتى انقبضت القلوب التي كانت ترقص بين الضلوع، وتحول شعور البهجة إلى ضيق ممض، وتسمرت الأقدام التي كانت تنهب الأرض منذ قليل، وأطلت الحيرة من المحاجر، فقد لقوا ركبا قادما من مكة وسألوهم عن قريش فأخبروهم أن العداوة بين قريش والمسلمين قد ازدادت شدة، وازداد المشركون ضراوة، وما كان الخبر الذي سمعوه في الحبشة عن إسلام قريش– بعد نزول الوحي بسورة النجم– إلا شائعة أطلقها عمرو بن العاص ليعيد بها المسلمين من مهجرهم الآمن إلى قريش لينالوا أنصبتهم من الاضطهاد والعذاب بعد فشله في استعداء النجاشي على المسلمين، وعودته يلوك مشاعر الخيبة.

كان لابد من المشاورة في هذا الأمر الجلل، وصاح أكثر من صوت يدعو إلى ضرورة العودة إلى حيث الأمن في الحبشة، ولكن تيار الحنين الجارف كان أشد في الدعوة إلى المغامرة بدخول مكة لإرواء غلة الشوق بمرأى الأحبة من الأهل والخلان، وتسللوا مستخفين إلى الدور، حتى لا تبصرهم أعين فتنكل بهم قبل إطفاء نار الشوق إلى الأحبة.

جلس عثمان بن مظعون شاردا لا يكاد ينتبه إلى إلحاح زوجه– خولة بنت حكيم– عليه أن يتناول لقيمات يقمن صلبه:

– يا عثمان.. إنك لم تتناول طعاما من البارحة، وسهرت طول ليلتك تتهجد، وقد بلغ منك التعذيب مبلغا كبيرا، وأنت في حاجة إلى أن تتقوى على العبادة واحتمال الإيذاء.. أرجوك.. لا ترد يدي بهذه القطعة الصغيرة من اللحم.

واحتملت خولة الطعام دون أن يصيب منه عثمان، وعادت لتجلس إلى جواره لعله يفضي إليها ببعض همومه، وبعد فترة من الصمت لا تدري أطالت أم قصرت، تحركت شفتاه، وبدأ يتكلم في هدوء:

– ما رأيك ياخولة لو دخلت في جوار الوليد بن المغيرة؟

كانت الفكرة مفاجأة لها، فهي تعلم مدى اعتزاز زوجها بعقيدته وكراهيته الاستعانة بمشرك، ولكنها أجابت في سرعة وهي تخشى أن يغير عثمان رأيه:

– نعم الرأي يا عثمان.. وقد دخل كثير من إخوانك في جوار بني عمومتهم من المشركين.. كان أبوسلمة في جوار أبي طالب.. وأبوسلمة مخزومي كما تعلم، حتى أبوبكر الذي كان سيد بني تيم محتلا مكانة عبدالله بن جدعان.. هل تتصور أنه دخل في جوار ابن الدغنة؟.. على بركة الله قم.. قم يا عثمان حتى تحس الأمن ولو لأيام إلى أن يعز الله دينه.. قم.

وذهب عثمان بن مظعون إلى الوليد بن المغيرة ليجيره، فأخذه الوليد من يده وانطلق به إلى الحرم ينادي:

– يا معشر قريش.. إني أجرت عثمان بن مظعون، فلا يتعرض له أحد إلا بخير.

مضى عثمان أياما يسير في طرقات مكة، ويختلف إلى أسواقها ويطوف حول الكعبة آمنا

دون أن يتعرض له أحد من المشركين بأذى، ولكنه حز في نفسه أن ينظر إلى أخوانه من المستضعفين وقد اشتد المشركون في تعذيبهم، وتجرع مرارة الحزن على نفسه، إذ شعر أن دخوله في جوار مشرك ما هو إلا هروب من التضحية في سبيل العقيدة، فلم يهرب من المواجهة ولو تلقى ألوان الاضطهاد؟.. أهو أقل من إخوانه إيمانا أو احتمالا للأذى، ليس من الإيمان ولا من المروءة أن يكون بمنجى مما يلاقيه المسلمون من محن.. وإذا برجليه تسوقانه إلى دار الوليد بن المغيرة ليقول له:

- وفت ذمتك. وقد رددت إليك جوارك

فيتعجب الوليد قائلا:

- يا ابن أخي.. لعلك لقيت من أحد من قومي أذى، فسأكفيك ذلك.

- والله ما لقيت أذى من أحد... ولكنني أرضى بجوار الله- عز وجل- والله لا أستجير بغيره.

- إذا فانطلق إلى الحرم ورد على جواري علانية أمام الناس كما أجرتك علانية.

- وانطلقا إلى الحرم ليعلن عثمان بن مظعون في شجاعة:

- قد رددت جوار الوليد بن المغيرة، وقد وجدته وفيا كريم الجوار ولكنني لا أستجير بغير الله.

جلس لبيد بن ربيعة متصدرا الحلقة في أحد نوادي قريش ينشدهم من شعره:

**ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ**

فيقول له عثمان في إعجاب:

- صدقت

فيترنم لبيد بعجز البيت:

**وكل نعيم لا محالة زائل**

فيصرخ فيه عثمان:

- كذبت.. نعيم الجنة لا يزول.

فيغضب لبيد ويلتفت إلى السادة الذين يجلسون حوله، وإلى الشباب المعجبين بشعره:

- يا معشر قريش.. ما كان يُؤذى جليسكم.. فمتى حدث هذا فيكم؟

فيشير أحد الجالسين إلى لبيد معتذرا:

- معذرة يا لبيد فإنه سفيه.. وإنه لسفاهته فارق ديننا واتبع محمدا فيما جاء به، فلا تجدن في نفسك.

- بل أسلمت لله رب العالمين وتركت عبادة الأصنام الشوهاء التي لا تعدو كونها أحجارا صما لا تضر ولا تنفع.

فقام هذا الرجل محنقا ولطم عثمان لطمة شديدة على عينه.. والوليد بن المغيرة ينظر متعجبا ويذكر عثمان بما كان يلقاه من منعة في جواره:

- والله يا ابن أخي لقد كانت عينك عما أصابها لغنية، ولقد كنت في ذمة منيعة فرددتها، وما كان أغناك عما لقيت.

فينظر إليه عثمان ليقول في ثبات:

- بل كنت إلى الذي لقيت فقيرا.. والله إن عيني الصحيحة التي لم تلطم لفقيرة إلى ما أصاب أختها في الله- عز وجل- ولي فيمن هو أحب إليّ منكم أسوة.. وإني لفي جوار من هو أعز منك.

# طريق الحق شائك

للأستاذ الدكتور / عبد الحليم حفني

**كثيرا ما يجد بعض الناس غرابة وعجبا في أمور تأتي في عكس ما كانوا يتوقعونه وينتظرونه، فيعجبون مثلا حين يجدون شخصا مؤمنا صالحا مستقيما كانوا يتوقعون أن يسبغ الله عليه من النعم الظاهرة، وأن يمتعه من الدنيا بما يحرم منه آخرون، فإذا هم يجدون هذا المؤمن الصالح المستقيم غارقا في البلاء أحيانا، مثقلا بالمصائب والمكاره أحيانا أخرى.**

**ويجدون شخصا جادا في الدعوة إلى الله، مجتهدا في حفز الناس إلى عمل الخير، وقد يكون مضحيا في سبيل إقامة مشروعات دينية وخيرية تضحيات يشق على غيره أن يتحملها، فيتوقعون أن يذلل الله له سبيله، وأن يحميه من أي أذى يصيبه، وأن يعطف نحوه قلوب الناس ليؤازروه إن كان في حاجة إلى مؤازرة، ويدافعوا عنه إن كان في حاجة إلى دفاع، ولكنهم يجدونه في عكس ما كانوا يتوقعون، يجدونه أحيانا غارقا في البلاء من الله، وأحيانا غارقا في الأذى من الناس.**

وهكذا في أمور كثيرة يرى فيها عامة الناس حيرة للعقول، وتناقضا مع ما يتوقعون، وقد يقول السفهاء من الناس: لماذا يصب الله البلاء على المؤمنين؟ ولماذا يتركهم عرضة للأذى والاضطهاد من الناس في كثير من الأحيان؟ ولماذا يمتع الله غير المؤمنين أو غير المستقيمين بما يشتهون من متاع الدنيا؟

وقد يوغل بعض السفهاء في جهلهم وسفاهتهم فيظنون السوء بمن يصيبهم البلاء من المؤمنين والخيِّرين، وقد تذهب ظنونهم في هذا كل مذهب، من نحو أن ينشروا ويشيعوا بين الناس أن هؤلاء الذين كنتم تظنون بهم الخير، وترونهم يتمسحون بالدين، أو تجدونهم يتخفون وراء مشروعات الخير، إن هم إلا شياطين مردة، ومجرمون محترفون، ثم يتبارون في أن يلصقوا بهم ما يشاءون من أوصاف السوء، وكثير من الناس ينخدعون بما يشيعه هؤلاء الموغلون في الجهالة، لأن عامة الناس



يتأثرون بما يلقى في أسماعهم أكثر مما تحكم به عقولهم، لأنهم في أغلب الأمر لا يلجأون أصلا إلى العقول، وإنما ينقادون لما يلقى في آذانهم، كما يقول أحمد شوقي عن هذا القطاع من الناس: ( بأنه من يبغاء عقله في أذنيه ) ومن الأمثلة القريبة الشائعة في هذا المعنى أنه حين يلم الفقر بأحد الأغنياء، أو يصاب شخص بكارثة أو مصاب، فمهما يكن من إيمان هذا الشخص أو ذلك الغنى، ومهما يكن نزوعهما إلى الخير، فيندر أن يقال: إنه ابتلاء أو امتحان من الله، بل قد تسمع أنه انتقام من الله، وقد يتبارى بعض الناس في استعراض حياة الذي أصابه البلاء ليستخرج منها مايراه أخطاء ليزعم أن هذه الأخطاء هي التي كانت سببا فيما أصابه، ولا يتحرج بعضهم من أن ينسج من خياله ما يشاء ليضخم هذه الأخطاء أو يضيف إليها ما يريده أو يختلق منها ما يحلو له.

وإنما يوصف الذين يصدرون أحكامهم تلك على الذين يصيبهم البلاء، ويظنون بهم الظنون بأنهم موغلون في الجهالة لأنهم لم يرجعوا في أحكامهم وظنونهم إلى دين أو حكمة أو تجربة.

فأما عن الحكمة والتجربة، فلأنه لا ارتباط واقعيا بين الغنى أو كل متاع الدنيا وبين المقومات الذاتية في الإنسان، فكم من ساذج أحمق تفيض عليه الدنيا من أموالها ومظاهرها، بينما أصحاب الفكر والعلم والفضل يرزحون تحت أعباء الفقر والحاجة في أغلب الأحيان، وقديما قال المعرى:

**لو كانت الأرزاق تجرى على الحجا**

**هلكن إذن من جهلهن البهائم**

والحجا هي بالعقول، بمعنى أن الأرزاق لو كانت توزع بمقدار العقول لماتت البهائم جوعا حيث لا عقول لها، وكذلك كل ما يتنافس الناس في الوصول إليه لا يجرى عليه منطق عقلي، فحتى المناصب التي يفترض أن تسند إلى من هم كفء لها، كثيرا ما نرى فيها من لا يصلح لها، بل ولا يصلح لأى شئ ذى قيمة، وقد نجد موظفا صغيرا في أدنى درجات المؤسسة التي يعمل فيها وهو أكفأ وأصلح للمنصب الذي يشغله أعلى شخص فيها.

والناس يعرفون هذا وماهو أكثر من هذا، ويتحدث به كثير منهم على أنها أمور عادية مألوفة لا تحتاج إلى عميق فكر لاستنباطها، ولا إلى دقيق خبرة لاكتشافها، ولكنهم لا يتدبرونه، ولا يستفيدون منه في نظرتهم إلى الأمور ليربطوها بمصدرها الحقيقي وهو قدر الله، الذي يقدر كل شئ: كبيره، وصغيره، خيره وشره، لحكمة بالغة، تعلو فوق عقول البشر، فهم إذن لم يرجعوا إلى حكمة أو تجربة، ولم يردوا الأمور إلى مصدرها الحقيقي.

وأما أنهم لم يرجعوا في أحكامهم وظنونهم إلى الدين، فإن جهالتهم في هذا الجانب أدهى وأمر، حيث كان ينبغي أن يعلموا أن المكاره والآلام هي طريق المؤمنين، ونصيب الصالحين من مكاره الحياة هو النصيب الأوفى، بينما نصيب الفاسدين والمفسدين من نعيم الدنيا ومتاعها بالعكس هو النصيب الأوفى.

والأنبياء وهم قمة البشر منزلة وفضلا عند الله هم أشد الناس ابتلاء كما في الحديث



الشريف (أشد الناس ابتلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل)[1] بمعنى أن البلاء مرتبط بعلو المنزلة عند الله شدة ويسرا، والأنبياء هم أعلى الناس منزلة، فبلاؤهم أشد البلاء، ثم الذين يلون الأنبياء فى الفضل يلونهم فى نصيبهم من البلاء وهكذا، وحتى الأنبياء كان نصيب كل منهم من البلاء بمقدار منزلته بين النبيين، فحيث كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد بلغ درجة أن يصفه الله ـ سبحانه ـ بأنه خليله كما فى القرآن الكريم:

﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾[2].

فقد تعرض لأنواع من البلاء سواء من جانب الله مباشرة، أو من جانب الناس لم يتعرض لها نبى سواه، فأما ما كان من جانب الله مباشرة فقد كانت قمته ابتلاؤه بأن يؤمر بذبح ابنه الوحيد بيده وليس بيد غيره. ورغم أنها رؤيا منام إلا أنه يعلم أن منام الأنبياء كاليقظة:

﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾[3].

ويهم إبراهيم بالذبح دون تردد على ما فى هذا من إيلام لا تعبر عنه الكلمات ولا فيض الألفاظ، لولا أن الله أمره بالتوقف عن ذبح ابنه:

﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[4].

وأما ابتلاء إبراهيم ـ عليه السلام ـ من جانب الناس ممثلين فى أصحاب السلطات فقد كانت قمته أن يحكموا عليه بالموت، أى بالقتل، وليس قتلا عاديا فى أية صورة من صور القتل المألوف، وإنما حرقا بالنار، وليس أيضا حرقا عاديا بنار تشعل فيه فتحرقه أو تلاحقه، وإنما بنار مستعرة فى أتون من الجحيم، بأن يبنى بناء تكدس فيه أكوام من الخشب، ثم تشعل النار فى هذا الأتون:

﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾[5].

ولكن الألم النفسى لإبراهيم منذ صدور الحكم بإعدامه، ثم باختيار النار لتكون هى الوسيلة للإعدام، ثم البناء الذى يرى إبراهيم ويعلم أنه سيعد ليكون موقع الإعدام، وإبراهيم بشر، فلاشك أن هذا كله سيكون زيادة فى إيلامه نفسيا، ولكن إيمانه وثباته أمام البلاء كان أقوى وأعظم من كل ما حوله، ومن كل ما أعدوه لإعدامه، وألقوه فعلا فى الجحيم، وهم دون ريب يتمنون أن يتراجع عن صموده على دعوته ليطلقوا سراحه، بل ويقدموا إليه ما يشتهى، ولكنه لم يتراجع ولم يتردد، بل أقدم على الجحيم ثابتا مطمئنا، متقبلا كل ما ينتظره من ألم وعذاب بدنى بشع، ولكن الله ـ سبحانه ـ كما رفع عنه البلاء فى اللحظة الأخيرة قبل ذبح ابنه، فكذلك دفع عنه البلاء فى اللحظة الأخيرة قبل أن تلتهمه النار وهو فى قلب الجحيم:

---

(١) المستدرك (٣٤٣/٣) اتحاف السادة المتقين (١٢٦/٨، ٥٥٩، ٥٦٠).

(٢) النساء (١٢٥).

(٣) الصافات (١٠٢)

(٤) الصافات (١٠٧).

(٥) الصافات (٩٧).




﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾(٦).

فبمقدار منزلة إبراهيم كان ابتلاؤه من الله ومن الناس، وعن شدة بلاء إبراهيم يقول سبحانه:

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾(٧).

والتعبير يتضمن ما يعرف فى البلاغة بأسلوب القصر، أى أن ما تعرض له إبراهيم من البلاء هو الذى يوصف وحده بأنه بلاء مبين، وما دونه من أنواع البلاء لا تنطبق عليه هذه الصفة، ويؤكد القرآن هذا بلام التأكيد ﴿ لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ .. ﴾.

ولولا أن الناس هجروا القرآن كما يقول تعالى:

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾(٨).

لولا هذا لكان واضحا لديهم أن القرآن يؤكد فى كثير من محكم آياته أن الابتلاء فريضة كتبها الله على المؤمنين، وأنه سنن من سنة الله الثابتة فى كل العصور والأجيال، ومن ذلك خطاب الله لرسوله وللمؤمنين بأسلوب التأكيد:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾(٩).

بل إن الله يسوق هذا المعنى فى أسلوب الاستنكار، أى أن الله ينكر على الذين يتصورون أن الله يقبل ادّعاء الإيمان دون أن يختبر مدى صدق المدعين للإيمان فى هذه الدعوى؟ والآية التالية لها تزيد المعنى وضوحا وتأكيدا:

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾(١٠).

وكان من التطبيق العملى لهذه السنة أكثر من موقف فى حياة المسلمين على عهد رسول الله ﷺ، ومن ذلك موقعة «أحد»، التى هزم المسلمون فيها هزيمة مرة غير متوقعة، فقد كان المسلمون خارجين من النصر المدوى فى موقعة «بدر»، ثم كانوا فى «أحد» أضعاف عددهم فى «بدر»، ومعهم رسول الله، ففى ظاهر الأمر كيف ينهزمون خصوصا وأن الرسول يكرر لهم وعد الله إياه بالنصر؟ ولكنهم كانوا حينذاك هم الأساس الذى سيبنى عليه صرح الإسلام، فلو أنهم انتصروا فى «أحد» بعد نصرهم فى «بدر» لتدافع ضعاف الإيمان والطامعون نحو الإسلام ودخلوا فى الأساس الذى ستقوم عليه أمة الإسلام فيكون حينئذ أساسا واهيا ضعيفا، ولكن الله يريد أن يمحصهم حتى لا يبقى فى الإسلام حينئذ ولا يدخل فيه إلا الصادقون المخلصون، ليتحقق قوله تعالى:

﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ۝ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾(١١).

---

(٦) الأنبياء (٦٩).
(٧) الصافات (١٠٦).
(٨) الفرقان (٣٠).
(٩) البقرة (١٥٥).
(١٠) العنكبوت (٣).
(١١) آل عمران (١٤١، ١٤٢).





وإذن فالمؤمنون والدعاة إلى الإيمان، والصالحون والدعاة إلى الصلاح، وأهل الخير والدعاة إلى الخير هم العرضة للبلاء والشدائد، وهم الذين تزرع في طريقهم الأشواك والآلام، وهم الذين ينالهم الأذى من سفهاء الناس وشرارهم، ومن الموغلين في الجهالة والغي، ليكون هذا الأذى هو الغربال الذي يميز الأصالة عن الحثالة، فأما ذوو الأصالة، والإيمان فيثبتون، وأما الحثالة فتسقط إلى قرارها المهين، كما يقول تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾(١٢).

وحتى لا يجد الناس في نفوسهم حيرة أو عجبا فإن الله - سبحانه - جعل سنن الذين تسير على منهجهم الذي يألفونه في حياتهم ولا ينكرونه، ومنه منهج الابتلاء والاختبار، فلو أن طالبا يريد أن يحصل على شهادة بالنجاح في أية مرحلة تعليمية فكيف يحصل عليها بدون امتحان؟ وهل يوجد مكان في العالم كله يبيح منح هذه الشهادة بدون امتحان؟ بل إن الامتحان شرط في الشهادة بالنجاح في أية مهنة كالنجارة أو الحدادة أو السباكة أو غير ذلك، فكيف الحصول على الشهادة العظمى وهي الإيمان بدون اختبار؟

وقد يقال: فإن بعض المؤمنين قد يبتلون ثم يعود إليهم البلاء، وقد يتعرضون للابتلاء بالأذى مرة أو مرات متكررة، أفلم يكن الابتلاء الأول كافيا؟ والجواب أنه أيضا لو أراد طالب أن يتدرج ويترقى في مراحل التعليم فهل يكفيه امتحان واحد؟ أم لابد من تكرار الامتحان كلما انتقل إلى مرحلة أعلى وأراد أن يجتازها؟ وكذلك من يريد أن يتدرج في القرب من الله، وأن ترتفع منزلته عنده، يتعرض للاختبار عند كل درجة يريد أن يرتفع إليها.

وليس معنى ذلك أن كل ما يصيب الناس من مكاره وأذى هو ابتلاء، بل قد تكون هذه المكاره انتقاما من الله وعقابا، وآية الابتلاء وعلامته أن من يتعرض للابتلاء من المؤمنين يكون صابرا صامدا لا يتزعزع في أثناء الابتلاء، فإذا انكشف البلاء عاد المؤمن قويا ثابتا كأن لم يصبه شيء، ولذلك نلحظ أن القرآن الكريم يختم الحديث عن البلاء غالبا بالصبر، سواء أكان البلاء من الله مباشرة كقوله تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾(١٣)

---

(١٢) الحج (١١)

(١٣) البقرة (١٥٥)



أم كان البلاء عن طريق الناس كالذى يصيب الدعاة إلى إتيان المعروف والانتهاء عن المنكر ويلاحقهم من أذى الناس كقوله تعالى على لسان لقمان:

﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾(١٤)

والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم من الدعاة، وهم الذين ينتظرون عادة الأذى، وكما أن علامة الابتلاء الصبر والثبات، فإن علامة العقاب انهيار المعاقب وعدم استطاعته الثبات أو استعادة ما كان عليه قبل العقاب، والحديث الشريف يرسم صورة فنية رائعة للفارق بين المبتلى والمعاقب عند حلول الابتلاء أو العقاب، وهى (مثل المؤمن كالخامة من الزرع من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء، ومثل الفاجر كالأرزة الصماء لاتزال حتى يقصمها الله إذا شاء)(١٥) والخامة من الزرع المراد بها النبات اللين العود كالقمح والشعير، تظل الريح تكفئه فيعتدل، وتكفئه فيعتدل، ولكنه لا يسقط، وإنما يعود معتدلا، وهكذا حال المؤمن، يظل البلاء يكفئه فيعتدل، ثم يكفئه فيعتدل، وهكذا، ولكنه لا ينهار ولا يسقط، وأما الفاجر المغاضب لله فإن الله يتركه شامخا كشجر الأرز المعروف في الشام بانتصابه وعلوه في الفضاء، ويظل هكذا، ولكنه حين يسقط لا يمكن أن يعتدل مرة أخرى، فالله يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

ومن ناحية أخرى فإن الواقعين تحت البلاء من المؤمنين حين يثقل عليهم البلاء ويقسو ويتراءى لهم شبح اليأس، حينئذ يظهر الفرج، من باب قوله تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾(١٦).

وإذن فطريق الخير والإيمان شائك، كما أن طريق الشر جذاب براق، وهذا مضمون الصياغة الحكيمة الموجزة: (حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات)(١٧).



(١٤) لقمان (١٧)

(١٥) رواه أحمد (٦، ٣٨٦)

(١٦) يوسف (١١٠).

(١٧) رواه أحمد (٢/ ٢٦٠، ٣٠٨)

﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

التوبة (٤١)

## من قادة الفتوحات الإسلامية

# عدى بن حاتم الطائى

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[1].

**كلمات كريمة من آى الذكر الحكيم ترددت أصداؤها فى أرجاء جزيرة العرب كأنها صدى لصوت رسول الله ﷺ وهو يحطم أصنام قريش فى مكة.. كلمات بثت الرعب والفزع فى قلوب رؤوس الكفر فى سائر أرجاء الجزيرة العربية.**

ومن هؤلاء كان رجلنا ( عدى بن حاتم الطائى ) الذى نتركه يروى لنا رحلته من الضلال إلى الهدى: يقول رضى الله عنه :- «ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به منى، أما أنا فكنت امرءا شريفا، وكنت نصرانيا، وكنت أسير فى قومى بالمرباع[2]، فكنت فى نفسى على دين وكنت ملكا فى قومى لما كان يصنع

(١) الإسراء (٨١).

(٢) أى آخذ ربع الغنائم لأنى سيدهم.

بى . فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لى : لا أبا لك، أعدد لى من إبلى أجمالا ذللا[3] سمانا فاحتبسها قريبا منى، فإذا سمعت بجيش لمحمد وقد وطىء هذه البلاد فآذنى، ففعل، ثم إنه أتانى ذات غداة فقال : يا عدى ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد، فاصنعه الآن فإنى قد رأيت رايات فسألت عنها، فقالوا : هذه جيوش محمد »[4] .

وذعر عدى فحمل أهله وولده على الإبل التى أعدها سلفا وقال فى نفسه : « الحق بأهل دينى من النصارى بالشام » .

## ابنة حاتم الطائى

ويأسر رجال رسول الله ﷺ ابنة حاتم الطائى، وقدموا بها على رسول الله ﷺ فأكرمها رسول الله ﷺ وفك إسارها وما لبث أن شرح الله صدرها للاسلام وطمعت فى إسلام شقيقها فغادرت المدينة بعد أن استأذنت من رسول الله متجهة إلى الشام باحثة عن أخيها تعرض عليه أمر الإسلام آملة أن يشرح الله صدره فلما التقت به عاتبته قائلة : « القاطع الظالم .. احتملت بأهلك ، وولدك، وتركت بقية والدك عورتك ( تقصد نفسها ) فقال لها عدى : أى أخية، لا تقولى إلا خيرا، فوالله مالى من عذر، لقد صنعت ما ذكرت . ثم سألها : ماذا ترين من أمر هذا الرجل؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعا، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكا فلن تذل وأنت أنت . قال : والله إن هذا الرأى » .

وهكذا نجحت شقيقة عدى فى أن تلين قناة أخيها وتجمعه برسول الله ﷺ عسى الله أن يشرح صدره للإسلام .

## والله ما هذا بملك

فخرج عدى بن حاتم من الشام حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخل عليه وهو فى المسجد فسلم عليه، فقال رسول الله ﷺ : « من الرجل؟ » فأجابه قائلا : عدى بن حاتم؛ فقام رسول الله ﷺ فانطلق به إلى بيته، وفى الطريق استوقفت امرأة ضعيفة رسول الله ﷺ، فوقف لها النبى طويلا تكلمه فى حاجتها، فقال عدى فى نفسه والله ما هذا بملك؛ ثم واصلا المسير إلى بيت رسول الله ﷺ فدخلا، وتناول الرسول وسادة

---

(3) الجمل السهل الذى قد ريض

(4) ابن هشام ٦/٥٧٨ .

من أدم محشوة ليفا فقدمها لعدى قائلا: أجلس على هذه؛ فقال له عدى: بل أنت فاجلس عليها، فقال له الرسول ﷺ: بل أنت، فجلس عدى عليها، وجلس رسول الله ﷺ على الأرض. فقال عدى في نفسه: والله ما هذا بأمر ملك. ثم قال له رسول الله ﷺ: «إيه يا عدى بن حاتم ألم تك ركوسيا(٥) قال عدى: بلى قال رسول الله ﷺ: أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟ قال عدى: بلى. قال رسول الله ﷺ: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك. قال عدى: أجل والله. فقال له رسول الله ﷺ: لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم (يقصد المسلمين) فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم. وايم الله ليوشكن أن تسمع القصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم»(٦).

عندها أسلم عدى ونطق الشهادتين بين يدى رسول الله ﷺ ليكسب الإسلام رجلا وأى رجل.

وينتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وترتد العرب عن الإسلام ويرفض الخليفة الصديق أن يهادن أى مرتد ويصر على حربهم جميعا.

ويرسل الصديق خالد بن الوليد لحرب «بني أسد» حيث كان طليحة بن خويلد الأسدي قد ادعى النبوة، ويخرج خالد بجيشه قاصدا بنى أسد، وكان فيمن خرج معه عدى بن حاتم الطائي الذى ثبت على إسلامه وقدم على أبى بكر بالمدينة بإبل الصدقة فيرسل طليحة إلى «جديلة» و«الغوث» أما طيء ذاتها فكانت قد ارتدت عن الاسلام، فقصدها خالد بن الوليد.

وعلم عدى بما كان من قومه فاستمهل خالداً أياما ليثنى طيئا عن ردتها وأفلح في ذلك بل ونجح في استرجاع خمسمائة فارس أرسلتهم (غوث) لمساندة طليحة.

فاستبشر المسلمون وحمدوا الله أن عادت طيء إلى الإسلام بغير قتال ولكن بقيت «جديلة» عندها أدرك خالد مالعدى من تأثير في قومه فقرر أن يستفيد من هذا التأثير فخاطب عديا قائلا: يا أبا طريف ألا

(٥) قوم لهم دين بين النصارى والصابئة.
(٦) ابن هشام ٥٧٩/١.

تسير إلى جديلة؟».

فقال له عدى: يا أبا سليمان لا تفعل، أقاتل معك بيدين أحب إليك أم بيد واحدة؟

فقال خالد: بل بيدين فأجابه عدى: فإن جديلة إحدى يدى.

فكف خالد يده عن جديلة، وأوفد إليهم عدي بن حاتم آملا أن يجزى الله الخير على يديه فدعاهم عدى إلى الإسلام فأسلموا، فحمد الله، وسار بهم إلى خالد وهم فى أهبة الحرب، فلما رآهم خالد في عدتهم ظن أنهم جاءوا لحربه فنادى فى جيشه، فقيل: إنما هى جديلة أتت تقاتل معك، ففرح خالد بهم وضمهم إلى جيشه وعقد لواء طيء وغوث وجديلة لعدى بن حاتم الطائى، وكانت جملتهم ١٠٠٠ مقاتل بكامل عتادهم وسلاحهم فارتفع عدد جيش خالد من أربعة آلاف إلى خمسة آلاف.

## اجعل قومى مقدمة أصحابك

وسار خالد بالجيش يقصد بنى أسد فلما اقترب منهم قال عدى لخالد: «يا أباسليمان اجعل قومى مقدمة أصحابك» كان عدى مطمئنا تماما إلى حسن إسلام قومه، وكان هناك حلف يربطهم ببنى أسد، فإذا ما انهزموا قبل اختارت طيء حلفها مع طليحة وبنى أسد، على الإسلام فتلحقها معرة ما بعدها معرة وهكذا أصبح مطلوبا من بنى طيء أن ينتصروا فقط، دفاعا عن الإسلام أولا، وعن كرامتهم وشرفهم ثانيا، أدرك عدى هذا فالح على خالد بأن يجعل قومه فى المقدمة فقال له خالد: «يا أبا طريف إن الأمر قد اقترب، وأنا أخاف أن أقدم قومك فإذا لحمهم القتال انكشفوا فانكشف من معنا، ولكن دعنى أقدم قوما صبرا لهم سوابق، وهم من قومك» يقصد المهاجرين والأنصار» فقال له عدى: «الرأى ما رأيت» وبدأت المعركة، وأبلى قوم عدى بن حاتم البلاء كله فى القتال.

وهكذا حقن عدى دماء قومه في حروب الردة وحفظهم للإسلام جندا مظفرة كان لهم الفضل أكبر الفضل في فتوح فارس.

(يتبـع)

***

# فدائية تستشهد (١)

**بقلم/ أبو حسام**

صعدت روحها إلى عالم الغيب كعطر يفوح بين الزهور

لم تكدْ تنتمي إلى الخلد حتى ... لاح في ثغره ابتسام السرور
الطيور الرخيمة الشدو غنت ... في ابتهاج، أحبْ بشدو الطيور
والعناقيد في الكروم أكف ... صافحتها في نشوة الخمور
تلك حباتها النضيدة صارت ... لؤلؤا في إكليلها المضفور
خطرتْ كالنسيم طاف على الرو ... ض فأضحى مضمّخا بالعبير
زيّن الخلد أوجه حين وافته ... بدر يتيه بين البدور
أخذت نايها الحزينَ وغنّت ... بين أترابها بلحن مرير
سألوها: أفي الجنان نواح ... وعويل يهيج حرّ الصدور؟
فأجابتْ شهيدة تطلب الثأ ... ر حثيثا لقلبها الموتور

ليس ينسى فؤادها في فلسطين أنينا يذيب صمّ الصخور

يا خنساءً في ربى الخلد تبكي ... بين جمع من فاتنات الحور
ذكرتْ مصرع العدالة في دنيا ... أحيطت بجاثمات الشرور
كلما شع من سنا الحق ضوء ... يتوارى في حالك الديجور

---

(١) هي الشهيدة : حياة بلابسي.

طالما غامرتْ مع الإخوة الغـا    دين تحت الدجى كليث هصور
رفعت راية البطولة فأعجب    للواء في كف ظبي غرير !
تبصر القاذفات تهوى مع    الموت، وتمضي لها بقلب جسور
تبرئ الجرح، تغسل الدمع، تزكي    في بني قومها لهيب الشعور
ما أجل النضال تلبسه الغيد    وشاحا مرصعا بالزهور
أبتغي أن أصوغ فيه قريضي    فيضيق اللغى عن التعبير
الكفاح المرير غال صباها    لهف نفسي على صباها النضير
فتحت للرصاص صدرا وضيئا    يتراءى كصفحة البللور
تهبط السهل، تعتلي الحزن، تعدو    في ظلام الدجى ووقد الهجير
صورتْ رحلة المصاعب منها    شبحاً فرّ من وراء الدهور
سمعتْ في الدجى البهيم أنينا    لجريح يئن تحت الصخور
بحثتْ عنه وحدها فرأته    أبتر الساق، ذا جناحٍ كسير
حملته رغم الضنى وتولّتْ    في شهيق من الأسى وزفير
فإذا العاصف المدمر يهوى    طائر العدو كالشهاب المغير
وإذا الغادة النبيلة ذرا    تٌ تلاشى كيانها في الأثير
رقدتْ والجريح في ساحة    الموت تعب الكرى بطرف قرير !
من مجيري من اللظى يلهب الصدر    إذا ما ذكرتها، من مُجيري؟
زهرة تبهر العيون على الغصن    وفي الكف نسجها من حرير
سُلط المنجل الرهيب عليها    فطواها الثرى ليوم النشور
فإذا الروض مأتم تتباكى    في روابيه نادبات الطيور
لم أردْ أن أصوغ فيها رثاء    تلك والله نفثة المصدور

# القدس الماضى والحاضر

**من ديوان أغانى السحر**

**للشاعر: عبدالفتاح الطاهر الخطيب**

أكرم بهواها فى نفسى ... ونفوس العرب بلا لبس
أرض الإسراء بأحمدنا ... ما أعظم قدرك يا قدسى
يا مهبط وحى رسالات ... جاءت بالخير إلى الإنس
فبك الزيتون غدا رمزا ... وحمائم توحى بالأنس
ما كانت أرضك فى يوم ... أرض الطغيان أو الرجس
حتى احتلتك شراذمهم ... يرعوا فى الفتنة والدس
والغرب يبارك دولتهم ... فى ليل ينبىء بالنحس
والحقد الأسود يملأهم ... وشعور الفارق فى الجنس
زرعوا فى أرضك ويحهمو ... حبات الحنظل والبؤس
وغدا يجنون حصادهمو ... أشجار النقمة واليأس
ما أسوأ عاقبة الباغى ... سيذوق المر من الكأس
من بعد غرور كذاب ... يلقى منا أقسى درس
وتعود القدس لأمتنا ... ويكون لقانا فى عرس
عرس للنصر يصافحنا ... وسيشرق دوما كالشمس
ومواكب أفراح كبرى ... وعدوك فى خزى يمسى
يا قدس الحاضر والماضى ... يحميك الله من البأس
ويصون ترابك من شر ... بنضال الأبطال الخمس؟؟
ويعيدك للوطن الغالى ... فيعود الجسم إلى الرأس
ونغنى أخلد أغنية ... ما أحمد عودك يا قدسى
يا مهبط وحى رسالات ... جاءت بالخير إلى الإنس

ما أحمد عودك يا قدسى
ما أحمد عودك يا قدسى

# إسرائيل من الداخل











# القدس .. بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ/ محمود الفشني

**القدس في قلب كل مسلم، ولم لا؟!.. فإليها أسري بالنبي محمد ﷺ وبها المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، الذي أحاطه الله بالبركة حيث قال:**

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١).

**وأكدت السنة الشريفة على قدسيته، قال رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، الكعبة ومسجدي هذا والمسجد الأقصى». أخرجه الدارمي.**

**لهذا فإن للقدس مكانتها التي لا تدانيها أي مكانة، ولكن ما تعانيه المدينة المقدسة اليوم من مؤامرات لتخريبها وتدميرها ومعاناة شعبها وتدنيس أرضها ألهب أقلام الكتاب على مر الأزمان والعصور، نقدم نماذج منها لتعطي للقارئ صورة لما يعانيه الشعب الفلسطيني وما تضج به الأرض المقدسة من مؤامرات تحاك لأجل اغتصاب الأرض والمقدسات.**

## عروبة القدس

من مقال الأستاذ الدكتور/ حسن علي خاطر.. مدير عام موسوعة القدس، وعضو المجلس الوطني الفلسطيني والذي نشرته جريدة «الأسبوع» بتاريخ ٢٧/٨/٢٠٠١ نقدم هذه المقتطفات التي ضمنها بعض خطوات يرى أن فيها الحفاظ على عروبة القدس والمسجد الأقصى:

أقول بصوت عال: إن هذا الرمز الإسلامي، رمز المقاومة ورمز الشهادة ورمز الفداسة أصبح في ظل تزايد الهجمات والمؤامرات بحاجة إلى حماية أكبر ليس من أبناء

(١) سورة الإسراء (١).

فلسطين فحسب، وهم الذين يشهد العالم أنهم لم يبخلوا عليه بدمائهم وأرواحهم وأموالهم وإنما أيضاً من أبناء الأمة العربية والإسلامية.

**إعمار المسجد الأقصى:** كثير من المسلمين في العالم لا يعرفون حقيقة مباني ومرافق المسجد الأقصى.

وكثير منهم لا يعرفون إلا القبة الذهبية اللامعة التي تظلل الصخرة المشرفة، وهي في الحقيقة تعد من أبرز وأجمل معالم المسجد، لهذا فهي التي تهيمن في وسائل الإعلام على مفهوم الأقصى، ولكن الذي يجهله الكثيرون وتتجاهله وسائل الإعلام هو أن ساحات المسجد التي تحيط بهذه القبة الذهبية هي في معظمها مليئة بالأوساخ وبالأحجار والأتربة، ولا يستطيع أحد من المصلين الصلاة في معظم الأحيان في هذه المساحات الشاسعة.

والسؤال الذي يحيرني ويحير رواد الأقصى جميعاً هو: لماذا لا تتكفل جهات عربية إسلامية باستصلاح أو لنَقُل بتأهيل ساحات الأقصى وتجهيزها بالرخام من أولها إلى آخرها لتصبح جزءاً حقيقياً وفعلياً من الأقصى، يمكن للمصلين أن يصلوا فيها دون حرج ودون مشقة؟!.. فالمساحة داخل أسوار الأقصى معروفة ومحددة بالسنتيمترات وهي حوالي مائة وأربعة وأربعين ألف متر مربع فقط، فهل تعجز مؤسسات التمويل المهتمة بشئون المقدسات الإسلامية في العالم الرسمية والشعبية أن تتولى هذه المهمة وأن تقوم بإعمار هذه المساحات كما ينبغي؟.. وأنا أحب أن أقول للأمة الإسلامية جمعاء إن نسبة الخراب داخل المسجد الأقصى ومرافقه هي أكبر من الأجزاء المعمورة، فلمصلحة من تنتشر هذه المساحات الخربة داخل أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى الرسول ﷺ.

والحقيقة الأخرى التي يجب على أبناء الأمة العربية أن يفهموها بصورة جيدة هي أن الخراب المهيمن على أجزاء كبيرة من الأقصى هو فقط الذي يخلط مفهوم الأقصى ويشتت وحدته في أذهان المسلمين في هذا العصر، فالسبيل الوحيد لتجسيد معنى الأقصى بمفهومه الكامل هو إعمار هذه المساحات الخربة لتكون بذلك جسماً واحداً متصلاً مع المرافق الأخرى المعمورة كمبنى القبة، ومبنى المسجد وغيرها من المباني الأخرى، خاصة وأنا أعلم وكثيرون آخرون يعلمون أن المصلى المرواني الموجود تحت الساحة الشرقية الجنوبية للمسجد الأقصى كان يوشك أن يحول إلى كنيس يهودي لولا أن سارع عدد من الإخوة الأفاضل إلى إنقاذه عن طريق الإعمار.

**الخطوة الثانية:**

تشكيل لجنة علمية مختصة لإعادة تسمية مرافق المسجد الأقصى بأسماء إسلامية أكثر وعياً بأبعاد اللعبة السياسية المعاصرة، وذلك لتفويت الفرصة على استغلال الاحتلال لسذاجة المنطلقات الإسلامية القديمة في تسمية العديد من معالم ومرافق المسجد، فالمتجول في ساحات الأقصى ومبانيه يجد الكثير من الأسماء التي توحي بارتباط هذا المكان بداود وسليمان ـ عليهما السلام ـ

وكذلك بنى إسرائيل، أمثال: باب الأسباط، قبة النبى داود، محراب داود، قبة السلسلة، قبة الأرواح أو الألواح، اسطبلات سليمان.. والقائمة طويلة.

ونحن كمسلمين نجل أصحاب هذه الأسماء ونشعر بالانتماء إليهم أكثر من انتماء اليهود إليهم، ونعترف بنبوتهم فى حين أن اليهود لا يعترفون بذلك، ولكن يجب ألا نسمح باستغلال الأسماء لتغيير الحقائق وتزوير الهوية.

**الخطوة الثالثة :**

العمل على تأسيس مؤسسة دائمة داخل الحرم الشريف تحمل اسم «مؤسسة رعاية الأقصى» أو أى اسم آخر يتفق عليه. وتكون لها مهمات أساسية واضحة ومحددة، وتقوم على عاتق فريق كامل من المتخصصين والمتفرغين بصورة كاملة، ويتحمل القائمون عليها مسئولية كاملة عن تنفيذ برامجها والقيام بمهامها أمام المؤسسات والشخصيات الإسلامية المعنية بالأقصى فى الداخل والخارج، على أن تضم هذه المؤسسة عدداً من الأقسام تتوزع على جميع الناحيات المفترضة والمتجددة لهذا المسجد، والعمل بشكل مستمر على رصد ومتابعة وفضح مخططات الاحتلال ومساعيه الرامية إلى النيل من هذا المكان الطاهر، ووضع استراتيجية إعلامية مستقبلية لتمتين العلاقة الإسلامية بأولى القبلتين، ومتابعة كل جهة ـ شخصية أو اعتبارية ـ تفكر أو تعمل للمساس بهذا المكان، وهذا من شأنه إحاطة المسجد بهالة قانونية واعية وفاعلة تحول إلى حد كبير بين المسجد وبين كل من تسول له نفسه التفكير فى الاعتداء عليه بأى شكل من الأشكال.

وأخيراً، بخصوص المؤسسات الموجودة حالياً فى داخل الأقصى أو المعنية بشئونه، فأحب أن أقول: إن الكثيرين من القائمين عليها هم من الشخصيات الإسلامية الفاضلة، وقد قدم العديد منهم خدمات جليلة لهذا المسجد العظيم، كما كان لهذه المؤسسات والقائمين عليها دور بارز فى مؤازرة هذا المسجد فى محنته المستمرة منذ ما يقرب من قرن من الزمان، ولكن الذى لا يختلف عليه اثنان ممن يعرفون هذه المؤسسات والقائمين عليها، أنها مؤسسات وليست مؤسسة واحدة، وأن مرجعياتها السياسية تختلف، بل وتتناقض فى كثير من الأحيان، كما أن التنافر وعدم الانسجام يطغى كذلك على العلاقة بين الشخصيات القائمة على هذه المؤسسات وهذا يفقدها التعاون والتنسيق فيما بينها بصورة مقبولة، وقسم منها مؤسسات رسمية تغرق فى دوامة الروتين والشكليات الوظيفية، والأهم من هذا كله أن جُل هذه المؤسسات تفتقر إلى رؤية مستقبلية واستراتيجية فى علاقتها بالأقصى، والقسم الأكبر منها يعانى أزمات مالية خانقة لا تساعده على تنفيذ شىء من مخططاته وبرامجه إن وجدت أصلاً، وفوق ذلك فإن قسماً كبيراً من هذه المؤسسات بسيطة جداً فى تركيبتها وتسيير أمورها

واتخاذ قراراتها، حيث تطغى عليها الفردية في هذا كله، رغم أن قسماً منها يحمل أسماء ذات دلالات جماعية عميقة مثل «جمعية..» أو «هيئة..» أو «رابطة...»، وهذا في اعتقادي لا يمس مكانة الأشخاص القائمين عليها ولا بجهودهم الطيبة التي يبذلونها منذ عقود، إلا أن هذه هي الحقيقة. ومصلحة الأقصى يجب أن تكون فوق جميع الاعتبارات والمجاملات، وإلا فإن الأقصى سيبقى في خطر!!!...



## دمـــاء فلسـطينية

وفي جريدة الوفد الصادرة بتاريخ ٢٩ من أغسطس ٢٠٠١ كتب الأستاذ/ حسن عبد ربه المصري.. مقالاً طيباً تحت عنوان: «دماء فلسطينية تقاوم الأسطورة».. يقول فيه:

● في مقالة نشرتها صحيفة «يديعوت أحرونوت» يوم ١٩ أكتوبر عام ٢٠٠٠ أي بعد ثلاثة أسابيع فقط من بدء انتفاضة الأقصى، قال الكاتب يرمياهو يوبيل: «من الوهم أن نقنع أنفسنا بأننا قادرون على التحدث إلى الطرف الآخر لأننا غير قادرين على التحدث إلى أنفسنا، ويجب علينا قبل أن نخطط لدفع السلطة إلى الإذعان إلى مطالبنا أن نتفق معاً على ما هو في صالحنا ضد هذه المصلحة» مشيراً إلى اختلاف الجانب الإسرائيلي حول ما وعد إيهود باراك بالتنازل عنه عبر محادثات كامب ديفيد الثانية.. وهي تنازلات وهمية كما تشير معظم التحليلات التي تصدت لها مؤخراً.

وأياً كان حجم الزيف فيما يتعلق بالوعود الإسرائيلية إلا أن تبادل الاتهامات بين اليمين واليسار الإسرائيلي حول هذه المفاوضات وحول الادعاء بأنها كانت ستؤدي حتماً إلى «انهيار كامل للأحلام الصهيونية» يدل على أن رئيس الحكومة الإسرائيلية آنذاك كان بإصراره على الاحتفاظ لإسرائيل بالسيطرة الكاملة على المسجد الأقصى وأحياء سكنية من القدس الشرقية يريد أن يبعد شخصه السياسي عن غضبة اليمين العنصري الإسرائيلي الانتهازي الذي يسير نحو مخططات تحقيق أحلام الشعب اليهودي الأسطورية وعلى رأسها إعادة تشييد «هيكل سليمان» بخطى حثيثة بغض النظر عن هوية الحكومة التي تسير دفة الأمور في تل أبيب ليكودية كانت أم عمالية.

الهيكل، أو هيكل سليمان أسطورة يهودية ورد ذكرها في كتب التوراة التي دون البعض منها أحبار اليهود بأيديهم لترسيخ المطالبة بوضعها موضع التنفيذ على أرض الواقع على امتداد السنين، وقامت الصهيونية حتى من قبل تيودور هيرتزل بصبغ هذه الأسطورة بصبغة سياسية ونجحت في أن تجعل منها مدخلاً لدعاوى تؤسس دولة تقوم على القوة الغاشمة حرصاً منها على تحويل الخطاب الديني المتطرف إلى فلسفة عمل تجمع بين ما هو ديني وسياسي وعنصري ويتحقق من ورائها إعادة «بناء الهيكل على النسق الذي أقامه عليه أول مرة النبي سليمان بن داود».



● وتعترف وسائل الإعلام الإسرائيلية بأن الأثريين اليهود والأوروبيين لم يعثروا حتى يومنا هذا على أي أثر يدل على وجود بقايا أثرية لهيكل سليمان الثاني الذي دمر عام ١٣٥ ميلادية تحت قواعد وأساسات المسجد الأقصى.. كما يقرر مؤرخو إسرائيل بأن الاستمرار في مثل هذه الحفريات لن يساهم في تحقيق الحلم.

● **يقول حجاي هوبرمان في صحيفة «هتسوفيه» يوم ٣٠ من الشهر الماضي:**

إنه على الرغم من محدودية عدد أعضاء جمعية أمناء الهيكل «إلا أن تأثيرهم في الجانب الديني للمجتمع يتعاظم، خاصة بعد أن اقتنع السياسيون في نهاية المطاف بضرورة الدمج بين ما هو ديني وما هو سياسي».. مشيراً بذلك إلى قرار المحكمة العليا بالسماح لهذه الجمعية بوضع حجر أساس إعادة بناء الهيكل. ولا يكتفي الكاتب بذلك، بل يسخر من تمسك المسلمين بما يصفونه بالأماكن الإسلامية المقدسة في القدس ويتساءل: «لماذا لا ترتفع صيحات الدفاع عن المقدسات الإسلامية في القدس إلا بعد أن تبدأ إسرائيل في العناية بها على نفس المستوى من العناية بمقدسات اليهود داخل المدينة؟.. وأين كانت علاقاتهم الدينية القوية بهذه الأماكن قبل الآن؟..»!!..

ومن أسف، لن تجد حكومة شارون العنصرية المتطرفة من يتصدى لها سوى صدور أبناء فلسطين وإيمانهم بقضيتهم وبالمسجد الأقصى وكنيسة القيامة وبتراب وطنهم!!..

## صدمة في إسرائيل

**أما جريدة (الشرق الأوسط)، فقد تناولت ما يلاقيه القدس على أيدي جماعة عنصرية تمارس الإبادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني.. فكتبت تحت عنوان: (صدمة في إسرائيل بعد إدانة ٣ آلاف منظمة دولية غير حكومية لها بالعنصرية).. في عددها الصادر في ٣ من سبتمبر ٢٠٠١ تقول:**

يعمل الوفد الإسرائيلي ـ المنخفض المستوى إلى المؤتمر العالمي لمكافحة العنصرية الذي ترعاه الأمم المتحدة في مدينة ديربان بجنوب أفريقيا ـ على اتجاهين، أحدهما محاولة تخفيف حدة لهجة مشروع القرار الذي تتبناه المجموعة الإسلامية ضد إسرائيل في المؤتمر، والاتجاه الثاني التشاور مع ممثلي الدول الغربية، بشأن الانسحاب الجماعي إذا ما فشلت الجهود لجعل نص القرار الختامي أكثر اعتدالاً.

ووصف بيان المنظمات غير الحكومية الذي وقعت عليه حوالي ٣ آلاف منظمة دولية، إسرائيل بأنها «دولة عنصرية ترتكب بطريقة منظمة جرائم ضد الإنسانية وتمارس الإبادة الجماعية والتطهير العرقي ضد الشعب الفلسطيني». ودعا البيان في بنده الثمانين إلى «وقف فوري لهذه الجرائم العنصرية».

وأصاب البيان إسرائيل والجماعات اليهودية المشاركة بالصدمة. فقد اتهم شيمعون بيريز وزير الخارجية الإسرائيلي،





المنتدى العالمى للمنظمات غير الحكومية بالتحريض على الكراهية للسامية. وأما رئيس الوفد الإسرائيلى تعوم كاتز فقد اعتبره تحريضاً صريحاً «غرضه الوحيد نزع الشرعية عن الدولة اليهودية وشعبها».

وأعلن رئيس الوفد الإسرائيلى أن مؤتمر الأمم المتحدة حول العنصرية يمثل «منعطفاً حاسماً» فى العلاقة الإجمالية بين إسرائيل والأمم المتحدة، وهو أمر «يقلق كثيراً إسرائيل».

وقال: إن «الاتصالات والمساعى الدبلوماسية مستمرة، ولم تستنفد جميع الاحتمالات حتى الآن، لكننا وصلنا إلى نقطة يتحتم علينا عندها أن نتساءل إن كان يجدر بنا مغادرة المؤتمر؟».



**وكان لمجلة الأزهر دورها البارز على مر تاريخها الطويل وكان، لكُتّابها العديد من المقالات التى سجلت الحقائق التاريخية بأمانة تامة وصدق، تنشر منها هذا المقال للأستاذ الدكتور/ إسحاق موسى الحسينى.. عضو مجمع البحوث الإسلامية - رحمه الله.**

## الآثار الإسلامية فى بيت المقدس

### (١) قبل الفتح العمرى

عن عطاء الخرسانى قال: «بيت المقدس بنته الأنبياء، وعمرته الأنبياء، والله ما فيه شبر إلا وقد سجد فيه نبى» وهذه العبارة على إيجازها تختصر تاريخاً طوله نحو أربعة آلاف سنة.

ولا يعرف التاريخ مدينة تركزت فيها الديانات السماوية الثلاث: الموسوية والمسيحية والإسلام كمدينة بيت المقدس.

وبالتالى لا يعرف التاريخ مدينة مثلها عمرت بالكنس[٢] والكنائس والمساجد والديارات والزوايا والتكايا والمدارس والمقابر وما إلى ذلك من أماكن مقدسة.

وأراد المؤمنون أن يعبروا عن مشاعرهم الروحية نحو هذه المدينة فاستعانوا بالفن، وأطلقوا يده يزركش ويزخرف وينقش حتى أضحت المساجد والكنائس آيات فنية غاية فى الروعة.

ولسنا نعرف الصورة التى كان عليها هيكل مسجد سليمان - عليه السلام - ولكن إذا قسنا الماضى بالحاضر تبين لنا أن الموسويين كانوا أقل عناية بالتعبير الفنى عن مشاعرهم الدينية من المسيحيين والمسلمين فالكنس الموجودة فى بيت المقدس وفى غيرها من بلاد العالم، معابد بسيطة جداً أشبه بمساجد المسلمين فى دورها البدائى، وليس فى ظاهرها ما يميزها ويدل عليها كما هو الحال فى المساجد والكنائس فلا مآذن ولا أبراج ولا أجراس ولا زخارف معينة، وربما يسترعى النظر فيها ضخامة الحجارة

(٢) بوزن فعل بضمتين: جمع كنيس وهو معبد اليهود.

والأعمدة.

وجميع الكنس في بيت المقدس واقعة داخل المدينة القديمة المحاطة بسورها التاريخي الذي جدده زمن السلطان سليمان القانوني في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي وأقدمها يرجع إلى بداية القرن الثامن عشر.

وعلى ذلك يصح القول أن معظم الآثار الموسوية في بيت المقدس قد درس، وأضحى بحق كباقي الوشم في ظاهر اليد على أن الإسلام حافظ على ما بقي منها بعد أن عدها من آثار أنبياء الله المرسلين وبالتالي من آثار الإسلام نفسه، الذي ترجع أصوله إلى أبي الأنبياء إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه - وهذا موقف خليق بالتأمل فالقرآن الكريم جاء مصدقا لما سبقه من الكتب المنزلة ومحمد ﷺ جاء خاتم الأنبياء منذ بداية النبوة إلى زمن عيسى بن مريم - عليهما السلام - وهذا سر ما يتصف به الإسلام من سماحة وسجاحة.

فالمسلم يؤمن بموسى وعيسى ويؤمن بكتبهما الصحيحة، ويحترم أثر من آثار الأنبياء بقدر ما يحترم كل آثاره هو.

ومن أقدم الآثار الموسوية التي رعاها المسلمون وعدوها جزءا من تراثهم الديني مسجد داود وسليمان - وهو المعروف عند المؤلفين الغربيين بهيكل سليمان - ومما يسترعي النظر في صحن الحرم قبة السلسلة المجاورة لقبة الصخرة من جهة الشرق وهذه السلسلة تنسب إلى سليمان ابن داود وقد كتب فوق محرابها:

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾(٣)

وأبلغ من ذلك دلالة أن المسلمين أنشأوا مسجدا في مكان يسمى «مقام النبي داود» على ربوة جبل صهيون، سدنته أسرة مسلمة كبيرة هي آل الداودي نسبة إلى داود «والآن تعرف بالدجاني»، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن في هذا المقام قبر النبي داود، وشمس الدين المقدسي، ومجير الدين الحنبلي وعبد الغني النابلسي، وفي داخل الحرم الذي يضم المسجدين العظيمين الأقصى والصخرة جامع يسمى جامع قبة موسى وجامع يسمى جامع كرسي سليمان، وكلاهما تؤدى فيه الصلاة وهذا عدا الآثار التي تقع خارج بيت المقدس ومن أشهرها مقام نبي الله إبراهيم في المدينة المسماة باسمه (الخليل) وفيه مسجد كبير.

ولم يتبين المسلمون أثرا من آثار السيد المسيح مع ما له من مكانة فريدة نص عليها القرآن الكريم ويرجع ذلك إلى أن الأماكن المسيحية المقدسة كانت وقت الفتح الإسلامي في حوزة المسيحيين أنفسهم، ونصت العهدة العمرية التي كتبها عمر بن الخطاب لبطريرك بيت المقدس «أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من

(٣) سورة ص آية ٢٦.



صلبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم».

ويظهر أن الاحترام بين عمر بن الخطاب والبطريرك كان عظيما فقد كانت كنيسة القيامة أول معبد زاره عمر بعد الفتح وأراد البطريرك أن يكرم عمر فعرض عليه أن يصلي داخل الكنيسة حين أزفت ساعة الصلاة ولكنه أبى حتى تبقى الكنيسة خالصة لأصحابها.

ونصت العهدة على مسألة أخرى خليقة بالنظر وهي «أن لا يسكن بإيلياء ببيت المقدس معهم أحد من اليهود» ولم هذا النص؟ الواقع أن المسيحية أبطلت «العرقية» النسبة إلى جنس معين التي كان يؤكدها بنو إسرائيل ويتفاخرون بها.

فقد قال السيد المسيح: «لا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أبا، لأني أقول لكم: إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم» متى ٣/٩.

وأكد ذلك بولس الرسول بقوله: ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعا أولاد. بل بإسحق يدعى لك نسل، أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلا.»

والمقصود بالموعد مجيء السيد المسيح - رسالته إلى أهل رومية ٩/٦.

وقال: «إن الذين يؤمنون بالله هم أبناء إبراهيم، فالذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن» - رسالته إلى أهل غلاطية ٣/٩.

وأكد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله:

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٤).

ومن هنا كانت القطيعة التي نص عليها عهد عمر بن الخطاب بطلب من البطريرك في أغلب الظن، ونخلص إلى حقيقتين الأولى أن الديانات لا تقوم على العرق فالحنيفية أو الموسوية ليست دين جنس معين من البشر والمسيحية ليست دين أمة معينة والإسلام ليس للعرب وحدهم، وإلا كانت الديانات السماوية حواجز تحول دون التقاء الشعوب، في حين كان أعظم ما قصدته تجميع الناس على خير المثل العليا وأنبلها. والحقيقة الثانية أن الإسلام هو الوريث الشرعي لتراث الأنبياء، لأنه آمن برسالتهم وآخى بينهم وبالتالي ورث المسلمون في بيت المقدس المقدسات الموسوية وحافظوا عليها جزءا لا يتجزأ من تراثهم الروحي والعودة إلى التراث الموسوي وإظهاره أشبه بهدم الطابق السفلي من البناء، أو قطع جذور شجرة بحجة المحافظة عليها. فليتأمل في ذلك اليوم المتأملون ولا سيما أولئك الذي يبغون هدم المسجد الأقصى بحثا عن أنقاض هيكل سليمان!.

---

(٤) سورة آل عمران آية (٦٨).



**(٢) بعد الفتح العمرى**

١ – فتح المسلمون بيت المقدس سنة ١٧هـ ٦٣٨م، وخف إليها أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب – رضى الله عنه – من المدينة ليتسلمها من أهلها، قاطعا على نفسه عهد الله أن يصون أموالهم وكنائسهم ويرعى حقوقهم ويحقق لهم الأمن والسلامة.

ومنذ الفتح العمرى إلى اليوم والمسلمون يحتضنون المدينة المقدسة احتضان الأم وليدها ويحنون عليها حنو المرضعة على فطيمها.

ولا نعرف فى تاريخ الإسلام بل فى تاريخ الأديان السماوية جميعها مدينة ظفرت بما ظفرت به هذه المدينة من تقديس وتكريم وحراسة وقد أولاها الخلفاء والأمراء والعلماء والصالحون كامل رعايتهم فأنشأوا المساجد والزوايا والتكايا والأربطة والسبل والمدارس والمقابر وأوقفوا عليها معظم الأراضى المجاورة، وزينوا وزخرفوا وجددوا قديما، وأسسوا جديدا، حتى أضحت تحفة منقطعة النظير.

ولم ذلك؟

**أولاً**: لأنها موطن إبراهيم خليل الله ومقر الأنبياء ومهبط للوحى ومبعث عيسى كلمة الله التى ألقاها إلى مريم.

**وثانيا**: لأنها ثانى القبلتين وثالث الحرمين استقبلها المسلمون زهاء عام ونصف عام. بعد هجرة الرسول الكريم إلى المدينة.

**وثالثا**: لأنها مسرى رسول الله ﷺ بنص القرآن الكريم.

**ورابعا**: لأنها مفتاح الكعبة وقبر الرسول من حازه تمكن من الأردن وما وراءه من بلاد، لارتفاعها ومناعتها وقد حدث سنة ٥٧٨هـ بعد أن نفذ الإفرنج من فلسطين إلى الأردن أن قصد المقيمون منهم بالكرك والشوبك من مدن الأردن المسير إلى مدينة الرسول لينبشوا قبره الشريف وينقلوا جسده الكريم إلى بلادهم، ويدفنوه عندهم ولا يمكنوا المسلمين من زيارته إلا بجعل «ضريبة»، فأنشأ البرنس أرناط صاحب الكرك سفنا حملها إلى بحر القلزم «البحر الأحمر» وركب فيها الرجال وسارت الإفرنج ومضوا يريدون المدينة الشريفة (الأنس الجليل ج١ / ٢٨٠) ولكن الناصر صلاح الدين أرسل من هزمهم وأحبط مسعاهم.

**وخامسا**: لأنها عاصمة فلسطين ومتحف آثارها الدينية التى تجمعت مدة ثلاثة عشر قرنا وصلة الأصل بين الأقطار العربية والمنارة – بحق – التى يشع منها نور الهداية والخير.

روى أبو عبد الله المقدسى فى كتابه «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم». أنه فضل القدس على مدن الدنيا فى مجلس عقد فى العراق، فاستهول الناس قوله، ولكنه علل حكمه بقوله: وأما الفضل فلأنها عرصة القيامة ومنها المحشر وإنما فضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبى، ويوم القيامة يزفان إليها، فتحوى الفضل كله.. فاستحسنوا ذلك منه وأقروه» (ص١٦٥).

٢ – لم تمر بالمدينة المقدسة مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامى على اختلاف دوله

إلا أقام المسلمون فيها بناء جديدا، أو أصلحوا بناء قديما.

ففي عهد الخلفاء الراشدين أقام عمر ابن الخطاب مسجدا وقد بلغ من احتفائه بالصخرة المشرفة أن أزال بيده ما تراكم عليها من تراب وأقام عليها مصلى.

وفي العهد الأموي بنى عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين ونقش اسمه على القبة مع تاريخ البناء سنة ٧٢هـ ثم توالى الخلفاء والأمراء فجددوا وزخرفوا حتى أضحى المسجد، بشهادة أحد المؤرخين الغربيين (من أجمل الأبنية الموجودة فوق هذه البسيطة) لا بل أجمل الآثار التي خلدها التاريخ.

وبنى عبد الملك المسجد الأقصى وأتمه ابنه الوليد وتوالى على تجديده وتزيينه بالنقوش والقناديل والسجاجيد عدد كبير من الخلفاء والأمراء آخرهم الملك المغربي المجاهد محمد الخامس الذي فرش مسجد قبة الصخرة بالسجاد الفاخر وفيه تلقى خطبة الجمعة فتجيش القلوب وتفيض العيون بالدموع.

وبنى عدد من المسلمين قببا في صحن الصخرة، وبجوارها، كقبة المعراج، ،وقبة محراب النبي، وقبة يوسف، وقبة موسى، وقبة سليمان، وقبة الخضر، ومحراب داود.

وبنوا في الحرم وحوله مآذن وأروقة وسبلا وصهاريج للاستسقاء وكل واحد منها أثر تاريخي عليه نقش أو شاهد وله سمة عصره من زخرف وخط ودعاء.

وبنوا في مختلف العهود مساجد بلغت ٣٤ مسجدا معظمها في داخل المدينة القديمة.

وبنوا عددا كبيرا من الزوايا يؤمها الحجاج من مختلف البلدان الإسلامية كالزاوية النقشبندية للحجاج الوافدين من أزبكستان، وزاوية الهنود للحجاج القادمين من الهند، والزاوية القادرية للحجاج الوافدين من الأفغان وفي كل زاوية مسجد، غرف للنوم ولها أوقاف.

وأنشأوا عددا من المقابر الأثرية التي تضم رفاة الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من علماء ومجاهدين وحكام وفي (الأنس الجليل) أسماء من توفي ودفن فيها، نذكر من الصحابة والتابعين: عبادة بن الصامت وشداد بن أوس وفيروز الديلمي وسلامة بن قيصر وذا الأصابع وأبا محمد البخاري.

وأنشأوا مدارس لطلب العلم بلغ عددها ٥٦ مدرسة حفلت بالعلماء من أهل المدينة وخارجها وقصدها الوافدون من المشرق والمغرب وأوقفوا عليها المصاحف والمخطوطات النادرة ولا تزال معظم هذه المدارس قائمة حول الحرم بأبوابها الحديدية الكبيرة ونقوشها المزخرفة وساحاتها الواسعة وكان المسجد الأقصى نفسه يحتوي على مكتبة كبيرة كما كان الحال في جامع قرطبة والأزهر والقيروان، وكان العلماء يقصدونه من الأندلس والمغرب ومصر والعراق وفارس للدرس والتدريس وفي المتحف الإسلامي اليوم صندوق كبير يضم مصحفا مخطوطا كتبه بيده أحد ملوك المغرب خصيصا للمسجد الأقصى.

٣- إن الكثرة العظمى من هذه الأماكن الإسلامية التى ذكرناها - عدا المقابر - قائمة فى المدينة القديمة المحاطة بسورها الأثرى الذى جلاه آخر مرة السلطان سليمان القانونى فى القرن العاشر الهجرى، وإذا علمنا أن المدينة القديمة صغيرة إذ تبلغ مساحتها ٨٦٨ دونم أى ٨٦٨ ألف متر مربع يشغل منها الحرم القدسى وحده ٢٦ دونم تبين لنا صحة القول أن المدينة أضحت مع الزمن متحفا أثريا غنيا بالأبنية والنقوش والزخارف والقناديل النادرة التى لا تقدر بثمن ولا يمكن أن يوجد لها بديل.

كان سكان القدس القديمة حسب إحصاء سنة ١٩٤٧ نحو ٣٣,٦٠٠ عربى مقابل ٢,٤٠٠ يهودى أى نحو ١٤ : ١، لا يملكون إلا نسبة ضئيلة جدا منها أقل كثيرا من نسبة عددهم لكون معظم البيوت والحوانيت وقفا إسلاميا، ولتحريم القانون فى العهد العثمانى البيع لليهود، وتركز معظم اليهود فى حى واحد اسمه حى اليهود الذى يوجد فيه كنيسهم الأكبر ويدعون أن لهم حقوقا فيما يزعمونه «حائط المبكى» وهو بزعمهم جزء من سور كان حول الهيكل، ولكن المسلمين ينازعونهم فى الحائط لأنهم يعدونه جزءا من الحرم الشريف الذى يضم مسجدى الصخرة والأقصى كما يعدونه مربط البراق الذى أسرى به الرسول، وهو فوق هذا وذاك وقف إسلامى لا ينازع فيه، ولكن الصهيونيين غالوا فى تقويم المبكى لإثارة المشاعر الدينية لأسباب سياسية محضة والدليل على ذلك أن اللجنة الدولية التى تكونت سنة ١٩٢٩ للنظر فى الخلاف حول ملكية المبكى والعبادة فيه لم تقر وجهة النظر الصهيونية، وحكمت بعد دراسة وافية للوثائق بإبقاء الحال على ما هو عليه ومنع اليهود من إدخال تغيير فيه والتسامح الإسلامى هو الذى حدا بالمسلمين إلى تيسير زيارة اليهود لتلك البقعة الإسلامية المقدسة.

**والخلاصة**: أن الآثار الإسلامية تجعل من هذه المدينة المقدسة التى لم يفتأ المسلمون فى جميع عصورهم يرعونها بالإجلال والتعظيم ويتعهدونها بالتعمير والتجديد مدينة أعظم شأنا فى نظرهم من «أورشليم» التاريخية فى نظر اليهود بل يمكن أن تقف فى صف واحد مع مكة والمدينة وفى حديث للرسول ﷺ أنها رابع مدن الجنة، ومن الناحية المادية والحضارية ليس لليهود أثر يذكر بشهادة جميع العلماء مسلمين ومسيحيين، ولذا فإن التفريط بهذه المدينة المقدسة هو تفريط بأقدس مقدسات المسلمين وحرمان من ممارسة شعائرهم الدينية التى كفلتها جميع الشرائع والقوانين، وخطر على سائر مقدساتهم فى مكة والمدينة وافتئات على الأوقاف الإسلامية والملكية الفردية، لا يمكن أن يصبر عليها المسلمون مهما تذرعوا بالحكمة وضبط النفس.

# بروتوكولات حكماء صهيون (*)

للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق

فى هذا المقال سأحاول قدر جهدى إلقاء الضوء على إحدى إفرازات التلمود، ألا وهى: بروتوكولات حكماء صهيون.

وأود أن أشير إلى أن هذا الفكر الصهيونى الذى تشربوه طوال تاريخهم من حاخاماتهم، وصبغوه بصبغة دينية، لم يأت من فراغ، حيث يقول الفيلسوف «غوستاف لوبون» فى كتابه «اليهود فى تاريخ الحضارة»:

«لم يكن لليهود فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أى شىء تقوم به حضارة. واليهود لم يأتوا قط بأية مساعدة مهما صغرت فى تشييد المعارف البشرية. واليهود لم يجاوزوا قط رحلة الأمم شبه المتوحشة التى ليس لها تاريخ».

وانتهى إلى أن «قدماء اليهود لم يجاوزوا أطوار الحضارة السفلى التى لا تكاد تميز من طور الوحشية، وعندما خرج هؤلاء البدويون الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدينة منذ زمن طويل فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أخس ما فى حضاراتها، أى لم يقتبسوا غير عيوبها وعاداتها الضارية وخرافاتها».

---

(*) اعتمدنا فى إعداد هذا المقال على:

(١) بروتوكولات حكماء صهيون.

(٢) غوستاف لوبون: اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى.

(٣) عبدالحليم محمود: العارف بالله بشر بن الحارث الحافى.

(٤) أ.د. حسن ظاظا، السيد محمد عاشور: سرية الحرب عند اليهود.

(٥) عبدالوهاب المسيرى: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية.



وبروتوكلات حكماء صهيون هي التجربة العملية للفكر التلمودى وهي عبارة عن مذكرات أو رسائل أوقرارات كتبها بعض علماء اليهود وكبار ساستهم ليخططوا بها كيف يحكمون العالم.

ويقال: إن هذه البروتوكلات قد كتبت في نفس العام الذى عقد فيه المؤتمر الصهيونى الاول في مدينة بازل بسويسرا ١٨٩٧، وتذكر البروتوكلات البالغ عددها أربعة وعشرين أن حاخامات اليهود وقادتهم قد عقدوا مؤتمرا سريا بهدف وضع خطة محكمة للتعاون مع الماسونيين ومع الليبراليين لإقامة وحدة عالمية تخضع لسلطان اليهود وتديرها حكومة يهودية عالمية يكون مقرها القدس.

وقد بلغت البروتوكلات قمة رواجها في الفترة الواقعة بين الحربين عندما حاول كثير من الألمان تبرير هزيمتهم على أنها طعنة من الخلف قام بها اليهود والمشتركون في المؤامرة الكبرى أو العالمية.

والفكرة الأساسية في البروتوكلات هي فكرة الحكومة اليهودية العالمية ومفهوم السياسة لديهم يختلف عن مفهومه لدى العالم أجمع وما يفعله «شارون» وجيشه من ضرب كل القيم الإنسانية والأخلاقية ليس بجديد على فكرهم فقد ورد في البروتوكول الاول مانصه:

«إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء، والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسي بارع، ولابد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرياء».

فقد ورد في البروتوكول الاول ما نصه:

«يكفى أن يعطى الشعب الحكم الذاتى فترة وجيزة، لكى يصير هذا الشعب رعاعا بلا تمييز، ومنذ تلك اللحظة تبدأ المنازعات والاختلافات التى سرعان ما تتفاقم، فتصير معارك اجتماعية، وتندلع النيران في الدول.. وفي النهاية ستقع في قبضتنا».

وهذا أول بروتوكول يحاولون تطبيقه عمليا على أول شعب استعمروه وحكموه على مدى تاريخهم الطويل وهو الشعب الفلسطينى، وتراهم يصرون بوقاحة على إعطائه الحكم الذاتى رغم أنهم أصحاب الأرض الشرعيين.

وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وإقامة دولته لا يختلف عليه أحد أما الفكر الصهيوني الشاروني الذي نهل من التلمود وحفظ البروتوكلات عن ظهر قلب، فالحق بالنسبة لهم يختلف حيث ورد ما نصه:

«إن حقنا يكمن في القوة، وكلمة «الحق» فكرة مجردة قائمة على غير أساس، فهي كلمة لا تدل على أكثر من: أعطني ما أريد لتمكنني من أن أبرهن لك بهذا على أنني أقوى منك».

وورد أيضا ما نصه:

«يجب أن يكون العنف هو الأساس ويتحتم أن يكون ماكرا خداعا.. ولذلك يتحتم ألا تتردد لحظة واحدة في أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا في تحقيق غاياتنا».

## نظرة اليهود للجوييم (الأغيار) من خلال بروتوكلات حكماء صهيون

لقد وضعت البروتوكلات المخططات الخاصة بمعاملة «الأغيار» وسنحاول إلقاء الضوء على بعضها.

لقد ورد في البرتوكول الخامس ما نصه:

«قد يتمكن الأغيار من أن يسوسونا، ولكنا مع ذلك لسنا في حاجة إلى الخوف من أي خطر ما دمنا في أمان بفضل البذور العميقة لكراهيتم بعضهم بعضا. وهي كراهية لا يمكن انتزاعها».

وورد أيضا ما نصه:

«لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأغيار الشخصية والقومية بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنا. كل هذا تقرره حقيقة: هي أن حكومات منفردة لن تجد لها سندا من جاراتها حين تدعوها إلى مساعدتها ضمنيا».

وكلنا نتابع يوميا المسلسل الدموي غير المتكافئ الذي يحارب فيه جيش منظم شعبا أعزل معظمه من الشيوخ والنساء والأطفال، بأحدث الدبابات والطائرات والصواريخ الموجهة من الطائرات المروحية، وتتساقط جثث المدنيين الذين لاحول لهم ولا قوة في كل اتجاه، حرب ضروس تحرق الأخضر واليابس على مسمع ومرأى من العالم كله. كل هذا لم يأت من فراغ.

فقد ورد في البروتوكول ما نصه:

«ما أبعد نظر حكمائنا القدماء، حينما أخبرونا أنه للوصول إلى غاية عظيمة حقا، يجب ألا نتوقف لحظة أمام الوسائل، وألا نعتد بعدد الضحايا الذين يجب التضحية بهم للوصول إلى هذه الغاية، لم نعتد قط بالضحايا من ذرية أولئك البهائم من الأغيار».

أما موت العجائز والنساء والأطفال من غير اليهود لا يعيروه أدنى اهتمام، الفكر تلمودي والسياسة الشارونية حفظت البروتوكلات عن ظهر قلب حيث ورد فيها:

«كل إنسان لابد أن ينتهي حتما بالموت، والأفضل أن نعجل بهذه النهاية للناس الذين يعوقون غرضنا».

وهذا الصلف اليهودى الصهيونى نابع مما غرسه فيهم حاخاماتهم بأنهم الشعب المقدس، شعب الله المختار، وأن العالم خلق لهم وبهم، ولولاهم ما خلقت السموات والأرض، وأن خلق الإنسان على صورتهم، كي يكون جديرا بخدمتهم، وكل من هو غير يهودى، فهو فى منزلة البهائم.

وقد ورد هذا المعنى صراحة فى البروتوكول الخامس عشر حيث يقول:

«عقل الأغيار، ذو طبيعة بهيمية محضة، غير قادر على تحليل أى شئ وملاحظته. وهذا الاختلاف التام فى العقلية بيننا وبين الأغيار هو الذى يمكن أن يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله، وأننا ذوو طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية، حين نقارن بالعقل الفطرى البهيمى عند الأغيار».

وورد أيضا فى البروتوكول الرابع عشر ما نصه:

«الأجيال القادمة ستصغى إلى تعاليمنا على دين موسى الذى وكل إلينا.. بعقيدته الصارمة راجية إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا».

وهذه هى الفكرة الأولى التى حاول التلمود أن يغرسها فى عقلية كل يهودى وقد أكد هذا المعنى الحاخام (فابيوس) فى عيد رأس السنة اليهودية عام ١٨٤٣م حيث قال: إن الدين اليهودى أفضل من جميع الأديان لأنه يحتوى على أسرار بخلاف الدين المسيحى فإن قواعده مبنية على الجنون.

وقد ورد فى التوراة الموجودة بين أيديهم: «اسمع يا إسرائيل الرب الهنا إله واحد».

## لن نبيح قيام أى دين

وقد فسر حاخامات اليهود هذه العبارة التى تتلى عند كل صلاة. أن الله المختص باليهود إله واحد بينما آلهة غير اليهود متعددة، وهذا تعصب منهم فالله واحد للجميع فهو إله البشر جميعاً - تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً.

وقد ورد فى البروتوكول الرابع عشر:

«عندما نصبح سادة الأرض - لن نبيح قيام أى دين غير ديننا. أى الدين المعترف بوحدانية الله الذى ارتبط حظنا باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالم».

وكي يقضوا على حكم الأغيار بعد أن يمزقوهم بالخلافات والفتن والحروب والجوع والإفلاس.

«فسوف يصرخون هاتفين.. اخلعوا حكامنا واعطونا حاكما عالميا واحداً يستطيع أن يوحدنا ويمحق كل أسباب الخلاف وهى الحدود والقوميات والأديان والديون الدولية.. حاكما يستطيع أن يمنحنا السلام والراحة اللذين لا يمكن أن يوجدا فى ظل حكومة رؤسائنا وملوكنا وممثلينا».

ويقولون أيضا:

«نحن أقوياء جدا، وعلى العالم أن يعتمد علينا وينيب إلينا وإن الحكومات لا تستطيع أبدا أن تبرم معاهدة ولو صغيرة دون أن نتدخل فيها سرا».

وكم من! المعاهدات والاتفاقيات التى أبرموها مع الجانب الفلسطينى برعاية الدول العظمى وتنصلوا منها وضربوا بها عرض الحائط، والكل يتساءل لماذا؟؟



والإجابة ببساطة.. أن هذا الفكر ليس بجديد عليهم فقد ورد في البروتوكول السابع مانصه:

«يجب علينا أن تنطوي على كثير من الدهاء والخبث خلال المفاوضات والاتفاقات».

كما ورد أيضا:

«يجب علينا أن نكون مستعدين لمقابلة كل معارضة بإعلان الحرب على ما يجاورنا من بلاد.. وإذا غدر هؤلاء الجيران فقرروا الاتحاد ضدنا، فالواجب علينا أن نجيب على ذلك بخلق حرب عالمية».

فقد نصبوا شباك تدميرهم بعدة وسائل منها ماورد في البروتوكول الخامس عشر ما نصه:

«والأغيار يبحثون عن عواطف النجاح وتهليلات الاستحسان ونحن نوزعها جزافا بلا تحفظ، ولهذا نتركهم يظفرون بنجاحهم لكي نوجهه لخدمة مصالحنا».

«وإن الإداريين من الأغيار يؤشرون على الأوراق من غير أن يقرءوها ويعملون حبا في المال أو الرفعة لا للمصلحة الواجبة».

وورد كذلك:

«كي نبعد الأغيار عن أن يكتشفوا أى خطط عمل جديدة لنا سنلهيهم بأنواع شتى من الملاهي والألعاب وهلم جرا، وسرعان ما ستبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى من كل الأنواع.. وهذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب عن المسائل التي سنختلف فيها معه».

وورد في البروتوكول التاسع ما نصه:

«إن الأغيار كقطيع من الغنم وإننا الذئاب فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة».

وآخر ماجاءوا إليه هو تصفية الكوادر الفلسطينية المميزة نذكر على سبيل المثال مصطفى العلي أمين عام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

فقد ورد في البروتوكول الخامس عشر:

«لاشئ أخطر من الامتياز الشخصي، فإنه إذا كانت وراءه عقول فربما يضرنا أكثر مما تضرنا ملايين الناس الذين وضعنا يد كل منهم على رقبة الآخر ليقتله».

## حاخامات اليهود والإعلام

وقد ركز حاخامات اليهود على الإعلام والاقتصاد في البرتوكولات حيث ورد ما نصه:

«إن الصحافة التي في أيدي الحكومة القائمة هي القوة العظيمة التي بها تحصل على توجيه الناس.. إن تحقيق حرية الكلام قد ولد في الصحافة ولم تعرف الحكومات كيف تستغل هذه القوة بالطريقة الصحيحة، فسقطت في أيدينا. ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذا وبقينا وراء الستار، وبفضل الصحافة كدسنا الذهب».

وورد كذلك:

يجب علينا أن نتسلط على حكومات الأغيار بما يقال له الآراء العامة، التي دبرناها نحن في الحقيقة من قبل متوسلين بأعظم القوى جميعا وهي الصحافة، وأنها جميعا



لفى أيدينا إلا قليلا لانفوذ له ولا قيمة يعتد بها».

ولم يخف على أحد أهمية الصحافة فقد ركزوا عليها وأفردوا لها البرتوكول الثانى عشر تقريبا حيث ذكر فيه:

«فى الصف الأول سنضع الصحافة الرسمية للدفاع عن مصالحنا لأن نفوذها على الشعب ضعيف نسبيا.

وفى الصف الثانى: سنضع الصحافة شبة الرسمية وواجبها استمالة المحايد وفاتر الهمة

وفى الصف الثالث: سنضع الصحافة التى تتضمن معارضتنا.. كى نكشف أوراق أعدائنا».

وورد كذلك:

«ستكون لنا جرائد شتى تؤيد الطوائف المختلفة.. من أرستقراطية وجمهورية وثورية بل وفوضوية أيضا».

ويقول الدكتور عبدالحليم محمود ـ رحمه الله ـ:

«لقد رسموا لإفساد الإنسانية منهجا أخذوا فى تنفيذه عن طريق وسائل الإعلام ودور النشر وعن طريق المسرح والسينما، عن طريق كل كاتب ماجور وكل كاتب مغفل».

وقد رسموا فى تخطيطهم الاستيلاء على كراسى علم النفس وعلم الاجتماع فى جامعات أوربا وأمريكا، وذلك ليفسدوا عن طريق هذين العلمين على الناس عقائدهم وأخلاقهم، وقد نفذوا مخططهم فاستولوا على ما يقرب من ٩٠٪ من هذه الكراسى، وأصبح من الدراسة الجوهرية فى هذين العلمين موضوعات:

أصل الدين. مصدر الوحى. كيف نشأت الأخلاق. مرد الأخلاق. التفسير النفسى للوحى. التفسير النفسى لعقيدة الألوهية. التفسير الاجتماعى لعقيدة الألوهية. التفسير النفسى للأخلاق. التفسير الاجتماعى للأخلاق.

والأخيار يرسلون أبناءهم ليتعلموا هذا الإلحاد، ثم ليبشروا به عند عودتهم فى أقطارهم والغريب أنهم يؤمنون بهذا الباطل وينشرونه فى أقطارهم ليفسدوها وهم بذلك أبواق لليهود، دعاة لهم عن سذاجة وعن غفلة.

إنهم يعلنون أنهم تبنوا آراء اليهودى «فرويد» الذى يفسر كل شئ فى سلوك الإنسان عن طريق الغريزة الجنسية.

## ماركس.. نيتشة.. دارون

وتبنوا آراء اليهودى «كارل ماركس» الذى أفسد على الكثيرين قلوبهم وضمائرهم وعقولهم، وألغى الأديان وهاجم عقيدة الألوهية.

وتبنوا آراء «نيتشة» الذى ألغى الأخلاق وأباح لكل إنسان أن يفعل مايؤدى الى استمتاعه ولو كان القتل أو إسالة الدماء أو التخريب وتبنوا آراء (دارون) ذلك المهرج الكبير الذى يعلن عن نظرية ينقصها الإثبات وهى نظرية الحلقة المفقودة!

تبنوا كل هذه الآراء برغم زيفها ليفسدوا العالم ويسيطروا عليه».

وقد ورد هذا المعنى فى البرتوكول التاسع:

«لقد خدعنا الجيل الناشئ من الأغيار،




وجعلناه فاسدا متعفناً بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها».

وورد أيضا:

«إذا كنا توصلنا في الأحوال الحاضرة إلى الظفر بإدارة مجتمع الأغيار إلى حد أنه يرى أمور العالم خلال المناظير الملونة التي وضعناها فوق أعينه».

وورد أيضا:

«إن الحاجة اليومية إلى الخبز ستكره الأغيار على الدوام كي يقبضوا ألسنتهم ويظلوا خدمنا الأذلاء».

ويطمع اليهود من خلال فكرهم التلمودي وبروتكولاتهم المعادية للعالم أجمع في السيطرة على اقتصاد العالم.

حيث ورد في البروتوكول العشرين ما نصه:

«إن الأزمات الاقتصادية التي دبرناها بنجاح باهر في بلاد الأغيار قد أنجزت عن طريق سحب العملة من التداول، فتراكمت ثروات ضخمة وسحب المال من الحكومة التي اضطرت بدورها الى الاستنجاد بملاك هذه الثروات لاصدار قروض، ولقد وضعت هذه القروض على الحكومات أعباء ثقيلة اضطرتها الى دفع فوائد المال المقترضة مكبلة بذلك أيديها».

وفي البروتوكول التاسع ورد ما نصه:

«لقد ضجت الشعوب بضرورة حل المشكلات الاجتماعية بوسائل دولية وإن الخلافات بين الأحزاب قد أوقعتها في أيدينا، فإن المال ضروري لمواصلة النزاع والمال تحت أيدينا».

وورد أيضا في البروتوكول العاشر مانصه:

«لقد اعتاد الرعاع أن يصغوا إلينا نحن الذين نعطيهم المال لقاء سمعهم وطاعتهم، وبهذه الوسائل سنخلق قوة عمياء إلى حد أنها لن تستطيع أبدا أن تتخذ أي قرار دون إرشاد وكلائنا الذين نصبناهم لغرض قيادتها».

وجاء في البروتوكول الثامن مانصه:

«إننا سنحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين وهذا هو السبب في أن علم الاقتصاد هو الموضوع الرئيسي الذي يعلمه اليهود. وستكون محاطين بألوف من رجال البنوك وأصحاب الصناعات وأصحاب الملايين.. وسوف نعهد بهذه المناصب الخطيرة إلى القوم الذين ساءت صحائفهم وأخلاقهم».

وجاء في البروتوكول السادس مانصه:

«ضروري أن تستنزف الصناعة من الأرض كل خيراتها وأن تحول المضاربات كل ثروة العالم المستفادة على هذا النحو إلى أيدينا».

أليس هذا ما يحدث الآن؟!

ألم يحقق الصهاينة ما تعلموه من حكمائهم بعناية!

أما فيما يتعلق بعداوة اليهود تجاه المسيحيين أود أن أنوه إلى أن هذه العداوة تشمل كل من هو غير يهودي، وهم يخصونهم بالذكر دائما لأن الأمم المسيحية أكثر وأقوى مما عداها، وإذا انتصر اليهود عليهم ملكوا زمام سائر الأغيار.

وقد ورد في البروتوكول الرابع ما نصه:

«ولكي نحول عقول المسيحيين عن سياستنا، سيكون حتماً علينا أن نبقيهم منهمكين في الصناعة والتجارة، وهكذا



ستنصرف كل الامم الى مصالحها ولن تفطن إلى عدوها المشترك، ولكي تزلزل الحرية حياة الأغيار الاجتماعية زلزالاً، وتدمرها تدميراً، يجب علينا أن نضع التجارة على أساس المضاربة».

وورد أيضا في البروتوكول الخامس ما نصه:

«إن الجماعة المعروفة لنا ويمكن أن تناقسنا في هذه الفنون ربما تكون جماعة اليسوعيين، ولكننا نجحنا في أن نجعلهم هزوا وسخرية في أعين الرعاع الأغبياء وهذا مع أنها جماعة ظاهرة بينما نحن أنفسنا باقون في الخفاء محتفظون بمنظمتنا سراً.. ما الفرق بالنسبة للعالم بين أن يصبح سيده هو رأس الكنيسة الكاثوليكية او أن يكون طاغية من دم صهيون؟

وورد به ايضا:

«بكل هذه الوسائل سنضغط على المسيحيين، حتى يضطروا إلى أن يطلبوا منا أن نحكمهم دوليا.، وعندما نصل إلى هذا المقام، نستطيع مباشرة أن نستنزف كل قوى الحكم في جميع أنحاء العالم وأن نشكل حكومة عالمية عليا».

بعد كل هذا اليست الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية وكيف نجح اللوبي الصهيوني في التأثير على الولايات المتحدة الامريكية كي ترفض موضوعين في غاية الاهمية في مؤتمر العنصرية الذى نظمته الامم المتحدة في ديربان في جنوب افريقية الا وهما:

١ـ اعتبار الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية.

٢ـ حق الشعوب او بعض الجماعات التي خضعت للممارسات العنصرية من قبل الجيوش المتحاربة في الحصول على تعويضات مادية أو معنوية معقولة.

وقد اعتبرت إسرائيل قرارات دربان انحيازاً للدبلوماسية الإسرائيلية.

ورحم الله الرئيس الراحل محمد أنور السادات الذى القى خطابه في الامم المتحدة في ٢٩/١٠/١٩٧٥ وكان لصدى خطابه ولموقف مصر الشامخ القرار رقم ٣٣٧٩ الذى جاء فيه:

«إن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري» وأيد القرار وقتها ٧٢ عضوا ورفضه ٣٥ منها امريكا وإسرائيل ودول السوق الأوروبية المشتركة.

## أخلاق اليهود.. وأخلاق العرب

ووجه المقارنة بين أخلاق اليهود وأخلاق العرب قد عبر عنها غوستاف لوبون حيث يقول:

كيف لايكون من الإهانة للعربي أن يقاس باليهودي، ومبدأ اليهود كما ورد في سفر يسوع:

«اهلكوا جميع ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير.. وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار»

مع أن مبدأ العرب كما جاء في وصية أبي بكر الصديق:

«لاتخونوا ولاتغلوا ولا تمثلوا، ولاتقتلوا طفلاً صغيراً ولاشيخاً كبيرا ولا إمرأة، ولاتقطعوا نخلاً ولاتحرقوه، ولاتذبحوا شاة ولابقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة».

# نصرت يا مسجد الإسراء

للشاعر:
السيد الصديق حافظ

«نقضت قريش وحلفاؤها عهد الحديبية، وغدروا بحلفاء النبي ﷺ. فأسرع «عمرو بن سالم» الخزاعي إلى المدينة ناشدا مستنجدا فبشره رسول الله ﷺ بالفتح والنصر القريب قائلا «نصرت يا عمرو ابن سالم» وقد مزجت نشيدي بنشيد «عمرو» رجاء النصر والبركة للمجاهدين بحجارة أرضهم».

إن اليهود أخلفوك الموعدا
«وقتلونا رُكَّعاً وسُجَّداً»
«وبيَّتونا بالمصلى هُجَّداً»[1]
والمسجد الأقصى غدا مستعبدا
يبكي ويستبكي الملا مستنجدا
الصوت مخنوق ومذبوح الصدى
«هيَّا عباد الله وأتوا مددا»
«في فيلق كالبحر يجري مزبدا»
لا تتركوني خائفا مهددا
إن اليهودي الجبان استأسدا
لما رأى سيف الجهاد مغمدا
لا تأمنوا شر اليهود أبدا
لن يهدءوا حتى يهدُّوا المسجدا
والهيكل المزعوم يغدو معبدا
يا مسجد الإسراء كلنا فدى
نفديك لا نألو ونعم المفتدى
الموت فيك اليوم يعني المولدا
نحيا به في المجد عمرا سرمدا
والقاعدون اليوم من خوف العدا
موتى وإن عاشوا على الدنيا مدى
قد أغضبوا «عيسى» وآذوا «أحمدا»
واستبدلوا بالنور وجها أسودا

(1) بيَّتونا: هاجمونا ليلاً ونحن نصلي التهجد.

# مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية

٢

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

## بيانات وإحصائيات مهمة

**تدلنا إحصائيات النشر العلمي لخريطة العلمي الدولي الأكثر اعتباراً ـ من واقع بيانات معهد المعلومات العلمية ISI في فيلادلفيا بأمريكا ـ على أن جملة مايمكن انتقاؤه من بين ٧٠,٠٠٠ (سبعين ألف) دورية علمية متخصصة هو فقط ٣١٠٠ دورية علمية، وذلك استناداً إلى الاستشهاد العلمي بأبرز هذه الدوريات Periodicals وأكثرها اعتباراً على مستوى العلم السائد عالميا Mainstream Science. واتضح أن ٢٪ فقط، أي ٦٢ دورية من الدوريات المختارة تصدر في الدول النامية التي ينتمي إليها دول العالم الإسلامي، وأن الإنتاج العلمي في العالم الثالث يمثل ٥,٨٪ فقط من الإنتاج العالمي، وأن الإنتاج العلمي في مصر ـ مثلاً ـ أقل من إنتاج كلية الطب في جامعة هارفارد الأمريكية.**

من ناحية أخرى، تشير أبحاث المؤتمر السابع للوزراء المسئولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي ـ المنعقد في الرياض بالمملكة العربية السعودية في أبريل ١٩٩٩م تحت شعار «التعليم العالي والبحث العلمي لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين» ـ إلى أن عدد الأبحاث التي ينشرها عضو هيئة التدريس في الوطن العربي لايزيد في المتوسط على بحث واحد كل ثلاث سنوات، والغالبية العظمى من هذه الأبحاث تنشر في دوريات محلية ولاترقى إلى المستوى الأكثر اعتباراً عالميا.

وعندما أجرت «اليونسكو» إحصاء للأربعين دولة الأكثر تقدما في العالم في التعليم الأساسي لم يكن من هذه الدول في العالم الإسلامي إلا الكويت وإيران. وجاء ضمن هذه الأربعين دولة كوريا واليابان وسنغافورة وبلاد أوربا كلها والولايات

(*) عميد كلية العلوم ـ جامعة القاهرة.



المتحدة الامريكية بطبيعة الحال. ويكفي أن نعلم على سبيل المثال أن تكلفة إعداد التلميذ بالتعليم الاساسي في سويسرا تبلغ ١٢٠٠٠ دولار، وفي امريكا ٨٠٠٠ دولار، وفي إسرائيل ٣٥٠٠ دولار، وفي مصر ١٧٠ دولاراً، وأن المعدل العام لتكلفة طالب التعليم العالي السنوية في العالم العربي أقل من ٧٢١ دولاراً، بينما نجد أن التكلفة في أعلى خمسة بلدان في العالم تصل إلى ٩٥٧٦ دولاراً.

وإن نظرة فاحصة إلى واقع العلم والبحث العلمي في العالم الإسلامي - من خلال ماتشير إليه هذه الإحصائيات الإجمالية - توضح لنا أن اجتياز حالة التخلف العلمي والتقني يجب أن يصبح هدفا عزيزا على الأمة بأكملها، ولايمكن أن يتحقق هذا الهدف إلا إذا آمنت الأمة بكل مشاعرها ووجدانها بدور العلم والتقنية في صنع التقدم، ودعت إلى الأخذ بهما بنْيةً ومنهجاً وأسلوب حياة، انطلاقا من تعاليم الإسلام الحنيف الذي حث على طلب العلم من المهد إلى اللحد، وجعله فريضة على كل مسلم. والأمة التي تعطل أداء فريضة واجبة هي أمة تلقي بأيديها إلى التهلكة. وإذا كان علماء الدين يصنفون العلوم الطبيعية Natural Sciences ضمن الفروض الكفائية التي يحتاجها المسلمون، فليست الكفاية أن يوجد فقط من يعرف هذه العلوم، بل في وجود العدد الكافي لتلبية الاحتياجات اللازمة للأمة. والتخصصات العلمية المختلفة ضرورية لكل مجتمع، والإخلال بأحدها يؤدي إلى الإخلال بالواجب الأعظم، وهو عبادة الله حق عبادته، وإعلاء كلمته في الأرض. وأداء فريضة العلم طلب توفير المؤهلين الأكفاء للنهوض بالواجبات الكفائية كأحسن ما يكون الأداء بحيث يستمر تحقيق المصلحة العامة على أسس ثابتة. وإذا عجزت الأمة الإسلامية عن توفير كل الإمكانات التي سخرها الله في الكون لإعزاز الإسلام والمسلمين، فإنها تكون قد قصرت في أداء الأمانة أيما تقصير.

## أسس فكرية ومفاهيم ضرورية

مما لاشك فيه أن العلم والتقنية Science and Technology من النشاطات الإنسانية التي لايمكن ازدهارها إلا إذا حظيت بالرعاية والأولوية على ما عداها فيما يتعلق بتحقيق القفزة الحضارية لمواكبة حركة العصر. ومن المتعارف عليه أن كل إنجاز تقني يمر بعمليات تطوير متلاحقة يصبح بعدها صالحا للاستخدام على نطاق واسع، ثم يأخذ هذا الانجاز التقني بعد ذلك في التراجع والانحسار حتى يتقادم ويندثر بعد أن تكون هناك تقنية جديدة أرقى وأفضل قد حلت محله ويمكن ملاحظة هذه المراحل من «أجيال» أو «موجات» التقنية في العديد من التقنيات السائدة حاليا مثل المجاهر (الميكروسكوبات) والحاسبات الالكترونية وغيرها ولاشك أن هذه الظاهرة أصبحت تؤثر بصورة مباشرة على مجالات البحث العلمي





المختلفة، وخاصة في الدول النامية التي ترفع شعار «نقل التقنية» باعتباره إحدى وسائل اللحاق السريع بركب الحضارة المعاصرة. وهنا يأتي التدريب على أجيال التقنيات المتعاقبة في مقدمة المشكلات التي تعترض مسيرة البحث العلمي في هذه الدول باعتباره مهنة تستوجب الإعداد الجيد للباحثين والفنيين.

ولما كان العلم كمنهج ونشاط اجتماعي يعتبر بمثابة المحرك الضروري لعملية النمو الاقتصادي والاجتماعي في كل بلد متقدم، فإن حدوث اكتشافات علمية مهمة بين الحين والحين لايؤثر فقط في طبيعة فهم الإنسان ورسم تصوراته بالنسبة للعالم من حوله، بل يؤدي أيضا إلى كشف مناطق جديدة من المعلومات والاحتمالات التطبيقية التي سرعان ما تتحول إلى وسائل وأدوات تقنية جديدة للإنتاج والخدمات. ومن هنا أصبحت التقنية تمثل المقدرة على تحويل الإبداع العلمي إلى أهداف اجتماعية مفيدة. وفي ضوء هذه المعاني ينبغي فهم رسالة العلم في أحد جوانبها المهمة على أنها أداة أساسية لنقل التقنية إلى قوة عاملة وفعالة في تطوير حركة المجتمع نحو الأفضل.

ولما كانت العلاقة بين العلم والتقنية عبر تاريخها الطويل علاقة متبادلة، أخذاً وعطاءً، على فترات متباعدة في بادئ الأمر، ثم متقاربة تدريجيا بعد ذلك، فإن الناظر لطبيعة هذه العلاقة في عصرنا يجد أنها أصبحت أكثر التحاما من ذي قبل. ذلك أن التقنية Technology ـ بحكم مقطعيها في المقابل الأجنبي ـ أصبحت تستخدم بمعنى «علم التطبيقات العملية» ـ أي دراستها المنظمة وفق أسس وقواعد ومناهج علمية، بالإضافة إلى استخدامها للتعبير عن عملية الإنتاج التقنية. وهذا يعني أن التقنية أصبحت قائمة على العلم Science Based Technolgy وهو تصحيح للمفهوم الشائع عن التقنية التقليدية المتضمنة في «المهارات الحرفية» وهكذا يكون الفهم الدقيق لثنائية العلم ـ التقنية، والإلمام الواعي بالخصائص المميزة لكل من عنصريها، من المطالب الأساسية عند وضع أي استراتيجية لتنمية القدرات العلمية والتقنية.

ويقودنا فهم طبيعة العلاقة بين العلم والتقنية على النحو الذي أوضحناه إلى أهمية تفنيد مقولة «نقل تقنية العصر»، باعتبارها مقولة مضللة يظل الآخذون بها مجرد سوق استهلاكية لتصريف ماينتجه الآخرون من تقنيات متعاقبة. ذلك أن عملية نقل التقنية أصبحت من أكثر العلاقات بين الدول المتقدمة والدول النامية خطورة، وأبعدها أثراً، وأكثرها مدعاة للحذر والوعي والرقابة. وينبغي عند البحث عن سبل التنمية في الدول النامية أن يبدأ التخطيط لإنتاج التقنية باتباع أسلوب وسط يعمل على بناء القدرة التقنية الذاتية ودعمها وتطويرها، وذلك من خلال انتقاء التقنية الملائمة المنقولة وتطويعها، مع تطوير التقنية



الهلية، وتشجيع الإبداع التقنى، على أن يتم ذلك كله فى مرحلة من التحول التقنى تحدد معالمها نظرية عامة وشيدة للبحث العلمى والتقنى كجزء لايتجزأ من استراتيجية التنمية الشاملة. وبهذا يكون تطبيق شعار «نقل التقنية أفقياً ورأسياً» من أهم عوامل الإسراع باستيعاب ما تتطلبه التنمية من أحدث التقنيات التى توفر الوقت والجهد، وعندئذ فقط يبدأ الطريق الحقيقى نحو إنتاج التقنية وتوطينها وتجديدها وتكاثرها.

## تنمية القدرات العلمية والتقنية

إذا ماقبلنا الأساس الفكرى الذى عرضنا ملامحه من خلال تعريف ثنائية «العلم ـ التقنية»، وتحديد الطريق إلى إنتاج التقنية وتوطينها، فإن الخطوات العملية لتحقيق تنمية القدرات العلمية والمهارات التقنية من خلال التدريب المستمر يمكن إنجازها فيما يأتى:

١- فتح قنوات التدريب المستمر وتبادل الخبرة المتميزة فى مختلف التخصصات العلمية والتقنية بين الخبراء الأكفاء فى البلدان الإسلامية وخارجها.

٢- تقويم موضوعى مستمر لجدوى الدورات التدريبية التى تعقد للتدريب على تقنيات متقدمة ومعقدة.

٣- إنشاء مراكز خاصة لتطوير التقنية فى الشركات ومصانع الإنتاج يكون تمويلها من الجهود الذاتية، وهو أمر يختلف عن ما يتم فى الجامعات ومراكز البحوث التى تعنى بالبحوث الأساسية والتطبيقية، وهذان يختلفان تماما عن مراكز تطوير التقنية. وهذا التوجه ضرورى، ليس فقط لملاحقة أجيال التقنية، ولكن أيضا لإنتاج تقنيات جديدة ذات صلة مباشرة لقطاعات الإنتاج والخدمات فى كل دولة على حدة.

ويجمع بين هذه الأساليب هدف مشترك يتمثل فى تحقيق السيطرة التقنية مروراً بمرحلتين:

**الأولى**: السيطرة على التقنيات السائدة والقدرة على تكرارها ذاتيا، مثل تصميم بعض الأجهزة العلمية وصيانتها.

**والثانية**: السيطرة على الأجيال المتقدمة من التقنيات الأكثر تطوراً دون إهمال نقلها خلال المرحلة الأولى.

وفى حقيقة الأمر يوجد ارتباط وثيق بين المرحلتين. ذلك أن نشر التقنيات السائدة فى المرحلة الأولى يتم ضمن عملية إعادة الإنتاج الموسعة أفقيا، بينما تكون المرحلة الثانية ضمن عملية إعادة الإنتاج الموسعة رأسيا. فالدخول إلى التقنية المتطورة، دون السيطرة على التقنية السائدة، وبدون وجود قاعدة عريضة من المهارات والخبرات والكوادر العلمية، وبدون قاعدة صناعية عريضة سيكون محفوفاً بمخاطر عديدة بسبب عدم المقدرة الفعلية على الاستيعاب الكامل لأجيال التقنية المتقدمة، وعلى تكرار إنتاجها.

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾

سورة يس الآية (٦٨)

الإعجاز الطبي في القرآن

# هرمون «دهيا» ترياق الشيخوخة

# DE HYDRO EPI ANDEROSTERONE

# D.H.E.A.

للدكتور/ السيد الجميلي

ما من أحد منا إلا وهو كثير الحنين إلى أيام الصبا، وحلاوة الشباب، ومرح التصابي.. شديد التأثر بذكرياته وتشوفاته وجميل أوقاته.. إنه زمن القوة والفتوة والطموح والتشوف والأمل والأحلام الوردية.

إن سلوى الشيوخ والكبار لا يمكن أن تقوى على نسيان كل هذه الذكريات الجميلة التي تستروح النفس فترة بعد أخرى، وتتأوب الروح فينة بعد فينة، فهي لا تنفك تتضيف الخوالج والخواطر كنسمة الصيف الباردة على الأفئدة المحرورة والصدور الحرجة فترسل عليها بردا وسلاما وأمنا وأمانا.

قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾(١).

قال العلماء: ﴿ مِّن ضَعْفٍ ﴾ أي من مني. والمعنى أن الله، تعالى، خلقكم من أصل ضعيف وهو النطفة، وجعلكم تتقلبون في أطوار، الجنين فالوليد فالرضيع فالمفطوم، وهي كلها أحوال في غاية الضعف.

﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ أي من بعد ضعف الطفولة قوة الشباب.

﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ أي من بعد قوة الشباب ضعف ووهن الهرم والشيخوخة.

والله، سبحانه وتعالى، يخلق ما يشاء من ضعف وقوة ومن شباب وشبيبة إلى شيبة وهرم وكهولة (٢).

يقول الإمام العلامة الطبيب الفيلسوف الفقيه المتكلم الفخر الرازي في «مفاتيح الغيب»:

﴿ خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾ أي مبناكم على الضعف، والشيبة هي تمام الضعف(٣).

---

(١) سورة الروم الآية ٥٤.

قال أبو حيان: «وجعل الخلق من ضعف لكثرة ضعف الإنسان أول نشأته وطفولته، ثم حال الشيخوخة والهرم، والترداد في هذه الهيئات شاهد على قدرة الصانع وعلمه» اهـ. البحر المحيط ١٨٠/٧ بتصرف.

(٢) مفاد هذا المعنى ومؤداه في تفسير الإمام الزمخشري، إذ يقول: «هذا الترديد في الأحوال المختلفة من هيئة إلى هيئة، ومن صفة إلى صفة، أظهر دليل، وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر» اهـ. بتصرف من الكشاف ٢٢٧/٣.

(٣) التفسير الكبير ١٢٧/٢٥.



ويقول الحق - أيضا - جل شأنه:

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾(٤).

أي: ومن نعمره نرده إلى أرذل العمر(٥).

والمعنى: ومن نطيل عمره نقلبه في أطوار متنكسا في الخلق، فيصير كالطفل لا يعلم شيئا(٦).

يقول الإمام الزمخشري:

﴿ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ نقلبه فيه، فنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل، وذلك أنا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم، ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال إلى حال، ويرتقي من درجة الى درجة إلى ان يبلغ أشده ويستوي، ويستكمل قوته، ويعلم ماله وما عليه.. فإذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي وضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله(٧).

قال تعالى:

﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾(٨).

وفي هذا توضيح وبيان لا مزيد عليه.

إن أجمل ما ورد من المأثور الجليل في هذا المقام أن على الإنسان أن يستثمر عهد الشباب وهو وقت الطلب في تحصيل العلم وتمكين الذات، وتعميق الفقه بالدين والإحاطة والإلمام بفنون الثقافة والمعارف المختلفة متى كان ذلك ميسورا ومتاحا كليا أو جزئيا وعلى قدر المستطاع.

ثم إنه من المقطوع به والمجزوم بصدقه أن من لم يأت بالواجب زمان الإمكان (أي وقت الطلب) ما كان ليأتي به زمان الإزمان (والإزمان: كناية عن الهرم والزمني: هم المبتلون بالزمانة).

ومن أنسب ما قيل في تفسير الرازي في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ ﴾(٩).

قطع للأعذار بسبق الإنذار، ثم إنه لما قرر ذلك وأتمه شرع في قطع عذر آخر(١٠).

---

(٤) يس الآية ٦٨.

(٥) قال قتادة: يصير إلى حال الهرم الذي يشبه حال الصبا، فطول العمر يُصَيِّرُ الشباب هرما، والقوة ضعفا والزيادة نقصا.

(٦) قال ابن جزي: القصد من ذلك الاستدلال علي قدرته تعالى على مسخ الكفار، كما قدر علي تنكيس الإنسان إذا هرم. راجع التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٣٢٩/٢.

(٧) الكشاف ٢٣٩/٤.

(٨) النحل ٧٠.

راجع التفسير الكبير للفخر الرازي ٧٣/٢٠ ومختصر ابن كثير ٣٣٦/٢ وجامع البيان للطبري ١٣٦/١٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٦٨/٤ وفيه: قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر. اهـ.

(٩) يس ٦٠.

(١٠) التفسير الكبير ١٠٣/٢٦، ١٠٤.





● منذ زهاء إحدى وأربعين سنة وبالتحديد سنة ١٩٦٠م وعن طريق المصادفة البحتة العجيبة أمكن للبروفيسور أميل بوليو Prof. Dr. A. Polio أن يكتشف هرمون ( دهيا ) De hydro epi anderos- terone وهو المشار إليه بالمختصر D.H.E.A. وهذا الهرمون تفرزه الغدة فوق الكلوية في الإنسان[١١] Suprarenal Gland وفي الجسم يتم تحويل هذا الهرمون إلى اثنين من أهم الهرمونات الجنسية والتناسلية الأول : هرمون التستوستيرون ( الهرمون المذكر ) Testosterone Hormone

الثاني : هرمون الأستروجين ( الهرمون المؤنث ) Estrogen Hormone.

ولوحظ أن إفراز هذا الهرمون يبلغ الذروة من مستواه في الدم Utmost Blood Level فيما بين الخامسة والعشرين إلى الثلاثين من العمر[١٢].

ثم يبدأ في الانخفاض عن هذا المعدل بعد ذلك تدريجيا Gradually Decreases With Aging.

ولفت نظر الباحثين في هذا الصدد أنه مع الانخفاض التدريجي ( مع تقدم العمر ) لهذا الهرمون يزداد تعرض الجسم إلي الإصابة بأمراض القلب Cardiac Diseases لا سيما أمراض الشريان التاجي Coronary Artery Diseases وكذلك مرض السرطان Cancer.

لكن المثير المدهش في الأمر والذي لم يتوقف عنده الباحثون وتأمل أن يتوسعوا فيه هو أنه مع تساوي مخايل وتوازن البشر في مواجهة زيادة تركيز هذا الهرمون إلا أنهم يتباينون ويختلفون اختلافا جذريا فارقا بمسافات شاسعة شطون في حالة نقصه.

وهذا التميز الفارق لابد أن يكون مرجوعا ومعزوا لعناصر ودوافع عضوية أو هرمونية علي الأرجح وعلي الأغلب، لكننا نرى هذا الأمر محتاجا مزيدا من التحقيق البحثي والاستقصاء التجريبي، والمتابعة المختبرية.

فعلا لقد أحسن الدكتور بوليو ووفق توفيقا مذهلا باكتشافه سلفات ( الدهيا ) D.H.E.A. Sul- phate إذ فتح بابا من أهم أبواب البحوث العلمية في عالم الهرمونات والغدد.

لقد بدأت الدراسات العملية Clinical Studies علي هذا الهرمون بادي الرأي ( كما هو العرف السائد في القضايا الطبية ) علي الحيوان حتي إذا ما تم تقويم دور الهرمون في جسم الحيوان وحتي تتم إزاحة الستور والغدائف والأسجاف وإماطة اللثام عن احتمال وجود أخطار وأضرار جانبية مؤذية ضارة من عدم ذلك - يعمد الباحثون في المرحلة التالية على الإنسان في حرص بالغ، وحذر شديد، وتربص فائق.

لقد بلغت التجارب علي الإنسان بخصوص هذا الهرمون ذروتها منذ زهاء خمس سنوات أو يزيد قليلا ( زهاء سنة ١٩٩٥م ).

كان مدار الأمر ومناط البحث والتحري حول محور العلاقة بين هرمون الدهيا والشيخوخة وقد

---

(١١) يوجد كذلك من مفرزات الغدة فوق الكلوية في حيوانات التجارب كالقردة والفئران.

(١٢) تبلغ نسبته في الشباب أربعة أضعاف 4 folds نسبته في الرجال والنساء بعد سن الستين.





لوحظ تأثير هرمون الدهيا على الشيوخ المسنين إذ إنه بإعطائهم جرعة من هذا الهرمون تقدر بخمسين ملليجراما ( وقد تصل إلى مائة ملليجرام ) يوميا لوحظ معها تراجع عوارض ومخايل وعلامات الشيخوخة المتقدمة لكن لا يتحقق هذا الناتج إلا بعد الانتظام على هذه الجرعة لمدة ستة أشهر على الأقل، وقد تستمر لمدة عام كامل.

ثم إن الثابت أن القلب أبدى ارتياحا ونشاطا ملحوظا مع انتعاش جهاز المناعة، وزيادة المقاومة للأمراض المعدية ولا سيما الفيروسية مع سرعة التئام الجروح.

إن التراجع الظاهر لعلامات الشيخوخة Regression of Senility Manifestations إنما هو دليل معتبر وإقرار صريح لقوة فعالية هذا الهرمون فهو ينشط جهاز المناعة Immuno stimulant فضلا عن تنشيط الذاكرة والتذكر وعلاج النسيان الذى يلازم الشيخوخة المتقدمة عادة Treat Senile Remote and Recent Amnesia وهى تشكل مشكلة معقدة في أغلب الأحيان والمثير للدهشة اللافت للنظر أن تجاعيد جلد الكبار سرعان ما تختفى مع الاستمرار على هذا الهرمون بالجرعة ٥٠٠ مجم يوميا لمدة ستة أشهر. وهذا هو المبتغى المقصود، والمراد المستهدف عند الكثير من الناس لا سيما النساء.

بيد أن تأثيره الظاهر في تحسين القدرة الجنسية وزيادة الرغبة Amelioration of Sexual Ability and Sexual Desire إنما هو مجرد رصد لمظاهر التأثير الهرموني لكن ميكانيكية التفعيل Mechanism of Action لا تزال مجهولة Uptill now still unknown وغير معروفة الكيفية على وجه الدقة والتحديد.

إلا أنه لا يمكن اعتباره بديلا للفياجرا Not Alternative to Viagra وذلك لأسباب عديدة يطول شرحها ولا مجال لبسط القول فيها الآن. أما عن الأخطار المرصودة والمتوقعة التى تلابس هذا العقار، وتجعل استعماله لا يخلو من الحرج بل فى أشد الاحتياج إلى التحفظ وإجالة النظر مع وجوب إخضاع العلاج به إلى الأخصائيين من الأطباء المعالجين، وذلك لخطورة العلاج العشوائى غير المنضبط.

أهم أخطار هذا العقار إمكان تعرض الإنسان لسرطان الكبد Hepatoma وتضخم البروستاتا Senile Prostate (Hypertrophy) وسرطان الثدى Breast Cancer وسرطان البروستاتا Cancer Prostate.

لكن على أى حال فإنه لا ضير ولا مشاحة فى إعطاء هذا الهرمون بجسارة وبدون أدنى تردد أو تقاعس وبلا مخافة أي من هذه المضاعفات والأضرار الجانبية فى حالة العلاج التكميلى لاستكمال النقص فى الهرمون إذا كانت الغدة فوق الكلوية عاجزة عن الوفاء بالقدر المطلوب للمستوى الطبيعى فى الدم Replacement Theraphy Due to Supra renal Failure.

هذا الانتقال بالإنسان من مرحلة الضعف ثم إلى طور القوة والفحولة، ثم الانتهاء بالوهن والضعف الأشد، هذه الأطوار الثلاثة تختلف في توصيفها وأحكامها وقوانينها .. وكل ذلك بتقدير القادر، وإبداع الخالق البارئ المصور الذى أحسن كل شئ خلقه.

والحمد لله رب العالمين.

# من قارة إلى قارة



## طارق بن زياد في طريقه إلى الأندلس

للشاعر المهندس/ علي محمود طه[1]

أشباحُ جنٍ فوق صدر الماء ** تهفو بأجنحةٍ من الظلماء ؟
أم تلك عقبان السماء وثبن من ** قنن الجبال على الخضم النائى ؟
لا ، بل سفينٌ نحن تحت لواء ** لمن السفين ترى وأى لواء ؟
ومن الفتى الجبار تحت شراعها ** متربصا بالموج والأنواء
يُعلى بقبضته حمائل سيفه ** ويضم تحت الليل فضل رداء
ويُنيلُ ضوءَ النجم عالى جبهة ** من وسم «إفريقية» السمراء
ذهبٌ ببوتقة السنى من ذوبه ** نسجت محياه يد الصحراء

(١) اشتهر بشعره العاطفى والوجدانى والتاريخى وهذه نفحة من شعره، والقصيدة نقلاً عن ديوان الشاعر ص ٥٠٢ دار العودة ببيروت.



لونٌ جلتْ فيه الصحارى سحرها .. تحت النجوم الغُرّ والأنداء

وسماءِ بحرٍ ما تطامن موجُه .. من قبلُ لابن الواحة العذراء

بحرٌ أساطيرُ الخيال شطوطُه .. ومسابحُ الإلهام والإيحاء

ومدائنٌ سحريةٌ شارفنه .. بنخيلها وضفافها الخضراء

ومعابدٌ شمٌ، وآلهةٌ على .. سُفُنٍ ذواهبَ بينهنَّ جوائى

أبطالُ «يونان» على أمواجه .. يطوون كل مفازة وفضاء

يتجاذبون الغارَ تحت سمائه .. يتناشدون ملاحمَ الشعراء

مازال يرمى «الرُّوم» وهو سليلهم .. ويُديلُ من «قرطاجة» العصماء

حتى طلعتَ به فكنت حديثَه .. عجباً ! وأىُّ عجائب الأنباء

ويسائلون بك البروق لوامعاً .. والموجَ فى الإزباد والإرغاء

من علّم البدوىَّ نشر شراعها ! .. وهداه للإبحار والإرساء !

أين القفارُ من البحار وأين من .. جنّ الجمال عرائسُ الدأماء ؟

يا ابن القباب الحُمر ويحك ! من رمى .. بك فوق هذى اللجّة الزرقاء ؟

تغزو بعينيك الفضاء وخلفَه .. أفقٌ من الأحلام والأضواء

جزرٌ منوّرة الثغور كأنها .. قطراتُ ضوءٍ فى حفاف إناء

والشرقُ من بُعدٍ حقيقةُ عالمٍ .. والغربُ من قُربٍ خيالةُ رائى




ضحكت بصفحته المُنى وتراقصتْ .. أطيافُ هذي الجنّة الخضراء

ووثبْت فوق صخورها وتلمّست .. كفّاكَ قلباً ثائرَ الأهواء

فكأنما لك في ذُراها موعدٌ .. ضربَتْه أندلسيّةٌ للقاء!

ووقفت والفتيانُ حولكَ ، وانبرتْ .. لكَ صيحةٌ مرهوبة الأصداء

هذي الجزيرةُ إنْ جهلتم أمرَها .. أنتمْ بها رهطٌ من الغُرباء

البحرُ خلفي والعدوُّ إزائي .. ضاعَ الطريق إلى السفين ورائي!!

... وتلفّتوا فإذا الخضمُّ سحابةٌ .. حمراءُ مُطبقةٌ على الأرجاء

قد أحرقَ الرُّبانُ كلَّ سفينةٍ .. من خلفه إلا شراعَ رجاء

ألقى عليه الفجرُ خيطَ أشعّة .. بيضاءَ فوقَ الصخرة الشمّاء

وأتى النهارُ وسار فيه طارقٌ .. يبني لمُلكِ الشرق أيَّ بناء

حتى إذا عَبرتْ ليالٍ طوّفتْ .. أحلامُه بالبحر ذاتَ مساء

يرعى على الأفقِ المُرصّع قريةً .. أعظِمْ بها للغزو من ميناء

مدَّ المساءُ لها على خُلجانها .. ظلاً، فنامتْ فوق صدرِ الماء!

***



# أصول القصة الشعرية على ضوء الخصائص العامة للقص

للأستاذ الدكتور / صابر أحمد العزب

(١) من المعروف أن الشعر بدأ قاصا، وأن القص بدأ هو الآخر شاعرا، وذلك فى الملاحم اليونانية القديمة.. وإذن فعودة الشعر إلى القص تعد عودة إلى الجذور، مع تفاوت مؤكد بالطبع بين الملحمة والقصة الشعرية، لأن الملحمة تتألف من مجموع من القصائد الطويلة، التى تتسم إلى مدى بعيد بالموضوعية، والسعة، بحيث تضم بين جوانحها حضارات أمة، كما أنها تعكس فعل القوى الطبيعية واللاطبيعية، وتجسد الخارق وغير المألوف، وتصور الحرب والغزو.. كما يقول «فنسنت» فى كتابه: «نظرية الأنواع الأدبية».

أما القصيدة القصصية، فتتكون من وحدة عضوية واحدة، وتغوص فى الواقع، أو فى التاريخ، أو فى الخيال، بمنطق الشعر وليس بمنطق هذه الأطر، فإن بدأت من الوسط، أو من النهاية، استرجعت رحلة الحدث فى إيماء غير مصرح إلى ما سيتم، ولم تقع فى رصد التفاصيل والجزئيات لأنها منوطة بالعبور فوقها، وإن ذكرتها وظفتها لغاية فنية إيحائية، وليس لمجرد كونها جزءا من الحدث، ثم هى تعمل على توحيد بطلها.. أى جعله واحدا.. ما استطاعت، أما الشخوص الثانويون فيأتون من خلال تداعيات الشخصية البطلة، أو سرد الشاعر، أو استدعاء الحدث، إلى آخر ما يرد من هذه السمات.

## ٢

وإذا كانت القصة النثرية تتناول فترة كاملة من حياة خاصة، أو مجموعة من الحيوات.. وكانت الأقصوصة النثرية تتناول شريحة أو موقفا من الحياة.. فإن هذا التصنيف يمكن أن ينسحب على القصة الشعرية، واللوحة الشعرية كذلك، فيقال: إن القصة الشعرية هي التي تغطي مرحلة من مراحل الحياة خاصة، أو مجموعة من الحيوات.. بينما تكتفي اللوحة الشعرية بالتركيز على شريحة حياتية، أو موقف من الحياة.. على أن نسلم بأن هناك فرقا بدئياً بين طبيعة القصة النثرية، وطبيعة القصة الشعرية وأيضا بين طبيعة الأقصوصة النثرية، وطبيعة اللوحة الشعرية.. فإذا كان منطق الحبكة، أو منطق التسلسل الطبيعي أو الحتمي، يحكم أحداث القصة النثرية.. وكان منطق العلاقات القائمة بين الشخوص، وتصويرها من الداخل، والتركيز فيها على وحدة التأثير، يحكم سياق الأقصوصة النثرية.. فإن القصة الشعرية تتعالى على تواتر الربط المنطقي، وأيضا على نمطيته، وتبدع لنفسها- من خلال لغة الشعر المليئة بإمكانات التصوير، والتشكيل، والإيقاع- منطقها وروابطها.. وكذلك تبدع اللوحة لنفسها علاقات وعوالم وتأثيرات خاصة، من خلال لغتها الشعرية المليئة بإمكانات التناقض، والرمز، وإشاعة الإيحاء حتى في المتعين والمحدود.. ثم هنا- أعني القصة النثرية والأقصوصة النثرية من جهة.. والقصة الشعرية واللوحة الشعرية من جهة أخرى- يلتقيان في محاولات نقل المتلقي إلى قلب الفعل القصصي، والولوج به إلى العالم المموه الخاص بالقص، ووضعه على صعيد الإحساس بإمكان حدوث ما يحدث، وإمكان وجود من يحدث الحدث، أي إمكان حدوث ما يرى، وإمكان وجود من يرى.

## ٣

وإذا كان القص النثري لا ينقل الواقع كما هو، بل ينتخب منه ما يفسر هذا الواقع على ضوء خبرة القاص التقنية، وليس على ضوء تعينات هذا الواقع وواقعيته، فإن القص الشعري بألوانه: «القصصية.. واللوحية.. والحوارية» ينتخب من هذا الواقع المنتخب، أي أنه يقوم بعملية تقطير للواقع حتى يستصفي منه جواهر الأشياء وجواهر العلاقات.. وعلى قدر ما يحقق القص الشعري لذاته من قدرة على فك تركيب هذا الواقع، وإعادة تركيبه من جديد، أي من خلال رؤية شعرية خاصة، فإنه مطالب بأن يبقى في القصة واللوحة والحوارية على إحساس ما بواقعية الواقع المصور، محوراً، ومموهاً، لا يهم.. لأننا كما نشترط في القص أساسية الخيال المبتكر، «نشترط فيه كذلك واقعية الحدث، وواقعية الشخوص» من خلال تصميم فني يدمج هذه العناصر دمجا طبيعيا ومدروسا معا، فقد يوجد الخيال الفج، أو الواقعية الحرفية غير الفنية، أو التقنية المحلقة في خواء غير الواقعي، ويستحيل معها وجود العمل القصصي الحقيقي، لغياب التصميم الفني الذي هو شرط الوجود لهذا العمل المنشود.

٤

ثم إن الشاعر القاص مطالب بأن يقنعنا- وهو يتحدث عن جزء من الحياة- بأنه يتحدث عن الحياة كلها، وهذا الفعل الفني يستلزم أن يكون الشاعر على خبرة فائقة بتجربته شكلا ومضمونا، وأيضا على خبرة فائقة بطبيعة الواقع الحيوى، حتى يحقق هذا الشمول من خلال هذا التعين.

٥

ولا ينبغي أن ننسى أن لغة القصة النثرية هي إلى مدى ما «لغة توصيلية» مهما بالغ القاص في تأنيقها وتجميلها.. بينما تظل لغة الشعر القصصي «لغة تشكيلية» مهما حاول الشاعر الاقتراب بها من منطق الحدث. أم من منطق الشخوص، أي من منطق الواقع، لأنها أساسا لغة مقصودة لذاتها، وإن كانت تتأدى إلينا من خلال حدث وشخوص وأجواء معينة.

٦

وكما تلوح الحبكة في القصة النثرية مقيدة بسببية الربط، وتسلسل الوقائع، فإنها تلوح في القص الشعرى غير مقيدة إلا باللغة القادرة على تخييل الواقع، وإقناعنا بأن مشعث هذا الواقع مجتمع، ولا معقوله معقول، ونعني باللغة هنا اللغة الشعرية التي تحمل في ذاتها مبرر وجودها الجميل، والتي تستعيض عن خلق «السببية» بخلق «المشاعر» وعن تجسيد «التناغم فحسب» بتجسيد «التناغم في التناقض» وبينما يتحتم على القاص الناثر أن ينقل تجربته مجسدة في حوادث وشخوص وصراع، على نحو من الصفاء والوضوح والصدق والواقعية، يتحتم على القاص الشاعر أن ينقل تجربته مجسدة كذلك في حوادث وشخوص وصراعات وواقعية، ولكن على نحو من التظليل والرمز والإيحاء، بشرط أن لا يستحيل كل أولئك إلى نوع من الغموض الحاجب لجوهر ما يعنيه الشاعر من هدف نهائي.

٧

وتعد الشخصيات في العمل القصصي محورا من أهم محاوره الصميمة، فهي التي تنهض بعبء الأحداث، وتتفتح عن كنوز المعارف النفسية، والاتجاهات السلوكية، والقدرات العقلية، والاستجابات التي لا تنتهي.. وقد تكون الشخصية القصصية نمطية تحمل خصائص الشخصية الإنسانية من غير تحديد، ومثل هذه الشخصية يمكن أن تقبل في القصة الشعرية أكثر مما تقبل في القصة النثرية.. وقد تكون شخصية لها خصوصيتها، ومثل هذه الشخصية يمكن أن تقبل في القصة النثرية أكثر مما تقبل في القصة الشعرية.. لأن القصة في الشعر تعنى بالتكثيف والرمز.. بينما تعنى القصة في النثر بالتفصيل والتحليل.. كما أن من حق القاص أن يتدخل في رسم الشخصية هنا وهناك، أو يظل مراقبا لها ويدعها هي التي تنهض بمهمة الكشف عن عواطفها وميولها، أو يترك للشخصيات الأخرى عملية التعليق على الشخصية المحور، وعلى ما تلقاه من أحداث وصيرورة ونتائج.



وكما يتمايز القص النثرى والقص الشعرى من خلال كثير من خصائصهما الفنية كما رأينا، فإنهما يلتقيان كذلك فى كثير من الملامح والخصائص: فهما يشتركان مثلا فى الحرص الدائب على تطوير الحدث والشخصية من خلال احتكاك الشخصية والحدث بالعالم الخارجى المحيط، عبر سلسلة من التقاطعات والتوازيات والتأزم والانفراج، بحيث يبقى المتلقى فى حالة ترقب دائم.. وهما يفعلان ذلك من خلال اختيارهما لطريقة السرد، وخلق اللغة الفنية المواتية، وتكثيف الحركة المساعدة على إبراز عضوية السياق، وكما يكون التكثيف فى الحركة البسيطة يكون فى الحركة المعقدة، ،وكما يتحقق فى إشباع المتلقى يتحقق كذلك فى مماطلته ومراوغته.. ويلعب القاص فى ذلك على عنصر الوعى، أو التداعى، أو المنولوج الداخلى، أو تكرار الشخصيات، أو الشخصيات الثانوية التى تمثل الجو، أو تضىء الشخصية الرئيسية، أو تعلق على الحوادث والشخصيات.. على أن يحرص القاص فى كل أولئك على سببية الانتقال من موقف إلى موقف، أو سببية الربط بين الحدث والحدث فى القص النثرى، وعلى الإيهام بذلك فى القص الشعرى، إلا إذا أراد القاص لشخوصه أن يتحركوا من خلال قدرية معينة، أو عفوية معينة، على ما بين ذلك من فروق.. ويتعامل القص النثرى والقص الشعرى جميعا مع الحبكة ذات الموضوع الواحد، والحبكة ذات الموضوعات المتراكبة، بشرط أن تحس فى الحبكة ذات الموضوعات بأن كل موضوع يرشح على الموضوع الآخر، ويؤثر فيه ويتأثر به، بيئة وشخوصا وأحداثا.. كذلك يبدو أنهما معا يستطيعان صياغة هذه الحبكة فى أى شكل شاءا: سردا، أو ذكريات، أو رسائل.. ولكن يبدو أن الذكريات، أو الوعى، أقرب إلى طبيعة الشعر منها إلى طبيعة النثر، لأن الشعر فى يتحرر بالضرورة من السببية والمنطقية وحرفية الواقع، فالخواطر التى يصغى إليها الشاعر لا تجئ مرتبة، ولا منطقية، ولا ملتزمة قواعد اللغة اليومية، بل تجئ هادرة ومتلاطمة ومتداخلة ومنسابة، وهنا لابد للبطل أن يتردد من الداخل إلى الخارج، ومن الخارج إلى الداخل، بلا تخلف، على أن يتم ذلك فى حضور من الواقع دائما، وإن كان هذا الحضور الواقعى يمكن أن يظل على مسافات من الفعل القصصى الشعرى بالذات.. وينبغى للنوعين معا أن يحافظا على إيقاع العمل القصصى، وأن يضبطا حركته بين الإسراع والإبطاء، وأن يجيدا كيفية دفع أمواج القص إلى الجيشان، وقصرها على الريث والأناة، كلما دعت حاجة السياق إلى مزيد من الجيشان أو إلى مزيد من الريث، وقد تدعو الحاجة إلى زواج الريث والجيشان فى لحظة واحدة، ليشعلا نوعا من التناقض أو نوعا من التوتر المنشود فى موقف معين.. ومن حق كل نوع من النوعين كذلك، أن يستخدما فى قص ما حدث ضمير المتكلم، أو ضمير الغائب، وفى الحالتين يمكن الإحالة على الماضى، والمضارع ، والمستقبل، وعلى الشخوص الرئيسية والشخوص الثانوية، وعلى المكان المسرح والمكان المناخ، وعلى الحادثة المحور والحوادث الرافدة.. إلى آخر ما يمكن إيراده من خلال هذه الصيغة الفنية.

# طرائف ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

## بين ضيف ومضيف

أضاف رجل آخر فأطال في زيارته حتى أمسى الليل، وأظلم البيت، فقال الضيف: يا صاحبي أين السراج فقد أظلم البيت؟

فقال المضيف: إن الله -تعالى- يقول:

﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾(1).

## كنت.. فبنت

لما بنى الحجاج على هند بنت المهلب، علم قبل الدخول بها أنها تزوجته على كره منها إلى حد أنها أضمرت له السوء، فطلقها وقدم لها على يد رسول نفقتها الشرعية، وقال الرسول على لسان الحجاج: إن الأمير يقرئك السلام ويقول لك: «كُنْتِ.. فَبِنْتِ». فقالت هند بنت المهلب للرسول: قل للأمير: والله كنا فما فرحنا، وبِنّا فما ندمنا، وهذا المال الذى جئت به إلينا ثمنا منا لهذه البشرى.

## جواب.. مسكت

دخل أبوحنيفة على المنصور في مجلسه، وكان فيه أبوالعباس الطوسي وهو سيىء الظن في أبي حنيفة، وبيّت النية على إحراجه، فقال له: يا أبا حنيفة إن أمير المؤمنين يأمر الرجل بضرب عنق الرجل، وهو لا يدرى شيئا، أيضرب عنقه؟، فقال أبو حنيفة: يا أباالعباس: أمير المؤمنين يأمر بالحق أم بالباطل؟ فقال أبوالعباس الطوسي: إنما يأمر بالحق

فقال أبوحنيفة: أنفذ الحق حيث كان، ولا تسأل عنه؛ فألجمه، وأفحمه.

وقال: لقد حاول أبوالعباس أن يوثقني فربطته.

## حقيقة

قال رجل لحكيم: كيف حال أخيك، وكان مريضاً، فقال الحكيم: إن أخى قد مات، قال الرجل: وما سبب موته؛ فقال الحكيم: حياته.

(1) سورة البقرة الآية (20).

## عبادة الله

إن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار.

وإن قوما عبدوا الله رهبة، فتلك عبادة العبيد.

وإن قومنا عبدوا الله شكرا، فتلك عبادة الأحرار.

## أنت أمير الشعراء غدا

قال البحترى: قال لى أبو تمام بلغنى أن بنى حميد أعطوك مالا جليلا فيما مدحتهم فأنشدنى شيئا منه، فأنشدته. فقال لي: كم أعطوك؟ فقلت: كذا، فقال لي: لقد ظلموك، وما وفوك حقك والله، فإن بيْتاً منها خير مما أخذت، ثم أطرق قليلا فقال: لعمرى لقد مات الكرم، وذهب الناس، وغاضت المكارم وكسدت أسواق الأدب، أنت والله يا بنى أمير الشعراء غدا بعدى، فقمت فقبلت رأسه ويديه، وقلت: والله إن هذا القول أسَر إلى مما وصل منهم.

## [illegible]

وكل كسر فإن الله يجبره

وما لكسر قناة الدين جبران

## أصعدت الغرف؟!

قال رجل من العرب: رأيت البارحة الجنة في منامي، فرأيت جميع ما فيها من القصور، فقلت: لمن هذه؟ فقيل لى: إنها للعرب. قال له رجل من الموالى: أصعدت الغرف؟ قال: لا.. قال: تلك لنا.

## لماذا لا تخالط الناس؟!

سئل إبراهيم بن أدهم: «لماذا لا تخالط الناس؟»

فقال: إن صحبت من هو دونى آذانى بجهله، وإن صحبت من هو فوقى تكبّر علىّ، وإن صحبت من هو مثلى حسدنى.. فاشتغلت بمن ليس فى صحبته ملل ولا فى وصله انقطاع، ولا فى الأنس به وحشة.

## دعاء

يا أكرم الخلق ما لى مَنْ ألوذ به

سواك عند حدوث الحادث العمم

# الأسرة ومكانتها في الإسلام

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

**١**

أكتب عن الأسرة ومكانتها فى الإسلام، لما نراه اليوم من أحداث وخيانات أسرية، ولما نقرؤه من حض على السير وراء دعوات التحرر من كل قيود الدين والأعراف الاجتماعية والأخلاق الإنسانية.

وتقف الأسرة المسلمة اليوم فى مهب الريح والعواصف، حين تخرج عن أحكام الدين وتقلد النظم الغربية فى البناء الاجتماعى الذى أدى فى الغرب إلى تفكك الأسرة، وضياع الأبناء، وحيرة الشباب، وفقدان الانتماء.

إن الأسرة هى الدعامة القوية للوطن وهى الخلية الأولى فى جسم الأمة، وإصلاح الأسرة إصلاح للوطن جميعه، شبابه وشيوخه، رجاله ونسائه، آبائه وأبنائه.

ولقد عنى الإسلام بالأسرة عناية كبيرة وحددت التشريعات الإسلامية كل الحقوق والواجبات لكل فرد فى الأسرة، ووضحت المسئوليات الملقاة على كل إنسان فى الأسرة، ونظمت الحقوق والالتزامات التى لا غنى لهذا البناء الأساسى والنسيج البشرى عنها، مما يكفل سلامة الدعائم وقوة البنيان، والحياة الطيبة المباركة للفرد والأسرة والمجتمع، ليكون كل فرد من أفراد الأسرة عضوا سليما صالحا، يؤدى وظيفته فى الحياة أداء كاملا.

والتشريعات الإسلامية للأسرة من زواج وطلاق ونفقة وهبة تعالج أمورا سداها ولحمتها العاطفة والشعور والإحساس الوجدانى العميق، وتقوم أكثر ما تقوم على الاختيار السليم البعيد عن الإكراه والجبر، والعماد فى ذلك كله على الإيمان والخلق الكريم والعقيدة الراسخة، وتقوية الوازع الدينى فى نفوس أبناء الأسرة، ومحاربة النزعات الفاسدة والرغبات الآثمة وعلى الدعوة إلى اتباع تعاليم الإسلام، وإرشادهم إلى سواء السبيل.

## ٢

والأسرة في الإسلام نسيج واحد لا تباين بين ما يضمه هذا النسيج، وما يحتويه هذا البناء وميزته قيامه على الشرف والعفة والطهارة، وعلى الصدق والتعاون والحب والألفة والمودة والأمانة والإخلاص، ومراقبة الله في كل عمل وكل حركة أو سكون.

والزواج شريعة الحياة والإسلام، وبداية للتكوين الأسرى والاجتماعي وأمل يطوف بخلد الأبناء، بنين وبنات، وفي الزواج دعم للأسرة، وتجديد لنسيجها وحفاظ على كيانها البشرى الإنساني، ويرى أكثر الفقهاء والأئمة أن الزواج سنة محكمة وفريضة واجبة، على كل من يستطيعه، وإذا خاف الشاب الفتنة والانحراف أصبح الزواج أمرا حتما، وشريعة لازمة أما الذين يانسون إلى العزوبة ويرجئون الزواج فهم الذين تمردوا على سنة الحياة وفطرة الإنسان.

وآيات الكتاب الكريم، وأحاديث السنة النبوية الشريفة، مملوءة

بالدعوة إلى بناء الأسرة وإرساء قواعدها على العطف والتعاون، للقضاء على فوضى الانحراف والفساد، وفوضى الاختلاط الذميم، وتهيئة الحياة الهانئة السعيدة لأبناء الأسرة ولشتى أفرادها، في جو من المودة والتراحم والخلق الشريف، والطاعة لأوامر رب العالمين.

وظاهرة زواج المسلم بغير المسلمة من الكتابيات ظاهرة مؤسفة اليوم كل الأسف ولا خلاف بين أئمتنا في أن هذا الزواج مذموم.

وحق الزوج على الزوجة كبير حتى لتقول أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - : سألت رسول الله ﷺ : أي الناس أعظم حقا على المرأة؟ قال صلوات الله عليه «زوجها»[١].

وبرواية إلى أبي هريرة ومعاذ وعائشة وغيرهم أن رسول الله «ﷺ» قال: «لا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدى حق زوجها»[٢].

وما شرع الزواج إلا ليكون وسيلة إلى تكوين أسرة تكفل لأفرادها المودة والسكن والتراحم، ويقوم رب الأسرة بأداء ما عليه من واجبات نحوها، وتقوم الزوجة خير قيام بواجبها نحو أبنائها ونحو زوجها ونحو من تضمه جوانب بيت الأسرة والإسلام ينهى عن كل ألوان الفساد التي تهدد كيان الأسرة بالتفكك والانهيار، من اختلاط ذميم، وسفور فاحش، وخيانات زوجية محرمة.

وأمامنا الكاتبة الأمريكية مارجريت ماركوس التي أسلمت وسمت نفسها «مريم جميلة» والتي أعجبها أكثر ما أعجبها في الإسلام حرصه على الطهارة والشرف والعفة والأمانة التي تسود جو الأسرة المسلمة، وهي تندد بدعاة تحرر المرأة المسلمة في العالم الإسلامي، وتأخذ عليهم فهمهم الخاطىء لمعنى الحرية والتحرر، على أنه الإباحية المطلقة للنساء في الاختلاط بالرجال، حيث شئن وأنى ذهبن، وفي اختيار الأزياء الخارجة وغير المحتشمة، وفي الخروج إلى جو الحياة العامة دون ما داع يدعوها إلى ذلك، مما مزق من أواصر الروابط في الأسرة وأدى إلى انتهاك حرمات العفة والشرف والطهارة.. وهذه الكاتبة

---

(١) المستدرك (٤/ ١٥٠ ، ١٧٥).

(٢) الترغيب والترهيب (٣/ ٥٦) ، المستدرك ( ٤ / ١٧٢).

الأمريكية فى نظرتها هذه تقتبس من روح الإسلام وتعاليمه النبيلة مع أنها ولدت وعاشت قبل إسلامها حياة حرة طليقة من كل قيد وكم هى إنسانة سامية حية تدعو بإخلاص الى أن تعرف النساء المسلمات نعمة الله عليهن بهذا الدين العظيم دين الإسلام.

ويندد الدكتور الكس كاريل فى كتابه «الإنسان ذلك المجهول» بالمرأة الغربية، وانصرافها إلى مباذلها ومطامحها الخاصة ونزواتها الآثمة، وارتيادها المسارح ودور السينما واللهو بشراهة، مما قضى على الروابط الأسرية، وعلى وحدة الأسرة واجتماعاتها التى يتعلم الطفل منها الكثير من المعارف والثقافات.

إن كل نظام يساعد على هجر الأسرة أو التنفير من الزواج أو الخروج على وحدة الأسرة والروابط القوية بين أفرادها هو نظام لا يقره الإسلام الذى يفرض على المرأة أن تتعلم أحكام دينها وتشريعاته وعباداته وأن تتخذ منها منهجا لحياتها وحياة أبنائها.

ويدعو المفكر الإنجليزى برتراند راسل فى كتابه «الأخلاق والزواج» إلى دعم الحياة الزوجية بالبعد عن النظم التى تسمح بالمخالطة والمصادقة بين المتزوجين من الرجال والنساء، فى مختلف المناسبات والحفلات وما شابه ذلك، لأن العلاقات العاطفية بين المتزوجين وغير المتزوجين من الرجال والنساء خارج دائرة الحياة الزوجية هى سبب شقاء الأزواج وكثرة حوادث الطلاق، وليس عسيرا إحصاء أمثلة كثيرة من البيوت التى انهارت بسبب اتصال الأزواج والزوجات بغير شركائهم فى الحياة الزوجية فى مختلفة المناسبات الاجتماعية.

## ٣

لقد وضع الإسلام الحدود، وفصل الأمور ووضح الغوامض، ولم يبق لبس فى كل مسائل الأسرة، من زواج وطلاق وإرث وهبة ووصية ونفقة وغيرها، وقد ألزم المسلمة بكل ماشرعه من أحكام وآداب وحقوق وواجبات ومسئوليات والتزامات.

وتزعم بعض المتحررات بأن الإسلام ظلم المرأة بتشريع الطلاق وإباحة تعدد الزوجات، ويجعل المرأة نصف الرجل فى الإرث وفى الشهادة.. وهذه الدعوات كلها سفه وبعد عن الحكمة والصواب.

وإلا فلماذا أخذ الغرب بشرع الطلاق، وتعدد الزوجات أعظم وأسمى من أن يتخذ الرجل له خليلات لا يحصيها العدد.. والمرأة نصف الرجل فى الإرث لأن المرأة ليس عليها أى التزام مالى نحو الأسرة إلا إذا كان الزوج معسرا والمرأة عندها مال، فحينئذ تنفق المرأة على الأسرة من مالها ويصبح ما تنفقه دينا يلتزم الزوج بسداده عند المقدرة.. المرأة معفاة من كل التزام مالى والرجل هو المطالب بالنفقة وبكل ما تحتاجه الأسرة، فإذا أخذت نصف ما للرجل فى الميراث فلا ضير فى ذلك على الإطلاق.

إن تشريعات الإسلام للأسرة لم يصل إلى مستواها تشريعات أى دين من الأديان، أو مذهب من المذاهب فى القديم والحديث، وعدالة الإسلام فى معاملة المرأة فوق كل شبهة أو تساؤل.

٤

ولقد جاء الإسلام والمرأة ذليلة مهينة، مهيضة الجناح، مهضومة الحقوق، فرفع شأنها، وأعز مكانتها، وكفل لها أهلية كأهلية الرجل سواء بسواء، بعد أن كانت أشبه شيء بالرقيق، تورث ولا ترث، بل إن الإسلام قد فرض لها من الحقوق ما يتلاءم مع فطرتها، وحملها من المسئوليات ما هي أهل للقيام به.. وقامت أحكامه على أصل ثابت هو المساواة بين الرجل والمرأة، وإذا كان هناك شيء من الفروق اليسيرة، فإنه لم ينشأ عن كونها امرأة، وإنما نشأ عن اعتبارات حقة أخرى لا صلة لها باختلافهما في الجنس، فأحكام التشريع الإسلامي قد خلقت من المرأة المسلمة خلقا آخر غير الذي كان من قبل، ونفخت فيها روح العزة والكرامة، وجعلتها تحس بكيانها وشخصيتها، وتدرك أن لها وضعا متساويا مع وضع الرجل، وأن لها حقوقا يلتزم بها المجتمع ورب الأسرة، وأنها كما تسعى إلى كسب الحقوق تعمل على تحمل التبعات والمسئوليات.

وحينما شعرت النساء المسلمات في عصر الرسول بأن الرجال قد غلبوهن على المعرفة ومجالس العلم والتعليم لم يطقن صبرا على تحمل هذا الحرمان، ولم يرضين بهذه الغلبة، فذهبت إحداهن إلى رسول الله « ﷺ » وقالت له: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه، تكلمنا مما علمك الله، فاستجاب لذلك، وحدد لهن يوما يجتمعن فيه ويأتيهن رسول الله فيعلمهن مما علمه الله.

ولما فرض الجهاد على الرجال دفاعا عن الدين والوطن قالت النساء: لقد فاتنا واجب الجهاد وأجره، ولو كتب علينا القتال لقاتلنا، وذهبت وافدة النساء الى رسول الله « ﷺ » تقول له: إني وافدة النساء إليك، وما منهن امرأة علمت أو لم تعلم إلا وهي تهوى مخرجي إليك، الله رب الرجال والنساء وإلههن، وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء، كتب الله الجهاد على الرجال، فإن أصابوا أثروا، وإن استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة؟ فأرشدها صلوات الله عليه إلى أن أعمال المرأة في بيتها كزوجة وكأم تعدل في الطاعة أعمال الرجال المجاهدين في سبيل الله.

هذا قليل من كثير، وهذا الحوار بين النساء ورسول الله « ﷺ » لا يمكن أن يكون إلا لامرأة تعيش في ظل تشريع ملأ نفسا عزة وكرامة وبنى لها شخصية كاملة، وفهمت من روح أحكامه المعنى السامي الصحيح للمساواة بين الرجل والمرأة.

ولكن الله - عز وجل - قد أراد أن تبتلى المرأة المسلمة في آخر الزمان ببعض النساء اللواتي يرون الرقص مدنية والاختلاط الجنسي بين الرجل ومعشوقته حرية وتمدينا، وإهمال الأسرة والأبناء والجري وراء الشهوات تحررا، ولو علمن ما في شريعة الإسلام من الخير كل الخير للرجال والنساء وللأسرة والأبناء على السواء، بل وللمجتمع كله كافة، لوقفن عند تعاليمه، والتزمن بكل أحكامه، ولكنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

٥

"على أنه لا تعرف مكانة المرأة في الإسلام، فتاة ، وزوجة، وأما، وربة أسرة، على حقيقتها إلا بعد معرفة موقف الحضارات الأخرى والتشريعات السابقة والمعاصرة منها .

لقد كانت المرأة عند الفرس والإغريق متاعا للبيع والشراء وكان الرجل هو صاحب السلطة عليها، أبا أو زوجا، ولا أهلية لها للتصرف وفي الهند كان حقها في الحياة ينتهي بوفاة الزوج فتحرق مع جثته، وإلا عاشت منبوذة ملعونة طول حياتها .

وفي الجاهلية العربية رأينا وأد البنات كما رأينا الابن يرث زوجة أبيه بعد وفاته، كما يرث متاعه، ويتحكم في تصرفاتها وفي حياتها وفي القانون الروماني كانت المرأة قاصرة لا تستقل بحقوق منفصلة عن زوجها، ولا تتصرف في أموالها إلا بإذنه.

وفي ظل الرهبنة كانت المرأة تصور على أنها منبع المعصية والرذيلة، وجمالها سلاح إبليس الذي لا يوازيه سلاح .

وفي أوروبا إلى ما قبل عدة قرون كانت المرأة تعتبر مصدر الشرور والآثام، وخليفة الشيطان، وليس لها حق التصرف في مالها، وكان الفلاسفة ورجل الكنيسة يتحاورون حول كون المرأة شيئا أو شخصا، وهل لها روح إنسانية كالرجل، وهل تستحق مثله الحياة الأخرى وانتهت حواراتهم إلى أن المرأة خلقت لخدمة الرجل .

وأوروبا الحديثة تبالغ في ادعاء منح المرأة الحرية التامة دون مراعاة الالتزام، فهي حرة في الحياة مع رجل دون زواج، وهي حرة في ارتياد المراقص والملاهي كما تشاء، وهي حرة في مصادقة الرجل الأجنبي عنها، ومخاللته كما تريد، وهي حرة في أن تقف عارية في واجهة المجلات ليتمتع الرجال بالنظر إلى جسمها نظير قروش معدودات .

أهذه هي الحرية كل الحرية التي تسعى إليها المرأة؟حرية ولا التزام من دين أو أخلاق أو عرف أو قيم إنسانية أو أعراف اجتماعية ويسمونها حرية، تدعو إليها الداعيات والداعون أبناء وبنات المسلمين، لتكون الحياة في رأيهم مرعى للآثام والرذيلة وفقدان الذات .. أليست هذه تجارة بالمرأة أسوأ من تجارة الرقيق؟

ومن يمن الحظ للأسرة المصرية أن تكون كل التشريعات الخاصة بها قائمة على ركيزة قوية من أحكام الإسلام وتشريعاته السامية .

إن العفة والطهارة والشرف والعرض والأنساب المصونة، انتهت من الغرب ومن أمريكا من زمن غير قصير، بل وانقرضت من شعوب كثيرة في العالم تعيش في ظلال المناهج الغربية .

لقد أصبح أمر الباحث عن الفضيلة وسط هذه الموجات من مذاهب العري والشذوذ والرذيلة والفساد كأمر الباحث عن إبرة سقطت في البحر .

سلام على من اتبع الهدى، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

# استفتاءات القراء

## تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ/ عبدالفتاح الزيات

● السؤال من السيد / محمد عبدالعزيز جاسر.

توفى رجل عن زوجة ـ أم ـ أخوة ـ أخوات ـ وترك شقة تمليك باسمه يسدد ثمنها على أقساط ثم مات قبل أن يقوم بتسديد باقى أقساط الشقة علما بأن زوجته كانت تشارك زوجها فى تسديد أقساط الشقة مناصفة بينهما «حسب تقدير الزوجة».

والسؤال هو: هل تشارك الزوجة فى ملكية الشقة وبأى نسبة.

هل يتم تقدير قيمة الشقة بوقت شرائها أم بسعر اليوم.

●● الجواب:

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ.

وبعد:

فنجيب بالآتى: ما تركه الزوج من تركة يوزع علي الأم والزوجة والإخوة والأخوات للزوجة الربع فرضا وللأم السدس والباقى للأخوات والإخوة تعصيبا للذكر مثل حظ الأنثيين، أما بالنسبة للشقة المذكورة تقدر قيمتها بسعر اليوم وبالسعر السارى أما ما دفعته الزوجة من الاشتراك فى تسديد الأقساط يكون دينا يقوم بسداده جميع الورثة بشرط أن تثبت الزوجة لهم بأنها شاركت زوجها فيما دفعته ويكون ذلك بالدليل الفعلى فإذا تم تقديم الدليل على صحة ما تدعيه لابد من أذن بموافقة جميع الورثة ورضاهم بذلك فإذا لم يرض الورثة بذلك قسمت بينهم التركة كما ذكر أولا.

والله أعلم



● السؤال من السيد / مصطفى السيد على خزبك / الحلمية ـ أبوحماد شرقية

رجل أساء معاملة زوجته لدرجة استحالة دوام العشرة بينهما فرفعت أمرها للقضاء فطلق لها القاضى طلقة بائنة، أستأنف الزوج حكم الدرجة الأولى فأيد الاستئناف حكم الدرجة الأولى، فلجأ الزوج إلى النقض ومزالت القضية معروضة أمام النقض والزوجة تسأل هل يحق لها الزواج بعد مضى ما يزيد على العدة المشروعة خصوصا وأنها تخشى على نفسها وتحتاج إلى إعفاف نفسها بالزواج؟.

●● الجواب:

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله

وبعد

فإن الذى طلق هذه الزوجة إنما هو القضاء كما فهم من فحوى السؤال و لا يصح لهذه الزوجة أن تتزوج بزوج آخر إلا بعد أن يعتبر الحكم الصادر بالطلاق حكما نافذا غير قابل للطعن شرعا وقانونا وحيث إن قاضى النقض قد قبل القضية شكلا وإعادها للتحقيق فى محكمة النقض فإن هذا الحكم لا يعتبر نافذا إلا بعد حكم محكمةالنقض وبشرط أن يؤيد النقض حكم الدرجة الثانية وبالتالى فحكم درجة ثانية وهو الاستئناف كان يؤيد الحكم أول درجة بالطلاق وبعد تأييد النقض لهذا الحكم كما ذكرنا يصبح لها أن تتزوج بزوج آخر طالما كان الحكم مؤيدا للطلاق لأن ولاية القاضى هى التى يؤخذ بقرارها والقاضى ولى من لا ولى له شرعا وقانونا.

هذا إذا كان الحال كما ذكره السائل.

والله ولى التوفيق

● السؤال من السيد / مصطفى محمود أحمد

ماحكم عمل المرأة فى محلات الكوافير وحكم المال الذى تتقاضاه وحكم إخراج الزكاة عليه؟

●● الجواب:

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله.

وبعد

فإن عمل المرأة فيما يسمى بالكوافير إذا كان عملها فى وسط النساء بشرط أن لاتغير شيئا من خلق الله وبحيث لا يكون واصلة ولا واشمة ولا مفلجة للسن ولا مغيرة لخلق الله وبحيث لا يترتب على عملها أى إغراء أو غش يكون أجرها فى حدود العمل الحلال وإن كان على عكس ما سبق كان ما تتقاضاه حراما.

أما عمل الرجل فى الكوافير الخاص بالنساء فهو حرام مطلقا وما يترتب عليه من أجر حرام كذلك.

وأما بالنسبة للزكاة فإن تجمع لديهم مبلغاً يساوى نصابا وحال عليه الحول وجبت فيه الزكاة بمعدل ٢,٥٪ ونصاب الزكاة بما يساوى ثمن ٨٥ جراما ذهبيا بسعر العملة السائدة عيار ٢١.

وهذا وبالله التوفيق

● السؤال من السيد / سعد عبدالهادى

تقوم شركات صيانة الأجهزة المنزلية بالنصب على العملاء من حيث أن قيمة البضاعة التى تقوم بتركيبها تحاسب على أن ثمنها ٤٠٠ جنيها فى حين أن ثمنها الأساسى ٣٦ جنيهاً. فهل هذا العمل حرام أم حلال؟





●● الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد

فنفيد بأن الشركة حينما تقول للعميل بأن ثمن البضاعة كذا والثمن في الحقيقة غير هذا فيعتبر هذا العمل كذباً وأكلا لأموال الناس بالباطل وهو سحت وهذا الكذب من علامات المنافق الذي أخبر عنه الرسول ﷺ بقوله: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتُمنَ خان» فيجب على هذه الشركات أن تكون صادقة في أقوالها وأفعالها لأن الصدق هو الذي ينجي الإنسان في الدنيا والآخرة ففي الأثر «الصدق منج والكذب مرد»

والله أعلم

● تلقينا خطابا من طالب في كلية الشريعة والقانون- جامعة الأزهر. يسأل فيه عن حكم الرجوع عن الخطبة ويقول في خطابه: إنه من المتفق عليه في الشريعة الإسلامية بأن قراءة الفاتحة بين أهل العريس والعروس تعتبر عقدا، فإذا ما اتضح بعد ذلك لأهل العروس سوء سلوك الخاطب وشراسة طباعه وإقدامه على بعض الأفعال التي لا يقره عليها أحد، بأدلة قاطعة، وقد أدى ذلك كله إلى فسخ هذه الخطبة، فهل هناك مسئولية شرعية تترتب على هذا الفسخ وما حدودها؟

●● الجواب:

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد فنفيد بأن السائل قد فهم خطأ حكم الخطبة، وغاب عنه وجهها الشرعي فقد جاءت الخطبة في القرآن الكريم، وذلك قوله تعالى:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾(١).

ومن هذا يفهم أن الخطبة لا تخرج عن كونها اتفاق مبدئي على الرضا بالتزويج، سواء أعلن ذلك في حفل أو لم يعلن، وهي بذلك لا تأخذ حكم العقد الشرعي الذي حددته الشريعة الإسلامية، إذ الوضع الوجودي والشرعي والعرفي للخطبة غير الوضع الشرعي والوجودي والعرفي للعقد. بمعنى أن الخطبة لا تبيح للخاطبين ما يبيحه العقد الشرعي بين الزوجين، ولعل ذلك ما يوقع بعض الناس في خلط شديد يؤدي في النهاية إلى حرج بين الطرفين ناتج عن السماح لهما بالاختلاط والخروج منفردين.

(١) البقرة ٢٣٥.



وما يترتب على ذلك من قبل وقال وكثرة التساؤلات وعلامات الاستغراب.

وشريعة الإسلام لم تترك الامر على إطلاقه للخاطبين بل وضعت لذلك ضوابط وحدود، إذ أباحت الرؤية الكريمة، والكلمة المهذبة، والفعل الملتزم والجلوس بين الأهل والأقارب، وكل ذلك فى غير إفراط.

أما العدول عن هذه الخطبة أو فسخها لأسباب تعود إلى سوء سلوك الخاطب وشراسة طباعه وتصرفاته المشينة، فإنه يكون أمرا مطلوبا شرعا، بل هو واجب حتمى حرصا على صيانة الحياة الزوجية من عبث صبيانى أو تصرف طفولى، إذ أن مراعاة الأخلاق وبناء حياة زوجية سليمة خالية من أية شائبة تشوبها، لمن أهم ما يعنى به الشارع الحكيم فى تكوين الأسرة المسلمة، والحفاظ على استمراريتها فى ظل الأسرة المسلمة الكبيرة وقد أباح الشارع الحكيم للإنسان أن يحنث فى يمينه إذا تبين له أن المصلحة والخير فى نقضه من ذلك قوله ﷺ : «من حلف على شئ يمينا فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير».

فإذا كان ذلك فى اليمين، فإنه من باب أولى - يجوز فى الاتفاق هذا إذا كان الحال كما ورد فى السؤال.

والله أعلم

● السؤال من بدر الدين حافظ

تزوجت بامرأة ومعها بنتان وقمت برعاية أولادها مع أولادى فكانت دائمة المشاكل معى إلى أن ألقيت عليها ثلاث طلقات منفصلة فى عدة أعوام وقامت بالاتفاق مع أحد أقاربها بعمل محلل وتزوجت وفى اليوم الثانى للزواج طلقت وبعد أشهر/ العدة راجعتها إلى عصمتى ومنذ ذلك اليوم والبركة نزعت من بيتى فهل هذا العمل حرام أم حلال برجاء الإفادة وشكرا..

●● الجواب:

ما دمت قد طلقت زوجتك ثلاثا فلا تحل لك حتى تنكح زوجا غيرك زواجا شرعيا معتبرا فإذا طلقها الثانى أو مات عنها جاز لك أن تتزوجها بعد انقضاء عدتها من الثانى أما إذا اتفق الزوج الثانى مع الزوج والزوجة أو أحدهما ليطلقها لتعود للأول بما يعرف بالمحلل فإن الزواج يكون باطلا للأول والثانى والله أعلم



## خطبة الجمعة :



# المسلمون والقدس

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

الحمد لله ـ عز وجل ـ دعا إلى الحق، وأمر بالصدق ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[1]. أشهد أن لا إله إلا الله، يحق الحق بكلماته، ويزهق الباطل بآياته:

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾[2].

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، كان الحق شعاره، والصدق دثاره، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، وجنوده وحزبه ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[3].

(١) سورة النساء آية (١٢٢). (٢) سورة الأنبياء آية (١٨). (٣) سورة المؤمنون آية (١١).



**يا أتباع محمد ﷺ :**

نشرت مجلة الوكالة الصهيونية في لندن منذ حين مقالاً تزعم فيه مزاعم تضليلية كبرى يراد منها ومن أمثالها تزييف التاريخ، وتحريف الحقائق، والافتراء على الله وعلى الناس، ومن أضاليل هذا المقال أنه يزعم أن عناية المسلمين بالقدس ( وهي بيت المقدس ) وبالمسجد الأقصى لم تظهر إلا أخيرا، بعد التنافس بين المسلمين واليهود في فلسطين، وهذه محاولة صهيونية وقحة لستر الشمس الساطعة بيد حقيرة نجسة، فإن المسلمين يعنون بالقدس وبفلسطين كلها منذ بزغت شمس الإسلام، ومنذ أكرم الله رسوله محمدا ﷺ فخصه بمعجزة الإسراء والمعراج، وسجل ذلك في تنزيل إلهي لا يبلى ولا ينسى، فقال:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(٤).

وبذلك كان المسجد الأقصى أحد مسجدين اثنين اقتصر القرآن على التصريح باسمهما، وأولهما هو المسجد الحرام وفيه الكعبة المشرفة وهذه العناية موجودة منذ قال سيد الخلق محمد صلوات الله وسلامه عليه : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجدي في المدينة، والمسجد الأقصى »(٥). ولقد ألقى الإسلام رداء الهيبة والكرامة والقداسة على المسجد الأقصى، فجاء عن الرسول ﷺ أن الصلاة فيه تعدل خمسمائة صلاة في غيره من المساجد، باستثناء المسجد الحرام والمسجد النبوي.

وجاء في الفقه الإسلامي أنه يستحب الإهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس، للحديث الذي يقول: « من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر له ما تقدم من ذنبه »(٦).

ومن مظاهر عناية المسلمين القديمة الموصولة بالقدس وبالمسجد الأقصى وبفلسطين كلها، أنهم خلال عصور التاريخ المتوالية لم يدعوا صغيرة ولا كبيرة تتعلق بهذه الأماكن إلا تحدثوا عنها أحاديث التفضيل والتحليل والتمجيد والتخليد، وأودعوا هذه الأحاديث مؤلفات وكتبا ضخمة ألفها علماء الإسلام ومؤرخوه منذ قرون، ومنها كتاب « فضائل القدس » لابن الجوزي وكتاب « الأنس في فضائل القدس » لابن هبة الله الشافعي، وكتاب « مثير الغرام بفضائل القدس والشام » لابن سرور المقدسي، وكتاب « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » لمجير الدين الحنبلي، وكتاب « الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » لابن عساكر، وكتاب « باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » لابن قاضي الصلت، واستمر تأليف الكتب عن فضائل القدس، وفضائل المسجد الأقصى، ومكانة فلسطين عند المسلمين، حتى العصر الحاضر، حيث نجد كتبا كثيرة في هذا المجال من بينها كتاب « تاريخ الحرم القدسي » و« المفصل في تاريخ

---

(٤) سورة الإسراء آية (١).

(٥) أخرجه الدارمي، والبخاري.

(٦) أخرجه ابن ماجه.





القدس» وهما لعارف العارف الرجل المسلم المكافح. ولكن اليس من الإنصاف أيها الإخوة أو من نقد الذات أن يهمس بعضنا لبعض فيقول: هل قرأنا هذه الكتب أو بعضها؟ هل فكرنا في إصلاح خطئنا بالإقدام على قراءة بعضها؟ هل أدركنا على الأقل أن نكبة الاحتلال الصهيوني تستدعي أن نتعرف إلى حقنا، وأن ندرس تفاصيل تاريخنا، وأن نقف على قيمة تراثنا؟ يهمس بعضنا لبعض ونرجو ألا يبلغ الهمس آذان أعدائنا الآثمين وإلا اتخذوه حجة علينا، ورددوا ضدنا قول شاعرنا:

**إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها**

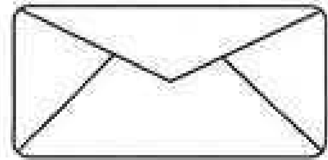
**هوانا بها كانت على الناس أهونا**

ويزعم المقال الآثم أن الشعور بأن «القدس» مكان مقدس لم يُقل عند المسلمين إلا في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين وهذا كذب وزور. لأن المسلمين ظلوا خلال العصور والدهور يشدون رحالهم إلى القدس لزيارة المسجد الأقصى بنية العبادة لله، ولإقامة شعيرة من شعائر الإسلام، وللاهتداء بهدى الرسول ﷺ، ولو قيل: إن مزيدا من العناية والاهتمام قد بدا بين المسلمين في القرن العشرين بشأن القدس وفلسطين، لكان من الواجب تفسير ذلك تفسيرا حقيقيا صادقا، فنعلله بأن الاغتصاب البريطاني لفلسطين، مع تواطؤ انجلترا والصهيونية العالمية، ومن خلفهما أمريكا، لتهويد فلسطين، هو الذي فجر ما كان مطويا في صدور العرب والمسلمين منذ مئات السنين، من حرص على فلسطين وخوف من مصيرها المؤلم على أيدي الصهيونية والاستعمار ولنتذكر على سبيل المثال أن اليهود حاولوا بشتى الطرق في سنة ١٩٠١ أن يحملوا السلطان عبدالحميد على أن يفتح لهم الباب أمام سكناهم في فلسطين، وعرضوا عليه الملايين والخدمات الضخمة التي كان محتاجا إليها، ولكن السلطان عبدالحميد رفض ذلك وقال: «إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين، فهي ليست ملكا لي، بل ملك شعبي الذي ناضل في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا فرقت إمبراطوريتي يوما فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون عليّ من أن أرى فلسطين قد بترت من إمبراطوريتي، وهذا أمر لن يكون، فإني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة».

**يا أتباع محمد ﷺ:**

إن الصهيونية قد كسبت أكثر ما كسبت من مغانمها الآثمة الظالمة بطول الدعاية وسعتها، فهي تروج للباطل ثم تروج ثم تروج، حتى يبدو في أنظار الجاهلين والغافلين كأنه الحق، ونحن لا نعنى بتوضيح حقنا للناس هنا وهناك فلا يحسون به ولا يتحمسون له، فلنقرأ تاريخنا، ولنتعرف إلى حقوقنا، ولنتعرف بها، وليكن من وراء الدرس والمعرفة إيمان ومن وراء الإيمان عمل وإتقان، ومن وراء الإتقان يقين وإحسان، وما ضاع حق وراءه مطالب، والله ولي الصابرين واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

**ألقيت هذه الخطبة في يوم الجمعة الموافق ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩٦٧**



# رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان (*)

**رسالة هذا العدد وردت من القارئ س.ص.ع تتضمن مشكلة خاصة به يقول عنها:**
**عقدت قرانى على فتاة وبعد أربعة أشهر عاشرتها معاشرة الأزواج قبل الزفاف وبعد عدة أيام من المعاشرة اعترفت لى بأنها لم تكن عذراء، فتغيرت نفسى وغضبت لذلك، ثم وجدت نفسى أميل إلى الستر عليها خاصة أنى لم أشعر أثناء المباشرة أنها ليست بكراً، وهى التى أخبرتنى بذلك من باب الأمانة.**
**والسؤال هو: هل فى الإسلام ما يمنع من الاستمرار معها؟ وما حكم الشرع فى هذا العقد الذى شابه هذا التدليس؟ فهل يفسخ العقد بهذا التدليس؟ وهل يلزم عقد جديد؟ وإذا انصرفت نفسى عنها وافترقنا، فما هى الحقوق المترتبة لكل من الطرفين على الآخر؟**

●● وقبل الرد على هذه الرسالة أشكر الأخ القارئ على حسن الظن بمجلة الأزهر والقائمين عليها وعلى ثقته بى شخصيا حيث طلب أن أرد على رسالته، جعلنى الله عند حسن ظنه بى ووفقنا جميعا لخدمة العلم والدين.

وبداية أقول للأخ صاحب المشكلة إن الإسلام قد دعا وأكد على التحرى فى اختيار الزوجة وقد قال رسول الله ﷺ فى هذا المقام: «فاظفر بذات الدين تربت يداك»(1) وتأمل كلمة «فاظفر» التى توحى بالبحث الدءوب ثم الوقوع على الضالة المنشودة بعد

(*) الأمين المساعد للثقافة الإسلامية بمجمع البحوث الإسلامية.

(1) أخرجه ابن ماجة.



طول البحث والتحرى.

وهذا التحرى يقى الإنسان من الانخداع والوقوع فى حبائل النساء لكن قدَّر الله وما شاء فعل، وهذا يا أخى قدرك وحظك. وكما قالوا: «لن يغنى حذر من قدره ولعل الخير كل الخير فى هذا الذى قدره الله لك فما يدرى الإنسان منا مخبآت الزمان وقديماً قال الشاعر:

ولا أدرى إذا يممت أرضا
أريد الخير أيهما يلينى
أ الخير الذى أنا أبتغيه
أم الشر الذى هو يبتغينى

فطب نفسا يا أخى والخيرة فيما اختاره الله لك.

ثم إن الأعراف المرعية خاصة فى مصر تحظر مباشرة الزوجة أو الدخول بها قبل الزفاف وهذا أمر يحبذه الشرع ويرعاه ويدعو إليه حفاظاً على سمعة الأسر وكيانها فمع أن ما فعلته بمن عقدت عليها لا يعتبر زنا، إلا أنه أمر غير مرغوب فيه، وما كان ينبغى لها أن تمكنك من هذا لكن أعود فأقول، قدر الله وما شاء فعل.

ثم إن اعتراف زوجتك لك بأنها لم تكن عذراء بادرة خير تنبئ عن رغبتها فى تكوين أسرة طيبة معك مؤسسة على الصراحة والأمانة كما قلت.

ثم إن نفسك مالت إلى الستر عليها كما ذكرت، وهذا خير كبير يدل على نفس سمحة تميل إلى الخير، وهذا الستر يدعو إليه الدين ففى الحديث (إن الله حيى ستير)[٢] أى كثير الستر وقد دعانا الرسول ﷺ إلى التخلق بأخلاق الله - تبارك وتعالى - وقد دعا الدين شاهد الزنا إلى الستر وجعله أفضل فى كثير من الأحيان، منها ما جاء فى الأثر: (لو ألقيت عليهما ثوبك لكان أفضل) كل هذا فى الزنا فما ظنك إن كان مع واحدة معقود عليها، ثم لا تنس أنك شريك فى هذه الفعلة.

●● وبعد هذه المقدمات التى لابد منها نخلص إلى الاجابة عن أسئلتك وأبادر فأقول: إنه ليس فى الإسلام ما يمنع من استمرار هذا العقد، وليس ثمة ما يدعو إلى فرقة زوجتك إذا تابت توبة نصوحا وندمت على ما فعلته قبلك وأعتقد أن اعترافها لك بما لم تشعر أنت به ينبئ عن ذلك، لكن إذا لم تتب ولم تقلع عن الحرام فمن حقك أن تطلقها، بل

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما.





قال بعض الفقهاء: إن الطلاق واجب في هذه الحالة.

أما عن سؤالك: هل هذا التدليس يفسخ العقد أم لا؟ فأقول لك: إن الفسخ غير الطلاق فالفسخ ينهي العلاقة الزوجية في الحال ولا يترتب عليه ما يترتب على الطلاق من حق الرجعة في الأولى والثانية في العدة.

وقد قال العلماء: إن الرجل إذا عقد على امرأة وتبين له أنها أخته من الرضاع أو ما شاكل ذلك فذلك أمر يوجب الفسخ.

أما العيوب التي توجب فسخ عقد النكاح فقد قال المالكية: إنها بالنسبة للمرأة: البرص، والجذام، والجنون، والقرن، وهو عيب في المرأة يمنع الإيلاج وبالنسبة للرجل أن يكون مجبوبا، أو عنينا، وزاد ابن القيم - رحمه الله - فجعل العمى والخرس والطرش وقطع اليدين والرجلين أو إحداهما مما يوجب الفسخ إذا كان الزوج لا يعلمه قبل العقد، أما إذا كان يعلمه فلا فسخ أما إذا انصرفت نفسك لأي سبب عنها وافترقتما وحدث طلاق فلها كل الحقوق التي تترتب على الطلاق من مؤخر صداق والمتعة ونفقة العدة ولك عليها حق المراجعة في الطلقة الأولى والثانية ولك عليها أيضا ألا تبرح منزل الزوجية أثناء العدة فقد عاشرتها معاشرة الأزواج وقد قرر العلماء أن مجرد الخلوة الشرعية للمعقود عليها يوجب لها كل الحقوق السابقة من مهر ومتعة ونفقة العدة.

والخلوة الشرعية هي أن يكون الزوج والزوجة في مكان آمن، فلا يدخل أحد عليهما وثمة أمر أرى لزاماً عليَّ أن أنبهك إليه، فلعل هذا الأمر ترتب عن زواج سابق فأنت لم تذكر في رسالتك هل سألتها عن سبب ذهاب البكارة أم لا. ثم إن الأطباء قد قرروا أن البكارة قد تذهب بلا جماع، وذكروا بعض الأسباب لذلك كحمل شئ ثقيل أو الضرب على الظهر، فلعل البكارة قد ذهبت من زوجتك لسبب من هذه الأسباب.

هذا والله أعلم

***



# فى رياض الأمل

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

**أثبتت الدراسات الحديثة أن الطريقة التى تنظر بها إلى الحياة تحدد الأسلوب الذى تتعامل به مع الآخرين والكيفية التى تواصل معها رحلة العمر متعاوناً مع الآخرين لأجل مستقبل زاهر. وتفصيل ذلك أنك فى حال توقعك لأمور طيبة ونتائج حسنة تكون قد قطعت نصف الطريق نحو النجاح والعكس صحيح أيضاً. فهناك فيما يبدو علاقة طبيعية يحكمها قانون السبب والنتيجة فى مسألة التفاؤل والتشاؤم. فكلا الأمرين يمثل قوتين هائلتين تدفع إحدهما بالإنسان إلى الأمام والأخرى إلى الخلف لكن الأمر يتوقف على اختيار الشخص فكل منا عليه اختيار الطريقة التى يصوغ بها مستقبله ونظرته للأشياء.**

والدنيا كما تعلم مليئة بالخير والشر وهما للإنسان فتنة واختبار. قد تملأ الأقدار قلبه بالأحزان وقد تصبح كأسه مترعة بالسعادة والهناء. قد يغمره الفرح والسرور أو يعتصره الألم والأسى فإن كان بساماً ضاحك السن ارتفعت معنوياته وتغلب على معاناته وإذا استسلم للهموم ودك الجزع حصونه القوية كان لاشك ضحية المعنويات المنهارة التى تشى بإيمان ضعيف وعقيدة واهية تنص على ان الله حين خلق العبد امر الملك بكتب أربع كلمات:- رزقه وأجله وعمله و شقى أو سعيد. وقد دعانا رسول الله ﷺ إلى ان تكون مؤمنين بالله نتعامل مع الامور بشكل هادئ رصين ومنهج معتدل قويم فقد كان ﷺ فى حياته محباً للمؤمنين حريصاً على تمنى الخير لهم وإيصال البر إليهم. ولم يكن فاحشاً ولا بذيئاً ولا صخابا فى الأسواق وكان يحل المشاكل بالفطرة النقية والبساطة التى عهدها الكثيرون لديه، أعداؤه قبل أصدقائه حتى قال عنه أحدهم: لوكان محمد موجوداً فى عصرنا لحل مشاكل الدنيا وهو يحتسى فنجاناً من الشاى، فالقرار إذا قرارنا إما أن نعقد الدنيا فتسود فى وجو هنا وإما أن نواجهها بصدر منشرح وقلب وعقل مفتوح

فتهون الصعاب ويصبح العسير يسيراً والقليل كثيراً. واسمع معى إلى ذلك الأعرابى الذى يدعو ربه طالباً الرزق كيف كان طويل النفس فى دعائه مطمئن البال فى طلبه ملتمساً كل الوسائل الممكنة واللغة المتاحة فى طلب رزقه وكأنه يهيئ لاستجابة دعائه الأبواب فيفتح الله له الأسباب، إنه يدعو من ثقة وإشراق نفس فيقول «اللهم إن كان رزقنا فى السماء فأنزله، وإن كان فى الأرض فأخرجه وإن كان بعيداً فقربه وإن كان قريباً فأدنه وإن كان قليلاً فكثره وإن كان كثيراً فبارك لنا فيه» فأى روح وثابة تلك التى تتمسك بأهداب الأمل وتتشبث بحبال الرجاء وتتبع نور اليقين ولوكان بصيصاً من ضوء.

إننى وكل مؤمن رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً وبالقرآن كتاباً ودستوراً ترى فى اليقين منبعاً ثراً ومورداً تحلو به الحياة وتطيب فتصبح كوثراً معسولاً يروى به شاربه ويهنأ به طالبه شريطة أن تتوفر النية الخالصة والقصد السليم وتعال معى إلى الدوحة النبوية لأبل حتى قبل أن يبعث الرسول ﷺ لترى كيف كانت بساطته سبباً لنشر السلام بين القبائل وحقن الدماء بين الأخوة فبعد أن تم بناء الكعبة بجهد جهيد اختلف العرب وكادوا أن تتملكهم الشحناء وتدب بينهم البغضاء لاختيار من يضع الحجر الأسود مكانه واخذوا يتلاومون وكل منهم يذكر مآثره ويجسم مفاخره حتى وصلوا إلى طريق مسدود.

ولكن شاء الله أن ينجيهم من عثرة الرأى ويلهمهم الرشد والصواب وهو أمر يفوق شجاعة الشجعان.

فقد اتفقوا على أن يحكموا أول داخل من باب الكعبة فيما شجر بينهم وكان الداخل لحسن حظهم هو محمد الذى كان معروفاً لديهم بالصادق الأمين فحكموه قائلين رضينا به حكماً وكان الحل السهل البسيط الذى ينبع من نفس غمرها الحب وملأها الود لكل إنسان فهى نفس تعشق الفطرة وتحب السلوك السوى إذ يفرش الأمين رداءه ويضع الحجر الأسود عليه ويأمر شيخ كل قبيلة أن يمسك بأحد أطراف الثوب ثم يأخذ هو الحجر ويضعه بيده الشريفة فى مكانه ويحسم الخلاف ويحل الوئام مكان الخصام ويزول الاختلاف بالائتلاف فأى قلب هذا الذى أفعم بالحكمة وازدهى بالنصفة فدانت له القلوب وأصبح متوجاً على عرشها الذى يبقى بعد زوال كل العروش والتيجان إننا نريد أن تعلى فى الناس كل جانب إيجابى مثمر خلاق وتجنبهم شتى مظاهر السلبية واللامبالاة، ولايحتاج ذلك منا إلى كثير من أموال ولاحتى إلى جاه عريض إنما يحتاج إلى

أناس يختارون هم بإرادتهم الحرة المطلقة أن يستثمروا أمرين اثنين: التفاؤل المستند إلى الإيمان، والنفس المحبة للخير إلى آخر مدى وأبعد حد ونحن بهذا لانقول إننا نعيش فى دنيا وردية اللون خلت من كل المشاكل وامتلأت بشتى المباهج فالدنيا مليئة بالأمرين معاً وعلى الإنسان أن يختار ويصر على اختيار يخلق منه إنساناً سوياً متوازناً قوياً أمام الصدمات لاتبطره النعمة ولايطغيه الجاه كما لاتيئسه الحاجة أو ييئسه الحرمان فالدنيا بأجمعها لاتساوى عند الله جناح بعوضة وإلا ما سقى كافراً منها شربة ماء وإن كان لابد للدنيا أن تزن عند المؤمن شيئاً وتمثل لديه قيمة وهى لاشك كذلك فالمطلوب إذاً هو شخصية متوازنة متماسكة تعطى وتأخذ تتفاعل مع من حولها باعتدال ورزانة ورسوخ قدم ولن يكون ذلك إلا بحسن الخلق الذى يبلغ صاحبه فى الإسلام درجة الصائم القائم، وطريق تحقيق ذلك الهدف السامى والغاية العظمى هو أن تلين جانبك لمن تتعامل معهم.

إن تجارب الحياة توضح للمنصفين أن جوانب الخير فيها تفوق بكثير جوانب الشر فلم لا تسعى إلى الخير سعياً يستدعى فى الإنسان أجمل مافيه ويوظف فى المسلم أطيب ماوهبه الله من فضائل ومكرمات، إن الاستمساك بالتفاؤل ليس مطلباً من مطالب الرفاهية ولا دعوة إلى تضييع الوقت فيما لايفيد إنما هو فى جوهره ضرورة تستوجبها الحياة ويمليها الأمل المبنى على العمل الذى يبعد بصاحبه عن الملل، أما الأفكار السلبية المتخاذلة إن عششت فى قلب إنسان فسرعان ماتبيض وتفرخ ويغذى بعضها بعضاً حتى تخلق حول الإنسان حلقة من اليأس تجعل الدنيا فى عينيه سجناً كبيراً وصحراء قاحلة كلما حاول منها فكاكاً غاصت قدماه فى كثبانها ومازال لأنه تخلى عن الأمل أو تخلى عنه الأمل الذى لولاه ما أرضعت أم وليدها ولا ألقى فلاح بذرة فى أرضه أو سقا زارع زرعه. الأمل الراسخ إذاً مصباح يضيئ لصاحبه الطريق وينير له الدرب ويكون له فرقان يفرق به بين الحق والباطل والهدى والضلال.

فهل رأيت كيف يكون الأمل المبنى على عمل صالح، المستند إلى إخلاص نوراً وهادياً ودليلاً، فالإخلاص نور الدنيا وعطر الوجود يجعل للتفاؤل معنى وللتمنى مغزى صاحبه يمشى على هدى ويدعو إلى الله على بصيرة لايخبط خبط عشواء ويدرك أن الإخلاص بين العبد وربه لايطلع عليه ملاك فيكتبه أو شيطان فيفسده إنه يجعل الحياة متناغمة، إن الدعوة إلى التفاؤل والأمل والعمل دعوة تتناسب تماماً مع صريح الإيمان.

إن للكلمة المتفائلة تأثير السحر ولذا أكد ﷺ على حبه للفأل الحسن أما الأمل فى الله فقد أكدته نبوته ﷺ التى تنبعث من نفس زالت عنها الحجب وتستشرف الغيب وتتلمس النور رغم كثافة الظلمة وهول الموقف. أكد ﷺ على ذلك المعنى فى أثناء حفر الخندق، والمدينة محاصرة يحدق الخطر بها من كل مكان ويحيطها الأعداء من كل حدب وصوب حين اعترضت أصحابه- رضى الله عنهم- صخرة قوية لم يستطيعوا معالجتها فتصدى هولها ففتتها وكان فى كل ضربة يفتح باباً للأمل وطريقاً للعمل الجاد فقد بشرهم بأنه ﷺ أوتى مفاتيح اليمن والشام ومدائن كسرى وفارس. إنها النبوة التى تغرى فى الإنسان أس الأمل فى المستقبل الواعد والتى تنفض عن الآدميين غبار اليأس لتستثمر أجمل ما أودع البارى فى عباده من طاقات خلاقة وعزائم متينة وهمماً ناهضة، إنها مبادئ تربى عليها واشرب صفوها رجال أشداء على الكفار رحماء بينهم يؤمنون إيماناً جازماً أن العجلة لايمكن أن تعود إلى الوراء أبداً وأن التقدم الإنسانى حتم لابد منه وأن الدنيا قنطرة إلى الآخرة وأن العمل الصالح فيها لايذهب هباء والمعروف جزاؤه المعروف وأن هذه سنة الله والدستور غير المكتوب:

وسنة الله التى لاتتخلف أن يستل النور من قلب الظلام وأن اليأس مهما ازدادت دوائره وتكاثرت دواماته فهى مهترئة هشة مآلها إلى الزوال طال الزمن أو قصر وانظر سدد الله على طريق الحق خطاك مثلاً إلى شخص ولد فى بيئة فقيرة معدمة جاهلة أو على الأقل أمية يسودها المرض والفقر ثم ولكى يتم البلاء يولد ذلك الشخص ضريراً إنها صورة شديدة القتامة لكن اللطيف الخبير سرعان مايحبو ذلك الشخص بلطفه فيتبدل الفقر إلى غنى وستر وكفاية والجهل علماً وفقهاً وذكاء والمرض صحة وعافية، هل كان أحد يصدق أن هلين كلير الصماء العمياء البكماء ستتعلم وتحصل على أرقى الشهادات.

وبعد فإن الله عز وجل امتن على نبيه بقوله:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾(1).

فالتفاؤل التفاؤل والأمل الأمل والعمل العمل.

---

(1) الضحى ٦ : ٨.

# بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم/ عادل رفاعى خفاجة

## تطلعات قارىء

**للشباب طموحه وتطلعاته التى يشعر بالألم حين لا تتحقق على الوجه المنشود وهذه كلمة من الشاب الطامح/ هانى محمد عبدالراضى - خريج تجارة المنصورة، التقطناها من بين أحاديث الذكريات التى أرسل بها إلى المجلة - ونأمل أن تستقر عواطفه إلى حيث يحمد المصلحون.**

**يقول القارىء:**

كنت فيما مضى ألمس فى نفسى من المواهب والقدرات ما يحملنى على الظن بعبقريتى، والتنبؤ بمجد أدبى ينتظرنى .. لكن نوبات الإحباط والعجز التى اكتنفتنى فيما تلا ذلك من السنين قد خففت من غلواء هذا الشعور وأرغمتنى على أن أقنع من الانتصارات الأدبية المرجوة بحس نقدى عميق، أخوض به فى الأثرالفنى خوض العارف الخبير، وأتعرف به مواضع الجمال والروعة، وأجمع به ما عسى أن يستخرج من بحره من الكنوز، والأمر الذى لفت نظرى إلى هذه النعمة الجليلة، ورفع كفى إلى السماء بطلبها، هو ما كنت أستشعره من الدهشة لدى مطالعتى دراسة نقدية عن عمل أدبى ما، فكنت أجد الناقد ينتزع من صلب القصة معان ومقاصد خفية، وأفكارا أخرى فلسفية، لم تخطر لى على بال وكل هذا كفيل أن يعذب شخصا مثلى باليأس، ويسود الدنيا أمام عينيه.

على أن هذا الشعور بالعجز سرعان ما ينقلب سخرية مريرة عندما ألقى أصدقائى، وأتعرف على ما تكنه عقولهم من أفكار، وما تضمره نفوسهم من مشاعر، فأشعر إزاءهم بالتفوق الذى يمنعنى من التمادى فيه شعور العجز السابق، وكثيرا ما أتصور نفسى إزاء أقرانى صرصورا وسط جماعة من النمل، فلا غرو أن يعد الصرصور فى موقف كهذا عملاقا، لكنه فى نهاية الأمر ....».

واعتقد كذلك فى شبه يقين أننى اختلف حتى عن أقرانى الذين ينزعون بطبعهم إلى الأدب، فأنا فى كتابتى أنشد أسلوبا عربيا سليما، أحاكى فيه قدر استطاعتى الأدباء القدامى الذين أعشقهم، أما الكثرة الغالبة من الأدباء والمتأدبين، فبعضهم يحبذ الأسلوب الصحفى الهزيل لقربه من أفهام الناس.

والبعض الآخر يصوغ عباراته صوغا عجيبا، مترعا بتركيبات لغوية وتعبيرات، تواضع عليها المثقفون فيما بينهم، وجهلها سواهم.

أما أنا فلا أرضى بهذا ولا بذاك، على أننى كلما أخذت أصوغ الجملة فى ذهنى، غلبتنى العبارة العامية التى اعتادها لسانى، وألفتها أذنى.

ووجدت نفسى مسوقا بلا وعى منى إلى تنظيم أفكارى وصوغ عباراتى بطريقة يأباها الذوق العربى السليم.

لقد تصفحت ذات يوم بعض الفقرات التى أنشأتها، واستعرضت الأفكار فى تتابعها وانسيابها، فوجدتنى فيها كمن يقفز درجات السلم ثلاثا، وذلك راجع لا ريب إلى قلة ثروتى من المعانى، وقلة نصيبها من العمق. ذلك أنى امرؤ ضحل الثقافة، جاف القريحة، سقيم الخيال.

إن الحيرة التى ألاقيها فى فهم حقائق الحياة، وتنظيم حوادثها فى عقلى، تشبه الحيرة التى تدهم القارىء يطالع قطعة إنشائية غير مشكولة الحروف، خالية من الفواصل والنقاط، لدرجة اختلطت معها الكلمات وتصادمت العبارات.

فلا هو يميز للعبارة بداية من نهاية، ولا هو يعرف لها فاعلا من مفعول.

وقد وقعت من حياتى على كتاب شبيه بهذا الكتاب، فرحت أنفق الجهد والعمر فى ضبط الحروف ووضع العلامات، وكلما أنجزت من ذلك شيئا طرت فرحا وصفقت

جـــدلا فليس أحب إلى قلبي من رؤية العبارات متراصة في انتظام، مشكولة في وضوح. ويبدو أن العمر سينقضي وأنا غارق في عملي، وسأمضي إلى القبر تاركا ورائي الكتاب ولما أقرأ منه حرفا.

وقد توصلت إلى بعض الملاحظات التي ربما لا يرى فيها المرء شيئا جديدا غير مألوف، لكن حسبه أن يعلم أنني أحرقت أعـصـابي وأيامي حـتى أدركت هذه الملاحظات، وسكبتها في عبارات.

ومن هذه الملاحظات :

- أتعجب كثيرا من الناقد الذي يخبرك عن رواية ما أنها تدعو إلى كذا وكذا من الأفكار الفلسفية والمذاهب الاجتماعية.

في رأيي أن العـمـل الأدبي عـاجـز عن إيصال هذه المذاهب لمن لا يعرفها، إنما هو يخاطب شخصا على وعي مسبق بها بقصد دعم إيمانه.

وقد اكتشفت من مطالعاتي أنني لا أستطيع استقراء تفصيلات العمل الأدبي، وتنظيمها في عقلي، قصد الانتهاء إلى فكرة كلية لم أكن أعلمها.

إنما الذي يحدث هو أنني أقبل على العمل بالفكرة حاضرة في ذهني، حتى إذا آنست لها صدى فيما أقرؤه، شرعت أطبقها على دقائقه وتفصيلاته.

وقريب من هذا ما لاحظته في الوصف الذي يتخلل ثنايا الروايات، وصف الأماكن أو وصف المشاعر البشرية.

فأنا عاجز عن تمثل هذا الوصف ما لم يسبق لي رؤية المكان، أو إدراك الشعور موضوع الوصف.

وهذا الوصف لا يعلمنا مجهولا، أو يطلعنا على جديد، إنما يسوق لنا (المعروف) في عبارة واضحة وخيال بديع.

قد ينبهنا الوصف إلى أشياء رأيناها ولم نلحظ دقائقها، أو مشاعر أدركناها ولم نكتنه خوافيها، لكنه أبدا لا ينشىء لدينا معرفة ما لم يكن لدينا منها أساس.

وبعد، فما النتيجة التي ننتهي إليها من هذا الحديث؟

لا شيء إلا أنني امرؤ بحكم تكويني النفسي والعقلي قادر على التقاط عناصر الفوضى والعشوائية الكامنة في ظواهر الحياة، منته إلى اليأس والإحباط بسبب ذلك.

المحـــرر:

أنت ياعزيزى القارىء نبتة ضربت جذورها فى أرض الأدب وساعدك على ذلك العزلة التى فرضت عليك، فرب ضارة نافعة وأحبك أن تعلم أن مخالطة الناس ليست كلها خير والعزلة فى حد ذاتها ياعزيزى ليست عيبا، فنحن نعزل أنفسنا بإرادتنا طلبا للراحة والاستجمام، ونعتكف فى العشر الأواخر من رمضان طلبا لمرضاة الله - تعالى - ولكن المشكلة أن تكون العزلة بلا سبب، أو تكون مطلوبة لذاتها، لأن الله - تعالى - خلقنا لنعمر الكون لا لكى ينعزل كلٌّ فى جانب.

غير أنه يتضح من كلماتك أنك مغرم بتعذيب النفس وهو مالا نرضاه لك، فأنت إذا نجحت تجحد هذا النجاح!! وغيرك يتباهى بأدنى من ذلك بكثير.. فعجبا لك!!

وأراك ياعزيزى القارىء كمن وضع سترا، وبنى خلفه بيتا، فإذا ما أتم البناء، تردد فى إزالة هذا الستر خوفا من آراء الناس وراقك أن يبقى ما بنيت سرا لا يطلع عليه أحد لكنى أقول لك أيها القارىء الكريم: لقد طير سرك نسيمُ أسلوبك حين داعب هذا السترَ فأبان عن ملامح وأبعاد ذاك البناء الذى يتراءى لنا من بعيد.

وإننى أدعوك أن تطرح حديث الذكريات جانبا وترفق برسالتك القادمة مقالا تتخير له موضوعا محببا لديك تعالج فيه بعض القضايا التى تشغلك أو تهم المجتمع.

ولدى اعتقاد كبير أن كلماتك ستلقى طريقها إلى النشر كما أنها ستنال إعجاب القراء بإذن الله..

ولعلها تكون أولى خطواتك على طريق الأمل، وأكبر قفزاتك بعيداً عن العزلة التى أنتجت منك نبتة أديب قادم.

والله من وراء القصد، وهو يهدى السبيل.

***

# بين الجد والفكاهة

حين كان الطالب محمد حسين عبدالحليم بين طلاب كلية اللغة العربية بالقاهرة، اقترض من زميله الطالب عبداللطيف الحديدى جنيها، وللجنيه المصرى قيمته إذ ذاك، فشكره بهذه الأبيات الرقيقة التى أرسلها لنا **الدكتور عبداللطيف الحديدى** لتكون الطرفة الثالثة مما ننشره من مقطوعات الدكتور محمد حسين عبدالحليم عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

**عليك بخالص التقدير أثنى**
**فشكرك فى الحقيقة فرض عين**
**بعثت لى الجنيه فخذه شعرا**
**ولا تطلبه، ذاك هو التجنى**
**وكيف أرده لك يا صديقى**
**أبينك يا أخى فرق وبينى**
**وكنتُ غرقت فى زيت وفول**
**فصرت أعوم فى عسل وسمن**
**فإن أشكر جنيهك مستريحا**
**فإنى يا أخى إياك أعنى**

**المحرر:**

لقد أظهرت هذه الأبيات الفرق الشاسع بين جنيه الأمس الذى يتقدم إليه الشاعر بخالص الشكر وبين جنيه اليوم الذى يقف على استحياء ثمنا لأربع بيضات أو خمس على أحسن تقدير!!

# المعاكسات التليفونية انتهاك للحرمات

**القارئ/ عبدالهادى محمد أحمد سليم - منشأة الجمال/ الفيوم يتحدث عن سلوك بغيض يقوم به بعض الشباب بهدف التسلية، وهم لا يدرون أنهم محاسبون على كل ذلك إذ يقول فى رسالته:**

إن من نعم الله علينا فى هذه الأيام نعمة «التليفون» تلك النعمة التى توفر الجهد والمال بدلاً من السفر وقطع المسافات البعيدة فتستطيع أن تتصل الآن بأقصى شرق وغرب العالم من بيتك فى المدينة أو القرية ومن واجبنا تجاه النعم أن نشكر المنعم الذى تفضل علينا بها فيزيدنا بالكثير منها لقوله - تعالى -:

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

«سورة إبراهيم آية/ ٧»

فمن دواعى شكر الله على هذه النعمة أن لا نستخدمها فى معصيته سبحانه وتعالى - بل نستخدمها فيما يفيد الناس ومصلحتهم ولكن نرى البعض يستخدمها فى إضرار الآخرين بتلك المعاكسات التى تسبب الكثير من المشاكل بين الناس وقد يحدث مالا يحمد عقباه.

ولقد قال الإمام الجنيد - رضى الله عنه - حقيقة



الشكر أن لا تستخدم نعم الله فى معصيته» فهؤلاء المعاكسون لو علموا حقيقة هذا القول الطيب من هذا العالم الجليل لاستخدموا نعمة التليفون استخداما يليق بشكر الله على هذه النعمة لأنها فى حقيقتها ما جعلت إلا لنجدة الملهوف وغوث المحتاج وتوفير الجهد والمال وبهذه المعاكسات التى يقومون بها يتسببون للناس فى العديد من المشاكل ولأنفسهم فى الوقوع فى خطر الكفر بنعمة الله وألا يعلم هؤلاء أنهم يخدشون الحياء ومن لا حياء فيه لا خير فيه.

وهؤلاء يفرضون أنفسهم على أصحاب البيوت متجردين من كل أدب إسلامى، وعرف وتقاليد تعود الناس عليها منذ الأزل. كما أنهم بتعودهم هذه العادة السيئة يكونون قد خالفوا حقيقة الإسلام التى دعا إليها النبى ﷺ.

وأخيرا.. فإن الواجب على كل مسلم أن يحفظ حرمة أخيه ويستخدم التليفون وغيره من أدوات يسرها الله لنا فيما يرضى الله - تعالى - ويجب علينا أن نأخذ على أيدى المعاكسين وعلينا أن نربى أبناءنا على حسن استخدام هذا الجهاز وغيره.

المحرر: نذكر هؤلاء اللاهين بقول النبى ﷺ لمعاذ ابن جبل وقد سأله: أو نحن محاسبون بما نقول؟

فيجيبه الرسول ﷺ: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم فى النار إلا حصائد ألسنتهم؟!

أخرجه الترمذى

وقوله ﷺ: «الحياء شعبة من شعب الإيمان».

أخرجه البيهقى

## القناعة من منظور إسلامى

ومن رسالة القارىء / محمد محمد عبدالحى الشافعى - بلقينا - المحلة الكبرى

**نقدم هذه الكلمات عن القناعة حيث يقول:**

من يتأمل دنيا الناس فى عصرنا الحالى يرى الألسنة قد انطلقت بالشكوى فقلما تجد إنساناً راضياً قانعاً بعطية الله له بينما تجد على الصعيد الآخر ناساً لا يبثون شكواهم إلا لله.

وقد أعجبنى قول الإمام الشافعى وهو يعالج هذا المعنى قائلا:

وجدت القناعة رأس الغنى
فصرت بأذيالها ممتسكْ
فلا ذا يرانى على بابه
ولا ذا يرانى به منهمكْ
فصرت غنياً بلا درهم
أمر على الناس شبه الملكْ

فالسعيد من عاش على قناعة بقسمة الله، مع السعى والاجتهاد فى طلب العيش فهى قناعة بالتوكل لا بالتواكل.

المحرر:

يذكرنا قول الإمام الشافعى - رضى الله عنه بقول رسول الله ﷺ: «من بات معافا فى بدنه آمنا فى سربه عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» أخرجه البخارى.




## من إبداعات القراء :

وصلت زفرات ملتهبة بمناسبة مأساة القدس، ويهمنا أن ننقل للقراء الكرام نماذج من هذه الزفرات.

# أنا القدس

د/ نجاح عبدالعليم أبو الفتوح - كلية البنات الإسلامية أسيوط

أنا القدس لا أنحني للطغاة ... أنا القدس أرضي ملاذُ الأباه
أنا ثالث الحرمين الألى ... بهم قد تنور وجه الحياه
أتاني ابن مريم نورا فلم ... يلينوا لفيض أتى من رباه
وقالوا قلوب أرينت فلا ... مفاغ تحدى ولا جند شاه
وجاء الكريم العزيز الذى ... أضاء الوجود سنا من ضياه
ليرقى الوجود فيرقى به ... أمير الهداة وتاج الحياة
وأن الشموس إذا ما ارتقت ... تجلت فأبدى سناها مداه
هلموا إلىْ جنود الهدى ... فعندى العلاء وعندى ذراه
هنا ملتقى جمعهم للردى ... وهاقد دنا الوعد من منتهاه
فكم من غشوم أتى واهما ... ليطفئ نورى فيلقى رداه
صلاحٌ لدين وقدسٌ أنا ... فهل من (صلاح) يبيد الطغاه

# رسالة من إيمان «شهيدة الأقصى»

شعر/ جابر عبدالعليم مصطفى - سوهاج

لا تحسبن شهور عمر عشتُها ... أبغي قراراً أو أريد خلودا
فأنا خلقت لكي أكون شهيدة ... بئس القرار لمن أراد قعودا
في نصف عام قد رأيت عجائباً ... ما بال قوم يلبسون قيودا
أوقاتهم صارت جحيماً دائماً ... يلقون بأساً يذهل المولودا

***

فسئمت عيشاً في الحياة وأهلها ... واخترت دار الخلد دار رفاقي
من ذا الذى ليس الشجاعة معطفاً ... فيروح يثأر للدم المهراق
عارٌ وجرمٌ أن نزل بقسوة ... ولنا سجلٌ ماجد الأعراق

# أنباء العالم الإسلامى

## إعداد الأستاذ / محمد الشرقاوى

### من بشائر الانتفاضة المباركة

أكد الباحث الاقتصادى الفلسطينى «أمجد التميمى» فى دراسة نشرتها جمعية البنوك فى فلسطين أن الإقتصاد الصهيونى عاش سنوات من الانتعاش والاستقرار حقق خلالها معدلات نمو سنوية مرتفعة حتى جاءت الانتفاضة فى سبتمبر من العام الماضى لتعصف به وبالانتعاشه وهى الأزمة التى وصفها اقتصاديون صهاينة بأنها الأطول والأسوأ فى تاريخ الاقتصاد الإسرائيلى وقالوا: إن الخسائر التى منى بها اقتصادهم تقدر بأكثر من مليارى دولار وهوما يعادل ٢٪ من الناتج القومى الصهيونى؟

وقال الباحث: إن النمو الاقتصادى تراجع هذا العام نتيجة الانتفاضة ليصل إلى ٢٫٥٪ بعد أن كان ٦٪ العام الماضى. وأرجع مسئول بنك «هاقوعليم» أكبر البنوك الصهيونية السبب فى هذا التراجع الشديد إلى الأزمة التى تمر بها الدولة الصهيونية نتيجة الانتفاضة الفلسطينية وتوقع تقرير حديث لوزارة المالية الصهيونية أن يشهد الاقتصاد الصهيونى تراجعا أكثر وأن التضخم سيظل دون المستوى الذى تستهدفه الحكومة الإسرائيلية.

وأضاف الباحث فى تقريره أن أعداد السياح إلى إسرائيل تراجعت بشكل ملحوظ حيث وصلت إلى ٥٠٪ منذ أواخر العام الماضى وأن حجم التراجع فى إشغال الغرف الفندقية زاد على ٦٠٪ وأدت هذه الخسائر إلى إغلاق ٢٥ فندقا وهو ما اضطرت معه مؤسسات سياحية أخرى إلى إقالة ٢٨ ألف موظف يعملون بها وفى المجال التجارى سجلت الغرف التجارية الصهيونية تراجعا هو الأول منذ عام ١٩٨٩ حيث اقتصرت على ١٫٥٪ مقابل ٦٫٥٪ العام الماضى وأن العجز التجارى الخارجى قفز إلى ١٫٠٥٧ مليار دولار مقابل ٧٨٢ مليون دولار فى نفس الشهر من العام الماضى وهو أكبر عجز تسجله إسرائيل منذ عام ١٩٩٩م كما وصل العجز فى الربع الأول من العام الحالى إلى ٣٫٠٦٧ مليار دولار مقابل ٢٫٥٤٦ مليار دولار فى نفس الوقت من العام الماضى؟

وأكدت الدراسة أن التصدير الإسرائيلى للولايات المتحدة انخفض بنسبة ١٤٫٨٪ قياسا بنفس الفترة

من العام الماضي بينما ارتفع حجم الاستيراد الصهيوني من الولايات المتحدة بنسبة ٥,٢٪.

وفي المجال الصناعي انخفض الإنتاج بنسبة ٤٪ عن العام الماضي وأن ٤١٪ من المصانع قلصت إنتاجها و٣٥٪ قلصت عمالها.

وفي المجال الزراعي قدرت الخسائر بـ ١٥٠ مليون شيكل؟

وفي رد فعل قام الصهاينة لعدم ثقتهم في اقتصادهم بسحب ملياري دولار من البنوك والمصارف في شهر مايو فقط بينما وصل مجموع ما سحبوه خلال الخمس شهور الماضية إلى ٥,٨ مليار دولار.

**آفاق عربية**

**٢٠٠١/٩/٦**

## مضايقات للمسلمين على الإنترنت

أقام عدد من المسلمين الأمريكيين دعوى قضائية فيدرالية ضد شركة «إيه. أو. إل» الأمريكية للإنترنت يتهمون فيها الشركة بعدم اتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية المسلمين من المضايقات وبث روح العداء للمسلمين في «غرف الدردشة» على الإنترنت وهو ما يعتبره المسلمون انتهاكاً لقانون الحقوق المدنية الذي يمنع التفرقة القائمة على الدين.

ويطالب أصحاب الدعوى بمراقبة غرف الدردشة التي تقوم بهذا النوع من النشاط وتطبيق اللوائح التي تحظر على الأعضاء ارسال رسائل لا تحترم قيم المجتمع.

**الأهرام**

**٢٠٠١/٩/١**

## هجوم يهودي ضد موقع إسلامي على الإنترنت

تعرض موقع إذاعة (طريق الإسلام) على الإنترنت إلى هجوم ضار من اللوبي اليهودي في كندا الذي طالب بإغلاق الموقع باعتباره موقعاً إرهابياً على الرغم من أن الموقع هو أفضل موقع إسلامي تبعاً لتصنيف (إليكسا) العالمي.

ومن الجدير بالذكر أن الموقع يزوره يومياً أكثر من ٣٤ ألف زائر ويوجد بقائمة البريد الخاصة به أكثر من ٥٠ ألف مشترك.

وكان أحد المذيعين بالتليفزيون الكندي اتصل بإدارة الموقع وعبر عن رغبته في مساعدة الموقع باستضافة أحد مسئولي الموقع في مواجهة أحد مسئولي جمعية «بناي بريث» وهي الجمعية التي شنت الحملة ضد الموقع وهي أكبر الجمعيات اليهودية العالمية ولكن المذيع اتصل بعد عدة ساعات قليلة متراجعاً عن عقد اللقاء بعد أن رفضت نفس الجمعية التعليق على الخبر كما قام نفس المذيع بالاتصال بالشرطة الكندية التي أخبرته أن الادعاء الموجه ضد موقع إذاعة طريق الإسلام غير حقيقي والموقع غير واقع تحت أي مسئولية وأن ساحة الحوار الخاصة به مفتوحة للجميع.

**أكتوبر**

**٢٠٠١/٨/٢٦**

## طابع بريد إسلامي أمريكي

لأول مرة تصدر هيئة البريد الأمريكية طابع بريد إسلامياً جديداً عن عيدي الفطر والأضحى في إطار سلسلة الطوابع التذكارية التي تصدرها احتفالاً بأعياد طوائف دينية مختلفة.



ويعد الطابع الذي يبلغ ثمنه ٣٤ سنتاً أول طابع بريد أمريكي يحمل كتابة عربية ذات صبغة إسلامية وأكد المدير الأقليمي لهيئة البريد بمدينة «سانتا آنا» بكاليفورنيا أن إصدار مثل هذا الطابع يعد مصدر اعتزاز وفخر لهيئة البريد و للطائفة الاسلامية والأمريكية بشكل عام.

**الأهرام**

**٢٠٠١/٩/٦**

## تجنيد ثلاثة ملايين هندوسي لإبادة مسلمي كشمير

أعلنت منظمة هندوسية متطرفة تطلق على نفسها اسم «فيشوا هند وباريشاد» أنها ستقوم بتجنيد ٣ ملايين شاب هندوسي من كل انحاء الهند بدءا من الشهر الحالي لمواجهة من اسمتهم «بالثوار الاصوليين» وقال امين عام المنظمة لوكالة «برس ترست» الهنديه إن اسلوب مكافحة الإسلاميين في كشمير سيكون من خلال تدريب هذا العدد لمواجهتهم وقد بدات المنظمة بالفعل في تدريب ٣٠٠ ألف هندوسي كمرحلة أولى.

ومن ناحية اخرى وصلت إلى الهند أول دفعة عسكرية من القوات الصهيونية إلى منطقة «لداخ» الكشميرية للمشاركة في الأعمال العدوانية التي ترتكبها قوات الأحتلال الهندوسي ضد المسلمين في كشمير. وقال «موقع المجاهدين» على شبكة الإنترنت إن شهود عيان أكدوا أن «٥٠» سيارة جيب كانت تقل أكثر من «٢٠٠» خبير صهيوني وصلت إلى منطقة «ترتك». وفي إحصائية نشرها موقع «ليلة القدر» أصدرتها احد المراكز الإعلامية التابعة للمقاومة الاسلامية في كشمير جاء فيها: أن القوات الهندية قامت خلال شهر أغسطس الماضي بقتل «٥٠٢» مواطن كشميري أعزل وقالت الإحصائية إن بين القتلى «٤٢٥» شخصاً معظمهم من الشباب و «١٧» امرأة و «٥» اطفال اضافة إلى استشهاد «٥٥» شابا تم اعتقالهم وتعذيبهم في عدد من مراكز التفتيش التابعة للمخابرات الهندية.

وأشارت الاحصائية إلى أن الغالبية العظمى من جثث هؤلاء الشباب لا تسلم إلى أهاليهم أما عدد المعتقلين فبلغ حتى الآن خلال الشهر الماضي فقط «١١٠٠» معتقل ووصل عدد الجرحى الى «٦٨٩» مدنياً

● ليت المسلمين والعرب يفعلون هذا لإسترداد الأقصى.

**شبكة المعلومات الدولية «الأنترنت»**

## موقــع المجاهديــن
## موقــع ليلـة القــدر

السلطات الأمريكية تشن حملة أمنية واسعة على شركات نظم المعلومات التي تتعامل مع المسلمين

تشن السلطات الأمنية الأمريكية حملة واسعة النطاق على شركات نظم المعلومات التي تتعامل مع العرب والمسلمين. وكان آخر هذه المداهمات تلك التي كانت على شركة «انتركوم» في مدينة تكساس الأمريكية وشاركت في هذه المداهمة سبع هيئات أمنية أمريكية وأرجعت السلطات سبب هذه المداهمات إلى أن هذه الشركة تتعامل مع جهات إسلامية وعربية إرهابية.

**هيئة الإذاعة البريطانية**

**B.B.C**

**٢٠٠١/٩/٨**

# أنباء مكتب شيخ الأزهر

## لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى

### فى اجتماع الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة:

### الإمام الأكبر يؤكد: علينا أن ندعم إخواننا فى فلسطين لمواجهة الهجمة الصهيونية الشرسة

عقدت الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة اجتماعها الثالث عشر بالقاهرة برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة فى الفترة من ٣-٤ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ وبحضور معالى الشيخ جاسم يوسف الحجى نائب رئيس المجلس، ومعالى الأستاذ كامل الشريف - الأمين العام للمجلس - وأصحاب المعالى والسعادة والفضيلة أعضاء هيئة رياسة المجلس، ورؤساء اللجان المتخصصة ورؤساء المنظمات الإسلامية العالمية الأعضاء بالمجلس وعددهم ٧٣ هيئة إسلامية عالمية أعضاء، و ٣٠ هيئة بصفة مراقب من بينهم البنك الإسلامى للتنمية، وجامعة الدول العربية.

وافتتح الاجتماع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بكلمة قال فيها: إننى أدعو الأمة العربية والإسلامية إلى التعاون الجاد والبناء والتضامن القوى لمواجهة التحديات التى تمر بها فى هذه المرحلة المهمة من حياتها، والتعاون إذا كان مطلوبا فى جميع الأوقات فإنه فى هذا الوقت من أشد الواجبات لما تعانيه الأمة من آلام ومشكلات تتطلب وحدة الصف ونبذ الخلافات واستعادة قوة الأمة وتماسكها لتعود كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

وقال: إن علينا أن نؤازر ونساعد وندعم إخواننا فى فلسطين بكل أنواع الدعم المادى والمعنوى لمواجهة الهجمة الصهيونية الشرسة ضدهم، وإذا لم نفعل ذلك وإذا لم يفعل المسلمون فى كل مكان ذلك نكون مقصرين وسيحاسبنا الله -عز وجل- على ذلك.

وقال فضيلته: إن قوة الصهيونية العالمية فى أنها تجد من يساندها ويتعاون معها ويمدها بالسلاح، والإسرائيليين اعتادوا على الاعتداء على الأرض والأموال والأعراض والمقدسات، ولهذا فمن حق إخواننا فى فلسطين أن نؤيدهم ونساعدهم ونساندهم.

وقال: إننى أدعو إخواننا فى فلسطين إلى الثبات، والثبات هو الدعاء الذى كان يتغنى به المجاهدون وهم يقبلون على نصرة دينهم وعلى التغلب على الأعداء.. فالعدو يقاتل من أجل الاعتداء والاغتصاب والظلم، والفلسطينيون يقاتلون من أجل الحق ومن أجل استعادة أرضهم وديارهم؛ فهم على الحق والله لا بد وأن ينصر الحق وإنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد».

وفى ختام الاجتماعات التى استمرت على مدى يومين، أصدرت الهيئة التأسيسية للمجلس عدة قرارات وتوصيات منها: دعم حق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم وأراضيهم، والتعويض عن الأضرار التى أصابتهم وتحميل إسرائيل المسئولية الكاملة عما ارتكبته من أعمال عدوانية وإرهابية أدت إلى مشكلة اللاجئين، كما أكدت الهيئة دعمها الكامل لسوريا فى نضالها لتحرير الجولان، وكذلك للبنان فى العمل لتحرير مزارع شبعا، وطالبت الأمة الإسلامية بالوقوف بحزم لاسترداد الأراضى المغتصبة، وطالب المجلس قادة الأمة العربية وشعوبها ومؤسساتها بدعم الشعب الفلسطينى لتمكينه من الاستمرار فى انتفاضته التى تعتبر السلاح الفعال فى وجه الصهيونية وأن تحرير القدس فرض عين على كل مسلم.

## الإمام الأكبر يستقبل القضاة الألمان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وفد القضاة الألمان برئاسة السيد المستشار دالب لوشن رئيس محكمة وعضو مجلس القضاء الأعلى بألمانيا وقضاة ورؤساء المحاكم الألمانية.

رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف شارحا لهم دور القضاة فى ظل الشريعة الإسلامية التى تقوم على العدل مستدلا على ذلك من كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأوضح فضيلته مسئولية هذا المنصب الخطير الذى يحتاج إلى العدل فى القول والعدل فى الشهادة والعدل الذى يترك خلفه الأمن والأمان والاطمئنان مما يعود على الفرد وعلى الأمة بالنفع والرقى والتقدم، وبين أن الله ـ عز وجل ـ حرم الظلم على نفسه وحرمه على عباده لأن الظلم ظلمات يوم القيامة وشريعة الإسلام تقوم على العدل فى الأقوال وفى الأحكام وفى الشهادة والعدل مطلوب مع الصديق ومع العدو وإذا استقام سعدت الأمة.

كما أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات السادة الضيوف وكانت تدور حول الذمة المالية للزوجة فى الشريعة الإسلامية، وحقوق المرأة فى الإسلام، وحقوق الزوج على الزوجة، وتحدث فضيلته عن زواج المسلم بغير المسلمة من أهل الكتاب. كما أجاب عن أسئلة حول مسائل الطلاق.

## الموافقة على عرض فيلم محمد خاتم الأنبياء

عقد مجمع البحوث الإسلامية جلسة خاصة برئاسة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يوم الإثنين غرة جمادى الأولى ١٤٢٢هـ وذلك لمشاهدة فيلم (محمد خاتم الأنبياء) وبعد مشاهدة الفيلم أبدى عدد من أعضاء المجلس ملاحظاتهم حول بعض مشاهده، ولكنهم أجمعوا

على أنه ليس في الفيلم ما يخالف الثابت من السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، أو ما يناقض أمرا معلوما من الدين بالضرورة.

لذلك قرر المجلس الموافقة على عرض الفيلم ودعوة الذين قاموا بإخراجه إلى بذل المزيد من الجهد لإخراج أفلام أخرى تعرض صورة الإسلام، وحضارته، وتشريعه، وأخلاقه، العرض الموضوعي الذي يظهر مضمون رسالته الإنسانية الخيرة، التي تنير العقول، والنفوس، وترد عنه عادية التشويه والتزييف اللذين لم تخل منهما أعمال فنية أخرى.

## الإمام الأكبر يكرم حفظة القرآن الكريم

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بتوزيع الجوائز المالية على حفظة القرآن الكريم من طلبة وطالبات المعاهد الأزهرية وطلبة جامعة الأزهر الشريف وطلبة مكاتب تحفيظ القرآن الكريم والمحفظين في احتفال كبير وذلك بقاعة المؤتمرات الكبرى بمدينة نصر، وقد بلغت المبالغ التي تم توزيعها على الطلاب والطالبات كجوائز مبلغ ثمانية ملايين، و٣٤٩٦٠٠ جنيه، وتقدم للمسابقة ١٠٣٠٠٠ متسابق ومتسابقة على مستوى الجمهورية تم تصعيد ١١٦٦٠ طالبا وطالبة، وحصل الحافظ لثلاثين جزءا ودرجاته ٩٥٪ وحتى ١٠٠٪ على ٢٠٠٠ جنيه والحاصل على ٩٠٪ وحتى ٩٤٪ حصل على ١٧٠٠ جنيه، والحاصل على ٨١٪ وحتى ٨٩٪ حصل على ١٢٥٠ جنيه، والحافظ لـ ٢٥ جزءا من القرآن ودرجاته من ٩٥٪ وحتى ١٠٠٪ حصل على ١٦٠٠ جنيه، والحاصل على ٩٠٪ وحتى ٩٤٪ حصل على ١٣٥٠ جنيها والحاصل على ٨١٪ وحتى ٨٩٪ حصل على ١٠٠٠ جنيه، والحافظ لـ ١٨ جزءاً من القرآن الكريم ودرجاته من ٩٥٪ وحتى ١٠٠٪ حصل على ١٣٥٠ جنيها، والحاصل على ٩٠٪ وحتى ٩٤٪ حصل على ١١٠٠ جنيها، والحاصل على ٨١٪ وحتى ٨٩٪ حصل على ٨٠٠ جنيها.

ومن بين أوائل هذه المسابقة: شريف محمد أبوالوفا، فاطمة محمد محمد خفاجي ( مصر )، حميدو تيجاف فلاته ( النيجر ) حبيب الله توري ( مالي ).

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كلمة هنأ فيها الفائزين وحثهم على بذل الجهد في الحفظ والمثابرة والمتابعة حتى يكونوا دائما من الفائزين، وأوضح أن الأزهر الشريف يولي عناية خاصة بحفظ القرآن الكريم، وأن تكريم حفظة القرآن الكريم والمحفظين للقرآن الكريم إنما هو تكريم لمن كرمهم الله -عز وجل- والأزهر منذ أنشيء أسس على تقوى من الله وقد اتخذنا شعارا ( ليس بأزهري من لا يحفظ القرآن الكريم ) ولن يستطيع الداعية أن يؤدي وظيفته على الوجه الأكمل إلا إذا كان حافظا للقرآن الكريم حفظا جيدا وأيضا السنة النبوية المطهرة. شهد الحفل الأستاذ الدكتور / يوسف والي نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة واستصلاح الأراضي، والدكتور / مختار خطاب وزير قطاع الأعمال وفضيلة الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف، وفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف.

## محاضرة للإمام الأكبر عن دور الإعلام وأهميته

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بأعضاء الدورة البرامجية العامة للعاملين بالإذاعة.

وقد ألقى فضيلته محاضرة عن ( دور الإعلام ومكانته السامية وأهميته القصوى ) وخاصة فى هذا الزمن الذى نعيش فيه بعد أن أصبح العالم كله أشبه ما يكون بقرية صغيرة نظرا لتطور وسائل الاتصال الحديثة، موضحا بأن الإعلام وجد فى هذه الدنيا منذ وجود الرسل والمصلحين الذين يبلغون رسالات الله مستدلا بذلك بالأدلة من القرآن الكريم؛ فالرسل كانوا مبشرين ومنذرين لرسالات الله - عز وجل - وقد ناقشوا وحاوروا قومهم وأجابوهم بالردود التى تقنع العقول السليمة. ولكى يكون الإعلام واضحا ويصل إلى قلوب الناس وعقولهم لا بد أن يكون مبنيا على الصدق الذى هو أساس الإعلام، وهناك أربع صفات ضرورية يجب أن تتوفر ويتحلى بها رجل الإعلام، وهى: ( الصدق - الأمانة - التبليغ - الفطانة )، وذلك ليكسب ثقة الناس سواء فى الإذاعة المسموعة أو المرئية أو المقروءة أو عن طريق الإنترنت، وهذه الصفات أودعها الله - عز وجل - فى الأنبياء والرسل وتحلوا بها لأنها صفات كريمة ويجب أن تتوفر فى القائمين على وسائل الإعلام.

ثم أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات السادة الحضور والتى دارت حول الإعلام الإسلامى، وبخاصة فى الدول الأفريقية. وقد أوضح أن الأزهر الشريف يرسل علماءه فى بعثات إلى معظم دول العالم فى أفريقيا وفى آسيا وفى أوروبا وفى أمريكا وفى أستراليا، وذلك لتعليم وتوضيح الإسلام لأبناء المسلمين فى تلك البلاد، كذلك من خلال المنح الدراسية؛ فالأزهر لديه طلاب وطالبات من أكثر من ٩٤ دولة يقيمون فى مدن البعوث الإسلامية فى القاهرة والإسكندرية، يتلقون العلم فى الأزهر الشريف منذ المرحلة الابتدائية حتى التخرج من جامعة الأزهر الشريف، موضحاً بأن الإعلام يجب أن يكون متمشياً مع مصلحة الدولة، كما أجاب فضيلته عن أسئلة حول التعامل بين المرأة والرجل، ومسائل حول الطلاق، وحكم الشرع فى نقل الأعضاء، وفى تأجير الأرحام ورأى مجمع البحوث الإسلامية، وأسئلة عن التعامل مع البنوك، وعن زواج المسلم من أهل الكتاب، وعن أداء الحج العُمرة عن طريق التقسيط.. إلى غير ذلك من الأسئلة.

شكر الوفد فضيلته على حسن اللقاء وحسن الحفاوة وعلى الاستفادة والاستزادة من العلم النافع.

## الإمام الأكبر يستقبل سفير الهند بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد/ سانتام جيت سنج سفير الهند بالقاهرة، رحب فضيلته بالضيف فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بعمق العلاقات الطيبة بين البلدين منذ قديم الأزل، وهى علاقات قائمة على الأخوة والمودة والتعاون المثمر والمحبة الخالصة.

أشاد الضيف بمكانة الأزهر الشريف العالية والعالمية والتى يحظى بها بين شعوب العالم، وأوضح أن دولة الهند تكن لمصر وللأزهر الشريف عظيم الاحترام والتقدير والاهتمام، كما أشاد بنهج الأزهر فى الوسطية والاعتدال فى دراسته، والتسامح والبُعد عن التعصب، وأن الهند بصدد إعداد منهج تنتهجه يماثل منهج الأزهر الشريف وطلب الضيف زيادة عدد المنح الدراسية لأبناء الهند للدراسة فى الأزهر الشريف، كما وجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة الهند فى أقرب فرصة.

## ويستقبل سفير بروناى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الشريف بمكتبه السيد / دا توحاجي علي بن حسن سفير بروناى بالقاهرة، يرافقه الملحق الثقافي للسفارة بالقاهرة.

رحب فضيلته بالضيفين الكريمين في الأزهر الشريف مشيدا بعمق الروابط بين مصر وأزهرها الشريف وسلطنة بروناى وقدم فضيلته الشكر والتقدير لما قدمته سلطنة بروناى لإنشاء معهدين أزهريين بالقاهرة، تابعين لمدينة البعوث الإسلامية وقد صمما على أحدث النظم، والمعاونة في تدعيم دار الكتب الأزهرية كدلالة طيبة على أعمال الخير لخدمة الإسلام وأبناء المسلمين الذين يدرسون في الأزهر الشريف من جميع دول العالم ومنهم ابناء دولة بروناى.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد وفا أبوعجور الأمين العام لمجمع البحوث، وفضيلة الشيخ أحمد خليفة رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر الشريف.

## وكيل الأزهر يستقبل نائب رئيس مجلس النـــواب الأندونيســـي

استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، السيد / ا. م فتوى نائب رئيس مجلس النواب بجمهورية أندونيسيا وأعضاء وفد البرلمان الاندونيسي.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف في الأزهر الشريف، مشيدا بعمق الروابط القديمة بين مصر وأزهرها الشريف ودولة أندونيسيا موضحاً بأن اكثر من ٢٥٠٠ طالب وطالبة من أندونيسيا يدرسون بالأزهر الشريف، كما قام فضيلته بشرح موجز لتطور العملية التعليمية بالأزهر الشريف كما شرح للوفد المواد التي يدرسها الأزهر في مختلف المراحل موضحا بأن الدراسة في الأزهر الشريف تمتاز بالأعتدال والتوسط والبُعد عن التعصب لمذهب دون آخر ويدرس جميع المذاهب الإسلامية، والأزهر يستقبل طلاب من ٩٤ دولة من دول العالم الإسلامي ويصل عدد الطلاب فيه إلى اكثر من ٢٥ ألف طالب وطالبة بعضهم يدرس على منح الأزهر الشريف وبعضهم يدرس على نفقته الخاصة، كما ان الأزهر يرسل علماءه في بعثات لدول العالم لتعليم أبناء المسلمين العلم النافع ولينشروا دعوة الإسلام بتلك الدول ويصل عدد العلماء الذين يرسلهم الأزهر كل عام إلى أكثر من ألف عالم لان الأزهر الشريف هو بيت المسلمين جميعا.

## قنصل مالاوى يطلب زيادة المنـــح الدراســية لدولتــه

كما استقبل فضيلته السيد / عبدالمالك نديلة قنصل دولة مالاوى بالقاهرة حيث رحب فضيلته بالضيف ودار الحديث حول الدراسة في الأزهر الشريف العالمي وحول الطلاب المالويين الذين يدرسون بالأزهر الشريف على منح ويقيمون بمدينة البعوث الاسلامية ثم يعودون إلى بلادهم ليكونوا رسل سلام ويقومون بتعليم إخوانهم وأبنائهم في بلادهم.

وأبدى الضيف رغبته في زيادة المنح الدراسية موضحاً بأن ٥٠٪ من السكان من المسلمين والمدارس تقوم بتعليم القرآن الكريم والمواد الأخرى حتى يرتفع مستواهم العلمي وطلب تطبيق مناهج الأزهر في مدارس مالاوى.

# الفهـــرس


- افتتاحية العدد: ثقافة الداعية المعاصر
  للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ـــــ ١٠٩٠
- مع سورة الإسراء
  لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ـــــ ١٠٩٨
- جماليات الأداء الأسلوبى فى الحديث النبوى
  للأستاذ الدكتور/ صابر عبدالدايم ـــــ ١١٠٤
- الإسلام والعلاقات الاجتماعية
  للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ـــــ ١١١٢
- الإسراء والمعراج.. تأملات جديدة (١)
  لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ـــــ ١١١٧
- الإسراء والمعراج
  لفضيلة الشيخ/ يوسف الدجوى ـــــ ١١٢٤
- مساجلة بين فقيهين كبيرين
  للدكتور/ حمدى فتوح والى ـــــ ١١٣٢
- فلسفة خطاب الإعلام العربى
  للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ـــــ ١١٣٦
- بين الخضر حسين وعلى عبدالرازق
  للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ـــــ ١١٤١
- محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
  للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ـــــ ١١٤٦
- سيرة رسول الله ﷺ لابن إسحاق للدكتور على مراد
  عرض الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ـــــ ١١٥٤
- الميادين فوق المنافع
  للأستاذ الدكتور/محمود عمارة ـــــ ١١٦٣
- الإنفاق فى سبيل الله
  لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ـــــ ١١٦٨
- قصة العدد: لا أستجير بغير الله
  للأستاذ/ شوقى محمود أبوناجى ـــــ ١١٧٥
- طريق الحق شائك
  للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ـــــ ١١٧٨
- عدى بن حاتم الطائى
  للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ـــــ ١١٨٤
- فدائية تستشهد (قصيدة)
  بقلم/ أبوحسام ـــــ ١١٨٨
- القدس الماضى والحاضر
  للشاعر/ عبدالفتاح الطاهر الخطيب ـــــ ١١٩٠
- إسرائيل من الداخل ـــــ ١١٩١
- القدس بين الصحف والمجلات
  إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ـــــ ١١٩٢
- بروتوكولات حكماء صهيون
  للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ـــــ ١٢٠٣
- نصرت يا مسجد الأسراء، قصيدة،
  للشاعر/ السيد الصديق حافظ ـــــ ١٢١١
- مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية
  للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ـــــ ١٢١٢
- هرمون، دهيا، ترياق الشيخوخة
  للأستاذ الدكتور/ السيد الجميلى ـــــ ١٢١٦
- من قارة إلى قارة، قصيدة،
  للشاعر المهندس/ على محمود طه ـــــ ١٢٢١
- أصول القصة الشعرية
  للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ـــــ ١٢٢٤
- طرائف.. ومواقف
  للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ـــــ ١٢٢٨
- الأسرة ومكانتها فى الإسلام
  للأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى ـــــ ١٢٣٠
- إستفتاءات القراء
  تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ـــــ ١٢٣٥
- خطبة الجمعة
  لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ـــــ ١٢٣٩
- رسالة.. و.. رد
  لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ـــــ ١٢٤٢
- فى رياض الأمل
  للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ـــــ ١٢٤٥
- بين المجلة.. والقارىء
  إعداد وتقديم/ عادل رفاعى خفاجة ـــــ ١٢٤٩
- أنباء العالم الإسلامى
  إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى ـــــ ١٢٥٦
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
  إعداد الشيخ/ عمر البسطويسى ـــــ ١٢٥٩



# الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

• • •


رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ج.م.ع
ت: ٢٦٣٨٥٩٩


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ﴾

سورة البقرة آية: ١٤٤

## الاشتراك السنوى

- داخل مصر ـــــ ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ـــــ ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوروبا وأمريكا ـــــ ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ـــــ ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠


شعبان ١٤٢٢هـ - نوفمبر ٢٠٠١م - الجزء الثامن - السنة الرابعة والسبعون

افتتاحية العدد

# لابد للعلـ

## وسائل البحث العلمي

أعدت دراسات متنوعة عن وسائل البحث العلمي لتفيد من ينشط إلى الاتجاهات العقلية في البحث والتحليل وقد أشبعت هذه الدراسات ما هدفت إليه من إيضاح هذه الوسائل، حيث أسهبت في الحديث عن قوة الملاحظة والقدرة على الاستنتاج وتصميم التجارب وترتيبها، وتنوع المصادر، ومعاودة التجاريب، ووفرة المادة، ومراعاة الوضوح، وضرورة التركيز، مما لابد منه للباحث، ولكن الجانب الخلقي لدى الباحث العلمي لم يجد حظه لدى كثير من الكاتبين، إذ مروا عليه مروراً عابراً، فلم يقفوا طويلاً عندما يلزم الباحث العلمي من مراعاة الأمانة حيث ينسب كل رأى لصاحبه، ومن وجوب الإخلاص حيث لا يخفي بعض ما اهتدى إليه من حقائق تتطلب المناقشة والحوار، ومن الصدق البالغ حيث يكون الحق وجهته في البحث، دون أن يعتقد شيئاً يمليه الهوى ويحاول أن يظهره في مظهر الحق الصريح، مع الاعتراف بفضل سابقيه من العلماء ممن وضعوا المقدمات وساروا في الطريق خطوات كانت مصدر نفعه، ولعل ذلك كله مما يجوز أن يندرج تحت عنوان « الضمير العلمي ».

والحق أن موضوع « الضمير العلمي »، كان مصدر لجاج صاخب لدى من يفرقون بين العلم والخلق حيث ذهب نفر من الباحثين إلى أن وظيفة العلم أن يحلل ما كان، خيراً كان أو شراً، ووظيفة الخلق أن يشير إلى ما يجب أن يكون، وبذلك أصبح العالم في رأيهم غير مرتبط بنفع الإنسانية فيما يكشف من اختراع، ويبدع من نظريات، فتلك وظيفة رجل الأخلاق، وإذا كانت هذه وجهة نفر من الماديين، فإن الإسلام ينكرها كل الإنكار، إذ يجعل الأعمال بالنيات ويثيب كل امرئ على ما نواه، فلابد من نزاهة الغرض وسلامة الاتجاه والحرص على النفع العام، إذ لا يمكن أن ينفصل الخلق عن العلم في منطلق الإسلام.

# ...ـم من خلق عاصم

## التقـــدم العلمـــى

وقد كان التقدم العلمى الظافر فى هذا العصر مصدر إزعاج خطير لمن رأوا نتائج العلم توجه إلى الدمار المبيد فى الحروب الطاحنة، حتى قام نفر من الدعاة يعلن جناية العلم الحديث على البشرية، ويدعو إلى الرجوع إلى عهود البساطة والتقشف، لأن ما أتاحه العلم من تقدم حضارى لم يتم للإنسان سعادته، بل زاده قلقاً وتوتراً، حيث أصبح الكمالى ضرورياً من أجله، فهو يحرص عليه حرصاً شديداً، فإذا تعذر الحصول عليه أصبح موضع لهفة وتطلع، وقد كان أجدادنا السالفون ينعمون بالضرورى نعمة سابغة، ويعيشون فى هدوء مطمئن بعيداً عن التطلع الطامع، والحرص المستوفز، وما كثرت حوادث الانتحار إلا فى بلاد التقدم المادى المفرط، حيث تثقل أعباء الحياة على من يريدون التمتع بكل شئ، ينظرون إليه فى أيدى معارفهم، أو يقرأون عنه فى الصحف والمجلات فإذا أضيف إلى ذلك ما جلبه التقدم العلمى فى الحروب المعاصرة من دمار مبين، كانت النتيجة فادحة، وأصبح الخطر مما يتطلب العلاج.

والحق أن الذين ينظرون هذه النظرة المتشائمة يخلطون بين الوسائل والغايات، وبين العلل والمعلول إذ ليس فى قوانين البحث العلمى، ما يجعل غازاً من الغازات متحتم البلاء، فيسخر فى الدمار والتخريب، ولكن الإنسان هو الذى ينحرف بالقانون ليستخلص منه شر النتائج، والسموم قد تكون دواءً إذا أخذت بحذر للقضاء على بعض الميكروبات، ولكنها تقتل الإنسان قتلاً إذا قصد بها الإهلاك، فالعلم ليس خطراً فى نفسه، إنما الخطر كل الخطر فى مجافاة العلم للخلق، إذ لو سيطر الخلق الدينى على الباحث العلمى لمنعه أن يستجيب لبحوثه على اختراع المبيدات الكاسحة للعمران، ولوقف بعلمه لدى النفع العام حين يجتنب ما يؤدى البشرية من وسائل التدمير والإفناء.

وإذا كانت بذرة الضمير الإنساني تكمن في كل نفس فإن هذه البذرة الكامنة قد جعلت بعض من اخترعوا القذائف المدمرة يحسون بقارص الندم، وفيهم من تعاظمه سوء ما صنع، فاختلط عقله وتسلمته المصحات العقلية، ولو كانت الرقابة الخلقية قائمة لدى من يصنعون هذه المدمرات ما استجابوا إلى رؤسائهم من الساسة، هؤلاء الذين يريدون أن يسيطرون على الشعوب بوسائل الفتك، ويرون في انتصار بلادهم عزة قاهرة، فيرصدون الميزانيات الضخمة لرجال العلم كي يبدعوا ما يفتك ويدمر، ولن يتم هذا التآمر المنكر إلا حين تنفصل السياسة عن الدين، وحين يصبح رجل العلم آلة في يد دكتاتور رهيب.

## نظرتـــــــان مختلفتـــــــان

واجه رجال الدين في أوروبا قضية الخطر العلمي كما واجهها رجال الإسلام في كتب التراث، ولا نستطيع في مقال موجز أن نبسط وجهات النظر على نحو فسيح، ولكننا نشير إلى أن السؤال الحائر: (إلى أي حد يجوز لنا أن نفعل الشر لنحصل منه على الخير)؟

قد وجد جوابه لدى أسقف ( درهام ) بإنجلترا ( الدكتور هنش ) حين ضرب المثل بتشريح الحيوان الحي، فاستعرض آراء من يذهبون إلى إباحته للحصول على نتائج صحية تفيد الإنسانية، ومن يذهبون إلى تحريمه باعتباره مصدر ألم مفرط لحيوان برئ حساس، وانتهى إلى أن الحكم يرجع إلى النتيجة النهائية، إذ ننظر: هل يأتي التشريح بفائدة عظمى يهون لديها ألم الحيوان الحي؟ أو أن الفائدة أقل وأضأل من أن يتعذب لها حيوان ضعيف دون مبرر؟ وإذا أمكن تخدير الحيوان لدى التشريح فهو أولى لدى الأسقف إلا إذا كان التخدير مما يضر بقية البحث العلمي، وقد وجد الأسقف الفاضل من عارضه من زملائه ذاهبا إلى أن ألم الحيوان الحي مما يجب ألا يهتم به في هذا المجال!

فإذا انتقلنا إلى رأي علماء الإسلام في التشريح، نجدهم يمنعون منعا باتا أن يشرح الحيوان الحي، إذ للحيوان حرمة الإنسان تماما، وتلك نظرة إنسانية يصدر عنها التشريع الإسلامي في كل اتجاه، أما الميت، فالحيوان يؤكل بعد ذبحه، ولا خلاف في جواز تشريحه، أما تشريح الإنسان الميت، فللفقهاء احتياط بالغ في شأنه عبر عنه الإمام الأكبر الشيخ عبدالمجيد سليم في فتواه المنشورة «بمجلة الأزهر»[1] إذ استعرض أقوال أئمة المذاهب

(١) مجلة الأزهر السنة التاسعة (رجب ١٣٥٧ هـ) ص ٤٦٨، وكان الشيخ مفتيا للديار المصرية في هذا التاريخ

الأربعة فى شق بطن من ماتت وولدها حى فى بطنها، حيث أجازوا شق البطن حرصا على الولد، لأن الحى أفضل من الميت، وانتهى من بحثه الفقهى إلى قوله: «والذى يقتضيه النظر الدقيق فى قواعد الشريعة وروحها أنه إذا كانت هناك مصلحة «راجحة» فى شق البطن وتشريح الجثة، من إثبات حق القتيل قبل المتهم، أو تبرئة المتهم من القتل بالسم مثلا، أنه يجوز الشق والتشريح بعد المحاكمات.

هذا الحذر الدقيق فى إثبات حرمة الإنسان حيا أو ميتا يسيطر عليه الدافع الخلقى الذى فرضه الإسلام فى تشريعاته الدقيقة، ولو كان الدافع الخلقى قانونا مسيطراً على العلماء ما كان العلم التجريبى مصدر خطر كبير.



الشيخ/ عبدالمجيد سليم

## التكتم العلمى

كان المرتقب المنتظر من رجال البحث العلمى أن يكونوا ذوى صلات قوية، توجب تبادل الزيارات، وتعاقب اللقاءات ليعرض كل فريق ما استطاع أن يصل إليه فى جامعته من نتائج، كما يقدم من نماذج دقيقة لصعوبات يجدها فى طريقه، فقد تكون هذه الصعوبات مما أمكن تذليلها لدى فريق آخر، ولكن المشاهد أن المؤتمرات العلمية تنعقد فى عواصم الدول المتقدمة بصورة دائمة لا لتكشف الجديد من المخترعات، بل لتكون ستارا خادعا، وامتحانا متفرسا، حيث يتربص كل معسكر بعلماء المعسكر المقابل، فهم يتبادلون النقاش فى حذر مفرط، ثم تنتهى اللقاءات ويفاجأ الناس باكتشاف جديد، أعد فى ظل رهيب من الكتمان، فإذا طلب المؤتمرون بحث هذا الاكتشاف حيل بينهم وبين ما يشتهون، إذ أنه فى المنطق المادى وقف على من اكتشفه، وعلى الذين يحاولون الوصول إليه أن يبذلوا الجهد دون استعانة بمن انتهوا إلى غايتهم من اكتشافه.

وإذا كان هذا مانشاهده سافرا دون نقاب، فما معنى تكرار المؤتمرات العلمية إذا كانت لا تبيح التبادل الحقيقى؟ وإذا كان التوق السياسى مدعاة الحرص على هذا التكتم البغيض،

فإن هذا التكتم لا يقف عند القوة الحربية وحدها، بل يمتد إلى شتى الميادين، فالذين يحرزون تقدما اقتصاديا في عالم الصناعة يحتكرون السوق العالمية لمدة طويلة فترتفع الأسعار ارتفاعا يعود بالربح على الدولة المكتشفة وحدها، وأخطر ما يكون ذلك في مواد العقاقير الطبية حيث لا تتكلف غير الهين اليسير، ولكن اختفاء سرها يجعلها مصدر ربح خرافي يظل موردا للدولة المكتشفة حتى يهتدى الباحثون إلى السر العلمي فتهوى القيمة، ومازلنا نسمع عن دواء يباع عند اكتشافه بخمسة دنانير ثم يهوى إلى نصف دينار.

ولو تركنا الجانب الخلقي ناحية، ونظرنا إلى الربح المادي وحده فإننا نرى أن إذاعة هذه الأسرار توفر كثيرا من الجهود، وتدعو الفريق الآخر إلى أن يبرز ماعنده، فيتلاقى الجميع على النفع العام، وذلك أمل لا تبشر الأحداث المشاهدة بتحقيقه في وقت قريب، فما زال الشره الطامع محدود الرواق، ولعل الذين يتبجحون بتقدم الحضارة الأوربية ينسون أن الإسلام يمنع كتمان العلم، ويعده جريمة نكراء، إذ فرض الله على ذوى الدراية من العلماء أن يبرزوا ماعندهم للناس، وللعلم زكاة كالمال.

## مثـــال تاريخـــى

تحدث من أرخوا حياة الإمبراطور ( فردريك الثاني ) أنه كان يترك أمور السياسة إلى شئون العلم ليظهر براعته العلمية التي لا ظل لها من الحقيقة، وقد دعا رجلين بريئين إلى الغداء، وأطعمهما حتى امتلآ، وبعث بأحدهما لينام، وبعث بالآخر ليصيد وفي المساء أمر بشق بطنيهما حيين، ليعرف أيهما كان أحسن هضما؟ من أكل ونام أو أكل واشتغل، وقد نافقه علماء بلده، فأظهروا إعجابهم بيقظته العلمية النادرة، وأذاعوا عنه أنه أسهم في تقدم البحوث الطبية إسهاما حقيقيا، ولو وجد الإمبراطور مستشارا أمينا لأعلمه أن كرامة الإنسان محترمة، وأن من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا، وأن من الوسائل العلمية ما يقوم مقام تجربته الشنيعة دون إجرام.

إن الذين يبحثون عن صلاح المجتمع الإنساني، ويحرصون على سلام الشعوب، لن يشعروا بتقدم حقيقي إذا تخلى العلم عن الخلق وعاش العالم بلا ضمير.

د. / محمد رجب البيومى

# تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله - تعالى - :

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

سورة البقرة آية : ٢٢٨

وقوله - تعالى - :

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾

معطوف على ما قبله لشدة المناسبة وللاتحاد في الحكم وهو التربص الذى سبقت الإشارة إليه في قوله:

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾

**والتربص**: التأنى والتريث والانتظار.

**والقروء**: جمع قرء - بضم القاف وفتحها.

قال الطبرسي: وأصله في اللغة يحتمل وجهين،

أحدهما: الاجتماع ومنه القرآن لاجتماع حروفه. فعلى هذا يقال أقرأت المرأة فهي مقرئ إذا حاضت، وذلك لاجتماع الدم في الرحم.

والوجه الثاني: أن أصل القرء الوقت الجاري في الفعل على عادة، يقال: هذا قارئ الرياح أي وقت هبوبها»[1].

والمعنى: أن على المطلقات أن تمكث إحداهن بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروء بدون نكاح ثم لها أن تتزوج بعد ذلك إن شاءت.

والمراد بالمطلقات هنا المدخول بهن من ذوات الحيض غير الحوامل، لأن غيرهن قد بين - الله تعالى - عدتهن في مواضع أخرى.

والمتوفى عنها زوجها بين الله عدتها بقوله:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[2].

ومن لا يحضن لبأس من الحيض، أو لأنهن لم يرين الحيض فقد بين الله - تعالى - عدتهن بقوله:

﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾[3].

أي: واللائي لم يحضن فعدتهن كذلك ثلاثة أشهر.

وذوات الحمل بين الله - تعالى - عدتهن بقوله:

﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[4].

وغير المدخول بها لا عدة عليها لقوله - تعالى -:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾[5].

وقوله:

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ جملة خبرية اللفظ إنشائية المعنى أي (وليتربصن) وإخراج الأمر في صورة الخبر - كما يقول الزمخشري - «تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص، فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء: «رحمك الله» أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة. كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل توكيد ولو قيل: «ويتربص المطلقات» لم يكن بتلك الوكادة»[6].

وفي قوله - تعالى -:

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾

ما فيه من الإبداع في الإشارة والنزاهة في العبارة والسمو في المعنى، وذلك لأن المرأة المطلقة كثيرا

---

(١) تفسير مجمع البيان للطبرسي جـ ٢ ص ٣٢٦.

(٢) سورة البقرة آية ٢٣٤

(٣)، (٤) سورة الطلاق الآية (٤)

(٥) سورة الأحزاب الآية (٤٩).

(٦) تفسير الكشاف ١/٢٧١.

ما تشعر بعد طلاقها بأنها في حاجة إلى أن تثبت أن إخفاقها في حياتها الزوجية السابقة ليس لنقص فيها، أو لعجز عن إنشاء حياة زوجية أخرى وهذا الشعور قد يدفعها إلى التسرع والاندفاع من أجل إنشاء هذه الحياة، وهنا تبرز طريقة القرآن الحكيمة في معالجة النفوس، إنه يقول للمطلقة: إن التطلع إلى إنشاء حياة زوجية أخرى ليس عيبا، ولكن الكرامة توجب عليها الانتظار والتريث، إذ لا يليق بالحرة الكريمة أن تنتقل بين الأزواج تنقلا سريعا.. وأيضا فإن نداء الفطرة، وتعاليم الشريعة توجبان عليها الانتظار مدة ثلاثة قروء، لكي تستبرئ رحمها، حتى إذا كان هناك حمل نسب إلى الأب الشرعي له.

وفي قوله - تعالى -:

﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾ إشعار بأن هذا التربص يجب أن يكون من ذات أنفسهن وليس من عامل خارجي، فشأن الحرة الكريمة المؤمنة أن تحجز نفسها بنفسها عن كل ما يتنافى مع الكرامة والشرف، فقد تجوع الحرة ولكنها لا تأكل بثديها - كما يقولون.

وقد أشار صاحب الكشاف إلى المعنى بقوله: فإن قلت وما معنى ذكر الأنفس - هنا -؟

قلت: في ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث، لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن، وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال. فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح، ويجبرنها على التربص»[7].

وقوله - تعالى -:

﴿ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ نصب ثلاثة على النيابة على المفعول فيه، لأن الكلام على تقدير مضاف، أي مدة ثلاثة قروء، فلما حذف المضاف خلفه المضاف إليه في الإعراب.

هذا وللعلماء رأيان شهيران في المراد بقوله - تعالى -: ﴿ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾:

فالأحناف والحنابلة ومن قبلهم عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم يرون أن المراد بالقروء هنا الحيضات والمعنى عندهم: أن المطلقات عليهن أن يمكثن بعد طلاقهن من أزواجهن مدة ثلاث حيضات بدون زواج ثم بعد ذلك لهن أن يتزوجن إن شئن.

ومن أدلتهم: أن النبي ﷺ قد فسر القرء بمعنى الحيض فقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي عن فاطمة بنت أبي حبيش أن رسول الله ﷺ قال لها: «دعي الصلاة أيام أقرائك»[8].

ولا شك أن المراد بالقرء في هذا الحديث الحيض، لأنه هو الذي لا تصح معه الصلاة أما المالكية والشافعية ومن قبلهم عائشة وعبدالله بن عمر وزيد بن ثابت والزهري وغيرهم فيرون أن المراد بالقروء هنا الأطهار، أي الأوقات التي تكون بين الحيضتين للنساء.

ومعنى الآية عندهم: أن على المطلقات أن يمكثن بعد طلاقهن من أزواجهن ثلاثة أطهار بدون زواج ثم بعد ذلك يتزوجن إذا شئن.

---

(٧) تفسير الكشاف ٢٧١/١.

(٨) تفسير الآلوسي ١٣٦/٢.

ومن أدلتهم: أن الله - تعالى - يقول:

﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ وقد بينت السنة النبوية أن الطلاق لا يكون في الحيض، فلا يتصور أن يكون الطلاق في العدة إلا إذا فسرنا القرء بالطهر لا بالحيض، وروى عن عائشة أنها قالت: «هل تدرون الأقراء؟ الأقراء الأطهار[9]».

**قال صاحب المنار:** قال الأستاذ الإمام: والخطب في الخلاف سهل، لأن المقصود من هذا التربص العلم ببراءة الرحم من الزوج السابق، وهو يحصل بثلاث حيض كما يحصل بثلاث أطهار، ومن النادر أن يستمر الحيض إلى آخر الحمل فكل من القولين موافق لحكمة الشرع في المسألة[10].

ثم قال - تعالى -:

﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ ﴾

أي: ولا يحل للنساء المطلقات أن يكتمن أمانة الله التي خلقها في أرحامهن من ولد لكي ينسبنه إلى غير أبيه، أو من حيض أو طهر لكي تطول العدة، ويمتد الإنفاق من الأزواج عليهن فإن هذا الكتمان كذب على الله، وخيانة للأمانة التي أودعها الله في أحشائهن وأمرهن بالوفاء بها، سيحاسب الله من يفعل ذلك منهن حسابا شديدا ويعاقبه عقابا أليما.

وقوله: ﴿ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾.

تحريض لهن على عدم الكتمان وعلى الإخبار الصادق حتى تستقيم الأحكام، وتتقرر الحقوق، وتحذير لهن من الكتمان ومن اتباع الهوى والشيطان أي: أن على المطلقات ألا يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن جرين على ما يقتضيه الإيمان، إذ الإيمان يبعث على الصدق ويدعو إلى المحافظة على الأمانة، فإن لم يفعلن ذلك وكتمن ما خلق الله في أرحامهن، كن ممن لا يؤمن بالله وباليوم الآخر إيمانا حقيقيا، لأن من شأن المؤمنات الكاملات في إيمانهن ألا يفعلن ذلك.

**قال الإمام الرازي:** أما قوله:

﴿ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾.

فليس المراد أن ذلك النهي - عن الكتمان - مشروط بكونها مؤمنة، بل هذا كما تقول للرجل الذي يظلم: إن كنت مؤمنا فلا تظلم. تريد إن كنت مؤمنا فينبغي أن يمنعك إيمانك عن ظلمي، ولا شك أن هذا تهديد شديد للنساء.. والآية دالة على أن كل من جعل أمينا في شئ فخان فيه فأمره عند الله شديد»[11].

هذا وقد قرر الفقهاء أن القول فيما يتعلق بعدة المرأة ابتداء وانتهاء مرجعه إليها، لأنه أمر يتعلق بها ولا يعلم إلا من جهتها، إلا أنهم مع ذلك قرروا مدة ينتهي قولها عنده، ولا يعمل بقولها إن نقضت على تلك المدة، فلو ادعت - أنها قد انقضت عدتها بعد شهر من طلاقها لا يقبل قولها.

وللفقهاء كلام طويل في هذه المسألة مبسوط في كتب الفقه فليرجع إليه من شاء ذلك ثم قال - تعالى -:

---

(9) تفسير الفخر الرازي ٦/٩٤.

(10) تفسير المنار ٦/٣٧٦.

(11) تفسير الفخر الرازي ٦/٩٨.

﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ﴾

**قال القرطبي**: البعولة جمع البعل وهو الزوج، سمى بعلا لعلوه على الزوجة بما قد ملكه من زوجيتها، ومنه قوله ـ تعالى ـ:

﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ أى ربا، لعلوه فى الربوبية، والبعولة أيضا مصدر البعل وبعل الرجل يبعل ـ كمنع يمنع ـ أى صار بعلا والمباعلة والبعال: الجماع، ومنه قوله ﷺ لأيام التشريق: «إنها أيام أكل وشرب وبعال»[١٢].

والمعنى: وأزواج المطلقات طلاقا رجعيا أحق بردهن ومراجعتهن فى ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أى فى وقت التربص قبل انقضاء العدة:

﴿ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ﴾ أى إن أرادوا بهذه المراجعة الإصلاح لا الإضرار، كما سيأتي في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا ﴾

**قال القرطبى**: «وأجمع العلماء على أن الحر إذا طلق زوجته الحرة وكانت مدخولا بها تطليقة أو تطليقتين، أنه أحق برجعتها مالم تنقض عدتها وإن كرهت المرأة، فإن لم يراجعها المطلق حتى انقضت عدتها فهى أحق بنفسها وتصير أجنبية منه، ولا تحل له إلا بخطبة ونكاح مستأنف بولى وإشهاد ليس على صفة المراجعة، وهذا إجماع من العلماء»[١٣].

وفى هذه الجملة الكريمة بيان لبعض الحكم السامية التى أرادها الله ـ تعالى ـ من وراء مشروعية العدة فالله ـ تعالى ـ جعل للمطلق فرصة ـ هى مدة ثلاثة قروء ـ لكى يراجع نفسه ويتدبر أمره، لعله خلال هذه المراجعة وذلك التدبر يرى أن الخير فى بقاء زوجته معه فيراجعها، رعاية لرابطة المودة والرحمة التى جعلها الله ـ تعالى ـ بين الزوجين.

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ﴾ شرط المقصود منه حض المطلق على أن ينوى بإرجاعه لمطلقته إصلاح أحوالهما، بإرشادها إلى ما من شأنه أن يجعل حياتهما الزوجية مستمرة لا منقطعة، أما إذا راجعها على نية الكيد والأذى والمضارة ففى هذه الحالة يكون آثما وسيعاقبه الله على ذلك بما يستحقه.

**قال الآلوسى**: وليس المراد من التعليق اشتراط جواز الرجعة بإرادة الإصلاح حتى لو لم يكن قصده لا تجوز، للاجتماع على جوازها مطلقا، بل المراد تحريضهم على قصد

---

(١٢) تفسير القرطبى ١١٩/٣ بتلخيص

(١٣) تفسير القرطبى ١٢٠/٣.

الإصلاح حيث جعل كأنه منوط به ينتفي بانتفائه»[١٤].

ثم ختم ـ سبحانه ـ الآية بقوله:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

أي: وللنساء على الرجال مثل ما للرجال على النساء فليؤد كل واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه نحوه بالمعروف.

والمراد بالمماثلة ـ كما يقول الألوسي ـ المماثلة في الوجوب لا في جنس الفعل، فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل لها مثل ذلك. ولكن يقابله بما يليق بالرجال»[١٥].

أي أن الحقوق والواجبات بينهما متبادلة، وأنهما متماثلان في أن كل واحد منهما عليه أن يؤدي نحو صاحبه ما يجب عليه بالمعروف أي بما عرفته الطباع السليمة ولم تنكره، ووافق ما أوجبه الله على كل منهما في شريعته فالباء في قوله:

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ للملابسة.

وقد بين النبي ﷺ في أحاديث متعددة حقوق الرجال على النساء، وحقوق النساء على الرجال، ومن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله أن رسول ﷺ قال في خطبته في حجة الوداع «اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله. واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه. فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف».

وروى الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لا مراة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه».

وأخرج أبو داود عن معاوية بن حيدة قال: قلت يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟

قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسبت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت».

ولقد قام السلف الصالح بأداء هذه الحقوق على أحسن وجه فقد روي عن ابن عباس أنه قال: «إني لأحب أن أتزين لامرأتي كما تتزين لي لأن الله ـ تعالى ـ يقول:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾».

أي: أن يحب أن يؤنسها وأن يدخل السرور على قلبها كما أنها هي تحب أن

---

(١٤) تفسير الألوسي ١٢٤/٢.

(١٥) تفسير الألوسي ١٢٤/٢.

تفعل له ذلك ولكن لا يفهم أحد أن المراد بهذا المثلية المساواة من كل الوجوه قال - تعالى -:

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ والرجال: جمع رجل. يقال: رجل بين الرجلة أى القوة. وهو أرجل الرجلين أى أقواهما وفرس رجيل أى قوى على المشى. وارتجل الكلام أى قوى عليه من غير حاجة فيه إلى فكرة وروية، وترجل النهار أى قوى ضياؤه. فأصل كلمة الرجل مأخوذة من الرجولية بمعنى القوة.

**والدرجة فى الأصل**: ما يرتقى عليه من سلم ونحوه، والمراد بها هنا المزية والزيادة أى: لهن عليهم مثل الذى لهم عليهن وللرجال على النساء مزية وزيادة فى الحق، بسبب حمايتهم لهن، وقيامهم بشئونهن ونفقتهن وغير ذلك من واجبات.

**قال بعض العلماء**: وإذا كانت الأسرة لا تتكون إلا من ازدواج هذين العنصرين - الرجل والمرأة - فلابد أن يشرف على تهذيب الأسرة ويقوم على تربية ناشئتها وتوزيع الحقوق والواجبات فيها أحد العنصرين.

وقد نظر الإسلام إلى هذا الأمر نظرة عادلة، فوجد أن الرجل أملك لزمام نفسه، وأقدر على ضبط حسه، ووجده الذى أقام البيت بماله وأن انهياره خراب عليه فجعل له الرياسة، ولذا قال - سبحانه -:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾

هذه هى الدرجة التى جعلها الإسلام للرجل، وهى درجة تجعل له حقوقا وتجعل عليه واجبات أكثر، فهى موائمة كل المواءمة لصدر الآية، فإذا كان للرجل فضل درجة فعليه فضل واجب»[١٦].

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أى غالب فى انتقامه ممن عصاه، حكيم فى أمره وشرعه وسائر ما يكلف به عباده فعلى الرجل والمرأة أن يطلبا عزهما فيما شرعه الله فهو الملجأ والمعاذ لكل ذى حق مهضوم، وعليهما كذلك أن يتمسكا بما كلفهما به، لأنه ما كلفهما إلا بما تقتضيه الحكمة، ويؤيده العقل السليم.

«يتبع»

***

(١٦) تفسير القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة مجلة لواء الإسلام، السنة السادسة، العدد (٣)

# دعوة القرآن الكريم إلى بناء المجتمع

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن دعوة الإسلام إلى بناء المجتمع المثالى، لا تقتصر على ما فرضه من حدود على الجرائم والشرور، لتنقية المجتمع منها فحسب، ولا على النواهى والتحذيرات التى تحرم على المسلم ارتكاب الرذيلة أو فعل القبيح أو الإهمال فيما وجب عليه فقط، كما لا تقتصر على ما شرعه الله - تعالى - من عبادات ومعاملات وجهاد لا غير.. ولا تقتصر كذلك على ما جاء من الفضائل أو الأخلاق فى ذروتها كالإيثار، والإحسان إلى من أساء وغير ذلك.. بل إن دعوة الإسلام تضمنت مع كل هذا وذلك، الأسوة الحسنة، التى تمثلت فى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وبلغ فيها أسمى الدرجات، فلا يكفى للرائد والمعلم أن يلقى توجيهاته دون أن تكون أعماله وسلوكه مصوغة على أعلى المستويات فيما يأمر أو ينهى عنه.

والمعلوم أن فى الإنسان فطرة خيرة كريمة، ونزعة بشرية مقابلة وكل واحدة من هاتين تحاول اجتذاب الإنسان إلى صفها، فمن زكى نفسه فقد أفلح، ومن أهملها فقد ضل ضلالاً مبيناً.

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[1].

ولكي يكون السلوك دائم النقاء، موصول الخير، مأموناً عليه من الانزلاق في وحل المعصية، والشرور، جاءت توجيهات الإسلام لتخاطب الظاهر والباطن، ولتستحث في الإنسان فطرته الطيبة وتحرك أشعتها مضيئة صوب الحق والخير.

ولا يجعل الإسلام الحساب على مجرد شكل العمل وصورته، بل على روحه ونية فاعله، قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى»[2] وقال ﷺ: «إنما يبعث الناس على نياتهم»[3] وهنا يتجلى ما يتضمنه الدين من بعث لقوى الخير الكامنة، وإطفاء لنزعات الشر الطائشة في داخل النفس الإنسانية إن قوانين الدنيا قد يفلت البعض منها بحيلة ما، فلا يقع تحت طائلة العقاب أما بالنسبة للقوانين الإلهية فمهما أخفى العبد جريمته، فلن تخفى على علام الغيوب الذي يعلم السر وأخفى.

ولهذا كان الإسلام في دعوته يجمع كل صفات الظاهر والباطن ويغرس في النفس الإنسانية روح المراقبة ومعاني الخير الكاملة: وينقى القلب دائماً ويجعله على صلة وثيقة بالله وبالناس.. وسنرى كيف نادى الكتاب العزيز والسنة الشريفة إلى كل هذا وكيف كانت تقوى الله - تعالى - هي أهم الركائز، وعلى ضوئها تنبثق كل الفضائل والأخلاق.

فلقد أرسى الإسلام قاعدة المثالية، بالنسبة للأفراد والجماعات، والأمم والشعوب وعلى ضوئها يقوم بناء المجتمع المثالي، هذه القاعدة القرآنية هي قول الله - تعالى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[4].

فالمجتمع المثالي هو الذي أخذ التقوى شعاراً، وطبقها سلوكاً، فآتت ثمارها حقيقة. وقد وضع القرآن الكريم سمات هذا المجتمع الرفيع، وبين أنه هو الذي يجعل القرآن هداه:

﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[5].

ويرسم القرآن صورة هذا المجتمع المتكامل في مبادئه، بأنه صحيح العقيدة في دينه، متعاون في معاشرته، مهذب النفس في سائر معاملاته وعلاقاته.

١- أما صحة العقيدة: فتكون بالإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين.

---

(١) الشمس ٧٠ : ١٠.
(٢) أخرجه ابن ماجة.
(٣) أخرجه ابن ماجة
(٤) الحجرات ١٣.
(٥) البقرة ٢ : ٤.

٢ -وأما تعاونه في المعاشرة: فيكون بإيتاء المال - مع حبه له- لأصحاب الحقوق والمحتاجين، فقد روى مسلم بسنده- عن أبي هريرة- رضي الله عنه -قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: «أما وأبيك لتنبأنه: أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان».

٣ -وأما تهذيب النفس في سائر المعاملات والعلاقات: فيكون بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصبر في كل الأحوال وفي أوقات الشدائد،وعند لقاء العدو.

إن من يجمع هذه المبادئ، فقد صار صادقاً في دينه، واتباعه للحق، وطلبه للبر، وهو بحق تقي.. والمجتمع الذي يتسم بها هو المجتمع المثالي الفاضل ويجمع محسنين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون ضم هذه المبادئ، كلها قول الله - تعالى:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾(٦).

وفي موطن آخر من سورة «الذاريات» يصور القرآن الكريم صورة المجتمع المثالي بأنه مجتمع تقي بلغ في رُقيه وتقاه إلى درجة الإحسان التي أشار إليها الرسول ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(٧) وقبل أن يذكر ملامح هذا المجتمع بين جزاء أصحابه، وما أعده الله - تعالى - من جنات وعيون وما هم عليه من رضا تام، وقبول حسن لما آتاهم ربهم، فيقول الله - تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾(٨).

إن درجة الإحسان التي أشارت إليها الآيات السابقة، لهي أمان للمجتمع، فوق ما لها من منزلة، وما لأصحابها من أجر وافر عند الله، هي أمان من الخوف والفزع والقلق النفسي، وهي أمان من الحزن الذي يصاب به غير المحسنين في أعمالهم وعباداتهم. قال تعالى:

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٩).

وتفسر الآيات الشريفة درجة الإحسان في التقوى والعمل، بأنها ترقى بالمجتمع إلى الدرجات العلا..

---

(٦) البقرة: ١٧٧.

(٧) البخاري ١/ ٢٠.

(٨) الذاريات: ١٥ - ١٩.

(٩) البقرة: ١١٢.

١-إنهم يهجعون في طائفة قليلة من الليل، ويقضون سائر الليل في العبادة.

٢-ومع قلة هجوعهم، وكثرة تهجدهم ينهضون في الأسحار ويستغفرون ربهم وكأنهم لم يقضوا الليل في العبادات.. فهم يضلون في الرقي بالعبادات من نوع إلى آخر ولا يركنون لما قدموا من طاعة أو سهر وتهجد بل مع هذه الاجتهادات يكثرون من الاستغفار وكأنهم مذنبون.

٣-ثم يقدمون بعد هذا الدليل على صدق الإيمان، وإحسان الطاعة، وذلك بالبذل والإنفاق ولا يقصرون البذل والعطاء على السائل الذى يسأل، بل يبذلون وينفقون على من لا يسأل، كالمحروم وهو: المستجدى، والمتعفف الذى يظنه بعض الناس غنياً لعدم سؤاله فيحرم الصدقة، ومصداق ذلك في موطن آخر، قول الله – تعالى:

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١٠).

وإذا كان القرآن الكريم قد بين جزاء قيام الليل بهذه الصورة:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

فقد أكدت السنة الشريفة عظمة هذا الجزاء: عن أبي هريرة– رضي الله عنه– عن رسول الله ﷺ قال:

قال الله – تعالى –:

«أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾(١١).

وأما جزاء الاستغفار وثمرته: فواضح في قول الله – تعالى:

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾(١٢).

ويقول الرسول ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب»(١٣).

وأما فضل الإنفاق وجزاؤه، فقد قال تعالى:

﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(١٤).

وقال تعالى:

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾(١٥)

---

(١٠) السجدة: ١٦، ١٧.

(١١) رواه البخاري.

(١٢) نوح: ١٠ – ١٢.

(١٣) رواه أبوداود.

(١٤) النساء: ١١٤.

(١٥) سبأ: ٣٩.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إن ملكاً بباب من أبواب السماء يقول: من يقرض اليوم يجز غداً. وملكا بباب آخر يقول: اللهم أعط منفقاً خلفاً وعجل لممسك تلفاً»[16].

هذه العناصر الثلاثة: من قيام الليل، وعدم الاتكال على ذلك فيكثر من الاستغفار، ثم إقامة البرهان على الصدق في جميع الفضائل بالإنفاق، كما قال الرسول ﷺ: «... والصدقة برهان»[17]. هذه كلها تشكل عناصر الإحسان الذي هو عنوان المجتمع المثالي الذي أخذ نفسه بتقوى الله - تعالى - والإحسان في عباداته ومعاملاته:

والناس في نظرهم للمثالية يختلفون، وينقسمون إلى قسمين:

أحدهم: يراها في حب الشهوات، وهؤلاء هم حزب الشيطان وعشاق الدنيا الذين غرتهم الأماني وغرهم بالله الغرور.

والآخر: يراها في تقوى الله - تعالى - وهؤلاء هم حزب الله:

﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[18].

وقد بين القرآن الكريم أن القسم الثاني هو الذي على حق، وهو الذي قد أعد له ربه جزاء عمله على نوعين:

**الأول**: جسماني نفسي، وهو الجنة والأزواج المطهرة.

**والثاني**: روحاني عقلي، وهو رضوان الله - سبحانه وتعالى - ويصور القرآن الكريم النوعين من المجتمعات في قوله تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ (١٤) ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[19].

ثم تبرز لنا الآيات الكريمة سمات هذا المجتمع العظيم:

﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (١٦) ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾[20].

إنهم رتبوا طلب المغفرة على الإيمان، وابتهلوا إلى الله بصدق إيمانهم ليغفرلهم.

كما أنهم صابرون، والصبر ضياء، وقد قال الله - تعالى - في جزاء الصابرين:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[21].

---

(١٦) رواه أحمد بإسناد صحيح، وابن حبان في صحيحه، والطبراني في الأوسط.

(١٧) أخرجه أحمد ٥/٣٤٢، ٣٤٣.

(١٨) المجادلة ٢٢.

(١٩) آل عمران ١٤، ١٥.

(٢٠) آل عمران ١٦، ١٧.

(٢١) الزمر ١٠.

وقال تعالى:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾(٢٢).

وقال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»(٢٣).

ثم يصفهم بعد ذلك بالصدق، والصدق يكون في القول والعمل، وقد قال الله - تعالى - في جزاء الصادقين:

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢٤).

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(٢٥).

وقال رسول الله ﷺ في ثمرة الصدق ونتيجته، وعاقبة الكذب ونهايته: «إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا»(٢٦).

وحين يصفهم بالعبادة يصفهم بالمداومة عليها، والحرص على روحها ولبابها لا على الشكل والمظهر فحسب، فيصفهم «بالقانتين».

وأما الصفتان التاليتان وهما: الإنفاق، والاستغفار بالأسحار فقد سبق بيانهما.. إلا أن بعض المفسرين يرى أن المراد بالاستغفار هنا الصلاة وقت السحر.

وقد أمر الله - تعالى - عباده بأسباب المغفرة والجنة، ووجههم إلى المسارعة في ذلك، ولكن الأمر والتوجيه جاء بصيغة تقتضي تحقق هذا الجزاء العظيم الذى أعد لهم لأنهم اتقوا ربهم حق تقاته، وقدموا الجزاء أولاً، ليبين أنه المتكفل به والضامن له، ثم ذكر - بعد ذلك - سماتهم وأوصافهم.. ثم يختم ببيان الجزاء، ليوضح أنه إنما جاء وفق إيمانهم وعملهم، لأنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وليوضح - أيضاً - أنه مؤكد عند الله - سبحانه وتعالى -.

وفي معرض تعداد أوصاف المتقين، الذين سموا في أعمالهم إلى مراقي الفلاح، والذين كونوا بمثاليتهم الفذة أرقى مجتمع إنساني على ظهر الأرض في معرض تعداد الأوصاف، ذكر نوعين من الأعمال، عليهما تدور سعادة الأمة التي ينتمون إليها كالإنفاق، والسعادة النفسية للعامل ذاته هذان النوعان هما:

١- العمل البدني كالإنفاق.

---

(٢٢) الشورى، ٤٣.

(٢٣) رواه مسلم

(٢٤) الزمر، ٣٣ : ٣٥.

(٢٥) التوبة، ١١٩.

(٢٦) متفق عليه

٢-والعمل النفسي كعدم الإضرار.

هذه الملامح السابقة يصورها قول الله - تعالى:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾(٣٧).

وهكذا تطلعنا هذه الآيات الكريمة على خمس سمات إذا تحققت تكاملت بها صورة المجتمع المثالي:

أولاً: قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾(٣٨).

أي في حالة الرخاء وفي حالة الشدة، والسراء من السرور أي في الحالة السارة التي يستشعر فيها الإنسان السعة واليسر والضراء من الضرر أي في الحالة الضارة التي يستشعر فيها الإنسان الضيق والعسر، وقد روى عن ابن عباس تفسيرهما باليسر والعسر.

وهنا لفتة إلهية حكيمة، حيث بدأ صفات المتقين بالإنفاق، وذلك لسببين:

١-لمقابلته بالربا الذي نهى عنه في الآية السابقة في قول الله - تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(٢٩).

فإذا كان في الربا استغلال من الغني للفقير، وانتهاز لحاجته وفاقته لأكل ماله بغير وجه حق.. فإن في الصدقة مساعدة للفقير وعوناً له، لا يبتغي من الفقير جزاء ولا شكورا.

٢-للإنفاق في جميع الحالات- اليسر والعسر- دلالة على صدق الإيمان، وبرهان على قوة اليقين.. وهذا هو شأن المتقين، لا يجرهم اليسر إلى البطر، ولا يوقعهم العسر في القنوط، فهم لا يقتصرون في تعاونهم على حالة الرخاء والنعمة بل هم في الحالين سواء، فلما كان الإنفاق أدل على التقوى، وأعظم نفعا للمجتمع الإنساني من سائر الأعمال الأخرى استهلت الآية الشريفة موكب المتقين بالإنفاق.

ثانيـاً: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾ وهم الذين يحبسون غيظ نفوسهم بالصبر عندما يهضم لهم حق من الحقوق مادية كانت أو

---

(٣٧) آل عمران، ١٣٣ - ١٣٦.

(٢٩) آل عمران، ١٣٠.

(٢٨) آل عمران، ١٣٤.

معنوية، وهذه الصفة تقتضي ضبط النفس وكبح جماحها، حتى لا تنزلق في الشر فتكون فتنة.

وقد بين الرسول ﷺ درجة كظم الغيظ وثمرته في قوله: «من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء»[30].

ثالثاً: ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ وهنا يرقى الإسلام بنفس المسلم، فبعد أن أطفأ جذوة الشر التي تكاد تندلع بها النفس الإنسانية، وذلك بكظم الغيظ، انتقل بالمسلم إلى درجة أسمى، فيها معالجة للنفس وارتفاع إلى مرتبة أسمى من السابقة، فقد يكظم الإنسان غيظه ولا يزال في قلبه شيء من الضغينة، أما العفو فيمسح ما بقى من شر حتى يعود القلب نقياً.

وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الدرجات؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك وتصل من قطعك»[31].

رابعاً: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، إذا كان العفو منزلة فوق العدل كان - عند بعض العلماء - إحساناً، وعلى هذا فمعنى ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي الذين أحسنوا في معاملتهم وعفوهم.

ولكنني أرى أن قوله - تعالى -:

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[32].

صفة رابعة، زائدة على ما سبق، وقد جاء في صيغة تبرز بكونه محبوباً عند الله - سبحانه - فهي درجة زائدة بلغ أصحابها في مثاليتهم مدى عظيماً، بحيث لا يكتفون بكظم الغيظ والعفو فحسب بل إنهم يحسنون إلى من أساء إليهم، روى أن بعض السلف الصالح غاظه غلام له غيظاً شديداً فهم بالانتقام منه، فقال الغلام:

﴿ وَٱلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ فقال كظمت غيظي.

قال الغلام:

﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾[33]، قال: عفوت عنك.

قال الغلام:

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، قال: اذهب فأنت حر لوجه الله.

---

(30) أخرجه ابن ماجة.

(32) آل عمران، ١٣٤.

(31) رواه الطبراني.

(33) آل عمران، ١٣٤.



خامساً : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾(٣٤) .

وهذه الصفة، تكشف عن الطبيعة البشرية وأنها عرضة للخطأ والزلل، فالمسلم التقى إذا اقترف معصية فى حالة ضعف نفسى يبادر بالرجوع إلى ربه مستغفراً تائباً.. وإن سماحة الإسلام لا تدع أمثال هذا النمط فى مؤخرة القافلة، بل ترفعهم إلى مصاف المتقين ما داموا قد ذكروا ربهم، واستغفروه، ولم يصروا على ما فعلوا.

ومما سبق يمكننا أن نبرز هنا سمات هذا المجتمع المثالى لتكون بمثابة الأضواء الكاشفة للأمة الإسلامية حتى تترسم الخطى الصحيحة التى أشار إليها الإسلام فى القرآن والسنة، وهذه السمات :

أ- منها ما يتعلق بصحة العقيدة : وهذا عن طريق الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.. وما يستلزمه من عبادات ومعاملات.

ب- التعاون والتكافل الاجتماعى، وهذا عن طريق التعاون والإنفاق فى جميع الأحوال.

جـ- تهذيب النفس الإنسانية وترويضها، وكبح جماحها وفتح سبل الخير والحق لها..

وهذا عن طريق :

١- الصلاة.

٢- الزكاة.

٣- الصوم.

٤- الحج للمستطيع.

٥- الوفاء بالعهد.

٦- الصبر فى جميع الأحوال.

د- سموهم فى العبادة والقرب من الله.. وهذا عن طريق :

١- قيام الليل.

٢- الاستغفار فى الأسحار.

هـ- علاقتهم بالله وبالناس وسمو المجتمع بهم وهذا عن طريق :

١- الصدق.

٢- القنوت.

٣- كظم الغيظ.

٤- العفو عن الناس.

٥- الإحسان إلى من أساء إليهم.

٦- الرجوع إلى الله - تعالى.

وهذه هى ختام الصفات الكريمة، وهى تبين أنهم دائما يذكرون ربهم ولا ينسونه :

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾(٣٥) .

---

(٣٤) آل عمران ١٣٥.

(٣٥) الأعراف ٢٠١.



# تعظيم القرآن

للأستاذ الدكتور / أحمد عبد الواحد

**صنف الإمام الحافظ أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي - المتوفى سنة ثلاث وأربعمائة - كتابا سماه (المنهاج فى شعب الإيمان) جمع فيه من الكلام فى حقيقة الإيمان، وشرح ما جاء عن النبى ﷺ أنه قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[1] وتفصيل هذه الشُّعب واحدة واحدة، والكلام عنها بما يكشف عن حقيقتها - ما أمل أن يعظم نفعه وتكثر فائدته، وسماه (المنهاج) إذ كان إبانة لما نهجه الله ـ تعالى ـ لنا من الدين، وهدانا إليه من الصراط المستقيم، وقد قال سبحانه: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[2]**

**وقسمه عشرة أقسام فى عشرة أبواب، أولها: فى البيان عن حقيقة الإيمان، وعاشرها: فى شعب الإيمان.**

**وفي بيان التاسع عشر من شعب الإيمان، ذكر أنه تعظيم القرآن - كتاب الله العزيز - بكل وجه من وجوه الإجلال والتكريم، ومنها تعلُّمه، وملازمة تلاوته، وإحضار القلب عند قراءته، والتفكّر فيه، وتكرير آياته وترديدها واستشعارها بما يهيج الخشية من مواعظ الله ووعيده فيه.**

ومنها أن يرتّل القراءة - أى يتأنى فيها - ويحسّن صوته بها، ويفتتح قراءته بالاستعاذة، ويقرأ فى أول كل سورة - عدا سورة التوبة - بسم الله الرحمن الرحيم.

ومنها أن يزداد من القراءة فى شهر رمضان.

ومنها أن يعلّم القرآن من يرغب إليه فى تعلّمه، ولا يترفّع عنه بل يحتسب الأجر فيه ويغتنمه.

---

(1) أخرجه الحافظ أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي.

(2) المائدة (48).

ومنها أن يستشفي قارئ القرآن بما يجيئه منه ويتبرك بقراءته على نفسه وعلى غيره مريضا أو حزينا أو خائفاً أو مغتماً أو مسافرا ويتبعه الدعاء والمسألة من الله.

ومنها أن يفرح بما آتاه الله من القرآن فرح الغنى بغناه وذى السلطان بسلطانه ويستعظم نعمة الله عليه به ويحمده عليه.

أما تعلّم القرآن فهو أول وجوه تعظيمه، لأن ترك التعلم إغفالٌ له وتضييع، والتعلّم ولوعٌ به وحرصٌ عليه وعرفانٌ بقدره، وعن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ: «خيركم مَنْ تعلّم القرآن وعلّمه»(٣) وعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين»(٤).

فإن من القرآن ما تجب قراءته فى الصلاة، ومنه ما تُسَنّ قراءته فيها، وفيه أحكام تعبّد الله بها خلْقَه، وفيه وعْدٌ ووعيد ومواعظ وقصص، ولا يخلو كل واحد منها من أمر يُخاطب به العَبْد، فمن لم يتعلّم القرآن لم يعلمْه، ومن لم يعلمْه لم يعمل بما فيه، ولم يمكنه امتثال ما أمر ولا الانتهاء عما نهى، ولا التشرّف بما شرّف، ولا الاستبشار بما بشّر، ولا التهيُّب بما هيّب، ولا الاتعاظ بما وعظ، ولا القيام بفرض التلاوة أو سنتها، فصَحّ أن التعلّم هو أول ما يجب من حقوق القرآن.

وكيف يتيسّر للمؤمن عبادة إذا لم يتعلّمه ويحفظ منه والله - سبحانه - يقول لنبيّه:

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ ﴾ أى: اسْهَرْ به وقتاً من الليل فى صلاة وقراءة ﴿ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ أى: كرامة من الله لك

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾(٥).

وقد سمّى الله القرآن ذكراً، وتوعّد مَنْ أعرض عنه ونسيه:

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝٩٩ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ۝١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴾(٦).

وقال بعد ذلك:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾(٧).

ومع أن القرآن إنما نزل ليُعمل به، فإن من معانى التقرّب إلى الله بقراءته أنه خطابُ الحقّ

---

(٣) أخرجه البخارى.

(٤) أخرجه مسلم.

(٥) الإسراء (٧٩).

(٦) طه (٩٩ - ١٠٠).

(٧) طه (١٢٤ - ١٢٦).

سبحانه، وكتابُه الجامع، وبيانٌ ما يرضاه لعباده وما لا يرضاه لهم، وما هو جازٍ لهم به إن أساءُوا أو أحسنوا، ومن أمْحَل المُحال أن يخاطب الربُّ عباده على يدى رسوله فلا يُقرأ كتابه ولا يُعْلَم خطابُهُ، بل إن الخطاب به لما كان قائما إلى قيام الساعة فإنه يقتضى إدامة قراءته، وتعليم الآباء أبناءَهم إياه، واستيداع الكبار الصغارَ ما حُمِّلُوه منه، وأن يؤدَّى من البعض إلى البعض، ومن المتقدم إلى المتأخر.

ولو لم يكن فيه إلا أنه كلام الله - تعالى - نزل به الروح الأمين على النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه لكان من حقه أن يُقرأ ويُدْرَس تشرُّفاً وتبرُّكا وشكرا لنعمة الله، جل ثناؤه - فيما خلق لنا من اللسان وعلَّمنا من البيان - بقراءة كلامه.

وأما إحضار القارىء فى قلبه ما يقرؤه والتفكُّرُ فيه، فلأنه خطاب الله - تعالى - الذى يخاطب به عباده، فمن قرأه ولم يتفكَّرْ فيه ولم يتدبَّرْه كان كمن لم يقرأه، لأنه لم يصل إلى غرض القراءة من قراءته، فالقرآن يشتمل على آيات مختلفة الحقوق، ومن ترك التفكُّرَ فيما يقرأ استوت الآيات كلها عنده، فلم يعرف لشىء منها حقه، ولم يتزود منها ما يتخشَّع به قلبه، وتزكو به نفسه:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾(٨).

قال القاسم: رأيت سعيد بن جبير قام ليلةً يصلى وهو يقرأ:

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ ﴾(٩).

فردَّدها بضعا وعشرين مرة، وكان يبكى بالليل حتى عَمِش - أى ضعف بصره وسال دمعه - وكان عمر - رضى الله عنه - يصلى بالناس فبكى فى قراءته حتى انقطعت قراءته وسُمع نحيبه من وراء ثلاثة صفوف، وقرأ ابن عمر

﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾(١٠) فلما أتى على الآية: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١١) بكى حتى انقطع عن قراءة ما بعدها.

وأما ترتيل القراءة - أى التأنى بها وتجويد التلاوة - فلقول الله عز وجل:

﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾(١٢) ولأن التفكر أمكنُ عند الترتيل، عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ أنه قال: «يُقال لصاحب القرآن - أى الملازم لتلاوته وتدبّره والعمل به والتأدُّب بآدابه -

(٨) ص (٢٩)
(٩) البقرة (٢٨١)
(١٠) المطففين (١).
(١١) المطففين (٦).
(١٢) المزمل (٤)

اقْرأْ وارْتَقِ – أي: اصْعَدْ في دَرَج الجنة – ورَتِّلْ كما كنت ترتِّل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[١٣].

وأما تحسين الصوت بالقرآن ففيه ما روى عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن»[١٤] أي: يقرؤه على خشية من الله – تعالى – ورقة من فؤاده. وقد فسّر أبو هريرة التغنّي بالقرآن بأنه الجهْر به، وسئل الليث بن سعد فقال: يتحزّن به، والذي يظهر – بدلالة الأخبار – أن يكون المراد بالتغنيّ أن يحسّن القارئ صوته به – مكان ما يحسّن المغنيّ صوته بغنائه – إلا أنه يميل به نحو التحزّن دون التطريب، فإن قراءة القرآن لا يدخلها من النغم وفضول الألحان وترديد الصوت ما يلْبس المعنى ويقطع أوصال الكلام ويُلْهي عن التدبّر وينافي الخشوع، إنّما يليق حُسْن الصوت والتحزّن دون ما عداهما.

وأما تعليم القرآن ففيه ما رُوىَ عن عثمان بن عفان عن النبي ﷺ أنه قال: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه»[١٥]. وتعليم القرآن أمانة في الدين، فهو كتلْقين الكافر الشهادة ليُسْلم، وهو برٌ وقُرْبةٌ من صالح ما يُتَقرّب به إلى الله – تعالى – فإن علْم القرآن فَضْلٌ، وتعليمه مَنْ لا يُحْسنه إفادة من فضل العلم، فلا يختلف عن إعطاء الفقير وإطعام الجائع وكُسْوة العُرْيان، وكل ذلك إذا جُعل لوجه الله تعالى كان براً وقُرْبة، وقد كان النبي ﷺ أوّل من علّم القرآن في أمته، فكيف يكون لأحد أن يترفّع عن تعليمه أو يستحقر من يتصدّى للتعليم؟.

إن القرآن نعمة، وقد سماه الله نورا وشفاء ورحمة، وجعله مباركا وهدى للمتقين، فمن يسّره الله له ليعلّمه ويعمل بما فيه فليعظّم نعمة الله عليه، ولتكنْ عنده أكبر وأسْنى قدرا من الأموال والأولاد

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[١٦].

وقد قال – عز وجل – لنبيّه تنويها بنعمة القرآن

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[١٧].

وقال لنساء النبي ﷺ:

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾[١٨].

أي: اذكُرْن موضع النعمة، إذ صيّركن الله في بيوت تُتْلى فيها آيات الله والحكمة، اذكُرْن آيات الله واقْدرْنَ قدرها، وفكّرْن فيها حتى تكون منكن على بَال لتتّعظن بمواعظ الله – تعالى – ومن كان هذا حاله ينبغي أن تحسن أفعاله.

فلا يصح – في ديار الإسلام – أن يخلو بيت لمسْلم من تلاوة القرآن، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذى تُقرأ فيه سورة البقرة»[١٩].

اهـ

(١٣) أخرجه أبوداود والترمذي.
(١٤) متفق عليه.
(١٥) أخرجه البخاري.
(١٦) يونس (٥٨).
(١٧) النساء (١١٣).
(١٨) الأحزاب (٣٤).
(١٩) أخرجه مسلم.

# المعيار المعتبر لقبول الرواية عند المحدثين

للدكتور / أحمد محمود أحمد شيمى (*)

مما لاريب فيه أن أحاديث النبى ﷺ عليها مدار الكثير من الأحكام الشرعية، وذلك ببيان هذه الأحكام وتوضيحها ومعرفة المقصود منها، ومايترتب عليها مما أمر الله به أو نهى عنه.

وهذا المعنى يتضح من قول الله - تعالى -:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1].

وقد بوب الإمام البخارى - رحمه الله تعالى - فى صحيحه قال: باب قول الله - تعالى -: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[2] قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - فكأن التقدير أطيعوا الله فيما نص عليكم فى القرآن، وأطيعوا الرسول فيما بين لكم من القرآن، وما ينصه عليكم من السنة، أو المعنى أطيعوا الله فيما يأمركم به من الوحى المتعبد بتلاوته، وأطيعوا الرسول فيما يأمركم به من الوحى الذى ليس بقرآن[3].

ومن أجل هذا اتجهت أنظار الأمة إلى العناية بثبوت السُّنة النبوية: فاشتغلوا بها حفظاً ودراسة وتحقيقاً وتخريجاً وجرحاً وتعديلاً.

وإذا كان لكل فن أهله، ولكل علم رجاله، فقد تأهلت جماعة من الأمة الإسلامية وعكفوا على دراسة السُّنة والذب عنها ضد تحريف الغالين

---

(*) مدرس الحديث وعلومه بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق.

(١) سورة الحشر/٧.

(٢) النساء (٥٩).

(٣) ينظر كتاب فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٣/١١٩، ط/الريان.

وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين[٤]، وذلك عن طريق القواعد والموازين التي وضعوها لقبول الراوي والمروي، والمتأمل في هذه القواعد والضوابط يرى أن المحققين من أهل هذا الشأن كانوا يعتبرون المقياس الحقيقي والمعيار الرئيسي عندهم لقبول روايتي الراوي هو سلامة الدين الذي، يظهر منه سمته وصلاحه وبيان حاله، دون اعتبارات أخرى من جاه أو سلطان، أو غير ذلك.

يروى الحافظ البيهقي عن إبراهيم النخعي الذي يقول: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته وإلى صلاته وإلى حاله ثم يأخذون عنه[٥].

ومن المعلوم أن الرجل المقصود في قول النخعي هو الراوي من أهل الحديث، وأما ما يأخذونه عنه فهو حديث رسول الله ﷺ.

وروى مسلم في صحيحه[٦] عن مجاهد قال:

«جاء بشير العدوي، إلى ابن عباس، فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ، فجعل ابن عباس -رضي الله عنهما- لايأذن لحديثه، ولا ينظر إليه فقال: يابن عباس: مالي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله ﷺ ولاتسمع؟

فقال ابن عباس:

إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ، ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول[٧] لم نأخذ من الناس إلا مانعرف».

فانظر إلى حبر الأمة وترجمان القرآن وأحد العبادلة ابن عباس -رضي الله عنهما- وهو يدقق ويحقق ممن يسمع منه الحديث ولما خشي أن يكون الرجل ممن لايميز الصواب من الخطأ ولا الحسن من القبيح ترك حديثه ولم ينظر إليه.

ومع العلم أن بشير العدوي هذا الذي كان يحدث ابن عباس وثقه النسائي والدارقطني والحاكم وغيرهم كما بين ذلك الحافظ ابن حجر في كتابه النفيس تهذيب التهذيب[٨].

---

(٤) أخرجه ابن عبدالبر في التمهيد (٥٩/١) وابن أبي حاتم في مقدمة المعرفة (١٧/٢) ونصه: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وإسناده حسن بمجموع طرقه وضعفه بعضهم.

ومعنى تحريف الغالين أي تغيير المتجاوزين الحد، ومعنى انتحال المبطلين أي: ادعائهم لأنفسهم مالغيرهم.

(٥) المدخل إلى سنن الإمام البيهقي ١٢/١، وانظر تدريب الراوي.

(٦) صحيح مسلم، المقدمة ١١٩/١ ط/ مؤسسة قرطبة.

(٧) وأصل الصعب والذلول في الإبل فالصعب: العسر المرغوب عنه، والذلول: السهل الطيب المحبوب المرغوب فيه.

فالمعنى: سلك الناس كل مسلك مما يحمد ويذم.

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في شرحه على صحيح مسلم ١٣٥/١: وحاصله: أنه لايقبل رواية المجهول وأنه يجب الاحتياط في أخذ الحديث، فلا يقبل إلا من أهله، وأنه لاينبغي أن يروى عن الضعفاء.

وانظر أيضا المعجم الوجيز مادة: صعب، ومختار الصحاح مادة: ذلل.

(٨) ج٤٣٦/١، وبُشير بضم الوحدة مصغراً، ينظر تقريب التهذيب ١٢٣/١.

إلا أن ابن عباس أراد في مثل هذه الظروف أن يتأكد من الرجل لأنه خبير بنقد الرجال وقبول الأخبار، ويدرك تماماً أن حديث النبي ﷺ ليس كلأً مُباحاً لكل من «هبَّ ودبَّ».

ومن هنا ندرك أن تقييم الرواة - أو تعديلهم وتجريحهم أمر أصيل في نشأته وأن الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - كانوا هم أول من وضع قواعد وأُسُس هذا العلم.

أقول: ولم يكن المحققون من أهل العلم بالحديث يَحيدون عن هذه الضوابط التي وضعوها لقبول الحديث، حتى ولو كان المتحدث من أبناء الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - وهُم مَنْ هُمْ.

تأمل معنى هذا الأثر الذي يرويه الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - عن يحيى بن سعيد الأنصاري قال: سألت ابناً لعبد الله بن عمر عن مسألة فلم يقل فيها شيئاً، فقيل له: إنا لنعظم أن يكون مثلك ابن إمامي هُدى يسأل عن أمر ليس عندك فيه علم فقال: أعظم والله من ذلك عند الله وعند من عرف الله وعند من عقل عن الله أن أقول بما ليس لي به علم أو أخبر عن غير ثقة[9].

إن المتأمل في هذا النص يرى أن المسئول هو أحد أبناء عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما -.

وعبدالله بن عمر أتدري مَنْ هو، إنه الذي امتدحه أسعد الخلق ﷺ بقوله: إن عبدالله رجل صالح[10].

وقال عنه الزهري: لاتعدل برأيه أحداً[11].

وقال أبونعيم الحافظ: أعطي ابن عمر القوة في الجهاد والعبادة والمعرفة بالآخرة والإيثار لهما، وكان من التمسك بآثار النبي ﷺ بالسبيل المتين ومامات حتى أعتق ألف إنسان أو أزيد[12].

ويقول عنه الحافظ ابن حجر: أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة وكان من أشد الناس اتباعاً للآثار[13].

وأبوه من؟ إنه عمر - رضي الله عنه - الذي قال عنه النبي ﷺ «وأشدهم في أمر الله عمر»[14]. الحديث. ولقبه بالفاروق.

وروت عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال:

---

(٩) تدريب الراوي صـ ١٩٨.

(١٠) حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب باب مناقب عبدالله بن عمر بن الخطاب ٧/١١٢ (٣٧٤١).

(١١) ينظر: تهذيب التهذيب ٥/٢٩١ ط/دار الكتب العلمية بيروت.

(١٢) المصدر السابق ٥/٢٩٢.

(١٣) ينظر تقريب التهذيب ١/٥١٦ ط/دار الكتب العلمية بيروت.

(١٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب ٥/٦٦٥ (٣٧٩١) وقال: حديث حسن صحيح.



«قد كان في الأمم قبلكم مُحَدَّثون فإن يكن في هذه الأمة أحد فعمر ابن الخطاب»[١٥].

وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر[١٦].

فهل لأجل هذه المكانة العظمى والمنزلة السامية التي بلغها عبدالله بن عمر وأبوه عمر يحدث أحد أبنائهما بما لا يعلم أو يخبر عن غير ثقة اتكالاً على منزلة أبيه وجده في الإسلام؟! لا والله، إنه أبى أن يحدث إلا عن علم أو أن يخبر إلا عن نفسه، وما ذلك إلا لمعرفته لخطورة الحديث عن النبي ﷺ، ولذلك روى البيهقي في المدخل من طريق الشعبي عن ابن عمر عن عمر قال: «كان يأمرنا أن لانأخذ إلا عن ثقة»[١٧].

وليس هذا عيباً في العالم ولا نقصاً من مكانته ومنزلته، بل إنه من أعظم الأمانات التي ينبغي على العلماء ومن على شاكلتهم أن يتحلوا بها، حتى تحصل بركة العلم ويطمئن الناس إلى محدثيهم وعلمائهم ومرشديهم.

ولقد أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط في الراوي الذي يحتج بروايته أن يكون عدلاً في دينه ضابطاً لما يرويه[١٨].

والعدل عند أهل الحديث هو أن يكون الراوي للحديث مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة.

والمراد بخوارم المروءة على ما حققه الشيخ زكريا الأنصاري[١٩] ـ رحمه الله ـ في شرحه على ألفية الحافظ العراقي قال: وَمِنْ «خَرْمِ المروءة» وهي التخلق بخلق أمثاله في زمانه ومكانه فالأكل في السوق، والمشي مكشوف الرأس وإكثار حكايات مضحكة، ولبس فقيه قبا أو قلنسوة حيث لايعتاد يسقطها[٢٠] قلت: فلابد من هذه الآداب النفسانية التي تحمل مراعاتها على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات، والتخلق بأخلاق الصالحين وسمات الطيبين.

وروى الشافعي قال: قال سعد بن إبراهيم: لايحدث عن النبي ﷺ إلا الثقات[٢١].

---

(١٥) حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب باب مناقب عمر بن الخطاب ٤٢/٧ رقم (٣٦٨٩).

(١٦) كتاب تهذيب التهذيب ٣٧١/٧.

(١٧) ينظر المدخل إلى السنن الكبرى للإمام البيهقي ٢٢/١.

(١٨) ينظر كتاب تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للإمام السيوطي صـ١٩٧.

(١٩) هو زين الدين أبويحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري الخزرجي، ثم القاهري الأزهري الشافعي، شيخ الإسلام وأحد أئمة الحديث الأعلام المتوفى سنة ٩٢٦هـ.

(٢٠) ينظر كتاب فتح الباقي بشرح ألفية العراقي لأبي زكريا الأنصاري صـ٢٣٧ ط/دار ابن حزم.

(٢١) أخرجه مسلم بسنده في مقدمة الصحيح ١٢٩/١ ط/مؤسسة قرطبة.





وعن ابن سيرين قال: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم(٢٢).

والمتأمل فيما قدمناه يقف على تلك الحقيقة المهمة وهي أنه لايؤخذ العلم وبخاصة حديث النبي ﷺ عن أيِّ أحد مهما كانت وجاهته ومهما كانت منزلته سواء العلمية أو الأدبية، وذلك لأن حديث النبي ﷺ لا مجال فيه للمجاملة أو المحاباة، وإنما الأساس في هذا هو القواعد والضوابط التي وضعها أهل العلم بالرواية.

فلا عبرة عندنا بعالم لايسند الأحاديث ويبين مخرّجها ودرجتها مهما بلغت منزلته العلمية(٢٣).

وقد بوب علامة الشام جمال الدين القاسمي قال: بيان أنه لا عبرة بالأحاديث المنقولة في كتب الفقه والتصوف مالم يظهر سندها وإن كان مصنفها جليلاً.

ثم قال: قال العلامة مُلا على القاري في رسالة الموضوعات «حديث: من قضى صلاته من الفرائض في آخر جمعة من رمضان، كان ذلك جابراً لكل صلاة فائتة في عمره إلى سبعين سنة باطلٌ قطعاً، ولا عبرة بنقل صاحب النهاية وغيره من بقية شراح الهداية (٢٤)، فإنهم ليسوا من المحدثين ولا أسندوا الحديث إلى أحد المُخرّجين.

وقال السيوطي في مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود على حديث «نهى أن يمتشط أحدنا كل يوم..» فإن قلت «إنه ﷺ كان يُسرّح لحيته كل يوم مرتين».

قلت: لم أقف على هذا بإسناد، ولم أر مَنْ ذكره إلا الغزالي في الإحياء، ولا يخفى ما فيه من الأحاديث التي لا أصل لها ا.هـ.

وظاهر أنهم لم يوردوا ما أوردوا مع العلم بكونه موضوعاً، بل ظنوه مروياً، ونقدُ الآثار إنما هو من وظيفة حَمَلة الأخبار، إذ لكل مقام مقال، ولكل فن رجال فانظروا رحمكم الله كيف كان معولهم في قبول الأخبار، إنه العلم بالحديث وبيان مخرجه ورجال إسناده.

فلهذه الدرجة بلغت عنايتهم بالسنة وتحرّيهم في الراوي حتى يقبلوا مايقول.

هذا التحري وهذه الدقة في وقت كان يتخرج فيه كل يوم جهْبذاً من جهابذة الحديث ونقاد الرجال وحملة الأخبار، لاسيما والشرع قائم والأمور مستقرة.

فما بالنا بهذا الزمان الذي أطلت فيه الفتنة برأسها، فصرنا نسمع من آن لآخر عمن ينكر السُّنة بالكلية أو ينكر كثيراً من أحاديثها بدعوات لاتنم إلا عن حقد وسفه وسوء نية وفساد طوية.

والله الموفق، وهو الهادي والمعين.

---

(٢٢) صحيح مسلم، المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين ١/١٢٦.

(٢٣) ينظر كتاب قواعد التحديث صـ١٨٢. ط/دار الكتب العلمية بيروت.

(٢٤) الهداية، كتاب في الفقه الحنفي لمؤلفه الإمام برهان الدين أبوالحسن علي بن أبي بكر بن عبدالجليل الفرغاني المرْغيناني ـ أحد علماء القرن السادس الهجري ـ رحمه الله تعالى.



﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ سورة الإسراء: آية (١)

# الإسراء والمعراج

## تأملات جديدة في حادث قديم

## (٢)

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

جلس إلىّ صاحبى هاشا باشا يكاد يقطر فرحا تطل المحبة من عينيه مشوقا إلى الحوار. ودون أن يترك لى فرصة حتى للترحيب به. قال: أين الوعد الذى تواعدناه باستكمال حديث شيخك عن الإسراء؟

قلت لا تثريب عليك يغفر الله لى ولك. لك ما تريد إن شاء الله.

ثم شجعنى بكلمات مجاملة لطيفة.

قلت لصاحبى: إننى كنت أرغب فى أن أجعل مقالى حول الكريم القادم الذى يستبق فيه المسلمون فى الخير وتفتح فيه أبواب الجنة وتصفد فيه الشياطين.. حتى أهيىء نفسى والقراء الكرام لاستقباله والاستعداد له والتخلية القلبية من الأدران للتهيىء للتحلية بفيوضات الله ونعمه فى الشهر الكريم. أحببت يا صاحبى أن يكون مقالى فى هذا الجو المبارك علنى أوقظ نفسى الوسنانة أو أنبه قلبى الغافل وأن أشمر عن ساعد الجد. لكنك بادرتنى بموعدنا وأنا أكره خلف الوعد والمخلفين. فلم يكن بد من إجابتك وفاء لوعدك وأذكر كلمة تجرى على لسان الصوفية يقولون إذا أراد الله شيئا هيىء له الأسباب. فكأن الله. تعالى. أراد ما طمحت إليه من تهيئة واستعداد لرمضان لكنه جعل طريقها فى استكمال ما بدأناه عن حديث الإسراء فالحديث فيه فيض صوفى صادق أحسب أننى فى حاجة إليه.



كنا انتهينا إلى حديث أو واقعة شق صدره الشريف وملئه حكمة وإيمانا.

قال صاحبي مقاطعا: لماذا كل هذا؟ ألم يكن الله ـ تعالى ـ قادرا على أن يملأ قلب حبيبه ﷺ حكمة وإيمانا من غير هذه العمليات الجراحية. ولماذا لم يفعل ذلك مع باقي الأنبياء؟

قلت لصاحبي: بلى إن الله قادر ومختار أيضا. فلماذا سألت عن القدرة ولم تسأل عن الاختيار؟ فأكاد أشم من كلامك رائحة إنكار لما حدث ولما روى، وتلك آفة القلب المرتاب سلمني الله وإياك من كل ريب لكن عليك أن تعتقد أن الله ـ تعالى ـ مختار يفعل ما يشاء هو لا ما نريد نحن بالطريقة التي يريدها وفي الوقت الذي يشاء ويريد.

وتأمل معي دعوة رسول الله ﷺ في يوم الهجرة يوم أن كان سراقة بن مالك يتبعه هو وأبابكر ـ رضي الله عنه ـ:

قال صاحبي: ماذا قال ﷺ وبماذا دعى ربه؟

قلت لصاحبي: دعوة فيها تفويض الأمر كله لله ـ تعالى ـ والرجاء فيه.

قال: «اللهم اكفنا شر سراقة بما شئت وكيف شئت.. وأنى شئت» منتهى التسليم والتفويض لله وكذلك تأمل معي دعوة سيدنا أيوب ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ قال كما جاء في القرآن:

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾(١).

هل لامس قلبك هذا التفويض المطلق مع هذا الرجاء الواسع، كل هذا لنتعلم التفويض والتسليم وأن الأمر لله، فالله ـ سبحانه ـ اختار هذه الكيفية وهذه الطريقة لعل فيها تمثيلا للمعنوي بالمحسوس حتى ندرك نحن بني الإنسان، على أن تمثيل المعنوي بالمحسوس واقع في القرآن الكريم وواقع في كلام الحكماء والعلماء والمعلمين وذلك لتقريب معنى بعيد أو لتوضيح ما قد يخفى على بعض الأفهام.. تأمل معي قوله تعالى:

(١) الأنبياء (٨٣).

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾(٢).

قال صاحبى مقاطعا: هذا تشبيه وبابه فى اللغة واسع كبير وفيه يتفاوت العلماء وليس ذلك من قبيل ما نحن بصدده.

قلت: لا بأس عليك، فما بالك بقوله ـ تعالى ـ ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾(٣).

فأين الميزان الذى نزل مع الأنبياء وماذا يزنون به؟ بل كيف يزنون؟. وتأمل معى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾(٤).

وإذا تأملت قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ ﴾(٥).

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾(٦).

فما هو الشىء الذى يوزن يوم القيامة؛ إنها الأعمال فهل الأعمال لها ثقل مادى.؟؟

أليس ذلك من قبيل تمثيل المعنوى بالمحسوس حتى يتجلى الأمر ويتضح المقصود.. ومثل ذلك فى القرآن كثير.. وفى اللغة.. وأظن فى أى لغة مادام هناك فكر بشرى على أن مثل ذلك ـ أى تمثيل المعنوى بالمحسوس.

قال صاحبى مقاطعا فى لجاجة ظاهرة؟ ولماذا لم يحدث ذلك مع بقية الأنبياء أو أحد منهم؟

قلت لصاحبى بلا مواربة أو استجداء: وهذا ليس تساؤلا منطقيا، إنها لجاجة وريب فهل لو حدث شق الصدر للأنبياء أو واحد منهم كنت تقبله وترضاه؟ ولماذا؟

ألم أقل لك من قبل: إنك بهذا تنفى الاختيار عن الله ـ تعالى ـ فهو فى مقولتك التى مازلت ترددها تثبت له القدرة وتنفى عنه أن يختار ما يشاء ـ كأنك تريد أن يختار الله ـ تعالى ـ ما يرضيك حتى تقتنع.. وأظنك لن ترضى ولن يعجبك أى اختيار ما لم تسلم لله ما يختار سبحانه وتعالى.

ولم أكتف بهذا بل تماديت وقلت لصاحبى:

اسمح لى أن أضيف لك أنه من منطق التسليم باختيار الله ـ تعالى ـ وأن اصطفاءه لأنبيائه وأوليائه محض كرم وفضل وامتنان منه ـ سبحانه وتعالى ـ فلا يتطلب التماثل فى خصال الخير والفضل بين كل الأصفياء المقربين، ولا يلزم أن يكون الأفضل حوى كل ما حازه من دونه. فالنبى ﷺ أفضل الخلق وأفضل الرسل ـ أقول ـ من منطلق ما سبق أجدنى غير شغوف بباب فى أكثر كتب الشمائل النبوية سطروا فيه أن رسول الله ﷺ قد أجرى الله على يديه معجزات كل الأنبياء السابقين عليه.

ورغم تسليمى بما ورد من بحوث جاءت فى هذا الشأن إلا أننى أزهد فى عملية المقارنة والقياسات بين الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ وأنه ﷺ غنى عن كل معجزة تنسب إليه فهو بذاته الشريفة محل كل تنزلات الأنوار وأكمل الكمالات ﷺ ولهذا المعنى الجليل لم يستطع واضعو صيغ

---

(٢) إبراهيم (٢٤: ٢٦). (٣) الحديد آية (٢٥) (٤) الأنبياء (٤٧)
(٥) الأعراف (٩) (٦) الأعراف (٨)

الصلوات عليه ﷺ كتمان ما يجدون من هذه المعاني فيأتوا بعبارات تضيق عنها عقول - أو قل قلوب - بعض العوام ممن يزعمون أنهم ( عقلانيون )!!

على أن تمثيل المعنوى بالمحسوس ورد قولا وعملا عن النبي ﷺ فالقولى ما حكاه ﷺ عن رب العزة فيمن يدخل الجنة بغير حساب فقيل: سبعون ألفا ثم استزاد الله فزاده سبعين ألفا مع كل واحد. ثم استزاده فزاده ثلاث حثيات، يعنى ثلاث دفعات لا يعلم عددها إلا الله يدخلون الجنة بغير حساب، والحديث - إن شئت - راجعه في البخاري. نسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه.

هذا حكاية عن ربه فهو تمثيل قولى. وأما تمثيل المعنوى المحسوس فقد ورد فعلا عن الرسول ﷺ لما شكا أبو هريرة الرسول الله ﷺ النسيان في حفظ الحديث. فقال له النبي ﷺ أبسط رداءك. فقبض النبي ﷺ بيده الشريفة وبسطها في ثوب أبي هريرة وقال: « اضمم رداءك » والحديث في البخاري أيضا.

فلم ينس بعدها قط.

فتجسيم المعنى واقع كما رأيت. نجد ذلك في القرآن الكريم وفي السنة النبوية.

قال صاحبي: وماذا عن الإسراء؟ قلت: في الإسراء رأينا أن جبريل طلب من النبي ﷺ أن ينزل فيصلى في عدة أماكن وكان النبي يستجيب فيصلى، فكان جبريل الأمين يقول للنبي: انزل فصل وبعد أن يصلى يقول له جبريل: أتدرى أين صليت فيقول: لا فيخبره الأمين بالمكان.

ولى على هذا عدة ملاحظات:

**الأولى**: أن النبي ﷺ كان يستجيب في كل مرة دون أن يسأل عن المكان.

**الثانية**: أن الأمين كان يسأل الرسول ﷺ سؤالا واحدا أتدرى أين صليت؟ فيقول: لا. ثم يخبره



الأمين أين كانت الصلاة.

**الثالثة**: أن الصلاة تكررت خمس مرات ولنا على تلك الملاحظة تعليلات نحسبها مقبولة إن شاء الله:

**أولا**: هل كان النبي ﷺ يعرف مكان الصلاة؟

وإذا كان يعرف، فلماذا يجيب بـ « لا » الواقع أن النبي ﷺ يعرف المكان، لكن كمال الأدب أن يطلب العارف الاستزادة من الخبر، فلعل جبريل يكون عنده علم لا يعلمه وهذا منتهى التواضع الحقيقي منه ﷺ. والامتثال عملا بقوله تعالى:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(٧).

**ثانيا**: في كون المرات التي صلى فيها النبي كانت خمسا إشارة إلى أن الصلاة تفرض خمسا.

- أما عن الأماكن التي صلى فيها رسول الله - ﷺ - فقد وضح السبب، في المرة الأولى وهي طيبة

(٧) طه (١١٤).

وأن إليها تكون الهجرة، والصلاة الثانية كانت بمدين حيث استظل سيدنا موسى عليه السلام لما خرج من مصر فارا من فرعون، والثالثة في طور سيناء حيث كلم الله موسى، والرابعة في بيت لحم حيث ولد عيسى ـ عليه السلام ـ والخامسة في بيت المقدس حيث نهاية الإسراء والصلاة إماما بالأنبياء.

أليس في هذا إشارة إلى الأنس بأماكن نزل بها الصالحون من عباد الله والتبرك بآثارهم وإن رحلوا عن دنيا الناس؟

أو قل لي بربك تعليلا لما حدث غير معاند أو مكابر!!

ثم قال صاحبي: هل انتهت تأملاتك الجديدة؟

قلت: تبقى واحدة في جملتها تتعلق بلقاء سيدنا موسى في السماء السادسة، وفرض الصلاة، وقاطعني صاحبي: قال: نعم.. نعم. إن في نفسي شيئا من هذا الذي يروى في حديث الإسراء، وأرجو أن تجيبني عنه.

قلت: هات ما عندك. قال: لا أفهم لقاء سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ ومراجعته لرسول الله ﷺ، ورجوعه إلى ربه حتى نهاية الموقف. قلت لصاحبي: لا عليك.. افتح لي قلبك، وأصغ إليّ، إن سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ أوقف رسول الله ﷺ في السماء السادسة، رغم أن أبا الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ في السابعة، ولم يوقفه، اعتقد ـ والله أعلم ـ لأن موسى ـ عليه السلام ـ طلب الرؤية، ولم يحظ بها، فلما رأى رسول الله ﷺ، بادية عليه تجليات اللقاء الكريم، وفيض أنوار الرؤية تغمره ﷺ، تعلق قلبه به، وتمنى ألا يفارقه، فكان ما كان.

أما عن مراجعته ﷺ لربه، فأرجو أن تتذكر الإشارة الكريمة التي كانت في عدد المرات التي نزل فيها النبي ـ ﷺ ـ للصلاة، فقد كانت خمسا، ولم يكن ذلك صدفة ـ كما يقول الطبيعيون في خلق العالم ـ بل كان الأمر كما يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾(٨).

فهو إشارة لإظهار ما في علم الله ـ تعالى ـ وأنه سيكون.

أما ما كان من مراجعة سيدنا موسى لرسول الله ﷺ، فما هو في رأينا إلا لبيان شفقة سيدنا موسى على الأمة المحمدية، كما أنه إظهار لتواضعه ﷺ، فبرغم أنه أفضل رسل الله، وأحب خلق الله إلى الله، إلا أنه استمع إلى نصح من هو أقل منه، وعمل به، وكان في كل مرة يرجع إلى حيث يرجو ربه، ويتضرع إليه، فقبل الله رجاءه وتضرعه، فليس في الأمر تردد منه ـ سبحانه وتعالى ـ عما يقولون علوا كبيرا، أما ما سمعه النبي ﷺ من قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾(٩).

في نهاية المراجعة، وإن كان في ظاهره أنه قد كان في الأمر تبدل، فليس كذلك، لأن الأمر كله موافق للقاعدة الإسلامية، في الثواب والعقاب:

﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾(١٠).

فلا تبديل، فالأمر جرى وفق هذه القاعدة، ولعل ما حدث من شفقة سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ على أمة محمد ﷺ، وطلب التخفيف عنهم، وهو في البرزخ، لعل فيه إشارة إلى جواز زيارة الصالحين من عباد الله، وتشفعهم في من يزورونهم، فقد ورد أن للمؤمن ـ العادي ـ شفاعات في أهله وجيرانه.

ثم تنهد صاحبي طويلا، ولم يزد أن قال: جزاك الله خيرا.

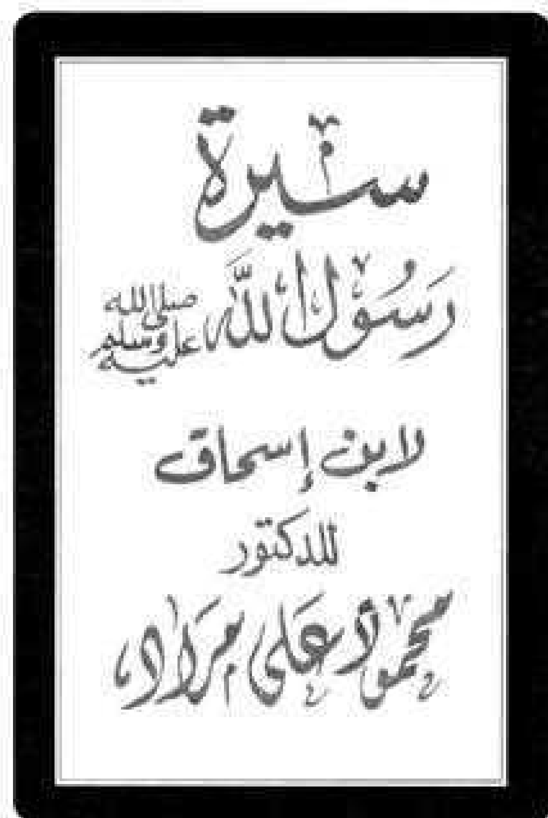
قلت: وجزاك

وإلى حديث آخر إن شاء الله

---

(٨) الرعد (٨). (٩) ق (٢٩). (١٠) الأنعام (١٦٠).







للأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

**والدكتور فى رحلته - أو رسالته - التكذيبية لابن إسحاق، لا يكتفى - فى نفى حماية أبى طالب لابن أخيه - بدعوى أن أبا طالب لم يكن الرجل الذى يستطيع القيام بتلك الحماية، لأنه لم يكن سيدا فى قومه، ولا كان غنيا، ولأنه لم يستطع حماية ابنه جعفر حين قررت قريش نفيه إلى الحبشة.**

**ولكنه يضيف إلى ذلك دعوى: أن محمدا ﷺ - مع حماية ربه - لم يكن فى حاجة إلى حماية هذا العم الوثنى الكافر.!**

## الحماية الربانيــة .. وسـائلها .. أبعادهـــا .. مظاهرهـــا

والدكتور يبنى رفضه احتياج محمد ﷺ إلى حماية عمه على أسباب من أبرزها: أنه ﷺ كان يعلم ولاشك أنه تحت حماية من هو أقوى من عمه ومن قبيلته، شأنه فى ذلك شأن جميع الأنبياء، وأنه كان يعلم أيضا - وهذا مبدأ أساسى من مبادئ الدين الذى كان يدعو إليه - أنه ما كان يجب أن يخشى أحدا غير الله، وأن القرآن الكريم قد نهاه عن اتخاذ أولياء سوى خالقه، وأنه لم يرد فى أى موضع من القرآن أى حديث عن حماية منحت للرسول ﷺ من قبيلته، وأنه ﷺ لو لم يكن يشعر بأنه أقوى من خصومه، ولو لم يكن يعلم أن بوسعه الاستغناء عن كل حماية من جانب الكفار لتردد فى إبلاغهم بالقرآن الذى تخاطبهم آياته بصرامة بالغة. وأن الأنبياء السابقين لم يحمهم إلا الله - تعالى -(١).

وهذا يعنى - ابتداء - أن قدرات الدكتور اللغوية قد وقفت به عند حدود المعانى الحرفية للألفاظ القرآنية، أو أنه يدرك ما وراءها ولكنه عن قصد تكذيب ابن إسحاق يتعمد الوقوف بالألفاظ القرآنية عند المعنى الظاهرى القريب، ليخدع قارئه، ويقنعه بأضاليله حتى يصل إلى غايته. أيا ما يكن حاله فهو إعلان صريح بأن أسبابه الكثيرة هذه لا صلة لها بالحقيقة، فلا يصح أن يقيم عليها إنسان عاقل رفضه أمرا تفرضه الطبيعة البشرية، ويقرره الواقع الحى، ويسلم به الإجماع المتواتر من العلماء والمؤرخين.

إن أى مسلم لايشك لحظة أنه ﷺ كان فى حاجة إلى حماية ربه منذ درج فى الحياة، وأنه - سبحانه و- تعالى - أمده بتلك الحماية فى أنسب الأوقات، وبأنسب الوسائل، حتى تحمل عبء الرسالة، ونهض بتبليغها على الوجه الذى أراده الله، فأوصل الإسلام - هو وأصحابه - مشرق الأرض ومغربها فى أقل من خمسة وعشرين عاما.

وإن أى إنسان يؤمن بأن له وللكون كله ربا خالقا مدبرا، لايشك لحظة أن هذا الرب الخالق المدبر هو الذى يكفل له أسباب الحياة وما تتطلبه من صحة ورزق، ونمو، .. إلى غير ذلك.

---

(١) سيرة رسول الله للدكتور مراد: ٦٢، ١٨٦ - ١٨٩.



لكن كيف يحقق الله - سبحانه - وتعالى - ذلك كله للإنسان - في عمومه - ولمحمد ﷺ على وجه الخصوص؟!

إن الذى قال:

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾(٣).

وإن الذى قال:

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾(٢).

هو ذاته الذى قال:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾(٤).

وإن إبراهيم - عليه السلام - حين قال:

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾(٥).

أكان يعنى - كما تريدنا أن نفهم - أن الذى خلقه يشخص له ليأخذ بيده فيسير به في طريق الهدى، وأنه هو الذى يضع الطعام في فمه، فإذا ظمئ سارع إليه بالماء ليسقيه، وأنه هو الذى يحمل وسائل الطبيب ليشفيه مما قد يصيبه من مرض؟!

فإذا قبل عقلك ذلك، فهل يقبل أن الذى خلق إبراهيم قد عهد إليه - مرة أخرى - وإلى إسماعيل معه أن يقوما بتطهير بيته فقال:

﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾(٦).

أم لعلك ترى أن الذى عهد إلى إبراهيم بذلك آخر غير الذى خلق إبراهيم؟!

إننا قصدنا بذلك أن نلفت نظرك إلى الكيفية التي تقرأ بها القرآن الكريم، والكيفية التى تحصل بها من الآية الكريمة على ما يريد المولى - سبحانه - أن نقف عليه، حتى لا تقع فيما وقعت فيه مع محمد ﷺ من فهمك الآيات على ظاهرها الحرفى، اللهم إلا إن كنت قاصدا من وراء ذلك الفهم المعوج تزييف الحقائق، حتى تنجح فى تحقيق ما وعدت به من نسف السيرة النبوية عن طريق الطعن فى ابن إسحاق.

ثم إن كل عاقل فى عصرنا هذا - حتى من لا يؤمن بوجود إله - يقر بأن الكون الذى يضمنا يقوم على نظام محكم خاضع لقانون الأسباب والمسببات، اللهم إلا فى بعض الحالات التى يطلق عليها المؤمن صفة المعجزة، ويطلق عليها الملحد صفة الشذوذ عن القاعدة.

أعتقد أن الدكتور الفاضل لو لم يكن مدفوعا وراء تكذيب ابن إسحاق، وتزييف ما رواه، لما رفض احتياج محمد إلى الأسباب التى توفر له تلك الحماية، أيا كانت تلك الأسباب، ولما وقف بتلك الأسباب عند نوع واحد منها، إذ الأسباب

---

(٣) الذاريات ٢٢.

(٤) الملك ١٥.

(٦) البقرة ١٢٥.

(٢) الذاريات ٥٨.

(٥) الشعراء ٧٨، ٨٠.



تتنوع وفقا للظروف والملابسات، حيث تتطور وتختلف وتتباين حسب الموقف، كما يحدثنا تاريخ محمد ﷺ، فهو حين كان في حماية عمه، إنما كان في معية الله - تعالى -، كما كان في معية الله حين أوى هو وصاحبه إلى الغار تخفيا من طالبيه:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[٧].

ولعل الدكتور حين يقف على من سُخِّر لحماية موسى عندما كان في المهد، يقتنع أن وسائل الحماية متنوعة، وأنها قد تكون من كافر مثل أبي طالب، فقد سخر الله - تعالى - فرعون - الذي أمر بتذبيح الأطفال الذكور ليأمن على ملكه - سخره ليكون هو الراعي، والكافل والحامي لموسى، حتى يبلغ أشده، وينهض بعبء الرسالة، ويواجه فرعون نفسه بدعوته، وفي ذلك يحدثنا القرآن الكريم بقوله:

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾[٨].

فالحية التي ألقاها الله على موسى الطفل، سلم من بطش فرعون وزبانيته، بل وقام هو برعايته وكفالته وحمايته.

إن لله جنودا أخرى لا ترى بالعين، ولا تلمس باليد، ولكنها تؤدي الدور المطلوب منها، من هذه الجنود: المحبة، والمعية، والتوفيق، والسكينة، والوقاية، والحفظ.. إلخ تلك النوعية غير المحسوسة من الأسباب، مما لا يتسع المجال لاستيعابه.

كما إن له - تعالى - جنودا تُرى بالعين، وتلمس باليد، يسخرها الله - تعالى - لتحقيق مراده، سواء كانت تؤمن به، أو كانت تكفر به، ترى نماذجها المؤمنة في نحو قوله - تعالى -:

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾[٩].

كما رأيت آنفا نماذجها الكافرة في فرعون مع موسى عليه السلام، وكما وضحها رسول الله ﷺ في قوله: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»[١٠].

وأعتقد أن الدكتور لو لم يكن واقعا تحت سيطرة ما أقام عليه عمله من الحكم على ابن إسحاق بالكذب والتزييف.. إلخ، إذن لتنبه إلى أن هناك مدبرا مُسببا هو الله - تعالى - وأن هناك أسبابا هي وسائل وجنود تنفذ أمر الله المدبر المسبب، مثل الملائكة، والجن، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والريح، وأبي طالب، وأبي القيس بن الأسلت[١١].

---

(٧) التوبة ٤٠.

(٨) طه ٣٨، ٣٩.

(٩) الأنفال ١١.

(١٠) هذا جزء من حديث طويل رواه البخاري: ٤/ ٨٨.

(١١) أحد بني الأوس. السيرة النبوية لابن إسحاق ١/ ٣٠٠.



ولكن اشتغال الدكتور بالبحث عن أى شئ يدعم به زعمه فى ابن إسحاق صرفه عن التنبه إلى ذلك، وأعجله إلى إيهام قارئه أن حرص ابن إسحاق على إرضاء بنى العباس كان أقوى من حرصه على تقديم الصورة الصادقة للحقيقة الإيمانية عند محمد ﷺ فانزلق إلي تقديمه صلى الله عليه وسلم فى تلك الهيئة الغافلة عن اللياذ بالله -سبحانه و- تعالى -- حيث اختلق قصة احتمائه فى عمه أبى طالب الوثنى الكافر، بدلا من طلبه الحماية من ربه.!

## والخروج إلى الطائف.. افتراء؟!

ويستمرئ الدكتور لعبة التكذيب – فى سبيله لهدم السيرة النبوية – فيأبى أن يترك حادثة ذكرها ابن إسحاق دون أن يثير حولها الشكوك، حتى لو لم يجد للشك فيها غاية تدفع ابن إسحاق إلى اختراعها وتلفيقها، كما نراه فى وقوفه أمام قصة خروجه ﷺ إلي الطائف رجاء اهتداء بعضهم أو تعاطفه معه، حيث يقف الأستاذ الدكتور أمام هذا الخبر نائرا شكوكه المتمثلة في تساؤله عن السر فى تخصيص هذا الحدث بالذكر، دون غيره، مما لابد أن مكة اهتزت له خلال تلك السنة التى تلت موت أبى طالب، وعن سبب إغفاله ذكر جميع السور التى نزلت خلال هذه الفترة، وعن السر فى عرضه علينا محمداً نهبة للشعور بالخطر المحدق به، والحاجة إلي الحماية، مع أن الذى أرسله للناس هو الله ذو القوة، ومع أن القرآن نهاه عن اتخاذ عاصم أو ولي من البشر.. إلى غير ذلك من التساؤلات الغريبة والعجيبة التى لا تعنى إلا الإيهام بأن حول الحادثة تساؤلات وشكوكا. وبتعبير أوضح: التى لا تعنى إلا عناد المتسائل وتحكمه، وخروجه على كل ضوابط البحث العلمى[12] فما أيسر أن ينطلق اللسان بالسؤال تلو السؤال فى مواجهة أى خبر يسمع به، دون أن تكون هناك مقاصد حقة لهذه الأسئلة.

وإلا.. فأنى يأتى الشك فى القصة لتضمنها خروج محمد ﷺ وحده إلى الطائف، أو لعدم تضمنها أحداثا أخرى واكبت خروجه ﷺ؟!

قد يكون خروجه ﷺ وحده باعثا على البحث عن سر ذلك، وقد يعنى تجاوز القصة بعض الأحداث نقصا فيها، أو حرصا على إحكام سياقها.. لكن لا يمكن بأى حال أن يكون شئ من ذلك مثيرا للشكوك فى صدقها.!

هذا إلى أن الدكتور لم يذكر سببا يجعل ابن إسحاق يكذب أو يختلق قصة خروجه ﷺ، كما علل تكذيبه إياه من قبل بقصد تعظيم أسرة بنى عبد المطلب وبنى هاشم.. اللهم إلا إذا كان الدكتور يرى أن ابن إسحاق رجل يتنفس الكذب كما يتنفس الهواء، فهو يختلق القصص لسبب ولغير سبب.

والدكتور – فى هذا الموقف المعاند – يستمر على غفلته فى التعامل مع ابن إسحاق – أو تغافله – فلا يتنبه إلى أن عروة بن الزبير سبق ابن إسحاق إلى ذكر قصة خروجه ﷺ إلى الطائف، وتعرضه للإهانة والرمى بالحجارة، واضطراره إلى الالتجاء لبستان ابنى ربيعة، ولقائه غلامهما عداسا النصرانى، وما دار بينهما من حوار[13].

---

(12) سيرة رسول الله للدكتور مراد: 347 - 348.

(13) مغازى رسول الله ﷺ: 118 - 119.



فليس إذن ابن إسحاق هو مخترع القصة ومصطنعها كما توهم الدكتور مراد، مما يدفعنا إلى أن نتساءل عن مقصد الدكتور من تكذيب قصة خروجه ﷺ إلى الطائف، إذا كان ابن إسحاق ليس هو أول من ذكرها، وإذا كانت القصة لا تتضمن ما يرفع أقدار بنى عبدالمطلب وبنى هاشم، الذى يسوقه الدكتور سببا فى تلفيق القصص، بقصد ممالأة بنى العباس.

ويبدو أن الدكتور أدرك - بنفسه أو بواسطة أستاذه - أن تكذيب ابن إسحاق فى هذه القصة يحتاج سببا آخر يدعمه، فصرح أن القصة مكذوبة لأنها تقدم محمدا ﷺ محتميا بغير الله ذى القوة الذى أرسله، غير مستجيب لما نهاه الله - تعالى - عنه، حيث نهاه عن اتخاذ عاصم أو ولى من البشر، فلم ينته، وتوجه صوب الطائف.

ولا ندرى من الذى أراد أن يقدم محمدا ﷺ فى هذه الهيئة؟ أهو ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥٠ هـ، أم عروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٣ هـ، أم كلاهما أراد ذلك، أم أنهما لم يريدا ذلك، ولكنهما اختلقا القصة ولم ينتبها إلى ما تعنيه، حتى جاء الدكتور مراد فاكتشف ذلك الخطأ، فانطلق من إيمانه العميق يرفض أى حدث أو قصة تشكك فى قوة إيمانه ﷺ؟!

لو أن الدكتور - حين اشتبه عليه الأمر - رجع إلى كتاب الله - تعالى - بعقله الواعى المجرد عن الغرض، لوجد أن الله - تعالى - لم ينه المسلمين عن موالاة غير المؤمنين وبرهم، على وجه الإطلاق، ولكنه نهاهم عن موالاة الذين قاتلوهم فى الدين وأخرجوهم من ديارهم، كما فى قوله - تعالى -:

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾(١٤).

وبالتالى.. لوجد الدكتور أن الله - تعالى - إنما ينهى عن اتخاذ ولى من دون الله - تعالى - بخلاف اتخاذ ولى من البشر بتقديره وسيلة أو سببا يحقق الله - تعالى - به مراده ومشيئته؛ فكل المخلوقات جنود الله:

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(١٥).

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(١٦).

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾(١٧).

ومع هذا وذاك، أعتقد أن الدكتور لو كان يقصد الحقيقة لما وجد فى القصة كما وردت فى كتاب ابن إسحاق تلك الشبهة، فعبارة ابن إسحاق واضحة الدلالة فى أنه ﷺ خرج إلى الطائف يلتمس نصرة أهلها على قومه، آملا أن يجد منهم استجابة إلى الإسلام، حيث يقول:

---

(١٤) الممتحنة: ٨، ٩.

(١٥) الفتح: ٤.

(١٦) الفتح: ٧.

(١٧) المدثر: ٣١.



«فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله - عز وجل - فخرج إليهم وحده.. فجلس إليهم رسول الله ﷺ، فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له، من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه»[18].

فمن أين وجد الدكتور في عبارة ابن إسحاق عرض محمد نهبة للشعور بالخطر المحدق به، والحاجة إلى الحماية.. الخ؟!

لايجد أحد عذرا للدكتور في ذلك، إلا قصد تكذيب ابن إسحاق عن طريق التلاعب بعبارته، كما تلاعب بالقرآن من قبل، أو إلا أن ضعفه في الوقوف على دلالة اللغة واستعمالاتها هو الذي أوقعه في ذلك.

كلا الاحتمالين قبيح ما كان يليق أن يقع فيه عالم يتتلمذ على عالم في السربون للحصول على الدكتوراة!

ولقد كان يكفي الدكتور أن يقرأ في أثناء القصة قول ابن إسحاق: « فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال - فيما ذكر لي -: اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل عليَّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولاقوة إلا بك»[19].

نعم.. كان يكفي الدكتور أن يقرأ هذا ليتردد ألف مرة، قبل أن ينسب إلى ابن إسحاق شيئا مما نسبه إليه في حق محمد ﷺ!

## وبيعة العقبة.. من اختلاق ابن إسحاق!

ومع إصرار الدكتور مراه ومعاونيه على نسف السيرة النبوية، والاستمرار في تكذيب ابن إسحاق، واصل رحلته الاختلاقية تارة، والتشكيكية تارة أخرى، مستعينا بالسيل الغامر من التساؤلات والافتراضات الوهمية، والمعتمدة على التلاعب بآيات القرآن الكريم، والاستهانة بعقول المتلقين، والمنطلقة من سذاجة التأويل اللغوي.. إلى غير ذلك من الأسس التي بني عليها رسالته.

وأستأذن الدكتور في أن أستعير منه أسلوبه الافتراضي، فأقول: وبعد أن ظن الدكتور أنه نجح في تكذيب قصة خروجه ﷺ إلى الطائف.. لابد أنه فكر في أن يتبع ذلك بتكذيب لقاءي العقبة وما دار فيهما من أحداث، لعل أبرزها البيعتان. ولابد أنه بحث عن علة يقيم عليها تكذيبه، فلما أعياه البحث لجأ إلى أستاذه - وربما ضم إليه آخرين - ليعينوه في الوصول إلى ذلك السيل الجارف من العلل والتفاسير. ولابد أن هذه اللقاءات تكررت. ولابد أنهم تنبهوا إلى أن تلفيق هذه القصة لا يرتبط بممالأة بني العباس، فطالت حيرتهم في البحث عن علة تجعل ابن

---

(18) السيرة النبوية لابن إسحاق: 2/28.

(19) السيرة النبوية لابن إسحاق: 2/29- 30.





إسحاق يخترع هذه القصة ولو لم تكن متعلقة بممالأة العباسيين. ظنا منهم أن القارىء لن يبحث عن ذلك، فالمهم هونقض هذه الحادثة من أحداث تاريخ محمد ﷺ، كما نُقضت الأحداث الأخرى، ليتحقق نسف السيرة النبوية كلها.

ولابد أن بعض المعاونين للدكتور صاح فجأة: وجدتها.. عليك أن تذكر أن ابن إسحاق اخترع لقاء العقبة الأولى ثم الثانية ليحط من شأن أهل مكة، ويرفع من أقدار أهل المدينة التي ولد ونشأ فيها. وتذكر أن ابن إسحاق في سبيله إلى ذلك وقع في أخطاء تكشف كذبه.

ومن بين هذه الأخطاء أنه سمى مسلمي المدينة (الأنصار)، فجعل عنوان هذه الفترة (إسلام الأنصار)، وهي تسمية غير سليمة؛ لأن كلمة (الأنصار) مقصورة في القرآن على فئة من المسلمين محددة بدقة؛ فهو لقب أنعم به على فئة من المسلمين الذين استوفوا شرطين هما: نصر المهاجرين، واتباع الرسول في ساعة العسرة، كما يوضحه نحو قوله - تعالى -:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(٢٠).

وقوله - تعالى -: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(٢١).

فالذين كانوا في العقبتين لاينطبق عليهم وصف الأنصار الوارد في الآيات المذكورة.

**والخطأ الثاني**: أن عبارة ابن إسحاق عن العقبتين صدرت بقوله: «فلما أراد الله - عز وجل - إظهار دينه، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار..»، وهذه العبارة صريحة في أن هذا اللقاء كان نقطة تحول في تاريخ الرسول والإسلام؛ فالدين الجديد لم يعرف قبل هذا اللقاء سوى الهزيمة، أما بعده فكان النصر، والرسول قبله كان مهانا، أما بعده فقد عز. كما أنها تعني أن ابن إسحاق ادعى العلم بإرادة الله - تعالى.

**والخطأ الثالث**: قوله إن لقاء الستة بالرسول ﷺ كان أول اتصال لأهل المدينة بالإسلام، يناقض ما قاله قبل ذلك: «فلما انتشر أمر رسول الله ﷺ في العرب، وبلغ البلدان، ذكر بالمدينة، ولم يكن حي من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذكر وقبل أن يذكر من هذا الحي من الأوس والخزرج، وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود.

**والخطأ الرابع**: في تقدير الدكتور مراد - أن ابن إسحاق قال: «إن مسلمي مكة كانوا قليلا مستضعفين»، فهو بهذا يناقض ماذكره من قبل أن عدد المسلمين في مكة قبل ثماني سنوات قد بلغ ثلاثة وخمسين، ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا.. إلى آخر ما عده الدكتور من أخطاء

---

(٢٠) الأنفال، ٧٤.

(٢١) التوبة، ١١٧.

وملاحظات أو صلها إلى خمس عشرة ملاحظة[22] لايتسع المجال لتفنيدها كلها، فلا نملك إلا أن نوجز ذلك بتفنيد هذه الأربعة، خصوصا أن باقي الملاحظات قريبة الشبه بتلك.

فالدكتور مراد يرى ابن إسحاق مختلقا كذابا، ارتكب كل الخلال الذميمة، حتى تلاعب بالقرآن الكريم من أجل رفع شأن أهل المدينة على أهل مكة، ليجامل أهل المدينة الذين فرضت الظروف أن يكون جده أسيرا خالد بن الوليد مواليا لهم، وأن يولد هو - أي ابن إسحاق - وينشأ بينهم.

أي إن وفاء ابن إسحاق لأهل المدينة كان أقوى تأثيرا على نفسه من وفائه لمحمد ﷺ، وأقوى من إيمانه بالله، وأقوى من إجلاله القرآن الكريم، وأقوى من اعتزازه بخلائق الصدق، والأمانة؛ فانطلق معربدا باختلاق لقاءي العقبة، وتزييف ما حدث فيهما، والكذب على رسول الله ﷺ، بما اصطنعه من أحداث وأحاديث لفقها ونسبها إليه ﷺ.

ويبدو أن الدكتور استشعر خطر وصم ابن إسحاق بهذا كله، فراح يتلمس في عباراته الأخطاء، متوهما أن جعل ابن إسحاق يقع فيها يدعم موقفه منه، فأوصل ملاحظاته على نص ابن إسحاق إلى خمس عشرة ملاحظة - إيغالا منه في إيهام قارئه بأن ابن إسحاق كذاب - كما أشرنا من قبل.

ويبدو أن الدكتور غفل عن أن حظ ابن إسحاق من شأن المكيين لحساب المدنيين كفيل بأن يثير عليه العباسيين الذين اصطنعوه لأنفسهم، واستأجروه للدعاية لهم وتعظيم شأنهم.. خصوصا إذا كان كلام ابن إسحاق مبنيا على أكاذيب مختلقة، اللهم إلا أن يكون العباسيون - في تقدير الدكتور - من السذاجة والغفلة بالدرجة التي لايكتشفون معها كذب عميلهم ابن إسحاق عليهم، واستغفاله إياهم بتقديمه ما يسيء إليهم تحت اسم الدعاية لهم.

أو لعل الدكتور رأى أن وفاء ابن إسحاق لأهل المدينة، كان أقوى تأثيرا على نفسه من بطش العباسيين به الذين استأجروه للدعاية لهم.

ويبدو أن الدكتور - كذلك - غفل عن أن ابن إسحاق لم يكن هو أول من ذكر لقاءي العقبة، وبيعتيها، فقد سبقه إلى ذلك عروة بن الزبير بن العوام، الهاشمي المكي[23]، وتابعهما في ذلك ابن حزم، مع مزيد تفصيل وإيضاح[24]، دون أن يتنبه إلى ما تنبه إليه الدكتور مراد من قصد ابن إسحاق تزوير السيرة النبوية لمجاملة أهل المدينة، على الرغم مما عرف به ابن حزم من الدقة، والنزوع التحرري الاستقلالي العقلي، الذي أقام عليه مذهبه في كل ما قدم.

وهنا لا أملك إلا أن أذكر الدكتور بالحكمة القائلة: إذا كنت كذوبا فكن ذكورا. ولاحول ولاقوة إلا بالله. وإلى لقاء آخر مع الدكتور وكتابه(*).

---

(22) سيرة الرسول للدكتور مراد: ٣٦٧ - ٣٧٦.

(23) مغازي رسول الله ﷺ: ١٢٥ - ١٢٧.

(24) جوامع السيرة النبوية ١/١٠٦ - ١٠٥.

(*) تلقت المجلة رداً من الأستاذ الدكتور محمود علي مراد وسيتم نشره في الأعداد المقبلة بإذن الله تعالى.

## مواقف إسلامية

# موقف الإسلام من أهل الكتاب

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

**سأل سائل بعذاب واقع.. واقع به هو أسفا على السلام الذى لم يلتزم به الإسلام: يقول:**
**إذا كان الإسلام دين السلام والتسامح والأخوة فكيف نفسر الآية الكريمة المذكورة فى سورة المائدة والتى تقول:**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

**ونقول وبالله التوفيق:**

عندما يقرأ الكتابى هذه الآية الكريمة فلسوف يجد لها فى حسه وقعا أليما.

وهذا الإحساس وارد.

ولكن مما يخفف هذا الإحساس - ولا نطمع فى إزالته - إدراك الظروف التى نزلت فيها الآية الكريمة:

ففى مستهل الدعوة وفى عهدها المدنى، كانت هناك علاقات تحالف وتناصر بين بعض المسلمين وبعض اليهود.

من إفرازات هذا التحالف

استغل اليهود هذا التحالف فتسللوا من خلاله

(١) المائدة (٥١)

في محاولات مكرورة لاختراق الصف المؤمن إرادة خلخلته.

وقد استطاع الإعلام اليهودي أن يحقق بعض مآربه حين صور اليهود بأنهم قوة لها وزنها.

الأمر الذي ظهرت آثاره فعلا.. لدى بعض ضعاف الإيمان الذين ظلوا على ولائهم القديم لليهود «راغبين في موالاتهم: خوفا من صروف الزمان، وتقلب الأحوال، وحاجتهم إلى معونتهم».

وهو ما تشير إليه الآية الكريمة التالية لهذه الآية.. وهي قوله تعالى:

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾(٢).

ولاحظ من قسوة الموقف: أن مرضى القلوب يسارعون فيهم.. إنهم ذلك الفراش الحائر.. الفزع.. الذي ينطلق هلوعا.. لا يلوون على مال أو ولد.. ليكونوا هذا الهباء الذي يندس في الكيان الكبير.. محتميا به.. ذائبا فيه.. فإذا هو لا شيء.

وفي الوقت الذي تتبجح فيه الوثنية في مكة معلنة:

(لنا ديننا.. وليس لكم دين.. ومن حقنا أن نعبد الأوثان.. وليس من حقكم أن تعبدوا الواحد الديان)!

في الوقت الذي يقول القرآن الكريم:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾(٣).

يقول المشركون:

﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾(٤)

في هذا الوقت الذي فيه يرضى القتيل وليس يرضى القاتل.. والذي ينادى فيه ذلك التحالف بالإثم والعدوان ومعصية الرسول.. كان لابد من حسم القضية.. والقضاء على هذه التبعية.. بتحديد معالم الشخصية الإسلامية. التي لابد أن تكون مستقلة متميزة.. غير قابلة للذوبان في قومية أخرى. وأمة أخرى لا تدين بدينها.

ذلك بأن المسلم يقيم حياته على هدى القرآن.. وهو من القرآن في واحد من موقفين.. لا ثالث لهما:

فالقرآن: حجة له.. أو حجة عليه.. أما الاحتمال الثالث.. وهو اللعب على الحبال: لا له ولا عليه.. فهو الاحتمال المرفوض.. من حيث كان ميوعة تأباها إيجابية المسلم المنتسب إلى أمة الوسط.. الشاهدة على الناس..

من أجل ذلك كان لابد من حسم القضية بهذه الآية الكريمة لتظل أمة الإسلام.. في وسط الدائرة.. لا في طرفها.

وقفة بين يدي الآية الكريمة

ونبادر أولا فنوضح معنى الولاية المنهي عنها:

---

(٢) المائدة (٥٢)

(٣) التوبة (٦)

(٤) فصلت (٢٦)



تقول كتب اللغة:

الولاية: النصرة، والتحالف.

تقول: توليت فلانا: اتبعته ورضيت به.

ومعنى ذلك أنني كمسلم: منهي عن ولاية من لا يدين بديني؛ لأن من تولى قوما على غير ملته.. فهو: متبع لهم.. بل هو راض عنهم..

وبالتالي: إذا رضي عنهم. فقد رضي عن دينهم.

من هم الذين نهينا عن ولايتهم؟!

بنص الآية الكريمة: اليهود والنصارى.

ولكن من حق البحث العلمي النزيه أن يسأل الباحث القرآن نفسه وقد رضيه حكما ودليلا.. ليقول له: إن المطلق هنا.. يحمل على المقيد هناك.. وفي الآية السابعة والخمسين من السورة نفسها وهي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[٥].

ومن صور هذا الاستهزاء ما حكته الآية التالية:

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٦].

إذن.. فمن حق الأمة الإسلامية ألا توالي إلا الله ورسوله.. وأن ترفض موالاة.. من؟

ليس الأمر على إطلاقه.. وإنما هي ممنوعة من الثقة بمن لا يثق بها.. ممن يستهزىء بدينها ومقدساتها.

ومن المفيد هنا أن نشير إلى ما قرره المفسرون من تحميل اليهود كبر هذه الحملة الظالمة.. دون النصارى، **يقول القرطبي:**

«نهاهم الله أن يتخذوا اليهود والمشركين أولياء، وأعلمهم أن الفريقين اتخذوا دين المؤمنين هزوا ولعبا»[٧].

وقيل المعنى:

لا تتخذوا المشركين والمنافقين أولياء، بدليل قولهم: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾[٨].

والمشركون كلهم كفار، لكن يطلق في الغالب لفظ الكفار على المشركين فلهذا فُصل ذكر أهل الكتاب عن الكافرين[٩].

بل إن بعض العلماء يقول:

الموصوف بالهزؤ واللعب في هذه القراءة: اليهود لا غير.

والمنهي عن اتخاذهم أولياء: اليهود والمشركون[١٠].

ومع هذا فنحن منهيون أن نتخذ من لا يدين بديننا أولياء.. مهما كان دينه أو مذهبه.

وإذا دخل اليهود والنصارى في هذا العموم.. فإنهم لا يدخلون بوصف كونهم «أهل الكتاب».

وإنما مُنعنا من موالاتهم لصفات فيهم اقتضت ذلك.. وهذا هو السر كما أشار المفسرون: (ونكتة

---

(٥) المائدة (٥٧)

(٦) المائدة (٥٨).

(٧) جـ ٦/٢٢٠، ٢٢٢.

(٨) البقرة (١٤).

(٩، ١٠) نفس المرجع والموضع



التعبير عنهم باليهود والنصارى دون أهل الكتاب هى :

إن مواقفهم تلك من الإسلام .. إنما كانت بحسب جنسياتهم السياسية لا من حيث إن كتابهم يأمرهم بذلك »[11].

## الصداقة.. والولاية

ولابد من الاعتراف بأننا مختلفون.

ذلك بأن الاختلاف هو قدر البشرية المحتوم .. لكن الاختلاف .. لا يمنع الإنصاف .. ومن الإنصاف.

إننا نتزوج منهم .. وطعامهم حل لنا.

ثم نحافظ على كرامتهم ومشاعرهم أن تهان حتى إنه كان من مقررات الإسلام أن من آذى كتابيا لم يشم رائحة الجنة.

المهم أنه لا تكون موالاة فى العقيدة .. ولا فى النظام التشريعى.

إن من حق الحزب السياسى اليوم أن يحتفظ بكيانه وأسراره .. لتظل شخصيته عصية على الذوبان فى حزب آخر .. بل إن النادى الرياضى فى أوروبا يرفض أن يلعب له لاعب لايدين بمذهبه.

وإذن .. فمن حق الأمة الإسلامية أن تفعل كل ما يحفظ كيانها .. وأن تتجنب كل ما يهز ذلك الكيان ..

والنهى عنه فى الآية الكريمة ليس هو «الصداقة» كما فهم الباحث .. وإنما هو الولاء بمعناه الذى أشرنا إليه.

## أهل الكتاب والكفار

ولا بأس أن نشير فى النهاية إلى أن سياسة الإسلام مع أهل الكتاب غير سياسته مع مشركى العرب كما يقول صاحب المنار :

« ولذلك أجاز فى هذه السورة - المائدة، وهى آخر ما نزل من القرآن - أكل طعامهم ونكاح نسائهم، وشرع فى سورة التوبة إقرار الجزية منهم وإقرارهم على دينهم، ونهى فى سورة العنكبوت عن مجادلتهم إلا بالتى هى أحسن وفى الآية: تمييزهم على المشركين فى إطلاق اللقب: إذ خص أهل الكتاب فى المقابلة بلقب: أهل الكتاب ولقب المشركين بالكفار ».

وجاء فى المنار أيضاً[12] :

« إن جميع المشركين لا يتخذون أولياء بحال من الأحوال وأما أهل الكتاب :

فإنما يُنهى عن موالاتهم لوصف فيهم ينافى هذه الموالاة كاتخاذهم الإسلام هزوا ولعبا ».

وحتى على رواية أن المستهزئ كان نصرانيا .. فإن النهى عن ولايته لا بسبب دينه .. وإنما لما ارتكبه من مخالفة.

لقد انتصر المسلمون .. وصارت لهم دولة فرضت احترامها على العالم كله .. وعندما تعطى ولايها لغيرها فإنها تضيف إلى غيرها قوة تخصم أساسا من حسابها .. كما وأن فيها إقرارا بشرعية مذهب من انتصرت عليه .. وثقة به تناقض حقائق دينها.

وإذا كان ولابد من ولاية فبعضهم أولياء بعض لاتحاد ملتهم وتطابق وجهات نظرهم على الأقل :

إذا كان الطرف الآخر هو الإسلام

وإذا كان هناك من المسلمين على مدار التاريخ من تنكب طريق الإسلام فلم يلتزم بسماحته ومودته .. فإنه من الظلم أن تحمل الإسلام وزر من أساء إليه.

---

(11) المنار - ٣٦٨.

(12) جـ ٦ عدد ٢٩/٦٣٨.




# الإسلام في دراسات أكاديمية غربية

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

**لا يستطيع أحد أن ينكر ما بين الجامعات الغربية وأجهزة الاستخبارات من صلة وثيقة. مرجعها إلى طبيعة تلك الجامعات ونظم البحث العلمي فيها من حيث توجيه البحوث العلمية في كافة أوجه النفع بغض النظر عمن سيكون المنتفع من تلك البحوث. فتمويل البحث العلمي في الجامعات الغربية - لاسيما جامعات الولايات المتحدة - هو الذي يحدد مسار تلك البحوث والقضايا التي تبتغي جهة التمويل التوصل إلى نتائج بشأنها.**

**ومن هذا المنطلق، فإن المتأمل للموضوعات المدروسة في رسائل جامعية متعلقة بالإسلام يلاحظ ضمن ما يلاحظ الحقائق الآتية:**

## أولاً: الاهتمام بتأثير الإسلام في الدول المختلفة:

ينصب اهتمام كثير من الدراسات الأكاديمية في جامعات الغرب على رصد التأثير الذى يحدثه الالتزام بالإسلام - أو يمكن أن يحدثه مستقبلاً - في الشعوب والنظم والمؤسسات المختلفة في الدول ذات الأغلبية المسلمة.

فعلى سبيل المثال، اهتمت دراسة دكتوراه - في جامعة شيكاغو - تقع في ٦٣٥ صفحة عام ١٩٨٨ بفكرة ( المعرفة في الإسلام ومضامينها التربوية وتأثيرها في نظم التربية في البيئة الماليزية ) حيث يذهب الباحث في هذه الدراسة إلى أن أهمية الإسلام - بوصفه قوة دينية ثقافية سياسية - أصبحت واضحة في العقود الأخيرة من القرن العشرين مما يتعين معه - كما يقول الباحث - أهمية النظر من جديد إلى الإسلام لا بوصفه ديناً شعائرياً، بل بوصفه قوة فاعلة للتغيير الاجتماعي. ويركز الباحث في نظرته تلك على ماحدث في إيران من تغيير بتأثير الدين. وأهم مظاهر هذا التغيير العودة إلى الذات المسلمة التي تستطيع المحافظة على ذاتيتها الحضارية، فلا تتآكل أمام قوة الحضارة الحديثة. إن القوة التي تتمتع بها الشخصية المسلمة الملتزمة بتعاليم دينها أصبحت مثار قلق الغرب الذى يود أن يعيش المسلمون في صراع دائم بين تعاليم دينهم وبين الاندماج الثقافي في الحضارة الحديثة. غير أن الواقع يشهد بأن الدين الإسلامي لا يصادم الحضارة الحديثة بل على العكس يستوعبها ويطوعها لتكون سلاحاً إسلامياً وهذا مثار القلق الغربي منذ استطاعت الثورة الإسلامية في إيران أن تجد لنفسها مكاناً في سوق العصر الراهن المفتوح دون أن تنزوي على نفسها.

وفي المجال نفسه - أعني تأثير الدين في حياة المسلمين - نجد دراسة أخرى حصل بها صاحبها على درجة الدكتوراه عام ١٩٨٥ من جامعة أكسفورد حول ( الصفوة المسلمة « الانتلجنسيا » في البنغال من ١٩٣٧ - ١٩٧٧ ) وتقع في ٤٢٦ صفحة.



حيث اهتم الباحث بمناقشة دور رجال الفكر ( الصفوة، النخبة ) المسلمين البنغال في السياسة والتغيير الاجتماعي والارتباط بالقيم الثقافية المستمدة من الدين الإسلامي.

وقد تناولت الدراسة البنغال بوجه عام من ١٩٣٧ - ١٩٤٧ وفيما بعد ١٩٤٧ اقتصرت على شرق البنغال فقط. ونظراً لكبر حجم هذه الدراسة فقد تم تقسيمها إلى سبعة فصول، تناول الفصل الأول منها ظهور وتطور النخبة ( الانتلجنسيا ) من رجال الفكر المسلمين وأصولهم الاجتماعية وتوجهاتهم التربوية تجاه نظام التعليم الإنجليزي الذي كان سائداً في شبه القارة الهندية بوجه عام آنذاك. والصراع الذي كان ملحوظاً بين مناصري التعليم الإنجليزي المرتبط بسياسات التوظيف. وبين أعدائه من حماة الهوية الوطنية.

واهتم الفصل الثاني بدراسة العلاقات الثقافية بين المسلمين وغير المسلمين. في حين اهتم الفصل الثالث بتأكيد الذات لدى المفكرين المسلمين الذين دافعوا عن دينهم وهويتهم ضد طغيان الهندوس خلال الأحداث التي انتهت بقرار التقسيم الشهير عام ١٩٤٧ حين ظهرت الحدود بين الهند وباكستان وإقليم البنغال الذي أصبح دولة بنجلاديش.

وفي الفصل الرابع تتبع الباحث تطور مسيرة أهل الفكر ( الصفوة ) في مرحلة ما بعد التقسيم ومحاولاتهم التأثير في القاعدة العريضة من المسلمين لا سيما الفقراء منهم.

وبذل المفكرون المسلمون جهداً كبيراً في التوفيق بين الدين ومطالب الحياة العصرية.

وفي الفصل الخامس عرض الباحث صورة المفكرين المسلمين البنغال كما أدركها الرأي العام العالمي بعد قرار التقسيم ١٩٤٧.

وخصص الباحث الفصل السادس من رسالته للتوتر أو الصراع بين التدين والرغبة في الاندماج العصري في الحضارة الحديثة وعما إذا كان هناك صدام داخل النفس المسلمة بين ما هو ديني وما هو دنيوي.

ثم جاء الفصل السابع ( الأخير ) خاتمة للبحث يؤكد فيها الباحث أن الحياة الدنيوية للناس مثل الأعراف الاجتماعية وقوانين الأسرة ومكانة المرأة والفنون الجميلة وغيرذلك يرتبط ارتباطاً كبيراً بالدين الإسلامي، حيث من الممكن استخلاص مبادىء تنظيم حياة الناس وشئونهم جميعاً من خلال القرآن والسنة.

والدراسة الثالثة في هذا المجال نفسه كانت رسالة دكتوراه قدمت إلى جامعة نيويورك عام ١٩٨٨ وتقع في ٢٥٨ صفحة وكان موضوعها ( أصول القومية الباكستانية من خلال شخصية العلامة الشاعر محمد إقبال ) وقام بها طالب باكستاني تحت إشراف البروفيسور كارل ماركس كورتبيتر.

وقدناقشت هذه الدراسة تكامل مسلمي الهند في تطبيق قواعد ونظم التعليم الغربية في مرحلة ما قبل ظهور سيد أحمد خان المصلح التربوي المسلم المعروف، الذي على



يديه بدأ ظهور الشخصية المسلمة المتفردة كهدف رئيسي من أهداف التعليم حيث شهدت بداية القرن العشرين الميلادي ارتفاعاً ثابتاً في تطور القومية الإسلامية. وقد تناولت الرسالة حياة الشاعر الإسلامي المجاهد محمد إقبال الذي تلقى في بدء حياته تعليماً ذا طابع أوربي، ثم ما لبث أن تحول إلى مناضل من أجل إحياء الشخصية الإسلامية، وسخر كل إخلاصه للإسلام وكتاباته من أجل تحقيق هذا الهدف من خلال الدعوة إلى الانفصال عن الثقافة الأوروبية السائدة في شبه القارة الهندية. وقد سار على هذا النهج القائد الباكستاني العظيم محمد علي جناح. وركزت الدراسة على دور محمد علي جناح في تحقيق انفصال باكستان عن الهند. بعد الشعور بالإذلال وخيبة الأمل التي كابدها المسلمون تحت الحكم البريطاني، مما أدى شيئاً فشيئاً إلى نمو الشخصية القومية الباكستانية المسلمة.

**ثانياً: أوضاع غير المسلمين في البلاد الإسلامية:**

من القضايا التي تهتم بها الأوساط السياسية والاستخبارية في الغرب: قضية أوضاع الأقليات غير المسلمة في البلاد الإسلامية وتحت دعوى حماية حقوق الأقليات تسمح الدول الغربية لنفسها بالتدخل في شئون الدول الأخرى. وباسم الشعار الزائف: «حماية حقوق الإنسان» تستحل الدول الغربية حرمات الدول المسلمة، في حين تنتهك على أراضيها كثير من حقوق الأقليات المقيمة بها دون أن يملك أحد حتى مجرد توجيه اللوم إليها.

وفي هذا الإطار نفسه تسير جامعات الغرب في دراستها الأكاديمية حول الإسلام.

● وسنعطي فيما يلي نموذجين لدراسات من هذا النوع:

الدراسة الأولى: تقدم بها صاحبها عام ١٩٨٩ إلى جامعة أدنبره في بريطانيا ونال عنها درجة الدكتوراه. وهي رسالة ضخمة تقع في ٤٣٧ صفحة. وموضوعها «وضع الذمي في الشريعة الإسلامية».

وقد اهتمت هذه الدراسة بفحص وتحليل كتابات المؤلفين المسلمين في مجال الشريعة والقانون للتعرف على الوضع الحقيقي لأهل الذمة في المجتمعات المسلمة. ففي الفصل الأول من الدراسة تم تحليل الرؤية الإسلامية لدار الحرب ودار السلام وطبيعة علاقات الدولة المسلمة بغيرها من الدول غير المسلمة. وفي الفصل الثاني تناولت الدراسة واجبات الذمي الذي يعيش في دولة مسلمة وما يتصل بذلك من مفاهيم الجزية والخراج والعُشر ومدى حاجة أهل الذمة للتعايش مع القوانين (الشريعة) الإسلامية. وتناول الفصل الثالث مظاهر التسامح مع غير المسلمين في الدول الإسلامية وهو فصل يتميز بقدر معقول من الإنصاف. وفي الفصل الرابع نوقشت حالة الذميين في مجال التشريع الجنائي الإسلامي وكذلك فيما يتعلق بالأحوال الشخصية (الزواج والطلاق والميراث.. إلخ) لغير المسلمين كما تنظر

إليها الشريعة الإسلامية. أما الفصل الخامس فقد تناول الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية لأهل الذمة في المجتمعات المسلمة وبخاصة ما يتعلق بحرياتهم الشخصية وحقوقهم المدنية. والدراسة بوجه عام تتميز ببعض الإنصاف مقابل الكثير من التحامل والتجني.

والدراسة الثانية: على الرغم من صغر حجمها (١٥٢ صفحة) بالقياس إلى الدراسة السابقة، فإنها أشد خطراً لما جاء فيها من افتراءات على الإسلام ومعلومات عن التنصير وخططه، وقد أجريت هذه الدراسة عام ١٩٨٧ في المعهد العالي لدراسة اللاهوت في جامعة برنستون بالولايات المتحدة من الباحث ريتشارد، س. تيفيس. وموضوعها (تنمية فهم المسيحيين لأنفسهم) وتناول فيها أوضاع النصارى الذين يقيمون كأقليات في الدول ذات الأغلبية المسلمة. ويشبههم الباحث المتعصب بأنهم يعيشون كالموتى الأحياء تعبيراً عن معاناتهم. ومن أول سطور دراسته يزعم الباحث أن النصارى ممنوعون من ممارسة عقائدهم في بلاد الأكثرية المسلمة. ويسعى الباحث في دراسته هذه إلى إعداد دليل يستخدمه أولئك النصارى لتسهيل حياتهم في ظل تلك المعاناة من خلال تنمية شخصياتهم للتغلب على القيود المفروضة عليهم.

ويعرض الباحث توجيهات المجلس الاستشاري الإنجيلي الذي يحدد لكل أسقفية إنجيلية ست أو ثماني قضايا تدرسها لتناقش في المؤتمرات التي يعقدها المجلس، ويعرض الباحث تقريراً قام هو نفسه بإعداده للأسقفية المحلية التي ينتمي إليها ويتضمن هذا التقرير مشروعاً تم تنفيذه من خلال مجموعة من الأفراد النصارى في أبراشية سرية في الخليج العربي استهدفت جمع المعلومات والإجابات والتقارير المعدة عن أوضاع النصارى في البلاد العربية كما كُلفت تلك المجموعة السرية التي تعمل في الخليج بعمل أبحاث وتقارير عن الديانات المختلفة لا سيما الإسلام. ودراسة المذاهب المختلفة في الإسلام وما بينها من خلافات ومدى ما يمكن استثماره من تصادم بين بعض تعاليم الإسلام وحياة الناس اليومية.

وبعد هذا، ينتهي البحث بفقرات تحاول تجميل صورة البحوث الأكاديمية المتحازة في الجامعات الغربية، حيث يوصي البحث بما يسميه بـ (مزيد من الحوار) بين المسيحية وكل من اليهودية والإسلام بوصفها جميعاً ديانات سماوية.

## ثالثًا: دراسات اهتمت بتدريس اللغة الإنجليزية للمسلمين:

ونظرا لإدراك المؤسسات الغربية لمدى حاجة المسلمين إلى إتقان اللغة الإنجليزية التي أصبحت ضرورة عصرية. ومن ثم فإن تدريسها للمسلمين سواء في بلادهم الأصلية، أو حال كونهم مبعوثين في البلاد الغربية أصبح أمرا جديرا بالدراسة، حيث من الممكن استغلال حاجة المسلمين إلى هذه اللغة ودراستها في بث مفاهيم خاطئة لدى دارسيها



بأساليب غير مباشرة تستهدف تشكيكهم في دينهم أو غرس قيم وعادات تخالف عقائدهم من أجل تطبيعها في نفوسهم. ذلك أن اللغة وعاء الثقافة؛ فتدريس اللغة الإنجليزية يستلزم بالضرورة الاندماج -أو على الأقل تقبل- الثقافة الغربية التي تعبر عنها تلك اللغة، ومن ثم فإن الجامعات الغربية يهمها التعرف على اتجاهات دارسي اللغة الإنجليزية نحو الثقافة الغربية.

ومن أمثلة تلك الدراسات دراسة دكتوراه قدمت إلى جامعة اكستر في بريطانيا عام ١٩٨٨ موضوعها (الأبعاد الثقافية لدى عينة من دارسي اللغة الإنجليزية المسلمين في بريطانيا) حيث تناولت الدراسة أهمية معرفة المسلم للغة مهمة كاللغة الإنجليزية، ودرست أحوال عينة من المتعلمين الذين جاءوا إلى بريطانيا من دول إسلامية يحملون قيما ثقافية مخالفة للقيم السائدة في بريطانيا ولذا فإن المتوقع أن يتعرضوا لدى إقامتهم في بريطانيا إلى نوع من عدم الانسجام وربما الصراع بين الثقافتين: الوافدة المسلمة، والأصيلة غير المسلمة.

وتساءلت الدراسة عن الدور الذي تقوم به المراكز الإسلامية المقامة في الدول الغربية من أجل حل ذلك الصراع الثقافي الذي ينشب في نفوس القادمين الجدد من المسلمين بوصف تلك المراكز هي المعنية برعاية قضايا المسلمين، وقد اعتمدت هذه الدراسة على آراء عينة من المسلمين يمثلون ٤٨ مؤسسة تدرس اللغة الإنجليزية في جميع نواحي المملكة المتحدة (إنجلترا- ويلز- اسكتلندا) وتوصلت الدراسة إلى نتائج أبرزها أن الاتصال الثقافي أثر تأثيرا واضحا في شخصيات المسلمين المتعلمين.

وهناك دراسة أخرى أجريت في جامعتي بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٧ كدراسة أثنوجرافية للتعرف على كيفية مساعدة المعلمة لتلاميذها السود والمسلمين الذين يدرسون في المدرسة السنية الخاصة والمسلمين من خلال تعليم اللغة لكي يتعايشوا مع واقعهم كسود أو كمسلمين يعيشون في الولايات المتحدة بقيم مستمدة من دينهم تتعارض أحياناً مع قيم الثقافة التي يعيشون بين ربوعها.

وقد أجريت الدراسة على عينة من الطلاب السود المسلمين السنيين واستخدمت عدة أدوات لقياس تقدير الذات لدى أولئك الطلاب، بالإضافة إلى قياس اتجاهاتهم نحو القراءة واستخدام اللغة الإنجليزية الفصحى وظهر من الدراسة عزوف أولئك الطلاب عن استعمال الفصحى الإنجليزية خوفاً من الوقوع في الخطأ. كما اتضح عدم رضا بعض الطلاب عن دينهم الإسلامي.

**وخلاصة ما سبق:**

١- أن الدراسات المتعلقة بالدين الإسلامي في الجامعات الغربية لا تعطي صورة حقيقية عن الإسلام.

٢- وأن تلك الدراسات موجهة لخدمة وجهات نظر معينة.





٣- وانها تسعى لتكريس افكار مضادة لوجهة النظر الإسلامية الصحيحة.

٤- وانها تستخدم كمقياس ( ترمومتر ) لمدى اقتناع المسلمين بدينهم. ومدى قدرتهم على التكيف مع الحضارة الحديثة.

٥- وأن تلك الدراسات تهدف أيضاً إلى زعزعة ثقة المسلمين بدينهم وقيمهم ومحاولة إيهامهم بوجود صراع بين الإسلام والثقافة الحديثة.

٦- كما اتضح أن المؤسسات المعنية بالتنصير تعمل في سرية تامة لتحقيق أهدافها ومن بين تلك الاهداف بث بذور الشقاق والفتنة في نفوس المسلمين.

لذلك فإن من الواجب على الإعلام الإسلامي بوجه عام، والإعلام العربي بوجه خاص إثارة هذه القضايا من حين لآخر حتى لا يُنظر إلى الدراسات الاكاديمية الغربية بنوع من الاحترام المطلق الذي يكاد يصل إلى حد التقديس عند بعض قصار النظر أو المنبهرين بحضارة الغرب.

## المراجـــع:


1- WAN DAUD, WAN MOHD NOR BIN, "The Concept of Knowledge in Islam, and its Implications on the national system of Education in the MALAYSIAN CONTEXT". PH. D. Thesis submitted to Chicago University. 1988.

2- MURSHID, TAZEEN MAHANAZ, "The Bengal Muslim Intelligentsia, 1937-1977: The Tension between the religious and the secular (INDIA)". PH. D Thesis, Oxford University, 1985.

3- KHATANA, MANZOOR. H." Foundations of Pakistani Nationalism". PH. D Thesis New York University, 1988.

4- ABO-AL-RAHMAN, AWANG." The status of the DHIMMI in Islam law" PH. D Thesis University of Edinburgh, 1988.

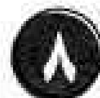
5- NEVIUS, RICHARD. C. "Developing Christian self-understanding in catacomb situation" DMIN Degree. In Princeton Theolgical Siminary, 1987.

6- ABU-ESHY, ABDULLAH ALI," Muslim Learners of England in BRITAIN: The Cultural dimension" PH. D Thesis university of Exeter, 1988.

7- SHELTON, ESTHER, D." An Ethnographic study of how A Teacher helps her students value being black and being Muslim Through language and literacy instruction in A sunset Muslim school" EDD dagger university of pennsylvania, 1987.




# محمد صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين



للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني

**بقى لنا في الرد على أكذوبة المستشرقين، أو بعض المستشرقين لنكون منصفين: أن، محمدا ﷺ صادق، ولكن رسالته كاذبة. ! بقى لنا في الرد عليها جولتان:**

**إحداهما: حديث القرآن، وهو أصل رسالة محمد، عن السنن الكونية. وموعدها العدد القادم بإذن الله.**

**والثانية: حديث القرآن، رسالة محمد، عن المنهج العلمي، الذي يعتبر هؤلاء المستشرقون أساتذة فيه. ونعالج واقعيات هذا الحديث في هذا العدد الماثل بين يدي القراء الكرام واختيارنا لهذين الموضوعين في الرد على تلك الأكذوبة تأتي من حرصنا على أن الرد في مجالات نؤمن بها نحن والسادة المستشرقون أنفسهم لا أن نفرض عليهم أمورا لا تخص الإيمان إلا من طرف واحد.**

وأصول المنهج العلمي السليم، الذي تسلم مقدماته وخطواته ثم تسلم نتائجه، ويفرض صدقه واحترامه على القلوب والعقول. هذا المنهج منهج قرآني أقرته رسالة محمد ﷺ، وهو المعمول به الآن في مشارق الأرض ومغاربها لدى كل الباحثين والدارسين، مستشرقين وغير مستشرقين وحين وردت أصول هذا المنهج العلمي السليم في رسالة محمد «القرآن» قضى على آفات كثيرة كانت تسود في مجالات المعرفة الإنسانية. وترتب عليها كثير من الأخطاء والأضرار في مقدمتها خطران جسيمان:

- إلباس الحق بالباطل أو ضياع المعرفة الحقة.
- ثم قتل المواهب الإنسانية، والجناية على العقول وكفى بهذين ضررا.

فقد كان في منهج البحث العلمي، أو بعبارة أدق، في منهج الحصول على المعرفة بوجه عام، كان في ذلك المنهج آفات وعيوب ترتب عليها أمران:

– إما حجب المعرفة تماما، وإحلال الخطأ محل الصواب والكذب محل الصدق، والباطل محل الحق.

ـ وإما الحصول على معرفة مشوبة بالجهل، أو معرفة ناقصة يؤدي العمل بها إلى خلل في دنيا الناس.

فجاء منهج البحث عن المعرفة في رسالة محمد «القرآن» ثورة على تلك الآفات والعيوب، ومن تلك الآفات التي قضى عليها القرآن:

## التقليــــد:

من أخطر آفات البحث عن المعرفة التقليد، لأنه يدعو إلى التواكل وقتل المواهب، وتعطيل ملكات العقل والإدراك، وشيوع السلبية، وسرعة التسليم بكل ما هو واقع، والإسراف في الثقة العمياء للكبار، أو من يرون أنهم كبار، أو متقدمون في العمر وفي الزمان من الأسلاف.

نزل القرآن وكان التقليد سائدا في البيئات البشرية وورثه جيل عن جيل، واستسلم له الناس وجعلوه حجة يقاومون به كل جديد، حتى لو كان هذا الجديد وحيا من عند الله، يبلغه رسول معصوم.

حارب القرآن الحكيم «رسالة محمد» هذه الآفة الشديدة الخطورة على التفكير المعرفي، في سياق حديثه عن المحاورات التي دارت بين الرسل وبين أقوامهم.

وكان مشركو العرب قد ورثوا هذه الآفة عن الأمم الغابرة، فواجهوا بها محمداً ﷺ، كما واجهت الأمم الغابرة بها رسلهم.

وكان قوم إبراهيم ﷺ أكثر الأقوام لجاجة في هذا الشأن، ومن ذلك ما حكاه القرآن عنهم في الحوار الآتي:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾(١)

وقص القرآن هذه القصة في موضع آخر، وكان مما ورد فيه:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٢).

وحاربه القرآن في ما قصه عن عاد قوم هود ـ عليه السلام ـ لما دعاهم إلى عبادة الله وحده، ورد هود عليهم في الحوار الآتي:

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾(٣).

وحارب القرآن التقليد، واستبعده من وسائل حصول المعرفة فيما قصه علينا من احتجاج مشركي العرب لما دعاهم رسول الله ﷺ إلى

---

(١) الشعراء [٦٩ ـ ٧٧].

(٢) الأنبياء [٥١ ـ ٥٤].

(٣) الأعراف [٧٠ ـ ٧١].

توحيد الله - عز وجل - وذلك في مواضع متعددة نكتفي منها بما يأتي:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(٤).

في الآيات التي أثبتناها ينكر القرآن أن يكون التقليد، وهو الاقتداء الأعمى الذي لا ينظر المقلد في دليله، ينكر القرآن أن يكون هذا التقليد طريقا من طرق المعرفة، وبخاصة في مجال الاعتقاد والتشريع والأخلاق التي يُبنى عليها سلوك الفرد أو الجماعة، مع ملاحظة أن الآيات مقصورة على تقليد الخلف للسلف، وكلمة الآباء فيها تشمل الأجداد الأولين قربوا أو بعدوا ويتصل بخطر تقليد السلف عن صحة المعرفة والاعتقاد خطر آخر أشد ضررا من تقليد السلف، لأن تقليد السلف جفت منابعه الآن، ولا يكاد يوجد.

أما الخطر الآخر، الأشد ضررا من تقليد السلف، فهو قائم الآن.

إنه تقليد السادة والعظماء، ويعبر عنهم القرآن بالكبراء، وهم أصحاب الجاه والسلطان، ومُلاك الدنيا.

وهم جميعا لا وزن لما يقولون أو يقررون إذا لم يكن لما يقولونه ويقررونه سند أو برهان لذلك ينكر القرآن تقليدهم ومتابعتهم، وإلا كانت العاقبة وخيمة.

فقد حكى القرآن ما سيدور بين الكبراء ومقلديهم من خصومات، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٥).

وقوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾(٦)

وقوله سبحانه:

﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾(٧).

(٤) البقرة [١٧٠].

(٥) سبأ [٣١ - ٣٣].

(٦) الأحزاب [٦٧ - ٦٨].

(٧) إبراهيم [٢١].

هذا هو القرآن «رسالة محمد» يهيء السبيل للحصول على معرفة سليمة، يطمئن إليها القلب، ويقنع بها العقل، ويستبعد من وسائل الوصول إلى المعرفة آفتين ضارتين بالفكر والتفكير، وهما:

- التقليد الأعمى للسلف.
- التقليد الأعمى للكبراء والسادة وملاك الدنيا، وبهذا قضى على عيوب منهج البحث عند القدماء، الذين كانوا يربطون بين الحق أو الصواب، وبين منازل الرجال عندهم، وحظوظهم من الدنيا.

وهو (أعنى القرآن رسالة محمد ﷺ) الذى فتح باب النقد على مصراعيه أمام السادة المستشرقين وغيرهم من المشتغلين بالبحث العلمى. وللمستشرقين قدم راسخة فى هذا المجال، وجُل عملهم يكاد أن يكون نقدا وتمحيصا ولو من وجهة نظرهم، لكل ما كتب وما قيل، وما يكتب الآن وما يقال:

يعيدون النظر فيه، ويسيرون فى دراسته فى حرية واسعة.

إن هذا الانطلاق من قيود التقليد، وتقديس القدماء الذى قضى عليه الإسلام، إنما هو ثمرة حلوة المذاق من رسالة محمد ﷺ فكيف - إذن - يصح قولهم: «إن محمدا صادق، ولكن رسالته كاذبة؟!

ثم يخطو القرآن «رسالة محمد» خطوة أخرى، ليحرر المعرفة من العلل القادحة فى صحتها وقبولها. وفى هذه الخطوة يستبعد الظن من حقل الوسائل الموصلة إلى العلم والإدراك.

وترد فى هذا الصدد آيات حكيمات، منها قوله عز وجل:

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾(8).

وقوله:

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾(9).

وقوله جل شأنه:

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾(10).

---

(8) النساء [157].
(9) الجاثية [24]
(10) الأنعام [148].

ثم قوله:

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾(١١).

وإنما استبعدت رسالة محمد «القرآن» الظن من دائرة الاستدلال على العلوم والمعارف، لأن الظن تردد بين طرفين متقابلين، والمعارف التي تصلح مادة للاعتقاد، ومنهجا للعمل، ينبغي أن تخلو من احتمالات النفي والإثبات.

والمعرفة التي يكون طريق تحصيلها الظن غير موثوق بها. لذلك استبعدت رسالة محمد ﷺ أن يكون الظن أداة يطمأن إليها في اكتساب العلوم والمعارف.

والمناهج الحديثة في البحث العلمي في الشرق والغرب، تأخذ بهذا المبدأ، والمستشرقون ما أكثر ما أخذوا به في أبحاثهم ودراساتهم، وها هم قد وجهوا بأن هذا المبدأ أو القاعدة من صحيح رسالة محمد ﷺ فهي - إذن - رسالة صادقة كصاحبها، وليست كاذبة كما يزعم المستشرقون.

ثم تخطوا رسالة محمد ﷺ خطوة أخرى في تهيئة السبل لصفاء المعرفة من الشوائب فتستبعد التأثير العاطفي من اتخاذه وسيلة من وسائل تحصيل العلم، وترد في القرآن تحذيرات شديدة من الاعتماد على الهوى في الحكم وتكوين الرأي أيا كان مجاله ونكتفي من تلك الآيات بما يأتي:

﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(١٢).

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾(١٣).

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾(١٤).

﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾(١٥)

﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾(١٦).

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(١٧).

إن تدخّل الهوى في الحكم وفي تكوين الرأي مفسد للحكم وللرأي معا، لأنهما يتلونان بألوان العواطف الشخصية، والهوى هو أم العواطف،

---

(١١) يونس [٣٦].
(١٢) ص [٢٦].
(١٣) الكهف [٢٨].
(١٤) النجم [٢٣].
(١٥) الروم [٢٩].
(١٦) المؤمنون [٧١].
(١٧) القصص [٥٠].

وليس له معيار ثابت، بل هو متقلب في كل اتجاه.

لذلك استبعد القرآن الحكيم «رسالة محمد» أن يكون الهوى مصدرا للمعرفة، لأنه لا يصدر في أحكامه إلا عن المؤثرات الوقتية الطارئة، والسادة المستشرقون، الذين يتهمون رسالة محمد ﷺ بالكذب هم أشد الناس نقدا لكل عمل فكري يعتمد على الرؤى الشخصية المهزوزة.. فكان حريا بهم، لو كانوا مخلصين بعيدين عن الأهواء، أن يشيدوا بصدق رسالة محمد ﷺ، التي حررت الفكر والعقل من كل القيود التي تعوق منهج البحث العلمي، وتعرض نتائجه للرفض والإهمال.

ومن الآفات المضرة في مجال الحكم وإبداء الرأي، التي نحتها رسالة محمد ﷺ - عن دائرة الاستدلال التعصب للعقيدة، أو القرابة، أو المذهب، وقضت ببطلان كل ما استند إلى ذلك التعصب مهما كان مصدره وبواعثه والتعصب نوع من أنواع الهوى المذموم.

ولذلك حذّر منه القرآن «رسالة محمد» وشدد عليه النكير وفي ذلك نزل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا﴾(١٨).

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(١٩).

هاتان الآيتان، وإن كانتا في معرض القضاء والحكم فهما في معرض البحث وإبداء الرأي، لأن القضاء والحكم هو في الأساس - أي، بعد أنه مقرون بإيجاب التنفيذ في الحقوق العينية والأدبية، فما كان محظورا فيه كان محظورا كذلك في مجال البحث عن المعرفة، ثم إعلانها على الناس ولا تخال أن السادة المستشرقين، الذين وصموا رسالة محمد ﷺ تغيب عنهم أضرار التعصب في مجال البحث والرأي، وإن كانوا هم يمارسون هذا التعصب - سلبا وإيجابا - في ما يقولون وما يكتبون عن الإسلام، إلا من عصم الله منهم.

وأيا كان موقفهم من التعصب، فهم ملزمون بأن يجزموا بصدق رسالة محمد، ولا مناص لهم من ذلك.

وكانت رسالة محمد ﷺ سباقة على كل النظم في مجال تحصيل المعرفة، بما سبقت الإشارة إليه، وبمبادىء أخرى أسهمت في بناء منهج محكم للبحث العلمي:

من ذلك أن القرآن الحكيم «رسالة محمد» ترفض كل الرفض الآراء والمذاهب التي تخلو من دليل يقضي بصدقها، فأزاح من دائرة المعرفة كل الأقوال المرسلة، التي لا تستند على ما يرشحها للقبول، أو الإلزام ويسمى هذه

(١٨) النساء [١٣٥].

(١٩) المائدة [٨].

الأقوال مجرد نطق بالأفواه، لا طائل تحتها، ويطالب كل صاحب قوله، أو رأى، أو مذهب بالبرهان الذى استند إليه.

والقرآن حافل بالآيات التى تقرر هذا المبدأ العظيم ومن ذلك ما يأتى:

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٢٠).

هذه المقولة صدرت عن اليهود، وعن النصارى كل منهما ادعاها لنفسه:

اليهود قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا.

والنصارى قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا، واجه القرآن هذه المقولة بشقيها فى خطوتين:

● **الأولى**: حيث عقَّب عليها بأنها من أمانى النفس الكاذبة.

● **الثانية**: مطالبتهم معا أن يوردوا برهانا على صدق ما قالوا. وهم «اليهود والنصارى» لا برهان لهم فى الواقع على صدق هذه المقولة.

وكل منهما جعل الوصف الطائفى سببا فى دخول الجنة فاليهودى - عند اليهود - يستحق دخول الجنة بوصفه يهوديا فحسب؟

والنصرانى - عند النصارى - يستحق دخول الجنة بوصفه نصرانيا فحسب؟.

وبعد أن أعجزهم القرآن بمطالبتهم ببرهان هم لا يملكونه عاد فى الآية التالية لهذه الآية، وأبطل أصل الدعوى من أساسه فقال:

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٢١).

إن رضا الله لا ينال بالجنس أو اللون، وإنما ينال بالإيمان الصادق وإسلام الوجه لله، مهما كان وضعه فى الحياة الدنيا، رئيسا أو مرءوسا، غنيا أو فقيرا، شريفا عند الناس أو وضيعا، نابها عند الناس أو خاملا، وكذلك واجه القرآن «رسالة محمد» مشركى العرب حين عكفوا على عبادة أصنامهم وأوثانهم آلهة من دون الله. وكان مما واجههم به:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٢٢).

مشركو العرب اتخذوا أصنامهم آلهة من دون الله، هذه دعواهم. فطالبهم القرآن بالدليل والبرهان الذى يصحح هذه الدعوى؛ فإما أن يحددوا جزءا من الأرض خلقه ما يدعون من دون الله، أو يحددوا أن لهم شركاء فى السموات. فإن حققوا وادعوا ذلك، فعليهم أن يقيموا الدليل والبرهان، فإما أن يأتوا بكتاب أنزله الله قبل القرآن فيه

---

(٢٠) البقرة [١١١].

(٢١) البقرة [١١٢].

(٢٢) الأحقاف [٤].




إقرار بأن الأصنام خلقت جزءا من الأرض أو لها شرك في السموات.

فإذا عجزوا عن الإتيان بهذا الكتاب، وهم لا ريب عاجزون، فعليهم أن يأتوا بأمارة من علم يقيني أو دليل واقعي.

وإذا عجزوا ـ وهم قطعا عاجزون ـ فقد قامت عليهم الحجة لله. ويترتب على ذلك واحد من أمرين: فإما أن يذعنوا للحق وينقذوا أنفسهم من سوء المصير وإما أن يعلموا بأن ما أعده لله للمعاندين من الخلود في العذاب واقع بهم.

وتخطو رسالة محمد ﷺ خطوة صاعدة في إرساء مبادىء وأصول المنهج العلمي المثمر في دنيا الناس وفي هذا الميدان يُدْخل القرآن الملاحظة والمشاهدة والتجربة أدوات فعالة في تحصيل المعارف الصافية النقية من كل الشوائب والعلل.

بدأ القرآن هذه الخطوة في مجالي المعرفة التأملية والعملية.

في المعرفة التأملية لا نكاد نحصي الآيات في يسر التي تدعو إلى فتح آفاق جديدة في البحث العلمي السليم، ومن ذلك قوله عز وجل:

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾(٢٣).

بل إنه يدعو إلى تكرار الملاحظة والتجربة، كأداة لإدراك الواقع كما هو:

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾(٢٤).

أما في المعرفة العملية، فقد دعا القرآن إلى الرحلة في طلب العلم، والضرب في الأرض وتفجير ما في الكون من ذخائر ومنافع.

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾(٢٥).

كما أمرنا بالسير في الأرض وفحص ما فيها من أسرار

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾(٢٦)

ويقص علينا تجربة عملية أجراها الله بين يدي رسوله إبراهيم ـ عليه السلام ـ نقلته من المعرفة الإيمانية القولية، إلى المعرفة الإيمانية العملية. وذلك في قوله الحكيم:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٢٧).

---

(٢٣) الأعراف [١٨٥].
(٢٤) الملك [٣ - ٤].
(٢٥) الملك [١٥].
(٢٦) العنكبوت [٢٠].
(٢٧) البقرة [٢٦٠].





وبلغ كمال المنهج العلمي مبلغه في رسالة محمد ﷺ، وذلك بإخضاع ذلك المنهج بكل أصوله ومبادئه للعقل، لكن في مجال العلوم العملية المادية، أو بالعبارة المعروفة، في مجال الكائنات المدركة بالحواس، لا في مجال ما وراء الطبيعة، لأن للعقل مجاله الذي يعمل فيه، وهو «الطبيعة» المحسوسة، أما ما وراء الطبيعة، أو حقائق الإيمان الغيبية فأدوات العلم بها هي كتب الله المنزلة على رسله الكرام، أو القرآن الذي حفظه الله من التحريف.

والعقل في هذا المجال له دور ولكن تحت رقابة الوحي الأمين.

وإذا كان العقل يسمو فوق مبادئ المنهج العلمي التي تقدمت. فإن الوحي في حقائق ما وراء الطبيعة، يسمو على أدوات المعرفة النظرية والعملية.

والإشادة بالعقل ودوره في تمحيص المعرفة، والحكم عليها بالقبول أو الرفض، إحدى خصائص البيان القرآني، والقرآن يسمى ما ينتهي إليه العقل في الحكم على أنماط المعرفة «سلطان» تشبيها له بمن بيده سلطة عليا تجعله نافذ الكلمة، ومطاع الأمر.

ومن إشادة القرآن بالعقل إيجابا وسلبا الآيات الآتية:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٢٨).

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٢٩).

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(٣٠)

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٣١).

هذه هي أصول منهج البحث العلمي، قد أرستها رسالة محمد ﷺ، وكل ما أضيف إلى هذا المنهج الآن في الدراسات الحديثة، كالجداول الإحصائية وتحقيق النصوص، والموازنات، والاستنباط، إنما هي إجراءات تضمنتها الأصول المتقدم ذكرها وهي أصول وإجراءات معمول بها في الشرق والغرب فهل يصح بعد هذا أن يصر المستشرقون على أن محمدا صادق، ولكن رسالته كاذبة؟ وللإنصاف نقول إن هذه التهمة لم يوجهها الجيل الحاضر من المستشرقين، ولكنها قيلت في الجيل الماضي، وبقاؤها في مؤلفاتهم، وبعضها ترجم أو ترجمت مقاطع منها إلى اللغة العربية وهذا هو مكمن الخطر.

---

(٢٨) البقرة [٤٤].

(٢٩) آل عمران [١١٨].

(٣٠) الملك [١٠].

(٣١) الرعد [٤].



# فلسفة خطاب الإعلام العربي بين التبرير والتغيير

## ٢

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي

**الرابعـــة:**

**الإســلام.. لا العلمانيــة**

لاشك أن ما نعيشه على الساحة الثقافية ليس جدلا في جدل كما يبدو للبعض أن يصوره ليس الأمر كذلك إنما هم يبغونها عوجا، يبغون من ورائها تمهيدا يهيىء المضمون الثقافي ليتقبل النشاط العلماني، الذي يضع الدين موضع الجدل والنقاش، وتلك صورة تكونت لدى الداعين إليها منذ عصر التنوير وموقفهم من الدين والدولة.. فقصلوا بين الدين والدولة وقالوا: مقولة السيد المسيح: «ما لقيصر لقيصر، وما لله لله».. بينما الدين الإسلامي ليس فيه مثل هذا النص، وليس هو ذاته سمح لوضع شأنه كوضع كهنة أوربا، فالبون بينهما شاسع لقد استبد الكهنة بشئون المجتمع الأوربي باسم الدين فصادروا المعرفة التي تؤدي إلى البحث عن الحقيقة، وحجرت على العقل من أن يفكر إلا فيما أباحته الكنيسة وصادرت حرية العلماء فيما أرادوا التفكير فيه، حتى النظر في الكتاب المقدس حرمت تداوله فيما بينهم.. وغير ذلك كثير مكنها من هيمنتها على المجتمع وارتكبت ألوانا من المخالفات التي لايرضى عنها الدين ولا القوانين الوضعية العادلة فكم أذلت وأحرقت وشردت أناسا لم يرتكبوا جرما سوى أنهم أرادوا أن يمارسوا حرية التفكير.

من هنا كانت سيطرة الكهنة واستبدادهم بشئون المجتمع من أهم أسباب قيام الثورة عليها في أوربا.

من هنا تبنت أوربا الحديثة العلمانية نظاما لها إلى التنوير وأقامتها على أسس ليس الدين منها وهي:

● النظرة المادية القائمة على منهج التجربة في دراسة العالم الطبيعي.



● استبعاد المعرفة غير المادية، وعزو القيمة الحقيقية في المعرفة إلى الرؤية العلمية القائمة على المنهج الحديث.

● تعميم النظرة المادية والتفكير المادي على كل شئون المجتمع حتى القيم الأخلاقية..

وأن تخضع العلاقات الإنسانية لمجموعة مبادئ الفلسفة المادية..

وكان من أكبر جنايات العلمانية: أن سيطرت السيادة المادية على الإنسان والفكر، وتحول مفهوم الإنسان من مفهوم له أبعاده الدينية والأخلاقية إلى كتلة مادية قابلة لعمليات التغيير والتشكيل، ومن إنسان له عقله وروحه ووجدانه، إلى كتلة مادية صماء عمياء تعبث به الفلسفات.

إن العلمانية هي سيادة المادية على المجتمع البشرى، وإقصاء كل ما هو إلهي لتحل محله الفلسفة المادية بكل مذاهبها بدلا من سيطرة الدين.

وليس معنى مكافحتنا العلمانية، أننا نكافح العلم أو النظرة العلمية، وليس الأمر كذلك لأن العلم هو التجريب في مجال الطبيعة وذلك يدخل في نطاق التفكير البشرى، وتلك نظرة عادلة ومستقيمة وناضجة بل وضرورية، ما دامت محصورة في مجالها التطبيقي الطبيعي فهذا ملحظ مهم ويجب التنبيه عليه، ولانختلف فيه ولا عليه ولانقبل التشويش على دعاة الإصلاح، وعلى كل من يحارب العلمانية. ومعنى أن تسيطر العلمانية على المجتمع الإسلامي أن تقوم الدولة على غير أساس من الدين، لاشك أنها اتجاهات تنم عن حالة صراع في الفهم عميقة، تعصم الإنسان العربي عن إسلامه، فهو يود أن يوازن بين معتقده الإسلامي الذي يود أن يعيش به حضارته وبين صبغه بالحياة ذات النمط الغربي فهو ضياع تاريخي.

فهل من الممكن أن يتكفل الإعلام بحمل مسئولية التأكيد على خصائص الأمة، وأن الإسلام هو أهمها وفيه حياتنا؟

**الخامسة:**

## التصالح بين الرأى السياسى والرأى الفكرى

مازال الفكر العربي يعاني حالة الانفصام التي بينه وبين المؤسسة السياسة فالرأى السياسي في جانب وهو المسيطر.

والرأى الفكرى في مقابله وهو المنبوذ، وليس منبوذا فقط بل يعتبر في نظر الرأى السياسي خارجا على حدود الشرعية، وقابلا لوصفه بالتطرف، وقت الضرورة، فهو أحق بالمنازعة، والرفض والتتبع بالتشنيع عليه وعلى صاحبه.

مازال الرأى السياسي في الوطن العربي، يهاب تعدد الآراء، مع أن تعدد الآراء يعبر عن رؤى ثقافية متعددة تصنع مساحة ثقافية مشتركة تتلاقى حولها الآراء والأفكار التي تساعد على صنع القرار الذي يخدم الوطن والمواطن، وتهيىء الأذهان لتقبله بحرية وقابلية.

تعمل قابلية القرار المبنى على المشورة والشورى، على توجيه المواطن إلى تبنية الدعوة إليه والقناعة به، وتلك هي المساحة الثقافية المشتركة بين صانعي القرار، وأطراف الأمة المشتركة في المصالح القومية، فضلا عن أنه يصنع



جوا من الحرية التي تصنع المصالحة بين الرأى السياسى والرأى الفكرى القومى.

من هنا: كانت أزمتنا أننا نهاب الآراء المتعددة خوفا من صراعها، مع أنه من الممكن أن تصنع المؤسسة السياسية الإطار العلمى النزيه الذى يضمن لها تفاعلها الحر النزيه، إذ ليس ميثاق وصاية على الحقيقة فالله وحده هو مالكها، فكل إرهاب يقع على كل رأى غير السياسى فهو يصنع تمزقا وتمزيقا بين وحدة الفكر ويصيب الولاء القومى بالازدواج.

ولقد شاهدنا من خلال أحداث الخليج، أن الغرب يحرص دائما أن ينطلق الفكر العربى من الفكر السياسى قد يتآزران وقد لايلتقيان.. ومن خلال ذلك الجدل الفكرى والحوار السياسى تتهيأ الأذهان لأبعاد القضية من حيث زواياها وجدواها ونتائجها. وتخرج القرار وله سنده الفكرى وشرعيته السياسية والقومية.. ولم تكن شرعية القرار السياسى مسوغا لإعلان الوصايا على الرأى المخالف، أو إرهاق المخالفين بتهم الخروج على الشرعية أو مدعاة لوصفهم بالتطرف الفكرى.

ولن تتأثر الوحدة الحقيقية بين القرار السياسى والرأى الفكرى فى دارنا العربية إلا بإتاحة الحرية التى تصنع نفسها وتصوغ المواطن فى قالب الانتماء القومى وتطبيق مبدأ الشورى الإسلامى الذى يصنع إطار الوحدة القومية.

لقد أدى الانفصام بين القرار السياسى، والرأى الفكرى إلى علاقة متوترة قائمة على الخوف والحذر المفرط إلى تفاقم مشكلات الاغتراب لدى المثقفين المخلصين لثقافتهم لاستبعادهم عن صنع القرار، وعزلهم عن المشاكل الفعالة فى توجيه الحياة الفكرية ما لم يكن الفكر تبريرا لمتطلبات السلطة الحاكمة.

من هنا أحس أهل الفكر بمشاعر الاغتراب تحتويهم من فرط إحساسهم، بأن قمع السلطة جعلهم يعيشون على هامش مجتمعهم، وليس من ذنب اقترفوه فى حق مجتمعهم سوى أنهم أخلصوا لفكرهم والوطن والوطنية. وكذلك أدى الانفصام بين الرأى السياسى، والرأى الفكرى، إلى شيوع قضية التطرف.

فهل من الممكن أن يتكفل خطاب الإعلام العربى بالتصالح بين الرأى الفكرى والقرار السياسى؟

**السادس:**

## التضليل الثقافى والإعلام الغربى

يعزى الإعلام الغربى انتصاراته فى الميادين السياسية، والعسكرية، والثقافية، والحضارية إلى العلمنة، لذلك جند أجهزته الإعلامية للدعوة إليها بما ألبسها لبوس العلم، وصبغها بمظهره، فى الوقت الذى صور فيه الدين على أنه أمر شخصى، لاشأن له بالحياة والمجتمع ابتغاء فصله عن توجيه الحياة.

وكان هدفه من وراء ذلك هو: إذابة الشخصية الإسلامية، وإلغاء خصائصها الذاتية.

ولايبقى سوى أمة ممسوخة الهوية، مشوهة التاريخ، ولقد لعب الإعلام الغربى دوره فى إقامة صراع محتدم كما رأينا؛ بين العروبة والإسلام..، ولاشك أن ذلك هو الضلال الثقافى بعينه وذلك حين قابلنا بين المسألة الدينية والمسألة الثقافية.. فهل هى مساومة ثقافية، أو مساومة دينية. أم هو عين التآمر على الإسلام والعروبة وعلى التاريخ..



ولقد استمد الإعلام الغربي رسالته تلك من صورتين:

صورة وضع ملامحها أكاديمية الاستشراق الأولى حين كانت في مواكبة الاستعمار، وصورة رسمتها العلمانية المناهضة للإسلام.

وكان من أثر تغلغلها أن أيقن المجتمع الإسلامي أن الصراع ليس بين العلمانية والإسلام إنما هو بالدرجة الأولى صراع من أجل السيطرة الغربية على شخصيات الشعوب، صراع بين تحقيق الذات الإسلامية والعربية وبين إلغائها ولقد استطاع الإعلام الغربي من خلال حملاته الإعلامية أن ينفذ مخططاته بين مستويات الأمة الثلاث:

- مستوى الأمة.
- مستوى القادة.
- مستوى مفكريه.

أما بالنسبة للأمة فلقد استطاع من خلال حملاته الإعلامية المنظمة أن يشوه الإسلام وأن يباعد بينه وبين الأمة وإسلامها حتى أصبحت لاتعي منه إلا رسمه.

وأما القادة: فهم في صراع بين ما يتوجهون إليه من أيدلوجيات ذات اتجاهات مختلفة وبين أماني شعوبها في تطبيق الإسلام وهو مطلب تكن له أطيب المنى.

وأما المفكرون: فلقد تقطع أمرهم بينهم شيعا تقاسمتهم الفلسفات، وتنازعوا أمرهم بينهم وكل منهم يطلب مذهبا يخالف ما عليه قومه.. ويضيف به صراعا جديدا إلى صراعات الأمة المتعددة بينما توحيد الأمة لاينبع إلا من وحدة الفكر.

**وبعد:**

فلقد استحضر الرسول ﷺ تلك الصورة التي تردى إليها المجتمع الإسلامي حين قال: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يارسول الله؟

قال: لا، بل أنتم كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن.

قالوا: وما الوهن يارسول الله؟

قال: حب الدنيا وكراهية الموت.

تركز حديث الرسول «ﷺ» على أن فلسفة التغيير تنبع أساسا من إرادة الإنسان أو هي إرادة إنسانية قبل كل شيء مهما تقدمت وسائل الحضارة.. فدائما يبقى العنصر البشري هو الأساس في عملية التغيير والبناء.. قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾(١).

وتلك هي مسئولية الإعلام في توحيد توجهات الأمة في مرحلته الجديدة وذلك هو الشرط الأساسي لنهضة الأمة العربية والإسلامية والخروج مما وقعت فيه الأمة من أمراض اجتماعية وتكاسل وتدهور وتفيء إلى إسلامها الصحيح، وفهمه فهما رشيدا واعيا، ويترابط إيمانها بسلوكها وقولها بعملها.

---

(١) سورة الرعد الآية (١١).



# الإسلام دين السلام

لفضيلة الشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف(*)

الحمد لله الذى جعل السلام اسما من أسمائه الحسنى

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(١).

والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله القائل: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»(٢). والقائل: «من آذى ذميا كنت خصيمه يوم القيامة».

لقد تعرض الإسلام منذ القرون الأولى من الهجرة لحملة شرسة من أعدائه لاسيما بعد الفتح الإسلامى لقارتى أفريقيا وآسيا وامتداده إلى قارة أوروبا وقضائه على أكبر إمبراطوريتين كانتا تحكمان العالم عند إشراقة نور الإسلام وهما إمبراطورية الفرس وامبراطورية الروم.

قاد هذه الحملة أحد اثنين:

١. إما حاقد عمى بصره عن الحق، وامتلأ قلبه بالبغض والكراهية لدين الإسلام فاتهمه ظلماً وعدواناً بالاعتداء وانتشاره بالقوة وحد السيف.. الخ ما ورد فى كتب بعض المستشرقين.

٢. وإما جاهل بشريعة الإسلام وفرائضها وأحكامها فى العبادات، والمعاملات، والحدود، والجهاد فى سبيل الله فأثار الشبهات حول بعض تشريعاته التى لم يفهم الحكمة والغاية(٣) منها.. أوقعه فى هذا جهله باللغة العربية.. لغة القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله ﷺ التى لا يتسنى لغير المتمكن من معرفة اللغة العربية وبلاغتها معرفة هذا الفهم والإدراك(٤)، واعتماده فى معرفة الإسلام، واستقاء المعلومات عنه على كتب غير عربية مصادرها غير إسلامية.

---

(*) وكيل الأزهر السابق ورئيس لجنة الحوار بين الأديان.　(١) الآية ٢٣ من سورة الحشر.　(٢) متفق عليه.

(٣) مثل إباحة تعدد الزوجات فى الإسلام، ونصيب المرأة فى الميراث نصف نصيب الرجل.. وإباحة الطلاق والجهاد فى الإسلام، وآيات القتال.

(٤) تعبيرات القرآن الكريم والأحاديث النبوية مليئة بالتشبيهات والاستعارات، والمجاز والكناية، والألفاظ المشتركة، والألفاظ المترادفة.. إلخ وفهم معانيها والإحاطة بمقاصدها لا يتأتى إلا للمتمكن من اللغة العربية.



الكونت برنادوت مبعوث الأمم المتحدة لفلسطين ومساعده الكولونيل سيرو في نعوشهما بعد أن اغتالهما اليهود في ١٩٤٨/٩/١٧م

وظلت هذه الحملة الظالمة مستمرة ضد الإسلام من أعدائه: أحياناً بالكلمة وأحياناً بالقتال، والكتب المؤلفة في هذا المجال، والحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين أصدق دليل على ذلك.

غير أن هذه الحملة الشرسة ضد الإسلام والمسلمين ازدادت ضراوتها في السنوات الأخيرة وخاصة في العقد الأخير من القرن العشرين وبعد سقوط الشيوعية وزاد من خطورة هذه الحملة التي تغذيها وتوقد نارها بعض الدول الحاقدة على الإسلام والمسلمين أنها تتم بتخطيط محكم وذكاء ماهر حيث اختلقوا شعارات ومسميات أطلقوها للتمويه وتغطية هدفهم الحقيقي وهو القضاء على الإسلام والمسلمين ووضع كل المعوقات أمام انتشاره الذي أفزعهم مثل: التطرف - الإرهاب - الأصوليين.. الخ هذه الشعارات والمسميات حتى يتجنبوا المواجهة الصريحة بالعداء للإسلام كدين:

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ الْكَٰفِرُونَ ﴾(*).

ووقع كثير من غير المسلمين الذين لا يعرفون الإسلام على حقيقته الغراء السمحة التي فيها خيري الدنيا والآخرة، وقعوا في مصيدة وفخ إفك هذه الدعاية التي استغلت قيام بعض من يسمون أنفسهم بالإسلاميين بارتكاب جرائم بشعة تقشعر منها الأبدان ويرفضها العقل السليم في بعض البلاد مثل مصر، الجزائر، وأفغانستان.. والدين الإسلامي بريء من هذه الجرائم ولا يقرها ولا تمت بصلة إلى تعاليمه السمحة التي تدعوا إلى السلام والمحبة والإخاء والتعاون البناء بين الأفراد والشعوب.

ثم وقعت حوادث الإرهاب المشئومة في مدينة نيويورك على مركز التجارة العالمي، وفي مدينة واشنطن على مبنى وزارة الدفاع الأمريكية يوم الثلاثاء ١١ من سبتمبر ٢٠٠١م فقامت الدنيا ولم تقعد.. وانتهزت الصهيونية العالمية هذه العمليات الإرهابية - التي هي أصلاً من اختراعها وصنعها وتنفيذها وأول من نفذها في العالم - وإذا كان العالم قد نسي العمليات الإرهابية الإجرامية للصهيونية فلننشط ذاكرته ونسأله: من الذي قتل الكونت برنادوت في فلسطين؟ ومن الذي نسف فندق الملك داوود؟ ومن الذي قام بمذابح دير ياسين؟

(*) الآية ٣٢ من سورة التوبة.



في الأكياس رجال الصليب الأحمر يعبئون ما تبقى من جثث آلاف القتلى في صبرا وشاتيلا .. ترى هل شاهد بوش هذه الصورة

ومن الذي نفذ جريمة مدرسة بحر البقر؟ ومن الذي قام بمذابح صبرا وشاتيلا وقانا؟ ومن الذي يغتال علنا ويصفي جسديا الزعماء الفلسطينيين وهم في بيوتهم ومكاتبهم؟ ومن الذي يهدم المنازل ويهدم المساجد والكنائس؟ ومن الذي يقوم بتحريق الأراضي الزراعية التي هي مصدر رزق وعيش الشعب الفلسطيني؟؟ ومن؟ ومن؟ ومن؟.

انتهزت الصهيونية العالمية هذه العمليات الإرهابية فجندت وسائل الإعلام العالمية التي تملكها وتسيطر عليها واستماتت في سرعة توجيه الاتهام إلى الإسلام والمسلمين بالقيام بهذه العمليات الإرهابية .. واستغلت شعور الغضب لدى الشعب الأمريكي ودول أوروبا ضد مرتكبي هذه الحوادث - التي لم تتحدد هويتهم حتى الآن - في تعبئة الرأي العام العالمي ضد الإسلام والمسلمين، بل وفي الاعتداء على المسلمين الأبرياء، وفي منع أولادهم من الذهاب إلى المدارس، وفي الاعتداء على السيدات المسلمات، وتعدى ذلك إلى إعلان الولايات المتحدة الأمريكية عن تكوين حلف دولي لضرب قواعد الإرهاب في أي مكان في العالم.

وهذه دعوة حق أريد بها باطل، فقد انكشف المستور في لحظة التعبير عما في العقل الباطن، وظهرت النوايا الحقيقية للولايات المتحدة الأمريكية ودول الغرب، وبان الهدف الأصلي المقصود من تكوين هذا الحلف حين عبر الرئيس الأمريكي جورج بوش عن هدف الحلف قائلا: إنها حرب صليبية.

وهكذا يلتقي فكر وهدف الرئيس الأمريكي جورج بوش مع فكر وهدف الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون عندما ألف كتابه الشهير: الفرصة السانحة، وتحدث فيه صراحة عن أنه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط الشيوعية صار العدو الأول الآن أمام أمريكا والغرب هو الإسلام.

ويعنينا الآن في المقام الأول أن نوضح ونبين بالأدلة الدامغة والبراهين الساطعة التي لا تقبل الجدل والمناقشة لعدم الشك في صحتها: أن الإسلام هو دين السلام، وأن الإسلام دين يرفض الإرهاب ويقاوم الاعتداء، حتى نبطل دعوى من يتهم الإسلام والمسلمين بالإرهاب.

## الإســـلام والســـلام

إن السلام يرتبط بالإسلام ارتباطاً وثيقاً، سواء من ناحية المادة الأصلية للحروف التي تتكون منها كل كلمة فكلتاهما من مادة: السين واللام والميم، أو من ناحية المعنى فكلتا الكلمتين تدلان على السلامة والأمن والأمان والاطمئنان.

والسلام في الإسلام هو الأصل والقاعدة الأساسية فيه، أما الحرب في الإسلام فهي استثناء تفرضها ظروف الدفاع عن النفس، وظروف أخرى سأوضحها فيما بعد ولقد وردت كلمة سلام في القرآن الكريم(٦)، في ثلاث وثلاثين آية متفرقة في أربع وعشرين سورة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى اهتمام الإسلام بالسلام، وحرصه على أن يسود وينتشر بين البشر جميعاً.

وإذا تتبعنا العبادات والمعاملات في الإسلام نجد أن السلام عامل أساسي مهيمن ومسيطر على المسلم في كل خطوة من خطواته، وفي كل تصرف من تصرفاته، وفي كل تعامل من معاملاته سواء مع نفسه، أو مع الفرد، أو مع الجماعة بصرف النظر عن جنس أو لون أو لغة أو دين من يتعامل معه.

قال تعالى:

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٧).

وقال رسول الله ﷺ: «لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»(٨).

## الســـلام تحيـــة الإســـلام

وتحية الإسلام هي السلام يلقيها المسلم ويرددها كل يوم عدة مرات مع من يلقاه أو يقابله قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا. أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»(٩).

وقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»(١٠).

ويقول ﷺ: «السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه في الأرض فأفشوه بينكم. فإن الرجل المسلم إذا مر بقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم السلام، فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم»(١١).

---

(٦) ارجع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن للأستاذ/ محمد فؤاد عبدالباقي ص٤٥٢ طبعة دار الحديث.

(٧) آية ١١٢ من سورة البقرة.

(٨) رواه أبو داود والترمذي.

(٩) رواه مسلم.

(١٠) رواه الترمذي.

(١١) الترغيب والترهيب جـ٣.

وبلغ من حرص الإسلام على إفشاء السلام والترغيب في نشره وتعميمه، أنه أثاب من يلقي السلام بعشر حسنات، وتدرج في زيادة الحسنات التي ينالها ويثاب بها فتكثر كلما زاد من كلمات السلام فعن عمران بن الحصين ـ رضي الله عنه ـ قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس، فقال النبي ﷺ: عشر، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد فجلس، فقال: عشرون، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد فجلس، فقال ثلاثون، ثم أتى آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته، فقال: أربعون، قال: هكذا تكون الفضائل»(١٢).

بل إن رسول الله ﷺ يعلمنا آداب السلام ومن يبدأ به حيث يقول: «يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير»(١٣). وفي رواية البخاري والصغير على الكبير.

ولتأكيد معنى السلام وارتباطه بالإسلام أن المسلم يردده ويدعو به في فريضة الصلاة اليومية التي تتكرر في اليوم الواحد خمس مرات، بخلاف صلاة السنن والنوافل، يردده المصلي في التشهد، ويختم وينهي به كل صلاة مرتين مرة عن يمينه ومرة عن يساره، بل إن المسلم مطالب أن يلتزم بالسلام قولاً وعملاً وفعلاً حتى مع الجاهلين الذين يسيئون إلى المسلمين قال تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾(١٤)

ثم يتصعد هذا السلوك من الفرد والجماعة ليصل إلى الدولة فيسيطر السلام على الدولة الإسلامية في علاقاتها وتعاملاتها مع الدول غير الإسلامية حيث يطلب الإسلام من المسلمين أن يعيشوا في سلام وحب وتعاون وإخاء مع غير المسلمين ما داموا لم يقاتلوا المسلمين أو يعتدوا عليهم أو يسلبوا أرضهم قال الله تعالى:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(١٥).

البقية في العدد القادم

(١٢) الترغيب والترهيب جـ٣.
(١٣) متفق عليه.
(١٤) آية رقم ٦٣ من سورة الفرقان.
(١٥) الآيتان ٨، ٩ من سورة الممتحنة.

# أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

للشاعر الكبير الأستاذ/ أحمد محرم

سيد الرسل وأم المؤمنين ... بشرا الأبطال بالنصر المبين
خرجت في الجيش ترجو ربها ... عصمة الراجي، وعون المستعين
ينصر الحق، ويقضي أمره ... إن رماه كل أفاك مهين
إصبري إن جل أمرٌ، إنها ... يا ابنة الصديق دنيا الصالحين
أرأيت الأرض لما رجفت ... إذ هوى عقدك؟ بل لا تشعرين[1]
اقشعرت، وتمنت لو هوى ... بكل عال من رواسيها مكين
أنت في شأنك إذ تبغينه ... وهي في هم وغم وأنين
سوف يبدي الخطب عن روعته ... بعد حين، فاصبري حتى يحين

***

رفعوا الهودج، والظنّ بها ... أنها فيه، وساروا مدلجين[2]
والمجلي الليل عن الخطب الذي ... غادر الإصباح مسودّ الجبين

---

(١) كان العقد من جزع – خرز ظفار، وهي قرية من قرى اليمن، قيل إنه كان يساوي اثني عشر درهماً وقد وجدته – رضي الله عنها – في ذلك المكان.

(٢) من أدلج إذا سار بالليل.




أين غابت أىّ أرض نزلت ... كيف غم الأمر؟ هل من مستبين؟
يا رسول الله صبراً إنها ... فى زمام الله رب العالمين
يا أبا بكر رويداً، إننا ... لنراها فى حمى الروح الأمين

***

رجعت والليل فى بردته ... دائم الإطراق كالشيخ الرزين
ذهب الجيش، وأمست وحدها ... غير أصداء من الوادى الحزين
خطرت فى الجو من أنفاسها ... خطرات للأسى، ما ينقضين
ماج كالبحر طغت أثباجه ... وارتمت أهواله حول السفين[٣]
نام عنها الهمُّ لما رقدت ... فهو فى الأحشاء مكتوم دفين
وأتى صفوان ما يبدو له ... غير شىء ما ثل للناظرين
يرسل الطرف، ويمشى نحوها ... مشية المرتاب فى رفق ولين
عرف الخطب، فنما أصدقه ... حين يدعو دعوة المسترجعين
دعوة رنَّتْ، فلو قيل: اسمعوا ... لسمعنا اليوم ترداد الرنين
أيقظت عائشة من نومها ... مثلما يوقظها صوت الأذين[٤]
جفلتْ منه، فغطت وجهها ... وهى فى ستر من عقل ودين
يصرف اللحظ كليلاً دونها ... خاشع القلب، كدأب المتقين
قرَّب الناقة منها، ودعا ... إركبى أماه، مليت البنين[٥]
أخذ المقود يمناً، ومضى ... يتبع الماضين من أهل اليمين
ينتحى يثرب بالنور الذى ... يملأ الدنيا، ويُعيى المطفئين[٦]

***

نشروا الإفك فساداً وأذى ... وعلى الله جزاء المفسدين
لا ينال الحق فى سلطانه ... كذب الحمقى، وإفك المرجفين

---

(٣) أعاليه جمع ثبج

(٤) المؤذن

(٥) متعت بطول حياتهم معك

(٦) ينتحى يقصد



يا لها من عصبة فاسقة … هاجها للشر شيخ الفاسقين(٧)

وجدت فيه زعيماً حاذقاً … وإماماً بارعاً للمفترين

***

هكذا يا ابن أبيّ هكذا … لا يكن شأنك شأن المسلمين

انفث السمّ، وخضها فتنة … تتلظى نارها للخائضين

***

يا ابنة الصديق صبراً، ليته … ألمُ المرضى وهم الموجعين(٨)

يا لها من علة لو تعلمين … إنها أبرح مما تشتكين

أعقب البشرَ عُبوسٌ وبدا … من رسول الله ما لا ترتضين(٩)

كيف تيكم ليس من عاداته … كيف تيكم؟ يا لهم من مجرمين

غيروه، فلوى من عطفه … وطوى من لطفه ما تعهدين

وهو يخفي لك ما لا ينقضي … من هوى صاف، وشوق وحنين

سجَنَ السرَّ وكم من روعة … لك يا أماه في السرِّ السجين

***

أنصتي، فالليل مصغ، أنصتي … وقع الخطبُ، فماذا تصنعين؟

جاشت النفس، ولجت رعدة … لم تدع في القلب من ركن ركين

مسطحٌ، لا قر عيناً مسطحٌ … شبها ناراً تهول المصطلين(١٠)

---

(٧) عبد الله بن أبي

(٨) مرضت بعد قدومها المدينة شهراً، والناس يفيضون في الإفك وهي لا تعلم

(٩) كان يريبها انقباض النبي كلما جاء يعودها وقوله: كيف تيكم؟ ثم لا يزيد

(١٠) خرجت مع أم مسطح خالة الصديق لقضاء حاجتها ليلاً فعثرت أم مسطح في إزارها فقالت: تعس مسطح، فقالت لها: بئسما قلت أتسبين رجلاً شهد بدراً؟ قالت يا هنتاه(أي يا هذه) ألم تسمعي ما قال؟ وأخبرتها بحديث أهل الإفك. وكان مسطح منهم، فأخذتها حمى نافضة وأصبحت تبكي.

فضحته عثرةٌ من أمه          فانظرى كيد ذويك الأقربين
لا تلوميها إذا ما غضبت          إنها تعلم ما لا تعلمين
أرسلتها دعوة واحدة          ليتها زادت على حد المئين
تعس الشعلب ما أخبثه          فدعى بدراً وآساد العرين

***

رجعت فى غمرة من همها          لم تبت منها بليل الراقدين
لوعة مشبوبة فى سقم          فى شآبيب من الدمع السخين
يا رسول الله هل تأذن لى؟          إن بيتى بمصابى لقمين[11]
مر، ودع همى لأمى وأبى          إنما استأذنت خير الآمرين
بان حسن الصبر، والعزم انطوى          وأرى السقم مقيما ما يبين
قال: ما شئت، هلمى فافعلى          لك يا صاحبتى ما تؤثرين

***

ذهبت، يحزنها أن لم تكن          طوّح الدهر بها فى الذاهبين
ثم قالت وهى تبكى: عجباً          لك يا أماه، ماذا تكتمين؟[12]
أفلا تبأتنى ما زعموا؟          ويحهم: ما حيلتى فى الزاعمين؟
ظلمونى، ما رعوا لى حرمة          رب كن لى - ما أقل المنصفين

***

---

(١١) دخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، وقال: كيف تيكم؟ على عادته. فقالت: ائذن لي أن آتي بيت أبوي؟ فأذن لها. والقمين: الخليق والجدير

(١٢) قالت لأمها: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به وأنت لا تخبريني بشيء! قالت: يابنية هوني عليك. قالت: وهل علم أبي؟ قالت نعم. قالت: ورسول الله؟ قالت: نعم. فاستعبرت، وبكت، وباتت لا يرقأ لها دمع.



جزع الصديق مما نابه ... إنه خطب يهول الأكرمين[١٣]

قال: أف لك من داهية ... ما رمينا بك في ماضي السنين

أفلما زاننا دين الهدى ... ساءنا غث حديث لا يزين؟

***

كيف تيكم؟ يالها صاعقة ... أرسلت من فم خير المرسلين

كيف تيكم؟ كيف تيكم كلما ... جاء، إن الله مولى الصابرين

إصبري يا ربة العقد الذي ... زِين من عينيك بالدر الثمين

***

أوجعتها من عليٍّ شدة ... هي من دأب الأباة الأولين[١٤]

سلط الضرب على مولاتها ... أي سر عندها للضاربين؟؟

أقسمت صادقة ما علمت ... غير ما يدفع دعوى الواهمين

التقى والبرُّ في تاجيهما ... هل رأى التاجين أعلى المالكين؟

***

مرحباً بالحق، يحمي جنده ... ما استباحت تُرّهات المبطلين[١٥]

مرحباً بالوحي، يجلو ما طوت ... ظلمات الشك من نور اليقين

---

(١٣) قال ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم مادخل علي. والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا يعبد الله أفيقال لنا في الإسلام؟

(١٤) عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ استشار الصحابة في أمرها، فقال له عمر: من زوجها لك يا رسول الله؟ قال الله - تعالى، قال: أفتظن أن الله دلس عليك فيها؟! سبحانك هذا بهتان عظيم، وقال أسامة بن زيد: أهلك يا رسول الله فما نعلم إلا خيراً. فأما علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإنك لتقدر أن تستخلف وأن تسأل الجارية بريرة تصدقك وجاءت بريرة فقالت: والذي بعثك بالحق ما علمت عليها من شيء يعاب. فقام إليها علي يضربها ضرباً شديداً ويقول لها: اصدقي رسول الله، فتقول: والله ما علمت إلا خيراً.

(١٥) إشارة إلى نزول الآيات الشريفة في براءتها.



مرحباً بالروح يلقى من عل        رحمة الله، تغيث المؤمنين
فتنة جلت، فلما انكشفت        أزلفوا الشكر وراحوا راشدين
وتجلت غمرة الهادى فلا        ريبة تغشى، ولا ظن يرين[16]
يا ابنة الصديق طيبى وانعمى        ذاك حكم الله خير الحاكمين
ضرب القوم بماضٍ مخذم        من مواضيه، فولوا مدبرين[17]
سقطوا صرعى، عليهم غبرة        من قتام البغى تخزى الظالمين

***

أمسك الصديق من معروفه        ينكر الغدر، وينهى الغادرين[18]
وطوى عن مسطحٍ نعمته        ليرى حق الكرام المنعمين
عاله دهراً، فلما خانه        راح يجزيه جزاء الخائنين[19]
سنة العدل، قضاها من قضى        سنة الرحمة بين الراحمين
نزل الذكر بها قدسية        فعفا الناقم وارتاح الضنين

***

اجعل الخير قريناً إن أبى        كل غاوٍ، إنه نعم القرين
جل ربى وعلا، كل امرئٍ        بالذى يكسب من أمر رهين

***

(١٦) ران الشيء على القلب: غلب عليه وكان له كالصدأ ونحوه.

(١٧) المخذم السيف القاطع.

(١٨) كان مسطح يتيما في حجر أبي بكر، يتولاه برعايته وينفق عليه لفقره، وقرابته منه فلما قال ما قال من الإفك غضب عليه، وقيل: إنه أخرجه من منزله وقال له: لا وصلتك بدرهم أبداً فأنزل الله- تعالى:

﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ (النور آية ٢٢). فرجع أبو بكر - رضى الله عنه - ينفق على مسطح.

(١٩) عاله أنفق عليه.

# الأخلاق والاقتصاد

للمستشار الدكتور/ محمد شوقي الفنجري (*)

**تمهيد:**

**إن الأخلاق وحسن السلوك والمعاملة الحسنة هي أساس الحياة كلها، حتى قيل بحق (الدين المعاملة). وحين أثنى الله - تعالى - على رسوله خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ وصفه بأنه على (خلق عظيم). وحين أراد الرسول ﷺ أن يلخص رسالته الخاتمة والعالمية لخصها بقوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1] فهو لم يبعث لنشر الأخلاق الكريمة فحسب وإنما بعث ليتمم مكارمها سواء بقوله أو سلوكه، وعلى رأسها مراقبة الله وإسلام الوجه له، فهما جوهر التدين والذروة من مكارم الأخلاق. وصدق الله العظيم**

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[2].

ونعرض لموضوع دراستنا عن (الأخلاق والاقتصاد) باختصار فيمايلي:

**أولا:** بيان موجز لكل من مصطلح (الأخلاق) ومصطلح (الاقتصاد).

**ثانيا:** بيان العلاقة بين (الاقتصاد) و(الأخلاق).

**ثالثا:** بيان الأسس الاقتصادية التي انفرد بها الإسلام، لضمان حُسن الأخلاق.

**فأولاً: من حيث مصطلح (الأخلاق) ومصطلح (الاقتصاد)**

من حيث مصطلح (الأخلاق) نجد البعض يعرف الإنسان بأنه (كائن أخلاقي) أي أن له

---

(*) عضو مجمع البحوث الإسلامية.

(1) سنن البيهقي - ١٠/ ١٩٢.

(2) الأنعام (١٦٢).



فيما يلتزم أو يُلزم نفسه بها. ويعرفه البعض بأنه (كائن اجتماعي) أي أنه لا يستطيع أن يعيش منفردا وإنما مع آخرين يتأثر بهم ويؤثر فيهم. بينما يعرفه البعض بأنه (كائن متدين) لأنه لا يوجد على ظهر الأرض كائن له خاصية التدين سوى الإنسان، وباعتبار أيضا أن قوام الأخلاق الحسنة هو التدين من خلال الإحساس العميق بالله - تعالى - وخشيته ومراقبته في كل حركة أو معاملة.

وأيا كانت هذه التعريفات مع تعددها أو تنوعها، فإنه تجمعها صفة واحدة، وهي أن الأخلاق تقوم على قيم محددة تصوغ عقل الإنسان وتكيف نفسيته، وبالتالي تحدد سلوكه. ومن هنا كان الاهتمام بالمناخ أو القيم التي تسود أي مجتمع، لأنها هي التي تصوغ فكر أفراده وتحدد سلوكهم. وأنه كلما ارتفعت واستقرت هذه القيم في عقول ونفوس أفراد كل مجتمع، كلما ارتفع وتقدم هذا المجتمع وساده السلام والسعادة. والعكس صحيح كلما غابت أو هبطت هذه القيم، كلما ساد الفساد والتخلف في المجتمع وحكم على نفسه بالانهيار والضياع.

ومن هنا كانت رسالات السماء، وجهود المفكرين العظماء على مدى التاريخ، في إزالة العقبات وتصويب المسارات والتوعية الرشيدة بالقيم الرفيعة، وصولا إلى أمن الإنسان وراحته.



أما مصطلح (الاقتصاد) فيختلف باختلاف كل مجتمع، فهناك الاقتصاد الرأسمالي الذي يوجه النشاط الاقتصادي وفقا لأصوله من حيث سيادة الحرية الاقتصادية وحماية الملكية الخاصة والسوق الحر، وما يستتبع ذلك من استئثار أقلية بخيرات المجتمع والتفاوت الشديد في توزيع الثروات، وغيره من المفاسد. وهناك الاقتصاد الاشتراكي الذي يوجه النشاط الاقتصادي وفقا لأصوله من حيث غلبة تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي وسيادة الملكية العامة والتعقيدات الحكومية، وما يستتبع ذلك من تأميم وقمع للحرية، وغيره من المفاسد.

أما الاقتصاد الإسلامي فهو الذي يُوجه النشاط الاقتصادي وفقا لأصوله من حيث ضمان حد الكفاية لكل فرد، وعدالة التوزيع وحفظ التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع ودول العالم، متجنبا عيوب ومساوئ كل من الاقتصادين الرأسمالي والاشتراكي.

### ثانيا - بيان العلاقة بين (الاقتصاد) و(الأخلاق)

ما سبق كلمة موجزة عن مصطلح (الأخلاق) ومصطلح (الاقتصاد). ذلك أن كلا منهما يتأثر ويؤثر في الآخر.

فإنه إذا كانت الأخلاق الطيبة تؤدي إلى معاملات اقتصادية سليمة والعكس صحيح، فإنه أيضا الاقتصاد السليم يؤدي إلى أخلاق طيبة والعكس صحيح.

ويكفي أن نتساءل ماذا ننتظر من مجتمع هابط أو شخص عديم الأخلاق، إلا الانتهازية والعدوان، وبالتالي إفساد المجتمع. وبالمثل ماذا ننتظر من اقتصاد متخلف أو شخص جائع مضيع، إلا الحقد أو العنف، وبالتالي إفساد المجتمع.



وخلاصة القول أن ( الأخلاق ) لا تستغنى عن ( الاقتصاد )، كما أن ( الاقتصاد ) لا يستغنى عن الأخلاق، فكلاهما يكمل الآخر.

وعليه فإنه، إذ صح أنه لا أخلاق بدون اقتصاد سليم يقوم على كفاية الإنتاج، وتكافؤ التبادل، وعدالة التوزيع، وترشيد الاستهلاك.. فإنه أيضا لا اقتصاد ولا تنمية بدون صحة الأخلاق وصدق المعاملة.

لقد تواترت الأحداث، وكشفت العصور الماضية عن عجز مختلف المذاهب والنظم الوضعية فى أن تحقق للمجتمعات البشرية أمنها وسعادتها. ولقد عاصرنا اضطراب دول وشعوب عالمنا المعاصر، بين المذهب الفردى ممثلا فى الرأسمالية بمختلف درجاتها، وبين المذهب الجماعى ممثلا فى الاشتراكية بمختلف أنواعها، وتوزعت بينهما فى العديد من النظم الاقتصادية التى تبيّن عجزها عن أن تحمل مسئولية التوجيه والعطاء.

• • •

ولقد ثبت أن السبب الرئيسى لفشل مختلف النظم الوضعية، هو إغفالها العنصر الأخلاقى أو بعبارة أخرى الجانب الروحى فى الإنسان، متصورة أن الإنسان مادة فحسب. فقامت مختلف النظم الوضعية على أساس البعد الواحد، وهو بعد المادة والإشباع الاستهلاكى، ناسية أو متناسية البعد الأخلاقى أو الروحى مما أفقد الإنسان توازنه وسكينته.

ولقد عبر عن ذلك بعضهم بقوله: «إن الرجل الأبيض -يعنى الأوروبى والأمريكى- قد انتهى، لا لأنه فرغ من العلم والتقدم المادى، ولكنه انتهى لأنه فرغ من الإيمان والمثل». كما كان البعض الآخر أكثر صراحة وتحديدا بقوله: «إن حضارة الغرب قد رفعت الإنسان إلى القمر، بينما هى غائصة إلى ركبتيها فى الأوحال». ويضيف البعض: «إن البشرية اليوم لفى أشد الحاجة إلى الأخلاق والإحساس بالله – تعالى – وخشيته للخروج من أزماتها». وصدق الله – العظيم –:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾(٣).

وقوله تعالى:

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾(٤)

وصدق الله العظيم:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾(٥).

**ثالثا – الأصول الاقتصادية التى انفرد بها الإسلام لضمان حسن الأخلاق**

ما سبق كلمة موجزة عن الرابطة الوثيقة بين كل من ( الأخلاق ) و( الاقتصاد )، وأن كلا منهما يؤثر ويتأثر بالآخر، بحيث لا قوام لأحدهما بدون الآخر، وأن قوام الأخلاق الرفيعة هو التدين من خلال الإحساس بالله تعالى وخشيته والتوكل عليه.

---

(٣) الحشر (١٩).
(٤) طه (١٢٣).
(٥) فاطر (١٥).





إنه حين طالب الإسلام الناس بالعبادة وذكر الله، علله فى القرآن بقوله تعالى:

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾[٦].

فأساس العبادة فى الإسلام والسبيل إليها، هو تأمين الناس فى حياتهم المعيشية، حتى إن سيدنا موسى – عليه السلام – حين دعا الله – تعالى – :

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾[٧].

قرنه بقوله تعالى:

﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾[٨].

ومن هنا تأكيدنا بأنه لا قيمة لحضارة متقدمة أو تقنية متفوقة بدون أخلاق ومثل وارتباط بالله وخشيته – تعالى – وإلا فإن هذه الحضارة وتلك التكنولوجيا، ستصبح بدون صمام أمان، وبالتالى لا بد أن تطغى وتنتهى إلى أن تكون عنصر فساد وتدمير. كذلك لا غنى لمثل طيب وتطلعات روحية أو تعبدية، عن الاقتصاد وتعمير الكون، وإلا فإن هذه الأخلاقيات ستصبح بدون عناصر بقائها واستمرارها، وبالتالى لا بد أن تضعف وتضمر.

* * *

وبذلك ننتقل إلى النقطة أو المسألة الأخيرة والهامة من دراستنا، وهى بيان بعض الأصول الاقتصادية التى حرص الإسلام على تأكيدها أو بعبارة أدق انفرد بالدعوة إليها، ليتوصل بذلك إلى أخلاق طيبة وسلوك سليم.

( ١ ) ولعل من أهم هذه الأصول والتى ينفرد بها الإسلام، هو مفهوم أن الإنسان هو خليفة الله فى أرضه، بقوله تعالى:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[٩].

وقوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾[١٠].

وأنه بحكم هذه الخلافة كلف الإنسان بإعمار الأرض بالخير المادى والمعنوى من أجل خير البشرية جمعاء، بقوله تعالى:

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[١١].

أى كلفكم بعمارتها. ويلخص الرسول ﷺ حقيقة الدنيا ورسالة الإنسان فيها بقوله: «إن الدنيا حلوة نضرة، وإن الله استخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون»[١٢]، وقوله ﷺ: «ما عُبد الله بمثل عمل صالح» وفى رواية أخرى «ما عُبد الله بشىء أفضل من فقه فى دين»[١٣].

---

(٦) قريش (٣، ٤).

(٧) طه (٢٥، ٢٦).

(٨) طه (٣٣، ٣٤).

(٩) البقرة (٣٠).

(١٠) الأنعام (١٦٥).

(١١) هود (٦١).

(١٢) أخرجه مسلم.

(١٣) سنن الدارقطنى، والجامع الصغير للسيوطى.



ولعل الإسلام باعتباره خاتم الأديان، هو الوحيد بين كافة الأديان و المذاهب ومختلف النظم الوضعية، الذي يجيب بكل وضوح وإقناع، على ذلك السؤال الأزلي الذي تاهت فيه الأفهام وتعددت فيه المذاهب وضلت فيه المسالك، وهو: لماذا خلقنا أو إلى أين.

( ٢ ) هذا ومن أهم هذه الأصول الاقتصادية والتي ينفرد بها الإسلام أيضا، مفهوم أن المال مال الله والبشر مستخلفون فيه. بمعنى أن كل ما بيد البشر من مال، هو ملك لله أصلا بقوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾(١٤).

فهو تعالى المالك الحقيقي للمال باعتباره تعالى خالقه وهو واهبه ورازقه، وأن البشر مستخلفون فيه بقوله تعالى:

﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾(١٥).

وقوله تعالى:

﴿ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾(١٦).

وأنه بالتالي لا يجوز للبعض دون الآخر أن يستأثر بهذا المال، لقوله تعالى:

﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾(١٧).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾(١٨).

وعليه فإن اختصاص البعض بالمال، هو في الإسلام ليس امتلاكا كما تصور خطأ البعض، وإنما هو أمانة ومسئولية يلتزم فيها بتعاليم الإسلام بقوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾(١٩).

وهي مسئولية يحاسب عليها بقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾(٢٠).

وفي تفسيره لقوله تعالى:

﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾(٢١).

يقول الإمام الزمخشري في تفسيره الكشاف الجزء الثاني ص٤٣٤: «يعني أن الأموال التي في أيديكم، إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه، وإنما مولكم إياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فليست هي أموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب، فانفقوا منها في سبيل الله... ... وليهون عليكم الإنفاق منها، كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره».

ويروى المؤرخ الخطيب في مؤلفه تاريخ بغداد: «أن أبا حنيفة كان يجمع ربح التجارة عنده من سنة

---

(١٤) النجم (٣١).
(١٥) الحديد (٧).
(١٦) البقرة (٢٥٤).
(١٧) النور (٣٣).
(١٨) آل عمران (١٨٠).
(١٩) المؤمنون (٨).
(٢٠) التكاثر (٨).
(٢١) الحديد (٧).

إلى سنة، ثم يشترى بها حوائج الشيوخ والمحتاجين من الكسوة والقوت وغيره، ثم يدفع إليهم باقى الدنانير من الأرباح ويقول: أنفقوا فى حوائجكم، ولا تحمدوا إلا الله - تعالى - فإنى ما أعطيكم من مالى شيئا، ولكنه من فضل الله علىّ».

(٣) كذلك يتميز الإسلام عن سائر المذاهب والنظم الوضعية، فى نظرته، وموقفه بالنسبة للملكية الفردية، فهو لا ينكرها شأن النظم الاشتراكية، كما أنه لا يطلقها شأن النظم الرأسمالية. وإنما هو يقيدها بعدة قيود، ليس فحسب كالعادة والمعروف من حيث اكتسابها ومجالاتها، وإنما أساسا من حيث استعمالها مما لا تجد له مثيلا فى أى من التشريعات الوضعية، وبحيث يحيلها الإسلام فعلاً وفقاً لرؤياه، إلى أمانة ومسئولية ومجرد وظيفة شرعية، ومن قبيل ذلك:

أ - أنه لا يجوز للمسلم أن يكنز ماله أو يحبسه عن التداول والإنتاج، وإلا حق عليه عذاب أليم، بقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٢٢).

ب - وهو لا يملك أن يصرف ماله على غير مقتضى العقل، وإلا اعتبر بنص القرآن سفيها وحق الحجر عليه، بقوله تعالى:

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾(٢٣)

جـ - وهو لا يستطيع أن يعيش عيشة مترفة، وإلا اعتبر بنص القرآن مجرما، بقوله تعالى:

﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾(٢٤).

د - وهو مطالب دائما بأن ينفق كل ما زاد عن حاجته فى سبيل الله سواء فى صورة إنفاق مباشر على المحتاجين أو فى صورة استثمارات تعود بالنفع على المجتمع، بقوله تعالى:

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(٢٥).

وقوله تعالى:

﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(٢٦).

(٤) كذلك انفرد الإسلام دون سائر المذاهب والنظم الوضعية، بأنه لا يسمح بالثروة والغنى إلا بعد القضاء على الفقر والحاجة من خلال ضمان (حد الكفاية) لا مجرد (حد الكفاف) لكل فرد، أى ضمان المستوى اللائق للمعيشة بحسب ظروف الزمان والمكان، والواجب توافره لكل مواطن يعيش فى مجتمع إسلامى، أيا كانت ديانته وأيا كانت جنسيته، أى بوصفه إنسانا وباعتبار ذلك حق الله الذى يعلو فوق كل الحقوق. وهو يوفره لنفسه بجهده وعمله، فإذا عجز عن ذلك لسبب خارج عن إرادته كمرض أو شيخوخة، انتقلت مسئولية

---

(٢٢) التوبة (٣٤).

(٢٣) النساء (٥).

(٢٤) هود (١١٦).

(٢٥) البقرة (١٩٥).

(٢٦) آل عمران (٩٢).

ذلك إلى بيت مال المسلمين أى خزانة الدولة، وذلك إعمالاً لقوله تعالى:

﴿ وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾(٢٧).

وقول الرسول ﷺ: «من ترك مالاً فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فإلىّ وعلىّ»(٢٨)، وفى رواية أخرى: «من ترك كلا فليأتنى فأنا مولاه» أى من ترك ذرية ضعيفة فليأتنى بصفتى الدولة فأنا مسئول عنه كفيل به.

وقد روى أبو يوسف فى كتابه الخراج ص١٥ وكذا أبو عبيد فى كتابه الأموال ص٤٦، كيف أن الخليفة عمر بن الخطاب دهش حين رأى شيخا يتكفف الناس فسأله: من أى أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودى، فسأله: وما ألجأك إلى هذا؟ قال: الجزية والحاجة والسن، فأمر عمر بطرح جزيته وأن يعان من الزكاة باعتباره مسكينا، وأرسل إلى خازن بيت المال بقوله: «انظر إلى هذا وضربائه فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم». كما يروى البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان ص١٢٥، كيف مر الخليفة عمر بن الخطاب وهو بأرض الشام على قوم مرضى مجزومين لا حول ولا قوة لهم، فأمر أن يعطوا من الزكاة وأن يجرى عليهم الطعام بانتظام أيا كانت دياناتهم. فضمان (حد الكفاية) لكل فرد، هو فى الإسلام أمر مقدس باعتباره حق الله الذى يعلو فوق كل الحقوق، وإن فى إنكاره أو إغفاله تكذيب للدين بقوله تعالى:

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾(٢٩).

ولذلك لم يكتف الإسلام بتأكيد حق كل إنسان فى مستوى لائق للمعيشة مما نعبر عنه بضمان حد الكفاية لا مجرد حد الكفاف، وإنما أنشأ لذلك ولأول مرة فى التاريخ الإنسانى، مؤسسة مستقلة بأموالها وعمالها والمستحقين فيها، ألا وهى مؤسسة الزكاة التى هى مؤسسة الإسلام لمواجهة مشكلة الفقر وتحقيق الضمان الاجتماعى. وكما هو معروف إذا لم تكف أموال الزكاة بمقاديرها المحددة أى نسبة ٢,٥٪ من رأس المال بالنسبة للأموال المنقولة كعروض التجارة، وما بين ٥,١٠٪ من الدخل بالنسبة للأموال الثابتة كالأراضى الزراعية والعمارات المستغلة وكسب العمل ونسبة ٢٠٪ من الركاز كالبترول، فإن للحاكم أن يوظف كل أموال الأغنياء بقدر ما يكفى الفقراء والمحتاجين. وفى هذا المعنى يقول الخليفة الرابع سيدنا على بن أبى طالب: «إن الله فرض على الأغنياء فى أموالهم بقدر ما يكفى فقراءهم» [انظر ابن حزم فى الجزء السادس من كتابه المحلى ص٢٢١]، ويقول الإمام الماوردى فى كتابه الأحكام السلطانية ص١٢٢: «فيدفع إلى الفقير والمسكين من الزكاة ما يخرج به من اسم الفقر والمسكنة إلى أدنى مراتب الغنى». كما يقول: «تقدير العطاء معتبر بالكفاية». ويقول الإمام السرخسى فى الجزء الثالث من كتابه المبسوط ص١٨: «وعلى الإمام أن يتقى الله فى صرف الأموال فى المصارف، فلا يدع فقيرا إلا أعطاه من الصدقات -أى الزكاة- حتى يغنيه وعياله، وإن احتاج بعض المسلمين وليس فى بيت المال من الصدقات شىء، أعطى الإمام ما يحتاجون إليه من بيت المال».

---

(٢٧) الذاريات (١٩).

(٢٨) أخرجه البخارى ومسلم.

(٢٩) الماعون (١-٣).

ومن هنا جرى المثل العربي: «صيانة النفس في كفايتها». كما أوضح الفقهاء القدامى وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية، سبب اهتمام الإسلام بضمان حد الكفاية لكل فرد في المجتمع من خلال مؤسسة الزكاة، بأنه لا يمكن أن تستقيم العقيدة وتنمو الأخلاق إذا لم يطمئن الفرد في حياته ويشعر أن المجتمع الإسلامي يقف معه ويؤمنه عند العجز أو الحاجة، حتى إن الإمام ابن حزم في الجزء السادس من كتابه المحلى المسألة رقم ٧٢٥ يقرر أن للجائع عند الضرورة أن يقاتل من يمنعه حقه في الطعام الزائد عن غيره: «فإن قتل الجائع فعلى قاتله القصاص، وإن قتل المانع فإلى لعنة الله ولا دية له لأنه منع حقا وهو طائفة باغية». وكلنا يذكر مقولة الخليفة الأول أبوبكر الصديق: «والله لأقاتلن من يفرق بين الصلاة والزكاة»، وللإمام الشافعي عبارة فقهية دقيقة مشهورة عنه بقوله: «إن للفقراء أحقية استحقاق في مال الغني، حتى صار بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير». وذهب الفقيه أحمد بن علي الدلجي في كتابه الفلاكة والمفلوكين أي الفقر والفقراء ص١٦ إلى أبعد من ذلك بقوله: «إن من حق المحروم أن يرى النعم التي بأيدي الناس مغصوبة، والمالك المستحق يطالب باسترداد ماله من أيدي الغاصبين».

(٥) كذلك انفرد الإسلام دون سائر المذاهب والنظم الوضعية، على تحقيق التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع ودول العالم، وذلك إعمالا لقوله تعالى:

﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾(٣٠).

بمعنى أنه لا يجوز أن يكون المال متداولا بين فئة قليلة من الناس أو دول معينة، بل يجب أن يعم الخير الجميع.

وإذا كان الناس يتفاوتون في كفايتهم وفي مقدار ما يبذلون من جهد، فإنه من الطبيعي أن يتفاوتوا في مقدار ما يحصلونه من دخل ويكونونه من ثروة، فالتفاوت في الدخول والثروات هو مما يقره الإسلام باعتباره أمرا طبيعيا تبعا لاختلاف المواهب والقدرات، وباعتباره أيضا حافزا على الجد والعمل إذ لو حصل كل الأفراد على دخول متساوية أو متقاربة لما عني أحدهم بإتقان عمله أو زيادة جهده. كما أن التفاوت والتنوع في الدخول والثروات على المستوى الإقليمي أو العالمي، هو أمر ضروري للتعارف والتعاون، وصدق الله العظيم:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾(٣١).

إلا أن التفاوت في الثروة والدخول، الذي يسمح به الإسلام، هو التفاوت المنضبط أو المتوازن أي بالقدر الذي على المستوى الفردي يحفز على العمل والإتقان، وعلى المستوى الإقليمي أو العالمي يحقق التكامل لا التناقض والتعاون لا الصراع. وبعبارة أخرى بالقدر الذي لا يكون فيه التفاوت فاحشا مما يخل بالتوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع ودول العالم ويمحق تماسكها، وإلا تعين شرعا على الحاكم أو ولي الأمر التدخل لإعادة هذا التوازن عند افتقاده. والأمثلة على ذلك عديدة ومعروفة سواء في عهد الرسول ﷺ أو في عهد الخلفاء الراشدين.

والواقع أن مشكلة الاقتصاد الوطني في المرتبة الأولى هي في اختلال التوازن في توزيع الثروات والدخول بين

---

(٣٠) الحشر (٧).

(٣١) الحجرات (١٣).

أفراد المجتمع . كما أن مشكلة الاقتصاد العالمي اليوم، هي في الفجوة المتزايدة بين الدول الغنية المتقدمة وبين الدول الفقيرة النامية . ولا يستهدف حاليا أي تغيير أو إصلاح أو أي نظام اقتصادي جديد، سوى في المرتبة الأولى تحقيق التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع على المستوى المحلي، وتحقيق التوازن الاقتصادي بين دول العالم على المستوى العالمي . الأمر الذي نبه إليه الإسلام منذ خمسة عشر قرنا بقوله تعالى:

﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾(٣٢) .

بمعنى ألا يكون المال متداولا بين فئة قليلة تستأثر به دون غيرها سواء كان ذلك على مستوى أفراد المجتمع أم على مستوى دول العالم، الأمر الذي يؤدي إلى تهميش الأغلبية وسلبيتها أو إلى اغترابها وإثارة حقدها وثورتها وكافة المساوىء .

**خاتمة :**

كل ما تقدم هو بعض الأصول الاقتصادية التي انفرد بها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا، وذلك لضمان تحقيق حسن السلوك ومكارم الأخلاق، باعتبار ذلك هو غاية الغايات والمستهدف من كافة صور العبادة ومختلف أركان العقيدة الإسلامية . ذلك أن الله - تعالى - غني عن عباده، والمراد من مختلف أحكام الإسلام سواء كانت عبادات أم معاملات، هو نفع الخلق أنفسهم لتستقيم بهم الحياة الدنيا، فلا يعانون فيها، باعتبارها في حقيقتها وكما كشف عنه لنا الإسلام ( دار اختبار وابتلاء ) . وصدق الله العظيم :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾(٣٣) .

وقوله تعالى :

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٣٤) .

وقوله تعالى :

﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾(٣٥) .

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٣٦) .

والتقوى في الإسلام هي جماع الأخلاق الإسلامية، ذلك أنها بنصوص القرآن تشمل كافة القيم الرفيعة من إيمان وعمل وعدل، وخدمة الناس وابتغاء وجه الله - تعالى - ومراعاته وخشيته والتوكل عليه في كل ما تقوم به من عمل أو تباشره من نشاط، حتى إنه كما أوضحنا بكتابنا ( ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية ) يتميز بل ينفرد الاقتصاد الإسلامي دون سائر المذاهب والنظم الاقتصادية باعتباره ( التقوى ) أحد عناصر الإنتاج بل أهمها وأن عائدها هو البركة بقوله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(٣٧) .

وصدق الله العظيم

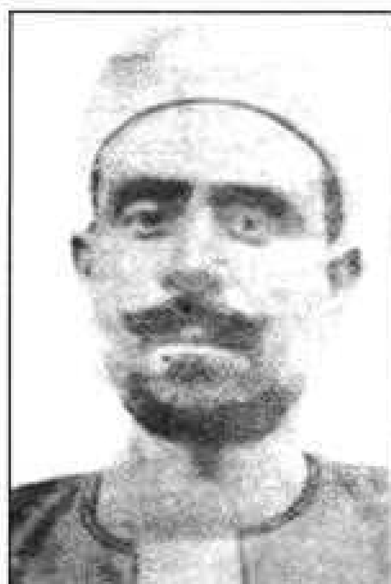
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٣٨)

نسأله تعالى السداد والتوفيق .

---

(٣٢) الحشر (٧). (٣٣) فاطر (١٥). (٣٤) النساء (١١٤). (٣٥) الحج (٣٧).
(٣٦) الحجرات (١٣). (٣٧) الأعراف (٩٦). (٣٨) الرعد (١١).





# بين
# الخضر حسين و على عبد الرازق

# قضية وكتابان

٤

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة




# الإسلام وأصول الحكم

بحث في

الخلافة والحكومة في الإسلام

تأليف

علي عبد الرازق

من علماء الأزهر وقضاة المحاكم الشرعية

« الطبعة الثالثة »

سنة ١٣٤٤ هـ — سنة ١٩٢٥ م

« حقوق الطبع محفوظة »

# نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم

تأليف

السيد

محمد الخضر حسين

أحد مدرسي جامع الزيتونة وقضاة المحاكم الشرعية بتونس سابقا

القاهرة

١٣٤٤

المطبعة السلفية ومكتبتها

لصاحبيها: محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان

وإذا كان كتاب « الإسلام وأصول الحكم » قد ذهب في تشويه صورة « الخلافة » الإسلامية تاريخيا، إلى حد الافتراء الذي جعلها قهرا مسلحا واستبدادا بالأمر، من دون الأمة، باسم الله فإن كتاب الشيخ الخضر قد برئ من « رد الفعل » الذي يبيض وجه هذه الخلافة دائما، حتى ولو كان ذلك بالزور والبهتان !.. بل إن الرجل لا يرغب في إدارة المعركة حول اسم النظام وعنوانه.. فالدولة الإسلامية هي المطلب.. وليست « الخلافة » هي الشكل الوحيد ولا الاسم المفرد لهذه الدولة الإسلامية.. وفارق بين أن ننتقد تراثنا في نظم الحكم لنقترب من مقاصد الإسلام في « الدولة الإسلامية » وبين أن يكون هذا النقد سبيلا إلى التخلي عن شروط « أسلمة الدولة » وتجريد الإسلام من شرعه ومدخله في السياسة وتنظيم المجتمعات..

«فلم يدع أحد قط أن صلاح شأن الرعية وصيانة شعائر الدين مربوطان باسم الخلافة، وأن لقب الخليفة كالرقية النافعة، يذهب بها كل بأس، أو الدعوة المستجابة، ينزل عندها كل خير، والذى تعلمه ويعلمه أشباه العامة من المسلمين أن الخلافة لا تريك آثارها وتمنحك ثمارها من منعة وعزة وعدالة إلا إذا سارت على سنة العزم في الأمور والحكمة في السياسة»[1].

وإذا كان العصر الحديث قد ألح ويلح على إعلاء مكانة الأمة فى تسيير شئون الدولة والمجتمع، فليس هناك، فى نهج الإسلام السياسى، ما يعارض هذا الاتجاه.. بل إن هذا هو نهج الإسلام الأصيل فى هذا الباب «فالقوة المشروعة للخليفة لا تزيد على القوة التى يملكها رئيس دولة دستورية، وانتخابه فى الواقع إنما كان لأجل مسمى وهو مدة إقامته قاعدة الشورى على وجهها، وبذله الجهد فى حراسة حقوق الأمة، وعدم وقوفه فى سبيل حريتها...[2] وشكل بعض الحكومات القائمة على خليفة ووزراء ومجلس نيابى بجرى انتخابه تحت ظلال الحرية التامة لا يخالف الشكل الملائم للخلافة الحقيقية بحال»[3] بل لقد ذهب الإسلام السياسى فى شروط الخليفة إلى الحد الذى يجعل من دولته «الواقع» القريب من «مثال» «المدينة الفاضلة»!.. فلقد «قرر جمهور أهل العلم فى شروط الخليفة أن يكون بالغا فى العلم رتبة الاجتهاد، وأن يكون ذا رأى وخبرة بتدبير الحرب والسلم، وأن يكون شجاعا لا يرهب الموت الزؤام فما دونه، وأن يكون عادلاً لاتأخذه فى الحق لومة لائم. وتعرف مزية العدل باختبار سيرته فيما كان يتولاه من أعمال قبل منصب الخلافة أو بما تدل عليه التجارب والمشاهدة الطويلة من استقامته وشرف همته وإنكاره ما يفعل الظالمون بغيرة وحماسة»[4].

وليست صحيحة ولا دقيقة ولا صادقة تلك الصورة الشوهاء التى عممها صاحب «الإسلام وأصول الحكم» على مجمل نظام الخلافة الإسلامية عبر التاريخ الإسلامى.. «فلقد أتى عليها حين من الدهر وهى لا تنتضى حسامها ولا تلمع بإنذارها ووعيدها إلا فى وجه عدو يتربص بالمؤمنين الدوائر، أو ثائر عصفت به ريح الأهواء وماله من أولى الألباب ولى ولا عاذر. وأدركها زمن بعدت فيه عن حقيقتها، فخلطت عملا صالحا وآخر سيئا، وربما كان إثمها فى بعض الأحيان أكبر من نفعها»[5] فالتعميم فى تصوير الخلافة بصورة «القهر المستبد باسم الله» غريب على المنهج العلمى فى دراسة التاريخ.

أما الصورة العثمانية للخلافة، والتى أتاحت لأعداء «الدولة الإسلامية» تشويه صورة

---

(١) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٩٠ من طبعة الأصل].

(٢) الباب الأول من الكتاب الأول [ص ١٣ من طبعة الأصل].

(٣) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٨٤ من طبعة الأصل].

(٤) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٨٢ من طبعة الأصل].

(٥) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٦٤ من طبعة الأصل].

الخلافة، بإطلاق وتعميم ، فإن الإسلام السياسى حجة عليها وعلى سلاطينها، وليست هى بالحجة على هذا الإسلام! . . «ولو أن المتأخرين من سلاطين آل عثمان أعطوا للخلافة شيئا من حقوقها، وراعوا ما أمر الله به من وسائل استقامتها لما انفرط عقد هذه الممالك الإسلامية وأصبحت كل قطعة منها تحت سلطة أجنبية تستبد عليها فى حكمها وتتصرف فى رقاب شعوبها وأموالهم كيف تشاء»[6].

لكن المرض لا يبرر الإعدام.. والفساد لا يستدعى اليأس من الإصلاح.. فإذا.. كانت الخلافة الإسلامية لا تعدو: «الدولة الإسلامية الجامعة»، «فليس إصلاح شأنها.. «إذا فسد».. وإعادتها إلى سيرتها المثلى ممن يغارون على مصلحة الشرق واتحاد شعوبه ببعيد»[7]؟!

هذا عن الخلافة فى التاريخ..

***

لقد كانت الفكرة الجوهرية والمحورية لكتاب «الإسلام وأصول الحكم» هى دعوى أن الإسلام دين لا دولة، ،ورسالة لا حكومة، وبا بعد ما بينه وبين السياسة وتنظيم المجتمعات!.

وبعض الذين تصدوا لنقد هذا الكتاب بلغوا فى معاداة هذه الدعوى مبلغ «رد الفعل»، حتى لقد بدت فى أقوالهم رائحة تصور الحكومة الإسلامية «حكومة دينية» تشبه تلك التى عرفتها أوروبا حاكمة «بالحق الإلهى».. ذلك أنهم تحدثوا عن «وحدة» الدين والدولة، مقابل دعوى «الفصل» بينهما!.. لكن هذا الموقع.. موقع رد الفعل» الغريب عن روح الإسلام وجوهره.. لم يكن هو الموقع الفكرى للشيخ الخضر عندما نقض كتاب الشيخ على عبد الرازق.. فهو قد تبنى موقف علماء الكلام المسلمين، من مختلف تيارات فكر أهل السنة، الذين قرروا أن «الخلافة - الإمامة- الدولة» ليست من أصول الدين ولا أركانه ولا عقائده، وأنها من الفروع.. ومن ثم فلا حجة لمن يدعى «علمانية الإسلام» بسبب خلو القرآن من الآيات التى تنص على «الخلافة - الإمامة - الدولة» فمكان الفروع، ليس بالضرورة هو القرآن الكريم.. واستمرارا لهذا النهج الإسلامى العريق قال الشيخ الخضر: «إن الخلافة ليست من نوع العقائد..»[8] وبحثها يرجع إلى النظر فى حكم عملى لا فى عقيدة من عقائد الدين، ومما يترتب على الفرق بين الأحكام العملية والعقائد أن الأحكام العملية يكتفى فيها بالأدلة المفيدة ظنا راجحا، وأما العقائد فإنها لا تقوم إلا على براهين قاطعة.. فلا غضاضة على حكم الخلافة إذ لم يرد به قرآن يتلى ، إذ ليست الخلافة زائدة على إمارة عامة تحرس شعائر الدين وتسوس الناس على طريق العدل، ولم يكن وجه المصلحة من إقامة هذه الإمارة بالخفى الذى يحتاج إلى أن يأتى به قرآن صريح.. فالقرآن لم يصرح بحكم الإمارة العامة اكتفاء بما بثه فى تعاليمه من

---

(٦) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٨٧ من طبعة الأصل].

(٧) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٦٤ من طبعة الأصل].

(٨) الباب الثانى من الكتاب الأول [ص ٣٣ من طبعة الأصل].

الأصول التى تبينها السنة ويرجع إليها الراسخون فى العلم عند الحاجة إلى الاستنباط، ولأن الأمر بإطاعة أولى الأمر عبرة لأولى الألباب..»[9] فإذا استدل علماء الإسلام على وجوب «الخلافة - الإمامة - الدولة الإسلامية» بضرورتها، لأن ترك الناس فوضى لا يجمعهم على الحق الجامع ولا يزعهم عن الباطل وازع، يفضى إلى تبدد الجماعة، وإضاعة الدين، وانتهاك حرمة الأموال والنفوس والأعراض، فإنهم - «بهذا الاستدلال» - إنما يطبقون قاعدة شرعية، وهى قاعدة «الضرر يزال» أو قاعدة «ما لا يتم الواجب المطلق إلا به وكان مقدورا، فهو واجب..»[10].

ومن هذا الموقع الفكرى، الذى يرى وجوب «الدولة الإسلامية» - وليس أى دولة - دون أن تكون هذه الدولة عقيدة من عقائد الدين أو ركنا من أركانه - أنكر الشيخ الخضر إسلامية الصورة التى صور بها الشيخ على عبدالرزاق الخليفة المسلم، ورفض ما قاله صاحب «الإسلام وأصول الحكم» عن طبيعة سلطات الخليفة فى الإسلام.. لقد قال على عبدالرازق عن الخليفة: «إن ولايته عامة ومطلقة، كولاية الله - تعالى - ورسوله الكريم».. وعلق الخضر على هذه العبارة فقال: «إنها من مبالغاته التى تطبع للخلافة فى نفوس المستضعفين من الناس صورة مكروهة، ولو كان المؤلف «على عبد الرازق» يمشى فى بحثه على صراط سوى لتحرى فيما ينطق به عن المسلمين أقوالهم المطابقة. وهم لم يقولوا إن ولاية الخليفة عامة ومطلقة كولاية الله، فإن الله يفعل ما يشاء فيمن يشاء، ولا يسأل عما يفعل، والخليفة مقيد بقانون الشريعة، ومسئول عن سائر أعماله. وكذلك رسول الله ﷺ»[11].

وفى صراحة وحسم يقرر الشيخ الخضر أن الأمة الإسلامية هى مصدر السلطات التى فوضت بعضا منها للخليفة والإمام، فلا علاقة لطبيعة سلطاته بتلك التى زعمتها الكهانة والدولة الدينية للأباطرة والملوك الذين جعلوا سلطاتهم مستمدا من الله.. لقد زعموا نيابتهم عن الله.. بينما الخليفة الإسلامى نائب عن الأمة ووكيل عنها.. «ولم نعثر على كلمة - «فى فكر علماء الإسلام» تنبىء - ولو بطريق التلويح.. أن سلطان الخليفة مستمد من سلطان الله، وقصارى ما يستنتج من كلماتهم عنها ومباحثهم فيها أن الله أوجب على الناس إقامة إمام، وأن ولايته تنعقد إما بمبايعة أهل الحل والعقد أو بعهد من الخليفة قبله، وأنه إذا سعى فى السياسة فسادا كان للأمة انتزاع زمام الأمر من يده ووضعه فى يد من هو أشد حزما وأقوم سبيلا..»[12].

فالإسلام يوجب «الدولة الإسلامية» التى تسوس الناس بشريعته، وتحفظ بيضته.. وفى ذات الوقت ينكر مزاعم القائلين بسلطان إلهى لرأس هذه الدولة..

---

(9) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٧٤، ٧٥ من طبعة الأصل].

(10) الباب الثانى من الكتاب الأول [ص ٢٦ من طبعة الأصل].

(11) الباب الأول من الكتاب الأول [ص ١٠ من طبعة الأصل].

(12) الباب الأول من الكتاب الأول [ص ١٤ من طبعة الأصل].



فلا هي «العلمانية» التي تفصل «الدين» عن «الدولة» ولا هي «الكهانة - والدولة الدينية - والحكم بالحق الإلهي - ونيابة الحاكم عن الله»، وإنما هي الدولة «المدنية» الحاكمة والمحكومة بشريعة الإسلام.. وبعبارة الشيخ الخضر: «إن شارع الإسلام يقصد إلى أن يكون للمسلمين دولة ذات صبغة دينية[١٣].. ورياسة غير منفصلة عن الدين.. وإمارة مرتبطة بالدين[١٤].. فالإسلام دين وشريعة وسياسة، وعلى الدولة أن تضع سياستها في صبغة إسلامية[١٥].. لأن الإسلام عقيدة وشريعة ونظام اجتماعي، فهو بالنظر إلى أصول العقائد التي هي باب الإيمان به، إنما يدعى إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، إذ لا يمكن لبشر أن يدخل في قلب بشر عقيدة إلا أن يقرنها بما يثبتها في النفس من برهان أو إقناع. وأما الشرائع والنظم الاجتماعية، فإن التجربة في القديم والحديث، دلت على أنها لا تقوم في أمة ولا يطرد نفاذها إلا أن تكون شدة البأس بجانبها والسيوف من ورائها. فلابد للإسلام من دولة ذات شوكة تقوم على إجراء هذه الشرائع والنظم وتحول بينها وبين قوم لا يبصرون..»[١٦].

وإذا كانت دعوى صاحب «الإسلام وأصول الحكم» أن الرسول ﷺ كان «مبلغا» فقط، لم يكلف «بالتنفيذ» هي دعوى متهافتة لم يقلها قبله قائل، من الشرق أو الغرب، من المسلمين أو من غيرهم، فإن الشيخ الخضر يتحدث عن ولاية الرسول، رافضا أن تقتصر على القلوب دون الأجسام.

وهي دعوى علي عبدالرازق - ويقول: «إن النظر يقضي بأن الولاية على القلوب لا تكفي في صيانة الحقوق وحفظ النفوس والأموال والأعراض، وأنه لابد من ولاية يكون شأنها تنفيذ قوانين المعاملات والعقوبات فيمن يطغى به الهوى أو يتخبطه الغضب وإن كان من المؤمنين. فولاية الرسول ﷺ، كانت على القلوب ثم على الأجسام، وكانت ولاية هداية وتدبير لصالح الحياة، وكانت رياسة دينية وسياسية وكلاهما من عند الله، ولا بعد بين السياسة والدين إلا في نظر قوم لايكادون يفقهون حديثا[١٧]. لقد كان الرسول الأعظم مظهر السلطة التشريعية، ومصدر السلطة التنفيذية، فالحكمة تجرى على لسانه، ودم النفوس الخبيثة يجرى على سنانه، يرسل الموعظة الحسنة تحت مثار النقع، ويبسط القانون العادل وهو يقاتل وحوشا غابها الرماح، ولقد كان في تشريعه الحكيم أو عزمه النافذ عبرة لأولى الألباب[١٨].

---

(١٣) الباب الأول من الكتاب الثالث [ص ٩٧ من طبعة الأصل]

(١٤) الباب الثاني من الكتاب الثالث [ص ٢٣١ من طبعة الأصل]

(١٥) الباب الثالث من الكتاب الثالث [ص ٢٤٤ من طبعة الأصل]

(١٦) الباب الثاني من الكتاب الثاني [ص ١٤٣ من طبعة الأصل]

(١٧) الباب الثالث من الكتاب الثاني [ص ١٦٧، ١٦٨ من طبعة الأصل]

(١٨) الباب الأول من الكتاب الثاني [ص ١١٢ من طبعة الأصل]



## قصة العدد

# إسلام بغيّ (*)

للأستاذ / محمود غنيم

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

- إليّ يا فتى، إليّ يا فتى.

- إليك عني أيتها الفتاة البغي، أين ما ذهبتُ أريده مما تدعينني إليه؟ إنني ذاهب إلى حيث أغسل نفسي من أوضار الوثنية وأدرانها، وأقطع ما بيني وبين الجاهلية من أسباب، إنني ذاهب لأصل حبالي بحبال محمد بن عبد الله.

- رويدك يافتى، إن كنت تعني الإسلام فقد سبقتك إليه، وما دعوتك - يعلم الله - لريبة، فقد قطعت ما بيني وبين الريب، وطهرت نفسي من أدران الوثنية قبل أن تفعل، وخلعت من آثام الجاهلية منذ علقت حبالي بحبال ابن آمنة الزهراء، اذهب إليه - إن شئت - في دار ابن أبي الأرقم بجوار الصفا عن يسارك حيث يختبيء هو وأصحابه الأطهار فيقيمون شعائر دينهم خفية خيفة أشرار قريش.

ولكن الفتى لم يذهب، بل وقف جامداً لا يريم، كأنما سحر في مكانه، ثم قال في همس: أنت يا «فتنة»؟ أنت يا «فتنة» سبقتني إلى الإسلام؟

حدق الفتى «ورقة» في وجه الفتاة فإذا علامات الجد والصراحة، وإذا أمارات الحشمة والوقار، وإذا ما كان يبدو من جسد الفتاة كاسي مستتر، وإذا صوتها المتكسر عميق متزن النبرات نفاذ إلى أعماق القلوب، وإذا الفتاة خلق جديد، لا يتصل حاضره بماضيه بوشيجة من الوشائج، وإذا هي في ثوب الوقار الذي ارتدته أجمل منها في ثوب الخلاعة الذي نضته.

حدق الفتى ورقة في وجه الفتاة، فلم يرعه منها اليوم ما كان يروعه منها بالأمس، لم يرعه

---

(*) مجلة الثقافة ١٩٤١/٦/٢٨.



قدها الممشوق، أو شعرها الأثيث الفاحم، أو عيناها الدعجاوان، لم ترعه مفاتن جسمها التي كانت تنم عنها ثيابها، وإنما راعه بريق يشع من عيني الفتاة، ونور يتألق من جبينها، وروح غريبة تشيع في جسمها، وما كان له عهد بذلك من قبل.

عجباً! أهذه فتنة، أمة «ابن جدعان» التي كانت تتقلب كل يوم بين ذراعين جديدتين، وتستبدل كل ليلة رفيقاً برفيق؟ ما هذه المعجزة التي جعلت من هذا الماخور محراباً، ومن تلك الشقية الداعرة إنسانة لها قدس الملائكة، وطهر القديسات؟

كان الفتى في ربيع حياته، يتدفق دم الشباب حاراً في عروقه، ولكنه كان عزوفاً عن النساء، لا يألف كما يألف غيره من شباب مكة التردد على دور البغايا، وإن دورهن لكثيرة تنبث في أنحاء مكة عن كثب من المسجد الحرام، وإن هذا النوع من تجارة الرقيق الأبيض لنافق في ذلك البلد الأمين أي نفاق ليس في مزاولته عار كبير.

وماذا يرى القوم في هذه التجارة غير أنها منبع من منابع الثروة يستغله كثير من عليتهم؟ أليس من هؤلاء النخاسين «زمعة بن الأسود»؟ أليس منهم «صفوان بن أمية»؟ أليس منهم «العاص بن وائل»؟ . أليس كل هؤلاء، وغير هؤلاء يزاولون تلك التجارة النكراء، فلا يرون فيها. ما يندى له الجبين، أو يدعو العين إلى الإغضاء، أو إلى الإطراق؟

ولكن الفتى ورقة كان يعزف عن ذلك كله، ولم لا يفعل؟ أليس ربيب القديس المتحنث ورقة ابن نوفل؟ ربيب الطاهرة البتول خديجة زوجة الرسول؟ ثم ماذا؟ ثم هو يذكر أن أمه «تماضر» كادت تقع في يوم من الأيام فريسة بين أيدي هؤلاء الطغام، لقد كانت تماضر أمه أمة عبدالله ابن جدعان نفسه صاحب فتنة، عبدالله بن جدعان حامل لواء الدعارة في مكة، والذي تدار باسمه عدة دور للبغاء، والذي لم تمنعه مزاولة هذه المهنة الوضيعة أن يكون من أجواد العرب، له في قريش مكان مرموق، وله في دار ندوتهم صوت مسموع، ذلك هو عبدالله بن جدعان التيمي ابن عم خديجة زوجة الرسول، وابن عم أبي بكر حواري الرسول.

كان الفتى يعزف عن النساء، ويعاف تلك التجارة النكراء كلما ذكر أن أمه كادت تكون إحدى هؤلاء الساقطات، لقد استقدمها ابن جدعان من تخوم الحيان لم تتجاوز أربعة عشر ربيعاً، وأرادها على احتراف البغاء، واعتد لها منزلاً علق عليه الراية البيضاء [1]، واعتد لهذا المنزل ما يثير النشوة في نفوس المترددين عليه من صبوح وغبوق، وما هو إلا أن تصل الفتاة، فيتسامع بها مجان قريش، فيهرع إليها فريق منهم على رأسه أبو سفيان بن حرب، غير أن الفتاة الغريرة لم تأنس بتلك الوجوه الغريبة، ولم ترتح إلى تلك الشوارب المسبلة واللحى المدلاة، وجعلت تتفرس في القوم بعين زائغة، ونفس واجمة، وصدر منقبض، وما هو إلا أن يدنو منها أبو سفيان حتى ترى ـ دون أن تعي ـ يديها

(١) كانت هذه شارة متواضعا عليها تعلق على بيوت الومسات.







تتعاورانه باللطم، وقدميها تحملانها وتسرعان الخطا إلى حيث لا تعلم.

دق باب السيدة خديجة بنت خويلد في الهزيع الأخير من الليل، فابتدره غلامها ميسرة، فإذا تماضر أمة ابن جدعان آبقة من سيدها لاجئة إلى سيدته، وإذا هي في حرز حصين يحول بينها وبين العابثين. أمنت الفتاة على نفسها بعد أن نُقد سيدها ثمنها من مال السيدة الخديجة، ثم تزوجت زواجاً صالحاً أنجبت منه الفتى ورقة بن العقيقة.



قال ورقة لفتنة: حدثيني يا فتنة كيف وجد الإسلام إلى قلبك سبيلا، لقد كنت أظن أن طرازك من النساء آخر من يصيخ إلى دعوة محمد، ويستجيب لندائه.

أما تذكرين يوم كنت تتعرضين لمحمد وأتباعه في الطريق بحركاتك الخليعة تارة، وبضحكاتك الساخرة تارة أخرى؟ أما تذكرين شعرك الداعر، وأناشيدك الفاجرة التي كنت تطلقينها في وجوههم مقدمهم لكل صلاة ومنصرفهم منها؟

قالت الفتاة: أي وأيم الله، أذكر ذلك ولا أنساه، لقد كان يغريني بذلك سفهاء قريش، وعلى رأسهم أبو سفيان وعقبة بن أبي معيط، وأبو الحكم بن هشام، طالما اجتمعوا تحت سقف منزلي هذا وغنيتهم ما لقنوني إياه من هجاء محمد وأصحاب محمد، وكم أطلقت هذا النداء في وجوه القوم، غير أنني وأيم الله ما فهت به في وجه رسول الله، وكم هممت ولم أفعل، لقد كنت أعرض له في طريقه فتتخاذل ساقاي حتى لا تكادا تحملاني، ويجمد لساني حتى لا يكاد يبين، فيمضي هو لطيته، وأنصرف أنا خاسئة أقتلع رجلي من الأرض اقتلاعاً.

وما هو إلا أن تتكرر غدوات الرسول وروحاته علي، حتى يسترعي انتباهي ما يشع في جبينه من النور، وما تنم عنه قسماته من الطهر والقداسة، فجعلت أوازن بين رسول الله وبين أعداء الله الذين يترددون على منزلي، وما كنت أعرف عن الإسلام إلا ما تلتوي به ألسنتهم، وما تلغط به أفواههم، حتى علمت أن محمداً لا يقول بالفحشاء، وأن دينه يحرم البغاء، علمت أنه نصير المرأة، وأن دينه يقرر مصيرها، علمت أنه يمقت الرق وأن دينه يتشوف إلى الحرية وقد كنت برمت بهذا النوع من الحياة الذي أحياه، فجعلت أنظر إلى محمد بغير العين التي أنظر بها إلى تلك الذئاب البشرية. أدركت أنه هو المنقذ الأعظم، وأن خلاصي لن يكون إلا على يديه.

قالت الفتاة: وبينما أنا ذات يوم جالسة أفكر في أمر محمد إذا بالباب يدق، فابتدرته، فإذا عدو الله عقبة بن أبي ربيعة دخل عليّ سادراً في خيلائه، ضاحكاً ملء فيه، فقلت: ما الخبر؟ قال: أصبت ابن أبي قحافة يخطب، فانتضيت نعلي فأدميت بها شفتيه، ثم تركته يزيل ما علق بثيابه من آثار الدماء.

قالت الفتاة: فثار الدم في عروقي حاراً، وسمعتني أهتف بكلام لا أدري أين كان معينه من نفسي، ثم قلت: اخرج يا عدو الله وآليت لأعطرن فضل ردائي بدم الصديق، ولأمسحن عن شفتيه الطاهرتين، ولأعلنن له إسلامي... وقد فعلت.





مضى الفتى ورقة لطيته، وظلت الفتاة واقفة بالباب هنيهة، وإنها لكذلك إذ أحست خفق نعلين وهمس تسبيح يقطعان سكون الطريق، فدارت برأسها نحو مصدر الصوت، فإذا رسول الله يغذ السير كأنما ينحط من منحدر، متفضلاً في ملبسه، عليه ثوب أبيض قصير مشقوق القبة إلى رأس الفؤاد، قصير الذيل حتى لا يكاد ذيله يتجاوز ركبتيه، يتمنطق بحزام من الكتان، وفوق ثوبه رداء واسع مسبل على كتفيه إلى ما فوق عقبيه، وعلى رأسه عمامة كثيرة الألفاف، وشعره مدلى على قذاله، وفي رجله نعل بقبالين.

رأت الفتاة رسول الله فلم تضحك ضحكاتها الساخرة، ولم تنشد أناشيدها الداعرة، بل أكبت على يديه الشريفتين تمطرهما لثماً وتقبيلاً، وصاحت تجدد إسلامها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك يا ابن آمنة رسول الله، ورسول الله يبتسم لها في رقة، ويدعو لها بخير، ولكنه لا يكاد يوليها ظهره حتى تتناثر على سمعه الشريف قذائف من القذف والسباب، وعلى رأسه الطاهر قذائف أخرى من الروث والحصباء، هذا الصوت عدو الله أبي الحكم بن هشام (أبي جهل) ينال من الرسول، وهذه يده الأثيمة تمتد إليه بالسوء. لقد ترسم خطواته، وعدا خلفه حتى أدركه في هذا المكان، ولكن رسول الله ينكب عنه جانبه، فلا يعيره أذناً أو يوجه إليه نظرة، بل يأخذ سمته إلى دار ابن أبي الأرقم بعد أن ينفض أذنيه من ذلك الفحش والبذاء، ورأسه مما علق به من الروث والحصباء.

أية قوة عارمة أثارت الفتاة؟ وأية حرارة أغلت دمها في عروقها؟ وأي جبار شديد المراس تقمص جسم الفتاة اللدن فاندفعت - في غير شعور - إلى طاغية قريش، لا لتنيله مراشفها كما تعود من قبل، بل لتعمل يديها في قذاله صفعاً، وأظفارها في وجهه خمشاً!

سالت دماء طاغية قريش على ثيابه، وارتج على لسانه فلم يحر قولاً، وبهت فلم يستطع عن نفسه دفاعاً، ففر يلتمس النجاة، وانهزم باطله أمام حق الفتاة.

لقد كانت فتنة آخر من يتوقع أن يهاجمه، وآخر من يتوقع أن ينتصر لمحمد، ولعله ما فعل ذلك إلا ابتغاء الزلفى إليها، وإلا إظهاراً لصولته على فتى قريش أمامها، فكيف استباها محمد فأصبحت درعاً تقيه وتصلاً يذب عنه؟ ويح محمد ودعوة محمد! إنها تنفث سحر بابل في النفوس، وتخلف الظنون، وتأتي بما ليس في الحسبان.

فر أبو الحكم من وجه الفتاة، حتى إذا أصبح بنجوة منها وجد لسانه فقال: ويحك يا داعرة! ما كنت أعرف أن لك فيه هوى!

قالت الفتاة: صه يا عدو الله، إنه للطاهر الذيل، العف الإزار، وإن تراب نعليه لأطهر من هامتك، وإنه لسيد أهل الجنة، وإنك لأحقر من في النار.

وهكذا انصرف أبو جهل خاسئاً مدحوراً أمام فتاة لا تجيد امتشاق الحسام أو تسديد السهام. لكنه الحق أنطقها وأخرسه، وأحال ضعفها قوة وقوته ضعفاً وألبس الطاغية العملاق ريش النعام، والفتاة الناعمة لبدة الأسد الضرغام!

انصرف أبو جهل وما زال صدر الفتاة يعلو ويهبط، وعيناها تقدحان الشرر، وإنها لواقفة تلهث من أثر العراك، إذا بها تبصر شبحاً يلوح من بعيد آتياً من جبل أبي قبيس. أمعنت النظر فإذا رجل ربعة، أسود العينين، عريض ما بين المنكبين، تجلله الهيبة والوقار، وقد تقلد سيفاً،





وتوشح قوساً، واستظهر كنانتين، وقد اغبر وجهه من آثار الصيد ومطاردة الوحوش، وما إن تبينته الفتاة حتى صاحت بملء فيها: هذا أسد قريش، هذا حمزة بن عبدالمطلب.

اعترضت الفتاة طريق القادم، وأخذت بعنان فرسه فوقفته، ثم انطلقت تتكلم في حماس، وكأنما كل جارحة من جوارحها فم يفصح، وكل عضلة من عضلات وجهها لسان يبين:

- ويحك يا أبا عمارة! من أين أقبلت؟ وكم أصميت من الأرانب والوعول! إنك لتطارد الوحوش في البرية بسهامك، وابن أخيك هنا غرض تتعاوره السهام، واضيعة النجدة فيكم يا بني هاشم إذا كان بنو مخزوم يسومونكم الضيم والهوان! غضوا أبصاركم، والصقوا معاطسكم بالتراب، ما دمتم خذلتم محمداً فأصبح يطمع فيه من لا يدفع عن نفسه، ويحك يا أبا عمارة لم تمتشق هذا السيف إن لم تدفع عن ابن أخيك؟ هب أنك على غير دينه، ألك نسب غير نسبه؟ ألا يجري في عروقكما دم هاشم بن عبدمناف؟ أكان يرضى أخاك لو كان حياً أن يرى الألسنة البذيئة تتطاول على ابنه بالسفه، والأيدي الذليلة تمتد إليه بالإيذاء؟ وماذا يجديك أن تكون أسد قريش وابن أخيك تتوشه ذئاب الحي وثعالبه؟ إذا كان الأمر يشق عليك فضع وزره عن كاهلك، والتمس السلامة والعافية، وكِلْ عبء الدفاع عن ابن أخيك إليّ، إليّ أنا المرأة الضعيفة، حتى أنضح عنه، وأذود عنه الأذى كما فعلت اليوم مع أبي الحكم بن هشام.

أو تدري ما فعل أبو الحكم بن هشام؟

انطلق حمزة يهدر كالبعير، وصدره يغلي غليان المرجل، وما أجج الحماس في صدور الرجال مثل كلام النساء.

انطلق حمزة: إلى الكعبة، لا ليطوف بها كعادته مقدمه من كل سفر، بل ليثأر لابن أخيه من أبي الحكم بن هشام، حيث كان جالساً هناك مع فتية من بني مخزوم، يقص عليهم حديثه من محمد وهم يضحكون ويطربون.

قال قائل منهم: هذا أبو عمارة قد أقبل، وإن في عينيه لشراً، أتراه غضب لابن أخيه؟

قال أبو الحكم: دعوه فإنه ينقم عليه، وإنه على غير دينه.

قال حمزة: كذبت يا عدو الله، بل أنا على دين محمد منذ اليوم، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وإن ابن أخي محمداً رسول الله، ثم انحى على أبي جهل بقوسه فشج بها رأسه شجة منكرة أسالت منه الدماء.

استخذى أبو جهل أمام أسد قريش، واستخذى فتيان بني مخزوم بادئ الأمر، حتى إذا رأوا دماءه وتثور الفتنة لولا إشارة من أبي جهل حسمت النزاع. تلطخ ثيابه، هم بعضهم بامتشاق الحسام، وكان يتفاقم الخطب.

وما أصبح الصباح حتى كان إسلام حمزة حديث أندية القوم، تردد صداه بطحاء مكة، وتصبه الأفواه في الآذان، فيتقاعس كفار قريش، ويشتد أزر المسلمين وتدخل دعوة الإسلام في دور جديد[٢].

---

(٢)مصادر المقال: بعض كتب السيرة وبعض كتب التفسير، وباب القمر لإبراهيم رمزي، وحياة محمد لهيكل باشا، ومحمد، لتوفيق الحكيم.



﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

التوبة (٤١)

## من قادة الفتوحات الإسلامية

# عدى بن حاتم الطائى

٢

إعداد الأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين

**وكما أفرزت حروب الردة قادة مبرزين أمثال، خالد بن الوليد، والقعقاع بن عمرو، وعاصم بن عمرو، وجرير بن عبد الله، والمثنى بن حارثة، أفرزت كذلك عدى بن حاتم الطائى، قائدا مقداما أعاد بنى طىء إلى صوابهم، وحفظهم للإسلام ذخرا، ومضى بهم مجاهدا فى سبيل الله، بعد أن عقد له خالد بن الوليد لواءهم.**

وكان مستقربا من خالد بن الوليد، وهو القائد المحنك أن يجعل عدى بن حاتم من كبار قادة جيشه فى عملياته العسكرية بالعراق، فعلى ميمنة الجيش كان عاصم بن عمرو التميمى، وعلى المقدمة كان المثنى بن حارثة الشيبانى، وفى القلب بجوار خالد كان القعقاع ابن عمرو التميمى، فى حين كان عدى بن حاتم الطائى قائدا لميسرة الجيش فى سائر العمليات العسكرية بالعراق.

فعدى حتى ذلك التاريخ لم يكن صاحب إنجاز عسكرى يذكر، ولكن خالدا أعجب بأسلوبه الذى يميل إلى تجنب سفك دماء



المسلمين والحفاظ على وحدتهم وقوتهم والعمل بقول الله ـ عز وجل ـ:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾(1).

فهو نموذج للقائد الداعية الذى يجب أن يكون فى مقدمة الصفوف، ومن هنا كان سر إعجاب خالد به

وخالد كان مدرسة فى فن الحرب، حرص على أن ينقل فنه وعلمه وتجربته إلى تلاميذه وكان يسره أن يراهم يتخرجون في مدرسته الحربية فرشحهم للقيادة، ومنحهم ثقته وأتاح لهم الفرصة ليثبتوا حسن رأيه فيهم، ومن هؤلاء كان عدى بن حاتم الطائى، الذى وإن كان من المبرزين المشهورين كزعماء فى أقوامهم ولكنهم لم يشتهروا كقادة حرب حتى أظهرهم أولا تمكن الإسلام فى نفوسهم، وخبرة معلم عسكرى من طراز فريد مثل خالد بن الوليد ثانيا.

ولم يخيب عدى بن حاتم الطائى ظن خالد بن الوليد فيه فى كل المعارك التى خاضها بجواره على مدار عام كامل فى عملياته بالعراق اعتبارا من المحرم عام «١٢» للهجرة، وحتى ١٥ من ذى القعدة للعام نفسه، ففى هذه الفترة كان عدى هو البطل المبرز فى كل ما خاضه خالد من حروب فى ذات السلاسل، والمذار، والولجة، وأليس، وامغيشيا، والمقر، والحيرة، والأنبار، وعين التمر، ودومة الجندل، وحصيد، والخنافس، والمصيخ، والثنى، والزميل، والفراض؟ ففى معركة المذار مثلا والتى وقعت فى غرة صفر أبلى عدى بن حاتم البلاء كله عندما تمكن من قتل أحد أبرز قادة جيش الإمبراطورية الفارسية «قباذ» قائد ميمنة الفرس(2).

وعندما يقرر الخليفة الصديق أن الشام أصبح فى حاجة إلى جهود خالد بن الوليد كتب إليه ..« .. أن سر بنصف الناس حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك،.. واستخلف على العراق المثنى بن حارثة فى النصف الباقى»(3) وشرع خالد فى تنفيذ تعليمات الخليفة ولكنه اصطفى لنفسه الرجال المبرزين وكان عدى بن حاتم فى طليعة من تمسك بهم خالد مما أثار حفيظة المثنى فتنازل له خالد عن بعض رجاله ولكنه أبى إلا أن يصحب عديا معه إلى الشام.

وفى الشام أبدى عديا من ضروب الشجاعة والبسالة ما كان مضرب الأمثال، فى كل

---

(1) النحل ١٢٥.

(2) الطبرى، أحداث عام ١٢ هـ.

(3) الطبرى، أحداث عام ١٢ هـ.






الوقائع التي خاضها تحت إمرة خالد بن الوليد.

غير أن الوضع في العراق أصبح سيئا إذ بعد رحيل خالد ورجاله تحرج موقف المثنى في العراق في مواجهة الفرس الذين ألقوا بقضهم وقضيضهم لاستعادة العراق، فكتب المثنى إلى الخليفة عمر بن الخطاب بالمدينة المنورة يسأله المدد، وبذل الخليفة كل ما استطاع من جهد في حشد الناس لنجدة المثنى، وقال قولته المشهورة: «والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب»[٤].

ويذهب عدى بن حاتم إلى الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ محملا بالغنائم من حروب الشام، وكان أمير المؤمنين مهموما يفكر في المثنى ورجاله بالعراق.

فلما قدم عدى على أمير المؤمنين كأنه رأى منه شيئا أو جفاء فقال: «يا أمير المؤمنين.. ما أظنك تعرفني» فقال عمر: «كيف لا أعرفك! أكرمك الله بأحسن المعرفة، وأول صدقة بيضت وجه أصحاب رسول الله ﷺ صدقة طيء، أعرفك والله، آمنت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا» فقال عدى: «حسبي يا أمير المؤمنين حسبي»[٥].

وينظر أمير المؤمنين إلى عدى بن حاتم ويكرر مقولته: «والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب»، وكان عدى في طليعة من وقع اختيار الخليفة عمر بن الخطاب عليهم ليغيث بهم المثنى.

وينضوى عدى بن حاتم مع قومه من بني طيء تحت لواء جرير بن عبدالله البجلي الذي بلغ العراق فانضم إليه المثنى، وعند «دير هند»[٦] كان اللقاء في مواجهة جحافل الفرس، وأبلى عدى بن حاتم في هذا اللقاء البلاء كله بعد أن تضعضعت صفوف جيش المسلمين في مواجهة فيلة الفرس، وثبت القادة العظام جرير، والمثنى، وعدى يجوبون صفوف المسلمين يحرضونهم على القتال، وصاح عدى يحض أهل الميسرة بقوله: «قاتلوهم التماس إحدى الحسنيين. ولا يكونن أحد أسرع إلى هذا العدو منكم» ومثله فعل جرير والمثنى.

فتداعى المسلمون وتحاضوا وثاب من كان انهزم، ووقف الناس تحت راياتهم ثم زحفوا

---

(٤) الطبري، أحداث عام ١٢ هـ.

(٥) إسناده صحيح، ورواه أحمد (١/٤٥)، ومسلم (٤/١٩٥٧)، والبخاري (٨/١٠٢)، وابن الأثير في أسد الغابة (٣/٣٩٢)، وابن عبدالبر في الاستيعاب (٣/١٤٢).

(٦) مكان قرب الحيرة بنته أم عمرو بن هند، على طريق النجف ويسمى (دير هند الكبرى)، وفي الحيرة كذلك (دير هند الصغرى) وبنته هند بنت النعمان بن المنذر (الأخبار الطوال) ص١١٤.





فحمل المسلمون على العجم حملة صدقوا الله فيها فأحرزوا النصر المبين وولى الفرس الأدبار منهزمين.

ولكن الفرس أعادوا تنظيم جموعهم من جديد فأرسل الخليفة جيشا جديدا بقيادة سعد ابن أبي وقاص، وجعله قائدا على فتوحات العراق، وفارس[7].

ومع سعد بن أبي وقاص شهد عدي بن حاتم الطائي مجد الإسلام ليس كشاهد عليه فقط بل وصانع له - بإذن الله - اندحرت جيوش الفرس في القادسية، وسقطت الحيرة والمدائن، ووقف عدي أمام إيوان كسرى وكان أول من بلغه من المسلمين. وقف عدي يتذكر قول رسول الله ﷺ: «ليوشكن أن تسمع بالظعينة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت «مكة» لا تخاف. ولتفتحن علينا كنوز كسرى بن هرمز.. وليفيضن المال حتى يهم الرجل من يقبل صدقته»[8].

وقف عدي أمام إيوان كسرى تخنق العبرات كلماته الفرحة بنصر الله وتأييده وصدق وعد رسوله ووقف عدي يقول: «رأيت اثنتين: الظعينة، وكنت في أول خيل أغارت على كنوز كسرى، وأحلف بالله لتجيئن الثالثة»[9] وتنساب الدموع غزيرة من عيني عدي، وهو يسمع سعد بن أبي وقاص وهو يكبر ويتلو قول الله - عز وجل - :

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾[10].

ومضى عدي بن حاتم الطائي مجاهدا في سبيل الله لا يبغي إلا وجهه ورضوانه.

ومما يحكى عن عدي بن حاتم الطائي أنه لما سكن الكوفة أرسل إليه الأشعث بن قيس يستعير منه قدور حاتم الطائي، فملأها له عدي، وحملها الرجال إليه، فأرسل إليه الأشعث بن قيس: «إنما أردناها فارغة!» فأرسل إليه عدي: «إنا لا نعيرها فارغة»[11].

وكان رضي الله عنه يفت الخبز للنمل ويقول: «إنهن جارات ولهن حق»[12].

وقيل إنه توفي وقد ناهز المائة وعشرين عاما. رضي الله عنه وأرضاه.

---

(٧) الأخبار الطوال ص ١١٤، ١١٥.

(٨) ابن هشام (٤/٢١٢).

(٩) ابن عبدالبر، الاستيعاب (٣/١٤٢)، أسد الغابة (٣/٣٩٣).

(١٠) سورة الدخان، آية (٢٥): (٢٩).

(١١) ابن عبدالبر، الاستيعاب (٣/١٤٢) أسد الغابة (٣/٣٩٣).

(١٢) ابن عبدالبر، الاستيعاب (٣/١٤٢) أسد الغابة (٣/٣٩٣).



# الشهيد

للأستاذ الدكتور/ صابر عبد الدايم (*)

إلى الشهيد الطفل محمد الدرة

وإلى كل شهيد عطر بدمه الطهور أرض الإسراء والمعراج

صعودا.. إلى سدرة المنتهى

فإن السلام السراب... انتهى!!

دماؤك طوفان عزم ومد      وملحمة الثأر أشعلتها

وكفاك للشمس مرفوعتان      وراياتك الخضر أعليتها

وأشعلت فينا ... فتيل الجهاد      وكل المخاوف بددتها

دم القدس يجري ... بأصلابنا      ومن دمك الحر رويتها

وما قتلوك ... وما صلبوك      وإن الأمانة ... ما خنتها

رفعت الجهاد ... لنا راية      بوشم فلسطين شكلتها

نقشت عليها حروف الكفاح      وعمرك ... ملحمة صغتها

(*) وكيل كلية اللغة العربية بالزقازيق








صعودا .. إلى سدرة المنتهى
فإن السلام السراب ... انتهى !!

وصهيون يسرق تاريخنا ... ويقتل فينا رؤى عشقها
نهرول ... نعدو ... إلى غاصبٍ ... يرانا دُمىً ... أدمنت صمتها
وتصهل خيلُ الحدود ضحىً ... ولكنهم ... مزقوا صوتها
بمرج الزهور ... دماء العصور ... تفور ... وترشقهم مقتها
فلسطين قصة أمجادنا ... ولكنهم أعلنوا موتها
فياليت كانت ... ويا ليت كنا ... وهل تنفع الآن ... يا ليتها ؟
دفنا تواريخنا جهرة ... ومن دمك الحر أحييتها
وما قتلوك ... وما صلبوك ... وإن القضية ... ما خُنْتَها
فهل تطلق الآن أسرارها ؟ ... وكل السراديب فتشتها !!!
وهل تجمع الآن أشلاءها ؟ ... وكل الملفات فجرتها !!!



رفضت زمان الهزيمة فابـ ... ـدأ حياتك ... إذ أنت حررتها

وعش في صدور الألى ... يرفضون ... حياة الهوان التي عفتها

وعش في الحقول جذور إباء ... بأرض القداسات ألفيتها

وسر في الشرايين ... نهر حياة ... من التيه والوهم ... أيقظتها

وفي الأفق ... ألمح أنشودةً ... وكم أنت للقدس غنيتها

«أخي جاوز الظالمون المدى»[1] ... وإن السلام الذبيح انتهى!

فأطلق خيولك من أسرها ... وأنقذ مرابع ... شيدتها

«وجرِّد حسامك من غمده» ... لتُحْيِيَ أرضًا ... محوا سمتها

إليها «محمد» أسرى ... ومنها ... عروجا ... إلى سدرة المنتهى

وبورك فيها ... وما حولها ... وسراقها ... شوهوا ذاتها!!

«وجاسوا خلال الديار بيأس» ... وهم يعلنون .. لنا موتها

أتتركهم يغصبون السلام ... وأرضا ... يعدون تابوتها؟!

فقم يا شهيد السلام ... وأسرج ... خيولا ... إلى القدس وجِّهتها!

تغير صباحا ... وتعدو ضباحا ... وأنت إلى الفتح ... قد قُدتها

فما قتلوك ... وما صلبوك ... وإن القضية ... ما خُنتها

فعش في الحقول جذور إباء ... بأرض القداسات ألفيتها

وسر في الشرايين نهر حياة ... من التيه والوهم أيقظتها

دم القدس يجري بأصلابنا ... ومن دمك الحر روَّيتها

---

(1) من قصيدة أنشودة فلسطين للشاعر - علي محمود طه



# الصهيونية وأرض الميعاد

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد




خطة الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م

من المعلوم أن الصهيونية هى حركة سياسية وجدت تربة مناسبة لنموها فى «الجيتوات» حيث يعيش اليهود فى عزلة فى بلاد الشتات. وقد رفضت الاندماج اليهودى فى المحيط الإنسانى الذى ولد فيه اليهود، ونشأوا به بهدف لم شمل الراغبين منهم فى الهجرة فى أرض الميعاد. ويزعم الصهيونيون السياسيون أن المسألة اليهودية هى مشكلة الفائض السكانى اليهودى غير القادر على الاندماج فى دول الشتات. ولا يمكن حل هذه المسألة اليهودية إلا بأن يصبح اليهود شعبا مثل كل الشعوب. ولن يتيسر ذلك إلا بتهجير اليهود إلى فلسطين ليعيشوا فى وطن يهودى تحكمه دولة صهيونية ولقد ظهرت أول دعوة إلى القومية اليهودية أو الصهيونية السياسية فى عام ١٨٣٤ عندما أفتى الحاخام «يهودا ألكلاى» بإقامة مستوطنة يهودية فى فلسطين. فقد أصدر كتيبا فى نفس العام بعنوان «اسمعوا يا بنى إسرائيل» قال فيه: «إن التمهيد الضرورى للخلاص والعودة يتمثل فى إقامة مستوطنات يهودية على أرض فلسطين».


هرتزل


بلفور


روزفلت

إن فكرة القومية اليهودية أو الصهيونية السياسية كانت فى ذلك الوقت فكرة طارئة تماما على التاريخ اليهودى، ولم يكن لها أى مقومات قبل عصر نهضة القوميات فى أوربا، ولكنها أرادت أن تركب الموجة العامة لنهوض القوميات، إلا أن الصهيونية كانت مختلفة تماما عن الدعوات القومية. فالقوميات التى ظهرت فى تلك الفترة كانت تناضل من أجل السيادة السياسية فوق أرض صلبة تقف عليها بالفعل، ولها لغة خاصة بها تتحدثها بالفعل، أما الصهيونية فعند قيامها، كانت بلا أرض، وبلا لغة خاصة تتكلم بها. ولأنها بلا أرض فقد شغل فكرها منذ البداية فكرة الاستيطان، أو إقامة المستوطنات فى أرض غير أوروبية وهى أرض فلسطين، وعلى الرغم من علمانية الصهيونية السياسية، فقد رأى الصهيونيون السياسيون أنها ستضرب بسهم وافر فى إحكام قبضة القيم الدينية على الوجدان اليهودى، فشعارها «أرض إسرائيل لشعب إسرائيل حسب شريعة (توراة) إسرائيل» ومن رواد الصهيونية السياسية نذكر الحاخام «كاليشر» والحاخام الروسى الصهيونى «صمويل موهيلفر»، والكاتب الروسى الصهيونى «جاكوب كلاتزكين»، و«نوردو» وفكرة العودة إلى فلسطين هى الفكرة المحورية للحركة الصهيونية، وقد ظل حلم العودة إلى أرض الميعاد يراود اليهود فى المنفى، وتحطمت على صخرته حركة التنوير، أو حركة اندماج اليهود فى المجتمعات الأخرى التى يعيشون فيها، وصارت الصهيونية ردا جذريا ضد حركة التنوير «الهسكلاة»(١).

ولقد قدمت الصهيونية نفسها باعتبارها الحل الأمثل «للمسألة اليهودية»، والمنقذ من اضطهاد يهود العالم، فالاضطهاد الذى كان يتعرض له اليهود فى المجتمعات الأوروبية لم يواجه، من قبل اليهود، بالتمرد عليه، بل بإخلاء هذه المجتمعات منهم بتهجيرهم

(١) حسن محمد مى، رؤية دينية للدولة الإسرائيلية صـ ١٤.

خارج أوربا، لأن الحل يتمثل في خلق « جيتو » أكبر، وأشد عزلة يسمى « الدولة اليهودية »[٢]. ولا ينتهي تاريخ الصهيونية بإقامة « دولة يهودية » في أرض الميعاد، فمنذ أيام هرتزل « مؤسس الصهيونية السياسية » تعتبر إقامة هذه الدولة في فلسطين أحد المطالب الصريحة أو الضمنية للحركة الصهيونية، فبسبب اضطهاد اليهود في أوربا أصبحت الدولة اليهودية المستقلة أحد الشروط الضرورية لبلوغ الهدف الثاني للصهيونية، وهو تجميع يهود الشتات في أرض الميعاد، ولذلك لم يجر حل جميع المؤسسات الصهيونية الرئيسية عقب قيام « دولة إسرائيل »، وبات ينظر إليها في علاقتها بشعار العودة لكل يهود العالم إلى « أرض الميعاد »، وبذلك استمرت المنظمة اليهودية العالمية، والوكالة اليهودية، والصندوق القومي اليهودي في أداء مهام حيوية داخل إسرائيل ليس بوصفها « دولة في طور التكوين » بل كتعبير، وأداة للأيديولوجية الصهيونية فيما يتصل بالدولة.[٣] وهذا يؤكد ديمومة الصهيونية في أداء دورها الحيوي في حشد المزيد من يهود العالم داخل الكيان الصهيوني الذي صنعته الصهيونية بيدها لزيادة الكثافة اليهودية لتعزيز الصلة بين الحركة الصهيونية أرض الميعاد المدعى بها زورا وبطلانا.

وقد أصدرت الدولة الصهيونية العديد من القوانين، وأقامت الكثير من الهيئات المختلفة لترجمة مفهوم الشعب اليهودي إلى واقع قائم وملموس، وجاء قانون العودة مانحا يهود العالم الحق في مغادرة مسقط رأسهم في بلاد الشتات، والعودة إلى أرض الميعاد، بينما تقوم المنظمة الصهيونية العالمية على دعم الوحدة اليهودية بين يهود الشتات ويهود إسرائيل، دونما أي مراعاة للحدود الوطنية لدول الشتات، وجاء ميثاق هذه المنظمة ليحدد مهامها في : « لم شمل المنفيين اليهود في أرض إسرائيل التاريخية، ودعم وحدة الشعب اليهودي »[٤].

وعن الصهيونيين البارزين الذين كان لهم دور حيوي في تاريخ الصهيونية وأسهموا في إرساء فكرها يتحدث « الفريد ليلنتال » في كتابه « ماذا تساوي إسرائيل » فيقول : « إن دعاة الصهيونية الأوائل كانوا ثلاثة : هم « موسى هيس » الذي بادر بتقديم أول عرض للصهيونية في كتابه « روما والقدس » عام ١٨٦٢، وبعد ذلك بعشرين عاما أصدر المفكر الثاني للصهيونية « ليوبنسكر » كتابه : « التحرر الذاتي » الذي رأى فيه أن اليهود يشكلون عنصرا فريدا يصعب اندماجه وذوبانه في مجتمعات الشتات التي يعيشون فيها »[٥]. ويأتي المفكر الصهيوني الثالث « هرتزل » « أبو الصهيونية السياسية » ليقدم كتابه : « الدولة اليهودية » الذي دعا فيه إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وبذلك حلت حركة سياسية هي الصهيونية محل المسيح المنتظر في إعادة اليهود إلى أرض الميعاد. وقد أكد « ناحوم سوكولوف » في كتابه « تاريخ الصهيونية » عام ١٩١٩ أن « الدولة اليهودية » لم تكن في برنامج الصهيونية، بل إن اللورد « بلفور » نفسه

---

(٢) سالكسندر شوكش، وآخرون، الفلسطينيون عبر الخط الأخضر صـ ١٣، ١٤.

(٣) نفس المرجع السابق صـ ٤٩، ٥٠.

(٤) عبدالوهاب محمد المسيري، الأيديولوجية الصهيونية، عالم المعرفة، عدد يونيو/ يوليو ١٩٨٨، صـ ١٨٨.

(٥) سامي محمد عبدالحميد، القدس في اليهودية والمسيحية والإسلام صـ ١٨.

الذى أصدر وعده المشهور فى الثانى من نوفمبر عام ١٩١٧، فسر عبارة «وطن قومى» التى وردت ضمن نص الوعد بأنها مركز روحى ثقافى، لهذا فقد كان المفهوم هو أن تكون فلسطين ملاذاً لحماية اليهود المضطهدين، لا أن تكون دولة يهودية يسيطر فيها شعب على شعب آخر[6]. لكن الصهيونية استغلت مأساة اليهود فى بلاد الشتات لإنشاء دولة يهودية، رغم أن اليهود لم يكونوا وحدهم ضحايا الاضطهاد حيث نشأت مشكلة النازحين فى نهاية الحرب العالمية الثانية، وقد نزحوا من دول شتى مثل النمسا، والمانيا، وبولندا، والمجر، ورومانيا، ودول البلطيق، وكانوا من أتباع ديانات شتى حيث كان بينهم كما يقول ليلنتال: «نحو ٥٠٠ ألف كاثوليكى، و١٠٠ ألف بروتستانتى، و٢٢٦ ألف يهودى وكان الرئيس الأمريكى «روزفلت» يرى ضرورة إسهام كل دول العالم الحر فى استيعاب اللاجئين، لكن الوكالة اليهودية رفضت هذا الاقتراح لأنه لا يتفق مع حق اليهود فى الهجرة وإنشاء الدولة[7] وعن الوعد الإلهى الذى يتمسك به اليهود كسند لهم يرتكزون إليه لإقامة دولة لهم فى فلسطين، يأتى يهودى لامع يعرفه يهود اليوم هو الكاتب «يهو شواع» ليكتب عن الوعد الإلهى فيقول: «إن فكرة الوعد الإلهى بامتلاك فلسطين، فكرة لا يقبلها المنطق السليم إذ أنه من الغريب أن العلمانيين يستندون إلى هذا الوعد رغم عدم تطبيقهم تعاليم التوراة، وكأنهم يختارون ما يحلو لهم من هذه التعاليم، مع أن المبرر الدينى يفرض على من يستندون إليه أن يطبقوا الدين فى كل شىء، وفوق ذلك فإن الوعد الإلهى بأرض الميعاد المشار إليه فى التوراة لا يمكن أن يلزم إلا المؤمنين بالتوراة وليس له معنى أخلاقى عند أتباع الأديان الأخرى، كما أن الاستناد إلى الوعد الإلهى لتأسيس الحق فى الأرض قد يكون له معنى عند الرجل المتدين لكنه يخلو من أى قيمة أخلاقية بالنسبة لليهودى غير المتدين، وليست له أى قيمة من باب أولى عند غير اليهود»[8]. ويكفينا فى مجال الحديث عن الوعد الإلهى بامتلاك اليهود لفلسطين ما قاله بصراحة أحد كبار معسكر الحمائم فى إسرائيل وهو من الكتاب اليهود البارزين وهو «يهو شواع» الذى أكد فيما سبق رفضه للوعد الإلهى بعد أن فنده من جميع الجوانب وأشار إلى أنه لا يعنى العرب من غير اليهود، وغير ملزم لهم، ولا يرتب أى حق لليهود فى فلسطين.

وعن الدولة اليهودية التى تحكمها الشريعة والتوراة يمكن تقسيم القوى الدينية إلى ثلاثة تيارات وفقاً لموقفها من الصهيونية: —

**التيار الأول**: هو التيار الذى تمثله الأحزاب الصهيونية الدينية، إذ تتعايش أحزاب هذا التيار تماماً فى إطار «دولة علمانية» تحكمها عقيدة علمانية هى الصهيونية القائمة على التوراة والشعب وأرض الميعاد «صهيون».

**التيار الثانى**: هو التيار الحريدى «الدينى المتحفظ» الذى يمثله الأحزاب الرافضة للصهيونية كعقيدة، ويؤمن أتباعه بأن الصهاينة قد تحدوا الرب بإقامة دولة إسرائيل لأن قدوم المسيح هو وحده الذى يمكن أن يقودهم إلى أرض الميعاد.

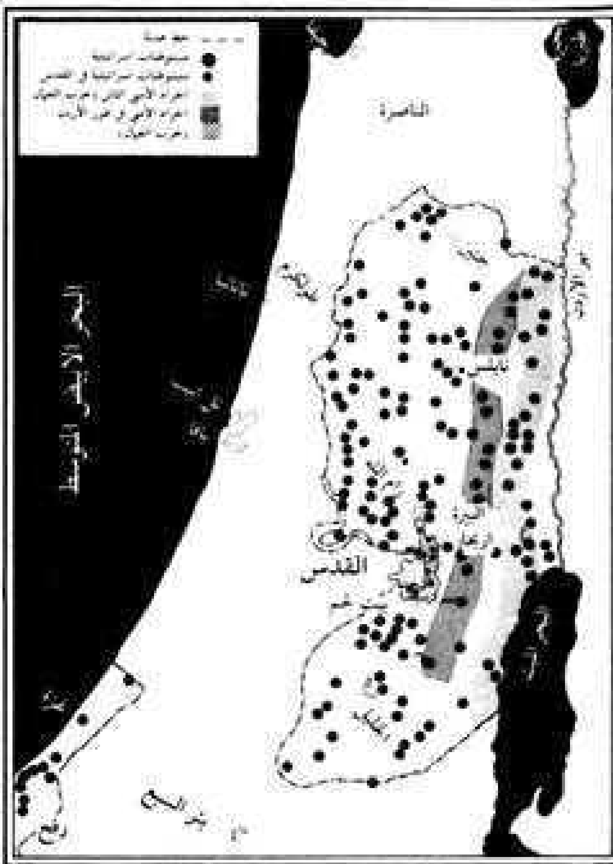
**التيار الثالث**: هو التيار الحريرى «الدينى المتعصب» المعادى للصهيونية، وأتباعه يرفضون

---

(٦) نفس المرجع السابق صـ ٢٢.

(٧) نفس المرجع السابق صـ ٢٢.

(٨) القدس فى اليهودية والمسيحية والإسلام، مرجع سابق صـ ٢٨.

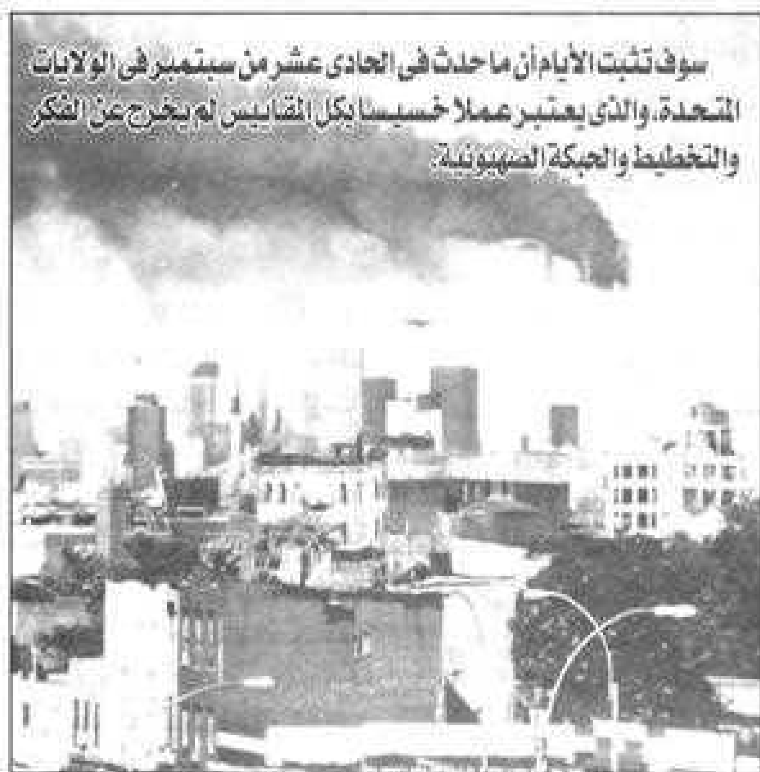



**المستوطنات الإسرائيلية والأحزمة الأمنية في الضفة الغربية وقطاع غزة**

الاعتراف بوجود دولة إسرائيل، وأن العودة إلى صهيون «أرض الميعاد» لا يمكن أن يتحقق إلا بمجيء المسيح في آخر الزمان. وبذلك يتبين أن معظم التيارات الدينية في إسرائيل الآن ترفض الصهيونية كعقيدة سياسية ولا تعترف بوجود دولة إسرائيل لأنها من صنع البشر، ولم تنشأ بأمر إلهي على يد المسيح، من المنظور اليهودي، لذلك تمثل هذه التيارات الدينية المناوئة لدولة إسرائيل عقبة أمام الحزب الحاكم فيها، ودائما تحاول مثل هذه الأحزاب الحاكمة أن تخطب ودها لاحتوائها. وما يقال عن علاقة يهود الشتات بدولة أرض الميعاد (إسرائيل) وعلاقتهم بأوطان الشتات الذي يعيشون فيها نجد هنا «أن الشتات يعود إلى الصبغة الصهيونية الثقافية التي تنظر إلى إسرائيل بوصفها المركز الثقافي الروحي لليهودية الذي تعيش فيه الروح اليهودية خالصة، ولذلك تستخدم صهيونية الشتات مقياسين: الأول للحياة العلمانية العادية في المنفى، والثاني للحياة المقدسة في أرض الميعاد، لذلك نجد كثيرا من اليهود الأمريكيين الذين يعيشون في بلد علماني ويدافعون عن فصل الدين عن الدولة يستنكرون - في الوقت ذاته - الحياة العلمانية في إسرائيل، والطابع غير اليهودي للدولة الصهيونية» أي أن صهيونية الشتات تأخذ شكلين أساسيين هما الضغط السياسي من أجل تشجيع الهجرة اليهودية إلى الكيان الصهيوني، وجمع الأموال لهذا التجمع الصهيوني بحيث لا يمتد ليشمل الاستيطان ويشير الكاتب اليهودي «يهوشواع» إلى طبيعة هذه العلاقة فيقول: «إن الشعب اليهودي لم يخلق في فلسطين، وأن العلاقة المادية والأولية بين الشعب ووطنه ليست علاقة طبيعية، ومن هنا فإن الشتات اليهودي، كبوتقة صهر لليهود تسللت إلى أعماق الوجود اليهودي وأكثر من ذلك لقد أعطيت التوراة لهذا الشعب في الصحراء في منطقة وسط بين الشتات وفلسطين» وهذا القول الذي جاء على لسان يهودي بارز يؤكد أن فلسطين ليست وطن اليهود وأن بلاد الشتات «المنفى» هي وطنهم الأم.

# الإرهاب الصهيوني في الأدب العبري

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق



لقد استطاع الإعلام الصهيونى وطوال حقبة زمنية طويلة أن يزرع بذور كراهية الإسلام والمسلمين فى ربوع أمريكا وأوروبا، مستخدما كل الوسائل المتاحة من فكر وأدب وصحافة، وجميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ومسخراً صفوة عقوله المتخصصة فى تشكيل الرأى العام ومنهم (صموئيل هنيتجتون) الأستاذ الجامعى وصاحب نظرية (صدام الحضارات) وحدد أولوية الصدام بين الغرب والإسلام، وأن الإسلام هو عدو للغرب بديلا عن الشيوعية.

والسؤال المطروح فى الشارع الإسلامى: هل حان الوقت لوضع هذه النظرية موضع التطبيق؟ وهل إحراق بعض المساجد فى أوروبا وغيرها والضغط على العرب هو تمهيد لتطبيق هذه النظرية فى المسلسل الأمريكى (ضد الإرهاب) الذى عرضت أولى حلقاته يوم الأحد الموافق ٧/ ١٠/ ٢٠٠١؟

وإذا كان الأدب هو مرآة الشعوب، ونتيجة لازدياد الثقة بالوثيقة الأدبية وجدارتها، فقد اتجهت مجموعات من الباحثين فى أوضاع المجتمعات الحديثة والمعاصرة إلى الاعتماد على الظاهرة الأدبية فى الكشف عن مختلف الأوضاع فى هذه المجتمعات.

فقد هاجر الأدباء اليهود إلى فلسطين منذ أواخر القرن التاسع عشر مع بدء الهجمات اليهودية الحديثة. وكان من الطبيعى أن يتناولوا هذا العالم الجديد فى أعمالهم وقد احتلت شخصية العربى مكانة بارزة فى القصص العبرية التى تدور حول حياة اليهود فى فلسطين منذ بداية القرن.

وقد تناول عديد من الأدباء الإشكناز والسفارد الشخصية العربية فى كتاباتهم لكن الأديب «موشيه سميلانسكى» قد انفرد بين هؤلاء بالتركيز على تناول عالم الإنسان العربى فى مجموعة من قصصه أوردها بالكامل للحديث عن هذا الإنسان العربى.

وقد أطلق أحد المفكرين الصهاينة مع مطلع الحركة الصهيونية مقولة: الأرض الفراغ. فقد قال (زينجويل): «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»

وعندما اكتشف العالم أجمع زيف هذه المقولة، خرجت علينا وسائل الإعلام الصهيونية بمقولة جديدة هى مقولة «الحقل المهجور» وهى مقولة الهدف منها تحقير العربى، ورسم صورة متدنية لشخصيته تصل إلى نزع الصفات الإنسانية عنه لتسهيل القضاء عليه، لأن الحقل المهجور ملىء بالأشواك والنباتات البرية والوحوش والأفاعى والحشرات السامة، والمهمة المطروحة على صاحب الحقل «العائد» هى مهمة شاقة تتطلب منه تطهير الحقل، وقد وجه الأدباء المادة الخصبة فيما أسموه «الحقل المهجور»، وظهر العربى فى الأدب العبرى الحديث يحمل صفات التخلف والمكر والخداع والخبث والغدر والجبن مشفوعة بملامح وبصفات الحيوانات. وأصبحت هذه هى الصورة المزيفة للشعب الفلسطينى والعرب عموما، كى يصبح فريسة سهلة للإرهاب فى العقل الصهيونى والغربى، باعتباره العدو اللدود الذى تصدى لأهدافهم الإمبريالية، بالإضافة إلى أنه يمثل صورة غير اليهودى فى جميع أنحاء العالم وباختصار وظفت الإمبريالية الصهيونية الأدب العبرى لخدمة هدفها الأساسى



وهو الاستيلاء على الأرض وإقامة الدولة وإبادة الشعب الفلسطيني، ونحن إذ نتصدى لهذا الموضوع ليس باعتباره سجلا صادقا يعبر عن العرب ولكنه كشف لأبعاد العقلية اليهودية في تناولها للشخصية العربية، وسأحاول إلقاء الضوء على بعض النماذج الأدبية التي كتبها كبار أدباء اليهود، كي يكون القارئ العربي على دراية بما يحيكه له أدباء اليهود.

وكما سبق أن أشرت أن جميع الأعمال الأدبية العبرية مترجمة لجميع لغات العالم الحية، في محاولة منهم لغسل العقول، وإضفاء الشرعية على الأعمال الإجرامية التي يقومون بها، والمسلسل الدموي حلقاته قديمة، نفس القصة، ونفس الموضوع مع تغيير في الشخصيات والفرح.

وقد يتعاطف البطل اليهودي في أحيان قليلة مع العرب، ولكنه في النهاية مغلوب على أمره، ينفذ أوامر المؤسسة العسكرية الصهيونية كما حدث في رواية (خربة خزعة ١٩٤٩) للأديب «يزهار سميلانسكي» وهو أول أديب صهيوني يولد في فلسطين.

والقصة ذات حبكة بسيطة جدا، تدور حول مجموعة من الجنود الإسرائيليين صدرت إليهم الأوامر باحتلال قرية عربية أثناء حرب ١٩٤٨ وإجلاء سكانها عنها، وكان لقيام الدولة أثر كبير على هؤلاء الجنود، جعلهم لا يعيرون المزارعين العرب المسنين والأطفال والنساء الذين طردوا من بيوتهم وحقولهم أدنى اهتمام، بل قاموا ضدهم بأعمال قاسية بلا داع وبلا سبب أمني أو عسكري، الأمر الذي أثار الكاتب لما يراه من مظاهر الفوضى والعنف والتكسير والقتل والصراخ وهدم القرية على البقية الباقية من سكانها ومع هذا فقد استمر الجنود في بث الرعب.

وكذلك قصة (الأسير) ١٩٤٩ لنفس الأديب، والتي تصف عمل مجموعة من الجنود اليهود في إحدى القرى العربية أثناء هدوء حرب ١٩٤٨، والحبكة القصصية تدور حول أسر راع عربي بسيط والتحقيق معه، ويبرز الأديب مدى الأسلوب الإجرامي في المعاملة القاسية للأسير حيث يقول: «إن القبض على الراعي الضعيف والمسكين أصبح كعمل حربي كبير، كمحاصرة كتيبة كبيرة للعدو.. والتحقيق معه شيء قاس: ضرب وركلات وإهانة».

والعربي دائما أسير، حيث صوره الأديب الصهيوني «إسحق أورباز»[1] في القصة الواقعية التي عاشها الأديب، والتي تحكي قصة أسير عربي وقع بين يدي إسحق أورباز نفسه وهو يتجول قرب قطاع غزة عندما كان يؤدي الخدمة العسكرية، وقد أسماها «على سن الطلقة» (عَل خُودو شِل كادُور) ١٩٥٩.

وتحكي عن عربي بسيط يختبيء في مغارة، فأسره الأديب وأمره أن يرفع يديه فوق رأسه

---

(١) ولد في روسيا عام ١٩٢٢، وهاجر إلى فلسطين سنة ١٩٣٨، وعمل في مجال الزراعة والتدريس، وخدم كضابط بالجيش النظامي، بدأ في نشر قصصه عام ١٩٥١.



ويسير أمامه، وهو يوجه إليه السباب والضرب حيث يقول القاص:

«أمرته أن يرقد على وجهه ويديه ممدودتين ومبسوطتين وضربته بحذائي على مؤخرته»

وكي يؤكد مقولة «الحقل المهجور» فإنه يصف الخربة عندما اقترب منها ومعه الأسير: الأراضي خربة، والأراضي الزراعية قاحلة، والمنازل مهدمة.

وعندما يصلا إلى خيمة ضابط المخابرات «شموليك» الذي صاح على أحد جنوده وأمره أن يأخذ العربي ويحبسه، ويأخذ البندقية من العربي والتي كان يحملها معه ليرى إذا كان صالحة أم لا، وفعلا أخذ الجندي البندقية، ولكن بدلا من أن يجربها في الهواء، فإنه جربها في العربي فأرداه قتيلا»[٢].

ويقول «يهودا بورلا» في قصة «سحر الوطن».

والتي تحكي عن أسرة من المهاجرين الطلائع حيث يقول على لسان القاص ابن هذه الأسرة: إن عمه (ناثان) قد سافر مع صديق له من مستوطنة «عتبدوت» إلى إحدى القرى المجاورة، فانقض عليه العرب وسرقوا حصانه[٣].

وكي يزيد بورلا من شحنة الانفعال ويستدر العطف، يصور لنا كيف حفر الأخ قبر أخيه، بل يقول كذلك بأنه كان أول قتيل في القرية وفي

المشهد الثاني يقول الطفل القاص:

«وتخيلت أن يخرج أهل القرية للتنكيل بالعرب لأنهم غجر وغرباء وأجانب في فلسطين فقد سمعت من الكبار بأنه قد حدثت على أيدي العرب اغتيالات في أماكن أخرى وأن ما أقدم عليه السفاحون لهول حقير[٤]

وعندما سأل الطفل والده أجاب:

«بين العرب كثير من القتلة وسافكي الدماء، وبسبب الجهل والحماقة التي غلفتهم سنوات عديدة، يقومون بأعمال الاغتيال والنهب، ولقسوة قلوبهم يقتالون خيرة الرجال»

فيرد الطفل: «وكان عمي لا يريد أن يصبح هدفا لطلقة عربي همجي»[٥].

وهكذا يصور الأديب الصهيوني يهودا بورلا في العديد من أعماله العرب وكأنهم قبائل بدائية نزعت الرحمة من قلوبهم، لا يفرقون في أعمالهم التخريبية بين الصغار والكبار، وهذا ما سنعرفه من رسالة (ميخا) اليهودي إلى بطرس المسيحي العربي حيث يقول له فيها:

«لقد سمعت عن المصيبة التي حلت بنا في حادث «الأتوبيس» فقد أصيب تسعة من الرجال. معظمهم بإصابات بالغة، كما قتل خمسة بينهم طفلان»[٦].

---

(٢) إسحق أوربان: (عل حودو شل كادور) على سن الطلقة ١٩٥٩، عم عوبيد.

(٣) يهودا بورلا: سحر الوطن ص ٢٤ (مصدر عبري)

(٤) المصدر السابق ص٢٥

(٥) المصدر السابق ص٢٦

(٦) يهودا بورلا: (حزون بطرس) رؤية بطرس ص ٢٧.







والقتل شيء طبيعي لديهم حتى وإن قتل الابن اباه، وقد طرح لنا بورلا هذا المفهوم في رواية «البرعم الأول» حيث يقول:

«وفي سكون الليل، دوى صوت عيار ناري في فضاء البيت الكبير وبعده صوت عويل مخنوق، ويخرج أهل البيت مذعورين، وعلى الفور عرف الأمر، فإن «مصطفى حمدي» أطلق النار على والده «محمود شكري» ولا ينسى بورلا أن يقول:

«كانت الرغبة لدى الجميع عدم إبلاغ الشرطة، فمثل هذه الأمور اعتاد أهل البيت معالجتها سرا»[7].

أما إذا قتل المسلم يهوديا، ماذا ستكون النتيجة، هذا ما سنعرفه من المشهد التالي في رواية «مغامرات عقيبا» حيث يقول:

وقبل أن ينتقل عقيبا إلى المنزل الجديد سمع عن حادثة بشعة وقعت في المنزل الذي سينتقل إليه، فقد اغتيل يهودي فقير وزوجته وجرح الثالث من أبنائهم فعرف أنه المقصود، وأن الذي استأجر القتلة هو المسلم الشرير (فياد) الذي ضربه «عقيبا» منذ ثلاث أو أربع سنوات، وقد تأكدت الطائفة من القاتل وطلبت من (عقيبا) أن يكتم الموضوع، لأن المسلم إذا قتل يهوديا فالنتيجة «معروفة»[8].

ووصف العربي بأنه قذر ومقيت وحقير.. إلى آخر هذه الأوصاف، عمدت السلطات الإسرائيلية أن تغرسه في وجدان الجندي اليهودي، حتى ينفذ أوامرها دون أن يفكر لحظة أنه يقتل بشرا.

ففي قصة «صفية المسيحية يصورها الكاتب «اشر براش» وهي تجري وراء أخيها وتقول: «إنه أخي. كلب قذر. عربي حقيقي إنه أهانني».

وفي قصة (تراب الطريق) للأديب (ناثان شاحم) حين يصف أحد الشباب العرب، فيقول: شاب مخيف قذر.

وفي قصة (خربة خزعة) وصفهم (يزهار) قائلا:

«هناك أيضا زار أحدنا وهو يشير إلى حقل آخر كانوا يركضون فيه كالنمل».

ووصف أحد الجنود وهو يسوق العرب أمامه «كما لو كان يهش سربا من الدجاج».

ووجه حديثه إلى أحد العرب قائلا:

توقف أيها الكلب.. إنهم كالحيوانات[9].

وأود أن أشير إلى أنه لا يوجد مفهوم إسرائيلي واحد للشخصية العربية، وقد حاولت الشرذمة الإسرائيلية المعاصرة والممسكة بزمام الأمور أن تصور الشخصية العربية بأنها تتسم بعدوانية أصيلة، وتحب الصراع والحرب، وأن هذه العدوانية حسب زعمهم تعود إلى دين الإسلام الذي نادى بسمو المسلمين على غيرهم بالإضافة إلى أنه دين نزعة حربية وهذا افتراء صارخ لا يقبله المسلمون

---

(٧) يهودا بورلا: (ستونيت ريشوناه) البرعم الأول ص٣٢.

(٨) يهودا بورلا (عليلوت عقيباه) مغامرات عقيبا.

(٩) د. محمود صميدة: استراتيجية الأدب الصهيوني لإرهاب العرب ص١١٩.





هكذا حال الإنسان العربي في فلسطين كما يصوره الواقع والأدب الصهيوني

في بقاع الأرض ويقول (ف. لوفسكي): بأن الرسول محمد تأثر بالأفكار المسيحية وأن كل جزء في القرآن به إشارة إلى اليهود وأنه توعدهم بالعبودية والضياع والشتات واتهمهم بأنهم اتبعوا الشيطان وقتلوا الأنبياء... وأن النار مأواهم في الآخرة وأن رسول المسلمين هو الذي بذر الكراهية في قلوب المسلمين نحو اليهود»(١٠).

وقد عمدت المؤسسات الصهيونية المختلفة إلى ترسيخ هذا المفهوم، وأن الشخصية العربية تعاني من أزمة الهوية!!

وأود أن أشير إلى أن الجاليات اليهودية المتحدة، هي مؤسسة تمثل ١٨٩ اتحادا يهوديا، بالإضافة إلى ٤٠٠ جمعية مستقلة في قارة أمريكا، والاتحاد اليهودي لأمريكا الشمالية، والوكالة اليهودية من أجل إسرائيل.

وللعلم فقد تبرع للجاليات اليهودية المتحدة فقط في العام الماضي ٧٠٠ ألف متبرع قدموا ٨٢٦ مليون دولار بالإضافة إلى ١,٢ مليار لصندوق المنح والهبات.

فماذا قدم العرب والمسلمون لدعم الحملات الإعلامية العربية بالخارج ضدما يحيكه لهم النازيون الجدد، أو لدعم الانتفاضة.

(١٠) F. Lovsky, Antisemitisme et Mystere D Israel P.243.

# مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية

## ٣

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

**اقتحام مجالات جديدة**

**إذا كانت بداية الإصلاح تبدأ بنظام التعليم ومناهجه لإعداد الباحث الجيد القادر على إحراز قصب السبق فى سوق التنافس العالمى، فإن التحدى الذى يواجه التعليم هو الارتقاء بقدرته على الاستجابة للمتغيرات العصرية، واستشراف آفاق المستقبل وتوقعاته والتعامل معه والتخطيط له والتأثير فيه. فالتعليم يجب أن ينمى فى النشء قدراته على نحو يستطيع معه أن يفكر بطريقة جديدة عما ألفناه وألفه، وأن يستنبط البدائل المناسبة على الدوام.**

من ناحية أخرى إلى جانب العمل على إصلاح التعليم وتطويره، تقتضى مواجهة التحديات المعاصرة عملا موازيا لاقتحام مجالات جديدة، فهناك قضايا ومشروعات علمية وتقنية عملاقة جديرة بالاهتمام والرعاية.. تحتاج إلى البدء فى التصدى لها، حيث إن الأوان لم يفت بعد لتدارك ما فاتنا منها، ولم يعد مقبولاً بأى حال من الأحوال أن نتركها أو نغفلها -وقد حقق غيرنا فيها سبقا ملحوظا- حتى تتزايد تكلفة حلها، فالمواجهة المبكرة تدعم الحل، وتقرب الفجوة. وإن إتاحة الفرصة للعقلية الإسلامية الإبداعية بدخول مثل هذه المجالات الرحبة سوف ينمى الشعور بالثقة والندية وكسر الاحتكار فى توفير تقنيات متقدمة جديدة.. ومن أمثلة هذه القضايا والمشروعات العلمية والتقنية العملاقة التى ينبغى البدء فى التخطيط لها واقتحام ميادينها ما يلى:

**١- تقنيات المعلومات والاتصال:**

لقد دخلنا مع بداية القرن الحادى والعشرين عصرا جديدا للمعلومات والاتصال يسمى «كوم - كوم» Computer-Communication (COM-COM)، فقد أصبحت تقنيات المعلومات والاتصال وجهين لعملة واحدة، على أساس أن ثورة تقنية الاتصال قد سارت على التوازى مع ثورة تقنية المعلومات التى

(*) عميد كلية العلوم - جامعة القاهرة.

تدفقت نتيجة للتفجر المعرفي وتضاعف الإنتاج الفكري في مختلف المجالات ولظهور الحاجة إلى تحقيق أقصى سيطرة ممكنة على فيض المعلومات المتدفق، وإتاحته للباحثين والمهتمين ومتخذي القرارات في أسرع وقت وبأقل تكلفة وجهد، عن طريق استحداث أساليب جديدة في تنظيم المعلومات تعتمد بالدرجة الأولى على الحاسب «الكمبيوتر» واستخدام تقنية الاتصال لمساندة مؤسسات المعلومات ودفع خدماتها لتصل عبر القارات.

والواقع أن تعريف «تقنية المعلومات» ينطوي على معنى هذا التزاوج، إذ ينص في إحدى صيغه على أنه «اقتناء واختزان المعلومات وتجهيزها (معالجتها) في مختلف صورها وأوعية حفظها، سواء كانت مطبوعة أو مصورة أو مسموعة أو مرئية أو ممغنطة أو معالجة بالليزر، وبثها وتبادلها ونقلها باستخدام (توليفة) من المعلومات الإلكترونية ووسائل أجهزة الاتصال من بعد».

وهكذا لا يمكن الفصل بين تقنيات المعلومات والاتصال، فقد جمع بينها النظام الرقمي Digital الذي تطورت إليه نظم الاتصال، فترابطت شبكات الاتصال مع شبكات المعلومات، وهو ما نلمسه واضحا في حياتنا اليومية من التواصل بـ«الفاكس» عبر شبكات «التليفون»، وفي بعض الأحيان مرورا بشبكات أقمار الاتصالات، وما نتابعه على شاشات التليفزيون من معلومات تأتي من الداخل أو الخارج.

وها نحن نرى أن العالم اليوم يقف على عتبة الجيل الثاني من الشبكة الدولية للمعلومات، حيث يتزايد الاهتمام بإنتاج تقنيات المعلومات نظرا لما لها من دور واضح في تعزيز التنمية ودعم التطور، بعد أن تزايد اعتماد الإنسان عليها مؤخرا. ويكفي أن نعلم أن العمل في مجال الحاسب «الكمبيوتر» وبرمجياته أصبح في مقدمة ميادين النشاط التقني عموما، وتعطي إحصائيات النمو لأكبر الشركات العالمية نتائج تؤكد تزايد أهمية الدور المستقبلي للصناعات المعلوماتية Informatics مقارنة بغيرها من الصناعات المهمة كالسيارات والطائرات والمواد الكيميائية واللدائن وغيرها. ويكفي أن نعلم أن الهند -على سبيل المثال- عندما أعطت اهتماما خاصا لتقنية المعلومات زاد نمو صادراتها من البرمجيات على نموها السكاني بأكثر من ١٦ ضعفا، وعلى نمو دخلها القومي بأكثر من عشر مرات، وعلى نمو مجمل صادراتها بأكثر من مرتين ونصف. كما تدل الإحصائيات على أن بين العشرين شركة الأكثر نموا في العالم يوجد عشر شركات تعمل في مجال تقنيات المعلومات، وعشر شركات أخرى تعمل في باقي القطاعات مجتمعة، مما يؤكد أهمية الفرص التي تمنحها تقنيات المعلومات للقطاع الخاص، فضلا عن تأثيرها الإيجابي في تطوير إمكانات اقتصادية جديدة تحتاج إليها الدول لتعزيز نمو الدخل القومي.

وليس هناك من شك في أن الأمة الإسلامية تمتلك حاليا من القدرات العلمية والتقنية ما يجعلها تحتل منزلة متقدمة في صناعة المعلومات.

**٢ - علوم وتقنيات الفضاء:**

من أمثلة القضايا والمشروعات العلمية والتقنية التي ينبغي اقتحامها والتخطيط لها

إنشاء وكالة إسلامية لعلوم الفضاء Islamic Space Agency (ISA) .. ذلك أن البشرية تعيش اليوم أعظم نتائج التحدى لبرامج ارتياد الفضاء، وتطوير البحث فى عالمه الفسيح، ولم يعد هذا التحدى مقتصرا على الدول الكبرى، ولكنه شمل أيضا بعض الدول التى سعت إلى اللحاق بركب المتقدمين، مثل الهند وجنوب أفريقيا وإسرائيل. ولم يعد خافيا على أحد خطورة التأخر فى اقتحام هذا الميدان نظرا لأهميته الكبرى التى انعكست على مختلف مجالات التقدم العلمى والتقنى والصناعى. وعلى الأمة الإسلامية إن رغبت فى اللحاق بهذا الركب أن تسعى إلى البدء فى برنامج خاص لعلوم وتقنيات الفضاء، والإفادة منه فى الأغراض السلمية. ومن الأهمية بمكان اعتبار عامل الوقت فى تنفيذ هذا المشروع، حيث إن أعداد الأقمار الصناعية التى تجوب الفضاء تزداد بسرعة رهيبة مما سيعجل بسعى الدول الكبرى إلى فرض حظر يسد الطريق أمام الطارقين الجدد لهذا المجال.

ولعل ما نراه من قيود مختلفة تصل إلى حد الحظر فى مجال نقل التقنيات بصورة عامة، وامتلاك الطاقة النووية بصورة خاصة، يجسد أهمية الوقت، ناهيك عن أن مثل هذا الحظر المرتقب سوف يسبقه أو يصاحبه احتكار يرفع كثيرا من تكلفة استخدامات الفضاء بالنسبة للدول التى لا تشترك فيه، أو على الأقل الدول التى لا تطلق أقمارا خاصة من صنعها.

إن إنجاز هذا التحدى ليس بالأمر العسير على الأمة الإسلامية التى يتوفر بها حاليا الإمكانات البشرية والعلمية والفنية، بالإضافة إلى القدرات المادية المتمثلة فى توفر الصناعات الأساسية اللازمة لاستخدام تلك التقنيات الجديدة، ومشاركة العالم فى صنع المستقبل. ولعل الإسراع فى إنشاء «وكالة الفضاء الإسلامية» **ISA** يكون البداية السليمة على هذا الطريق. ويقترح أن يتم فى البداية تشكيل هيئة عليا من أهل الاختصاص فى جامعات العالم الإسلامى والهيئات ذات الصلة للإشراف على إعداد برنامج متكامل ودراسة جدوى فنية بعد حصر الإمكانات البشرية والمادية المتوفرة حاليا وبيان كيفية الاستفادة منها على الوجه الأمثل. وبعد التأكد من توفر مستلزمات البنية الأساسية لوكالة الفضاء الإسلامية وتدبير التمويل اللازم لمراحل إنشائها ينظر فى اتخاذ القرار الخاص بذلك حتى تكون البداية على أساس علمى سليم إن شاء الله.

ويمكن عند صدور القرار ببدء برنامج إسلامى للفضاء، وإنشاء وكالة إسلامية للفضاء، أن تكون الهيئة العليا أهل الاختصاص نواة لها، على غرار ما حدث عندما تحولت الجمعية القومية الاستشارية للملاحة الفضائية إلى «وكالة ناسا» **NASA** التى تتولى شئون الفضاء فى الولايات المتحدة الأمريكية. كذلك يمكن البدء بإنشاء «مركز إسلامى لعلوم وتقنيات الفضاء» يختص بمتابعة ما ينشر وما يستجد



في هذا المجال، وما يمكن الحصول عليه من نتائج رحلات الفضاء في دول العالم المختلفة.

إن مثل هذا المشروع الإسلامي العملاق ينبغي أن يهدف إلى وضع مجموعة من البرامج التي تحقق إطلاق أقمار صناعية بتصميم وتنفيذ إسلامي في أقرب وقت ممكن. وتؤدي إلى توفير القدرات العلمية اللازمة لإجراء البحوث في العديد من المجالات الحيوية مثل:

دراسة التغيرات المناخية والبيئية -الكشف عن الثروات الطبيعية- التنبؤ بحدوث الكوارث الطبيعية - رسم الخرائط المساحية و«الجيوديسية» الدقيقة للأغراض المدنية - زيادة القدرة على إجراء الاتصالات ونقل المعلومات محليا ودوليا - رصد ودراسة مصادر الطاقة في الكون - تقوية الإرسال التليفزيوني والإذاعي وإعادة بثه، مما ييسر على القنوات الفضائية الإسلامية تقديم إعلامها بتكلفة أقل وكفاءة أكبر دون تحكم خارجي، بل والحصول على دخل كبير بتسويق بعض القنوات لدول أخرى. ومن الواضح أن الجهات ذات الصلة بكل هذه المجالات وغيرها سوف تحرز تقدما كبيرا عند الاستفادة من التطورات المنتظرة لأنشطة «وكالة الفضاء الإسلامية» على المدى القريب والبعيد.

وهناك -بطبيعة الحال- أمثلة أخرى عديدة لمشروعات علمية وتقنية كبرى يمكن للأمة الإسلامية أن تخطط لاقتحامها وإحراز قصب السبق العالمي فيها. مثال ذلك: التقنية الحيوية Biotechnology -علوم المواد- صناعة الدواء- تطوير تقنيات الليزر - إنتاج الطاقة الشمسية وغيرها من صور الطاقات الجديدة والمتجددة.

### أهم المراجع:


١- محمد عبدالسلام، البعد العلمي للتنمية، سلسلة منشورات أكاديمية العالم الثالث للعلوم (١)، تريستا، إيطاليا ١٩٨٦م.

٢- د.زغلول راغب النجار، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر، كتاب الأمة (٢٠)، الكويت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

٣- د.أحمد فؤاد باشا، في فقه العلم والحضارة، سلسلة قضايا إسلامية (٢٠)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٤- المؤتمر السابع للوزراء المسئولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الرياض: ١-٥ محرم ١٤٢٠ هـ - ١٧-٢١ أبريل ١٩٩٩م، المملكة العربية السعودية.

٥- دليل دوريات الجامعات العربية، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، اتحاد الجامعات العربية، القاهرة ١٩٩٦م.

٦- د.شريف درويش اللبان، تكنولوجيا الاتصال - المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ﴾

سورة آل عمران آية ( ٣٤ )

# الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم

للدكتور / السيد الجميلى

ما قرأت آية فى كتاب الله - تعالى - وأجلت النظر فيها وأدرته فى لطائفها، وتأملت معانيها وتجليت أسرارها - إلا لمست فى كل حرف وفى كل كلمة وعبارة من الروعة والجلال والعظمة والجدة المطلقة والإشراق المتجدد ما يذهل الأفهام ويأخذ بالألباب، ويستولى على مجامع القلوب.

إنه كلما راجعت كتاب الله الكريم مرة بعد مرة، وجدت خصيصة تميز بها هذا الكتاب وانفرد بها ألا وهى المتاع بقراءته والتلذذ من تلاوته أو كأنك تقرؤه لأول مرة وهذه الخاصية الحسية والنفسية يقر ويشهد بها الناس كافة، حتى من غير المسلمين.

ولعل أخصر وأجمع ما ورد فى القرآن الكريم من آيات وأشراط الإعجاز الطبى فى الكتاب العزيز - إنما يتمثل فى قوله تعالى:

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(١) وينضوى تحت هذه الآية ويساير مدلولها ويتساوق مع إشارتها البليغة كل تحقيق وإنجاز طبى على أرفع وأسمى المقامات والدرجات.

منذ بضعة أسابيع كنت فى رحلة خارج القطر وعرضت علىّ بمحض المصادفة حالة ( بصفتى طبيبا ) وهى من الحالات النادرة التى تنطوى على أسرار وراثية فى جوهرها.

---

(١) الذاريات، الآية ٢١.

أبٌ وأمٌ يعانيان حالةً نفسيةً بالغة القسوة تهضبُ عيناهما، وتكف دموعهما، وتتقاطر وتَرفضُ وتتحدرُ عبراتهما مهمومان قد فدحهما الداء، وعمدهما وتخونتهما لوعةٌ وحسرةٌ نائماً على ابنهما الوحيد الذى وُلد «قزماً» DWARF فهما يبكيان حظهما العاثر، ويعرضان التضحية بكل نفس ونفيس لقاء علاجه من هذه الحالة.

ولئن كان حالُ الأبوين الوقيذين صعباً عنيفاً، مهما قيل لهما- مع اطمئنانهما لذلك تماماً- أن هذا من قدر الله -تعالى- غير المدفوع ولابد من الصبر عليه؛ لأنه لا مندوحة عن التصبر، إلا أن الفطرة البشرية من ناحية، وعاطفة البنوة والأبوة من الناحية الأخرى تجهض كل محاولة للتسرى أو السلوان.

ولا يعرف قدر السلامة والعافية والهبات الإلهية والمنح الربانية إلا المحرومون منها.

ثم إن المشابحة من كثير من الأمراض الوراثية المعقدة فى كثير من الأحيان- لا موجب لها ولا مساغ لها على الإطلاق من حيث إن هذه الإشاحة لا تجدى فتيلاً فى تغيير الواقع المحتوم الذى صار بحكم الطبيعة مفروضاً، وليس أمام العقلاء إلا التسليم المطلق للمكتوب المطبق، احتساباً للأجر وطمعاً فى ثواب الصابرين.

العجيب فى أمر هذه الحالة ما وقع بين الأبوين حيث تُبودلت الاتهامات بين أسرتى الأبوين حيث زعم أهل الأب أن هذا الابن القزم أخذ قصر القامة من أمه التى هى قصيرة نسبياً.

وزعم أهل الأم أنه ورثها من جدته لأبيه التى تعانى القصر نسبياً.

وتداخلت اللجاجات والمداخلات السوفسطائية، كل فريق ينحى باللائمة على الآخر بأنه المسئول عن هذه الطفرة غير المتواردة فى باقى أفراد كلتا الأسرتين.

هذه الشكايات لا تغير ولا يمكن أن تغير شيئا من الحق والواقع والأصول المتفق عليها.

ولما كان أصل هذه الحالة وراثياً، أى تأثراً بالآباء والأجداد، وهذا إجماع من أهل العلم من الأطباء، من غير نكير ولا معارض- تذكرت إشارة القرآن الكريم فى عديد من المواضع إلى دور الوراثة فى نقل الصفات من السلف إلى الخلف، حيث تتحدر وتتقاطر وتتحلب تلك الخصائص فى الجينات GENES من السالفين إلى الخالفين تحمل التراكيب التشريحية ANATOMICAL STRUCTURES أو العيوب الخلقية التشريحية ANATOMICAL ANOMALIES وتظل تسرى فى الأجيال من جيل إلى جيل.

قال تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ﴾.

قال المفسرون: أى اصطفاهم متجانسين فى الدين والتقى والصلاح[٢].

وكلمة التجانس التى أشار إليها المفسرون تضاهى وتشاكه وتحاكى التماثل عند علماء الطب.. لكن دقة تصوير الآية وروعة بلاغتها يأخذ بمجامع القلوب أخذا مذهلا.

---

(٢) راجع أقوال العلماء مبسوطة فى التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى ٣٩/٨ والقرطبى فى الجامع لأحكام القرآن ٦١/٤ والطبرى ٣٨٦/٦ والبحر المحيط ٤٣٥/٢ وكشاف الزمخشرى ٤٢٤/١.

وقال أيضا:

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾[3].

وقال تعالى أيضاً:

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾[4].

ومن أورع ما ورد قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ
أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾[5].

قال ابن عباس: إن الله ـ عز وجل ـ ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة، وإن كان لم يبلغها بعمله، لتقر بهم عينه... وتلا الآية[6].

قال الإمام العلامة الزمخشري: يجمع الله لأهل الجنة أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم، وبمزاوجة الحور العين، وبمؤانسة الإخوان المؤمنين، وباجتماع أولادهم[7].

وقال الألوسي: ... وثبوت ذلك على العموم لا يبعد من فضل الله ـ عز وجل ـ، وما قيل لعله مخصوص ببعض دون بعض تحجير لإحسانه الواسع جل شأنه، وقد يستأنس للتخصيص[8].

وهذا أبوبكر يدعو الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ﴾[9].

قال العلماء: وإصلاح الذرية إنما هو من كمال السعادة البشرية[10].

ومفاد هذا مذكور مبسوط عن أئمة المفسرين وأكابر أهل العلم.

وقد ذكر الألوسي في هذه الآية: أجابه الله ـ تعالى ـ [أي أبا بكر] فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً[11].

ثم يقول الحق جل وعلا:

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن
صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾[12].

---

(3) سورة الحديد، الآية 36 وهي في معرض الحديث عن نوح وإبراهيم ـ عليهما السلام ـ وفي الآية إشارة بليغة إلى أن ذريتهما توارثت منهما الصلاح والتقوى والإيمان الذي يؤهلهما للنبوة والرسالة، ونرجو مراجعة البحر المحيط ٢٢٦/٨ وتفسير البيضاوي ٤٥٦/٣، والتسهيل لعلوم التنزيل ٩٩/٤، ١٠٠ والتفسير الكبير ٢٤٠/٢٩ والكشاف ٦٧/٤ وروح المعاني للألوسي ١٨٩/٢٧.

(4) العنكبوت، الآية ٢٧.

راجع تفسير القرطبي ٣٣٦/١٣ والطبري ٩٠/٢٠ والكشاف ٢٠٤/٣ والتفسير الكبير ٥٧/٢٥.

(5) سورة الطور، الآية ٢١. راجع الطبري ١٥/٢٧، ١٦ والقرطبي ٦٦/١٧، ٦٧ والكشاف ٢٤/٤.

(6) التفسير الكبير ٢٥٠/٢٨ وانظر القرطبي ٦٦/١٧.

(7) الكشاف ٢٧٢/٤.

(8) روح المعاني ٣٢/٢٧، ٣٣.

(9) سورة الأحقاف، الآية ١٥.

راجع تفسير القرطبي ١٩٤/١٦ والطبري ١١/٢٦، ١٢ والتفسير الكبير ١٣/٢٨ والكشاف ٥٢٦/٣.

(10) انظر مؤدى هذا في حاشية البيضاوي ٣٣٦/٣ بتصرف.

(11) روح المعاني ١٩/٢٦.

(12) سورة غافر، الآية ٨.

يقول ابن كثير: أى اجمع بينهم وبين ذرياتهم لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع فى الجنة بمنازل متجاورة[١٣].

وما ورد فى السنة المطهرة من إشارة دقيقة ظهر جليا فى قوله ﷺ: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم» قالوا: من يارسول الله، قال: «يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم»[١٤].

إن صفات يوسف المتوارثة عن أبيه وأبى أبيه وجده الأكبر الخليل إبراهيم أبو الأنبياء - هى التى تحدرت من أصلابهم فتكونت وتشكلت منها طبيعته فكان أريحى الطباع، محمود الفطرة، صدوق المعجم، حر الطينة، نقى الجوهر.



## توارث الصفات المرتبطة بالجنس[١٥]
## Sex Linked Traits

من الأمراض التى تتوارث صفاتها من خلال الجنس، والمتأثر بها وراثيا، أو المتأثرة به كذلك وراثيا.. إذ إنها تتحدر وتنحلب وتتقاطر من الآباء إلى الأبناء والأحفاد.

نضرب مثلا على ذلك مرض العمى اللونى Colour Blindness وهو الذى يظهر فى بعض الأشخاص، وهؤلاء لا يستطيعون أن يميزوا اللون الأخضر من اللون الأحمر.

وهذه صفة متنحية مرتبطة بالجنس X-Linked Recessive Trait وهى التى يعانى منها حوالى ٨٪ ثمانية فى المائة من الذكور، ونادرا ما تحدث فى الإناث، بل قلما تحدث فيهن إلا عند وجود جينين متنحيين عندهن two recessive genes (2).

وقرر علماء الوراثة أن هذه الحالة من العمى اللونى يكون الجين المسبب للمرض فيها متنحيا Recessive Gene والجين المتبادل Alternative Gene يكون سائدا Dominant Gene.

ثم إن الجدير بالذكر أن الجين الذى يحمل هذه الصفة إنما يوجد على الكروموسوم الجنسى X Sex Chromosome فقط، بيد أن الإجماع معقود على أن نظير هذا الكروموسوم الجنسى الآخر Y Sex - Chromosome لا يحمل أية صفة وراثية.

ولذلك فإنه عند تزاوج رجل مصاب بالعمى اللونى من أنثى سليمة، فإن الجيل الأول الناتج منهما تكون الذكور كلها سليمة أما الإناث فتكون حاملة للمرض فقط Females are Carriers وهى بالطبع لا تكون مصابة.

أما إذا تزوج رجل سليم من أنثى مصابة بالمرض، فإن الجيل الأول الناتج منهما تكون فيه الذكور كلها مصابة بالمرض، ولكن الإناث حاملة فقط.

---

(١٣) ورد فى روح المعانى ٢٤/٤٨: وقرأ عيسى: «ذريتهم» بالإفراد. اهـ. راجع أيضا فى تفسير الآية مختصر ابن كثير ٣/٣٦٦ والتفسير الكبير ٢٧/٢٨ والكشاف ٣/٤١٦ والبحر المحيط ٧/٤٥٢.

(١٤) أخرجه الإمام أحمد فى المسند عن ابن عمر، وكذلك من حديث أبى هريرة ٢/٩٦ والبخارى ٦/١٤٤/٤٦٨٨ و٤/٢٩٤/٣٣٨٢، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير ٢/٢٥٥/٦٤٥٩.

(١٥) - Harris H: The Principles of Human Biochemical Genetics, 3rd edit., New York, 1980.

- Lewin B: Genes, 2nd edit. New York, Wiley, 1985.

وإذا تزوج رجل سليم من أنثى حاملة للمرض، فإن الجيل الأول الناتج منهما يكون فيه نصف الذكور « ٥٠٪ منهم » سليما، والنصف الآخر « ٥٠٪ منهم » مصابين بالمرض.

أما إذا تزوج رجل مصاب من أنثى حاملة للمرض فإن نتاجهما يكون نصف الذكور فيه مصابا، والنصف الآخر سليما ونصف الإناث مصابة، بينما نصفهن الآخر حوامل للمرض.

## مرض الدحدحة، أو نقص التعظم الغضروفي
## Achondroplasia
## أو مرض السّقَل الغضروفي الجنيني
## Chondro dystrophia Foetalis

هذا هو مرض الدحدحة، أو نقص التعظم الغضروفي، ويحلو لبعض العلماء أن يطلق عليه اسم مرض السقل الغضروفي الجنيني.. وهو تشخيص الحالة المعروضة علينا سلفا والتي أشرنا إليها آنفا، ونوجز هنا أهم الاعتبارات والمداخلات التي تعترى هذه الحالة وتكتنف وجودها.

هذا المرض الوراثي يظهر عادة في الطفولة الباكرة، حيث ثبت بالأدلة القواطع والبراهين الثوابت أن الوراثة تلعب فيه دورا مشهودا غير منكور.

والراجح الذي عليه أقوال أكثر العلماء أن توارث نقص التعظم تتم من خلال السيادة المندلية Mendelian Dominance.[١٦].

لكن لوحظ بعض من هذه الطرز قد تنوقلت من خلال خصوصية التنحي Recessive Character.

إن ثمة خللا في تعظم العظام في الغضاريف حيث شوهدت معيبة مشوهة، بيد أن قبو القحف الجمجمي Vault of Skull والعظام الشوكي Spinal Bones ترى سليمة وطبيعية.

لكن اليدين والقدمين والساقين تكون قصيرة قصرا ملحوظا أدنى من الطبيعي، وهي في هذا تشابه وتشاكه وتحاكي الدُّهْشُنْد Dachshund (وهو كلب ألماني صغير) طويل الجسم، قصير القوائم.

وهذه هي القزامة (Dwarf Dwarfism) أو الإِزْب.

إن قامة القزم « ارتفاعه » قد يبلغ زهاء أربعة أقدام، لكن الجذع يكون طبيعيا Normal Trunk ولكن اليدين والساقين تكون قصيرة.

اللافت للنظر أن منظر الجمجمة يرى شاذا مشوبا بالتشوه الشكلي حيث يظهر قبو الجمجمة كبيرا إذا ما قورن بالوجه الذي يكون صغيرا مع اغورار قنطرة الأنف Sunken Bridge of the Nose.

لكن الجهاز العضلي Musculature ينمو نموا حسنا جيدا، بيد أن اليدين تكونان صغيرتين، كما تكون الأصابع كلها متساوية في الطول.

إن أكثر الأقزام مليصون، جهيضون،

---

(١٦) راجع:

Mckusick VA: Mendelian Inheritance in Man: Catalogs of Auto somal Dominant, Autosomal Recessive, and X-Linked Recessive Phenotypes, 6th edit.
Baltimore. John Hopkins, 1983.



سقيطون، حيث يولدون موتى Aborted OR Stillborn أو يموتون حال ولادتهم أو فور الولادة.

لكن الذين يولدون أحياء منهم يعيشون أعمارهم عادية لا تتأثر حياتهم طولا أو قصرا بسبب قرابتهم.

جدير بالذكر أن هذه الحالة لم تصادف علاجا نافعا حتى يومنا هذا، وما إخال المستقبل القريب قد ينطوي على مفاجآت علاجية في هذا الصدد.



إن البعد النفسي هو أخطر ما يدهم الأبوين، بل يحطمهم تحطيما وهما يريان قزمهما يتعثر في قزامته، فترى الأب مردوعا، وجميع البدن والنفس من غير مرض عضوي، وكذلك يكون حال الأم الموصبة لا يتقارّ بدنها المتهالك على الفراش مما ألم بها من ألم مخامر وداء معضل لا يزايل الروح وخوالج النفس في كل جزئيات الزمان.

وكلا الأبوين المهمومين عاجزان عن السلوان والصبر والاحتساب، وذلك من أقوى الأدلة وأعظم البراهين على استيلاء النقص على جملة البشر.



سألني صديق قديم ذات مرة: قرأت في إحدى المجلات أن زواج الأقارب مدعاة لإنجاب أبناء مشوهين مصابين بآفات وعاهات وراثية فما رأيكم؟

وكان جوابي عنه: إن الخطأ الشائع والتبرير غير الصحيح، والتأويل المغلوط قد يتبادر إلى الأذهان بمساغات باطلة قد يتقبلها الناس، فيؤمنون بها وتصبح قواعد مفروغا من سلامتها، وهي في حقيقتها وواقعها ما هي إلا محض أساطير، وأوهام لا ظل لها من الحق والحقيقة.

وهذه المقولة القديمة قال فيها شاعر العرب القديم:

فتى لم تلده بنت عم قريبة
فيضوى وقد يضوى سليل الأقارب

فاحتجوا بهذا البيت الشعري على أن زواج الأقارب بسبب ضعف السلالات ووهنها.

ولو أنهم تأملوا قول الشاعر «وقد يضوى» فإن دخول «قد» على الفعل المضارع يفيد الشك أو احتمال الوقوع وفي أحيان يفيد التقليل، أو يفيد التكثير.

مفاد هذا ومؤداه أن «قد يضوى» لا تفيد حتما وقوع ذلك.

وزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «اغتربوا لا تضووا» لكن لم نجد هذا الحديث فيما بين أيدينا من مصادر الحديث المعتبرة.

فإذا كان ذلك كذلك، فماذا يثمر زواج الأقارب، وما مدى تأثيره على نتاج الأبناء إيجابا وسلبا؟

نقول: إن الصحيح أن زواج الأقارب يقوي ويمكن الصفات الحميدة الحسنة، وهو بنفس الدرجة والنسبة تقريبا يقوي ويمكن ويظهر النقائض لها من نقائص الصفات ومستهجناتها.

وأكبر دليل على قولنا هذا أن النبي ﷺ تزوج من ابنة عمته السيدة زينب بنت جحش، وأن هذا نراه تدليلا على سلامة مذهبنا أنه ﷺ زوج عليا بن أبي طالب «ابن عمه» من ابنته فاطمة ـ رضي الله عنها ـ بأمر الله تعالى على ما ثبت في مصادر التاريخ الوثيقة تفصيلا مبسوطا «فكان

ثمرة هذا الزواج المبارك سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين ـ رضى الله عنهما ـ وهما من هما علما وفضلا وسلامة.

فلو كان زواج الأقارب يضعف السلالات لما وقع شيء من ذلك.

إن الصفات المتنحية عندما تكون موجودة في الأبوين تكون كامنة غير ظاهرة مظهريا، لكنها تظهر في السلالة بعد تزاوجهما.



كلنا في الأغلب قرأنا رحلات جلفر لمؤلفها الإنجليزى المعروف – في فترة ما، وهي تحكي عن جلفر وإحساسه عندما كان عملاقا وسط الأقزام، ثم يتحول بغتة إلى قزم من الأقزام في بلاد العمالقة.

ومن المثير العجيب أن يكون القزم في ذكائه عاديا لا يتأثر سلبا ولا تراجعا عن مستوى الذكاء في الشخص العادي، ولا أنسى ذلك الشيخ الوقور ذو اللحية الذهبية –منذ ما ينيف على خمس وثلاثين سنة– والذى لا يزيد طوله على أربعة أقدام، وهو يلبس الزى الأزهرى كاملا متأبطا كتابا ضخما ربما يضاهى نصف وزنه.. وكان يبتسم دائما.. منبسط الأسارير طلق الوجه مشروح القسمات.

كان هذا الرجل الطيب محط الأنظار لا يكاد يمر من مكان أو على طائفة من الناس على اختلاف الأعمار إلا نظروا إليه بدهشة وهو يسمع تندر الأطفال وغمز الكبار ولمز الجهال.. ولم يكن ليضيق بشيء من هذا، ربما لأنه تعود على هذه المواقف، أو لأنه نفض يديه منهم أيضا.

وعمدت إلى الاقتراب من هذا الرجل فألفيته حاصلا وقتها على الثانوية الأزهرية فقط، ولم يكمل تعليمه، وعرفت أنه كان يعمل مأذونا شرعيا..

لمست فيه روحا خفيفة، وثقافة واسعة، ومروءة وعلما مدهشا.. وأعجب ما أذهلني أنه كان هو الآخر يتندر على أولئك الغامزين المغموزين في نفس الوقت. فكان يقول: ترى الفتيان كالنخل.. وما يدريك ما الدخل؟

وكان يقول: أجسام البغال وأحلام العصافير..

فهو ينعى على البعدين.. بعد الطول.. وبعد البدانة والترهل، وهو بطبيعة الحال منزه عن كلا البعدين.

وأذكر أنني قلت له: إن المرء بأصغريه قلبه ولسانه فانشرح صدره وسر سرورا عظيما.

وكنت مؤيدا له في نظرته العميقة للحياة والأحياء ومفادها أن يحول الإنسان عوائقه إلى وسائل حافزة لتقويم شخصيته وسلوكياته، ويترقى إلى عالم المعرفة والأخلاقيات والثقافة الجادة والمروءات وبهذا يعرف الرجال.

ولو كانت المسألة مصروفة على الجرم ثقلا وطولا لكان أكثر الحيوانات أولى بالتكريم من الإنسان ولكان الفيل أمير الأمراء.

لابد من النزول إلى الواقع في حالات الضرورة، لاسيما إذا كان مرضا، أو حالة وراثية مكينة يعجز الطب عن علاجها أو تقويمها.. والله ـ سبحانه وتعالى ـ وعد الصابرين المحتسبين بجزيل الأجر وعظيم الثواب.

والحمد لله رب العالمين.

# القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة

١

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

**البناء القصصى - فى شكله المطلق - ينهض على عدة محاور، لعل من أبرزها: (الحدث) و(الشخصية) و(المعنى) و(الحل).**

**وكل حدث قصصى له بداية (أى موقف)، ووسط (أى عقدة) ونهاية (أى حل) بشرط أن تتلاحم هذه الدوائر تلاحماً عضوياً نامياً يتطور من خلاله الحدث، ولا يكتفى فيها بأن تكون مجرد أخبار متجاورة تجاوراً سكونياً.**

**وكل شخصية قصصية لابد أن تحمل فى تضاعيفها الدوافع التى حركتها إلى الفعل، والكيفية التى فعلت بها هذا الفعل كذلك، أى أن مهمة العمل القصصى تكمن أساساً فى تصوير هؤلاء الشخوص فى حالة فعل حقيقى، أى وهم يعملون.**

وكل معنى قصصى لابد أن يكون نابعاً من سياق الحدث القصصى، وأن يظل هذا المعنى غير حيادى، وغير ساقط على الحدث من الخارج، حتى ولو كان هذا الخارج هو الرؤية الخاصة للمؤلف، وإنما ينبغى أن يكون معنى نابعاً من قاع الحدث، ومتطوراً معه ومتحققاً من خلال شخوصه القصصيّين.

وكل حل قصصى لابد أن يشكل المرحلة التى تنتهى إليها كل خيوط الفعل الحدَثى، وهى المرحلة التى تعطى لكل المراحل مضمونها النهائىّ.

أما النسيج القصصى - فى شكله المطلق كذلك - فينهض هو الآخر على عدّة محاور، لعل من أبرزها، (اللغة) و(الوصف) و(الحوار) و(السرد).

واللغة هنا تعنى ليس مطلق اللغة، وليس لغة القاصّ كذلك، وإنما لغة الشخوص والأحداث، بحيث تتواءم جدلياً مع كل مراحل العمل القصصى ومستويات شخوصه... ويعنى الوصف ليس مطلق الوصف، وليس الوصف المحايد كذلك، وإنما

الوصف الذى ينقل الحدث من طور إلى طور، وينمّى جدل العلاقات بين أطراف العمل القصصى من جوانبه المادية والإنسانية والزمانية . . . ويعنى الحوار ليس مطلق الحوار، وإنما أن يكون مشتقاً من طبائع الشخوص وطبائع الفعل القصصى، فلا يكون أعلى أو أدنى من مستوى البوح الذي ينبغى أن يصدر عن هؤلاء الشخوص، ولا يكون مقحماً على عناصر الواقع الحَدَثِىّ الذى يعتلج داخل العمل القصصى . . . ويعنى السرد ليس مطلق السرد، وإنما حساسية القاص فى اختيار نوعية الصيغ الموائمة التى يتعامل بها مع موضوعه، بضمير المتكلم إذا شاء، أو بضمير الغائب إذا أراد، وبتحريك عناصر لغوية وتركيبة كثيرة لإبراز المضمون الذى يهدف إليه، وخلق الجو الذى يسبح فيه حتى يصل إلى شاطىء ما يريد .

ويمكن أن يلاحظ فى هذا الصدد شرط أساسى هو : حتمية توظيف كل عناصر ( البناء والنسيج ) فى تصوير حدث متكامل، من خلال وحدة لا تنحل، وأن تظل كل مفردات البناء والنسيج فى خدمة هذا الحدث لتصويره من جهة، ولتطويره من جهة أخرى، حتى لا يختلّ البناء الفنى للعمل القصصى، أو يصاب بنوع من الإنشائيّة أو الخطابية التى لا تدخل فى سياق التصميم العضوى للقصة بشكل عام .

أما القصة القرآنية، وهى عالم متميز بخصائصه الشكلية والمضمونية على السواء، فقد لقيتْ من عناية الباحثين المعاصرين جهداً كبيراً أضاء كثيرا من جوانبها الفنية، وحدّد فيها نوع المهمّة ونوع الأداة جميعا، وفضّ مغاليق كثير من قضاياها التى تتردد بين التكرار، والإفاضة، والإيجاز، والإيحاء، والمباشرة، وواقعية الحدث، وعرض الشخوص، وتحديد الفضاء الزمانىّ، وغيرها، مما يمكن تلخيصه فى مصطلح واحد هو : ( طريقة العرض القصصى فى القرآن الكريم )، ولقد أعان هؤلاء الباحثين على استقصاء هذه الخصائص الفنية فى القصة القرآنية، وعْيهُم النقدىُّ بأصول البناء القصصى من جهة ووعيهم العلمى بخصوصية البناء القصصىّ فى القرآن من جهة أخرى، فلم يقعوا فى شراك التعميم والارتجال .

ولعل من أبرز الجهود الموضوعية المعاصرة فى هذا الصدد، جهود طه حسين فى كتابه : ( مرآة الإسلام )، وجهود سيد قطب فى كتابيه : ( فى ظلال القرآن، والتصوير الفنى فى القرآن )، وجهود فتحى رضوان فى كتابيه : ( الإسلام والمذاهب الحديثة ) و( القصة القرآنية ) . على الأقل لأن هذه الجهود تمثل ريادة علمية فى اتجاهها الموضوعى العاقل فى دراسة الظاهرة، كما تمثل ريادة فنية فى اتجاهها الذى يتوفّر على دراسة الظاهرة من وجهة جمالية، ولا يعنى هذا أى استقصاء حاصر فى هذا المجال، بقدر ما يعنى التركيز على الجهود الرائدة التى نوّع عليها الآخرون كأنما ليؤكدوا ريادتها وجدارتها معاً .

وقد جسّد طه حسين رؤيته لطبيعة القصّ القرآنى من خلال تأمل نصّىّ لبعض سور القرآن الكريم التى تميزت بهذا القصّ، كسورة الشعراء، وسورة القصص، منبهاً إلى أن سياق القرآن الأسلوبىّ فى هذا الصدد يؤكد نوعاً من الإعجاز

الأدائيّ لم يستطع العرب أن يحاكوه في أيام النبي ﷺ ولا بعده، ذلك أنك (تتلو بعض سوره فإذا أنت مضطر في تلاوتها إلى الأناة والتمهل، لأنها فصّلت في ريث ومَهَل لأداء معان تحتاج إلى البسط والرَّيْث، كالتشريع مثلاً، ووصف ما كان يثار بين المسلمين والمشركين من الحروب والمواقع، وتتلو بعض سورة الأخرى فإذا أنت مضطر إلى شيء من السُّرع لأنها تؤدي معاني يحتاج أداؤها إلى القوة والعنف، قد فصّلت آياتها قصاراً ملتئمة الفواصل، تقرؤها فكأنك تنحدر من علٍ، وذلك حين يخوّف الله عباده ويشتد في تخويفهم، فيأخذهم من جميع أقطارهم، ويقطع عليهم طريق الجدال والحجاج)[1].

فإذا كانت هذه خاصية عامة في الأداء القرآني المعجز، فإنها تتألق بشكل خاص في الأداء القصصي في القرآن الكريم، مما يؤكد تواؤم (السياق) مع طبيعة (المضمون) الذي يحمله آناً، وتواؤم (السياق) مع طبيعة (المناخ النفسيّ) الذي يتوجّه إليه آناً آخر، دون أن يفقد جدل السياق والمضمون والمناخ أي مستوى من روعة الأداء، وجمال القصّ، وإعجاز التركيب...

**يقول طه حسين:**

(وربما يقص من أنباء الرسل فيمضي القصص في هدوء ومهل، لأنه يتجه إلى إثارة التفكير والاعتبار والتروية فيما جرى على الأمم من قبل، والحذر من أن يجري عليهم مثله. ثم يقصّ في سورة أخرى نفس الأنباء فتقصر الآيات وتسرع، وتتسق الفواصل وتنسجم، وتتكرر عبارات بعينها في آخر كل قصة، لأنه يتجه إلى الإرهاب والإثارة والإحاطة بالسامعين والقارئين وإعجالهم عن التفكر والتدبر، كأنما أخذتهم من كل مكان ريح عاصفة، لا يجدون منها مهرباً، ولا يرون لأنفسهم عنها منصرفاً، فهي تصب عليهم العبر والعظات والمَثُلات صباً، أو كأنهم يمطرون من السماء صخوراً متتابعة فهم لا يملكون إلا أن يذعنوا لما يصبّ عليهم، لا يجدون من الوقت ولا من القوة ما يتيح لهم رجع الجواب أو الجدال في بعض ما يصبّ عليهم، وإنما هي الآيات تتابع قصاراً أشد القصر، متسقة أروع الاتساق، والعبر القاصمة تستنبط منها في سرع سريع أيضاً، وهم لا يكادون يفرغون من قصة حتى تتبعها قصة أخرى، تأتي في إثرها في سرعة خاطفة، وقوة مذهلة، واقرأ إن شئت سورتين كسورة الشعراء وسورة القصص، فستجد السرعة كل السرعة، والقوة كل القوة، في السورة الأولى، وستجد الأناة والمهل في السورة الثانية، ولكنك ستجد الروعة في السورتين جميعاً، تروع أولاهما بما اختصت به من هذه السرعة، وتروع الأخرى بما امتازت به من الأناة، وذلك في القرآن كثير)[2].

فهنا يتواءم السياق مع المضامين المتباينة رَيْثاً وتسارُعاً، ويتواءم كذلك مع المناخات النفسية المتلقّية ترغيباً وترهيباً، دون أن يفقد السياق القصصي أياً من عناصره المكوّنة في أي من مراحل التعامل مع شخوص القصة أو أحداثها على السواء.

---

(١) طه حسين: مرآة الإسلام صـ ٥٠.

(٢) المرجع السابق صـ ١٥٠، ١٥١.



ويتخطى طه حسين هذه الوضعية الفنية فى خصائص القصة القرآنية إلى وضعية فنية أخرى، لعلها أن تكون أقرب مما عداها إلى النزوع الفنى الخالص فى البناء القصصى بشكل مطلق، وفى البناء القصصى القرآنى بشكل خاص، وهى عَمْدُ القرآن الكريم إلى نوع من الإيجاز الذى يحذف من القصة كل ما يمكن أن يستحضره السامع والقارئ، من أحداثها، لأنه طبيعى لازم لما تُلِىَ من القصة، ولعل الحكمة فى هذا الفعل القرآنى تكمن فى كون القرآن لا يتوجه بقصّ معين إلى حدث معين فحسب، وإنما يتوجه إلى كل الواقع التاريخى المشابه بهذا القص ليغشيه ويجسد مواطن العبرة فيه من خلال هذا التوجه المتعين، ثم فى كون القرآن يعمل على تحريك الطاقة الإنسانية المتلقية لتذهب فى معايشة الإيقاع القصصى إلى أبعد آماد التخيّل والاكتناه والاستقصاء.. يقول طه حسين - بعد أن يورد الآيات القرآنية المجسدة لقصة نوح مع قومه -:

( ينبغى أن نقف عند هذا الإيجاز الرائع المألوف كثيراً فى القرآن، والذى يقتضى أن يحذف من القصة كل ما يمكن أن يستحضره السامع والقارئ، من أحداثها لأنه طبيعى لازم لما تلى من القصة، فهذا الماء قد غمر الأرض، ولقى الظالمون من قوم نوح ما لقو من الجهد، وحاولوا كل محاولة ممكنة لينقذوا أنفسهم من الغرق فلم ينفع جهدهم، ولم تغن عنهم محاولاتهم من الله شيئا، ذلك لأن الله إذا أراد بقوم سوءاً فلا مردّ له، ولا سبيل إلى اتقائه، ولكن القرآن هنا يهمل هذا كله، فلا يتحدث عن المغرقين، ولا عن جهودهم ومحاولاتهم، ولا عما لقوا من الألم فى أنفسهم، ولا عما أحسوا من الندم لإعراضهم عن نوح ودعوته، لا يتحدث الله عن هذا، وإنما يستأنف الحديث عن السفينة )[٣].

ويقول طه حسين - بعد أن يورد الآيات القرآنية المجسّدة لقصة نوح مع ابنه:

( كم من يوم ظل الماء غامراً للأرض؟ وكم من يوم جرت السفينة فى هذه الأمواج المتلاطمة قبل أن تستقر على الجودى؟ هذه أشياء لا يتحدث الله بها فى هذا الموضع من القصة، وإنما يتركها لفهم السامع والقارئ وتقديرهما، وفى هذا الإيجاز المعجز ما يصور هول القصة، وربما صور الهول بالإعراض عن وصفه تصويراً أروع وأشد من وصفه )[٤].

وإذن فالإيجاز اللامح المكثف مقصود إليه فى القصّ القرآنى، وتعميم الدلالة من خلال تجهيل كثير من الشخوص وكثير من المكان والزمان مقصود إليه فى القصّ القرآنى، وتحريك الطاقات المتلقية فى اتجاه تصور ما حدث ليكون حجم الاستجابة أعرض وأعمق وأرهف مقصود إليه فى القصّ القرآنى وقد استطاع طه حسين فى دراسته لهذا الجانب الحىّ من جوانب الإعجاز القرآنى أن يضىء لنا أبعاد هذه الظواهر، من خلال سياقات قصصية، أرسى بها القرآنُ الكريمُ أصولَ اتجاه خاص به فى هذا المجال.

(٣) المرجع السابق صـ ١٦٨، ١٦٩.

(٤) المرجع السابق صـ ١٦٩.





# صلة الأرحام

لفضيلة الشيخ / عبد المنصف محمود عبد الفتاح (*)

قال الله - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(١).

رحم الانسان: أقاربه، وهم أولى الناس بالرعاية، وأحقهم بالعناية، وأجدرهم بالشفقة والحماية، وصلتهم، إنما تكون بملاطفتهم، والدفاع عن أعراضهم، والذود عن حاجتهم، وتفريج همومهم، وكشف غمومهم، وقضاء حاجاتهم، إن كانوا محتاجين، ومد يد المساعدة والعون لهم، إن كانوا معوزين، وسداد ديونهم إن كانوا مدينين، وإطعامهم من جوع، وإيمانهم من خوف، وتوقير كبيرهم، والعطف على صغيرهم، وتهنئتهم، إذا لحقهم خير، ومواساتهم إذا أصابهم شر، والتودد إليهم بالزيارة والهدايا، جبرا لخاطرهم، وتطييبا لنفوسهم، وإطفاء لنار الحسد والبغضاء من صدورهم.. وبذل غاية الجهد فى كل ما يجلب محبتهم من إلانة الجانب، وإظهار البشاشة عند اللقاء، ومبادأتهم بالسلام، ومخاطبتهم بلين الكلام، والإحسان إليهم وإن كانوا يجهلون.. وروى فى الصحيح: أن رجلا قال: «يا رسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعوننى، وأحسن إليهم، ويسيئون إلىّ، وأحلم عنهم ويجهلون علىّ، فقال: لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملّ (يعنى الرماد الحار) ولايزال معك من الله ظهير مادمت على ذلك».. وقال رجل لابنه فى بعض وصاياه: «يا بنى لا تقطع القريب، وإن أساء، فإن المرء لا يأكل لحمه وإن جاع».

(*) المدير العام الأسبق للدعوة والإعلام الدينى بالأزهر.

(١) النساء ١.

فصلة الرحم: خلة من أجمل الخلال، وخصلة من أفضل الخصال، بها يزول التباغض والتحاسد، ويكثر التراحم والتواد، وبمراعاتها تستمال القلوب، وتغفر الذنوب، ولذا حث الشارع الحكيم عليها، وبالغ في التمسك بها، حتى إننا لنجد الرسول ﷺ يرتب السعة في الرزق، والبركة في العمر، وحسن الذكرى في العقب، على بر الأقارب فيقول: «من سره أن يبسط في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه»[٢].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال،منسأة في الأجل»[٣].. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ مرفوعا: «صلة الرحم، وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار»[٤]..

وجاء في الأثر: «إن أعجل الطاعة ثوابا: صلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونون عصاة، فتنموا أموالهم، ويكثر عددهم، إذا وصلوا أرحامهم».

قال ابن القيم: ظاهر حديث البخاري: «من سره أن يبسط له في رزقه».. معارض لقول الله ـ تعالى ـ:

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٥].

قال: والجمع بينهما من وجهين:

**أحدهما**: أن الزيادة: كناية عن البركة في العمر، بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك.. ومثل هذا ما جاء: «أن النبي ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة إلى أعمار من مضى من الأمم، فأعطاه الله ليلة القدر.. خيرا من ألف شهر.. وحاصله: أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والعبادة، والصيانة من المعصية، فيبقى بعده: الذكر الجميل، فكأنه لم يمت، ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذي ينتفع به من بعده بتأليف ونحوه، والصدقة الجارية عليه، والذرية الصالحة.

**وثانيهما**: أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بقبض الأرواح، والذي في الآية بالنسبة إلى علم الله ـ تبارك وتعالى ـ.

كأن يُقال للملك مثلا: إن عمر فلان مائة سنة، إن وصل رحمه، وإن قطعها: فستون، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة أو النقص، وإليه الإشارة بقول الله ـ تعالى ـ:

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٦].

والمحو والإثبات بالنسبة إلى ما في علم الملك، وما في أم الكتاب، وأما الذي في علم الله فلا محو فيه البتة، ويقال له: القضاء المبرم، ويقال **للأول**: القضاء المعلق.

---

(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه الإمام أحمد.
(٥) الأعراف ٣٤.
(٦) الرعد ٣٩.



**والوجه الأول**: الحق، فإن الأثر ما يتبع الشيء، فإذا أخر: حسن أن يحمل على الذكر الحسن، بعد فقد المذكور، ورجحه الطيبي وأشار إليه في: «الفائق» ويؤيده ما روى عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: «ذكر عند رسول الله ﷺ: «من وصل رحمه أنسئ له في أجله»؟ فقال: إنه ليس زيادة في عمره، قال تعالى:

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾

ولكن الرجل تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده»[٧].

وجزم ابن فورك: بأن المراد بزيادة العمر نفي الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله» وقال غيره: «في أعم من ذلك وفي عمله ورزقه»[٨].

ولابن القيم في كتاب: «الداء والدواء»: «كلام يقضي بأن مدة حياة العبد وعمره هي: مهما كان قلبه مقبلا على الله، ذاكراً له، مطيعا غير عاص، فهذه هي عمره، ومتى أعرض القلب عن الله ـ تعالى ـ واشتغل بالمعاصي: ضاعت عليه أيام حياة عمره» فعلى هذا معنى: «أن ينسأ له في أجله» أن يعمر الله قلبه بذكره وأوقاته بطاعته».

ثم إن صلة الرحم سبب في إقبال الله ـ عز وجل ـ على الواصل: باللطف والإكرام، والرحمة والإنعام.. وقطيعتها سبب في الحرمان من كل ذلك!!.

روى الأصبهاني قال: «كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ، فقال: لا يجالسنا اليوم قاطع رحم، فقام فتى من الحلقة فأتى خالته، قد كان بينهما بعض الشيء فاستغفرها، فاستغفرت له، ثم عاد إلى المجلس فقال النبي ﷺ: «إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم».

وروى في الصحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ـ تعالى ـ خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة!! قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك»[٩]. ثم قال رسول الله ﷺ اقرءوا إن شئتم:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ۝ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[١٠].

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ـ عز وجل ـ: «أنا الله وأنا الرحمن، خلقت الرحم» أي القرابة» وشققت له اسما من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»[١١].. وقال رسول الله ﷺ: «الرحم متعلق بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله»[١٢].. وقال ﷺ: «والذي بعثني بالحق، لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة

---

(٧) رواه الطبراني في الصغير.

(٨) سبل السلام.

(٩) رواه البخاري ومسلم.

(١٠) محمد ٢٢٠ : ٢٤.

(١١) رواه أبوداود والترمذي.

(١٢) رواه البخاري ومسلم.



محتاجون إلى صدقته، ويصرفها إلى غيرهم، والذى نفسى بيده، لا ينظر الله إليه يوم القيامة»[١٣].

واختلف العلماء فى تحديد الرحم التى تجب صلتها:

فقيل: هى الرحم التى يحرم النكاح بينها، بحيث لو كان أحدهما ذكرا، حرم على الآخر، فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام، ولا أولاد الأخوال، لجواز النكاح بابنة العم وابنة الخال، واحتج صاحب هذا القول بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها فى النكاح، لما يؤدى إليه من التقاطع.

وقيل: هو من كان مرتبطا بميراث، ويدل عليه قول النبى ﷺ: «برّ أمك ثم أباك، وأختك ثم أخاك، ثم أدناك فأدناك».

وقيل: هو من كان بينه وبين الآخر قرابة سواء أكان يرثه أم لا.

وصلة الرحم كما قال القاضى عياض: درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها: ترك المهاجرة، وصلتها بالكلام، ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها: ما هو واجب، ومنها: ما هو مستحب، فلو وصل بعض الصلة، ولم يصل إلى غايتها، لم يسم قاطعا. ولو قصر عما يقدر عليه وينبغى له لم يسمّ واصلا.

وها هو ذا سبحانه وتعالى يهدد الذين يقطعون أرحامهم بالوعيد الشديد، وهو الطرد من رحمته، والمصير إلى دار عقوبته، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[١٤].

وقال جل شأنه:

﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[١٥].

وعن جبير بن مطعم ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع» يعنى: قاطع رحم[١٦].. وعن أبى بكر مرفوعا: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما ادخره الله له فى الآخرة: من قطيعة الرحم[١٧].. وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى بعثنى بالحق، لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم، وألان له فى الكلام، ورحم يتمه وضعفه، ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله، وقال: يا أمة محمد، والذى بعثنى بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون إلى صدقته، ويصرفها إلى غيرهم، والذى نفسى بيده: لا ينظر الله إليه يوم القيامة»[١٨].

واختلف العلماء أيضا بأى شئ تكون قطيعة الرحم؟

---

(١٣) رواه الطبرانى.

(١٤) الرعد «٢٥».

(١٥) البقرة «٢٧».

(١٦) متفق عليه.

(١٧) رواه أبوداود.

(١٨) رواه الطبرانى بسند رجاله ثقات.

فقال الزين العراقي: «تكون بالإساءة إلى الرحم» وقال غيره: «تكون بترك الإحسان، لأن الأحاديث آمرة بالصلة، ناهية عن القطيعة، فلا واسطة بينهما».

والصلة، نوع من الإحسان، كما فسرها بذلك غير واحد، والقطيعة، ضدها، وهي بترك الإحسان» عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»(١٩).

ومن لطيف ما يروى أنه جرت بين محمد بن الحنفية، وأخيه الحسن بن علي - رضي الله عنهم - أجمعين جفوة، فانصرفا متغاضبين، فلما وصل محمد إلى بيته أخذ ورقة وكتب فيها «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي بن أبي طالب: إلى أخيه الحسن بن علي بن أبي طالب: أما بعد:

فإن لك شرفا لا أبلغه، وفضلاً لا أدركه، فإذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك، وسر إلى فترضني، وإياك أن أكون سابقك إلى الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام.

فلما قرأ الحسن الرقعة: لبس رداءه ونعليه ثم جاء إلى أخيه محمد فترضاه»

وفي رواية أخرى: ما يفيد بأنه وقع بين محمد بن الحنفية وأخيه الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - جفوة.

فكتب محمد إلى أخيه الحسن يقول: أما بعد: فإن أبي وأباك علي بن أبي طالب لا تفضلني فيه ولا أفضلك، وإن أمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وأمي امرأة من بني حنيفة، فوالله لو أن ملء الأرض من مثل أمي: ما عدلن أمك، فإذا بلغك كتابي هذا فاحضر إلى لتترضاني فإنك أحق بالفضل مني.. فما أن بلغ الكتاب: إلى الحسن، حتى بادر إلى أخيه وترضاه..».

ولعل ترغيب الشارع الحكيم: في صلة الرحم، وتشديده في أمرها وتحذيره من قطعها، حتى جعلها من أكبر الكبائر: إن أقارب الإنسان أشد نصرة له بعد الأبوين، وأعظمهم محبة له، وأكثرهم رغبة في الخير له.. بهم يشتد ساعده، وتقوى شوكته، ويعظم جاهه، ويرتفع ذكره، ولا عجب فهم أكثر الناس به اختلاطا، فإذا قصعهم: تكدر صفوه، وتنغص عيشه، وتحير لبه، وكثر همه، وعظم شره، وقل خيره.. وهذا كله: يحتم على الإنسان: لا أن يصلهم، وأن يعمد إلى إيصال الخير إليهم، فهم أولى بالبر من غيرهم.

ألم يجعل الله الأمر بصلتهم عقب الأمر بتقواه:

﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢٠).

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١٩) رواه البخاري ومسلم.

(٢٠) الأنفال «٧٥».

# الإسلام

## دعوة لتحقيق الوحدة الإنسانية

المستشار/ محمد عزت الطهطاوي

**عندما أشرقت دعوة الإسلام على الدنيا ونادى الرسول ﷺ بعقيدة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) كان ذلك إعلانا منه بأن هذا الدين هو دين الإنسانية عامة لا دين أمة خاصة، وكان مما شرطه الله على الداخل فيه وجوب الإيمان بجميع الرسل الذين سبق إرسالهم إلى الأمم الماضية، وبجميع الكتب المنزلة إجمالا قال الله - تعالى -:**

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(1).

لذلك كان الكفر بواحد من أولئك الرسل أو بكتاب من تلك الكتب لا يجعل ذلك المرء من زمرة المسلمين قال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾(2).

فالإسلام في دعوته يدعو إلى الإيمان بعقيدة تحترم الإنسانية كلها وعدم التفرق فيها تحقيقا للوحدة الدينية التي هي أساس كل خير يرجى للجماعات البشرية، لذلك كان عند ظهوره أكبر تطور حدث في العالم يمكن تسجيله للعقلية الدينية، وهو ما لا يمكن حدوثه من عقل بشري بدون إرشاد سماوي.

---

(1) سورة البقرة الآية ٢٨٥.

(2) سورة النساء الآيتان: ١٥٠/ ١٥١.

## أمة الإسلام أمة عالمية

لم يكتف الإسلام بتوحيد الدين من الوجهة النظرية ولكنه عمل على تحقيق هذا التطور العظيم بتأليف أمة عالمية غير قومية كان فيها لذوى الألوان المختلفة واللغات المتباينة والأجناس المتباعدة حقوق واحدة تحت اسم جامع مشترك تفنى فيه جميع الأسماء الخاصة، هذا الاسم هو (أمة الإسلام) قال تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[3]

وقال:

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾[4].

## الأصول التى قررها الإسلام لتحقيق هذا التطور العالمى

**أولها**: الامتناع عن التقليد خصوصا فيما يتعلق بالعقيدة الدينية.

**ثانيها**: وجوب الرجوع إلى العقل فى الأخذ بالعقيدة الدينية المشار إليها.

**ثالثها**: طلب الدليل على كل ما يتطلب التصديق به.

**رابعها**: الاستماع إلى كل قول واتباع أحسنه.

**خامسها**: تصيُّد الحكمة من مظانها.

**سادسها**: طلب العلم وبذل كل جهد للوصول إلى لبابه.

**سابعها**: النظر فى خلق السماوات والأرض وفى جميع ما يقع تحت سلطان البصر والتأمل فيها وهو كتاب الله المنظور.

**ثامنها**: السياحة فى الأرض لدراسة أحوال الأمم ومعرفة علل تقدمها وتأخرها أو سبب هلاكها وبقائها.

**تاسعها**: عدم الاعتداد بالعقائد الموروثة ومحاكمتها إلى العلم والعقل وتطلب الدليل عليها.

**عاشرها**: استشعار المسئولية الشخصية، والاعتقاد بأن الإنسان لا يغنى عنه أحد شيئا.

### فهذه الأصول

لو أخذت بها الأمة لحدث فى عقليتها ونفسيتها ووجودها الاجتماعى تطور سريع لا يقف دون بلوغها أرفع مستوى تتوق إليه فى حياتها الأرضية

ولو أخذت بها الأمم قاطبة لتقاربت وتفاهمت وتعاطفت وانتهت إلى الوحدة التامة كما حدث لأمة الإسلام وهى مؤلفة من عشرات من القوميات، وكما يحدث لمن يقبل الإسلام دينا له، إذ يجد نفسه كأنه من المسلمين جسداً وروحاً وينسى أنه من نبات بيئة أجنبية.

وهذا التطور لو حدث فسيكون فى مصلحة الإسلام لأنه كفيل لنفسه هذه المكانة بما أحاط جوهره من العوامل التى تجعله الغاية التى ليس وراءها غاية أخرى[5].

(3) سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

(4) سورة المؤمنون الآية ٥٢.

(5) كتاب السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة تأليف العلامة الموسوعى الأستاذ محمد فريد وجدى. صفحة ١٠٦.

**فهو يدعو إلى توحيد الله وتنزيهه**

ويحول دون الخيالات أن تتناوله على أية حالة، تلك الخيالات التي فرقت الأمم شيعاً وألبست الأوهام حُلَّة الدين.

**كما يدعو الإسلام إلى الوحدة الاجتماعية والوحدة الدينية**

لكنه لا يقيدها بأسلوب مقرر بل يترك لناموس الترقي الحرية في تكييف جهودها على ما تستدعيه حالات الانتقال في الأزمنة المختلفة.

**والإسلام يمنح العقل سلطانه كله في التفكير.**

فلا يحمله إصراً إلا ما يزيد في نضوجه من علم ونظر ولا يرى حرجاً لمن فكر لكي يتثبت ويتحقق

**وهو يطلق للميول الجسدية حريتها ولكن في دائرة الاعتدال.**

هذه الدائرة ترسمها الحكمة المستمدة من العلم الصحيح، لا من التحكم وإرادة التسخير.

**والإسلام يأمر بالتوسع في العلم والتبحر فيه.**

وهو العلم الذي محصلته من الواقع المحسوس لا الذي يشطح في الخيال وتمده الأوهام والظنون

**كما يأمر بمراعاة الأحوال وتقدير الظروف.**

**ومعالجة الأمور بالحكمة لا بالخرق، وبالتشاور لا بالاستبداد بالرأي.**

**ولا يحرم الإسلام على أهله إلا الخبائث ما ظهر منها وما بطن.**

سواء أكانت في مأكل ومشرب أم في قول وعمل، وفي نفس الوقت يحل لهم الطيبات لكن في حدود الاعتدال والتوسط بلا تقتير أو سرف.

**ويحث على دوام الترقي.**

وتطلب الأحسن من كل شيء، وتوخي الأمثل من كل رغبة.

**ويحض على التخلق بأخلاق الله**

وهو ما يرى في آثار حكمته وعدله، ورحمته وإحسانه وتدبيره وإتقانه ظاهراً يبهر الأنظار في كتاب الكون المبسوط للناس كافة[6].

**وبعد:**

فإن ديناً يكون قد أحاط بكل هذه العوامل جدير بأن يبقى على الدهر، ويدوم دوام السماوات والأرض وإن انطوى على أعدائه والحاقدين عليه، لكن إذا استعدت النفوس الهائمة إلى إيثار الوحدة الاجتماعية والوحدة الدينية وجدت الإسلام أمامها يدعوها إلى حظيرته فأقبلت عليه إقبال الهيم على المورد العذب فقبلته ديناً لها وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٨٣ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[7].

(٦) كتاب السيرة المحمدية المرجع السابق.

(٧) الآيتان ٨٣، ٨٤ من سورة آل عمران.

# طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

## حقائق

● لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالأدب، ولا ظهير كالمشاورة.

● قدر الرجل على قدر همته، وصدقه على قدر مروءته، وشجاعته على قدر أنفته، وعفته على قدر غيرته.

● من أسرع إلى الناس بما يكرهون، قالوا فيه ما لا يعلمون.

● نفس المرء خطاه إلى أجله.

● أوضع العلم ما وقف على اللسان، وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان.

## أجهل من قومي قومك

قال معاوية يوما لرجل من أهل اليمن: ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة!

فقال أجهل من قومي قومك الذين قالوا لما دعاهم الرسول ﷺ للإيمان:

﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(١).

ولم يقولوا: «إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه».

(١) سورة الأنفال الآية: ٣٢.

## حقـــا

وكل كسـر فـإن الله يجبـره
ومـا لكسـر قناة الدين جبـران

## ما ظنكـم

تحسر بعض الحكماء عند موته، فقيل له: ما بك؟ فقال: ما ظنكم بمن يقطع سفرا طويلا بلا زاد، ويسكن قبرا موحشا بلا مؤنس، ويقدم على حكم عدل بلا حجة.

## الأولـى لنـا

امتنع رجل عن غسل يده للطعام عند الحسن البصري، فأمره بغسلها وقال له: الغسلة الأولى لنا، والثانية لك فإن شئت فدعها.

## البخـل والكـرم

أنفق ولا تخش إقلالا فقد قسمت
بين العبـاد من الآجـال أرزاق
لا ينفع البـخل مع دنيـا مـولية
ولا يضـر مع الإقبـال إنفـاق

## كيـف أصـبحت؟

قيل لأحد العلماء الأئمة - رضي الله عنهم - : كيف أصبحت؟

قال: أصبحت تطلبني ثمانية: الله تبارك وتعالى - بالفروض، ورسوله ﷺ بالسنة، والدهر بصروفه، والعيال بقوتهم، والحفظة بما ينطق لساني، والشيطان بالمعاصي، والنفس بالشهوات، وملك الموت بقبض روحي.

## كنايـة.. وتعريـض

مرض زياد فدخل عليه شريح القاضي يعوده، فلما خرج بعث إليه مسروق بن الأجدع يسأله: كيف تركت الأمير؟

قال: تركته يأمر وينهى.

فقال مسروق: إن شريحا صاحب تعريض فاسألوه، فسألوه، قال: تركته يأمر بالوصية، وينهى عن البكاء.

## دعـــاء

اللهم إن مغفرتك أرجى من عملي، وإن رحمتك أوسع من ذنبي، اللهم إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك، فرحمتك أهل أن تبلغني لأنها وسعت كل شيء، يا أرحم الراحمين.

# واقعة حال

للشاعر
أحمد مصطفى حافظ

في ساعة مبكره
والليل ينضو مئزره
بفجر يوم حافل
كم هزني.. ما أحضره
مضت بنا سيارةٌ
تقلنا.. مستبشره
يقودها محنكٌ
ما أعوزته المقدره
والأهل في انتظارنا
برحلة مقرره
ونحن في براءة
قد أمتعتنا الثرثره
وفجأة.. يا تعسنا
إذا بنا.. بمجزره!
سالت بها دماؤنا
غزيرةً.. مبعثره
فقد دهتنا بغتةً
سيارة.. مزمجره
من خلفنا.. كأنها
حتفنا.. مسيره
ليست تبالي إن غدت
تسوقنا.. لمقبره!
وزلزلت أعصابنا
بصدمة مدمره
ثم ارتطمنا.. عقبها
بجزع أخرى.. مدبره

فكانتا.. شدقي رحى
قد أطبقا.. كمعصره
شجت بها رأسي وكتفي جرحها ما أغوره
وطاف بي في لحظة
رهيبة.. مؤثره
أطياف من أهوى وما
ينبغي أن أذكره
جبلة الإنسان أن
يخشى الردى ويحذره
والموت باب كلنا
لابد أن.. أن يعبره
والعمر مهما طال عند النزع ما.. ما أقصره
صحيفتي.. كأنها
من كل خير.. مقفره!
هل يا ترى.. تندمي
يرد هول الغرغره؟
يا نفس بالله اهدئي
ولتخبتي.. مستغفره
هذا بلاء محدق
أم عبرة وتذكره؟
تزجى لمن لا يرعوي
بالبطش.. بعد التبصره!
.. تعد عندي منحة
لا محنة مكدره
عزاؤنا: يقيننا
بأنها.. مقدره

# المعادلة الصعبة

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

**هداية الله لبعض خلقه فضل عظيم ينبغى أن يشكر ولا يكفر، ونعمة جليلة تستوجب الحمد والثناء، كما أن ضلال الكثيرين عن طريق الله وانحرافهم عن سبيل الحق هو عدل محض اقتضته طباعهم المختلفة وأعمالهم السيئة التى يزكيها استعداد للجنوح وعدم إيمان بعالم الروح. وربما كان للفريق الثانى العذر لو لم ينزل الله الكتب ويبعث الرسل استناداً للقاعدة القانونية التى تقول: «إنه لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص» لكن تلك الحجة مدحوضة بعد أن اصطفى الله من عباده أنقاهم فطراً وأصفاهم نفساً وأكرمهم سجايا وختمهم بمن تسنم القمة العلياء فى الخلق الرفيع سيدنا محمد ﷺ عبد الله ورسوله، أزكى البرية أجمعين وحبيب رب العالمين صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين شموس الهدى لكل من تطلع إلى معالى الأمور ورام الحقيقة فى أزهى صورها.**

وعنوان سعادة المرء ودليل توفيقه هو امتثاله أوامر ربه واجتنابه نواهيه واستقامته على شرع الله ودينه يزداد بذلك استمساكاً وتشبثاً كلما أوغل فى بحر الحياة الذى لا تزداد أمواجه إلا ارتفاعاً ولا لججه إلا علواً وفى ذلك اختبار وتمحيص لمهارة الملاح المؤمن وبراعته فى الوصول بسفينته إلى بر الأمان وشط النجاة وهو يستعين فى سبيل تحقيق ذلك بطاقة روحية فذة لا يملكها إلا هو، ولا تستمد إلا من داخله، منبعها إقباله على الله بنية صادقة وعبودية لله خالصة، ركيزتها وجوهرها أن لا تشغله الحياة الدنيا وما فيها من زخرف الأمال الخادعة وزينة السراب الواهى عن الاستعداد للحياة الباقية والتزود للدار الآخرة، تلك ببساطة المعادلة الصعبة التى أنيطت بعباد الله المخلصين حين أكد الله على خاصية من خصائص الرجولة التى يغفل عنها الماديون ويحصرونها فى معنى ضيق يزرى بمكانة الإنسان ويحط من منزلته ويهوى به إلى مستوى الحيوان الذى لاهم له سوى إشباع غريزته وإطفاء أوامرها ولو فهم لأدرك أنه يزيدها سعاراً وتأججاً أما المعنى الحقيقى للرجولة

فقد بينه سبحانه في قوله:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾(١).

فهو كما ترى وصف دقيق للمساجد بأنها مصانع الرجال يتربون فيها على القيم ويحرصون على المبادئ التى أهمها أنه على الرغم من اشتغالهم بالبيع والشراء ـ وهو أمر جوهرى لحياتهم ـ إلا أن ذلك لم يمنعهم من استحضار عظمة الله استحضاراً على تقواه وعبادته فالمؤمن ليس مجرد تاجر يبيع ويشترى فيخسر ويربح إنما هو يوظف كل ذلك لتحقيق غرض لا يحيد عنه فهو يغتنم أيام ولحظات الدهر فى الأعمال الصالحة التى تعود بالنفع عليه وعلى غيره يبتغى فيما آتاه الله وجه ربه والدار الآخرة، لعلمه أن تلك الحياة ما هى إلا وسيلة للفوز بالحياة الدائمة والظفر بالسعادة الحقيقية فالحياة ليست كما يصورها الفارغون أعمالاً شاقة مؤبدة نهايتها الإعدام وإنما الموت أولى مراحل الآخرة، وخروج الإنسان من الدنيا أشبه ما يكون بخروجه من رحم أمه إلى دنيا الناس مع فارق أساسى هو أنه فى بطن أمه لم يكن يعمل أو يكسب، بينما هو فى الدنيا يكد ويكدح أما فى الآخرة فلا عمل، لأنها دار جزاء وثواب والدنيا عرض زائل، وظل آفل يأكل منها البر والفاجر، وأنه مهما طال فيها العمر والفسح فيها للمرء الأجل فسرعان ما تبلى وتزوى، وعما قليل تفنى وتنقضى ولقد رسمت آيات الكتاب المبين صوراً للدنيا اتخذت مما يشاهده المرء صباحاً ومساء محوراً وهى صور بسيطة لا تعقيد فيها يفهمها كل من رآها قال تعالى:

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾(٢).

فهى كالسوق عقدت وانفضت خسر فيها من خسر وربح فيها من وعى، فمن منا لم ير المطر يهطل من السحاب فينزل على الأرض ينبت ما فيها من زروع تراه الأعين فتسر بمنظره وتمسه الأيدى فتنساب نعومته فى كل خلايا الجسم ثم يأخذ ذلك النبات شيئاً فشيئاً كالطفل يكبر طوراً فطوراً ثم ينضج حتى يصل إلى مرحلة تسبى الأنظار وتأخذ بالألباب لدرجة يتمنى المرء معها لو أن الزمان توقف عند تلك الفترة المترعة بالرغد، المفعمة بالجمال والسحر والفتنة، لكن سرعان ما يذوى ويشيخ ثم يكون حطاماً، ثم يصبح أثراً بعد عين، فهكذا الدنيا فى عين المؤمن بل فى عين كل منصف أحسن استخدام عقله، وهى صورة لا تحتاج إلى شرح وإسهاب كما ترى وضحتها كلمات المعصوم ـ ﷺ ـ فى الحديث عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله

(١) سورة النور الآيتان: (٣٦، ٣٧).

(٢) الحديد (٢٠).



ﷺ قال: «أن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النار»[٣].

فنحن هنا إذن لمهمة ولم تخلق عبثاً إنما خطواتنا معدودة وأنفاسنا محسوبة، كل لحظة تمر تبعدنا عن الدنيا وتقربنا من الآخرة والدنيا بكل ما حوت يحكمها قانون إلهي أوضحه الحديث الشريف عن سهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»[٤] وهي حقيقة عز على الملحدين إدراكها وتصور صعب على ذوي الخواء الروحي الإلمام به؛ لأن عقولهم صورت لهم أنه ليس من الإمكان أبدع مما كان وواقع الأمر أن الله أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولو تفتحت بصائر أولئك الغاوين وزالت عنها حجب المادة الكثيفة، لأدركوا هوان الدنيا التي صورها الرسول أبدع تصوير في مشهد عادي جداً يمكن أن يمر به أي إنسان ولا يعيره أدنى اهتمام، وذلك حين مر ﷺ هو وصحبه على هذا المنظر عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: مر النبي ـ ﷺ ـ بشاة ميتة قد ألقاها أهلها فقال: «والذي نفسي بيده للدُنيا أهون على الله من هذه على أهلها»[٥] وهو قسم يصك كل أذن صمت عن سماع الحق ويبهر كل نفس تقاعست عن الانصياع للهدى لو أفاق الغافلون وصحى النائمون.

ومع هذا البيان الواضح والتحوير العميق للحياة الدنيا ترى الكثيرين يتعامون عن حقيقتها ويتغافلون عن الانقياد لأمر الله، والسبب هو أن الوهم لديهم لبس ثوب الأمل الخادع الذي صوره القرآن الكريم حين قال:

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٦]

وران على قلوبهم سوء العمل وأصبحت الدنيا لديهم هي الوجه الوحيد للحياة ولو أنصفوا أنفسهم لرأوا أن الآخرة هي الوجه الآخر والأجمل للحياة، إذ قل لي بربك كيف يُنصف المظلوم المهضوم في الدنيا إن لم تكن هناك آخرة، فالحياة الأخرى إذن ضرورة يقتضيها العقل السليم ويحتمها الفكر السوي، وليست نوعا من الفكر الترفي أو الترف الفكري كما يزعمون. أما أن تستولي الدنيا على قلب المرء فتنسيه ذكر ربه ومن ثم نفسه وجوهره فيصير خاويا فارغا لاهدف له ولاقضية فهذا هو الفناء بعينه، وتأمل معي ذلك المثل الرائع الذي ضربه ﷺ لمن انهمك في الدنيا وأهمل الآخرة وانكب على الشهوات يعب منها عباً فلا يزداد إلا ظمأ وسغباً، إنه مثل مستمد من البيئة التي كان يعيش فيها الأعرابي فهو يعيش في الصحراء يرعى الغنم ويأكل لحومها ويشرب ألبانها ويكتسي ويستدفئ بأصوافها وأوبارها وأشعارها، هي مصدر

---

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٥) أخرجه أحمد.

(٤) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٦) الحجر (٣).



حياته ولاريب وأى مآس بها خطر محدق يؤذن بزوال حياته ونهايتها، فهو إذن يبذل كل مافى وسعه للحفاظ عليها قال ﷺ : «ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»[٧]. فانت هنا أمام غنم هى رأس مال صاحبها وعماد حياته، تعيش فى أمان واطمئنان، تأكل الكلاء وتشرب الماء وفجأة يدهمها ويهجم عليها ذئبان ليشجع أحدهما الآخر وليس ذئبان عاديان لكنهما جائعان فيأتيان على الغنم ويبيدانها عن آخرها، هذه الصورة الواضحة أشد فظاعة منها وأكثر شرا وأخطر: حرص المرء واستسلامه لمظاهر الدنيا من شرف وجاه ومال وسلطان، الأمر الذى يفقد بسببه دينه وآخرته، إذ كيف به يحرص على الماديات وينسى المعنويات والروحانيات؟! إنها حماقة ما بعدها حماقة، ولم لا وحب الدنيا رأس كل خطيئة، الحب الذى يبعد بصاحبه عن الجادة وقال بعض السلف: «من أحب الدرهم والدينار فليتهيىء للذل» وقد كان التابعون حريصين على إبراز هذا المنحى والتأكيد عليه فحين نظر الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ إلى بعض أهل زمانه ورأى تكالبهم على الدنيا وغفلتهم عن الآخرة تساءل مستنكرا: «أيؤمنون بيوم الحساب هؤلاء» ثم أجاب منددا: «كلا. كذبوا ومالك يوم الدين» إنها إدانة لمن خلى الفضيلة جانبا وجرى وراء المادة سابحا، فأنت لاترى إلا أناسا لاهم لهم غير جمع الأموال وتضخيم الثروات وتكديس الممتلكات وزيادة الأرصدة فى البنوك، وهم فى سبيل ذلك يسلكون مسالك مشبوهة وسبلا محرمة والغريب أنه يقرع مسمع الكثيرين منهم آناء الليل وأطراف النهار تحذير رسول الله ﷺ من أكل الحرام حين يقول: «والذى نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما وأى عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به»[٨]. فقد جمع ذلك المخالف إلى جانب الحرام أمورا ترتبت عليه منها أن يضيع عمله سدى، إذ لا يتقبل وأنه يلقى بنفسه طائعا مختارا فى جهنم ويصبح طعاما للنار! وقانا الله وإياكم، وهكذا تلتف حوله حلقات الهلاك واحدة تلو الأخرى، فالحرام ساقه لحب الدنيا التى انصاعت لها نفسه الأمارة بالسوء المنقادة للهوى، وكلها مضار. ألقت به إليها أمورا كشرب المسكرات وتعاطى المخدرات واقتراف الفواحش وارتكاب المنكرات التى ساعده عليها سموات مفتوحة غصت بواقع الإعلام المعاصر وما تبثه وسائل الاتصال والكثير من القنوات الفضائحية من تسويغ للباطل وتزيين للشهوات وإهدار للقيم، وكلها أمور لا ينبغى السكوت عليها خصوصا مع النشء الصغير المستهدف، إن كل ما يحدث نتيجة طبيعية للامبالاة بينها

(٧) أخرجه الترمذى.

(٨) أخرجه الطبرانى.

قوله ـ عز وجل ـ:

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾(٩).

فهل هناك أغلى من الصلاة وأرخص من الملذات ومع هذا ارتكس المسئ في حمأتها!

وبعد: فمنظومة القيم والفضائل كحبات العقد الثمين النفيس، إذا انفرطت حبة انفرط العقد كله وتداعى البناء فتحكم الأعداء وانقلب الميزان فاستحوذوا على كثير من خيرات الأمة وسلبوا أجزاء من أرضها وميعوا كثيرا من أحوالها وساموا بعض الشعوب المسلمة سوء العذاب وليست فلسطين إلا حلقة من حلقات ذلك المسلسل المرير ولقد أنذر رسول الله ﷺ وحذر أمته من أن تقبل على الدنيا وتخلد إليها وتدع الجهاد فقال: «إذا تبايعتم بالعينة وأكلتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه منكم حتى ترجعوا إلى دينكم»(١٠).

وقال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها» قلنا: يا رسول الله: أمن قلة بنا يومئذ قال: «أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل تنتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن» قلنا: وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»(١١) إنها الدعوة إذن إلى الكيف وليس الكم والحرص على النوعية وليس العدد فالإسلام يريد رجالا يحرصون على الموت لتوهب لهم الحياة، فهؤلاء الأفذاذ الذين تعمر بهم الحياة وتكتسب معناها ولم يخافوا الموت والأجل مقدر وقد وعدوا بإحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة ولم تزغ أفئدتهم والميزان واضح وضوح الشمس في قوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾(١٢).

ولم الحرص على الدنيا وأمامنا في كتاب ربنا ما حل بالماضين من كوارث استئصلت شأفتهم لما عصوا ربهم؟! ثم ألا نتعظ بمن يرحلون عن الدنيا من أفراد وجماعات وآباء وأمهات وأبناء وبنات وملوك ومماليك وأغنياء وصعاليك ومؤمنون وكفار وأبرار وفجار يودعون القبور وينتظرون يوم البعث والنشور؟! ولو أننا عادينا الشيطان لحققنا المعادلة الصعبة وزال من حياتنا كل الأعداء والأعباء والحمد لله أنه من رحمته بنا لم يحرمنا من وسائل الأمان حيث قال:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(١٣).

فرأيتهم وهم تحصى ذنوبهم بكتب النصر لمن نصر الله منهم واتقاه.

---

(٩) مريم (٥٩).

(١٠) أخرجه أبو داود.

(١١) أخرجه أحمد وأبو داود.

(١٢) النازعات (٣٧ : ٤١).

(١٣) الأنفال (٣٣).

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

# استفتاءات القراء

## تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس

### المنع من الزواج

● سؤال من السيد / على محمد البصير من دولة قطر الشقيقة يقول فيه :

ماحكم الشرع فيمن منع بناته أو أخواته من الزواج مع العلم بأن البنات بلغن السن القانونية للزواج؟

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :

فنفيد بأن الزواج سبب رئيسى فى بقاء النوع الإنسانى وعمار الكون لذلك نرى القرآن الكريم والسنة النبوية أمرتنا به وحثتنا عليه فقال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١) .

وقوله ﷺ : « الزواج من سنتى ومن رغب عن سنتى فليس منى » وقوله أيضاً : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » فإذا بلغت المرأة سواء كانت بنتاً أو أختاً سن النكاح، وجاءها رجل كفء لها ديناً وخلقاً ومالاً، وجب على وليها أن يزوجها، منعاً للفتنة فى دينها وخلقها وشرفها،

(١) سورة الروم آية (٢١)

هذه الفتنة التي تؤثر عليها في حياتها وتمس كرامة أسرتها، وتعرضها للقيل والقال.

وغريزة الأمومة في المرأة غريزة طبيعية وفطرية، وكذلك الغريزة الجنسية من أعنف الغرائز، وهي كذلك غريزة فطرية للرجال والنساء.

فإن لم يفعل ولي أمر المرأة ومنع زواجها، وخشيت على نفسها الفتنة. فقد أجاز الأحناف للمرأة البالغة الرشيدة أن تزوج نفسها بدون إذن وليها والله أعلم.

## العدل بين الزوجات

● **سؤال من السيد / نصر علي مصطفى يقول فيه:**

**لي زوجتان أنجبت من الأولى ولدين، والثانية لم تنجب، والزوجة الأولى تقول من حقي ليلة في المبيت، وللأولاد ليلة ثانية وللزوجة الثانية ليلة واحدة فهل هذا صحيح شرعاً أم لا؟**

●● **الجواب:**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فنفيد بأن الدين الاسلامي والشرع الحكيم شدد على العدل بين الزوجات ولم يبح التعدد إلا بالعدل بين الزوجات فقال سبحانه وتعالى:

﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾(٢).

على ذلك فإن الدين الاسلامي يطلب من معتنقه أن يكون ذا ضمير حي، تحفظ به الحرمات، وتصان به الحقوق والواجبات والعدل في كل شئ أساس الملك ورأس الفضائل. وتاج المكارم، سبب الخيرات، ومصدر البركات.

والعدل بين الزوجات أمر واجب، أمر به الكتاب والسنة. والعدل المطلوب بين الزوجات يكون في النفقة والكسوة والمبيت. بحيث لايفضل في ذلك واحدة على أخرى. ويذرها كالمعلقة لا هي متزوجة ولا هي مطلقة.

وأما المسألة محل السؤال. فنقول للسائل: ماتقوله زوجتك الأولى بأن لها ليلتين هي وأولادها وللزوجة الثانية ليلة واحدة. أمر لا يجوز شرعاً. ويعرضك لغضب الله. إلا إذا وافقت عليه الزوجة الثانية برضاها؛ وإنجاب الأولى وعدم وجود أولاد للزوجة الثانية لا دخل له في التقسيم. وليس للأولاد في القسمة الشرعية، وماتقترحه الزوجة الأولى من وساوس الشيطان فاتق الله واعدل بينهما ولا تطعها والله أعلم.

## الغش والتعدد في الزواج

● **سؤال من السيد / أ.ج.ح يقول فيه:**

**تقدمت لخطبة فتاة وقدمت شبكة بمبلغ ٢٠٥٠ جنيها وبعد ذلك اكتشفت أن**

(٢) سورة النساء آية (٣)

رائحة فمها لا تطاق فعرضتها على الأطباء وأجروا لها كشف منظار فكشف عن مرضها وهو التهاب في المعدة وضعف في المرئ مما يسبب ارتجاعا فيحدث رائحة كريهة في الفم تتعبني وتألمني صحياً ونفسياً ومادياً، ولم يصارحني بهذا المرض والدها أو والدتها أو أخوتها أو أى أحد من طرفها وأنا لا أستطيع تحمل نفقات هذا المرض ولا أتحمل الاستمرار مع هذا المرض والعيب فهل يصح لي استرداد شبكتي من عدمه؟

●● الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فنفيد بأن الإسلام دائماً يحارب الغش وينهى عنه وخاصة في أمر الزواج، ولذلك حث على التكافل، والتكافؤ في الأدب والخلق والوضع الاجتماعي، والنواحي الصحية، التي تنادي بتأسيس بيت يقوم على قواعد سليمة، ينتج عن ذلك ذرية صالحة سليمة خالية من الأمراض.

هذا ولما كان السائل، قد تقدم لخطبة الفتاة المذكورة وتبين له بعد أن ألبسها الشبكة، رائحة فمها الكريهة التي تجعل الزوج في صورة رفض وإعراض عنها حيث لا يطيق هذه الرائحة وبالبحث والتحري والتحليل وعرضها على الأطباء وجد بها عيوب في المعدة. وحاول علاجها ولكن دون جدوى، وثبت له أن في هذا الأمر نوع من الغش والتغرير.

وعليه فإن يحق له أن يسترد شبكته التي قدمها حيث إن القاعدة الفقهية تقول: «لا ضرر ولا ضرار» والله أعلم.

## بناء القبر

● سؤال من السيد / فتحي زهران

**يقول بعض الناس: إن بناء القبر بالطوب الأحمر تشاؤم بدخول من دفن فيه النار، فهل هذا صحيح؟**

●● الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فنفيد بأن دخول الجنة والنار رهن بالإيمان والعمل ومشيئة الله - تعالى - وليس للقبر من حيث مادة بنائه دخل في هذا الموضوع، ومع ذلك استحسن العلماء ألا يكون فيه شئ دخل النار كالآجر وهو الطوب المحروق، جاء في تفسير القرطبي جـ١٠ ص٣٨١ قوله: ويكره الآجر في اللحد، وقال الشافعي: لا بأس به لأنه نوع من الحجر، وكرهه أبو حنيفة وأصحابه لأن الطوب الأحمر لإحكام البناء، والقبر وما فيه للبلى، فلا يليق به الإحكام، وقد حرم ابن حزم تجصيص المقابر أو بناءها بالطوب الأحمر المحرق بالنار.

هذا إذا لم تكن الأرض رخوة أو نديّة فإن كانت كذلك فلا حرمة ولا كراهة والله أعلم.

## الرضـــــــاع

● سؤال من السيد / عثمان محمد اللبودى يقول فيه :

**شاب يريد الزواج من فتاة هو لم يرضع من أمها ، وكذلك الفتاة لم ترضع من أمه ولم يجتمعا على ثدى آخر ، ولكن لهما أخوة رضعوا فما الحكم ؟**

●● الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد .

فنفيد بأن التحريم بالرضاعة كالتحريم بالنسب يقول الله - تعالى - فى سورة النساء، حينما ذكر المحارم قال :

﴿ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾[٢] .

ويقول الرسول ﷺ فى الحديث الصحيح : ( يحرم من الرضاع مايحرم من النسب ) .

أما موضوع السؤال الذى معنا فمادام الشاب لم يرضع من أم الفتاة، وكذلك الفتاة لم ترضع من أم الشاب، ولم يجتمعا على ثدى آخر فيجوز لهما الزواج، ولا عبرة أن لهما أخوة رضعوا فالحرمة تقع على من رضع فقط، والله - تعالى - أعلم .

## طـلقة غيـر المدخـول بهـا

● سؤال من السيد / محمود خطاب إبراهيم يقول فيه :

**ماحكم الشرع فى رجل عقد قرانه على فتاة، ثم طلقها قبل الدخول والخلوة بها بقوله لها : أنت طالق ويريد أن يدخل بها فما الحكم ؟**

●● الجـواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد :

فنفيد بأنه بقوله لها - أى لزوجته - التى عقد عليها ولم يدخل بها : « أنت طالق » قبل الدخول والخلوة بها يقع به طلقة واحدة بائنة بينونة صغرى لا تحل له إلا بعقد ومهر جديدين وبرضاها ويحسب عليه هذا الطلاق وتبقى معه على طلقتين، أى أنه لا يجوز الدخول بها إلا إذا عقد عليها عقداً جديداً والعقد يكون شفاهة أمام الفتاة ووليها وشاهدين ويعطيها مهراً أى مبلغ من المال والله - تعالى - أعلم .

---

(٢) سورة النساء آية (٢٣)

# خطبة الجمعة :




لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى

**الحمد لله - عز وجل - هو مؤيد المخلصين الشرفاء وخاذل المجرمين الأخساء**

﴿ فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾(1) **وأشهد أن لا إله إلا الله، هو القاهر لأعدائه، الناصر لأوليائه**

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(2) **وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، خيرة المؤمنين وإمام المجاهدين**

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(3) **فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه،**

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(4).

(1) يوسف (110). (2) الروم (47). (3) المجادلة (21). (4) العنكبوت (69).




- يا أتباع محمد ﷺ

هكذا شاءت عناية الأقدار، واختارت إرادة الله القوى القهار، أن يسلك بنا طريق الجهاد والنضال، وأن يفتح أمامنا السبيل إلى غسل العار وتحقيق الانتصار ونيل الفخار، في أرض فلسطين، تراث العرب والمسلمين وأولى القبلتين، وثالث الحرمين، ومسرى النبي الأمين، ومجتمع الأنبياء والمرسلين، ليؤمهم محمد رحمة الله للعالمين، قبل أن يعرج مع الروح الأمين للقاء الله العزيز الحكيم. وإذا كانت هناك قضايا تعنينا وتهمنا في شرق الأرض أو غربها، فإن أهم قضية فيها هي قضية فلسطين، لأنها منذ حين محتلة بالسرطان الصهيوني الخبيث، ملوثة بنكبة الاحتلال من عبدة الطاغوت وسلالة القردة والخنازير، وفيها عدو محاور ملاصق هو ألد الأعداء في هذا الوجود، وقد نزل على قلب الوطن العزيز فلسطين نزول الوباء المهلك، واتخذه طواغيت الاستعمار والبغى مطية لمكائدهم ومؤامراتهم، والله جل جلاله قد رتب لنا مراحل النضال والكفاح، فأمرنا أن نبدأ بأقرب الأعداء منا، لأنهم أخطرهم علينا، فيقول سبحانه:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾(٥).

ويقول أيضاً:

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾(٦)

أى فجعل تأديبهم وقهرهم عظة وعبرة للأعداء الواقفين خلفهم أو البعيدين عنكم، ويقول جل جلاله:

﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ ﴾(٧).

أى يواجهونكم بالعدوان والخطر، وهذا ينطبق تماماً على الخونة الغادرين من عصابات صهيون التي فعلت بنا الأفاعيل ستة ثمان وأربعين:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾(٨).

ومن فضل الله الكبير علينا أن شعلة الجهاد المقدسة قد توقدت في نفوسنا وتلهبت في صدورنا، ونحن في قوة من سلاحنا وعتادنا وإحكام في خططنا واستعدادنا، وتجاوب في شعوبنا وبلادنا، ونحن الآن أصلح ما نكون لخوض معركة الثأر والكرامة والشرف، لا نبالي تهديد المهددين، ولا وعيد المتوعدين، ولا باطل المعتدين، وكأننا

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾(٩).

---

(٥) التوبة (١٢٣). (٦) الأنفال (٥٧)
(٧) البقرة (١٩٠). (٨) مريم (٦٤)
(٩) آل عمران (١٧٣).



بل كان الله ـ عز شأنه ـ قد هيأ من الظروف ما لم نكن نتوقع أو نحتسب، لكي تأتي اللحظات المناسبة لتوجيه الضربة القاضية، فأخذ بالنواصي الشاردة إلى ملتقى القيادة الواحدة التي تعتز أول ما تعتز بتألف القلوب من حولها واتجاه الأنظار إليها، وهي تمضي راشدة متأبية على الضعف والانخداع:

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٦٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ﴾(١٠).

وإذا كنا قد تواصينا على خوض المعركة دفاعاً عن أوطاننا وأعراضنا وعقائدنا ومقدساتنا، فإن واجبنا أن نتذكر دائما أن للنصر الإلهي المؤزر أسباباً لابد من توافرها، وفي طليعتها بعد إعداد كل قوة مادية وكل سلاح مستطاع، الإيمان بالله القاهر فوق عباده، والإيمان هو اليقين الجازم الذي لا يعتوره ريب ولا شك في أن لهذا الكون خلقاً سبحانه، وأن للحياة مسيطراً عليها ومتصرفاً فيها حسب الحكمة الإلهية العالية، التي تدنو أحياناً فتراها أبصارنا المفتوحة، وقد تعلو أحياناً فتتقاصر عن سموها عيوننا الكليلة، وهذا الإيمان لا يكون إيمانا صادقاً إلا إذا دفع بصاحبه إلى العمل المجيد والتصرف الحميد والسعي المشكور، ولذلك يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾(١١).

ويقول:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾(١٢).

ومن أسباب النصر الصبر، وهو حسن الاحتمال، ومطاولة الأحداث، وحمل النفوس على أداء الواجب مهما كان ثقيلا أو جليلا، وسواء أوافق به هوى النفس أم لم يوافقه، ولنتذكر جيداً أن الله ـ تعالى ـ يقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ﴾(١٣).

ويقول:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾(١٤).

ومن أسباب النصر التقوى، ومتى عمرت القلوب بالتقوى الصادقة الواعية تنزل نصر الله، وجاءت عناية الله، لأنه القائل:

---

(١٠) الأنفال (٦٢ ـ ٦٤).
(١١) الرعد (٢٩).
(١٢) غافر (٥١).
(١٣) الأنفال (٤٥).
(١٤) الصف (٤).




﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(١٥)

والقائل:

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾(١٦).

وهذا التوكل البصير المحض ببذل المجهود واستنفاد المجهود هو الذي يحقق في نفوسنا الثقة والاطمئنان، فلا نعتمد إلا على الله، ولا نستمد الهدي إلا من الله، ولا نخشى شيئاً سواه:

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(١٧).

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(١٨).

﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١٩).

الثأر ثأرنا، والدار دارنا، والله ولينا وناصرنا، والسلاح في أيدينا، ومواقف البطولة كثيرة في ماضينا، وحوافز الأمل الحاضرة وفيرة فينا، والمعركة أمامنا تنادينا، فلنتوكل على الله، ولنعتصم بالله، ولنتذكر أننا نجاهد في سبيل الله، لتحرير أرض الله، وإزالة الهوان عن عباد الله، فلنمض مجاهدين بكل ما نستطيع، والله معنا من ورائنا ناصر ومعين، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام يقول رب العزة سبحانه:

﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝ ﴾(٢٠)

فلنحصن أنفسنا بالإيمان والعمل الصالح، والتواصي بإعزاز الحق، وبالصبر على نصره وتأييده، حتى نكون من الفائزين في دنيانا ويوم نلقى الله رب العالمين، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون.

- **يا أتباع محمد ﷺ**

يقول ربكم جل جلاله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٢١).

والبيعة شعار من تعاليم الإسلام، وجزء من هدى الرسول ﷺ، وها نحن أولاء قد كتب الله لنا أن نقبل على معركة مقدسة، لنستعيد بها فلسطين، أولى القبلتين وثالث الحرمين وقلب العروبة والإسلام، فلنبايع الله رب العالمين، بيعة الحق والصدق والوفاء.

---

(١٥) النحل (١٢٨).
(١٦) الطلاق (٢، ٣).
(١٧) التوبة (٥١).
(١٨) آل عمران (١٦٠).
(١٩) التوبة (١٣).
(٢٠) العصر.
(٢١) الفتح (١٠).




حتى نكون من أهل الإيمان واليقين والرجاء ، ولنردد هذه البيعة جميعاً، فقولوا معي:

اللهم يارب الأرباب، ويامهيء الأسباب، ويا فاتح الأبواب، أنت الله الأكبر من كل شيء، وأنت الله المسيطر على كل شيء، وأنت الله الذى صدق وعده ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده.

اللهم إنا نبايعك على الجهاد، ونبايعك على النصر أو الاستشهاد ، ونبايعك على استعادة أرض فلسطين، إلى حمى العرب والمسلمين، وتطهيرها من الدخلاء والملاعين، فوفقنا يا ربنا لحسن الإعداد، وشامل الاستعداد،وشرف الجهاد واجعلنا من أوليائك المتقين وجنودك المخلصين، ربنا أفرغ علينا صبراً، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم إنا بحولك نستعين، وبحمايتك نستجير، أنت النصير وأنت القدير فكن لنا ولا تكن علينا، ولا تولنا غيرك، ولا تنسنا ذكرك واشرح للنضال صدورنا، ويسر أمامنا أمورنا، واحفظ بلادنا وثغورنا، فأنت العزيز القاهر، وأنت القوى الناصر، لا قوة إلا بك، ولا توفيق إلا منك، ولا رجاء إلا فيك، ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير.

اللهم إنا نعوذ بك من الضعف والخور، ونعوذ بك من الفرار والانكسار، ونعوذ بك من قلة الرجاء، وشماتة الأعداء، فلا تجعلنا نخشى غيرك، أو نخاف سواك، أنت حسبنا ونعم الوكيل.

اللهم اجعل أول جهادنا صلاحاً، وأوسطه فلاحاً، وخاتمته فوزا ونجاحاً فألهمنا الصبر والثبات، واحفظنا من التفرق والشتات ، واجعلنا على الدوام أمة واحدة وقيادة واحدة، ووجهة واحدة وغاية واحدة وبصرنا بواجباتنا وألهمنا النهوض بتبعاتنا . وخذ بنواصينا إلى تحمل مسئولياتنا، حتى تعزنا بعزك، وتؤيدنا بنصرك ، فقد قلت وقولك الحق:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢٢).

الله أكبر الله أكبر الله أكبر على من طغى وتجبر الله أكبر ولا عدوان إلا على الظالمين، الله أكبر والله مع المجاهدين المخلصين الله أكبر والعاقبة للمتقين والمؤمنين.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام: إنها بيعة ونحن مطالبون بها، ومسؤلون عنها أمام الله وأمام الناس، وقد أتانا الله قائداً حكيما، وجيشاً عظيما، ووعداً كريماً:

﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٢٣).

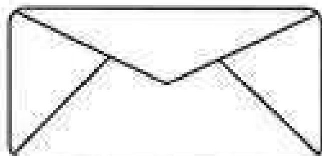
﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾(٢٤).

---

(٢٢) المنافقون (٨).

(٢٣) الفتح (١٠).

(٢٤) الإسراء (٣٤).



# رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان (*)

**رسالة هذا العدد جاءت من القارئ س.أ. من دمياط يقول فيها :**

لي مشكلة عويصة أرجو رأى الدين فيها على وجه السرعة لأن حياتي الزوجية تتوقف على ذلك، ومشكلتي هي : لقد تزوجت زميلة لي في العمل تكبرني بعشر سنوات لأني توسمت فيها حسن الخلق وأثناء فترة عقد القران رأيت فيها ما لا يرضاه أحد فقد كانت تفضل زملائي عليّ وتطلب منهم حل مشكلاتها وتأتمنهم على أسرارها وممتلكاتها فتغاضيت عن ذلك أملا في إصلاحها لكن الأدهى والأمر أنها كانت تحكي للزملاء والزميلات أدق حياتنا الزوجية وما يحدث في غرفة النوم وبتفاصيل أخجل من ذكرها وتشيع عني أن بي قصوراً جنسيا، ثم إنها كثيرة الخروج بغير إذني، ولا تسهم بشيء من مرتبها الذي يزيد على مرتبي في مصاريف البيت وقد استعملت معها كل وسائل التقويم الشرعية من وعظ وهجر وضرب وشكوتها إلى أهلها دون جدوى فماذا أفعل؟

وبادئ ذي بدء أقول للأخ القارئ كان يجب عليك أن تتريث في الخطبة وعقد القران حتى تقف على حقيقة هذه الزوجة، فمن أجل ذلك شرع الله الخطبة ليتعرف الخاطب على مخطوبته وعلى أخلاقها، وحذرنا الإسلام أن نغتر بالمظاهر الخادعة.

وما ذكرته في رسالتك كاف في الحكم على هذه الزوجة خاصة ما يتصل بإفشاء الأسرار الزوجية وعلى الخصوص ما يحدث في غرفة النوم فقد نهى الرسول ﷺ الرجل يفضي إلى المرأة والمرأة تفضي إلى الرجل ثم يحدث كل منهما الناس بما تم بينهما وشبههما بشيطان واقع شيطانة في الطريق والناس ينظرون.

وقد أوشكت أن أشير عليك بما جاء في قوله تعالى :

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾(١).

(*) الأمين المساعد لمجمع البحوث الإسلامية.

(١) النساء (٣٤).

لكنك بادرت وذكرت أنك استعملت هذا العلاج دون جدوى.

ودعك مما جاء في رسالتك من شكواها من الطعام فهذا أمر ميسور مقدور عليه وكذا ما جاء فيها من عدم إسهامها بشيء من مرتبها في نفقات المنزل، لأنه لا حق لك في شيء من مرتبها ما دمت قد تزوجتها وأنت تعرف أنها موظفة ولم تشترط عليها شيئا من ذلك أثناء العقد، لأن نفقة الزوجة واجبة على الزوج ما لم يكن هناك شرط أو تتطوع هي بمحض إرادتها بذلك.

ومع ذلك أنصحك بالصبر عليها بعض الوقت عسى أن يفيد معها هذا العلاج الذي ذكرته الآية الكريمة فإذا لم يفد فاعمل بالآية التي بعدها

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾(٢).

فإن لم يجد معها التحكيم فلا مفر من أبغض الحلال إلى الله وهو الطلاق الذي شرعه الله - تعالى - وأباحه عند استحالة استمرار الحياة الزوجية على الوجه الذي يرضي الله ويبيه الشرع.

**وفي الرسالة سؤال آخر يقول فيه:**

**أوصى رجل أن يكفن في ثوب أهداه له شيخه فأفتى البعض أن هذا لا يجوز لأن الثوب مخيط، وأفتى آخرون بالجواز. فما الحكم؟**

ونقول وبالله التوفيق:

إذا أوصى إنسان أن يكفن في ثوبه أو ثوب أهدى إليه من رجل ترجى بركته فيجوز أن يكفن فيه بشرط أن يكون طاهرا نظيفا وفضله بعض العلماء على الثوب الجديد عند الوصية، وقال المالكية والشافعية إن الثوب القديم النظيف الطاهر أولى في الكفن من الثوب الجديد لقول عبادة بن أنس - رضي الله عنهما - لما حضرت أبا بكر - رضي الله عنه الوفاة قال لعائشة - رضي الله عنها -: (اغسلي ثوبي هذين وكفنيني بهما فإنما أبوك أحد رجلين إما مكسو أحسن الكسوة أو مسلوب أسوأ السلب) وفي رواية قال: (اغسلوا ثوبي هذا وزيدوا عليه ثوبين فكفنوني فيها. فقالت: «إن هذا خلق -أي قديم بال- » فقال: «إن الحي أولى بالكفن الجديد من الميت إنما هو للمهلة» يعني لا يلبث أن يتمزق ويلوث بما ينزل من الميت، وقال الحنابلة: يستحب أن يكون الكفن جديدا إلا أن يوصي الميت بخلافه فتنفذ وصيته.

وقصة الرجل الذي رأى ثوبا أهدى للرسول ﷺ فسأله إياه فأعطاه الرسول ﷺ له فلامه الصحابة الآخرون على ذلك لأنهم رأوا إعجاب الرسول بالثوب وحاجته إليه فقال لهم: «إني ما أخذته لألبسه لكن لأدخره ليكون كفنا لي» هذه القصة مذكورة في السنة ومعروفة وتدل على جواز الكفن في الثوب القديم. أما ما ذكر من أن الثوب المخيط لا يجوز فهذا قول لا أساس له من الصحة لأن جميع الأكفان تخاط. والذي لا يجوز تكفينه في المخيط هو الذي يموت محرما فلا يخاط له كفن ولا يغطى وجهه بل يبقى على هيئة الإحرام لأنه سيبعث إن شاء محرما ملبيا.

---

(٢) النساء (٣٥).

# بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني



فى غمرة أحداث تفجيرات نيويورك وواشنطن نسى المسلمون قبل أن ينسى العالم قضية فلسطين والمسجد الأقصى .. لماذا خفت صوت إعلامنا؟ هل حقاً هان علينا الأقصى؟

يا رجال الإعلام فى أمتنا الإسلامية أفيقوا من غفوتكم. لقد أصبح الإعلام حرباً ضارية يحارب به الغرب العرب والمسلمين ويتحرشون بهم ويصفون من خلاله المسلمين بأنهم إرهابيون ويوارون الوجه الحسن للإسلام. لدرجة أننا كعرب أصبحنا نردد ما يرددونه ويبثونه دون وعى أو إدراك منا.

أليس لدينا ما نبثه للعالم للتصدى للإعلام الغربى الأعمى أليس لدينا أمجاد الإسلام وحرص الإسلام على التسامح والمودة والرحمة والسلام والحب بين الناس جميعاً لا فرق بين عربى أو عجمى إلا بالتقوى.

أفيقوا أيها الإعلاميون فقد أوشكنا أن نصبح فريسة فى مواجهة الإعلام الغربى؟؟؟

## لم تكن زلة لسان

نبدأ هذا التنويه عن الحملة الإعلامية الشرسة من هذه الشرذمة العنصرية على الإسلام والمسلمين وهذا الإعلام الغربي المنحط على لسان سارقي الحضارات الإسلامية ثم يزعمون أنها زلة لسان.

إذاً فهذه أقوال تخرج من ألسنة معتوهة لا يجب أن يكونوا في وضع المسئولين ويمثلون شعباً لذلك نستهله برؤية الدكتور حسن رجب في جريدة الأخبار في عددها الصادر في ٢ / ١٠ / ٢٠٠١.

بالقطع لم تكن زلة لسان ولم ينتزع الكلام من سياقه.. ما قاله برلسكوني من كلام عنصري منحط ضد الإسلام في مؤتمر صحفي موثق ومسجل.. وهو لم يعتذر عنه في البرلمان، كما صرح في وجهه زعيم المعارضة الإيطالية فرانشسكو روتيللي، وإنما لف ودار دون أن يتراجع خطوة واحدة عما قاله.

ولماذا يتراجع وقد أكسبه هذا التصفيق الحار من نواب تحالف الوسط واليمين؟! ولماذا يتراجع وهو يعلم أنه يكسب بذلك شعبية كبيرة وسط اليمين الذي يتزايد عدده بين الناخبين والإيطاليين؟ لقد كسب بيرلسكوني الانتخابات العامة الأخيرة بمقولات مشابهة هاجم فيها الإسلام ووضع طرد المهاجرين المسلمين من إيطاليا على قمة أولوياته.

وكيف يستطيع برلسكوني أن يكذب حديثه بالتليفزيون الألماني والذي صرح فيه بأنه من «واجب الغرب أن يفرض قيمه ولو بالقوة على الشعوب»، وأن الغرب قد قام بذلك بالفعل في العالم الشيوعي وقسم من العالم الإسلامي.. ولكن مازال هناك للأسف قسم متبق من العالم الإسلامي يعيش متخلفاً ١٤٠٠ سنة!!

وتنقل صحيفة فايننشيال تايمز البريطانية عن أحد الدبلوماسيين الغربيين، الذين حضروا اجتماع القمة الأوروبية الذي عقد بعد حادث ١١ سبتمبر أن برلسكوني هاجم المسلمين بصورة عنيفة وقال: يجب أن نحمي حضارتنا منهم!.

المصيبة أن هذا التوجه الاستعماري العنصري لا يقتصر على إيطاليا وحدها.. فبينما يعلن رئيس الوزراء البريطاني توني بلير أنهم لا يحاربون دين الإسلام وكثيراً ما يقول للناخبين المسلمين إنه يقرأ القرآن، إلا أنه يتحدث بلسانين كما يقول بيتر أوبورن بصحيفة الأوبزرفر.. فهو عندما يدلي بحديث قبل الانتخابات الأخيرة للصحيفة اليمينية «ديلي تلجراف» فإنه يقول: إن كتابه المفضل هو مذكرات «الماريشال اللورد روبرتس» وهو أكبر وأشد استعماريي القرن ١٩ شراسة والذي اشتهر بمذابحه في أفغانستان!!



كما نقرأ لرئيس تحرير السبيكتتور البريطانية وعضو مجلس العموم، بوريس جونسون مقالاً بعد الأحداث الأخيرة في صحيفة الديلي تلجراف يؤكد فيه أن خوف المسلمين من الغرب وحربهم له ينبع أساساً من خشية تغيير مفاهيمهم المتخلفة في معاملة المرأة.. ويسخر الكاتب من الكويت، التي يقول: إنهم حاربوا من أجلها ولو اتصف لقال من أجل بترولها، لأنهم رفضوا إعطاء المرأة حق التصويت.. لماذا لم يذكر الكاتب متى حصلت المرأة السويسرية على هذا الحق؟!

ولماذا لم يذكر الكاتب أن عدداً من أكبر الدول الإسلامية حكمتها وتحكمها الآن نساء؟!، ولا يمكن في هذا السياق أن ننسى «زلة لسان» الرئيس جورج دبليو بوش حين أعلن حربه الصليبية ضد الإرهاب.

لقد أثارت هذه «الزلات» غضب الكثيرين من ساسة الغرب باعتبارها كوارث سياسية من شأنها أن تدمر جهود الغرب من أجل إقامة حلف «ضد الإرهاب» يضم دولاً إسلامية.

كما ستثير هذه الزلات مخاوف كثير من المسلمين باعتبارها الوجه الحقيقي الكريه للاستعمار العنصري الغربي، والذي يحاول أن يخدع المسلمين بكلام معسول حتى يصل إلى مراده.

أنا أرفض تصديق أن هذا هو الغرب وأتصور أن الغالبية العاقلة المستنيرة ستنتصر على الأقلية اليمينية المتطرفة التي يمكن أن تشعل حرباً تأكل الأخضر واليابس ولن يكون فيها منتصر ومهزوم... وسيكون الكل فيها خاسرين..

دليلي على ذلك الأصوات العاقلة الكثيرة المتزايدة في الغرب وآخرها ما قرأته بالأوبزرفر للكاتب «بيتر أوبورن» بعنوان «حملة صليبية حمقاء» ويحذر فيها من مغبة القيام بأعمال عسكرية لن تحل شيئاً.. ويقول لم يتحقق السلام في أيرلندا الشمالية إلا بعد أن تعاملت بريطانيا مع القضايا القومية للمنطقة.. وكل من يتصور أن ينتهي الإرهاب العربي دون حل المشكلة الفلسطينية بتنازلات إسرائيلية كبيرة فهو حالم»..

**التعليق:**

قال تعالى:

﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١).

---

(١) آل عمران آية ١١٨.





## الصورة العربية والإسلامية في وسائل الإعلام الغربية

سارعت أجهزة الإعلام الغربية والأمريكية بتوجيه أصابع الاتهام دون دليل أو برهان إلى أطراف عربية وإسلامية فى الأحداث الأمريكية الأخيرة وكان الإسلام هو سلاح نووى يرهب العالم، كل ذلك بسبب الحملات العدائية التى تبثها أجهزة الإعلام الغربية المسمومة.

حول هذا الموضوع اخترنا مقال الدكتور محمد عبد البديع السيد الذى نشر بجريدة الأخبار فى ١٤ / ٩ / ٢٠٠١ قال فيه:

● تعرض أكثر من ٦ ملايين عربى ومسلم أمريكى لتهديدات سافرة ومضايقات قاسية وصلت لدرجة الضرب وإطلاق الرصاص كما تعرضت المحجبات من النساء المسلمات إلى التحرشات والإيذاء الجسدى مما أدى إلى أن الكثير منهن خلعن الحجاب والنقاب كما أن الكثير من الرجال المسلمين حلقوا لحاهم من أجل تجنب حملات الكراهية والحقد لهم بالإضافة إلى تعرض المحال التجارية والمطاعم ومحطات البنزين التى يملكها أو يعمل بها عرب فى عدة ولايات أمريكية لأعمال العنف.

● تعرضت المساجد والمراكز الإسلامية فى بعض الولايات المتحدة لإطلاق الرصاص وإلقاء القنابل.

● أعرب بعض المواطنين الأمريكيين عن أملهم فى أن تمحو الولايات المتحدة كل رجل وامرأة وطفل عربى فى الشرق الأوسط، وشبه مواطنون أمريكيون آخرون العرب بأنهم مثل فيروس الإيدز الذى يجب القضاء عليه.

● تعرض العرب والمسلمون لمضايقات شديدة فى جميع أنحاء بريطانيا.

● تعرضت حافلة تقل طلاباً مسلمين فى استراليا إلى الرشق بالحجارة والزجاجات والقيت الفضلات البشرية على المساجد بالإضافة إلى التهديد بحرق هذه المساجد وتفجير المعهد الإسلامى فى جنوب استراليا.

● أصبحت حياة المسلمين فى البرازيل متغيرة بشكل كامل منذ وقوع الهجمات على أمريكا حيث أصبح أطفالهم فى المدارس ينادون بالقتلة والإرهابيين مع قيام أطفال زملاء لهم بإبلاغهم بأنهم يجب أن يموتوا!!

## كيف يتم تصحيح صورة العرب والمسلمين لدى الرأى العام العالمى؟

يجيب الكاتب قائلاً: وأبدأ بالإجابة عن سبب الهيستيريا العدوانية ووجود صورة نمطية سلبية فى العقل الأمريكى والأوروبى تجاه العرب والمسلمين وذلك فى النقاط التالية:

● تركيز وسائل الإعلام الامريكية والغربية التى تقودها وتسيطر عليها القوى الصهيونية على جماعات إسلامية معينة يعنى أن العرب والمسلمين إرهابيون يريدون تفجير الحضارة الغربية.

● قيام الإعلام الامريكى وبعض السياسيين الامريكيين بعد انهيار الاتحاد السوفيتى بتصوير الجماعات الإسلامية المتطرفة بأنها عدو خطير تماثل الخطر الشيوعى وترث دوره.

● تتسم المواقف الغربية والأمريكية نحو الإسلام دائماً بالتعصب الأعمى والاستعلاء الثقافى الزائف وترتبط بالجهل والسطحية الاكاديمية.

● واوروبا عامة تعانى من التشويه والسطحية وعدم الموضوعية.

● موقف وسائل الإعلام الغربية والامريكية من بعض الظواهر فى العالمين العربى والإسلامى خليط من الجهل والتعصب واللاموضوعية.

● قيام وسائل الإعلام المختلفة فى امريكا واوروبا - بشكل روتينى - بربط كل الظواهر والمظاهر السلبية فى المجتمعات الإسلامية بالدين الإسلامى لإيهام الجمهور الامريكى والاوروبى بأن الإسلام هو سبب التخلف الذى تعانى منه الكثير من البلدان الإسلامية.

● المؤلفات الفكرية الغربية التى تعرضت للتاريخ أو الحضارة العربية ركزت على عدد من سمات الشخصية العربية السلبية كالطاعة والتعصب الدينى وافتقاد روح الابتكار وأبرزت أن العرب يتسمون بالعدوانية والمبالغة فى تقدير الذات وشدة الحساسية للكرامة والرومانسية والخداع والفردية ويرجعون تلك السمات إلى تأثير الإسلام.

● تركيز السينما الامريكية على الصورة النمطية السلبية للعرب وما يلبث أن ينتقل ذلك إلى الفيديو وشبكات التلفزيون والصحافة ومن الأفلام السينمائية التى ركزت على هذه الصورة النمطية فيلم يوم الاحد الاسود الذى أظهر امرأة عربية إرهابية تحاول قتل الآلاف من الناس بمن فيهم الرئيس الامريكى، وفيلم الخطأ هو الصحيح الذى أبرز إرهابيين من العرب يودون إسقاط قنابل نووية على نيويورك وتل أبيب وفيلم القرار التنفيذى - ١٩٩٦ - الذى دار حول خطف المسلمين طائرة المضيفات ويعدون العدة لتفريغ كمية من غاز الأعصاب تكفى لقتل الملايين من سكان العاصمة واشنطن، وفيلم أكاذيب حقيقية - ١٩٩٤ - الذى صور



الفلسطينيين المسلمين على أنهم أناس ساديون يقتلون الأمريكيين الأبرياء بل يقتلون القساوسة ويقومون بتفجير قنبلة نووية قبالة شواطىء فلوريدا.

ولذلك ترسخت كراهية العرب والمسلمين في النفس الأمريكية والغربية بحيث أصبح من المعتاد إدانة العرب جميعاً على أية جرائم أو حتى على جرائم مزعومة تنسب إلى أفراد منهم.

**التعليق:**

العداء التاريخي الذي يكنه الغرب للإسلام والمسلمين ذلك العداء الذي بدأ منذ أيام الصليبيين الأولى واستمر حتى الآن.

وهناك أسباب كثيرة وخطيرة توضح كراهية وعداء الغرب الشديد للعرب والمسلمين تحتاج إلى مجلدات وكتب.

## حول مسئولية الإعلام العربي

من المعلوم أن الإعلام هو العامل الأهم في تشكيل فكر واقتناع الشعوب وبالتالي فهو عامل مؤثر على من يملكون صنع القرار على مستوى العالم أجمع.

حول هذه القضية التي نطرحها في هذا العدد، تحدث الدكتور عمرو عبد اللطيف هاشم على صفحات الأهرام في باب قضايا وآراء بتاريخ ٢٤ / ٩ / ٢٠٠١.

قال فيه:

الإعلام وهو العامل المؤثر في العالم يؤكد ذلك مبادرة الحركة الصهيونية العالمية منذ ظهورها في أواخر القرن التاسع عشر، في بسط سيطرتها على إمبراطورية الإعلام في العالم حتى قبيل إنشاء الدولة العبرية، ومن الطبيعي أن تزيد سيطرتها على أهم قنوات الإعلام العالمي بعد إنشاء دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨ حتى تمكنها من خلال الميديا العالمية تبرير جريمة اغتصاب فلسطين من خلال قلب الحقائق وتزييف التاريخ بل وأيضاً تصوير الفلسطينيين والعرب على أنهم هم الذين يعتدون على اليهود الأبرياء.

ومن ناحية أخرى فإن بعض الدوائر الغربية تستخدم الإعلام المتطور لتشويه الوجه الحقيقي للدين الإسلامي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي مدعية أن الإسلام هو العدو الحقيقي للغرب بعد سقوط الشيوعية.

يحدث هذا للأسف الشديد في الوقت الذي فشل فيه أصحاب الحق - وهم الدول العربية - في توصيل وجهة النظر العربية إزاء حقائق الصراع العربي الإسرائيلي وحقيقة الممارسات الإسرائيلية غير المشروعة وأيضاً جوهر الدين الإسلامي السمح إلى الرأي العام الأمريكي وإلى الكثيرين من الشعوب الأوروبية.





فإلى متى سيظل الإعلام العربي - الذي يركز على الجعجعة محلياً فقط - قاصراً عن توضيح حقيقة المواقف الإسرائيلية الظالمة والضارية بعرض الحائط الشرعية الدولية وبحقوق الإنسان أمام غالبية الأمريكيين وكثير من الأوروبيين، وإلى متى يظل الإعلام العربي سلبياً إزاء الدفاع عن الإسلام من الهجوم الباطل والمغرض والمتعمد من بعض ساسة الغرب وأيضاً من أجهزة الإعلام الغربية.

إنه من قبيل العجب بل من قبيل الخيال ونحن في عصر العولمة والفضائيات والإنترنت أن غالبية الشعب الأمريكي حتى كتابة هذا المقال يعتقد أن مصر هي مجرد صحراء جرداء وجمال وخيام وأننا مازلنا نعيش عيشة البدو وأن وجه العجب يتمثل في أننا إذا كنا فعلاً ندرك أهمية الإعلام ولا نتحرك فتلك مصيبة وإذا كنا لا ندرك أهمية الإعلام فالمصيبة أعظم!

لقد آن الأوان في أن تبادر الدول العربية وتتكاتف لإقامة محطة فضائية دولية على أعلى مستوى من تكنولوجيا الإعلام والمعلوماتية سواء كان مقرها في المنطقة العربية أو أوروبا أو أمريكا، على أن تكون ناطقة أساساً باللغة الإنجليزية، ثم بالفرنسية في الشئون السياسية والشئون الدينية يجيدون إجادة تامة اللغتين المشار إليهما وأن يتوافر لهما من الإمكانيات الفنية ما يستطيعون به بطريقة فورية توضيح حقيقة الممارسات الإسرائيلية غير المشروعة ضد الفلسطينيين مع شرح أبعاد القضية الفلسطينية بطريقة موضوعية وعادلة وأيضاً دحض أي افتراءات توجه إلى الإسلام مع التركيز على شرح الجوهر الحقيقي للإسلام من منطلق أنه على عكس ما يعتقده الكثيرون من أبناء الغرب فإن هذا الدين الحنيف يدعو إلى التطور والتسامح والتقدم وأنه قد تضمن من الحقائق العلمية ما يؤكده علماء الغرب يوماً بعد يوم لاسيما أن لدينا من علمائنا الأفاضل القادرين توضيح ذلك.

.....................؟؟

**التعليق**

فهل بعد كل هذا نرى كما رأت زرقاء اليمامة بأن العدو القادم إلينا هو الحملات الإعلامية الغربية علينا.

***

# بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

## إطعام فى الصباح وقتل فى المساء

فى كتاب ربنا العزيز آية تقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾

الحجرات (٦)

على هذا النهج يسير المؤمنون، فلا بد أن يتبينوا ويتثبتوا مخافة أن يصيبوا من لا جريرة له، فيندمون وقت لا ينفع الندم.

وقد تعرضت الولايات المتحدة الأمريكية فى سبتمبر الماضى لضربة وجهها لها الإرهاب.

وفى نفس اليوم الذى حدثت فيه الضربة الإرهابية وقبل أى «تثبت» ألقت الولايات المتحدة اتهاماتها سريعا على أسامة بن لادن، ثم قررت ضربه فى أفغانستان هو ومن حوله، بل وأدانت العرب والمسلمين.. سبحان الله، هل هذه تصرفات دولة كبرى!!

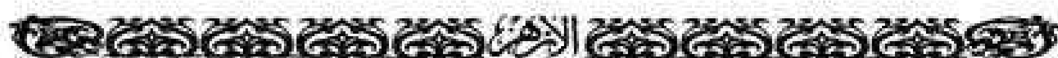
لقد تعرضت مصر -من قبل- لعدة ضربات إرهابية أهمها الاعتداء على رئيس الدولة، وحادث الأقصر البشع الذى راح ضحيته كثير من الأبرياء.

وكان تصرف مصر حضاريا يتناسب مع حضارتها الضاربة فى أعماق التاريخ، كان تصرف مصر حكيما نابعاً من حكمة الإسلام.

لا شك أن رجال الأمن فى مصر توسعوا فى حملة التحرى والتحقيق، ولكن لم يقل أحد ولم يتصور عاقل أن تتحرك قوات الأمن لتدك إحدى القرى لأن أحد الهاربين الفارين قد احتمى بها أو كان منها!!

هكذا كان موقف مصر.

وكان موقف رئيسها فى منتهى العقل والحكمة عندما أعلن أن الإرهاب لا وطن له، ولا دين له، ونادى بعقد مؤتمر دولى لمناقشة هذه القضية ووضع الحلول اللازمة للقضاء على الإرهاب، ولكن غطرسة الدول الكبرى -



كالعادة- جعلتها لم تأبه لهذا النداء الحكيم.

فيا ترى هل تستجيب اليوم؟! وقد أصابتها نار الإرهاب؟ أم هل ترجع إلى قوتها وجبروتها وغرورها وتدك الأبرياء والمظلومين فتصبح إرهابا مدمراً؟!

وكم هو عجيب أمر أمريكا هذه التي تلقي بعبوات الغذاء في الصباح وتتبعها بعبوات ناسفة في المساء!!

على أية حال، فإنه كما يقولون: «رُب ضارة نافعة» ولعل ما حدث يكون بداية لأن يقدم إعلامنا صور الإسلام المشرقة، وصور المسلمين المنصفين، وإذا قدمنا قصة أو رواية تتناول الشخصيات الإسلامية فيجب أن تقدم بشكل جاد لا يخلو من طرافة ولكن علينا أن نُوقف نبرة السخرية من رموزنا الدينية، فمن تهن عليه نفسه فلن يكرمها غيره! نعم.. لقد ساهمنا في تشويه صورة المسلمين أمام الغرب تحت مسمى «النقد الذاتي»، وأصبح من الواجب علينا أن نصحح الصورة مرة أخرى.

## تعقيب على الشعر الفكاهي

نشرت «مجلة الأزهر» بعض المقطوعات الشعرية للأستاذ الدكتور محمد حسين عبد الحليم:

كان قد قالها في مناسبات مختلفة مع بعض إخوانه، ولم يلتفت إليها، لكنهم مشكورين أرسلوا بها إلى المجلة، فلما طالعها فضيلته على صفحات المجلة، شرفنا بزيارته، وكان له هذا التعقيب:

قرأت ما نشرته «مجلة الأزهر» من مقطوعات فكاهية نظمتها من زمن بعيد، ولم أدر أن من الزملاء الأفاضل من يحرص على نشرها، حتى فوجئت بها مفاجأة سعيدة أوحت إليّ بهذه الأبيات:

قـــرأت من الطـرائف مـــا
حـــوته مـــجـلة الأزهر
قـــوافٍ قـــد هتـــفت بهـــا
لأمـــزح، لا لكي تنشـــر
وقـــد دوّت مـــجلجلةً
فـــيـــا لك مِنّـــةً تشكر
ونحن نريد تـسـجـيـلاً
لـــكـل فـكـاهـة تـزأر
لعل الحـــزن يـتـــركنـا
فنحن بغـــيـــره أجـــدر

محمد حسين عبدالحليم

عميد كلية اللغة العربية - المنصورة

● المحرر:

نشكر للأستاذ الدكتور تشريفه للمجلة، ونأمل المزيد من هذه الفكاهات التي يجد القارىء فيها متعة ذهنية تروّح عنه، مع دعائنا أن يمتعه الله بالصحة والسعادة.

# الطـــب الإســـلامي

**أما عن دور المسلمين في تطور علوم الطب، فقد كتب الدكتور أحمد شوقي عرفة يقول:**

بحث المسلمون الأوائل في شتى العلوم والمعارف وجمعوا علوم الأمم الأخرى وترجموها إلى العربية وأنشئوا لذلك دار الحكمة في بغداد حيث جمعوا من له إلمام باللغات الأجنبية مثل اليونانية والفارسية والهندية والسريانية ليقوموا بترجمة كتب العلوم إلى اللغة العربية ثم عكفوا على دراستها حتى أتقنوها ثم زادوا عليها. ونتيجة لجهود العلماء المسلمين ازدهرت علوم الجبر والهندسة والكيمياء والفلك والملاحة البحرية وكذلك الطب والصيدلة وبلغ المسلمون في ذلك شأوا بعيدا. ومما هو جدير بالذكر أن أتباع الديانات الأخرى الذين يعيشون في الأمة الإسلامية شاركوا بجهودهم في ترجمة ودراسة هذه العلوم بل وممارسة الطب مثل أجيال عديدة من عائلة بختيشوع.

سنخصص الحديث على ممارسة الطب في الأمة الإسلامية ونقارنه بمثيله في أوروبا منذ بدء عصر النهضة في أوروبا[١].

انتشرت المستشفيات في الأمة الإسلامية من مشرقها إلى مغربها لفائدة مواطنيها. كان مستشفى دمشق هو أول المستشفيات التي أنشئت في الأمة الإسلامية وقد تم إنشاؤه في عام ٧٠٧ ميلادية ثم تتابع بناء المستشفيات في أماكن أخرى في مصر وبغداد وغيرها. كانت هناك عنابر للرجال وأخرى للنساء في كل مستشفى وكانت تقدم خدمة مجانية يقوم بها أخصائيون مهرة في شتى المجالات الطبية يعاونهم أطباء وممرضون متمرنون وصيدلي مسئول عن توفير العقاقير لصرفها للمرضى وكان علم العقاقير تخصصا من التخصصات الموجودة بالمستشفيات. وكان بكل مستشفى موسيقيون يعزفون على آلاتهم ألحانا للمرضى ليُسَرّوا عنهم، وكانت الإدارة تصرف لكل مريض خمس قطع ذهبية عند خروجه من المستشفى لتساعده أثناء فترة النقاهة. كما كان بكل مستشفى مكتبة بها العديد من المخطوطات الطبية، كما توجد قاعة محاضرات وأرشيف لحفظ سجلات المرضى. ويمكننا أن نتبين كفاءة الأرشيف من كثرة البيانات التي أوردها الرازي في كتابه «الحاوي» عن كل حالة مرضية وردت في هذا الكتاب.

نتيجة للحروب الصليبية تهيأت الفرصة للأوروبيين لمشاهدة المجتمع الإسلامي عن قرب ومن ثم التعلم منه، ولقد دهشوا لما وجدوا المستشفيات في بيت المقدس تستقبل المرضى

---

(١) (المادة العلمية التالية مستقاة من بحث المرحوم بروفيسور قاضي محمد إقبال رئيس أقسام الجراحة في كل من الجامعة الوطنية في ماليزيا وجامعة الملك سعود في أبها)



والجرحى وتعتنى بهم أيما عناية حتى تمام الشفاء. وقارنوا ذلك بما كان عندهم من مؤسسات تسمى هوسبكس تخضع لسيطرة الأساقفة ويقوم بالعمل فيها رجال الدين لرعاية المرضى بجانب الفقراء والمشردين والعجزة والمساكين. وكانت الأديرة هى المكان الوحيد للعلوم الطبية فى أوروبا.

نتيجة للاتصال الذى حدث بين أوروبا والشرق فى أثناء الحروب الصليبية تحولت الهوسبيكس إلى مستشفيات مثل تلك الموجودة فى الشرق وكان ذلك فى عام ١١٤٥ ميلادية.

يعزى الفضل للأطباء المسلمين فى أنهم أول من أدخل التعليم الطبى إلى المستشفيات وكان ذلك فى كل من بغداد ومصر ودمشق وقرطبة، حيث كان الأخصائيون فى المستشفيات المخصصة للتعليم يقومون بالمرور على المرضى (كما هو متبع اليوم) ويقومون بتعليم الطلبة طرق الكشف على المرضى فى العنابر وتشخيص الأمراض المختلفة. وكانوا يشجعون الطلبة على المشاركة فى المناقشات للوصول إلى التشخيص الصحيح وكذلك إجراء بعض الأبحاث.

وقد تم وضع برنامج متكامل لتعليم الطب يستغرق مدة محددة ويحتوى على دراسة الطب عامة والعلوم الأساسية كالتشريح والعلاج والعقاقير. تتبين أهمية إتقان علم التشريح فى نصيحة الزهراوى الجراح الأندلسى الكبير الذى لقبه الغربيون بلقب «أبوالجراحة»، «لكى تتقنوا الجراحة عليكم إتقان علم التشريح». وكان أول كتاب جراحة به رسوم بيانية هو كتاب «التصريف». وقد حذت كتب عصر النهضة حذو الكتب الإسلامية ولكنها اشتملت على رسوم فنية. وكان كتاب «القانون فى الطب» لابن سينا يشكل الجانب الأكبر من منهج دراسة الطب فى المعاهد الطبية الأوروبية حتى القرن السابع عشر. بدأ تعليم الطب بجوار أسرة المرضى فى بادوا فى عام ١٥٦٣ ثم انتشر فى باقى القارة الأوروبية حتى شملها كلها فى عام ١٧٤٥ وبذلك انتقل تعليم الطب من المكتبات إلى عنابر المرضى بفضل الأطباء فى الأمة الإسلامية.

قبل إجازة ممارسة الطب فى الأمة الإسلامية للأطباء الجدد كان يتعين عليهم اجتياز امتحان تحريرى وآخر شفوى وأن ترضى لجنة الممتحنين عن الطالب. أما إجازة الأخصائيين فيلزم اجتياز امتحان أكثر تقدما على أن يقوم بتقديم بحث فى فرع التخصص. وفى عام ٨٣١ صدر مرسوم بتعيين سنان بن ثابت كبير الأطباء فى بغداد لاختبار جميع الطلبة قبل منحهم الإجازات وذلك لتشديد الرقابة على مزاولة مهنة الطب.

أما فى أوروبا فقد أصدر الملك روجر فى صقلية أول قانون لمزاولة مهنة الطب فى عام ١١٤٠ ثم تبعه ملوك أوروبا الآخرون إلا أن القانون لم يصدر فى انجلترا إلا فى عام ١٣٤٧ بعد أن كان أساقفة القديس بول يصدرون هذه التصاريح.

**المحـــرر:**

نشكر للدكتور أحمد شوقى عرفة تناوله هذا الموضوع فى هذا الوقت بالذات، وهو بلاشك قطرة من بحر النشاط والجهود التى ساهم بها المسلمون فى مجال الطب مثلما ساهموا فى العديد من المجالات التى أثرت الفكر الإنسانى وساهمت فى تقدم البشرية.

# الاعتـــدال في الأخـــلاق

**يرسل القارىء الشيخ / إبراهيم البدرى - الرمل / الاسكندرية- هذه الكلمة عن الأخلاق ويوضح فيها المعالم التي يجب أن ينتهي المسلم عندها ولا يتجاوزها. يقول:**

- لكل خلق حد متى جاوزه صار عدواناً، ومتى قصر عنه كان نقصاً ومهانة.

● فللحرص حد وهو الكفاية في أمور الدنيا وحصول البلاغ منها، فمتى نقص من ذلك كان مهانة وإضاعة، ومتى زاد عليه كان شرها رغبة فيما لا تُحمد الرغبة فيه.

● وللراحة حد وهو إجمام النفس والقوى المدركة والفعالة للاستعداد للطاعة واكتساب الفضائل وتوفرها على ذلك بحيث لا يضعفها الكد والتعب ويضعف اثرها، فمتى زاد على ذلك صار توانياً وكسلاً وإضاعة وفات به أكثر مصالح العبد، ومتى نقص عنه صار مضراً بالقوى موهناً لها وربما انقطع به كالمنبت الذى لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

● والجود له حد بين طرفين، فمتى جاوز صار إسرافاً وتبذيراً، ومتى نقص عنه كان بخلاً وتقتيراً.

● وللشجاعة حد متى جاوزته صار تهوراً، ومتى نقصت عنه صار جبناً وخوراً، وحدها الإقدام في مواضع الإقدام والإحجام في مواضع الإحجام، كما قال معاوية لعمرو بن العاص: اعياني أن اعرف أشجاعاً أنت ام جباناً تُقدم حتى اقول من اشجع الناس، وتجبن حتى اقول من أجبن الناس، فقال:

شجاع متى امكنتني فرصة .. فإن لم تكن لي فرصة فجبان

● والغيرة لها حد إذا جاوزته صارت تهمة وظناً سيئاً بالبرىء، وإذا قصرت عنه كانت تغافلاً ومبادىء دياثة.

● وللتواضع حد إذا جاوزه كان ذلاً ومهانة، ومن قصر عنه انحرف إلى الكبر والفخر.

وللعز حد إذ جاوزه كان كبراً وخلقاً مذموماً، وإن قصر عنه انحرف إلى الذل والمهانة. وخير هذه الامور الوسط.

وضابط هذا كله العدل، وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفى الإفراط والتفريط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به، وكذلك الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والحركة والرياضة والخلوة وغير ذلك، إذا كانت وسطاً بين الطرفين كانت عدلاً وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصاً وأثمرت نقصاً.

**المحـــرر:**

**الوسطية: مبدأ رئيس في الإسلام، ومازال المؤمنون بخير ما تمسكوا بذلك، وفي كتاب الله:**

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.

[البقرة: ١٣٤]

# ثمار الاستقامة

**أما القارىء الأستاذ / السيد مرسى البرعي - سيدى غازى - كفر الدوار - بحيرة - فيرسل هذه الكلمة عن الاستقامة يقول:**

لا بد للمسلم ان يكون دائماً في سؤال في أمور دينه لكي يفقه أمور هذا الدين ولقد ضرب أصحاب رسول الله المثل في ذلك، فكانوا دائماً يسألون رسول عن أمور دينهم ودنياهم؛ فهذا سفيان بن عبدالله يريد من النبي ﷺ قولاً جامعاً في الإسلام لا يسأل عنه أحداً غير رسول الله فيقول سفيان يا رسول قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عليه أحداً غيرك، فيجيبه الرسول ﷺ بقوله: «قل آمنت بالله ثم استقم»[1].

كلمة جامعة من جوامع كلمه ﷺ كلمة شاملة فيها صلاح العبد في دنياه وأخراه ووصية من وصاياه ﷺ، نادت بالخير كله في العقيدة والسلوك؛ ففي العقيدة إيمان بالله وحده إيمان لا يخالطه شك إيمان رائق لا يعكر صفوه زيغ ولا ريبة ثم استقامة في الخلق والسلوك وحركات الجوارح، وبذلك يجمع المسلم بين نبل الوسيلة وشرف المقصد بين إيمان عميق يسرى في خلجات النفس والوجدان مسرى الدم في العروق وبين سلوك حميد مترجم لحركات الإنسان نحو ربه فإذا جمع المسلم بين هذين بين الإيمان والاستقامة.. أتم الله عليه النعمة بحسن الثواب في الدنيا والآخرة وإذا نظرنا في القرآن الكريم وجدنا ثمار الاستقامة فيقول سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[2].

فالاستقامة على لفظ «ربنا الله» شعورا في الضمير وسلوكاً في الحياة وصبراً على تكاليفها أمر له مشقة على النفس لذلك جعل الله ثواب الاستقامة ان الملائكة أولياء لأهل الاستقامة في الدنيا والآخرة ثم إن لهم الجنة؛ فأى نعيم بعد هذا النعيم؟ ثم نجد أيضاً ثمار الاستقامة في حياتنا يجنيها الطالب المستقيم نجاحاً والعامل فلاحاً والزارع نماءً والتاجر خيراً وبركة. ولقد جعل الله من شعائر عبادته وطاعته التوجه إليه كل يوم خمس مرات بل في كل ركعة في كل صلاة بهذا الدعاء الإلهي الخالد خلود القرآن:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝﴾[3].

هيا فلنتذكر ونتدبر.

---

(١) رواه مسلم في صحيحة (رياض الصالحين في كلام سيد المرسلين) النووى ص: ٥٠.

(٢) فصلت آية رقم: ٣٠/٣١/٣٢.

(٣) الفاتحة آية رقم ٦/٧.

## الموازين الصحيحة لمعرفة الأشخاص

**ويقول الاستاذ / محمد عباس محمد عرابي:**

ـ ما أدق ما سنّه الخليفة العادل عمر بن الخطاب ( رضى الله عنه )، لما وضع الموازين الصحيحة لمعرفة الأشخاص، وإظهار حقائق الرجال، وذلك حينما جاءه رجل يشهد لرجل آخر..

فقال له عمر: أتعرف هذا الرجل؟

فأجاب: نعم!

قال: هل أنت جاره الذى يعرف مدخله ومخرجه؟

فأجاب الرجل: لا

قال عمر: هل صاحبته فى السفر الذى تعرف به مكارم الأخلاق؟

فأجاب الرجل: لا

قال عمر: هل عاملته بالدينار والدرهم الذى يُعرف به ورع الرجل؟

فأجاب الرجل: لا

فصاح عمر: لعلك رأيته قائماً قاعداً يصلى فى المسجد يرفع رأسه تارة ويخفضه أخرى ( كناية عن شكلية الصلاة )، فرد الرجل: نعم!!

فقال له عمر: اذهب فإنك لا تعرفه، والتفت إلى الرجل وقال له: ائتنى بمن يعرفك.

فعمر ( رضى الله عنه ) لم يتخدع بشكل الرجل ولا مظهره، ولكنه طلب معرفة الحقيقة بموازين دقيقة تقيس الجوهر

وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

## فى رحاب اللغة العربية

**أما القارىء / أحمد ناصر أحمد ناصر - المراغة - سوهاج.. فيرسل عدة مساهمات عن اللغة العربية نقدم منها هذه الكلمة يقول:**

ـ اللغة من لَغِيَ يَلْغَى من باب رَضِى يَرْضَى إذا لهج بالكلام وعرَّفها ابن جنى بقوله: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» وقال ابن الحاجب: «هي كل لفظ وضع لمعنى».

**- نشأتها:**

اختلفت مذاهب العلماء فى نشأة اللغة فبعضهم يرى أن اللغة توقيفية أى أن الله

تعالى علمها لآدم وحياً وإلهاماً ودليلهم قوله تعالى:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾.

[ البقرة: ٣١ ]

قال مجاهد علمه اسم كل شيء.

ويرى بعضهم أن اللغة نشأت عن طريق الإصطلاح أي أن الناس اتفقوا على تسمية الأشياء بمسميات معينة فيما بينهم.

ويرى بعضهم أن اللغة نشأت عن طريق المحاكاة لبعض أصوات الطبيعة إلى غير ذلك من الآراء والمذاهب.

وعلى أية حال فما تطمئن إليه النفس بهذا الصدد أن اللغة نشأت توقيفية علمها الله تعالى لآدم وحيا وإلهاما ثم تطورت باختلاف البيئات والمجتمعات التي وجدت فيها هذه الذرية، ثم تفرعت إلى لغات متعددة لكل لغة قوانينها وخصائصها التي أملتها عليها بيئتها.

- **أهميتها:**

اللغة من أهم الظواهر الاجتماعية الإنسانية على الإطلاق فاللغة ظاهرة تميز الإنسان عن الكائنات الأخرى، واختص بها فأتاحت له أن يكون المجتمع وأن يقيم الحضارة علاوة على ذلك فهي وسيلة الاتصال بين الإنسان وعالمه الخارجي.

## خطأ شائع..

من الأخطاء الشائعة التي نسمعها في حياتنا اليومية نجد الكثيرين ينسبون إلى كلمة اللغة فيقولون «اللَّغوى» (بفتح اللام المشددة).. وهذا خطأ والصواب أن نقول اللُّغوى» (بضم اللام المشددة).

أما قولنا اللَّغوى (بفتح اللام المشددة) فهذا نسبة إلى اللَّغو بمعنى الباطل. قال تعالى:

﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴾.

المحرر:

**نأمل أن يكثر القارئ من تقديم الأخطاء الشائعة، ففي تقديمها نفعٌ للقراء أكثر من الحديث عن نشأة اللغة ومذاهب العلماء حولها حيث إن هذه المباحث تعالج بشئ من الاستفاضة بأقلام الأساتذة المتخصصين.**

***

# من إبداعات القراء: اذكروا الله

**ومن النفحات الأدبية نقدم هذه الأبيات للشاعرة: خديجة أحمد محمود فرغل**

مهما تعددت اللغات فإننا ** بقلوبنا تدعو بغير لغات
ولكل تكليف تحدد موعد ** والذكر يملأ سائر الأوقات
وإذا اتجهت إلى الحبيب المصطفى ** وشعرت أنك ذبت فى العبرات:
ودهشت مما يعتريك ببابه ** كيف احتواك الحب فى لحظات
وعجزت عن دفع الدموع هوامل ** أو أن تهدئ سرعة النبضات:
فارفع يديك إلى السماء مصليا ** ومسلما أكثر من الدعوات
كم كنت مشتاقا وشوقك جارف ** واليوم فزت بأرفع الدرجات
فاذكره حين تنام بعد مشقة ** واذكره عند الصحو بعد سبات
واذكره فى كل الظروف لأنه ** ينجيك من الشر الرجيم العاتى
واندم وتب واطلب رضاه وعفوه ** فهو المجير لآثمين عصاة
أن جئته خطوا أتاك مهرولا ** يمحو الذنوب ويغفر الزلات
واذكره إن طلع النهار بنوره ** وإذا أناخ الليل بالظلمات
وإذا نظرت إلى السماء مسبحا ** أو للجبال الشم والهضبات
وإذا تأملت البحار وما حوت ** وإذا أضفت الملح للأكلات
وإذا أخذت الشهد حلوا صافيا ** من نحلة عدت من الحشرات
وإذا أمنت على حياتك كلها ** فى الأهل أو فى القوت أو فى الذات
فالذكر أعظم نعمة وبفضله ** تمضى الحياة وضيئة الصفحات
موصلة بالله جل جلاله ** مملوءة بعجائب الآيات




للأستاذ / محمد الشرقاوى

## لأول مرة فى ألمانيا التليفزيون ينقل صلاة الجمعة على الهواء مباشرة

فى سابقة فريدة من نوعها تندرج ضمن الجهود المكثفة فى ألمانيا حالياً للتصدى للحملة المناهضة للإسلام والتى بدأت تطول المسلمين الألمان، نقل التليفزيون الألمانى الرسمى أمس على الهواء مباشرة صلاة الجمعة من داخل مسجد «بلال» بالعاصمة الألمانية برلين.

وتابع ملايين الألمان عبر شاشات التليفزيون وقائع إقامة الصلاة وخطبة الجمعة التى ألقاها «الدكتور / نديم إلياس» رئيس المجلس المركزى للمسلمين فى ألمانيا، وتحدث «الدكتور إلياس» بالعربية والألمانية حول تعاليم الدين الإسلامى التى تنادى بالسلام وتحريم قتل النفس البشرية دون حق، ودعا المجتمع الألمانى إلى تصحيح نظرته إلى المسلمين والفصل بين الإرهاب تحت عباءة الدين والإسلام.

[ الأهرام ٢٢ / ٩ / ٢٠٠١ ]

## برنامج تليفزيونى يناقش ظاهرة الخوف من الإسلام فى الغــــرب

بث تليفزيون هيئة الإذاعة البريطانية (بى. بى. سى.) برنامجاً عن ظاهرة الخوف من الإسلام فى الدول الغربية والمعروفة باسم «إسلاموفوبيا» والترويج لها بشكل مبالغ فيه فى وسائل الإعلام الغربية منذ انتهاء فترة الحرب الباردة، وقد تحدث البـرنامج عن هذه الظاهرة بشكل مـوضـوعى باعتبارها احدى الظواهر السيئة والسلبية فى المجتمع الغربى تجاه الإسلام فى الوقت الذى يدعو فيه الدين الإسلامى إلى السلام واحترام الأديان الأخرى والتعايش المشترك، وتضمن البـرنامج نقاشاً بين عدد من الخبراء والمتخصصين فى بحث هذه الظاهرة من بينهم ممثلو الجاليات الإسلامية الكبيرة فى لندن حول الطرق المثلى لمكافحة ظاهرة الخوف من الإسلام.

[الأهرام ١٧/٩/٢٠٠١]

## دعوة إرهابية علنية لقتل المسلمين

أحداث الولايات المتحدة تظهر الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين.

ومن علامات هذا الحقد ما تم اتخاذه من إجراءات عنصرية ضد المسلمين فى شتى عواصم الغرب ومنها: أن العداء أصبح علناً فعلى الرغم من محاولة السلطات البريطانية التقليل من شأن الاعتداءات على المسلمين فى بريطانيا جاء هذا الشعار ليضع مسئولى بريطانيا فى موقف بالغ الحرج؛ فقد اختارت مجموعة من البريطانيين الذين شحنهم إعلامهم المتحيز دائماً ضد العرب والمسلمين حائطاً مجاوراً لأحد المساجد وكتبوا عليه الشعار التالى:

«انتقم لأمريكا واقتل مسلماً الآن»

وليس هذا الشـعـار الذى هو دعـوة صـريحـة للإرهاب والقـتـل سـوى نموذج لسلسلة من الإعتداءات ضد المسلمين فى انحاء المملكة المتحدة.

[صوت الأزهر ٢١/٩/٢٠٠١]




انتقم لأمريكا واقتل مسلما الآن



## ٦٢٥ جريمة عنصرية ضد المسلمين فى الولايـــات المتحــــدة

أعلن مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية ارتفاع عدد حالات الحوادث العنصرية ضد المسلمين فى الولايات المتحدة إلى ٦٢٥ حالة حتى يوم ٢٤ سبتمبر، وأشار إلى إجبار ١١ راكباً لهم ملامح عربية على النزول من الطائرات خلال الأيام الأخيرة.. وكشفت مصادر أمريكية عن مغادرة حوالى ١٥٠ طالباً عربياً فى الجامعات الأمريكية وعودتهم إلى بلادهم.

[ الوفد ٢٦ / ٩ / ٢٠٠١ ]

## مقتطفات من مسلسل الاستهتار بالمســـلمين والعـــــرب

( ١ ) كاتب إسرائيلى اسمه «ديوفن كورت» طالب بأن يكون الرد المناسب على تدمير برجى التجارة العالمى والبنتاجون هو هدم البرجين اللذين يمتلكهما المسلمون.. البرجان اللذان يقصدهما الحقير «ديوفن» هما: الكعبة المشرفة، والمسجد النبوى الشريف!!

( ٢ ) أكدت مصادر روسية أنها ستساعد أمريكا ضد أفغانستان فى حالة مساعدة الأمريكان للروس ضد الشيشان... نعم إنها كما قال «بوش» حرب صليبية.

( ٣ ) أشارت مصادر أمريكية أنها ستغير اسم العملية العسكرية لإرضاء المسلمين المعترضين على مصطلح العدالة المطلقة - على اعتبار أن العدالة المطلقة هى لله فقط وليست للبشر... «نعم إذبحونا ولكن على الطريقة الإسلامية»!!

[ الأحرار ٢٦ / ٩ / ٢٠٠١ ]

## الشرطة الفرنسية تعتقل إسلاميين

اعتقلت الشرطة الفرنسية عدداً من المسلمين المقيمين بفرنسا بحجة الاشتباه فى علاقاتهم بجماعة إسلامية متشددة، وقالت المصادر إن الاعتقالات ليست ذات صلة بالهجمات القاتلة التى تعرضت لها الولايات المتحدة، وذكرت متحدثة باسم الشرطة أن شرطة مكافحة الإرهاب ألقت القبض على الرجال فى غارات على باريس وضاحيتين من ضواحيها بعد أن تلقت معلومات عن أن مشتبهاً بهم يخزنون على الأرجح أسلحة إلا أنها لم تعثر على أى شىء.

[ الأحرار ٢٦ / ٩ / ٢٠٠١ ]

## فى هولندا الشحن الإعلامى يتسبب فى اعتـــداءات عـــلى المســـلمين

سجل عدد من المدن الهولندية اعتداءات على مساجد ومؤسسات ومصالح إسلامية خاصة بالجالية العربية والإسلامية المقيمة بها. أول هذه الاعتداءات شهدته «مدينة نيمخن» حيث قام مجهولون بإشعال النيران وتحطيم



واجهة احدى المدارس الإسلامية الخاصة، كما اعتدوا على أحد المساجد القريبة منها، وتكررت هذه الاعتداءات فى عدد من المدن الأخرى مثل: مدن «يسنجى» و«أوترخت» و«شخيدام» و«دميدها» فى (لاهاى)، حيث شهدت معظمها حوادث اعتداء على المساجد والمدارس الإسلامية، كما وقع اعتداء على مبنى جامعة اوروبا الإسلامية فى شخيدام وتحطيم واجهته الزجاجية قبل أيام من افتتاحها، واشتكت الجاليات العربية والإسلامية من تهديدات تعرضت لها فتياتها ونساؤها فى المدارس والعمل بالاعتداء عليهن وشهد عدد من المناطق مثل منطقة السوق السوداء التجارية فى «دبرفلث» القريبة من «امستردام» تحرشاً بأبناء الجالية المسلمة وشتائم عنصرية تُحمّلهم المسئولية عن الانفجارات التى ضربت الولايات المتحدة، واستيقظ المسلمون فى امستردام على شعارات عنصرية تملأ جدران بعض الشوارع، تدعو إلى طرد المسلمين من هولندا وتردد (الموت للمسلمين)، و(اذهبوا إلى الجحيم).

[ آفاق عربية ٢٧ / ٩ / ٢٠٠١ ]

## والأصابع الصهيونية تقف وراء ٤٧ ألف بلاغ ضد المسلمين فى أمريكا

بلغ عدد البلاغات التى تلقتها الشرطة الأمريكية من المواطنين «ضد كل ما يثير الشبهة ٤٧ ألف بلاغ تبين أن الغالبية العظمى منها موجهة ضد المسلمين الذين يعيشون فى أمريكا وبالطبع هذا الرقم يثير الشبهة فى أن هناك جهات تعادى الإسلام تقف من ورائه لأنه لا يعقل أبداً أن تتلقى السلطات المختصة (٥) آلاف بلاغ يومياً -تقريباً- خلال الأيام العشرة التى تلت يوم الثلاثاء الدامى وتشير أصابع الاتهام إلى منظمة «إيباك» الصهيونية وغيرها من المنظمات اليهودية المعادية للإسلام والتى انتهزتها فرصة للصيد فى الماء العكر ومحاولة الإساءة إلى المسلمين.

[ آفاق عربية ٢٧ / ٩ / ٢٠٠١ ]

## ٧٠٠ قتيل مسلم فى أحداث نيويورك

ذكرت صحيفة «واشنطن بوست» كبرى الصحف الأمريكية أن عدد القتلى والمفقودين من المسلمين فى تفجيرات نيويورك يبلغ ٧٠٠ مسلم ضمن ضحايا الحادث والذين يقدر عددهم بأكثر من خمسة آلاف شخص وينتمى هؤلاء إلى جنسيات عربية وأجنبية، لكن معظم القتلى من المسلمين هم من الأمريكان.

[ آفاق عربية ٢٧ / ٩ / ٢٠٠١ ]

## وفى الصين عمل همجى ضد المسلمين

فى وسط حملات الاعتداءات على العرب والمسلمين داخل أمريكا وداخل أوروبا

والهجمات ضد المساجد والمراكز الإسلامية في القارتين الغربيتين إذ بنا نفاجأ بعمل همجي ضد المسلمين في الصين حيث قام عدد من الصينيين باقتياد عدد من مسلمي الصين وطافوا بهم في الشوارع والميادين وأجبروهم على شرب الخمر ثم تم تنفيذ الإعدام فيهم في الميادين العامة. وقع هذا الفعل الشنيع برغم أن عدد المسلمين في الصين يبلغ عشرات الملايين وبرغم أن عدد المسلمين في العالم يبلغ ١٢٠٠ مليون مسلم ومع أن هذا الخبر نشرته كل الصحف العربية والإسلامية؛ فلم يفكر مسئول صيني في الاعتذار عن هذا العمل غير الإنساني وضربت الصين بكل الاعتبارات الإنسانية عرض الحائط.

●● المحرر:

لم يكن كل هذا ليحدث لو لم يهن المسلمون على أنفسهم ومن ثم كانوا على غيرهم أهون.

[الوفد ٣ / ١٠ / ٢٠٠١]

## وفي فيجي قام المتطرفون بحرق مسجد

هاجم متطرفون في فيجي مسجداً وأشعلوا فيه النار وتحولت المصاحف الموجودة بالمسجد إلى كومة من الرماد لكن تم إنقاذ المبنى. وقال قائد الشرطة أن بضعة رجال اشتركوا في محاولة إحراق المسجد الواقع على مشارف مدينة «لوتوكا» في «فيجي».

[الأحرار ٢٧ / ٩ / ٢٠٠١]

**من أخبار الشيشان:**

## مقتل ١٣ جندي روسي في معارك بالشيشان

لقي ١٣ جندي روسي مصرعهم وأصيب خمسة في معارك عنيفة بين المقاومة الشيشانية والقوات الروسية. قالت وكالة «إيتارتاس» الروسية أن سبعة من قوات الشرطة الموالية لروسيا قتلوا من بينهم أحد مساعدي رئيس الإدارة المدنية «أحمد قديروف» في معركة دارت عند ضاحية «كووكالمو» جهة الشرق، مشيرة إلى أن أربعة جنود روس قتلوا وأصيب خمسة آخرون في كمين نصبه رجال المقاومة الشيشانية عند منطقة الحدود الواقعة بين الشيشان وانجوشيا المجاورة.

وأشارت تقارير إلى مصرع شرطيين روسيين خلال اشتباكات متفرقة بين الجانبين عند «اتشكولي مارتان» و«اوس مارتان». كما عرض التليفزيون الروسي مشاهد من «جودرميس» ثاني كبرى المدن الشيشانية وظهرت شوارع المدينة خالية تماماً من المارة عدا عشرات الدبابات الروسية والعربات المدرعة. وكان ثلاثمائة من المقاومة الشيشانية قد قاموا بهجوم على «جودوميس» ودات معارك عنيفة بين الجانبين أسفرت عن مصرع عشرة من الروس.

واسقاط طائرة هليوكوبتر وعلى متنها عشرة من القيادات الروسية بينهم جنرالان.

# أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

## الإمام الأكبر يستقبل سفير بوركينا فاسو

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف السيد / محمد وترو سفير بوركينا فاسو بالقاهرة بمناسبة انتهاء عمله كسفير لبلاده فى القاهرة، وقد أعرب السيد السفير عن شكره وشكر بلاده لجمهورية مصر العربية ولأزهرها الشريف على ما يذله الأزهر فى تعليم أبناء بلاده والمنح الدراسية التى توفرت لهم وكذلك على الدورات التدريبية التى يحظى بها الأئمة والدعاة بالأزهر الشريف، وهو دور فاعل لا يقوم به إلا الأزهر الشريف لأبناء المسلمين فى شتى أنحاء العالم، ومما يذكر أن لبوركينا فاسو حوالى ٨٠ طالبا يدرسون فى الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر:

## على الغرب أن يتعرف على الإسلام من مصادره الأصلية

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / دورايف عبده رشيد سكرتير مجلس الأمة بجمهورية الشيشان والوفد المرافق له من الجمهوريات الاسلامية بشمال القوقاز.

رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه فى الأزهر الشريف حيث أوضح فضيلته: دور الأزهر الشريف فى العملية التعليمية لأبناء المسلمين فى شتى بقاع العالم، والدورات التدريبية للائمة والدعاة الذين يحضرون هذه الدورات للدراسة بالأزهر لمدة ثلاثة أشهر على نفقة مصر، كما أوضح فضيلته دور الأزهر فى نشر الثقافة الإسلامية وتصحيح المفاهيم الإسلامية لدى دول العالم مؤكدا على ضرورة فهم الإسلام فهما صحيحا وسليما ومعرفة الاحكام

الشرعية والفقهية على المذاهب كلها، ويجب أن يعرف أن الفقهاء لم يختلفوا فى أمر معلوم من الدين بالضرورة، وعلى الغرب إذا أراد أن يفهم الإسلام فهما صحيحا أن يتعرف عليه من مصادره الأصلية.

## تطبيق مناهج التعليم الأزهرى بجمهورية اليمن

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الوفد رفيع المستوى من دولة اليمن الشقيقة برئاسة الدكتور / فضل أبوغانم وزير التعليم بدولة اليمن الشقيقة والدكتور / عبدالعزيز صالح نائب الوزير.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الضيوف مشيداً بعمق العلاقات والروابط بين مصر وأزهرها الشريف ودولة اليمن الشقيقة ذات الحضارة القديمة، وأشار إلى أن الصلة بين البلدين قوية منذ القدم والأزهر دائما أبوابه مفتوحة للأشقاء وللمسلمين ولكل من يلجأ ويحضر إليه من كافة أنحاء العالم.

شكر الضيوف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر مؤكدين على أن الأزهر هو المرجعية الدينية فى العالم وهو المرجع الأساسى لهم وهم يدينون بالولاء لتعاليمه وأسلوبه فى معالجة الأمور الدينية، وقد طلبوا التنسيق مع الأزهر لاقامة معاهد أزهرية باليمن على غرار معاهد الأزهر الشريف وذلك للنهوض بمستوى التعليم فى اليمن على أن يمدهم الأزهر الشريف بالمناهج والمدرسين والكتب التى تعينهم على خوض هذه التجربة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معربا عن استعداد الأزهر للتعاون الذى من شأنه النهوض بالمستوى العلمى والتعليم الدينى لطلاب وطالبات دولة اليمن الشقيقة.

ومما يذكر أنه تم عقد جلسات عمل تم فيها دراسة سبل تطبيق التعليم الأزهرى بخطته ومناهجه الدراسية فى جميع مدارس دولة اليمن حيث إن التعليم الأزهرى يمثل للمسلمين جميعا الحفاظ على القرآن الكريم ولغته العظيمة وعلى السنة النبوية المطهرة وأيضا لتوحيد الأفكار والعلوم وخاصة فى العلوم الدينية والعربية ولأن دولة اليمن تعتبر الأزهر الشريف هو المرجع والمرجعية الإسلامية تم التوقيع على بروتوكول تعليمى بين الأزهر واليمن وقعه عن الأزهر فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وعن دولة اليمن الدكتور / عبدالعزيز صالح نائب وزير التعليم.

## رئيس مجلس الكلية الأوربية للدراسات الإسلامية فى ضيافة الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الدكتور / موئل يوسف عز الدين رئيس مجلس الكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية ببريطانيا، والدكتور / محمود المشهدانى الأستاذ بالمعهد.

رحب فضيلته بالضيفين فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بالدور الذى يقوم به المسلمون فى دول العالم خدمة للإسلام والمسلمين داعيا لهم بدوام التوفيق والسداد.

شكر الضيفان فضيلته على حسن اللقاء والحفاوة البالغة وطلبا مد جسور التعاون بين الأزهر الشريف والمعهد الأوروبى للعلوم الإنسانية ببريطانيا، وذلك بإمدادهم بالمدرسين والمناهج الدراسية وخاصة فى تفسير القرآن الكريم، وعلوم القرآن، والحديث النبوى الشريف وعلومه، والعقيدة، والفقه، واللغة العربية، ليكون ذلك امتداد لمسيرة الأزهر الشريف الذى خرج للعالم أعلام هدى، ودعاة خير وتقى فى مشارق الأرض ومغاربها، وأوضح الضيفان أن الهدف الرئيسى لهذه الكلية هو إعداد نخبة جيدة من الكوادر الإسلامية المتخصصة التى تفهم الإسلام فهما صحيحا، لتقوم بتعليمه لأبناء المسلمين فى الغرب لينشأوا نشأة دينية صحيحة ويكونوا جسرا تعبر عليه حضارة الإسلام الأصيلة إلى شعوب الأرض، وقد وعدهم فضيلته بدراسة طلباتهم تمهيدا لتلبيتها طبقا لإمكانيات الأزهر الشريف.

## الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية إيران

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف معالى الدكتور كمال خرازى وزير شئون خارجية الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومعالى سفير إيران بالقاهرة والوفد المرافق لهما.

رحب فضيلته: بالضيف ومرافقيه فى مصر وأزهرها الشريف وقال: إننا نكن لدولة إيران الإسلامية كل احترام وتقدير، ونحن نلتقى دائما فى المناسبات الدينية، ونشهد لعلماء إيران بالعقل الراجح والأدب الوفير، وأشار إلى أن الدراسة بالأزهر تقوم على الاعتدال والتوسط واحترام الآراء الفقهية مع اختلاف المذاهب فيها، كما أننا نحترم كل المعاهد العلمية فى إيران وتربطنا روابط الأخوة، والزيارات الرسمية بين البلدين خير شاهد على تجديد الإخاء والتلاقى على طاعة الله، والتعاون على البر والتقوى.

وكان لزيارة فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف والوفد رفيع المستوى المرافق لفضيلته لدولة إيران آثار إيجابية لمراجعة البحوث التى تخدم الإسلام وتزيد من التقارب الكامل بين البلدين.

وأشار فضيلته إلى أنه حينما تقع أية أحداث تتعلق بمصير الشعوب، فإننا نقول الحكم النابع من الدين الإسلامى والذى أمرنا به شريعة الإسلام، ولانستطيع أن نقف سلبيين فيما يحدث من أحداث ولكن نقول الرأى الإسلامى وإلا كنا كاتمين للعلم الذى أمرنا الله به أن نظهره، وماحدث فى أمريكا

تقول عنه: إنه عمل لاتقره شريعة الإسلام، وثانيا: من حق من وقع عليه اعتداء أن يبحث عن المعتدى ويقدمه للهيئات القضائية التى تقول كلمتها، ونحن نحترم هذا الرأى، ثالثا: ليس من حق المعتدى عليه أن يُنزل عقوبة على شعب بأكمله فيه الكبير والصغير والمرأة والأمين، فشريعة الإسلام تسمو الى ما هو أعلى وتأمرنا بالعدل مع العدو ومع الصديق، وتأمرنا شريعة الإسلام بالنطق بكلمة الحق، وهذا هو منهجنا حتى نلقى الله ـ عز وجل ـ.

شكر السيد الوزير فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر على هذا اللقاء الذى من شأنه تقوية العلاقات الوثيقة، وأن هذه العلاقات قوية ومستمرة بفضل المجهودات التى قام بها كل من فضيلة الشيخ / محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق والشيخ آية الله البروجوردى من أجل التقريب بين المذاهب الإسلامية، وأيضا الزيارات التى تتم بين العلماء والمسئولين فى كلا البلدين، كما أننا استمعنا إلى الكثير مما تفضلتم به من معلومات وبيانات، وأن علماءنا يفكرون نفس التفكير لأنه نابع من دين واحد، وعلينا أن نتعامل مع ماحدث وهذه الظاهرة بما لايؤدى إلى المساس بالأبرياء بأى أذى، وادعو لفضيلتكم البصيرة، وأن يجعلكم الله ذخرا للعالم الإسلامى، وبدوام التواصل بين علماء مصر وإيران لإعلاء كلمة الإسلام فى العالم أجمع، وعلماء إيران فى أشد اللهفة لزيارة فضيلتكم، وأقدم لفضيلتكم شكر وتقدير فخامة الرئيس الإيرانى وهو من رجال الدين فى انتظار تشريف فضيلتكم لزيارة إيران وهذه دعوة موجهة لفضيلتكم للزيارة.

وقد رحب فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر بتلبية الزيارة فى الوقت المناسب حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف ولفيف من العلماء.

**فى اجتماعه مع وزير خارجية بريطانيا الإمام الأكبر يؤكد:**

## النفس الإنسانية فى الإسلام مصونة ومحترمة ولا يجوز لأحد الاعتداء عليها

● استقبل فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / جاك استرو وزير خارجية بريطانيا يرافقه السيد سفير بريطانيا فى القاهرة والوفد المرافق لهما.

رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه موضحا بأن شريعة الإسلام تدعو إلى السلام، وتمتاز بالسماحة وتعتبر الناس جميعا سواء أكانوا من الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب، هم جميعا من أب واحد وأم واحدة، ويجب أن يتعاونوا فيما بينهم، وشريعة الإسلام تحثنا على التعاون على البر والتقوى لا على الاثم



والعدوان، وهى ضد الظلم والبغى والقتل، وتعتبر أن من يقتل نفسا واحدة فكأنما قتل الناس جميعا، ومن عمل على إحياء نفس أو نصرة مظلوم فكأنما أحيا الناس جميعا سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، فالنفس الإنسانية فى الإسلام مصونة ومحترمة، ولايجوز لأحد أن يعتدى عليها، اللهم إلا إذا ارتكبت جريمة أوخطأ فهنا يجب أن تحاسب الحساب العادل الذى تقره الهيئات القضائية المحترمة، والدولة التى يعتدى عليها، من حقها أن تدافع عن نفسها وأن تبحث عن الجناة وتقدمهم للمحاكمة العادلة، وهذا حق وهبته شريعة الإسلام للفرد وللجماعة ومن حق كل من وقع عليه عدوان أن يدافع عن نفسه، ولايجوز أن يرتكب الجريمة شخص أو جماعة ثم تهاجم دولة بأكملها فيها الأبرياء والأطفال والنساء والشيوخ والعجزة والآمنين، وإذا كان هناك بعض الأفراد فى كل دولة وكل دين وكل مذهب لايعرفون أن الأديان السماوية أنزلها الله ـ عز وجل ـ للإصلاح وليس للإفساد فهم غير عقلاء ولايفهمون الفضائل، ويجب ألا تؤاخذ الناس جميعا وإنما تؤاخذ المخطئ والمعتدى، وهذا أصل من أصول شريعة الإسلام، وإذا كانت شريعة الإسلام تحارب الإرهاب والظلم والبغى والعدوان، واغتصاب أراضى الغير، وأخذ أموال الناس بالباطل فهى أيضا تحارب من يتستر على الإرهاب، لأن من يتستر على الإرهاب فهو إرهابى، وسيأتى وقت يقتله الإرهاب، ونحن فى الأزهر الشريف قدمنا التعزية لأسر الضحايا فى أول لحظة لوقوع هذا الحدث البشع.

● أعرب الضيف عن سعادته بلقاء فضيلة شيخ الأزهر وأنه متفق مع فضيلته على محاربة الإرهاب، وأنه من المؤسف أن يكون هناك مثل هذا الصراع بين الناس وأن السيد / تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا أكد على أن اعتداءات ١١ سبتمبر يجب ألا تخلق شقاقا بين الإسلام والغرب وخاصة أننا نشترك فى الديانات السماوية ونفس المبادئ والقيم، وأشكر فضيلتكم على شعوركم وإحساسكم ببشاعة ماحدث وتقديمكم التعازى لأسر الضحايا وأوجه لفضيلتكم الدعوة لزيارة بريطانيا ولقاء أسقف كانتربرى فى أقرب فرصة تراها فضيلتكم وذلك لما لهذا اللقاء من أهمية كبرى لتوضيح سماحة الأديان، وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أن السيد الرئيس / محمد حسنى مبارك قد نادى منذ خمسة عشر عاما بمحاربة الإرهاب، كما نادى بعقد مؤتمر دولى تحت مظلة الأمم المتحدة تلتزم به جميع الدول وتكون قراراته ملزمة وذلك لمحاربة الإرهاب حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف ولفيف من علماء الأزهر.

**الإمام الأكبر:**

## نحن مع تعاون الحضارات لا مع تصارعها

● استقبل فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتورة / بينيتا فريرو والدنر وزيرة الشئون الخارجية لدولة النمسا، والسيد الوزير / جوهانز بيتر عضو مجلس الوزراء، والسيد الوزير / ماريوس كاليجاريس رئيس شئون الشرق الأوسط، والسيد سفير النمسا بالقاهرة، والوفد المرافق.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف مشيدا بالروابط القوية التى تربط بين مصر والنمسا والاحترام المتبادل بين الشعبين، واكد على ان النمسا دولة صديقة تحترم الدين الإسلامى، وشرح فضيلته دور الأزهر الشريف فى التعليم وان الدراسة فيه تسير على الوسطية والاعتدال من منطلق ان شريعة الإسلام ترفض الإرهاب لانها تدعو إلى السلام والامان وتدعو إلى صيانة النفس الإنسانية سواء اكانت لمسلم أم لغير مسلم لانها نفس محترمة لاينبغى الاعتداء عليها باى لون من الوان العدوان وبذلك يعيش الناس فى سلام وفى امن وامان واطمئنان، وقد ادان الازهر الشريف الإرهاب فى اول لحظة حدث فيها حادث امريكا فى ١١ سبتمبر وقلنا إن شريعة الإسلام تحرم الاعتداء على النفس الإنسانية كما انها تدعو لصيانة الاموال والحقوق و من يرتكب جريمة يحاسب ويعاقب بالعقوبة الرادعة، وفى نفس الوقت نطلب من امريكا ان تتانى فى البحث عن الجناة الحقيقيين وتقدمهم للمحاكمة العادلة وهذا حقها ولكن ان تهاجم دولة بها الأطفال والنساء والشيوخ والابرياء فهذا ما لانرضاه.

واعربت السفيرة عن سعادتها بهذا اللقاء فى اعلى هيئة دينية محترمة وهو الازهر الشريف مشيرة إلى انه لابد من التعاون لمحاربة هؤلاء الذين يحملون افكارا إرهابية، وقالت: اعتقد ان هدف الإرهاب هو تعميق الخلاف حتى يسود العالم، ولكن علينا أن نبين إلى اى مدى يجب ان يتسامح بعضنا مع البعض ويجب ان نبين لشعوبنا انه ليس هناك صراع او تصادم بين الحضارات والديانات، وعلينا ان نحسم مايشاع فى العالم من افكار غير ذلك، ونوضح لشعوبنا وللرأى العام إدانة ماحدث، ولايمكن ان نتصور اننا نعيش فى صراع مع العالم، والنمسا دولة تعترف بالدين الإسلامى على أنه دين صحيح، والجاليات المصرية فى النمسا تعيش فى امان وسلام، وعلينا ان نعمل من اجل الاحترام والتقدير للتقارب، وان نحارب تلك الصراعات.

وقد اوضح الإمام الاكبر شيخ الأزهر بانه مع تعاون الحضارات وليس مع صراع الحضارات، لأن تعاون الحضارات يفيد

الشعوب، ويزيل الخلافات بين الشعوب ويجعل الشعوب تتفرغ للنهضة والتقدم فى كل المجالات وأشار فضيلته إلى أن السيد الرئيس محمد حسنى مبارك أول من نادى بالتصدى للإرهاب ونادى بعقد مؤتمر عالمى لمحاربته حضر اللقاء فضيلة الشيخ / محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

## بوش يؤكد: الإسلام هو دين السلام

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد / ديفيد ولسن سفير الولايات المتحدة الأمريكية الجديد بمناسبة توليه عمله كسفير لبلاده بالقاهرة والوفد المرافق.

رحب فضيلته بالسيد السفير والوفد المرافق حيث أكد فضيلته على أن الأزهر الشريف علماءه وطلابه والعاملين به يرفضون ما حدث من عدوان على الآمنين فى نيويورك وواشنطن، لأنه لون من العدوان الذى تبغضه شريعة الإسلام، والإسلام برىء من العدوان لأن شريعة الإسلام تصون كل نفس إنسانية سواء أكانت لمسلم أم لغير مسلم، كما قدم فضيلته باسمه وباسم علماء الأزهر وطلابه والعاملين به خالص التعزية للشعب الأمريكى الصديق ولأسر الضحايا، وللسيد الرئيس بوش، والشكر للرئيس بوش على اللفتة الكريمة التى قام بها لزيارته للمركز الإسلامى بواشنطن والتى أوضح بكلمة قال فيها: إن الإسلام ضد هذا العمل الإجرامى، ولا نريد إدانة المعتدى بدون دليل وحذر من أن يعتدى أحد على المسلمين، شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على كلماته الحكيمة قائلا: إن هناك ما يزيد على البليون من المسلمين فى العالم منهم ما يزيد على سبعة ملايين مسلم فى أمريكا، وأنا أعلم أن الإسلام دين سماحة ويرفض التعامل بالعنف، كما شكر فضيلة الإمام الأكبر لمعرفته بقرارات الرئيس الأمريكى، موضحا أن من طبيعة الأمريكان أنهم يحترمون العقائد والأديان، ونحن نرفض الاضطهاد الدينى، واليوم نرفض كافة أشكال العنف، وقال: إن تصريحاتكم وآراءكم قد شجعتنا لتلك الزيارة وكان على الرئيس الأمريكى دور وواجب نحو المسلمين، وقدم السيد السفير رسالة لفضيلة الإمام الأكبر من السيد الرئيس بوش مضمونها: أن الأمريكان الذين يعاملون المسلمين بأمريكا معاملة سيئة يجب أن يكون لديهم شىء من الخجل لأنهم أبناء وطن واحد، وأن وجه الإرهاب لا يمكن أن يكون حقيقيا مع عقيدة الإسلام لأن الإسلام هو دين السلام، ونحن نعلم ذلك، وأن هؤلاء الإرهابيين لا يمثلون الإسلام، إنهم يمثلون الشيطان.

وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن رسالة السيد الرئيس بوش تنم عن تفكير سليم وعقلية موضوعية رشيدة ونشكره على هذه الرسالة الحكيمة، كما أوضح فضيلته أن مصر والأزهر الشريف ضد الإرهاب والعدوان والبغي وقتل الآمنين، وتمنى للشعب الأمريكي دوام الأمان والاستقرار، وأن الأزهر على استعداد للتعاون الصادق من أجل نشر الرخاء وتبادل المنافع التي أحلها الله - عز وجل - بين مصر وأمريكا والعالم أجمع وهو تعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، مؤكدا على أن الأمان هو الذي يؤدي إلى الاستقرار والرخاء، وأما الخوف والفزع يؤدي إلى الفقر والخراب والضغائن.

كما أعرب فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف عن أسفه لما حدث في أمريكا وتأييده لما قاله فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر في استنكاره لما حدث لأن الإسلام يرفض الإرهاب بكل صوره وألوانه وأشكاله ونؤكد على ما قاله السيد الرئيس بوش بأنه يجب أن يعامل المسلمون في أمريكا معاملة حسنة لأنهم ليس لهم ذنب فيما حدث وقدم عزاءه للسيد السفير. حضر اللقاء لفيف من علماء الأزهر الشريف.

**الإمام الأكبر:**

## من يقع عليه العدوان يبحث عن الجاني ويقدمه للعدالة وليس من حقه أن يهاجم دولة

● ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف محاضرة بعنوان: ( حماية الإسلام للأنفس والأموال ) بمسجد النور بالعباسية بمناسبة بدء الموسم الثقافي للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بحضور فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية والسادة نواب رئيس الجامعة وعلماء الأزهر الشريف وعلماء الأوقاف وطلاب البعوث الإسلامية والسادة الأئمة الوعاظ من خارج مصر.

وأكد فضيلته على أن الشريعة الإسلامية كرمت الإنسان تكريما عظيما ومن مظاهر هذا التكريم أن الله - سبحانه وتعالى - أوجدنا في هذه الحياة لكي نعمرها، وأعطانا نعمة العقل التي هي مناط التكليف، ونعمة البيان والتخاطب فيما بيننا، وأن الشريعة الإسلامية أعطت لنا حقوقا وفرضت علينا واجبات، وعلى رأس هذه الحقوق حق الحياة الآمنة الكريمة التي يحياها الإنسان، وهو آمن على نفسه وماله وعرضه وحريته وكرامة الإنسانية.



وقال فضيلته: إن القرآن توعد الذى يعتدى على النفس الإنسانية ظلما دون سبب بأشد العذاب وذلك من أجل صيانة النفس الإنسانية، وأشار إلى أن القتل الذى يحمل فى طياته الظلم والعدوان والبغى يؤدى إلى انتشار الفساد والحقد والحسد فى الأمة لأن النفس الإنسانية هى هى فى كل زمان ومكان تتأثر بفقد عزيز لديها، موضحا أن الشريعة الإسلامية حرمت على الإنسان حتى قتل نفسه، بل إن الشريعة الإسلامية لم تعف الإنسان من القتل الخطأ حتى يحترس المجتمع، وأوضح بأن الذين يتهمون الإسلام بأنه دين قسوة أو عدوان جاهلون بحقيقة الدين الإسلامى وسماحته مشيرا إلى أن كل دولة بها العقلاء وبعض السفهاء الذين لا يدركون الحقائق.

وأشار فضيلته إلى أنه من الوسائل التى سلكها التشريع الإسلامى لتكريم النفس الإنسانية وحمايتها تحديد المفاهيم وإعطاء كل ذى حق حقه فقال تعالى:

﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾(١).

أى مدوا يد السلام لكل من يسالمكم وأدبوا من يعتدى عليكم، لم يقل لنا من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ولذلك يقول الله تعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾(٢).

ولذلك فنحن كلنا رئيسا وحكومة وشعبا نقف إلى جانب إخواننا فى فلسطين ونمدهم بما نستطيع من ألوان المساعدة لأنهم ظلموا واعتدى عليهم البغاة، وقتلوا من قتلوا، وشردوا من شردوا فمن الواجب علينا أن نقف إلى جانبهم ونقول لهم اثبتوا ونحن معكم، وهذا الثبات ستكون نهايته النصر إن شاء الله والقرآن يحثنا على ذلك فيقول الله ـ عز وجل ـ:

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾(٣).

وإذا لم نفعل ذلك نكون مقصرين فى حق ديننا وفى حق أمتنا.

وأشار إلى آيتين ترسمان المنهج الذى يجب أن يسير عليه المسلمون فى التعامل مع غيرهم من أصحاب العقائد الأخرى قوله تعالى:

---

(١) البقرة (١٩٠).

(٢) الحج (٣٩، ٤٠).

(٣) النساء (١٠٤).





﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[4].

فمن مد يد السلام إلينا مددنا إليه يد السلام ومن أساء إلينا وقاتلنا واعتدى علينا وأخرج إخواننا من ديارهم وآذاهم وأصر على هذا الإيذاء فلا يمكن أن تكون بيننا وبينهم مودة أو موادعة حتى ينتهي عن جرائمه،

وقال فضيلته: إن ماحدث فى أمريكا مؤخرا هو إرهاب وإفساد فى الأرض وهو عمل تستنكره جميعا ونحن ضده ومن حق من يقع عليه العدوان أن يبحث عن الجاني ويقدمه للعدالة ولكن ليس من حقه أن يهاجم دولة بأكملها فيها الرجال والنساء والأطفال والآمنين.

واختتم حديثه بقوله: إن شريعة الإسلام هى شريعة الحق والعدل والرحمة وإعطاء الحقوق لأصحابها وهى الشريعة التى صانت النفس الإنسانية عن أى عدوان عليه، وهى شريعة العدل والسماحة والسمو، ويجب ألا يتهم الإسلام.

● وقال د. زقزوق: إن الإسلام أكبر وأعظم من كل إساءة توجه إليه من الجاهلين الحاقدين وهو دين حفظه الله أكثر من ١٤٠٠ عام وقد تكفل الله بحفظه ورعايته حتى نهاية الكون ونحن نثق فى نصرة الله لدينه وبالتالي لا نخاف من أى هجوم فكرى وثقافى على الإسلام، والإسلام يتعرض حاليا لحملة شعواء تبغى تشويه صورته وهى حملة مغرضة تقوم على أسس ظالمة وتنطلق من أناس لا يفهمون عن الإسلام شيئا ولا يدركون أهدافه ومعانيه، وكل من يهاجم الإسلام والمسلمين سواء أكان فردا عاديا أو مسئولا فى دولة فهذا إنسان يفضح جهله على الملأ ويبرز التعصب والكراهية التى تتحكم فى سلوكه.

وقال: إن الإسلام لم يكن أبدا دين إرهاب أو تطرف لكنه دين الرحمة والعدل والإخاء والقرآن الكريم حينما امتدح النبى ﷺ وصفه بأنه رحمة للعالمين قال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[5].

فالإسلام دين رحمة ورفق ولين وليس فيه مكان لهذه الأباطيل والترهات التى تثار من هنا وهناك سواء من هؤلاء الجهلاء الذين يتعمدون الإساءة للإسلام وهم لا يفهمون، أو من يسيئون إليه عن تعمد وسوء نية، فلم تعرف البشرية طوال تاريخها أمنا ولا سلاما وعدلا مثلما عاشته فى ظل الإسلام والحضارة الإسلامية.

---

(٤) الممتحنة (٨، ٩).

(٥) الأنبياء (١٠٧).

# الفهـــرس


● لابد للعلم من خلق عاصم (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ـــــ ١٢٦٦
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى ـــــ ١٢٧١
● دعوة القرآن الكريم إلى بناء المجتمع
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ـــــ ١٢٧٨
● تعظيم القرآن
للأستاذ الدكتور/ أحمد عبدالواحد ـــــ ١٢٨٧
● المعيار المعتبر لقبول الرواية عند المحدثين
للدكتور/ احمد محمود شيمى ـــــ ١٢٩١
● الإسراء والمعراج (٢)
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ـــــ ١٢٩٦
● سيرة رسول الله لابن إسحق للدكتور على مراد
للأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ـــــ ١٣٠١
● موقف الإسلام من أهل الكتاب
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ـــــ ١٣١٠
● الإسلام فى دراسات أكاديمية غربية
للأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب ـــــ ١٣١٤
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ـــــ ١٣٢١
● فلسفة خطاب الإعلام العربى
للأستاذ الدكتور/ محمد ابراهيم الفيومى ـــــ ١٣٣٠
● الإسلام دين السلام
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ـــــ ١٣٣٤
● أم المؤمنين عائشة (قصيدة)
للشاعر/ أحمد محرم ـــــ ١٣٣٩
● الأخلاق والاقتصاد
للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى ـــــ ١٣٤٥
● بين الخضر حسين وعلى عبدالرازق
للدكتور/ محمد عمارة ـــــ ١٣٥٤
● قصة العدد: إسلام بغى
للأستاذ/ محمود غنيم ـــــ ١٣٦٠
● عدى بن حاتم الطائى
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ـــــ ١٣٦٥
● الشهيد (قصيدة)
للأستاذ الدكتور/ صابر عبدالدايم ـــــ ١٣٦٩
● الصهيونية وأرض الميعاد
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ـــــ ١٣٧٢
● الإرهاب الصهيونى فى الأدب العبرى
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ـــــ ١٣٧٧
● مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ـــــ ١٣٨٣
● الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم
للدكتور/ السيد الجميلى ـــــ ١٣٨٧
● القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ـــــ ١٣٩٤
● صلة الأرحام
لفضيلة الشيخ/ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح ـــــ ١٣٩٨
● الإسلام دعوة لتحقيق الوحدة الإنسانية
للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى ـــــ ١٤٠٣
● طرائف.. ومواقف
إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ـــــ ١٤٠٦
● واقعة حال (قصيدة)
للشاعر/ أحمد مصطفى حافظ ـــــ ١٤٠٨
● المعادلة الصعبة
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ـــــ ١٤٠٩
● استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ـــــ ١٤١٤
● خطبة الجمعة.. فى الطريق إلى فلسطين
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ـــــ ١٤١٨
● رسالة... و... رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ـــــ ١٤٢٣
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ـــــ ١٤٢٥
● بين المجلة والقارىء
إعداد الأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ـــــ ١٤٣٢
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ـــــ ١٤٤١
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للشيخ/ عمر البسطويسى ـــــ ١٤٤٦




# الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

• • •

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ج.م.ع
ت: ٢٦٣٨٥٩٩


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾


## الاشتراك السنوى

- داخل مصر ......... ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ......... ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ......... ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ......... ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ..٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠




# الرئيس حسنى مبارك
# فى لقـــائه
# مع علمـاء الأزهـر الشـريف



إعداد / أحمد السيد تقى الدين







أكد الرئيس حسني مبارك أن الدين الإسلامي ليس دين إرهاب وأن القتل موجود في أمريكا وأوروبا وكل مكان. وقال: إن مصر والمسلمين جميعا لا يوافقون على قتل الأبرياء، ولا على ما حدث في الولايات المتحدة في ١١ من سبتمبر الماضي. جاء ذلك في افتتاح السيد الرئيس مركز المؤتمرات الدولي للأزهر الشريف بمدينة نصر في ١٢ من شعبان ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٩ من أكتوبر ٢٠٠١م.

وكان الرئيس حسني مبارك قد وصل إلى مبنى مركز المؤتمرات في تمام الساعة التاسعة صباحا، حيث كان في استقباله فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي والدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء، والدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر، والدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر، والدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية، والدكتور عبد الرحيم شحاتة محافظ القاهرة.

وقد أزاح الرئيس مبارك الستار عن اللوحة التذكارية إيذانا بافتتاح المركز، ثم قام بجولة تفقدية للمركز، توجه بعدها إلى قاعة المؤتمرات بالمركز حيث التقى بعلماء الأزهر في لقاء مفتوح.

وقد بدأ اللقاء بتلاوة لآيات من القرآن الكريم ثم ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كلمته.

وبعدها ألقى الشاعر الدكتور محمد رجب البيومي قصيدة شعرية، بدأ في أعقابها الرئيس مبارك لقاءه مع علماء الأزهر.



وكان الرئيس مبارك قد بدأ اللقاء بتوجيه التهنئة للعلماء بقرب حلول شهر رمضان المعظم، وقال: نحن الآن فى صرح جديد تابع للأزهر الشريف وأهنئكم بقرب حلول شهر رمضان المعظم فى خلال عدة أيام وكل عام وأنتم بخير.

وأضاف: تكلمنا فى الدين كثيراً وفى الإسلام ولن نمل، ولكن جاء الوقت أن أتكلم فى السياسة. والسياسة بالقطع لها علاقة كبيرة جدا بالدين واسمحوا لى أن أشرح لكم بعض الإجابات عن بعض الأسئلة التى وردت إلىّ. وقال الرئيس مبارك: قد لا أكون صريحا بالكامل فى كل سؤال، واعذرونى لأننى أنظر إلى المصلحة العامة قبل كل شيء ومصلحة مصر بصفة خاصة فسأكون محاسبا فى كل كلمة أقولها ولا أستطيع أن أخرج فى التفسير أكثر مما يمكن أن أقوله.

## نص حوار الرئيس مبارك مع علماء الأزهر

ثم بدأ الرئيس مبارك الرد على أسئلة علماء الدين بالأزهر الشريف.

● **سؤال**: حاولت بعض الجهات استغلال أحداث ١١ سبتمبر الماضى فى الولايات المتحدة للربط بين الإسلام والإرهاب لأهداف مغرضة، بينما يؤكد فضيلة الإمام الأكبر وتؤكد جميعا فى كل مناسبة

أن الإسلام دين سماحة ويسر وهذه حقيقة، هل ترون أن هناك رابطا بين هذه المحاولات وبين الوضع في الشرق الأوسط وخاصة الموقف العربي والإسلامي الرافض للسيادة الإسرائيلية على المقدسات الإسلامية التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧؟

● **الرئيس مبارك**: أحب أن أقول لكم بصراحة إن أحداث سبتمبر لا يمكن أن يوافق عليها أحد ولا على قتل الأبرياء دون سبب ولكن عندما قرب العقاب «تمحك» كل منهم في الإسلام والقضية الفلسطينية، إنه لا يمكن أبدا أن نوقف الإرهاب إلا إذا حلت القضية الفلسطينية، لم يكن هناك أحد من هؤلاء يتكلم عن القضية الفلسطينية قبل ذلك، قتل الأبرياء في الأقصر، قتل الأبرياء في كل مكان ليس معناه أن الدين الإسلامي دين إرهاب، وهناك قتل في الولايات المتحدة وفي أوربا.

● وأشار الرئيس مبارك في هذا الصدد إلى المحامي الذي دخل برشاش في المحكمة في إحدى الولايات الأمريكية وقتل ٨ محامين وكذلك انفجار أوكلاهوما، إلى آخره. وقال: إنه يجب ألا ننسب العنف إلى الإسلام، لا أرى أن هناك رابطا بين العنف والإسلام.

وأضاف: لكن الوضع في الشرق الأوسط موضوع آخر، الناس وصلت إلى درجة من الإحباط والشعور بالظلم الذي يؤدي إلى زيادة العنف في فلسطين ما



بين الفلسطينيين وإسرائيل، هذا الموضوع أخذ مشوارا طويلا جدا بخصوص حل القضية الفلسطينية، وعلى ما أتذكر في أيام الرئيس السابق بيل كلينتون عندما تفاوض الإسرائيليون والفلسطينيون في كامب ديفيد وصل إلى حد أنهم طلبوا منا أن نساعد عرفات في أن يتخذ قرارا صعبا، وكان ردى سنساند عرفات في أي قرار يتخذه، وكانت المشكلة في ذلك الوقت هي الحرم، تريد إسرائيل أن يكون الحرم تحت السيادة الإسرائيلية، وعندما مر عليّ كلينتون هنا في ساعة مبكرة في يوم من الأيام قادما من أفريقيا شرحت له وقلت له تماما بالحرف الواحد لا يمكن لأية دولة عربية أو إسلامية أن تقبل السيادة الإسرائيلية على القدس الشريف لأن هذه أرض احتلت عام ٦٧ .

## القدس يجب أن يعود

وقال الرئيس: لقد تناقشنا كثيرا في هذا لدرجة أنه في أحد اللقاءات قلت: إذا كنتم ستصرون على بقاء القدس تحت السيادة الإسرائيلية أقول لكم بصراحة وأمانة، وليس هذا سرا . . . ستبقى الحرب بين المسلمين وبينكم ولو لمائة عام، وأعتقد أن الإدارة الأمريكية تفهم هذا لكن التعنت الإسرائيلي لا يزال قائما والمقدسات الإسلامية لابد أن تعود، القدس الشريف لابد أن يعود. وأعتقد أن الرئيس الفلسطيني أثناء مفاوضاته في كامب ديفيد وصل إلى بعض تنازلات معهم، أن تسلم إسرائيل الحرم للسلطة الفلسطينية وأن يعطيهم حائط المبكى والحي اليهودي. . والقدس الشرقية مقسمة إلى عدة أحياء. . حي يهودي. . حي إسلامي. . حي مسيحي. . كلهم فلسطينيون والحي الأرمني.

قال لهم: خذوا الحي اليهودي مع حائط المبكى أما باقي الأرض المقدسة فلا يمكن أبدا أن يجرؤ مخلوق على أن يتنازل «يجرؤ موش يستطيع» لا يمكن لمخلوق أن تأتي إليه الجراة أن يتنازل عن القدس الشريف وعن الحرم.

طبعا كانت هناك مفاوضات حدثت بعد اللقاء في كامب ديفيد لكن مدة الرئيس الأمريكي السابق كانت أوشكت على الانتهاء ولو أن الجانب الإسرائيلي والجانب الفلسطيني جلسا للتفاوض في طابا، وقد ساعدناهم في أن يلتقوا بالرئيس الأمريكي حتى يمكن بدء التفاوض وبدأوا التفاوض في طابا ولكن الفترة كانت قصيرة مما أدى إلى توقف المفاوضات وانتهت مدة الرئيس الأمريكي السابق.

## شرعية المقاومة

● **سؤال**: أعربتم عن تأييد مصر الكامل للمجهودات الدولية لمكافحة الإرهاب إلا أن البعض يسعى دون حق لتوسيع نطاق الحملة ضد الإرهاب لتشمل حركات المقاومة الشرعية في الأراضي الفلسطينية والسورية واللبنانية المحتلة.. كيف يمكن مكافحة الإرهاب إذا لم يكن هناك تعريف واضح له يأخذ في الحسبان شرعية المقاومة المسلحة للشعوب الواقعة تحت الإرهاب؟

● **الرئيس مبارك**: في أحد الأحاديث في الفترة الأخيرة قلت إن ما يدور في الأرض الفلسطينية من استرجاع الأرض لا أعتقد إنه يكون إرهابا، وإذا كنا سنعتبر أن هذا إرهاب فأنا أعتبر أيضا العمل الإسرائيلي في داخل الأرض المحتلة إرهابا، غضبت بعض المنظمات وبعثت تقول لي هل تقبل القتل في



الكازينوهات والقتل فى إسرائيل، وكذا وكذا، هل لا تعتبره إرهابا، يعنى هل ظهور قانون يعطى الحق لدولة إسرائيل أن تتبع الفلسطينيين أو ما يسمونهم «الناشطين» فى الأرض المحتلة وقتلهم، أى دولة فى العالم تصدر هذا القانون.

أعتقد تعريف الإرهاب لهذا الموضوع كنا نتكلم فيه منذ عام ٨٤ أو ٨٦ وكنت أنادى بمؤتمر دولى للإرهاب، لم يستمع أحد وقالوا: إرهاب، أصل مصر فيها مشكلات والجزائر فيها مشكلات وهما عاوزين مؤتمر، الإرهاب موش حايجيلهم سواء أمريكا أو أوروبا، بل بالعكس كان الإرهابى هنا يقتل ويهرب ويأخذ حق اللجوء السياسى فى أوروبا وفى دول أخرى وحتى فى أمريكا.

ولقد تكلمت فى هذا الموضوع كثيرا وناديت بمؤتمر دولى للإرهاب، وكان الخلاف هو هل يحتسب القتال أو العمليات التى تدور على الأرض المحتلة إرهابا أم لا؟ نحن نقول لا، لأنه يريد أن يستعيد أرضه، بعض الدول التى تعارض هذا تقول لا.. لا تستطيع أن تعمل مؤتمرا دوليا للإرهاب لأن المسلمين سيقولون إن ما يدور فى الأرض المحتلة ليس إرهابا. ولذلك كنا كلما ننادى بالمؤتمر كان يتوقف.

وأعتقد الآن أنه لابد وفى أسرع وقت ممكن أن يحدث المؤتمر الدولى للإرهاب وأن تعرف كلمة الإرهاب تعريفا كاملا ووضع قواعد منظمة لمعاملة الإرهابيين حتى لا يقبلوا بحق اللجوء السياسى فى الدول ويأخذوا الحماية اللازمة ويرتكبوا الأخطاء والجرم فى بلادهم.

إذا كنا نبحث عن حقوق الإنسان فكلنا مع حقوق الإنسان، لكن هناك من يبحث عن حق

الإنسان المجرم القاتل ويترك حق الإنسان البرىء الذى يقتل هنا وييتم أولادهم، وتفقد الزوجات الأزواج والأولاد. هذا ما نتكلم عنه دائما واعتقد أنه آن الآوان لأن يكون هناك مؤتمر دولى للإرهاب لتعرف كلمة الإرهاب ولوضع قواعد ملزمة لجميع الدول الصغيرة والكبيرة لتنفيذ مثل هذه القواعد.

وقال الرئيس مبارك: حينما قلت إن هذه مقاومة شرعية بعثوا لى رسائل يقولون لى إزاى، أمال هى إيه، أرض محتلة، احتليت أرضى، عاوز استعيد أرضى، وانت موش عاوز ترجعها لى حيحصل عنف، والعنف بيحصل ليه، فى فلسطين القرى والمدن كلها محاصرة، قبل حصار المدن والقرى لم يكن هناك عمليات إرهاب إلا نادرا شأنها شأن أى دولة فى العالم، لكن عندما تحاصر القرى والرجال لا يستطيعون العمل ولا يستطيعون كسب أرزاقهم، ولا يستطيعون إرسال أولادهم للقرية المجاورة فى المدرسة، أو لا يستطيعون الإنفاق على أولادهم للعلاج أو المأكل أو الملبس، ماذا تتوقع منه، حالة يأس وحالة إحباط، موش قادر أطعم عيالى وموش قادر أبعثهم المدرسة وإلا يمكن ينضرب ويموت وموش قادر أجيب له هدوم، ما باشتغلشى، قاعد عاطل، تبقى حياة ايه دى؟ تدعو لليأس والإحباط خلاص أروح أركب شوية متفجرات وآجى فى وسط تجمع إسرائيلى وأفرقع وأموت الناس، حقيقى بيموتوا أبرياء، لكن إيه إللى وصلنا إلى هذا الحد، هو حالة الإحباط واليأس.

وأضاف: هذا هو المهم ولابد أن إسرائيل تتفهم هذا ولابد أن العالم كله يتفهم ولابد أن تمشى فى طريق السلام حتى يتوقف العنف ويعود الحق لأصحابه.

## لا حــل ســوى التفــاوض

● **سؤال**: يتزايد الشعور بالإحباط واليأس من إمكانات نجاح مفاوضات السلام مع إسرائيل فى ضوء سياستها الاستفزازية تجاه الشعب الفلسطينى الأعزل، هل ترون أنه مازال هناك أمل فى التفاوض مع الحكومة الإسرائيلية الحالية؟

● **الرئيس مبارك**: يعنى حاليا أنا لا أتوقع أن يكون هناك تفاوض، العملية كده كل ما العملية تهدأ نشوف لها حل، يشوفوا لها مصيبة، يعنى بنشوف ليه الانتفاضة قامت فى ٢٨ سبتمبر من العام الماضى رئيس الوزراء الحالى كان بيدخل الانتخابات علشان رئاسة حزبه فأخذ بعضه وراح الحرم ومسنود بحوالى ثلاثة آلاف جندى يؤمنونه هناك، بدأت الانتفاضة واستمرت، وجاء رئيسا للوزراء وعندما هبط معدل الانتفاضة قليلا نتيجة المجهودات التى تبذلها السلطة الفلسطينية، يظهر معجبوش الحال، فراح هناك عشان يحط حجر الأساس لهيكل سليمان، منعه الشعب زادت الانتفاضة وارتفع معدلها مرة أخرى.

**وأضاف الرئيس**: الواحد مش قادر يفهم هل هم عايزين سلام، أعتقد أن الشعب، المواطن الإسرائيلى العادى يريد أن يعيش شأنه شأن المواطن الفلسطينى العادى يريد أن يعيش، كانوا بيخافوا يمشوا فى الشوارع، بيخافوا يروحوا المحلات، المسئولية مسئولية الحكومات، الحكومات إذا لم تتبن خطا منطقيا معقولاً لتأمين شعوبها أنا رأيى أنها تستحق إعادة نظر.

ولا يوجد حل سوى التفاوض، بعد سنة، بعد ستة شهور، بعد سنتين، لا حل إلا التفاوض لأن عمر استخدام القوة ما حل قضية في العالم، الضرب والقتل بيزيد عملية الانتقام ومش حتنتهي أبدا، لابد أن تقعد الأطراف وتنفذ تقرير ميتشيل، وتبدأ التفاوض علشان الحل النهائي، وأكبر ضمان لإسرائيل إذا كانت تريد أن تعيش في هذه المنطقة هو إقامة الدولة الفلسطينية على أرضها، وأن يتعاونوا مع بعض وحتنتهي المشكلات، بدون ذلك لا حل إطلاقا للوصول إلى سلام.

**وقال الرئيس مبارك:** هناك دور أمريكي ودور أوروبي طبعا، بياخدوا منها المعدات والشعب الفلسطيني شعب أعزل بيضرب ببندقية شاريينها من الإسرائيليين، أغلبها شاريينها من الإسرائيليين، فلابد من الدور الأوروبي، يمكن أمريكا مشغولة بحكاية أفغانستان دلوقتي، لكن لابد أن يكون هناك إجراءات معينة أو مجهود معين من المجموعةالأوروبية والولايات المتحدة تجاه القضية الفلسطينية، على الأقل حتى نقلل من العنف ونقلل الإرهاب ونصل إلى السلام ويأمن كل مواطن سواء إسرائيلي أو فلسطيني. إحنا مش ضد الأمن للمواطن الإسرائيلي إطلاقا. إننا نريد الأمن للمواطن الإسرائيلي لأنه بشر والدين بتاعنا بيدعو إلى هذا.. كما ندعو أيضا إلى الأمن للمواطن الفلسطيني ولن يكون هذا إلا بالوصول إلى حل عادل للقضية الفلسطينية.

## التجارة البينية ضرورة

● **سؤال:** تزعمتم الحركة النشيطة نحو التضامن العربي ونجحتم في المجال السياسي في إقرار مبدأ انعقاد القمة العربية كل عام

« الرئيس يعلق: دي بذلنا فيها مجهودا طويلا »

وعززتم ذلك بدعم التوجه نحو إنشاء عدد من مناطق التجارة الحرة بين الدول العربية في إطار سعيكم الدؤوب لتحقيق حلمنا جميعا لإحياء سوق عربية مشتركة.

● **الرئيس مبارك:** أنا باقول إن التجارة البينية، يعني ما بين الدول العربية بعضها والبعض لا تزيد على ٨ إلى ١٠٪ من تجارة الدول العربية، الكلمة دي لها معان كثيرة، لما أنا أشتري منك وتشتري مني وأن يكون إللي عايزه موجوداً عندك أنا بافتح خطوط إنتاج كثيرة أو أنت بتفتح خطوط انتاج تانية، بتشغل عمالة، بتعيش الناس، لكن التجارة التانية كلها (الـ ٩٠٪) بره في الخارج يعني بتشغل عمالة في الخارج توجد لهم وظائف، بنجيب خبراء من عندهم وهكذا، مع إن احنا كلنا عندنا صناعات وممكن الاستثمار يمشي في الدول ده بدل ما بنستثمر في أوروبا وأمريكا نستثمر في بلادنا وحيبقى كلنا قلبنا على بعض وما حدش منا حيعتدي على الآخر لأن أنا لي مؤسسات.

**وأضاف الرئيس مبارك:** الموضوع ده منذ أن توليت وأنا أتكلم فيه، يا جماعة السوق العربية المشتركة أساسية، السكان بتزيد في كل عالمنا العربي، احتياجاتنا بتزيد كلها، يعني إذا كنت انت بتصنع حديد حاشتري منك، وأنا باصنع زجاج حتاخذ مني، والتكنولوجيا واحدة وكلنا بنجيب من بره بس بنفتح مصانع واستثمارات في بلادنا كلها، وما بقولش استثمارات في مصر أو الصناعات كلها في مصر، بل يجب أن تتوزع في الدول العربية كلها علشان العمالة من كل الدول،


فضيلة الأستاذ الشيخ محمود عبد الغنى عاشور وكيل الأزهر الشريف يتحدث خلال اللقاء.

الأفراد كلها تشتغل تقدر تكتسب الرزق، بدلاً من أن تزيد البطالة عندنا، ولحن نقوم بتشغيل البطالة فى العالم الخارجى، فنحن نسهل لهم ونعقد على نفسنا الحياة نتيجة إن فلوسنا بره، كل استيراداتنا من بره وبعدين النتيجة احنا سكانا بتزيد ولا تجد شغل أبدا لكل الناس.

**وقال الرئيس مبارك**: الحكومات لا تستطيع بميزانياتها أن تشغل العالم ده كله يعنى معقول أنا أقدر أشغل فى مصر مليون واحد كل سنة انتم عارفين الميزانية هى ١٠٠ مليار، منها ٤٦ مليار مرتبات، وحتزيد، حتوصل ٥٠ أو ٥٥ مليار يعنى أكثر من النصف وبعدين احنا حنصرف على الخدمات وعلى الحياة وعلى متطلبات الحياة منين.. لذلك احنا عمالين نجرى وراء السوق العربية المشتركة وفيه بادرة أمل وأتمنى إنها تتحقق لأنها مهمة جدا لصالح جميع الدول العربية بلا استثناء.

وأضاف الرئيس مبارك: اعملوا استثمارات فى أى دولة إحنا ما عندناش مانع ما بنخافش واستورد منك وانت استورد منى، بدل ما أنا العملة الصعبة برة، وموش لاقيها، نتبادل، نشترى، ونفتح مصانع، ونشغل عمالة، العمالة عمال ومهندسين واطباء ومحاسبين ومن كل المجالات حتشتغل، وعلى المدى القريب لابد ان يحدث تقدم فى السوق العربية المشتركة ليس هناك حل آخر لنا كأمة عربية.

● **سؤال**: الآن عالمنا العربى يشهد يوما بعد يوم بأنه فى أمس الحاجة إلى هذا التضامن فى مواجهة الأخطار المتزايدة ضد الأمة العربية: فهل من كلمة توجهونها إلى شعوب العالم العربى؟

● **الرئيس مبارك**: أنا أتكلم كثيرا عن أن السوق العربية المشتركة أساس حياة هذه الشعوب، التعاون الاقتصادى والتعاون التجارى شرط أساسى للمستقبل، إذا كنا ما زلنا الآن نستورد بأقول فى المستقبل سنحتاج إلى وظائف كثيرة ويكون فات الأوان ونرجع نندم على ما فات.

لابد من سوق عربية مشتركة، نشوف أوروبا نحن أعلنا السوق العربية المشتركة قبل الاتحاد الأوروبى، الآن أين الاتحاد الأوروبى، إنهم يضعون شروطا علينا واحنا لسه قاعدين بنستورد منهم مافيش فايدة، ما عندنا إمكانات، السعودية فيها إمكانات وسوريا فيها إمكانات ولبنان ومصر فيها إمكانات وليبيا والمغرب والجزائر وكل الدول العربية، إن هذه الإمكانات حينما تتعاون ستحد من عمليات البطالة وما يترتب عليها من مشكلات.




وألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى كلمة ترحيب بالسيد الرئيس محمد حسنى مبارك حيث قال:





الرئيس مبارك يتلقى هدية مصحفًا شريفًا من شيخ الأزهر

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك -وفقه الله وسدد خطاه-

الحفل الكريم:

مرحبا بك يا سيادة الرئيس في الأزهر الشريف جامعا وجامعة.

مرحبا بك في هذا المبنى الذى أسس على تقوى من الله ورضوان

مرحبا بك في هذا في المبنى الذى أنشىء ليكون منارة للعلم النافع، وليكون مصدراً من مصادر الهداية على مكارم الأخلاق، وإلى كل ما يؤدى إلى رقى الأمة في كل مجال من مجالات الحياة التى أوجدنا الله فيها لكى نعمرها بكل ما ينشر فيها السلام والأمان والرخاء.

مرحبا بك يا سيادة الرئيس في صرح من صروح الأزهر الشريف الذى عمره أكثر من ألف سنة، والذى تقوم الدراسة فيه منذ أن أنشىء على ( إبراز محاسن الشريعة الإسلامية، وعلى حماية اللغة العربية من كل ما يخرجها عن معانيها السليمة ).

الاعتدال والتوسط، والابتعاد عن العصبية العمياء، وعن العنصرية البغيضة

تقوم الدراسة فيه على تقديم العلم النافع إلى كل من هو فى حاجة إليه سواء أكان من الشرق أم من الغرب أم من الشمال أم من الجنوب.

وفى الأزهر الشريف الآن طلاب وطالبات من أكثر من تسعين دولة يتلقون العلم إلى جانب أخوانهم وأخواتهم من أبناء مصر.

مصر -والحمد لله- ذات الحضارة التليدة



التى انتفع كثير من الدول فى الشرق أو فى الغرب بهذه الحضارة.

وبهذه المناسبة نقول: إن الذين يقولون بأن الحضارات تتصادم، مخطئون.

لأننا نقول لهم: الحضارات عند العقلاء تتعاون ولا تتصادم، تتقارب ولا تتباعد، تتآزر من أجل خدمة البشرية، ولا تتصارع من أجل نشر الخراب والفساد فيها.

والحضارات تزدهر وتنمو وتنتشر ويشع ضوؤها فى الأمم التى يكثر فيها عدد العقلاء وتندثر وتضمحل ويخمد نورها فى الأمم التى يكثر فيها عدد السفهاء الجهلاء.

وشريعة الإسلام -يا سيادة الرئيس- التى تقوم على العدل وعلى الرحمة وعلى رعاية مصالح الناس

هى أساس لكل حضارة رشيدة.

هى أساس لكل حضارة تقدم السلام والأمان للناس.

هى أساس لكل حضارة تجمع ولا تفرق وتبنى ولا تهدم وتعمر ولا تخرب وتصلح ولا تفسد وتعدل ولا تظلم

وإذا كان بعض الذين ينتسبون إلى الإسلام، لم يعملوا بآدابه أو بأحكامه، فإن هذا موجود فى كل أمة وفى كل دين وفى كل مذهب من المذاهب التى انتشرت فى مشارق الأرض وفى مغاربها

والأزهر الشريف بمقتضى رسالته ودراساته لشتى ألوان العلوم على رأس وظائفه أن يبين للناس أن شريعة الإسلام بريئة من كل عدوان على الناس فى أنفسهم أو فى أموالهم أو فى أعراضهم.

إن شريعة الإسلام -يا سيادة الرئيس- تقرر أن الناس جميعا من أب واحد ومن أم واحدة:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾(٢).

شريعة الإسلام رسمت لأتباعها علاقتهم بغيرهم فى آيتين كريمتين هما قوله تعالى:

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٣).

(١) النساء (١).

(٢) الحجرات (١٣).

(٣) الممتحنة (٨، ٩).





شريعة الإسلام تصون النفس الإنسانية من أى عدوان عليها مادامت لم ترتكب مايؤاخذ عليه، سواء أكانت هذه النفس لمسلم أم لغير مسلم، وتأمرهم أن يمدوا يدهم بالسلام والأمان إلى كل من يمد يده إليهم بالسلام والأمان.

ويكفى أنها تأمر أتباعها بأنه إذا استجار بهم من ليس منهم فعليهم أن يجيروه، وأن يحموه من أي عدوان عليه، وأن يوصلوه إلى بلده آمنا مطمئنا.

قال -تعالى-:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾(٤).

شريعة الإسلام التى تأمر أتباعها بأن ينطقوا بكلمة الحق، هى التى جعلتنا فى أعقاب ما حدث فى واشنطن وفى نيويورك فى الحادى عشر من شهر سبتمبر الماضى جعلتنا ننطق بالحكم الشرعى النابع من شريعة الإسلام فنقول ثلاث كلمات:

**أولها**: أن ما حدث من قتل للآلاف من الآمنين بتلك الصورة المنكرة الغادرة الخسيسة هو فعل إجرامى وحشى خسيس تبرأ منه شريعة الإسلام، وتبرأ منه الإنسانية جمعاء.

**وثانيها**: أن على الدولة التى وقع عليها هذا العدوان الأثيم، أن تبحث عن الجناة المجرمين، وعن الذين زينوا لهم هذا الإجرام وحرضوهم عليه، وأن تقدمهم إلى الهيئات القضائية لتقول كلمتها فيهم.

**وثالثها**: أن تجعل عقوبتها لهؤلاء الجناة المجرمين لا لغيرهم من الآمنين من الرجال أو النساء أو الأطفال. فالله -تعالى- يقول:

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾(٥).

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك -وفقه الله وسدد خطاه- لقد عرفناك قائدا تقيا شجاعا حكيما، صديقك هو الذى يؤدى واجبه بيد نظيفة، وباتجاه قويم، وباستقامة فى القول والفعل والسلوك، ويحرص على خدمة المصلحة العامة بشرف وأمانة.

وإننا لندعو الله -تعالى- لسيادتك بالمزيد من السداد والتوفيق، وبالمزيد من الصحة والعافية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(٤) التوبة (٦).

(٥) النجم (٣٦-٤١).





# حصن الإسلام

وألقى فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي عضو مجمع البحوث الإسلامية ورئيس تحرير «مجلة الأزهر» قصيدة بهذه المناسبة:

كل حين لنا احتفال سعيد ... هو للمسلمين في الكون عيد
إن دعا الأزهر الشريف لحفل ... نهضت أمة وخفت وفود
هو حصن الإسلام يحمي حمى الإ ... سلام والبغي فاجر عربيد
جاءنا السيد الرئيس المفدى ... مالنا بعد أن نراه مزيد
الرزين الحصيف ذو الصبر والحلم ... تميد الذرى وليس يميد
هو ربانا فإن هبت الريح ... هداه في الموج فكر سديد
نصر الدين والعروبة في عصر ... به الدين مستطار شريد
ما جنى المسلمون حتى يراعوا ... بقلوب ينز منها الصديد؟
قد أصبنا من غيظنا باختناق ... ومن الغيظ قد يشق الوريد
ماجنى المسلمون إذ تنشب الحرب ... وهم في لظى الجحيم وقود
ألف رد فذ تساق الأساطيل ... وتسعى بوارج وجنود



أياد الأفغان من أجل فرد … هوس أم ضغينة وحقود؟

أصليبية تقولون ماذا؟ … جئتمونا بها ونحن بعيد

باسمها قد غزوتمونا قديما … حيث عانى آباؤنا والجدود

ما فعلنا سوى الدفاع عن النفس … ورد العدوان فرض أكيد

الحضارات أشرقت في حمانا … حين كان الظلام فيكم يسود

قد لبستم جلد الوحوش وكنا … قد لبسنا الدمقس وهو نضيد

أحمد فخرنا وعيسى وموسى … هل أتى منكمو نبي رشيد

إن تغب شمسنا قليلا عن الأفق … فبعد الغيب حتما تعود!

هكذا الكون دولة فهبوط … ثم يأتي بعد الهبوط الصعود

إن مصرا حمت جميع البرايا … حين دوت بالقاصفات الرعود

هجمات التتار طاحت ببغداد … وأودت بالشام فهو حصيد

واشرأبت كل العيون لمصر … ولمصر في الروع بأس شديد

صرح العز فوق مئذنة الأز … هر والعز باسل صنديد

صرخ العز فالشباب جموع … يتوافون والشيوخ حشود

حين دوت وإسلاماه اقشعرت … مهج تغتلي، وفارت كبود

الشبول الشبول خفت من الغاب … وفي صدرها يؤج الوقود

والعذارى والسيدات بذلن … الحلي كل بما تصون تجود

أساورات لآلىء وحلي … من نضار، وأقرط وعقود

كل غال يهون في حب مصر … إن مصرا هي الرجاء الوحيد

وتراءى الجمعان في عين جالو … ت أسود تسطو عليها أسود



حين دوت وإسلاماه اقشعرت ... مهج تغتلي وفارت كبود
نفحات من يوم بدر تجلت ... فكسبنا لدى الوغى ما نريد
فإذا المعتدى بقايا فلول ... فقتيل مضرج وطريد
مثل يوم العبور طرنا إليهم ... في قتال يشيب منه الوليد
ما حكوه عن خط بارليف أضحى ... سخريات الأيام وهو بديد
المكان المكان أرض فلسطين ... وتاريخنا بها مشهود
حيث حيتني قطز وأنور بيبرس ... وجبريل في الأمام يقود !
شرد الشعر ناسيا حفلة اليوم ... وللشعر نفرة وشرود
غير أنا نعود نلتقط الأنفاس ... والقول مستطاب مديد
غمر الهم مقولى فتناسى ... إنه اليوم شاعر غريد
أى حفل لأى مبنى تجلت ... فيه للفن روعة لا تبيد
مركز في البهاء يغدو عروسا ... حاطها في الزفاف مرد وغيد
زغرد الفن في المكان فلو كا ... ن أديبا لرن منه القصيد !
قد جعلتم عجائب الكون سبعا ... ثا من السبع ذا البناء المشيد
ستصول العقول فيه أفانين ... ويعلو به النقاش الرشيد
وقفات البيان يرجع منها ... من عكاظ لمصر عهد جديد
هو دار للحكمة اجتذبتنا ... ستعيد المأمون فيمن تعيد
خلد الأزهر الشريف على الدهر ... وبالله تم هذا الخلود
قاده الطنطاوى إلى المجد سباقا ... ودرعاه عزمه وصمود
الفقيه المفسر المتروى ... والخطيب الذواقة المحمود

# ولا ينتهى اللقــاء

نعم لا ينتهى اللقاء.. صحيح أن السيد الرئيس محمد حسنى مبارك غادر القاعة مصحوبا بدعوات علماء الأزهر له بالتوفيق والسداد، ولكن علماء الأزهر لا يغادرون القاعة وإنما جلسوا يتحاورون يسترجعون كلمــات الرئيس الذى أبى إلا أن يطلع علماء الأزهر على حقائق الأمور ليكونوا على بينة من أمر قضايا أمتهم.. لقد سمعوا الرئيس يجيب على تساؤلاتهم.

البعض الآخر أخذ يتحدث عن التطور الهائل الذى حدث فى الأزهر الشريف فى عهد شيخه الجليل الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى وبرعاية رئيس الجمهورية شخصيا، حيث شهد الأزهر نقلة حضارية جبارة تمثلت أكثر ما تمثلت فى تحديث منشآته التى أصبحت ملء السمع والبصر.

البعض كان يتحدث بفخار عن الجامع الأزهر الذى بذلت جهود جبارة فى ترميمه بعد أن تصدعت جدرانه ومالت كثير من أعمدته، ولولا جهود فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى والاستجابة الفورية من رئيس الجمهورية شخصيا والذى حول مشروع ترميم الجامع الأزهر إلى مشروع قومى تجند فيه كل طاقات الدولة من أجل الحفاظ عليه ليظل دائما وأبداً عزيزاً شامخا، لولا ذلك لحدث مالا يحمد عقباه.

وفى جانب آخر من جنبات القاعة كان الحديث يدور عن دار الكتب الأزهرية والمبنى العملاق الذى تشغله الآن والذى جرى تجهيزه بأحدث تقنيات العصر بعد أن كانت المكتبة الأزهرية تشغل مساحة بالجامع الأزهر لا تتناسب أبدا مع مقتنياتها الثمينة من الكتب ونفائس المخطوطات، وأصبحت هذه الدار قبلة ومزار العلماء والباحثين.

ولا يتوقف حديث العلماء عن إنجازات شيخهم الجليل محمد سيد طنطاوى فى عهد رئيسهم مبارك الذى صار الأزهر فى عهده منارة شامخة يفخر بها الأزهريون ويتباهون، فقد تحدث أحدهم عن مبنى مشيخة الأزهر الجديد، تلك التحفة المعمارية التى افتتحها رئيس الجمهورية

شخصيا فى ١٣ من سبتمبر ١٩٩٩ وتكلف إنشاؤها خمسين مليونا من الجنيهات وأقيمت على مساحة ٢٨٠٠ متر مربع.

ويحكى أحدهم عن مبنى الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية بمدينة نصر والمجاور لقاعة المؤتمرات التى يجلسون فيها والتى جرى إنشاؤها وتجهيزها بأحدث تكنولوجيا العصر، بعد أن كانت فى السابق موزعة على عدة «شقق سكنية» فى عدة عمائر، وكان مدرسو الأزهر والعاملون بالمعاهد الأزهرية يتنقلون بينها لإنجاز عملهم مع ما فى ذلك من مشقة بالغة.

واليوم يجلسون فى هذه القاعة المهيبة التى انشئت لتكون واجهة حضارية مشرقة أمام وفود العالم التى ستأتى إلى رحاب الأزهر للاجتماع بعلمائه طلبا للمشورة والنصح.

أجل لا ينتهى اللقاء، وسيظل الأزهر الشريف يشهد المزيد والمزيد من الإنجازات الحضارية الفذة، إن شاء الله تعالى.



افتتاح مبنى مشيخة الأزهر بالدراسة فى ١٣ من سبتمبر ١٩٩٩م لقطة تتكرر وستتكرر مع مشروعات أزهرية جديدة بإذن الله



مبنى مشيخة الأزهر تحفة معمارية فريدة



الجامع الأزهر وجهود جبارة بذلت للحفاظ عليه

افتتاحية العدد

# رمضان غريب

لو كان شهر رمضان رجلا يعقل، ويفكر في أمسه ويومه، لشاهد من التناقض السافر ما يضج به ضجيج الثورة والاحتجاج، فقد كان رمضان في عصر الإسلام الأول موسما للزهد والقناعة وتمرينا على احتمال الجوع، ومجالا للعطف الرحيم على ذوى الفاقة والعسر، كما كان ميدانا للعبادة ومدارسة القرآن والحديث، والاعتكاف الخالص للتأمل في خالق السموات والأرض، والتفرغ إليه رغبة ورهبة، هذا في الأمس الغابر، أما الحاضر المشاهد فلا يكاد يلتفت الى هذه المعانى، بل ربما كانت هذه المعانى بمفهومها الدينى، ومغزاها الإنسانى أبعد وأنأى عن عقول القائمين على الإعلام في أدواته المختلفة، حين يجعلون نقائضها المؤلمة حقا مفروضا على القارئ والسامع والمشاهد، على القارئ في المجلات والجرائد، وعلى السامع في الراديو ومختلف الشرائط الهابطة، وعلى المشاهد في إعلانات التليفزيون ومسرحياته وقصصه، والناس يسمعون ويقرأون ويشهدون وأكثرهم يظن الأمر طبيعيا لا نشاز فيه، وأقلهم يستشعر الحسرة على ما فرطنا في جنب الله حين أصبحت شعيرة الصوم سببا للهو العابثين، ومجال نشاط مبتذل كريه!

## الغــذاء في رمضــان

ونترك الحديث عن الإعلام المتحرر لنعود إليه بعد حين، إذ نتحدث الآن عن مظاهر التخمة المفرطة التى تسببها المآكل الدسمة ما بين الإفطار والسحور، فقد أصبح رمضان موسما من مواسم الكسب المادى للشركات التجارية في أوروبا وأمريكا، حين علم القائمون على هذه الشركات أن مما يروج بضائعهم الكاسدة أن تجد المعلبات البائرة هناك طريقها إلى البلاد الإسلامية باعتبارها مصدر غذاء شهى تسبقه الإعلانات في كل مجال من مجالات النشر، وكان ما يذبح من الحيوان، وما يكدس

# ...ب بين أهله

من اللحوم غير كاف للإشباع، وأنت لا تستطيع أن تكظم غيظك حين تجد رب العائلة الموسرة يباهي بما يشترى من الأغذية الوافدة، ويعد ذلك سبقا حضاريا، ثم يجعل الكم العددى مقياسا للسعة والحفاوة، فهو يشترى مالا حاجة إلى الأسرة به، ليعرف الناس أنه موسر لايضن على عائلته فى شهر الخيرات والبركات، ورمضان شهر الخير والبركة حقا، ولكن لا بمعنى الإكثار من الطعام دون حاجة، بل بمعنى مشاركة المحتاجين فى طعام الموسرين، وقد كنا فى أوائل هذا القرن نرى الروح الإسلامية لا تزال حية فى نفوس المسلمين إذ كان منهم من يضع المائدة أمام منزله ساعة الإفطار ليفد إليها الفقير دون أن يحتاج الى طرق الباب، فإذا رآه صاحب المنزل استقبله ببشاشة وأنس، هذا ما رأيناه بالأمس القريب وشاهدناه.

أما الآن، فإننا نسمع ونرى ما يزكي الحسرة فى النفوس، نرى من يريد أن يطعم إخوانه الموسرين مثله فحسب، فلا يدعوهم إلى منزله، بل يحتجز جناحا فى فندق شهير، ويبذل الجهد فى استرضاء من يطمع فى تشريفهم حين يحتفل مع المدعوين بيوم من أيام رمضان! فإذا حان موعد الإفطار غصت القاعة بالوجهاء والمترفين، ومضى الداعى مرحبا هاشا باشا، ولا يحسب حيى من هؤلاء أن وقت المغرب محدود وأن الصلاة توشك أن تضيع سدى، بل تمتد السهرة إلى الليل، وتتعاقب المرطبات والحلوى وكأنها تتميم شعيرة الإفطار، فإذا انقضى السامر ورجع الداعى إلى منزله أخذ يتباهى بما صنع، ويقول: إنه شهر البر والخير أعاده الله علينا بالصحة والعافية! ولم يسأل نفسه كيف تكون مأدبته فى الفندق وسيلة من وسائل البر والإحسان، وما أكل بها فقير، وما دنا من قتارها الذائع مسكين!!! أيخدعون أنفسهم أم يخدعون الله؟!

# حكمة الجوع

وقد غابت عن هؤلاء حكمة الصوم فى لبابها الأصيل، لأن استشعار الجوع فى هذا الموسم الكريم ذو هدفين واضحين، يعرفهما تلاميذ المدارس الصغار، فضلا عن آبائهم الكبار، فالهدف الأول هو راحة المعدة من تعب العام المتواصل، وإتاحة الفرصة لتراكمات الدهون والشحوم أن تذوب وتتحلل فيستعيد الجسم نشاطه بعد إجازة صحية يتوقى بها ما يتوقع من الداء إذا استمر الغذاء على نحوه المتواصل أما الهدف الثانى فاستشعار العطف على البائسين ممن يجوعون طيلة العام لفقرهم المدقع وعوزهم الشديد فإذا أحس الثرى المترف لهب الجوع فى رمضان تذكر من يحسون هذا اللهب دون انقطاع، وبذلك يصبح رمضان مجالا للمشاركة الوجدانية الحبيبة، حين يصبح المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا، وما يحسه المؤمن التقى من شعور الراحة حين يمد يده بالخير لأخيه المحتاج، يهدىء من نفسه، ويرتفع بإحساسه إلى مستوى إنسانى كريم، وفى ذلك براءة من هم، وانطلاق من قيد، لمن كان له قلب، فإذا حاولنا أن نجد نفعا ما فيما يبذل له من المآكل الأنانية فى رمضان، تلك التى تظل حجرا محجورا على الأثرياء وتقف الأسوار العالية حائلة دون الفقراء فإننا لا نجد سوى الغيظ الخانق من أناس يدفعون إلى القمامات مما فضل عن حاجتهم ما يتلهف عليه الفقير شغفا واحتياجا، وأنا لا أنكر أن الخير لايزال باقيا لدى كثير من النفوس، حين يأتمرون بآداب الإسلام، فى التكافل الاجتماعى، والتعاطف الأخوى، فيؤدون زكاة الفطر عن سماح، ويعطفون على الفقراء سرا وعلانية، ولكن رمضان بمعناه الروحى العميق يحتم أن يكون المسلمون جميعا من هذا الطراز، لا أن تكون طائفة مخلصة ترعى الخير، وطوائف أخرى تتخذ منه حبالة للدعاية الكاذبة، والغرض المريب، والشر شر فى ذاته، ولكنه يتحول إلى شر أعظم إذا جعل من الشعيرة الدينية ستارا لأهواء لا تمت إليها بأدنى سبب لدى من يفهمون الأمور على وجهها الصحيح، وقديما قال أبو العلاء المعرى:

إذا رام كيدا بالصلاة مقيمها
فتاركها عمدا إلى الله أقرب

أى أنه أقرب من صاحب هذا الكيد، لا أنه قريب بالترك، وكلنا يعرف قول رسول الله إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»[1] وهو حديث متواتر متعالم، ولكن كثيرا من الناس يغفلون عنه فيضلون السبيل.

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه

## ترفيه أم مجون؟

أما امتلاء ليالي رمضان بشواغل اللهو العابث، والخلاعة المارقة فيما تشاهد من مسرحيات هابطة، ونرى من فوازير ذات إسفاف في المظهر والمخبر، فهذا ما نحار فيه، ولا ندرى سببا لانتشاره وقد كتبنا من قبل في تجريح هذه الظاهرة، ولكن انتشارها يزداد هولاً فى كل عام عن سابقه، كان هناك رغبة أكيدة فى غيظ من يدعو إلى الله بالتى هى أحسن، لقد كنا نطمع أن نجد المسرحيات التاريخية الإسلامية ذات الهدف النبيل تملأ الفراغ فتحدث التوجيه المنتظر، وترسم المثل الحى، لاسيما أن من صام اليوم الطويل يعيش فى جو روحانى يتناغم معه هذا الضرب من التوجيه الروحي، ولكننا نجد مشاهد الرقص والعرى والابتذال تعرض متتابعة وكان رمضان أصبح موسم هذا اللهو العابث، ولا أدرى ما الذى ألصق الفوازير الماجنة بهذا الشهر الكريم؟ حتى تعبأ لها الجهود طيلة العام فيظل أصحابها فى شغل شاغل بما سيقدمون من أحاج، ومن يختارون من ممثلات، وما يشترون من أدوات الإغراء والتشويق، وكأنهم يعدون لمعركة حربية يفاجأ بها عدو ماكر شديد السطوة! ألست تعجب حين تكون هذه الأضاحيك شغلا شاغلا لجماعة يظنون أنفسهم من قادة التوجية، وإذا لم يكن بد من الفوازير فلماذا لا تدور حول معان ترتفع بالمشاهد وعن أناس لهم كرامتهم التاريخية ودورهم القيادى فى الإسلام! كبعض ما نراه لدى الدول الملتزمة بقواعد اللياقة، وسنن الاعتدال؟ لماذا لا تدور الفوازير حول حيوات الأبطال من المجاهدين، والعلماء من المجتهدين، والقادة من المصلحين، إن كانت الفوازير إحدى رموز هذا الشهر بحيث أصبحت ضرورة ملزمة لدى هؤلاء المجددين، لقد كان ليل رمضان فى الماضى ساحرا بطمأنينته الدينية،و إشعاعه الروحى، كان القرآن الكريم يملأ سهرات المنازل، وكان المسلمون يتزاورون ليسمعوا كلام الله فى كل بيت، وكان صاحب المنزل يحتجز لديه من يراه أهلا للضيافة من الفقراء ليتناول طعام السحور معه فى حب وإخلاص حتى إذا انتصف الليل هرع الجميع إلى المساجد، ليذكروا الله، وفى الوجوه بشاشة، وفى النفوس صفاء! هذا ما شاهدناه من قبل، وما شهده وشهد أكثر منه رحالة المسلمين فى ماضيهم السعيد فأنت تقرأ فى رحلات ابن جبير وابن بطوطة والمسعودى ما يهزك هزا من مظاهر التقوى العامرة فى احتفالات الليالى الوضيئة فى رمضان! وكنا فى

مصر تشهد مقارىء للحديث النبوى تعقد فى ليل رمضان، وفى أرقى مساجد القاهرة وأعظمها اتساعا، بحيث يستقل مسجدا بقراءة صحيح البخارى فى حلقة ممتدة يتداول أعضاؤها القراءة فى أجزاء أعدت من قبل، ويستقل مسجد آخر بقراءة صحيح مسلم ومسجد ثالث بقراءة موطأ مالك، هذا غير مقارىء كتاب الله فهى من الاشتهار بحيث تكفى الإشارة إليها، ومن حفظ الله كتابه أن هذه المقارئ لا تزال باقية، ولها رواءها العاشقون، وقد يبلغ التزاحم عليها مبلغا يشفى صدور قوم مؤمنين ولا تقتصر على الليل فى رمضان، بل تعقد بعد صلاتى الظهر والعصر فى أيام الإثنين والخميس وذلك فضل الله..!

## استجابة مريضة

حين بدأت الصحوة الدينية فى الشعوب الإسلامية، ونشأ جيل من الشباب يؤمن بإسلاميته الصحيحة وينبذ سموم الثقافة الوافدة، رأت دوائر الإعلام أن تساير هذه الصحوة ترويجا لشأنها فمن فئات الصحف والإذاعات من أخلصت فى دعوتها إلى مثل الإسلام وتعاليمه، ولكن فئات أخرى شاءت أن توهم القارئ تعاطفها مع الصحوة لتضمن الرواج والذيوع، فأخذت فى مجال الحديث عن رمضان تفرد الصفحة والصفحتين عن شئون رمضان، ولكنك تطالع ما نشرته الصحيفة فماذا تجد؟ تجد نصفها قد خصص لإعلانات تتصل بالسهر والحفلات وهى محسوبة على الحصاد الدينى، أما النصف الآخر، فتجد فيه صورة مكبرة لمسجد أو فانوس أو أثر إسلامى مع شئون عامة عن مواقيت الصلاة والحالة الجوية ودرجات الحرارة والبرودة فى العواصم المختلفة، أما المقال الدينى فشذرات مبتسرة لا تشفى «غلة» ولا تقدم جديدا، وقد أوهمت الجريدة نفسها أنها شاركت فى التوجيه الدينى بمناسبة رمضان، مع أنها لم تفعل شيئا ذا بال: أما الإذاعات فتهولك بأحاديث عن رمضان لمن تختارهم من الشخصيات، وتضرب كفا بكف حين تسمع المتحدث يتكلم عن ذكرياته عن رمضان، وهو لاعب كرة أو مطرب يافع أو ممثل عرف بمشاهد الإغراء!! هؤلاء وأضرابهم هم الذين يملئون السهرات بالأحاديث عن رمضان؟

ليت شعرى، أنجد أم نهزل؟

كنا ننتظر أن نقرأ فى الصحيفة اليومية مقالات ضافية لأعلام الفكر الإسلامى

كما كنا ننتظر أحاديث مهمة لكل المشتغلين بقضايا العالم الاسلامي، لتكون السهرة الرمضانية موضع جذب أخاذ هذا إذا كان الهدف واضحا، والإخلاص رائدا ولكن ما نقرؤه ونسمعه في حاجة إلى تصحيح، ومن السار أن نعلن أن الشباب المؤمن قد عرف عن هذه الترهات، وجعل يميز الطيب من الخبيث، وعلى الذين يسيطرون على منافذ التوجيه أن يعلموا أنهم يكشفون أنفسهم أمام الرأى العام، فإذا تداركوا هذه السقطات الواضحة بأعمال جدية ذات نفع فستغفر لهم سوابقهم الأليمة، أما إذا تأخروا عن الركب الزاحف فسيجدون أنفسهم حيارى وسط الظلام.. وقد أكون صريحا إلى درجة الإيلام ولكن آخر الدواء الكي.

## فرصة نادرة

على أننا نعرف أن رمضان هو شهر القرآن الكريم، ومعنى ذلك أن يصبح الشهر الكريم موسما لتأمل كتاب الله، قراءة وتفسيرا، وروحانية هذا الشهر تجعل الصائم ذا صفاء نفسي، فيتلقى آيات الذكر الحكيم تلقى الذواق المستشف لأسرار الوحي الإلهي وتفرج له الآيات عن إشراقات يختص بها الله من يقبل على التلاوة بقلب صاف وروح مؤمنة، والاعتكاف المشروع في هذا الشهر ميدان فسيح للتأمل الروحي، حيث ينهل المدد الرباني على نفوس عامرة بالإيمان، مليئة باليقين.

د. / محمد رجب البيومي

# تفسير سورة القدر

بمناسبة حلول شهر رمضان المعظم نقدم لقرائنا تفسير سورة القدر لفضيلة الإمام الأكبر

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

## مقدمة وتمهيد

١ - سورة «القدر» من السور المكية عند أكثر المفسرين. وكان نزولها بعد سورة «عبس» وقبل سورة «الشمس» فهى السورة الخامسة والعشرون فى ترتيب النزول ويرى بعض المفسرين أنها من السور المدنية، وأنها أول سورة نزلت بالمدينة.

قال الألوسى: قال أبو حيان: مدنية فى قول الأكثر. وحكى الماوردى عكسه. وذكر الواحدى أنها أول سورة نزلت بالمدينة. وقال الجلال فى الإتقان: فيها قولان والأكثر أنها مكية[١] .. وعدد آياتها خمس آيات. ومنهم من عدها ست آيات والأول أصح وأرجح.

٢ - والسورة الكريمة من أهم مقاصدها: التنويه بشأن القرآن، والإعلاء من قدره والرد على من زعم أنه أساطير الأولين. وبيان فضل الليلة التى نزل فيها، وتحريض المسلمين على إحيائها بالعبادة والطاعة لله رب العالمين.

---

(١) تفسير الألوسى جـ ٣٠ صـ ١٨٨

قال الله – تعالى – :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾

والضمير المنصوب في قوله ـ تعالى ـ :

﴿ أَنزَلْنَاهُ ﴾ يعود إلى القرآن الكريم، وفي الإتيان بهذا الضمير للقرآن، مع أنه لم يجر له ذكر، تنويه بشأنه، وإيذان بشهرة أمره، حتى إنه ليستغنى عن التصريح به، لحضوره في أذهان المسلمين.

والمراد بإنزاله: ابتداء نزوله على النبي ﷺ لأنه من المعروف أن القرآن الكريم، قد نزل على النبي ﷺ منجما، في مدة ثلاث وعشرين سنة تقريبا.

ويصح أن يكون المراد بأنزلناه، أي: أنزلناه جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك منجما على النبي ﷺ.

قال الإمام ابن كثير: قال ابن عباس وغيره: أنزل الله ـ تعالى ـ القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع، في ثلاث وعشرين سنة، على رسول الله ﷺ.(٢)

والقدر الذي أضيفت إليه الليلة، بمعنى الشرف والعظمة، مأخوذ من قولهم: لفلان قدر عند فلان، أي: له منزلة رفيعة، وشرف عظيم، فسميت هذه الليلة بذلك، لعظم قدرها وشرفها، إذ هي الليلة التي نزل فيها قرآن ذو قدر، بواسطة ملك ذي قدر، على رسول ذي قدر، لأجل إكرام أمة ذات قدر، هذه الأمة يزداد قدرها وثوابها عند الله ـ تعالى ـ إذا ما أحيوا تلك الليلة بالعبادات والطاعات.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٧ ص ٤٦٣.

ويصح أن يكون المراد بالقدر هنا: التقدير، لأن الله ـ تعالى ـ يقدر فيها مايشاء تقديره لعباده، إلا أن القول الأول أظهر، لأن قوله ـ سبحانه ـ بعد ذلك: «وما أدراك ما ليلة القدر» يفيد التعظيم والتفخيم.

أى: إنا ابتدأنا بقدرتنا وحكمتنا، إنزال هذا القرآن العظيم، على رسولنا محمد ﷺ فى ليلة القدر، التى لها ما لها عندنا من قدر وشرف وعظم.. لأن للطاعات فيها قدرا كبيرا وثوابا جزيلا.

وليلة القدر هذه هى الليلة التى قال الله ـ تعالى ـ فى شأنها فى سورة الدخان:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(٣).

وهذه الليلة هى من ليالى شهر رمضان، بدليل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾(٤).

قال بعض العلماء: ومن تسديد ترتيب المصحف، أن سورة القدر وضعت عقب سورة العلق، مع أنها أقل عدد آيات من سورة البينة وسور بعدها، وكان ذلك إيماء إلى أن الضمير فى ﴿ أَنزَلْنَاهُ ﴾ يعود إلى القرآن، الذى ابتدئ نزوله بسورة العلق.(٥)

**وقال صاحب الكشاف**: عظم ـ سبحانه ـ القرآن من ثلاثة أوجه: أحدها: أن أسند إنزاله إليه، وجعله مختصا به دون غيره. والثانى: أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر، شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه، والثالث: الرفع من مقدار الوقت الذى أنزل فيه.

روى أنه أنزل جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وأملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزل به على رسول الله ـ ﷺ ـ نجوما فى ثلاث وعشرين سنة.

وعن الشعبى: المعنى: أنا ابتدأنا إنزاله فى ليلة القدر..(٦)

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ تنويه آخر بشرف هذه الليلة، وتفخيم لشأنها، حتى لكأن عظمتها أكبر من أن تحيط بها الكلمات والألفاظ.

---

(٣) الدخان (٣:٦) (٤) البقرة (١٨٥)

(٥) تفسير التحرير والتنوير جـ ٣٠ ص ٤٥٦ للشيخ ابن عاشور ـ رحمه الله ـ.

(٦) تفسير الكشاف جـ ٤ ص ٧٨٠.



أى: وماالذى يدريك بمقدار عظمتها وعلو قدرها، إن الذى يعلم مقدار شرفها هو الله - تعالى - علام الغيوب.

ثم بين - سبحانه - مظاهر فضلها فقال:

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾.

أى: ليلة القدر أفضل من ألف شهر، بسبب ما أنزل فيها من قرآن كريم يهدى للتى هى أقوم.

ويخرج الناس من الظلمات إلى النور، وبسبب أن العبادة فيها أكثر ثواباً، وأعظم فضلا من العبادة فى أشهر كثيرة ليس فيها ليلة القدر.

والعمل القليل قد يفضل العمل الكثير، باعتبار الزمان والمكان، وإخلاص النية، وحسن الأداء، ولله - تعالى - أن يخص بعض الأزمنة والأمكنة والأشخاص بفضائل متميزة.

والتحديد بألف شهر يمكن أن يكون مقصودا. ويمكن أن يراد منه التكثير. وأن المراد أن أقل عدد تفضله هذه الليلة هو هذا العدد. فيكون المعنى: أن هذه الليلة تفضل الدهر كله.

ثم ذكر - سبحانه - بعد ذلك مزية أخرى لهذه الليلة المباركة فقال:

﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾

أى: ومن مزايا وفضائل هذه الليلة أيضا، أن الملائكة - وعلى رأسهم الروح الأمين جبريل - ينزلون فيها أفواجا إلى الأرض، بأمره - تعالى - وإذنه، وهم جميعا إنما ينزلون من أجل أمر من الأمور التى يريد إبلاغها إلى عباده، وأصل ﴿ تَنَزَّلُ ﴾ تتنزل، فحذفت إحدى التاءين تخفيفا، ونزول الملائكة إلى الأرض، من أجل نشر البركات التى تحفهم، فنزولهم فى تلك الليلة يدل على شرفها، وعلى رحمة الله - تعالى - بعباده.

والروح: هو جبريل، وذكره بخصوصه بعد ذكر الملائكة، من باب ذكر الخاص بعد العام، لمزيد الفضل، واختصاصه بأمور لا يشاركه فيها غيره.

وقوله - سبحانه - ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ متعلق بقوله: ﴿ تَنَزَّلُ ﴾، والباء للسببية، أى: يتنزلون بسبب إذن ربهم لهم فى النزول.

قال الجمل ما ملخصه. وقوله:

﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ يجوز فى ﴿ مِّن ﴾ وجهان: أحدهما أنها بمعنى اللام، وتتعلق بتنزل، أى: تنزل من أجل كل أمر قضى إلى العام القابل. والثانى: أنها بمعنى الباء، أى: تنزل بكل أمر قضاه الله - تعالى - فيها من موت وحياة ورزق. وليس المراد أن تقدير الله لا يحدث إلا فى تلك الليلة بل المراد إظهار تلك المقادير للملائكة.(٧)

---

(٧) حاشية الجمل على الجلالين جـ ٤ ص ٥٦٧.





وقوله – تعالى – :

﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾.

بيان لمزية ثالثة من مزايا هذه الليلة، وقوله ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ مصدر بمعنى السلام، وهو خبر مقدم، و ﴿ هِيَ ﴾ مبتدأ مؤخر، وإنما قدم الخبر تعجيلا للمسرة، وقد أخبر عن هذه الليلة بالمصدر على سبيل المبالغة، أو على سبيل تأويل المصدر باسم الفاعل، أو على تقدير مضاف.. والمراد بمطلع الفجر: طلوعه وبزوغه. أى: هذه الليلة يظلها ويشملها السلام المستمر، والأمان الدائم، لكل مؤمن يحييها فى طاعة الله – تعالى – إلى أن يطلع الفجر، أو هى ذات سلامة حتى مطلع الفجر، أو هى سالمة من كل أذى وسوء لكل مؤمن ومؤمنة حتى طلوع الفجر.

هذا وقد أفاض العلماء فى الحديث عن فضائل ليلة القدر، وعن وقتها، وعن خصائصها.. وقد لخص الإمام القرطبى ذلك تلخيصا حسناً فقال: وهنا ثلاث مسائل:

**الأولى**: فى تعيين ليلة القدر.. والذى عليه المعظم أنها ليلة سبع وعشرين..

والجمهور على أنها فى كل عام من رمضان..

وقيل: أخفاها – سبحانه – فى جميع شهر رمضان، ليجتهدوا فى العمل والعبادة طمعا فى إدراكها.

**الثانية**: فى علاماتها: ومنها أن تطلع الشمس فى صبيحتها بيضاء لا شعاع لها.

**الثالثة**: فى فضائلها.. وحسبك قوله – تعالى – :

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾.

وقوله:

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾.

وفى الصحيحين:

«من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه..»[8]

نسأل الله – تعالى – أن يجعلنا من المنتفعين بهذه الليلة المباركة

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

(٨) تفسير القرطبى جـ ٢٠ ص ١٣٤.

في ظلال الحديث النبوي

# السنة (*)

## الصوم

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ / إبراهيم الجبالي (**)

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ - قال: «قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به. والصيام جنة. وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب. فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه»(١).

وعنه - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين»(٢).

وعنه - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(٣).

---

(*) من مختارات مجلة الأزهر (نور الإسلام). العدد التاسع رمضان ١٣٥٣هـ.

(**) شيخ كلية اللغة العربية الأسبق، وعضو جماعة كبار العلماء.

(١) أخرجه البخاري. (٢) أخرجه البخاري. (٣) أخرجه البخاري.




الصيام والصوم فى اللغة معناه الإمساك عن أى شئ، ومنه قوله الله تعالى:

﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ﴾(٤).

أى إمساكا عن الكلام، ويقولون: خيل صائمة أى ممسكة عن الحركة، وريح صائمة أى راكدة، وصامت الشمس أى استوت فى السماء، وإذ يخيل للرائى أنها امسكت عن الحركة ومعناه فى الشرع: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية. والمفطرات معروفة مفصلة فى كتب الفقه. والجنة بضم الجيم: الستر، ومنه المجن لان المقاتل يستتر به عن خصمه، والجن لاستتارها عن الأعين، والجنة لان أشجارها تستر أرضها. وجن الليل: أى ستر ما أحاط به. والرفث: فحش القول، أو ما يكون منه فى مداعبة النساء. والصخب: شدة رفع الصوت حال الغضب ونحوه. وسابه أو قاتله: أى استفزه للسباب والمقاتلة بما يوجهه نحوه من دواعى ذلك. والخلوف: تغير رائحة الفم من هجر الطعام والشراب. والمسك: الطيب المعروف. والفرح: السرور وابتهاج النفس وغبطتها.

النوع الانسانى هو أفضل ما نشاهده من أنواع العالم. قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾(٥).

ويكفيه شرفا أن كان منه افضل الخلق على الأطلاق محمد ﷺ. وما كان من فضله وامتيازه على غيره بكبير حجمه وضخامة مادته، وإلا فالجبل أكبر منه وأضخم، ولا بقوة جسمه ومتانة عضلاته. وإلا فالبهائم والسباع أقوى منه وأمتن. وإنما فضله بما أودعه الله فيه من تلك اللطيفة الربانية، تلك الروح الملكية، تلك الماهية الإنسانية، ذات القوة العاقلة، والنفس المفكرة. بها كان افضل تلك الأنواع، بها ميزه الله على جميع الكائنات، بها وبما ضم إليها من هذا البدن الذى خلقه الله فسواه، وما أودع فيه من جوارح وحواس، جعله الله فى الأرض خليفة، وهى منزلة لا يطمع مخلوق من خالقه فى أعظم منها. وحسبك فيها أنها منزلة تشوقت إليها نفوس الملائكة.

وإذ كان الإنسان مفضلا على غيره بهذه الميزة، كان كل ما يعود عليها بالنمو والتربية والترقية له دخل عظيم فى تقوية إنسانيته وترسيخ فضيلته. وقد جبلت طبيعته فى الغالب على خدمة قواه الجسمية والاهتمام بتنميتها، لان فائدتها أقرب إلى حسه وأسرع إلى إدراكه، فكان بذلك عرضة للإخلال بالاعتدال الائق به، ومبتعدا عن تجلى المظاهر الملكية التى أودعها الله فيه، ولا سبيل إلى هذا إلا بتعهد تلك الشهوات الجسمية واللذائذ البهيمية بما يوقفها عند حدها، ويمنع طغيانها على الروح الطاهرة التى يجب أن يكون لها السلطان الأقوى والهيمنة التامة على جوارحه. ومن ذا يشك فى أن سبيل ذلك إنما هو الصيام؟

إنا جميعا نعرف أن طغيان التخمة والإفراط فى الملاذ والمشتهيات على القوة العاقلة وتعطيلها عن أداء ما يرجى منها هو سبب الخيبة والدمار،

(٤) مريم (٢٦).

(٥) الإسراء (٧٠).



والهزيمة فى ميادين الأعمال التى يحتاز بها الإنسان من حيث هو إنسان، وأن الأخلاق الكريمة المهذبة بعيدة عمن جعل نفسه أسير الشهوتين الممقوتتين، شهوتى بطنه وفرجه، وأن العقل النير والتفكير السليم والإدراك الصحيح لا يتفق والانغماس فى تلك الشهوات السافلة، فما بالك بتقوى الله العظيم ومراقبة جلاله، واستحضار قوته وبطشه، وملاحظة علمه واطلاعه، حيث يستحى المرء من ربه فى خلوته وجلوته، وحتى يحسن معاملته للناس وتربيته لنفسه؟ هل تظن ذلك ينقاد لمن ملكته التخمة وملأته الكظة؟ وهل الأنوار الربانية والإلهامات القدسية يصيب شعاعها نفسا انغمست فى شهواتها واستهترت فى لذائذها؟ وهل تأديب المرء لنفسه وانقيادها بالطوع له وامتثال جوارحه لأحكام الصواب الصادرة من دينه وعقله يرجى ممن جعل أكبر همه ملء بطنه؟ اللهم إن الأمر واضح جد الوضوح.

لقد قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾(٦)

وقال جل شأنه:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾(٧)

فأباح لنا أن ننال مما وهب لنا ما نقيم به أودنا، ولكن لما كان ذلك يقويه ما ركب فى أصل خلقتنا من شهوة الغذاء الحافظة لوجود الشخص ومما يحفظ وجود النوع، كان ذلك مظنة لطغيانها، فجاء التشريع الإلهى والهداية الربانية لكبح جماحها على الإطلاق بقوله تعالى:

﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾(٨).

ثم بتنظيمها تنظيما يكسر من حدتها ويخفف على النفس العاقلة بطشها، فشرع الصيام الذى قال الله تعالى فى شأنه فى كتابه العزيز:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٩).

فانظر إلى ترتيب التقوى على الصيام بقوله:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ تجده ناطقا بما قررناه لك.

وهل يمنع المرء من التحلى بحلية التقوى إلا ازدياد قوته البهيمية وطغيانها على قوته العاقلة؟ وهل يحرم الإنسان من النور الإلهى إلا لانطماس بصيرته بغلبة بهيميته على إنسانيته؟ وأين للمحروم من نعمة النور الربانى أن يحظى بالتقوى التى مرجعها الأعظم ضبط النفس وإيقافها عند حدها، امتثالا لأمر مالك ناصيتها، والعالم بخفاياها، والقادر على مجازاتها على ما قدمت من خير أو شر؟ فظهر بذلك ترتيب التقوى فى عمومها على الصيام.

ولعله ظهر أيضا قبس من معنى قوله ﷺ فيما

(٦) المؤمنون (٥١).
(٧) الأعراف (٣٢).
(٨) الأعراف (٣١).
(٩) البقرة (١٨٣).



يحكيه عن ربه: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به»، ذلك أن الصيام مع كونه تركا لشئ أو أشياء، أو بعبارة: مع كونه عدما ونفيا، ليس له في نفسه صورة تقدر بذاتها، فلا يعلم علمها إلا هو وحده، فهو المجازي عليه بدون تقدير.

أقول: إن الصيام مع هذا تجده مشرقا للنور الإلهي، ومنبعا للفيض الرباني، وبابا عظيما للتوفيق، فيترتب عليه من الفوائد الجليلة ما يخرج عن التقدير «فهو لي وأنا أجزي به» فيكون اختصاصه- تعالى- بالصوم مع أنه هو المعبود بكل العبادات وحده لا شريك له، وإخراجه عن التقدير لأمرين: أنه ليس له صورة ظاهرة يترقب العبد تقديرها بعشر أمثالها أو سبعمائة ضعف أو أكثر، وإنما هو إمساك وكف وترك. والثاني: أن له من الآثار المترتبة في نورانية قلب العباد وضبط جوارحهم وحواسهم وإحرازهم بذلك التقوى ما لا يقدر أحد على تقديره إلا عالم السر وأخفى، المحيط بكل شئ، والعليم بكل أمر من وجودي وعدمي من أصل وفرع. يضاف إلى ذلك أن ما يعرض للصائم من مشاق ومتاعب، وكبح شهوات، وردع النفس عن غواياتها، أمور لا يستطيع ضبطها وحصرها وتقدير قيمتها إلا المطلع على السرائر، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. بل ربما كان من مرت عليه هذه الشئون عاجزا هو نفسه عن حصرها وإحصائها، فضلا عن تقديرها.

فترى بهذا تنويها عظيما بفضيلة الصيام. وما أشبهه بأن يستأجر عظيم أجيرا على عمل معروف بأجر خاص يعده بالزيادة فيه إذا هو أتقن عمله ثم يقول له: «واعمل هذا العمل وهو خارج عن حدود إلا جارة ودع لي أنا تقديره فإني أنا الذي أعرف قيمته لا أنت ولا غيرك». فكم يكون ابتهاج الأجير وإقباله على ذلك العمل برغبة صادقة لاسيما حين يعلم سعة كرم وعطاء مؤجره وحسن تقديره وتمام علمه، وأنه أدرى بما سيتطلبه هذا العمل من العامل نفسه؟ إنه ليخيل للمرء أن هذا الوعد أفخم أو من أعظم ما وجهه الله- تعالى- من صنوف الوعد، فما أشبهه في عظمته بعظم الهول الذي يتجلى في الوعيد الوارد في قوله تعالى:

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾[10] وما كان ربك ممن يشغله شأن عن شأن، وإنما هو إبراز العظمة والقدرة والغضب والانتقام في أعظم صورة من الهول والروعة.

قال ﷺ: «والصيام جنة».

نعم: الصيام جنة من المعاصي بما رفع الصائم عن نفسه من قوة جند الشيطان، وهل للشيطان جند أعظم من امتلاء البطن بالطعام والشراب، فتقوى عوامل الشر، ويسترسل في اقتناء المشتهيات واقتراف المنهيات؟ «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه»[11] وهو بذلك جنة وساتر من النار والعذاب الأليم، وهو كذلك جنة من الشيطان وتسلطه على النفس. وهذا معنى قوله ﷺ: «وسلسلت الشياطين».

---

(10) الرحمن (31).

(11) أخرجه الترمذي.





قال ﷺ : «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو خاصمه فليقل إني امرؤ صائم».

هذا من تفصيل الهدى وإيضاح طريق الامتثال بسهولة. وذلك أن الصائم بما حبس نفسه عن مشتهياتها وقيد حريتها التى ألفتها سيشعر بحرج فى نفسه وضيق فى صدره، وميل إلى التنفيس عن نفسه، حتى يعوضها ما حرمت منه، فهو يتلمس جلب التسلية لها وما يسرى به عنها، فلا يسعفه إلا التحدث فى المشتهيات، والترنم بذكر ما تصبو إليه النفس، وترداد الخواطر السيئة يفتق الذهن لها وتعلق النفوس بها، فقد يجره ذلك إلى ما لم يكن له فى حسبان، والخواطر السيئة أول درجات العصيان، فجاء النهى سدا لهذا الباب، ومن جهة أخرى: تنزيها للصيام، وتطهيرا لنفس الصائم عن علائق الشهوات، وذكريات اللذات ولو على سبيل المجون والتسلى:

فالحب أول ما يكون مجانة

فإذا تمكن صار شغلا شاغلا

هذا سر قوله: «فلا يرفث» وأما قوله: «ولا يصخب» فوجهه كذلك أن النفس بهذا الكبح تكون ضعيفة الاحتمال ضائقة الصدر سريعة الانفعال والتهيج، فلأقل السبب تثور ثائرتها ويستحكم غضبها، فينطلق الصوت بالصخب، وتتجلى مظاهر الغضب، فتتساقى كؤسا متبادلة، ويحجل بينهما الشيطان بخطى متعادلة، فلا يلبثان أن يشتبكا، وإذا ما كان بابا لهدايتهما ووسيلة لعلاجهما قد تطرقا منه إلى حيث لا ينبغى لهما واستعملا العلاج على وجه يضرهما ولا ينفعهما، فجاء التحذير عن ذلك بقوله ﷺ :

«ولا يصخب» أى احفظ نفسك من تلك الصيحة التى تملك من أمرها قبل انطلاقها من حنجرتك أكثر مما تملكه منها وقد أفلت زمامها من يدك، فربما تلا ذلك الصخب ما لا قبل لك بدفعه، ولأنك ما صمت إلا لتهذيب نفسك ورد غوايتها، فلا تقلب الدواء داء، فالغرض من الصوم كسر شرة النفس لا إلباسها حلة الطغيان.

قد توسع فى التفصيل واستوفى أنواع العلاج بوصف ما ينبغى أن يلجأ إليه إذا طرأ ما يستفزه لذلك بأن يسابه أحد أو يقاتله، فقال: «فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم» يقولها لنفسه ليملك زمامها فيردها إلى طاعة ربها، ويقولها لخصمه ليذكره إن كان ممن يتذكر، أو ليقطع عليه طريق الطماعية فى استفزازه إن كان من الطاغين، فإن المساب والمشاتم لا يلبث أن يهدأ إذا لم يجد من يجاريه فى طريقه. والمشاهدة أعظم شاهد.

ناشدتك الله ألا ترى هاتين الكلمتين على وجازتهما شارحتين العلاج الشافى لما تراه مستحكما فى نفوس الصائمين فى كل حين: من الميل إلى التهلى، والتسلى بأنواع التسليات بحجة الصيام، ومن استعذاب المجون وأحاديث اللهو بقصد التسلية، ومن الغضب والصخب، حتى ليقال عادة لمن احتد: «أأنت صائم!».

يالله! كان ماشرع لتهذيب النفوس وكبح جماحها وإضعاف قوتى الشهوة والغضب عن محاربتها صار بالحياد عن التعليم الإلهى والإرشاد النبوى بابا لتطرق ذلك إليهما.

فالحمد لله على ماعلمنا وهدانا إلى صراطه المستقيم.

وقد ورد في بعض الروايات: «فليقل إني صائم إني صائم». وفائدة التكرار الاستعانة على كبح النفس ورد الخصم، أو يقولها مرة لنفسه في قلبه ومرة لخصمه بلسانه كما ذكره بعض شراح الحديث.

ويقولنا في شرح كلمتي سابه وقاتله: معناه استفزه بسبه إلى أن يسبه، يندفع ماتوهم من أن المسابة والمقاتلة مفاعلة لاتتحقق إلا من الجانبين فيقتضي أن يكون كل منهما قد سب الآخر. ووجه الدفع أن المفاعلة وإن كان أصلها كذلك إلا أنهم نصوا على أنها تسند لبادئها نسبة الفاعلية، لأنه لما تسبب فيها كان كأنه هو القائم بتسبب الطرفين منها. فالساب هنا باستفزازه للمسبوب كأنه أوجد المسابة أي نصيبه منها وهو فتح بابها، وإن كان الآخر قد أفسد عليه قصده وسد عليه طريقه. وبعد: ففي هذا الجواب عند المسابة مايذكر الصائم بفائدة صومه، وينبهه على ثمرتها ليجنيها وينتفع بها.

قال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[١٢].

أعظم وجه تقع عليه العبادة أن يقبل عليها صاحبها مغتبطا بها شاكرا نعمة ربه بهدايته إليها وتوفيقه لها، ولايخشى على العبادة من شيء أكبر من تأذى صاحبها منها وتبرمه بها. ولما كان ترك الطعام والشراب مما يؤدى غالبا الى تغيير رائحة الفم، فيشم المرء ذلك من نفسه، ويعلم أن غيره قد يشمه منه فيتأثر ويتبرم، أزال المولى- تبارك وتعالى- عنه هذا الشعور، شعور السأم والكراهية، بهذا المثل الذي هو في غاية الحسن. ومعنى أنه أطيب عند الله من ريح المسك مع أنه جل شأنه متعال عن أن يلتذ برائحة طيبة أو يتألم لرائحة كريهة: أن ذلك يقع منه موقع الرضا والقبول، ويقرب صاحبه إلى مرضاته، كما يكون من أحدكم تقريب المسك من أنفه لطيب رائحته. فهو من باب التمثيل والكناية عن الرضا. وقيل إن ذلك يكون في الآخرة: تكون أفواه المؤمنين الصائمين ذات رائحة ذكية عطرة طيبة أطيب من ريح المسك. وقيل إن هذا بالنسبة لاستطابة الملائكة. واستشهد القائلون بأنه في الآخرة بقوله: عند الله، فقد عرفت هذه الكلمة في بيان أحوال الآخرة كقوله تعالى:

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[١٣]

فإن معناه في الآخرة. واستشهد القائلون بأن ذلك في الدنيا بقوله في بعض الروايات: «حين يمسي». ولعمري لم لا يكون كل ذلك مشمولا لمعنى الحديث؟ فهذا الخلوف مرضي عند الله في الدنيا مثاب عليه بتطييب أفواه أصحابه في الآخرة، تحبه الملائكة وتثني على صاحبه. وفضل الله واسع فلا يحجر.

قال ﷺ: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه»:

هذا من تصبير النفس على ما لعلها تتكره منه. وقد قرن الفرحتين على بعد مابينهما في القدر ليشبه بمشاهدة الأولى في العاجل على تحقق الثانية في الآجل. ولكن ما عند الله خير وأبقى.

نسأله تعالى أن يوفقنا لطاعته، وأن يرزقنا حسن مثوبته، فالكل منه وإليه، ولا اعتمادنا إلا عليه. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١٢) أخرجه أحمد، ومسلم، والنسائي.

(١٣) الحج (٤٧).

# شهر رمضان عند المحدثين

للدكتور/ أحمد الشيمي (*)

**إن شهر رمضان، هو شهر الجود والكرم والفضل، وخير الجوادين قاطبة هو أسعد الخلق سيدنا محمد ﷺ، كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم فى جميع الأوصاف الحميدة، وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى فى إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق من إطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم، ولم يزل النبى ﷺ على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ، ولهذا قالت له أم المؤمنين السيدة خديجة، رضى الله عنها، فى أول مبعثه:[1] والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتقرى الضيف، وتحمل الكل[2] وتكسب المعدوم[3]، وتعين على نوائب الحق.[4] ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة وتضاعفت أضعافاً كثيرة، وفى الحديث الذى رواه سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه، وهو يصف رسول الله ﷺ يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، وأجود الناس[5] وعنه أيضاً قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه فجاء رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة[6].**

---

(*) مدرس الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بالزقازيق

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخارى فى كتابه بدء الوحى باب حدثنا يحيى بن بكير ١/ ٣٠ (٣) عن عائشة.

(٢) الكل بفتح الكاف: هو من لا يستقل بأمره كما فى قوله تعالى: ﴿وهو كل على مولاه﴾ (النحل ٧٦)

(٣) والعدوم أو المعدم أى: الفقير.

(٤) وتعين على نوائب الحق هى كلمة جامعة لأفراد ما تقدم وما لم يتقدم

(٥) أخرجه مسلم فى كتاب الفضائل باب فى شجاعة النبى ﷺ، وتقدمه للحرب ١٥/ ٩٧ حديث رقم (٢٣٠٧)

(٦) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه ١٥/ ١٠٤ حديث رقم (٢٣١٢).



في مغازي الواقدي(٧) : أن النبي ﷺ أعطني صفوان يومئذ واديا مملوءا إبلا ونعما، فقال صفوان : أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي، قال ابن شهاب : أعطاه يوم حنين مائة من النعم ثم مائة ثم مائة.

وكان جوده ـ ﷺ ـ كله لله، وفي ابتغاء مرضاته فإنه كان يبذل المال اما لفقير، أو محتاج، أو ينفقه في سبيل أو يتالف به على الإسلام من يقوى الإسلام باسلامه، وكان يؤثر على نفسه وأهله واولاده، فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك، مثل كسرى وقيصر ويعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع. وكان قد أتاه سبي مرة فشكت إليه فاطمة ما تلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادما يكفيها مؤنة بيتها فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها، وقال : لا اعطيك وادع أهل الصفة(٨).

وكان جوده ﷺ يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور، كما أن جود ربه يتضاعف فيه أيضا، فإن الله جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة، وكان على ذلك من قبل البعثة، وذكر ابن اسحاق(٩) عن وهب ابن كيسان عن عبيد بن عمير قال : كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء من كل سنة شهرا يطعم من جاءه من المساكين، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه فيها وذلك الشهر شهر رمضان، خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره معه أهله حتى إذا كانت الليلة التي اكرمه الله ـ تعالى ـ برسالته ورحم العباد بها، جاءه جبريل من عند الله ـ عز وجل ـ ثم كان بعد الرسالة جوده في رمضان أضعاف ما كان قبل ذلك، فانه كان يلتقي هو وجبريل ـ عليه السلام ـ وهو أفضل الملائكة واكرمهم ويدارسه القرآن الذي جاء به إليه وهو اشرف الكتب وأفضلها وهو يحث على الإحسان ومكارم الأخلاق، وقد كان رسول الله ﷺ جعل هذا الكتاب له خلقا بحيث يرضى لرضاه ويسخط لسخطه، ويسارع إلى ما حث عليه ويمتنع مما زجر عنه، فلهذا كان يتضاعف جوده وافضاله في هذا الشهر لقرب عهده بمخالطة جبريل عليه السلام وكثرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم الذي يحث على المكارم والجود ولاشك أن المخالطة تؤثر وتورث أخلاقاً من المخالطة.

وأما عن جوده في عبادته لربه في شهر رمضان، فلقد كان ﷺ يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل أكثر من غيره.

---

(٧) ينظر مغازي الواقدي ٣/٩٤٦ط جامعة اكسفورد.

(٨) الأثر اخرجه ابونعيم في حلية الأولياء ٢/٤١ ط دار الفكر.

(٩) ينظر سيرة محمد بن إسحاق المسمى المبتدأ والمبعث والمغازي ص ١٠٠، ١٠١ معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.

يحدثنا سيدنا حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ـ عن ليلة صلاها مع النبى ﷺ فى رمضان، قال: فقرأ بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران لا يمر بآية تخويف إلا وقف وسأل فما صلى الركعتين حتى جاءه بلال فآذنه بالصلاة[١٠].

ولما كان الرسول ﷺ هو أسوتنا وقدوتنا الذى تسير على نهجه وتتبع سنته، فإن الناظر إلى الكثيرين من أئمة الحديث يجدهم لا يحيدون عن سبيل نبيهم فى شهر رمضان تعبداً وتلاوة وقياماً وغيرها من القرب التى يتقرب بها إلى الله ـ تعالى.

ولما كان شهر رمضان هو شهر نزول القرآن، فإننا نرى من أهل الحديث من يمسك عن الاشتغال بالعلم والتعليم لينصرف جل وقته فى تلاوة القرآن الكريم، سواء كان ذلك عن طريق قيام الليل، أو عن طريق ترتيل آياته وفهم معانيه.

فهذا هو الإمام مالك بن أنس وإمام دار الهجرة، رأس المتقنين وكبير المتثبتين صاحب كتاب الموطأ فى الحديث والذى يعد من أوائل ما صنف فى حديث النبى ﷺ حتى قال الإمام الشافعى ـ رضوان الله عليه:

ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك. وفى رواية: ما وضع على الأرض كتاب هو أقرب إلى القرآن من كتاب مالك[١١].

وسئل الإمام محمد بن اسماعيل البخارى عن أصح الأسانيد فقال: أصحها مالك عن نافع عن ابن عمر[١٢].

وقال ابن عيينة فى حديث أبى هريرة[١٣] يوشك أن يضرب الناس أكباد الابل يطلبون العلم فلا يجدون احداً أعلم من عالم المدينة هو مالك، وكذا قال عبدالرزاق وغيره من العلماء هذا الإمام الكبير والمحدث الثبت الفقيه يروى ابن عبدالحكم ما يبين لنا حاله فى شهر رمضان فيقول: كان الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، ويقبل على تلاوة القرآن من المصحف قلت: فهذا هو ديدن الإمام مالك فى شهر رمضان حيث القرآن الكريم الذى كان يشتغل بتلاوته ويترك ماسواه من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، على

---

(١٠) أخرجه النسائى فى السنن الكبرى ١/ ٢٤٠ حديث رقم (٧٣٠) وإسناده صحيح. وأخرجه أحمد فى مسنده ٥/ ٤٠٠ وإسناده صحيح أيضاً.

(١١) لقد وجه الحافظ ابن الصلاح هذا القول للامام الشافعى فقال إنما قال هذا القول قبل وجود كتابى صحيح الامام البخارى وصحيح الامام مسلم، وقد توفى الشافعى سنة ٢٠٤هـ ينظر كتاب تدريب الرواى ص٥١/ ط دار الفكر.

(١٢) كتاب تهذيب التهذيب ١٠/ ٦ للحافظ ابن حجر العسقلانى.

(١٣) أخرجه أحمد فى مسنده ٢/ ٢٩٩ وأخرجه البيهقى فى سننه ١/ ٣٨٦.

الرغم ممن كانوا ينتظرونه من طلبة العلم ليعرضوا عليه الموطأ.

وهذا هو قتادة بن دعامة السدوسى البصرى الإمام الثقة الثبت الذى ذكره يوما أحمد بن حنبل فاطنب في ذكره فجعل ينشر من علمه وفقهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير ووصفه بالحفظ والفقه وقال: قلما تجد من يتقدمه.

وقال ابن حبان: كان قتادة من علماء الناس بالقرآن الكريم والفقه ومن حفاظ أهل زمانه.

انظر إلى حال هذا الإمام فى رمضان، يروى بعضهم عن قتادة فيقول، كان قتادة يختم فى كل سبع دائما ( أى طوال العام ) وفى رمضان فى كل ثلاث ليالى يختم، وفى العشر الأواخر يختم كل ليلة مرة.

وهذا هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب الزهرى، أحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام، الفقيه الحافظ المتفق على جلالته واتقانه.

هذا الإمام كان إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن واطعام الطعام.

وهذا هو الإمام المطلبى محمد بن ادريس بن العباس أبوعبدالله الشافعى المكى نزيل مصر، المجدد لأمر الدين على رأس المائتين والذى قال عنه ﷺ: اللهم اهد قريشا فإن علم العالم منهم يسع طباق الأرض اللهم اذقت أولها نكالا فاذق آخرها نوالا»[١٤].

وقال عبدالرحمن بن مهدى: ما اصلى صلاة إلا وأنا ادعو للشافعى فيها.

وكان أحمد بن حنبل يقول ستة أدعو لهم سحرا أحدهم الشافعى كما فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى.

فانظر إلى هذا الإمام الذى يقول عنه أحد تلامذته: كان للشافعى فى رمضان ستون ختمة يقرؤها فى غير الصلاة[١٥].

سبحان الله، ستون ختمة فى رمضان، من أجل هذا أصلح الله حالهم ورفع منزلتهم، وأعلى قدرهم.

وعن ابى حنيفة نحوه.

ويروى عبدالرزاق بن همام الصنعانى صاحب المصنف عن الثقة الحافظ والفقيه العابد والامام الحجة سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى قال: كان سفيان إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن ويقول سفيان عن زبيد اليامىّ أنه كان إذا حضر رمضان أحضر المصاحف

---

(١٤) أخرجه ابن عدى فى الكامل ٢/٨، وأبونعيم فى الحلية ٩/٦٥ من طريق اسماعيل بن مسلم عن عطاء عن ابن عباس مرفوعا، وأخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ٢/٦٠، ٦١ من طريق ابن حبان عن عبدالعزيز بن عبيد الله عن وهب بن كيسان عن ابى هريرة مرفوعا.

وهذان الاسنادان ضعيفان جدا فإسماعيل بن مسلم وعبدالعزيز بن عبيد الله الحمصى متروكان.

(١٥) روى ذلك عنه تلميذه الربيع كما فى معرفة السنن والآثار للامام البيهقى ١/١٧.

وجمع إليه أهله، وأخذوا في قراءة القرآن وهذه هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي كانت تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان فإذا طلعت الشمس نامت.

وهذا هو إبراهيم بن يزيد النخعي، الإمام الثقة الصالح الفقيه الذي حكى عنه أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين من رمضان.

وكذلك كان يفعل الأسود بن قيس وبخاصة في العشر الأواخر منه.

وأيضاً كان أبو رجاء العطاردي الذي حكي عنه أنه كان يختم في كل عشر ليال من ليالي رمضان(١٦).

وأيضاً ذكر إبراهيم بن سفيان، تلميذ الإمام مسلم أنه فرغ لهم من قراءة صحيحه في رمضان سنة ٢٥٧هـ.

وعلى جانب نرى الحافظ عبدالرحيم بن الحسين الأثري المعروف بالعراقي يذكر أنه كان يتردد مع الجلال عبدالله الأردبيلي على نوروز (أحد أمراء المماليك) بسبب اسماع الحديث عنده، وكانوا في شهر رمضان المبارك يجتمعون على قراءة صحيح الإمام البخاري (رحمه الله) فما ينصرم الشهر إلا وقد فرغوا من قراءة صحيح البخاري(١٧).

وهذا واحد من علماء الحديث، وأئمة المذهب الحنفي: العلامة بدر الدين محمود بن أحمد العيني (المعروف بالبدر العيني وصاحب كتاب عمدة القاري بشرح صحيح البخاري وغيره) يذكر أنه أخذ سنن الإمام الترمذي على يد الإمام العراقي، وذلك أيضاً في شهر رمضان المعظم(١٨).

فيا عباد الله هذا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وفي تصيته للعابدين مستمتع وهذا كتاب الله يتلى بين أظهركم ويسمع وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته يتصدع، ومع هذا فلا قلب يخشع ولا عين تدمع، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع، ولا قيام استقام فيرجى في صاحبه أن يشفع، وقلوب خلت من التقوى فهي خراب بلقع، وتراكمت عليها ظلمة الذنوب فهي لا تبصر ولا تسمع، كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة، وكم يتوالى علينا شهر رمضان وحالنا كحال أهل الشقوة، لا الشاب منا ينتهي عن الصبوة، ولا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة، أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدعوة، وإذا تليت عليهم آيات الله جلت قلوبهم جلوة، وإذا صاموا صامت منهم الألسنة والأسماع والأبصار، أفما لنا فيهم أسوة، كما بيننا وبين حال الصفا أبعد مما بيننا وبين الصفا والمروة، كلما حسنت منا الأقوال ساءت الأعمال، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١٦) ينظر كتاب لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي ص١٦٦/ط المكتب الإسلامي بيروت.

(١٧) الضوء اللامع ٤/١٧١.

(١٨) مقدمة شرح سنن الترمذي للحافظ العراقي.

# رمضان عيد ميلاد الأمة الإسلامية

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

لم يكن الصوم - كشعيرة دينية وفريضة إلهية - من الخصوصيات التى اختص الله ـ سبحانه وتعالى ـ بها أمة محمد، ﷺ .. فهو شعيرة ومنسك عرفته شرائع وأمم الرسل السابقين.. وعن هذه الحقيقة يتحدث القرآن الكريم، وهو يشرع لفريضة الصوم على المسلمين فيقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١).

وعندما هاجر رسول الله ﷺ والمهاجرون من مكة الى المدينة، وجدوا اليهود يصومون فى ذكرى نجاة موسى ـ عليه السلام ـ من فرعون، فأحيوا هم أيضا هذه الذكرى بالصيام، تعبيرا عن معنى وحدة الدين الإلهى، واستمرارية الشرائع ما لم يقض فيها الله بالنسخ والاستبدال والتطوير.. وكذلك كان للنصارى صيامهم.

(١) البقرة (١٨٣).



لكن السنة الثانية للهجرة - والشهر الثامن عشر من شهورها - على أرجح الآراء - قد شهد تشريع فريضة الصوم الخاصة بأمة الرسالة الخاتمة.. صوما متميزا في منسكه من حيث أوقات الإمساك عن شهوات الطعام والشراب والفروج، ومن حيث عدد الأيام، ومن حيث موقع هذه الأيام في شهور العام، ومن حيث التقويم القمرى الذى كان تقويم العرب والإسلام..

وإذا كانت مواقيت الشعائر والفرائض الدينية لا تخلو من حكمة يحققها التوقيت - حتى وإن خفيت علينا فى بعض الأحايين - فإن البحث عن الحكمة التى جعلت شهر رمضان، دون غيره من شهور السنة القمرية، هو شهر الصيام للأمة الإسلامية.. إن البحث عن حكمة هذا التوقيت قد يفتح أمامنا سبيلا لاكتناه مزيد من العظمة والتعظيم لهذا الركن من أركان الإسلام.. بل إنه لفاتح أمام بصائرنا طرقا إلى المعانى الحقيقية الجديرة بالتجسيد والإحياء فى هذا الشهر العظيم.. شهر رمضان..

إن الصوم، فى الإصطلاح الشرعى للإسلام، هو الامتناع عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس أيام شهر رمضان.. لكنه إذا وقف عند هذا « الطقس » فقد لا يكون لصاحبه منه سوى آثار « الجوع والعطش » - كما جاء فى الحديث عن رسول الله، ﷺ « ذلك أن الصوم هو فى حقيقته « تجسيد » للإنسان، بديم « حضور العبودية » بألوان من « الحرمان » تجعله مدرسة عظمى لتربية الإرادة الإنسانية على « الحضور - الطائع » للخالق - سبحانه وتعالى - وحده، دونما رقيب أو شريك، الأمر الذى يخلص هذا العمل لله، دونما رياء!.. ولذلك قد يحار ويستغرب الذين لا يعلمون رسالة الصوم فى تربية الإرادة الإنسانية، كيف كان رمضان - شهر الحرمان والمعاناة والمكابدة - هو شهر أبرز الانتصارات الإسلامية على أشرس التحديات التى هددت « الدعوة » و« الأمة » و« الوطن » منذ « بدر الكبرى » سنة ٢ هـ إلى « فتح مكة » سنة ٨ هـ.. إلى « حرب رمضان » سنة ١٣٩٣هـ؟!

## لكن.. لماذا فى رمضان؟

لكن السؤال الباحث عن حكمة توقيت الصيام الإسلامى لا يزال قائما.. لماذا كان هذا المنسك، الذى مثل ويمثل « مدرسة التربية الإسلامية للإرادة » فى شهر رمضان دون غيره من الشهور؟..

إن القرآن الكريم يحدثنا عن أن هناك أربعة شهور حرم وهى « رجب » و« ذو القعدة » و« ذو الحجة » و« المحرم » ولها عند الله فضل واختصاص، حتى لقد جعلها مكرسة للسلام وتنمية العمران وحرم فيها القتال:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾(٢).

---

(٢) التوبة (٣٦)



لكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد جعل الصيام – هذا الركن العظيم من أركان الإسلام – في رمضان، ولم يجعله في واحد من هذه الأشهر الحرم.. فلماذا؟!..

بل إن «الحج» إلى البيت الحرام.. وهو، كالصيام، ركن إسلامي له توقيت سنوي ثابت قد دخل شهر «ذو الحجة» – وهو من الأشهر الحرم – في أشهر الإحرام به والأداء لمناسكه.. وبقى الصيام وحده، من بين الأركان ذات الميقات السنوى الثابت، بعيداً عن هذه الأشهر الحرم، حيث اختص به شهر رمضان!..

وإذا كانت الهجرة النبوية قد مثلت، بالنسبة للإسلام الدعوة.. والدولة «الحدث – المنقذ» من إحاطة الشرك واقتلاع الكفر للإيمان.. فلم لم يكن شهر الهجرة – ربيع الأول – هو شهر الصوم، كما كان حال الصيام في شريعة بني إسرائيل، في ذكرى نجاة موسى ومن معه من فرعون وملئه؟!.. ولماذا كان الاختيار الإلهي لشهر رمضان بالتحديد، ودون غيره من الشهور؟!..

إن القرآن الكريم لا يترك الإجابة عن السؤال الباحث عن «حكمة» هذا التوقيت للاجتهاد والاستنتاج.. فآياته البينات قد تحدثت عن «لحظة الميلاد» للأمة الإسلامية الخاتمة، تلك التي تجسدت في لحظة «الظهور للدين» الذي ميز هذه الأمة، وجعل من دينها الطور الخاتم لرسالات الدين الإلهي الواحد، والشريعة العالمية التي استكملت وأكملت للإنسان مكارم الأخلاق..

ولقد كانت بداية هذه «اللحظة» هي نزول «الروح الأمين» على «الصادق الأمين» بأولى آيات القرآن الكريم، لحظة «مطلع الفجر» في ليلة من الليالي الوتر في العشر الأواخر من شهر رمضان في «غار حراء»؟!

في هذه «اللحظة»، التي أضاءت فيها الأرض بنداء السماء:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[3] بدأ نزول القرآن في ليلة القدر.. وهي «لحظة» (مطلع الفجر) – الذي هو مولد النهار – وفيها نزل الكتاب – الذي ولدت منه الأمة – عندما خرجت عقيدتها وشريعتها وحضارتها.. ووحدتها في «الأمة» و«الدار» من بين دفتي هذا الكتاب الكريم!

ولقد كان ذلك «الميلاد» في شهر رمضان.. فكان صومه – دون غيره من الشهور – الاحتفال الإسلامي بميلاد هذه الأمة، في مطلع الفجر، من ليلة القدر، في رمضان، في السنة التي سبقت الهجرة النبوية بثلاثة عشر عاما..

يحكي القرآن الوقائع التي تقود العقل المسلم لاكتشاف حكمة جعل الصيام الإسلامي في شهر رمضان، دون سواه من الشهور.. وذلك عندما يحدثنا عن توقيت نزول القرآن الكريم:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾[4]

---

(3) العلق (1).

(4) القدر (1-5).

وكان ذلك في شهر رمضان.. ولذلك، جعله الله ميقاتا لشعيرة الصوم - مدرسة بناء الإرادة الإسلامية - المجددة أبدا لفتوة الأمة، كي تستعيد دائما عافية الميلاد الجديد، وصحة الجهاد والاجتهاد والتجديد.. فقال سبحانه، وهو يشرع لهذه الفريضة - فيحدد الميقات.. وعلة التوقيت -:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(*).

وهكذا نجد أنفسنا أمام «الحكمة» التي جعلت صيامنا في رمضان.. وليس في شهر من الأشهر الحرم.. وليس، أيضا في ذكرى نجاة الإسلام ورسوله وأمته، بالهجرة، من الحصار والإبادة والاقتلاع.. أمام «الحكمة» التي جعلت صيامنا إحياء لذكرى لحظة نزول القرآن، الذي مثل «الرحم» الذي ولدت منه هذه الأمة عندما خرجت مقوماتها وثوابتها والروح السارية في حضارتها والصبغة المميزة لعمرانها.. عندما خرج كل ذلك من بين دفتي هذا الكتاب الكريم، ومن سور وآيات هذا النبأ العظيم..

فكيف يكون الاحتفال؟:

وإذا كان احتفال الناس، أفرادا وأسرا وشعوبا وأمما، بالأعياد والمناسبات، لابد وأن تصطبغ مظاهره وتعكس وقائعه معاني ودلالات الحدث الذي به يحتفلون، ولذكراه يحيون.. إن كان انتصارا عسكريا، فإن مظاهر القوة ومعالمها تطبع وقائع الاحتفال.. وإن كان استقلالا عن الاستعمار.. أو تحريرا للثروات.. أو استرجاعا للأرض.. الخ.. الخ.. صبغت معاني الذكرى احتفالات الذين يذكرون ويحتفلون.. فإن احتفال المسلمين، عندما يصومون شهر رمضان، بذكرى «اللحظة» التي بدأ فيها نزول القرآن على قلب رسول الإسلام، ﷺ، مطلوب منه - من هذا الاحتفال - أن يصطبغ بصبغة ذلك الحدث العظيم.. نزول القرآن، الذي كان الرحم الذي ولدت منه المقومات التي صنعت أمة الإسلام، ومثلت الروح السارية والضامنة لتواصلها الحضاري على مر الدهور.

إن تأمل هذه المعاني، وتدبر هذه الحقائق، سيضع يدنا على حجم «الخلل.. والقصور» الذين أصابا ويصيبا «معاني.. ومعالم» احتفالنا في رمضان بذكرى نعمة نزول «النبأ العظيم».. ليس، فقط، في تحول شهر الصوم إلى شهر للكسل وتدني الانتاج، بينما هو في حقيقته، «مدرسة تربية الإرادة» على الفتوة التي تجعل منه التجديد للطاقات والملكات والقدرات التي تعين الأمة على قهر المخاطر والتحديات، وتنمية معالم الابتكار والإبداع..

وليس، فقط، عند وقوف الاكثرين عند «الطرب» لسماع القرآن.. واكتفاء الكثيرين بمجرد «تلاوته».. بينما لا «يتدبره» إلا الأقلون!.. فلا طرب السماع.. ولا مجرد التلاوة.. بل ولا حتى الوقوف عند «التدبر

---

(*) البقرة (١٨٥)

للمعاني».. يكافئ في الاحتفال الذي يحيي المعنى الحقيقي لهذا العيد الذي ولدت فيه أمة الإسلام.

إن نزول القرآن الكريم، إنما مثل لحظة الميلاد لأمة الإسلام، لأنه مثل «النور» الذي خرجت إليه الأمة من ظلمات الجاهلية.. ومثل «الهدى» الذي نعمت به بعد حيرة الضلالات.. وفي كلمة واحدة جامعة، فلقد مثل القرآن ينبوع «الإحياء» الإسلامي، الصالح دائما وأبدا لطي صفحات الموات والجمود والتقليد، بما يقدم من سبل للاجتهاد والتجديد والإبداع..

فـ«الإحياء» في كل ميادين العمران.. عمران النفس الإنسانية بما يهذبها ويرتقي بملكاتها.. وعمران الواقع المادي بما يحسنه ويجمله من ألوان المدنية.. هذا «الإحياء» الإسلامي هو أخص المصطلحات المعبرة عن رسالة هذا «الينبوع»، الذي نصوم رمضان احتفالا بذكرى لحظة نزوله على قلب رسولنا، محمد بن عبدالله ﷺ. وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(٦).

فنحن، إذ نصوم رمضان، إنما نحتفل بذكرى اللحظة القدسية التي بدأ فيها نزول «النبأ العظيم» ذلك الينبوع الإلهي الذي مثل «الرحم» الذي ولدت منه الأمة الخاتمة، ومن بين دفتيه خرجت المقومات الثوابت للرسالة العالمية، في «العقيدة» و«الشريعة» و«القيم» وهي التي ميزت «الحضارة» بالروح الخالدة، رغم تطورها عبر الزمان والمكان.. كما وحدت «الأمة» مع التنوع في القبائل والشعوب والأقوام.. وكذلك وحدت «دار الإسلام» مع التمايز في خصوصيات الأقاليم والأوطان..

وإذا كانت مصداقية «رسالة» أي احتفال بذكرى لحظة الميلاد، هي في مدى النجاح الذي يحققه الاحتفال في حضور «المعنى والمغزى» إلى واقع الذين يحتفلون.. فهل ننجح، في رمضان، في استعادة روح «الإحياء» الإسلامي، الذي مثله القرآن العظيم، عندما أخرج هذه الأمة من الظلمات إلى النور؟!

لقد من الله ـ سبحانه وتعالى ـ على هذه الأمة عندما تعهد «بحفظ» هذا «الينبوع» وصيانته عن الخلط والتحريف والتبديل:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٧)

لكن «إقامة» هذا الدين.. وتجديد دنيانا بفكره المتجدد هي «الأمانة» التي حملناها نحن عندما سعدنا بنعمة التدين بهذا الدين..

فطوبى للسالكين سبل التجديد والإحياء للعمران الإسلامي.. الساعين إلى أداء «الأمانات» في مختلف ميادين العمران.. أولئك الذين يجعلون من صيام رمضان الاحتفال اللائق بإحياء ذكرى لحظة الميلاد العظيم لأمة محمد ﷺ.

(٦) الأنفال (٢٤).

(٧) الحجر (٩)

## شهر رمضان المعظم

# قراءة إيمانية في كتاب الكون والحياة

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

يقول الله تعالى في قرآنه الكريم:

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(1).

ويدلنا هذا التعبير القرآني المعجز على حقيقة العلاقة بين العلم والإيمان، فالعلم يتبعه الإيمان تبعيةَ ترتيب بلا تعقيب، والإيمان تتبعه حركة القلوب من الإخبات والخشوع لله - تعالى - وهكذا يثمر العلم الإيمان، ويثمر الإيمان الإخبات والتواضع لله رب العالمين.

والقرآن الكريم يؤكد هذا المعنى في آيات أخرى كثيرة تكررت فيها العبارات الموقظة للفكر من غفلته والمحررة للإنسان من ربقة تقليده وجموده، مثل:

﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾(2)، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾(3).

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾(4)، ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا﴾(5).

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾(6)، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(7).

﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(8)، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(9).

ولاشك أن القرآن الكريم من خلال حثه المتكرر على النظر والتفكر والتعقل قد جعل ممارسة البحث العلمي السليم في مختلف

---

(1) الحج (54). (2) ياسين (68). (3) الأنعام (50).
(4) الغاشية (17). (5) الأعراف (185). (6) الروم (8).
(7) البقرة (164). (8) البقرة (230). (9) يونس (24).

مجالات المعرفة فرضاً لازماً على المسلمين، فالإسلام كما فرض على الناس أن يتعبدوا، فرض عليهم أن يتفكروا. وصدق الرسول الأمين حيث يقول: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

ولعل هذا التصور الإسلامي عن العلم ورسالته كان في خاطر الأستاذ عباس العقاد -رحمه الله- عندما صنف كتابه القيم «التفكير فريضة إسلامية».

ويأبى الإسلام إلا أن تكون العقيدة على أساس العلم الصحيح، وليس على أساس التقليد أو الظن أو التسليم الأعمى، ولذا ردَّ القرآن الكريم مزاعم المشركين في آلهتهم بقوله:

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾(١٠).

كما عاب على الذين يقولون «بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا» ورد عليهم بقوله:

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(١١)

## وصاح في أصحاب العقائد الباطلة

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾(١٢)

وفرض على أتباعه أن يتفكروا ويسعوا إلى طلب العلم، مثلما فرض عليهم أن يتعبدوا ويتوجهوا إليه طلباً للرضا والغفران.

وعقيدة الإسلام -باستنادها إلى العلم الصحيح- تؤكد قوتها وحجيتها، ولا تخشى أن يأتي العلم بنتائج تناقض حقائق الدين ومسلماته وأصوله الثابتة، فالحق لا ينقض الحق أو يعارضه، وإذا بدا لنا في بعض الأحيان تناقض ظاهري، فإن مردّه أن يحسب ما ليس من العلم علماً وما ليس من الدين ديناً.

وتأسيساً على هذه المعاني يكون العلم في المنظور الإسلامي طريقاً إلى الإيمان على هدى وبصيرة، ويكون البحث العلمي مرتبطاً دائماً بإرادة الله - سبحانه وتعالى - التي تكفل لنا استمرارية السنن الكونية واطراد حدوثها لنراقبها وندركها وننتفع بها في حياتنا، بعد أن نتعرف على طبيعة سلوكها ونستدل بها على قدرة الله ووحدانيته، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(١٣).

وقوله عز من قائل:

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾(١٤).

---

(١٠) النجم (٢٨).

(١١) البقرة (١٧٠).

(١٢) البقرة (١١١).

(١٣) فصلت (٥٣).

(١٤) محمد (١٩).

## العلم يدحض آراء الملحدين

قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١٥).

تؤكد هذه الآية الكريمة، مع آيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم، أن الله - سبحانه وتعالى - وحده هو الخالق لهذا الكون بإرادته ومشيئته المطلقة، والباحث المتأمل في كل خلق إلهي يجد الكثير من الدلائل التي يدحض بها مزاعم الملحدين والمشركين وافتراءاتهم: سواء فيما يزعمون من نشأة الحياة بالصدفة أو ما ينسبون للطبيعة من قدرة على الاختيار والانتقاء وإعمال القوانين في حركة الكون والحياة، أو ما يزعمون من تطور للمخلوقات أدى إلى ارتقاء الجماد والحيوان وانحدار الإنسان من أصل مشترك بينه وبين القردة العليا.. وهذه كلها مزاعم فلسفية ليست من العلم في شيء، بل إن المنطق العلمي نفسه يرفضها ويكشف غاياتها الخبيثة في تزيين الكفر والإلحاد.

وإذا بحثنا في جسم الإنسان على سبيل المثال نجد العديد من التوافقات المذهلة والتنظيمات العجيبة التي تؤكد أن الإنسان لم ينشأ نتيجة صدفة عمياء، أو يتطور من جماد وحيوان بفعل قوى الطبيعة المزعومة، بل هو من صنع قوة عاقلة جبارة تملك القدرة المطلقة على التدبير والتخطيط، وهذه القوة هي قوة القصد الإلهي التي تؤكد أهمية الغاية والهدف من وراء خلق الكائنات، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾(١٦).

وقوله عز من قائل:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١٧).

ومن أمثلة التوافقات والتنظيمات المعجزة في جسم الإنسان نستعرض ما يلي:

١- خلايا الجسم دائمة الانقسام للعمل على نمو الجسم أو لتعويض ما يفقد أو يموت بين هذه الخلايا. أما الخلايا العصبية فهي لا تنقسم لأنها لو انقسمت تحدث كارثة مروعة بتلاشي جميع معالم الذاكرة في الخلايا العصبية للمخ.

٢- تعتبر عضلات الرحم عند الأنثى أقوى عضلات الإنسان للحاجة إليها في دفع الجنين عندما يأذن الله بخروجه من بطن أمه. وتلي عضلات الرحم عضلات القلب التي لابد أن

---

(١٥) الروم (٢٧)

(١٦) المؤمنون (١١٥)

(١٧) الدخان (٣٨، ٣٩)

تكون قوية لتتحمل العمل ليلاً ونهاراً وتدفع الدم باستمرار إلى الأوعية الدموية لمدة قد تطول فى بعض الأحيان لأكثر من مائة عام.

٣- عند حدوث جرح فى الجسم يندفع الدم من الأوعية الدموية المجروحة، ولكنه لا يلبث أن يتجلط عند مكان الجرح ليوقف استمرار النزيف، ولولا هذا التجلط لظل النزيف حتى الموت.

٤- المعدة فى الإنسان أشبه بمصنع كيميائى أعده الخالق الواحد - سبحانه وتعالى - لكى يعمل ذاتياً (أوتوماتيكيا) وينتج مواد كيميائية أكثر مما ينتجه أى معمل ابتكره الإنسان فالمعدة تقوم تلقائياً بتحليل ما يتناوله الإنسان من أطعمة على اختلاف أنواعها، بمعالجتها وتجهيزها من جديد، وتتولى فرزها وتصنيعها وتوريدها بصورة مستمرة ومنتظمة إلى كل خلية من بلايين الخلايا حسب احتياجات هذه الخلايا وتخصصاتها لتكوين العظام أو الأظافر أو الشعر أو اللحم أو الأسنان أو الأنسجة أو غيرها.

كما تحتوى المعدة على جهاز كيميائى مناعى أو دفاعى لمهاجمة الجراثيم والميكروبات المعادية، وهناك الكثير من التنظيمات الأخرى الرائعة.

٥- الأذن البشرية عضو معقد بالغ الحساسية يقوم بتحليل الأمواج الصوتية ونقلها إلى المخ فى صورة تيار كهربى يسرى فى العصب السمعى إلى مركز خاص فى المخ فيحس الإنسان بسماع الصوت. وقد خلق الله الأذن البشرية وجعل استجابتها محدودة بمدى معين من الذبذبات التى يتراوح ترددها (أى عددها فى الثانية الواحدة) من ٢٠ إلى ٢٠٠٠٠ ذبذبة فى الثانية. وذلك لكى ينعم الإنسان بالهدوء ولا يسمع الموجات الأقل أو الأكثر من هذا المدى ولو استجابت الأذن لكل الذبذبات الصوتية لعاش الإنسان فى ضجيج لا ينقطع.

وما يقال عن الخلايا والعضلات والدم والمعدة والأذن يقال عن العين واللسان والأنف والحنجرة والجلد وغيرها من ملايين التنظيمات والتوافقات الرائعة فى جسم الإنسان، بل ومختلف التنظيمات الموجودة فى كل الكائنات النباتية والحيوانية، مما يدل على أن جميع المخلوقات منذ البداية على نحو من التصميم الدقيق المقصود الذى لا يدع مجالاً للصدفة أو الاحتمال.

## القانون الإلهى، لا تبديل لخلق الله،

لا غرابة فى أن يتصل القرآن الكريم - كتاب الإسلام الخالد - بالعلوم جميعاً، فما العلوم إلا نتاج تطلُّب الإنسانية أسرار الفطرة، والقرآن الكريم ما هو إلا كتاب الله فاطر الفطرة، بل الدين هو الفطرة نفسها، وإن شئنا توكيداً لذلك لا مزيد له، فلنقرأ هذه

الآيات الكريمات من سورة الروم التي تتعلق بظواهر كونية لا يدرسها ولا يبحثها ويكشف عن أسرارها إلا العلم التجريبي..

﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾(١٨).

لقد جمع الله -تعالى- للإنسانية في هذه الآيات القرآنية بين العلم والدين، ومزجهما للعقلاء من المفكرين مزجاً يُدهش ويُبهر، وصار به العلم في الإسلام جزءاً من الدين، ميزةً للإسلام وحده من بين الأديان.

ثم يأتي قوله تعالى في الآية الثلاثين في سورة الروم:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٩).

فالإسلام هنا ليس فقط دين الفطرة، ولكنه نفس الفطرة التي فطر الله الناس عليها. وهذا أوجزُ تعبير وأوكده وأشمله بتمام انطباق الإسلام على سنن الله التي خلق عليها الإنسان، سواء تعلقت بالبدن أو النفس، وبالعقل أو القلب، في الفرد والأسرة والطائفة، أو في القبائل والأمم والشعوب، وثبات تلك السنن في الإنسان وغيره، واطرادها واتساقها في ما بينها ومع السنن الأخرى الجارية في الكون، دل عليه أبلغ دلالة قوله تعالى: « لا تبديل لخلق الله »، والعلم الحديث يقوم وجوده على هذا القانون الإلهي، إذ العلم -بمنهجه السليم- متوقف على اتساق الفطرة واتصاف سننها بالاطراد والثبوت.

سبحانك ربنا.. لا علم لنا إلا ما علمتنا.

***

(١٨) الروم (١٧-٢٥).

(١٩) الروم (٣٠).

## مختارات شعرية :

# رمضان ناسك الزمن

للشاعر الأستاذ / محمود حسن إسماعيل

أضـيـف أنت حل على الأنام
وأقسم أن يحيا بالصيام؟
قطعت الدهر جوابا وفيا
يعود مزاره في كل عام
تخيم.. لا يحد حماك ركن
فكل الأرض مهد للخيام
نخت شعائر الضيفان، لما
قنعت من الضيافة بالمقام
ورحت تسن للأجواد شرعا
من الإحسان علوى النظام
بأن الجود حرمان وزهد
أعز من الشراب أو الطعام

•••

أشهر أنت أم رؤيا متاب
تألق طيفها مثل الشهاب
تمرغ في ظلالك كل عاص
وكل مرجس دنس الإهاب
فأنت محير الأنام.. تجرى
فتلحقها بأحلام العذاب
تراك شفيع توبتها، فتخزى
وتوأد تحت أجنحة الشباب
وأنت منارة الغفران، يأوى
إليك اليائسون من المتاب
وعند الله نزلك مستجاب
ولو حملت أوزار التراب..

•••

وقفت خطاك عند اليائسينا
فكنت لليلهم فلقا مبينا
تساق إليك أمواج الضحايا
فتدفعها لباب المعوزينا



فكم آهات محروم حداها إليك البؤس، فانقلبت رنينا
فأنت مفزع البخال.. تجرى خطاك على حجارتهم معينا..
وأنت ملقن الأيدى نداها ومكسبها التراحم والحنينا
يخافك كل قارون شحيح فيخجل أن يرد السائلينا..

●●●

ومنذ تهل ترهبك الذنوب وتختشع السرائر والقلوب
وتفزع أن تقابلك المعاصى فتهرع، أو تقنع، أو تذوب
ويجفل أن يراك أخو هواها ولو قتلت مشاعره العيوب
كأنك فارس الآثام، تبدو فيصعقها مهندك الغضوب
كأن بكفك البيضاء سرا من النجوى تكتمه الغيوب
تحاذره كل غيان عنيد فيكتتم الغواية.. أو يتوب..

●●●

جعلت الناس فى وقت المغيب عبيد ندائك العاتى الرهيب
كم ارتقبوا الأذان كأن جرحا يعذبهم تلفت للطبيب
وأتلعت الرقاب بهم، فلاحوا كركبان على بلد غريب..
عتاة الإنس! أنت نسخت منهم تذلل أوجه، وضنى جنوب
فيامن لقمة وحفيف ماء يقلب روحه فوق اللهيب،
علام البغى والطغيان!! إنى كفرت بمنطق الدنيا العجيب..

●●●

تلفت للمآذن حاليات كحوريات خلد سافرات
تفرج مباخر النساك منها فتحسبها غصونا عاطرات
تلألأ حولها أطواق نور مضيئات بحبك هائمات



كأنك حامل وحيا إليها ... وقفن لسحره متلهفات
إذا صاح الأذان بها، أرنت ... بإلهام كموج البحر عات
يذكر بالهدايا كل ناس ... ويوقظ كل غاف في الحياة



وهذا المعجز العالي الرخيم ... أذان الله، والذكر الحكيم
تلاه في سكون الليل تال ... فكاد لهوله تهوى النجوم
نداء تفزع الأفلاك منه ... وتخشع في مساربه السديم
على سمع الهداة يضوع عطرا ... وتقذف منه للغاوى رجوم
أصاخ الكون مسحورا إليه ... وخر لبأسه الأزل القويم
تنزل فوق صدرك من علاه ... بشير الوحى، والدين القديم!



سلاما ناسك الزمن القوى ... من القلب الحزين الشاعرى!
حملت إليك أشواقى وسرى ... لتحملها إلى الأفق العلى..
تمائمى التعبد بالأغانى ... على نغمات قيثار شقى
أمر بها على زمنى غريبا ... كطير تاه فى ظلم العشى
وأعزف للصبائح والأماسى ... فينتفض الغناء لغير حى..
كأنى ما ذرفت أسى زمانى ... ولا أفضى صداى بأى شئ!!



طلعت منورا فوق العباد.. ... فأيقظ من تشبث بالرقاد
وقل للشرق: إن الكون يمشى ... على سبل مغيبة الرشاد
فخذ لزمانك الزاد المرجى ... من الخلق القويم والاعتداد
ولا يوقفك فى التيار هول ... فنار الهول، نور للجهاد
لقد ملت تقلبنا الليالى ... على وضر التنعم والفساد
شدا لك بالأذان جميل مصر ... فقم.. وانشر صداه على البوادى

# رمضان يا أكرم الشهور.. ماذا فعل المسلمون بك؟!

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

فى آخر يوم من شعبان خطب النبى ﷺ خطبة جامعة وكل خطبه جامعة، فقد أوتى ﷺ جوامع الكلم، بيّن فيها ﷺ فضل رمضان وعظيم ثوابه وعظيم بركته وأن العمل فيه يزاد ثوابه عن غيره، وأن هذا الشهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار. ولو أن موعظة رسول الله ﷺ وما بيّنه من عظمة هذا الشهر وبركته لو أن هذه الموعظة باشرت قلوب المسلمين لعملوا بما فيها، ولأنزلوا الشهر منزلته من الاحترام والتقدير والإخبات لله - تعالى - ، لكن حال المسلمين يُنبىء بأنهم وإن سمعوا كلام رسول الله ﷺ إلا أنهم أصموا قلوبهم عنه فلم يعملوا به وكأن الرسول يخاطب غير المسلمين؛ ولا أعتقد أن مسلما لم يسمع هذا الحديث، إن لم يكن يحفظه، لكن يبدو أن حال المسلمين مع السنة المطهرة ومع تعاليم الله - سبحانه وتعالى - باتت غير ذات شأن، فهم فى حفلاتهم وندواتهم قد يتلون كتاب الله ويسمعون أحاديث النبى ﷺ لكن يبدو أنهم يستمعون لاهية قلوبهم، لايقدّرون ما يتلى وما يُرد، وأن حالهم لا يعدو أن يكون تزجية فراغ أى مجرد قضاء الوقت وكأن مفاهيم اللعب قد أثرت فى حياتهم فباتوا يعرفون من مصطلحات اللعب واللهو أكثر مما يعرفون من أمور دينهم. حتى إن مصطلح «الوقت الضائع» أصبح طابع حياتهم!! وحتى لا نصرف جهدنا بعيدا، نراجع حديث رسول الله ﷺ نُذكر به أنفسنا، ونعطر به قلوبنا.

يقول سيدنا سلمان الفارسى - رضى الله عنه - خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان فقال: «أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان

كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وهو شهر المواساة وهو شهر يزاد فيه في رزق المؤمن، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، من فطّر فيه صائما كان مغفرةً لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء، قلنا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم، قال: يعطى الله هذا الثواب من فطر فيه صائما على مزقة لبن أو تمرة أو شربة ماء، ومن أشبع فيه صائما كان له مغفرة لذنوبه، وسقاه ربُّه من حوضى شربة لا يظمأ بعدها أبدا، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص فى أجره شيء، ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لاغنى بكم عنهما: أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة «أن لا إله إلا الله وتستغفرونه. وأما اللتان لاغنى بكم عنهمافتسالون الله الجنة وتعوذون به من النار»[1].

ونحب أن نقول: إن هذا الشهر فيه العظمة والبركة، العظمة بليلة القدر، فهى أفضل ليالى السنة كلها، بل هى أفضل من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، أما البركة فهو زيادة ثواب الأعمال، [كما أنه شهر المواساة] كما أننا نلاحظ أن الحديث ذكر عظيم ثواب من فطر الصائم ثم جعل هذا الثواب – أيضا – لمن فطر صائما على مزقة لبن أو تمرة أو شربة ماء، وجعل هذا الثواب أيضا لمن أشبع فيه صائما وزاد عليه أن الله – سبحانه وتعالى – يسقيه من حوضه ﷺ شربة لا يظمأ بعدها أبدا، فكان عبداً واحداً من الممكن أن يكون كل هذا الأجر لمن يفطره على مزقة لبن أو تمرة أو شربة ماء ومن يشبعه – أيضا.

ولك أن تسأل أيها الأخ: كيف يكون هذا الثواب لمجرد مزقة لبن (أى شربة قليلة) أو تمرة، أو شربة ماء؟

أحسب أخى المسلم أن فى هذا علاجاً لكبر خفى فى النفوس، كيف ذلك؟ أقول لك: إن أكثر الناس يمتنع عن إعطاء صدقة قليلة؛ انسياقا لكبر خفى فى نفسه وهو أنه لا يتناسب معه إعطاء القليل.

وقد روى عن الإمام على بن أبى طالب – كرم الله وجهه – معنى جليلا فى هذا الشأن قال: «لا تستقل شيئا تعطيه لفقير فيمنعك ذلك عن عطائه فإن العدم أقل».

وأرى فى حديث رسول الله ﷺ محواً لذلك الكبر الخفى، فإن طمعنا فى الثواب الجزيل يدفعنا إلى بذل أى شيء، وحتى تدرك

(١) الترغيب والترهيب جـ٢.

هذا المعنى الجليل فهل تستطيع أن تتطامن من عليائك وتقف تحمل وعاءً فيه تمر - مثلاً - لتوزع على الفقراء؟ أم أن كبرك الخفي يستنكف هذا العمل، وتتمنى أن تكون لك عربة فارهة تلقى منها وجبات جاهزة على عباد الله!

أنا لا أقلل من قيمة هذا العمل لمن أعطاه الله ووسع عليه، أما أنا وأنت فلماذا يمنعنا الكبر والفقر في أن نساهم ولو بالقليل؟ لهذا أفهم قول رسول الله ﷺ إنه (شهر المواساة) أن المواساة هنا حث على التواصل والمودة والتواضع، فالكريم حقا الذى يواسي حقا، هو الذى يقدم ما يعين الآخرين، وليس ما يتصور أنه يناسب منزلته، فرمضان فرصة لنتخلص من الأمراض الخفية للنفس، فليس يقهر النفس إلا صيام. فلنتخلص من أمراض النفس الخفية من كبر وعجب وحسد في هذا الشهر المبارك فالمطلوب منك أيها المسلم أن تراقب نفسك، أو كما يقول سادتنا الصوفية: «حفظ الأنفاس» أي أنك تراقب خطرات قلبك وتكبح شرور نفسك، فلا يكون لها هوى لما يغضب الله - تعالى- إنما يكون هواها تبعاً لأمر الله كما قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»[٢] أنا أعلم أن هذه منزلة صعبة، ولكن رمضان فرصة لترويض النفس على الخلق الرفيع والسلوك القيم المستقيم. راقب نفسك: كيف حالك عندما دخل عليك رمضان، وقارن بعد نهاية رمضان: هل سموت وترفعت وتركت أخلاقك الذميمة؟ هل أصلحت من نفسك؟ هل نشطت أعضاؤك للطاعة وتثاقلت عن المعصية؟ أم أنك خرجت من رمضان تحمل أمراضك كما هي؟ إذاً أضعت العمر سدى ولم تنل من رمضان إلا الجوع والعطش!

وبئس ما حصدت!!

لو أنك دخلت مصحة تبغي الاستشفاء فيها وخرجت بأمراضك كما هي.. هل تكون راضيا عن النتيجة، وماذا يكون تقييمك لهذه المصحة؟ ولو أن الأطباء شخصوا المرض بدقة ووصفوا العلاج بمهارة لكنك أنت الذى لم تتناول العلاج الذى كان يوصف لك فمن تلوم إذاً؟ لا تلومن إلا نفسك.

أخى المسلم: أقول لك بكل بساطة ووضوح: إن الله - سبحانه وتعالى - فرض علينا شهر رمضان مصحة نفسية وعلاجا قلبيا لأمراض القلب وكسر شهوة النفس وإصلاح حال أمة، حتى تصل إلى التقوى كما قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[٣].

---

(٢) فتح البارى ٢٨٩/١٣.

(٣) البقرة (١٨٣).



فهل حصّلت التقوى؟! هل طرق قلبك معنى الورع والخوف من الله الذى يدفعك إلى اجتناب معاصيه هل تخلصت من الأنانية؟ أنت حكمٌ على نفسك.

والله - سبحانه وتعالى- خلق الإنسان، وكما قال في ذكره الحكيم:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(٤).

فهو أعلم بنا منا، وأعلم بما يصلحنا، فرض علينا الصوم علاجا لنفوسنا. فإن أخذنا العلاج تحققت النتيجة بفضل الله - تعالى- وإذا رفضنا العلاج فإنما نخدع أنفسنا.

هل نشطت أعضاؤك للطاعة بعد رمضان؟ هل تعمل أنت لوجه الله بإخلاص؟ أم أن عملك يشوبه رياء؟

هل تنشط للطاعة والخير أمام الناس، ويتثاقل جسمك عنها في خلوتك؟ إذا كنت كذلك فعملك يشوبه رياء، لا تترك العمل لكن خلص عملك مما يخالطه ويفسده من الرياء. صدقني إن رمضان فرصة لاكتسابك هذه الحاسة، ويقظة القلب وعلو الهمة سل نفسك هل فى عملك الذى تؤديه حظ لنفسك أم تؤديه لوجه الله - تعالى - امتثالاً لأمره ورغبة فى رضاه؟ يروى أن أحد الصالحين قال: حججت عشرين حجة وكنت أنشط لها ولا أجد للسفر فيها عناءً أو مشقة، وذات ليلة قالت لى أمى: اسقنى يا ولدى.

وبرغم أنى أحضرت لها الماء، إلا أننى كنت أحس بثقل فى أعضائى حتى أننى كنت أقاوم جسدى فقلت: إن الحج لم يكن فيه إخلاص لله، وكان فيه حظ لنفسى، ثم دلل على كلامه النفيس بقوله: إن الحج بعد الفريضة طاعة وطاعة الوالدين واجبة ومن المفروض أن تكون أوامر الله تعالى جميعها متساوية وأن يهرع إليها المؤمن بهمة واحدة، أما أن يفتر فى أمر وينشط فى آخر فذلك لهوى أو لحظ فى النفس، ولذلك قالوا: إن من علامة المنافق والمرائى أن ينشط فى الفعل أمام الناس ويفتر فى خلوته، أما الذين جاهدوا نفوسهم وملكوا أهواءهم فإنهم ينشطون فى كل حال راقب حالك واسأل نفسك هل تحسنت قلبيا وتخلصت من أمراضك الباطنية بعد رمضان؟ أم انتهى رمضان وأنت مازلت فى شحك وريائك وحسدك لم تتقدم خطوةفى طريق العلاج؟!

إن رمضان فرصة لنعوِّد نفوسنا على الأمر والنهى وعلى الامتثال لأمر الله - تعالى- ويكفينا أن الصوم ينفرد من بين الأعمال أن الله - سبحانه وتعالى - أضافه لنفسه إضافة تشريف وعلو منزلة، فقال فى الحديث القدسى: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه

---

(٤) ق (١٦).






لى وأنا أجزى به » مع أن كل الأعمال لله – تعالى – . فالصلاة لله، والحج لله، والزكاة لله، والشهادة لله وانفرد الصوم بهذه الإضافة لتشريفه، كما قال تعالى:

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[٥].

مع أن الأرض كلها لله والسموات.

كما أن الصوم ينفرد عن باقى الأعمال بأنه جاوز قانون التقدير والحساب، فقد قال الله – تعالى – فى الحديث القدسى أيضا: « وأنا أجزى به » . واحذر يا أخى أن يكون نصيبك من الصيام كما أخبر النبى – ﷺ – عن بعض جماعة من الناس وحظهم من الصيام لكثرة ما يرتكبون فيه من موبقات فقال: « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » .

ولقد أحسن الإمام أبو حامد الغزالى[٦] فى تقسيمه لأنواع الصوم، حيث ذكر أن له مراتب ثلاث ـ حاول واجتهد أن يكون لك أعلى مرتبة؛ حتى تنال رضوان الله – قال: « إن الصوم ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص.

أما صوم العموم: فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة.

وأما صوم الخصوص: فهو كف السمع والبصر واللسان واليد وسائر الجوارح عن الآثام.

وأما صوم خصوص الخصوص: فهو صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله – عز وجل – بالكلية. ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله – عز وجل – واليوم الآخر، حتى قال أرباب القلوب: من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة، فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله – عز وجل – وقلة اليقين برزقه الموعود » . أ. هـ

تأمل هذا الكلام النفيس الذى لا أقول لك إننا لا نعمل به بل إن كثيرين منا يستكثرون وقوعه.

قارن هذا بحالنا اليوم وصومنا المزعوم وإفطارنا البهيمى إفطارا على نغمات الموسيقى، أو سحورا راقصا! هل تصدق أننى سمعت فى التليفزيون المصرى المسلم استبيانا ( استطلاع رأى ) يطلب من المسلمين فى رمضان بيان رأيهم هل يريدون مسلسلاً واحداً أو اثنين أو ثلاثا أو أربعا! كما ورد فى الإعلان مصحوباً برقم تليفون لتلقى الآراء.

والأعجب أنك سوف تسمع من يقول زوراً وبهتاناً وتضليلاً أن ما يذاع أخذ فيه رأى الجمهور! لماذا لم يسأل التليفزيون – إن كان فيه بعض أمانة أو بعض صدق –: هل يطلب الناس إغلاق الجهاز فى رمضان بالكلية وماذا تكون النتيجة وما هى عدد الأصوات التى تطلب إغلاق بوق الفساد.

اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون.

---

(٥) الجن (١٨).

(٦) إحياء علوم الدين هامش اتحاف السادة المتقين جـ ٤/ ١٨٥ وما بعدها.



## الصيام ورخصة الفطر

# فى ضوء العلم الحديث

للأستاذ الدكتور/ عفيفى محمود عفيفى (*)

**الإسلام هو أكمل الأديان، ولهذا كانت تكاليفه أقرب إلى تحقيق عبودية المكلف لمن له الدين كله.. ويتجلى ذلك بصورة أوضح فى الصيام لأنه أكثر أركان الإسلام اعتمادا على كبح كيان المتعبد أى، فرملته، وإخضاعه للمعبود.. ولهذا لا يتم الصيام على وجهه الصحيح إلا بسيطرة الصائم على جوارحه وجوانحه أى على كل كيانه ظاهرا وباطنا..**

**والذى كلفنا بالصيام هو بذاته العلية الذى خلق كياننا البشرى ليكون أداة لتنفيذ هذا التكليف، فهو - سبحانه - أعلم منا بحدود قدرات هذا الكيان وما قد يعتريه من ضعف.. ولهذا كان تفضله على عباده بالإعفاء المؤقت أو الدائم من الصيام فى حالات معينة تعبيرا عن بعض جوانب رحمته بعباده..**

### بيولوجية الصيام

الصيام امتناع إرادى عن بعض المباح والمتاح من ضرورات الحياة، وفى مقدمتها الطعام والشراب، وهذا الحرمان ليس مقصودا لذاته بل هو اختبار لقوة إرادة الصائم حيث إن امتناعه عن هذه الضرورات مدة أكثر من المعتاد يتطلب مقاومة لأقوى الغرائز الكامنة فى كيانه وهى الاشتهاء.

والإحساس بالألم عند الجوع أو العطش علامة صحية لأنه إشعار بحاجة الجسم إلى مدد جديد من الطعام والشراب، أى أنه مجرد «جرس تنبيه» إلى خلو المعدة وقرب حلول مرحلة جديدة من الدورة الاغتذائية اليومية.. وهذا أمر لا ضرر منه على الإطلاق، فالتغاضى عنه بعض الوقت سيدفع الجسم إلى السحب

(*) أستاذ بكلية العلوم جامعة المنصورة، وخبير بيولوجى بمجمع اللغة العربية.

من رصيد الغذاء المخزون والمدخر لمثل هذه المواقف .. ويبدأ السحب أولا من الرصيد فى «بنك الكربوهيدرات» فى الكبد، فإذا نفد هذا الرصيد تحول السحب إلى بنك الدهون المترسبة حول الأحشاء وتحت الجلد .. وفى هذا السحب .. وبهذا الترتيب خير للجائع لأنه يخلص جسمه من الحمولة الزائدة التى تشكل عبئا على القلب وأعضاء الحركة، وتهدد بترسب الكوليسترول فى جدر الشرايين وبحدوث الجلطة الدموية.

واحتراق السكريات والدهون داخليا يتم فى درجة حرارة الجسم ويولد الطاقة اللازمة لمزاولة الحركة وغيرها من الأنشطة الحيوية، ويصحبه تكوين ماء نقى داخل الأنسجة يعوض الجسم عن الحرمان من ماء الشرب .. وكل صائم يجنى ثمرة هذه التفاعلات الخفية فى صورة انتعاش يعم جسمه فى أواخر ساعات الصيام، وعلاوة على كل هذه التيسيرات فإن الله ـ سبحانه ـ قد أباح الفطر للمكلفين بالصيام إذا اعتراهم ما يجعله فوق احتمالهم وبشروط معينة.

## حالات الترخيص بالفطر

نص القرآن الكريم على إباحة الفطر للمكلف بالصيام فى ثلاث حالات مذكورة تحديدا فى الآية ١٨٤ من سورة البقرة حيث يقول العزيز الحكيم:

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾(١).

وفى الآية التالية مباشرة يتكرر ذكر المرض والسفر حيث يقول الرؤوف الرحيم:

﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ﴾(٢).

وأول ما يوحى به تكرار ذكر المرض والسفر متلازمين فى آيتين متتاليتين هو شدة ارتباطهما بقدرة الكيان البشرى على تحمل الصيام أو على الأقل أدائه على الوجه الصحيح، وهذا هو ما كشف عنه العلم الحديث مؤخرا .. فماذا قال فى هذا الشأن؟ .. لنبدأ بما هو أكثر وضوحا ..

تضامن أعضاء الجسم السليمة مع العضو المريض:

اصطلح علماء الباثولوجيا على أن المرض «خلل وظيفى يعترى أحد أعضاء الجسم فيؤدى إلى عجزه جزئيا أو كليا، مما قد يؤثر على غيره من الأعضاء التى يخدمها والتى تخدمه» وبيان ذلك هو ما أثبته علم وظائف الأعضاء من وجود تواصل داخلى بين كل أعضاء الجسم عن طريق الهرمونات التى يحملها تيار الدم إلى حيث يقوم

---

(١) البقرة (١٨٤).

(٢) البقرة (١٨٥).

كل هرمون بدوره فى تنظيم العملية الحيوية المختص بها، وعن طريق الأعصاب التى تنقل إشارات الاستغاثة من العضو المصاب إلى الدماغ فيصدر إشاراته إلى حيث يتم التجاوب مع العضو المستغيث بالطريقة المناسبة، ولهذا اصطلح على تسمية الدم وجهاز إفراز الهرمونات، والجهاز العصبى باسم «أجهزة التآزر والتنسيق».

ونتيجة لهذا يعم الاضطراب أعضاء أخرى غير العضو المصاب.. وفى هذا مصداق لما قاله نبى الإسلام -وهو لا ينطق عن الهوى- «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا شكا منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»(٣).

وإباحة الفطر للمريض مبنية على أساس أنه أصبح غير قادر على طول الحرمان من الطعام والشراب، وفى حاجة إلى تعاطى الأدوية عن طريق الفم فى مواعيد لا مفر من أن يحل بعضها بالنهار، يضاف إلى ذلك ما يساوره من آلام تزيل عنه حالة الاطمئنان والراحة النفسية وهما أول أسباب الخشوع اللازم لممارسة أية عبادة «ولا ينبغى أن ننسى أن الصيام لا يتم على وجهه الصحيح إلا بسيطرة الصائم على جوارحه الخارجية وجوانحه الداخلية».

والسفر.. مازال قطعة من العذاب:

من مظاهر الإعجاز العلمى للقرآن أنه جمع بين المرض والسفر فى آيتين متتاليتين مما يدل على الترابط بينهما من حيث كونهما مرخصتين للإفطار.. وآية هذا الإعجاز هى ما أثبته مؤخرا علم الطب الاجتماعى «وهو فرع مستحدث من علم الصحة العامة والطب الوقائى» من إمكانية حدوث أمراض عضوية فى مقدمتها قرحة الجهاز الهضمى، وتصلب الشرايين نتيجة للتوتر والقلق، اللذين يعتريان المسافر ضمن أعراض أخرى كالشعور بالاكتئاب حتى قبل أن يغادر وطنه.. وهى ليست مقصورة على عصر السفر بالإبل عبر الصحارى ولكنها مازالت قائمة بعد اختراع وسائل النقل السريعة المكيفة، وانتشار الفنادق على الأوتوستراد، وإن اتخذت شكلا جديدا هو الانتظار غير المحدود فى صالات الترانزيت، والخوف من اختطاف الطائرات وغيره من أعمال الإرهاب.. فالعبرة ليست فى المشقة البدنية، وإنما فى المشقة النفسية. وهى واردة فى كل عصر، والقرآن نزل لكل العصور، وهو كلام من سبق علمه بكل ما سوف يحدث بعد نزول القرآن من اكتشافات وأحداث.

وقبل أن ننتقل إلى النقطة التالية لا يفوتنا التنويه بدقة التعبير فى قوله ـ تعالى ـ «على سفر» (مع أن السياق اللفظى كان يناسبه أن يقال: «مريضا أو مسافرا») والحالة المعنية هى حالة الارتحال ما بين نقطة المغادرة إلى نقطة الاستقرار (وإن تخللتها فترات إقامة مؤقتة).. فمتى بلغ المرتحل غايته النهائية واستقر بها مدة تكفى لانتظام حياته وعودة الاطمئنان إلى نفسه (وهى شرعا: المدة التى يجوز فيها قصر الصلاة والجمع بين صلاتين متتاليتين تأخيرا أو تقديما)..

(٣) أخرجه أحمد ومسلم



عندئذ يصبح فى حكم المقيم وعليه الصيام ما لم يكن مريضا أو من الذين يشملهم قوله تعالى: «وعلى الذين يطيقونه..».

## الخيط الرفيع بين الطاقة والإطاقة

يقول أهل اللغة إن معنى «يطيقون» (بضم الياء) هو: يتحملون بمشقة تؤدى إلى التهلكة، وبناء على ذلك فإن فى مقدمة من يطيقون الصيام: الطاعنين فى السن الذين ردهم الله إلى أرذل العمر، وهى حالة الهرم التى قال عنها نبى الإسلام: «يا عباد الله تداووا فإن الله - عز وجل - لم يضع داء إلا وضع له شفاء إلا داء واحد.. الهرم»[1]. وأهم أعراضه: ضعف المناعة والوهن العام وتفسير ذلك أن الجسم فى هذه المرحلة تزيد فيه معدلات الهدم على البناء فهو فى حاجة ماسة ومستمرة إلى تعويض ما يشيخ من أنسجته وتجديد ما يتهدم من مناعته.

وتأسيسا على ذلك يدخل فى زمرة المطيقين للصيام: كل من يصاب -ولو قبل سن الشيخوخة- بمرض ميؤوس من شفائه كالفشل الكلوى وضمور العضلات وسرطان الدم ومرض الإيدز AIDS».. على أن يكون اليأس من الشفاء مبنيا على تقرير طبيب مسلم من أهل الخبرة والثقة.

والحقيقة العلمية التى تزيد إيماننا بحكمة الله ورحمته بعباده عامة وهذه الطائفة منهم خاصة هى أن أجسامهم بحاجة مستمرة إلى بناء مضادات الميكروبات وتجديد مصل الدم «البلازما» وتعويض خلايا أعضائهم المتهالكة «وبخاصة أعضاء المناعة»..

والمادة الرئيسية الصالحة لتحقيق كل ذلك هى البروتين، وليس الكربوهيدرات والدهون (فهما مولدات طاقة لا مواد بناء) ومن الممكن تحول إحداهما إلى الأخرى لتعويض ما نقص منها ولكن لا يمكن تحويل أى منهما إلى بروتين لعدم احتواء جزيئاتهما على النيتروجين الذى تنفرد به جزيئات البروتينات، والتوقف عن إمداد الجسم بالبروتينات عن طريق الطعام المنتظم يضطره إلى تحليل خلاياه وفى مقدمتها العضلات، ومعنى ذلك أن المؤسسة الغذائية التى شيدها الخالق سبحانه فى جسم الإنسان قد بدأت تستهلك «رأس مالها» أى أن جسم الصائم بدأ يأكل نفسه بعد تجاوز الخط الفاصل بين موارد الطاقة (استهلاك السكريات والدهون) ودخوله دائرة الإطاقة (تحلل البروتينات).

إن إصرار من يصل به الحال إلى هذا الحد على الصيام ليس من طاعة الله فى شىء، بل هو معصية لأمره لأنه سبحانه نهانا عن أن نلقى بأنفسنا إلى التهلكة.. ومن رحمة الله بهؤلاء الذين لم تعد لديهم أية فرصة للصيام أنه لم يحرمهم ثواب الصيام ومتعة معايشته بجوانحهم ووجدانهم بعدما حرموا متعة ممارسته بجوارحهم وأبدانهم لذلك دلهم على ما يعوضهم ولو جزئيا عما فقدوه وهو إطعام المساكين.. وفى ذلك تحقيق للتراحم والتكافل وهما من الفوائد الاجتماعية التى يستهدفها الصوم.

---

(1) أخرجه البخارى ومسلم.

# رمضان موسم الخيرات والرحمات والبركات

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر

**لقد دأب المسلمون على الاحتفاء بشهر رمضان المعظم، والاجتهاد بالعبادة فيه اقتداء بنبيهم ﷺ .. وفي ذلك خير كثير.**

**ولقد كشف الرسول ﷺ لأصحابه عن فضائل هذا الشهر الكريم قولا وعملا. فكان إذا أقبل رمضان يقول: «أتاكم شهر رمضان. شهر بركة فيه خير يغشيكم الله فينزل الرحمة ويحط فيه الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم ويباهي بكم ملائكته. فأروا الله من أنفسكم خيراً؛ فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل»[1].**

وقد تعددت أحاديث رسول الله ﷺ في بيان فضل هذا الشهر العظيم فمن ذلك قوله ﷺ : «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وصفدت الشياطين»[2].

ومن ذلك أيضا أن رسول الله كان يهيىء الأمة لاستقبال شهر رمضان قبل مجيئه ويظهر لهم فرحته بقدومه ويحرضهم على الجد والاجتهاد فيه. عن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان قال: «يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر. شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعا، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه، من فطّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء» قالوا: يا رسول الله، ليس كلنا يجد ما يُفطر الصائم. فقال رسول الله ﷺ : «يعطي الله هذا الثواب من فطّر صائماً

(١) رواه الطبراني وابن النجار عن عبادة بن الصامت.

(٢) متفق عليه



على تمرة أو على شربة ماء أو على مذقة لبن[٣]، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار. واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة»[٤].

وعطاء الله ـ عز وجل ـ في رمضان لأمة محمد ﷺ عطاء غامر ونعمه سبحانه سابغة. وقد ورد في ذلك عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبي قبلي. أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله ـ عز وجل ـ إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً، وأما الثانية فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة، وأما الرابعة فإن الله ـ عز وجل ـ يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي، وأما الخامسة فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعاً. فقال رجل من القوم: أهي ليلة القدر؟ فقال: «ألم تر العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم»[٥].

ولما كان شهر رمضان بهذه المنزلة فقد صار حريا براغبي الحصول على عطاء الله أن يتسابقوا في فعل الخيرات وحريا بالآخرين أن ينتهزوا الفرصة ويقلعوا عن فعل الشر وينضموا إلى موكب الصالحين كي يفوزوا بعفو الله ومغفرته ورحمته. فقد جاء في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك في كل ليلة»[٦].

وقد توالى على البشرية نزول الخير والهداية في شهر رمضان المعظم منذ فجر التاريخ وذلك لحكمة يعلمها الله ـ تبارك وتعالى ـ تشير إلى فضل هذا الشهر الكريم ومنزلته عند الله ـ عز وجل ـ: يقول رسول الله ﷺ: «أنزلت الصحف على إبراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»[٧].

ويقول الله ـ تبارك وتعالى ـ:

---

(٣) شربة من لبن ممزوج بالماء.

(٤) رواه ابن خزيمة في صحيحه، ثم قال: صح الخبر.

(٥) رواه البيهقي.

(٦) رواه الترمذي وبنحوه رواه النسائي والحاكم.

(٧) رواه الإمام أحمد.





﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(٨).

وكفى هذا الشهر فضلاً أن يكون نزول القرآن فيه، ومن شكر هذه النعمة الجليلة أن نصوم هذا الشهر الكريم.

وحين ربط الله - تبارك وتعالى - بين شهر رمضان وبين نزول الوحي على أنبيائه ورسله فإن ذلك يُعد دليلا واضحا على فضل هذا الشهر وعلو منزلته عند الله - عز وجل -.

ومن ذلك نفهم سر حفاوة رسول الله بهذا الشهر وتحريض أصحابه على حُسن استقباله بالجد في كل صور الطاعة والعبادة والتسابق بينهم في فعل الخيرات تقربا إلى الله - تبارك وتعالى -.

يقول الإمام الحسن البصري - رضي الله عنه -: «إن الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه(٩)، يتسابقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا، فالعجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ويخسر المبطلون».

ومنذ وعي المسلمون هذه المعاني وفقهوها وهم يحرصون على الفوز في هذا السباق الذي يكون في شهر رمضان، وهذا هو اللائق بهم؛ فقد أدركوا أن من فاز في سباق الطاعات في شهر رمضان كان حرياً به أن يفوز في بقية الشهور، وأن من خسر السباق في رمضان فإن الخسران سيلازمه في بقية الشهور، لما ورد عن رسول الله ﷺ في ذلك عن كعب بن عجرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «احضروا المنبر. فحضرنا. فلما ارتقى درجة قال: آمين فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: آمين، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: آمين». فلما نزل قلنا: يا رسول الله.. لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه؟. قال: «إن جبريل عليه السلام عرض لي فقال: بَعُدَ من أدرك رمضان فلم يغفر له. فقلت: آمين. فلما رقيت الثانية قال: بَعُدَ من ذُكرت عنده ثم لم يصل عليك. فقلت: آمين. فلما رقيت الثالثة قال: بَعُدَ من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة. فقلت: آمين»(١٠).

هذا وإن صور الطاعة والعبادة في رمضان متعددة ومتنوعة. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

* **وهذه نماذج منها:**

١- الصيام. ولا يكفي فيه أن نصوم عن الطعام والشراب والشهوات في نهار رمضان فقط، وإنما ينبغي أن نرقى في الصيام لأعلى الدرجات. فتصوم أيدينا عن تقديم الأذى لعباد الله أو تمتد إلى أي محرم، كما تصوم ألسنتنا عن السباب واللغو والكذب والغيبة والنميمة، وتصوم أعيننا عن النظر إلى ما حرَّم الله، وتصوم آذاننا عن سماع اللغو.. وهكذا ينبغي أن تصوم كل جوارحنا عن ارتكاب جميع المعاصي والآثام.

(٨) البقرة: ١٨٥.

(٩) المضمار المقصود به ميدان السباق.

(١٠) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

كما ينبغي أن تصوم قلوبنا عن الحقد والحسد، والجشع والطمع، والربا والنفاق.

٢- المحافظة على الصلاة في مواقيتها وأداؤها في جماعة مع الخشوع فيها، والجد في تحسينها وإتقانها أملا في الحصول على الفوز والفلاح مصداقا لقول الله - تبارك وتعالى -:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾(١١)

٣- الحرص على صلاة التراويح لما ورد في فضلها من الأحاديث مثل قوله ﷺ: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه»(١٢).

٤- الحرص على إحياء السنن والتخلص من البدع والعادات السيئة انتفاعا بالصيام لأنه مدرسة للتدريب على كل خير والتخلص من كل شر.

٥- أن نجعل من هذا الشهر الكريم محطة لمحاسبة النفس على ما مضى من تقصير في أداء الطاعات والواجبات والعبادات، وتجديد التوبة والاستغفار، والعزم الأكيد على تصحيح المسار انطلاقا من هذا الشهر الكريم.

٦- الإكثار من تلاوة القرآن والذكر والتسبيح لما ورد من الآيات والأحاديث في فضل هذه الأعمال. ومعلوم أن فضل هذه القربات وغيرها يزيد في شهر رمضان أضعافا مضاعفة.

٧- الحرص على بر الوالدين وصلة الرحم والإحسان إلى الفقراء والمساكين، وتقديم العون المادي والمعنوي إلى المجاهدين المسلمين في كل مكان، والإنفاق بسخاء في كل وجوه الخير والبر، اقتداء برسول الله ﷺ؛ فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن؛ فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة(١٣).

٨- الإكثار من الدعاء والتضرع إلى الله - تبارك وتعالى - لأنه شهر تفتح فيه أبواب السماء لإجابة دعاء الصائمين مصداقا لقول رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب تعالى: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين»(١٤).

ومما يلفت النظر في هذا المجال أن الآية الكريمة التي نزلت لبيان أن الله - تبارك وتعالى - يستجيب دعاء من دعاه متى استكمل شروط الإجابة جاءت بين الآيات الكريمة التي تشرع أحكام الصيام. أعني قول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾(١٥).

---

(١١) المؤمنون: ١ - ٢.

(١٢) متفق عليه عن أبي هريرة.

(١٣) متفق عليه.

(١٤) رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة.

(١٥) البقرة: ١٨٦.

# محمد صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين

٩

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

**يعرف القراء الكرام، أن الفرية التي نتعرض للرد عليها منذ ثلاثة أشهر مضت، هى قول بعض المستشرقين عن الإسلام ورسول الإسلام أن:**

**«محمد ﷺ صادق، ولكن رسالته كاذبة؟!» ورسالة محمد ﷺ لها مصدران كبيران جليلان، هما:**

● كتاب الله العزيز (القرآن الحكيم).

● أحاديث رسوله الكريم، الصحيحة النسبة إليه وكنا فى المقالات الثلاث السابقة، قد خصصنا هذه الفرية، من خلال عرض موضوعى، ومادة علمية يؤمن بها المستشرقون، ونؤمن بها نحن، ووظفنا العقل، وهو معيار مشترك بيننا وبينهم ـ ليكون هو الحاكم والقاضى بيننا وبينهم وفى هذه المقالة نواجه تلك الفرية، من خلال أفق آخر من آفاق رسالة محمد ﷺ فى مصدرها الأول، الذى هو القرآن العظيم.

أى من خلال حديث القرآن عن سنن الله فى الحياة. ولن نفرض على السادة المستشرقين حقيقة نؤمن بها نحن، ولايؤمنون بها هم. بل سبيلنا معهم حقائق هم ملزمون من حيث الواقع بالإيمان بها قسرا، كما نؤمن بها نحن طوعا واختيارا، لأنها الواقع المحسوس المشاهد، الذى لايجد المعاند طريقا للهروب من إلزامه بالإيمان به، والتسليم ـ طوعا أو كرها ـ له.

## فى السنن الكونية

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾(١).

هذه الآية (من رسالة محمد) تتحدث عن ظاهرة كونية، كثيرة الوقوع فى حياة الناس.

(١) فاطر (٩).

والسنن الإلهية التي أوردتها هذه الآية حول تكوين السحاب هي:

● إثارة الرياح السحاب.

● كون هذه الرياح مرسلة من عند الله.

● سوق الله السحاب إلى البقاع التي هي في حاجة إليه.

● إنبات الله النبات والزروع بالماء النازل من السحاب.

وعلاقة الرياح بالسحاب معلومة الآن. فالرياح تثير السحاب، أي هي التي - بعد إرسالها من عند الله - تظهر السحاب وتعمل على تكوينه[٢].

والسحاب - كما يقول العلم الحديث - قبل تكوينه يكون بخار ماء في الجو، مشبع به الهواء الساكن، فإذا أرسل الله الرياح حملت الهواء المشبع ببخار الماء إلى طبقات الجو الباردة فتحول الأبخرة المائية إلى سحب. وإلى هنا تنتهي مهمة الرياح.

أما تصريف السحاب وتوزيعه على بقاع الأرض فهذا شئ يرجع إلى تدبير الله وحكمته وعلمه، لذلك أسند الله سوق السحاب (يعني توزيعه) إلى نفسه عز وجل، فقال:

﴿ فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾.

فنسبة سَوْق السحاب وتوزيعه، تشير إلى أن هذا التوزيع يخضع لتدبير حكيم، وهو من آيات الله العظيمة التي ينبغي أن يتدبرها الناس.

وقد تكررت الإشارة إلى هذا التوزيع الباعث على الإيمان وتثبيته في القلوب، في آية أخرى هي قوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٣].

فجعل ظاهرتي تصريف الرياح والسحاب، يعني توزيعهما، من الأمارات العقلية الداعية إلى الإيمان والاعتبار. والملاحظ في آية (فاطر) أن القرآن رتب الأفعال الثلاثة:

«فتثير - فسقناه - فأحيينا» بالفاء، وهذا الترتيب تصوير للواقع المشاهد:

لأن الرياح تثير السحاب عقب إرسالها لهذا الغرض وسوق الله الرياح يعقب تكوينه بلا تراخ. وإحياء الأرض بعد إنزال الماء من السحاب يحدث عقب نزول الماء. فينتعش الناس ويستبشرون وتنعم به أنعاماً وأناسي كثيراً.

ونسأل السادة المستشرقين:

أليس ماتقرره هذه الآية (العلمية) واقعا مشاهدا يعيشه الناس، ويؤمنون به ايمانا راسخا كإيمانهم بوجود أنفسهم؟

هذا ماقررته رسالة محمد ﷺ منذ أربعة عشر قرنا. فأين ترون فيه كذبا؟!

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾[٤].

---

(٢) الإسلام في عصر العلم (ص ٣٥٠) د. محمد أحمد الغمراوي.

(٣) البقرة (١٦٤).

(٤) الحجر (٢٢).

وهذه آية أخرى في ( رسالة محمد ) التي يتهمها المستشرقون بالكذب، تتحدث عن الظاهرة نفسها، التي تحدثت عنها آية ( فاطر ) مع إضافتين بالغتي الأهمية :

ففي آية ( فاطر ) وقف البيان القرآني عند إرسال الرياح وتكوينها السحاب.

وهنا أضاف البيان القرآني إلى إرسال الرياح كونها «لواقح» وأن الناس ليس في مقدرتهم ـ فرادى ومجموعين ـ أن يختزنوا الماء إذا أراد الله إذهابه .

ووصف الرياح بأنها «لواقح» من أسرار الله في الكون، لم يكن للعلم البشري إدراك له :

لاقبل نزول القرآن.

ولابعد نزول القرآن.

وإنما عرفه البشر في عصر التقدم العلمي الحديث . وكان لعلماء الغرب سبق مذهل في اكتشاف هذا السر، بمعونة البحوث التي قاموا بها، والتجارب التي أجروها .

أما قبل هذه النهضة العلمية المذهلة، فقد حمل الناس معنى «لواقح» على أن الرياح تلقح الزروع والنباتات بحمل طلع ذكور كل نوع منها إلى بويضات الإناث[٥] .

وفي العلم الحديث أن «لواقح» معناه تلقيح السحاب لأن الرياح تجمع بين الكهربية السالبة والكهربية الموجبة ويترتب على ذلك إنزال الماء ( المطر ) من سحابتين مختلفي الشحنة بعد أن جمعت الرياح بينهما[٦] .

وماتوصل إليه العلم الحديث قد أشار إليه المفسرون حيث قالوا : إن الرياح تلقح السحاب والشجر .

والواقع أن الجمع بين تلقيح الرياح الشجر والزروع والسحاب لا منافاة بينهما .

وأيا كان الأمر فإن ماقررته رسالة محمد ( القرآن ) في هذه الآية النبوية جزم العلم الحديث بصدقها ومطابقتها للواقع .

وهذا ـ وحده ـ كاف في محق دعوى المستشرقين أن محمدا ـ ﷺ ـ صادق لكن رسالته كاذبة؟! لأن رسالة محمد صادقة حقا مثل صدق محمد، الذي يعترف به المستشرقون .

وإذا لم تكن رسالة محمد ( القرآن ) صادقة فأين يكون الصدق ياترى؟!

ومن الإشارات القرآنية الذكية المعجزة أنه رتب إنزال الماء على وصف الرياح باللواقح، ترتيب المسبب على السبب وكفى بذلك إعجازا وصدقا .

والملاحظ في آية «الحجر» ترتيب الأفعال الثلاثة : «أرسل ـ فأنزلنا ـ فأسقيناكموه» بالفاء، وهي تفيد معنيين :

ـ الترتيب الزمني بين وقوع هذه الأفعال الثلاثة :

فالإرسال كان أولا .

والإنزال كان ثانيا .

والإسقاء كان ثالثا .

وهذا معناه :

---

(٥) ينظر: المحرر الوجيز (١٢٠/١٠) للإمام ابن عطية.

(٦) الإسلام في عصر العلم (٣٥٢) مرجع سبق ذكره.

أن إرسال الرياح «لواقح» كان سببا فى إنزال الماء وأن إنزال الماء كان سببا فى إسقاء الناس الماء - والإشعار برباط السببية بين هذه الأفعال هو المعنى الثانى للعطف بالفاء.

فأنت تلاحظ أن هذا العطف ليس نمطا من أنماط الترتيب الأدبى الخيالى، يصور رؤى خاصة بالأديب وإنما هو تصوير أحداث تجرى فى الواقع الكونى كما رتبها البيان القرآنى.

فليدلنا المستشرقون على مواطن الكذب فى (رسالة محمد) فى الحقائق الكونية التى أشارت إليها هذه الآية؟

ولكن قد يعمد فيقول:

إن الآية تقول:

﴿وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ وليس هذا الخبر بصحيح ولا صادق، لأن تخزين الماء أمر ممكن، بل هو واقع فعلا. فالناس يخزنون الماء فى بيوتهم، أو فى صهاريج، أو خلف سدود وخزانات وهذا يفيد أن هذا المقطع «وما أنتم له بخازنين» من الآية غير صادق على الأقل؟

والرد على هذه الشبهة «البليدة» ميسور:

فليس المراد نفى الاحتفاظ بمقادير من الماء فى المنازل أو غيرها من مرافق الحياة. وإنما مصادر الماء الكبرى، التى أقرها الله فى الأرض، كالمحيطات والبحار والأنهار، ثم العيون الصغرى والآبار، والله الذى أقر هذه المصادر فى الأرض، ومساحتها تبلغ خمسة أسباع الأرض اليابسة، قادر - إذن - على تجفيفها وإخلائها من الماء. وله فى ذلك وسيلتان

● إذهاب ما فى الأرض من ماء وتغويره فى أعماقها.

● إمساك إنزال الماء من السماء.

وهذه هى «رسالة محمد» - ﷺ - تقول:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾(٧).

وتقول:

قل:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾(٨)

ومن تطبيقات هذا التحكم الإلهى فى دنيا الناس، الجفاف الذى يحدث فى بعض بلدان العالم، ويتسبب فى كوارث ضروس، تصيب الحياة بالشلل. ولكن الله رءوف رحيم بعباده.

فأين الكذب فى رسالة محمد (القرآن) وهذا هو واقع الحياة يجرى كما وصفه القرآن العظيم.

***

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾(٩).

(٧) المؤمنون (١٨).
(٨) الملك (٣٠).
(٩) النور (٤٣).

وهذا بيان ثالث من رسالة محمد ﷺ يكشف عن حقائق ظلت بعيدة عن الإدراك البشري إلى عهد قريب.

ولما اكتشف العلم الحديث هذه الحقائق، وماج بها فرحا، فوجئ بأن رسالة محمد (القرآن) قد عرضتها بدقة وإحكام منذ أربع عشرة مائة من السنين.

هذه الآية، وإن اشتركت مع آيتي «فاطر» و«الحجر» في أصول الدلالة، فإنها أضافت إليها حقيقة كونية مع الاشارة إلى كيفية تكوينها. إشارات علمية ذكية مذهلة لأولي الألباب.

تلك الحقيقة، هي تكوين «البَرَد» والذي عرفه العلم الحديث أن «البرد» يتكون بتأثير منطقة شديدة البرودة، ومن أسباب نشوء البرودة الشديدة السحاب «الركام» أي وجود طبقتين من السحاب، سحابة فوق سحابة. فتجمد قطيرات الماء بين طبقتين:

ثلجية علوية. ومطرية سفلية. في هذه الأثناء يتكون البَرَد ويكبر، ثم يتساقط على الأرض في حجوم مختلفة. ويشتد بياضه.

هذه الحقيقة أشار القرآن (رسالة محمد) ﷺ إليها فقال:

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾.

لقد جاءت نتائج العلم الحديث مطابقة لما أشارت إليه رسالة محمد ﷺ. والسادة المستشرقون يعرفون ذلك جيدا فكيف ساغ لبعضهم أن يتهموا رسالة محمد بالكذب، وهم، وغيرهم، غير واجدين فيها إلا الصدق واليقين، في الخبر، وفي الوصف، وفي التنبؤ بما سيكون، مما لم يكن كائنا في عصر نزول القرآن.

ومن قبسات صدق رسالة محمد ﷺ ماتشير إليه هذه العبارة:

«من جبال» أنها تقرر حقيقة كانت مفاجأة لمعارف البشر ومدركاتهم في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة ذلك أن من يرى السحاب من الناس وهم على الأرض، لا يكون لديه أدنى ريب في أن السحب جسم مستوى السطح أملس، أشبه ما يكون بـ«القشرة» وإن اختلفت صورها وأبعادها، ومايزال هذا التصور يتبادر إلى الأذهان حتى الآن.

لكن من تتاح له رؤية السحب من مكان أعلى منها، مثل راكبي الطائرات، والذين يقطنون مناطق جبلية عالية، فإن الرؤية عندهم تختلف، لأنهم يرون السحب في شكل مرتفعات لها قواعد وقمم، مع اختلاف أحجامها. وإذا مرَّ راكبو الطائرات فوق منطقة ملبدة بالغيوم، خُيِّل إليهم أنهم يسيرون فوق منطقة جبلية، بين جبالها انخفاض وارتفاع وفجوات، كل سحابة بمثابة جبل، ترى قاعدته المنبسطة، وارتفاعه التدريجي، وقمته المدببة وإلى هذه المعاني أو الحقائق أشارت رسالة محمد ﷺ بهذه العبارة:

«من جبال» حيث شبهت السحب بالجبال في الصورة والشكل والأبعاد.

وكون السحب شبيهة بالجبال، أصبح من الحقائق البدهية الآن. إذ ليس المراد الجبال الحقيقية المكونة من الصخور والحصى والرمال. وإنما المراد ذرات الماء المتجمد.

هذه الحقيقة: التي قررتها رسالة محمد ﷺ




لاسبيل لردها أو الطعن فيها، لأنها أمور واقعة، محسوسة مشاهدة ليستوى فى إدراكها كل من تمكن من مشاهدتها ولو بالعين المجردة.

فماذا يقول المستشرقون؟ أهذا كذب أم صدق؟ وأين يجدون الصدق المنافى لهذه الحقيقة ياترى؟ أم على قلوب أقفالها.

## سنن الله فى خلق الإنسان

ما تقدم كان قبسا من سنن الله فى الكون خارج نطاق الإنسان وهو غيض من فيض من سنن الله الكونية، التى لايحصيها عد ولايحيط بها إلا علام الغيوب.

ونقدم نموذجا آخر من سنن الله فى خلق الإنسان، والأطوار التى يمر بها من ساعة تكوين عناصر خلقه قبل أن يودع فى رحم أمه، إلى ساعة أن يعود إلى التراب فى نهاية أطواره، كما خلق منه فى بداية أطواره. حيث كان مبدؤه ترابا، ومنتهاه ترابا.

وننظر فى صدق رسالة محمد (القرآن) فى عرض تلك الأطوار بمعونة الآية الآتية:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾(١٠).

هذه هى رحلة الإنسان من قبل المهد، إلى اللحد وقد عرضت هذه الآية الحكيمة، عناصر رحلة الإنسان من جانبيها:

ـ الجانب غير المنظور، ومرحلة ماقبل الولادة.

ـ الجانب المنظور، أو مرحلة مابعد الولادة.

وقد صدقت رسالة محمد ﷺ كل الصدق فى الثانية (الجانب المنظور) وماكذبت أى كذب فى الأولى (الجانب غير المنظور) صدقت وما كذبت:

ففى الجانب غير المنظور، الإجماع منعقد على أن النطفة التى تحمل عناصر «التلقيح البشرى» تتكون من الأغذية التى يطعمها الإنسان.

والأطعمة تتكون من الخبز والفواكه واللحوم ومنتجات الحيوان. وهذه كلها لها مصدر واحد، هو مايخرج من الأرض، والأرض تراب. وقد صدقت رسالة محمد.

هذا إذا وضعنا فى الاعتبار خلق الإنسان الذى تناسل من أبى البشر آدم ـ عليه السلام.

وإذا كان المراد خلق آدم وهذا مستساغ لأنه أصل زوجة (حواء) وذريته إلى يوم القيامة. كان الخلق من التراب مباشرة، دون الحاجة إلى وسائط متسلسلة وقد صدقت رسالة محمد.

أما الطور الثانى من الخلق. فهو النطفة.

والطور الثالث هو العلقة.

والطور الرابع هو المضغة، بنوعيها: المخلقة، وغير المخلقة:

وهذه كلها موضع إجماع لدى جميع أهل الذكر، مسلمين وغير مسلمين، بل إن

---

(١٠) الحج (٥).



أبحاث علماء الغرب أرسخ قدما في هذه الدراسات، وهم قوم المستشرقين. أرسخ قدما فيها من غيرهم.

وقد نشأت دراسات لاحصر لها، وتجارب معملية، وتصوير وتجسم لمتابعة هذه الأطوار، وهي في أرحام الأمهات وتوصلت إلى نتائج يقينية فيها.

وكان صدق رسالة محمد (القرآن) أسبق من هذه الاكتشافات والأبحاث، التي تطابقت نتائجها مع مافرغت من بيان رسالة محمد ﷺ. أفما كان هذا كافيا لتراجع المستشرقين عن مزاعمهم الكاذبة في وصف رسالة محمد ﷺ بالكذب؟!

وبقي في الجانب غير المنظور من أطوار خلق الإنسان دقائق مذهلة من صدق رسالة محمد:

- منها عطف هذه الأطوار بعضها على بعض بـ «ثم» وهي كما هو معروف تفيد أمرين:

الأول: الترتيب الزمني الوجودي بين المعطوف والمعطوف عليه.

الثاني: وجود فسحة زمنية (التراخي) بين وجود المعطوف والمعطوف عليه.

إن هذه الأداة «ثم» يكمن وراء العطف بها سر علمي لم يكن معروفا لأحد من البشر قبل مائتي سنة على الأكثر من العصر الحديث. كشفت عنه التجارب بعد طول عناء وكل «ثم» من هذه «الثمات» الخمس بمنزلة تجربة ومتابعة، مختبرية بينها فسحة من الزمن، أكثرها زمنها متساو في الوجود فبين تكوين النطفة من الأغذية، وبين تناول الأغذية وخروجها من الأرض فسحة، من الزمن، وقد أشارت إلى هذه الحقيقة «ثم» حين توسطت المعطوف والمعطوف عليه،

وبين تحول النطفة الى علقة فسحة من الزمن (أربعون يومًا) دلت عليها «ثم» بتوسطها بين النطفة والعلقة: «ثم من علقة»

وبين العلقة والمضغة فسحة من الزمن أومأت إليها «ثم» حين فصلت بين المعطوف والمعطوف عليه (أربعون يومًا) «ثم من مضغة».

ولكل من هذه العناصر: (النطفة - العلقة - المضغة) خصائص ذاتية رصدها العلم الحديث رصدا كاشفا عن مميزات كل عنصر منها عن الآخر. كما رصد العلم الحديث العمر الزمني لكل عنصر منها، فوجده أربعين يومًا.

فأنت ترى أن «ثم» في هذا العرض دالة من الدوال العلمية وليست مجرد أداة ربط بين سابق ولاحق.

ومن هذه الدقائق المذهلة لأولي الألباب تنويع المضغة إلى مخلقة وغير مخلقة. وهذا سبق علمي لرسالة محمد ﷺ كان حريًا بالسادة المستشرقين أن يخروا أمامه ساجدين، إيمانًا برسالة محمد - ﷺ - كما سجد سحرة فرعون لمعجزة الإيمان التي أجراها الله - عز وجل على يد رسوله الكريم موسى عليه السلام، لا أن ي - صروا على وصف هذه الرسالة الخالدة بالكذب.



كان اتجاه المفسرين الأولين هو أن النطفة المخلقة هي ماتم خلقها أي ماصارت جنينا كامل الخلقة وأن غير المخلقة هي السقط[11].

أما بعد التطور العلمي الهائل، الذي شهده العصر الحديث، وتنوع آلات البحث، وغوصها وراء مالايدرك بالحواس المجردة منذ خطا العلم خطوات كاشفة عما كان مجهولا من حقائق الخلق والتكوين.

وقد تبين للدارسين السر الدفين في قوله تعالى:

﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ وخلاصة ماوقفوا عليه بمعونة آلات البحث الحديثة هوما يأتي:

أن النطفة بعد تلقيحها الرحم بالحيوان المنوى (الذكورى) والبويضة المخصبة، واستقرارها في الرحم، تنقسم قسمين القسم الأول يخضع لقدرة الله في تكوين الجنين في كل مراحله حتى يصبح خلقا آخر.

أما القسم الثاني فيلزق بجدار الرحم، وتكون وظيفته تغذية القسم الأول، الذي يتخلق منه الجنين.

وهذا القسم يستهلك ولايدخل في عناصر تكوين الجنين التابعة، مثل الدم، الذي يستهلكه الجسم في الحياة اليومية. وكل مانفد منه مقدار تجدد مكانه مقدار آخر.

وبناء على هذا الاكتشاف رجح علماء الأجنة المسلمون أن يكون هذا الانقسام هو المراد لله من قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾[12].

والمعروف أن المضغة متولدة عن العلقة، والعلقة تطوير للنطفة.

والمفسرون الأولون معذرون، لأن تفاسيرهم كانت تعتمد على المنهج النظرى المجرد.

فهل بعد هذا الصدق صدق، حتي يصح في العقول أن يقال: إن رسالة محمد ﷺ كاذبة؟!

إنه ـ والله ـ لقول أبهت من البهتان، وأكذب من الكذب وبقى من الجانب غير المنظور في خلق الله الإنسان حقيقة أخرى لا ينازع فيها عاقل يحترم عقله وفكره، هي قوله تعالى:

﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾.

إن الأجنة في أرحام الأمهات تصرف إلهي خالص، ومدة استضافتهم فيها ـ بدءا ووسطا، ونهاية تقدير الهي لايشركه فيه أحد.

وتخليقهم ذكورا وإناثا وألوانا شأن خالص لله ـ عز وجل ـ أن الغالب على مدة قرارهم في الأرحام هو التسعة الأشهر ولكنها غير مطردة.

فقد تنقص أسبوعا أو أقل أو أكثر. وقد تزيد أسبوعا أو أقل أو أكثر.

هذا ماأسفر عنه الواقع، وأشارت إليه رسالة محمد ـ ﷺ ـ:

﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي محددا في علم الله وحده. وهذا هو الواقع الذى لا يقبل التغيير ولا

---

(١١) فتح القدير للامام الشوكاني (٣/٥١٤)

(١٢) خلق الانسان بين العلم والقرآن (١٣٠) د. محمد علي البار.

التبديل من أحد غير الله العلي الحكيم. فأين الكذب المزعوم في رسالة المعصوم عليه صلوات الله وتسليماته.

***

أما الجانب المنظور والذي ـ صدقته رسالة محمد ﷺ في المراحل الآتية.

● الإخراج من أرحام الأمهات أطفالاً.

● بلوغ الأشد بعد مرحلة الطفولة (أي النضج والاكتمال).

● الوفيات المتباينة المبكرة (مرحلة ماقبل الشيخوخة).

● بلوغ أرذل العمر (الشيخوخة الفانية) هذا الجانب نواجه به فرية المستشرقين عبر محورين لاثالث لهما:

**الأول:** سر العطف بـ «ثم» للدلالة على الفجوات الزمنية بعد هذه الأطوار المتعاقبة في حياة الإنسان، لأنها ليست مجرد رابط بين أمرين، بل هي كما تقدم دالة من الدوال العلمية.

● فالإخراج أطفالاً تفصل بينه وبين القرار في الأرحام فجوة مناسبة من حساب الأيام والشهور.

● وبين الطفولة وبلوغ الأشد فجوة زمنية بحساب الشهور والأعوام.

والتوفي المتفاوت من ساعة «الولادة» إلى بلوغ سنة الله ـ عز وجل ـ في عباده (تفاوت الآجال بين الطول والقصر).

وبلوغ مرحلة الشيخوخة الفانية سنة أخرى لله في عباده، وحقيقة واقعة يؤمن بها المؤمن والكافر هذه السنن الإلهية كان للعطف بـ «ثم» تنسيق حكيم في عرضها. وهذا صدق آخر نصت عليه رسالة محمد ﷺ فأين الكذب فيها والواقع براهين قاطعة على صدقها.

**الوجه الثاني:** أن هذه السنن الإلهية، التي عرضتها رسالة محمد ﷺ مطردة في الحياة لم ـ ولن ـ ينتقض منها شيء. لأن رسالة محمد تقول:

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾(١٣)

فهل يستطيع أحد ـ كائنا من كان ـ أن يجعل سنة من سنن الله موضع سنة أخرى، تؤدي دورها في الحياة؟

وهل يستطيع أحد ـ كائنا من كان ـ أن يرفع سنة لله في الحياة، ويضع بدلها سنة أخرى من عنده. تقوم بإنجاز سنة الله؟

كلا، وألف كلا.

هذا ماجاءت به رسالة محمد ﷺ وجرى كل شيء في الحياة، وفق سنن الله، التي أفاضت في ذكرها رسالة محمد ـ ﷺ فإن كان هذا كذبا، فقد تبوأ الكذب مكانا عليا في الوجود. وهوى الصدق ـ الذي يراه المستشرقون صدقا ـ إلى الحضيض.

إذن:

﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾(١٤).

---

(١٣) فاطر (٤٣).

(١٤) النساء (٧٨).

من رجال التشريع :

# الأوزاعي بين العلم والعمل

للدكتور / حمدي فتوح والي

**العلماء في كل أمة هم صانعو نهضتها، وحاملو رايتها، ومفجرو طاقتها، والمؤتمنون على فكرها وعقيدتها. وفي الأثر عن رسول الله ﷺ: «صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس العلماء والأمراء». وفي تاريخنا الإسلامي صفحات مشرقة من تاريخ هؤلاء العلماء.. وعالمنا اليوم رجل جمع الفضل من أطرافه وحاز إعجاب أئمة المسلمين في عصره.**

قال مالك: كان الأوزاعي إماما يقتدى به، وقال سفيان بن عيينة وغيره: كان الأوزاعي إمام أهل زمانه. وقال محمد بن عجلان: لم أر أحدا أنصح للمسلمين من الأوزاعي. ولقد كان يعظ الناس فلا يبقى في مجلسه أحد إلا بكى بعينه أو بقلبه، وما رأيناه يبكي في مجلسه قط. وكان إذا خلا بكى حتى يرحم. وقال يحيى بن معين: العلماء أربعة: الثوري وأبوحنيفة ومالك والأوزاعي(١).

فمن هو الأوزاعي وكيف بلغ في العلم هذه المنزلة؟

لقد بحثت في حياة الرجل وتتبعت نسبه لأرى هل بلغ هذه المنزلة بنسب يعليه أو حسب يرفعه ويزكيه. فوجدت صاحب كتاب «الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام» يقول:

«لم يثبت التاريخ للأوزاعي أصولا تدرك منها صفاته ومواريثه منسوبة إلى الآباء أو الأخوال بل كان كأنه فذ، وواحد فرد. فلم يعرف من أصوله

(١) البداية والنهاية - ابن كثير جـ١٠ - ص ١١٦ - دار الفكر العربي.

الأولين إلا هو وأم له مجهولة الاسم والحال، ولم يعرف من أصول قومه إلا خليط من الأقوال لا تهتدي إلى مستقر»[٢].

وزاد يقيني في أن الرجل في تفرده لم يعول على نسب أو حسب عندما قرأت وصيته لأبي جعفر المنصور يقول له فيها:

**أما بعد:**

«فعليك يا أمير المؤمنين بتقوى الله ـ عز وجل ـ وتواضع يرفعك الله ـ تعالى ـ يوم يضع المتكبرين في الأرض بغير الحق واعلم أن قرابتك من رسول الله ﷺ لن تزيد حق الله إلا وجوبا».

فبم ساد الإمام عبد الرحمن بن عمرو بن محمد أبوعمرو الأوزاعي؟

إن من ينظر في حياة هذا الإمام لابد أن يلمس بوضوح ظاهر صفتين بارزتين في حياته كلها منذ نشأ طفلا حتى لقي الله ـ تعالى.

**أولاهما**: صفة الإخلاص الصادق لله وطلبه وجه الله وحده في كل ما يأتي وما يذر.

والثانية: همته العالية في طلب العلم، ومصابرته ودأبه، وبذل غاية جهده في ذلك.

وقد أثمر الإخلاص في حياة الرجل مواقف تذهل القلوب وتحير الألباب ولا يملك المرء لها تفسيرا إلا الربانية الكاملة والإخلاص الصادق لله ـ تعالى ـ من ذلك ما يرويه ابن كثير من شجاعته وجرأته وثقته بربه، واستخفافه بأهل الأرض جميعا في جنب الله. فيقول:

«لما دخل عبدالله بن علي ـ عم السفاح الذي أجلى بني أمية من الشام وأزال الله ـ سبحانه ـ دولتهم على يده ـ دمشق ـ طلب الأوزاعي فتغيب عنه ثلاثة أيام ثم حضر بين يديه. قال الأوزاعي: دخلت عليه وهو على سرير وفي يده خيزرانة والمسودة[٣]. عن يمينه وشماله، معهم السيوف مصلتة ـ والغمد الحديد ـ فسلمت عليه فلم يرد، ونكت بتلك الخيزرانة التي في يده ثم قال: يا أوزاعي، ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة عن العباد والبلاد؟ أجهاد ورباط هو؟ قال: فقلت: أيها الأمير سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول: سمعت محمد بن إبراهيم التيمي يقول: سمعت علقمة بن وقاص يقول: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كان هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

قال: فنكت بالخيزرانة أشد مما كان ينكت، وجعل من حوله يقبضون أيديهم على قبضات سيوفهم، ثم قال: يا أوزاعي ما تقول في دماء بني أمية؟ فقلت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة». فنكت بها أشد من ذلك ثم قال: ما تقول في أموالهم؟ فقلت: إن كانت في أيديهم حراما فهي

---

(٢) الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام ـ الأستاذ عبدالعزيز سيد الأهل سنة ١٩٦٦م.

(٣) المسودة: الذين يلبسون السواد وهو اللباس الذي اختاره العباسيون شعارا لهم.

حرام عليك أيضا، وإن كانت حلالا فلا تحل لك إلا بطريق شرعي. فبكت أشد مما كان يبكت قبل ذلك ثم قال: ألا نوليك القضاء؟ فقلت: إن أسلافك لم يكونوا يشقون علىّ في ذلك، وإني أحب أن يتم ما ابتدءوني به من الإحسان. فقال: كأنك تحب الانصراف؟ فقلت: إن ورائي حرما وهم محتاجون إلى القيام عليهن وسترهن وقلوبهم مشغولة بسببي. قال: وانتظرت رأسي أن يسقط بين يدي، فأمرني بالانصراف. فلما خرجت إذا برسوله من ورائي. وإذا معه مائتا دينار، فقال: يقول لك الأمير: استنفق هذه قال: فتصدقت بها، وإنما أخذتها خوفا. قال: وكان في تلك الأيام الثلاثة صائما فيقال: إن الأمير لما بلغه ذلك عرض عليه الفطر عنده فأبى أن يفطر عنده»[٤].

فما كان للأوزاعي أن يقف هذا الموقف ويثبت في وجه الموت ذلك الثبات إلا وقلبه معلق بربه وحده يستمد منه قوته ويخلص له نيته، ولا يطلب إلا وجهه سبحانه ولو أدى ذلك إلى قتله، فإن ذلك لا يخيفه ولا يقلقه، لأنه يعلم أن الموت في سبيل الله وسيلة لنقله إلى رحاب من يحب ويرضى - سبحانه وتعالى - وتلك هي الربانية الخالصة والولاء الصادق لله - تعالى.

وقد أعان الأوزاعي على بلوغ هذه الدرجة من الإخلاص الصادق لله، قلب خاشع وكيان خاضع باك لله - سبحانه وتعالى - يقول ابن كثير: «كان الأوزاعي - رحمه الله - كثير العبادة، حسن الصلاة، ورعا ناسكا، طويل الصمت، وكان يقول: من أطال القيام في صلاة الليل هون الله عليه طول القيام يوم القيامة، أخذ ذلك من قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾[٥].

وقال الوليد بن مسلم: ما رأيت أحدا أشد اجتهادا من الأوزاعي في العبادة. وكان من شدة الخشوع كأنه أعمى. ودخلت امرأة على امرأة الأوزاعي فرأت الحصير الذي يصلي عليه مبلولا فقالت لها: لعل الصبي بال هاهنا فقالت: هذا أثر دموع الشيخ من بكائه في سجوده هكذا يصبح كل يوم»[٦].

ولا يذهبن بك الخيال أخي القارئ أن تظن أن استغراق الرجل في عبادته وشدة الخوف من ربه قد حملته على اعتزال الناس والهرب من خضم الحياة ومعاركها. مؤثرا لذة الخلوة وجمال الأنس وروعة القرب من الحبيب - سبحانه وتعالى - جاعلا ذلك بديلا عن جهاده لإحقاق الحق وإبطال الباطل ونصيحة الحكام. كلا، وإنما جعل الرجل لذة قربه وروعة حبه دافعا لقول الحق، ووعظ الخلق، وتعريفهم بالله - سبحانه وتعالى - واسمع معي إلى هذه الموعظة التي تنبئ عن رجل يعيش بكيانه كله مع خالقه فقد كتب إلى أخ له: أما بعد:

«فقد أحيط بك من كل جانب، وإنه يسار بك في يوم وليلة فاحذر الله والقيام بين يديه، وأن يكون آخر العهد بك. والسلام».

---

(٤) البداية والنهاية جـ١٠ - ص ١١٨.

(٥) الإنسان آية (٢٦، ٢٧).

(٦) البداية والنهاية جـ١٠ - ص ١١٧.



ومن مواعظه التي تشهد له بصدق اللهجة، وعمق المعية، ودوام الذكر، والوعي بأحوال الناس والإشفاق عليهم من غرور الدنيا وإغواء الشيطان ما يرويه ابن أبي الدنيا يقول: حدثني محمد بن إدريس[٧] سمعت أبا صالح -كاتب الليث[٨]- يذكر عن الهقل بن زياد عن الأوزاعي أنه وعظ فقال في موعظته: أيها الناس تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها، على الهرب من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، فإنكم في دار الثواء فيها قليل، وأنتم عما قليل عنها راحلون، خلائف بعد القرون الماضية، الذين استقبلوا من الدنيا أنقها وزهرتها، فهم كانوا أطول منكم أعمارا، وأمد أجساما، وأعظم أحلاما، وأكثر أموالا وأولادا، فخددوا الجبال وجابوا الصخر بالواد، وتنقلوا في البلاد، مؤيدين ببطش شديد، وأجساد كالعماد، فما لبثت الأيام والليالي أن طوت آثارهم، وأخربت ديارهم، وأنست ذكرهم، فهل تحس منهم من أحد أو تسمع له ركزا؟ كانوا بلهو الأمل آمنين، وعن ميقات يوم موتهم غافلين، فآبوا إياب قوم نادمين، ثم إنكم قد علمتم الذي نزل بساحتهم بياتا عقوبة من الله، فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين، وأصبح الباقون المتخلفون ينظرون في آثار نقمته، وزوال نعمته عمن تقدمهم من الهالكين، ينظرون والله في مساكن خالية، وبيوت خاوية قد كانت بالعز محفوفة وبالنعم معروفة، والقلوب إليها مصروفة، والأعين نحوها ناظرة.

فأصبحت آية للذين يخافون العذاب الأليم، وعبرة لمن يخشى. وأصبحتم بعدهم في أجل منقوص ودنيا منقوصة في زمان قد ولى عفوه، وذهب رخاؤه وصفوه، فلم يبق منه إلا جمة شر، وصبابة كدر، وأهاويل عبر، وعقوبات غير، وإرسال فتن، وتتابع زلازل، ورذالة خلف، بهم ظهر الفساد في البر والبحر، يضيقون الديار، ويغلون الأسعار، بما يرتكبونه من العار والشنار، فلا تكونوا أشباها لمن خدعه الأمل، وغيره طول الأجل، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن إذا دعي بدر، وإذا نهي انتهى وعقل»[٩].

ومن خلال هذه الموعظة نحس روح العالم البصير بطوايا القلوب وخبايا النفوس، كما نحس روح العابد الزاهد الذي يعلم حقيقة الدنيا، وأنها دار «الثواء فيها قليل، وأهلها عنها راحلون. كما نلمح من خلال الكلمات قريحة أديب بارع، يعرف كيف يتسلل إلى القلوب بأناقة لفظه وعذوبة جرسه، وسحر موسيقاه، دون أن يشغله ذلك عن فكرته، أو يقلل من وضوح قضيته. وقد ظهر من خلال هذه الموعظة طبيعة الثقافة الدينية ومدى حضور القرآن في ذهن الشيخ حتى ليوشك أن تكون الموعظة كلها آيات من القرآن. لكن ذلك يتم في براعة وعفوية حتى كان الجزء المقتبس قد سبك مع كلام الشيخ سبكا. وذلك لقوله: «تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها، على الهرب من نار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة» وكقوله: «فهم كانوا أطول منكم أعمارا، وأمد أجساما، وأعظم أحلاما، وأكثر أموالا وأولادا» فالجملة الأخيرة جزء من آية في سورة التوبة. وكذلك قوله: «فخددوا الجبال، وجابوا الصخر بالواد» كما نلاحظ قدرة الشيخ على توظيف السجع توظيفا موسيقيا تطرب له النفس وتستريح إليه الأذن.

---

(٧) يقصد الإمام محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب المشهور.

(٨) هو الليث بن سعد إمام أهل مصر.

(٩) البداية والنهاية ص١١٩.

وكما وعظ العامة وأخلص النصح لهم نراه يتوجه بالنصيحة إلى الحكام مستشعرا أمانة العلم، مدركا أن الله سائله عما أعطاه من العلم بشريعته ومعرفة حقوقه وحدوده.

وهذا موقف وقفه الإمام الأوزاعي أمام الخليفة أبي جعفر المنصور يحرضه على افتداء ألوف الأسرى من المسلمين، كانوا قد وقعوا في يد ملك الروم، وكان ملك الروم يحب أن يفادى بهم، وأبو جعفر يتردد في فدائهم بخلا بالمال كعادته التي بسببها سمي «الدوانيقي»[10] فكتب إليه الإمام الأوزاعي كتابا جاء فيه:

أما بعد: فإن الله - تعالى - استرعاك هذه الأمة لتكون فيها بالقسط قائما وبنبيه ﷺ في خفض الجناح متشبها، وأسأل الله - تعالى - أن يمكن لأمير المؤمنين ويرزقه رحمة هذه الأمة. فإن سائحة[11] المسلمين التي غلبت عام أول، وموطئهم حريم المسلمين، واستنزالهم العواتق والذراري من المعاقل والحصون كان ذلك بذنوب العباد وما عفا الله عنه أكثر. فبذنوب العباد استنزلت العواتق والذراري من المعاقل والحصون، لا يلقون لهم ناصرا ولا عنهم مدافعا كاشفات عن رءوسهن وأقدامهن. وكان ذلك بمرأى ومسمع وحيث ينظر الله - تعالى - إلى ما نزل بهم، فليتق الله أمير المؤمنين وليبتغ بالمفاداة بهم من الله سبيلا، وليخرج من حجة الله. فإن الله تعالى قال لنبيه:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾[12].

ووالله يا أمير المؤمنين، ما لهم يومئذ فيء موقوف، ولا ذمة تؤدي خراجا إلا خاصة أموالهم. وقد بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني لأسمع بكاء الصبي في الصلاة فأتجوز فيها مخافة أن تفتن أمه» فكيف بتخليتهم يا أمير المؤمنين في أيدي العدو يمتهنونهم ويتكشفون منهم ما لا تستحله الشريعة، وأنت راعي الله، والله - تعالى - فوقك، ومستوف منك:

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[13]

فلما بلغت هذه الرسالة أبا جعفر استجاب من فوره للأوزاعي وافتدى الأسرى»[14].

وهكذا يستشعر الإمام الأوزاعي مسئوليته أمام الله ويحس بمرارة كل أم فقدت ولدها، ولوعة كل أسير فقد حريته ويسام الخسف والنكال بيد الكفار. فيندفع لأداء حق الله عليه صادعا بالحق، ناصحا لإمام المسلمين، مستعملا معه ألوانا من الترغيب والترهيب حتى يبلغ منه ما يريد، بعد أن أهاج كامنه، وحرك ساكنه وخوفه من مقامه بين يدي الله.

وببركة هذا الموقف العظيم فرجت الكربات وزالت الحسرات عن ألوف من أسرى المسلمين، ودخلت السعادة وعم الفرح قلوب أهليهم وذويهم.

فليت أهل العلم في زماننا يستشعرون أمانة الله عليهم وثقة أمتهم بهم. وحاجة الحكام إليهم. ويصلون ما انقطع من مواقف البطولة، ومواطن العزة وأسباب الفخار.

---

(10) نسبة إلى الدانق وهو أصغر جزء من الدينار.

(11) السائحة: القوة.

(12) النساء (75)

(13) الأنبياء (47)

(14) الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام - عبدالعزيز سيد الأهل ص. 91

## صفحة من حياة

# الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود (*)

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

زاملت الدكتور محمد السعدى فرهود فى مراحل الدراسة التعليمية بالابتدائى والثانوى وكلية اللغة العربية ومعهد التربية العالى، ثم زاملته فى مرحلة التدريس الجامعى مدرساً وأستاذاً، فلم أر تغيراً فى أخلاقه منذ عرفته، مما أكد لى أن الطبع الإنسانى المفطور على جبلته لا يتغير بتغير الأحوال والملابسات، وما يظن أنه تطوير وانتقال هو شىء ظاهرى مفتعل، إذ أن الجوهر الأصيل يظل محتفظاً بمعدنه، فكل ما يراه خلفاؤه اليوم من هدوئه ورزانته وسعيه فى الخير كان واضحاً عند الطالب الصغير فى المعهد الابتدائى بالأزهر، هكذا رأيت ولمست!

ولقد كان مع هذه السجايا الخلقية غيوراً على سمعته العلمية، إذ كان حريصاً كل الحرص على أن يكون الأول بين زملائه، وقد تحقق له ذلك فى أكثر السنوات، وفى السنوات التى جاء فيها الثانى كان يأخذ نفسه بأسباب اللوم، إذ يكون أمامها مقصراً، وأنا أعلم أن درجات الشفوى بالأزهر قد تعطى لمن لا يستحق فيسبق الكادح الجاد، ولكن الله يعوض كثيراً فيما بعد..

أول ما عرفت الطالب محمد السعدى فرهود كان فى حفل عام أقامه معهد دمياط الدينى فى مناسبة المولد النبوى الشريف، وقد حضره محافظ الإقليم وفريق من علية القوم، وقام كبار الأساتذة يلقون كلماتهم الموسمية، فيمتعون، ثم قام الطالب محمد السعدى ممثلاً لزملائه، فألقى كلمة ضافية، جذبت إليها الأنظار، إذ ترك المعانى التقليدية التى تكرر فى هذه المناسبة، والتى توسع فيها بعض من سبقه من الأساتذة المتكلمين إلى عناصر جديدة تتصل بأخلاق صاحب السيرة المطهرة.

(*) من مذكرات رئيس التحرير، ينشرها بمناسبة ارتحال الفقيد العزيز وستنشر مجلة الأزهر عنه بحثاً تحت عنوان (السعدى وتفسير القرآن) قريباً إن شاء الله.



وكان إلقاؤه يزيّنُ بيانه، فخرج السامعون يثنون عليه تفكيراً وإلقاءً وهدوءاً، ومنْ يومها طابّ لى أن أعرف الكثير عنه.

ذهبنا إلى معهد الزقازيق الثانوى، فحافظ محمد السعدى على أوليته المعهودة، وأعدّ نفسه ليكون أولّ الشهادة الثانوية على القطر جميعه، ولكنّ ظروفاً سياسية عاقته عن الالتحاق بالدور الأول، ظروفاً لا شأن له بها، إذ أنّ غيرته الإقليمية دفعتْه إلى مناصرة زعيم سياسى من أبناء بلدته (الزرقا)، وأتت الرياح بما لا يشتهى، فذهب عهدٌ وجاء عهد، يُناوئ الزعيم، وتأخر السعدى عن الالتحاق بدار العلوم التى كان مصمماً على دخولها، فانتسب لكلية اللغة العربية غاضباً، ولم يْدر أن إرادة الله فوق كل إرادة، إذْ كان فى طىّ الغيب أن يُصبح محمد السعدى عميداً لكلية اللغة العربية، فمديراً لجامعة الأزهر.

برز السعدى فى كليته الأزهرية، وكان رئيساً لجماعة «الضاد» التى أسسها الأستاذ الدكتور أحمد الشرباصى - رحمه الله -، أخذ الرئاسة بعد تخرج الدكتور الشرباصى، فزاول النشاط الأدبى، وصار له بالكلية ذكر حميد، وأشير إلى أن أحد أساتذته كان يعهد إليه بتحضير الدرس الأدبى ليلقيه على الطلاب تمريناً للنابهين، وهو سلوكٌ تربوى

ناجح، لأن الطالب حين يقفُ أمام زملائه موقف الأستاذ يشمر عن ساعد الجد، ويحاول أن يملأ الموقف قدر ما يستطيع، وقد ألقى الطالب محمد السعدى عدة محاضرات عن الشاعر العباسي بشّار بن بُرد، حازت إعجاب أستاذنا الكبير أحمد شفيع السيد رحمه الله، فأثنى عليه فى الملأ المشهود، وتنبأ له بمستقبل زاهر.. ثم مضت الأيام فأبرزت تحقيق نبوءته!..

وانتقلنا بعد الكلية إلى معهد التربية العالى بالإسكندرية، فدرَسْنا الجديد من علوم النفس والتربية والاجتماع مما لم تكنْ نألفه فى الدراسة الأزهرية، وأذكرُ أن الدكتور رياض عسكر أشار فى بعض محاضراته إلى «مجلس الآباء» وضرورة إنشائه بالمدارس المصرية تقليداً للمدارس الإنجليزية، فأعجبت الفكرة الطالب محمد السعدى فرهود، وكتب مقالاً تربويا نشرته جريدة الأهرام فى مكان بارز، وتوالى الرد عليه، لدرجة أدهشت الدكتور عسكر، وتمنى أن يُرزق من الطلاب من يُذيعون الرأى التربوى على نطاق جهير.. ثم تفرقنا بعد التعلّم، ومضت عدة سنوات حتى جاءنى خطاب رقيق من الأستاذ محمد السعدى فرهود يعلن أنه يكتبُ رسالة الدكتوراه عن شعر الأستاذ عبدالرحمن شكرى، وقد علم أن لَدَىّ بعض رسائله الخاصة، ويريد الاطلاع عليها، فربما يكون بها ما يضيء جانبًا من نواحى الشاعر المتعدّدة، وقد سارعتُ بتلبية طلبه، فصور ما أراد من الرسائل، وبعثها إلى ثانية. والغريب أنى بعد عشرين عامًا من هذا الموقف، احتجتُ إلى بعض الرسائل، وبحثت عنها دون جدوى، ثم حدّثتُ الدكتور السعدى بذلك، فقال: إن الصور محفوظة لديه، وتكرم بإرسال نسخة منها، ولولا ذلك لفقدتْ إلى الأبد، ومنها تفويض من الشاعر لى بطبع مؤلفاته نثراً وشعراً.

لم يقتصر السعدى على مراسلتى بشأن رسائل شكرى، فقد راسل كثيراً من الأدباء فى العالم العربى، حتى جمع من الرسائل ما يصلح أن يكون كتابًا، وأذكر أنه راسل الأستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير مجلة المقتطف، وكان حينئذ قد ترك القاهرة إلى لبنان، فأمده بعدة رسائل تضم أنباء أدبية ونظرات علمية، وهى لا تزال لدى الصديق، كما أنه حين كتب رسالة الماجستير عن (عبدالله النديم) لم يدع أحداً يعرف اتصاله بأسرته إلا سافر إليه، وأخذ من أخباره ما كان مجهولا، إذ زار الإسكندرية لذلك عدّة مرات.. وقد كتب الكثيرون عن النديم كتابة من رجع إلى آثاره وحدها، ولكن رسالة السعدى تضمنت أشياء جديدة عمل على جمعها، ثم تحرى مدى صوابها، وحازت تقدير لجنة المناقشة بمعهد الدراسات العربية.

وقد زاملت السعدى، إذْ كنا مدرسين بكلية اللغة العربية بالقاهرة حينًا من الدهر، فاتضح لى من نشاطه جانب إدارى كنتُ



أجهله، لأنه مع إكبابه على التأليف الأدبي كان يد الإدارة في شئون الامتحانات، وموضع استشارتها في أحوال الطلاب، ولجان الشباب، وسفر الرحلات، ومازال يجمع بين الإدارة والتدريس والتأليف العلمي جمعًا متوازنًا دقيقًا، وذلك يتطلب منه مزيداً من الجهد الجاهد، وثقةُ المحيطين به في مواهبه تدفعه إلى مواصلة هذا الجهد في احتفاء.

وقد تنوعت مؤلفات الدكتور السعدي بالكلية لأن المواد التي قام بتدريسها كانت تقتضي هذا التنوع، ولكن إبداعه الأول كان في حقل النقد الأدبي، حيث أصدر عدة كتب مهمة تشمل خطوات النقد في جميع عصوره، وقد فاجأ طلابه بنظام من التأليف في تاريخ النقد الأدبي القديم لم يألفوه من قبل، حيث درجوا على أن يكون تاريخ النقد وفق توالي العصور، اقتداء بما صنعه رائد التاريخ النقدي في مصر المرحوم الأستاذ طه أحمد إبراهيم، حيث بدأ بحديث النقد في العصر الجاهلي، وتابع العصور حتى انتهى إلى العصر العباسي. والحق أن هذا الكتاب التليد لا يزال يحمل بريقه اللامع منهجًا وأسلوبًا واستنتاجًا، وقد حاكاه أناس- أو قل إنهم سرقوه- ثم أخذوا يعيبونه، وكأنهم لم يتكئوا عليه كل الاتكاء، وتلك من محن العلم في العالم العربي، أما الدكتور فرهود

فقد درس كتاب الأستاذ طه أحمد إبراهيم، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم رأى أن يؤرخ للنقد على غير مذهبه، فأصدر كتابه (اتجاهات النقد العربي) متحدثًا في المقدمة منحى الأستاذ طه أحمد إبراهيم، ثم معقباً بقوله:

«وآن لنا أن نقوِّم هذا الاتجاه، لأنه يسمح بقيام فواصل بين نقود العصور، وإطلاق القواعد العامة على هذه العصور، مثلما قالوا: إنّ النقد في العصر الجاهلي نقدٌ فطريّ، وفي عصر صدر الإسلام نقدٌ ذوقي، وفي الدولة الأموية نقدٌ جزئي، واختلف في الشام عنه في العراق، وهذه في تقديرنا تفرقةٌ لا مسوغ لها، فقد تداخلت النقود، وتداخلت العصور الأدبية، ولم تتمايز هذه أو تلك تمايزا يحتم الفصل بينها، وهذا تفسير الاتجاه إلى تناولنا الموضوعي لهذه الأمور، غير مغفلين ما يفرضه الترتيب الزمني على حركة التاريخ النقدي.

ووفقًا لهذه الخطة الجديدة كتب الباحثُ فصولاً متتابعة عن اتجاهات النقد العربي، فتحدث عن النقد الاستحساني، والنقد الانتخابي، والنقد الاجتماعي. والنقد الوصفي، والنقد على سبيل الموازنة، ثم جاء الفصل الأخير ليلم بأهم النظرات النقدية التي تفرقت فيما سبق من الأبواب. والكتابُ بهذا المنحى الجديد طريف كل الطرافة في بابه.

أما أهم كتاب أصدره الدكتور السعدى في حقل النقد فهو كتاب (قضايا النقد الأدبي الحديث)، وقد أفردتُ له مقالاً خاصًا بتحليله في مجلة الأديب اللبنانية (أكتوبر سنة ١٩٧٠) وجاء فيه ملخصاً:

«ألمَّ الكاتب إلماماً موجزاً في مطلع بحثه بما سبق أن أرخ به الدارسون حركة النقد العربي، ثم اتجه إلى أبواب معاصرة، بدأها بالحديث عن تأثر النقد الأدبي بعلوم النفس والاجتماع والجمال، وختَم كل فصل بتعقيب يرجح فيه ما يرتضيه من الآراء المتضاربة في حيدة تامة لا تعرف الانحياز لمذهب معين، ولكي يصل إلى ما يريده من حديث النقد المعاصر عبر ما قبله من الاتجاهات التراثية عُبورا موجزاً، ولكنه مستوعب، ثم تفرغ للبحث في قضايا التجربة الشعرية والوحدة العضوية، ومُتتبعًا بذورها في كتب النقد القديم، حتى انفسح المجال لرصد التيارات المعاصرة، إذ تحدث عن خليل مطران، وعبدالرحمن شكرى، والعقاد، والمازنى! وقد لاحظتُ في مقالي بمجلة الأديب أنه قد بَخَس مطران حقه حينَ جعله ينحاز إلى جانب شوقي في منحاه، لأن اتجاه مطران الإبداعي مسلم به، وهو الرائد الحقيقي لحركة التجديد في الشعر المعاصر. إذا أردنا أن نقرر الحقيقة دون انحياز».

هذان الكتابان البارزان في نتاج الدكتور السعدى كانا موضع تعليقات لي في دروس النقد وأنا أجاوره بمدرجات الكلية، وقد تناقل الطلاب هذه التعليقات، فكنت أنتظر من صديقي أن يتأثر بعض الشيء بموقفي، ولكنه قابلني مبتسماً ليقول إنه سيسعد حين أدون له خواطري النقدية في بحث خاص ليرجع إليه إذا

حانت الطبعة الجديدة للكتاب، وهذا السلوك المطمئن الواثق هو ما يميز الدكتور السعدى دائمًا، وما جعل أصدقاءه وزملاءه يعتزون به، وقد جنى كثيراً من الشوك بسبب هذه السماحة، ولكنه لم يثر ثورة الغاضب، إذ طُبع على الهدوء اليقظ، وقد دعى منذ أعوام لإلقاء محاضرة أدبية نقدية عن الشاعر الكبير عبدالرحمن شكرى بالنادى الأدبى فى جدة، وهو أولى الزملاء بالبحث فى موضوع من صميم تخصصه، إذ كتب رسالة الدكتوراه عن الشاعر فعرف عنه أكثر مما يعرف سواه، ولكن -وهذا موضع العجب العجيب- رأيته بعد كتابة بحثه المسهب، يدعونى إلى زيارته، ثم يعرض علىّ المحاضرة قبل أن يلقيها، فقد يكون بها ما يصلح أن يكون موضعاً للنقاش، وقد دهشت جداً لهذا الطلب غير المنتظر، وأخذت المحاضرة وأفدت منها، ولم أر بها غير الجيد الصحيح، وعاتبته على ما صنع، فقال فى ابتسام: وماذا يمنع من أن أطمئن؟ فقلت له: إن اطمئنانك هذا مع وثوق الناس بك قد حيرنى.

وقد كان الدكتور محمد السعدى عميدا لكلية اللغة العربية بالمنصورة حين أنشئت، فلاقى تأسيسها العلمى والإدارى والبنائى جهداً كبيراً قام بتذليله، على نحوٍ مرهق شاق، ثم ترقّى إلى منصب أعلى، وجئت عميداً للكلية من بعده، فرأيت أن أقيم حفلة تكريم اعترافًا بجهده فى إنشاء الكلية وسيرها هذا المسير الصحيح، وقام المتحدثون فأثنوا عليه بما هو أهله، وكانت المفاجأة فى الكلمة الختامية التى ألقاها الدكتور السعدى، حيث ذكر أسماء الزملاء والإداريين والموظفين الذين عاونوه جميعًا جميعًا، وأحصى لكل فرد جُهده الذى قام به، وكأنه كان أثناء عمله عميداً يُسجل خطوات من يقعون تحت إدارته تسجيلا واعيًا، وقال فى تواضع: إن الشكر لهؤلاء جميعا. وقد خرج المستمعون دهشين لهذه الذاكرة التى وعت كل شيء، ولهذا الاعتراف المثالى بكل جهد مبذول، وكم رأينا من رؤساء لم يعملوا شيئاً ارتكانًا على جهود مرءوسيهم، ثم هم بعد ذلك يتلمَّسُون الهفوات التافهة لعقابهم، وكان الرياسة لا تتم إلا بالاستعلاء وترصد وسائل العقاب.

وفى اجتماعات اللجان الدائمة لترقية الأساتذة بجامعة الأزهر، رأيت من حزم الدكتور فرهود ما أعجبنى، لأن هذا الحزم الدقيق لم يمنع نظرة الرحمة المتسامحة لمن قعدت بهم بعض ظروفهم الصحية فى مختتم العمر، عن الإجادة التامة، فكان الدكتور يقف فى صف هؤلاء الذين سيودعون عملهم عن قريب، قائلاً: إنهم كافحوا قدر ما يستطيعون، ولهم جهدهم العلمى الذى يؤيده نشاطهم الممتد عبر السنوات الماضية، وهو رأى قد يجد المعارض، ولكنى أسجله كما رأيته. مع ملاحظة أن النتاج يكون دائماً فى مستوى مقبول، ولا يهبط إلى درجة المؤاخذة، فهنا يكون الحسم الدقيق.

هذه خواطر أكتبها عن صديقى الكريم - رحمه الله- راجياً أن أجد مجالا آخر للحديث عنه كما أريد بإسهاب.



## في صحبة الشيخ الدكتور

# مُحَمَّد الطَّيِّب النَّجَّار

## ( رحمه الله )

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي

يرجع عهدى بمعرفة فضيلة الشيخ الدكتور / محمد الطيب النجار الى زمن الطلب أى عهد دراستى فى كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، وكان فضيلة الشيخ أستاذا للتاريخ الاسلامى وأحد ثلاثة يدرسون لى مادة التاريخ الاسلامى فى السنة الأولى من مراحل الكلية، الشيخ الدكتور / محمد مصطفى النجار، اتفاق فى اللقب، والشيخ الدكتور / عبد الحميد بخيت. وكان الشيخ مصطفى النجار يدرس: عرب الجزيرة والشيخ بخيت: عصر الرسول والخلافة، والشيخ محمد الطيب النجار يدرس الدولة الأموية.

وكانوا جميعا - رحمهم الله - من العلماء الأفذاذ الذين يهضمون الثقافة الدينية والتاريخية وكانت محاضراتهم تتميز بالسلاسة الأدبية والبيان الواضح فكانت تشعر الأسماع، وتفتح الذهن، وتعين العقل على الفهم، وهم إذ يعرضون قضايا التاريخ الإسلامى، يعرضونها من خلال روايات التاريخ وهى متعددة تحتاج لفرز نقدي لاستخلاص الرأى الصحيح من سقيمه، وبيان أدلة لاختياره من غير ميل إلى هوى من غير دليل، وكان نقدهم قائم على قواعد المنهج التاريخى فى تغليب رواية على رواية أو تزييف ضعيفها، إما لأنها رأى ينم عن عصبية يميل إلى عصبية الجاهلية الأولى، أو لأنه رأى مغلف بحب سياسى يشايع من هواه معه، أو أنه يمثل اتجاها مذهبيا أو ... أو .. إلخ، وكنا كلفين بذلك الاتجاه النقدى، وذلك مما زاد من إقبالنا على محاضراتهم، ورغم أن المقرر علينا فى التاريخ كان واسعا فهو يشمل: التاريخ الجاهلى وذلك فى كتاب يربو حجمه على الخمسمائة صفحة.



الأستاذ الدكتور/ محمد الطيب النجار يتسلم وسام الجمهورية من الأستاذ الدكتور/ فؤاد محيي الدين رئيس مجلس الوزراء في ١٥/٨/١٩٨١م.

وعصر النبوة والخلافة الراشدة فيما يقرب من سابقه في عدد صفحاته ثم تاريخ بنى أمية فى كتاب يقع فى مائتى صفحة وكان ذلك كله مقررا علينا في السنة الأولى من كلية أصول الدين وهذا ولاشك يوجب السآمة والملل والزهد فى الدراسة . غير أن حسن العرض وأداء المحاضرات والتفاعل الثقافى بين الطلاب والأساتذة، وحضور المادة العلمية لدى الأستاذ المحاضر، والإعداد المناسبة فى قاعة الدرس، وذلك كله عوامل يسرت علينا الانشغال بالعلم وتحصيله عن البحث فيما يجلب علينا السآمه ويسرب إلى نفوسنا اليأس من عظم المادة التاريخية المقررة.

أما فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ محمد الطيب النجار صاحب الترجمة فلقد قامت بينى وبين فضيلته أواصر المحبة ووشائج التلمذة وذلك عندما كلفنا ببحوث فى قضايا تاريخية فى عصر بنى أمية وأخذت شأن الطلاب شخصية تاريخية، أذكر شخصية «المختار الثقفى» وكان بحثا مختصرا، وأجهدت فيه نفسى وخاصة جمع الروايات وتحليلها ونقدها على ضوء ما سمعت ولقد ساعدنى فى دراسته كتاب خرج عنه فى سلسلة أعلام العرب وكان ثمنه آنئذ خمسة قروش فأعاننى هذا الكتاب وغيره من المراجع وهى متعددة على هضم البحث حتى استوى على قواعده ثم قمت بتسليمه للشيخ ـ رحمه الله ـ وكان يهجس خاطر فى داخلى أن البحث ذهب إلى مصير الإهمال وليس لدىّ نسخة منه فلم يكن التصوير سهلاً مثل اليوم.

ثم بعد مدة زمنية غير طويلة وعلى غير ما كنت أتوقع رأيت الشيخ يسأل عنى وكان موقفا طريفا، ففى ذات يوم قابلت الشيخ وأنا واقف

على باب قاعة الدرس فسلمت عليه وصافحته ثم سألني:

ـ محاضرتي عندكم الآن؟

ـ قلت له: نعم

ـ فقال لي: هل أنت معنا في هذه القاعة؟

ـ فقلت له: نعم

ـ فقال لي: هل تعرف طالبا اسمه ـ ثم أخرج ورقة من جيبه وقرأ الاسم ـ محمد إبراهيم الفيومي فتبسمت.. وقلت له: هو أنا فشد من يدى فاضطربت نفسي ثم قال لي: لا تخف، بعد أن تفرسني بنظارته، يا بني: إنك كتبت بحثا ممتازا، ومن إعجابي به أعطيته لزميلي الشيخ مصطفى النجار والشيخ عبدالحميد بخيت فأعجبنا به جميعا ـ ورأيت من الأصوب أن أتعرف عليك لأني رأيت فيك مستقبلا طيبا فبارك الله فيك ثم عرفني على زميليه وكانت بداية علاقة طيبة قامت بيني وبينهم جميعا وظللت وفيا لهم، حريصا على اللقاء بهم حتى عرفوني منذ كنت طالبا حتى أصبحت عضوا من أعضاء هيئة التدريس بذات الكلية، ثم توطدت العلاقة بيني وبين فضيلة الشيخ محمد الطيب النجار حتى اختارني في فترة رئاسته للجامعة، عميدا لكلية الدراسات الإسلامية والعربية وشاءت الأقدار أن أسكن بجانبه، وأخرج معه كل مساء متريضا ونشد معا أطراف الأحاديث في قضايا شتى، وللحديث شئون وشجون، في رواحنا وغدونا، وكنت حريصا على ملازمة الشيخ في تريضه فكانت لدى مجالس علم وإثارة للخواطر، وتنشيطا للجسم.

وحين أهديته كتابي: «تأملات في أزمة العقل العربي» في طبعته الأولى قرأه مرة بعد مرة ثم علق عليه بقلم رصاص ثم قرأ عليّ ما علق عليه تعليقا جميلا وددت حين سمعته أن يكون مقدمة للكتاب ساعة طبعه.. ثم دارت الأيام دورتها ومرت سنون تسع حتى كانت حرب الخليج بين العراق والكويت فكتب الأستاذ الكبير أحمد بهجت في صحيفة الأهرام في بابه: صندوق الدنيا عن ذلك الكتاب وقال: الآن بعد تسع سنوات على صدور كتاب الدكتور الفيومي وقد حذر فيه مما وقعنا فيه اليوم.. إلخ فرح الشيخ بذلك التعليق ـ وكان قد نفذت الطبعة الأولى ثم أخذت في إعداده للطبعة الثانية ثم كلمت فضيلة الشيخ مذكرا فضيلته بتعليقه المكتوب بالرصاص أن يكون مقدمة للطبعة الثانية فسرح بذهنه بعيدا ثم قال: أود قراءته مرة ثانية لأني لا أذكر أين الكتاب من المكتبة فازددت فرحا فأعطيته أصول ما أعددته لدفعه إلى المطبعة فقرأها ثم كتب المقدمة وأعطاها لي لدفعها إلى المطبعة وخرج الكتاب بالمقدمة على ما تمنيت، ثم سافر الشيخ إلى أمريكا في رحلة علاج وكانت رحلته إلى الله وبقيت المقدمة آخر ما خطت يمينه رحمه الله.

وأما عن منهج الشيخ ـ رحمه الله ـ في كتابة التاريخ: فإنه قد فرغ نفسه للعلم والبحث والدراسة في قضايا التاريخ والقضايا الدينية والدعوة الخالصة إلى الله بقوله وسلوكه وعلمه وعمله وهو في كل كتاباته التاريخية وغيرها: لم يكن يقصد من تأليفها إلا بيان الحقيقة ناصعة نزيها في بحثه، قاصدا قوله اللباب.



وهو ـ رحمه الله ـ إذ يعالج قضايا تاريخ بني أمية، وهو عصر مليء بالخصومات والعصبيات المذهبيات وهو فوق ذلك كله عصر الفتوحات الإسلامية، ووقع فيه خلط كثير، وانبهام الرأى الحق، فهو عصر حرج، وفترة زمنية عصيبة، من الصعب على الباحث أن يصل إلى رأى صواب، ما لم يكن متمرسا بقواعد المنهج التاريخي وإطالة النظر وقوة الحجة ودوام المراجعات في المصادر التاريخية مع تحل بالصبر والدأب على البحث بروية واصطناع الأناة.

لقد كان الشيخ صاحب الترجمة هو كذلك، فهو يذكر حوادث التاريخ ذكر القاضي الناقد، لا يعبأ أين تميل به الحجة، لأنه لا يقصد إلى نصر فئة على فئة ولا الدعاية لطائفة أو أنه من شيعة علي خارج على معاوية أو من شيعة معاوية خارج على الإمام إنما هو قاضي التاريخ فيذكر ما كان في الماضي، ويوضح ما فيه من المسائل، من غير أن تكون في نفسه مرارة من هذا، أو من ذاك، أو يكون في كلمه زيغ فهو إن رأى الحجة مع عليّ وإن رأى الحجة مع معاوية فهي مع معاوية وكشف عنها كشفا صريحا، وفي نفسه سرور الباحث عن الحقيقة إذا وفق إلى كشفها، إذ ليس في قلبه ما يسخطه على تلك الحقيقة اذا هي تبدت في جانب دون جانب.

وكان له ـ رحمه الله ـ فضل التعرض لبعض مفتريات التاريخ. وكانت شائعة عند بعض المعنيين بدراسة التاريخ يأخذونها تلقفا بغير تمحيص، وطالما كانت تلك المفتريات عضدا لمن أراد البغي على العرب: هاشميين أو أمويين، إذ يسوقها حجة عليهم وكان المظهر التاريخي الذي يبدو عليها يخدع بعض طلاب المعرفة عن حقائقها.

ولكن هذه الروح العادلة التي حدت به إلى نصرة الحق في جانب علي حدت به كذلك إلى نصرة الحق في جانب معاوية، فلم يحاول أن يخفي من فضائلها شيئا، أو يعكر من صفو سيرتها على مدار بحوثه وهي كثيرة فكان عادلاً في وصف الأفراد والجموع، ذلك كان جهاد الشيخ في سبيل البحث والمعرفة للوصول إلى الحقيقة وهو كما يقول: قصة هذا الصراع الرهيب قصة دامية، وأحداثه اليمة تكتنفها ظلمات متكافئة. ومن أجل ذلك يتحرج بعض المؤرخين المسلمين عن الخوض في التفصيلات الدقيقة لمثل هذه الموضوعات. ولكننا نجد من واجبنا الا نغمض عيوننا أمام هذه الأحداث، والا نضع أصابعنا في آذاننا، فالواقع الذي سجل أحداث التاريخ لا يمكن أن يرتفع، ولا ينبغي أن يزيف أو يحرف، وإنما يجب أن تلتمس من خلاله العبرة والموعظة الحسنة، فالعبرة دائما هي ضالة المؤمن، والهدف المرجو لكل عاقل، والمنارة الساطعة التي تضيء طريق الخير وتهدي للتي هي أقوم.

وما كنت أود كتابة تلك المقدمة لما تبعثه في النفس من كوامن الشجن وعميق الذكريات وألم الفراق لكنها هي سنة الله.

وبالله التوفيق.

# حديث في علوم الدين وعلوم الحياة




رد على مقال

للأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

عبر اتصال هاتفي سألني صديق فاضل عما إذا كنت قرأت مجلة (الهلال) الصادرة في أول يوليو سنة ٢٠٠١ كما يعرف عني، ولما أجبت بأن أمرا حيويا شغلني عن النظر فيها مؤقتا، أردف قائلا: أرجو أن تبدأ بما كتبه الدكتور صلاح قنصوه تحت عنوان (بحث في علوم الدين وعلوم الحياة)، وأنا في انتظار ما تراه فيه.

قلت: ابتداءً أقرر أن الدكتور قنصوه -كما تدل عليه كتاباته- مفكر على قدر من الذكاء والخبرة يستطيع بهما أن يدير حوارا، تراه في ظاهره أنه حوار يتسم بالعقلية الحرة، ولكنه -بذكائه وخبرته- يخفي تماما سطوته وقهره الذي يدفع متلقيه إلى التسليم بما يريد.

وأقرر -كذلك- أن كاتب العنوان خانه التوفيق؛ فعلوم الدين هي نفسها علوم الحياة، لأن الله تعالى مادام الإنسان إلا ليحيا في رغد الدنيا، ونعيم الآخرة، والتفرقة بين الدين والحياة ما عرفها المسلمون إلا من ثقافة الأوروبيين الذين كان الدين يمثل عندهم سيف الإرهاب الأعمى، وبطش الجهل الطائش، وسلطة الأثرة المستبدة؛ فما كان الدين عندهم إلا ستارا يخدع عامة الناس ويخضعهم لأفراد معدودين على أصابع اليد في كل أقليم.. أما ومجلة الهلال عربية، والكاتب مسلم فلا معنى إذن لذلك العنوان بتلك الهيئة، اللهم إلا أن تكون واو العطف لا تعني سوى التفسير، ولا تشير إلى اختلاف بين المعطوف والمعطوف عليه!

فعاد محدثي ليقول: الأمر يا صديقي أخطر مما يشير إليه العنوان، فما وجدت في المقال كله إلا كأسا شفافة ممتلئة بعسل نقي ولكنه مسموم، لا يكاد متجرعها يشك في سلامة محتواها.

قلت: يا صديقي ألا ترى أنك تطلب رأيي وتصادره في الوقت نفسه، وما عهدت منك هذا، بل إني أراك تسرعت في إصدار حكمك على مقال الدكتور، مخالفا نهجك المألوف الذي نلتقي عليه دائما، فليس لدي شك في أنك مازلت عند مانتفق عليه أنا وأنت من أن كلام المخلوقين وآراءهم تخضع لقبول المتلقين أو رفضهم، فيما عدا كلام سيدنا محمد ﷺ في محور الرسالة، لأنه ﷺ:

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾(١).

كما قرر ذلك ربنا - سبحانه وتعالى - في كتابه الكريم، فلك أن تقبل من كلام الدكتور قنصوه ما تقبل، وأن ترفض منه ما ترفض.

قال: لا خلاف حول ذلك فيما يتعلق بالكلام الذي لايتعارض مع ثوابت الحياة، لأني أعلم يقينا أن ما اتفقنا عليه لا يشمل مثل ما لو قال مخلوق: إن حلاق القرية -بإيمانه وملازمته المساجد، وممارساته بعض أعمال الطب- يضارع الطبيب المتخصص؛ فمثل هذا الكلام -وما أكثره- لا يصح بأي حال أن يقبله إلا سفيه أو جاهل اختلطت عليه الأمور، فظن أن إسلام الشخص يمكنه من كل ميدان، فلا يكون في حاجة إلى الدراسة المتخصصة.

فقاطعته قائلاً: وما علاقة ذلك بما نحن فيه؟ أم لعلك تشير إلى ما ذكره الدكتور قنصوه في تمثيله بالدكتور مصطفى محمود؟

قال: نعم أشير إلى ذلك.

قلت: ولكن الدكتور لم يكن هو الذي ذكر الدكتور مصطفى محمود، فقد ذكره به

---

(١) النجم (٢ : ٤).

محدثه، وقد حسم الدكتور فنصوه الموقف بما أجاب به محدثه من أن الدكتور مصطفى محمود لم يكن له أن يجتهد في الإسلام إلا إذا أعد نفسه بعلوم الاجتهاد في متغيرات الإسلام.

قال محدثي -في سخرية-: ما كنت أنتظر منك أن تخدع في عبارة الدكتور فنصوه التي اتسمت بما وصفته به من ذكاء وخبرة، لقد كنت أتوقع أن تشم ما شممته أنا ما في عبارة الدكتور من سخرية وتهكم ممن يشترط هذه الشروط فيمن يتصدى للاجتهاد في علوم الإسلام. ولا أدل على ذلك من حديثه عن الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم؛ فقد اختار هو ومحدثه هذه الجزئية بخصوصها من العلوم لينطلق منها بسخريته وتهكمه ممن يشترط فيمن يتصدى للاجتهاد في الدين امتلاء يده من علوم اللغة، والفقه، والقرآن ناسخه ومنسوخه، والحديث صحيحه وحسنه وضعيفه، إلى آخر سلسلة علوم الدين. حيث جعل محدثه يستوقفه عند الناسخ والمنسوخ بخصوصه ليقول هو فيه ما قال.

## لماذا الخلط في الكلام؟

وقبل أن ألفظ بالرد على محدثي واصل الكلام قائلاً: أهي علوم الدين وحدها -بالفهم الذي يرمي إليه الدكتور- هي التي تحوج إلى شروط يجب توافرها في المجتهد؟!

إن جميع العلوم الإنسانية -العملية والنظرية- يحوج كل منها إلى شروط مخصوصة يجب توافرها فيمن يتعرض للاجتهاد فيها، أو لنقدها.

أترى أن الدكتور فنصوه محق في دعواه أن ليس لأحد أن يتحدث في الإسلام دون أن يتزود بعلوم الدين التي يدرسها الأزهر الشريف، وليس لمصطفى محمود أو غيره أن يُحدث أمراً في الإسلام. ويصطنع الاجتهاد وهو فارغ اليد من العلوم المؤهلة لذلك؟!

ألم تلاحظ ما في عبارته من قصد الإثارة. بما قامت عليه من التلاعب بالألفاظ، حيث ذكر في مقدمة دعواه أن ضرورة التزود بعلوم التخصص تتناول كل من يتحدث في الإسلام -هكذا على وجه التعميم والإطلاق- ثم عاد فخص الأمر بمن يحدث أمرا في الإسلام، ويصطنع الاجتهاد؟ أم إن الدكتور فنصوه -مع قدراته وخبراته- لا يدرك الفرق بين من يتحدث في الإسلام ومن يحدث أمرا في الإسلام ويصطنع الاجتهاد.. ولذلك صاغ عبارته تلك خالي الذهن مما يعنيه هذا؟!

قلت: يا أخي لقد أبعدت وكدت تخرج في ملاحظاتك عن لب الموضوع!

فقاطعني صائحا: إني ما تزحزحت قيد أنملة عن موضوعنا. إن أحدا لم يضع أي قيد على أي مسلم يتحدث في الإسلام؛ فلكل مسلم أن يدعو أخاه المسلم إلى الصلاة، وإحسان الوضوء، والصبر على الشدائد، والتمسك بآداب الإسلام، فإذا أراد واحد أن يتوجه إلى أعماق الإسلام، ويستحدث حكما في أي شأن من شئونه، معتمدا على نظره واجتهاده أصبح عليه أن يتزود لذلك بالعلوم التي تؤهله لمثل هذا التوجه، فالفرق بين من يتحدث في الإسلام ومن يحدث أمرا



في الإسلام ويجتهد فيه كالفرق بين من يمتهن البناء الذي يتحدث عن المبنى، واتساع حجراته، وتوافر مرافقه، وبين مهندس البناء الذي يحدث في الأساس تعديلا، أو يدخل على تصميمه جديدا، وهو كالفرق بين المريض الذي يحدث المريض عن ضرورة تنفيذ تعليمات الطبيب، وتناوله الدواء الذي وصف له، وبين من يتصدى لتشخيص الداء، وتحديد الدواء، أو استبدال دواء بآخر، أو تغيير طريقة تناوله، ومواعيده .. إلخ كل ذلك. ولكن الدكتور قنصوه -كما ترى- خلط بين الاثنين في أمور الإسلام، فسوى بين من يتحدث في الإسلام، ومن يحدث أمرا في الإسلام ويجتهد فيه. فهل ترى أن عدم توفيق الدكتور في التعبير هو الذي ساقه إلى ذلك الخلط، أم إن ذلك يرجع إلى جهله الفرق بين الحالين، أم هو يعرف ذلك الفرق، ولكنه قصد التشويش والتشكيك عن طريق التلاعب بالتعبير ليصل إلى غاية من الغايات التي يبتلى بها الإسلام والمسلمون هذه الأيام؟!

## المقصود بالنسخ إسلاميا

قلت لمحدثي: في الحقيقة لقد شغلت بأمر آخر عن تلك الملاحظة، التي لا أملك إلا أن أضم صوتي إلى صوتك في تساؤلك، وإلا أن أعتذر إليك بأن ما ذكره الدكتور قنصوه في شأن النسخ كان أقوى تأثيرا في جذب انتباهي!

قال: تعني ذلك الثوب الساخر الذي غلف به الدكتور عبارته وهو يحبب محدثه حول النسخ فقال: «والغريب أن المنسوخ في نظرهم -يعني طبعا علماء الأزهر- هو كل ما يتعلق بالصبر والرحمة، والمعاملة بالحسنى، وغيرها من هدى القرآن، ويزعمون أنها نسخت بما يسمونه آية السيف»؟

فأجبت محدثي: نعم. فلقد رأيت الدكتور قنصوه -في تعبيره عن النسخ- قد صدر عن فهم خاطئ للنسخ، بل عن عدم معرفة بأصل النسخ، فظن أن النسخ مادة تدرس لطلاب الأزهر ليحفظوها، يقسم فيها القرآن إلى محكم، وناسخ ومنسوخ (أي ملغى).

ولو أن الدكتور قرأ قول المولى سبحانه:

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢).

لعرف أن دراسة النسخ وما يتعلق به ليس من اختراع الأزهر ومناهجه. ولكن النص القرآني هو الذي فرض على كل من يسعى للتخصص في الدراسة القرآنية أن يقف عليه في أبعاده، ويتعرف على المقصود بالنسخ المذكور.

ولو أن الدكتور قنصوه لم يقف عند السطح القريب للناسخ والمنسوخ لعرف أن النسخ مصطلح علمي إسلامي تجاوز الإطلاق اللغوي، ولحفظ نفسه من الوقوع فيما وقع فيه بعض محدودي المعرفة ممن اتصلوا بالقرآن، وبعض من

---

(٢) البقرة / ١٠٦.



قادهم فكرهم المشوش عن الله تعالى؛ فالنسخ -بالتعبير البسيط الواضح- في الاصطلاح الإسلامي يعني: التدرج الإلهي بالحكم في المتغيرات وفق الأطوار البشرية . وتغير حاجاتها مع إحكامه في الأصول العقدية . ومن هنا جعل رسله ورسالاته ناسخة لما قبلها، فيما يوائم أمة من حكم المتغيرات قد لا يوائم من سبقها أو من يأتي بعدها، على ما ترى في نحو قوله تعالى:

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾(٣).

حيث حرم الذين هادوا أجزاء من ذبيحة البقر والغنم، ثم أباحها لغيرهم . وكما في قوله تعالى:

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾(٤).

حيث حرم عليهم العمل في يوم السبت وأباحه لغيرهم . وكذلك الحال بالنسبة للأمة الواحدة، فإن حكمة الله ورحمته بعباده، وعلمه بحاجات كل طور من أطوار حياتهم . إلى غير ذلك، كان وراء التدرج فيما ألزمهم به من تشريعات، فمع طور الضعف في بداية الدعوة لم يكن ليأمرهم بقتال من يقاتلهم، فكان الأمر بالصبر على الإيذاء والاحتساب، حتى إذا كان طور القوة النسبية جاء الإذن بدفع القتال بالقتال، ومواجهة السلاح بالسلاح . وكذلك الشأن بالنسبة لتخليصهم من السلوكيات التي تمكنت من الناس في الجاهلية، حيث اقتضت الحكمة الإلهية أن يسير التشريع في تخليصهم منها على أساس التدرج، كما ترى في الخمر والميسر اللذين تمكنا من الجاهليين، فلم يشأ أن يأتي الحكم التحريمي لهما باتا من أول الأمر، ولكنه تدرج بهم من الكشف عن أخطارها، إلى النهي عن الصلاة في حال السكر، إلى تبيان دور الشيطان في استغلال الخمر والميسر لإفساد الإنسان وما يلزم عن ذلك من وجوب اجتنابها . ومن هنا جاء قوله تعالى ابتداء:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ﴾(٥).

ثم قوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾(٦).

ثم انتهى بهم إلى قوله تعالى:

---

(٣) الأنعام / ١٤٦.

(٤) النساء / ١٥٤.

(٥) البقرة / ٢١٩.

(٦) النساء / ٤٣.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (٧).

والأمثلة على ذلك لا يمكن حصرها في مقال.

ولتقريب أمر النسخ -بالمفهوم الإسلامي- إلى الأذهان، نُذكِّر بما يسلك اليوم مع مدمن المخدرات من التدرج في السماح له بتعاطي جرعة صغيرة من المخدر لمدة من الزمن، ينتقل منها إلى جرعة أصغر، ثم إلى التحريم الكامل. كما نذكِّر بما يسلكه الطبيب مع المريض في الانتقال به من دواء إلى دواء، والتدرج بالدواء الواحد من جرعة إلى جرعة، حيث ينتهي به إلى التوقف تماما عن تناوله، فمع أن هذا المسلك البشري يماثل النسخ في المفهوم الإسلامي تقبله الدكتور وغيره، دون أن نلمس رنة سخرية من الطبيب، أو نسمع تعليقا متهكما، بل دون أن يخالجه شك في قدرة الطبيب، وسلامة تذكره الدواء.. بل على العكس فإن ذلك يُعد من مظاهر تمكن الطبيب، واقتداره، وسعة علمه. أما مع القرآن الكريم فقد لُبِّس إبليس الأمر على الكثيرين فتوهموا أن مثل ذلك لا يصح من الله تعالى، وهو العليم الخبير؛ لما يعنيه -في وهمهم- من خشية وصف الله تعالى بالجهل، أو بالتناقض، إذ كيف يأمر بشيء، ثم ينسخه ويلغيه؟!

قال محدثي: إذن فهذا الوهم هو الذي دفع الدكتور فنصوة إلى أن يقول: «كما أن المنطق البسيط ينكر علينا أن نعتقد أن الله يعدل عن حكم إلى آخر، وهو العليم الخبير».



د. مصطفى محمود

قلت: نعم.. ومن هنا يتبين ضرورة أن يملأ الدارس يديه من علوم اللغة، والفقه، والقرآن، والحديث؛ فلو ملأ الدكتور يديه من هذه العلوم لما وقع فريسة هذا الوهم الفتاك.

## السنة النبوية بين التطبيق والتدوين

قال محدثي: على فرض التسليم معك بأن الدكتور فنصوة كان فريسة عدم التمكن من علوم القرآن، أو فريسة الوهم الناشيء عن الخطأ غير المقصود فيما ضمنه مقاله، فهل كان ذلك وراء خلطه بين جمع الحديث النبوي، وبين استنباط الأحكام الفقهية منه، أم تراك توافقه على ذلك الخلط؟

ثم واصل حديثه -في حدة-: إن همّ الدكتور فنصوة أن يتلمس الحجة لموقف الدكتور مصطفى محمود بأية وسيلة، ثم لا

(٧) المائدة / ٩٠-٩١.

بهم ما قد ينشأ عن ذلك، ولذلك لم تجد مانعا لديه من أن يشكك - أن يتقبل التشكيك - في صحة السنة النبوية، حتى يحقق مقصوده، فلجأ إلى أسلوب الخداع والتلاعب بالألفاظ، فخلط بين جمع الحديث النبوى وبين استنباط الأحكام الفقهية منها، ليوظف موقف الإمام مالك بن أنس مع أبى جعفر المنصور، حين طلب منه أن يصنف كتابه ميسرا موطأ فى الفقه يجمع به المسلمين على رأى واحد. فرفض الإمام مالك ذلك، وليستشهد الدكتور بذلك الموقف المالكى على أن السابقين فى جمع الأحاديث وبيان السنة لم يكونوا على يقين ثابت مما صنعوا. وبالتالى فلا يحق لأحد أن يرفض شك الدكتور مصطفى محمود أو تشكيكه فى بعض الأحاديث النبوية، مستندا إلى ما ظنه تعارضا مع القرآن الكريم.

قلت: مع رفضى هذه الحدة فى الحديث، أقول: لا تنس أن النية محلها القلب، ولا يطلع عليها غير الله سبحانه، فإذا كنت ترفض مقولة الدكتور -وأنا أوافقك على الرفض- فلا يحق لك أن تصنع صنيع الآخرين فى الوصم بالتهم المطلقة.

إن مالك بن أنس -وليس أنس بن مالك كما جاء فى مقال الدكتور- ما رفض جمع الأحاديث النبوية، وإنما رفض أن يجمع الناس على ما استنبطه هو من أحكام فقهية استمدها من القرآن الكريم والحديث النبوى.. وهو ما رفض مطلب المنصور إلا لأنه وغيره من الأئمة كانوا على يقين ثابت أن قدرات البشر تتباين فيما تستنبطه من الأحكام، بل إن رؤية الواحد اليوم قد تختلف عن رؤيته فى الغد أو فى مكان آخر، فلا يصح أن يجمع الناس على رؤية واحدة. هذا فى شأن الأحكام المستنبطة.

أما فى شأن الحديث النبوى فإن من نهضوا لجمعه كانوا خاضعين لقواعد مخصوصة استصحبوها فى أثناء التنقل وراء الرواة، ولذلك التزموا بنسبة كل حديث إلى راويه ليبرئوا ذمتهم، وليوفروا للآخرين فرصة التنقيب وراءهم والتحقيق من صدقهم، وسلامة نطقهم، وصحة إدراكهم، وقوة حفظهم.. إلى غير ذلك من الشروط التى فرضوها فى قبول الرواية، حتى لقد ابتكرت علوم تمكن الباحثين من ذلك، مثل علوم الجرح والتعديل التى تبحث فى تاريخ كل رجل من رواة الحديث، وتضعه تحت منظار مكبر، تكشف من خلاله حقيقته وسجاياه، لكى يطمئنوا إلى صحة ما يروونه منسوبا إلى رسول الله ﷺ.

وهذا يعنى أن الدكتور قد جانبه الصواب حين جمع بين النشاطين عليهما معا عدم تيقنهم من ثبات ما قدموه، بينما الذين لم يكونوا متيقنين مما قدموه هم الفقهاء. أما علماء الحديث وجامعوه فلم يكونوا كذلك -على إطلاقه- خصوصا أئمة الحديث من أمثال مالك، وابن حنبل، والبخارى، ومسلم، وأبى داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، فقد بذلوا أقصى جهدهم فى التعرف على سلسلة الرواة الذين نسب إليهم كل حديث، مع ذكر القواعد العلمية التى التزموها فى نقد كل راو على حدة، مخلفين وراءهم ما حصلوه من الأحاديث، فاتحين بذلك باب النقد واسعا أمام كل من يملك قدرة النقد على كل المستويات

النقدية، من نقد الرجال -بجرحهم أو تعديلهم- ونقد النصوص، بمقابلتها بالنص القرآني، وبما قد يوافق أو يعارض مما ينسب إلى رسول الله ﷺ.

ومع كل ذلك، فعلي التسليم بجواز أن يقع أحد المجتهدين في الخطأ، فيأخذ الحديث من طريق معيب، فليس في مقدور أي شخص أن يصدر في صحة الحديث حكمه بحجة أنه مسلم حسن الإسلام، أو أنه طبيب ناجح، أو اقتصادي بارع، أو سياسي محنك، وإنما لذلك الدور رجاله المتخصصون الذين يتقنون نقد الكلام، والتعرف على صحيحه من مكذوبه أو ملفقه، بحيث يستطيع أن يعيد النظر فيما رواه هؤلاء الأئمة الذين أخلصوا أنفسهم للتنقيب وراء الصحيح من حديثه ﷺ، سواء كان ذلك الناظر دكتورا أو غير دكتور، حتى لو كان هذا الدكتور هو مصطفى محمود، أو صلاح قنصوه.

أي إنه على من يتصدى اليوم -أو أمس أو غدا- لنقد الحديث النبوي أن يملأ يديه من العلوم المؤهلة لنقد الحديث؛ فالنقد في هذا الميدان شأنه شأن النقد في الميادين الأخرى -من علوم طبية، واجتماعية، وفلسفية، وسياسية، واقتصادية- يتطلب من الناقد أن يملأ يديه من العلوم المؤهلة لنقد ما يتوجه لنقده.

## الخلط بين عالم الدين ورجل الدين

قال محدثي: إن ما دفعني إلى ما لاحظته عليّ من الحدة هو علمي أن مثل الدكتور قنصوه مسئول عن كل ما يصدر منه؛ فأنا متفق معك تماما في ترك نوايا البشر وما تكنه ضمائرهم لخالق الجميع، فهو وحده الذي يعلم ذلك، كما أنني وأنت لا نوافق بعض المتعجلين في إصدار الأحكام على الآخرين بالكفر أو الإلحاد أو غير ذلك من النعوت.

ولكن ألست معي في أن ما يصدر عن هؤلاء من نعوت الكفر والإلحاد يضارعه تماما ذلك الذي يصدر عن الآخرين مثل الدكتور قنصوه ومحدثه من أحكام ونعوت لعلماء الأزهر المتخصصين حين يؤدون دورهم الذي أناطته بهم الدولة في نطاق الدستور الذي ينص على أن دين الدولة هو الإسلام، وأن شريعة الإسلام هي مصدر القوانين، حيث يضيق بعض الناس -على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم- بسماع صوت الإسلام أو حكمه في أي أمر من الأمور العارضة، اذكر نحو قوله تعالى:

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾(٨).

قلت: يا أخي أنا متفق معك تماما في ذلك، خصوصا أن أحكام هؤلاء المتصدين لعلماء الأزهر، لا تقوم على سند من الحقيقة ولا من الواقع، فهم حين يتصدون لعلماء الأزهر يجمعون كل من انتسب إلى الأزهر في حزمة واحدة، ثم يصدرون عليها حكمهم بأنهم يماثلون رجال الكنيسة في العصور الوسطى، مما

(٨) الزمر / ٤٥.

كان لهم من دور غاشم يقبضون به على شتى مناحي الحياة في البلاد، حتى الملوك والأباطرة.

١- مغمضين أعينهم أولاً عن أن علماء الأزهر ليسوا كلهم على مستوى واحد من العلم؛ فهم درجات في تمكنهم العلمي، كالشأن في غيرهم من دارسي فروع العلم المختلفة، إذ ليس جميع من تخرجوا في كلية الطب على مستوى واحد، ولا مستوى متقارب، وكذلك دارسوا التجارة، والهندسة، والصيدلة.. إلخ؛ فمنهم من يقف عند حدود السطح، ومنهم من يتعمق بعض الشيء، ومنهم من يصل به التعمق العلمي إلى درجة التخصص الدقيق، فيصبح مؤهلا لأن يرجع إليه عند الحاجة إلى بيان أو فتوى... ومن هنا تراهم يسارعون إلى رفض السعي لمعرفة رأي الإسلام في أمر ما، بحجة أن من بين خريجي الأزهر من يكفرون الآخرين، ويحاسبونهم على نواياهم؛ فكانوا مثل ذلك الرجل الساذج الذي أضير من خطأ طبيب ممارس، فانطلق يصب لعناته على كل من ينتسب إلى مهنة الطب، ويحذر الناس من الرجوع إلى طبيب.

٢- ومغمضين أعينهم -ثانيا- عن أن مجمع البحوث الإسلامية ليس مقصوراً على النخبة من علماء الأزهر، ولكنه مكون من متخصصين من العلماء في شتى وجوه المعرفة: من طب، وهندسة، واقتصاد، وفلسفة، واجتماع، وقانون، إلى جانب جمع من علماء الإسلام على اختلاف انتماءاتهم، وليس من الأزهر وحده كما يوضح ذلك قانون الأزهر ومؤسساته وكما يقرره الواقع الماثل. وما كان على الدكتور فتصوة ومحدثه إلا أن يرجع إلى تلك المصادر ليعرف الحقيقة.

٣- ومغمضين أعينهم -ثالثا- عن الفرق بين الفتوى، والحكم القاضي، والفعل النافذ، حيث خلطوا بين هذه كلها عندما يستفتى مجمع البحوث، أو غيره من المتخصصين في علوم الدين؛ فما يقبلونه في ميدان الطب مثلا عندما تثور الشبهات أو الشكوك في مصاب المريض، فيلجأون إلى جمع من نطس الأطباء ليقوموا بفحص المريض، ثم يدلي كل واحد بدلوه، ليصلوا إلى رأي قريب من الصواب.

فما يقبلونه في هذه الميادين يرفضونه في ميدان علوم الدين، بل يخيل لهم الوهم أن تلك الفتوى في العلوم الدينية تعني وصاية من تستفتيهم، أو تعني العودة إلى استبداد رجال الكهنوت الذي سيطر على أوروبا جميعها في العصور الوسطى.

وهنا قاطعني محدثي قائلا: وم تنعت ذلك منهم؟

قلت: هي الغفلة أو الوهم، أو التقصير في البحث والنظر.. من كل ما يحتاج منا إلى التبصير والتبيان الكاشف، والدعاء الخالص أن يبصرنا الله ويبصرهم بالحق، ويهدينا ويهديهم سواء السبيل.







# كارل بروكلمان وبحوثه عن الإسلام

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

**ينقسم العرب حين يتحدثون عن المستشرقين عادة ثلاثة أقسام، قسم واضح فى عداوته للمستشرقين والحط من قدرهم والإزراء بما أنتجوا من مؤلفات تتصل بتراث المسلمين. وقسم ثان فخور بهم يثنى خيرا على ما أسدوه من خدمات، ويدافع عنهم بحماسة واضحة. وقسم ثالث يصطنع لنفسه الموضوعية والحياد. فهو معهم ما أحسنوا، وهو ضدهم إذا بدا لهم منهم ما يريبه.**

**ولست أشك فى أن أسباب كل موقف من هذه المواقف الثلاثة أسباب انفعالية عاطفية، حتى الفريق الثالث الذى يريد أن يوحى لنا بأنه متعقل يزن الأمور بميزان العدل والحيدة، ليس فى نظرنا سوى إنسان يريد أن يحاكم إنتاج الآخرين على حسب ما يراه هو صوابا أو خطأ. ثم إن هذا الفريق الثالث يمثل فى رأينا نوعا من التميع والضبابية ورمادية الرؤية وامعية الفكر. وإنما الموقف الصحيح فى رأينا أن يكون للمسلم موقف صارم حازم حاسم واضح، إما معهم أو عليهم. أن نقبل كل ما يكتبون، أو نشك فى كل ما يكتبون ونعلوه بمعاول النقد العلمى الصريح الذى لا مداراة فيه.**

وممن دافعوا عن المستشرقين بحماس، وإذا أشاروا إلى تعصبهم أشاروا إشارة هينة لينة، المؤرخ الراحل الدكتور حسين مؤنس وفيما يلى نقتبس فقرة تعكس النموذج الذى يمثله موقفه من المستشرقين، يقول د. حسين مؤنس: [ مجلة العربى الكويتية، العدد ٦٦، مايو ١٩٦٤ ] «فمنذ زمن بعيد وتقر ممن لا يقرأون الكتب الغربية فى لغاتها يصرون على أن كل ما كتبه المستشرقون عنا تحامل وعصبية، حتى ثبت في أذهان بعض قرائهم أن كل مستشرق عدو.

وهذه فكرة خاطئة، فإن الكثيرين جدا من المستشرقين منصفون، وقد قالوا الحق كما تصوروه.

حقيقة هناك ناس متحاملون من أمثال لويس استبرنجر وهنرى لامانس والأب زويمر ومن إليهم، ولكن إلى جانب هؤلاء هناك علماء أجلاء لا يستطيع الإنسان إلا تقديرهم واحترامهم، وإذا وجد المسلم فى كتاباتهم ما لا يرضيه فليس من الضرورى أن يكون ذلك صادراً عن سوء نية، بل هذا هو الحق كما رآه، وما دام قد صدر فيما يكتبه عن إخلاص فنحن نحترم رأيه وإن لم يرضنا».

فانظر إلى الدكتور مؤنس كيف يهون من شأن مغالطاتهم ويصفها بأنها «قد لا ترضينا» ثم يستأنف إشادته بهم فيقول: «ولا ننسى كذلك أن أولئك المستشرقين خدموا لغتنا وعلومنا خدمات جليلة، ويكفى أننا تعلمنا منهم تحقيق النصوص ونشرها، وطريقة البحث العلمى الصحيح على أساس

من النصوص، ومهما كان في آرائهم مما لا يرضينا فهي آراء لا تنقص من قيمة الخدمة التي قاموا ويقومون بها ».

وإذا أمعنا في البحث عن رأى الدكتور مؤنس في كارل بروكلمان شخصيا بوصفه واحدا من أهم المستشرقين الذين لقيت أعمالهم رواجا عظيما بين المثقفين العرب على اختلاف مشاربهم، وجدنا له مقالا كاملا اختص به كارل بروكلمان ونشره في مجلة العربي الكويتية أيضا ( العدد ١٣٩ الصادر في يونيو ١٩٧٠ ) وقد قدم لهذا المقال على مدى صفحتين موجزا رؤيته التي أشرنا إليها من المستشرقين بعامة. ثم انتقل إلى الحديث عن بروكلمان وموقعه بين المستشرقين فقال:

« وفي مقدمة أولئك الأفذاذ الذين قدموا للدراسات العربية في العالم أجل الخدمات كارل بروكلمان Carl Brockiman الذي أكمل سلسلة معاجم أسماء الكتب والمؤلفين العرب وتراجم حياتهم وأهم مؤلفاتهم. لقد اشترك في كتابة هذه السلسلة أعلام من أمثال ابن خلكان وياقوت الحموى وابن النديم وحاجي خليفة، ثم جاء هذا الألماني الفريد فأربى على كل ما فعله غيره، فإن أولئك الذين ذكرناهم آنفا كتبوا عن أهم « المؤلفين والمؤلفات »، فجاء بروكلمان وكتب عن « كل » المؤلفين والمؤلفات، أي أنه عمد إلى الاستيفاء والشمول، وهذا هو المطلب العسير، لأنك إذا قلت إنك ستذكر « أهم » المؤلفين فتحت لنفسك بابا واسعا للاعتذار عن النسيان وتبرير السهو، أما إذا قلت « كل » المؤلفين فقد ألزمت نفسك بالإحصاء الشامل وأقفلت على نفسك باب الاعتذار والتبرير ».

وبعد أن لخص الدكتور مؤنس لقارئه حياة بروكلمان انتقل للحديث عن كتابه الخطير ( تاريخ الأدب العربية ) فأوسعه إشادة وتقريظا وحمدا ومدحا. ولم يبد أية ملاحظة تغض من قدر الكتاب على رغم ما فيه من مطاعن اتضحت فيما بعد للدارسين المنصفين.

على أن حديثنا في السطور القادمة لن يتجه إلى كتاب بروكلمان الضخم ( تاريخ الآداب العربية ) وإنما سنخصصه لكتاب آخر لا يقل خطرا عن تاريخ الأدب العربي وهو كتاب ( تاريخ الشعوب الإسلامية ) وهو كتاب شديد الخطر حقا، لأسباب كثيرة منها ما يمثله مؤلفه من مكانة مرموقة كما أشرنا آنفا، ومنها ضخامة حجم هذا الكتاب فطبعته العربية التي بين يدى الآن تقع في نحو تسعمائة ( ٩٠٠ ) صفحة وهي الطبعة الثانية عشرة منذ الطبعة الأولى التي صدرت عام ١٩٤٨. وقد نقله إلى العربية الأستاذان نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي ونشرته دار العلم للملايين ( البيروتية ).

وقد أشار المترجمان في مقدمة الطبعة الأولى إلى ما يمثله الكتاب من أهمية متجها نهج د. مؤنس في رفع شأن الكتاب وصاحبه، ثم قالا وهما يهونان من شأن دسائس بروكلمان بأسلوب فيه لين واسترخاء:

«وإذا كان في الكتاب بضعة آراء [ لاحظ استخدام: بضعة ] خاصة بالمؤلف تتنافى أحيانا [ لاحظ استعمال: أحيانا ] مع وجهة النظر الإسلامية، فقد عهدنا بالتعليق عليها إلى زميلنا الدكتور عمر فروخ أستاذ الفلسفة في كلية المقاصد الإسلامية في بيروت . . ولسنا في حاجة إلى القول إن هذا لا يفيد، بالضرورة، موافقتنا المؤلف على آرائه الباقية جميعا. لأننا لم نستهدف بالتعليق إلا تلك الآراء التي تتصل بحياة الرسول ﷺ وتعاليم الإسلام».

وقد ظن المعربان الفاضلان أنهما بهذا النص الهين اللين قد ضمنا براءة ساحتيهما من موافقة المؤلف إذا جد الجد، ووضح أن المؤلف يدس السم في الدسم، كما أنهما أوضحا أن اهتمامهما بأمر المراجعة التي وكلاها إلى الدكتور عمر فروخ، قد انصب على حياة الرسول ﷺ وتعاليم الإسلام.

والواقع أن في الكتاب مآخذ شديدة الخطر، لا نزعم أن الدكتور عمر فروخ لم يلتفت إليها، ولكن بقاءها في الكتاب إلى اليوم على حالها دون تعليق، أمر يستثير حفيظة كل مسلم غيور، من الباحثين المدققين.

وفيما يلي سنذكر مجرد نماذج مما نرى أنه مطاعن لا يسوغ السكوت أمامها. فقد يؤخذ بها أشباه الباحثين من الأجيال الجديدة من طلاب العلم ويتقبلونها على علاتها دون تمحيص لا لشيء إلا لأنها صادرة عن ( طوطم ) كبير اسمه: كارل بروكلمان.

- التشكيك في المكانة الاجتماعية للهاشميين:

من المسلم به بين المؤرخين -عربا وعجما- أن زعامة قريش قبيل البعثة المحمدية كانت لبني هاشم بعد محاكمة شهيرة قضى فيها كاهن خزاعي لهاشم [ واسمه عمرو العلاء ] بسدانة الكعبة بعد أن نازعه إياها أمية بن عبد شمس ابن أخي هاشم الذي خرج إلى بلاد الشام ثم لابنه عبدالمطلب من بعده، ولا يخفى على أحد أن تلك المهمة كانت هي موئل الشرف، وسر الزعامة التي انعقدت للهاشميين.

تلك حقائق لا ينكرها إلا من كان في قلبه مرض أو في نفسه غرض، فما موقف بروكلمان من تلك الحقيقة التاريخية؟

إنه يقول في كتابه ( تاريخ الشعوب الإسلامية ) ( ص ٣٤ ): «وليس يبدو أن عشيرة، هاشم، قد لعبت دورا على شيء من الامتياز في مكة» وهل هناك امتياز في عرف العرب، أيها المستشرق المتعصف!! أكبر من سدانة الكعبة؟.

وقد قال بروكلمان كلمته تلك في سياق فقرة طويلة شكك فيها في كل شيء: في تاريخ ميلاد النبي ﷺ حيث رجح تأخره عما هو معروف لدى المؤرخين من أن مولده الشريف كان نحو عام ٥٧٠ من ميلاد المسيح عليه السلام. متبعا في ذلك سنن الأب هنري لامنس المعروف بتعصبه وقد رد عليه العلامة عمر فروخ في تعليقه على هذه النقطة فقال:

وكانت ولادة محمد رسول الله عام ٥٧٠ - ٥٧١ للميلاد على وجه التقريب ولكن لم تكن بعثه ذلك بزمن طويل. والاب هنرى لامنس اليسوعى قد حاول أن يؤخر ذلك عشر سنوات حتى ينقض القول الشرعى الذى يقول إن محمدا بعث على رأس الأربعين من عمره ويخرج إلى القول إنه ما دام الأنبياء يبعثون على رأس الاربعين ومحمد قد صدع بالدعوة على رأس الثلاثين فمحمد ليس نبيا. ولامنس غير ثقة فى البحوث الإسلامية لأن غايته الدس لا البحث عن الحقيقة. وبلام بروكلمان على الأخذ برأى لامنس، فلامنس معروف فى أوربا بهذه النزعة».

كما شكك فى الحالة المالية لعبد الله بن عبدالمطلب وفى حالة أسرته بوجه عام دون أن يسوق على ذلك دليلا واحدا، وفيما يلى نص فقرته:

«ولسنا نعلم علم اليقين السنة التى ولد فيها النبى، والمشهور أن ولادته كانت حوالى ٥٧٠، ولكن الذى لاشك فيه أنها متأخرة عن ذلك بعض الشىء، وليس يبدو أن عشيرته هاشم، قد لعبت دورا على شىء من الامتياز فى مكة. والواقع أن الروايات الإسلامية قد سعت إلى أن تحيط النبى بهالة من التمجيد منذ اللحظة الأولى، ولكن هذا لا ينفى حقيقة مقررة، وهى أن أسرته كانت تعانى فى الحقبة التى ولد فيها ظروفا قاسية جدا. والمعتقد أن والده عبدالله بن عبدالمطلب كان تاجرا صغيرا».

## تزويـــر التاريـــخ

وفى حديثه عن غزوة تبوك يتعمد بروكلمان تزوير التاريخ فيقول فى سفه ظاهر: «ولم يقدر لمحمد نفسه أن يخوض غمرات القتال من جديد إلا مرة واحدة. وذلك بأن الهزيمة التى أنزلها البيزنطيون بجيوشه، فى مؤتة، ظلت على كل حال بلا ثأر. ومن هنا أمر أصحابه، فى أشد أيام الصيف قيظا من سنة ٦٣٠، بأن يحملوا على البيزنطيين. ولسنا نعرف على اليقين ما الذى دعاه إلى انتهاج هذه السبيل فى ذلك الوقت بالذات. فقد يكون قصد إلى أن يشغل أتباعه المدنيين الذين كانوا لا يزالون فى حال من عدم الارتياح بعد توزيع غنائم حنين. ولعله كان يرجو إخضاع ما بقى من نصارى العرب، الذين كانت بيزنطة من ورائهم، تمدهم وتساندهم. ثم إنه خرج بجيش عظيم يبلغ عدد رجاله ثلاثين ألفا ووجهته الشمال، حتى إذا بلغ تبوك، وهى واحة تزهو بما ينبت فيها من حنطة ونخيل، قرب الحدود البيزنطية، توقف بعد أن نال منه الجهد، واستشعر وطأة السن العالية، ولعله اقتنع بأن خطته للهجوم على الروم أمست غير ذات غناء. وهناك جاءه صاحب «أيلة» (العقبة اليوم) عند الطرف الشمالى الشرقى، من جانب البحر الأحمر الأيمن، وكان نصرانيا، فأقسم له يمين الطاعة، فمنح الرسول نصارى تلك المنطقة حرية العبادة أيضا مقابل تعهدهم بأداء الجزية».

وفى النص السابق عدة مغالطات سخيفة:

أ- فلقد خاض رسول الله ﷺ بنفسه غمرات القتال مرات عديدة، وليس مرة واحدة.

ب- وقوله: «ولسنا نعرف على وجه اليقين ما الذى دعاه إلى انتهاج هذه السبل» -يعنى بذلك مسيرته إلى تبوك- فلا يخفى عليه، وهو المتخصص فى تاريخ العرب، أن أنباء كثيرة وصلت إلى المدينة بأن البيزنطيين يحشدون الحشود لغزو المسلمين فى المدينة. فكان لابد من الخروج لمقابلتهم على حدود الجزيرة الشمالية. وهو ما أجمع عليه مؤرخو السيرة فكيف جهله بروكلمان؟ أم تراه تجاهله عمدا ليظهر البيزنطيين كما لو كانوا ضحايا لغزو خارجى؟

جـ- وقوله «أتباعه المدنيين الذين كانوا لا يزالون فى حال من عدم الارتياح بعد توزيع غنائم حنين» فيه مغالطة تاريخية كبيرة فبعد أن اجتمع الرسول ﷺ بالأنصار فخطب فيهم خطبته الشهيرة التى ورد فيها رضاهم برسول الله ﷺ بدلا من الغنائم ارتاحت نفوسهم واقتنعوا بما قسم الله لهم من الغنائم، حتى لقد بكوا وتأثروا وكادوا يتنزلون عما نالوه إرضاء للرسول ﷺ.

د- وقوله «توقف بعد أن نال منه الجهد واستشعر وطأة السن العالية» هذه العبارة وما بعدها فيها إساءة بالغة متعمدة، فالرسول ﷺ لم يتوقف لما ناله من مشقة ولا لكبر السن، وإنما توقف لأن أخباره كانت قد وصلت إلى الروم قبل أن تصل جيوشه إلى تبوك كما بلغت الروم أخبار انتصاراته فى معظم معاركه فى جزيرة العرب. فأدركوا الخطر وآثروا الانسحاب من مواقفهم واعتصموا بحصونهم. فتوقف الجيش عن مسيرته وأقاموا فى تبوك وبدأت قبائل النصارى تأتى لرسول الله ﷺ فتعقد معاهدات السلام والجزية.

كل ماسبق كما قلنا فى المقدمة، مجرد نماذج لما فى هذا الكتاب الخطير من مزالق تحتاج إلى جهود مكثفة من علماء المسلمين لتحليتها بالحق، هذا من جهة، وتحتاج من دار النشر التى نشرت اثنتى عشرة طبعة من هذا الكتاب من سنة ١٩٤٨ إلى اليوم إلى أن تنشر طبعة محققة معلقا عليها تعليقات وافية كافية شافية. هذا وبالله التوفيق.

## مراجع المقال:


١- د. حسين مؤنس، مقال بمجلة العربى الكويتية، العدد ٦٦، مايو ١٩٤٦.

٢- د. حسين مؤنس، مقال بمجلة العربى الكويتية العدد ١٣٩ الصادر فى يونيو ١٩٧٠.

٣- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط ١٢، بيروت، دار العلم للملايين.

٤- د. مصطفى رجب، فيض المنان فى علوم القرآن، ط١، القاهرة: المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، ٢٠٠٠م.

٥- هاشم معروف الحسنى، سيرة المصطفى، بيروت: دار المعارف للمطبوعات، ١٩٩٦م.

# فى نقد سيرة ابن إسحاق/ابن هشام

## رد على الدكتور إبراهيم عوضين

للدكتور/ محمود على مراد

**يقرر الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين فى مقاله الصادر بعدد جمادى الأولى ١٤٢٢ من هذه المجلة الغراء أننى أردت برسالة الدكتوراه التى قدمتها إلى جامعة السوربون بفرنسا فى تحليل ونقد نص الفترة المكية من سيرة ابن إسحاق/ ابن هشام، أن أهدم السيرة النبوية.**

**وهو يورد فى الوقت ذاته ما ذكرته فى رسالتى من أن نص ابن إسحاق يصور الرسول ﷺ من البداية إلى النهاية، على أنه رجل ليس ذا حيثية.**

**ولو فكر الدكتور قليلاً لوجد أن من يتهم كاتباً بأنه غض من قدر الرسول ﷺ لا يمكن أن يكون غرضه الإساءة إلى نبى الإسلام أو هدم سيرته.**

### خلــــط أساســـى

وواضح من عبارة د. عوضين أنه يطابق فى قوله هذا بين سيرة ابن إسحاق وبين السيرة النبوية، فسيرة ابن إسحاق عنده هى السيرة النبوية، والسيرة النبوية هى سيرة ابن إسحاق. ولكن هذه المطابقة فى غير محلها، وذلك للأسباب الآتية:

١- لاختلاف الشيئين فى الطبيعة، فالسيرة النبوية حدث تاريخى وموضوع، أما سيرة ابن إسحاق، فكتاب كُتِبَ عن هذا الموضوع.

٢- هناك أكثر من ألف كتاب ألفها كُتّاب مسلمون وغير مسلمين، بالعربية وبلغات أخرى، عن حياة الرسول - ﷺ - ولم يدّع أحد أن أحدها، أو أن سيرة ابن إسحاق، هى السيرة النبوية،

(*) ورد إلى المجلة من الدكتور محمود على مراد مقالان للرد على الدكتور إبراهيم عوضين، وسوف ننشرهما تباعاً إيماناً بحرية الكلمة.

٣- الدكتور ذاته يقول: إنه لا يدفع عن ابن إسحاق احتمال الخطأ ويقر بأن كل جهد بشرى يحتمل الخطأ والصواب. وقد ضرب الدكتور إبراهيم عوض، صاحب كتاب «إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية» الذى أشار إليه د. عوضين، أكثر من مثل على أخطاء ابن إسحاق، ولو كانت سيرة ابن إسحاق هى السيرة النبوية لما تحدثنا عن خطأ أو أخطاء فيها.

٤- الذين كتبوا فى السيرة النبوية على مرّ القرون، لم يأخذوا كل ما جاء فى سيرة ابن إسحاق قضية مسلمة، وكثير منهم لم يستقوا منها فى كتبهم سوى عنصر واحد هو السرد التاريخى، أما العنصران الآخران، أى الشعر وشرح الاقتباسات القرآنية، فقد أغفلوها أو أغفلوا جانباً صغيراً أو كبيراً منهما.

٥- حتى بالنسبة لعنصر السرد التاريخى، لا يكاد يكون هناك كاتب واحد للسيرة آخذ بكل ما قاله ابن إسحاق.

٦- ابن هشام، الذى راجع هذه السيرة، والذى تحمل السيرة اسمه، أعمل فيها يد الحذف والتصحيح، كما ذكر فى تقديمه لها.

٧- هذه السيرة، وإن لم يُفرَد لنقدها كتاب واحد حتى الآن، سواء فى العالم الإسلامى، أو فى الغرب، لم تخل من نقد، سواء بأقلام المستشرقين أو بأقلام الكُتّاب العرب والمسلمين.

سيرة رسول الله ﷺ

د. محمود على مراد

## أنا والمستشرقين

يزعم الأستاذ الدكتور أن من يتحينون الفرص للانقضاض على الإسلام، والانتقاص منه ومن رسوله محمد ﷺ أغرونى بنقد سيرة ابن إسحاق، وأن رسالتى هى الثمن الذى قدمته لاستحقاق درجة الدكتوراه، حتى يخلو الجو لى ولأساتذتى المستشرقين كى نصطنع السيرة التى نرضاها والتى تحقق لنا المراد من مسخ الحقائق وتزييف الواقع لتشين الإسلام وتشوه صورة رسول الله - صلوات الله عليه وسلامه.

وهذا كلام خطير، وكان يودى أن أرد على هذه الاتهامات التى تمسنى وتمس الأستاذ الذى أشرف على رسالتى، ولكننى أجد نفسى أمام حكم بالإدانة بلا حيثيات.

لذلك فإنى أناشد الدكتور عوضين، وأناشده بإلحاح، لكى أتمكن من الرد عليه، أن يكتب مقالاً أو مقالين أو أكثر يعقد فيها مقارنات بين ما كتبه هؤلاء المستشرقون أعداء الإسلام، وبين الاستنتاجات التى وردت فى رسالتى، ليثبت أنى صنيعة لهم، أو أننى جزء من مخططهم للكيد للإسلام، أو أننى متأثر بأفكارهم.

وإلى أن يثبت الدكتور ذلك بالحجة والبرهان، فإنى أود أن أوضح أن أعداء الإسلام من المستشرقين يعتمدون فى هجومهم على الرسول ﷺ على ما ورد بشأنه فى المصادر الإسلامية، وفى مقدمتها سيرة ابن إسحاق، وأنهم، شأنهم فى ذلك شأن المستشرقين الذين لا يعادون الإسلام، وشأن كُتّاب السيرة المسلمين، وهم لا يشككون فى صدق هذه المصادر إلا بالقدر الذى بينته فى الصفحتين ٦ و ٧ من كتابى، وإن كانوا يؤولون ما فيهما من أخبار تأويلاً ينال من اعتبار الرسول ﷺ وقد أشرت إلى ذلك فى مقال لى عن سيرة ابن إسحاق فى عدد يناير ١٩٩٨ من مجلة الهلال، استشهدت فيه بما ذكره المستشرق الانجليزى نورمان دانييل فى كتابه بعنوان «الإسلام والغرب» من أن المواد التى تتضمنها مصادر السيرة الأولى، ومنها سيرة ابن هشام، استخدمت، كما هى أو بعد تحويرها، لإعطاء صورة ممسوخة عن محمد ودينه.

لذلك فإن من يهدم سيرة ابن إسحاق لا يمكن أن يكون من أعوان خصوم محمد ﷺ أو من عملاءهم، إذ أنه بهذا التشكيك يسحب البساط من تحت أقدامهم، كما تقول العبارة الفرنسية، ويحرمهم من الأساس الذى بنوا عليه مطاعنهم، وهو يقف حيالهم، من ثم، فى موقف العدو لا فى موقف الصديق أو الحليف.

## أهــم ما فى الرسـالة

أهم شيء فى رسالتى هو ما ذكرته تحت رقم (١) من محصلتها العامة، وما قلت فيه، مع الاختصار[1]:

«سيرة رسول الله لابن اسحاق / ابن هشام» على الرغم من عنوانها ومن قصد مؤلفها المعلن، ليست فى جزئها المكى، سيرة للرسول ﷺ وذلك للأسباب الآتية:

أ- هى لم تخصص للقرآن الكريم مكاناً مركزياً فى وصف حياة الرسول - ﷺ.

ب- الرسول ﷺ لا يظهر فى هذه السيرة وهو يتحدث أو يدعو الناس إلى دينه.

جـ- هذه السيرة لا تصور الرسول بأبعاده

(١) كتابى بعنوان «سيرة رسول الله ﷺ (لابن إسحاق/ ابن هشام) الفترة المكية، دار الهلال، ص ٥٠١».

الحقيقية، ولقد أصبح الرسول ﷺ بفضل القرآن الكريم، أهم وأبرز شخصية في مكة وفي بلاد العرب كلها، وكانت عظمته تكبر وتزداد بتوالي نزول السور، وباتساع دائرة تابعيه. ومع ذلك فإن النص يصوره، من البداية إلى النهاية على أنه رجل ليس ذا حيثية».

وكان المنتظر ممن تولى عرض مادة كتابي أن يفرد لهذا الرأي في عرضه مكاناً يتفق وأهميته، ولكن الأستاذ الناقد اكتفى بنقل جملته الأخيرة.

وكان المنتظر أيضاً ممن يتهمني بتشويه صورة الرسول أن يضع إصبعه على مكان هذا التشويه فيما ذكرته في هذه المحصلة أو في غيرها.. ولكنه لم يفعل. وأهم من هذه النقطة الأساسية، في رأيه، نقطة فرعية وردت تحت رقم( ٢ ) من محصلتي العامة قلت فيها: إن سيرة ابن إسحاق، في جزئها المكي، إنما هي في واقع الأمر، كتاب دعاية، كُتب تمجيداً لبني هاشم، قبيلة الخليفة العباسي وقتها.

ولم يقف الدكتور عند هذه النقطة ليجادلني في الأسباب التي استندت إليها بشأنها، والتي فصلتها في بحثي طولاً وعرضاً، ولكن ليقرر، تحت عنوان «ويمكرون ويمكر الله» أنني لو تجردت من الغرض الشخصي والاستسلام الخانع لما ادعاه أحد المستشرقين ـ وهو، بالمناسبة، مستشرق لم أقرأ له شيئاً ولا أوردته في قائمة مراجعي ـ لما اتهمت ابن إسحاق بممالأة العباسيين، وليقرر أنني تعمدت تجاهل كتابات عروة بن الزبير، ومحمد شهاب الزهري، وابن حزم الظاهري، الذين قالوا ما قاله ابن إسحاق ولا يمكن اتهامهم بممالأة العباسيين، لأجعل من ابن إسحاق كبش الفداء الذي أحقق بذبحه ما قصدت إليه ابتداء من نسف السيرة النبوية.. (وهذه ملحوظات سأناقشها في مقال لاحق بإذن الله).

## قلة حديث الفترة المكية

ينتقل الدكتور عوضين، في عرض كتابي، من آخره.. أي المبحث الذي خصصته للمحصلة العامة.. إلى أوله، أي «التمهيد»، الذي شرحت فيه السمات الغريبة التي لاحظتها في كتب السيرة الحديثة، والتي وجدت أنها ترجع إلى سيرة ابن إسحاق. وكان من هذه السمات، قلة مادة الفترة المكية، التي لا يمثل عدد صفحاتها، في سيرة ابن إسحاق إلا خُمس عدد صفحات الجزء المخصص للفترة المدنية.

ويعلق الدكتور على ملاحظتي في هذا الشأن، تحت عنوان: «بين الكم والكيف»، في مقاله، بأن عدد الصفحات لم يكن ـ ولن يكون ـ معيار الصدق والكذب، ولا دليل الصواب والخطأ، ولا مناط الإنصاف وعدم الإنصاف، وأن المهم هو أن نوازن بين ما تضمنته المرحلتان من أحداث تتعلق بالرسول ﷺ وأن المرحلة المكية كانت مرحلة الميلاد والنشأة والمبعث والدعوة إلى الإسلام، والأحداث التي واكبت ذلك، بينما كانت

المرحلة المدنية مرحلة الانتشار الشامل والمواجهة العامة، وإن اهتمام الرواة بالنشأة دائماً أقل بكثير من اهتمامهم بما يلي النشأة من أحداث متشابكة.

وليسمح لي الدكتور بمخالفته في هذا الرأي، وذلك للأسباب الآتية:

١ - أهم أحداث الفترتين في حياة الرسول ﷺ ليس شيئاً مما يذكره الدكتور، وإنما هو نزول سور القرآن الكريم. وإذا كان ما نزل من هذه السور في الفترة المكية يتراوح - حسب التقديرات - بين ضعف وثلاثة أمثال ما نزل في الفترة المدنية، فإن هذا المعيار هو الذي ينبغي الركون إليه، في نظري، لتحديد أهمية كل فترة من الفترتين بالنسبة للأخرى، علماً بأن الفترة المكية كانت أيضاً أطول - زمنياً - من الفترة المدنية بثلاث سنوات.

٢ - كان القرآن الكريم، في واقع الأمر، حدث الأحداث في مكة، وكان كما قلت في كتابي: «أشبه بزلزال مستمر هز كل الأسس التي كان يقوم عليها المجتمع المكي، سواء في ذلك الأساس العقائدي، أي ديانة الجاهلية، بآلهتها، وأوثانها، وخرافاتها، وكهنتها.. أو الأساس الاقتصادي، لخشية قريش أن يترتب على انهيار هذه الديانة إهدار لمركز مكة باعتبارها مقصد الحجاج، والمعتمرين، وضياع المكاسب المادية والتجارية والمعنوية التي كانت تعود على قريش من ذلك، أو الأساس الاجتماعي.. لأن مبادىء الإسلام تضعف انتماء من يعتنقه إلى قبيلته، وتحد من سلطانها عليه، وتخلق إخوة تعلو على إخوة القبيلة، هي الإخوة في الله والإسلام».

٣ - كان نزول القرآن الكريم أهم أحداث مكة على مستوى الأفراد أيضاً، لأن آياته كانت تضع كل من تبلغه أمام خيار صعب لا مهرب منه: الإيمان بدين محمد ﷺ والتعرض لما يترتب على ذلك من مخاطر إزاء القبيلة، مقابل دخول الجنة بعد الموت، أو الكفر بهذا الدين، والحرص على السلامة في الدنيا، والتعرض لدخول النار في الآخرة.

والحاصل أن سيرة ابن إسحاق لم تقل شيئاً عن تأثير القرآن في أسس المجتمع أو في حياة الأفراد في مكة.

٤ - أهم الأحداث في حياة الرسول ﷺ العامة، بعد نزول القرآن الكريم، كان النهوض بأعباء الرسالة التي بُعث لإبلاغها للناس، أي الدعوة إلى دين الله، وتنظيم شئونها، وتوزيع مهامها على أصحابه، ومواجهة الإجراءات التي كانت قريش تتخذها لمحاربة المسلمين في مجموعهم، واضطهاد المسلمين على يد قبائلهم. والحاصل هنا أيضاً، أن ابن إسحاق لم يقل شيئاً عن نشاط الرسول والصحابة في نشر الدعوة، وعن سيرها وتنظيمها ومراحلها، وما صادفته من نجاح أو فشل.

## السلام والحرب .. ومحمد ( ﷺ )

تحت هذا العنوان يقول د. عوض: إني زعمت - متأثراً ببعض المستشرقين والصليبيين - أن رسول الله ﷺ كان رسول حرب، فظننت

أن المرحلة المكية كانت مرحلة سلام، وأن المرحلة المدنية كانت ـ وحدها ـ رحلة حرب، طبقاً لمؤلف السيرة، واستشهد فى هذا الصدد بما قلته فى الصفحتين ٣٩٤ و ٤٢٥ من كتابى.

وقد أساء الدكتور فهم كلامى. والذى ذكرته فى ص ٣٩٤، بصدد عبارة «فلما أراد الله ـ عز وجل ـ إظهار دينه» التى استهل بها النص أول لقاء بين الرسول ﷺ ومجموعة الخزرج الستة، هو أن ابن إسحاق لم يكن يولى مسيرة الإسلام فى المدينة وإلا جانباً صغيراً من اهتمامه، وأن ما كان ماثلاً أمامه هو حروب الرسول ﷺ أى أنه بعبارة أخرى، كان يرى أن النصر الحقيقى للإسلام إنما هو النصر العسكرى.

والذى ذكرته فى ص ٤٢٥، فى تعليقى على بيعة الحرب، هو أن الصورة التى يعطيها لنا نص ابن إسحاق هنا، هى صورة تظهر فيها الحرب من منظور مختلف تماماً عن ذلك الذى يستخلص من الآيات القرآنية التى يسوقها النص بخصوصها. أنا إذا لم أقل أن ابن اسحاق يقرر أن رسول الله ﷺ كان رسول حرب لا سلام وأن الإسلام دين حرب لا دين سلام، كما لم أتحدث عن سلام مكى وعن حرب مدنية، وإنما قلت فى «التمهيد» إن حديث الجزء الأكبر من الفترة المدنية، فى كتب السيرة الحديثة التى تأثرت بابن إسحاق، ينصرف إلى غزوات النبى ﷺ على الرغم من أن القتال لم يكن يمثل إلا واحدة من المسائل التى كانت تشغل الرسول، وأن فقرات القرآن الكريم التى انصبت على القتال لا تشكل إلا جانباً صغيراً من القرآن الذى نزل فى الفترة المذكورة. وقلت أيضاً، تحت( ٢ ) من المحصلة العامة أن سيرة ابن إسحاق، لا سيما فى الفترة الخامسة، أى فى السنتين الأخيرتين من الفترة المكية، تصور العقلية العسكرية للقرن الذى كتبت خلاله.

وقد قلت أيضاً فى «التمهيد» وفى عدة مواضع من كتابى: إن ابن إسحاق لم يخصص إلا حيزاً ضئيلاً من حديث الفترة المكية لحالات الاضطهاد ولإجراءات القمع التى اتخذتها قريش ضد المسلمين.

والدكتور عوضين يخالفنى فى هذا ويقول: إن قريشاً ـ طبقاً لابن إسحاق ـ أعلنتها ـ فى مكة ـ حرباً يواجهون بها محمداً ﷺ وأتباعه بالتعذيب والتسفيه، والسب، والدعوة المضادة، والحصار، إلى غير ذلك من وسائل الحرب ومظاهرها.

ولى على هذا القول ملاحظتان:

ـ فإن ابن إسحاق لم يقل أبداً إن قريشاً واجهت محمداً ﷺ بالتعذيب، بل فرّق بين معاملة قريش للرسول ومعاملتهم للمسلمين، وجعل أبرز سمة من سمات الفترة المكية، حتى وفاة أبى طالب، أن رسول الله ﷺ لم يتعرض بفضل حماية عمه، ومن ورائه قبيلته، لما تعرض له المسلمون من اضطهاد وتعذيب.

ـ كذلك لم يقل ابن إسحاق إن أى قبيلة من قبائل المسلمين تعرضت للحصار كما تعرض له بنو عبد المطلب وبنو هاشم، وذلك




لسبب بسيط هو أن قبيلة من القبائل المذكورة لم تحم مسلميها كما حمت قبيلة الرسول الرسول ﷺ ولم تحلب على نفسها بالتالي غضب قريش وإعلان الحصار ضدها.

## أدلـــة الحـــرب

يسوق الدكتور، تدليلاً على الحرب التي أعلنتها قريش على الرسول ﷺ والتي يصفها بأن نارها موقدة لم يهدأ لها أوار، وبأنها حرب شرسة، أمثلة أذكرها فيما يلي، مع ملاحظاتي:

١- هو يتحدث عن المساعي الثلاثة التي مشى سادة قريش فيها إلى أبي طالب لمطالبته بكفّ ابن أخيه عنهم «أو تنازله في ذلك وإياك حتى يهلك أحد الفريقين» أو للمطالبة بتسليمه لهم ليقتلوه مقابل اتخاذه عمارة بن الوليد بن المغيرة ولداً له. وقد تناولت هذه اللقاءات في حديثي عن أبي طالب، في الصفحات ١٣٦ : ١٤١ من كتابي، وأبديت اثنتي عشرة ملحوظة تشكك في صحتها من الناحية التاريخية، أخص منها بالذكر الملحوظة رقم (٥) التي قلت فيها إن قواعد الحكومة في مكة لم تكن تجيز للأشراف أو لقبائلهم أن يطلبوا من قبيلة ما أن تسلمهم فرداً من أفرادها ليعاقبوه على مخالفة أو جرم ارتكبهما، وأن الجهة الوحيدة التي كانت مختصة بالمعاقبة على المخالفات أو الجرائم هي قبيلة المتهم ذاتها.

٢- وهو يقول إن قريشاً كانوا يواجهون محمداً بإغراء سفائهم به يطعنون فيه بالقول ويسبونه، وأن أحد هؤلاء السفهاء أخذ بمجمع ردائه. والدكتور هنا يشير إلى واقعتين وردتا في «السيرة»[٢] ووُصِفتا فيها بأنهما أكثر ما رأى راويهما قريشاً تصيبه من رسول الله ﷺ فيما كانوا يظهرون من عداوته، ولا أظن أحداً يعتبر أن هاتين الواقعتين تدخلان في باب «الحرب الشرسة» التي يتحدث عنها الدكتور، والتي يعتبر أن محاربة الرسول ﷺ بالسلاح في المدينة كانت امتداداً لها.

٣- والدكتور يقول: إن من صور المواجهة في حرب الرسول إغراءه بالمال والجاه والسلطان. ولا أظن أن مثل هذا الإغراء الناعم - على فرض صحته، وقد أبديت على قصته تحفظات في كتابي - يعتبر هو الآخر حرباً شرسة كالحرب بالسلاح ضد من يوجه إليه.

٤- ويتحدث الدكتور عن محاولة أبي جهل شدخ رأس رسول الله ﷺ بحجر ثقيل، وقد تعرضت لهذه القصة التي ذكرها ابن إسحاق كسبب لنزول الآيات ٦ : ١٩ من سورة العلق (الاقتباس رقم ١١)[٣] وذكرت بشأنها أن الآيات المذكورة جزء من سورة نزلت في فترة الاستخفاء، المفروض أن عداوة أبي جهل للرسول خلالها لم تبدأ بعد، لأن أبا جهل كان يجهل وقتها دعوة الإسلام.

---

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، المجلد الأول، ص ٢٨٩، ٢٩٠ الطبعة الثانية، مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٥.

(٣) كتابي، ص ٢٧٩.



٥ - ويقول الدكتور: إن قريشاً كانوا يواجهون الرسول ﷺ كجزء من حربهم ضده، بعزله عن الوافدين إلى مكة، كما فعلوا مع الطفيل بن عمرو الدوسي. وتعليقي على هذا أن قريشاً لم يكن بوسعها، مهما فعلت، أن تمنع أحداً من الوافدين إليها من رؤية الرسول ﷺ أو أحد أصحابه والاستماع إليهم وحضور مجالسهم، وخير دليل على ذلك أن الطفيل بن عمرو الدوسي ذاته استمع إلى الرسول ﷺ وهو يتلو القرآن في صلاته، على الرغم من تحذيرات قريش، وأسلم، وعاد إلى بلده ودعا إلى الإسلام، واستطاع أن يهدى إليه سبعين أو ثمانين بيتاً من دوس [٤].

٦ - ويقرر الدكتور أن قريشاً ضغطت على الرسول ﷺ بالمقاطعة التي فرضوها على قبيلته، وردي على هذا أن ما تقوله السيرة هو أن قريشاً استخدمت المقاطعة ضد بني عبد المطلب وبني هاشم كوسيلة للضغط على الرسول، لا العكس.

هذه هي أدلة حرب قريش ضد الرسول ﷺ التي يذكرها د. عوضين نقلاً عن ابن إسحاق، أما عن حربهم ضد المسلمين، فقد استشهد الدكتور بما ذكره ابن إسحاق في موضعين هما:

- أن أبا جهل كان، إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنّبه وخزّاه، وإن كان تاجراً قال لنُكْسِدَنّ تجارتك ولنُهْلِكَنّ مالك، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به، وتعليقي هنا هو أن هذه كانت في الواقع سياسة قبائل قريش كلها حيال مسلميها، لا موقفاً تفرد به أبو جهل، ولكن ابن إسحاق لم يذكر ذلك حرصاً منه على تقليل مظاهر معاناة المسلمين إلى أقصى حد بحيث لا يقال إن أحداً ينافس قبيلة الرسول ( والخليفة العباسي ) في تكبد الويلات حماية لشخص الرسول ﷺ.

- إن قريشاً أرسلت مندوبين إلى النجاشي ليسلم المهاجرين إليها. وقد شرحت في تحليلي لموضوع الهجرة إلى الحبشة أن قصة هذين المندوبين قصة لا يقبلها العقل لأسباب خمسة ذكرتها، ورجحت أن يكون غرض ابن إسحاق من اختلاقها هو تقرير أفضال لصالح بني العبّاس ضد بني أمية وضد عمرو بن العاص، وإخفاء موضوع الاضطهاد الذي اضطر جعفر إلى الهجرة.

لا.. يا سيدي الأستاذ الدكتور.. لقد كانت الحرب التي أعلنتها قريش على الرسول وصحبه الأبرار في مكة - كما وصفتها - حرباً شرسة وناراً موقدة لم يهدأ لها أوار. ولكن هذه ليست هي الصورة التي صورها ابن إسحاق، سواء في وصفها أو في الحيز الذي خصصه لها من سيرته. والصورة التي صورها بها لا تعطي أدنى فكرة عن هول هذه الحرب وعن أبعادها الحقيقية. ولو أن ابن إسحاق وصفها الوصف الصحيح، لأسمى موقف الرسول وصحابته في مواجهتها بالجهاد ولأسماهم - رضوان الله عليهم - بالمجاهدين، وهو الاسم الذي أطلقه عليهم القرآن الكريم. ولكن ابن إسحاق لم يستخدم هذا التعبير في حقهم، في حديث الفترة المكية.

**وللحديث بقية،**

---

(٤) السيرة، ص ٢٨٥.




# الأزهر المعمور

## مهداة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

للأستاذ الدكتور/ صابر عبد الدايم يونس (*)

عَلَمُ الكنانة فى وُجودك يَخفقُ     ورؤى الخلود على جبينك تُشرقُ
وجلالُك الوضّاء فى آفاقنا     عَبْرَ العصور على المدى.. يتألقُ
يا أزهر الدنيا.. بنورك أزهرت     مُهجُ الليالى والبوادى تُورقُ
منْ ألف عامٍ فيضُ ذاتك مانحٌ     وبكل عصرٍ ضوءُكم يتدفقُ
ما أنت مئذنةٌ وصرحٌ شامخ     بل أنت هدًى فى القلوب مُعلَّقُ
أنت انطلاقُ الروح من أغلالها     أنت الأمان بكل نفس يَبْرقُ

***

أنت الأذانُ.. وأنتَ.. أنت شهادة التوحيد فى قلب البرايا تَعبقُ

أنتَ الزمان يُجدُّ فى خُطواته     وخطاه تَضْوى كالبروق وتَسبقُ
من جَوهر الإيمان شادك جَوهرٌ     فإذا بضوئك بالحقيقة يَنطقُ

(*) وكيل كلية اللغة العربية بالزقازيق



شدُّوا الرحال وأنت قبلة عاشقٍ لنفائس العلم الفريدة يَعْشَقُ

عادوا.. وبَرقُ العلم في أيديهمُ والحق في آفاقهمْ.. يتَرقرقُ

فإذا الجهالاتُ الكثيفة ترتمي في مَغْرب الآفاق وهي تمزّقُ

ومشى ضياؤك في ظلام كياننا فإذا الأماني في الحياة تحَقّقُ

أعلامك الغُرُّ الميامن التقوا في ساحةٍ.. العلمُ فيها الفيلقُ

يسقون من وهجَ العقيدة فتيةً أرواحهم لربا العلا تتَشوّقُ



يا أزهر الدنيا.. بنورك أزهرَتْ مهج الليالي.. والبوادي تُورقُ

في قلب مصر.. تظل نبضا ثائرا لا يستكين لمن يَجُور.. ويحنقُ

لغة السيوف لديك أصدقُ حجةٍ إن ضاع عهْدٌ.. أو تبدّل موثقُ

وغدوتَ بركانا تفجر باللظى في جوقةٍ يَهوَى المضل ويَغرقُ

كالبحر أنتَ.. لفظْتَ كل مخاتلٍ فإذا به فوق الشواطىء.. يَنفقُ

المعتدونَ عليكَ.. صاح خيالُهم أخنى على مصر الجمودُ المطبقُ

فسعَوْا.. يقودُهُم الغرورُ لِحتفهمْ ركبوا الخبط وفي جدارك عُلّقوا!!!

وطئتْ ثراكَ خيولهُم.. فإذا بهمْ في كل زاويةٍ رمادٌ.. يُحرقُ

بقذائف الإيمان جُندُكَ حاربوا وبصيحة التوحيد خصمُكَ يُصعَقُ

فكان صَحنُك للمغير متاهةً وعلى النوافذ كُلُّ عادٍ يُشنقُ



## الإسلام دين السلام

# الإسلام والقتال

٢

لفضيلة الشيخ / فوزى فاضل الزفزاف

**إذا استعرضنا الدعوة إلى القتال فى القرآن الكريم نجد أن الإسلام لم يدع إلى القتال إلا فى حالتين اثنتين فقط هما:**

١ - الدفاع عن النفس وتأمين الدعوة الإسلامية.

٢ - أو الرد على نقض العهود والمواثيق والتحالف مع أعداء المسلمين.

قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١).

ففى الآيات السابقة نجد أن الله - سبحانه وتعالى - أمر المسلمين بقتال من بدءوا بالعدوان والقتال وإخراج المسلمين من ديارهم. وهذا حق من حقوق الدفاع عن النفس لا ينكره صاحب عقل سليم وفكر محايد.

وفى الوقت نفسه ينهى الله - سبحانه وتعالى - عن البدء فى الاعتداء على الغير محذرا أن من يفعل ذلك لا يحبه الله. ومن لا يحبه الله فقد خرج من دائرة رحمة الله ومغفرته. فهل هناك تنفير من الاعتداء أبلغ من ذلك؟؟

(١) الآيات ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣ من سورة البقرة.




ومن شدة حرص الإسلام على السلام وكرهه للقتال أنه طلب من المسلمين الكف عن القتال عندما يسلم المعتدون ويعلنون انتهاء القتال من جانبهم:

﴿ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾

بل طلب بصيغة الأمر الالتزام بالسلم ومنع القتال عندما يميل الأعداء إلى السلم ويعلنوا ذلك:

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(٢).

كما طلب الإسلام من المسلمين عدم قتال أعدائهم إن اعتزل الأعداء واتخذوا جانب السلم قال تعالى:

﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾(٣).

أما إذا نقضوا العهود والمواثيق، وخانوا حق الجوار وتآمروا مع أعداء المسلمين ضد المسلمين فقتالهم مطلوب وحربهم مفروضة وهذا حق تقره الشرائع والقوانين:

﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۝ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٤).

## إنسانية الإسلام في القتال

ومع أن الإسلام أمر بالقتال في حالات محددة - كما أشرت سابقا - إلا أن الإسلام دعا المسلمين إلى الالتزام بقتال من يحمل السلاح فقط، ونهى عن قتل الشيوخ والنساء والأطفال، ونهى عن تخريب الزرع والأشجار المثمرة بل وحتى عن ذبح الحيوانات إلا للأكل فقط.

ولا أعلم دينا في إنسانيته ورحمته وعدله وسماحته مع أعدائه حتى في معارك القتال مثل الدين الإسلامي.

فها هو خليفة المسلمين سيدنا أبوبكر الصديق يوصي جيش المسلمين - وهو متوجه للقتال بقيادة أسامة بن زيد - بما ينبغي عليهم التزامه في حالة قتال الأعداء فيقف في رجاله خطيبا قائلا:

---

(٢) الآية ٦١ من سورة الأنفال.

(٣) الآية ٩٠ من سورة النساء.

(٤) الآية ١٢، ١٣ من سورة التوبة.

أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة وسوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئا بعد شئ فاذكروا اسم الله، وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب[٥] فاخفقوهم بالسيف خفقا. اندفعوا باسم الله أفناكم (وقاكم) الله بالطعن والطاعون[٦].

هذا هو الإسلام وإنسانيته في السلم وفي الحرب قبل أن يعرف العالم الحديث المعاهدات والمواثيق الدولية.

وللأسف الشديد نجد – مع كل هذا الوضوح في إنسانية الإسلام حتى في القتال – نجد أن أعداء الإسلام يتهمون الإسلام – كذبا وزورا وبهتانا – بالإرهاب والوحشية والهمجية وسفك الدماء، وتغمض أعينهم، وتصم آذانهم، وتخرس ألسنتهم فلا يهاجمون من استعمل السلاح الذرى في هيروشيما ونجازاكي ولم يفرقوا بين الجيوش المحاربة والمدنيين الآمنين، ولا يهاجمون المجرمين السفاحين الذين قتلوا أطفال المدارس الأبرياء في بحر البقر، وقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ في قانا وفي صبرا وشاتيلا، وذبحوا وشقوا بطون النساء الحوامل في دير ياسين، بل ويعلنون على العالم أجمع بكل وقاحة وهمجية، وبلا حياء ولا خجل أنهم سيصفّون جسديا قادة المقاومة الفلسطينية – الذين يستخدمون حقهم المشروع في الدفاع عن أنفسهم وعن أرضهم وعن وطنهم – فيا أصحاب العقول السليمة، ويا أصحاب الضمائر المحايدة في كل مكان في العالم قولوا: من هم الإرهابيون الحقيقيون؟؟؟

إن الإصرار على توجيه هذه الاتهامات الكاذبة الباطلة إلى الإسلام والمسلمين لتؤكد على أن الإسلام مستهدف، وعلى أن المسلمين مستهدفون من أعدائهم، وأن المؤامرات تحاك بتخطيط وتدبير محكم ضد الإسلام والمسلمين.

## الإسلام واحترام حقوق الفرد في النفس والمال والعرض

لقد احترم الإسلام النفس البشرية، وجعلها موضع إجلال وتقديس، واعتبرها هي الحياة، ونظر إليها نظرة عامة شاملة، وحرم الاعتداء عليها إلا بحق، واعتبر أن مَنْ قتلها فكأنما قتل الناس جميعا قال الله ـ تعالى:

---

(٥) كتاب العشرة المبشرون بالجنة للشيخ قرنى بدوى. طبعة محمد على صبيح ١٩٧٤م

(٦) هم الجنود الذين يحملون السلاح وكانوا مشهورين بهذه الأوصاف فى ذلك الزمان

﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[٧].

وتنكير كلمة النفس فى الآية الكريمة تفيد العموم أى: أى نفس لا فرق بين جنس وجنس، ولا بين لون ولون، ولا بين رجل وامرأة.

ونهى الإسلام عن الاعتداء على النفس قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٨].

وشدد العقوبة على من يرتكب هذه الجريمة فقال تعالى:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[٩].

ثم صان الإسلام المال الخاص بالفرد وعرضه، ونهى عن الاعتداء عليهما يقول رسول الله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله»[١٠]، ويقول رسول الله ﷺ فى حديث آخر: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا[١١] ولا تباغضوا ولا تدابروا[١٢] ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[١٣] وبذلك ضمن الإسلام للفرد السلام والاطمئنان فى حياته حتى يتفرغ للعمل والإنتاج فى دنياه.

## الإسلام واحترام حقوق الجماعة

ولتأكيد معنى التعاون بين الأفراد، وانتشار روح المحبة والإخاء بينهم حذر رسول الله ﷺ من الاعتداء على الجار أو إيذائه ولو بالقول. وبلغ التحذير ذروته حين نفى الإيمان عمن يؤذى جاره فيقول الرسول ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: مَنْ يارسول الله؟ قال: الذى لا يأمن جارهُ بوائقه، قالوا يارسول الله وما بوائقه؟ قال شره»[١٤].

ثم يوضح رسول الله ﷺ حق الجار على التفصيل فيقول ﷺ: من أغلق بابه دون جاره مخافةً على أهله وماله، فليس ذلك بمؤمن، وليس بمؤمن مَنْ لم يأمن جارهُ بوائقه، أتدرى ما حقُّ الجار؟: إذا استعانك أعنته، وإذا

(٧) الآية ٣٢ من سورة المائدة.
(٨) الآية ١٥١ من سورة الأنعام.
(٩) الآية ٩٣ من سورة النساء.
(١٠) رواه الترمذى وابن ماجه وأبوداود وأحمد.
(١١) تناجشوا: تزيدوا فى الثمن لخداع الغير.
(١٢) تدابروا: تقاطعوا.
(١٣) رواه مسلم.
(١٤) الترغيب والترهيب جـ٢.

استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عدت عليه، وإذا مرض عُدْته، وإذا أصابه خير هنأته، وإذا أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها، وإن اشتريت فاكهة فاهد له، فإن لم تفعل فادخلها سرا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده»(١٥).




وإذا كانت صلة الفرد بالفرد في المجتمع الإسلامي قد حددها ورسمها الإسلام في هذه العلاقات التي تضمن سلامة وأمن وأمان واطمئنان الفرد والأسرة [ وطبيعي أن الفرد والأسرة ما هما إلا النواة التي يتكون منها المجتمع ] فمعنى ذلك أن الإسلام قد أسس مجتمعا يسوده السلام والترابط والاتصال والتعاون والتناسق بين الحقوق والواجبات.

## الإسلام والمجتمع الدولي

ثم يوجه الإسلام نظر المسلمين إلى أن مجتمعهم الإسلامي ما هو إلا جزء من المجتمع الدولي ككل فيجب على المسلمين ألا يعيشوا في عزلة عنه بل يجب عليهم الاتصال والتعاون والتعارف مع بقية المجتمعات فإن أبا الجميع واحد وأم الجميع واحدة قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(١٦).

ويكون هذا الاتصال والتعاون في نطاق الاحترام المتبادل، والوفاء بالعهود والمواثيق والمعاهدات، وعدم الاعتداء، وتبادل المنافع والخبرات بما يخدم الإنسانية ويعم الخير على البشر جميعا.

وبعد كل هذا الإيضاح لموقف الإسلام من احترامه لحقوق الإنسان في النفس والمال والعرض، واحترامه لحقوق الجار.. وحقوق الجماعة.. وحقوق المجتمع الدولي.. يطلع علينا فجأة رئيس الوزراء الإيطالي سيلفيوبرلسكوني - متجردا من كل قواعد الدبلوماسية والذوق العام الذي يفرضه عليه منصبه - فيصف الإسلام بأنه لا يحترم حقوق

(١٥) الترغيب والترهيب جـ٣.

(١٦) الآية ١٣ من سورة الحجرات.



الإنسان، ويدعى أن الحضارة الغربية أرقى من الحضارة الإسلامية!!!.. الخ ما نقلته وكالات الأنباء من تصريحاته الغريبة المهينة التي تتهم الإسلام كذبا وزورا بما هو برئ منه.

وإنني في حيرة من أمر رئيس الوزراء الإيطالي سيلفيوبرلسكوني ومن تحديد فهمه للإسلام ومعرفته بمبادئه وأحكامه.. هل هو جاهل بالإسلام؟؟ أم هو حاقد على الإسلام؟؟ فإن كان جاهلا بالإسلام علمناه، وإن كان حاقدا على الإسلام فلن ينفعه العلم ولن تجدى معه النصيحة فليمت بغيظه ولن يضير الإسلام أمثاله.

غير أنني أقول له كلمة أخيرة: إن كنت تعرف القراءة والكتابة ياسنيور سيلفيوبرلسكوني فارجع إلى مكتبات بلدك إيطاليا واقرأ ما كتبه العلماء الإيطاليون أنفسهم عن الحضارة الإسلامية، وأنه لولا الإسلام وحضارته لكانت أوروبا حتى الآن تعيش في ظلمات القرون الوسطى.

## الخطأ فى الربط بين الإسلام وتصرفات بعض المنتسبين إليه

وضح الآن أن الدين الإسلامي هو دين السلام، دين الأمن والأمان، وأن المسلم صحيح العقيدة يتمسك بالفضائل ويتجنب الرذائل، يتعاون مع غيره ولا يؤذيه، سمح فى معاملاته، يراقب الله فى كل تصرفاته، لا يعرف الكذب والغدر والنفاق، ينكر الجريمة ولا يقرها، حريص على سلامة مجتمعه والمجتمع الإنساني، يتمسك بالشرف، يصون الأمانة ويرفض الخيانة.

والآيات القرآنية - والأحاديث النبوية التى ذكرت سابقا تؤكد هذه المعانى وهى قليل من كثير وردت فى القرآن الكريم وفى كتب السنة الصحيحة.

فإذا ما ارتكب فرد أو جماعة - تنتسب إلى الإسلام - بعض الجرائم التى لا يقرها الإسلام، فقبل أن توجه التهم إلى الإسلام يُسأل علماءُ الإسلام أولا: ما موقف الدين الإسلامى من هذه الجريمة؟ وما الحكم الشرعى فيها؟ فإذا جاءت الإجابة بأن الإسلام ينكر هذه الجريمة ولا يقرها فإن الأمانة تقتضى عدم الربط بين مرتكب هذه الجريمة والدين الإسلامى، كما تقتضى العدالة أن تنسب الجريمة إلى اسم من ارتكبها ولا تنسب إلى دينه، وبذلك تتحقق الأمانة والعدالة.

كما يجب علينا نحن المسلمين أن نرد على الادعاءات الكاذبة، والتهم الباطلة التى توجه ضد الإسلام - والإسلام منها برئ - وذلك بتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، وبيان أحكامه الصحيحة، ومبادئه السامية، ودعوته إلى ما فيه خير للبشرية.

***





## مواقف إسلامية

# قصة ميلاد إنسان

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

عن عمرو بن عَبَسَة رضي الله عنه قال:

كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة.

وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان.

فسمعت برجل في مكة يخبر أخباراً. فقعدت على راحلتي.

فقدمت عليه.

فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً.

جرآءُ عليه قومه.

فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له:

ما أنت؟ قال: أنا نبي. فقلت وما نبي؟ قال: أرسلني الله. فقلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحِّد الله. لا يشرك به شيء. قلت: فمن معك على هذا؟ قال: حر وعبد ومعه يومئذ أبوبكر وبلال ـ رضي الله عنهما ـ فقلت: إني متبعك. قال: إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا: ألا ترى حالي، وحال الناس، ولكن، ارجع إلى أهلك. فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني.

فذهبت إلى أهلي. وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكنت في أهلي. فجعلت أتخبَّر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة.

حتى قدم نفر من أهل المدينة فقلت:

ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟

فقالوا:

الناس إليه سراع.

وقد أراد قومه قتله. فلم يستطيعوا ذلك.

فقدمت المدينة. فدخلت عليه فقلت:

يارسول الله: أتعرفني؟

قال: نعم.. أنت الذى لقيتنى بمكة.

فقلت يارسول الله:

أخبرنى عما علّمك الله وأجهله: أخبرنى عن الصلاة.. الحديث[1].

* **تمهيد**

إلى أى شىء يدعونا الإسلام؟ وكيف يدعونا؟ وإلى أى حد كانت دعوته مباركة الثمرات؟

إلى أى حد كان الداعية حكيماً فى الهداية.. وكان المدعو راغبا فى الاهتداء؟ ثم فى الاقتداء؟

ذلك ما نحاول تفصيله وتأصيله من هذا الموقف الفريد:

## البيئــة.. والإنســان

إذا قال الماديون: إن البيئة تصوغ الإنسان.. وتفرض عليه منهج حياته.. فقد كان «عمرو بن عبسة» رداً على هذا الافتراء.

فقد كان جاهليا مع قومه، يأكل مما يأكلون منه.. ويشرب مما يشربون.

بل ويفكر كما كانوا يفكرون.

وفجأة.. حدث التحول الكبير فى كيانه..

وفى لحظة صفاء جرد نفسه من علائق الدنيا..

ثم نظر فى صنع الله تعالى..

وآثار قدرته الباهرة.. وحكمته البالغة..

وفى الوقت الذى وقف الغرور حائلا بين قومه وبين رؤية هذه العظمة.. وجد نفسه.. هو وبلا حائل.. وقد امتلأ كيانه بالإحساس بعظمة خالق الوجود - سبحانه وتعالى - وعلى ضوء فطرته بدأ يغير اتجاهه..

## مـن مظـاهـر التحــول

ومن مظاهر تحول قوله:

[كنت وأنا فى الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة]

إنه يفتح بصره على كثير.. ولكن لا يرى أحداً!

ومع ما تملكه القبيلة من وسائل الضغط.. والإغراء.. إلا أنه أفلت من قبضتها.. متحرراً من إسارها.. شاهداً بأن الإنسان سيد قراره.. وأن له عقلا يفكر.. وقلبا يتذوق.. وإرادة تصمم.. فلا يليق به أن يمضى معصوب العين مع الكثرة وإن كانت كاثرة.. ليكون واحداً من تلك المدرسة التى يقول قائلها:

**إذا الفـــتـنة اضطربت فى البـــلاد**

**.. ورمت النجـــاة.. فكن إمـعــــة**

لقد قرر أن يكون رجلا:

مع الناس.. فقط.. إذا ما أحسنوا..

فإذا تنكبوا طريق الحق أعرض عنهم..

إنه الرجل الذى يملك إرادته.. ولا يسمح لأحد أن يساوم على كرامته.

وصحيح أنه سوف يخسر كثيراً بهذا الاستقلال..

ولكن يكفى أنه كسب عقيدته.. فاسترد بها وجوده..

وإذ يقول الفيلسوف:

إنه لو خير بين فكرة جديدة يقع عليها.. وبين اعتلاء عرش بلاده.. لاختار الفكرة!

---

(1) رواه مسلم، وأحمد.



فكيف إذا كان البديل هو العقيدة.. وليست مجرد نظرية..

إنه منهج الرجل الذى قد يفقد فى خضم الحوادث شخصه.. بيد أنه أبدا لن يفقد شخصيته.

## مثل من التاريخ

وفى التهوين من أمر البيئة والتعويل على فطرة الإنسان.. مارواه ابن عباس - رضى الله عنه -:

«إن أول من يعطى كتابه بيمينه: أبو سلمة بن عبد الأسد وأول من يعطى كتابه بشماله: أخوه: سلمة بن عبد الأسد»[2].

وفيهما نزل قوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴾[3].

فأنت واجد نفسك أمام أخوين.. شقيقين.. ومع ذلك فبينهما بعد المشرقين.

ولو كانت البيئة هى المؤثرة.. لكانا نسخة واحدة!

وهكذا كان «عمرو» - رضى الله عنه - والذى تأبى على سياسة الأمر الواقع.. وصمم أن يكون رجلا. منضموما إلى اخوة له كانوا على ذات الطريق. ومنهم ما ذكره ابن الكلبى فى كتابه الأصنام:

أن صنما يقال له «سعد» وكان صخرة طويلة فأقبل عليه رجل من كنانة بإبل ليوقفها عليه تبركا.. لكنها نفرت.. فقال:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا

فشتتنا سعد.. فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة تفوقة

من الأرض.. لا يدعى لغى ولا رشد!

وهذا الصنم مقرون إلى زميله الذى قال فيه عابده:

أرب يبول الثعلبان برأسه؟!

لقد ذل من بالت عليه الثعالب

أجل.. لقد ذل من بالت عليه الثعالب.. وعزّ الإنسان الذى تبرأ منه..

وفى طليعة هؤلاء الأعزاء: «عمرو بن عبسة» رضى الله عنه:

## قيمة التحول عند عبسة

لم يكن موقف عبسة - رضى الله عنه - مجرد قرار اتخذه.. ولكنه التحول الكبير.. والفرار من بيئة ضاغطة.. فيما يشبه المعجزة:

يقول ابن الجوزى ناعيا على الطبيعة المعاندة.. والتى استعلى عليها.. عبسة استعلاء شاهدا بقوة إرادته:

طال تعجبى من اقوام لهم انفة. وعندهم كبر زائد فى الحد خصوصا العرب:

الذين من كلمة ينفرون ويحاربون. ويرضون بالقتل... ومع هذه الانفه. يذلون لمن هم خير منه، هذا يعبد حجرا. وهذا يعبد خشبة. وقد كان قوم يعبدون الخيل والبقر وإن هؤلاء لاخس من إبليس: فإن ابليس انف لادعائه الكمال - ان

---

(٢) الاصابة: ٤/٩٥.

(٣) الحاقة: ١٩.



يسجد لناقص فقال: «أنا خير منه» وفرعون أنف أن يعبد شيئا أصلا، ولكن عبسة - رضي الله عنه - دون قومه جميعا - يتخذ قراره الصعب بالتنزه عن الذلة.. اعتصاما بالعزة.. التي دفع ثمنها بهذا التفرد.

## مــن حكمتــه

ومن حكمة الرجل أنه لا يتحدث عن قومه حديثا مباشراً. قد يجر عليه المتاعب: فهو يتحدث عن «الناس» بعامة.. لا عن قومه.

ثم لا يحكم يقينا وإنما هو مجرد «ظن».. والله حسيب الناس ومحاسبهم. عكس أولئك الذين يرون حالة جزئية.. فيعممون الحكم في صحبة يقين لا يملكون عليه دليلا.

ثم هو يحدد معنى الجاهلية.. لا كما يطلقها البعض اليوم.. على مجتمع آهل بالمساجد حافل بالركع السجود.. وإنما يحدد معنى «الجاهلي» وأنه هو: الذي يعبد الأصنام.

## دراســة الجــدوى

لابد قبل البدء في مشروع ما.. من دراسة الجدوى منه.. ولقد كانت لعبسة هذه الدراسة:

يقول في رواية «أسد الغابة»[4].

ألقي في روعي أن عبادة الأوثان باطلة.

فسمعني رجل وأنا أتكلم بذلك. فقال: ياعمرو: بمكة رجل يقول كما تقول. قال:

فأقبلت إلى مكة أسأل عنه..

ثم كان أن رآه مختفيا جرياء قومه عليه.

والملفت للنظر هنا أنه لم يدخل على الرسول ﷺ جهارا نهارا. وإنما كما يقول هنا:

فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة»

وتفسر رواية أسد الغابة هذا التلطف بما يلي:

.. فأخبرت أنه مختف. لا أقدر عليه إلا بالليل يطوف بالبيت فنمت بين الكعبة وأستارها.

وإن تعجب فعجب كيف تعبر الفطرة السليمة - حتى في غيبة الشريعة - كيف تعبر عن الحقيقة كما هي..

إنه يقول أنه وجده ﷺ «مستخفيا» «جرءاء قومه عليه». إن قومه يؤذونه. ويؤذون من؟ آخر من يؤذى إذا كان ولابد من إيذاء.. كما يفيد تقديم الجار والمجرور.. عليه. ثم.. ومن الذى يؤذيه؟ إنهم قومه؟!

فمن وقع عليه الغشم.. هو آخر الناس استحقاقا له.. والذى يباشر الغشم.. هم آخر من يقع منهم ذلك وإنها لمفارقة عجيبة!!

## حــوار الأبــرار

وفي حواره - رضي الله عنه - يسأله أولا: ما أنت؟

والسؤال «بما» استفسار لا عن الذات.. وإنما عن صفة من صفاتها.

ويعني ذلك أن عبسة - رضي الله عنه - لا تهمه نفس الذات.. فهو لا يريد أن يعرف الحق

---

(٤) مجلد ٤ - ٢٠/٢٥١ ط الشعب.

بالرجال.. وإنما هو يريد معرفة الرجال بالحق.. عن طريق خصائصهم التي ترشحهم للريادة.. إن أسماء الدعاة مهما كانت رنانة.. لا تهم.. وإنما إلى أي شيء يدعون.. وبأي صفة يتصفون.. وليكن شخص الداعية بعد ذلك ما يكون!

## الداعيــــة الحكيــــم

والداعية الحكيم هنا هو: محمد ﷺ والذي كان إسلام عبسة ـ رضي الله عنه ـ ثمرة يانعة من جني غرسه الطيب:

فقد نقل إليه الإسلام.. وهو في عمق قبيلته.. مع صعوبة ظروف الاتصال يومئذ..

وإذا كان من مقاييس البشر: أن تقدير ناظر المدرسة ينبع أساسا من نتيجة جهده وارتفاع نسبة النجاح في مدرسته..

فقد كان إسلام «عبسة» شاهدا على تفرده ﷺ بالحكمة.. مع أنه لم يكن معه يومئذ إلا اثنان:

أبوبكر، وبلال ـ رضي الله عنهما.

وإذا كان التاريخ يسجل مواقف الأبطال المشاهير.. فإن السنة تسجل حياة أناس مغمورين.. لم يسعوا إلى الشهرة سعيها.. وفي طليعتهم: عبسة ـ رضي الله عنه ـ والذي أسعده الله بالإسلام.

## من دروس الحــــوار

ربما تأخذ الداعية اليوم: العزة بالإثم.. حين يقطع طريقه شاب مغمور يسأله هذه الأسئلة..

ولكنه ﷺ:

أ ـ يجيبه.. وبلا حساسية..

ب ـ ويجيبه باختصار شديد.. فالعقيدة تتنامى الآن.. ولا ينبغي إرهاقه بالمعاني المعقدة.

ج ـ كان من الممكن أن يجمع للرجل إجابات أسئلته.. ليقدمها إليه دفعة واحدة..

ولكنه يعلم الدعاة أن الله ـ تعالى ـ سمى عمل الفلاح «حرثا» في ـ قوله تعالى ـ:

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾(٥).

ولابد من تقليب التربة بالحرث لتأخذ حظها من الهواء والضياء.. ولكي تتخلخل التربة حتى تمتد الجذور في الأعماق.

لقد كان «عبسة» ـ رضي الله عنه ـ تلميذا متميزا ومخلصا:

فهو يسأل وغير متعنت:

يسأل أولا عن خصائصه

ثم عن وظيفته

ثم هل هذا الدين قابل للتطبيق..

وخلال ذلك.. يحاول أن يسأل عما لا يفهم..

وإذا بهذه الرغبة الجادة.. يحتويها قلب الداعية الكبير:

والذي كان بالحياء متميزا.. وبالتواضع متعززا.

---

(٥) الواقعة «٦٣».



## جوهـــر الرســالة

وتلخص إجاباته ﷺ جوهر الرسالة:

ومن أصول هذه الرسالة: صلة الأرحام..

ثم تنحية كل ما يشل إرادة الإنسان.. من هذه الأوثان المانعة من الوصول..

على أن ينبثق ذلك كله من عقيدة التوحيد التي عبر عنها بالمضارع إشارة إلى تجددها.. وفي إجابته ﷺ: حر وعبد.. يدل قوله:

«أبو بكر وبلال» ما يؤكد شمول الإسلام المفصل على الحياة كلها.. من ألفها إلى يائها.. فهو للأحرار وللعبيد.. وما بينهما من مستويات تجد فيه كل نفس هداها.

## الإيمـــان الحـــر

وعن طريق هذا الحوار الحر.. تولد العقيدة الحرة:

فلقد أعلن الرجل أنه متبعه.. بل ومقيم معه..

ولكنه ﷺ لا يبحث عن الأرقام والأحجام.. لا يريد لبنات مكدسة.. تنهار عند الضربة الأولى.. ولكنه يريد بناء مرصوصا يشد بعضه بعضا..

ومن ثم لم يأذن له بالبقاء.. على حاجته إلى من يقف إلى جانبه في تلك اللحظات الحرج إلى أن يشتد عود الإسلام.. وعندئذ يمكن للمدعو أن يأخذ مكانه في البناء الوطيد لبنة صالحة.

## العـــود الحميـــد

ويعود الرجل إلى رسول الله ﷺ بعدما هاجر إلى المدينة.. وصارت له دولة..

وتبدو ذاكرة الداعية واعية.. فقد عرف الرجل رغم تطاول الزمان.. وتقلب الأحداث.

## من حكمـــة الرجـــل

لكن عمرا ـ رضي الله عنه ـ يؤكد حكمته أولا وأخيرا: فقد علمنا أنه في المرحلة الأولى قال: «فسمعت برجل في مكة» إنه مازال في حسه مجرد رجل لا يعلم من أمره شيئا..

أما هنا فهو يقول: ما فعل هذا الرجل فهو رجل معروف.. متميز.. ثم هو مع ذلك يتلطف ولا يصرح باسمه المجرد.. حتى لا يؤلب الأعداء عليه..

ولاحظ من حكمته أنه يقول:

ما فعل هذا؟ باسم الإشارة للرقيب وكأنما يوجه رسالة تحذير إلى أمته أن يتهاونوا في الدفاع عنه..

وأن يظل الرسول في بؤرة الشعور.. لا يغيب..

## من فقـــه الداعيـــة

بعد أن استقرت عقيدة الإسلام في قلب الرجل.. بدأت المرحلة الأخيرة بالسؤال عن الشريعة المنبثقة عن هذه العقيدة.

وذلك قوله:

يا رسول الله أخبرني عما علمك الله وأجهله.. أخبرني عن الصلاة.. ثم يقول له بعد ذلك: يارسول الله: فالوضوء.. حدثني عنه

ولاحظ أن الرجل لم يلتزم بالترتيب الزمني، فهو يسأل عن الصلاة.. قبل أن يسأل عن الوضوء

ولا يضيق به الداعية.. بل يرخي له الحبل.. إن






المهم لدينا أن تكون العقيدة راسخة في القلب.. ولا يجمل بنا أن نتمارى في جزئيات تأتي في مرتبة تالية..

إن الداعية هنا يهتم بالمقاصد أولا.. تلك المقاصد التي نتفق عليها أولا.. ثم تأتي الوسائل بعد ذلك متعددة.. لكنها كلها تصل بنا إلى المقصود الأصلي.

وبعض الناس يتجاوزون الأهم.. ليشغلوا أنفسهم بالفرعيات.. وقد يذهب المراء بالأصول والفروع!

## واقع المسلمين اليوم

ونحاول قراءة واقع المسلمين اليوم.. ولعلنا أن نعدل من خطة حياتنا.. على ضوء ما سبق:

وواقع المسلمين على ما قيل:

أضاع المسلمون اليوم ما نيط بهم من جهاد:

الجهاد الأصغر..

والجهاد الأكبر

فلاهم يجاهدون العدو فيؤدوا الجهاد الأصغر.

ولا هم يجاهدون النفس. ويقومون بحق الله في أنفسهم وفي الناس.. فيؤدوا الجهاد الأكبر.

وليس ينقص المسلمين العلم بما عليهم لله في أنفسهم وفي إخوانهم.

فإنهم يعلمون من ذلك ما إن عملوا به.. لكفاهم ولكن ينقصهم العمل بما عندهم من العلم المستفيض فيهم.

ومن ثم.. تشتعل الغيرة في قلب الداعية.. عندما يرى مخطئا.. فيحاول رده إلى الصواب.. أو ضالا.. يود لو عاد به إلى الهدى.. وقد يجد نفسه بين اثنين:

أما أولهما فهو ذلك الصنف الذي يحول بينه وبين الهدى والصواب. صغائر الشهوة يعجز عن مخالفتها.. وحقائر المغريات يضعف عن مقاومتها، إنها العادة التي مرد عليها.. ومن ثم تنحصر مهمة الداعية في اعانته ليتخلص من عادته.. لتكون عونا له.. بعد أن كانت عبئا عليه!

وقد يكون الحوار سبيلا إلى إقناعه بضرورة أن يغير وجهته إلى الفضيلة التي نريد أخذه بها..

ويجيء قوله ـ تعالى:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾(٦).

ذلك بأن الضال هنا مقتنع بانحرافه عن الجادة لكنه فقط يطلب الدليل

أما إذا كان معتقداً بأنه على الحق.. فإن حواره يأخذ سمتا آخر.. وذلك ما يشير إليه قوله تعالى:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾(٧).

ونقول لهؤلاء الذين ظلموا فلم ينصفوا.. ولا يغرنك أن كان ء سن قلمك ذهبا.. فإن من ورائه حبرا أسود!

---

(٦) النحل: ١٢٥.

(٧) العنكبوت: ٤٦.



## قصة العدد

# باسمك اللهم

للأستاذ / محمد سعيد العريان

**اليوم هلال المحرم من السنة السابعة بعد البعثة وقد وقف أبو الحكم بن هشام المخزومي موقفه من نادى قومه، واجتمع إليه قبائل من أشراف مكة وذوى الرأى من قريش يسمعون مقالته، وما منهم أحد إلا كان له بلاء فى إيذاء محمد وصحابته حتى بلغوا فى الكيد لهم ما بلغوا ولم ينالوا منهم منالا، فإن أبا الحكم وأصحابه اليوم لفى هم ناصب وأمر عظيم...**

**إن أمرهم ليوشك أن يفلت من أيديهم، وهم أعلى قريش منزلة ومكانة بين سائر العرب، من الساحل إلى أطراف البادية. وهذا محمد وإنه لرجل فرد ليس له منعة من أهل ولا عصبية من دم ولا جاه من غنى، وإنه على ذلك ليحاول أمرا يفرق جماعتهم ويعيب رأيهم ويلحد فى آلهتهم وما يعبدون، حتى ليوشك لو خلوا سبيله أن يكون هو صاحب الرأى والسلطان فى العرب جميعا... وأين هو من هؤلاء وأنى يبلغ؟**

ولقد افتنت قريش فى حربه ومناهضة دعوته والكيد له ولأصحابه ما بلغ بهم الجهد، ليصرفوه عن وجهه ويفضوا صحابته من حوله، فما بلغوا شيئا مما أرادوا، وإن دعوته لتنتشر وتذيع حتى يتسامع بها العرب، وإن أصحابه ليزيدون ويكثرون، وإن قبائل العرب من قريب ومن بعيد لتسمع عنه وتعرف من خبره مالا يريد أبو الحكم بن هشام وحزبه أن يعرف أحد، بلى وإن هذه الدعوة لتطوى البيداء وتجتاز البحر من ساحل إلى ساحل حتى تجد الطمأنينة والسلام فى بلد المسيحية من مملكة النجاشى!

ياللعاقبة لو بلغ محمد ما أراد!

... واجتمع وجوه قريش وأصحاب الرأى فى مكة يتشاورون ليدبروا لهم أمرا.. وقال

ابوالحكم بن هشام:

«ياقوم، اما إنه ليوشك أن يكون امر شديد: وإن هذا الرجل ليبالغ فيما يدعو إليه حتى كان ما كان من أمره، فإن لم يكن قتله واستئصال خضرائه حتى يذهب بدعوته وتذهب به، فليكن تدبير جديد..»

وتطاولت الاعناق تترقب ما يكون من تدبير ابي الحكم في جهاد محمد واصحابه، واسترسل يقول:

«... الا إن هذا الحي من بني عبدمناف هو منا ومنكم حيث علمتم، وإنهم ليطلبون غاية ليس إليها سبيل، افنتركهم وما يحاولون حتى يأول امرهم إلى أمر؟.

«... وهذا أبوطالب بن عبدالمطلب يمنع ابن أخيه أن يخلص إليه ما يكره، فما لنا سبيل عليه بعد، فليجتمع امرهم على ما يريدون وليجتمع أمرنا، ولتكن براءة قاطعة بيننا وبين هذا الحي من قريش: لامعونة بيننا وبينهم في امر، فلانبيعهم شيئا، ولا نبتاع منهم، ولا نخالطهم في شيء، وكل رحم بيننا مقطوعة حتى يفيئون إلى أمرنا، فإنهم يوشكون إن بلغت هذه القطيعة أن تجف خضراؤهم فيموتوا جوعا وعطشا وعريا أو يعودوا إلينا مغلوبين وما تجرد سيف من غمده ولا اريق دم!

«ياقوم، فإن رأيتم فهذه يدي، وليكن بيننا عهد مكتوب نعلقه في جوف الكعبة توكيدا لما تقاسمنا عليه.. وإن أبيتم..»

وصاح من اقصى المجلس: «رضينا يا أبا الحكم» وجاء كاتبهم منصور بن عكرمة فاملى عليه:

باسمك اللهم

«هذا ما تعاهد عليه أشراف مكة وذوو الراي من قريش: أبوالحكم بن هشام، وابوطالب بن عبدالمطلب، ومنصور بن شرحبيل، وبغيض بن عامر.. أنهم برآء من بني هاشم وبني المطلب، لايبيعونهم شيئا، ولايبتاعون منهم، ولايخالطونهم في شيء، وكل رحم بينهم مقطوعة، حتى يفيئوا..»

وتناول ابو الحكم الصحيفة فطواها، ثم علقها في جوف الكعبة، ليشهد الله أمرهم وامر بني عبدمناف!



واوى محمد واصحابه الى شعب أبي طالب من شعاب مكة حتى يقضي الله امرا بينهم وبين بني عمهم من قريش، ليس لهم مطمع إلا فيما بين أيديهم من طعام ولباس وشراب، ولا يعرفون إلى كم يمتد الحصار المضروب عليهم في هذا الشعب الضيق ليس له إلا باب واحد يقف الاعداء بمرصد قريب منه يمنعون أن يدخل إليهم بشيء من الزاد أو الميرة...

وتتابعت الشهور شهرا في أذيال شهر، والمسلمون في معقلهم من شعب أبي طالب، لا يجدون من الطعام ما يغني من جوع ولا من اللباس ما يدفيء من قر، إلا ما يتسلل إليهم

فى جنح الليل من شىء ليس فيه غناء يرسله إليهم من يرسل من أبناء عمومتهم على حذر ورقبة!

وجاء الموسم، وأم الحجيج من قبائل العرب سوق مكة يسوقون الإبل قد أوقرت طعاما وبزا ليبيعوا ويشتروا ويتعوضوا وطمع المسلمون أن يكون لهم من أولئك شىء، فإن هؤلاء التجار العرب فى حل مما تعاقد عليه بطون قريش، فإن لهم أن يبيعوا أبناء عبد مناف ما يشاءون من بضاعتهم يدا بيد، فما كان لهم فى تلك ( الصحيفة ) الظالمة رأى ولا عقد.

ويخرج من يخرج المسلمين ليشترى زادا من زاد القوم ويبيعهم مما عنده، ويقف على صبرة من قمح يهم أن يشتريها، ويبصر به أبولهب فيقول فى السوق مناديا:

«يامعشر التجار، غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئا، فقد علمتم مالى ووفاء ذمتى، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم!»

ويسمع التجار ما قال أبولهب، فيزيدون على المسلمين فى السلعة قيمتها أضعافا، فيرجع المسلمون إلى أهليهم وما باعوا ولا اشتروا وليس فى يدهم شىء يطعمون به، ويغدو التجار على أبى لهب فيربحهم فيما معهم من الطعام واللباس!

ومضى عام وعام وأوشك ثالث، والمسلمون حيث حصرهم أبناء عمومتهم من قريش، حتى جهدوا وأشرفت نفوسهم على التلف جوعا وعريا..

ويرى محمد ما أصاب أصحابه فى سبيل الله، فيثبتهم ويربط على قلوبهم، ويقول:

«لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد مادون عظامه من لحم أو عصب، مايصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، مايصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت مايخاف إلا الله!»

فتهدأ نفوسهم مطمئنين إلى العاقبة ويبلغ بهم الجهد، حتى يأكلوا ما يسقط على الأرض من ورق الشجر، وحتى يصنعوا ما تصنع الشاة: لا تجد أكلا إلا ما تقمم من خشاش الأرض ومن بارض النبت فى مسايل اللوى... ويشد سعد بن أبى وقاص على بطنه من ألم الجوع حتى يكاد يلتصق بظهره، وينال منه الجوع حتى يخرج فى سواد الليل يلتمس رمقه، فيطأ على شىء رطب، فيضعه فى فمه فيبتلعه، لايدرى ما هو، ولايجد له فى فمه مذاقا!!

ويتضاغى أطفال المسلمين من الجوع، وتسمع أصواتهم من وراء الشعب صائحين من السغب والمتربة!

والمسلمون على ما بهم: لم ينل منهم الكفار منالا بما صنعوا لأنهم وهبوا نفوسهم لله، فلا عليهم أن يموتوا جوعا أو يموتوا مجاهدين فى سبيل الله!..





وتسامع المشركون بما نال محمدا وأصحابه من الجهد والمسغبة فمنهم من سره ذلك، ومنهم من ساءه..

ويفرح أبوالحكم بن هشام بما نال المسلمين من الجهد والمسغبة، ويستخفه الفرح حتى يأمل أملا...

ويغضب من يغضب من قريش لما نال إخوانهم وأبناء عمومتهم من بني عبدمناف، وإن كانوا على دين محمد!

ويشفق هشام بن عمرو بن ربيعة على ما نال أخاه لأمه نضلة بن هشام بن عبد مناف، وكان مع المسلمين في شعب أبي طالب فيأتي ببعيره قد أوقره طعاما وبزا.. فيقبل به فم الشعب ليلا وقريش في غفلاتها، ثم يخلع خطامه ويضرب على جنبيه فيدخل الشعب عليهم ليقتسموا ما يحمل من طعام وبز.. وماذا يغني بعير واحد والمسلمون كثرة يكاد يقتلها الجوع والعرى؟..

ويقول أبوطالب لابن أخيه: «لقد بلغ الجهد منا ماترى وإن رجالا من قريش قد استشعروا الندم على ما تعاقدوا عليه لولا شرف السمعة وتهمة الخيانة لأحلوا أنفسهم مما ارتبطوا به من عهد الصحيفة!»

وابتسم محمد بن عبدالله وقال: «ياعم، إن الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان!»

ويفرح أبوطالب ويقول: «أربك أخبرك بهذا؟» قال: «نعم»

وخرج أبوطالب إلى قريش في ناديهم ليتحدث إليهم في أمر..

ويصعب على هشام بن عمرو ما يلقى أخوه نضلة والمسلمون معه، فيمشي إلى جماعة من أشراف قريش لهم في بني عبدمناف صهر وخئولة، فيحرضهم على نقض الصحيفة، رعاية لحرمات النسب وحفاظا على حق الدم، فيجتمع على رأيه بضعة نفر، فيتواقفون على ميعادهم الى حيث كان وجوه قريش مجتمعين في ناديهم من الحجر، ويقدمهم زهير بن أمية (وأمه عاتكة بنت عبدالمطلب) فيطوف بالكعبة سبعا ثم يقبل على الناس فيقول: «ياأهل مكة، أناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لايباع ولا يبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة»

ويرتاع أبوجهل بن هشام لما يسمع، فلا يكاد يرد رأيه حتى تأخذه الأصوات من كل جانب: مزقوا الصحيفة، لانرضى ماكتب فيها ونبرأ إلى الله منه»

تلك كانت أصوات هشام بن عمرو وأصحابه الأربعة: المطعم بن عدي بن عبد مناف، وزهير بن أمية بن المغيرة، والعاص ابن هشام، وزمعة بن الأسود.

ويبلغ الغيظ بأبي جهل وأصحابه ما يبلغ، أن رأوا ما أجمعوا عليه يحاول أن يخرج من أيديهم حين ظنوا أنهم من الغاية التي





يهدفون اليها على خطوات، وأن محمدا وأصحابه يوشكون أن يفيئوا..!

وقال أبوجهل: هذا أمر قضى بليل، وما حسبكم إلا دبرتموها في غير هذا المكان.

ويقدم أبوطالب بن عبدالمطلب في جماعة من بني أبيه قد لبسوا أحسن مايجدون من الثياب، فما إن سمعوا ما يقول أبوجهل حتى يبتدره أبوطالب: «بل هو أمر قد قضاه رب محمد»

والتفت أهل النديّ إلى حيث كان أبوطالب في أهله لايدرون ما يعني مما يقول!

وتقصَّف الناس على أبي طالب يستثبتونه عما قال، ومضى في حديثه:

«... بلى، وإن بيننا وبينكم هذا العهد المكتوب في الصحيفة فإن ابن أخي أخبرني من أمرها.. فهلم إلى صحيفتكم فإن كان كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها، وإن كان كاذبا دفعته إليكم فما شئم فافعلوا به!»

ووثب المطعم بن عدي إلى حيث كانت الصحيفة في جوف الكعبة، وفض غلافها، ونظر القراء، فإذا الأرضة قد لحستها لم تترك فيها من شيء يقرأ إلا «باسمك اللهم..»



وخرج المسلمون من شعب أبي طالب إلى فضاء مكة كعهدهم يوم كانوا، وانفك الحصار الذي كان مضروبا عليهم ثلاث سنين لا يبيعون ولا يباعون، وإن كانوا من عداوة المشركين لهم وانتصارهم بهم في حصار أمنع وأبلغ، ولكن شيئاً من ذلك لم ينل من نفوسهم ولم يوهن عزائمهم.

ومضت أربع سنوات أخر، ثم انطلق المسلمون من الحصار المضروب عليهم حول مكة كلها مهاجرين إلى حيث يؤلف محمد وصحابته حكومتهم في دار الهجرة، ولا تمضي إلا سنوات من بعدُ، حتى يكون محمد وأصحابه في طريقهم إلى مكة يقودون الجحفل اللجب ليحاصروا مكة كلها ويسلم إليهم أهلها صاغرين!.

ودار الفلك دورته، فإذا تلك القلة من بني عبدمناف وجيرانهم الذين كانوا بالأمس محصورين في شعب من شعاب مكة لا يجدون ما يأكلون - قد وثبوا أكبر وثبة عرفها التاريخ، فإذا منهم القادة والسادة والأمراء، يضعون يدهم على مفاتيح خزائن الدنيا، ويبشرون بدين الله في أربعة أقطار الأرض. ورفرفت الراية الإسلامية على قلاع فارس والروم والمغرب وأوربا، ومضى جنود المسلمين من أبنائهم وحفدتهم يطاون العروش ويقتحمون الممالك وهتافهم يدوي حيث كانوا: «باسمك اللهمَّ! باسمك اللهمَّ!»



## تقرير لجنة كاهان الصهيونية

# حول مذبحة صابرا وشاتيلا آرئيل شارون .. رؤية إسرائيلية

للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق

إن ما نراه اليوم على الساحة الفلسطينية من تعنت وإجحاف المؤسسة العسكرية الصهيونية تجاه الشعب الأعزل ومحاولاتها المستميتة للقضاء على شعب بأكمله وعدم الموافقة على إقامة الدولة الفلسطينية، هو موضوع قديم جداً، نابع من فكرهم التلمودي وبروتوكولات حاخاماتهم، فهي حرب ضروس ضد العرب والإسلام، يخطط لها منذ القدم، وكلما حانت الفرصة، انقضوا بلا رحمة للفتك بأي مسلم أو أي عربي، وقد يتصور البعض منا أن الأحزاب الإسرائيلية تختلف في نظرتها للعرب والمسلمين، فمنها المتشدد والمعتدل، وأنوه هنا أن الجميع اختلفوا فيما بينهم لأمور تتعلق بهم، ولكنهم اتفقوا جميعاً على التنكيل بالعرب وخاصة عرب فلسطين، ورحم الله الرئيس السادات عندما قال ذات يوم: « لا فرق في إسرائيل بين حمائم وصقور، وأن لعبة السلطة والسياسة في إسرائيل مقسمة إلى مراحل تكتيكية، لكل مرحلة الرجل الخاص بها، ويخطئ أي عربي إذا اعتقد أن أحد قادتهم رجل سلام يمكن التفاوض معه، ولكنه في الحقيقة ورقة رابحة بالنسبة لهم، فكلما زادت أعمال البطش والتنكيل بالعرب في فلسطين من قبل جيش الدفاع الإسرائيلي، وغلت الدماء في الشارع العربي، يدفعون برجلهم هذا كي يلتقي بأحد الزعماء الفلسطينيين في محاولة منه للتظاهر بتهدئة الوضع وكسب الرأي العام بأنهم يسعون للسلام، في نفس الوقت الذي تزداد فيه أعمال القتل والهدم والتشريد.

وما تقوم به القيادات الصهيونية العنصرية المتعاقبة هي محاولة يريدون بها أن يثبتوا للإسرائيليين واليهود والرأي العام العالمي أن «العرب» أشد عنصرية منهم ولا يستبعد أن يفتعلوا الحوادث التي تثير الشبهة العنصرية حول العرب كما حدث في الماضي عندما أحرق اليهود الصهاينة كنسا يهودية لإجبار يهود العالم العربي على الهجرة إلى فلسطين، أو عندما نسف الصهاينة أماكن عبادة يهودية في أوروبا لتشويه سمعة النضال العربي الفلسطيني.

وما أعلنه شارون عندما شن هجومه على لبنان عن ضرورة تدمير البنية التحتية للمخربين، ولكن ما تم تدميره بالفعل هي البنية التحتية لشعب بأكمله، هو شعب لبنان، فضلاً عن حرب الإبادة التي تعرض لها سكان المخيمات الفلسطينية.

ولسنا هنا في معرض حديث وتعليق للمذابح الصهيونية المرتكبة في حق الشعوب العربية قاطبة، ولكن نكتفي منها بجريمة نكراء هي جريمة مذبحة صابرا وشاتيلا.

فلم يعرف العالم ظلما حاق بشعب من الشعوب مثل الظلم الذي تعرض له الشعب الفلسطيني، وما مذبحة صابرا وشاتيلا إلا مثالاً حياً راح ضحيته آلاف الفلسطينيين من الشيوخ والنساء والأطفال.

لم تبدأ المذبحة في يوم ١٦ / ٩ / ١٩٨٢ كما هو مذكور في الوثائق والتحقيقات، وإنما بدأت عصر يوم ٤ / ٦ / ١٩٨٢، حينما قصفت الطائرات في الثالثة والربع عصراً وصبت حمماً من القذائف على جانب من الاستاد الرياضي على حدود منطقة صابرا ومخيم شاتيلا، حيث سقط من الضحايا العشرات بين شهيد وجريح، واستمرت فصول هذه المذبحة حتى كان الفصل الأخير الذي بدأ في اليوم السادس عشر من سبتمبر واستمر متصلا ثلاثة أيام تم فيها ذبح وقتل وتشويه الآلاف من سكانها، وقد حدث هذا بالأسلحة الخفيفة والسكاكين و( البلط ).. وكان الفصل الأخير قد بدأ بقتل بشير الجميل رئيس لبنان.. واحتل الجيش الإسرائيلي جميع البنايات العالية المحيطة بصابرا وشاتيلا كي يتمكن من الرؤية بوضوح.

وادعى الإسرائيليون بعد ذلك أنهم لم يروا شيئاً. وفي ليلة «الذبح» قطع التيار الكهربائي عن بيروت الغربية كلها، وأطلقت القوات الإسرائيلية القنابل المضيئة فوق صابرا وشاتيلا على فترات متقاربة بحيث يمكن رؤية أية حركة في تلك المنطقة لترصدها طائرات الاستطلاع الإسرائيلية، وقد منع جيش الدفاع الإسرائيلي الدخول أو الخروج من منطقة المخيمين إلا للقتلة الذين كان عليهم البقاء ثلاثة أيام داخل المخيمين وهم يقتلون ويذبحون ويدمرون.

أما التمهيد لهذه المذبحة، فكان عصر الثلاثاء ١٤ سبتمبر ١٩٨٢ حين فُجِّرَ مبنى حزب الكتائب (المسيحية) حيث كان رئيس الجمهورية الجديد والمنتخب منذ ثلاثة أسابيع يعقد فيه اجتماعاً مع الكوادر المسئولة بالحزب عن منطقة بيروت.

أُغتيل بشير الجميل.. الذي كان في يوم من الأيام الرجل المناسب لرئيس الوزراء مناحم بيجين ووزير الدفاع آرئيل شارون وهو الذي سيوقع معهم اتفاقية سلام، خاصة وأنه يدين بفوزه للدبابات الإسرائيلية، وقبل مقتله بيومين التقى بشارون في (بكفيا) وهي مسقط رأس آل الجميل، وكان شارون يسعى للحصول على توقيعه على اتفاقية



السلام.. لكن البشير كان يتهرب منه ويكرر طلبه الرامي إلى إعطائه فرصة من الوقت لتثبيت الوضع في لبنان ولإعادة العلاقات مع العالم العربي الذي استقبل انتخابه بحذر.

وبعد اغتيال بشير قرر شارون الاستفادة من الوضع والدخول إلى بيروت الغربية، فقد اتصل شارون برئيس وزرائه، وقرر كل منهما احتلال بيروت الغربية دون التشاور المسبق مع الحكومة، وكان وزير الخارجية إسحاق شامير الوحيد الذي أحيط علماً بهذا القرار ودعمه.

وعلى الفور تم تدعيم الجسر الجوي الإسرائيلي، وكانت طائرات النقل الإسرائيلية (هركول) تُنْزِل في مطار بيروت الدولي - الذي تحتله إسرائيل - أطناناً من المعدات مع وحدات من المظليين.. وقد صرح (إيتان) رئيس الأركان قائلاً: «لم يحدث أبداً في تاريخ جيش الدفاع الإسرائيلي أن تمت عملية بمثل هذا الحجم وبالسرعة التي تمت بها».

وكانت أوامر شارون تقضي بتجنب أية خسائر بشرية في صفوف القوات الإسرائيلية، وحسب أقوال الجنرال شارون أيضاً: «تمنع قوات جيش الدفاع الإسرائيلي من الدخول إلى مخيمات اللاجئين، وسيتم تمشيط وتنظيف المخيمات على يد الكتائب أو الجيش اللبناني».. وقد أثار نبأ دخول القوات الإسرائيلية إلى بيروت الغربية موجة من الاستنكار في العالم أجمع، أما الإسرائيليون، فلم يكن يشغلهم في المقام الأول إلا ردود الفعل الأمريكية، حيث توجه في صباح ١٥/٩/١٩٨٢ موريس درايبر المبعوث الخاص للرئيس ريجان إلى مكان رئيس الوزراء في القدس.. أما ردود الفعل في إسرائيل فقد كانت متباينة حتى أن بعض الوزراء قد علموا بدخول القوات الإسرائيلية إلى بيروت الغربية من الإذاعة، وكانت ردود أفعالهم عنيفة حتى أن أحدهم ذكر للمحرر الدبلوماسي لجريدة «هاآرتس» أن هذه الفضيحة لم يسبق لها مثيل. أما «شمعون بيريز» فقد أدان «هذه العملية غير المحسوبة».. وقد بدأت أولى عمليات القتل المنظم في الساعة الخامسة عصراً، في حين أعلن شارون في أول تصريح له أمام الكنيست «إن القوات دخلت خلال الليل».

وقد استمرت أربعين ساعة دون انقطاع، استطاع الإسرائيليون مراقبة العملية من على أسطح المباني المجاورة.

وقد قامت حكومة إسرائيل بتشكيل لجنة «كاهان» الصهيونية للتحقيق في مسئوليات مذبحة مخيمي صابرا وشاتيلا في بيروت عام ١٩٨٢ والذي قدمته اللجنة عن أعمالها إلى حكومة إسرائيل، ويحوي التقرير نتائج ستين جلسة سرية وعلنية للجنة وخلاصة شهادات ثمانية وخمسين شاهداً من الإسرائيليين وغيرهم حول المجزرة والفترة التي سبقتها، ثم حادثة اغتيال بشير الجميل ودخول الكتائبيين إلى المخيمين، وحتى خروجهم منهما، والتقرير يحدد مسئولية المذبحة من وجهة النظر الإسرائيلية ومسئولية المراتب السياسية والمؤسسات العسكرية في إسرائيل، والتقرير في مجمله مزيف وضعيف مهترىء، يدل على الخسة والزيف والبطلان، برغم الجهد الذي بذلوه بقوة في حبكته، وعلى وجه العموم جاء التقرير ليصفع صانعيه ويكشفهم أمام الرأي العام العالمي أجمع.



ولجنة التحقيق كانت مؤلفة من:

إسحق كاهان.. رئيس المحكمة العليا.. رئيساً للجنة.

هارون باراك.. قاض فى المحكمة العليا، يونا إيفرات ميجر.. جنرال احتياط.

ومع أن معظم تلك التقارير ذكرت أن المجزرة نُفذت من قبل أفراد كتائبيين، فقد وجهت الاتهامات فوراً إلى قوات جيش الدفاع الإسرائيلى ودولة إسرائيل، ذلك أن دخول الكتائبيين إلى المخيمات حسب التقارير التى نشرت فى حينه تم بمساعدة وموافقة جيش الدفاع الإسرائيلى. وجاء التقرير ليشكك فى عدد الضحايا، وأن معظمهم من الذكور.. وأن عدد الأطفال والنساء قليل جداً، برغم اعتراف الناجين من المذبحة بأن الضحايا بالآلاف، وكانت هناك سيارات تجمع القتلى وتخرج بهم ليلاً تحت حراسة جنود الجيش الإسرائيلى.

أما ما يدعو حقاً للدهشة.. فقد جاء بالتقرير:

«ووفق الشهادة التى استمعنا إليها، لم يقدم أى تقرير عن المذبحة فى المخيمات إلى رئيس الوزراء (بيجين)، فقد سمع رئيس الوزراء بالمجزرة من إذاعة «بى. بى. سى» مساء السبت، فاتصل فوراً برئيس الأركان ووزير الدفاع اللذين أبلغاه بأن العمليات قد توقفت وبأنه تم إخراج الكتائب من المخيمين... ص ٧٧١».

وقد نفى قادة الكتائب فى مقابلات مختلفة فى وسائل الإعلام أنهم قاموا بارتكاب المذبحة. وقد سارع رئيس الأركان يرافقه الميجر جنرال أمير دروري بالاجتماع بقادة الكتائب بالإضافة إلى ممثل عن الموساد وهددوهم قائلين: «من أجل مستقبلكم يجب أن تعترفوا بارتكاب هذه المجزرة» ولكنهم رفضوا.. وبعد الاجتماع تابع رؤساء الكتائب فى ظهورهم العلنى نفى أية علاقة بالمجزرة هناك.

وجاء بالتقرير أن رجال جيش الدفاع الإسرائيلى، حتى وإن كانوا لم يريقوا الدماء فى المذبحة!!.. فإن دخول الكتائبيين إلى المخيمين تم مع المعرفة المسبقة بأن هناك مذبحة سترتكب، ومع النية الأكيدة بأنها يجب أن تحدث، وبناءً عليه فإن جميع من مكنوا الكتائبيين من الدخول إلى المخيمين، يجب اعتبارهم متواطئين مع أعمال الذبح ويشاركون فى ذلك بتحمل مسئولية مباشرة. وقد حدث بشهود العيان أن وجهت نيران دبابات جيش الدفاع الإسرائيلى إلى مصادر النار داخل المخيمين».

بالإضافة إلى موقف الكتائبيين من الفلسطينيين بعد الصدمة العنيفة التى ولّدها موت بشير الجميل ومجموعة من الكتائبيين فى انفجار الأشرفية والشعور بالانتقام الذى أثاره هذا الحادث حتى بدون معرفة هوية المهاجمين!!..

وبالطبع يعرف الجميع هوية المهاجمين والمستفيدين من الوضع القائم..

كما جاء أيضاً فى التقرير تناقض خطير..

«إننا لا نقول بأن قرار إدخال الكتائبيين إلى المخيمين كان يجب ألا يحدث فى جميع الظروف وليس له أى مبرر، هناك اعتبارات جدية لصالح قرار كهذا»..

بالإضافة إلى عبارة: «لدينا رغبة مفهومة لمنع حصول خسائر فى صفوف جيش الدفاع الإسرائيلى فى معركة حرابية داخل منطقة

سكنية، وإن كان الطلب إلى الكتائبيين للمشاركة فى معركة هو بالنسبة إليهم بداية للاستيلاء على السلطة واستعادة استقلال لبنان».

ويخلص هذا الفصل من التقرير إلى التأكيد على أن: «الأعمال الوحشية فى مخيمات اللاجئين ارتكبت من قبل أعضاء من الكتائب، وأنه لا تقع أية مسئولية مباشرة إطلاقاً على إسرائيل، أولئك الذين تصرفوا باسمها، وأن قرار دخول الكتائبيين إلى مخيمات اللاجئين، اتخذ دون اعتبار للمخاطر».

ولمحاولة تزييف الحقائق واللعب بثغرات القانون، فإن القاتل قد ارتكب جريمته بنية حسنة حيث ورد فيه: «إننا لا نستطيع قبول هذا الموقف، فقد أصبح واضحاً بالفعل أن الذين قرروا إدخال الكتائبيين إلى المخيمات كان يجب أن يتنبأوا بوجود خطر مجزرة ولم يتخذوا أية خطوات كان يمكن أن تزيل هذا الخطر أو تخفف منه».

وباختصار: فإن كل ما حدث يقع تحت المسئولية غير المباشرة سواء أكانوا علموا بالقرار أو سمحوا للكتائبيين بالدخول، وأنهم لم يسمعوا طوال فترة ارتكاب المجزرة بأن هناك مجزرة.

كما فاجأتنا اللجنة بمجموعة طويلة من البنود الأساسية التى لا تدخل فى اختصاصها!!.. وعلى سبيل المثال: «مسألة تقييم الوزير لا تخدم موضوع تحقيق اللجنة، حسب قانون لجان التحقيق لعام ١٩٨٦!!..» وأن: «تقييم الوزير هو تقييم سياسى، وليس هناك قواعد تتطلب تقييمات من هذا النوع، وهى وجهة نظر قانونية معترف بها.. وأن المحكمة لا تتدخل فى السياسة التى تخطها السلطة لنفسها».

والسؤال الذى يطرح نفسه، كيف سمح جيش الدفاع الإسرائيلى للكتائبيين بدخول المخيمات، وهذا يتطلب موافقة أولية مسبقة من رئيس الوزراء، لا أن يسمع رئيس الوزراء ما حدث فى وزارته من الإذاعة البريطانية!!.. وطالما أن القرار قد اتخذ فإن النظام الحكومى يتطلب إعلان رئيس الوزراء بأية تجاوزات يتم ارتكابها.

ويبدو أن البطش الشارونى هو المسيطر على صنع القرار وأن هناك خطط سرية مسبقة متفق عليها، وكيف تؤكد اللجنة (أن الشرح الذى قدمه شارون - المستند ٢٧ - والذى قال فيه: «سأدخل الكتائبيين المخيمات» لا يمكن أن يكون تقييماً بطبيعة الحال).. وبرغم أن التقارير كلها وردية، فقد ضعفت أصحابها أمام الرأى العام العالمى والشارع الإسرائيلى، وانسجاماً مع القرار الذى أصدرته اللجنة فى ١٩٨٢/١١/٢٤ أرسلت ملاحظات إلى تسعة أشخاص - آخذة فى الاعتبار الأذى الذى سيتعرضون له من التحقيق ونتائجه، وذلك استناداً إلى الفقرة «١٥ أ» من قانون لجان التحقيق لعام ١٩٦٨، وسنحاول أن نستعرض الاتهامات والردود لهؤلاء التسعة أبطال هذا المسلسل الدموى وكيفية خروجهم من هذا المأزق وحصولهم على البراءة الإسرائيلية.

**١ - رئيس الوزراء مناحم بيجين:**

تنص الملاحظة التى أرسلت إلى رئيس الوزراء على: «أنه قد يتعرض للأذى إذا قررت اللجنة أنه لم يقم بالشكل المناسب الذى يمكن أن تلعبه

القوات اللبنانية عقب دخول جيش الدفاع الإسرائيلى إلى بيروت الغربية، وتجاهل خطر أعمال الانتقام والأعمال الدموية التى ارتكبتها هذه القوات بحق السكان فى المخيمات.

● **الـرد:**

لا أعلم شيئاً!!.. وفى كافة الحوارات التى أجريتها مع وزير الدفاع شارون ورئيس الأركان، لم يجر التطرق لهذه المسألة فى التقارير التى تلقيتها.

● **رأى اللجنة:**

يمكننا أن نتعجب من كون مشاركة الكتائبيين فى دخول بيروت الغربية والمهمة الموكلة إليهم بتطهير المخيمات، بدت غير مهمة لدرجة أن وزير الدفاع شارون لم يطلع بيجين عليها، ولم يأخذ موافقته!!..

وخلصت اللجنة إلى أن هذه المجزرة لا تُحمل رئيس الوزراء بيجين أية مسئولية.

.. والمضحك.. قول رئيس الوزراء: «لقد أبلغت رئيس الأركان فى الليلة ما بين ١٤، ١٥ أيلول ١٩٨٢ فى أثناء توضيح قرار احتلال جيش الدفاع الإسرائيلى لمواقع فى بيروت أن هذا القرار اتخذ «بهدف حماية المسلمين من انتقام الكتائبيين».

**٢- وزير الدفاع آرئيل شارون: وهو المسئول الأول عن هذه المذبحة والمخطط لها.**

وقد نصت الملاحظة التى أرسلت إليه على: «أن وزير الدفاع قد يتأذى إذا ما قررت اللجنة بأنه (تجاهل أعمال العنف وإراقة الدماء....)».

● **رد شيطان الدمار:**

«لم يتخيل أحد أن الكتائبيين قد ينفذون مذبحة فى المخيمات، وأنها مأساة، وقد كنت على صلة بمدير الاستخبارات العسكرية، ولم أستلم من الموساد أى تقرير».

● وجاءت صفعة التقرير لتؤكد:

«من المستحيل تبرير إهمال وزير الدفاع لخطر حدوث مذبحة وأن الشعور بمثل هذا الخطر كان يجب أن يكون فى وعى وزير الدفاع الذى قام بجانب فعال فى كل شىء يتعلق بالحرب، وأن انغماسه فى الحرب كان عميقاً والعلاقة مع الكتائبيين كانت تحت رعايته المستمرة».

**٣- وزير الخارجية.. شامير:**

● نفس الديباجة.. وأنه لم ينقل المعلومات إلى رئيس الوزراء، أو وزير الدفاع، ونفس التنصل.

● أما الجديد فكان رأى اللجنة التى قالت:

المعروف أن له موقف تشكيكى مسبق إزاء معلومات الوزير الذى نقل إليه المعلومات، والمعروف عنه فى الحكومة بأنه منتقد ثابت لوزير الدفاع آرئيل شارون، ولرئيس الأركان ولأعمالهما ومعارضته لهما فيما يتعلق بالحرب فى لبنان، وخصوصاً قضية التعاون مع الكتائبيين. وأنه كان يجب عليه على الأقل أن يلفت نظر وزير الدفاع.

**٤- رئيس الأركان.. اللفتنانت جنرال رافائيل إيتان:**

● لم يأخذ بعين الاعتبار خطر أعمال الانتقام وسفك الدماء، ولم يأمر باتخاذ خطوات مناسبة لتجنب هذا الخطر وأن فشله فى القيام بذلك مساوٍ للإخلال بالواجب المسند إلى وزير الدفاع ولا يجب لومه على ذلك.

.. واستكمالاً في المغالطة يورد التقرير: «أنهم لم يتحدثوا معه عن أية مسألة حول هذه العمليات الشاذة».

**٥- مدير الاستخبارات العسكرية.. الميجور جنرال يهوشع ساغي:**

هو أيضاً لا يعلم!!..

**٦- رئيس الموساد:**

أيضاً لا يعلم، «برغم أن عدم التحرك من قبل رئيس الموساد يتضمن ثغرة في مسئوليته».. وقد تولى رئيس الموساد منصبه في ١٢/٩/١٩٨٢.. أي قبل يومين من مقتل بشير الجميل.

**٧- قائد الجبهة الشمالية.. الميجر جنرال أمير دروري:**

وقد اكتفى بدور سلبي بشكل مطلق، (وأن هذا الانتباه المنخفض لا يمكن تبريره على الإطلاق).

**٨- قائد الفرقة.. البريجادير جنرال موشيه يارون:**

لم يفعل شيئاً برغم أنه تلقى انباء عن عمليات قتل مساء ١٦/٩/١٩٨٢.

● الغريب أن تقرير اللجنة يعفيه لأنه وقتذاك كانت لديه كقائد فرقة مشاكل قتالية أهم بكثير من مسألة الكتائبيين داخل المخيمات.

**٩- آفي دوداي: المساعد الشخصي لوزير الدفاع شارون..**

تملص هو أيضاً من إجابات قاطعة.

## توصية اللجنة الخاصة بوزير الدفاع آرئيل شارون كما جاءت بالتقرير

«لقد وجدنا كما هو مفصل في التقرير، أن وزير الدفاع يتحمل مسئولية شخصية، ومن الملائم برأينا أن يتحمل وزير الدفاع النتائج المناسبة الناجمة عن العيوب التي تم الكشف عنها والخاصة بالطريقة التي أخل فيها بواجباته، وإذا ما لزم الأمر، أن ينظر رئيس الوزراء ما إذا كان عليه ممارسة صلاحياته وفق المادة (٢١/أ) من القانون الأساسي والتي تنص «يحق لرئيس الوزراء بعد إطلاع الحكومة على نيته في القيام بذلك، عزل وزير من منصبه».

والخلاصة أن هذا التقرير الملفق جاء ليزيد الطين بلة، ويصفع صانعيه، ويُعَرّي مؤسسة السفاحين الصهيونية أمام الرأي العام العالمي والتي ادعت أن الأجهزة العسكرية والاستخباراتية تعترف بوجود ثغرات كبيرة في قنوات المعلومات وأن التضارب في جميع الأقوال، أرجعتها اللجنة إلى «الثغرات من الناحية البشرية».

هل دماء رحبعام زئيفي وزير السياحة الإسرائيلي أغلى من دماء آلاف الضحايا في مخيمي صابرا وشاتيلا، ومن عشرات الكوادر الفلسطينية التي تقتل في وضح النهار بتفجير السيارة بصاروخ من طائرة عسكرية إسرائيلية، ولم تعلن أية جهة حتى الآن مسئوليتها عن مقتل عربي واحد، وإذا جرح إسرائيلي تسارع المنظمات الفلسطينية المختلفة بإعلان مسئوليتها عن الحادث.

اتقوا الله فيما تفعلون، وانظروا كيف تفكر وكيف يفكرون.

# القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة

## ٢

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

**وبعد سيد قطب المنظر الحقيقى للأصول الفنية للقصة فى القرآن الكريم بلا جدال، فقد عرض لهذا الموضوع الجليل فى تفسيره: « فى ظلال القرآن »، كلما اقترب من آيات تتصل بظاهرة القص، ومعروف أن القصص القرآنى مبثوث فيه عبر سياقات متعددة، يتفاوت فيها بين اللمحة الدالة والتفصيل المستفيض، وبين التناول البكر والتناول المكرور، وبين توزيع الحديث القصصى الواحد فى سور كثيرة وتمحيص سورة واحدة لقصة واحدة.. ثم عرض سيد قطب لهذا الموضوع الجليل فى كتابه: « التصوير الفنى فى القرآن » الذى محضه لدراسة أمثال هذه الظاهرة الفنية، وتبدو دراساته هناك أكثر اهتماما بالجانب الفنى، وأكثر انصرافا عن هذا الجانب الفنى، مما أتاح له أن يضى أسس القصة القرآنية: وظيفة، وأداء، وبناء، وخصائص مستفيدا فى كل أولئك من وعيه النقدى الحاد، وحسه العقيدى المرهف، وإحساسه بضرورة التنوير الجمالى لما فى النص القرآنى من جوانب إبداعية تشكل المدخل الحقيقى لعناق ما فى سياقاته الفنية من جوانب الإعجاز والامتياز.**

وبدءا يحدد سيد قطب مفهومه للقصة القرآنية فى إطار من تكويناتها الخاصة، فيرى أن « القصة فى القرآن ليست عملاً فنيا مستقلا فى موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما هو الشأن فى القصة الفنية الحرة، التى ترمى إلى أداء غرض فنى طليق، إنما هى وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية »[١].

وهذا طبيعى، فالقصص القرآنى قصص ناهض بأداء رسالة عقيدية معينه أداء يجعل منه فى النهاية سلاحاً نقاتل به كل جوانب التخثر فى واقعنا الحياتى، وليس مجرد إشباع جمالى نصيب به الغاية من وجودنا مرة، ونخطئ به الغاية من هذا الوجود مرات.

وحتى يرسم سيد قطب صورة عامة أولية

(١) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن، ص ١١٧.

يحدد من خلالها طبيعة القصص في السياق القرآني، كمدخل إلى الرؤية الكلية في هذا الصدد من جهة، وكتحديد للشروط الخاصة بالنسق القرآني في قصه من جهة أخرى، يقول:

« يرد القصص في القرآن في مواضع ومناسبات وهذه المناسبات التي يساق من أجلها هي التي تحدد مساق القصة، والحلقة التي تعرض منها، والصورة التي تأتي عليها، والطريقة التي تؤدى بها، تنسيقاً للجو الروحي والفكري والفني الذي تعرض فيه، وبذلك تؤدي دورها الموضوعي وتحقق غايتها النفسية، وتلقى إيقاعها المطلوب»[٢]. وربما تكررت القصة في مواضع متعددة و لكنه ليس تكراراً عشوائياً، لأنه «ما من قصة ، أو حلقة من قصة، قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق، وأنه حينما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار»[٣].

فالمناسبة فهي التي تحدد طبيعة القصة القرآنية، مساقاً وكماً وصورة وطريقة وجواً، فإذا تكررت هذه القصة فليس هذا التكرار تنويعا على أساس قديم، وإنما تنويع جديد يعمق الرؤية، ويرهف الاستجابة، ينقلنا به من وضعية إلى وضعية أخرى تماما.

وقد يقع بعض الناظرين في هذا القصص القرآني في وهم أن هذا القصص ككل قص يقوم على اختراع الحوادث والشخوص في بنائه، أو نسيجه، ولكن مثل هذا الظن باطل من جهات متعددة، لأن المناسبة الموضوعية هي التي تستدعي هذا القص، وهي التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع، كما تحدد طريقة العرض وخصائص الأداء، «والقرآن كتاب دعوة ودستور نظام، ومنهج حياة، لا كتاب رواية، ولا تسلية، ولا تاريخ، وفي سياق الدعوة يجئ القصص المختار، بالقدر، وبالطريقة التي تناسب الجو والسياق وتحقق الجمال الفني الصادق، الذي لا يعتمد على الخلق والتزويق، ولكن يعتمد على إبداع العرض وقوة الحق، وجمال الأداء»[٤].

فالواقعية الصادقة هي منطق القص القرآني وقراره، والقرآن الكريم لا يتكئ في تحقيق فاعليته القصصية على خلق الشخوص وتزويق الأحداث، ولكنه يتكئ في تحقيق هذه الفاعلية على محوري الحق المضموني، والجمال الادائي» وفي هذا المجال يمكن ان يقال: إن النص القرآني في سياقه القصصي حقق الشرط الفني المستحيل، وهو تسوية المثال الجمالي، والنفاذ من خلاله إلى أعماق المتلقي بعيدا عن تهاويل التلفيق والتزويق التي يمارس القص الإنساني في رهجها فاعلياته الجمالية.

ويستطرد سيد قطب إلى غايات يخيل إلينا انه كان ينبغي – من الوجهة الفنية– إرجاء الحديث عنها إلى مناسبات موائمة، وهي تحديد اغراض القصة القرآنية في مثل: إثبات الوحي والرسالة، وبيان أن الدين كله من عند الله، وأن الدين كله موحد الأساس، وأن وسائل الأنبياء في الدعوة

---

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن ـ المجلد الأول ـ ص ٥٥.

(٣) سيد قطب: في ظلال القرآن ـ المجلد الأول ـ ص ٥٥.

(٤) سيد قطب: في ظلال القرآن ـ المجلد الأول ـ ص ٥٥.

موحدة، وأن استقبال قومهم لهم متشابه، وأن الله ينصر أولياءه فى النهاية ويهلك المكذبين، إلى آخر هذه الأغراض التى كان من الممكن ترك استشفافها لطاقة المتلقى من واقع حركة النص، والتركيز على أصولية الخصائص «الفنية» للقصة القرآنية.. ولكن ربما كان السبب الكامن وراء استطراد سيد قطب فى هذا الاتجاه، هو ما أحسه من أن خضوع القصة القرآنية للغرض الدينى ترك عليها آثارا معينة، جعلت لها ملامح أفردتها – فى ظل هذه الخصوصية – من بين كل الإبداع القصصى الآخر، وهذا ما يتضح فى عنونته لفصل تال لحديثه عن «أغراض القصة القرآنية» على هذا النحو: «آثار خضوع القصة للغرض الدينى».. هذه الآثار التى حددها فى مجموعة من الطرائق الفنية، أعادت لدراسته وجهها الفنى الحقيقى، والتى يمكن إجمالها فى: ورود القصة الواحدة ـ فى معظم الحالات ـ مكررة فى مواضع شتى.

«ولكن هذا التكرار لايتناول القصة كلها غالباً إنما هو تكرار لبعض حلقاتها، ومعظمه إشارات سريعة لموضع العبرة فيها، أما جسم القصة كله فلا يذكر إلا نادراً، ولمناسبات خاصة فى السياق»[٥].

وفى أن تعرض القصة بالقدر الذى يكفى لأداء الغرض الدينى ومن الحلقة التى تتفق معه «فمرة تعرض القصة من أولها، ومرة من وسطها، ومرة من آخرها، وتارة تعرض كاملة، تارة يكتفى ببعض حلقاتها، وتارة تتوسط بين هذا وذاك، حسبما تكمن العبرة فى هذا الجزء أو ذاك»[٦].

وفى «أن تمزج التوجيهات الدينية بسياق القصة، قبلها وبعدها وفى ثناياها»[٧].

ثم يقرر سيد قطب أن خضوع القصة القرآنية للغرض الدينى هكذا هدفا وطريقة، لم يمنع بروز الخصائص الفنية فى عرضها.. ولكنه على النقيض أبرز خصائص فنية بعينها تحسب فى الرصيد الفنى للقصة فى عالم الفنون الطليق، حيث «يجعل الجمال الفنى أداة مقصودة للتأثير الوجدانى، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية، بلغة الجمال الفنية»[٨].

ولعله يمكن إجمال الخصائص الفنية التى نشأت عن خضوع القصة القرآنية للأغراض الدينية فى: واحدية العرض، على تغاير موضوعات القصة وشخوصها جميعا، كأنما ليستثبت فى وعى المتلقى إحساساً أصوليا بوحدة الدين... وفى عرض الحلقات التى تقتضيها الأغراض، حتى إن آخر حلقة تعرض – بحسب ترتيب السور – تتفق مع أظهر غرض دينى صيغت القصة من أجله، وفى الوقت ذاته يتفق هذا الختام مع الأصول الفنية، ويبدو كأنه ختام فنى لذاته، وفى تساوق القصة مع الوسط الذى تعرض فيه، فأنشأ التساوق نوعا من التناسق الفنى[٩].

وأخيرا ينحو سيد قطب إلى الدراسة الجمالية

(٥) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن ـ ص ١٢٦.

(٦) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن ـ ص ١٢٢.

(٧) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن ـ ص ١٢٧.

(٨) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن ـ ص ١٢٩.

(٩) انظر: التصوير الفنى فى القرآن ـ سيد قطب ـ ص ١٢٩-١٤٦.

بشكل نهائي في حديثه عن نوعية «الخصائص الفنية للقصة» التي تحقق غاياتها المضمونية عن طريق الجمال الفني، ويلاحظ أنه استبقى في هذا الحديث جوانب البناء القصصي: من عرض، إلى مفاجأة، إلى سرد، إلى تصوير، مع حرص لا يتخلف على أساسية أن يظل إيقاع الحديث قابضاً على إحساس أننا نتعامل مع قص قرآني وليس مع مطلق قصٍ فيقول:

١- «أولى هذه الخصائص: تنوع طريقة العرض، وقد لاحظنا في قصص القرآن أربع طرائق مختلفة للابتداء في عرض القصة على النحو التالي:

مرة يذكر ملخصا للقصة يسبقها، ثم يعرض التفصيلات بعد ذلك من بدئها إلى نهايتها، وذلك كطريقة قصة أهل الكهف..

ومرة تذكر عاقبة القصة ومغزاها، ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها، وتسير بتفصيل خطواتها، وذلك كقصة موسى في سورة القصص... وقريب من هذا النحو قصة يوسف.

ومرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، ويكون في مفاجآتها الخاصة ما يغني، مثل ذلك قصة مريم عند مولد عيسى، ومفاجآتها معروفة...

ومرة يحيل القصة تمثيلية، فيذكر فقط من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء العرض، ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بواسطة أبطالها، وذلك كالمشهد الذي عرضناه من قصة إبراهيم وإسماعيل..

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ ﴾(١٠)

هذه إشارة البدء، أما ما يلي ذلك فمتروك لإبراهيم وإسماعيل:

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(١١)

إلى نهاية المشهد الطويل...

ب- وثانية هذه الخصائص تنوع طريقة المفاجأة:

فمرة يكتم سر المفاجأة عن البطل وعن النظارة، حتى يكشف لهم معا في آن واحد، مثال ذلك قصة موسى مع العبد الصالح العالم في سورة الكهف..

ومرة يكشف السر للنظارة، ويترك أبطال القصة عنه في عماية، وهؤلاء يتصرفون وهم جاهلون بالسر، وأولئك يشاهدون تصرفاتهم عالمين، وأغلب ما يكون ذلك في معرض السخرية، ليشترك النظارة فيها، منذ أول لحظة، حيث تتاح لهم السخرية من تصرفات الممثلين، وقد شاهدنا مثلا من ذلك في قصة أصحاب الجنة.

ومرة يكشف بعض السر للنظارة وهو خاف على البطل في موضع، وخاف على النظارة وعلى البطل في موضع آخر، في القصة الواحدة، مثال ذلك قصة عرش بلقيس الذي جيء به في غمضة، وعرفنا نحن أنه بين يدي سليمان، في حين أن بلقيس ظلت تجهل ما نعلم:

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ﴾(١٢)

---

(١٠) البقرة (١٢٧). (١١) البقرة (١٢٧). (١٢) النمل (٤٢).

فهذه مفاجأة عرفنا نحن سرها سلفاً، ولكن مفاجأة الصرح الممرد من قوارير، ظلت خافية علينا وعليها حتى فوجئنا بسرها معها، حينما:

﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾(١٣).

ومرة لا يكون هناك سر، بل تواجه المفاجأة البطل والنظارة في آن واحد ويعلمان سرها في الوقت ذاته، وذلك كمفاجآت قصة مريم، حين تتخذ من دون أهلها حجاباً، فتفاجأ بالروح الأمين في هيئة رجل.. وقد فوجئنا كذلك معها إذ

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾(١٤).

جـ- وثالثة الخصائص الفنية في عرض القصة: تلك الفجوات بين المشهد، والمشهد، التي يتركها تقسيم المشاهد، «وقص» المناظر، مما يؤديه في المسرح الحديث إنزال الستار، وفي السينما الحديثة انتقال الحلقة، بحيث تترك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة يملؤها الخيال، ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق،وهذه طريقة متبعة في جميع القصص القرآني على وجه التقريب(١٥).

ويخصص سيد قطب للخصيصة الرابعة وهي: «التصوير في القصة» فصلاً بذاته، لأنها - كما يرى- أبرز الخصائص الفنية في القصة. مؤكداً على أن «هذا التصوير في مشاهد القصة ألوان: لون يبدو في قوة العرض والإحياء، ولون يبدو في تخييل العواطف والانفعالات، ولون يبدو في رسم الشخصيات».

ثم يردف مستدركاً: «وليست الألوان منفصلة، ولكن أحدها يبرز في بعض المواقف ويظهر على اللونين الآخرين، فيسمى باسمه، أما الحق فإن هذه اللمسات الفنية كلها تبدو في مشاهد القصص جميعاً»(١٦).

وهكذا يلوح واضحاً أننا هنا أمام دراسة فنية لخصائص القصة، تضيء لنا طريقة العرض، وطريقة المفاجأة، وطريقة السرد، وطريقة التصوير، في تنويعاتها التقنية، التي تتردد في: «العرض» بين الإجمال، والتلويح بالمغزى، والاكتفاء بالدهشة الكامنة، وحكاية الفعل بالفعل، والتي تتردد في «المفاجأة» بين الحجب الكامل، والحجب عن الشخوص دون النظارة، والحجب التبادلي، والحجب غير الوارد أساساً.. والتي تتردد في «السرد» بين ترك الفجوات، وقص المناظر... والتي تتردد في «التصوير» بين قوة العرض، وتخييل العواطف، ورسم الشخصيات.

وكل أولئك بالطبع فعل فني حقيقي، يحاول اكتناه التركيب في نصوص معينة، ويحاول كذلك أن يضيء جماليات هذا التركيب، بدءاً من الغاية التي يهدف إليها، ومروراً بالبناء الحامل لها، وانتهاء إلى الخصائص المميزة التي تجعل من هذا الفعل الفني عالماً تحكمه قوانينه وضوابطه.

والملاحظ في هذه الدراسة بحق، أن صاحبها ينطلق من النص إلى القانون النقدي، وليس النقيض، فقد فشلت دراساتنا المعاصرة من الدخول في النص بقوانين جاهزة مصمتة، كأن كل الإبداع يمر بحتمية غير مرئية من ثقوبها الضيقة، مما أصاب النقد والإبداع جميعاً بضمور مؤكد تتقازم فيه الرؤى، وتنحسر فيه الاجتهادات!!

---

(١٣) النمل (٤٤).
(١٤) مريم (٢٣).
(١٥) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص١٤٦-١٥٢.
(١٦) انظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص ١٥٤.

دراسات أدبية

# الإبــداع وحرية المبدع

للأستاذ الدكتور/ متولى محمد البساطى (*)

إن تقويم أى عمل إبداعى، والحكم عليه يرتبط بأمرين: الأول: هو مدى حرية المبدع فى التعبير، والثانى: هو النظر إلى وظيفة الفن.

والأمران مرتبطان، إذ لا يمكن الحديث عن أيهما بعيدا عن الأخرى، وسيظلان باقيين، ومرتبطين ما بقى الإبداع.

قد تتقاطع الآراء أحيانا، حولهما، ويشتجر الخلاف إلى درجة الحدة، فيصدر الرأى تبعا لثقافة الفرد، وانعكاسا لمزاجه، وهو ما نلاحظه فى العصور المختلفة، والبيئات المتعددة، وليس عصرنا ولا بيئتنا بدعا فى ذلك.

وفى العملية الإبداعية ينبغى أن نفرق بين التفكير، والتعبير، إذ انهما مرحلتان، مختلفتان فى طبيعة كل منهما، مع مراعاة عدم الفصل بينهما، وبالتالى تختلف الحرية الممنوحة للمبدع تبعاً لذلك، كما يختلف الحكم على عمله الإبداعى.

فكل له الحق فى أن يفكر فيما يشاء، وكيفما شاء، وليست هناك قيود على حرية التفكير، أما عندما يخرج الأمر إلى مجال التعبير فتلك مرحلة أخرى تختلف فى طبيعتها، إذ أن الإبداع إذا كان فيه تحقيق لذات المبدع، فإن هذا العمل من جهة أخرى ليس ذاتيا بصور مطلقة تماما، إذ أنه موجه إلى الآخرين، وعندما يتدخل الناقد وهو الطرف الثالث فى العملية الداعية فإنه يقوم بدور الوسيط بين المبدع، والمتلقى أو بعبارة أخرى يمارس جدلية الحوار البناء مع المبدع، التى قد يمارسها القارىء الواعى.

---

(*) الكاتب: رئيس قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنصورة.

وفى مرحلة التعبير لا يمكن لذى بصيرة أن يقول بالحرية المطلقة للمبدع، وإلا انقلبت هذه الحرية المطلقة إلى فوضى مطلقة، وصار الفن معول هدم بدلا من أن يكون وسيلة بناء، وارتقاء.

والمبدع عندما ينتقل من مرحلة التفكير إلى مرحلة التعبير فإن أول ما يقوم به هو «الضبط» «والتنظيم والانتقاء»، ولا نتصوره يعبر عما بداخله من أفكار وخواطر، بأى كيفية، لأن ما يقوم به فى هذه الحالة سيأتى أشبه ما يكون بهذيان المحمومين، أو تهويمات المخبولين، أو الأحاديث المباشرة العادية التى تجرى فى الأسواق، أو داخل غرف النوم، وبعض هذه الظواهر وجدت فى الآداب العالمية فى فترة من الفترات، وكانت انعكاسا لعوامل غير صحية، سرعان ما تعافت منها تلك الآداب.

فعملية «الضبط»، والتنظيم، والانتقاء» من صميم العمل الإبداعى، ولا يقال بأن ذلك يقف حجر عثرة أمام المبدع، أنها ضوابط، لا قيود، وهى ضوابط تأخذ بيد المبدع، ولا تعيقه طالما رزق البصيرة النافذة، والقدرة الخلاقة، والحس المرهف، ليحلق فى سماء الفن، ويأخذ بيد المتلقى، ليحلق معه هو الآخر بدلا من أن يدفعه إلى الحضيض، ويهوى بمداركه ومشاعره.

ليست مهمة المبدع أن ينقل الواقع كما هو، محتجا على ذلك بالواقعية، وإنما مهمة المبدع أن يرتفع عن الواقعية المسفة، المبتذلة، ليسمو بالمتلقى إلى واقعية لإبداع الراقى.

إن ذلك أو بعضه قد يدغدغ مشاعر المتلقى، فينتشى به حينا، ولكنه أشبه ما يكون بالحركات الفجة، المثيرة للغرائز، أو الكلمات الماجنة التى تخدش الحياء، وتصدم الذوق، والشعور، والإدارك.

وما سبق لا يمكن أن نسلكه فى نطاق الإبداع إلا إذا وظف توظيفا فنيا جيدا، وجاء فى خدمة العمل الإبداعى.

فالمبدع ليست مهمته محصورة فى نقل الواقع، وإنما فى إعادة صياغته، بعد أن يضفى عليه من ذاته، وإن بقى الواقع هو نقطة الارتكاز، والمحور الذى يدور حوله ملحقا.

ومن ناحية ثانية ينبغى أن ينظر إلى التجربة الفنية على أنها تهدف إلى الخير بوجه عام[1]، ولذا يرى هربرث ريد أن العلاقة بين الفن والدين من أكثر المسائل التى ينبغى علينا أن نواجهها على الرغم مما فيها من صعوبة، وأن الفن والدين يبرزان يدا فى يد من أعماق مما قبل التاريخ، ويبدو عليهما أنهما مرتبطان ارتباطا لا ينفصم، وعلى الرغم من محاولة فصل الفن عن الدين فى أوروبا، واتساع هوة الانفصال مع ما يعرف بعصر النهضة، بوجود فن متحرر يهدف إلى التعبير عن شخصية الفنان لكنه ينتهى إلى الاعتقاد «بأنه لا يمكن أن يكون هناك فن عظيم، أو مراحل عظيمة للفن دون ارتباط وثيق بين الفن والدين، وعلى الذين ينكرون ضرورة الارتباط بين الدين والفن أن يكتشفوا بديلا للمشاعر الدينية عند الجماعات، يستطيع أن يضمن فى المدى البعيد وجود نوع من الاستمرار التاريخى لذلك الفن الذى ليس دينيا»[2].

---

(١) علم الجمال والنقد الحديث د/ عبدالعزيز حمودة صـ ٨٦، ٨٧ نقلا عن كتاب الفن لكليف بل. الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٩.

(٢) معنى الفنى صـ٤٨/ د ترجمة سامى خشبة. الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة/ ١٥ نوفمبر سنة ١٩٩٠.

والحرية المطلقة كما تجنى على الفن فإنها كذلك تجنى على الأخلاق، ولا يخفى على أحد أن كل مجتمع له مقدساته، وله أعرافه، وتقاليده، ومنه لا يجوز انتهاكه من قبل الآخرين حتى الذين يختلفون عنا في العقيدة، أو المذاهب، أو الفكر، إذ أن الاختلاف في ذلك يعطي للمخالف الحق في التطاول على المقدسات، أو النيل منها بدعوى حرية الفكر.

والقول بالارتباط بين الفن والدين ليس معناه الدعوة إلى أن يتخذ الفن منبراً للوعظ، أو الدعوة المباشرة إلى تقرير القيم والمثل الأخلاقية، لأن ذلك لا يجدى الفن، والدين شيئاً.

كما أننا من ناحية أخرى لا نميل إلى محاكمة المخالفين في الرأى، ونصب المشانق لمن يخرجون عن المثل، والقيم الأخلاقية، إذ أن هذه ليست من مهام الناقد، وإنما نقصد إلى القول بأن الأساس الأخلاقي أحد الأسس التي وجدت في نقد الآثار الفنية قديماً، وحديثاً، عند العرب، وعند غيرهم.

وينبغي أن يكون الأمر في هذا داخلاً في إطار الخلاف في الرأى، أو في وجهات النظر، ولا ينبغي أن ينتج عنه اتهام بالتعصب، أو التنابذ، والمقاطعة، والتكفير، ورد الفريق الآخر بالاتهام بالجهل، وضيق الأفق.

وفي تراثنا العربي يكفي أن نجد ناقداً مثل القاضي عبدالعزيز الجرجاني «ت٣٦٦هـ»، الذي اشتهر بالفقه، والتفسير يتسع صدره لشعر أبي نواس، ولشعر غيره ممن نهج نهجه في اللهو والمجون، والخروج عن الأساس الأخلاقي، إذ يقول: «فلو كانت الديانة عاراً على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر، لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره، إذا عدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير، وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله ﷺ وعاب من أصحابه بكما خرساً، وبكاء مفحمين، ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر»[3].

وهذا القول يمثل الوجه الثاني للعملية النقدية، وهو رأى يعود بنا ثانية إلى قضية الفصل بين الفن والدين، وأن البعض يرى أن الفن لا يعيش في كنف الدين، وأن الأهداف الدينية، والأخلاقية، لا تأتلف وطبيعة الفن، متناسين أن القول بهذا فيه من الخطر ما يكفي لهدم المثل والقيم الأخلاقية، وهو أمر تنبه له أفلاطون قديماً، إذ يقول: «فينبغي أن نراقب الشعراء، ونحملهم على أن يبرزوا في إنتاجهم صورة الخلق الخير، وإلا عاقبناهم بالحرمان من التأليف، وأن يمتد الإشراف إلى أساتذة جميع الحرف الأخرى بالمثل، ونمنعهم من إبراز الوضاعة، والانحلال الخلقي، والتسفل، وكل ما تكون طبيعته شريرة»[4].

ونحن نفهم قول الجرجاني «الدين بمعزل عن الشعر» على أن طبيعة الدين تختلف عن طبيعة الشعر، فالشعر ينبغي أن يقوم على أساس فني أولاً، وحتى الشاعر الملتزم تتحكم فيه طبيعته الفنية في إطار المعايير الأخلاقية.

وتلك محاولة منه للخروج من المأزق الذي قد يتعرض له بتناول هذا اللون من الشعر، وربما الإعجاب به، فالشعر فن، وليس شعيرة، أو ورداً من الأوراد.

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح محمد أبوالفضل ابراهيم، وعلي البجاوي مطبعة الحلبي ص٦١.

(٤) جمهورية أفلاطون ص٥٥/٥٦ ترجمة نظلة الحكيم، ومحمد مظهر سعيد. دار المعارف، ط الثالثة.

# طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

## يدك.. تريبني

روى الأعمش أن أعرابيا جلس إلى زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه، وكانت يده أصيبت يوم «نهاوند» فقال الأعرابي: والله إن حديثك ليعجبني، وإن يدك لتريبني!!

فقال زيد: مايريبك من يدي إنها الشمال

فقال الأعرابي: والله ما أدري اليمين يقطعون أم الشمال، فقال زيد: صدق

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾(١).

ويعني تريبني أي تدخل إلى قلبي الشك هل قطعت في سرقة، وهذا من جهل الأعرابي.

## صون العرض

قال أبو علي الدقاق: ما أحب أن أرد أحدا عن حاجة طلبها، إن كان كريما أصون عرضه، وإن كان لئيما أصون عرضي.

قال الشاعر:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه
لا بارك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال إن أودى فأجمعه
ولست للعرض إن أودى بمحتال

## حقا

وإذا حملت إلى سفيه حكمة
فقد حملت بضاعة لاتنفق

---

(١) التوبة (٩٧)

## أخلاق الصالحين

سأل الرشيد أبا يوسف، قاضي القضاة في عهده: صف لي أخلاق «أبي حنيفة» فقال: كان والله شديد الدفاع عن حرمات الله، مجانبا لأهل الدنيا، طويل الصمت، دائم الفكر، لم يكن مهذارا ولا ثرثارا، إن سئل عن مسألة كان له فيها علم أجاب، وما علمته - ياأمير المؤمنين - إلا صائنا لنفسه ودينه مشتغلا بنفسه عن الناس، لايذكر أحدا إلا بالخير، فقال الرشيد: هذه أخلاق الصالحين.

## قالــــوا...

- خير المال ماوجهته وجهه.
- خير الناس للناس خيرهم لنفسه.
- خالف هواك ترشد.
- خير الناس من فرح للناس بالخير.
- ليس من أراد الحق فأخطأه كمن أراد الباطل فأصابه.
- كفاك أدبا لنفسك اجتناب ماتكره من غيرك.
- من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

## خير الزاد التقوى

دخل على بن أبي طالب - رضي الله عنه - المقابر، فقال: أما المنازل فقد سكنت، وأما الأموال فقد قسمت، وأما الأزواج فقد نكحت، هذا خبر ماعندنا فما خبر ماعندكم؟!

ثم قال: والذي نفسي بيده لو أذن لهم في الكلام لأخبروا أن خير الزاد التقوى.

## خير مايؤتى المرء

قال رجل لحكيم: ماخير مايؤتى المرء؟

قال: غريزة عقل.

قال: فإن لم يكن؟ قال: فتعلم علم.

قال: فإن حرمه؟ قال: صدق اللسان

قال: فإن حرمه؟ قال: سكوت طويل

قال: فإن حرمه؟ قال: ميتة عاجلة.

## دعاء

اللهم إنا دعوناك ثقة بكرمك، وطمعا في رحمتك، وسعيا وراء مرضاتك فما غير وجهك قصدنا، ولا إلى غيرك لجأنا، أنت وليّي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين.

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

# استفتاءات القراء

## تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس

● سؤال من السيد/ حسين القطان يقول فيه:

رجل في الثمانين من عمره، ضعيف الصحة لا يقدر على الصيام، وهو فقير لا يملك شيئاً وينفق عليه أولاده الفقراء جداً فهم يعيشون على الكفاف لكثرة أولادهم وعدم وجود مورد رزق لهم، فما حكم فدية الصوم عن هذا الرجل، وهو لا يستطيع إخراجها، كما لا يستطيع أولاده إخراجها عنه؟.

●● الجواب:

قال الله ـ تعالى:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾(١)

وقال ـ تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(٢).

ومن مظاهر التيسير على المسلم إعفاؤه من فريضة الصيام في شهر رمضان، إذا فنيت قوته، وعجز عن أداء الصوم لكبر سنه، وهو ما يسميه الفقهاء بالشيخ الفاني، والعجوز الفانية .. قالوا: ويجوز الفطر لشيخ وعجوز فانية، وتلزمهما الفدية، وهي إطعام مسكين عن كل يوم غداء وعشاء، أو فطور وسحور، أو يخرج قيمة ذلك والأصل فيه قوله ـ تعالى:

---

(١) البقرة (١٨٥).

(٢) الحج (٧٨).

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾(٣).

قال العلماء: أى لا يطيقون الصيام، وتقدير حرف النفى «لا» أسلوب معروف فى القرآن الكريم كما فى قوله ـ تعالى:

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾(٤).

أى لا تفتأ، وقوله ـ تعالى:

﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ﴾(٥).

أى لا تضلوا.. ويرى بعض العلماء أن المعنى.. وعلى الذين يطيقونه أى يقدرون عليه بتعب ومشقة وعسر.... روى عطاء أنه سمع ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ يقرأ: «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ هى للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كل يوم مسكين. رواه البخارى. قال الفقهاء: فمن لم يقدر على الفدية لعسرته، يستغفر الله ـ تعالى ـ ويستقيله أى يطلب منه الإقالة والعفو، ومن الفقهاء من قال: إنه لا فدية على الشيخ الفانى والعجوز الفانية، وهو مذهب المالكية، وبعض فقهاء الأحناف، لأنه عجز مستمر إلى الموت، فكان كالمريض، إذا مات قبل أن يصح، والمسافر قبل أن يقيم، وإن كان المستحب أن يفدى.

ومن هذا يتبين للسائل أنه ليس على الرجل موضوع السؤال.. إذا كانت حالته كما شرح، لا صيام ولا فدية.. وليس عليه إلا أن يستغفر لله ـ سبحانه ـ ويطلب عفوه. والله ـ تعالى ـ لا يكلف نفساً إلا وسعها، والله أعلم.

● **سؤال من السيد / فوزى سيد حبشى.. يقول فيه:**

**عندى مرض السكر، ولا يمكننى الاستغناء عن الماء، ولا عن الغذاء، فإن صمت وامتنعت عن الماء يحصل عندى ضعف ولا يمكننى القيام بمباشرة عملى الذى أستعين به فى الحصول على معاش أولادى.. فما الحكم الشرعى.**

●● **الجواب:**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه ومن والاه.. وبعد،،

فإن علماء مذهب الفقه الحنفى قد نصوا على أن المريض إذا غلب على ظنه بأمارة أو تجربة أو إخبار طبيب حاذق مسلم مأمون أن صومه يفضى إلى زيادة مرضه أو تأخير شفائه، جاز له الفطر، وكذا يجوز الفطر

---

(٣) البقرة (١٨٤)
(٤) يوسف (٨٥)
(٥) النساء (١٧٦)



للمريض بمرض السكر المعروف إذا كان صومه يفضى إلى عدم قدرته على أداء عمله الذى يتعيش منه وعليه أن يقضى ما أفطره فى رمضان فى أيام أخر بعد زوال هذا العذر، وإن تحقق اليأس من زواله، وجبت عليه الفدية كالشيخ الكبير الفانى بشرط أن يستمر عجزه إلى آخر حياته، ولا قضاء عليه فى هذه الحالة.. والفدية هى إطعام مسكين واحد عن كل يوم غداء وعشاء مشبعين أو دفع القيمة للفقير وهى ثلاثة جنيهات تقريبا والله أعلم.

● **سؤال من السيد / صديق جودة السحار.. يقول فيه:**

**ما مقدار زكاة الفطر عن كل فرد؟. وهل يجوز إخراجها فى منتصف شهر رمضان؟. وما الفرق بينها وبين زكاة المال من حيث النصاب، والقدر الواجب من كل منهما؟.**

●● **الجواب:**

زكاة الفطر عند الحنفية نصف صاع من بر عن الفرد الواحد، والصاع عندهم بالكيل المصرى قدحان وثُلث، فالواجب إخراجه قدح وسُدس من القمح عن كل فرد، فالكيلة المصرية تكفى سبعة أفراد إذا زيد عليها سُدس قدح، ويجب من التمر والشعير والزبيب صاع كامل، ويجوز إخراج القيمة الواجبة من النقود، بل هو أفضل لأنه ـ عند الأحناف ـ أنفع للفقراء وخاصة أهل المدن الذين لا يزرعون.

والقدر الواجب إخراجه عند الشافعية صاع عن كل فرد، والصاع عندهم (قدحان بالكيل المصرى) من غالب قوت المخرج عنه، وأفضل الأقوات: القمح والذرة والشعير والأرز إلخ........

والمقدار الواجب إخراجه عند المالكية صاع عن كل شخص، وهو قدح وثلث بالكيل المصرى.. فتجزىء الكيلة عن ستة أشخاص، وهو صاع كذلك عند الحنابلة.

ووقت وجوب الزكاة من طلوع فجر يوم العيد، ويصح أداؤها مقدماً ومؤخراً.. عند الشافعية.. إلا أنها تستحب قبل الخروج إلى المصلى لقوله ﷺ: «اغنوهم عن ذل السؤال فى هذا اليوم».. وقال الشافعية: إن وقت وجوبها آخر جزء من رمضان وأول جزء من شوال، ويسن إخراجها أول يوم من أيام عيد الفطر بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العيد، ويكره إخراجها بعد صلاة العيد إلى الغروب إلا لعذر كانتظار فقير قريب ونحوه، ويحرم إخراجها بعد غروب الشمس يوم العيد. ويجوز إخراجها من أول يوم شهر رمضان فى أى يوم شاء.

وزكاة الفطر واجبة على كل مسلم يجد ما يُفضل عن حاجته وعن قوته وقوت عياله يوم العيد وليلته، وعن كل من تلزمه نفقته من أولاده وأهله وخدمه ووالديه الفقيرين.

ويرى السادة المالكية ـ رضوان الله عليهم ـ أن زكاة الفطر واجبة على كل مسلم قادر عليها في وقت وجوبها سواء كانت موجودة عنده أو يمكنه اقتراضها، فالقادر على الاقتراض يعد قادراً إذا كان يرجو الوفاء ويشترط أن تكون زائدة عن قوته وقوت من تلزمه نفقته في يوم العيد.

أما زكاة المال فلا تجب إلا على من ملك نصاباً فارغاً من الدين وعن حاجته الأصلية وحال عليه الحول، ومقدار النصاب حوالي ٨٤ جراماً من الذهب بسعر اليوم الذي تجب فيه الزكاة، ومقدار الزكاة ٢,٥٪ وأما زكاة الزرع والثمار فإن كانت تسقى بآلة ففيها نصف العُشر، وإن كانت تسقى بغير آلة كالمطر وخلافه، ففيها العُشر كاملاً.. ويجب إخراج الزكاة يوم الحصاد كما قال الله ـ تعالى:

﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾(٦).

والله أعلم.

● **سؤال عن معجون الأسنان والفرشاة للصائم، هل يقاس على السواك؟.**

●● **الجواب:**

جوابنا على هذا نقول: السواك للصائم سُنَّة في أول النهار وفي آخره، ولا أعلم حجة مستقيمة لمن قال: إنه يكره للصائم أن يتسوك بعد الزوال، لأن الأدلة في مشروعية السواك عامة ليس فيها ما يدل على التفصيل، وقد ذكر البخاري في صحيحه عن عامر بن ربيعة ـ رضي الله عنه ـ قال: رأيت النبي ﷺ ما لا أحصي يتسوك وهو صائم، ولكنه ذكره معلقاً بصيغة التمريض (أي تضعيف الأمر فهو رأي ضعيف).

وعلى هذا فالتسوك للصائم مشروع كما أنه مشروع لغيره، وأما الفرشاة والمعجون للصائم محل السؤال فلا يخلو من حالتين: إحداهما أن يكون قوياً ينفذ إلى المعدة ولا يتمكن الإنسان من ضبطه، فهذا محذور عليه ولا يجوز استعماله، لأنه يؤدي إلى إفساد الصوم، وما أدى إلى المُحَرَّم فهو مُحَرَّم، وفي حديث لقيط بن صبرة أن النبي ﷺ قال له: «بالغ في الاستنشاق، إلا أن تكون صائماً» فاستثنى الرسول ﷺ من المبالغة في الاستنشاق حالة الصوم، لأنه إذا بالغ في الاستنشاق وهو صائم، فإن الماء قد يتسرب إلى جوفه، فيفسد بذلك الصوم. وبناء على ذلك فإذا كانت الفرشاة أو المعجون قوية تنفذ إلى المعدة فلا يجوز استعمالها، أو على أقل تقدير تكون مكروهة، والله أعلم.

---

(٦) الأنعام (١٤١).

# يا أمة الإسلام أفيقي

دكتور حسين عباس الأنصاري (*)

عن ثوبان، مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها، قالوا: «قلنا يا رسول الله»: أمن قلة نحن «بنا» يومئذ قال لا بل أنتم كثير.. ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وسيصيبكم الوهن. قال: قلنا وما الوهن؟ قال: حب الحياة وكراهية الموت»(١). وصدق رسول الله ﷺ.

حينما قرأت هذا الحديث ضحكت، ثم بكيت؟!.

ضحكت لأنني تخيلت صحابة رسول الله ﷺ وقد اصفرت وجوههم، وانخلعت قلوبهم من صدورهم، وهم يسمعون هذا النبأ العظيم من رسول الله ﷺ، وقد تصوروا أن عقابا من عند الله يوشك أن يعمهم، بما قدمت أيديهم أو بما فرطوا في حق الله لأنهم موقنون تماما بقوله تعالى:

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾(٢).

ووعد الله لا يتخلف.

ويوجه الصحابة - رضوان الله عليهم - تساؤلهم إلى رسول الله ﷺ: أمن قلة بنا يومئذ؟؟ والقلة عندهم لم تكن معيارا للهزيمة، وهم الذين هزموا أعداء الله في معارك غير متكافئة في العدد والعدة وكان النصر دائما حليف المؤمنين.

لكنها المفاجأة التي أصابتهم حينما سمعوا كلام رسول الله ﷺ والذي كان يشق حجب الغيب وينظر بنور النبوة، ويرد عليهم ﷺ: أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وسيصيبكم الوهن».

بأبي أنت وأمي يا رسول الله إنه بالطبع لا يقصدهم، فهم أبناء خير القرون وخيرة المجاهدين، لا يهابون الموت، لأنهم يعلمون أن بعده حياة أبدية في جنات النعيم مع النبيين والصديقين،

---

(*) الكاتب طبيب بوزارة الصحة

(٢) محمد (٧).

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.

لكنه ﷺ كان يقصد أناسا آخرين من أمته، يختلفون عن هذا الرعيل الذى تربى بين أنوار النبوة وتشرب روح القرآن.

وبكيت حينما تذكرت أحوال المسلمين اليوم، وهى أحوال تستدعى البكاء، بل النحيب وأى ثكل أقسى، هل الثكل فى الولد أم الثكل فى الدين؟

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾(٣).

بكيت وأنا أرى المسلمين وقد أصبحوا أذلاء بعد عزتهم ضعفاء بعد قوتهم، قلة رغم كثرتهم، مستعبدين بعد أن كانوا سادة العالم.

إن كثيرا من المسلمين اليوم أصبح مشرفا على الغرق، تتهدده الأمواج العاتية والحيتان المفترسة، وإخوته وعشيرته على الشاطىء ما بين لاه عنه بملذاته الشخصية أو خائف على نفسه من المخاطر المتوهمة على الرغم مما يملك من وسائل النجاة.

أو قليل حيلة رغم ما تعتمل به نفسه من إشفاق وحزن على أخيه المشرف على الغرق لأن سيد الشاطىء يمنعه من محاولة إنقاذه.

وإذا ألقينا نظرة عامة على المسلمين فى مختلف البلدان من هذا العالم فإننا نجد أنهم ليس لهم وزن بين شعوبه بعد أن كانوا سادة هذه الشعوب، ليس بسيفهم ولكن بقوة إيمانهم وسمو عقيدتهم ويقينهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس، على شرط هذه الخيرية:

﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾(٤)

لقد تحققت إشارات رسول الله ﷺ بعد أربعة عشر قرنا من الزمان حسب ما جاء فى هذا الحديث حرفا حرفا.

فالمسلمون اليوم تتكالب عليهم الأمم والشعوب من كل جانب وفى جميع أنحاء الأرض من كل ملة وعقيدة، فالجميع قد اتفقوا فيما بينهم - وهم أعداء الأمس - على إبادة المسلمين ومحو آثار الإسلام من على الأرض «وهذا لن يكون بإذن الله» فهم يمكرون ويمكر الله وهو خير الماكرين.

لقد أصبح المسلمون مستضعفين على الرغم من أنهم يمثلون ربع سكان العالم، فما السبب؟ إن الجواب على هذا التساؤل سوف نجده عند هذا الشاعر الحكيم حيث يقول:

**ومن يهن يسهل الهوان عليه**
**ما لجرح بميت إيلام**

نعم لقد هان المسلمون ببعدهم عن الإسلام الذى هو مصدر عزتهم وكرامتهم وأصبحت كثرتهم الكاثرة غثاء كغثاء السيل، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ.

أرض المسجد الأقصى مسرى رسول الله ﷺ وقبلته الأولى ترزح تحت نير الاحتلال الصهيونى منذ أكثر من خمسين عاما بواسطة أبناء القردة والخنازير ممن كتب الله عليهم المذلة مشتتين فى

(٣) التوبة (٢٤).

(٤) آل عمران (١١٠).

بقاع الأرض قرونا طوالا، منبوذين من جميع شعوب العالم، حتى جثموا على الأرض المقدسة على حين غفلة أو تغافل من أهلها، حينما أصابهم الوهن. وآخر حقدة هؤلاء الخنازير ذلك الخنزير الشرس المدعو شارون، صاحب السجل الأسود الذى راح يعيث فى الأرض فسادا دون رادع يردعه، لأن الكل وقف متفرجا لا فرق بين دولة عربية أو إسلامية وكان الأمر لا يعنيهم فالشأن شأن أمريكا فهى الراعية الأولى للسلام كما يحلو لنا أن نسميها أو هى الراعية الأولى للاستسلام كما هى حقيقة أمرها فهى تساند إسرائيل بكل ما تستطيع من قوة عسكرية ومساندة سياسية تكشف عن وجهها القبيح، حتى يجثو الشعب الفلسطينى على ركبتيه رافعا راية الاستسلام فى مسرحية هزلية لا يعرف التاريخ الإسلامى لها مثيلا.

هل انعدمت النخوة والشهامة من دولنا العربية والإسلامية ولم يعد لها سوى الاستغاثة بالمجتمع الدولى ليحمى المسلمين من الإبادة والدمار؟ ومن هو المجتمع الدولى الذى يتحدثون عنه إنه أمريكا، فهى الأمم المتحدة وهى مجلس الأمن وهى التحالف الظالم وليست عضوا فيه فقط كما تدعى فالكل يأتمر بأمرها والكل رهن إشارتها، حتى الد أعدائها بالأمس، روسيا والصين.

لماذا اجتمع كل هؤلاء على هدف واحد، وما هو هذا الهدف؟! الطفل متوسط الذكاء يستطيع أن يستنتج أن الهدف هو الإسلام ولسنا من السذاجة بأن تغيب عنا هذه الحقيقة، لكنه الوهن الذى أصابنا بحبنا للحياة وكراهيتنا للموت.

وإذا عدنا إلى الوراء قليلاً فإننا سنرى ذلك واضحا فيما حدث للمسلمين فى البوسنة والهرسك وفى كوسوفا وفى الشيشان، شعوب تباد وأعراض تنتهك ومقدسات تداس تحت الأقدام، وأمة الإسلام واقفة تتفرج، بل إن بعضها شارك فى هذه المآسى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، لأن من ليس مع أخيه فهو عليه.

هذه الأحقاد لم يخفها أصحابها، لكنهم قالوها بكل وقاحة.

قالها نيكسون وقالها بوتين ثم قرن القول بالفعل، وقالها بوش وقالها رئيس وزراء إيطاليا فماذا ننتظر بعد هل، ننتظر أن نسألهم إن كنتم تقصدون ما تقولون أم أنها مداعبة لنا فقط؟!

كما قلت فإننا لسنا سذجا بهذه الدرجة.

وما يحدث الآن فى أفغانستان إنما هو فصل فى هذا المسلسل المهين.

الموضوع ليس أسامة بن لادن ولا طالبان فهم أضعف من أن يدبروا هذا المخطط الدقيق، لكنهم يعيدون قصة الذئب والحمل مرة أخرى.

ما معنى أن تجيش الجيوش من أقوى دول العالم لإبادة شعب شبه أعزل لمجرد اشتباه فى بعض الأفراد بأنهم قاموا بالتخريب الذى حدث فى واشنطن ونيويورك! أى شريعة وأى قانون هذا الذى يتعاملون به؟! لاشك أنها شريعة الغاب وقانون البلطجة، وكما قلت من قبل فلم تعد هناك أمم متحدة ولا مجلس أمن، فقط هناك الجلاد الأمريكى الذى يعيد قصة نيرون مرة أخرى والذى سيهزم بأضعف جند الله.

الهدف ليس أسامة بن لادن ولا طالبان، ولكن

الهدف الأساسي ـ والعلم عند الله ـ هو التمركز في منطقة وسط آسيا، بعد التمركز في منطقة الخليج العربي لضرب عدة عصافير بحجر واحد:

**أولاً**: السيطرة على بعض الدول في المنطقة والتي تحاول أن تجعل الإسلام منهجا لحكمها مثل إيران وأفغانستان، وإن كانت لنا ملاحظات على أسلوبهما في الحكم، لكن ليس هذا وقت إبداء هذه الملاحظات فلكل مقام مقال، وكذلك دولة باكستان المعين الأكبر على دمار نفسها!!

كذلك السيطرة على الدول الإسلامية الوليدة والتي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي قبل أن تفكر في استعادة هويتها الإسلامية وأمجادها الغابرة حيث خرج منها الإمام البخاري والسمرقندي والجرجاني والبيروني وغيرهم وغيرهم.

**ثانيا**: التحكم في منابع البترول بمنطقة بحر قزوين والتي تمثل مخزونا هائلا من هذه الثروة الخطيرة كما حدث في منطقة الخليج.

وصدقوني، فإن أمريكا لن ترحل عن هذه المنطقة إلا إذا رحلت بقدرة قادر.

**ثالثا**: العمل على التخلص من العدو الأول وهو الإسلام كما أعلنه نيكسون مكتوبا وأعلنه بوش مسموعا، تعبيرا عن حقيقة ما بداخل نفسه وإن كان قد أعلن تراجعه بعد ذلك ذرا للرماد في العيون.

تسانده في ذلك دول الشرق والغرب مصداقا لقوله تعالى:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾(٥)

هكذا اجتمع أبناء صهيون مع المنتمين إلى المسيح زورا وبهتانا والسيد المسيح منهم براء، مع الملحدين والمشركين مع الله آلهة أخرى من بوذيين وهندوس وسيخ.. الخ.

فهل سنسمح لكل هذا أن يحدث؟ واقعنا يقول نعم... وقد حدث بعض هذا في التاريخ القريب جدا.

وفي التاريخ البعيد وقف العرب الحفاة، رعاة الإبل أمام أعتى قوتين في العالم في ذلك الوقت وهما دولتا الفرس والروم وجعلوهما أثرا من بعد عين وخلصوا العالم من شرورهما.

إن الإيمان القوي بالله لا ترهبه القوة ولا تخدعه الأبهة الزائفة.

ولعل شهر رمضان المبارك يعيد إلينا أمجاد الانتصار على أنفسنا كما يعيد أمجاد الانتصارات في بدر والعاشر من رمضان.

زفرة: إن أخوف ما أخافه وما يؤرق مضجعي أن يفني الأفغان بعضهم بعضا ولا يمكن القضاء عليهم إلا من هذا الجانب وهذا ما يخطط له الغرب والشرق، أما إذا توحد الأفغان، شمالهم وجنوبهم فستكون أرضهم مقبرة لأي غاز،، فاللهم سلم.. ويا أمة الإسلام انفضي عن نفسك تراب الوهن حتى تكونين كما أرادك الله.

---

(٥) البقرة (٢١٧)

# استقبال شهر رمضان

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

المتأمل فى مواسم الخير الإسلامية يتملكه شعور جارف بأن شهر رمضان على وجه الخصوص فاز صائموه وقائموه بأعظم حظ وأوفر نصيب. فهو شهر كريم مبارك يمن الله فيه على عباده بموفور الخيرات التى تستوجب من العباد الشكر على جزيل العطايا وعظيم الهبات وواسع المن والرحمات التى يجدون خيرها وبرها فى الحياة قبل الممات حيث ترفع بها الدرجات. فالمؤمن رفيق الخير يدور حيث دار، هدفه نشر الفضائل والمكرمات. ولا يكون ذلك إلا فى أمثلة تعيش وسط الناس ونماذج تمشى بينهم تعلمهم كيف يستغلون أوقاتهم فى الطهر والطاعات، شعارهم الدنيا ساعة فاجعلها طاعة والنفس طماعة فالزمها القناعة. وهم فى ذلك لا يملون أو يكلون؛ لأنهم بعميق إيمانهم يدركون أن السأم والملل هما الأفتان اللدودتان لكل من سلك الطريق إلى الله عبادة وذكرا وشكراً. ونهلاً من الفيوضات الرمضانية وقطفاً من ثمار دوحتها الزكية.

أقول إن الأفراد فى حاجة ماسة كما هو حال الأمم إلى فترات من الراحة والصفاء لتجديد الإيمان وتقوية دعائمه فى النفوس إصلاحاً لما اعوج من أحوال وعلاجاً لما استفحل من أدواء بعد أن طغت الماديات واستحكمت الشهوات فى كثير من المجتمعات وتجد هذه الأمراض المستعصية علاجها الناجع كلما أطل ذلك الموسم الكريم والشهر العظيم الذى هو أحب الشهور إلى كل مسلم، فرمضان ضيف يزورنا كل عام مرة واحدة يعيش المسلم أيامه وكأنها حلم جميل أو لمعة برق خاطف تذخر بأذكى الذكريات وأسعد اللحظات، وحب ذلك الوافد الكريم مغروس فى الروح مزروع فى القلب لما خصه الله به من المزايا والعطايا والمنن، وقد صور الحديث النبوى الشريف تلك المنح الجزيلة والجود الربانى أبدع تصوير يجعل المؤمن يتمنى من سويداء قلبه لو كانت السنة كلها

رمضان، فبعد أن بدأ المسلم البذر والزرع في رجب وواصل السقى في شعبان يحين موعده مع القطاف والجنى والحصاد في رمضان، ولا يقف الحصاد عند أمور مادية تنتهى بانتهاء الحياة وإنما هى بركات تدوم وخيرات تصحبه، ما أنارت السماءَ النجومُ، ففى الصحيح من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين وينادى مناد ياباغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» فأى فرص تلك؟!.. وأى مناسبات هذه؟!.. إنما تهفو إليها الأرواح وتصفو فيها الأنفس وتزكو فيها دواعى الخير وتكثر أسباب البر إذاً قل لى بربك أى أمل ينشده المسلم أكثر من تفتح أبواب الجنان إلا دخولها.. والتمتع بطيباتها؟ ويا لها من صورة رائعة وجوا إيمانى يسود فى رمضان ففيه تلاوة وصلوات وصدقات، وأذكار ودعوات، وابتهالات، ودعاء وتراويح، وتسابيح، بكاء وخشوع، امتثال وخضوع، التجاء ودموع. إنه فترة روحية المأمول منها إصلاح ما فسد من أمور، وهو محطة هامة لتعبئة القوى الروحية والأخلاقية التى تبنى عليها الحضارات وإلى جانب ذلك الجو الإيمانى السنى فإن رمضان مدرسة لتجديد الإيمان وصقل القلوب وتهذيب الأخلاق وإصلاح النفوس وضبط الغرائز وكبح جماح الشهوات والنزوات.

فى الصيام تحقيق التقوى وقوة الإرادة وتهيئة المسلم وإعداده لمواقف التضحية والفداء. كما تتحقق به وحدة الأمة وتقوى أواصر المحبة والأخوة بين أبناء العقيدة الواحدة. كفى برمضان فضلا أن يشعر المسلم فيه بشعور المحتاجين ويحس جوع الجائعين وينجو من العقبة الكؤود التى توعد الله بها الكفرة فى قوله - سبحانه -:

﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾

البلد (١١ - ١٨)

فالصيام كما ترى مدرسة للبذل والجود والبر والصلة أوقل هو مؤسسة للتكافل الاجتماعى الذى هو روح الدين وفحواه كما أنه معين للأخلاق لا ينضب ورافد للرحمة أى رافد وما أجمل ما يتحلى به الصائمون من سجايا وما يحصلون من خلال فهم أصفى الناس أرواحاً وأرقهم قلوباً وأصلحهم أنفساً والطفهم مشاعراً وأرهفهم أحاسيساً.

وإذا كنا قد ركزنا لبعض الوقت على الصيام وثمراته ترى كيف نستقبل شهراً



لعمرى إن هناك أنواعاً من الاستقبال لذلك الشهر الفضيل نهيب بالمسلمين أن ينأو عنها وأولاها الإسراف والتبذير فما إن تعطر الجو نسمات ذلك الشهر حتى يهرع الناس مهرولين إلى الأسواق لشراء ما لذ وطاب من أنواع الطعام والشراب ناسين حكمة الصيام.

ويحضرنى هنا ما أكده أحد علماء الإسلام ومفكريه وهو الشيخ أبو الحسن الندوى عالم الهند الكبير من أن ما تكتظ به موائد المسلمين فى رمضان من ألوان الطعام وأصنافه يكفى لإشباع البطون التى تصطلى بسياط الجوع طول العام.

وثانى الأمور التى نحذر منها هو اتخاذ لياليه النورانية فرصة للسهر والسمر بدلاً من تعطيرها بالقيام وتلاوة القرآن.

وينبغى على المسلم أن لا ينسى ما وعد به من الجوائز والمكافآت السخية التى أخبر بها المصطفى - ﷺ - فيما أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه -: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» وتلك الجوائز يستحقها من صام رمضان وقام لياليه.

فالمستهدف أن يخرج المسلم من ذلك الشهر نقياً.

أخرج البخارى من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» ولو رأيت حرص السلف على استقبال رمضان لأدركت مدى ما نحن فيه من تقصير. فقد ذكر الحافظ ابن رجب عن معلى بن الفضل «أنهم كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه بقية السنة أن يتقبله منهم». وكأنى بهم قد انشغلوا برمضان والتهيىء له العام كله ثم استمع دعائهم الذى نقله يحى بن كثير فقال: «كان من دعاءهم: اللهم سلمنا لرمضان وسلمه لنا وتسلمه منا متقبلاً».

ولقد فرح الشعر بمقدم الضيف العزيز فقال شاعر حكيم:-

**جاء شهر الصيام ذى البركات**

**أكرم به من زائر هو آت**

وقال آخر:-

**أتى رمضان مزرعة العباد**

**لتطهير القلوب من الفساد**

***



# رمضان والتحديات المعاصرة

للأستاذ / إسماعيل أبو الهيثم

يهل علينا شهر رمضان الكريم، وجه من وجوه السعادة، وباب واسع من أبواب الرحمة والمغفرة والعتق من النار، ولكنه جاء هذا العام ونحن نعيش آلاما ومآسي وفواجع.

آلاما لما يحدث على أرض الاسلام في أفغانستان وفلسطين.

ومآس على النظرة العدائية للإسلام من قبل الغرب الذين ألصقوا به ظلما وبهتانا الإرهاب.

وفواجع في حال الأمة العربية والإسلامية الممزقة وسيطرة النظرة الأحادية عليها إلى جانب ضعف معنى التقوى (الهدف من الصيام) في حياتنا الفردية والجماعية، تلك التقوى التي هي السبب الأساسي لنزول النصر الإلهي الذي يخلق الانتصارات ويهزم قوى الشر والكفر والطاغوت.

إن شهر رمضان فرصة عظيمة لدراسة الواقع، دراسة واقعية تتناول جميع التحديات التي تواجهنا، والعمل على حلها، حتى يمكن إنقاذ هذه الأمة من جميع الشرور والآثام التي تحيط بها لذا كان هذا الحوار لتشخيص الداء ووصف الدواء.

الدكتور صفوت زيد الأستاذ بجامعة الأزهر يرى أن الإنفاق البذخي في رمضان أمر لا يتسق مع مجتمعاتنا الإسلامية النامية، كما أن شراهة الاستهلاك المتنامية فينا تدل على مدى التخلف السلوكي، وهو عمل مذموم ذمه الإسلام. حيث وصف الله المسرفين والمبذرين في كتابه العزيز بأنهم إخوان الشياطين.

وأكد الدكتور محمد سيد أحمد المسير على هذا المعنى بقوله إن شهر رمضان هو شهر التعالي عن شهوة البطن والفرج والتسامي بالغرائز حتى تكون في إطار كلمة الله ومنهجه تعالى.

فرمضان هو شهر تربية الإرادة والمراقبة الذاتية، والتخفف من ثقل المادة وأوزارها وليس رمضان شهر الأكلات والحلوى فهذه الأوضاع فيها قلب للحقيقة.

ولم يخف الدكتور جودة المهدي عميد كلية القرآن الكريم فرع طنطا تعجبه من التنافس في إعداد الوجبات والأكلات بدلا من التنافس في عمل الخير.



وشاركه الدكتور صفوت زيد التعجب من الشباب الذى يعتبر رمضان شهرا للكسل وموسما للأخذ لا العطاء، والترف لا المعاناة بينما رمضان فى الحقيقة موسما للانتصار على نوازع النفس والهوى، وفطم الجوارح عن فعل المحرمات، وجسرا نورانيا عبرت عليه حشود المؤمنين فى كل العصور، رافعة أعلام النصر فى بدر، وتبوك، والقادسية، وفتح مكة، وفتح الأندلس، والحروب الصليبية، وعين جالوت، والعاشر من رمضان.. مما يؤكد صدق القول بأن الإيمان يصنع النصر. وطالب الدكتور صفوت الجميع أن يقرأوا التاريخ بوعى المؤمنين.

## البرامج الإعلامية

الدكتور محمد المسير يرى أن الإعلام فى رمضان يستغل فى تمزيق الشعور الدينى، ومحادة الله ورسوله برغم أنه من المفروض عليه أن يتوافق مع الحدث، وأن يمارس دوره فى تعبئة المشاعر نحو القيم، ولكى يصون الفكر الإسلامى ويقدمه نقيا صافيا.

ويؤكد أن مايقدم فى رمضان لا يعبر عن أمة تريد أن تستعيد دورها فى قيادة الحياة.

## موائد الرحمن

موائد الرحمن فى نظر الدكتور المسير. ظاهرة طيبة، وعلامة مضيئة من علامات التواصل الإجتماعى لكنه يرى أن هذه الظاهرة تحتاج تعديلا لمسارها. لأنه يرى أنها فى بعض الأحيان لا تصل لمستحقيها ـ الذين لا يسألون الناس إلحافا ـ والتعديل الذى يراه هو عمل حقيبة مثلا تشتمل على بعض المواد الغذائية ويقوم أصحاب الخيرة بأحوال الناس، أو الجمعيات الخيرية بتوصيلها إلى بيوت المحتاجين. وأضاف وياليت أن يشترك البعض فى إقامة بعض المشروعات الصغيرة لعدد من الشباب، لأننا فى حاجة إلى أن نعلم الناس العمل بدلا من أن نقدم لهم المأكل.

## موائد الفنانين

وحول موائد الفنانين أكد الدكتور المسير أنه لا توبة مع الإصرار. فالفنان أو الفنانة التى تقيم مأدبة فى شهر رمضان مع إصرارها على الاستمرار فى عملها ظنا منهما أنهما يقدمان عملا صالحا فهذا وهم، وعمل غير مقبول ومردود طالما أن المعصية قائمة.

لكن إذا تاب وأناب وأقلع وأراد أن يتخلص من المال الزائد بمثل هذه الطرق فهذا هو الحل الذى أراه أقرب إلى الصواب.

## فرقة المسلمين

الدكتور جودة المهدى يرى أن من أهم التحديات التى تواجهنا الآن هى الفرقة بين الدول الإسلامية والعربية وأن الأمة الآن مغيبة عن المشاركة فى صياغة النظام العام وأنها تقف موقف المتفرج بل المشجع فأين رأيها الموحد لما يحدث فى أفغانستان وفلسطين واعترض الدكتور جودة

على أن ما يحدث في أفغانستان هو محاربة الإرهاب والإرهابيين ودلل على اعتراضه بقوله: وهل يعقل حشد كل هذه الآلات الحربية والتقنيات الحديثة والمتطورة جدا لمحاربة فرد أو مجموعة أو تنظيم أم أنها الحيلة المفتعلة لاحتلال المنطقة الهامة الثرية؟!

إن المقصود من حرب أفغانستان هو الإسلام وليس الارهاب كما يزعمون!! وأين كانوا عندما كان الإرهاب مصدر قلق ودمار لكثير من الدول ولا يغيب عن الذاكرة ما لقيناه في مصر من الإرهاب.

كانوا يغضون الطرف عنه ويصمون آذانهم عن استغاثات الآخرين وكانوا يظنون أنهم في مأمن من شرور هذا الوباء.

وتساءل الدكتور جودة عن علاقة ما يحدث في فلسطين بالإرهاب؟ وكيف يعد من يقاوم العدوان إرهابيا؟!

وأرجع الدكتور المهدى سبب ذلك لخفوت الصوت العربي وفقدان الإحساس بالمسئولية ووهن النبض الإسلامي فضلا على أن الإعلام الإسلامي والعربي يتحمل الدور الأكبر والمسئولية القطعية لظهور الإسلام بهذا الشكل في وجدان الغرب. وطالب الدكتور جودة الأزهر الشريف أن ينتقى قيادات مؤهلة لتوضيح الصورة الصحيحة للإسلام وبث الإشعاع القرآني والنوراني والمحمدى في هذه المناطق خصوصا وأن الإعلام الغربي والموساد يعملان بكل جهد وذكاء لتضليل هذه الشعوب بحقائق الإسلام.

واختتم الدكتور جودة المهدى حديثه محذرا الأمة الإسلامية «الجسد الإسلامي» من تداعى حمى التعصب والإرهاب والعنصرية البغيضة على عضو من أعضاء هذا الجسد «فلسطين» وحمل الدكتور جودة مسئولية الوصول إلى هذا القرار السحيق إلى كل مسلم كل حسب دوره وحجمه.

## التخلف الفكرى والعلمى

بينما يرى الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة الأسبق أن أهم الأمراض التى تصيب الأمة الإسلامية والعربية هو التخلف الثقافي والفكرى بجانب التقليد الذى سيطر على شبابنا تقليد السلبيات فقط وترك الأعمال النافعة التى تتفق مع ثوابتنا وقيمنا وديننا.

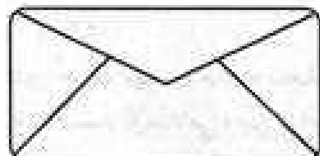
وطالب الدكتور هيكل بالعمل على تنحية المعوقات التى تحول دون تواصل الأمة وتآخيها لكي تتجاوز حالة التخلف والتمزق، والصراع، خصوصا وأن عالم اليوم لا يحترم إلا الأقوياء وأكد الدكتور هيكل أنه يجب على الأمة أن تستغل شهر رمضان في إعادة ترتيب الأوراق إذا كانت جادة في تصحيح أوضاعها.

**ونستكمل الحوار فى العدد القادم.**

**اقرأ قريبًا فى ملحق مجلة الأزهر:**

**رد الدكتور عبد العظيم المطعنى على فتوى الشيخ القرضاوى**



# رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

**في بريد المجلة رسالة يقول صاحبها:**

**كنا في سفر فصلينا الظهر في مصلى على الطريق وبعد السلام اكتشفنا أننا صلينا عكس القبلة تماما فمنا من قال تجب إعادة الصلاة، وأعادها البعض بالفعل، ومنا من قال: إن الصلاة صحيحة. فما هو الحكم الصحيح؟ ومطلب الأخ القارئ توجيه كلمة للذين يتسرعون بالإفتاء من غير علم.**

**والجواب:** أن استقبال القبلة شرط في صحة الصلاة في سفر أو إقامة ولهذا جلعت المحاريب في المساجد وذلك لقوله تعالى:

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾(١).

ومن كان في مكة يرى الكعبة عليه أن يتوجه لعين الكعبة ومن كان بعيدا عن مكة أو لاينظر إلى الكعبة فيكفيه أن يتوجه إلى جهتها، ومن كان لايعرف جهة القبلة عليه أن يسأل أحدا من أهل المكان الذي هو، فيه فإن لم يجد فليتحر جهة القبلة برؤية الشمس أو النجوم فإن لم يكن شيء من ذلك فعليه أن يجتهد ويصلي إلى أي جهة أدى إليها تحريه واجتهاده ولا إعادة عليه إذا تبين له أنه صلى إلى غير القبلة أو عكسها لحديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: (صلينا مع رسول الله ﷺ في يوم غيم في سفر إلى غير القبلة فلما قضى الصلاة تجلت الشمس - أي ظهرت - فقلنا: يا رسول الله صلينا إلى غير القبلة قال: «قد رفعت صلاتكم بحقها إلى الله - عز وجل - » أي صحت وقبلت وثبت لكم الثواب.

أما من كان في الصلاة وأخبر أنه إلى غير القبلة وجب عليه أن يتحول إلى القبلة وإلا لم

(١) البقرة (١٤٤).

تصح صلاته كما فعل أهل قباء حين علموا بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام فتحولوا إليها وهم في صلاة الصبح ولهذا سمي هذا المسجد مسجد القبلتين.

هذا ويجوز للراكب في السفر وغيره أن يصلي النافلة على راحلته أو دابته إلى أي جهة توجهت الدابة أو الراحلة وعندئذ يومئ بالركوع والسجود ويكون سجوده أخفض من ركوعه وقبلته حيث اتجهت دابته، فعن عامر بن ربيعة قال: «رأيت رسول الله ﷺ يصلي على راحلته حيث توجهت به» رواه البخاري ومسلم، وزاد البخاري يومئ برأسه ولم يكن يصنعه في المكتوبة.

وقال الأحناف لايشترط السفر بل تصلى من غير اتجاه للقبلة في السفر وغيره، وعن أبي يوسف: تجوز النافلة على الراحل في المصر - أيضا- وقال الشافعي والأوزاعي: يجوز للمتنقل أن يصلي ماشيا إلى الجهة التي يقصدها قياسا على الراكب بجامع التيسير للمتطوع.

أما من تسرع بالإفتاء من غير علم أو من غير تثبت فعقابه شديد عند الله لأنه ضال مضل وهو ممن تقرض شفاههم بمقاريض من نار يوم القيامة.

**●● وفي بريد المجلة كذلك رسالة أخرى من الأخ محمد كمال أحمد والي من بهنباي- مركز الزقازيق يقول فيها: أرجو توضيح قوله تعالى:**

﴿ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾[٢].

فقد قرأت في ص ٥٧٠ من مجلة الأزهر لفضيلة الأمام الأكبر أنه يجوز للمسلم الزواج من الكتابيات ولقد فهمت من الشرح أن الكتابيات من الكوافر ولسن المشركات فهل وقع في الآية نسخ أو تخصيص أرجو الاهتمام بالرسالة والإفادة.

وأقول للأخ محمد كمال الآية التي أشرت إليها وذكرتها من سورة الممتحنة لا من سورة المائدة كما قلت والتي في المائدة قوله تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾[٣]

الآية. وهذه الآية صريحة في حل زواج المسلم بالكتابية الحرة إذا أعطاها مهرها وهذا أمر مجمع عليه بين المسلمين جميعا.

أما آية الممتحنة التي ذكرتها في رسالتك:

﴿ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾

فهي محكمة عامة غير منسوخة ولامخصصة والكوافر جمع كافرة معناها لايجوز أن تبقى العلاقة الزوجية بين المرء إذا أسلم وبقيت زوجته على الشرك ووجودها كعدمه فلا تمنعه من نكاح أختها إذا كانت مسلمة ولا من نكاح خامسة فكأنها غير موجودة ولعل الأمر التبس عليك، ففرق بين أهل الكتاب والكفار قال تعالى:

---

(٢) الممتحنة (١٠)

(٣) المائدة (٥)

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾(١)

فالكفار أعم من أهل الكتاب لأنه يشملهم ويشمل المشركين. أما إذا قيل أهل الكتاب فيراد اليهود والنصارى فهذا تخصيص، والله أعلم.

وثمة سؤال آخر من القارئة أميمة محمد عبدالسلام من جزيرة الذهب بالجيزة تقول فيه: دفنت أمي في مقبرة تخص أخوالي وبعد سبع سنوات من دفنها قرر أخوالي بيع هذه المقبرة وشراء مقبرة أخرى في مدينة ٦ أكتوبر، وعليه سيتم نقل جثة والدتي فهل ذلك جائز شرعا؟ ولو أقدرني الله واشتريت مقبرة فهل يجوز نقل والدتي مرة أخرى؟

وسؤال آخر: هل يجوز أن يوصي الإنسان بدفنه في مقبرة بذاتها...؟

وجوابا على هذا السؤال نقول: اتفق العلماء على أن الموضع الذي يدفن فيه المسلم يصير وقفا عليه مابقي منه شئ من لحم أو عظم فإن بلى وصار ترابا جاز الدفن في بعضه وجاز الانتفاع بأرضه في الغرس والزرع والبناء وسائر وجوه الانتفاع، وقال -العلماء- أيضا لايجوز بيع أحجار المقابر الدارسة لبناء دار أو قنطرة أو ما شابه ذلك لأن مابني على أرض القبر صار وقفا كذلك..

وعلى هذا نقول للسائلة: إن بيع أخوالك لأرض مقبرتهم لايجوز إلا إذا كانت كل القبور قد بلى مافيها ولم يبق منه شئ من عظم أو لحم أما عن نقل الميت من قبر إلى قبر فلا يجوز إلا لعذر شرعي ولذا لم ينقل كثير من الصحابة بعد أن دفنوا في الأماكن التي استشهدوا بها وهي أرض حرب أما نقل الميت من بلد إلى بلد قبل أن يدفن فأجازه علماء الحنفية مع الكراهية والمستحب أن يدفن كل ميت في مقبرة البلد التي مات بها فقد روى أنه لما توفي عبدالرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما- بعيدا عن مكة حمل إلى مكة فدفن بها فلما قدمت عائشة -رضي الله عنها- أتت قبره وقالت: «والله لو حضرتك مادفنت إلا حيث مت ولو شهدت مازرتك - تعني أنها لو شهدت موته ما زارت قبره لنهي الرسول ﷺ النساء عن زيارة القبور - وروى أن أبا عبيدة بن الجراح قال قبل موته: «ادفنوني حيث قبضت» وقال المالكية يجوز نقل الميت من مكان إلى مكان لمصلحة كأن يخاف عليه أن يجرفه السيل أو يأكله السبع، وكرجاء بركة المكان المنقول إليه أو لزيارة أهله له أو لدفنه معهم كل ذلك مالم تنتهك حرمة الميت بانفجاره أو تغير رائحته أو كسر عظامه.

وحرم الشافعية نقل الميت إلى بلد آخر إلا أن يكون بقرب مكة أو المدينة أو بيت المقدس لفضل هذه الأمكنة.

وعليه نقول للسائلة: يجوز لك أن توصي بدفنك في أي مقبرة مالم تكن بعيدة عن المكان الذي ستموتين فيه أكثر من ميلين إلا أن يكون ذلك بقرب الحرمين الشريفين أو بيت المقدس،

والله أعلم

(١) البينة (١).

# تأملات فى غزوة بدر

يحتفل المسلمون فى كل عام، فى شهر رمضان المبارك، بغزوة بدر لما لها من أثر طيب فى نفوس المسلمين جميعا منذ صدر الإسلام وحتى يومنا هذا لأنها كانت أول تصادم بالقوات بين قوة المسلمين النامية وبين رجال قريش وأتباعهم من المشركين، وقد نصر الله المسلمين فى هذه الغزوة لتماسكهم ووحدة قيادتهم، ورسوخ إيمانهم بعقيدتهم وهكذا أراد الله أن تنتشر دعوة رسوله فى ربوع الأرض وأن تخبو جذوة المشركين..

للأستاذ / أحمد إسماعيل

## الموقف العام

* المسلمون :

ازداد عدد المسلمين فى المدينة المنورة وأصبحوا أشد قوة وتماسكا من ذى قبل، ولكن حالتهم الاقتصادية كانت ضعيفة لأن أكثر المهاجرين فروا بأنفسهم ودينهم وتركوا أموالهم فى مكة.

* المشركون واليهود :

١ - أصبحت الطرق التجارية الحيوية بين الشام ومكة تحت رحمة المسلمين وحلفائهم وهذا يعنى موت تجارة قريش.

٢ - انتشار نفوذ المسلمين وازدياد قوتهم الأمر الذى لا يتفق مع سيادة قريش على العرب.

٣ - أصبح للمشركين ثأر عند المسلمين فى مقتل عمرو بن الحضرمى (فى نخلة)، فلابد من الأخذ بهذا الثأر حتى تعود لقريش وحلفائها هيبتهم وكرامتهم عند العرب.

## قوات الطرفين

* المسلمون :

بلغت قوة المسلمين ٣٠٥ رجال من المهاجرين والأنصار بقيادة الرسول ﷺ وكان معهم فرسان وسبعون بعيرا.

* المشركون :

بلغت قوة المشركين ٩٥٠ رجلا أكثرهم من قريش ومعهم مئتا فرس وعدد كبير من الإبل وكان على رأس هذه القوة عدد من رجالات قريش البارزين.

## أهداف الطرفين

* المسلمون :

١ ـ استخلاص أموالهم من قريش وذلك بالتصدى لقافلتها التجارية العائدة من الشام التى يقودها أبوسفيان بن حرب .

٢ ـ البقاء فى ( بدر ) بعد إفلات القافلة استعدادا لمواجهة قريش التى اجمعت لمحاربتهم .

* المشركون :

١ ـ حماية القافلة التجارية القادمة من الشام .

٢ ـ بعد إفلات القافلة يتم قتال المسلمين والقضاء عليهم حتى يعرف العرب قوة قريش وسطوتها .

## أحداث ما قبل المعركة

* المسلمون :

١ ـ أرسل الرسول ﷺ طلحة بن عبيد الله، سعيد بن زيد لاستطلاع أمر قافلة قريش التجارية القادمة من الشام حتى وصلا ( الحوراء ) على طريق الشام، فمرت بهم القافلة فأسرعوا إلى النبى ﷺ يخبرانه بأمرها .

٢ ـ تحركت قوة المسلمين من المدينة فى ٨ من رمضان ( السنة الثانية للهجرة ) بالترتيب التالى :

أ ـ دورية استطلاع أمامية : للحصول على معلومات باتجاهات القافلة التجارية .

ب ـ القوة الرئيسية : مؤلفة من كتيبتين ( كتيبة المهاجرين ورايتها سوداء مع على بن أبى طالب ومصعب بن عمير بن هاشم ـ وكتيبة الأنصار ورايتها سوداء مع سعد بن معاذ ) .

ج ـ مؤخرة : تحت إمرة قيس بن أبى صعصعة .

د ـ راية المسلمين العامة بيضاء مع مصعب بن عمير بن هاشم .

٣ ـ سلك المسلمون طريق القوافل بين المدينة المنورة وبدر البالغ طوله ( ١٦٠ كم ) ولما وصلوا قريبا من « وادى الصفراء » بعث النبى ﷺ دورية استطلاع مكونة من رجلين للحصول على معلومات عن قريش وعندما وصل المسلمون « وادى زفيران » جاءهم الخبر بخروج قريش من مكة لنجدة قافلتهم .

٤ ـ تحرك الرسول ﷺ أمام قواته ويصحبته أبوبكر حتى كانوا على مقربة من « بدر » .

٥ ـ أرسل الرسول ﷺ دوريتى استطلاع للحصول على معلومات عن قريش ومواقعها وكانت الدورية الأولى مكونة من : على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وعادت ومعها غلامان لقريش واستطاع الرسول ﷺ من مساءلتهما ان يستنتج أن قوة المشركين بين ٩٠٠ ـ ١٠٠٠ رجل وأن أشراف قريش خرجوا جميعا لمنعه .

أما الدورية الثانية : فكانت من رجلين ووصلا إلى ماء بدر وسمعا أن القافلة ستأتى غدا أو بعد غد وأخبرا الرسول ﷺ بذلك .

٦ ـ عسكر المسلمون فى أدنى ماء بدر ثم جاء الحباب بن المنذر والأنصارى السلمى وأشارا على الرسول ﷺ يقترب من أدنى ماء القوم ويعسكر فيه ثم يفسد ما وراءه من آبار وأن يبنى عليه حوضا ويملأه بالماء ليشرب منه المسلمون ويحرم منه المشركين . وهكذا أخذ الرسول ﷺ بهذا

الرأى وتم تنفيذه ليلا وتحرك المسلمون إلى معسكرهم الجديد وامتلكوا موقع الماء.

* المشركون:

١ ـ كانت تضم قافلة المشركين ألف بعير ساهم فيها كل رجال قريش ونسائها حتى قدر ما تحمله بخمسين ألف دينار، وعندما تأكد أبوسفيان بن حرب من خروج المسلمين للتعرض لقافلته أرسل (ضمضم بن عمرو الغفارى) إلى مكة ليستنفر قريشا على أموالهم.

٢ ـ جهزت قريش نفسها ولم يتخلف من أشرافها غير أبى لهب الذى أرسل مكانه العاص ابن هشام بن المغيرة.

٣ ـ سبق أبوسفيان بن حرب قافلته لاستطلاع أمر المسلمين، واستطاع أن يدرك أن جيش النبى ﷺ فى مكان بالقرب منه، فرجع إلى قافلته وسلك طريق الساحل تاركا بدرا إلى يساره فى سرعة فائقة، وعندما أمن أن قافلته تحت أرسل إلى قريش يطلب منها العودة إلى مكة.

فى ذات الوقت أرسلت قريش (عمير بن وهب الجمعى) ليستطلع لها قوة المسلمين، فعاد وأخبرهم بأنها تقدر بثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون، ولا كمين لهم ولا مدد. ولكن لا ملجأ لهم إلا السيف. احتارت قريش هل يعودون أم يتقدمون، وبعد أخذ ورد قرروا قتال المسلمين.

## سير القتال

١ ـ قبل بدء القتال اتخذ المسلمون ما يلى:

أ ـ انتخب النبى ﷺ موقعا مشرفا على بدر وبنى فيه مقراً للقيادة (عريشا) وأمن حراسته.

ب ـ جرى ترتيب المقاتلين فى صفوف، وساوى الرسول ﷺ بين الصفوف وشجع أصحابه وحرضهم على القتال، كما أمرهم بصد هجمات المشركين المحتملة وهم مرابطين فى مواقعهم.

ج ـ كانت كلمة التعارف بين المسلمين وشعارهم فى القتال «أحد.. أحد».

٢ ـ أما المشركون فقد استعدوا لممارسة أسلوب القتال المعروف لديهم (الكر والفر) بدون قيادة منظمة ولا سيطرة على القوات.

٣ ـ بدأ هجوم المشركين بهجوم الأسود بن عبدالأسد على الحوض الذى بناه المسلمون، فتصدى له حمزة بن عبدالمطلب وضربه بسيفه ضربة أطارت نصف ساقه ومع ذلك حبا إلى الحوض لاقتحامه فتبعه حمزة بن عبدالمطلب حتى قتله.

٤ ـ برز من المشركين: عتبة وشيبة وأبناء ربيعة والوليد بن عتبة فخرج إليهم فتية من الأنصار ولكن الرسول ﷺ أعادهم وطلب خروج عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبدالمطلب وعلى بن أبى طالب لأنهم من أهله فهو يؤثرهم بالخطر على غيرهم ولأن شجاعتهم وممارستهم للقتال معروفة وأن نجاحهم مضمون مما يرفع من معنويات المسلمين ويضعضع من معنويات المشركين.

٥ ـ استشاط المشركون غضبا فأمطروا المسلمين وابلا من سهامهم وهجموا بفرسانهم غير أن صفوف المسلمين بقيت صامدة فى مواقعها نبالها على المشركين مستهدفة إصابة سادتهم بالدرجة الأولى، ولم يفطن المشركون

لأسلوب المسلمين الجديد في القتال، مما جعل رجالات المشركين تتهاوى بوابل من نبال المسلمين المصوبة إليهم تصويبا دقيقا.

٦- نزل الرسول ﷺ بنفسه يقود صفوف المسلمين، وأخذت هذه الصفوف تقترب رويدا رويدا من فلول المشركين التي فقدت قادتها حتى تبعثرت قوات المشركين، وحينذاك أصدر الرسول ﷺ أمره لقواته ( شدوا ) أي قوموا بالمطاردة، وبدأت المطاردة لفلول المشركين ثم أخذ المسلمون يجمعون الغنائم والأسرى.

٧- بدأت معركة بدر يوم الجمعة ١٧ من رمضان من السنة الثانية للهجرة وانتهت مساء وبقي المسلمون ثلاثة أيام في بدر بعد المعركة ثم غادروها عائدين إلى المدينة.

## خسائر الطرفين

● المسلمون: استشهد أربعة عشر مسلما ( ستة من المهاجرين، ثمانية من الأنصار )

● المشركون: قتل منهم سبعون رجلا وأسر سبعون.

## أسباب انتصار المسلمين

**أولاً: قيادة موحدة:**

كان الرسول ﷺ هو القائد العام للمسلمين في بدر وكان المسلمون يدا واحدة تحت قيادته - ﷺ.

**ثانيا: مقر القيادة:**

بنى الرسول ﷺ مقرا لقيادته ( عريشا ) يسيطر منه على المعركة وانتخب له رابية تشرف على ساحة القتال وخص لعريشه حرسا خاصا تحت إمرة مسئول.

وبعكس ذلك فلم يكن للمشركين قائد عام ولم يكونوا على رأى واحد.

**ثالثا: تكتيك جديد:**

١- طبق الرسول ﷺ في سير الاقتراب من المدينة المنورة إلى بدر تشكيلا لا يختلف عن التكتيك الحديث في حروب الصحراء فكان لجيشه: مقدمة، وقسم أكبر ( القوة الرئيسية )، ومؤخرة وخصص دوريات استطلاع للحصول على معلومات والاستفادة منها.

٢- أما أثناء القتال فقد قاتل المسلمون بأسلوب ( الصفوف ) بينما قاتل المشركون بأسلوب الكر والفر.

**رابعًا:**

أمر الرسول ﷺ أصحابه بأن يصدوا هجوم العدو وهم مرابطون في مواقعهم- أي مواقع دفاعية- وتسديد النبال إلى صدورهم.

**خامساً:**

عندما تهاوت رجالات قريش وضعف هجومهم أصدر الرسول ﷺ أمره بالهجوم ثم بالمطاردة بعد انهزام المشركين.

**سادساً: عقيدة راسخة ومعنويات مرتفعة:**

لقد أيقن المسلمون بأن قريشا تفوقهم عددا وعدة، ومع ذلك عزموا على الصمود إلى النهاية لأنه كانت للمسلمين أهداف معينة يعرفونها ويؤمنون بها وهي: الحرية الكاملة لنشر دعوتهم وحمايتهم حتى تكون كلمة الله هي العليا



وكلمة المشركين هي السفلى، ولذلك قاتلوا بشجاعة تامة.

كما أن تشجيع الرسول ﷺ لأصحابه قبل القتال وخلاله قوى من عزائمهم ومعنوياتهم وبذلك ظلت معنويات الكبار ومعنويات الأحداث الصغار عالية أثناء المعركة وبعدها.

**سابعًا: مبادئ عامة أرسى قواعدها رسولنا الكريم ﷺ:**

**١ - الغنائم:**

جمع الرسول ﷺ غنائم المعركة وقسمها بالتساوى بين المسلمين من أهل بدر ومن عاونهم على إحراز النصر: فقد جعل للفارس سهمين (سهم له وسهم لإعاشة فرسه وإعدادها للحرب) وجعل حصة لمن تخلف فى المدينة لرعاية شئون المسلمين أو من بقى فى المدينة بأمر الرسول.

لأن النصر فى الحرب لا يحرزه المقاتلون فقط، بل ويتعاون على إحرازه فى الخطوط الأمامية وفى الخلف لتهيئة أسباب النصر.

**٢-الأسرى:**

أمر الرسول ﷺ بقتل أسيرين فقط لقوة عداوتهم للمسلمين إذ اعتبرهما مجرمى حرب لا مجرد أسيرين. أما بقية الأسرى وعددهم ثمانية وستون فقد وزعهم الرسول ﷺ على صحابته قائلا: «استوصوا بالأسرى خيرا» ثم فادى أغنياء الأسرى بالمال. أما فقراء الأسرى فأطلق سراحهم دون مقابل، كما كلف المتعلمين منهم بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة ثم أطلق سراحهم بعد ذلك.

**٣- القتلى والجرحى:**

حفر المسلمون قليبا دفنوا فيه قتلى المشركين، وهذا مبدأ وضعه الرسول ﷺ وجوب دفن قتلى الأعداء، كما عنى بجرحى المشركين فضمدوا جراحهم أسوة بجرحى المسلمين.

**خاتمة:**

سلام الله ورحمته وبركاته عليك يارسول الإنسانية بما أرسيته من قواعد وأصول فى مجال المعارك والقتال، ووضعت مبادئ سامية يهتدى بها القادة العسكريون المسلمون خاصة هنا فيما يتعلق بالأسرى، فقد أوصى بهم خيرا والمعاملة الطيبة لهم وعلاج جرحاهم ودفن موتاهم وياليت عالم اليوم يسير على هدى هذه الخطى ويتخلق بها فهى من مبادئ حقوق الإنسان الحقة- فى هذا المجال- وليس كما يتشدق بها اليوم من يدعون أنهم حراس حقوق الإنسان وحراس الديمقراطية، وياليتهم يعلمون- بالمقارنة- هنا أن مبادئ حقوق الإنسان لديهم هشة ومزيفة تكيل الأمور بمكاييل مختلفة لأنها بنود ومبادئ من صنع الإنسان وهواه، أما حقوق الإنسان كما وضحها رسولنا الكريم ﷺ فهى مبادئ منزلة من عند الله العلى القدير لكافة شعوب الأرض على لسان نبيه ﷺ.

***

# بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشنى

## تفسير بيدبا

**توقفنا مع صندوق الدنيا للأستاذ أحمد بهجت فى الأهرام فى عددها الصادر فى ٢٠٠١/١٠/٣١ قال فيه:**

**قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: اشرح لى يا بيدبا.. ما يحدث فى أمريكا وأفغانستان.. فإننى لم أعد أفهم شيئا.. قال بيدبا الفيلسوف: «ماما أمريكا تؤدب أطفالها بقنابل فى يدها اليمنى، بينما يدها اليسرى تحمل الدقيق والخبز، لأن أطفالها جائعون وسينو التغذية.. وهى ذات قلب حنون.. هل تقنعك هذه الصورة يا مولاى؟**

**قال الملك: إنها صورة غير مفهومة.. لقد تحدث أحد المسئولين من طالبان فقال إن أمريكا تضربنا بصواريخ ثمن الواحد منها مليون دولار، ولكن هذه الصواريخ تصيب خيمة ثمنها ٢٠ دولارا..**

**هل هذا معقول؟**

إن الغيوم تتكاثف على عقلى.. ولم أعد أتبين موضع قدمى يا بيدبا..

إن هذا لغز لا يقل عن ألغاز الحواديت.. ما رأيك فيه؟

قال بيدبا الفيلسوف لدبشليم الملك: ليس هناك لغز فى الموضوع يا مولاى.. أنت تنظر الآن إلى الصورة التى تقع أمامك.. وتحكم عليها طبقا للأحداث التى تجرى فيها.. بينما فى الخلفية أربع قوى دولية تصعد بسرعة الصواريخ.. هى: روسيا -رغم لحظات ضعفها الآن- والصين والهند واليابان، وثمة من يقول يا مولاى إن هناك كنزا من البترول فى بحر قزوين، وهو أكثر من بترول الخليج العربى.. ولما كان وجود أى كنز يستدعى وجود طامعين فيه، ووجود حارس يقظ له، من هنا جاء اهتمام أمريكا بالأمر.



إن أمريكا هي حارسة الكنوز في أرجاء المعمورة.. أي كنز يظهر تظهر هي معه لحراسته، وهي تقوم بهذه الحراسة بلا أجر.. إنما بدافع قوى من وجوب سيادة العدالة.. هكذا تقول.. ودعنا نصدقها فليس من الأدب تكذيب الكبار!!

قال الملك دبشليم لبيدبا الفيلسوف: ماذا تريد أن تقول يا بيدبا.. إننى أجاهد محاولا الفهم..

قال بيدبا الفيلسوف: كل دولة في الدنيا لها حساباتها الاستراتيجية يا مولاى.. وهذه الحسابات لها لحظة لدخول المسرح والوجود فيه.. وحبذا لو كانت هذه اللحظة مثيرة من الناحية الدرامية.

قال الملك دبشليم: أعرف كيف بدأت الحرب ضد الإرهاب.. السؤال هو كيف تنتهي؟

قال بيدبا الفيلسوف: لكل شيء بداية ونهاية يا مولاى.. إلا حرب الإرهاب.. لها بداية فقط، وليس لها انتهاء!!

● وهكذا ظل الملك دبشليم حائرا محاولا فهم ما يجرى بعد أن انقلبت الموازين وأصبح سمك القرش هو سيد الموقف.

## أهي حرب صليبية جديدة؟

نعم هي حرب صليبية الهدف منها قتل الأبرياء وتشريد المسلمين وتشويه الأطفال وهدم البيوت كما قال الأستاذ محمد عبدالله السمان في (اللواء الإسلامي) يوم ١/١١/٢٠٠١ تحت عنوان «حصاد الخيرة»:

كل الدلائل اليوم تؤكد أن هناك حربا صليبية جديدة خطط وأعد لها منذ أمد غير قريب كان محور الحروب الصليبية في القرون الوسطى لندن وباريس وبرلين وروما حيث يوجد البابا الذى دعا إليها وشجع عليها أما الحرب الحديثة فمحورها تل أبيب وواشنطن وكانت أحداث الثلاثاء الأسود في واشنطن ونيويورك بداية هذه الأحداث التى أسقطت هيبة واشنطن ومزقت غرورها الذى زكم أنوفها وجعلتها مبعث سخرية أتباعها قبل خصومها.

لقد نجحت الموساد بمركزها الرئيسي في تل أبيب وفرعها في واشنطن في التخطيط والتنفيذ وتسخير الإعلام لوضع العرب والمسلمين في قفص الاتهام واعتماد أسامة بن لادن كبش الفداء الذى رفعت الأحداث من قيمته فبعد أن كانت واشنطن قد أعلنت في الماضى عن مكافأة قدرها خمسة ملايين دولار لمن يسلمها رأس أسامة بن لادن حيا أو ميتا رفعت المكافأة إلى خمسة وعشرين مليونا من الدولارات ومن يدرى فلعل طبيبا فذا متخصصا في الاستنساخ يستنسخ صورة من بن لادن يقدمها إلى واشنطن ليفوز بالمكافأة التى يسيل لها اللعاب.

● التعليق:

لقد جعل الأمريكان بن لادن أسطورة ترعبهم في صحوهم ومنامهم وهذه هي الحرب الحقيقية..



## التخبط الأمريكي

تحت هذا العنوان كانت الافتتاحية للأستاذ مصطفى بكرى فى جريدة (الأسبوع) فى ١/١٠/٢٠٠١ قال فيها:

إن من يتتبع التخبط الأمريكي والأدلة المفبركة والخطابات الساذجة يدرك حجم الإفلاس والورطة التى وقعت فيها واشنطن بعد أن نصبت نفسها على رقاب العباد حاكما بأمره توزع الاتهامات وتصدر الأحكام.

ونقول: إن الذين يظنون أن أحداث الثلاثاء الأسود الحزين هى التى كشفت عن النية عن إعلان حرب شاملة ضد الإسلام لا يدركون أن نية الحرب بدأت مع الحروب الصليبية الأولى وكان الاستعمار الأوربى الصليبى بعد فشلها امتدادا لها ثم انبرى الاستشراق والتبشير يذكى نيران هذه الحرب.

ونجح اليهود فى جعل الخائن أتاتورك دمية فى أيديهم حتى قضى على الخلافة الإسلامية وحول تركيا مركز الخلافة إلى دولة علمانية تخضع للمحفل الماسونى الأعظم وينتهى بها المطاف بسرعة البرق.

إنه ليس تخبطا فقط إنه الجنون الأمريكى النابع من سلوكيات رعاة البقر الهمجية ولابد أن يقف العالم الإسلامى لإنقاذ البشرية قبل أن تقوده أمريكا إلى الهاوية.

## أمريكا والنصب السياسى على العرب!

تشكر الأستاذ وجيه أبوذكرى على مقاله الجرىء فى (الأخبار) بعددها الصادر فى ٧/١١/٢٠٠١ قال فيه:

طالبنا أكثر من مرة الزعيم الفلسطينى سرعة إعلان الدولة الفلسطينية لاختبار النوايا الأمريكية المعلنة والمؤيدة لقيام الدولة الفلسطينية، وليس سرا أن الأمين العام لجامعة الدول العربية وحده الذى حذر من الكمين الأمريكى للدول العربية، ففى اجتماعات لجنة المتابعة العربية الذى عقد فى دمشق مؤخراً صرح عمرو موسى أنه يخشى أن تتعرض الدول العربية لعملية نصب سياسى إذا ما أعيد تحريك عملية السلام دون أن يكون الهدف منها قيام دولة فلسطينية، وقال عمرو موسى: «إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين»، مشيرا بذلك لاتفاقات أوسلوا التى عقدت سنة ١٩٩٣ وقال موسى: «لن ننتظر عشر سنوات أخرى»، وأشار إلى أن التصريحات وحدها لا تكفى، بل يجب أن يكون لها أرجل تمشى، موضحا أن العرب ينتظرون مبادرة دولية ملموسة!

إذن فالتصريحات الأمريكية وربما الدولية هى لتهدئة خواطر العرب وليست للحل، وهم فى انتظار انتهاء الأزمة الأفغانية، وبعدها تدخل القضية الفلسطينية فى ثلاجة التاريخ وتترك إسرائيل تمارس إرهاب الدولة ضد الفلسطينيين حتى يتم إجلاؤهم أو إبادتهم.

ولا حل أمام الفلسطينيين إلا باستمرار انتفاضة الأقصى، ولا حل أمام العرب إلا بدعم الانتفاضة.

# بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

## قانون مكافحة الإرهاب
## ردة للحرية فى أمريكا

وكأن ضرب مركز التجارة العالمى فى أمريكا لا يكفى؛ فقد تم تسديد ضربة أخرى أشد إيلاماً تم توجيهها إلى الحرية المزعومة فى بلد الحريات ولكن هذه المرة بأيدى الأمريكيين أنفسهم، حيث أصدروا قانون مكافحة الإرهاب الذى يعطى السلطات حق التنصت على المكالمات التليفونية، وتعقب الرسائل الالكترونية، وحق احتجاز المشتبه فيه لمدة أسبوع وترحيله دون الاطلاع على التهمة الموجهة إليه.. وذلك تحت شعار: «الأمن قبل الحرية». هكذا برغم القوة العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية الفائقة التى تتمتع بها أمريكا والتى تمكنها من التروى والتحقق دون أن تمس حرية المواطنين، نجد أنها لم تتورع عن قصف الحرية التى باتت تتغنى بها، تماماً مثلما لم تتورع عن قصف الشعب الأفغانى البسيط طلبا للهيبة الضائعة!!



ترى ماذا يفعل الشعب الأفغانى بشيوخه ونسائه وأطفاله أمام قوة أمريكا وحلفائها؟! **اللهم إلا الدعاء أن تثوب أمريكا إلى رشدها** فتوقف وابل النيران الذى تلقيه على الأبرياء.

## العدل هو الحل الوحيد للإرهاب

**وحول مسألة الارهاب، كتب الاستاذ الدكتور سميح أحمد محمد إبراهيم -استاذ الاحصاء بكلية تجارة الزقازيق يقول:**

ـ العدل أساس الملك ولا غرو فالعدل اسم من أسماء الله الحسنى - وفي ضوء ذلك فإنه يمكن القول أن (العدل هو الحل الوحيد للإرهاب) مصداقا لقول الله -سبحانه وتعالى- في القرآن الكريم:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فالعدل هو الحل الوحيد للإرهاب ولنتأمل قول مبعوث امبراطور الروم عندما رأى أمير المؤمنين نائما تحت شجرة بدون حراسة: «حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر» -ولله الأمر من قبل ومن بعد- وعلى الله قصد السبيل- وحسبنا الله ونعم الوكيل.

## عالم بلا قلب

**أما الاستاذ/ السيد حسين العزازي - رئيس القطاعات بالكهرباء والطاقة- فيشير إلى انعدام الرحمة في ظل النظام أحادي القطبية، حيث يقول:**

ـ نظن خطأ أن البشرية قد بلغت رشدها وأفاقت من غيها وتخلت عن غيها وتحلت بالحب والتراحم بعد أن عركت التجارب وعايشت المحن واكتوت بنار الظلم والتسلط إذ لا يزال كدرها جزءا من قدرها وان العدل كامل يبتعد مداه ويحيد عن مرماه فلا تصله ولا تدركه. وشاهدنا على ذلك مساحة الغضب والعنف التي تشمل الدنيا من جهاتها الأربع وبحيث يصدق القول ان الدنيا ترقد على صفيح ساخن فتختلط الفواجع بالمآسي والرزايا بالمعاناة والكل يرزح تحت وطأة العذاب وإن تنوعت الاشكال والأسباب. ولقد أصبح الرعب يتسلل إلى أعماقنا ويصل إلى مضاجعنا من خلال شاشات التلفاز أو عناوين الصحف إن كنا مشاهدين. أما المشاركين ممن يعيشون في مواقع الحدث فهم يخالطون الموت ويداخلهم الهلع والضياع بفعل الدمار ويتملكهم القلق ليل نهار ولا يصل لأبصارهم سوى مشهد النيران والدخان وحمامات الدم والأشلاء وتلال الركام والحطام

(١) الأنعام آية (٨٢).



ويدوى فى آذانهم دوى القـــذائف وازيز الطائرات التى تخترق حاجز الصوت وتهتك ستر الحياة بالموت بغير تمييز بين صغير او كبير فالمصير واحد ما دام الجميع -كما يقولون- في خندق واحد.

وأيا كان ما يحدث من افعال أو ردود افعال فكلها نتاج الانحراف وفساد الفكر وعدم توظيف العقل فيما خلق من اجله والممارسات المعاصرة لا تقل ضراوة عن الاستعمار القديم فى احط صوره وأشكاله، خاصة وان تكنولوجيا الإبادة من حرق وخنق ومسح تحقق فى الدقيقة ما كان يتعذر تحقيقه قديما فى أعوام.

وفى ظل هذا المسلك الوقح أصبحت الانسانية بلا أرضية او غطاء وتضاعف عدد المستضعفين؛ فالاقوياء تجمعهم اوروبا الغربية والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة.. وإسرائيل ذَنَبٌ لهؤلاء مجتمعين.. والمغلوبون على أمرهم يقطنون آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وأجزاء من اوروبا الشرقية. أما استراليا فلا زالت تابعا مستأنسا للتاج البريطانى وقضايا الأمس هى قضايا اليوم؛ فالطرف القوى يتسلط ويتحكم ويحاصر والطرف الاضعف يجار ويتأجج ويقاوم وفى ظل القطبية الثنائية احيط به وفى ظل النظام الاحادى أجهز عليه وتقطعت أنفاسه بل ويحتضر فى بعض اجزائه وإن كان هذا فى مجمله ليس مفروضا عليه بالتمام.. خاصة وان لديه الفرصة للتوحد مع أنداده والترابط مع اقرانه ليشكل قوة تصدى وتحدى قد يكتب لها الفوز إن تمسكت بدواعي الكرامة من احترام الاستقلالية والاعتماد على الذات وانتاج مقومات الحياة دون سند أو مدد ممن يتربصون به أو يضمرون له سوءً للاحتواء والهيمنة وهو ما نلاحظه فى سياقات العولمة.

وكفانا غفلة وسذاجة وأولى بنا ألا نسعى لسجاننا وان نبحث لانفسنا عن ملاذ آمن يتوفر فيه السلام ومعطيات الرخاء وهذا لن يكون إلا إذا بذلنا جهدا مضاعفا لاستغلال ثرواتنا الطبيعية والحفاظ على البيئة، ووظفنا طاقة البشر فيما يفيد وتبصرنا مستقبلنا بعد فحص كل الاحتمالات، واستقر بنا الرأى على سياسات واضحة وموضوعية.

وإذا كان رخاء العالم أو ركوده اقتصاديا يرتبط بحالة امريكا ايجابا أو سلبا فمعنى ذلك أن العالم يتحرك من خلال مزاج وظروف سيده وهذا دليل على عدم نضوج الانسانية بمعناها الواسع ووقوعها أسيرة الخضوع والخنوع وذلك فى مجمله يفسر أن العالم باستكانته وتواكله لا يزال تحت وصاية سيد خشن الطباع يرتضى لنفسه أن يُطاع ولغيره أن ينصاع ولتحقيق ذلك يضرخ ويهدد وليس مهما لديه ان تدين أو تندد فالذئب لا يشغله ثغاء القطيع بقدر ما تشغله المباغته والانقضاض.

وغاية الامر أن فلسفة القوة لا تفرز سوى العنف وأجدر بنا -إن أردنا السلام- أن نسعى للعدل لانه قيمة بناء ونماء ورخاء ومدخل أخلاقي للرخاء الإنسانى واستقامة الحياة واستدامتها على النهج المنشود.

# جرانـــادا، توليـــدو، ســافيل

**فى هدوء وواقعـية وبعيداً عن العصبـيـة البغيضة يوضح د. أحمد شوقى عرفة كيف استفاد الغرب من حضارة العرب، ويوضح أنه برغم تنكر الغرب للحضارة العربية، إلا أن الإعجاب الكامن فى أعماقهم يخرج رغماً عنهم فى بعض تصرفاتهم، يقول الدكتور أحمد شوقى:**

ـ هذه أسماء لثلاثة من أفخم السيارات الأمريكية مأخوذة من أسماء ثلاث مدن أندلسية عظيمة وهى: غرناطة وطليطلة وأشبيلية. لقد اختار المصنعون الأمريكيون هذه الأسمـاء لتكون دليلا على عظمة ماصنعوا، إنهم بهذا يشهدون على عظمة حضارة الأندلس وفى نفس الوقت يشهدون ويعترفون بعظمة الحضارة الإسلامية.

كان أحد باباوات روما فى شبابه يدرس فى معاهد قرطبة فى الأندلس كما كان كثير من شباب أوروبا يفعل بعد أن يجيدوا دراسة اللغة العربية بل لقد كانوا يفتخرون بإتقانهم هذه اللغة السامية التى كانت لغة العلم فى العالم كله فى هذا الوقت وعند عودتهم إلى بلادهم كانوا ينقلون ما تعلموه فى قرطبة وغيرها من مدن العالم الإسلامى إلى بلادهم تماما كما يفعل أبناؤنا فى هذا العصر إذ يتعلمون فى معاهد أوروبا وأمريكا. أما عمن صار بابا روما فقد أخذ معه الصفر. لم يكن الصفر معروفا من قبل وكانت العمليات الحسابية تجرى بطريقة صعبة فاخترع العلماء فى الأمة الإسلامية «الصفر» فأصبحت العمليات الحسابية أكثر سهولة. ولنا أن نتصور كيف يمكننا الآن إجراء عمليات حسابية تحتوى على أعداد بها الملايين والبلايين بدون الاستعانة بالأصفار.

إن صاحب الحضارة الحقة لا يتعالى على الآخرين فإذا تعالى أحد علينا وتفاخر بحضارته فيمكننا أن نعرض عليه وعلى العالم أجمع صورا من حضارتنا، بل يمكننا أن نبين لهم كيف استفاد الغرب من هذه الحضارة السامية.. و... لدينا مزيد.

# الأعيـــاد الإســـلامية

من القـارىء / حسـام جـابر محـمـد عبدالعزيز - محرم بك - الاسكندرية - وردت كلمة عن الأعياد نقدم منها قوله :

كلمة « العيد » مشتقة من العود أي « العود » لأنها تعود كل عام حاملة ما يمنحه الله -عز وجل- من عوائد الخير والمغفرة على عباده، وعيد الفطر المبارك هو اليوم الأول فقط من شوال، فيه يفرح المسلمون بفضل الله عليهم بإتمام شهر رمضان وتمكينه -عز وجل- لهم بأداء فريضته. قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : « للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه »

( رواه البخاري ). وهو يوم الجائزة. عن النبي ﷺ : « إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا: اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم، وأمرتم بالصيام فصمتم، وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا نادى مناد : ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة ».

( رواه الطبراني )

# من الأخطـــاء الشـــائعة

ومن ديرب نجم - شرقية - يلقى القارىء الأستاذ إبراهيم نصحي بعض الضوء على أخطاء شاعت بين المتحدثين بالعربية، نشكره، ونرجو أن يتوصل عطاؤه بقول :

من الخطأ أن تقول:

١- سحب محمد الشكوى.

والصواب: استرد محمد الشكوى.

٢- من الخطأ: بات محمد هادئا -أي: نام.

والصواب: نام محمد هادئا. لأن معنى بات: أظله المبيت، سواء أنام أم لم ينم.

قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾.

[ الفرقان : آية ٦٤ ]

٣- من الخطأ: قرأت المجلة إياها.

والصواب: قرأت المجلة نفسها أو عينها بالتوكيد، لأن ( إياها ) ضمير نصب منفصل لا يختص بالتوكيد.

٤- من الخطأ: تقرر انتداب الموظف

والصواب: تقرر ندب هذا الموظف، لأن الفعل ( ندب ) مصدره ( ندْب ) بسكون الدال على وزن فَعَل- فَعْلاً؛ فالمصدر: فَعْل وليس افتعال.

وبالله التوفيق.

## من إبداعات القراء :

### مع هلال رمضان

شعر / جابر عبدالعليم مصطفى – سوهاج

قد هلّ نورٌ للهلال فكبّروا ... نورُ الهداية من عظيمٍ يغفرُ
شهرٌ تجلّى للعباد معلّمًا ... في كلّ عامٍ نورُهُ يتفجّرُ
قرّتْ به عينُ العباد برحمةٍ ... وكذا بعتقٍ في النهاية يُسطرُ
شهرُ المودّة والمحبّة والهُدى ... يمحو الإساة والفضيلة ينشرُ
من صامه وأقام ليلًا ضارعًا ... فهو الجديرُ وإنه لمبشّرُ
وقراه ضيفًا حين يمسي مفطرًا ... يجني ثوابًا والكريمُ يقدّرُ
وإذا سعيتَ لمن أُمرتَ بوصلهم ... حلّ الوفاقُ وللقطيعة تهجُرُ
وزكاةُ فطرٍ للتكافل خُصّصتْ ... وكذا للغوٍ في الصيام تُطهّرُ
هذا العطاءُ لأمّةٍ قد خصّها ... ربُّ العباد بخير دينٍ يظهرُ

### الصلاة

شعر / خديجة أحمد محمود فرغل

نادى المؤذن فاستمع ... في فرحة لندائه
يدعوك للبر الرحيـ ... ـم لتستظل بظله
فدع المشاغل والهمو ... م مرددا كلماته
فانهض لوقت لن يعو ... د إذا مضى واظفر به
وأرح فؤادك كي يشـ ... ـع النور في جنباته
واسجد لربك واقترب ... حتى تفوز بقربه
فالله يرضى أن يرا ... ك وفيك بعض جلاله



## رمضان يا من قد سموت مبشرا

شعر / عبدالرحمن محمد أحمد - نجع حمادى

رمضان يامن قد سموت مبشراً ... أهل الهدى بالخير والبركات
صامت بك الأرواح عن شؤم الهوى ... وتنافس الأبرار فى الطاعات
وكستْ وجوه الصائمين نضارةٌ ... لله قد صاموا عن الزلات
أهواك حيث المسلمون بك التقوا ... بين العظات وعـ[illegible]ـر الآيات
أهواك كم فيك المساجد عمرت ... وتزينت بالذكر والصلوات
وإليك عاد النور مكة أبشرى ... بالفتح أقبل فى سنا وثبات
أهواك فيك الليلة العظمى التى ... فاقت بهاء الدهر و السنوات
والعيد خلفك قد أطل مبشرا ... أهل الصيام بأرفع الدرجات
يارب أنت المستعان ونحن لا ... تدعو سواك فجد لنا بنجاة

## دعاء لليلة القدر

شعر / محمود الطاهر الصافى

يارَبِّ يا مانحَ الشفاءِ ... يا مُذهِبَ اليأسِ بالرجاءِ
أسبغْ علينا الشفاءَ نوراً ... فيبدِّدا ظُلمةَ العناءِ
وخفِّفْ الكربَ عن مريضٍ ... وأبعِدِ البؤسَ بالهناءِ
واجعلْ جميعَ الحياةِ خيراً ... وأنفسَ الناسِ في صفاءِ
وابعثْ لذى محنةٍ خلاصاً ... كمطلعِ الفجرِ بالضياءِ
وأنقذِ المتعبَ المعنَّى ... من كُلِّ كربٍ وكُلِّ داءِ
واجعلْ سلامَ القلوبِ شمساً ... شعاعُها مصدرُ الإخاءِ
وهبْ لنا من لدنكَ رشداً ... يهدى إلى مشرقِ العلاءِ
واجعلْ يقينَ الإيمانِ صرحاً ... أساسُهُ ثابتُ البناءِ
ووحِّدِ العُربَ لانتصارٍ ... ليصنعوا أمجدَ السناءِ




للأستاذ / محمد الشرقاوى

## إقبال كبير على الكتب الإسلامية فى معرض فرانكفورت للكتاب

شهد معرض فرانكفورت الدولى للكتاب إقبالاً كبيراً على الكتب الإسلامية سواء من قبل أبناء الجالية الإسلامية المقيمة فى ألمانيا أو من الألمان أنفسهم وفى العالم الغربى يتزايد الإقبال حالياً على الاطلاع على الكتب عن الإسلام ومعانى القرآن الكريم.

يذكر أن ألمانيا بها عدد كبير متزايد من المسلمين يتركز معظمهم فى المدن الكبرى مثل « ميونيخ » و« شتوتجارت » و« فرانكفورت ».

## نشاط كبير للمؤسسات الإسلامية فى ألمانيا

ذكر الدكتور حسين البحراوى رئيس المجلس الإسلامى فى ألمانيا أن المسلمين فى ألمانيا يتزايد عددهم حتى وصلت المؤسسات الإسلامية فى ألمانيا إلى ( ٢٠٣٠٠ ) مؤسسة إسلامية من المدارس والمساجد والمعاهد والمراكز الإسلامية.

وصرح بأن المجلس يسعى إلى توحيد المنهج والجهود فى كل المؤسسات الإسلامية فى ألمانيا حتى تكون فى إطار التكامل وليس التناحر والتنافر وعن التعليم فى ألمانيا للمسلمين قال: إننا نفكر فى قضية التربية والتعليم بجدية تامة لأبناء المسلمين فى ألمانيا حيث إن ٦٠٪ من المسلمين



فى ألمانيا فى سن التعليم من الابتدائى حتى الثانوى، لذلك أسسنا بعض المدارس وتركز على التربية من خلال المحاضرات فى المساجد والمراكز الإسلامية للأبناء والأمهات كى نحافظ على الهوية من خلال التربية والحمد لله النتائج جيدة.

وعن نشاط المجلس الإسلامى قال: استطعنا إعداد ٧ اجتماعات لرؤساء المؤسسات الإسلامية فى الغرب كلها فى أوروبا والأمريكتين كى نضع استراتيجية لعمل ثقافى ودعوة موحدة كى تحافظ على هوية المسلمين فى الغرب.

## ٣٠ ألف كتاب إسلامى للمسلمين فى إثيوبيا

قدمت الندوة العالمية للشباب الإسلامى ومقرها «جدة» نحو «٣٠٠٠٠» كتاب إسلامى من إصداراتها باللغة العربية والإنجليزية إلى المسلمين فى أثيوبيا وذلك فى إطار سعيها المتواصل إلى نشر العلم النافع لتعليم المسلمين أمور دينهم وتعميق ثقافتهم الإسلامية وشملت الكتب التى قام بإرسالها مكتب الندوة «بجدة» بعض أجزاء من تفسير القرآن الكريم وبعض كتب السيرة النبوية وكتب فى العقيدة والحديث وعن حياة الصحابة والتابعين ويأتى توزيع هذه الكتب ضمن خطة الندوة الخاصة بطباعة وتوزيع الكتاب الإسلامى بهدف نشره وتوفيره للقراء والباحثين وطلبة العلم خاصة فى الدول التى يصعب فيها الحصول عليه، علاوة على ماتشكله المطبوعة الإسلامية من وسيلة أساسية ومهمة فى الدعوة إلى الله ونشر الدين الحنيف وتوثيق صلة المسلمين بدينهم وتعريف غيرهم به.

## عدد الأمريكيين الداخلين فى الإسلام تضاعف «٤» مرات بعد أحداث سبتمبر

ذكرت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية أن حوالى «٢٥» ألف شخص يعتنقون الإسلام سنويا فى الولايات المتحدة وأن عدد الذين يدخلون الإسلام يوميا قد تضاعف أربع مرات بعد أحداث ١١ سبتمبر الماضى ونقلت الصحيفة عن خبراء قولهم إن أسباب انتشار الإسلام فى أمريكا متعددة ومن بينها: عالمية رسالته ولأنه يقر بنبوة عيسى - عليه السلام - والخليل إبراهيم وأنبياء آخرين ورد ذكرهم فى الكتب السماوية القديمة بالإضافة إلى أن الدخول فى الإسلام لايحتاج إلى إجراءات شكلية معقدة حيث إنه دين بسيط واضح. ولا نملك إلا أن نذكر بقول الله - عز وجل -:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾(١).

## كتاب «محمد» ﷺ الأعلى مبيعا

سجل كتاب «محمد» ﷺ للمؤلف اللبنانى المقيم فى باريس «صلاح ستيتة» والمنشور بالفرنسية أعلى الكتب المبيعة فى فرنسا مما حدا بدور النشر الكبرى إلى التنافس على حق طباعته حيث أعيد إصداره فى طبعة جديدة للجيب فى «٢٥» ألف نسخة بعد أن كان قد صدر فى طبعته الأولى عدد «٥» آلاف نسخة.

---

(١) الصف (٨).



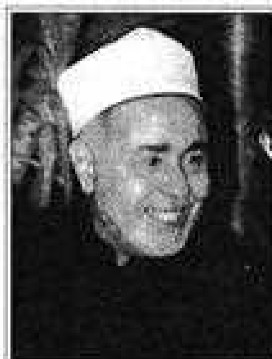


# أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

## سماحة الإسلام ونبذ الإرهاب

عقدت جامعة الأزهر الشريف مؤتمرا عن «سماحة الإسلام ونبذ الإرهاب» تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف والقى فضيلته كلمة قال فيها: إن الإسلام يقوم على السماحة والعدل ويرفض الإرهاب بكل صوره سواء العدوان على النفس أو العرض أو المال أو الحرية أو الكرامة الإنسانية، والإسلام دين الأنبياء جميعا، ولابد أن نرد على من يتهمون الإسلام بالباطل فالرسول ﷺ قاد سبعة وعشرين غزوة ليس فيها غزوة للعدوان ولكن جميعها كانت من أجل رد العدوان ومن أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل، وآيات الجهاد التى نزلت في القرآن الكريم كانت من أجل رفع الظلم ورد العدوان، فالإسلام دين السماحة فمن يتهم الإسلام بالإرهاب والتهم الباطلة فهو حاقد ولابد أن ندفع هذه التهم بجميع الوسائل، كما أوضح أن الفلسطينيين عندما يدافعون عن أرضهم وأنفسهم فهم يجاهدون، ومن يفجر نفسه فى عدوه فهو شهيد وليس إرهابيا كما يدعى البعض، وقال إن الحضارات تتقارب وتتعاون ولا تتصارع وكل حضارة تعطى للأخرى وتأخذ منها فالحضارات بذلك تتكامل الشرق يأخذ من الغرب والغرب يأخذ من الشرق وهكذا ومن يقول عكس ذلك فهو جاهل أو حاقد.


فضيلة الإمام الأكبر

وتحدث الدكتور أسامة الباز المستشار السياسى للسيد رئيس الجمهورية فقال: إن ظاهرة اتهام الإسلام والمسلمين بالإرهاب هى


أ. د/ أسامة الباز


أ. د/ أحمد عمر هاشم


أ. د/ محمود زقزوق

ظاهرة قديمة حيث إن التعصب ونبذ الآخر نمط من أنماط السلوك الإنساني فرسالة الإسلام رسالة صلة بالرسالات السابقة والرسالات تكمل بعضها البعض، والإسلام له جذور وقواعد والذين يهاجمونه إما عن جهل أو تعصب ديني أو سياسي، والحضارة تمر بمراحل ازدهار واضمحلال، والإسلام لا يكره أحدا على الدخول فيه قال تعالى:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾(١) او الحرية لها ضوابط وقواعد، وأكد على قيام مؤتمر دولى للإرهاب حتى تكون المواجهة من الأسرة الإنسانية كلها وليس مع الحدث بذاته وهذا يؤدى إلى أمن الشعوب واطمئنانها كما تحدث بذلك ونادى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك.

وأكد الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف ورئيس المؤتمر بأن الإسلام يحرم الإرهاب على المسلمين وغير المسلمين وأن ما تمارسه إسرائيل هو أبشع أنواع الظلم والإرهاب والعالم يرى بعينه ما يحدث ولكن إسرائيل أدارت ظهرها وصارت تحفر حول المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ودعا المجتمع الدولى والدول العربية لمكافحة الارهاب لتنهض جميعا، وتؤيد دعوة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك لمؤتمر دولى لمكافحة الارهاب، وأشار إلى أن الإسلام قرأن الأمان رهن العدالة، والظلم يولد الانفجار.

وتحدث فضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف قائلا: إن بعض المسلمين لايفهمون الإسلام فهما صحيحا ولايعرفون مبادئه ولا تعاليمه الحقيقية، فالإسلام دين مظلوم بين جهل أبنائه وظلم أعدائه، وأكد أن الإسلام

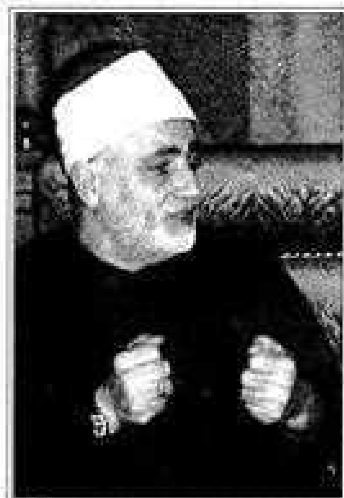
(١) البقرة: ٢٥٦.

بمصادره الأساسية المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية وبحضارته أيضا بعيد كل البعد عن الإرهاب وعن الظلم وجوهر الإسلام هو الرحمة قال تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٢).

والإرهاب ظاهرة عالمية لا يختص بها شعب معين والغريب أن الإسلام وحده من بين كل الأديان في الأرض يوصف بالإرهاب وهذا يثير العديد من علامات الاستفهام، مع أن الإسلام وشريعته يحترم النفس الإنسانية وقد كرمها الله عز وجل - وجعل الحفاظ عليها مقصدا من مقاصده، وحينما أذن للمسلمين بمقاتلة من اعتدى عليهم كان ذلك بشرط ألا يتجاوز الاعتداء إلى من لم يعتد، وإذا كان الإسلام قد شرع الجهاد فقد شرعه كحرب دفاعية وليس كحرب مقدسة كما يقول البعض، وليعلم العالم أن الإسلام أمر بالحوار والتعاون والتعارف بين جميع الشعوب، كما أمر أتباعه بأن يتعايشوا مع غيرهم بالعدل والإنصاف ونحن كمسلمين ليس لدينا حساسيات من أي حضارة ولذلك نرفض بشدة صراع الحضارات، والحضارة الإسلامية تعاونت مع الحضارات الغربية وأعطت لها الكثير، وعندما أرادت أوروبا أن تبني عصرا جديدا قامت حركة نشطة بترجمة العلوم العربية إلى اللغات الأجنبية.

وتحدث فضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية فقال: إننا عندما نحكم العقل والواقع والتاريخ والإنساني وما ورد في كل الشرائع السماوية فسنجد أن الإسلام هو سلم وأمان لكل إنسان على الأرض فالسلام والإسلام صنوان لعملة واحدة، كما أن النصوص الشرعية سواء المتعلقة بالعبادات أو المعاملات كلها تحمل هذا المعنى وتوجب على من انتسب إلى الإسلام أن يؤمن بذلك وأن يطبقه في حياته، وقال: إن الأنبياء جميعا جاءوا لتحقيق الخير للإنسانية كما جاء في شريعة الإسلام وقال: إن الإنسان مع بني جنسه يمثل نفسا واحدة ولذلك فالاعتداء على نفس واحدة هو اعتداء على الناس جميعا وهو إفساد للحياة كلها فكيف يتصور أن يكون في الإسلام إرهاب بعد ذلك، وأشار إلى أن الإسلام شرع الجهاد للحفاظ على النفس البشرية والإسلام حارب الإرهاب بكل صوره وأشكاله، وقال إن تواصل الحضارات في الإسلام ضرورة حتمية، وقال إن الإسلام دين السلام والمسلمون يطبقون ذلك عقائديا في كل أمور حياتهم مع أنفسهم ومع غيرهم.



أ. د/ نصر واصل

---

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

مجمع البحوث الإسلامية يؤكد:

## ما يحدث فى افغانستان عدوان متجبر

اجتمع مجمع البحوث الإسلامية برياسة فضيلة الإمام الاكبر شيخ الازهر الشريف بجلسته يوم ١/١١/٢٠٠١ وناقش الوضع الدولى الراهن بشأن رأى الإسلام فى ظاهرة الإرهاب وما دار حولها من ملابسات وقد أصدر المجمع بيانا رأى فيه أن الإرهاب هو ترويع الآمنين وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم، والاعتداء على أموالهم وأعراضهم وحرياتهم وكراماتهم الإنسانية بغيا وإفسادا فى الأرض، كما رأى أن الجهاد الإسلامى إنما هو بذل الجهد نصرة للحق ودفعا للظلم، كما رأى المجمع أن كل العقلاء من كل الأديان والحضارات قد أجمعوا على أن معالجة أسباب المشكلات والأمراض لابد أن تسبق معالجة الأعراض، وأنه يجب التفرقة بين عنف الطغاة الذين يغتصبون الأوطان ويهددون الكرامات، ويدنسون المقدسات، وبين ممارسة الدفاع المشروع الذى يجاهد به المستضعفون لاستخلاص حقوقهم المشروعة، كما رأى أن محاربة الإرهاب التى يؤيدها المجمع فى بيانه لا تبرر الاعتداء على شعب افغانستان الفقير الأعزل الذى تتعرض مدنه وقراه ومساجده ونساؤه وأطفاله ومقومات حياته لعدوان متجبر دون سبب ودون بينة.

حضر الإجتماع فضيلة مفتى الجمهورية وفضيلة وكيل الأزهر الشريف وفضيلة رئيس جامعة الأزهر وفضيلة الأمين العام للمجمع والسادة الأعضاء.

## الإمام الأكبر يشهد حفل تخرج طلبة البعوث الإسلامية

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وبحضوره احتفلت مدينة البعوث الإسلامية بتخريج الدفعة ٤٣ من طلاب وطالبات مدينة البعوث بعد انتهاء دراستهم بجامعة الأزهر الشريف من جميع الكليات والتخصصات وبلغ عددهم ٢٥٠ طالبا وطالبة يمثلون ٥٨ جنسية من جنسيات العالم المختلفة وتحدث فضيلة الشيخ فرحات السعيد المنجى المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية عن النهضة التى حدثت فى عهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وذلك فى المجالات العلمية والتعليمية والثقافية وتجديد المبانى وتحديث المدينة ودخول الكمبيوتر والإنترنت والعمل على أن يتصل كل طالب بأهله وذويه من داخل المدينة إلى غير ذلك من تجديد وتحديث المطابخ ثم تحدث فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف عن النهضة العلمية والثقافية فى الأزهر الشريف واستقباله لطلاب وطالبات من ٩٥ دولة من دول العالم المختلفة من جميع القارات يتعلمون فى الأزهر الشريف على منح منه ثم يحصلون على أعلى الشهادات العلمية فأصبح منهم رؤساء دول وسفراء ومسئولين فى بلادهم وعلماء ينشرون دين الإسلام ويقومون بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ثم تحدث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الذى هنأهم بحصولهم على أعلى الشهادات من الأزهر الشريف من كلياته المختلفة وقد أوصاهم بأن يكونوا على

صلة بالأزهر الشريف وعلمائه وأن يظلوا على تواصل مستمر مع إخوانهم المصريين وأن يكونوا قدوة حسنة طيبة لإخوانهم، وأن يقوموا بنشر الدعوة الإسلامية في بلادهم ثم قام فضيلته بتوزيع الجوائز عليهم.

## دورة أئمة ووعاظ العالم الإسلامي

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة رقم ٥٤ لأئمة ووعاظ العالم الإسلامي الذين أتموا الدورة التدريبية بمدينة البعوث الإسلامية وعددهم ٢٨ إماماً وواعظاً من دول تنزانيا، بنجلاديش، جزر القمر، جيبوتي، البوسنة والهرسك، والجزائر وقد استمرت هذه الدورة لمدة ثلاثة أشهر من ٨/١ - ٣١/١٠/٢٠٠١ تلقوا خلالها التدريب والمحاضرات على أمور الفقه والعلوم والمعارف الإسلامية على أيدي السادة أصحاب الفضيلة علماء الأزهر الشريف وأساتذة جامعة الأزهر الشريف وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة هنأ فيها الخريجين على تفوقهم في هذه الدورة وحثهم على متابعة حفظ كتاب الله - عز وجل - والتمسك بسنة رسوله ﷺ، وأن يكون مثالاً يحتذى في سلوكهم الإسلامي، وأن يظهروا سماحة الإسلام ويسره، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، ونبذ الإثم والعدوان، وأن يتحلوا بمكارم الأخلاق، وأن يترفعوا عن الخلافات المذهبية لأن الدين الإسلامي دين يسر لا عسر دين تبشير لا دين تنفير، دين يدعو إلى العدل ويبغض الظلم والعنف والتطرف وهو دين الاعتدال يعطي كل ذي حق حقه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما أوصاهم بأن يذكروا مصر وأزهرها الشريف بعد عودتهم إلى بلادهم وأن يكون التواصل بينهم وبين معلميهم وإخوانهم دائم وقائم، وأن يكونوا رسل سلام وحب، وأن يبلغوا ما تعلموه لأهليهم وذويهم ثم قام فضيلته بتوزيع الجوائز وشهادات التخرج على الخريجين ثم قام فضيلته بافتتاح الدورة ٥٥ لأئمة ووعاظ العالم الإسلامي وعددهم ٢٩ عالماً وإماماً من دول: الصين، المالديف، تشاد، سريلانكا، الفلبين، الجزائر وقد بدأت الدورة في ١١/١ وتنتهي بعد مدة ثلاثة أشهر حضر الحفل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد وفا أبوعجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية والسادة علماء الأزهر.

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد الدكتور/ سري نسيبة مسئول ملف القدس يرافقه السيد السفير/ زهدي القدرة سفير فلسطين في القاهرة.

وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن أن القدس في قلوبنا ومشاعرنا ودمائنا، وأن من حق الشعب الفلسطيني أن تكون له دولته الحرة التي لها مكانتها فوق الأرض وتحت الشمس، ونحن نؤيد إخواننا في فلسطين، ومن يفعل غير ذلك يكون مقصراً في حق دينه وأمته، وقال إن للفلسطينيين الحق في الدفاع عن أرضهم وكرامتهم وهو أمر واجب على كل إنسان عاقل، وأن ما نراه من اعتداء على الأراضي الفلسطينية والمقدسات الإسلامية والمسيحية، واعتداء على الآمنين من الرجال والنساء والأطفال يعتبر اجرام في حق الإنسانية، وأن استمرار الدفاع من جانب الفلسطينيين عن حقوقهم من شأنه أن يحصلوا على تحرير أرضهم حتى تكون لهم دولة حرة أبية ماداموا ثابتين وصابرين.

## نحن ضد العدوان على الإنسانية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف الدكتور/إبراهيم الأمين مندوب السيد/ الصادق المهدي رئيس حزب الأمة بالسودان.

رحب فضيلته بالضيف في الأزهر الشريف، وقد نقل الضيف رسالة تحية وإجلال من الصادق المهدي لمواقف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر المتزنة والمعتدلة في هذه الفترة الحرجة التي يدبرها أعداء الإسلام، والتصدي لمن يتعرض لتشويه صورة الدين الإسلامي، وهي مرحلة تحتاج إلى التعاون والصبر والجلد، وإظهار سماحة الإسلام لدى دول العالم.

شكر فضيلته الضيف مؤكدا له بأن أحاديثه عن تلك الأحداث تتلخص في ثلاث نقاط:

أولا: أننا ضد العدوان على النفوس الإنسانية مادامت هذه النفوس لم ترتكب ما يوجب الاعتداء عليها.

ثانيا: أنه من حق من وقع عليه الاعتداء أن يبحث عن الجناة الحقيقيين ويتعقبهم ويقبض عليهم ويحيلهم للجهات القضائية لتقول كلمتها فيهم.

ثالثا: ليس من حق المعتدى عليه أن يعاقب غير الجناة وهذا كلام واضح وضوح الشمس.

## قضاة السودان في ضيافة الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفد القضاة والمستشارين بجمهورية السودان الشقيقة برئاسة السيد/ عثمان ميرغني محمد المستشار بوزارة العدل السودانية في إطار الدورة التي يعقدها مركز الدراسات القضائية بالقاهرة.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف في مصر وأزهرها الشريف وأوضح أن شريعة الإسلام واضحة في عقيدتها ومعاملاتها وهذا من مميزاتها، وأن شريعة الإسلام هي شريعة العقل السليم، ومنذ بداية الكون وحتى الآن هناك فضائل وهناك رذائل، واتفق العقلاء على كل الفضائل، ولم يتفقوا على الرذائل، كما اتفقوا على الأصول في العبادات والمعاملات. وأن الرسل -عليهم الصلاة والسلام- أوضحوا ذلك لأقوامهم في دعوتهم إلى الله عز وجل، وأن العبادة لله الواحد الأحد، وفي الدعوة لمكارم الأخلاق وفي العدل وفي الحكمة، وأن شريعة الإسلام شرعت وبينت للناس المعاملات فيما بينهم، ولا يستطيع إنسان أن يعيش بمعزل عن الناس، فالله سخر بعضهم لخدمة بعض لتستقر موازين الكون ولولا ذلك لاختلت موازين الكون، ومن مميزات شريعة الإسلام السماحة، والعدل في الأقوال والأحكام والتيسير والتبشير والبعد عن التشدد والمغالاة.

وألقى فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف نبذة عن تاريخ الأزهر وتطوره منذ أكثر من ألف عام، وأوضح أن نشاط الأزهر حيث يرسل بعثات من علمائه ووعاظه لدول العالم المختلفة لنشر دين الله الحنيف، والأزهر الشريف يدرس كل المذاهب الإسلامية الفقهية دون تعصب أو إفراط أو تفريط.

# الفهــرس


● الرئيس حسنى مبارك فى لقائه مع علماء الأزهر
إعداد / أحمد السيد تقى الدين ـــــ ١٤٥٨
● رمضان غريب بين أهله (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ـــــ ١٤٧٦
● تفسير سورة القدر
لفضيلة الإمام الأكبر ـــــ ١٤٨٢
● فى ظلال الحديث النبوى: السنة... الصوم
لفضيلة الشيخ / إبراهيم الجبالى ـــــ ١٤٨٧
● شهر رمضان عند المحدثين
للدكتور / أحمد الشيمى ـــــ ١٤٩٣
● رمضان عيد ميلاد الأمة الإسلامية
للدكتور / محمد عمارة ـــــ ١٤٩٨
● قراءة إيمانية فى كتاب الكون والحياة
للدكتور / أحمد فؤاد باشا ـــــ ١٥٠٣
● رمضان ناسك الزمن (قصيدة)
للشاعر محمود حسن إسماعيل ـــــ ١٥٠٨
● رمضان يا أكرم الشهور
للشيخ / الطاهر الحامدى ـــــ ١٥١١
● الصيام ورخصة الفطر
للدكتور / عفيفى محمود عفيفى ـــــ ١٥١٦
● رمضان موسم الخيرات
للشيخ / السيد عبد المقصود عسكر ـــــ ١٥٢٠
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للدكتور / عبد العظيم المطعنى ـــــ ١٥٢٤
● الأوزاعى بين العلم والعمل
للدكتور / حمدى فتوح والى ـــــ ١٥٣٣
● صفحة من حياة الدكتور محمد السعدى فرهود
للدكتور / محمد رجب البيومى ـــــ ١٥٣٨
● فى صحبة الدكتور محمد الطيب النجار
للدكتور / محمد إبراهيم الفيومى ـــــ ١٥٤٤
● حديث فى علوم الدين وعلوم الحياة
للدكتور / إبراهيم عوضين ـــــ ١٥٤٨
● كارل بروكلمان وبحوثه عن الإسلام
للدكتور / مصطفى رجب ـــــ ١٥٥٧
● فى نقد سيرة ابن إسحق / ابن هشام
للدكتور / محمود على مراد ـــــ ١٥٦٣
● الأزهر المعمور
للدكتور / صابر عبد الدايم يونس ـــــ ١٥٧١
● الإسلام دين السلام (٢)
للشيخ / فوزى الزفزاف ـــــ ١٥٧٣
● قصة ميلاد إنسان
للدكتور / محمود عمارة ـــــ ١٥٧٩
● قصة العدد: باسمك اللهم
للأستاذ / محمد سعيد العريان ـــــ ١٥٨٦
● تقرير لجنة كاهان الصهيونية
للدكتور / محمد حسن عبد الخالق ـــــ ١٥٩١
● القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة
للدكتور / محمد أحمد العزب ـــــ ١٥٩٨
● الابداع وحرية المبدع
للدكتور / متولى محمد البساطى ـــــ ١٦٠٣
● طرائف ومواقف
للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ـــــ ١٦٠٦
● استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر ـــــ ١٦٠٨
● يا أمة الإسلام أفيقى
للدكتور / حسين الأنصارى ـــــ ١٦١٢
● استقبال شهر رمضان
للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير ـــــ ١٦١٦
● رمضان والتحديات المعاصرة
للأستاذ / إسماعيل أبو الهيثم ـــــ ١٦١٩
● رسالة.. و.. رد
للشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان ـــــ ١٦٢٢
● تأملات فى غزوة بدر
للأستاذ / أحمد إسماعيل ـــــ ١٦٢٥
● بين الصحف والمجلات
للأستاذ / محمود الفشنى ـــــ ١٦٣٠
● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم / عادل خفاجة ـــــ ١٦٣٣
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ / محمد الشرقاوى ـــــ ١٦٤٠
● أنباء مكتب شيخ الأزهر
للشيخ / عمر البسطويسى ـــــ ١٦٤٢



# الأزهر


مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

• • •

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩


بسم الله الرحمن الرحيم

## داخل العدد


- تفسير سورة البقرة
  لفضيلة الإمام الأكبر
- عيد الفطر في موكب التاريخ
  للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي
- الحث على العمل وقوة العزيمة
  لفضيلة الشيخ / إبراهيم الجبالي
- الرفق بالجاني من خلق النبي ﷺ
  للأستاذ الدكتور / عبد الحليم حفني
- رمضان في بلاد الأمريكان
  لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى



## الاشتراك السنوى

- داخل مصر ............ ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ............ ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ............ ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ............ ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٦٢٠٠ ٨٥

شوال ١٤٢٢هـ - يناير ٢٠٠٢م - الجزء العاشر - السنة الرابعة والسبعون

افتتاحية العدد

# عيد الفطر فى م

لو تمثل عيد الفطر إنساناً يروى قصة حياته، لرأيت شاباً مشرق الطلعة غرد الحديث يسمعك من روائع الأنباء ما يبهج ويلذ، ولا عجب فقد جعل الله منه بلسماً للجراح الناغرة، وسعة للصدور المنقبضة وأن المحزون العابس لتنتابه الأحزان من كل صوب، فتضيق فى عينيه الأرض بما رحبت، ثم يقبل عليه العيد فإذا البسمة اللامعة تشرق فى محياه، وإذا رفقاؤه وأحبابه ينهضون من حوله متخذين من الصفو المتاح فى موسم البهجة سبباً كافياً لتناسى الأشجان!

وقد خضع هذا العيد الحبيب لقانون التطور، فهو فى شبابه الريان غيره فى طفولته الناعمة، إذ نشأ فى صدر الإسلام وادعاً هادئاً تتلمسه فى المساجد العامرة تكبيراً وتهليلاً، وتراه فى الوجوه الضاحكة بشراً وأملاً، وتتأمله فى الأكف المسلمة تحية وسلاما، فإذا بحثت عن شيء وراء ذلك، فلن تجد غير السكينة الوادعة، والهدوء الرزين.

وقد كان أول عيد للفطر فى الإسلام فى السنة الثانية للهجرة فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قدم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما فسأل رسول الله عن هذين اليومين فقالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ(١): «إن الله قد أبدلكم خيرا منهما يوم الفطر ويوم الأضحى فكان عيد السنة الثانية أول عيد فى الإسلام».

ثم دارت الأيام كرة أولى، وفتح المسلمون ممالك الأرض، وورثوا عزة الأمم وتقاليد الأجيال، فأصبحت ترى بغداد عاصمة بنى العباس تحتفل بالعيد بما لا نعهده فى المدينة عاصمة الراشدين أو فى دمشق حاضرة بنى أمية، إذ سنّ الفرس من الحاكمين تقاليد باهرة رائعة.

---

(١) اتحاف السادة المتقين ٢/٣٨٣.

# موكب التاريخ

فها هو ذا الخليفة العباسي يجلس في قصره ليلة العيد، وقد غرقت حُجَرهُ الآهلة في الأضواء ومن خلفه دجلة يموج في لجج من النور، فالزوارق تقطعه ذاهبة رائحة، وقد علتها المشاعل والقناديل، والمآذن الشماء متوجة بأكاليل من الضياء حتى ليتحول الليل إلى صباح بهيج، ووفود الوزراء والأمراء والحكام تتدافع إلى دار الخلافة مهنئة مسلمة، وقد سارت المواكب في شوارع العاصمة تدوى بالطبول والزغاريد، ويمضى الليل في عرس ساحر حتى ينبلج الفجر فيصدر الأمر إلى القواد بالسير إلى المسجد، ويتقدم الخليفة في قبائه الأسود، وعمامته المكورة تعلوه كالتاج القشيب، وقد تمنطق بوشاح مرصع بالجواهر، وعليه عباءة سوداء، وجواده الأبيض من تحته يتيه عجبا براكبه، وعن اليمين والشمال حملة النشاب وأصحاب السلاح من الحرس والحجاب، ويسير الموكب هونا فإذا مر بقصر لأمير أو رئيس وجد كوكبة صغيرة تنتظر الموكب الحافل، فيتقدم صاحبها إلى الخليفة منحنيا إلى الأرض ثم يسأله الإذن في متابعة الركب فيجاب إلى ما يريد، ويأتى سواه وسواه من زملائه فلا يكاد أمير المؤمنين يصل إلى مصلاه حتى يكون الطريق إليها من القصر قد غص بالناس فيجلس قليلاً بعد أن يؤدى ركعتين خفيفتين، وتنطلق الألسنة بالتكبير والتحميد، فإذا حانت صلاة العيد تقدم الخليفة فأم الناس، ثم صعد إلى المنبر وقد ارتدى بردة الرسول فوق عباءته، وخطب الناس مفتتحا بالتكبير، فتخشع الأصوات للرحمن وينحدر الوعظ البليغ في النصيحة والإرشاد، فإذا انتهى من مقامه نزل لتوه وسار الموكب إلى القصر ثانية فأقيم السماط الفخم للطعام، وأقبل المهنئون وتسابق الشعراء!

منظر باهر يكرر في العام مرتين!! وقد خلده البحترى في بعض قصائده، إذ تحدث عن موكب المتوكل على الله في سامراء، وقد ظهرت بهجة الدنيا في جحفل عظيم خيل للشاعر أن الجبال تسير لا الناس، ثم مضى قصور المصلى والحشد والأعلام راصدا تطلع




العيون إلى المتوكل ولهفتها إلى رؤيته، ثم يلج إلى المنبر فيتحسس خوالجه ونوازعه مفصحا عنه في مثل قوله:

فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعه لسعى إليك المنبر

ولغير البحترى كثير ممن أثارهم رونق الاحتفال فتغنوا به وخلدوه.

وتدور الأيام كرة ثانية فترى القاهرة تسابق بغداد وسامراء سباقا يدعو إلى العجب والاستغراب وإذا كان خلفاء مصر من الفاطميين يحتفلون احتفالات واسعة بأعياد القبط، كعيد الغطاس والنيروز وخميس العهد فيسهر المسلمون طيلة الليل ومعهم المشاعل والمصابيح فما ظنك حينئذ بعيد الفطر؟! إن السماط الأول ليمتد بعد صلاة الفجر مباشرة، وقد أثقل بالحلوى والفواكه إثقالا باهظا، فيتصدر الخليفة وعن يمينه الوزير، ويأذن للأمراء والقضاة والدعاة، فيجلسون ثم يمد يده ويأكل شيئا قليلاً فتمتد الأيدى وراءه امتدادا لا ينقطع وينهض أمير المؤمنين إلى مقصورته فيتزاحم العامة أفواجا خلف أفواج ناهبين ما تقع عليه أيديهم من غذاء السماط!!

وبعد قليل يتهيأ الموكب لصلاة العيد، في فضاء متسع غير المسجد، وقد أعدت الأمور إعدادا مرتبا فاصطف المؤذنون وقوفا على المصاطب بين القصر والمصلى وإن طال الطريق، وجلس المقرئون طوال الليل بجوارهم يرتلون القرآن ويضجون بالتكبير، وقد ترامى الجنود من الجانبين يحفظون النظام ويفسحون الطريق للموكب حتى يهل، أما المصلى فيفرش بالسجاد الفاخر وقد عبقت فيه المباخر بالند والعود وأخذ زينته الجميلة من سندس وديباج، فإذا ركب الخليفة رفعت فوقه مظلة من لون ثيابه، وحف به أعيان الدولة من الجانبين ثم سار من باب الذهب إلى باب الفتوح، وقد نصبت الرايات وأقيمت الزينات فوق المتاجر والمصانع، وتقدمت الخيول ذوات السروج الذهبية، وأمامها الفيلة تحمل جنودا يبرزون السلاح، وقد دوى المؤذنون والقراء بالتكبير والتهليل، فإذا كان المصلى ترجل الجميع، حتى إذا قامت الصلاة نهض الخليفة قام الصفوف مكبرا تكبيرة هادئة فيرددها الوزير وراءه فالقاضى فجماعة من المؤذنين على الجانبين في الداخل، إلى أن تصل إلى مؤذني المصلى الخارجي، فينقلونها إلى من يتلقفها من زملائهم على المصاطب بين المصلى والقصر!! فيكون لذلك التكبير جلاله الساحر، فإذا انتهت الصلاة صعد الخليفة إلى المنبر مراعيا في ذلك نظما خاصة تتعلق بمن يصعد وراءه ويقبل الأرض بين قدميه، ويحمل كسوة المنبر أمامه فإذا فرغ من خطبته وتحرك موكبه للعودة اتبع نظاما خاصا بها حتى يبلغ القصر، فيمد السماط الثاني وقد حفل بأشهى الأطعمة وتعددت مآكله تعددا يوقع في الحيرة والارتباك فلا يدرى أحد ما يأخذ أو يدع!! فإذا انتهى الناس من فطورهم الشهى





فرقت الهبات المالية على جميع من اشترك في تقليد رسمي يتعلق بنظام الموكب، فتغمر الهدايا علية القوم من أمراء وقضاة إلى مؤذنين ومقرئين، ثم توزع صحائف الطعام وبها التحف المعدنية من ذهب وفضة، أما الحلل الزاهية فقد كادت تعم جميع الطبقات المختلفة حتى عرف عيد الفطر إذ ذاك بعيد الحلل، ومنها ما يرصع بالفضة والذهب، وما يطرز بالوشي النادر!! ونحن نقرأ في وصف ذلك من الغرائب ما لا نكاد نصدق!! ولكنه ذهب المعز وكفى!!

وحين سقط الفاطميون، وقامت الدولة الأيوبية لم تتخل عن الاحتفال بموكب العيد، ولكنه احتفال يسير لا يجوز أن يقاس بما عرف لدى الفاطميين من روعة وإسراف، وإنما يقاس بما كان في مصر لدى الطولونيين والإخشيد، إذ كانت فرق الجيش تتجمع، ويتوجه الحاكم ليلة العيد إلى مسجد عمرو بن العاص ووراءه خمسمائة من حملة المشاعل مع فريق من المقرئين والمؤذنين وربما أنعم السلطان ببعض الهدايا الخاصة في نطاق محدود، وقد يكون اندلاع الحروب الصليبية مدعاة هذا الاقتصاد من ناحية، ومن جهة أخرى فإن صلاح الدين يعرف ما يحب وما لا يحب، ويرى التبذير ضربا من السفه لا يجوز لأمة تواجه العدو القوي فتوجه بماله إلى جلائل الأعمال، وأصبحنا لا نسمع بحديث هذه الصحاف التي تمتلىء بالذهب وهذه الفواكه التي تحشى بالماس والدر، ثم تنثر على الناس في الميادين، فيلتقط السعيد ما يأتيه. على أن أكبر مظاهر العيد حفاوة واهتماما كانت تتراءى في احتفال الثغور المتاخمة لبلاد الروم حيث يغمر الشعور الديني هؤلاء المرابطين للجهاد على قدم وساق، فيقومون بالاحتفال على وجه يوحي بالروعة والهيبة والأبهة والجلال في نفوس المجاورين من الأعداء المتربصين، وأبرز مثال لذلك طرسوس المجاهدة التي كان يتوافد إليها غزاة المسلمين من كل صقع، وترد إليها تبرعات المحسنين من كل صوب، ووقوعها على الحدود الإسلامية يجعل الاحتفال بالعيد مظهر أبهة وقوة ونفوذ حتى عد كثير من المؤرخين من محاسن أيام الإسلام الزاهية احتفال المسلمين بعيد الفطر في طرسوس بالذات وشبيه بذلك احتفال المسلمين بالعيد في صقليه فقد تهافت الرحالون من العرب والأجانب على تسجيل مباهجه حتى قال المقدسي: إن الاحتفال الإسلامي بالعيد في هذا المكان النازح يمتاز بمظهر جذاب كما امتازت الجمعة في بغداد، وإذا كانت جمعة بغداد تشير إلى ركب الخليفة والوزراء والحجاب والولاة في عاصمة الشرق الذائعة المثرية فإن اقتران احتفال العيد في صقلية بها في رحلة المقدسي مما يجعل هذا الاحتفال ذا رونق وجلال.

أما المماليك فقد كانوا أهل شجاعة وأريحية، فكانت مواسم الأعياد لديهم مجالاً للنضال والمبارزة، ولم يضنوا على رعاياهم بالخلع والهدايا المناسبة دون



سرف واشتطاط، وقد رأينا فيما تقدم أن هناك موكباً واحداً في العيد للدولة فاطمية أو عباسية، ولكننا نجد موكبين في حكومة المماليك، فموكب السلطان يخرج للصلاة، ومعه الخليفة والقضاة الأربعة والأمراء، وموكب الوزير يبتدىء من القلعة إلى داره وقد نافس موكب السلطان في زينته وحاشيته وبهائه، ولعل ذلك كان في بعض العهود لا جميعها، إذ أننا نعرف بين المماليك العظماء من لا يسمح بتعدد الرياسة كالظاهر بيبرس وقلاوون والغوري، فهؤلاء يتعاظمهم أن يوجد معهم من يشذ عن متابعتهم كائنا من كان! أما سواهم من المستضعفين فمن الجائز أن يستطيل عليهم بعض الوزراء، معتزا بماله من أشياع، ولو ذهبت الآن إلى صميم الريف المصري وشاهدت ما يقوم به القرويون في الاحتفال بالعيد، لرأيت نظير ما تقرؤه عن أهل مصر في عهد المماليك حتى في الأطعمة والأشربة، فهناك الكنافة والقطايف والكعك والبسكوت والفطرة، كما هنا سواء بسواء، بل إن زيارة المقابر بعد صلاة العيد لم تنتشر في عصر من عصور الإسلام انتشارها بقرى مصر الآن كما في العهد المملوكي على السواء، وبعض الناس يروون في ذلك حديثا نبويا نترك للمتخصصين أن يبحثوا رواته ومتنه، إذ أننا نعرف أن يوم العيد للسرور والهناء، لا أن يكدر بتذكار راحل عزيز.

وكنت أظن أن مصر الإسلامية في عهد الفاطميين قد ضربت أكبر الأمثال في الإسراف والبذخ إذ تحتفل بالعيد، ولكني وجدت ابن بطوطة الرحالة المغربي يصف احتفالا شاهده في بلاد خوارزم فأرانا من العجائب ما يقعد دونه الوصف. ولن يرمى الرجل بالتزيد في هذا المجال، فقد وصف في رحلاته المتتابعة احتفالات مختلفة بالعيد في بلاد متفرقة، ولو قصد التزيد لعممه في كل موضع، ولكنه أفرد احتفال السلطان محمد أوزبك خان في بلاده بكل نادر عجيب!! وما تقوله في احتفال تشترك فيه زوجات السلطان الأربع ولكل زوجة موكبها الآهل وحشدها العظيم، فهي تركب في عربة مذهبة مطعمة بالعاج، وعن يمينها الوزيرة، وعن شمالها الحاجبة، وعلى رأسها تاج مكلل بالجواهر، وباعلاه ريش الطواويس، وخلفها عشرات العربات تحمل الخدم والأتباع وقد انضم ذلك كله إلى الموكب الرسمي الكبير، فإذا انتهت صلاة العيد تقدم السلطان فجلس في برج عظيم مذهب مع زوجاته وجواريه، وعن يمينه برج ثان لولي العهد وزوجته ومالهما من حاشية، وحولهما مئات الكراسي يجلس عليها الأمراء والحكام ثم يقوم بعض العامة بالعاب مضحكة مرفهة، والسلطان يخلع هداياه الثمينة على كل أمير ليفرقها بدوره على الأتباع والأنصار، ثم



يركب الملك المعظم فرسه وقد ترجل جميع من عداه فيمشون خلفه الى سرادق كبير له اربعة أعمدة مكسوة بصفائح الفضة المموهة بالذهب، وقد فرش بالحرير والديباج، وفى وسطه سرير فخم قوائمه من الفضة الخالصة واعواده مكسوة بصفائح الذهب، وحوله مئات الكراسى للمحتفلين من رجال ونساء، ثم ياتى الطعام على موائد الذهب والفضة أيضا! فتوضع بين يدى كل أمير مائدة خاصة، ولكل مائدة خادم نظيف يقطع اللحم، ويفرقه فى اطباق الذهب، على الآكلين، ثم يؤتى بأوانى الشراب ولايتناول أحد شيئا مما أمامه حتى يبدأ السلطان اولا فزوجاته ثانيا، فأولاده ثالثا، فمتقدمو الامراء رابعا فغيرهم من الكبار على نسق خاص أعدت مراسيمه وروعى تنفيذه الدقيق، ودون هذا السرادق المهيب قبة كبيرة للعلماء والفقهاء يأكلون من صحائف الذهب والفضة إلا من تورع إيمانا وتقية، ويظل الاحتفال الرسمى حتى قرابة العصر فى مرح وضحك، ولكل محتفل مكانه الذى لا يبارحه، فإذا أراد السلطان أن يرجع، نهض الجميع من ورائه ودوت الطبول والزغاريد!!

الا يصدقنى القارىء بعد ذلك إذا قلت له: إن عيد الفطر لو تمثل إنسانا يروى قصة حياته لكان شابا فاتنا مشرق الطلعة يحكى من الغرائب ما يبهج ويروع!! ولماذا نستنطق التاريخ ليروى لنا مباهج هذا اليوم، ونحن فى عصرنا الحاضر نرى من مظاهر الاحتفال به ما يدهش ويعجب بعد ان أتى الزمن بالتهذيب والاعتدال على ما تورطت فيه الدكتاتوريات الحاكمة من سرف وإتلاف!! فخلص لنا بعد مرور خمسة عشر قرنا على مولد هذا العيد احتفال رائع مهذب ينهض فيه رئيس الجمهورية إلى الصلاة فى مكان فسيح ووراءه الآلاف الحاشدة من المحتفلين فإذا انتهت الصلاة وفرغ الخطيب أقبل الجميع يتبادلون عواطف التهنئة وتحايا الود ثم ينهض كل إلى منزله فيستقبل أضيافه ويتلقى بطاقات التهنئة وقد لبست المنازل والمحلات العامة زينتها الأهلة وتنقل فيها الأطفال بملابسهم القشيبة كالورود بين الرياض، فإذا خطوت قليلاً فيما أمامك من الميادين والحدائق فلن ترى غير الرونق الجذاب!! وإنك لتتمنى أن يمتد بك هذا اليوم إذ تفرغ من شجونك وتغرق فيما حولك مستمعا إلى أغنية مرحة تذاع، أو منطلعا إلى منظر فاتن بروق، أو مشاركا فى سمر هادىء تغمره البشاشة ويسوده الأنس والصفاء!! ولا أحب أن تنغص القارىء بذكر مخزيات يعرفها فيما يذاع من السخافات، فكفى ما قلناه عن رمضان فى افتتاحية العدد الماضى، وما أشبه الليلة بالبارحة، فعسى أن نفيق.

د. / محمد رجب البيومى



# تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله - تعالى - : ﴿ الطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾

الآيات من ٢٢٩ : ٢٣٠

**قال الإمام ابن كثير**: هذه الآية رافعة لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة ما دامت في العدة، فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات، قصرهم الله - تعالى - على ثلاث طلقات، وأباح الرجعة في المرة والثنتين، وأبانها بالكلية في الثالثة فقال: الطلاق مرتان... الآية [1].

وروى ابن أبي حاتم عن هشام بن عروة عن أبيه أن رجلا قال لامرأته: لا أطلقك أبداً ولا آويك أبداً. قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلق حتى إذا دنا أجلك - أي قاربت عدتك أن تنتهي - راجعتك. فأتت المرأة إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فأنزل الله - تعالى -:

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾ - الآية.

والطلاق كما يقول القرطبي - هو حل العصمة المنعقدة بين الأزواج بألفاظ مخصوصة وال في قوله:

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾ للعهد الذكري.

أي: الطلاق الرجعي المشار إليه في قوله - تعالى -:

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ مرتان، وأمر المطلق بعد إحدى هاتين الطلقتين يدور بين حالتين: إما إمساك بمعروف بمعنى أن يراجعها على نية الابقاء على العلاقة الزوجية، والمعاملة الحسنة وإما تسريح بإحسان بمعنى أن يتركها حتى تنتهي عدتها، ويطلق سراحها بدون ظلم أو إساءة إليها، كما قال - تعالى -:

﴿ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾.[2]

**قال القرطبي**: والتسريح: إرسال الشيء، ومنه تسريح الشعر ليخلص البعض من البعض، وسرح الماشية أرسلها...».

وعلى هذا التفسير يكون المراد بالطلاق في الآية الطلاق الرجعي وبالمرتين حقيقة التثنية، ويكون وقت الإمساك أو التسريح هو ما بعد الطلقة الأولى أو الثانية بصفة خاصة، وفي كل الأوقات بصفة عامة. وعلى هذا التفسير سار كثير من العلماء.

ويرى بعضهم أن المراد بالطلاق في الآية الطلاق الشرعي، وبالمرتين التكرار لا العدد، وأن المراد في التسريح بالإحسان هو الطلقة الثالثة. أي بعد الطلقتين الأوليين يتروى في الأمر فيمسك بالمعروف أو يطلق الطلقة الثالثة. وقد ذكر هذا الرأي صاحب الكشاف فقال: ﴿ الطَّلَاقُ ﴾ بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم، أي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة، ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير، كقوله:

﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾[3] أي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين، ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها

(1) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٧١.
(٣) الملك: ٤.
(٢) الأحزاب: ٤٩.

التكريم كقوله: لبيك وسعديك.. وقوله:

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾.

تخيير لهم بعد أن علمهم كيف يطلقون بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة وبين أن يسرحوهن السراح الجميل الذى علمهم إياه.. وروى أن سائلا سأل النبى ﷺ أرأيت قول الله – تعالى –:

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾ فأين الثالثة، فقال ﷺ «التسريح بإحسان»[٤].

والفاء فى قوله – تعالى –:

﴿ فَإِمْسَاكٌ ﴾ للتفريع، وإمساك خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: فالشأن أو فالأمر إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

**قال الفخر الرازى:** والحكمة فى إثبات حق الرجعة: أن الإنسان مادام يكون مع صاحبه لا يدرى أنه هل تشق عليه مفارقته أو لا؟ فإذا فارقه فعند ذلك يظهر، فلو جعل الله – تعالى – الطلقة الواحدة مانعة من الرجوع لعظمت المشقة على الإنسان بتقدير أن يظهر المحبة بعد المفارقة، ثم لما كان كمال التجربة لا يحصل بالمرة الواحدة، فلا جرم أثبت – سبحانه – حق المراجعة بعد المفارقة مرتين، وعند ذلك يكون قد جرب الإنسان نفسه فى تلك المفارقة مرتين وعرف حال قلبه فى ذلك الباب. فإذا كان الأصلح إمساكها راجعها وأمسكها بالمعروف، وإن كان الأصلح له تسريحها على أحسن الوجوه، وهذا التدريج والترتيب يدل على كمال رحمته ورأفته بعباده.

هذا، ويرى بعض العلماء كابن تيمية وابن القيم أن الرجل إذا أوقع الطلاق دفعة واحدة، بأن قال لزوجته: أنت طالق ثلاث مرات، فطلاقه لا يكون إلا طلقة واحدة، لأن اقتران الطلاق بكلمة ثلاثا لا يجعله ثلاث مرات بل هو مرة واحدة كمن يقول: أحلف بالله ثلاثا فهو يمين واحدة.

ويرى الأئمة الأربعة أن طلاق هذا الرجل فى مثل هذه الصورة يقع ثلاثا، لأنهم يرون أن الطلاق المقترن بالعدد لفظا أو إشارة يكون ثلاثا أو اثنين على حسب ما اقترن به. ولأن عمر – رضى الله عنه – أفتى بذلك. فقد أخرج مسلم وأبوداود والنسائى والحاكم عن ابن عباس قال: «كان الطلاق الثلاث فى عهد رسول الله ﷺ وعلى عهد أبى بكر، وسنتين من خلافة عمر واحدة، فقال عمر: إن الناس قد استعجلوا فى أمر لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم» فأمضاه.

وهذه المسألة مبسوطة بأدلتها فى كتب الفقه وبعض كتب التفسير.

ثم قال – تعالى –: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾

(٤) تفسير الكشاف جـ١ ص ٢٧٣.



**قال الراغب**: الخوف: توقع مكروه عن امارة مظنونة او معلومة، كما ان الرجاء والطمع توقع محبوب عن امارة مظنونة او معلومة. ويضاد الخوف الامن...».

والجناح: الإثم من جنح بمعنى مال عن القصد - وسمى الآثم به للميل فيه من الحق إلى الباطل - يقال جنحت السفينة أى مالت إلى أحد جانبيها. والافتداء: تخليص النفس بمال يبذل لتخليصها ودفع الأذى عنها. وأصله من الفدى والفداء بمعنى حفظ الإنسان نفسه عن الشدة بما يبذله من اجل ذلك[٥].

والمعنى: ولا يجوز لكم أيها المطلقون ان تاخذوا من زوجاتكم فى مقابلة الطلاق شيئاً مما اعطيتموهن من صداق او من غيره من اموال، لان هذا الاخذ يكون من باب الظلم الذى نهى الله عنه، وليس من باب العدل الذى امر الله به.

ثم استثنى - سبحانه - صورة يجوز فيها الاخذ فقال:

﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ ﴾. إلخ أى: لا يجوز لكم ان تاخذوا فى حالة من الاحوال إلا فى حالة ان يخاف الزوجان كلاهما او احدهما الا يقيما حدود الله ففى هذه الحالة يجوز الاخذ وحدود الله هى ما أوجبه - سبحانه - للرجل على زوجته. ولها عليه.

ثم خاطب - سبحانه - الحكام وجماعة المؤمنين المتوسطين للإصلاح بين الزوجين فقال:

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا ﴾ أى الزوجان:

﴿ حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ التى حدها لهم وامرهم باتباعها فى حياتهم الزوجية « فلا جناح عليهما فيما افتدت به » أى: فلاإثم على الزوج فى أخذ ما أعطته له الزوجة من مال مقابل انفصالها عنه، ولا إثم عليها كذلك فى هذا الإعطاء، لانهما ما داما قد وصلا إلى هذه الحالة من التنافر، وما دامت الزوجة قد أصبحت تفضل أن تعطيه من المال ما تفدى به نفسها من البقاء فى عصمته، مادامَا قد أصبحا كذلك. فوقوع الفراق بينهما أولى واجدى:

﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾.

**قال صاحب الكشاف**: فإن قلت: لمن الخطاب فى قوله:

﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا ﴾ إن قلت: إنه للازواج لم يطابقه قوله:

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ وإن قلت إنه للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا بمؤتيهن؟ قلت: يجوز الأمران جميعا: أن يكون أول الخطاب للازواج وآخره للائمة والحكام، ونحو ذلك غير عزيز فى القرآن وغيره. ويجوز الخطاب كله للائمة والحكام، لأنهم الذين يامرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم فكانهم الآخذون والمؤتون»[٦].

---

(٥) المفردات من غريب القران للراغب الأصفهانى من ص ١٦١، ص ١٠٠، ص ٣٧٤.

(٦) تفسير الكشاف جـ١ ص ٣٧٤.



والمراد بقوله : ﴿ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ أي من المهور وتخصيصا بالذكر وإن شاركها في الحكم سائر أموالهن إما لرعاية العادة وإما للتنبيه على أنه إذا لم يحل لهم أن يأخذوا مما أعطوهن في مقابلة البضع عند خروجه عن ملكهم فلأن لا يحل لهم أن يأخذوا مما لا تعلق له بالبضع أولى وأحرى.

وقوله : ﴿ شَيْئًا ﴾ مفعول به لتأخذوا. التنوين للتقليل أي : لا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا ولو كان المأخوذ شيئًا غاية في القلة، لأن هذا الأخذ يجافي الإحسان الذي أمرتم به. وقريب من هذه الآية في النهي عن الأخذ قوله - تعالى - :

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾(٧).

وأن والفعل في قوله:

﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ ﴾ في موضع نصب على الحال أي إلا خائفين. وقوله :

﴿ أَلَّا يُقِيمَا ﴾ في موضع نصب على المفعول به ليخافا والتقدير إلا أن يخافا ترك حدود الله.

وهذه الآية قد اعتبرها العلماء أصلا في جواز الخلع.

**قال ابن كثير** : وقد ذكر ابن جرير : أن هذه الآية نزلت في شأن ثابت بن قيس، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس : أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله إن زوجي ثابت بن قيس - ما أعيب عليه في خلق ولا دين، ولكن أكره الكفر في الإسلام - أي أكره عدم الوفاء بحقه لبغضي له - فقال لها رسول الله ﷺ أتردين عليه حديقته ؟ - وهي المهر الذي أمهرها - قالت : نعم، قال رسول الله ﷺ لثابت : «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة»(٨) .

قالوا : ففرق رسول الله ﷺ بينهما بطريق الخلع فكان أول خلع في الإسلام.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

أي : تلك الأحكام العظيمة الحكيمة المتقدمة التي بينتها لكم في شأن الطلاق والرجعة وغير ذلك حدود الله التي حدها، فلا يجوز لكم أن تخالفوها، ومن يتعد هذه الحدود فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بتعريضها لسخط الله وعقابه.

وكانت الإشارة للبعيد ﴿ تِلْكَ ﴾ لبيان سمو قدر هذه الأحكام، وعظم منزلتها، وجلال ما فيها من مصالح واضحة لأصحاب العقول السليمة.

وسميت هذه الأحكام حدودا للإشارة إلى أنها فواصل بين الحق والباطل، والظلم والعدل والمنفعة والمضرة. إذ الحد هو الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر. يقال : حددت كذا أي جعلت له حدا يميزه. وحد الدار ما تتميز به عن غيرها.

---

(٧) النساء : ٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٢٧٤.

وفي إضافة هذه الحدود إليه – سبحانه – إشعار بأن مخالفتها إنما هي مخالفة له – سبحانه – وأن هذه الحدود لا يتطرق إليها الريب لأنها صادرة من العليم الخبير الذى أحسن كل شيء خلقه.

والفاء في قوله :

﴿ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ للتفريع أى :إذا كانت هذه الأحكام حدود الله فلا يصح لكم أن تتجاوزوها لأن تجاوزها يؤدى إلى سوء العقبى.

وعبر في قوله :

﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ بفاء السببية وباسم الإشارة وبضمير الفصل وبالجملة الإسمية لتأكيد معنى السببية وللإشارة إلى أن الظلم شأن من شئونهم وصفة يتميزون بها عن غيرهم.

وقد جاء – سبحانه – بكل هذه المؤكدات فى تلك الجملة الكريمة لكبح جماح غرور الإنسان، وتحذيره من الانقياد لهواه وأوهامه، فكثيرا ما يتوهم بعض الناس أن أحكام الله ليست ملائمة لمقتضى الزمان الذى يعيشون فيه، ويحاولون إخضاع شرع الله – تعالى – لمصالحهم وشهواتهم، أو يتركون ما شرعه الله بتلك الحجة الواهية الساقطة. وأنت ترى هناك أن القرآن قال :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا .. ﴾ بينما قال هناك فى ختام آية الصوم :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا .. ﴾(٩) وذلك لأن الكلام في شأن الأسرة وما يسودها أحياناً من خلافات، واصطدامات، واضطرابات.. والخشية هنا إنما هى من تعدى هذه الحدود التى حدها الله فى أى مرة من مرات الخلاف.. فجاء التحذير من التعدى لا من المقاربة، بينما هناك كان الحديث عن محظورات مشتهاة مستلذة تريدها النفس لترضى شهوتى البطن والفرج، فجاء التحذير من مجرد الاقتراب من هذه الحدود التى حدها الله اتقاء لضعف الإرادة أمام جاذبيتها.

فسبحان من هذا كلامه:

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾(١٠).

ثم بين– سبحانه– أحكام الطلاق المكمل للثلاث، بعد بيانه لأحكام الطلاق الرجعى وأحكام الخلع فقال– تعالى– :

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾

أى: فإن طلق الرجل زوجته طلقة ثالثة بعد الطلقتين اللتين أباح الله له مراجعتها بعد كل منهما فى أثناء العدة، فإنه فى هذه الحالة تكون زوجته محرمة عليه، ولا تحل له حتى تنكح زوجا غيره نكاحا شرعياً صحيحاً، بأن يدخل بها ، ويباشرها مباشرة شرعية ما يباشر الأزواج زوجاتهم.

(٩) الآية ١٨٧ من سورة البقرة.

(١٠) النساء،٨٢.

فالمراد بالنكاح في قوله تعالى:

﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ الزواج بشخص آخر يدخل بها دخولاً صحيحا. ويؤيد هذا المعنى ما جاء في الحديث المشهور الذي أخرجه البخاري وغيره عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن رفاعة طلقني فبت طلاقي، وإني نكحت بعده عبد الرحمن بن الزبير القرظي، وإن ما معه مثل الهدبة، فقال رسول الله ﷺ: لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك»(١١).

وواضح من ذوق العسيلة أن يدخل بها ويجامعها. وعلى هذا انعقد إجماع الفقهاء. ولم يلتفتوا إلى ما نسبه بعضهم إلى سعيد بن المسيب من أنه أجاز للمرأة أن تعود إلى زوجها الأول بعد عقد زواجها على الثاني دون أن يدخل بها، وحملوا هذا المنسوب إلى سعيد بن المسيب على أنه من شواذ الفتيا التي لا وزن لها لمخالفتها لنص حديث صحيح لعله لم يبلغه.

ثم قال- تعالى- :

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا
إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾

أي: فإن طلق الثاني تلك المرأة التي سبق طلاقها من الزوج الأول، فلا إثم عليها وعلى زوجها الأول في أن يرجع كل منهما إلى صاحبه بعقد جديد بعد انقضاء العدة ما داما يغلب على ظنهما أنهما سيقيمان حدود الله، ويؤدي كل واحد منهما ما يجب عليه نحو صاحبه بأمانة وإخلاص.

وقوله:

﴿ أَن يَتَرَاجَعَا ﴾ في موضع جر بإضمار حروف الجر أي في أن يتراجعا وقوله:

﴿ أَن يُقِيمَا ﴾ في موضع نصب على أنه سد مسد مفعولي ظن.

**قال صاحب الكشاف**: ولم يقل: إن علما أنهما يقيمان حدود الله لأن اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله. ومن فسر الظن ها هنا بالعلم فقد وهم ولأن الإنسان لا يعلم ما في الغد وإنما يظن ظناً»(١٢).

ثم ختم - سبحانه - هذه الآية بقوله:

﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.

أي: وتلك الأحكام المذكورة عن الطلاق وعن غيره مما كلف الله به عباده يبينها ويوضحها بتلك الطرق الحكيمة لقوم يعلمون الحق. ويعملون بمقتضى علمهم.

وبهذا ترى أن الآية الكريمة قد بينت أنه لا يحل للمرأة التي طلقت من زوجها أن تعود إليه بعد الطلقة الثالثة إلا بعد أن تتزوج

---

(١١) صحيح البخاري في كتاب الطلاق الثلاث جـ٧ ص ٥٥.

(١٢) تفسير الكشاف جـ١ ص ٢٧٦ بتلخيص.



زواجاً آخر صحيحاً يدخل بها ويجامعها ثم يطلقها وتنقضي عدتها منه.

ومن حكم هذا التشريع الحكيم ردع الأزواج عن الاستخفاف بحقوق زوجاتهم، وزجرهم عن التساهل في إيقاع الطلاق، فإن الرجل الشريف الطبع، العزيز النفس إذا علم أن زوجته لن تحل له بعد الطلقة الثالثة إلا إذا افترشها شخص آخر توقف عن إيقاع الطلاق، وتباعد عن التسرع والاندفاع وحاول أن يصلح ما بينه وبين أهله بالمعالجة الحكيمة التي تتميز بسعة الصدر وضبط النفس.

هذا، وقد ساق الإمام ابن كثير سبعة أحاديث في النهي عن نكاح المحلل- وهو أن يعقد رجل على امرأة طلقت ثلاثاً من زوجها بقصد إحلالها لهذا الزوج لا بقصد الزواج الدائم ثم يدخل بها دخولاً صورياً وليس شرعياً - ومن الأحاديث ما رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن عبد الله بن مسعود قال: لعن رسول الله ﷺ المحلل والمحلل له، وآكل الربا وموكله».

وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بالتيس المستعار»؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: هو المحلل لعن الله المحلل والمحلل له».

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ سئل عن نكاح المحلل فقال: لا، إلا نكاح رغبة - لا نكاح دلسة أي لا نكاح غش وتدليس - ولا استهزاء بكتاب الله - ثم يذوق عسيلتها..» وجاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثاً فتزوج أخ له من غير مؤامرة منه - أي من غير مشورة ورغبة منه- ليحلها لأخيه فهل تحل للأول؟ فقال: لا إلا نكاح رغبة. كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ.

**ثم قال ابن كثير**: والمقصود من أن الزوج الثاني يكون راغباً في المرأة قاصداً لدوام عشرتها كما هو المشروع من التزويج. واشترط الإمام مالك مع ذلك أن يطأها الثاني وطأ مباحاً فلو وطئها وهي محرمة أو صائمة أو معتكفة أو حائض.. لم تحل للأول بهذا الوطء والمراد بالعسيلة الجماع لما رواه الإمام أحمد والنسائي عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «ألا إن العسيلة الجماع».

***



# الحث على العمل وقوة العزيمة

السنة

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ / إبراهيم الجبالي (*)

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، احرص على ماينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنى فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»(١).

نعم: علو الهمة من الإيمان، والكدح في العمل مع الاستعانة بالله من أيمن نعم الرحمن على الإنسان. لقد نرى قوما يزعمون أن معنى التوكل على الله الجنوح إلى الكسل والرضا بالقعود فى الزوايا، منصرفة قلوبهم إلى الأمانى، عاجزة هممهم عن الأعمال، ولكن أجسامهم قادرة على نقل الجبال. فهؤلاء قد سلك الشيطان من نفوسهم مسلكا جعلهم منقادين له مطيعين لأوامره، وهو يوسوس لابن آدم من الشر بما يرى أنه ناجح معه فيه، موافق لرغباته فى الاستماع إليه. فإذا أتى واحدا من ناحية تزيين الشهوات، جاء آخر من قبل تحبيذ التعدى والاستطالة، وصور له الفخر كل الفخر فى الإيذاء، وجعل له ذلك مصدر العلاء، ويجيء لثالث فيصور له السعادة فى التكالب على الدنيا وإحرازها من أى طريق: حل أو حرم، عدل أو ظلم. ويجيء لرابع فيزهده فيها وينفره عنها، ويرضيه أن يكون عالة على أبنائها يعولونه وهو قادر، ويطعمونه وهو أهل لأن يطعم العشرات لو أراد وعمل. ومتى رأى إبليس اللعين انقياد الإنسان إليه بأى أسلوب، بادر إلى تزيينه وتصويره له بصورة الخير، وذلك أخطر ما يدخل به على الناس.

لقد يقتحم ابن آدم شيئا من أعمال الشر عالما أنه شر، ولكنه ينقاد فى ذلك لحركة شهوية أو ثورة غضبية، فيستغفر الله من ذنبه وقد يتوب إلى رشده، فيكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم. ولكن الويل كل الويل لمن عميت بصيرتهم، واستحكمت شقاوتهم، فزعموا الشر خيرا والخير شرا، والنفع ضرا والضر نفعا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

(*) عضو جماعة كبار العلماء.

(١) أخرجه مسلم.

نعم : قد وردت أحاديث كثيرة، وآثار شهيرة، ترغب في الزهد والقناعة، وتنفر من التكالب في الدنيا، ولكن ليس معنى ذلك أن يكف المرء عن العمل المفيد المنتج الموسع لدائرة العمران، واستخراج مابث الله في هذا الكون من خيرات وثمرات، بطريق الزراعة والصناعة وما أشبههما، وإنما معناه أن يكون مقتصدا في الطلب، فلا يضيع دينه في تحصيل دنيا، ولايجلب دنياه من حيث حرم الله، ولا يكون في سعيه وكده ظالما باغيا، ولا جبارا طاغيا؛ وأن يكون في استمتاعه بما أنعم الله عليه معتدلا : فلا يكون مقترفا للحرام، ولا مسرفا في تناول الحلال. هذا هو المذموم في أمر الدنيا. أما السعي لتحصيلها من وجوه حلها وأداء مافرض الله على عباده الذين أنعم عليهم بنعمها، والاستمتاع بالطيبات من رزقها، فلم يقل بذمه ولا تحريمه أحد :

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[٢].

ترى العاجز النكس، الضعيف النفس، قد ركن إلى القعود والكسل، ورضي بمسامرة الأماني وغرور الأمل. امتلأ قلبه من حب الدنيا والتطلع لملاذها، وذابت نفسه حسرات على إحراز القليل والكثير من خيراتها، ولكنه ضعفت همته وصغرت نفسه، فجعل نفسه عالة على غيره، يتطلع لما في الأيدي، ويتردد على الأبواب، ويقعد على الأعتاب، ويتمرغ في التراب. عمد إلى التجول للتسول، وأصبح وأمسى يذرع الأرض شرقا وغربا، يقاطع المارة فيعطلهم عن مقاصدهم، ويزعج بصيحاته المنكرة أولئك الوادعين ليستريحوا بعد أداء أعمالهم، لايكل ولايمل، ولو صرف بعض هذا الجهد في عمل نافع لدرّ عليه مايصون ماء وجهه. ولقد يبتكر أحدهم من ضروب الحيل والتغرير مايحتاج إلى فضل ذكاء لو صرفه في النافع لأفاد واستفاد. فهم يصرفون من الجهد العقلي والبدني ما لو وفقوا في صرفه لكان خيرا لهم وللأمة جميعا. ولكنهم رضوا بهذه الصناعة الممقوتة وانخدع لهم ذوو القلوب السليمة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

إن للعبادة حدودا، لا، بل إن من العبادة السعي في تحصيل الرزق من الوجه الحلال. وقد جاء « من الذنوب ذنوب لايكفرها إلا الهمة بطلب المعيشة »[٣]. وقد ورد عن عمر - رضي الله عنه - أن جماعة أثنوا في مجلسه على رجل بأنه مستغرق كل أوقاته في العبادة، وقالوا : إنه خير منا كلنا، فقال لهم : فمن يعوله؟ فقالوا : كلنا نعوله، فقال : كلكم خير منه. وروى أيضا أنه قال : « لايقعدن أحدكم في بيته ويقول : اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لاتمطر ذهبا ولافضة، ولكن اعملوا» وانظر إن شئت إلى قوله تعالى :

﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[٤]

وقوله جل وعلا :

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾[٥].

---

(٢) الأعراف (٣٢).

(٤) الجمعة (١٠).

(٣) كشف الخفاء ١/٢٩٧ رقم ٧٨٣.

(٥) الملك (١٥)

وقوله تعالى :

﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[6]

وقد ورد عنه ﷺ أحاديث ترغب في الكسب والتعفف عن مسألة الناس ـ منها قوله ﷺ : « اليد العليا خير من اليد السفلى »[7] . ومنها أحاديث يقوي بعضها بعضا، مثل « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء »[8] . « أحل ما أكل العبد كسب الصانع إذا نصح »[9] . « من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله، وتعطفا على جاره، لقي الله ووجه كالقمر ليلة البدر »[10] . « إن الله يحب المؤمن المحترف »[11] . وهذان الحديثان وإن ضعف إسنادهما فإن في غيرهما مايشهد لهما، مثل قوله ﷺ : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه »[12] . وقوله ﷺ : « من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر »[13] .

كل هذا وما في معناه يدلنا على أن روح الدين روح عمل لاروح كسل، وروح إعطاء للمحتاج العاجز لاروح استعطاء من القوى الكسول . ولاتحسبن من هؤلاء القعدة طائفة الهداة والمرشدين الذين نصبوا أنفسهم إلى إرشاد العباد لما فيه مصلحة المعاش والمعاد، وأخذوا على عهدتهم معالجة النفوس والأرواح، وتنقية القلوب من أدران الفجور والشرور، فهؤلاء مهمتهم في إسعاد البشر من أشق المهمات وأحقها بعظيم التقدير.

ولقد رخص للعاجز الضعيف أن يأخذ ممن آتاه الله من فضله حسب حاجته لابمقدار مايجمع ثروة، ومع هذا الترخيص، ومع أن الضعف أمر فهري غالبا، جاء هذا الحديث الذى معنا يبين فضل المؤمن القوى على المؤمن الضعيف مع جبر خاطره بقوله ﷺ : « وفي كل خير » فلا حيلة له فيما أصابه من ضعف . وكيف لايكون فيه خير وقد تحلى بحلية الإيمان الذى هو أساس كل خير؟

وقد أرشد ﷺ في بقية الحديث إلى أنه ينبغي للمؤمن أن يحتال ويعمل ما في وسعه ويبذل كل جهده، مستعينا بالله وقوته على الوصول لما يريده، فإنه ليس معنى القوى أنه قوى العضلات متين البنية فحسب، لا بل هذا وإن دخل في القوة دخولا ما فإن أساس القوة قوة الرأى، قوة العزيمة، قوة الهمة، قوة تصريف الأمور . هذه معادن القوة في الإنسان . أما قوة العضلات ومتانة البنية، فهي قوة حيوانية محضة، فالقوى هو من يعمل رأيه الصائب بفكرة صحيحة، ثم يصمم عزيمته على إنفاذ مايريده، ثم يحرك همته بنشاط حتى يصل إلى ما يبتغي، فإذا اعترضه ما ليس له في حساب تصرف في أموره تصرفا حكيما حتى يزيل ما يعترضه من عقبات . هذا هو الحرص الذى أرشد إليه ﷺ بقوله : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز »[14] . فكلمة « احرص » حث على الدأب في العمل، وحفز الهمة، وصدق النية . وليس هذا هو الحرص المنهى عنه، فذلك هو التكالب ونسيان

---

(٦) المزمل (٢٠).

(٧) أخرجه البخارى ٢/١٣٩، ٧/٨١، ٨/١١٦.

(٨) اتحاف السادة المتقين ٥/٤١٤.

(٩) حسنة الترمذى.

(١٠) اتحاف السادة المتقين ٥/٤١٤.

(١١) مجمع الزوائد ٤/٦٢.

(١٢) أخرجه البخارى ٣/٧٥.

(١٣) رواه الترمذى بالمعنى وقال حديث حسن.

(١٤) أخرجه البيهقى.




النفس مايجب عليها في سبيل الوصول إلى بغيتها، وفرق ما بين الأمرين. وبعد : فهل قوة الأمة تكون إلا بقوة أفرادها؟

وقوله : « واستعن بالله » هذا إرشاد إلى معنى التوكل على الله، وأنه يكون مع السعي والعمل، لا مع التواني والكسل. روى عن عمر أنه مر على جماعة قعود فقال : من أنتم؟ قالوا : نحن المتوكلون. قال : « بل أنتم المتاكلون، إنما المتوكل رجل ألقى حبة في بطن الأرض وتوكل على ربه - عز وجل »! ولقد صدق عمر - رضي الله عنه - فإن المرء أكثر ما يملك من استنبات الحب أن يحرث أرضه ويلقي حبه ويتعهد ذلك بالتنظيف والري وما أشبههما، أما أن ذلك الحب ينبت أولا ينبت، فأمره موكول إلى الله. وهنا يجيء التوكل فيما لايد للإنسان في تحصيله ولا قدرة له على إيجاده، بل هو من محض آثار القادر المختار، أما قرأت قوله تعالى :

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾(١٥).

هذا هو السر في قوله ﷺ : « واستعن بالله » بعد قوله : « احرص على ماينفعك ».

ولا يفوتنك التنبه الى أن الحرص على النافع يتناول كلا من أعمال الدنيا وأعمال الآخرة، وأن الاستعانة بالله متناولة كذلك لكليهما، فليس كل عمل يؤتي ثمره ما لم يصحبه المعونة والتوفيق الإلهيان، فكم من عمل في الدنيا خانه التوفيق فأصبح وبالاً على صاحبه، وعاد عليه بخسران لم يكن في حسابه. ومن هذا جاء قولهم : أول ما يجني على المرء اجتهاده. وكم من عمل من أعمال الآخرة لحقه الخذلان فكان موجبا للخسران. وآفات النفس ومسالك الشيطان لايكاد يسلم منهما إنسان، إلا من عصمه الرحمن. وهل يشك أحد في أن الشيطان قد يجيء للمرء من تصوير الشر بصورة الخير حتى يستدرجه إلى ما لم يخطر له على بال؟

وأما قوله : « ولاتعجز » فهو النهي عما يلحق المرء أثناء عمله إذا صادفه بعض العقبات فيقف مبهوتا مكشوف اليدين خائر العزيمة، وقد آتاه الله من قوة العمل وسعة الحيلة مايستطيع به أن يفتق لنفسه مسلكا مما أصابه من انسداد الأبواب. وقد قالوا : الكريم يحتال واللئيم عيال. وما منح الله العبد عقلاً إلا ليؤدي به عملا، ولو شاء لجعل الأمر سهلا، ولكن ليبتليكم فيما آتاكم.

وأما قوله ﷺ : « وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل » فإنه إرشاد إلى أمرين عظيمين على جانب كبير من الأهمية في شئون الحياة : ( الأول ) الإبعاد عن الندم على مافات. و( الثاني ) الطمأنينة لما قدر الله والرضا به مع استقبال الكثير الغزير من نعمه. فأما الندم والتلفت للماضي بالحسرة تتبعها الحسرة، فهو مميت للهمم مخمد للعزائم، كاسر للنفس، مضيع لحركة العقل في جلب النافع ودفع الضار. تجد النادم المنهزم قد قعد كاسف البال خامد القوة مضعضع الحواس مغتما، بينما ترى الراضي بالقدر متقد العزيمة مشمرا عن ساعد الجد مهتما.

(١٥) الواقعة (٦٣ - ٦٧).



وهنا لانرى بأساً من أن نشرح ما قالوه في التفرقة بين الغم والهم : فالأول أن تنزل على النفس غمة تكبسها وتضعضعها وتفقدها الحركة وتجعلها مستكينة ضعيفة خائرة، فهو من الغمة. وأما الثاني فهو من هم بالشيء، تحركت نفسه له. فهما وإن كانا كلاهما يحصل على نازلة ومصيبة، ولكن الغم يسكن النفس عن الحركة ويسكتها عن التفكير ويجعلها تيأس من كل فوز. أما الهم فهو محرك للهمة، مشعل للعزيمة، محرك للنفس. ولذلك قالوا : الغم يقتل والهم لايقتل. وفرق بعيد بين المغتم والمهتم. فقوله ﷺ : «وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا» نهي عن الاستكانة والتضعضع وقصر النفس على التلفت للوراء واليأس عن انفراج الكرب بحيلة من الحيل. وأما الطمأنينة لما قدر الله فهي في قوله عقبه : ولكن قل قدر الله وما شاء فعل. ففي ذلك ترضية للنفس بما قدر الله، وهو يستتبع الموازنة بين ما فقده من هذا الذي كان ينتظره، وما هو غارق فيه من نعم الله الكثر، فيرى أن ما فاته ليس بشيء بالنسبة للنعم التي يتمتع بها، فتنشط نفسه إلى استقبال نعمه ـ عز وجل ـ قائلا لنفسه :

لا تيأسنّ ولا تخف ... ودع التفكر والأسف

الله عودك الجميـ ... ـل فقس على ما قد سلف

وهذا مثار للنفس لتتحرك فيما ينفعها، وتسد رتق ما فتح عليها من أبواب الشر، وتفتق ما أغلق دونها من أبواب الخير. أما لو ولو ولو .. فهي لاتفيد إلا التحسير على الماضي، والندم على الفائت، والنوم على اجتناء الخير المستقبل، فضلا عما تحويه من السخط على قضاء الله وقدره، وما يتبعه من الاعتراض على فعله وعادل قسمه، وما يصحب ذلك غالبا من الحسد لمن أنعم الله عليه بنعمه، أو نجاه مما أصاب هذا النادم من كروبه وغمه. وكفى بالحسد مهلكة وبالحقد مذمة. فهل رأيت كيف كانت لو تفتح باب الشيطان؟ وهل وراء الحقد والحسد، والتسخط على القضاء والقدر، من خسران للإنسان، وكسب للشيطان، وإغارة على حمى الإيمان؟

ومما جاء في معنى قوله ﷺ : «قدر الله وما شاء فعل» قوله عز وجل :

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾(١٦).

وقوله ﷺ : «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك» وقوله : «واعلم أنه لو اجتمع الإنس والجن على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»(١٧).

نسأل المولى جلت قدرته أن يكسبنا الرضا بقضائه وقدره، ويقوي نفوسنا على فتح أبواب خيره، ويجعلنا مقتدين بالسنة الحسنة، ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه سميع مجيب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١٦) التوبة (٥١)

(١٧) الحاكم ٣/٥٤١.

# التحضر أولا والبداوة عند الضرورة

للأستاذ/عبد الله علي الزبيدي

روى الإمام البخاري - رضي الله عنه - عن يزيد بن أبي عُبَيد أبي خالد الأسلمي، مولى سلمة بن الأكوع، عن سلمة بن الأكوع: أنه دخل على الحجاج بن يوسف الثقفي، حين ولي الحجاج إمرة الحجاز، فقال له الحجاج:

«يا ابن الأكوع، ارتددت على عقبيك!! تعرَّبت؟ قال: لا، ولكن رسول الله ﷺ أذن لي في البدو» اهـ

(البخاري - كتاب الفتن - التعرب في الفتنة).

وبعد:

فهذا الحديث يجمع بين شخصيتين كما يحمل في ثناياه (قضية):

فأما الشخصيتان فهما سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - والحجاج بن يوسف الثقفي الأمير المعروف، وتكاد كلتا الشخصيتين تناقض إحداهما الأخرى تماما.

فسلمة بن الأكوع صحابي جليل كان أحد من بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة في (الحديبية) ورُوِيَ عنه أنه قال: بايعتُ رسول الله يوم الحديبية على الموت، وكان - رضي الله عنه - شجاعا راميا مُحسِنا خيِّراً فاضلا، وغزا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، وقال عنه رسول الله ﷺ: (خيرُ رجالاتنا سلمةُ بن الأكوع) قال ذلك رسولُ الله ﷺ في غزوة (ذي قَرَد).

ولما قُتل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - خرج سلمةُ إلى (الرَّبذة) وهي قرية بادية يومئذ تبعد عن المدينة بنحو ثلاثة أميال[1]، وخروجه إلى الربذة يُعَدُّ منه «بداوة» بعد هجرته.

وقال ابنُ حجر: مدة سكنى سلمة البادية نحو الأربعين سنة[2].

وسوف نتبين سريعا لماذا استطردنا حتى انتهينا إلى ذكر اعتزاله (الحَضَر) ونزوحه إلى البادية - رضي الله عنه.

(١) راجع ابن الأثير - أسد الغابة ٢/٤٢٣.

(٢) راجع فتح الباري لابن حجر ١٣/٤٥.



والحجاج بن يوسف الثقفي هو الشخصية الثانية، ويكفي للتعريف به، وبما كان من خطره على فضلاء المسلمين، والتنكيل حتى بالصحابة، تقديم العماد الحنبلي له فيمن مات سنة خمس وتسعين من الهجرة، قال عن هذه السنة ذاكرا هذا الحجاج:

«فيها أراح الله العباد والبلاد بموت الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي الطائفي (أي من الطائف البلدة الشهيرة) في ليلة مباركة على الأمة ليلة سبع وعشرين من رمضان، وله ثلاث، وقيل: أربع أو خمس وخمسون سنة أو دونها، وكان.. سفاكا، ولِّيَ الحجاز سنين، ثم العراق وخراسان عشرين سنة.. ولاه عبدالملك الحجاز ثلاث سنين.. ثم ولاه العراق وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فوليها عشرين سنة... وله مقحمات[3] عظائم وأخبار مهولة. اهـ[4].

كان من ضحاياه عبدالله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ من أئمة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ومن ضحاياه ـ كذلك ـ إمام التابعين سعيد بن جبير المفسر المحدث ـ رحمه الله.

روى البخاري ـ في صحيحه أن عبدالله بن عمر قال للحجاج: «أنت أصبتني»[5] ذلك لأنه أولُ من سمح بحمل السلاح في الأرض الحرام في أشهر الحج، فحمله من حمله فأصاب به قدم عبدالله ـ رضي الله عنه ـ وقيل: كان السلاح مسموما، وكانت الإصابة مقصودة.



والقضية التي يحملها الحديث هي حَضُّ ديننا الحنيف الأعْرابَ على ترك البادية، لينضم تاركُها إلى صفوف المسلمين، ثم لا يعود إليها إلا في الضرورة الشديدة، فهي دفع من الشريعة إلى التحضر والعمل في صالح الجماعة، بدل التقوقع في البادية، فليست البداوة من الحضارة في شيء، قال ابن حجر عن الرجوع إلى البادية: «وكان إذ ذاك محرما إلا إن أذِنَ له الشارع».

روى الإمام أحمد ـ في مسنده ـ ثلاث مرات، ثنتين عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من بدا جفا» والثالثة عن البراء بن عازب، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ بَدَا جَفا»[6] ورواه أبو داود ـ رضي الله عنه ـ في سننه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ: «من سكن البادية جفا»[7].

ورواه الترمذي في صحيحه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ: «من سكن الباديةَ جفا»[8].

---

(٣) مفرده قحمة بزنة غلبة وهي الأمر العظيم الشاق لايكاد يركبه أحد، وركوب الإثم.

(٤) العماد الحنبلي ـ شذرات الذهب ١٠٦/١ ط دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

(٥) صحيح البخاري ـ كتاب العيدين باب ما يكره من حمل السلاح

(٦) مسند أحمد ٣٧١/٢، ٤٤٠ ـ ٢٩٧/٤.

(٧) سنن أبي داود ١٠٠/٢

(٨) سنن الترمذي ٥٢٣/٤



فهؤلاء ثلاثة من الأصحاب ـ رضوان الله عليهم ـ يروون هذا الحديث، فلا جدال فيه.

ويشتد الأمر في ( البداوة ) إذا وقعت بعد الهجرة إلى رسول الله ﷺ وعُدَّ ذلك من الكبائر، فقد أخرج النسائي من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا إلى رسول ﷺ في المعدود من الكبائر: « والمرتد بعد هجرته أعرابيا » قال ابن الأثير في « النهاية »: كان مَنْ رَجَعَ بعد هجرته إلى موضعه ( أي من البادية ) من غير عذر يَعُدُّونه مرتدا. اهـ

وأخرج الطبراني ـ من حديث جابر بن سمرة مرفوعا إلى النبي ﷺ:

( لعن اللهُ من بدا بعد هجرته إلا في الفتنة، فإن البدو خيرٌ من المقام في الفتنة ).



وبعد، فمن هذا العرض عن سُكنى البادية إلى النزوح عنها هجرة إلى رسول الله ﷺ تتبين: كيف أرادَ الحجاجُ أن يتآمر ليقتل سلمة ـ رضي الله عنه ـ أو ليتركه ـ على الأقل ـ بين الناس صحابيا مفتونا، وفي ذلك كُلُّ الزراية به ـ رضي الله عنه ـ ولم يكن يعلم أن حِرْصَ سلمة على دينه أقوى وأشد من حرصه هو على دنياه.

كان لقاء سلمة بالحجاج عندما ولي هذا الأخير إمارة الحجاز، تلك الإمارة التي تولاها سنة أربع وسبعين من الهجرة، وتم هذا اللقاء في أحد أيام سنواته الثلاث التي قضاها واليا على الحجاز، وقد اشتدت حرارتُهُ في مقاومة أصحاب رسول الله ﷺ والتنكيل المرير بهم، من هنا يقول لسلمة: « ارتددت على عقبيك ».

أي ارتكبت كبيرة بتركك الحضر، ونزوحك إلى البادية بعد هجرتك إلى رسول الله ﷺ ثم يُعقِّب الحجاج على كلمته مؤكدا في استفهام توبيخي فيقول: « تعَرَّبْتَ » أي عدت إلى البادية. قال سلمة: « لا » أي ما ارتددت على عقبيَّ، ولا نالت البادية من ديني، « ولكن رسول الله ﷺ أذن لي في البدو » يريد رضي الله عنه:

إني على رخصة من رسول الله ﷺ إذ نزحت إلى البادية، فنزوحي إليها ـ إذًا ـ لم يمس ديني. وقد صدق سلمة:

فإنه ـ رضوان الله تعالى عليه ـ خرج إلى البادية بعد مقتل عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ يريد اعتزال الفتنة، ولم يعد إليها رغبة في العيش فيها مفضلا إياها على الحضر، وفات على الحجاج ما أراده من سوء بسلمة.

ولقد قدم سلمةُ المدينة فلقيه بريدةُ بن الحصيب ـ رضي الله عنه ـ فسأله كيف نزح إلى البادية قال: ارتددت عن هجرتك؟ قال سلمة: معاذ الله، إني في إذن من رسول الله ﷺ. أي أنه ﷺ أذن لسلمة أن يعود للبادية إذا كان ثم فتنة.

قال جابر رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لأسلم ( أي قبيلة سلمة ): ابْدُوا، قالوا: إنا نخاف أن نرتدَّ بعد هجرتنا!! قال ﷺ: أنتم مهاجرون حيث كنتم.

قضايا قرآنية :

# جَمعُ القرآنِ وتدوينه

لفضيلة الشيخ / صبري بكر عطية

**إن قضية جمع القرآن وتدوينه، من أبرز القضايا القرآنية الهامة التي نالت عناية قصوى من المؤرخين لكتاب الله ـ عز وجل ـ حتى صارت من الوضوح، بحيث يكاد يعرفها بتفاصيلها الدقيقة قارئو القرآن الكريم، على امتداد العالم الإسلامي كله، وهناك الكثير من الطبعات، التي سجلت ملخصا وافيا لها في نهاية المصحف، وأصبحت من المسلمات، التي تقترن في عقيدة المسلم، بقدسية القرآن، وارتفاعه عن أن تمسه يد التحريف والتبديل، وكان ذلك بمثابة التطبيق الفعلي لقول الله ـ عز وجل:**

**﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(١) ويرى المسلم أن هذه الآية المباركة، التي كانت عند نزول القرآن مجرد وعد من الله لرسوله، إحدى معجزات هذا الكتاب الأسنى، التي لا يزال ينضح بها إلى يوم يجمع الناس لرب العالمين.**

ومن المراجع التراثية الهامة، التي أفاضت في هذه القضية «الجامع لأحكام القرآن» لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، و«البرهان» للإمام بدر الدين، محمد بن عبد الله الزركشي. و«الإتقان» للسيوطي... ومن مؤلفات العصر الحديث: «المعجزة الكبرى.. القرآن» للإمام الشيخ محمد أبو زهرة و«إعجاز القرآن» للكاتب المسلم النقي، الأديب مصطفى صادق الرافعي.. وغير ذلك الكثير مما لا يتسع المقام لذكره.

وإن عقيدة المسلمين جميعا، في شتى بقاع الأرض، ومنذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا، تقوم

(١) الحجر (٩).

على أن حفظ الله ـ تعالى ـ لكتابه الكريم، الذى وعد به، إنما يشمل اللفظ والمعنى كليهما.

غير أن صاحب كتاب «الفرقان» ـ سامحه الله وعفا عنه ـ يأبى إلا أن يكون خارجا عن إجماع المسلمين، ليصدمهم فى أقدس مقدساتهم، التى يتحلقون حولها، منذ فجر الإسلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو لا يدرى أن «من فارق الجماعة شبرا واحدا، فكأنما خلع ربقة الإيمان من قلبه» فبدءا من صفحة ٣٤ إلى صفحة ٥٢ يقوم المؤلف «العلامة» بهجوم شرس على القرآن الكريم، ومن خلال الحديث فى عدد من الموضوعات التى يتصل بعضها ببعض اتصالا وثيقا، وقد عنون لها بالعناوين التالية: «سبب جمع القرآن ـ كتابة المصحف ـ لحن الكتاب فى المصحف ـ ما غيره الحجاج فى المصحف».

وإن من يقرأ هذه الفصول الأربعة، سوف يشعر بالغثيان والاكتئاب لما يراه من رداءة التأليف، وتناثر الفكر، وتدنى المستوى الأخلاقى الذى لا يحترم مقدسات المسلمين، ويحثو التراب فى وجه التاريخ الإسلامى كله، من خلال الافتراءات المغرضة، التى يفتش عنها هنا وهناك ـ دون رادع من ضمير حى أو زاجر من دين ـ ليسجلها فى هذا الكتاب الغريب على الساحة الإسلامية بأكملها، وقد تمت مصادرة هذا الكتاب فى مصر بعد أن ردت عليه مجلة الأزهر فى حينه وإن كانت الردود أقل مما كان يجب آنذاك؛ حيث كانت فى عدد قليل من المقالات، التى لم تستوعب الكتاب كله.. غير أن هذا الكتاب وجد طريقه للخارج بعد ذلك، وتمت طباعته فى إحدى الدول العربية، ولأغراض لا يعلم حقيقتها إلا الله رب العالمين. ولكن يكفى


الشيخ محمد أبو زهرة


مصطفى صادق الرافعى

أن تعرف أن أمريكا قد تلقفت هذا الكتاب، وأودعت نسخة منه فى مكتبة وايدنر بجامعة ولاية هارفرد.

وهذا الكتاب مايزال يطبع ويباع بأثمان زهيدة برغم جودة طباعته. ونحن فى مناقشتنا لهذا الباب من كتاب «الفرقان» لا يعنينا كثيرا غير تشكيكه فى نصوص بعض الآيات البينات من كتاب الله العزيز. وقد لا نسير مع ترتيب النصوص فى هذا الجزء من الكتاب، نظرا لأن أفكاره غير مرتبة، فليعذرنا القارىء المنصف، وسوف نشير إلى رقم الصحيفة التى نقتبس منها النصوص، ليسهل الرجوع إليها عند من يقتنى هذا الكتاب.

## تشكيك المؤلف فى نصوص بعض الآيات

يقول المؤلف فى صفحة ٤١ وما بعدها، وتحت عنوان «لحن الكتاب فى المصحف»: «وقد سئلت عائشة – رضى الله تعالى عنها – عن اللحن الوارد فى قوله تعالى:

﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ وقوله عز من قائل:

﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾.



وقوله جل وعز:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ ﴾.

فقالت: هذا من عمل الكُتاب أخطأوا في الكتاب» ثم يعقب المؤلف على هذا الخبر قائلا: «وقد ورد هذا الحديث بمعناه بإسناد صحيح على شرط الشيخين».

ثم يقول: «وأخرج الإمام أحمد ـ رضي الله تعالى عنه ـ في مسنده، عن أبي خلف مولى بني جمح، أنه دخل على عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ فقال: جئت أسألك عن آية في كتاب الله ـ تعالى ـ كيف كان يقرأها رسول الله ﷺ؟ قالت: أية آية؟ قال: «الذين يأتون ما أتوا» أو «الذين يؤتون ما أتوا»؟ قالت: «أيتهما أحب إليك؟ قال: والذي نفسي بيده، لإحداهما أحب إلي من الدنيا جميعا. قالت: أيتهما؟ قال: «الذين يأتون ما أتوا». قالت: أشهد أن رسول الله ﷺ كذلك كان يقرأها، وكذلك أنزلت، ولكن الهجاء حرف»... وغير ذلك الكثير من الآيات التي أوردها مشككا في صحة نقلها، بتحريف الإعراب تارة، وباستبدال كلمة مكان أخرى تارة ثانية، وبزيادة حرف هنا، ونقص حرف هناك تارة ثالثة؛ مما يتنافى تماما مع عصمة هذا الكتاب الكريم، وحفظه من التحريف والتبديل، الذي تكفل الله ـ تعالى ـ به!! وفي تعليقنا على ذلك نقول:

**أولا:** تمت مناقشة بعض هذه الآيات من الوجهة الإعرابية، وذكرنا تخريج العلماء الذين يعتد بآرائهم لهذه الآيات عند مناقشتنا لقضية الرسم العثماني[2]، ونظرا لطول العهد بهذه الردود سنعيد الرد هنا لنؤكد على أن مؤلف كتاب «الفرقان» كان ضئيل الحجم علميا، ضحل الاطلاع.

ففي قوله تعالى:

﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾[3].

يقول محيي الدين الدرويش: «إن مخففة من الثقيلة ومهملة وهذان اسم إشارة للمثنى في محل رفع مبتدأ، واللام الفارقة وساحران خبر هذان..»[4].

**أما في إعراب:**

﴿ لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾[5]

فسنركز على بيت القصيد:

﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ وفيها يقول محيي الدين الدرويش: «الواو معترضة والمقيمين نصب على المدح بإضمار فعل لبيان فضل الصلاة على ما قاله سيبويه وغيره والتقدير أعني أو أخص المقيمين الصلاة، الذين يؤدونها على وجه الكمال، فإنهم أجدر المؤمنين بالرسوخ في الإيمان، والنصب على المدح أو العناية لا يأتي في الكلام البليغ إلا لنكتة، والنكتة هنا هي ما ذكرنا آنفا من مزية الصلاة، على أن تغيير الإعراب في كلمة بين أمثالها ينبه الذهن إلى وجوب التأمل فيها، ويهدي التفكير لاستخراج

---

(٢) راجع مجلة الأزهر الأعداد من جمادى الأولى ١٤١٩هـ إلى ذو القعدة ١٤١٩هـ.

(٣) طه (٦٣).

(٤) إعراب القرآن الكريم وبيانه مجلد ٦ ص ٢٠٧

(٥) النساء (١٦٢).



مزيتها وهو من أركان البلاغة .. الصلاة مفعول به للمقيمين ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ عطف على ما تقدم، والزكاة مفعول به للمؤتون لأنه اسم فاعل»[6].

وفي الآية ذاتها أورد الفخر الرازي عدة آراء في إعراب ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ﴾ واختار هو رأي البصريين حيث قال: القول الثاني: وهو قول البصريين: إنه نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، قالوا: إذا قلت: مررت بزيد الكريم، لك أن تجر الكريم لكونه صفة لزيد، ولك أن تنصبه على تقدير أعني، وإن شئت رفعت على تقدير هو الكريم، وعلى هذا يقال: جاءني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدائد، والتقدير جاءني قومك أعني المطعمين في المحل وهم المغيثون في الشدائد فكذا ههنا، تقدير الآية: أعني المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة»[7].

وفي إعراب قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِـُٔونَ﴾[8].

يقول محيي الدين الدرويش: « .. والصابئون والنصارى. الواو استئنافية، والصابئون رفع على الابتداء، وخبره محذوف. والنية به التأخير عما في «إن» من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك. وهذا ما رجحه سيبويه في مخالفة الإعراب وأنشد شاهدا له:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم

بغاة ما بقينا في شقاق

أي: فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك، ويكون العطف من باب عطف الجمل، فالصابئون وخبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله: إن الذين آمنوا، ولا محل لها، كما لا محل للجملة التي عطفت عليها، وإنما قدم ﴿وَالصَّٰبِـُٔونَ﴾ تنبيها على أن هؤلاء أشد إيغالا في الضلالة واسترسالا في الغواية، لأنهم جردوا من كل عقيدة»[9].

وقد ذكر الإمام فخر الدين الرازي لرفع ﴿وَالصَّٰبِـُٔونَ﴾ عدة أوجه، كان أشهرها وأوضحها «**الوجه الأول**: وهو مذهب الخليل وسيبويه (وفيه يقول): ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون كذلك، فحذف خبره، والفائدة في عدم عطفهم على من قبلهم هو أن الصابئين أشد الفرق المذكورين في هذه الآية ضلالا، فكأنه قيل: كل هؤلاء الفرق إن آمنوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم وأزال ذنبهم، حتى الصابئون فإنهم إن آمنوا كانوا أيضا كذلك»[10].

**ثانيا**: إن الأستاذ، لم يعمل عقله ولو قليلا فيما ينقل من هنا أو هناك، منسوبا إلى السيدة عائشة أو لغيرها، ولكن كان همه الأول والأخير، أن يصدم مشاعر المسلمين بكل غريب من القول، متجرئا على الله، وعلى كتابه الأسنى.. !!

فلو أعمل المؤلف هذه القاعدة الشرعية، التي

---

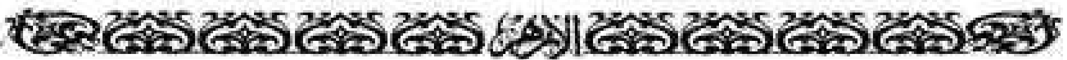
(6) إعراب القرآن الكريم وبيانه مجلد ٢ ص٣٧٧

(7) مفاتيح الغيب. المجلد الخامس ص٥٢٣.

(8) المائدة (٦٩)

(9) إعراب القرآن الكريم وبيانه. المجلد الثاني ص٥٢٧.

(10) مفاتيح الغيب المجلد السادس ص٩٣. اقرأ في ذلك



أعلنها أئمة الفقه الإسلامي، التي مؤداها أنه: إذا صح حديث رسول الله ﷺ فلا يلتفت إلى كلام غيره من البشر، إذ الاجتهاد مع النص الذي ثبتت صحته، وإذا تعارضت الآية مع الحديث، ولم يكن بالإمكان الجمع بينهما، فلا يلتفت لغير الآية، لاحتمال أن يكون الحديث موضوعا. أقول، لو أعمل المؤلف هذه القاعدة الشرعية، ما سمح لنفسه أن يخط بيمينه هذه الافتراءات والأراجيف، التي بلغت الغاية في الجراة على الله وعلى كتابه.

إن مجرد استمرار القرآن الكريم، وهو يكتب ويحفظ ويتلى، على هذا النص المبارك، منذ عصر النبوة، وعصر الخلافة الأولى، إلى يومنا هذا، لهو خير شاهد على كذب هؤلاء الأفاقين، الذين لا يرعوون عن التجرؤ على كتاب الله - تعالى - إذ ليس من المعقول، ولا من المقبول في موازين العقل والشعور والعقيدة، أن تظل الآيتان الكريمتان:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ . و

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١١)

معطلتين، طيلة أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، ليأتي هذا «الفارس الهمام»، ومن كانوا على شاكلته، في آخر الزمان، ليمنحوهما الحركة والحياة، في مجال العمل والعقيدة.

**ثالثًا**: إن هذا الخبر الذي نسب إلى أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - لكاذب فما كان لهذه السيدة الجليلة، أن تسكت عن هذا الأمر الجلل، الذي وضع أمامها في كتاب الله - عز وجل - وهو الذي أنزل على زوجها، وقد بلغ من فضلها ومكانتها في الإسلام، أن قال عنها النبي ﷺ: «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء»(١٢).

أقول: هذا الخبر كاذب ومدسوس عليها - رضي الله عنها - ونحن إنما نقول ما تمليه علينا عقيدتنا، ومعرفتنا بطبيعة من نسبت إليهم هذه الأخبار. وقد ردت مجلة الأزهر على هذا المؤلف في هذه النقطة بما مؤداه «أن رواية عائشة هذه إن صحت فهي رواية آحاد، لا يثبت بمثلها القرآن»(١٣).

**رابعًا**: لا يفوتنا أن نذكر رد الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة على هذه الشبهة حيث قال(١٤):

«١ - إن هذه الرواية في سندها إسماعيل المكي، وهو ضعيف فلا تعارض القطعي الثابت بالتواتر، ولا يثبت بها قرآن حتى ولو كانت صحيحة».

«٢ - هذه الرواية على فرض صحتها، لا تفيد إنكار القراءة الثابتة التي أجمع عليها السبعة وهي ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾ وقولها: إن رسول الله كان يقرأ بها وكذلك أنزلت «لا ينافي أن تكون القراءة المتواترة منزلة؛ وقرأ بها النبي ولا سيما وهي المتواترة التي أجمع عليها القراء السبعة.

---

(١١) فصلت (٤٢).

(١٢) الإتقان للسيوطي ص١ النوع الحادي والأربعون في معرفة إعرابه، وكتاب جمع القرآن الكريم للدكتور جمال مصطفى ص١٧٩، ١٨٠، وكذلك المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور أبو شهبة ص٣٣٤ - ٣٣٦.

(١٣) مجلة الأزهر، المجلد العشرون ص٩٣.

(١٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص٣٢٨، ٣٢٩.





وأما القراءة الأخرى التي وافقت السيدة عائشة السائل على استحسانها فهي غير متواترة ولا يثبت بها قرآن، وقد ذكرت في بعض كتب الحديث؛ ولكن لم يردها القراء من طرقهم ولعلها مما نسخ من القراءات في عهد النبي ﷺ، أو مما ترك عند جمع القرآن لعدم ثبوتها وتواترها، وأما قولها: إن الهجاء حرف، فالمراد بالحرف اللغة أي القراءة الثابتة لغة، ووجه من وجوه الأداء للقرآن، ولا يصح أن تريد من الحرف الخطأ والتحريف إذ اللغة لا تشهد له».

يقول المؤلف صفحة ٤٣: «وقد سئل أبان بن عثمان: كيف صارت: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾

ما بين يديها وما خلفها رفع وهي نصب؟».

«قال: من قبل الكاتب، كتب ما قبلها، ثم سأل المملي: ما أكتب؟ قال: اكتب المقيمين الصلاة، فكتب ما قيل له، لا ما يجب عربية، ويتعين قراءة».

«وعن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ﴾

قال: إنما هي خطأ من الكاتب: «حتى تستأذنوا وتسلموا».

«وقرأ أيضًا: «أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا» فقيل له: إنها في المصحف: «أفلم ييأس» فقال: أظن أن الكاتب قد كتبها وهو ناعس»، . !! وغير ذلك مما ينفر القلم ويعف عن الاستمرار في نقله. غير أننا في تعليقنا عليه نقول:

إن هذه القصة يتضح فيها الخيال الكاذب، بل الخيال المعرق في الكذب الذي لا يقبله من له أدنى معرفة بطبيعة هؤلاء الرجال الذين نسبت إليهم مثل هذه المواقف، وبطبيعة المهمة التي أوكلت إليهم، وإدراكهم لفداحة الخطر، الذي يتهدد الإسلام وأهله، نتيجة سهو لا يقبله المرء في عصرنا، وهو ينقل أحد النصوص العلمية من مصادرها، عندما يكلف ببحث علمي مثلا !! ألم يقرأ واحد منهم ما سبق أن كتب هو أو كتب غيره ؟!

لقد كانت هذه «اللجنة» مكونة من بعض كبار الصحابة المشهود لهم باليقظة وحسن الضبط، فضلا عن الأمانة، التي هي شرط مقدم على غيره في مثل هذه المهمة الجسيمة. لقد كانت هذه «اللجنة» مكونة من: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث، فضلا عن أن هناك نفرا من جلة الصحابة قد جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ منهم: علي ابن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود.

إن أول ما كانت تعرف «اللجنة» من ملابسات تحيط بأداء هذه المهمة، أنها كانت تقوم بتسجيل كتاب تقوم عليه الدعوة من أساسها، أو تتقوض من أساسها. أفيعقل أن يكتب أحدهم بعض آياته «وهو ناعس» ؟ كما قال الأفاقون، وقد نقل عنهم المؤلف ـ رحمه الله ـ بلا وعي ولا دراية، فيما يكتب أو ينطق، ألم يراجع ذلك الذي كتب «المقيمين» بالنصب حسبما قيلت له سهوا، ألم يراجعها، ليدرك أنه أخطأ ؟!

# محمد صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين

# القرآن مقتبس من التوراة؟!

١٠

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى

**من قبل تصدينا لفرية استشراقية شديدة النكارة زعموا فيها - كما يذكر القراء - أن محمداً ﷺ ألف القرآن من عنده، وهو منعزل في غار حراء، ولما أكمله واجه الناس به، وزعم أنه وحى أنزله الله عليه من السماء؟!**

**وفرية أخرى زعموا فيها أن محمدا ﷺ صادق، ولكنه مخدوع؛ لأن رسالته كاذبة؟!**

**وبدءا من هذا المقال نواجه فرية أخرى، زعموا فيها أن القرآن مقتبس من «التوراة» وليس له مصدر سماوي مستقل؟!**

**وتطاول بعضهم فقال:**

**ما في القرآن من جديد فليس صحيحا، وما فيه من صحيح فليس جديداً»؟!**

**يريدون أن يقولوا: إن الصحيح الذي في القرآن منقول عن غير القرآن (التوراة) والجديد الذي ليس مأخوذا عن «التوراة»، بل هو خاص بالقرآن، كذب وافتراء.**

**هكذا سوّل الحقد والحسد، وزين لهم الشيطان، فاتبعوا خطواته لاهثين.**

## سبب هذه الفرية

وليس لهم حجة فيما قالوا، سوى شبهة واهية، ومع علمهم بضعفها، بل ببطلانها، فإنهم بنوا من «حبتها» «قبة» لأنهم لا يبحثون عن الحق ليتبعوه، وإنما همهم كله محاربة الإسلام، والقضاء عليه، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق.

وافتراض حسن النية فيهم مستحيل، لأن البغضاء بدت من كل كلمة تفوهوا بها في هذا المجال والشبهة التي تمسكوا بها، ورود مواضع في القرآن تتشابه بمواضع وردت في التوراة، ومن أبرزها الجانب القصصي، وبعضهم يضيف إلى التوراة باعتبارها - عندهم - مصدرا للقرآن، يضيف «الإنجيل» كمصدر ثانوي، مساعد للتوراة في «تكوين القرآن»؟!

ونريد هنا أن نواجه هذه الفرية مواجهة علمية موضوعية، ونبدأ في الرد عليها من «الألف» إلى «الياء».

## كيف يتحقق الاقتباس

**الاقتباس عملية فكرية لها ثلاثة أركان:**

١- **الأول**: الشخص المقتبس [اسم الفاعل].

٢- **الثاني**: الشخص المقتبس منه [اسم المفعول].

٣- **الثالث**: المادة العلمية المقتبسة [اسم المفعول كذلك].

وتطبيق هذا على ما نحن بصدده يسفر عن الآتي:

● محمد ﷺ هو المقتبس (اسم الفاعل).

● موسى - عليه السلام - (أو التوراة) هو المقتبس منه (اسم المفعول الأول).

● المادة القصصية التي في القرآن، هي المقتبسة (اسم المفعول الثاني).

وعملية الاقتباس - بعد هذا - تخضع لكيفيات أخرى لأن المقتبس (اسم فاعل) إما أن يأخذ الفكرة المقتبسة كلها بلفظها ومعناها.

وإما أن يأخذها كلها بمعناها فقط. أما اللفظ أو العبارة فتكون من عنده.

وإما أن يأخذ جزء الفكرة بلفظها ومعناها أو بمعناها فقط، ويعبر عنها بألفاظ من عنده.

وبناء على هذا فإن المقتبس (اسم الفاعل) يدور في فلك المقتبس منه، ومحال عليه أن يزيد في الفكرة المقتبسة (كلا أو بعضا) لأنه ليس له مصدر سوى المادة العلمية أو الفكرية، التي يريد أن يقتبسها من عمل غيره. إذا جرى الاقتباس في هذه الأطر التي تقدمت فإن الاقتباس يكون صحيحا، ولا يمكن للمقتبس (اسم فاعل) أن ينكر دعوى من يتهمه بأنه سطا على فكرته، وأنها عمله هو لا عمل المقتبس.

أما إذا تشابه عملان: سابق ولاحق، وكان للاحق ملامح جديدة خاصة، لا وجود لها في الأول، أو وردت عند اللاحق حقائق أظهرت أخطاء جوهرية عند السابق، فدعوى الاقتباس هنا لا تصح، لأن معنى هذا أن الثاني تخطى الأول، وأتى بما لا يعرفه الأول فالثاني أو اللاحق ليس ناقلا بل هو مؤسس حقائق قد انفرد بها.

فتعال نطبق هذه الأسس على دعوى المستشرقين والمبشرين (المنصرين) أن القرآن مقتبس من التوراة كمصدر أساسي للقرآن،

ومن الإنجيل كمصدر ثانوى مساعد في تكوين القرآن؟!

وتبدأ المواجهة معهم بهذا السؤال:

هل القرآن عندما اقتبس من التوراة أو الإنجيل - كما تدعون - كان خاضعا لشروط الاقتباس المتقدم ذكرها، وهي مرة أخرى.

● نقل الفكرة كلها بلفظها ومعناها، أو بمعناها دون لفظها.

● نقل جزء من الفكرة بلفظها ومعناها، أو بمعناها دون لفظها.

● عجز المقتبس (اسم فاعل) عن الإتيان بجديد لم يكن له وجود في المصدر الذي حدث الاقتباس منه بل يتحتم عليه أن يدور في فلكه دائما.

إذا قارنا بين مواضع التشابه في القرآن وفي التوراة لاحت لنا حقيقة «ضخمة» لايمكن عقلا إنكارها تلك الحقيقة أن القرآن كان أطول باعا، وأرحب أفقا، وأوسع مساحة، مما عليه التوراة والإنجيل وملحقاتهما، التي يدرجها القوم في مفهوم «الكتاب المقدس»

**ذلك أن القرآن:**

●- عرض الوقائع عرضا يختلف عن عرض التوراة لها.

●- ساق جديداً لم تعرفه التوراة ولا أسفار الكتاب المقدس جميعها.

●- صحح أخطاء فاحشة حفلت بها أسفار التوراة.

●- انفرد القرآن بحقائق خاصة، ليس لها في الوجود مصدر سواه[1].

● في حالة اختلاف القرآن مع التوراة يكون الصواب هو ما في القرآن، والخطأ هو ما في التوراة، بشهادة العقل والنقل والعلم والواقع:

## صور التشابه

وما علينا بعد ذلك إلا أن نستعرض بعض صور من التشابه بين القرآن والتوراة، ونطلق عليها الأسس المتقدمة، تاركين الحرية المطلقة للقارىء، سواء كان مسلما أو غير مسلم، لأننا سنحتكم للعقل والواقع وهما معياران ملزمان لكل الناس. وسننظر أنحن على صواب في دعوانا أن للقرآن مصدراً إلهيا غير التوراة والإنجيل؟ أم هم على صواب في أن القرآن مأخوذ من نصوص التوراة والإنجيل؟

والمسألة بعد ذلك، ليست مسألة اختلاف في الرأى في موضوع قابل للاحتمال. بحيث يكون الرأى والرأى الآخر كل منهما محتمل للصواب. وإنما المسألة مسألة مصير أبدى من ورائه عقيدة لا تبنى على الظن والتخمين، بل على اليقين، تهيء لصاحبها النجاة من سوء المصير، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم. أو عقيدة فاسدة تحل قومها دار البوار، يوم يقدم الله إلى ما عملوا فيجعله هباء منثورا.

(١) على القارىء أن يعرف أننا نتحدث عن مواضع التشابه بين القرآن والتوراة.. أما عموم القرآن فليس له مقابل في التوراة

## الصورة الأولى من التشابه بين التوراة والقرآن، قصة يوسف ـ عليه السلام ـ

تبدأ هذه اللقطة من بدء مراودة زوجة عزيز مصر ليوسف ـ عليه السلام ـ عن نفسه، ليفعل بها الفحشاء، وتنتهي بقرار وضع يوسف في السجن:

### حديث التوراة

«وحدث بعد هذه الأمور، أن امرأة سيده رفعت عينيها إلى يوسف وقالت اضطجع معي، فأبى وقال لامرأة سيده: هو ذا سيدي لا يعرف معي ما في البيت، وكل ماله قد دفعه إلى يدي، ليس هو في هذا البيت أعظم مني، ولم يمسك عني شيئا غيرك؛ لأنك امرأته، فكيف أصنع هذا الشر العظيم، وأخطئ إلى الله، وكان إذ كلمت يوسف يوما فيوما أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها.

ثم حدث نحو هذا الوقت، أنه دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت، فأمسكت بثوبه قائلة اضطجع معي، فترك ثوبه في يدها، وخرج إلى خارج وكان لما رأت أنه ترك ثوبه في يدها، وهرب إلى خارج، أنها نادت أهل بيتها، وكلمتهم قائلة: انظروا قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا، دخل إلي ليضطجع معي فصرخت بصوت عظيم، وكان لما سمع أني رفعت صوتي وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبي، وهرب وخرج إلى خارج، فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة: دخل إلي العبد العبراني الذي جئت به إلينا ليداعبني، وكان لما رفعت صوتي وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبي وهرب إلى خارج، فكان لما سمع سيده كلام امرأته الذي كلمته به قائلة بحسب هذا الكلام صنع بي عبدك أن غضبه حمي فأخذ يوسف سيده ووضعه في بيت السجن، المكان الذي كان أسرى محبوسين فيه»

سفر التكوين الإصحاح [ ٣٩ ]
من [ ٧ إلى ١٩ ].

### حديث القرآن

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾

يوسف (٢٣ : ٣٥)

**تلك هي نصوص الواقعة في المصدرين:**

التوراة التي يزعمون أنها مصدر القرآن، ولولاها لم يكن القرآن؟

والقرآن الذي يدعون أنه أخذ مادته القصصية – على الأقل – من التوراة؟

وإني لأدعو القراء أن يقرأوا الحديثين (حديث التوراة) و(حديث القرآن) في هذه اللقطة من قصة يوسف، التي اخترناها من المصدرين أساسا لهذه المقارنة، أن يقرأوا الحديثين بوعي وصبر، ثم يحاولوا جهد الطاقة التعرف على الفروق بين المصدرين ويرصدوها ويتأملوها جيداً

ثم يسألوا هذا السؤال:

هل تصلح التوراة أن تكون مصدراً فعلا للقرآن وهل وقف القرآن في حديثه عن هذه الواقعة عند الحدود التي وقفت عندها التوراة؟

إذا ثبت أن القرآن في حديثه هذا مكبل بما ورد في التوراة، فإن دعوى مصدرية التوراة للقرآن تكون صادقة.

أما إذا ثبت أن القرآن تخطى ما أوردته التوراة. فإن دعوى مصدرية التوراة للقرآن تكون باطلة كاذبة

إن مقتضى ادعائهم أن التوراة هي مصدر القرآن يلزم منه عقليا أن يكون حديث القرآن هنا محصورا في صورتين لا ثالثة لهما:

**الأولى:**

**أن يردد ما ورد فى التوراة ولو بألفاظ أخرى بشرط ألا يزيد عليه شيئاً قط. فإن ردده بلفظه ومعناه كان مجرد ناقل.**

**وإن ردده بمعناه دون لفظه، كان ما ردده حكاية معنى وفى كل يعجز كل العجز عن الإتيان بجديد لا وجود له فى التوراة؛ لأنها حسب زعمهم هى «الأصل والمورد» والقرآن هو «الفرع».**

**الصورة الثانية:**

**أن يردد القرآن بعض ما ورد فى التوراة باللفظ والمعنى، أو بالمعنى دون اللفظ**

**وفى هاتين الصورتين – لو كان القرآن اقتصر عليهما – تكون دعواهم أن التوراة مصدر القرآن صحيحة ومقبولة، ولا يصح لنا أن نرد دعواهم، وإلا كنا جاحدين معاندين.**

**لكن الواقع النصى لما فى المصدرين (التوراة – القرآن) ينسف هذا الادعاء نسفا، ويتضح هذا لكل ذى عقل من المقارنات والتنظيرات الآتية، ونرجو من القراء النظر فيها بكل عناية وتمحيص.**

# المقارنـــــات

| معطيات التوراة | معطيات القرآن |
| --- | --- |
| ● المراودة حدثت مراراً. وتمنع يوسف لامرأة العزيز كان قبل المرة الأخيرة. | ● المراودة حدثت مرة واحدة، وقد اقترنت بعزم امرأة العزيز على يوسف لينفذ رغبتها |
| ● تخلو التوراة من الإشارة إلى غلق الأبواب، وتقول: إن يوسف ترك ثوبه بجانبها وهرب، وانتظرت هي قدوم زوجها العزيز، وقصت عليه القصة، بعد أن أعلمت بها أهل بيتها. | ● يشير إلى تغليق الأبواب، وأن يوسف هم بالخروج فقدت قميصه من دبر، وحين وصلا إلى الباب وهي تطارد يوسف فوجئا بالعزيز يدخل عليهما، فبادرت المرأة في الحال بشكوى يوسف ـ عليه السلام ـ إلى زوجها. واقترحت على زوجها سجن يوسف أو تعذيبه |
| ● لم يكن يوسف موجوداً في البيت حين دخل العزيز، ولم يدافع عن نفسه حين اتهمته امرأة العزيز واقترحت عليه سجنه أو تعذيبه. | ● يوسف كان موجوداً في البيت لما دخل العزيز، وقد دافع عن نفسه أمامه وقال يوسف للعزيز: هي التي راودتني عن نفسي. |
| ● تخلو التوراة من حديث الشاهد وتقول: إن العزيز حمي غضبه على يوسف، ثم أودعه السجن فوراً دون عرض أمره على حاشيته. | ● يذكر القرآن شهادة الشاهد تفصيلاً كما يشير إلى اقتناع العزيز بالشهادة مع توجيه اللوم إلى امرأته، ويثبت يوسف على العفة والطهارة: ويؤكد أن امرأته قد أخطأت، وأن إدخال يوسف السجن كان بعد مشاورة حاشية العزيز |
| ● تخلوا التوراة من حديث النسوة باتهامهن امرأة العزيز بمراودة فتاها يوسف عن نفسه ووصفها بأنها كانت من الضالين. | ● يذكر حديث النسوة بالتفصيل وتوجيه الدعوة إليهن من امرأة العزيز وحضورهن إلى بيتها مع مادار في هذا اللقاء من أحداث مذهلة |
| ● تعبر التوراة عن مراد امرأة العزيز من يوسف بالاضطجاع معها، وهو كناية مبتذلة لفظاً ومعنى، لأنها تجسيم مكشوف لعمل الفاحشة. | ● يعبر القرآن عن مراد المرأة من يوسف ـ عليه السلام ـ بـ«المراودة» وإغرائها إياه ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ وهما كنايتان عفيفتان تومئان إلى المعنى المراد من وراء حجاب. |

وبعد هذه المقارنات بقيت أمور لابد من الإشارة إليها وهي أمور خلت منها التوراة، وذكرها القرآن، وهي:

● خلو التوراة من حفظ الله ليوسف وثناء الله على يوسف:

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾

● خلو التوراة من دعاء يوسف ربه وإعلانه إن السجن أحب إليه من الصبوة إلى النساء:

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَٰهِلِينَ﴾

● خلو التوراة من استجابة الله دعاء يوسف ـ عليه السلام ـ:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

## نتائج المقارنة

الفروق التي تقدمت بين حديث التوراة، وحديث القرآن عن «الواقعة» التي رشحناها لإجراء هذه المقارنة، احتكمنا فيها إلى الواقع «النصي» للتوراة، والواقع «النصي» للقرآن الأمين. لتكون الأحكام على «المصدرين» مقنعة لاستنادها على حقائق لا يسوغ في حكم العقل الطعن فيها، فهي أشبه ما تكون به حدود العمليات الرياضية، لا مجال فيها للأهواء ولا لعمل الخيال، ونرجو أن يكون القراء قد لمسوا هنا نزاهة هذا المنهج واطمأنت إليه نفوسهم، وسلمت بصدقه عقولهم.

والنظر الفاحص في المصدرين، يرينا أنهما لم يتفقا إلا في «أصل الواقعة» من حيث هي واقعة وكفى. ثم اختلفا بعد هذا في كل شيء:

على أن القرآن أتى بجديد لم تعرفه التوراة، ومنه حديث النسوة. مدحهن ليوسف. الهم بين المرأة ويوسف[٢]. دعاء يوسف ربه، استجابة الله دعاء يوسف، قد قميص يوسف من الخلف، عرض الواقعة على حاشية العزيز.

ولو كانت التوراة هي مصدر القرآن فأين نجد هذا الجديد في التوراة؟! إن القاعدة العقلية التي تقول: «فاقد الشيء لا يعطيه» شديدة الانطباق على وضع التوراة هنا.

وهي - وحدها - كافية في إبطال دعوى القوم أن محمدًا ﷺ اقتبس القرآن من التوراة، ثم زعم أنه وحي نزل عليه من الله ـ عز وجل ـ.

وأمر آخر: إن القرآن قام بتصحيح أخطاء وردت في حديث التوراة عن هذه «الواقعة» من قصة يوسف ـ عليه السلام ـ.

ومن تلك الأخطاء:

---

(٢) همُّ المرأة بيوسف كان بقصد تنفيذ رغبتها فيه، وهم يوسف بها كان هو إثارة شهوته لا إراديا، كما يسيل لعاب الجائع إذا اشتم رائحة شواء بلا إرادة منه، بل هو انفعال فطري قاهر.

- لم يترك يوسف ثوبه بيد المرأة في بيت العزيز، بل كان مرتديا ثوبه، وهو يحاول الإفلات من الوقوع في الفاحشة، التي كانت المرأة تطارده من أجلها، هذا ما أثبته القرآن الأمين.

كل ما في الأمر أن المرأة قدت قميصه من الخلف. وهذا هو الأليق بسمعة رسول كريم، ورسل الله جميعاً منزهون عن الخطايا، مبرأون من الدنايا.

**وقد يقول بعض الناس:**

لماذا نفترض الخطأ في جانب التوراة، وأن الصواب هو ما ذكره القرآن؟ ألا يعتبر تحيزاً منكم للقرآن، وتحاملاً على التوراة؟

وذلك لأن القرآن كتاب المسلمين، وأنتم منهم، وقد يقول «الخصم» غير ما تقول أنت:

إن الذي ذكره القرآن خطأ؟ والذي ورد عن التوراة هو الصواب؟

**والجواب:**

نحن لم نتحيز للقرآن؛ لأنه كتاب المسلمين، ولكن دعانا إلى هذا داعيان:

**الأول:** لم يرد في القرآن - قط - ما هو خلاف الحق؛ لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وعلى كثرة ما طعن فيه الطاعنون - قديما وحديثا - لم يعثروا فيه على ما يخالف الحق والصواب. وقد ثبتت هذه الحقيقة في كل مجالات المعارف والعلوم التي أجريت على مفاهيم القرآن العظيم في كل العصور والبيئات.

وهذا - وحده - كاف في صدق ما ذهبنا إليه

**أما الداعي الثاني:** وهو منتزع من واقع القصة نفسها موضوع هذه المقارنة وإليك البيان.

إن كلا من التوراة والقرآن متفقان على عفة يوسف - عليه السلام - وإعراضه عن الفحشاء، ثم اختلفا بعد ذلك:

**التوراة تقول:** إن يوسف ترك ثوبه كله بيد المرأة وهرب.

**والقرآن يقول:** إن يوسف لم يترك ثوبه، بل فرَّ هاربا من كيد المرأة، فأمسكته من الخلف ومزقته، واقتطعت جزا منه فأي الروايتين أليق بعفة يوسف المتفق عليها بين المصدرين؟

- أن يترك ثوبه ويخرج عاريا أو شبه عار
- أم أن يظل مرتديا ثوبه، ثم تقتطع منه امرأة العزيز قطعة من الخلف؟

إذا سلمنا برواية التوراة، فيوسف ليس عفيفا - حاشى لله - وامرأة العزيز تكون على صواب في اتهامها إياه بإرادة عمل الفحشاء معها، لأن «الرجل» أي رجل، لا ينزع ثوبه عنه إلا إذا كان هو «الراغب».

وقد يقولون: إن امرأة العزيز هي التي نزعت عنه ثوبه

ونقول: هذ مردود واقعا؛ لأن يوسف كان شابا قويا مفتول العضلات، وهي امرأة، ولم تجر العادة بأن تغلب المرأة الرجل في هذه الأحوال

ثم: كيف يترك يوسف ثوبه عندها إن كانت هي التي نزعته عنه جدلاً

**والخلاصة**: أن رواية التوراة فيها إدانة قوية ليوسف ـ عليه السلام ـ وهذا يتنافى مع العفة التي اتفقت التوراة على إثباتها ليوسف مع القرآن الكريم.

أما رواية القرآن ففيها إدانة قوية لامرأة العزيز، وبراءة قوية ليوسف ـ عليه السلام ـ

لقد دعته لنفسها فأبى واستعصم وعاذ بالله من كيدها، ولما لم ترتدع وأصرت على تحقيق رغبتها وولى هاربا، فاتبعته وهي تمسك بثوبه من الخلف ليعود إليها، ولكنه ولىّ هاربا، فما كان إلا أن مزقت ثوبه من الخلف.

إن قطع ثوب يوسف – عليه السلام – كان رد فعل لعمليتين متضادين: جذب إلى الخلف من امرأة العزيز، واندفاع إلى الإمام من يوسف ولهذا جاءت شهادة الشاهد مستندة إلى «موضع قد القميص».

إن كان من الأمام فهي صادقة، ويوسف كاذب.

وإن كان من الخلف فهي كاذبة، ويوسف صادق.

وهي الشهادة التي عمل بها لأول وهلة عزيز مصر.

وهذا يتفق مع عفة نبي الله يوسف التي أجمع عليها المصدران لهذا قلنا – ونقول –: إن القرآن لم يكتف بإيراد جديد في القصة لم تعرفه التوراة، بل صحح أخطاء وردت في التوراة وكان لابد من تصحيحها.

كما صحح القرآن واقعة أخرى، لأن التوراة كررت أن يوسف خرج من البيت، ولم يدافع عن نفسه أمام العزيز حين حضر والقرآن يثبت العكس، وهو الصحيح، لأن العزيز رجع إلى البيت حين مطاردة امرأته ليوسف، لا قبلها ولا بعدها.

وهؤلاء الذين ادعوا أن التوراة هي التي اقتبس منها محمد ﷺ القرآن، يتهمون القرآن بتزوير الواقع، حيث أثبت شهادة شاهد للواقعة من أهل امرأته ويقولون: إن يوسف وامرأة العزيز كان وحدهما في البيت فأين كان يختبيء هذا الشاهد؟

**والجواب**: لا يلزم من إثبات الشهادة في القرآن، وجود أحد معهما في البيت. لا من أهلها ولا من غير أهلها. فهذا أمر مسكوت عنه في القرآن:

لا يثبته ولا ينفيه. ومع هذا فالشهادة مقبولة، لأنها قد تكون إدلاء رجل من أهلها حضر مع العزيز، فأدلى برأيه وأشار على العزيز بتحكيم هذه «الأمارة» بعد اقتناعه بإدانة المرأة.

## والخلاصة

كيف تصلح التوراة مصدرا في تكوين القرآن، وفي القرآن ما ليس فيها من أمانة العرض ونزاهته، وتصويب القرآن ما فيها من أخطاء، لو كانت التوراة هي مصدر القرآن لعجز القرآن أن يأتي بجديد ليس فيها، ولعجز عن تصويب ما فيها من أخطاء.

# الرفق بالجانى من خلق النبى صلى الله عليه وسلم

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفنى

**من حكمة الشعر قول الشاعر العربى القديم:**

**ترفق أيها المولى عليهم ... فإن الرفق بالجانى عقاب**

**وتتركز حكمة الشاعر فى قوله إن الرفق بالجانى عقاب، فالجانى بشر، ومهما يكن أمره فإن له مشاعر وأحاسيس كسائر البشر، وحين يزل أو يرتكب جرما فإنه يتوقع العقاب، ويهيىء نفسه له، ولكنه حين يفاجأ بأنه يجد بدل العقاب رحمة ورفقا فإن هذا قد يكون أبلغ تأثيرا فى نفسه، وأشد تقويما لاعوجاجه من العقاب، ومن هذا المحيط كان خلق الحلم والعفو عند النبى ﷺ.**

وقد يتصور بعض الناس أن القسوة والصرامة وحب الانتقام كلها من مظاهر القوة، وهذا وهم، فالحقيقة أنها من مظاهر الضعف النفسى، وأن الحلم والاستعداد للصفح والغفران هو أثر القوة والصلابة النفسية، فإن النفس التى تهيج وتنفعل كلما أصابها ما يؤذيها أو ما تضيق به هى كالشىء الرخو الضعيف الذى يسهل تحريكه وزعزعته، أما الحليم المستعد للصفح فهو القوى الثابت الذى يزن ما يوجه إليه بعقله وخلقه وليس بمشاعره وانفعالاته، فلا يرد ولا ينتقم إلا حينما يكون ذلك واجبا، ولكنه فى كل الأحوال يرى نفسه أقوى وأثبت من أن تهزه سفاهة السفهاء أو بذاءة الأرذلين، وقد أشار النبى ﷺ إلى هذه المعانى حينما قال: (ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب) بمعنى ليست القوة فى المقدرة على البطش وما ينتج عن القوة أو يؤدى إليها فى نظر الناس كمشاعر الغضب والثورة والهياج، وإنما القوة فى ثبات النفس وصلابتها إزاء ما يدعو إلى إثارتها أى التحكم فى النفس عند انفعالها وثورانها، فهذه النفس هى التى تستطيع أن تكتسى ثوب الحلم بدل الغضب، وترفع شعار الصفح والعفو بدل الانتقام، فأقوى النفوس أقدرها على الصفح والغفران، ولم يكن من المصادفة أن يجعل القرآن





الكريم الناس مراتب في موقفهم مما يوجه إليهم من إساءة أو عدوان، فجعل المرتبة الدنيا هي مرتبة الانتقام، وشعارها ( وجزاء سيئة سيئة مثلها ) وجعل مرتبة النفوس الكريمة القوية في مرتبة أعلى هي مرتبة العفو، وكلما علت المرتبة قل عدد أصحابها، كما يقول الشاعر ( .. إن الكرام قليل ) والآية الكريمة تصرح بالمنزلتين، المنزلة الدنيا لعامة الناس، وهي تقابل نزعة الانتقام والقصاص، والمنزلة الأعلى وهي منزلة التجاوز والصفح، في قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾(١).

ولكن هناك منزلة عليا فوق المنزلتين، وهي منزلة الإحسان إلى المسيء فضلا عن العفو عنه، وهي منزلة الصفوة من الناس، ولا يستطيع أن يروض نفسه عليها إلا من آتاه الله قوة نفسية ومقدرة على كبح جماح النفس والتحكم فيها، وإذا كان العافون من الناس قلة بالقياس إلى الراغبين في الانتقام، فإن المحسنين إلى المسيء أقل من هذه القلة، ويشير القرآن إلى ذلك بقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(٢).

فالسيئة هي ما صدر من المسيء، والحسنة هي العفو عنه، بمعنى أنك حين تقابل السيئة بالسيئة فرغم أنك استخدمت حقك في القصاص إلا أنك كأنك اشتركت معه في السوء، خصوصا وأن القرآن سمى القصاص سيئة من باب التنفير من القصاص والترغيب في العفو، كقوله تعالى:

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾(٣).

فإذا أردت أن ترفع درجتك فوق درجة المسيء فالجأ إلى العفو فهو الحسنة التي لا تستوي مع السيئة، فإذا أردت أن ترفع نفسك فوق درجة الاثنين لتكون في الدرجة العليا، درجة الصفوة من الناس فالجأ إلى الإحسان إلى المسيء زيادة عن العفو عنه، كما يقول تعالى:

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾.

وليس من المصادفة أن يكون خطاب القرآن في مرتبة الإحسان فرديا في لفظ الآية الكريمة:

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

فكأن الذين يستطيعون أن يبلغوا هذه المرتبة ليسوا إلا أفرادا، والواقع أن هذه المرتبة هي مرتبة الزعامة والقيادة، ولو في محيط الأسرة والجماعة المحدودة.

وحين نلقي نظرة على خلق النبي الكريم في هذا المقام نجد أنه قد بلغ بالإحسان القمة التي تناسب قيادته وخلقه العظيم، فمما عرف عن النبي الكريم بإجماع كل معاصريه: مؤيديه ومعارضيه أنه ما انتقم لنفسه قط، وهذا مبدأ عام في خلقه العظيم، فما أكثر ما عرض له في حياته

---

(١) النحل (١٢٦). (٢) فصلت (٣٤). (٣) الشورى (٤٠).





سواء بمكة أو المدينة من حوادث الإساءة إليه، أو العدوان عليه، وما أكثر ما أتيح له أن ينتقم لنفسه وأن يحتكم في الانتقام كما يشاء، ولكنه لم يتخل مرة واحدة عن خلقه الكريم في العفو، ولم ينزل مرة واحدة عن قمته الرفيعة، وهذه عائشة تحدثنا عن هذا الخلق فتقول ( ما خير رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه، وما انتقم رسول الله لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها ) فهو حينئذ ينتقم لله وليس لنفسه.

وهذه المرتبة من خلقه الكريم لا تحتاج إلى كثير استشهاد أو تمثيل، لأن حوادثها أكثر وأشهر وأوضح من التمثيل.

وإنما نتحدث قليلا عن صفة الإحسان في خلقه العظيم، وهو الإحسان إلى المسيئين أي الجناة، فنقول إنه صلوات الله عليه لم يترك فرصة يمكن أن يحسن فيها إلى المسيء إلا وأحسن إليه كأكرم وأرحب ما يكون الإحسان، بل كان أحيانا يوجد الفرص إيجادا ليقدم هذا الإحسان، ومن الواضح أن الكثيرين جدا من أصحابه كانوا من أعدائه الذين قدموا كل ما يمكن أن يقدموا إليه وإلى دعوته وإلى أصحابه من إساءة وعدوان، وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب الذي كان من ألد أعدائه وأعنف خصومه، ومع ذلك فلم يؤثر أنه ذكر إساءة أحد منهم، أو عرض بماضيه العدائي، سواء في محضره أو غيبته، بل كان يغمرهم بما يغمرهم به من بر وعطف وإحسان، وكان يحرص دائما على أن يمحو من نفوسهم ما يثور فيها من ندم على ما أسلفوا من إساءة إليه وإلى دينه وأصحابه، قائلا لهم إن الإسلام يجب ما قبله أي يمحوه، بل كان يحرص على أن يرعى المسلمون شعور هؤلاء، وألا يؤذوا نفوسهم حتى بذكر مساوىء أهلهم وذويهم الذين ماتوا على الشرك، فمثلا آمن عكرمة بن أبي جهل حتى كان من خير الناس إسلاما، ولكن أباه أبا جهل كان شر الكافرين كفرا وعداء للمسلمين، وقد ظلت بعض آثار عداوته ماثلة في نفوس بعض المسلمين وجسومهم، وكان من الصعب عليهم أن ينسوا ذلك أو يتناسوه، ولكن النبي مع ذلك كله، وحفظا لشعور عكرمة وأمثاله كان يلزم أصحابه ويطلب منهم أن يكفوا عن أي حديث عن الماضي يؤذي نفسية مسلم، بمثل قوله: ( لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء )[1].

وقد ضرب النبي الكريم في الإحسان إلى المسيئين إليه أمثلة لا زال ترديدها يملأ النفوس إكبارا وإجلالا لهذا الخلق العظيم، فهذا أنس بن مالك يقول ( كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ( النبي ) ثم أمر له بعطاء ).

وكان صفوان بن أمية من أعتى عتاة قريش وأشدهم عداوة للنبي ودينه، ومن أحرصهم على أن يقدم للنبي وأصحابه كل ما يمكن من بغي وإيذاء، وظل صفوان على شركه، وعلى عدائه

---

(١) مجمع الزوائد ٩٦/٨.



للنبي وللإسلام حتى فتح النبي مكة، فعفا عن صفوان فيمن عفا عنهم، ولكن صفوان مع ذلك ظل على شركه، ثم استعد النبي وأصحابه لمقاتلة هوازن وثقيف، وكانت قريش قد وكلت إلى صفوان أسلحتها التي تحتاج إليها عند الحرب، فاحتاج النبي أن يستعير من صفوان ما عنده من دروع وسلاح، ولعل صفوان كان يقدر أن محمدا إنما يستولي على هذا السلاح استيلاء الفاتحين، وماله لا يتوقع، وقد أصبحت مكة بمن فيها وما فيها ملكا للنبي، ولكن صفوان يفاجأ بأن النبي يرد إليه كل سلاحه بعد أن تنتهي الحرب، ولا يكتفي بذلك، وإنما يرسل إلى صفوان فوق ذلك مائة ناقة من أجود النياق هدية منه إلى صفوان رغم أنه ما زال على شركه، وينظر صفوان فإذا المفاجأة تملك عليه نفسه وقلبه، وإذا هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فيقول له بعض أصدقائه: عجبا لك يا صفوان أتعادي محمدا ما عاديته، ثم تؤمن به من أجل النياق؟ فيقول له صفوان: يا هذا، إنك لتعلم أن إبلي تملأ بطاح مكة، ولكني آمنت لأن محمدا يعرف كيف يداوي النفوس المريضة.

وما أكثر ما كان النبي يحسن إلى المسيئين حتى في الذنوب ولو كانت من الكبائر، وكان شديد الرفق بالذين لم يكن الذنب نابعا من نزعة شر في قلوبهم، وإنما كان نابعا من ضعف الإرادة أو جموح الغرائز، كما يروي البخاري وغيره أن شابا جاء إلى النبي ﷺ ذات يوم في رمضان بادي الجزع يقول هلكت يارسول الله، هلكت يارسول الله، فحين سأله النبي قال: واقعت زوجي وأنا صائم، فحين وجد الشاب أن النبي لم يغضب كما كان يتوقع أخذ يهدأ، ثم قال له النبي هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، وفي رواية قال: وهل أهلكني إلا الصيام يارسول الله؟ قال: فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا؟ قال لا، فدعا النبي فجيء له من بيته بقدر من التمر، فقال للشاب خذ هذا فتصدق به، قال الشاب: أعلى أفقر مني يارسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها أهل بيت أفقر من أهل بيتي، يعني لا يوجد في المدينة أحد أفقر مني، فتبسم النبي ﷺ وقال: فأطعمه أهلك. فقد جاء الشاب إلى النبي فزعا جزعا، ولكن رفق النبي به جعله يعود من عنده راضيا مطمئنا، وتتعدد الروايات عن أشخاص جاءوا إلى النبي وهم ممتلئون جزعا وهلعا من عظم ما ارتكبوا من ذنب فإذا رفق النبي بهم يهدىء من روعهم، ويمحو من نفوسهم ما خيم عليها من جزع، بل يزيد فوق هذا أن يحسن إليهم، ومن تلك الأمثلة الكثيرة ما ورد في صحيح مسلم من أن رجلا واقع زوجته وهو صائم في رمضان ثم جاء إلى النبي في المسجد يقول يارسول الله احترقت احترقت فسأله النبي عن شأنه فأخبره فقال النبي تصدق، قال الرجل والله يا نبي الله ما لي شيء وما أقدر عليه، قال النبي اجلس فجلس، فأقبل رجل يسوق حمارا عليه طعام فقال النبي أين المحترق آنفا؟ فقام الرجل فقال النبي: تصدق بهذا فقال: يارسول الله أغيرنا؟ فوالله إنا لجياع ما لنا شيء قال (النبي) فكلوه، فمثل هذا الرجل وذلك الشاب الذي يشعر كل منهما لعظم ذنبه أنه هلك أو أنه احترق كان ولا شك يتوقع من النبي غضبا شديدا ونقمة على ما ارتكب من





جرم كبير في حق الله ودينه، ولكن النبي دون ريب يراعي أن من يحمل من الإيمان والخوف من الله ما يجعله يشعر بالهلاك أو الاحتراق من جراء ما اقترف فلن يكون شرير الطبع ولا مستهينا بحدود الله، وإنما هي ساعة ضعف زلت فيها قدمه، فهو أولى بالرحمة والرفق منه بالقسوة والعقاب، وسيكون الرفق حينئذ أوقع في نفسه وأشد تقريبا له إلى الطريق القويم، بينما القسوة عليه قد تدفعه إلى التمرد على الطريق القويم حين يجده مسدودا أمامه، وهذا مضمون حكمة الشاعر (فإن الرفق بالجاني عقاب) بمعنى أن الرفق بالجاني ينتظر له أن يؤدي في إصلاح الجاني وتقويمه ما يؤديه العقاب، بل كثيرا ما يكون الرفق خيرا من العقاب، ومن هذا القبيل كانت حكمة الله في أن كل آيات القصاص والجزاء تدعو إلى وضع العفو مكان العقاب.

وقد كان بعض العامة من الناس يعجبون لما يصدر عن النبي من الإحسان، وكان هذا العجب يصل ببعضهم إلى الحيرة والتساؤل، لأنهم يقيسون الأمور بمستواهم هم، فلا يرون في المسيء إلا شخصا يستحق العقاب فيما يعرفون، أو العفو فيما يتخيلون، أما أن يقابل بهذا الفيض من البر والإحسان فذلك مالا تفهمه عقولهم أو تسيغه نفوسهم، ولكن القيادة التي تعرف كيف تجعل من الأعداء أنصارا كانت أعرف بإرضاء النفوس وكسبها، وحيث سبقت الإشارة في هذا الحديث إلى أن خلق الإحسان لا تحمله إلا النفوس المهيأة للقيادة والزعامة، فإن القرآن بدقته البالغة في أسلوبه وتعبيره يشير إلى هذا في قوله تعالى:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

بمعنى أن إحسانك إلى المسيء يجعله من ولائه كأنه تابع مخلص لك، فالمحسن في مكان القيادة، والمحسن إليهم في مكان الأتباع.

وحتى حينما لم يكن مفر من تنفيذ العقاب، نجد النبي الكريم يكسوا العقاب بالعطف على الجاني والإحسان إليه، أو حمايته من قسوة الناس عليه، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ أتي برجل قد شرب، فقال اضربوه، قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده، ومنا الضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله، قال النبي: لاتقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان، وقد تكرر هذا المعنى من النبي، فمثلا نراه يصد خالد ابن الوليد عن سب امرأة معترفة بالزنا حين سبها في أثناء عقابها، فقال النبي: مهلا ياخالد، لقد تابت توبة لو وزعت على أهل المدينة لوسعتهم.

وحين نتأمل مثل هذه المعاني والأمثلة نجد الفارق بين نظرة عامة الناس إلى المجرم، وبين نظرة النبي إليه، فالناس يرونه مجرد مجرم يستحق منهم فوق العقاب مقتا وبغضا وسبا، ولكن النبي ينظر إليه على أنه إنسان منحرف، يعاقب على انحرافه، ليرتدع وليكون عبرة لغيره، ولكنه بعد هذا العقاب إنسان ينبغي أن نشفق عليه، وأن نداوي نفسه المريضة، وأن نعيده إلى صف الجماعة، لا أن ننبذه عنها، وهذا خلق القمة وخلق القيادة التي تحول كل من حولها حتى المسيئين، فيصبح كل منهم:

﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

# الدين والحضارة

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي

**لاشك أن الحضارة تواجه مستقبلا أشد غرابة إذ أنه يحمل من إمكانات الدمار التى لايمكن قياسها اليوم بأى عصر مضى. فشغلنا مستقبل الحضارة عن البحث فى ماضى الحضارات حرصا منا على المحافظة على مستقبلها وخوفا من فقدها. ومعنى فقدها: دمار الجنس البشرى بكامله.. فأصبح من أهم مطالب الجنس البشرى: حاجته إلى الأمان أكثر من حاجته إلى الحرية. إذ لاحرية من غير أمان، وإلا أصبحت حريتنا هى التطلع إلى التخلص من المسئولية الجماعية نحو طلب الأمن والأمان. ولا سبيل لنا إلى ذلك إلا اذا راجعنا سجل حضارات الماضى. فمراجعات الماضى الثقافى من الحقائق الثابتة التى يمكن اعتبارها مرتكزات أساسية لوجود الحاضر وكيفية المحافظة عليها فدائما مانطلق عليه ماض قد مضى هو فى عرف مفهوم الثقافة ليس كذلك إنما هو ماض دائم الوجود لأن الفكر الثقافى فى النهاية جهد إنسانى أخذ من التاريخ وأعطى، ومحاولات أخذه وعطائه تتردد بين الخطأ والصواب.. فالتاريخ الثقافى تجربة إنسانية لزمن مضى لها فعاليتها فى الحاضر.. وعلى ذلك تكون الثقافة ذات الماضى المتجدد هى التى تثير فى الإنسان الولع بالتفكير وتجعله قادرا على ضبط نفسه والتحكم فيها بدلا من أن يفقد سيطرته على نفسه وعلى معاييرها الثابتة فيفقد توازنه مع حضارته وثقافته.**

وأحب أن أذكر على سبيل المثال طرفا من الجدل الدائر بيننا حول قضية «الإصلاح» أو «التحديث» وليس «أو» هنا جاءت لمجرد العطف للترادف، أى أن الإصلاح، يعنى: التحديث أو أن التحديث يعنى: الإصلاح، ليس الأمر هكذا إنما المصطلحان يشيران من حيث نعلم أو لانعلم إلى اتجاهين يتنازعان كسب الثقة الاجتماعية لاتجاهيهما وهما فيما بينهما يتنابذان بالألقاب بعضهما البعض دون أن يتفهما وجهتى نظرهما أو يتفهما مبادىء فكرهما نحو «الإصلاح» أو «التحديث» .. ونقطة الخلاف بينهما، ربما تكون: غير عميقة، أو ربما تكون غير جوهرية،

أو ربما، تكون عميقة، وجوهرية، قد يكون كل ذلك. على أى حال هذه احتمالات منطقية يجيزها المنطق كشأن أى قضية لها احتمالات فروضها العلمية من حيث هى قضية. أما ما نحتاج إليه ليس احتمالات القضية لذاتها يعنى أطرح قضية ما، أطرح معها فروضها المحتملة من حيث هى قضية لكن الأمر الذى بيننا ليس من قبيل الفروض الذهنية والتخيلات الذاتية حتى تحتكم إلى آرائنا الفردية أو إلى وجهات نظر تعصبية تحكمها نزوات عصبية، مهما كانت خلفيتها الثقافية، مادامت معتزة برأيها وتأنف النظر فى رأى غيرها.. إنما الأمر الذى بيننا ليس من هذا القبيل انما هو قضية مطروحة وحولها آراء وخلافات ووجهات نظر واتجاهات وهى قضية «تحديث العقل العربى» كما يذهب بعضهم إلى تسميتها والبعض الآخر يطلق عليها «إصلاح العقل العربى» وبينهما جدل دائر فعلينا مراجعة تلك الآراء لتبنى وجهة نظر مشتركة مادامت الأطراف تنطلق من واقع عربى غير سليم يثير عدم الرضى فى النفوس.

فالذين يذهبون مذهب «التحديث» يرون أن على الفكر العربى أن ينساق تجاه الفكر الغربى محاكاة وتقليدا: أى علينا أن نجتث ماضينا من الجذور وغاب عن الذين ينادون بهذا الاتجاه أن المحاكاة ليست فكراً وأن التقليد جمود إذا كان الأمر كذلك فمن العبث أن نتمسك بتلك الدعوى ومن العبث أن يظل الفكر العربى سائرا خلف الفكر الغربى ومن كان سائرا فى الخلف دائما يضل الطريق عند مفترق الطرق وما أكثر المفترقات والذين يحاولون الدعوة إلى السير فى هذا الطريق الغربى وقد حاولوه منذ زمن بعيد لم يزيدوا الفكر عندنا إلا تشتتا وضياعا حتى سلب منا إرادة التفكير وبقينا مع فكر ليس لنا منه إلا حمله فإذا ماتركه الغرب تركناه وإذا ما استبدله بغيره وقفنا حيارى من عدم صلاحيته وتعارضه مع مقومات الشخصية العربية وعدم قدرته على التفاعل مع العقل العربى، لذلك كله رفضه الناس والمجتمع ويعنى هذا الاتجاه أيضا استخدام بعض المفاهيم الفكرية المستمدة من التطور الفكرى للغرب وذلك سبيل من سبل التزييف العلمى والتضليل الثقافى الذى يعوق مسيرة الفكر العربى ويتخيلون من حيث يعلمون أو لا يعلمون أنهم يختصرون الطريق أمام التفكير العربى.

لذلك علينا اكتشاف ذاتيتنا الإسلامية وما فيها من عناصر قوة ومن عناصر ضعف ومعرفة الخلل الذى نعيشه حتى نستطيع أن نستلهم القوة التى تعيننا على سلوك البناء الفكرى بما يتوافق وواقعنا الاجتماعى..

أما الذين يذهبون إلى القول بإصلاح «العقل العربى» أن نقوم بترميم ما يجب ترميمه وبما يتفق مع الماضى فى نظر من يرون أن معنى انسياق الفكر العربى وراء الفكر الغربى، عليه أن يقف من الدين موقفا يتسم بالعداء والخصومة. وذلك حين بدأ عصر النهضة الحديث على أطلال الكنيسة ومعاداة رجالها ثم تطور العداء حتى أصبح ضد الدين نفسه كما يقولون: تلك التجربة ثقافية ثبتت فعاليتها فى دفع عجلة التقدم الحضارى.

لكننا نلاحظ: أن تلك المقولة الداعية إلى معاداة الدين وخصومته وخصومة رجاله تقوم على افتراض غير واقعى فى المجتمع الإسلامى وهو

انه ليس هناك طبقة دينية لها من التحكم فى الإنسان ومصيره مثلما كان للطبقة الدينية فى أوروبا بل وليس فى الدين الإسلامى مايسمح بذلك أى أن النظام الإسلامى لايشرعها وليس فى تاريخ الاجتهاد من تناول النصوص ليقيمها. لذلك لايجوز أن تقاس بلادنا بمفاهيم أوروبية فليست بنية المجتمع العربى الإسلامى كبنية المجتمعات الأوربية وليست بنية الدين الإسلامى كبنية المسيحية وليست أحوال تاريخنا مع الإسلام كأحوال تاريخ الغرب مع الكنيسة. ومن جانب آخر: لايخفى على أى مراقب للحضارة الغربية أن الخلل الذى وقع فى بداية النهضة الحضارية بين الدين والحضارة ظهرت عوارضه المرضية على الإنسان المعاصر معنى ذلك أن ثمة مشكلات من نوع خاص بدأ يعانيها الإنسان الغربى من بداية النصف الثانى للقرن العشرين.. فلو أخذنا بمبدأ نقل نسخة من الحضارة الغربية إلى الشعوب الأخرى التى تتطلع إلى ذلك التقدم تحت مبدأ يقول: بأن الحضارة إنسانية أى ملك الإنسان وليست تخص شعبا من الشعوب وأن نسبتها إلى الغرب عرض طارىء نقول بأن هذا صحيح. ولا نجادله إنما نناقش قضية «نقل نسخة الحضارة» ثم تفصيل قوام الشعوب على هذا «الموديل» فذلك ما نناقشه ونحرص على بيان مواقع الزلل فيه وذلك شيء يختلف كلية عن قضية إنسانية الحضارة، ولا يمنع القول بإنسانية الحضارة مناقشة قصة «النسخ الحضارى» لأن القول بإنسانية الحضارة يقرر القول بالفروق الثقافية بين الشعوب والمحافظة على هويتها وذاتيتها، أما القول بالنسخ الحضارى فضلا عن أنه يلغى القول بالمبدأ المقرر وهو الفروق الثقافية بين الشعوب فإن الأخذ به يعنى أن على الإنسان العربى أن يقع من حيث يعلم أو لايعلم فى نفس الأمراض التى اغتالت الإنسان الأوروبى وهى أمراض القلق والتوتر وكان معنى نسخنا للحضارة أى نقلها بخللها الذى وقعت فيه وذلك من جراء معاداتها للدين. لذلك ننادى «بمبدأ الاستفادة» الذى يعيننا كثيرا على فرز المفيد من غيره وعزله عن الأمراض الحضارية الخبيثة ويحافظ على بيئتنا الثقافية والدينية ويكسبنا وسائل العصر الحضارى ويرفعنا من ورطة التقليد والمحاكاة التى تجعل حالنا كشأن القردة تجيد سلوك المحاكاة والتقليد فإن وقف حالنا إلى هذا الحد غدونا ألاعيب دمى تثير الضحك فى نفس المقلد الذى يأجرنا جزاء على تقليدنا إياه بما يحمله من سقط المتاع.

ولا شك أن معاداة الدين فى ظل الحضارة الغربية أوقعت الإنسان العربى فى حرج بين نفسه ودينه وحضارته وكانت السبب المباشر فى محنة الإنسان المعاصر.. لماذا؟ لأن التدين يعنى عند الإنسان أن وجوده يصبح له معنى أمام مايحيط به من أسئلة قد تحطمه إذا لم يجد لها فى نفسه معنى، وكان ذلك سر قلقه وتمرده من هذه الأسئلة. ما معنى الوجود؟ وماهو وجودى؟ وماهى علاقة «الذات» أى «وجودى» بالموضوع «أى» «الوجود»؟

مثل هذه الأسئلة قد لايجاب عنها إجابة مطمئنة تطمئن إليها الذات عند فقدان الدين.. وهى وجدانية يعيشها الإنسان من حيث هو إنسان بغض النظر عن زمانه ومكانه أو انتمائه فهى إنسانية منذ بدأ الوعى الإنسانى يفكر فى

نفسه وفى وجوده ومن علو شأن خطرها بنى عليها الفيلسوف العقلى فلسفته العقلية، وبنى عليها المتدين حياته الدينية من هنا كان الدين إنسانيا فى أعماق طبيعته ويمكن القول بأن الدين من حيث مفهومه التاريخى حالة من اهتمام الإنسان بوجوده الخاص وبالوجود العام فلعل هذا يفسر القول بأن الدين فطرة إنسانية فما من إنسان إلا وهو مهتم بالدين والديمومة له حتى الذين يشعرون بأنهم جد بعيدين عن الدين فإنهم أكثر الناس اهتماما بالقضية الوجودية: وجودهم العام ووجودهم الخاص ونلاحظ أن ثورة الإنسان الأوروبى على الكنيسة فى أوائل عصر النهضة بدأت حين شعر الإنسان بأن هذا الدين القائم بطقوسه أخفق فى التعبير عن اهتمامه العميق فى صورة غير كافية وغير مناسبة. وهذه التجربة النفسية التى مر بها الإنسان مع سيطرة الكنيسة هى التى جعلت المختصين أن يميزوا بين: معنى الدين الذى يعايشه الإنسان فى عمقه الوجدانى بعيدا عن التعبيرات الخاصة أو الطقوس الكنسية التى سادت وقتئذ والتى حرصت عليها الكنيسة، وبين كون رموزه كهنوتية ومؤسسات كنسية.

من هنا راح يرى مع زهوه بالتقدم الحضارى المذهل وعدم تمييزه بين مفهوم الدين من حيث هو دين وبين المفهوم الكنسى أن الدين لاجدوى منه والعودة إليه بائسة. ومع هذا الزهو بالتقدم الحضارى بدأ الإنسان ينفلت من نفسه فى وقت أصبحت الطبيعة تخضع له علميا وتقنيا وخايله ظنه أن طموح التعالى الروحى، الذى يهبه الدين، أنه خرافة وسوف يخبو كلما تقدم فى عالم الفضاء على متن الأقمار الصناعية

ومازال يصارع فى الطريق إليها ليتربع على متنها. ولقد تخيل من حيث سولت له نفسه أن أمانيه فى التعالى الروحى الآن تحققت مع عالم الأقمار الصناعية أنها تعكس الرؤى والمشاهدة على مستوى العالم وتحمله إلى أعلى حيث العلو الحقيقى كل ذلك جعل الإنسان يثق بنفسه وأنه على حق فى إحساسه وأنه قادر على معرفة هذا العالم وباستطاعته السير إلى الأمام وفى جميع الاتجاهات دون حد معين. وعلى كل فإن كل مايخايله من طموح يشده إلى السير فى أبحاث الفضاء غير المحدود السفر إليه ليتغلب على طموح التعالى الدينى. لا شك أن الإنسان يجد النشوة التى لاحدود لها وهو يسير عبر الزمان والفضاء وهو يصنع أدواته التى تعينه على تخطى عقبات الصعود إلى الفضاء. وهو يقنع نفسه بأنه يتحرك إلى الأمام. من هنا بدأ الإنسان يبحث عن ذاته وعن مكانه فى هذا البعد الكونى أنه فى خضم حركى بين مابحب عمله أو رؤيته أو قوته أو صنعه أنه يحول كل ما يواجهه إلى أداة إلى آلة حتى أصبح هو ذاته أداة.. إنه يود أن يكون تلك الآلة الصاعدة أدراج الفضاء. لقد غاب عنه عمق ذاته ولايمكن الوصول إليه دون أن يمنح نفسه لحظات يتشت فيها ذاته التى فقدها منذ أن فقد الدين ذلك صوت الحق الأبدى وبجانب زهو الإنسان بتقدمه الحضارى، قويت حركة النقد العلمى التى وجهت إلى الدين إبان النهضة الحديثة ذلك الطاغوت المادى، وفى الحقيقة أن حركة النقد العلمى التى وجهت إلى نقد الدين كان سببها فى غالب الأمر نزوات عصبية اندفعت إلى الثورة

العلمية - كرد فعل - لحركة مقاومة العلم التى قامت بها الكنيسة. ومن سوء فهم كامل لمعنى الدين وعدم الفهم السليم للنقد العلمى حين أعطى رجل العلم نفسه الحق فى مهاجمة الدين هذا إذا استثنينا موقف رجال الدين أنفسهم حين دافعوا عن مظاهرهم الكنسية التى اكتسبوها من فساد الوضع الاجتماعى فى العصور الوسطى فهى ليست من الدين فى شىء واعتبرها رجاله أنها هى الدين نفسه. وبذلك عمل رجال الدين أنفسهم على تلطيخ سمعتهم حين جندوا الدين للدفاع عن مكتسباتهم الشخصية فأفقدوا الحياة الدينية قوتها ومعناها وأصبح الدين فريسة سهلة للهجوم العلمى الذى أدى بدوره إلى شيوع الحياة اللادينية.

وحينما يحرم الإنسان من الدين يحرم من ذاته ويصبح عندئذ جزءا من المستوى الأدنى أى مستوى عالم الأشياء أى شيئا من مجموعة الأشياء أى سلعة مستهلكة فى عملية الإنتاج .. وهكذا أصبح الإنسان بإرادته أداة من الأدوات التى يتحكم فيها منهجه المادى دون أن يكون له حرية التصرف أو له حسن تقدير المسئولية الذاتية فى ذلك تمكن منهجه المادى وولعه به أن يحول ذاته إلى مادة قابلة تصنعها الآلة من عملية الإنتاج والاستهلاك. ولما كان الإنسان لا يستطيع أن يبحث من ذاته: إنسانيته، أخذ يقاوم جبروت هذه الآلة لقد أصبح واعيا بهذا الفراغ الداخلى واشتد وعيه بفراغه الداخلى وأصبح يعانيه حين داخله الإحساس بالشيئية أى أنه شىء من أشياء الحضارة ومستهلكاتها. هذه المشاعر أثارت فى نفسه معنى السؤال الدينى بأكثر معقولية وأبعد عمقا ليسمو بذاته.

من هنا بدأ يبحث الإنسان عن ذاته وعن عمقه الدينى الذى فقده وبفقده فقد معنى الحياة لا ليجد إجابة لمعنى وجوده وإنما ليجد جوابا أمينا وليس معنى الرجوع إلى الدين رجوعا إلى تقاليد قديمة وعودة إلى أساليب بناء قديم لا يتناسب وهذا العصر وتوصم عودته إلى الدين بأنها هروب من حداثة العصر ليس الأمر كذلك. لذلك قلنا فى بداية البحث: إن التاريخ الثقافى تاريخ تجربة إنسانية ذات ماض متجدد دائم الحضور، والدين وهو توجيه إلهى تثبت فعاليته فى حياة الإنسان الوجدانية فهو ذلك الماضى المتجدد. فإن ما نحتاج إليه هو ذلك الإدراك الصحيح لوعينا.

لقد عزلت شيئية الحضارة الإنسان عن نفسه وعن القيمة الحقيقة لمعنى الوجود وكون الإنسان بدأ يعانى عزلته عن المصدر النهائى لمعنى الوجود فإن إدراكه لذلك ليدلل على أنه ليس مفرداً معزولاً عن خالقه بل متحد مع معنى الوجود الإلهى لذلك هو يعانى البعد عنه.

من هنا إذا تمكنا من إحياء المفاهيم الإسلامية كانت قوة خلاقة فى ثقافتنا وإذا ماقدرنا على ذلك استطعنا أن نفتح بابا جديدا للحوار الحضارى بين ماضينا ومعاصرتنا وفهما جديداً لأساليب الماضى لنجعله أكثر ملاءمة لوضعنا الحالى بدلا من أن نقدم أجوبة خادعة أو غير مكتملة النضج.. من هنا نكون أكدنا على أهم العوامل الخلاقة فى الثقافة وأبرزنا عاملاً شافيا للكثيرين ممن يعيشون فى عزلة وقلق ويأس.

# الأمة مصدر السلطات

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

**يحرص الإسلام على إقامة دولته القوية التى يسودها العدل والأمن والأمان والاستقرار والاطمئنان، والمساواة فى الحقوق والواجبات بين أفرادها لا فرق بين الحاكم والمحكومين، ولا يتحقق ذلك إلا إذا توفر لكل فرد فيها حق الحرية السياسية، وحق التعبير عن رأيه فى كل أنظمة الحياة السياسية للدولة، وذلك فى نطاق الآداب والأخلاق التى تحترم رأى ومشاعر الآخرين دون طعن أو تجريح إذا كانت مخالفة لرأيه، وفى الوقت نفسه احترام رأى الأغلبية والامتثال له ولو كان مخالفاً لرأيه.**

ومعنى ذلك أن الأمة هى مصدر السلطات، فهى التى تختار الحاكم الذى تريده حاكماً عليها، وتختار الشكل العام لنظام الحكم التى تعيش فى كنفه، ولكل فرد من أفرادها الحق فى هذا الاختيار المطلق.

ومتى كانت الأمة هى مصدر السلطات فإن حاكمها يكون تحت سلطانها، فتكون لها حريتها السياسية بأكمل معانيها، وهذا هو حقها الذى أعطاه الإسلام لها، لم تأخذه منحة من حاكم من حكامها، لأنه لو كان منحة من حاكم لم يكن حقاً صحيحاً لها، لأن من له حق المنحة له حق استردادها، فتكون حريتها مهددة بحق الحاكم فى استردادها منها متى أراد.

ولهذا حرص الإسلام على أن يجعل حق الأمة فى حريتها السياسية حقاً طبيعياً لها، تستمده من كونها مصدر السلطات فى الحكم.

ويرى أستاذنا المرحوم فضيلة الشيخ / عبدالمتعال الصعيدى فى كتابه «حرية الفكر فى الإسلام» أنه على هذا الأساس قام الحكم فى عهد النبى ﷺ، وقام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين.

وأن النبى ﷺ أثناء فترة تأسيس الدولة الإسلامية فى مراحل نشأتها الأولى بعد الهجرة إلى المدينة كان يتلقى الوحى الذى يحدد معالم نظام الدولة، ويضع الأسس العامة لقيامها، ويرسم العلاقة بين الأمة والحاكم، فكانت فترة عهده ﷺ

فيها التزام بما ينزل به الوحي من أوامر وتكليفات.

ومع هذا كان ﷺ يشرك الأمة في بعض أمور الحكم التي لايكون فيها وحي، والأمثلة كثير في ذلك.

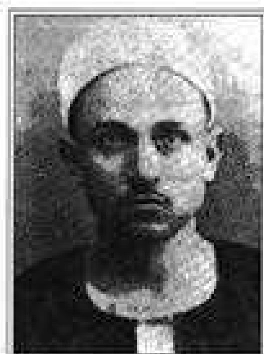
فقد استشار الصحابة في غزوة بدر، إذ جمع كبراء جيشه وقال لهم: «أيها الناس، إن الله قد وعدني إحدى الطائفتين أنها لكم: العير أو النفير» وكانت العير قادمة مع أبي سفيان بتجارتها في الشام، وكانت النفير قد خرجت من مكة لتمنع المسلمين من هذه العير، فاستشار النبي ﷺ كبراء جيشه فيمن يقصده بالقتال من الطائفتين - وكان قد تبين له أن بعضهم يريدون غير ذات الشوكة من الطائفتين وهي العير ليستعينوا بما فيها من الأموال.

فقام المقداد بن الأسود - رضي الله عنه - فقال له: يارسول الله، امض لما أمرك الله، فوالله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى:

﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾(١)

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، والله لو سرت بنا إلى برك الغماد «موضع جنوب المدينة الغربي» لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فدعا له النبي ﷺ بخير.

ثم قام سعد بن معاذ، سيد الأوس من الأنصار فقال للرسول: فقد آمنا بك وصدقناك، وأعطيناك عهودنا فامض لما أمرك الله، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر «البحر الأحمر» فخضته لنخوضه معك، وما نكره أن تلقى العدو بنا غداً، إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله.


الشيخ/ عبدالمتعال الصعيدي نادى بحق الأمة في الحرية السياسية

فأشرق وجهه ﷺ وسر بذلك سروراً عظيماً لأنه حصل على موافقة كبراء المهاجرين والأنصار ماكان يريده من اختيار ذات الشوكة من الطائفتين لينال به نصراً حاسماً على قريش، أما المال الذي كان مع العير فإنه لايهمه بشيء لأنه لم يكن يقاتل من أجل المال، وإنما كان يقاتل دفاعاً عن الدعوة التي يقوم بها.

ثم نزل ﷺ على رأيهم في هذه الغزوة أيضاً حين سار بجيشه حتى نزل أدنى ماء من بدر، فقال له الحباب بن المنذر - وكان مشهوراً بجودة الرأي -: يارسول الله أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة.

فقال له: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة».

فقال الحباب: يارسول الله، ليس لك هذا بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم، فإني أعرف غزارة مائه وكثرته، فتنزله وتغور ماعداه من الآبار، ثم تبني عليه حوضاً فتملؤه ماء فتشرب ولايشربون.

(١) المائدة (٢٤).

فقال له: «أشرت بالرأى». ونهض حتى نزل أدنى ماء من القوم، ثم أمر بالآبار التى خلفهم فغورت، ليقطع أمل المشركين فى الشرب من وراء المسلمين، وكان بعد هذا له ما كان من ذلك النصر العظيم.

وكتب السيرة مليئة بهذه الاستشارات النبوية ـ فى الأمور التى لم يكن للوحى فيها نص ـ منها ما كان فى أسرى بدر، ومنها ما كان فى غزوة أحد، ومنها ما كان فى غزوة الأحزاب، وغير ذلك كثير.

وفى هذه الأمثلة مايكفى لبيان ماكان يتمتع به المسلمون فى عهد النبوة من الحرية السياسية، ولبيان ما كان لهم من المشاركة فى أمورهم التى لا شأن لها بالوحى، ولأن هذا الوحى سينقطع بعد عهد النبوة، فلابد أن يعطوا شيئاً من السلطة فى بعض أمورهم، ويترك للوحى ماعداه من الأمور، حتى إذا انقضى عهد الوحى كانت السلطات كلها فى أيديهم قياساً على ما أعطاهم الوحى من السلطة فى بعض أمورهم.

وقد عرف جمهور المسلمين هذا الحق لأنفسهم بعد وفاة النبى ﷺ، بل بادروا إلى استعماله وبعض أصحابه مشتغل بتكفينه وتجهيزه للدفن، حرصاً منهم على هذا الحق أن يُسلب منهم، لتقوم كسروية أو قيصرية فيهم.

فاجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة لينظروا فيمن يتولى أمر المسلمين منهم، وقد ظنوا أنهم أصحاب الدار، وأن المهاجرين طارئون فيما عليهم، فهم أحق بأمر الحكم فى المسلمين منهم، وقد فاتهم أن الإسلام لايعرف حدود الدار، ولا يعرف حدود القومية، وإنما هى المصلحة العامة للمسلمين جميعاً.

ولما علم أبوبكر ـ رضى الله عنه ـ باجتماعهم فى سقيفة بنى ساعدة ذهب إليهم فى نفر يعد على الأصابع من المهاجرين، ودار النقاش بين الفريقين فيمن يولونه على المسلمين فى حرية تامة، وإخلاص تام حتى اتفق الفريقان على تولية أبى بكر، فتمت توليته باختيارهم له، وعلى ذلك الأساس الذى تكون فيه الأمة مصدر السلطات كلها.

وقد اعترف سيدنا أبوبكر ـ رضى الله عنه ـ بهذا الحق لهم فى أول خطبة له عقب توليه الحكم وأعلن أن حكمه سيكون بتوجيههم له فقال: «أيها الناس، إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى، القوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له».

وليس أصرح من هذا الاعتراف فى خطبته بأن الأمة مصدر السلطات، لأنه اعترف بأن توليه الحكم كان منحة منها له، وبأنه لم يستحقه لفضل له على أفرادها، لأنه قد يكون فيهم من هو خير منه.. ولهذا طلب منهم أبوبكر مشاركتهم له فى حالتى إحسانه وإساءته فى الحكم، لأنه يجتهد فيه برأيه فيصيب ويخطىء مثل كل مجتهد، ومشاركتهم فى حالة الإحسان فى الحكم بإعانتهم له، ومشاركتهم له فى حالة الإساءة فى الحكم بتقويمهم له، فإذا لم يخضع لتقويمهم فلهم حق عزله، كما لهم حق توليته، لهذا تكون الأمة مصدر السلطات أولاً وأخيراً فى الحكم.

مواقف إسلامية

# مسئولية الزوجة عن استقرار البيت

للدكتور/ محمود محمد عمارة

**إذا بذلت الزهراء.. وأسماء - رضى الله عنهما - إذا بذلتا من ذاتهما حين نهضت كلتاهما بأعباء البيت على ما فيها من تضحية وعناء.. إسهاما منهما فى تحمل مسئولية المعيشة.. وفاء لرب البيت وانتماء.. إذا حدث ذلك فقد كانت «زينب الثقفية» واحدة من سيدات سانحات مجاهدات.. حين كانت تعمل.. بيديها.. ثم تنفق من مالها راضية على زوجها.. فكان لها فى حسن التبعل يد صناع. وباع طويل. وذلك ما نفهمه من هذا الموقف الفريد:**

روى البخارى بسنده[1] عن زينب قالت:

كنت فى المسجد. فرأيت النبى ﷺ. فقال: تصدقن. ولو من حليكن.

وكانت زينب تنفق على عبدالله. وأيتام فى حجرها.

فقالت لعبدالله:

سل رسول الله ﷺ: أيجزى عنى أن أنفق عليك. وعلى أيتامى فى حجرى من الصدقة؟ فقال: سلى أنت رسول الله ﷺ.

فانطلقتُ إلى النبى ﷺ فوجدت امرأة من الأنصار على الباب: حاجتها مثل حاجتى فمر علينا بلال. فقلنا: سل النبى ﷺ: أيجزى عنى أن أنفق على زوجى وأيتام فى حجرى. وقلنا: لا تخبر بنا.

فدخل، فسأله. فقال: من هما؟

قال: زينب.. قال: أى الزيانب؟ قال: إمرأة

(١) فتح البارى - ج٣/ كتاب الزكاة/٣٢٨.



عبدالله. قال: نعم. ولها أجران: أجر القرابة. وأجر الصدقة.

**تمهيـد**

يقولون:

عندما ينفق الصديقان من كيس واحد.. تكون النتيجة: أن أحدهما يضحك.. بينما الآخر يبكي!

وهكذا تكون عقبى التعامل بين طلاب الدنيا: فالدافع يبكي.. بينما يضحك المنتفع.. أو النفعي!

ولكن المؤمنين.. في تعاملهم محكومون بقيم الإيمان.. حين يتصرفون خارج الزمن الردئ.. يقابلون: الإيثار.. الإيثار.. الذى يصل إلى الحد الذى يشكر فيه المعطى من أخذ منه.. فكأنما كان بالأخذ متفضلا عليه.

فإذا كان المعطى زوجة.. هى «زينب» الثقفية.. وإذا كان الآخذ هو زوجها.. عبدالله ابن مسعود. فإنها تتخذ من العطاء سبيلا إلى إرضاء زوجها.. وكسب مودته. إنها لا تتخذ من العطاء سبيلا إلى ليّ الذراع.. أو فرض نفسها قوة تحت سقف البيت.. بما أنفقت من مالها.. وبما بذلت من عرق جبينها.. وإنما هى تعطى: زوجها.. رجلها.. والد ذريتها.. تعطى الذى طالما أعطاها من نفسه.. وماله.. وطاقته فإذا عجزت يده يوما عن الإمساك بالمجداف.. نابت عنه هى فى قيادة السفن.. بلا من وبلا أذى.

إنها تلك الزوجة الأديبة الأريبة. والتى أرادت أن تجامل زوجها بهدية.. فكان أجمل من الهدية محاولتها التخفيف من مشاعر الإحراج.. حين كتبت على الهدية:

إلى الرجل الذى هو.. كل شئ.. بعدما كان الرجل.. الذى يملك كل شئ!!

ولنبدأ القصة من أولها:

كانت «زينب» – رضى الله عنها – امرأة صناع اليدين.. كانت تعمل.. لا بيدها.. وإنما كما تقول رواية أخرى «تعمل بيديها» أى أنها تعانى لا من أجل حياتها هى.. وإنما تدخل فى حسابها: الأسرة كلها: الزوج.. وأيتام له..

## الزوجـــة..الإنســـان

وقد أحست الزوجة الإنسان.. بما يعانيه زوجها من شظف العيش فتحركت فى نفسها الرغبة فى أن تنوب عنه فى الإنفاق على البيت.. شريطة ألا يصطدم ذلك بقاعدة شرعية مقررة. ولا بأس أن تساعد الزوجة رفيقها.. وإذا جفت ينابيع الحقل يوما.. وأوشكت أعواده أن تصفر.. فإن قلب الزوجة الوفية يكون عندئذ ذلك النبع الرائق.. الذى يمد البيت بماء الحياة.. وتلك سنة الحياة..

لقد كان الوالد سيد البيت.. فلما وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا.. كان من الطبيعى أن يتقدم الجيل الجديد ليمسك بالمجداف.. على حد قول الشاعر:

**كـــفـــانى الذى كنت أســـعى له**
**فـــصـــار أبا.. وصـــرت الوليـــد !**

وهاهى ذى زينب –رضى الله عنها– تتهيأ لتتحمل مسئولية نفقة البيت.. مستعلية على ضغوط نفسية قد تحول بينها وبين اتخاذ قرارها..





ولكنها كانت كما قيل بحق:

وواحد كالألف إن أمرٌ عنا !

## احترام مشاعر الزوج

كانت الزوجة هنا تدرك عروبة زوجها.. وإسلامه قبل ذلك. وإذن فليس من السهل أن يخضع لقرارها.. وإن جاوز الحزام الطبيين.. فهو من هذا الصنف الذى عناه الشاعر:

**وأعرض عن ذى المال حتى يقال لى**
**قد أحدث نخوة وتعظما**
**وما بى كبر عن صديق ولا أخ**
**ولكنه فعلى إذا كنت معدما**

ويعنى ذلك:

أن له رافدين يمدانه بالعزة: عروبته.. وإسلامه ولكن الواقع الأليم يفرض نفسه.. ولابد من مواجهته بلا حساسية..

وقد كانت لها صاحبة على نفس الطريق: «خولة بنت مالك»: لقد ظاهر منها وزوجها.. فاستوعبت المشكلة بآثارها النفسية والاجتماعية.. مشكلة الأولاد الذين سوف يجوعون أو يضيعون..

وكان زوجها الذى ظاهر منها ابن عمها.. فساعدته فى تدبير كفارة الظهار!!

## بيوت زمان

كانت البيوت زمان تقل من الكلام.. ثم تبالغ فى العمل..

معصومة من الزلل فى جو يظلله الوفاء.. مدفوعة بالإخلاص.. وبما تقرر فى العقول من [إن الناس يعملون الخير، وإنما يعطون أجورهم يوم القيامة على قدر عقولهم].

**إن البيوت معادن: فنجاره**
**ذهب.. وكل جدوده ضخم(٢)**
**متهلل «بنعم» للاء مجانب**
**سيان منه الوفر والعدم**
**نزر الكلام.. من الحياء تخاله**
**ضمنا.. وليس بجسمه سقم**
**عقم النساء فلا يلدن شبيهه**
**إن النساء بمثله عقم**

ومن مثل هذا البيت العريق خرجت «زينب» الثقفية - رضى الله عنها - ولم يكن أجمل منها فى أريحيتها.. إلا ابن مسعود فى عزته:

**إذا أعسرت لم يعلم رفيقى**
**وأستغنى.. فيستغنى صديقى**
**حيائى حافظ لى ماء وجهى**
**ورفقى فى مكالمتى رفيقى**
**ولو أنى سمحت ببذل وجهى**
**لكنت إلى الغنى سهل الطريق**

## بالحوار.. لا بالشجار

كان الموقف مشكلة عائلية تريد حلا: فالزوج هنا عزيز أبى ومن الصعب أن يعدل عن مقتضيات العزة التى هى دينه.. وحياته:

**خلقان لا أرضى طريقهما:**
**بطر الغنى.. ومذلة الفقر**

---

(٢) أصله طيب، والأخوال والأعمام كذلك.



وإذا غنيت .. فلا تكن بطرا

وإذا افتقرت .. فتِه على الدهر !

أما هي فقد كان إيمانها بالفكرة قويا: لقد أمر الرسول ﷺ النساء بالذات.. أن يتصدقن.. ولو من حليهن.. وقد اقتحمت المرأة العقبة فاستغنت عن مالها.. لا بل عن زينتها. وفاء لزوجها.. وقبل ذلك استجابة لأمر الرسول.. وكان لابد أن يبدأ الحوار الهادف سبيلا إلى الاتفاق على رأى تستقر به أوضاع البيت..

وقد عرضت على زوجها أن يذهب هو إلى رسول الله ﷺ ليسأله عن حكم نفقتها عليه.. وعلى عياله.. ولكن الرجل اعتذر.. مقترحا أن تذهب وتسأل هي رسول الله ﷺ.

وانتهى الحوار الخاطف بتحملها مسئولية سؤال الرسول ﷺ.

لقد كانت نبرة الزوج هنا هادئة.. لكن صوت برهانه كان أعلى.. إن الموقف في حس العربى الأبى صعب.. فهو الرجل القوام على زوجته.. وتوشك هذه القوامة أن تهتز قواعدها بهذا الوضع المقلوب! ثم إنه لا يريد أن يجمع إلى مرارة «الإشفاق عليه» مرارة عرضه قضية هو موضوعها..

إنه «عبدالله بن مسعود»:

عميد القراء.. وشيخ فقهاء الإسلام.. فكيف تطاوعه نفسه أن يقف هذا الموقف الصعب؟!

## الزوجـــة المطـــيعة

وتدرك الزوجة كل هذه المعانى.. فلا تمارى.. وفى رواية [أن ابن مسعود زعم أنه وولده أحق] ومع ثقتها المطلقة بزوجها.. إلا أنها أبت أن تتخذ قرارها إلا بإذن من الرسول ﷺ. والذى حرصها على هذا الإنفاق الذى تحقق به أمرين: أجر الصدقة.. وأجر صلة الرحم.

ويلاحظ أنها لم تذهب متثاقلة الخطى.. بما يفهم منه أنها مرغمة لا مطمئنة.. وإنما كما تقول الرواية: [فانطلقت].

لقد انطلقت.. فيما يشبه الاندفاع الذى يعكس رغبتها الملحة فى تحقيق الفكرة.. على أن يظل الزوج كما يحب.. بعيدا عن مواطن الإحراج.. ليظل سيد البيت مع نفقتها عليه!

## النظـــافة .. قبـــل الثقافـــة !

كتب الكاتبون عن مواصفات الزوجة سلبا وإيجابا.. فقالوا:

[الزوجة الجاهلة: لا تفهم عنك، والمتعلمة أكثر منك: لا تفهم عنها، والمساوية لك فى الثقافة: أن تزيد عنها برجولتك، وهى تزيد عنك بغرورها، والرجولة تستوجب التحكم.. والغرور يستلزم التمرد، وبين التحكم والتمرد يولد شقاء الأسرة فمن الخير أن تكون أكثر ثقافة من زوجتك.. لتفثأ حدة الغرور بسلطان العلم]

ونقول نحن – ومن خلال هذا الموقف – إن من الخير أن تكون أكثر نظافة.. ولا تكفى كثرة الثقافة..

ونعنى: نظافة القلب.. ونظافة الضمير.. ولقد أوتيت بيوت كثيرة من كثرة الثقافة التى جعلت المنزل قاعة للحوار الفلسفى. والذى جعل منه ساحة للمراء الذى ينتهى بتدميره لا بتعميره.

أما إذا عمرت القلوب بالإخلاص.. وقامت علاقاتها على أساس التعاون.. فقد تمت كلمة ربك



صدقا وعدلا.. وإذا كانوا يقولون: إن المرأة قد تغضب.. وقد تذهب إلى بيت أهلها.. لكنها لا تطيق أن تطبق شفتيها.. فقد كانت زوجة ابن مسعود -رضي الله عنهما- تلك المرأة التي تعمل في صمت.. والتي كان صوت عملها أبلغ من صوت لسانها.. فكانت مثالا للزوجة: العاملة.. العاقلة:

أما أنها عاملة..

فــــتلك آثارنا تدل علينا

فــــانظروا بعـــدنا إلى الآثار

لقد كانت تلك التي عناها الشاعر «طاغور» بقوله:

[يجب عليك أن تتوقف عن إنشاد أناشيدك. وتلاوة تراتيلك.

من الذي تعبده في هذ الزاوية المظلمة؟

هذه الزاوية المعزولة.. المنفردة..

في معبد أبوابه كلها مغلقة؟

عليك أن تفتح عينيك.. وتنظر.

إن إلهك ليس هنا.. إنه هناك.

حيث الفلاح.. يحرث الأرض القاسية.

وحين يشقى عامل في كسر الحجارة.

إنه معهم: في الشمس الساطعة.. وفي الأمطار الهاطلة..

فلتنزع معطفك القدسي.

ولتترك تأملاتك.. ولتتخل عن البخور والزهور.

أي سوء سوف يصيبك.. لو تمزقت ثيابك أو تلطخت؟ فلتذهب إلى هناك: حيث العمل وحيث عرق الجبين].

ولقد تخلت «زينب» -رضي الله عنها- عن البخور والعطور.. وخلعت المعطف الفضفاض.. ثم جلست في بيتها.. عاملة.. تفيض أناملها بالرخاء.. حتى إذا تعرضت الأسرة لمشكلة اقتصادية كانت هي خط الدفاع الأخير.. ولم تكن هي المشكلة التي يؤتى البيت من قبلها.. كما قد يحدث اليوم.

## الزوجة العاقلة

وإذا كانت شيم الرجال تظهر بالولاية.. فإن العقل يظهر بالمعاملة.. وبهذا المقياس: كانت الثقفية عاقلة النساء.. التي تفي مالها بسلطانها.. ونفسها بمالها.. ودينها بنفسها.

ومن دلائل عقلها:

أنها عرفت كيف تحقق رغبتها دون مساس بكرامة زوجها.

وقد قيل:

إياك أن تزدري الرجال.. فما

يدريك.. ماذا يكنه الصدف

نفس الجواد العتيق باقية

يوما.. وإن مس جسمه العجف

والحر حر وإن ألم به الضر..

وفيه العفاف والأنف

## تكييف القضية

وقد تتقبل النفس الإنفاق على الصاحب.. من حيث كانت سعادته راجعة إلى صاحبته..

لكن الإنفاق على أبنائه من أخرى.. فذلك مما لا يساعد الطبع عليه..





وكثيرات من النساء يسقطن في هذا الامتحان..

حين تتأبى الزوجة عن بذل ما يعود بالنفع على أبناء ضرتها.. وإن كان ذلك مراغمة لزوجها!

وذلك من سوء تصرفها حين لم تحسن تصور القضية كما تصورتها «زينب» -رضي الله عنها- والتي لم تتصور الأيتام على أنهم أبناء ضرتها.. وإنما تخيلتهم إخوة أولادها.. وأبناء زوجها الذي يحب من أحسن إليهم. إنهم جميعا يحملون نفس الاسم.. اسم الوالد الواحد.. وتجرى في عروقهم دماء واحدة.

## حتى لا يستنوق الجمل

وإذا كانت هناك من الزوجات من تريد بالمال أن تتملك زوجها.. لتستقل هي بإدارة البيت.. فإن «زينب» - رضي الله عنها - لا تفعل ذلك:

إنها تشهده ﷺ.. والذي أقر أن ما يأخذه الزوج هنا هو حقه المعلوم.. الذي لم يجعله تحت رحمة أحد! وأما هي فقد عادت بنصيب الأسد: بأجر الصدقة.. وأجر الصلة.

وتظل «زينب» - رضي الله عنها - مثلا أعلى للزوجة الصالحة.. والتي تعرف كيف تصون كرامة زوجها بين الرجال في المجتمع.. وتحت سقف البيت أمام الصغار..

لقد خصصت من «راتبها» ما تسد به حاجة زوجها.. فلم تكن الزوجة الجميلة المشاكسة كالزهرة بلا رائحة.. وإنما كانت تلك الزوجة «الكاملة» الكاملة بفضيلتها التي حققت بها أعظم النجاح وهو:

التوفيق بينها بين زوجها.. ثم التوفيق بينها.. وبين أهله وأهلها..

وما يترتب على ذلك من ذرية ينشأون على ما عودهم آباؤهم وأمهاتهم من خلال الخير..

ثم بما رفعت رأس زوجها الذي لم تلجئه إلى سؤال الغير.. وما وفرت من أعصاب كان يمكن أن تحترق في معارك جانبية.. حين تقدمت بالحل العملي للمشكلة ولو على حساب أعصابها، منطلقة من القاعدة التي تقول:

نغيّر ما هو كائن.. حتى نصل إلى ما ينبغي أن يكون..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾(٢)

إن ما مضى.. لم يبق منه شيء.. وما بقي.. لا تدرى هل تبلغه! فاشغل نفسك بالحاضر! قبل أن تذهب نفسك حسرات.

## بعض الزوجات

وقد كانت «زينب» - رضي الله - حجة أقامها الله -تعالى- على زوجات مشاكسات..

ومنهن تلك الزوجة التي تحاول افتراس زوجها كالذئب.. أو تمكر به كالثعلب.. والتي قالت لزوجها يوما محرضة له على أهله:

أقرباؤك لا يأتوننا إلا وقت الرخاء.. ثم لا يزوروننا وقت الشدة.. فرد عليها مؤكدا مسئولية الزوج عن أمن الأسرة.

إنهم قوم كرام: لأنهم لا يزوروننا إلا في الوقت الذي نستطيع فيه مجاملتهم!

---

(٢) الرعد: ١١.



وفى الوقت الذى تصبح الزوجة فيه مصدرا للمتاعب التى تصنعها.. ثم تشكو منها..

وفى الوقت الذى يعود فيه الزوج محملا بهموم العيش الثقال.. مضافة إلى هموم البيت.. يعود عبدالله بن مسعود -رضى الله عنه- ليجد البيت جنة ظليلة.. وتظل صورة هذا البيت السعيد ماثلة فى خيال كل زوج سدت فى وجهه السبل لتقول له: عد إلى زوجتك الوفية المؤمنة

فبين الطرق المتشعبة طريق واحد. هو الباقى الذى يصل بك إلى السعادة. إنه الطريق إلى بيتك. ففيه زوجتك. ففيه.. جنتك. تسلّيك.. أو تنجيك.. أو تتوجع!

## من الآثار الاجتماعية

كانت لزينب - رضى الله عنها - صاحبات على ذات الطريق.. وقفن إلى جانب أزواجهن ساعة العسرة.. مؤكدات بهذا الموقف مسئولية الزوجة المباشرة عن سعادة الأسرة كلها.. معلنات فى نفس الوقت:

١- أن للمرأة ذمتها المالية المستقلة.. والتى تمنحها حق التبرع بمالها بدون إذن زوجها.

٢- وجواز التحدث مع النساء.. متى كانت الفتنة مأمونة.

٣- ازدهار قيمة الحياء وقت أن كانت الحياة حياة! يوم أن كان الإيمان صاحيا فى القلوب.. ويوم كانت الهيبة سمة الرجال.. فكان من هذا الحياء وتلك الهيبة مزيج كان هو إكسير الحياة.

٤- وتبرز قيمة الشورى التى يتهادى فيها الزوجان الآراء.. ويتبادلان الأفكار.. بعيدا عن الشجار وما يخلفه من بوار..

وما أحوج البيوت اليوم إلى قيمة الشورى.. التى تحل بها أعقد المشكلات.. لو أردنا..

ولقد كان لهذه القيمة فى حياة أمتنا قيمة.. جعلت منها مرفأ النجاة.. لمن أراد النجاة

قال حكيم:

إذا استخار العبد ربه.. واستشار صديقه.. واجتهد رأيه. فقد قضى ما عليه.. ويقضى الله فى أمره ما أحب.

وقيل:

عليك بالمشورة:

فإنها تأمر بالتى هى أحسن.. وتهدى للتى هى أقوم.

ولذا قالوا:

لا تستبد بتدبيرك. ولا تستخف بأميرك

فمن استبد بتدبيره.. زل

ومن استخف بأميره.. ذل

لا تدخل فى مشورتك بخيلا فى عطاء.. فيقصر بك.

ولا جبانا فى حرب.. فيخوفك

ولا حريصا فى بذل.. فيصدك

فإن البخل والجبن والحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن بالله - تعالى -.

قال الشاعر:

خصائص من تشاوره ثلاث
فخذ منها جميعا بالوثيقة.
وداد خالص ووفور عقل
ومعرفة بحالك فى الحقيقة
فمن حصلت له هذى المعانى
فتابع رأيه والزم طريقه

# رمضان في بلاد الأمريكان

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

قيل لأحد الصالحين: بم عرفت ربك؟ قال: بنقض العزائم. والذى أفهمه من هذه العبارة - فوق أن العارفين يرون الله - تعالى - فى كل شىء، ويتعرفون عليه مع كل نفس من أنفاسهم - أن الإنسان قد يتجه إلى شىء بهمته كلها. وبلا مقدمات يتحول الاتجاه إلى شىء آخر وإلى وجهة قد تكون مختلفة تماما ويكون التحول بنفس العزم والتصميم فمن الذى حول القلوب والهمم؟ الله!! هكذا يقول العارفون.

فقد ترغم على شىء غير الذى كنت تنويه. وعوامل التحويل بادية أمامك لكنك مرغم على تغيير الاتجاه. فليست هذه تلك. الذى نتحدث عنه أنك أنت بنفس الحماس. وبنفس الاندفاع. وبنفس القوة. تمشى وتسير وتجد فى السير وتحس أنك راغب غير مكره!! أما الإكراه فتلك قضية أخرى خصوصا إذا كانت أسبابه بادية ومؤثراته واضحة. فأنت لم تغير عزمك وإن تغير مسارك. فما زال خاطرك الأول يتراءى لك باديا يلوح - فأنت والحالة هذه مكره غير راغب فيما صرت إليه. وما زالت تداعبك أمنيات الأمس. أما ما نحن بصدده فهو أن العزم نفسه قد تحول والهمة اتجهت إلى اتجاه آخر فسبحان مقلب القلوب.

لست ممن يألفون السفر فى رمضان اللهم إلا لزيارة المصطفى ﷺ أو أداء عمرة أو زيارة الأهل وقد أكره على زيارة عمل قصيرة تفرضها ظروف خاصة. أما أن يكون رمضان كله خارج الوطن بعيدا عما اعتاد الإنسان وألف فذلك ما لم أدبر له أو حتى أفكر فيه. على أننى وجدت نفسى مندفعا بلا تردد أسير فى اتجاه السفر. رغم أن الظروف فى ظاهرها ضد الفكرة وتحققها إلا أننى وجدت التيسير فى كل خطوة يجتاز كل عقبة أو ظرف معوق. وكانت نهاية الرحلة فى ولاية (واشنطن) وهى غير العاصمة (واشنطن) وفى بلدة (Spokane) اسبوكان استقرَّ بنا المقام. وتتبع ولاية واشنطن هذه مدينة اسمها «سياتل» وتعتبر أكبر مدن الولاية وأجملها وهى المدينة التى انعقد فيها مؤتمر التجارة




العالمي وأظن أن العالم الثالث نسي المدينة والمؤتمر لكنني أعتقد أن ما اتخذ في هذا المؤتمر من قرارات سوف تجعل العالم الثالث يتذكرها جيدا.

وتقع مدينة سياتل في شمال غرب الولايات المتحدة وتطل على المحيط الهادي كما أن مدينة نيويورك تطل على المحيط الأطلنطي. ويمكن - تجاوزا - أن نقول: إنها في مواجهة الدار البيضاء بالمغرب العربي حيث وقف عقبة بن نافع على شاطىء المحيط وهو يقول كلمته المشهورة «لو أعلم أن خلفك من يوحد الله لسرت إليه». ومن المعروف أن مدينة اسبوكان مثل باقي مدن الشمال الأمريكي تغطي بالثلوج في فصل الشتاء. وسوف أرجىء الحديث عن رحلة السفر من القاهرة إلى اسبوكان والتنقل بين مطارات القاهرة ونيويورك وسياتل واسبوكان ورحلة طيران من القاهرة إلى نيويورك (١١) إحدى عشرة ساعة لكن لنقصد سويا إلى الحديث عن المسلمين هنا. هم مجموعة قليلة من جنسيات مختلفة. الباكستاني والأفغاني والعربي والبوسنوي والأمريكي أيضا وبعض الطلبة العرب جاءوا في مهمة دراسية قصيرة.

بالليل وعقب صلاة التراويح تدور حوارات بعضها يواجه به المسلمون من الأمريكيين خصوصا من يريد منهم أن يدخل في الإسلام وهي أسئلة تافهة لكن الإعلام الأمريكي والاستشراق الغربي يلوكها مصورا للنشء أنها معضلات في الديانة والإسلامية. وأول ما يثيره مسألة تعدد الزوجات ثم يتبعه باستفهام أبله أو سؤال مرذول فج فحواه: ما دام الإسلام قد أباح التعدد للرجل فلماذا لا يبيحه للمرأة؟

ورغم أن مسألة تعدد الزوجات في الإسلام فيها حجته القوية وأن معارضيه لا يملكون غير اللجاجة والعناد حتى هؤلاء الذين يصورون المسألة على أنها ضرورة في مجاملة سخيفة للغرب المسيحي. فإنه - أي التعدد - أفضل بكثير - في عرف كل إنسان نبيل - من الحيوانية التي يمارسها الغرب في حياته اليومية. والذين يزعمون أن مبدأ المساواة يقتضي أن يباح التعدد للمرأة كما يباح التعدد للرجل إن كان في شريعة الإسلام إنصاف. أما أن يباح للرجل ويمنع عن المرأة فذلك هو التحيز والجور الذي ترفضه الحضارة الغربية!!

أقول لهم: أليس ذلك بلها في التشريع وجمودا في تطبيق مبادىء المساواة والعدالة؟ إن تلك المساواة الغبية وهذه العدالة الخرقاء يذكراني بقصتين في كتب المطالعة الأولية كنا درسناهما في مراحل التعليم الأولى وهما وإن كانتا من حكايات الأطفال وأدب الأطفال إلا أنه يمكن أن يكون في أدب الأطفال رادعا للحقد الصليبي الذي يرفض العدل والانصاف والسمو ما دامت هذه القيم متدثرة بثوب الحياء الإسلامي ويقبل الظلم والتحيز بل والانحطاط الخلقي إن قدم له من أي مذهب أو عقيدة أو فلسفة شريطة أن تكون غير إسلامية!!

إن الغرب لا يمكن أن يفهم معنى الحياء



والعفة إنها خارج نطاق تفكيره واهتمامه إنها أصيلة فى الإسلام. عربية أبية حتى قبل الإسلام وجاء الإسلام واقرها وهذبها كما اقر كل خلق حسن فى سلوك الجاهلية فهذا عنترة الجاهلى قال بيتا من الشعر يمكن أن يتغنى به كل مسلم لأنه عفيف طاهر لكنه خارج نطاق الأدب والأخلاق فى قاموس الغرب.

**يقول عنترة:**

**وأغض طرفى مــا بدت لى جــارتى**

**حــتى يوارى جــارتى مــأواها**

ونعود إلى قصص المطالعة الأولية نذكر بها كل سادر فى غى الصلف الغربى والاستشراق الأعمى. تقول القصة الأولى: إن امرأتين تنازعتا طفلا كل تدعى بنوته وأدلت كلتاهما بحجتها أمام القاضى. فهل يطبق القاضى العدالة الغربية العمياء ويقسم الطفل نصفين بين المرأتين أو يحكم بنزع الطفل من كليهما ويودعه دار الأيتام؟!!

أم ماذا يفعل؟! إن مبادىء العدالة والمساواة المزعومة تؤكد ذلك الغباء.

القصة الثانية بعنوان مسكين والد حسَّان. ذلك أن والد حسان أعطاه شاة يوصلها من الحقل إلى الدار فحمل الشاة على كتفيه وكانت ثقيلة حتى أرهقته فقال له أبوه: يا ولدى إذا كلفتك بتوصيل شىء فجرّه بحبل ولا تحمله على كتفك ثم أعطاه فى المرة الثانية بطة فما كان من حسان إلا أن ساوى بين البطة والنعجة وربط البطة من رقبتها فاختنقت وماتت.

حقا مسكين والد حسان!! أليس فى هذين المثلين تطابقا مع ما يزعمون أنهم يحرجون الإسلام به وأنهم أكثر عدلا لأنهم يطلبون المساواة فكما أن الرجل فى شريعة الإسلام يتزوج أربعا فالمرأة كذلك ينبغى أن تتزوج أربعة؟!

قل لى بربك: أليس ذلك الصلف الغربى يشبه غباء حسان عندما ساوى بين البطة والنعجة ومثل ذلك القاضى الذى حكم بإيداع الطفل دار الأيتام؟ ونحن نسأل أصحاب الرأى: هل يوجد فى أى شريعة وأى دين أن تتزوج امرأة واحدة أربعة رجال؟ وهل وجد فى الشرائع السابقة سماوية أو أرضية؟ وهل يسمى ذلك زواجا وتسمى المرأة زوجة؟ وإذا كان هذا الوضع لم يوجد ولن يوجد هذا النظام الظالم لطبيعة المرأة وللطبيعة الانسانية كلها إناثها ورجالها على السواء ولا يمكن لهم أن يحققوه حتى فى سلوكهم الإباحى الشاذ وما دام كذلك فلماذا يريدون أن يفرضوه على شريعة الإسلام السمحاء التى لا تعرف الخنا بأى شكل. المسألة تصبح عنادا لا أكثر وليست حوارا بغية الوصول إلى الحق.

والإسلام دين الفطرة لا يمكن أن يرغم الآخرين على اعتناقه والإيمان به. فليس من مبادىء الدين نفسه ولا من سلوك النبى ﷺ ولا من خلق أتباع الدين الإكراه لأننا نعتقد كما أن هناك نفوسا تعاف الرذيلة فهناك نفوس كالخنازير لا تعيش إلا فى المستنقعات ولا تأكل إلا الجيف.

ولو أنا سألنا العقلاء فى كل دين وفى كل

ملة إنسانية سؤالا واحدا محددا. ما هو الهدف من الزواج؟ لقال كل عاقل ذو فطرة سوية: إن هدف الزواج حفظ النوع الإنساني وإشباع الغريزة بطريقة تحفظ الحياء وفق منهج الله. تلك إجابة الحنفاء أصحاب الفطرة السوية كما جاء في حديث النبي ﷺ: «إن الله خلق عباده كلهم حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم»(١).

أما إجابة من اجتالتهم الشياطين فشوهت فطرتهم فيقولون: إن هدف الزواج هو المتعة!!! فهل يمكن أن نعقد مقارنة بين هدف هؤلاء، وأولئك؟ وهل يمكن أن يقاس نبل الأولين وعبث الآخرين أو إن شئت فقل: دنس الآخرين؟ عجبا؟ أيقاس بالكافور نبت الشيح.

ولسنا في حاجة إلى إجابة عن هذه الأسئلة لأننا على قناعة تامة بما نحن عليه لكنا نوجه سؤالا آخر أو استفهاما عاما ونقول: أسألوا أصحاب المتعة، هل تغني عنهم متعتهم لو أنهم تزوجوا أجمل الجميلات وحرموا من نعمة الولد؟ أو تغني عن الإنسانية شيئا؟

ليتهم يفيئون إلى ظلال الهدى النبوي الذي يقول في الحديث:

«سوداء ولود خير من حسناء لا تلد»(٢).

وبعد: ماذا أجدى على الإنسانية في تحقيق هدفها وهو حفظ النوع؟

هل لو تزوجت امرأة بعشرة رجال لا أربعا، أم لو تزوج رجل بأربع نسوة؟

وبعد: فإن إجابة قوم لوط هي إجابة كل شرير عابث بالإنسانية وبالمثل العليا عندما يضيق بالطهر والعفاف.

﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾(٣).

أولئك صرف الله قلوبهم عن الهدى وأعمى أبصارهم عن الحق، فالإسلام سما الله به عن أن يسكن هذه القلوب الصدئة.

يقول الله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾(٤).

ويقول:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾(٥).

فالله – سبحانه وتعالى – أغفل هذه القلوب وصرفها عن الحق فلا تؤمن به ولا ترضى بالإسلام دينا، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المجرمون.

**وإلى لقاء آخر**

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) مجمع الزوائد ٢٥٨/٤.

(٣) سورة النمل الآية ٥٦.

(٤) الإسراء (٤٦).

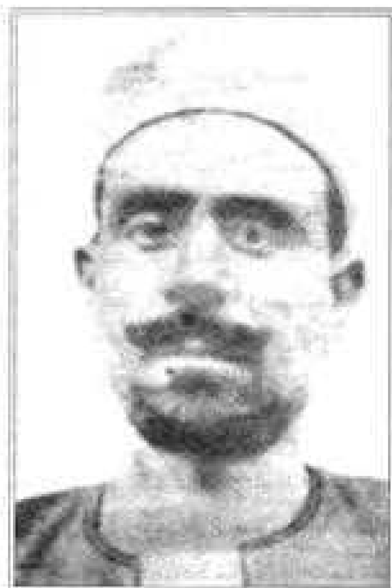
(٥) الكهف (٢٨).




# قضية.. وكتابان

# بين





## الخضر حسين و على عبد الرازق

**٥**

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

وإذا كان «الدين» وضعا إلهيا، ثابتا.. فإن «الصبغة الدينية» للدولة الإسلامية وسياستها لا تعنى ثبات نظم هذه الدولة وثبات قوانينها، ولا تعنى «الإلهية» و«الثبات» لهذه النظم والقوانين جميعا.. فالثابت هو المقاصد والفلسفات والغايات، وبعض قليل من الأحكام التى تعلقت بثوابت لا تتغير ولا تتطور بتغير الزمان والمكان.. أما ماعدا هذا القليل فهو متغير ومتطور يلعب فيه العقل المسلم والإبداع التشريعى للمسلمين الدور الأول والأعظم دونما قيد إلا الروح العامة لشريعة الإسلام والمصلحة المبتغاة للأمة الإسلامية.. فلقد «أجمع المسلمون على أن إصلاح السياسة شطر من مقاصد الإسلام- (ولكن)- هل ادعوا، مع هذا، أن الإسلام رسم للسياسة خطة معينة ووضع لكل واقعة حكما مفصلا؟!!.. الحق أنهم لم يفعلوا ذلك بل ملأوا كتبهم ببيان أن الشريعة فصلت بعض أحكام لا تختلف فيها أحوال البشر، ثم وضعت أصولا ليراعى تطبيقها على الوقائع حال الظروف الحافة بها، ومن هذه الأصول قاعدة «رعاية المصالح المرسلة»، وقاعدة «العادة محكمة»، وقاعدة «سد الذرائع»، وقاعدة «المشقة تجلب التيسير»، وقاعدة «ارتكاب أخف الضررين»، وقاعدة «الضرر يزال»[1].. ولقد عنيت الشريعة فى الأكثر بتفصيل ما لاتختلف فيه مصالح الأمم ولا يتغير حكمه بتغير الزمان والمكان، وذلك ما يرجع إلى العقائد والأخلاق ورسوم العبادات، ثم جاءت إلى قسم المعاملات والسياسات فأتت على شئ قليل من تفاصيله، وطوت سائره فى أصول عامة ثلاث:

**إحداها**: أن أحكام هذا القسم تختلف بحسب ما يقتضيه حال الزمان وتطور الشعوب، فإذا وقعت الواقعة أو عرضت الحاجة نظر العالم فى منشئها وما يترتب عليها من أثر، واستنبط لها حكما بقدر ما تسعه مقاصد الشريعة ومبادئها العليا.

**ثانيها**: أن وقائع المعاملات والسياسات تتجدد فى كل حين، والنص على كل جزئية غير متيسر، علاوة على أن تدوينها يستدعى أسفارا لا فائدة للناس فى كلفة حملها.

**ثالثها**: أن الشريعة لا تريد أسر العقول وحرمانها من التمتع بلذة النظر والتسابق فى مجال الاجتهاد[2]..

ولذلك وجدنا فقهاء المسلمين يجتهدون، كل من منظوره، وعلى ضوء واقعه، ووفق مقتضيات عصره، يجتهدون فى «وضع» القوانين الإسلامية المسترشدة بروح الشريعة والحكومة بمنطقها الإسلامى العام.. فهم ينظرون إلى المصالح ويوازنون بينها وبين المفاسد.. كما ينظر إليها أصحاب القوانين الوضعية، من حيث عظمها وصغرها، ومن حيث ما يترتب عليها فى الخارج من آثار نافعة أو عواقب سيئة[3].. ثم يصوغون القوانين، التى كونت تراثنا فى فقه المعاملات.

.. فالذين يتصورون أن «أسلمة القانون» فى الدولة الإسلامية، يعنى إلزام الحاضر باجتهادات الماضى، أو إلزام كل عالم الإسلام باجتهاد واحد لا يفقهون هذا الجانب من سياسة الإسلام.. بل إن بلوغ عالم الإسلام فى التقارب والتضامن والاتحاد درجة إقامة الخلافة الواحدة، أو الحكومة الواحدة لايعنى وحدة النظم والقوانين إذا ما اختلف الواقع فى إطار عالم الإسلام..

---

(١) الباب الثالث من الكتاب الثانى «ص١٧٧ من طبعة الأصل».

(٢) الباب الثانى من الكتاب الثانى «ص١٥٤، ١٥٥ من طبعة الأصل».

(٣) الباب الأول من الكتاب الثالث «ص٢٠١ من طبعة الأصل».

ذلك «أن أخذ الأمم الإسلامية بحكومة واحدة لا يقتضي توحيد قانونها السياسي أو القضائي بل يوكل أمر كل شعب إلى أهل الحل والعقد منه، فهم الذين ينظرون فيما تقتضيه مصالحه.. ولا يقطعون أمرا حتى يشهدهم من أوتوا العلم بأصول الشريعة لئلا يخرجوا عن حدودها ومقاصدها.. فالتشريع الإسلامي قائم على رعاية المصالح، وما هي إلا المصالح التي توضع في ميزانه المستقيم، وهذا الميزان المستقيم لا يبخس شعبا من الشعوب مصلحته التي يشهد بها العقل السليم، ولا يفصل حكما واحدا يجريه على كل شعب وفي كل زمان، إلا إذا لم تختلف فيه مصالح الشعوب، فإن اختلفت اختلافا يعقله العالمون فلكل شعب حكم وسياسة، وذلك تقدير العزيز العليم..»[1].

.. فالدولة الإسلامية: دولة دستورية.. ورأسها: حاكم دستوري.. وأمتها: هي مصدر السلطات.. وقانونها إبداع وثمرة لعبقرية فقهائها، يصوغون أغلبه بالاجتهاد المحكوم بروح الشريعة ومصلحة الأمة المرتبطة بظروف الزمان ومقتضيات المكان.. وهي في ظل الخلافة والحكومة الواحدة، أشبه بعصبة الأمم الإسلامية وجامعة الدول الإسلامية منها بالدولة الواحدة التي يسود فيها القانون الواحد والنظام الواحد في واقع متغاير رغم وحدة الإسلام!..

وإذا كان هذا هو حال «الإسلام السياسي»، وإذا كانت تلك هي قاعدة «سياسة الإسلام».. **فهل بنا من حاجة «لعلمانية» الحضارة الغربية، نتنكر باستعارتها لطبيعة إسلامنا؟!.. وألا يرعوي أولئك الذين يزيفون تاريخنا السياسي وفكرنا الإسلامي السياسي**، لا لشيء إلا لافتعال التماثل بينه وبين تاريخ الكهانة الكنسية في أوروبا العصور المظلمة والوسطى، بل ويزيفون صورة الإسلام، بجعله «علمانية» أو «كهانة».. لا لشيء إلا ليبرروا استعارتهم «للعلمانية» الغربية.. فهم يستوردون «مشكلة» ليستوردوا لها «الحلول»؟!

هكذا نظر الشيخ الخضر إلى القضية المحورية والجوهرية في كتاب (الإسلام وأصول الحكم).. وحدد حيالها، رؤيته لموقف الإسلام.



على أن إعجاب الباحث والقارئ بهذا (النقض) الذي نهض به الشيخ الخضر لدعاوى صاحب (الإسلام وأصول الحكم)، ولقلم الشيخ الذي تجلى عفيفا ودقيقا وجيد التذوق والاختيار لألفاظه وعباراته.. إن هذا الإعجاب لاينقضه «هنتان» ننبه عليهما، وقع فيهما قلم هذا الشيخ الجليل:

**الهنة الأولى**: هي أن الشيخ الخضر برغم مجيء كتابه نموذجا في أدب البحث والجدل والمناظرة، وتميزه بالعفة والترفع عن إلقاء التهم جزافا.. إلا أنه استخدم عبارة «الوقوع في حمأة الإلحاد» على نحو «يوحي» بأنه يتهم بها الشيخ علي عبدالرازق!..

ونحن برغم رفضنا للفكرة المحورية والجوهرية لكتاب (الإسلام وأصول الحكم)، وإيماننا بخطر الكتاب على التوجه الفكري للأمة الإسلامية، ومعرفتنا بالتأثير الذي أحدثه في دعم «العلمانية» الغربية عن المناخ الإسلامي والفكر الإسلامي.. برغم ذلك، إلا أننا ننكر استخدام ألفاظ من مثل «الكفر» أو «الإلحاد» في وصف «الاجتهادات الخاطئة» بميدان الفكر السياسي الإسلامي بوجه عام..

---

(1) الباب الثالث من الكتاب الثاني ص١٧٩، ١٨٠ من طبعة الأصل.



لقد استقر الرأى في علم الكلام الإسلامي على أن مباحث «الخلافة - الإمامة - الدولة» هي من «الفروع» وليست من «عقائد» الدين ولا «أصوله» ومن ثم فإن الخلاف والاختلاف فيها أليق به أوصاف: «الخطأ» و«الصواب»، و«الضرر» و«النفع»، لا «الكفر» و«الإيمان» أو «الإلحاد».. الخ.. الخ..

.. «إن الإمامة مستخرجة من «الرأى» وليست مستخرجة من الكتاب أو السنة..»[5].. والجويني، إمام الحرمين (٤١٩ - ٤٧٨ هـ / ١٠٢٨ - ١٠٨٥ م) يقول: «إن الكلام في الإمامة ليس من أصول الاعتقاد»[6].. والإمام الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥هـ / ١٠٥٨ - ١١١١م) يقول: «إن نظرية الإمامة ليست من المهمات، وليست من فن المعقولات فيها، بل من الفقهيات..»[7].. أما ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ / ١٢٦٣ - ١٣٢٨م) فإنه يقول: وإنها ليست من أركان الإسلام الخمسة، ولا من أركان الإيمان الستة، ولاهي من أركان الإحسان»[8]..

وفوق ذلك، وتبعا له، يقول الإمام الغزالي: «واعلم أن الخطأ في أصل الإمامة وتعينها وشروطها وما يتعلق بها لايوجب شئ منه التكفير..»[9].

هذا هو موقف علماء الكلام من طبيعة الإمامة، وطبيعة الاختلاف في مباحثها، بدءا من «أصلها» إلى «تعينها وشروطها ومايتعلق بها».. وهذا الموقف هو الذى تبناه - كما سبقت إشارتنا - الشيخ الخضر، عندما قال: «إن الخلافة ليست من نوع العقائد.. والبحث فيها يرجع إلى النظر في حكم عملي لا في عقيدة من عقائد الدين» وأنها، لذلك، يكتفى في مستندها «بالأدلة المفيدة ظنا راجحا»..

فإذا جاء الشيخ على عبدالرازق وقال عن «المملكة النبوية»: إنها «عمل منفصل عن دعوة الإسلام وخارج عن حدود الرسالة».. وإذا وصف هذا الرأى بأنه، على غرابته، ليس «كفرا ولاإلحادا». فنحن ننكر هذا «الرأى»، لكننا معه في نفي صفة «الكفر والإلحاد» عن قائليه، لأنه «رأى» في مبحث من مباحث الفروع، وهو خطأ، لكنه كما قال الغزالي «لايوجب التكفير».

ولذلك، فما كنا نود أن يكون تعقيب الشيخ الخضر على قول علي عبدالرازق هذا هو قوله: إن «تصرف النبي ﷺ في مثل الجهاد والزكاة والجزية والغنائم يستند الى صريح القرآن، فلا مفر لمنكره من الوقوع في حمأة الإلحاد.. ولا أراني في حاجة الى نقل شئ من نصوص الراسخين في علم الشريعة وفتواهم بأن من أنكر حقيقة معلومة من الدين بالضرورة فقد انقلب على عقبيه مدبرا عن الإسلام ولايحق له بعد ذلك الإنكار أن يتأثم من المسلمين إذا طرحوه من حساب أولياء دينهم الحنيف»[10].

فنحن نعتقد أن الخلاف والاختلاف حول «الخلافة.. والإمامة.. والدولة» لا يدخل في باب إنكار «ماهو معلوم من الدين بالضرورة»، لأن المراد

---

(٥) أبو حفص عمر بن جميع «عقيدة التوحيد» ص٦٠، طبعة القاهرة سنة ١٣٥٣هـ.

(٦) «الإرشاد» ص٤١٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٠م.

(٧) «الاقتصاد في الاعتقاد» ص١٣٤ طبعة صبيح - القاهرة - بدون تاريخ.

(٨) «منهاج السنة» ص٧٠ - ٧٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢م.

(٩) «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» ص١٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م.

(١٠) الباب الثاني من الكتاب الثاني «ص١٤٨، ١٤٩» من طبعة الأصل.

هنا هو إنكار الأصول والأركان.. وليس الخلاف في قضية أو أكثر من قضايا الفروع.. وعلى عبدالرازق، برغم مجانبته للصواب في بحثه حول الخلافة، لم ينكر ركنا من أركان الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة، وإنما أنكر إسلامية الخلافة، وهي من الفروع.. فما كان يليق بالقلم العف للشيخ الخضر أن يدخل هذا «الخطأ»، برغم فداحته ومضاره، تحت باب «الالحاد» حتى ولو أخذنا «الإلحاد» بمعناه الأصلي، وهو «الميل عن القصد» ولأن يصف صاحب هذا «الخطأ» بأنه «قد انقلب على عقبه مدبرا عن الإسلام»؟!..

تلك هي «الهنة» الأولى في الكتاب..

**والهنة الثانية**: هي تلك الصفحة التي صدر بها الشيخ الخضر كتابه، والتي طبعها «بماء الذهب» وسطر فيها إهداء كتابه العظيم «الى خزانة حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر المعظم»..

ذلك أننا، برغم إدراكنا لخطأ تقييم مثل هذه الأمور، التي كانت طبيعية ومألوفة في عصرها، بمعايير عصرنا، وهي غير مألوفة، بل مستنكرة فيه.. إلا أننا نعتبرها «هنة» لنا عليها ملاحظات:

● ففي هذا «الإهداء» يقول الشيخ الخضر: «شهدت من حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم غيرة على الدين الحق، وعناية برفع شأن للمعاهد العلمية الإسلامية، فقلت: إن في هذه الغيرة والعناية لحماية الدين الحنيف من نزغة ترمي حوله بشرر الكيد والأذى».

وما كان يليق بالعالم والقاضي المحقق الشيخ الخضر أن «يشهد» بغيرة الملك فؤاد على الدين الحق!.. فتلك قضية إن لم يختلف فيها «الشهود»، فإن إجماعهم، أو إجماع أغلبيتهم سينقض «شهادة» الشيخ الجليل..؟!.

● ثم.. ما كان يليق بالشيخ الجليل أن يخفل عن أن «عناية» الملك فؤاد بالمعاهد العلمية الإسلامية – بالأزهر – لم تكن بالأمر الخالص للأزهر وعلوم الإسلام، وإنما كانت – كما ثبت في الواقع – سبيلا لإفقاد الأزهر استقلاله، وإحكام قبضة «القصر الملكي» على مشيخة الأزهر، لاستغلالها في صراعه ضد حزب الوفد وزعيمه سعد باشا زغلول «١٢٧٣ – ١٣٤٦هـ / ١٨٥٧ – ١٩٢٧م» الممثل لسلطة الشعب – في ذلك التاريخ.

● وأخيراً.. فإن هذا «الإهداء» قد ألقى ظلالا على هذا العمل العلمي الفذ، جعلت منه – ولو ظاهراً – جهدا مكرسا لخدمة طموحات الملك فؤاد الأول «١٢٨٤ – ١٣٥٥هـ – ١٨٦٩ – ١٩٣٦م» في منصب خلافة المسلمين.. ولقد كان الشيخ في غنى عن هذه «الشبهات» التي ألقتها على عمله العلمي الفذ هذه الظلال التي تمثلت في ذلك الإهداء.

هاتان هما «الهنتان» اللتان نأخذهما على كتاب الشيخ الخضر حسين.. وإذا كان «ضد» المعايب في عمل من الأعمال هو شهادة تقدير للعمل وصاحبه.. فما بالنا إذا كانت هذه «المعايب» «هنات».. و«هنات» من هذا القبيل، لا تقدح في تألق هذا العمل العلمي الفذ: جهدا مخلصا ونبيلا وعميقا في الدفاع عن علاقة ديننا الإسلامي بدولتنا الإسلامية، ونقض أعظم الشبهات التي أثيرت حول هذه العلاقة في عصرنا الحديث؟!(١١)

---

(١١) هذه آخر مرحلة من حلقات البحث، وسيوالي الكاتب مقالاته في موضوعات شتى.

# الدكتور محمد السعدى فرهود مفسرا

للدكتور / رضا عبد المجيد المتولى (*)



تعرض أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومى إلى كثير من جهود الدكتور محمد السعدى فرهود فى مقاله عنه، بمجلة الأزهر، وقد رأيت أن أشبع الحديث فى ناحية هامة من نتاج الدكتور السعدى وهى ناحية التفسير القرآنى فأقول:

تكمن جهود الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود فى التفسير فى نوعين منه، هما:

## أولاً: التفسير الإجمالى:

وهو تفسير القرآن الكريم بطريق الإيجاز، والاختصار والإجمال من غير إسهاب ولا تطويل، ولا إطناب. وهو أن يقصد المفسر إلى توضيح معنى الآية وبيان المقصود منها بعبارة وجيزة مقتضبة، تبين معناها فقط من غير تعرض إلى شىء آخر غير المعنى المقصود. وذلك بتتبع آيات القرآن آية آية. وسورة سورة حسب ترتيب المصحف بعد أن يكون قد وضع هذه المعانى فى إطار من العبارة السهلة التى يصوغها من ألفاظه والأسلوب السلس الذى يفهمه العالم والأمى والمتوسط. فهو يخاطب الناس كلهم بأيسر أسلوب وأوضح المعانى حتى يسهل لهم إدراك ما فى القرآن الكريم من نور وهداية من غير تعقيد ولا بعد عن هدف القرآن وقصده.

(*) المدرس بكلية أصول الدين بالمنصورة.




وقد يفسر القرآن بلفظ القرآن حتى يشعر السامع أنه لم يبعد به في عبارته عن سياق القرآن الكريم وأسلوبه السمح الجميل. وقد يشير في بعض المواضع إلى سبب نزول الآية أو إلى حادثة توضح المعنى، أو حديث نبوي، أو أثر عن السلف الصالح، حتى تكمل الفائدة المرجوة، ويصل إلى غرضه بأوجز أسلوب وأحسن عبارة[1].

وهذا بالفعل ما قام به الدكتور فرهود حين أدرك حاجة الناس إلى تفسير ميسر يبرز لهم جوانب هداية القرآن في شئون الحياة المختلفة بأسلوب سهل سلس. ومن ثم كان تفسيره للقرآن الكريم الذي أذاعته إذاعة القرآن الكريم المباركة صباح كل يوم طيلة سنوات عديدة تحت عنوان: (على هامش التلاوة)، ويوم أن يظهر هذا التفسير مدونا بين أيدي الناس سوف يعظم نفعه، ويأخذ مكانه مستريحا بين كبار التفاسير الميسرة للقرآن الكريم كتفسير الأستاذ محمد فريد وجدي، وتفسير صفوة البيان لمعاني القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف، والتفسير الميسر للشيخ عبدالجليل عيسى، وتفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، وغير ذلك كثير.

## ثانياً: التفسير البياني.

وهو التفسير الذي يعنى بالجانب البياني في القرآن الكريم من حيث إبراز الترابط بين الآيات والجمل، وتناول الألفاظ بالتحليل اللغوي الدقيق مما يظهر أسرار التعبير بها وسر العدول عن مرادفاتها، والتعرض لأوجه الإعراب المختلفة وبيان الأسرار والمزايا البلاغية التي تكمن وراء العبارات والتراكيب، وغير ذلك.

وقد أسهم ـ رحمه الله ـ في هذا الجانب بمؤلفين عظيمين: الأول (في رحاب البيان القرآني لسورة الرعد)، والثاني: (في رحاب البيان القرآني لسورة إبراهيم) حيث تناول فيهما الجانب التطبيقي للتفسير البياني في سورتين من سور القرآن الكريم، فبدأ بسورة الرعد، وثنى بسورة ـ إبراهيم عليه السلام ـ ولعله كان ينوي إتمام التفسير البياني للقرآن الكريم، لكن الظروف والأعمال الإدارية لم تمكنه، ومن ثم قال ـ رحمه الله ـ في مقدمة كتابه الأول: (الحمد لله رب العالمين، وبعد فإني لأرجو أن أبدأ – بهذا المصنف – تفسير القرآن الكريم تفسيراً بيانياً، وآمل أن يوفقني الله إلى المضي فيه قدماً، وأن يهديني في بيانه سواء السبيل، وأن يجنبني الهوى والزلل والرأي الفطير، ومن الله العون والسداد)[2].

وسأقطف لك – أيها القارىء الكريم – من هذين المؤلفين قطفين يدلان على الجهد المشكور الذي بذله أستاذنا في هذا الجانب.

ـ قال عند تفسير قوله تعالى:

(١) تاريخ علم التفسير ومناهج المفسرين للدكتور علي حسن العريض ص ٧٩، ط دار الاعتصام.

(٢) مقدمة في رحاب البيان القرآني سورة الرعد ـ دار الطباعة المحمدية بالأزهر، الطبعة الأولى، المحرم ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م.



﴿ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ ﴾(٣).

أى والقرآن الذى أنزله الله ربك إليك - يامحمد - هو الحق الذى لا مزيد عليه. أو والقرآن الذى أنزله الله إليك هو من عند ربك وهو الحق، فالاسم الموصول على التقديرين فى موضع المبتدأ، وعلى التقدير الأول يكون ﴿ الْحَقُّ ﴾ خبره، وعلى التقدير الثانى يكون ﴿ مِن رَّبِّكَ ﴾ فى موقع الخبر، ويكون ﴿ الْحَقُّ ﴾ خبراً بعد خبر، وقيل: يكون ﴿ الْحَقُّ ﴾ جملة جديدة فهو خبرمبتدأ محذوف تقديره (هو)، وعلى هذا كله تكون الجملة معطوفة على الجملة السابقة:

﴿ المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ﴾ ومن المعربين من يرى أن العطف من عطف المفردات، إذ عطف ﴿ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ على ﴿ الْكِتَابِ ﴾ من قبيل عطف إحدى الصفتين على الأخرى، أو من باب عطف أحد المترادفين على الآخر إذا فسرت الكتاب بالقرآن، ومن باب عطف العام على الخاص أو من باب عطف الكل على الجزء إذا فسرت الكتاب بالسورة وأردت من اسم الموصول القرآن. ويتعين لدى القول بعطف المفردات أن يكون ﴿ الْحَقُّ ﴾ جملة جديدة فـ ﴿ الْحَقُّ ﴾ خبر مبتدأ محذوف، والقول بعطف الجمل أوضح وأشهر وأقرب. وهذه الجملة تتصل بما قبلها اتصالا معنويا جليلا، فقد جاءت هذه الجملة لتقرير معنى الجملة السابقة والاستدلال عليها بأن كل المنزل حق وصدق.

ويرى الزمخشرى: أن هذه الجملة جاءت للاستدراك على وصف السورة فقط بالكمال، فإن القرآن أثبت لهذه السورة الكمال ثم استدركه بأن كل المنزل كذلك لاتختص به سورة دون سورة، والقرآن كله هو الحق لا هذه السورة وحدها. قال الزمخشرى: ومثل هذا قول فاطمة الأنمارية حين سئلت: أى بنيها أفضل؟ أجابت: الربيع، بل عمارة، بل قيس، بل أنس، ثم استدركت فقالت: ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل، إنهم كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها، ففاطمة بإثباتها آخرا لكل ابن من أبنائها الكمال فقد نفت التفاضل للدلالة على أن كمال كل واحد منهم كمال لايحيط به الوصف.

ثم قال الدكتور فرهود - رحمه الله -: ولايغيب عن البال أن فى صياغة الجملة:

﴿ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ ﴾.

بالعبارة بالاسم الموصول، وإسناد الإنزال إلى الله ولا منزل للقرآن إلا هو، فى هذه الصياغة مايشير أولا إلى فخامة شأن القرآن، ومايومىء ثانيا إلى شرف المنزل إليه وهو الرسول بما خاطبه الله بالحديث وبما عرضه من صفة الربوبية مضافة إلى ضميره ﷺ وكذلك ما يدل عليه ثالثاً الحكم على القرآن بأنه الحق

(٣) الرعد (١)

ولاحق غيره. والحق هو الصدق وهو الصواب، ولكن غلب استعمال الحق في المسائل الاعتقادية، واستعمال الصدق في الأخبار والأنباء، واستعمال الصواب في الأجوبة، والمعنى قريب[4].

وبهذا نرى أن الدكتور السعدى فرهود لم يترك شاردة ولا واردة في تفسير هذه الجملة الكريمة إلا وذكرها، حيث بدأ ببيان الإعراب، ونوع العطف، ثم رجح من وجهة نظره ما رآه راجحاً، ثم بين مناسبة الجملة لما قبلها، ثم استدل بما ذكره إمام البيان الزمخشري في كشافه، ثم امتعنا بأسرار التعبيرات في الجملة الكريمة وإيحاءاتها المباركة، ثم ختم كلامه ببيان بعض الفروق اللغوية بين لفظ ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾، ( الصواب )، ( الصدق ).

- وقال عند تفسير قوله تعالى :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[5]

( من ) ابتدائية أو بيانية، فهى تشعر أن كل رسول من الرسل دعا قومه بلسانهم. واللسان: يطلق على اللغة على سبيل المجاز المرسل وعلاقته الآلية. وفي الجملة قصر إرسال الرسول على التلبس بلسان قومه، وحكمة ذلك: أن يكون ما يبلغه إياهم عن الله مفهوما لديهم غير غريب على أسماعهم، حتى يتلقوه منه بسهولة وسرعة، فيمتثلوا ذلك من غير حاجة إلى الترجمة، وعليهم - بعد ذلك - إذا نشروا دين الله في الأرض بين أقوام غير عرب أن يترجموا القرآن لهؤلاء الأقوام حسب الحاجة، فكما يسّر الله عليهم ولم يشاقهم وجب أن ييسروا على الناس ولايشاقوهم، وهذا واضح في عموم النصوص إلا ماجرى به التعبد منها، وعلى هذا جاء نزول القرآن باللغة العربية، ولايلزم منه القول باختصاص بعثة محمد ﷺ بالعرب كما هو زعم طائفة من يهود، فإن هناك من الدلائل والقرائن الأخرى مايدفع هذا الزعم ويحقق عموم رسالة محمد ﷺ :

﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ .

ليوضح لهم أمور الدين. وحذف المفعول به فتنزل الفعل منزلة اللازم للإشعار بأن وظيفة الرسول التبيين والبلاغ، وليس من وظيفته الهداية أى خلقها في النفوس، فالهداية بهذا المفهوم من شأن الله. وهنا إيجاز بالحذف مفهوم من السياق، والتقدير ( فبين - أى الرسول - لقومه ) . ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع إلى الكتابين ذاتهما وللأستاذ الدكتور عبداللطيف الحديدى بحث شاف في هذا المجال نود أن ينشره للقراء، رحم الله الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود رحمة واسعة وأجزل له المثوبة والعطاء جزاء ماقدم للقرآن والإسلام والعربية .

---

(4) في رحاب البيان القرآني، سورة الرعد ص ٨ : ١١.

(5) إبراهيم (4)

# فى نقد سيرة ابن إسحاق / ابن هشام

## ٢ رد على الدكتور إبراهيم عوضين

للدكتور / محمود على مراد (*)

على الرغم من أن الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين يشكك كثيرا فى معرفتى باللغة العربية، فإنه لم ينتقد تحليلى لما جاء فى سيرة ابن إسحاق من شعر، ولم يطعن فى النتيجة التى خرجت بها من هذا التحليل وهى أن أكثر هذا الشعر منحول، وأن نحل الشعر، الذى هو ديوان العرب، قرينة لا تقبل إثبات العكس على رغبة فى تزوير السيرة عن طريقه، ومع أن الشعر عنصر أساسى من عناصر السيرة الثلاثة، إلى جانب السرد التاريخى وشرح الاقتباسات القرآنية، وأن ابن إسحاق استخدمه على نطاق واسع فى الموضوعات التى طرقها الدكتور فى مقاله الثانى، الصادر فى عدد جمادى الآخرة ١٤٢٢ لهذه المجلة الغراء، فإن كون هذا الشعر منحولا لا يزعزع ثقة الدكتور فى صدق ابن إسحاق، والدكتور يغمض عينيه عنه وعن ملاحظاتى بشأنه ويعتبره ـ ببساطة ـ كأن لم يكن، ويمضى فى دعواه بأن الكاذب والمزور والمختلق هو ناقد ابن إسحاق، وأننى كذبت وزورت واختلقت تحقيقا لغرضى الأصلى وهو نسف السيرة النبوية تزلفا لأساتذتى المستشرقين وتأثرا بأفكارهم.




(*) بهذا المقال تتضح فكرة الدكتور مراد، وتنتهى الكتابة عن هذا المؤلف لضرورات خاصة من ناحية الناقد والمنقود.

## الـــــرد

فيما يلى ملحوظاتى على معظم ما جاء فى مقال الدكتور عوضين الثانى.

أ ـ الدكتور عوضين يقول: إننى أقيم رسالتى على فرض سلمت به مقدما مفاده أن ابن إسحاق عميل عباسى قصد من وراء كتابه الدعاية للعباسيين. وهذا غير صحيح، فإننى لم أسلم مقدما بهذا الفرض بل كانت هذه إحدى النتائج التى أفضى إليها تفكيرى حين حاولت استكناه الأسباب الخفية التى تكمن وراء الغرض المعلن من تأليف الكتاب وهو كتابة سيرة للرسول ﷺ، بعد أن اكتشفت أن هذا الكتاب ليس سيرة للرسول ﷺ.

أساس رسالتى إذن هو هذا الاكتشاف أما ما قلته عن مقاصد ابن إسحاق من كتابة سيرته، ومنها أنه كتبه دعاية للعباسيين، فشئ فرعى. وخطئى فى استشفاف هذه المقاصد ـ إن كنت قد أخطأت ـ لا يغير شيئا فى الحقيقة الأساسية، وهى أن سيرة ابن إسحاق تفتقر إلى جميع المقومات التى تتكون منها أى سيرة لأى رسول، وهى حقيقة ثابتة كل ما فعلته بشأنها هو أن سلطت عليها الأضواء.

ب ـ إذا كان العقل لا يقبل قصة حفر زمزم، فلا يكفى أن يكون الزهرى قد رواها لكى يقبلها العقل. ويلاحظ فى هذا الصدد أن الدكتور إبراهيم عوض، الذى نصب نفسه للدفاع عن ابن إسحاق، درس هذه القصة وعلق عليها فى صفحة ونصف من كتابه «إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية» وانتهى إلى أنها، أغلب الظن، خيال قصصى جميل (أى أنها ليست تاريخا). (ص ١٢٨)

ج ـ القول بأن ما ينال العباسيين من رفعة ينال محمدا، كما ينال العلويين قول فيه نظر للأسباب الآتية:

١ـ إذا كانت قصص أبرهة وزمزم والفداء ـ كما أوضحت ـ قصصا مختلقة فإن عبدالمطلب يصبح رجلا عاديا لا رفعة له تميزه على معظم أقرانه من أرباب الأمر فى مكة غير أنه كان يتولى مهمة السقاية.

٢ـ شرف محمد ﷺ بالرسالة لا يقاس إليه شرفه بالانتساب إلى عبدالمطلب، حتى إذا كان عبدالمطلب الشخصية الأسطورية التى يصفها ابن إسحاق.

٣ـ حين كتب ابن إسحاق سيرته كان الرسول ﷺ قد لحق بالرفيق الأعلى منذ أكثر من قرن، وكان العلويون قد أقصوا من الخلافة بيد العباسيين، وكان المستفيد الوحيد الفعلى من رفع شأن عبدالمطلب هو الخليفة العباسى الذى كان سند شرعيته هو انتماؤه لا إلى الرسول ﷺ، وإنما إلى القبيلة التى تجمعه هو والرسول، القبيلة التى كان يعنيها أول خلفاء بنى العباس حين قال فى خطبته الأولى: «وبنا هدى الله الناس».

٤ـ القول بأن الحديث عن عبدالمطلب هو فى الواقع حديث عن محمد كان يكون صحيحا لو أن المؤلف خصص للرسول ﷺ الجزء الأكبر من حديث الفترة. أما وقد جعل الرسول لا يحتل إلا عشر الحيز الذى يحتله عبدالمطلب، فالأصح أن يقال: إن الحديث عن محمد هو حديث عن عبدالمطلب.

د - أنا، كما قلت فى رسالتى، أرفض تصديق القصة التى يقول فيها ابن إسحاق إن الرسول ﷺ بكى فى حضرة عمه حين تصور أنه تخلى عن حمايته. وأنا أصدق أن الرسول قال: «والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»، ولكننى أرى أنه قاله فى مناسبة أخرى، وأن ابن إسحاق استخدمه فى هذه المناسبة لكى يسهل «بلع» قصة بكاء الرسول - ولكن، حتى إذا أضفنا العبارة المذكورة إلى المنظر الذى يصوره ابن إسحاق، فإن إيمان الرسول يبدو فى القصة أضعف من إيمان عبدالمطلب فى موقفه من أبرهة. فعبد المطلب لم يخف على نفسه خوف محمد، كذلك فقد جعلته ثقته فى أن للكعبة ربا يحميها دون وسيط، يتحدى أبرهة على الرغم من أنه كان فى معسكر جيشه. أما محمد فإنه، على الرغم من إصراره على المضى فى رسالته بالعزم الذى تنطق به عبارته، لم يكن على ثقة من أن رب الكعبة سيمنعه، وكان محتاجا إلى وسيط يحميه، ولما خيل إليه أن هذا الوسيط لن ينصره بكى.

## فتـــــرة الاستخفاء

١- يسألنى د. عوضين عمن يتجه إليه نبى أوحى إليه بدين يختلف تماما عما عليه قومه أول ما يتجه. وجوابى وارد فى رسالتى، وهو أنه يتجه أولا - فى النظام القبلى - إلى أقرب الأقربين إليه، أى إلى أبناء قبيلته. ولكن ابن إسحاق يخبرنا أنه ﷺ كان يخفى صلاته مع علىّ عن أعمامه، وهو لا يحدثنا أبدا عن رد فعل أى قريب من أقاربه حين عرض عليهم الإسلام.

٢- يسألنى د. عوضين بعد ذلك عن تفسيرى لنزول الوحى عليه آمرا إياه بإنذار عشيرته الأقربين. وجوابى عن هذا وارد فى كتابى (الصفحات ٦٩:٧٢). وقد وجهت النظر فى صفحة ٧٢ إلى أن الذى يخطر على البال لأول وهلة لدى قراءة آية:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾(١).

من سورة الشعراء، هو أن المقصود هم قبيلتا الرسول ﷺ أو حتى قبيلة بنى عبدالمطلب وحدها. ومع ذلك فإن الذين سيتجه إليهم الرسول بعد نزول الآية، فى نص ابن إسحاق، ليسوا هم أفراد قبيلته بل هم قريش فى مجموعها. إذن فنحن، سواء قبل نزول هذه الآية أو بعدها، لا نعلم شيئا على الإطلاق عن نتيجة اتصالات الرسول بعشيرته الأقربين، وهذه فى رأيى قرينة قوية على أن ردود فعل هذه العشيرة لم تكن سلبية فحسب بل كانت عدائية.

٣- يسألنى الدكتور: ماذا أقول فيما رواه الإمام البخارى والإمام مسلم عن أبى هريرة من أنه لما نزلت آية «وأنذر عشيرتك الأقربين» دعا رسول الله ﷺ قريشا فعمّ «وخصّ» فى التحذير من النار، مبتدئا ببنى كعب بن لؤى ومنتهيا ببنى هاشم وبنى المطلب وبابنته فاطمة ويضيف الدكتور، قاصدا إحراجى: «أم لعل الدكتور يتهم البخارى ومسلم بأحاديثهما مع ابن

(١) الشعراء، (٢١٤).

هشام.. ليضع ثلاثتهم مع ابن إسحاق في طابور المتهمين بتزييف الحقائق وتلفيق الأحداث واصطناعها لينالوا رضا أبي جعفر المنصور أو غيره من بني العباس؟».

وجوابي عن هذا هو أن هذا السؤال ليس له موضع هنا، لأننا بصدد ما جاء في سيرة ابن إسحاق لا في صحيحي البخاري ومسلم، والحديث الذي يرويه الدكتور لم يرد عند ابن إسحاق.

على أنني لا أتردد في أن أقول: إن أبا هريرة إذا روى شيئا يتعارض مع ما يستفاد بشكل واضح من القرآن الكريم، فإني آخذ بالقرآن ولا آخذ بما قاله أبو هريرة، والذي يتضح بصورة لا لبس فيها من القرآن الكريم أن دعوة الرسول ﷺ كانت علنية من اليوم الأول، وهذا على أي حال هو حكم العقل وهي طبيعة الدعوة، ولم يرد في قصص الأنبياء كلام عن نبي كانت دعوته سرية في بدايتها أو في أية مرحلة من مراحلها.

وانتهز هذه الفرصة لأضيف أن سبب نزول الآيتين الأولى والثانية من سورة المسد، الذي يذكره ابن إسحاق، يختلف عن ذلك الوارد في الرواية التي يسوقها الدكتور والتي فحواها أن أبا لهب قال للرسول عبارة «تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟» في الاجتماع الذي يتحدث عنه أبوهريرة، فإن ما يقوله ابن إسحاق هو: وحُدثت أنه - أي أبولهب - كان يقول في بعض ما يقول: يعدني محمد أشياء لا أراها، يزعم أنها كائنة بعد الموت، فماذا وضع في يدي بعد ذلك، ثم ينفخ في يديه ويقول تبا لكما، ما أرى فيكما شيئا مما يقول محمد فأنزل الله فيه:

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[٢].

(السيرة، القسم الأول، ص٣٥١) هنا إذن تعارض بين ما يقوله ابن إسحاق وما يقوله الإمامان. وقد أبديت عدة ملحوظات على قول ابن إسحاق هذا في تعليقي على الاقتباس رقم ١٧ (ص٢٨٨ من كتابي).

٤ - ويقول الدكتور عوضين: إنني أتجاوز كتب السنة الصحاح فلا ألتفت إلى ما رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبدالله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثم فتر الوحي عني فترة، فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء الآن قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي، فقلت: زملوني، زملوني، فأنزل الله - عز وجل -:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾[٣].

وتعليقي على هذا هو، أولا، أني لم أرجع إلى كتب السنة الصحاح بصدد إعداد بحثي لأنني اقتصرت على القرآن الكريم كمرجع وحيد، وثانيا أنني لم أنكر فتور الوحي عن الرسول ﷺ، وثالثا، هو أن الرواية التي يسوقها الدكتور عوضين تتعارض مع ما ذكره

---

(٢) المسد (١).

(٣) المدثر (١-٥).

ابن اسحاق كسبب لنزول آيات سورة المدثر، فهو يقول: إن أشد ما لقى رسول الله ﷺ من قريش أنه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه، لا حر ولا عبد، فرجع رسول الله ﷺ إلى منزله فتدثر من شدة ما أصابه، فأنزل الله عليه قوله: «يا أيها المدثر قم فأنذر»، وقد تحدثت عن هذا الموضوع في ملحوظتي على الاقتباس رقم ٢ (ص٢٦٢ من كتابي).

٥ - لمعرفة ما إذا كان في القرآن الكريم ما يؤيد مقولة الاستخفاء رجعت إلى ترتيب بلاشير لسور القرآن واستخرجت منه مجموعة السور التي يرجح أن تكون نزلت في السنوات الثلاث الأولى من البعثة، وآياتها تبلغ نحو ١٢٠٠ آية، ولخصت مادتها، فوجدت الآتي:

أ - أن معظم مبادىء الإسلام الأساسية نزلت في هذه الفترة، وهذا أمر لا غرابة فيه.

ب - أن مادة هذه الآيات كانت تتجه إلى الكافة لا إلى دائرة محدودة من الناس، الأمر الذي يستحيل معه تصور إمكانية إخفاء الدعوة.

ج - أن بعض الآيات القرآنية التي اقتبسها ابن إسحاق وأدرجها في حديث الفترة التالية لفترة الاستخفاء والتي يرد فيها القرآن الكريم على دعاوى الكفار ويهددهم، إنما نزلت في فترة الاستخفاء المزعومة وهو ما ينفي احتمال السرية.

والدكتور عوضين يخالفني في هذا التخريج، ولكنه بدلا من أن يقدم أدلة عقلية أو نصية أو قرآنية تثبت عكس ما أقول، أي أن ما نزل من القرآن الكريم في السنوات الثلاث الأولى من الدعوة كان أقل بكثير مما قدر بلاشير أو أن مبادىء الإسلام الأساسية لم ترد فيه أو أن الرسول ﷺ كان يأمر أصحابه بألا يذيعوا القرآن الذي تلقوه منه، أو أن ما نزل من القرآن الكريم في السنوات الثلاث الأولى ليس فيه رد على دعاوى الكفار أو تهديد لهم، أثار مسائل مثل:

## بلاشير

٦ - كيف تأخذ بترتيب بلاشير وتتجاهل كل التراث الإسلامي والعربي مما قدمه العلماء المسلمون على مدى تلك القرون المتطاولة؟

وإجابتي عن هذا السؤال هي:

أ - أن التراث الإسلامي والعربي لم يتفق على ترتيب واحد لسور القرآن الكريم، وهناك - فضلا عن ترتيب المصحف - بدل الترتيب ستة لعلماء مختلفين.

ب - أن الأستاذ ريجي بلاشير، الذي توفي عام ١٩٧٣ كان واحدا من أكبر المستشرقين الفرنسيين في العصر الحديث، إن لم يكن أكبرهم وقد ترجم القرآن الكريم إلى الفرنسية ووضع ترتيبا لسوره اعتمد فيه على أعمال العلماء المسلمين والعلماء الألمان، الذين كان لهم باع طويل في هذا الموضوع، وشفع

ترجمته للقرآن بمقدمة قيمة له. وقد ألف كتابا صغيرا عن الرسول ﷺ وآخر عن مشكلة كتابة السيرة المحمدية أفدت منه في بحثي، وكان الأستاذ بلاشير يتردد كثيرا على مصر، وكانت له اتصالات عديدة بعلماء الأزهر الشريف، ولم يعرف عنه أنه كان معاديا للإسلام، وكانت جامعة القاهرة تدعوه أحيانا لإلقاء محاضرات فيها. وكان مديرا لمعهد الدراسات الإسلامية بباريس وأستاذا للفلسفة الإسلامية في جامعة السوربون العريقة «التي تفرعت عنها جامعة السوربون الجديدة التي قدمت إليها رسالتي»، وقد وجدت من اللائق والمفيد أن أستخدم ترتيب سور القرآن الكريم الذي وضعه الأستاذ بلاشير نظرا لأني استخدمت ترجمته للقرآن في رسالتي، ونظرا لمكانته العلمية في فرنسا، ولأنه كان أستاذا في الجامعة التي فتحت لي أبوابها، وأتاحت لي فرصة تقديم دراسة علمية تصحيحية عن كتاب في سيرة رسول الإسلام.

جـ - أن الجامعة الأزهرية كانت توفد إلى جامعة السوربون، التي كان الأستاذ بلاشير من أعلامها، بعض خريجيها للحصول منها على درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، وقد ذكر الأستاذ الدكتور عبدالعظيم المطعني أسماء بعض هؤلاء العلماء، في أحد مقالاته عن كتابي في صحيفة «عقيدتي» مثل الدكتور عبدالرحمن تاج شيخ الأزهر الأسبق، والدكتور محمد عبدالله دراز عضو جماعة كبار العلماء وأحد أعلام الأزهر في العصر الحديث، والدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر في السبعينيات، ويمكن أن يضاف إليهم الدكتور عبدالحليم محمود، الذي تولى هو الآخر مشيخة الأزهر الشريف، وبين جامعة السوربون والجامعات المصرية علاقات ثقافية مختلفة في الوقت الحاضر وتضم مدرجات هذه الجامعة والجامعات المتفرعة عنها كل عام آلافا من الطلبة العرب والمسلمين، بعضهم من مبعوثي الدول العربية والإسلامية، وتقدم إليها عشرات من رسائل الدكتوراه سنويا في فروع الدراسات العربية والإسلامية.

## على طريق التلاعب بالقرآن الكريم

تحت هذا العنوان يقرر الدكتور عوضين أن اندفاعي إلى غايتي الأصلية وهي نسف السيرة النبوية، دون أن يمنعني من ذلك عقل أو قيم أو دين، جعلني أوظف القرآن الكريم في تحقيق مقصدي بتأويل ما جاء في سورة البروج من حديث عن قصة أصحاب الأخدود.

والمجال لا يتسع هنا لعرض جميع الأسباب التي حملتني على الشك في أن يكون أصحاب الأخدود هم نصارى نجران الذين قتلهم ذو نواس ملك اليمن اليهودي لأنهم رفضوا اعتناق اليهودية، وترجيح أن يكونوا

شهداء، من المسلمين أحرقوا في أخدود حفر بمكة لأنهم رفضوا أن يفتنوا عن دينهم، وقد أعددت في هذا الموضوع بحثا أرجو أن ينشر مع غيره في وقت قريب، وأكتفي بأن أذكر هنا من هذه الأسباب سببين:

الأول هو أن وصف «المؤمنين» في القرآن الكريم ينصرف دائما إلى المؤمنين بدين محمد ﷺ، والثاني هو أن رقم عشرين ألف قتيل من نصارى نجران، الذي يذكره ابن إسحاق، يعادل أربعين مثلا لمجموع من قتلوا في حروب الرسول ﷺ، من المسلمين والكفار، أجل أربعون مثلا!!

ومما هو جدير بالذكر في هذا الخصوص أن د. إبراهيم عوض، الذي يخالفني، مثل د. عوضين، في كل ما قلته عن سيرة ابن إسحاق، تناول موضوع أصحاب الأخدود بحذر شديد، فهو يقول إن كتب التاريخ والتفسير والسيرة تشير عند تعرضها لهذه الحادثة إلى ملك قديم «من العرب أو من غيرهم» كان يضطهد طائفة من رعاياه آمنوا بدين غير الدين الذي كان يعتنقه هو ورجال دولته فأضرم لهم نارا في حفرة ورمى بهم فيها عقابا لهم على انشقاقهم على دين الدولة الرسمي، وهو يرى إن ما تقوله الكتب المذكورة معقول جدا ولكن على أن يفهم أن النصارى المضطهدين في هذه القصة كانوا من الموحدين لا من أهل التثليث، وإلا لما وصفهم الله بالمؤمنين. (الصفحات ٦٧ : ٦٩ من كتابه) فالدكتور يتحفظ إذن بالنسبة للحاكم وبالنسبة لضحاياه وبالنسبة لباقي عناصر القصة.

**وكلمة أخيرة:**

يقول الدكتور إن وهم خيالي المريض جعلني أملأ مائة وخمسين صفحة من كتابي بافتراضات مؤسسة على قولة (لابد). وهذا غير صحيح، فإن أكثر استخدامي لهذا التعبير لم يكن في معرض التحليل، الذي يشغل الجانب الأكبر من رسالتي، ولكن في معرض استخلاص النتائج. وقد أكثرت - لدرجة الإفراط - في استخدامه لكي يدرك القارئ أن الاستنتاجات التي خرجت بها من التحليل ليست جزما يقينيا بشئ، وإنما هي ترجيحات ظنية تحتمل الخطأ، وما كان يمكن أن تكون غير ذلك.

وهذا التعبير مألوف عند المؤرخين والنقاد في الغرب في معالجتهم لأشياء لا تؤيدها وثائق ولا تقوم عليها شواهد أو أدلة قطعية، لا سيما حين يتعلق الأمر بالتاريخ القديم. والتحفظ الذي ينطوي عليه هذا التعبير يقابل ذلك الذي نجده عند المؤرخين والفقهاء المسلمين في عبارة «والله أعلم».

***







عالم المعرفة

١٤٩

# ماهية الحروب الصليبية

تأليف الدكتور
قاسم عبده قاسم

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

عرض وتقديم

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

فى أعقاب ما أصاب الولايات المتحدة الأمريكية فى ١١ من سبتمبر سنة ٢٠٠١ جهر كثير من زعماء أمريكا ودول الغرب بما كانوا يضمرونه من عداوة وحقد على الإسلام والمسلمين، فلم يتورع كبيرهم عن التصريح بالدعوة إلى التحالف لحرب الإسلام والمسلمين بدعوى أنه بذلك يحارب الإرهاب والإرهابيين، ثم عاد هؤلاء جميعا، فزعموا أنهم ما أرادوا بما قالوا حقيقته، ولكنهم قصدوا جماعة محدودة جدا من بين المسلمين، هم الذين يدانون بالإرهاب والتعصب.

وقد بات كثير من المسلمين فى حيرة من أمر هؤلاء القادة الكبار حتى تفرق أمر المعلقين المسلمين حول ذلك بين مصدق مزاعم قادة الغرب بأنه سبق اللسان، ومكذب هذا الزعم، مستقر على أن الحقد الدفين استغل الموقف، فطفا على السطح، وجرى على الألسن فى هيئة تلك التصريحات المتوالية، فما أن صدر من الرئيس ، جورج بوش ، تصحيحه حتى بادرنى صديق سبق له الحوار معى فى ذلك قائلا: ألا تجد فى هذا التصحيح تأكيدا لما قلته لك من أنه لم يقصد بما قاله عن الإسلام والمسلمين تعميم الحكم، ولكن انفعاله أمام الحادث أنطقه بما قال؟

قلت: مهلا يا أخى، فالذى اعتدناه من هؤلاء الغربيين يؤكد أنهم ينطوون على تعصب أعمى ضد الإسلام، وحقد مرير عليه وعلى المسلمين، فهم ليسوا من السذاجة بالدرجة التى يندفعون معها إلى تعبير يخالف عقيدتهم، خصوصا أولئك الذين أقاموا حياتهم على النفعية البراجماتية.

ولو أمعنت النظر فى الظروف التى واتت هذه الأحقاد لتطفو على السطح، وتبرز من مكامنها ، والظروف التى أحاطت بهؤلاء الزعماء والقادة، فنفوا قصد الإساءة إلى الإسلام والمسلمين، وادعوا أنهم لا يكنون للإسلام والمسلمين إلا كل الخير لوجدنا اختلافا بينا بين هذه الظروف وتلك.

فهم فى الحالة الأولى يخاطبون شعوبهم ليدفعوها إلى كراهية الإسلام، ومعاداة المسلمين، وبذلك يضمنون استنفار شعوبهم ليضحوا فى سبيل تلك الحرب بأموالهم وأبنائهم، كمايضمنون ما هو أهم من ذلك، وهو صرف الكثيرين منهم عن الإقبال على الإسلام، فلقد طالما أقلقهم ما لاحظوه فى الأيام الأخيرة من أحاديث طيبة واعية عن الإسلام، مما كان وراء دخول كثيرين من بينهم فى الإسلام عن يقين وإيمان بأنه المرفأ الأصلح الأمن فى هذا الزمن المضطرب الرهيب.

وهم فى الحالة الثانية يجعلون من خطاب المقاصد حقنة مخدرة يحقنون بها المسلمين ليضمنوا سكوتهم على عربدتهم، إن لم يضمنوا عونهم على تلك العربدة.

ولا تظن يا أخي أن في هذا الكلام مبالغة، أو أن في هذه النظرة انحرافا وتجنيا على الحقيقة، فعلاقة الغربيين بالإسلام والمسلمين منذ نحو ألف عام تقرر هذا في إجماله وتفصيله، وماعلينا إلا أن نصيخ السمع لما يصيح به تاريخ الحروب الصليبية لنتأكد من أن الحركة الصليبية حركة استعمارية استيطانية تمثل السابقة الأولى لمحاولة استعمار العالم العربي بضرب الإسلام تحت راية الدين المسيحي، وتحت شعار الصليب، وتذكرنا دوافعهاوأطوارها ونتائجها بالحركة الاستيطانية الصهيونية التي تتخذ من الدعاوى التاريخية الدينية تعليلا لها.

من هنا.. وجدت المناسبة تفرض علينا أن نستعرض واحدا من الكتب التي تناولت أطوار الحروب الصليبية وأهدافها في إيجاز غير مخل.

## ماهية الحروب الصليبية.. الكتاب والكاتب

أما الكتاب فهو من إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت - سلسلة عالم المعرفة، رقم ١٤٩ في شوال سنة ١٤١٠هـ مايو ١٩٩٠م، ويشغل ستا وخمسين ومائتي صفحة من القطع المتوسط، ويضم مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة.

وأما الكاتب فهو الدكتور قاسم عبده قاسم، وهو - كما جاء في ذيل الكتاب - من مواليد القاهرة، حصل على الدكتوراه من جامعة القاهرة ١٩٧٥، عمل أستاذا بقسم التاريخ بجامعة الزقازيق ٨٤ - ١٩٨٧م، وحصل على جائزة الدولة التشجيعية من مصر ١٩٨٣م، وحصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى من مصر سنة ١٩٨٣م، وله كثير من المؤلفات التي تدور حول تاريخ الحروب الصليبية، ويعمل حاليا - يعني سنة ١٩٩٠م - أستاذا بجامعة الكويت.

والكتاب ليس تاريخا للحروب الصليبيةولكنه بحث في الأفكار التي وجهت لها، والدوافع التي دفعت إليها، والنتائج التي تخلفت عنها، فهو إلى فلسفة التاريخ أدنى منه إلى التاريخ.

ولقد حرص المؤلف على أن يعتمد على الوثائق القديمة والحديثة قدر الإمكان، وأن يستقرىء ما قدمه المؤرخون الأوروبيون والعرب على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم منذ بدات تلك الحروب، وأن يوازن بين ما يقال وما وقع بالفعل بعد أن يربط الأحداث بعضها ببعض.

فالمؤلف يحاول التعرف على التفكير الأوروبي الذي أفرز تلك الحروب، والوقوف على الدوافع والأسباب التي دفعت عجلة أحداثها، والظروف التاريخية التي أحاطت بها، ثم الوقوف على آثارها في العالم العربي الذي عاني من جراء وقائعها على مدى أكثر من قرنين من الزمان.

والمؤلف - في محاولاته تلك - يومىء إلى العلاقة بين تلك الحروب، وما يتعرض له المسلمون اليوم في الأرض العربية وغير العربية من غزو غربي صهيوني، تحت مختلف العناوين والمصطلحات.

## ارتباط الحرب بالصليب

وفي الفصل الأول «فكرة الحروب الصليبية.. منظور تاريخي» يذكر المؤلف أن هذه الحروب ارتبطت بالصليب بعد حوالي قرن ونصف من بداية أحداثها، ليكشف التناقض بين ما يرمز إليه الصليب من الفداء والتضحية بالنفس في سبيل



الآخرين، وما امتزجت به أحداثها من القسوة والوحشية والتدين المشوب بالتعصب.

ويذكر أن تلك الحرب كانت في البداية تتخفى وراء الستار الديني فكان من يشاركون فيها يوصفون بأنهم حجاج، وكان يطلق في الغالب على الحملة «رحلة الحج».

ومع ذلك.. فلقد وسمت هذه الحروب في كثير من كتابات المؤرخين اللاتين الذين عاصروها بأسماء مختلفة منها: «الحملة، والرحلة إلى الأرض المقدسة، والحملة العامة، ومشروع يسوع المسيح».

كما أن مؤلفاتهم جميعًا خلت من ذكر كلمة «الصليبيين» أو «الحملة الصليبية»، ولكنها دارت حول الحملة، أو «حجاج البيت المقدس» أو «الفرنج»، وعلى الرغم من الفشل النهائي الذي منيت به هذه الحرب، تحول المثال الصليبي بمرور الوقت - بفعل الخداع الإعلامي - من العمل في خدمة الاستعمار الأوروبي، إلى مثال براق خير يوحي بالتضحية بالنفس في سبيل المثل الأعلى، حتى أصبح مصطلح «الحملة الصليبية» يستخدم بهذا المفهوم النبيل، والخير والعادل.

ويذكر المؤلف أن الأدبيات العربية القديمة التي تناولت تاريخ الحركة الصليبية لم يستخدم فيها مصطلح «الصليبيين» أو «الحملة الصليبية» أو «الحرب الصليبية»، وإنما عبر عن ذلك بعبارات مثل «حركة الفرنج»، كما وصفوهم على الدوام بكلمة «الفرنج».

وعندما بدأت من جديد في القرن التاسع عشر محاولات النهوض الثقافي والفكري في العالم العربي - بعد أن توقف مدة طويلة - وقع كثيرون من المؤرخين والأدباء العرب فريسة الانبهار بالتقدم الأوربي، فبدأوا يستخدمون مصطلح «صليبي»، و«حملة صليبية»، و«حروب صليبية» في تناولهم للظاهرة التي درج أسلافهم على معالجتها تحت مصطلح «الفرنج»، و«حركة الفرنج».

ويعلق المؤلف على ذلك بأن مكمن الخطورة في هذا التغيير أنه يوحي بأن هذه الحركة كانت حركة دينية ترتبط بالصليب رمز المسيحية ولا تضعها في إطارها الصحيح باعتبارها مغامرة استيطانية متعصبة، كما إن هذا التغيير - من ناحية أخرى - يظلم المسيحيين الشرقيين الذين عانى كثير منهم من وحشية الفرنج وعداوتهم.

## الأفكار التى أفرزت هذه الحروب

ومن النظر في التطور التاريخي في العقلية والوجدان الأوربيين بسماته الثقافية المعروفة في العصور الوسطى يقفنا المؤلف على أن الأفكار التي أفرزت هذه الحروب تولدت عما شاع في أوروبا الغربية من قرب نهاية العالم، مع اكتمال الألف الأولى بعد المسيح، حيث ظهر في عدة أماكن في أوروبا الغربية بعض ظواهر فلكية وطبيعية، مثل ثورة بركان فيزوف في إيطاليا رآها الناس دليلاً على اقتراب نهاية العالم، وساعد على نشر هذه الشائعات ما كان عليه الأساقفة والقساوسة من تدن في مستواهم الفكري، وسلوكهم الأخلاقي، وما كان عليه الغرب الأوروبي من جهل جعل الدين عندهم مزيجًا من الخرافة، وطقوس عبادة الطبيعة، وبعض تعاليم الكنيسة ويسر لديهم رد الظواهر الطبيعية إلى قوى غيبية من ناحية، وربطها باقتراب نهاية العالم والأفكار الألفية الأخرى من جهة أخرى.






وفى ظل سيطرة المشاعر الألفية والأخروية على وجدان الناس أصبحوا تواقين لضمان الخلاص الذى تحول إلى التأكيد على ضرورة الرحلة إلى بيت المقدس.

ومن هنا تداول الناس ـ على اختلاف مشاربهم فى غرب أوروبا الكاثوليكية ـ أخبار الإشارات المقدسة، مثل هجوم الجراد بشكل وبائى، والنجوم التى أمطرتها السماء، وغير ذلك مما ربطه الناس بما جاء فى سفر الرؤيا.

ويروى المؤلف عن «بلدريك الدوللى» أن هذا الخبر الذى ارتبط بسفر الرؤيا لم يكن نتيجة الدعوة الرسمية التى وجهتها البابوية إلى الفرسان الإقطاعيين للمشاركة فى الحملة الصليبية، وإنما كانت نتيجة استجابة الفقراء السريعة التى تمخضت عن معاناتهم بسبب تدهور المحاصيل فى السنوات القليلة التى سبقت خطبة البابا «أربان الثانى»، إذ كان من السهل عليهم أن يرحلوا من بلادهم بحثا عن خلاصين، خلاص دنيوى من الفقر، وخلاص أخروى من جزاء الخطايا، وبحثا عن سبيل يوصلهم إلى مستقبل أفضل، وهو مستقبل حملته الجموع الجاهلة بأحلام أخروية غامضة.

وعلى الرغم من أن هذه الأفكار والتوقعات التى دارت حول اكتمال الألف الأولى فى التقويم المسيحى، وما أفرزته من أخبار المعجزات والخوارق والأحلام المقدسة كانت كل هذه الأفكار من روافد «الأيديولوجية» التى صاغت الحملة الصليبية، إلا أنها فى التحليل الأخير لم تكن عامل الحسم فى الوصول إلى صيغة الحملة الصليبية، وإنما كان الفضل فى ذلك راجعا إلى تسليح الحج المسيحى من ناحية، وفكرة المكافأة التى ينالها الصليبى من ناحية أخرى.. تلك التى تطورت لتصل إلى صكوك الغفران.

ومن ناحية أخرى لعبت تجارة «الذخائر المقدسة» دورا هاما فى إثارة الاهتمام بالأرض المقدسة فى الغرب الأوربى، من رفات القديسين وملابسهم، وأدواتهم الشخصية.

هذا إلى أن عجز الكنيسة عن التصدى لتيار الحج العاطفى الذى ظل يجذب الناس فى غرب أوروبا إلى الأرض التى شهدت قصة المسيح.. هذا العجز جعلها تلجأ إلى اختراع الحج التكفيرى «حج التوبة» ليكون عقوبة كنسية على الجرائم الكبرى، مما كان سببا فى تزايد الناس فى الإقبال على المشاركة فى رحلات الحج.

وبذلك استقر فى ضمير الناس فى غرب أوروبا فى القرن الحادى عشر الميلادى، أن رحلة الحج تتويج لحياة المرء، يتمنى المتدينون أن تكون هى الخاتمة المناسبة لرحلتهم فى الحياة الدنيا، فكثرت تلك الرحلات.

من ذلك يرى المؤلف أن الحملة الصليبية كانت التطور المنطقى للحج المسيحى إلى فلسطين، إذ لم تكن فكرة الحملة الصليبية لتطرأ على بال أحد لو لم تكن رحلات الحج الكاثوليكية قد استمرت منذ فترة باكرة، وحتى أخريات القرن الحادى عشر.

وهكذا اختلطت فكرة الحج بفكرة الحملة الصليبية، وأصبحت كل منهما تعنى الأخرى فى بداية الحركة الصليبية، ثم توارت فكرة الحج فى الخلفية، على حين صارت فكرة الحملة الصليبية تعنى «جندى الرب» فكان الغفران استجابة لحاجة






الناس التواقين إلى الخلاص من ناحية، واستجابة لمتطلبات الحركة الصليبية من ناحية أخرى.

ثم حدث تطور جديد وهام، فقد صارت البابوية تمنح الغفران لمن يرسلون المحاربين بدلا منهم، ولمن يساهمون بأموالهم في تمويل إحدى الحملات الصليبية، عوضا عن المشاركة بأنفسهم.

ونتج عن توسع البابوية في استخدام الفكرة الصليبية في شن الحرب ضد خصومها داخل أوربا الكاثوليكية نفسها.. فتح الباب على مصراعيه أمام فكرة شراء الغفران بالمال، وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور مشكلة صكوك الغفران التي ثار ضدها مارتن لوثر فيما بعد.

ومن هنا.. كانت الدعوة إلى أي حملة صليبية تبدو في نهاية القرن الثالث عشر للكثيرين من رجال الكنيسة والعلمانيين مجرد وسيلة لجمع الأموال للبابوات والفرسان لاستخدامها في عدة أغراض لا تتصل بالحرب ضد المسلمين في فلسطين.

ويرى كثير من الباحثين أن «جريجوري السابع» هو الذي صاغ فكرة الحرب المقدسة في شكلها النهائي، وأحدث نقلة نوعية في موقف المسيحية من الحرب، وقد استخدم عبارة جيش المسيح للمرة الأولى بالمعنى الدنيوي، وليس المعنى المجازي الذي استخدمه القديس بولس.

## تحالف المنتفعين للدعوة إلى الحملة

وفي الفصل الثاني «الظروف التاريخية والدوافع» ذكر المؤلف أن أوربا حتى القرن الحادي عشر كانت مجرد منطقة جغرافية لم تتشكل بعد على المستوى السياسي وأنها كانت مجرد منطقة ريفية متخلفة بالقياس إلى العالم البيزنطي، والعالم العربي الإسلامي، إذ كان حضارة هذين العالمين قد وصلت إلى قمتها، وبدأت في التآكل، بسبب الصراع الداخلي بين البيزنطيين، وبسبب التشرذم السياسي في العالم العربي الإسلامي رغم احتفاظه بإمكانياته العسكرية والبشرية الهائلة، وثرواته الأسطورية، بينما كانت الكنيسة الكاثوليكية في أوربا تسعى لفرض السيادة المطلقة على العالم المسيحي متضامنة مع العلمانيين الذين خضعوا للتنظيم الإقطاعي، والذين كانوا يتوقون إلى توسيع سلطاتهم وأملاكهم على حساب الملكية، ومع البرجوازيين الناشئين الساعين لفرض سيطرتهم على تجارة البحر المتوسط، وتجارة العالم.

ومن تضامن هذا الثالوث برزت الدعوة إلى غزو العالم العربي الإسلامي استجابة للفكرة الصليبية، وفق التفسير الخاص الذي يناسب مصالحهم وساعد هؤلاء في تحالفهم أن أوربا قد أيقنت في ذلك الوقت أن طاقتها الحضارية النامية أكبر من أن تستوعبها أراضيها الضيقة، فأخذت تسعى لإيجاد منافذ خارجية لها، وقد كان هذا هو أهم أسباب التوسع الذي شمل جهات عديدة.

وقد شهدت السنوات العشر التي سبقت الدعوة إلى الحملة الصليبية الأولى سلسلة متصلة من الفيضانات والمجاعة، والأوبئة الفتاكة، فكان من الطبيعي أن يكون رد فعل الناس التعلق بأهداب الدين، أو محاولة التكفير عن الذنوب، والتجمع حول الزاهدين والنساك بحثا عن الخلاص، ولذا راقت الدعوة التي وجهها البابا لشن حملة صليبية ضد المسلمين في عيون الفلاحين والفقراء، ورأوا فيها نبوءة تعدهم بالخلاص، خصوصا أنهم كانوا



يستمدون معلوماتهم من قساوسة الأبرشيات الأميين، فكانت كلها معلومات تتسم بالجهل والتعصب، والتزمت المقيت.

وهكذا كانت الأوضاع الاجتماعية المحبطة، والجو الفكرى المشبع بالخرافات، والتدين العاطفى، والتعصب الأعمى من أهم الدوافع التى حركت المقهورين من أبناء الغرب الأوربى فى القرن الحادى عشر الميلادى إلى المشاركة فى الحملة الصليبية وكانت هذه الحملة تعنى بالنسبة للفلاحين وعامة سكان المدن الذين ساهموا فيها شيئا يختلف عما قصده البابا.

أى أن رغبة بعض الأفراد فى المغامرة والنهب، مع تطلع رجال الكنيسة إلى السيطرة، قد اجتمعا لدفع عامة الأوربيين للقيام بتلك الحملة، سعيا وراء التوسع، وبحثا عن فرصة لحياة أفضل تحت سماء الشرق ومحاولة للفوز بالثروة الطائلة التى ينعم بها العالم الإسلامى، وقصدا للحصول على دور المسلمين فى تجارة العالم، فتجمعت كل هذه القوة ـ الفلاحون والفرسان ورجال الكنيسة ـ فى شبكة واحدة للتوسع والنمو فى مشروع الحملة الصليبية الذى طرحه البابا «أربان الثانى» فى خطبته التى ألقاها فى ٢٧ من نوفمبر سنة ١٠٩٥م.

## وقوع العرب فريسة للتمزق السياسى والتناحر العسكرى

وكما أظهر المؤلف دوافع التحالف بين رجال الكنيسة والإقطاعيين، والبرجوازيين ـ على الرغم مما بينهم من تنافر ـ للقيام بتلك الحملة الصليبية، أظهر فى المقابل ما كان عليه العرب من تمزق سياسى وتناحر عسكرى كان له الفضل الأكبر فى تحقيق انتصارات الحملة الصليبية الأولى والاستيلاء على الإمارات العربية والإسلامية الصغيرة فى بلاد الشام.

ففى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى كان المسلمون فى المنطقة العربية موزعين فى ولائهم السياسى بين الخلافة العباسية السنية فى بغداد، والخلافة الفاطمية الشيعية فى القاهرة.

وقبل الحملة الصليبية الأولى كانت كل مدينة كبيرة فى بلاد الشام إمارة مستقلة، تحت حكم حاكم عربى، أو حاكم تركى سلجوقى، وكانت مشاعر الحقد والشك المتبادلة بين هذه الكيانات السياسية الصغيرة سببا فى العداء السياسى والعسكرى والذى نشأ عنه تنافر هذه القوى، وعدم توحدها فى جبهة تواجه الغزو الصليبى، بل كانت سببا فى تورطها فى الحروب المنهكة على مدى قرن كامل قبل قدوم الصليبيين، فلما قدموا لم يكن لدى الحكام العرب سوى ميراث طويل من الشك والمرارة يسود علاقة بعضهم ببعض.

ومن هنا.. مضت قوات الصليبيين كما تمضى السكين فى قطعة الزبد، فسقطت الإمارات العربية واحدة تلو الأخرى، مما أحدث صدمة عنيفة لجميع القوى الإسلامية أثارت فيهم الفزع والاضطراب.. ومع ذلك فإن الأنانية وضيق النظر جعل تلك الصدمة وذلك النذير بدون فائدة.

## اندفاع أوربى جارف للحملة الأولى

وفى الفصل الثالث «الحملات الصليبية.. عرض تاريخى» قدم المؤلف عرضا تاريخيا للحملات الصليبية بدءا من الحملة الأولى، وانتهاء بالحملة السابعة مبينا ما كان وراء كل حملة من

دوافع، وما كان لها من مقاصد، وما ووجهت به من مقاومة عربية إسلامية، فأبرز دور الخطبة التي ألقاها البابا «أربان الثاني» في إثارة الجماهير الأوربية، مستغلا سلطته الدينية، في تفسيره لبعض النصوص الإنجيلية، فقد دعا في هذه الخطبة إلى حملة مقدسة هدفها فلسطين، زاعما أنه يدعو إلى ذلك باسم الرب، لأنه نائب عنه في الأرض، ومستثيرا الفرخ بامتداح شجاعتهم وقدراتهم القتالية، والتذكير بأمجاد أسلافهم، وواعدا بمنح غفران جزئي لكل من يشارك في هذه الحملة سواء مات في الطريق أو قتل في حرب المسلمين، مرددا، Deus lo Volt أي الرب يريدها، فأصبحت شعارا يردده الصليبيون في كل معاركهم ضد المسلمين.

وكانت استجابة الناس من أبناء الطبقة الدنيا في غرب أوربا سريعة وحماسية، كما كانت بمثابة صدام حضاري وسياسي بين البيزنطيين ورجال الحملة الصليبية، وعلى الرغم من زعمهم أنهم جاءوا لنجدتهم، إذ كان عليهم أن يعبروا إلى الشرق العربي مدينة القسطنطينية الجميلة، بوابة الشرق، والمدخل الكبير إليه.

وأمام التشرذم السياسي للحكام العرب، صادفت الحملة أنسب الظروف لتحقيق انتصار سريع لم يخطر لهم ببال، تمكنوا من اقتحام مدينة القدس، يوم الجمعة ٢٢ من شعبان سنة ٤٩٢ هـ. ١٥ من يوليو سنة ١٠٩٩، فعاثوا فيها فسادا وظلوا بين النهب والقتل عدة أيام، حتى فاض الدم في الشوارع وظلت الجثث مطروحة عدة أيام.

هكذا أسفرت الحملة الأولى عن قيام مملكة بيت المقدس وإمارتين صليبيتين في الرها وأنطاكية.

ولما أدرك الأوروبيون أنهم أقل كثيرا من العرب والمسلمين أصحاب البلاد، عملوا على تشجيع الهجرة الأوروبية إلى فلسطين، كما إن أخبار النجاح شجعت عناصر أوروبية جديدة على القدوم إلى الشرق، سعيا وراء المغانم التي شاعت أخبارها.

## مع التحــول الإســلامي في مواجهة الحملات الأخرى

وكان رد الفعل الإسلامي منطلقا من جماهير الناس العاديين، فشكل رأيا عاما قويا بدأت على أثره الدعوة إلى الجهاد تسري بين الناس بسرعة كبيرة، وكانت ثمرة ذلك ظهور عماد الدين زنكي ليقود حركة الجهاد والمقاومة العربية بعد أن تغلب على النعرات الفردية، والانعزالية في بلاد الشام والعراق، والجزيرة، وأصبح الطريق ممهدا أمامه لتوجيه ضربة قوية للصليبيين سنة ٥٣٩ هـ. ١١٤٤م.

ولكن الأوروبيين بدأوا يدعون إلى حملة أخرى سنة ١١٤٥م. فتجمعت قوات «كونراد الثالث» إمبراطور ألمانيا، وقوات لويس السابع ملك فرنسا بعد أن أخذا شارة الصليب، فوصلت القوات في أواخر سنة ١١٤٧، وبداية سنة ١١٤٨ مشكلة الحملة الثانية، لتلقى على أيدي المسلمين هزيمة فادحة، نجا منها الملك الفرنسي من الأسر والقتل بأعجوبة، بعد تمزق جيشه.

ومع توحيد الجهة الشمالية تحت قيادة نور الدين محمود، واستمرار هجماتها ضد الصليبيين اتجهت الأنظار إلى مصر التي كانت تعاني من الضعف السياسي آنذاك، ولكنها بمواردها البشرية والاقتصادية الكبيرة كانت كفيلة بترجيح كفة من يضمها إلى جانبه.

ومن هنا عمل نور الدين محمود على أن يسبق الصليبيين ليضمها إلى صفه دون انتظار لنهاية الدولة الفاطمية، فنشب صراع عنيف بينه وبين الملك الصليبي «أماليك» المشهور باسم «عموري» الذي نتج عن فشله في محاولاته تقلص الموارد البشرية والمادية لمملكة بيت المقدس اللاتينية من جهة، وتغيير خريطة العلاقات السياسية لصالح القوى العربية الإسلامية من جهة أخرى.

وبموت نور الدين محمود وانفراد صلاح الدين الأيوبي بالسلطة في مصر الذي تمكن من توحيد الجبهة العربية الإسلامية، وتحقيق الانتصار على زهرة جيوش الفرنج عند حطين في ٢٤ من ربيع الآخر سنة ٥٨٢ - ٤ من يوليو سنة ١١٨٧م. فقدت مملكة بيت المقدس قواتها العسكرية الرئيسية، ولم يتبق بأيدي الصليبيين سوى «صور - أنطاكية - طرابلس» وبعض القلاع والحصون المتناثرة في بلاد الشام.

عندئذ قام البابا «جريجوري الثامن» بإرسال خطاب بابوي لكل المؤمنين في الغرب يحضهم على التحرك لحرب المسلمين، فتدافعت القوى من كل جانب إلى بلاد الشام لتبدأ معارك الحملة الصليبية الثالثة التي خيبت آمال الأوروبيين والفرنج، وحولت آمالهم إلى إحباط.

ومرت بالبلاد العربية عدة تقلبات، حيث مات صلاح الدين في ٢٧ من صفر سنة ٥٨٩ - ٤ من مارس ١١٩٣، وساد العلاقة بين الأيوبيين شيء من التوتر والخلاف، فتجددت آمال الأوروبيين في الاستيلاء على بيت المقدس، وضرب مصر، ونهض البابا «إنوسنت الثالث» يدعو إلى حملة جديدة يكون هدفها مصر، فبدأ الاستعداد للحملة الرابعة، ولكن الصليبيين بعد تجمعهم توجهوا لحصار القسطنطينية بدلاً من القاهرة.

ثم خرجت من أوربا الغربية حملة عجيبة عرفت باسم «صليبية الأطفال» تعبيرا عن التدين العاطفي الذي ملك على الأوروبيين عقولهم، واستجابة لرد الفعل الشعبي لفشل البابوية وحكام أوربا في أخذ مدينة القدس.

ومع ذلك نهض البابا «إنوسنت الثالث» يدعو لحملة صليبية جديدة، هدفها مصر، لتمكين المدن التجارية الإيطالية من السيطرة على تجارة المتوسط، وضرب المنافسة المصرية، ولتحييد مصر بعد هزيمتها، ولاسترداد الشرف العسكري الذي تمرغ في التراب، بهزيمة حطين.

ولكن هذه الحملة انتهت بهزيمة منكرة، قضت على أحلام الصليبيين في شهر رجب سنة ٦١٨ هـ - سبتمبر ١٢٢١م، فكانت آخر المحاولات البابوية المنفردة لتوجيه حملة صليب.

## البابا يعاقب من رغب في السلام

ويذكر المؤلف أن الصليبيين والبابوات في فلسطين لم يحاولوا الإفادة من سياسة المهادنة التي اتبعها المسلمون بقيادة السلطان الكامل الأيوبي، ولم يستجيبوا لها، ولكن «فردريك الثاني» إمبراطور ألمانيا ١٢١٥ - ١٢٥٠ كان مختلفا، حيث أبدى استعدادا للإفادة من الروح السلمية البادية في موقف السلطان الكامل، لأنه كان واسع العلم، غزير المعرفة، يكن للمسلمين ودينهم وحضارتهم تقديراً كبيراً، فتواصلت المراسلات بينه وبين السلطان الكامل، لتسفر عن قدوم الإمبراطور إلى

فلسطين سنة ٦٢٥ هـ ـ ١٢٢٨م، مما أثار غضب البابا في روما، الذي دعا إلى شن حرب صليبية ضد «فردريك الثاني» بعد أن وقع ضده عقوبة الحرمان، بينما كان الإمبراطور في فلسطين يؤدي واجبه الصليبي الذي تجنب فيه إراقة الدماء وعقد هدنة مع السلطان الكامل مدتها عشر سنوات يتسلم بمقتضاها مدينة القدس وبيت لحم وشريطا من الأرض يصل بين عكا والقدس على أن يبقى في حوزة المسلمين المسجد الأقصى وقبة الصخرة والمناطق الريفية وفي المقابل يتعهد «فردريك» بمنع أي حملة صليبية من أوربا طوال عشر سنوات ثم عاد إلى أوربا في يونيو سنة ١٢٢٩م متوجا ملكا على مملكة بيت المقدس ومحققا كسبا لم تستطع أي حملة قبله أن تحققه، وأمام غضب العالم الإسلامي لهذا الاتفاق بعث السلطان سفراءه إلى كل مكان ليبرروا فعلته.

وفي سنة ٦٤٧هـ ـ سنة ١٢٤٩م تواترت الأنباء عن قدوم حملة جديدة تحت راية الصليب بقيادة «لويس التاسع» لاحتلال مصر وفي العشرين من شهر صفر سنة ٦٤٧هـ ـ ٤ من يونيو سنة ١٢٤٩م نزل الصليبيون قبالة دمياط التي لم تصمد طويلا فنقل السلطان معسكره إلى مدينة المنصورة حيث بدأت حرب العصابات إلى أن أصبح الظاهر بيبرس سلطانا فقاد الجيش في معركة رهيبة قرب فارسكور قضى فيها على الجيش الصليبي وتم أسر «لويس التاسع» حيث بقي سجينا حتى أفرج عنه لقاء فدية كبيرة مع الجلاء عن دمياط.

وكانت تلك الحملة الصليبية السابعة آخر المحاولات الأوربية ضد مصر لكنها لم تكن آخر الجهود الصليبية على أي حال.

وظلت الجهود العربية الإسلامية بقيادة بيبرس ثم بقيادة السلطان المنصور قلاوون تطارد الصليبيين إلى أن انحصروا في عكا وصيدا وعتليت سنة ١٢٨٩م ولما اعتدى بعض الصليبيين الإيطاليين سنة ٦٨٩هـ ـ سنة ١٢٩٠م على المسلمين نهض السلطان لتأديبهم ومع وفاته تولى ابنه الأشرف خليل قيادة الجيش ليقضي على الصليبيين تماما وتنتهي دولتهم في فلسطين تماما.

ومع ذلك ظلت بقايا الصليبيين الذين فروا إلى قبرص ورودس مصدر إزعاج للمسلمين في القرنين الرابع عشر والخامس عشر.

## أبرز آثار الحملات الصليبية

وفي الفصل الرابع «الحصاد، أو أثر الحروب الصليبية في العالم العربي» يذكر المؤلف أن من أبرز آثار الحملات الصليبية إدراك العالم العربي أن مؤسساته السياسية القائمة غير قادرة على قيادته سياسيا وعسكريا ومسارعته إلى فرض صياغة سياسة جديدة تضع الدولة الموحدة بدلا من الكيانات السياسية الهزيلة وتقوم على أسس عسكرية تضع كل الموارد في خدمة المجهود الحربي.

٢ ـ أما آثار تلك الحروب الاجتماعية فقد كانت أكثر وضوحا في بلاد الشام لأن البنية السكانية وعلاقات القوى الاجتماعية والنظام القيمي والأخلاقي قد اهتزت كثيرا نتيجة الاستيطان الصليبي الذي مكث حوالي قرنين من الزمان بالإضافة إلى ما أحدثه استمرار الحروب من تأثيرات.

وكان من آثار ذلك أن أصبحت مصر هي

المعقل الأخير الآمن للحضارة العربية والإسلامية حيث دفعت الغزوات التترية بالكثيرين من أهل العراق والشام إلى مصر، ودفع هجوم الكاثوليك على مسلمي الأندلس بالكثيرين كذلك إلى مصر.

٣- وفي الميدان الأخلاقي كان لتلك الحملات من الإفرازات السلبية ما يفوق إفرازات الحروب العادية فقد امتلأت النفوس بالغضب ومشاعر الإحباط والمرارة.

٤- وفي المجال الاقتصادي عانت الزراعة من التدهور والتخريب في بعض المناطق واضمحلت بعض المدن التي كانت التجارة فيها مزدهرة كما ساءت أحوال الفلاحين.

هذا إلى أن بلاد الشام عرفت عددا من الصناعات والحرف التي اكتسبت لنفسها شهرة تاريخية في العالم المعروف آنذاك بينما تحملت في التجارة الآثار السلبية للحروب الصليبية.

وهكذا يتضح أن الحروب الصليبية كانت صداما عسكريا ومواجهة حضارية طويلة مضنية بين الشرق العربي الإسلامي والغرب الأوروبي الكاثوليكي.

فالكتاب- على وجه الإجمال- محاولة جادة من مؤلفه لرسم صورة شاملة لحقيقة الحركة الصليبية بعيدا عن التفاصيل التاريخية وهو مسعى عقلي- كذلك- للوقوف على الأفكار التي أفرزت تلك الحركة كما أنه نظر فاحص لتبيان الدوافع المتنوعة التي حركتها وتتبع مدقق لإبراز تأثيراتها السلبية في العالم العربي وفي الحضارة العربية الإسلامية بوجه عام.

ولقد بذل المؤلف جهدا شاقا في محاولاته تلك بدت في تقليبه بين خضم هائل من الوثائق القديمة والحديثة وبحر محيط من المراجع والمصادر المتضاربة مع نظر يقظ مقارن بين ما كان وما هو كائن اليوم من أحداث مازالت تغرزها الأفكار والايديولوجيات الصليبية نفسها كان وراء ما يعانيه العالم العربي والإسلامي من تآمر وضغط واستعمار واستيطان وعمل متواصل حتى يظل على جموده الحضاري وخوائه الاقتصادي وفراغه الثقافي.

وعلى الرغم من أن المؤلف حرص كل الحرص على أن يجنب دراسته تلك أسباب التعقيد فقدمها في أسلوب عربي سهل لكنه لم يستطع تجنيب القارئ الخوض في غمار الأحداث التاريخية الكثيرة، بل إن الملاحظ أنه - وقد حاول تجنيب القارئ ذلك - أوقعه فيما هو أخطر وهو تكرار كثير من الأحداث حيث يقدم الحدث مجملا ثم يذكره معززا بالوثائق التي تنبئ به ثم يعود فيذكره عند الموازنة أو استخلاص الأثر أو التعريف بالنتيجة من كل ما يحوج القارئ إلى التأني ومعاودة النظر فيما تقدم.

ومع ذلك.. فالكتاب جهد مشكور يذكرنا مضمونه بأن ما يصنعه الغرب الأوروبي والعصابات الصهيونية اليوم في العالم العربي الإسلامي ان هو الا امتداد لما حاولوه في القرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر الميلادية ويجعلنا نضرع إلى الله أن يوفق أمتنا إلى من يوحد كلمتها ويجمع شملها كما وفقها من قبل ليدفع عنها ما دفعه عنها من قبل والله المستعان في البدء والمنتهى.

دراسات أدبية

صفحات
من تاريخ الإبداع الأدبي
بالمدينة المنورة

د. عاصم حمدان

عرض وتقديم
الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى


د/ عاصم حمدان

**لقد شعر المؤلف بدين أدبي في عنقه حول مدينة رسول الله ﷺ وتاريخها الحافل بأدبائها وشعرائها وأحداثها، فأخرج من الآثار العلمية ما ينبيء عن هذا الحب الخالص مؤلفا ومترجما ومبدعا. ومازال بعد ذلك يحس قصورا فيما أبدع وألف وترجم، فهو يعد القراء بالمزيد، ونحن منتظرون.**

**وقد صدق حين جعل العنوان، صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي بالمدينة، لأن ، من ، التبعيضية هذه تدل على أن التاريخ الحافل للمدينة لا تسعه صفحات كتاب، وحسب المؤلف أن يختار من هذا التاريخ ما يمثل لبنة متواضعة في هذا الصرح الحافل، على أنه أجاد إجادة تامة في كثير مما عناه بالتحليل.**

وفي مقدمة الكتاب وما يليها حديث عمن كتبوا عن المدينة على مر العصور فأحصاهم عدا قدر ما يستطيع إذ أن في رحم الغيب من هؤلاء من لاتزال آثاره مطمورة تسائل الباحثين هاتفة بقول الله:

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾(١).

وفي رأيي أن الدكتور عاصم أصلح من يكتب عن هذه الأسفار كتابة مستفيضة شافية، بحيث يستقل جزء ضاف بهذا المنحى، فيبرز أثر كل مؤرخ، وممن أخذ وما أضاف وما أخطأ فيه وهذا عمل شاق تنوء به العصبة أولو القوة ولكن الثقة في الدكتور عاصم تدفعنا إلى رجائه أن يكون بمقدرته المعهودة مؤرخ المؤرخين، وناقد الموجهين، ومؤلفاته الجيدة ترشحه لذلك عن اقتدار،

وذلك حق لا مرية فيه، وقد آثر الباحث الشاعر «جعفر البيتي» ببحثه الخاص، ودفعه هذا الحب إلى النظر إليه أو إلى شعره على وجه الدقة بمنظار مكبر، حيث ألبسه لباسا فضفاضا كاد يغرق في ذيوله الضافيات، فالشاعر البيتي هو في الحقيقة دون إجحاف ابن عصره، ولم يخرج عن منحى العصر الأسلوبي في شيء مهما نظم القصائد المطولة، التي عدها الباحث العطوف من طراز الملاحم! وقد خالف جمهرة الباحثين في الحكم على شعر هذا العصر بعامة وعلى الشاعر بخاصة حين عد جعفر البيتي استثناء من نفر متواضع زاملوه وساوَوه، وأنا أدله على كتاب تحت عنوان «الأدب المصري في ظل الحكم العثماني» ظهر في الستينيات للأستاذ محمد سيد كيلاني حيث تحدث عن

(١) التكوير (٨).

معاصرين للشاعر مصرا، بلغوا مبلغه المتواضع، وإن لم يسترسلوا مثله استرسالا في نظم الأحداث كما استرسل، وأقول في نظم الأحداث عن عمد فالبيتي في أكثر ما تحدث به عن ما شاهد من المواقف والوقائع ناظم، وقد اعترف الباحث بذلك في بعض تعليقاته، لذلك أجدني مخالفا للدكتور عاصم في محاباته للبيتي، ونحن لا نقسو عليه لأنه ابن العصر، وفضله الأثير في مختاراته الشعرية الطيبة لا في قصائده المنظومة، فقد دل على ذوق واستيعاب وجهد، وحسبه هذا وحبذا لو أعيد نشرها كمختارات البارودي.

وقد كنت أطمع أن يتحدث الباحث أولا عن شعراء المدينة في عهد الازدهار الأول فيتحفنا بنماذج رائعة ممتازة لأمثال عبدالرحمن بن حسان ولأبيه، والنعمان بن بشير، والأحوص، وقيس بن ذريح، وابن قيس الرقيات، ونصيب - الشاعر المهضوم - والحسين بن علي، والعرجي - وإن سكن بالطائف حينا - وابن أراطاة، وابن هرمة، والسري بن عبدالرحمن، وعروة بن أذينة، وعبيدالله بن عتبة بن مسعود، وعبدالله بن الحسن، وجعفر بن الزبير، وهؤلاء وأكثر منهم محتاجون فعلا إلى دراسة شافية مفصلة تبين أثر المدينة في الشعر أيام الديباجة الصافية والطبع الآسر، لأن الذين كتبوا عن هؤلاء الأماثل لم يطيلوا القول بل ألموا به إلمامة الطغرائي بالجزع، هُنا يظهر شعر المدينة رائعا مهيبا زاهرا، لا شاحبا ممتقعًا باهتًا كما نرى في شعر المتأخرين، ومؤرخ الأدب يكتب عن القمم وعن السفوح، لذلك كان من هدف الباحث أن يتحدث مشكورا عن أنوار مشعة ظهرت في ظلمات التقهقر، وهي بما قامت به أدت دورا مشكورا، إذ كانت تشق طريقها الصعب، بين جلاميد الصخور، ونحن نحكم هنا على شعر العصر بأجمعه في مختلف الدول العربية ولا نخص الحجاز بعينه فليس البلاء بواحد.. أما الرائع حقا فهو تلك الفصول النيّرة التي تحدثت عن أعلام المدينة المنورة، وأعظم ما قرأته في هذه الفصول هو ما جاء تحت عنوان «الدور الرائد لحلقات العلم في المسجد النبوي الشريف» فهو تسجيل شاف للحركة العلمية المعاصرة في المسجد النبوي، ويصلح أن يكون فهرسا لكتاب مستقل يبين فضل المسجد النبوي في الحاضر العتيد، مذكرا بما كان من فضله من قبل في عهود الإسلام الزاهرة التي أخرجت حلقاتها مدرسة الإمام مالك الفقهية ومدرسة القراءات التي ترعمها نافع وتلاميذه وبه إشارات طريفة لنوادر علمية دوّى صداها في العالم الإسلامي جميعه، كالمعركة اللغوية التي نشبت بين العلامة البرزنجي والإمام الشنقيطي، وبسببها كتب الشنقيطي الكبير

كتابا حافلا كان له رنة فى مساجد الأزهر بمصر، والزيتونة بتونس، حيث امتد الشرر إلى عالمها الكبير الشيخ سالم أبى حاجب، فليت الدكتور عاصم بهيج بعض طلاب الدراسات العليا بكلية الآداب بجدة إلى تدبيج رسالة علمية عن تاريخ الحركة العلمية المعاصرة فى المسجد النبوى الشريف، لاسيما أن بعض أعلام التدريس قد تحدث عنهم هذا الكتاب فى فصول تالية مثل الشيخ محمد أمين الشنقيطى والشيخ عطية سالم وغيرهما، ومن الشخصيات الأدبية الشجاعة الباهرة التى تحدث عنها الدكتور حمدان شخصية الأستاذ محمد حسين زيدان وقد جعل عنوان حديثه «فارس الكلمة المرتجلة» وهذا ما كنت أجهله لأنى فى قراءتى الكثيرة لآثار الأستاذ زيدان كنت الحظ التأنى الشديد المتريث، الذى يُوحى بإعمال الفطرة، فأفكاره ذات غوص بعيد، ثم هى تحمل تعبيرا صافيا لا يتاح للكاتب بديهة، إذ لابد حينئذ من إعمال الروية، لذلك قرنه مؤرخه بالأستاذ مصطفى صادق الرافعى، وهو أستاذ البيان العالى فى أرقى مصاعده، وأعمق أغواره، وقد غاب عن عينى ما كنت أنتظره من حديث وافٍ عن الأستاذ عبدالقدوس الأنصارى - رحمه الله - فهو جدير بفصل مستقل، ومجده الأدبى أوضح من أن يشار إليه، بل هو أولى وأجدر من كثير بشهادة الواقع الذى لا يمترى فيه.

هذا وقد ذكرنى قول جعفر البيتى من ١٥٣

رأى البق من كل الجهات فراعه
فلا تنكروا إعراضه وامتناعه

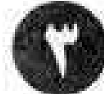
بقصيدة رنانة لابن النحاس من شعراء العصر المتحدث عنه، وممن أقاموا بالمدينة المنورة وقتا طويلا، ودفن بالبقيع فى الثانى عشر من صفر سنة ١٠٥٢هـ، قال ابن النحاس فى مطلعها:

رأى اللوم من كل الجهات فراعه
فلا تنكروا إعراضه وامتناعه
ولا تسألونى عن فؤادى فإننى
علمت يقينا أنه قد أضاعه

والقصيدة طويلة وهى روح مضرجة بالدم كما يقول الدكتور زكى مبارك - رحمه الله - وقد غنتها أم كلثوم فى عهدها الأول، ومن يدرى فقد يكون البيتى قد استعان بغيرها.

وبعد فهذه خطرات سريعة عن كتاب قيم نرجو أن يكون طليعة لكتب فائقة من هذا الطراز، وأشكر للمؤلف تفضله بإهداء كتابه إلىّ، وقد عهدت لديه نبلا يفسح صدره لقبول بعض ما ذكرت.

# القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة



للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

**وياخذ فتحى رضوان طرف الخيط من سلفيه: طه حسين، وسيد قطب، ويحاول أن يضىء فى كتابيه: (الإسلام والمذاهب الحديثة) و(القصة القرآنية) بعض خصائص النوع القصصى كما ورد فى القرآن الكريم، مع مُسَلَّمة انه ينطلق فى بحثه من منطلق إيمانه بخصوصية القَصِّ القرآنىِّ، ويَعْبُرُ - واثقاً - فوق موضوعات القصة كما تلوح فى إبداع البشر، وكما يؤصل لها الفكر النقدى فى القديم والحديث.**

**ولعله كان أميل الثلاثة إلى إيجاز خصائص القصة القرآنية، ربما فى سطور لينتقل بعد ذلك إلى تفرس السياقات القرآنية القصصية، يأخذ منها شواهده التطبيقية على ما ارتاى أنه أصول القص القرآنى، أو خصائص القصة القرآنية، وهو يوجز هذه الخصائص فيما يلى:**

**أولاً**: أن القرآن الكريم لايعرِّف بالشخصيات التى يدور حولها الكلام فى القصة...

**ثانيا**: أنه يجرد كلامه - تعالى - من الزمان والمكان....

**ثالثا**: أنه يصطنع أسلوباً من الإيجاز العام الذى لا تعرف له نظيراً فى آثار الأمم الأخرى مهما سمت مكانتها البيانية....

**رابعًا**: وحدة الغاية فى كل ما ورد فى القرآن من أنباء وأخبار وأحاديث وذكر)[1].

ويوجه كل طاقته بعد ذلك إلى استقصاء هذه الخصائص من واقع النص القصصى فى القرآن الكريم بشكل عام، وفى قصة موسى عليه السلام بشكل خاص، حتى ليجوز لنا أن نقول إن كتابه: (القصة القرآنية) موجه ربما بكامله إلى استجلاء خصائص الفن القصصى القرآنى من خلال قصة موسى وحده، مع تفرق إشارات عابرة هنا وهناك إلى بعض قصص الأنبياء الآخرين فى تضاعيف هذه الدراسة، قد تكون الحاجة إلى تضويىء قصة

(١) فتحى رضوان: الإسلام والمذاهب الحديثة - نقلا عن كتابه (القصة القرآنية ص٨).

موسى هى التى دعت إلى الإشارة إليها مرة بعد مرة، وحينا بعد حين.

والذى يهمنا هنا، أن نشير إلى طبيعة خصائص القصة القرآنية، سواء وردت هذه الخصائص فى قصة يوسف أو قصة موسى، أو قصة إبراهيم، لأن المنهج فى النهاية واحد، والإعجاز الإبداعى الذى يستهدى هذا المنهج واحد كذلك، ولكن فتحى رضوان ينبه إلى ما يبدو إشكالية حقيقية: هل فى القرآن قصص كثيرة؟ أم أن فيه قصة واحدة يمكن أن يطلق عليها هذا المصطلح وهى قصة يوسف؟ والغريب أنه بعد التنبيه على هذه الإشكالية لايقدم إجابة واضحة على ما أثاره، واكتفى بعرض تساؤلاته على هذا النحو:

ولقد يثور التساؤل: هل فى القرآن قصص، أم فيه قصة واحدة هى قصة يوسف؟ فالقرآن يستعمل أكثر ما يستعمل لفظ نبأ وأنباء وحديث وذكر، وهو يروى ما جرى للأنبياء مع أقوامهم، فى أدوار رسالتهم المختلفة، من ذلك ما جاء فى سورة إبراهيم:

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾(٢)

وفى سورة الشعراء:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾(٣).

وفى سورة هود:

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ ﴾(٤).



طه حسين



سيد قطب

كما قال تبارك وتعالى:

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾(٥)

وفى سورة النازعات:

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ ﴾(٦)

وفى القرآن الكريم يتحدث عن أخبار الماضى بأنها أنباء الغيب، أو أنباء ما سبق، كقول الله تعالى فى سورة آل عمران:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾(٧)

ولكن الأمر يختلف فى سورة يوسف، فهى القصة التى جاء فى صدرها قول الله تعالى:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾(٨).

وهى السورة التى تروى قصة أحد أنبياء الله ـ تعالى ـ ورسله من الصبا حتى بلغ أعظم درجات

---

(٢) التوبة (٧٠).
(٣) الشعراء (٦٩).
(٤) هود (١٢٠).
(٥) الذاريات (٢٤).
(٦) النازعات (١٥).
(٧) يوسف (١٠٢).
(٨) يوسف (٣).

النفوذ والجاه، في حين أن الأنبياء الآخرين جميعا ـ عليهم الصلاة والسلام ـ توزعت وتناثرت أخبارهم في عشرات من سور القرآن، وقد اتصل الحديث عن يوسف ـ عليه السلام ـ في السورة المسماة باسمه، دون أن يتخلل الكلام عنه أمور أخرى، أو وقائع خارجة عن سياق حكايته كما هو العهد بالقرآن الكريم بالنسبة لجميع رسل الله. والأهم أن يوسف عليه السلام استأثر بسورة كاملة، ثم لم يرد بعد ذلك إشارة إلى شيء من أعماله أو أقواله في مواضع أخرى من القرآن الكريم، كما هو الحال مع غيره ممن اصطفاهم الله برسالاته )[٩].

إن فتحي رضوان هنا يرصد الظاهرة، ظاهرة توزع الحديث القصصي عن الأنبياء والمرسلين في مواضع شتى من القرآن الكريم، وتخصيص قصة يوسف وحدها بسورة كاملة، ثم لايستطرد إلى ذكرها بعد هذه السورة، مما يعطيها خصوصية معينة، هذه هي الظاهرة، أما تحليلها أو تعليلها أو الإجابة عما تثيره من تساؤلات فلم يتطرق إليها، واكتفى بمجرد رصدها وتسجيلها.. على النقيض مما فعل سيد قطب مثلا، حين علق لهذه الظاهرة تعليلا نقديا ثاقبا، من خلال ما قرره من أن طبيعة القصة – قصة يوسف – هي التي أوجبت أن تكون على هذا النحو من التلاحم والتكامل: ( لأن طبيعتها تستلزم هذا اللون من الأداء، فهي رؤيا تتحقق رويدا رويدا، ويوماً بعد يوم، ومرحلة بعد مرحلة، فلاتتم العبرة بها – كما لا يتم التنسيق الفني فيها – إلا بأن يتابع السياق خطوات القصة ومراحلها حتى نهايتها، وإفراد حلقة واحدة منها في موضع لايحقق شيئا من هذا كله، كما يحقق إفراد بعض الحلقات في قصص الرسل الآخرين، كحلقة قصة سليمان مع بلقيس، أو حلقة قصة مولد مريم، أو حلقة قصة مولد عيسى، أو حلقة قصة نوح والطوفان..... الخ، فهذه الحلقات تفي بالغرض منها كاملاً في مواضعها، أما قصة يوسف فتقتضي أن تتلى كلها متوالية حلقاتها ومشاهدها من بدئها إلى نهايتها )[١٠].

( فالقصص القرآني – غير قصة يوسف – يرد حلقات تناسب كل حلقة منها أو مجموعة حلقات، موضوع السورة واتجاهها وجوّها، وحتى القصص الذي ورد كاملاً في سورة واحدة كقصص هود وصالح ولوط وشعيب، ورد مختصراً مجملاً، أما قصة يوسف فوردت بتمامها وبطولها في سورة واحدة، وهو طابع متفرد في السور القرآنية جميعاً، هذا الطابع الخاص يتناسب مع طبيعة القصة، ويؤديها أداء كاملاً، ذلك أنها تبدأ برؤيا يوسف، وتنتهي بتأويلها، بحيث لا يناسبها أن تكون حلقة منها، أو جملة حلقات، في سورة، وتكون بقيتها في سورة أخرى. وهذا الطابع كفل لها الأداء الكامل من جميع الوجوه، فوق تحقيقه للهدف الأصيل الذي من أجله سيقت القصة، والتعقيبات التي تلتها )[١١].

ولا يخفى أن سيد قطب هنا يمثل عقلاً نقدياً مرهفاً، يرصد الظاهرة الفنية، ثم يتطرق

---

(٩) فتحي رضوان – القصة القرآنية – ص٨ – ٩.

(١٠) سيد قطب – في ظلال القرآن – المجلد الرابع – ص٢٠٣٧.

(١١) سيد قطب – في ظلال القرآن – المجلد الرابع – ص١٩٥٦.



إلى تحليلها وتعليلها والإجابة على ما تثيره من أسئلة، فقصة يوسف وردت كاملة في سورة واحدة لأن مضمونها يحتم هذا الأداء السياقي، فهي تبدأ برؤيا وتنتهي بتأويل هذه الرؤيا، وليس من الطبيعي أن نبعثر الحديث عن رؤيا وتأويلها في مواضع شتى، أو أن تجسد رؤيا خاصة بمصير نبي، ثم لا نهتدي إلى تأويلها، أو أن نترك السياق يتنامى في اتجاهات متعاكسة قد تفضي بنا إلى ضياع المضمون النهائي الذي تشعه رؤيا صادقة، تنتهي إلى تأويل صادق كذلك... وقد كان يتحتم على فتحي رضوان، وقد أشار إلى إشكالية التنصيص على أن السياق الذي جسد ما حدث ليوسف ـ عليه السلام ـ سماه القرآن الكريم (قصة).. في حين أن السياقات الأخرى التي جسدت ما حدث للأنبياء الآخرين سماها القرآن الكريم نبأ مرة، وحديثاً مرة أخرى، وأنباء آنا، وذكراً آنا آخر.. كان يتحتم على فتحي رضوان وقد أشار إلى هذه الظاهرة أن يتأملها على هذا النحو الذي فعله بجدارة سيد قطب، ولكنه لم يفعل.

ولعل فتحي رضوان اكتفى بمجرد استقصاء الخصائص التي حددها في مطالع حديثه عن القصة القرآنية، وهي: خاصية الإيجاز المعجز، وخاصية وحدة الغاية، وخاصية تجريد الكلام من عنصري الزمان والمكان، وخاصية عدم التعريف بشخوص القصص فيما يتعرض له من قص متكامل في موضع واحد، أو مفرق في عديد من المواضع والموضوعات.. ولكن تكثيف الحديث عن هذه الخاصيات يتجسد أساساً في تأمله المستفيض لقصة موسى ـ عليه السلام ـ كما وردت في القرآن الكريم نصاً متكاملاً، وبناء فنياً، ورؤية تنطلق من خصوصية البطل واللحظة والمكان، إلى مطلق الشخوص والزمان والمكان، وإن مال أحياناً إلى تكديس آراء المفسرين، وانكب أحياناً على استقصاء جوانب المضامين، وانصرف أحياناً عن تأمل خصائص الشكل الفني الحامل، مع أنه محور الحركة في هذا المجال، أو ينبغي أن يكون محور الحركة في هذا المجال.

على أن فتحي رضوان في دراسته للقصة القرآنية لم يتحدد في هذه الخصائص التي قدم بها فحسب، ولكنه استطرد منها إلى خصائص أخرى: كالحوار، والتكرار واستعمال ألفاظ بأعيانها.. وإن حاول إخضاع هذه العناصر لتدخل ضمن الخصائص الأربع التي حددها في مطالع حديثه عن: (القصة القرآنية).

ومهما يكن من شيء، فقد قدم فتحي رضوان دراسة جيدة للقصة القرآنية، إذا نحن تجوزنا فسمينا حديثه عن (قصة موسى) حديثاً عن مطلق القصة في القرآن الكريم.

ويبقى في النهاية أن نؤكد أن للقصة القرآنية في الدراسات المعاصرة مساحة أكبر من هذه المساحة، وأن جانباً من الاجتهادات التي توفرت على هذه النوعية من الدراسة قد وصل إلى نتائج فنية هامة، تجعل من تأمل القص القرآني ليس حتمية عقيدية فحسب، وإنما حتمية فنية ونقدية كذلك، ويبقى النص القرآني منجماً قابلاً لمزيد من الكشوف، ومزيد من الاستقصاء بلا حدود!!!



## قصة العدد

# أمّ عربيّة تُضحّي (*)

للكاتب السوري / الأستاذ خليل هنداوي

**وتأبى المقادير إلا أن تخلق (ذا قار) ثانية في ضاحية السواد، ولكن وقعة ذي قار الثانية تمتاز عن الأولى بأن العرب حشدوا ما عندهم من المقاتلة يدفعون بصدورهم صدور مقاتلة الفرس الذين أقبلوا من أقاصي فارس وأدانيها يذودون العرب عنهم!**

**أحست القادسية وطء هذه الجموع الزاحفة بخيلائها وعزائمها وأدركت أنه يوم سينضح ثراها فيه بالنجيع، ويسطع على سمائها كوكب من كواكب عهد جديد؟**

أشرق الفجر تغمر أنواره الباهتة جموعاً تيقظت قبل أن يتيقظ وعلت أصوات تخللها نداء وصهيل ورغاء! والقوم خلال ذلك منكبون على جيادهم يمسحون أعرافها، أو متلمسون مقابض سيوفهم يهزونها، أو مادون برماحهم يُسرون إليها ما يُسرون! ففريق يتبعه فريق، وكردوس يشد خلفه كردوس، يمشون والأهازيج ملء الفضاء، والنقع يوشك أن يحجب السماء. فهذه فئة مقاتلة تمشي إلى النصر بأهازيجها وتلك فئة منصتة يدوي فيها صوت يرجع صوتاً رن منذ عهد لم يطل عليه الأمد فوق هذه الأرض التي أرادت الفارسية أن تقهرها وما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

صوت هانئ بن مسعود يدوي كالرعد القاصف: «يا معشر العرب هالك معذور خير من ناج فرور، المنية ولا الدنية، استقبال الموت خير من استدباره، والطعن في ثغر النحور أكرم منه في الأعجاز والظهور، وإن الصبر من أسباب

(*) مجلة الرسالة - ١٩٤٠/٣/٤م

الظفر، قاتلوا فما للمنايا من بد، فتح لو كان له رجال! يا معشر العرب شدوا واستعدوا، وإلا تشدوا تردوا».

تسمع هذه الأقوام أصوات خطبائها فتحن أنفسها لذلك اليوم الذى هو أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وإن هذا ليوم آخر أقبلت فيه الفارسية الوثنية تنازل الجزيرة المسلمة التى تغلى بدم الحياة!

وغير بعيد عن الساحة المستوية التى أعدت للقاء الأبطال -بطحاء انتصبت فيها خيام تقيم فيها الظعائن، وكانت أهازيجهن تجاوب أهازيج الرجال، ومن فوقها الصدى يكاد يلائم بينها، يحملها إلى القيعان البعيدة التى حنت إلى الحرية المكتوبة على أسنة العرب.

فى خيمة منفردة حمراء الأديم عجوز تخدد وجهها، ولعل الكبر قد نال منها شيئاً، لكن أحداث الدهر لم تبق منها إلا على شبح تنسيه الموت أو تناساه، تمشى بهراوتها الغليظة مشية وئيدة مستقيمة، وعلى بدنها صدار أسود ممزق الإهاب، يدل على أنه علامة فاجعة قديمة العهد، لكنها حية كأنها بنت ساعتها، وقفت فى ناحية لا يصل إليها تيار الزاحفين، وحولها أربعة فتية ما أنضر الشباب الذى تفيض به أعينهم، وما أسمى العزيمة التى تتلألأ على وجوههم! تلمست العجوز هؤلاء الفتية بيديها، وتلمست محاسنهم وأكبت على رءوسهم ووجوههم تشم ريحهم، وما إن انتهت من ذلك حتى بادرتهم بوصيتها:

«أى بنى! إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، والله الذى لا إله إلا هو، إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم. واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية. اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها فيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها، تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والقيامة.

أى بنى! اطلبوا الموت توهب لكم الحياة».

كانت تسيل هذه الكلمات العاصفة من فمها دون ما تلجلج ولا اضطراب، لم ينل منها موقف التوديع شيئاً، وكان أولادها يسمعون خطابها، وكان نفوسهم ارتابت فى شك أمهم منهم، وهم الذين أقدموا إلى الجهاد مختارين بعد أن باعوا أرواحهم واستقلوا ذلك فى جنب الله.

قبلوا يد أمهم، وودعوها توديع مفارق لن يؤوب، وزحفوا على جيادهم وهى لا تزال تتجه بمسامعها نحو وقع الحوافر حتى تلاشى وقعه، وقرت كل حركة حولها، فعادت إلى خيمتها، وكأنما ضاقت بها نفسها فهى لا تستطيع القعود إلا قليلاً فنهضت تتلمس الأرض بعصاها، ولكن أين تريد أن تذهب؟ فى نفسها خواطر كثيرة، منها ما يتعلق بالمعركة ونهايتها، ومنها ما يخص أبناءها وحدهم. أتلقاهم كدأبها فى المساء؟ أم تلقى بعضهم، والآخر أكلته شفرات السيوف!

خواطر كثيرة تحاول أن تطغى على طمأنينتها وإيمانها، ولكنها لا تريد الآن أن تعرف شيئاً عن رجوعهم وعن مصارعهم، وإنما تريد أن تعرف كيف استقبلوا الموت، بنحورهم أم بظهورهم! ولكن فيم تشك في أشبالها، وما علمتهم يوماً إلا أهل مروءة ونجدة!

قضت يومها تغالب هذه الخواطر، وما إن دنا الأصيل حتى هتفت أصوات البشرى في القوم بهزيمة الفرس، فخرجت النساء يستقبلن البعولة والإخوة والأبناء، ومن مثل الخنساء تنشط إلى تنسم الأخبار وهي متوكئة حانية على عصاها ترتفع الأصوات من فوقها ومن تحتها، وعن يمينها وشمالها، والظافرون عائدون بالأردية الحمراء، والسيوف المضرجة بالدماء، قد أذهلهم النصر عن النصب، يحيى بعضهم بعضاً وما تحيتهم إلا مصافحة بالسيف أو السنان!

تعلو الضجة آناً وآناً تخفت، وإنها لتدل على أن أكثر المقاتلة أووا إلى بيوتهم إلا مصاباً يتحامل على نفسه، أو فارساً يتطالع به فرسه بعد أن أبلى، ولكن ما لأولاد الخنساء لم يطل أحد منهم على هذه العجوز المرتقبة التي أخذت ترتجف من الريح الباردة! ومن ذا ينبئها بمصيرهم بعد أن أبطأوا عليها.

ولكنها اعتقدت أن واحداً منهم أدركه مصرعه، وأن إخوته قعدوا يبحثون عنه بين القتلى لأنهم يؤثرون أن يدفنوه بأيديهم.

ها هي ذي تنتظر! يمر بها أحد رجال القادسية ممن شهدوا مصرع أولاد الخنساء، يراها شاخصة في الناحية التي أطل منها وقد رفعت رأسها تهم بتكليمه لو لا أنها خفضت رأسها لأنها تريد أن تكون كلمتها الأولى لأحد أولادها.

شاهدها الرجل وغلبت على عينيه دمعتان محرقتان أسقطهما الحزن على هذه العجوز التي نالت منها القادسية أعظم تضحية. حتى لتحسب فيها رمزاً للأمومة التي ضحت بأبنائها في هذه الوقعة.. آثر أن يمشي وهو يخطو الخطوة ويلتفت إلى خلفه. كان شيئاً - لا يستطيع أن يدركه - يبعث الروع في نفسه. حاول أن يخبرها أكثر من مرة، وتردد أكثر من مرة، وأقل ما يحمله على التردد أنه لا يريد أن يكون ناعياً لأربعة أولاد في يوم واحد، ولكن ماله يكتم عنها ما كان، وماله لا يشفق على هذه العجوز التي تنتظر، والتي لا تزال تنتظر حتى مطلع الفجر! فلينبئها بمصيرهم، وليعزها بكلمة قد تقع موقعاً حسناً أو لا تقع وليصنع الله بها بعد ذلك ما يشاء! وإن أعظم ما ينتظره لها الموت، وما يدريه أنها هي التي تفتش عن الموت بعد مصرع بنيها. فعاود إليها مرة ثانية، وسمعت الخنساء وقع الخطا من ورائها فهمت بالاستغراب، ولكنها شعرت أن هذه الخطا تسر أمراً لها وحدها، فناداها:

- يا خالتاه! لا إخالك تألمين إذا أنبأتك أن أولادك الأربعة يسرحون هذا المساء مع شباب.. الجنة!

فاه بهذه الجملة، والحزن يكاد يقطع عليه أنفاسه، ولم يبلغ كلمة «الجنة» إلا بعد أن



قاسى من ألم النفس مثل ما قاساه من نصب يومه، فتقدمت منه وكأنه الخبر لم يعصف بنفسها، ولم يظهر أثره على وجهها...

- ويك ماذا تعنى؟ أقتلوا جميعاً؟

- رأيتهم الواحد يُصرع بعد الآخر، يذودون عن موقف تهافت العدو على أخذه تهافت الجراد على النار.

- أذهبوا متاعاً رخيصاً؟

- إنهم - وحدهم - كانوا جيشاً - كأنما الموت مورد عزموا أن يردوه جميعاً، كلما فترت عزيمة واحد منهم هتف به الآخر «وصية العجوز يا أخاه»!

وكان هذه الكلمة أيقظت فيها الروح التي كلمت بها أولادها فقالت:

- ذلك ما يبعثني على أن أقول: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وإني لأرجو الله أن يجمعني وإياهم في مستقر رحمته، ولكن أنبئني ما صنع الله بكم؟

- جئنا بالنصر معقوداً على راياتنا

- هذه التعزية المثلى لي فيما تبقى من أيامي المعدودة، لقد مات أخي صخر من قبل، فلم يبق من دنياي بعده إلا هذا الصدار الأسود، وهيهات أن أجد مكاناً للتعزية فيه، وها يموت أبنائي الأربعة فيعزيني عن موتهم هذا الظفر

والتفتت إلى ناحية بيتها، وأخذت تدب وئيداً، والرجل يتبعها صامتاً حتى توارت عنه، فوالله ما إن سمع لها أنة، ولا رأى لها عبرة، وذهب وهو لا يكاد يوقن بأن هذه التي كانت مثل الأخت المفجوعة الحزينة التي لا يسري عنها شيء، والتي قضت أيامها تبكي حتى ابيضت عيناها من البكاء، هذه الأخت الولهى تصبح المثل الأعلى للأم التي تعتقد أن أولادها للوطن والواجب قبل أن يكونوا لها، وإذا أراد الوطن استشاراً بهم قدمتهم، وإذا استوهب الوطن منهم أنفسهم لم تضن بها ولم يضنوا، وكأنها بعد ذلك لم تبذل شيئاً ولم تفقد شيئاً.

في الإيمان سر تنحني الإرادة عنده، وكيف يريد علماء النفس أن يعللوا مزاجين مختلفين في نفس واحدة، هذه المرأة التي فجعتها إحدى الوقائع بأخيها الجريء الجميل في الجاهلية، والتي لم تترك منها هذه الفاجعة إلا لساناً يندب وصدراً يزفر! جاء الإسلام، فلم يقدر أن يصرفها عن حزنها، ولكنها أصيبت في الإسلام بفاجعة قد تهون الأولى عندها وهي فاجعة أبنائها، فلم تحرك من نفسها شيئاً، لأنها وهبت مصيبتها لله!.

فكرت في المصيبة الأولى، فلم تجد ما ينفس عنها، فاحتفظت بأثرها في منطقة منعزلة من مناطق نفسها، تكشف فيها عن ذكرياتها، وتخوض في أرجائها وحدها.. أما المصيبة الثانية، فقد تولاها الإيمان الذي فاض على نفس الخنساء كلها، حتى أصبح سواء عندها أفقدت واحداً أو أربعة، أو جميع من في الكون في سبيل هذا الإيمان..

رباه!.. ألست بقادر على أن تحيي الموتى؟!

# القيم في عصر المعلومات

## (١)

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

### مفهـوم «القيمـة»

إن مفهوم «القيمة» Value من المفاهيم المراوغة التى اهتم بها كثير من الباحثين فى مجالات مختلفة كالدين والفلسفة والفن والتربية والاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرها.

(*) نائب رئيس جامعة القاهرة لشئون البيئة، وقد شارك بهذا البحث فى المؤتمر الثقافى العربى السابع للمجمع الثقافى العربى حول «الثقافة والقيم» الذى عقد بجامعة السلطان قابوس فى مسقط عاصمة سلطنة عمان فى الفترة من ٢١ - ٢٣ أكتوبر ٢٠٠١م.

وقد ترتب على ذلك نوع من الخلط والغموض في استخدام المفهوم من تخصص لآخر، واستخدمت أدوات ومقاييس مختلفة، تتحدد معالمها في ضوء الإطار النظرى الذى يحكم كل باحث من الباحثين في ميدان القيم.

بل إن «بولكينجهورن» Polkinghorn - في كتابه الصادر عام ١٩٩٦ من مطبعة جامعة كمبردج بعنوان «ما وراء العلم» - يسلم باختلاف القيم باختلاف الأمم، ربما على الأقل في التفاصيل والجزئيات، ويرفض هذا الفيلسوف ما يُقال من أن أحكامنا التقديرية للقيم استجابات لما هو مبرمج في جينات فينا تسمى «الجينات الأنانية» Selfish genes. والواقع أنه لا يمكن دراسة قيمة معينة أو فهمها بمعزل عن القيم الأخرى، ولهذا يفضل الحديث عما يسمى «نسق القيم» Value System الذى ينتظم به مجموعة من قيم الفرد أو المجتمع تبعا لأهميتها، ويتسم بالديناميكية والتفاعل بين عناصره، وعند انضمام قيمة جديدة إلى النسق يتطلب الأمر نوعا من إعادة الترتيب أو التوزيع لمجموعة القيم وفقا لأولويتها.

## القيم في الدين والعلم

تتفق الأديان جميعا على استنادها إلى موقف معين من القيم، ولعلها هي نفسها -أى الأديان- موقف قيمى صريح لأنها تُحدد ما ينبغى للإنسان أن يقوم به إزاء هذا الكون، حيث يكبر الحكم على قيم الأشياء والأعمال بشعور ما يترتب عليها من ثواب، فثمة ما هو أسمى وما هو أدنى، ومتى عرف ذلك التدرج في المنزلة، كان التزام المؤمن إزاءها بمواقف محددة. ويسلم هذا التدرج القيمى إلى قيمة عليا تكون منبع القيم جميعا، ومصدر السلطة والإلزام. وعلى هذا يكون الخلاص أو الفوز في الدنيا والآخرة مصحوبا بمدى الامتثال للقيم الدينية والأخذ بما تأمر به واجتناب ما تنهى عنه.

وفى الإسلام، يعتبر الخطاب الإلهى هو الفيصل في الحكم على الحسن والقبيح، وعلى المباح والمحرم، والحسن ما وافق الشرع واستوجب الثواب، والقبيح ما خالف الشرع ويترتب عليه العقاب في الآخرة، وقيم الأشياء من حيث ما تحصله للإنسان من حسن الأفعال أو قبحها.

أما بالنسبة للعلاقة بين القيم والعلم فإن هناك موقفين رئيسيين منها: أحدهما ينكر تعلق العلم بالقيم لأن مجاله الوقائع والقوانين التى تجرى على سنن حتمية وتثبتها الملاحظة والتجربة الموضوعية؛ فالحقيقة العلمية قائمة هنالك، محايدة مستقلة عن الإنسان، وعلى رجل العلم أن يكشف عنها النقاب. وأصحاب هذا الموقف إنما يقولون باغتراب العلم عن الإنسان: صانعه ومنشئه، ويقصرون نظرهم على ما أثمرته فاعلية الإنسان في العلم، فأصبح عندهم نبتا مقطوع الجذور. وهذه نظرة قاصرة عن فهم مصادر العلم في الفاعلية الإنسانية ذات الطابع القيمى، فالعلم ليس كيانا مستقلا عنا، متمردا علينا، لا ندرى أيفى بمطالبنا أو لا يبالى بها. وهنا تظهر أهمية الموقف الثانى الذى يقرن القيم بالعلم، وإن كان يقف أحيانا عند صورة الاعتراف بعلاقة العلم بقيمة الحق، لأن مدار بحث العلم هو نشدان الحق وتجليته والتطابق معه. غير أن صلة العلم بالقيم لا تقف عند هذا الحد، لأن القيم تنفذ إلى كل نشاط علمى ابتداء من الملاحظة حتى صوغ النظرية وتطبيقها.

ولقد قدمت الحضارة العربية الإسلامية نموذجا رائعا لما ينبغى أن تكون عليه العلاقة بين عناصر ثلاثية القيم والدين والعلم. فقد تقبلت حضارات الأقدمين -دون مانع من جنس أو لون أو دين- وأخصبتها وتمثلتها وطورتها، وقدمتها علما عالميا موحدا، وثيق الارتباط بمبادئ الدين والخُلق القويم، لأن الإسلام جاء ليكون دينا للحياة فى جميع جوانبها، وأمدنا بمنهج رشيد يعلو على كل ضروب الهوى والتحيز، ويجعل من تحصيل العلم النافع فريضة واجبة الأداء.

وعندما انتقلت راية الحضارة إلى أوروبا، نشأ العلم الغربى الحديث منذ بداية عهد النهضة متمردا على الدين والقيم- وكان لهذا أسبابه التاريخية والسياسية المعروفة. وكان اليقين عند علماء الغرب أن العلم مجرد عن القيم لأنه موضوعى. ولكن مآسى الحربين العالميتين الأولى والثانية، التى كانت من ثمار العلم الخاطئة، جعلت القوم يدركون أن العلم قادر على إحداث أضرار بليغة بالإنسانية. ثم امتدت آثار العلم -فى بعض جوانبه التطبيقية- إلى إحداث التغيرات المدمرة فى بيئة الإنسان، بل إلى الاجتراء على أخص خصوصيات الإنسان وجوهر ميراثه المكنون فى أعماقه. وكان من أبرز الذين رفعوا صوتهم بالنذير والتحذير فى عقد الثمانينيات من القرن الماضى «نيكولاس ماكسويل Maxwell» الذى لخص دعوته فى عنوان كتابه المثير: «من المعرفة إلى الحكمة -ثورة فى أهداف العلم وطرائقه». ومن هنا أخذ فلاسفة العلم المحدثون يطامنون من استعلاء العلم ويكفكفون من غلواء العلماء، وأصبحوا ينادون باجتماعية أو (سوسيولوجية) العلم Sociology of Science، وبأن العلم نشاط إنسانى يرتبط بقيم المجتمع فيتأثر بها كما يؤثر فيها... وهذا الذى بلغته الحضارة المعاصرة بعد خلاف وصراع داما نحو خمسة قرون، كان -فى واقع الأمر- ضمن هبة الحضارة العربية الإسلامية للغرب، ولكن الغرب لم يوفق إلى الإفادة منه.

## حرية البحث كقيمة أخلاقية

إن الوعى المتزايد بنتائج العلم والتقنية وانعكاساتها المؤثرة على مختلف جوانب الحياة، جعل من الضرورى على العلماء أن يكونوا أكثر إقداما من غيرهم على التبصير برسالة البحث العلمى وصناعة المعرفة، بل إن الأمر يتطلب منهم أن يمتنعوا أصلا عن مواصلة البحث فى مجال معين إذا أيقنوا أن نتائج أبحاثهم لن يكون لها إلا أوخم الآثار.

وعندما نتحدث عن مسئولية العلماء بصورة عامة، تبرز قضية الحرية- كقيمة أخلاقية- وكأنها محل جدل تتفاوت بشأنه الآراء:

١- فهناك شبه إجماع على اعتبار السعى من أجل العلم ونشره ضرورة معرفية وحضارية فى آن معا، وعلى الباحثين أن ينهلوا ما استطاعوا من بحور العلم، وأن يحرصوا على نشر ما يتوصلون إليه من نتائج فى مجلات متخصصة. ولا يشترط أنصار هذا الاتجاه أن يؤدى السعى من أجل العلم إلى تطبيقات عملية مباشرة.. ولهذا فإنهم يعتبرون الحرية المطلقة هى من أهم دعائم البحث العلمى وتطوره، ويدعون إلى رفع كل قيد على العلم وأبحاثه ونتائجه.

٢- وهناك من يضيقون مسئولية العلماء إلى الحد الذى لا تتعدى فيه حدود معمل الأبحاث ولا شأن للباحث بما يحدث خارج هذه الحدود.

٣- وهناك من يوسعون هذا المسئولية إلى الحد

الذي تمتد فيه إلى المجتمع بأسره ويشجع هذا على الاعتقاد بحق العلماء والتقنيين في إدارة المجتمع واتخاذ القرارات الكبرى بشأنه.

٤ - وهناك من يتخذون موقفا وسطا.

ولكل من هؤلاء حججه ومبرراته التي يدعم بها موقفه.

ودونما استرسال في مناقشة تفصيلية لتلك المواقف، فإن الوضع الراهن يفرض على العلماء في عصرنا أن يكونوا على دراية كاملة بالنتائج المترتبة على أبحاثهم، لأن طبيعة العلوم وتقنياتها تقتضي ذلك. فحين تتغير وظيفة العلم من نشاط لا يؤثر إلا تأثيراً محدوداً، إلى نشاط مصيري يمتد تأثيره إلى مختلف جوانب الحياة البشرية، يكون طبيعيا أن تتغير نظرة الباحث من الإطار المهني الضيق إلى الميدان الإنساني الشامل. ومما يستوجب التنبيه إليه هو أن البحث العلمي في عصرنا أصبح مرتبطا بمؤسسات أكبر من العالم، هي التي تقدم إليه الإمكانات، وكثيرا ما تفرض اهتماماتها الخاصة على مجالات البحث وتوجيهه.. وهذا من شأنه أن يحد من حرية العلماء في التعبير عن آرائهم في كثير من المجتمعات. الأمر الذي ينعكس على المجتمع مباشرة بتغييب ممارسة المنهج العلمي عند بحث الموضوعات التي تمس حياة الإنسان.

وإذا كان من المسلم به ضمان حرية البحث والابتكار للعلماء والباحثين، فإن ذلك يجب أن يقترن بمسئولية أكبر من جانب العلماء والمبتكرين أنفسهم على أساس الالتزام بميثاق أخلاقي يحدد مسار البحث العلمي ووجهته، بحيث لا يقتصر الأمر على عدة خواطر تلاحق أي اختراع أو ابتكار عند حدوثه، بل يجب أن يسبق أي مشروعات علمية نوع من التفكير العميق في النتائج والآثار، بغض النظر عن القيمة المعرفية ذاتها.

والحديث عن أخلاقيات وقيم البحث العلمي فرضته خلال العقود الأخيرة مشكلات أخلاقية عديدة ومتنوعة أفرزتها ثورة العلوم الفيزيائية البيولوجية المتطورة، وفجرتها تقنيات المعلومات والاتصال. فعلى قدر ما تضيف هذه العلوم والتقنيات إلى حصيلتنا المعرفية وتزيد من قدرتنا على التحكم بالأشياء، وتتيح لنا خيارات جديدة على الدوام، نجدها تثير أيضا قضايا جديدة تدور حول ما هو صواب وما هو خطأ، ما هو خير وما هو شر، ما هو حلال وما هو حرام.. أما المعايير التي تحدد صواب الأمور أو خطأها، خيرها أو شرها، حلالها أو حرامها، فإنها تنبع من مصادر متباينة بشأن المبدأ الأخلاقي والموقف القيمي.

ومن فضل الله - تعالى - علينا أن أمدنا بمنهاج إسلامي قويم، وأمرنا بالسعي في ظله إلى تحصيل العلم وفهمه ونقده وتمحيصه - دون أي قيد - ثم علينا أن نعرضه على قيمنا وحاجاتنا، فيكون لنا من بعد ذلك فيه رأي واختيار، على ضوء ما في شريعتنا الإسلامية من أصول كلية دقيقة يمكننا أن نتخذها نبراسا يعصمنا من الخطأ إذا حالفنا الصواب في تطبيقها، وذلك من قبيل ما نتعلمه من الفقهاء، من أن الأصل في الأمور الإباحة مالم يكن هناك حكم شرعي قاطع بعكس ذلك، وهذا يفتح لنا أبواب الإفادة المشروعة من كل جديد ينفع البشر أفرادا أو جماعات، وكذلك قواعد المفاضلة بين المصالح والمفاسد، مثل ترجيح المصلحة الأعلى على المصلحة الأدنى، ومثل الرأي باختيار أخف الضررين، وأن درء المفاسد أولى من جلب المنافع، وأن الضرورات تبيح المحظورات، وما إلى ذلك.

(يتبـــع)

﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾

سورة يوسف : ٨٤

# الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم

# العمى النفسى المؤقت

للدكتور / السيد الجميلى

**توطـئة طـبية:**

**قد يحدث عمى البصر بسبب تلف أو تدمير للجهاز البصرى فى جسم الإنسان، سواء أكان هذا التلف فى التركيب التشريحى، أم فى آلية الإبصار الوظيفية لسبب من الأسباب الكثيرة التى تلابس الشخص ذاته، ولعل أهم هذه الأسباب ذيوعاً، بل إن أكثرها شيوعاً ما ينجم وما يترتب على جلطات الشريان الشبكى المركزى.** Central Retinal Artery Emboli.

ويسمى هذا اللون من فقدان البصر المعروف بالعمى العضوى Organic Blindness وهو الذى يكون نتيجة «مباشرة» لأسباب محدودة بعينها. ثم إنه ليس عارضاً ولا عابراً أى ليس وقتياً ولا رجعياً، لكن مع محاولات جراحى العيون فى حصر الأسباب المفضية والمؤدية إليه، والمسارعة الفورية القوية بالتعامل الحاسم مع أسباب هذا العمى جراحياً أمكن فى أحيان قليلة إعادة حالة الإبصار مرة أخرى للمريض.. لكن نجاح مثل هذه الجراحات الحرجة Urgent Surgeries لايزال مرهوناً بشروط صعبة، ولا ريب أنه يعتبر نوعاً من المعجزات، ولوناً من التوفيق المدهش الذى يلفت الأنظار لعدم تواردها وتكرارها.

لكن نوعاً من العمى الوقتى العابر، وهو المسمى بالعمى المؤقت الرجعى النفسى - Psychological Transient (Recurrent)



Blindness وهو ذلك العمى الذى يعترى الشخص ويعتوره بسبب أزمة نفسية أو إصابة وعاهة نفسية فادحة As a result of Psychic Trauma فإذا أمكن إزاحة أسباب هذه الإصابة وإزالة دواعيها كان ممكناً أن يعود البصر ويرجع الإبصار من تلقاء نفسه ( تلقائياً بدون مقدمات ) بمجرد أن تطمئن نفسه ويهدأ روعه وينكشف عنه الحزن الذى ألمَّ به واستولى عليه.



قد يكون أعمى البصر فاقداً للإبصار ومع ذلك يكون ناظراً للأمور ببصيرته، والأغلب الملحوظ فى أكثر الأحيان أن يتفوق ويتعاظم دور البصيرة على مدى البصر والإبصار العينى والعضوى فى مجال الإحساس والشعور والتقويم.

من ثم كان عمى البصيرة أشد قسوة وأقوى تأثيراً من عمى البصر فى الطبع والشخصية والسلوك. وحسبنا من دليل على ذلك أن البصر محصور مقيد بمدى مكانى، أما البصيرة فهى تنتظم اتساعاً مديداً غير محصور ولا مقيد بحدود المكان أو الزمان.



## ابتلاء يعقوب ـ عليه السلام ـ :

لما حدث ما حدث من أمر سيدنا يوسف ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ حيث كان يوسف ضحية لنزوات أنفس شريرة قاسية القلوب، جاسية الأكباد، كأنها الصخر الصلد - كانت الهموم والأحزان وتفطر الصدر - نصيباً مقسوماً لأبيه الشيخ الكبير المسن يعقوب ـ عليه السلام ـ ذلك الشيخ الفانى الذى ناهز العمرين والذى صار مفجوعاً بأصغر أبنائه، وأحبهم إليه وأقربهم منه.. وهذه سنة الله ـ تعالى ـ فى خلقه... أن يكون أحبُّ الأبناء إلى الآباء وإلى الأمهات: الصغيرُ حتى يكبر، والغريبُ حتى يرجع، والمريضُ حتى يشفى ويبرأ.

لكن نزق العاطفة وتدهور الفكر، وتهور الخرق كان مراسه قوياً مسيطراً على إخوة يوسف، حيث تغلب هذا الشعور بالحزازة والغيرة على أطواء صدورهم واستولى على إحساساتهم فأعمى البصائر وأطبق على الرحم الماسة، وأجهز على واشجة الدم وآصرة القربى، وشجنة الرحم.

كان يوسف فى مهده وفى صغره أشد احتياجاً للشفقة شأنه فى ذلك شأن كل صغير يكون دائماً مرعياً مستوجباً للحدب والشفقة، واستدامة الرعاية والتعهد بالعناية، حتى يستوى صلبه، وتقوى شوكته، ويستعجم عوده، وتستقيم قناته.

وكان يعقوب قد أنجب أحد عشر رجلاً قتباً، فأعقب رجالاً أشداء، وهو قد وصل إلى مراحل متقدمة من الشيخوخة والكهولة التى صار بموجبها ومقتضاها غريباً فى دار غربة، يستعد للرحيل والظعن إلى الآخرة... وهذا الشعور يجعل الشيخ أكثر تعلقاً بأصغر أبنائه الذى لم ينل ولم يحرز إلا أدنى وأقل فترة مع أبيه دون سائر إخوته، فلابد أن يستعيض رصيداً أكبر من العطف والحنان ودفء

الإشفاق والرعاية من ثم كانت العلائق راسخة مكينة ضاربة أصولها في أعماق نفس يعقوب، مسيطرة على مطاويه وعلى كل أنحاء دخيلته.

وكان صعباً جداً ومتعذراً غاية التعذر أن يكتم يعقوب في نفسه حبه العارم وشوقه الخارف وعاطفته الهادرة الدافقة إلى يوسف.. لم يكن سهلاً أن يكتم، ويضمر هذا الشعور وذلك الإحساس الذي يسيطر على دخائله وخوالج نفسه ومكنون ضميره.

وقد بدا هذا واضحاً من المردود العنيف والانتقام الشرس العنيف الموسوم بالشناعة الموصوم بالجفاء المتجرد من كل القيم الإنسانية والآدمية، وهو في قوته وضلاعته ينم ضمنياً ويقر بمدى قوة الواشجة الأبوية من يعقوب على يوسف التي حرمت هذا الصبي الصغير من شفاعة من الشفاعات عند إخوته المتهوكين. لا شفاعة الصغر ولا شفاعة الأخوة ولا الأبوة ولا غير ذلك من الشفاعات التي تعمد إلى التروي أو الإغماض والتردد في تنفيذ الخطط الإجرامي للحيلولة دون وقوعه أو التخيف من وطاته وشرته وجماحه.

## حيلـــة مفتـــراة:

احتال الأبناء على أبيهم، وانتزعوا أخاهم يوسف (على ما نعرفه جميعاً من قصة يوسف) من حضن أبيه برفق شديد ثم ألقوا به في بئر عميقة (الجب) ثم قفلوا إلى أبيهم راجعين باكين شاكين، وقد افتعلوا قصة مختلقة مكذوبة زاعمين أن الذئب أكل فلذة كبد الشيخ.

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾(1).

وقد بلغ بهم الاحتيال والتدليس على أبيهم غاية المدى حيث اختلقوا وافتعلوا دليلاً فاسداً مدخولاً مكذوباً فيه عندما عرضوا قميص يوسف مضرجاً ملطخاً بدم شاة ذبحوها، وادعوا بأن هذا هو دم ابنه يوسف إذ أكله الذئب وقضمه.

بيد أن بصيرة الشيخ وعمق إدراكها، ومضاء هذه البصيرة المشحوذة كان أقوى من أي تزوير أو تدليس أو اختلاق، إذ إنه كان يبصر من خلال مشكاة النبوة والذكاء والحصافة والجلاء البصري، فردّ على افتراء أبنائه بقوله: ما أحلمك ياذئب! تأكل ابني يوسف ولا تمزق قميصه؟؟!!

استنباط «لطيف» واستدلال «مرهف» مدهش قال تعالى:

﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾.

أي مكذوب فيه، وهذا وصف بالمصدر على سبيل المبالغة أي كأنه الكذب نفسه وعينه.(2)

---

(1) يوسف (17، 18).

(2) قال ابن عباس - رضي الله عنهما - ذبحوا شاة، ولطخوا بدمها القميص، راجع القصة بتمامها في تفسير الطبري 12/164 وما بعدها.

**يقول الإمام الرازي**[3]: إنما جاءوا بهذا القميص الملطخ بالدم ليوهم كونهم صادقين في مقالتهم.. قيل: إنهم ذبحوا جدياً ولطخوا ذلك القميص بدمه ولو أنهم خرقوه مع لطخه بالدم لكان الإيهام أقوى فلما شاهد يعقوب القميص صحيحاً علم كذبهم اهـ.

## الهموم والأحزان:

أطافت الهموم والأحزان النوازل على يعقوب وأنشبت الأنكاد أظفارها في لحمه، وأغارت جيوش الفزع على خوالجه وأطواء كيانه تنهش في بدنه وتأتي على روحه بلا شفقة ولا هوادة.

يذكر لنا الإمام الرازي أن يعقوب ـ عليه السلام ـ كان قد سقط حاجباه، وكان يرفعهما بخرقة، فقيل له: ما هذا؟ فقال: طول الزمان وكثرة الأحزان.. فأوحى الله ـ تعالى ـ إلى يعقوب: أتشكوني؟ فقال: يارب، خطيئة أخطأتها، فاغفرها لي[4].

ثم ذهب بصره، وصار ضريراً بسبب الزلزال النفسي والبركان العصبي والإعصار المدمر الذي أتى على قواعده إن كظم الغيظ وكتم الأحزان، وتراكم الألم الوجيع بين حنايا الضلوع مجلب للعذاب، وجالب للمرض النفسي والانهيار العصبي بكل ألوانه وأشكاله.

لم يكن العمى الذي أصاب يعقوب ـ عليه السلام ـ عضوياً أي لم يكن معزواً مرجوعاً إلى تلف أو دمار وظيفي أو تشريحي في أعضاء الإبصار في العين، ولكنه نتيجة محتومة للحزن وكظم الغيظ وقلة الحيلة وطول البكاء[6].

إن العمى النفسي Psychologic Blindness يحجب الرؤية تماماً مثله مثل العمى العضوي تماماً لكن الأول مؤقت وعابر مرتجع، وليس أبدياً، فهو يدهم ويتنزل بالمنزول به بسبب جائحة أو مصيبة أو كارثة نفسية عنيفة لكنه سرعان ما يزول بزوالها، وينكشف بانكشافها قال تعالى: على لسان سيدنا يوسف:

﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[7].

هذه الحالة المعروفة في الطب النفسي تقطع قطعاً جازماً وتقرر تقريراً حاسماً بأن القرآن الكريم تنزيل من رب العالمين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

---

(3) التفسير الكبير ١٨/١٠٤. وذكر السدي أن يعقوب عليه السلام قال: إن هذا الذئب كان رحيماً، فكيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه؟!

(4) من التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ١٨/١٠٥-١٠٦ بتصرف.

(5) وهذا هو المسمى بالعمى غير العضوي. ويطلق عليه في الطب النفسي مسمى: العمى الهستيري.

(6) قال بعض المفسرين إن مدار العذاب والألم والضاضة إنما هو بسبب كظم الغيظ ثم قالوا: (وابيضت عيناه من الحزن) كناية عن كثرة البكاء، والدليل على صحة هذا القول أن تأثير الحزن في غلبة البكاء لا في حصول العمى... اهـ. لكن هذا الرأي لم يلق قبولاً عند كثير من العلماء.

قال مقاتل: لم يبصر بهما (أي بعينيه) ست سنين حتى كشف الله ـ تعالى ـ عنه بقميص يوسف عليه السلام.

(7) يوسف ٩٣.

## الفرق بين الحزن وبين البث:

إنه بينما يكون الحزن مدمراً ومقوضاً للبدن والنفس والروح، فإن البث غير ذلك، وذلك لأن الحزن يكون مطوياً في الصدر تتاجج نيرانه بين أنحاء الضلوع ولا تجد مخرجاً، ولا متنفساً للتفريج والتسرية.

**أما البث**: فهو الحزن المنتشر أي المبثوث من خلال الزفرات وفيه من التسرية والترويح والسلوان ما يعالج ويداوي سلبيات الكظم والانطواء من ثم يزيح أثقال الهموم من الصدر.

كان يعقوب مهموماً بالاثنين معاً: الحزن والبث، لقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[8].

أما قوله: ﴿ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ فيجوز أن يكون بمعنى الكاظم[9] وهو الممسك على حزنه فلا يظهره.[10]

ويجوز أن يكون أيضاً بمعنى مملوء من الغيظ على أولاده، واعلم أن أشرف أعضاء الإنسان هذه الثلاثة، فبين الله ـ تعالى ـ أنها كانت غريقة في الهم:

فاللسان كان مشغولاً بقوله:  والعين بالبكاء والبياض، والقلب بالغم الشديد الذي يشبه الوعاء المملوء الذي شد ولا يمكن خروج الماء منه، وهذه مبالغة في وصف ذلك الغم.

●●●

**الخلاصة**: أن المختار الذي يرتضيه صاحب هذه الدراسة المتواضعة أن العمى الذي أصاب يعقوب ـ عليه السلام ـ لم يكن مجازياً ( أي على سبيل المجاز ) كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين ( وهم ماجورون على اجتهادهم ) لاعتقادهم أن رجوع الإبصار إليه يتعارض مع حقيقة الإصابة... فهي في تصورهم لم تخرج عن غشيان طائف محدود.

لكن الحكمة تكون أعلى، والموعظة أبلغ والمعجزة أرقى وأسمى عندما يكون العمى حقيقياً مانعاً من الإبصار كلية ثم يعود مرة أخرى.. والطب النفسي يقرر هذا تماماً ولا يرى حرجاً في الأخذ به والتعويل عليه.

إن الضغوط النفسية الرهيبة المكبوتة المضغوطة في العقل الباطن لابد أن تجد متنفساً ومخرجاً عن طريق تحويل المسار إلى مشكلة بدنية وجسدية صرفة، فالمشكلة النفسية في قرار اللاشعور سرعان ما تتحول إلى مشكلة عضوية صارخة مثل العمى، أو الشلل الهستيري، أو فقدان النطق تماماً أو الصمم، أو التشنجات العصبية أو الغيبوبة، أو القيء واحتباس البول، وقد يظهر ذلك أيضاً في صورة فقدان الإحساس أو ظهور حركات لا إرادية Involuntary Movements في الأعضاء أو رعشة في الأطراف أي: Tremors.

كان يعقوب يعلم يقيناً أن يوسف لم يمت، ولكن لواعج الحزن والأسى من لوعة الفراق وموجدة البعد، وما أقسى فراق الأحبة جمعنا الله بهم في الدنيا والآخرة.

---

(8) يوسف (86).

(9) وذلك لأن فعيل ثاني بمعنى فاعل.

(10) وقال ابن قتيبة: ويجوز أن يكون بمعنى المكظوم، ومعناه المملوء من الحزن مع سد طريق نفسه المصدور من كظم السقاء إذا اشتد على ملئه. اهـ.

من قادة الفتوحات الإسلامية :

# عكرمة بن أبي جهل

للأستاذ / أحمد السيد تقي الدين

**ذاك رجل من أجله، ومن أجل ضربائه، أبى رسول الله ﷺ أن يدعو على قومه، أو أن يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم عندما كذبوا رسلهم، ولجوا في الكفر والعصيان.**

أخرج البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير، أن عائشة - رضي الله عنها - حدثته أنها قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟

فقال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد

أظلتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله – عز وجل – قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني، فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين.

فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا»(١).

واستجاب الله – سبحانه وتعالى – لرجاء نبيه ﷺ، فأخرج من أصلاب رؤوس الكفر رجال قال فيهم المولى عز وجل:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾(٢).

من هؤلاء كان رجلنا.. عكرمة بن أبي جهل.. فأي رجل كان.. وأي رجل صار..؟!

يوم دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحا يحطم الأصنام يتلوا قول الله عز وجل –:

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾(٣).

كان عكرمة واحدا من الذين أهدر رسول الله ﷺ دماءهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة، ويكفي في هذا دلالة على ما كان من عكرمة قبل الإسلام.

ففي يوم أحد كان عكرمة قائد ميسرة جيش الكفار، وحرص على اصطحاب زوجته معه أم حكيم بنت الحارث بن هشام(٤).

غير أن أشد ما أغضب رسول الله ﷺ على عكرمة ما كان منه يوم الرجيع سنة ثلاث للهجرة، حيث قدم على رسول الله ﷺ رهط من (عضل والقارة) وقال: «يارسول الله: إن فينا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام، فبعث رسول الله ﷺ ستة من أصحابه، وقيل عشرة، وخرجوا معهم إلى قومهم حتى إذا كانوا على مقربة من بئر الرجيع (ماء لهذيل بناحية الحجاز) غدروا بهم فقتلوا بعضهم، وباعوا الباقين في مكة لكفار قريش الذين نكلوا بهم أيما تنكيل وشارك عكرمة في التنكيل بالصحابة حيث كان من الذين أجلبوا على الصحابي الجليل خبيب بن عدي – رضي الله عنه..(٥).

ومن هنا ما إن دخل رسول الله ﷺ مكة حتى فر عكرمة إلى اليمن، ولكن الله أراد بالرجل الخير كله استجابة منه – عز وجل – لدعوة رسوله الكريم ورجائه ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) الأحزاب (٢٣).

(٣) الإسراء (٨١).

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية ٢، ٦٠، ٦٢.

(٥) المصدر السابق ٢، ١٦٩ : ١٧٩.

لا يشرك به شيئا» فأسلمت زوجته: أم حكيم بنت الحارث بن هشام، واستأمنت لزوجها من رسول الله ﷺ، فأمنه فخرجت في طلبه إلى اليمن حتى أتت به ليلقى رسول الله ﷺ(٦).. ويا له من لقاء!. ويلقى عكرمة رسول الله ﷺ، الذي ابتدره هاشا باشا وقد علم من إشراقة وجهه أن الإسلام قد عرف طريقه إلى قلبه، فقال له ﷺ: «مرحبا بالراكب المهاجر» فقال عكرمة: يارسول الله علمني خير شيء تعلمه حتى أقوله فقال له النبي ﷺ: «شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله».

فقال عكرمة: «والله لا أدع نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالا قاتلته إلا قاتلت ضعفه، وأشهدك يا رسول الله».

وبرَّ عكرمة بقسمه ووعده لرسول الله ﷺ فكان في طليعة الذين لبوا النداء استجابة لقوله تعالى:

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٧).

وقوله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾(٨).

ولم يكن أبدا من الذين قال فيهم المولى تبارك اسمه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾(٩).

حتى قيل عن عكرمة: إنه لا يعرف له ذنب بعدما أسلم، وكان يقبل المصحف ويبكي ويقول «كلام ربي.. كلام ربي» وبه احتج الإمام أحمد على جواز تقبيل المصحف ومشروعيته(١٠).

وينتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة فيعتقد الناس أن الإسلام قد مات بموت رسول الله ﷺ، وترتد العرب قاطبة عن الإسلام، بحيث لم يبق للإسلام ذكر إلا في مكة والمدينة، فيقرر الصديق، خليفة رسول الله ﷺ حربهم جميعا، فيجيش لذلك الجيوش، حيث عقد اللواء لأحد عشر قائدا من أعلام الصحابة كان فيهم عكرمة - رضي الله عنه - حيث وجهه الصديق إلى اليمامة لحرب مسيلمة الكذاب مدعي النبوة، وكانت تعليمات الخليفة له أن ينتظر المدد القادم إليه بقيادة شرحبيل بن حسنة وإلا يتعجل الهجوم قبل ذلك، ولكن رغبة عكرمة في الجهاد والانتصار لله ولرسوله، أو قل هي

---

(٦) المصدر السابق ٢، ١٠٤، ١٦٨.

(٧) التوبة (٤١).

(٨) النساء (٧١).

(٩) التوبة (٣٨).

(١٠) ابن كثير، البداية والنهاية ٧/٣٨

روح الفدائي التواقة لنيل الشهادة، كانت أقوى من تعليمات الخليفة، فلم يطق صبرا، فهجم على مسيلمة الكذاب، ولكن الأخير تمكن منه وأوقع به، فغضب الخليفة الصديق أشد الغضب، فهو لم يرسله لمجرد أن ينال الشهادة التي يتوق إليها - وكم هي عزيزة على نفس عكرمة - وإنما أرسله ليجعل كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، وكتب إليه يأمره بألا يرجع المدينة فيوهن الناس، وأن يمضي مددا إلى حذيفة بن محصن لحرب المرتدين في عُمان ثم إلى عرفجة بن هرثمة لحرب أهل مهرة الذين ارتدوا عن الإسلام.

وكانت المرة الأولى والأخيرة التي عهد فيها الصديق لعكرمة بقيادة عمليات عسكرية رئيسية، وإنما جعله تحت إمرة من هم أقدر منه دون أن ينال من كرامته ومكانته، فقد تأكد الصديق أن عكرمة لديه رغبة أكيدة في الجهاد، هدفه الأوحد نيل الشهادة، ليمحو كل ما كان منه قبل الإسلام، وأن يتخلص من عار لم يكن له دخل فيه، وهو أنه ابن أبي جهل رأس الكفر في الجاهلية، وهو إحساس عظيم المرارة حمله عكرمة في نفسه يعتصر قلبه هما وكمدا، حتى أن رسول الله ﷺ لما رأى ذلك وأحسه في عكرمة قال لأصحابه: «إن عكرمة يأتيكم، فإذا رأيتموه فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي ويؤلمه»[11] وتستمر رحى حروب الردة في دورانها، ويكتب الصديق إلى الأشعث بن قيس ومن معه من قبائل كندة - وكانوا قد ارتدوا عن الإسلام - يأمرهم بتقوى الله وأن يرجعوا إلى الحق، ولكن الأشعث يمزق الرسالة ويقتل الرسول الذي حملها فكتب الصديق إلى عكرمة يقول: «بلغك ما كان من أمر الأشعث بن قيس وقبائل كندة.. فإذا قرأت كتابي هذا فسر إلى زياد بن لبيد في جميع أصحابك واسمع له وأطع فإنه الأمير عليك، وانظر لا تمرن بحي من أحياء العرب إلا استنهضتهم فأخرجتهم معك إلى محاربة الأشعث بن قيس وأصحابه إن شاء الله».

فسار عكرمة، حتى صار إلى صنعاء، فاستنهض أهلها فأجابوه إلى ذلك، ثم سار إلى مأرب فنزلها، وبلغ ذلك أهل ( دمار ) فغضبوا من مسير عكرمة إلى محاربة كندة وجعل بعضهم يقول لبعض: ( تعالوا حتى نشغل عكرمة عن محاربة أبناء عمنا من كندة وقبائل اليمن ووثبوا على عامل الخليفة أبي بكر الصديق فطردوه، فعلم الصديق بذلك فكتب إلى عكرمة يقول: «سر إلى أهل دباء ( دمار ) على بركة الله، فانزل بهم ما هم له أهل، ولا تقصر فيما كتبت به إليك، فإذا فرغت من أمرهم فابعث إليّ بهم أسرا، وسر إلى زياد بن لبيد، فعسى الله أن يفتح على يديك بلاد حضرموت إن شاء الله تعالى».

ولحق عكرمة، بزياد وأصحابه قرب حضرموت حيث حملوا على الأشعث وأصحابه كحملة رجل واحد فهزموهم حتى ألجأوهم إلى حصنهم الأعظم، فحاصرهم زياد

(11) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٠٨٢/٣.



وعكرمة وسدوا عليهم كل مهرب، وسمعت بذلك كندة فسارت لحرب المسلمين.

وعلم عكرمة بحشود كندة الزاحفة فاقترح على زياد أن يخرج هو ( عكرمة ) لمواجهة كندة، ويظل زياد مقيما على باب حصن حضرموت، واستحسن زياد رأى عكرمة.

فجيوش المسلمين ان بقيت على حصارها لحصن حضرموت لدهمتهم جموع كندة وحصرتهم بينهم وبين المقيمن فى الحصن الذين كانت معنوياتهم سترتفع ولاشك وهم يرون كندة قد هبت لنجدتهم.

وبالفعل ييأس الأشعث بن قيس من طول الحصار فيستسلم ويطلب الامان وهو لا يعلم بقدوم كندة، ويكتب زياد إلى عكرمة بذلك فيستبشر عكرمة، ويصيح فى جموع كندة قائلا: «يا هؤلاء، على ماذا تقاتلون، فقالوا: نقاتلكم على صاحبنا الأشعث بن قيس، فقال عكرمة: إن صاحبكم قد طلب الأمان» فاستسلمت كندة.

وهكذا يحقق عكرمة أمل الصديق فيه ودعاءه له «عسى الله أن يفتح على يديك بلاد حضرموت إن شاء الله تعالى».

وعندما قرر الصديق حرب الروم فى الشام جيش لذلك الجيوش، إذ خرج خالد بن سعيد على رأس جيش فى ٢ من ربيع الآخر سنة ١٢ هـ وتبعه يزيد بن أبى سفيان فى ٢٣ من رجب سنة ١٢ هـ تبعه شرحبيل فى ٢٧ من رجب، ثم أبى عبيدة بن الجراح فى ٧ من شعبان للعام نفسه.

ولكن الروم فى المقابل حشدوا حشودا هائلة وضعوا فيها كل مقدرات إمبراطوريتهم مما أعجز القادة عن تحقيق الهدف المنشود، فكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى الخليفة الصديق فى ٢١ من شوال عام ١٢ هـ يسأله المدد والمشورة.

فجمع الصديق أشراف المهاجرين والأنصار، وأهل السابقة منهم، ثم دعا بأشراف أهل مكة، فقال له عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - «لأى شيء دعوت بأهل مكة من المهاجرين والأنصار»[١٢].

فقال له الصديق: «لأستشيرهم فى هذا الأمر الذى كتب إلينا فيه» فقال عمر: «أما المهاجرون والأنصار فأهل المشورة والاستنصاح، وأما رجال أهل مكة الذين كنا نقاتلهم لتكون كلمة الله هى العليا ويقاتلوننا ليطفئوا نور الله بأفواههم جاهدين على قتلنا وذلنا، أن قلنا ليس مع الله آلهة أخرى، وقالوا مع الله آلهة أخرى، فلما أعز الله دعوتنا وصدق أحدوثتنا ونصرنا عليهم تريد أن تقدمهم فى الأمور وتستشيرهم فيها وتستنصحهم وتدنيهم دون من هو خير منهم؟ فما نصحنا إذا بصلحائنا الذين كانوا يقاتلونهم فى الله حين تقدمهم تدونهم فلاتراهم إذا وضعهم عندنا جهادهم إيانا وجهدهم علينا، والله لا تفعل ذلك أبدا فقال له أبو بكر: إنه قد حسن إسلامهم، ولقد كنت أريد أن أدنيهم أنزلهم بالمنازل التى كانوا بها فى قومهم من الشرف، فأما إذا ذكرت ما ذكرت فقد رأيت أن الرأى فى هذا رأيك»

---

(١٢) الأزدى (٥٢)



وبلغ هذا الحوار عكرمة، ونفر من أشراف قريش المعتبين بهذا الحوار وكان فيهم سهيل بن عمرو وكان شريفا عاقلا فشق الأمر عليهم فخرجوا للقاء الصديق، وعمر، وتحدث عكرمة والألم يأكل قلبه: «إنكم كنتم تجدون في عداوتنا قبل اليوم مقالا فلستم اليوم بأشد على من ترك هذا الدين، وعادى المسلمين منا».

فقال عمر بن الخطاب: «إني والله ما قلت ما بلغكم إلا نصيحة لمن سبقكم بالإسلام وتحريا للعدل فيما بينكم وبين من هو أفضل منكم من المسلمين».

فقال عكرمة وهو في قمة التأثر: «أنا أشهدكم أني حبيس في سبيل الله».

فقال الصديق: «اللهم بلغ بهم أفضل ما يأملون واجزهم بما كانوا يعملون، قد أصبتم فيما صنعتم فأرشدكم الله».

وخرج عكرمة ورفاقه وهو يبكي دمًا من كلمات عمر فهو لم يكن فقط ممن حاربوا الإسلام قديما، ولكنه ابن رجل هو مضرب لمثل في الكفر، ولا مناص من دفع العار إلا بالشهادة، ولم يفق عكرمة من شروده الحزين إلا على قول سهيل بن عمرو: «ما من أعمال عند الله أفضل من الجهاد في سبيل الله، فانطلقوا حتى تكونوا بين المسلمين وبين عدوهم فتجاهدوهم دونهم حتى تموتوا فلعلنا أن نبلغ بذلك فضل المجاهدين».

فخرجوا جميعا إلى جهاد الروم بالشام وكان خروج عكرمة مع نفر من المسلمين مددا لخالد بن سعيد بن العاص فلحق به في إيلياء حيث كلفه بأن يبقى ردءا للجيش يحمي مؤخرته ويؤمن انسحابه إن دعت الضرورة وجدت أن تورط خالد بن سعيد في هجوم فاشل على دمشق أغراه به (ماهان) قائد جيوش الروم الذي ألحق به الهزيمة فانسحب خالد بن سعيد تجاه عكرمة الذي أحسن توزيع رجاله بشكل حال بين الروم وبين مطاردة جيوش المسلمين المنسحبة بل وثبت في مواجهة جيوش الروم التي فضلت الانسحاب والعودة إلى دمشق، ولكن عكرمة في هذه المرة لم يتورط في مطاردة المنسحبين وإنما ظل ملتزما بدوره الذي كلفه به قائده خالد بن سعيد وهو أن يبقى ردءا للجيش[١٣].

لقد تعلم عكرمة الكثير من حرب اليمامة وأول ما تعلمه الطاعة للقائد وعدم الاندفاع الحماسي، تماما مثلما فعل في فتح حضر موت عندما التزم بالطاعة الكاملة للخليفة الصديق الذي رأى فيه نموذجا للمجاهد في سبيل الله الباحث عن إعلاء دينه، ولكنه كان في حاجة الى تدريب وتعليم فعمد إلى تكليفه بمهام عسكرية ولكن تحت إمرة من هم أقدر على تعليمه وتدريبه حتى يكسب للإسلام قائدا يحسن القيادة والتوجيه، فالشجاعة والتضحية والفداء صفات مطلوبة في أي مقاتل ولكن القائد ينبغي أن تتوفر فيه صفات أخرى، حرص الصديق على إكسابها لعكرمة من خلال عمله تحت قيادة رجال خبروا المعارك والحروب.

---

(١٣) ابن كثير، البداية، والنهاية ٧/٢٨.

وتتجمع قيادة جيوش الشام في يد خالد بن الوليد سيف الله المسلول، الرجل الذى لم يهزم فى أى معركة خاضها، فيعيد تنظيم الجيش، ويجعل عكرمة والقعقاع بن عمرو على مجنبتى قلب الجيش[١٤]، لم يجد خالد من يفوقهما جراة وبسالة ومقدرة ليقفا بجواره فى الصفوف الأمامية استعدادا للمعركة الفاصلة فى مواجهة جحافل الروم فى اليرموك سنة ١٣ هـ حيث وقعت المعركة الفاصلة التى مثلت بداية ونهاية، بداية ظهور الدولة الإسلامية خارج نطاق الجزيرة العربية، ونهاية الدولة البيزنطية.

وحمي وطيس المعركة، وضغطت جموع الروم على المسلمين فتراجعوا عن مواقعهم، فصاح عكرمة: «قاتلت رسول الله ﷺ فى مواطن وأفر منكم اليوم!» ثم نادى: «من يبايع على الموت؟» فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور فى أربعمائة من وجوه المسلمين[١٥] ويقاتل عكرمة كما لم يقاتل مبديا من ضروب الشجاعة والبسالة ما كان مضرب الأمثال حتى سقط شهيدا وبه بضعة وسبعون ما بين ضربة ورمية وطعنة[١٦].

ليس هذا فقط، بل كانت لشهادته قصة تجعله مضرب المثل فى الإيثار استشهد البطل عكرمة، ومعه الحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، هؤلاء الثلاثة تحديدا الذين خرجوا سويا من المدينة طلبا للشهادة فى سبيل الله والألم يعتصر قلوبهم بعد أن رفض عمر بن الخطاب أن يكونوا وضربابهم ممن أسلموا يوم الفتح أن يكونوا ممن يؤخذ منهم رأى ومشورة، كان لهؤلاء الثلاثة مشهد لا ينسى، الثلاثة سقطوا صرعي واستشعروا العطش فأتوا ماء فتدافعوه، كلما دُفع إلى رجل منهم قال اسق فلانا، حتى ماتوا ولم يشربوه قال عبدالله بن مصعب: طلب عكرمة الماء، فنظر إلى سهيل ينظر إليه فقال: ادفعه إليه فهو أحق به مني، فنظر سهيل إلى الحارث ينظر إليه فقال: ادفعه إليه. فلم يصل إليه أحد منهم حتى ماتوا جميعاً[١٧] وحتى اللحظة الأخيرة أبى عكرمة ورفاقه رضى الله عنهم - إلا تمثل قول الله - عز وجل:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[١٨].

ومتى؟ وهم يعانون سكرات الموت، فكانوا حقا.

﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

---

(١٤) المصدر المحقق ١٣/٧.

(١٥) المصدر السابق ١٣/٧.

(١٦) المصدر السابق ٢٨/٧.

(١٧) الاستيعاب ١٠٨٤/٣.

(١٨) الحشر (٩).

# غدر اليهود

للشاعر الكبير الأستاذ/ أحمد محرم

ترامى الجيش، واندفع الرعيل ... فقل لبنى قريظة ما السبيل؟[1]
سلوا كعبا وصاحبه حييا ... نزيل الشؤم هل صدق النزيل؟[2]
أطعتم أمره، فتلقفتكم ... من الأحداث داهية أكول
وكان دليلكم، فجنى عليكم ... وقد يجنى على القوم الدليل
دليل السوء، لا عقل حصيف ... يسدده، ولا رأى أصيل
تفرقت الجموع وأدركتكم ... جنود الله يقدمها الرسول[3]
جهلتم ما وراء الغدر حتى ... رأيتم كيف يبتعظ الجهول
ألم تروا اللواء مشى إليكم ... به وبسيفه البطل المهول؟
حذار بنى قريظة من على ... ولا يغرركم الأطم الطويل[4]
وما يجديكم الهذيان شيئا ... وهل يجدى المخبل ما يقول؟

(١) الرعيل مقدمة الخيل أو القطعة القليلة منه تقدر بالعشرين أو الخمسة والعشرين.
(٢) إشارة إلى ما كان من أمر حيي بن أخطب مع كعب بن أسد حين ذهب إليه وحمله على نقض العهود وتمزيق الصحيفة. راجع غزوة الخندق وإلى أنه معه فى الحصن وفاء بعهده.
(٣) الذين جاءوا لحرب النبى فى غزوة الخندق.
(٤) الأطم: الحصن.



وما لبني القرود سوى المواضي … يكون لها بأرضهمُ صليل(*)

***

تواروا كالنساء محجَّبات … حمتها في المقاصير البعول

خلا الميدان، لا بطل ينادي … ألا بطل؟ ولا فرس يجول

أقاموا مُخْجَرين على هوان … أقام، فما يريم ولا يحول(٦)

يرنِّق عيشهم جوع وخوف … كلا الخطبين أيسره جليل(٧)

يبيت الهم منتشرا عليهم … إذا انتشرت من الليل السدول(٨)

يلفهم السهاد، فلا رقاد … يطيب لهم، ولا صبر جميل

يخاف النومَ أكثرُهم سهادا … كأن النوم في عينيه غول

إذا مالت به سِنَة تنزّى … يظن جوانب الدنيا تميل(٩)

تطوف بهم منايا هم ظنونا … توهَّجُ في مخاليها النصول

بهم وبحصنهم مما دهاهم … وحاق بهم جنون أو ذهول

***

يقول كبيرهم ياقوم ماذا … ترون؟ أهكذا تعمى العقول؟(١٠)

---

(*) إشارة إلى قول الرسول الكريم لهم وقد دنا من حصنهم - يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟. فإن عليا ـ كرم الله وجهه ـ أقبل على الحصن في جماعة من المهاجرين والأنصار، وغرز اللواء عند أصله. فسمع من بني قريظة كلاما بذيئا في رسول الله وأزواجه، ثم رآه مقبلا فأوصى أبا قتادة الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ أن يلزم اللواء، وخف إليه فقال: يا رسول الله لا عليك ألا تدنوا من هؤلاء الأخابث، قال: لعلك سمعت منهم لي أذى قال: نعم فدنا من الحصن وقال لهم: يا إخوان القردة...»

(٦) أحجره غطاه وستره، كناية عن بقائهم في الحصن رام مكانه زال عنه وفارقه.

(٧) يرنق بمعنى يكدر. (٨) جمع سدل وهو الستر.

(٩) تنزى توثب وتسرع.

(١٠) كعب بن أسد، قال لهم: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلالا ثلاثا، أيها شئتم فذاك. قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وأبنائكم، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب، حيث لم يكن من بني إسرائيل. ولقد كنت كارها لنقض العهد، ولم يكن البلاء والشؤم إلا من هذا الجالس (يعني حيي بن أخطب) أتذكرون ما قال ابن خراش حين قدم عليكم، أنه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له أنصارا فتكونوا قد آمنتم بالكتابين، الأول والآخر - قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره: قال: فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا ثقلا، وإن نظفر فلعمري لنجدن النساء والأبناء.. قالوا: نقتل هؤلاء المساكين، فما خير العيش بعدهم؟ قال: إن الليلة ليلة السبت، وإن عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب منهم غرة، فقالوا نفسد سبتنا وأبوا.

أليس محمد من قد علمتم ... فما الخبل الملحُ، وما الغفول؟[11]
رسول الله ما عنه صدوف ... لمن يبغي النجاة، ولا عدول
أبعد العلم شك؟ بل ضللتم ... على علم، وذلكم الغلول[12]
هلموا نتبعه، فإن أبيتم ... فليس لنا سوى الأخرى بديل
نضحّي بالنساء وبالذراري ... ونخرج، والدم الجاري يسيل
بأيدينا السيوف مسللات ... نصون بها الذمار إذا نصول
فإلا تفعلوا فالقوم منا ... بمنزلة تنال بها الذحول[13]
لهم منا غدا بالسبت أمن ... فإن تك غرة شُفِيَ الغليل
هلموا بالقواضب إن أردتم ... فما يغني التردد والنكول
عصوه، وراضهم عمرو بن سعدى ... فما اجتُنِب الجماح ولا الجفول[14]
أبوها جزية ثقلت عليهم ... وقالوا: بئسما يرضى الذليل
ففارقهم على سخط وضغن ... وراح يقول: لا نعم القبيل
نهاهم قبل ذلك أن يخونوا ... فكان الغدر والداء الوبيل

***

توالى الضُّرُّ عبئا بعد عبء ... فهدّ قواهم العبء الثقيل
دَعَوا يستصرخون: ألا دواء ... فقد أشفى على الموت العليل؟

---

(١١) الغفول بمعنى الغفلة.
(١٢) الغلول = الخيانة.
(١٣) الذحول جمع ذحل والذحل الثأر.
(١٤) قال لهم عمرو بن سعدى: خالفتم محمدا ولم أشرككم في غدركم، فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية، وأعطوا الجزية. فأبوا وغضب فقال: إني بريء منكم، ثم فارقهم ولم يعد إليهم.
الجفول: النفور من كل شيء.



لعل أبا لبابة إن ظفرنا ... بمقدمه لعثرتنا مقيل[١٥]

وأرسله النبي فخالفوه ... وقالوا: لا يصاب لنا قتيل

لكم منا السلاح إذا أردتم ... وتنطلق الركائب والحمول

وعاد، فراجعوه على اضطرار ... وهان عليهم المال الجزيل

إليك أبا لبابة ما منعنا ... وشرُّ المال ما منع البخيل

خذوه مع السلاح، وأطلقونا ... فحسب محمد منا الرحيل

فقال: دماؤكم لابدَّ منها ... وذلك حكمه، فمتى القبول؟

أجب يا كعب إن الأمر حتم ... فماذا بعد إلا المستحيل

وما من معشر يا كعب إلا ... على حكم النبي لهم نزول

نصحت لكم، وما للقوم عذر ... إذا نصح الحليف أو الخليل

***

هوَوا من حصنهم، وكذاك تهوى ... وتهبط من معاقلها الوعول[١٦]

وجاءوا ضارعين، لهم خوار ... يجاوبه بكاء أو عويل

يبثُّ الوجدَ مبتئس حزين ... وتذري الدمع والهة ثكول

قضاء الله من قتل وسبْي ... مضى، والبغي دولته تدول

(١٥) لما جاءهم أبو لبابة ـ رضي الله عنه ـ واسمه «رفاعة بن المنذر» قام إليه الرجال وأسرع النساء والأطفال يبكون في وجهه، وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد «أن لا تحقن دماؤهم وأن تترك لهم نساؤهم وأبناؤهم، قال - نعم. فأبوا وقالوا: نترك السلاح ونجلو فلم يقبل النبي، وعادوا فقالوا نترك السلاح والمال. فكذلك.

(١٦) نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم فبرزوا من الحصن وجاءوه أذلاء ضارعين. فأمر بهم فكتفوا، وأخرج النساء والذراري فجعلوا ناحية - الوعول جمع وعل، وهو التيس الجبلي أو ذكر الأروى.




يقـــــول الأوس إن القـــــوم منا … على عـــهـــد، وقـــد طمت الســـيول(١٧)

مـــــواليـنـا، إذا خـطـبٌ عـنـاهـم … عنانا مــــا يُشقّ ومـــــا يعــــول

وهم حلفــــاؤنا، نحنو عليـــــهـم … ونحـدب إن جـفـا الحـدبُ الوصـول

أنقــــتلهم بأيدينا؟؟ فــعــفــواً … رســـــول اللّـه إن أثـم الضلول

فــقـــال: جـعلت أمــر القـوم طراً … إلى ســعـــد فنعم هو الوكـــيـل

وجـيء بـه، يقــــــول لـه ذووه … ترفـق، إنك المـولى النـبـيـل(١٨)

فـقـال: دعـوا اللجـاج فـإن سـعـداً … بنصـــرة ربه الأعلى كـــفـــيـل

فـصـاح يقـول: واقـومـاه منهم … رجـــال عـــزمـــهم واه كـلـيـل(١٩)

أتى، فـــاقــرّ حكم الله فـيــهم … وآل الأمـــر أحـــســن مـــا يؤول(٢٠)

عليٌّ والزبيـــر لكل عـــضـب … صـقـيل منهـمـا عـضب صـقـيل(٢١)

همـا استـبـقـا نفوس القـوم نهبـاً … وروح الله بينهـــمــا رســـيل(٢٢)

***

تقـدم يا حـيـيُّ فـلا مـحـيص … وردْ يا كـعـب مـا ورد الزمـيـل(٢٣)

---

(١٧) تواثبت الأوس وقالوا: يا رسول الله، موالينا وحلفاؤنا، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد فعلت يعنون بني قينقاع حلفاء الخزرج وقد كلمه فيهم عبدالله بن أبي بن سلول، فوهبهم له على أن يجلوا - فقال: أما يرضيكم يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم، قالوا: بلى - فقال: فذلك إلى سعد بن معاذ.

(١٨) بعث النبي إلى سعد بن معاذ وكان في خيمة رفيدة الأسلمية فحمله بعض قومه على حمار وهم يقولون له: يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم، فقد رأيت ابن أبي وما صنع في حلفائه - كانوا يقولون ذلك له وهو ساكت فلما أكثروا عليه قال ـ رضي الله عنه ـ لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فصاح بعضهم: واقوماه.

(١٩) واه كليل: بمعنى ضعيف.

(٢٠) جاء سعد فقال لبني قريظة: أترضون بحكمي؟ قالوا: نعم - قال: فإني أحكم فيكم أن تقتل الرجال، وتغنم الأموال، وتسبى الذراري والنساء.

(٢١) كان الذي تولى قتلهم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢٢) الرسيل: الرسل، والموافق في النضال وغيره.

(٢٣) جيء بحيي بن أخطب مجموعة يداه إلى عنقه بحبل. فقال له النبي: ألم يمكن الله منك يا عدو الله؟ قال: بلى، أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكن من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر، وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه. أما كعب بن أسد فقال له بعض قومه: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال: في كل موطن لا تعقلون، أما ترون أن من ذهب منكم لا يرجع؟ هو والله القتل. قد دعوتكم إلى غير هذا فأبيتم علي. قالوا: ليس حين عتاب.






لكل من شقاء الجدْ ورد ... وسَجْل من منيته سجيل(٢٤)

أصابكما من الأقدار رام ... هوى بكما، فشأنكما ضئيل

لبئس السيدان لشر قوم ... همُ البرحاء والداء الدخيل(٢٥)

منابت فتنة خبثت وساءت ... فلم تطب الفروع ولا الأصول

قلوب من سواد القوم عميٌ ... وألباب من الزعماء حول

أضلهُمُ الغباء، فهم كثير ... وعمهم البلاء، فهم قليل

***

تخطفهم هريت الشدق ضار ... له من محكم التنزيل غيل(٢٦)

فما نجت النساء ولا الذراري ... ولا سلم الشباب ولا الكهول

تهلّلت المنازل والمغاني ... وأشرقت المزارع والحقول

وبات الحصن مبتهجاً، عليه ... لآل محمد ظل ظليل

***

لعمر الهالكين لقد تأذى ... تراب في حفائرهم مَهيل(٢٧)

طوى رجساً تكاد الأرض منه ... تمور بمن عليها أو تزول(٢٨)

يساق السبْيُ، شرذمةٌ بنجد ... وأخرى بالشآم لها أليل(٢٩)

---

(٢٤) السجل: الدلو، وسجيل بمعنى عظيم، ولا يقال له سجل إلا إذا كان ممتلئا. والجد الحظ.

(٢٥) البرحاء الأذى الشديد.

(٢٦) واسع الشدق، من صفات الأسد، والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم

(٢٧) أمر النبي فحفرت الحفائر، ثم ألقى قتلى بنى قريظة فيها وهيل عليهم التراب.

(٢٨) تمور تضطرب.

(٢٩) بعث النبي سعد بن زيد الأنصاري ببعض سبايا بنى قريظة إلى نجد، وسعد بن عبادة ببعض منها إلى الشام ليبتاعا بها خيلا وسلاحا - الأليل: الأنين، ورفع الصوت بالصراخ عند المصيبة



جلائب، لا أبٌ في السوق يحمي ... ولا ولد يذبُّ، ولا حليل(٣٠)

تُجَرُّ على الهوان، ولا مغيث ... بأرض ما تجرُّ بها الذيول

أصاب المسلمون بها سلاحاً ... وخيلاً في قوائمها الحجول

مكرمة، تُعدُّ لكل يوم ... كريم الذكر، ليس له مثيل

إذا ذكرت مناقبه الغوالي ... تعالت أمة، واعتزَّ جيل

مناقب ما يزال لها طلوع ... إذا الأقمار أدركها الأفول

لها من نابه الأدب انبعاث ... فما يُخفي زواهرها الخمول

ضمنت لها البقاء وإن عنتني ... من الدهر العوائق والشغول

وما تغني الخزائم حين تُلوى ... إذا انطلقت لحاجتها الفحول

تُخلِّدها مصونات حسان ... حرائرُ، ما لها أبداً مُذيل

صفايا الشعر، لا خلق زريٌ ... يخالطها، ولا أدب هزيل

لعلَّ الله يجعلها ربيعاً ... لألباب أضرَّ بها المحول

فوا أسفا، أتُطمعني القوافي ... فيخلف مطمع، ويخيب سول؟

وواحربا، أما يُرجى فكاك ... لأسرى ما تفارقها الكبول؟(٣١)

***

(٣٠) جلائب: مسوقات؛ يذب: يدفع.

(٣١) يقصد الأمم الإسلامية المغلوبة على أمرها في أيامنا هذه.

# العصر الذهبي للصهيونية العالمية في مواجهة الإسلام

للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق

**بعد اندلاع أحداث سبتمبر ٢٠٠١ ولأول مرة في تاريخ أمريكا المعاصر، وأول اختبار للرئيس الأمريكي الجديد بوش (الابن) ترى الإدارة الأمريكية أنها أمام خيارين لا ثالث لهما، الجماعات الإسلامية والمسلمين والإسلام في كفة وكرامة وكبرياء وقوة أمريكا في كفة أخرى، وحسمت الأمر منذ البداية مخاطبة العالم أجمع بأن أمريكا ستقود حربا شرسة ضد ما أسمته بالإرهاب برغم أن العالم حتى الآن يتساءل ما مفهوم أمريكا للإرهاب، وأعلن بوش صراحة أن العالم أجمع أمام خيارين لا ثالث لهما، من معنا ومن ضدنا، وسنبدأ بأفغانستان وبعدها دولا أخرى، والحرب قد تستمر لأعوام، وكان الخطاب بمثابة إرهاب للعالم أجمع، من معنا سيكافىء، ومن ضدنا سيذوق الأهوال السبعة.**

إذاً فالحرب ضد جماعات إسلامية تنتمي لدول إسلامية، والصورة قد اتضحت، وأعداء أمريكا دول معروفة على خارطة العالم، وعلى العالم المشاركة في تدميرها، والبداية أفغانستان معقل بن لادن الأسطوري الذي يمتلك مصباح علاء الدين والقادر على تدمير أي قارة على الكرة الأرضية!! وأصبح الشبح الذي يعلقون عليه أخطاءهم ويبررون به أفعالهم تجاه الإسلام

والمسلمين، والذى زرعه وغذاه اللوبى الصهيونى طوال عقود مضت.

منذ شهرين تُضرب أفغانستان المسلمة بكل ما وصل إليه الغرب من اختراعات لأحدث أنواع القنابل والصواريخ برغم التصريحات البراقة والمواد الغذائية التى تلقيها الطائرات الأمريكية لأطفال أفغانستان. أو وليمة الإفطار التى أعدها بوش فى البيت الأبيض لتناول طعام الإفطار مع ٥٣ سفيرا من الدول الإسلامية فى حادثة لم يشهدها المجتمع الأمريكى من قبل.

ومع مدفع الإفطار تتساقط القنابل على أفغانستان وتحصد الأبرياء. وسجون أمريكا وأوروبا تعج بالسجناء العرب والمسلمين الأبرياء المشتبه فيهم. وبعد أيام تصدر مصلحة البريد الأمريكى طابعاً تذكارياً بمناسبة عيدالفطر المبارك.

وقد شهدت الساحة العالمية نشاطا غير عادى للصهيونية العالمية واللوبى الصهيونى فى حملة شرسة استهدفت المسلمين والعرب داخل الولايات المتحدة وخارجها مسخرة أبواق إعلامها. وتدخلها المباشر أو غير المباشر فى صنع القرار وكانت النتيجة مصادرة أموال البنوك الإسلامية والجمعيات الخيرية الإسلامية وأموال أثرياء المسلمين بحجة أنها توجه للإرهاب.

وعن طريق إعلام اللوبى الصهيونى قلبوا الموازين وألصقوا تهمة الإرهاب بالمسلمين وحولوا الكفاح المسلح الوطنى الفلسطينى المشروع إلى إرهاب، وحولوا إرهاب إسرائيل الموجه لتصفية الوجود الفلسطينى إلى دفاع عن النفس، وفرضوا النظرة الأحادية على الولايات المتحدة الأمريكية وأصبحت أمريكا تنظر إلى مشاكل الشرق الأوسط بعيون إسرائيلية والإعلام الصهيونى يلعب على كل الأوتار، ولدى اللوبى الصهيونى سيناريوهات جاهزة التحضير والرؤية المستقبلية المحتملة لاستغلال ما يحدث لصالحهم، أو يفعلوه هم ويلصقوه بالآخرين. فإن الرعب الذى اجتاح أمريكا بكل ولاياتها بعد ظهور ميكروب الجمرة الخبيثة «الإنثراكس» فى عدة أماكن، وبث اللوبى الصهيونى البلاغات الكاذبة عن وجود بودرة بيضاء يشتبه أن تكون ميكروب الجمرة الخبيثة فى الأماكن الحساسة بأمريكا. أو بالبريد. كى يقنع العالم أجمع ويسكب البنزين على النار المشتعلة بأن وراء هذا الرعب عربياً مسلماً ذا لحية سواء أكان من قارة آسيا أو أفريقيا أو أوروبا أو حتى إن كان قد ولد وعاش هو وأجداده فى أمريكا إنها حملة مسعورة يخوضها اللوبى الصهيونى لأنه المستفيد الوحيد لما يحدث الآن، والجميع يتساءل عن اليد الخفية التى تبث الرعب فى كل مكان بأمريكا فى الكونجرس الأمريكى تعلن الحكومة أنها عثرت على جراثيم الجمرة الخبيثة فى أجهزة التكييف.. الخ.

وعمدة نيويورك عثر عليها فى مكتبه.. إلخ. كيف يخترق أى عربى مسلم هذه الأماكن؟؟ الذى يمكنه اختراقها هم اليهود الذين يعملون ويتقلدون المناصب المهمة فى أمريكا وسيطروا تقريبا على كل المؤسسات الحساسة بها.

كما استغل الإعلام الصهيونى الوضع المتردى للمسلمين فى أفغانستان، وقام بنشر وبث صور بعض الأفغانيات وقد خلعن الحجاب على أنها ظاهرة صحية تعبر عن القهر الإسلامى الذى



عانت منه نساء أفغانستان والذى يتعارض مع حقوق المرأة ويتعارض مع حقوق الإنسان وكذلك صور بعض الشباب وهو يقوم بحلق لحيته (تحت تهديد قوات التحالف الشمالى التى تدعمها أمريكا) على أنه كان مجبراً لإطالة لحيته، والآن تحرر منها.

وكذلك يطالعنا الإعلام الغربى الصهيونى بأن القضية الفلسطينية لن تحل إلا إذا قدم الفلسطينيون تنازلات لإنجاح المفاوضات. أى تنازلات يقدمها صاحب الأرض لمن احتلها؟!

وتسعى الصهيونية منذ احتلالها فلسطين إلى تفريغها من العرب سواء بالترحيل أو الإبادة وعجزت آلة الحرب التى تدور رحاها منذ سبتمبر ٢٠٠٠ ضد أطفال الحجارة لإبادة هذا الشعب الأعزل. واستغلت سيناريو الحرب ضد الإرهاب، مسخرة وسائل إعلامها وتغلغلها المباشر أو غير المباشر فى صنع القرار الأمريكى كى تحظى بتأييد أمريكا باعتبار ما يقوم به الفلسطينيون من مقاومة مشروعة للاحتلال إرهاب.

وبعد الجهود العربية والدولية والمطالبة بمحاكمة أرئيل شارون كمجرم حرب، يسعى اللوبى الصهيونى جاهداً للمطالبة باعتبار ياسر عرفات مجرم حرب، وأود أن أشير إلى أن الجرائم التى ارتكبها سفاح إسرائيل لا تعد ولا تحصى، أليس هو الذى قتل زوجات وأطفال الضباط البريطانيين عندما نسف مقر إقامتهم فى فندق الملك داود بمعاونة عصابات الأرجون وشتيرن!!

وما حدث فى أمريكا من إرهاب مأساوى لا يرضى الإسلام والمسلمين، وحتى كتابة هذه السطور لم يحزم التحقيق الأمريكى بمرتكب هذه الحادثة الشنيعة التى تدمى القلوب، وسواء قام بها الموساد الإسرائيلى لزرع فتيل العداء بين العالم الغربى والعالم الإسلامى، أم قام بها بن لادن الذى صنعته أمريكا فى حربها ضد السوفييت أو قامت بها مؤسسات إرهابية أمريكية فما صلة كل هذا بالدين الإسلامى الحنيف؟ وإذا بحثنا عن المستفيد الأول فهو اللوبى الصهيونى الذى غزا المؤسسات الأمريكية جميعاً، واستغل الموقف على مرأى ومسمع من العالم أجمع فى التنكيل بالفلسطينيين وضم الأراضى الفلسطينية والعالم فى ذهول من هول الحادث الأليم وقد سبق اعتقال خمسة عسكريين إسرائيليين سابقين يوم ١١ سبتمبر وهم يلتقطون صوراً لمركز التجارة العالمى أثناء انهياره وفى حوزتهم خرائط وأسلحة بيضاء يقول المحققون إنها تشابه الأسلحة التى استخدمها المختطفون، وإسرائيل تنفى وأمريكا فرضت السرية على التحقيقات!!

والآن تعترف السلطات الفيدرالية الأمريكية باعتقال ٦٠ إسرائيليا وترفض الإفراج عنهم بكفالة للاشتباه فى تورطهم فى أحداث الحادى عشر من سبتمبر، وكلهم من الشباب اليهودى المتشددين أدوا الخدمة العسكرية فى إسرائيل.

هناك تنسيق أمريكى - إسرائيلى مشترك لكل ما يحدث حتى يفوز اليهود بنصيب الأسد فى فلسطين وتصفية الوجود الفلسطينى وتدمير القوى العربية المحيطة بحجة أنها تأوى الإرهاب أو تغذيه كى تدخل فى خارطة الدول



التى عليها الدور. كمكسب أمنى وأمريكا تثبت تعاليها وكبرياءها على العالم أجمع وتفرض وجودها وسط آسيا لمواجهة إيران والصين عن قرب ولاستغلال بترول بحر قزوين، والذى يؤكد هذا عرض إسرائيل المساهمة فى تجريد باكستان من سلاحها الذرى برغم امتلاكها لترسانة ذرية!!

وصدت اسرائيل ٢٠٠ مليون دولار لتحسين صورتها وإلصاق الإرهاب بالفلسطينيين وفى نفس الوقت هناك قلق فى الدوائر العربية على أموالها المملوكة للحكومات والشركات والأفراد والتى تقدر بحوالى ألف مليار دولار فى البنوك الأمريكية، والتى قد تتأثر بالحرب ضد الإرهاب.

أما تداعيات ما حدث فى الحادى عشر من سبتمبر فكثيرة طالت كل مناحى الحياة فى العالم أجمع سواء السياسية أو الأمنية أو الاقتصادية.

وإذا كان قدرنا أن نعيش عصر التكتلات التى لها نظرياتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية تحت شعارات جديدة سواء أكانت العولمة أو العلمانية أو الحداثة.

وكلها تحت سيطرة اللوبى الصهيونى الذى حدد **العالم الإسلامى** هدفا لتجريده من **خصوصياته وتذويب** مقوماته وطمس حضارته **الروحية والفكرية** مستغلاً الانفتاح الإعلامى الذى يسيطرون عليه. وعلى سبيل المثال:

**فى إسرائيل**: كشفت صحيفة (ها آرتس) الإسرائيلية أن شارون قد عقد اجتماعاً مع قادة الليكود، أكدوا فيه أن أية اجتماعات أو مباحثات يجريها بيريز أو غيره من الإسرائيليين مع عرفات أو مساعديه ليس لها أى ثقل وغير معترف بها.

**القدس**: بلغ التطاول على الإسلام والمسلمين طلب وزير البيئة الصهيونى اليمينى المتطرف (تساحى هتسخى) إلغاء الأذان فى مساجد القدس جميعا بما فيها المسجد الأقصى - وذلك للضجيج المنبعث من مساجد مدينة القدس!!

**فى مصر والسعودية**: استغلت الصهيونية العالمية الوضع الراهن وحاولت النيل من مصر والمملكة العربية السعودية، ونظرا لثقل مصر فى الشرق الأوسط على وجه الخصوص والعالم على وجه العموم، ولوضع السعودية المتميز بالنسبة لأمريكا. وقد أعلنت الدولتان العربيتان الإسلاميتان رفضهما القاطع للممارسات الصهيونية فى فلسطين المحتلة وسياسة الكيل بمكيالين التى تتبعها أمريكا وكذلك رفضهما بأن تطول الضربات دولاً عربية أخرى.

وسخر اللوبى الصهيونى وسائل إعلامية فى الهجوم على مصر والسعودية فى محاولة لتسميم الأجواء بينهما وبين الولايات المتحدة.

وخلاصة القول أن هناك هجمة شرسة يتعرض لها الإسلام فى وسائل الإعلام الغربية تغذيها وتخطط لها الصهيونية العالمية، ولا خوف على الإسلام فإن له رب يحميه، ولكن علينا مراجعة أنفسنا نحن المسلمين، وماذا أعددنا لمثل هذا اليوم، وماذا علينا فعله فى عصر لا يعترف إلا بالقوة وليس فيه مكان للضعفاء، وقد منحنا الله كل شيء.

# الأزهــر
# الجامعة الإسلامية الكبرى

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

**نستطيع أن نقول: إن أقدم الجامعات الإسلامية هى الحلقات العلمية التى كانت تنعقد فى مسجد رسول الله ﷺ فى عهد صاحب الرسالة العظمى بعد هجرته إلى المدينة المنورة ﷺ، وفى مختلف العصور الإسلامية حتى العصر الحديث.**

**وقد قامت الحلقات العلمية فى المسجد الحرام بعد فتح مكة فى العام الثامن للهجرة النبوية. وتصدرها كبار الصحابة ثم التابعون من بعدهم، ثم تابعو التابعين. واستمرت هذه الحلقات تؤدى رسالتها فى خدمة الثقافة الإسلامية، والفكر الإسلامى، وشباب المسلمين، فى مختلف العصور حتى العصر الحديث. وكانت هذه الحلقات العلمية تشكل ثانى جامعة إسلامية كبرى.**

ثم بعد أن بنيت الفسطاط وبنى فيها جامع الفتح، الذى سمى تاج الجوامع، أو جامع عمرو بن العاص، لم يلبث أن قامت فيه حلقات علمية كبيرة، كان منها مثلا حلقة عبد الله بن عمرو بن العاص، ثم حلقة الليث بن سعد، وحلقة الإمام الشافعى، وغيرهم، فكانت هذه الحلقات العلمية تشكل ثالث جامعة إسلامية كبيرة فى بلاد الإسلام.

وقبل إنشاء الأزهر كان جامع عمرو هو المكان المختار لإلقاء الدروس العلمية، فقد كان مركزا اتخذه الصحابة والتابعون لنشر الدين والعلم ولإقامة الحلقات العلمية فيه، وأخذت الحركة العلمية فى هذا المسجد تنمو وتتسع حتى أمه الكثير من العلماء والأعلام الذين تركوا ثروة جليلة من الكتب والتأليف، كما كان لتلك الحلقات فضل إخراج عدد كبير من الفقهاء والمحدثين حتى أوائل القرن الرابع الهجرى، وأشهر هؤلاء عبد الله بن عمرو بن العاص،

ويزيد بن حبيب، وعبدالله بن وهب، وسعيد بن الصلت، ويحيى بن أزهر، وسعيد بن عبد الرحمن، وغيرهم.

وكانت الدراسة في أول أمرها دراسة دينية فقهية قامت في الزوايا التي أنشئت على مر السنين بالجامع العتيق، وأشهر تلك الزوايا، زاوية الإمام الشافعي التي كان الناس يهرعون إليها لسماع شروح الإمام ومحاضراته والتي تخرج فيها عدد من أعظم الفقهاء والعلماء في ذلك العهد. ثم بنى محمد بن مجد الدين أبي الحاسن الأزدي البهنسي الشافعي، وزير الملك الأشرف موسى بن العادل أيوب، زاوية سميت الزاوية المحمدية، ورتب في تدريسها قاضي القضاة وجيه الدين عبد الوهاب البهنسي وأوقف عليها عدة أوقاف بمصر والقاهرة، ثم الزاوية الصاحبية التي أنشأها صاحب التاج محمد بن فخر الدين، وجعل لها مدرسين أحدهما مالكي، والآخر شافعي، وجعل عليها وقفا بظاهر القاهرة، ثم حذا حذوه كثير من الأمراء وذوي اليسار المهتمين بالعلم، فما وافى عام ٧٤٩هـ حتى زادت حلقات جامع عمرو على الأربعين حلقة.

وكانت هذه الحلقات العامة والخاصة منها تؤدي رسالتها، فالعامة منها ما كان يقام يوميا بجامع عمرو والخاصة في يوم الجمعة الذي كانت حلقته تفوق حلقات بقية الأيام أهمية، إذ كان يوم الجمعة هذا يعد موسما علميا هاما، يهرع الناس فيه لسماع أكبر عدد من الفقهاء والشعراء والأدباء، وهم يتناقشون ويتباحثون في الفقه واللغة ويتطارحون الشعر ويروون الأخبار.

أما الحلقات الخاصة فهي التي كانت تعقد في منازل أكابر العلماء والفقهاء حيث كانوا يجتمعون بتلاميذهم وأصدقائهم يقرأون عليهم بعض شروح الفقه الإسلامي وبعض كتب العبادات ويروون بعض الأشعار. وقد تألقت بعض تلك الحلقات، أشهر منها حلقة بيت عبد الله بن الحكم الفقيه المالكي وولديه عبد الرحمن ومحمد وكانوا من أنبغ الفقهاء المحدثين حتى أوائل القرن الثالث.

وكانت حلقاتهم موضع التقاء أكابر العلماء والأدباء المعاصرين الذين كانوا يفدون على مصر من مختلف الأقطار، فما ان وفد الإمام الشافعي إلى مصر، حتى وجد من تلك الأسرة كل عناية ورعاية وإكرام. فلما أقام حلقته في جامع عمرو، كانوا هم أول من شجعه وحضر درسه.

وظل التدريس في جامع عمرو على هذا المنوال عامر الحلقات، وموضعا لنشر العلم والتعليم مدة طويلة، واقتفى أثره كثير من الجوامع الشهيرة كجامع أحمد بن طولون. فلم يأت القرن الرابع حتى كان العلم في جامع عمرو قد وصل الى مرحلة مثلى بفضل من كان يؤمه من أقطاب الفقه واللغة، وأشهرهم أبو القاسم بن قديد وتلميذه الكندي الذي ترك كتابا عظيما في تاريخ ولاة مصر ومن تولى قضاءها – وأبو القاسم ابن طباطبا الحسنى الشاعر.

فلما ان كان عصر الأمير محمد بن طغج الإخشيدي، أصبحت مجالس الدراسة والحلقات الأدبية الخاصة من تقاليد الحياة الرفيعة، وقد لقيت العلوم والآداب بفضل هذا الأمير وولده أنوجور ووزيره كافور وكثير من أمراء الدولة كل حماية ورعاية. وكانت حلقات الشاعر أبي الطيب المتنبي الذي وفد على مصر عام ٣٤٦هـ (٩٥٧م) على إثر مفارقته لبلاط سيف الدولة في حلب، من أهم حلقات الشعر والأدب واللغة في ذلك العهد.

كما قامت حلقات للمسجد الأموي بدمشق، وفي مساجد البصرة والكوفة وبغداد وفي مسجد القيروان، وفي مسجد القرويين وفي المسجد الجامع بقرطبة، وفي غيرها من المساجد الكبرى، ولكن هذه

الحلقات لم يكتب لها الدوام والاستمرار ماعدا حلقات مسجد القرويين بفاس بالمغرب .

وكان إنشاء الأزهر عام ٣٦١هـ وقيام الحلقات العلمية فيه منذ إنشائه حتى اليوم وطيلة ألف عام أو يزيد معجزة من معجزات الثقافة الإسلامية التليدة الخالدة، لأن الأزهر اليوم هو أم الجامعات الإسلامية، وهو الذي يمدها بالتوجيه وبالأساتذة، وبالخطط العلمية المدروسة .

وقامت بعد ذلك الجامعة النظامية التي أسسها الوزير نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ألب أرسلان وصديق الشاعر الصوفي الكبير عمر الخيام، وذلك عام ٤٥٧ هـ ثم الجامعة المستنصرية في بغداد، كما قامت جامعات إسلامية أخرى في نيسابور ودمشق وبيت المقدس والإسكندرية والقاهرة وغيرها من عواصم العالم الإسلامي، ولكنها اندثرت ولم يبق منها شيء .

والأزهر على أية حال هو الصورة المشرقة لكل الجامعات الإسلامية، وهو الذي يلخص تاريخ الحضارة الإسلامية كلها طيلة ألف عام، فقد ازدهر بازدهارها وضعف بضعفها، ولأنه لم يكن جامعة إسلامية لمصر وحدها، بل كان جامعة إسلامية للعالم الإسلامي كافة، يؤمه طلاب العلم من كل مكان في بلاد الإسلام، وهو مفخرة حقا، لأنه روح الحضارة الإسلامية ودرعها الواقي . وبحسبنا أنه عاش موئل العربية وملاذها الأمين .

والفاطميون هم الذين أنشأوا الأزهر في مصر، إثر فتحهم لها مباشرة، حيث أمر قائد الفتح جوهر الصقلي عام ٣٥٩هـ بالبدء فورا في إنشائه، لا ليكون مكانا للعبادة والصلاة فحسب، ولكن ليكون منبرا دينيا للدولة الفاطمية لنشر مذهبها والدعوة إليه .

وقد شرع في بناء الأزهر في الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ - ٩٧٠م وأقيمت الصلاة فيه أول مرة في اليوم السابع أو التاسع من رمضان عام ٣٦٢هـ - ٩٧٢م، واختير لبنائه مكان في الجنوب الشرقي من القاهرة بالقرب من القصر الكبير بين حي الديلم وحي الترك .

وسمي الأزهر لأنه كان محاطا بقصور زاهرة، ولأنه كان أكبر الجوامع على الإطلاق فخامة ورواء، وقد ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأنه سمي باسم فاطمة الزهراء التي ينتسب إليها الفاطميون، ويقال إنه سمي كذلك تفاؤلا بما سيكون له من الشأن والمكانة بازدهار العلوم فيه .

وما كاد جوهر يضع أساس الأزهر، حتى كان بعد تسعة شهور قد تم بناء المسجد وبتلقى الناس فيه عقائد المذهب الفاطمي .

والأزهر أول مسجد أنشئ بالقاهرة المعزية، وعندما أنشأه جوهر الصقلي ترك أمامه رحبة واسعة فكان الخلفاء حين يصلون بالناس بالجامع الأزهر، تدخل العساكر كلها وتقف في هذه الرحبة حتى يدخل الخليفة إلى الجامع .

وبقيت هذه الرحبة إلى وقت الدولة الأيوبية . ثم شرع الناس بالعمارة فيها حتى لم يبق لها أثر . وكان الأزهر كسائر الجوامع الإسلامية في العصر الذي بني فيه يشتمل على محل مسقوف للصلاة يسمى مقصورة وآخر غير مسقوف يسمى صحنا .

فلما أن تحول الجامع الأزهر إلى جامعة منذ انشائه، اتخذت الدراسة فيه طابع الحلقات الموجود في ذلك الوقت، إذ لم يكن قد استعيض عنه بنظام آخر .

وبانتقال هذا النظام إلى الأزهر انتقلت معه دراسة العلوم بمختلف أنواعها، فازدهرت فيه وترعرعت أيما ازدهار وصار الأزهر جامعة إسلامية كبرى يؤمه الطلاب والعلماء من كل مكان .

# طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

## التقوى زينة الصالحين

خرج بعض الزهاد في يوم عيد، وليس عليه جديد، فقيل له: لم تخرج في مثل هذا اليوم في مثل هذه الهيئة؟

والناس متزينون؟

فقال: ماتزين لله - تعالى - بمثل طاعته..

## بلوغ المنزلة

قيل لبعض الملوك، وقد بلغ في القدر مالم يبلغه أحد من ملوك زمانه: ما الذي بلغ بك هذه المنزلة؟.، قال: عفوي عند قدري، وليني عند شدتي، وبذلي الإنصاف ولو من نفسي، وإبقائي في الحب والبغض مكانا لموضع الاستبدال.

## الحياء

قال الشاعر:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه
ولا خير في وجه إذا قل ماؤه
وحياؤك فاحفظه عليك وإنما
يدل على فعل الكريم حياؤه

## لماذا لا تخالط الناس؟

قال سفيان الثوري: دخلت على جعفر الصادق، فقلت له: يابن عم رسول الله ﷺ مالي أراك سكنت دارك ولا تخالط الناس؟

فقال: نعم يا ابن سعيد، في العزلة دعة، وفي الدعة راحة، وما قدر لك يأتيك، ياسفيان: فسد أهل الزمان، وتغير الأصدقاء فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد.

## نصيحة

لا تكن ممن يقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، فإن أعطى منها لم يشبع، وإن مُنع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، وينهى الناس ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، يحب الصالحين ولا يعمل بعملهم، ويبغض الظالمين وهو منهم.

## لا تقتنع بأدنى منزل

من يستطيع بلوغ أعلى منزل

ما باله يرضى بأدنى منزل؟

## معاوية.. والأحنف

كلم معاوية الأحنف بن ياسين في شئ بلغه عنه، فأنكره الأحنف، فقال له معاوية: بلّغني عنك الثقة، فقال له الأحنف: إن الثقة لا يبلغ مكروها.

## وصية جامعة

يا ابن آدم:

- عف عن المعاصي تكن عابدا.
- وارض بما قسم لك تكن غنيا.
- واحسن جوار من جاورك تكن مسلما.
- وصاحب الناس بمثل ما تحب ان يصاحبوك به تكن عدلا.

## دعاء

اللهم أعد علينا رمضان أياما عديدة وأعواما مديدة.

اللهم اجعلنا ممن صام الشهر وأدرك ليلة القدر، وفاز بالثواب والأجر.

اللهم وفقنا لما وفقت إليه عبادك الصالحين واهدنا صراطك المستقيم.

## آمين

# مكتبة مكة المكرمة - المولد النبوى

للأستاذ / عبد السلام ناصف

**اذا سعدت بزيارة البيت الحرام حاجا أو معتمرا، وأردت الخروج من أحد أبوابه عبر المسعى حيث ساحته الشرقية، صافحت عيناك مبنى متواضعا فى نهايتها تحت أعتاب جبل أبى قبيس، وحيداً، شامخاً، يشد بصرك، ويلفت انتباهك، وترتاح نفسك لرؤيته، ويهفو إليه قلبك، ويجذبك إليه حنين جارف لا تعرف له سببا، تتسابق إليه أقدام الحجاج والمعتمرين، فإذا ما اقتربت منه طالعت على مدخله لافتة تحمل اسم (مكتبة مكة المكرمة) ولو سألت أى قاصد إليها لأجابك بأنها بيت سيد الرسل وخاتم النبيين. صلوات الله وسلامه عليه. ففيها ولد الهادى البشير محمد ﷺ الذى ملأ بمولده الأرض نوراً وهداية لكل شعوب الدنيا وكأن الله - سبحانه وتعالى - قد أراد لهذا المكان الطاهر البقاء الأبدى فجعله خزانة رائدة للمعارف الإسلامية - بكل ما تحتويه من نفائس ومخطوطات نادرة عبر القرون الأربعة عشرة..**

والمكتبات مقياس لتقدم الأمم وعنوان حضارتها - أما مكتبة مكة المكرمة خاصة فإنها تفخر بأنها من أحدث المؤسسات الحضارية فى العالم الإسلامى إضافة إلى أنها شيدت فوق بقعة شهدت وسعدت بمشاهدة مولد المصطفى الهادى البشير - صلوات ربى وسلامه عليه - أسهم فى إثرائها نخبة فاضلة من أهل الخير العلماء العاملين كرمها ربها ودفعها لفعل الخير - خاصة فى هذا الميدان - ولنعرض لموقعها وشكلها ومبناها.

## الموقع

تقع هذه المكتبة المباركة (المولد النبوى) فى وسط البلد الآمن على حدود البيت المعمور من الجهة الشرقية تحيط به الأنفاق والطرق الممهدة المعبدة التى تصل بينه وبين كل أحياء مكة المكرمة لتربط العالمين بمولد الحبيب المصطفى ﷺ ذلك الحدث الجلل الذى سعدت به الدنيا والتى شرفها به ربها - جل وعلا - والمكتبة قريبة من الأسواق والحوانيت التى تقضى للقارئ والزائر كل ما يطلب وكل ما يحتاج.

## الوصف العام

تتكون المكتبة من طابقين بطول أربعة وعشرين متراً، وعرض ثلاثة عشر متراً، وبارتفاع عشرة أمتار، مبنية بالحجر الأحمر



ومسقوفة بالخرسانة المسلحة، ومطلية باللون الأبيض، وعلى الجزء السفلي من جدرانها رخام رمادي اللون مشابه ومماثل للرخام الملصق على جدران المسجد الحرام. كل نوافذها مغلقة اعتماداً على الإضاءة الكافية وتكييف الهواء بداخلها.

## الوصف الداخلي

يتكون كل طابق من صالة كبيرة فسيحة مجهزة بالأرائك والكراسي والمناضد، لتسهيل عملية الاطلاع والقراءة والبحث - مهما طال الوقت أو تعدد التردد عليها - وعلى جوانبها خزانات زجاجية مليئة بالكتب والمراجع والمؤلفات والدوريات والحوليات، ويوجد على يمين الداخل قاعة زودت بمكتبة خاصة مهداة من أحد أهل الخير وعلى يساره قاعة كبيرة مليئة بالمخطوطات النادرة في شتى العلوم الإسلامية، وفي نهاية صالة المطالعة من جهة الشرق توجد قاعتان مماثلتان للغرفتين الغربيتين إحداهما خصصت للمكتبات المهداة والأخرى تعج بالكتب والمؤلفات. يفصل بينهما مدخل لسلم الطابق الثاني الذي يماثل ويشابه الطابق الأرضي.

## تاريخ المبنى

حظي المبنى باهتمام الأمة الإسلامية، فحسبها فخراً وشرفاً ورفعة أنها دار المولد - كما سماها الأزرقي في كتاباته إذ يقول عنها: إنها البيت الذي ولد فيه النبي ﷺ، .. كان ملكاً خاصاً بجده عبد المطلب الذي قسمه بين بنيه في حياته وكان لعبد الله - والد رسول الله ﷺ - نصيب فيها، فصارت ملكاً لسيدنا رسول الله الصادق الأمين - صلوات ربي وسلامه عليه - ففيها ولد وفيها تربى ونشأ النشأة النبوية الرفيعة التي رباه عليها ربه - جل وعلا. -

ولقد تواتر هذا السرد التاريخي للمبنى في كل المراجع الكبار التي يعتمد عليها ومنها نختار ابن إسحاق في سيرته سنة ١٥١هـ، وابن هشام في تهذيب السيرة سنة ٢١٣هـ، وابن سعدفي طبقاته سنة ٢٣٠هـ الأزرقي في أخبار مكة سنة ٢٤٤هـ، والفاكهي في أخبار مكة سنة ٢٧٢هـ، والطبري في تاريخه سنة ٣٠١هـ، وابن عبد البر في الاستيعاب سنة ٣٦٨هـ، والسهيلي في الروض الأنف سنة ٥٨١ هـ، وابن الأثير في الكامل سنة ٦٣٠ هـ واضب الطبري في «القرى لقاصد أم القرى» سنة ٦٩٤ هـ وابن سيد الناس في عيون الأثر سنة ٧٣٤هـ، وابن كثير في سيرته سنة ٧٧٤ هـ، والفاسي في شفاء الغرام سنة ٨٣٢هـ، وابن فهد في اتحاف الورى سنة ٨٨٥ هـ.

فقد أجمعوا - بلا استثناء - على أن مولد الهادي كان بها، ولما أمر - صلوات ربي وسلامه عليه - بالهجرة تركها واستولى عليها ولدعمه عقيل بن أبي طالب وتوارثها أبناؤه وأحفاده حتى سعد بشرائها محمد بن يوسف الثقفي شقيق الحجاج - ولما علمت بقصتها والدة الخليفة العباسي هارون الرشيد أمرت بشرائها وجعلتها مسجداً يصلى فيه عام ١٧١هـ ولقي المسجد المبارك كل عناية وكل تقديرممن ولي أمر

المسلمين من الأمراء والخلفاء والحكام اهتماماً يليق بقدره حتى رؤى تحويله إلى مكتبة عامة تكون محرابا للعلم والعلماء وخزانة لأنفس المخطوطات وأندر الكتب والمؤلفات الإسلامية عام ١٣٧٠هـ، فاضحت أثراً حضاريا ومعلماً تاريخيا شهد أعظم حدث في تاريخ البشرية، وكانت تابعة وقتها لوزارة الإعلام وفي عام ١٣٨٠هـ صدر قرار بتبعيتها لوزارة الحج والأوقاف، وانتهى بها المطاف لوزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة عام ١٤١٤هـ.

ويقصد المكتبة المباركة الباحثون والمفكرون في مجالات الفكر الإسلامي لتوافر المصادر النادرة من الكتب والمخطوطات وساعد على علو قدرها وكثرة روادها قربها من الكعبة المشرفة والبيت الحرام وتوفر سبل ووسائل المواصلات وكثرة أماكن انتظار السيارات بالقرب منها.

ثم هي تضم مجموعات خاصة أهديت إليها - تبركا وتقربا - من أفاضل المؤلفين والعلماء الأحياء أو ذويهم وهي تنمو وتضطرد وتتطور وتتضاعف باستمرار بجهود هؤلاء المتبرعين وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ حسين عرب الذي أهداها مكتبة كاملة تزيد محتوياتها على ٤٢٠٠ بين كتاب مطبوع ومؤلف ومخطوط، خصص لها قاعة كبيرة على يسار الداخل، والشيخ الكردي الذي كان يمتلك مطبعة خاصة بمكة المكرمة أسسها عام ١٣٢٧هـ لطباعة الكتب والمؤلفات الإسلامية دون سواها والذي وهب كل ما يملك للمكتبة الحبيبة وخصص لها قاعة في الدور الأول تضم مايزيد على خمسة آلاف مؤلف هي كل ما انتجته مطبعة الترقي الماجدية. ومنها مكتبة الشيخ قدسي، التي تزيد على ألف وستمائة كتاب ومؤلف، والشيخ المالكي شيخ علماء زمانه في الفقه المالكي بأكثر من ألف ومائتي مؤلف، والشيخ حسب الله في الفقه والمناسك والفتاوى بأكثر من خمسمائة مؤلف وكتاب، إلى جانب ما أهدى إليها من وزارة الأوقاف التي تربو على ٣٥٠٠ ثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب ومؤلف، ويضيق المقام عن ذكر أعداد الكتب والمؤلفات التي قدمها كل من أصحاب الفضيلة العلماء أمثال الشيخ الششة، والسادة الادارسة والشيخ شطا، والأستاذ علاف، والشيخ صدقة، والشيخ رشيد الفارسي، إضافة إلى الكتب والمؤلفات التي تهل عليها طوال فترة استقبالها للجمهور على مدار اليوم وبعض الليل، وإضافة للصحف والمجلات والدوريات والحوليات والبحوث والمخطوطات، ولا يزال المواطنون يواصلون إهداء المزيد والمزيد لهذه المكتبة الرائدة كل يوم ترحما على موتاهم وتخليداً لذكراهم أمثال المغربي وخوجة والجفري - رحم الله الجميع.

ولقد تم تصوير مخطوطاتها على (ميكروفيلم) للمحافظة على هذا التراث الفريد الخالد، وصنفت الكتب والمؤلفات والمخطوطات حسب نوعياتها وموضوعاتها ومؤلفيها في شتى المجالات لتسهيل استخراج الكتاب المطلوب لتصبح هذه المكتبة المباركة أول مكتبة تعمل بهذا النظام الآلي والإفادة منه منذ عام ١٤١٥هـ.



## خصائص المجموعات الخاصة المهداة

١- تحتوى هذه المجموعات على مؤلفات ومخطوطات وكتب نادرة طبعت فى الهند وقازان وتركيا والبلاد الشرقية والبلاد المغربية - يندر تواجدها فى أى مكان آخر - ويرجع تاريخ طباعتها لأكثر من مائة عام كالدرر البهية سنة ١٣١١هـ، وصلح الجماعتين بجواز تعدد الجمعتين سنة ١٣١٢ هـ، سبل السلام لمن دخل المسجد الحرام سنة ١٣١٢هـ، القصد الثمين فى فضائل البلد الأمين سنة ١٣١٤هـ، شرح المسالك المقسط على المنسك المتوسط سنة ١٣١٩هـ، حاشية المسلك القديم على حل ألفاظ المنهج القويم على مسائل التعليم سنة ١٣٢٦هـ، الوسيلة المرعية لمعرفة الأوقاف الشرعية سنة ١٣٣٨، هداية العوام إلى معنى حديث نبى الإسلام سنة ١٣٣١ هـ، تحفة الأنام فى مآثر البلد الحرام سنة ١٣٢٩هـ، تحفة السالك لمذهب الإمام مالك سنة ١٣٣٢ - الترغيب والترهيب سنة ١٣٣٨ هـ، الأزهار الوردية نظم التحفة السنية سنة ١٣٥٤هـ، حق المعرفة وحسن الإدراك بما يلزم فى وجوب الفطر والإمساك - قازان، سنة ١٢٩٧، زبد الإسراء شرح مختصر المنار - قازان سنة ١٣٠٤هـ، جهد المقل مع شرح الموسوم ببيان جهد المقل - بترسبورج سنة ١٣١٦ هـ، قيام الليل وقيام رمضان وقيام الوتر سنة ١٣٢٠ لاهور، صحائف العامل بالشرع الكامل سنة ١٣٢٣ مصر، مختصر الوقاية سنة ١٣٢٤ هـ قازان.

## المخطوطـــات

تنال المخطوطات عناية فائقة فى كل مكان فى جميع المكتبات الخاصة والعامة، ومن ثم أفردت لها المكتبة الرائدة فى مكة المكرمة بدار المولد الشريف قاعة مستقلة على يمين الداخل تطل على ساحة البيت الحرام مفهرسة بنظام الحاسب الآلى الحديث تسهل للباحث والمطلع الوصول إلى ما يريد بسرعة وسهولة ويسر وهى تذخر بالمخطوطات فى شتى فروع الميدان الإسلامى، خاصة ميدان التفسير الذى يزيد عدد مخطوطاته النادرة على أربع وتسعين مخطوطا والحديث ( ١١٨ ) والفقه المالكى ( ٦٢ ) والسير ( ١٢٢ ) والأدب ( ٤٥ ) والدواوين الشعرية ( ٤٣ ) والعلوم العربية ( ١٧٤ ) والفتاوى ( ٦٧ ) وأصول الفقه ( ٢٥ ) والتوحيد ( ٨٨ ) وعلم النفس ( ٧ ) ومتنوعة ( ١١ ) والمجاميع ( ٤٧ ) والحساب والفلك ( ٢٤ ) والفرائض ( ٣٥ ) والمنطق ( ٤١ ) والتصوف ( ١٦٩ ) والمناسك ( ١٧ ).

ومن بين هذه المخطوطات النادرة مخطوطات باللغة الفارسية والأندلسية محلاة بزخارف نادرة فريدة وبديعة برسم اليد.

والآمال معقودة على أن تنال هذه المكتبة المباركة كل عناية وكل رعاية لتؤدى دورها العلمى بما يواكب تقدم العصر ويتناسب مع مكانتها الرفيعة فى النفوس والقلوب لتكون واجهة حضارية مشرقة ومعلماً لخير رمز وذكرى لمولد الهادى البشير.

والله من وراء القصد، وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ فى الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# في وداع رمضان

للأستاذ / مجدي عبد الحميد بشير

**ها قد غادرنا شهر عظيم وضيف كريم هو شهر رمضان، شهر القرآن والإيمان شهر المغفرة، والإحسان، شهر أزدهت فيه المساجد بكل راكع وساجد، واستنهض فيه للخير كل قاعد وراقد. انقضى شهر التعبد والتراويح والذكر والتسابيح. شهر لبست فيه السنة ثوب الفريضة، بينما ارتفع أجر الفريضة الواحدة فيه إلى أجر سبعين فريضة.**

**شهر امتاز على سواه من الأشهر بليلة القدر التي يفوق قيامها صلاة ألف شهر، شهر الاستقامة والاعتكاف، من صامه وقامه إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه.**

ودع المؤمنون شهر البركات والرحمات بقلوب محزونة وأنفس يملؤها الأسى لفراقه.

وأناس هذا حالهم جدير بهم أن يسألوا أنفسهم ويلحوا في السؤال ويحاسبوا مدققين في الحساب ماذا ربحنا فيه؟ وما مدى استفادتنا منه؟ وكيف تأثرت سلوكياتنا به؟

نعم يراجعون أنفسهم مخافة أن يكونوا قد خسروا فيه وهل تقبل الله أعمالنا فيه أم تراه ردها علينا؟.

أقول هذا وعيني على السلف الصالح - رضوان الله عليهم - واهتمامهم منصب على قبول العمل أكثر من اهتمامهم بالعمل نفسه. يصور ذلك الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - بقوله: كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل. ثم يستلهم روح الدين في استفهام ينبه به الغافلين فيقول: ألم تسمعوا الله يقول:

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾(١). إنهم يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه؛ لأنهم

---

(١) المائدة (٢٧).



يخشون رده، يصور ذلك القرآن في قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾(٢).

ويوضح أحدهم هذه الحقيقة ويجليها في أنصع بيان حين يتمنى لو قبل الله مثقال حبة من خردل من عمله، الأمر الذي يفوق في تقديره وتقدير كل مؤمن الدنيا وما حوت. فعن فضالة بن عبيد قال: "لأن أكون أعلم أن الله يتقبل منى مثقال حبة من خردل أحب إليّ من الدنيا وما فيها"، ثم يتلوا آية المائدة سالفة الذكر. وفي لفظ صريح يقول مالك بن دينار: "الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل". وهذه المسألة تؤرق المؤمن الحق لدرجة يستغربها المسلم العادي، فقد بين ذلك عبد العزيز بن أبي رواد فقال: "أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح فإذا فعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا"؟!.

ورمضان الذي رحل إما شاهد لنا أو علينا فيا ليت شعري! ماذا أودعناه، وبأي الأعمال ودعناه أتراه ذهب عنا حامدا صنيعنا؟ أو ذاما تضييعنا وتفريطنا؟ فالمطلوب من المسلم أن يظل - كما عهد نفسه في رمضان - حرا غير مملوك، عزيزا لا ذليلا، قويا لا ضعيفا. ولكن ترى كيف تتحقق تلك المآرب العظمى والمناقب الكبرى؟ دعني أوضح لك. فحرية المسلم تتحقق بإخلاص العبودية لله وحده وعدم الشرك به سبحانه، لا تستعبد المسلم نزواته أو شهواته ولا يستدرجه إغواء، سلاحه في ذلك كبح جماح نفسه الأمارة بالسوء والارتقاء بها إلى مرتبة النفس اللوامة التي تستلذ العبودية لله بل تجد فيها فخرا لا يضارعه فخر أو يساويه وفي تصوير ذلك المعنى الفريد يقول الشاعر:

**ومما زادني شـرفـا وتيـهـا**
**وكـدت بأخـمـصـي أطأ الثـريا**
**دخـولي تحت قـولك ياعـبـادي**
**وأن صـيـرت أحـمـد لي نـبـيـا**

وأما عزة المؤمن ففي طاعته لربه وامتثاله أوامره واجتناب نواهيه متمثلا مكانته عند ربه وأنه معه كلما ذكره يناجيه وقتما شاء ويتضرع إليه ويبتهل كلما أحب ورغب.

لقد اعتاد المؤمن في ذلك الشهر التشبث بأهداب الفضيلة وتفويض أموره كلها إلى الله يستلهم في ذلك صورتين رسمهما اثنان من الشعراء. الأولى محببة إلى النفس تصفي القلب من الهموم حينما يتجه المرء بكليته إلى ربه يقول الشاعر:

**لا تسـألن بني آدم حـاجـة**
**وسـل الذي أبوابه لا تحـجـب**
**الله يغـضـب إن تركت سـؤاله**
**وترى ابن آدم حـين يسـأل يغـضـب**

---

(٢) المؤمنون (٦٠).





وأما الصورة الثانية فمقيتة وبغيضة تبين ضيق الإنسان - قليل الإيمان - بأخيه الإنسان كلما اشتدت حاجته إليه. ولو درى ما لتفريج الهموم من جزاء ومكافأة عند الله لاقتصرت وظيفته على تنفيس الكروب وما أجلها من مهمة يقول الشاعر:

**لا ترفعن إلى صديق حاجة**
**فيحول عنك كما الزمان يحول**
**واستغن بالشئ القليل فإنه**
**ما صان عرضك لا يقال قليل**
**من عف خف عن الصديق لقاؤه**
**وأخو الحوائج وجهه مملول**
**وأخوك من وفرت ما في كفه**
**ومتى علقت به فأنت ثقيل**

ولربما شممت من تلك الأبيات دعوة إلى التعفف عما في يد الغير وهذا صحيح لكن ما بين السطور شيء يثير الاشمئزاز والتقزز ويشي بضيق الإنسان بحاجة أخية الإنسان.

وعود على بدء نقول: إن للقبول والربح وهما هدف كل العاملين في هذا الشهر علامات، وكذلك للخسارة إشارات يعرفها كلا الفريقين لشدة وضوحها. فمن واظب على الخير وداوم على الاستقامة والصلاح بعد رمضان وكانت حاله أحسن وتحسنت أخلاقه وعظمت رغبته في الطاعة وابتعد عن المعاصي ونفر منها فقد ربحت تجارته وازداد رأسماله وكان من الفائزين. ومن ظل على حاله كما كان قبل رمضان أو أسوأ مصرا على المعاصي بعيداً عن الطاعات يرتكب ما حرم الله ويترك ما أوجب فما استفاد من رمضان أنه لم يستفد إلا البوار والخسران والحسرة والندامة والعقاب، ورب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر والتعب فيا من تلذذتم بالقرآن والصلاة في رمضان وأدركتم أن الإسلام حريص على الجوهر والمحتوى لا يهتم كثيرا بالشكل أو يأبه بالمظهر كيف تجاهلتم ذلك بعد رمضان أما تخافون شكوى الرسول إياكم لربه التي سجلها القرآن في قوله:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[٣].

إنه وإن انقضى شهر رمضان فإن عمل المؤمن بقينه كما جاء في الكتاب العزيز فقال تعالى:

﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[٤].

ولعمري كيف يتخاذل المسلم عن أن يكون من المتقين وهو أمر مفيد له حتى في صحته وبدنه، قيل للحسن: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها؟ فقال: إنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره* فمن منا لا يحب أن يكون صبوح الوجه مشرق الطلعة وضئ المحيا، ولكن الرسول الرؤوف الرحيم بأمته يستديم لها البركة والخير العميم بعد انتهاء شهر رمضان بأن

---

(٣) الفرقان (٣٠).

(٤) الحجر (٩).

شرع لنا أعمالا صالحة تذكرنا بشهر الصيام وتربطنا به ففي صحيح مسلم عن أبي أيوب - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر" وكان ﷺ يصوم الاثنين والخميس ويقول "إن الأعمال تعرض يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم" وفي الحديث أيضا: "صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله" وكذا صيام يوم عرفة وعاشوراء وأوائل ذي الحجة وأفضل الأعمال أدومها وإن قل كما هو مشهور.

ومن تمسك بهذه الشمائل الطيبة فرح بفطره وأحس أن رمضان في قلبه لم يفارقه البتة وشكر الله على ذلك شكرا حقيقيا فقد نظر وهب بن منبه إلى قوم يضحكون في يوم عيد فقال "إن كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وإن كانوا لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين" وهي دعوة إلى الالتزام الذي هو الهدف الأول لكل من رام خيرا والسعداء حقا هم من حافظوا على مكارم الأخلاق بعد رمضان لأنهم يعلمون أن المسلم يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم والشاعر الذي فهم المغزى الفعلي من صوم رمضان يقول:

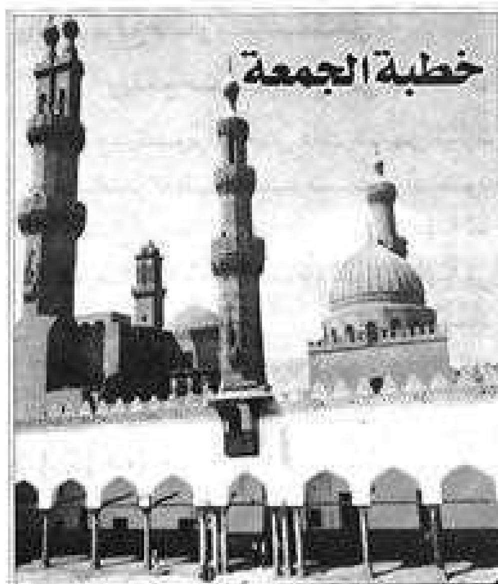
طوبى لأهل المال والعلماء بل
طوبى لأهل مكارم الأخلاق
فالمال يجعل أهله في منزل
سام وإن كانوا من الفساق
والعلم يرفع قدر مشتغل به
ويذيع صيت المرء في الآفاق

ولا أجد تصويرا لرحيل ذلك الشهر المبارك النفحات، العظيم الفيوضات، الميمون الغدوات والروحات، من موعظة قالها أبو الدرداء حينما دخل الشام ونصح أهلها في كلمات مؤثرة تنبعث من قلب مفعم بالإيمان مترع بالزهد، همه الجنة وما قرب إليها فقال: "ياأهل الشام اسمعوا قول أخ ناصح»، فاجتمعوا إليه فقال مستطردا: «مالي أراكم تبنون ما لا تسكنون!! وتجمعون ما لا تأكلون!! وتؤملون ما لا تدركون!! إن الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا وأملوا بعيدا وجمعوا عتيدا فأصبح أملهم غرورا وجمعهم ثبورا ومساكنهم قبورا". فليس رمضان إذن هو الراحل وحده، وإنما الكل راحل ومفارق، والكيس الفطن من لم تغره أماني، وعمل لما بعد الموت، وأيقن أن الأماني بضاعة الأحمق ورأس مال المفلس، وأن خيرنا من طال عمره وحسن عمله ورأى بثاقب بصيرته أن كل ما في الكون من إنسان وحيوان وشهور وأيام وأزمان ونبات وجماد كل ذلك فان ولا يبقى إلا الديان.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(٥).

---

(٥) الرحمن (٢٦، ٢٧).




# حرب على الإسلام(1)

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

الحمد لله -عز وجل- هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون... أشهد أن لا إله إلا الله، أتم النعمة وأكمل الملة:

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ
عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾(2).

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وترك الناس على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات الله وسلامة عليه، وعلى آله المستجيبين لربهم، وأصحابه المعتزين بيقينهم، وأتباعه الثابتين على دينهم وإيمانهم:

﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ
وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾(3).

---

(1) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة ، ٢ من شوال سنة ١٣٧٧هـ الموافق ٩ من مايو سنة ١٩٥٨م.

(2) المائدة (٣). (3) النحل (٣٠).

**يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..**

كم تود النفس المؤمنة أن تجد من حولها متنفساً تستريح فيه - ولو إلى حين - من الشكوى والأنين، وكم يتمنى المسلم الغيور أن لو استقام أمامه الطريق، حتى يهدأ ويطمئن، ويخلص للتحدث بنعم ربه، والتأمل فى جمال كونه، والاستمتاع بما شرع الحكيم العليم من أسباب الخير ووسائل النعيم؛ ولكن ماذا يصنع المرء وهو لا يكاد يخلو من شجن حتى يصطدم بشجن، فيظل مرغماً على مواصلة التوجع والبكاء؟

ماذا يصنع المرء والشواهد تتكاثر من حوله دالة على أن هناك حرباً واسعة منظمة ضد الإسلام وتعاليم الإسلام وأخلاق الإسلام، وأن هذه الحرب تسفر عن وجوهها الكالحة وأساليبها الخبيثة الفاضحة فى كل مناسبة وكل مقام، ويظهر لها جنود وأنصار وأتباع، ويتسع نطاقها يوماً بعد يوم بما تعانُ به من ألسنة وأقلام، وصحف ومجلات، وكتب ونشرات، وأعوان وأموال، وبما تتفنن فيه تفنن الشياطين من مكائد ومفاسد، ودعوات ومحاولات، تتوسل بها جميعها لكى يصبح هذا الدين نسياً منسياً، وبعدها يقترف هؤلاء ما يشاءون!...

ليتكم تستمعون واعين إلى جانب من فصول هذه المأساة التى لم تتم بعد.. إن هؤلاء قد بدأوا محاولاتهم بالطعن فى علماء الدين والتندر عليهم والسخرية منهم، ولم يكن قصدهم من وراء ذلك أن يشوهوا علماء الدين بذواتهم وأنفسهم، فقط ولكنهم يقصدون تشويه الدين بتشويه حملته ونقلته، حتى يصبح سلطانه فى النفوس ضعيفاً ضئيلاً، وقد يكون فى رجال الدين ما يؤاخذون عليه ولكنهم على كل حال يستطيعون أن يميزوا لنا بين الحلال والحرام، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه... ثم انتقل أعداء الإسلام من الطعن فى العلماء إلى الطعن فى الفقهاء، وأئمة المذاهب الأعلام، فأخذوا يكتبون فى صحفهم ومجلاتهم، ويقولون فى مجتمعاتهم وأنديتهم ما لا يصح أن يُقال فى هؤلاء الأئمة الكرام، والرواد العظام الذين مهدوا لنا الطريق، وبينوا الشريعة، وجعل هؤلاء المتطاولون يصفون الكثير من أقوال الأئمة ومذاهبهم بالجمود والرجعية وضيق الأفق، ولو نصبت موازين الحق والعدل لما صلح أحد هؤلاء المهاجمين أن يكون تلميذاً صغيراً لواحد من أولئك الأئمة الخالدين.. ثم انتقلوا إلى الطعن فى حديث الرسول ﷺ، فأخذوا يكتبون فى صحفهم ومجلاتهم يشككون فى الأحاديث ويطعنون عليها، ويحكمون على أحاديث رواها الإمامان البخارى ومسلم بأنها موضوعة أو باطلة أو لم يقلها الرسول، وهم يحاولون من وراء ذلك أن يبطلوا الاحتجاج بالسنة والاستدلال بالأحاديث، ليكون ذلك فصلاً هاماً من فصول المأساة المبكية وهى محاولة القضاء على الدين... وأغلب الظن أنه إذا

استمرت الحال على ذلك دون ردع لهؤلاء من ولاة الأمور أو احمرار من عين الدولة فإن الخطوة القادمة منهم ستكون هي نقد القرآن والطعن فيه بصراحة[4]، فيبلغون قمة الإجرام ويقولون مثلا على آيات من القرآن لا تعجب فجورهم وتحللهم: هذه آيات مكذوبة، أو هذه آيات غير سليمة، أو هذه آيات استنفدت أغراضها، أو هذه آيات شرعت لحياة الصحراء لا لحياة المدنية، أو هذه آيات لأبناء القرن السابع لا لأبناء القرن العشرين! .. وهكذا.. وهكذا تتم المأساة وتقبل الطامة الكبرى!..

أتظنون أنهم لا يفعلون؟... وكيف وقد فعلوا ذلك بطريق غير مباشر أو من وراء ستار!.. أليست دعواتهم التحللية والإلحادية التي يرددونها الآن دليلا على إنكارهم لتشريع القرآن وهدى السماء؟.. إنهم مثلا يشككون الناشئة في وجود الله ـ عز وجل ـ أفليس هذا إنكاراً منهم لقوله عز وجل:

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[5].

وهم ينادون بمنع تعدد الزوجات إطلاقاً، ومعنى هذا في زعمهم الآثم أن نلغي قوله تعالى:

﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾[6]

وهم يطالبون بإلغاء الطلاق، ومعنى هذا في باطلهم الآثم أن نلغي قوله تعالى:

﴿ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾[7]

وهم ينادون بالتسوية المطلقة الشاملة بين الرجال والنساء، مدعين أنه لا فرق بين النوعين في أي شأن، مع أن الله خلقهما نوعين:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾[8].

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾[9].

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾[10].

وأشار القرآن الكريم إلى الذكر والأنثى في نحو سبعة عشر موضعاً منه... وإذن فالطبيعة البشرية قائمة على ذكر وأنثى، وستبقى مكونة من ذكر وأنثى، وكلما استأنث الرجال، أو استرجل النساء، أو طغى أحد الفريقين على الآخر في حق من حقوقه أو اختصاص من اختصاصه فسدت هذه الطبيعة؛ فمن التبجح أن يقال: إن الرجل والمرأة سواء في كل شيء، لأن الله ـ تعالى ـ لا يخلق نوعين متمايزين وهو يريد أن يكونا متساويين في كل شيء، وإلا لكان ذلك عبثاً،

(4) وكان الشيخ رحمه الله يقرأ المستقبل بفراسة المؤمن.
(5) البقرة (115).
(6) النساء (3).
(7) الطلاق (1).
(8) الحجرات (13).
(9) النجم (45).
(10) آل عمران (36).

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً... وهم يطالبون بأن يكون نصيب النساء في الميراث كنصيب الرجال[11] فماذا نصنع في قوله تعالى:

﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾[12]...

وهم يطالبون بإلغاء رعاية الرجل للمرأة، فماذا نصنع في قوله تعالى:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾[13].

وقوله:

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[14]...

وهم يعملون لإشاعة التبرج وإظهار مفاتن النساء، فهل نلغي قوله تعالى:

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾[15].

وهم يطالبون بإبقاء الخمر مباحة حلالاً، فهل نلغي قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[16].

أرأيتم ماذا يريدون وماذا يحاولون؟... إنهم يريدون ألا يبقى من الدين شيء. ولذلك أصبح الذين يتحدثون في دين الله على صفحات الجرائد والمجلات المتحللة هم الذين لا يؤمنون بالدين ولا يؤمنون بوجود الله، أصبح الذين يفصلون في أمر الحديث النبوي هم الذين لا يعرفون النبي، أصبح الذين يتحدثون عن القرآن والأخلاق والأعراض هم الذين لا يغارون على الأعراض ولا يؤمنون بالقرآن ولا بالأخلاق والبقية تأتي، فإن الرواية لم تتم فصولها...

يا أتباع محمد ﷺ... إن أعداء الله وأعداء دينه ورسوله يبذلون الجهود الجبارة للقضاء على الإسلام وإخراج المؤمنين من دينهم إلى ساحات الإلحاد ومواخير الفجور. فابذلوا جهودكم المستطاعة في الإعراض عنهم والإقبال على ربكم، ذاكرين دائماً أن ربكم يدعوكم إلى دار السلام، ويهديكم إلى أكرم مقام، وأن شياطين الفجور والإلحاد يدعونكم إلى الضلال والفساد:

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[17]

فاستمسكوا بدينكم ولو وجدتم في ذلك لذع الجمر أو لفح الهجير، فلأن تكونوا مؤمنين معتزين بعزة الله مع التعب والنصب والمجاهدة، خير لكم ألف مرة من أن تكونوا ذيولاً أو خيولاً يركبها هؤلاء الفاسقون ليصلوا بها إلى ما يشاءون من إلحاد وإفساد، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون.

---

(١١) وقد قالوا ذلك فعلا «إن يقولون إلا كذبا».
(١٢) النساء (١١).
(١٣) النساء (٣٤).
(١٤) البقرة (٢٢٨).
(١٥) النور (٣١).
(١٦) المائدة (٩٠).
(١٧) البقرة (٢٥٧).

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

# استفتاءات القراء

## تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس

● سؤال عن حكم الشرع في الزواج العرفي؟

●● الجـــواب :

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد.

في الحـقـيـقـة لا تمر ساعة إلا ويسأل بعض الشباب في لجنة الفتوى عن حكم الشرع في الزواج العرفي، وهل هو حلال أو حرام؟

●● الجـــواب :

وقبل أن نجيب عن هذا السؤال لابد أن نشير إلى رأى الفقهاء في تعريف الزواج وأركانه وشروطه وآثاره. أولاً: الزواج (النكاح) لغة: الضم والجمع، وشرعا عقد يبيح حل الاستمتاع للرجل بالمرأة. وأركانه: إيجاب وقبول أى موافقة ولي الزوجة ومن يريد الزواج بها على هذا الزواج وشاهدين، ومهر.

**وشروطه**: أن يكون العقد على امرأة خالية من الموانع؛ وأن لا تكون المرأة من المحرم على الزوج نكاحها؛ وأن يكون النكاح معلنا وأن لا يكون سراً فإن ذلك يكون زنا.

واتفق الفقهاء جميعاً على أنه لا نكاح إلا بولي في المرأة الصغيرة والكبيرة لما روى عن أبي موسى عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا نكاح إلا بولي»[1] وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل»[2] وقد أخذ الأئمة الثلاثة بهذا الحديث فاشترطوا لصحة النكاح الولي ما عدا أبو حنيفة الذي لم يشترط الولي. إن كانت المرأة بالغة أو ثيبا فزوجت نفسها فزواجها صحيح مع استيفاء بقية الشروط. أما الزواج الذي اشتهر في هذه الأيام باسم الزواج العرفي

(١) أخرجه أحمد.

(٢) أخرجه الطبراني.

فهو مغالطة وتسمية الأشياء بغير اسمها الصحيح فاسمه في الحقيقة « الزواج السري » وهو اجتماع الرجل مع المرأة فقط سراً مع كتابة ورقة بينهما يعترف فيها الرجل بأنه تزوج المرأة حتى ولو كان هناك شهود على هذه الورقة فهذه مغالطة لتبرير فعلتهم، هذا بالإضافة الى ان مثل هذا الزواج لا تترتب عليه آثاره.

كما أنني ألفت النظر إلى عدم الاستجابة إلى تقنين هذا الزواج ما دام قد تم في السر؛ لأن معنى هذا أننا نقنن لإباحة الزنا وفي هذا ما فيه من خطر على المجتمع وكثرة الأبناء غير الشرعيين ( أبناء الزنا ) وأيضا بتقنين هذا الزواج كأننا نقول للبنت افعلي ما شئت، واخرجي على طاعة الآباء والأولياء فتنقطع بذلك الروابط الأسرية وتتفكك الأسر.

ولا تظن البنت أن في هذا التصرف قيداً على حريتها وتصرفاتها أو قيدا على فكرها ومحو شخصيتها، فالإسلام لم ينكر حقها في الاعتراض على الزواج، بل أمر الأولياء بأخذ رأيهن فيمن يتزوجنه ومنع الأولياء بتزويج البنت إلا برضاها فإن كانت بكراً فرضاها سكوتها، وإن كانت ثيبا فتعرب عما في نفسها بالقول.

وختاما أقول للقائمين على أمر الإعلام في مصر والعالم الإسلامي وضحوا للناس مخاطر هذا النوع من الزواج، وبينوا للناس كيف يكون سببا في ضياع حق المرأة وهيبتها وكرامتها هي وأسرتها، وأن يشرح العلماء والخطباء على المنابر وفي المحافل الإسلامية، ويلفتوا النظر إلى ضرورة التمسك بتعاليم الإسلام وترسيخ مبادئه في نفوس الناس. كما أنني أهيب بإخواننا العلماء ألا يصدروا كلامهم بكلمة حلال ثم يضعون الشروط بعد ذلك.

ولا تقل لي إن هذا الزواج صحيح لأنه أخذ الشكل الرسمي للعقد، أو أنه يصح على بعض المذاهب، فليس هناك مذهب يجيزه على هذا الصورة المهينة التي تستبيح الأعراض، وتساعد على انتشار الرذيلة في المجتمع، فهذا لم يسلم به أحد مطلقا من علماء الإسلام قديما أو حديثا.

هذا وقد يكون الشيء مباحا ثم يطرأ عليه ما يجعله غير مباح لما يترتب عليه من ضياع الحقوق والآثار المترتبة عليه والإسلام يقول: « لا ضرر ولا ضرار ».

هذا والله أعلم،

**● سؤال من السيد / ربيع إبراهيم محمد يقول فيه:**

**شخص يريد الزواج من فتاة، وقد رضع أخوه الأكبر على أختها الكبرى رضاعة كاملة فهل يصح لهذا الأخ أن يتزوج هذه البنت بعد أن رضع أخوه الأكبر من أمها؟**

**●● الجواب:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد، فقد قال الله - تعالى - في المحرمات من النساء:

﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ﴾(٣).

قال رسول الله ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب».

من هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية

---

(٣) النساء (٢٣).



والتي تنص على أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب مادام الرضاع قد وقع في مدته الشرعية وهي سنتان قمريتان من تاريخ الولادة في هذه الفترة التي يكون فيها الرضاع منبتا للحم ومنشزا للعظم. . . .

وقد اختلفت آراء الفقهاء في عدد المرات التي تحرم، فقال علماء الأحناف والمالكية: قليل الرضاع وكثيره سواء في التحريم ،لو مصة واحدة، وعند الشافعية والظاهر من مذهب الإمام أحمد أنه لا يحرم إلا ما كان خمس رضعات متفرقات مشبعات فأكثر. . .

أما الواقعة موضع السؤال، فنفيد بأنه يجوز للأخ الأصغر الزواج من الأخت الصغرى حيث إنه لم يرضع من أمها ولم ترضع من أمه ولم يلتقيا على ثدي آخر، وإنما التحريم ينصب على الأخ الأكبر على الأخت الكبرى وعلى جميع بنات الأم اللاتي رضعن منها سواء قبل رضاعته أو بعدها لأن جميع أولاد هذه السيدة صاروا إخوة له. هذا إذا كان الحال كما ورد في السؤال والله أعلم.

● **سؤال من أحد المواطنين يقول فيه:**

**ما هو الحكم الشرعي في إزالة الشحوم والزيوت عن أعضاء الوضوء حيث إنه يعمل في محطة بنزين مع أنه يحافظ على الصلاة، ولكنه كان يتوضأ من غير إزالة الشحوم والزيوت حتى علم أخيرا من أحد العلماء أنه لابد من إزالة كل ما يمنع وصول الماء إلى البشرة في جميع أعضاء الوضوء، ويسأل كذلك عن حكم ما أداه قبل ذلك من غير إزالة الشحوم والزيوت؟**

●● **الجواب:**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

فمن المعلوم أن الوضوء شرط من شروط صحة الصلاة، ومن شروط صحة الوضوء عموم البشرة بالماء الطهور، حتى قال الفقهاء: إنه لو بقي مقدار مغرز إبرة لم يصبه الماء من المفروض غسله لم يصح الوضوء، ومن شروط صحته كذلك إزالة ما يمنع من وصول الماء إلى الجسد، حتى يمكن أن يعم الماء جميع البشرة التي يفترض غسلها، وقد مثل العلماء والفقهاء لذلك المانع بالشمع والشحم لأنهما يستران البشرة، ويحولان دون وصول الماء إليها، ومن ذلك - أيضا - العجين فإنه يمنع وصول الماء إلى البشرة، وشبيه ذلك ما تضعه السيدات على أظافرهن ( كالمانوكير) مادام له جرم.

أما الزيوت فإنها سوائل لا تستر البشرة، ولا تحول دون وصول الماء إليها، ولذلك فإن وجودها لا يؤثر في صحة الوضوء، ومثلها مثل الحناء لا تمنع وصول الماء إلى البشرة، والقاعدة في ذلك، أن كل ما له جرم فإنه يمنع وصول الماء إلى البشرة فلا يصح معه الوضوء أو الاغتسال ولابد من إزالته وماليس له جرم فوجوده لا يضر، لأنه لا يمنع وصول الماء إلى البشرة والأصل في ذلك قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾(١).

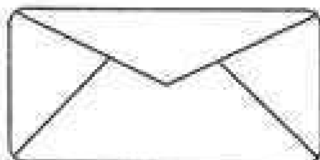
فلابد أن يصل الماء إلى جميع أعضاء فرائض الوضوء.

هذا وعلى السائل أن يعيد ما أداه من صلوات سابقة، ولا يعفيه من أدائها وقضائها جهله بالحكم الشرعي. والله أعلم.

(١) المائدة (٦).



# رسالة .. و .. رد



لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

**رسالة هذا العدد من القارئ «محمد عبد الحافظ سالم من حى المنترة بالإسكندرية يقول فيها:**

**قال تعالى فى سورة الإسراء:**

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾(١)

**هل المقصود بها اليهود أم المسلمون لقد ذكر المفسرون أن المقصود بها اليهود وأنا غير مقتنع بما قالوا لأن الآية التى تليها مباشرة بها حديث عن القرآن وأهله كقوله سبحانه:**

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(٢).

لذلك أرجح أن المقصود بالآية السابقة عليها المسلمون لا اليهود خلافا لما ذهب إليه المفسرون القدامى الذين كتبوا تفسيراتهم يوم أن كان المسلمون مسلمين على حق سائرين على الصراط المستقيم، والحال قد تبدل الآن فقينا من عبد الشيطان وفينا من فعل فعل قوم لوط . فما رأيكم فيما ذهبت إليه؟ أرجو الإفادة وشكرا.

بداية أقول للأخ السائل: شكر الله لك غيرتك على الإسلام إن تفسير القرآن الكريم لا يكون بالرأى والهوى، مهما كان الرأى نابعا من حرص على المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، وأذكر هنا ما قاله بعض السلف - رضى الله عنهم - : «أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إذا قلت فى القرآن برأيى» . ثم إن المفسرين القدامى الذين لم يعجبك تفسيرهم وضعوا نصب أعينهم أولا النصوص القرآنية ولذا قالوا: القرآن يفسر بعضه بعضا، وقالوا: لا تفسير أبين من تفسير الله - عز وجل - ثم أقوال الرسول الكريم ﷺ الذى أمر أن يبين للناس ما أنزل إليهم، ثم أقوال الصحابة الأبرار كل ذلك إلى جانب العلم التام باللغة العربية نحوا وبلاغة ولغة

(١) الإسراء: (٨).

(٢) الإسراء: (٩).

لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين مع الفقه التام بمقاصد الإسلام وأهدافه وروحه.

ثم إن الآية لا تفسر بعد استيعاب كل ما سبق مقطوعة عن سابقتها أو لاحقتها فكثيرا ما يوضح السياق المعنى وبخصوص الآية موضوع السؤال:

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾

يقول صاحب الظلال - رحمة الله عليه - مراعيا سياق الآيات كلها: (ولقد قضى الله لبني إسرائيل في الكتاب الذي آتاه الله لموسى أنهم سيفسدون في الأرض مرتين وأنهم سيعلون في الأرض المقدسة وسيتخذون ذلك وسيلة للإفساد في الأرض فيسلط الله عليهم من يقهرهم ويستبيح حرماتهم ويدمرهم تدميرا وذلك قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾(٣).

فهذه هي الأولى يعلون في الأرض المقدسة فيفسدون فيها فيبعث الله عليهم عبادا من عباده أولي بأس شديد يستبيحون الديار ويروحون فيها ويغدون باستهتار ويطأون ما فيها ومن فيها بلا تهيب ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ لا يكذب ولا يتخلف.

حتى إذا ذاق بنو إسرائيل ويلات الغلب والقهر فرجعوا إلى ربهم وأصلحوا أحوالهم وأفادوا من البلاء المسلط عليهم وحتى إذا استعلى الفاتحون وغرتهم قوتهم فطغوا هم الآخرون وأفسدوا في الأرض أدال الله للمغلوبين من الغالبين ومكن للمستضعفين من المستكبرين وذلك قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾(٤).

وفي ثنايا القصة يقرر الحق - سبحانه - قاعدة العمل والجزاء:

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾(٥)

القاعدة التي لا تتغير في الدنيا والآخرة والتي تجعل عمل الإنسان كله له بكل ثماره ونتائجه وتجعله مسئولا عن نفسه إن شاء أحسن إليها وإن شاء أساء فلا يلومن إلا نفسه حين يحق عليه الجزاء.

وبعد أن يقرر السياق هذه القاعدة يمضي ليكمل القصة والنبوءة الصادقة

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾(٦)

وذلك بما يرتكبونه فيهم من نكال يملأ النفوس بالإساءة حتى يفيض على الوجوه.

ولقد صدقت النبوءة ووقع الوعيد فسلط الله على بني إسرائيل من قهرهم أول مرة ثم سلط عليهم من شردهم في الأرض ودمر مملكتهم تدميرا - أي في المرة الثانية - ويعقب السياق على

---

(٣) الإسراء (٥).
(٥) الإسراء (٧)
(٤) الإسراء (٦)
(٦) الإسراء (٧)

النبوءة الصادقة والوعد المفعول بأن هذا الدمار قد يكون طريقا للرحمة إن أفادوا منه العبرة:

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾(٧) فـأمـا إذا عـاد بنو إسرائيل إلى الإفساد في الأرض فالجزاء حاضر والسنة ماضية ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ ولقد عادوا إلى الإفسـاد فسلط الله عليـهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها ثم عادوا إلى الإفساد فسلط الله عليهم عبادا آخرين حتى كان العصر الحديث فسلط عليهم هتلر.

ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة إسرائيل التي أذاقت العـرب أصـحـاب الأرض الويلات ومازالوا يفعلون ذلك على مرأى ومسمع من العالم أجمع في تبجح منقطع النظير ووحشية لم يسبق لها مثيل وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقا لوعد الله القاطع وفاقا لسنته التي لا تتخلف وإن غدا لناظره قريب(٨).

هذا يا أخي كلام أحد مفسري العصر الحديث المجددين وهو يجزم كالمفسرين السابقين بأن المقصود بالآية موضوع السؤال:

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾

هم اليهود لا المسلمون وزيادة في الفائدة والتأكيد يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب في التفسير القرآني للقرآن وهو تفسير أحدث من الظلال يقول عن الآية نفسـهـا: «هو خطاب لبني إسرائيل والتفات لهم إلى بأس الله الذي لا يرد عن القوم الظالمين وأنهم بعد أن ينفذ فيهم قضاء الله ويقعوا تحت وعد الآخرة لن يرفع عنهم التكليف المفروض على كل إنسان فهم - شأنهم شأن الناس - معرضون لرحمة الله إن نزعوا عما هم عليه من شر وفساد ورجعوا إلى الله واستقاموا على طريق الحق والخير فإن عادوا بعد أن يضربوا الضربة الثانية عاد الله عليهم بالبلاء والنقم وسلط عليهم من عباده من يأخذهم بالبأساء الضراء ثم حشروا محشر الكافرين فكانت لهم النار حصيرا أي: سجنا مطبقا عليهم يحصرون فيه ولا يجدون لهم طريقا للخلاص منه.

أما قولك يا أخي إن قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

تخاطب أهل القرآن واستنتجت منها أن الآية السابقة عليها من المسلمين أيضا فيقول عنها: «مناسبة هذه الآية لما قبلها هي أن بني إسرائيل قد تنكبوا طريق الحق وركبوا طريق الباطل والضلال فضربهم الله - سبحانه وتعالى - هاتين الضربتين المدمرتين وكانت إحدى هاتين الضربتين على يد المسلمين أصحاب المسجد الذي استولى عليه بنو إسرائيل فكان قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾.

دعوة لبني إسرائيل إن هم أرادوا أن يرفع عنهم بلاء الله وتستقيم طريقهم في الحياة أن يؤمنوا بهذا

---

(٧) الإسراء (٨)

(٨) في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب جـ٥ ص٢٠٦ وما بعدها ط دار إحياء التراث العربي ببيروت بتصرف.

القرآن الذى يهدى للطريق المستقيم والا يبحثوا عن دواء غيره يطبون به لدائهم إن أرادوا أن يخرجوا من البلاء الذى ضربه الله عليهم، وفى قوله تعالى:

﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٩).

إشارة إلى بنى إسرائيل وأنهم المرادون بهذا الخطاب فهم لا يؤمنون بالآخرة كما يؤمن بها المؤمنون وإنما يرون أن الجزاء معجل لهم فى هذه الدنيا وأن الجنة والنار هما فى هذه الدنيا حيث السعداء والأشقياء هم الأغنياء والفقراء، هذه هى عقيدة بنى إسرائيل فالمراد بهذه الآية هم اليهود والمطلوب منهم أن يؤمنوا بالآخرة فهم إن ذكروا الآخرة لايذكرونها إلا بألسنتهم ولكن قلوبهم منعقدة على إنكارها(١٠).

وقد ذهب إلى التفسير نفسه الشيخ أحمد مصطفى المراغى فى تفسيره.

ويقول الرازى فى تفسيره مفاتيح الغيب: ثم قال تعالى:

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾ والمعنى لعل ربكم أن يرحمكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم يابنى إسرائيل ثم قال تعالى:

﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ يعنى إن بعثنا عليكم من بعثنا فيفعلوا بكم ما فعلوا عقوبة لكم وعظة لتنتفعوا به وتنزجروا عن ارتكاب المعاصى، ثم رحمكم فأزال هذا العذاب عنكم، فإن عدتم مرة أخرى إلى المعصية عدنا إلى صب البلاء عليكم فى الدنيا مرة أخرى، قال القفال: وإنما حملنا هذه الآية على عذاب الدنيا لقوله تعالى خبرا عن بنى إسرائيل فى سورة الأعراف:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾

وقال العلامة الألوسى فى روح المعانى:

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾ بعد البعث إن تبتم وانزجرتم عن المعاصى ﴿ وإن عدتم للإفساد بعد الذى تقدم منكم ﴿ عُدْنَا ﴾ للعقوبة فعاقبناكم فى الدنيا بمثل ماعاقبناكم به فى المرتين الأوليين، وقد عادوا بتكذيب النبى ﷺ وأرادوا قتله فعاد الله عليهم فسلطه عليهم فقتل قريظة، وأجلى بنى النضير، وضرب الجزية على الباقين، وقيل عادوا فعاد الله عليهم بأن سلط عليهم الأكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الإتاوة ونحو ذلك(١٢).

وقد ذهب كل المفسرين إلى هذا القول.

على أن معنى الآية العام لا يمنع ماذهبت إليه على أنه قاعدة إلهية عامة فى الثواب والعقاب، فمن أحسن نالته رحمة الله، ومن عاد إلى المعصية من كل ملة عاد الله عليه بالعقوبة لكن الآية قصد بها بنو إسرائيل وخصوص السبب لا يمنع من عموم المعنى، والله أعلم.

---

(٩) الإسراء: ١٠.

(١٠) التفسير القرآنى للقرآن للشيخ عبد الكريم الخطيب ط دار الفكر المجلد الرابع ص٤٥٧ وما بعدها.

(١١) مفاتيح الغيب للرازى جـ٦/٢٤ ط دار الغد العربى.

(١٢) روح المعانى ٢١/١٥ دار إحياء التراث العربى.

# رمضان والتحديات المعاصرة

للأستاذ / إسماعيل أحمد أبو الهيثم

رصدنا فى العدد السابق بعض التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية وطالبنا بأن يستغل شهر رمضان المعظم فى شحذ الهمم لمواجهة هذه التحديات، بشىء من الترتيب والتنظيم العلمى والعقلى. حتى يمكن التغلب على هذه التحديات.

وفى هذا العدد يرصد لنا الدكتور محمد سيد أحمد المسير الأستاذ بجامعة الأزهر ثلاثاً من هذه التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية، وهى: الإدمان، والإرهاب، وعدم وحدة الموقف الإسلامى تجاه أغلب قضاياه.

وفى السطور القادمة نرصد الداء ونصف الدواء من وجهة نظر الدكتور محمد سيد أحمد المسير.

## الإدمان

الدكتور محمد المسير يرى أن الإدمان من التحديات الخطيرة التى تواجه الأمة بشكل خطير ما لم تواجه هذه الظاهرة بشىء من التنظيم الدقيق. ويعترف بأن طريقة علاج هذا الوباء طريقة خاطئة وتسير بعيداً عن المنهج الإسلامى.

وأرجع الدكتور المسير الخطأ إلى اعتقاد أن التربية الدينية قاصرة على المسجد فقط، ولكن الحقيقة أن الأسرة والمدرسة والنادى شركاء فى التربية. ولكن الأسرة غائبة وفقدناها كموجهة وعامل تربية، والمناهج لا تغنى ولا تسمن من جوع.

ثمة نقطة هامة يجب أن تأخذ وضعها الصحيح وهى العقوبة الشرعية، فلا نستطيع أن نعالج الإدمان بدون عقوبة شرعية. والعقوبة الشرعية هنا هى الجلد، ثمانون جلدة فى ميدان عام. فلو نفذنا هذه العقوبة على بضعة أفراد لامتنع الباقون عن ارتكاب هذه الجريمة.. لأن الله يزع بالسلطان ما لم يزع بالقرآن.. ولو طبقنا هذا الحد.. ستجد من لا يخاف الله.. يخشى العقوبة.

## التفرقة بين المخدرات والمسكرات

ثم إن التفرقة بين المخدرات والمسكرات تفرقة مصطنعة لا قيمة لها.. فإما أن نسمح بهما أو نمنعهما. والإسلام يمنع كل مسكر ومخدر..

وبالتالي «فإن محاربة الخمور مقدمة على محاربة المخدرات».

ومالم تتواكب المسيرة في محاربة كل مغيبات العقل، نكون قد خدعنا أنفسنا!! فإن كنا جادين في محاربة الإدمان، يجب علينا فورا إغلاق محلات الخمور وعدم استيرادها، وكل مصانع التدخين التي هي الأساس في صناعة كل مدمن ولا نكتفي بكتابة التدخين ضار جدا بالصحة!! فهذا خداع! لابد من تعميم التجريم لكل من التدخين والخمور والمخدرات.

ثم لابد من إقامة حد الحرابة على كل تجار المخدرات دون تفرقة وفقا للمنهج الإسلامي:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(١).

## الإرهـــــاب

يرى الدكتور محمد المسير أن الإرهاب من الدعاوى التي ألصقت زورا وبهتانا بالإسلام وتعجب الدكتور المسير من أن الذين ألصقوه بالإسلام، هم الذين صنعوه فالإرهاب صناعة أوروبية وصناعة أمريكية على مستوى الفرد وعلى مستوى الدولة. ودلل الدكتور المسير على ذلك بقوله: إن قيام اسرائيل في دولة فلسطين هو الإرهاب بعينه، واستمرار وجود إسرائيل هو استمرار للإرهاب!

ثم إن عمليات المذابح التي حدثت مؤخرا في خان يونس ورام الله وصبرا وشاتيلا وفي كل المواقع المأساوية وقعت على أيدي زعماء إسرائيليين.

وحتى ما يسمى بالجماعات المتطرفة هم صانعوها، وهم الذين أمدوها لاختراق صفوف الأمة الإسلامية ولتمزيق وحدتها. وأن قادتها كانوا إلى وقت قريب يعيشون في أوروبا وأمريكا. ولما انتهى دورهم المحدد لهم من قبل أجهزة المخابرات والموساد، تخلصوا منهم.

ثم إن أوروبا وأمريكا مليئة بهذه الجماعات. فالمافيا في إيطاليا، والنازيون الجدد في ألمانيا، والجيش الجمهوري في ايرلندا، وعصابات المخدرات في كولومبيا، وما يسمونه باليمين المتطرف في أمريكا. وكلهم متأصل فيهم العنصرية والعصبية البغيضة، وعلى الرغم من ذلك يغضون الطرف عنهم ويلصقون الإرهاب بالإسلام.

وأكد الدكتور محمد المسير: بأن الإسلام لا يعرف الإرهاب، لأن الإرهاب إنما يقوم به أدعياء وليسوا أصحاب حق، ولأن الإرهاب يقوم على الظلم، والإسلام دعوة حق، والإرهاب يقوم به أناس لا يحترمون الإنسانية، وليس عندهم شعور بالولاء نحو البشر، والمسلم هو الإنسان الوحيد الذي يعترف بالأصل الواحد الذي يجمعنا جميعا، ولا يعرف العصبية أو الجاهلية، ويؤمن بقول الله تعالى:

---

(١) المائدة (٣٣)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٢).

## العمليات الفدائية عمليات استشهادية ودليل حياة الأمة الإسلامية

هناك فرق كبير بين الدفاع عن الحق، والاعتداء على المظلومين!! كيف يقال عن الفلسطيني الذي يدافع عن أرضه وعرضه ومقدساته إنه إرهابي؟! هذا رأي شائن وفكر لئيم، لا يمكن قبوله.. فمن حق الشعوب أن تدافع عن نفسها.. ومن هنا فكل العمليات الاستشهادية التي يقوم بها الفلسطينيون، عمليات جهادية! ولا تدخل في إطار الإرهاب.. وعلينا أن نشجعها وأن نقدم العون المادي والمعنوي لها.. وأن الانتفاضة الفلسطينية دليل حياة الأمة الإسلامية، التي أصيبت بصمت الموتى! ولا يكاد يحس بها أحد، وقضايا الأمة الإسلامية، غيبت عن الاهتمام الدولي العالمي. ولولا هذه الانتفاضة، ما سمع أحد عن القضية الفلسطينية ولابد من تدعيم هؤلاء الأبطال ومساندتهم، والوقوف بجوارهم، وإمدادهم بكافة الوسائل حتى يطهروا أرض الإسراء والمعراج من أحفاد القردة والخنازير.

فلندع مثل هذه الأعمال الاستشهادية تؤرق مضاجعهم، ولتسلب النوم من عيونهم، ولنجعلهم دائما وأبدا في حيرة، هذا أقل ما يجب أن يقدم.. فرد العدوان له أساليب شتى تبدأ بالكلمة وتمر بمراحل كثيرة حتى تصل إلى المواجهة الميدانية.. والله ـ تعالى ـ يقول:

﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٣).

وكلمة خفافا وثقالا تشمل كل ألوان التعبئة صغيرها وكبيرها، بدءا من الكلمة ومرورا، بالمقاطعة للمنتجات حتى تصل إلى المواجهة الميدانية.. فطالما هناك فرصة متاحة لأن نقتص من عدونا بأي وسيلة مشروعة فلا حرج في ذلك.

وأيضا لابد أن تكون المواجهة بالمثل امتثالا لقول الحق:

﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾(٤).

فما دامت إسرائيل لا تفرق بين الطفل والشاب، والمرأة والعجوز. فلابد من المعاملة بالمثل امتثالا لقوله تعالى:

﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾(٥).

الغرب إما حاقد على الإسلام وإما جاهل به:

وعن مسئولية الإعلام العربي والإسلامي في عدم وضوح سماحة الإسلام للمجتمع الغربي

---

(٢) الحجرات (١٣).
(٣) التوبة (٤١)
(٤) التوبة (٣٦)
(٥) البقرة (١٩٤)

قال الدكتور محمد المسير: إن الغرب، إما حاقد على الإسلام، وإما جاهل بالإسلام نتيجة الموروثات الصليبية القديمة، ونتيجة للدعاية اليهودية المضللة ونتيجة لعدم تقديم الصورة الصحيحة للإسلام لهم.

فالحقد لا تستطيع أن تستأصله من قلوبهم قال تعالى:

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾(٦).

أما الجهل فنستطيع أن نستأصله من خلال الإعلام ومن خلال تواجد المسلمين فى المجتمعات الأوروبية بأخلاق الإسلام.

وأكد الدكتور المسير: أن العالم الغربى عندما يتعرف على الإسلام يُقدم عليه ويعتنقه.. ونلاحظ أن الذين يعتنقون الإسلام فى أوروبا هم الصفوة من السياسيين والفلاسفة والعلماء والباحثين بعكس عمليات التنصير التى تقوم بها الجمعيات التنصيرية فى أفريقيا وآسيا، التى تعتمد على الخداع وتعتمد على لقمة الخبز، أو تقديم الدواء، فهى تحاول أن تخدع الناس فى عقائدهم بما تقدمه لهم من خدمات اجتماعية.

أما الإسلام فينتشر فى أوروبا رغم ضعف المسلمين. وليس لدى المسلمين من إغراء يقدمونه لأوروبا حتى يسلموا.

## أوروبا تجتمع فى وحدتها على أوهن من بيت العنكبوت

وعن الوحدة الأوروبية قال الدكتور المسير:

إن أوروبا الآن تجتمع فى وحدتها على أوهن من بيت العنكبوت.. فليس بين الأوروبيين ما يجمعهم! وليس لديهم سبب واحد يدفع إلى الوحدة فليس بينهم دين مشترك، ولا لغة مشتركة، ولا تاريخ مشترك.. فدينهم متعدد المذاهب، والمذاهب هناك متأصلة فى الخلاف، ومتعمقة فى التفرقة، فلا يلتقى مذهب مع مذهب.

ونعى الدكتور المسير حالة الأمة الإسلامية الاقتصادية.. التى تصلى على سجادة مصنوعة فى الصين الشيوعية، وتسبح الله بمسبحة كورية.. وتتفاخر باقتناء الأجهزة اليابانية وطرح سؤالا موجها لأرباب الصناعة الإسلامية: هل عجزنا أن نصنع سجادة نصلى عليها؟ هل فقدنا الأمل فى تجويد منتجاتنا؟ ولماذا لا يقتصر المعروض فى موسم الحج على المعروضات الإسلامية بعد تجويدها؟

واختتم الدكتور المسير حديثه قائلا: يجب علينا جميعا كل من مكانه أن نعيد حساباتنا وترتيب الأوراق من جديد، وأن نستثمر السمو الروحى الذى نكون عليه فى رمضان لإعادة صياغة الوضع الإسلامى.

---

(٦) آل عمران (١١٨)

# بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

## قال لي صاحبي

**طالعتنا جريدة اللواء الإسلامي بهذا الحوار الصادق للدكتور محمد فؤاد شاكر يرثي فيه العالم الإسلامي وما وصلنا إليه من وهن وقلة حيلة.**

كان هذا في الحوار الثاني بينه وبين صاحبه في اللواء الإسلامي في ٢٩ / ١١ / ٢٠٠١ :

مازالت عملية الإبادة الظالمة للمسلمين مستمرة ومازال أعداء الله من شياطين الإنس يتخذون الحجج للإجهاز على أفغانستان المسلمة ونحن نتفرج نعيش حياتنا طولا وعرضا ولا نهتم بل أصبح مألوفا لدينا أن نسمع عن التدمير وعن السفك والقتل ولا يحرك ذلك ساكنا فينا .. ذلك ما افتتحت به مجلسنا الأسبوعي ونحن نجلس جلسة رمضانية نتبادل فيها أمور ديننا وأحوال دنيانا. وسألني صاحبي لماذا أصبح القرآن مهجورا في بلاد المسلمين؟ قلت يا صاحبي لأن المسلمين لم يتدبروا آياته قرأوا وما فهموا ولو فهموا ما طبقوا، والقرآن يقول :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾(١) .

وقال تعالى :

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(٢) .

ووصف القرآن الذين يصدون عن تعاليمه بقوله :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾(٣) .

---

(١) الأحزاب (٣٦).

(٢) النساء (٥٩).

(٣) النساء (٦١).

فكيف بنا ونحن نحتكم إلى غير شريعة الله ونحتكم إلى قوانين لا تمت إلى الإسلام بصلة بل هي تأتي منافية تماما له في كثير من تشريعاتها وتتناقض معه ولهذا صبغ الناس في حياتهم وتعاملاتهم بصبغة غير إسلامية فأصبح الإسلام غريبا لايحتكم اتباعه إلى منهجه وأصبحت القواعد والتعاليم الإسلامية مستنكرة وليس هذا الكلام سبيلا إلى الغلو أو الإفراط. ولهذا انقسم الناس إلى أقسام وشيع كل حزب بما يتبعون ويحتكمون وكثرت الحيل وانتشر التعدى على حقوق الناس وأسرف الناس في التفريط في إقامة موازين الحق وأصبح دعاة البدع والضلالات يشار إليهم ويأخذون مواقعهم بل ويتقدمون الصفوف بغير حق، والشريعة الحقة تربي المسلمين على احترام حقوق الناس وحسن التعامل مع غير المسلمين وتضبط حركة الحياة، ولا يصاب خلالها المجتمع الإسلامي بخلل أو خروج عن المنهج القويم، أما قوانين البشر فمن أفظع ما صنعته في الناس أنها ارتكبت في الناس أكبر الجرائم حيث بثت فيهم روح التمرد على الدين ونشرت وسائل معاداة الإسلام وأفسحت المجال لحملات التبشير الباطلة لتنشر بين العباد من المنكرات والمفاسد تحت مسمى حرية الأديان، والحق أنه لا يوجد دين حمى حرية الاعتقاد كما فعل الإسلام.

**قال صاحبي : فكيف يكون العلاج؟**

قلت: بالرجوع إلى كتاب الله بالكلية وألا نفوض أمرنا إلا لربنا فهو المستعان وفي القرآن الخير كله فإن جعلناه بين أيدينا حكما فهو:

﴿ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

وهو أيضًا:

﴿ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾(٢).

## الله أعلم.. يا أمريكا

**قال فتحي سالم في أخبار اليوم ١٠/ ١١/ ٢٠٠١**

بعد انتهاء مؤتمر ديربان بثلاثة أيام فقط وقع الهجوم الرهيب الذي دمر هيبة سيدة العالم وعمدته وولية أمره وما أن بدأت أمريكا حربها ضد طالبان والقاعدة. وكل ضحاياها حتى الآن من الأفغان البؤساء.. حتى أعلن بوش عن تأييده لإقامة دولة فلسطينية دون أن يتبع ذلك بأي قرارات أو تصرفات تلزم إسرائيل التي لا ترضخ ولا تعترف بأي سلطة في العالم إلا بسلطة أمريكا. بالرجوع إلى الحق والتوقف عن البلطجة والإرهاب. والمدهش أن وزارة الدفاع الأمريكية لا تزال «تستعبط» وتعلن عن

---

(١) يونس (٥٧)

(٢) فصلت (٤٤)

مسابقة عالمية لتقديم اقتراحات لمحاربة الإرهاب دون أن تعترف بأن السياسة الأمريكية الخاطئة بانحيازها الأعمى لإسرائيل، وتجاهلها لحاجة شعوب العالم الصغيرة للعدل والإنصاف من القوة الوحيدة التي تحكم الدنيا هو المفجر لكل عمليات الإرهاب، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً والمذهل أيضاً أن رئيس الأركان الأمريكي أعلن منذ أيام أن الحرب الأمريكية الحالية سوف تستمر إلى الأبد وهو ما يثير الشكوك فى أن هذه الحرب كانت مقررة من قبل ضرب واشنطن ونيويورك فهل الغرض الحقيقى منها هو السيطرة على منابع البترول فى وسط آسيا؟! أم هى حرب صليبية فعلا ضد الإسلام؟! الله أعلم يا أمريكا.

## التصريحات الأمريكية الجوفاء

**فى أخبار اليوم وفى عددها الصادر فى ١٠ / ١٠ كلمة للأستاذ محمد بركات، قال:**

بالتأكيد لم يخطر على بالنا فى لحظة من اللحظات أن رئيس الدولة الأعظم يمكن أن يطلق تصريحات جوفاء، لا يعنيها، أو يقول كلمات لا وزن لها ولا قيمة سوى الضحك على ذقوننا، أو سعياً لامتصاص غضب الشارعين العربى والإسلامى تجاه المواقف الأمريكية المتعاقبة بطول السنوات الماضية، والتى كانت منحازة دائماً لإسرائيل ومؤيدة لكل جرائم الدولة الصهيونية ضد الشعب الفلسطينى.

وبالقطع، لم نصدق ما يقال: إن بوش الابن اضطر إلى دغدغة المشاعر والآمال العربية والإسلامية، وارتداء ثوب الحياد والعدل، تحت ضغط الحاجة المؤقتة لمساندتهم له فى حملته الجارية ضد أفغانستان، تحت شعار الحرب ضد الإرهاب وأنه - لا سمح الله - سوف ينسى أو يتناسى وعوده بالدولة الفلسطينية فور تحقيق ما يريده منا.

## نيران الحقد والكراهية التى أشعلتها أمريكا فى أفغانستان

نشرت جريدة عقيدتى فى عددها الصادر فى ٢٧ / ١١ / ٢٠٠١ هذا المقال للأستاذ بسيونى الحلوانى والذى فتح الباب على مصراعيه لكى يوضح للعالم الوجه المضىء لأمريكا وها هى توجه للعالم قبحها وشرها والله المستعان عليها.

قد تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية من خلال حملتها العسكرية على أفغانستان أن تقضى على تنظيم القاعدة وأن تقتل أو تقبض على أسامة بن لادن.. وقد تستطيع أن تقضى على حركة طالبان وتقتل زعيمها الملا محمد عمر كما قتلت الآلاف من مقاتلى الحركة والآلاف من المدنيين.. لكنها لن تستطيع من خلال هذه الحملات العسكرية أن تقضى على الإرهاب وأن توفر الأمن والطمأنينة لشعبها.

فالحقيقة المرة التى لا يريد الأمريكان الاعتراف بها هى أن الظلم والقهر والعدوان

هو الذى يولد الإرهاب، وأن العدل والإنصاف والانحياز للحق طريق المحبة والأمن والاستقرار.

إن كل التقارير الواردة من أفغانستان تؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكية لا يشغلها من حملتها العسكرية إلا الانتقام وإخماد النيران المشتعلة فى قلوب ونفوس الأمريكيين منذ أحداث نيويورك وواشنطن.. وقد دفع الشعب الأفغانى ثمن جريمة لم يرتكبها فقد حصدت الصواريخ والطائرات الأمريكية والبريطانية أرواح الأبرياء، وحصدت الكراهية والبغضاء المتأججة فى نفوس «المجاهدين الأفغان» أرواح الآلاف انتقاماً.. ومازال أسامة بن لادن حراً طليقاً وفشلت أمريكا بأجهزتها الدقيقة وقواتها الخاصة المدربة ووسائل التجسس التى تسجل وتنقل كل صغيرة وكبيرة تحدث على الأرض وملايينها التى رصدتها لمن يدلى بمعلومات عن مكان اختفائه.. فشلت كل هذه الوسائل فى تحديد مكان أسامة بن لادن.

لذلك ليس غريباً أن يعلن الرئيس الأمريكى «بوش» ووزير خارجيته «باول» أن الحرب فى أفغانستان لا تزال فى مراحلها الأولى، فكل ما يفقدونه من هذه الحرب هو الصواريخ والقنابل ووقود الطائرات أما الذين يقاتلون ويفقدون أرواحهم ويرتكبون أبشع الجرائم فى حق دينهم ووطنهم فهم إخواننا الأفغان الذين عادوا من جديد إلى مسرح الأحداث وسيكونون مصدراً خصباً لتشويه صورة الإسلام والمسلمين بحربهم ضد بعضهم البعض وتقديم ما تبقى من شعبهم وقوداً لمرحلة جديدة من النزاع والأحقاد والحروب التى بدأت بالفعل على أرض أفغانستان ولن يعلم إلا الله وحده متى ستنتهى.

من هنا فإن الحديث عن مؤتمر للمصالحة بين الأفغان وتشكيل حكومة تمثل كل الأعراق الأفغانية يصبح حلماً بعيد المنال فإخواننا فى أفغانستان أدمنوا الحروب والقتل ولا يمكن أن يعيشوا فى طمأنينة وأمان دون أن يتقاتلوا ويريقوا دماء بعضهم البعض.. فلم يتبق لهم من تعاليم الإسلام إلا تطويل اللحى.

لقد كنا نتصور أن القضاء على حركة طالبان وإزاحتها عن الحكم يعنى عودة الحياة إلى أفغانستان وأن الفصائل الأفغانية التى وحدت جبهتها وفرشت لها الطائرات الأمريكية الطريق إلى كابول ومزار الشريف بالورود قد تعلمت الدرس وأن مرحلة النزاع والصراع قد انتهت لتبدأ مرحلة الوفاق والبناء.. ولكن للأسف كل التقارير الواردة من أفغانستان تؤكد أن مرحلة الصراع والنزاع بين إخواننا المجاهدين قد بدأت على الأرض ليستكملوا هم مسلسل الحروب والصراعات والقتل والتخريب فى أفغانستان.

لذلك فإن الأصوات التى تطالب بعدم التسرع فى تقديم مساعدات من أجل إعمار أفغانستان لها ما يبررها فما سيقدم من الدول العربية والإسلامية للفصائل الأفغانية سيوظف لشراء أسلحة جديدة تحصد أرواح المزيد من أبناء أفغانستان.

# بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

## السعادة الموهومة

بينما كان شهر رمضان الفضيل يجمع أوراقه التى ملئت بأعمال العباد، مستعدا للرحيل، شاهدا على ماقدموا من خير أو شر، وعلى اجتهادهم أو تفريطهم. ونحن فى تلك اللحظات نرجو رحمة ربنا الواسعة آملين أن نحظى بمغفرة من الله، وأن ننال براءة من النار بفضله العميم، فنصبح من عتقاء الشهر الكريم. فى هذه اللحظات المباركات، وبعد الافطار بقليل وجدت الأستاذ أحمد عثمان والأستاذ صفوت عكاشة قد أشعل كل منهما سيجارة فى انتظار الملزمة التالية من مجلة الأزهر لتجهيزها للطبع.

فبادرت الأستاذ أحمد: متى دخنت أول سيجارة؟

فقال: منذ كنت فى الصف الرابع الابتدائى.، ثم وجهت نفس السؤال للاستاذ صفوت الذى أفاد بانه دخن فى سن مبكرة أيضاً.

وهنا وجهت سؤالاً آخر:

هل من الصواب أن يظل الإنسان أسير رغبته حين كان (صبيا - أو مراهقا) بينما هو الآن يخطو خطواته نحو الاربعينيات والخمسينيات من عمره؟

فكان جوابهما يتلخص فى أنهما يشعران بسعادة!

قلت: سعادة بماذا؟!

فجاء الجواب: سعادة وكفى، لا ندرى لأى شىء!! ولكننا سعداء.

انتهى الحوار وواصلنا العمل.

ولكنى وجدتنى أفكر فى هذه القضية، وبخاصة وقد أعطانا رمضان فرصة طيبة للتعود على الامتناع عن التدخين من مطلع الفجر حتى مغرب الشمس، وإن فى ذلك لبرهان ساطع لإمكانية ترك هذه العادة الرذيلة!!

.. فقط بعض إرادة وينتصر المدخن على عادة اكتسبها فى غفلة من وعيه!!

.. فقط بعض الإرادة ويكون قد بَعُدَ عن أخطار التدخين وتمتع بصحة جيدة.

إضافة إلى فوزه برضى ربه بخروجه من دائرة الإسراف المنهى عنه شرعا.

وإذا كانت السعادة الموهومة تجعل المدخن يتغاضى عن الآثار السلبية التى تؤذيه هو شخصيا: صحيا وماديا، فليس من حقه أن يتغاضى عما يسببه لمن حوله من أضرار من جراء تدخينه.

وليس له الحق -أيضاً- أن يتغاضى عما قاله فضيلة الإمام الأكبر أ.د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر - وهو أيسر الأقوال - أن التدخين «خلاف الأولى» أى أن الأولى عدم التدخين.. والأولى: إنفاق المال فيما هو أنفع وأهم مثل الطعام والملبس والمسكن... إلخ. فإن بقى فضلُ مال فليعد به على أصحاب الحاجات والفقراء والمساكين وما أكثرهم.

نعم.. لو أراد المدخن أن يستفيد من رمضان لوعى الدرس واستفاد من الامتناع الجزئى، واستمره وواصل امتناعه الجزئى هذا بعد رمضان للوصول إلى الامتناع التام، عندها فقط سيشعر بالسعادة الحقيقية لا السعادة الموهومة.

## علامــــة اســـــتفهام

**وعن نفس الموضوع وردت رسالة القارىء أحمد بسيونى جامعة الأزهر فرع المنصورة تحت عنوان: «علامة استفهام» يقول فيها:**

أعجب كثيرا لهذا الإنسان العجيب.. أتذكر صورته الشاردة أمامى دائما، أراه متشبثاً بتلك السيجارة القصيرة التى تشبه فى حجمها حجم القلم الصغير، فهى بالنسبة له قلم البقاء الذى يكتب به قصة نهايته، أندهش لم كل هذا التمسك بتلك السيجارة البذيئة؟

فلم أر من صورته سوى وجها شاحبا فى طريقه للفناء، وذهنا شاردا فى اللاشئ وعينين عكرتين تنظران فى الفراغ، وسعال قاتل يصحبه من آن لآن، وضيق تنفس يخنقه، وبعض الأمراض الحاضرة الملتفة حول عنقه، وقطيع من الأمراض الدفينة الذى ينتظره على شاطىء الموت.

وأسائل نفسى فى حيرة: هل من الممكن أن يمارس ذلك الإنسان هذه العادة البذيئة، ويتحمل فى سبيلها كل هذه الأشياء جملة لمجرد أنها عنده عادة؟..

ولكن يحيرنى ذلك المخلوق الذى جعله الله خليفته فى أرضه وزوده بالعقل والذكاء والرقى.

كيف يتصف بالحمق؟.. إذن فما الذى يقوده نحو التدخين؟

ربما سوء الفهم هو الذى جعله يعتقد أن التدخين فيه مزية للإنسان كما نسمع من بعضهم أنه يهدئ الأعصاب. فما ثبت علمياً هو عكس ذلك تماماً.

فالتدخين ما هو إلا مخدر لأعصاب المدخن للحظات قليلة وإذا تركه المدخن لوقت معين هاجت أعصابه وتوترت تماماً. إذن فهؤلاء قد أساءوا الفهم نحو التدخين.

ومازال السؤال الذى يجول بخاطرى: ما الذى يحمل ذلك المدخن للانسياق نحو التدخين؟

ربما هو التقليد الأعمى.. فهل من الممكن أن هذا الإنسان سيد هذا الكون ينساق خلف التقليد



الأعمى؟.. لا أعتقد ذلك، إلا إذا كان إنساناً شاذاً يتصف بالضعف والهشاشة.

ومازالت حيرتي قائمة، ما هو الدافع الحقيقي لتلك العادة الرديئة؟ أمن الممكن أن يكون الشكل الخارجي للمدخن هو الذي يتطلب منه وضع تلك السيجارة بين شفتيه لتكتمل صورته الخارجية؟

وهل يحافظ عليها كجزء هام يكمل مظهره الخارجي؟.. لا أدري.

ولكن إذا فهم أنه يعتني بالمظهر الخارجي فنوجه إليه سؤالاً واحداً: لم لا تعتني بشحوب وجهك، وتعكر عينيك، واسوداد أسنانك، وسعالك المتكرر؟ فعدم الاهتمام بهذه الملامح يشوه صورتك تماماً.

فأنا لا أملك سوى أن أناديك بسيدي الإنسان: أرجو منك العفو والمغفرة من أجل تدخلي في حياتك الخاصة ولكن معذرة سيدي، فأنا لا أعلم للتدخين اسماً سوى أن أسميه (مقبرة الحياة) ولا أدري لم إصرارك على الولوج بها، والتصدي لأشباحها؟.. ولكني أدري تماماً أنني إنسان يعتز بإنسانيته وعقله، وصحته.

## فى رحـــاب اللغـــة العربيـــة

**يواصل الأستاذ / أحمد ناصر أحمد ناصر حديثه عن اللغة العربية، ونشكر له وللأستاذ وائل علي عبدالعزيز، سرعة استجابتهما في الكتابة حول هذا الموضوع.**

**حيث قال الأستاذ / أحمد ناصر**

### اللغة العربية

العربية ليست كأي لغة من اللغات الأخرى بل هي فريدة من نوعها؛ فقد اختارها الله - تعالى - واصطفاها لتكون وعاءً لكتابه الخالد، ولذا أوجب الشارع الحكيم تعلمها حتى نفهم مقاصد الكتاب والسنة.

يقول ابن تيمية: «إن معرفة اللغة من الدين ومعرفتها فرض واجب وإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ومالايتم الواجب إلا به فهو واجب». ا. هـ.

ولا أظن أحداً منصفاً يختلف معي في ضرورة الاهتمام باللغة العربية إلى أن تصير اللغة العالمية.

وما أحوجنا في هذه الأيام إلى تعلم العربية وتعليمها ونشرها.

واللغة العربية محفوظة بحفظ الله - تعالى - لها، ومن أجل أن يعود للأمة الإسلامية مجدها الغابر وعزها الدائر، فلنحافظ على لغتنا العربية، الدعامة الأساسية لشخصيتنا، وهويتنا العربية والإسلامية.

ولنردد مع القائل:

**أحمي حمى الفصحى فإنها**

**لغتي وبها جاء الكتاب المنزل**

**وأخيراً**: علينا أن نبذل الجهد في تعلم اللغة العربية، وعلينا أن نتحدث بها ولاسيما في الحوارات الأدبية والمناقشات العلمية.



## أخطـاء شـائعة

**وتقدم بعض ما أرسل به الأستاذ وائل علي عبدالعزيز -كوم النور -ميت غمر- يقول:**

١- إن من الخطأ الشائع أن نقول ( تلا المقرئ ) والصواب ( القارئ ) لأن الفعل إذا كان ثلاثيا يتم صياغة اسم الفاعل منه على وزن ( فاعل ) والفعل هنا ثلاثي ( قرأ )، يقول تعالى:

﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾

[ سورة غافر آية ٣ ]

٢- من الخطأ الشائع أن نقول لأسماء الآلات التالية ( مُسمار، مُنشار، مُلقاط ) بضم الميم في كل، والصواب ( مِسمار، مِنشار، مِلقاط ) بكسر الميم لأن اسم الآلة من الفعل الثلاثي المتعدي له ثلاثة أوزان منها، ( مِفعال ) بكسر الميم، وليس بضمها.

٣- من الخطأ الشائع أن تعتقد أن كلمة ( الشيخ ) خاصة بالكبير في السن فقط، ويقولون أن كلمة ( الإمام ) كإمام المسجد مثلاً لا نقول عنه شيخ، والصواب غير ذلك؛ ففي المعجم الوجيز ص٣٥٦ ( الشيخ ) من أدرك الشيخوخة. وهي غالباً عند الخمسين، وهو فوق الكهل ودون الهَرم، و: ذو المكانة من علم أو فضل أو رياسة. وبناء عليه فيجوز أن نقول للإمام: شيخ لأنه ذو مكانة ولو لم يكن كبير السن.

## منزلـة العلمـاء في الإسـلام

**أما القارئ الشيخ / محمد محمد عبدالحي الشافعي - إمام وخطيب بالأوقاف- فيقول:**

إن لله عباداً اختصهم بالعطاء الواسع، والكلام النافع، والقلب الخاشع.. قوم لا يملون، بالعلم يعملون، في جُنح الليل يقرأون، حقاً إنهم العلماء.

زكاهم الله في قرآنه، ومدحهم بعظيم بيانه؛ فقال في فرقانه:

﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾.

وصدق النبي إذ يقول:

« من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم يستغفر له من في السموات والأرض، حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإنهم لم يورثوا ديناراً ولا درهماً لكنهم ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر ».

[ رواه أبو داود، وابن ماجه ]

فيا من تريد سعادة الدارين عليك بالعلم لأن العلم بالنسبة للناس كالعافية للبدن لا يُستغنى عنه..

**ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم**
**على الهُدى لمن استهدى أدلاءُ**
**وقدر كل امرئ، ما كان يُحسنه**
**والجاهلون لأهل العلم أعداءُ**
**ففز بعلم تعش به أبداً**
**الناس موتى وأهل العلم أحياءُ**

## من إبداعات القراء:

# «إن بعض الظن إثم»

شعر / حسن أبوالغيط - شبين الكوم / منوفية

ضربوك «أمريكا» ولا تدرين منْ
ضربوا ولا من ذا الذى لا يؤتمنْ
هلاَّ نظرت لغيرنا فى هذه؟
هلاَّ اتهمت الخائنين على الزمن؟
إن اليهود على الزمان تمردٌ
ولهم أمورٌ من سواهم لم تكُنْ
لم يحضروا يوم القضا كحضورهم
وكأنهم يدرون دون بنى الوطن
غابوا عن الأحداث قبل حدوثها
من ذا الذى فى الناس يدرى الغيب من؟
عيناك دومًا بارتياب نحونا
كونى كذلك نحوهم ظناً كظن
والظن ظلمٌ بعضه فتفكرى
يا من لهذا الظن فينا تطمئن
بل «إن بعض الظن إثم» فاحذرى
يا من تُقاد بذى الظنون وقد تجُنْ

# فضل القرآن

شعر / جابر عبدالعليم مصطفى - سوهاج - دار السلام

إقرأ كتاب الله في إمعان ... ترضي إلهك خالق الإنسان
وابدأ بفاتحة الكتاب تيمناً ... فهي الثناء وبغية الخيران
كن طاهراً قبل القراءة واستعذ ... بالله تأمن سطوة الشيطان
والزم خشوعاً حين تتلو موقناً ... أن الجزاء عطية الرحمن
يا أمة القرآن إن كتابكم ... دستور دنيا شامخ البنيان
جمع القلوب على المحبة والتقى ... وعلا بلفظ قمة الإتقان
بشرى لمن حفظ الكتاب فإنه ... بلغ العلا ومنازل الفرسان

## رسالة قارىء

**ورد إلى إدارة المجلة هذه الرسالة من الأستاذ الدكتور عبداللطيف الحديدي يقول فيها:**

أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي

رئيس تحرير مجلة الأزهر

سلاماً وتحية وبعد:

لاحظت أن المقال المنشور بمجلة الأزهر عدد شعبان ١٤٢٢هـ تحت عنوان: «الإسلام دعوة لتحقيق الوحدة الإنسانية» للمستشار محمد عزت الطهطاوي، هذا المقال مأخوذ من فصل نشر في كتاب «السيرة المحمدية في ضوء العلم والفلسفة» للكاتب الكبير الأستاذ محمد فريد وجدي، وقد قمتم أنتم بجمعه وتحقيقه ونشره فأنتم أدرى به. وقد حاول الكاتب أن يخدع القراء فنقل نصين متفرقين ونسبهما لهذا الكتاب، ومعنى ذلك أن بقية المقال من تأليفه، ولكن الواقع المؤلم أن المقال جميعه بقلم الأستاذ فريد وجدي، حتى المقدمة التي افتتح بها المقال كان مضمونها من كلام الأستاذ فريد وجدي في صفحة سابقة. ولا أدري لماذا لم يجعل المستشار مقاله من باب المختارات وينسب المقال إلى صاحبه فهذا أشرف وأجدى!!

### رئيس التحرير:

**هذه رسالة من ثلاث رسائل هي أهونها تناولاً، وكنا نود أن تستقيم الأمور على وجه صحيح.**




## أول فضائية إسلامية فى شرق آسيا

شهدت العاصمة الإندونيسية جاكرتا مؤخرا تدشين البث التجريبى لقناة «الرحمن» الفضائية والتى تعد الأولى من نوعها فى إندونيسيا ومنطقة جنوب شرق آسيا وهذه القناة ستكون موجهة للتعريف برسالة الإسلام وستغطى اهتمامات الناس الدنيوية والأخروية كما صرح بذلك المدير العام لشركة «الرحمن ميديا» والتى تدير القناة لشبكة «إسلام أون لاين» ومن المقرر أن تعتمد القناة فى مرحلتها الأولى على برامج القنوات الخاصة الإندونيسية إضافة إلى شراء البرامج من قنوات الخارج لعدم وجود ما يمكن أن تسد به ساعات البث من الإنتاج المحلى الدينى والثقافى العام بما فى ذلك الأفلام الكارتونية المنتجة فى الوطن العربى والتى تحمل مضمونا ورسالة إسلامية على أن تبدأ فى مرحلة لاحقة فى إنتاج برامج دينية لقنوات أخرى وتخطط إدارة القناة الفضائية التى ستبث اعتمادا على أحد على الأقمار الصناعية التوسع مستقبلا فى بث إرسالهم إلى دول مجاورة مثل ماليزيا - سنغافورة - بروناى - التى لا يصل المسلمون فيها ارسال القنوات الإسلامية وقد بدأت إدارة القناة فى تركيب أجهزة استقبال للبث فى المدارس الدينية كخطوة لإشاعة برامجها خاصة أنها متوجهة بالأساس إلى الشباب والمسلمين الذين يمثلون ٨٨٪ من تعداد أندونيسيا البالغ ٢٣٠ مليون نسمة.

آفاق عربية

٢٠٠١/١١/٢٩

**للأستاذ / محمد الشرقاوى**

## ٧٠٪ من لاجئي العالم مسلمون

صرح كريم الأتاسي المستشار الإعلامي للشرق الأوسط بمفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين بأن عدد اللاجئين في العالم بلغ طبقا لآخر الإحصائيات ٢٢ مليون لاجيء ٧٠٪ منهم مسلمون، ويأتي لجوؤهم بسبب الحروب والنزاعات المسلحة والاضطهاد الديني الذي أصبح فلسفة للصراع المعاصر.

وأكد أنهم يعانون ظروفا قاسية جدا بسبب عدم كفاية الموارد المالية اللازمة لتقديم الخدمات الأساسية من غذاء ودواء ومأوى لهذا العدد الهائل بالفعل وأكد أنهم يعيشون في بؤر ساخنة ومتوترة جدا من العالم.

وأعرب الأتاسي عن قلقه إزاء تقليص الدول الأجنبية المانحة للمعونات المقدمة للمفوضية واتجاهها لتسريح بعض عمال الإغاثة وإغلاق بعض المكاتب بسبب قلة الموارد والتمويل وهو ما يؤثر على المواد الإغاثية والخدمات إذا قطعت الدول المانحة دعمها في أي وقت.

آفاق عربية

٢٠٠١/١١/٢٢

● **نقول للأستاذ الأتاسي: إن البديل الإسلامي موجود وهو الالتزام بفريضة الزكاة التي فرضها الله لتحقيق العدل والتكافل والأمن الاجتماعي.**

## الصين تمنع الحجاب وتجبر المسلمين على الإفطار في رمضان

أورد موقع «الإسلام» على الأنترنت أن الحكومة الشيوعية في الصين فرضت الافطار الإجباري في شهر رمضان على مسلمي إقليم «تركستان» الشرقية الذي تحتله وتطلق عليه اسم إقليم «سنكيانغ» «شمال غرب الصين» وذكرت الأنباء الواردة من الإقليم أن الحكومة الصينية أمرت طلاب المدارس بمن فيها من المسلمين بالأكل في مطعم المدارس وسط النهار؟ وأصدرت أوامر بعقاب الممتنعين عن الإفطار بالفصل من مدارسهم وقد أشار أحد المدرسين إلى أن توجيهات الحكومة الصينية للمسلمين بعدم الصيام في رمضان بدأت العام الماضي ولكنها ازدادت خلال هذا العام بسبب أحداث أفغانستان.

وكانت السلطات الصينية قد منعت المسلمات من ارتداء الحجاب في المؤسسات الرسمية بحجة أنه مظهر عدائي ـ كما منعت المدرسات المسلمات من ارتداء حجابهن الشرعي.

وأعدمت مؤخرا ٢١ شابا مسلما من تركستان وسجنت عشرين آخرين بتهمة العمل من أجل استقلال الإقليم – وأورد الموقع نقلا عن مصادر تركستانية أن الحكومة الصينية جمعت أئمة المساجد وعددا من علماء المسلمين في اطار خطة من المقرر أن تمتد إلى تسعة أشهر وتستهدف نحو ثمانية آلاف خطيب وإمام ومدرس شرعي وذلك لإعدادهم في مواجهة ما يسمونه بالتيار الانفصالي الذي تنتشر أفكاره بين الشباب التركستاني المسلم وإقناعهم بسياسات الحكومة الشيوعية.

شبكة المعلومات الدولية الإنترنت

موقع «الإسلام»

## من أخبار أفغانستان المسلمة الجريحة

ضرب وحرق وتدمير بجميع أنواع الأسلحة المحرمة وغير المحرمة.



- قنابل «القلاع الطائرة». - القنابل «الغبية» عفوا «الذكية». - القنابل «الانشطارية» ولاشك النووية والذرية. - الخنق بغاز «السارين».

- استخدام اليورانيوم المشع والأسلحة الكيماوية. - استخدام القنبلة الثقيلة «ديزى كتر» والتى تزن ١٥ ألف طن والتى سقطت منها ثلاثة على المواقع المدنية ومنازل المواطنين الأفغان العزل.

كل هذه الترسانة الحربية بجميع أنواعها تستخدم ضد الشعب المسلم والشيوخ والأطفال والنساء الذين لا حول لهم ولا قوة.

والنتيجة:

إبادة أكثر من ١٥٠٠٠ مسلم أفغانى

وتحذير من الأمم المتحدة من احتمال موت ١٠٠ ألف طفل أفغانى.

ودماء المسلمين تراق فى كل ركن فى العالم والقاتل أمريكا.

**المحرر: افيقوا أيها المسلمون قبل أن تقولوا «أكلنا يوم أكل الثور الأبيض».**

## حملة يهودية لإغلاق أهم موقع إسلامى على الإنترنت

يتعرض موقع «طريق الإسلام» أحد أبرز المواقع الإسلامية على شبكة الإنترنت لحملة هجوم عنيفة تقف خلفها واحدة من أقوى المنظمات اليهودية فى العالم لإغلاقه.. حملة الهجوم التى انطلقت منذ عدة أسابيع وتتصاعد يوما بعد يوم بدأت بعدما نشر الموقع صورة تفضح الممارسات الوحشية التى يتعرض لها المدنيون العزل فى الأراضى المحتلة وتبدو فيها سيدة فلسطينية تتعرض للضرب من قبل المستوطنين اليهود.

نشر الصورة على هذا الموقع المهم الذى تبثه «مؤسسات التجمع الإسلامى» «بكندا» أثار حالة من الغضب والغليان الشديدين بين يهود أمريكا الشمالية وتحرك اللوبى الصهيونى متمثلا فى «منظمة بناى بيرث» التى تهتم بالدعاية والحماية الإعلامية لليهود بنشر إعلانات تشويهية ضد الموقع فى جريدة «ناشيونال بوست» الكندية واسعة الانتشار تتهمه فيها بأنه يروج للإرهاب ويدعو للجهاد ضد «إسرائيل» وذلك بنشره صور الشهداء ومنفذى العمليات الاستشهادية فى المدن الإسرائيلية وطالبت المنظمة اليهودية الحكومة الكندية بإغلاق الموقع وتقدمت ببلاغ للشرطة الفيدرالية وإدارة الاستخبارات والأمن الكنديتين ضده.

وكشف «محمد الأحمدى» رئيس أمناء التجمع الإسلامى بأمريكا الشمالية والمسئول عن موقع «طريق الإسلام» فى رسالة بثها عبر البريد الالكترونى لعدد من الصحف العربية الأسباب الحقيقية للحملة الصهيونية على الموقع مؤكدا أنها تأتى بعدما أعلنت منظمة «اليكسا» العالمية للانترنت أن «طريق الإسلام» يعد أكبر موقع إسلامى على شبكة الانترنت.. وزاره خلال شهر سبتمبر مليون و٧٠ ألفا من جميع أنحاء العالم، ومما أثار حفيظتهم وحقدهم أن الموقع دفع عددا كبيرا من الأمريكيين لاعتناق الإسلام ونشر قصص إسلامهم على صفحاته.



# أنباء مكتب شيخ الأزهر

## لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسي

### الإمام الأكبر يشهد:

### المسابقة العالمية التاسعة للقرآن الكريم

افتتح الدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء وفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف وفضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف المسابقة العالمية التاسعة للقرآن الكريم التى تنظمها سنويا وزارة الأوقاف بالتعاون مع الأزهر الشريف ويشارك فيها وفود من ٦٥ دولة ويمثلها ٧١ شابا وطفلا وفتاة وافتتحت بتلاوة من القرآن الكريم للطالب الإيرانى مهدى محمد عباس واختتمها بتلاوة للمتسابق احمد تاصيفى عبدالفتاح من اندونيسيا وذلك بقاعة الإمام الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر الشريف.

**وفى كلمته أكد الدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء** أن مصر عرفت منذ دخول الاسلام فيها أنها وفية لتعاليم الدين السمحة وقيمه النبيلة، وأن هذا الاهتمام ازداد كثيرا بعد أن ارتفعت مآذن الأزهر الشريف منذ أكثر من ألف عام وأصبح كعبة المسلمين العلمية، والذى يهفوا إليه طلاب العلم الدينى والثقافى الصحيح من كل انحاء العالم وقال أيضا : إن مصر التى عرف أهلها بالحرص الدائم على القرآن الكريم والتزام منهجه السمح المستنير تفتح صدرها وعقلها منذ آلاف السنين وكذلك مؤسساتها للوافدين من أبناء العالم الاسلامى وتوفر لهم كل ما يعينهم على تلقيهم العلوم الإسلامية وغيرها بالأزهر الشريف حتى بلغ عدد الطلاب فى مراحل التعليم الأزهرى المختلفة من الوافدين حتى قبل التعليم الجامعى حوالى ٢٠ عشرين ألف طالب وطالبة وذلك لما يتمتع به الأزهر الشريف ومناهجه وأساتذته من وسطية واعتدال وبعد عن الغلو والتطرف، والإسلام الذى تعرفه مصر هو دين التسامح والسلام والتعايش مع الآخرين، والتعاون معهم على كل ما يؤكد دعائم الأمن والاستقرار والسلام فى ربوع العالم كله والتعاون على البر والتقوى بعيدا عن الإثم والعدوان، وقال أيضا : إن مصر تحرص كل الحرص على تأكيد ضرورة الفهم الصحيح للاسلام انطلاقا من أن الفهم الصحيح يقضى على المفاهيم المغلوطة والأفكار الخاطئة، كما أنه من الثابت يقينا أن

الوحي منذ العصر الإسلامي الأول ركز على العلم وحث عليه وشجع اتباعه في كل العصور على الاهتمام به . . .

**وقال فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر في كلمته**: إن القرآن الكريم شرعه الله ـ تعالى ـ هداية للإنسان وللإنس والجن معا وهو كما قصد به التقرب إلى الله ـ عز وجل ـ بقراءته وتلاوته وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا يكف عن قراءته وسماعه وتدبره وتبليغه وأنزله الله ـ تعالى ـ للناس كافة وبشر الذين يحفظونه ويعملون به ببشارات متعددة منها قوله: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» ومنها قوله: «الماهر بقراءة القرآن مع السفرة الكرام البررة، ومن قرأه وهو عليه شاق له أجران عند الله تعالى» وقال فضيلته: إن الأزهر الشريف يعاهد الله ـ تعالى ـ ويعاهد كل المسلمين أن يحرص على تعليم المسلمين القرآن الكريم ويكرر دائما أنه ليس بأزهري من لا يحفظ القرآن الكريم، وقال: إن الأزهر يهتم بحفظ القرآن الكريم كاملا في مراحل التعليم المختلفة . ففي المرحلة الابتدائية من سن ست سنوات وحتى اثنا عشر سنة يحفظ الطالب أو الطالبة ثمانية عشر جزءا وفي المرحلة الأعدادية ومدتها ثلاثة سنوات يحفظ الطالب أو الطالبة سبعة أجزاء، وفي المرحلة الثانوية ومدتها ثلاث سنوات يحفظ الطالب خمسة أجزاء ولا ينتقل من مرحلة إلى أخرى إلا إذا نجح في القرآن الكريم ويتم الامتحان في المنهج المقرر للسنة وفي المقرر في الأعوام السابقة ونحن على يقين من أن القرآن الكريم يحفظ من يحفظه وقال: إن الأزهر الشريف والأوقاف وكل المؤسسات الدينية يتعاونون معا لمعرفة كل فرد في مصر الدين الصحيح الذي ينير العقول ويصحح البصيرة والبصر وأبواب الأزهر، الشريف مفتوحة على مصراعيها لكل وافد إليه وعلماؤه في خدمة المسلمين في كل مكان .

**وأكد الدكتور محمود حمدى زقزوق في كلمته**: انه في ظل رعاية كريمة من السيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية ومن منطلق مسئولية مصر التاريخية إزاء عالمها الاسلامي بوصفها بلد الأزهر الشريف ـ قلعة الإسلام الحصينة تنظم وزارة الاوقاف المصرية بالتنسيق مع مشيخة الأزهر الشريف : المسابقة العالمية التاسعة للقرآن الكريم، وقد كانت مصر ولا تزال وستظل إن شاء الله الى آخر الزمان معنية كل العناية بكتاب الله ولذا كانت هي أول دولة في العالم الاسلامي تنشيء محطة إذاعية للقرآن الكريم منذ عشرات السنين وتربع برامجها لبلادنا نهارا دون توقف وستظل مصر دائما وفية لدينها حامية لتراثها الإسلامي راعية للقرآن الكريم فقد شرفها الله بأن انزل في شأنها قرآنا يتلى، ويتعبد به المسلمون في كل مكان، وجعل أرضها آمنة تفتح صدرها لكل من يلوذ بها .

وقال: ان هذه المسابقة العالمية تأتي تعبيراً عن حرص مصر الدائم على الحفاظ على كتاب الله الذي انزله على رسوله الكريم في ليلة مباركة هي ليلة القدر التي هي خير من الف شهر ليكون هذا القرآن هدى للناس ورحمة للعالمين، وشفاء لما في الصدور، وقد جاء القرآن الكريم معجزة خالدة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دالة على صدق رسالته وهي معجزة عقلية باقية أبد الدهر تحترم عقل الانسان وتخاطبه

بالحجة والبرهان وقد اشتمل القرآن على العقائد والأخلاق والتشريعات وأخبار الأولين، وأحوال الدار الآخرة، كما اشتمل على الحث على إعمار الكون والتدبر في ملكوت السموات والأرض، وأكد أن المسلمين أدركوا منذ الصدر الأول من الاسلام ما في القرآن الكريم من إرشادات ربانية وتوجيهات إلهية تهدف الى تحقيق الخير للإنسان فقاموا بحركة علمية كبرى أدت الى صنع حضارة عريقة كانت من أطول الحضارات عمرا في التاريخ وقد استفادت منها البشرية أعظم فائدة، وهكذا كان القرآن الكريم بما فيه من قيم نبيلة وما اشتمل عليه من تعاليم سامية محور اهتمام المسلمين على المستويين النظرى والعلمى، وقد ظل القرآن بعيدا عن أى تحريف أو تبديل لأن الله تكفل بحفظه منذ أنزل والى أن تقوم الساعة وأكد على أن جميع محاولات الطعن فى القرآن باءت بالفشل الذريع ولم يكن لهذه المحاولات تأثير على هذا القرآن العظيم الذى تكفل الله بحفظه ولا على حقائق الدين الواضحة وضوح الشمس فى وسط النهار ولا على المؤمنين بهذا الكتاب الكريم، وقد دأبت بعض الجهات المغرضة والمشبوهة فى بث سور مزعومة على شبكة المعلومات الدولية فى محاولة مفضوحة لتزييف حقائق الدين، وإشاعة البلبلة فى أوساط المسلمين وإذا كانت المحاولات القديمة قد ماتت فى مهدها فإن المحاولات الجديدة ستموت أيضاً فى مهدها، وأبلغ رد على هذا الباطل يتمثل فى تقرير الحقائق الإسلامية والتعريف بالقرآن الكريم بأسلوب علمى سليم ووزارة الأوقاف من خلال المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالتعاون مع الأزهر الشريف يقومان بواجبهما فى هذا الصدد.

حضر حفل الافتتاح عدد من الوزراء والسفراء وفضيلة مفتى الجمهورية، وعلماء الأزهر والأوقاف وأبناء العالم الإسلامى الذين يدرسون بالأزهر والمتسابقون.

## الإمام الأكبر يشارك فى احتفالات المملكة العربية السعودية

شارك فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى احتفالات المملكة العربية السعودية بمناسبة مرور عشرين عاما على تولى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز مقاليد الحكم بالمملكة بناء على دعوة كريمة من حكومة المملكة ضمن الشخصيات العالمية رفيعة المستوى وفى حديث فضيلته أشار إلى أن الدور الكبير والمميز الذى تقوم به المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز حفظه الله فى دعم ورعاية مسيرة الدعوة الإسلامية محل تقدير واعتزاز الأزهر الشريف وعلمائه ومؤسساته المختلفة. كما أنه محل تقدير كل مسلم مخلص لدينه وأمته فى شتى انحاء العالم، وأن دعم ورعاية خادم الحرمين الشريفين لجهود وأنشطة الدعوة الإسلامية لا تتوقف داخل المملكة العربية السعودية وإنما يمتد ذلك الدعم وتلك الرعاية الى مسيرة الدعوة الاسلامية فى مختلف انحاء العالم لخدمة المسلمين فى كل مكان وإن المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله تبذل جهوداً كبيرة فى دعم مسيرة الدعوة الاسلامية فى كثير من دول العالم.

## ويلقـــى دروســـا بالمغـــرب

كما شارك فضيلته في المحاضرات الدروس الحسنية التي يلقيها كبار العلماء والمفكرين من شتى أنحاء العالم والتي تلقى أمام وفي حضرة ملك المغرب جلالة الملك / محمد السادس ملك المملكة المغربية بدعوة كريمة من جلالة الملك شخصيا وهي سنة متبعة بدأها جلالة الملك محمد الخامس - رحمه الله تعالى - كما التقى فضيلته أثناء زيارته لدولة المغرب الشقيقة بمعالي وزير الشئون الدينية بالمغرب وتم التباحث في أمر النهوض بالدعوة وتنسيق الجهود وتوضيح سماحة الاسلام وخاصة في هذه الظروف الراهنة.

## الإمـام الأكبـــر:

## الحضـــارات يجـــب أن تتعـــاون

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بمشيخة الأزهر الشريف وفداً أردنياً رفيع المستوى برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال يرافقه صاحب السمو الملكي الأمير / راشد بن الحسن ومعالي السيد / نذير رشيد ومعالي السيد ناصر جودة.

رحب فضيلة الإمام بسمو الأمير ومرافقيه في مصر وأزهرها الشريف مشيدا بالدور الكبير الذي يقوم به سموه في مجال الدعوة الإسلامية وخطواته الطيبة المباركة فيما يتعلق بصراع الحضارات وبكلماته الحكيمة التي ألقاها في المؤتمرات المتعددة التي حضرها سموه.

وأشار فضيلته إلى أنه من الواجب علينا أن نبين للناس الوجه المضيء والسمح للإسلام، وأن نفتح الأبواب المغلقة لأصحاب الرؤى المختلفة لينفتح بعضهم على بعض ويبين كل منهم وجهة نظره، وقد أكدنا على أن هناك الاتفاق الكامل على أصول الشريعة مثل إخلاص العبادة لله، والصلاة، والزكاة وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا، فهي أركان نؤمن بها ونؤديها، وإن وجد خلاف فهي في الفروع وليس في الأصول، وفي الأزهر الشريف لجنة الحوار تفتح باب الحوار بيننا وبين إخواننا في الفاتيكان وغيرها، وتجتمع كل فترة، وقد اتفقنا على أن يكون الحوار في الأمور التي تتعلق ببيان الفضائل والتعاون على ما يعود على الإنسانية بالخير، لأن الحوار يفتح الأبواب المغلقة.

والأزهر الشريف من جانبه يؤيد كل مجهود من أجل الحوار أو التقريب، وقد أوضحنا وجهة نظر الإسلام فيما حدث في ١١ من سبتمبر وقلنا أولا: إن هذه جريمة شنعاء، وثانيا: من حق الدولة التي تعرضت للعدوان أن تبحث عن الجناة المجرمين وتتعقبهم وتقبض عليهم وتقدمهم للمحاكمة حتى يقول القضاء كلمته العادلة فيهم، وثالثا: ليس من حق الدولة التي وقع عليها العدوان أن توقع العقوبة على شعب بأكمله فيه الآمنين من الأبرياء الرجال والنساء والأطفال والعجزة، وقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بيانا أوضحنا فيه ذلك وبينا وجهة النظر حول ما يثار من صراع الحضارات وقلنا إنه يجب أن تتعاون الحضارات ولا تتصارع ومن يقول بتصارع الحضارات إنما هي وجهة

السفهاء، وكل ما نتمناه أن يكون عدد العقلاء أكثر من عدد السفهاء، ونحن في الأزهر الشريف ندرس جميع المذاهب الفقهية، وفي الأزهر الشريف الدراسة تمتاز بالتوسط والاعتدال، وفي رأينا أن من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مسلم، والذي يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل - وليس هناك ما يمنع من دراسة المذهب الشيعي أو غيره والأزهر بابه مفتوح لكل ما يعرض عليه، وكان هذا ردا على الأسئلة والاستفسارات التي عرضت على فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف.

شكر سمو الأمير فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على المجهودات الكبيرة والعظيمة التي يبذلها الأزهر الشريف في مديد العون والمساعدة لبلدان العالم المختلفة من استقدام طلاب على منح للتعليم بالأزهر الشريف وأيضا على البعثات من العلماء الذين يرسلهم الأزهر الشريف لتعليم أبناء المسلمين في بلادهم وإظهار يسر الإسلام وسماحته وعظمته، وقال سموه: نحن نطالب بضرورة الاتفاق بين قادة علماء الإسلام وبخاصة الأزهر الشريف على أساليب الحوار مع الجانب المسيحي في مجال حوار الأديان لإظهار القواسم المشتركة بين الأديان، ووجه سموه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة الأردن قريبا للمشاركة في فعاليات وملتقى الفكر العربي، والذي سيناقش موقف العالم العربي والإسلامي من الإرهاب حتى تتضح الحقائق والمفاهيم الصحيحة التي يغفلها البعض عند حديثهم عن العرب والمسلمين كما أعرب سموه عن قلقه الشديد بخصوص ما يحدث حاليا في آسيا الوسطى.

في نهاية اللقاء قدم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف المصحف المفسر طبع الأزهر الشريف لسموه وللوفد المرافق.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

## الدول الإسلامية تطبق مناهج التعليم الأزهري

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الوفد الإعلامي لدولة أزربيجان حيث أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الوفد التي دارت حول دور الأزهر الشريف في تعليم أبناء المسلمين قائلا: لدينا طلاب من أكثر من ٩٤ دولة ومنهم طلاب من أزربيجان يتلقون التعليم الأزهري مثلهم مثل طلاب مصر ويقيمون بمدينة البعوث الإسلامية وتهيأ لهم كل سبل المعيشة والاقامة والعلاج، كما أن الأزهر الشريف يرسل العلماء والمدرسين إلى الدول التي هي في حاجة إليهم وكثير من الدول تطبق مناهج التعليم الأزهري في بلادهم ويدرسون المناهج التي تدرس في الأزهر الشريف، وأوضح أن العلاقة بين الأزهر الشريف ودولة أزربيجان علاقة تاريخية وعلاقة طيبة ويوجد تعاون ثقافي وتعليمي.

وحول سؤال: هل الأزهر يدرس المذهب السني فقط أم السني وغيره قال فضيلته: إن الأزهر الشريف يدرس المذهب السني والمذهب الشيعي بل جميع المذاهب، ونحن نتبادل

الزيارات مع دولة إيران الشقيقة، ومنذ فترة قصيرة زار إيران وفد من الأزهر على مستوى عال برئاسة فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وكانت زيارة ناجحة وفعالة، وقال فضيلته إنه زار دولة أزربيجان حين كان مفتياً لمصر من عشر سنوات والتقى بعدد من المسئولين بالعاصمة، وزار بعض الأماكن الدينية، كما زار سماحة شيخ الإسلام هناك كما عقد عدة اجتماعات ولقاءات مع المسئولين.

## الإمام الأكبر يستقبل قاضي قضاة نيجيريا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الحاج مسى دان لادى قاضي قضاة ولاية كشتة النيجيرية والحاج ثانى أبو بكر السكرتير العام لجامعة كشتة وعضو المجمع الإسلامي بنيجيريا وقد رحب فضيلته بالضيفين وأوضح أن صلة الأزهر الشريف بدولة نيجيريا صلة قوية ووثيقة وقديمة، وللأزهر الشريف علماء في دولتهم يتعاونون من أجل نشر العلم النافع وتثقيف أبناء نيجيريا وتعليمهم، كما يستقبل الأزهر الشريف طلاباً للدراسة بالأزهر على منح يتلقون العلم بجانب إخوانهم المصريين ويقيمون في مدينة البعوث الإسلامية، وقال فضيلته: إن الأزهر على استعداد لتقديم العون والمساعدة للجامعة الإسلامية سواء بالكتب أو المناهج أو المدرسين، وأضاف فضيلته أن الأزهر يرحب بتعليم اللغات المختلفة بجانب اللغة العربية حتى يمكن قراءة القرآن وفهمه.

وقد أعرب الضيفان عن سعادتهما بلقاء فضيلة الإمام الأكبر في عام ١٩٨٨ واليوم أيضا، وأن عدد المسلمين في ولاية كشتة تصل نسبته إلى ٩٩,٩٪ والجامعة الإسلامية بكشتة تختص بالمسلمين وتشتمل على مراحل التعليم الابتدائي والإعدادى والثانوى ومخصصة للتعليم الإسلامي لتربية النشيء على تعلم اللغة العربية والتمسك بالإسلام بعدأن أثر الاستعمار الإنجليزى وحاول طمس اللغة العربية والإسلام في الولاية.

## ويستقبل مدير المركز الإسلامي بأمريكا الشمالية

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / على أبو عكوك مدير المركز الإسلامي بأمريكا الشمالية يرافقه الدكتور / بى / دى جون المدير الاقليمى لاتحاد الهيئات المسيحية الأمريكية الهندية بأمريكا الشمالية حيث أبدى الضيفان سعادتهما بكلمات فضيلة الإمام الأكبر على أثر أحداث ١١ سبتمبر وموقف الأزهر من تلك الأحداث، وما كان لها من أثر ايجابى مهم لدى حكومة وشعب أمريكا، كما تم مناقشة الاضطهاد للأقليات سواء للمسلمين أو المسيحيين أو لغيرهم ،وأوضح فضيلة الإمام الأكبر أن شريعة الإسلام ضد الاضطهاد للأقليات سواء كان ذلك في الشرق أم في الغرب وسواء أكان في الشمال أو الجنوب لأن ذلك يتنافى مع العدالة الاجتماعية والشريعة الإسلامية تدعو إلى السماحة، وإلى الوسطية وإلى اليسر، وتنبذ العدوان، والاضطهاد بكل أشكاله وصوره.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

# الفهرس


● عيد الفطر في موكب التاريخ (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ـــــ ١٦٥٠

● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر ـــــ ١٦٥٦

● الحث على العمل وقوة العزيمة
لفضيلة الشيخ/ إبراهيم الجبالي ـــــ ١٦٦٤

● التحضر أولا.. والبداوة عند الضرورة
للأستاذ/ عبدالله على الزيدى ـــــ ١٦٦٩

● جمع القرآن وتدوينه
للشيخ/ صديق بكر عيطة ـــــ ١٦٧٢

● محمد ﷺ في كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ـــــ ١٦٧٨

● الرفق بالجانى من خلق النبى ﷺ
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ـــــ ١٦٨٧

● الدين والحضارة
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ـــــ ١٦٩٢

● الأمة مصدر السلطات
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ـــــ ١٦٩٧

● مسئولية الزوجة عن استقرار البيت
للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة ـــــ ١٧٠٠

● رمضان في بلاد الأمريكان
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ـــــ ١٧٠٧

● قضية وكتابان.. بين الخضر حسين وعلى عبدالرازق
للدكتور/ محمد عمارة ـــــ ١٧١١

● الدكتور محمد السعدى فرهود مفسرا
للدكتور/ رضا عبدالمجيد المتولى ـــــ ١٧١٦

● في نقد سيرة ابن إسحاق/ ابن هشام
للدكتور/ محمود على مراد ـــــ ١٧٢٠

● ماهية الحروب الصليبية
عرض وتقديم الدكتور/ إبراهيم عوضين ـــــ ١٧٢٧

● صفحات من تاريخ الإبداع الأدبى
عرض وتقديم الدكتور/ محمد رجب البيومى ـــــ ١٧٣٨

● القصة القرآنية في الدراسات المعاصرة
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ـــــ ١٧٤٢

● أم عربية تضحى
للكاتب السورى خليل هنداوى ـــــ ١٧٤٦

● القيم في عصر المعلومات
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ـــــ ١٧٥٠

● الإعجاز الطبى في القرآن الكريم
للدكتور/ السيد الجميلى ـــــ ١٧٥٤

● عكرمة بن أبى جهل
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ـــــ ١٧٥٩

● غدر اليهود (قصيدة)
للشاعر الكبير/ أحمد محرم ـــــ ١٧٦٦

● العصر الذهبى للصهيونية
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ـــــ ١٧٧٣

● الأزهر.. الجامعة الإسلامية الكبرى
للأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى ـــــ ١٧٧٧

● طرائف.. ومواقف
للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ـــــ ١٧٨٠

● مكتبة مكة المكرمة.. المولد النبوى
للأستاذ/ عبدالسلام ناصف ـــــ ١٧٨٢

● في وداع رمضان
للأستاذ/ مجدى بشير ـــــ ١٧٨٦

● خطبة الجمعة: حرب على الإسلام
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ـــــ ١٧٩٠

● استفتاءات القراء
إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس ـــــ ١٧٩٤

● رسالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان ـــــ ١٧٩٧

● رمضان والتحديات المعاصرة
للأستاذ/ إسماعيل أبو الهيثم ـــــ ١٨٠١

● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ـــــ ١٨٠٥

● بين المجلة والقارىء
للأستاذ/ عادل خفاجة ـــــ ١٨٠٩

● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ـــــ ١٨١٥

● أنباء مكتب الإمام الأكبر
لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ـــــ ١٨١٨



# الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

•••

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم
مدير التحرير/ مجمع البحوث الإسلامية/ ج.م.ع
ت: ٢٦٣٨٥٩٩


بسم الله الرحمن الرحيم

## داخل العدد


- تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر
- رحلات الحج من مصادر التاريخ
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي
- الموقف الإسلامي من الحضارات غير الإسلامية
للدكتور / محمد عمارة
- الإسلام ومشكلة الفقر
للأستاذ الدكتور / محمد شوقي الفنجري



## الاشتراك السنوى

- داخل مصر ـــــ ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ـــــ ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ـــــ ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ـــــ ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦١٠٠ ٨٥٧٦٢٠٠

ذو القعدة ١٤٢٢هـ فبراير ٢٠٠٢م الجزء الحادى عشر السنة الرابعة والسبعون

افتتاحية العدد

# رحلات الحج م

من يقرأ كُتب الرحلات التى ألفها الجغرافيون والمسافرون إلى شتى الأقطار الإسلاميَّة يجد أن الحج كان من أهم البواعث على الرحلة، لأنَّ المسلم فى كل مكان من بقاع الإسلام يتوق إلى أداء هذه الفريضة التى تعد من أركان الإسلام، فهو يعمل على تحقيقها من شبابه الأول حتى إذا اكتملت له أدوات الرحلة بادر من أقصى المكان إلى زيارة بيت الله الحرام، وفي هؤلاء من رزقه الله نعمة الكتابة والتأليف فيجد من نفسه دافعا إلى تسطير انطباعاته الشخصية فيما يشاهد من الممالك ويرى من الأحداث، ويعاين من الآثار، فإذا جاء الرحالة من الأندلس مثلا فإنه يبدأ بتسجيل مشاهده من أول نقلة ينتقلها، فيمر بالمغرب واصفا محللا، ويشاهد الصحراء الغربية، ومنها إلى مصر ومنها إلى البحر الأحمر حتى يسعد برؤية الحجاز، فتمتلىء خواطره بذكريات الإسلام في مشرقه الزاهر، ويرسم انطباعاته حول الربوع الطاهرة التى سعدت بوجود رسول الله وصحابته الأكرمين، وتفيض خواطره فى هذا المكان بالذات على نحو متسع لم يعهد فيما ذكره من قبل ومن بعد، فيكون الحج مصدرا من مصادر التأليف العلمى النافع، وكثير من هؤلاء تدفعهم الرغبة العلمية إلى استطلاع سائر الأماكن الإسلامية فلا يرجعون إلى بلادهم قبل أن يواصلوا الرحلة فى كل اتجاه، ومنهم من يمتد به السير إلى أوروبا بعد أن يزور الصين، ثم يعود وقد قدم للقراء على تعاقب الأحقاب تاريخا واقعيا لم يكن ليدون، لولا رحلة الحج المباركة، فإذا قلنا: إن رحلة الحج كانت مصدر ثراء فكرى للمكتبة العربية والإسلامية فى شتى لغاتها - فلسنا مبالغين، ومحاولة رصد كل الرحلات التى كان الباعث عليها حج بيت الله الحرام تحتاج إلى كتاب مستقل لا إلى مقال فى مجلة، لذلك سأقتصر فى هذا المقال على الحديث عن ثلاثة من كبار الرحالة هم: ناصر خسرو، وابن جبير وابن بطوطة، تاركا لغيرى أن يتجه إلى سواهم من الرحالين.

# من مصادر التاريخ

**تحفة النظار**
في
غرائب الأمصار وعجائب الأسفار
(رحلة ابن بطوطة)
أبو عبد الله محمد بن بطوطة

**سفرنامة**
(رحلة ناصر خسرو)

**رحلة ابن جبير**
في
مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية
محمد بن أحمد بن جبير

## ناصر خسرو

إذا أسرف الإنسان في لذته وتهالك على الشهوات، فإنه يستشعر ندما لاذعا يدفعه إلى التوبة، ومن مظاهر التوبة لدى النادمين السعي لحج بيت الله الحرام، وافتتاح صفحة جديدة من صفحات الحياة تبرأ من الآثام، وكان صاحبها يردد قول أبي نواس :

ولقـــد نهـــزتُ مع الغـــواة بدلوهم
وأســـمتُ ســـرْح اللهـــو حيـــث أســـامـــوا
وبلغـــت مـــا بلغ امـــرؤ بشـــبـــابـــه
فـــإذا عـــصـــارة كل ذاك أثـــام




وكذلك كان الرحالة الفارسي ناصر خسرو، فقد ولد في أواخر القرن الرابع بإحدى مدن بلخ، ووجد من نفسه دافعاً للرحلة فقام بأسفار شملت أكثر بقاع العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، واستقر في منصب كبير من مناصب الدولة السلجوقية هائما في ملذاته اللاهية، ثم رأى في منامه - كما ذكر في رحلته - شيخاً وقوراً يدعوه إلى الكف عن الهنات الخلقية الآثمة، وأن يبادر بالسير إلى مكة حاجاً بيت الله الحرام، ويظهر أن هذه الرؤيا جاءت وليدة إحساس مكتوم بالندم قد اعتمل في خاطره فشغل نفسه متيقظاً، فلما حان نومه كان الحلم تعبيرا واضحاً عن هذه العواطف المكظومة، فبادر بتلبية الدعوة، وأم بيت الله، وقد رأى من أحوال المسلمين في الجزيرة العربية ما دفعه إلى استقصاء هذه الأحوال عن آخرين في الدول المختلفة فلم يلبث بعد عودته إلى وطنه أن غادر إيران إلى مصر وقد وصفها وصفاً دقيقاً كان المرجع الحضاري لكل من كتب عن حضارة الفاطميين، لأنه كان ذا ولع بوصف مظاهر العمران والتقدم العلمي، والحالة الاجتماعية، وهذا ما لا يوجد بالدقة المستقصية في كتب المؤرخين من معاصريه على النحو الذي جذب نظره، فقد يكون حديث المؤرخين كافياً في تصوير الوضع السياسي، ولكنه يحتاج إلى تكملة نجدها لدى ناصر خسرو، لذلك اعتمد عليه مؤرخو الحضارة اعتماداً أساسياً وترجموا رحلته إلى شتى اللغات، فإذا تركنا حديث الرحالة عن مصر إلى حديثه عن الجزيرة العربية فإنه كان ذا بصر تام بالعلائق الاجتماعية بالذات، ومن أطرف ما ذكره في هذا النطاق حديثه عن إقليم «الإحساء» إذ وجد أهله في مستوى رائع من التكافل الاجتماعي، والتعاون الإنساني، ومن مظاهر ذلك ما لاحظه من العطف التام على الفقير، فإذا أعسر أحد السكان أقرضه جيرانه مايستعين به على إنعاش حياته، وأمهلوه حتى يكسب وينتعش فيؤدي المبلغ، دون ربح ما، لأن المساعدة الإنسانية هي الأصل، والإسلام يحرم الربا، هذا بالنسبة للمواطن الذي ينتمي إلى الإحساء، أما الغريب الوافد الذي يحسن بعض الحرف، ولا يجد المال الذي يعينه على شراء الأدوات وتأجير المكان فإنه يقترض فورا مبلغا من المال يستعين به على تدبير أحواله الكسبية، وإذا تهدمت دار، أو متجر، وعجز المالك عن إصلاح ما انهار، فإن القوم يسارعون إلى إعانته، وبالإحساء مطاحن تطحن القمح بالمجان!

وبعض من كتبوا عن هذه المروءات التي سطرها ناصر خسرو عن الإحسائيين يقول: إن هذه الروح قد عمت القوم بتأثير بعض القراءات في كتب فارس، وتلك



لعمرى مهزلة المهازل حقا، لأن شريعة الإسلام بما تضمنت من آيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول الكريم، وسير الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان قد دعت إلى التعاون الأخوى والتكافل الإنسانى، لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، فكيف نترك دين القوم وتاريخ نبيهم وتعاليم فقهائهم ثم نبحث عن مصدر فارسى قديم؟! أليست هذه مهزلة حقا!!

## ابـــن جبيـــر

أما ابن جبير الأندلسى، فقد حج بيت الله ثلاث مرات، وأتيح له أن يتتلمذ على علماء الحرم بعد أن تتلمذ على علماء الأندلس، وقد جعل حجه الثالث كفارة عن ذنب أرغم على ارتكابه إذ حضر مجلس صاحب غرناطة، فقدم إليه الكأس، فلم يقبل، فتشدد الحاكم وحلف عليه ليشرب سبعا!! فاضطر مكرها، وعزم على أن يكفر عن ذنبه بزيارة بيت الله الحرام ملتمســا غفران ما تقدم من ذنبه، وكانت رحلاته إلى بيت الله مصدر نفع علمى مؤكد لأنها أتاحت له أن يصف كل ما شاهد فيما زاره من بقاع العالم الإسلامى.

وأقصر حديثى عنه على ما ذكره من احتفال مكة المكرمة بشهر رمضان المبارك، إذ كتب فى هذا المجال ما بقى سجلا خالدا لبعض مشاهد رمضان فى أطهر مكان، إذ ما تأتى الليلة الأولى حتى يتلألأ الحرم الشريف بالضياء، ويتفرق أئمة المذاهب الفقهية من شافعية ومالكية وحنفية وحنابلة فى أماكن خاصة بهم، لتأدية صلاة التراويح خلف أتباعهم - هكذا كان فى ذلك العصر - وقد لاحظ ابن جبير أن كثيرا من أتباع «مالك» الموسرين قد حجوا عند مقدمه، فجلبوا لإمام المالكية شمعا كثيرا، ومن أكبره شمعتان كبيرتان نصبتا فى الحرم كأنهما قمران ساطعان، وليس فى البيت العتيق مكان يخلو من قارئ يصلى فى جماعة، فيرتج المسجد بأصوات القراء.

وقد جرت العادة - فى أيام ابن جبير - على أن يختم القرآن كل ليلة من ليالى العشر الأواخر من رمضان طفل ممن حفظوا كتاب الله فى هذا العام، وقد شاهد الرحالة أحد أبناء ذوى اليسار من المكيين فى احتفال ختمة القرآن فشاهد ثريات وضيئة من الشمع على هيئة الغصون وقد انتظمت فيها أنواع الفواكه من رطبة ويابسة، وأعد لها من الشمع ما يفوق العدّ، ثم وضع وسط الحرم محراب أقيم على أربعة أعمدة تتدلى منه المصابيح المضيئة، وتحاط دائرته بمسامير مدببة الأطراف

ليعزز فيها الشمع فتتوزع الأنوار على نحو بديع، ويأتى الطفل الذى حفظ القرآن، فيصلى التراويح بالناس، ثم يصعد إلى المنبر، ويجلس بين يديه بعض القراء، يتلون كتاب الله، فإذا فرغوا من التلاوة نهض فألقى خطبة واعظة، وبين يديه قوم يحملون الشمع الموقد، وتتصاعد أصواتهم بالدعاء، ووالد الطفل وأسرته فى ابتهاج وسرور، ويتكرر هذا المشهد فى كل ليلة من الليالى العشر على يد طفل جديد، فإذا كانت ليلة القدر زاد الاحتفال بهاء ورونقا لأن القاضى فى هذه الليلة هو الذى يؤم الناس جميعا، ثم يلقى عظة بليغة بعد انتهاء صلاة القيام.

هذا عن رمضان أما مشاهد الحج فى ذى الحجة فقد أبدع ابن جبير فى وصفها، بما تجده عند سواه أيضا، ولكنه انفرد بذكر اهتمام الحجاج من كل مكان بالدعاء لله كى ينصر المسلمين فى الحروب الصليبية وقد لاحظ الرحالة أن الخطيب فى الحرم إذا ذكر اسم صلاح الدين الأيوبى ضجت الأصوات بالتأمين على دعائه، وخفقت القلوب لذكره، لأن أهوال الحرب فى البلاد العربية كانت شغل الحجاج الشاغل إذ ذاك، وبعضهم قد صادف أهوالا كثيرة فى رحلته إلى بيت الله، حينما أخذت بعض السفن الصليبية تتعرض للمسافرين، وتأتى النجدات لنصرتهم من المهاجمين.

## ابن بطوطة

تكاد تكون رحلة ابن بطوطة أشهر الرحلات العربية جميعها، لأن صاحبها قد طاف أكثر مما طاف غيره، وكان ذا عين لاقطة وعقل مفكر، بحيث يخضع كل ما تشاهده عينه اللاقطة إلى بؤرة تفكيره فيأتى بالتعليل الصائب، ولا تطالبه بأكثر مما ينتظر منه فى مثل عصره، لأن بعض الكاتبين يوازنون بينه وبين المرتحلين فى هذا العصر الحاضر فيجحفون به تمام الإجحاف وقد اتفق فى كثير مما كتبه مع من سبقه من الرحالة وبخاصة ابن جبير، حتى عده بعضهم مؤلفا: ناقلا لا مشاهدا، وهذاغبن كبير، لأن التطور الزمنى كان بطيئا فى الأجيال السابقة، فربما شاهد ابن بطوطة ما سبق أن شاهد سواه فنقله كما رآه، وظنه بعض الناس يأخذ من سواه، هذا إلى أن ابن بطوطة لم يدون رحلته بقلمه، لأن السلطان المرينى قد وكل به ( ابن جزى ) ليسمع ما يرويه ويكتبه عنه، وقد اعترف ( ابن جزى ) أنه زاد بعض الصفحات تكملة للموضوع من رحلات السابقين، وما كان له أن يفعل ذلك، ولكن هذا ما كان.

وحديث ابن بطوطة عن مشاهد الحج متسع فياح، كدأبه في حديثه عن كل موضع يحظى باهتمامه وأى مكان أدعى للاهتمام من مكة وأى مشهد أروع من مشاهد الحج!! لقد وصف الرحالة مكة بجبالها وأبوابها وبطحائها وشوارعها، وخص المسجد الحرام بوصف بارع، حيث حدد طوله وعرضه وارتفاع حيطانه، وأعمدته التي ترتكز عليها السقوف، وأبدع في وصف الكعبة الشريفة والميزاب والحجر الأسود، والمقام الكريم بين الكعبة والركن العراقي، والحجر وزمزم المباركة وأبواب المسجد الحرام وصوامعه، وما حول الحرم الشريف من منازل وجبال وسطوح، كما ألم ببعض المشاهد خارج مكة كالحجون والمحصب وذى طوى، وثنية كداء والتنعيم، وقال عن أهل مكة :

«ولأهل مكة الأفعال الجميلة، والمكارم التامة، والإيثار للضعفاء والمنقطعين، وحسن الجوار، ومن مكارمهم أنهم متى صنع أحدهم وليمة، يبدأ فيها بإطعام الفقراء المنقطعين المجاورين، ويستدعيهم بتلطف ورفق، وحسن خلق ثم يطعمهم» وأفاض في ذلك بما يذكرنا بحديث ( ناصر خسرو ) عن أهل الإحساء وقد سبق.

وفي تفصيل شعائر الحج أفاض ابن بطوطة في شرح ما يكون عند ابتداء شهر ذي الحجة حيث تضرب الطبول في أوقات الصلوات بكرة وعشية إشعارا بالموسم المبارك، ولاتزال كذلك حتى اليوم السابع، وهو اليوم الذي يصعد فيه خطيب الحرم المكي بعد صلاة الظهر ليلقي كلمة جامعة لكل مناسك الحج، وتقع المباهاة والمفاخرة بين أهل مصر والشام والعراق في إيقاد الشمع، ولكن الفضل في ذلك لأهل الشام دائما، ويتابع ابن بطوطة حديثه عن الرحلة إلى منى، فعرفات، فوادي المحسر، وهو الحد ما بين مزدلفة ومنى، وقد وصف ما شاهده في عامه هذا من كبار الحجاج وزوجاتهم وصفا صادقا خاليا من التزويق، لأن بلاغة الصدق وحدها تغني عن شطحات الخيال.

## خاتمــــة

هذا مطاف موجز ببعض ما أوحت به رحلات الحج الى الكُتّاب، فأضافوا بما سجلوه تاريخا يقرأ عبر الأجيال، ولولا الحج ما كتبت هذه المؤلفات الخالدة، ولدينا في العصر الحديث مؤلفات رائعة عن هذه الرحلة الخالدة قد نعود إليها مؤكدين أن الحج إذا كان مصدر خير ديني فهو ينبوع ثقافة متصلة، ومورد علم غزير.

د./ محمد رجب البيومي

# تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله - تعالى - :

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٣١ - ٢٣٢

بعد أن بين سبحانه فى الآية السابقة أن الزوج مخير بين الإمساك والتسريح فى مدة العدة عقب ذلك ببيان أن هذا التخيير من حقه حتى آخر وقت فى العدة، وذلك لتذكيره بأن الإمساك أفضل من التسريح وأن عليه ألا يلجأ إلى الطلاق إلا إذا سدت طرق الإصلاح والمعالجة.

وأنه إذا اختار الطلاق فعليه أن يسلك فيه طريق الحق والعدل لا طريق الباطل والجور.



قال الراغب: الأجل: المدة المضروبة للشيء قال- تعالى-:

﴿ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى ﴾ - أي مدة معينة - والبلوغ والبلاغ الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى مكانا كان أو زمانا أو أمرا من الأمور المقدرة، وربما يعبر به عن المشارفة عليه وإن لم ينته. فمن الانتهاء قوله- تعالى-:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾..

وأما قوله:

﴿ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾.

فللمشارفة فإنها إذا انتهت إلى أقصى الأجل لا يصح للزوج مراجعتها وإمساكها.

والمراد بالأجل هنا عدة المرأة. وببلوغها قرب انتهائها.

والضرار- كما يقول الرازي- هو المضارة، قال- تعالى-:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾.

أي «اتخذوا المسجد ضررا ليضاروا المؤمنين، ومعناه يرجع إلى إثارة العداوة، وإزالة الألفة، وإيقاع الوحشة، وموجبات النفرة».

والمعنى: وإذا طلقتم- أيها المؤمنون- نساءكم طلاقا رجعيا، ﴿ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ أي فشارفت عدتهن على الانتهاء، وقاربت الانقضاء، فعليكم أن تتدبروا مليا في أمركم، فإن رأيتم الأصلح في بقائهن معكم فنفذوا ذلك وأمسكوهن بمعروف، أي بما هو المعروف من شرع الله الحكيم، ومما تقره الأخلاق الحسنة والعقول السليمة، وإن رأيتم أنه لا رغبة لكم في البقاء معهن فسرحوهن بمعروف أي فامضوا الطلاق، وتفارقوا بالطريقة التي يرضاها الحق- سبحانه- بأن تؤدوا لهن حقوقهن، ولا تذكروهن بسوء بعد انفصالكم عنهن، فهذا شأن الأتقياء الصالحين فقد سئل بعضهم، لم طلقت امرأتك؟ فقال: إن العاقل لا يذكر ما بينه وبين أهله.

قال القرطبي: «معنى ﴿ فَبَلَغْنَ ﴾ قاربن بإجماع من العلماء، ولأن المعنى يضطر إلى ذلك، لأنه بعد بلوغ الأجل لا خيار له في الإمساك، وهو في الآية التي بعدها بمعنى الانتهاء، لأن المعنى يقتضي ذلك، فهو حقيقة في الثانية، مجاز في الأولى- أي التي معنا-».

ثم نهى- سبحانه- عن الإمساك الذي يكون معه الضرر فقال:

﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ﴾.

أي لا تراجعوهن إرادة الضرر بهن والإيذاء لهن لتعتدوا عليهن، والجملة الكريمة تأكيد للأمر بالإمساك بمعروف، وتوضيح لمعناه، وزجر صريح عما كان يفعله بعضهم من مراجعته لامرأته قبل انتهاء عدتها لا لقصد الإبقاء على الزوجية إنما القصد إطالة عدة الزوجة، أو لقصد أن تفتدي نفسها منه بالمال: و﴿ ضِرَارًا ﴾ منصوب على الحال في تمسكوهن أو على أنه مفعول لأجله. واللام في قوله: ﴿ لِّتَعْتَدُوا۟ ﴾ هي لام العاقبة أي لتكون عاقبة أمركم الاعتداء.

وحذف متعلق «لتعتدوا» ليتناول الاعتداء عليهن وعلى أحكام الله - تعالى -.

وقوله:

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾.

وعيد شديد لمن يقدم على ما نهى الله عنه. أى: ومن يراجع مطلقته بقصد الإضرار بها والاعتداء عليها فقد ظلم نفسه ظلما مؤكدا، لأنه سيعرضها لعقاب الله وسخط الناس.

وجعل ظلمهم لنسائهم ظلما لأنفسهم، لأن عملهم هذا سيؤدى إلى اختلال المعاشرة الزوجية واضطرابها، وشيوع العداوة والبغضاء بين الزوجين وبين أهلهما. ثم كرر - سبحانه - تحذير المخالفين لشريعته، وذكرهم بألوان نعمه عليهم ليستجيبوا لأمره فقال:

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾

آيات الله: أحكامه التى شرعها فى شأن الطلاق وغيره.

والهزء - بضمتين - مصدر هزأ به إذا سخر ولعب وهو هنا مصدر بمعنى اسم المفعول أى: مهزوءا بها. وقوله: ﴿ هُزُوًا ﴾ مفعول ثان لتتخذوا.

والمراد بالحكمة هنا. السنة النبوية المطهرة.

والموعظة والعظة: النصح والتذكير بالخير، بما يرقق القلوب، ويحذر النفوس مما نهى الله عنه.

أى: ولا تتخذوا - أيها الناس - آيات الله التى شرعها لكم فى شأن الطلاق وغيره مهزوءا بها بأن تعرضوا عنها، وتتهاونوا فى المحافظة عليها، والتمسك بتعاليمها، ومن مظاهر ذلك أن بعض الناس كان يكثر من التلفظ بالطلاق متوهما أن ذلك لا يضر، أو كان يتخذ المراجعة وسيلة لإيذاء المرأة.

**قال القرطبى**: وفى موطأ مالك أنه بلغه أن رجلا قال لابن عباس: «إنى طلقت امرأتى مائة مرة فماذا ترى على؟ فقال ابن عباس: طلقت منك بثلاث، وسبع وتسعون اتخذت بها آيات الله هزوا»[1].

والجملة الكريمة نهى أريد به الأمر بضده، أى جدوا فى العمل بأوامر الله وآياته، وارعوها حق رعايتها.

وقوله: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾. الخ

أى تذكروها فى هدايتكم إلى الإسلام، وفى مشروعية الزوجية وفى غير ذلك مما لا يحصى من النعم وتدبروا نعم الله عليكم فقابلوها بالشكر، واستعملوها فيما خلقت له، وتذكروا كذلك ما أنزل الله عليكم بواسطة رسولكم محمد ﷺ من الكتاب وهو القرآن الذى يهدى للتى هى أقوم، ومن الحكمة وهى السنة النبوية المطهرة، بما جاء فيهما من توجيهات سامية، وآداب عالية.

و«ما» فى قوله: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم ﴾ موصولة والعائد محذوف أى ما أنزله و«من» فى

(١) تفسير القرطبى جـ ٣ ص١٥٦.

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بيانية، وجملة ﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ حال من فاعل أنزل أو من مفعوله، والضمير فى ﴿بِهِۦ﴾ يعود على الكتاب والحكمة بعد تأويلهما بالمذكور. وجعل ضميرهما واحدا لأنهما في مؤداهما وغايتهما شيء واحد، فالسنة ليست تابعة إلا من الكتاب ومنه أخذت قوتها وسلطانها.

وقوله ـ سبحانه ـ فى ختام الآية:

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾

تذكير لهم بتقوى الله وخشيته ومراقبته، وتحذير لهم من مخالفة أمره.

أى: صونوا أنفسكم عن كل ما يغضب الله – تعالى – فيما يتعلق بأمور الزوجية وفى غيرها مما شرعه لكم، واعلموا أنه – سبحانه – عليم بكل شئ، عليم بما تسرونه وما تعلنونه، وسيحاسب كل إنسان بما قدمت يداه:

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾

ثم بين – سبحانه – ما ينبغي اتباعه عند حصول الطلاق وإمضائه حتى لا يقع ظلم أو جور فقال – تعالى – :

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾

**قال القرطبى**: «تعضلوهن معناه تحبسوهن، ودجاجة معضل، أى: قد احتبس بيضها، وقيل: العضل التضييق والمنع وهو راجع إلى معنى الحبس. يقال: أعضل الأمر: إذا ضاقت عليك فيه الحيل. قال الأزهرى: وأصل العضل من قولهم: عضلت الناقة إذا نشب ولدها فلم يسهل خروجه. ويقال أعضل الأمر إذا اشتد، وداء عضال أى شديد عسر البرء أعيا الأطباء...»(٢)

والمعنى: وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن أى: انقضت عدتهن وخلت الموانع من زواجهن، فلا تمنعوهن من الزواج بمن يردن الزواج به، متى حصل التراضى بين الأزواج والزوجات على ما يحسن فى الدين، وتقره العقول السليمة، ويجرى به العرف الحسن.

والمراد ببلوغ الأجل هنا بلوغ أقصى العدة، بخلاف البلوغ فى الآية التى قبل هذه، فإن المراد به المشارفة والمقاربة كما أشرنا من قبل لأن المعنى يحتم ذلك، والخطاب هنا للأزواج وللأولياء أو لكل من له تأثير على المرأة المطلقة، وذلك لأن منع الزوجة من الزواج بعد انقضاء عدتها قد يكون من جانب الزوج السابق، لاسيما إذا كان صاحب جاه وسلطان وسطوة، فإنه يعز عليه أن يتزوج مطلقته أحد بعده فيمنعها من الزواج.

وقد يكون المنع من جانب الأولياء، وقد أورد المفسرون آثارا تشهد لذلك منها – كما يقول الآلوسى – ما أخرجه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه وأبو داود من طرق شتى عن معقل بن

---

(٢) تفسير القرطبى جـ٣ ص١٥٩.

يسار قال: «كانت لي أخت فأتاني ابن عم لي فأنكحتها إياه، فكانت عنده ما كانت ثم طلقها تطليقة، ولم يراجعها حتى انقضت العدة، فهويها وهوته ثم خطبها مع الخطاب. فقلت له: أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها ثم جئت تخطبها، والله لا ترجع إليك أبدا، وكان رجلا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فعلم الله - تعالى - حاجته إليها وحاجتها إلى بعلها فأنزل هذه الآية. ففيّ نزلت فكفرت عن يميني وأنكحتها إياه..»[٣]

وعبر - سبحانه - عن الرجال الذين هم محل الرضا من النساء بالأزواج فقال:

﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾.

مع أن الزواج لم يتحقق بعد، للإشارة إلى الحقيقة المقررة الثابتة، وهي أن من يقع اختيارها عليه، ولم يكن اقترانها به فيه ما يشينها أو يشين أسرتها، فمن الواجب ألا يمانع أحد في إتمام هذا الزواج، بل على الجميع أن يقروه وينفذوه، لأن شريعة الله والفطرة الإنسانية يقضيان بذلك.

وقوله: ﴿ أَن يَنكِحْنَ ﴾ تقديره: من أن ينكحن فهو في محل جر عند الخليل والكسائي وفي محل نصب عند غيرهما، وقوله:

﴿ إِذَا تَرَاضَوْا ﴾ ظرف لأن ينكحن أو لقوله: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾، وقوله: ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا، أو هو نعت لمصدر محذوف أي تراضيا كائنا بالمعروف أو هو متعلق بتراضوا. أي تراضوا بما يحسن في الدين والمروءة، وفيه إشعار بأن المنع من التزوج بغير كفء أو بما دون مهر المثل ليس من العضل المنهي عنه.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

أي: ذلك القول الحكيم، والتوجيه الكريم المشتمل على أفضل الأحكام وأسماها يوعظ به، ويستجيب له من كان منكم عميق الإيمان بالله - تعالى - وبثوابه وبعقابه يوم القيامة. ذلكم الذي شرعه الله لكم - أيها المؤمنون - من ترك عضل النساء والإضرار بهن وغير ذلك من الأحكام ﴿ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ أي أعظم بركة ونفعا، وأكثر تطهيرا من دنس الآثام، فإن المرأة إذا عوملت معاملة كريمة، ولم تظلم في رغباتها المشروعة، التزمت في سلوكها العفاف والخلق الشريف، أما إذا شعرت بالظلم والامتهان فإن هذا الشعور قد يدفعها إلى ارتكاب ما نهى الله عنه. والله - تعالى - يعلم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم، وأنتم لا تعلمون ذلك، فامتثلوا ما أمركم به واجتنبوا ما نهاكم عنه تفوزوا وتسعدوا.

والإشارة بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إلى ما فصل من أحكام وما أمر به من أفعال والخطاب لكل من يصلح للخطاب من المكلفين.

---

(٣) تفسير الآلوسي جـ١ ص١٤٤.

وخصص الوعظ بالمؤمنين لأنهم هم الذين ينتفعون به، وترق معه قلوبهم وتخشع له نفوسهم.

وأتى - سبحانه - بضمير الجمع ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ بعد أن قال فى صدر الجملة ﴿ذَٰلِكَ﴾ للإشارة إلى أن حماية المرأة من الهوان ومنع التضييق عليها فى اختيار زوجها واجب على جميع المؤمنين، وأن فائدة ذلك ستعود عليهم جميعا ما دام هذا الاختيار فى حدود الآداب التى جاء بها الإسلام. وقوله:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ رد على كل معترض على تطبيق شريعة الله، أو متهاون فى ذلك بدعوى أنها ليست صالحة للظروف التى يعيش ذلك المعترض أو هذا المتهاون فيها، لأن شرع الله فيه النفع الدائم والمصلحة الحقيقية، والنتائج المرضية، لأنه شرع من يعلم كل شئ ولايجهل شيئا، ويعلم ما هو الأنفع والأصلح للناس فى كل زمان ومكان، ولم يشرع لهم - سبحانه - إلا ما فيه مصلحتهم ومنفعتهم، ومادام علم الله - تعالى - هو الكامل، وعلم الإنسان علم قاصر، فعلينا أن نتبع شرع الله فى كل شئوننا، ولنقل لأولئك المعترضين أو المتهاونين: سيروا معنا فى طريق الحق فذلكم

﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

**وبعد**: فهذه خمس آيات قد تحدثت عن جملة من الأحكام التى تتعلق بالطلاق، وإذا كان الإسلام قد شرع الطلاق عند الضرورة التى تحتمها مصلحة الزوجين، فإنه فى الوقت نفسه قد وضع كثيرا من التعاليم التى يؤدى اتباعها إلى الإبقاء على الحياة الزوجية، وعلى قيامها على المودة والرحمة، ومن ذلك:

١- أنه أرشد أتباعه إلى أفضل السبل لاختيار الزوج، بأن جعل أساس الاختيار الدين والتقوى والخلق القويم، لأنه متى كان كل من الزوجين متحليا بالإيمان والتقوى، استقرت الحياة الزوجية بينهما، وقامت على المودة والرحمة وحسن المعاشرة.

٢- أنه أمر كلا الزوجين بأن يبذل كل واحد منهما قصارى جهده فى أداء حق صاحبه، وإدخال السرور على نفسه، فإذا ما نجم خلاف بينهما فعليهما أن يعالجاه بالحكمة والعدل، وأن يجعلا الأناة والصبر رائدهما، فإن الحياة الزوجية بحكم استمرارها وتشابك مطالبها لاتخلو من اختلاف بين الزوجين.

٣- دعا الإسلام إلى إصلاح مابين الزوجين إن ابتدأت العلاقة تسير فى غير طريق المودة، فقال - تعالى -:

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾

كما دعا أولى الأمر أن يتدخلوا للإصلاح بين الزوجين عند نشوب الشقاق بينهما أو عند خوفه فقال - تعالى -:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾



٤- نهى الإسلام عن إيقاع الطلاق على الزوجة في حال حيضها، أو في حال طهر باشرها فيه، لأن المرأة في هاتين الحالتين قد تكون على هيئة لاتجعل الرجل مشوقا إليها.. وأباح له أن يوقع الطلاق في طهر لم يجامعها فيه، لأن إيقاعه في هذه الحالة يكون دليلا على استحكام النفرة بينهما.

٥- نهى الإسلام عن الطلاق البات بالنسبة للمرأة المدخول بها، وأمر الزوج بأن يجعل طلاقه رجعياً، وأعطاه فرصة طويلة تقرب من ثلاثة أشهر ليراجع خلالها نفسه، فإن وجد الخير في مراجعة زوجته راجعها بقصد الإصلاح واستمرار الحياة الزوجية، وإن وجد الخير في غير ذلك تركها حتى تنقضي عدتها وفارقها بالمعروف عملاً بقوله - تعالى -:

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾.

٦- جعل الإسلام الطلاق بيد الرجل، لأنه هو الذي وقعت عليه معظم أعباء الزواج، وهو الذي سيتحمل ما سيترتب على الطلاق من تكاليف، ولاشك أنه بمقتضى هذه التكاليف وبمقتضى حرصه على استقرار حياته، سيتأنى ويتروى فلا يوقع الطلاق إلا إذا كان مضطراً إلى ذلك.

كما أن الإسلام أباح للمرأة أن تفتدي نفسها من زوجها، أو ترفع أمرها للقاضي ليفرق بينها وبينه إذا تيقنت من استحالة استمرار الحالة الزوجية بينهما لأي سبب من الأسباب، وفي هذه الحال فللقاضي أن يفرق بينهما إذا رأى أن المصلحة تقتضي ذلك.

٧- أباح الإسلام للرجل الذي طلق امرأته ثلاثاً أن يعود إليها من جديد، وذلك بعد طلاقها من رجل آخر يكون قد تزوجها زواجاً شرعياً وانقضت عدتها منه، وفي ذلك بما فيه من التأديب لهما، والتهذيب لسلوكهما.

٨- وردت أحاديث متعددة تنهى عن إيقاع الطلاق إلا عند الضرورة وتتوعد المرأة التي تطلب من زوجها أن يطلقها بدون سبب معقول بالعذاب الشديد، ومن ذلك ما رواه أبوداود والترمذي عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «إنما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس - أي من غير عذر شرعي أو سبب قوي - فحرام عليها رائحة الجنة»، وروى أبوداود وغيره عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق».(٤)

هذه بعض التشريعات التي وضعها الإسلام لصيانة الحياة الزوجية من التصدع والانهيار، ومنها نرى أن الإسلام وإن كان قد شرع الطلاق، إلا أنه لا يدعو إليه إلا إذا كانت مصلحة الزوجين أو أحدهما تقتضيه وتستلزمه.

«يتبـــع»

***

(٤) الترغيب والترهيب للمنذري جـ٣ ص٨٢.

# محمد صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين

## دعوى اقتباس القرآن من التوراة والإنجيل (٢)

الحلقة الأخيرة

للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني

في الحلقة الماضية أثبتنا كذب هذه الدعوى من خلال نصين:

أحدهما من التوراة تتحدث فيه عن مشهد من مشاهد قصة يوسف - عليه السلام -.

والثاني من القرآن الكريم يتحدث عن المشهد نفسه، الذي تحدثت عنه التوراة.

ثم قارنا بين «معطيات» التوراة في حديثها عن ذلك المشهد و«معطيات» القرآن الأمين عن ذلك المشهد الوارد في المصدرين معا.

وقد تبين لنا من خلال المقارنة أنه محال محال أن يكون القرآن مقتبسا من التوراة. هذا هو ما حكم به العقل، وحكم به الواقع.

وفي هذه الحلقة نقارن بين نصين أحدهما من التوراة والآخر من الإنجيل، وبين نصين من القرآن الكريم يقابلان كلا من نصي التوراة والإنجيل، لنضيف يقينا بعد يقين في أن دعوى اقتباس القرآن من التوراة وحدها، أو منها ومن الإنجيل دعوى كاذبة في حكم العقل وحكم الواقع المحسوس.

## حديث التوراة

وحدث بعد أيام أن قدم قايين من أثمار الأرض قرباناً للرب، وقدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه، ومن سمانها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر، فاغتاظ قايين جداً، وسقط وجهه فقال الرب لقايين: لماذا اغتظت؟ ولماذا سقط وجهك؟ إن أحسنت أفلا رفع، وإن لم تحسن، فعند الباب خطية رابضة، وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها.

وكلم قايين هابيل أخاه، وحدث إذ كانا في الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله، فقال الرب لقايين: أين هابيل أخوك؟ فقال لا أعلم. أحارس أنا لأخي؟ فقال: ماذا فعلت؟ صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض فالآن ملعون أنت، التي فتحت فاها، لتقبل دم أخيك من يدك، متى عملت الأرض لاتعود تعطيك قوتها. تائها وهاربا تكون في الأرض، فقال قايين للرب: ذنبي أعظم من أن يحتمل. إنك طردتني اليوم على وجه الأرض ومن وجهك اختفي، وأكون تائها وهاربا من الأرض، فيكون كل من وجدني يقتلني، فقال له الرب لذلك كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه. وجعل الرب لقايين علامة لكي لايقتله كل من وجده، فخرج قايين من لدن الرب، وسكن في أرض نود شرقي عدن».

سفر التكوين الإصحاح الرابع [٣- ١٦]

## حديث القرآن

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢) إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

المائدة: (٢٧ - ٣٣)

هذان هما حديث التوراة وحديث القرآن، وضعنا كلا منهما بإزاء الآخر، تيسيرا لنظر القارئ فيهما ومحاولة المقارنة بينهما بغية الوصول إلى نتيجة مهمة يتقدمها هذا السؤال.

هل حديث القرآن عن ولدى آدم صورة طبق الأصل من حديث التوراة عنهما؟

إن كان الأمر كذلك صحت دعوى المستشرقين أن القرآن مقتبس من التوراة وليس له مصدر سماوى غيرها.

وإذا لم يكن حديث القرآن عن ولدى آدم صورة طبق الأصل من حديث التوراة عنهما فالدعوى كاذبة. إن نظرة واحدة تظهر للناظر فى الحديثين: حديث التوراة، وحديث القرآن فى الموضوع المشترك بينهما، أن الحديثين لم يتفقا إلا فى عنصرين من عناصر الواقعة المقصوصة فيهما:

● **العنصر الأول**: مسألة «القربان» الذى قدمه الأخوان.

● **والثانى**: عنصر اعتداء أحد الأخوين على الآخر بالقتل.

**وإنصافا للحق نقول:**

يمكن إضافة عنصر ثالث إلى الاتفاق بين المصدرين ذلك العنصر هو ندم الإبن القاتل، ومع هذا الاتفاق فإن مورده فى القرآن غير مورده فى التوراة، كما سيأتى.

أما فيما عدا ذلك، فإن القرآن يختلف تماما مع ما ورد فى التوراة.

ونستعين على بيان ذلك بالجدول الآتى:

| معطيات التوراة | معطيات القرآن |
| --- | --- |
| ● التوراة تسمى أحد ابنى آدم قايين، وهو القاتل، وتسمى الآخر هابيل، وهو المقتول. | ● القرآن لم يطلق أسماء على ابنى آدم واكتفى بأنهما ابنان لآدم - عليه السلام -. |
| ● التوراة تحدد نوعية ما قدمه الابنان من قرابين. | ● القرآن لم يحدد نوعى القربان بل اكتفى بذكرهما إجمالا. |
| ● التوراة تروى حوارا مباشرا بين الابن القاتل «قايين» وبين الرب، وأنه حدث مرتين: قبل القتل وبعده. | ● القرآن يخلو من ذكر هذا الحوار بين الابن القاتل والرب قبل القتل وبعده لا مباشرا ولا غير مباشر. |
| ● التوراة تقول إن الرب طرد قايين ولعنه. | ● القرآن يخبر أن القاتل أصبح من الخاسرين بعد قتله أخاه. |
| ● التوراة تصرح بأن الرب عفا عن قايين القاتل وحصن دمه، وغلظ عقوبة من يعتدى عليه ووضع عليه علامة تحذر من قتله. | ● القرآن يخلو من هذا العفو والتغليظ فى عقوبة من يعتدى على القاتل «قايين» أو من وضع علامة عليه تحذر من قتله. |

| معطيات التوراة | معطيات القرآن |
| --- | --- |
| ● الحوار الذى روته التوراة احتوى على عدة أفكار ثانوية منها قول قابين للرب: أحارس أنا لأخي؟ | ● لم يرد شيء من أفكار الحوار الذى روته التوراة في حديث القرآن الكريم، فضلا عن عبارة.. أحارس أنا لأخي؟ مع ما فيها من سوء أدب مع الله. |
| ● التوراة خلت من الحوار الذى دار بين ابني آدم، وحولته إلى حوار بين الرب، وبين ابن آدم القاتل. | ● القرآن يروى حوارا دار بين ابني آدم، حوار موجز لكنه صور الواقعة مع مقدماتها تصويرا مقبولا. |
| ● تحدد التوراة المكان الذى أوى إليه قابين بعد جريمته. | ● يغفل القرآن هذا الجانب تماما لأنه لايضيف شيئا الى جوهر الواقعة. |
| ● تجعل التوارة ندم قابين نتيجة للعن الرب إياه، وطرده من وجه الأرض. | ● يجعل القرآن ندم ابن آدم القاتل نتيجة لإحساسه بقبح جريمته التى اقترفها، وهى قتل اخيه. |
| ● أوردت التوراة الواقعة مجرد سرد لحادثة وقعت. ولم توظفها تربويا، ولاتشريعيا. وفى روايتها عبارات غامضة، وأغرب ما فيها محاماة الله عن قابين.. المجرم، وصون دمه، وتغليظ عقوبة من يعتدي عليه. | ● يوظف القرآن الواقعة توظيفا تربويا وتشريعيا، ويهول من جريمة قتل النفس البريئة، ويجعلها بمثابة قتل جميع الناس، كما يعظم من فضل حماية النفس من الاعتداء عليها ويجعلها بمثابة إحياء الناس جميعا ترغيبا في صون الدماء. |

هذه هي المقارنة التامة بين الحديثين، ومن خلالها يتضح أن القرآن الكريم يكاد أن يتفرد بالحقائق التى ذكرت فيه ولم يرد لها ذكر فيها. وهذا يسلمنا إلى حقيقة غير قابلة للجدل بأى وجه، وهي:

محال عقلا أن يكون القرآن مقتبسا من التوراة، وإضافة إلى ما تقدم تقرر الحقائق الراسخة الآتية:

● أورد القرآن الأمين حوارا دار بين الأخوين، جاء في نهايته قتل أحدهما الآخر.

هذا الحوار ليس له وجود في التوراة فإذا كانت التوراة هى مصدر القرآن فى هذه الواقعة فأين نجد في التوراة هذا الحوار الذى قصه القرآن بين الاخوين؟!

نعم في رواية التوراة حوار بين قابين - على حد تعبيرها - وبين الرب، لكن القرآن عزف عنه، ولم يقم له وزنا، وعزوف القرآن عن ذكر الحوار التوراتي دليل آخر قاطع بأن للقرآن مصدرا خاصا به، حدد موقفه من التوراة ساميا عليها لا تابعا لها.

● أورد القرآن الأمين قصة لم تعرفها التوراة قبل القرآن ولم يعرفها الإنجيل بعد التوراة.

وهي قصة «الغراب» الذى بعثه الله معلما ومرشدا لابن آدم القاتل، لينقذه من ورطته التي وقع فيها وهي حيرته أمام جثة أخيه «القتيل» كيف يصنع بها؟

ومرة أخرى: لو كانت التوراة هي مصدر القرآن فأين ذكر هذه القصة في التوراة؟ أو في الإنجيل، أو في مصدر سابق على القرآن؟!

إن القاعدة العقلية «فاقد الشيء لا يعطيه» إذا حكمناها هنا صاحت قائلة، بملء فيها:

كاذب من يدعي أن القرآن مقتبس من التوراة.

وعند هذا الحد توقفت التوراة، لأنها بعد سرد ما تقدم انتقلت إلى الحديث عن حياة قابين الزوجية، وتحدثت عمن أنجب وعن أحفاده.(١)

أما القرآن المدّعى أنه رضيع التوراة فقد خطا خطوات إلى الأمام، ورتب على وقائع القصة أمورا ذات شأن عظيم مستثمرا لوقائع القصة في بناء الأخلاق وحياطة الدماء وذلك خلال التشريعات الآتية:

**أولاً:** تقطيع قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

**ثانياً:** الحث والترغيب في رعاية الحرمات.

**ثالثاً:** سن عقوبات لمن يحارب الله ورسوله، ويسعى في الأرض فسادا:

**أولها:** التقتيل.

**ثانيها:** التصليب.

**ثالثها:** تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف.

**رابعها:** النفي من الأرض «التغريب أو الحبس».

هذا ما تفرد به القرآن عن التوراة، فإذا كان هذا هو عطاء القرآن، وأفقه الواسع، الذى استقى منه هذه الحقائق فكيف تصلح التوراة أن تكون أصلا لما هو ذو سلطان أقوى من سلطانها وآفاق أرحب من آفاقها.

وصدق وصحة التوراة خلت منهما؟

والحق الذى لا محيد عنه، حتى في حكم العقل، أن ما ورد في التوراة لا يصلح ـ ولن يصلح ـ أن يكون أساسا لما ورد في القرآن، مهما كانت نسبة التشابه في عموميات ما ورد في المصدرين.

ونكتفي بما تقدم في نفي أن تكون التوراة هي مصدر القرآن وإن بقيت في التوراة أمور كثيرة صالحة للاستدلال على نفي اقتباس القرآن من التوراة نكتفي به لأنه قدر صالح لإبطال دعوى المستشرقين، وأساتذتهم المبشرين، أن القرآن مقتبس من التوراة.

وبقي علينا خوض هذه التجربة مع الإنجيل الذى بيد النصارى اليوم، لأن المستشرقين والمبشرين زعموا أن التوراة والإنجيل معا كانا أساسي القرآن ولولاهما ما كان القرآن.

---

(١) انظر التوراة، الإصحاح الرابع، الفقرات من (٧ إلى ٢٤)

## الصورة الثالثة من الإنجيل والقرآن: «بشارة زكريا بن يحيى - عليهما السلام -»

### حديث الإنجيل

«ولم يكن لهما ولد - أى لزكريا وامرأته - إذ كانت أليصابات - يعنى امرأة زكريا - عاقراً وكانا كلاهما متقدمين فى أيامهما فبينما هو يكهن فى نوبة فرقته أمام الله، حسب عادة الكهنوت، أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا وقت البخور فظهر له ملاك الرب واقفا على يمين مذبح البخور، فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف فقال له الملاك لاتخف يا زكريا، لأن طلبتك قد سمعت، وامرأتك أليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته لأنه يكون عظيما أمام الرب وخمرا ومسكرا لا يشرب ومن بطن أمه يمتلىء بروح القدس ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم.. يرد قلوب الآباء إلى الأبناء، والعصاة إلى فكر الأبرار، لكى يهيىء للرب شعبا مستعدا فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا؟ لأنى أنا شيخ وامرأتى متقدمة من أيامها فأجاب الملاك وقال له: أنا جبريل الواقف أمام الرب، وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا. وها أنت تكون صامتا ولاتقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامى الذى سيتم فى وقته، وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه فى الهيكل فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم، ففهموا أنه قد رأى رؤيا فى الهيكل، فكان يومىء إليهم وبقى صامتا».

**إنجيل لوقا**: الإصحاح الأول

الفقرات من (١ إلى ٢٢)

### حديث القرآن

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٤١)﴾

آل عمران: (٣٨ - ٤١)

﴿كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١) يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥)﴾

مريم: (١ - ١٥)



أثبتنا النصوص الواردة في المصدرين: الإنجيل والقرآن لتكون ماثلة أمام نظر القارىء، تيسيرا للوقوف على ما سنورده في المقارنة الفاحصة بين ما ورد في الإنجيل، وبين ما ورد في القرآن من اتفاق أو اختلاف، بقصد أن نقف معا على الإجابة الواقعية على هذا السؤال:

هل يصلح الإنجيل - عقلاً - أن يكون مصدرا للقرآن، وأن القرآن لولا الإنجيل لعجز عجزا تاما عن الحديث عن البشارة التي تلقاها زكريا بـ «يحيى» - عليهما السلام-.

## وقائـــع المقارنـــة

إن المقارنة الأمينة الصادقة، تسفر عن انفراد القرآن بحقائق ودقائق لا وجود لها في الإنجيل.

كما أنه يصحح أخطاء وردت في النص الإنجيلي لا ينازع فيها أحد، وهاكم البيان:

«أ» تقدم على قصة البشارة بـ «يحيى» في سورة «آل عمران» قصة نذر امرأة عمران ما في بطنها محررا لله تعالى، وهذا لا وجود له في الإنجيل.

«ب» شكوى امرأة عمران لله أنها ولدت أنثى، ولم تلد ولدا وكأنها تعتذر لله بعدم الوفاء بنذرها، لأن الإناث لا يصلحن للنذر.

وهذا بدوره لم يرد في النص الإنجيلي.

«جـ» كفالة زكريا - عليه السلام - للمولودة ووجوده رزقها عندها، دون أن يعرف مصدره، وسؤاله إياها عنه، وهذا لا وجود له في الإنجيل.

«د» القرآن يربط بين دعاء زكريا ربه أن يهب له ذرية طيبة، وبين مولودة امرأة عمران، والإنجيل يغفل هذا كله.

«هـ» دعاء زكريا -عليه السلام- منصوص عليه في القرآن وليس له ذكر في الإنجيل.

### ثانياً: في مريم

«و» رتب زكريا على دعائه الله أن يهبه ولدا الغرض من هذه الهبة، وهو أن يرثه ويرث من آل يعقوب، ولم يرد هذا في الإنجيل.

«ز» ذكر القرآن السبب الذي حمل زكريا على دعائه ربه وهو خوف الموالي من بعده، وليس للإنجيل صلة ما بهذا.

«ح» أمر زكريا قومه بعد خروجه من المحراب أن يسبحوا الله بكرة وعشيا، هذا الأمر لم يرد في الإنجيل.

«ط» الثناء على المولود «يحيى» -عليه السلام- بأنه بار بوالديه وأنه عليه سلام يوم ولد، ويوم يموت، ويوم يبعث حيا، ورد في القرآن فحسب دون الإنجيل.

«ى» نداء الله يحيى -عليه السلام-، وأمره بأخذ الكتاب، والإخبار بأن الله آتاه الحكم صبيا، انفرد القرآن بذكره، وخلا منه الإنجيل.

هذه أبرز الحقائق والدقائق التي انفرد بها القرآن، ولا دراية للإنجيل بها.

إذاً لو كان الإنجيل مصدرا للقرآن فأين يا ترى مواضع هذه الوقائع في الإنجيل، التي نقل عنها القرآن هذه الوقائع؟

هل المعدوم يصلح أن يكون مصدرا للموجود؟

العقل والعلم والواقع، كل هذه المعايير تقول: لا، وألف لا.

هذا عن الجديد الذي تفوّق به القرآن على الإنجيل، والرجوع لنصوص المصدرين يؤكد هذه الملاحظات.

## تصحيـــح الأخطـــاء

تصحيح الأخطاء هو المهمة الثانية التي قام بها القرآن الحكيم بعد انفراده بإيراد الجديد الذي خلا منه الإنجيل، وهذا هو البيان.

«أ» الإنجيل يجعل الصمت الذى حل بزكريا -عليه السلام- عقوبة من ملاك الرب، لأنه لم يصدق كلامه؟.

فصحح القرآن هذا الخطأ، وجعل الصمت استجابة من الله لدعاء زكريا -عليه السلام-، وقد حرص على هذا التصحيح النصان القرآنيان، فى كل من سورتى «آل عمران - ومريم» ففى آل عمران جاء قوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾

وفى مريم جاء قوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾

فالصمت كان تكريما لزكريا من ربه، وأمارة على قرب الوفاء بالبشارة، وليس عقوبة من الملاك وإلا فما هو الذنب الذى ارتكبه زكريا -عليه السلام- حتى يستحق العقاب من الملاك أو من الله؟!

هل دعاؤه ربه ذنب؟

أم شكواه لربه من كبر سنه وعقم امرأته ذنب لقد وقع هذا الاستفهام عن الإنجاب بعد الشيخوخة وفى عقم المرأة من إبراهيم -عليه السلام-، ووقع من زوجه سارة ولم يعاقبهما الله عليه، ووقع كذلك من مريم حينما بشرت بعيسى دون أن يكون لها زوج، ولم يعاقبها الله عليه، فما السر - إذن - فى ترك هؤلاء الثلاثة من العقاب، ثم إيقاعه على زكريا؟ أهى محاباة من الله لفريق، وتحامل على فريق آخر؟

كلا، فالله لا يحابى أحدا، ولا يتحامل على أحد، إن الصمت الذى حل بزكريا -عليه السلام-، كان بالنسبة للناس أما لسانه فظل يلهج بثناء الله وتسبيحه بكرة وعشيا كما ورد فى القرآن الأمين.

وكان الله - عز وجل - فرّغه بهذا الصمت لذكره هو وحده، وهذه لطيفة تشع من القرآن دوما سواء.

«ب» الإنجيل حدد مدة الصمت من خروج زكريا من الهيكل إلى يوم أن يولد يحيى، وهذا خطأ بيّن صححه القرآن، وجعل المدة ثلاثة أيام بلياليها.

«جـ» الإنجيل يجعل البشارة على لسان ملاك واحد، فصحح القرآن هذا الخطأ، وجعلها على لسان جمع الملائكة، تكرر هذا فى آل عمران ومريم، والتكرار توكيد وتقرير:

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾

﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ﴾.

«د» الإنجيل يجعل التسمية بـ«يحيى» أو «يوحنا» من اختيار زكريا، بيد أن الملاك قد تنبأ، أما القرآن فيعزو هذه التسمية إلى وحى الله - عز وجل - إلى زكريا:

﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

يعنى أن الملائكة بشرت زكريا بشرتين:

● أنه سيولد له غلام.

● أن ذلك الغلام سماه الله ﴿ يَحْيَىٰ ﴾.

«هـ» الإنجيل يقول إن زكريا حين جاءه ملاك الرب وقع عليه خوف واضطراب، أما القرآن فلم ترد فيه نسبة الخوف والاضطراب إلى زكريا، ولو كان زكريا قد خاف واضطرب فعلا لذكره القرآن، فكان سكوت القرآن عن هذا تصويبا لما ورد فى الإنجيل.

ذلك لأن القرآن ذكر هذا الخوف في مثل هذه الحالة لأنبياء آخرين، لما اعتراهم الخوف حقيقة ذكره في شأن موسى -عليه السلام-:

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾[٢].

وذكره مرتين أخريين بل ثلاثا في شأن موسى - عليه السلام - وذلك كله مرتبط بعصى موسى - عليه السلام -.

قال:

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾[٣].

والنهي عن الخوف دليل على وقوعه من موسى، وهذا مألوف من النفس البشرية أمام هذه المفاجأ المذهلة:

﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ ﴾[٤].

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ﴾[٥].

وحكاه في شأن إبراهيم - عليه السلام - حين جاءه رسل ربه:

﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾[٦].

وحكاه في شأن مريم أمام رسول ربها إليها:

﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾[٧].

هذا هو منهج القرآن في القص، وتسجيل هذا الانفعال إذ حدث من نبي أو غير نبي.

إذن، لو كان هذا الانفعال قد حدث فعلا من زكريا - عليه السلام - لحرص القرآن على ذكره، وفاء بمنهجه المطرد الذي أشرنا إليه في القص عن إبراهيم، وموسى، -عليهما السلام- وفي القص عن مريم البتول- رضي الله عنها-.

فسكوت القرآن عن نسبة الخوف والاضطراب إلى زكريا يعد تصويبا لما ورد في الإنجيل.

وحتى لو لم تعتبر هذه الملاحظات تصويبا لأخطاء، بل مجرد اختلافات بين الإنجيل والقرآن، فإن هذا لا يؤثر على ما أردناه منها في حسم دعوى (الإنجيل مصدر للقرآن).

بيان ذلك

أن دعوى مصدرية الإنجيل للقرآن لا تثبت عقلا ولا نقلا ولا واقعا.

فبالنسبة للجديد الذي في القرآن ما كان في قدرته الإتيان به مع خلو الإنجيل منه.

وبالنسبة للاختلافات الخمسة، أو التصويبات من أين كان للقرآن أن يأتي بها، وأصله الذي اقتبس منه لا يسمح له بهذا الخروج؟

هل يقبل العقل أن نهرا لا يحتوي إلا على نصف مليار متر مكعب من الماء يتفرع عنه نهر يحتوي على مليارى متر مكعب من الماء الصافي؟.

إن صح هذا في العقل صح أن الإنجيل مصدر للقرآن وإذا لم يصح هذا لم يصح أن الإنجيل وحده أو التوراة وحدها أو هما معا مصدر للقرآن، لا في كمية المعلومات، ولا في نوعها، وهذا هو المصير المحتوم في حسم هذه الدعوى، لأن للقرآن مصدرا إلهيا غير التوراة والأناجيل، وفاقد الشيء لا يعطيه.

---

(٢) طه (٦٧). (٣) طه (١٩ - ٢١). (٤) النمل (١٠)
(٥) القصص (٣١) (٦) الحجر (٥٢، ٥٣) (٧) مريم (١٨).

# الموقف الإسلامي من الحضارات غير الإسلامية

للأستاذ الدكتور / محمد عمارة

**من القضايا الفكرية التي يحتدم من حولها الجدل في حياتنا الفكرية المعاصرة، قضية: علاقة «الأنا الحضارية» بـ«الآخر الحضاري»... وعلى وجه التحديد بـ«الآخر الحضاري» المهيمن عالميا، وهو الحضارة الغربية!.. وفي اعتقادي أن الرؤية الإسلامية لهذه القضية هي من البساطة والتميز والموضوعية، إلى الحد الذي لابد وأن تحسم حسما نهائيا، شريطة أن تفهم عناصر هذه الرؤية الإسلامية فهما جيدا.. وهي العناصر التي نوجزها في هذه النقاط:**

● إن الإسلام ينظر إلى البشر أجمعين باعتبارهم: «وحدة واحدة متساوية في الخلق لله الخالق الواحد».. وباعتبارهم في ذات الوقت: «متعددين في الروابط والجامعات».. وهذه «الوحدة في الخلق» مع «التعددية في الجامعات» هما موطن الإشارة في الآية الكريمة:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(1).

فالاشتراك والوحدة في الخلق، وفي الإنسانية، يزامله التعدد والتمايز إلى شعوب وقبائل وأقوام.. بل إن القرآن الكريم

(1) الحجرات: 13.

يتحدث عن هذه التعددية باعتبارها آية من آيات الله - سبحانه - وسنة من سننه فى خلقه، فيقول:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾(٢).

وفى الدين أيضا، يؤكد الإسلام على «وحدة البشرية فى دين الله الواحد»، أزلا وأبدا.. مع «تعدد الشرائع بتعدد أمم الرسالات الدينية». أزلا وأبدا كذلك.. فالقرآن الكريم قد نزل:

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

و ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾(٤)..

والرسول ﷺ كذلك:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾(٥).

والله - سبحانه وتعالى - يتحدث إلى رسوله فيقول له:

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(٦).

ومع هذه «الوحدة فى الدين» كانت «التعددية فى الشرائع» لدى أمم الرسالات.. فالبعثة المحمدية قد تميزت بالشريعة الخاتمة:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٧).

وكذلك كان حال الأمم السابقة فاليهود

﴿وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾(٨)..

﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾(٩)

وكذلك حال النصارى مع الإنجيل:

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾(١٠).

ثم كانت الشريعة الخاتمة: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾

ثم تمضى الآية لتقرر أزلية وأبدية هذه السنة الإلهية فى تعدد الشرائع بتعدد أمم الرسالات. فتقول:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(١١).

---

(٢) الروم: ٢٢. (٣) البقرة: ٩٧. (٤) البقرة: ٩١.
(٥) آل عمران: ٨١. (٦) آل عمران: ٨٤. (٧) الجاثية: ١٨.
(٨) المائدة: ٤٣. (٩) المائدة: ٤٤. (١٠) المائدة: ٤٧.
(١١) المائدة: ٤٨.

ففى الدين: وحدة الرسل والرسالات، ووحدة أم هذه الرسالات.. وفى الشريعة: تعددية تتمايز فيها وبها أمم الرسالات.. للابتلاء والاختبار والتنافس واستباق الخيرات.. ولقد وقف مفسروا القرآن الكريم أمام هذه الآيات فقالوا: «إن الشِّرعة والشريعة: هى الطريقة الظاهرة التى يتوصل بها إلى النجاة.. والمعنى: أن الله جعل التوراة لأهلها، والإنجيل لأهله، والقرآن لأهله، وهذا فى الشرائع والعبادات. والأصل: التوحيد، لا خلاف فيه..

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾:

أى لجعل شريعتكم واحدة..

﴿ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾..

أى ولكن جعل شرائعكم مختلفة ليختبركم، والابتلاء: الاختبار»[12].

وعن هذه الحقيقة، التى أفاض القرآن فى تقريرها وفى الإفصاح عنها – حقيقة: الوحدة فى الدين مع التعددية فى الشرائع – يعبر الحديث النبوى هذا التعبير الجميل، عندما يقول صلوات الله وسلامه عليه: «الأنبياء: إخوة من علات – [أى من أب واحد] – وأمهاتهم شتى. ودينهم واحد..»[13].

فكما توحد الناس ويتوحدون فى الخلق والإنسانية، مع التعددية فى الأقوام والشعوب والقبائل والألوان واللغات.. كذلك قد اتحدوا فى الدين، وتعددت أمم الرسالات فى الشرائع التى شرعها الله.. فالوحدة.. مع التعددية هى سنة الله، التى تلتزمها الرؤية الإسلامية فى هذا الميدان..

● وكذلك الحال فى ميدان الحضارات.. فعلى مر التاريخ عرفت البشرية التعددية فى الحضارات، مع الالتقاء والتبادل والتفاعل فيما هو مشترك إنسانى عام بين هذه الحضارات.. فمع الخصوصيات الحضارية، التى تتميز بها كل حضارة عن غيرها، هناك ما هو مشترك إنسانى عام بينها جميعا، وخاصة فى المعارف والعلوم التى تشترك فى ثبات الموضوع ووحدة المناهج والحقائق والقوانين.

فالعلاقة بين «الأنا: الحضارية» وبين «الآخر: الحضارى» يجب أن يحكمها هذا القانون.. التفاعل والتبادل الحضارى، لا التبعية – بزعم الوحدة الحضارية – ولا الانغلاق والعزلة – بزعم الاختلاف الكامل والكلى –.. فكما أن التعددية فى الأمم هى سنة من سنن الله فى الخلق، كذلك التعددية فى الحضارات لأن هذا التمايز الحضارى هو واحد من أهم أسباب هذه التعددية بين الأمم.. وكما أن «التعارف».. الذى أمرنا الله به ليكون طابع العلاقات بين الأمم والشعوب.. يقتضى العدول عن القطيعة، ورفض «الصراع»..

---

(١٢) القرطبى [الجامع لأحكام القرآن] جـ٦ ص٢١١ طبعة دار الكتب المصرية.

(١٣) رواه البخارى ومسلم.

فكذلك «الاختلاف».. الذى جعله الله سنة ومظهرا للتعددية، يقتضى رفض «التبعية» أو «الهيمنة» بزعم وحدة الحضارة للبشر أجمعين

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾(١٤).

ولقد قال المفسرون لقوله تعالى:

﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾: إن معناها: «وللاختلاف خلقهم»(١٥).. ففى الاختلاف والتمايز: التنوع، والغنى، والتنافس فى استباق الخيرات..

وهنا.. لسائل أن يسأل: إذا كانت الرؤية الإسلامية مع «التعددية الحضارية» كسنة من سنن الله فى تعدد الأمم التى تتمايز بتمايز الحضارات.. ومع التبادل والتفاعل الحضارى فيما هو مشترك إنسانى عام بينها، امتثالا لأمر الله وحكمته أن يكون التعارف هو رباط وسمة العلاقات بين أمم الحضارات المتعددة.. إذا كانت هذه هى رؤية الإسلام لهذه القضية، فما الموقف إزاء علاقة «النفى والصراع التى مارستها وتمارسها الحضارة الغربية مع وبإزاء غيرها من الحضارات والمواريث الحضارية التى وجدتها لدى الأمم التى اتصلت بها أوغزت بلادها منذ الزحف الاستعمارى الكبير الذى شنه على العالم قبل قرنين من الزمان؟!..

هنا، وفى الإجابة على هذا السؤال، لابد من التنبيه على رفض الإسلام أن يكون «النفى والصراع» هو طابع العلاقة مع «الغير».. فالإيمان بالتعددية يقتضى الإيمان بحق الغير فى الوجود المتميز، حتى تكون هناك تعددية حقيقية.. ولهذه الحكمة كان «التوازن» بين الفرقاء المتميزين هو مذهب الإسلام فى العلاقة بين الطبقات والجماعات داخل الأمة الواحدة، وبين الأمة وغيرها من الأمم الأخرى.. وهذا «التوازن» يفترض، بل ويشترط كى يقوم وجود «فرقاء» متمايزين ومختلفين.. أما «الصراع» فإنه يعنى ابتغاء «نفى» الآخر، والانفراد والواحدية دون شريك!..

ولأن هذه هى فلسفة الإسلام فى العلاقة بالآخر، كان استخدام القرآن الكريم لمصطلح «الدفع» عندما تدعو الحاجة، بسبب اختلال توازن العلاقات مع الأغيار، وحلول «الخلل» محل «التوازن» وسيادة «الظلم» بدلا من «العدل» وقيام «الجور» بدلا من «الوسطية».. هنا يكون «الدفع»، أى الحركة الاجتماعية التى تبتغى إعادة العلاقات إلى مستوى ولحظة ومقام «التوازن» ثانية، مع الاحتفاظ بالتعددية والتمايز للفرقاء المختلفين.. هنا يكون «الدفع» ولا يكون «الصراع»، لأن الصراع يقتضى نفى الآخر، بصرعه، وإنهاء وجوده، والانفراد والواحدية.. فهو ضد فلسفة التعددية وضد شرعية ومشروعية تمايز الفرقاء المختلفين.. ففى «الصراع»..

﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾(١٦)

---

(١٤) هود: ١١٨، ١١٩.

(١٥) [الجامع لأحكام القرآن] جـ٩ ص١١٤، ١١٥.

(١٦) الحاقة: ٧.

أما فى «الدفع» فإن الغاية مختلفة:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(١٧).

فإذا كانت الحضارة الغربية قد تبنت واعتمدت فلسفة «الصراع» فرأته قانون العلاقة فى الأحياء - صراع البقاء فى الداروينية - وفى الاجتماع - الصراع الطبقى فى الماركسية.. وفى العلاقة مع الحضارات الأخرى - المسخ والنسخ والتشويه لمواريث الأمم التى أصابها الاستعمار والهيمنة الغربية.. إذا كان هذا هو طابع العلاقة، كما فرضتها الحضارة الغربية علينا.. فهو كالقتال الذى فُرض علينا.. وهو كره لنا!- وعسى أن تكون الثمرة، ثمرة هذا الصراع الذى فرض علينا، شحذ الهمة فى معركة التجديد للفكر الإسلامى، إخراجا له من أزمته المعاصرة، وتجديدا لواقع الأمة به، لا لننفى «الآخر الحضارى» وإنما لنقسره غدا، كما قسره أسلافنا بالأمس، على التخلى عن طموح الهيمنة الحضارية، وعلى القبول بالتعددية، ليصبح الكوكب الذى نعيش عليه «منتدى حضارات» تتفاعل وتتبادل العلم النافع، وتحتفظ كل منها بما لها من خصوصيات.. مثلها كمثل الإنسان الراشد المستقل، يصافح الجميع، دون أن يفقد بصمته وهويته التى تميزه عن الجميع!..

إننا نرى الآن قضية علاقة «الأنا: الحضارية» بـ«الآخر: الحضارى»، واحدة من قضايا «أزمة الفكر» الإسلامى المعاصر.. بينما هذه القضية لم تكن بالأمس - عندما قامت علاقة أسلافنا العظام بالحضارات الأخرى، هندية وفارسية وإغريقية.. لم تكن من قضايا «الأزمة».. بل كانت من سمات «الصحة» ومظاهر «النهضة»؟!.. وما كان هذا الفارق بين حال ذات القضية اليوم عنها بالأمس إلا من الفارق بين حالنا اليوم وحال أسلافنا بالأمس.. لقد تفاعلوا مع «الآخر الحضارى» من موقع القوى الراشد المستقل، فكانت «لمعدتهم الحضارى».. إن جاز التعبير - القدرة على التمييز بين الصالح والفاسد، بين النافع والضار، بين الملائم وغير الملائم فى مواريث الآخرين.. فلم تكن فى العلاقة «قضية مشكلة على الإطلاق!.. أما نحن، فإننا نتعامل من موقع الضعيف المهزوم، الذى تحالفت عليه تحديات: التخلف الموروث.. وتحديات: الاستلاب الحضارى الوافد فى ركاب الغزاة!..

وليس كالتجديد للفكر الإسلامى بابا يدخل منه العقل المسلم إلى عالم النهضة - له ولأمته - من جديد، فيتجاوز هذه المآزق ويحل هذه المشكلات.

---

(١٧) فصلت: ٣٤.

# الإسلام ومشكلة الفقر

للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى (*)

تمهيد :

١ - مشكلة الفقر وإن كانت قديمة، لازمت الإنسانية منذ فجر التاريخ، إلا أننا لم نشعر بوطأتها إلا تدريجيا بتزايد حاجات الإنسان تبعا لدرجة تطوره وتقدمه. فالإنسان الأول، بالرغم من قلة موارده، لم يكن يشعر بوطأة الفقر لقلة حاجاته وتطلعاته الاستهلاكية.

٢ - ولقد بلغت مشكلة الفقر ذروة حدتها متأخرا فى عصرنا الحالى، وذلك بحكم سهولة اتصال الناس بعضهم ببعض وظهور الفوارق مع ازدياد الوعى الاجتماعى. فالفلاح فى القرية ذات الاقتصاد المغلق لم يكن يشعر بفقره إلا حين اتصاله بعالم المدينة، ومجتمع كاليمن قبل انفتاحه على العالم الخارجى لم يكن فى عزلته يشعر بفقره أو تخلفه الشديد.

٣ - وعليه فإن مشكلة الفقر نسبية، تختلف باختلاف الزمان والمكان. فلاشك أن فقير العصر الحاضر يعتبر غنيا بالنسبة إلى إنسان العصور القديمة، كما أن متوسط الحال اليوم فى مصر أو الهند يعتبر فقيرا بالنسبة لمتوسط الحال الأمريكى أو الأوروبى.

---

(*) أستاذ الاقتصاد الإسلامى وعضو مجمع البحوث الإسلامية

## أولاً: حقيقة مشكلة الفقر

١ - في الفكر الاقتصادي التقليدي، تتمثل مشكلة الفقر في عدم توافر المستوى الأدنى للمعيشة، وهو ما يعبر عنه أصحاب هذا الفكر بمصطلح «حد الكفاف Minimum Vital» مما يتعلق بمتطلبات البقاء، بمعنى أن الفرد يعد فقيراً عندما لا تتوافر له متطلباته بالقدر الذي يحقق له حياته وقدراته على العمل والإنتاج.

وفي الفكر الاقتصادي الإسلامي، تتمثل المشكلة في عدم توافر المستوى اللائق للمعيشة بحسب ظروف الزمان والمكان وبحسب عمل ومسئولية الفرد، وهو ما عبر عنه فقهاء الشريعة القدامى بمصطلح «حد الكفاية M.D'Aisance» مما يتعلق بمتطلبات الحياة الكريمة، وأحيانا بمصطلح «حد الغنى M.DE Richesse» بمعنى أن يعد الفرد فقيرا متى لم تتوافر له متطلباته بالقدر الذي يجعله في بحبوحة من العيش وفي غنى عن غيره.

ونخلص من ذلك إلى حقيقة هامة، وهي أن التصور الإسلامي للمشكلة الاقتصادية أي مشكلة الفقر، لم يرتبط منذ البداية بهدف توفير الضرورات الأساسية للمعيشة، وإنما بهدف رفع مستوى المعيشة وتحسينه، وهو ما انتهى إليه أخيرا الفكر الاقتصادي الحديث بعد أربعة عشر قرنا معبرا عنه بمصطلح «الرفاهية الاقتصادية» أو «الرخاء المادي».

٢ - من ذلك يتبين أن الفقير في الإسلام فردا كان أو دولة، هو من يعيش في مستوى تفصله هوة سحيقة عن المستوى المعيشي السائد في المجتمع المحلي أو العالمي المتقدم.

ويترتب على ذلك أن المشكلة الاقتصادية في نظر الإسلام، هي على المستوى المحلي تكمن أساسا في اختلال التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع، وهي على المستوى العالمي تكمن في الهوة المتزايدة بين الدول النامية والدول المتقدمة. وهو الأمر الذي سبق به الإسلام كل تفكير متقدم، حيث لا يستهدف اليوم أي تغيير أو إصلاح أو أي نظام اقتصادي جديد، سوى - أساسا - تحقيق التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع على المستوى المحلي، وتحقيق التوازن الاقتصادي بين دول العالم على المستوى العالمي. الأمر الذي نبه إليه الإسلام منذ أربعة عشر قرنا بقوله تعالى:

﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾(١).

بمعنى ألا يكون المال متداولا بين فئة قليلة تستأثر به دون غيرها، سواء على مستوى أفراد المجتمع أو دول العالم، بل يجب أن يعم الخير الجميع.

وخلاصة القول أن الفقير في الإسلام، فردا كان أم دولة، هو من لا يتوافر له المستوى اللائق للمعيشة بحسب الزمان والمكان وهو باصطلاح الفكر الاقتصادي الإسلامي، من لا يتوافر له «حد الكفاية» أو «حد الغنى» لا مجرد «حد الكفاف».

---

(١) الحشر (٧).

٣- ومصطلح «حد الكفاية» أو «حد الغنى»، وإن لم يرد صراحة في أحد نصوص القرآن أو السنة، إلا أنه يستفاد من روح هذه النصوص.

وقد ورد صراحة في تعبيرات أئمة الإسلام، خاصة في مختلف كتب الفقه القديمة بمناسبة بحث الزكاة التي هي بالتعبير الحديث مؤسسة الضمان الاجتماعي في الإسلام، والتي انفردت بإنشائها منذ أربعة عشر قرنا لمواجهة حالات الفقر والحاجة. فيقول الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «إذا أعطيتم فأغنوا»، ويقول الخليفة الرابع علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -: «إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم». ويقول الإمام السرخسي في الجزء الثالث من كتابه المبسوط ص١٨: «وعلى الإمام أن يتق الله في صرف الأموال، فلا يدع فقيرا إلا أعطاه من الصدقات - أي فرع الزكاة ببيت المال - حتى يغنيه وعياله، وإن احتاج بعض المسلمين وليس في بيت المال من الصدقات شيء أعطى الإمام ما يكفيهم من بيت المال - أي الموارد الأخرى ببيت المال كالغنائم والخراج» ويقول الإمام الشاطبي في الجزء الأول من كتابه الموافقات ص١٠٤: «الكفاية تختلف باختلاف الساعات والأحوال ... وإن صيانة النفس في كفايتها».

ولقد اعتبر الإسلام ضمان حد الكفاية، هو حق إلهي مقدس لكل فرد كإنسان، أيا كانت ديانته وأيا كانت جنسيته، ما دام ذلك الفرد موجودا في مجتمع إسلامي. وكلنا يذكر قصة الخليفة عمر بن الخطاب مع المتسول العجوز اليهودي، حيث قرر له راتبا شهريا من صدقات بيت المال، مفسرا آية الزكاة:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾[٢].

على أن المساكين هم فقراء أهل الكتاب. وعليه فإن ضمان حد الكفاية، هو في الإسلام حق الله الذي يعلو فوق كل الحقوق، وفي إنكاره أو إغفاله إنكار وتكذيب للدين والإسلام ذاته بقوله تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[٣].

بل هو قرين الكفر بالله - تعالى - وموجب لسخطه وعذابه بقوله - تعالى -:

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[٤].

وقد ورد عن الرسول ﷺ قوله: «اللهم أعوذ بك من الكفر والفقر»[٥] قال رجل: أيعدلان، قال: «نعم». وجاء في الأثر: «كاد الفقر أن يكون كفرا».

---

(٢) التوبة (٦٠)

(٤) الحاقة (٣٠-٣٤)

(٣) الماعون (١-٣)

(٥) مسند ابن عدى ١٨١٩/٥

## ثانياً: سبب مشكلة الفقر

١- في الاقتصاد الرأسمالي: سبب المشكلة هم الفقراء أنفسهم سواء لكسلهم أو لسوء حظهم بشح الطبيعة أو قلة الموارد. فقضية الفقر هي أساسا قضية قلة إنتاج أو موارد.

وقد رتب على ذلك أن على الدولة أن تبيح الحرية المطلقة للجميع لينتجوا ويكسبوا ويغتنوا دون قيد أو شرط، وأن على من خانه الحظ أن يرضى بواقعه فهو نصيبه وقسم الله له.

وفي الاقتصاد الاشتراكي: سبب المشكلة هم الأغنياء أنفسهم باستئثارهم دون الأغلبية الكادحة بخيرات المجتمع، وبالتالي نشوء التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات التوزيع. فقضية الفقر هي أساسا قضية سوء توزيع.

وقد رتب على ذلك نظرياته في الصراع بين الطبقات، والتركيز على تغيير أشكال ووسائل الإنتاج بإلغاء الملكية الخاصة والقضاء على الأغنياء البورجوازيين بحسب تعبيراته.

وفي الاقتصاد الإسلامي: مرد المشكلة ليس الفقراء أو قلة الموارد، كما ذهب الفكر الاقتصادي الرأسمالي. كما أنه ليس سببها الأغنياء أو التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات التوزيع، كما ذهب الفكر الاقتصادي الاشتراكي. وإنما مرد المشكلة هو:

**أولاً**: قصور الإنتاج بعدم استغلال الموارد الطبيعية لا قلة هذه الموارد، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة:

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٦].

وقوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٧]

**ثانياً**: سوء التوزيع لا الملكية الخاصة ذاتها، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٨].

وقوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٩].

٢- فمشكلة الفقر في الاقتصاد الإسلامي، مردها الإنسان ذاته وفساد نظامه الاقتصادي، سواء من حيث ضعف الإنتاج أو سوء التوزيع. فهي ذات صفة مزدوجة أو هي كالعملة الواحدة ذات وجهين أولهما يتعلق بوفرة الإنتاج. وثانيهما يتعلق بعدالة التوزيع، بحيث لا يغني أحدهما عن الآخر. ذلك أن وفرة الإنتاج مع سوء

---

(٦) ابراهيم (٣٤).

(٧) لقمان (٢٠)

(٨) ياسين (٤٧).

(٩) الاعراف (٩)

التوزيع هي احتكار واستغلال لا يسلم به الإسلام، كما أن عدالة التوزيع دون إنتاج كاف هي توزيع للفقر والبؤس مما يرفضه الإسلام.

على أن ذلك لا يمنع الباحث في الاقتصاد الإسلامي من التركيز على أحد الوجهين بحسب ظروف بلده ومجتمعه. فيرى أن مشكلة الفقر في إحدى الدول أو المجتمعات الإسلامية هي مشكلة إنتاج وتنمية أكثر منها مشكلة توزيع وعدالة، بينما يراها في دولة أو مجتمع إسلامي آخر هي مشكلة توزيع وعدالة أكثر منها مشكلة إنتاج وتنمية. ولا يؤدي به ذلك إلى أن يكون متبعا ـ الفكر الاقتصادي الاشتراكي، ما دام لا يساير في الأساس الفكرين الوضعيين في تشخيص مشكلة الفقر، وبالتالي موقفه في مواجهتها وحله لها.

٣- وثمة أمر هام يعتبره الإسلام في تشخيصه لمشكلة الفقر، فهو لا يقف بالنسبة للفقراء موقف الأثرة واللامبالاة شأن الفكر الاقتصادي الرأسمالي، كما لا يقف بالنسبة للأغنياء موقف الكراهية وتغذية الصراع ضدهم شأن الفكر الاقتصادي الاشتراكي، وإنما هو يعمل على التقريب بين الفئتين عن طريق إحلال التعاون والتكامل بينهما لا التناقض والصراع.

ثم هو في النهاية، وعلى خلاف المذاهب والنظم الاقتصادية الوضعية، لا يستهدف في تعرضه لمشكلة الفقر الجانب المادي أو الاقتصادي فحسب، وإنما هو يستهدف أساسا الجانب الروحي أو الخلقي. فهو حين طالب الناس بالعبادة وذكر الله، علل ذلك في القرآن بقوله تعالى:

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝ ﴾(١٠).

وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «السياسة الشرعية» ص٢٢: «إن الله تعالى خلق الأموال إعانة على عبادته، لأنه خلق الخلق لعبادته»، وكما يقول الإمام الشيباني في كتابه «الاكتساب في الرزق المستطاب» ص١٤: «إن الله فرض على العباد الاكتساب بطلب المعاش، ليستعينوا به على طاعة الله».

ومن هنا حكم الإسلام بأن الكفاية أو التقدم المادي وحده لا يفيد، كما أن العبادة والتقدم الروحي وحده لا يكفي. وكما نرى ونلمس، لا قيمة لحضارة متقدمة أو تقنية متفوقة بدون مثل وارتباط بالله - تعالى - وخشيته، وإلا فإن هذه الحضارة وتلك «التكنولوجيا» ستصبح بدون صمام أمان، وبالتالي لابد وأن تطغى وتنتهي لتصبح عنصر فساد وتدمير، وهذا هو شأن الحضارة الغربية المتقدمة والتي تلخص معاناتها ومختلف مشكلاتها في قوله تعالى:

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾(١١).

أو قوله تعالى: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾(١٢)

كذلك لا غنى لمثل طيبة وتطلعات تعبدية عن المادة وتوفير حد الكفاية وتعمير الكون، وإلا فإن

---

(١٠) قريش (٣-٤).

(١١) الحشر (١٩).

(١٢) التوبة (٦٧).

هذه المثل وتلك الروحانية ستصبح بدون عناصر بقائها واستمرارها، وبالتالي لابد أن تضعف وتضمر، وهذا هو شأن الشعوب الإسلامية اليوم التي نسيت قوله تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾(١٣).

وصدق الله العظيم.

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾(١٤).

## ثالثاً: الحل الإسلامي لمشكلة الفقر

١ – يبين مما تقدم أن الإسلام منذ أربعة عشر قرناً، قد كشف لنا حقيقة مشكلة الفرد، وأنها تتمثل في عدم توافر حد الكفاية لكل فرد حسب زمانه ومكانه، وليس مجرد حد الكفاف، فالقضية ليست درجات من الغنى أو الفقر، وإنما هي قضية إنسان له احتياجاته الأصلية أو متطلباته التي يتعين أولاً وقبل كل شيء، إشباعها في إطار يحافظ على إنسانيته وينميها، ليكون بحق خليفة الله في أرضه بقوله – تعالى –:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(١٥).

وليكون صادقاً في عبادته، إذ كما عبر بحق المفكر الجزائري مالك بن نبي – رحمه الله تعالى –: «كيف أصلي وأنا جائع؟».

كما كشف لنا الإسلام عن سبب المشكلة ومردها، وأن القضية ليست قضية ندرة موارد أو أشكال الإنتاج السائدة، وإنما هي بنص القرآن:

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾(١٦).

أي مردها سلوك الإنسان نفسه سواء بظلمه إزاء أخيه الإنسان، أو بكفرانه النعمة إزاء الموارد الطبيعية.

لذلك كان الحل الإسلامي هو ضمان حد الكفاية لكل فرد يوفره لنفسه ولمن يعولهم بعمله وجهده، فإن لم يستطع ذلك لسبب خارج عن إرادته، كمرض أو عجز أو شيخوخة أو تعطل، تكفلت له بذلك الدولة من مال مؤسسة الزكاة التي انفرد الإسلام بإنشائها منذ أربعة عشر قرناً لتحرر الإنسان من عبودية الفقر والحاجة، وليخلص في عبادة الله وحده، ويكون بحق خليفته في الأرض. بل لقد رفع الإسلام من أمر الزكاة إلى مرتبة العبادة، فجعل أداءها في مرتبة أداء الصلاة. وأنه في حالة إذا لم تكف موارد الزكاة، بحسب النسب المقررة لها، لسد حاجة الفقراء، فإنها تحصل على ما يلزمها من بيت المال أخذاً من فضول الأغنياء.

٢ – ولقد عالج الإسلام كفران النعمة بما وضعه للإنتاج من أحكام، كما كفل محو الظلم بما وضعه للتوزيع من تعاليم. وكان له في ذلك حلوله الخاصة سواء بالنسبة للإنتاج أو بالنسبة للتوزيع، مما يميزه عن سائر المذاهب والنظم الوضعية، ونبينه فيما يلي:

---

(١٣) الأنفال (٦٠).
(١٤) الإسراء (٧٢).
(١٥) البقرة (٣٠).
(١٦) ابراهيم (٣٤).

(أ) بالنسبة للإنتاج: يدعو الإسلام إلى التعمير والتنمية الاقتصادية بقوله تعالى:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(١٧).

أي كلفكم بعمارتها، ويعتبر العمل والإنتاج والتنمية من ضروب العبادة، بل هو بنص الأحاديث النبوية من أفضل صورها. ولقد سوى الله - تعالى - بين المجاهدين في سبيل الله وبين الساعين على الرزق بقوله تعالى:

﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(١٨).

وبلغ حرص الإسلام على التنمية الاقتصادية وتعمير الدنيا أن قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة - أي شتلة - فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها فله بذلك أجر»(١٩). وهو في ذات الوقت ينذر بعذاب أليم الذين يكنزون المال أو يحبسونه عن الإنتاج والتداول، ويصف الكسالى والمستضعفين في الأرض بأنهم ظالموا أنفسهم وإن مأواهم جهنم وبئس المصير.

كذلك يستلزم الإسلام تنويع الإنتاج بحيث يشبع كافة احتياجات المجتمع، وإن كانت بعض الأحاديث النبوية تعتبر الصناعة والتجارة من أطيب الكسب وأهم أوجه النشاط الاقتصادي.

وهو إذ يشجع الكسب الحلال ويمجد الأغنياء بالعمل وبذل الجهد، فإنه ينهى عن الإنتاج الضار كالخمور، أو الكسب على حساب الآخرين كالربا، أو استغلال ظروف الناس كالاحتكار.

(ب) بالنسبة للتوزيع: يقرر الإسلام ضمان حد الكفاية لكل فرد باعتباره حق الله الذي يعلو فوق كل الحقوق، وبحيث لا يسمح بالغنى مع وجود الفقر والحرمان، وإنما يبدأ الغنى والتفاوت فيه بعد إزالة الفقر والقضاء على الحرمان. ومع ذلك فإن هذا التفاوت ليس مطلقا، بل هو تفاوت منضبط بالقدر الذي لا يخل بتوازن المجتمع، وذلك عن طريق منع التبذير والحجر على السفيه بقوله تعالى:

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾(٢٠).

وعن طريق تحريم الترف واعتباره إجراما بقوله تعالى:

﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾(٢١).

وكذا عن طريق اتخاذ الإجراءات اللازمة لإعادة التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع كلما افتقد أو اختل هذا التوازن إعمالاً لقوله تعالى:

﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾

(١٧) هود (٦١)

(١٨) المزمل (٢٠)

(١٩) مسند ابن عدي ٢٢٩٤/٦.

(٢٠) النساء (٥)

(٢١) هود (١١٦)

ولقد لخص الخليفة عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – سياسة الإسلام فى توزيع الثروة، وذلك فى عبارتين دقيقتين مشهورتين عنه:

**أولاهما**: قوله: «ما من أحد إلا وله فى هذا المال حق، الرجل وحاجته – أى كفايته – ثم الرجل وبلاؤه – أى عمله».

**وأخراهما**: قوله: «إنى حريص على ألا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجزنا تآسينا فى عيشنا حتى نستوى فى الكفاف».

ويذهب – رضى الله عنه – عام المجاعة سنة ١٨ هـ إلى أكثر من ذلك فيقول: «لو لم أجد للناس ما يسعهم إلا أن أدخل على كل بيت عدتهم – أى مثل عددهم، فيقاسموهم أنصاف بطونهم حتى يأتى الله بالحيا – أى المطر – لفعلت فإنهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم.

«وفى آخر أيام حياته، حين بدأت تظهر طبقة من كبار الأثرياء فى شبه الجزيرة العربية وخارجها، ولم يمتد به الأجل ليواجهها بما عرف عنه من حسم حيث طعن تلك الطعنة التى قضى بها، نقل عنه كلمته المشهورة: «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت، لأخذت فضول الأغنياء فرددتها على الفقراء»، وقوله: «والله لئن بقيت إلى الحول لألحقن أسفل الناس أعلاهم»، ولكن القدر لم يمهله وخلفه سيدنا عثمان بن عفان، – رضى الله عنه – ويلاحظ هنا دقة العبارة العمرية فهو يقول: «لأخذت فضول الأغنياء»، أى ما زاد عن حاجتهم، ولم يقل «لأخذت أموال الأغنياء»، ذلك لأن الإسلام لا يقر مصادرة الملكية الخاصة. كما يقول «لألحقن أسفل الناس بأعلاهم» ولم يقل «لألحقن أعلى الناس بأسفلهم» ذلك لأن الإسلام يحرص على إغناء الفقير دون إفقار الغنى.

ومن هنا يجمع فقهاء الإسلام على اعتبار الحاكم آثما إذا لم يوفر حد الكفاية لكل فرد أخذا مما زاد عن حاجة الأغنياء لقوله تعالى:

﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾(٢٢).

وقوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾(٢٣).

فاستخدم الله – تعالى – مصطلح «حق» ولم يقل «إحسان أو تبرع» وقوله تعالى:

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾(٢٤).

فلم يقل تعالى «ما اكتسبوا» وإنما فقط ﴿ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾ إذا كانوا أفرادا، ونصيب مما أفاء الله عليهم دولا. ومن ثم جاء الحديث النبوى صريحا: «تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم»، ولا يفهم من ذلك نزع الملكية أو الاستيلاء على أموال الناس، وإنما فقط «أخذ الفضل من الغنى بقدر كفاية الفقير»، إذ لا

---

(٢٢) الذاريات (١٩).

(٢٣) المعارج (٢٤:٢٥).

(٢٤) النساء (٣٢).



يتصور الإسلام أن يبيت فرد أو دولة على شبع وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم. وصدق الخليفة عمر بن الخطاب بقوله: «إن الله استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم ونوفر لهم أمنهم، فإن لم نفعل فلا طاعة لنا عليهم».

٣- وخلاصة القول إنه بحسب الإسلام، كل فرد اكتسب مالاً مشروعاً، أو كل دولة حباها الله بموارد وافرة، فإنه يكون لهذا الفرد وحده أو لتلك الدولة وحدها، السيادة على هذا المال أو تلك الموارد لا ينازعها فيها أحد يدعوى عدالة التوزيع.

إلا أنه مقابل ذلك، ولأن المال أصلا هو مال الله، والبشر - بنص القرآن - مستخلفون فيه ومسئولون عنه أمام الله، فإن يدهم على هذا المال أو الثروة هي يد أمانة، وملكيتهم لها هي مجرد وظيفة شرعية أو اجتماعية. ومن ثم فقد أوجب الله - تعالى - على كل فرد غنى، وبالمثل كل دولة غنية، التزامات معينة تتمثل في تقديم ما يزيد على حاجة الفرد الغنى أو الدولة الغنية إلى الفرد أو الدولة المحتاجة، وذلك دون حدود سوى ما يسد أو يكفى هذا الفرد أو تلك الدولة المحتاجة على أن يبدأ بالأقرب فالأقرب، وكل ذلك إعمالاً لقوله تعالى:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾(٢٥)

والعفو هنا هو الفضل، أى ما زاد على الحاجة، وقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾(٢٦).

وقول الرسول ﷺ: «من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له، ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له» ويضيف الرواة أن الرسول ﷺ ذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحدنا فى فضل.

ولقد صاغ الإمام الشافعى العلاقة بين الأغنياء والفقراء، أفرادا كانوا أو دولا فى عبارة دقيقة مشهورة عنه بقوله: «إن للفقراء أحقية استحقاق فى مال الغنى، حتى صار بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير». بينما ذهب الفقيه أحمد ابن على الدلجى فى ص ١٦ من كتابه «الفلاكة والمفلوكون» أى الفقر والفقراء إلى القول: «أن من حق المحروم أن يرى النعم التى بأيدى الناس مغصوبة، والمالك المستحق يطالب باسترداد ماله من أيدى الغاصبين». ومن قبلها صرخ الصحابى أبو ذر الغفارى قائلا: «عجبت لمن لا يجد قوت يومه، كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه».

هذا هو موقف الإسلام بالنسبة لأكبر مشكلة أو أكبر تحد يواجه دائما الإنسانية عبر مسارها وتاريخها الطويل.. بل هذا هو حق الإنسان فى الإسلام، الذى أكده منذ أربعة عشر قرنا، من حيث ضمان «حد الكفاية» لكل فرد، أيا كانت جنسيته أو ديانته، وذلك كحق إلهى مقدس يعلو فوق كل الحقوق، ولو أدى الأمر فى حالات الشح والندرة أو المجاعة، وهى ظروف استثنائية، أن يتساوى الجميع فى حد الكفاف. فأين ذلك من العالم المتقدم اليوم؟؟!!!.

نسأله تعالى السداد والتوفيق

---

(٢٥) البقرة (٢١٩)

(٢٦) البقرة (٢٣٧)






# الحج منحة ربانية

لفضيلة الشيخ
جاد الحق على جاد الحق

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

هذا الإنسان الذى استخلفه الله فى الأرض ليعمرها بالعبادة والعمل، العبادة للذى خلقه وسواه وكرمه وعدله فى أى صورة ما شاء ركبه، لم يخلقه مكبا على وجهه أو زاحفا على بطنه أو من ذوات الأربع، وإنما صوره منتصب القامة عالى الهامة، مزودا بالعقل مميزًا به عن سائر المخلوقات التى طوعها لخدمته، تحمل أثقاله، يستخدمها فى زراعته وفى صناعته ومنها غذاؤه، وكساؤه.

ولقد أتم الله عليه نعمته فكلفه بالعبادات التى تهذب نفسه، وتنمى عقله وفكره، ويروض بها سلوكه ويقوم معوجه وتستديم بها المودة فى مجتمعه، فالعبادات التى شرعها الله للناس كان من أبرز أهدافها ترويض المسلمين على الاجتماع والتلاقى فى ظل الرحمن، تعويدا لهم على ضم الصفوف واتحاد الكلمة وتجاوز أسباب الخلف والاختلاف ونزوات التمزق والشقاق.

ومن هذه العبادات فريضة الحج:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(١).

هذه الفريضة تهدف إلى معان سامية، وتدعو إلى التقاء القلوب، واتحاد الأفئدة، وتوثيق الروابط وجمع كلمة المسلمين الذين يتوافدون من مشارق الأرض ومغاربها استجابة لأمر الله ونزولا على حكمه:

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾(٢).

وها هي وفود المسلمين تترى إلى بيت الله الحرام تجمعهم غاية واحدة ويسعون إلى هدف واحد عبادة الله سبحانه استجابة لدعوته، يسارعون إلى أداء المناسك متجردين من زينة الحياة الدنيا من فاخر الملابس وطيب الطعام ولذة الراحة، يرجون رحمة الله، إنهم جاءوا شعثا غبرا يبسطون أيديهم وأرديتهم على عرفات داعين تلهج ألسنتهم بالذكر وقلوبهم مليئة بالشكر لله، الذي أنعم عليهم بأداء هذه الفريضة وزيارة بيته الحرام، يعلمون أن في الحج حرمتين: حرمة الزمان، وحرمة المكان، وبهما يقوى شعور المسلم بحرمة هذا الركن من أركان الإسلام: الحج، فيصبح المسلم ويمسي مرهف الحس قوي النفس، كأنما يتحرك بين يدي ربه، أني رحل كان في طاعة، يحاذر أن يعصي وهو في الحرم وفي الأشهر الحرم:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾(٣).

وحرمة المكان:

﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾(٤).

لما كانت هذه الفريضة تؤدى في زمان له حرمة ومكان له حرمة كانت المعصية فيها أغلظ وأشد، بل لقد ذهب فريق من العلماء إلى أن مجرد إرادة المعصية في هذه الرحلة الربانية أغلظ وأشد منها إذا وقعت في غير هذا المكان وذات الزمان يقول الله سبحانه:

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(٥)

فهل رأت الدنيا أمانا في الزمان والمكان وتدريبا عمليا على الاستقامة كهذا الذي صنعه الإسلام في فريضة الحج.

في الحج استشعار القلوب الطمأنينة والصفاء والنقاء والتخلي عن الحقد والبغض والحسد لأنها

---

(١) آل عمران (٩٧)

(٢) الحج (٢٧، ٢٨)

(٣) التوبة (٣٦)

(٤) النمل (٩١، ٩٢)

(٥) الحج (٢٥).

قد اجتمعت لعبادة جماعية فى مؤتمر عام يتساوى فيه الحجاج فى لباسهم وطوافهم وسعيهم وتجمعاتهم وابتهالاتهم وخشوعهم وخضوعهم ودعائهم لربهم. والله أكرم من أن يردهم خائبين.

روى ابن ماجه بسنده أن رسول الله ـ ﷺ قال ـ:

( الحجاج والعمار وفد الله ـ عز وجل ـ وزواره، إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم وإن شفعوا شفعوا )(٦).

ويقول الله ـ سبحانه ـ:

﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾(٧).

أليس الحج بهذا وغيره من المقاصد والأهداف منحة ربانية ومدرسة روحانية تصفو فيها القلوب وتتخلص من أدران الحياة؟

وأليس الحجاج وفود الرحمن يتعاونون على البر والطاعة ويتعارفون، ويتوادون ويتحابون مع بعد الأوطان واختلاف الألوان واللغات.

أليس الحج موسما لتنمية الصلات وتوثيق الروابط بين شعوب المسلمين وفيه مصلحة للفرد ولجماعة المسلمين؟ هلا أخذ المسلمون من هذه الفريضة ما ترمز إليه فى مناسكها؟ فالإحرام واللباس والتحركات الواحدة يعنى كل هذا وحدة المصير للأمة، والطواف حول الكعبة يعنى إلغاء كل ما يكون من محاور وجماعات وتوجهات والعكوف على محور واحد هو شرع الله رب البيت الذى شرع الطواف حوله، كما شرع التوجه إليه فى الصلاة قبلة لكافة المسلمين توحيدا وتلاقيا على موقع واحد من أهل ملة الإسلام كما اتحدت عقيدتهم وأقوالهم وأفعالهم أثناء عبادة الصلاة وتلك ميزتهم عمن سواهم.

إن من مقاصد الحج وأهدافه تحقيق الوجود الإسلامى الموحد وإظهار قوة المسلمين، فهل لهم أن يستفيدوا من هذه العبادة فى مواجهة ما أحاط بهم وأن يكونوا صفا واحدا كالبنيان المرصوص: اللهم اهد المسلمين إلى صراطك المستقيم واجمع كلمتهم وكن لهم ولا تكن عليهم فضلا منك ورحمة وانفع الأمة بهذه الدورة التدريبية فى الحج لتجتمع كلمتها ويشتد ساعدها وتسارع إلى ضبط النفس وتتسلح بالصبر وبالعفو حتى تواجه ما حاق بها فى هذا العصر وتجمعاته المناوئة لهذه الأمة.

إن الحج فريضة يؤاخذ الله فيها بمجرد: الهم:

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

قال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: ( لو أن رجلا بعدن هم بأن يعمل سيئة عند البيت أذاقه الله عذابا أليما ).

فكونوا أيها الحجاج على حذر من أية خطيئة وعليكم أن تشوخوا الطاعة ولاء لهذا البيت وحفاظا على ما أنعم الله به عليكم.

ففى الحج منافع ليست مقروءة فى كتاب ولكنها ممارسة فى واقع العمل الصالح الذى تهتدونه إلى هذا المقام، وليست المنافع دينية فحسب ولكنها شاملة للدين وللدنيا رحمة من الله وتوسعة على عباده.

---

(٦) أخرجه ابن ماجه

(٧) الحج (٣٢)

وفى قول الله ـ سبحانه ـ:

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ ففيه التدريب على الأعمال ووجوبه ضمانا لإحسانها وأدائها على وجهها سواء كانت للدين أو الدنيا. ولعلنا فى هذا نذكر من الآثار الكريمة للتدريب. (صلوا كما رأيتمونى أصلى)[8] وفى الحج: (خذوا عنى مناسككم)[9].

## مسارات السلوك فى الحج

فى موسم الحج ينبغى أن نتذاكر أدب السلوك السوى الذى شرعه الله ودعا إليه حتى يستقيم أمر المسلمين.

وللسلوك القويم مسارات تدعو بذاتها روادها إلى دروبها المعبدة الموصلة إلى رضا الله ونوال الحسنيين، الاستقامة فى الدين والدنيا وفى إيجاز نرتاد بعض هذه المسارات.

فهذا الأمن المكانى للحج هبة من الله ومنحة لزواريته يشير إليه قول الله ـ سبحانه ـ فى سورة البقرة:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾[10].

هذا الأمن أساس للاستقرار النفسى وقاعدة للاستمرار فى العبادة وتجويدها بالإخلاص والإنابة، وقد ارتبطت العقيدة بالمكان:

﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[11].

وأول مسارات السلوك ذلك الإحرام ومحظوراته حيث به يتغير ما اعتاده المسلم والمسلمة فى حياته اليومية من لباس ورياش وأحاديث إلى تجرد من ذلك كله وتسربل بسواتر للجسد خلصت من المخيط ومن كل ما يصنعه الإنسان من تجميل وزينة.

إن المسلم حين يتجرد مما اعتاده يكون قد انخلع جسدا ونفسا، ظاهرا وباطنا مما ارتبط به فى حياته اليومية من الشواغل البدنية والنفسية وتفرغ لهذه العبادة: الحج ومناسكه، ها هو يلبى، يكبر ويهلل، ها هو يتلو القرآن ويعرض نفسه وأعماله وسلوكه على آياته حتى يستبين درجته فى الطاعة لله.

ها هو يقاوم نزوات النفس ونزغات الشيطان، فيمسك اللسان عما حرم الله ويغض البصر امتثالا لأمر الله، ويملأ البصر والبصيرة بحرم الله، ها هو المسلم المحرم قد نسى أو تشاغل بحاضره مع ربه عما انشغل به من مال وولد، فحصر فكره وجهده وحاسب نفسه حتى لا يقع فى محظور أو يأتى عملا منكورا، إنه قد استمع إلى قول الله ـ سبحانه ـ:

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾[12].

فاستقرت نفسه بين جنبيه، فقد ضمن الله زاده وريه وطهوره، فما عليه إلا أن ينصرف إلى هذه المهمة: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴾.

---

(8) أخرجه البخارى.

(9) أخرجه أحمد ومسلم والنسائى.

(10) البقرة (125).

(11) البقرة (125).

(12) قريش (4).

إحرام متواصل يذكر الإنسان بمآله، فيخشع منه القلب ويقشعر البدن، وتنصهر الذنوب وتمحى، ويتخلص من عقدة الخطايا والذنوب والآثام: (من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)[13].

إن الإحرام وما يتبعه من انصهار وإخلاص وانصراف إلى العبادة كل العبادة مسار مستقيم نحو الأمن النفسي للفرد المسلم الذي ارتحل مهاجرا إلى الله مستجيبا دعوته:

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾

هذه الهجرة إلى الله تتوافر بها كل مقومات الأمان لنفس المسلم واطمئنانه حيث يتخلص من القلق والتوتر الذي عجزت عن معالجته ووقف آثاره، اجتهادات العلم المعاصر وعقاقيره، ولكنه الله الذي خلق فسوى شرع هذا الحج عبادة ورياضة جسدية ونفسية قوامها النية: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى..)[14] والإخلاص والتجرد لهذه العبادة.

ثم هذه الأخوة الإسلامية التي تتجلى في هذه الجموع التي حشدت ليوم الحج الأكبر من الذي ناداها؟ ومن الذي هداها؟ ومن الذي حركها من مأواها هذه الحشود المختلفة لونا ولسانا ولكنها تنشد رضا الله الواحد الأحد الذي

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[15].

إنها قد استمرات وعورة الطريق مهما كانت الوسيلة، وتعالت كل العوائق والموانع لتنعم بالمثول بين يدي الله في حرمه تطوف وتسعى كما أمر، وتلبي وتكبر وتهلل تخلصا مما ران على القلوب من قسوة الحياة ومتاعبها، وإخلاصا لله ولدينه، وشكرا وحمدا له سبحانه على هدايته إلى أداء هذه الفريضة ـ الحج ـ.

إن السلوك في الحج هو الثمرة الطيبة لهذه العبادة، إذ السلوك القويم ما هو إلا تلك المعاني السامية التي ينبغي أن تظهر باعتبارها المقاصد العظمى لهذه الشعيرة والتي رغب الرسول ﷺ في الحرص عليها والبعد عن خبائث السلوك ذلك قوله ﷺ: (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه)[16].

وهذا مصداق قول الله ـ سبحانه ـ:

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[17].

ذلك تأصيل من الله ورسوله لمسارات السلوك السوي في الحج ومن مقتضى هذا أن يباعد الحجيج بين أنفسهم وبين الرفث والفسوق والجدال في مسالك هذه العبادة، إذ كل أولئك

---

(13) أخرجه أحمد والبخاري.

(14) متفق عليه.

(15) الإخلاص (3، 4).

(16) أخرجه أحمد والبخاري والنسائي.

(17) البقرة (197).

من مدمرات مهلكات، مثيرات لنوازع الشرور التى غاضت حين تنادت الأنفس المؤمنة إلى اللقاء فى حرم الله الأمن تعبده لا تشرك به أحدا، وفى رحابه تشعر بالأخوة وتصر على تقوية أو اصرها، ولا تبددها بالجدال وبالرفث وبالفسوق.

إن مسارات السلوك فى الحج إذا استقامت على سنن الله ورسوله هديت إلى وعى أخلاقى سليم ليس فحسب فى مدة الحج وإنما صار هذا عرفا قويما وعادة مستقيمة وكسبا محمودا ثم تخليا عن منكرات السلوك التى لا يخلو منها مجتمع، فما بالنا بمجتمع الحج الذى توافدت إليه أجناس متباينة العادات والأعراف وإن جمعها الإسلام فى صلاته وصيامه وزكاته وحجه وفى ظل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

إن هذا الجمع - ولا شك جاء مهاجرا إلى الله وفى مرضاته - ينأى عن كل قبيح من الفعال والأقوال، وهو بهذا ينكر على أولئك الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا؟ فينكر المزاحمة فى هذه البقاع المقدسة، تلك المزاحمة المتعمدة من قبل البعض الذى لا يبالى بما يلحق الآخرين من أذى وضرر لاسيما الضعفاء كالنساء والأولاد والمسنين، وقد تحتمل المزاحمة الفردية، لأن آثارها محدودة ولكن المزاحمة الجماعية التى تقوم بها بعض الجماعات باندفاع رهيب مؤذ وغير متناسب مع جلال المكان والزمان والعبادة:

﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾

وأى فسوق بعد هذا التدافع بالمناكب الذى يتنافى مع ما يجب أن يكون عليه الحجيج من خشوع وخضوع وذكر وحمد وشكر، إذ هم فى الطواف وفى السعى، وفى الرمى فى عبادات ومناسك كالشأن فى الصلاة..

إن المسلم حين أحرم بالحج حرم على نفسه كل موبقة تعود به إلى ما قبل الإحرام فليتعاون الحجاج جميعا على أداء هذه المناسك وهم رحماء متراحمون وليعملوا بقول الرسول ﷺ (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من السماء)[18] وقوله ﷺ: (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف)[19].. وفى نهى الله ورسوله عن الرفث والفسوق والجدال فى الحج دعوة إلى الامتناع فى الحج عن مزاولة ما اعتاده الناس فى حياتهم اليومية من سباب وشتائم وتنابز بالألقاب مع من تعرف ومن لا تعرف، الأمر الذى يودى بالعلاقات الأخوية التى من مقاصد الحج التمكين لها بين المسلمين، وقد تكون الدواعى لهذه الآثام من توافه الأفعال وسواقط الأقوال.

فليأخذ الحجيج بآداب الإسلام وسلوكياته.

فلا سباب ولا شتائم فإن هذا من الفسوق كما جاء فى الحديث الشريف: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)[20].

ولا تنابز بالألقاب فقد اعتبره الله فى كتابه فسوقا:

﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾[21].

---

(١٨) أخرجه أبو داود والترمذى.

(١٩) أخرجه البخارى فى الأدب.

(٢٠) أخرجه أحمد والترمذى والنسائى.

(٢١) الحجرات (١١).

ولا تحاسد ولا تباغض ولا تدابر ففى الحديث الشريف: ( لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا )[٢٢] ولا انانية ولا شح بين المسلمين:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٢٣].

ولا كذب ولاخداع ولاشهادة زور فإن كل اولئك مما حرمه الإسلام فكيف به بين المهاجرين إلى الله ورسوله في رحلة الحج؟

إن وقت هذه الرحلة يجب أن يكون خالصا لله ـ سبحانه ـ يستثمر في الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن وذكر الله والتقرب إليه، لاسيما والعبادة فى هذه الأماكن جزيلة العطاء من الله ـ سبحانه ـ فصلاة الجماعة فى المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فى غيره وفى المسجد النبوى تعدل ألف صلاة فأين الحجاج من هذه الميزات والحرص عليها بدلا من اللغو والغيبة والنميمة، والسعى بالفساد فى الأرض:

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

ولعل من السلوك القويم أن يحرص الحجيج على طهارة أماكن الشعائر فإنها أماكن عبادة لا سيما وقد أمر الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ بتطهير البيت فقال:

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[٢٤].

فكيف يقدم بعض الحجاج على تدنيس البيت وحرمه وسائر اماكن المناسك دون حياء من الله ولا من الناس

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾[٢٥].

إن الإقدام على قضاء الحاجة والتبول فى تلك الأماكن وحولها بل وفى الشوارع والطرق العامة خروج وهتك لحرمات الله ونقض لاوامر رسول الله ﷺ فى آدابه ووصاياه لأمته فقد قال: « اتقوا اللاعنين » قالوا: « وما اللاعنان يا رسول الله » قال: « الذى يتخلى فى طريق الناس وفى ظلهم »[٢٦] وفى رواية اتقوا الملاعن الثلاثة: ( البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل ).

أليس هذا من سوء الفعال التى ينبغى ألا تصدر ممن أووا إلى حرم الله واستجابة لدعوته؟ أليس هذا منكرا وانتهاكا لحرمات الله، وإفسادا فى الأرض ومضارة للناس أصابهم بالنجس وفعل سوء يتنافى مع وصية الرسول ﷺ فى قوله: ( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه )[٢٧].

ها نحن فى الأشهر الحرم فى الأشهر المعلومات للحج وهذا توضيح لمسارات السلوك الحميد كما رسم الإسلام فى القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ وبضدها تتميز الأشياء، فلعل من تهيأ لأداء هذه الشعيرة أن يتزود لها وخير الزاد التقوى.

**من مختارات مجلة الأزهر عدد ذو القعدة ١٤١٠هـ**

---

(٢٢) أخرجه البخاري وابن ابى شيبة (٢٣) الحشر (٩) (٢٤) الحج (٢٦)
(٢٥) الحج (٣٠) (٢٦) أخرجه ابن حبان (٢٧) أخرجه البخاري

# ازدهار الإسلام فى العالم

في العهد النبوي العظيم دانت جزيرة العرب كلها للإسلام، وقضى أبو بكر خليفة رسول الله على حركة الردة بعد وفاة الرسول الأكرم سيد المرسلين، وخاتم النبيين بأعوام قلائل، حرر المسلمون بلاد الشام من سيطرة الرومان وبطشهم، ثم حرروا العراق من سيطرة الفرس وجبروتهم، وحرروا مصر والشمال الأفريقي كله من سيطرة بيزنطة - دولة الروم الشرقية - وقضى المسلمون على الوثنية وعبادة النار في فارس، وانتشر الإسلام شرقا إلى حدود الصين والهند، ثم فتحت الأندلس في أواخر القرن الأول الهجري، وصار للإسلام والمسلمين السيادة في الأرض وأصبحت دولة الإسلام ظاهرة غالبة منصورة، ترفرف رايتها في كل أفق، وفي كل جهة وصقع.

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

وهكذا خفقت راية الإسلام فى كل مكان، وكما فتحت الاندلس، فتحت بعد قرون القسطنطينية وسقط وكر من أوكار التآمر ضد الإسلام، كما سقطت أوكار كثيرة بعد معركة اليرموك والقادسية وذات الصوارى وغيرها من معارك الإسلام الكبرى من أجل القضاء على العبودية والوثنية فى الأرض.

انتشر الإسلام في العالم لأنه جاء من السماء لتحرير الإنسان، ورعاية حقوقه ولتحرير الشعوب من نير العبودية، وما كانت الحرب فى الإسلام إلا انتصارا للحق، وحماية للضعفاء والمستعبدين، وتحريراً للشعوب من الاضطهاد والظلم والهوان وإلا دفاعا عن الأوطان الإسلامية، والشعوب التى دخلت فى دين الله.

انتشر الإسلام، أو لنقل: انتصر الإسلام، فى كل مكان، وإذا كانت الحروب الصليبية، ثم حروب التتار قد أضعفت القوة الإسلامية قليلاً، فإن دعوة الإسلام سارت فى طريقها إلى كل مكان فى العالم، دعوة إلى الحرية والمساواة ودعوة إلى الإخاء، وحقوق الإنسان قبل دعوات أوروبا المدمرة باسم الحرية.. الحروب الصليبية كان يحركها باباوات روما[1]، وغزو التتار المدمر كانت القوى الصليبية هى المحرك

الأول لها[٢] من أجل بلوغهم الأهداف في تدمير العالم الإسلامي وإيقاف مسيرته، ويذكر التاريخ أن هيثون ملك أرمينية المسيحي سعى في إقناع خانجوخان المغولي (٦٤٦ - ٦٥٥هـ / ١٢٤٨ - ١٢٥٧م) بإرسال حملة بقيادة أخيه هولاكو لتدمير بغداد (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، كما سعى في تزويج ابن هولاكو من ابنة إمبراطور القسطنطينية المسيحي[٣].

ومن عجب أن تتآمر أوربا المسيحية مع الوثنية في كل مكان من أجل محاربة الإسلام بكل وسيلة ممكنة.

وقد قامت دولة الخزر في آسيا الوسطى في القرن الثاني والثالث الهجري بحركات التفاف كبيرة حول العالم الإسلامي الشرقي وفشلت في مساعيها الخطيرة.

ومع هذا كله فإن الملك البريطاني في أوفا (٧٥٧ - ٧٩٦م) قد اعتنق الإسلام، وسك نقودا عليها كلمة التوحيد بجانب اسمه وعليها كذلك تاريخ عام ٧٧٤م - أي ١٥٧ هـ في خلافة المنصور العباسي.[٤]

ويحدثنا التاريخ أن فلاديمير أمير كييف عاصمة روسيا قديما كان على الوثنية، ثم رغب في اعتناق دين سماوي، وعقد في بلاطه مناظرة بين دعاة يمثلون الأديان السماوية المعروفة، وقام كل داع بالدفاع عن دينه[٥] وشرح تعاليمه فحال بين فلاديمير وقبول الإسلام تحريم الخمر في الإسلام حيث أجاب بأن الشراب متعة الروس ولا حياة لهم بدونه، وكذلك أخفق اليهود الذين جاءوا من بلاد الخزر - في استمالته إلى ديانتهم، فبعد أن أصغى الأمير إلى حججهم سألهم: أين بلدكم، فأجابوا كاذبين: بيت المقدس، ولكن الله شتت شملنا في كافة أنحاء العالم غضبا منه علينا، فرد عليهم فلاديمير: إذا كان الله قد قطعكم من رحمته فهل تريدون منا اعتناق دينكم فنلقى نفس المصير.. ثم بعث الأمير عشرة من رجال دولته المشهود لهم بالحكمة وسداد الرأي، ووجههم إلى البلاد المختلفة ليدرسوا أمور دياناتها، ودونت هذه السفارات ملاحظاتها عن الأديان ومعتنقيها وكتبوا عن البلغار المسلمين أن أماكنهم حقيرة، ولكنهم أخذوا بمظاهر المسيحية في القسطنطينية فجهروا بها واعتنقوها عام ٩٨٨م - ٣٧٨هـ، وجهر الشعب كله بها.

ويحدثنا التاريخ كذلك أنه في عام ٣٠٩ هـ - ٩٢١م اتصل ملك الفولجا بالخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠هـ / ٩٠٨ - ٩٣٢م) حيث أرسل

(١) الحركة الصليبية لسعيد عبدالفتاح عاشور.

(٢) راجع: الدعوة إلى الإسلام، وتوماس أرنولد، ترجمة حسن إبراهيم حسن، وعبدالحميد عابدين.

(٣) المرجع السابق ص٣٦٠.

(٤) المجلة العربية، الرياض، عدد ربيع الثاني ١٤٠٩هـ نوفمبر ١٩٨٨م.

(٥) يماثل ذلك ما فعله بودين (١٥٢٠ - ١٥٩٦م) وهو فيلسوف فرنسي، ألف بحثاً عن الأديان بما فيها الإسلام، وهو حوار بين سبعة يمثلون عقائد مختلفة، ويقررون في النهاية ليس اتباع عقيدة بعينها من العقائد، ولكن أن يعيشوا معاً بإحسان وتسامح، والكتاب مطبوع في أوروبا لأول مرة عام ١٨٤١، راجع أ هـ. ميلتون، الثقافة الإسلامية.

إليه رسالة لكي يبعث المقتدر إليه من يرشده إلى الإسلام، فبعث له بابن فضلان وأسلم الملك وشعبه، وعاد ابن فضلان فكتب رحلته إلى البلاد التي رحل إليها، وهي بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، وهذه الرحلة نشرها المستشرق الروسي كراتشوفسكي وحققها ونشرها د. سامي الدهان.

وبعد أقل من نصف قرن مرت على تدمير بغداد اعتنق إمبراطور المغول غازان خان الإسلام هو وشعبه وذلك في الرابع من شعبان ٦٩٤هـ- يوليو ١٢٩٥م، وانتصر الإسلام بذلك انتصاراً شديداً، وقد سبق إسلام غازان خان هو وشعبه أن أسلم أحد سلاطين المغول بأرض فارس وهو تكودار خـــان (٦٨١-٦٨٣هـ/ ١٢٨٢-١٢٨٤م) وذلك في عهد السلطان قلاوون بمصر (٦٧٨-٦٨٩/ ١٢٧٩-١٢٩٠م). كما ذكر ذلك القلقشندي.[٦]

وتقوم اليوم الصهيونية العالمية بعملية التمييع التراث العربي والإسلامي في منطقة الشرق الأوسط على الرغم من تمسكها بتراثها الديني اليهودي[٧].

وفي فصل مثير من فصول التاريخ نشرت صنداي تايمز البريطانية قصة رواها مؤرخ صحفي إنجليزي ونشرتها صحيفة الأهرام المصرية في عددها ١١/١١/١٩٧٨ - الصفحة الخامسة، بعنوان «كادت بريطانيا تصبح إمارة إسلامية» قالت الأهرام:

كشف تاريخي فريد أثبت أن بريطانيا أوشكت ذات مرة أن تتحول إلى إمارة إسلامية عربية تابعة لسلطان المغرب والأندلس محمد الناصر أوائل القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) طواعية وباختيار الملك جون الأول الذي عرض أن يعتنق الإسلام هو ورجال بلاطه وشعبه، وأن يكون تابعا مخلصا للسلطان فقط إذا قبل السلطان أن يبسط عليه حمايته[٨].

يقول صاحب هذا الكشف: إن صاحب ذلك السجل التاريخي الذي دونت به هذه القصة هو المؤرخ الانجليزي الفذ «ماثيو باريس» الراهب في دير «سانت ألباني» الذي تفرغ لكتابة أحداث القرن الثالث عشر يوما بعد يوم تماما كما يفعل

---

(٦) صبح الأعشى ١/٦٥، ٦٨، ٢٣٧، ٣/٤٤٢.

(٧) الصفحة الثالثة من جريدة الحياة البيروتية عدد ١٥ نوفمبر ١٩٧٠. وتتلاقى الصهيونية في ذلك مع هدف أمريكا السياسي والعلمي والثقافي، وهو تمييع المبادئ، والعقائد الروحية والدينية في منطقة الشرق الأوسط (المرجع السابق نفسه) وليس هناك دولة تخشى الانتفاضات الإسلامية بمثل ما تخشاه روسيا، لأنها بدون المناطق الإسلامية التي ضمتها إليها لا تستطيع اقتصادياً أن تظل دولة كبرى (المرجع السابق نفسه)، وتتلاقى هذه الأهداف كلها في منطقة الشرق الأوسط لتعمل من أجل هذه الغاية.

(٨) صاحب هذا الكشف التاريخي هو الصحفي المؤرخ الإنجليزي (جابرييل روني) مؤلف كتاب: «الإنجليزي سفيرخان التتار.. من الأسقف الإنجليزي روبرت دي لندن، وخيانته منذ كان قسيس الاعتراف الخاص بالملك جون إلى أن أصبح الدبلوماسي والمترجم الخاص لأحد خانات التتار في منتصف القرن (١٣) الميلادي، وصحب الخان في إحدى حملاته الرهيبة على شرق أوروبا ضمن غزوات التتار عبر آسيا للعالمين الإسلامي والمسيحي في ذلك العصر. ويقول صاحب هذا الكشف انه عثر على القصة الكاملة لمحاولة الملك جون اعتناق الإسلام وتسليم مملكته إلى أمير مغربي يدعى محمد الناصر، وذلك هرباً من مشاكله السياسية الداخلية التي انتهت بهزيمته أمام البارونات والنبلاء، وتسليمه لهم الميثاق الأعظم (ماجنا كارتا) التي تعتبر أول وثيقة قامت عليها الديمقراطية البريطانية.

المؤرخون المسلمون والمصريون بعد العصر الفاطمي، وحتى عصر محمد على أى منذ المقريزى حتى الجبرتي.

ويؤكد «جابرييل» أنه ليس هناك ما يدعو إلى الشك فى هذه القصة لأن «ماثيو باريس» كان قد سمعها من فم بطلها شخصيا، وهذا البطل هو الأسقف «روبرت دى لندن» نفسه حينما كان لا يزال قسيس الاعتراف الخاص بالملك جون.

قال «روبرت دى لندن» لماثيو باريس: إنه كان أحد ثلاثة أرسلهم الملك جون في بعثة سرية إلى الأمير محمد الناصر عام ١٢١٣م (٦١٠هـ)، وكان الاثنان الآخران من رجال الدولة العسكريين وهما: البارون توماس هارد يخجتون، والبارون رالف فيتزنيوكولاس، وقد أرسل الملك قسيسه الخاص معهما حتى يضمن أن لا يخونه أو يفشي سره أحد البارونين وقد كلف الملك جون رئيس البعثة وهو البارون رالف - أمام البارون الثاني والقس روبرت بأن يقول للملك العظيم ملك إفريقيا والمغرب وأسبانيا بأنه على استعداد لأن يُسلّم الملك الناصر طواعية نفسه ومملكته، فإذا شاء الملك الناصر، فليأخذ هذه المملكة كولاية ضمن دولته، وكتب الملك جون خطابا بهذا المعنى أيضا سلمه البارون توماس للملك الناصر، وأخذ البارون - بمعاونة أحد المترجمين - يصف للملك الناصر - مستخدمًا فصاحته وبلاغته - ثراء أرض انجلترا وخصوبة حقولها وما يتمتع به أهلها من دراية ومهارة ومعرفتهم بثلاث لغات: اللاتينية والإنجليزية والفرنسية، بالإضافة إلى إتقانهم كل حرفة يدوية وميكانيكية أخرى.. إلا أن إجابة الملك الناصر المسلم كانت عاقلة ومتزنة بصورة غير عادية، فقد قال: لم يحدث لي أبداً أن قرأت أو سمعت عن ملك أو حاكم يمتلك هذه المملكة الثرية، وهي مملكة مطيعة لأوامره خاضعة له، ثم يتخلى بهذه الصورة عن سيادته وسلطانه بتحويله بلادا حرة إلى ولاية تابعة، وبأن يمنح لحاكم غريب ما هو ملك خاص له، ورفض الملك الناصر العرض بشدة وبصفة قاطعة.

ويصف ماثيو باريس نقلاً عن قسيس الملك جون أن الملك بكى بكاء مريرا الخيبة مسعاه بهذا الشكل حينما عاد رسله إليه، ولكنه كافأ قسيسه بأن عينه رئيسا لدير سانت الباني وهناك قابله ماثيو باريس وسمع منه القصة لكي يضمنها تاريخه، وكان روبرت دى لندن مكروها من رهبان الدير، فدفعوا للملك ٧٠٠ قطعة فضية مقابل عزله من رياسة الدير، وبعزله انهارت علاقة روبرت بالملك، فتخلى القسيس عن الملك، وانضم إلى أعدائه البارونات الذين انتزعوا من الملك الميثاق الأعظم بعد ذلك. وكان الملك جون قد اتفق مع بابا روما - وكانت الكنيسة الإنجليزية تابعة له في ذلك العصر - على معاقبة البارونات المتمردين والقساوسة المنضمين إليهم لأنهم زعزعوا سلطان الملك فاضعفوا الكنيسة بذلك ولهذا أمر الملك جون كنيسته بإصدار قرار بحرمان القسيس روبرت دى لندن ونفيه من انجلترا، ولكن روبرت هرب إلى آسيا وذهب إلى خان التتار «المغول» في منغوليا، وأصبح ممثله الدبلوماسي وترجمانه إلى أن عاد إلى أوربا فى إحدى الغزوات المدمرة ولا ريب في أنه كان صلة وثيقة بين بابا روما والأمبراطور المغولي.

ويضيء الفنان الأديب المعروف الأستاذ جمال قطب هذه القصة المثيرة بمقال نشره في إحدى

المجلات، وأظنها «آخر ساعة»، يقول بعنوان: «وكادت انجلترا تعتنق الإسلام»:

«عندما توفى ريتشارد الأول «قلب الأسد» خلفه على العرش أخوه الملك جون، الذى كانت أشد أزمة مرت به هى نزاعه مع البابا «أنسنت الثالث» حول الاختلاف على تعيين كبير الأساقفة فى انجلترا فقد اختار جون أحد أصدقائه المقربين لهذا المنصب الدينى الخطير بينما أصر البابا على تعيين راهب آخر يسمى «ستيفن لانجتون» ولكن الملك ضرب برغبة البابا عرض الحائط، وأصر على الاحتفاظ بالمنصب لصديقه دى جراى فغضب البابا وشرع فى وجه الملك سلاح «الحرمان» أى الطرد من عضوية الكنيسة، أى التجريد من المسيحية بكافة مظاهرها وشعائرها، وأن يتبرأ الجميع من المحروم وليس له سلطان عليهم. وأصدر البابا قرار الحرمان وأمعن الملك بدوره فى تعذيب رجال الدين والتنكيل بهم لوقوفهم فى صف البابا ممثل السلطة الدينية العليا وتمادى البابا فى حربه لجون، فأغرى ملك فرنسا بغزو انجلترا وبارك حملته، وعينه ملكا على انجلترا مع فرنسا وتلفت جون حوله فلم يجد من يناصره ضد البابا وفرنسا فاتجه صوب الأندلس وأرسل رسله إلى عبدالرحمن الناصر[٩] مستنجدا به، وتعهد ملك بريطانيا للناصر بأن يكون فى مقابل ذلك تابعا هو ودولته للدولة الإسلامية وبأن يرسل له جزية سنوية وأن يعتنق هو وأسرته وشعبه الإسلام. ولكن الناصر أبى ذلك».

ويسترسل أديبنا الفنان فيشوه صفحات تاريخ جون، وهو فى ذلك معذور لأن جميع المصادر الانجليزية شوهت تاريخه بسبب ما كان قد ترتب عليه من اعتناق الإسلام.

ونسترسل هنا لنذكر - مع صفحات التاريخ - «ماركو بولو» هذا الرحالة ابن البندقية الذى رحل إلى بخارى فالصين ليعيش ضيفا على الإمبراطور المغولى قبلاى خان وموظفا فى قصره، ووكيلا له فى عديد من المهمات السياسية، وحاكما لمدينة «يانغ تشو» الصينية، وأصبح والد ماركو بولو وعمه مستشارين عسكريين للامبراطور المغولى يرسمان له خطط غزو بغداد وتدميرها والاستيلاء على امبراطورية الخلافة العباسية، ثم رحلا عام ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٢م مرافقين لأميرة صينية فى رحلة بحرية إلى فارس، ومن فارس عادا إلى البندقية وواصل ماركوبولو عمله فى خدمة الإمبراطور مظهرا كل الولاء له، وكان الواسطة الخطيرة بين بابا روما والامبراطور وهو الذى زين له حملة أخيه وشقيقه هولاكو العسكرية للاستيلاء على دولة الخلافة وتدمير بغداد وبعد أن تحققت أحلامه عاد إلى البندقية عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م وكتب رحلته «التى ترجمت وطبعت فى القاهرة حيث صدرت عن الهيئة العامة للكتاب فى أربعة أجزاء» ورحلة ماركوبولو هى التى أضاءت الطريق للاستعمار الغربى لغزو الهند وسيلان وبورما وغيرها والخرائط التى رسمها ماركو بولو هى التى سار عليها كولومبوس حتى قادته هذه المسيرة إلى اكتشاف أمريكا.

---

(٩) يخطئ الكاتب فى ذلك، لأن جون إنما اتجه إلى المغرب وإلى السلطان الناصر.

وبعد ذلك كله لمحة من مشاهد مسيرة الإسلام في دنيا الأمس تعرفنا بأشياء كثيرة عن انتشاره وانتشار دعوته في العالم قرونا طويلة، وما انتشر الإسلام إلا بفضل الله وبما جاء به من مبادئ التوحيد والحق والعدل والقوة والخير والجمال(١٠).

هذه المبادئ كلها التي اعترف بها ولى عهد انجلترا النبيل الأمير تشارلز الذي قال في محاضرة له في أكسفورد في نوفمبر ١٩٩٣م، والذي جاء فيها:

– إن سوء الفهم بين الإسلام والغرب لا يزال مستمرا.

– الوقت ليس متأخرا لأن يقوم الإسلام والغرب بتوحيد قواهما من أجل الصالح الإنساني المشترك.

– من الغريب أن يستمر عدم الفهم بين الإسلام والغرب لأن ما يربط بين العالمين أقوى مما يفرق بيننا بكثير.

– يشترك الإسلام والمسيحية في رؤية أن الحياة على الأرض هي فترة انتقالية وفي الجزاء على أعمالنا وفي الثقة في الحياة الأخروية.

– نحن نشترك في العديد من القيم الأساسية: احترام: للعلم، للعدالة، للتعاطف مع الفقراء، أهمية الحياة العائلية، احترام الأبوين.

– العالم الإسلامي في العصور الوسطى من أواسط آسيا وحتى سواحل الأطلسي كان مزدهرا بالمفكرين والعلماء، ولقد قللنا من أهمية ثمانمائة عام من المجتمع والثقافة الإسلامية في أسبانيا. ولم تكتف أسبانيا المسلمة بجمع وحفظ المحتوى الثقافي لليونان القديمة وللحضارة الرومانية فحسب، وإنما فسرت وطورت تلك الحضارة وأضافت إسهاماتها الحيوية الخاصة في عدد من حقول المعرفة الإنسانية. لقد كان الإسلام جزءا من أوربا في أسبانيا ثم البلقان، فالإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا في جميع حقول النشاط الإنساني، وهو الذي ساعدنا على خلق أوربا الحديثة، إنه جزء من تراثنا وليس معزولا عنا.



الأمير تشارلز

– بإمكان الإسلام أن يعلمنا المنهج الذي نعيش به في عالم افتقرت فيه المسيحية بفعل ما فقدته.

– الإسلام يرفض فصل الإنسان عن الطبيعة وفصل الدين عن العلم، والفكر عن المادة.

وينادي الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا بحوار الحضارات نابذا فكرة صراعها.. حفظا للسلام العالمي.

وبعد، فلسوف يبقى الإسلام في الأرض، محفوظا برعاية الله، ليبذر في الأرض بذور العدل والرحمة والخير والسلام، وليضيء الحياة بنور الإيمان والحب والرخاء.

(١٠) راجع كتاب السر في انتشار الإسلام للشيخ محمد عرفة ط ١٩٣١، رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ط ١٣٢٦هـ.

# الإسلام .. وقضية الشكل والمضمون

للأستاذ الدكتور/ صابر أحمد العزب

**ربما يثير هذا العنوان: (الإسلام.. وقضية الشكل والمضمون).. إشكالية فكرية لاتلبث أن تزول، لأن مصطلح (الشكل والمضمون) مصطلح أدبي نقدي يعالج به الفكر الفنى الناقد بعض المحاولات الغاشمة التى تريد أن تعزل - فى العمل الفنى - بين ماهو شكل محض، وماهو مضمون محض، مع بداهة أن مجرد تصور شكل خاو من المضمون، أو مضمون عار من الشكل، تصور باطل تماما، على الأقل فى العمل الفنى الذى يتدامج فيه الشكل والمضمون تدامجاً عضوياً يبطل معه أى تصور لوجود أحدهما فى غياب الآخر.**

وفى يقينى أن قضية التدامج العضوى بين الشكل والمضمون فى الإسلام قضية أولية، ربما بتعديل طفيف ينقلها من التوجه إلى قضايا الإبداع فى الفن إلى قضايا السلوك العقيدى فى المسلم.

فالمسلم الذى يمارس الإسلام شكلا بلامضمون مسلم مرفوض منذ البداية، فلا اللحى المرسلة، ولا المسابح الطويلة، ولا تمتمات الشفاه بلا ملل، ولا العكوف على لزوم المسجد، ولا استثبات زبيبة الصلاة فى الوجه، ولا التشنج الزاعق كلما عرضت آية.. يمكن أن تكون دلالة وجود إيمانى إذا كانت لا تترجم موقفا سلوكيا شاملا يتعامل به هؤلاء مع الواقع، ومع الإنسان، ومع الكون، ومع الله.. وربما كان حصاد الوجود التاريخى لهؤلاء الرجال الجُوف أوبل على مسار الحركة العقيدية من حصاد الوجود التاريخى للملاحدة والرافضة والمارقة غير المقنَّعين.. لأن لدى الجماهير المسلمة حصانة طبيعية ضد هؤلاء وانخداعا ساذجا بمظهرية أولئك.. ومن هنا تصبح خطورة الوجود المسلم الخادع أفدح بكثير لأن الذين يتلقون عنه يخيّل إليهم أنهم يتلقون عن منهج إسلامى صحيح، ومتى فشت هذه الظاهرة وتمددت بجذورها الوبيلة فى التربة التاريخية المسلمة، فقد يمكن أن تشكل واحدا من محاور الاقتلاع العقيدى، أو تزييف ما يمارس الجيل المسلم على الأقل من إيمان..!!

ولو أننا أحصينا أحجام الإحباطات التى يغرزها سلوك هؤلاء الجاهلين بالدين الذين



يبالغون في التزام الشكل ويهدرون مبالغين كذلك قيمة المضمون، لعرفنا إلى اى مدى تكون فداحة هذا النمط السلوكي، وإلى اى مدى كذلك تكون تأثيراتهم الباهظة في حركة المد الإسلامي الذى يحسرونه عن الفعل الحقيقي بهذه الانفصامية السوداء!!

ولنتصور تاجراً.. أو طبيباً.. أو رائداً دينياً.. يلتزم حرفية الشكل الديني ويبالغ في احتذاء النمط الخارجي الذى يومىء إلى جنسية التزامه العقيدي.. ولنتصور أننا تعاملنا معه.. فوجدناه تاجرا غاشا، أو طبيبا وحشاً، أو رجل دين بلا دين.. ماذا يمكن ان يكون رد الفعل الذى يصيبنا من سلوكيات هؤلاء؟ اوشك ان اؤكد ان الشكل هنا يستحيل ليس إلى لعنة ذاتية، فتلك جريمة محتملة، وإنما إلى اتهام ظالم يتوجه باصابع الإدانة إلى الدين عند كثير ممن لايتعمقون النظر أو يصححون الحكم.. وهذا هو المخيف!!

والمذهل أننا نعايش هذه الظاهرة الوبيلة ولا نجسر على فضحها، أو الإيماء الرافض إليها، ربما لأننا اقصر قامة من ان نجهر بقضية الحق الذى هو جوهر الإيمان وربما لان فينا نحن ملامح من هذه الظاهرة الوبيلة، وبلا شعور نمارس لونا من خداع الذات أو تلهيتها عن جنوحها السلوكي.. ولن يغفر التاريخ لنا هذه الوضعية الدميمة، لان المدخل إلى كل هزائم التاريخ يبدا من هنا: من نقطة ان نرى المأساة ونغنّي، أو من نقطة ان نراها ونحجب رؤيتنا بايدينا حتى نهرب من بطولة الشهادة.. أو من نقطة ان نرى ونمتلك الوعي بما نرى، ولكننا نحاصر هذا الوعي الفاهم باسوار غليظة من اللامبالاة السيئة.. وفي كل وضعية من هذه الوضعيات هوة تحفر قراراتها بايدينا، وتجهض في ظلامها التاريخي كل ما نحتاز من انتصارات!!

نحن المسلمين نصاب بالإحباط حين نرسم لهؤلاء صورة عقيدية ملتزمة، ثم نفاجأ باهتراء هذه الصورة عند اول ممارسة حياتية تصل بيننا وبينهم. وتنكشف أمامنا عن عالم دميم يسكنه هؤلاء المتاجرون بالشكل..

اما غير المسلمين الذين يتوقون إلى الإسلام كحركة عقيدية تحتوى الآن والما بعد وتمارس الدين والدنيا، وتزاوج بين الكلمة والفعل، وتوحد الجوهر والإطار وتتعامل مع الواقع اليومي كأنها تقرأ من كتاب الله، ومع كتاب الله كأنهاتلمس به مفردات الأشياء.. فإن إحباطهم يوشك ان يكون افدح، إذا ما صادفوا هذه النماذج الرديئة التى ترجم الهواء بالكلام، وتعجز ان تعطى حتى ذرّة من الفعل الوسيم.. لان غير المسلمين الذين يتوقون إلى الإسلام يفرون إليه من جحيم واقع غليظ، يدوس على كثير من قيم الحق والخير والجمال، ويحاصر إنسانية إنسانه في واقع مادي لا يتنفس هواء القيم، ولا يتيح لهذا الواقع ان يكون أعلى من ذاته حتى بقياس ضئيل.. فإذا صادفوا هنا في هذه النوعية مثل هذا الانحدار السلوكي الذى يَشمُّوا منه هناك اصيبوا تماما بمحنة الإحباط وتمزق الآمال..!!

إن غزو الإسلام للعالم كان بإهداء هذا العالم نوعية من الرجال والنساء جسّدت مضامينه بلا خطابة وبلا وضعيات مظهرية خالية لان هذه النوعية كانت بؤر إشعاع حقيقي بما تمارس من فعل تواصلت فيه دورات المثال والواقع، فكان



جذبها الخارق أقوى من أن تكفه معاندة غاشمة، أو يكبحه شرود عرقي مريض..

ومن هنا نبع إيمانهم بهذه الحكمة الجليلة:

«فعل رجل في ألف رجل، أجدى من قول ألف رجل في رجل».

وكان حرصهم الحريص على أن يكونوا هم أول ضحايا نداءاتهم إذا حزب الأمر، وآخر حاصدي ثمراتها إذا أفاء عليهم التاريخ.. كان جريحهم يؤثر صاحبه بحسوة من الماء وهو صديان.. وكان جائعهم يقدم زاده للوافدين وهو عاصب بطنه بحجر.. وكان قائدهم يعانق الصدمة الأولى ويرفض أن يظل على سرير القرار.. وكانوا كما قيل فيهم بحق:

(رهبان بالليل . وفرسان بالنهار). بكل ما يحمل هذا القول من عناق القيمة والفعل في جدلية تاريخية رائعة..

هل هذه دعوة إلى تفريغ المسلم المعاصر من مضمونه المادى، وإحالته إلى ربانى جديد؟؟ ربانى نعم.. ولكن تفريغه من مضمونه المادى غير وارد على الإطلاق، فليس هناك دين -غير الإسلام- احتفى بالمادة احتفاءه بها، أو دفع أتباعه إلى الحلول في التاريخ كما فعل، ولكن دفعه واحتفاءه جميعا كانا يتمان من خلال شمولية تضع المثال فى قلب الواقع، والنموذج في تلافيف التطبيق، والفعل في واجهة القول، لأن انشطار المعادلة إلى شكل منخوب، ومضمون مجرد، يحيل المعادلة ذاتها في النهاية إلى صفر كبير، والإسلام إيجاب ومعادلة صوابية لا بد أن تنجب نتيجة بحجم عطائها العريض.. والعجيب أن القرآن الكريم يقرن في نداءاته دائما بين الإيمان والعمل، ولكننا نؤثر الأخذ بجانب الإيمان غير المكلف، ونتعامى عن حقيقة أن مثل هذا الإيمان مرفوض، لأن الإيمان كما حدده حامل لواء هذه الدعوة هو: «ما وقر في القلب وصدَّقه العمل».

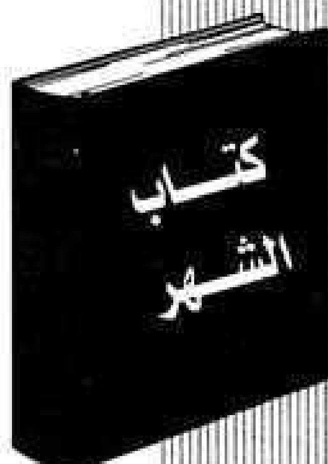
هل هي إذن دعوة إلى عصمة غير مستطاعة؟؟؟

أبدا، فنحن أول من يؤمن بحتمية الخطأ الآدمي، وبحتمية القصور الآدمي كذلك، ولكننا نؤمن أيضاً بأن الخطأ الآدمي ليس القاعدة، وبأن القصور الآدمي لا ينبغي أن يظل هو القاعدة، ففي وسع البشر متى شارفوا إيمانهم العقيدى أن يوائموا بين الشكل والمضمون من جهة، وأن يحققوا في ذواتهم قدر مايستطيعونه بلا ادعاءات، وأن يقفوا في قضية السلوك عند حد لا يجوز التنازل عنه. من ضرورة تقديم الحب على الكراهية، والتآزر على الافتراس، والمناصحة على الختل، والمواجهة على الكذب، والمشاركة على الأنانية، والود على قطع الأنامل.

وإذن فالذين يفهمون الإسلام شعارات لاسلوكا، مرضى ينبغي أن يعالجوا من صرع التخيل الأصفر..

والذين يأخذون الإسلام شكلا لا مضمونا، مرضى ينبغي أن يعالجوا من سوداوية الانفصام الرهيب.

والذين يركضون إلى غد إسلامي يتعانق في ساحاته الشعار والسلوك، والمضمون والشكل، والمحتوى والإطار.. هم وحدهم أمل هذه الدعوة، وهم فرسانها القادمون من عصور الغياب على صهوات فَهْم حقيقي تفرش له الدروب بالحب والدماء!!!



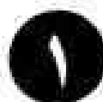

# حوار الحضارات

تأليف

رجاء جارودى

تعريب

د. عادل العوا




## عرض وتحليل ونقد

للأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

منذ بدايات النصف الثاني من القرن العشرين تزايد اشتغال المفكرين والسياسيين بعقد الموازنات بين أمم الأرض، وإسهامات كل أمة في تحضير البشرية على مدى العصور المختلفة المتوجة بالعصر الحديث.

وقد واكب هذا خروج العالم من الحرب الكونية الثانية، وبدء التفرغ لجنى ثمارها، بما فرضه ذلك من الدخول في صراع آخر، يكاد لا يقل ضراوة عن صراع المتحاربين منذ ١٩٣٩ الى سنة ١٩٤٥، بيد أن هذا الصراع الأخير أطلق عليه (الحرب الباردة)، وهي حرب - وإن لم تخلف هذه الآلاف من القتلى، والعديد من المدن المهدمة، والمزارع المبادة - خلفت تشويها في الفكر، وزيفا في المعتقدات، وخداعا في الآراء وتحولا حادا في القيم والأخلاق.

وكان أبرز ثمار هذه الحرب توسيع الهوة الفاصلة، بين الدول والشعوب، تلك الهوة التي قسمت العالم - على وجه الإجمال - قسمين، عالم سيد، وعالم مسود، أو عالم مستعمِر، وعالم مستعمَر، أو عالم مالك وعالم مملوك، أو عالم غنى وعالم نام.

وفي ظل هذا الشعور بالعلو والسيادة، وما يقابله من الشعور بالدونية والعوز.. سادت أفكار تولدت في رأس الأقوى، وهيمنت على مشاعره، وتحكمت في عواطفه، تفرض أن كل ما يصدر عنه هو الأفضل، وهو الأصح، وهو الدواء الناجع لإصلاح كل فاسد، وعلاج كل عليل، أيا كان موقعه، وأيا كانت ظروفه.


رجاء جارودي

ومن هنا.. قر في معتقد الغربيين أنهم محور الكون جميعه، وأن على الآخرين أن يدوروا في هذا المحور، وإلا أصيب الكون بالبوار، ولذلك فإن عقاب من تسول له نفسه أن يخرج على هذا المعتقد الهلاك السريع؛ لأنه - بخروجه - كأنه يدمر الكون، ويخل بنظام الحياة المستقرة الآمنة.

وسرعان ما سرى هذا المعتقد الغربي، فانتشر بين كثير من أبناء العالم الثاني - العالم النامي - لا عن اقتناع منهم، ولكن عن توهم أن ما صدر عن السادة فهو الصدق الذي لا ينقض، وهو الصحيح الذي لا يمارى فيه.. وبذلك تأكد لدى هؤلاء السادة الغربيين أن لهم قواعد تكمن بين العالم النامي من أبنائه، تنوب عنهم في التبشير بمعتقدهم، والدفاع عنه كلما دعت الحاجة، وظهر من تسول له نفسه أن يشك في سيادتهم، أو أن يتجرأ على سلطانهم! فكأن فرعون يبعث وعاد إلى الظهور بزعمه أنه الرب الأعلى بحجة ما يحوزه من ثراء وسلطان؛ فأخذ الإنسان الغربي الأبيض يردد في كل محفل ما قاله فرعون من قبل :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[1]

وتطور بهذا الزعم، فقال :

---

(١) القصص (٣٨)

﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾(٢) داعمـا زعمـه الكاذب بسعة ما أوتيه من مال وملك، فقال :

﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(٣).

مغمضا عينيه وأعين الآخرين عما تستلزمه الألوهية من قدرة مطلقة، ليخدع نفسه ويخدع الآخرين بما أوتيه من ملك ومال، يوشك في لحظة أن يكون وبالا عليه وعلى من معه.

ومع القرار على هذا المعتقد وإذاعته بكل الوسائل الخادعة. أملى على الجميع أن الغرب - أو الإنسان الأبيض - هو مصدر الخير للبشرية كلها، وهو صانع الحضارات، وأن على الآخرين أن ينعموا فى ظل حضارة الأسياد، وأن لا يتطلعوا إلى غيرها، وإلا كانوا مصدر قلق، وموطن إزعاج يخشى منه على العالم، لأنه يصارع الحضارة، فيجب مقاومته، مادام قد تجرأ على الأسياد، ورفض حضارتهم ونعيمهم، كما صنع فرعون من قبل مع موسى ومن تابعه:

﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾(٤)

وقال هو وأتباعه :

﴿ اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴾(٥).

فما إن تحلل بناء الاتحاد السوفيتى الذى كان بقوته النووية يشغل البيض الغربيين، وما إن تأكد هؤلاء الغربيون أنهم أمنوا جانبه، ولم يعد مصدر قلق لسيادتهم، حتى تلفتوا باحثين عما يتوقع منه الخروج عن سلطانهم الممتد، فرأوا فى الإسلام تلك القوة الذاتية والقوة المادية التى يخشى جانبها، بما لديها من تراث حضارى فعال، يمكن أن يكشف عوار حضارتهم وزيفها، إذا ما تهيأ للإنسان العصرى أن يوازن بين الحضارتين.

## لسان الحق أقوى

وعلى الرغم من صيحات بعض الغربيين البيض التى علت فى الأونة الأخيرة تستعدى الغربيين على الإسلام، وتخيف الآخرين منه، بدعوى أن الإسلام يضاد الحضارة الغربية الحديثة التى تكفل للإنسان من أسباب الترف والنعيم ما لم يكن يحلم به أحد.. على الرغم من تلك الصيحات المحمومة - بل المسعورة - نهض واحد من مفكرى الغرب المعتدلين ليدفع هذا الاتهام الجائر، ويكشف حقيقة الإنسان الغربى، وما صدر عنه من جرائم، وما تنطوى عليه حضارته المزعومة من شراك وخدع، قصد بها تمكين قبضته من عنق الإنسان غير الأبيض، حتى يظل عبدا له، محتاجا له، لا يملك إلا أن يدور فى محوره.

أما هذا المفكر فهو الفيلسوف الفرنسى ( روجيه جارودى ) الذى أصبح اسمه بعد إسلامه ( رجاء )، والذى بدأ تعرفه على الإسلام حين اعتقل فى مارس سنة ١٩٤١ لمقاومته الهتلرية، وكان معتقله وزملائه فى ( جلفة ) جنوبى ( الجزائر ).

---

(٢) النازعات (٢٤).
(٣) الزخرف (٥١).
(٤) الشعراء (٢٧).
(٥) غافر (٢٥).



ومنذ انطلق سراحه أخذ نفسه بالتجول في بلدان العالم الإسلامي وغير الإسلامي في قارتي آسيا وأفريقيا، فاكتشف الحقيقة التي عمل الغربيون على إخفائها وطمس معالمها، وهي أن الحضارة الغربية زيف، وأن منابع الغرب ( الإغريقية، والرومانية، والمسيحية ) إنما ولدت في آسيا وفي أفريقية، فكان هذا الكشف من الدوافع التي قادته إلى تقديم كتابه ( حوار الحضارات ).

وأما كتاب ( حوار الحضارات ) فهو من تعريب الدكتور عادل العوا، وطبع ( عويدات للنشر والطباعة بيروت - لبنان )، وتشمل الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٩ من الكتاب على ثلاثين ومائتي صفحة من القطع المتوسط، تضم مقدمة، ومدخلا، وخمسة فصول، وخاتمة.

## الغرب المعاصر هو الشر الأبيض

من البداية يتضح أن المؤلف انتزع نفسه من براثن التعصب الأعمى، فوقف على الأعراف بين الغرب والشرق صائحا : إنني لأرجو أن يسهم هذا الكتاب في توسيع ذلك الحوار وتعميقه، والاستعاضة عن هيمنة ( الغرب ) الثقافية المفروضة خلال أربعة قرون من الاستعمار، وتجربة سيمفونية، هي تجربة الثقافة العالمية الشاملة.

ويدعم المؤلف رؤيته وصيحته تلك بما استعرضه في المدخل ( شهادة تجربة عالمية ) حيث يذكر أن الغرب عارض طارئ، وأن عبارة ( الشر الأبيض ) هي العبارة التي يطلقها على هذا الجانب من الدور المشئوم الذي نهض به الإنسان الأبيض في التاريخ، وأن الرؤية الخالصة تقرر أن منابع الغرب ( الإغريقية والرومانية والمسيحية ) إنما ولدت في آسيا وأفريقية، وأن عصر النهضة قد هدم حضارات أسمى من حضارات الغرب باعتبار علاقات الإنسان فيها بالطبيعة، وبالمجتمع، وبالإلهي، وأن ابتكار مستقبل حقيقي يقتضي العثور مجددا على جميع أبعاد الإنسان التي نمت في الحضارات والثقافات اللا غربية.

ويبين المؤلف أنه حصل على رؤيته تلك بعد أن حلق فوق ذرى العالم كلها، واجتاز كل الأبواب، وتأمل في جميع المرتفعات التي أبدعها الإنسان، وما يحلم به البشر هناك من المشاريع الإنسانية المستقبلية، فاجتمع إليه ما تعلمه من أساتذته الغربيين، وما قرأه في كتب الإنسان المقدسة من ( زاندافستا ) الزرادشتيين في إيران، وملحمة ( كلكامش ) عن ( الخليج العربي ). و( باغافاد - جيتا )، وملحمة ( رامايانا ) في دلهي وفي ( كاتماندو )، و( طاو - ته - كينغ ) لـ ( لاو - تسي )، كما قرأ ( بوبول - فو ) ( للمايا )، وقرأ القرآن، مثلما قرأ التوراة، إلى غير ذلك من مصادر النور التي كان أناس عصرنا يمتحون منها معنى وجودهم، وترتدي كل قارة وجهها الإنساني، وقد ضم المؤلف إلى ذلك ما وقف عليه في أميركا اللاتينية، وفي أفريقية من مصادر التراث المكتوب، والمنقوش، والمعاش، فتوفرت لديه تلك الرؤية الكاشفة لحقيقة الغرب وحضارته، ومنابع تلك الحضارة.

## (الغرب بدء مطلق) : وهم كاذب

وفى الفصل الأول ( بلد الفسق وأساطيره «عقدة مارثون» ) استعرض المؤلف العوامل التى كانت وراء فرصة الهيمنة الغربية، والتى أثمرت الوهم الكاذب القائل أن الغرب بدءٌ مطلق،منطلقا فى استعراضه ذلك من تأكيد ( بول فاليرى ) أن أوروبا وليدة تقاليد ثلاثة هى : ( المسيحية الكاثوليكية فى المجال الأخلاقى، والقانون الرومانى فى مجال الحقوق والسياسة والدولة، والتقليد الإغريقى فى ميدان الفكر والفن)، لافتا النظر إلى أن قصد التزييف فرض على الأوروبيين أن يقفوا عند حدود ما أكده ( بول فاليرى )، ولو أنهم أرادوا إنصاف الحقيقة لبحثوا عن منابع هذه التقاليد الثلاثة التى تولدت عنها الحضارة الأوروبية، ولكنهم أغفلوا ذلك عن عمد ليخلص لهم الزعم أن حضارة الغرب إنما انبجست انبجاس كائن فريد وحيد، بنوع من معجزة تاريخية.

ولو أنهم بحثوا عن منابع هذه التقاليد الثلاثة لتبين لهم أن ما عرف باسم ( الغرب ) إنما ولد فى ( ما بين النهرين ) وفى ( مصر )، أى ولد فى آسيا وأفريقية.

ومن هنا.. يأخذ المؤلف فى الكشف عن منابع التقاليد الثلاثة، فيستعرض دور كل تقليد فى حضارة الغرب، وبدء تأثر الغرب به، وأصل هذا التقليد، ومصدره ليخلص من ذلك إلى أن رؤية العالم التى نعتبرها غربية ترجع بتاريخها إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، وهى ترتدى شكلها خارج أوروبا فى مصر، وفى بلاد الرافدين.

## الزيف المفضوح

ثم يأخذ المؤلف فى الكشف عما أصاب هذه التقاليد من تغيير على أيدى الغرب، فانحرف الغربى بها عن مسارها الإنسانى، حيث أراد أن يكون سيد الطبيعة المطلق، معتزا بفرديته وفكره المجرد، غير مبال بانفصامه عن الرؤية الشرقية التى تؤلف بين حب الطبيعة وبين التقوى؛ فنجم عن ذلك إفقار الإنسان.

وكانت ثمرة هذا الانفصام أن أصبح هذا الغربى بمذهبه الثنائى، وبفرديته استثناء بائسا فى الملحمة الإنسانية التى بدأت قبل ثلاثة ملايين سنة فى أفريقية، والتى استمرت خلال ستين قرنا فى جميع القارات حتى عصر النهضة الغربية.. أصبح الغرب منفردا بامتلاك أسلحة أكثر تدميرا، فاستعبد العالم، وسيطر عليه، بعد أن خنق جميع الثقافات الأخرى.

والمؤلف يرجع هذا الانفصام إلى عصر وفكر ( بروتاغوراس )، و( أوربيد )، وسقراط، و( أفلاطون ) الذى سعى إلى أن يوحى بنظرياته لطاغية ( سيراقوزه ). حتى كان ( الإسكندر المقدونى ) الذى عمل على أن يفرض نفسه على الناس قاطبة، فجعل الغرب يعى وحدته، ويصبح توسعيا.

وفى ظل هذا المنطلق المؤرخون الرسميون – وفى مقدمتهم هيرودوت – يزيفون منظور التاريخ العام، فلقنوا الأطفال عبارات أصبحت فيما بعد أسس آرائهم السياسية حيث أغفلوا تأثير الحضارة الآسيوية فى حضارة الإغريق

على الرغم من وضوح ذلك التأثير في مجال الفن، والأدب، والأخلاق، والسياسة.

ويذكر المؤلف أن من مظاهر الزيف الذى يعتمد عليه الغرب الانتساب إلى المسيحية، مغفلين أن ما عرف بالمسيحية فى الغرب، إنما هو نتاج ما سكب فى قالب الفكر الإغريقى من تصور عن الحياة بعيد غاية البعد عن النزعة الهيلينية، فما أدخل إلى الغرب منذ عهد الإمبراطور قسطنطين إنما هو مسيحية أفسدتها تماما الثنائية اليونانية، والمثالية اليونانية على الصعيد الفكرى النظرى، فالتقليد القسطنطينى فى الكنيسة يمضى فى اتجاه يضاد تقليد العناية بالشئون الأخروية.

## استمرار الغرب فى الضلال مع النهضة الحديثة

وفى الفصل الثانى (الغرب عرَض) يذكر المؤلف أن الغرب - مع دخوله فى عصر النهضة - دخل فى طور جديد من الضلال المغرور، حيث أكد على سيادة مبدأ المنافسة، وخصومة الناس بعضهم مع بعض، فى إطار السوق، فخلقت فى المجتمع عقيدة تبرر المحارسة، وتدعم القصور السابق لعلاقة الإنسان بالطبيعة، وعلاقة الإنسان بالإنسان، وعلاقة الإنسان بالله، بما فتح المجال لسيادة النزعة الفردية، ورحب بسيطرة إرادة الغازى الذى لا يتردد فى اقتحام تخوم العالم، ولا يتوانى عن تدمير القارات والحضارات، وهيأ النفوس لاعتناق دين قوامه تحريض الرغبة تحريضا دائبا بدلا من الدين الذى يبشر بالصبر. من كل ما تولد عنه الرأسمالية ذات البعد الواحد، والاستعمار الذى يزعم أنه يتخذ هذا الإنسان التقنى مقياس الأشياء كلها.

وبذلك صبغت الحضارة الغربية - فى نموها من القرن السادس عشر، حتى نهاية القرن العشرين - بالصبغة الفاوستية القائمة على ثلاثة موضوعات هى : جعل الفعل والعمل قيمة أساسية، وتقرير أن العقل قادر على حل جميع المشكلات، والاعتقاد بإمكان لا نهائى فى النمو المقصور على الإنتاج والاستهلاك.

ويوضح المؤلف أن قيام الحضارة الغربية على هذه الموضوعات الثلاثة قد حول الإنسان إلى العمل والاستهلاك، وحول الفكر إلى الذكاء، وحول اللانهائى إلى الحكم، فأصبحت حضارة مؤهلة للانتحار، بسبب فقدان الهدف، وإفراط الوسائل.

وبذلك صار النمو محصورا فى الازدياد الاقتصادى، وأصبح الازدياد الاقتصادى هو المعيار الوحيد لتقدير جميع أشكال الحياة الاجتماعية، فهيمن التعارض بين الأقطار المسماة (متطورة) والأقطار المسماة (متخلفة).

ومن هنا.. يبرز عدم إمكان إقامة حوار حقيقى بين الحضارات، إذا لم تبدأ بتحليل الآليات التاريخية التى منعت - أو زيفت - هذا الحوار إلى اليوم.

## ازدهار الغرب يفرض الصراع

ويرى المؤلف أن عدم إمكان إقامة حوار حقيقى بين حضارة الغرب وحضارات العالم الثالث يرجع إلى أن نمو الغرب يقوم على نهب ثروات القارات الثلاثة (آسيا وإفريقية، وأمريكا اللاتينية) ونقلها

إلى أوروبا وأمريكا الشمالية. من كل ما دفع الغرب إلى أن يحرص على جعل العالم الثالث متخلفا، وإلى أن يقاوم كل محاولة للتخلص من التخلف، متوسلا إلى ذلك بكل الوسائل، من إبادة لهنود أمريكا، ونشر لتجارة العبيد، ثم إلغاء الرق، واستبدال الاستعمار به الذى تمكن الغرب بواسطته من السيطرة السياسية والعسكرية على إفريقية، ثم السيطرة على مصادر الثروة فيها بإنشاء الشركات متعددة الجنسيات، وتوسيع أنشطتها التى قامت بتنظيم النهب المستمر لثروات العالم الثالث.

ويدعم المؤلف هذه الرؤية بعرض موجز لما قام به الغرب - فى سبيله إلى إشباع جشعه - من إبادة جماعية للهنود، واستيلاء على الأراضى الإفريقية. وقنص لثروات العالم العظيم، مستغلا فى ذلك ما حققه من اختراعات استمدها من حصيلة ما أخذه من حضارة الصينيين والعرب، خصوصا فى قطاعى البحرية والأسلحة.

ولذلك.. يرى أن التخلف فى إفريقية - بجميع صوره - لا يرجع إلى طبيعة المجتمعات الإفريقية - كما يزعم الغربيون - ولكنه وليد الاستغلال الخارجى، فلم يظهر الفارق فى مستوى الثقافة بين أوروبا وافريقية إلا بعد الغزو الأوروبى لافريقية، وإلا بعد الإبادة الجماعية لهنود أمريكا، حيث أصيب الاقتصاد الافريقى بالتقهقر.

ويرى أن الازدهار الغربى يرتكز على حجج ثلاثة تستلزم التمسك بإخضاع إفريقية للهيمنة الغربية : أولاها حجة اقتصادية ترى أن تأسيس



هكذا تعامل الغرب مع الشعوب التى استعمرها

مستعمرة يعنى خلق سوق للصناعات الأوروبية. وثانيتهما حجة إنسانية تعلن : أن للشعوب العليا حقا تجاه الشعوب الدنيا. وثالثتهما حجة سياسية تؤمن بأن بحرية الغرب فى حاجة إلى ملاجئ متينة، وتوفير حماية ومراكز تموين.

ويرى أن أنصار الاستعمار يتذرعون بحجة أخرى يخفون بها هذه المرتكزات الثلاثة حيث يزعمون أن الاستعمار ماهو إلا سعى من الغربيين لتمدين الشعوب المتخلفة، بفرض عليهم أن يجلبوا إليها ثقافتهم، ومسيحيتهم، ومدارسهم، ومستشفياتهم. وهى تبريرات يؤكد الواقع زيفها وكذبها، وأوضح مثال على ذلك ما يرهن عليه

( جوزه دى كاسترو ) من أن كل دولار تقدمه الولايات المتحدة إلى أمريكا اللاتينية يقابله ثلاثة دولارات تعود إلى الولايات المتحدة . وما أعلنه رجل الدولة الأمريكى ( هرمان ) من أن المعونة المقدمة إلى البلدان المتخلفة وسيلة ممتازة تتيح للبلدان الفقيرة أن تساعد البلدان الغنية .

## الغــرب فى مواجهــة الحضــارات

وفى الفصل الثالث ( الفرص المفقودة ) يستنطق المؤلف تاريخ الغرب فى علاقته بالحضارات التى استمد منها حضارته بواسطة الغزو منذ القرن السادس عشر، حيث حرص ( هرمان كورتز ) - عندما وطئت قدماه اليابسة - على أن يبيد ثقافة ( الأزتك )، وثقافة ( المايا ) بحجة إدخال المسيحية، ولكن ما بقى من معابد ( بالنك ) أو ( شيشن إيتزا ) يعلن أن من شادوا هذه المعابد كانوا قادرين على تقديم الكثير من المظاهر الحضارية لو لم يواجهوا من الغرب بسطوة الغازى المغتصب، فقد سبقت هذه الشعوب إلى إيجاد زراعة متقدمة، وعرفت كثيرا من الأعشاب الطبية، وازدهرت لديهم الكيمياء والأقرباذين ازدهارا عظيما، ، وكان لهم من ناحية أخرى تقويم أدق من تقويم أوروبا فى ذلك العصر، وكان ( المايا ) يستخدمون الحساب العشرى - الذى أخذوه عن الصينيين والعرب - قبل أن يعرفه الغربيون، وفنهم التشكيلى خير شاهد على تفوقهم الحضارى .

فلما غزاهم الأسبان والبرتغاليون بأسلحتهم النارية أبادوا هذه الحضارات - بدلا من التحاور معها والإفادة منها - فكانت تلك الفرصة الأولى التى فقدتها أوربا فى مواجهة الحضارات .

وكانت الفرصة الثانية التى فقدها الغرب .. أن المستعمرين الفرنسيين والإنجليز، والأسبان عملوا على تشويه ما قدمه العرب المسلمون من إسهامات حضارية، فوصفوا ما قدموه للأسبان من شتى ألوان الحضارة بأنه غزو عسكرى، مغفلين ما قدموه للأسبان من تحرير، حيث أنقذوا الأقنان من وصاية ملوك « القريغوط »، وما أقاموه فى إسبانيا من أجمل منشآت الرى التى عرفها العصر، وما نهله الأسبان والأوروبيون جميعا على أيدى العرب المسلمين من علوم الطب، والصيدلة، والكيمياء، والجبر، والرياضة، والجغرافيا، والفلك، والنظم الاجتماعية والاقتصادية .

فالعرب ما دخلوا أوربا غزاة، ولكنهم دخلوها معلمين، ناشرين تلك الحضارة الإنسانية الشاملة، التى حظيت بقبول الجماهير التى كانت ترزح تحت وطأة نظام الرق . ومع ذلك شوهت صورتهم حتى عند المستعمرون معركة « بواتيه » التى انتصر فيها ( شارل مارتال ) على العرب .. كسبا أوربيا، مغفلين أن ما نشأ عنها من تراجع العلم العربى، والفن العربى، والحضارة العربية جعل هذا اليوم أشأم يوم فى تاريخ فرنسا على ما صرح به العقلاء .

ومع هذا كله نرى أن المصدر الرئيسى الذى يرجع إليه الباحثون يقدم لهذه المعركة الصورة التاريخية المشوهة، كتلك الصورة التى قدمها « هيرودوت » لمعركة « ماراثون » قديما، مغفلين



أن عصر النهضة فى الغرب ما وقف على الثقافات القديمة بدءا من الثقافة الهللينية إلا عن طريق العرب الذين ترجموا « أرسطو » و« جالينوس »، و« أفلاطون » و« بطليموس » و« إقليدس » و« أرخميدس » وقدموه للغرب من جديد مع ما أضافوه إليه.

ولو أن الغرب استقبل هذه الحضارة العربية الإسلامية بالتحاور البناء لأفاد الإنسانية كثيراً ولكنه شوهها، وقلب حقيقتها، فأضاع الفرصة الثانية.

وهناك فرصة ثالثة أضاعها الغرب كذلك، حيث احتقر العلم الصينى الذى قاد إلى كشوف علمية، وتقنية، سبقت ما توصل إليه الغرب بعدة قرون.

فلو أن الغرب حاور الفكر الصينى المستند إلى رؤية جدلية، وليس إلى رؤية منطقية ميكانيكية، لما حبسوا أنفسهم فى ميكانيكية الأفلاك السماوية الشفافة، بل لأتاحوا لأنفسهم الانطلاق من تصور أقل سذاجة للأمكنة السماوية الرحيبة، وإقامة مصورات عن السماء، وسجلات للكسوف وللشهب والآثار العلوية التى لا يزال علماء الفلك إلى اليوم يستخدمون مبادئها.

ولو أن الغرب حاور الفلسفة الصينية المادية العضوية، ولم يعارضها بالمادية الميكانيكية لعرف مبكراً أن كل ظاهرة ترتبط بسائر الظواهر الأخرى، ولعرف ما عرفه الصينيون عن « البوصلة »، ونظرية « المد والجزر »، بدلاً من أن يضيقوا ذرعا بالمناقشات الجوفاء حول « التأثير من بعد »، وما يحدثه القمر فى المحيط.

ولو أن الغرب حاور الرياضيات الصينية التى تتسم بروح جبرية، لا بروح هندسية، لما أضاع هذا الزمن الطويل فى إصراره على اعتبار أن الأنموذج الميكانيكى هو الأنموذج الوحيد، والأقدم مبكرا إلى ما اضطر إليه أخيرا من العود إلى الفكر الصينى التقليدى.

وهكذا يتبين أن قرونا من الابتكار الإنسانى قد غلفها الجهل أو الهدم بسبب التعنت الغربى، وإصرار الغربيين على مصارعة تلك الحضارات الإنسانية ورفضهم التحاور معها، حتى أضاعوا على الإنسانية -وعلى أنفسهم- تلك الفرص، وهم فى ذلك مستجيبون لوهم: أنهم وحدهم يملكون الحقيقة، لا لشىء إلا لأنهم غربيون، وأن غير الغربيين بدائيون، سيئو النية، أو مرضى، وأن من واجب الغربيين أن يهبوا لمعالجتهم أو لقمعهم.!

## ميراث الجهل، ودوره فى فكر الغربيين

وفى الفصل الرابع « الأبعاد المطلوبة مجدداً » حاول المؤلف أن يكشف عن مصدر العلة الغربية -بعد أن شخصها- تمهيدا لوصف الدواء، فذكر أن الغربيين وقعوا فريسة ملاحظة خاطئة أدلى بها « هيرودوت »، وتضمنتها « سياسات » ( أرسطو ) تفيد أن هناك تعارضا بين تذوق الأوربيين للديمقراطية، وبين خضوع الآسيويين للاستبداد، ورضوخهم له.

والناظر فى سلوك الغربيين وتفكيرهم اليوم يجد أنهم مازالوا فريسة هذا الوهم الخاطىء الذى أصبح نظرية يحرص الشراح على الغلو فى بسطها، متناسين الروابط الكثيرة التى



ربطت جميع ثقافات البحر المتوسط وآسيا الصغرى بعضها ببعض.

وزاد الطين بلة أن هذا التفكير اكتسب - في القرون الوسطى - بعدا دينيا، فاستقر في العقل الغربي أن علاقات المسيحية بالإسلام ليست بعلاقات متناظرة، بل إن هناك تعارضا بين المسيحي والكفار -ولا سيما المسلمين- فبينما يجل القرآن المسيح وأمه، نجد «دانتي» يقضي محمدا مع أتباعه إلى الجحيم.

وكان لسيطرة هذا التفكير على الغربيين أثره في تجاهلهم ما تالوه من غير الغربيين في شتى مجالات المعرفة والثقافة، حيث وجدت أوربا نفسها -على أثر اكتشاف أمريكا- حيال ثقافات لم تكن لتخطر في بالها إطلاقا.

## توجه الأوربيين إلى الحوار

ومع انفتاح بعض الفلاسفة والمفكرين والرسامين الأوربيين على العالم غير الأوربي في القرن الثامن عشر والتاسع عشر بدأت المحاولة الأولى لفهم ما ليس أوربيا، فبدا من الضروري القضاء على المركزية الأوربية، وأخذت أسطورة «المعجزة اليونانية» المزعومة تتهافت وتتهاوى على محك التحليل التاريخي الذي كشف عن جذورها العميقة الممتدة إلى التاريخ المصري، والفينيقي، وبلاد الرافدين، وأبانت دراسة عصر النهضة مدى ما تدين به لفنون الإسلام، وفنون الشرق الأدنى والصين.

ومع تواصل هذا الانفتاح في شتى المجالات لم يعد في وسع أحد أن يجد أساسا للقيم في طبيعة جاهزة، في عقل خالد، ولا في معيار أخلاقي، أو قواعد جمالية تستطيع أن تزعم أنها تتعالى على التاريخ.

ومن هنا.. لم يبق ما كان يعتبر خلال قرون طويلة على أنه نظام مطلق -في السياسة أو في الأخلاق، أو في علم النفس، أو في الفلسفة، أو في الفن- سوى موقف أو مرحلة تاريخية في سلسلة إبداع الإنسان إبداعا دائبا موصولا.

فكانت هذه الهزة العميقة، وذاك الانقلاب الجذري نهاية حركة داخلية لدى الإنسان الأوربي، وملتقى خصب بالثقافات اللا غربية.

غير أن حوار الحضارات الحقيقي -في التوجه الأوروبي- لم يزل في طور بدء المغامرة الإنسانية، وإن كان أكثر الأمور إلحاحا من أجل إقامة علاقات جديدة مع سائر البشر، ومع المستقبل المشترك.

ويدلل المؤلف على هذه التوجهات المتحررة بما أفاده الفن الأوربي في القرن العشرين من الفنون التي قدمها الصينيون في القرن الحادي عشر، ومن الفنون الإفريقية التي كشفها التكعيبيون، والتعبيريون، ثم السرياليون، ومن الفنون الإسلامية في مجالي الشعر والرسم، فيذكر كثيرا من الأمثلة الدالة على ذلك.

ثم يقرر: أن حوار الحضارات لم يستأنف إلا في القرن العشرين، بعد أن ظلت علاقة أوربا بالآخرين علاقة استعمار، وازدراء نحو ستة قرون.

ويأمل: أن يتم في القرن الحادي والعشرين القضاء على العوائق الأخيرة، ليمضي الإنسان إلى النهاية في تحقيق فن عالمي، وثقافة عالمية.

(يتبع)

مواقف إسلامية

# من دروس الدعوة

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

**في المدينة الساحلية.. عاش هذا الغني السخي.. وإذا شئت أن تتلمس الطريق إلى أعماقه.. باتت لك شواهد من فضله.. من حيث كان من أشد الناس حباً للشيخ الجليل..**

## والهمة على قدر الاهتمام

وكان من مظاهر حبه للشيخ أن كان يستضيفه في كل عام مرة أو مرتين..

لكنه هذه المرة.. دعاني وبعض زملائي لنكون مع الشيخ متحدثين!!

قلت: إذا حضر الماء بطل التيمم.. ولكن هذا الغني السخي: آثر أن يكون العيد مهرجاناً.. يجمع من خدم الدعوة أشتاتاً.. الفاضل والمفضول.

وكأنما كانت عاطفته الدينية.. ورغبته في إشاعة الخير.. بحيث لا يشفي غليلهاواحد.. مهما كانت قيمة هذا الواحد؟!..

إن الشيخ الجليل.. كان ومايزال.. نقياً..

وإذن فهو المصباح الذي كلما كان نقياً.. كان ضوؤه قوياً.. وإذ يطلع الصباح.. فلنطفيء القنديل؟!..

لكن الرجل لم يطفيء القنديل.. ودعانا إلى ضيافته محققاً بالدعوة ما قرره العلماء:

قد يكون في المفضول.. ما ليس في الفاضل..

قد يكون لدى التلميذ.. ما لا يكون عند استاذه.

وإذا تعالى بعض الناس في تلك الليلة.. فانسحبوا من بين أيدي المتكلمين.. حتى يجيء الشيخ الجليل.. فقد فاتهم ذلك الفهم الرحب.. وأن الله ـ تعالى ـ أرحم من أن يترك إنساناً بلا مواهب.. وانه تعالى قد يضع سره في أضعف خلقه:

وقد يحدث لك البليغ.. فلا تتأثر.. لأن لحظة الإجابة لم تحن لك بعد..

ثم يأتي الضعيف.. فيقولها كلمة.. تستمع إليها في ساعة إجابة.. فإذا بها تصنع منك خلقاً آخر!!

## ألم تر إلى الأحنف بن قيس؟!..

لقد كان أحلم العرب.. ولما قيل: كيف يكون أحلم من عبدالمطلب وغيره من صفوة العرب؟! كان الجواب:

إن عبد المطلب: كان حلمه.. كمروءته.. كنجدته.. كشجاعته.. في مستوى يقترب به من القمة.. أما الأحنف.. فكان قمة في الحلم.. ثم كان فيما سواه متوسطاً.. إذا صح التعبير!! وهي نفس النسبة بين الأستاذ وتلميذه:

فقد يبز التلميذ أستاذه.. في جزئية واحدة.. ثم يتأخر عنه في الكثير!!

والأمر على ما يقول ابن خلدون:

«من حصل على مَلَكة علم من العلوم وأجادها في الغاية، فقلّ أن يجيد مَلَكة علم آخر على نسبته.. بل يكون مقصراً إن طلبه إلا في الأقل النادر من الأحوال».. لأن الصناعات تتدافع وتتنازع..

فقلّ أن يجتمع لعالم ملكتان تامتان.

ومهما اجتمعت أصول الدعوة في واحد.. فقد بقيت للآخرين بقية من التخصصات نحن أحوج إليها.. وأحياناً يخطف الغلام الصغير الأضواء من كبار المشاهير.

أرأيت إلى ذلك الفتى الذي زار الخليفة داره.. فقال للفتى:

داري أحسن.. أم دار أبيك؟!..

فما كان جوابه إلا أن قال:

دارك ما دُمتَ فيها.. ودار أبي متى كنت فيها!!

وهكذا.. وبهذا المنطق العفوي.. صار الفتى حديث المدينة.. ومحور الإعلام!!

## بداية اللقاء

.. وفي تلك الليلة.. وإلى أن يطلع الشيخ الجليل كالفجر القادم.. كان لابد من أن «تملأ الفراغ» بحديث إلى الناس قبل العشاء.

وكنت أول المتحدثين، وقلت للمستمعين:

لقد جئتم لتستمعوا إلى شيخنا الجليل.. ولهذا السبب جئت مع زملائي.

وأصْدُقكم القول: إن الحديث الذي كنت زورته في نفسي طار مني شعاعاً.

فأنتم جمهور الشيخ.. ولستم جمهوري!

ولا يتم نجاح الخطيب حتى يجد نفسه بين يدي مريديه ليكون ذلك التواصل.. أو هذا الجسر العاطفي بين المُرْسِل والمُتلقي.. والذي من شأنه أن يحقق التجانس المطلوب بينهما.

أما أن تخاطب قوماً سيوفهم معك.. وقلوبهم مع بني أميّة.. فتلك مجازفة غير محسوبة النتائج وكان ذلك انطلاقاً من قاعدة:

ضرورة فراغ بال المستمعين لك.. حتى يتسنى لهم الاستمتاع بك أو الاستماع إليك وإذا كانت مسئولية الداعي تتم بالبلاغ.. فإن نجاحه لا يتم إلا بالتزام المدعو.. والمدعو هنا.. في واد.. والداعي في واد آخر.

وأنا بين أيديكم لست أكاديمياً.

لست بلبلياً ولكني نهر.

لست بلبلياً: يسهر في المكتبة حتى الصباح، ولكني نهر:

أجوب الديار.. بالنهار:

أتأمل.. وأراقب، ثم أعلق..

وأعالج.. ما استطعت.

لقد حاولت أن أمسك بانتباه الناس بين يدي.. دقائق معدودات.

حاولت أن أدخل إلى قلوبهم: عن طريق العلم.. فالشيخ أعلم!

عن طريق التقوى؟.. فالشيخ أتقى

## ولا تزكى على الله أحداً والله حسيبه

ولقد وجدت أن باب التودد.. والتلطف.. هو الباب الوحيد الذي يسمح لك فيه بالدخول..

وإذا كانوا يقولون في الأثر:

ما عبد الله بمثل جبر الخاطر..

فقد أحسست عندئذ بأن الله جبر خاطر عبده.. على الأقل: ليصلح أن يكون تمهيداً للشيخ الجليل.. وذلك يكفيه.

## الـــــدرس المفيـــــد

والدرس المفيد هنا هو:

ضرورة مواجهة الخطيب للمواقف الصعبة.. أما الهروب فما أسهله!

ثم.. عدم الدخول في موضوع مُعَدٍّ.. بين يدي بحر زاخر سيأتي بعد قليل..

وإنما هي الإشارات.. الوقتية العابرة.. والحادة.. والتي تحاول زرعها في قلوب الناس.. فلا تفارق خيالهم مهما كان من بعدك سحبان..

ولقد تلخصت إشاراتي الخاطفة فيما تلاه القارىء بين يدي الحفل.. والذي تلا من سورة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾(١).

قلت: كان ﷺ سراجاً منيراً.. كان شمساً.. وإذ تنسخ الشمس الظل.. فماذا نسخ الرسول بشريعته من الضلال؟..

وإذ تقول الأسطورة: إن الشمس تراهنت مع الريح.. منْ منهما يجبر الفلاح على خلع عباءته.. فعجزت الريح.. ونجحت الشمس التي اقتربت من الرجل.. فتصبب عرقاً.. فخلعها طواعية واختياراً!..

ولكن الشمس.. ولكن الرسول.. اقترب من هند بنت عتبة مثلاً.. فحملها طواعية أيضاً على

---

(١) الأحزاب (٤٦)



أن تخلع.. تخلع ماذا؟.. تخلع عقيدتها حين حطمت صنمها وبيدها!!

ولكن بأى شيء كان هذا النجاح الساحق؟ بالأخلاق.

وهذا ما تلاه علينا القارىء أيضاً عندما قرأ:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٢).

وبالخُلق استطاع أن يغير الإنسان.. وبالخُلق سينتصر.. وذلك قوله - تعالى - بعد ذلك:

﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾(٣).

أى: لأنك على خُلق عظيم.. فسوف يترتب على ذلك أن يعرف الجميع:

من الذى سينتصر غداً.. وهو أنت...

وانتهى التعليق فى دقائق.. بلا إطناب.. حتى يظل تركيزه داعياً إلى استحضاره.

فلما أقيمت صلاة العشاء.. ظهرت بوادر التوفيق حين أصر القائمون على الحفل أن أقدم الشيخ الجليل، فكان التقديم تعليقاً أيضاً على آيات قرأها الإمام..

ومنها:

﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾(٤).

لماذا التمثيل بالزرع؟..

وما مدى صدق ذلك على المؤمن؟..

## نجــاح الخطــة

وبعد انتهاء الحفل.. أحسست بنجاح الخطة التى بدت بوادرها فى إقبال الناس.. وتساؤلهم، ولكن بقى عتاب.. أوجهه للفتى الذكى:

لقد كان من رحمته ﷺ أنه فى السباق بين الخيل.. كان يفصل بين الخيل المضمرة والتى لم تضمر - أى المعدة للسباق والغفل التى لم تعد له - طبق توجيهه ﷺ:

«سيروا بسير أضعفكم»..

ولكن الرجل الطيب جمع فى هذه الليلة بين الخيل المضمّرة.. والضعاف منها.. فكان هذا الحرج الذى أخرجنا الله - تعالى - منه بهذا التلطف.. بين يدى أستاذ الأساتذة.

## بيــن يــدى الشــيخ

وبدأ الشيخ يتكلم.. بدأ الداعية يهدى إلى الناس ذوب قلبه.

إنه إذا كان هناك دعاة يجيدون الحديث عن النجاح.. ثم لا ينجحون.

فإن الشيخ كان ممن يقولون.. فيعملون.. فيخلصون.. فينجحون.

بل ويُنْجِحون الناس معهم حين يحددون المفاهيم.. ويفضون الاشتباك بين القيم السديدة.. والقيم العفنة:

---

(٢) القلم (٤).

(٣) القلم (٥)

(٤) الفتح (٢٩).





بين التوكل.. والتواكُل.

بين التواضع.. والذلة.

بين القناعة.. والخمول.

بين الإبداع.. والابتداع.

## الدعـوة ليسـت تجـارة

فى كتاب «الحيوان» للجاحظ.. أنه قال للأخفش:

مالك تكتب الكتاب فتبدؤه عذباً سائغاً، ثم تجعله صعباً غامضاً.. ثم تعود به كما بدأت؟..

قال:

ذلك لأن الناس إذا فـهـمـوا الواضح فسَرُّهم.. أتونى فَـفَسَّرْت لهم الغامض.. فأخذت منهم!!

كـان ذلك سُنّة جـروا عليـهـا.. وغـاية تواطأوا على بلوغها.. فَتعقّدَ النحو.

ولكن الشيخ الجليل.. تسمعه:

فإذا هو فى البداية.. كالنهاية.

عذب.. سائغ شرابه.

## طيبون مع إيقاف التنفيذ

ويبقى الود ما بقى العتاب.. عتاب هذا الرجل الطيب الذى ضاق صدره أن يتحدث متحدث فى حضرة الشيخ؟!! ونقول له:

اجلس يا رجل.. واسـتـمـع.. على الأقل ليظهر لك الفرق.. بين الدُعاة

فإن وجدت جديداً.. فبها..

وإلا.. فقد صار محبوبك بعد ذلك أكثر عذوبة.

## وبضدها تتميز الأشـيـاء!

إن الأمر ليوشك هنا أن يكون تعلقاً بأهل الثقة على أهل الخبرة.. ومع عظيم احترامنا للشيخ الجليل فإنا نقول: ظاهرة الملكيين أكثر من الملك.. والتى تحصر النبوغ كله.. والفضيلة كلها فى شخص واحد.. قد يودع الدنيا اليوم أو غداً.. وعندئذ تصير الأمة بلا قيادة!!

**أما بعد:**

**فعود على بدء.. لنشد على يد الغنى الذكى.. على ما بذل.. وعلى ما أكرم.**

**وكثيرهم الباذلون.. فى الدنيا.**

**لكن النوايا الطيبة.. لكن مصارف المال.**

**كل أولئك دليل على التوفيق.**

**إن الفرق لهائل هائل.. بين منفقين.. وإن اتحدت صورة الإنفاق.**

**لقد قُتل الصائغ اليهودى الذى ثبت الشوكة فى طرف ثوب المرأة المسلمة.**

**ثم قُتل المسلم الذى طعنه أيضاً.**

**ولكن الأول طريد..**

**والثانى.. شهيد!!**

***

# فضيلة الأدب

لفضيلة الشيخ/ فوزي الزفزاف

**الأدب من أفضل الصفات التي يتحلى بها المرء في حياته ويتصف بها في سلوكه. فإن حاز هذه الصفة الكريمة وتلك الخصلة الحميدة فقد حاز الخير الكثير، والفضل العميم.. ولسمو مكانة الأدب وعلو منزلته ورفعة شأنه تولى الله ـ سبحانه وتعالى ـ أدب نبيه محمد ﷺ فأدبه بأحسن الآداب كلها. فكان محمداً الإنسان، عفيف اللسان، بليغ البيان، عالي الهمة، متربع القمة.**

لقد جمع الله ـ تبارك وتعالى ـ لنبيه محمد ﷺ جوامع الكلم في كتابه المحكم، ونظم له مكارم الأخلاق كلها في ثلاث كلمات، فقال:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(1)

ففي أخذه العفو صلة من قطعه، والصفح عمن ظلمه، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله، وغض الطرف عن المحارم، وصون اللسان عن الكذب، وفي الإعراض عن الجاهلين تنزيه النفس عن ممارسة السفيه ومنازعة اللجوج.

ثم أمره تبارك وتعالى فيما أدبه، باللين في عريكته، والرفق بأمته، فقال:

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(2)

وقال:

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾(3).

وقال:

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾(4).

(1) الأعراف (199)
(2) الشعراء (215)
(3) آل عمران (159)
(4) فصلت (34، 35)

وأرشده - جل وعلا - إلى الالتزام بالوسطية والاعتدال في حياته فقال - سبحانه وتعالى -:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[٥].

فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير، وأمر بتوسط الحالتين، كما قال - عز وجل -:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[٦].

فلما كملت في الرسول ﷺ الآداب الربانية قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[٧].

ولقد حرص رسول الله ﷺ على إرشاد أمته وتوجيهها إلى مكارم الأخلاق، وجميل الصفات والتحلي بالآداب فقال: «أوصاني ربي بتسع وأنا أوصيكم بها، أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأصل من قطعني، وأن يكون صمتي فكرا، ونطقي ذكراً، ونظري عبراً»[٨].

وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بشر الناس؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من أكل وحده، ومنع رفده، وجلد عبده، ثم قال: ألا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى يارسول الله. قال من يبغض الناس ويبغضونه»[٩].

وأوصى بعض الحكماء بنيه فقال: الأدب أكرم الجواهر طبيعة، وأنفسها قيمة، يرفع الأحساب الوضيعة، ويفيد الرغائب الجليلة، ويعز بلا عشيرة، ويكثر الأنصار بغير رزية، فالبسوه حلة، وتزينوه حلية، يؤنسكم في الوحشة، ويجمع لكم القلوب المختلفة.

ومن كلام سيدنا علي - كرم الله وجهه - أنه قال: من حلم ساد، من ساد استفاد، ومن استحيا حرم، ومن هاب خاب، ومن طلب الرياسة صبر على السياسة، ومن أبصر عيب نفسه عمي عن عيب غيره، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئرا وقع فيها، ومن نسي زلته استعظم زلة غيره، ومن هتك حجاب غيره انتهكت عورات بيته، ومن كابر في الأمور عطب، ومن اقتحم اللجج غرق، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تجبر على الناس ذل، ومن تعمق في العمل مل، ومن صاحب الأنذال حقر، ومن جالس العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن حسن خلقه سهلت له طرقه، ومن حسن كلامه كانت الهيبة أمامه، ومن خشي الله فاز، ومن استقاد الجهل

---

(٥) الإسراء (٢٩).

(٦) الفرقان (٦٧).

(٧) التوبة (١٢٨، ١٢٩).

(٨) العقد الفريد ج ٢ ص ٤١٧.

(٩) كنز العمال ج ١٦ ص ٢٦٠، رقم ٤٤٣٦٧.



ترك طريق العدل، ومن عرف أجله قصر أمله، ثم أنشأ يقول:

إلبس أخاك على عيوبه
واستر وغط على ذنوبه
واصبر على بهت السفيـ
ـه وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلاً
وكل الظلوم إلى حسيبه

وقال شبيب بن شيبة: اطلبوا الأدب فإنه مادة العقل، ودليل على المروءة، وصاحب في الغربة، ومؤنس في الوحشة، وحلية في المجلس، ويجمع لكم القلوب المختلفة.

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: عليكم بطلب الأدب، فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مالاً، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالاً.

وقال ابن المقفع: إذا أكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبك ذلك: فإن الكرامة تزول بزوالهما، ولكن ليعجبك إذا أكرموك لدين أو أدب.

وقال الأحنف بن قيس: رأس الأدب المنطق، ولا خير في قول إلا بفعل، ولا في مال إلا بجود، ولا في صديق إلا بوفاء، ولا في فقه إلا بورع.

قيل للعباس بن عبد المطلب: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ قال: هو أكبر مني وأنا أسن منه.

وقيل لعمر بن ذر: كيف بر ابنك بك؟ قال: ما مشيت نهارا قط إلا مشى خلفي، ولا ليلا إلا مشى أمامي، ولارقي علية وأنا تحته.

وقال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: قال لي رجاء بن حيوة: ما رأيت أكرم أدبا، ولا أكرم عشرة من أبيك، سمرت عنده ليلة، فبينا نحن كذلك إذ عشى المصباح ونام الغلام.

فقلت: يا أمير المؤمنين قد عشى المصباح ونام الغلام، فلو أذنت لي أصلحته! فقال إنه ليس من مروءة الرجل أن يستخدم ضيفه، ثم حط رداءه عن منكبيه، وقام إلى الدبة «الوعاء الذي فيه الزيت» فصب من الزيت في المصباح، وأشخص الفتيلة ثم رجع، وأخذ رداءه وقال: قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر.

وقالوا: من حسن الأدب ألا تغالب أحداً على كلامه، وإذا سئل غيرك فلا تجب عنه، وإذا حدث بحديث فلا تنازعه إياه، ولا تقتحم عليه فيه، ولا تره أنك تعلمه، وإذا كلمت صاحبك فأخذته حجتك فحسن مخرج ذلك عليه ولا تظهر الظفر به، وتعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام.

وقال يحيى بن أكثم :ماشيتُ المأمون يوما من الأيام في بستان مؤنسة بنت المهدي، فكنت من الجانب الذي يستره من الشمس. فلما انتهى إلى آخره وأراد الرجوع أردت أن أدور إلى الجانب الذي يستره من الشمس، فقال: لا تفعل، ولكن كن بحالك حتى استرك كما سترتني! فقلت: يا أمير المؤمنين، لو قدرت أن أقيك حر النار لفعلت، فكيف الشمس؟ فقال: ليس هذا من كرم الصحبة. ومشى ساترا لي من الشمس كما سترته.

قصة العدد

# لو كان معه رجل!

للأستاذ / شوقى محمود أبو ناجى

استيقظ الرجل وهو يشعر بكثير من الراحة، مع أن التورم الذى أصاب قدميه منذ يومين قد ضيق من خطوه، ولكن لا ضير فقد طوى الشوط الأكبر من المسافة.. إنه يسير منذ سبعة أيام ولم تبق إلا ساعات قلائل على دخوله المدينة.. وتهادى إلى مسمعه من بين أغصان الشجرة التى يقيل تحتها أصوات زغب تصفق بأجنحتها الصغيرة وهى تعالج ما تقدمه لها أمها من طعام.. وفكر أن يتسلق الشجرة إلى هذه الأفراخ يستعين بها على غائلة الجوع، ولكنه عدل عن هذا الخاطر فما كان له وهو فى طريقه إلى الأمان أن يزعج طيرا فى عشه، وتناول تمرات من صرة صغيرة شارف ما فيها على الانتهاء وأكل بعضا منها وشرب قليلا من ماء وحمد الله وجعل يتمتم ببعض الدعوات. ثم انطلق يوسع الخطا.

منذ متى لم تكتحل عيناه بمرأى الوجه الكريم؟.. منذ ست سنوات أو يزيد، وإنه ليحس فى نفسه وخز الندم لتأخيره إعلان إسلامه إذ فاته شرف الاشتراك فى المواقف الجليلة وشرف المبايعة تحت شجرة الرضوان، ولكنه يحمد الله على أية حال فقد استطاع الهروب من محبسه والإفلات من قبضة هؤلاء الزبانية الذين يسومون المسلمين فى مكة سوء العذاب.. ولكن.. وأراد أن يطرد الخاطر الذى اقتحم عليه تفكيره.. إنه لا يتصور أن يعود مرة أخرى إلى قريش لكى يلقاه الأخنس ابن شريق وأزهر بن عوف.. وتحسس خطوطا بارزة فى ظهره وجنبيه.. لقد نسيها طوال الرحلة فخفف الله عنه آلامها، ولكنه عندما تحسسها فكأنما أيقظ الألم من سباته، فأحس كأن سياط أزهر بن عوف لا تزال تهوى على ظهره، وأبوبصير يردد ما قال حويطب بن عبدالعزى لمكرز بن حفص أثناء مفاوضات الحديبية: «لن نأخذ من محمد نصفا بعد اليوم حتى يدخلها عنوة».. ولشدما أحس بالسرور يملأ أقطار نفسه وهو يسمع فى محبسه ابن عمه عروة بن مسعود الثقفى الجافى، غليظ الطبع وقد أرسلته قريش إلى محمد ﷺ فى الحديبية فعاد يقول: «يا قوم لقد وفدت على كسرى فى ملكه، وهرقل فى ملكه، والنجاشى فى ملكه وإنى والله ما رأيت ملكا قط أطوع فيمن هو بين ظهرانيهم من محمد فى أصحابه».

كانت هذه الأنباء وغيرها تنزل بردا وسلاما على أبى بصير ورفاقه من المسلمين المحبوسين فى مكة، ولم يكن أبو بصير بقادر على إخفاء مشاعر الشماتة، وإن كان هذا يزيده من المشركين عذابا على ما يلقاه من عذاب.

لقد كان يلقى الحفاوة كل الحفاوة والإكرام كل الإكرام فى قريش قبل أن يعلن إسلامه فهو بن أختهم سالمة بنت عبد بن يزيد بن هاشم بن عبدالمطلب، ويربطه حلف ببنى زهرة، ولكنه الران على قلوب المشركين يصم آذانهم عن دعاء الرحم والقرابة والحلف، كما صم آذانهم عن دعوة الحق.

كانت مثل هذه الخواطر تدور برأس أبى بصير بينما هو يوسع الخطا مغذا السير ليبلغ المدينة قبل اختفاء الشمس ليتمكن من أداء صلاة المغرب خلف النبى ﷺ، ويجلس إليه يستمع منه وحى السماء ويأخذ عنه النهج الذى ينظم صلة العبد بخالقه والإنسان بمن حوله وما حوله، وكيف يسلك الصراط المستقيم متجنبا السبل التى تُفَرِّقُ بالإنسان عن سبيل الله.. إنها الأمنية التى لم تبارح تفكيره منذ سمع بمقدم الرسول ﷺ، محرما بالعمرة، ونزل بالحديبية وحدث ما كان من أمر الصلح الذى اشترط فيه سهيل بن عمرو: «على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا من عند محمد لم يردوه عليه» فأحس كثير من المسلمين أنهم أعطوا الدنية فى دينهم مع



قوتهم التي يستطيعون بها أن يدخلوا مكة عنوة، ولكنه أمر الرسول الذي يتلقى الوحي من السماء يجب أن يطاع، وقد أسماها الوحي بعد ذلك فتحا مبينا.

كان أبو بصير يسير وحيدا في الشعب المفضي إلى المدينة والحصى ينغرز في قدميه فلا يزيده الألم إلا إصرارا على بلوغ المدينة قبل المغيب، وإنه ليتخيل المسافة القصيرة الباقية تمتد طويلة أمام قدميه وقد كان يظن عند خروجه من مكة أنه سيطوى الطريق في ساعات قصار، ومع هذا فهو يستعذب كل مشقة وألم ما دامت تفضي به إلى أرض يقيم فيها النبي الحبيب.

لم يسأل أبوبصير عن أى من دور أصدقائه أو أقاربه بالمدينة، فليس هناك من هو أحق باللقاء من المصطفى ﷺ، وتنفس أبوبصير الصعداء، وجلس بعد الصلاة مع المتحلقين في صمت وخشوع يصيخون بأسماعهم إلى الذي لا ينطق عن الهوى: ولكنها فرحة لم تتم وأوقات السرور القصار كأنها تنتزع من براثن السنوات لتستردها مرة أخرى.

افتقد أزهر بن عوف بين المحبوسين المغلوبين على دينهم ذلك الثقفي الجرىء الذي ما إن يرى رأسا من رؤوس الشرك حتى يسفه أحلامهم ويسخر من صغار عقولهم التي تجعلهم يوفضون إلى تلكم التماثيل الشوهاء خاشعين مقدمين النذور والقرابين.

انطلق أزهر بن عوف مسرعا إلى صديقه الأخنس بن شريق الذى كان قد توعد أبا بصير بأفانين من العذاب لقاء ما فعله معه أول أمس إذ استخلص أبوبصير يده من وثاقه وشد زنمة الأخنس فأكبه على وجهه صارخا ولم يقتصر الضحك على المسلمين المحبوسين ولكنه تعالى من المشركين الذى شاركوا المسلمين السخرية من احمرار هذه الزنمة المدلاة من عنق الأخنس حتى قال صبى منهم: «إنه يحتاج إلى زنمة أخرى ليصبح تيسا».

حز في نفس الأخنس بن شريق أنه لم يستطع التشفى من أبى بصير: ولم يطل به التفكير وأمسك لحية أزهر بن عوف وصاح فيه:

– عجل بإرسال رجال أشداء ليأتوا بأبى بصير وكن سخيا في الكراء، وخذ من إبلى رواحل لهم، ثم دفع إليه صرة فيها مال واستحثه في التعجيل.

لم يبت أبوبصير غير ليلة واحدة في المدينة حتى قدم مبكرا خنيس بن جابر من بنى عامر ومعه مولى له اسمه كوثر بكتاب من الأخنس بن شريق وأزهر بن عوف الزهرى إلى النبى ﷺ، وقرأ أبى بن كعب الكتاب على رسول الله ﷺ، فإذا فيه: «قد عرفت ما شارطناك عليه، وأشهدنا بيننا وبينك من رد من قدم عليك من أصحابنا.. فابعث إلينا بصاحبنا».





نظر أبوبصير إلى النبى ﷺ، نظرة تقطر حزنا ورجاء وقال فى صوت مختنق:

- يارسول الله: أتردنى إلى المشركين يفتنونى فى دينى؟!

وترقرقت الدموع فى أعين الصحابة المحيطين به، وقد أثار أبوبصير كوامن الشجن إذ أضاف حزنا إلى حزنهم على أبى جندل بن سهيل بن عمرو وهو يردد نفس العبارة: «يامعشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنوني في ديني؟! بينما أبوه يضرب وجهه بغصن مليء بالشوك ويشده عنوة إلى معسكر المشركين تنفيذا للشرط المجحف والدماء تغلى فى عروق المسلمين ويتعالى صياح الكثير منهم «لم نرض الدنية في ديننا؟!».

قال أحد المسلمين بتأثر شديد:

- يارسول الله الرجل يكون خيرا من ألف رجل!!

وتحشرج صوته ولم يتم كلامه. قال النبى ﷺ، فى حزن وثقة ويقين لأبى بصير:

- إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا.

وغامت الدنيا فى عينى الرجل وقد قبض العامرى فى قسوة على يده ومشى المولى خلفهما، ولكن ما عتم أن رفع أبوبصير رأسه فى تصميم وقد تردد فى نفسه صدى صوت الرسول ﷺ، «إن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا».

تحركت الشمس نحو كبد السماء تحكم تصويب أشعتها الملتهبة إلى الرؤوس والأعناق الثلاثة، ولم يعد بهم طاقة على تحمل المزيد من هذا الهجير، كما إن السير قد أجهدهم بعد أن بعدوا عن المدينة ستة أميال دون راحة فى الطريق، إذ كان العامرى والمولى فى شوق إلى بلوغ مكة لصرف المكافأة السخية من أزهر بن عوف، والأخنس بن شريق وليتحدث الناس عن شجاعتهما فى استقدام أول مهاجر إلى المدينة بعد صلح الحديبية تنفيذا للاتفاق المبرم بين الفريقين.. ونبه المولى سيده إلى شجرة وارفة الظلال من أشجار ذى الحليفة فاتجهوا نحوها.

كان العامرى والمولى يأكلون كسرهم فى شهية بالغة، ولو أن بالزاد وفرة لالتهموا أضعاف ماطعموا، وازدرد أبوبصير لقيمات وحسا حسوات من ماء وجلس يستمع إلى ذلك العامرى المغرور وقد استل سيفه وجعل يهزه فى الهواء قائلا:- لأضربن بسيفى هذا فى الأوس والخزرج إلى الليل.

وأحس أبوبصير أنه قاب قوسين أو أدنى من تنفيذ مايدور فى رأسه.

فقال للعامرى:

- أوصارم سيفك هذا يا أخ بنى عامر؟

- نعم.

- ناولنيه أنظر إليه إن شئت.



وما إن استمكنت كف أبي بصير من مقبض السيف حتى علا العامري به وجعل يضربه حتى جعله في الغابرين.

وأذهلت المفاجأة المولى كوثرا ولكن خوف الموت خف به إلى ظهر راحلته يستحثها في العودة إلى المدينة وما إن فرغ أبوبصير من سلب العامري حتى كاد المولى أن يغيب عن نظره فوثب على بعير العامري يجد في إثر المولى في مطاردة خيم عليها شبح الموت، وما إن بلغ العامري مداخل المدينة حتى قفز عن الراحلة وانطلق يعدو إلى المسجد والحصى يطن تحت قدميه.

نظر الصحابة في دهشة إلى ذلك القادم يعدو نحوهم فقال النبي ﷺ :

- لقد رأى هذا فزعا.

وأقبل المولى يلهث والخوف يطل من عينيه وقال بصوت مرتجف:

- لقد قتل صاحبكم صاحبي وأفلت منه ولم أكد، وإني لمقتول.

واستغاث برسول الله ﷺ، فأمنه.

وقدم أبوبصير وأناخ بعير العامري بباب المسجد وعلى وجهه مشاعر متباينة من الاعتزاز بالنفس والخوف والرجاء، وشغله الموقف عن إفشاء السلام فابتدر الرسول ﷺ، قائلا: - يارسول الله: وفت ذمتك وأدى الله عنك.. أسلمتني بيد القوم وامتنعت بديني أن أفتن فيه فقال له الرسول ﷺ :

- اذهب حيث شئت

- يارسول الله هذا سلب العامري.. رحله وسيفه، فخمسه.

- إذا خمسته لم أوف بالذى عاهدتهم عليه، ولكن شأنك وسلب صاحبك، واذهب حيث شئت.

خرج أبوبصير من مسجد الرسول ﷺ، ليلتف حوله خمسة الرجال الذين قدموا مهاجرين من مكة، ولم يرسل في طلبهم أحد بعد، وفي أعينهم تساؤل عن المصير المجهول.

وقبل أن يبدأ أي منهم بحديث ترامى إليهم صوت النبي ﷺ، عن أبي بصير:

- ويل أمه مشعل حرب لو كان معه رجال.

ودون أن ينبس أحد ببنت شفة سار الرجال الخمسة خلف أبي بصير.

استقر المقام بالرجال بين العيص وذي المروة من أرض جهينة على طريق قوافل قريش مما يلي سيف البحر. وبلغ أباجندل بن سهيل بن عمرو والمحبوسين بمكة ما قاله النبي ﷺ، عن أبي بصير: «ويل أمه مشعل حرب لو كان معه رجال» فجعل أبوجندل يزين لأصحابه المحبوسين بمكة الانفلات إلى أبي بصير.. وما إن أسدل الليل ستوره حتى كان سبعون من الرجال يطوون الأرض تحت جنح الظلام إلى سيف البحر.

لم يخلص إلى أبي بصير هؤلاء الفارون من



بطش قريش وحدهم بل تسامع المغلوبون على دينهم من غفار، وأسلم، وجهينة، وطوائف من الناس فتخففوا إلى ذى المروة فكانوا ثلاثمائة فدائى أو يزيد وتنحى أبوبصير عن القيادة والإمامة لأبى جندل الذى عرف كيف يزعج قوافل قريش حتى وصلت العير القادمة من الشام والتى أودعت فيها قريش أموالها فلم يبق من بين بطونها أو أفخاذها إلا وله مال أو فلذة كبد فى هذه العير.. وأحس الفدائيون أن فى هذه العير مايعوضهم عن أموالهم التى تركوها بمكة وعن نفيهم بعيدا عن الأهل والأرض الحبيبة.

انقض الرجال على القافلة انقضاض الأسود الكاسرة فلم يمض وقت طويل حتى كانت العير أنفالا والحراس فى عالم الغيب إلا من أبقوا على حياتهم ليحملوا إلى قريش نبأ الكارثة.

طال انتظار أصحاب الأموال فى مكة وساورهم الهم والقلق وكلهم يخشى أن يصرح بمايدور فى خاطره من شكوك حتى ظهر رجال امتد بهم حبل الأجل فأفلتوا من مخالب الموت ولكن صفرته لازالت ترسم وجوههم وفى أعينهم ما يغنى عن التفصيل، وتقدم أبوسفيان من الرجال وهو لايريد أن يصدق مايرى وقد دفع الغيظ الدماء فى عروقه حتى برزت أوداجه فقال: ماذا أصاب العير؟

فراح رجل ينشد ما قال أبوجندل:

أبلغ قريشا عن أبى جندل
أنا بذى المروة بالساحل
فى معشر تخفق راياتهم
بالبيض فيها والقنا الذبل
يأبون أن تبقى لهم رفقة
بعد إسلامهم الواصل
أو يجعل الله لهم مخرجا
والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه
أو يقتل المرء ولم يأتل

ولم يخل بيت من بيوت مكة دون أن يخيم عليه الحزن على قتيل لا يودى أو مال لايسترد ولم يجد غضب أبى سفيان على سهيل بن عمرو الذى اشتط فى اشتراطه على الرسول ﷺ، أن يعيد إلى قريش من ذهب منها إليه، فلولا هذا الشرط ولولا حبسه لابنه أبى جندل ما حلت بهم النكبات.

ولم يكن أمام أبى سفيان خيار فى الأمر، فلابد أن يتوجه بنفسه إلى محمد ﷺ، ويطلب منه إلغاء هذا الشرط الذى كان فى ظاهره إجحاف بالمسلمين فإذا به يرسل تباشير الفتح.. وقدم أبوجندل إلى أبى بصير كتاب النبى ﷺ الذى يخبرهم فيه بإلغاء الشرط، ويطلب إليهم القدوم إلى المدينة.. ورفع أبو بصير عينين واهنتين إلى الكتاب يقرؤه فاطمأنت نفسه وحمد الله قبل أن يسلم الروح إلى بارئها.



# القيم في عصر المعلومات




للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا(*)

## تحديات القيم فى عصر المعلومات والاتصال

**لقد دخلنا مع بداية القرن الواحد والعشرين عصراً جديداً للمعلومات والاتصال يسمى، كوم-كوم، (COM-COM) Computer-Communication.**

(*) نائب رئيس جامعة القاهرة لشئون البيئة، وقد شارك بهذا البحث فى المؤتمر الثقافى العربى السابع للمجمع الثقافى العربى حول «الثقافة والقيم» الذى عقد بجامعة السلطان قابوس فى مسقط عاصمة سلطنة عمان فى الفترة من ٢١ - ٢٣ أكتوبر ٢٠٠١م.

فقد أصبحت تقنيات المعلومات والاتصال وجهين لعملة واحدة، على أساس أن ثورة تقنية الاتصال قد سارت على التوازى مع ثورة تقنية المعلومات التى تدفقت نتيجة للتفجر المعرفى وتضاعف الإنتاج الفكرى فى مختلف المجالات، وظهور الحاجة إلى تحقيق أقصى سيطرة ممكنة على فيض المعلومات المتدفق، وإتاحته للباحثين والمهتمين ومتخذى القرارات فى أسرع وقت وبأقل جهد وتكلفة، عن طريق استحداث أساليب جديدة فى تنظيم المعلومات تعتمد بالدرجة الأولى على الحاسب ( الكومبيوتر ) واستخدام تقنية الاتصال لمساندة مؤسسات المعلومات ودفع خدماتها لتصل عبر القارات. والواقع أن تعريف « المعلومات » ينطوى على معنى هذا التزاوج، إذ ينص فى إحدى صيغه على أنه « اقتناء واختزان المعلومات وتجهيزها ( معالجتها ) فى مختلف صورها وأوعية حفظها، سواء كانت مطبوعة أو مصورة أو مسموعة أو مرئية أو ممغنطة أو معالجة بالليزر، وبثها وتبادلها ونقلها باستخدام توليفة من المعلومات الالكترونية، ووسائل أجهزة الاتصال عن بعد ».

وهكذا لا يمكن الفصل بين تقنيات المعلومات والاتصال، فقد جمع بينهما النظام الرقمى الذى تطورت إليه نظم الاتصال، فترابطت شبكات الاتصال مع شبكات المعلومات، وهو ما نلمسه واضحاً فى حياتنا اليومية من التواصل بالفاكس عبر شبكات التليفون، وفى بعض الأحيان مروراً بشبكات أقمار الاتصالات، وما نتابعه على شاشات التليفزيون من معلومات تأتى من الداخل، وقد تأتى من أى مكان فى العالم أيضاً.

وإذا كان عصر المعلومات والاتصال يشهد حالياً ثورة هائلة للعمل على السرعة فى الحصول على المعلومات ونشرها وتبادلها ونقلها من مكان إلى مكان آخر بأقصى سرعة ممكنة، إلا أن هذه التقنيات الجديدة لم تكن خيراً محضاً، بل أصبح لها عديد من التأثيرات السلبية التى تهدد منظومة ( نسق ) القيم الإنسانية. ويمكن إيجاز ذلك فيما يلى :

١- حق الإنسان فى الحصول على المعرفة بصورة عامة لم يعد مكفولاً للجميع بسبب اتساع فجوة المعرفة **Information gap** بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون لدرجة أصبحت تشكل انزعاجاً وقلقاً بشأن من لا يمتلكون القدرة على الوصول إلى خدمات الإنترنت والقنوات الفضائية العالمية. ذلك أن تكاليف أجهزة الحاسب ( العتاد والبرامج )، وأطباق الاستقبال، والاشتراك فى شبكات المعلومات، ليست فى متناول نصف سكان العالم تقريباً من الطبقات الفقيرة التى لا تستطيع حتى الآن أن تصل إلى الخدمة التليفونية. ومن المعروف أن التليفون يمثل القاعدة الأساسية للوصول إلى شبكة المعلومات. وحتى فى أكثر الدول ثراء وليبرالية، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، نجد أن حوالى ٩٥٪ من المنازل يوجد بها تليفونات، بينما تقل هذه النسبة إلى ٨٥٪ فى المنازل التى يقطنها أمريكيون من أصل أفريقى **African Americans**.



ويعول البعض في حل هذه المشكلة ـ لتحقيق المساواة الاجتماعية في إتاحة القدرة للحصول على المعلومات ـ على ما يسمى بالطريق السريع للمعلومات Information Superhighway لتحقيق التدفق الحر Free Flowing للمعلومات ووصولها إلى أية مكتبة أو مدرسة أو مستشفى.. ولكن هذا الحلم يعوق تحقيقه واقع الحال فيما يتعلق بالبرامج المنافسة وتحديد أسعار الخدمات والممارسات التسويقية للشركات.

٢ ـ ترتيبا على وجود فجوة المعرفة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وصعوبة تحقيق المساواة الاجتماعية، يخشى أن يصبح أثرياء المعلومات أكثر ثراء، وفقراء المعلومات أكثر فقراً، الأمر الذي ينذر بخطر إعادة تشكيل أخلاقيات مجتمع الرفاهية والثراء بصورة مغايرة للقيم الإنسانية. ذلك أن أثرياء المعلومات يتمتعون بالمزايا التي تساعدهم على أن يشيدوا التقنيات الجديدة ويتفوقوا في استخدامها بشكل أسرع، وهذا يؤدي في النهاية إلى تشكيل مجتمع من طبقتين Two-Layered Society تباعد بينهما عوامل أخرى ـ بالإضافة إلى تقنيات المعلومات والاتصال ـ مثل حالة الكساد الطويلة والضرائب المتزايدة، وانخفاض معدلات التعليم المجاني.

٣ ـ تدل الإحصاءات الحديثة على تزايد ظاهرة إدمان الإنترنت والتليفون المحمول، حيث يقضي بعض مستخدمي الإنترنت أكثر من ١٨ ساعة يومياً في الاتصال المباشر معها ( ثرثرة ومناقشات تافهة )، ويجد مستخدمو التليفون المحمول أنفسهم مدفوعين لاستخدامه دون وعي منهم. وقد أوضحت إحدى الدراسات الحديثة أن الموجات الكهرومغناطيسية التي يولدها التليفون المحمول، والتي يتسرب تأثيرها إلى المخ، تسبب إفراز نوع من «الأندومورفينات» يشبه مخدر «المورفين» ويسبب «الإدمان» المرتبط بإهدار قيمة الوقت.

وقد لوحظ أن ما بين ٣٠٪ إلى ٤٠٪ من إجمالي عدد الحاسبات تترك في وضع التشغيل طوال أيام وليالي الأسبوع دونما حاجة لذلك لتستهلك طاقة كهربية تعادل الطاقة التي تنتجها ١٢ محطة توليد كهرباء. ولم تفلح كثيرا جهود خفض استهلاك الحاسبات والشاشات والطابعات للطاقة الكهربية من خلال وجود ما يسمى «بنظام نوم الطاقة» «Power Sleep mode» في فترة عدم الاستخدام، أو تشغيل خط إنتاج لما يسمى «بالحاسبات الخضراء» التي تحد من استهلاك الطاقة وتحافظ على البيئة المحيطة.

٤ ـ مع انتشار تقنيات المعلومات والاتصال بصورة كبيرة انتشرت أيضا الجرائم الجنائيةوالأخلاقية المرتبطة بها، وتعددت وتنوعت هذه الجرائم التي يتمحور أغلبها حول سرقة معلومات أو بيانات، أو مجرد الاطلاع عليها والانتفاع بها بصورة غير شرعية أطلق على معظمها اسم «القرصنة» وعلى مرتكبيها اسم «القراصنة»، قياسا على ما يقوم به قراصنة البحار من استيقاف بعض السفن والمراكب والانتفاع بمكوناتها المادية

وسرقة من هم على متنها بصورة غير شرعية. وكما أن الإنترنت تتطور، فإن القراصنة أيضا يتميزون بسرعة التكيف مع هذا التطور، ويسعون لإيجاد طرق جديدة تتمشى مع تطورات الإنترنت.

كذلك تصاعدت في الآونة الأخيرة سرقة المطبوعات والمنشورات مباشرة من الإنترنت، الأمر الذي يهدد الصناعات الإبداعية ويعطل مسيرة تطور التجارة الإلكترونية. وأصبح معروفا أن أسلوب الدفع النقدي الإلكتروني E-Cash عن طريق بطاقات الائتمان تكتنفه مخاطر عدة أهمها سرقة أرقام هذه البطاقات، وتزوير الرسائل والبيانات بسبب غياب المستند الورقي الموقع بخط اليد، وتسويق سلع غير أصلية على شبكة الإنترنت دون أدنى حماية للمستهلك، وغيرها.

أيضا انتشرت خلال السنوات الماضية ظاهرة سرقات عتاد الحاسب والبرمجيات، وزادت سرقة الوقت والخدمات الكابلية والتليفونية، وتصاعدت جرائم تعمد الأذى والتدمير، وتنوعت أساليب حرب الفيروسات وأعمال التجسس والإرهاب وطرق التزييف وإفشاء الخصوصيات، وغيرها.

٥- ومن المخاطر التي تهدد العلاقات والقيم الإنسانية وجود مواقع على شبكة الإنترنت للحب والزواج والعلاقات غير الشرعية. وقد استغلت شبكة المافيا العالمية بعض هذه المواقع لتحقيق أرباح طائلة من هذه العلاقات المحرمة.

كذلك بدأ ما يسمى «الإباحية الإلكترونية» في الانتشار عبر شبكة الإنترنت حيث يتم تبادل الصور الفوتوغرافية المخلة بحرية تامة عن طريق هذه الشبكة، وأصبح هناك نواد للإباحية في الغرب، تباشر أعمالها بالاستعانة بشبكة «الويب» العالمية. ورغم أن الغرب كان يتغاضى أحياناً عن إباحية الكبار بدعوى الحق في حماية الخصوصية Right of Privacy إلا أن ذلك لا ينطبق على الأطفال والصبية الصغار بعد ما انتشرت «دعارة الأطفال» ونظرا لخطورة هذه المشكلة، فقد نظمت اليونسكو خلال شهر يناير ١٩٩٩م المؤتمر الدولي لمكافحة دعارة الأطفال عبر الإنترنت.

٦- تحاول بعض المنظمات المشبوهة - من خلال شبكة الإنترنت - تشويه الإسلام وتحريف القرآن الكريم وتلفيق أقوال مكذوبة على لسان الرسول الأمين سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -.

وهذا التحريف المتعمد يتنافى مع كل الأعراف والمواثيق الدولية التي تؤكد على ضرورة احترام المعتقدات وعدم المساس بالمقدسات.

٧- حماية الملكية الفكرية Intellectual Property Rights في عصر تقنيات المعلومات والاتصال تعد أمراً مهماً بعد أن أصبحت عمليات النسخ أسهل بكثير مما كانت عليه في الماضي.

## ● خاتمـــة:

يتضح من هذا العرض العام الذي قدمناه بشأن القيم في عصر المعلومات والاتصال أن الموضوع بحاجة ماسة إلى اهتمام الباحثين

بدراسة التأثيرات المختلفة لهذه التقنيات الجديدة على جوانب الحياة البشرية، وبيان أهمية الحرص على صيانة الذاتيات واحترام اللغات والثقافات القومية وعدم المساس بالمقدسات، خاصة وأن مخاوف البلدان النامية تتزايد يوماً بعد يوم مع اتساع الفجوة بينها وبين البلدان الأكثر تقدماً. ويخشى أن تفرض المعلوماتية عبر انتشار البرمجيات نموذجاً ثقافياً موحداً، منبثقاً عن بلدان الشمال، وأن يكون هذا التوحيد مصدر إفقار للبشرية جمعاء، لأن الثروة - كما نعلم - كامنة في التنوع، بل يخشى أن تفضي المعلوماتية داخل البلد الواحد إلى تعميق الهوة وتوسيع حالات التفاوت بين فئات المجتمع على حساب الأقل حظاً. وعندما يشار إلى التغير الاجتماعي الذى يقضى إلى إعادة صياغة منظومة القيم، فإن ذلك يعنى التغيرات التى تحدث فى بنية المجتمع ووظائفها المتعددة، ولهذا يكون التغير الاجتماعي جزءاً من موضوع أوسع هو التغير الثقافى فى مختلف ميادين العلم والتقنية والفلسفة والفن وغيرها. وعلى كل حال، فإن العلاقة بين القيم الثقافية والتغيرات التقنية علاقة تبادلية تقوم على التأثير والتأثر، وآية ذلك أن القيم عامل حاسم فى اختيار التقنيات، مثلما أن التقنيات عامل مؤثر فى تغيير القيم.

## أهم المراجع


١- د. عبداللطيف محمد خليفة، ارتقاء القيم (دراسة نفسية)، عالم المعرفة (١٦٠)، الكويت ١٩٩٢م.

٢- د. صلاح قنصوة، نظرية القيمة فى الفكر المعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٦م.

٣- د. شريف درويش اللبان، تكنولوجيا الاتصال - المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ٢٠٠٠م.

٤- د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز المنيف، حرب المعلومات - الحرب القادمة، د. ت.

٥- د. أحمد فؤاد باشا، فى فقه العلم والحضارة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٧.

٦- د. عبدالمحسن الحسينى، العصر التكنولوجي والإسلام - دراسة نقدية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ١٩٨٦.

٧- Maxwell, N., 1988. From Knowledge to Wisdom: A Revolution in the Aims and Methods of Science Blackwell, New York.

٨- Polkinghorne, J ,.1996. "Beyond Science". Cambridge University Press

## رمضان فى بلاد الأمريكان (٢)

# الأرض الخصبة والمشاكل الصغيرة

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

**دأب الغرب على زعم أن الإسلام انتشر بحد السيف والغريب فى الأمر أن الغرب يدعى الحيدة فى دراسة التاريخ والسير، ويزعم أنه يستخدم أساليب موضوعية فى تحليل الأحداث!!**

**وتلك أردية مللناها، وسئمناها. لكنه مازال يرتديها. ودعايات مازال يطلقها، ولا يصدقها هو. فهو يعلم يقينا أن مزاعمه مفتراة وأن أرديته كاذبة.**

**وأكاد أوقن أنه يضحك فى خبث ودهاء عندما يرى أناسا من بنى جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا يرددون زعمه ويرتدون أرديته.**

**والحق الذى لا مرية فيه والذى يعلمه الغرب يقينا وفى نفس الوقت يخافه على مستقبله ويرهبه، أن الإسلام انتشر بالدعوة الهينة والقدوة الحسنة. ودعاة الإسلام وعلماؤه يقولون:**

**«إن حال رجل فى ألف رجل خير من مقال ألف رجل فى رجل».**

ولم يدخل الإسلام حربًا إلا دفاعًا عن نفسه ضد من أرادوا أن يغتالوا الدعوة فى مهدها، خوفاً على مواقعهم فى المجتمع أو على مصادر الثروة فيما يقدسون من حجارة يرتزقون من خلالها أو خداع وشعوذة، وكهانة يمارسونها يدعمون به المكانة الاجتماعية ومصادر الدخل، حيث إن الجاهلية كانت تعلم صدق الداعى، ونبالة الدعوة، وصدق الله حيث يقول:

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾(١)

---

(١) الأنعام (٣٣)



وكم عانى المسلمون من ألوان التعذيب والصد عن الدعوة!! وكتب السيرة والتاريخ خير شاهد على ذلك.. لكن مالنا وللتاريخ! وأعداء الإسلام يشوهون التاريخ ويمسخونه، ويمسخون عقولاً، ويستأجرون أبواقاً تهلل لكل ناعق بما يزوِّرون.

وفجأة أقبل عليَّ صاحبي -بعد طول غياب- مقاطعاً مشوقاً متهللاً في عتاب يقول: جئت إليك أود أن أرى بلاد الأمريكان من خلال حديثك ولكني أراك تدخلنا في منعطفات وعرة وقضايا معقدة.

قلت: والأسى يكاد يقطر في كلماتي ومرارة الألم تملأ حلقي، أحاول جاهداً أن أخفي ما أصابني من وقع الكلمات، ليس فيما أقول قضايا معقدة، ولم أصحبك بعد إلى منعطفات صعبة وكل ما قلته هو بعض إفرازات الرحلة في بلاد الأمريكان، فلم يكن الأمر كما توهمت وأنا لست ابن بطوطة ولا ماجلان، وعلى أي حال ربما يتيح المستقبل وقتاً للحديث عما تريده من الرحلة.

قال صاحبي في مودة ومجاملة -فيهما من المجاراة أكثر مما فيهما من الموافقة والاقتناع-: لك ما تريد، لكني بربك أريد أن أعرف مرادك من الدخول في هذه القضية وماذا تريد من عرضك لهذه المزاعم القديمة.

قلت لصاحبي -وقد أبهجتني موافقته-: لا يخفى عليك ما تعانيه الولايات المتحدة والعالم مما حدث في الحادي عشر من سبتمبر، كما لا يخفى عليك رد الفعل الأمريكي الأهوج المتهور المدمر الذي حطم فيما حطم ما كان يتغنى به من ديمقراطية وحرية وعدالة أيضاً، لا فيما تعامل به مع الآخرين؛ فذلك معروف وقائم في تعامل الغرب مع العالم القديم كله، واذكر لنهرو رئيس وزراء الهند الأسبق كلمة رقيقة لكنها حادة مثل السيف يصف بها الغرب في تعامله مع الشعوب الأخرى عندما قال: «إن الغرب يعتقد أن الديمقراطية والحرية والعدالة فراء ثمين لايناسب أبناء المناطق الحارة». لكني أقصد ما كان يتغنى به الغرب ويعيش به داخل المجتمع الأمريكي نفسه، حيث أقر الكونجرس الأمريكي ما عُرف بقانون الاشتباه وهو ما يبيح للسلطة التنفيذية سلطة القبض والحجز لمدة تصل إلى ستة أشهر لمجرد الاشتباه!! ومع هذا يتباكى على ما يدعيه من حقوق الإنسان المهدرة وتقييد الحريات في عالمنا الثالث. كيف ولماذا؟

أما كيف.. فذلك بواسطة جماعات حقوق الإنسان المبثوثة في بلادنا التي ترسل تقاريرها المشبوهة الملوثة بالعمالة والارتزاق والخيانة الملوَّثة بالصراخ والبكاء على الحريات المهدرة!

أما لماذا.. فذلك بهدف التدخل والابتزاز والسيطرة ولا عزاء للحرية والديمقراطية.

معذرة.. لقد أطلت عليك، لكني أردت أن أبين لك شعارات وذرائع لانتهاك حريات الآخرين!! وإن ربك لبالمرصاد..

ها هي حرية الإنسان مرغها الأمريكيون في وحل الاستبداد أمام الخوف والهلع، وصدق المثل العربي الذي يقول: «بالكيل الذي كلت يُكال لك به».

وصدق الله حيث يقول في حق أسلافهم:

﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢)

وأثناء ذلك اشتدت الحملة على الإسلام، وبدأ الغرب كله يقلب في مخزونات الاستشراق البغيضة، وينشر على العالم كله ما يمكن أن نسميه «جمرة الحقد الخبيثة» من مزاعم وأباطيل، فندنا إحداها في المقال السابق واليوم نفند زعماً آخر وأكذوبة قديمة، وهي أن الإسلام انتشر بحد السيف، وأنه دين لا يعرف السلام.

قال صاحبي - وقد أحسست بوادر ملل تتسرب إلى كلامه -: معذرة إليك، لماذا كل هذا الجهد الذي تبذله وهذه المقدمات الطويلة في دحض شبهة قديمة مع أن الإسلام يكاد يركع تحت سيطرة النيران الغربية، فالغرب ليس في حاجة إلى حجج من هذا القبيل.

قلت لصاحبي -مقاطعاً-: أولاً: أنا لا أقبل قولك أن الإسلام يكاد يركع، لأن الإسلام دين لا يعرف الركوع لغير الله، ولا السجود إلا لسلطانه، أما المسلمون فقد أسلَم بأن بعضهم يدفعهم للركوع، ما أخبر به المصطفى ﷺ بأنه الوهن الذي سيصيب المسلمين بعده وهو «حب الدنيا وكراهية الموت» أما الإسلام فلا.

إن الذي يزعج أمريكا الآن ليست الدول الإسلامية، إنما الذي يزعجها ويؤرقها هو انتشار الإسلام في داخلها.

قال صاحبي -وفي صوته نبرة سخرية-: كيف ينتشر الإسلام داخل أمريكا حتى يزعجها؟

قلت لصاحبي: الآن اقتربت بي أو اقتربت بك من الحديث عن رحلتي في بلاد الأمريكان، والإجابة على السؤال أيضاً.. إن المواطن الأمريكي العادي مغلق لا يكاد يعرف عن العالم الخارجي إلا ما يقدمه تليفزيون تافه مهرج مليئ بزخم إعلاني فج عن بضائع ومأكولات وأدوات زينة، وعلى قمة ذلك المرأة، فهي سلعة رخيصة تقدم وتقدم إلى درجة مقززة، يعف لساني وأربأ بمجلتنا عن وصفها، فهل تتصور أن التلاميذ الأمريكان لا يدرسون إلا التاريخ الأمريكي فقط؟ وأين هو؟ إنه أقل من ثلاثمائة عام؟ إننا هنا في مصر.. ندرس تاريخ العالم القديم وتاريخ أوروبا الحديث وأكثر بلاد العالم. وهي مسألة نفسية بالدرجة الأولى، فأنت عندما تدرس التاريخ القديم تفاخر بتاريخ تدرسه تناقح الأمم، أما أمريكا فسوف ينشأ الطفل مهزوما نفسيا عندما يدرس تاريخ مصر القديمة والآشوريين والفينيقيين والرومان، حتى إن أحد الأمريكيين من أصول شرقية ناقش المسئولين في مدرسة «لماذا لا تدرسون تاريخ العالم؟ ولماذا تدرسون تاريخ أمريكا فقط؟»

أجاب المسئولون -بكل عجرفة وعجز عن الإجابة السوية-: «مالنا وللعالم»؟!

على أني أعتقد أن التاريخ الأمريكي الذي

---

(٢) الحشر (٢).

يدرس للطلاب فيه كثير من التدليس وأظنهم لا يدرسون أن أمريكا كانت منفى للمسجونين الخطرين على الأمن في أوروبا وقطاع الطرق واللصوص، الذين يتكون منهم المجتمع الأمريكي نفسه الآن.

وأن قبائل محدودة هي التي هاجرت طواعية إلى أمريكا بعد أن استقرت الأمور، ولذلك فهم يفاخرون البيض كأنهم أشراف، أما عن الزنوج فحدث عن التفرقة ولا حرج، فلا يمكن أن يدرس تاريخ اختطافهم من أفريقيا وبيعهم في سوق النخاسة الأمريكية.

وكل ما يتطرق لهذا التاريخ الأسود الذي يمكن أن يخرج النور على هيئة كتب وأفلام خارج فصول الدراسة ولذلك فهو يحدث دوياً يحرك المياه الراكدة في المجتمع الأمريكي، والتي ما تلبث أن تعود إلى هدوئها تحت وطأة طاحونة العمل اليومي الرهيب.

على أن الأمريكي كمواطن فيه من الطيبة ما يبلغ حد السذاجة، ومن الغطرسة ما يصل إلى حد الغرور والكبر، ومن الشراسة ما يطاول الوحوش المفترسة.

والمجتمع الأمريكي مجتمع عمل عنيف، ونظام، وطوابير أيضاً، ونظافة، لكنها شكلية مظهرية مجتمعية.

قال صاحبي: كل ذلك مقبول، أما أن تكون النظافة شكلية مجتمعية، فذلك مالا أفهمه وأحسبه نوعاً من التحامل منك.

قلت لصاحبي: لا أرى داعياً للتحامل؛ فأنا أنقل والناقل يجب أن يقدم رؤيته بأمانة وتحليله صادقاً. أما التبرير فليس من مهمتي ولا طبعي، على أي حال سوف أنقل لك ما رأيت بأمانة، وأحكي ما شاهدته بصدق وعليك أن تجد من الأوصاف للذي أحكيه ما يروق لك، أو ما يوافق الحقيقة في تقديرك.

في طريق عودتي نزلت في مدينة شيكاغو وتسميتها مدينة فيه تجاوز كبير حيث إن مقاييسنا تختلف من القاهرة إلى أمريكا وكل شيء هناك ضخم وواسع وكبير حتى الأقداح التي يتناولون بها الشاي والقهوة والمياه الغازية، الأقداح كبيرة، كنت أسميها «القُلة الأمريكاني» نسبة إلى القُلة قبل عصر الثلاجة والديب فريزر.

قال لي صديق مصري -يحمل الجنسية الأمريكية- والعهدة على الراوي: إن مدينة شيكاغو قريبة من حجم الدلتا وبها أكثر مطارات العالم حركة، ففي كل ٣٠ ثانية حركة إقلاع وهبوط، المهم أن هذه المدينة على اتساعها المهول نظيفة تماما، لم أر ورقة أو علبة سجائر فارغة أو أحد أقداح القهوة ملقى على الرصيف، إن الأمريكي يحمل ما تبقى معه ولا يلقيه من يده حتى يجد سلة مهملات، وتلك خصلة حميدة. ونظافة يحمد عليها و تحمد له، لكني شاهدت في مطار شيكاغو على مقعد أمامي في صالة الانتظار شاباً يحمل كلباً صغيراً في حجم قطة في لون البقر ذو شعر قصير ملامح كلب عادي كالذي نراه في مصر -مثلاً- فليس هو فصيلة نادرة أو غريبة الشكل، مسافر معه،

يحمله في قفص خاص به، أخرجه من محبسه ووضعه على حجره يلاعبه ويلاطفه كل هذا منظر مقزز، لكنه كثير مشاهد، أما الذي راعني هو أن هذا الشاب كان يأكل من (كيس) عليه علامة أحد المطاعم الشهيرة التي ابتلينا بها في الشرق به قطع من الدجاج والبطاطس، فكان يأخذ قطعة الدجاج الصغيرة ويطعمها للكلب وبيده نفسها التي لامست فم الكلب ولسانه يقطع أخرى ويأكلها هو!

وليس ذلك فحسب، بل إنه يقدم قطعة بطاطس للكلب، فيلحسها الكلب في مجاملة لصاحبه، ثم يرفضها، فيعاود صاحبه فيأكلها في حبور أبله.. ياسبحان الله!! كيف يتوافق هذا مع أنه يرفض إذا ناوله البائع رغيف خبز بيده من غير منديل ورقي يرفض أن يأخذ هذا الرغيف مع أن العامل الذي يقدمه أمريكي أبيض، فهل فم الكلب ولسانه أكثر نظافة! ومستساغ أكثر من يد أمريكي أبيض؟! أم أنها النظافة الشكلية التي فرضها المجتمع الغبي، التي تُميز في غطرسة أنف الكلب وفمه ولسانه على يد إنسان خلقه الله فسواه فعدله.

ومهما يكن عندنا من بُغض يزعمه الأمريكان ضدهم، فلن تفضل الكلاب عليهم!!

قلت لصاحبي: أعتقد أني جنحت بك جنوحاً بعيداً عما كنت أريد.

قال صاحبي: لا عليك، فلست أرى فيما قلت جنوحاً، على العكس، فأنا أحب وصف هذه المشاهد، فذلك ما أرجوه من حديثك عن الرحلة «الامريكانية» البلاد والناس.

قلت: لك هذا إن شاء الله، لكن الذي أحب أن تعرفه، والسؤال الذي أرجوك أن تسأله لنفسك: «لماذا يثير الغرب كله - وليست أمريكا وحدها- ضد الإسلام هذه التهمة القديمة، «أن الإسلام انتشر بحد السيف»؟ وواصلت قائلاً: هل تعلم أن أمريكا تخاف من انتشار الدين الإسلامي الآن أكثر من أي وقت مضى داخل أمريكا نفسها حيث إن نسبة مبيعات الكتب الإسلامية تجاوزت نسبة مبيعات اللهو الأمريكي!.. وأن كثيراً من الأمريكيين جاءوا إلينا يسألون عن الإسلام، فلما عرفوا عقلانية الإسلام وسماحته كانوا في ذهول مما يقدم في الإعلام الأمريكي عن بدوية الإسلام وتسلطه وعدوانيته.

إن حملة أمريكا العسكرية يحاول الإعلام الأمريكي تبريرها للمواطن العادي هناك بزخم دعائي حتى تؤهله نفسياً لتحمل تبعاتها المادية بعكس حرب العراق، فإن الذي تحمل تبعاتها مباشرة هم العرب والمسلمون. أما هذه الحرب فقد يتحملها الاقتصاد النفطي على المدى البعيد، لكن الخزانة الأمريكية هي الممول المباشر، فهذا مالا يرضاه الأمريكي ولا يحبه، وهو ما يزعج الإدارة الأمريكية، فكان لابد من «هوجة» إعلامية، قالت فيما قالت، وافترت فيما افترت: أن الإسلام دين الإرهاب وأنه انتشر قديما بحد السيف، فبدأ الأمريكي يسأل عن الإسلام وهؤلاء العرب، فلم يجد أمامه إلا

ترجمات كاسدة في المكتبات الأمريكية، تناولها في لهفة، وعرف منها بعض الحقائق عن هذا الدين، بدا من خلالها كذب ما يقشريه الإعلام الأمريكي، وتلك سقطة للإعلام الأمريكي تشهد أن الإسلام قد استفاد منها، فلو لم يربط الإعلام الأمريكي بين ما حدث في ١١ سبتمبر وبين الإسلام لكان دور الفعل الأمريكي والعالم حرباً عادية مثل كل العبث الأمريكي الأهوج في العالم، لكن كما يقولون: «رُب ضارة نافعة».

وكما يقول الشاعر:

**قــد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت**

**ويــــبتلي الله بعض الناس بالنعم**

فمن نعم الله - تعالى - المغلفة بالتدمير الأمريكي الأحمق ربط ما حدث في ١١ سبتمبر بالإسلام، مما جعل المواطن الأمريكي يسأل عن الإسلام، ويتعرّف على هذا الدين، فيجده ديناً سمحاً نبيلاً إنسانياً شاملاً.

إن المواطن الأمريكي إذا رأيته وهو يأكل، يلتهم كميات لا يتناول ربعها أكثر سكان العالم قهراً لأنه لا يجد أو أفضلهم سلوكاً لأن دينه يقول: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾(٣).

وجسم الأمريكي ضخم مترهل والسمنة منتشرة بينهم بدرجة مقززة تجعلك تحمد الله على النحافة وعلى لقيمات يقمن الصلب، هذا الأمريكي خواء من الداخل، نفسياً وروحياً وأسرياً، يجعلك تحمد الله وتتذكر قوله تعالى بيقين:

﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾(٤)

هذا الأمريكي تحركه أجهزة إعلام رهيبة متسلطة لاهية ولابد لها من دق طبول عنيفة حتى ينتبه ويسمع ويحس بما يدور حوله حيث إنه بليد الإحساس غالباً، فدقت طبول الحرب ضد الإسلام، لكن انقلب الحال فتحرك الوعي الأمريكي يريد أن يعرف ما هو الإسلام أولاً. فإذا عرف الإسلام فذلك مكمن الخطر على النظام الأمريكي نفسه، وهذا هو الذي حدث، وهذا سر الفزع الأمريكي الآن، إنهم لايخافون من المسلمين، ولكن يخافون الإسلام داخل بلادهم الذي يتساب إلى القلوب الظمأى كالماء العذب في هدوء رقراق جميل، ولنا أمل عظيم أن يحول هذا الفقر النفسي والروحي إلى رياض نضرة من الري والأمن والاطمئنان بالإسلام.

فهل بعد ذلك يسوغ لعاقل أن يقبل قول مستشرق أحمق يزعم أن الإسلام ينتشر في أمريكا بحد السيف أم أن الواقع يكذب هذا، ويدحضه وعلينا أن نؤهل أنفسنا لمرحلة جديدة من الدعوة داخل المجتمع الأمريكي والغربي تناسب هذه الفترة. وإلى لقاء آخر بإذن الله نحاكي فيه أحداث التاريخ حول انتشار الإسلام في العالم ونحكي فيه بعض المشاكل الصغيرة التي يمكن أن تعوق ذلك الآن.

---

(٣) الأعراف (٣١).

(٤) محمد (١٢).

# في ظل آية كريمة

# ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾

للدكتور / حمدى فتوح والى

**لم يشهد تاريخ أمة (ماشهده) تاريخ بنى إسرائيل من قسوة وجحود واعتداء وتنكر للهداة، فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عددا من أنبيائهم، وهى أشنع فعلة تصدر عن أمة مع دعاة الحق المخلصين، وقد كفروا أشنع الكفر واعتدوا أشنع الاعتداء، وعصوا أبلغ المعصية، وكان لهم فى كل ميدان من هذه الميادين أفاعيل ليست مثلها أفاعيل!**

**وما نشهده اليوم فى أرض الإسراء من أفاعيل تذهل العقول وتحير القلوب من سفك للدماء وتمزيق للأشلاء، وحرق للزروع وهدم للبيوت، وما نراه من قتل للأطفال وهتك للأعراض وضرب للشيوخ وتكسير للعظام يشهد بهذه القسوة وينطق بتلك الوحشية.**

ولعل صورة الطفل الذى حاول الاحتماء بظهر أبيه لينجو من رصاص اليهود الغادر، وتوسلاته إليهم بصراخ يدمى العيون ويمزق القلوب، ومشهد الأب الحزين المكلوم وهو يتوسل إليهم جاعلا من صدره درعا لولده فى وجه هذه الكلاب المسعورة، خير شاهد على هذه القسوة التى لم ترحم براءة الطفل ولا توسلات الأب ومازالت بالطفل حتى ذبحته فى حضن أبيه.

وتساءلت فى مرارة كيف يقوى مثل هذا القاتل أن يعود إلى بيته ويحتضن طفله فى لهفة ويقبل ما بين عينيه فى حنان، وهو الذى فرغ منذ قليل من ذبح زميل ابنه فى الطفولة وخدنه فى البراءة.

لقد حاولت أن أجد تفسيرا لهذه القسوة الكافرة التى فاقت كل ما يتصوره البشر من الذئاب الجائعة والوحوش الضارية فوجدته شافيا كافيا فى قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(١).

(١) البقرة آية ٧٤.



والمتأمل في الآية الكريمة يلحظ مقارنة في القسوة بين قلوب اليهود وبين الحجارة. وهذا كاف في إلحاق صفة القسوة بهذه القلوب الكافرة، لكن الخالق -سبحانه وتعالى- يزيدنا علما بطبيعة تلك القلوب فيخبرنا أن هذه القلوب قد فاقت الحجارة في قساوتها فالحجر قد تمر به حالات يندى فيها ويرق، ويخشع ويلين لكن قلوب اليهود ليست كذلك، فهي من الغلظة والقسوة والشدة والجفوة بحيث لايمر بها أدنى خاطر من خواطر الرحمة أو الرأفة.

والحجارة التي يقيس الله قلوبهم إليها فإذا قلوبهم منها أجدب وأقسى، هي حجارة لهم بها سابق عهد، فقد رأوا الحجر تنفجر منه اثنتا عشرة عينا، ورأوا الجبل يندك حين تجلى عليه الله، وخر موسى صعقا، ولكن قلوبهم لاتلين ولاتندى، ولاتنبض بخشية ولاتقوى. قلوب قاسية جاسية، مجدبة كافرة، ومن ثم ختمت الآية بهذا التهديد:

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

ولغرابة هذه الصفة وشناعتها أتساءل: كيف وصل الحال باليهود إلى هذه الدرجة من الكفر والجحود والفجور والكنود، ولماذا استحقوا من بين سائر البشر أن ينعتوا بهذا الوصف البغيض؟

وجواب ذلك تجده في المقصود بالإشارة من قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾.

واسم الإشارة هنا يشير إلى تجربة الحق -تبارك وتعالى- معهم عندما أخذ عليهم الميثاق فغدروا، ودعاهم إلى الإيمان به فتمردوا وكفروا.

وقد سجل الله -سبحانه وتعالى- عليهم ذلك وقصه علينا فقال:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾(٢).

تلك كانت صيغة العهد الذي أخذه الله عليهم وواثقهم به، إنه ميثاق بين طرفين: الحق -سبحانه وتعالى- طرفه الأول، وبنو إسرائيل طرفه الثاني. والميثاق يتضمن شرطا وجزاء. والنص القرآني يثبت نص الميثاق وشرطه وجزاءه، بعد ذكر عقد الميثاق وملابسات عقده، لقد كان عقدا مع نقباء

---

(٢) المائدة آية ١٢.





بنى إسرائيل الإثنى عشر، الذين يمثلون فروع بيت يعقوب ـ وهو إسرائيل ـ وهم ذرية الأسباط ـ أحفاد يعقوب ـ وعدتهم إثنا عشر سبطا.

وهذا نص الميثاق: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

ثم يضع الحق ـ تبارك وتعالى ـ شرطا جزائيا في هذا الميثاق بقوله:

﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

فماذا كان من بنى إسرائيل: لقد جاءت النتيجة مذهلة للعقول، محيرة للألباب. فبرغم ما فى الميثاق من وعد كريم يغرى بالالتزام والمسارعة إلى التنفيذ وهو الوعد بمعيته سبحانه لهم، إن هم وفوا وصدقوا، فإن ذلك لم يحملهم على الوفاء، واستحضار الحياء، وجاءت النتيجة نقضا للعهد، وغدرا بالميثاق، وخروجا على الطاعة وتمردا على الله. فكان الجزاء ماقرره الحق ـ سبحانه وتعالى ـ بقوله:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾(٣).

لقد نقضوا ميثاقهم مع الله فقتلوا أنبياءه، وعصوا رسله، وحرفوا كتابه ونسوا شريعته، وتطاولوا عليه سبحانه وقالوا:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾(٤).

وزادوا على ذلك قولتهم الكافرة الفاجرة ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾(٥).

ووقفوا من خاتم الأنبياء ﷺ موقفا لئيما ماكرا عنيدا فباءوا بالطرد من رحمة الله. وقست قلوبهم فلم تعد صالحة لاستقبال هدى الله.

**يقول صاحب الظلال رحمه الله:**

«وصدق الله ـ سبحانه ـ فهذه سمات يهود التى لا تفارقهم.. لعنة تبدو على سيماهم إذ تنضح بها جبلتهم الملعونة المطرودة من الهداية. وقسوة تبدو فى ملامحهم الناضبة من بشاشة الرحمة، وفى تصرفاتهم الخالية من المشاعر الإنسانية، ومهما حاولوا ـ مكرا ـ إبداء اللين فى القول عند الخوف، وعند المصلحة والنعومة فى

---

(٣) المائدة آية ١٣.

(٥) المائدة آية ٦٤.

(٤) آل عمران آية ١٨١.



الملمس عند الكيد والوقيعة، فإن جفاف الملامح والسمات ينضح ويشى بجفاف القلوب والأفئدة.. وطابعهم الأصيل هو تحريف الكلم عن مواضعه، تحريف كتابهم أولا عن صورته التى أنزلها الله على موسى - عليه السلام - إما بإضافة الكثير إليه مما يتضمن أهدافهم الملتوية ويبررها بنصوص من الكتاب مزورة على الله! وإما بتفسير النصوص الأصلية الباقية وفق الهوى والمصلحة والهدف الخبيث! ونسيان وإهمال لأوامر دينهم وشريعتهم، وعدم تنفيذها فى حياتهم ومجتمعاتهم. لأن تنفيذها يكلفهم الاستقامة على منهج الله الطاهر النظيف القويم»(٦).

لقد عجبت لقوم يدعون إلى هذا الخير العميم، ويعدهم الله -سبحانه- هذا الفضل الكريم، ويمنيهم بهذا الجزاء العظيم، ثم يخوفهم عاقبة الكفر، ويبين لهم سوء المصير، فتابى فطرهم النكدة وطباعهم النجسة إلا أن تختار الضلال على الهدى، وتستبدل الكفر بالإيمان، فيحل الله بهم غضبه، وينزل عليهم نقمه وتحق عليهم لعنة الله إلى يوم القيامة. وكما عاقبهم ربهم بالطرد من رحمته فقد أنزل بهم عقوبة أخرى، هى ثمرة طبيعية للطرد من رحمة الله وهى عقوبة القسوة ونزع مشاعر الرحمة من أعماق تلك القلوب فصارت كما صورها ربنا -سبحانه- كالحجارة بل أشد من الحجارة.

وهذه القسوة التى استحقوها بكفرهم وفجورهم، وغدرهم بميثاق ربهم ظلت هى السمة التى تحكم علاقاتهم بكل من خالطوه وعاشروه من أمم الأرض جميعا، فكانوا على مدى تاريخهم كله مصدرا للشر والغدر، والخداع والمكر، والإفساد فى الأرض، وكلما ظهرت مؤامراتهم وفاحت روائح جرائمهم، صبت عليهم الأمم جام غضبها وأقسى لعناتها. مما جعلهم يجتهدون فى تحريف كتبهم ويضعون فيها من النصوص ما يتوافق ومشاعر البغض والغدر لجميع البشر. «وهذا دفعهم إلى أن جعلوا يوم الغفران أو التكفير يوما يعلنون فيه نقضهم للعهود والمواثيق التى قطعوها لغير اليهود. وأفتى فقهاؤهم بأن الداعى إلى ذلك كان إكراه اليهود على تغيير دينهم، وشاع بين اليهود أن يوم الغفران هذا يجوز فيه أكل الديون التى على غير اليهودى وعدم أدائها، كما يجوز فيه الرجوع فى كل وعد أو تعهد قطعه اليهودى على نفسه طوال السنة معتمدين فى ذلك على نص يتعبدون به باللغة الآرامية يبدأ بعبارة: «كل ندرى وأسارى وشبوعى.. الخ» ومعناها «كل

(٦) فى ظلال القرآن - سيد قطب - الطبعة السابعة جـ٢ صـ٨٥٩.



النذور والتحريمات والأيمان.. الخ ملغاة، وأن النذور ليست نذورا والتحريمات ليست تحريمات، والإيمان ليست أيمانا»[٧].

وإذا كان العالم كله قد وقف مذهولا أمام عملية اصطياد الطفل الفلسطيني محمد الدرة كنوع من التسلية الشيطانية من هؤلاء المجرمين ـ انتهت بذبحه بين يدى أبيه، فلأنها كانت المرة الأولى التى يقوم فيها الدليل مشاهدا مصورا أمام أعين أهل الأرض جميعًا. هذا العالم الذى لم يكن يصدق ما يقال عن فطيرة عيد الفصح أو فطيرة الدم كما يحلو لليهود أن يسموها. وخلاصتها كما يقول الدكتور حسن ظاظا: «إن خبز الفطير المفروض على اليهود فى فصحهم قد جرت العادة أن يدخلوا فى عجينته دما بشريا يأخذونه من ضحية يقتلونها من أمة أخرى غير اليهود، ويستحسن أن تكون الضحية من المسيحيين أو المسلمين»[٨].

وقد حاول اليهود إبعاد تلك التهمة عنهم معتمدين على نفوذهم الواسع فى استغلال وسائل الدعاية، لكن سجل الوقائع التى سجلت عليهم كانت أكبر من أن تدفع عنهم بالكلام والإنكار. خاصة وأن قائمة الأسماء التى وقعت ضحايا فى أيدى هؤلاء الكلاب المسعورة جاءت مسجلة بالأسماء والأماكن والتواريخ مما يجعل من الصعب على اليهود نفيها.

ويعلق صاحب كتاب «الفكر الدينى اليهودى» بعد أن ساق سجل تلك التهمة موثقا ومفصلا فيقول:

«ويتساءل الإنسان إزاء سيل من مثل هذه التهم يغطى كل العصور الوسطى والجزء الأكبر من العصر الحديث، أهذه كلها إشاعات، وهى من الممكن أن تنشأ إشاعة وتهمة ووصمة عار لها كل هذه الضخامة، فتغطى رقعة العالم كله، على مدى عشرات من الأجيال، دون أن يكون لها أدنى نصيب من الواقع؟»[٩].

وفى ضوء هذه الحقيقة الإلهية وتلك اللعنة الأبدية التى أصابهم الله بها، فصارت جزءا من كيانهم، وسمة أصيلة من سماتهم يمكننا أن نفسر سر هذه الوحشية الضارية التى يمارسونها قتلا وذبحا وتشريدا وهتكا وإبادة لكل مظاهر الحياة فى أرض فلسطين المباركة أرض الإسراء والمعراج.

إن قوما هذا شأنهم لايستغرب منهم مانراه من مظاهر الوحشية والدموية ومشاهد

---

(٧) الفكر الدينى اليهودى ـ د. حسن ظاظا ـ دار العلم ـ دمشق سنة ١٩٨٧ ص ١٦٩.

(٨) الفكر الدينى اليهودى ص ١٨٦.

(٩) المرجع نفسه ص ١٨٧



الرعب، التي تعقد الألسنة وتذهل العقول.

ولقد دفعني ذلك إلى تعقب لفظ القسوة في القرآن فوجدته قد ورد في سبعة مواضع، ثلاثة منها بلفظ الفعل (قست) وثلاثة بلفظ الاسم (قاسية) ومرة واحدة بلفظ المصدر، والذي يلفت النظر في هذه المواضع هو ارتباطها جميعا ببني إسرائيل وهي تأتي بصيغ مختلفة فهي مرة تأتي بضمير المخاطب مباشرة كقوله تعالى في سورة البقرة:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾(١٠).

تعقيباً على لجاجهم وعنادهم ومكرهم وخداعهم واستهزائهم بربهم.

ومرة تأتي بصيغة أهل الكتاب في معرض تحذير أمة الإسلام من الوقوع في قسوة القلب التي أصيب بها بنو إسرائيل نتيجة إعراضهم عن كتاب ربهم ونسيانهم لشريعته وفسقهم عن أوامره في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾(١١).

وثالثة تأتي بالإشارة إليهم بقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١٢).

وواضح من خلال الآيتين مدى ما أصاب قلوب القوم من جمود وبلادة وجحود إلى الدرجة التي لم تعد تنتفع بشئ من هدى الله ورحمته وسننه.

وفي هذه المواضع الثلاثة جاء التعبير بالفعل الماضي دليلا على نسبة القسوة إليهم، وارتباطها بهم، وظهور آثارها في حياتهم. لكن صفة القسوة تتحول إلى وصف ثابت دائم، لاينفك عنهم بحال من الأحوال عندما يأتي التعبير بالإسم وقد جاء وصف القسوة بصيغة الاسم في ثلاثة مواضع، منها ماجاء حكاية عن بني إسرائيل وتعقيبا على نقضهم الميثاق وذلك في الآية التي جعلناها عنوانا لهذا المقال وهي قوله تعالى:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾(١٣).

والقسوة هنا جاءت بلفظ الاسم دليلا على ثبوتها ودوامها، وارتباطها بهم ارتباط الاسم بصاحبه، لايبرحه ولاينفك عنه.

---

(١٠) البقرة آية ٧٤.

(١١) سورة الحديد آية ١٦.

(١٢) سورة الأنعام آية ٤٢، ٤٣.

(١٣) المائدة آية ١٣.

كما جاءت القسوة بصيغة الاسم في موضعين آخرين أحدهما يربط بين القلوب الشيطانية التي تستمع إلى إلقاءات الشيطان لأنها قلوب مريضة ولأنها قلوب قاسية

﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾(١٤).

فانظر أين وضع الحق – تبارك وتعالى – فئة القلوب القاسية؟.

والموضع الثاني يأتي بيانا لمصير هذه القلوب المتحجرة الكافرة الفاجرة، في مقابل القلوب الإيمانية الحانية التي شرحها الله لدينه، وأمدها بنوره، واصطفاها لنفسه، وزينها بحبه:

﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(١٥).

أما الموضع الذي جاءت القسوة فيه مصدرا فهو خطاب مباشر لليهود في آية سورة البقرة ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾.

وهكذا نرى أن القسوة بالنسبة للقلب اليهودي صارت أمرا غريزيا فطريا يجري في دمائهم، وينضح على وجوههم، ويبدو في ملامحهم ويظهر في سلوكهم. وما نشاهده ويشاهده العالم كله معنا من مذابح تدور رحاها بالليل والنهار على أجساد الضحايا من أبناء المسلمين في فلسطين، وما رأيناه من نقضهم للعهود وغدرهم للوعود، وتطاولهم على الله يجعلنا نتدبر رسالة ربنا إلينا وهو يقول:

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(١٦).

**ألا ياليت قومي يعلمون**

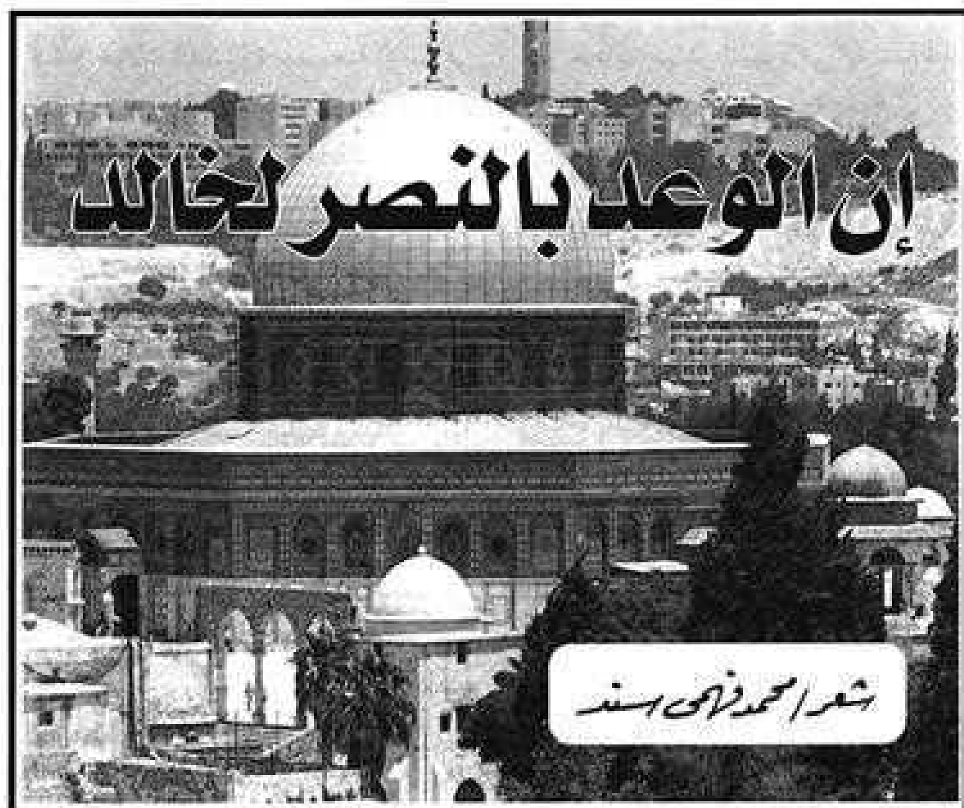
**ياليت قومي يعلمون**

***

(١٤) الحج آية ٥٣.

(١٥) الزمر آية ٢٢.

(١٦) البقرة آية ٧٥.




عـادت الأيام والتـاريخ شاهد　　　أن هذا الطفل في المهـد يجاهد

قـد رأى الحاخام يطوى وطناً　　　بين عينيه ويغتال العقائد

ورأى أعمامه في مجلس الأمن يصيحون، يدقون المناضد..!

ينظمون الشعر حزناً، يملأون العالم الصَّخرىّ حرباً في الجرائد

ويدورون على أبواب دنيانا، يبيعون انتهاكات المعابد..!

ودموع القدس والأطفال والأشجار تغلى في سحابات المواجد

تملأ الدنيا عتاباً أن هذا الوطن الحر يعاني ويعاند

باعد الشُّذاذ ليلاً خفافيش بلادٍ جمَّعوا منها الشوارد
مرت الأيام والسفاح والحاخام فى القدس يحيكون المكائد
ينزعون الغد من أحلام دنياه، يعيثون فسادا فى المساجد
عصبة الظلم تدارى سوءة الظُّلام بالنار على كل الموائد
بذراع البطش – والناس عبيدٌ ليد البطش التى تحمى المفاسد

دارت الأيام والأقصى ينادى      أين سيف الله فى كل السواعد ؟
ياصلاح الدين إن القدس كنزٌ      يتهادى فوق أعناق القلائد

أصرخ اليوم بجند الحق يسمعك صبىٌّ كان فى المهد يكابد
تنطق الأحجار فى كفيه: إن الحجر الحر كسيف فى الشدائد
صاحت الأحجار فى كفيه: هذا حجر النار ينفِّى كل جاحد

إن أبناء فلسطين أطاعوا      صوت أحجار تغنى للمراصد
فاشهدوا الآن بأنا قد عرفنا      دربنا للثأر والكل مشاهد

إن طفل اليوم قد علَّم كل الناس أن الأرض نارٌ تتصاعد
قد رأى أعمامه فى مجلس الظُّلم يثورون يدقُّون المناضد
يحملون المجد النازف فى العين، يغنون بأن الشعب صامد
وزمان الحق آتٍ، يحمل النصر، وإن الوعد بالنصر لخالد

***

# طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

## ثلاثة من قريش

قال عبدالله بن عمرو بن العاص : ثلاثة من قريش أحسنها أخلاقاً، وأصبحها وجوهاً، وأشدها حياءً، إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم بحق أو باطل لم يكذبوك : أبوبكر الصديق، وأبوعبيدة بن الجراح، وعثمان بن عفان ـ رضى الله عنهم ـ.

## عقل المرء وراء لسانه

عن طاهر الزهرى، قال : كان رجل يجلس إلى أبى يوسف فيطيل الصمت، فقال له أبويوسف : ألا تتكلم؟ قال : بلى! متى يفطر الصائم؟ قال : إذا غابت الشمس، قال : فإن لم تغب إلى نصف الليل؟ فضحك أبويوسف، وقال : أصبت فى صمتك وأخطأت أنا فى استدعائى لنطقك.

## فى فضل المال

● قال الجاحظ : اعلم أن تثمير المال آلة للمكارم، وعون على الدِّين، وتأليف للإخوان، وأن من فقد المال قلت الرغبة إليه والرهبة منه، ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس به، فاجهد جهدك كله فى أن تكون القلوب معلقة برغبة أو رهبة فى دين أو دنيا.

● وقال حكيم لابنه : يابنى، عليك بطلب المال، فلو لم يكن فيه إلا أنه عز فى قلبك، وذل فى قلب عدوك، لكفى.

● وقالت الحكماء : لا خير فيمن لايجمع المال يصون به عرضه، ويحمى به مروءته، ويصل به رحمه.

● وقال عبدالرحمن بن عوف : ياحبذا المال أصون به عرضى، وأتقرب به إلى ربى.

## حقائق

لو أراد السعد عني
نور عيني ما اتبعته
إن قلبي وهو قلبي
لو نحني ما اصحبته
كل شيء من صديقي
ما خلا الغدر احتملته

## من نتائج المعصية

قله التوفيق، وفساد الرأى، وخفاء الحق، وفساد القلب، ونفرة الخلق، والوحشة مع الرب، ومنع إجابة الدعاء، ومحق البركة فى الرزق والعمر، ولباس الذل وضيق الصدر.

## النزاهة فى الخصومة

يروى أن رجلا شتم المهلب بن أبى صفرة فلم يجبه، فقيل له : لم حلمت عنه؟ قال المهلب : لا أعرف مساوئه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه.

## أفضل المعرفة

قال حكيم قس بن ساعدة الإيادى : أفضل المعرفة : معرفة الرجل نفسه، وأفضل العلم : وقوف المرء عند علمه، وأفضل المروءة : استبقاء الرجل ماء وجهه.

## نصيحة

خذ من الدنيا ما أتاك، وتول عما تولى عنك، فإن لم تفعل فأجمل فى الطلب، واعلم أن الدهر يومان : يوم لك ويوم عليك فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر.

## دعاء

اللهم إنى أعوذ بك من علم لاينفع، ومن قلب لايخشع، ومن عين لاتدمع، ومن دعاء لايسمع أعوذ بك من هؤلاء الأربع.

# القدس فى عيون يهودية

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

فى هذه العجالة سنحاول النظر إلى القدس الحبيبة من خلال عيون يهودية، لنتعرف على مابذلوه من أجل تزييف الحقائق وطمس تلك الهوية العربية.

فقد استغلت الصهيونية مدينة القدس كورقة رابحة لتحقيق أهدافها. كما استغلت بعض العبارات التى وردت فى كتبهم المقدسة التى كتبها حاخاماتهم سواء فى المشنا أو الجمارا أو التلمود. بالإضافة إلى ماكتبه الأدباء عنها، والتى وجدوا بها مادة خصبة لتعميق الوعى الدينى اليهودي الزائف بالعاصمة الأبدية الموحدة لشعب الله المختار، ومركزا لأرض إسرائيل الكبرى التى لم ترسم حدودها حتى الآن.

وتخوض الحكومة الإسرائيلية سباقا عنيفا مع الزمن من أجل فرض الأمر الواقع بالاستيلاء على القدس الشرقية ومخطط تهويد المدينة قائم، وقد رفعت الصهيونية منذ بداية أيامها شعار مزمار داود « إن نسيتك ياأورشليم تنسى يمينى »[1]. وحاولت ترسيخ هذا الشعار فى الوجدان اليهودى. وأصبح بركة يتلوها اليهودى فور أن يستيقظ من النوم بعد عبارة: « أحمدك ياالله أنك خلقتنى رجلا ولم تخلقنى امـرأة ».

1

(١) شموئيل يوسف عجنون: تاهيلا ص٣.

ويحمل الأدب الصهيوني المعاصر مهمة تعبئة اليهود نفسيا حيث قفز الأدب الصهيوني إلى مهمته الأساسية مع بداية القرن العشرين، مدفوعاً من قبل الصهيونية المنظمة إلى المشاركة في طمس الحقائق وربط مآسي الماضي في تبرير أعمال مشينة ضد العرب مع أن العرب ليسوا الألمان، وياسر عرفات ليس هتلر أو حفيده حتى يأخذوا الثأر منه.

واليهود الإشكناز الذين يتسلطون على أمور الحكم لا تربطهم أية صلة بيهود العهد القديم، فقد نجحوا في تحويل اليهودية إلى دولة وقومية على حساب شعب آخر، وقاموا بتسييس الدين لحساب مصالح سياسية واستعمارية والعجيب أن عدد المتدينين لا يصل بأي حال من الأحوال إلى ٣٠٪ والباقي علمانيون ولكنهم اتفقوا جميعا على أن القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل. حتى أن أبرز ما حققه الأديب الصهيوني (عجنون) والحاصل على جائزة نوبل، أنه كان من أقدر الكتاب اليهود على دمج الموقف الديني بالموقف السياسي، فتحت رداء الدين الفضفاض تقف بطلته المفضلة تأهيلا لتعلن: «إنني أدعو الله أن يأتي اليوم الذي تتوسع فيه حدود أورشليم حتى تصل إلى دمشق وفي كل الاتجاهات»، وباختصار فإنه كان يكرر هذه «الرسالة التوسعية» في كل مكان من مؤلفاته[٢].

● وكذلك في رواية (يعيش) يقول الأديب[٣]:

«وعندما كان (يعيش) يسير مع ابن أخيه، كان الفتى يحدث عمه عن طموحاته التي تتلخص في الذهاب إلى القدس التي كانت في مقدمة تطلعاته».

ويقول أيضاً: «وذات يوم ظهر رجل غريب في شوارع المدينة (باليمن) وبسؤاله اتضح أنه قادم من فلسطين، وسرعان ما انتشر الخبر وتوافد القوم عليه يسألونه:

ـ كيف حال القدس؟

ـ تبارك الله، رد عليهم الضيف بهدوء، لقد جاء اليهود إليها من كل مكان، بنوا بيوتا وزرعوا كرما، وتدفق المال عليهم من كل مكان من روسيا وبولندا وأمريكا، وخاصة من أغنياء اليهود في العالم، فقط لكي يقيموا شعيرة استيطان أرض إسرائيل.

ـ ماذا يعملون هناك؟ وهل الطعام هناك رخيص أم غال؟

ـ هناك كل شيء رخيص جداً، رد عليهم، وكل شيء موجود بكثرة ولاينقصها أي

---

(٢) حاييم هزاز: يعيش ج٢ - ص١٠٩/١١٠.

(٣) المصدر السابق ج ١ - ص١٢١.

شيء، فدائماً عين الله ترعاها من أول العالم وحتى آخره»(٤).

ويصعد (يعيش) إلى الملائكة كي يحدثهم عن القدس وجمالها والهيكل المصنوع من الذهب والأحجار الكريمة(٥).

ومن دفن في القدس دخل الجنة، ووصف الجنة لم يرد في التوراة ولكن حاخامات اليهود وتلمودهم، وصفوها بأنها ستكون كالقدس ولكنها مساحة أكبر كي تتسع لجميع اليهود.

وفي التلمود: ترحف جثة اليهودي تحت الأرض بعد دفنها حتى تصل إلى القدس، ومن مات يدفن فيها ومن انتحر يدفن خارج أسوار المدينة. وقد تتدخل عدالة السماء في تحديد مقابر الموتى، وقد ورد هذا المفهوم لتعميق الإيمان بقدسية تراب القدس.. حيث يقول أحد العجائز أبطال رواية (الحالس في الجنات) مايلي:

إعلم يا ولدي أن هذا حدث في أيامي.. حضر بعض الناس المعروفين لحفار القبور ومعهم جثة يهودي... وبعد أن وصلوا إلى المقابر، أمروه قائلين: احفر هنا!

فأجابهم: حرام.. هنا قبر وشاهد.. وهددوه، فيفعل ما أرادوا، ثم أخذوا رفات من كان في القبر وهربوا.. فذهب إلى (الحاخام باشي) يشكو إليه ما حدث، ولما أرسل الحاخام في طلبهم وجدهم قد ماتوا جميعاً منذ فترات طويلة.. وفي النهاية يعرف السر بأن قد مات حديثا يهودي صالح مات خارج القدس، وأن الميت الذي سرقوا رفاته لا يستحق أن يدفن فيها... وقد صدر حكم من المحكمة العليا في السماء بدفن هذا مكان ذاك»(٦).

وعن حفلات الزواج يقول الأديب:

أعادوا العريس إلى بيته بالغناء والرقص... وجاءت زوجة أخيه وربطت ورقتين خضراوتين إلى شاله وإلى قبعته ووضعت في يده قليلاً من التراب (الذي أحضروه من القدس) فأخذه العريس ووضعه على جبهته وقال:

«إن نسيتك يا قدس تنسى يميني»(٧).

● والمناسبات الدينية والأعياد الحزينة ترتكز على القدس:

فيوم التاسع من آب (وهو يوم صوم وحداد عند اليهود.

يصف «هزاز» جو الحزن المخيم على البلدة، ويقول:

---

(٤) المصدر السابق ج ٤ ص١١٦.

(٥) المصدر السابق ج ٤ - ص٢٠٣.

(٦) حاييم هزاز: الحالس في الجنات ص١١ ، ١٢.

(٧) حاييم هزاز: يعيش ج٢ - ص١٣٥.



ـ يذهب الرجال إلى المعبد أما النساء فيبقين في بيوتهن يبكين وينحن وكانت «نعمة» تولول وتقول:

«يا ويلى يا ويلى على بيت مقدسنا الذى احرق، يا ويلى على القدس التى خربت ـ حتى اليوم مهجورة خربة ـ يا ويلى.. كالمرأة التى فقدت قلبها اصبحنا، وكالأرملة فى حياة زوجها... » .... يا ويلى. يا ويلى القدس القدس»[8].

وطوال وجود اليهود فى المنفى حرصوا على إحضار تراب وحجارة من القدس وكانوا يقومون بتهريبها أو بيعها لليهود خارجها، وحسب ما زرعه حاخاماتهم فى عقولهم ان من دفن فى الأرض المقدسة دخل الجنة، ومن مات خارجها تظل روحه هائمة ويحاسب اليهود جميعاً على ترك هذه الروح الهائمة، ونظراً لوجود اللوبى الصهيونى فى امريكا او وجود أثريائهم وزعمائهم خارج أرض الميعاد؛ فقد أفتى حاخاماتهم بنثر تراب تحت جثة اليهودى من تراب القدس، وبهذا يكون كمن مات فى القدس.

وإذا كان اليهود يعتمدون على بعض العبارات التى وردت فى التوراة.

فهناك العشرات من المجلدات التى قام بكتابتها علماء يهود تناولت نقد التوراة، وقد ابتدأ نقد التوراة منذ القرن الثامن الميلادى اعتمادا على أن القنوصية هى بداية نقد التوراة ومنهم على سبيل المثال خير علماء اليهود سبنوزا ١٦٣٢ - ١٦٧٧ امستردام الذى أرجع كتابة التوراة إلى عزرا وآخرون برغم معاداة اليهود له بعد ذلك.

هكذا نجد أن الأدباء الصهاينة شاركوا بشكل مباشر فى خلق هذه الشخصية الصهيونية شديدة التعلق بالقدس شديدة الفتك بالآخرين لأجل تحقيق أهدافها فإذا أضفنا إلى ذلك اتصافهم بالقسوة وهو ما ورد فى قوله تعالى فى شأنهم:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[9].

لعلمنا أن شارون مجرد مثال لكثيرين يمارسون البطش والتعذيب ضد الفلسطينيين غير أن شارون يمارس بطشه علانية أمام العالم كله بحكم موقعه رئيساً للوزراء، أما غيره فكثير يمارسون البطش بعيداً عن الأضواء وتحت ستر الظلام وليس حادث محمد الدرة ببعيد.



(٨) حاييم هزاز: يعيش ج٢ - ص٤٨ - ٤٩.

(٩) البقرة (٧٤).



# كشمير

# أمة تبحث عن حق تقرير المصير

كتب :
أحمد السيد تقى الدين

مرة أخرى عادت قضية (كشمير)، أو قل قضية شعب كشمير المسلم المضطهد المفتون فى دينه.

انتهزت الحكومة الهندية الفرصة، فرصة الخلط أو الربط بين الإسلام والإرهاب، على نحو ما فعلت وتفعل الولايات المتحدة فى حربها فى أفغانستان، وكما أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن مضطرة للإعلان عن وجود أدلة مادية تبرر حملتها العسكرية فى أفغانستان، فإن الهند كذلك لن تكون فى حاجة إلى أدلة مادية تبرر حملتها العسكرية على باكستان التى دعمت ولازالت تدعم رغبة الشعب الكشميرى المسلم فى نيل استقلاله من نير الاحتلال الهندى.

ومادامت إسرائيل ترى فى مقاومة الشعب الفلسطينى للاحتلال الغاشم الواقع على أرضه إرهابا، وتحصل على الدعم والتأييد الأمريكى والأوروبى لهذا الوصف، لذلك أعلنت الحكومة الهندية أنها ترى فى مقاومة الشعب الكشميرى للاحتلال الهندى الغاشم الواقع على أرضه إرهاباً.

ومن ثم قررت الحكومة الهندية أن العدوان الذى تم على البرلمان الهندى فى أواخر أيام العام المنصرم تم بتدبير من المنظمات الكشميرية التى ترفع راية العصيان فى وجه الحكم الهندى لأرض كشمير.. هكذا.. بدون أى تحقيق وبدون أى أدلة مادية ملموسة، رغم أن الثابت فى التاريخ الهندى الحديث والمعاصر أن الهند دولة تعانى من صراعات عرقية متعددة، ورئيسة وزراء الهند الشهيرة ( انديرا غاندى ) قتلت على يد متطرفين من طائفة السيخ، فى ٣١ من أكتوبر سنة ١٩٨٤ حيث تطالب طائفة السيخ بالحكم الذاتى فى اقليم البنجاب الذى تتجمع فيه تلك الطائفة وتأسيس دولة تعرف باسم ( خالصتان )، الأمر الذى رفضته الحكومة الهندية بزعامة ( أنديرا غاندى ) فلقيت حتفها على يد اثنين من السيخ من حرس الأمن الخاص بها.

وإلى يومنا هذا لم تتنازل طائفة السيخ عن مطالبها فى تأسيس دولتها المزعومة.

فلماذا، والأمر كذلك تصر الحكومة الهندية على اتهام مسلمى كشمير وباكستان التى تدعم رغبتهم فى التحرر على تحميلهم مسئولية الاعتداء على البرلمان الهندى؟

الإجابة هى أن الحكومة الهندية لن تلاقى عناءً كبيراً فى سحق السيخ، فقد سبق للحكومة الهندية فى يونيو ١٩٨٤ أن سحقت تمردا قام به السيخ فى إقليم البنجاب، قُتل فيه ( ١٠٠٠ ) من السيخ و( ٢٠٠ ) من القوات الهندية، فالسيخ طائفة لا تحظى بأى دعم أو تأييد دولى، ومن ثم من السهل التعامل معها.

أما كشمير فالأمر مختلف، فقد وقف المجتمع الدولى بجوارها ممثلاً فى قرارات الأمم المتحدة،




■ خريطة كشمير ■

فضلاً من احتضان باكستان - العدو اللدود للهند، والتى خاضت حرباً مريرة ضد الحكم الهندى حتى استقلت عنه بعد مذابح دموية مروعة فى منتصف أغسطس ١٩٤٧ - مؤيدا لرغبة الشعب الكشميرى فى نيل الاستقلال.

فقررت الحكومة الهندية استغلال الاتجاه العالمى المعادى للإسلام للحصول على التأييد الدولى فى مواجهة الدعم الباكستانى لرغبة الشعب الكشميرى فى الاستقلال، وها هو تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا يعلن صراحة فى ٥ يناير ٢٠٠٢ دعم

بلاده للحكومة الهندية ضد باكستان.

● ولكن.. ما هي قصة كشمير؟

- بعد انتهاء الحرب وإعلان قيام باكستان بقيت بعض الإمارات المستقلة عن الحكم في باكستان وفي الهند، وكان على هذه الإمارات أن تقرر مصيرها، إما بالانضمام إلى باكستان أو الهند،



المتطرفون السيخ في المعبد الذهبي في اضطرابات ١٩٨٤م التي شهدتها الهند

فقد كانت هذه الإمارات أقرب إلى المجتمعات القبلية منها إلى الدول وهو الأمر الذي تجلى في مقولة اللورد (مونتباتن) نائب ملك انجلترا في الهند إبان مرحلة استقلال الهند وباكستان، حيث خاطب أمراء تلك الإمارات بقوله: «إنكم أحرار بأن تنضموا إلى الهند أو إلى باكستان، ولكنكم لا تستطيعون أن تتغاضوا عن الأوضاع الجغرافية لإماراتكم، ولا أن تبتعدوا عن الدولة التي تجاوركم ولا أن تتغاضوا عن مصالح شعوبكم».

وكانت كشمير -ويسكنها آنذاك نحو خمسة ملايين نسمة- ٨٠٪ منهم مسلمون تحت حكم أسرة هندوكية اختارت الانضمام إلى الهند، وذلك على الرغم من أن تقسيم هندوستان إلى دولتين: الهند وباكستان تم على أساس ديني، فضلاً عن أن كشمير تُعد امتدادا حيويا لباكستان، خاصة وأن ثلاثة أنهار كبرى تنبع من كشمير وتغذي باكستان بالمياه وهي: السند، جليم، جناب.

وعلى الرغم من رغبة الشعب الكشميري الجامحة في الانضمام إلى باكستان إلا أن الحكومة الهندية اعتبرت أن قرار الأسرة الحاكمة في كشمير الانضمام إلى الهند إرادة معبرة عن رغبة الشعب، ليس هذا فقط بل انقض الجيش الهندي على مسلمي كشمير في واحدة من أبشع المذابح التي عرفها التاريخ والتي راح ضحيتها نحو ٢٧٠ ألفا من المسلمين في نهاية أغسطس ١٩٤٧ أي بعد استقلال باكستان بأيام قلائل.

أحدثت هذه المذابح ردود فعل قوية لدى الشعب الباكستاني حيث هبت القبائل الباكستانية للدفاع عن مسلمي كشمير، واستطاعوا أن يدحروا الجيوش الهندية ويستخلصوا قسما من كشمير أطلق عليه اسم (كشمير الحرة)، واضطر أمير كشمير الهندوكي (هري سنج) إلى الفرار خوفاً من بطش الشعب الكشميري به، وكتب إلى حاكم هندوستان (الإنجليزي) اللورد مونتباتن كتابا يعلن فيه برغبته ضم إمارة كشمير إلى الهند، فأوفدت الحكومة الهندية مندوبا من قبلها يحمل وثيقة طلب الانضمام، وطلبت من الأمير الفار أن يوقع عليها ففعل، وذلك في ٢٧ من أكتوبر ١٩٤٧ مع إضافة مادة تنص على: «يُستفتى الشعب الكشميري بتقرير مصيره»، وذلك في الوقت الذي قامت فيه الحكومة الهندية بنقل قواتها بالطائرات إلى كشمير للسيطرة عليها.

وفى الوقت نفسه كتب ( جواهر لال نهرو ) رئيس وزراء الهند إلى الزعيم الباكستانى ( محمد على جناح ) رسالة يؤكد فيها على «سحب الجيوش الهندية من كشمير عند استتباب الأمن فيها»، علماً بأن أحداً لم يطلب من الحكومة الهندية إرسال جيوشها إلى كشمير، وقال فى رسالته: «سنترك تقرير مصير الإمارة إلى شعبها، ولا نقطع هذا العهد معكم فقط، بل ونقطعه مع شعب كشمير».

فدعا محمد على جناح، اللورد مونتباتن الحاكم العام لهندوستان ( باكستان والهند ) ونهرو – رئيس وزراء الهند – إلى عقد مؤتمر فى لاهور فى ٢٩ من أكتوبر ١٩٤٧ لبحث الموقف، ولكن نهرو تعلل بمرضه فالغى المؤتمر، فاقترح جناح عقده فى الأول من نوفمبر ولكن نهرو تهرب منه أيضاً، فاجتمع محمد على جناح مع اللورد مونتباتن حيث قدم له عدة مقترحات تضمنت سحب القوات الهندية، ورجال القبائل الباكستانية، وإدارة كشمير بواسطة هيئة مشتركة من حكومتى الهند وباكستان، واتخاذ الإجراءات اللازمة لاستفتاء عاجل تحت رقابة الحكومتين وإشرافهما المشترك.

ولكن الحكومة الهندية رفضت المقترحات الباكستانية؛ فاقترحت باكستان رفع القضية إلى هيئة الأمم المتحدة للفصل فيها، ولكن الحكومة الهندية رفضت هذا الاقتراح، وتقدمت إلى هيئة الأمم المتحدة بشكوى ضد باكستان تطلب فيها إلزام الحكومة الباكستانية بعدم مساعدة الشعب الكشميرى، وهو الأمر الذى رفضته هيئة الأمم المتحدة، فهددت الهند باكستان بأنها ستقتحم بلادها دفاعاً عن النفس!!



إحدى المقابر الجماعية لمسلمى كشمير والمقبرة خاصة فقط بالأطفال

ورغم قرارات الأمم المتحدة المؤكدة على حق الشعب الكشميرى فى تقرير مصيره فقد ظلت الأوضاع على ما هى عليه، وحتى اليوم يرزح شعب كشمير المسلم تحت نير الاحتلال الهندى، ولم تجد الحكومة الهندية أفضل من حادث الاعتداء على البرلمان الهندى لحسم صراعها مع شعب كشمير، وما أيسر توجيه التهمة بلا دليل، فما دامت الولايات المتحدة اجتاحت أفغانستان بلا دليل، فلماذا لا تفعل الهند الأمر ذاته؟ بل لماذا لا تجتاح باكستان هى الأخرى بلا دليل؟، وإذا كانت إسرائيل تقمع الانتفاضة الفلسطينية ضد الاحتلال وتصمها بالإرهاب، فلماذا لا تقمع هى الأخرى الانتفاضة الكشميرية وتصمها بالإرهاب؟! من الذى سيحاسبها ويقول لها «لماذا»؟ بل من الذى سيجرؤ أصلاً على الكلام؟!

# المسلمون أمة مبعوثة

للأستاذ / محمد حسن دراز

**أحمد الله ـ تبارك وتعالى ـ وأصلي وأسلم على صفوته من خلقه، وخاتم أنبيائه ورسله، محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.**

**يتعرض العالم الإسلامي ـ اليوم ـ إلى هجمة شرسة، يتولى كبرها أعداء المسلمين جميعا، على اختلاف نحلهم ومذاهبهم وحيثما وجه الناظر بصره إلى بلاد الإسلام، رأى الجراح التى تدمي القلوب، وتفتت الأكباد، وراعه توالى النكبات، وتعدد الطعنات التى توجه إلى هذا العملاق الدامي الجريح. المتآمرون لا يستخفون بمؤامراتهم، ولا يتسترون بجرائمهم، بل يتخذون من الإسلام خصما، ومن المسلمين أعداء، يخشون أن يسترد المسلمون وحدتهم التى أضاعوها، وقوتهم التى افتقدوها، وأن يعودوا إلى عقيدتهم الصلبة النقية، التى تحيل ضعفهم إلى قوة، وفرقتهم إلى وحدة، وتدابرهم إلى ولاء وأخوة.**

ويشاء الله ـ عز وجل ـ أن تكون هذه الضربات المتوالية، والعدوان الصارخ على المسلمين في مقدساتهم وأعراضهم وأرواحهم سبيلا ليقظتهم، وطريقا لألفتهم ووحدتهم، ودعوة لالتزامهم بكتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة ـ رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ.

وتتنامى صحوة العالم الإسلامي، وتنتشر شرقاً وغرباً، وتتحقق سنة من سنن الله ـ تبارك وتعالى ـ، وذلك أنه ينصر دينه بأعدائه كما ينصره بأوليائه، كما قال رسول الله صلوات الله عليه: «إن الله ينصر الدين بالرجل الفاجر»[1] وعندئذ يعز الله ـ جل وعلا ـ أولياءه، ويعيد بهم سيرة السلف الصالح، الذين شرفوا بصحبة محمد ﷺ، وكان منهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وفازوا برضى الله ـ عز وجل ـ عنهم، وجاهدوا مع

(١) ابن الأثير الجزري، جامع الأصول (١/١٤٥)

رسول الله ﷺ وتلقوا عنه القرآن الكريم، ورووا سنته الشريفة، وتخلقوا بأخلاقه السامية الجليلة، وتحلوا بسمته وهديه، وحملوا من بعده راية الجهاد، وأمانة التبليغ، ونشر الرسالة، ففتح الله بهم الأمصار، وهدى بهم الأمم والشعوب.

شرقت راياتهم حتى وصلوا إلى حدود الصين، وغربت حتى وقفوا على شاطىء الأطلسي، وحتى خاض عقبة بن نافع بفرسه في ماء المحيط، وقال: لو أعلم أن وراء هذا البحر أرضا لخضته مجاهداً في سبيل الله، وانطلقوا شمالاً حتى فتحوا (باب الأبواب)، وغزوا (بلنجر والترك) أي بلنجراد وتركستان، ووصلوا إلى أسوار (القسطنطينية) عاصمة الدولة الرومانية الشرقية، واستشهد حولها بعض صحابة رسول الله ﷺ، ومنهم (أبو أيوب الأنصاري) الذي استضاف رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يوم الهجرة، حتى بنى مسجده الشريف ودوره المكرمة لأمهات المؤمنين.

وبذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ، والمسلمون من بعدهم أمة مبعوثة، تحمل رسالة الإسلام إلى أمم الأرض جميعاً.

ويعرض القرآن الكريم هذه الحقيقة في قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٧٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾(٢).

تبتدىء الآيات الكريمة بتقرير هذه القاعدة الكلية:

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾

يجتبي ويختار رسله من الملائكة ومن الناس، ويستخدم القرآن الكريم هذه الكلمة الجامعة: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾، لتشتمل رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتشتمل ـ كذلك ـ حملة الرسالات من بعدهم، وإن لم يكونوا مرسلين: مثل أنبياء بني إسرائيل، وحواريي عيسى ـ عليه السلام ـ، وأصحاب محمد ﷺ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وتزكي الآيات الكريمة هذا المعنى، فيأتي

---

(٢) الحج (٧٥ : ٧٨).

في هذا السياق نداء الله - تبارك وتعالى - للذين آمنوا ليقيموا الصلاة، وليعبدوا الله - تعالى - ، وليفعلوا الخير، وليجاهدوا في الله حق جهاده، لأنهم مجتبون ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾، وبين اجتبى واصطفى صلة واضحة، وترابط وثيق، وتذكر الآيات بعض خصائص الأنبياء في صفات أولئك المؤمنين:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾

﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾

وقد عرض القرآن الكريم هذه الخاصية الأخيرة لأمة محمد ﷺ في قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٣).

وقدمت الآية الكريمة من سورة البقرة شهادة المسلمين على شهادة رسول الله ﷺ، مع أن الأصل سبق شهادته ﷺ، وشهادة المسلمين تبع لشهادته صلوات الله وسلامه عليه.

وأرى أن ذلك لأمرين: الأول أن آية سورة البقرة وردت في معرض تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وقد اعترض اليهود على أمر الله العزيز الحكيم بهذا التحويل سفاهة وافتراء وبغياً، والله - عز وجل - يثبت المسلمين، وينزل عليهم السكينة، لكيلا يبالوا بأقوال هؤلاء السفهاء وذلك بتقرير هذه القاعدة، وهي أنهم أهل الحق، وأصحاب الشهادة المقبولة بين يدي الله - عز وجل - يوم القيامة، وهم في موقف من مواقف الأداء لهذه الشهادة، وهي ثمرة هذه الوسطية التي ميزهم الله - عز وجل - بها، والوسط العدل، كما أخبر الرسول الكريم، فكان من الأنسب أن تتوالى منن الله - سبحانه وتعالى - عليهم:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾

الأمر الآخر: أن شهادة محمد ﷺ على أمته ثابتة مؤكدة، قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾(٤).

وقال تعالى:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾(٥).

أما شهادة أمته على الناس، فذلك فضل من الله العزيز الحكيم، منحه أمة محمد ﷺ، ولأنه أمر غير مسبوق، فقد احتاج إلى مزيد من التأكيد، واقتضى ذلك أن يقدم في الذكر تثبيتاً له وتأكيداً، وذلك في سورة البقرة، أول سور القرآن في المصحف بعد

---

(٣) البقرة (١٤٣).

(٤) النحل (٨٩).

(٥) النساء (٤١).

الفاتحة، ولما ثبتت هذه القضية وتأكدت بهذا التقديم في سورة البقرة، جاءت على النسق المناسب في سورة الحج، قال تعالى:

﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾(٦).

وسورة البقرة أول السور نزولا بالمدينة، وسورة الحج مدنية متأخرة في النزول. وتختص آية (البقرة) كذلك بتقديم الجار والمجرور في قوله تعالى:

﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾.

وذلك لأن الله - عز وجل - يمن على المسلمين بفضله وبره، وأنهم وحدهم المشهود لهم بالتزكية من هذا الرسول المعظم، وقد أفاد تقديم الجار والمجرور هذا الاختصاص!

وتؤكد أحاديث رسول الله ﷺ هذه الخاصية من خصائص المرسلين لأمة محمد ﷺ. روى البخاري وأحمد والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (يدعى نوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد. فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فذلك قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.

قال: «الوسط العدل، فتدعون، فتشهدون له بالبلاغ وأشهد عليكم». جمع هذه الخصائص حديث رسول الله ﷺ، والذي رواه الترمذي الحكيم في (نوادر الأصول) عن عبادة بن الصامت عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال: (أعطيت أمتي ثلاثا لم تعط إلا الأنبياء، كان الله إذا بعث نبيا قال له: (ادعني أستجب لك) وقال الله لهذه الأمة:

﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(٧).

وكان الله إذا بعث نبيا قال له: (ما جعلت عليك في الدين من حرج).

وكان الله إذا بعث نبيا جعله شهيدا على قومه، وجعل الله هذه الأمة شهداء على الناس.

ويصرح رسول الله صلوات الله عليه لأمته أنهم مبعثون، في حديثه عن الأعرابي الذي بال في المسجد، فقام أصحابه ليقعوا به، فقال لهم: (لاتزرموه «لاتقطعوا بوله» فلما انتهى قال: (أريقوا على بوله سجلا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين) صلوات الله وسلامه على نبي الرحمة ونبي الملحمة وهذا التيسير يقدمه المسلمون للناس من خلال دينهم لتستقيم دنياهم وعلى المسلمين أن يقدموا الإسلام للناس دينا يقيم اعوجاج الدنيا حتى تنصلح به الآخرة.

---

(٦) الحج (٧٨).

(٧) غافر (٦٠).

# مع كتاب القضاء والقدر لمونتجمرى وات

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

انشغل المستشرقون المهتمون بالفكر الإسلامى بقضية القضاء والقدر وهم يستعرضون تلك القضية فى القرآن والسنة وتاريخ المذاهب الإسلامية لم يجمعهم رأى واحد وسبيل واحدة. إنما تباينت آراؤهم بين مؤيد للفكرة القائلة بالتواكل ونفى الإرادة الإنسانية وعلى هذا الرأى أرضوا الجبرية واتهموا القرآن - زيفا - بأنه سبب تأخر المسلمين وبين ناف لفكرة الجبرية ووجدوا فى القرآن والسنه الصحيحة ما يعين على الاعتقاد بأن الإنسان مسئول عن أفعاله البشرية.

وربما كان الخلاف الشديد حول تلك القضية دافعا للمستشرق الإنجليزى، والدكتور مونتجمرى وات لأن يسلك سبيل تلك القضية ويسير معها وهو فى صدر حياته العلمية فجعلها موضوعا لنيل درجة الدكتوراه.

## الحرية الإنسانية فى مفهوم علم الكلام

يقول مونتجمرى وات: تم اكتمال هذا العمل فى خريف ١٩٤٣ وقبل كرسالة للحصول على درجة الدكتوراه فى الفلسفة بجامعة أدنبره ١٩٤٤ ثم قال: وقد غدوت خلال الأعوام التى تلت ذلك على وعى بجوانب القصور التى اعترت هذه الدراسة فكان ينبغى على أن:

- أولى اهتماما بالحسن البصرى.
- وكان من الممكن جمع معلومات عنهم من كتب التراجم العربية.
- وكان ينبغى التعمق فى البحث للتميز الدقيق بين مصطلحى القضاء والقدر بالرجوع إلى القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة.
- كما كان من المفيد مراجعة تفسير الطبرى بحكمة ودقة.

ورغم اعترافى بأوجه القصور فقد سمحت بنشر عملى فلا يبدو أن مزيدا من المادة العلمية يؤدى إلى تغيير جوهرى فى العناصر المهمة.. ثم قام بترجمته إلى اللغة العربية د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ، وأقام دراسة مهمة عليه مع الرجوع إلى المصادر التى اعتمد عليها المؤلف مونتجمرى وات وأثبت فى الهامش بعضا من نصوص اقتضاها المقام، دقة فى التحرير، وبسطا للمسائل التى أخرجتها الترجمة عن معناها.

والمترجم قدير كف، تحكمه الغيرة الإسلامية والأمانة العلمية والتروى الهادئ المتزن وعبارته أدبية علمية مع فصاحة اللفظ والمصطلح والأسلوب ووجهة نظر المترجم فى قيمة الكتاب العلمية يعرب عنها بقوله: رغم أن الكتاب الذى بين أيدينا رسالة حصل بها المؤلف على درجة الدكتوراه من جامعة أدنبره العريقة، إلا أن المؤلف كان حريصا على تبسيط كل معقد، وتوضيح كل غامض كما كان حريصا على مد الجسور بين الثقافات المختلفة والأديان المختلفة، وغالبا ما يصل الباحثون من هذا النمط إلى ما يؤكد تقارب الأديان وتعانق الحضارات، فهم يتجاوزون كل ما يعوق أبصارهم عن الوصول للنظرة الشاملة فلديه ليست قضية القضاء والقدر قصرا على الفكر الإسلامى وإنما تعرضت لها كل الأديان فهى قضية عامة إذن.

والكتاب: عرض تاريخى دقيق لفكرة القضاء والقدر، بين استطاعة الله ـ سبحانه وتعالى ـ واستطاعة الإنسان، قد تبدوان حقيقتين متعارضتين أو متواجهتين أو حتى متكاملتين، ولا يمكن للإنسان فى هذه المرحلة من تطوره الفكرى أن يوفق بينهما، لكن لابد أن يعتقد فى صحتهما، أى لابد أن يؤمن بالله أنه على كل شئ قدير، وأن يؤمن أيضا بأن الإنسان مسئول عن تصرفاته.

لكن مونتجمرى وات يرى أن الإسلام قد نقل الفكرة عن القضاء والقدر نقلة حضارية محكمة فقد كانت فكرة الزمن أو الدهر قبل الإسلام تسير بأمور أو الأفعال الإنسانية «خبط عشواء» فتصيب هذا بالخير وتصيب هذا بالشر.

غيّر الإسلام ذلك المعتقد وجعل الأمور تسير وفقا لإرادة حكيم عليم، عادل رحيم، مقدر مدبر ذلك ما عليه الروح العامة للقرآن الكريم تحمل الإنسان مسئولية عمله مع عدم إغفال لطف الله ورحمته وهدايته.

وكان المؤلف حريصا كل الحرص فى عرض القضية وفق منطقها فى الفكر الإسلامى ومنطق تداعياتها أن يخرج بنتائج تعرب عن صدقه وعدم تحيزه، ورغم عرضه لآيات القرآن وبعضا من الأحاديث التى تعرضت للقضاء والقدر والفعل الإنسانى، فإنه كان يذهب فى تأصيله إلى أبعد من القرآن فى ظهور فكرة القضاء والقدر ربما كان ذلك تأييدا لوجهة نظر فى أن مسألة القضاء والقدر فكرة إنسانية وليست دينية تخضع للتطور التاريخى وتبادل الثقافات.

ولقد تكلف المؤلف فى أمانة علمية أن يرصد مصادر الموضوع ويقارن بينها ممسكا بالخيط الرفيع الرابط بينها وما أضافه تطور التاريخ الفكرى الثقافى إليه.







**للشاعر / بدوى الجبل**

**مهداة الى أعتاب أبى الزهراء صلوات الله عليه**

قصيدة رائعة من عيون الشعر العربى نظمها الشاعر الكبير بدوى الجبل وهو معالى الأستاذ محمد سليمان الأحمد، الوزير السورى الأسبق، وقد وصفت من المشاعر المؤمنة، والعواطف الضارعة ما يجده القارئ فى أبياتها الرصينة.

يـنـور علـى أم الـقـــــرى ويـطـيـب •• غـسـلـتُ فـؤادى من أسىً ولهـيـب

لثمت الثرى سبعا وكحّلت مقلتى •• بحُسن كأسرار السماء مهيب

وأمسكت قلبى لا يطير إلى (منى) •• بأعبائه من لهفة ووجيب

فيا مهجتى: وادى الأمين محمد •• خصيبُ الهدى: والزرعُ غير خصيب

هنا الكعبةُ الزهراءُ والوحىُ والشذا •• هنا النُورُ فافنى فى هواهُ وذوبى

ويا مهجتى: بين الحطيم وزمزم •• تركتُ دموعى شافعا لذنوبى

وفى الكعبة الزهراء زيّنتُ لوعتى •• وعطّر أبواب السماء نحيبى

●●●

مواكب كالأمواج عجّ دُعاؤها •• ونارُ الضحى حمراءُ ذاتُ شُبوب

وردّدت الصحراءُ شرقا ومغربا •• صدى نغم من لوعة ورتوب

تلاقوا عليها من غنى ومعدم •• ومن صبية زُغْب الجناح وشيب

نظائر فيها: بُردُهم بُردُ مُحْرِم •• يضوع شذا: والقلبُ قلبُ مُنيب

أناخوا الذنوب المثقلات لواغبا •• بأفيح - من عفو الإله - رحيب

وذلّ لعزّ الله كلُّ ممرّدٍ •• ورقّ لخوف الله كلّ صليب

●●●

ولو أن عندى للشباب بقيةً •• خفقتُ إليها فوق ظهر نجيب

أنام على الكثبان يؤنسُ وحدتى •• بُغامُ مهاة أو هُماهمُ ذيب

ولى غفوةٌ فى كل ظلٍّ لقيتهُ •• ووقفةُ سُقيا عند كل قليب

هتكتُ حجاب الصمت بينى وبينها •• (بشبابة) سكرى الحنين خلوب

حبستُ بها جنّيةً (معبديةً)[1] •• وفرّجتُ عن غمّائها بثقوب

●●●

وركب عليها وسمُ أخفاف عيسهم •• وهام تهاوتْ للكرى وجنوب

وألفُ سراب، ما كفرتُ بحسنها •• وإن فاجأتْ غُدرانُها بنضوب

---

(١) نسبة إلى شيخ المغنيين معبد، قال الشاعر القديم: وما قصبات السبق إلا لمعبد

وضجة صمت جلجلت، ثم ودعت ** ورقت كأخفى همسة ودبيب
وأطياف جن في بحار رمالها ** تصارع حالى طفوة ورسوب
وتعطفني الآرام فيها نوافرا ** إلى رشأ في الغوطتين ربيب
يعللني - والصدق فيه سجية ** بوعد مطول باللقاء كذوب
وبدلت حسنا ضاحك الدل ناعما ** بحسن عنيف في الرمال كئيب
ومن صحب الصحراء هام بعالم ** من السحر جنى الطيوف رهيب
وللفلك الأسمى فضول لسرها ** ففي كل نجم منه عين رقيب



أرى بخيال السحب - خطو محمد ** على مخصب من بيدها وجديب
وسمر خيام مزق الصمت عندها ** حماحم خيل بشرت بركوب
ونارا على نجد من الرمل أوقدت ** لنجدة محروم وغوث حريب
وتكبيرة في الفجر سالت مع الصبا ** نعيم فياف واخضلال سهوب
أشم الرمال السمر: في كل حفنة ** من الرمل، دنيا من هوى وطيوب
على كل نجد منه نفح ملائك ** وفي كل واد منه سر غيوب
توحدت بالصحراء، حتى مغيبها ** ومشهدها من مشهدى ومغيبى
ومن هذه الصحراء، أنوار مرسل ** ورايات منصور وبدع خطيب
ومن هذه الصحراء شعر تبرجت ** به كل سكرى بالدلال عروب
تعطر في أنغامه ورحيقه ** ورياه: عطرى منسم وسبيب[٢]
ترش النجوم النور فيها ممسكا ** فأترع أحلامي وأهرق كوبى
وما أكرم الصحراء.. تندى.. وتمتمت ** لنا برد ظل كالنعيم رطيب
ويغفو بها التاريخ، حتى ترجه ** بداهية صلب القناة أريب
شكا الدهر مما أتعبته رمالها ** ولم تشك فيه من ونى ولغوب
وصبر من الصحراء، أحكمت نسجه ** سموت به عن محنتي وكروبي

---

(٢) السبيب: خصلة الشعر

ومن هذه الصحراء.. صيغت سجيتى ⁂ فكلُّ عجيب الدهر غيرُ عجيب
يُرنِّح شعرى باللوى كلُّ بانة ⁂ ويندى بشعرى فيه كُلُّ كثيب
ولولا الجراح الداميات بمهجتى ⁂ لأنكر نجداً والحجاز نسيبى
وهيهات ما لومُ الكريم سجيتى ⁂ ولا بغضة عند الجفاء نصيبى
تقلّتْ إلى قلبى حياء وعفة ⁂ أسارير وجهى من أسى وقطوب
وغرّتنى الأيام ممن أحبهم ⁂ كأنك تحاماه الربيع سليب
ورُبّ بعيد عنك أحلى من المُنى ⁂ ورُبّ قريب الدار غير قريب
وويح الغوانى: ما أمنتُ خطوبها ⁂ وقد أمنت بعد المشيب خطوبى
وكيف وثوبى للزمان وأهله ⁂ وللشيب أصفادٌ يعقن وثوبى
أفى كُل يوم لوعة بعد لوعة ⁂ لغربة أهل أو لفقد حبيب
ويارب: فى قلبى ندوبٌ جديدةٌ ⁂ تزيدُ القرى من سالفات ندوب
يزيد حسابى ظالمٌ بعد ظالم ⁂ وما غير جبار السماء حسيبى
ويارب: ضنَّ بالحب قومى فؤلفا ⁂ شتات قلوب لا شتات دروب
ويارب: لا تقبل صفاء بشاشة ⁂ إذا لم يصاحبه صفاءُ قلوب
تداووا من الحلى بحلى.. وخلفوا ⁂ وراءهم الإسلام خير طبيب

●●●

ويارب: فى الإسلام نورٌ ورحمةٌ ⁂ وشوقُ نسيب نازح لنسيب
فألّف على الإسلام دنيا تمزقتْ ⁂ إلى أمم مقهورة وشعوب
وكُلُّ بعيد حجَّ للبيت أوهفا ⁂ إليه – وإن شط المزار – قريبى
سجايا من الإسلام: سمحٌ حنانها ⁂ فلا شعب عن نعمائها بغريب

●●●

وآمنتُ أن الحب خيرٌ ونعمةٌ ⁂ ولا خير عندى فى وغى وحروب
وكُلُّ خضيب الكف فتحاً وصولةً ⁂ فداءٌ لكف بالعبير خضيب



| | |
|---|---|
| وآمنتُ أن الحُبَّ والنورَ واحدٌ | ويَكْفُرُ بالآلاءِ كُلُّ مُريبِ |
| ولو كان في وُسعي حنانًا ورحمةً | لجَنَّبتُ أعدائي لقاءَ شَعُوبِ[٣] |



| | |
|---|---|
| ويارب لم أُشركْ ولم أعرفِ الأذى | وصُنْتُ شبابي عنهما ومشيبي |
| وإني - وإن جاوزتُ هذين سالمًا | لأكبرُ لولا جودُ عفوكَ حُوبي[٤] |
| وأهربُ كِبْرًا أو حياءً لزلّتي | ومنك، نعم، لكن إليك هروبي |
| وأجلو عُيوبي نادماتٍ حواسرًا | وأسترُ إلا في حماكَ عُيوبي |
| وأيُّ ذُنوبٍ ليس تُمحى لشاعرٍ | مُعنًّى بألوانِ الجمالِ طروبِ |
| ولو شهدتْ حُورُ الجنانِ مدامعي | ترشّفن في هولِ الحسابِ غُروبي[٥] |
| وأنزلتُ أحزاني على قبرِ أحمدٍ | ضُيوفَ كريمِ النَّبعتين وَهُوبِ |
| مدحتُ رسولَ الله أرجو ثوابَه | وحاشا الندى أن لا يكونَ مُثيبي |
| وقفتُ ببابِ الله ثم ببابه | وُقوفَ مُلحٍّ بالسؤالِ دؤوبِ |
| صفاءٌ على اسمِ الله غيرُ مُكدَّرٍ | وحُبٌّ لذاتِ الله غيرُ مَشُوبِ |
| وأزهى بتظليلِ الغمامِ لأحمدٍ | وعذبٍ بَرودٍ من يديه سَرُوبِ |
| فإن كان سرُّ الله فوقَ غمامةٍ | تُظلّ وماءٍ سائغٍ لشُروبِ[٦] |
| ففي مُعجزِ القرآنِ والدولةِ التي | بناها عليه مَقنَعٌ للبيبِ |



| | |
|---|---|
| ويارب عند القبرِ قبرِ محمدٍ | دُعاءُ قريحِ المقلتين سليبِ |
| بجمرٍ هوى عند الحجيجِ لمكّةٍ | ودمعٍ على طُهرِ (المقام) سكوبِ |
| بشوقٍ على نَعماه، ضَمّ جوانحٍ | ووجدٍ على رَيّاه زُرّ جيوبِ |
| ترفّق بقومي واحمِهم من مُلمّةٍ | لقد نشبتْ أو آذنتْ بنشوبِ |

(٣) شعوب: بفتح الشين: الموت.

(٤) الحوب: الذنب.

(٥) الغروب: الدموع.

(٦) شروب بضم الشين والراء: جمع شارب.



وردَّ الحلومَ العازباتِ إلى الهُدى .. فقد ترجعُ الأحلامُ بعدَ عُزوبِ
وردَّ القلوبَ الحاقداتِ إلى ندى .. من الحبِّ فوّاحِ الظلالِ عشيبِ

●●●

تدفقتِ الأمواجُ والليلُ كافرٌ .. وهبَّ جنونُ الريحِ كلَّ هبوبِ
رمى اليمُّ أنضاءَ السفينِ بماردٍ .. من اليمِّ تيّاهِ الحتوفِ غضوبِ
يُزلزلُها يمنى ويسرى مُزمجراً .. ويضغمُها من هولِه بنيوبِ
يُرقصُها حيناً وحيناً يرجُّها .. ويوجزُ حالى هدأةٍ ووثوبِ
وترفعُها عجلى وعجلى تحطُّها .. لغضوبٌ من الأمواجِ جدُّ لغوبِ
وأيقنَ أنضاءُ السفينةِ بالردى .. يُطالعُهم في جيئةٍ وذهوبِ
ولما استطالَ اليأسُ يكسو وجوهَهم .. بألوانِه من صُفرةٍ وشحوبِ
دعوا يا أبا الزهراءِ والحتفُ زاحفٌ .. عليهم: لقد وُفِّقتم بمجيبِ
وأسلستِ الريحُ القيادَ كأنها .. نسيمٌ هفا من شمألٍ وجنوبِ
وباده لُطفُ اللهِ من يُمنِ أحمدٍ .. ببردٍ على عُرى الرجاءِ قشيبِ

●●●

وأقعدني عنكَ الضنى فبعثتُها .. شواردَ شعرٍ لم ترُعْ بضريبِ
أقمتُ وآمالى إليكَ مُجدّةٌ .. تلفُّ شروقاً مُغتماً بغروبِ
وترشدُها أطيابُ قبرِكَ في الدجى .. فتغمضُها من حيرةٍ ونكوبِ
وعندَ أبي الزهراءِ حطّتْ رحالَها .. بسماحٍ جوادٍ للثناءِ كسوبِ

●●●

جلوتُ على وادي العقيقِ فريدتي .. ففازَ حسيبٌ منهما بحسيبِ
تتيهُ حضاراتُ الشعوبِ بشاعرٍ .. وتكملُ أسبابُ العُلى بأديبِ

●●●

خطبة الجمعة

# الطريق إلى الله (*)

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

الحمد كل الحمد لله - تبارك وتعالى - أحمده سبحانه وأشهد أن لا إله إلا الله هو ولى النعمة ومصدر الرحمة:

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١).

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، نبى الرحمة، وقائد الملحمة:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾(٢).

فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه، ومن دعا بدعوته بإحسان إلى يوم الدين، وأستفتح بالذى هو خير:

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٣)

أما بعد:

فإن الطريق إلى الله - تبارك وتعالى - عماده العلم والمعرفة، مع الإيمان واليقين، مع تحديد الغاية والهدف، مع سلوك الطريق باعتدال واستقامة حال، ومحاذرة الانحراف والضلال، ولذلك نرى الحق جل جلاله يقول لرسوله الأكرم ﷺ:

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٤).

أى الزم الطريق المستقيم المعتدل الذى لا عوج فيه، المتوسط بين طرفى الإفراط والتفريط، أنت ومن آمن معك، كما أمرك الله ودعاك، ولا تتجاوزوا طريق ربكم فهو مطلع على كل أحوالكم ﴿ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

---

(*) ألقيت بمسجد الإمام الرفاعى بالقلعة يوم الجمعة ١٨ من أغسطس سنة ١٩٧٢م.

(١) الأعراف (٥٦).

(٢) الأنبياء (١٠٧).

(٣) الممتحنة (٤).

(٤) هود (١١٢).

وللإمام السيد أحمد الرفاعي - رضي الله عنه - عبارة موجزة مركزة، كأنها تستضيء وتستمد من هدى هذا النور الإلهي الساطع يقول فيها: «المتلفت لا يصل»، وهي كلمة عميقة المدلول دقيقة المفهوم. لو جعلها المؤمن البصير جزءاً من شعاره، واستجاب لها على هدى وبصيرة، لدفعت به إلى مراحل في سبيل الاستقامة والاعتدال. ولو أخذنا بطريقة الصوفية وأسلوبهم في تفهم هذه العبارة، لقلنا: إن من يشغل نفسه أو حسه عن ذكر ربه وطاعته، يظل محروماً من دخول حماه، فعليه أن يلزم طاعة مولاه، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، حتى يبلغ رضا الله عنه وقبوله له، فيفوز لديه بالأمان والاطمئنان

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾(٥).

ونحن نستطيع أن نفهم عبارة: «المتلفت لا يصل» بأسلوب عصرنا، فندرك أنها دعوة إلى وضع منهج، وتحديد خطة، ومواصلة مسيرة، ودوام عمل، حتى يبلغ الكتاب أجله، ويحقق المناضل عمله، وهذا لا يكون إلا بدعامتين: العقيدة القائمة على العلم الصحيح الثابت، ثم العمل المستقيم المستمر الدائم، ومن هنا قال القرآن الكريم:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(٦).

فقولهم: ﴿ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ عقيدة وعلم، واستقامة تطبيق والتزام ولهذا قال الله - تعالى - لرسوله:

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٧)

وقال له:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٨)

وحينما سأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ عن قول في الإسلام لا يسأل عنه أحداً بعده أجابه بقوله: «قل آمنت بالله ثم استقم».

والقرآن الكريم يجمع بين الدعوة إلى الدوام على العمل، والاستمرار في بذل الجهد حتى النهاية، والتحذير من التلفت أو الانحراف، فيقول:

﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾(٩).

أي داوم على طريق الطاعة والعمل الصالح حتى الموت، ويقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١٠).

ويقول:

---

(٥) الفجر (٢٧-٣٠).

(٦) فصلت (٣٠)

(٧) هود (١١٢)

(٨) يوسف (١٠٨)

(٩) الحجر (٩٩)

(١٠) آل عمران (١٠٢)

﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ ﴾(١١).

والمتلفت إنسان قلق مبعثر، لا منهج له ولا خطة، فهو كل حين يبتدأ، وكل يوم بسلوك، إذ لا عقيدة عنده يخضع لها فتسيطر عليه في وجدانه وإيمانه، ولا خطة بين يديه يلتزم بها، أو يثابر على تنفيذها وتحقيقها، فلا استقرار عنده ولا ثبات؛ والمتلفت أيضاً يتطلع إلى هؤلاء من الناس فينخدع ببريقهم وتزويقهم فيميل نحوهم على غير رشاد أو اعتقاد، ثم يتطلع إلى أولئك من الناس، فيغتر بظواهرهم ومناظرهم، فيرتد إليهم بلا تفكر أو تدبر، وهكذا يظل كرة تتلاعب بها الأقدام:

﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾(١٢).

ومع الحيرة والاضطراب لا يتم إصلاح ولا يكمل بناء:

﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١٣).

والعامل أو الصانع إذا تلفت في عمله أو صنعته، فلم يجمع شتات ذهنه وهو يعمل، ولم يركز جهده وطاقته في إنتاجه وهو يصنع، وشغل نفسه بتضييع الوقت تارة، ومخادعة صاحب العمل أو غشه تارة أخرى، فإنه لا يصل إلى حد الإتقان والإجادة، ومن هنا لا يستحق توفية أجر ولا تكريم ذكر، فقد نسي قول الرسول ﷺ: «إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه»، وقوله: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»، وقوله: «من غشنا فليس منا». والتلميذ إذا تلفت ذات اليمين وذات الشمال، وشغله عن دروسه وتحصيله لعب يستبد به، أو لهو يسيطر عليه، لا يمكن أن يصل إلى مقدمة الصفوف أو يفوز بالنجاح، وهكذا كل إنسان في الحياة لا يمكن أن يتم عملاً، أو يحقق أملاً، إلا إذا عرف الهدف، ثم سلك الطريق ثم بذل الجهد، ثم واصل العزم، بلا تردد أو اضطراب، ولعل هذا هو بعض ما نفهمه من قول الله – تعالى –:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١٤).

**يا أتباع محمد ﷺ**: الغاية الكريمة أمامكم، وطريق الله مفتوح لكم، والطاقة موفورة بفضل الله لديكم، فاقدموا، وتطلعوا إلى الأمام، وواصلوا المسير، ولا يشغلكم عن رسالتكم صارف أو لافت، فإن المتلفت لا يصل.

**وبعد**: فإن خير ما يحرزه الإنسان في حياته من توفيق هو أن يعمق علمه، وأن يستقيم اعتقاده، وأن تدوم على طريق الحق خطواته، حتى يحقق في دنياه ما أراده له خالقه من حرية وعزة وكرامة، وأن يفوز بما عنده من نعيم في دار الخلود والبقاء.

---

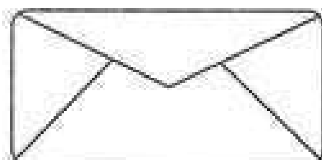
(١١) المائدة (٢١).

(١٢) النساء (١٤٣).

(١٣) الملك (٢٢).

(١٤) الأنعام (١٥٣).

# رسالة .. و .. رد



لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

**رسالة هذا العدد وردت من القارئ خالد شاكر هلال من قرية زاوية البحر - كوم حمادة محافظة البحيرة يقول فيها:**

**لقريتنا مقابر يمتد تاريخها لقرن من الزمان ومازالت تستعمل حتى الآن حيث لا بديل لها وهى عبارة عن أبنية متراصة فى صورة مجموعات تتكون كل مجموعة من عدد من المقابر، وكل مقبرة عبارة عن جزء فى باطن الأرض وجزء علوى فوق سطح الأرض من الطوب الأحمر يغطى المقبرة، وهذا الجزء مغطى بالأسمنت وقد تساقطت هذه الطبقة الأسمنتية أو كادت وعندما حاولنا إصلاحها نصحنا البعض بالتوقف لأن هذا العمل تعدى على حرمات الأموات وفيه إيذاء لهم وليس من الضرورات التى تبيح اعتلاء المقابر والسير عليها، وتضاربت الأقوال حول هذا الموضوع فبم ينصحنا علماؤنا الأجلاء أثابهم الله؟**

بداية أقول للأخ الكريم إن دفن الموتى فرض كفاية بالإجماع بمعنى إذا قام به البعض سقط عن الباقين وإذا لم يقم به أحد أثم جميع من حضروه أو علموا به لأن فى ترك الميت بلا دفن هتكا لحرمته ويتأذى الناس من رؤيته ورائحته، وعليه عمل الناس من لدن سيدنا آدم - عليه السلام - إلى يوم الناس هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقد أرشد المولى - سبحانه وتعالى - ابن آدم الآثم قابيل إلى دفن أخيه المقتول هابيل حيث:

﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾(١).

وذلك أن هابيل كان أول ميت على الأرض من بنى آدم قال تعالى:

(١) المائدة (٣١).

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[٢].

وقال جل شأنه:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۝ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾[٣].

والمعنى أنها تكفتهم أي تضمهم وتجمعهم أحياء وأمواتا أحياء على ظهرها في المساكن والمنازل وأنها جامعة لكل ما يحتاج إليه الناس من مأكل ومشرب ومسكن لأن كل ذلك خارج من الأرض وكما تضم الأرض الإنسان حيا تكفت الأرض وتضم كل ما ينفصل عنه من الأمور المستقذرة.

وكما تكفت الأرض البشر أحياء على ظهرها تكفتهم أمواتا في بطنها فالأحياء يسكنون المنازل والأموات يسكنون القبور أي يدفنون فيها والتنكير في كلمتي أحياء وأموات للتفخيم أي تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون ولهذا المعنى سميت أما لأنها في ضمها للناس كالأم التي تضم ولدها وتكفله، قال الشاعر:

منها خلقنا وكانت أمنا خلقت
ونحن أبناؤها لو أننا شكر
فيها القرار فما نبغي به بدلا
ما أرحم الأرض إلا أننا كفر

ولا تقتصر فائدة القبر على مداراة بدن الإنسان وستر عورته، بل فيه إلى جانب ذلك تسهيل زيارته والترحم عليه والدعاء له فزيارة القبور سنة مستحبة، وقال الظاهرية: هي واجبة ولو في العمر مرة حملا للأمر على الوجوب، والأمر هو قوله صلوات الله عليه كما في مسلم: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة» وفي رواية: «فإن في زيارتها تذكرة» والسر في نهي النبي ﷺ عن زيارة القبور أولاً ثم إباحتها بعد ذلك، قرب عهد الناس بالجاهلية، فربما تكلموا عند زيارة القبور بما اعتادوه في الجاهلية مما يخالف الإسلام، ثم لما بعد العهد بالجاهلية وانتشر الإسلام وعرفت أحكامه وتعاليمه أمرهم ﷺ بالزيارة مع مراعاة الأحكام الشرعية التي عرفوها فمن زار قبرا ودعا لصاحبه واستغفر له وقرأ القرآن على قبره خاصة سورة:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾[١].

وسورة الكهف فهو على رجاء القبول كما جاء في الأثر خاصة إذا كان الزائر ابنا لصاحب القبر، والقبر ليس مثوى للجسد فقط على الصحيح فإن روح الميت لها تعلق ببدنه بعد قبره فقد دلت الأحاديث الصحيحة أن روح العبد الصالح تخرج بسهولة وتصعد إلى الملأ الأعلى فتحوز الرضا والقبول ثم ترجع إلى جسدها في القبر فيسأل ويجيب أحسن الجواب، ويفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها وتكون روحه في عليين إلى يوم البعث والنشور، وأما الفاجر والمنافق فتحضره ملائكة العذاب ويرى مكانه في النار وتصعد روحه إلى السماء فتغلق دونها وترجع إلى جسدها ملعونة ممقوتة فيسأله الملكان وهما على أقبح صورة فلا يجيب فيذوق العذاب ألوانا ويضيق عليه القبر ويفرش له من النار ويفتح له باب من جهنم وتكون روحه في سجين إلى يوم الدين، فعن أبي موسى الأشعري -رضي الله

---

(٢) طه (٥٥)
(٣) المرسلات (٢٥، ٢٦)
(١) الملك (١)

عنه - «تخرج روح المؤمن أطيب من ريح المسك فتنطلق بها الملائكة الذين يتوفونه فتتلقاه الملائكة من دون السماء فيقولون: هذا فلان ابن فلان يعمل كيت وكيت بمحاسن عمله. فيقولون: مرحبا بكم وبه فيقبضونها منهم فيصعد به من الباب الذى كان يصعد فيه عمله فتشرق فى السماوات ولها برهان كبرهان الشمس حتى ينتهى بها إلى العرش، وأما الكافر فإذا قبض انطلق بروحه فيقولون: ما هذا؟ فيقولون: فلان ابن فلان كان يعمل كيت وكيت بمساوىء عمله. فيقولون: لا مرحبا لا مرحبا ردوه فيرد إلى أسفل الأرض إلى الثرى» أخرجه أبو داود.

وبعد أن تكون روح المؤمن الصالح فى عليين وروح الفاجر والمنافق فى سجين ترد كل منهما إلى قبرها حيث الجسد لقوله تعالى كما فى حديث البراء: «وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى».

هذا والسنة أن يرتفع القبر عن الأرض قدر شبر حتى لا يوطأ بالأقدام ولا يجلس عليه ولكى يعرف أنه قبر فيدعو المار لصاحبه، والأصل فى هذا عمل النبى ﷺ فقد روى ابن ماجة عن أنس - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ أعلم قبر عثمان بن مظعون بصخرة أى وضع عليه الصخرة ليتبين به، وفى هذا الحديث أن النبى ﷺ حمل الصخرة فوضعها عند رأسه وقال: «أتعلم بها قبر أخى وأدفن إليه من مات من أهلى» وروى أن القاسم بن محمد بن بكر - رضى الله عنه - قال: «دخلت على عائشة - رضى الله عنها - فقلت: يا أماه اكشفى لى عن قبر النبى ﷺ وصاحبيه - رضى الله عنهما - ويعنى أبا بكر وعمر» فكشفت له عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء» ومعنى لا مشرفة أى ليست مرتفعة عن الأرض كثيرا ومعنى لا لاطئة أى ليس لاصقة بالأرض، وارتفاع المقابر عن قدر شبر يكون على وجهين، إما أن يسنم القبر أو يسوى وقد اختلف الفقهاء فى الأفضل منهما «التسوية والتسنيم» فذهب أبوحنيفة ومالك وأحمد - رضى الله عنهم - وكثير من الشافعية أن التسنيم أفضل، وذهب الإمام الشافعى - رضى الله عنه - أن التسطيح أفضل لأمر الرسول ﷺ بالتسوية كما جاء فى حديث ثمامة بن شفى قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفى صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوى ثم قال: «سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها» رواه مسلم.

وارتفاع القبر عن الأرض قدر شبر يكون بأحد أمرين: إما بجمع التراب الخارج من حفر القبر فوقه أو بالبناء عليه بالطوب اللبن لأن القبر للبلى لا للبقاء، ولذا لا يجوز البناء على القبر بالآجر «الطوب الأحمر» إذا كانت الأرض رخوة فإذا لم تكن الأرض رخوة فلا يبنى عليه بالآجر لأنه من زينة الدنيا ولا حاجة للميت إليها ولأنه حرق بالنار فيكره أن يجعل على الميت تفاؤلا(٥).

أما وقد بنيت مقابركم على النحو الذى ذكرتم فى الرسالة والموضح فى الرسم فلا مانع من بقائها على النحو الذى هى عليه، ولا داعى لترميمها أو إصلاحها إذ سوف يترتب على الإصلاح والترميم المشى على هذه المقابر وهو أمر منهى عنه فى صريح حديث رسول الله ﷺ.

هذا والله أعلم وبه التوفيق

---

(٥) الدين الخالص جـ ٧ ص ٤٦.

# على باب الأمل

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

**ما إن يحل الشتاء حتى تتنامى الآمال فى تطوير أدوية جديدة لمقاومة نزلات البرد والأنفلونزا وذلك فى صراع الإنسان الذى لا يكاد ينتهى مع المرض، ففى كل عام يصاب الملايين بتلك الأمراض اللعينة التى كان المرء -حتى وقت قريب- لا يملك حيالها دفاعاً إلا أن يرقد طريح الفراش ملازماً بيته مستسلماً للمعاناة والألم الذى يدوم أياماً. لكن مع قدوم العام الجديد يمكننا أن نزف البشرى لكل بنى البشر قائلين لهم: تشجعوا ولترتفع معنوياتكم، هذا الكلام لا ينبعث من فراغ، بل هو يتسند إلى أسس علمية راسخة يمكن تلخيصها فى ثلاثة أمور رئيسية:**

**أولاها**: تطوير عقاقير جديدة مضادة للفيروسات.

**والثانية**: أن تلك العقاقير ستؤدى إلى تقليل مدة المرض وحدته هذا بالنسبة للأنفلونزا.

**أما ثالث الأمور**: فإنه يلوح فى الأفق علاج وشيك لنزلات البرد العادية.

ويتركز الحديث الآن لبعض الوقت عن الأنفلونزا، فهى يمكن أن تكون عدوى فتاكة وداءً خطيراً لصنف من الناس بعينهم ونعنى بهم أولئك المصابين بعلل تنفسية حادة، ولهؤلاء يقول الأطباء: إن أكثر وسائل الدفاع فائدة وأعظمها جدوى هو أخذ اللقاح السنوى الذى يكون مؤثراً بنسبة تتراوح ما بين ٦٠٪ إلى ٨٠٪ حيث إنه لا يمنع الأنفلونزا فقط بل يقى من الإصابة بأمراض أخرى خطيرة، أهمها تلك التى تصيب الرئتين. ولأهمية ذلك الأمر فقد قامت الأكاديمية الأمريكية لأطباء العائلة بتخفيض السن التى كان قد أوصى بإعطاء اللقاح السنوى المضاد للأنفلونزا فيها من سن الخامسة والستين إلى سن الخمسين، الأمر الذى يعنى زيادة أعداد من سيعطون هذا اللقاح.. والجدير بالذكر أن الأطفال -وهم الهدف الأول لكل أنواع العدوى التنفسية

وأمثالها - نادراً مايطعمون ضد الأنفلونزا، والسبب - كما يبدو - هو ما يتملك الآباء والأمهات من خوف ناشئ عن عدم اتخاذ الاحتياطات الكافية عند التعامل مع الأدوات المستخدمة فى الحقن من كل من أولياء الأمور والصغار على السواء. لكن الأمل كبير فى أن يزول شبح ذلك الانزعاج مع التقدم فى إنتاج أحد اللقاحات الذى سيكون فى شكل نقط للأنف بعد أن ثبت تأثيره الفعال حينما تم تطعيم البعض به، مما أدى إلى تخفيف هذه الأنفلونزا، وذلك عند البالغين والأطفال على حد سواء. وقد أصبح ذلك العلاج ميسوراً منذ العام الماضى ولأولئك الذين لم يحصلوا على أى تطعيم من قبل نقول: إن جيلاً جديداً من عقاقير الأنفلونزا تمت الموافقة عليه من هيئة الأغذية والعقاقير هو الحل الأمثل لمن يعانون من الآلام. وهذه العقاقير والأدوية الحديثة تمثل تقدماً رئيسياً فى مقاومة ذلك المرض الذى جعل أسرة المستشفيات تكتظ بضحاياه، بل السبب فى كثير من الوفيات. والأهم من ذلك كله مايترتب عليه من تكلفة الرعاية الطبية التى تقدر بحوالى خمسة بلايين دولار، ناهيك عن ساعات العمل المهدرة كل عام فى جميع أنحاء العالم. ويقول أحد أساتذة المركز الطبى المتخصص فى أبحاث الأنفلونزا فى أمريكا: إن كل تلك العلاجات الجديدة سيكون لها أثر بالغ فى تغيير الطريقة التى يتعامل بها كل من الأطباء والمرضى مع الأنفلونزا.

يضيف قائلاً: إن لطرق العلاج الفورى تلك أثر لا ينكر فى سرعة تحسين الأحوال الصحية للمرضى وعودتهم إلى أعمالهم ودراستهم دون تأخير.

وتنتمى الوسائل سالفة الذكر إلى مجموعة من العقاقير تعرف بـ المثبطات » التى قالت عنها الأوساط الطبية: إنها تقوم بضرب حصار حول أحد البروتينات حتى لا يسمح له بنقل فيروس الأنفلونزا من خلية إلى أخرى وبالتالى انحصار العدوى.

ويصف الأطباء بخاخة تستخدم عن طريق الفم مرتين يومياً لمدة خمسة أيام لسن ١٢ فما فوق بهدف وصول ما بالبخاخة إلى سطح الرئة باعتباره المرتع الأول لعدوى الأنفلونزا.

أما الدواء الثانى وهو للبالغين فقط، فيؤخذ مرتين كل يوم لمدة خمسة أيام وهو على شكل أقراص وتكمن أهمية هذه العلاجات الجديدة فى أنها على خلاف عقاقير الأنفلونزا السابقة التى اقتصرت مهمتها على مقاومة الفيروس؛ فإن لها القدرة على مقاومة فيروسات الأنفلونزا من النوع ( أ ) والنوع ( ب ) ومن مميزاتها أن آثارها الجانبية طفيفة. وقد اتضح فى التجارب المعملية أن لها مزايا أخرى نذكر منها اثنين لايمكن لأحد الاستهانة بهما. الأولى: تقصير مدة الأنفلونزا

بمقدار يومين اثنين. الثانية وهي الأهم: التقليل من احتمال نشوء التهابات شعبية أو نزلات شعبية وكذلك الحد من التهاب الجيوب الأنفية والتجاويف العظمية وما يمكن أن يصيب الإثنين من عدوى.

ولا ننسى قدرة تلك العقاقير على منع انتشار المرض بين أفراد الأسرة الواحدة؛ ففي دراسة شملت ٩٧٥ أسرة تم إجراؤها وقت تفشي الانفلونزا لم تتجاوز نسبة الأسر التي أصيب منها فرد بالانفلونزا ٤٪ مقارنة بنسبة ١٩٪ من أسر تناولت أدوية تقليدية.

ولا يفوتنا التنبيه إلى التيقظ للمرض والتعامل معه مبكراً حيث إن الشفاء يكون أرجى إذا تم اللجوء للعلاجات الجديدة في مدة لاتتعدى ٣٦ - ٤٨ ساعة من بداية ظهور أعراض الانفلونزا والاختبارات الجديدة متوافرة في كثير من العيادات وعند كثير من الأطباء. ويمكن أن تجعلك متيقناً من صحة التشخيص في مدة قصيرة لاتزيد على عشر دقائق وهي مسألة جوهرية. والسبب أن تلك الأمراض التنفسية ليست في حقيقة أمرها سوى انفلونزا بالفعل، كما أن علاجات نزلات البرد التي لاتزال في مرحلة التجريب تقتصر في تركيزها بشكل مكلف على الفيروس أكثر من اهتمامها بعلاج الأعراض المصاحبة.

وفي نبرة تفاؤلية محببة يقول رئيس قسم أبحاث مضادات الفيروسات بالولايات المتحدة: دعك من المثل السائر القديم الذي طالما روج لفكرة مؤداها أن بمقدور العلم أن يضع الإنسان فوق سطح القمر لكن لا حيلة له مع نزلات البرد، إذ لا يملك إزالتها أي شيء؛ فهذا كلام غير صحيح، سرى بين الناس سريان النار في الهشيم، وتتعجب حين تعلم أن نصف الإصابات، هي إصابات بالفيروس، بينما النصف الآخر يشمل فيروسات تصيب الغدد وفيروسات تصيب الشرايين التاجية وفيروسات تصيب أغشية الخلايا والأنسجة المبطنة للأجهزة التنفسية.

ويوضح رئيس قسم أبحاث مضادات الفيروسات خطورة المشكلة قائلاً: إن لفيروس الأنف وحده أكثر من نوع من الأمصال، تتخذ أشكالاً عديدة.

ويستطرد مؤكداً أن هذا هو السبب في أن معظم العلماء، وضعوا فرضية مؤداها أنه ليس هناك مركب بمفرده من مضادات الفيروسات يمكنه مقاومة ذلك الجيش الجرار من الفيروسات. ثم ينبه المتحدث إلى خطأ ذلك الافتراض، ودليله على ذلك ما قام به فريقه الطبي من تحديد الذرات التي تعد المفاتيح لأحد الانزيمات التي تلعب دوراً جوهرياً حاسماً في تناسل تلك الفيروسات وتكاثرها وهو أنزيم تشترك في

الاستفادة منه كل فيروسات الأنف. وعن طريق نموذج «حاسوبي ثلاثي الأبعاد» تمكن فريقه الطبي من تطوير أحد المركبات الذي يقوم بالاحتباس داخل ذرات ذلك الانزيم بهدف عرقلة الفيروس عن التوالد وإيجاد نظائر له.

وفي تجارب أولية تبرع للقيام بها متطوعون تم تعرضيهم لفيروس الأنف وذلك باستخدام معطرات أنفية يحوي كل منها مثبطاً للانزيم السابق وهو مشابه للعقاقير التي كان لها قصب السبق في محاربة الفيروس المسبب لمرض نقص المناعة المكتسبة، استطاع الفريق الطبي تقليل مستويات الفيروس وتحجيمها والتهوين من شأن الكيماويات التي تسبب المتاعب؛ فينشأ عنها أعراض نزلات البرد. كما أنه يتم حالياً اختبار أحد الأقراص التي يقوم العلماء بإدخال ما بها من مواد إلى الغلاف الخارجي الواقي لفيروس الأنف، ثم يسمحون لها بتبديل شكلها حتى لا تلتصق بالخلايا في داخل الأنف، إضافة إلى معطر للأنف يحوي الانترفيرون وهو المقاوم الذي زود الله به جسم الإنسان لمحاربة الفيروس.

وقد بينت دراسات سابقة أن الانترفيرون يستطيع تخفيض مستويات البرد ومنع انتقال البرد وسريانه إلى باقي أفراد الأسرة، لكن للأسف ليس بمقدوره تقصير عمر نزلات البرد، ولا يهدىء من حدة أعراضه، وفي نغمة مبشرة بالأمل يقول أحد أبرز خبراء مقاومة نزلات البرد بجامعة فرجينيا: إننا -حلاً لكل تلك المشاكل القائمة حالياً- نقوم باختبار أحد المركبات التي تم فيها دمج الانترفيرون مع بعض الأدوية التي تؤخذ عن طريق الفم بغرض إيقاف وتعطيل أو على الأقل تحييد العمليات الكيماوية التي تسبب أعراض البرد.. وينهي خبره معلقاً: أن ذلك يمكن أن يكون أكثر جدوى وأشد أثراً في علاج نزلات البرد.

ولا تتوقف مجهودات العلماء حيث إنهم قاموا بتخليق معطر أنفي مضاد للفيروسات مهمته غلق أجهزة الاستقبال لدى فيروسات الأنف وموصلاتها، إضافة إلى دواء آخر من الزنك يؤخذ أيضاً عن طريق الأنف ولا يزال الحكم على أيهما أكثر فائدة للمريض أمرا سابقا لأوانه، ومن ثم فعلى المرضى أن يواجهوا بصبر واحتمال عدة مواسم من العطاس وأعراض أخرى قبل أن يكتشف الدواء الناجع.

هذا وقد كان الزكام معروفاً على عهد النبي الأعظم ﷺ وعلى أيام الصحابة الكرام باسم «الخشام» وقد وصفت له السنة النبوية المشرفة نبات «المردقوش» وهو نبات طبي يزرع في صعيد مصر ويعرف باسم «البردجوش»، تشبه أوراقه أوراق نبات النعناع، وتستورده دول أوروبا وأمريكا حيث يباع بأغلى الأسعار؛ فهلا انتبهنا إلى ما بأيدينا من كنوز السنة النبوية المطهرة التي بذل الطب النبوي فيها جهدا لابأس به.

# بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

## أين مؤتمر مكافحة الإرهاب؟!

تحت هذا العنوان تحدث الكاتب عبدالعزيز النحاس في جريدة الوفد في عددها الصادر في ٣٠ / ١٢ / ٢٠٠١ قائلا:

● يبدو أن القانون الأمريكي هو الذي أصبح يحكم العالم بأسره وهو ما أكده تصريح كولين باول وزير الخارجية منذ أيام بإضافة منظمتين جديدتين إلى المنظمات الإرهابية وتتخذان من باكستان مقرا لهما وطالب بضرورة تصفيتهما.. وسبق هذا التصنيف تحديد عدة منظمات كان منها منظمتا الجهاد وحماس في فلسطين على أنهما منظمتان إرهابيتان يجب تصفيتهما، كما قامت الولايات المتحدة من قبل بتجميد أرصدة الكثير من الجمعيات الخيرية الإسلامية باعتبار أنها جمعيات تساعد المنظمات الإرهابية.. الأمر لم يقف عند حد التصنيف ولكن تتم الاجراءات الفعلية فور هذا التصنيف والتصفية من قبل المجتمع الدولي الذي يرضخ للقانون والقرارات الأمريكية خوفا من البطش والعدوان والحصار الاقتصادي.

● هذه الأحداث تجيب عن السؤال الذي يتردد عن أسباب عدم عقد المؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب الذي نادى به الرئيس مبارك أكثر من مرة، وحذر مرارا وتكرارا من خطر الإرهاب على العالم.. فالمؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب سوف يناقش جوانب كثيرة أهمها تحديد معنى الإرهاب بدقة وتصنيف أنواع الإرهاب وأسبابه ودوافعه والحقوق المشروعة للشعوب المحتلة في الدفاع وتحرير أراضيها بكل السبل والوسائل وهذا ما لا تريده أمريكا لأنه ببساطة شديدة يغل يدها عن تنفيذ مخططاتها في ضرب كل المنظمات والدول التي لا تسير في ركابها أو التي تقف عائقا أمام مصالحها الخاصة في شتى بقاع الأرض سواء أكانت السيطرة على منابع النفط في دول الشرق الأوسط أو السيطرة على مناطق النمو الاقتصادي التي تهدد عرشها أو عولمة وتغريب عقول شعوب الدول الإسلامية بوجه خاص التي تقف عائقًا أمام السياسة والأفكار الأمريكية.. قد تكون أمريكا نجحت في تنفيذ بعض المخططات والأفكار التي يرسمها لها اللوبي الصهيوني، ولكنها قد لا تدري

ان النجاح الاكبر كان فى استعداء معظم شعوب الكرة الأرضية بشكل لم يحدث مع اى إمبراطورية سابقة صالت وجالت حتى انهارت.. ورب ضارة لشعوب مغلوبة على امرها نافعة للاجيال القادمة.

## بداخلنا مأتم.. ولكن!!

فى جريدة اللواء الإسلامى فى عددها الصادر فى ٢٧ / ١٢ / ٢٠٠١ كانت هذه الكلمات المؤلمة لحال امتنا الإسلامية للدكتور محمد محمد داود قال فيها:

● قسوة الظروف الحالكة التى تمر بها امتنا الإسلامية من طغيان المارد الأمريكى وإرهاب إسرائيل المدمر فى مقابل الصمت الرهيب من العرب والمسلمين هذه المأساة جعلت الكثيرين من المسلمين فى حالة إحباط فبداخل كل منا مأتم!! وادى ذلك إلى ان الأعم الأغلب من الكتابات والحوارات فى إعلامنا أشبه بالنواح والولولة وصفا لحال مأساتنا وحزنا على احوالنا ولوما وسبا لامريكا وإسرائيل.

● وهكذا نقع فى هذا الفخ ننتظر من عدونا ان يرأف بنا ولا نرأف بأنفسنا، ننتظر ان تنجز لنا يد القدر آمالنا ولا نتقدم لندفع المهر لتحقيق الآمال بالعمل الدءوب والكفاح مازلنا نبكى على ما ضاع منا ولا ننتبه إلى ما بين أيدينا من اسباب وفرص.

● فلننتبه فمازال بأيدينا الكثير فلنصنع شيئا ولنبدأ بأنفسنا نتخلى عن كل سلبية بغيضة فيناء نتخلى عن تفرقنا وتمزقنا، نتخلى عن قيم الهدم من رشوة وظلم ومحاباة، ولنعد إلينا وعلينا المفقود بأسباب تقدم الأمة من تحقيق قيم العدالة والأمانة بيننا ومعرفة ان العلم هو سر الحضارة، ولنعلم اولادنا الدرس كى لا يكونوا ألعوبة بين يدى الأعداء.

● فلنتحول عن البكاء والأحزان إلى العمل من اجل امة الإسلام ولنعلم ان جراحات الأمة لا تداويها الانفعالات الطائشة ولا العواطف المتهورة وإنما العمل المخلص الذى يؤسس على علم وتدبير بعيدا عن العشوائية وضربات الحظ والمجازفة.

● ولنتأس برسول الله ﷺ فى مواجهة الأزمات فقد علمنا ﷺ الا ننهار ولا نيأس وإنما نبحث عن الحلول الممكنة فقد ذهب النبى ﷺ إلى الطائف والتقى بوفود الحجيج وأرسل من يهيئ المدينة للإسلام قبل هجرته ﷺ، فلنعمل فمازال بأيدينا الكثير وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

●● **تعليق:**

قال رسول الله ﷺ: «يوشك ان تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها: فقال قائل: امن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن فقال قائل: يا رسول وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت».(١)

---

(١) رواه ابوداود فى سننه جـ١/ ٤٨٣ ، ٤٨٤ برقم ٤٢٩٧.

# بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

## بين الجد والفكاهة

منذ عدة أشهر أرسل إلينا **الأستاذ هلال الحبشي من برهمتوش - دقهلية -** رسالة تناول فيها أصل كلمة «أرشانة» ونشرناها في هذا الباب تحت عنوان: «بين الجد والفكاهة».

ثم شارك أساتذة أفاضل في إثراء هذا الجانب الذي نكاد نفتقده برغم ماله من تأثير إيجابي في تخفيف الضغط النفسي الذي أصبح سمة من سمات العصر.

غير أن أحداث سبتمبر ألقت بظلال قاتمة على كثير من رسائل القراء.

ولكن يبدو أن القارئ نفسه صاحب الطرفة الأولى. أعني **الأستاذ هلال الحبشي** لم يعجبه أن يرى هذا الجانب الفكاهي الجاد وقد أصابه الفتور فأراد أن يعيد إليه النشاط، ونحن نرحب بذلك حتى نخرج - ولو للحظات - مما ألم بنا من ألم.

ولعل الأستاذ الحبشي قد أصابه ما أصابه من أدعياء الطرب والغناء الذين يصدعون الرؤوس في غير طائل فأرسل هذه الأبيات الفكاهية الرائعة التي قالها الشاعر الكبير أحمد الزين في مطرب شبيه بهؤلاء:

حمارٌ لا يمل من النهيق
يضيق به التجلدُ أي ضيق

مُنى الأوتار لو كانت سياطًا
يصبّ بها على الجلد الصفيق

بطانتُه حماك الله منها
كأن صياحهم جرس الحريق

دعاني للسماع رفيقُ سوء
فقلت جزاك ربي يا رفيقي

وكانت ليلة يا ليت أني
دُفعتُ بها لقطاع الطريق

# العلم والعقل

ولم تكن الرسالة السابقة فقط هي التي جاءت تتناول موضوع الجد والفكاهة بل أرسل إلينا القارئ، حسام جابر محمد عبدالعزيز - محرم بك الإسكندرية - هذه الكلمة في الفرق بين العلم والعقل وأيهما أفضل يقول القارئ:

العلم هبة من الله - عز وجل - يهبها لمن اصطفى من عباده، والعقل كرم الله به الإنسان على سائر الكائنات الحية، وهما سبيل المؤمن إلى الجنة إن صلحا أدخلا صاحبهما الجنة، وفي هذه الطرفة، يتخيل الشاعر اختلاف العقل مع العلم، فقال العقل: أنا أفضل لأن الله - عز وجل - عُرف بي، وقال العلم: أنا أفضل لأن الله اتصف بي في الكتاب، فوافقه العقل واعترف له بالفضل، فكانت هذه الأبيات:

علمُ العليم وعقلُ العاقل اختلفا
من ذا الذى منهما قد أحرز الشرف
فالعلمُ قال أنا أحرزت غايته
والعقل قال أنا الرحمن بي عرف
فأفصح العلم إفصاحاً وقال له
بأينا الله في فرقانه اتصف
فبان للعقل أن العلمَ سيدُهُ
فقبل العقلُ رأس العلم وانصرف

# كيف نربي أولادنا على الطاعة؟

ومن الرسائل التي نحرص على نشرها تلك الرسالة التي وردت من القارئ / محمد عباس محمد، حيث تتناول موضوعًا تتمناه كل أسرة ويرجوه المجتمع بأسره حيث يقول:

أقام الإسلام قواعد التربية الفاضلة في نفوس الأفراد صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً شيباً وشباناً.. على قواعد تربوية باقية، وأصول نفسية نبيلة ثابتة.. لا يتم تكوين الشخصية الإسلامية إلا بها، ولا تتكامل إلا بتحقيقها. وهي في الوقت نفسه قيم انسانية خالدة. ومن الثابت تجربة وواقعاً أن سلامة المجتمع، وقوة بنيانه وتماسكه.. مرتبطتان بسلامة أفراده وإعدادهم.. ومن هنا كانت عناية الإسلام بتربية الأولاد اجتماعياً وسلوكياً.. حتى إذا تربوا وتكونوا وأصبحوا يتقلبون على مسرح الحياة أعطوا الصورة الصادقة عن الإنسان المتزن العاقل الحكيم.

ومن أهم الأصول التي يحرص الإسلام في تربية الأولاد عليها: الطاعة، فالطاعة إذا أحسن استخدامها تلعب دوراً لا غنى عنه في حياة كل فرد، وفي تحقيق نضجه ونموه، وكذلك في تحقيق



الفرد لذاته. ولذلك فإنه من اللازم أن يفهم الآباء طبيعة الطاعة ومخاطر إساءة استخدامها.

إن الطاعة وسيلة لتحقيق أهداف تربوية كثيرة، وهي ليست هدفا في حد ذاتها. فنحن لا نجبر أطفالنا على الطاعة حبا في الطاعة نفسها، ولكننا نطلب منهم أن يكونوا مطيعين في بعض المواقف سعيا وراء القيم التربوية لهذه الطاعة بالنسبة لهم. فعن طريق طاعة الأبناء للآباء يكتسب الأبناء الكثير من القيم والاتجاهات الطيبة والخبرة النافعة، كما أنهم يتدربون منذ طفولتهم على احترام النظم والقواعد والتقاليد السليمة. والطاعة عموما يعتبرها الناس فضيلة من الفضائل، وعادة ما يكون وصف الطفل بأنه مطيع أمر يدعو إلى السرور والغبطة.

**كيف نجعل للطاعة قيمة تربوية؟**

**أولاً**: الصراحة: فلابد أن يسود جو الصراحة للعلاقة بين الآباء والأبناء. فالطفل إذا لم يكن مقتنعا بأمر من الأوامر، يجب أن يصارح والديه بوجهة نظره في هذا المجال قبل طاعته، فالطفل يجب أن يكون مقتنعا بقيمة الأمر وفائدته بالنسبة له وبالنسبة للأسرة التي يعيش فيها. ولابد أن تقوم صراحة بين الآباء والأبناء تمكن الأبناء من الاستفسار عن بعض الأوامر وإبداء الرأي فيها في حدود قدراتهم ومستوى نضجهم ودون خروج عن حدود الأدب واللياقة.

**ثانيا**: شعور الأمن: شعور الطفل بالأمن يجعل العلاقة بينه وبين أسرته علاقة ود وتفاهم، وهذا يجعله أكثر تقبلا لأوامر الوالدين، أما الطفل الذي لا يشعر بالأمن والذي يحس بأن شخصيته في البيت مهددة، فإنه عادة يتقبل أوامر الوالدين ليس عن اقتناع ولكن خوفا من أن تؤدي معارضة هذه الأوامر إلى تعريض شخصيته في الأسرة لمزيد من التهديد.

وقد يؤدي عدم شعور الطفل بالأمن في الأسرة إلى سلوك مضاد للسلوك الذي سبق ذكره فقد يدفع ذلك الطفل إلى عدم إطاعة أوامر الوالدين.

## من الأخطاء الشائعة

**أما القارئ، إبراهيم نصحي محمد - من ديرب نجم - شرقية: فيرسل بعضاً من الألفاظ التي شاع استخدامها بطريقة خاطئة ويقدم تصويباً لها، يقول:**

١ - من الخطأ أن تقول: لقد وصينا المدير على أحمد، وهذا كتاب موصى عليه. والصواب أن تقول: وصينا المدير بأحمد، وهذا كتاب موصى به.

لأن هذا الفعل لا تستعمل معه إلا الباء سواء كان ربا عيا مضعفا، كما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾. لقمان/ ١٤

وقوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

الأنعام/ ١٥٣

أم كان رباعيا مهموزا كما ورد في الأثر: «أوصيك بتقوى فإنها رأس الأمر كله». وفي قوله تعالى:

﴿ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ ﴾ مريم / ٣١.

٢- من الخطأ أن تقول: لن أحضر طالما أنني مريض.

والصواب: استعمال ( مادام ) بدلا من طالما فيقال: لن أحضر ما دمت مريضا لأن طالما بمعنى طال وكثر فتقول: طالما كلمتك عن هذا الأمر: أي طال كلامي عن هذا الأمر.

٣- من الخطأ أن تقول: هذا الحزن أثر عليه، والصواب: هذا الحزن أثر فيه. لأن أثر يحتاج إلى حرف جر ( في ) وليس ( على ).

٤- من الخطأ: كلما اجتهدت كلما تفوقت، والصواب: كلما اجتهدت تفوقت. لأن ( كلما ) الشرطية لا تتكرر في الجملة. قال تعالى:

﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾.

المائدة / ٦٤

٥- من الخطأ: أرسل له خطابا والصواب: أرسل إليه خطابا قال تعالى:

﴿ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ﴾ المائدة / ٧٠.

# من شروط تحصيل العلم

أما القارئ عبدالغني عبيد عبدالغني سكرة - خريج جامعة الأزهر - فرع المنصورة فيصدر رسالته بقول الإمام الشافعي:

أخي لن تنال العلم إلا بستة
سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء، وحرص، واجتهاد، وبلغة
وصحبة أستاذ وطول زمان

ثم يلقي الضوء على الشرطين الأخيرين حيث يقول:

على الرغم من بلوغ الغاية في الإبداع في هذين البيتين إلا أننا سنركز كل أو معظم اهتماماتنا على الشطر الثاني من البيت الثاني وهو قول الشافعي ( وصحبة أستاذ، وطول زمان ) لننهل من الحكمة الصادرة من أحد مؤسسي المذاهب الشرعية الإسلامية في العالم أجمع، وذلك لندلل بذلك على ما ترمي إليه من رأي، وجدية المقصد.

فمما هو آكد ومعلوم لكل امرىء منا، أن لكل حدث جديد، إيجابياته التي ترفع من مستوى الذين سينتهجون قواعده، وكذا سلبياته التي تؤدي في بعض الأحيان إلى إحساس بعدم الإفادة والراحة.

ولقد ظهر في عصرنا الحالي حدث جديد في الجامعة سنخصص كلامنا لذكر بعض السلبيات التي يسببها.

ويُدعى هذا الحدث الفصل الدراسي الواحد أو كما يطلق عليه الكثيرون ( التيرم )، فمن سلبيات هذا الحدث بل وأهمها ( عدم المعرفة أو قلة المعرفة وعدم

المصاحبة للأستاذ، وضيق فترة لقائهما، وضيق الوقت لعلوم عميقة الأغوار كثيرة القواعد تحتاج إلى تطبيق وجهد وصبر.

فمع مضي الكثير من العصور بل القرون والتلميذ له شيخ أو معلم يلقنه ما لذ وطاب من شتى أنواع المعرفة والحكمة، وإذا كان التلميذ نابغًا، ولم يكن سئل عنه فيقال من أستاذه؟ فيجاب: إنه تلميذ فلان، أما في ظل هذا الحدث (التيرم) فلا نجد هذه الأواصر والروابط بين الأستاذ والتلميذ، التي كانت على مدى عصور متتالية أقوى من صلة الأسرة بعضها ببعض.

فماذا تفيد هذه الشهور القلائل التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

إن هناك من العلوم ما يحتاج إلى سنوات كي يعرفها الطالب ويفهم فحواها.

إن هذا التجديد في نظم التعليم من الممكن أن يخلق لنا أجيالاً لا تدري ماذا تعلمت، وممن تعلمت، وكيف تعلمت وكيف تطبق في الحياة ما تعلمت؟

ونعود إلى الإمام الشافعي (وصحبة أستاذ وطول زمان) فيالها من حكمة ومن ركائز، وما أبدعها من نصيحة، ولنجعل من هذه الشروط دليلا واضحا على ضرورة تعدد اللقاءات وكثرتها بين الأستاذ والتلميذ، فإن ذلك هو الذي يأتي بالخير والمصلحة وصدق من قال: «في التأني السلامة وفي العجلة الندامة» وأتمنى من الله أن يهدينا سبلنا.

---

من إبداعات القراء:

# شهيد الفدائية

للطالب: أحمد حمدى والى – مدرسة الهدى والنور الثانوية بالمنصورة

وهبت الروحَ يا بن الأكرمينا ... وسطرت العُلا صرحاً متينا
فعشتَ على الشهادة في إباءٍ ... ومتَّ وأنت لا تُحني الجبينا
فلم ترهب أساليبَ المنايا ... ولم ترهبْ صُراخا أو أنينا
أذقت الكفرِ كأساً من هوان ... فصاروا كالنعام مهرولينا
رأيت أخاك يُقتل من رصاص ... وراح الوغد يذبح ذا الجنينا
وأختك يستباح العرض منها ... وقومك في الديار مشتتينا
فأقسمت اليمين بأن ثأراً ... سيُرقف مدفع الكفر اللعينا
خرجت من الدُّنايا في شموخ ... وودَّعت الأحبة والعرينا
وأمك بالحزام تلف صدرا ... كتابُ الله كان له معينا
وتخرج والإله عليك يرضى ... تفجر منبع الطهر الأمينا
هنيئاً يا حبيبَ الله عرس ... لدى الجنات بين المؤمنينا

# أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ / محمد الشرقاوى

دراسة أمريكية

## مصرع (٣٨٠٠) مدنى أفغانى فى الغارات الأمريكية على أفغانستان

أعلن باحث أمريكى أن عدد الضحايا من المدنيين الأفغان لعمليات القصف الجوى التى قامت بها الطائرات الأمريكية فى أفغانستان فاق عدد ضحايا الهجمات التى تعرضت لها الولايات المتحدة فى ١١ من سبتمبر الماضى حيث لقى أكثر من ( ٣٨٠٠ ) مدنى أفغانى مصرعهم منذ بدء الغارات الأمريكية على أفغانستان فى حين بلغ إجمالى عدد الضحايا فى الهجوم على مركز التجارة العالمى ( ٢٩٩٨ ) شخصا .

وقال الباحث ( مارك هيرولد ) الأستاذ فى جامعة ( نيوهامبشير ) : إنه عكف على جمع معلومات عن الضحايا من المدنيين الأفغان منذ بدء العمليات العسكرية من تقارير وكالات الأنباء والصحف الكبرى وروايات شهود العيان فى الفترة من السابع من أكتوبر وحتى السابع من ديسمبر الماضى .

وكشفت الدراسة التى قام بها عن أن ( ٣٧٦٧ ) مدنياً أفغانياً قُتلوا فى الغارات الأمريكية، تضمنت الدراسة تفاصيل مطولة عن مواقع مقتل هؤلاء الأفغان والأسلحة التى تسببت فى مصرعهم ومصدر المعلومات .

وأشار الباحث إلى أن المعلومات التى توصل إليها تعتبر متحفظة للغاية وأن العدد الحقيقى للضحايا من المدنيين الأفغان يمكن

أن يصل إلى أكثر من خمسة آلاف شخص.

وقال: إن تقديراته تستند فقط إلى الأنباء التي أوردتها وكالات الأنباء والصحف الكبرى، وبالتالي لا تتضمن ما سقط من ضحايا مدنيين أبرياء في المناطق النائية بأفغانستان، كما أنها لا تتضمن أيضاً من قُتلوا بطريقة غير مباشرة عندما أدت الغارات الأمريكية لمنع المدنيين من الوصول إلى المستشفيات أو الحصول على الغذاء أو الكهرباء أو المياه الصالحة للشرب. كما أنها لا تتضمن جرحى الغارات الأمريكية الذين لقوا مصرعهم في وقت لاحق.

## مسلمو استراليا يساعدون ضحايا حرائق الغابات

تجمع نحو أربعة آلاف من الجالية المسلمة في مدينة سيدني الأسترالية بالقرب من مسجد «لاكيمبا» في شمال غرب المدينة وأدوا صلاة الاستسقاء داعين الله أن يهطل المطر لإخماد حرائق الغابات المحتدمة.

وذكرت تقارير إخبارية أن التبرعات التي تم جمعها عقب صلاة الجمعة في المسجد سوف يتم تخصيصها لصندوق حرائق غابات منطقة «نيوساوث ويلز» الأسترالية.

## مستعمرون يهود يحولون مسجداً إلى معبد يهودي

ذكرت جمعية الأقصى لرعاية الأوقاف والمقدسات الإسلامية داخل الخط الأخضر أن المستعمرين من مستعمرة «سانور» المقامة على أرض قرية «سيلة الظهر» قرب «جنين» استولوا على مسجد بالقرب من القرية وقاموا بتحويله إلى معبد يهودي بعد أن علقوا عليه الأعلام والشعارات اليهودية.

## سيناتور أمريكي ينتقد أسلوب التعامل مع المعتقلين المسلمين

انتقد السيناتور الأمريكي «روس فينجولد» ممثل الحزب الديمقراطي عن ولاية «ويسكونسن» الأسلوب الذي تتبعه وزارة العدل الأمريكية تجاه الأشخاص الذين تعتقلهم السلطات الأمريكية للاشتباه في تورطهم أو صلتهم بالهجمات التي تعرضت لها الولايات المتحدة في سبتمبر الماضي وانتقد السيناتور الديمقراطي بشكل خاص إصرار وزارة العدل على عدم توفير معلومات كافية عن الأشخاص الذين تم اعتقالهم منذ وقوع الهجمات.

كما أن الوزارة لم تستجب لمطالب عديدة قدمها عدد من رجال الكونجرس وبعض جماعات الحقوق المدنية الأمريكية لتوفير معلومات كافية عن المعتقلين تسمح بالتعرف على طبيعة المعاملة التي يلقونها داخل السجون الأمريكية المحتجزين بها، وما إذا كانت تلك المعاملة تنتهك حقوقهم الدستورية أم لا. وقال «فينجولد»: إن الوزارة اعترفت بأن معظم من اعتقلتهم منذ ١١ سبتمبر والذين زاد عددهم على (١١٠٠) شخص ليست لهم علاقة بالهجمات أو بتنظيم القاعدة ومع ذلك لم توفر الوزارة معلومات عما حدث لهم.

# أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسي

### تدريس مناهج الأزهر بدولة الإمارات العربية المتحدة

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه معالى الشيخ / محمد بن النخيرة الظاهرى وزير العدل والشئون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة والوفد رفيع المستوى المرافق لسيادته.

رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه في مصر والأزهر الشريف مشيدا بعمق العلاقات بين مصر وأزهرها الشريف ودولة الإمارات العربية المتحدة التى تكن لها فى مصر رئيسا وحكومة وشعبا كل الاحترام والتقدير لأن على رأسها رجل حكيم وشجاع وهو صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.

ودار الحديث حول التنسيق فى مجال الشئون الإسلامية والتعليم والدعوة ومدارسة الأساليب العلمية والتعليمية التى يسير عليها الأزهر الشريف فى معاهده وجامعته العريقة فى تعليم أبناء مصر والعالم، وإمكانية تطبيقها فى دولة الإمارات العربية المتحدة وذلك لما تمتاز به الدراسة فى الأزهر الشريف من التوسط والاعتدال والبعد عن المغالاة.

وأعرب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بأن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى تقديم العون والمساعدة فى مجال التعليم والدعوة والثقافة الإسلامية مع جميع الدول وخاصة دول الإمارات العربية المتحدة الشقيقة.

وقد شكر الضيف فضيلته على هذا اللقاء الطيب وأبلغ فضيلته تحيات صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان وقال: إن مصر والأزهر الشريف فى قلوبنا وعقولنا، ومصر هى الرائدة والأزهر الشريف هو المعلم لنا ومن

أجل ذلك حضرنا لعقد اتفاقية تعليمية ثقافية بمقتضاها تدرس علوم الأزهر الشريف فى معاهدنا ومدارسنا حتى يكون هناك المزيد من التعاون وتوحيد الرأى والفكر المعتدل.

وتم تشكيل لجنة مشتركة برياسة فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف لدراسة كيفية تطبيق مناهج وكتب الأزهر الشريف فى مدارس ومعاهد دولة الإمارات العربية المتحدة وبعد عدة اجتماعات تم عقد اتفاقية تعليمية ثقافية مشتركة يتم بمقتضاها تدريس مناهج وكتب الأزهر الشريف فى المعاهد والمدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية بدولة الإمارات تمهيدا لإنشاء كليات جامعية على نسق كليات جامعة الأزهر الشريف، وتم تسليم الوفد الكتب الدراسية المقررة والمناهج.

## الإمام الأكبر يستقبل السفير الصينى

– استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد/ ليوشيوا مينج سفير الصين بالقاهرة بمناسبة توليه وتسلمه عمله كسفير لبلاده في القاهرة.

رحب فضيلته بالضيف فى مصر وأزهرها الشريف مستعرضا تطور العلاقات بين مصر والصين منذ زمن بعيد وموقف الصين المعتدل بالنسبة للدول العربية والإسلامية بصفة عامة وموقفها الحسن والجيد لمصر بصفة خاصة، والعلاقات الطيبة التى تربط بين البلدين فى المجالات المختلفة.

قدم السيد السفير شكره وتقديره لدولة مصر الصديقة ولاستقبال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف له وقال: إنه تسلم عمله منذ ثلاثة أشهر، وأشاد بعمق العلاقات بين البلدين وأنهما يقدمان مساهمات طيبة لتقدم البشرية وتطور المجتمعات، واستعرض التطور بين البلدين منذ عام ٥٦ والتعاون المستمر، وأضاف أن العلاقات الدبلوماسية قائمة على أفضل وجه، وأن الصين بها أكثر من عشرين مليونا من المسلمين يعيشون فى مساواة وتسامح ويتمتعون بكل الحقوق المشروعة كما يؤدون أيضا واجباتهم على أحسن وجه، وقال: إننا نعارض ربط الإرهاب بدين معين وبخاصة دين الإسلام، ونشارككم الرأى فى أن الإسلام يعارض الإرهاب وينبذه، وقال: إننى أقدم خالص الشكر نيابة عن بلادى للمساعدات التى يقدمها الأزهر الشريف لأبناء الصين فقد أرسلت الحكومة ٦٥ من أبنائها للدراسة بالأزهر منذ عام ٥٤ ومنذ ذلك الحين يتوالى إرسال أبناء الصين للدراسة بالأزهر الشريف، كما ترسل حكومة الصين عالما إسلاميا للمشاركة فى حفلات توزيع جوائز القرآن الكريم الذى ينظمها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وأعرب السيد السفير عن عزمه على تعزيز وتقوية العلاقات بين الصين والأزهر الشريف، وقدم الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة الصين على أن يكون فى القريب العاجل.

شكر فضيلته الضيف على هذا العرض

الطيب وأوضح فضيلته بأنه يوجد ١٠٧ طلاب من دولة الصين يدرسون في الأزهر الشريف وعلى نفقته ويقيمون بمدينة البعوث الإسلامية ويتلقون التعليم بجانب إخوانهم في مصر، وأوضح بأن الدراسة في الأزهر الشريف تمتاز بالتوسط والاعتدال وتدعو إلى التسامح والتواصل بين الأمم والشعوب وتبتعد عن العنصرية والعصبية الذميمة والمقيتة وتبتعد عن التطرف والإرهاب، وهذا هو الإسلام، وأيضا يستقبل الأزهر الشريف عددا من الدعاة والعلماء من دول العالم ومن الصين أيضا كل ثلاثة أشهر في دورة تدريبية يتلقون فيها المحاضرات الدينية من كبار علماء الأزهر الشريف حتى يكون هناك تلاق للأفكار وتواصل بين العلماء وتبادل العلم النافع بينهم.

وقد وعد فضيلته بدراسة الدعوة تمهيدا لتلبيتها في القريب إن شاء الله - تعالى.

## الإمام الأكبر يستقبل مدير عام الصليب الأحمر الدولي

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / بول جروسر يدر المدير العام للجنة الدولية للصليب الأحمر يرافقه السيد / برنارد فغرلي رئيس بعثة القاهرة وقد دار الحديث حول تبادل المشورة بشأن حماية ضحايا النزاعات المسلحة في القانون الدولي الإنساني، وذلك ضمن زيارات الضيف لمنطقة الشرق الأوسط حيث قدم فضيلة الإمام الأكبر الشكر للمجهودات التي تقوم بها اللجنة الدولية للصليب الأحمر، موضحا لهم أن شريعة الإسلام وجميع الشرائع تأمرنا بإغاثة المنكوبين سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين وبغض النظر عن أوطانهم، وجنسياتهم، وشريعة الإسلام تعتبر الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة والأزهر الشريف متفهم لدور اللجنة التي تقوم بتقديم العون والمساعدة للجرحى والمنكوبين والمحتاجين والفقراء، ونحن نؤيد ذلك ونعمل على نشره في كل ندوة أو لقاء أو كتاب، وذلك من منطلق تعاليم الإسلام السمحة.

أعرب الضيف عن سعادته لهذا اللقاء المشرف الطيب للمؤسسة الدينية الأزهرية وإمكانية تبادل اللقاءات مع المؤسسات الدولية بمؤسسات الصليب الأحمر الغير سياسية لأننا لا نفرق بين ضحية جيدة وأخرى سيئة، ولكننا نساعد جميع الأشخاص الذين يعانون من ويلات الحروب في أي مكان أو أية جهة، وأضاف الضيف قائلا: إن حديث فضيلتكم يمثل هذا الانفتاح بالرأي والمشورة، والفكر الصائب، وذلك بشهادة الرأي العام، وهو ما يتفق وأعمال اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وأوضح الضيف بأن لهم مندوبين في فلسطين وأفغانستان والأماكن التي تحتاج إلى مساعدة، فنقدم العون والمساعدة الإنسانية سواء كانت طبية أو غذائية أو كساء، كما أن عملنا مع الحكومات يساعدنا في نشر المبادىء التي شرحتموها فضيلتكم، وقمنا بترجمة مقدمة

كتاب «حماية ضحايا النزاعات المسلحة» في القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية الذي تفضلتم بكتابة مقدمته، وقد حظى باهتمام واسع، وتوزيع كبير وأشكركم للتعاون معنا في مجال العمل الإنساني، كما أقدم شكري للمسئولين بمصر لتقديم كافة التسهيلات والمساعدات.

## الإمام الأكبر يستقبل رئيس رابطة الثقافة الإسلامية بإيران

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف آية الله / محمود حمدى العراقي رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية بإيران يرافقه حجة الإسلام / حسين الثقفي والوفد المرافق لهما وقد دار الحديث حول توطيد العلاقات بين البلدين من ناحية التعاون الثقافي والعلمي والتعليمي بين الأزهر الشريف وإيران، والتصدى لتيارات الانحراف، والتجمد، والتطرف الديني وبخاصة في عصرنا هذا والتي من شأنها إيجاد الفتنة في الثقافة الإسلامية، وأوضح فضيلته بأننا في مصر ضد تلك التيارات، وأننا نسير على تعاليم الدين الإسلامي السمح الذي يمتاز بالوسطية والاعتدال، والبعد عن المغالاة، كما وضح فضيلته المنهج والأسلوب الذى يدرس في الأزهر والذي يمتاز بالسماحة واليسر، ورعاية مصالح الناس، لأن شريعة الإسلام واضحة في عقائدها لأنها تدعو إلى إخلاص العبادة لله التي تطهر القلوب والنفوس والعقل.

**الإمام الأكبر:**

## قيم الإسلام تدعو إلى التعاون ونبذ الفجور والإرهاب

- التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بوفد جمعية المراسلين الأجانب بالقاهرة ويمثلون خمسة وخمسين دولة حيث شرح فضيلته تعريفا مبسطا عن الإسلام وأن الإسلام دين السماحة واليسر ويمتاز بالوضوح في كل شأن من شئونه في عباداته ومعاملاته وأن قيم الإسلام تدعو إلى التعاون والتعارف وإلى العدل والصدق والمروءة والإخلاص ونبذ المنكر والإثم والفجور والعنف والإرهاب وأكل أموال الناس بالباطل والاعتداء على الغير أيا كان هذا الغير بغير وجه حق، فهي شريعة تعطى لكل ذى حق حقه لا فرق في ذلك بين المسلم وغير المسلم، ثم أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات المراسلين والتى دارت حول موقف الإسلام من الإرهاب، أوضح فضيلته بأن الإرهاب تمعنى العدوان على نفس الإنسان أو على أمواله أو أرضه أو حريته أو كرامته الإنسانية، شريعة الإسلام ترفضه ولا تقره بل تحاربه فالإرهاب تنبذه جميع الأديان السماوية وجميع العقول الإنسانية السليمة وحول سؤال عن: هل إنشاء أحزاب سياسية مثل الإخوان المسلمين يحد من الإرهاب؟ أجاب فضيلته نحن عندنا في مصر دولة مؤسسات وكل إنسان يتكلم في الأمور التى تخصص فيها فما يتعلق بالأحكام الشرعية يؤخذ من الأزهر الشريف والمؤسسات الدينية، والنواحي التجارية يسأل فيها المتخصصون في

النواحي التجارية وفي الزراعية والاقتصادية وغيرها يسأل كل في تخصصه.

وحول سؤال عن الجهاد في الإسلام والفرق بينه وبين الإرهاب قال فضيلته: بأن الفرق بينهم كالفرق بين السماء والأرض، لأن الإرهاب هو عدوان على الآمنين من المدنيين سواء أكانوا رجالا أم نساء أم أطفالا أم شيوخا، أما الجهاد في الإسلام فهو الدفاع عن النفس وعن المقدسات وعن الأرض والوطن وعن العرض وهو دفاع ضد الظلم وضد الاغتصاب لحقوق الغير وكان الرسول ﷺ حينما يرسل جيشا للدفاع كانت وصيته يقول لهم: لا تقتلوا امرأة ولا صبيا، ولا تقتلوا الرهبان الذين هم في أماكن عبادتهم، ولا تقطعوا شجرا، وكل هذا يدل على أن القتال يكون ضد المقاتلين، أما الاعتداء على الآمنين والأبرياء فشريعة الإسلام تحرمه تحريما قاطعا، وحول سؤال عن تنظيم القاعدة هل هو ضد الإسلام أو مع الإسلام؟.

أجاب فضيلته: إذا كانت القاعدة تدعو إلى تنظيم العمل وإلى الأمان فلا مانع منها أما إذا كانت تدعو إلى الظلم والشر والعدوان فهي ملعونة، ومنذ أن أوجد الله - تعالى - الناس على الأرض وفيهم العقلاء وفيهم السفهاء سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين أم يهود فوجود بعض المسلمين الذين لا يفهمون الإسلام ووجود بعض المسيحيين الذين لا يفهمون المسيحية هؤلاء موجودون في كل مكان وزمان، وكل ما نريده أن يكون عدد العقلاء في كل دولة أكثر من عدد السفهاء والذين يؤيدون العدوان والظلم هم السفهاء وإن شئت فقل المجانين.

وحول سؤال عن رأى الأزهر في أحداث ١١ سبتمبر قال فضيلته: إن ما حدث من عدوان على مركز التجارة العالمي وما ترتب عليه من قتل الآلاف من الآمنين الأبرياء الذين يؤدون أعمالهم قلنا إن هذه جريمة قذرة لا يقوم بها إلا السفلة والجبناء لأنه عدوان على أبرياء آمنين منهم الرجال والنساء والأطفال منهم الأمريكيين والأوروبيين والآسيويين ومنهم المسلم ومنهم المسيحي وهذه جريمة ولا يؤيدها إنسان عاقل أو إنسان عنده ذرة من مروءة، وقلنا إن الدولة التي وقع على أرضها العدوان من حقها أن تبحث عن الجناة المجرمين الذين فعلوا ذلك وأن تتعقبهم في كل مكان وأن تقبض عليهم وأن تقدمهم للمحاكمة العادلة وللهيئات القضائية لتقول كلمتها العادلة فيهم، وقلنا أيضا إنه ليس من حق الدولة التي وقع العدوان عليها أن تعاقب شعبا بأكمله فيه النساء والصبيان والشيوخ والعجزة والأبرياء وفيه أيضا من ينكرون هذه الجرائم.

## تعيين (٥٠٦) وعاظ بالأزهر

أعلنت نتيجة الوعاظ بالأزهر الشريف وتم اختيار ٥٠٦ وعاظ ممن تقدموا عن طريق المسابقة وتم تعيينهم في محافظات الجمهورية على النحو التالي: ٥٠ واعظا لمنطقة سوهاج، ٢٥ واعظا لمنطقة القليوبية، ٥١ واعظا لمنطقة المنوفية، ٢٥ واعظا لمنطقة الشرقية، ٥٠ واعظا لمنطقة الغربية، ١٠٢ واعظ لمنطقة كفر الشيخ، ٢٨ واعظا لمنطقة البحيرة، ١٠٠ واعظ لمنطقة الدقهلية، ٢٥ واعظا لمنطقة الإسماعيلية، ٥٠ واعظا لمنطقة أسيوط.

# الفهـــرس


● رحلات الحج من مصادر التاريخ (الافتتاحية).
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ـــــ ١٨٢٦

● تفسير سورة البقرة.
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ـــــ ١٨٣٢

● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين.
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ـــــ ١٨٣٩

● الموقف الإسلامى من الحضارات غير الإسلامية.
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ـــــ ١٨٤٨

● الإسلام ومشكلة الفقر.
للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى ـــــ ١٨٥٣

● الحج منحة ربانية.
لفضيلة الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق ـــــ ١٨٦٢

● ازدهار الإسلام فى العالم.
للأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى ـــــ ١٨٦٩

● الإسلام وقضية الشكل والمضمون.
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد الحرب ـــــ ١٨٧٥

● كتاب الشهر: حوار الحضارات لرجاء جارودى.
تقديم الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ـــــ ١٨٧٨

● من دروس الدعوة.
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ـــــ ١٨٨٨

● فضيلة الأدب.
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ـــــ ١٨٩٣

● قصة العدد: لو كان معه رجال.
للأستاذ/ شوقى محمود أبو ناجى ـــــ ١٨٩٦

● القيم فى عصر المعلومات.
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ـــــ ١٩٠٢

● رمضان فى بلاد الأمريكان (٢).
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ـــــ ١٩٠٧

● فى ظل آية كريمة.
للدكتور/ حمدى فتوح والى ـــــ ١٩١٣

● إن الوعد بالنصر لخالد (قصيدة).
للأستاذ/ محمد فهمى سند ـــــ ١٩٢٠

● طرائف ومواقف.
لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ـــــ ١٩٢٢

● القدس فى عيون يهودية.
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ـــــ ١٩٢٤

● كشـــمير.
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ـــــ ١٩٢٨

● المسلمون أمة مبعوثة.
للأستاذ/ محمد حسن دراز ـــــ ١٩٣٢

● الحرية الإنسانية فى مفهوم علم الكلام.
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ـــــ ١٩٣٦

● الكعبة الزهراء (قصيدة).
للشاعر/ بدوى الجبل ـــــ ١٩٣٨

● خطبة الجمعة: الطريق إلى الله.
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ـــــ ١٩٤٤

● رسالة.. و.. رد.
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ـــــ ١٩٤٧

● على باب الأمل.
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ـــــ ١٩٥٠

● بين الصحف والمجلات.
للأستاذ/ محمود الفشنى ـــــ ١٩٥٤

● بين المجلة والقارىء.
للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ـــــ ١٩٥٦

● أنباء العالم الإسلامى.
إعداد/ محمد الشرقاوى ـــــ ١٩٦١

● أنباء مكتب الإمام الأكبر.
إعداد فضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ـــــ ١٩٦٣



# الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / مصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩


بسم الله الرحمن الرحيم

## داخل العدد


- ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر

- الحج قراءة ميدانية لسيرة الرسول ﷺ

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

- لماذا نحج إلى البيت العتيق؟!

للدكتور / محمد عمارة

- بين إعلان حراء وإعلان عرفات

للأستاذ / مصطفى البيومي



## الاشتراك السنوي

- داخل مصر ــــ ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ــــ ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ــــ ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ــــ ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠

ذو الحجة ١٤٢٢هـ - مارس ٢٠٠٢م - الجزء الثاني عشر - السنة الرابعة والسبعون

افتتاحية العدد

# الحج قراءة ميدانية

نعم، الحج قراءة ميدانية لسيرة رسول الله ﷺ لأن زائر مكة يتطلع إلى رؤية الأماكن التى كانت مشرق الرسالة، وهو يعرفها معرفة جيدة لطول ما ترددت أمام عينيه فى صفحات السيرة المطهرة، يعرفها بعقله، ويسعد حين يراها بعينه فتكون بمثابة تعبير رائع لحلم تحقق، ونقل من دنيا، الخيال إلى أرض الواقع.

هكذا كان شعورى قبل أن أشرف بحج بيت الله الحرام لأول مرة منذ ربع قرن، فقد تمثلت وقائع السيرة المطهرة فى خاطرى وحاولت أن أستعيدها على الخريطة الجغرافية التى انبسطت أمامى حين توجهت إلى المسجد الحرام، وقد عبرتُ عن ذلك شعرا فى قصيدة نشرتها «مجلة الحج» لحينها وفيها أقول:

تسمع للأباطح حين تمشى ... فإن لكل ناحية لغاها
لتلك منازل القرآن أصغت ... لأول آية دوى صداها
تبخترت الحجارة فى حراء ... بربك أى إحساس عراها
ترى الروح الأمين سعى إليها ... يسامر عندها بالوحى طه
فلمْ لمْ تنتفض تيها بمجد ... لو انَّ البدر أحرزه تباهى

## الصفا

وكان أول ما رأيت حين دخلت المسجد الحرام «الصفا»، قبل أن ألج إلى الداخل لأرى الكعبة المشرفة، فوقفت مليا أستعرض ما أعلم عن هذا المكان الطاهر فى الزمن البعيد منذ أخذت هاجر تسعى رائحة غادية بينه وبين المروة باحثة عن الماء حتى عثرت على زمزم!

ثم انتقلتُ من سيرة إسماعيل - عليه السلام - وأمه الحنون طاويا الأعوام إلى مسيرة ولده خير

# ـــة لسيرة الرسول ﷺ



بين الصفا والمروة حيث سعت هاجر زائحة غادية بحثًا عن الماء

الأنبياء محمد ﷺ فتذكرت أن أول ذكر للصفا ورد في السيرة المطهرة كان قبل مبعثه ﷺ حين أصر المجتمعون على أن يكون أول داخل من باب الصفا هو الذي سيحكم بينهم ليُحدد مَن من العرب سيحمل الحجر الأسود ويضعه في مكانه، وتطلعت الأنظار إلى القادم من أعلى الصفا فإذا هو محمد بن عبدالله، وإذا كل أسرة تود أن تكون المختارة لهذا الشرف الرفيع ويلحظ الرسول ما يعتلج في النفوس من توثب، فيأمر ببساط ينشر ثم يوضع عليه الحجر ويحمله المجتمعون من أطرافه حتى إذا بلغوا مكانه من الكعبة حمله بيده الشريفة ووضعه في مكانه، فكان حلا سعيدا رضي به الجميع وهذا فيما أعلم أول ذكر للصفا في سيرة الرسول الأمين.

وكرت الأيام، وأشرق نور الرسالة على الكون، بدءا من مكة، وأمر رسول الله أن يصدع بما يؤمر، فينذر عشيرته الأقربين، وهنا كان «الصفا» موضع البلاغ الأول للرسالة المحمدية، فهو أعلى مكان يصعد إليه المتحدث ليسمع من بالبيت الحرام كافة، وقد رأى الناس رسول الله يصعد إلى الصفا، ويهم بالكلام فأقبلوا عليه يستمعون.

فقال رسول الله ﷺ: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تُريد أن تغير عليكم، أكُنتم مصدقى؟ فقالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا، فقال ﷺ: إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غششت الناس جميعا ما غششتكم وإنى لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا، وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا»[1].

وتتوالى المشاهد على الصفا، ومنها هذا المشهد الأليم الذى تحمَّله رسول الله صابرا، حين تجرأ أبوجهل فضرب رسول الله بحجر فى رأسه فشجه، ورسول الله ساكت، حتى اطلّت جارية لعبد الله بن جدعان من مسكن لها على الصفا فرأت فعلة أبى جهل، ثم نظرت بعد حين فرأت حمزة بن عبدالمطلب مُقبلا من صيده، متوشحا قوسه فأخبرته بما كان من أمر أبى جهل مع ابن أخيه، فغضب حمزة، وانصرف إلى أبى جهل فصاح به أتشتم ابن أخى وأنا على دينه! ثم ضربه بالقوس فشج رأسه شجة مُنكرة، وكادت تقوم الواقعة بين بنى هاشم، وبنى مخزوم وخاف أبوجهل العاقبة فهدأ قومه، وقال: دعوا أباعمارة، فإنى سببت ابن أخيه.

وهذا المشهد الحزين قد تلاه فيما بعد مشهد سارٌ مبهج، حين زحفت جيوش رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة يوم الفتح فدخلت المسجد الحرام، وتقدم خالد بن الوليد، فقابل رسول الله على الصفا، وهناه بنصر الله.

## دار الأرقـــــم

«دار الأرقم» يذكر المؤرخون أن دار الأرقم كانت على الصفا بناحية منعزلة على الجبل بعيدة عن أعين الطغاة، وفيها ظل المسلمون يؤدون فرائضهم بعيدا عن المشركين، وقد تساءلت عنها بمكة اليوم فلم أجد لها من أثر، وكُتب التاريخ تروى أنها كانت ناهضة كهيئتها القديمة حتى جاء أبوجعفر المنصور فاشتراها من أحفاد الأرقم بمال كثير، وجاء المهدى فأهداها لزوجته الخيزران التى جددت بناءها، ووسعتها وضمت لها بعض الدور المجاورة لتُصبح ذات شأن، ثم جُددت بعد ذلك مرات فى عهود تالية وحلت عهود لم ترع مكانتها، فغابت عن الوجود، وقام مكانها بُنيان ممتد!

وقد قال الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه «فى منزل الوحى»: إنه حاول أن يزورها مع بعض أصدقائه المكيين فلم يهتد إليها[2]، أما الأستاذ عبدالحميد العبادى فقد

---

(١) صحيح البخارى ومسلم على اختلاف يسير.

(٢) فى منزل الوحى: ٢١٧.

ذكر في «مجلة الثقافة» بعض حديثها، وقال[3] بشأنها: ليت القائمين بالأمر يُعنون بها، فينشئوا مكانها مدرسة تحمل اسم الأرقم تعلم فيها أصول الدين لأن هذه الدار كانت أول مدرسة في الإسلام، ومنها سال السيل، وانبثق النور، فقد حقق النبي ﷺ في هذه الدار غرضين عظيمين، أولهما: تقريره أصول الرسالة في نفوس أصحابه، وثانيهما: بث الدعوة من هذه الدار في جميع آفاق المجتمع المكي، أما صاحبُها الأرقم بن الأرقم المخزومي فقد كان سابع سبعة سبقوا الناس إلى الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع المهاجرين، وشهد بدرا والغزوات من بعدها، وقد عمر طويلاً ومات عن بضع وثمانين سنة .

لقد تشبعت بما قرأت في سيرة الرسول عن أثر هذه الدار في بناء الدعوة الإسلامية منذ أشرق طورها في مكة، ونظرت إلى الصفا متسائلا عن مكانها دون إجابة، وفي علماء مكة المعاصرين من يقدر على تحديد موضعها، وما أظن اقتراح الأستاذ العبادي بإقامة مدرسة دينية تحمل اسم صاحبها إلا واجدا من يسعى إلى تنفيذه، إن لم يكن نفذ فعلا فقد كتب العبادي مقاله منذ نصف قرن أو يزيد .

## الحجــــــــون

الحجون مكان: مشتهر بمكة وهو طريق بين جبلين، يقع أولهما بأعلى مكة ويسير الآخر حتى يصل إلى أسفلها، وكلنا نعرف قول الشاعر العربي القديم:

**كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا      أنيس ولم يسمر بمكة سامر**

وندع الشاعر القديم لنذكر أن الحجون كان مجتمع نفر من الجن برسول الله في مكة فقد روى المفسرون عند تفسير قول الله - عز وجل -:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4]

روى المفسرون[5] أن رسول الله ﷺ قال لبعض أصحابه «إني أريد أن أقرأ القرآن على الجن الليلة فأيكم يتبعني؟ فقال ابن مسعود: أنا يا رسول الله قال: ولم يحضر أحد غيري، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل النبي ﷺ شعبا يقال له «شعب الحجون» وخط لي

---

(3) مجلة الثقافة ٢٨/١/١٩٤١م     (4) الأحقاف: ٢٩ - ٣٠

(5) تفسير القرطبي ص٦٠٣٢ ط كتاب الشعب

خطا وأمرني أن أجلس فيه وقال: لا تخرج حتى أعود إليك، ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسور تهوى وتمشى في رفرفها، وسمعت لغطا وغمغمة حتى خفت على النبي ﷺ، وغشيته أسودة كثيرة.. حالت بيني وبينه، حتى ما أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، ففرغ النبي ﷺ مع الفجر.

وما جاء في هذا القول يؤازره قول الله - تعالى - على لسان نفر من الجن:

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾(١).

## الثنية

هذا وفي عمرة القضاء دخل الرسول مكة من الثنية التي تطلعه على الحجون فمر به، أما الزبير بن العوام يوم الفتح الأعظم فقد تقدم براية رسول الله حتى نصبها بالحجون عند مسجد الفتح ولم يبرح المكان حتى جاء رسول الله إليه وجلس تحت قبة ضربها الزبير ليجلس تحتها ﷺ.

## غار حراء

نعرف جميعا عزلة رسول الله في حراء قبل أن يهبط عليه الوحي، ونعرف أن بدء الوحي كان بهذا الجبل الموحش، وما أريد أن ألم بهذا الذي يعرفه الجميع، ولكني أقول إن الذين صعدوا إلى قمة الجبل ونزلوا إلى الغار رأوا أعجب العجب! فبين الغار وقمة الجبل ما يبلغ عشرين مترا، والذهاب إلى الغار - كما يقول الدكتور هيكل - يقتضي المرور بين صخرتين تكادان تتلاصقان فلا يتخطى الإنسان ما بينهما إلا بمشقة، والغار داخل الجبل محجوب عن كل ما حوله بالصخور التي تحيطه، وهو لا يتسع لأكثر من شخص واحد ينام فيه نوما متقشفا! في هذا المكان الموحش كان رسول الله يتمتع بالأنس الروحي الذي يملأ نفسه هدوءا واطمئنانا، إنه في عزلته يفكر في السموات والنجوم وما خلق من كائنات، كما يفكر في الحياة بدءا وخاتمة، ويفكر في الناس وما يعبدون من أصنام لا تملك لهم ضرا ولا نفعا، لقد كان الرسول من أفكاره في عالم فسيح، فهو بتفكيره في دنيا شاسعة وإن أقام بغار ضيق مخيف، وكان الله - عز وجل - قد حبب له هذه

---

(١) الجن ١٣/١٤.

العزلة في هذا المكان ليفرغ إلى تفكيره، فإذا فاجأه الوحي كان نتيجة لمقدمات، حاول أن يصل إليها، وطالما فكر فيها فجاءه الجواب على لسان جبريل!! إن قوة الرسول الروحية في هذا المكان الموحش لم تجعله يفكر في وحشة الموضع، وما قد يكون به من حيوان مفترس، أو حشرة مؤذية إذ كانت الوحدة سبيلا إلى ارتقاء روحي يبدد كل مخاوف الإنسان، ويشرئب بصاحبه إلى خالق الكون! هذا بعض ما تبعثه رؤية حراء في نفس الزائر العابد، إنه ليطيل التفكير في هذا الذي يرى، ثم لا يسعه إلا أن يعترف بأن عابد الغار هذا ليس فردا كالناس، وليس له ما لديهم من الشهوات والأماني المادية، إنه مبعوث السماء وكفى.

## غـــــار ثـــــور

وننتقل من غار حراء إلى غار ثور، وهل في المسلمين من يجهل أن غار ثور كان معجزة الإنقاذ لنبي تربص به قومه كي يقتلوه، وإذا كان غار حراء موحشا قابضا للنفس البشرية التي ليست نفس نبي، فإن غار ثور كان أشد إيحاشا وأدعى للانقباض، كان الغار من الوحشة والرهبة والظلام بحيث تأكد من رآه ساعة اختفاء الرسول به وصاحبه أنه لا يمكن أن يكون مأوى لإنسان، وقد انقطعت آثار السير عنده، وذلك ما يرجح أن بالغار من انقطعت آثار أقدامه، ولكن رهبة الغار منعت كل تفكير في أن يكون المهاجر الأمين مقيما به مع صاحبه! لقد كان الرسول يعتقد أن الله معه فيمده هذا الاعتقاد برضا هانئ، لا يعرف معه معنى التوجس والوجل، وأبو بكر - رضي الله عنه - يظهر من الهلع ما لا يخفى على صاحبه فيقول له في ثقة: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾؛(٧)

يضربون الأمثال الكثيرة على قوة العزيمة لدى نفر من الأبطال!! فأي عزيمة أقوى من المكث في هذا الجب المظلم الضيق، حيث تقذف كل دقيقة بخطر متوقع، هذا الخطر لم تدفعه إلا السكينة المطمئنة التي قال الله عنها في كتابه:

﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٨).

---

(٧)، (٨) التوبة ٤٠.



## العقبــــــة

وفى العقبة اليمنى كانت بيعة الأنصار لرسول الله، وكتاب السيرة يجعلون البيعة مرتين فحسب، فقالوا بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية، ولكنى بمراجعة صحف السيرة أرى العقبة قد شهدت ثلاث بيعات لا اثنتين، لأن الاجتماع الأول فى السنة الحادية عشرة من النبوة قد هيأ للرسول أن يجتمع بسبعة رجال من شباب الخزرج، هم: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر وعتبة بن عامر السلمى وعتبة بن عامر الكعلى، وجابر بن عبدالله، وقد آمنوا بمحمد وعزموا على نشر الدعوة بيثرب، وهذا ما كان، ثم كان الاجتماع الثانى بالعقبة فى السنة الثانية عشرة، وهو المعروف تاريخيا ببيعة العقبة الأولى» وقد حضره السبعة الذين تقدموا مع سبعة آخرين، خمسة من الخزرج واثنين من الأوس، وقد بايعوا الرسول وسار معهم مُصعب بن عمير سفيرا للإسلام بالمدينة وانتشرت الدعوة حينئذ على نحو واسع، حتى كان الاجتماع الثالث الحاسم فى السنة الثالثة عشرة، وهو الاجتماع الأشهر الذى حضره العباس بن عبدالمطلب، وتأكدت فيه البيعة للرسول على أن يمنعه الأنصار مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وكان هذا الاجتماع فاتحة النصر الحقيقى للإسلام فى معركة الشرك. أقول: مَن من المسلمين القادمين يبيت بمنى بعد قفوله من المشعر الحرام ثم لا يذكر ما كان بهذا المكان من بيعات العقبة وما أعقبها من اندحار المشركين.

# علـــى عرفـــــات

هما خطبتان رائعتان للرسول أكدتا مبادىء الإسلام، وأوضحتا أن العاقبة للمسلمين، إذ كانتا بعد أن أتم الله نوره، وأظهر دينه على الدين كله، ولو كره المشركون.

أما الخطبة الأولى ففي ساحة المسجد الحرام بعد أن تم الفتح المبين، ودعا الرسول بمفتاح الكعبة ففتحها، ودخل فصلى ركعتين، ثم دار في البيت مكبرا، ونظر فإذا قريش تملأ المسجد فخطب الناس قائلا: «يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب».. ثم قال: «يا معشر قريش: ما تظنون أني فاعل بكم؟ فقالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء».

وأما الخطبة الثانية فهي في حجة الوداع بين الجموع في مشهد عرفات، وقد أعلنت حقوق الإنسان لأول مرة في العالم كله حين قال ﷺ: «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، فدماء الجاهلية موضوعة، وربا الجاهلية موضوع وأول ما أبدأ به ربا العباس بن عبدالمطلب، اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا، كتاب الله وسنتي».

وبعد: أفلا يصح بعد ما تقدم - وهو جزء من كل - أن أقول: إن الحج قراءة ميدانية في سيرة رسول الله يقرؤها المسلم في خاطره، قبل أن تتلفظ بها شفتاه! وإذا كان للحج مزايا كثيرة، وفيه منافع للناس فلنضف إلى هذه المزايا تأمل سيرة رسول الله واضحة للعيان في مشهد الحج.

د./ محمد رجب البيومي

# ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾

## لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
## الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله – تعالى – :

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا
مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا
ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا
نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾

الحج : ٢٧ – ٢٩

بمناسبة حلول أيام الحج المباركة تنشر المجلة هذه الآيات من تفسير سورة الحج لفضيلة الإمام الأكبر

**قال الإمام الرازي:** اعلم أنه- تعالى- بعد أن فصل بين الكفار والمؤمنين ذكر عظم حرمة البيت، وعظم كفر هؤلاء الكافرين فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾(1).

**قال ابن عباس:** الآية نزلت في أبي سفيان بن حرب وأصحابه حين صدوا رسول الله ﷺ عام الحديبية عن المسجد الحرام، عن أن يحجوا ويعتمروا، وينحروا الهدى. فكره رسول الله ﷺ قتالهم، وكان محرما بعمرة، ثم صالحوه على أن يعود في العام القادم(2).

وصح عطف المضارع وهو ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ على الماضي وهو ﴿كَفَرُوا۟﴾ لأن المضارع هنا لم يقصد به زمن معين من حال أو استقبال، وإنما المراد به مجرد الاستمرار، كما في قولهم: فلان يحسن إلى الفقراء، فإن المراد به استمرار وجود إحسانه.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أى: وهم يصدون عن المسجد الحرام. وخبر إن في قوله- سبحانه-:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ محذوف لدلالة آخر الآية عليه.

والمعنى: إن الذين أصروا على كفرهم بما أنزل الله- تعالى- على نبيه محمد ﷺ واستمروا على منع أهل الحق من أداء شعائر دين الله- تعالى- ومن زيارة المسجد الحرام.. هؤلاء الكافرون سوف نذيقهم عذابا أليما.

ويصح أن يكون الخبر محذوفا للتهويل والإرهاب. وكان وصفهم بالكفر والصد كاف في معرفة مصيرهم المهين.

**قال القرطبي:** قوله- تعالى-:

﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قيل إنه المسجد نفسه وهو ظاهر القرآن، لأنه لم يذكر غيره، وقيل الحرم كله، لأن المشركين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عنه عام الحديبية، فنزل خارجا عنه.. وهذا صحيح لكنه قصد هنا بالذكر المهم المقصود من ذلك(2).

وقوله- سبحانه-:

﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾.

تشريف لهذا المكان حيث جعل الله- تعالى- الناس تحت سقفه سواء، وتشنيع على الكافرين الذين صدوا المؤمنين عنه.

ولفظ «سواء» قرأه جمهور القراء بالرفع على أنه خبر مقدم، والعاكف: مبتدأ، والباد: معطوف عليه أي: العاكف والباد سواء فيه. أي مستويان فيه.

وقرأه حفص عن عاصم بالنصب على أنه المفعول الثاني لقوله: ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ بمعنى صيرناه. أي: جعلناه مستويا فيه العاكف والباد. ويصح أن يكون حالا من الهاء في ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: وضعناه للناس حال كونه سواء العاكف فيه والباد.

---

(1) الحج (25).

(2) تفسير الفخر الرازي جـ 6 ص 154.

(2) تفسير القرطبي جـ 11 ص 32

والمراد بالعاكف فيه: المقيم فيه. يقال: عكف فلان على الشيء، إذا لازمه ولم يفارقه. والباد: الطارئ عليه من مكان آخر. وأصله من يكون من أهل البوادي الذين يسكنون المضارب والخيام، وينتقلون من مكان إلى آخر.

أي: جعلناه للناس على العموم، يصلون فيه، ويطوفون به، ويحترمونه ويستوى تحت سقفه من كان مقيما في جواره، وملازما للتردد عليه، ومن كان زائرا له وطارئا عليه من أهل البوادي أو من أهل البلاد الأخرى سوى مكة.

فهذا المسجد الحرام يتساوى فيه عباد الله، فلا يملكه أحد منهم، ولا يمتاز فيه أحد منهم، بل الكل فوق أرضه وتحت سقفه سواء.

وقوله- تعالى- :

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

تهديد لكل من يحاول ارتكاب شيء نهى الله عنه في هذا المسجد الحرام.

والإلحاد الميل. يقال: ألحد فلان في دين الله، أي: مال وحاد عنه.

و ﴿ مَن ﴾ شرطية وجوابها ﴿ نُّذِقْهُ ﴾ ومفعول ﴿ يُرِدْ ﴾ محذوف لقصد التعميم، أي: ومن يرد فيه مرادا بإلحاد، ويصح أن يكون المفعول قوله ﴿ بِإِلْحَادٍ ﴾ على أن الباء زائدة.

أي: ومن يرد في هذا المسجد الحرام إلحادا، أي: ميلا وحيدة عن أحكام الشريعة وآدابها بسبب ظلمه وخروجه عن طاعتنا، نذقه من عذاب أليم لا يقادر قدره، ولا يكتنه كنهه. وقد جاء هذا التهديد في أقصى درجاته لأن القرآن توعد بالعذاب الأليم كل من ينوى ويريد الميل فيه عن دين الله، وإذا كان الأمر كذلك، فمن ينوى ويفعل يكون عقابه أشد، ومصيره أقبح. ويدخل تحت هذا التهديد كل ميل عن الحق إلى الباطل، أو عن الخير إلى الشر كالاحتقار، والغش.

ولذا قال ابن جرير بعد أن ساق الأقوال في ذلك: وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب: القول الذي ذكرناه من أن المراد بالظلم في هذا الموضع، كل معصية لله، وذلك لأن الله عم بقوله:

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾ ولم يخصص به ظلما دون ظلم في خبر ولا عقل، فهو على عمومه، فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام: ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم فيعصى الله فيه، نذقه يوم القيامة من عذاب موجع له[1].

ثم تحدثت السورة بعد ذلك عن بناء البيت وتطهيره فقال- تعالى- :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾.

وبوأنا من التبوؤ بمعنى النزول في المكان. يقال: بوأته منزلا أي: أنزلته فيه، وهيأته له، ومكنته منه. والمعنى: واذكر أيها العاقل لتعتبر وتتعظ وقت أن هيأنا لنبينا إبراهيم مكان بيتنا الحرام، وأرشدناه إليه، لكي يبنيه بأمرنا، ليكون مثابة للناس وأمنا.

---

(1) تفسير ابن جرير جـ ١٧ ص ١٠٥.

قال بعض العلماء: والمفسرون يقولون بوأه له، وأراه إياه، بسبب ريح تسمى الحجوج، كنست ما فوق الأساس: حتى ظهر الأساس الأول الذى كان مندرسا، فبناه إبراهيم وإسماعيل عليه.. وأن محل البيت كان مربض غنم لرجل من جرهم.

وغاية ما دل عليه القرآن: أن الله بوأ مكانه لإبراهيم، فهيأه له، وعرفه إياه ليبنيه في محله، وذهبت جماعة من أهل العلم إلى أن أول من بناه إبراهيم ولم يبن قبله.

وظاهر قوله- تعالى- على لسان إبراهيم:

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾

يدل على أنه كان مبنيا والدرس كما يدل عليه- أيضًا- قوله هنا ﴿ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾ لأنه يدل على أن له مكانا سابقا كان معروفا[٥].

و «أن» في قوله- تعالى-:

﴿ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا ﴾ مفسرة، والتفسير- كما يقول **الآلوسى**: باعتبار أن التبوئة من أجل العبادة، فكأنه قيل: أمرنا إبراهيم بالعبادة، وذلك فيه معنى القول دون حروفه، أو لأن بوأناه بمعنى قلنا له تبوأ.

والمعنى: واذكر- أيها المخاطب- وقت أن هيأنا لإبراهيم- عليه السلام- مكان بيتنا الحرام، وأوصيناه بعدم الإشراك بنا، وبإخلاص العبادة لنا، كما أوصيناه- أيضا- بأن يطهر هذا البيت من الأرجاس الحسية والمعنوية الشاملة للكفر والبدع والضلالات والنجاسات، وأن يجعله مهيأ للطائفين به، وللقائمين فيه لأداء فريضة الصلاة.

**قال الشوكانى**: والمراد بالقائمين في قوله:

﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ ﴾ المصلون..

وذكر ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ بعده، لبيان أركان الصلاة دلالة على عظم شأن هذه العبادة، وقرن الطواف بالصلاة، لأنهما لا يشرعان إلا في البيت، فالطواف عنده والصلاة إليه[٦].

وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة، أنه لا يجوز أن يترك عند بيت الله الحرام، قذر من الأقذار ولا نجس من الأنجاس المعنوية ولا الحسية، فلا يترك فيه أحد يرتكب مالا يرضى الله، ولا أحد يلوثه بقذر من النجاسات.

ثم ذكر- سبحانه- ما أمر به نبيه إبراهيم بعد أن بوأه مكان البيت فقال:

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

والأذان: الإعلام. و ﴿ رِجَالًا ﴾ أي: مشاة على أرجلهم، جمع راجل.

يقال: رَجِل بزنة فرح فلان يرْجَل فهو راجل إذا لم يكن معه ما يركبه.

والضامر: البعير المهزول من طول السفر، وهم اسم فاعل من ضمر- بزنة قعد- يضمر ضمورا فهو ضامر، إذا أصابه الهزال والتعب.

وجملة ﴿ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ صفة لقوله:

(٥) تفسير أضواء البيان جـ ٥ ص ٦٢.

(٦) تفسير فتح القدير للشوكانى جـ ٣ ص ٤٤٨.

﴿ كُلِّ ﴾ . والجمع باعتبار المعنى، كأنه قيل: وركبانا على ضوامر من كل طريق بعيد.

والفج في الأصل: الفجوة بين جبلين، ويستعمل في الطريق المتسع. والمراد به هنا: مطلق الطريق وجمعه فجاج.

والعميق: البعيد، مأخوذ من العمق بمعنى البعد، ومنه قولهم: بئر عميقة، أى: بعيدة الغور.

والمعنى: وأعْلِمْ يا إبراهيم الناس بفريضة الحج يأتوك مسرعين مشاة على أقدامهم، ويأتوك راكبين على دوابهم المهزولة، من كل مكان بعيد.

قال ابن كثير: أى: نادِ -يا إبراهيم- في الناس داعيا إياهم إلى الحج إلى هذا البيت الذى أمرناك ببنائه، فذكر أنه قال: يارب، وكيف أبلغ الناس وصوتى لا يصل إليهم؟ فقيل: نادِ وعلينا البلاغ، فقام على مقامه،وقيل: على الحجر، وقيل: على الصفا وقيل: على أبي قبيس، وقال: ياأيها الناس، إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة: «لبيك اللهم لبيك»[٧].

وقيل: إن الخطاب في قوله -تعالى-:

﴿ وَأَذِّن ﴾ للرسول ﷺ وأن الكلام عن إبراهيم -عليه السلام- قد انتهى عند قوله -تعالى-:

﴿ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾.

وجمهور المفسرين على أن الخطاب لإبراهيم -عليه السلام- لأن سياق الآيات يدل عليه، ولأن التوافد على هذا البيت موجود منذ عهد إبراهيم.

ومايزال وعد الله يتحقق منذ هذا العهد إلى اليوم وإلى الغد، وما تزال أفئدة ملايين الناس تهوى إليه، وقلوبهم تنشرح لرؤيته، وتسعد بالطواف من حوله..

وقوله -سبحانه-:

﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ متعلق بقوله:

﴿ يَأْتُوكَ ﴾.

أى: يأتيك الناس راجلين وراكبين من كل مكان بعيد، ليشهدوا وليحصلوا منافع عظيمة لهم في دينهم وفي دنياهم.

ومن مظاهر منافعهم الدينية: غفران ذنوبهم، وإجابة دعائهم، ورضا الله -تعالى- عنهم.

ومن مظاهر منافعهم الدنيوية: اجتماعهم في هذا المكان الطاهر، وتعارفهم وتعاونهم على البر والتقوى، وتبادلهم المنافع فيما بينهم عن طريق البيع والشراء وغير ذلك من أنواع المعاملات التى أحلها الله -تعالى-.

وجاء لفظ ﴿ مَنَافِعَ ﴾ بصيغة التنكير، للتعميم والتعظيم والتكثير. أى: منافع عظيمة وشاملة لأمور الدين والدنيا، وليس في الإمكان تحديدها لكثرتها، وقوله:

﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾

---

(٧) تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٤١٠.

معطوف على قوله: ﴿لِّيَشْهَدُواْ﴾.

والمراد بالأيام المعلومات: الأيام العشر الأولى من ذى الحجة، أو هى أيام النحر، أو يوم العيد وأيام التشريق.

والمراد: ببهيمة الأنعام: الإبل والبقر والغنم.

أى: ليشهدوا منافع لهم، وليكثروا من ذكر الله ومن طاعته فى تلك الأيام المباركة. وليشكروه على ما رزقهم من بهيمة الأنعام التى يتقربون إليه- سبحانه- عن طريق ذبحها وإراقة دمائها، واستجابة لأمره- عز وجل-.

وقوله - سبحانه -:

﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ﴾ إرشاد منه- تعالى- إلى كيفية التصرف فيها بعد ذبحها.

أى: فكلوا من هذه البهيمة بعد ذبحها، واطعموا منها الإنسان البائس، أى: الذى أصابه بؤس ومكروه بجانب فقره واحتياجه.

**قال الآلوسى**: والأمر فى قوله:

﴿فَكُلُواْ مِنْهَا ..﴾ للإباحة بناء على أن الأكل كان منهيا عنه شرعا، وقد قالوا: إن الأمر بعد المنع يقتضى الإباحة ويدل على سبق النهى قوله ﷺ: «كنت نهيتكم عن أكل لحوم الأضاحى فكلوا منها وادخروا»[8].

وقيل: لأن أهل الجاهلية كانوا يتحرجون فيه، أو للندب على مواساة الفقراء ومساواتهم فى الأكل منها[9].

ثم بين- سبحانه- مايفعلونه بعد حلهم وخروجهم من الإحرام فقال:

﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾

والمراد بالقضاء هنا: الإزالة، وأصله القطع والفصل، فاريد به الإزالة على سبيل المجاز. والتفث: الوسخ والقذر، كطول الشعر والأظفار يقال: تفث فلان- كفرح- يتفث تفثا فهو تفث، إذا ترك الاغتسال والتطيب والتنظيف فاصابته الأوساخ.

والمراد بالطواف هنا: طواف الإفاضة، الذى هو أحد أركان الحج، وبه يتم التحلل. والعتيق: القديم حيث إنه أول بيت وضع لعبادة الله فى الأرض، وقيل سمى بالعتيق لأن الله- تعالى- أعتقه من أن يتسلط عليه جبار فيهدمه أو يخربه.

والمعنى: ثم بعد حلهم وبعد الإتيان بما عليهم من مناسك. فليزيلوا عنهم أدرانهم وأوساخهم، وليوفوا نذورهم التى نذروها لله- تعالى- فى حجهم، وليطوفوا طواف الإفاضة، بهذا البيت القديم الذى جعله الله- تعالى- أول بيت لعبادته، وصانه من اعتداء كل جبار أثيم.

وبذلك نرى الآيات الكريمة قد توعدت كل من يصد الناس عن هذا البيت بأشد ألوان الوعيد، وبينت أن الناس فيه سواء وتحدثت عن جانب من فضله - سبحانه - على نبيه إبراهيم- عليه السلام- حيث أرشده إلى مكان هذا البناء، وشرفه بتهيئته ليكون أول مكان لعبادته- تعالى- وأمره بأن ينادى فى الناس بالحج إليه، ليشهدوا منافع عظيمة لهم.

---

(8) أخرجه البيهقى ٧٦/١.

(9) تفسير الآلوسى جـ ١٧ ص ١٤٦.

السنة

# الطاعات تفرج الكربات

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ / إبراهيم الجبالى

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: « خرج ثلاثة يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا فى غار فى جبل فانحطت عليهم صخرة، فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه، فقال أحدهم: اللهم إنى كان لى أبوان شيخان كبيران فكنت أخرج فأرعى ثم أجىء فأحلب بالحلاب فآتى به أبوى فيشربان ثم أسقى الصبية وأهلى وامرأتى، فاحتبست ليلة فجئت فإذا هما نائمان، قال: فكرهت أن أوقظهما والصبية يتضاغون عند رجلى، فلم يزل ذلك دأبى ودأبهما حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، ففرج عنهم. وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنى كنت أحب امرأة من بنات عمى كأشد ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار، فسعيت فيها حتى جمعتها، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتها، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة. قال: ففرج عنهم الثلثين.

قال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنى استأجرت أجيرا بفرق من ذرة فأعطيته وأبى ذاك أن يأخذ فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقرا وراعيها، ثم جاء فقال: يا عبد الله أعطنى حقى، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك. فقال: أتستهزىء بى؟ قال: فقلت: ما أستهزىء بك ولكنها لك. اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا، فكشف عنهم » صدق رسول الله ﷺ.

هذا الحديث رواه البخاري واللفظ لغيره وحوى من فضائل وأحكام وفوائد، من بر الوالدين، وخشية الله حين استحكام أسباب الفتنة، وإجابة دعاء من اتقاه، وإكرام أهل طاعته، وكالتصرف في مال الغير بغير إذنه لمصلحته على ما سيجيء. وسنعرض لشرح مفرداته ثم نعود للكلام عليه جملة بتوفيق الله وتيسيره.

قوله: «خرج ثلاثة» جاء في بعض الروايات «ممن كان قبلكم» وفي بعضها «من بني إسرائيل» ولم يذكر الشراح أسماءهم، وقوله: «يمشون» روى بدلها: يرتادون لأهلهم، والارتياد: البحث عن الكلا والمرعى والماء وأمثالها مما يجعل المكان صالحا للإقامة فيه، فالمعنى أنهم كانوا مسافرين يبحثون عن مكان يرشدون أهلهم لينتقلوا إليه. وقوله: «فدخلوا غارا» روى «فأووا إلى غار» وفي رواية «حتى أووا المبيت إلى غار» والمعنى أنهم دخلوا الغار ليؤويهم من المطر وليبيتوا فيه. وقوله: «فانحطت عليهم صخرة» روى «فانحطت على فم غارهم صخرة فانطبقت عليهم» أو فانطبقت عليهم، أي انطبقت على فم غارهم فسدته، أو أطبقت عليهم فم الغار، وفي رواية «فسقط عليهم حجر متجاف حتى ما يرون منه خصاصه» ومعنى متجاف: غليظ، فهو بمعنى الصخرة، والجفاء: الغلظ في الخلقة أو في الخلق، أو متجاف متباعد عنهم لم يصبهم بل سد عليهم باب غارهم وخصاص الباب ونحوه: الثقوب والفرج التي يرى منها الضوء. وقوله: «ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه. في رواية أنهم قالوا: عفا الأثر ووقع الحجر ولا يعلم مكانكم إلا الله ادعو الله بأوثق أعمالكم. وروى أنهم قالوا: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه صدق فيه. وروى مثل ذلك. والروايات متقاربة واضحة. وقوله: فقال أحدهم، الروايات المعتمدة متفقة على هذه القصص الثلاث المذكورة، وإنما تختلف بالتقديم والتأخير بينها. وفي رواية ضعيفة الإسناد عن عقبة بن عامر جاء بدل الأجير: أنه كان له غنم يرعاها فحضرت الصلاة فقام يصلي فعدا الذئب على غنمه فكره أن يقطع صلاته فأتم صلاته.

والحلاب: الإناء الذي يحلب فيه. والمقصود اللبن ومعنى احتبست أي استأخرت كما في رواية أخرى، وروى أنه نأى به الشجر أي بعد، وهذا سبب تأخره. ومعنى يتضاغون يبكون، والضُغاء الصياح. وفي رواية يتضاغون من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي. وقوله: دأبي ودأبهما أي شأني وشأنهما. وروى فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما. وسبب كراهته إيقاظهما أن يسبب لهما الأرق على ما هو عادة الشيوخ إذا أوقظوا بعد هجعة، ولأن الإنسان يتأذى لإيقاظه من نومه قبل أن يستوفيه، وكراهة أن يدعهما خشية أن يستكنا لشربتهما أي أن يضعفا بسبب فوت العشاء كما هو شأن الهرم الضعيف من الاستكانة وهي الضعف. وقوله: إن كنت تعلم هذا من باب الأدب برد كل شيء إلى علم الله، كأنه يشك في نيته ومقصده، ويدع ذلك إلى من يعلم السر وأخفى، وهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو أعلم به من نفسه. أو كنى بقوله: تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، عن أنه مقبول عند الله. وقوله: فافرج عنا، روى ففرج عنا. وقوله: فقالت «ولا تنال ذلك منها» في الإتيان بضمير الغيبة مع أنها تحدث عن نفسها لطف لا يخفى مع مراعاة أن الحكاية عن غائب. وقوله: «حتى تعطيها مائة دينار»

جاء فى رواية «فامتنعت منى حتى ألمت بها سَنَة» أى سنة قحط، ويكون امتناعها أولا عفة، وإجابتها ثانيا تحت تأثير القحط الذى ألم بها. وقوله: «فقالت اتق الله ولا تفض الخاتم» روى إلا بحقه، وهو يعطى أنها لم تكن ذات زوج، وأنها كانت بكرا، وإن كان يحتمل أن يراد بفض الخاتم ذلك الفعل المشين.

وقد روى أنها ارتعدت وبكت فسألها فقالت: إنى أخاف الله رب العالمين، فقال: خفته فى الشدة ولم أخفه فى الرخاء، لأنا أحق أن أخاف ربى. وفى رواية أنها قالت: أذكرك الله أن تركب منى ما حرم الله عليك.

وقوله: «بفرق من ذرة» فى رواية بفرق من أرز. والفرق: مكيال يسع ثلاثة صيعان. وقوله: فأبى ذاك أن يأخذ، روى فى سبب إبائه أنه جاء أجير آخر اشتغل نصف يوم كشغل أحد الأجراء يوما كاملا فأعطاه كأحدهم، فغضب هذا وقال: تعطيه فى نصف يوم كما تعطى أحدنا فى يوم كامل: فقال: يا هذا هو مالى أعطى منه ما أشاء ولم أظلمك حقك. وهذه عادة فى الأجراء إلى الآن. وقوله: «حتى اشتريت منه بقرا وراعيها» فى رواية: بقرا وإبلا وغنما. ولعله اشترى الأنواع الثلاثة، وكان أغلبها البقر، فذكر الكل مرة، واقتصر على النوع الغالب مرة أخرى.

أما بعد: فقد أرشدنا هذا الحديث الشريف إلى طريق الفلاح، وصور لنا طاعة الله والزلفى إليه بأجمل مظاهرها، وجلاها فى أبهى حلاها، على وجه أخاذ يجتذب القلوب إلى التأسى بفاعليها، وانتهاز الفرصة للحاق بمن استحقوا هذا الثناء وتخليد الذكر بسببها. انظر إلى صاحب القصة الأولى وما قضى به يومه من كدح وكد فى رعى غنمه، فهو طوال يومه فى حركة ويقظة، يتلمس المرعى ويوجه غنمه ويحرسها ويسوسها، ثم يجدب عليه مكان فيرتاد غيره حتى يتطوح به السير وينأى به الشجر فلا يرجع إلا وقد نام الشيوخ ومتى ينام الشيوخ! ثم يحلب بنفسه ويجىء لتعهد أبويه وأبنائه وأهله، ولا تسل هنا عن المعركة بين ميل الإنسان الفطرى نحو أبنائه وزوجه، وبين معرفة الجميل وتقدير الضعف المستحكم فى أبويه، معركة وجدانية يدريها من وقع فيها، فالمرء وإن أحب والديه وبالغ فى محبتهما فإن محبته لأبنائه أغلب على طبعه. تجد محبة الآباء مبناها الوفاء، ومحبة الأبناء مبناها الرجاء، وهل الأمر بينهما على حد سواء؟ نعم يحب المرء أبويه ويكرمهما ويبالغ فى تكريمهما، ولكنه ينظر إلى ذلك نظر المرء إلى ما يجب عليه ويكلف حمله وأداءه، لا نظر الغبطة والابتهاج الذى يشمله حينما يغدق على أبنائه ويرفه لهم العيش. سأل بعض الناس: إنى إلى من أبوى الآن كل ما كانا يليانه منى فى الطفولة: أفأكون وفيتهما كل حقهما؟ فقال: لا، لأنك تفعلُ ذلك وأنت تحب أن يموتا، وكانا يليان ذلك منك وهما يحبان أن تعيش، وسئل بعضهم: لماذا نحب أبناءنا أكثر مما يحبوننا؟ فقال: لأنهم قطعة منا ولسنا قطعة منهم.

هذه المعركة الوجدانية الهائلة تجد فيها هذا الابن الأب يتغلب على عاطفة البنوة التى ملأت قلبه نحو أولاده وفلذات كبده، عاطفةُ الأبوة المبنية على عرفان الجميل الماضى، ومراعاة الشيخوخة المتهدمة، والضعف الذى لا يحتمل معه تأخير عشاء. ثم انظر إليه وهو يضحى براحته، ويضيف إلى كده طول يومه سهره واقفا متحيرا طول ليله، يتقطع قلبه لأطفال صغار يتضاغون من الجوع تحت قدميه واللبن فى

يديه، ولكنه ينتظر أبويه. ولقد كان يريحه من كل هذا العناء أن يوقظهما ولو بعد الوقت الذى يظن أنهما أخذا قسطهما فيه من النوم، ولكن تأبى شفقته إلا أن يلمح أنهما قد يتأذيان من الإيقاظ قبل أن يستوفيا قسطهما من النوم ويستيقظا بأنفسهما، وأنه قد يندّ عنهما النوم بعد ذلك فلا يجدان السبيل إليه، فيكون قد أساء إليهما أكثر مما أحسن، أما صبيته وبكاؤهم تحت قدميه من الجوع فأمر هين، فالأطفال مرحون بطبعهم، وما هو إلا أن يسقيهم حتى ينسوا كل شيء، وفي طبيعتهم قوة التحمل.

أما إنها لإحدى الفضائل العظمى التي لا تصدر إلا عن قلب ملأته خشية الله وتقواه، وحق لمن هذا شأنه أن يرعاه الله، ويجعل له مخرجا، ويجعل له من أمره يسرا. مثل هذا يدخل في مضمون ما ورد «رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره». إن نفسا كهذه بين رعاة الغنم تحمل النفوس على احترام طائفة بأسرها، ولكن من هذا وقد كان من بينهم خيرة الخلق عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. ولقد سمع الله من هذا الراعي فكشف عنهم، ولله في خلقه إرادة، فلقد كان قديرا أن يكشف الباب جميعه، ولكنه أراد أن يوجه كل من الثلاثة قلبه نحو خالقه، ويمنحه شطرا من كرامته، حتى يتبين للناس إكرام الله لأهل طاعته، جعلنا الله منهم.

ثم انظر إلى صاحب القصة الثانية: شاب يملأ الحب شغاف قلبه، ويحب ابنة عمه كأشد ما يحب الرجل النساء، يتدله فيها ويهيم، ويسأل عنها ضوء الكواكب ويستنشق منها ريا النسيم، تتطاول به السنون، وهو يعلل النفس بما يكون أولا يكون، ثم تسعفه الفرصة، ويكاد ينال تلك الغصة، أصابتها سنة قحط فلوت قيادها، وألانت عنادها، فجاءته تزجيها الحاجة وتعلوها الذلة، فطلبت إليه مع ذلك شططا: طلبت إليه مائة دينار في تلك السنة المجدبة، ليس معه منها درهم، يقول: فسعيت حتى جمعتها، وفي رواية: جمع لها عشرين ومائة. ما أشد سلطان الحب! يخلق من الجبان أسدا، ومن الضعيف ماردا. الحب، وما أدراك ما الحب:

الحب أول مـا يكـون مـجـانـة
فـإذا تمكن صـار شـغـلا شـاغـلا

لا يعـرف الشـوق إلا من يكابده
ولا الصـبـابة إلا من يعـانـيـهـا

نقدها الدنانير الكثر، ليصل إلى ذلك الأمر، ولقد استسلمت الفريسة، ولكن خشية الله لم تتخل عنها. الله أكبر: إن مجرد كلمة الرجل في أذن المرأة وقوله لها: أحبك، تعمل في نفسها كل عمل، وتملأ قلبها بالأمل بعد الأمل فكيف به وهو ابن عمها، يقضي الأيام الطوال يترضاها، ويبدو لها منه ما هي أدرى به، ثم تتحداه بالمرهق المعجز في السنة الجدباء، فيحضره لها ثمنا لما أراد، وبرهانا على صدق الوداد. وهل كانت إلا فتاة لها حظ في الرجل كحظه منها؟

انظر إليها في هذه الساعة الرهيبة تدركها خشية الله، فترتعد وتبكي، وتذكره الله ألا يركب منها ما حرم الله عليه، فتلحقه هو أيضا الخشية، وتحوطه تقوى الله، ويتذكر حين ذكرته أن الذكرى تنفع المؤمنين، فيقول: هذه تخاف الله في الشدة ولم أخفه في الرخاء، فينصرف عنها طاهرين تقيين نقيين. الحمد لله، هذا هو مقام الخشية والخوف من الله. هذا هو ما جاء في قوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[1].

وفى قوله عز وجل:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾[2]. يردف هذا ثمة عظيمة فيدع لها المائة دينار، ويقبلها عليها عشرين دينارا، كما جاء فى بعض الروايات. اللهم لا توفيق إلا توفيقك، ولا معصوم إلا من عصمت.

رب إن الهـــــدى هداك وآيا

تك نور تهـــدى بهـــا من تشـــاء

أما إن للشيطان فى مثل هذه الحال لجولات وصولات، فكم يغرر بهما ويسهل الأمر عليهما، ويضمن لهما أن لن يقترفا جرما ولا إثما، وإنما هى للداعبات البريئة، حتى إذا غشى قلبهما ما غشى، ووقعا فى الشرك الذى نصبه لهما، تولى عنهما بفرح وسرور، وقال: ما كان لى عليكما من سلطان إنما دليتكما بغرور. اللهم إنا نعوذ بك من الشيطان ومن الهوى.

وهذا الثالث صاحب الأجير: ترى الأجير فى طمعه يحسد من عمل فى نصف يوم مثل عمله فى يوم على أن يأخذ مثل أجره، والمالك لو أعطاه بلا مقابل فلا سبيل عليه، فيذهب به الغضب إلى الإباء، فينصرف مغاضباً رافضا أخذ أجره، ثم يمكث السنين الطوال كما يدل عليه أنه زرع الفرق ونماه واشترى من غلته بقرا وراعيها وإبلا وغنما، وهل يأتى ذلك فى عام أو عامين والفرق ثلاثة آصع من ذرة أو من أرز؟ يجيء هذا المغاضب المحتج فيطلب أجره، ولو شاء المستأجر لتجاهله وأنكره، ولو سمح فأعطاه ذلك الفرق لكان جميلا منه، ولكنه امتحن الله قلبه للتقوى فوفقه لزرعه وتنمية غلته حتى اشترى منها بقرا وراعيها، وأضاف إليها إبلا وغنما، فأصبح مالا وفيرا ورزقا كبيرا، ومتى تبتلى النفوس بالشح إلا حينئذ؟ جاءه الأجير راضيا بأخذ الفرق الذى استحقه على عمل يومه، فقال: دونك هذه النعم فاستقها براعيها، وبروى برعاتها، فقال الرجل – وحق له أن يقول: أتستهزىء بى؟ وهل يظن هذا إلا أنه استهزاء؟ يقول له: أعطنى فرق ذرة أو فرق أرز، فيقول له: استق هذه النعم برعاتها ويصر على أن الأمر جد وأنها له حتى ليأبى أن يقول له: لقد منحتكها ولكنه يقول: أنا لا أستهزىء ولكنها لك، فلا يقبل على نفســه ولا أنه صاحب جميل فيما أعطى، ويقول إنها وديعة يأخذها صاحبها وكفى! هذه هى الأمانة حقا، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

إن هذا لهو القصص الحق، يبين لنا المصطفى ﷺ سبيل الهدى لنسلكه، ويقرب لنا سبب الخير لندركه، ويصور لنا روح الطاعة لنتحلى بها، ويجمل لنا وجه الزلفى لنتعلق بسببها. اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه، فلا حول ولا قوة إلا بالله ثم يشرح لنا كيف كانت نجاتهم بسبب لجئهم إلى من تعرفوا إليه فى الرخاء فعرفهم فى الشدة؛ وكيف يكون يمن الطاعة فى الدنيا، والدار الآخرة خير وأبقى.

نسأل الله أن يسلكنا فى زمرة المتقين، ويجعلنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(1) سورة النازعات (٤٠، ٤١).

(2) سورة الرحمن (٤٦).

# لماذا نحج إلى البيت العتيق؟؟

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

عندما كتب حجة الإسلام أبو حامد الغزالى [٤٥٠ - ٥٠٥هـ ١٠٥٨ - ١١١١م] كتابه الفذ [إحياء علوم الدين] كان إعلانا عن ضرورة، الثورة الثقافية التصحيحية، لما أصاب الجوانب الكثيرة من ثقافتنا الفقهية يومئذ من، جفاف.. وشكلية، يهددانها بالموات.. فهذا الكتاب - بعنوانه ومضمونه - دعوة، لإحياء، علوم الدين. الإحياء الذى يعيد تزامل، القلب، مع، العقل، فى اكتشاف أبعادها ومقاصدها. وذلك بعد أن وقفت الكثير من تآليفها عند، أشكال.. وحركات.. ومظاهر، كثير من الشعائر والمناسك والعبادات.

وإذا شئنا أن نضرب أمثالا على ضرورة هذا، الإحياء، لفقه المناسك الإسلامية. الذى لانزال فى أمس الحاجة إليه - فإنا واجدون الكثير والكثير:

١ ـ ففي القرآن الكريم وصف للعلاقة الزوجية «بالميثاق الغليظ» الذي أقامته وعقدته الفطرة الإلهية بين الرجل وزوجه

﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾(١).

وهذا الميثاق الفطري هو الذي يجعل الزوجة تفضي إلى الزوج - وهي حديثة عهد بمعرفته - بما لا تفضي به إلى أهلها الذين نشأت وتربت في كنفهم وأحضانهم، بل وتكشف له وتسر إليه بما تضن به على أقرب الأقربين من أولي الأرحام!.

بل إن التعبير القرآني ليصل، في وصف رباط الزوجية وميثاقها، إلى الوصف الذي لو أفاض فيه كل شعراء الدنيا وبلغائها لما استطاعوا الاقتراب من عمقه وسموه وجمال دلالاته.. وصف «السكن» و«السكينة» التي تمثلها الزوجة بالنسبة لزوجها، الذي يسكن إليها!.. فهي له سكن يسكن في مودته ورحمته.. يعبر القرآن الكريم عن هذا المستوى السامق للعلاقة الزوجية، تلك التي جعلها الله - سبحانه وتعالى - آية من آياته في بناء أولى لبنات الاجتماع البشري - الأسرة - فيقول:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢).

فماذا صنعت كتب الفقه بهذه المعاني الجميلة والعظيمة والعميقة التي تتحدى لغة البشر أن تبلغ سماء دلالاتها؟ لقد عرّف الفقهاء عقد الزواج - هذا الميثاق الإلهي الغليظ.. وهذه الفطرة المنشئة للمودة والرحمة والسكن والسكينة - بأنه: «عقد تمليك منفعة بضع الزوجة»!!.. فقتلوا روح هذه العلاقة السامية، عندما اختزلوها في البعد «الغرائزي» للزواج!..

ولذلك كانت دعوة الغزالي إلى «إحياء» علوم الدين، بعد أن أصابها الموات!..

٢ ـ والصلاة، التي هي عماد الدين.. نجد القرآن الكريم لا يستخدم في التعبير عنها مصطلح «الأداء» لأنه يقف بالدلالة عند «الشكل.. والحركات.. والسكنات»..، ويستخدم - بدلا من ذلك - في التعبير عنها مصطلح «الإقامة»، لما يعنيه ويتطلبه من «الحضور» عندما يكون العبد في لقاء مع مولاه

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(٣)

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾(٤)

ففي «الإقامة» استقامة وحضور.. بينما «الأداء» أشكال وحركات ورياضات للأبدان!..

وإذا كانت الصلاة عماد الدين، فإن السجود

---

(١) النساء: ٢١.
(٢) الروم: ٢١.
(٣) البقرة: ٤٣.
(٤) الأعراف: ٢٩.



فيها هو القمة التي يكون العبد فيه أقرب ما يكون إلى الله.. إنه قمة الحضور للمصلي بين يدي الله.. لذلك، نعجب من الفقه عندما وقف، في تعريفه للسجود، عند شكل الحركات، فغاب عنه - وغَيَّب - المقصد واللب والمضمون.. فجاء تعريف السجود في كثير من كتب الفقه بأنه «اطمئنان الأعضاء»!.. حتى لكأنه تمرين رياضي، وليس الدرجة العليا في سلم الحضور بين يدي الله!

ولذلك - أيضا - كانت ضرورة دعوة أبي حامد الغزالي إلى «إحياء علوم الدين».

وإذا نحن طالعنا جميع أبواب الحج، بأغلب كتب الفقه - في سائر المذاهب الإسلامية - .. أو قرأنا آلاف الكتيبات التي يتداولها الحجاج إلى بيت الله الحرام، والتي تشيع تفاصيل التفاصيل في مناسك الحج والعمرة - والمطبوعة بكل لغات الدنيا - فسنفاجأ بأننا أمام سرد لكيفية «أداء» المناسك، هو أقرب ما يكون إلى «خرائط وأدلة» السياح، منه إلى روح العبادة، ومقاصد المناسك، والمعاني العظمى التي وقفت،فوق ووراء أماكن،وأشكال ومواقيت مناسك الحج إلى بيت الله الحرام.. الأمر الذي يدعو إلى فقه جديد يعيد «الروح» إلى المناسك التي وقف الناس ويقفون عند «أشكالها»، ويذكِّر «بالمعاني» التي تنسيها الناس للأماكن التي يترددون عليها، ويستدعي «المقاصد» التي ما شرعت الشعائر إلا للاقتراب منها.

إننا في حاجة إلى «إحياء» لفقه الحج إلى بيت الله الحرام، حتى يصبح الحج قصداً إلى المعاني والمقاصد والدلالات العظمى لهذا المنسك العظيم، وليس مجرد سياحة نزور فيها الأماكن، «نؤدي» فيها الواجبات والفرائض والأركان.. وعلى سبيل المثال:

١ - فنحن في حاجة إلى «الوعي» بحكمة جعل الله - سبحانه وتعالى - حج أمتنا الإسلامية إلى بيت الله الحرام، وليس إلى مكان آخر سواه؟..

وفي فقه هذه الحكمة ووعيها يمكن أن يقال الكثير.

لقد شاء الله أن يكون حج الأمة الخاتمة لرسالات السماء - أمة الإسلام - إلى البيت الحرام، لأن هذا البيت هو أول بيت عُبِد الله فيه على هذه الأرض.. ففيه بدأ الدين، وإليه يكون حج الأمة الخاتمة، رمزا وتجسيدا لوحدة دين الله - من آدم إلى محمد ﷺ ورمزا وتجسيدا - كذلك - لاكتمال لبنات هذا الدين الواحد بشريعة الإسلام، ورسالة محمد بن عبدالله ﷺ.. وهو أيضا تكريم لهذه الأمة، عندما جمع الله لها طرفي المجد الديني، فكانتا قبلتها، وكان حجها إلى أول بيت وضع للناس في الأرض التي هي دار الأمانة والتكليف والاستخلاف.

ولما كان أبو الأنبياء إبراهيم الخليل، وابنه إسماعيل - عليهما السلام - قد أقاما قواعد هذا البيت العتيق، فلقد شاء الله أن يكون إليه حج أمة خاتم الأنبياء، الذي أحيت شريعته ملة إبراهيم.. والذي تعيد أمته - في مناسك حجها - مناسك إبراهيم وإسماعيل وهاجر، مجسدة بهذا الإحياء وَحْدَة دين الله:

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾(٥).

فإلى أول بيت تحج الأمة الخاتمة، لتحيى أمة خاتم الأنبياء مناسك ملة أبى الأنبياء.

٢ ـ ونحن فى حاجة إلى فقه الإعجاز الخالد الذى يشعر به ويعيشه كل من حج إلى بيت الله الحرام.. فلقد دعا إبراهيم الخليل ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إلى بيته الحرام، فتجسدت الإجابة فى هذا الحج، الذى ربط القلوب - وليس الأجساد - بهذا البيت العتيق.. بل وليس مطلق القلوب، لأن «الأفئدة» هى «القلوب المتوقدة» بالأشواق.. وهى «تهوى» إلى هذا المكان اشتياق النفس إلى ما تشتهيه(٦).. لقد تجسدت معجزة الإجابة الإلهية لدعوة أبى الأنبياء فى حجيج أمة محمد - خاتم الأنبياء -.. تجسدت آية من آيات الله المبثوثة فى النفوس والأفئدة المتوقدة شوقاً إلى بيت الله الحرام، توقداً دائماً، وشوقاً خالداً، عند كل مؤمن، وعلى مر سنوات عمره، وعبر القرون، والقارات، وفى كل القبائل والشعوب.

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(٧).

٣ ـ ونحن فى حاجة إلى فقه الحكمة التى جعلت من حجة رسول الله ﷺ سنة ١٠ هـ لحظة اكتمال الدين، فعندما أتم الرسول والمؤمنون مناسك الحج، ووقفوا بعرفة، وأعلن خاتم الأنبياء فى العالمين ميثاق حقوق الله وحقوق الإنسان المستخلف عن الله، نزل الروح الأمين بوحى الله الذى يقول:

﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾(٨).

فعندما أقام النبى الخاتم والأمة الخاتمة مناسك حج ملة إبراهيم - أبى الأنبياء - مثّل ذلك اكتمال أركان الإسلام، واكتمال هذا الإسلام، الذى هو الدين الله الواحد عبر كل رسالات السماء

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾(٩).

وليس المراد باكتمال الدين هنا اكتمال الوحى القرآنى، أو الشريعة المحمدية، فبعد هذه الآية نزلت آيات وتشريعات من مثل آيات الربا والكلالة.. وغيرها.

---

(٥) آل عمران: ٩٥ - ٩٧.

(٦) الراغب الأصفهانى [مفردات غريب القرآن] - مادة «فاد» - طبعة دار التحرير - القاهرة.

(٧) إبراهيم: ٣٧.

(٨) المائدة: ٣.

(٩) آل عمران: ١٩.

٤ ـ ونحن في حاجة إلى فقه سر معجزة الأمن والأمان، الذى يغمر المؤمن فى بيت الله الحرام، حتى ليزيد هذا الأمن على ما يشعر به الإنسان فى مسكنه الخاص.. فبصرف النظر عن جغرافية الأوطان، واختلاف الألوان، وتعدد اللغات، وتنوع الشعوب والأمم، يجد الحاج من الأمن والأمان فى بيت الله الحرام ما يجسد ويفسر الإرادة الإلهية والجعل الربانى الذى عبر عنه القرآن الكريم عندما قال:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾(١٠).

وحتى يكون هذا البيت آمنا، ومحققاً قمة الأمن والأمان للطائفين والعاكفين والركع السجود، منذ أن وضع للناس فى الأرض، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلقد شاء الله أن ينفرد بالحرية والتحرر من استعباد الجبارين والمستعمرين عبر قرون التاريخ، فلم يخضع لجبار ولا لمستعمر، وكان الناس من حوله تتخطفهم مخاطر الاستبداد والاستعباد، وهو آمن أبدا

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾(١١).

ولأنه كان الحرم الآمن، الذى حفظه الله من الاستعباد والاستبداد، سماه الله - فى كتابه - ﴿ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾، أى الحر الذى انعتق وتحرر من كل ألوان الاسترقاق..

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾(١٢).

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ۝ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾(١٣).

فهو الحر - دائما وأبدا - حتى يكون حرما آمنا - دائما وأبدا -.. وعندما هددت غزوة الفيل حرية هذا الحرم الآمن، لم يخالج الشك أهل مكة يومئذ فى انتصار البيت العتيق على هذا التهديد، فكانت ثقة عبد المطلب بأن «للبيت رباً يحميه»!.. وجاء الإعجاز الإلهى ﴿ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ تحيل مصادر التهديد وقوى الاستعباد إلى «عصف مأكول».

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾(١٤)

فهناك حاجة إلى فقه معجزة «الأمن».. فى هذا البيت «العتيق»..

٥ ـ ونحن فى حاجة إلى أن يفقه الحاج إلى بيت الله الحرام ما يمكن أن نسميه بـ «أبعاد

---

(١٠) البقرة: ١٢٥، ١٢٦.

(١١) العنكبوت: ٦٧، ٦٨.

(١٢) الحج: ٢٩.

(١٣) الحج: ٣٢، ٣٣.

(١٤) الفيل: ١ - ٥.

فلسفة المكان ورسالته الخالدة».. فحول هذه الكعبة نزلت كلمات الله على خاتم الرسل والأنبياء.. وبهذه الكلمات تمت في مدرسة النبوة إعادة صياغة الجاهليين - أسرى الحمية الجاهلية وعبادة الأوثان - حتى غدوا الجيل الفريد الذي غيّر مجرى الدنيا والحضارة وأمسك بدفة سفينة التاريخ.. فدخل دار الأرقم بن أبي الأرقم أعراب جفاة غلاظ جفاة ليخرجوا منها وقلوبهم تفيض بالتقوى، يزيحون عن كاهل الإنسانية جبروت الكسروية واستبداد القياصرة، ليخرجوا من شاء من عباد الله من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن العبودية للطواغيت إلى قمة حرية إخلاص العبودية لله!.. وليكونوا - وهم أسد الله الذين أزالوا جبروت الاستكبار - أهل الرفق والرحمة، لا بالإنسان فقط، وإنما بالحيوان أيضا.. بل وبالنبات وسائر الطبيعة، لأن هذه المدرسة، التي بدأت دروسها في حرم الله الآمن، قد علّمتهم أن كل ما في هذا الكون حيّ يلهج - على طريقته - بتسبيح الحي القيوم

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(١٥).

فنحن نحج إلى المكان الذي بدأت فيه «النعمة» التي هي أعظم نعم الله على المؤمنين.. «نعمة الإسلام».. وأعظم بها من نعمة تعطي هذا المكان خصوصية في فلسفة المكان.. وفي رسالة المكان..

٦- ونحن بحاجة إلى أن يتذكر الحاج - وهو ذاهب ليرمي جمرة العقبة - ما هو أكثر من رمي الجمرات! - ففي هذا المكان - العقبة - عقدت «الجمعية التأسيسية» التي تعاقدت وتعاهدت على إقامة الدولة الأولى في تاريخ الاسلام والمسلمين، الدولة التي غيرت الواقع، وجيشت الجيوش، وحولت مسار التاريخ، وجعلت المستضعفين في الأرض الأئمة والوارثين لمواريث النبوات والحضارات، وذلك عندما بايع الأنصار رسول الله ﷺ على إقامة الدولة، بعد أن سبق لهم بيعته على إقامة الدين.. فولدت في العقبة الدولة التي حرست الدين، والتي ساست الاجتماع والعمران بشريعة هذا الدين..

رمي الجمرات

٧- ونحن بحاجة إلى أن يتذكر الحاج - وهو بالعقبة أيضا - أن رسول الله ﷺ قد أراد تأسيس الدولة الإسلامية الأولى على البيعة والشورى والاختيار، فعندما همّ الأنصار بمبايعته على إقامة الدولة، وحماية قائدها مما يحمون منه أنفسهم ونساءهم وذراريهم، رغب إليهم أن تتم البيعة بواسطة «مؤسسة دستورية» تنشأ بالاختيار والانتخاب، فقال لهم: «اختاروا منكم اثني عشر نقيبا».. فولدت - بالشورى والاختيار والانتخاب - أولى المؤسسات

(١٥) الإسراء: ٤٤.

الدستورية في الدولة الإسلامية.. وهي التي نهضت بمسئوليات «الوزارة.. والمؤازرة»، مع مؤسسة «المهاجرين الأولين» - التي نهضت في دولة الخلافة بمسئوليات الإمارة - وتوزعت بينهما الاختصاصات يوم «السقيفة»، عندما قال أبو بكر الصديق - باسم المهاجرين الأولين - لممثلي النقباء الاثنى عشر: «منا الأمراء ومنكم الوزراء».


الحجاج في منى

فمن العقبة - يا من ترمي الجمرات - بدأ تراث أمتنا في المؤسسات الدستورية، القائمة على الشورى والاختيار والانتخاب - بمشاركة الرجال والنساء - قبل أن تعرف الأمم والحضارات لها تراثاً في هذه المؤسسات!

٨ - ونحن في حاجة إلى أن يتأمل الحاج - وهو في «منى» - هذه «الغابة» من الجبال السوداء الكالحة التي تحيط بمنزل الوحي وبيت الله الحرام.. ففي هذا المنظر الموحش لهذه الجبال السوداء معجزة من معجزات إلهية وصدق القرآن الكريم، ونبينا ﷺ..

لقد اتفق البشر - من كل الفلسفات والثقافات والحضارات - على العلاقة التبادلية بين «المكان» وبين «الفكر» الذي يولد وينمو في «المكان».. وإذا كان واقع «المكان المكي» هو هذه الجبال الكالحة السواد، فأنى لهذا «الواقع» أن يثمر «فكراً» يستحق مضمون هذا الاصطلاح؟! وذلك فضلا عن أن تكون «الثمرة» هي هذا القرآن المعجز الذي تحدى - ولا يزال - أساطين البلاغة والفكر عبر الزمان والمكان والفلسفات والثقافات والحضارات.. إنها شهادة على صدق النبوة والرسالة، شاء الله أن ينطق بها هذا المكان الموحش.. فعجزه عن إبداع «الفكر» شاهد على أن هذا الذي جاء به محمد بن عبد الله إنما هو نبأ السماء العظيم!

هذه نماذج لخواطر - مجرد نماذج لخواطر - تدعو إلى أن نفكر ونجتهد لفقه جديد - هو فقه المقاصد والمعاني والدلالات - لتعود به «الحياة الحقة» و«الإحياء الحقيقي» لمناسك الحج إلى بيت الله الحرام.. إحياء لعلوم الدين.. وإنقاذاً لكتب الحج من جفاف وشكلية «الخرائط» التي يستخدمها السائحون.

إن مناسك الحج إنما تبتغي «تقوى القلوب».
﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾(١٦)

وحرام أن نختزلها في الحركات والسكنات، أو نغرق مقاصدها الروحية السامية في التفريعات والجزئيات.

---

(١٦) الحج: ٣٢.

# الحج من الناحية التربوية

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحسيني (*)

يعنى علماء الأخلاق عناية تامة بانتقال نظرياتهم السلوكية إلى ميدان التطبيق العملي، ليجدوا الثمار المرتقبة لما غرسوه من مبادىء وأفكار، وهم ينظرون الى الحج في الإسلام نظرة تطبيقية تجعله ميدانا للتمرين السلوكي لدى المسلم، والحج بهذا الاعتبار دعامة قوية من دعائم الشخصية المؤمنة التي ترتكز على أسس ذات قوة وتمكين.

فالنية في الحج شرط أساسي لصلاحيته، وهي عند علماء الأخلاق من المسلمين، مدار الحكم الخلقي وموضع تقديره، إذ يوجد من الأعمال ما يروق الناس في ظاهره ولكن بواطن أصحابه المغرضة تجعله من الناحية الخلقية عملا مدخولا عليه لا صلاح فيه ولا فائدة مهما خدع الناس بزيفه البراق، فكم في الناس من قصد الى الحج تاجرا أو دليلا، أو مبتغيا للكسب بوجه غير الوجه الشرعي المقصود، وهو أمام الناس حاج يؤم بيت الله، وعند الله محترف ينشد المنفعة العاجلة في الدنيا، لذلك كانت النية المخلصة أول خطوة صحيحة في طريق الحج المبرور، وبصلاح السرائر وخلوص النيات يستقيم أمر المجتمع الإسلامي على سنن صحيحة.

فإذا عقد المسلم عزمه على الحج، وتوجه في بلده النازح الى إجراء لوازم السفر فإنه من وراء هذه النية الصادقة مأجور مثاب على كل عمل يقوم به جليلا كان أو هينا، والسفر في كل زمان ومكان ذو مشاق ومتاعب مهما تيسرت الآن وسائل السرعة من طائرات وسيارات وبواخر فالزحام عليها والاقتراع في بعض البلدان على نوال الأسبقية في الرحلة مما يدفع المسلم الى سلوك خلقي يعتمد على الصبر والاحتمال ويتطلب التسامح والبشاشة، فإذا تهيأ الأمر واستقل الباخرة أو السيارة أو الطائرة فقد أصبح زميلا لأناس يشاركونه الرحلة وعليه أن يُطبق

(*) الأستاذ بكلية اللغة العربية بالمنصورة

آداب الإسلام الخلقية فى حسن الرفقة وجمال الصحبة، ودماثة الخلق، والسفر ليس قطعة من العذاب فى طول الطريق وحده ولكنْ فى تحمل ما بالرحلة من مصاعب يذللها الخلق الإسلامى الداعى إلى التسامح واللين والرفق، لذلك كانت رحلة الحج فى نظر الأخلاقيين ميدانا فسيحا للتجربة، وعلى الحاج أثناء ذلك أن يختبر احترامه لأخلاق الإسلام وقوانينه، فعليه وهو يقصد البيت العتيق أن يكون مُسلما من مفرق رأسه إلى أخمص قدمه، لا يصدر عن غير أخلاق الإسلام، وإذا تعود ذلك فى رحلة الحج فإنه سيعود إلى بيته وأهله وقد اكتسب السلوك الإسلامى الصحيح، وتخرج فى مدرسة خلقية نظيفة ترعى المروءة وتتجه إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مستنة بهدى الإسلام.



على جبل الرحمة يقف الجميع سواسية لا فرق بين حاج وآخر

فإذا ما انتهت مسافة الطريق ووجد المسلم نفسه فى مكة فإن هذه الربوع الطاهرة ستذكره أقوى التذكر بصاحب الدعوة الإسلامية فى مسارح صباه وأماكن شبابه، فهو يستعيد مما يعلم شريطاً حيّاً يريه أماكن النبوة متجسدة مجسمة، وفى هذا من إيقاظ الخلق، وصحوة الضمير ما يرتفع بمستوى المسلم من عصره الراهن الى أرقى عصور الإيمان فى صدر الإسلام، فالبيت الحرام بمكة يُذكِّر الحاج برواح صاحب الدعوة ومغداه إليه، وما كان يأمر به أصحابه من عبادة وخشوع وها هو ذا الصَّفا وها هى تلك المروة، وها هو ذا غار حراء: فكل هذه المشاهد تسمو بنفس المسلم البصير إلى أفق من الصفاء النفسى فهو يطأ أجملَ أرض حملت أشرف الدعوات وأنجبت أكرم الخلق، وهو يستعرض ما تحمل صاحب الدعوة فى هذه الربوع من أذى الشرك وعفونة الكفر فصبر وصابر، وتحمل كل شاق فى سبيل مبتغاه!

وإذا كان الله ـ عز وجل ـ يقول:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(١).

فإن كل شبر فى أرض مكة يذكر المسلم الدارس بخلق حيّ من أخلاق الرسول فيحاول أن يحتذيه فى سلوكه المثالى لقدْ ترك وطنه وبلاده ليكون صورةً كاملة للمسلم الذى أدى الفريضة

(١) الأحزاب (٢١).



الخامسة وهى خاتمة العبادات فى النسق التعبيرى لأحاديث الرسول، فإذا كان قد حج البيت ووطئت أقدامه تُراباً حمل رسول الله، وشم هواءً تنفّس فيه كرام الصحابة، فكل ذلك مما يرتفع بشخصه إلى مستوى المسلم الحى صاحب الرسالة النظيفة والهدى القويم، وبعد حين يقف بعرفات فيجتمع بمئات المسلمين من شتى المسالك والأجناس والألوان ويسمع هدير التلبية ينعش روحه ويبهج وجدانه، فيحس أنه ليس وحيداً فى العالم وأن آلاف الآلاف يشاركونه عقيدته الصحيحة عن وعى وإيمان فيزداد يقينه ثباتاً ورسوخاً، فإذا امتد بساط الحديث بين المسلم والمسلم فقد وقف على طبائع جديدة وعادات طريفة لأناس يسمع عن بلادهم ولا يراهم رأى العين فى غير موسم الحج، وإذا كان المسلم أخ المسلم فى كل مكان فإن هذه الأخوة تدفع المسلمين فى هذا المؤتمر الإسلامى الطبيعى إلى التعاطف والتشاكى وطرح الآمال وشرح الآلام، ومن هنا كان الحج مؤتمراً عالمياً واسع الرقعة ينظم المسلمين فى سلسلة متصلة الحلقات فيتعارفون ويتعاونون ويتساندون، وذلك مكسب تعاونى يقدره الأخلاقيون حق تقديره ويدعون إليه بكل ما وسعهم من الأدلة والبراهين، فإذا كان الحج ميداناً لهذا المؤتمر الإسلامى فإن ـ الله عز وجل ـ كان أدرى بحاجات البشر حين دعا إلى عقده فى كل عام، وحين جعل أفئدة من الناس تهوى إلى البيت الحرام ليشهدوا منافع لهم وليذكروا اسم الله فى أيام معدودات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام. وأى منفعة أقوى من تساند المسلمين وتعارفهم فى يوم مجموع له الناس، وأى طب لعلاج الأدواء المتأصلة أعظم من مكاشفة صريحة فى مكان روحى تغمره الرحمات، وتصعد فيه المناجاة الخالصة صادقة إلى السماء: بل أى سعادة يشعر بها الفرد فى إطواته حين يجد نفسه لبنة قوية فى جدار قوى لا تزلزله العواصف، ثم يرجع إلى أهله أشد تمسكاً بدينه وأقوى دراية بإخوانه وأوسع معرفة بعصره ومن وراء ذلك كله سمو مكانته لدى نفسه وحرصه على التمسك بآداب شرعه، وفضائل قرآنه وارتفاعه بمستواه الخلقى إلى أوج مثالى معطار، فإذا تجرد من ملابسه ووقف مع الجموع الزاخرة بملابس الإحرام فقد لمس المساواة الصحيحة بين الناس على مختلف المستويات إذ لا تتضح هذه المساواة فى شعيرة إسلامية كما تتضح فى حج البيت العتيق، ففى الصلاة مثلا قد يقف المسلمون صفوفا صفوفا فى صلاة الجماعة وفى مشاهد الجمعة ولكن ملابس الفقير تدل عليه وملابس الغنى تظهر مستواه المادى وهو بجانب صاحبه فإذا تساوى معه فى المكان فقد بدت فروق أخرى واضحة للعيان وفى الصوم قد يتساوى المسلمون معاً فى الانقطاع عن الطعام والشراب فى وقت معلوم يبتدىء من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ولكنهم لا يتساوون فيما يأكلون من الزاد ويتناولون من الشراب، فلكل إنسان الطعام المناسب والنظام الخاص أما الحج فقد طبق المساواة بجميع شرائطها فلكل محرم لباس يرتديه مكشوف الرأس، يجار بتلبية واحدة ويضج بهتاف واحد ويسير فى ركب واحد ليؤدى مناسك متحدة لا يلتزم بها فرد دون فرد، فالسعى والطواف والوقوف بعرفات والمبيت بمنى ورمى الجمار كل أولئك مما يؤديه الناس جميعا



فى مساواة لا تعرف التفضيل وإذا قام المسلم الحاج بذلك على وجهه الصحيح فقد فهم معنى الأخوة فهماً دقيقاً يغنى عن مئات الشروح وعشرات المؤلفات إذ مارسها عملياً غير مكتف بالنظريات، وهو ما يحرص عليه الأخلاقيون دافعين بالناس إلى واقع عملى لا إلى شروح تعج بالتعريفات وتموج بالنظريات.

فإذا رجع المسلم من حجه وقد أداه أكرم أداء، اعتقد فى ذات نفسه أنه أصبح مغفور الذنب وأنه استجاب إلى داعى الله ليمحو عنه ما أسلف من الخطايا والأوزار، وهو بذلك قد صار نقىّ الصحيفة طاهر العرض، وهذا الشعور القوى بطهارته يدفعه إلى التمسك بالفضائل ليزداد فضلاً على فضل ويحول بينه وبين الرذائل كى لا يسود صحيفته بذنوب جديدة، وإذن فقد كسب سلوكا جديدا ينأى به عن المحارم وينجو معه من الشبهات وكأنه يقارن بين أمسه قبل الحج ويومه بعد الحج فيرى درجته قد ارتفعت إلى أفق لا يجوز معه الهبوط والإسفاف، وإذا أحس المسلم ذلك عن يقين فقد سلم من رذائل السقوط ونأى عن مكيدة الشيطان وبعبارة أخرى فقد استجاب إلى فضائل الخلق الإسلامى وأصبح من الوجهة السلوكية مسلما بصيراً تحليه المروءة ويزينه الشرف، ويضيئه الإيمان وإذا كانت صلابة العقيدة مما يهتم به الأخلاقيون فى الإسلام ففى مناسك الحج ما يؤكد هذه الصلابة ويجعلها صخرة متماسكة لا تزعزعها ريح الشك لأن الإسلام هو الانقياد الممتثل لما جاء به الرسول عن ربه، ومما جاء به ما يرتفع عن العقول فى إدراك حكمته كرمْى الجمار وتقبيل الحجر مما يحسب فى باب الأمور التعبدية، وقد حاول كثير من العلماء افتراض علل لهذه الأشياء، ولكن العقيدة فى المعيار الخلقى ترتفع عن الشبهات فإذا اعتقد المسلم صحة دينه اعتقادا لا يتطرق إليه الشك. فإن ما يخفى عليه من علة بعض المناسك يدفعه إلى الإيمان المطلق بها اعترافا بقصور عقله، وانخفاض تفكيره عن مستوى الإدراك الطبيعى لعلل هذه الأشياء، والمؤمن الحقيقى هو من يقوم بهذه المناسك معتقدا حسنها وأفضليتها، ولا عليه إذا خفيت عليه حكمتها، فقد يأتى يوم يتضح للخلق أشياء اشتبهت على من قبله من السلف، ومازال العقل لأوامر الله تلميذاً يحاول الصعود إلى مستوى التعليل والتحليل، فيصيب تارة، ويقف تارة دون الصواب، وصاحب العقيدة الصلبة فى مأمن من كل هاجس، وهو لدى علماء الأخلاق مثال طيب للمؤمن المطمئن الذى يجد من إيمانه مرفأ تصل إليه السفينة آمنة وادعة، ولولا قوة اليقين لزلت قدم بعد ثبوتها، ومن هنا كان نظر الأخلاقيون للأمور التعبدية فى الحج وفى غيره نظرا حاسما يجزم بالإذعان المطلق دون تحرج والتواء.

هذا بعض ما يقال عن النظرة التربوية للحج باعتباره هدفا حقيقيا تعقبه الراحة النفسية من ناحية ويضىء بالسلوك الطيب على صاحبه فيصبح أنموذج الرجل العالم ذى النفع الطيب والسعى النبيل.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٢).

---

(٢) ق (٣٧).





# فى أرض النبوة

للأستاذ/ محمود غنيم

**من وحى زيارة الشاعر للأراضى المقدسة حين حج فى عام ٦٨م. أنشد هذه القصيدة المعبرة عن عاطفته الدينية الأصيلة:**

صوت من العالم العلوىّ نادانى ... لبيك لبيك لا آنٍ، ولا وانى(١)

ما أعذبَ الصوتَ! ما أشجاه من نغمٍ ... سمعتُه بجنانى لا بآذانى!(٢)

وكيف تسمعُه أذنٌ، ويحمله ... موجُ الأثير حروفاً وهْو روحانى؟

لبيتُه بفؤادٍ ملؤه وجلٌ ... وصيِّبٍ من دموع العين هتّان(٣)

---

(١) انى أنيا كمشى حَنْيًا ورضى رضى: تأخر وأبطأ، وآن: متأخر، ووان: ضعيف متكاسل.

(٢) الجنان -بفتح الجيم- القلب والرُّوح. (٣) الصيب: المطر، والهتان: الغزير.

كيف الوقوفُ على باب الرسول، وفي ... يدي صحائفُ زلاّتي وعصياني؟
دار النُّبوّة، ذنبي عنك أبْعدني ... وحُسْنُ ظنّي بربّي منك أدناني
لم يدرِ قدْرَكِ مَنْ في ذات أجنحة ... أتى يزورُك، أو في ذات سُكّان[٤]
هلاّ أتيتُك سيّارا على قدمي ... أوْطارُ من حَرِّ شوقي بي جناحان؟
ما غبتِ عني، وإن لم يمتلئْ بصري ... من أهلكِ الصِّيد أو من ربعكِ الغاني[٥]
قد كنتُ ألقاكِ في لوحي، وفي كُتُبي ... وفي سطور أحاديثي، وقرآني
ما زلتِ رسمًا جميلاً في مُخيّلتي ... حتى كأنّا التقينا منذ أزمان
كأنني لستُ ضيفًا عند أهلكِ، بل ... هم في ربوعهمُ الفيحاء ضيفاني
وما طربتُ للحْنٍ ليس يذْكُرُ لي ... ما فيكِ من علمٍ، أو فيكِ من بانِ
الله يعلم كم حرّكت في خلَدي ... من ذكريات، وكم هيّجت أشجاني!
كم في دُروبكِ من دربٍ أصخْتُ له ... كأنه بحديث الأمس ناجاني
لي من صعيدكِ أفواهٌ، وألسنةٌ ... بقدر ما فيه من رمْلٍ، وكُثْبان
يا جيرةَ الحرمَيْن الآمنين، لكُم ... أهدى التحيّةَ من رَوْحٍ وريحان
الله أورثكم مجدا يُقِرُّ به ... قبل الحبيبِ لسانُ الحاسد الشاني[٦]
والله شرّفَ مغناكم، وشرّفكم ... خيرُ البقاع أقلّت خيرَ سُكّان
ما للشراب وردنا ماءَ زمزمكم ... بل للطهارة من رجسٍ وأدران
بالله، لا تُنْزِعوا من مائها قدحي ... بل فاغْمروا جسدي منها بطوفان[٧]
هنا رحيقٌ، عتيقٌ، حلّ مشربه ... فيه طهارةُ أرواحٍ وأبدان
هنا مفاتيحُ أغلاقِ السماء، هنا ... باب الوصول إلى جنّات رضوان
هنا بنى المصلحُ الأميُّ جامعةً ... على أساسَيْن من: علمٍ، وعرفان
على قواعدَ من هدى النُّبوَّة، لا ... على قواعدَ من صخرٍ وصفْوان
وكيف لا ورسولُ الله منشئُها؟ ... جلّ البناءُ، وجلّ المنشئُ الباني!
ما كان طلابُها إلا شراذمَ من ... رعاة إبْلٍ، ومن عُبّاد أوثان

---

(٤) ذات أجنحة: كناية عن الطائرة، وذات سكان: كناية عن السفينة، والسكان: الدفة.

(٥) الصيد: جمع أصيد، وهو الشريف العظيم.

(٦) الشاني -أصلها الشانئ-: المبغض الكاره.

(٧) لا تنزعوا: لا تملئوا، والقدح: الآنية.

ربّى العتيق أبابكر بها، وأبا ... حفص، وربّى عليا، وابنَ عفّان
طلأبها في ربوع العالم انتشروا ... مبشّرين بإصلاح وعمران
وسمحة من سماء الله مُنْزلة ... ومُحْكم من كلام الله ربّانى
فيها تخرّج سُوّاسُ البريّة من ... أدنى المحيط إلى أقصى خُراسان
ساسوا الشعوب بأحكام الكتاب؛ فما ... أحسّ شعبٌ بجَوْر، أو بطغيان
سماحةٌ عَرفَ الدّينُ الحنيفُ بها ... ما فرّقتْ بين ألوان وأديان
من كلّ مُسْعرِ حربٍ يوم معركةٍ ... وكلّ نابغة فذٌّ وفنّان[8]
أجلّهم كلّ ذى علم وفلسفة ... وهابهم كلُّ ذى جاه وسلطان
«الله أكبر» كانت سرُّ قوّتهم ... على الجبابر من فُرْس ورومان
شاد البُداةُ حضارات بها، وبها ... ثلّوا عروشا، وسلّوا ذرَّ تيجان[9]
لا حصنُ قيصر أغنى عنه زحفهمو ... ولا احتمى منهمو كسرى بإيوان
والأمر لله، دار الدهر دورتهُ ... فأصبح القومُ شاءً بين ذؤبان!
قد جال فى أمسهم فكرى؛ فأضحكنى ... وجال فى يومهم فكرى؛ فأبكانى!!
يا ويحَ قومي! نسُوا الله الكبير، فلم ... يذكرْهُم اللهُ، نسيانٌ بنسيان!
يارب، شعبُك يشكو ما أحاط به ... من الخطوب، فأدركْ شعبَك العانى[10]
أدرِكْ بلطفك شعبا غطَّ فى وسَن ... على تُخوم عدوٌّ غير وسْنان[11]
يا سيّد الرُّسْل، لم أُنْشدْك ممتدحا ... فأنت فوق مزاميرى وألحانى
وما علىَّ -إذا أنشدتُ- من حرجٍ ... كمْ كنتَ تُصغى إلى إنشاد حسّان
لمّا رأيتُ القرابينَ التى قدمتْ ... بها الوفودُ، جعلتُ الشعر قُرْبانى
لو استطعتُ، نظمتُ الشعر من بصرى ... ونور قلبى، وبعضُ الشعر نورانى
يهونُ عندىَ إن أكسبْ رضاك به ... ما نال أحمدُ من كفّ ابن حمْدان
بل دون نظرة عطف منك واحدة ... ملكُ السماء وملكُ الأرض فى آن
إلى لأطْرُقُ باب المصطفى بيد ... بيضاءَ، لم تتعوّدْ طرقَ بيبان
وأبسطُ الكفَّ أستجدى رضاه، وما ... بسطتُ كفى لذى مَنٍّ وإحسان

---

(8) مسعر حرب: موقد نارها.

(9) البداة: جمع البادي: وهو من يسكن البادية.

(10) العاني: الأسير، أو الرهق الذي أصابه العناء.

(11) التخوم: جمع تخم، وهو الحد بين البلاد والدول.

وأسفحُ الدمعَ سهلاً في حماه، وكم ... كففتُ عن الدمع يوم الروع أجفاني[١٢]
لا أكتم الله ما أسلفتُ من زللٍ ... وهل يغطي عليه طولُ كتماني؟
إذا جوارحيَ الأتي جنتْ شهدتْ ... بما جنت، كان إقراري كنكراني
جاهدتُ، يارب، أعدائي فما وهنت ... قواي، لكن جهادُ النفس أعياني
إنْ عدتُ من حربها الشعواء منتصراً ... حيناً، فكم عدتُ أحياناً بخذلان!
والنفسُ أفتكُ بالإنسان من سَبُعٍ ... ضارٍ، وأردى له من ناب ثعبان
ماذا أقولُ؟ أقول الله: قدَّر لي ... إن شاء أسعدني، أو شاء أشقاني
أو أدَّعي أنَّ لي أمَّارةً أمرتْ ... أو أن شيطانيَ الشرِّيرَ أغواني[١٣]
أستغفرُ الله! ذنبي لستُ أجحدهُ ... لكنْ على الغير يُلقي التهمة الجاني
يارب، إن لم تُقلْ ذا عثرةٍ، فلمَنْ ... ما في جنانك من حُورٍ وولدان؟
لمَن بنيتَ جنان الخلد دانيةً ... قطوفها، ذاتَ أشجارٍ وأفنان؟
لذاتك العصمةُ الكبرى بها انفردت ... وعصمةُ الناس من زورٍ وبهتان
وأنت أحنى على العاصين أنفسهم ... من كل أمٍّ رءوم، أو أبٍ حان!
ما زاد في ملكك الأوَّابُ خردلةً ... أو ناله المذنبُ العاصي بنُقصان[١٤]
يجني على نفسه الجاني، ومن زرعتْ ... يمينُه الخيرَ في الدنيا هو الجاني!
ومن أكون بكَوْن أنت مُبْدِعُه ... أقطرة بين أمواجٍ وشُطآن؟
أم ذرةٌ في فضاءٍ لا يُحسُّ بها ... لم أدرِ ما كُنْهها في العالم الفاني؟
سبحان من يعلم الأسرار أجمعها ... وسرُّه هو أعيا كلَّ إنسان!
وما أبرئُ نفسي من جهالتها ... جهلي، وعلمي بجهلي كم أراحاني
يارب، إن كنتُ قد قصَّرتُ في نُسُكي ... فما تسرَّبَ شكٌّ نحو إيماني[١٥]
ما جاءني فيك شيطاني يشككني ... إلا وعاد بثوب الخزي شيطاني
وكيف لا، ورسولُ الله بيِّنتي ... وحجتي أنت، والقرآن برهاني؟

---

(١٢) أسفح الدمع: أرسله منهمرا، وسفح الدمع سفحا وسفوحا: انصب، والروع: الفزع.

(١٣) النفس الأمارة: التي تأمر صاحبها بالسوء، وتزينه له، وأغواه الشيطان: استهواه، وأضله.

(١٤) الأواب: العائد، والذي يرجع إلى ربه من قريب، ولا يتمادى في الذنوب.

(١٥) النسك: العبادة.

يارُبَّ يوم نهاني فيه خوفُك عن ... لهو، وغيري يلهو بابنة الحان[16]
ورُبَّ يوم كبحتُ النفس عن عبث ... فيه، وكنتُ شبابا بين شُبَّان
ورُبَّ معصية لم آتها ورَعًا ... والنفسُ تأمرني، والدينُ ينهاني[17]
ولا أمُنُّ على ربِّي بطاعته ... إني أعوذ به من كل منَّان
عصيانُ ربِّك ذنب واحد، فإذا ... يئستَ من عفوه، فالذنب ذنبان
لبَّيك، يارب، لا آلوك تلبية ... حتى تمنَّ على ذنبي بغفران[18]
سيَّان: إن أقض، أو أرجعْ إلى وطني ... ما دمتَ تشملُني بالعفو، سيَّان
فإن أعُدْ عدتُ مغفورَ الذنوب، وإن ... أمُتْ فصحبُ رسولِ الله جيراني
ليس التشبُّثُ بالأوطان من أربي ... كُلُّ البلاد -بلاد العرب- أوطاني
كهفٌ بأرض رسول الله أروحُ لي ... من قُبَّة ضُربَتْ في ظلِّ بستان
فيم القباب على الأموات ننصبها؟ ... يكفي الدفينَ بجوف الأرض شبران![19]
الخاملون من الأحياء كم طلبوا ... على حساب دفين رفعةَ الشان
لا تبتغوا المجدَ من تشييع ميِّتكم ... أو المغالاةَ في قبر وأكفان
يا ربُّ، قد عشتُ في دُنياي مغتربا ... ويلاه إنْ أغتربْ في العالم الثاني!
حاشاك، ياربُّ. في أخراي تحرمني ... ياربُّ، حسْبي في دنياي حرماني
أستغفر الله من كُفران نعمته ... بل فوق ما أستحقُّ الله أعطاني
ألم يجدْني أخا غيٍّ فأرشدني؟ ... وهائما غير ذي مأوى فآواني؟
ألم يجدْني أخا جهلٍ فعلَّمني؟ ... وعائلا غير ذي وجْد فأغناني؟
وما البكاء على الدنيا وزخرفها؟ ... شاهت ولو أنها دنيا سليمان!
وما أبالي بما في الكون أجمعه ... إنْ صحَّ منه الرضا عني وأرضاني
لبيك ملءَ فمي، لبَّيك ملءَ دمي ... لبَّيك يارب من قلبي ووجداني
إليك شفَّعتُ من تُرجَى شفاعته ... يارب، إن خفَّ يوم الحشر ميزاني

---

(١٦) ابنة الحان: كناية عن الخمر، والحانة: موضع بيعها.

(١٧) رب في هذا البيت والبيتين قبله -للتكثير، أي أنه كان كثير الخوف، وكثير كبح النفس، وكثير الطاعة.

(١٨) لا آلوك تلبية: لا أقصر في الإقبال عليك والاستجابة إليك.

(١٩) ينكر الشاعر أن تُنصب القباب على الأموات أسوة بأهل السنة، وذلك مخافة أن يصاب مقدسو هذه القباب بلوثة من الوثنية.

## أسرار علمية فى ألفاظ قرآنية

# الذبح والنحر.. فى القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور / عفيفى محمود عفيفى (*)

[الثراء اللفظى من أبرز ميزات اللغة العربية التى شرفها الله بأن جعلها وعاء لمعانى أكمل كتبه وأشملها ألا وهو القرآن المجيد.. ومن مظاهر حسن استغلال هذا الثراء فى التعبير القرآنى: استعمال لفظين أو أكثر للدلالة على شىء واحد على التعميم ولكنه متعدد الوجوه على التخصيص. مع اختلاف الألفاظ المستعملة فى مبناها بما يتفق مع أوجه معناها.. وبهذه المقدرة المتفردة تحدى القرآن - وقت نزوله - أفصح فصحاء العرب فأعجزهم.. ثم جاءت العلوم الحديثة بعد ذلك بأكثر من ألف عام لتكشف عن المزيد من أبعاد هذا الإعجاز].

(*) الأستاذ بكلية العلوم بجامعة المنصورة والخبير البيولوجى بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

## الذبح والنحر من أشباه المترادفات

والمقصود بأشباه المترادفات الألفاظ التى تشترك فى معنى عام، ولكن يندرج تحته مفاهيم خاصة لا يعبّر عن كل منها إلا واحد من أشباه المترادفات.. وفى حالتنا هذه يشترك اللفظان فى التعبير عن عملية الإجهاز على الحيوان بفصل رأسه عن بدنه عن طريق جز رقبته. والفرق الجوهرى بين الذبح والنحر هو أن الأول أوسع فى دلالته إذ أن معناه يشمل العملية بأكملها: أيًا كان الهدف منها، والأسلوب الذى تجرى به ونوع الذبيح، ولعل هذا هو السبب فى كون لفظ «ذبح» أكثر استعمالا بين الناس وأكثر ورودا فى القرآن كما يتضح من الأمثلة التى سنوردها بعد أن نضع بين يدىْ القارئ، بعض الحقائق العلمية الأساسية المتعلقة بالموضوع.

## معبر الحياة بين الرأس والجسد

هو العنق الذى عن طريقه تمر مقومات الحياة وهى: ١- الهواء عن طريق الحنجرة (وجزء من القصبة الهوائية فى الإبل والأوز والنعام وغيرها من طوال الأعناق).

٢- الطعام والشراب عبر البلعوم (وجزء من المرىء فى طوال الأعناق).

٣- الدم الذى يضخه القلب إلى الرأس عبر شريانين رئيسيين غائرين فى لحم العنق، ويعود عبر وريدين رئيسيين تحت الجلد مباشرة أسفل الصدغين.

٤- الإشارات العصبية الصادرة من مراكز الحركة فى الدماغ (المخ) إلى العضلات، عبر الحبل الشوكى الممتد داخل نفق يخترق سلسلة الفقرات.

(مع ملاحظة أن هذه الممرات قد ذكرت بترتيب وضعها فى العنق بدءاً من السطح الأمامى إذا كان العنق قائما وهو نفسه السطح البطنى إذا كان العنق أفقيا).

## نهر يجرى بأسباب البقاء والفناء

هو الدم: ذلك السائل النفيس الذى ينساب فى عروق كل فرد حىّ - إنسانا كان أم حيوانا - ويتغلغل فى أعضائه وأحشائه حاملا معه الأكسجين والغذاء وغيرهما من المواد النافعة، لتأخذ كل خلية ما تحتاج إليه لمزاولة نشاطهما الحيوى، وفى اللحظة ذاتها تلفظ فى تياره ما تولّد فيها - نتيجة لهذا النشاط - من مواد ضارة، فيحملها إلى أعضاء الإخراج لتستخلصها منه وتطرد أولا بأول خارج الجسم.

وفى تيار الدم تسبح ملايين الخلايا التى تقتل الميكروبات الضارة التى قد تتسلل إليه، وتلتهمها وتحلل مادتها.. وهكذا يمكن القول باختصار شديد - أن الدم يغذو كل خلايا الجسم ويرويها ويغسلها ويحميها (مادام متجدد التيار دوّارا فى حنايا جسم حىّ»..

وأن الدم والحياة قرينان متلازمان إن توقف أحدهما توقف الآخر فورا.

وتوقف الدم معناه تراكم المواد الضارة فيه، وموت خلاياه يفسح الساحة للميكروبات كي تغتذي بمادته وخلاياه الميتة وتتكاثر بسرعة فائقة منتجة ملايين متضاعفة تفرز سمومها لتضاف إلى ما في الدم أصلا من سموم داخلية، وبهذا يتحول من نهر يحمل في تياره كل أسباب الحياة إلى مستنقع فاسد يعج بكل أسباب الهلاك (ولعل هذا هو أحد الوجوه الظاهرة لحكمة الإسلام في تحريم الدم والميتة كطعام، وهي قضية تحتاج إلى دراسة مستقلة).

## آيات ورد فيها لفظ «ذبح»

ورد لفظ «ذبح» ومشتقاته في مواضع عديدة من القرآن الكريم نكتفي بإيراد بعضها كأمثلة تعين على فهم مختلف وجوه القضية التي بين أيدينا.

● الآية ٤٩ من سورة البقرة:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾

الذبيح في هذه الآية بشر، والهدف من الذبح هو قطع دابر بني إسرائيل قبل أن يخرج من ذريتهم نبي يهدي آل فرعون إلى الله الواحد فيحرم فرعون من ربوبيته المزعومة.

● الآية ٦٧ من سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾

والذبيح هنا حيوان من الأنعام، ولكن الهدف من الذبح هو اختبار صدق إيمان أتباع موسى وإثباتهم بمعجزة حسية وهي إحياء قتيل بضربه بجزء من بقرة فارقتها الحياة على أيديهم، ليقوم ويدلهم على قاتله (وهذا وارد في الآية ٧٣ من نفس السورة).

● الآية ٢١ من سورة النمل:

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾.

والمستهدف بالذبح هنا نوع من الطير وهو الهدهد، والهدف من الذبح هو عقابه على تهمة ظنّية هي غيابه بدون إذن من مجلس نبي الله سليمان ـ عليه السلام.

● الآية ١٠٢ من سورة الصافات:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾

الذبيح هنا بشر وهو فلذة كبد المأمور بالذبح، والهدف ذو شقين: الأول هو الابتلاء كما هو واضح من الآية ١٠٦:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾، والشق الثاني هو سن القربان كشعيرة إسلامية تبقى لآخر الزمان، وهذا واضح في الآية التالية مباشرة:

﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

○ ولعل هذه الأمثلة القليلة كافية لتوضيح

أن معنى الذبح يشمل اختلاف نوع الذبيحة والهدف من الذبح؛ أما عن الطريقة التي تم بها فليس بين أيدينا ما ينم عنها إلا في الحالة الأخيرة، وذلك ما يشير إليه قوله تعالى في الآية ١٠٣ من نفس السورة:

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾.. التي يقول المفسرون إن الذبيح كان مُكبّاً بوجهه في حجر الذابح حتى لا تلتقي أبصارهما فتأخذ الأب الشفقة بولده فتثنيه عن تنفيذ أمر ربه.

## لفظ «نحر» في القرآن

• لم يرد لفظ «نحر» ومشتقاته في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، وذلك في الآية الثانية من سورة الكوثر حيث يقول سبحانه:

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾.

ولعل هذه الندرة تتفق مع ما يتميز به النحر عن الذبح من وحدة الموضوع ومحدودية الهدف والأسلوب كما قد يتضح من الفقرات التالية.

والنحر - في الأصل - مكان في قمة التجويف الصدري لكل ذي عنق من الفقاريات، وهو ملتقى الترقوتين أسفل الحنجرة بمسافة تتناسب مع طول العنق.. وبتعبير معاصر هو معقد ربطة العنق (الكرافتة) حيث تتكون فجوة يكسوها جلد رقيق يهبط فيها مع الضغط الخفيف فيما يشبه النقرة الصغيرة التي يمكن تحسُّس أبعادها وحدودها، ويسهل النفاذ إليها باختراق الجلد.. وهذه المعلومة قد لاحظها من قديم الزمان رعاة الغنم فاتخذوا هذا الموضع منفذا سهلا للسكين عند ذبح الشاة؛ ومن هنا أطلق العرب لفظ المكان على الفعل نفسه فقالوا: «نحر الشاة نحرا أي ذبحها من نحرها».

● وتأسيساً على ذلك يمكن الاطمئنان إلى القول بأن النحْر هو الخطوة الأولى في عملية الذبح إن استهدفنا إتمام هذه العملية في سهولة على الذابح ورفق بالذبيحة، إذ إن السكين تمر بخفة وسرعة بين الترقوتين. لتشق طريقا ممهدا بين غضاريف القصبة الهوائية والحنجرة، ومع تحريك السكين يمينا وشمالاً تقطع الوريدين العنقيّيْن فيتدفق منهما الدم بقوة الضخ الصادرة من القلب الواقع على هذا السطح من الجسم قريبا من موضع النحر. أما إذا بدأ الذبح من جهة القفا فالسكين تحز في جلد سميك تحته طبقة من اللحم، ثم تصطدم بالهيكل العظمي لإحدى فقرات العنق، فإن تحاشاها الذابح دخلت السكين بين فقرتين لتعالج تمزيق قرص ليفيّ شديد المقاومة.. كل هذا قبل أن تصل السكين إلى الوريدين العنقيّيْن.. وفي هذا ما فيه من عناء وتعذيب للذبيحة.. وحتى في المجازر الآلية حيث تتوفر الأسلحة البتارة (وهذا

شائع في كل البلاد التي لا تدين بالإسلام ) فإن هذه الطريقة تخفق في تحقيق هدف آخر يحرص عليه الإسلام ولا تتحقق إلا بالنحر.. الا وهو « تذكية الذبيحة » وإليكم بيان ذلك.

## النحر ضروري لتذكية لحم الذبيحة

• النسيج العضلي - وهو ما نسمّيه لحما - من أغنى أجزاء الجسم بالشعيرات الدموية، وهذا من متطلبات نشاطه الحركي، ويظل الدم متجددا في أنسجة الجسم مادامت الحياة لأن تياره يظل متدفقا بفعل القوة الدافعة التي هي جماع تضافر عاملين هما: نبض القلب وتقلّص الألياف العضلية، ولكن بعد الذبح يضعف تيار الدم سريعا نتيجة لتلاشي القوة الدافعة، وبهذا يبقى بين الألياف العضلية بعض الدم الذي تحوّل من مادة نافعة إلى مادة ضارة يجب تنقية اللحم منها ليحلّ أكله، وهذا من أركان التذكية المنصوص عليها في الآية الثالثة من سورة المائدة.

• ومن الثابت علميا أن تقلص الألياف العضلية يتم وفقاً لإشارات عصبية واردة من مركز الحركة في الدماغ ( المخ )، تسرى منه عبر الحبل الشوكي الذي ذكرناه ضمن الممرات الحيوية الممتدة في العنق، وأي خدش للحبل الشوكي يؤدي إلى عدم وصول هذه الإشارات إلى الألياف العضلية بالقوة الكافية لحفزها على التقلص.. وهذا أمر لا يمكن تحاشيه لو تم الذبح من القفا حيث يكون الحبل الشوكي أول ما تجزه السكين بعد نفاذها من بين الفقرات.. وبهذا يحتبس الدم الفاسد في العروق وما أكثرها في ثنايا اللحم.

• أما في حالة النحر - أي بدء الذبح من ناحية الصدر - فإن أول ما يقطع بعد الجلد هو الوريدان العنقيان، وبهذا ينبثق أغلب الدم من خلالهما بالقوة الدافعة المذكورة حتى يتخلص الجسم من معظمه، ولكي يتم التخلص من بقاياه في الشعيرات التي تتخلل اللحم على الذابح أن يرفع السكين بمجرد قطع الوريدين، ليظل الحبل الشوكي سليماً وموصلاً جيداً للسيالات العصبية، وبهذا يستمر تقلص الألياف العضلية ( حتى بعد توقف القلب عن النبض )، ويعمل هذا التقلص على « اعتصار » الدم من الشعيرات، وهذا يمكن مشاهدته بعد سلخ الشاة في شكل ارتعاشات يلي الجلد من لحم، وهو في الطيور أكثر وضوحا حيث تظل الدجاجة تقفز عدة مرات إلى أن يموت الدماغ وتتوقف السيالات العصبية المحركة.. وهنا فقط يمكن إكمال الذبح بفصل رأس الذبيحة عن جسمها مع ذكر اسم الله كي تتم تزكيتها بشرع الله ويصبح لحماً حلالاً طيباً.




# بين إعلان حراء وإعلان عرفات

للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى

بدأت الرسالة المحمدية على جبل، وتمت على جبل، فعلى جبل النور حيث غار حراء بمكة المكرمة التقى أمين السماء جبريل ـ عليه السلام ـ وأمين الأرض محمد ﷺ اللقاء الأول ليوحى إليه إرادة الحق ـ عز وجل ـ أن يحمل مشعل الهداية للخلق على حين فترة من الرسل بعد أن حنّ البشر إلى غواياتهم فاستأنفوا أباطيلهم فى القول والفعل، وسدروا فى غيهم يعمهون.

وعلى جبل الرحمة عند الصخرات الكبار فى ساحة عرفات المباركة أثناء الحجة المعروفة بحجة الوداع أو حجة الإسلام، التقى الأمين السماوى مع الأمين المحمدى مرة أخرى ليعلن إليه وإلى بنى الإنسان جميعاً فى كل زمان ومكان أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أكمل للناس دينهم وأتم عليهم نعمته ورضى لهم الإسلام دينا خاتما جامعا لكل خير مانعاً من كل سوء

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(١).

## لماذا الجبل؟

ومما يلفت التأمل هنا أن تبدأ الرسالة الخاتمة على جبل وتكمل على جبل، ولانقول تنتهى، لأن رسالة محمد ﷺ لاتنتهى حتى بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وإنما تستمر وتتواصل على أيدى أمة المسلمين طالما أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، وحتى تستحق هذه الأمة وصف العليم الحكيم

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(٢).

(١) المائدة ـ الآية ٣.

(٢) آل عمران الآية ١١٠.



نقول: إنه مما يلفت التأمل أن الرسالة المحمدية الهادية قد بدأت على جبل وكملت على جبل. فهل حدث هذا - والله بحكمته أعلم - لأن الجبل هو رمز التميز والرفعة والسمو ومن هنا جاءت الإشارة إلى تميز هذه الرسالة ورفعتها وسموها؟.

أم إن هذا يرجع إلى فطرية الجبل ونقاوته وطهارته التي لم يقربها العامل البشري بعد، ومن هنا جاءت الإشارة إلى فطرة هذا الدين النقي الطاهر الذي لا ينبغي أن يتناوله البشر بالتغيير والتبديل:

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾[٣]

حتى ترك النبي ﷺ أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، أم إن هذا يشير إلى صمود الجبال كأوتاد في الأرض:

﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾[٤] تعمل على توازن الأرض واستقرارها مما يوحي بأن الإسلام هو الرسالة الصامدة عبر الزمان والتي تعمل على توازن قوى الإنسان واستقرار المجتمع البشري والتمكين له في الأرض.

وهي على كل حال مسألة مثيرة للتأمل الإيماني شأنها شأن الإعجازات السماوية، والإشارات الإلهية التي لا تعد ولا تحصى، ولا يبلغ التأويل مداها لأنها أمور مرتبطة بالإرادة الإلهية المطلقة اللامحدودة فأنى للفكر البشري النسبي المحدود أن يبلغ مغزاها.. وكيف يحيط العبد القاصر بحكمة الرب القادر؟ وسبحان الله عما يصفون.

## احتفالات تقليدية موسمية ليس إلا

وكلما أقبلت ليلة السابع والعشرين من رمضان في كل عام وهي الليلة المرجحة بليلة القدر، ليلة (إعلان حراء) حيث بداية نزول القرآن الكريم على سيد الخلق عليه الصلاة والسلام. وكذلك كلما أتى موسم الحج رأينا صفحات الكتب والصحف وموجات المذاييع وقنوات التلفازات تزدحم بالأقوال المكررة التي قلما تأتي بجديد أو تجود بمفيد وذلك في احتفالات تقليدية موسمية ليس إلا!!

هذا إلى ابتداع البعض إضافة بعض الأوصاف للحج ومنها (الحج الممتاز) و(الحج السريع)، و(الحج السياحي) تمشيا مع الطفرات الاقتصادية المحمومة لدى البعض الذين يجدون مالا ينفقون، بينما الحج كما قضى الإسلام هو فقط (الحج المبرور) إذ برىء من الرفث والفسوق والجدال.

## أيــن معايشــة الديــن؟

وإذا كان من المطلوب والمرغوب نشر الوعي لدى المسلمين الذين صحت لديهم نية أداء فريضة الحج وشرعوا في أدائها فإن هذا

---

(٣) الروم - الآية ٣٠.

(٤) النبأ - الآية ٧.



لابتسينا أن نحاول معايشة ديننا الحنيف بفكرنا ووجداننا وسلوكنا فى مسيرته المضيئة الباهرة بين موقف ﴿ اقْرَأْ ﴾ وبين موقف ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾، فلكم كانت هذه المسيرة حافلة بالجهاد الأكبر وبالجهاد والأصغر جميعا، وكم كانت غنية بالقيم المثلى، والمثل العليا، وكم كانت زاخرة بالمواقف الرائدة من خيرة الرجال والنساء والولدان، وذلك كله فى إطار البلاغ الذى تحمله محمد ﷺ للعالمين فى صبر واحتمال، وأمانة واقتدار صادعا بما يؤمر طيلة ثلاثة وعشرين عاماً هى طاقة النور الباهر التى لم تزل تشع على الوجود وستظل مادامت السموات والأرض:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٥).

## بين القراءة والاستقراء

وعندما تستشرف أرواحنا الأمر الإلهى ﴿ اقْرَأْ ﴾ فإننا نتذكر اللفظ المشتق من القراءة وهو ( الاستقراء ) الذى يطلق اليوم على المنهج العلمى أو التجريبى حتى سمى هذا المنهج أحيانا ( بالمنهج الاستقرائى ) لأنه يشير إلى فحص الجزئيات ( بالتجربة ) لاستنتاج الكليات ( القوانين ) كما يسير القارئ من الحروف إلى الكلمات ثم إلى العبارات وهكذا.

ولعلنا هنا - والله دائماً أعلم بمراده - نحس بأن ( القراءة ) التى بدأ القرآن الكريم بالحض عليها لايقصد بها فقط عكس ( الأمية الأبجدية )، وإنما هى تتسع لاستقراء الكون والنظر فيه لنفع الإنسان وتعميق الإيمان، وقد تعرضت آيات قرآنية كثيرة لهذا المعنى لدفع الإنسان إلى البحث والتنقيب، حتى لقد كلف بعض العلماء بأن يدعوا دائما إلى ( قراءة الكون ) فى استزادة واعية، واستفادة شافية.

كما توفرت الأحاديث النبوية الشريفة التى تستثير فى عقول المسلمين الرغبة الدافعة إلى طلب العلم ولو فى الصين، ومن المهد إلى اللحد.

ومن هنا لم تكن الدعوة الإسلامية منذ بزوغها على ( غار حراء ) تدعو لتقوقع المسلمين وانطوائهم وبعدهم عن استنطاق الطبيعة والأرض التى جعلها الله ذلولاً للإنسان الذى - هو منذ خلقه - وجد ليكون خليفة فى الأرض يمشى فى مناكبها ويستكنه أسرارها، ويكتشف خباياها.

ومن هنا كان البحث فى مخلوقات الله ضرباً من العبادة وصورة من صور الإيمان، ولهذا نرى أن كثيراً ممن فتح الله عليهم مغاليق المعرفة والعلم من مشاهير العلماء المسلمين الأوائل كانوا يعبدون الله فى أبحاثهم ويتقونه فى اكتشافاتهم

---

(٥) الحجر - الآية ٩.




واختراعاتهم ويرجون من وراء نشاطهم العلمى (الاستقرائى) عفو الله ورضوانه لأنه هو الذى أمرهم بالبحث فى مخلوقاته فأطاعوه فى خشية وامتثال، ولأنهم لم يريدوا أن يكونوا علماء صاروا بفضل الله علماء.

## علماء رواد

ولنا فى سيرة جابر بن حيان صاحب علم الكيمياء وابن سينا صاحب علم الطب، والحسن بن الهيثم صاحب علم البصريات وابن النفيس مكتشف الدورة الدموية بعض مايشفى غلة الراغبين فى معرفة أن العقيدة الصادقة كانت دائما وراء التقدم العلمى عند المسلمين.

حتى إذا اختلطت الأمور بين حركات المستشرقين والمستغربين وجدنا أن هذه المعانى تذهب فى معظمها أدراج الرياح ولاسيما فى المناهج التعليمية أو فى الوسائل الإعلامية والثقافية التى تتحمل مسئولية التثقيف «والتنوير».

## إلى عرفات الله

ولئن عبرنا فى عجالة من بداية الدعوة الإسلامية الرائدة إلى اكتمالها فلننظر بصائرنا دون أبصارنا إلى جوار الصخرات الكبار عند سفح جبل الرحمة فى رحاب عرفات، ولنستمع فى ذلك اليوم (الجمعة) بكل كياناتنا إلى صدى الصوت المحمدى الكريم الذى لاينطق عن الهوى وهو يهيب بالعالمين فى كل زمان ومكان عبر هذه الأفواج السابقة إلى الإسلام والتى كانت هى خط الدفاع الأول عنه والتى تحملت عنا وعن كل الأجيال آلام المعاناة والتضحية بالنفس والمال والولد لتصل إلينا نعمة الإسلام سهلة هنيئة لعلنا نعرف لها قدرها ونحفظ لها دورها فى هداية العالمين.

## الإعلان الحق

عبر هذه الأفواج والآلاف المؤلفة من الصحابة الأبرار يعلن محمد ﷺ أول إعلان

لحقوق الإنسان تدوى أصداؤه فى كل الوجود كى يتدبر الناس ويعملوا الخير الانسانية جميعاً، وذلك قبل أن يدعى المدعون « وضع » حقوق الإنسان التى كثيراً ما خضعت للتغيير والتبديل وفق الاهواء والاغراض حتى صارت « حقوقهم » حقوقاً وغنماً للاقوياء، وواجبات وغرماً على الضعفاء والمستضعفين، ولك ان تصنف مسلمى هذا العصر ضمن اى الفريقين وفق ما ينطق به الواقع المرير.

وتتناقل أجواء عرفات بنود الإعلان « الابدى » وليس مجرد « العالمى » لحقوق الإنسان الذى يعلنه محمد ﷺ للبشر كافة بقوله: « أيها الناس » وليس « أيها المسلمون »، وما أعظم هذا الدين الحنيف الذى يخاطب الناس جميعاً دون تفرقة فى الحقوق بين إنسان وآخر.

ثم يستهل الصادق الأمين بيانه بالتأكيد على حرمة الدم الإنسانى ومال الغير وعلى ان الأمانة ينبغى ان تؤدى إلى اهلها وأن ربا الجاهلية ودم الجاهلية، كل هذا موضوع وتتجلى الأسوة المحمدية الحسنة هنا فى التنبية إلى ان ربا « العباس » عم محمد أول ما يوضع من الربا وأن دم عامر بن ربيعة بن الحارث « بن عبدالمطلب » أول ما يوضع من الدم.. فلا قرابة ولا « محسوبية » فى الحق.. ثم ينص الإعلان المحمدى على ان المزايا الطبقية مرفوضة حين يقول: « وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ».

وإعلان عرفات يقدر الوقت وينظم علاقات الناس من خلاله، فيحرم النسىء. ويقرر ما جاء فى كتاب الله ـ عز وجل ـ:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾(٦).

ويفسر الرسول ﷺ هذه الأشهر الحرم بأنها ثلاثة متواليات وواحد فرد: « ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جماد وشعبان ».

## المرأة بلا مزايدات

وحاشا لنبى البشرية الا يذكر المرأة وخاصة حريتها بوجهيها: الحقوق والواجبات.. وهى الحرية التى عبث بها العابثون وأكثروا حولها المزايدات والمناقصات.. فلله درك يا محمد عندما تعلن فى عدالة ووضوح « أيها الناس، إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حقاً » ثم يحدد الالتزامات الأخلاقية التى ينبغى أن يلتزم بها الرجال والنساء فى علاقاتهم الزوجية.

ويؤكد (إعلان عرفات) بعد ذلك على ان هذه الحقوق الإنسانية جميعها تنبع من الإيمان بإله واحد، وان الجميع أمام الله سواء

(٦) التوبة ـ الآية ٣٦.

أكرمهم عند الله أتقاهم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى.

وغير هذا وذاك من النصوص التي ينبغي أن تنشر على الناس في هذا الزمان الذي نسي الإنسان فيه نفسه وغفل عن الدور المنوط به في الحياة.

وحبذا لو أدرجت هذه المعاني السامية والهادفة ضمن النصوص المدرسية والجامعية، وخصصت لها الدراسات اللائقة التي تضيء أمام الإنسان المعاصر طريق الفلاح والرشاد في حركة الحياة.

**أما بعد:**

فالحديث عن ليلة القدر ينبغي أن يرصع بالإيحاءات الإيمانية والعلمية التي توحيها الآية الكريمة ﴿ اقْرَأْ ﴾ كما أن الحديث عن الحج ينبغي أن يتحلى بالمعاني التي جاءت في حجة الوداع حيث أحس النبي ﷺ بأنها قد تكون آخر ملتقى له مع الناس في عرفات (أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا (والبلد هنا مكة المكرمة) .. ومعنى هذا أن ماذكر محمد في هذا اللقاء هو خلاصة التجربة، وعصارة الرحيق، وجوهر الحكمة في الوحي والإلهام.

وماكان أحرص النبي ﷺ أثناء إلقائه بيانه الهادي الخاتم على أن يشهد ربه مراراً بين فقرات هذا البيان على أنه قد بلغ ما أمره الله به فيكرر ﷺ طيلة الخطبة (ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد) راجياً أن يكون قد بلغ رسالة ربه استجابة لقوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾[7].

وعندما أجاب الحجيج (نعم) قال ﷺ: (فليبلغ الشاهد الغائب).

وفي هذه العبارة الأخيرة تقع مسئوليتنا ومسئولية الأجيال المسلمة القادمة جميعاً في تلقي هذه التعليمات المحمدية وفي تبليغها للآخرين.

ولما كان دور محمد ﷺ محدداً بأن يكون الأسوة الحسنة للبشر جميعاً منذ ولادته حتى اختاره الله ـ عز وجل ـ إلى جواره فقد شاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ ألا يحج إلا مرة واحدة يبين للناس فيها مناسك الحج (خذوا عني مناسككم) لكي نعلم نحن أن حجة واحدة نقية خالصة كافية لأداء الفريضة.

فلله ما أحوجنا – مسلمي هذا العصر وكل عصر – إلى التأمل العميق والعمل الجاد الدءوب وفق ما تلقينا من مسيرة الهدى منذ (إعلان حراء) حتى (إعلان عرفات).

والله – من قبل ومن بعد – ولي التوفيق.

---

(٧) المائدة – الآية ٦٧.

# الجبل

في مكة.. كانت الرحلة بلا غيوم
والراسيات تعانق أحلام النجوم
ومن شرايين الصخر تتفجر أنهار الضياء

للأستاذ الدكتور/ صابر عبد الدايم يونس (*)

أنّى أسير يضمنى الجبلُ ** فكأننى فى الصخر أرتحلُ
من كل زاوية .. ملامحُه ** تبدو ... وفى الأجواء تنتقلُ
فكأنه عينُ الوجود .. إلى ** قلب الخفايا لمحُها يصلُ
حمل العصورَ الشمَّ كاهلُهُ ** وهو الفتيُّ .. وليس يكتهلُ
متجهمٌ .. جرداءُ قمتُه ** لكنه بالخير يشتعلُ

(*) وكيل كلية اللغة العربية بالزقازيق وعضو مجلس إدارة اتحاد كتاب مصر.




مُدَّتْ إلى الغيمات راحتُه ** فإذا بجُرح الكون يندملُ
وإذا العوالمُ من بُحَيْرته ** يَسْتَقون فيْضَ العزِّ إذْ نهلوا
قدمُ الرضيع تهز جَبْهتَهُ ** فإذا به للطفل ... يمتثلُ
وإذا بعين الحُبِّ مشرقةٌ ** والأم يهجر قلبَها الوجَلُ
وإذا الطيور على مباسمها ** تضْوى الأغانى وهيَ ترتجلُ
وإذا الوجود الطفل تحضنه ** أم القرى .. ويكبِّرُ الجبلُ
أنشودة التوحيد منطقُه ** وعليه من لألائها حُللُ
دعواتُ إبراهيم صاعدةٌ ** فإذا الصَّحارى وجْهُها خضِلُ
وحراءُ نبعٌ فى تماوجه ** الأرض بالعلياء تتَّصلُ
صخرٌ ومنه تفجرت شهب ** ولها بكل منارة شُعَلُ!!!
إقرأ .. تعالى الله قائلها ** فإذا الجبال الصمُّ تبْتهلُ
وكأنَّ زمزمَ منهُ قدْ سُقِيَتْ ** والعالمون ليسرْها ارْتحلوا
فهْى الأمان لأمَّةٍ غرقت ** ولكل مَنْ ضاقتْ به السُّبلُ
والأمَّةُ الحَيْرى .. ممزَّقةٌ ** تسْعى .. ولكنْ سَعْيُها فشَلُ!!!
لم تصْفُ أنهارُ الحياة بها ** فحقولها يَنْمو بها الكللُ!!!
ما شادهُ الأمجاد قدْ وأدتْ ** وبدتْ كأنَّ جديدَها طللُ
جيلان تسعى الدَّهرَ بينهما ** لم تدرِ .. كيف السَّعْىُ والعملُ!!!
والأمنياتُ إلى منىً سبقتْ ** والقلب تسبق نبْضَه المقَلُ
فهنا الجبال تخلَّقتْ شرراً ** فهل الرُّماةُ فسادُهُمْ قتلوا؟!!!





هل يرجـــمـــون الإثم في زمنٍ ∘∘ الآثمـــون به .. همُ المثلُ؟!!!
أم يرجـــمـــون الكفـــر في زمنٍ ∘∘ الكافـــرون: سيـــوفـــهم صقلوا؟!!!
أم يرجـــمـــون الخلف بينهمُ ∘∘ وقلوبُهُمْ .. تغلي .. وتقـــتـــتلُ!!!
صاروا قـــبـــائل مـــا وعتْ نـــبـــأ ∘∘ بدم الشـــهـــيـــد تظلّ تغتـــســـلُ!!!
هذي حـــدودُهمُ .. قـــد اشـــتـــعلتْ ∘∘ والنار شـــيـــطان له جـــبلُ!!!
هل يرجـــمـــون الجـــوع في غدهم؟ ∘∘ والســـارقـــون لكنزهم وصلوا!!!
أم يرجـــمـــون الحـــقـــد بينهمُ؟ ∘∘ والحـــاقـــدون بذاتهم دخلوا!!!
أم يرجـــمـــون الجـــدب في زمنٍ؟ ∘∘ المجـــدبون همُ .. وقـــدْ كـــســـلوا!!!
لم يقطفـــوا الأســـرار إذْ بزغتْ ∘∘ توحي إلـــيـــهـــمْ ... أنهم رَحَلُ
عَـــرَفـــاتُ .. عـــرّفـــهمْ مـــســـالكهمْ ∘∘ فـــالكل .. قلب صـــارمٌ .. وَجِلُ
رحمُ الوجـــود هنا .. قـــد التقتْ ∘∘ والرحـــمـــة الكبـــرى هنا جَبَلُ
وهنا خطى المختـــار قـــد خطرتْ ∘∘ فـــاخـــضـــرّ في أرواحنا الأملُ
وهجُ الوداع .. حـــروفـــه ألقُ ∘∘ أحـــيـــا الوجـــودَ .. فـــمـــا به عللُ
من كل فجٍّ أقـــبـــلتْ زُمَـــرٌ ∘∘ وقلوبـــهـــا .. للّه تمـــتـــثلُ
لبّتْ نداء الحق ضـــارعـــةً ∘∘ فـــســـمت وعنهـــا قـــدْ نأى الزللُ
الطائفـــون .. الراكـــعـــون همُ ∘∘ لم ينشـــغلوا بغـــيـــر الله قـــد شـــغلوا
ألقـــوا بظلّ البـــيـــت أمنَهمُ ∘∘ فـــســـقـــتْـــه من أشـــواقـــهم قُبَلُ
وإذا الوجـــود الطفل تحـــضنُه ∘∘ أمُّ القـــرى .. ويُكـــبّـــر الجـــبلُ
أنشـــودة التـــوحـــيـــد منطقـــهُ ∘∘ وعليـــه من لألائهـــا حُلَلُ




# حوار الحضارات

تأليف
رجاء جارودى

تعريب
د. عادل العوا

٢

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين


رجاء جارودى

**استطاع المفكر والفيلسوف رجاء جارودى - من فوق الأعراف بين الشرق والغرب - أن يبصر واقع الغرب فى غروره، وافتتانه بقوته العسكرية والاقتصادية، وأن يوجه صيحته الموقظة الناصحة إلى الغربيين من أبناء أمته، ليطلعهم على هذا الواقع المشين، ويبين له ماحصله من سياحاته البحثية فوق ذرى العالم؛ من أن منابع الغرب ( الإغريقية، والرومانية والمسيحية ) إنما ولدت فى آسيا وافريقية، وأن عصر النهضة الأوروبية قد هدم حضارات أسمى من حضارات الغرب باعتبار علاقات الإنسان بالطبيعة وبالمجتمع وبالله. وأن الغربيين لذلك يعيشون فى وهم كاذب، مفاده، أن الغرب بدء مطلق، بعد أن شوهوا ما استمدوه من الشرق.**

كما يبين للغربيين - من الأحداث الواقعية - أن عدم إمكان حوار حقيقى بين حضارة الغرب الحديثة وحضارات العالم الثالث يرجع إلى أن نمو الغرب يقوم على نهب ثروات ( آسيا - وافريقيا، وامريكا اللاتينية )، وإلى حرص الغربيين على جعل العالم الثالث متخلفا.

ويوضح لهم أن الغربيين - بتلك المواقف المتعصبة - قد أضاعوا فرصا كثيرة كانت كفيلة بإقبالهم مبكراً على التحاور البناء مع تلك الحضارات الإنسانية السابقة، وبالتالى .. كانت كفيلة بأن تكلل الجهود بالنجاح فى الوصول إلى حضارة عصرية إنسانية.

فالغربيون المعاصرون - باعتمادهم على المصادر التاريخية المزيفة - هم الذين رفضوا التحاور البناء مع الحضارات الشرقية اغتراراً بأنفسهم، واستسلاما لمقررات وهمية - كما كان عليه حال أسلافهم - فرضت عليهم هذا الجهل الفتاك الذى استبد بهم كما استبد بآبائهم من قبل على مدى هذه القرون الممتدة.

ويلفت الأنظار إلى مايوحى بالتفاؤل فى سلوك بعض الغربيين وتفكيرهم، حيث أخذ بعض الفلاسفة والمفكرين والفنانين ينفتحون على العالم غير الغربى منذ القرن الثامن عشر.

## فى الطريق إلى اللقاء الجديد

وفى الفصل الخامس من الكتاب ( المشروع الكونى ) يذكر المؤلف أن اللقاء الجاد المثمر بين الحضارات يحتاج إلى الوقوف على شروطه، ووسائل تيسيره، والفوائد الإنسانية المرتقبة من وراء تحققه.

ويذكر أن الوقوف على هذا وذاك يتطلب منا أن نتأمل اللقاءات السابقة المختلفة بين الحضارات؛ كى نستمد منها هذا الزاد الحاضر.

وفى هذه السياحة التأملية جاب مواطن الحضارة فى أفريقية، وفى الهند، وأمريكا اللاتينية، والصين، مقررا: انه لا توجد حضارة منعزلة فى جزيرة، وان الحضارة منذ أولى

خطواتها تتألف من شبكة انتشار كلي، وأن حوار حضارات حقيقيا قد يساعد على تحقيق الوعد بوحدة الإنسان، وهو كائن يولد دوما، وينمو دائما في ماضيه وفي مستقبله.

ومقرراً: أن الحوار بين طرفين يفترض أن يكون كل طرف مقتنعا بأن ثمة شيئا يتعلمه من الطرف الآخر، وأن مجتمع اللاعنف لا يمكن أن يقام بالعنف.

وفي ظل هذه المقررات رأى أن شروط إمكان هذا اللقاء الجاد المثمر بين الحضارات تجمل في أربعة شروط هي:

١ـ إبراز النقاط التي يتقارب فيها الطرفان: لأن كل تفجير ثقافي لابد من أن يسبق بتعبئة، أي بتقارب الروافد الثقافية المتعددة في نقطة متميزة.

٢ـ التجرد من سيطرة (الأنا) حتى تخلص الرؤية من آثار المصائب العظمى التي أصيب بها التاريخ المكتوب، لأن من كتب هذا التاريخ إنما هم المنتصرون الذين أرادوا دائما البرهان على أن سيطرتهم واستبدادهم بالآخر كان ضرورة تاريخية، فرضها تفوقهم الثقافي والحضاري؛ إذ التفوق التقني والعسكري الذي تمكنوا به من السيطرة والاستبداد لم يكن ينطوي ـ في أغلب الأحيان ـ على تفوق الثقافة، ولا على مشروع إنساني يحلم به المنتصرون، بل إن الغزوات الكبرى التي قامت بها أوروبا في أفريقية وآسيا لم تكن إلا وسائل هدم وتخريب للقيم الثقافية العليا.

٣ـ انتزاع جبرية التاريخ، على معنى: أن اللقاء بين الحضارات لايكون جاداً مثمراً في ظل تاريخ مزيف لتبرير سلوك أحد الطرفين؛ فلابد لنا من أن نبحث عن الأبعاد التي فقدها الإنسان خلال فرص التاريخ المفقودة لنعيد غزوها؛ إذ التاريخ الشامل الخالي من الزيف لايمكن أن يكون إلا تاريخ الإمكانات البشرية، تنعكس على صفحته كل الآثار الإنسانية العظيمة، فكل أثر إنساني عظيم أيا كان ميدانه لم يكن البتة مجرد انعكاس واقع، بل إنه أنموذج ـ أو مشروع ـ لعالم ينبغي تحويله كي يخلق نظاماً لما يوجد بعد.

٤ـ اعتبار التاريخ سلسلة من الحوادث متواصلة نامية، وليس سلسلة حوادث وحيدة البعد، مترابطة بحتمية قدر قاهر، فلابد من أن تمثّل قراءة التاريخ في اعتباره لانهاية إمكانات ذاخرة ومترعمة.

أي إن الحوار الحقيقي بين الحضارات لايصح إلا إذا اعتبرت الإنسان الآخر، والثقافة الأخرى جزءا من ذاتي، يعمر كياني، ويكشف لي عما يعوزني؛ إذ الإنسان لايحل المشكلات التي يضطلع بمسئوليتها إلا بلقاء جديد، وبحوار مع ضروب الحكمة والتمرد القائمة في آسيا وأفريقية والبلدان الإسلامية، وأميريكا اللاتينية، فبذلك النهج وحده يمكننا التوصل إلى أن نتصور علاقات جديدة بين البشر والطبيعة، ونحيا هذه العلاقات، بدلاً من قيام العلاقات على أساس التفوق التقني، ومايستتبعه من غزو تسلطي.

## الوسائل التي تقود إلى الحوار مع الآخر

وأما وسائل تيسير هذا اللقاء فيجملها المؤلف في ثلاث وسائل هي:

١ـ الإيمان بأن دراسة الحضارات اللاغربية ذات أهمية تعادل دراسة الثقافة الغربية على أقل تقدير؛ إذ لايستطيع الإنسان أن يتخصص في

ميدان إذا كان قد أوقف نفسه على دراسته في بقعة دون أخرى.

وقدم المؤلف نفسه مثلا يوضح ذلك، فقد حاز درجة التخرج في الفلسفة، واجتاز جميع الامتحانات، دون أن يعرف كلمة واحدة عن فلسفة الهند، والصين والإسلام، وماكان ذلك إلا لأن الباحثين الغربيين فهموا الفلسفة على أنها فلسفة الغرب وحده، واعتبروها بحثاً فكرياً محضاً، بدلا من أن يفهموها على أنها طراز حياة.

وكان من ثمار ذلك النهج الحصرى: أن أصبح غير المتخصصين فى دراسة الفلسفة الشرقية يجهلون جهلاً مطبقا كل ما يتصل بالثقافة اللاغربية.

٢ـ أن يشغل مبحث الجمال فى الدراسة منزلة تعادل فى أهميتها ـ على الأقل ـ أهمية تعليم العلوم والتقنيات.

٣ـ أن يكون الاهتمام بالنظر إلى المستقبل، والتفكير فى الغايات والأهداف مماثلا للاهتمام بالتاريخ.

ويذكر المؤلف أن هذه التغيرات الثلاثة تغيرات أساسية ينبغى أن تسود المنظومة التربوية فى الغرب، فلا تقتصر على الأطفال وحدهم، بل ينبغى كذلك أن يوجه فى شكل تربية مستمرة إلى الجماهير فى جملتها، فإذا أقيم معرض مثلا وجب أن تنال المعروضات منازل متعادلة، بدلا مما هو حادث الآن، حيث يتمتع المعروض الغربى دائما بمنزلة أساسية، إن لم نقل وحيدة، على معنى: أن المعرض إذا ضم مائة أثر تمثل مائة وجه من وجوه البشر والآلهة، وجب أن لا يشتمل هذا المعرض على أكثر من عشرين أثرا من أصل غربى، وذلك احتراماً لمنظور ثلاثة آلاف سنة من التاريخ.

فمثل هذا السلوك جدير بأن يعيد الاتصال بين الشعوب وبين ثقافتها الخاصة التى فصلت عنها، ونهبت منها.

## الثمار المأمولة من هذا اللقاء

ويذكر المؤلف أن الأوروبيين إذا ما وفروا هذه الشروط، وأخذوا أنفسهم بتلك الوسائل، أصبح فى وسعهم الحصول على النتائج التالية:

١ـ إسباغ النسبة على المفهوم الغربى، لأن هذا الحوار الجديد للحضارات سوف يتيح نزع صفة الجبرية عن المستقبل، ويتيح التدرب على تصور إمكانات أخرى وتحقيقها، ويتيح العثور من جديد على توازن مع الطبيعة.

وبالتالى.. فإن هذا التحول الفكرى يقود إلى عدد من التحولات الاجتماعية، يتحقق معها إخراج الإنسان من حبس نفسه فى مشاغله اليومية.

٢ـ تحويل نظرة الغربيين إلى العالم من تركزها حول (أنا) الصغيرة؛ فالحضارات اللا غربية تعلم الغربيين بادىء ذى بدء أن الفرد ليس مركز كل شىء، كما تعلمهم أن فضلها الأعظم يرجع إلى أنها تجعل الإنسان يكتشف (الآخر)، دون فكرة ميتة تضمر التنافس والسيطرة.

فالغربيون لا يتصورون علاقات الناس بعضهم ببعض إلا فى شكل تدب للسلطة، وهذا ما أطلق عليه (روسو) سلفا فى (العقد الاجتماعى): اسم الانخلاع؛ ولذلك كان مهما للغاية أن يتعلم الغربيون من الحضارات الأخرى المعنى الحقيقى لعلاقة المشاركة الإنسانية، من كل ما يستتبع الانتقال من ديمقراطية تمثيلية إلى ديمقراطية المشاركة التى تستند إلى أساس التدب للسلطة،

بل إلى الإسهام في جميع المستويات.

٣ـ تحديد الغربيين غايات أعمالهم، وذلك بالتخلص من الوثوقية التي تقود إلى تصلب العلم، وفقدان الإحساس الإنساني، والغائية الإنسانية، فهذا الضرب من التفكير يتيح للغربيين الانفتاح على المستقبل، بترجيح كفة بروز الإنسان من الناحية الشعرية، فالمستقبل غير معنى إلا بقدر مايكون إبداعاً حقيقيا.

فهذه النظرة إلى السمة الوحيدة الجانب، الوحيدة البعد، في مفهوم الغربيين عن الإنسان، وعن الثقافة ستتيح لهم أن يفهموا أولا مختلف ارتكاسات اللاغربيين حيال الغربيين.

## ردُّ الفعل المواجه للغطرسة الغربية

ويستعرض المؤلف رد الفعل في المجتمعات غير الغربية، الرافض لمايقدمه الغربيون باسم الحضارة، فيقدم في هذا الاستعراض خمسة أنماط من الارتكاسات الرئيسية على التحدى الأوروبي:

١ـ أما الارتكاسة الأولى فتتمثل في سعى اليابانيين جهد المستطاع لفصل المعارف التقنية عن القيم الثقافية، والرهان على نقل التقنيات الأوروبية لدعم القيم المحلية.

وكان نتائج هذه الزيادة إقامة رأسمالية جشعة جشعاً عظيماً، يسندها تسلسل اجتماعي، وعلاقات إنتاج موروثة مباشرة عن الإقطاع ومسيرة اليابان في درب الامبريالية. وعلى هذا النحو وضعت أحدث تقنيات الحرب والإنتاج في اليابان في خدمة عقائدية تقليدية محافظة.

٢ـ وتبدو الارتكاسة الثانية في موقف أميريكا اللاتينية، حيث انصرفت البرجوازيات المحلية عن تقنيات الإنتاج الحديثة، ولم يتم دخولها إلا عن طريق الرأسمال الأجنبي. وفي المقابل: حاولت منافسة أوروبا على الصعيد الثقافي بقبول قيمها وأذواقها وأزيائها؛ فتعلقت بالاستهلاك أكثر من تعلقها بالإنتاج.

ومن هنا.. تولدت الصعوبات التي تعانيها اليوم الشعوب اللاتينية الأوروبية، حين حاولت تقليص هذه التبعية الخارجية، وقد نجم عن تحرير العقول على هذا النحو فساد الضعفاء، وتمرد الأقوياء، حتى ارتدى ارتكاس التمرد أشكالا متنوعة.

٣ـ وتبدو الارتكاسة الثالثة في التوجه إلى تمجيد القيم التقليدية بحسبانها تحمل الحل، في مواجهة التنكر الأوروبي للقيم الإفريقية، والهندية، على الرغم من أن ذلك لايقدم خلاصا من مشكلة الحيرة، أمام الإفادة من القيم الأوروبية، على نحو ما يعلنه تيار الدعوة الزنجية من الحنين إلى الماضي التقليدي، ومايحدث في الهند كذلك.

٤ ـ وتبدو الارتكاسة الرابعة في عدم الاقتصار الأفريقي على تمجيد الماضي، بل في تجاوز ذلك إلى الرفض القطعي للحضارة الأوروبية الذى يدفع إليه السلوك الاستعماري السيء ويغذيه بما يتضمنه من سخرة وإذلال ونهب، واغتصاب، واحتقار، وعجرفة، وتبجح، وغلظة تجعل من المستعمر شرطيا يحرس محكوما عليه بالأشغال الشاقة، وتجعل من المستعمَر أدوات مسخرة للإنتاج.

٥ـ وتبدو الارتكاسة الخامسة في انتهاء غير الغربيين إلى وضع أكثر إرهاقا من موقف العداء، الخالص للتراث الأوروبي.

## غير الغربيين على طريق الحوار الجاد

وفى مواجهة هذا الصلف الغربي، وماتنتج عنه من أوهام غربية كاذبة، قدم المؤلف بعض النماذج التطبيقية غير الغربية التي حاول بها طائفة من غير الغربيين أن يقدموا شكلا حيوياً، يعتمد على تقدير الآخر، والتحاور معه، والإفادة منه في محاولة للجمع بين ماهو غير غربي وماهو غربي.

١ـ فقدم من غرب إفريقية المحاولة التي جاء بها الإفريقي ( بوبوهاما ) في كتابه ( تأخر إفريقية ) المنشور سنة ١٩٧٢، حيث لاحظ أن الناس يعرفون الآن إنسانين: أحدهما روحي ـ هو إنسان الهند القديمة ـ والآخر مادي : وهو إنسان الحضارة التقنية الغربية.

ثم تساءل ( بوبوهاما ) عن إمكان تحقيق تركيب يؤلف هذا التداول للمادة مع ثقافة الروح. وخلص إلى دعم محاولته بإبراز الآثار السيئة التي تصيب الإنسان من جراء الاستمرار الهندي على إغفال المادة، والاستمرار الغربي على تجاهل الروح؛ مقرراً: أن الثقافة الغربية القائمة على أساس وحيد من العلم والتقنية قد عكفت على حاجة معينة واحدة من حاجات الإنسان؛ فتوغل بالإنسان في درب تقني مسدود. كما إن الهند قد نالت تقدما روحيا إنسانيا سابقها ـ كذلك ـ إلى درب مسدود في مجال الفكر. وأن علينا أن نعمد إلى التفكير في مصيرنا الإنساني العالمي، وذلك إذا قدرنا في آن واحد ماتسهم فيه الهند القديمة والغرب الصناعي.

فالهند القديمة والغرب الصناعي يمثلان نجاحين حققهما الإنسان في دربين مختلفين، ولكنهما إنجازان جزئيان للإنسان.

وفي مكنتنا تصور معونة لاتكون وحيدة الاتجاه، حيث يستطيع الشرق أن يسهم في تقديم معنى عن الإنسان، وهو المعنى الذى يفتقر إليه الغرب اليوم افتقاراً رهيباً؛ ففى التأليف بين جميع طاقات الفكر والمادة وعد الإنسان الشامل.

٢ـ وقدم المؤلف من شرق إفريقية نموذجاً إفريقياً آخر لمحاولة التركيب والجمع بين الإنسانين، قدمه ( يوليوس نيريري ) وترجمت إلى ممارسة سياسية في هيئة اشتراكية ( الجماعية ) في تنزانيا، التي تتوخى منح المجتمع والإنسان وجها جديداً بابتكار اشتراكية إفريقية نوعية، تقوم على أساس أن ملكية الأرض هي ملكية مشتركة، وليست مثل الاشتراكية الأوروبية المولودة من ثورة زراعية تعارض فيها مالكو الأرض مع غير مالكيها، ومن ثورة صناعية تعارض فيها الرأسماليون والبروليتاريون.

ويدعو ( نيريري ) إلى رفض الاشتراكية الأوروبية التي جلبها الاستعمار معه لدمج إفريقية في سوق الرأسمالية العالمية، لأن المجتمع الإفريقي لم يعرف الإقطاع ولا الرأسمالية، قبل مجيء الأوروبيين، ولذلك قامت هذه الاشتراكية الأفريقية، على مبادىء ثلاثة هي :

أ ) الاحترام المتبادل ـ بخلاف الفردية الأوروبية ـ فيجب أن يعي كل امرىء أنه جزء من الآخر.

ب ) الاشتراك في ملكية جميع الخيرات الحيوية، بحيث يوزع محصوله بالجهود المبذولة بحسب عرف يقره الجميع، إذ لايمكن أن يبقى إنسان جائعاً إذا كان الآخر متخما.

جـ) وجوب العمل على الجميع.

وفى سبيل نيريرى لتوضيح هذه الاشتراكية (الجماعية) يذكر أن الخطأ الأساسي الموروث عن الاستعمار، هو اعتبار التعليم الابتدائى إعدادا للتعليم الثانوى الذى يقود بدوره إلى طبقية تحسب فى ظلها من ينتقلون إلى التعليم الثانوى أنهم يستحقون أجوراً أعلى ومناصب قيادية، ويرفضون الرجوع للعمل فى الريف. كما أنه من الخطأ الظن أن كل معرفة تنال بواسطة الكتب المدرسية، ولاتنال عن طريق الحياة، وممارسة العمل فليست المسألة مسألة امتحانات تنسج على منوال وأنموذج دوليين لاصلة لهما بحاجات البلد.

٣ـ وقدم المؤلف من شمال إفريقية نموذجاً إفريقيا ثالثاً يتمثل فى ميثاق الجزائر سنة ١٩٦٤ الملتزم بالإسلام، حيث أعلن: أنه يترتب على الثورة الجزائرية أن تعيد إلى الإسلام وجهه الحقيقى؛ وجهه التقدمي؛ «فمن الجلى أن الإسلام يمثل حصنا من أمنع الحصون ضد جميع محاولات سلخ الشخصية» وفى وسع المسلم أن يمضى نحو الاشتراكية على غير الدروب الغربية، كما نرى فى فريضة الزكاة التى تتيح إعادة توزيع الثروات، وتؤلف شكلاً إسلاميا نوعيا للاقتسام.

٤ـ وقدم المؤلف من الهند النموذج الذى قدمه (غاندى) فى (ساتيا غراها) التى تعني: التعلق بالحقيقة، حيث رفض النموذج الأوروبى الاستعمارى الذى يدعو إلى الانتقال من سياسة دون إله، إلى سياسة دون إنسان، سواء كان ذلك تحت عنوان (علم السياسة) البرجوازى، أو كان باسم (الاشتراكية العلمية) ودعا الى دمج معنى الاستقلال الذاتي، ومعنى مسئولية الشخص البشرى فى منظور أوسع، صادر عن التقليد الشرقى للإحساس الجماعى، وللعلاقة بين الأشخاص؛ مقرراً أن الحرية الفردية وحدها تستطيع أن تجعل الإنسان قادراً على الانصراف إلى خدمة المجتمع انصرافاً كليا.

فمن يمارس (ساتيا غراها) لاينحدر بمطلبه الرفيع إلى ترك الحل التوفيقى ابدا، وهذا يدعو بدوره إلى (الاعنف) حين لايكون هناك خوف، أولا يترتب عليه جبن، أى أنها تدعو إلى مبدأ (لاعنف) الأقوياء الذى ينطوى على شكل العلاقات الإنسانية، فالعنف المرفوض هو استخدام قوة فيزيائية لإبادة العدو أو لإلزامه ـ على الأقل ـ بأن يعمل على غير مايريد، وبخلاف حكمه وحقيقته.

ويتوج غاندى نموذجه ذلك بقوله: «إن الإنسان يجهل كل شيء فى الدين إذا لم ير بينه وبين السياسة أية علاقة.. وليس فى وسعى أن أحيا حياة دينية دون أن تطابق هويتى كل المطابقة هوية الإنسانية بأسرها، وهذا يتعذر دون الإسهام فى الحياة السياسية.. إننى واثق بأن الله واحد فقط.. وأنه الحقيقى وحده.. وأن الإنسانية تؤلف كلا واحدا، وأن لها بالرغم من تعدد الأجساد روحا واحدة.. ونحن قد أقمنا ملكوت الله فى السياسة أيضا».

هـ كما عرض للنموذج التربوى الذى قدمه (باولو فريرى) البرازيلى، قاصداً بها محو الأمية، والتعليم لإيقاظ الشعور الانتقادى والنضالى فى نفوس الجماهير، فقوام التوعية عنده تمثل فى إدراك التناقضات السياسية والاقتصادية، والوقوف فى وجه عناصر الاضطهاد الموجودة فى الواقع، لأن الثقافة ليست ترفاً ولامجرد متعة جمالية، بل هى جملة الحلول التى ردها الإنسان للمشكلات التى

تطرحها عليه بيئته الثقافية والاجتماعية، ولكن الأمور تجرى في الغرب اليوم كما لو أن التقنية تحل محل الثقافة لحل مشكلات الإنسان.

وعرض للنموذج اللاهوتي الجديد الذى قدمه ( الأب كوتيرز ) من ( بيرو )، والذى لا يكتفى بأن يكون اللاهوت حكمة ومعرفة عقلية، بل تفكيراً فى ضوء الإيمان يتناول الممارسة التاريخية لرجال ونساء انخرطوا في النضال، فيقلب بذلك المسيرة التقليدية رأسا على عقب.

وعلى هذا النحو نجد الإيمان والعمل السياسى يتفاعلان تفاعلا خصباً فى خلق مجتمع جديد وإنسان جديد، يصنع قدره الخاص، على خلاف ضروب اللاهوت الأمريكية القائلة ( بموت الله ).

ثم عرض للنموذج الذى قدمته الثورة الثقافية في الصين المعلن عنها بشعار: ( محاصرة المدينة بالريف ) لمجابهة تراث ثلاثي مشئوم كانت تخضع له الصين، هو: التراث التقليدى المأثور عن البيروقراطيات، والتراث الرأسمالى الذى أدخل أول ما أدخل إلى المدن الساحلية، ثم انتشر فى الصين، والتراث التحريفي الذى يفرض اشتراكية غربية بصورة نمطية، هدفها اللحاق بالرأسمالية وتجاوزها.

## الحـــوار المنشـــود

وفى الخاتمة ( الحلف الثالث ) ذكر المؤلف أنه لايدعى ـ بما قدمه ـ الإجابة عن جميع المشكلات التى طرحتها الهيمنة الغربية خلال خمسمائة عام، ولكنه اقتصر على إبراز مدى مايستطيع أن يحققه بحث لايستند إلى الهيمنة، بل يستند إلى النظر نظرة سيمفونية إلى الثقافة.

وقرر: أن المشكلة هى مشكلة إحداث تغيير جذرى فى الأنموذج الغربى لعلاقة الغربيين بالطبيعة بفضل حكمة الصين، وأفريقية، والهند، والإسلام؛ فهى مشكلة إقامة توازن فى مفهوم الغربيين ذى النزعة التقنية بالإفادة من تجربة حية.

فحوار الحضارات الملمح إليه يكافح عزلة ( الأنا ) الغربية الصغيرة المتبجحة، ويبرز واقع ( الأنا ) الحقيقى الذى هو بالدرجة الأولى علاقة بالآخر، وعلاقة بالكل، وهو يعلمنا أن لانتصور المستقبل فى شكل إيمان ساذج بالتقدم، ولا فى صورة فيض من إنجاز مشاريعنا إنجازا تقنيا.

وحوار الحضارات هذا يساعدنا بذلك على أن ننفتح ـ فى الصعيد الثقافى ـ على آفاق لانهاية لها فى المنظور الذى توحى به فى جميع المجالات أحدث تجددات الثقافة الغربية.

فهو حوار يعلمنا من جديد حرية جديدة، لاتتحقق إلا مع الآخرين فى الحب، لا فى مجرد المطالبة الفردية.

وهو حوار كما يحرر الغربيين من البؤس، يحررهم من الوفرة والتخمة، والصراع وراء الربح الذى يخلق حاجات جديدة لانهاية لها، وما يتولد عن تلك الحاجات من وسائل تلبيتها تلبية ناقصة على الدوام.

وهو حوار يذكرنا دائما أنه لايمكن أن يوجد إنسان حر فى مجتمع يرضى عن الرق فى داخله، أو يفرضه على شعوب أخرى فى أشكال مختلفة من التبعية.

ثم هو حوار يقضى على طائفة من ضروب القسر، ويدفع إلى إبداع إمكانات تتوخى أن تحقق لكل إنسان ـ وبكل إنسان ـ فرص حياة مادية



متوازنة ـ وإمكان التعبير والثقافة، والمساهمة، والنمو بالمعنى الكامل لهذه الكلمات.

**وبعـــد :**

فالكتاب ـ كما وضح ـ النفاثة مفكر غربي حر، رأى أن يكشف حقيقة ماتعانيه البشرية، ودور أمته في فرض هذه المعاناة، وانسياق الغرب ـ أفراداً وجماعات ـ وراء قيادة ضالة جاهلة، استعبدها (أنا) التعالي، والتكبر، والوهم الكاذب في تحقيق الذات بالتنعم على حساب ظلم الآخر، وقهره، ونهب ثرواته، والعمل الدائب على إبقائه في تلك الحال لإشباع حاجاتهم الكاذبة المهلكة.

فهو صيحة إنسان غربي في بني جنسه ـ على منهج النقد الصادق للذات ـ بغية إيقاظهم من غفلتهم التي تكاد تهلكهم وتهلك الآخرين معهم.

وكذلك.. نرى أن الخطاب ـ في صياغاته ـ خطاب موجه للغربيين التزم فيه مؤلفه باللغة التي تناسبهم، سواء في سرد الأحداث التاريخية، أو في الإشارات والرموز التي تضمنتها الوثائق الداعمة لخطابه، لأن المؤلف يدرك أن مخاطبيه لن يستعصي عليهم إدراك مايومىء إليه.

ومن هنا... أرى أن المعرب ـ وقد التزم بحرفية الأصل ـ قد فاته أن يتنبه إلى حاجة الكتاب في حال تعريبه إلى بسط وتفسير ـ ولو في الهامش ـ يحول به الخطاب في الكتاب إلى القارىء العربي، حتى تتحقق الغاية من التعريب، وهي إيقاف الإنسان العربي على حقيقة الغرب المتأله، وكشف الخدع التي عزز بها تألهه، وتعريفه بالدور الحضاري لأسلافه، ومالديه من قوى كامنة يمكن أن تغير من معالم الحياة، وتقود البشرية في طريق الحضارة الحقة خطوات مثمرة.

فلو أن المعرب تنبه إلى ذلك لأسهم كثيراً في التيسير على القارىء العربي، وبذلك تتحقق الفائدة المرجوة من تعريب الكتاب.

ولم يكن ذلك ـ على خطره ـ هو المأخذ الوحيد على التعريب، فقد أسهم المعرب في تعسير الكتاب، إذ أغفل وضع الجمل المعترضة بين شرطتين، على الرغم من طول الاعتراض، وكثرة الجمل المعترضة، متغاضيا عما يستلزمه ذلك من خلط وتشويش يصيب القارىء، ويصرفه عن المضمون.

وكذلك أهمل المعرب الربط بين الجمل في كثير من الأحيان ـ على عادة الغربيين في كتابتهم ـ ولم يحسن استعمال علامات الترقيم حسب النهج العربي.

واستعمل في النفي (لن) مكان (لم)، على الرغم من الاختلاف البين بينهما، مثل قوله: (وهي لن تظهر في أوربة إلا في سنة ١١٨٠) صـ٩، يقصد (لم تظهر).

كما إن المعرب عبر كثيراً عن الواقع بجمل مسبوقة بحرف (السين) التي تفيد الاستقبال، مثل قوله: (وسيصوغ «بول كلي» قانون هذا الانقلاب) صـ١١٤ يقصد: وقد صاغ.. إلى غير ذلك من الهنات التي لو حرص المعرب على تلافيها ليسر كثيراً على قارئة العربي.

ومع ذلك.. فالكتاب جهد يُشكر مؤلفه المفكر رجاء جارودي على مابذله فيه من جهد، وماضمنه إياه من صدق في زمان عز فيه الصدق. ويشكر معربه لإسهامه في إسماعنا ذلك الصوت الجاد الصريح. والله من وراء القصد، نرجوه التوفيق والهداية.

# وجوه الغرب في بهو المرايا

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي

ذلك ما تعمد الفكر الغربي أن يقدمه لنا، ألوانا من البغضاء الدفينة ونوعا من سوء الفهم المتعمد، فكيف استطاع أن يزيف ما رواه التاريخ عن تعاليم الإسلام ورسوله، حين قدم تفسيراته للقرآن وتاريخ الإسلام، وحين قدم الإسلام على أنه مزيج من الفلسفات القديمة وبقايا ملل مرفوضة من اليهودية والمسيحية. وحين قدم من تحت عباءته صورة الرسول مشوهة مكذوبة على التاريخ وعلى الرأي العام الغربي، أصبحت تلك الرسالة التي تشكل حياة المسلم، تنتهي وفق التفكير الغربي إلى التهافت والاندثار.

إن الفكر الغربي ليس له عذر يعتذر به عما قدمه من تشويه الإسلام والرسول ﷺ. وكيف يعتذر عما قدمه؟ وهو الذى أحكم دراسة التاريخ وأحداثه، علما ومنهجا فبنى له علما له نظامه وفلسفته، وهو ما عرف بـ « علم التاريخ وفلسفته »، وكانت الغاية التى رمى إليها الغرب من وراء بنائه هذا العلم، أن يشيع روح السكينة فى نفس الدارس المتفحص للتاريخ وأحداثه، حتى لايعجل الحكم على ما يستقرئه التاريخ تعصبا لرأى فرضته عليه مزاعمه، أو لايدخل على التاريخ وجهة نظر تعبر عن موقف مسبق على الحدث التاريخى، ثم يتكلف له فهم الأحداث التاريخية ويتأولها على مقتضى ذلك الموقف السابق على الحدث، وليس على مقتضى سير الأحداث التاريخية..

فهناك مبادىء أحكمها الغرب فى هذا العلم - علم التاريخ - لتعينه على تحرى الموضوعية الفكرية، وتوخى النزاهة العلمية التى يطلبها الغرب دائما من وراء مناهجه التى عرفت لديه منذ أوائل عصر النهضة « بمناهج البحث العلمى » التى تساعده على تحرى: « الحقيقة التاريخية » أو « الحقيقة العلمية » هذا ما عرفناه عن الغرب: لذلك نالنا العجب حين رأينا الغرب يتنكب سبل البحث العلمى فى فهم مسائل الشعوب التى أطلق عليها هو نفسه « دول العالم الثالث » أو ( النامى ) وجعلها موضوع تجاربه ليقيم قواعدها وفق مناهج أخرى غير علمية تدخل فى نطاق « الرؤية الاستعمارية » وتلك مبادىء أخرى غير مبادئه العلمية. وكنا لانرى لذلك مبررا لتراجعه عن مناهجه فيما يخص تلك الشعوب إلى وضعها ميزانا علميا لدراسة

مسائل الشعوب ليزيف بها عن قصد حضارات الشعوب غير الأوروبية، وتلك هي الثنائية الغربية المزدوجة التي تنطوي على التناقض المر الأليم: وجه علمي دقيق هو وجه الغرب للغرب، ووجه قبيح شره هو ذلك الوجه الكالح أو القناع المزيف الذي يخيف به العالم.

يحرص الغرب على فهم حقيقة تلك الشعوب وفق رؤيته الاستعمارية أو اكتشافها أيا كان نوعها أو انتماؤها ليستبقيها مكتومة في حوزته لنفسه، وما يبديه منها يزيفه ويعرضه للضياع ليضل بها كثيرا ويشتت بها كثيرا وما يضل بها إلا أولئك الذين يتولون الولاء الغربي من حيث يشعرون أو لايشعرون. لذلك يرى الغرب مثلا وبالرغم من، أنه يفهم الإسلام فهما حقيقيا ويعي دوره التاريخي إلا أنه يرى أنه ليس في حاجة إلى أن ينسج علاقته مع الإسلام على ضوء ما يفهم إنما على ضوء مصالحه مع دول الإسلام وعلى ضوء عداوته التاريخية مع الإسلام وماضيه الحضاري، وليس على ضوء ما ينبغي أن تكون عليه العلاقات الصحيحة، وهو يعلم تقاليدها العلمية، فهو لايريد أن يهملها إهمالا إذ آثر تعليق الحكم، وفق رؤيته الاستعمارية وفكره الاستعماري ليبني عليه علاقات مزيفة تتناسب ورؤيته الاستعمارية التي زيفت التاريخ كثيرا.

ويرجع اهتمامي بتلك الدراسة إلى دوافع مختلفة يرجع بعضها إلى دعوتي من بعض الجامعات العربية لإلقاء بعض محاضرات في تاريخ الفكر الإسلامي الحديث، ومنها ما كنت أدعى إليه من بعض الندوات أو المؤتمرات، ومنها ما كان رصيدا ثقافيا تجمع لدى من مراجعات ومطالعات لبعض الكتابات التي كانت تصدر هنا أو هناك، كل ذلك تجمع لدى على مدار خمسة عشر عاما يتراكم بعضه فوق بعض، وما كان يدور بخلدي أني ساجمع هذا الرصيد، ولاسيما أنه قد نشر بعضه في الصحف والمجلات أو في حوليات المحاضرات.

لولا ظروف جدت على الساحة الثقافية والسياسية، بعضها على مستوى العالم العربي وبعضها على مستوى العالم الإسلامي، وبعضها على المستوى العالمي.. وكلها تفجرت تحت ضغط عاملين:

**العامل الأول:**

من الخارج وهو الغرب أمريكي.

**العامل الثاني:**

من الداخل وهو العالم الإسلامي نفسه.

أما عن العامل الأول: فبعد انتثار عقد الاتحاد السوفيتي واندثاره، تبعه سقوط حائط برلين، انتشى على أثره المارد الأوروبي، تحت ظل وحدة أوروبية جديدة علها يرث زعامة الاتحاد السوفيتي، ويكون عدلا لأمريكا فيما تطلبه من تغيير خريطة العالم والعالم الإسلامي من جديد، بما يهيىء لها أن تكون القوة المهيمنة والمنفردة المتحكمة في مصير العالم ومسيره، ولايعني اختلاف الميول والأطماع، عدم التنسيق في الجهود.

فلقد اتفق الغرب ـ أمريكي، على أن القوة الناهضة بعد اندثار الاتحاد السوفيتي، هي الإسلام. وأخرج رئيس أمريكي أسبق «ريتشارد نيكسون» كتابه «انتهزوا الفرصة» ألا وهي ضرب الإسلام، وما جاء في الكتاب ليس بجديد ـ إنما

هو ترجيع ورجع صدى لما هو كامن فى أضابير سياسة الغرب الاستعمارى وفى تقارير المبشرين.. والمستشرقين.

أما ما أضافه الكتاب جديدا، فهو: إعلان ساعة الصفر، وأن الفرصة قد حانت، فعلى الغرب أمريكى أن يقوم قومته. ولقد قام فعلا فى شراسة، ونذالة، متآمرا. وضرب دولة مسلمة فى أوروبا «البوسنة والهرسك» عصف، فى سبيل ضربها، بكل القيم الأخلاقية والدينية والأعراف الدولية، وما تمخضت عنه ثورات الإنسانية على مدى تاريخها الطويل ورفعته ميثاقا دوليا فيما بينها، وقامت عليه أركان الأمم المتحدة، ولقد باشر معها كل ألوان التعذيب والقتل والتمثيل فى غير رحمة. وفى بلادة مشاعر كانوا يسبون أحياءهم ويستحيون نساءهم. أما الأطفال والعجزة والشيوخ فينتظرون الموت صبرا. ذلك هو وجه الغرب ـ أمريكى القبيح..

ثم بدأ الغرب ـ أمريكى ينشد قصة الذئب والحمل فى أنه عكر عليه الماء. فشن هجومه على الأقليات الإسلامية حتى لايستجير بها ضعفاء البوسنة والهرسك. وكل حدث إرهابى يقع فى أى مكان يجرم فيه أفراد الجاليات الإسلامية العربية.. والأوصياء على الإرهاب فى نظر الغرب، دائما، دول عربية إسلامية. وما ترددت فرنسا فى إغلاق الباب فى وجه دعاة إسلاميين رسميين، درجت مصر منذ تاريخ طويل أن ترسل فى شهر رمضان بعض الدعاة وقارئى القرآن لإحياء هذا الشهر، إلى الجاليات الإسلامية المقيمة فى دول العالم. فتلك هى بدايات انتهزوا الفرصة. ولقد نشر الأهرام حوارا مهما مع المفكر الفرنسى المسلم روجيه جارودى عن التطرف ـ حوار أجراه د. سعيد اللاوندى بتاريخ ٢٩/٣/١٩٩٣ يقول فيه:

«ولقد وضعت هذا المؤلف الذى ترجم فور صدوره إلى عدة لغات منها الأسبانية والتركية، لكى أدافع به عن وجه الإسلام الحقيقى، بعدما لاحظت أن الغرب يخلط متعمدا بين الأصولية المتطرفة، وبين الدين الإسلامى الحنيف.

بعبارة أخرى كان على كمسلم يعتز بدينه أن أكشف هذا الزيف الذى لاتكف وسائل الإعلام الغربية عن تكراره فى هذه الفترة، حيث تسعى إلى إلصاق صفات التطرف والجمود بالإسلام.

وبداية. أؤكد أن هذه الأصوليات المتطرفة، ليست ظاهرة خاصة بالإسلام وحده دون الديانات والعقائد الأخرى، فالثورة الثقافية الصينية، على سبيل المثال، لم تكن ظاهرة إسلامية عندما تمردت على النموذج التنموى الغربى، وأعلنت رفضها لكل أشكال الثقافة الغربية، واستبدلت النظريات الاقتصادية الغربية بالنظرية الأخلاقية لكونفوشيوس، كما وضعت تراث ثورات الفلاحين بدلاً من الفكر الاشتراكى الطوباوى، ورفضت موسيقى بتهوفن لأنها ـ من وجهة نظرها ـ كانت موسيقى برجوازية!.

ولقد أوضحت فى كتابى أن الأصولية المتطرفة التى ظهرت فى العالم الثالث فى السنوات الأخيرة هى ردة فعل طبيعية للأصولية المتطرفة فى الغرب.. بمعنى أن الأصولية الغربية هى الأصولية «الأم» التى ولدت منها كل الأصوليات الأخرى سواء الأصولية الإسلامية فى أفغانستان وإيران



وباكستان ، أو الأصولية العربية الإسلامية في تركيا ومصر والجزائر وتونس ولبنان».

أما العامل الثاني فهو مرض الخوف الذي تفشى في العالم الإسلامي، وهو في حقيقة الأمر مرض وهمي وهو نوع من سوء التفكير، وهذا النوع من مرضى الوهم، لايتعاملون مع العالم الخارجي، إلا من خلال ما يتوهمون، ولايتعاملون مع أنفسهم إلا من خلال أوهام سيطرت عليهم، فهم يعيشون في وهم، فهم مع أنفسهم واهمون، ومع العالم الخارجي في خوف دائم منه، تلك هي مشكلة العالم الإسلامي.. مشكلته مع نفسه.. يتوهم الخوف فيخاف، ويتوهم الوهم فيتوتر، يخاف الحرية ويدعيها، يخاف الديمقراطية من أن تحيل النظام إلى فوضى.

ولما كانت حال المتوتر في هلع دائم وخوف على مصيرها تميزت بنوع من التفكير السيىء الذي يحيل النزوات العصبية تفكيرا.. ومن كان هذا شأنه.. كيف تصدق لديه موازين الأمور..؟ وقد صارت موازين الأمور التي هي من صميم اختيار الشعوب إلى حالة مزاجية لدى الحاكم، فمن الصعب التمييز بين الخصم والحكم، ومن هو صاحب القضية.

لذلك جمعت هذه الدراسة. فهي تحكي من خلال التاريخ ووثائقه قضية الصراع الغرب - أمريكي مع الإسلام، آملا إبراز الوسائل الدنيئة التي ابتدعها لضرب العالم الإسلامي.. وهي متعددة، استعمار مسلح، وجاليات الامتياز، وسماسرة تبشير، وجماعات تزييف الثقافة الإسلامية، وتوضيح أن العالم الإسلامي يرتكز على عناصر القوة الحقيقية على أي مستوى من مستويات العظمة الروحية والمادية، وبيان أن الإسلام مهما تناوشته قوى الغدر والخيانة في الداخل أو الخارج فله مستقبل السيطرة والسيادة العالمية.

فمتى يتخلص مرضى الوهم من أنفسهم؟ ومتى يتخلص العالم الإسلامي من مرضاه؟ تضيق حينئذ الفجوة بين الإسلام وشعوبه، وتزول الجفوة التي قد رانت على القلوب حتى جفانا الإسلام. ولقد نشرت مجلة النيوزويك الأمريكية مقالا تحت عنوان : «هل يجب أن نخشى الإسلام - للكاتب الأمريكي كريستوفر ديكي - أحدث رد فعل كان من أثره أن نشرت المجلة من ردود الفعل ثلاث رسائل: الرسالة الأولى من محمد صديق قال فيها: إن المقال نجح في تصوير مخاوف المسلمين - لكنه فشل في ذكر معلومات كافية عن الإسلام. وانتقد الاعلام الغربي الذي يروج لتعبيرات تشوه الإسلام مثل: المتطرفون - المتعصبون - الأصوليون.. تلصقها بالإسلام لصقا.

والرسالة الثالثة للأمريكية: نورما تارازي، دافعت فيها عن جماعات الأقليات الإسلامية في مواجهة عنف الدول البوليسية التي تعيش فيها.. وقالت: إن بعض المسلمين يريدون الإصلاح السياسي في بلادهم من أجل الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي وهو أمر لاتتعاطف معه الولايات المتحدة التي تكيل بمكيالين في التعامل مع الدول العربية «روزاليوسف عدد ٣٣٨٠» وتلك هي القضية.

# مَنْ الإرهابي؟



للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

**كان من أبرز الأوصاف، التي وصف بها الغرب في العصر الحديث الإسلام والمسلمين، هو الإرهاب فالإسلام عندهم دين إرهابي دموي، لا يعترف لغيره بحق الوجود في الحياة، وأنه ساد وانتشر بالسيف، وأن المسلمين كانوا صورة طبق الأصل من كتابهم، القرآن، ومن رسولهم، محمد ﷺ، وتعاليمه التي طبعتهم على القسوة، وحثتهم على العدوان؟!.**

**هذه التهم مرت بمرحلتين حتى الآن، كانت المرحلة الأولى - وما تزال قائمة - تعتمد على القول، وكان جنود المبشرين ثم تلاميذهم المستشرقين، وقد أحصى باحث أتيحت له فرصة العيش في الغرب، ومتابعة ما تفرزه المطابع هناك أنه من عام ١٨٠٠م إلى ١٩٥٠م بلغ ثلاثة وستين ألف مجلد، كتبها المبشرون والمستشرقون في الهجوم على الإسلام والمسلمين.**

ثم جاء محللون آخرون، ونظروا في تلك المطبوعات نظرة أخرى، لا من حيث عددها، ولكن من حيث محتواها وغاياتها، وقد - رصدوا - بعد التحليل الأهداف الثلاثة الآتية:

**الأول**: محاولة القضاء على الإسلام كلية إن أمكن ذلك، فإذا لم يكن ممكنا فأمامهم بديلان يبدوان أنهما ممكنان، وهما:

**الثاني**: تحجيم الإسلام وحصره في بيئته حتى لا يغزو الغرب ويحقق انتشارا جديدا في أي بقعة من الأرض، سواء كان ذلك في العالم الصليبي، أو الشيوعي، أو في غيرهما؟.

**الثالث**: تكثيف الحملات العدائية ضده، والعمل الدءوب لتشويه حقائقه وتكريه أبنائه فيه؟[1]

هذه المحاور الثلاثة صال وجال من أجلها فريقان في بداية الأمر:

(١) الإسلام قوة الغد العالمية (٣٩) باول شمتز تعريب د/ محمد شامة

● **المبشرون**: وكان هدفهم تضليل العامة، ومن لاحظ لهم من ثقافة عالية واعية يمكن أن تحصنهم من هذه الأوبئة، التى تعرض فى أساليب ماكرة خادعة.

● **المستشرقون**: وكانت مهمة هؤلاء هى تشكيك المثقفين عن طريق الفكر المبرمج المنظم، فهم لا يثيرون معارك هامشية ضد الإسلام، وإنما يوجهون سهامهم نحو أصول الإسلام ومبادئه وقيمه الراسخة، وهم أكثر نتاجا من المبشرين، ومازال أعمالهم العدوانية على الإسلام فى النمو والانتشار.

وقد أتاح لهم الاستعمار الأجنبى لكثير من البلاد الإسلامية فرصة التحرك الواسع والمعلن فى الديار الإسلامية كما حدث فى الهند وفى مصر وفى الجزائر منذ زمن مبكر.

وبالإضافة إلى الفريقين التقليديين فى مجال ما أسموه بالتبشير والاستشراق، نجح المستعمرون فى تكوين فريق ثالث ربما كان أشد خطرا من المبشرين والمستشرقين وهم العملاء منا نحن - المسلمين - وهؤلاء العملاء روعى فى تجنيدهم أن يكونوا فى قطاعات مؤثرة فى صنع الرأى والتأثير بالكلمات المكتوبة أو المسموعة فى مجال الرأى العام، وذلك من خلال هذه المعابر: الصحافة والإعلام، التأليف والنشر، الأدب والفن، الجامعة، العمل السياسى، المبرات الخيرية، المؤسسات العلاجية الأجنبية، البعثات، ودور التعليم الأجنبى فى البلاد الإسلامية التى تسمح بهذا النوع من التعليم الدخيل.

هؤلاء العملاء يؤدون أدوارهم حتى الآن، بعد رحيل الاستعمار الذى طوق كل البلاد الإسلامية والعربية، إلا البلاد السعودية موطن الدعوة الأول، والحرمين الشريفين.

ومنذ الجولة الأولى لجيوش المبشرين فى مجاهل آسيا، وأفريقيا، والديار الإسلامية، ظهر لأعداء الإسلام خيبة رجائهم فى القضاء على الإسلام، وهو الهدف الأول الذى وضعوه فى خطتهم لمواجهة الإسلام.

وقد سجل هذه الحقيقة المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد، فى كتابه: «الإسلام فى القرن العشرين»[٢] فقد قال: «إن قوافل المبشرين لم تجد استجابة من أى مسلم لتحويله عن دينه إلى النصرانية، فكتب رؤساء تلك القوافل تقارير رفعوها إلى قياداتهم فى أوروبا فجاءتهم ردود قياداتهم أن يحولوا نشاطهم التبشيرى من الإسلام إلى النصرانية إلى التبشير بين المذاهب النصرانية نفسها.

فيدعو المبشرون الكاثوليك أتباع المذهبين الأرثوذكسى والبروتستانتى إلى اعتناق المذهب الكاثوليكى، والكنائس البروتستانتية تدعو غير البروتستانتيين إلى اعتناق البروتستانتية، وهكذا يئسوا من تنصير المسلمين وخاب ظنهم فى القضاء على الإسلام مهما بذل المبشرون من جهود، وقدموا من إغراءات عينية وغير عينية إلا حالات نادرة لم تبل لهم صدى، ولم تشف لهم غليلا.

(٢) ص (١١) وما بعدها.

لذلك قصروا نشاطهم على المحورين الثانى والثالث المشار إليهما قبلا، ومايزال العمل من أجلهما قائما ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا التمهيد، حقيقة لا يعرفها كثير منا، وهى تبين لنا جوانب خفية ذات أهمية قصوى، فى الكشف عن موقف الغرب الآن، وبخاصة أمريكا - من تأليب المجتمع الدولى ضد الإسلام، ووصف العرب والمسلمين بأنهم إرهابيون يجب التصدى لهم بكل قوة.

تلك الحقيقة أنه فى الفترة التى أعقبت سقوط الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى. كان الشغل الشاغل للغرب أن يبحث عن وسيلة يواجه بها الشرق الإسلامى ليقضى عليه قضاء مبرما.

وفى هذا الشأن ظهرت مشروعات بلغت مائة مشروع فى كل منها خطة ومنهج لإضعاف المسلمين، وجعلهم يعيشون على هامش الحياة، لا يشعر بهم أحد، ولا يحترمهم أحد وقد اشترك فى صياغة تلك «المشروعات المائة» سياسيون ومفكرون وعسكريون، وأساقفة وغيرهم، وغيرهم وقد سجل تلك المشروعات ولخصها وبين أهدافها وذكر مؤلفيها المجاهد الإسلامى الكبير الأمير شكيب أرسلان[٢] - رحمه الله - «حاضر العالم الإسلام»، وإنى أهيب بكل الدعاة والإعلاميين والشباب أن يطلعوا على هذه «الوثائق» لأن لها صلة قوية بالسياسات الغربية، التى تصاغ الآن لوقف الخطر الإسلامى كما يزعمون، ويلتمسون المبررات لضربنا، ولف حبل المشنقة حول رقابنا.




هذه هى أهم ملامح المرحلة الأولى، أما المرحلة الثانية فهم يحاولون الانتقال فيها من القول إلى العمل، والعمل هو «الحرب المسلحة»، التى أعلنوا أنهم سيستعملون فيها كل «الأسلحة» حرب صليبية جديدة كما قالوا.. وسوف يعتمدون فيها على الزعم بأننا إرهابيون، ونحن لسنا إرهابيين، وهذا ما سنبينه فيما يأتى، بعد هذا المدخل أو التمهيد، الذى رأينا أن نذكره بين يدى دفاعنا عن الإسلام بأنه دين سماحة وسلام، وعن المسلمين بأنهم مسالمون، وأنهم ضحية الإرهاب العالمى فى الماضى والحاضر.

«يتبع»

---

(٢) حاضر العالم الإسلامى مج٣ من ص ٢٠٨ إلى ٢٤٩، والكتاب من تأليف الباحث الأمريكى الشهير لوثروب ستودارد، وقد أثراه الأمير شكيب أرسلان بتعليقات ومقالات دفعت الكثيرين إلى نسبة الكتاب إليه

مواقف إسلامية

# قصة زواج ناجح

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

**تمهيد**

**النفس. والهوى. والشيطان. والدنيا.. كلها تزين الإثم.. وتغرى بالاسترسال مع الدنيا بمباهجها.**
**وانحدار الإنسان إلى هذا الدرك سهل.**
**فالغرائز غلابة.. تجنح به دائماً إلى الهبوط منحدراً إلى الرذيلة.**
**الذى تطمس فيه ملكة التمييز.. حتى إنه ليرى حسناً ماليس بالحسن.**
**ولو شاء الله. تعالى. لرفعه إلى أعلى.**
**ولكن الإنسان.. لم يتجه إلى هذه الهداية وإنما:**
**أخلد إلى الأرض.. واتبع هواه.. فكان جزاؤه الخسران.. الذى لا يبقى فى داره ثاغية.. ولا راغبة!**

## موقف المسلم

ولكن المسلم الذى لم يخلد إلى الأرض.. ولم يتبع هواه.. يفر من هذا الحصار المضروب عليه.. محلقاً في السموات العلا.. متغنياً بهذا الشعار:

إن النهار لنا.

أذن مؤذن النهضة فينا: حي على الفلاح.. فقمنا.

وصاحت ديكة الفجر تطرد بقايا النوم من عيون الزهر.

والمستقبل لنا:

للذين أدركوا أن لهم أجنحة النسر، الذى خلق ليضرب فى كبد السماء مشرقا.. يحدق فى عين الشمس.

وليس هو بالذى يطير بجناحى دجاجة.. يلتقط بقايا.. «مائدة الغرب» من مزابل الحياة.

للذين طمحت بهم هممهم.. ليسيروا على درب الخيرة:

الذى فرشت أرضه بالنجوم.. ليصلوا بقلوبهم إلى الله.

والفرق هائل بين طلاب الدنيا الذين غذوا بالنعيم.. فافسدهم النعيم.. بل صاروا به كالحلفاء فى لهب الحريق.. وبين أناس صلبت فيهم إرادة من صنع الإيمان.. فكانوا أكبر من هذا الزمان: يفوضون أمرهم.. لمن يملك أمرهم، ويقدر على ضرهم ونفعهم.. وإذا دهمهم أمر لم يحاولوا دفعه بمعصية الله ـ تعالى ـ.

إذا وقعوا فى محنة.. لم يسألوا إلا الله.. ولم يتوكلوا إلا عليه، ولم يفوضوا إلا إليه.

ومن هؤلاء بطل قصة اليوم:

القاضى: «أبو بكر محمد بن عبدالباقى بن محمد البزار البغدادى الأنصارى»

ذكر الحافظ بن رجب الحنبلى: أن الشيخ الصالح أبا القاسم الخزاز البغدادى قال:

سمعت القاضى أبا بكر.. بن البزار يقول:

كنت مجاورا بمكة المكرمة.

فأصابنى يوما من الأيام جوع شديد.. لم أجد شيئاً أدفع به عنى الجوع.

فوجدت كيسا مشدودا بشرابة.. فأخذته، وجئت به إلى بيتى،

فحللته، فوجدت فيه عقدا من لؤلؤ.. لم أر مثله.

وخرجت فإذا بشيخ ينادى علىّ.. ومعه خرقة فيها خمسمائة دينار

وهو يقول: هذا لمن يرد علينا الكيس الذى فيه اللؤلؤ.

## الاختبار الصعب

كان الرجل يحس بالجوع.. ولكن إحساسه بالغربة فى مجتمعه كان أشد.

لقد تلفت حوله فلم يجد ما يدفع به غائلة الجوع.. وفتح عينه على كثير.. ولكن.. لم ير أحدا..

لقد انفض السامر من حوله.. لما صار فقيراً:

**وكان بنو عمى يقولون: مرحبا**

**فلما رأونى مفلسا مات مرحب!!**

وإذن فقد كان الامتحان صعبا.

ومن تدبير ـ الله تعالى ـ أن يتخلق الفرج من الضيق نفسه، فهذا هو العقد الغالى.. رزقا يسوقه الله إليه.. وهو على أى حال خيط الأمل يخترق الليل.. ليل الهم الذى أرخى عليه سدوله.. يتبدى فى حضور صاحب العقد الذى سيضع الله ـ تعالى ـ به حدا لهمه الثقيل المقيم

## الاختبار الأصعب

وإذا كان البلاء قد أناخ بكلكله على الرجل.. فإن أصعب منه أن يحدد موقفه الآن من هذا العقد.. وبعد ما لاح صاحبه.

فى الأفق.

لكن الرجل - وتحت ضغط الجوع - قرر أن يأخذ جائزته

ثم يرد على الرجل عقده.. بعد معركة في نفسه بين مروءته التي تأمره أن يرد اللقطة.. بلا عوض.. وبين حاجته الملحة إلى لقمة الخبز وشربة الماء.

وعلى مضض يتخذ قراره حين قال:

قلت: أنا محتاج. وأنا جائع: فآخذ الذهب، فأنتفع به. وأرد عليه الكيس.

فقلت له: تعال إليّ.

فتوجهنا إلى بيتي:

فأعطاني علامة الكيس. وعلامة الشرابة، وعلامة اللؤلؤ وعدده. والخيط الذي هو مشدود به.

فأخرجته ودفعته إليه.

فسلم لي خمسمائة دينار.. فما أخذتها وقلت: يجب عليّ أن أعيده إليك.. ولا آخذ له جزاء.

فقال لي: لابد أن تأخذ.. وألح عليّ كثيرا، فلم أقبل ذلك منه. فتركني

ومضى ].

## العظماء بين همومهم.. وهممهم

يقولون:

إن الجمع بين العلم والعمل.. صعب.. لكن ذلك العالم الجليل قد جمع بينهما:

وينوب عنا ابن الجوزي في التعليق على موقف هذا الرجل:[1]

من رزق همة عالية.. يعذب بمقدارها. كما قال الشاعر:

وإذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الأجسام

وقال الآخر:

ولكل جسم في النحول بلية
وبلاء جسمي من تفاوت همتي

وبيان هذا:

أن من علت همته، طلب العلوم كلها، ولم يقتصر على بعضها وطلب من كل علم نهايته وهذا لا يحتمله البدن.

ثم يرى أن المراد العمل.. فيجتهد في قيام الليل.. وصيام النهار.

والجمع بين ذلك وبين العلم صعب.

ثم يرى ترك الدنيا.. ويحتاج إلى ما لابد منه.

ويحب الإيثار.. ولا يقدر على البخل.

ويتقاضاه الكرم البذلَ.

ويمنعه عز النفس عن الكسب من وجوه التبذل.

فإن هو جرى على طبعه من الكرم.. احتاج وافتقر.. وتأثر بدنه.. وعائلته.

وإن أمسك فطبعه يأبى ذلك.

وفي الجملة: يحتاج إلى معاناة، وجمع بين أضداد.

---

(1) صيد الخاطر، ٥٧٠ وما بعدها.



فهو أبدا في نصب لا ينقضي، وتعب لا يفرغ ]¹. هـ

وقد واجه الرجل هذا الامتحان الصعب.. فاصطبر.. ورفض الجائزة وهي حقه.. في ظروف لا يتحملها بشر وكان أمره على ماقال الشاعر:

**إذا قيل هذا مورد.. قلت: قد أرى**

**ولكن نفس الحر تحتمل الظما**

وقد تحمل الرجل: الجوع.. والظما معا.

## الثرى.. والثريا

إذا كان هناك ناس ذممهم واسعة.. ترمح فيها الخيل.

وإذا كان هناك من يرون الحلال هو: ماحل في أيديهم.

فإن عالمنا الجليل.. كان تلك الثريا.. التي صعدت في السماء.

فوق هذا الثرى الهابط الرخيص.

لكن الثمن كان غالياً:

فقد كان عليه أن يصبر.. في زمان قل فيه الأثرياء الأوفياء:

لقد كان العلماء يسكنون إلى عطاء الزملاء الذين لا يمنّون:

كان ابن المبارك يبعث إلى الفضيل وغيره.

وكان الليثي بن سعد يتفقد الأكابر:

فبعث إلى مالك ألف دينار. وإلى ابن لهيعه ألف دينار. وأعطى منصور بن دينار ألف دينار.

ومازال الزمان على هذا.. إلى أن آل الأمر إلى امحاق ذلك.

فقلّت عطايا السلاطين. وقلّ من يؤثر من الإخوان..

إلا أنه كان في ذلك القليل ما يدفع الزمان](٢).

ولكن.. إذا توقف عطاء الإخوان.. فما توقف عطاء رب الإخوان الذي يرزق المتقي من حيث لا يحتسب.

وصدق الله العظيم:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾(٣).

وهذا هو الذي حدث بالفعل.. لعالمنا موضوع حديثنا.

## بركة القرآن

قال القاضي:

وخرجت من مكة. وركبت البحر فانكسر المركب. وغرق الناس. وهلكت أموالهم. وسلمت أنا على قطعة من المركب.

فبقيت مدة في البحر. لا أدري أين أذهب. فوصلت إلى جزيرة فيها قوم. فقعدت في بعض المساجد. فسمعوني اقرأ. فلم يبق في تلك الجزيرة أحد إلا جاء إليّ وقال:

علمني القرآن.

فحصل لي من أولئك القوم شيء كثير من

(٢) صيد الخاطر ٤٨٥.

(٣) جزء من الآيتين ٢ و٣ من سورة الطلاق.



المال. وقالوا لي: تحسن الكتابة؟ فقلت: نعم فقالوا: علمنا الخط. فجاءوا بأولادهم. فكنت أعلمهم. فحصل لي أيضا من ذلك شيء كثير.

وتأمل كيف يبلغ اليأس مداه.. لينشع الأمل في نفس اللحظة التي توشك فيها النفس أن تطير شعاعا.

ثم كيف يستبد الحزن بالمسلم الذي تتخلى عنه الدنيا.. ثم هو غافل عن ذلك الكنز الثمين الذي يختزنه في قلبه وهو: القرآن الكريم.. والذي أثبت.. وفي الوقت المناسب كيف كان غوث اللهيف.. على نحو يؤكد للحيارى.. أن الخيرة فيما اختاره الله ـ تعالى ـ.

وإذا كان الشاعر يقول:

**يعللنا هذا الزمـــان بذا الوعـــد**

**ويخـدع عمـا في يديه من النقـد**

إذا كان الزمان يفعل هذا.. فإن خداعه لن يعمر طويلا.

لأن الله ـ تعالى ـ أرحم بعبده المتوكل عليه أن يرد يديه صفرا.

وإن من حكمته تعالى أن يربي عبده حين يضربه بالحوادث التي يخرج منها ذهبا خالصا:

قال ابن الجوزي[4]:

من العجب إلحاحك في طلب أغراضك، وكلما زاد تعويقها زاد إلحاحك. وتنسى أنها قد تمتنع لأحد أمرين:

إما لمصلحتك: فربما معجل أذى.

وإما لذنوبك: فإن صاحب الذنوب بعيد من الإجابة.

فنظف طرق الإجابة من أوساخ المعاصي. وانظر فيما تطلبه: هل هو لإصلاح دينك؟ أو لمجرد هواك.

فإن كان للهوى المجرد.. فاعلم أنه من اللطف بك. والرحمة لك. تعويقه:

وأنت في إلحاحك بمثابة الطفل:

يطلب ما يؤذيه. فيمنع.. رأفة به، وإن كان لصلاح دينك: فربما كانت المصلحة تأخيره.. أو كان صلاح الدين بعدمه.

وفي الجملة: تدبير الله ـ تعالى ـ لك خير من تدبيرك. وقد يمنعك ما تهوى ابتلاء.. ليبلو صبرك.. فأره الصبر الجميل.. تر عن قرب ما يسر.

ومتى نظفت طرق الإجابة من أدران الذنوب.. وصبرت على ما يقضيه لك. فكل ما يجري أصلح لك: عطاء كان أو منعا].

## قضـــية الـــرزق

إنها إذن قضية الرزق.. ماديا كان أو معنويا..

وواجب العبد هو التسليم.. كهذا العالم الذي صابر زمانه.. فكان تفسيرا عمليا لقوله تعالى:

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[5].

لقد قدم الرجل من نفسه تقواها.. فحقق الله تعالى بالتقوى ثمارها:

---

(4) صيد الخاطر / ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(5) الطلاق / ٢، ٣.

أ ـ أخرجه من البحر سالما.

ب ـ ثم رزقه من حيث لا يتوقع الرزق.

ومعنى ذلك:

أن يشغل العبد نفسه بطاعة خالقه ـ عز وجل ـ مقبلا بقلبه عليه سبحانه.. مستدبراً الأسباب.. مؤملا الخير في مسبب الأسباب تعالى..

إن التمساح الهائل الضخم.. يخرج رأسه من البحر.. ثم يفتح فاه.. فيأتى طائر.. صغير.. لينظف أسنانه.. فلا يؤذيه.. ثم يعود الطائر إلى وكره شبعان ريان!!

## من دروس شيخى

ومما تعيه الذاكرة من دروس شيخى[٦].

يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾[٧].

ومعنى المشى فى المناكب: طلب الرزق بكل أسبابه:

بالزراعة، والصناعة، والتجارة

أى: استنفاد الطاقة كلها فى طلبه.

وذلك مفتاح من مفاتيح الحضارة.. يتفرد به الإسلام فى قيادته للحياة.. إلى التى هى أقوم

أجل: مفتاح الحضارة، لأنها قبل ذلك، مفتاح عزة الأمة وكرامتها.

فالآية الكريمة تعنى:

أن رزق العبد محفوظ، وهو بين عطائه تعالى.. وسعى العبد شخصياً.

وإذن: فلا واسطة:

ليس فى قضية الرزق عنصر ثالث.. من مدير يستذلك.

أو مالك يستبد بك.

ومغزى هذا:

أنك لا تطلب الرزق من المخلوق.

وإنما تطلبه من الخالق سبحانه.

ويترتب على ذلك:

أ ـ أنك لن تحزن على ما فاتك منه.

ب ـ ولن تقلق على ما تترقبه.

جـ ـ وذلك أزكى وأحفظ للكرامة.. لأن القضية أساسا فى يد أمينة!!

## سنة التعويض

قال القاضى:

وقالوا لى بعض ذلك: عندنا صبية يتيمة، ولها شيء من الدنيا، نريد أن تتزوج بها.

فامتنعتُ.

فقالوا: لابد، وألزمونى، فأجبتهم إلى ذلك.

فلما زفوها إلىّ، مددت عينى أنظر إليها، فوجدت العقد بعينه معلقا فى عنقها!!

فما كان لى حينئذ شغل إلا النظر إليه، فقالوا: ياشيخ!!

كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد.

---

(٦) د. محمد سعاد جلال، وكالعادة: له الفكرة، وعلينا التبسيط.

(٧) الملك/١٥.

ولم تنظر إليها!

فقصصت عليهم قصة العقد.

فصاحوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة.

فقلت: ما بكم؟! فقالوا:

ذلك الشيخ الذى أخذ منك العقد، هو أبو هذه الصبية.

وكان يقول:

ما وجدت فى الدنيا مسلما إلا هذا الذى رد علىّ هذا العقد.

وكان يدعو ويقول:

اللهم اجمع بيني وبينه حتي أزوجه بابنتي!

والآن قد حصل.

## من دروس الموقف

أ ـ المجتمع يكرم اليتيم.

إنه مجتمع الأبرار الذى لا يكتفى فقط بكفالة اليتيم.. وإنما يكرمه.

ومن مظاهر التكريم هنا: أنهم يسعون ويتواصون بتزويجها.

ولا بأس أن يكون الزوج شيخا.. فـفارق السن.. لا يمنع من زواج توفرت دواعي نجاحه.

ب ـ يعلمنا الزوج أن هناك شيئاً أقوى من الغريزة.. حين استغرق في سبحاته وذكرياته أياما وليالى.. متدبرا فى صنع الله ـ تعالى ـ.. والذى رد العقد إليه.

ولم يسقه إليه فى شرابه كما سلمه لصاحبه.

وإنما يأتي إليه في جيد فتاة.. حلال له.

لقد رفض مئات الدنانير.. فجاء الله ـ تعالى ـ بما هو أغلي من ملء الأرض ذهبا.

جـ ـ ولم يكن المجتمع مجرد «خاطبة» تشرف على العقد.. ثم ينتهي دورها.

وإنما كان المجتمع يتابع.. ويراقب.. حتى يطمئن على الأمانة.. على اليتيمة التى كانت وديعة فى يديه.. وما كان على اليتيمة من حرج فى أن تخبر «أهلها» بمشكلتها حين أعرض عنها الزوج.

وكان لابد أن يتدخلوا لمعرفة السر.. وكان هذا العتاب الرقيق.. والذى انتهى بهذا الدرس البليغ.. فى ضرورة تعويض من ترك شيئاً لله.. عوضه الله ـ تعالى ـ خيراً منه.

د ـ وما أكثر الأصدقاء الذين يبكون اليوم ذلك الراحل العزيز.. وما أشد ما يتوجعون لمشهد أيتام زغب الحواصل: لا ماء.. ولا شجر.

وعند ما يوارونه التراب.. يعود كل واحد إلى دنياه مؤثرا هواه على كل ماعداه:

وينصمت الحديث عن الأيتام.. الذين يضيعون على موائد اللئام.

لكن هذا الموقف العظيم.. تشع من ورائه ظلال وألوان.. من القيم الأصيلة النبيلة التى تعمر بها قلوب الأصدقاء الأوفياء.

الأوفياء.. الذين يبدأ دورهم الحقيقي بعد رحيل الصديق أن ينوبوا عنه في تربية أيتام.. لا يشعرون بالفراغ من بعد أبيهم.. فى ظل آباء



جده . . ربما كانوا أقل الناس بكاء على أبيهم . .

لقد شغلهم البكاء لأيتامه . . عن البكاء عليه؟!

## آبــــاء صــدق

وتأمل كيف كان صاحب الكيس بتخير لابنته . . التي طال من أجلها بحثه عن ذلك الذي وجد الكيس في الطريق . . ليكون لها زوجا . . لأنه لم يجد في حياته من استكمل عناصر الإيمان إلا هو . . وكيف حقق الله أمله وزكى عمله . . تبصرة وذكرى لكل أب يبحث عن الاسم الذائع، والصيت الذائع . . ثم لا يجتني في النهاية إلا رجع الصدى .

## من آيــات اللــه

قال القاضي :

فبقيت معها مدة . ورزقت منها بولدين .

ثم ماتت . فورثت العقد أنا وولداي .

ثم مات الولدان . . فحصل العقد لي . . فبعته بمائة ألف دينار .

وهذا المال الذي ترونه معي . . من بقايا هذا المال .] أ . هـ

## من فقــه ابـن الجـوزي

أما بعد

قال ابن الجوزي(٨) :

ينبغي للعاقل أن يتخير امرأة صالحة . من بيت صالح . يغلب عليها الفقر . لترى ما يأتيها به كثيرا ]

ثم قال :

وليتزوج من يقاربه في السن . . فأما الشيخ : فإنه إذا تزوج صبية آذاها :

وربما فجرت . أو قتلته . أو طلبت الطلاق . وهو يحبها فيتأذى . وليتمم نقصه بحسن الأخلاق . وكثرة النفقة ]

هكذا قال ابن الجوزي . . قبل أن يرى قصة هذا الزواج الناجح :

بين شيخ . . وفتاة . .

ولو قد رأى . . لغيّر رأيه . . الذي حاول أن يجعل منه قاعدة .

ولكن الواقع شاهد بأن لكل قاعدة استثناء .

## اســــتدراك

لكن ابن الجوزي كانت له نظرته المستقبلية الصائبة مع هذا . . ولعله كان يقصد بالشيخ . . ذلك العجوز الذي يحاول استئناف حياة فات أوانها مع بنت في عمر أحفاده!

والواقع شاهد بما يقول :

فقد وافتنا وسائل الإعلام بنبأ هذا العجوز . الذي هرع إلى قسم الشرطة بشكوى ضد زوجته . . والتي اكتشف أنها ـ وهي في عصمته ـ تزوجت بغيره؟!

---

(٨) صيد الخاطر/٦٠٣ .



لقد تجاوز العجوز السبعين خريفا.. بينما كان عمر الزوجة عشرين ربيعا.

هذا العجوز الذى لولا زوجته الأولى.. ماكان غنيا.

ولولا غناه.. ماكانت الزوجة الثانية.

لكنه تناسى وضعه وتزوجها.. فكان أن تزوجت من هو فى مثل سنها.

لقد ارتكبت البنت خطأ فاحشا.. نعم.. وكان موقفها نقدا ذاتيا مدمرا.. نعم لكن الوالد.. الطامع.. والعجوز.. الطاعن.. كلاهما قد ارتكب خطيئة!!

وإذ يذهب العجوز بخلها.. فإن الوالد يذهب.. بكلها!!

## والمطـــــلوب

محاكمة هذا الوالد الأحمق:

بل إنه لم يترك من الحمق شيئا.. لأنه ذلك الرجل الذى يحاول أن يُحدث فى الزمان.. مالا يقبله الزمان!

لقد رفض الغنى.. الشاب.. القادر على إسعاد ابنته.. وهرول وراء الغنى، فكأنه يبحث عما يسعده هو.. لا عما يسعد ابنته فكان رد البنت عنيفا.. مدمدما.

كان ردا على كل من يُقدم ابنته لتكون أمة.. يبيعها فى أسواق النخاسة.. فكان على ما قال الشاعر:

**قـد اسـترد السـبايا كلُ منهزم**
**لم يبق فى قيـده إلا سـبايانا!!**

## الربيـــع الصـــامت

إنه الحمق بعينه:

أن يؤثر الإنسان حفنة من ذهب.. تذهب بمستقبله ومستقبل أهله معه.

وماذا يبقى من المال.. بعدما راحت هيبة الرجال.

واذكر هنا ذلك الربيع.. الذى صوره الشعراء من قبل يأتى.. مختالا.. ضاحكا.

إنه يأتى اليوم.. صامتا كئيبا:

إن طيوره المغردة.. ماتت بالمبيدات.

فى الوقت الذى بقيت فيه الحشرات حية.. لأنها طورت نفسها مع المبيدات.. حتى صارت غذاء لها.. وكانت أمريكا تخسر ثلث محصولها بالحشرات.

فاشترت المبيدات.

واشترتها بثلث المحصول.

ويعنى هذا:

أن النتيجة كانت أشد ضررا:

فقد دفعت ثمن المبيدات.. ثم خسرت الإنسان.. والحيوان والزرع!!

وهكذا نحن فى دنيا الناس: إننا نصنع المتاعب.. ثم نشكو بعد ذلك منها:

نشترى المتعة.. ثم فى النهاية نخسر الكرامة

**نُرقع دنيـانا بتـمـزيق ديننا**
**فـلا ديننا يبـقى ولا مـا نرقع**

## قصة العدد

# إسلام عدى بن حاتم

**جلس عدى بن حاتم فى ملأ من طيئ، وكان سيدا مطاعا، له المال والإبل والعبيد، فأخذ يتسمع الأنباء عن سرايا المسلمين إلى القبائل الضاربة فى أحشاء الجزيرة، إذ يدعون إلى الإسلام كما جاء به نبيهم محمد بن عبدالله القرشى المكى، وقد أتم الله عليه نعمته، فانتصر فى حروبه شرقا وغربا، ثم هو عادل أمين منصف، لا يميز بين الفقير والغنى، بل إن الضعيف لديه فوق القوى حتى يأخذ الحق له!**

**بقلم: عابر سبيل**

١ قال عدى: ماهذا، لا يميز بين الغنى والفقير، والضعيف عنده قوى حتى يأخذ الحق له، وأنا سيد مطاع، ولى الأمر النافذ، أبعث عبيدى فيغيرون، ولى المرباع مما يغنمون، وأقضى بين المتنازعين فى طيئ، فلا يخالفنى أحد إن قضيت كما أشاء! ثم إنى نصرانى أدين بدين المسيح، ولى أصدقاء من ملوك الشام بنى غسان، أرحل إليهم فيعرفون قدرى، ويذكرون مآثر والدى حاتم سيد كرماء العرب فى البادية والحضر، والله ما أبغض شيئا كما أبغض حديث الإسلام، ولا أمقت رجلا كما أمقت هذا الذى جاء ليجعل العبيد مع السادة على صراط سواء، قال له أحد جلسائه: ولكن فريقا من سادة طيئ قد آمن بدعوته، وقد خف إليه ملأ منهم بقيادة زيد الخيل فرجعوا مسلمين تائبين!

قال عدى: عجبا! أيذهب زيد الخيل، وهو فارس العرب جميعها لا فارس طيئ وحدها، ليلقى زمامه بيد رجل مكى من قريش، قد مد سلطانه على يثرب، وتبعه من لا يدينون بدين

المسيح! ليتني أعرف ما كان من أمر زيد مع من يزعم أنه نبي بعد عيسى بن مريم!

فرد عليه صاحبه: علمنا من أصحاب زيد، أنهم اتجهوا إلى المدينة، فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد، وجلسوا قريبا من رسول الله حيث يسمعون صوته، فلما نظر إليهم قال لهم: أنا خير لكم من العزى ومما تعبدون من دون الله، فقام زيد الخيل - وهو من أعظمهم خلقا وأحسنهم وجها - فقال له محمد وهو لا يعرفه: الحمد لله الذي أتى بك من حزنك وسهلك، ويسر قلبك للإيمان، ثم قبض على يده وقال: من أنت؟ قال: أنا زيد الخيل ابن مهلهل، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، فقال له محمد: بل أنت زيد الخير، وما ذكر رجل من العرب بفضل ثم جاء لي إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل، فبايعه هو وصحبه، وأسلمت الصفوة من طيئ.

قال عدي: ولكني لا أسلم، ثم نادى أحد غلمانه فقال له: لا أبالك، أعدد لي من إبلي جمالا ذُللا سمانا فاحبسها قريبا مني، فإذا سمعت بجيش محمد قد وطئ هذه البلاد فأعلمني، لأرحل بأهلي إلى جبلة بن الأيهم ملك غسان، إذ يطيب لديه المقام، ويحميني من بني قريش!

ولم تمض أيام حتى تحقق ما ظنه عدي، فجاء غلام يصرخ: جاءت خيل المسلمين يتقدمها علي بن أبي طالب، وهي تدعو إلى الإسلام، وتفرض الجزية على من يأبى، فدهش عدي، وسار بأولاده متجها إلى الشام حيث دبر من قبل، ذاهلا عن أخته سفانة بنت حاتم، وفي وهمه أن جبلة بن الأيهم سيأخذ بناصره، ويرسل معه من يحميه في طيئ فيقف حائلا دون امتداد الإسلام، وراعيا لمن خالف ولم يذعن.

وما كاد عدي يلقي رحله لدى الغساسنة حتى فوجئ بما لم يتوقع، إذ وجد ملكهم الكبير ينتفض رعبا من المسلمين بعد غزوة تبوك، فقد أجفل سيده هرقل عن لقاء المسلمين، وضرب رسول الله الجزية على متنصرة العرب، وذهبت سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة فأسرته وفتحت مدينته، وجعل عرب الشام يطلبون الأمان في ظل محمد، وقد يئسوا من قوة الرومان فعاهدهم على السلام وكتب لهم أمان المصالحة! فماذا عسى أن يصنع عدي، وقد اهتز تقديره للأشياء، وتلاشت ظنونه في قوة هرقل وبأس بني غسان! إنه انتبذ بمن معه مكانًا أمينا في جوار بعض المتنصرة من العرب بدومة الجندل شاردًا بتفكيره إلى حيث لا يستقر، فقد كان عزيزًا منيعًا في ملئه من طيئ، لديه المال والكراع والعبيد، وإذا لم يكن يريد الإسلام فلا أحد يجبره عليه، ولكن عليه أن يدفع الجزية لمن يقومون بحمايته، ويحافظون على كيانه، وهي ليست ضريبة تؤخذ بغيًا، ولكنها عوض عن جهاد يقوم به من يبذل الدم، وهو أغلى من المال! لقد حار الرجل في أمره ولا يدري ماذا سيصنع! ولم يلبث أن وجد الحل، فقد علمت أخته سفانة بنت حاتم بمقامه في دومة الجندل،

فرأت أن تذهب إليه لائمة معنفة حين تركها ورحل بأهله وأولاده وكأنها ليست ابنة أبيه، وكان الرجل منصفا فقال لها: لا عذر لي يا سفانة، ولكنه قدر كتب علي وعليك.. وأرجو أن أسمع منك ما يضيء لي الطريق، فقالت سفانة: لقد جاءت خيل علي بن أبي طالب، فصبحت القوم واستاقت الحبل والإبل والناس إلى رسول الله، فلما عرض الأسرى بيثرب نهضت إليه فقلت: يا محمد، هلك الوالد، وغاب الوافد، فإن أردت أن تخلي عني، ولا تشمت بي أحياء العرب، فإن أبي كان سيد قومه، يفك العاني، ويقتل الجاني، ويحفظ الجار، ويحمي الذمار، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحد في حاجة فرده خائبا، أنا سفانة بنت حاتم طيئ.

فقال رسول الله: يا جارية، هذه صفات المؤمنين حقا، ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، ثم قال: ارحموا عزيزاً ذل، وغنيا افتقر، وعالما ضاع بين جهال، ومنّ عليّ فأطلق من معي تكريما لي، فاستأذنته في الدعاء له، فأذن لي فقلت: أصاب الله ببرك مواقعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة عن كريم قوم، إلا جعلك سببا في ردها عليه.

قال عدي: هل أمان على القوم فأطلقهم من أجلك، قالت: نعم وإله محمد، فقال عدي: وبماذا تشيرين علي؟ قالت: أرى أن تذهب إلى هذا النبي قبل أن تعلقك حبائله، فإني رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة، ورأيت خصالا تعجبني، رأيته يحب الفقير، ويفك الأسير، ويرحم الصغير، ويعرف قدر الكبير، وما رأيت أجود منه ولا أكرم، فإن يكن نبيا فللسابق فضله، وإن يكن ملكا فلن تذل في عز ملكه!

قال عدي: هذا ما انتهيت إليه يا سفانة، وسأرحل إلى يثرب منذ الآن.

## ٢

خف عدي إلى يثرب، وفي خواطره شجون تتضارب، فهو تارة يتخيل رسول الله غاضبا ينقم عليه هروبه واستخذاءه فيعامله بما يعصف بمكانته لدى نفسه ثم لدى قومه حين يطير النبأ في الناس، وله خصوم سيتداولون ما كان، ويقارنون بين لقاء رسول الله ﷺ لزيد الخيل ولقائه لعدي، فيروون من الثناء المستطاب لزيد ما شرفه حيا، وما سيظل ذكره مترددا في أفواه لا تنسى حرفا واحدا مما يقول رسول الله، ثم يتجه عدي بتفكيره اتجاها آخر فيقول: إن سفانة تحدثت عن شمائل النبي بما يروق ويعجب، وروت أنه أطلق قومها من أجل أبيها، وأنا عدي ابن حاتم، فلابد أن يشملني ما شمل أسرى طيئ من قبول وصفح، ثم إني أعلم أن أناسا من المشركين شاقوا الله وعصوه، وحاربوا الإسلام في مكة، حتى ضاقت به فهاجر النبي إلى المدينة فرارا مما يلقى ثم حاربوه في غزوات بدر وأحد والخندق وغيرها، ومنهم من تولى زعامة الحرب،

فرسم الخطط، ودبر المكايد، وساق الجيوش، ومع ذلك فقد عفا رسول الله عنهم جميعا، وأنا ما حاربت، ولا دبرت، وظنى تبعا لذلك أنى أحق بالقبول من هؤلاء هكذا كان عدى بن حاتم يفكر في طريقه إلى المدينة حتى وجد نفسه في مسجد رسول الله، وقد تقدم إليه معرفا بنفسه فقال في أدب: من الرجل؟ فرد: عدى بن حاتم، فعرف في وجه رسول الله ﷺ ما ينبئ عن الارتياح، وكأن عبئا ثقيلا قد انزاح عن كاهل عدى، فلم يعد لشجونه الثائرة مجال تضطرب فيه، ورسول الله يعرف كيف يعامل الغريب الوافد، إذ من شمائله الكريمة أن يؤنس وحدته، ويذهب وحشته، فقال له: هيا، وسار معه في الطريق إلى منزله، إنه إلهام من الله لرسوله، حيث أخذ يعطي للزائر الوافد من الشواهد العملية ما يدل على أن الرسول نبى صاحب رسالة إنقاذ، وليس ملكا ينشد السيطرة والجاه، وأى دليل يقتنع به السيد الوافد أكبر من أن يرى امرأة مسكينة تنادى رسول الله وهو متجه إلى منزله، لتسأله عن بعض شأنها، فيقف معها طويلا سائلا عن حاجتها، وعاملا على قضاء مآربها، أى ملك يقف للمساكين في رعاية وعطف، ويسير مع ضيفه دون حرس من جند، أو حاشية من أتباع، هذه إحدى دلائل النبوة، ثم تلتها دلالة ثانية حين وصل عدى إلى منزل مضيفه، ولم يجد أثير الفراش ولا عزيز الرياش، وإنما وجد حجرة خالية ليس بها غير وسادة من جلد قد حشيت ليفا، فتقدم بها رسول الله إلى عدى ليجلس عليها، وجلس هو على الأرض!

أهذا نبى أم ملك، ثم جاءت الدلالة الثالثة حين بدأ رسول الله في الحديث، فتكلم كلام من يعرف عن عدى كل ماضيه، فقال له: ألم تكن تأخذ المرباع من الأموال، وهذا ما لا يحل لك في مذهبك وأنت تتعبد على دين المسيح؟ فرد عدى بالإيجاب إذ لم يجد مجالا للكذب، فانتقل رسول الله إلى إيضاح ما يجول بخاطر عدى دون أن يقدر على الإفصاح به فقال رسول الله ﷺ: لعلك ياعدى بن حاتم إنما يمنعك من الدخول في الإسلام ما ترى من حاجة المسلمين فوالله ليوشكن المال أن يفيض عليهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعله إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدو المسلمين وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله، ولعله إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين أن ترى الملك والسلطان في غير المسلمين وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت! هذا ما قاله رسول الله لعدى في منزله، وهو ما قذف بعدى إلى محيط من الدهشة المذهلة، لقد كان حقا يفكر في أمر الإسلام بينه وبين نفسه، فيقول: كيف سينتشر هذا الدين الجديد في الآفاق، وأهله قلة محصورة في إقليم من الجزيرة العربية لا يساوى شيئا إذا قيس بأطباق الأرض، فرد عليه الرسول بأن أوضح له بأن الإسلام سيغمر الآفاق المترامية حتى تسير المرأة من القادسية حاجة بيت الله لاتخاف من أحد، واختار الرسول المرأة دون الرجل لأنها أضعف

والخوف فإذا ذهب عنها الضعف وفارقها الخوف فالرجل أولى وأجدر، كما كان عدى يفكر فى افتقار المسلمين وقلة المال لديهم إذا قيسوا بملوك الأرض، والمال باب الجاه، وركيزة السلطان، فقال له الرسول: إن الفقر البادى على المسلمين اليوم مؤقت بميعاد، وسيطل يوم قريب يفيض فيه المال لديهم حتى لا يجد من يأخذه! ثم هو قد فكر فى عظمة قيصر ومنعة كسرى وكيف للإسلام بالانتصار على أكبر مملكتين قويتين تحكمان العالم فقال له الرسول: وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت! كيف أدرك الرسول خواطره وهى دفينة فى صدره فأجاب عنها بما يشفى الغليل! إنها النبوة الصادقة لا محالة، وإذن فالإسلام حق، ولابد أن ينضوى تحت لوائه، بعد أن اقتنع أكبر اقتناع! وقد كان.

وانتقل عدى من المنزل الشريف إلى المسجد ثانية، فوجد جماعة ينتظرون رسول الله سائلين عن التصدق بالقليل، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: لكم أيها الناس أن ترضخوا من الفضل، بصاع أو ببضع صاع، بقبضة أو ببعض قبضة، وإن أحدكم سيلاقى الله فيسأله: ألم أجعلك سميعا بصيرا؟ ألم أجعل لك مالا وولدا؟ ماذا قدمت، فينظر بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله فما يجد شيئا، فما يتقى النار إلا بوجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة لينة، إنى لا أخشى عليكم الفاقة، لينصرنكم الله- أو ليفتحن عليكم- حتى تسير الظعينة بين الحيرة ويثرب، وما تخاف.

سمع عدى حديث الرسول لأصحابه، فنزل من نفسه منزلة الماء من ذى الغلة، نقع أواما وشفى غليلا، ثم ودع المدينة، وسار إلى منزله الأول بمضارب طيئ ليجد من سبقوه إلى الإيمان يستقبلونه فرحين.

## ٣

آمن عدى عن اعتقاد، فصار الإسلام آثر عنده من أهله ومن نفسه، وصار يحث قومه على تعاليم الحنيف، وحفظ القرآن، آسفا أن تأخر إسلامه، فلم يصحب رسول الله ﷺ فى غزواته، وقال لقومه: أريد معارك إسلامية تسبق فيها طيئ إلى رفع اللواء كما سبق المهاجرون والأنصار، وقومه يقولون: لو أقدمت من قبل لكنا من خلفك، ولعل لله حكمة فى تمهلنا، ألست تذكر أن الإسلام سينتشر فى ربوع الروم وبلاد فارس ولن ينتشر إلا بقتال الكفر، ونحن متربصون لنجاهد.

ثم حانت المعركة الأولى حيث قامت حرب الردة، فقد انتقضت قبائل الجزيرة على الإسلام انتقاضا كاد أن يحدث أعنف الزلازل، لولا إيمان أبى بكر الصديق، فقد عرف أن الله ناصر دينه مهما تألبت الجموع، وعارض من دعا إلى الاعتصام بالمدينة ونبذ القتال، فقال مقولته الشهيرة: والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه! ومن ثم توجهت جيوش الإسلام إلى شتى القبائل، وتوجه خالد بن الوليد على رأس من خفوا

لمحاربة المتنبئ الكاذب طليحة الأسدى، حيث ادعى النبوة، والتف حوله ذوو المطامع ومنهم من قال لأن تتبع نبيا من أسد وطيئ خير من أن تتبع نبيا من قريش، واستمع عدى إلى ما يقال فعرف أن المرتدين كذابون يلتفون حول كذاب، وأن أوان الجهاد الذى يتشوق إليه قد حان، ولكنه كان ذا حنكة عاقلة، وتفكير أريب، إذ آثر أن يبلغ بالرأى أضعاف ما يبلغه المجاهدون بالسيف، فذهب إلى خالد بن الوليد، وقال له: إن طيئا ذات فرعين كبيرين هما الغوث وجديلة، ولى برؤسائهما صلة وإعزاز، فأجل هجومك ثلاثة أيام حتى أفعل ما أرى، فإذا يسر الله الأمر واقنعت من أعلم، فقد كفينا من شر كبير، قال له خالد: فماذا ستصنع، قال: سآتى إلى الغوث فهم ألين وأطوع، وأبين لهم كذب هذا المفترى حتى يعرفوا طليحة الأسدى على حقيقته، وما أزال بهم حتى ينفضوا عنه، فينضموا إلى جيشك، وهذه هى الأولى، أما الثانية فأذهب إلى جديلة وأقول لهم ماذا ستصنعون وحدكم؟ وقد اقتنع الغوث بكذب طليحة، ولئن قاتلتم جيش خالد فستقاتلون إخوانكم من الغوث وهم فى طليعة جيش المسلمين، ولا يلبث الواحد منكم أن يرى صهره وصديقه أمامه وجها لوجه فيحار فيما يصنع، قال خالد: على بركة الله يا عدى، فقد أوصانى أبوبكر بالاستماع إليك، وهو يراك رجل صدق ومعروف، قال عدى: حيا الله خليفة رسول الله، وقد جاءت نوبتنا فى الجهاد.

اتجه عدى إلى زعماء الغوث، فقال لهم: الإسلام منتصر، وقد ذهب المسلمون من قبل لقتال الروم فى تبوك والبلقاء ودومة الجندل وذى أوان فانتصروا انتصارا كبيرا، أفيثبت لهم طليحة، وأكثر من معه لا يصدقونه، ولكنهم خرجوا عصبية لا دينا، فإذا حمى الوطيس تركوه ولاذوا بشقاق الجبال، فتنهزمون بانهزامهم، وتدور عليكم الدائرة، ويقع فى الأسر من سلم من الموت، وتسبى الذرارى والنساء! هذا هو المآل فماذا تنتظرون؟ قالوا لعدى، آثرت بالخير، وانتظر حتى نرسل لأشياعنا فى جديلة، فنكون جميعا على كلمة سواء! وبادروا فأتوا بأوليائهم من جديلة، وسر خالد بما كان من عدى، فقال له: بلغنا نصف ما نهدف فهلم!

توجه عدى إلى جديلة فقال لهم: لقد انضمت الغوث إلى خالد، ومن ورائه مدد من المسلمين لا يحصى ولا يعد، وقد تخصص طليحة وترك القتال لأصحابه زاعما أنه يسبح ربه، ولو كان صادقا لانتصر حين دعا النبوة من قبل وزعم أن جبريل ينزل عليه، فهزمه ضرار بن الأزور، وأنتم الآن محاصرون بين شقى الرحى من المسلمين، إذا جاءوكم من شمال ويمين، فكونوا مع الكفة الراجحة التى فاء إليها إخوانكم من الغوث، واتقوا قتل الرجال وسبى الذرارى والنساء! فقالوا لعدى: نعهدك ذا أمانة، ونحن من ورائك فسر بنا إلى خالد! ولحق بالمسلمين ألف راكب من طيئ.



ثم دار القتال فى أماكن لم يعرفها المسلمون من قبل، فكان أعداؤهم يتحصنون فى المغاور والكهوف حتى طال الأمد، فقال خالد لعدى: ماذا ترى؟ فقال عدى: الرأى أن تنتظر معى فى طيئ حتى أبعث إلى كل قبائلها، فأجمع منهم أكثر مما معك، وقد عجل فجمع كثيرا من الناس، ولكن أسدا وغطفان قد انضموا إلى جيش طليحة، وقال أناس من طيئ: إن أسدا أصهارنا، ولن نحاربهم، بل نقتصر على غطفان، فصاح بهم عدى: والله لو كان ولدى وإخوتى فى جيش طليحة لقاتلتهم حتى أبيدهم، والأمر أمر إسلام وكفر لا أمر مصاهرة وأنساب! ثم تقدم إلى خالد بمن معه، فتقدم المخالفون من ورائه، ودارت معركة رهيبة انتهت بخذلان طليحة وفراره، رجع الطائيون مسرورين يشيدون برأى عدى، ويقولون له: أنت أحسننا نقيبة، لأنك خير مولود فى طيئ كفاها الخذلان! قال عدى: كنت أرى ما سيكون يلحظ الغيث منذ شهدت محمد ابن عبدالله، إذ كان وجهه وجه نبى، وقوله قول نبى، وفعله فعل نبى، أفيبلغ بى الهوس أن أقرن به كذابا مثل طليحة الأسدى! لقد جاء نصر الله والفتح، ودخل الناس فى دين الله فلا نكوص ولا ارتداد.

انتهت حروب الردة بانتصار الإسلام، وأحس عدى برد الراحة لأنه أدى عملا بطوليا يحسب له فى سجل الوقائع، وقد قال لقومه من طيئ: لن يفخر علينا أحد بعد أن كسبنا النصر بالرأى والسيف معا، وإنى لأستعد لمثلها!

فقال أحد سامعيه!: وما مثلها بعد اليوم وقد انهزم المرتدون فى كل موقعة، وألقوا السلم عن قهر، وفاز المسلمون برضوان الله!

فرد عدى: لقد وعد رسول الله أن تسير المرأة من القادسية إلى مكة آمنة فى كنف الإسلام! كما وعد أن تكون قصور بابل فى حوزة المسلمين وإنى لأنتظر هذا اليوم وهو قريب!

ولم يتخلف ظن عدى، فقد انتقل خالد من حرب الردة إلى فتح العراق، وتدفقت الجيوش إلى لقاء القائد الفارسى هرمز، وكان فى طليعة الغزاة أبطال عظام مثل: المثنى بن حارثة وأخويه والقعقاع بن عمرو، وعياض ابن غنم، وعدى بن حاتم وتهيأ هرمز بمن لا يحصون من الجنود فى غزوة ذات السلاسل، ولكن ثقة عدى فى قول رسول الله، جعلته يستهين بالفيلة الضخمة فوقها الفوارس المدرعون بسيوفهم الباترة! ولم يكن رأى فيلا من قبل! فحين رأى تردد بعض المسلمين صاح بهم: النصر مكتوب وقد سمعت حديثه من رسول الله!

واشتعلت المعمعة بنيرانها الملتهبة، فكان النصر للأبطال من أصحاب خالد، وسجل التاريخ فى أمجاد المثنى والقعقاع وعدى وعياض بأحرف من ضياء! وصاح عدى الآن تسير المرأة حاجة من القادسية إلى مكة، وغداً ياقوم ستحتل قصور بابل فلا مناص.. وقد كان.

## رمضان في بلاد الأمريكان (٣)

# الأرض الخصبة والتأهب للغرس

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

إن الذي يعاين تاريخ الإسلام يدرك أن هذا الدين يمتاز فيما يمتاز به بخصلتين بارزتين لا تخطئهما عين المعاين للتاريخ الناصع البياض أولهما: أنه دين ذو طبيعة خاصة يمتاز بالديناميكية الذاتية.
ثانيهما: وهي مؤسسة على الأولى - أنه يترعرع في أوقات السلم.

بادرني صاحبي مهللا: على رسلك وقبل أن تسترسل أقول لك: إن كلامك في حاجة إلى بيان وتوضيح.

قلت: لا تثريب عليك فيما تطلب من بيان وتوضيح وليس لي عندك إلا مطلب واحد هو ألا تكتم شيئا مما تريد فيما تحسبه يحتاج إلى بيان وتوضيح وأرجو ألا يمنعك الحياء أن تسأل عما بدا لك فنحن - أنا وأنت - طلاب معرفة سوف تخسر كثيراً إذا كتمت أنت شيئا ولم تفصح عنه وكذلك سوف تخسر كثيراً إن أنا كتمت عنك علما أعرفه فذلك ينافي أدب الإسلام الذي أدبنا به رسول الله ﷺ حيث أخبرنا بما توعد الله به كاتم العلم فقال: «من علم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»[1] وعلى أي حال الحمد لله فأنا لا أزعم أني عالم ولا أحب أن أكتم شيئا علمني الله إياه.

قال: جزاك الله خيراً لكني أرجو ألا تغضب مني إن طلبت شيئا أو ألححت فيه.

قلت: لن أغضب منك - إن شاء الله - مادام الذي تطلبه في حدود الحوار المهذب أما إن كانت الأخرى فاسمح لي أن أقول لك - بلا حياء مصطنع - كلمة مأثورة تنسب للإمام الشافعي - رضي الله عنه: (من استغضب ولم يغضب فهو حمار) ولست كذلك ولا أحب أن أكون.

---

(١) كتاب جامع بيان العلوم وفضله.

قال: إنك تكاد أن تخرج عما نريد، لكن اسمح لي أن أقول لك إن بعض تعبيراتك غريبة لا أكاد أفهمها من أول وهلة فمثلا قولك في بداية حديثك (إن الذي يعاين تاريخ الإسلام) فلماذا لم تقل إن الذي يقرأ تاريخ الإسلام وهي كلمة واقعية لأننا في الواقع (نقرأ) ما سطره المؤرخون فلماذا تركت نقرأ وآثرت (نعاين) وهي على خلاف الواقع؟

قلت لصاحبي: لقد أحسنت فيما سألتني عنه، فهذه الكلمة هي ما أريده بالضبط من التاريخ، فالمؤرخ يسجل الأحداث فقط وقصارى ما نطلبه منه أن يسجل بأمانة ودقة وحيدة أما إذا حاول أن يكتب رؤيته وتقريره للأحداث فإنه - حتى وإن كان صادقا موفقا - في التفسير والتحليل والاستنباط.

أما التحليل والتعليل فتلك مهمة أخرى تأتي بعده منه أو من غيره شريطة أن ينفصل هو بين تسجيل الحدث والرؤية الخاصة أو التعليل لما حدث: وأنا أريدك أن تعاين التاريخ كأنك تشاهده أو كأنك داخل الحدث، أو أحد أفراده، إذ بالقراءة المجردة نكون قد أضفنا إلى نسخ الكتاب نسخة أخرى ليس إلا، وليس في ذلك كبير فائدة فيما أعلم، ثم أردفت قائلا: على أي حال تعال بنا نعاين التاريخ ونعايشه.

كان النبي ﷺ في طريق عودته من مكة إلى المدينة بعد أن منعه المشركون من أداء العمرة فتحلل منها وكانت نفوس المؤمنين يملؤها الغيظ والأسى، على أن بعضا منهم كانت تطل من رأسه علامات استفهام وتعبث بعقله كثير من الشكوك والظنون على هيئة أسئلة لا يستطيع لها جوابا، ألم يخبرنا رسول الله ﷺ برؤياه الذي سيدخل فيها البيت الحرام ونحن معه آمنين محلقين وخرجنا يحدونا الأمل ويدفعنا الشوق إلى مكة والبيت وها نحن عائدون يمزقنا الغيظ لم ندخل مكة ولم نعتمر؟! كانوا كذلك إلا واحدا منهم كان يضطرب اضطرابا شديدا خوفا أن يحل به عذاب لأنه خيل إليه أنه كان يعارض الرسول ﷺ في رأي رآه! ذلكم هو سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقد كان شديد العناد فيما طلبه المشركون يوم ذاك ونزلت على رسول الله ﷺ في طريق عودته سورة، تصور ابن الخطاب أنها نزلت فيه تنذره بعذاب لأنه كان يرى غير ما رآه الرسول ﷺ لكن السورة لم تنزل بعذاب أو وعيد بل نزلت بالبشرى وأي بشرى؟ وقد عادوا ولم يحققوا شيئا مما جاءوا من أجله؟.. في رأيي أن الصلح الذي تم بين الرسول ﷺ وبين المشركين بما حققه من وقف حرب المشركين للدعوة أعطى أعظم فرصة للإسلام دين السلام أن ينتشر وأن يغزو القلوب في يسر وسهولة دعك من كل الشروط المجحفة أو المنصفة ولكن المهم أن يتهيأ السلام وأن يأمن الناس فذلك هو حقل الدين الخصيب لأن أول ما نزل على رسول الله ﷺ بشأن تبليغ الدعوة:

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾(٢) إذن هو إنذار وبلاغ وإعلام وليس قتالاً وحربا، ولما كان مطلوبا منه أن يتسع في مجال الدعوة خارج دائرة العشيرة قال الله - تعالى - له:

---

(٢) سورة الشعراء/ ٢١٤.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾(٢).

فدعوة الإسلام ليس وارداً فيها لتبليغ الرسالة حرب أو قتال إنما هو البلاغ. وثمة ملمح جميل نراه متناصلاً عفوياً محصلة لهذه المعاني لدى فقهاء المسلمين جميعا عندما نتصفح كتب الفقه في أحكام العبادات يقولون إن الأحكام الإسلامية لا يلتزم بها أو لا تجب على من لم يسمع بالدين الجديد لأن المسئولية تقع على حملة الدعوة عند تقصيرهم عن أداء الأمانة وعدم التبليغ ولهذا الفهم المستقيم الذى تأسس على مبادىء دين سليم مستقيم نجد من أول شروط وجوب الأحكام الشرعية يذكر الفقهاء شرطا يحدد هذه القضية تماما فيقولون من شروط وجوب الأحكام (بلوغ الدعوة) جميع الفقهاء ذكروا ذلك بالنص وليس ذلك إلا من روح الإسلام الذى ينبذ العنف والقتال فلم يشرع القتال إلا دفاعا عن الدعوة ضد من أرادوا اغتيالها.

كان المسلمون يتحملون العنف من المشركين صابرين مسالمين ممنوعين من القتال ومن رد العدوان. ولذلك فإن أول آية نزلت كانت بالإذن لرد العدوان وليس للقتال؟

يقول الله تعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(٤).

ومعنى هذه الآية فيما أفهم أنه بعد أن نفد صبر هؤلاء المعتدى عليهم لم يعد فى إمكانهم التحمل لألوان الأذى والعدوان أذن الله لهم فى الدفاع عن أنفسهم.

قال صاحبى: يا سبحان الله - مالك قد طوحت بنا من التاريخ إلى الفقه إلى التفسير وأسباب النزول وأحس كأنك لم تقض وطرك بعد من الحديث ورغم كل ذلك لا أكاد أفهم مرادك.

قلت لصاحبى: الحمد لله أنك كنت معى فيما طوحت إليه من مجالات؟ وأشهد أنك متابع جيد وهذا يثلج صدرى، أما أنك لم تفهم مرادى فهذا أحمده لك حيث إنك أضفت به إلى جانب المتابعة الفهم الصحيح حيث إننى لم أصل إلى مرادى حتى الآن فأنا أشكرك. أولاً على المتابعة. وثانيا على الفهم الصحيح. وأحمد لك أولاً وأخيراً الصدق فى الإفصاح عن أنك لم تفهم مرادى حتى الآن فلم تجاملنى أو تخدع نفسك!!!

ثم أردفت قائلاً إن الإسلام عقيدة. والعقيدة لا يمكن فرضها بالحرب هذه حقيقة نفسية لا ينكرها خصومنا إذ ليست هى قرآناً ولا حديثاً نبوياً يسارعون إلى رفضه. فأنت تستطيع أن تتغلب على شعب عسكرياً لكنك لا تستطيع أن تُكره إنساناً واحداً على حبك.

ثم قلت لصاحبى - وأنا أحاول أن أحمله برفق إلى معاينة التاريخ -: ما لنا نعتسف الموضوع كله تعال معى نشاهد الأحداث فى عهد النبوة فهناك حادثة مهمة فى تاريخ الدعوة

---

(٢) سورة المائدة/ ٦٧.

(٤) سورة الحج (٣٩)

الإسلامية في رأيي لم تأخذ حقها من رجال الدعوة طلاباً وأساتذة فدلالتها بليغة عميقة في حياة الدعوة ونموها. هذه الحادثة هي صلح الحديبية فلقد تكلم العلماء كثيراً عن بيعتي العقبة الأولى والثانية. وبينوا أهميتهما في تأسيس الدعوة كما تحدثوا عن الهجرة ودورها في بناء الدولة الإسلامية وانتشارها حيث أمن المسلمون وبدأوا عصرا جديدا في بناء الدولة وكذلك بيَّن المفسرون أصحاب علوم القرآن فيما بينوا فروقاً عدة بين القرآن في عصره المدني وعصره المكي كدلالة على أن المرحلة المدنية مرحلة تأسيس وبناء الدولة وتكلموا عن خصائص الآي فيما نزل بمكة وما نزل بالمدينة فهي في مكة قصيرة متتابعة، أما في العصر المدني فإن الآيات طويلة والسور أيضاً فأكثر السور المدنية تمتاز بالطول فإنها تتكلم عن الأحكام غالباً وهي تحتاج إلى بسط وتطويل.

كما تكلم العلماء عن دخول مكة وسموه فتحاً فهي مهبط الوحي وركن الحج.

أما الحدث الذي لم يأخذ حقه من الدراسة والتحليل في رأيي فهو صلح الحديبية فهو بداية عصر جديد ونضوج وظهور لمنهج الإسلام السلمي وكما أن الكائنات الحية - الإنسان والحيوان والنبات - تحيا على الهواء فكذلك هذا الدين أنه دين إنساني ينمو ويترعرع في ظل الأمن وينساب إلى القلوب في أجواء السلام والاطمئنان.

وكانت الحديبية - في رأيي أيضا - بداية عصر جديد وأهم ما فيها أنها أنهت أسطورة القوة الغاشمة لعناصر الشر والجاهلية وأرغمتهم على طلب التراجع أمام الهدى الإسلامي.

قال صاحبي - في نبرة تهكم غير خافية: كيف؟

قلت مبادراً: إن قوى الشر استطاعت أن تفرض بغطرستها شروطاً مجحفة ظناً منها أنها تخنق الدعوة الوليدة في مهدها وليس خافياً أن أصحاب النبي ﷺ كانوا يرفضون هذه الشروط وكادت أن تحدث فتنة أو ما نسميه بلغة العصر تمرد وعصيان بين المسلمين لولا حكمة أم سلمة - رضي الله عنها - حيث كانت هذه الشروط مؤلمة يكفي أن توجع منها ذلك الجسور عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وما أدراك ما عمر ذلك الوحيد الذي خرج شاهراً سيفه يوم أن هاجر يزأر متوعداً كل من تسول له نفسه أن يعترض طريقه.

أسرع صاحبي والتقط كلمة من الحوار يسائلني عنها: لماذا تصف الفاروق عمر بأنه يتوجع مع أنه كما عرفنا موقفه يوم الهجرة جسورا؟!.

قلت لصاحبي: كان عمر جسوراً يوم الهجرة جسارة الإيمان في مواجهة الكفر وجسارة العلم والنور في مواجهة الجاهلية والظلام؛ أما في يوم الحديبية فإن الوضع مختلف تماماً إنه ثار على الشروط المجحفة في جسارته المعهودة في غير تكلف أو اصطناع لكن رسول الله ﷺ كتم ثورته وكبح جماحه بقوله: «أنا رسول الله ولن يضيعني» فلم يستطع أن يقف أمام هذه القوة الإلهية التي واجهه بها رسول الله ﷺ فكان يتوجع من كتمان الثورة الهائلة في داخله ثم أردفت قائلاً - في مقارنة إيمانية بين الكلمات - هل تذكر ماذا قال سيدنا العباس لسيدنا أبو



سفيان – رضي الله عنهما – يوم دخول مكة وكانت كتائب المسلمين تمر أمام أبي سفيان فهالته العدة والعتاد؟ قال: – ولم يكن قد أسلم بعد – قال: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فقال العباس كلمة نبيلة فيها تقييم للموقف كله وللعصر كله تقييم مختلف فيه استيعاب رائع للتغيير الذي طرأ على البشرية فأنار أفئدتها وأكسبها رحابة تسع الكون كله في رضى وإخاء.

قال العباس – رضي الله عنه: «إنها النبوة» – نعم فذلك الذي جعل الجسور عمر يكتم ثورته ويتوجع في صمت تحول إلى قبول ورضا في حجر النبوة لما سمع قول رسول الله ﷺ: «أنا رسول الله ولن يضيعني» هذه الثورة الجامحة وهذا التحول الرباني لم يستمر إلا بمقدار الزمن الذي سار فيه عمر من عند رسول الله ﷺ إلى أبي بكر – رضي الله عنه – ليسمع الكلمة ذاتها: «إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا» وأبادر فأقول لصاحبي محذرا إن هذا الزمن الذي استغرقه تغير عمر ليس راجعا إلى القوة الإلهية، لأن القوة الإلهية لا يحدها زمن، لأن أمرها كن فيكون إنما هو مقدار الفترة التي استغرقتها جزئيات عمر لتتحول من الاعتراض إلى الرضا والقبول فطابت نفسه – رضي الله عنه.

عن سهل بن حنيف قال: «لقد كنا مع رسول الله ﷺ – يوم الحديبية – ولو نرى قتالا لقاتلنا – وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين – فجاء عمر بن الخطاب فأتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال بلى، قال أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال بلى؟ قال ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا».

فانطلق عمر فلم يصبر متغيظا فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا فنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا».

فنزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه قال: يا رسول الله أوفتحٌ هو؟ قال: نعم. فطابت نفسه ورجع(*).

ولست أدري لماذا لم يسمه كتاب السير فتحاً وإنما سموه صلحاً وأدرجوه أيضاً في ثبت الغزوات – سامحهم الله – مع أن الله – سبحانه وتعالى – سماه فتحاً وأنزل في شأنه سورة سماها باسمه. ورسول الله ﷺ سماه فتحاً لما سأله عمر أو فتح هو قال نعم فطابت نفس عمر بالتسمية وكذلك قال ابن مسعود – رضي الله عنه –: إنكم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح الحديبية؟ وعن جابر بن عبدالله: «ما كنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية» وقال البخاري عن البراء – رضي الله عنه – قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان

---

(*) البخاري كتاب الجهاد والسير حديث رقم ٢٩٥٠.



فتح مكة فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية»[٦].

وأنا أرى أن تسمية الله - سبحانه وتعالى - له فتحاً وجواب النبى ﷺ الذى طابت به نفس عمر أنه فتح لأن الله - تعالى - هيأ الأسباب لنشر دينه فكما يقول بعض الصالحين: «إذا أراد الله شيئاً هيأ له الأسباب».

قلت لصاحبى كأنى بصلح الحديبية وقد نشر الأمن وأوقف القتال فظهرت قوة الإسلام الحقيقية التى هى أساس نشر الدين الإسلامى والتى ضج منها المشركون يومئذ يلتمسون إلغاء الصلح وذلك ليس فى بدء الدعوة فقط بل لو تصفحت التاريخ لعرفت أن الإسلام انتشر حتى الصين شرقاً عن طريق التجار وكذلك وصل إلى مجاهل إفريقيا عن طريق التجار أيضاً؟ أعتقد أنك تعلم أن التجار المسلمين لم يكونوا يخفون فى طيات ملابسهم أسلحة بيضاء ولا سوداء ولا أسلحة دمار فتاكة.

فلم تكن هناك حرب واحدة فى إفريقيا لنشر الإسلام غير ما كان فى الشمال الأفريقى.

والأعجب أنك ترى الإسلام ينساب إلى قلوب الغزاة الغلاظ فيحيلهم إلى قوة سلام دافعة للبشرية، فإن المغول دخلوا غزاة غلاظاً مدمرين فاتحين وتمت لهم السيطرة العسكرية على بلاد الإسلام، التى وصلوا إليها ثم تحولوا إلى الإسلام، فهل دخل الإسلام والتشر بينهم بقوة السيف؟ وكما يقولون: ما أشبه الليلة بالبارحة إن أمريكا تسيطر الآن على مقدرات العالم والعالم الإسلامى بالذات لكنى أرى أن الإسلام سوف ينتشر داخل أمريكا نفسها بالسلم والإقناع.

ومهما ألقت من قنابل محرقة مدمرة فإننى أرى هذه النيران تشعل عيدان الإسلام فتظهر رائحتها الذكية وصدق الشاعر حيث يقول:

**وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت**
**أتاح لها لسان حسود**
**لولا اشتعال النار فيما جاورت**
**ما كان يعرف طيب عرف العود**

وبرغم فعال الهوج والتهور الأمريكى فإننا نرجو الخير والهداية لهم.

والوقت الآن مناسب وأمريكا بالذات مهيأة للإسلام.

قال صاحبى: كنت استمع إليك محللاً مدققاً فيما قلت، لكنى أراك تحلم مفرطاً فى أحلامك فما الذى دهاك هل أخذتك سنة من النوم ؟ قلت لصاحبى: سامحك الله إنه واجب الدعوة نؤديه فنحمله إلى البشرية فى أمن وسلام وإصرار.

وأمريكا الآن أرض خصبة فالمواطن الأمريكى خاو من الداخل يفتقد روح المودة والأسرة فهذه عملات لا يعرفها وعلينا أن نتسلح بأسلحة العصر فى مخاطبة الآخرين وأن نقدم الإسلام جادين غير هازلين أو مستهترين من خلال أناس مهيئين علمياً وثقافياً وأن نترك مخاطبة أنفسنا والحديث عن أمجادنا .فأمريكا أرض خصبة وقد أفاق المواطن الأمريكى وسمع بالإسلام فعلينا أن نقدمه كما أنزل ديناً رحيماً طاهراً عفيفاً.

والله الموفق والهادى إلى سواء الصراط.

---

(٦) ابن كثير تفسير سورة الفتح.

# دمعة على طريق التوبة

شعر/ محمد فتحي سعد

من دمعة في الحنايا ** ولوعة في الحشايا
من أوبتي من طريق ** أضعت فيه خطايا
أطعت نفسي فراحت ** تهيم بين الشطايا
حسبت بعض غنائي ** أنشودة للرعايا
وغنوة تتهادى ** على شفاه البرايا
كنتُ انطلقتُ بشعري ** خلف الهوى والصبايا
أهيم في سكرة الغُـ ** ـر سادرا في شقايا
بحفنة من غناء ** وحفنة من شكايا
وجلسة عند ليلى ** أبثُّ فيها هوايا
وموعد لاقتسام الـ ** أشواق بين الضحايا
رأيت نفسي تهاوت ** وعربدت في الرزايا
تناثرت كرماد ** يلوح خلف البقايا
في يوم ريح وشوك ** قد لملمته الزوايا
أضم بعضي لبعضي ** كآهة في الحنايا
دم ودمع، وأفعى ** نهاشة كالمنايا
تفح شيئا فشيئا ** وتختفي في النوايا
ويسحب الصمت همسا ** على شفاه المرايا
صرخت: روحي، اتركوها ** لم تأت بعد المطايا
هذا أوان رجوعي ** إلى دروب هُدايا
قد كنتُ عبدا شرودا ** تخطفته الدنايا
رجعت يوم دعاني ** نورٌ أضاء الحنايا
قد عدت للنور أشدو ** بما مُنحت هدايا
فاصفح وخذ بيد النا ** ئب الكثير الخطايا
أنت الكريم وذنبي ** عند الكريم عطايا

# الظلم

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

**الظلم كلمة بغيضة، وصفة مذمومة، ينفر منها أصحاب النفوس الكريمة، ويتجنبه ويبتعد عنه أصحاب الهمم العالية الرفيعة، يخشاه الأتقياء، ويخاف منه الأولياء. ولقسوة وقع الظلم على المظلومين، والمرارة التى يتجرع كأسها المظلومون، والإحساس بالغبن والألم الذى يعانيه المظلومون حرم الإسلام الظلم تحريما قاطعا، وتوعد من يرتكبه بالعذاب الأليم، وبلغ من شدة تأكيد الإسلام على تحريم الظلم إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قرن تحريم الظلم على نفسه بأمر العباد بتحريم الظلم فيما بينهم.**

فعن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ فيما روى عن الله ـ تبارك وتعالى ـ أنه قال: «ياعبادى: إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا، ياعبادى: كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدونى أهدكم، ياعبادى: كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعمونى أطعمكم، ياعبادى: كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسونى أكسكم، ياعبادى: إنكم تخطئون بالليل والنهار. وأنا أغفر الذنوب جميعا. فاستغفرونى أغفر لكم، ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، ياعبادى: لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، مازاد ذلك فى ملكى شيئا، ياعبادى: لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكى شيئا، ياعبادى: لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته مانقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، ياعبادى: إنما هى أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1].

ويحذرنا رسول الله ﷺ من الظلم، ويصف

(١) الترغيب والترهيب ٣/١٧٥، ابن عساكر ٧/٢٠٦.



لنا سوء عاقبته فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «إياكم والظلم فإن الظلم هو ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفاحش والمتفحش، وإياكم والشح فإن الشح دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»(٣) والظالم الذي يستغل موقعه، أو يستغل قوته، أو يستغل غلبته بعد أن تمكن الشيطان منه وسخره أداة للشر، وجعله مناعا للخير معتد أثيم يعتدي على حقوق الآخرين، ويسلب مالهم أو عرضهم أو شرفهم محاباة لنفسه أو لأقربائه أو لأصدقائه أو إرضاء للحكام والرؤساء، هذا الظالم قد عمي بصره، وفرغ قلبه، وافتقده طبعه الدنيء، ونفسه الأمارة بالسوء، وغروره بدنياه الفانية، افتقده ذلك خشية الله والخوف منه، وأنساه قول الله ـ تعالى ـ:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ۝ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾(٣).

ولقد أكثر القرآن الكريم في النهي عن الظلم وتحريمه، والتحذير من سوء عاقبته في الدنيا والآخرة، فقد وردت مادة: الظلم وتصرفاتها: أظلم، يظلم، ظالم، مظلوم، ظالمون، تظلمون.... الخ في مائتين وتسعة وثمانين آية من سور القرآن الكريم.

كما وردت مادة قسط يقسط بمعنى جار وحاد عن الحق في آيتين من سور القرآن الكريم..

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى التحذير من الظلم وسوء عاقبته.. وللمعاناة التي يكابدها المظلوم، والجراح التي يقاسي ألمها المظلوم، أقسم الله بذاته على ذاته بالاستجابة لدعوة المظلوم ونصرته حتى لو كان المظلوم فاجرا أو كافرا.. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين»(٤)، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرا، ففجوره على نفسه»، وعن أبي عبد الله الأسدي قال: سمعت أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ يقول: قال رسول الله ﷺ: «دعوة المظلوم وإن كان كافرا ليس دونها حجاب»(٥).

وقد يزداد غضب الله على الظالم فيؤخر عقابه بعض الوقت فيتمادى الظالم في غيه وهو غير مدرك أن الله يمهله ليزيده عقابا وعذابا. فعن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ(٦): «إن الله يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(٧).

---

(٢) أخرجه أحمد ٢/١٠٦، ١٩١، ١٩٥، ٤٣١، ٣/٣٢٣.

(٣) إبراهيم (٤٢، ٤٣).

(٤) ابن عدي ٧/٢٦١٧، الترغيب والترهيب ٣/٦٨٨.

(٥) مجمع الزوائد ١٠/١٥٢، الترغيب والترهيب ٣/٦٨٨.

(٦) أخرجه البيهقي ٦/٩٤.

(٧) هود (١٠٢).





هذا في الدنيا أما في الآخرة فهو الخسران المبين. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شئ فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولادرهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[8]. وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[9].

وعاقبة الظلم وشره، وحسابه الشديد، وسيئاته، لا تقع على الظالم وحده، بل يشاركه في الحساب والعقاب من أعان الظالم على الظلم وزينه له، بل ومن رأى وعلم وشاهد الظلم يقع على المظلوم ولم يهب يدافع عنه. فعن جابر وأبي طلحة ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يخذل امرءاً مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»[10].

وإذا تفشى الظلم في مجتمع من المجتمعات، وتخاذل أفراد المجتمع عن منع الظالمين من ظلمهم، عمت نقمة الله على هذا المجتمع، وذاق أفراده الذل والهوان، وحرموا نعم الله، وأغلقت أبواب رحمته أمامهم. فعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «لا تظلموا فتدعوا فلا يستجاب لكم، وتستسقوا فلا تسقوا، وتستنصروا فلا تنصروا»[11].

هدانا الله إلى الحق والصواب، وأرشدنا إلى الصراط المستقيم، وجنبنا الزلل والوقوع في إثم الظلم والظالمين، وأعاننا على منع الظلم وعلى نصرة المظلوم، وصلاة وسلاما عليك ياسيدي يارسول الله فقد أرشدتنا إلى منهج الاسلام في نصرة الظالم والمظلوم. فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنصر أخاك ظالما أو مظلوما، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما، أفرأيت إن كان ظالما كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه عن الظلم، فإن ذلك نصره»[12].

---

(8) أخرجه البخاري ١٢٨/٨، وأحمد ٥٠٦/٢.

(9) أخرجه أحمد ٣٠٣/٢، ٣٧٢، والبيهقي ٣٢٩/١، ٩٣/٦

(10) الترغيب والترهيب ١٩٠/٣.

(11) مجمع الزوائد ٢٣٥/٥، الترغيب والترهيب ١٤٨/٣.

(12) أخرجه البخاري ١٦٨/٣، ٢٨/٩، وأحمد ٩٩/٣، ٢٠١، والبيهقي ٩٤/٦

# من آيات الله فى السماء

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

إن للقرآن الكريم أسلوبه الحكيم فى الدلالة على آيات الله فى الكون، وإن الهداية التى جاء القرآن الكريم من أجلها تقتضى ألا يخاطب الناس عن الكون بما ينكرون أو بما يستعصى على أفهامهم. فيقوم ذلك حجاباً بينهم وبين قبول دعوته، وحاملاً على أن يكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه. أيضاً، تقتضى الهداية التى جاء القرآن الكريم من أجلها ألا يوافق الناس على باطل معتقداتهم الكونية فى عصر نزول الوحى به. فيقوم ذلك حائلاً دون قبول دعوته فى عصور ازدهار العلم الكونى التى علم الله الذى أنزل القرآن أنها ستكون.

وتجنب هذين العائقين عن قبول هداية القرآن هو من بدائع إعجاز أسلوبه. ومن أكبر الدلائل على أنه حقاً من عند الله فاطر الناس وفاطر الكون.

(*) نائب رئيس جامعة القاهرة

## السماء لغة واصطلاحاً

كلمة «السماء» في اللغة تعني في قول الجمهور «المظلة»، وهي أيضاً السماء الزرقاء التي تبدو النجوم كأنها فيها وهي فوقها. ثم هي تطلق أيضاً على السحاب، وعلى ما ينزل من السحاب من أمطار، وهي استعارة حسنة معروفة عند العرب. قال حسان بن ثابت:

ديار من بني الحسحاس قفر
تعفيها الروامس والسماء

يعني ماء السماء، ومنه أيضاً قول معاوية بن مالك:

إذا نزل السماء بأرض قوم
رعيناه وإن كانوا غضابا

وربما توسعوا فأطلقوا لفظ «السماء» على العشب لأنه يكون عن السماء، أي المطر، ومن بين قولهم:

«مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم»

والسماء لغة: من السُّموّ وهو العلوّ والارتفاع، يقال: سما يسمو سمواً، وسماءً إذا ارتفع وعلا، والسماء: كل ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت سماء، وتجمع على أسْمِية وسماوات وسُمِيّ.

والسماء في إطلاق الشرع هي: ما يقابل الأرض، ويراد بها تلك الطبقات السبع التي خلقها الله ورفعها فوق أرضه، وجعل علمها وتفاصيل أخبارها من الغيب الذي لا يُعلَم إلا عن طريق الخبر السمعي، قال ـ تعالى ـ:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾(١).

## السماء في القرآن والعلم

أما في العلوم الكونية فإن كلمة «السماء» تعني سماء الغلاف الجوي للأرض ولغيرها من الأجرام السماوية، وهي تعني أيضاً سماء الشمس والقمر والشُّهُب والكواكب والنجوم والسُّدُم والمجرّات.

والناظر في آيات السماء كما وردت في القرآن الكريم عليه أن يميز بين ما هو خاص بسماء جو الأرض من سحاب وما إليه من زُرْقة الطبقات العليا من هوائه، وهو عادة أول ما يفهم من لفظ السماء ومن وصفها، وبين ما هو عام يشمل الكون بما فيه من نجوم وكواكب ومجرات، وبين ما تعنيه الكلمة في لغة العرب وسياق المعنى.

فقد جاءت السماء في القرآن الكريم بمعنى سقف البيت، كما في قوله ـ تعالى ـ:

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾(٢).

---

(١) فصلت (١١، ١٢).

(٢) الحج (١٥).

فالسبب هنا الحبل، والسماء هنا سقف البيت، وشبهه من الأشياء تعلق منها الحبال. والمعنى أن من كان من الكفار يظن أن الله لا ينصر نبيه فليمدد بحبل إلى سقف بيته، ثم ليختنق به وليقدر في نفسه وينظر، هل يُذْهِبُ فعله ذلك ما يغيظه من نصر الله لرسوله؟.

كذلك جاءت كلمة السماء في القرآن الكريم بمعنى السحاب والمطر والغيث، كما في قوله تعالى:

﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾[3].

والسماء في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾[4].

ليست هي سماء الكواكب والنجوم، ولكن هي سماء السحاب الذي ينزل الله منه الماء المُصرّح به في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾[5].

وجاء التعبير القرآني ﴿ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ليعني سماء السحاب المعروف عند العرب على سبيل المجاز.

وإذا تجاوزنا السماء الزرقاء بتجاوز الغلاف الجوي للأرض، فإن السماء عندئذ تبدو كما بدت لملاحي الفضاء سوداء حالكة تلمع فيها الشمس والنجوم كأجسام مضيئة من غير أن يكون لأضوائها أثر في تخفيف ذلك الظلام، فلولا ما يحمله الهواء في جو الأرض من جسيمات ضئيلة لبدت السماء للناس حالكة السواد حين تكون الشمس ساطعة، ولكانت الظلال على سطحها سوداء مثل ظلال القمر وسمائه، إذ هو قد فقد هواءه ( غلافه الجوى ) منذ زمن بعيد، فشتان بين نهار الأرض ونهار القمر، وشتان بين سماء الأرض تضيء جَوْها الشمسُ فلا يلقى العين منه إلا نور، كما نبه الله إليه بقوله: ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾[6]. وبين السماء إذا تجاوزنا جوّ الأرض وغلافها الهوائي بالنهار، فلا تقع العين منها إلا على ليل مظلم تبدو الشمس فيه قُرْصاً فيه زرقة، وإلى ليل السماء الكونية هذا، وآية الله فيه أشار القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾[7].

وهذا مثال واضح نسوقه لبيان الإعجاز الإلهي في التعبير القرآني عن حقيقة كونية قبل أن يهتدي إليها الناس من علم، فيصرف الإنسان النظر عن المعنى الحرفي الذي يجهله إلى أقرب معنى يعرفه، ولو فطن الإنسان ولزم النص وكان منطقياً معه حسب القاعدة

---

(3) نوح (11).

(4) القمر (11).

(5) الواقعة (68، 69).

(6) الشمس (3).

(7) النازعات (29).




النحوية التى قعّدها لسبق العلم الحديث إلى حقيقة عن السماء لم يكشفها العلم إلا بعد قرون من نزول القرآن بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾[٨].

لكن الحق والإنصاف يقتضيان ألا نتوقع من قدامى المفسرين أو من محدثيهم الذين لم يدرسوا جانباً كافياً من العلم الكونى أن يتصوروا سماء حالكة والشمس فيها ساطعة لا حجاب دونها، وقد كانوا فيما مضى يظنون نور النهار ممتدا إلى أقصى الكون الذى يعرفونه، وأقصى الكون عندهم كانت السماء الزرقاء التى تضيئها الشمس نهاراً وتنيرها الكواكب والقمر ليلاً.

## أفـــلاك السمــاء

**الفلك لغـة**: المدار يسبح فيه الجرم السماوى، وجمعه أفلاك وفُلْك. وفَلَك كل شىء: مستداره ومعظمه.

**والفَلَكُ**: التل المستدير من الرمل حوله فضاء.

**والفلك من البحر**: موجه المستدير المضطرب.

**والفلكة من المغزل**: القطعة المستديرة من الخشب ونحوه تُجعل فى أعلاه، وتُثبتُ السنارة من فوقها وعود المغزل من تحتها.

**يقول الراغب الأصفهانى**: والفلك مجرى الكواكب، وتسميته بذلك لكونه كالفلك. وفى حديث عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: «تركت فرسى كأنه يدور فى فلك»، شبهه لدورانه بفلك السماء الذى تدور عليه النجوم.

وعلم الفلك: علم يبحث فى الأجرام العلوية وأحوالها، وقد عُرف عند العرب باسم «علم الهيئة» لأنه ارتبط بدراسة تركيب الأفلاك وأحوال النجوم السماوية وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها. وقد وصفه عبدالرحمن بن خلدون (٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) فى كتابه: «المقدمة» بأنه «صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة فى وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع، وغير ذلك، يعرف به مواضع الكواكب فى أفلاكها لأى وقت فُرض من قبل حسبان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة».

وعرفته دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدى بأنه علم مداره الأجرام العلوية، أى الشموس والسيارات والثوابت (فى رأى العين) وتوابعها وذوات الأذناب، وهو قسمان نظرى وعملى، الأول: يصف تلك الأجرام ويبين لنا أبعادها وحركتها وفصولها السنوية وهيئاتها، والثانى: يبحث عن كيفية رصد

---

(٨) النازعات (٢٧: ٢٩).




تلك الأجرام.

وقد وردت كلمة «فلك» في القرآن الكريم مرتين: في قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(٩).

وقوله:

﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(١٠).

وقال أهل التأويل في معنى الفلك الذي ذكره الله ـ تعالى ـ في هاتين الآيتين الكريمتين انه كهيئة حديدة الرحى، أو كفلكة المغزل، لا يدور المغزل إلا بها ولا تدور إلا به، كذلك النجوم والشمس والقمر لا يدورون إلا به، ولا يدور إلا بهن ويقول الرازي: «الفلك في كلام العرب، كل شيء دائر، وجمعه (أفلاك)». اختلف العقلاء فيه، فقال بعضهم: الفلك ليس بجسم، إنما هو مدار هذه النجوم، وهو قول الضحاك. وقال الأكثرون: بل هي أجسام تدور النجوم عليها، وهذا أقرب إلى ظاهر القرآن. ثم اختلفوا في كيفيته، فقال بعضهم: الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه. وجاء في المنتخب ان لكل جرم سماوي مجاله، أو مداره، الخاص الذي قدره الله له، وأجرام السماء، كلها لا تعرف السكون، كما أنها تتحرك في مدارات خاصة لا تحيد عنها هي الأفلاك.

ولقد حثت آيات القرآن الكريم في مواضع كثيرة على النظر في ملكوت السماوات والأرض، وكان اهتمام المسلمين بعلم الفلك بالدرجة الأولى بسبب احتياجهم لمعرفة الزمن وتحديد مواقيت الصلاة وظهور الهلال ومواعيد الأعياد وتأدية المناسك والعبادات وتحديد اتجاه القبلة ومواقع البلدان، وغير ذلك مما يتعلق بأمور دينهم الحنيف الذي فرض على الناس ان يتفكروا ويعقلوا ويعلموا، مثلما فرض على أتباعه ان يتعبدوا ويذكروا الله ـ تعالى ـ في جميع الأحوال وعموم الأوقات. قال ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(١١).

وقال أبو عبدالله القزويني في كتابه: «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات».. مسترشداً بقوله ـ تعالى ـ:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾(١٢).

---

(٩) الأنبياء (٣٣).

(١٠) يس (٤٠).

(١١) آل عمران (١٩٠ ـ ١٩١).

(١٢) ق (٦).



إن المراد من النظر التفكير في المعقولات والنظر في المحسوسات والبحث عن حكمتها وتصاريفها لتظهر لنا حقائقها، فإنها سبب اللذات الدنيوية والسعادات الأخروية، وكل من أمعن النظر فيها ازداد من الله هداية ويقيناً، ونوراً وتحقيقاً، ثم يقول: «وليس المراد من النظر تقليب الحدقة نحو السماء، فإن البهائم تشارك الإنسان فيه، ومن لم ير من السماء إلا زرقتها، ومن الأرض إلا غبرتها، فهو مشارك للبهائم في ذلك، وأدنى حالاً منها، وأشد غفلة كما قال ـ تعالى ـ:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(١٣).

وقد ازدهر علم الفلك كثيراً في عصر الحضارة الإسلامية، وكان من مظاهر هذا الازدهار تصنيف العديد من أمهات الكتب في هذا الفن وتطوير أجهزة الرصد والقياس الفلكية وإقامة المراصد في البلاد الإسلامية.

## أهـــم المراجـــع


١- التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب.. للإمام فخر الدين الرازي.. دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

٢- مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني.. دار القرآن الكريم.. بيروت.

٣- المنتخب في تفسير القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط ١٨، القاهرة (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

٤- لسان العرب لابن منظور.

٥- محمد أحمد الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، الرسالة والرسول والقرآن، والإعجاز العلمي في القرآن. دار الإنسان، القاهرة (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٦- إعداد مجلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي.

٧- د. أحمد فؤاد باشا، رحيق العلم والإيمان، دار الفكر العربي، القاهرة (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).


(١٣) الأعراف (١٧٩).



# يا قدس(*)

للشاعر السكندري
ربيع عبد العزيز



يا قدس ضاع الشذى في حمأة الطين … فمن يغيث الربى يا قدس دلني ؟
على ضفاف الندى للحب أغنية … روت عطاش الهوى في يوم حطين
ماتت فكيف وشمس الله ما برحت … تغاضب الكون أحييها لتحييني ؟؟
يا قدس طال النوى والشوق مذ رحلت … مني السنون .. إلى اللقيا يناديني
ياقدس ضج الجوى في القلب ضميني … فنظرة من سناء الله تكفيني
إني لأجمع أنفاسي على سفر … إلى حماك برغم الشوك والطين
آت إليك وأيامي مؤججة … فجحفل النار من أصفى قرابيني
والناصري الذي ضاءت ليمته … سنابل القمح والزيتون والتين
آت إليك بنهر العشق فاغتسلي … وخلصي العطر من أسر الشياطين
من يفتدي الشمس لا يفني فقوديني … يا ربة الحسن للعليا وساقيني
أعانق الحلم في الأسحار مؤتلقاً … وآمر النار أن تأتي فتأتيني
إني لأجمع أنفاسي علي سفر … إلى حماك برغم الشوك والطين
آت إليك وأيامي مؤججة … فجحفل النار من أصفى قرابيني
والهاشمي الذي سارت برحمته … كتائب الفتح في الدنيا وفي الدين
آت إليك بيوم العتق فانطلقي … وهبي لي هوى بيتي وضميني

---

(*) من ديوان سؤال من زمن السامري للشاعر

# بين النازية والصهيونية

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

**يبدو أن العلاقات الثنائية التي كانت تجمع بين النازية والصهيونية لم تكن علاقات طارئة أو استثنائية، بل كانت علاقات استراتيجية بسبب ما يؤلف بينهما من مبادىء مشتركة، وطبيعة واحدة ترتبط بالمشروع الاستعماري من جهة، والعنصرية من جهة أخرى، فألمانيا النازية كانت تطمح إلى بناء أمة قوية متميزة، والصهيونية كانت تحلم ببناء دولة يهودية في فلسطين. فبعد موت هرتزل أبي الصهيونية تولى اليهود الألمان من شباب الجامعات الألمانية إدارة الحركة الصهيونية، متأثرين بزملائهم من الطلبة الألمان من أنصار «ألمانيا الكاملة» وحركة «الطيور الجوالة» أو حركة «الأرواح الحرة» الذين هيمنوا على الساحة الجامعية في ألمانيا قبل عام ١٩١٤، وكان الشباب الألمان المتعصبون يعتبرون يهود ألمانيا من دم غير ألماني، فهم - لذلك - ليسوا جزءاً من الشعب الألماني، بل هم غرباء عنه.**

وقد برزت على الساحة الجامعية شريحة من اليهود تبنت أيديولوجية حركة «الطيور الجوالة» فترجمتها إلى أفكار، ومفاهيم صهيونية، فسايروا أفكار الشباب الألمان المعادين للسامية الذين ينظرون لليهود الألمان على أنهم منفصلون جسداً وروحاً عن الشعب الألماني، ولذلك لابد أن يصبح لليهود تراب خاص بهم، وهي أرض فلسطين. وأحسب أن الاتحاد الصهيوني كان قد سعى في ألمانيا - من أجل تحقيق أهدافه - أن يتكيف سياسيا مع نظريات، وسياسات النظام النازي الجديد في ألمانيا للحصول على دعم «أودلف هتلر» وحمايته بعد عام ١٩٣٣، وصار الهدف الرئيسي للاتحاد الصهيوني هو الحصول

على تأييد النازيين الجدد لهجرة جيل من اليهود الأصغر سنا إلى فلسطين.

ويقال إن «كورت توخلر» عضو اللجنة التنفيذية للاتحاد الصهيونى الألمانى كان قد ألح على البارون «ليوبولد إتز إدلر فون ميلدنشتين» من قوات العاصفة الألمانية (إس.إس) أن يكتب مقالاً فى الصحافة النازية يؤيد فيه أهداف الصهيونية. كما أجرى بعض قادة الاتحاد الصهيونى اتصالاً مع أحد الشخصيات البارزة فى حكومة ألمانيا النازية فى مارس عام ١٩٣٣، استدعى على أثرها «هيرمان جورينج» قادة المنظمات اليهودية الكبرى للاجتماع بهم لبحث مايريدون.

ويذكر أن الاتحاد الصهيونى فى ألمانيا أرسل «مادلين روزنبلوت»، و«ريتشارد ليشتهايم»، والدكتور «لودفيج تيتز» إلى لندن حيث قابلوا أربعين يهودياً فى اجتماع رأسه «سوكولوف» رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، وكان أمام الوفد اليهودى مهمتان: الأولى التأكيد على أن فلسطين هى الملاذ الآمن لليهود، والثانية العمل على وقف الجهود المناهضة للنازية فى الدول الأوروبية المختلفة. وبذلك تعاون الاتحاد الصهيونى مع النظام النازى الألمانى لتحقيق أهداف كل منهما.

وفى عام ١٩٣٧ كتب الحاخام «يواخيم برنتس» عقب مغادرته برلين إلى أمريكا عن تجاربه، فى ألمانيا، مذكرة أرسلها الاتحاد الصهيونى إلى الحزب النازى جاء فيها: «كان كل واحد فى ألمانيا يعرف أن الصهاينة فقط هم


هرتزل


هتلر

الذين يمكن أن يمثلوا اليهود فى أى اتفاقات مع الحكومة النازية، ولقد شعرنا جميعا بأنه من المؤكد أن الحكومة سترتب يوما مؤتمر مائدة مستديرة مع اليهود بعد أن تهدأ حوادث الشغب، للنظر فى وضع اليهود الألمان. ولقد أعلنت الحكومة أنه لايوجد فى العالم بلد حاول حل المشكلة اليهودية بالجدية التى تفعلها ألمانيا» وكان فى اعتقاد الحاخام «يواخيم برنتس» أنه يمكن التوفيق بين النظام النازى الألمانى واليهود من خلال التوصل إلى اتفاق صهيونى نازى يدعو إلى إعلان «أن دولة تقوم على مبدأ نقاوة الأمة والعرق، لايمكن إلا أن تحترم أولئك اليهود الذين ينظرون إلى أنفسهم بنفس الطريقة». وقد كرس قادة الاتحاد الصهيونى الألمانى جهودهم من أجل إقناع «أدولف هتلر» على منح اليهود حق وجود اقتصادى لهم، وحمايتهم من أى هجوم مناوىء لهم، وتدريبهم لإعدادهم للهجرة إلى فلسطين، لذلك بدأ الاتحاد الصهيونى تعبئة كافة المؤسسات اليهودية المنفصلة لتوحيدها، وصهرها فى بوتقة واحدة لخلق روح قومية



يهودية. ومع بزوغ فجر النازية الألمانية عام ١٩٣٣ نظرت الطائفة اليهودية الألمانية الصهيونية إلى نفسها باعتبارها مؤهلة تاريخياً للتفاوض سراً مع النازيين، ومعارضة غالبية يهود العالم الذين أرادوا مقاومة هتلر في مقابل أن يساعد هتلر يهود ألمانيا للهجرة إلى فلسطين. ولقد ذكر «أدولف هتلر» في أحاديثه أن فلسطين هي المكان المناسب لليهود، وهناك فقط يمكن لليهود الحصول على حقوقهم، وبدأت تتدفق المقالات التي تؤيد الهجرة اليهودية إلى فلسطين في مجلة حزب الاشتراكيين الوطنيين الذي التحق به هتلر عام ١٩١٩. ولقد ذكر هتلر في كتابه بعنوان «كفاحي» أن اليهود الصهاينة يريدون أن يجعلوا دول العالم تؤمن بحق اليهود في إقامة دولة لهم بفلسطين، وأن اليهود من أجل تحقيق ذلك الهدف يحاولون خداع الأمم غير اليهودية، فلم يحدث أبداً أن استقر في عقولهم أنهم سيبنون دولة يهودية بهدف الحياة بفلسطين، فكان كل مايريدونه هو مجرد مأوى لهم». كما كان شعار: «أركلوهم إلى فلسطين» هو شعار معاداة السامية السائد في دول أوروبا للتخلص من شرورهم. وفي الفاتح من إبريل عام ١٩٣٣ - خلال المقاطعة المعادية لليهود - سارت تظاهرة ألمانية كبيرة أمام المحلات الكبرى اليهودية، وكان المشتركون فيها يوزعون على المارة من ذوي السحنة اليهودية نموذجا لتذكرة ذهاب إلى فلسطين دون عودة. وصدر بيان نازي رسمي - في إطار المقاطعة المعادية لليهود - جاء فيه: «إن المشاعر المعادية للنازية في مختلف دول العالم ترجع إلى أن يهود العالم يسعون لتحريك الدول الأجنبية ضدنا بدعوى معاداتنا لليهود».

وظل هتلر حتى وصوله إلى السلطة لم يفكر بشكل جدي فيما يمكن أن يفعله مع اليهود، ففي ٢٤ أكتوبر عام ١٩٣٣ ألقى هتلر خطاباً قال فيه: «يؤكد الناس في إنجلترا أن أذرعهم مفتوحة للترحيب بكل المقهورين خصوصا يهود ألمانيا الذين تركوا ألمانيا شريطة أن يمتلك كل يهودي ألف جنيه استرليني، ولكننا لم نشترط على كل من يدخل ألمانيا أن يكون في حوزته ألف جنيه استرليني، وهكذا أثبتنا نحن الشعب الألماني الذي يوصف بالوحشية أننا أكثر إنسانية، ومازلنا حتى الآن كرماء بنفس الدرجة، ونعطي الطائفة اليهودية في ألمانيا من امكانيات العيش أكثر مما نملك نحن» وعلى إثر هذا الخطاب الذي ألقاه هتلر بدأت تصدر السياسات المؤيدة للصهيونية بصورة علنية تدعو إلى تشجيع الهجرة إلى فلسطين. وفي هذا الإطار قام «هانس فرانك» وزير العدل الألماني وقتئذ بإبلاغ مؤتمر الحزب في «نورنبرج» أن الحل الأفضل للمسألة اليهودية هو أن يكون لليهود وطن قومي في فلسطين، كما بدأت شركة الشحن الأمريكية «هامبورج ساوث» خطاً مباشراً إلى حيفا تحت إشراف حامية هامبورج، وكان اليهود في ذلك الوقت لايزالون قادرين على مغادرة ألمانيا إلى أي بلد يريدون ومع حلول عام ١٩٣٤ أصبحت قرارات قوات العاصفة (إس.إس) مشجعة للصهيونية في الحزب النازي، فقد كان البارون «فون ميلدنشتين» من أكبر





المتعاطفين مع الصهيونية، فلقد زار فلسطين، واستمرت زيارته هناك ستة أشهر عاد بعدها ليصبح المسئول ـ في ألمانيا ـ عن القسم اليهودي في جهاز الأمن الخاص بقوات (إس.إس) وبدأ الاهتمام بدراسة اللغة العبرية، وتمت قوة الصهيونية داخل ألمانيا. ولقد بلغ التعاون النازي مع الصهيونية درجة أصبحت معها الصهيونية هي الحزب الآخر الوحيد المعترف به في الرايخ الألماني، وصارت الراية الصهيونية هي الراية الوحيدة التي يسمح بها النظام النازي لترفرف فوق أرض ألمانيا. وكتب «ألفريد برندت» رئيس التحرير المسئول في مكتب أخبار ألمانيا حول وضع اليهود الألمان يقول: «كرر كل المتحدثين في المؤتمر الصهيوني العالمي في لوسيون أن يهود العالم لابد أن ينظر إليهم باعتبارهم شعباً منفصلاً بغض النظر عن مكان إقامتهم، وحسنا إذن أن كل ما فعله هتلر هو تلبية مطالب المؤتمر الصهيوني العالمي إذ جعل اليهود الذين يعيشون في ألمانيا أقلية لها اعتبارها». وفي إطار التعاون النازي مع الصهيونية، وخدمة لليهود صار لليهود الألمان جيتو ثقافيا مستقلا إلى درجة جعلت الحاخامات اليهود لايستعملون اللغة الألمانية في احتفالات «عيد الشانوكاه» في السادس من ديسمبر. ويأتي ذلك في سياق الجهود التي يبذلها النازيون للسماح لليهود الألمان باستخدام اللغة العبرية في أحاديثهم باعتبارها أداتهم الثقافية. ومما يؤكد التعاون النازي الصهيوني، توقيع «أودلف هتلر» في أوائل عام ١٩٣٣ اتفاقية «الهعفراه» مع زعماء الصهيونية العالمية، وكان لها هدفان:

**الأول**: القضاء على المقاطعة التي ينظمها يهود العالم ضد ألمانيا في البلاد الأجنبية الأخرى.

**الثاني**: تسهيل الأمر أمام اليهود في ألمانيا للهجرة إلى فلسطين كما سبق أن نوهنا قبل ذلك. وبمقتضى هذه الاتفاقية سمح النازيون لليهود بالهجرة، ووافقوا على الإفراج عن أموالهم على أن تودع في أحد المصارف، ويصرح لهم بتحويلها إلى بضائع ألمانية تصدر إلى فلسطين. وقد تم تنفيذ الاتفاقية تحت إشراف الوكالة اليهودية، وسمحت بتوفير أمهر الفنيين اليهود الألمان لإرسالهم إلى فلسطين، وتصدير الآلات والمعدات اللازمة لبناء المستوطنات الصهيونية فيها. وأتاحت هذه الاتفاقية أيضا هجرة ١٧٢ ألف يهودي ألماني إلى فلسطين في الفترة من عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٣٧، بل إنه في عام واحد هو عام ١٩٣٥ سجلت السلطات في فلسطين ـ التي كانت تحت الانتداب البريطاني ـ وصول ٦٥ ألف مهاجر يهودي من ألمانيا. ولم يكن أمام الصهيونية من سبيل آخر غير هذا التعاون مع النظام النازي لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، مما يدل بوضوح على أن ألمانيا النازية كانت صاحبة الفضل الأساسي في قيام الكيان الصهيوني في فلسطين العربية. وأخيراً يمكن القول إن اليهود ينبغي أن يذكروا هتلر النازي بكل الامتنان لأن التعاون الألماني مع الصهيونية أتى أكله بتمكين اليهود من الاستيلاء على فلسطين.

# القدس فى عيون يهودية

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

كان بناء اليبوسيين لمدينة القدس البناء الأول لها. وعلى مدى التاريخ جددت المدينة ثوبها ثمانى عشرة مرة. فهدمت أو دمرت ثم أعيد بناؤها فى كل هذه المرات حتى استقرت على هيئتها فى العهد العثمانى. وقد جاء الاحتلال على مرحلتين عام ١٩٤٨، وعام ١٩٦٧ تتويجا لسلسلة متلاحقة من البروتوكولات التى تستهدف فى النهاية تهديد القدس وفرض واقع سكانى جديد عليها. وفى القدس يتداخل ماخلقه الله مع ما ألهمت اليد البشرية صناعته فالجبال والوديان والتلال تتداخل مع الأسوار والأبواب التاريخية. أما سور القدس فقد أقيم أول مرة فى عهد اليبوسيين قبل الميلاد بعشرات القرون والسور الحالى أقامه السلطان العثمانى سليمان القانونى ١٥٣٦م وطوله ٤٢٠٠ متر يشغل الجدار الشرقى والجنوبى للحرم الشريف ٦٠٠ متر وارتفاعه يختلف وأعلاه يصل إلى ٣٠ مترا وسمكه لايزيد على المترين. وقد بذلت الحكومات الصهيونية جهودا مضنية لتفريغ القدس من سكانها العرب برغم أن الإحصاءات الإسرائيلية نفسها تشير إلى أن تزايد نسبة السكان الفلسطينيين تصل إلى ٢٧٪ من عدد السكان والدراسات اليهودية تؤكد أن هذه النسبة قد تصل إلى ٣٨٪ عام ٢٠٢٠م.

٢

والقدس هي المحور الأساسي الذي استخدمه الأدباء اليهود في معظم أعمالهم الأدبية يستوي في ذلك الأدباء الأشكناز (يهود الغرب) والأدباء السفارد (يهود المشرق العربي) يعيش فيها معظم أبطالهم، ينعمون بقدسيتها، ويحن إليها اليهود من كل بلاد العالم وقد ركزوا عليها في أدبهم كي تصبح الأمل المنشود ليهود العالم، في البداية ليهاجروا إليها وبعد قيام دولتهم ليحتلوها وبعد ذلك طمس معالمها وتفريغ العرب منها. وهذا المخطط قديم جدا، وضعوا له العديد من الخطط، ومهدوا له جيدا، وكانوا ينتظرون الظروف الملائمة لتنفيذ أحد هذه الخطط، وأخذ الأدب على عاتقه مهمة غسل العقول وتسييسها سواء اليهودية أو العربية، قبل قيام الدولة الصهيونية بعقود كثيرة، كتب الأدباء عنها ووصفوا شوارعها وأزقتها، مبانيها وأفنيتها وسكانها، ومن هذه الأفنية خرج معظم أبطال أعمالهم.

والعلاقة بين فلسطين والأدباء اليهود واضحة والأكثر منها وضوحاً علاقتهم بالقدس، ولكنها تختلف بين نظرة الأدباء الأشكناز قبل مجيئهم إليها ونظرة الأدباء السفارد الذين عاشوا فيها أو زاروها. فقد اعتمد الأدباء الأشكناز على الكتب والخيال ورثاء البعيدين، أما الأدباء السفارد وعلى وجه الخصوص من ولد منهم فيها، فقد أبدعوا في وصفها بقدر ما أبدعوا في التغني بقدسيتها وفي تزييف الحقائق والتجني على العرب للوصول إلى تحقيق الحلم الصهيوني مثل مافعله الأديب الصهيوني المعاصر (يهودا بورلا) الذي ولد بالقدس سنة ١٨٨٦.[١] وبعد حرب الأيام الستة استعرض بورلا مكان ميلاده حيث يقول:

«أمس وأول أمس أحاطتني أزقة وأروقة المدينة القديمة، وقد أوضحت لأبنائي وبناتي عديدا من الضواحي والأماكن الغير معروفة من بوابة الربع اليهودي وحتى آخره.. وقد استجابت لي قدماي كأيام الصبا، فكانت خطواتي خفيفة وسريعة، قفزت هنا وهناك ولم أشعر بالانهاك».

ويقول أيضاً:

«من هنا ارتشفت ماء الحياة الأدبي، ومن هذا الشارع حكمت العالم»[٢] وقد احتلت القدس رقعة كبيرة في أدبه حيث يقول في قصة «في كنفنا».

«لقد سكن أبناء الديانات الثلاث في مدينة الإيمان والأديان متفرقين ومنعزلين لم يقترب هذا من ذاك طوال الأيام، وإذا اضطر يهودي أن يمر فيما تدر بين شوارع المسلمين، بين الأزقة الصامتة، ترتعد أوصاله من الخوف لأنه يعتقد في قرارة نفسه أن هذا السكون للـ«جوي» (أي غير اليهودي) الغريب المنتشر هنا، ليس إلا سكون الكمين في الخفاء. حيث يكن سكانه من العرب العداء دائما لليهود، وفي كل لحظة يخشى أن ينقض عليه من خلف كل باب أو جدار ظالم يسبب له الفناء»[٣].

كما وصف بورلا الأفنية والبيوت حيث يقول:

«لقد أقيمت الأفنية والبيوت في القدس القديمة منذ أيام خلت وأنك لا تستطيع أن تحكم على من بناها وعلى أصحابها بأنهم أهل معرفة أو على الأقل كان لهم قدر ضئيل من تذوق الجمال، كيف يصح لبشر عقلاء أن يقيموا بيوتهم وأفنيتهم وليس بها أي نظام وليست إلا تجميع أحجار وتكديس مصاطب على سطح الأرض.. تزيد ظلمتها على نورها..

---

(١) توفي عام ١٩٦٩، وقد تخصص في الكتابة عن يهود الشرق العربي، كما شارك بالكتابة في معظم الأنشطة الخاصة بالدولة الصهيونية

(٢) الحنائي: ابراهام حاييم: الأربعة الذين قصوا «أربعاه شيسيرو» إصدار بمعرخاه القدس ١٩٧٨ ص ٣٠ (مصدر عبري)

(٣) بورلا: في علبيا (بيتسيل قوراتينو) ص ٨٧ (مصدر عبري)

وكان سكان هذه الغرف لايجدون بها « حاشا لله » أى عيب، بالعكس كانوا يشعرون فيها بالنعيم والهناء كالوزراء سكان القصور.. هكذا كانت المساكن قبل ٤٠ أو ٥٠ سنة[٤].

وهناك قاسم مشترك لكل هذه الأفنية تقريبا وهو مدخلها المظلم، وبخروجك من أحد هذه المداخل يخيل إليك أنك ستقع أو تصطدم بشىء، وبالمحاولة فقط تخرج إلى مايشبه الساحة. وهو مايسمى بالفناء، ثم تتراءى لك أقسام أو أجنحة هذا الفناء »[٥].

ولنا أن نتأمل نحن العرب، وإنها لدعوة لكل منصف من غير العرب ليتأملوا ماجاء على لسان هذا الأديب الصهيونى الذى يعترف بالحق لأهله دون قصد منه إنه الحق الذى لايحتاج إلى برهان وإنما يظهر واضحا وكفانا أنه من أفواه الأعداء.

وكل الأفنية فى القدس يملكها العرب منذ أجيال عديدة، أما إدارة هذه الأفنية فكانت فى أيدى اليهود، حيث يؤجر العربى مايمتلكه منها لأحد اليهود سنويا حيث يقوم اليهودى بتأجيرها ويحظى بأضعاف مادفعه للعربى بالإضافة إلى حجرة يعيش فيها بلا مقابل »[٦].

ويصف بورلا مدخل فناء « يعقوب حى » ويقول:

« والدهليز هو قلب البيت الذى يؤدى إلى كافة أرجائه، والحائط الغربى للدهليز به باب منخفض يشبه المغارة، وبداخل الحائط من ناحية اليمين مجرى مائى، وفى أيام الأمطار يسمعون من داخله خرير المياه كمجرى مائى متدفق، لأن مياه الأمطار تسقط فوق الأسقف وتنساب خلال المسالك الخفية إلى ذلك البئر.

ومن ناحية الجنوب نافذتان تطلان على غرفة « التوراة » الطويلة والضيقة التى تستخدم كمكان مخصص للنساء فى الأعياد »[٧].

وعن ندرة المياه فى القدس يقول:

« وتحل أيام الصيف، وترتفع الحرارة فى البلاد وتقل المياه فى الآبار، وفى شهر أغسطس تكون تلك الآبار قد نضبت »[٨].

وكما وصف الأفنية من الخارج، وصفها أيضا من الداخل حيث يقول فى رواية « عقيبا »:

« وبجانب المعابد الأربعة للطائفة السفاردية، توجد أفنية تنزلها ببضعة سلالم، وهناك يسكن العديد من العائلات اليهودية الفقيرة، وكل عائلة تعيش فى غرفة واحدة، والغرف سراديب محفورة داخل الأرض مظلمة تماما بلا نوافذ، الأرضية رطبة، والحوائط بدون طبقة من الجص، أحجار قديمة محروقة يغطيها التراب، وعندما دخل « عقيبا »، مع اثنين من اليهود رأوا على الأرضية أثاثا بالية.. ملساء من كثرة القذارة وعندما رفعوا الحصير أمام « عقيبا » رأى ديدانا كثيرة على الأرض، وكأنه نزل إلى قبر، واللون الأسود يغطى الجدران نتيجة لإشعال لمبات الكيروسين ليلا، ومروا من قبو لآخر، وهذه مساكن عشرات وعشرات من عائلات إسرائيل »[٩].

وأود أن أشير إلى أن الحى اليهودى فى المنطقة الجنوبية من القدس كان قبل حرب ١٩٦٧ اثنى عشر فدانا فقط والآن زحفوا على الأراضى العربية وهدموا ماحوله من أراض وأوقاف أثرية عربية ووسعوه حيث تضاعفت مساحته إلى أكثر من خمس وعشرين مرة.

---

(٤) بورلا : بالتقديس (بقدوشاه) دار نشر متسفاه. تل أبيب ص ١٣٩.

(٥) بورلا : بالفخر والعار (بجيئون أوبشيفل) سفاريم. القدس١٩٧٦ ص ٥٦.

(٦) المصدر السابق ص ٥٧.

(٧) بورلا : بالتقديس ص ١٤١ (مصدر عبرى).

(٨) بورلا : حادث بشع «معسيه نورا» ص ٩ [مصدر عبرى].

(٩) بورلا: عقيبا ص ٢٢٠ ـ ٢٢١.

والسكن في هذه الأقبية له دلالته الدينية الخاصة.

«فالحاخام شبتاي» لايسكن إلا في الأقبية التي تطل على بيت المقدس ويقول الجيران ساخرين، إنه يرى من النافذة ملوك الهيكل الثاني، وكان لايتضايق من هذه الكلمات ويقول: «نعم على كل يهودي أن يفكر ساعة في اليوم على خراب هيكلنا المقدس، وكانوا لاينكرون عليه أفكاره»[10].

وقداسة القدس لها طابعها الخاص حيث يقول الأديب على لسان زوج «ديامنطي» في رواية عقبيا:

«إن القداسة أمر عجيب، فعند داود الملك لم أعرف نفسي.. إنها الشعيرة والأفضلية! هذه الأفضلية كي يصبح الإنسان محظيا للوقوف هناك، أمامهم. في بيتهم في البيت، تبارك الله، وقد رأيت القداسة واضحة أمام الجميع.. هذه القداسة لاتوجد خارجها، وإن وجدت فإنها تختلف، سواء في المعبد أو في اليوم المقدس للغفران «الكيبور» انها تشبه إنسانًا يقف أمام قداسة بعيدة، مختفية، كأنك تقف أمام ستارة، لكن هنا، تحل القداسة بقلب الإنسان.. وتشعر بأن القداسة تحتضنك أو أنك حتى تستحم بها»[11].

كما يصف الأديب عجائز القدس وهم ينعمون بهذه القداسة في قصة «غروب» ويقول:

«في كل فناء من أفنية القدس القديمة، كنت التقي بهم، بالعجائز الذين هاجروا من بلاد الدنيا المختلفة في أواخر أيامهم، يسكنون فرادى وجماعات في حجرات كالأكواخ.. صغيرة ومظلمة كرهبان أو كهنة في دير كبير، وحتى تقاطيع وجوههم تختلف عن وجوه الرهبان المعزولين تماما، بالعكس تغلفهم السكينة، وترى في وجوه العديد منهم النور والطهارة وتسودهم الثقة والطمأنينة.. لأن القدس المنحوتة في قلوبهم منذ القدم والتي يحنون إليها منذ أجيال هي اليوم من نصيبهم وهي زهرة خلاصهم، تسكب عليهم نور قداستها وبهائها..»[12].

والقدس هي المحور والملاذ والجنة والحساب والعقاب، مفاهيم رسخها في عقولهم حاخاماتهم..، ففي القدس أربعة أودية **الأول**: هو «وادي قدرون» شرقا وهو اسم جدول مائي يجري الماء في قاعة عندما يسقط المطر، ويسميه اليهود «وادي يهوشافاط» وطوله نحو كيلو مترين، وتعتقد كثير من الطوائف اليهودية أن الحشر يوم القيامة سيكون في هذا الوادي.

**والثاني**: «وادي سلوان» جنوبا، ويقال إنه كانت هناك قبيلة في قديم الزمان تسمى هُنّم بتشديد النون..، وكان يقال: وادي هُنّم: وكلمة وادي تعني في اللغات السامية كلمة (جي) وكانت هذه القبيلة في الوثنية الغابرة تقدم الضحايا البشرية الى إلهها «مولك» في هذا الوادي، ويقال إن كلمة جُهنّم جاءت من هذه التسمية، وقد اعتنق اليهود نفس الفكرة وأضفوا عليها شيئاً من القداسة.

ثم «وادي الجبانة» و«وادي الأرواح» وبه مدافن الموتى.

ترى.. ماذا يقول الأدباء عنها بعد أن حولها شارون إلى ثكنة عسكرية تبيد شعبا أعزل على مسمع ومرأى من العالم أجمع.

هل سيسير الأدباء في ركب شارون ويتغنون بسفك الدماء وقتل النساء والأطفال والشيوخ وهدم المنازل على رؤوس أصحابها العرب أصحاب الأرض؟... اللهم لطفلك.

---

(١٠) بورلا: في كنفنا (مصدر سابق) ص ٩٢.

(١١) بورلا: عقبيا (مصدر سابق) ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(١٢) بورلا: غروب ص ٢٢٢.

# طرائف .. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

## هل ركب محمد البحر؟!

سمع بعض علماء الطبيعة من غير المسلمين هذه الآية:

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾(١).

فقال: هل ركب محمد البحر؟.. فقالوا: لا. فقال: أشهد أنه رسول الله. قالوا: وكيف عرفت؟.. فقال: إن هذا الوصف للبحر لا يعرفه إلا من عاش عمره في البحار، ورأى الأهوال والأخطار، فلما أُخبرت أنه لم يركب البحر عرفت أنه كلام الله ـ تعالى ـ.

## ما بين ذلك

دعا أعرابي، وهو يطوف بالكعبة، فقال: اللهم قد أطعناك في أحب الأشياء إليك: شهادة أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك؛ ولم نعصك في أبغض الأشياء إليك: الشرك بك؛ فاغفر اللهم ما بين ذلك.

## ولكن اسأل الله

قال حكيم لابنه: يا بني، أكلت الحنظل، وذقت الصبر، فلم أر شيئاً أمر من الفقر، فإن افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك، ولكن اسأل الله ـ تعالى ـ من فضله فمن ذا الذي سأل الله ـ تعالى ـ فلم يعطه، أو دعاه فلم يجبه، أو تضرع إليه فلم يكشف ما به.

(١) النور (٤٠).

## حقـــا

النفس تجــزع أن تكون فــقــيــرة
والفــقــر خــيــر من غنى يطغــيــهـا
وغنى النفــوس هو الكفــاف فــإن أبت
فــجــمــيع مــا في الأرض لا يكفــيــهـا

## رأى الشـــباب

كان مجلس عمر بن الخطاب، غاصاً بالقراء شباباً وكهولاً فربما استشارهم ويقول: «لا يمنع أحدكم حداثة سنه أن يشير برأيه، فإن العلم ليس على حداثة السن وقدمه، ولكن الله - تعالى - يضعه حيث يشاء».

## للغنى مدح .. وللفقير عيب

ليس من خلة هي للغنى مدح إلا هي للفقير عيب:

فإن كان شجاعاً سُمى أهوج.
وإن كان جواداً، سُمى مُفسداً.
وإن كان حليماً، سُمى ضعيفاً.
وإن كان وقوراً، سُمى بليداً.
وإن كان لسِناً، سُمى مهذاراً.
وإن كان صَموتاً، سُمى عَيِياً.

## رباعيـــات

للشاعر محمد حسن فقي

هذا الحــجــيج إليك يهــفــو
بدعــائه فــعــســاك تعــفــو
كــدر الحــيـــاة إذا رضــيــت
فــإنه برضــاك يصــفــو
إنا نُـمـــــزق فـى الـرداء
الذى نَــسَــجــت .. وأنت ترفــو

## كـرم حـاتم

أغار قوم على قبيلة طيىء، فركب حاتم فرسه، وأخذ رمحه، ونادى في جيشه وأهل عشيرته ولقيَ القوم فهزمهم وتبعهم، فقال له كبيرهم: يا حاتم هب لي رمحك، فرمى به إليه، فقيل لحاتم: عرضت نفسك للهلاك، ولو عطف عليك لقتلك، فقال: قد علمت ذلك، ولكن ما جواب من يقول: هب لي؟!.

## دعـــاء

يا رب: اغفر لي جِدّي، وهزلي، وخطئي، وعَمْدي، وكل ذلك عندي.

دراسات أدبية

# لزوم ما لا يلزم

## بين أبى العلاء.. وسابقيه

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

يقول العلامة أحمد تيمور باشا عن أبى العلاء: (هو أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد ابن سليمان بن أحمد بن سليمان ابن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أسحم ابن أرقم ابن النعمان بن عدى بن غطفان بن عمرو بن بريخ بن خزيمة ابن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة التنوخى المعرى. هكذا ساق نسبه ابن خلكان، وهو أصح ما وجدناه بالمعارضة على ما فى كتب الأنساب. فإن فيما ذكره ياقوت فى إرشاد الأريب إسقاطا لبعض الأسماء واضطرابا فى ترتيب بعضها فاعتمدنا على رواية ابن خلكان بعد تصحيح ما حرف منها...

وكان أبوالعلاء من بيت علم وقضاء، ورياسة وثراء، تولى جماعة من أهله قضاء المعرّة وغيرها، ونبغ منهم قبله وبعده كثيرون رأسوا وساسوا، وكان فيهم الكاتب والشاعر...

ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٦٣هـ. وعمي بالجدري أول سنة ٣٦٧. غشى يُمنى عينيه بياض، وذهبت اليسرى جملة. وكان يقول: لا أعرف من الألوان إلا الأحمر، لأنهم ألبسوني حين جدرْتُ ثوبا معصفرا، لا أعقل غير ذلك... وتوفي - رحمه الله - يوم الجمعة، ثالث وقيل ثاني وقيل ثالث عشر ربيع الأول سنة ٤٤٩هـ بالمعرّة، في خلافة القائم العباسي، وله من العمر نحو ستٌ وثمانين سنة[1].

وكان مطلعا على العلوم، لا يخلو في علم من الأخذ بطرف، متبحرا في اللغة، متسع النطاق في العربية، جامع الشعوب للطرق الأدبية.. كما يقول عنه ابن فضل الله العمري في كتابه: (مسالك الأبصار).

وكان أبوالعلاء يتعصّب للمتنبي، ويزعم أنه أشعر المحدثين، ويفضله على بشّار ومن بعده، مثل أبي نواس، وأبي تمام.. كما يقول ياقوت الحموي في كتابه: (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب).

يقول ابن خلكان: (وكان متضلعا من فنون الأدب، قرأ النحو واللغة على أبيه بالمعرّة، وعلى محمد بن عبدالله بن سعد النحوي بحلب، وله التصانيف الكثيرة المشهورة، والرسائل المأثورة. وله من النظم «لزوم ما لا يلزم» وهو كبير يقع في خمسة أجزاء، أو ما يقاربها، وله «سقط الزند» أيضا، وشرحه بنفسه وسماه: «ضوء السقط». وبلغني أن له كتابا سماه: «الأيك والغصون» وهو المعروف بالهمزة والردف، يقارب المائة جزء، في الأدب أيضا، وحكى لي من وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتاب الهمزة والردف، وقال: لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلّد؟ ولما فرغ من تصنيف كتاب: «اللامع العزيزي» في شرح شعر المتنبي وقرئ عليه، أخذ الجماعة في وصفه فقال أبوالعلاء: كأنما نظر المتنبيّ إليّ بلحظ الغيب حيث يقول:

**أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي**
**وأسمعت كلماتي من به صمم**

واختصر ديوان أبي تمام، وشرحه، وسماه: «ذكرى حبيب» وديوان البحتري وسماه: «عبث الوليد» وديوان المتنبي وسماه: «معجز أحمد» وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها، ومآخذهم من غيرهم، وما أخذ عليهم وتولى الانتصار لهم، والنقد في بعض المواضع عليهم، والتوجيه في أماكن خطئهم[2].

أثبتنا هذه النقول عن حياة أبي العلاء وثقافته، لنخرج من ذلك إلى أننا معه بإزاء رجل كان مؤهلاً بالفعل لريادة اتجاهات متعددة في الإبداع وليس اتجاها واحداً بذاته.. فقد اشتق في الشعر العربي اتجاها إلى الرثاء من خلال داليته التي يرثي بها صديقه الفقيه الحنفي وغيرها ما نظن أنه كان موجوداً قبْل أبي العلاء بهذه اليقظة الفنية التي تتأمل - في رثاء إنسان - كلَّ مظاهر الكون، بدءا وصيرورة ومصيراً.. كما اشتق في

---

(١) أحمد تيمور باشا: أبوالعلاء المعري - ص ١٧ - ٢٨.

(٢) ابن خلكان - وفيات الأعيان - عن (تعريف القدماء بأبي العلاء - ص١٨٢.

النثر العربي اتجاهاً إلى القراءة الفنية من خلال عمله الرائع في ( رسالة الغفران ) التي جلى فيها جانباً من عبقرية الخيال العربي وعبقرية اللغة العربية على السواء، وكشف فيها كثيراً من جوانب الحقائق العلمية المتصلة بتاريخية الشعر وأصولية اللغة في ذكاء مثير.

فإذا تصدى في ديوانه ( لزوم ما لا يلزم ) إلى ريادة أخرى من نوع مختلف. فذلك مبرر له وإن كان في حاجة إلى استقصاء للمحاولات التي وجهته - على الأقل - إلى اقتحام هذا المجال ربما في شعر الشعراء السابقين عليه.

وبداية يلوح فعل أبي العلاء في ( لزوم ما لا يلزم ) نوعاً من التحدي العبقري الذي يريد من ورائه صاحبه أن يؤكد جدارته الفنية واللغوية بشكل خارق تماماً، فقد أحصى أبوالعلاء حروف المعجم فوجدها - كما يقول الدكتور طه حسين - ثمانية وعشرين حرفاً، ثم أحصى الحركات التي يمكن أن تختلف على هذه الحروف فوجدها ثلاثاً - وأضاف إليها السكون، فحصلت له من هذا أشكال أربعة للقافية، فلما استقام له هذا الحساب أخذ نفسه بأن ينظم شعراً يقفيه بكل هذه الحروف مضمومة ومفتوحة ومكسورة وساكنة، ولو قد اكتفى بذلك لكان فيه الجهد كل الجهد، والعناء كل العناء، ولكنه أضاف إليه التزام الحرف الذي يسبق القافية في البيت الأول من القصيدة أو المقطوعة، بحيث لا توجد القافية في أي بيت من أبيات القصيدة أو المقطوعة، إلا ومعها هذا الحرف الذي سبقها في البيت الأول[٣].

وإذن فإن معنى ( لزوم ما لا يلزم ) أنه يلتزم قبل الرويّ حرفاً إذا غُيِّر لم يكن مخلا بالنظم كما يلوح في سائر محاولاته الفذة، ولكن الرجل أخذ نفسه بهذا الشرط الفنيّ، وحاول أن يوائم بينه وبين ما وضعه النقاد الذين رصدوا هذه الظاهرة من شرط أساس لها، وهو عدم الانزلاق بلزوم ما لا يلزم إلى نوع من التكلف أو الاعتساف الذي يحيل الإبداع إلى مهارات لغوية فارغة من النبض الشعوريّ، وإن لم تسلم له هذه المحاولة بالكامل، فوقع أحياناً كثيرة في شرك الاعتساف والتكلف، مع أنه كان يعي بالتأكيد مثل هذا الشرط الذي أكده مثل ابن سنان الخفاجي في كتابه : ( سرّ الفصاحة ) حين قال : ( وليس يغتفر للشاعر إذا نظم على هذا الفنّ - لأجل ما ألزم نفسه ما لا يلزمه - شيء من عيوب القوافي، لأنه إنما فعل ذلك طوعاً واختياراً من غير إلجاء ولا إكراه، ونحن نريد الكلام الحسن على أسهل الطرق وأقرب السبل، وليس بنا حاجة إلى المتكلف المطرح، وإن ادعى علينا قائله أن مشقة نالته، وتعباً مرّ به في نظمه[٤] ).

فإذا تركنا ذلك إلى قضية البحث عن جذور هذه الظاهرة في التراث السابق على أبي العلاء، هالنا أن الإجماع النقديّ يوشك أن يتعقد على أن المعري هو أول من راد هذا الطريق، وأول من أصل لهذا الاتجاه، فإذا أوغلوا في التحوط أشاروا إلى قصيدة يتيمة في التراث الشعري لكثير عزة، التزم فيها اللام قبل التاء وقد أشار أبوالعلاء نفسه إلى هذا السبق التاريخي لكثير في قوله :

---

(٣) انظر: مع أبي العلاء في سجنه - للدكتور طه حسين - ص ١١.

(٤) ابن سنان - سر الفصاحة - ص ١٨٠ - ١٨١.

كُثَيِّرٌ أنا في حرفي أُعيتْ له
في التاء يلزم حرفًا ليس يلتزم

يريد حرف اللام الذي التزمه كثير قبل التاء في قصيدته التي مطلعها:

خليليّ هذا ربع عزّة فاعقلا
قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلّت

فإذا كانوا يقصدون أن أبا العلاء هو أول من كشف الإبداع على هذا النسق حتى بلغ ذلك ديوانا بكامله سماه: (لزوم ما لا يلزم).. فهم على حق في هذا الإطلاق بلا جدال.. أما إذا كانوا يقصدون أن أبا العلاء هو أول من ألف شعره في هذا الاتجاه، أو حتى هو ثاني من ألف شعره في هذا الاتجاه بعد كثير عزة الذي اعترف له بريادة هذا النسق الإبداعي، فذلك هو مناط الجدل لأن واقع الإبداع العربي يتجاوز هذا التحديد الضيق والمغامر في آن.. ولأننا نعتقد أن الإطلاق هنا نوع من التبسيط المخلّ، ربما لأننا نؤمن بأن أية ظاهرة فنيّة لا يمكن أن تتخلق في معزل عن سائر الظواهر الأخرى - فضلاً عن مسلّمة كونها لا يمكن أن تتخلّق في فراغ كامل - بمعنى أن كل ظاهرة تؤثر في سائر الظواهر، وتتأثر كذلك بسائر الظواهر، ولا يهمّ بعد ذلك أن تكون الظاهرة المتأثرة تنويعاً حرْفياً على الظواهر المؤثرة، فقد تتخذ لها اتجاها مغايراً أو حتى نقيضا، ومع ذلك تؤكد أنها امتداد من لون ما لهذه الظواهر التي دفعتها إلى هذا المنطلق أو ذاك.

وفي ضوء هذه الملاحظة النقدية يمكن أن نفهم أن اتجاه أبي العلاء إلى (لزوم ما لا يلزم) في شعره، لم يكن انطلاقا من الفراغ كما يحاول الاجماع النقدي أن يصوره. وإنما كان امتداداً لظواهر أخرى من جهة، وتطويراً لتكثيف (الإيقاع والموسيقى) في هذه الظواهر من جهة أخرى.. بمعنى أن أبا العلاء فتن بريادات تلتزم في شعرها ما لا يلزم، فحاول أن يقبض منها على الراية في هذا الصدد وقد استطاع... ثم هو فتن بإيقاع بعض الشعر وموسيقاه، فحرص على تكثيف هذه الموسيقى وهذا الإيقاع، ربّما ليعوّض حاسة الرؤية بحاسة السمع، فحرص على التقفية ليس بحرف واحد كما فعل سابقوه، وإنما بحرفين وأحيانا بثلاثة حروف... إلى جانب ما عرف عنه من حب جارف لاستعراض ملكاته اللغوية والتركيبية في تصميم شكل القصيدة العربية وقد يؤيد ما نذهب إليه قول ابن سنان الخفاجي: (وقد التزم بعض الشعراء في القوافي إعادة ما لا يلزمه طلبا للزيادة في التناسب، والإغراق في التماثل، كقول الحطيئة:

ألا من لقلب عارم النظرات
يقطّع طول الليل بالزفرات
إذا ما الثريا آخر الليل أعنقت
كواكبها كالجزع متحدرات

فالتزم الراء في جميعها قبل الرويّ، وهي غير لازمة[٥]... فإذا كان ذلك عند غير أبي العلاء، فما نظن إلا أنه كان حريصا على ذلك بأكثف من هذا كثافة بما لا يقاس.

وإذن فالتزام ما لا يلزم كان موجوداً قبل أبي العلاء، في الشعر وفي النثر على السواء، حتى إن رجلا كابن الأثير أخذ يستقصي ما جاء منه، أو

(٥) ابن سنان - سر الفصاحة - ص١٧٩.

فلننقل بعض ما جاء منه في القرآن الكريم، وانتهى إلى أنه ( ورد في القرآن الكريم شيء من هذا اللزوم - إلا أنه يسير جداً، فمن ذلك قوله تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾(٦)

وقوله تعالى:

﴿ وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴾(٧) وكذلك ورد قوله تعالى في هذه السورة:

﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾(٨).

ومن هذا الباب قوله تعالى:

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾(٩).

وكذلك ورد قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣٩ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ۚ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾(١٠).

وعلى هذا الأسلوب جاء قوله تعالى في قصة إبراهيم - عليه السلام -:

﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۝٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾(١١).

وعلى نحو هذا جاء قوله تعالى:

﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝٢٧ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴾(١٢).

ولا نجد أمثال ذلك في القرآن إلا قليلاً(١٣).

كما جاء اللزوم كذلك في الحديث النبوي الشريف من مثل قوله ﷺ: ( شرّ ما في المرء: شحّ هالع، وجبن خالع )(١٤).. وقوله: ( الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف )(١٥).

أما في الشعر - وهو ما يهمنا هنا بالدرجة الأولى - فقد وردت نماذج متفاوتة بين القصيدة والأبيات.. وتسلسلت هذه النماذج في عصور الجاهلية والإسلام والأمويين والعباسيين.. مما يؤكد أن الظاهرة اللزومية كان لها حلول تاريخي في هذا الشعر. وإن كانت لم تأخذ شكلها النهائي المستقر إلا على يد أبي العلاء المعري من غير شك.. فابن الأثير يقول: ( ومما ورد من ذلك أيضاً قول طرفة بن العبد البكري:

**ألم تر أن المال يكسب أهله**

**فضوحاً إذا لم يُعطَ منه نواسُه**

**أرى كل مال لا محالة ذاهباً**

**وأفضله ما ورث الحمد كاسبُه**(١٦)

---

(٦) العلق (١ ، ٢).
(٧) الطور (١ ، ٢).
(٨) الطور (٢٩ ، ٣٠).
(٩) الواقعة (٢٧ ، ٢٩).
(١٠) الأنفال (٣٩ ، ٤٠).
(١١) مريم (٤٥ ، ٤٦).
(١٢) ق (٢٧ ، ٢٨).
(١٣) ابن الأثير: المثل السائر - ج١ - ص٣٧٦ - ٣٧٧.
(١٤)
(١٥)
(١٦) ابن الأثير: المثل السائر - ج١ - ص٣٧٠.

ويقول: (وقد ورد للعرب شيء من ذلك إلا أنه قليل، فمما جاء منه قول بعضهم[17].

في أبيات الحماسة:

**إن التي زعمت فؤادك ملها**
**خُلقتْ هواك كما خلقت هوى لها**
**بيضاء باكرها النعيم فصاغها**
**بلباقة فأدقها وأجلها**
**حجبت تحيتها فقلت لصاحبي**
**ما كان أكثرها لنا وأقلها**
**وإذا وجدت لها وساوس سلوة**
**شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها**

وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه[18].

ويقول: (ومما يجرى هذا المجرى قول حجر بن حية العبسيّ من شعراء الحماسة أيضا:

**ولا أدوّم قدري بعد ما نضجت**
**بخلاً فتمنع ما فيها أثافيها**
**حتى تقسّم شتى بين ما وسعت**
**ولا يؤنب تحت الليل عافيها**[19]

ويتبدّى من خلال استشهادات ابن الأثير على هذا النحو الذي ألمّ بالشعر الجاهلي والقرآن الكريم، والحديث النبوي، وكلام العرب. ثم شعر العصور التالية، أن لزوم ما لا يلزم ظاهرة فرضت وجودها على الذاكرة الإبداعية وجاء القرآن الكريم ليبرز وجودها الجماليّ، ويضعها نسقا من أنساق الخطاب الأمر الذي يستولي على مشاعر المتلقين... ولكننا نلاحظ على مجمل هذه الاستشهادات أنها ليست أعمالاً كاملة، وإنما هي أبيات من قصائد، وفقرات من حديث، وآيات من القرآن الكريم.. أي أنها كانت ظاهرة قليلة الورود، حتى جاء أبوالعلاء فكثرها وعممها.

حتى القصيدة اليتيمة الكاملة التي استشهد بها مؤرخو هذه الظاهرة وهي لكثير عزة. لم تسلم لهم جميعها وحين لم تسلم لهم حاولوا تنحية النُتوء الذي يمكن أن يخرجها عن كلية التوجّه للزوم ما لا يلزم.. يقول ابن سنان الخفاجي:

وكان شيخنا يذهب إلى أن قصيدة كثير التي أولها:

**خليليّ هذا ربع عزّة فاعقلا**
**قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت**

قد لزم اللام في جميعها، فلما سألناه عن البيت الذي يروى فيها وهو:

**أصاب الردى من كان يهوى لك الردى**
**وجن اللواتي قلن عزة جُنتِ**

قال: هذا البيت ليس من القصيدة[20].

وينحو هذا المنحى داود الأنطاكي فيقول: ومن أول القصيدة إلى قوله: فما أنصفت: لزوم ما لا يلزم، ولم يخالفه إلا في البيت المذكور[21]. وإن تحرز فلم يطعن في نسبة البيت.

وفي ذلك كله ما يدل على اتجاه الكثيرين نحو الالتزام.

---

(17) يعني عروة بن أذينة.

(18) ابن الأثير: المثل السائر - ج1 - ص270.

(19) ابن الأثير: المثل السائر - ج1 - ص270.

(20) ابن سنان: سر الفصاحة - ص180.

(21) داود الأنطاكي: تزيين الأسواق - ص77.

# الدعاة واللسان

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفنى

**لا نزاع فى أن الرسالة التى أرسل الله بها رسله هى أن يبلغوا للناس الدين الصحيح، فينتزعوهم من الضلال والجهل إلى المعرفة الصحيحة لله أولاً، ثم يبينوا لهم الأسلوب الأمثل لتطبيق شريعة الله، سواء منها ما يتعلق بالعبادة لله، أو الصلة بين الناس فى علاقاتهم أو سلوكهم، كل رسول حسب ما تتضمنه رسالته من تفاصيل، وفى كل ذلك يكون الرسول صاحب رسالة ودعوة، كل همه أن يقنع الناس بها ليؤمنوا بها ويطبقوها، وهذا بطبيعة الحال يستلزم الحوار الدائم والمتواصل بينه وبين الناس، هو يريد أن يقنعهم بدعوته وهم يجادلونه للتمسك بتقاليدهم وكيانهم الاجتماعى الذى صاغوه من هذه التقاليد.**

وحينئذ تبدو أهمية اللسان من حيث أنه السلاح الأساس فى هذه الخصومة الإعلامية والنفسية، وإذا كانت سائر الأسلحة العسكرية والنفسية يمكن لشىء منها أن يؤدى بعض الغرض الذى يؤديه السلاح الآخر، فإن اللسان هو السلاح الوحيد الذى لا يستغنى عنه الداعى ولا يجد شيئاً قط يحل محله، أو يغنى عنه أى غناء، وإذا قيل فإن القلم قد يؤدى ما يؤديه اللسان أو بعض ما يؤديه، فالواقع أن القلم مطية اللسان، فالداعى يصل إلى سامعه مباشرة باللسان، ويصل إلى قارئه ممتطياً قلمه.

ولعلنا نجد شيئاً من مضمون أهمية اللسان فى قوله -تعالى-:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾(١).

فإنه وإن كان المعنى منصباً على أنه لابد أن تكون لغة الرسول والمرسل إليهم واحدة، إلا أن دور اللسان فى الآية وكونه الأداة الوحيدة للبيان والبلاغ، وكونه ملازماً لكل رسول ملازمة جوهرية أمر واضح شديد الوضوح، ولذلك جعل موسى ـ عليه السلام ـ اللسان مطلباً أولياً يدعو ربه أن يحققه له فيقول داعياً:

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾(٢).

بل نلحظ أنه حينما تحدث عن اللسان ربط به جوهر رسالته كلها فى فهم الناس عنه فى قوله:

﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ لأنهم إذا لم يفقهوا قوله فقد انفصمت الروابط بينه وبينهم، لانعدام وسيلة الاتصال والتفاهم.

وفى إصرار موسى –عليه السلام– على أن يكتمل لديه هذا السلاح الذى لا بديل له عند الداعية، وهو البيان ممثلاً فى اللسان، فحينما كلفه ربه إعلان رسالته وتبليغها إلى أعتى طغاة عصره، فرعون، لم يطلب موسى حينئذ قوة ولا سلاحاً فى هذا الصراع الرهيب المقدم عليه سوى لسان كامل البيان ولم يكن لسانه هو كامل البيان والطلاقة، فطلب الاستعانة بأخيه الفصيح الطلق اللسان، فيقول:

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾(٣).

وحين يكتمل ما لدى موسى من شخصية قوية، وعلم واسع، وحجة دامغة، بما لدى هارون من طلاقة اللسان وحسن العرض وبلاغة الصياغة، فهذا كل ما هو فى حاجة إليه، وهو أيضاً كل أو خير ما يحتاج إليه أى داعية، ولم يكن ينقص موسى ـ كما يفهم من أغلب الروايات ـ شيئاً يتعلق بالعجز عن النطق أو عن وضوح الألفاظ نفسها، وإنما يتعلق بطلاقة اللسان فى استرساله ومقدرته السريعة المتلاحقة ليس على توضيح الكلمات ونطقها، وإنما على تنسيقها وعرضها بالصياغة والإلقاء الجذاب المؤثر، والزمخشرى يبرز هذه الملحوظة فى تعبير طريف عميق، حيث يقول: إن (الفصاحة لا يحتاج إليها لمجرد إلقاء المعنى ليصل السامع إلى فهمه فيقول للمتكلم صدقت أو كذبت، فهذا القدر يستوى فيه من يُضرب به المثل فى البلاغة وهو سحبان، ومن يضرب به المثل فى العى، وهو باقل، وإنما يحتاج إلى الفصاحة لشىء فوق فهم المعنى، وهو التأثير فى السامع، وكسب مشاعره).. وهذا جانب وإن كان يبدو دقيقاً فى التعبير عنه وفى تحديده، إلا أنه واضح ملموس فى واقع الحياة، فمن المعروف مثلاً أن أمير شعراء عصره أحمد شوقى كان يستعين بشخص آخر ليلقى شعره فى المحافل نيابة عنه مع وجوده، فهذا الشخص لم يصنع شيئاً أكثر من أن صوته وإلقاءه يضفى على الكلام شيئاً يزيد من جماله، ويجعل النفوس أشد تأثراً به، ولم يكن أحمد شوقى يخصص شخصاً معيناً تميز عن غيره بموهبة الإلقاء الحسن، وإنما يختار شخصاً لمجرد أن إلقاءه خير من إنشاد الشاعر نفسه، ولعلنا نستشف من هذا المثال الواقعى حين

(١) إبراهيم (٤)

(٢) طه (٢٥ : ٢٨)

(٣) القصص (٣٤).




تنظر من خلاله إلى استعانة موسى بأخيه هارون أن موسى لم يكن لديه عجز أو عيب فيما يتعلق بوصفه رسولاً ونبياً، كما أن شوقى لم يكن لديه عجز فيما يتعلق بوصفه شاعراً، وكما أن استعانة شوقى بمنشد لشعره بدلاً منه لم تقلل من قيمته بوصفه شاعراً، بل أميراً للشعراء، فكذلك استعانة موسى بأخيه هارون لا تحمل دليلاً على عجز فيه بوصفه نبياً ورسولاً، وإنما تحمل دليلاً على ميزة فيه، وهى حرصه على أن يهيىء لرسالته أقصى ما يستطيع من وسائل النجاح.

## اللســــان والســــيف

كلاهما سلاح فى الخصومة، ولكن إذا كان السيف أشد رهبة وأصلب عوداً، فإن اللسان أنفذ طعناً وأبقى أثراً، سواء فى أثناء الخصومة أو عند تحقيق الغاية والنتيجة حين يراد بسط النفوذ وإحكام القياد بأى منهما.

وإذا أردنا شيئاً من إيضاح، نقول إن اللسان والسيف كلاهما سلاح تخاصم وتنافس، وكلاهما كان كذلك منذ خلقه الله، فإذا أردنا الموازنة بينهما فى التأثير نجد النتيجة لا تخلو من غرابة فى ظاهر الأمر، وتطبيق ذلك أن نضرب مثلاً بصاحب سلطان أو قوة يريد أن يفرض وضعاً معيناً أو مذهباً من المذاهب على شعب أو جماعة وهم لا يرغبون فى هذا، ونبى صاحب رسالة أو مصلح صاحب مذهب، يريد أن ينشر هذا الدين أو هذا المذهب فى جماعة من الناس وهم غير راغبين فيه، لمخالفته ومناقضته لواقعهم، كما يحدث دائماً للأنبياء ودعاة الإصلاح، ووسيلة صاحب السلطان عادة السيف، وأما وسيلة الأنبياء، والمصلحين فهى اللسان، وقد يكون صاحب السلطة أسرع فى تنفيذ غرضه وفرض إرادته، ولكننا على المدى البعيد نجد الأمر مختلفاً من عدة وجوه.

**أولها**: أن خضوع الذين خضعوا لصاحب السلطة إنما يستمر طالما كان سيفه مشهراً وليس فيهم سيف يكافئه، فإذا انخفض سيفه أو قام سيف أقوى منه أسرع هؤلاء الخاضعون إلى التحلل من خضوعهم، أما انقياد الأتباع للنبى أو صاحب المذهب فإنه يستمر حتى بعد موته، بل وبعد موت الأتباع أنفسهم، حيث يحرصون على أن يورثوا هذا الانقياد لأجيالهم التالية، لأن انقيادهم فى حقيقته ليس انقياداً لشخص، وإنما لمبادىء هى مضمون العقيدة أو المذهب الذى أقنعهم به هذا الشخص.

**ثانيها**: أن السيف فى انتصاره إنما يكسب الأعداء، أما اللسان فانتصاره يكسب الأصدقاء، ذلك أن انتصار صاحب القوة إنما يمثل هزيمة الآخرين، وهؤلاء المهزومون غالباً ما يخضعون للقوة خضوعاً ظاهرياً، أما فيما بينهم وبين نفوسهم فهم أعداء لصاحب هذا السيف، لأن الهزيمة لم تكن يوماً محببة إلى أحد، أما صاحب اللسان فإنه حين ينتصر فإن انتصاره هو اقتناع المدعوين والمخاطبين، وهذا الاقتناع يحولهم عادة إلى معجبين وأحبة، إضافة إلى تبعيتهم للداعية صاحب اللسان.

**وثالثها**: أن السيف لا يؤثر غالباً فى السلوك، ولا يغير من الطابع العام للفرد والجماعة إلا بمقدار الضرورة التى يضطر فيها الفرد اضطراراً إلى تغيير شىء من عاداته أو رغباته، ثم يكون هذا التغيير مؤقتاً بوقت زوال كابوس السيف ورهبته، فإذا تنسم الفرد حريته عاد إلى ما كان عليه، ولكنه فى غالب الأمر ينفذ مطالب صاحب القوة فى الظاهر،







ثم يتمرد ما وجد إلى التمرد سبيلاً، أما صاحب الدين أو المذهب، فإنه عند اقتناعه واعتناقه ما اقتنع به يبدأ في توجيه سلوكه بما يتلاءم مع عقيدته الجديدة، فإذا أصدر صاحب السيف مثلاً أمراً إلى الخاضعين لسيفه بالامتناع عن شيء كشرب الخمر أو التدخين مثلاً، فإن الخاضعين سينفذون هذا الأمر ظاهراً، ثم يتلمسون كل وسيلة للتمرد على الأمر، ويجدون متعة في التمكن من مخالفة هذا الأمر، أما أتباع الدين أو المذهب فإنهم حين يجدون الخمر أو نحوها محرمة عليهم يبدأون في رياضة أنفسهم على هذا التحريم، وإذا غلبتهم أنفسهم فخالفوا، فإنهم يشعرون بتأنيب الضمير لأنهم على أيسر الفروض فعلوا شيئاً مخالفاً لعقيدتهم أو مذهبهم.

والنتيجة إذن أن اللسان ـ بوصفه أداة الإقناع ـ هو الوسيلة المثلى لتغيير السلوك وبالتالي للإصلاح الاجتماعي.

ومن هنا يتضح لماذا لم يكن رسل الله من الملوك أصحاب السلطان، ولا من القادة أصحاب القوة والنفوذ، برغم أن هذا في الظاهر يبدو أنجح في تبليغ الرسالة، وأسرع في كسب انقياد الأتباع، وإنما يرسل الله النبي وليس معه إلا (اللسان) أدوم الأسلحة، وأقوى وسائل الإصلاح، والهدف الوحيد للأديان السماوية وهو الإصلاح، سواء كان في العقيدة أم في السلوك أم في الصلات.

**ورابعها**: أننا لو وازنا انتصار السيف بانتصار اللسان، نجد انتصار اللسان هو النصر الحقيقي، لأن المقتنع بدعوة اللسان هو الذي يستسلم لصاحب اللسان استسلاماً كاملاً ونهائياً، ولا يتصور أن يعاود الخصومة معه فيما اقتنع به واعتنقه، إلا في حالات شاذة لا تُنقض حكماً، ولا يُبنى عليها حكم، أما انتصار السيف فلا يعد انتصاراً كاملاً ونهائياً، بل هو نصر وقتي، لأن المهزوم في أغلب الأحيان يحاول غسل الهزيمة عن نفسه، ومن ثم فإنه يبدأ في التفكير والمحاولة للانتقام ما أمكنته الفرصة، ويبقى صاحب السيف متوجساً ومترقباً هذا الانتقام، ولذلك ليس من الشطط أن يقال إن نصر السيف لا يعد في حقيقته نصراً كاملاً مهما بدا من استسلام المهزوم، فالنصر حينئذ أقرب إلى التفوق منه إلى النصر الكامل، أما النصر الكامل والحقيقي فهو نصر اللسان.

على أن مجرد مقدرة اللسان على إظهار الحجة وإفحام الخصم حتى إذا لم يعتنق الخصم هذا اليقين، فإن تفوق صاحب اللسان حينئذ أبلغ وأعمق من تفوق صاحب السيف في الوضع المشابه لذلك.

والقرآن الكريم يضرب مثلاً لهذا في قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ صاحب اللسان والحجة مع خصمه صاحب السيف والقوة والمُلْك العريض

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(٤).

---

(٤) البقرة (٢٥٨).



من قادة الفتوحات الإسلامية

# جرير بن عبدالله البجلي

للأستاذ/ أحمد السيد نفين الدين

**«نعم السيد كنت في الجاهلية ونعم السيد أنت في الإسلام» عبارة قالها الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لرجل قال له رسول الله ﷺ:**

**«أشهد أنك لاتبغي علوا في الأرض ولا فساداً» .**

**فمن ياترى يكون الرجل؟ وبم استحق شهادة رسول الله ﷺ، وإطراء أمير المؤمنين الفاروق عمر؟**

الرجل هو: جرير بن عبدالله بن جابر الشليل بن مالك بن نضرة بن ثعلبة بن جُشم ابن عوف بن خزيمة بن حرب بن علي بن مالك ابن سعد بن نذير بن قسر مالك بن عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث من القحطانية باليمن، وتنسبو جميعاً إلى «بجيلة» بنت مصعب بن علي بن سعد العشيرة زوجة أنمار.

واشتهر الرجل باسم جرير بن عبدالله البجلي.

أسلم في السنة التي قبض فيها النبي ﷺ وسلم العاشرة للهجرة، وقد وفد عليه فقال له رسول الله ﷺ: «ماجاء بك؟» قال: جئت لأسلم. فالقى إليه النبي كساءه، فجلس جرير على الأرض فقال النبي ﷺ: «أشهد أنك لاتبغي علوا في الأرض ولا فساداً»[1].

وكان أول عمل يكلف به رسول الله صلى الله عليه وسلم جريرا أن قال له: «ألا تريحني من ذي الخلصة؟» وكانت صنما لخثعم وبجيلة باليمن. فقال له جرير: «يارسول الله إني رجل لا أثبت على الخيل» فمسح رسول الله ﷺ على صدره وقال: «اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا» فخرج جرير في مائة وخمسين فارسا فحطموا ذا الخلصة فأتى النبي ﷺ فأخبره بذلك فدعا له[2].

وينتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه، ويختار المسلمون أبا بكر الصديق خليفة لرسول الله ﷺ عليهم، فيجابه المرتدين حتى يدحرهم ثم يشرع في فتح العراق ويُسير خالد بن الوليد الذى لجح في اجتياح العراق حتى وصل الحيرة ملحقا الهزيمة بجيوش الفرس في كل المعارك التي خاضها ضدهم، ويرسل خالد إلى الخليفة يسأله المدد فيمده الصديق بجرير بن عبدالله البجلي، ومعه قيس بن أبي حازم.

ومع خالد بن الوليد شهد جرير معارك طاحنة

(١) بلوغ الأرب (٢٠٢/١)، أسد الغابة (٧٣٠)، سير أعلام النبلاء (٣٨١/٢)

(٢) بلوغ الأرب (٣٤٦/١)

دارت رحاها ضد الفرس ومن حالفهم من قبائل العرب حيث شارك فى معركة الأنبار فى ٤ من رجب ١٢ هـ ثم معركة عين التمر فى ١١ من رجب، ثم فتح دومة الجندل فى ٢٤ رجب، ثم معركة «حصيد» فى ١٠ من شعبان ثم «الخنافس» فى ١١ من شعبان، ثم المصيخ فى ١٩ من شعبان.

وهكذا تربى جرير فى مدرسة خالد العسكرية ليصبح فيما بعد واحدا من أبرز قادة الفتوحات الإسلامية بالعراق، ليس هذا فحسب بل إن خالد بن الوليد غادر العراق فى ٢٥ من ذى القعدة ليؤدى فريضة الحج، وهو تصرف غريب من خالد اعتبره بعض الناس غروراً ومغامرة ليس لها ما يبررها، ولكن هذا التصرف إن دل على شىء فإنما يدل على ثقة خالد برجاله أمثال جرير وضربائه: المثنى، والأقرع، وعاصم، ومذعور، وعدى، وغيرهم فقد صقلتهم التجارب، وصهرتهم المعارك، وعاشوا على ظهور الخيل، وتحت ظلال السيوف والرماح، فاطمأنت نفسه أن يخرج ليحج ثم يعود.[٣]

ثم يقرر الخليفة الصديق أن الشام قد صار فى حاجة لجهود خالد بن الوليد، فقد تجمعت جيوش المسلمين فى مواجهة جيوش الروم بالشام على مقربة من اليرموك، وكان الموقف فى غاية الحرج، فقال الصديق كلمته المشهورة: «والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد» فكتب الصديق إليه قائلا: «.. سر بنصف الناس حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك..» فبدأ خالد يستعد للرحيل عن العراق وشرع يقسم الجيش إلى شطرين شطر معه، وشطر مع المثنى بن حارثة الشيبانى ـ الذى تولى قيادة جيش المسلمين بالعراق ـ، ولكن ابن الوليد استأثر بأصحاب رسول الله ﷺ، وترك للمثنى مثل عددهم ممن لم يكن له صحبة وكان جرير فيمن استأثر بهم خالد لنفسه، ورفض المثنى هذه القسمة مصرا على أن ينفذ أمر الخليفة حرفيا، فمادام الخليفة قد أمر بتقسيم الجيش نصفين إذا فليكن نصف الصحابة مع خالد، والنصف الآخر مع المثنى، وهو ما حدث فعلا، ولكن خالدا تمسك بجرير معه فى صحبته. إلا أن جرير بن عبدالله كان يفكر فى أمر آخر كان يفكر فى قومه، هؤلاء المقاتلين الأشداء كيف ينجح فى تجميعهم وكسبهم لمعارك الإسلام المرتقبة.

## بجيلة

كانت بجيلة من قبائل العرب الكبيرة، غير أنها تشتت فى جزيرة العرب نتيجة بعض المعارك فى الجاهلية. وكان جرير بن عبدالله من سادة بجيلة وأشرافها ـ قد كلم رسول الله ﷺ فى شأن بجيلة ليجمعها فوعده بذلك. ولحق النبى بربه ولما يتم فى الأمر شىء. فقدم جرير على أبى بكر وذكر له وعد النبى صلى الله عليه وسلم وأتاه على ذلك بشهود وسأله إنجاز ذلك. غير أن أبا بكر كان مشغولاً بالفتوح، واعتبر الوقت غير مناسب لذلك، فقال لجرير: «ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممن بإزائهم من الأسدين فارس والروم، ثم أنت تكلفنى التشاغل بما لايغنى عما هو أرضى لله ورسوله! دعنى وسر نحو خالد بن الوليد حتى أنظر مايحكم الله فى هذين الوجهين».[٤]

ونفذ جرير أمر الخليفة، فسار نحو العراق

---

(٣) أحمد عادل كمال، الطريق إلى المدائن ص٣١٥، ٣١٦.

(٤) الطبرى (١٥/١ ـ ١٦)



لينضم إلى خالد بن الوليد فلزمه حتى خرج معه من العراق نحو الشام. فلما ولي عمر ذكر له جرير مسألة جمع بجيلة فطالبه عمر بالبينة فأقامها، فكتب عمر إلى عماله على القبائل: «من كان فيه أحد ينسب إلى بجيلة في الجاهلية وثبت عليه في الإسلام يُعرف ذلك فأخرجوه إلى جرير»[5] وواعدهم مكاناً بين العراق والمدينة. فكان ممن أخرج لهم قيس كُبَّة وعُرَيْنة وسُحْمَة[6]، وكانوا في قبائل بني عامر بن صعصعة. فلما أعطى جرير حاجته من ذلك وتم له جمع بجيلة، قال له عمر: «اتخذونا طريقاً» فخرج وجهاء بجيلة في وفد منهم نحوه وخلفوا الجمهور. واجتمع بهم عمر فقال لهم: «أي الوجوه أحب إليكم؟» قالوا: «الشام أسلافنا بها».

فقال لهم عمر: «بل العراق، فإن أهل الشام قد قووا على عدوهم وإن الشام في كفاية».

فلم يزل بهم ويأبون عليه حتى أكرههم على ما أراد، وعوضهم عن إكراههم واستصلاحاً لهم، فجعل لهم ربع خمس ما أفاء الله عليهم في غزاتهم هذه بالإضافة إلى نصيبهم من الفيء، لجرير ومن اجتمع إليه ممن أخرج إليه من القبائل.[7]

وجعل عمر عرفجة بن هرثمة على من كان مقيماً من جديلة من بجيلة وجعل جريراً على من كان من بني عامر وغيرهم. فكانت إمارة عرفجة على أكثر بجيلة وأمرهم أن يسمعوا له وأمر الآخرين أن يسمعوا لجرير. فسأل جرير بجيلة: «هل تقرون بهذا وقد أدخل علينا ما أدخل؟» وكانت بجيلة قد غضبت من قبل على عرفجة. فاجتمعت بجيلة ثم أتوا عمر فقالوا: «أعفنا من عرفجة».

قال: «لا أعفيكم من أقدمكم هجرة وإسلاماً، وأعظمكم بلاء وإحساناً».

قالوا: «استعمل علينا رجلاً منا ولا تستعمل علينا نزيعاً فينا».

فظن عمر أنهم ينفونه من نسبه فقال: «انظروا ما تقولون». قالوا: «نقول ما تسمع».

فأرسل عمر إلى عرفجة وقال له: «إن هؤلاء استعفوني منك وزعموا أنك لست منهم، فما عندك؟».

قال: «صدقوا، وما يسرني أني منهم، أنا امرؤ من الأزد ثم من بارق في كهف لا يحصى عدده وحسب غير مؤتشب».

فقال عمر: «نعم الحي الأزد يأخذون نصيبهم من الخير والشر».

قال عرفجة: «إنه كان من شأني أن الشر تفاقم فينا ودارنا واحدة، فأصبنا الدماء ووتر بعضنا بعضاً، فاعتزلتهم لما خفتهم، فكنت في هؤلاء ـ يعني بجيلة ـ أسُوْدُهم وأقودهم، فحفظوا عليّ لأمر دار بيني وبين دهاقينهم فحسدوني وكفروني».

قال عمر: «لا يضرك، فاعتزلهم إذ كرهوك».

واستعمل جريراً مكانه، وأظهر لجرير وبجيلة أنه يبعث عرفجة إلى الشام[8].

ويفجع المسلمون في معركة الجسر بهزيمة خسروا فيها عدداً غير قليل من خيرة الرجال في مقدمتهم قائد الجيش أبوعبيد بن مسعود الثقفي، وسليط بن قيس الأنصاري، والحكم بن مسعود الثقفي، وقيس بن حبيب وعدد كبير من وجوه الصحابة.

---

(5) الطبري (٤/٧٠)
(6) أسد الغابة (٧٣٠)
(7) أسد الغابة (٧٣٠). فتوح البلدان (٦٢٨)
(8) الطبري (٤/٧٠، ٧٢)



ويستنفر أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب المسلمين للقتال فتزاحفوا من كل صوب ملبين نداء الفاروق، فعقد لواءهم لجرير بن عبدالله البجلي، فسار بهم حتى وافى الثعلبية حيث عسكر فيها المثنى بن حارثة الشيباني بمن بقي معه من المسلمين بعد معركة الجسر، فضمه إليه، وسار نحو الحيرة، فعسكر بدير هند على طريق النجف، ثم بث الخيل في أرض السواد.

وعلم الفرس بخبر جيش المسلمين فحشدوا جيشاً قوامه إثنى عشر ألفاً من الفرسان المقاتلة في حين كان جيش المسلمين يقل عن خمسة آلاف مقاتل.

والتقى الجمعان، ووقف جرير في قلب الجيش يحرض قومه من بجيلة قائلاً: «يا معشر بجيلة لايكونن أحد أسرع إلى هذا العدو منكم، فإن لكم في هذه البلاد إن فتحها الله عليكم حظوة ليست لأحد من العرب، فقاتلوهم إلتماس إحدى الحسنيين». (٩)

فتداعى المسلمون وتحاضوا ووقف الناس تحت راياتهم وحملوا على الفرس حملة صدقوا الله فيها فكان النصر المؤزر لهم.

ولا ييأس الفرس أبداً إذ أعاد الفرس حشد جيوشهم وولي يزدجرد كسرى فارس قائده الشهير رستم قيادة الجيش في مواجهة المسلمين، وبلغ ذلك جرير بن عبدالله، فكتب من فوره إلى عمر بن الخطاب، فوقف عمر في مسجد رسول الله ﷺ خطيباً، يحض المسلمين على حرب الفرس، فاجتمع له نحو من عشرين ألف رجل، فولى أمرهم سعد بن أبي وقاص الذي سار بالجيش حتى بلغ القادسية فانضم إليه جرير بجيشه.

وتدور رحى الحرب طاحنة في القادسية أياماً وليالي، وثبت المسلمون في مواجهة فيلة الفرس وكانت بجيلة وعلى رأسها جرير في المقدمة حيث أبدت من ضروب الشجاعة والبسالة ما يجل عن الوصف. وقف فرسان بجيلة خلف قائدهم وقد شرعوا رماحهم في عيون الفيلة، في حين انقض المشاة منهم يقطعون أحزمة هوادج الفيلة لتسقط بمن فيها من الجنود ليكون النصر المؤزر للمسلمين.

وشارك جرير في معارك فتوح فارس كلها في «جلولاء» و«تستر» و«نهاوند» ومن خلفه قومه بجيلة فلم يخسر معركة واحدة.

ومضى جرير بن عبدالله البجلي مجاهداً بسيفه في سبيل الله لايخشى في الله لومة لائم.

وقيل أن وفاته كانت سنة إحدى أو أربع وأربعين(١٠) أو سنة واحد وخمسين للهجرة(١١).

ومما يروى عن جرير بن عبدالله أنه كان في مجلس يضم عمر بن الخطاب الذي وجد رائحة منفرة من بعض جلسائه فقال: «عزمت على صاحب هذه الرائحة إلا قام فتوضأ» فقال جرير: «علينا كلنا يا أمير المؤمنين فاعزم». فقال عمر: «عليكم كلكم عزمت ياجرير، مازلت سيداً في الجاهلية والإسلام». (١٢)

ومن مأثور قوله: «الحرس خير من الخلابة، والبكم خير من البذاءة».

رحم الله جرير بن عبدالله البجلي وجزاه عما قدم لأمة الإسلام خيراً.

---

(٩) الأخبار الطوال (١٦٥)
(١٠) أسد الغابة (٧٣٠)
(١١) الذهبي، سير أعلام النبلاء (٢/٣٨٤)
(١٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٨٣)

﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾

# استفتاءات القراء

## تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس

● **سؤال من السيد منير أحمد محمد.. يقول فيه: بعد ثلاثة أشواط من الطواف، تعبت فجلست للراحة، ثم أكملت الطواف، فهل يصح ذلك؟. أو لابد من استئنافه من الأول، وما الحكم إذا انتقض الوضوء أثناء الطواف، هل يبطل ما فات أم يجوز أن يبنى عليه لو تطهر؟.**

●● **الجواب:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.. وبعد:

فنفيد بأن موالاة الطواف (السعي) بين الأشواط شرط لصحته عند الإمام مالك وأحمد، فإذا كان هناك فاصل يسير لغير عذر فلا يضر، وإن كان كبيراً فإن كان بعذر فلا يضر، أما إن كان بغير عذر، بَطَلَ الطواف.

أما الموالاة عند الحنفية والشافعية فهي سنة، فلو كان فاصلا طويلا بغير عذر لا يَبْطُل الطواف، ويبنى على ما فات، ويدل عليه ما رواه سعيد بن منصور عن حميد بن زيد قال: رأيت عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- طاف بالبيت ثلاثة أشواط أو أربعة ثم جلس يستريح، فقام فبنى على ما مضى من طوافه.

هذا وإذا كان من شروط صحة الطواف الطهارة، فلو أحدث وانتقض وضوؤه في أثناء الطواف، خرج وتوضأ، ثم يدخل المطاف ويبني على ما فات ليكمل الطواف.. ومما يؤكد أن الفصل بين الطواف لا يضر أن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- كان يطوف بالبيت فأقيمت الصلاة فصلى مع القوم، ثم قام فبنى على ما مضى من طوافه ولم يعارضه أحد من الصحابة. والله أعلم.

● **سؤال من السيد/ إبراهيم موسى النمر: هل الزوج ملزم بأن يدفع تكاليف أداء زوجته لفريضة الحج؟ وهل للزوج أن يأخذ من مال زوجته ليؤدى فريضة الحج؟.**



●● الجــواب :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد.

فنفيد بأنه لا يجب على الزوج لزوجته إلا نفقتها من مأكل ومسكن وكسوة، أما أن يدفع تكاليف حجها فليس بواجب عليه، فالحج فرض على القادر المستطيع، فإن كانت الزوجة تملك مالاً خاصاً بها يكفى للحج وجب عليها الحج من مالها هى خاصة، ولا يُلزم الزوج بأن يدفع أى شيء لها ولا يعاقب على التقصير، أما أن يتبرع بذلك، فهو خير له وثواب جزيل على هذا إن شاء الله، لأنها شريكة حياته.

كما أنه لا يجوز للزوج أن يحج من مال زوجته إذا كان لها مال خاص بها ورثته عن أهلها، أو ملكته من أى جهة كانت فهو حق خالص لها، ويجب عليها الحج منه، ولا يجوز للزوج أن يأخذ شيئاً منه ليحج إلا بإذنها ورضاها.

ولو استعان الزوج بمال زوجته على سبيل الهبة أو القرض ليحج فلا مانع منه ولها ثواب مساعدتها لزوجها على الحج. والله أعلم.

● **سؤال من السيد/ محمد معوض.. يقول فيه:**

**رجل حج فى العام الماضى وكان عليه ديون كثيرة ولم يردها، فقيل له إن حجك باطل، فهل هذا صحيح؟.**

●● الجــواب :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد:

فنفيد بأن الله ـ تبارك وتعالى ـ قد فرض الحج على المسلمين لمن استطاع إليه سبيلا، والاستطاعة تشمل الصحة والمال وأمن الطريق، فإذا توفرت هذه الشروط فقد وجب الحج.

والرجل الذى عليه ديون كثيرة، فإن الواجب عليه سدادها قبل تأدية الحج، فإن بقى معه بعد سداد الديون ما يفى بالنفقة على تكاليف الحج، فلا مانع من هذا، وإن لم يتبق معه شيء فلا حج عليه، لأنه أصبح غير مستطيع، لأن سداد الديون مقدم على تأدية الحج لأن الدَّيْن يجب سداده.

ومادام هذا الرجل قد أدى فريضة الحج فإنها سقطت عنه ولا يبطل الحج، ويجب على هذا الرجل المسارعة بسداد دينه حتى يتقبل الله منه.. والله أعلم.

● **سؤال من السيد/ محمد إسماعيل.. يقول فيه:**

**منّ الله علىّ بالحج هذا العام وأرغب فى الحج عن والدى المتوفى.. فهل يصح أم لا؟.**

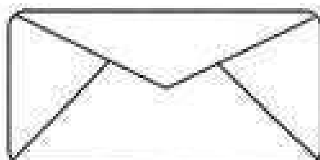
●● الجــواب :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.. وبعد.

فنفيد بأنه لا مانع شرعاً من أن تؤدى فريضة الحج عن والدك الذى توفى دون أن يؤديها خاصة وأنك قد أديت الفريضة عن نفسك.. فقد ورد عن ابن عباس أنه قال: قال رجل: يا رسول الله إن أبى مات ولم يحج أفأحج عنه؟.. قال: أرأيت لو كان على أبيك دَيْن، أكنت قاضيه؟. قال: نعم. قال: فدَيْن الله أحق.»[1].

(١) رواه النسائى فى كتاب الحج جـ٥ ص ١١٨.

# رسالة .. و .. رد



لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

رسالة هذا العدد وردت من القارىء الأستاذ إبراهيم عبد الوهاب شرف - كلية الزراعة جامعة المنصورة بها قصة لأخوين عقا أمهما العجوز وحرماها بعض أموالها ويسأل: كان الإبنان العاقان، الأخوان، قد أودعا مالاً في البنك ولما انفصلا اقتسما هذا المال بينهما ولم يعطيا لإمهما شيئاً فما نصيب الأم في هذا المال مع العلم بأن أحد الإبنين توفى وترك زوجة وأولاداً

وهذه الأم لها ابن ثالث يعمل موظفاً أعطته أمه مبلغاً من المال ليبني به بيتاً حيث يعمل وهو بار بها فهل لهذين الإبنين العاقين طلب المساواة بأخيهما البار.

وفي آخر رسالته يطرح سؤالاً ثالثاً وهو: هذه الأم لها أرض خاصة بها وتريد أن تبيعها حتى تعيش عيشة كريمة وتبتعد عن ذل السؤال فهل يجوز لها ذلك؟

بداية أقول للأخ الكريم إن بر الوالدين من أفضل الأعمال قربة لله - تعالى - بتوحيده وعدم الإشراك به في أكثر من موضع في كتابه فقال جل شأنه:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾(١).

وقال:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾(٢).

قال أهل التفسير في هذه الآية: « كما قضى الله

---

(١) النساء: (٣٦).

(٢) الإسراء: (٢٣-٢٤).

على عباده أن يوحدوه بالطاعة ولا يشركوا به أحداً ألزم الأولاد أن يحسنوا إلى والديهم بالقول الطيب والرعاية التامة فهما أحق الناس بحسن الصحبة ورضا الله في رضاهما وسخطه في سخطهما فإذا تقدمت بهما أو بأحدهما السن وانتهيا إلى ضعف بعد قوة ومرض بعد صحة ولم يستطيعا القيام على أمرهما وتدبر شأنهما لما أصابهما من وهن الجسم وإلحاح العلة وضعف التفكير وتلك الحال مظنة أن يصدر منهما ما يغضب أو يثقل على النفوس إن حدث ذلك فلا تقل لهما أو لأحدهما ما يدل على ضجرك أو يسيء إليهما من قول بعيد عن حسن الأدب أيكون جزاء الأب الحاني غلظة القول وجفاء الخلق أو يكون جزاء الأم الرؤوم أن تقابل بما يكسر قلبها وهي التي كان بطنها له وعاء وثديها سقاء وحجرها مهاداً أو وطاء تؤثره على نفسها وتفديه بنفسها هذا فضلاً عن الجنة تحت قدميها.

إن بر الوالدين يعدل الجهاد في سبيل الله، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: « جاء رجل إلى نبي الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال: أحي والداك؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد » متفق عليه، وفي رواية لمسلم: « أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله قال: هل من والديك أحد حي؟ قال: نعم، بل كلاهما حي. قال: تبتغي الأجر من الله؟ قال: نعم. قال: فارجع إلى والديك؟ »

وروى عن طلحة بن معاوية السلمي ـ رضي الله عنه ـ قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يارسول الله إني أريد الجهاد في سبيل الله قال: أمك حية؟ قلت: نعم قال النبي ﷺ: « إلزم رجلها فثم الجنة » رواه الطبراني. وقال ﷺ لمن سأله عن حق الوالدين على ولدهما: « هما جنتك ونارك ».

وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله إن أبي أخذ مالي. فقال له: ائتني بأبيك. فنزل جبريل ـ عليه السلام ـ على النبي ﷺ فقال: إن الله ـ عز وجل ـ يقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فاسأله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه فلما جاء الرجل قال له النبي ﷺ: ما بال ابنك يشكوك، أتريد أن تأخذ ماله؟ فقال: سله يا رسول الله هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسي؟ فقال له رسول الله ﷺ: إيه دعْنا من هذا أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك. فقال الشيخ: والله يا رسول مازال الله ـ عز وجل ـ يزيدنا بك يقينا لقد قلت في نفسي شيئا ما سمعته أذناي قال: قل وأنا أسمع، قال: قلت:

**غذوتك مولودا وصنتك يافعا ... تُعَلُّ بما أجني عليك وتُنهل**
**إذا ليلة نابتك بالسقم لم أبت ... لسقمك إلا ساهرا متململاً**
**كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني فعيني تهملي**
**تخاف الردى نفسي عليه وإنها ... لتعلم أن الموت وقت مؤجل**
**فلمّا بلغت السن والغاية التي ... إليها مدى ما كنت فيك أؤمل**
**جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المنعم المتفضل**
**فليتك أن لم ترع حق أبوتي ... فعلت كما الجار الملاصق يفعل**
**فأوليتني حق الجوار ولم تكن ... علي بمال دون مالك تبخل**

قال: فعندئذ أخذ النبي ﷺ بتلابيب ابنه وقال: « أنت ومالك لأبيك » رواه الطبراني.

وقد أشار السائل الكريم في رسالته إلى أن عقوق

الأم يكون بسبب تفضيل العاق زوجته على أمه لذا أسوق هذين الحديثين الشريفين عسى أن يكون فيهما عظة لهذا العاق وأضرابه.

الأول عن ابن عمر -رضى الله عنهما- قال: كان تحتى امرأة أحبها وكان عمر يكرهها فقال لى: طلقها، فأبيت فأتى عمر رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال لى رسول الله ﷺ: «طلقها» رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح.

الحديث الثانى عن عبدالله بن أبى أوفى -رضى الله عنه- قال: «كنا عند النبى ﷺ فأتاه آت فقال شاب يجود بنفسه فقيل له: قل لا إله إلا الله فلم يستطع فقال: كان يصلى، فقال: نعم، فنهض رسول الله ﷺ ونهضنا معه فدخل على الشاب فقال له: قل لا إله إلا الله قال: لا أستطيع قال: لم قال: كان يعق والدته فقال النبى ﷺ: أحية والدته؟ قالوا: نعم قال: ادعوها فدعوها فجاءت فقال: هذا ابنك؟ قالت: نعم قال: أرأيت لو أججت نار ضخمة فقيل لك إن شفعت له خلينا عنه وإلا حرقناه بهذه النار أكنت تشفعين له قالت: يا رسول الله إذاً أشفع له قال: فأشهدى الله وأشهدينى قد رضيت عنه قالت: اللهم إنى أشهدك وأشهد رسولك أنى قد رضيت عن ابنى فقال له رسول الله ﷺ: يا غلام قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فقالها. قال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذى أنقذه بى من النار» رواه الطبرانى وفى بعض الآثار أن الأم ذكرت أن سبب غضبها على ابنها أنه كان يفضل زوجته عليها.

- ويا أخى الدكتور لم تذكر هل كان المبلغ الذى فى البنك موروثا عن الوالد المتوفى والذى كان زوجا لهذه الأم، إن كان الأمر كما فهمت فإن للأم فيه نصيبا وهو ثمن التركة كلها وإن كان هذا المبلغ من كسب الأخوين وحصلاه بجدهما وكسبهما من تجارة أو وظيفة أو ما شابه ذلك فليس للأم فيه إلا ما يقتضيه البر، وقياساً على ما قاله رسول الله ﷺ للابن الذى شكا أباه «أنت ومالك لأبيك» لأن للأم كما قال العلماء ثلاثة أرباع البر وللأب الربع لأنها تحمل ولا يحمل الأب وتلد ولا يلد وترضع ولا يرضع، لذا قال رسول الله ﷺ لمن سأله عن أحق الناس بحسن صحابته: أمك ثم أمك ثم أمك وقال فى الرابعة ثم أبوك، ثم إن لهذه الأم نصيبا فى تركة الابن الذى توفى وهو سدس ما كان يملك.

- هذا ولا يجوز للأخوين العاقين أن يطالبا بمثل ما أعطته أمهما لأخيهما الثالث لأن كلا من الأب والأم له الحق فى إعطاء من شاء من أبنائه حال حياته لأن ذلك من باب الهبة بشرط أن يكون آخذ هذه الهبة محتاجا إليها وإلا أثم المعطى لأن الإسلام أمر بالتسوية فى العطية بين جميع الأولاد فقال صلوات الله عليه ما معناه: «اتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم» وكان عليه الصلاة والسلام يأمر بالتسوية بين الأولاد حتى فى القبل لكن عدم التسوية إذا كانت بلا مبرر من سفر أو طلب علم أو زمانة أو عَيْلة لا تبطل العطية والهبة.

- أما عن رغبة الأم فى بيع ما يخصها فى الأراضى الزراعية لتعيش بعيدا عن زوجة ابنها المتوفى فتصبح حرة ذات كرامة فهو جائز شرعا وقانونا ولا يمنعها من ذلك أى مانع.

وأختم هذا الرد بذكر ما قاله الرسول ﷺ لمن قال له إنى أذنبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة؟ فقال صلوات الله عليه: «هل لك من أم؟ قال: لا. قال: هل لك من خالة؟ قال: نعم. قال: برها» رواه الترمذى عن ابن عمرو - رضى الله عنهما - فإذا كان بر الخالة يكفر الذنب العظيم فما بالك ببر الأم.

والله - تعالى - أعلم

# سؤال وجواب

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

وربما احتدم النقاش بين الأطباء حول كمية الماء الواجب على الإنسان شربها فى اليوم لكنهم متفقون على أنه لا غناء للإنسان عن الماء بحال واختلافهم هذا يعزى إلى عوامل يمكن إجمالها فيما يلى :-

- الأدوية التى يستخدمها المرء فى علاجه .
- ونوعية الرياضات التى يمارسها .
- والغذاء الذى يتناوله الإنسان وصحة الكلى وسلامتها وعوامل أخرى .

ترى إذن ما فوائد الماء للجسم؟!

منافعه جمة متنوعة منها أنه ينظم درجة حرارة الجسم ويساعد فى عمليات التنفس وفى نقل المواد الغذائية داخل الجسم وتخليصه من الفضلات والمخلفات كما يساهم فى بناء الأنسجة وتليين أعضاء الجسم .

إن شرب الكثير من السوائل عموما والماء خصوصا يقى الإنسان من أمراض أهمها :

حصيات الكلى فقد كان « أبقراط » يوصى مرضاه بشرب الكثير من الماء لوقايتهم من تكرار المرض وهو أمر أثبتت الأبحاث صحته .

فشرب الكثير من الماء يساعد فى منع الإمساك وانقباض الأمعاء ويقلل الإصابة بالسرطان .

والسوائل هنا جوهرية لأنها تقوم بطرد المواد المسرطنة إلى خارج الجسم قبل أن تجد تلك المواد فرصتها فى الفتك بالأنسجة القابلة للعدوى ولابد هنا من بعض التفصيل فإن داخل الأحشاء والقناة البولية تتعرض بطبيعة عملها إلى مواد سامة قادمة من خارج الجسم تماما كما يحدث لسطح الجلد والأغشية المبطنة للقناة التنفسية .

وباستخدام البيانات الناتجة عن دراسة دامت وقتا طويلا وشملت ( ٤٨٠٠٠ ) من الذكور صحيحى الأبدان فقد نشر باحثو جامعة « هارفرد » فى الجريدة الطبية « نيوانجلاند » وذلك لعدة سنوات أن خطر الإصابة بسرطان المرارة تقل نسبته عن ٥١٪ فى أولئك الذين يشربون ستة أكواب من الماء يوميا إذا ما قورنت بأولئك الذين لا يشربون إلا كوبا واحدا فى اليوم وهنا أيضا يتفوق الماء على ما سواه من السوائل .

كما أثبتت أبحاث أخرى أهمية الماء فى تخفيض نسبة الإصابة بسرطان القولون .

والسؤال الذى يفرض نفسه هو : أى ماء ذلك الذى نتحدث عنه؟ فقد أثبتت دراسات أخرى زيادة متواضعة فى خطر الإصابة بسرطان المرارة فى أولئك الذين يشربون الماء المكلور وعلى أية حال فهو أمر لايزال قيد البحث وإذا كان الخطر حقيقيا فإنه ناشىء عنه النواتج الفرعية التى تتمخض عن التفاعلات الداخلية الناتجة عن امتزاج الكلور بالمواد العضوية الداخلة إلى الجسم ولذا فإن مياه البحيرات والأنهار والخزانات بها نسب أعلى من المواد العضوية والخطر منها كبير على خلاف المياه المستخرجة من مصادر تحت أرضية كالعيون والآبار . فما الغرض الحيوى من تناول الماء؟

إنه طبعا تعويض ما نفقد من سوائل ومقدار المفقود يعتمد بشكل كبير على كمية ما يفرزه الجسم من عرق . فمثلا يفقد المصارع فى يوم عمل شاق حوالى ٢ كوارت ( الكوارت يساوى ١٠٠٠



مللى لتر) من الماء فى الساعة الواحدة.

بينما يفقد الشخص العادى فى الأحوال المعتادة ما بين ٢ إلى ٣ أكواب أى من ٥٠٠ إلى ٧٠٠ مللى لتر فى اليوم الواحد أما ما يفقد عن طريق البول فيتراوح ما بين واحد إلى اثنين كوب أى من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ مللى لتر ترتفع إلى ١٥٠٠ مللى لتر وإن كان كل ذلك يعتمد على ما بالجسم من مخزون السوائل إلا أن هناك عوامل أخرى تتحكم فى ذلك فما هى؟.

النظام الغذائى والأدوية وسلامة الكلى كما أسلفنا كما يفقد بعض الماء فى الغائط ٢٠٠ مللى لتر وبخار الماء المصاحب لهواء الزفير، فما هى المصادر التى تعوض ما يفقده الجسم من ماء؟.

ثلاثة مصادر: الأول:- التفاعلات الكيماوية الحيوية التى يكون الماء أحد نواتجها الفرعية ويلى التفاعلات كل من الغذاء وماء الشرب أما التفاعلات الكيماوية فلا تزيد نسبة مساهمتها عن ٢٥٠ مللى لتر أما الشخص البالغ فيحصل على «قوارت» ماء من الطعام والسبب أن الكثير من الفواكه والخضر يشكل الماء ما بين ٨٠ إلى ٩٠٪ من تركيبها وكذلك اللحوم.

فمنذ عشر سنوات قرر مجلس الأبحاث القومى الأمريكى أنه من المستحيل وضع قاعدة عامة لما يحتاج إليه الفرد من الماء فما السبب؟.

السبب أن ما يحدد ذلك ويقرره هو مستويات النشاط ولذا كان القرار الصائب والعملى هو أن يشرب الفرد مللى لتر من الماء مقابل كل سعر حرارى يقوم الجسم بحرقه فالذى يحرق ألفى سعر حرارى يوميا يحتاج إلى ألفى مللى لتر من الماء يوميا فإذا خصمت ما يساهم به الغذاء والعمليات الأيضية بالجسم من ذلك ومقداره ١٢٥٠ مللى لتر فإن ما تحتاج إليه من السوائل لا يزيد عن ٧٥٠ مللى لتر وهو ما يساوى ٣,١ كوبا من الماء لكن المجلس أكد أنه إذا زادت النسبة إلى ١,٥ مللى لتر بدلا من واحد فقط كان ذلك مواتيا لتنوع النشاطات والعرق ولو تم تطبيق ذلك المعيار لاحتجنا إلى ٣٠٠٠ مللى لتر وهو ما يعادل ٧,٢٩ كوبا وليس ثمانية أكواب.

هل من الضرورى أن تكون كل تلك الأكواب من الماء فقط بالطبع لا فالأبحاث تدمج بين الماء والسوائل وتركز على الأخير دون التهوين من شأن الماء القراح ولذا أكدوا أنه إذا كان لابد من الانتقاء فإن الماء هو الخيار الصحيح وبينت الأبحاث أن للماء ثلاث مزايا لا تتوافر فى غيره أولاها:-

رخص ثمنه والثانية خلوه من السعرات الحرارية والثالثة إحساس شاربه بالامتلاء غير الممض «المتعب» وهل معنى ذلك أن للمشروبات الأخرى عيوبا؟

أجل الإخلال بالنظام الغذائى إن وجد لأن العصائر التى يتناولونها تمتلىء بالسعرات الحرارة وإذا كان اللبن بديلا جيدا للماء إلا أنه إن لم يكن منزوع الدسم كان مصدرا لإمداد الجسم بالدهون المشبعة ولمركبات بعض الأشربة آثارا ضارة على طريقة تعامل الجسم مع الماء الذى بها وأوضح الأمثلة على ذلك المنبهات التى تحوى الكافيين والكحول فما أضرارهما؟

كلاهما يدفع الجسم إلى أن يفرط فى إدرار البول وهنا مكمن الخطر فهذه المشروبات كالشاى والقهوة التى تحتوى على الكافيين رغم أن الماء أساسى فى تركيبها إلا أنها تخلى الجسم من الماء أيضا.

ما كمية الماء التى يحتاج إليها كبار السن توطئة لذلك نقول إن الجفاف هو المشكلة الكبرى التى تسبب كل شىء ابتداء من الهذيان إلى الإمساك فالطاعنون فى السن يغيب عن بالهم كثيرا تناول الماء لأن حاسة الشعور بالظمأ لديهم تقل بتقدم السن ولذا طلع علينا الباحثون بهرم غذائى يخص من تجاوزوا السبعين قاعدته شرب ٢ قوارت من الماء يوميا وقد أشار أحد أطباء الشيخوخة على كثير من مرضاه بأن يفكروا فى الماء كعقار طبى وشىء لازم تناوله لبقائهم أصحاء.

# كيف نقدم إسلامنا للغرب؟

**يسر «مجلة الأزهر» أن تقدم إجابة نخبة من مفكرى مصر للإجابة عن هذا السؤال ويسعدنا أن نقدم اليوم الدكتور أحمد كمال أبوالمجد، والدكتور محمد عمارة.**

للأستاذ / إسماعيل أحمد أبوالهيثم

وسط الغضب الشديد فى الأوساط الغربية، وكيل الاتهامات للإسلام والمسلمين حاليا، وبعد الصدمة التى تعانى منها الولايات المتحدة، يعتبر توصيل المعلومات الصحيحة عن الإسلام مطلوبا للغاية ويستحق الجهد من جانب كل العلماء والمؤسسات الإسلامية المؤهلة لهذا الأمر، والاستفادة من كل أدوات الاتصال، خصوصا وأننا فى ظل نظام عالمى يكرس القوة فى يد واحدة متسلطة، وفى ظل نظام عالمى لايعترف إلا بالأقوياء، وفى ظل ظواهر جديدة تستهدف تدمير هوية الشعوب وخصوصيتها الدينية، وفى ظل عصر (العولمة) الذى يهدف إلى تدمير قوى المناعة الثقافية والحضارية للأمم ومحو شخصيتها وإذابتها فى ثقافات عالمية بلا هوية أو ملامح! وفي ظل «صراع الحضارات» ترى فى الإسلام عدوا جديدا بعد سقوط الشيوعية! فى ظل كل التحديات الراهنة والمخاطر المستقبلية.

يجب أن نجيب وبصراحة. هل لنا من استراتيجية واضحة نعمل من خلالها على جذب الفكر الغربي ونجبره على احترامنا؟! وإذا كانت الإجابة بالنفى قطعا فالسطور القادمة ربما تضع أساس هذه الاستراتيجية (خصوصا إذا نجحنا أن نقدم اسلامنا للغرب).

الدكتور أحمد كمال أبوالمجد وزير الإعلام الأسبق والمفكر الاسلامى الكبير، يرى أن السؤال عنوان المقال قد تأخر عشرات السنين! وأرجع ذلك الى آفة فى العقل العربى والإسلامى وحذر من تأخر العلاج السريع لهذه الآفة خصوصا وأن الاعمال العظيمة لابد وأن تؤدى فى الأوقات المناسبة وإن هذا الوقت المناسب جدا لطرح هذا السؤال نظراً للظروف العالمية. وأضاف أن الإجابة على هذا السؤال تستدعى أولا معرفة حجم الصورة التى راجت فى الغرب عن الإسلام فما هى الأسباب التى أدت إلى ذلك.

وأرجع الدكتور كمال أبوالمجد الأسباب إلى:

التقصير الجسيم جدا وطلب وضع عدة خطوط حمراء تحت كلمة جدا فى مخاطبة الآخر. ذلك أن الرؤية التى كانت سائدة ولاتزال فى كثير من الدوائر الإسلامية هى رؤية محلية (جوانية) أى تشتغل بمخاطبة الذات غير التوجه للآخرين ويرى أن هذا مخالف لروح الإسلام وتوجهه الأساسى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فهو صلى الله عليه وسلم توجه بخطابه فى بواكير دعوته إلى ملوك الأرض فى عهده وإلى شعوبهم.

ثانيا: أن مؤسساتنا الدينية وعلى رأسها الأزهر لم تعن عناية كافية بتعليم وتعلم اللغات ودراسة الحضارات دراسة موضوعية تحيط بالتفاصيل الدقيقة، تصل لأن تعرف الآخرين كأنها منهم. فكانت النتيجة، أن الخطاب الثقافى والدينى الذى يستخدم

فى الداخل صار يستخدم فى الخارج، فصار لا يؤتى أكلاً على الاطلاق.

ثالثا : إننا ـ وهذا مانسيناه وقصرنا فى التعامل معه تقصيراً طويلاً ـ لسنا وحدنا فى الساحة. وأن هناك قوى سياسية تعرفنا حق المعرفة، حريصة الحرص كله على تشويه صورتنا وصورة حضارتنا وشريعتنا وعقيدتنا.

فخلق ذلك حالة من النفور الشديد لنا لدى شعوب كثيرة ليس بيننا وبينها خصومة، وتخشى هذه الدوائر من أن نلتقى مع تلك الشعوب والحضارات خوفا على مصالحها من الضياع. فكانت النتيجة أن غُسلت الأدمغة والقلوب فى كثير من البلاد ولدى الحكام والمحكومين على السواء ورُسمت للعربى والمسلم فى أجهزة الإعلام والأفلام السينمائية ـ وهما مصدران للتأثير على العقول يتجاوز آثارهما كل ما يقوله العلماء ـ واستقرت للعربى والمسلم (لدى كثير من حَسنى النية فى الغرب) إحدى صور ثلاث :

أولها : صورة الشخص المتخلف الذى ليس بينه وبين الحضارة المعاصرة وآدابها وطرق المعايشة السائدة فى الدول المتقدمة أية علاقة.

ثانيها : صورة الغنى المسرف فى الغنى إلى درجة الترف المضل الذى يسقط كل القيم.

ثالثها : صورة المتوحش الذى يضرب بسيفه عن يمين وعن شمال، والذى يجسد صور العنف والإرهاب ومعاداة الدنيا كلها، فضلا عن تصوير المجتمعات العربية والإسلامية بأنها مجتمعات تمارس وأداً سياسيا واجتماعيا للمرأة، كما تمارس اعتداء لاحدود له على حقوق وحريات الأقليات الدينية والعرقية والسياسية.

وأضاف الدكتور أبوالمجد : إنه لمن دواعى الأسف الشديد أن الخطاب الدعوى الإسلامى فى عدد غير قليل من مواقفه ساهم فى تثبيت تلك الصورة، وأصحاب هذا التوجه أعلى صوتاً وأكثر دأباً!! وأكد أن هؤلاء فى بعض المواقع صاروا أكثر تأثيراً من العلماء المحققين الذين يمثلون الاعتدال والوسطية وروح السماحة (التى جعلت من الإسلام) ومن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم رحمة الله للعالمين، وأرجع الدكتور أبوالمجد ذلك إلى تقصير الجميع. بقوله : لقد جاملنا كثيرا من صور التعسف والتشدد، والتخلى عن دعوة الإسلام الصادقة للتواصل مع الدنيا كلها، ثم عدنا نستهجن هذا الفكر المتشدد المتشنج الذى يحركه الغضب وضيق الصدر، مع أننا مسئولون مع عوامل أخرى عن نموه وانتشاره حتى تصور البعض أنه المعبر عن الإسلام.

وأكد أنه كلما قوى الأزهر وزاد عطاؤه وازداد تواصله مع الدنيا، وكلما اكتملت لعلمائه رؤية الواقع مع رؤية الحق. بذلك كله تمتلك عقول الناس وقلوبهم كلما انزوى الفكر المتطرف وتراجعت الصورة السيئة التى يرسمها البعض للإسلام والمسلمين، واقترح الدكتور أحمد كمال أبوالمجد ثلاثة اقتراحات كحل لهذه المعوقات :

أولا : أن يخرج نفر من العلماء المحققين ذوى الهمة العالية والعلم الغزير، والبصر الدقيق الذى يتابع أولاً بأول ويوماً بيوم كل تفاصيل مايجرى فى هذا الكون فى بلاد غير المسلمين لتصحيح الفهم الخاطىء وتوضيح حقيقة الإسلام وسماحته ومابينه وبين حضارات أخرى معاصرة من قواسم مشتركة تسمح بالتعاون على البر والتقوى، كما تسمح بمطاردة الإثم والعدوان.

ثانيا : توجيه دعوات من جانب الحكومات والمؤسسات الدينية ومؤسسات المجتمع المدنى (الأحزاب والنقابات والجامعات) لحضور عدد من العلماء المشهود لهم بالدراية والموضوعية فى الجامعات والمعاهد ومراكز الأبحاث والدراسات ليحضروا إلى بلادنا ويستمعوا إلى علمائنا ومفكرينا ليزدادوا معرفة



بواقعنا وحقيقة ثقافتنا ليبقلوا ذلك كله إلى بلادهم، حكامها ومحكوميها.

ثالثا : إعادة النظر فوراً في توجهات أجهزة الأعلام حتى لايكون اشتغالها كله بالأمور الداخلية، وحتى تتحسن لغة خطاب الآخرين ـ خصوصا وان تقنيات الإعلام الآن ـ متاحة لنا كما هي متاحة للآخرين.

واختتم الدكتور أحمد كمال أبوالمجد حديثه قائلا : ويبقى بعد ذلك أن نرتفع عن تملق أنفسنا، وأن نصدق في أقوالنا، وأن ننقل صوراً حقيقية، لا صوراً ملونة بالألوان التي تعجبنا. وأن نعرف أن الأمر يحتاج إلى عمل كثير وكلام قليل، وأمانة وشجاعة فالأمر أمر دين وأمر مصلحة الأمة ومن الكوارث أن تدخل نيات أخرى وحسابات أخرى. تلك أمانة العلماء. نسأل الله ألا يضيعوها.

الدكتور محمد عمارة المفكر الإسلامي، يرى أن تصحيح صورة الإسلام سواء أكان ذلك في الغرب أم الشرق، لا يتم بحملة علاقات عامة أو بمسخ الإسلام كي يتفق مع الصورة الغربية، أو بتجريد الإسلام من خصوصيته، وإنما يتم بترتيب البيت العربي والإسلامي، وإبراز الوسطية الإسلامية، وترجمة الأعمال الفكرية التي تمثل حقيقة الإسلام وتقديمها إلى الإنسان الغربي، خصوصا وأن الغرب لا يحترم سوى الأقوياء وإذا لم يكن لنا وضع يحترمه الغرب. فلن يسمع لنا كلاما حتى ولو كان معسولاً.

وأكد الدكتور عمارة أن الإسلام ليس فيه ما يجب الاعتذار عنه، وإذا كانت الساحة الفكرية فيها بعض الأصوات الشاذة والمغالية فإن التيار الوسطي المعتدل هو يمثل القاسم الأساسي والغالب على الفكر الإسلامي.

ومن المحال أن تخلوا أمة من الأمم من بعض الغلو سواء أكان غلو إفراط أم غلو تفريط.

المشكلة أن الغرب يريد إسلاما معدلاً، يريد إسلاما شبيها بالنصرانية يدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله. أى أنه يريد إسلاما يقف عند الشعائر والعبادات والعلاقة الفردية بين الإنسان وخالقه.

أى أنه باختصار يريد علمنة الإسلام. فلا يريد إسلاما مجاهداً يتصدى للغزو والاستغلال الغربي والهيمنة الغربية، يريد إسلاما لا علاقة له بالسياسة والاجتماع والاقتصاد. بل ولا بمنظومة القيم، أى أنه يريد إسلاما يتحدر بالأمة بدلاً من أن يوقظها لتحرر أرضها، وتستعيد ثروتها وتحتل مكانتها اللائقة في المجتمع الدولي.

وأضاف الدكتور عمارة، بأن الذين يريدون تحسين صورة الإسلام بمسخه على النحو الذى يريده الغرب من الإسلام. هؤلاء إما عملاء للغرب يقفون من الإسلام نفس موقف الغرب، أى أنهم علمانيون مثل الغرب تماما، أو أنهم مهزومون نفسيا. يريدون الانحناء للعاصفة الغربية والحل ليس عند هؤلاء؟ وإنما هو عند المسلمين المرابطين على ثغور الفكر الإسلامي، الذين يقدمون وسطية الإسلام للعالم والذين يسعون إلى جعل الإسلام طاقة إيمانية محركة للأمة كي ترتب بيتها وتعظم إمكاناتها كي يكون لها صوت مسموع في المحافل الدولية.

واقترح الدكتور عمارة لنجاح ذلك بالدعوة إلى إنجاز مشروع اختيار ألف كتاب إسلامي يعبر عن حقيقة الوسطية والاعتدال الإسلامي، وترجمة هذه الكتب إلى اللغات الدولية المختلفة ونشرها وتوزيعها على العالم لتكون المجال الذى يلتمس فيه العالم حقيقة الإسلام فضلا إلى تفعيل المنظمات الإقليمية مثل الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي. واختتم الدكتور عمارة حديثه بالدعوة إلى تعميق الروابط بين البلاد العربية والإسلامية والانفتاح على حضارات الجنوب من الصين إلى اليابان حتى الهند لتتساند جميعا في مواجهة الهجمة الغربية الأمريكية.

# بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

مشاهد من جنازة الضمير العربي هذا هو الإرهاب الحقيقي يا من تدعون أنكم تحاربون الإرهاب، إنه فساد في الأرض.

هكذا عبر عنزازي علي عنزازي في جريدة «الأسبوع» الصادرة في ٢١ / ١ / ٢٠٠٢ قائلا:

لتشتعل كل الحرائق في الأكباد والصدور لأننا لا نستطيع إشعالها في هشيم العجز العربي وطالما تحوّل شعارنا الذي كان «فلسطين من النهر إلى البحر» إلى شعار «أفرجوا عن جثث أبنائنا»..

● شيعوا الكرامة العربية – إذن – إلى مثواها الأخير..

● إحملوا نعشها القديم خافضي الرءوس ذلة وهوانا..

● إحنوا هاماتكم الورق حتى تلتقي الجباه بالنعال..

● ثم ازحفوا فوق رفات رجولتكم وولوا للوطن أدباركم.

● وتحسسوا – صماً وعميانا – طريقكم للموت المجاني.

● لكن حذار أن يمتد بصركم لرؤية هذه الصورة المنشورة..

ففي مرآتها تظهر سوءاتكم، وعورات قلوبكم الخشب.

إلى الذين مازالت حرائق ضميرهم مشتعلة نسرد وقائع آخر جنازات المهانة العربية.

● الزمان.. في يوم عربي غائم ملبد بالمهانات.. الأحد ٣٠ / ١٢ / ٢٠٠١.

● المكان.. في الطريق من غزة إلى بيت لاهيا.

● الأبطال: شبان فلسطينيون ثلاثة «محمد أحمد لبد – محمد الدهون – أحمد بنات» كانوا أصدقاء وجيرانا في حي الشيخ رضوان بغزة.

الأحداث: خرج الأصدقاء الثلاثة لزيارة صديق رابع في بيت لاهيا. فخرجت عليهم مجنزرات العدو الصهيوني لتصطادهم مدفعيتها.. تمزق أجسادهم النحيلة وتحولها إلى أشلاء متناثرة تحرق الوجوه وتبتر الأحشاء، وتحيل الملامح إلى كتل من الشواء المتفحم الناطق الصهيوني يقف أمام فوهة الكاميرات الصهيونية ليؤكد أنهم وجدوا بحوزة هؤلاء الشهداء وسائل قتالية وأسلحة وسكاكين.

● حتى الزيارة البريئة متهمة! من يحمل الزيتون يقتل ومن يحمل القنبلة، من يفاوض ومن يقاوم.

● إرجعوا البصر – إن استطعتم – وانظروا لصورة الشهيد الأول، الذي فتكوا بنصفه الأسفل، وأضرموا النيران في يده اليمنى، ومزقوا ذراعه اليسرى، وعبثت





القذائف بتضاريس وجهه، هل ترون مثلى سمت التحدى مرسوما على ما تبقى من جسده؟

هل رأيتم ضلوعه «الدروع» تكاد تقفز من تحت الجلد؟.

● هل دققتم النظر فى غضب التقاء الحاجبين، وإطباق الشفتين وطول الرقبة؟ ربما كانت تلك هى أسلحة الفلسطينى الأعزل، والتى أرعبت عدو الله وعدوهم فصب عليها القتل صباً.

● هل جحظت أعينكم حتى سقطت المقلتان وأنتم تسترقون النظر - فزعاً ولهواً - لصورة جثمان الشهيد الثانى؟

هل استقرت أوتار الحناجر بعد صراخها المكتوم، وهل لطم القلب جدار الرئتين وخرَّ صريعاً فى ممرات الساقين؟.

● أرجوكم، أستحلفكم، بالعز المنهوب والمجد المسلوب ألا تنظروا إلى وجهه، وجش الفحم الذى سقط بين مطرقة جيش الدفاع وسندان الهوان العربى، وجه عجزنا السرمدى الذى أطلقنا عليه قنابل صمتنا وقذائف شجبنا الحماسى، ثم تقاذفناه فى عراكنا المجانى، بينما كنا نتابع المسلسل العربى، نصفق ونهلل لفحولة الحاج متولى ثم نتابع ببرودة روتينى مسلسل نهر الدماء فى الأرض العربية المحتلة وجنازات الورد السماوى فى غزة ورام الله وجنين.

● لم يبتروا ساعده الأيمن - كما تشاهدون الآن صورته - بل بتروا سواعدنا جميعاً، تلك الأكتاف والأذرع والأكف التى لم تعد تجيد سوى التصفيق طرباً أو خوفاً أو طمعاً، ولم تعد تحمل خبزاً أو مدداً للواقفين تحت ظل المذبحة.

● أما الشهيد الثالث فدعوه وشأنه، يسند رأسه المذبوح بنصلنا البارد، يستريح قليلاً من فساد ضمائرنا، وبلادة مشاعرنا، ليس مهماً أن تختفى عيناه فى تجاويف الأذن اليمنى.. ليس مهماً أن يلتصق الفك العلوى بفروة الرأس، أن يتحول الوجه القديم كله إلى جبهة محترقة، لا يهم كل ذلك، طالما تأكد انعقاد القمة العربية فى موعدها، وطالما تأكد صعود ثلاث دول عربية لنهائيات كأس العالم.

# بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

**في هذا الشهر المبارك**

تلقينا بريدا لم نتلق مثله من قبل من حيث الكثرة وكذلك من حيث الموضوعات فإذا كانت الرسائل بصفة عامة في كل شهر تتنوع من حيث الموضوعات ومن حيث أسلوب التناول أيضا فقد جاءت رسائل هذا الشهر تتناول : الحجيج المتجهين إلى عرفات ، وعرفات الحاضر في فلسطين ومن معه من رجال ونساء وأطفال يذوقون من العذاب فوق طاقة البشر جاءت كل الرسائل عن هذين الموضوعين اللهم إلا رسالة واحدة تناولت بعض أوجه الجمال في اللغة العربية ونلاحظ أن بقية الرسائل اشتركت في كونها كتبت شعرا بالإضافة إلى طول تلك القصائد ، حتى بلغت إحدى هذه القصائد ما ينيف على خمسين بيتا على غير المعتاد في رسائل القراء ، ولصاحب هذه الرسالة تحديدا أقول :

شكر الله لك هذه الحمية الدينية على حرمة المقدسات الإسلامية ، وبارك فيك ، وأرجو أن تتقبل اعتذاري عن عدم نشر بعض أبيات القصيدة برغم نبل المقصد ، وذلك لبعدها عن الوزن السليم ، وعليك أن تتخير أحد أمرين إما أن تكتب نثرا ، وأعتقد أنك لا تحتاج إلى كثير إعداد .

وإما أن تعود إلى دواوين الشعر العربي القديم ثم الجيد من الشعر الحديث فتقرأها قراءة جيدة حتى تتكون لديك تلك الملكة التي يمكن أن تستخدمها بعد ذلك في تقديم ما يجيش بصدرك وما يدور بخاطرك .

وإليك وإلى كل قراء المجلة أقدم التحية والشكر وآمل أن يستمر العطاء والتواصل فيما بيننا .

وبعد .. فندعو الله أن يوفق حجاج بيته الحرام إلى حج مبرور وأن يتقبل دعاءهم ودعاءنا أن يرفع الظلم عن إخواننا المحاصرين في فلسطين ... اللهم آمين .

# من وجوه الجمال فى اللغة العربية

**الرسالة الأولى من القارئ/ وائل على عبدالعزيز بدير - ميت غمر - كوم النور يقدم فيها بعضا من الشذرات ووجوه الجمال فى اللغة العربية فيقول:**

١- من وجوه الجمال فى اللغة العربية: أن الكلمة الواحدة يتغير معناها بتغيير الشكل للحرف الواحد «فتحة، ضمة، كسرة، سكون»، **مثل كلمة: البر**

أ- فالبَرُّ: بفتح الباء: اسم من أسماء الله الحسنى، يقول تعالى:

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾

(سورة الطور آية ٢٨)

وكذلك ما انبسط من سطح الأرض، يقول تعالى:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾

(سورة الروم آية ٤١)

ب- والبِرُّ: بكسر الباء معناه الخير، يقول تعالى:

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ ﴾

(سورة البقرة ٤٤)

جـ- والبُرُّ: بضم الباء معناه حب القمح، والقمح: نبات عشبى معروف «المعجم الوجيز ص ٥١٤».

**٢- مثال آخر: «كلمة جنة»**

أ- جَنَّة: بفتح الجيم: الحديقة أو البستان، يقول تعالى:

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾

(الكهف ٣٥)

وكذلك دار النعيم فى الآخرة، يقول تعالى:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾

(الرحمن ٤٦)

ب- جِنَّة: بكسر الجيم: الجنون، يقول تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾

(الأعراف ١٨٤)

وكذلك الجن، يقول تعالى:

﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾

(الناس ٦)

جـ- جُنَّة: بضم الجيم: الستر، وكل ما يقى الإنسان، و فى الحديث الشريف:

«.. والصيام جُنَّة»

(جزء من حديث رواه البخارى)

# الحج وضرورة التوبة

ويرسل القارىء الأستاذ / محمد عباس محمد عرابى هذه الكلمة التى جاء فيها:

من الآداب التى ينبغى لكل من يريد أداء فريضة الحج التحلى بها كثرة الاستغفار والتوبة والإنابة والتذلل لله - عز وجل - فلعل الله - سبحانه وتعالى - أن يمُنّ على عباده القاصدين بيته الحرام بالغفران وقبول التوبة. أقول ذلك حينما رأيت الشاعر الصوفى محيى الدين بن عربى وهو ينشد موشحته التى أنشدها قبيل ذهابه لأداء مناسك الحج، وقد سرح بخاطره فى فضل الله، فتخيل أهل الجنة وهم متكئون على الأرائك، فتشوق أن يكون منهم، واتجه بقلبه إلى بيت الله الحرام ليعلن توبته، فسالت دموعه، لكنه اعترف بأن هذه الدموع وحدها لا تكفى، بل لابد من إخلاص التوبة، ثم أخذ يطلب من الله أن يفيض عليه من كرمه وعفوه، فقد ابتعد عن الرفاق وتعب فكره وتحير من الصحاب الذين عملوا على إبعاده عن الله، ورجاه أن يقبل توبته حيث يقول فى موشحته الشهيرة:-

عِنْدَمَا لاحَ لِعَيْنِى المُتَّكا ... ذُبْتُ شَوْقاً للذى كانَ مَعى

أيُّهَا البَيْتُ العَتيقُ المشرِفُ

جَاءَكَ العَبْدُ الضَّعيفُ المُسْرِفُ

عَيْنُــهُ بالدَّمْـعِ دَوْماً تـذْرِفُ

قربةٌ مِنْهُ ومكرٌ فالبُكا ... لَيْسَ مَحْمُوداً إذا لَمْ يَنْفَعِ

أيُّهَا السَّاقِى اسْقِنِى لا تأتَلِ

فَلَقَدْ أتْعَبَ فِكْرِى عُـذَّلِى

وَلَقَدْ أنْشُـدُهُ مَا قِيـلَ لِى

أيُّهَا السَّاقِى إليْكَ المُشْتَكَى ... ضَاعَتِ الشَّكْوَى إذا لَمْ تَنْفَعِ

**لإتاحة الفرصة أمام أكبر عدد ممكن من القراء سنقتصر على نشر بعض الأبيات.**

# رجــــوع

اخترنا تسعة أبيات من قصيدة رجوع للشاعر نجاح عبدالقادر سرور - كوم حمادة - كفر بولين، يقول:

(١) يخـــبئُ قلبى.. والدمـــوعُ تُذيعُ ... وتكشفُ عـــما تحتـــويه ضلوعُ!

(٢) تقطرُ ســـرّى.. قطرةٌ إثرَ قطرةٍ ... ليُـعلن حـــزنى.. منذ كــان رجـوعُ!

(٣) غرستُ ضلوعى.. وسط روضة أحمد ... فـمــازال قلبى بالحنين يضـــوعُ!

(٤) وعلّقتُ قلبى.. ستـر بيتٍ مُحَرمٍ ... يحومُ.. فـيحتـضن الفؤادَ خـشـوعُ!

(٥) ورغم أشـــدّى.. إنْ أتيتُ إلى هنا ... كـــأنى فى حــجـر الذبيح رضـيـعُ!

(٦) وأعطشُ.. أروَى من طواف وزمــزمٍ ... ومــائدتى القـرآنُ.. حــين أجـوعُ!

(٧) فياهل تُرى.. هل كنتُ إلا نُجَيْمةً إذا ما احتووانا فى الصفوف ركوعْ؟!
(٨) نعودُ.. فلا الدنيا تُضَمِّدُ جُرحنا ولكن تُطَوِّحُ.. تشترى.. وتبيعْ!
(٩) نعودُ.. وآهِ من رجوعٍ بلا مُنى فقد ذاب قلبى.. منذ كان رجوعْ!

## موكب الحجيج

ومن موكب الحجيج للأستاذ جابر عبدالعليم من دار السلام - سوهاج نقدم هذه الأبيات:

(١) ترك الخليلُ وحيده فتفجرتْ من تحته بمصادر البركات
(٢) من بعد سَعْىٍ بين مروة والصفا والأمُّ تسألُ بارىءَ النَّسَمَات
(٣) فيُجيبُها ربُّ العباد وترتوى ووليدُها والطَّيرُ فى الفلوات
(٤) وعلى نداء الحق يشرعُ مُنجزاً رؤيا رآها فى هُدىً وثبات
(٥) لكن فضل الله يسبقُ عزمَهُ ولقد فداهُ بأعظم القُربات
(٦) يا أيها الركبُ المُحِلُّ إنكم فى خير أرضٍ مهبط الآيات
(٧) لكم التحيةُ والمثوبةُ والرضا والفوزُ عند الله بالجنَّات

## يا قاصد البيت الحرام

ومن قصيدة «يا قاصد البيت الحرام» نقدم هذه الأبيات للقارىء المهندس أسامة نصر عبده من دمنهور - بحيرة. يقول:

(١) يا قاصد البيت الحرام تحيةً من عاشقٍ للكعبة الغراء
(٢) للمرسلين جميعهم للأولينَ وقد علَوْا بالراية السمحاء
(٣) يا قاصدَ البيت العتيق مُلبياً واليد تُسقى من عظيم رواء
(٤) وجبال مكة كلُّها قد رجَّعت فيطوف دمع العين بالبيداء
(٥) طوبى لكم تدعو الإله جميعنا مبرور حج فى رضىً وصفاء

وننتقل إلى القسم الثاني من رسائل القراء، التي تناولت المحاصرين في فلسطين، فنقدم هذه الأبيات من قصيدة طويلة بقلم الأستاذ حسين إبراهيم حسين تحت عنوان «سيكبر التاريخ عند مجيئنا» يقول فيها:

(١) مَرَّ الزمانُ على كثيرٍ قبلَنا ... لكنه ما صادفَ الشجعانا
(٢) وإذا به نَصْبُ الخيامِ بأرضِنا ... وأقامَ دهراً يحملُ الأحزانا
(٣) ويقولُ للأبطالِ طابَ مقامُكم ... فاستبشروا بل بشِّروا الولدانا
(٤) شارونُ فيه سفاهةٌ لا تنتهي ... مهما يبالغُ ذو الهجاءِ بيانا
(٥) قولوا له إنَّ اللسانَ يعافُه ... والنفسُ تكرهُ ذلكَ الشيطانا
(٦) قولوا له مهما أقمتَ فإنَّنا ... سنحطِّمُ الطغيانَ والأوثانا
(٧) سترونَ رعداً قاصفاً لن ينتهي ... سترونَ طفلاً يسبقُ الركبانا
(٨) سيكبِّرُ التاريخُ عندَ مجيئِنا ... ويقولُ هيَّا نشكرُ الرحمانا

## صمود أمة

ويواصل القارىء/ أحمد حمدى والى بمدرسةالهدى والنور الثانوية بالمنصورة إبداعاته الشعرية فيرسل تحت عنوان «صمود أمة» هذه الأبيات التي تتسم بالرصانة والتحدى حيث يقول:

(١) برغم القتل والتشريد فينا ... وزعمهمُ الحضارة والمعالى
(٢) برغم جهال الطغيان ظلما ... ودفن الناس فى حر الرمال
(٣) برغم عصابة الموساد حمقا ... وعشقهم أساليب الجدال
(٤) برغم تمايل الجبناء فخرا ... بأجسام تراها كالبغال
(٥) سنبذل ما يكون لنا خلودا ... وترفع راية الإسلام عالى
(٦) نبدد موجة الطغيان قهرا ... على عزم لتحطيم المحال
(٧) ويصرخ طفلنا فى كل واد ... يؤججها جحيما للنضال
(٨) ويقذف صقرنا المغوار نارا ... يدعمها بصاروخ القتال
(٩) ولكن لن نميل لهم ونرضى ... بمال أو بعيش من خيال
(١٠) فنحن أسود إسلام حنيف ... وقدوتنا رجال كالجبال




للأستاذ / محمد الشرقاوى

## مجمع البحوث الإسلامية يقرر:

### عدم الموافقة على مشروع قانون الزكاة

قرر مجمع البحوث الإسلامية فى جلسته المنعقدة فى ١٠/١١/١٤٢٢هـ - ٢٤/١/٢٠٠٢م عدم الموافقة على مقترح بمشروع قانون الزكاة لأسباب من أهمها :-

( ١ ) أن الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة؟ وما كان ركناً من أركان الإسلام الخمسة لا يصح أن تتدخل القوانين بشأنه .

( ٢ ) مصادر الزكاة واضحة كل الوضوح بنص الآية القرآنية التى تقول:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَٰكِينِ وَالْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ وَالْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١)

(١) التوبة آية ٦٠.

( ٣ ) كل مسلم وجبت عليه الزكاة بتوافر شروطها إن تركها جحودا بها فهو خارج عن الإسلام اما إن تركها تهاوناً بها وكسلاً فهو عاص ندعوه إلى الإلتزام بادائها ونرجو له التوبة .

( ٤ ) لا يستطيع احد ان يجبر احداً تجب عليه الزكاة - ان يلزمه - بدفعها إلى جهة معينة؟ وإنما هو يدفع الزكاة لمن يراه أهلاً لها .

## أطفال الشيشان ضحايا الألغام الأرضية

الأطفال المسلمون في الشيشان هم ضحايا الألغام الأرضية في طليعة من تصل إليهم نيران القوات الروسية في هذه الجمهورية الإسلامية الخاضعة للسيادة الروسية .

كان الجيش الروسي قد بدأ حملته ضد الشيشان في الأول من أكتوبر من عام ١٩٩٩ وحتى الآن لم تفلح الحملة في القضاء على المقاومة الإسلامية في الشيشان التي تعرض العديد من منشآتها للدمار إلى جانب ارتفاع أعداد القتلى والجرحى ونزوح آلاف اللاجئين .

## بحجة محاربة الإرهاب

## اعتقال أكثر من ٣ آلاف مسلم بالصين

حذر مركز تركستان الشرقية للمعلومات من محاولات السلطات الصينية الرامية لتحويل مسلمي « الايغور » إلى ضحايا للحملة الدولية ضد ما أسموه بالإرهاب وذلك بإلصاق تهمة الإرهاب بالناشطين والدعاة المسلمين منهم .

واكد المركز في تقريره الموسع لوكالة « قدس برس » أن تفجيرات سبتمبر قد أحدثت تحولاً كبيراً علي صعيد الأوضاع في العالم وهو ما جعل دولاً كروسيا والصين وجمهوريات آسيا الوسطى وباكستان تتسابق لتحقيق منافع خاصة بها .

وأضاف المركز الذى يتخذ من « ميونيخ » مقراً له : انه وفي ظل تلك الأوضاع بدأت السلطات الصينية في توجيه سهامها المسمومة تجاه مسلمي « الايغور » من أجل ملء الفراغ الاستراتيجي وتلافي الاضرار التي لحقت بها من الناحية السياسية والدبلوماسية - فقد قامت الحكومة الصينية بوصف واتهام مسلمي « الايغور » بالإرهاب وذلك من أجل تبرير ممارساتها الوحشية ضدهم .

واشار المركز إلى محاولة الصين الدخول في مساومة مع الولايات المتحدة بشأن القضية « الايغورية » إذ اكدت بعد مضي أسبوع على وقوع أحداث سبتمبر على لسان المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية أنه يجب على الولايات المتحدة، إن أرادت دعم الصين لحملتها ضد الإرهاب، أن تتفهم وتتقبل حملاتنا ضد الانفصاليين في « سينج يانغ »، و« تركستان الشرقية » ، واكد مركز تركستان الشرقية للمعلومات انه بينما تحاول السلطات الصينية بكل جهد تلفيق تهمة الإرهاب لمسلمي « الايغور » فإنها تقوم من جهة أخرى بتصعيد حملاتها المستمرة تحت غطاء مكافحة الإرهاب ضدهم في تركستان الشرقية .

# أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسي

## توقيع اتفاقية الحوار بين الأزهر والأسقفية الأنجليكانية

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بزيارة للمملكة المتحدة ( بريطانيا ) في الفترة من ٢٩ - ٣١ يناير ٢٠٠٢ تلبية للدعوة الموجهة من الدكتور جورج كارى كبير أساقفة كانتربرى ورافقه فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف وتم خلال الزيارة توقيع اتفاقية الحوار بين اللجنة الدائمة للحوار في الأزهر وبين الأسقفية الإنجليكانية التي يرأسها د / جورج كارى وذلك على غرار الاتفاقية التي سبق أن وقعها الأزهر الشريف والفاتيكان في مايو سنة ١٩٩٨م والهدف من تلك الاتفاقيات الاستفادة من القيم الروحية للأديان في نشر السلام في العالم ونبذ الإرهاب وتقديم العون والمساعدة للدول الفقيرة، وكذا تصحيح المفاهيم التي تسيء للإسلام والمسلمين، وتوضيح الصورة الحقيقية للإسلام لدى الإعلام الغربي من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وفي لقاء فضيلته برئيس وزراء بريطانيا تونى بلير طلب ضرورة تدخل بريطانيا إيجابيا لوقف الاعتداءات الإسرائيلية على الفلسطينيين، ورد بلير بالتعهد بأن تبذل بلاده كل ما في وسعها حتى تنتهي إراقة الدماء في الأراضي الفلسطينية، وأوضح فضيلته أن بلير أبلغه بأنه يقرأ بانتظام تعاليم الإسلام وأنه وصل في قراءة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى ( سورة يوسف ) وأعرب فضيلته عن اعتقاده بأن الحكومة البريطانية جادة في تحسين صورة المسلمين بعد أحداث ١١ سبتمبر، وقال فضيلته: إن الإسلام يصون الحقوق والأعراض وليس صحيحا أنه مع العنف والإرهاب كما يردد ذلك بعض الخصوم، وأكد على ضرورة إعطاء كل ذى حق حقه، ووقف اغتصاب الأراضى الفلسطينية، والوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني المظلوم حتى يحصل على حقوقه كاملة غير منقوصة، وحقه في إقامة دولته المستقلة، وفيما يتعلق باتفاق الحوار التاريخي قال فضيلته: إنه خطوة لخدمة السلام والأمان والرخاء في العالم وإقامة العدل بين الناس، وتنص الاتفاقية على المساهمة في حل

المشاكل وإنهاء الصراعات التي تحدث أحيانا بين المسلمين والمسيحيين في بعض أماكن في العالم، وتشجيع القادة الدينيين على استخدام تأثيرهم الديني في المصالحة وصنع السلام والعمل معا على تحقيق كرامة الإنسان في العالم، ومنع الظلم والاعتداء على الحقوق المشروعة للشعوب كما تنص الاتفاقية على عدم الفصل بين السلام والعدل ونشر الفضائل المشتركة بين الديانتين الإسلامية والمسيحية وتشجيع المؤسسات التابعة للطرفين على القيام بدورها الإيجابي في تحقيق التنمية لمصلحة شعوب العالم لنشر الرخاء والتقدم، كما تضمن البرنامج لقاء مع صاحب السمو الملكي الأمير تشارلز أمير ويلز وقد رحب الأمير تشارلز بفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مؤكدا على الأهمية التي تعطيها بريطانيا تجاه فهم الإسلام فهما صحيحا مشيرا إلى أنه قد تحدث في هذا الشأن أمام مركز الدراسات الإسلامية بجامعة أكسفورد بلندن عن ضرورة فهم الإسلام ورفض اعتبار الإسلام مسئولا عما يرتكبه بعض المسلمين، وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على موقف الإسلام من التطرف والعنف ونوه بالأهمية التي تعطيها الأديان لنصرة المظلوم واسترداد حقوقه مشيرا إلى أن الأزهر الشريف على استعداد لأن يتحمل المسئولية القيادية التي تتطلبها إدارة الحوار والذي تطلبه الكثير من العواصم الأجنبية وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدعوة إلى الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا لزيارة الأزهر الشريف، وقد رحب الأمير بزيارة مصر مرة أخرى.

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف في كل لقاءاته على أن الأديان السماوية والفطرة السليمة تدعو إلى منع الظلم والقتل بغير حق والاعتداء على الشعوب، ومنع اغتصاب الأراضي وإخراج أصحابها الآمنين منها ولابد من إعادة الحق لأصحابه وقد لمس فضيلته من المسئولين تجاوبا مع هذه المعاني.

ومن ناحية أخرى دعا فضيلته المسلمين في كل مكان إلى الاستمساك بشريعتهم التي هي شريعة الخلود والبقاء وشريعة الحق والعدل والسلام.

### في رسالة إلى فضيلة الإمام الأكبر:

## السلطان قابوس: الأزهر هو المرجعية الدينية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف معالي الوزير/ يوسف بن علوي وزير الدولة للشئون الخارجية بسلطنة عمان ومعالي الوزير/ أحمد ماهر وزير الخارجية المصرية وسعادة السفير/ عبد العزيز الهنائي سفير سلطنة عمان بالقاهرة والوفد المرافق.

وتأتي تلك الزيارة في إطار تنسيق التبادل العلمي والثقافي والديني بين وزارة الأوقاف والشئون الدينية بسلطنة عمان والأزهر الشريف، وتبليغ رسالة جلالة السلطان قابوس للأزهر لدوره الرائد في خدمة الإسلام والمسلمين وللتعاون المستمر بين الأزهر والسلطنة، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالسادة الضيوف في مصر وأزهرها الشريف مشيدا بمواقف جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعتدلة الواضحة مع مصر، والعلاقات القائمة في النواحي التعليمية والثقافية والتعاون العلمي الصادق وتبادل المعرفة، وأوضح فضيلته دور الأزهر الشريف في إمداد دول العالم بالمناهج الدراسية التي يدرسها الأزهر والتي تمتاز

بالاعتدال والتوسط ودراسة جميع المذاهب الإسلامية بدون التحيز لمذهب معين، وأن الأزهر يستقبل طلابا من أكثر من ٩٤ دولة للدراسة به ويتلقون العلم بجانب إخوانهم في مصر، كما يوفد الأزهر العلماء والمدرسين لدول العالم المختلفة، كما ينظم الدورات التدريبية لأئمة ووعاظ العالم ليكون الترابط الديني قائما ودائما.

وأضاف فضيلته بأننا في الأزهر الشريف نوضح صورة الإسلام الصحيحة والسمحة وتشريعاته وآدابه، ونبين أن الإسلام يحترم النفس الإنسانية ويصونها من الاعتداء عليها، وحدد المفاهيم الإسلامية لتبصير ذوى الأهواء والأغراض الخاصة.

شكر معالى الوزير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على حسن اللقاء ونقل تحيات جلالة السلطان قابوس للأزهر ولشيخه، وسلم لفضيلة الإمام رسالة خاصة من جلالة السلطان قابوس أكد فيها على دور الأزهر في خدمة الإسلام والمسلمين وأنه المرجعية الدينية التي يرجع إليها، كما وضح الضيف مكانة الأزهر في قلوب الشعب العماني، وبين أن للأزهر فضلا عظيما لدى دول العالم الإسلامي في تعليم أبناء المسلمين صحيح الدين الإسلامي ووسطيته وأشاد بدور الأزهر في إرسال البعثات لدول العالم، وفي نهاية اللقاء شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على التعاون المثمر والمزدهر بين السلطنة وبين اللجان المشكلة لتدارس المناهج التعليمية والدينية. حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

## تدريس المناهج الدراسية الأزهرية بدولة أريتريا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فضيلة الشيخ/ الأمين عثمان الأمين مفتى دولة أريتريا يرافقه معالى السفير محمود عمر طروم سفير دولة أريتريا بالقاهرة.

حيث رحب فضيلته بالضيفين في الأزهر الشريف مشيدا بعمق العلاقات والروابط بين مصر وأزهرها الشريف ودولة أريتريا الشقيقة، وأوضح أن الأزهر يرسل العلماء والمدرسين لدولة أريتريا لتعليم أبنائهم في المعاهد هناك، ويستقبل الطلاب الذين يدرسون في معاهد الأزهر وجامعته على منح دراسية ويقيمون في مدينة البعوث الإسلامية كما يستقبل الأئمة والوعاظ لحضور الدورات التدريبية التي يقيمها الأزهر كل ثلاثة أشهر ويقوم بالتدريس فيها كبار العلماء والمفكرين.

كما استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور فضيلة المفتي ومعالى السفير حيث تم مدارسة تطبيق المناهج والخطط الدراسية والكتب التي تدرس في الأزهر ليتم تدريسها بدولة أريتريا في القريب العاجل تمهيدا لقبول الخريجين من أريتريا بجامعة الأزهر الشريف.

## الإمام الأكبر يستقبل السفير الجزائرى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير الدكتور/ سليمان الشيخ سفير جمهورية الجزائر الديمقراطية بالقاهرة حيث أعرب الضيف عن شكر وتقدير بلاده رئيسا وحكومة وشعبا للأزهر الشريف على ما يقدمه من تدريب للسادة الأئمة والوعاظ الذين يفدون للأزهر من دولة الجزائر والاستجابة السريعة لهذا الأمر حيث يتلقون في هذه الدورات من العلوم والمعارف الدينية والدنيوية مما يوضح الصورة الحقيقية للإسلام لدى أبناء الجزائر وخاصة الجاليات التي استقرت بالجزائر، وطلب السيد السفير من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر زيارة دولة الجزائر وهي رغبة السيد الرئيس حيث ستوجه الدعوة رسميا.

وزير شئون البيئة الأندونيسي:

## الأزهر يمثل المكانة الإسلامية العالمية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالي الوزير / عقيل حسين المنورة وزير الشئون الدينية بدولة أندونيسيا، وسعادة السفير الدكتور محمد قريش شهاب سفير أندونيسيا بالقاهرة والوفد المرافق لهما.

حيث رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالسادة الضيوف في مصر وأزهرها الشريف موضحا بأن الطلبة والطالبات من دولة أندونيسيا يدرسون في الأزهر الشريف في معاهده وجامعته العريقة وأنهم يتلقون تعليمهم بجانب إخوانهم من الطلبة المصريين ويقيمون بمدن البعوث الإسلامية، وأوضح أن عدد الطلبة يزيد على خمسة آلاف طالب وطالبة، وأن الدراسة في الأزهر تمتاز بالتوسط والاعتدال فتدرس علوم الشريعة وعلوم اللغة والسنة النبوية المطهرة والمذاهب الإسلامية جميعها مأخوذة من الكتاب والسنة والاهتمام الأكبر بحفظ القرآن الكريم كاملا في سنوات الدراسة الابتدائية والإعدادية والثانوية وحين يلتحق بالجامعة يكون حافظا للقرآن الكريم كاملا شكر الوزير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة هذه الفرصة لهذا اللقاء الكريم وعلى الجهود التي يبذلها الأزهر الشريف في تعليم أبناء المسلمين وخاصة لدولة أندونيسيا، وأن الأزهر الشريف يمثل المكانة الإسلامية العالمية لأبناء المسلمين والتعليم الإسلامي المعتدل، وطلب الضيف زيادة المنح الدراسية لأبناء أندونيسيا وأوضح أنه حضر لتجديد الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة أندونيسيا ولتفقد بعض الجامعات الإسلامية هناك، وأشار إلى أن المعهد الأزهري بأندونيسيا تحت إشراف الأزهر الشريف والبعثة الأزهرية من العلماء يؤدون واجبهم على أتم وجه والبعثة قوامها خمسون عالما من الأزهر يقومون بتدريس العلوم الشرعية والعربية طبقا للخطط والمنهج الأزهري، وأوضح بأن الدراسة الأزهرية تفيد أبناء المسلمين وتعصمهم من الزلل.

ومما يذكر أن سعادة السفير الدكتور / محمد قريش تعلم في الأزهر الشريف.

## الإمام الأكبر يستقبل وزيرة الدولة للشئون الخارجية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيدة الوزيرة الدكتورة / فايزة أبو النجا وزيرة الدولة للشئون الخارجية بجمهورية مصر العربية وهي أول زيارة لها بعد توليها مهام منصبها الجديد، ودار الحديث حول دور الأزهر الشريف ورسالته العلمية والتعليمية في تعليم أبناء المسلمين في الداخل والخارج وتبصيرهم بأمور الدين الحنيف بعيدا عن العصبية والعنصرية والتطرف والبعد عن المغالاة، كما يوفد الأزهر العلماء لدول العالم المختلفة لشرح تعاليم الإسلام والرد على استفسارات المسلمين في بلاد المهجر، كما يستقبل طلابا من مختلف دول العالم من أبناء المسلمين الذين يدرسون بالأزهر ويقيمون بمدن البعوث الإسلامية بالقاهرة والإسكندرية ومنهم البنين والبنات وبعد حصولهم على الشهادات العليا من الأزهر يعودون إلى بلادهم ليكونوا رسلا



للأزهر فى بلادهم يؤدون واجبهم نحو تعليم أبناء بلادهم ما تعلموه من علوم ومعارف إسلامية، كما تعقد الدورات التدريبية للعلماء والدعاة والأئمة الجدد من بلاد العالم المختلفة وذلك لدراسة المستجدات التى تطرأ على الساحة من جراء التطورات التى يشهدها عالم اليوم إلى جانب دراسة المواد الدينية والفقهية والعربية والبلاد التى بها معاهد أزهرية، كاندونيسيا والسنغال وجنوب إفريقيا ونيجيريا وغيرهم ترسل إليهم العلماء والمدرسين ليقوموا بالتدريس لهم فى معاهدهم ويقومون بإلقاء خطب الجمعة بالمساجد ويقيمون الندوات والحلقات الدراسية وذلك كله لتوضيح صورة الإسلام الصحيحة.

وتم فى اللقاء مناقشة ضرورة تصحيح صورة الإسلام فى الخارج بالتنسيق مع علماء مصر وسفرائها وذلك لإظهار سماحة الإسلام ويسره والرد على الشبهات التى تحاول وسائل الإعلام الأجنبية إلصاقها بالإسلام ظلما وعدوانا وهو منها براء.

وفى نهاية اللقاء شكرت الوزيرة فضيلة الإمام الأكبر على هذه المعلومات القيمة التى استفادت منها والتى ستساعدها فى أداء عملها.

## زعيم الأقلية بمجلس النواب الأمريكى:

## الدين الإسلامى أسرع الأديان انتشاراً

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد/ ريتشارد جب هارت زعيم الأقلية بمجلس النواب الأمريكى والسيد السفير/ ديفيد ولش سفير الولايات المتحدة الأمريكية بالقاهرة والوفد المرافق لهما، رحب فضيلته بالسادة الضيوف شارحا لهم نظام الدراسة بالأزهر الشريف وأنها تمتاز بالتوسط والاعتدال لأنها مستمدة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة، وبين أن الناس جميعا خلقهم الله - عز وجل - من أب واحد وأم واحدة وذلك لكى يتعارفوا ويتعاونوا على البر والتقوى وعلى نشر الإسلام والأمان والرخاء وتبادل المنافع التى أحلها الله - عز وجل - فيما بينهم، وأن يشيع الخير بينهم لا الشر، وتشيع السماحة وليس الإرهاب، وأوضح أن هناك فرقاً كبيراً بين الجهاد والإرهاب كالفرق بين السماء والأرض ومن يخلط بينهما يكون خاطئا، لأن الجهاد معناه الدفاع عن النفس والعرض والمال والوطن وعن الحرية الإنسانية، أما الإرهاب فهو الاعتداء على الآمنين وهو قمة الظلم والغدر، فتحديد المفاهيم واجب، وعندما تفهم الحقائق، ترتاح النفوس والعقول والعقلاء هم الذين يفهمون هذا جيدا، وهذا لمن يفهم الأديان فهما صحيحا، أما من يفهم الأديان فهما خاطئا لا يفسر الأمور تفسيرا صحيحا، بل يفسرها حسب أهوائه، ونحن لا نؤيد من يفهم فهما خاطئا، والأزهر الشريف يرحب بالحوار وبتعاون الحضارات، لأن فى هذا سعادة للبشرية، فالغرب يأخذ من الشرق ما يناسبه والشرق يأخذ من الغرب ما يناسبه، وأبواب الأزهر مفتوحة لكل زائر وعلماء الأزهر يذهبون إلى كل مكان من أجل تصحيح المفاهيم والرد على الشبهات، وقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية، عقب أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١ بيانا مطولا أدان فيه العدوان إدانة تامة.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على حديثه القيم وأنه يقدر آراء فضيلته الجريئة والصريحة وهو ما أكده الرئيس بوش للمسلمين فى أمريكا بأن ما حدث لا علاقة له بالإسلام، وأوضح




الضيف بأن ما قلته فضيلتكم يعتقده ويحترمه الشعب الأمريكي وقال: إننا جميعا في خندق واحد وإننا نتعاون من أجل إسعاد البشرية وتفسير فضيلتكم لوسائل الإعلام، والمراسلين الأجانب في غاية الأهمية، لأن هناك عددا كبيرا من الناس يستمعون لما تقولونه باهتمام شديد، وتصريحات فضيلتكم القوية سوف أنقلها بصفتي زعيما للأقلية بمجلس النواب الأمريكي، والآن أصبح الشعب الأمريكي يفهم الإسلام بصورة أوضح، وما قلتموه فضيلتكم يوضح الصورة الصحيحة للدين الإسلامي، وأستطيع أن أقول إن الدين الإسلامي أسرع الأديان انتشارا هذه الأيام.

**الإمام الأكبر:**

## شريعة الإسلام تمد يدها بالسلام

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / أندرو ناتسيوس المدير الإداري بهيئة المعونة الأمريكية بواشنطن يرافقه السفير / دافيد ولش سفير أمريكا بالقاهرة والوفد المرافق لهم، وقد أوضح فضيلته للوفد الدور الأساسي الذي يقوم به الأزهر الشريف في التعليم بالمراحل المختلفة وحتى المرحلة الجامعية حيث يتخرج العلماء والمدرسون المدركين لأمور الدين الإسلامي مبينا أن الدراسة في الأزهر الشريف تقوم على الاعتدال والتوسط لأنها تقوم على دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وعلومهما وهو الأساس في التعليم الأزهري إلى جانب المواد الأخرى من اللغات المختلفة والمواد التي تؤهل للدراسة بكليات الطب والهندسة والزراعة وغيرها، والقرآن الكريم أوضح أن الله خلق الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة ليتبادلوا المنافع التي أحلها الله - عز وجل - ويتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان والحضارات تتعانق وتتعاون ويأخذ بعضها من بعض النافع المفيد، وتنبذ الضار، والحضارات حينما تتآزر وتتكاتف يعم الخير على البشرية، ونحن كأزهريين وعلماء للدين الإسلامي الحنيف من منطلق تعاليم ديننا الحنيف نؤكد على أن الله - عز وجل - خلقنا قبائل وشعوبا لكي نتعاون على نشر الحق ونبذ الباطل ونشر الخير والتصدي للشر والتعاون على البر والمعروف، ولنا في كثير من بلدان العالم علماء ينشرون هذه المعاني السمحة التي هي مستمدة من شريعة الإسلام ونحن نؤمن بتعاون الحضارات لا بتصارعها، ونؤمن بحرية العقائد وأنه لا إكراه على العقائد لأن الإكراه عليها لا يأتي بمؤمنين صادقين وإنما يأتي بمنافقين كذابين، ونؤمن أيضا بأن الذي يحاسب على النفاق هو الله - عز وجل - وشريعة الإسلام تمد يدها بالسلام لكل من يمد يده بالسلام، ويأمرنا الإسلام أن نلتزم بالعدل، وفي الوقت نفسه ينهى عن العدوان والظلم.

أما الذين يعتدون على أرضنا أو مقدساتنا أو أموالنا فقد أذن الله لنا أن ندافع عن أنفسنا وعن أموالنا وأرضنا ومقدساتنا.

وعن دور الأزهر في تعميق الحوار، أوضح فضيلته أن شريعة الإسلام تؤمن بالحوار إيمانا عميقا لتوضيح وتصحيح المفاهيم ونحن على استعداد للحوار وأبوابنا مفتوحة، وقد زار بابا الفاتيكان الأزهر الشريف منذ فترة.

والأديان جميعها تدعو إلى السلام والمحبة ونبذ العدوان والاعتداء، حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

# الفهرس السنوى لعام ١٤٢٢ هـ

## المحـــرم


● الافتتاحية : المثقفون والأدب الهابط
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ـــــــ ٢
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى ـــــــ ٧
● العناية بكتابة السنة النبوية
للأستاذ الدكتور / أحمد معبد ـــــــ ١٩
● الدعوة كما ينبغى أن تبلغها
لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى ـــــــ ٢٥
● دعوة الإسلام إلى الوحدة
للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ـــــــ ٣٠
● لا حياة بلا دين
لفضيلة الشيخ / إبراهيم الدسوقى ـــــــ ٣٦
● الإسلام وحوار الحضارات
للأستاذ الدكتور / محمد عبدالمنعم خفاجى ـــــــ ٤٢
● الإسلام .. والغرب .. وحقوق الإنسان
للدكتور / محمد عمارة ـــــــ ٤٧
● محمد - ﷺ - فى كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور / عبدالعظيم المطعنى ـــــــ ٥٣
● استفتاءات القراء
إعداد وتقديم الشيخ / عبدالفتاح حسين الزيات ـــــــ ٦٠
● دار الهجرة والتحذير من هجرها
لفضيلة الشيخ / عبدالحفيظ فرغلى القرنى ـــــــ ٦٦
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
إعداد الشيخ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ـــــــ ٧٢
● أبو عبيد بن مسعود الثقفى
للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين ـــــــ ٧٨
● لمحات عن صاحب الفضيلة الشيخ عبدالرحمن تاج
للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى ـــــــ ٨٢
● الشيخ / إبراهيم الدسوقى فى رحاب الله ـــــــ ٨٥
● مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى
للمستشار الدكتور / محمد شوقى الفنجرى ـــــــ ٨٧
● مواقف إسلامية : بين الأشرار والأخيار
للأستاذ الدكتور / محمود عمارة ـــــــ ٩٣
● طرائف ومواقف
للشيخ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ـــــــ ٩٦
● قصة العدد : إرادة جبارة ـــــــ ٩٨
● روضة الشعر ●
- نور الإسلام
للشاعر / محمود حسن إسماعيل ـــــــ ١٠٣
- الـرأى
للشاعر / أحمد زين ـــــــ ١٠٧
● من عيون التراث
للأستاذ / محمد أبو الفضل إبراهيم ـــــــ ١٠٨
● الحوارات الأدبية : نوعياتها .. دلالاتها (١)
للأستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب ـــــــ ١١٣
● القصيدة العربية بعد البارودى بين الشكل والمضمون
للأستاذ الدكتور / محمود جمعة أمين ـــــــ ١١٧
● لمحة عن الاتجاه الإسلامى فى شعر إبراهيم عيسى
للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ـــــــ ١٢١
● ما يقال عن الإسلام :
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ـــــــ ١٢٥
● كتاب الشهر : عصر الإلحاد
للأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ـــــــ ١٣٢
● المجتمع الإسرائيلى
للدكتور / محمد حسن عبدالخالق ـــــــ ١٤٢
● التراث العلمى الإسلامى
للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا ـــــــ ١٤٦
● من الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم
للأستاذ الدكتور / السيد الجميلى ـــــــ ١٥١
● قبل أن تصير حصيفا
للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير ـــــــ ١٥٤
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ / محمود الفلشى ـــــــ ١٥٨
● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم / الأستاذ عادل خفاجة ـــــــ ١٦٣
● أنباء مكتب شيخ الأزهر
لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى ـــــــ ١٦٩

## صفـــــر


● الدين مرتكز الخلق الحميد (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي ـــــ ١٧٨
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر ـــــ ١٨٣
● وحي الألفاظ فى أسلوب القرآن
للأستاذ الدكتور / عبد الحليم حفنى ـــــ ١٩٢
● العناية بكتابة السنة فى عصر الرسول ﷺ وصحابته
للأستاذ الدكتور / احمد معبد عبد الكريم ـــــ ١٩٨
● الدعوة كما ينبغى أن نبلغها (٤)
لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى ـــــ ٢٠٥
● دعوة الإسلام إلى الوحدة
للأستاذ الدكتور / احمد عمر هاشم ـــــ ٢١١
● إسلامية المعرفة.. ماذا تعنى؟
للأستاذ الدكتور / محمد عمارة ـــــ ٢١٧
● أمتنا وفن إدارة الأزمات
للدكتور / محمود محمد عمارة ـــــ ٢٢٤
● محاولة لفهم العولمة
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ـــــ ٢٢٧
● نقد موضوعى للأفكار الهامة فى كتاب اليمين واليسار فى الفكر الدينى
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ـــــ ٢٣٤
● شئون المرأة والوثب الأشل على الإسلام
للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعنى ـــــ ٢٤٠
● المثنى بن حارثة الشيبانى
إعداد الأستاذ / احمد السيد تقى الدين ـــــ ٢٤٧
● حول الشعر العذرى
للأستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب ـــــ ٢٥٥
● عبد العزيز البشرى فى المرآة
للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى ـــــ ٢٥٨
● رثاء الأديب الكبير الشيخ عبد العزيز البشرى (قصيدة)
للأستاذ / خليل مطران ـــــ ٢٦٣
● فقيد الأزهر الدكتور محمد أحمد سحلول
للأستاذ الدكتور / ابو حسام ـــــ ٢٦٦
● القلادة المباركة
للأستاذ / محمد فريد ابو حديد ـــــ ٢٦٩
● دعوة إلى نحو عصرى بين الوهم والتخريب
للأستاذ الدكتور / مبروك عطية ابو زيد ـــــ ٢٧٨
● الغرام السوقى (قصيدة)
للأستاذ / محمد الأسمر ـــــ ٢٨٢
● يهود الشرق فى الأدب العبرى
للدكتور / محمد حسن عبدالخالق ـــــ ٢٨٤
● دور يهود الدونمة فى إسقاط الخلافة العثمانية
عرض الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين ـــــ ٢٩٢
● الحقائق العشر لحتمية تحول النبوة من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل
للدكتور / محمد عبد العليم ـــــ ٣٠٠
● مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى (٢)
للمستشار الدكتور / محمد شوقى الفنجرى ـــــ ٣٠٩
● التراث العلمى الإسلامى
للأستاذ الدكتور / احمد فؤاد باشا ـــــ ٣١٧
● جنون البقر.. والخروج عن الفطرة
للأستاذ الدكتور / عبد الراضى حسن المراغى ـــــ ٣٢٢
● هل تغرق السفينة.. لطفك اللهم
للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير ـــــ ٣٢٦
● طرائف.. ومواقف
لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ـــــ ٣٣١
● إلى الجيل الجديد
أسرة التحرير ـــــ ٣٣٣
● منبر الجمعة: من أضرار المعاصى
لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم ـــــ ٣٣٥
● رسالة و.. رد
لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان ـــــ ٣٣٩
● استفتاءات القراء
إعداد الشيخ / عبد الفتاح حسين الزيات ـــــ ٣٤٤
● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم الأستاذ / عادل رفاعى خفاجة ـــــ ٣٥٠
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ / محمود الفشنى ـــــ ٣٥٧
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الشيخ / عمر البسطويسى على ـــــ ٣٦٢

## ربيـــع الأول


● في ذكرى المولد النبوي (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ـــــ ٣٧٠
● مع سورة الفتح في ذكرى مولد رسول الله ﷺ
لفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ـــــ ٣٧٨
● ذكريات وتأملات في يوم مولده ﷺ
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدي ـــــ ٣٨٨
● أنشودة في محراب نور البشرية
شعر/ محمد فهمي سند ـــــ ٣٩٤
● وثيقة دستور دولة النبي في المدينة
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ـــــ ٣٩٧
● محمد ﷺ في كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعني ـــــ ٤٠٤
● في ذكرى ميلاد سيد البشر
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ـــــ ٤١٣
● يا خير من يشفي الضنا مس كفه
لفضيلة الشيخ/ محمد الطاهر الحامدي ـــــ ٤١٧
● قصة العدد: بشائر النبوة ـــــ ٤٢٠
● من روائع الماضي في مجلة الأزهر:
إعداد الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ـــــ ٤٢٥
● إنها النبوة
للأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجي ـــــ ٤٣٤
● في ذكرى المولد النبوي
للأستاذ/ أحمد محرم ـــــ ٤٣٨
● سيرة النبي محمد
عرض الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ـــــ ٤٤٢
● درس في الإنصاف
للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة ـــــ ٤٥٠
● أشواق حجازية الإيقاع
شعر للدكتور/ صابر عبدالدايم ـــــ ٤٥٨
● مشكلات أعجزت العلم وحلها الإيمان
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ـــــ ٤٦٠
● ما يقال عن الإسلام
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ـــــ ٤٦٣
● الإسلام وإشكالية الفكر الحضاري
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي ـــــ ٤٦٨
● محمد رسول الله ﷺ
شعر للأستاذ الدكتور/ محمد بدر معبدي ـــــ ٤٧٤
● التراث العلمي الإسلامي
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ـــــ ٤٧٦
● إسرائيل من الداخل ـــــ ٤٨١
● عرب فلسطين
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ـــــ ٤٨٢
● إسرائيل والبحث عن الهوية
للأستاذ/ صلاح الدين عبدالرحيم محمد ـــــ ٤٩٠
● القعقاع بن عمرو التميمي
للأستاذ/ أحمد السيد تقي الدين ـــــ ٤٩٧
● الرافعي ومواقفه من قضايا الشعر
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ـــــ ٥٠١
● السيد حسن القاياتي
للأستاذ محمد مصطفى البسيوني ـــــ ٥٠٥
● هل تغرق السفينة؟! لطفك اللهم
للأستاذ / مجدي عبدالحميد بشير ـــــ ٥١١
● طرائف.. ومواقف
إعداد الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ـــــ ٥١٦
● منبر الجمعة: مولد خير الأنام
لفضيلة الشيخ/ علي حامد عبدالرحيم ـــــ ٥١٨
● استفتاءات القراء
إعداد وتقديم/ عبدالفتاح حسين الزيات ـــــ ٥٢٢
● فقه العبادات في ضوء غاياته
بقلم/ أبو محمد الأقصري ـــــ ٥٢٨
● أسس العلاقات الاجتماعية في الإسلام
للأستاذ الدكتور عبدالحليم حفني ـــــ ٥٣٣
● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم الأستاذ/ عادل خفاجة ـــــ ٥٣٩
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسي ـــــ ٥٤٤
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود القشني ـــــ ٥٥٣

## ربيـــــع الآخـــــر


● العدل ظاهرة كونية قبل أن يكون فضيلة خلقية (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ــــــ ٥٦٢
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ــــــ ٥٦٧
● قضايا قرآنية: قضية الوقف على رؤوس الآيات
لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة ــــــ ٥٧٣
● الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ــــــ ٥٨١
● الدعوة كما ينبغي أن نبلغها
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدي ــــــ ٥٨٨
● اختلاف فقهاء الشريعة حول التأمين
للمستشار الدكتور/ محمد شوقي الفنجري ــــــ ٥٩٥
● محمد ﷺ في كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور عبدالعظيم المطعني ــــــ ٦٠١
● بلبل الفردوس .. بلال بن رباح (قصيدة)
بقلم/ أبوحسام ــــــ ٦٠٨
● العربي بين الأصالة والمعاصرة
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي ــــــ ٦١١
● مواقف إسلامية: من دروس التربية العملية
للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة ــــــ ٦١٦
● قصة العدد: الحق المر
بقلم/ عابر سبيل ــــــ ٦٢٦
● ما يقال عن الإسلام: نقد علمي لمقال ديني
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ــــــ ٦٣١
● (عرض كتاب) سيرة النبي محمد ﷺ
للأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ــــــ ٦٣٩
● من عيون التراث: الأضداد
تحقيق الأستاذ/ محمد أبو الفضل إبراهيم ــــــ ٦٥٢
● صرعى الأغراض (قصيدة)
للشاعر/ أحمد الزين ــــــ ٦٥٧
● طرائف ومواقف
إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ــــــ ٦٦٠
● من مختارات مجلة الأزهر:
العلم والدين للأستاذ/ محمد أحمد الغمراوي ــــــ ٦٦٢
● ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ــــــ ٦٧٢
● الشيخ محمد الخضر حسين
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ــــــ ٦٧٧
● العقاد الشاعر بين منهجين في النقد
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ــــــ ٦٨٥
● فقيد الأزهر الأستاذ الدكتور/ إبراهيم الدسوقي خميس
للدكتور/ رضا عبدالمجيد المتولي ــــــ ٦٩٠
● القعقاع بن عمرو التميمي (٢)
للأستاذ أحمد السيد تقي الدين ــــــ ٦٩٤
● الجينو والكيبوتس في الوجدان اليهودي
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ــــــ ٦٩٨
● من صفحات الخير
للأستاذ/ مجدي عبدالحميد بشير ــــــ ٧٠٣
● رسالة و رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان ــــــ ٧٠٧
● استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ــــــ ٧١١
● خطبة الجمعة: من ملامح الشخصية المسلمة
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي ــــــ ٧١٤
● فقه العبادات في ضوء غاياته
للشيخ/ أبو محمد الأقصري ــــــ ٧١٧
● بين الصحف والمجلات
للأستاذ/ محمد القشتي ــــــ ٧٢٠
● بين المجلة والقارئ
للأستاذ/ عادل خفاجة ــــــ ٧٢٤
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الشيخ/ عمر البسطويسي ــــــ ٧٢٨
● من أخبار العالم الإسلامي
إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوي ــــــ ٧٣٤

## جمــــادى الأولــــى


● الافتتاحية (لغو عن ميراث المرأة)
فضيلة أ.د. محمد رجب البيومى ـــــ ٧٣٧
● تفسير سورة البقرة
فضيلة أ.د. محمد سيد طنطاوى ـــــ ٧٤٢
● التثبت من رواية الحديث
فضيلة أ.د. أحمد محمود شيمى ـــــ ٧٤٨
● الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان (٢)
فضيلة أ.د. أحمد عمر هاشم ـــــ ٧٥٢
● الدعوة كما ينبغى أن نبلغها
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ـــــ ٧٥٩
● حول الأصالة والمعاصرة
فضيلة أ.د. محمد إبراهيم الفيومى ـــــ ٧٦٤
● بين على عبد الرازق والخضر حسين
فضيلة أ.د. محمد عمارة ـــــ ٧٧٠
● محمد (ﷺ) فى كتابات المستشرقين
فضيلة أ.د. محمد عبد العظيم المطعنى ـــــ ٧٧٥
● حول نقد سيرة رسول الله لابن إسحاق
نقد وتعليق أ.د. إبراهيم عوضين ـــــ ٧٨٢
● مايقال عن الإسلام
فضيلة أ.د. محمد رجب البيومى ـــــ ٧٩٢
● الزوجة الوفية.. كأنك تراها
فضيلة أ.د. محمود عمارة ـــــ ٧٩٩
● من مختارات مجلة الأزهر: لا تيأسوا من روح الله
لفضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ـــــ ٨٠٧
● إحساس النبات (قصيدة)
بقلم: أبو حسام ـــــ ٨١٠
● القعقاع بن عمرو التميمى
للأستاذ/ أحمد تقى الدين ـــــ ٨١٢
● ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية (٢)
أ.د. أحمد فؤاد باشا ـــــ ٨١٦
● أثر العقيدة على التقدم العلمى عند المسلمين
للأستاذ/ مصطفى البسيونى ـــــ ٨٢٢
● الغد المحجب (قصيدة)
للأستاذ عبد المغنى المنشاوى ـــــ ٨٢٨
● قصة العدد: (المهاجرة الصبور)
للأستاذ شوقى أبو ناجى ـــــ ٨٣٢
● من بلاغة الخطابة النبوية
فضيلة أ.د. عبد الحليم حفنى ـــــ ٨٣٦
● قضية للمناقشة
أ.د. محمد أحمد العزب ـــــ ٨٤٢
● الشاعرة جليلة رضا.. وداعاً
للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ ـــــ ٨٤٥
● الجيتو والكيبوتس فى الوجدان اليهودى
د/ محمد حسن عبد الخالق ـــــ ٨٤٨
● من منظمات الإرهاب الصهيونى فى إسرائيل
للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد ـــــ ٨٥٤
● طرائف ومواقف
للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ـــــ ٨٦٠
● تهنئة ودعاء ـــــ ٨٦٢
● خطبة الجمعة: نزهوا الإسلام عن صغائركم
أ.د. أحمد الشرباصى ـــــ ٨٦٣
● فضل قراءة القرآن الكريم
لفضيلة الشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف ـــــ ٨٦٦
● رسالة... و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبد الفتاح سيد جمعان ـــــ ٨٧١
● استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ـــــ ٨٧٥
● الزواج: مشكلات.. وحلول
للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير ـــــ ٨٧٨
● بين الصحف والمجلات
للأستاذ/ محمود الفشنى ـــــ ٨٨١
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ/ عادل خفاجة ـــــ ٨٨٥
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد عبد الحميد الشرقاوى ـــــ ٨٨٩
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذ/ عمر البسطويسى ـــــ ٨٩١

## جمـــادى الآخـــرة


● افتتاحية العدد : إنسانية الغرب في الميزان
لفضيلة أ.د. محمد رجب البيومي ـــــ ٨٩٨
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة أ.د. محمد سيد طنطاوي ـــــ ٩٠٢
● قضية الوقف على رؤوس الآيات
لفضيلة الشيخ صديق بكر عيطة ـــــ ٩٠٩
● حذف جواب « لو ترى »
أ.د. عبدالحليم حفني ـــــ ٩١٤
● من القصص التربوي في القرآن الكريم : ولدان
للأستاذ / محمد مصطفى البسيوني ـــــ ٩١٩
● دعوى بشرية القرآن
أ.د.محمد إبراهيم الفيومي ـــــ ٩٢٤
● من ركائز التضامن الإسلامي
أ.د.أحمد عمر هاشم ـــــ ٩٣٢
● الدعوة كما ينبغي أن نبلغها
لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدي ـــــ ٩٣٩
● مساجلة بين فقيهين
للدكتور حمدي فتوح والي ـــــ ٩٤٤
● بين الخضر حسين وعلى عبد الرازق : قضية وكتابان..
أ.د.محمد عمارة ـــــ ٩٤٩
● مصر
شعر الأستاذ على الجارم ـــــ ٩٥٦
● محمد ﷺ في كتابات المستشرقين
أ.د. عبدالعظيم المطعني ـــــ ٩٦٠
● كتاب الشهر
نقد كتاب (سيرة رسول الله ﷺ لابن اسحق للدكتور على مراد)
نقد وتعليق أ.د / إبراهيم عوضين ـــــ ٩٦٧
● ما يقال عن الإسلام (الأذان في الإسلام)
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي ـــــ ٩٧٧
● مواقف إسلامية : وفاء الأشقاء
أ.د. محمود عمارة ـــــ ٩٨٢
● قصة العدد .. القمة الموحشة
للأستاذ محمد فريد أبو حديد ـــــ ٩٨٧
● القط الأعمى
شعر : أبو حسام ـــــ ٩٩٤
● عالم زاهد .. وتقى ورع
لفضيلة الشيخ / علي محمود أبو الحسن ـــــ ٩٩٧
● مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية
أ.د.أحمد فؤاد باشا ـــــ ١٠٠٢
● الفكر التلمودي في الوجدان اليهودي
للدكتور / محمد حسن عبدالخالق ـــــ ١٠٠٨
● حجر من أرض الإسراء
شعر الأستاذ / السيد صديق حافظ ـــــ ١٠١٨
● القعقاع بن عمرو التميمي
للأستاذ / أحمد السيد تقي الدين ـــــ ١٠٢٠
● من قضايا النقد :
ثقافة الناقد في مرآة ابن المعتز
أ.د.محمد أحمد العزب ـــــ ١٠٢٣
● طرائف ومواقف
للأستاذ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ـــــ ١٠٢٨
● استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر ـــــ ١٠٣٠
● خطبة الجمعة
لفضيلة أ.د.أحمد الشرباصي ـــــ ١٠٣٤
● الإنفاق في سبيل الله
لفضيلة الشيخ / فوزي فاضل الزفزاف ـــــ ١٠٣٨
● رسالة ..و.. رد
لفضيلة الشيخ / عبدالفتاح سيد جمعان ـــــ ١٠٤٣
● المفهوم الصحيح للحرية
لفضيلة الشيخ محمد فوزان ـــــ ١٠٤٧
● أيها الإعلاميون رويدكم
للأستاذ مجدى عبدالحميد بشير ـــــ ١٠٥٠
● قلعة القاهرة
للأستاذ / أحمد إسماعيل إبراهيم ـــــ ١٠٥٥
● بين الصحف والمجلات
للأستاذ محمود الفشني ـــــ ١٠٦١
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ / عادل رفاعي خفاجة ـــــ ١٠٦٥
● أنباء العالم الإسلامي
للأستاذ محمد الشرقاوي ـــــ ١٠٧٠
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذ عمر البسطويسي علي ـــــ ١٠٧٣

## رجـــــب


● افتتاحية العدد: ثقافة الداعية المعاصر
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ـــــ ١٠٩٠
● مع سورة الإسراء
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ـــــ ١٠٩٨
● جماليات الأداء الأسلوبى فى الحديث النبوى
للأستاذ الدكتور/ صابر عبدالدايم ـــــ ١١٠٤
● الإسلام والعلاقات الاجتماعية
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ـــــ ١١١٢
● الإسراء والمعراج.. تأملات جديدة (١)
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ـــــ ١١١٧
● الإسراء والمعراج
لفضيلة الشيخ/ يوسف النجوى ـــــ ١١٢٤
● مساجلة بين فقيهين كبيرين
للدكتور/ حمدى فتوح والى ـــــ ١١٣٢
● فلسفة خطاب الإعلام العربى
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ـــــ ١١٣٦
● بين الخضر حسين وعلى عبدالرازق
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ـــــ ١١٤١
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ـــــ ١١٤٦
● سيرة رسول الله ﷺ لابن إسحاق للدكتور على مراد
عرض الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ـــــ ١١٥٤
● المبادئ فوق المنافع
للأستاذ الدكتور/محمود عمارة ـــــ ١١٦٣
● الإنفاق فى سبيل الله
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ـــــ ١١٦٨
● قصة العدد: لا أستجير بغير الله
للأستاذ / شوقى محمود أبوناجى ـــــ ١١٧٥
● طريق الحق شائك
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ـــــ ١١٧٨
● عدى بن حاتم الطائى
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ـــــ ١١٨٤
● فدائية تستشهد (قصيدة)
بقلم/ أبوحسام ـــــ ١١٨٨
● القدس الماضى والحاضر
للشاعر/ عبدالفتاح الطاهر الخطيب ـــــ ١١٩٠
● إسرائيل من الداخل ـــــ ١١٩١
● القدس بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ـــــ ١١٩٢
● بروتوكولات حكماء صهيون
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ـــــ ١٢٠٣
● نصرت يا مسجد الأسراء «قصيدة»
للشاعر/ السيد الصديق حافظ ـــــ ١٢١١
● مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ـــــ ١٢١٢
● هرمون «دهيا» ترياق الشيخوخة
للأستاذ الدكتور/ السيد الجميلى ـــــ ١٢١٦
● من قارة إلى قارة «قصيدة»
للشاعر المهندس/ على محمود طه ـــــ ١٢٢١
● أصول القصة الشعرية
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ـــــ ١٢٢٤
● طرائف.. ومواقف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ـــــ ١٢٢٨
● الأسرة ومكانتها فى الإسلام
للأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى ـــــ ١٢٣٠
● إستفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ـــــ ١٢٣٥
● خطبة الجمعة
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ـــــ ١٢٣٩
● رسالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ـــــ ١٢٤٢
● فى رياض الأمل
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ـــــ ١٢٤٥
● بين المجلة.. والقارىء
إعداد وتقديم/ عادل رفاعى خفاجة ـــــ ١٢٤٩
● أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى ـــــ ١٢٥٦
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الشيخ/ عمر البسطويسى ـــــ ١٢٥٩

## شـــعبان


● لابد للعلم من خلق عاصم (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ـــــ ١٢٦٦
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى ـــــ ١٢٧١
● دعوة القرآن الكريم إلى بناء المجتمع
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ـــــ ١٢٧٨
● تعظيم القرآن
للأستاذ الدكتور/ أحمد عبدالواحد ـــــ ١٢٨٧
● المعيار المعتبر لقبول الرواية عند المحدثين
للدكتور/ أحمد محمود شيمى ـــــ ١٢٩١
● الإسراء والمعراج (٢)
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ـــــ ١٢٩٦
● سيرة رسول الله لابن إسحق للدكتور على مراد
للأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ـــــ ١٣٠١
● موقف الإسلام من أهل الكتاب
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ـــــ ١٣١٠
● الإسلام فى دراسات أكاديمية غربية
للأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب ـــــ ١٣١٤
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ـــــ ١٣٢١
● فلسفة خطاب الإعلام العربى
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ـــــ ١٣٣٠
● الإسلام دين السلام
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ـــــ ١٣٣٤
● أم المؤمنين عائشة (قصيدة)
للشاعر/ أحمد محرم ـــــ ١٣٣٩
● الأخلاق والاقتصاد
للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى ـــــ ١٣٤٥
● بين الخضر حسين وعلى عبدالرازق
للدكتور/ محمد عمارة ـــــ ١٣٥٤
● قصة العدد: إسلام بقى
للأستاذ/ محمود غنيم ـــــ ١٣٦٠
● عدى بن حاتم الطائى
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ـــــ ١٣٦٥
● الشهيد (قصيدة)
للأستاذ الدكتور/ صابر عبدالدايم ـــــ ١٣٦٩
● الصهيونية وأرض الميعاد
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ـــــ ١٣٧٢
● الإرهاب الصهيونى فى الأدب العبرى
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ـــــ ١٣٧٧
● مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ـــــ ١٣٨٣
● الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم
للدكتور/ السيد الجميلى ـــــ ١٣٨٧
● القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ـــــ ١٣٩٤
● صلة الأرحام
لفضيلة الشيخ/ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح ـــــ ١٣٩٨
● الإسلام دعوة لتحقيق الوحدة الإنسانية
للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى ـــــ ١٤٠٣
● طرائف.. ومواقف
إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ـــــ ١٤٠٦
● واقعة حال (قصيدة)
للشاعر/ أحمد مصطفى حافظ ـــــ ١٤٠٨
● المعادلة الصعبة
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ـــــ ١٤٠٩
● استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ـــــ ١٤١٤
● خطبة الجمعة: فى الطريق إلى فلسطين
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ـــــ ١٤١٨
● رسالة... و... رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ـــــ ١٤٢٣
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود القشتى ـــــ ١٤٢٥
● بين المجلة والقارىء
إعداد الأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ـــــ ١٤٣٢
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ـــــ ١٤٤١
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للشيخ/ عمر البسطويسى ـــــ ١٤٤٦

## رمضـــــــــان


- الرئيس حسنى مبارك فى لقائه مع علماء الأزهر
  إعداد / أحمد السيد تقى الدين ـــــ ١٤٥٨
- رمضان غريب بين أهله (الافتتاحية)
  للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ـــــ ١٤٧٦
- تفسير سورة القدر
  لفضيلة الإمام الأكبر ـــــ ١٤٨٢
- فى ظلال الحديث النبوى: السنة... الصوم
  لفضيلة الشيخ / إبراهيم الجبالى ـــــ ١٤٨٧
- شهر رمضان عند المحدثين
  للدكتور / أحمد الشيمى ـــــ ١٤٩٣
- رمضان عيد ميلاد الأمة الإسلامية
  للدكتور / محمد عمارة ـــــ ١٤٩٨
- قراءة إيمانية فى كتاب الكون والحياة
  للدكتور / أحمد فؤاد باشا ـــــ ١٥٠٣
- رمضان ناسك الزمن (قصيدة)
  للشاعر محمود حسن إسماعيل ـــــ ١٥٠٨
- رمضان يا أكرم الشهور
  للشيخ / الطاهر الحامدى ـــــ ١٥١١
- الصيام ورخصة الفطر
  للدكتور / عفيفى محمود عفيفى ـــــ ١٥١٦
- رمضان موسم الخيرات
  للشيخ / السيد عبد المقصود عسكر ـــــ ١٥٢٠
- محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
  للدكتور / عبد العظيم المطعنى ـــــ ١٥٢٤
- الأوزاعى بين العلم والعمل
  للدكتور / حمدى فتوح والى ـــــ ١٥٣٣
- صفحة من حياة الدكتور محمد السعدى فرهود
  للدكتور / محمد رجب البيومى ـــــ ١٥٣٨
- فى صحبة الدكتور محمد الطيب النجار
  للدكتور / محمد إبراهيم الفيومى ـــــ ١٥٤٤
- حديث فى علوم الدين وعلوم الحياة
  للدكتور / إبراهيم عوضين ـــــ ١٥٤٨
- كارل بروكلمان وبحوثه عن الإسلام
  للدكتور / مصطفى رجب ـــــ ١٥٥٧
- فى نقد سيرة ابن إسحق / ابن هشام
  للدكتور / محمود على مراد ـــــ ١٥٦٣
- الأزهر المعمور
  للدكتور / صابر عبد الدايم يونس ـــــ ١٥٧١
- الإسلام دين السلام (٢)
  للشيخ / فوزى الزفزاف ـــــ ١٥٧٣
- قصة ميلاد إنسان
  للدكتور / محمود عمارة ـــــ ١٥٧٩
- قصة العدد: باسمك اللهم
  للأستاذ / محمد سعيد العريان ـــــ ١٥٨٦
- تقرير لجنة كاهان الصهيونية
  للدكتور / محمد حسن عبد الخالق ـــــ ١٥٩١
- القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة
  للدكتور / محمد أحمد العزب ـــــ ١٥٩٨
- الإبداع وحرية المبدع
  للدكتور / متولى محمد البساطى ـــــ ١٦٠٣
- طرائف ومواقف
  للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ـــــ ١٦٠٦
- استفتاءات القراء
  تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر ـــــ ١٦٠٨
- يا أمة الإسلام أفيقى
  للدكتور / حسين الأنصارى ـــــ ١٦١٢
- استقبال شهر رمضان
  للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير ـــــ ١٦١٦
- رمضان والتحديات المعاصرة
  للأستاذ / إسماعيل أبو الهيثم ـــــ ١٦١٩
- رسالة ..و..رة
  للشيخ/ عبد الفتاح سيد جمعان ـــــ ١٦٢٢
- تأملات فى غزوة بدر
  للأستاذ / أحمد إسماعيل ـــــ ١٦٢٥
- بين الصحف والمجلات
  للأستاذ / محمود الفشنى ـــــ ١٦٣٠
- بين المجلة والقاريء
  إعداد وتقديم / عادل خفاجة ـــــ ١٦٣٣
- أنباء العالم الإسلامى
  للأستاذ / محمد الشرقاوى ـــــ ١٦٤٠
- أنباء مكتب شيخ الأزهر
  للشيخ / عمر البسطويسى ـــــ ١٦٤٢

## شـــــوال


● عيد الفطر فى موكب التاريخ (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ـــــ ١٦٥٠
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر ـــــ ١٦٥٦
● الحث على العمل وقوة العزيمة
لفضيلة الشيخ/ إبراهيم الجبالى ـــــ ١٦٦٤
● التحضر أولا.. والبداوة عند الضرورة
للأستاذ/ عبدالله على الزيدى ـــــ ١٦٦٩
● جمع القرآن وتدوينه
للشيخ/ صديق بكر عيطة ـــــ ١٦٧٢
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ـــــ ١٦٧٨
● الرفق بالجانى من خلق النبى ﷺ
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ـــــ ١٦٨٧
● الدين والحضارة.
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ـــــ ١٦٩٢
● الأمة مصدر السلطات.
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ـــــ ١٦٩٧
● مسئولية الزوجة عن استقرار البيت
للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة ـــــ ١٧٠٠
● رمضان فى بلاد الأمريكان
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ـــــ ١٧٠٧
● قضية وكتابان.. بين الخضر حسين وعلى عبد الرازق
للدكتور/ محمد عمارة ـــــ ١٧١١
● الدكتور محمد السعدى فرهود مفسرا
للدكتور/ رضا عبدالمجيد المتولى ـــــ ١٧١٦
● فى نقد سيرة ابن اسحاق/ ابن هشام
للدكتور/ محمود على مراد ـــــ ١٧٢٠
● ماهية الحروب الصليبية
عرض وتقديم الدكتور/ إبراهيم عوضين ـــــ ١٧٢٧
● صفحات من تاريخ الإبداع الأدبى
عرض وتقديم الدكتور/ محمد رجب البيومى ـــــ ١٧٣٨
● القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة
للأستاذ الدكتور/ محمد احمد العزب ـــــ ١٧٤٢
● أم عربية تضحى
للكاتب السورى خليل هنداوى ـــــ ١٧٤٦
● القيم فى عصر المعلومات
للأستاذ الدكتور/ احمد فؤاد باشا ـــــ ١٧٥٠
● الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم
للدكتور/ السيد الجميلى ـــــ ١٧٥٤
● عكرمة بن أبى جهل
للأستاذ/ احمد السيد تقى الدين ـــــ ١٧٥٩
● غدر اليهود (قصيدة)
للشاعر الكبير/ احمد محرم ـــــ ١٧٦٦
● العصر الذهبى للصهيونية
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ـــــ ١٧٧٣
● الأزهر.. الجامعة الإسلامية الكبرى
للأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى ـــــ ١٧٧٧
● طرائف.. ومواقف
للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ـــــ ١٧٨٠
● مكتبة مكة المكرمة.. المولد النبوى
للأستاذ/ عبدالسلام ناصف ـــــ ١٧٨٢
● فى وداع رمضان
للأستاذ/ مجدى بشير ـــــ ١٧٨٦
● خطبة الجمعة: حرب على الاسلام
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ احمد الشرباصى ـــــ ١٧٩٠
● استفتاءات القراء
إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس ـــــ ١٧٩٤
● رسالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان ـــــ ١٧٩٧
● رمضان والتحديات المعاصرة
للأستاذ/ إسماعيل ابو الهيثم ـــــ ١٨٠١
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود القلشى ـــــ ١٨٠٥
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ/ عادل خفاجة ـــــ ١٨٠٩
● أنباء العالم الأسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ـــــ ١٨١٥
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ـــــ ١٨١٨

## ذو القعـــدة


● رحلات الحج من مصادر التاريخ (الافتتاحية).

للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ـــــ ١٨٢٦

● تفسير سورة البقرة.

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ـــــ ١٨٣٢

● محمد ﷺ في كتابات المستشرقين.

للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعني ـــــ ١٨٣٩

● الموقف الإسلامي من الحضارات غير الإسلامية.

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ـــــ ١٨٤٨

● الإسلام ومشكلة الفقر.

للمستشار الدكتور/ محمد شوقي الفنجري ـــــ ١٨٥٣

● الحج منحة ربانية.

لفضيلة الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق ـــــ ١٨٦٢

● ازدهار الإسلام في العالم.

للأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجي ـــــ ١٨٦٩

● الإسلام وقضية الشكل والمضمون.

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ـــــ ١٨٧٥

● كتاب الشهر: حوار الحضارات لرجاء جارودي.

تقديم الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ـــــ ١٨٧٨

● من دروس الدعوة.

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ـــــ ١٨٨٨

● فضيلة الأدب.

لفضيلة الشيخ/ فوزي الزفزاف ـــــ ١٨٩٣

● قصة العدد: لو كان معه رجال.

للأستاذ/ شوقي محمود أبو ناجي ـــــ ١٨٩٦

● القيم في عصر المعلومات.

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ـــــ ١٩٠٢

● رمضان في بلاد الأمريكان (٢).

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدي ـــــ ١٩٠٧

● في ظل آية كريمة.

للدكتور/ حمدي فتوح والي ـــــ ١٩١٣

● إن الوعد بالنصر لخالد (قصيدة).

للأستاذ/ محمد فهمي سند ـــــ ١٩٢٠

● طرائف ومواقف.

لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ـــــ ١٩٢٢

● القدس في عيون يهودية.

للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ـــــ ١٩٢٤

● كشـــمير.

للأستاذ/ أحمد السيد تقي الدين ـــــ ١٩٢٨

● المسلمون أمة مبعوثة.

للأستاذ/ محمد حسن دراز ـــــ ١٩٣٢

● الحرية الإنسانية في مفهوم علم الكلام.

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي ـــــ ١٩٣٦

● الكعبة الزهراء (قصيدة).

للشاعر/ بدوي الجبل ـــــ ١٩٣٨

● خطبة الجمعة: الطريق إلى الله.

للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي ـــــ ١٩٤٤

● رسالة .. و.. رد.

لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ـــــ ١٩٤٧

● على باب الأمل.

للأستاذ/ مجدي عبدالحميد بشير ـــــ ١٩٥٠

● بين الصحف والمجلات.

للأستاذ/ محمود الفشني ـــــ ١٩٥٤

● بين المجلة والقارئ.

للأستاذ/ عادل رفاعي خفاجة ـــــ ١٩٥٦

● أنباء العالم الإسلامي.

إعداد/ محمد الشرقاوي ـــــ ١٩٦١

● أنباء مكتب الإمام الأكبر.

إعداد فضيلة الشيخ/ عمر البسطويسي ـــــ ١٩٦٣

## ذو الحجـــــة


● الحج قراءة ميدانية لسيرة الرسول ﷺ
للأستاذ الدكتور/محمد رجب البيومي ―――― ١٩٧٠

● ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾
لفضيلة الإمام الأكبر ―――― ١٩٧٨

● الطاعات تفرج الكربات
لفضيلة الشيخ/إبراهيم الجبالي ―――― ١٩٨٤

● لماذا نحج إلى البيت العتيق؟!
للدكتور/محمد عمارة ―――― ١٩٨٩

● الحج من الناحية التربوية
للأستاذ الدكتور/عبداللطيف الجديدي ―――― ١٩٩٦

● في أرض النبوة (قصيدة)
للأستاذ/محمود غنيم ―――― ٢٠٠٠

● الذبح والنحر في القرآن الكريم
للأستاذ الدكتور/عفيفي محمود عفيفي ―――― ٢٠٠٥

● بين إعلان حراء وإعلان عرفات
للأستاذ/مصطفى البسيوني ―――― ٢٠١٠

● الجبل (قصيدة)
للأستاذ الدكتور/صابر يونس ―――― ٢٠١٦

● حوار الحضارات (كتاب الشهر)
عرض وتقديم أ.د. ابراهيم عوضين ―――― ٢٠١٩

● وجود الغرب في بهو المرايا
للأستاذ الدكتور/محمد إبراهيم الفيومي ―――― ٢٠٢٨

● من الإرهابي؟!
للأستاذ الدكتور/عبدالعظيم المطعني ―――― ٢٠٣٢

● قصة زواج ناجح
للأستاذ الدكتور/محمود محمد عمارة ―――― ٢٠٣٥

● إسلام عدي بن حاتم
عابر سبيل ―――― ٢٠٤٤

● رمضان في بلاد الأمريكان (٣)
لفضيلة الشيخ/الطاهر الحامدي ―――― ٢٠٥١

● دمعة على طريق التوبة (قصيدة)
للأستاذ/محمد فهمي سند ―――― ٢٠٥٧

● الظلم
لفضيلة الشيخ/فوزي الزفزاف ―――― ٢٠٥٨

● من آيات الله في السماء
للأستاذ الدكتور/أحمد فؤاد باشا ―――― ٢٠٦١

● ياقدس (قصيدة)
للأستاذ/ربيع عبدالعزيز ―――― ٢٠٦٧

● بين النازية والصهيونية
للأستاذ/صلاح عبدالرحيم محمد ―――― ٢٠٦٨

● القدس في عيون يهودية
للدكتور/محمد حسن عبدالخالق ―――― ٢٠٧٢

● طرائف.. ومواقف
للشيخ/عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ―――― ٢٠٧٦

● لزوم ما لا يلزم
بين أبي العلاء وسابقيه
للأستاذ الدكتور/محمد أحمد العزب ―――― ٢٠٧٨

● الدعاة واللسان
للأستاذ الدكتور/عبدالحليم حفني ―――― ٢٠٨٤

● جرير بن عبدالله البجلي
للأستاذ/أحمد السيد تقي الدين ―――― ٢٠٨٨

● استفتاءات القراء
إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس ―――― ٢٠٩٢

● رسالة.. و..رد
لفضيلة الشيخ/عبدالفتاح جمعان ―――― ٢٠٩٤

● سؤال وجواب
للأستاذ/مجدي بشير ―――― ٢٠٩٧

● كيف نقدم إسلامنا للغرب؟
للأستاذ/اسماعيل ابو الهيثم ―――― ٢٠٩٩

● بين الصحف والمجلات
للأستاذ/محمود الفشني ―――― ٢١٠٢

● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم/عادل خفاجة ―――― ٢١٠٤

● أنباء العالم الإسلامي
للأستاذ/محمد الشرقاوي ―――― ٢١٠٩

● أنباء مكتب شيخ الأزهر
لفضيلة الشيخ/عمر البسطويسي ―――― ٢١١١

● الفهرس السنوي لعام ١٤٢٢هـ ―――― ٢١١٧